تفسير الملا علي القاري

المسمّى

أنوار القرآن وأسرار الفرقان

الجامع بين أقوال علماء الأعيان وأحوال الأولياء ذوي العرفان

تأليف

نور الدين علي بن سلطان الهروي المكي الحنفي

الشهير بـ: الملا علي القاري

المتوفى ١٠١٤ هـ

تحقيق

الدكتور ناجي السويد

المجلد الأول

من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة المائدة

منشورات

محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

DKi

بيروت - لبنان

تفسير
الملا علي القاري

المسمى

أنوار القرآن وأسرار الفرقان

الجامع بين أقوال علماء الأعيان وأحوال الأولياء ذوي العرفان

تأليف

نور الدين علي بن سلطان الهروي المكي الحنفي
الشهير بـ: الملا علي القاري
المتوفى ١٠١٤هـ

تحقيق

الدكتور ناجي السويد

الجزء الأول

من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة المائدة

دار الكتب العلمية
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
DKI
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

http://www.al-ilmiyah.com info@al-ilmiyah.com sales@al-ilmiyah.com baydoun@al-ilmiyah.com

الكتاب : تفسير الملاّ علي القاري

Title : TAFSĪR AL-MULLĀ 'ALĪ AL-QĀRĪ

AL MULLA ALI AL-QARI'S EXEGESIS OF THE HOLY QUR'AN

التصنيف : تفسير قرآن

Classification: Exegesis of the Holy Qur'an

المؤلف : الملاّ علي القاري (ت ١٠١٤ هـ)

Author : Al-Molla Ali Al-Qari (D. 1014 H.)

المحقق : الدكتور ناجي السويد

Editor : Dr. Naji As-souwayd

الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت

Publisher: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah - Beirut

Pages (5 Volumes)	2592	عدد الصفحات (٥ مجلدات)
Size	17x24 cm	قياس الصفحات
Year	2013 A.D. -1434 H.	سنة الطباعة
Printed in : Lebanon		بلد الطباعة : لبنان
Edition : 1st (2 Colors)		الطبعة : الأولى (لونان)

Exclusive rights by © Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beirut-Lebanon No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à © Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beyrouth-Liban Toute représentation, édition, traduction ou reproduction même partielle, par tous procédés, en tous pays, faite sans autorisation préalable signée par l'éditeur est illicite et exposerait le contrevenant à des poursuites judiciaires.

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة لدار الكتب العلمية بيروت-لبنان ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو مجزأ أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على أسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Est. by Mohamad Ali Baydoun

1971 Beirut - Lebanon

Aramoun, al-Quebbah, Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax: +961 5 804813
P.o.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon,
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢ ٥ ٩٦١+
فاكس: ٨٠٤٨١٣ ٥ ٩٦١+
ص.ب: ١١-٩٤٢٤ بيروت-لبنان
رياض الصلح-بيروت ١١٠٧٢٢٩٠

ISBN 978-2-7451-7596-3

فهرس المحتويات

مقدمة المحقق 3
سيرة المؤلف 5
وصف المخطوط 7
نماذج من صور المخطوط 9
مقدمة المؤلف 23
سورة الفاتحة 25
سورة البقرة 32
سورة آل عمران 255
سورة النساء 392
سورة المائدة 490

فهرس المحتويات

سورة الأنعام 3

سورة الأعراف 101

سورة الأنفال 226

سورة [التوبة] براءة 277

سورة يونس عليه السلام 359

سورة هود عليه السلام 414

سورة يوسف عليه السلام 468

سورة الرعد 527

فهرس المحتويات

سورة إبراهيم عليه السلام 3

سورة الحجر 34

سورة النَّحل 60

سورة الإسراء 118

سورة الكهف 177

سورة مريم عليها السلام 229

سورة طٰه عليه السلام 259

سورة الأنبياء عليهم السلام 314

سورة الحج 362

سورة المؤمنون 408

سورة النور 445

سورة الفرقان 490

فهرس المحتويات

سورة الشعراء 3
سورة النمل 33
سورة القصص 70
سورة العنكبوت 112
سورة الروم 141
سورة لقمان 164
سورة السجدة 177
سورة الأحزاب 189
سورة سبأ 222
سورة فاطر 240
سورة يٰس عليه السلام 263
سورة الصافات 289
سورة صٓ 317
سورة الزمر 340
سورة غافر (المؤمن) 372
سورة فصلت 402
سورة الشورى 423
سورة الزخرف 444
سورة الدخان 465
سورة الجاثية 475
سورة الأحقاف 486
سورة محمّد ﷺ 498
سورة الفتح 511

فهرس المحتويات

سورة الحجرات 3

سورة ق 13

سورة الذاريات 25

سورة الطور 38

سورة النجم 47

سورة القمر 61

سورة الرحمٰن 71

سورة الواقعة 86

سورة الحديد 101

سورة المجادلة 117

سورة الحشر 128

سورة الممتحنة 140

سورة الصف 147

سورة الجمعة 154

سورة المنافقين 160

سورة التغابن 165

سورة الطلاق 171

سورة التحريم 179

سورة الملك 186

سورة ن 195

سورة الحاقة 206

سورة المعارج 214

سورة نوح عليه السلام 221

سورة الجنّ 225
سورة المزمل 231
سورة المدثر 237
سورة القيامة 245
سورة الدهر 252
سورة المرسلات 260
سورة النبأ 266
سورة النازعات 271
سورة عبس 276
سورة التكوير 281
سورة الانفطار 285
سورة المطففين 289
سورة الانشقاق 295
سورة البروج 299
سورة الطارق 304
سورة الأعلى 306
سورة الغاشية 311
سورة الفجر 316
سورة البلد 321
سورة الشمس 325
سورة الليل 328
سورة الضحى 332
سورة [الانشراح] ألم نشرح 338
سورة التين 341
سورة العلق وقيل: القلم 345
سورة القدر 349
سورة البيّنة 352

سورة الزلزلة 355
سورة العاديات 357
سورة القارعة 359
سورة التكاثر 362
سورة العصر 365
سورة الهمزة 368
سورة الفيل 371
سورة قريش 373
سورة الماعون 376
سورة الكوثر 378
سورة الكافرون 380
سورة النصر 382
سورة اللهب [المسد] 385
سورة الإخلاص 387
سورة الفلق 390
سورة الناس 393

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة المحقق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه أجمعين ومن دعا بدعوته بإحسان إلى يوم الدين وبعد.

تعتبر المدرسة الصوفية جزءاً مهماً في التراث الإسلامي، ومعلماً في تطور الفكر الإسلامي، والسبب في ذلك البيئة الحاضنة والواسعة إضافة إلى الأسبقية التاريخية في نشأته، فبدايته في المائة الثانية للهجرة، مع الإشارة إلى وجود اختلاف لدى العلماء في ذلك.

وأمّا المحضن فهي بيئة واسعة مساحته انتشار الإسلام، وفي فترة ما رعاية لدى الحاكم، إضافة إلى بروز علماء تفاوتوا في شكل التصوف المتبع، فرمزية الفناء لدى بعض أقطابهم كالحلاج والسهروردي وابن الرومي شكلت عمقاً في هذا الفكر، وربما لم تكن استثناءً، وأيضاً وجود سلسلة ذهبية في هذا الفكر كالجنيد والشبلي والبسطامي والبقلي والقشيري وغيرهم.

لقد كان اهتمام المدرسة الصوفية في التزكية والتربية غالباً وكذلك ما يدعم هذا الجانب التطور الفكري الذي ظهرت معالمه في جوانب أخرى منها في تفسير القرآن الكريم.

لقد حفلت المدرسة الصوفية بكثرة وتنوع المؤلفات في تفسير القرآن الكريم ومنها:

- تفسير التستري (283هـ).
- تفسير البقلي «عرائس البيان في حقائق القرآن» (404هـ).

- تفسير السلمي «حقائق التفسير» (412هـ).
- تفسير مكي «تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية» مكي بن أبي طالب (437هـ).
- تفسير القشيري «لطائف الإشارات» (465هـ).
- تفسير القرآن لابن العربي (638هـ).
- تفسير إسماعيل حقي «روح البيان في تفسير القرآن» (1127هـ).
- تفسير ابن عجينة «البحر المديد في تفسير القرآن المجيد» (1224هـ).

وأخيراً وليس آخراً الكتاب الذي بين أيدينا «أنوار القرآن وأسرار الفرقان الجامع بين أقوال علماء الأعيان وأحوال الأولياء ذوي العرفان» للملّا علي القاري (1014هـ).

يعتبر تفسير الملّا علي القاري مرجعاً أساسياً ومهماً ليس في المجال الصوفي الفكري فقط، بل في جوانب عدّة. ومن مزايا هذا التفسير وأهمها:

- فقدان العاطفة والنفحة المذهبية، وخاصة العقدية، فالتعصب المذهبي عدمت معالمه لديه. ونجد التشعب في الآراء ظاهراً وبارزاً دون التمذهب البعيد أو الجانح، ومن المعلوم أن (علي القاري) على مذهب أبي حنيفة، هذا من جهة ومن جهة الأمور العقدية، فنهج منهجاً وسطياً ما بين الخلف والسلف إضافة إلى التعرج لمسائل الفرق الأخرى، وما هو الموقف الصارم منها:
- التعرض الواسع والكثير إلى الاعتماد على النقل، فتفسيره مليء بالاستناد إلى الأحاديث الشريفة والمتنوعة في الصحة، مع الإشارة أحياناً إلى ذلك، إضافة إلى أقوال الصحابة والتابعين وآرائهم.
- النقل عن أهل الكتاب، على وجه الخصوص التوراة وعن عيسى عليه السلام.
- الاهتمام بالجوانب اللغوية، فلا تخلو صفحة من استدلال ببيت شعر فهي كثيرة ومتنوعة.

- الاهتمام بعلم القراءات، فهو دائماً يذكر وجوه القراءات ويردها إلى أصحابها، فما من موضع إلا وقد أشار إليه بشكل عام.
- الاعتماد على أمهات الكتب في التفسير من السابقين أو المتأخرين، وعلى وجه الخصوص: تفسير البيضاوي وأبي السعود والكشاف والقشيري فرأي الأستاذ (القشيري) لا تخلو آية إلا ورأي الأستاذ حاضر، وكذلك تفسير السلمي والبقلي، ومن المتأخرين البحر المديد لابن عجينة.
- ذكر الرجال المتنوع والكثير والكم الهائل وعلى وجه الخصوص رجال الصوفية (الجنيد، الشبلي، ابن عطاء، المكي، القرشي، رويم، الحريري، الواسطي، الجبري، الصفوي، حمدون، أبو حفص الكرماني، السقطي، عياض، النصرآبادي، الدارني، الترمذي وغيرهم. . .

وجوانب أخرى تزيده أهمية ورتبة. . .

سيرة المؤلف(1)

اسمه ونسبه:

علي بن سلطان محمد أبو الحسن نور الدين الملّا الهروي المكي الحنفي القاري.

والملّا كلمة فارسية تطلق على العلامة الكبير، والهروي بلد المولد، والمكي لإقامته في مكة، والقاري لعلمه الواسع في علم القراءات.

نشأته:

ولد الملّا علي القاري في هراة وهي مدينة مشهورة من مدن خراسان في العقد الخامس من القرن العاشر للهجرة، فلا يوجد تحديد لسنة الولادة.

نشأ من هراة وأخذ العلم عن علمائها، وتمذهب على فقه الإمام أبي حنيفة، المنتشر في تلك البقاع.

---

(1) خلاصة الأثر (3/ 185)، والبدر الطالع (1/ 446)، ومعجم المؤلفين (7/ 100)، والأعلام (5/ 12).

ثم انتقل إلى مكة المكرّمة، فنهل من علمائها، فاهتم بكافة الفنون كالتفسير والحديث، وأيضاً علم القراءات فقد اشتغل بتدريسه والتأليف فيه حتى غدا إماماً في علم القراءات ولذلك لقب بالقاري.

أخذ عن كثير من العلماء ومنهم:

- ابن حجر الهيتمي.
- علي المتقي علاء الدين بن عبد الملك بن حسام الدين ابن قاضي خان الهندي.
- عطية السلمي.
- شهاب الدين أحمد العباس.
- السيد زكريا الحسني.
- قطب الدين المكي.
- محمد بن أبي الحسن البكري.
- أحمد بن بدر الدين المصري.

وأخذ عنه جمع كثير ومنهم:

- عبد القادر الطبري.
- أبو الوجاهة المرشدي.
- ابن فروخ الموروي.
- السيد معظم الحسيني البلخي.

مؤلفاته المطبوعة والمخطوطة:

تجاوزت مؤلفاته 150 مؤلفاً في شتى العلوم ومنها:

- الأحاديث القدسية الأربعينية.
- الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة.
- التبيان فيما يتعلق بليلة النصف من شعبان وليلة القدر.

- الشروحات (شرح المشكاة، والشمائل الوترية، ونخبة الفكر، والشفاء، والشاطبية).
- الأثمار الجنية.
- الأدب في رجب.
- الاستدعاء في الاستسقاء.

وفاته:

توفي في شهر شوّال سنة 1014هـ في مكة المكرّمة، ودفن بمقبرة المعلاة.

وقالوا: لما بلغ خبر وفاته علماء مصر صلوا عليه في الجامع الأزهر صلاة الغائب في جمع حافل بلغ أربعة آلاف نسمة فأكثر، رحمه الله تعالى رحمة واسعة وأسكنه فسيح جنانه آمين.

مخطوطة الكتاب

أولاً: اعتمدت في نسخ الكتاب على مخطوطين مع الإشارة إلى وجود مخطوطات عدّة، بلغت ثمانية عشر موزعة ما بين الموجودة في تركيا (13) ومصر (3) في القاهرة والإسكندرية ودمشق (1) الظاهرية، وجامعة الرياض الملك سعود (1).

ثانياً: النسخة المعتمدة.

النسخة الأولى: جامعة استنبول رقم (615) عدد الأوراق (646) تاريخ النسخ (1049هـ)، خط نسخ أقرب للفارسي، عدد الأسطر 25 من الحجم الكبير خط واضح لا تشوبه شائبة وهي غير مكتملة.

النسخة الثانية: مكونة من ثلاثة أجزاء الجزء الثالث فيه نقص تملكها محمد بن سليمان عدد الأسطر (25) من الحجم الكبير تاريخ النسخ (1139هـ)، كتبت بخط النسخ، واضحة، خالية من الأخطاء، كتب بعض الكلمات على الهامش.

ويلاحظ في النسختين:

- حذف ألف الوصل.
- كتابة الألفات غير مهموزة وكذلك الياء.
- إغفال ألف الجماعة وأحياناً العكس صحيح.

★ منهجي في التحقيق:

- نسخ الكتاب وإخراج نصه سليماً.
- إخراج النص بترتيب مميز يسهم في سهولة قراءته.
- ترقيم الآيات وتبيان مكانها في سور القرآن.
- تخريج صحيحي الإمامين البخاري ومسلم بحسب الأصول المطبوعة بتحقيق وترقيم الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي.
- تخريج الأحاديث الشريفة حسب المكتبة الشاملة.
- توثيق النقول وخاصة أبيات الشعر.
- شرح بعض الكلمات المبهمة.
- التعريف ببعض الفرق.

وأخيراً أسأله سبحانه وتعالى التوفيق والسداد وأن ينفع به طلاب العلم آمين والحمد لله رب العالمين.

وكتبه د. ناجي السويد

عرمون 8 صفر 1433هـ

الموافق 2 كانون الثاني 2012م

نماذج من صور المخطوط

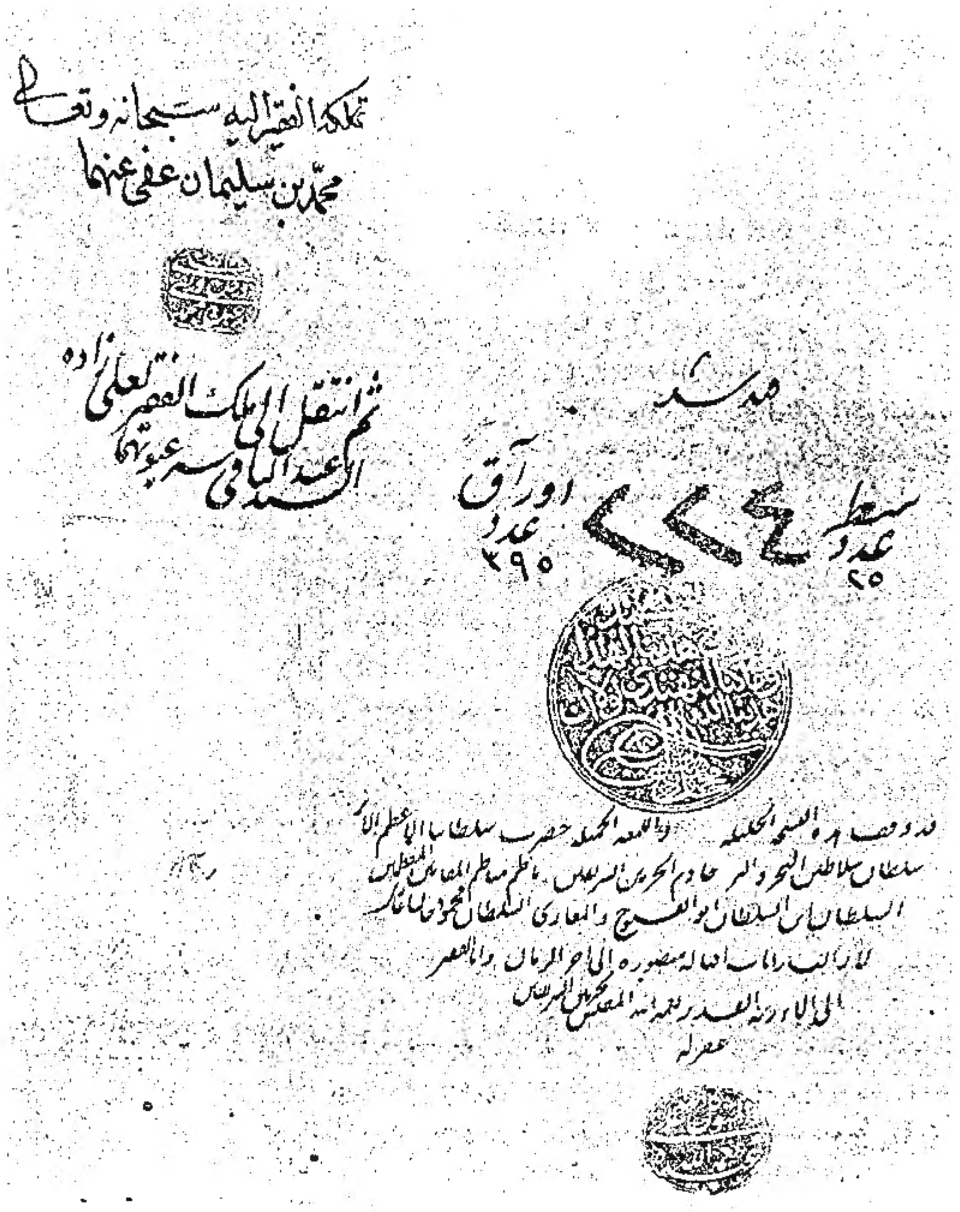

صورة غلاف المخطوط ـ الجزء الأول (النسخة أ)

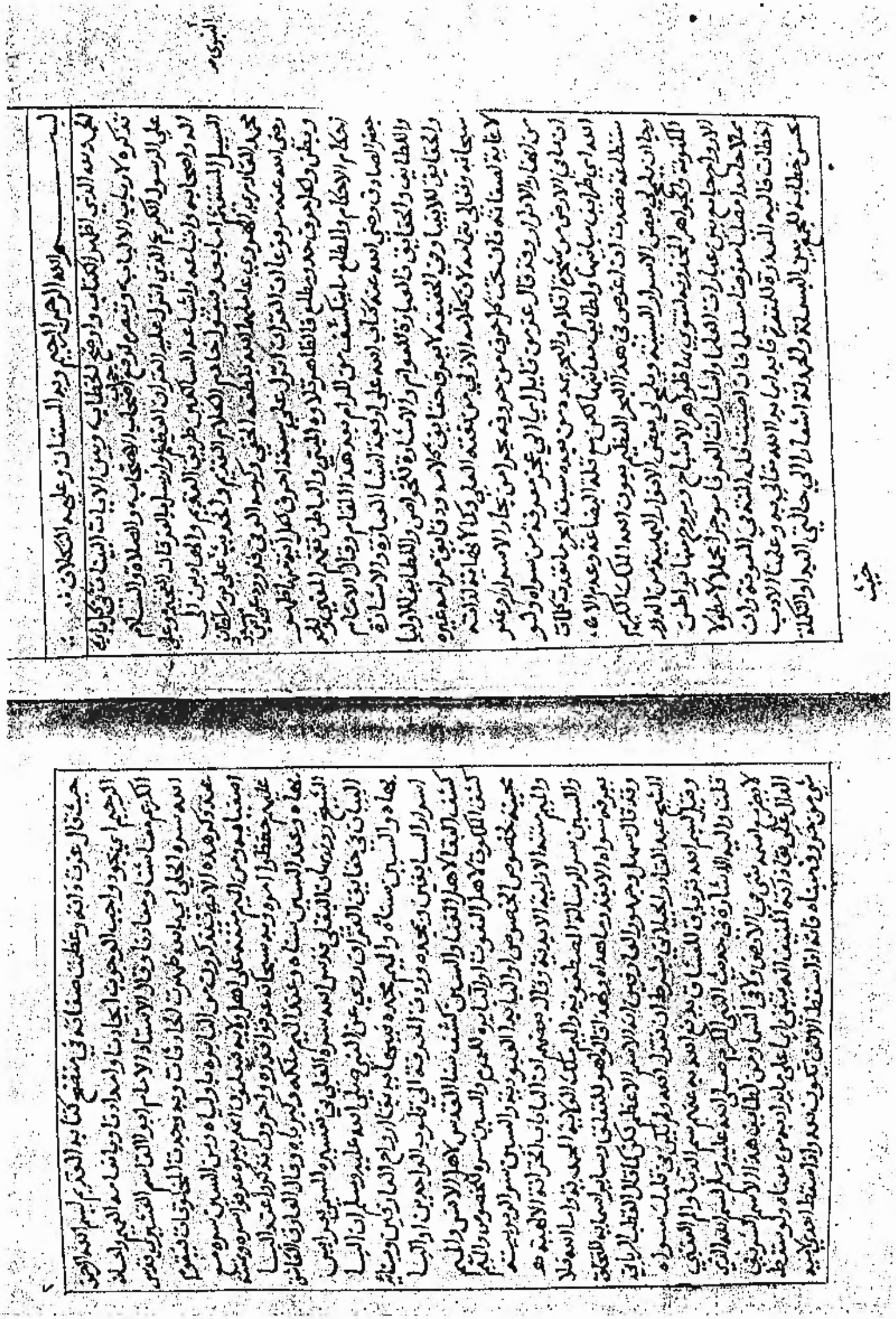

صورة الصفحة الأولى من المخطوط ـ الجزء الأول (النسخة أ)

ثم ايا بكم فان تولوا اعرضوا عن الايمان بك فقل حسبي الله فانه
يكفيك ويعينك لا اله الا هو كالدليل لما قبله عليه توكلت اي
اعتمدت فيما اخافه وارجوه وهو رب العرش العظيم اي الملك الفخيم
او الجسيم الاعظم المحيط بجميع الكائنات الذي تنزل منه الاحكام و
المقدرات واتحاد الاستناد اليه سبحانه قال له يا ايها النبي حسبك الله ومن
ثم امره بان يقول حسبي الله لقوله حسبك الله عين الجمع وقل حسبي الله
ترق اقول بل هو جمع الجمع اي قل ولكن بنا تقول فنحن المتولي عنك وانت
مستهلك في عين التوحيد منك فانت بنا ومحو عن غيرنا الذي
نحمده شاكرين ونشكره قاصرين في مقام تقصورنا عن مرام
حصورنا صابرين وقد ختم الجزء الاول الشريف بالحمد
المنيف كما ابتدايه ويبتدا الجزء الثاني من تفسير
السبع المثاني المسمى بانوار القرآن واسرار الفرقان
لظهور نور العبارة وسرور حبور الاشارة
وكان الفراغ من كتابته يوم الاربع المبارك
ثاني عشرون جمادي اول من شهور
سنة الف ومائة تسعة وثلا
ثون من الهجرة النبوية
على صاحبها افضل
الصلاة والسلام

صورة الصفحة الأخيرة من المخطوط ـ الجزء الأول (النسخة أ)

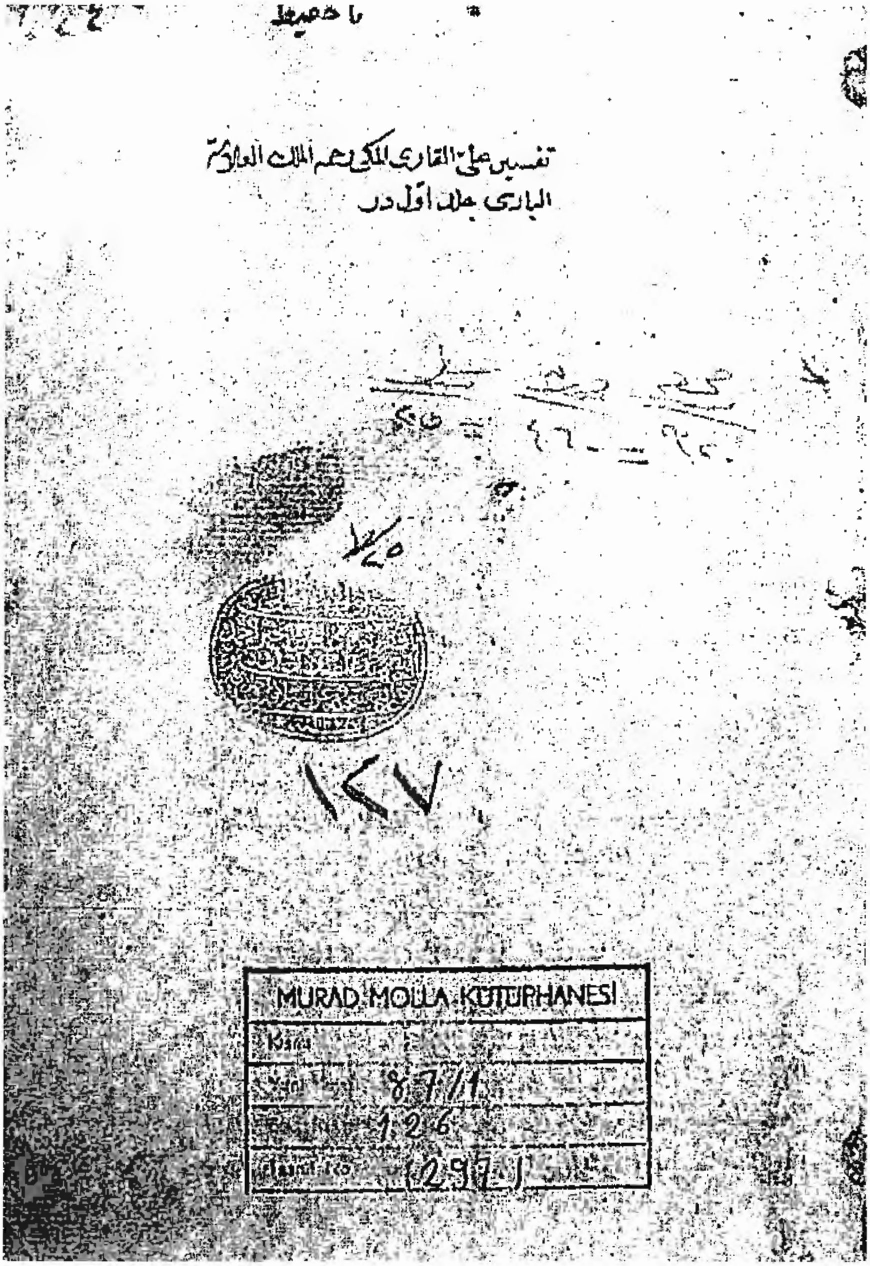

صورة غلاف المخطوط ـ الجزء الأول (النسخة ب)

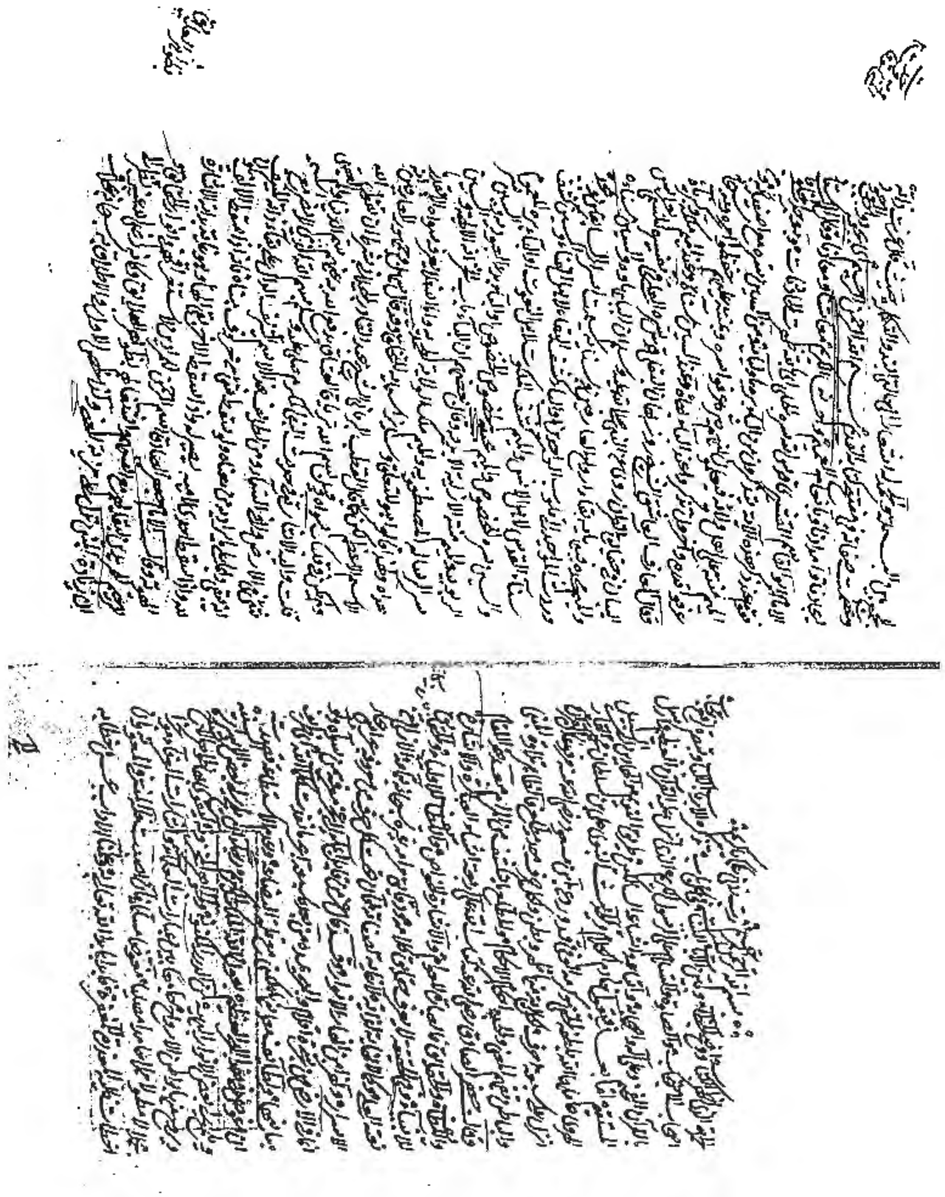

صورة الصفحة الأولى من المخطوط ـ الجزء الأول (النسخة ب)

صورة الصفحة الأخيرة من المخطوط ـ الجزء الأول (النسخة ب)

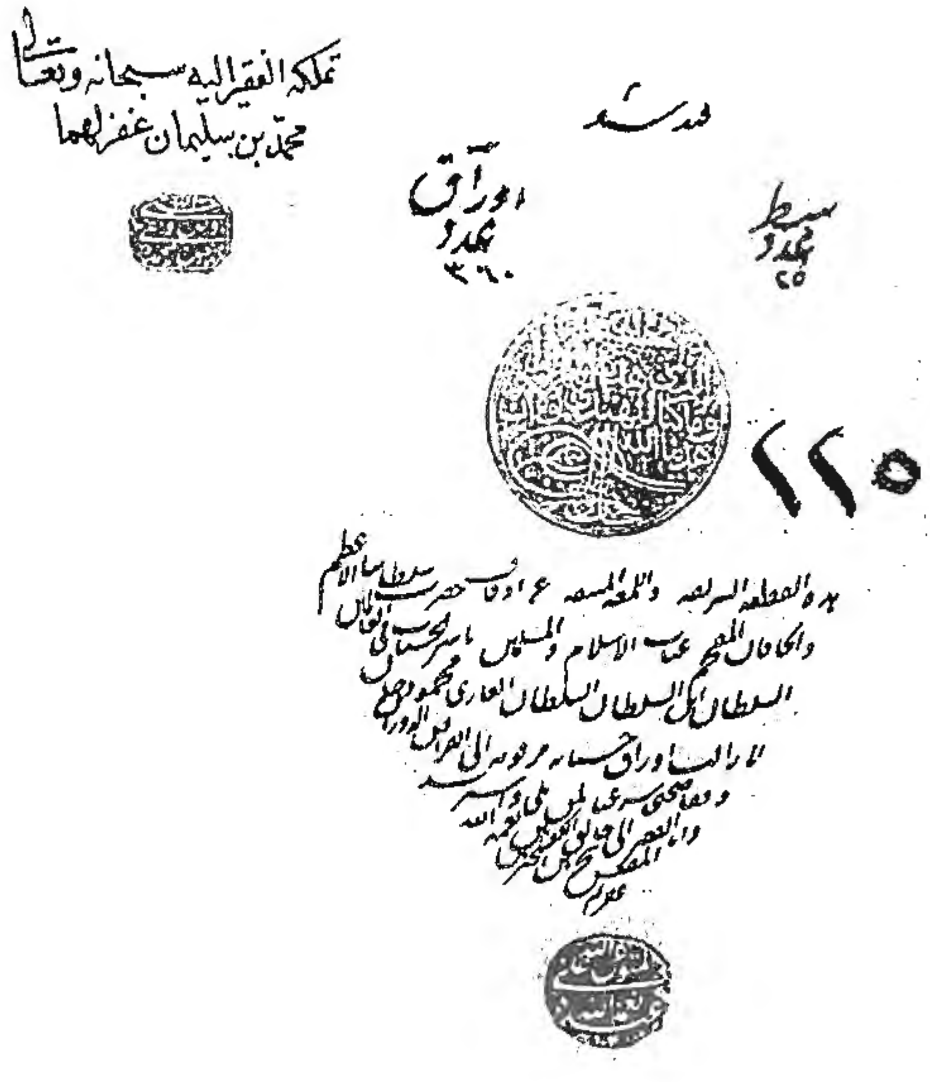

صورة غلاف المخطوط ــ الجزء الثاني (النسخة أ)

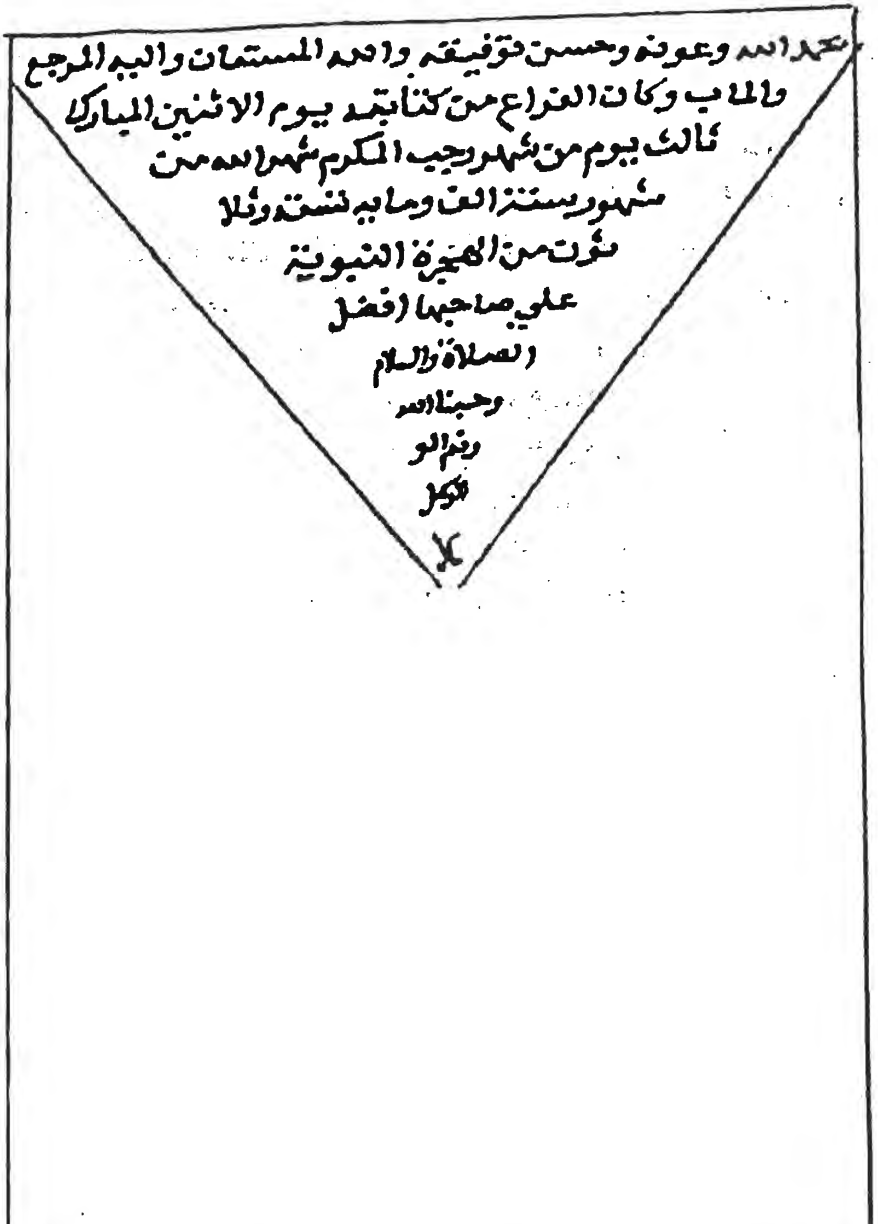
بحمد الله وعونه وحسن توفيقه والله المستعان واليه المرجع
والمآب وكان الفراغ من كتابته يوم الاثنين المباركا
ثالث يوم من شهر رجب المكرم شهر الله من
شهور سنة الف ومايه تسعة وثلا
ثون من الهجرة النبوية
على صاحبها افضل
الصلاة والسلام
وحسبنا الله
ونعم الو
كيل

صورة الصفحة الأخيرة من المخطوط ــ الجزء الثاني (النسخة أ)

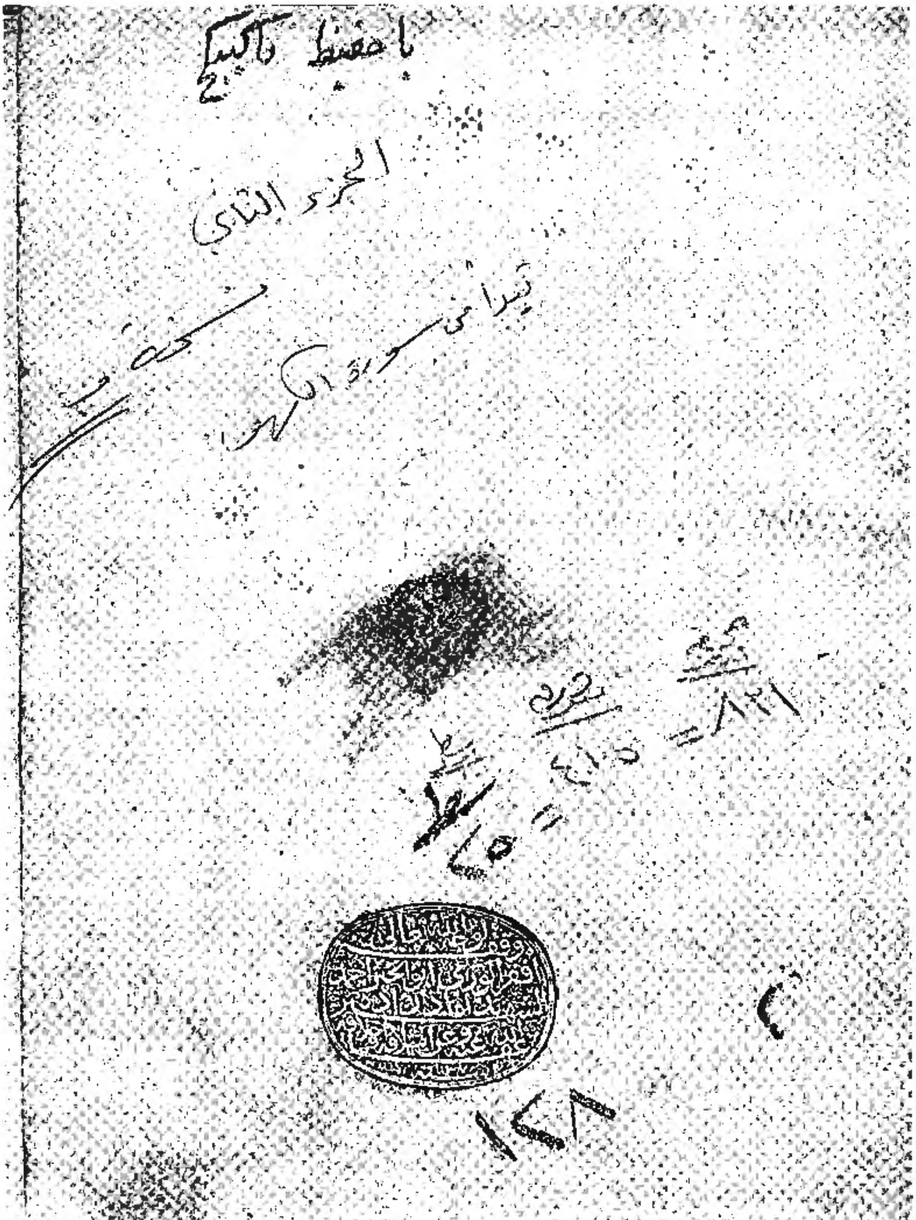

صورة غلاف المخطوط ـ الجزء الثاني (النسخة ب)

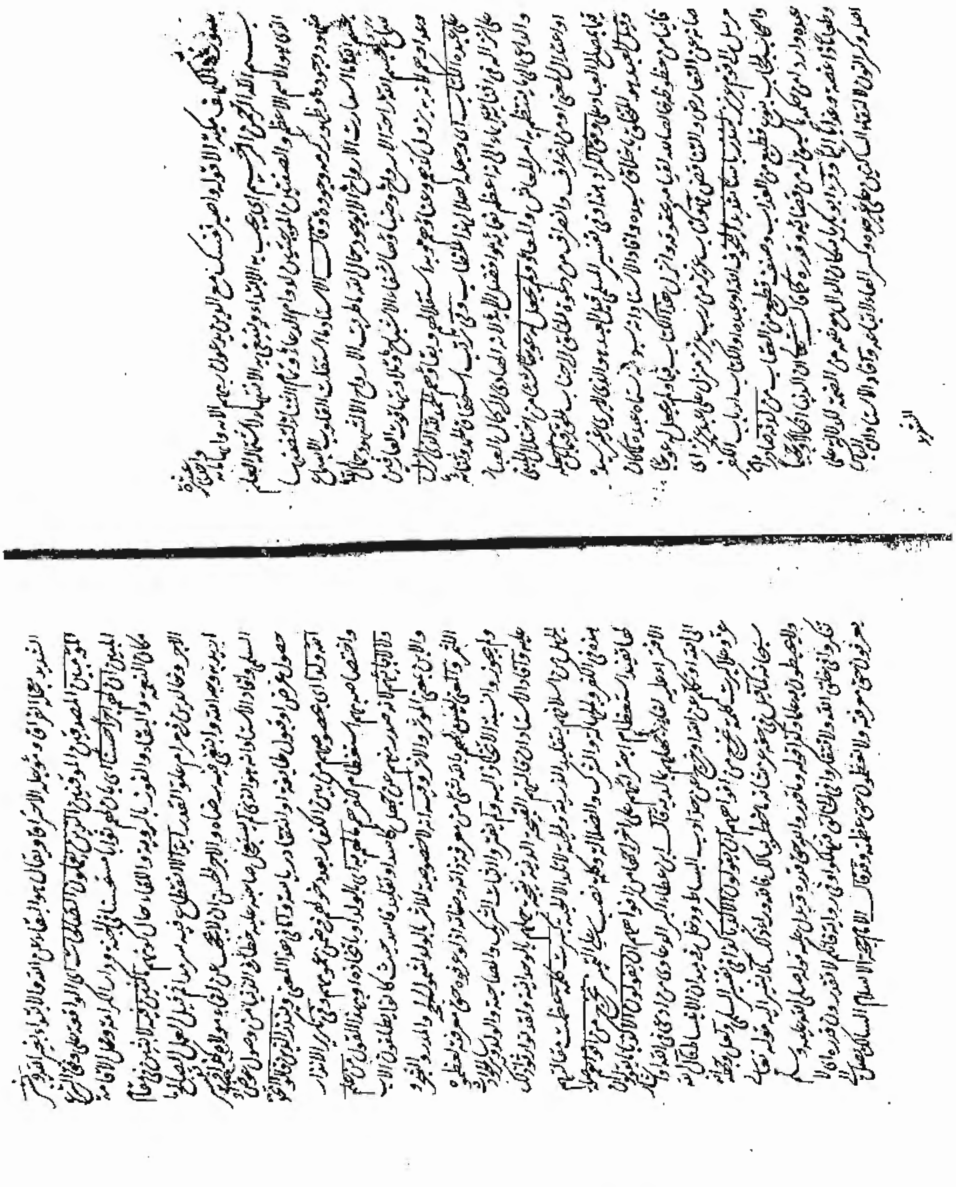

صورة الصفحة الأولى من المخطوط ـ الجزء الثاني (النسخة ب)

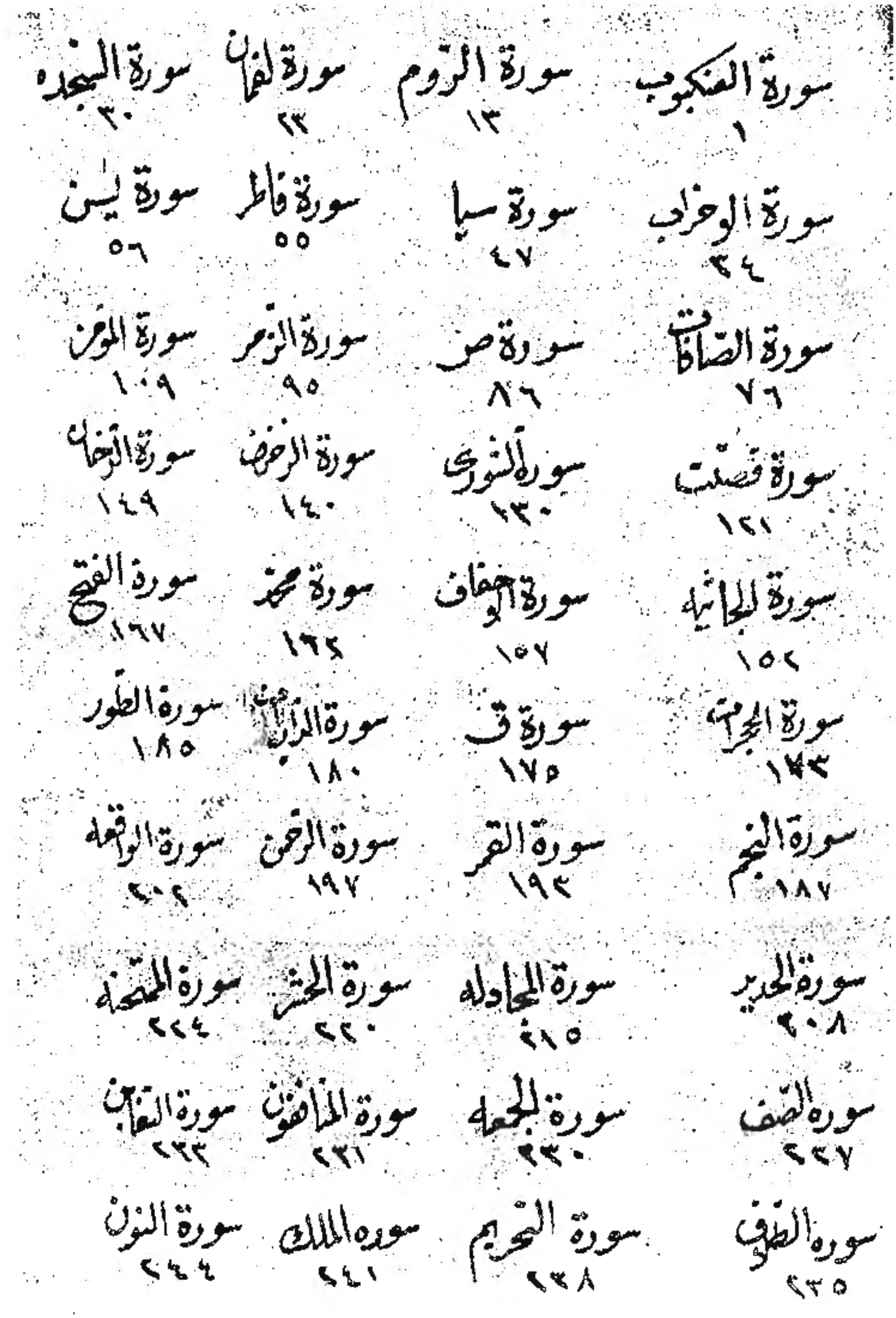

سورة العنكبوت ١	سورة الروم ١٣	سورة لقمان ٢٢	سورة السجده ٣٠
سورة الاحزاب ٣٤	سورة سبا ٤٧	سورة فاطر ٥٥	سورة يس ٥٦
سورة الصافات ٧٦	سورة ص ٨٦	سورة الزمر ٩٥	سورة المومن ١٠٩
سورة فصلت ١٢١	سورة الشورى ١٣٠	سورة الزخرف ١٤٠	سورة الدخان ١٤٩
سورة الجاثيه ١٥٢	سورة الاحقاف ١٥٧	سورة محمد ١٦٢	سورة الفتح ١٦٧
سورة الحجرات ١٧٣	سورة ق ١٧٥	سورة الذاريات ١٨٠	سورة الطور ١٨٥
سورة النجم ١٨٧	سورة القمر ١٩٣	سورة الرحمن ١٩٧	سورة الواقعه ٢٠٢
سورة الحديد ٢٠٨	سورة المجادله ٢١٥	سورة الحشر ٢٢٠	سورة الممتحنه ٢٢٤
سورة الصف ٢٢٧	سورة الجمعه ٢٣٠	سورة المنافقون ٢٣١	سورة التغابن ٢٣٣
سورة الطلاق ٢٣٥	سورة التحريم ٢٣٨	سورة الملك ٢٤١	سورة النون ٢٤٤

صورة غلاف المخطوط ــ الجزء الثالث (النسخة أ)

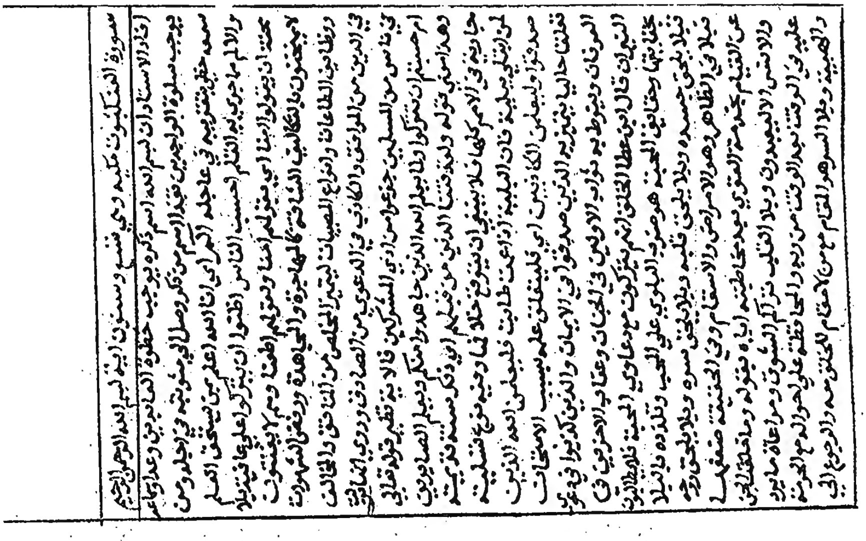

صورة الصفحة الأولى من المخطوط ــ الجزء الثالث (النسخة أ)

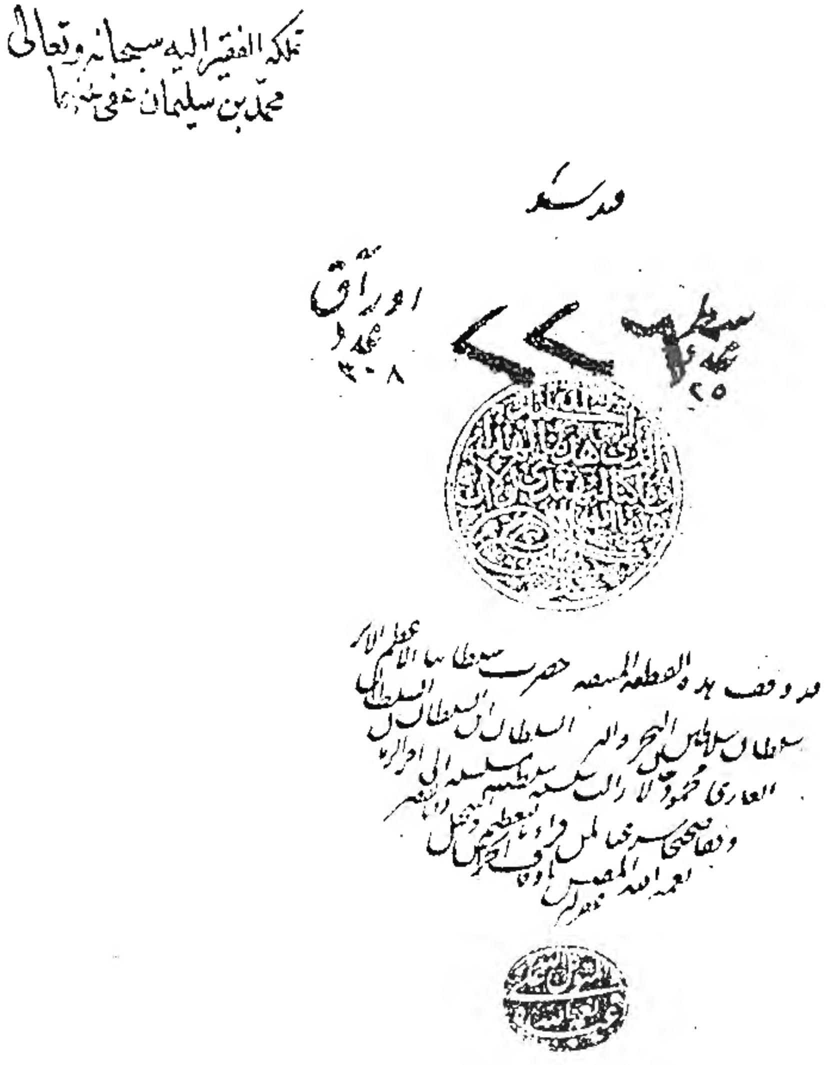

تملكه الفقير إليه سبحانه وتعالى
محمد بن سليمان عفي عنهما

صورة غلاف المخطوط ــ الجزء الثالث (النسخة ب)

بمعنى الزلزلة اما المصدر فبالكسر كالزلزال والمراد به الموسوس سمي بفعله مبالغة الخناس
الذي عادته الخنس اي التاخر اذا ذكر الانسان ربه الذي يوسوس في صدور الناس
اذا غفلوا عن ذكر ربهم واشتغلوا بحظ انفسهم من الجنة والناس بيان للوسواس او يتعلق
بيوسوس اي يوسوس في صدورهم من جهة الجنة انهم يعلمون الامور الغيبية والناس كالكهان
والمنجمين فيما يتيسر الادوار الفلكية قال يحيى بن معاذ الوسوسة بذر الشيطان فان لم تعطه
ارضا وماء ضاع بذره وبطل امره وان اعطيته الارض والماء بذر فيه فسبيل الارض
والماء قال الشبع ارضه والنوم ماؤه يعني من كثر شربه كثر نومه ومن كثر نومه عظم ندمه
وقال بعضهم من اراد الدنيا الخلاص من الوسوسة واعاد الانسان ان الشيطان له تسليط على
الناس بالوساوس وان النفس من قبلها للعبد هواجس والوساوس والهواجس متقاربة
وفرقوا بينهما بان الشيطان اذا دعاك الى محظور فان خالفته يدع ذلك ويدعوك الى
معصية اخرى فهذا كله لا غرض له الا ادامة دعايك الى مطلق زلة وهي لها غير مختلفة
والنفس تدعوك الى حظها وهي تلجوج في مقصدها ولا تنصرف عنك ما لم تصل الى مرادها
فتلح ولا ترضى بدون حصول مطلوبها ووصول محبوبها الا بمجاهدة صادق في حقها
وكل من جاهد بنفسه من غير استعانة بربه وتبرئة من قوته لم يتم له الامر في مجاهدته
وعن قريب سيقع في هوة غلطة من مشاهدته واذا علم الحق سبحانه صدق الاستعانة
من عبده اعانه بل اذا اراد الحق اعانة عبد حمله على الاستعانة بربه من شر عدوه
والتوكل عليه في جميع ما يرد عليه في الطريق وبالله التوفيق تم كتاب انوار القران
واسرار الفرقان الجامع بين اقوال علماء الاعيان واحوال الاولياء ذوي العرفان
والحق انه جوهرة منيعة لمعت من معادن الحقايق الربانية ودرة رفيعة طلعت
من منابع الدقايق الخفية ليس فيها ما ينافي الطريقة من نصوص الشريعة
والحقيقة فانه منزه عما تقول الحلولية والاتحادية من اصحاب
التفرقة ببيان القراآت العارية عن صحة الرواية والاعرابات
الغريبة في مقام الدراية لا فارض ولا بكر بل بين
... ما صدر عن نقل او نظر ...
... سنة ... م م

صورة الصفحة الأخيرة من المخطوط ـ الجزء الثالث (النسخة ب)

/ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ 2/أ

وبه المستعان وعليه التكلان

الحمد لله الذي أظهر الكتاب وأوضح الخطاب، وبين الآيات البينات في كل باب تذكرة لأرباب الألباب. وتبصرة لدفع حجاب أصحاب الاحتجاب، والصلاة والسلام على الرسول الكريم، الذي أنزل عليه القرآن العظيم، وأرسل بالفرقان الفخيم. وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأشياعه السالكين طريق القويم والهادين إلى السبيل المستقيم.

أما بعد فيقول خادم الكلام القويم والحديث النبوي علي بن سلطان محمد القاري الهروي عاملهما الله بلطفه الخفي وكرمه الوفي: قد ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً أن القرآن أنزل على سبعة أحرف لكل آية منها ظهر وبطن ولكل حرف حد[1] ومطلع فالظاهر تلاوة المبنى والباطن تفهم المعنى والحد إحكام الأحكام والمطلع ما ينكشف من المرام بعد هذا المقام.

وقال الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه: كتاب الله على أربعة أشياء العبارة والإشارة واللطائف والحقائق فالعبارة للعوام والإشارة للخواص واللطائف للأولياء والحقائق للأنبياء وفي الحقيقة لا يعرف حقائق كلامه ودقائق مرامه غيره سبحانه وتعالى بتمامه لأن كلامه الأزلي من نعته العلي وكما لا نهاية لذاته لا غاية لصفاته فإن تحت كل حرف من حروفه بحراً من بحار الأسرار ونهراً من أنهار الأنوار. وقد قال عز من قائل إيماءً إلى عجز معرفة من سواه ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ

(1) أورده البغوي في تفسيره (1/ 46).

سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۚ﴾ [لقمان، الآية: 27] أي طرائف مبانيها ولطائف معانيها لكن مع قلة البضاعة وعدم الاستطاعة قصدت أن أغوص في هذا البحر العظيم بعون الله الملك الكريم رجاء أن يلمح لي بعض الأسرار السنيّة ويلمح لي بعض الأنوار البهية من الدرر المكنونة والجواهر المخزونة ليقوى بها ظواهر الأشباح ويروح منها بواطن الأرواح جامعاً بين عبارات العلماء وإشارات العرفاء موجزاً مجملاً لا مطولاً مملاً حامداً مصلياً مفوضاً مسلماً فإن أصبت فله المنّة في المعونة وإن أخطأت فإليه المعذرة للمغفرة فأبدأ بما بدأ الله تعالى به وعلمنا الأدب بحسن خطابه للجمع بين البسملة
2/ب والحمدلة إشعاراً إلى حالتي البناء والتكملة/ حيث قال عزت ذاته وعظمت صفاته في مفتتح كتابه القديم.

سورة الفاتحة

[مكيّة]

وآيها سبع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أي بجود واجب الوجود إيجادنا وإمدادنا وبإنعامه العميم وإحسانه الكريم معاشنا ومعادنا.

وقال الأستاذ الإمام أبو القاسم القشيري قدّس الله سره الجلي: أي بالله ظهرت الحادثات وبه وجدت المخلوقات فقوم عند ذكر هذه الآية يتذكرون من الباء بره بأوليائه ومن السين سره مع أصفيائه ومن الميم منته على أهل ولائه فيعلمون أنهم ببره عرفوا سره وبمنّته عليهم حفظوا أمره وبه سبحانه عرفوا قدره وآخرون تذكروا عند الباء بهاءه وعند السين سناءه وعند الميم ملكه وكبرياءه.

وقال العارف العاشق الشيخ روزبهان البقلي قدّس الله سره العلي في تفسيره المسمى «**بعرائس البيان في حقائق القرآن**»: روي عن النبي ﷺ أن الباء بهاؤه والسين سناؤه والميم مجده فيها فببائه بقاء أرواح العارفين وبسنائه أسرار السابقين وبمجده وردت المعرفة إلى قلوب الواجدين أو الباء كشف البقاء لأهل الفناء والسين كشف سناء القدس لأهل الأنس والميم كشف الملكوت لأهل النعوت أو الباء بره للعموم والسين سره للخصوص والميم محبَّتُه لخصوص الخصوص أو الباء بدء العبودية والسين سر الربوبية والميم منته الأزلية الأبدية[1] وقال بعضهم أن الباء باب الخزانة الإلهية. والسين سر الرسالة المصطفوية والميم ملك الولاية المحمدية وأما الله فلا يعرفه سواه إلا

---

(1) هذه الرواية لم تصح، وإنما جاءت هذه المعاني عند أهل التصوف. انظر: تفسير القشيري (1/ 1).

بقدر ما هداه ولهذا قالوا هو للتعلق وسائر أسمائه للتخلق.

وقد قال سهل وجمهور العارفين أنه الاسم الأعظم لكن كما قال القطب الرباني الشيخ عبد القادر الجيلاني: بشرط أن تقول الله ولم يكن في قلبك سواه وقيل ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ [الفاتحة، الآية: 1] ترياق العشاق يدفع الله به عنهم سمَّ الدنيا وألم العقبى قلت وإليه الإشارة في حديث النبي المكرم ﷺ «بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء» ومن لطائف هذا الاسم الشريف الدال على بقاء ذاته المنيف أنه يبقى دائماً على ما يراد به من معناه ولو سقط شيء من حروف مبناه، فإنه إذا سقط الألف يكون لله وإذا سقط إحدى
3/أ لاميه/ يصير له وإذا سقط الآخر يبقى الهاء وهو غاية بداية الإشارة الهوية.

وقال الإمام جعفر الصادق: اسم ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الآية: 1] للمرادين لاستغراقهم في أنوار الحقائق والرحيم للمريدين لبقائهم مع أنفسهم واشتغالهم بظواهر العلائق، وكأنه رضي الله عنه نظر إلى أن زيادة المبنى يدل على مزيةٍ لِمعنى ولذا خص الأول في الإطلاق به سبحانه بخلاف الثاني فإنه يطلق على غيره وقد يقال أن رحمة الرحمن شاملة للمؤمنين والكافرين بخلاف رحمة الرحيم فإنها مختصة بالمؤمنين فقد يراد الرحمة ويتعلق الجذبة بالكافر والفاجر فهو إثر رحمة الرحمن وأيضاً رحمة الرحمن في الدنيا فهي سابقة على العقبى فتناسب المراد والمجذوب من العباد ولو قيل الرحمن للمريد والرحيم للمراد: له وجه في مقام المرام فإن رحمة الرحمن غاية شاملة للعوام بخلاف رحمة الرحيم فإنها خاصة للخواص الكرام.

ولذا قال الأستاذ: الرحمة إرادة النعمة أو نفس النعمة بنا على أنها صفة ذات الكمال أو أنها من صفات الأفعال فنعمة هي للأشباح والظواهر ونعمة هي للأرواح والسرائر فالرحمن رزق الجميع ما فيه راحة ظواهرهم والرحيم وفق المؤمنين لما به حياه سرائرهم و﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الآية: 1] بما روَّح و﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ [الآية: 1] بما لوَّح فالترويح بالمَبَارِّ والتلويح بالأنوار والرحمن بكشف تجليه والرحيم بلطف توليه والرحمن بما أولى من الإيمان والرحيم بما

أَسْدى من العرفان و﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ بما ينعم به من الغفران و﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ [الآية: 1] بما يمن به من الرضوان.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الآية: 2] أي حمده له يحق حمده لعجز عبده في حمده عن حدِّه أو الحامدية والمحمودية ثابتة له بالصفة الجامعية ولذا قيل: لا حامد لله سواه فهو الحامد والمحمود والواجد والموجود وقال بعضهم عن الله تعالى: لو عرفت ذلك عبدي لما شكرت غيري ولما حمدت أحداً بعدي ولذا يجب في جميع الأشغال أن يقال ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الآية: 2] على كل حال.

قال الأستاذ: فطائفة حمدوه على ما لاح لقلوبهم من عجائب لطفه وأودع سرائرهم من مكنونات بره وقوم حمدوه عند شهود ما كاشفهم به من صفات القدم ولم يردوا من ملاحظة الفرد الكرم إلى تصفح أقسام النعم وتأمل خصائص القسم وفرق بين من يمدحه بعزِّ جلاله وبين/ من يشكره على وجوده 3/أ
أفضاله وقد قال رجل بين يدي الجنيد: الحمد لله فقال له أتمها كما قال الله ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الآية: 2] فقال له الرجل ومن العالمون حتى يذكر مع الحق فقال: قله يا أخي فإن الحديث إذا قارن بالقديم لا يبقى له أثر، قلت: وكان المريد لم يعدل بعد إلى مقام المريد حيث وقف في مرتبة الجمع بعد التفرقة فأراد الشيخ ترقيته إلى مقام جمع الجمع حيث لا يمنع الكثرة عن الوحدة ولا الوحدة عن الكثرة بل قيل الجمع بلا تفرقة يؤدي إلى تعطيل وزندقة بخلاف جمع الجمع فإنه مقام الحقيقة الجامعة بين الشريعة والطريقة والمعنى مربي موجوداته لما خلقهم له من مراتب تعيناته ومناصب تنزلاته بحسب مناسبات تجلياته.

قال الأستاذ: أي مربي الأشباح بِوجود النعم ومربي الأرواح لشهود الكرم وفي «**العرائس**» مربي المريدين بلوامع أنواره ولوايح أسراره ومربي المحبين بحلاوة مناجاته ولذة مناداته ومربي المشتاقين بحسن وصاله ومربي العاشقين بكشف جماله.

﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الآية: 3] أي مفيض المنن الظاهرية ومفيد المنح الباطنية أولاً وآخراً فلا يتوهم أن في الكلام مكرراً وقيل ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ بالنعمة

و﴿الرَّحِيمِ﴾ بالعصمة وقيل ﴿الرَّحْمَٰنِ﴾ بالتجلي، و﴿الرَّحِيمِ﴾ بالتولي وقيل ﴿الرَّحْمَٰنِ﴾ بكشف الأنوار و﴿الرَّحِيمِ﴾ بحفظ الأسرار وقيل ﴿الرَّحْمَٰنِ﴾ بذاته و﴿الرَّحِيمِ﴾ بصفاته.

وقال أبو القاسم الجنيد: روح الله روحه الرحمن إشارة إلى لطفه والرحيم إشارة إلى عطفه.

وقال صاحب «**العرائس**»: ﴿الرَّحْمَٰنِ﴾ [الآية: 3] محل طلوع أنوار العناية و﴿الرَّحِيمِ﴾ [الآية: 3] محل إشراق شمس الكفاية ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الآية: 4] أي سلطان زمان ظهور جزاء الأعمال ومالك رقاب أرباب الكمال وأصحاب الجلال والجمال.

قال الأستاذ: ملك قلوب العابدين فصرفها في خدمته وملك قلوب العارفين فشرفها بمعرفته وملك قلوب القانعين إحسانه فطمعوا في عطائه وملك قلوب الموحدين سلطانه فقنعوا ببقائه.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الآية: 5] أي نخصك بالعبادة حيث لا معبود ولا مشهود ولا موجود سواك ولا مطلوب ولا مرغوب ولا محبوب إلا إياك ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الآية: 5] لأن الاستعانة والاستغاثة من الغير المعبر عنه بالغين مع شهود الوجود المعنيّ بالعين في عين أرباب التوحيد هو عين الإشراك ففي الجملة
4/أ إشارة إلى التفرقة في الجملة الأولى/ الجزيلة الجلية وإيماءً في الثانية إلى الجمع في المرتبة الجميلة العلية ولذا قال بعض أهل المعرفة الاستعانة طلب العين والمعنى نسألك أن تجعلنا لك عابدين كأننا نعاينك بعين اليقين وهو أكمل مقامات العارفين كما أشار إليه ﷺ في معرض البيان بعد تعريف الإسلام والإيمان والإحسان أن تعبد الله كأنك تراه[(1)].

وقال بعض العارفين: العبادة شغل كلك به وهو شغل القلب بمعرفته وشغل الروح بمجاهدته وشغل النفس بخدمته وشغل اللسان بمدحته وقيل العبادة انقياد الظواهر والعبودة استسلام الضمائر.

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (50)، ومسلم في الصحيح (9/ 5).

وقال الأستاذ: والعبادة تشير إلى بذل الجهد والمنّة والاستعانة تخبر عن استجلاب الطول والمنّة وبالعبادة وجود الشرف وبالاستعانة أمان التلف وبالعبادة نزهة القاصدين ومربع الأنس للمحبين ومرتع البهجة للعارفين بها قرة أعينهم وفيها مسرة قلوبهم ومنها راحة أرواحهم إليه أشار ﷺ بقوله أرحنا يا بلال[1].

ولقد قال مخلوق في مخلوق بأحسن مقال يا قوم ثأري عند أسماء يعرفه الحاضر والنائي لا تدعني إلا بيا عبدها فإنه أصدق أسمائي والاستعانة إحلال رحلك بساحة كرمه وتسليم كلك إلى يد أمره وحكمه وفي «العرائس» ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ بالعلم ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ بالمعرفة وقيل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ بأمرك ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ بفضلك.

وقال سهل: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ بهدايتك ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الآية: 5] بكلاءتك.

﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الآية: 6] أي أرشدنا إلى الطريق القويم القوي وثبتنا على النهج المستوي وأوصلنا إلى نهاية الجادة وبلغنا غاية السجادة الجامعة بين أسرار الشريعة وأزهار الذريعة وأطوار الطريقة وأنوار الحقيقة.

وقال الأستاذ: ﴿ٱهْدِنَا﴾ إليك واجعل إقبالنا عليك وكن عليك دليلنا ويسر إليك سبيلنا وأقم لنا هممنا واجمع بك همومنا واقطع أسرارنا عن شهود الأغيار ولوح في قلوبنا طوالع الأنوار وأفرد قصودنا إليك عن دنس الآثار وفي «العرائس» أي مل بِقلوبنا إليك وأقم بهممنا بين يديك وقيل ﴿ٱهْدِنَا﴾ هدي العيان بعد هدي البيان وقيل أرشدنا في الدنيا/ إلى الطاعات وفي العقبى إلى الدرجات. 4/ب

وقال جنيد: كن طالب الاستقامة ولا تَكُن طالب الكرامة فإن الرب يطلب الاستقامة والنفس تشتهي الكرامة ثم الاستقامة الظاهرة رعاية حدود الله والاستقامة الباطنة نفي خطور ما سوى الله.

---

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (6/ 277) رقم (6215). وانظر: مشكل الآثار للطحاوي (12/ 220)، وتخريج أحاديث الإحياء (5/ 482) رقم (2782) واللفظ (أرحنا بها يا بلال).

﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الآية: 7] أي الذين أحسنت إليهم من الأنبياء والأولياء السالكين طريق الأحباء المظاهر لنعوت الجمال في مرآة الكمال على وجه برقان الصفا ولمعان الضياء في ميدان الفناء وإيوان البقاء.

﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الآية: 7] أي غير طريق السائرين لِسبيل الأعداء المتعلقين بالأغيار المشبهة بالهباء والهوى والغبار المظاهر لصفات الجلال والكبرياء الواقفين في ظلمة البيداء.

﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الآية: 7] أي في أودية الأهواء من أهل الابتلاء بأنواع الأدواء الواقعين في حضيض السمعة والرياء ﴿لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [النساء: 143].

وقال الأستاذ: ﴿ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الآية: 7] هم الذين صدمتهم هواجم الخذلان وأدركتهم مصائب الحرمان وكبستهم سطوة الرد وغلبتهم أيدي الطرد والصد ويقال هم الذين أنسوا بنفحات التقريب زماناً ثم أظهر الحق سبحانه في بابهم شأناً بدلوا بالوصل بعاداً وطمعوا في القرب فلم يجدوا مراداً أولئك الذين ضل سعيهم وخاب ظنهم ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ عن شهود سوابق الاختيار وجريان تصاريف الأقدار وغير المغضوب عليهم في طريق الهلكى ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ عن طريق الهدى لاتباع الهوى وقد جاء في الصحيح تفسير ﴿ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ باليهود ولا الضالين بالنصارى[1].

والظاهر أنه يراد بهما المثال لانحصار المراد بهذا المقال ولعل وجه التخصيص بهما أنهم كانوا داخلين في مَن أنعمت عليهم ثم آل مآل أمرهم إلى نسبة الغضب والضلال إليهم وإلا ففي معناهم سائر الكفرة ويلحق بهم بقية الفجرة لا سيما الناصبة[2] والرافضة[3] مع الإيماء إلى أن مدار الأمر على

(1) أخرجه أبو يعلى في المسند (13/ 101) رقم (7179)، والبيهقي في شعب الإيمان (4/ 61) رقم (4329)، والطبراني في المعجم الكبير (17/ 99) رقم (237).

(2) الذين يبغضون أهل البيت ومن تبعهم من الصحابة. انظر: قصيدة ابن الأشعث (1/ 66).

(3) الذين رفضوا زيد بن علي عندما لم يتبرأ من الشيخين، فرفضوه فسموا رافضة، انظر: الفرق بين الفرق ص (29).

الخاتمة الحاكية عن السعادة والشقاوة السابقة.

ولذا ورد آمين خاتم رب العالمين قال الاستاذ وكأنه يستدعي بهذه المقالة التوفيق للأعمال والتحقيق للآمال.

وقال ابن عطاء: أي كذلك فافعل ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين أي
فإنه حينئذٍ وقع في الغين المشير/إلى الأين من البين. 5/أ

وقال الصادق: أي قاصدين نحوك وأنت أعز من أن تخيب قاصداً فكأنه رضي الله عنه قرأه بالتشديد أو حمله على التخفيف ولعل التقدير نسألك قاصدين نحوك في الثناء والدعاء ويجعل حالاً من الضمير في ﴿ٱهۡدِنَا﴾.

وعن جعفر الصادق أن الكتب السماوية مودعة في الفاتحة وهي بجميع معانيها مودعة في البسملة وجميع أسرارها مودعة في الباء أي بي كان ما كان وبي يكون ما يكون وقال غيره وجميع أنوار الباء مندوحة تحت نقطتها إذ هي مركز دائرة الوجود ومدار آثار الفيض والجود.

سورة البقرة

[مدنية]

وهي: مئتان وست وثمانون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أي باسمه بدأ نعماؤه وبرسمه ظهر آلاؤه.

قال الأستاذ: الاسم مشتق من السمو أو السمة فسبيل من يذكر هذا الاسم أن يتسم بظاهره بأنواع المجاهدات ويسمو بهمته إلى محالِّ المشاهدات فمن عدم سمة المعاملات على ظاهره وفقد سموّ الهمة إلى المواصلات بسرائره لم يجد لطائف الذّكر عند قالته ولا كرائم القرب في صفاء حالته والمعنى باسم من تفرد بالقوة والقدرة وتوحّد في ابتداء الفضل والنصرة، فسماع الإلهية يوجب الهيبة والاصطلام وسماع الرحمة يوجب القرب والإكرام.

﴿الٓمٓ﴾ [البقرة، الآية: 1] أي أن الله أعلم بعموم أنواع العالم وبخصوص أفراد أولاد آدم وقيل الألف ألف الواحدية واللام لام اللطف والميم ميم الملك فمعناه من وحّدني على الحقيقة بإسقاط العلائق والهوى تلطفت له في إخراجه من العبودية إلى الملك الأعلى وهو الاتصال بمالك الملك دون الاشتغال بشيء من الملك. وقال بعضهم تحير عقول الخلق في ابتداء خطابه ليعلموا أن لا سبيل إلى معرفة حقائق كتابه.

وقال الأستاذ: قال قوم لكل كتاب سر وسر الله في القرآن هذه الحروف المقطعة وعند قوم أنها مفاتيح أسمائه المعظمة وقيل الألف إشارة إلى الله واللام إلى جبريل والميم إلى محمد ﷺ أي هذا الكلام نزل من الله الملك العلّام على لسان جبريل إلى محمد عليهما السلام ويقال يطالب العبد في سره

عند مخاطبته بالألف بانفراد قلبه لربه وعند مخاطبته باللام بلين جانبه لأداء/ 5/ب
حقه وعند سماع الميم بموافقة أمره.

﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ [الآية: 2] أي هذا الكتاب الجامع وهذا اللباب اللامع أو ذلك الصراط هو الكتاب المحيط لكل نوع من الأبواب ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [الآية: 2] أي لأهل اليقين في الدين ولا عبرة بالشاكين والمنكرين وفي «**العرائس**» هذا مفتاح خزائن أسرار الكتاب ومصباح كنوز لطائف الخطاب وبانجلائها ينكشف جميع القرآن لأهل البيان لأن من عرف معانيها يفتح بها أقفال المتشابهات ويقتبس بسنائها أنور الآيات.

وقال الأستاذ مفاتحة الأحباب بالخطاب والكتاب من أجلِّ النعمى وأكرم الحسنى إذ هي سبب الوصال وابتداء تأسيس الحال وأنشد.

شعر

وَرَدَ الكتاب بما أقرّ الأعينا وشفى القلوب فنلن غايات المنى
وتقسَّم الناس المسرَّة بينهم قسماً وكان أجَلُّهم حظاً أنا[1]

وقيلْ ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ الذي وعدتك إنزاله عليك يوم الميثاق أيها المشتاق وقيل ذلك الكتاب الذي كتبت الرحمة على نفسي لأمتك قبل خدمتك وقيل الكتاب الذي هو سابق حكمي وقديم قضائي لمن حكمت له بالسعادة أو ختمت عليه بالشقاوة وقيل هو حكمي الذي أخبرت أن «رحمتي سبقت غضبي»[2] وقيل إشارة إلى ما كتب في قلوب أوليائه من الإيمان والعرفان والمحبة والإحسان ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [الآية: 2] لا شك فيه أنه حق ولا مرية أنه صدق أو لا تشكوا فإنه ليس من قبيل ما يشك فيه عند الموقنين بل هو ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [الآية: 2] أي هو هادٍ لمن أراد الله تقواه وتعلق به إخلاصه بخلاصه عما سواه فهذا الكتاب

---

(1) هذا الشعر منسوب إلى أبي القاسم غانم بن أبي العلاء الأصفهاني. انظر: المنتحل (1/ 5).

(2) أخرجه البخاري في الصحيح (3194)، ومسلم في الصحيح (2751/ 15).

للأولياء شفاء ودواء وعلى الأعداء شقاء وبلاء كالنيل ماءٌ للمحبوبين ودماءٌ للمحجوبين فقوله تعالى ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [البقرة: 185] إنما هو للاستئناس ليكون حجة على من زَلِقَ عن المحجة.

وقال الأستاذ: المتقي من اتقى رؤية تقويه ولم يستند إلى تقويه ولم يرَ نجاته إلا بفضل مولّيه والمعنى هذا بيان وحجة وضياء ومحجة لمن وفاه الله سبحانه وتعالى من ظلمات الجهل وبصَّره بأنوار العقل واستخلصه بحقائق الوصل.

6/أ ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [الآية: 3] أي يصدقون/ بما غاب عن أعين العباد مما أخبر الله به من أحوال المبدأ والمعاد.

قال الأستاذ: حقيقة الإيمان التصديق والتحقيق وموجب الأمرين التوفيق فالتصديق بالعقد والتحقيق ببذل الجهد في حفظ العهد ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الآية: 3] أي يديمون العبادة البدنية التي هي معراج الأرواح الإنسية في مدراج الأشباح القدسية.

قال الأستاذ: نفوسهم مستقبلة إلى القبلة وقلوبهم مستغرقة في حقائق الوصلة.

أراني إذا صليت يممت نحوها ... بوجهي وإن كان المصلى ورائيا
أصلي فما أَدْري إذا ما ذكرتها ... اثنتين صليت الضحى أم ثمانيا[1]

فأصحاب العموم يجتهدون عند افتتاح الصلاة ليردوا قلوبهم إلى معرفة ما يؤدون ولكن عن أودية الغفلة ما يرجعون وأرباب الخصوص يردون قلوبهم إلى معرفة ما يؤدون ولكن عن حقائق الوصلة ما يرجعون فشتان ما بين غائب يحضر أحكام الشرع ولكن عن أوطان الغفلة وبين غائب يرجع إلى أحكام الشرع ولكن مع حقائق الوصلة ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الآية: 3] أي ومن جملة ما أعطيناهم من المنن المالية وأنعمنا عليهم من المنح الحالية يصرفون في

(1) هذا الشعر منسوب إلى مجنون ليلى. انظر: الزهرة (1/ 9)، وأمالي القالي (1/ 105).

مرضات الملك المتعال ليصلوا إلى حسن المنال في المآل.

وقال الأستاذ ﴿يُنفِقُونَ﴾ [الآية: 3] نفوسهم في آداب العبودية وقلوبهم على دوام مشاهدة الربوبية والزاهدون أنفقوا في طريقة متابعة هواهم وآثروا رضى الله على مناهم والمريدون أنفقوا في سبيله ما شغلهم عن ذكر مولاهم ولم يلتفتوا إلى شيء من دنياهم وعقباهم والعارفون أنفقوا في تحصيله سوى مولاهم فقربهم الحق سبحانه وآواهم.

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾ [الآية: 4] أي من القرآن المنعوت بالفرقان وهو للغيب بمنزلة التبيان ﴿وَمَآ أُنزِلَ﴾ [الآية: 4] أي علي من الكتب وصحف التبيان ﴿مِن قَبۡلِكَ﴾ [الآية: 4] أي على من قبلك من الأعيان والمراد الإيمان بجميع الكتب المنزلة والإيقان بجميع الأنبياء المرسلة حيث كانت كلمتهم متفقة على مسألة وحدة الألوهية المكملة ﴿وَبِٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [الآية: 4] أي وبالأمور الواقعة في الحالة الآخرة من مواقف القيامة وخصت بالذكر لأنها من الأمور المهمة ﴿هُمۡ﴾ [الآية: 4] أي المتقون لا غيرهم ﴿يُوقِنُونَ﴾ [الآية: 4]/ أي يعلمون علم 6/ب
يقين ليس فيه حدث ولا تخمين بل كأنها نصب عين لهم في المرأى حيث أعرضوا عن الدنيا وأقبلوا على العقبى لإقبال وصال المولى فلا يغفلون عنها ساعة ويفعلون في كل ساعة منها طاعة وفيه إيماء إلى ما قال عامر بن عبد القيس تبيين لو كشف الغطاء ازددت يقيناً فنسأل الله يقينا عن غيره يقيناً ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ [الآية: 5] أي المؤمنون بما ذكر والموصوفون بما سطر ﴿عَلَىٰ هُدٗى﴾ [الآية: 5] أي مشتغلون على هداية عظيمة ومستولون على عناية جسيمة ﴿مِّن رَّبِّهِمۡ﴾ [الآية: 5] أي من جميل فضله وكرمه وجزيل لطفه ونعمه في الدنيا ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [الآية: 5] أي الناجون الفائزون الواصلون الكاملون في العقبى.

قال الأستاذ: ولقد نال القوم البقاء في مشهد اللقاء وظفروا بقهر الأعداء هذا ولما فتح الله في الفاتحة بذكر المنعم عليهم من المؤمنين ثم عقبهم بذكر المغضوب عليهم من الكافرين وأتبعهم بذكر الضالين الشاملين للمنافقين والمرائين والفاسقين عاد في التالية إلى أوصاف المؤمنين ثم أحوال الكافرين

وأتبعهم بذكر المنافقين والمرابين إشعاراً بما ورد في الكلام القدسي والحديث الإنسي حيث قال «ربي سبقت رحمتي غضبي»[1] فقال:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الآية: 6] أي تعلق علم الله بوجود كفرهم وكفرانهم وبعدم شكرهم وإيمانهم، ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الآية: 6] أي مستوٍ إليهم ومتساوٍ لديهم ﴿ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ﴾ [الآية: 6] أي إنذارك إياهم وتركهم في طغواهم ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ﴾ [الأعراف: 176] وأما بالنسبة إلينا فلا يستوي تخويفهم وعدمه علينا لحصول أجر تبليغك لدينا سواء عليك إيمانهم وكفرانهم والحال أنهم ﴿لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الآية: 6] فإنهم لا يوقنون لعدم تصور قلب علمه سبحانه جهلاً ولا تبديل لخلق الله أصلاً فيما أراد بهم فضلاً أو عدلاً وإنما فائدة الإنذار منفعة الأبرار ومقمعة الحجة على الفجار لا يقال فإذن يجب عدم إيمانهم بل يجب وقوع كفرانهم فيلزم أمر نحو أبي جهل بالعلم من التكليف بالمحال وفيه إشكال عظيم من كل حال لأنا نقول ليس إيمان نحوه ممتنعاً لذاته بل لتعلق علم الله بصفاته على أن بعض العارفين من المحققين
7/أ الواقفين صرح بأن أمر الإيمان لأهل الكفران إنما هو للتعجيز/ وظهور البرهان وتبيان الامتحان لأفراد الإنسان والحاصل أن شر القدر يعجز عنه البشر وقد قال الأستاذ فلما لم يؤمنوا لم يؤمنوا حكم سبق من الله وحتْمٌ وقوله له فصل وأن القدرة لا تعارض بالقوة ومن زاحم الحق في القضية كبسته سطوات العزة ويقال كما أن الكافر لا يرعوي عن ضلالته لما سبق من شقاوته فكذلك المربوط بأغلال نفسه محجوب عن شهود عيه وغيه فهو لا يبصر رشده ولا يسلك قصده ويقال إن الذي بقي في ظلمات دعاويه سواء عنده نصح المرشدين وتسويل المبطلين لأن الله سبحانه نزع عن أحواله بركات الإنصاف فلا يدرك بسمع القبول ولا يصغي إلى داع الرشاد ومن يضلل الله فماله من هاد ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ [الآية: 7] استباق بيان وتعليل برهان والمعنى طبع الله بالقدرة القاهرة والقوة الباهرة حتماً حسياً أو معناً معنوياً. كما قدرّه حتماً مقضياً ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ لئلا يعقلوا أسرار مطلوبهم

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (3194)، ومسلم في الصحيح (2751/ 15).

﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ [الآية: 7] لئلا يفهموا أقدار محبوبهم فهم مع مسامعهم في محافلهم ومجامعهم لئلا يفهموا إنذار محبوبهم فهم محرومون عن الأدلة العقلية ومحجوبون عن الدلائل النقلية ﴿وَعَلَىٰ أَبْصَٰرِهِمْ﴾ [الآية: 7] أي مواضع أنظارهم ﴿غِشَٰوَةٌ﴾ [الآية: 7] أي غطاء عظيم مانع عن عطاء جسيم فهم ممنوعون عن رواية الآيات في الدنيا وعن مشاهدة الذات في العقبى ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الآية: 7] أي حجاب ظلماني وعقاب روحاني وجسماني من كمال عظمته لا يمكن بيان كميته وكيفيته.

وقال الأستاذ: لهم عذاب عظيم بحسبانهم أنهم على شيء وسيم وغفلتهم عما منّوا به من المحنة والزوال في الحال والمآل في العاجل فرقة وفي الآجل حرقة.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الآية: 8] أي ومن جملة الكفار المشبهين بالنّاس ﴿مَن يَقُولُ﴾ [الآية: 8] باللسان ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾ [الآية: 8] بناءً على أن الاكتفاء بذكر طرفي المؤمن به عن سائر ما يتم الإيمان بسببه ﴿وَمَا هُم﴾ [الآية: 8] أي والحال ليس هؤلاء القائلون ﴿بِمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 8] أي بالجنان أو المعنى ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الآية: 8] من يتفوه بالإيمان والإيقان بالله على حسب الظاهر ويظهر الإحسان في الأعمال المرتب على الإيمان باليوم الآخر وما هم/ بكاملين في الإيمان لعدم 7/ب
إخلاصهم في الإحسان أولما ذكر الله طائفة ممن سبقت له العناية وحصلت له الهداية من البداية إلى النهاية أو وصلت إليه جذبة في آخر حاله قبل انقضاء أجله وبيّن قوماً طبعوا على كفرهم في تمام عمرهم أظهر حال جمع يكونون مؤمنين في بدئ أمرهم ثم نعوذ بالله سبحانه حكم بتغيير أحوالهم في انتهاء آجالهم ولذا بعض السلف على خلاف الخلف كانوا يخافون من مضمون هذه الآية أن قضي لأحد منهم سوء الخاتمة نسأل الله العافية.

وقال الأستاذ: لما عدموا صدق الأحوال لم ينفعهم صدق الأقوال.

﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الآية: 9] أي بزعمهم ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الآية: 9] أي بمكرهم حيث يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر ويحسنون الأعمال الصالحة على

قصد الرياء والسمعة أو إتيان الجلالة إجلال للمؤمنين وإعظام للمخلصين حيث نزّل ذاته الأقدس منزلة جماعتهم الأنفس وعده واحداً منهم مشاركاً معهم في الرفع عنهم والتقدير يخادعون رسول الله فإن مخادعته بمنزلة مخادعة الإله كقوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح، الآية: 10] وإنما أتى بصيغة المغالبة على إرادة المبالغة أي يبالغون في خدعتهم من جهة ريائهم وسمعتهم ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ﴾ [الآية: 9] أي في الحقيقة ﴿إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ [الآية: 9] أي التي يلحقهم المضرة دون غيرهم من أرباب المبرة وأصحاب المسرة وفي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وما يخادعون إما للمشاكلة أو على وجه المبالغة وفيه إشعار إلى أن هذا كله بشامة أنفسهم وللعدول عن قبول نصيحة أنفسهم ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الآية: 9] أي وما يدركون أن وبال خداعهم عليهم ونكال فعالهم راجع إليهم.

قال الأستاذ: والإشارة في هذه الآية أن من تناسى لطفه السابق وقال لي وبي ومني وأنا يقع في وهمه وظنه لك وبك ومنك وأنت وهذا التوهم أصعب العقوبات لأنه يرى سرابه فيظنه شرابه ولكن حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه.

﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [الآية: 10] أي نوع عظيم من مرض الباطن المشتمل
8/أ على الأخلاق الذميمة من الشك والنفاق والرياء والسمعة باعتبار/ الخلقة والفطرة حيث لا ينفعهم كلام الطبيب الموصوف بالخليل الحبيب ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ [الآية: 10] أي نوع عظيم من مرض الباطن أي بإنزال القرآن الذي فيه شفاء الصدور حيث امتنعوا عن دواء الإيمان وغابوا عن مقام الحضور ودعا عليهم بزيادة عوض المرض لديهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الآية: 10] أي حجاب جسيم وعقاب وخيم ﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [الآية: 10] بالتخفيف الكوفي أي بكذبهم العنادي المؤدي إلى كذبهم في إخبارهم عن أنفسهم بالإيمان وادعائهم مراتب أهل العرفان والإيقان أو بتكذيبهم الحق المطابق المنجز إلى تكذيب الرسول الصادق.

قال الأستاذ: والإشارة تحصل لمن خلط قصده بحظه وشاب إرادته بهواه يتقدم في الإرادة بقدم ويتأخر بمتابعة النفس بأخرى فهو لا مريد صادق ولا متثبت موافق ولو صدق المريد في الإرادة لوصل بقلبه إلى حقائق الوصلة ولأدركته بركات الصدق فيما رامه من الظفر بالبغية وإن من سقمت عبادته حيل بينه وبين الدرجات والنجاة، ومن سقمت إرادته حيل بينه وبين المواصلات في القرب والمناجاة وإنما الحسرة إذا رأوا أشكالهم الذين صدقوا كيف وصلوا ورأوا أنفسهم كيف خسروا.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ [الآية: 11] أي للمنافقين ﴿لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية: 11] أي أرض قلوبكم وبلاد ربكم بالكفر والمعصية والرياء والسمعة ﴿قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [الآية: 11] أي ما نحن إلا مراعون جانب أهل الدنيا وطرف أرباب العقبى ﴿أَلَا﴾ [الآية: 12] أي تنبهوا أيها المؤمنون وبكلامهم لا تغترّون ﴿إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾ [الآية: 12] أي أحوالهم على أنفسهم بالعقائد الفاسدة وأعمالهم بنياتهم الكاسدة ﴿وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [الآية: 12] أي لا يفهمون كساد فسادهم لسوء اعتقادهم وجهلهم بأن الدنيا والآخرة حرتين وفي مرتبة كفتين فلا يمكن الجمع بهما إلا بنقصان أحدهما فهم كالمتردد بين أهل الأرض والسماء لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ [الآية: 13] أي بطريق النصيحة خوفاً من الفضيحة ﴿آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ﴾ [الآية: 13] أي كإيمان الصحابة ظاهراً وباطناً فإنهم الناس الذين بهم الاستئناس ﴿قَالُوا﴾ [الآية: 13]أي فيما بينهم أو في أنفسهم ﴿أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾ [الآية: 13] أي الجهال بأمور الدنيا ولم يعلموا أن البله هم أكثر أهل الحسنى في العقبى وهمزة الاستفهام مبالغة في إنكار المرام ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ﴾ [الآية: 13] أي الجهال بأحكام العلوم والأعمال وما يترتب عليها/ من 8/ب
المنال والمآل ﴿وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 13] أنهم يجهلون فجهلهم وقع مركباً وزيد عليهم العذاب مرتباً.

وأفاد الأستاذ: بالإشارة أن أصحاب الغفلة إذا أمروا بترك الدنيا وصفوا

أهل الرشد بالكسل والعجز وقالوا إن الفقراء ليسوا على شيء لأنه لامال لهم ولا جاه ولا راحة ولا عيش وفي الحقيقة هم الفقراء وأصحاب المحنة وقعوا في الذل مخافة الذل ومارسوا الهوان خشية الهوان شيدوا القصور ولكن سكنوا القبور وزينوا المهد ولكن أدرجوا اللحد وركضوا في ميدان الغفلة ولكن عثروا في أودية الحسرة وعن قريب سيعلمون ولكن حين لا ينفعهم علمهم ولا يغني عنهم شيئاً.

سوف ترى إذا انجلى الغبار أفرس تحتك أم حمار[1]

﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الآية: 14] أي إذا رأوا المؤمنين المخلصين ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا﴾ [الآية: 14] أي ذهب الكفر والرياء عنا لانعكاس مراياهم وانجلاء مزاياهم ﴿وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾ [الآية: 14] أي إذا مضوا واختلوا إلى إخوانهم من شياطين الإنس والجن وأخدانهم ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ﴾ [الآية: 14] أي باطناً ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [الآية: 14] أي بإظهار الإيمان معهم ظاهراً وفيه تحذير عن مخالطة الظلمة وأرباب الغفلة وتنبيه على معاشرة أصحاب الطاعة قال الله تعالى وهو أصدق القائلين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة، الآية: 119].

قال الأستاذ: من رام أن يجمع بين طريق الإرادة وما عليه أهل العادة لا يلتئم له ذلك فالضدان لا يجتمعان «والمكاتب عبد ما بقي عليه درهم»[2] «وإذا أقبل الليل من هاهنا أدبر النهار من هاهنا»[3] ومن كان له في كل ناحية خليط وفي كل زاوية من قلبه ربيط كان نهباً للطوارق قال قائلهم.

---

(1) نسب إلى بديع الزمان الهمذاني. انظر: معجم الأدباء (1/ 78)، ودواوين الشعر العربي على مر العصور (21/ 466).

(2) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح (3/ 560) رقم (1259)، وابن أبي شيبة في المصنف (4/ 316) رقم (20564). وعبد الرزاق في المصنف (8/ 405) رقم (15717)، ومالك في الموطأ (5/ 1146) رقم (2918)، وأبو داود في السنن (4/ 31) رقم (3928).

(3) أخرجه البخاري في الصحيح (1954)، وابن خزيمة في الصحيح (3/ 273) رقم (2058).

راك بقية من قوم موسى فهم لا يصبرون على طعام[1]

﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ﴾ [الآية: 15] أي يجازيهم على استهزائهم أو يعاملهم معاملة أعمالهم باستدراجهم في أحوالهم ﴿وَيَمُدُّهُمۡ﴾ [الآية: 15] أي يزيد مددهم ومددهم وعددهم وعددهم أي يكثر مالهم وولدهم ﴿فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ﴾ [الآية: 15] أي في حال ضلالهم وعدوانهم ﴿يَعۡمَهُونَ﴾ [الآية: 15] أي يتحيرون ويترددون.

قال الأستاذ: لما ألقى القوم أزمتهم في أيدي الشهوات استهوتهم في أودية الفرقة فلم يستقر لهم قدم على مقام وتطوحوا/ في متاهات الغيبة وكما 9/ أ
يمد الله المنافقين في طغيانهم يعمهون يطيل مدة هؤلاء في مخاييل الأمل فيكونون عند اقتراب آجالهم أطول ما يكونوا أملاً وأسوأ ما كانوا عملاً ذلك جزاء ما عملوا ووبال ما صنعوا وتحسين أعمالهم القبيحة في أعينهم من أشد العقوبات ورضاهم بما فيه من الفترة من أجلِّ المصيبات.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾ [الآية: 16] أي استبدلوا ظلمة الضلالة بنور الهداية واختاروها عليه في البداية والنهاية ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ﴾ [الآية: 16] بل ظهرت خسارتهم ﴿وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ﴾ [الآية: 16] أي في علم الله على ما قضاه للعباد أو ما كانوا قابلين للرشاد بحسب تقدير الاستعداد وفي الحديث أن الله خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك فقد اهتدى ومن أخطأه فقد ضل وغوى وقد قال تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ [الأنعام، الآية: 117].

وأفاد الأستاذ أن الذي رضي بالدنيا عن العقبى لفي خسران ظاهر ومن آثر الدنيا أو العقبى على الحق تعالى لأشد خسراناً.

﴿مَثَلُهُمۡ﴾ [الآية: 17] أي صفة المنافقين في تحير أمرهم وتردد سرهم واختيار ضلالتهم وترك هدايتهم ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا﴾ [الآية: 17] أي أوقد ناراً وجعلها مناراً وحسب أن لها نوراً يعقب حضوراً وسروراً ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ﴾ [الآية: 17] أي أنارت تلك النار ﴿مَا حَوۡلَهُۥ﴾ [الآية: 17] أي من سفل الدار وظن

(1) نسب إلى أبي نوّاس. انظر: العقد الفريد (2/ 412)، وأخبار النساء (1/ 43).

أن لتلك النار وصف القرار ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ [الآية: 17] أي أذهب وأزال نور نارهم ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ﴾ [الآية: 17] أي ناشئة من تلك الخيالات ودخانات الخبايات الحاصلة من الخيانات الكامنة في تلك الخانات ﴿لَّا يُبْصِرُونَ﴾ [الآية: 17] أي شيئاً من أنوار الهدايات.

قال الأستاذ: هذا مثل ضربه الله تعالى سبحانه للمنافقين بمن استوقد ناراً في ابتداء ليله ثم أطفئت فبقي صاحبها في ظلم ظلمه كذلك المنافقون ظهر عليهم شيء من العوافي بظاهر ما أظهروا في الدنيا ثم امتحنوا بأليم العقوبة في العقبى أو لاح شيء من نور إقرارهم ثم بقوا في ظلمة أفكارهم والإشارة من هذه الآية لمن له بداية جميلة وعبادة جزيلة يسلك طريق الإرادة مدة ويقاسي بعد الشدة شدة ثم يرجع إلى الدنيا قبل الوصول إلى المرتبة الحقيقية ويعود إلى ما كان فيه من ظلمات البشرية وكان كما قيل:

حين تم الهوى وقلنا سررنا وحسبنا من الفراق أمنّا
9/ب /بعث البين رسله في خفاء فأبادوا من شملنا ما جمعنا[1]

أو الإشارة إلى من له وفى بشيء من المعاني فيظهر فوق ما هو به من الدعاوي فإذا انقطع عند مادة ما له من أحواله بقي في ظلم ظلمة وغواية ضلالة.

فهم ﴿صُمٌّ﴾ [الآية: 18] عن سماع الحق ﴿بُكْمٌ﴾ [الآية: 18] عن كلام الصدق ﴿عُمْيٌ﴾ [الآية: 18] عن درك الوفق ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [الآية: 18] عن ضلالتهم وجهالتهم لا بالعنف ولا بالرفق.

قال الأستاذ: إذا لم يسبق لهم الحكم بالإقلاع ولم تساعدهم القسمة بالارتداع.

﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾ [الآية: 19] أي أو مثلهم العجيب الشأن ووصفهم القريب البيان في باب تنوع التبيان كأصحاب مطر نازل ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الآية: 19] أي من

(1) ذكره القشيري في تفسيره (2/ 354).

جهة العلاء ﴿فِيهِ﴾ [الآية: 19] أي مندرج فيه ﴿ظُلُمَٰتٌ﴾ [الآية: 19] أي أنواع ظلمات من الليل والسحاب وتكاثف القطرات ﴿وَرَعْدٌ﴾ [الآية: 19] وهو صوت ملك موكل بسحائب الأمطار ﴿وَبَرْقٌ﴾ [الآية: 19] يظهر من لمعان سوطه حين زجره بمقمعة النار ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ﴾ [الآية: 19] أي رؤوسها أو كلها ﴿فِيٓ ءَاذَانِهِم﴾ [الآية: 19] للمبالغة في حفظ أسماعهم ﴿مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ﴾ [الآية: 19] أي من أجل شدة صوت الرعد، وحدة ضربه المتولد منه انفصال قطعة من المقمعة ﴿حَذَرَ ٱلْمَوْتِۚ﴾ [الآية: 19] أي للاحتراز عن الموت كيلا يموتوا من شدة الصوت أو لئلا يصيبهم الصاعقة المفيدة للغوث ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الآية: 19] أي عالم بجزيات أحوالهم وكليات أفعالهم فيجازيهم وفق أعمالهم فالمطر مثل لما في القرآن حياة القلوب والظلمات بيان لما في القرآن من ذكر الكفر والشرك، وسائر العيوب، والرعد مثلٌ لما خوفوا به من الوعيد والبرق مثل لما ذكر فيه من الوعد الأكيد وجعل الأصابع كناية عن عدم سماع الوعد والوعيد المؤدي إلى الإيمان الذي هو كالموت عند أهل العدوان.

قال الأستاذ: كذلك الإشارة لأصحاب الغفلات إذ طرق أسماعهم وعظ الواعظين أو لاح بقلوبهم بعض أنوار العارفين كنوا إلى التشاغل بآمالهم الكاسدة وأصّروا على أعمالهم الفاسدة وتعللوا بأعذار واهية ولو أقلعوا عمّاهم عليه من الغفلة لسعدوا بأنوار وافية.

وكذا الملول إذا أراد قطيعة   مل الوصال وقال كان وكانا
إن الكريم إذا حباك بوده   ستر القبيح وأظهر الإحسانا[1]

﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْۖ﴾ [الآية: 20] أي يقرب أن يسلب أنظارهم الظاهرة ما في القرآن من الحجج القاهرة الباهرة ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ﴾ [الآية: 20] أي
10/أ كلما وافق هواهم/ وصادق مدعاهم مضوا في قبوله وسعوا في حصوله ﴿وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْۚ﴾ [الآية: 20] أي وإذا لم يوافق غرضهم ومطلوبهم ولم يطابق بغيتهم ومرغوبهم وقفوا وعن السير عكفوا وفيه إشارة إلى قوله تعالى ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 26) و(2/ 426) و(4/ 309).

مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾ [الحج، الآية: 11].

قال الأستاذ: وكذا أحوال بعض المريدين من أصحاب الغفلات وأرباب الشهوات إذا حضروا مشاهد الموعظة أو جنحت قلوبهم إلى الرقة أو دخلهم شيء من الوهلة يقرب أحوالهم من التوبة ويقوي رغبتهم في الإنابة حتى إذا رجعوا إلى تدبيرهم وشاوروا قرنائهم أشار الأهل والولد عليهم بالعود إلى دنياهم وبسطوا فيهم لسان النصح وهددوهم بالضعف والعجز فيضعف قصودهم ويسقط إرادتهم وصاروا كما قيل:

إذا ارعوى عاد إلى جهله كذي الضنى عاد إلى تكسبه(1)

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْۚ﴾ [الآية: 20] أي الظاهر كما ذهب بحواسهم الباطنة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ شاءه ﴿قَدِيرٌ﴾ [الآية: 20] أي تام القوة كامل القدرة.

قال الأستاذ: كذلك أرباب الغفلة والقانعون من الإسلام بظاهر الوسمة فالله تعالى قادر على سلبهم التوفيق فيما يستعملونه من ظاهر الطاعات كما سلبهم التحقيق فيما يستبطنونه من صفاء الحالات.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ [الآية: 21] أي عموماً أو خصوصاً ﴿ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [الآية: 21] أي وحدوه وأطيعوه بامتثال أوامره واجتناب زواجره عن وفق تربيته وطبق تسويته ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ [الآية: 21] أي الذي أوجدكم من العدم ﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [الآية: 21] أي وخلق من قبلكم إلى آدم ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الآية: 21] أي على رجاء اتقائكم من الحجاب أو لكي تحترزوا من أليم العقاب.

قال الأستاذ: اعبدوا بالتجرد عن المحظورات والتجلّد عن أداء الطاعات ومقابلة الواجبات بالخضوع والاستكانة والتجافي عن التعريج في منازل الكسل والاستهانة.

---

(1) نسب إلى صالح بن عبد القدوس. انظر: الحيوان (1/ 214)، والعقد الفريد (1/ 234).

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾ [الآية: 22] أي كبساط مفروش لينة هينة لا غليظة حزينة ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ [الآية: 22] أي كقبة مبنية بلا عمد مرئية ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ [الآية: 22] أي ما يمتزج بتراب الأرض سواء ﴿فَأَخْرَجَ﴾ [الآية: 22] أي الله سبحانه ﴿بِهِۦ﴾ [الآية: 22] أي بسبب إنزاله وبواسطة إيصاله ﴿مِنَ/ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ 10/ب [الآية: 22] أي من أنواع المأكولات والمشتريات المستلذات الطيبات ﴿رِزْقًا لَّكُمْ﴾ [الآية: 22] أي: لتمتعكم ونفعكم بما يقويكم على طاعة ربكم فإن الإنسان خلق له كل شيء من المنفعة وهو مخلوق لصرف عمره في العبادة كما يشير إليه قوله سبحانه ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة، الآية: 29] وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56] وفيه تعريض للكفار حيث أنه خلقهم ورزقهم وعبدوا غيره مما لا يرجون نفعه ولا يخافون ضيره ولذا قال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [الآية: 22] أي إذا كان الأمر كما سبق حيث الله سبحانه هو الذي خلق ورزق فلا تجعلوا له أمثالاً وأشباهاً فضلاً عن أن يكون له أنداداً وأضداداً ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 22] أي ما سوى الله كلهم مخلوقون ومرزوقون فهم للعبادة لا يصلحون فإنهم لأنفسهم لا ينفعون.

قال الأستاذ: تعرف إليهم بذكر ما من به عليهم من خلق السماء لهم سقفاً مرفوعاً وأنشأ الأرض لهم فرشاً موضوعاً وإخراج النبات لهم بالمطر رزقاً مجموعاً فلا تعلقوا قلوبكم بالأغيار في طلب ما تحتاجون إليه فإن الحق سبحانه متوحد بالإبداع لا محدث سواه فإذا توهمتم شيئاً من الحادثات من نفع أو ضرٍ أو خيرٍ أو شرٍ من مخلوق كان ذلك، في التحقيق شركاً أي خفياً.

ولهذا أورد في الحديث «من حلف بغير الله فقد أشرك»[1] وهذا بيان لإنبات الوحدة ثم شرع في برهان النبوة بقوله:

﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ﴾ [الآية: 23] أي شك وتردد عيب ﴿مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾

(1) أخرجه أبو داود في السنن (3/ 217) رقم (3253)، وأحمد في المسند (2/ 125) رقم (6073)، وابن حبان في الصحيح (10/ 199) رقم (4358)، والبيهقي في السنن الكبرى (10/ 29) رقم (19615).

[الآية: 23] أي: من جهة صدق ما نزلنا من الكتاب ﴿عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ [الآية: 23] أي: الذي أوتي فصل الخطاب ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ﴾ [الآية: 23] أي: بقطعة من الكلام على وجه النظام ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [الآية: 23] أي: فيهما بعض شبه به من حسن مبانيه في الفصاحة وزين معاينة في البلاغة مع ما يتضمنه من المعجزات والأخبار عن المعيبات المتعلقة بأحوال العباد من أول المبدأ إلى آخر المعاد ﴿وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم﴾ [الآية: 23] أي اطلبوا خطباءكم واستدعوا بلقائكم ممن يحضر المحافل ويدعي الفضائل واستعينوا بآلهتكم التي تدعونها وللعبادة تحضرونها ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 23] أي من غيره سبحانه ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الآية: 23] أي: في أن محمداً من الكاذبين.

11/أ ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟﴾ [الآية: 24] أي: في الأزمنة/ الماضية ﴿وَلَن تَفْعَلُوا۟﴾ [الآية: 24] في الأوقات الآتية إذ الإتيان بمثله من المحالات العقلية والعادية ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء، الآية: 88] وأيضاً ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء، الآية: 82] وهو بحمد الله لم يصادف فيه أحد خللاً يسيراً ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ﴾ [الآية: 24] أي: احذروا دخولها واجتنبوا ما يوجب حصولها ﴿ٱلَّتِى وَقُودُهَا﴾ [الآية: 24] أي ما يوقد به هو ﴿ٱلنَّاسُ﴾ [الآية: 24] أي: الكفار والفجار ﴿وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [الآية: 24] أي: الأصنام التي نحتوها من الأحجار وعبدوها تبكيتاً لعابديهم في النار أو حجارة الكبريت التي هي أشد للإيقاد ولا منع من الجمع في تعذيب أهل الإبعاد ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [الآية: 24] أي: هيت جزاء لهم بالأصالة وللفاسقين بالتبعية ولما كان من سنّة الله سبحانه أنه إذا خوف أعداءه بشر أولياءه.

﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الآية: 25] أي بالعقائد الحسنة ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الآية: 25] أي: الطاعات المستحسنة والمعنى أخبرهم خيراً يظهر به أثر البشر على بشرتهم ﴿أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ﴾ [الآية: 25] أي: بان لهم حاصل حدائق ذات أشجار ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الآية: 25] أي: من تحت أشجارها ومساكنها أو على وفق تصرف سكانها ونسبة الجري إلى الأنهار مجازية مشعرة بأن لا أنهار في

ذلك النهار ولا يبعدان اللام المعهودة للأنهار الأربعة الموجودة في قوله تعالى: ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ [محمد، الآية: 15].

قال الأستاذ: هذه البشارة بالجنان تتضمن تعريفاً بنعم مؤجلة لعموم المؤمنين على الوصف الذي يشرحه لسان التفسير ويشير إلى البشارة للخواص بنعم معجلة، مضافة إلى تلك النعم يتيح اللّه لهم على التخصيص فتلك المؤجلة جنان المثوبة وهذه المعجلة جنان القربة وتلك رياض النزهة وهذه رياض الزلفة بل تلك حدائق الإفضال وهذه حدائق الوصال وتلك رفع الدرجات وهذه روح المناجاة وتلك قضية جوده وهذه الاستقلال بوجوده وتلك راحة الإبشار وهذه نزهة الأسرار وتلك لطف العطاء للظواهر وهذه كشف الغطاء عن نزهة السرائر وتلك لطف نوال وإفضال/ وهذه كشف جمال 11/ب
وجلال.

وقال صاحب «العرائس»: لأن لأهل المعرفة جناناً جنة العبودية وجنة الربوبية وجنة المعرفة وجنة المحبة وجنة القربة وجنة المشاهدة وجنة المداناة وجنة الوصلة وجنة التوحيد وجنة البقاء وجنة البسط وجنة الرجاء وجنة الانبساط وجنة الصحو وجنة الملكوت وجنة المكاشفة وجنة الحقيقة وجنة العلم ولكل جنة منها نهر يجري تحتها يطول أمر تفصيلها وبيان تعليلها ﴿كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا﴾ [الآية: 25] أي: اطعموا من تلك الجنات ﴿مِن ثَمَرَةٍ﴾ [الآية: 25] أي: من أي نوع واحد من الثمرات ﴿رِّزْقًا﴾ [الآية: 25] أي: مرزوقاً قدر له مخلوقاً ﴿قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ [الآية: 25] أي: هذا مثل النوع الذين أعطيناه من قبل هذا الوقت في الدنيا أو العقبى ﴿وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾ [الآية: 25] أي: جيئوا بالمرزوق مشتبهاً في اللون والصورة مختلفاً في الطعم واللذة وهذا أبلغ في مقام خرق العادة.

وأفاد الأستاذ: إن أهل الجنة كما يتجدد عليهم النعم في كل وقت فالثاني عندهم على ما يظنون كالأول وإذا ذاقوه وجدوه فوق ما تقدم فكذلك

أهل الحقائق أحوالهم في التزايد أبداً فإذا رقي أحدهم عن محله توهم أن الذي سيلقاه في هذا النفس مثل ما تقدم فإذا ذاقه وجده فوق ذلك بأضعاف كما قال قائلهم:

ما زلت أنزل في ودادك منزلاً تتحير الألباب دون نزوله[1]

قلت: وإليه الإيمان في قول سيد الأنبياء أنه ليغان[2] على قلبي واستغفر الله سبعين مرة[3] ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ [الآية: 25] أي نساء منظفات من الأوساخ الطبيعيّة والأخلاق الدينية والتغيرات البشرية وهم فيها ﴿وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الآية: 25] أي مقيمون دائمون ولما ضرب الله مثل العنكبوت والذباب في حكم الكتاب وتعجب الكفار من هذا الخطاب.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا﴾ [الآية: 26] أي لا يترك ترك المستحي أي: يبين أيّ: مثل كان محتاجاً إلى البيان مشتملاً على عبرة لمن اعتبر في ميدان التبيان سواء كان حقير الجانب أو عظيم الشأن ﴿بَعُوضَةً﴾ [الآية: 26] وهي صغير البق فكأنها بعضه عطف بيان لمثلاً وقوله: ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ [الآية: 26] عطف عليها أي: فما زاد عليها في الجثة والكبر أو في الحقارة والصغر مما في خلقه من العبر/. 12/أ

وقال الأستاذ: الاستحياء من الله بمعنى الترك فإذا وصف نفسه بأن يستحي من شيء فمعناه أنه لا يفعل ذلك وإذا قال لا يستحي فمعناه لا يبالي بفعل ذلك والخلق في التحقيق بالإضافة إلى وجود الحق أقل من ذرة من الهباء في الهواء لأن هذا الاستهلاك محدود في محدود فسيّان في قدرته العرش والبعوضة فلا خلق العرش أشق وأعسر ولا خلق البعوضة أخف [عليه] وأيسر فإنه سبحانه من متقدس عن لحوق العسر واليسر فإذا كان الأمر

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 31) و(4/ 239).

(2) ما يغشاه من السهو، انظر: لسان العرب (13/ 316).

(3) أخرجه مسلم في الصحيح (2702)، وأبو داود في السنن (1/ 559) رقم (1517)، والنسائي في السنن الكبرى (6/ 116) رقم (10277)، وأحمد في المسند (4/ 211) رقم (17881).

بذلك الوصف فلا يستحي أن يضرب بالبعوضة مثلاً كما لا يستحي أن يضرب بالعرش فما دونه مثلاً وقيل إن جهة ضرب المثل بالبعوضة أنها إذا جاعت قويت فطارت وإذا شبعت تشققت وتلفت كذلك ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ﴾ [العلق، الآيتان: 6، 7] وقيل فما فوقها الذباب وجهة الإشارة فيه أن الوقاحة التي في الذباب حتى أنه إن يعود عند المبالغة في الذب إذ لو كانت في الأسد لم ينج منه أحد من الخلق ولكن لما خلق القوة في الأسد خلق فيه تنافراً من الناس ولما خلق الوقاحة التي في الذباب خلق فيه ضعفاً تنبيهاً منه سبحانه على كمال حكمته ونفاذ قدرته. انتهى. ولا يبعد أن في ذكر البعوضة إيماءٌ إلى قضية النمرود والمردود حيث عذبه الله أربعمائة سنة بإدخال البعوضة في دماغه حتى منعه من السِّنة وكان ضرب رأسه بالمقمعة على وجه القوة من الحسنة وقيل: هذا مثال للدنيا وأهلها فإن البعوضة تحيى إذا جاعت وتموت إذا شبعت وكذلك أهل الدنيا إذا امتلأوا مما عليها وركنوا إليها أخذهم الله وأمات قلبهم وأهلكهم لديها ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ﴾ [الآية: 26] أي: المثل الذي مثل به هو الثابت من عند الله المربي به من سواه ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ﴾ [الآية: 26] أي: من جهلهم بالمثل والممثل به والممثل الذي ليس له مثل ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ﴾ [الآية: 26] أي: أي شيء أراده بهذا المذكور من جهة المثل المسطور.

قال الأستاذ: لأنهم سكرت أبصارهم بحكم الغفلة فلا يزيدهم ضرب الأمثال إلا زيادة الجهل والإشكال وأما من فتحت أبصار سرائرهم فلا ينظر إلى الأغيار والآثار إلا بنظر الاعتبار فلا يزداد الإنفاذ/ الاستبصار ﴿يُضِلُّ 12/ ب بِهِۦ﴾ [الآية: 26] أي بإيراد المثل ﴿كَثِيرٗا﴾ [الآية: 26] أي: ممن ينكرونه ويكذبونه ﴿وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ﴾ [الآية: 26] ممن يصدقون به ويعرفونه قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا﴾ [الإسراء، الآية: 82] فهو كالنيل ماءٌ للمحبوبين ودماء للمحجوبين وقد سئل الشيخ أبو إسحاق الكازروني قدّس سره عن السرف أن أهل البدعة يستدلون بالقرآن كما أن أهل السُّنَّة يستنبطون الأحكام من هذا الفرقان فقرأ الشيخ هذه الآية تنبيهاً للعلامة بين

الرواية والدراية.

وأفاد الأستاذ: أن هذا الكتاب لقوم شفاءً ورحمة ولآخرين شقاءً وفتنة فمن تعرف إليه يوم الميثاق بأنوار العناية حين سمعوا قوله ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف، الآية: 172] تذكروا عند الواسطة صلوات الله وسلامه عليه قديم عهده وسابق وده فازدادوا بصيرة على بصيرة ومن وسمه بذل القطيعة وأنطقه ذلك اليوم عن الحسبان والرهبة ما ازدادوا عند حصول الدعوة النبوية إلا جحداً على جحد وما خفي اليوم عليهم صادق الدلالة إلا لما تقدم لهم من سابق الضلالة ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الآية: 26] أي: الخارجين عن حدود المؤمنين وهم الكافرون لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [التوبة: 67].

﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 27] أي: يهدمونه وينكثونه ﴿مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ [الآية: 27] أي: بعد استحكام عهده وما يترتب عليه من وعيده ووعده والمراد ما وثق الله به عهده من الكتب المنزلة أو ما وثقوه به التزام العهد وقبول النصيحة وقيل عهود الله ثلاثة عهد أخذه على جميع ذرية آدم بأن يقروا بربوبيته وعهد أخذه على النبيين بأنهم إذا أدركوا محمداً آمنوا به وقاموا بنصرته وعهد على العلماء بأن يبنوا للعامّة ما يجب عليهم من معرفته.

وقال الأستاذ: الإشارة فيه إلى حال من سلك طريق الإرادة ثم رجع إلى ما هو إليه أهل العادة وقال بترك نفسه ثم لم يصدق حين عزم الأمر ونزل عن إشارات الحقيقة إلى رخص الشريعة وكما أن من سلك الطريق بنفسه فما دام درهم يبقى في كيسه فغير محمود رجوعه فكذلك من قصد بقلبه فما دام يبقى نفس من روحه فغير مرضي رجوعه/. 13/أ

إن الألى ماتوا على دين الهوى وجدوا المنية منهلاً معسولا

﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ [الآية: 27] أي: بوصله كإيصال الرحم بالرحمة وموالاة الأمة المرحومة والاجتماع في الجمعة والجماعة وكل ما هو بين الله وعبده من الوصلة.

قال الأستاذ: وصل أسباب الحق بقطع أساب الخلق ولا يتم وصل ماله

إلا بقطع مالك وإذا كان الأمر بالعكس كان الحال بالضد في ذلك ﴿وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [الآية: 27] أي: في أرض قلوبهم بما يثمر ظهور عيوبهم أو في أرض ربهم وبلاده بمخالفة أمره في حق عباده.

أفاد الأستاذ: أن فساد هذه الطائفة من إهمالهم حواشي أحوالهم فيتشاغلون عن إرشاد مريد بكلامهم وإيجاد قاصد بهمهم ومن فسادك في أرض ساعة تجري عليك ولم تره فيها ناظراً إليك ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [الآية: 27] أي: بفوت التوبة والقربة والمصير إلى القطيعة والعقوبة.

﴿كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ﴾ [الآية: 28] كيف هذه كلمة تعجيب متضمن لإنكار وتأديب أي: لا يصلح للعبد بعد ظهور آيات ربه أن يميل إلى الكفر بقلبه وحاصل المعنى أخبروني على أي حال تكفرون وبأي طريق تنكرون ﴿وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا﴾ [الآية: 28] أي: نطفاً في أصلاب آبائكم وترائب أمهاتكم ﴿فَأَحۡيَٰكُمۡۖ﴾ [الآية: 28] بتسوية أشباحكم بعد خلق أرواحكم ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ﴾ [الآية: 28] أي: عند انقضاء آجالكم ﴿ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ﴾ [الآية: 28] أي: للسؤال في القبور أو بالنشور يوم ينفخ في الصور ﴿ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [الآية: 28] أي: إلى حكمه في مآلكم فيجاء زيكم بأعمالكم فما أعجب كفركم مع علمكم بأحوالكم هذا إذا كان الخطاب للكفار وأما على تقدير توجهه إلى الأبرار فالمعنى كيف يتصور منكم الكفر ﴿وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا﴾ [الآية: 28] أي: جهالاً ﴿فَأَحۡيَٰكُمۡۖ﴾ [الآية: 28] بما أفادكم من العلم ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ﴾ [الآية: 28] الإماتة الرسمية ﴿ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ﴾ [الآية: 28] الحياة الحقيقية ﴿ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [الآية: 28] فيثيبكم بما لا عين رأت ولا أذن سمعت من النعم الأخروية.

قال الأستاذ: تعرف الحق إلى الخلق بلوائح دلالاته ولوامع آياته فقال ﴿وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا﴾ [الآية: 28] أي: نطفاً أجزاؤها متساوية فأحياكم بشراً اختص بعض أجزاء النطف بكونه عظماء أو بعضها بكونه لحماً وبعضها بكونه جلداً وبعضها بكونه شعراً إلى غير ذلك ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ﴾ [الآية: 28] / بأن يجعلكم عظاماً 13/ ب
ورفاتاً ﴿ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ﴾ [الآية: 28] بأن يحشركم بعدما صرتم أمواتاً ﴿ثُمَّ إِلَيۡهِ

﴿تُرْجَعُونَ﴾ [الآية: 28] أي: إلى ما سبق به حكمة من السعادة والشقاوة ويقال كنتم أمواتاً بجهلكم عنا ثم أحياكم بمعرفتكم بنا ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ [الآية: 28] عن شهودكم ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [الآية: 28] به ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الآية: 28] أي: بحفظ أحكام الشرع بإجراء الحق ويقال ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا﴾ [الآية: 28] ببقاء نفوسكم فأحياكم بفناء حظوظكم ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ [الآية: 28] عن شهود ذلك لئلا تلاحظوه فيفسد عليكم ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [الآية: 28] بأن يأخذكم عنكم ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الآية: 28] بتقلبكم في قبضته سبحانه ويقال: جنّس عليهم من الأحوال فلا حياة بالدوام ولا فناء بالكلية كما قالوا هذه حياة فيبتليهم كذلك إذا دال عليهم فأفناهم فإذا صاروا إلى الفناء أثبتهم وأبقاهم فهم أبداً بين بقاء وفناء وبين صحو ومحو كذلك جرت سُنَّته سبحانه معهم.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم﴾ [الآية: 29] أي: لأجل انتفاعكم ﴿مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [الآية: 29] أي: لتأخذوا منها معاشكم وزادكم مما يبلغ معادكم.

قال ابن عطاء ﴿خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [الآية: 29] ليكون الكون كله لك وتكون لله فلا تشتغل بمالك عما أنت له ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ [الآية: 29] أي: بإرادته أقبل عليها وبقدرته قصد إليها ﴿فَسَوَّاهُنَّ﴾ [الآية: 29] أي: فعدل الجهات العليات ﴿سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ [الآية: 29] أي: متطابقات من غير عمد مرئيات لتستدلوا بها على قدرته وتنتفعوا بأنواره وأنواع زينته وبصعود أرواحكم وأعمالكم ونزول ملائكته ووصول بركاته ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الآية: 29] من الموجودات والمعدومات والممكنات والمستحيلات والكليات والجزئيات ﴿عَلِيمٌ﴾ [الآية: 29] أي: بالغ في العلم والإدراك على نهاية الإحاطة لما هناك.

قال الأستاذ: سخر لهم جميع المخلوقات على معنى محصول انتفاعهم بكل شيء منها فعلى الأرض يستقرون وتحت السماء يسكنون ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: 16] وبكل وجه آخر ينتفعون بل من عين نظر وأثر فكر بكمال قدرته وجمال ربوبيته ﴿وَإِذْ قَالَ﴾ [الآية: 30] أي: أذكر حين قال ﴿رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [الآية: 30] أي: مصير فيها آدم وذريته من بعده خلفاً

14/أ بخلف من قبلهم من الملائكة الذين كانوا سكان الأرض/ بعد الجن فدمروهم وفرقوهم في الجزائر والجبال ﴿قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا﴾ [الآية: 30] أي: بأنواع الكفر ﴿وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [الآية: 30] أي: ويفعل سائر المعاصي وهذا من باب قياس أحد الثقلين على الآخر أو بالتلقي من اللوح أو بما في ظنهم أن العصمة من خواصهم أو بإعلام الله إياهم بما يكون في أكثر ذرية آدم والله أعلم وعلى كل تقدير هو تعجب من أن يستخلف لعمارة الأرض وإصلاحها من يتوقع منه خرابها وفسادها واستكشاف عن وجوه الحكمة وإبدائها ﴿وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ﴾ [الآية: 30] أي: والحال أنا ننزهك مقروناً بحمدك ونطهر أعمالنا وأحوالنا لأجلك بتوفيقك وفضلك ﴿قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [الآية: 30] وسأظهر لكم ما لا تعرفون.

قال الأستاذ: هذا ابتداء إظهار سره وحكمته في آدم وذريته أمر حتى سلّ من كل بقعة تراب طينته ثم أمر بأن يخمر طينته أربعين صباحاً وكل واحد من الملائكة يفضي العجب ما حكم هذه الطينة وما حكمة هذه العجينة فلما ركب صورته الحسنة لم يكونوا رأوا مثلها في بدائع الصنعة وعجائب الحكمة فحين [قال] ﴿إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ﴾ [الآية: 30] تجنّست الأقاويل وكان كما قيل:

وكم أبصرت من حسن ولكن ... عليك من الورى وقع اختياري[1]

ويقال استخرج الحق سبحانه منهم ما استكن في قلوبهم من استعظام طاعاتهم والملاحظة إلى حالاتهم بهذا الخطاب وأفصحوا عن خفايا أسرارهم بقولهم ﴿وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [الآية: 30] أي: من غفراني لهم والمعنى أنتم تعرفون عصيانهم وأنا أعلم فيهم غفرانهم ويقال إني أعلم ما لا تعلمون من انكسار قلوبهم وإن ارتكبوا قبيح أفعالهم وعيوبهم وأنشد:

وإذا الحبيب أتى بذنب واحد ... جاءت محاسنه بألف شفيع[2]

---

(1) نسب إلى محمد بن وهب. انظر: نهاية الأرب في فنون الأدب (1/ 147).

(2) نسب إلى ابن نباتة المصري. انظر: دواوين الشعر العربي (83/ 22) وقد ورد في تفسير القشيري (1/ 36)، ونفح الطيب (6/ 25).

ويقال أيّ خطر لتسبيحكم لولا فضلي وأي ضرر من ذنوبهم إذا كان عفوي ويقال إن أسعدتكم عصمتي فقد أدركتهم رحمتي، ويقال إن كان محسنكم/عتيق العصمة فإن مسيئهم عريق الرحمة، انتهى. ولا يبعد أن يقال 14/ب
والله أعلم بالحال أنه سبحانه لما خلق الملائكة معصومين عن المخالفة وجعلهم مظاهر الجمال وخلق الشياطين عاصين في الموافقة وصيرهم مظاهر الجلال بقي ظهور من يصلح أن يكون مظهراً للكمال وهو المعنى الجامع بين صفتي اللطف والقهر المقتضي لأن يظهر منه الخير والشر والنفع والضر القابل من وجه أن يكون في النار التي هي من جملة مظاهر نعوت الجمال من نحو المضل والمنتقم والقهار والصالح من جهة أن يكون في الجنة التي هي من مظاهر نعوت الجمال من نحو الهادي والمنعم والغفار فخلق هذا المعجون المركب على الوجه المربك كما يشير إليه في الحديث القدسي والكلام الإنسي أنه خمر طينة آدم بيديه أي بإظهار صفتيه من القبض والبسط وما ينشأ منهما من المحنة والمنحة والمحور الصحو والفناء والبقاء وأمثال ذلك على صنيع بديع هنالك بحيث أنه لو مال في علو الهمة وعلو الطاعة إلى مراتب الملائكة يسبقهم ويكون في أعلى عليين ولو أخلد إلى دناءة المرتبة وزيادة المعصية إلى مناصب الشياطين لغلبهم ويصير في أسفل سافلين ويؤيد ما قررناه ويقوي ما حررناه حديث «لو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون ويستغفرون فيغفر لهم»(1) هذا وروي أنه لما قال تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [الآية: 30] قالوا: فيما بينهم أو في أنفسهم لن يخلق ربنا خلقاً أعلم منا ففضل الله تعالى آدم عليهم بالعلم وعلمه اسم كل شيء حتى القصعة والمغرفة تكميلاً للمعرفة وهذا معنى قوله:

﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾ [الآية: 31] أي: أسماء المسميات على أن اللام عوض عن المضاف إليه كما هو مذهب الكوفيين وبعض البصريين وكثير من

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (4/ 156) رقم (3992)، والمعجم الأوسط (3/ 31) رقم (2376)، والبيهقي في شعب الإيمان (1/ 489) رقم (798)، وأحمد في المسند (1/ 289) رقم (2623).

المتأخرين أو الأسماء للمسميات بحذف الجار والمجرور لدلالة الأسماء عليه كما هو مقتضى رأي الباقين وقيل فيه الاستخدام يكون المراد بالأسماء الألفاظ والضمير في عرضهم راجعاً إلى الأسماء رأوا بها المسميات كقول الشاعر:

إذا نزل السماء بأرض/ قوم رعيناه وإن كانوا غضاباً 15/أ

وهذا مع كونه من المحسنات البديعية أيسر وأسهل في طرق العربية والمعنى خلق في قلبه علماً بالأسماء على سبيل الابتداء ومعرفة بخواص الأشياء ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾ [الآية: 31] أي: أظهر مسميات الأسماء من الجمادات والعقلاء ﴿عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ﴾ [الآية: 31] أي: على طريق التعجيز كما في الوجيز ﴿أَنۢبِـُٔونِى﴾ [الآية: 31] أي: أخبروني ﴿بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [الآية: 31] أي: المسميات المفروضة ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الآية: 31] إني لا أخلق خلقاً أعلم منكم على قول ابن عباس وجمع من السلف[1] أو أنكم أحقاء بالخلافة لعصمتكم على ما قاله الحسن وقتادة وسعيد بن جبير ومن تبعهم من السلف ثم الخلف ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ﴾ [الآية: 32] أي: تنزيهاً لك عما لا يليق بك في حلمك وأمرك وقضائك وقدرك ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ [الآية: 32] اعتراف بالعجز والقصور عن علم ما لا يعلمونه وعن حكم ما لا يحكمونه وهذا لازِمُ أحوال أرباب الكمال لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: 85] ولقوله سبحانه: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه، الآية: 110] مع ما في الآية من الإشارة إلى أنهم إنما حصل لهم الهيبة في الحضرة حيث قال أنبئوني بخلاف قوله أنبئهم لآدم والله أعلم وأخذ من هذا أن لا أدري نصف العلم.

وقال أبو عثمان المغربي: ما بلاء الخلق إلا بالدعاوي ألا ترى أن الملائكة لما قالوا نحن نسبح بحمدك كيف ردوا إلى الجهل حتى قالوا ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ [الآية: 32] ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الآية: 32] أي: لا يخفى عليه خافية ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ [الآية: 32] الذي لا يفعل إلا ما فيه حكمة وافية فلما ظهر عجز الملائكة الكرام وأراد إظهار فضل آدم عليه السلام.

---

(1) تفسير ابن كثير (1/ 224).

﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ﴾ [الآية: 33] أي: أعلمهم بها ﴿فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الآية: 33] أي: ما غاب فيها عن الخلق ﴿وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ﴾ [الآية: 33] أي تظهرونه ﴿وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ﴾ [الآية: 33] أي: تسرونه وقيل: ما تبدون قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها وما تكتمون استبطانهم أنهم أحقاء بالخلافة وأنه تعالى لن يخلق خلقاً أفضل منهم ففي الجملة للكلام دلالة على مرتبة العلم والمعرفة على مرتبة العمل والعبادة وإيماءً إلى أنه شرط في الخلافة الكاملة.

وقال الأستاذ: فلا يقال خصوصية الملائكة بالتسبيح والتقديس وهو
15/ب طاعات/ تليق بالمخلوقين فإن الطاعة سمة العبيد ولا يتعداهم والعلم في الجملة صفة مدح يجب في نعت الحق سبحانه واجباً لا يصح لغيره فالذي يكرمه بما يتصف هو سبحانه وإن كان لا مساواة أتم من إكرامه بما يكون موقوفاً على جنس المخلوقات ويقال أكرمه في السر بما علمه ثم بين تخصيصه بالجهر وقدمه. قال وعموم قوله ﴿ٱلۡأَسۡمَآءَ﴾ يقتضي الاستغراق واقتران قوله ﴿كُلَّهَا﴾ يوجب شمول الأفراد بالاستحقاق فكما علمه أسماء المخلوقات كلها على ما نطق به تفسير ابن عباس وغيره علمه أسماء الحق سبحانه ولكن قال إنما أظهر له محل التخصيص في علم أسماء المخلوقات وبذلك المقدار بأن رجحانه عليهم.

وأما انفراده بمعرفة أسمائه سبحانه فذلك سر لم يطلع عليه ملك مقرب ومن ليس له مرتبة مساواة آدم في معرفة أسماء الخلق فأي طمع له في مداناته في أسماء الحق ووقوعه على أسرار الغيب وإذا كان التخصيص بمعرفة أسماء المخلوقات يقتضي أن يصبح مسجود الملائكة فما الظن بالتخصيص بمعرفة أسماء الحق سبحانه ما الذي يوجب لمن أكرم به انتهى.

ويمكن أن يقال أن المعروضات تشمل مظاهر الصفات فالأسماء والمسميات على إطلاقها وإفادة استغراقها.

ثم أفاد الأستاذ: أن الحق سبحانه لما أراد أن ينجي آدم عصمه وعلمه

وأظهر عليه آثار الرعاية حتى أخبر بما أخبر وحين أراد إمضاء حكمه فيه أدخل عليه النسيان حتى نسي في الحضرة عهده وجاوز حده فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه، الآية: 115] فالوقت الذي ساعدته العناية تقدم على الجهلة بالعلم والإحسان والوقت الذي أمضى عليه الحكم رده إلى حال النسيان والعصيان كذا حكم الحق سبحانه فيما يجري ويمضي دل لحكمه العبيد وهو فعال لما يريد وفي «**العرائس**» قال بعضهم لما شاهدوا أفعالهم وافتخروا بها رد الله تعالى وجوههم عنه إلى آدم وأمرهم بالسجود له إعلاماً بأن العبادة لا تزن عنده شيئاً.

16/أ وتوضيحه ما أفاد الأستاذ بقوله/ ولما توهموا حصول تفضيلهم بتسبيحهم وتقديسهم عرفهم أن بساط العز مقدس عن التجمل بطاعة مطيع مريد أو التدنس بزلة جاحد عنيد، فردهم إلى سجود آدم إظهاراً لغناه عن كل وفاق وخلاف وهذا قوله جلّ ذكره.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ [الآية: 34] والسجود لآدم لم يكن عبادة لعينه ولكن لموافقة حكمه فكأنّ سجودهم لآدم عبادة لله حيث كان بأمره وتعظيماً لآدم لأنه أمرهم به تشريفاً لشأنه وكان ذلك نوع خضوع له ولكن لا يسمى ذلك عبادة لأن حقيقة العبادة نهاية الخضوع وذلك لا يصح لغيره سبحانه وتعالى ويقال بيّن أن تقدسه سبحانه بجلاله لا بأفعالهم وأن التجمل بتقديسهم وتسبيحهم عائد إليهم وهو الذي يجل من أجله بإجلاله لا بأفعالهم ويعز من أعز قدره سبحانه بإعزازه لا بأعمالهم جل عن إجلال الخلق قدره وعز عن إعزاز الخلق ذكره وقيل كان لله السجدة وآدم إنما هو كالكعبة موضوع للقبلة لكن يأبى عن هذا المعنىٰ وجود اللّام دون إلى وأما ما قيل في أن المراد بالسجود الانحناء فخلاف الظاهر مع بعده عن مقام الابتلاء ﴿فَسَجَدُوٓا۟﴾ [الآية: 34] أي: الملائكة كلهم أجمعون ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ [الآية: 34] أي: الداخل فيهم بالتلبيس ﴿أَبَىٰ﴾ [الآية: 34] أي: امتنع بقلبه ﴿وَٱسْتَكْبَرَ﴾ [الآية: 34] عن السجود بقالبه ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الآية: 34] في سابق علم الله وحكمه أو وصار من الكافرين لامتناع قبول أمره على وقف قضائه وقدره وإنما منشأ آبائه العجب بطاعته والغرور بكثرة عبادته إذ

لم يترك بقعة قدر شبر في السماء والأرض مع سعتهما من الطول والعرض إلا وقد كان سجد لله فيها سجدة وأطاع فيها قومة وقعدة إلى أن صار واعظاً للملائكة لوضع له منبر لسماع الموعظة وكان يذكر أن الله تعالى سيخلق آدم وينور به العالم ويأمر الملائكة بالسجود له وأن واحداً يمتنع عن الانقياد لحكمه وأمره فيصير ملعوناً مطروداً عن بابه ومحجوباً عن جنابه ويشقى شقاوة أبدية على وفق كتابه فإذا نزل عن منبره تعلق به كل من حضر بمجلسه وسمع هذا الكلام في محفله قائلاً ادع الله أن لا يجعلني ذلك الشقي فيدعوا لكل منهم أن يجعله الله التقي ولم يستعذ بالله لنفسه من أن يبتلى بدنسه والله غالب على أمره فبما دبر من قضائه وقدره.

16/ب / ولذا قيل: العجب أكبر من كل ذنب فإن صاحبه يحرم من التوبة ويمنع من الإنابة بخلاف المذنب فإنه قد يكون في عين معصيته متصفاً بملامته وندامته وبهذا تبين الفرق بينه وبين آدم عليه السلام فيما وقع لهما من مخالفة بعض الأحكام وقد قال بعض العارفين معصية أورثت ذلاً واستصغاراً خير من طاعة أوجبت عجباً واستكباراً ونعوذ بالله من الحور بعد الكور.

قال الأستاذ: ولقد كان إبليس مدة في دلال طاعته يختال في صدار موافقته سلموا له رتبة التقدم واعتقدوا فيه استحقاق التخصيص بالتكرم فصار أمره كما قيل:

وكان سراج الوصل أزهر بيننا فهبت به ريح من البين فانطفى

كان يحسب لنفسه استيجاب الخيرية ويظن بها استحقاق الخصوصية.

فبات بخير [والدّنىٰ] مطمئنة وأصبح يوماً والزمان تقلبا[1]

فلا سالف طاعة نفعه، ولا آنف رجعة رفعه، ولا شفاعة شفيع أدركته، ولا سابقة عناية أمسكته، ومن غلبه القضاء لا ينفعه العناء ولقد حصل من آدم هفوة بشرية فقد أدركته رحمة أحدية وأما إبليس فقد أدركته شقوة أزلية وغلبته قسمة أبدية فخاب رجاؤه وضل عناؤه.

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 41) و(2/ 466) و(3/ 62) و(7/ 31).

وقال صاحب «العرائس»: ألبس الله سبحانه الملائكة لباس العبودية فأعجبوا بعبادتهم وألبس آدم لباس الربوبية ورقم عليه طرار صفاته وعرضه على الملائكة فرأوه ملتبساً بلباس الحق فخجلوا عن تعجبهم بعبادتهم فأمرهم الله سبحانه بسجود آدم تعييراً لهم وتعليماً أنّ عبادتهم لا تزيد بالربوبية ولا تنقص عن الألوهية وأيضاً لما خلقه بخلقته وصوره بصورته وألبسه من نوره ونفخ فيه من روحه وأسكنه جنته وأجلسه على سرير مملكته فأسجد له ملائكته حتى أكمل له في العبودية صفات الربوبية فسجد الملائكة لكونهم في مقام الشهود وأبى إبليس عن السجود لما قدر الله عليه أنه من أهل الجحود فالملائكة رأوا فيه سر الله وعليه لباس الله مصبوغاً بصبغ الله ولم ير إبليس ما كشف لهم.

﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا﴾ [الآية: 35] أي: أكلاً
17/أ واسعاً ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ [الآية: 35] أي: ما شئتما إذا / شئتما من غير أن تصادفا مانعاً ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ [الآية: 35] أي: من حولها فضلاً عن أكلها وهي السنبلة أو الكرام أو شجرة العلم على ما سيأتي بيانه ويظهر برهانه ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية: 35] أي: فتصيرا من العاصين الواضعين الأشياء في غير مواضعها ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا﴾ [طه: 21] غير ملتفتين إلى موانعها فوقعا في ظلمة نفسهما وخرجا عن مجلس أنسهما ومحفل قدسهما.

قال ابن عطاء: نهى عن جنس الشجرة فظن آدم أن النهي عن المشار إليه بالخصوصية فتناول على حد النسيان وترك المحافظة لا عن التعمد في المخالفة قال تعالى: ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه: 115] انتهى وتوضيحه أنه نهي عن الجنس فنسي هذا المعنى وحمل النهي على الخصوص في المبنى.

وقال صاحب «العرائس»: أخفى الله تعالى لآدم في الشجرة من أسرار الربوبية ومنعهما عن قربها لئلا يتشوش عليهما عيش الإنسانية ولكن هيّجهما بمنعهما عن قرب الشجرة إلى طلب تناولها فلما قربا الشجرة كسى الشجرة أنوار القدس وأزهار الأنس وتجلى الحق سبحانه لهما من الشجرة كما تجلى

من شجرة موسى لموسى فعشقا الشجرة ووقعا فيها ونسيا ذكر النهي عن قربها انتهى.

وتوضيحه أنهما فهما أن المراد بالنهي عن قربها إنما هو عن أكلها والتمتع بها وأن التعبير بالقرب للمبالغة في نهيها والإنسان مجبول على الميل إلى ما نهي عنه طلباً لما فيه من الحكمة المقتضية للمنع منه وأنه لولا أنه من الأمر المعظم لما خص بهذا المقام المفخم فما حسبا أن مجرد القرب يكون سبباً للبعد عن السعد وغفلا عن أن الراعي حول الحمى يوشك أن يقع فيه[1] إن لم يلازم الاحتماء فلما قربا بعدا عن مقامهما اللائق بهما فظهر سر الأسرار ولمع نور الأنوار فوقفا في لجة الأقدار ونسيا ما كان واجباً عليهما من الإدكار.

قال الأستاذ: أسكنه الجنة ولكن أثبت مع دخوله شجرة المحنة ولولا سابق التقدير وإلا لكان يبدل تلك الشجرة بالنضارة ذبولاً وبالخضرة يبساً وبالوجود فقداً فكان لا يصل يد آدم إليها كما وقع له حين طلب لنفسه الأوراق ليخصفها فلو تطاولت تلك الشجرة حتى كان لا يصل يده إليها حين مدها لم يقع في شأنه كل ذلك التشويش ولكن بدا من التقدير ما سبق به
17/ب الحكم فلا مكان أفضل من الجنة ولا بشراً أكيس من/آدم ولا ناصحاً يقابل قوله إشارة الحق عليه ولا عزيمة قبل ارتكابه ما ارتكب أشد قوة من عزيمة آدم ولكن القدرة لا تكابر والحكمة لا تعارض ثم ما دام آدم وحده كان بكل خير وعافية فلما جاء الشكل ظهر أنياب الفتنة وافتتح أبواب المحنة وحين ساكن حواء وترك السكون إلى الحق وقام باستجلاب الحظ أطاعها فيما أشارت عليه بالأكل فوقع فيما وقع من الذل ولقد قيل:

داء قديم في بني آدم صبوة إنسان بإنسان[2]

---

(1) جزء من حديث أخرجه البخاري في الصحيح (52)، ومسلم في الصحيح (1599/ 107).

(2) نسب إلى المأموني. انظر: البصائر والذخائر (1/ 36).

ويقال أصبح آدم عليه السلام محمول الملائكة مسجود الكافة على رأسه تاج الوصلة وعلى وسطه نطاق القربة وفي جيده زمام الزلفة لا أحد فوقه في الرتبة ولا شخص مثله في الرفعة يتوالى عليه النداء في كل لحظة يا آدم ويا آدم فلم يمس حتى نزع عنه لباسه وسلب استئناسه والملائكة يدفعونه بعنف أن اخرج بغير مكث ولا وقف.

فأمنته فأتاح لي من مأمني مكراً كذا من يأمن الأحبابا[1]

وكان كما قيل:

لله درُّهم من فتية بكروا مثل الملوك وراحوا كالمساكين[2]

هذا ونهاه عن قرب الشجرة بأمره وألقاه فيما نهاه بقهره ولبس عليه من أخفاه من سره وأما ما قيل من أن المراد بالشجرة شجرة العلم فلعل وجهه أن قربها وبعدها سبب للعلم بحال المبتلى بها أو لكون أكلها علامة يعلم ببسها الخروج من الجنة إلى دار المحنة ويعلم حينئذٍ قدر النعمة أو تعلق علم الله سبحانه بها أن آدم يأكل منها وبعدما يأكل منها ما يترتب على أكلها وأما الحكمة في أن أكلها يورث البعد من دار القرب وجار الرب إلى محل الكيد والتعب وقيل لأن إبليس قال لهما من أكل منها علم الشر والخير بها.

﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا﴾ [الآية: 36] أي: أوقعهما في الزلة الموروثة بالذل بسبب اختيار الشهوة المانعة عن الجنة وفي قراءة حمزة فأزالهما أي: نحاهما منها وأبعدهما عنها ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ [الآية: 36] أي: من العزة والعظمة ومرتبة القربة ومزية المحبة ومزية المحنة وحسن العيشة.

18/أ قال الأستاذ: وحملهما على الزلة وفي التحقيق/ ما صرفهما إلا القدرة وما كان تقلبهما إلا في القضية فأخرجهما مما كانا فيه من الرتبة والدرجة جهراً ولكن ما ازدادوا في حكم الحق سبحانه في شأنهما إلا رفعة وقدراً أي: مآلاً ومنالاً.

---

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 42) و(1/ 300) و(5/ 37).
(2) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 42) و(2/ 355).

﴿وَقُلْنَا﴾ [الآية: 36] أي: لآدم وحواء وإبليس والجنة ﴿ٱهْبِطُوا۟﴾ [الآية: 36] انزلوا عن مرتبتكم العلية إلى حضيض الأرض السفلية ودار الدنيا الدنية فإنها محل التكاليف الشرعية وموضع الابتلاء بالمحن الكونية ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [الآية: 36] وقع العداوة بينهما وبين الشيطان لكن آدم من حزب الرحمن وفي حماية السلطان.

قال الأستاذ: ولو كان لإبليس سلطان على غواية غيره لكان له إمكان في هداية نفسه لأمره ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الآية: 36] أي: قرار في الأمكنة وتمتع في المعيشة إلى الموت أو القيامة.

قال الأستاذ: مشهد الأشباح ومألفها أقطار الأرض والفرش ومعهد الأرواح ومرتعها وراء العرش انتهى فالأولياء فرشيون بأشباحهم عرشيون بأرواحهم غريبون عن الخلق قريبون إلى الحق كائنون مع الأغيار في الظواهر بائنون عنهم تحت الأستار في السرائر ولعل هذا حكمة خلق آدم في الجنة وإظهار مرتبة المحنة المورثة للمحنة فإن الولاء قرين البلاء ليكون في دار الغربة مشتاقاً إلى مقام القربة وما قيل من أن حب الوطن من الإيمان إشارة إليه ودلالة عليه.

﴿فَتَلَقَّىٰٓ﴾ [الآية: 37] أي: أخذ وتلقن ﴿ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَـٰتٍ﴾ [الآية: 37] برفع آدم ونصب كلمات وفي قراءة المكي بالعكس في المقالة لما بينهما من الملازمة فإن التلقي بمعنى الاستقبال والمتابعة أي: فجاءته من ربه ﴿كَلِمَـٰتٍ﴾ [الآية: 37] دالاتٍ على حالة التوبة ومقام الإنابة وهي قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف، الآية: 23] الآية.

قال الأستاذ: وعلى طريق الإشارة دون التفسير للعبارة أن يقال أنه قال إذا خرجت من عندي فلا تنس عهدي وأن تقاصر عنك خبري فإياك أن تؤثر عليّ غيري أو إن فاتني وصولك فلا يتأخرن عني رسولك ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ [الآية: 37] أي: فرجع عليه بالمغفرة/ بعد اعترافه بالمعذرة أو فقبل توبته حين أظهر إنابته 18/ب
أو وفقه بالتوبة بعد تلقين الأوبة من الحوبة ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ﴾ [الآية: 37] للعاصين

﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ [الآية: 37] للمطيعين أو التواب عليهم من المعصية الرحيم عليهم بالعصمة.

﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا﴾ [الآية: 38] التكرير لاختلاف المقصود المتفرع على الأمر الموجود فإن الأول دل على أن هبوطهم إلى دار بلية وحصول العداوة في كل قضية إلى مدة معينة والثاني على أن نزولهم للترقي بالتكاليف الشرعية فمن اهتدى رجع إلى المنازل العلية ومن ضل فقد هلك في تيه البلية كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى﴾ [الآية: 38] زيدت ما في أن الشرطية لتأكيد القضية العلية والمعنى فإن يأتكم من جانبي رسول وشريعة وبيان ودعوة يكون ذريعة ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ﴾ [الآية: 38] أي: ما يهديه إليّ ويدله عليّ على طريق التصديق والمتابعة على وفق التوفيق ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية: 38] أي: بوقوع عقاب ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الآية: 38] أي: بفوت ثواب في دار القرار.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الآية: 39] أي: برسلنا كفر جهل وجحود ﴿وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ [الآية: 39] بكتبنا وأدلتنا كفر مكابر وعنود ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ [الآية: 39] أي: ملازموها في دار البوار ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الآية: 39] أي: ماكثون دائمون.

قال الأستاذ: أي الذين قابلون النعم بغير شكر المنعم وغفلوا عن التصديق والتحقيق فلهم حجاب معجل وعذاب مؤجل.

﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الآية: 40] أي: يا أولاد يعقوب والمراد بهم اليهود والنصارى وخصوا بالخطاب لأنهم أهل الكتاب ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية: 40] أي: بالتفكر فيها والقيام بشكرها ومن جملته الإيمان بمنعها أو المراد بها من أنعم الله على آبائهم من فلق البحر وعدم الغرق وإلا نجا من فرعون وتظليل الغمام ونحوها فإن نعمة الآباء منحة الأبناء.

قال صاحب «العرائس»: أذكروا معاونتي في طاعتكم وهدايتي قبل مجاهدتكم وما كشفت لكم من أسرار معرفتي حتى لا تغتروا بمعاملتكم.

وقال الأستاذ: حقيقة النعم لذة خالصة عن الشوائب عند العلماء وعند أهل التحقيق والعرفان هي ما ذكرك النعم أو أشهدك المنعم أو أوصلك/ إليه 19/أ

أو لم يحجبك عنه وتنقسم إلى نعمة أشباح وظواهر ونعمة أرواح وسرائر فالأولى وجوه الراحات والثانية صنوف المكاشفات والمشاهدات ويقال أمر بني إسرائيل بذكر النعم وأمر أمة النبي الكريم بذكر المنعم حيث قال لهم ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة، الآية: 152] وفي تفسير السلمي قال بعضهم ربط بني إسرائيل بذكر النعمة وأسقطها عن هذه الأمة ليكون نظر الأمم من النعمة إلى المنعم ونظر هذه الأمة من المنعم إلى النعمة انتهى وفيه إشعار بأن هذه الأمة مجذوبون سالكون مرادون وأن غيرهم سالكون مجذوبون مريدون وفيه أيضاً نكتة خفية حيث قال ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ ولم يقل اذكروا منعمكم ليكون المحبة للذات بلا ملاحظة المنعم من حيث الإنعام وسائر الصفات ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ [الآية: 40] أي: بالإيمان والطاعة ﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [الآية: 40] أي: بحسن المجازات والإثابة وفي حقائق السلمي نقلاً عن الثوري ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ [الآية: 40] على بساط حرمتي بوفاء خدمتي ﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [الآية: 40] في دار نعمتي على بساط قربتي بسرور رؤيتي.

وقال الأستاذ: عهده سبحانه حفظ المعرفة وعهدنا إيصال المغفرة عهده حفظ محابه وعهدنا لطف ثوابه عهده حضور الباب وعهدنا جزيل المآب ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ [الآية: 40] بحفظ السرِّ أوفِ بعهدكم بجميل البر ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ الذي قبلتم يوم الميثاق ﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ الذي ضمنت لكم يوم التلاق ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ في أن لا تؤثروا عليّ غيري ﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ بدوام المشاهدة في أن لا أمنع عنكم لطفي وخيري ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ في القيام بحسن المجاهدة أو المعاملة ﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ بدوام المشاهدة والمواصلة ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ بالتبري عن الحول والمنّة ﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ بالطول والمنّة ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ بحفظ الوفاء ﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ بإدامة الصفاء ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [الآية: 40] أي: فخافوني لا غيري فيما تأتون وتذرون خصوصاً في وفاء الوعد ونقض العهد.

قال الأستاذ: أفردوني بالخشية لانفرادي بالقدرة.

﴿وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ﴾ [الآية: 41] على النبي الصادق. المصدوق ﴿مُصَدِّقًا لِمَا
19/ب مَعَكُمْ﴾ [الآية: 41] فإنكم تجدونه موافقاً ومطلقاً لما في التوراة/ والإنجيل من أمر

التوحيد والنبوة عندكم.

قال الأستاذ: الإشارة فيه أن تقرن إيمانه من حيث البيان بإيمانه من حيث البرهان فعموم المؤمنين لهم بإيمان البرهان بشرط الاستدلال وخواص المؤمنين لهم إيماناً من حيث البيان بحق الإقبال وآخر أحوالهم الإيمان من حيث العيان وذلك لخالص الخاص انتهى فكأنه أشار إلى مقامات العارفين من علم اليقين وعين التعيين وحق التقين ﴿وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦ﴾ [الآية: 41] أي: أول من يكفر به لأن الواجب عليكم أن تكونوا أول فوجٍ مُؤمنٍ به.

قال الأستاذ: لا تسنّوا الكفر سنة فإن وزر المقتدى فيما يسن أعظم من وزر المقتدي فيما يتابع ﴿وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [الآية: 41] أي: لا تستبدلوا بالإيمان بها والاتباع لها حظوظ الدنيا من مالها وجاهها فإنها وإن كانت جليلة معتبرة عندكم فهي قليلة مسترذلة بالإضافة إلى ما يفوت عنكم من حظوظ الآخرة ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ﴾ [الآية: 41] بالإعراض عن الدنيا والتوجه إلى الأخرى والإقبال على المولى فإن له الآخرة والأولى.

قال الأستاذ: كثير من يتقي عقوبته وعزيز من يهاب اطلاعه ورؤيته.

وقال عبد الرحمن السلمي: التقوى النظر إلى الكون بعين النقص وقال بعضهم: التقوى على أربعة أوجه للعامة تقوى الشرك وللخاص ترك المعاصي وللعارفين تقوى التوسل ولأهل الصفوة تقواهم منه إليه انتهى ولعارفيه الإشارة إلى قوله ﷺ «أعوذ بك منك»[1] وإيماءً إلى قوله سبحانه ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: 28] والحاصل أن نهاية التقوى الإتقاء عن خطور السِّوىٰ كما دل عليه كلام العارف ابن الفارض:

ولو خطرت لي في سواك إرادة على خاطري سهواً حكمت بردتي

وفي الحديث ليس يتحسر أهل الجنة إلا على ساعة مرت بهم ولم

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (1/ 449) رقم (1150)، والنسائي في السنن الكبرى (1/ 452) رقم (1444)، والطبراني في المعجم الأوسط (7/ 141) رقم (7106) والبيهقي في شعب الإيمان (3/ 385) رقم (3838).

يذكروا الله فيها[1] فإن كل نفس مشتمل على نعمتي الإيجاد والإمداد لأن نزوله ممدّ الحياة وطلوعه معرج الذات فيجب ذكرها وذكرها شكرها وشكرها فكرها صفات منعهما.

﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [الآية: 42] أي: لا تخلطوا الحق المنزل الذي تسمعونه وتحقّونه بالباطل الذي تخترعونه وتكتبونه ﴿وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ﴾ [الآية: 42]
20/أ أي: ولا تخفوه إذ الواجب/ عليكم أن تظهروه ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 42] أي: قبح ذلك أو عقوبة ما هنالك والحال أنكم علماء وما أقبح العالم أن يعمل عمل السفهاء إذ الجهل قد يعذر في الابتداء ولذا ورد «ويل للجاهل مرة وويل للعالم سبع مرات»[2].

قال سهل: لا تخلطوا أمر الدين بالأخرى فكأنه أشار إلى منع السمعة والرياء وإلى خلط الهدى بالهوى أو فكر السوى بذكر المولى ألا كل شيء ما خلا الله باطل.

وقال الأستاذ: لا تتوهموا أن يلتئم لكم جمع الضدين والكون في حالة واحدة في محلين فإما مبسوط بحق وإما مربوط بحظ ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ﴾ تدليس ولا تكتموا الحق تلبيس ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنّ حق الحق تقديس أي: ومن لم يتبع الحق فهو إبليس.

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [الآية: 43] أي: صلاة المسلمين وزكاة المؤمنين فإن غيرها لا عبرة لهما ﴿وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [الآية: 43] أي: صلوا مع المصلين في جماعتهم وجمعتهم والتعبير بالركوع لإفادة الخشوع وزيادة الخضوع وللاحتراز عن صلاة اليهود في عبادة المعبود.

وقال الأستاذ: أي احفظوا آداب الحضرة فحفظ الأدب أتم في الخدمة من الخدمة والإشارة في إيتاء الزكاة زكاة أحوالهم كما يؤدي زكاة النعم من

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (20/ 93) رقم (182)، والبيهقي في شعب الإيمان (1/ 392) رقم (512).

(2) كشف الخفاء (2/ 346) رقم (2974) قال رواه الديلمي عن أنس.

أموالهم قال قائلهم:

كل شيء له زكاة تؤدى وزكاة الجمال رحمة مثلي

فيفيض من زوائد همته ولطائف نظره على المتقين والمريدين بما ينتعشون به وتنجبر أحوالهم معه ويقتدى بآثار السلف في الحال وتجنب سنن الانفراد في الاستقبال فإن الكون في غمار الجمعية أسلم من الامتياز من الكافة لما يخاف فيه من البلية.

﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ﴾ [الآية: 44] أي: غيركم ﴿بِٱلْبِرِّ﴾ [الآية: 44] أي: بطاعة الحق مع الصدق وحسن الخلق مع الخلق ﴿وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ [الآية: 44] أي: وتتركون حظها منه والجملة الأخيرة محل الإنكار وبالاستفهام وإلا فالأمر بالبر من جملة المرام وقد نزل في أخبار اليهود حيث كانوا ينصحون الناس باتباع النبي ﷺ ولا يتبعون وقيل: كانوا يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون وفي معناهم العلماء الذين يعظون وهم بوعظهم ما يعملون قال تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: 3] ﴿وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الآية: 44] أي: تقرأون الخطاب الذي فيه بيان الثواب والعقاب ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الآية: 44] / قبح ما تصنعون. 20/ ب

وفي «تفسير السلمي»: تطالبون الناس بحقائق المعاني وأنتم خالية قلوبكم عن ظاهر رسوم الباني.

وقال الأستاذ: أتدعون الخلق إلينا وتقعدون عنا أتسرحون الوفود وتقصّرون في الورود أتحرّضون على البدار وترضون بالتخلف والفرار.

﴿وَٱسْتَعِينُوا۟﴾ [الآية: 45] على تحصيل رفع الدرجات وإنجاح الحاجات ﴿بِٱلصَّبْرِ﴾ [الآية: 45] أي: الصوم الذي هو احتباس عن المفطرات أو بحبس النفس عن المنهيات والشهوات ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [الآية: 45] أي: بالقيام بأمر العبادات والطاعات فإنها جامعة لأنواع الخيرات ومانعة عن أصناف السيئات.

وقال الأستاذ: الصبر فطم النفس عن المألوفات والصلاة التعرض لحصول المواصلات فالصبر يشير إلى هجران السوى والصلاة تومي إلى الوقوف بحضرة المولى ﴿وَإِنَّهَا﴾ [الآية: 45] أي: الاستعانة بهما ﴿لَكَبِيرَةٌ﴾ [الآية:

45] أي لثقيلة شديدة ﴿إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ [الآية: 45] أي: المخبتين الخاضعين الساكنين إلى طاعة المولى المعرضين عن موافقة الهوى وملاحظة السوى.

وقال الأستاذ: إلا على من تجلى الحق لسره فإن في الخبر المنقول «إنّ الله تعالى إذا تجلى لشيء خشع له» وإذا تجلى الحق لسره خف وسهل ما تولى لأمره فإن التولي للمجاهدة بموجب التكليف يوجب مقاساة الكلفة والتخلي بالمشاهدة بحكم التخفيف يوجب تمام الوصلة ودوام الزلفة وأقسام الصبر كلها محمودة الصبر في الله ولله وبالله ومع الله إلا صبراً واحداً وهو الصبر عن الله.

والصبر يحسن في المواطن كلها إلا عليك فإنه مذموم

﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [الآية: 46] أي: يتيقنون أنهم إليه يحشرون وعلى أعمالهم يحاسبون وفي قراءة ابن مسعود يعلمون بدل يظنون.

قال الأستاذ: الظن يذكر والمراد به اليقين وهو الأظهر هاهنا ويذكر ويراد به الحسبان فمن ظن ظن يقين فصاحب وصلة ومن ظن ظن تخمين فصاحب فرقة و﴿مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ﴾ [الآية: 46] صيغة تصلح للاستقبال والحال فهم ﴿مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ﴾ [الآية: 46] في المستقبل ولكن القوم لتحققهم بما سيكون من أحكام الغيب صاروا كأن الوعد لهم نقداً الغيب حضور في مثل هذا المقام قال
21/أ حارثة أصبحت مؤمناً بالله حقاً وكأني بأهل الجنة/ يتزاورون وكأني بأهل النار يتعادون وكأني بعرش ربي بارزاً.

﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية: 47] أي: حيث أرسلنا رسولنا الأكمل إليكم ﴿وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الآية: 47] أي: دخلتم في ملته وصرتم من أمته أو أعطيتكم الزيادة على عالمي زمانكم بتظليل الغمام وإنزال المنّ والسلوى والإنجاء وسائر إحسانكم أو حيث جعلت فيكم أنبياء وخلقت من جنسكم أولياء وملوكاً أصفياء وهذا بناءً على تفضيل الآباء شرف الأبناء.

﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا﴾ [الآية: 48] أي: ما فيه من الحساب والعذاب والحجاب أو احذروا واخشوا عقاب يوم ﴿لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ [الآية: 48] أي: لا

تقضى فيه ولا تغني نفس عن أخرى شيئاً من الغنى أو لا تدفع شيئاً من العناء بل كل نفس تجادل عن نفسها وتقر عن أبناء جنسها.

وقال الأستاذ: خوف العوام بأفعاله فاتقوا يوماً ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا﴾ [البقرة: 48] ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ﴾ [آل عمران: 131] وأمثالهما أو خوف الخواص بصفاته فقال ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ﴾ [التوبة: 105] ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً ونحوهما وخوف خاص الخاص بذاته فقال ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ﴾ [آل عمران: 28] ﴿وَلَا يُقۡبَلُ﴾ [الآية: 48] بالتذكر لغة أبي عمرو وابن كثير أي: من أجل النفس الثانية العاصية ﴿مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ﴾ [الآية: 48] من أرباب النفوس العالية ﴿وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا﴾ [الآية: 48] أي: من أجل خلاصها ﴿عَدۡلٞ﴾ [الآية: 48] أي: فداء وبدل ﴿وَلَا هُمۡ﴾ [الآية: 48] أي: عصاتهم ﴿يُنصَرُونَ﴾ [الآية: 48] أي: يمنعون عن العذاب ويدفعون عنهم الحجاب لا باللطف ولا بالعنف فهم مخلدون في العذاب.

﴿وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ﴾ [الآية: 49] أي: من ظلمهم وتعذيبهم لديكم تفضيل لما أجمله سبحانه من قوله ﴿ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾ [البقرة: 40] ﴿يَسُومُونَكُمۡ﴾ [الآية: 49] أي: يذيقونكم ﴿سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ﴾ [الآية: 49] أفظع أنواعه وأشنع أصنافه كما بينه بقوله: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ﴾ [الآية: 49] أي: يقتلونهم ﴿وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ﴾ [الآية: 49] أي: يستبقون بناتكم لِخدمتهم أو لبقاء نسلكم في محنتهم فإنهم كانوا يتركون الأولاد عاماً كسنة ولد فيها هارون ويقتلون عاماً كسنة ظهر فيها موسى عليه السلام وسببه أن بني إسرائيل كانوا أولاد الأنبياء وأصحاب الشريعة الغراء وفرعون كان يدعي الألوهية وإله كانوا يظنون فيه الربوبية فكانوا يضعفونهم بأنواع المحنة وأصناف المهنة.

وأفاد الأستاذ: أن من صبر في الله على/ بلاء أعدائه عوضه الله صحبة 21/ ب
وأتاح له جميل عطائه ﴿وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ﴾ [الآية: 49] أي: محنة أن أشير إلى تعذيبهم ومنحة أن أشير إلى تخليصهم وأصل البلاء هو الاختبار ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم﴾ [البقرة: 152] لكن لما كان اختباره سبحانه تارة بالنعمة وتارة بالنقمة أطلق عليهما ومنه قوله تعالى ﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗ﴾

[الأنبياء: 35] ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الأعراف: 168] والمعنى وفي ذلكم الذين كانوا يفعلون بكم اختبار وامتحان لأحوالكم من القيام بالصبر في محله والشكر في موضعه لأن الخير والشر جميعاً من عنده.

قال الأستاذ: وقيل نعمة عظيمة وقيل: محنة جسيمة وفي الحقيقة ما كان في الله في الظاهر محنة فهو في الحقيقة لمن عرفه نعمة ومنحة ومنّة.

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾ [الآية: 50] أي: شققناه وفلقناه بسببكم وجعلناه يابساً طريقاً لمروركم ﴿فَأَنجَيْنَٰكُمْ﴾ [الآية: 50] أي: ببركة موسى ﴿وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ [الآية: 50] أي: معه تبعاً له ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [الآية: 50] أي: إلى إنجائكم وإهلاك أعدائكم.

﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا﴾ [الآية: 50] أي: قراءة البصري ووعدنا ﴿وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [الآية: 51] أي: انقضائها للتكلم معه بعد انتهائها وهي ذو القعدة وعشر ذي الحجة ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ [الآية: 51] إلهاً ومعبوداً على سبيل العجلة لكونكم مثل البقر في البلاهة ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [الآية: 51] أي: بعد خروج موسى عنكم في الميقات لإتيان الإتيان البينات في التوراة ﴿وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [الآية: 51] أي: واضعون العبادة في غير موضعها.

قال السلمي: عجل كل أحد نفسه فمن أسقطه وخالف مراده فقد بريء من ظلمه.

وقال الأستاذ: شتان بين أمة وأمة فأمة موسى عليه السلام غاب عنهم أربعين ليلة مما بينهم فاتخذوا العجل معبودهم وأمة محمد ﷺ مع مضيهم زماناً كثيراً على عهد نبيهم لو سمعوا واحداً يذكر تشبيهاً في وصف إلههم لما أبقوا على مهجته ولو كان فيهم ذهاب أرواحهم.

﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم﴾ [الآية: 52] ثم محونا ذنوبكم حين تركتم عيوبكم ﴿مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 52] أي: الاتخاذ ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الآية: 52] أي: لكي تشكروا عفوه وتتركوا كفر.

﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ﴾ [الآية: 53] أي: يعني التوراة الجامع بين

كونه كتاباً وحجة تفرق بين الحق والباطل باباً باباً ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الآية: 53] أي: لكي تهدوا بتدبر التوراة وتكفر الآيات ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ﴾ [الآية: 54] أي: الذين عبدوا/ العجل. 22/ أ

﴿يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾ [الآية: 54] أي: فاعزموا على الرجوع إلى خالقكم ﴿فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [الآية: 54] بقتل البريء لمجرمكم ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ [الآية: 54] أي: عزمكم ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [الآية: 54] أي: فيه خير كثير حاصل لكم ﴿عِندَ بَارِئِكُمْ﴾ [الآية: 54] من حيث أنه طهرة من العقيدة الدنية ووصلة إلى الحياة الأبدية والسعادة السرمدية ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية: 54] أي ففعلتم ما أمرتم به من التوبة فقبل منكم الرجعة ورجع عليكم بالمغفرة والرحمة أو وفقكم بالإنابة ورجع عليكم بالإنابة ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الآية: 54] والوهاب الكريم.

قال الأستاذ: المعنى ما ضررتم إلا بأنفسكم فيما ارتكبتم من ذنوبكم ومن وافق هواه فعجله ما علق به همه وأفرد له قصده والإشارة في قوله ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾ [الآية: 54] إلى أن حقيقة التوبة هي الخروج إلى الله بالكلية ولقد توهم بعض الناس أن توبة بني إسرائيل كانت أشق وليس كما توهموا فإن ذلك مقاساة القتل مرة واحدة وأما لأهل الخصوص من هذه الأمة فالقتل حاصل في كل لحظة ولذا قيل:

ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء(1)

وقتل النفس في الحقيقة التبري عن حولها وقوتها أو شهود شيء منها ورد دعائها إليها وتشويش تدبيرها عليها وتسليم الأمور إلى الحق بجملتها وانسلاخها من اختيارها وإرادتها وامتحاء أثر البشرية عنها فأما بقاء الرسوم والهياكل فلا خطر لها ولا عبرة بها.

(1) نسب إلى عدي بن الرعلاء الغساني. انظر: خزانة الأدب (3/ 446)، والأصمعيات (1/ 2)، ومضاهاة أمثال كليلة ودمنة (1/ 14).
ونسب إلى جرير بن حازم. انظر: الأغاني (10/ 308) ونسب إلى غيرهم.

وفي «**تفسير السلمي**» قال الواسطي: كانت توبة بني إسرائيل إفناء نفوسهم ولهذه الأمة أشد فهو إفناء نفوسهم عن مرادهم مع بقاء رسوم الهياكل انتهى وتظهيره تفضيل أكابر الإنس على الملائكة حيث أنهم يطيعون ولا يعصون مع ما فيهم من مقتضيات المخالفة وموجبات ترك الموافقة من الهواجس النفسانية والوساويس الشيطانية ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ﴾ [الآية: 55] أي: لأجل قولك ﴿حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [الآية: 55] أي: عياناً لا يستره شيء عنا وذلك حين اختيار موسى قومه سبعين رجلاً ليعتذروا إلى الله من عبادة العجل فلما سمعوا كلام الله وفرغ موسى من مناجاة الإله قالوا ذلك وعذرهم أقذر من وزرهم ﴿فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ [الآية: 55] وهي نار جاءت من السماء مقرونة بالرجفة فأحرقتهم في لحظة ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [الآية: 55] أي: إليها متوجهة إليكم حتى نزلت عليكم.

22/ب / قال الأستاذ: والتعرض لمطالعة الذات على غير نعت الهيبة إفصاح بترك الحرمة وذلك من إمارات البعد والشقوة وإسبال نعت التولي بمكاشفات العزة مقروناً بملاطفات القربة من علامات الوصلة ودلالات السعادة فلا جرم لما أطلقوا لسان الجهل بتقوية ترك الحشمة أخذتهم الرجفة والصعقة.

وقال صاحب «**العرائس**»: أي طلبتم رؤيتي ومطالعتي بتقليد موسى وليس لكم مقام المشاهدة فلما برز لكم ذرة من أنوار ذاتي فنسيتم فيها واحترقتم لأنكم في البداية موسى في النهاية وأيضاً أفنيتكم في سطوات جلالي وأبقيتكم بأنوار جمالي لقوله ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم﴾ [الآية: 56] أي: عدناكم أحياء ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ [الآية: 56] إفناءكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الآية: 56] أي: نعمة حياتكم بعد مماتكم.

قال الأستاذ: وأعادهم إلى حال الإحساس بعدما استوفتهم سطوة العذاب إملاءً لهم بمقتضى الحكم وإجراء لسنته في الصفح عن الجرم ومن قضايا الكرم إسبال الستر على هنات الخدم.

﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ﴾ [الآية: 57] أي: بتسخير السحاب الرقيق لهم حين

كانوا في شمس التيه ليظللهم ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ﴾ [الآية: 57] أي: الترنجبين[1] كان يقع على الأشجار وقت الأسحار ﴿وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ [الآية: 57] وهي طير السماني وقيل: لكم بلسان القال أو بيان الحال ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [الآية: 57] أي: حلالاته ومستلذاته.

وأفاد الأستاذ: أنه لما طرحهم في متاهات الغربة لم يرض إلا بأن ظللهم وبلبسة الكفايات جللهم وعن تكلف التكسب أغناهم وبجميل صنعه فيما احتاجوا إليه تولاهم فلا شعورهم كانت تطول ولا أظفارهم، كانت تنبت ولا ثيابهم كانت تتسخ ولا شعاع الشمس عليهم كان ينبسط وكذلك سنته بمن حال بينه وبين اختياره يكون ما يختاره له خيراً مما يختاره لنفسه ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ [الآية: 57] لتنزهنا عن أن يلحق نقص وعجز بنا ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الآية: 57] حيث أبوا على موسى دخول القرية فصاروا سبباً لحبسهم في التيه للتأديب والتهذب والتنبيه كما بينه سبحانه وأظهر برهانه بقوله.

﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ [الآية: 58] أي: بعد خلاصهم من تيه الحيرة وسؤال الرؤية بالجهرة ﴿ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [الآية: 58] أي: بيت المقدس ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ [الآية: 58] / أي: أكلاً واسعاً ﴿وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ﴾ [الآية: 58] أي: باب 23/ أ
القرية ﴿سُجَّدًا﴾ [الآية: 58] أي: منحنين متواضعي غير متكبرين كالجبارين أو ساجدين لمولاكم شكراً على ما أولاكم وأخرجكم من التيه وآواكم ﴿وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ﴾ [الآية: 58] أي: مسألتنا أن تحط عنا سيئاتنا ﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ [الآية: 58] أي: سجودكم ودعوتكم وقرأ نافع يغفر بالتذكر والشامي بالتأنيث على صيغة المفعول لهما ﴿وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الآية: 58] ثواباً على إحسانهم كما نقبل توبة المسيئين بإيمانهم.

﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾ [الآية: 59] أي: غيروا ما أمروا به من السجدة والتوبة فدخلوا على هيئة الزحفة وقالوا حنطة بدل ﴿حِطَّةٌ﴾ [الآية: 58] ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ [الآية: 59] فيه إشعار بأن كلهم لم يبدلوا

---

(1) قريبة من العسل. انظر: تاج العروس (1/ 7320).

﴿رِجْزًا﴾ [الآية: 59] أي: عذاباً مقدراً ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [الآية: 59] أي: بسبب خروجهم عن طاعة ربهم وظلمهم على أنفسهم والمراد بالرّجز الطاعون إذ هلك منهم في ساعة واحدة سبعون ألفاً.

وقال الأستاذ: لم يمكنهم أن يردوا باب السماء باحتيالهم أو يسدوا من دونهم أسباب البلاء بما ركنوا إليه من أحوالهم. ففزعوا من الندم لما عضهم ناب الألم.

﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ﴾ [الآية: 60] أي: لما عطشوا في التيه من يومه ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ﴾ [الآية: 60] أي: حجراً من الأحجار فاللام للجنس وهو أظهر في باب المعجزة للإنس وقيل: اللام للعهد وهو حجر خفيف مربع مثل رأس الرجال أشار جبريل إلى موسى بحمله معه لإظهار هذا الحال ﴿فَٱنفَجَرَتْ﴾ [الآية: 60] أي: فضرب فانشقت ﴿مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [الآية: 60] أي: على عدد الأسباط ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾ [الآية: 60] أي: سبطٍ ﴿مَّشْرَبَهُمْ﴾ [الآية: 60] أي: عينهم التي يشربون منها ونهرهم التي يجري عنها ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 60] أي: مما رزقكم من المنّ والسلوى وماء العيون والمجرى ﴿وَلَا تَعْثَوْا۟﴾ [الآية: 60] أي: لا تفسدوا ﴿فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الآية: 60] أي: حال كونكم قاصدين الفساد احترازاً مما ينفقن فيه صلاحاً للعباد.

ثم مما أفاد الأستاذ: أن الذي قدر على إخراج الماء من الصخرة الصماء كان قاصداً على إرواءِهم بغير الماء أو على إرسال ماء من السماء ولكن لإظهار أثر المعجزة فيه وإيصال محل الاستغاثة إليه وليكون على موسى عليه السلام أيضاً في نقل الحجر مع نفسه شغل من الموافقة ولتكليفه أن
23/ب يضرب بالعصا/ مقاسات نوع من المعالجة لما أفضى من حكمه عند استسقائه لقومه ثم أراد الحق سبحانه أن يكون كل قوم جارياً على سننه ملازماً لحده غير مزاحم لصاحبه فأفرد لكل سبط علامة يعرفون بها مشربهم فيقصدون مذهبهم فهؤلاء لا يردون مشرباً لآخرين والآخرون لا يردون مشرب الأولين وحين كفاهم ما طلبوه أمرهم بالشكر وحفظ الأمر وترك الوزر فقال: ﴿وَلَا

تَعْثَوْا فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الآية: 60] والمناهل مختلفة والمشارب متفاوتة وكل يرد مشربه ويتبع مذهبه فمشرب عذب فرات ومشرب ملح أجاج ومشرب صاف زلال ومشرب رنق أو سال وسائق كل قوم يقودهم ورائد كل قوم يسوقهم فالنفوس ترد مناهل المنى والشهوات والقلوب ترد مشارب التقوى والطاعات والأرواح ترد مناهل الكشف والمشاهدات والأسرار ترد مناهل الحقائق بالاختطاف عن الكون والمرسومات ثم عن الإحساس والصفات ثم بالاستهلاك في حقيقة الوجود والذات.

وفي «**تفسير السلمي**» مشرب كل أحد حيث أنزله رائده فمن كان رائده نفسه فمشربه الدنيا ومن كان رائده قلبه فمشربه العقبى ومن كان رائده روحه فمشربه السلسبيل المعين لأهل القربى ومن كان رائده ربه فمشربه في الحضرة مشاهدة المولى حيث قال الله ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان، الآية: 21] أي: طهره الله به عن كل ما سواه.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ﴾ [الآية: 61] أي: المنّ الذي كانوا يأكلون بالسلوى لأنهما نوع واحد والمداومة توجب الملل والسآمة مع ما في فطرة الطبيعة المعروفة من الميل إلى الأطعمة المألوفة ﴿فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ [الآية: 61] أي سله لنا بدعائك ﴿يُخْرِجْ﴾ [الآية: 61] أي: يظهر لنا ﴿لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ﴾ أي: من جملة ما تنبته بأقدار الله إياها ﴿مِنۢ بَقْلِهَا﴾ [الآية: 61] وهو كل نبات ليس له ساق ﴿وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا﴾ [الآية: 61] أي: حنطتها أو ثومها على قلب الثاء فاء ﴿وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾ [الآية: 61] .

قال الواسطي: تولاهم الله بالمنّ والسلوى من غير كلفة لهم فتبعوا شهوات أنفسهم وما يليق بطباع أهوائهم وقيل: الناس فيه رجلان رجل أزيل عنه تدبيره فهو مستريح في ميدان الرضا راضٍ بما جرى له مما تدبر وشاء بحكم/ القضاء فهو في مقام المزيد أبداً وآخر رد إلى تدبيره فلا يزال يتخبط 24/ أ
في اختياره إلى أن يهلك في حال اضطراره ﴿قَالَ﴾ [الآية: 61] أي: الله أو موسى ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ﴾ [الآية: 61] أي قرب منزلة وأدنى مرتبة

﴿بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ [الآية: 61] أي: في اللذة والمنفعة، وعدم الحاجة إلى كد المشقة مع ما فيه الرضا فالقناعة بما اختاره الله من وجه المعيشة.

قال الأستاذ: كان بنو إسرائيل متفرقي الهموم متشتتي القصود لم يرضوا لأنفسهم في تعيشهم بطعام واحد ولم يكتفوا في تدينهم بمعبود واحد ماجد حتى قالوا اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة وهكذا صفة أرباب التفرقة عندهم الصبر على الواحد شديد قال تعالى: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا﴾ [الإسراء: 46] ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ [الزمر: 45] ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزمر: 45] وقد قال بعض العارفين أراك بقية من قوم موسى فهم لا يصبرون على طعام ﴿ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا﴾ [الآية: 61] أي: انزلوا من مقامكم العالي إلى أرض مصر السفلى ﴿فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾ [الآية: 61] أي: من المشتهيات الطبيعية والمستلذات الدنية ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾ [الآية: 61] أي: ألزمت عليهم الجزية وهيئة اليهودية والشح والحرص على الأمور الدنيوية إلزاماً لا يبرح كضرب السكة على الدراهم النقدية ﴿وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾ [الآية: 61] أي أثر الفاقة وعلامة الحاجة ﴿وَبَآءُو﴾ [الآية: 61] أي: رجموا ﴿بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 61] أي: مصحوبين به ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 61] أي: ما ذكر من الضرب التأشي من الغضب ﴿بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 61] أي: بالكتب المنزلة أو بأنواع المعجزة ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الآية: 61] أي: كزكريا ويحيى عليهما السلام ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الآية: 61] أي: عندهم وفي زعمهم وإنما حملهم على ذلك حب الدنيا وأتباع الهوى كما قال الله تعالى ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾ [الآية: 61] أي: جرهم العصيان والاعتداء إلى الكفر وقتل الأنبياء فإن صغائر العيوب تجر إلى كبائر الذنوب كما أن قضاء صغار الطاعات تؤدي إلى أداء كبار العبادات قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الليل: 5 ـ 7] الآية.

قال الأستاذ: لم يرضوا بحسن اختياره لهم ولم يصبروا على قيامه بتولي ما كان يهمهم من كفاية مأكولهم وملبوسهم فنزلوا/ في التحير إلى ما مرت 24/ب
عليه عاداتهم من أكل الخسيس من الطعام والرضا بالدون من الحال والمقام

فردهم الله إلى مقاساة الهوان وربطهم بإدامة الخذلان حتى سفكوا دماء الأنبياء وهتكوا حرمة الأمر بقلة الاستحياء وترك الإرعواء فعاقبهم على قبيح فعالهم وردهم إلى ما اختاروه لأنفسهم من خسائس أحوالهم وحين لم ينجع فيهم النصيحة أدركتهم النقمة والفضيحة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الآية: 62] أي: المؤمنين المخلصين أو المنافقين فإنهم ذكروا في سلك الكافرين ﴿وَٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ [الآية: 62] هم تهودوا ودخلوا في اليهودية ﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ [الآية: 62] أي: الطائفة النصرانية ﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ [الآية: 62] أي: الخارجين من دين إلى دين من أديان الكفرة وقيل هم عبدة الملائكة وهو قول الحسن وقتادة وقيل: عبدة النجوم السبعة ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ [الآية: 62] أي: من دخل في ميدان الأمان وثبت في إيوان الإيقان ﴿بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [الآية: 62] أي وسائر ما يجب به العرفان ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [الآية: 62] أي: من أنواع الإحسان ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الآية: 62] أي: مع المزيد في المثوبة ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الآية: 62] أي: يوم القيامة.

وأفاد الأستاذ: أن اختلاف الطرق مع اتحاد الأصل لا يمنع من حسن القبول من صدق الحق سبحانه في آياته وآمن بما أخبر به من حقه وصفاته فتباين الشرع واختلاف وقوع اسم غير قادح في استحقاق الرضوان فإذا اتفقوا في العرفان فالكل لهم حسن المآب وجزيل الثواب فالمؤمن من كان في أمان الحق سبحانه ومن كان في أمانه تعالى فالحري أن لا خوف عليه ولا حزن يدور حواليه.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ﴾ [الآية: 63] أي: أردنا أخذ عهدكم باتباع نبيكم وقبول العمل بما في كتابكم ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ [الآية: 63] أي: الجبل فوق رؤوسهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم روي أن موسى عليه السلام لما جاءهم بالتوراة ورأوا ما فيه من التكاليف الشاقة كبر عليهم حصولها وإلى قلوبهم قبولها فأمر جبريل عليه السلام فقلع الطور فظلله فوقهم وجعل النار قدامهم والبحر وراءهم وقيل لهم ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم﴾ [الآية: 63] من الكتاب أي: اعملوا بما أمرتم به

من الخطاب ﴿بِقُوَّةٍ﴾ [الآية: 63] أي بجد عزيمة وقصد مواظبة في جميع الأبواب ﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ [الآية: 63] أي: في الكتاب من الثواب والعقاب ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الآية: 63] أي: لكي تجتنبوا مخالفة رب الأرباب ولا تقعوا في عقوبة الحجاب.

25/أ وقال الأستاذ أخذ سبحانه ميثاق جميع المكلفين ولكن قوم/أجابوه طوعاً لأنه تعرف إليهم فوجدوه فوحّدوه وقوم أجابوه كرهاً لأنه ستر عليهم فجحدوه.

﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم﴾ [الآية: 64] أي: أعرضتم عن الوفاء بالوعد ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ [الآية: 64] أي: بعد أخذ العهد ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ [الآية: 64] أي: بتوفيقكم للتوبة ﴿لَكُنْتُم مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الآية: 64] أي: المغبونين في التجارة.

وقال الأستاذ: أي رجعتم إلى العصيان بعد ما شاهدتم تلك الآيات بالعيان ولولا حكمه بإمهاله وحلمه بإفضاله لعاجلكم بالعقوبة ولحل بكم عظيم المصيبة ولخسرت صفقتكم بالكلية ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ﴾ [الآية: 65] أي: عرفتم ﴿الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ﴾ [الآية: 65] أي: جاوزوا ما حد لكم من ترك الصيد ﴿فِي السَّبْتِ﴾ [الآية: 65] أي: في زمن القيد ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا﴾ [الآية: 65] أي: بتكويننا إياكم ﴿قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [الآية: 65] مطرودين مبعودين.

وأفاد الأستاذ: أن مسخ هذه الأمة حصل على القلوب فكأنهما لما تركوا الأمر واستهانوا بما: ألزموا من الشرع عجلت عقوبتهم بالخسف المسخ وغير ذلك من ضروب ما ورد به النص فهذه الأمة من نقض العهد ورفض الحد عوقبت بمسخ القلوب وتبديل الأحوال قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ﴾ [الأنعام، الآية: 110] كما لم يؤمنوا به أول مرة وعقوبات القلوب أنكأ من عقوبات النفوس.

﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾ [الآية: 66] أي: المسخة ﴿نَكَالًا﴾ [الآية: 66] أي: عقوبة ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ [الآية: 66] أي: لأجل ما تقدم عليها من ذنوبهم وما تأخر منها من عيوبهم أو عبرة لمن أدرك زمانهم ورأى شأنهم ولمن سمع أخبارهم وشاهد آثارهم ﴿وَمَوْعِظَةً﴾ [الآية: 66] أي: زجراً ونصيحة ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الآية: 66]

أي: منهم ومن هذه الأمة.

قال الأستاذ: وهكذا من مني أي: ابتلي بالهجران ووسم بالخذلان صارت أحواله عبرة وتجرع من لاحظ حاله حسرة وصار المسكين بعد عزة لكل خسيس سخرة.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾ [الآية: 67] وسبب ذلك أنه وجد قتيل في بني إسرائيل ولم يدروا قاتله فسألوا موسى عليه السلام أن يدع الله ليبين لهم فاعله فسأل موسى ربه فأمرهم بذبح بقرة ﴿قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ [الآية: 67] أي: مكان هزء وأهله أو مهزوءاً بنا والمعنى أتستهزىء بنا فإنا نسألك عن قاتل القتيل في القرية وأنت تأمرنا بقتل البقرة فهل/ تعالج القتل بالقتل 25/ ب
وتستدل بالمثل على المثل ولعل وجه تعللهم حب جنس العجل ﴿قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ﴾ [الآية: 67] أي: امتنع به ﴿أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الآية: 67] أي: من المستهزئين بالمؤمنين لأن الاستهزاء في مقام الإرشاد والاسترشاد جهل وسفه وكلام غير سداد بل يوهم أن يكون في هذا المقام كفراً لأنه إخبار عن رب العباد فلما علموا أن ذلك عزم من الجانب الإلهي.

﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ﴾ [الآية: 68] أي: ما سنها ووصفها ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ﴾ [الآية: 68] أي: مسنة كبيرة ﴿وَلَا بِكْرٌ﴾ [الآية: 68] أي: فتية صغيرة ﴿عَوَانٌۢ﴾ [الآية: 68] أي: نصف ووسط عيان ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 68] أي: بين ما ذكر من السن ﴿فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ﴾ [الآية: 68] وفي الحديث لو ذبحوا أي بقرة أرادوا لأجزأهم ولكن شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم.

وأفاد الأستاذ: أنه كان الواجب عليهم استقبال الأمر بالامتثال ولكنهم تعللوا ببقاء الأشكال توهماً بأن تكون لهم تفصٌ بالإخلاد إلى الاعتلال عن عهدة الالتزام بالأفعال فتضاعف عليهم المشقة وحل بهم ما حذروه من الفضيحة ثم في القضية من الإشارة الخفية أن الذي يصلح لِسلوك الطريقة من لا يستهويه نزق الشباب وسكره ولم يعطله عجز المشيب وضعفه بل هو صاح

استفاق من سكره وبقي له بعض نضارة من عمره.

﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ صَفْرَآءُ فَاقِعٞ لَّوْنُهَا﴾ [الآية: 69] أي: شديدة الصفرة ﴿تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾ [الآية: 69] أي؛ تعجبهم بلطافة لونها وظرافة كونها.

وقال الأستاذ: من كان من أهل القصة وقابل الفصة تستغرق مشاهدته القلوب لِما ألبس من رداء الجبروت وأقيم به من شاهد الغيوب حتى أن من لاحظه تناسى أحوال البشرية واستولى عليه شواهد الربوبية كما في الخبر «أولياء الله الذين إذا رأوا ذكر الله»(1).

﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ﴾ [الآية: 70] أي: ما حالها أسائمة أم عاملة أناقصة أم كاملة ﴿إِنَّ ٱلْبَقَرَ﴾ [الآية: 70] أي: الموصوف بما ذكر المنعوت بما سطر ﴿تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا﴾ [الآية: 70] أي: أشكل إلينا ﴿وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ [الآية: 70] إلى وصفها المراد بذبحها وفي الحديث الثابت السند لو لم يستثنوا
26/أ لما بينت لهم آخر/الآية قال:

﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا ذَلُولٞ﴾ [الآية: 71] أي: غير مذللة ﴿تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ﴾ [الآية: 71] أي: تقلبها للزراعة ﴿وَلَا تَسْقِي ٱلْحَرْثَ﴾ [الآية: 71] أي: الأرض المهيئة للزرع بالسقاية ولا مزيدة مؤكدة ﴿مُسَلَّمَةٞ﴾ [الآية: 71] أي: من العيوب وآثار المحنة مكملة بأوصاف النعمة ﴿لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ﴾ [الآية: 71] لا لون فيها يخالف لون جلدها.

قال السلمي: معناه لا يصلح لكرامتي وظهور ولايتي من ذلك نفسه بالسكون إلى شيء من الأكوان ويسعى في طلب الحوادث ساعة من الأزمان مسلمة من فنون عوارض المخالفة لا أثر عليه إلا بوجه الموافقة فهو العالم بي والعامل لي أظهرت عليه آيات قدرتي وجعلته من شواهد عزتي فمن شاهده

(1) لم يرد بهذا اللفظ وإنما بلفظ مختلف «ألا أخبركم بخياركم؟ فقالوا بلى فقال: الذين إذا رؤوا ذكر الله...». أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (7/ 494) رقم (11108)، وإسحاق بن راهويه في المسند (5/ 180) رقم (2306).

استغرق في مشاهدته لأنه قد ألبس رداء العز في مراقبته.

وقال الأستاذ: كما أن تلك البقرة في العمل لم تذلل وفي المكاسب لم تبتذل كذا أهل ولايته للأغيار لم يتذللوا وفي تحصيل الأسباب لم يتعللوا ولم يركنوا بقلوبهم إلى الأشكال والأمثال ولم يتكلوا على الاختيار والاحتيال وليسوا نهباً لمطالبات المنى ولا صيداً في مخلب الدنيا لا حكم للشهوات يغلبهم ولا سلطان للبشرية يملكهم لم يسعوا قط في تحصيل مرادهم ولم يشقوا أبداً لدرك مقصودهم ليس عليهم رقم الأغيار ولا سمة الأكدار فهم قائمون بالله فانون عن ما سواه واقفون مع الله لله مصرفهم الله والغالب على قلوبهم الله وكما أن معبودهم الله فكذلك مقصودهم الله ومشهودهم الله وموجودهم الله بل هم محوا بالله والخلف عنهم الله ﴿قَالُوا۟ ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية: 71] أي: بحقيقة وصف البقرة الذي يتميز به من أجناسها فطلبوها فوجدوها ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [الآية: 71] أي: لكثرة مراجعتهم في وصفها أو لخوف فضيحة قاتلها أو لغلاء ثمنها وقد صح عن عكرمة أن شيخنا صالحاً منهم كان له عجلة فأتي بها غيضة[1] فقال اللّهم إني أستودعكها لابني حتى يكبر فشب وكانت وحيدة بتلك الصفات فساوموها اليتيم وأمه حتى اشتروها بملء جلدها ذهباً وكانت البقرة إذ ذاك بثلاثة دنانير.

قال الأستاذ: طلبوا الحيل ما أمكنهم من العلات فلما ضاقت بهم الحيل والمعالجات/ استسلموا للحكم في النهايات فتخلصوا من شديد المطالبات لو 26/ب
أنهم فعلوا ما أمروا به في البدايات لما تضاعفت عليهم المشقات.

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾ [الآية: 72] نسب القتل إليهم لوجود العمل فيهم ﴿فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَا﴾ [الآية: 72] أصله تدارأتم أي: تدافعتم وتخاصمتم في شأن قاتلها وبيان فاعلها ﴿وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [الآية: 72] أي: مظهر ما يخفون ومن هذا القبيل أمر ثم قيل هذا أول القضية ولكنه مؤخر في القصة والأظهر أن الله أمرهم أولاً بذبح البقرة حيث لم يعلموا سره ثم وقع القتل منهم خفية فأظهر

---

(1) هي معنى الأيكة. والغيضة التي تنبت الشجر، والمراد بها غيضة بقرب مدين.

سبحانه ما أخفاه من الحكمة.

﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ﴾ [الآية: 73] أي القتيل ﴿بِبَعْضِهَاۚ﴾ [الآية: 73] أي: ببعض البقرة أي: بعض كان من أبعاضها وقيل: بلسانها والإبهام أعظم في تفخيم شأنها فضربوه به فحيي بإذن ربه وأخبر بأمر قاتله ﴿كَذَٰلِكَ﴾ [الآية: 73] أي: كما أحيى هذا الفرد من القتل ﴿يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [الآية: 73] أي: دلالته على قدرته وسائر صفاته ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الآية: 73] أي: لكي تتصوروا أن من قدر على إحياء نفس قدر على إحياء الأنفس المتعددة كقوله تعالى: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍۗ﴾ [لقمان، الآية: 28] .

قال الأستاذ: ومن أراد حياة قلبه بأنواع المشاهدات لم يصل إليه إلا بذبح نفسه بالمجاهدات.

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم﴾ [الآية: 74] أي: اشتدت وصلبت ﴿مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 74] أي: من بعد ما ذكر من الآيات البينات والمعجزات الواضحات الواجبة للين قلوب أرباب الحياة ﴿فَهِيَ﴾ [الآية: 74] أي: قلوبكم ﴿كَٱلْحِجَارَةِ﴾ [الآية: 74] أي: في القسوة وقلة المنفعة ﴿أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةًۚ﴾ [الآية: 74] أي: بل كأشد قساوة منها وصلابة فهي كالحديد الشديد لما ذكره سبحانه من البيان الشديد بقوله ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ﴾ [الآية: 74] أي: ينفتح ويجري ﴿مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُۚ﴾ [الآية: 74] أي: في الليل والنهار كدموع عيون الأبرار ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ﴾ [الآية: 74] أي: يتشقق عيوناً ﴿فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُۚ﴾ [الآية: 74] عياناً لكن أحياناً ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ﴾ [الآية: 74] أي: ينزل من أعلى الجبل إلى أسفله ﴿مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِۗ﴾ [الآية: 74] أي: من أجل خوف مخالفته فيما أراده وقضاه وهو تعليل للأفعال الثلاثة على طريق المنازعة وأما ما قيل في أن الخشية مجاز عن الانقياد فقول مخالف للحقيقة بل لظواهر الشريعة والطريقة وقع فيه المتابعة لحكماء الفلسفة فقد قال الإمام العالم محيي السُنَّة في معالم مذهب أهل السُنَّة أن لله علماً في الجمادات وسائر الحيوانات فلها صلاة وتسبيح وخشية فيجب على المرء الإيمان به وأن يكل علمه إلى الله سبحانه في حقيقة أمره.

وقال الأستاذ: بين أنهم وإن شاهدوا عظيم الآيات وطالعوا واضح البينات فحين لم يساعدهم بالعناية ولم يخلق/لهم الهداية لم يزدهم كثرة 27/أ
الآيات إلا قسوة على قسوة ولم يبرز لهم من مكامن التقدير إلا شقوة على شقوة وشبه قلوبهم بالحجارة لأنها لا تنبت ولا تنمى فكذلك قلوبهم لا تفهم ولا تعي ثم بين أنها دون الحجارة فإن منها ما يظهر منه أسرار العناية ومنها ما يتبين منه آثار الخشية وأما قلوبهم فخالية من أنوار الهداية وكيف لا وقد تسببت بإعراض الحق عنها وخصت بانتزاع الخيرات منها ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [الآية: 74] بالخطاب وقرأ المكي بالغيبة أي: لا عن أعمالكم ولا عن أعمالهم سواء فيه السر والعلانية.

﴿أَفَتَطۡمَعُونَ﴾ [الآية: 75] أي: أيها المؤمنون ﴿أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ﴾ [الآية: 75] يعني اليهود والمعنى أترجون أي يصدقوكم في قصتكم أو يؤمنوا لأجل دعوتكم ﴿وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ﴾ [الآية: 75] أي: والحال أن طائفة من أسلافهم وكبرائهم وعلمائهم كانوا ﴿يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 75] يعني التورية ثم ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ﴾ [الآية: 75] أي يغيرونه عن وجهه من جهة المبنى أو من طريق المعنى ومنه نعت المصطفى وآية الرجم في الزنا ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ [الآية: 75] أي: فهموه وفيه إشعار بأنهم فعلوا ذلك عن تعمد وعدوان لا عن خطأ ونسيان ﴿وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [الآية: 75] أن ذلك مكسب للأوزار الموجبة للقرار في دار البوار وقيل هؤلاء من السبعين المختارين سمعوا كلام الله تعالى على وجه الظهور حين كلم الله سبحانه موسى عليه السلام بالطور فقالوا: سمعنا الله يقول في آخره إن استطعتم أن تفعلوا هذه الأشياء فافعلوا وإن شئتم لا تفعلوا انتهى وفيه على تقدير صحته إشارة إلى عدم استطاعتهم لفعل هذه الأشياء وهي قابليتهم لفهم هذا الإنباء فإنه مقام الأنبياء والأصفياء وتنبيه نبيه على أن مشيئتهم تابعة لمشيئة الله كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: 30] ولما أطبق عليه السلف وعلى الخلف إن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وكان هذا القيل مختار الأستاذ حيث أفاد في مقام الإشارة إلى الإرشاد بقوله: آيسهم عن إيمانهم وذكر أنهم بعد سماع الخطاب من الله سبحانه إذا حرفوا وبدلوا فكيف يؤمنون لكم وإنما يستمعون بواسطة

الرسالة ومن لم يبق على الإيمان بعد العيان فكيف يؤمن بالبرهان والذي لم يصلح للحق لا يصلح لكم ومن لم يحتشم من الله فكيف يحتشم منكم.

﴿وَإِذَا لَقُوا﴾ [الآية: 76] أي منافقو اليهود ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الآية: 76] في مقام
27/ب الشهود ﴿قَالُوٓا ءَامَنَّا﴾ [الآية: 76] أي صدقنا بمحمد ﷺ وهو نبي صادق/ وحكمه لكتابنا موافق ﴿وَإِذَا خَلَا﴾ [الآية: 76] أي رجع ﴿بَعْضُهُمْ﴾ [الآية: 76] وهم المنافقون ﴿إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الآية: 76] وهم شياطينهم ورؤسائهم الذين على الكفر مصرون ﴿قَالُوٓا﴾ [الآية: 76] أي: مليمين للمنافقين ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم﴾ [الآية: 76] أي أتخبرون المؤمنين ﴿بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية: 76] أي: بما بين لكم من نعت محمد في كتابكم ﴿لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ﴾ [الآية: 76] أي: ليحتجوا عليكم بما أنزل ربكم إليكم ﴿عِندَ رَبِّكُمْ﴾ [الآية: 76] أي: في حكمه كقوله تعالى: ﴿فَأُولَٰٓئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَٰذِبُونَ﴾ [النور: 13] ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الآية: 76] أي: أفلا تستعملون عقولكم ولا تتصورون حصولكم.

﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾ [الآية: 77] من التلبيس والتكذيب ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [الآية: 77] من التصديق والتهذيب.

قال الأستاذ: وتواصوا فيما بينهم بإنكار الحق وإخفاء الحال على المؤمنين الأبرار ولم يعلموا أن الله يطلع ورسوله ﷺ على الأسرار وأن نوراً أظهره الغيب لا ينطفىء بمزاولة الأغيار وأن موافقة اللسان مع موافقة العقيدة لا تزيد إلا زيادة الفرقة.

﴿وَمِنْهُمْ﴾ [الآية: 78] أي: هذا حال علمائهم وقصة كبرائهم ومنهم ﴿أُمِّيُّونَ﴾ [الآية: 78] جهلة سفهاء ﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَٰبَ﴾ [الآية: 78] أي: لا يعرفون التوراة ﴿إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ [الآية: 78] أي: أمنية وهي ما يقدر في النفس من التمنية والاستثناء منقطع والمعنى لكن يعتقدون مواعيد فارغة سمعوا من علماءهم تقليداً أن الجنة لا يدخلها إلا من كان هوداً وأن النار لم تمسهم إلا أياماً معدودة وقيل الاستثناء متصل والأمنية بمعنى القراءة أي: لا قراءة عارية عن قاعدة المبنى وفائدة المعنى ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الآية: 78] أي: وما هم إلا قوم يظنون ولا يتيقنون.

﴿فَوَيْلٌ﴾ [الآية: 79] أي: فشدة عذاب عظيم وغلظة حجاب جسيم ﴿لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الآية: 79] أي: المحرف ﴿بِأَيْدِيهِمْ﴾ [الآية: 79] أي: من قبل أنفسهم ﴿ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [الآية: 79] أي: كي يحصلوا به عرضاً حقيراً وعوضاً يسيراً من أعراض الدنيا ويفوتوا كثيراً مما أعد للمؤمنين من نعيم الغنى ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [الآية: 79] أي: من المفترى ﴿وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [الآية: 79] أي: من الرشى.

قال الأستاذ: أي خسروا في الحال والمآل أي: لتعلقهم بالجاه والمال.

﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ﴾ [الآية: 80] أي: لن يصيبنا إصابة هينة ﴿إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [الآية: 80] أي: قليلة محصورة/ يعنون قدر زمان عبادة العجل وهو 28/ أ
أربعون يوماً ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا﴾ [الآية: 80] أي: خبراً ووعداً ﴿فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ﴾ [الآية: 80] إذ من المحال الخلف في خبره ﴿أَمْ تَقُولُونَ﴾ [الآية: 80] أي: بل أتقولون ﴿عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 80] والاستفهام للتقرير والتفريع.

﴿بَلَىٰ﴾ [الآية: 81] إثبات لما نفوه من مساس النار لهم مؤبداً والمعنى بلى أعذبهم عذاباً سرمداً إذ دخلوا تحت حكمنا الذي لم يتغير أبداً ﴿مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ [الآية: 81] أي: قبيحة في الغاية وهي الشرك والكفر ﴿وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ [الآية: 81] بالتوحيد عن غير نافع أي واستولت عليه خطيئاته الناشئة من كفره بحيث ما خرج من حيطة خطيئته وما ظهر له توبة عن معصيته وانسدت عليه طريقة نجاته ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ [الآية: 81] أي: ملازموا عذابها في العقبى كملازمتهم لأسبابها في الدنيا ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الآية: 81] أي: دائمون لا يفنون فيها ولا يخرجون عنها.

وفي «تفسير السلمي»: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ [الآية: 81] برؤية أفعاله ﴿وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ [الآية: 81] بظن أنه ينجى بأحواله فهم المبعدون عني وعن ما يقربهم عندي.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الآية: 82] أي: الأعمال المقبولة الصالحة

أن يكون المعروضة المنقولة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الآية: 82].

قال الأستاذ: في الحال جنان الوصل وفي المآل جنان الفضل لا يمسهم في الآخرة نصب لإيصال المعاد ولا يلحقهم اليوم بقلوبهم تعب لشهود تصاريف الأقدار ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الآية: 83]، بالخطاب لغير المكي وحمزة والكسائي وهو نفي في معنى النهي بل هو أبلغ لما فيه من الإيماء إلى أن المنهي سارع إلى الانتهاء فهو يخبر عنه بالامتثال في الابتداء ﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانٗا﴾ [الآية: 83] أي: وتحسنون أي: احسنوا بهما إحساناً كثيراً.

قال الأستاذ: إنما ردك إلي مراعاة حق مثلك أو إظهار أن من لا يصلح لصحبة شخص مثله كيف يكون بحق معبود ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ وإذا كانت التربية المضمنة بحظوظ الوالدين لوجب عظيم هذا الحق فما تظن بحق تربية سيدك لك كيف تؤدي شكره في نعمك ﴿وَذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ/ وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾ 28/ب
[الآية: 83] أي: وكذا أحسنوا بهؤلاء وأمثالهم من الفقراء والضعفاء كالأسرى.

وأفاد الأستاذ: أنه تعم رحمته في التعلق بكل أحد ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾ [الآية: 83] بضم وسكون أي: قول ذا حسن وفي قراءة حمزة والكسائي بفتحتين أي: قولاً مستحسناً والمراد به النصيحة والموعظة وبحسن العشرة في الخلطة وسائر ما يتعلق بحقوق الخليقة.

قال الأستاذ: يعني من يكون من شهود الحق في راحة لقلبه يكون الخلق في راحة من لسانه وحقيقة العبودية الصدق مع الحق والرفق مع الخلق ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [الآية: 83] يريد بهما ما فرض عليهم في ملتهم.

وقال الأستاذ: العبادة وهي التعبد بهذه الخصال حاصل أيضاً لنا في شرعنا فأولها التوحيد وهو إفراد الحق بالعبادة ومن لاحظ خلقاً أو استحلى من الأغيار ثناء أو استجلب بطاعته إلى نفسه نصيباً أو داخله بوجه من الوجوه

مزج أو شوب فهو ساقط عن رتبة الإخلاص في العبادة وكذا من رأى نجاته بفعله فساقط عن در المعرفة ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ [الآية: 83] الخطاب مع الموجودين والسابقين منهم على طريق التغليب أي: أعرضتم عن عهدكم ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ﴾ [الآية: 83] أي: بالإقبال على الإسلام ﴿وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الآية: 83] أي: قوم عادتكم الإعراض وتعلقكم بالأعراض ومن أعرض عنا أعرضنا عنه وأوقفناه في العناء.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ [الآية: 84] أي: في التوراة ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾ [الآية: 84] أي: لا يقتل بعضكم بعضاً من غير ثأركم ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ﴾ [الآية: 84] أي: لا يخرج أحد منكم صاحبه من دياره ويستقر في منزله ومزاره أولاً ترتكبوا ما يبيح سفك دمائكم وإخراجكم من أوطانكم أو لا تفعلوا ما يصرفكم عن الحياة الأبدية فإنه قتل النفس في الحقيقة ولا تكتسبوا ما تدفعون به عن الجنة التي هي داركم فإن الجلاء الحقيقي عند أرباب الطريقة.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة فيه أن من سعى في استجلاب حظه ففي الدنيا سعى في استكباب دمه وفي العقبى إلى استيجاب عظيم ألمه قال بعضهم:

إلى حتفي مشى قدمي ... أرى قدمي أراق دمي[1]

/ وإن المجرمين اقتصوا بأيديهم حتفهم في مالهم وآثروا باختيارهم ما فيه غاية هلاكهم واستئصالهم قال بعضهم: 29/ أ

بعين نفسي أصبت نفسي ... فالله بيني وبين عيني

﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾ [الآية: 84] بعهده واعترفتم بلزوم وعده ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ [الآية: 84] بذلك على أنفسكم أو على أسلافكم.

قال الأستاذ: يعني بسوء فعلكم أقررتم وعلى ما علمتم أن فيه هلاككم أصررتم فلا بما أبصرتم اعترفتم ولا بما اعترفتم انصرفتم ولا بما تعاطيتم

(1) نسب إلى أبي الفتح البستي. انظر: زهر الآداب وثمر الألباب (1/ 151).

باليتم ولا خربتم إلا بيوتكم ولا أضررتم إلا أنفسكم.

﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ﴾ [الآية: 85] أي: أيها الناقضون للعهد الناقصون في الوعد ﴿تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ﴾ [الآية: 85] أي: من غير أن يكون فساد في آثارهم.

قال الأستاذ: وكذلك بالتعاون على الإعراض عن الله والتساعد في المقام في أوطان الغفلة هلك بعضكم بعضاً فآفات أحوالكم غير لازمة وقاصرة عليكم بل هي متعدية عنكم إلى أضرابكم وقرنائكم ﴿تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم﴾ [الآية: 85] بالتخفيف للكوفيين أي تتفاوتون على أهل ملّتكم وأضراب جلدتكم ﴿بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [الآية: 85] أي: بالمعصية والتعدي في المظلمة.

وقال الأستاذ: الإشارة فيه أن نصرتكم لإخوانكم على ما فيه بلاؤهم نصرة عليهم بما فيه شقاؤهم الأخلاء يومئذٍ بعضهم لبعض عدو إلا أتقياؤهم ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ﴾ [الآية: 85] أي حال كونهم مأسورين محصورين وللفداء طالبين مضرورين وفي قراءة حمزة أسرى ﴿تُفَادُوهُمْ﴾ [الآية: 85] أي: تعطوهم الفداء وتخلصوهم من البلاء وفي قراءة نافع وعاصم والكسائي تفادوهم بصيغة المفاعلة للمبالغة في المعالجة أو أريد بالمفاعلة هنا المبادلة ﴿وَهُوَ﴾ [الآية: 85] أي: الشأن ﴿مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ [الآية: 85] متعلق بتخرجون وما بينها اعتراض ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ﴾ [الآية: 85] وهو أمر الفداء بالتناصر ﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [الآية: 85] وهو النهي عن القتل والإخراج والتظاهر وذلك أن بني قريظة من اليهود كانوا حلفاء الأوس من الأنصار وبنو النضير حلفاء الخزرج فإذا اقتتلا عاون كل فريق حلفاءه في القتل وتخريب الديار وإجلاء أهلها من الأوطان وإذا أسر أحد من الفريقين/ جمعوا كلهم له المال حتى يفدوه 29/ب
ويخلصوه من الوبال وقيل: معناه أن يأتوكم أسارى في أيدي الشياطين تتصدون لإنقاذهم بالإرشاد والموعظة مع تضيعكم أنفسكم وإهلاكها بالغفلة.

وقال أبو عثمان: ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ﴾ غرقى في العيوب تدلوهم على طريق التوبة من الذنوب.

قال الواسطي: ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ﴾ غرقى في رؤية أفعالهم تنقذوهم من ذلك برؤية المنن في أحوالهم.

وقال الأستاذ: أي كما تراعون بالفداء عنهم حقوقهم فكذلك يفرض عليكم كف أيديكم عنهم وترك إزعاجهم عن أوطانهم فإذا قمتم ببعض ما كتب عليكم فما الذي يقعدكم عن الباقي حتى تقوموا به كما أمرتم أما علمتم أن من فرق بين ما أمر به فآمن ببعض وكفر ببعض فقد حبط بما ضيعه أجر ما عمله، ثم الأسراء أصناف فمن أسير غرق في بحر الهوى فإنقاذه بأن تدله على طريق الهدى ومن أسير بقي في أيدي وساوس الشياطين ففداؤه أن ترشده إلى اليقين بلوائح البراهين لتنقذه من الشك والتخمين ومن أسير تجده في أسر هو حبسه استأسرته غاية نفسه ففكّ أسره بأن تدله على شهود المنّة بتبرئه عن حسبان كل حول وقوة ومن أسير تجده ربيط زلاته بأنواعه ففك أسره إرشاده إلى إقلاعه وإنجاده إلى ارتداعه ومن أسير تجده في قبضة الحق فتخبره أنه ليس لأسراءه فداءً ولا لقتلاه قود ولا لربيطه خلاص ولا عنه يد ولا إليه سبيل ولا من دونه حيلة ولا مع سواه راحة ولا لحكمه رد ولا لأمره حد ﴿فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ﴾ [الآية: 85] أي: فضيحة ومذلة ﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ﴾ [الآية: 85] أي: إلى أصعب أنواع العقوبة.

قال الأستاذ: أي ظنوا في الدنيا أن ما فعلوه نفعهم فانكشف بهم في العقبى أن جميع ما فعلوه مما مزجوه بالآفات وجردوه عن الصدق والإخلاص غير مقبول منهم ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 85] بالغيبة لنافع والمكي وشعبة أي: لا عن أعمالكم ولا عن أعمالهم.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ [الآية: 86] أي: اختاروا المنزلة الفانية على المرتبة الباقية ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ [الآية: 86] أي: ولا يرفع/ 30/ أ
عنهم الحجاب ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [الآية: 86] أي: ولا يمنعون عن العقاب فإنه بذلك سبق الكتاب.

وأفاد الأستاذ: أن الذي آثروا عليه شيئاً خسروا في الدنيا والأخرى كما قالوا:

أناس أعرضوا عنا ... بلا جرم ولا معنى
فإذا كانوا قد استغنوا ... فإنا عنهم أغنى[1]

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الآية: 87] أي: من بعدما أهلكنا القرون الأولى ﴿وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ﴾ [الآية: 87] أي أرسلنا على إثره وقفاه الأنبياء كداوود وسليمان وزكريا ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [الآية: 87] الإنجيل المشتمل على الآيات والمعجزات الواضحات كأحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص والأخبار بالمغيبات ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ﴾ [الآية: 87] أي فوقيناه ﴿بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [الآية: 87] بضمتين لغير المكي أي بالروح المقدسة وهو جبريل المسمى بالروح الأمين فإنه كان قرينه يسير معه حيث سار كما ورد في صحيح الأخبار.

وقال الأستاذ: أي وصلنا لهم الخطاب وفصلنا لهم الكتاب وأردفنا رسولاً بعد رسول لرفع العقاب والجميع دعوا إلى واحد وهو الإقبال على المولى ولكنهم أصغوا إلى دعاء الداعين بسمع الهوى فما استلذته النفوس قبلوه وما استثقلته أهواؤهم هجروه فالويل لهم في الدنيا ثم الويل لهم في العقبى وهذا معنى قوله تعالى ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ﴾ [الآية: 87] أي: أكفرتم بالنعمة فكلما جاءكم ﴿رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ﴾ [الآية: 87] أي: بما لا تحبه ولا تعجبه من الكلفة ﴿ٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ [الآية: 87] أي: تعظمتم عن الخدمة واخترتم الغيبة عن الحضرة بل زدتم في الجرأة وعظمتم الحريمة ﴿فَفَرِيقًا﴾ [الآية: 87] أي: من الأنبياء كموسى وعيسى ﴿كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [الآية: 87] كزكريا ويحيى واختيارصيغة المضارعة لحكاية الحال الماضية.

﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾ [الآية: 88] أي: جمع أغلف وهو ما في غلاف أي: مغشاة بأكنة خلقية وأغطية فطرية لا يصل إليها ما جئت به من النقول ولا تعي ما

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 85) و(3/ 28).
ونسب إلى كشاجم. انظر: دواوين الشعر العربي على مر العصور (91/ 68).

تذكر وتقول ﴿بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ [الآية: 88] رد لما قالوا وتكذيب لما ادعوا والمعنى أنها خلقت قابلة لقبول الحق وصالحة لسماع الصدق ولكن أبعدهم الله من رحمته وطردهم عن حضرته ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية: 88] ما مزيدة كفيدة للمبالغة في القلة فإيماناً قليلاً يؤمنون وهو إيمانهم ببعض القضية أو المراد بالقلة عدم بالكلية/ أي: لا يؤمنون أصلاً لا كثيراً ولا قليلاً وقيل: معنى الآية نحن 30/ب
مستغنون بما في قلوبنا من العلم فإنها أوعية واعية للحكم.

وكان الأستاذ اعتمد عليه وأشار إليه بقوله لو سلم شيء بمجرد الدعاوي لهان وجود المعاني لكن عند مطالبات التحقيق بالمعرفة تفتر أنياب الملبسين عن أسنان فاغرة بل متناثرة.

إذ اشتبكت دموع في خدود تبين من بكى ممن تباكى(1)

انتهى ومن هذا المعنى ما أيسر الدعوة وما أعسر المعنى.

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 89] يعني القرآن ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ [الآية: 89] أي: موافق لما في كتبهم ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ [الآية: 89] أي: قبل نزوله ﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾ [الآية: 89] أي: يستنصرون ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الآية: 89] أي: على المشركين بقولهم اللّهم انصرنا عليهم بالنبي المبعوث في آخر الزمان ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟﴾ [الآية: 89] أي الذي عرفوه من الحق ﴿كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾ [الآية: 89] حسداً على النعمة وخوفاً على الرياسة وجواب لما الثانية دل على جواب لما الأولى ﴿فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الآية: 89] أي: منهم ومن غيرهم.

قال الأستاذ: الإشارة فيه لمن عزم على الصفاء ووعد من نفسه تحقيق الوفاء ونشر أعلام النشاط عند البروز إلى القتال وإذا تنادوا بالنزال وصدق القتال انهزم عند التفاف الصفوف وانخزل عن الجملة خشية هجوم المحذور قال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [محمد: 21].

﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾ [الآية: 90] أي: ما باعوا به حظ أنفسهم

(1) نسب إلى المتنبي. انظر: محاضرات الأدباء (1/ 362)، وخزانة الأدب وغاية الأرب (1/ 207).

من الإيمان ﴿أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ [الآية: 90] أي: كفرهم بالقرآن ﴿بَغْيًا﴾ [الآية: 90] حسداً ﴿أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ﴾ [الآية: 90] والتخفيف لابن كثير وأبي عمرو أي: على إنزاله الوحي ﴿مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُو﴾ [الآية: 90] أي رجعوا ﴿بِغَضَبٍ﴾ [الآية: 90] أي: لكفرهم بالحق ﴿عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ [الآية: 90] لحسدهم على أفضل الخلق ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [الآية: 90] أي: يراد به إهانتهم لكفرانهم بخلاف عذاب الفاجرين فإنه طهرة لعصيانهم.

وقال الأستاذ: أنزلهم التحاسد عن مقر العز إلى حضيض الخزي وسامهم ذل الصغار حين لم يرضوا بمقتضى الحكم فأضافوا استيجاب مقت آنف إلى استحقاق مقت سالف.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ [الآية: 91] أي: بجميع ما أنزله من
31/أ القرآن وغيره/ ﴿قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ [الآية: 91] أي: بما خص إنزاله إلينا ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ﴾ [الآية: 91] أي: بما عداه ﴿وَهُوَ الْحَقُّ﴾ [الآية: 91] أي: وما وراءه أيضاً الثابت الصدق ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ [الآية: 91] حال مؤكدة أي: مطابقاً لما معهم من الحق على وفق الصدق وفيه تنبيه على بطلان مقالهم وكفران حالهم فإنهم لما كفروا بما وافق كتابهم كفروا بما طابق خطابهم مع أن دعواهم الإيمان بما أنزل عليهم مردود إليهم بقوله: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 91] أي: بما أنزل عليكم أي: فإنه لم يسوغ قتل الأنبياء لديكم ثم إنما نسب قبائح الآباء إلى الأبناء فإنهم راضون به عازمون على مثله ولقد أعدل عن الماضي إلى الاستقبال والله أعلم بالحال.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة إلى أنه إذا قيل لهم حققوا ما أظهرتم من حكم الوفاق بتحقيق الحال وإقامة البرهان سمحت نفوسهم ببعض ما التمس منهم مما يوافق أهواءهم ثم يكفرون بما وراء حظوظهم إما أنهم بعداء عن زمرة الخواص غير معدودين في جملة الاختصاص.

﴿وَلَقَدْ جَاءَكُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [الآية: 92] يعني اليد والعصا وسائر المعجزات الواضحات ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾ [الآية: 92] أي معبوداً ﴿مِن بَعْدِهِ﴾

[الآية: 92] أي: بعد مجيء موسى أو ذهابه إلى ميقات المولى ﴿وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [الآية: 92] أي: قوم عادتكم وضع الشيء في غير موضعه وفيه تنبيه على الإخلاف على طريق الأسلاف.

قال الأستاذ: أي دعاكم إلى التوحيد وإفراد المعبود عن كل محدود على نعت التفريد ولكنكم لم تجنحوا إلا إلى عبادة ما يليق بكم من عجل اتخذتموه وصنم تمنيتموه فرفع ذلك من بين أيديهم لكن بقي آثاره في قلوبهم وقلوب أعقابهم ولذا يقول أكثر اليهود بالتشبيه.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ [الآية: 93] أي: قائلين ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ [الآية: 93] أي: بجد وعزيمة ﴿وَٱسْمَعُواْ﴾ [الآية: 93] أي: سماع قبول وطاعة ﴿قَالُواْ سَمِعْنَا﴾ [الآية: 93] أي: قولك لكن بلسانهم ﴿وَعَصَيْنَا﴾ [الآية: 93] أي: أمرك لكن بجنانهم أو قيل صدر هذا القول منهم بعد رفع الطور عنهم وقيل: لما سمعوه وتلقوه بالمعصية نسب إليهم القول على التوسعة ﴿وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾ [الآية: 93] أي: سقوا حبه حتى خلص ذلك من قوالبهم إلى قلوبهم وخلط من ظواهرهم إلى بواطنهم وعبر عن حب العجل بالشرب لأن الماء/ أكثر نفوذاً ووصولاً إلى القلب وقد روي عن علي 31/ب
رضي الله عنه أن موسى عليه السلام عمد إلى الفحل فوضع المبارد فبرده بها وهو على شاطىء نهر فما شرب أحد من الماء من عابد العجل إلا اصفر وجهه كالذهب ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ [الآية: 93] أي: بسبب كفرهم وجهلهم بمعرفة ربهم وذلك لأنهم كانوا مجسمة أو مشبهة أو حلولية أو اتحادية فأعجبهم جسم العجل وحسنه المصنوع من ذهبهم فذهب بعقولهم وتمكن حبه في قلوبهم ﴿قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ﴾ [الآية: 93] أي: بالتورية على زعمكم والمخصوص بالذم مقدر أي: هذا الأمر المقرر عندكم ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 93] أي: مدعين للإيمان والتصديق أو تقديره إن كنتم مؤمنين بها ما أمركم إيمانكم بهذه القبائح ولا رخص لكم فيها وحاصله أنه لو كنتم مؤمنين بالله لما عبدتم شيئاً مما سواه وهذا بالنسبة إلى أسلافهم وأما بالإضافة إلى أخلاقهم فالمعنى لو كنتم مؤمنين بما أنزل عليكم ما كذبتم بمحمد فيما أرسل إليكم.

قال الأستاذ: كرر الإخبار عن غلوهم في حب العجل ونُبُوِّهم عن قبول الحق وإلجائه إياهم بما أظل عليهم من الجبل وتعريفهم معاجلتهم بالعقوبة على ما يسيئون من العمل فلا النصح نجع فيهم ولا العقوبة أقلعتهم عن معاصيهم ولا بالذم لهم اقتلعوا ولا بموجب الأمر عملوا.

﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ﴾ [الآية: 94] أي نعمها الفاخرة ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 94] أي: في علمه ووفق حكمه ﴿خَالِصَةً﴾ [الآية: 94] أي خاصة بكم لقولكم لمن يدخل الجنة إلا من كان هوداً ﴿مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ﴾ [الآية: 94] أي: من غير سائر المسلمين ﴿فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [الآية: 94] في دعواكم باختصاص اليقين فإن من أيقن أنه من أهل الجنة اشتاقها وأحب التخلص من دار الكدورة بالوصول إليها لا سيما إذا علم أنها سالمة لا يشاركه فيها غيره ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا﴾ [الآية: 95] أي: لعلمهم بكذبهم ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [الآية: 95] أي: من أعمالهم الموجبة للنار في دار البوار والإضافة إلى اليد لأنها آلة لعامة الصنائع وأكثر المنافع ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [الآية: 95] فيه تهديد ووعيد أكيد وهذه الجملة من أفراد المعجزة وقد ثبت عنه ﷺ لو تمنوا الموت لغص كل إنسان بريقه فمات[1] من مكانه وما بقي على وجه الأرض يهودي.

﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ﴾ [الآية: 96] أي: ولتعلمهم بسوء عاقبتهم ﴿أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾ [الآية: 96] أي: ولو قليلة من هذه الحياة الفانية لتعلقهم بالشهوات
32/أ النفسانية أو على/ حياة طويلة لعلمهم بما لهم إلى العقوبة الباقية ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ [الآية: 96]، عطف على الناس بحسب المعنى والتقدير أحرص من الناس الباقين ومن المشركين الحريصين على الحياة العاجلة لعدم إيمانهم بالحياة الآجلة ففيه من التوبيخ والتقريع غاية المبالغة ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [الآية: 96] استئناف بيان وضمير أحدهم راجع إلى أحدهما وقيل التقدير ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ [الآية: 96] جمع ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [الآية: 96] حكاية لودادتهم ولو بمعنى ليت في عبادتهم وإلا ظهر ما ذهب إليه بعضهم من

(1) تخريج الأحاديث والآثار (1/ 75) رقم (54) قال فيه غريب بهذا اللفظ. وقد ورد بلفظ مختلف.

أن لو هذه مصدرية بمعنى أن إلا أنها لا تنصب ﴿وَمَا هُوَ﴾ [الآية: 96] أي: ما أحدهم ﴿بِمُزَحْزِحِهِۦ﴾ [الآية: 96] أي: بمبعده ﴿مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ [الآية: 96] أي: عذاب ربه وحجاب قلبه ﴿أَن يُعَمَّرَ﴾ [الآية: 96] أي: تعميره وعن العقوبة تأخيره ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 96] أي: عليم بأعمالهم فيجازيهم على وفق أحوالهم وقد ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: 7] أيكم أكثر للموت ذكراً وللقيامة فكراً.

وقال الواسطي: جعل الموت نقطة للعالم فمن هابه حجبه عن الميت ومتى يكون في قلبك هيبة المميت أحببت طوارق الموت.

وأفاد الأستاذ: أن حب الحياة في الدنيا نتيجة الغفلة عن المولى فأشدهم منه غفلة أحبهم للبقاء في الدنيا وحال المؤمن من هذا على الضد وأما أهل الغفلة وأصحاب التهتك فإنما حرصهم على حياتهم لعلمهم بما قصروا فيه من طاعاتهم والعبد الآبق لا يريد رجوعه إلى سيده والانقلاب إلى من هو خيره مرجو خير للمؤمنين من البقاء مع من شره غير مأمون ثم إن امتداد العمر مع يقين الموت كان قد فاجأه الأمر وانقطع العمر وكل ما هو آتٍ فقريب وإذا انقضت المدة فلا مرد لهجوم الأجل على أكتاف الأمل.

﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ [الآية: 97] بكسر الجيم وفتحها مع كسر الراء وبفتحها مع همزة بعده ياء وحذفها أربع قراءات متواترات وسبب نزول الآية أن اليهود سألوا رسول الله ﷺ عن من ينزل عليه فقال هو جبريل قالوا ذاك عدونا عادنا مراراً وأشدها أنه أنزل على نبينا أن بيت المقدس سيخربه بخت نصر فبعثنا/ من يقتله فرآه ببابل فدفع عنه جبريل وقال إن كان ربكم أمره بهلاككم فلا 32/ب
يسلطكم عليه وإلا فبم تقتلونه وجواب الشرط محذوف والتقدير فليمت غيظاً ﴿فَإِنَّهُۥ﴾ [الآية: 97] أي جبريل ﴿نَزَّلَهُۥ﴾ [الآية: 97] أي: القرآن ولفخامة شأنه لا يحتاج إلى سبق بيانه ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الآية: 97] فاته المحل القابل للوحي أولاً ومحل الفهم والحفظ ثانياً ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 97] أي: بأمره وتيسيره حال من فاعل نزله ﴿مُصَدِّقًا﴾ [الآية: 97] أي: موافقاً ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [الآية: 97] أي:

لما قبله من الكتب والشرائع أو لما بعده من الوقائع ﴿وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 97] أحوال من مفعول نزله وفيه أي إلى رد ما روي عنهم من أن جبريل صاحب الحرب والشدة وأن ميكائيل صاحب الخصب والسلامة فلو أن ميكائيل أتاك لآمنا بك واتبعناك فكأنه قال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ﴾ [النمل: الآية: 102] بهما على الكافرين وبالهداية والبشارة للمؤمنين.

﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ﴾ [الآية: 98] أي: بمخالفته عناداً ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [الآية: 98] أي: وأنبيائه المرسلين وقدم الملائكة عليهم لأنهم وسائط فيما بين الله وبينهم ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [الآية: 98] خصّا لما ذكر وهو بهمز مكسور فياء ساكنة وحذفها وبإسقاطهما ثلاث قراءات معتبرات ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [الآية: 98] والمعنى أن من كان عدواً لهم فإن الله عدو له ووضع الظاهر موضع المضمر للإعلام بأن عداوتهم كفر وجمع لإفادة العموم الشامل لهم ولغيرهم من أنواع الكفرة وتعريض لهم بقبول التوبة وفيه إيماء إلى أن من عادى أحدهم كمن عادى جميعهم وقيل: الواو بمعنى أو وأريد بها تنوعهم وفيه إشعار بأنه تعالى تولى بذلك عداوة من عاداهم وكفى رسله وملائكته أمر من ناوأهم.

وقال الأستاذ: زعمت اليهود أن جبريل لا يأتي بالخير وأنهم لا يحبونه ولو كان ميكائيل مكانه لآمنوا به وعظموا شأنه فأكذبهم الحق سبحانه بقوله: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ [الآية: 97] لأنه لا يأتي بالخير فأي خير أعظم من نزوله بالقرآن ثم قال: إن من عادى جبريل وميكائيل إشارة إلى أن رسول الحبيب إلى الحبيب لعزيز المورد كريم المنزلة عظيم المرتبة وما ضر جبريل عداوة غيره والحق سبحانه وليه/ ومن عادى جبريل فالحق عدوه وما أعز هذا الشرف وما أجله وما أكبر علوه. 33/أ

﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ [الآية: 99] دلالات واضحات وإعلامات لائحات ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [الآية: 99] أي: الكاملون في الفسق وهو الخروج عن الطاعات.

قال الأستاذ: لم يكفر بواضح آياته إلا من سدت عن الإدراك بصيرته

وسبق بالشقاوة من الله قسمته ولا عقل لمن يجحد أن النهار نهار وكذلك لا وصل لمن لم يساعده من الحق أنوار واستبصار.

﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾ [الآية: 100] أي طرحه ونقضه وهو محل الإذكار فيهم ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية: 100] فهم على نقض عهودهم مستمرون وفي قبضة تصرف الحق أسيرون وفي قضية أمرهم متحيرون فكأنهم مريدون مترددون.

قال الأستاذ: كان سابق التقدير لهم يشوش وينقض عليهم لا حق التدبير منهم والله غالب على أمرهم.

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ﴾ [الآية: 101] أي: مرشد لهم ﴿مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ [الآية: 101] أي: من تفضله عليهم ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ [الآية: 101] أي: من الكتب المنزلة وأقوال الأنبياء المرسلة ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ [الآية: 101] أي: مع علمهم بأن في كل باب من الكتاب فصل الخطاب من تميّز الخطأ والصواب ﴿كِتَابَ اللَّهِ﴾ [الآية: 101] أي: التوراة والقرآن ﴿وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ [الآية: 101] لشدة إعراضهم وقلة التفاتهم إلا إلى أعراضهم ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 101] أنه الحق من ربهم.

قال الأستاذ: جحدوا رسل الحق إلى قلوبهم من حيث الخواطر وكذبوا رسولهم الذي أتاهم في الظاهر فيا جهلاً ما فيه شظية من العرفان ويا حرماناً قاربه الخذلان.

﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا﴾ [الآية: 102] أي: ما كانت تحدث أو تتبع ﴿الشَّيَاطِينُ﴾ [الآية: 102] أي شياطين الإنس والجن ﴿عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ [الآية: 102] أي: عهده من الزمان وعدي بعلى لتضمين معنى الافتراء والبهتان فإن الجن كتبوا السحر ودفنوه تحت سريره حين نزع ملكه وحكمه وتقريره ولما مات عليه السلام استخرجوه وقالوا إنما تسلط بهذا فتعلموه ونفوا نبوته وقالوا ما هذا إلا ساحر لدولته فبرأه الله من ذلك البهتان بقوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ [الآية: 102] وعبر بالكفر عن السحر ليدل على أن السحر من الكفر ﴿وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ﴾ [الآية: 102]

وبالتخفيف لابن عامر وحمزة والكسائي ﴿كَفَرُواْ﴾ [الآية: 102] حيث جحدوا نبوة سليمان وأنكروا ﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [الآية: 102] أي: إغواءً وإضلالاً والجملة وقعت حالاً ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ﴾ [الآية: 102] قرية قريبة من الكوفة ﴿هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ﴾ [الآية: 102] بدل من الملكين والمعنى ويعلمونهم ما إليهما وقذف في قلوبهما من علم التفرقة ابتلاء لهما وللخليفة ومجمل القضية على ما في «**مسند أحمد**» و«**صحيح ابن حبان**» مرفوعاً وعن علي وابن عباس وابن مسعود وابن عمر وغيرهم موقوفاً أن بعض الملائكة طعنوا في أهل الأرض من جهة فسادهم وقلة صلاحهم ورشادهم فقال تعالى: لو كنتم على طبعهم لكنتم مثلهم(1) فقالوا: نحن لا نعصي إلهنا نحوهم فاختار الله سبحانه من بينهم ملكين من أعبدهم وركب فيها الشهوة وأرسلا من المنازل العلية إلى أرض البلية فعصيا باتباع الهوى وتركا سبيل الهدى ونسيا ما ادعيا من ملازمة التقوى فخيرا بين عذاب الدنيا وعقاب العقبى فاختارا الأولى فإن عذاب الآخرة أشق وأبقى فهما الآن إلى يوم القيامة معذبان والله يمتحن بهما عباده ويجري على أهل بلاده مراده ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ﴾ [الآية: 102] أي أحداً أبداً ﴿حَتَّىٰ يَقُولَآ﴾ [الآية: 102] أي: على طريق النصيحة ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ [الآية: 102] أي: بلية ومحنة ﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾ [الآية: 102] أي: باعتقاد جوازه والعمل به فإن أطعتنا نجوت وإن عصيتنا هلكت ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ [الآية: 102] أي: بين المحب ومحبوبه وبين الطالب ومطلوبه ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ﴾ [الآية: 102] أي: بسحرهم ﴿مِنْ أَحَدٍ﴾ [الآية: 102] أي: أحداً من أعدائهم ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 102] أي إرادته وقضائه فيهم.

قال الأستاذ: ومن فرقته الأهواء وقع في كل مطرح من مطارح الغفلة فيستقبله كل جنس من قضايا الجهالة ثم أن من طالت به الغيبة صار للناس عبرة ولمن سلك طريقة فتنة فمن اقتدى به في غيه انخرط في سلكه والتحق بجنسه هكذا صفة هاروت وماروت فيما استقبلهما صارا للخلق فتنة بل عبرة فمن أصغى إلى قالهما ولم يعتبر بحالهما تعلق به بلاؤهما وأصابه في الآخرة

(1) جاءت روايات مختلفة في هذا القول في كتب التفسير.

عناؤهما/ والإشارة من قصتهما إلى أن من مال في هذه الطريقة إلى تمويه 34/أ
وتلبيس وإظهار ودعوى بتدليس فهو يستهوي ومن اتبعه ويلقيه في جهنم بباطله ويصده بشرر ظلماته عن طريق رشده ومن اعتبر عبر السلامة قناطره ومن تهتك بالجنوح إلى أباطيله تهتكت أستاره وظهر لذوي البصائر عواره وإن هاروت وماروت لما اغترا بحاصل ما اعتاداه من العصمة بسط لسان الملامة في عصاة بني آدم فلما ركب فيهما نوازع الشهوات ودواعي الفتن والآفات اقتحما في المعصية وظهر منهما ما انتشر ذكره على ألسنة أهل القصة فهما منكسان إلى يوم القيامة ولولا الرفق بهما لم يتناهى في القيمة عذابهما ولكن لطف الله مع الكافة كثير والله على كل شيء قدير ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ﴾ [الآية: 102] أي: ما يوجب كفرهم ﴿وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ [الآية: 102] أي: نفعاً يوازي ضرهم وفي معناه تعلم العلم الذي لا يضر ولا ينفع وكذا اكتساب عمل ممن لا يخشع حيث لا ينجع ولا يدفع.

قال الأستاذ: وعلم أهل التحصيل أن العلم لكل معلوم وإن كان صفة مدح ففيها ما هو مرغوب عنه بل هو مستفادٌ منه فقد قال الشافع المشفع «أعوذ بك من علم لا ينفع»[1] ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ﴾ [الآية: 102] أي: اختار ما تتلوا الشياطين على كتاب الله ﴿مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ [الآية: 102] أي: ليس له نصيب من حظوظ أهل الوفاق ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ﴾ [الآية: 102] أي: باعوا به حظ ذواتهم وحصة لذاتهم ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 102] أي: يتفكرون فيما يعلمون من الكتاب عملوا ما يتبعه من العذاب.

وقال الأستاذ: لو أقروا الإقبال على الله على الاشتغال عن الله لحصلوا ذخر الدارين ووصلوا إلى عز الكونين لكن كبستهم سطوات القهر فأثبتهم في مواطن الهجر.

---

(1) أخرجه مسلم في الصحيح (2722/ 73)، والحاكم في المستدرك (1/ 185) رقم (356)، وابن ماجه في السنن (1/ 92) رقم (250)، والنسائي في السنن الكبرى (4/ 445) رقم (7870)، وأحمد في المسند (21/ 250) رقم (13674).

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ﴾ [الآية: 103] أي: بالكتاب ﴿وَٱتَّقَوْاْ﴾ [الآية: 103] عن مخالفة الخطاب والجواب ﴿لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾ [الآية: 103] أي: لثواب عظيم حاصل من فضله فيه خير كثير بالنسبة إلى عقاب أليم وأصل من عدله وفاصل الكلام لأثيبوا مثوبة من الله خيراً من العقوبة الناشئة من المعصية فحذف الهيئة الفعلية وركب الباقي جملة اسمية لتدل على ثبات المثوبة الخيرية ﴿لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 103] أن ثواب/ الله خير لما ارتكبوا ما يكون في عاقبته ضير ومالوا إلى من يطلق عليه أنه غير. 34/ب

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا﴾ [الآية: 104] أي: سمعك بدل اسمع منا أو المعنى راقبنا وتأنّ بنا فيما تلقّننا حتى نفهم ما تلقي إلينا فسمع اليهود وأرباب الجحود أنّ المؤمنين يخاطبونه بهذا المعنى بناءً على غفلتهم عن لغة غيرهم مما فيه من فساد المعنى فافترضوه وخاطبوه بطريق المكيدة على إرادة نسبته إلى الرعونة والحموقة فنهي المؤمنون عنها وأمروا بتبديلها لقوله سبحانه ﴿وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا﴾ [الآية: 104] أي: انظر إلينا حتى نفهم ما يحكم علينا أو انتظرنا وترفق بنا ويؤيده أنه قرئ انظرنا من الإنظار أيّ أمهلنا لنحفظ ما أمليت لنا ﴿وَٱسْمَعُواْ﴾ [الآية: 104] أي: أمرنا ولا تتركوا حكمنا ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ﴾ [الآية: 104] أي: من جملتهم المهين لسيد المؤمنين ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الآية: 104] وحجاب وخيم وقال الأستاذ قصود الأعداء خبيثة في جميع أحوالهم من أعمالهم وأقوالهم فهم على منهاجهم يبنون فيما يأتون ويذرون فسبيل الأولياء التحرس عن مشابهتهم والتحرز عن موافقتهم.

﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الآية: 105] أي: اليهود والنصارى من بيانية ﴿وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الآية: 105] عطف على أهل الكتاب ولا مزيدة لتأكيد المنفعية والمعنى ليس يشتهي النوعان من جنس أهل الكفر والعدوان ﴿أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الآية: 105] أي خيراً من عنده فمن الأولى مزيدة استغراقية والثانية ابتدائية وفيه تنبيه على كثرة حسدهم وقلة ودهم للمؤمنين لئلا يغتروا بنفاقهم ويحترسوا عن شقاقهم ﴿وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ﴾ [الآية: 105] برحمته أي نبوته وولايته ﴿مَن يَشَآءُ﴾ [الآية: 105] أي: من خليقته

﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الآية: 105] أي: يتفضل على من أراد على وفق إرادته والاختصاص متعد ولازم فالزم الفرق في المبنى والمعنى ولازم وأفاد الأستاذ كراهية الأعداء لانتظام صلاح الأولياء متصلة مستدامة ولكن الحسود لا يسود ولا يحصل له مقصود وخصائص الرحمة للأولياء كائنة وأن رغم من الأعداء آناف وانهدم من أوطان فرحهم أكناف وأطراف.

﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾ [الآية: 106] قال الكفار يأمر محمداً أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمر بخلافه فما هذا إلا كلامه فنزلت وما شرطية منصوبة على المفعولية ومن/ بيانية والمعنى ما نرفع حكمها من القرآن وما نزل أمرها من 35/أ
الفرقان ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾ [الآية: 106] أي: نذهبها عن القلوب بحيث لا نتذكرها لما قيل من أن سورة الأحزاب كانت قدر سورة البقرة في طولها[1] ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ﴾ [الآية: 106] أي: بأنفع للعباد في المبدأ والمعاد ﴿أَوْ مِثْلِهَآ﴾ [الآية: 106] في المنفعة والمثوبة وفي قراءة الشامي من الإنساخ أي نأمر بنسخها وفي قراءة ابن كثير وأبي عمرو ننسا بفتح النون الأولى والسين بعدها همز أي نثبت رسمها ونؤخر حكمها كقوله ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: 6] فعلى هذا النسخ عكسه أي تثبت حكمها وتؤخر رسمها نحو الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموها البتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم[2] وكذا قوله لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب[3] ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الآية: 106] أي: في النسخ والتبديل وغيرهما ﴿قَدِيرٌ﴾ [الآية: 106] تام القدرة كامل المشيئة المتضمنة للحكمة في كل قضية وحاصل الجملة أن النسخ

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (2/ 450) رقم (3554)، والطبراني في المعجم الأوسط (4/ 332) رقم (4352)، والنسائي في السنن الكبرى (4/ 271) رقم (7150)، وابن حبان في الصحيح (10/ 273) رقم (4428)، وأحمد في المسند (5/ 132) رقم (21245).

(2) أخرجه البخاري في الصحيح (6/ 2622) رقم (4970)، والدارمي في السنن (2/ 234) رقم (2323)، والنسائي في السنن الكبرى (4/ 270) رقم (7145)، وابن حبان في الصحيح (10/ 273) رقم (4428)، ومالك في الموطأ (5/ 1203) رقم (3044).

(3) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (5/ 184) رقم (5032)، والترمذي في الجامع الصحيح (4/ 569) رقم (2337).

هو انتهاء التعبد بالقراءة أو بالحكم المستفاد منها أو بهما جميعاً والحكمة في ذلك أن الأحكام شرعت والآيات نزلت لمصالح العباد فيما يتعلق بالمعاش والمعاد وتكميل نفوسهم في كل مرتبة فضلاً من الله ورحمة وذلك يختلف باختلاف الأعصار والأشخاص كالغذاء والدواء في مخالفة الخواص فإن النافع في عصر قد يضر في دهر وهذا هو عين الرحمة وعلى وفق الحكمة وفيه تنبيه للسالك النبيه أن يفوض أمره في جميع أحواله إلى مولاه من تنزل وترقى وتجمل وتحمل وبسط وقبض ورفع وخفض ولطف وقهر وغنى وفقر ومنحة ومنفعة ومنقصة وشهرة وعزلة وكثرة وقلة ووفاء وجفاء وبقاء وفناء وسائر مقتضيات الصفات الجمالية وموجبات النعوت الجلالية حتى القرب والبعد كما بعض أرباب الحال.

أريد وصاله ويريد هجري فاترك ما أريد لما يريد(1)

وهذا معنى بعض قول الوفاء والرضا بالقضا باب الله الأعظم والله أعلم.

وقال السلمي: ما نقلبك من حالة إلا أوصلناك إلى حالة أعلى إلى أن
35/ب ينتهي بك/ الأحوال إلى محل التداني لقوله ﴿دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ والخطاب من غير واسطة بقوله ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ انتهى ولا يخفى أن ما وقع له من نزوله بعد أوج معراجه وكمال وصوله ما أوجب نقصاً في مقامه ولا اقتضى تنزلاً في حاله ومرامه فإنه ما كان حلوله كطلوعه أو أعلى من ابتداء شروعه بل هو ظاهر في علو مرتبته وعظمة رتبته لأنه مراد أو مريد في مقام المزيد ولا عبرة بظواهر التنزلات الصورية لأن المدار على مراتب التجليات المعنوية الإلهية التي يستوي عندها الأراضي السفلية والسموات العلوية كما يشير إليه قوله ﷺ لا تفضلوني على يونس [بن] متّى مومياً إلى أن معراجه كان في بطن الحوت وعالم الظلمات كما أن معراج نبينا ﷺ فوق السموات والله أعلم بتحقيق الحالات وتوفيق المقامات.

(1) نسب إلى ابن المنجم الواعظ المعرّي. انظر: فوات الوفيات (2/ 301)، والوافي بالوفيات (6/ 105).

وقال الأستاذ: ما تنقلك من حال إلى ما هي فوقها وأعلى منها فغصن وصلك أبداً ناضر ونجم عزك أبداً زاهر فلا ننسخ من آثار العبادة شيئاً إلا وبدلنا من أنوار العبودية ولا نسخنا من آثار العبودية شيئاً إلا أقمنا مكانها أشياء من آثار العبودية فأبداً سرّك في الترقي وقدرك في الزيادة بحسن التولي وقيل ما نرقيك في محلّ العبودية إلا أحللناك بساحات الحرية وما رفعنا عليك شيئاً من صفات البشرية إلا أقمناك بشواهد من شواهد الألوهية انتهى وأراد بشواهد الألوهية الصفات السبحانية من التخلق بالأخلاق الربانية وفي الحقيقة هذا التراقي ليس مختصاً بأرباب التجلي وأصحاب التخلي والتحلي بل كل فرد من أفراد السائرين أو الطائرين من المؤمنين والكافرين ليس بحسب مقامهم وحالهم ترق في حالهم ومنالهم فالتوقف ليس في طور الإنسان فمن لم يكن في زيادة فهو في نقصان ولذا يكون منحة أهل الجنة دائماً في زيادة اللذة كما أن منحة أهل النار سرمداً يكون في التضاعف كمية وكيفية كما يشير إليه قوله سبحانه ﴿فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [سورة النبأ: 30] أي بأن نكشف لكم حجاباً يوجب حجاباً ويعقب عقاباً على وفق حال الجنة من الحسنى ثواباً والزيادة مآباً وهذا كله لأن التجليات الإلهية من النعوت الجمالية والجلالية ليس لها مرتبة الانتهائية نسأل الله العناية والهداية من البداية إلى النهاية.

36/ أ ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ [الآية: 107] الخطاب له ﷺ/ أصالة ولغيره تبعية ولأنه أعلمهم ومبدأ علمهم ﴿أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية: 107] أي يفعل فيهما ما يشاء ويحكم ما يريد من القضاء من نحو إثبات ناسخ ومحو منسوخ بمقتضى علمه وحكمته في أهل مملكته ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 107] أي: مما سواه ﴿مِن وَلِيٍّ﴾ [الآية: 107] أي: والٍ يلي أمركم ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ [الآية: 107] ينصركم ويدفع ضركم.

وأفاد الأستاذ: أن سُنَّة سبحانه أن يجذب أولياءه عن شهود ملكه إلى رؤية ملكه، ثم يأخذهم من مطالعة ملكه إلى مشاهدة حقه فيأخذهم من رؤية الآيات إلى رؤية الصفات إلى شهود الذات.

﴿أَمْ تُرِيدُونَ﴾ [الآية: 108] انتقال والتفات بل أتريدون أيها اليهود والمشركون ﴿أَن تَسْـَٔلُوا﴾ [الآية: 108] وهو محمد ﷺ فإنه أرسل إلى الخلق كافة على التقدير الاجتماعي ولذا قال لو كان موسى حياً لما وسعه إلا اتباعي(1) ﴿كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾ [الآية: 108] حيث قيل له أرنا الله جهرة ونحو ذلك من أسباب نزول الخطاب إن أهل الكتاب سألوا نبينا ﷺ أن ينزل عليهم كتاباً من السماء وأن المشركين طلبوا أن يجعل الصفا ذهباً ويوسع لهم أرض مكة فقال نعم وهو كالمائدة لبني إسرائيل فأبوا ورجعوا أي عن مقترحهم محبة لكفرهم وخوفاً من التهديد الواقع في قضية المائدة على أنفسهم في قوله سبحانه ﴿فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: 115] ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [الآية: 108] أي: وسطه وهو الجادة لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾ [الأنعام: 153] الآية أو المعنى أخطأ السبيل المستوية المعتدلة وهي الهداية الموصلة وفيه إشعار بأن الاقتراح وسؤال الآيات بعد ظهور البراهين ووضوح المعجزات كفر موجبه التعنت والمكابرة والعناد في المقاولات.

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ [الآية: 109] أي: أحب أحبارهم وتمنى أخيارهم ﴿لَوْ يَرُدُّونَكُم﴾ [الآية: 109] أي: أن يردوكم ﴿مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا﴾ [الآية: 109] أي: مرتدين حالاً من ضمير المخاطبين ﴿حَسَدًا﴾ [الآية: 109] أي: للحسد الكامن الكائن ﴿مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ [الآية: 109] تشرسهم لا من قبل تدينهم ﴿مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [الآية: 109] أي: ظهر أمر الصدق/ 36/ب ﴿فَاعْفُوا﴾ [الآية: 109] أي: عن مجازاتهم ﴿وَاصْفَحُوا﴾ [الآية: 109] أي: أعرضوا عن مقالاتهم ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ [الآية: 109] أي: لإيمان من تعلق علمه بإيمانه ولقتال من صمم على جهله وكفرانه أو أخذ الجزية جزاءً على عدوانه ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الآية: 109] أي: من الإنعام والانتقام ﴿قَدِيرٌ﴾ [الآية: 109]

(1) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (1/ 199) رقم (176)، وأبو يعلى في المسند (4/ 102) رقم (2135)، وأحمد في المسند (3/ 338) رقم (14672)، وابن أبي شيبة في المصنف (5/ 312) رقم (26421).

وبأعمالهم وأحوالهم بصير وخبير.

قال الأستاذ: من لحقه خسران من أهل الغفلة ودّان لا يطلع لأحد بالسلامة نجم ولا زهر ومن اعتراه الحسد أراد أن لا تنبسط على عدوه شمس ولا قمر فكذلك كان صفات الكفار وأحوالهم فأرغم الله أنفهم وكبهم بوجوههم والإشارة من هذا إلى حال أصحاب الإرادة إذا رغبوا إلى السلوك في البداية فإن من لم يساعده التوفيق وعاشوا مترسمين بظواهر التنميق يمنعون هؤلاء من سلوك أهل التحقيق ولا يزالون يخاطبونهم بلسان النصح والتخويف بالعجز والهجر والتهديد بالفاقة والفقر حتى يعقلوهم أي: يجروهم إلى سبيل الغفلة ويقطعوا عليهم طريق الإرادة أولئك أعداء الله حقاً وصدقاً أدركتهم مقت الوقت وعقوبتهم حرمانهم من نور ظهور الحق وأن لا يشتموا شيئاً من روائح الصدق فسبيل المريد أن يحفظ عن الأغيار سره وصدقه ويستعمل مع كل أحد خلقه ويبذل في الطلب رفقه فعن قريب يفتح الله عليه طريقه.

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [الآية: 110] أي: أجمعوا بين القيام بالعبادات البدنية والطاعات المالية وعبر عنهما بأمهاتهما فشمل الصوم والحج ونحوها ولأن الصلاة صلة ووصلة بين العبد ومولاه ومعراج حصول وصول بالذهول عما سواه والزكاة تزكية النفس عن ميلها إلى المال والجاه المانعين عن التقرب إلى الله فالزكاة تجليه والصلاة تحليه والواو لمطلق الجمعية على أن التحلي مقدم على التخلي في سير المرادين من المجذوبين السالكين وعكسه طريق المريدين من السالكين المجذوبين ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ﴾ [الآية: 110] أي: من قرب النوافل بعد قرب الكوامل ﴿تَجِدُوهُ﴾ [الآية: 110] أي: ثوابه ﴿عِندَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الآية: 110] أي: عالم بالنقير والقطمير
37/أ ومطلع على الظاهر/ والضمير.

وأفاد الأستاذ: أن الواجب على المريد إقامة المواصلات وإدامة التوسل بفنون القربات واثقاً بأن ما يقدمه من صدق المجاهدات تزكو ثمرته في أواخر الحالات.

﴿وَقَالُوا﴾ [الآية: 111] أي: اليهود والنصارى ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ [الآية: 111] لَف بين قولي الفريقين وأو لتنويع الكلامين كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ [البقرة: 135] ثقة بفهم السامع العارف بحالهم من أن كلاً منهما على إبطالِ غيرها وهو جمع عائد كعود جمع عائد وإفراد الاسم المضمر وجمع الخبر نظراً للفظ من ومعناه ليفيد شمول الحكم مفردهم وجمعهم مع الإشارة إلى البلاغة من تفنن العبارة والوجازة وتوضيح المرام من الكلام فقالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان يهودياً وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانياً ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ [الآية: 111] أي: أمثال تلك الأمنية الباطلة سائر أمانيهم وهي أفعولة من التمني كالأعجوبة من التعجب ﴿قُلْ﴾ [الآية: 111] لكل فريق منهما أو لمجموعها ﴿هَاتُوا بُرْهَٰنَكُمْ﴾ [الآية: 111] أي: قربوا حجتكم واحضروا بينتكم ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الآية: 111] في دعوى اختصاصكم بدخول الجنة وحصول الأمنية وفيه إيماءٌ إلى قوله تعالى: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: 53].

قال الأستاذ: وكل حزب يمهد الأمل لنفسه ويظن النجاة بحاله ويدعي الوصل من سهمه ولكن مجرد الحسبان دون تحقق البرهان لا يأتي بحاصل ولا يعود بطائل.

﴿بَلَىٰ﴾ [الآية: 112] إثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة على وجه يفيد الحكم العام في القضية الشرطية فالمعنى بل يدخلها ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ﴾ [الآية: 112] أي: أخلص وجه توجهه في مقصده ومعتقده ﴿لِلَّهِ﴾ [الآية: 112] دون قصد ما سواه ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [الآية: 112] أي: في دينه وعمله واتباع نبيه ولا يبعد أن يكون الأول عبارة عن القيام بأمر الله والثاني إشارة إلى الشفقة على خلق الله ﴿فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الآية: 112] وفي العندية إيماء إلى عظمة المثوبة المترتبة على العبودة العبدية وكفاية عن مرتبة القربة في الحضرة الربوبية أو المعنى من عند ربه فضلاً حيث لا يجب على الله شيء أصلاً لأن له أن يعذب المطيع ويثيب العاصي لا ظلماً بل عدلاً ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية: 112] لنجاتهم من العقوبة ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الآية: 112] / لدخولهم الجنة. 37/ب

وأفاد الأستاذ: أن من أخلص لله قصده وأفرد لله وجهه وطهر عن الشوائب مقصده ﴿وَهُوَ مُحۡسِنٞ﴾ عالم بحقيقة ما يفعله وحقية ما يستعمله أو هو محسن في المآل كما أنه محسن في الحال ويقال الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه(1) فيكون مستسلماً بظاهره مشاهداً بسرائره في الظاهر جهد وسجود وفي الباطن كشف ووجود ويقال ﴿أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ﴾ بالتزام الطاعة ﴿وَهُوَ مُحۡسِنٞ﴾ قائم بآداب الخدمة يحسن آداب حضور الحضرة فهؤلاء ليس عليهم خوف الهجر ولا يلحقهم خفي المكر فلا الدنيا تشغلهم عن مشاهدته ولا الآخرة تمنعهم غداً عن رؤيته.

﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ﴾ [الآية: 113] أي: أمر معتدّ به لأن دينهم باطل من أصله ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُمۡ﴾ [الآية: 113] أي: والحال أنهم ﴿يَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۗ﴾ [الآية: 113] أي يقرون الكتاب ويدعون متابعة الخطاب مع أن في كل كتاب تعظيم سائر كتبه وتوقير جميع أنبيائه ورسله فإبطال كل فريق دين الآخر دال على بطلان قولهما فيصدق عليهما أن كلاً منهما صدقوا في أخبارهما لأن كلا الدينين ليس بشيء بعد نسخهما ﴿كَذَٰلِكَ﴾ [الآية: 113] أي مثل ذلك الذي سمعته منهما ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الآية: 113] أي: من مشركي العرب وعبدة الصنم وغيرهما ﴿مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡۚ﴾ [الآية: 113] مفعول مطلق لقال وكذلك مفعول به أو بالعكس أو الثاني تأكيد للأول ومبين لإبهامه المجمل فتأمل والحاصل أن سبيل هؤلاء الذين يدعون أنهم من العلماء كدأب الجهال والسفهاء في المكابرة والمبالغة في المعاندة ونظيرهم إنكار بعض الفقهاء الشافعية على الحنفية كعكس القضية وكذا المالكية والحنبلية المبتلون بهذه البلية مع اعترافهم بأن الكل مأخذهم الكتاب والسُنَّة بخلاف أهل البدعة وكذا إبطال طوائف الصوفية بعضهم بعضاً في الطريقة الحقيقية من النقشبندية والكبروية والخلوتية والجهرية وأمثالهما مع أن الطرق إلى الله بعدد أنفاس المخلوقات ومقصد الكل واحد بالذات كما قال قائلهم:

عباراتنا شتى وحسنك واحد ... فكل إلى ذاك الجمال مشير

---

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (50)، ومسلم في الصحيح (9/ 5).

38/أ / ومثاله أن مقصد الحاج كله الكعبة المشرّفة والقوافل مختلفة متفرقة من كل جهة متوجهة ولكل وجهة وأينما تولوا فثم وجه الله ففيه إيماءٌ إلى مشاهدة الله ورفع ما سواه ﴿فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾ [الآية: 113] بأن يقسم لكل فريق ما يليق به من الجزاء على وفق ما كانوا يعملون.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة في هذه الآية على العكس من حكم الظاهر فإن الأعداء يتبرأ بعضهم من بعض اليوم والأولياء من وجه كذلك لقولهم لا زالت الصوفية بخير ما تنافروا ولا يقبل بعضهم بعضاً لأنه لو قبل بعضهم بعضاً بقي بعضهم مع بعض ولكن الأعداء كلهم على الباطل عند تبرئ بعضهم من بعض والأولياء كلهم على الحق عند تبرئ بعضهم من بعض انتهى والفرق أن الأولين صدر معارضتهم لحفظ نفسهم والآخرين ظهر مناقضتهم بحق ربهم والأعمال بالنيات والله أعلم بالخفيات لكن علامة حق الحق بقاء الضياء والصفا وإمارة حظ النفس الأمارة حدوث كدورة الظلمة والجفاء.

﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ﴾ [الآية: 114] أي: لا أحد أظلم ﴿مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ﴾ [الآية: 114] بأن يصلي أو يتلى أو يدرس فيها ونحوه ﴿وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآۚ﴾ [الآية: 114] أي بهدم بنائها وتعطيل وقفها وتفريق أهلها ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ [الآية: 114] أي: المانعون والساعون ﴿مَا كَانَ لَهُمۡ أَن يَدۡخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ﴾ [الآية: 114] أي: ما كان ينبغي لهم أن يدخلوها إلا: بخشية وخضوع وأدب وخشوع بمباشرة سجود وركوع ولعل هذا مأخذ تحية المسجد وجمع يشمل المساجد كلها فإن جميعها يقال لها بيوت ربها.

وقال الأستاذ: الظالم من خرب أوطان العبادة بالشهوات وهي نفوس العابدين، وخرب أوطان المعرفة بالمنى والعلاقات وهي قلوب العارفين وخرب أوطان المحبة بالحظوظ والمساكنات وهي أرواح الواجدين وخرب أوطان المشاهدة بالالتفات إلى القربات وهي أسرار الموحدين ﴿لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞ﴾ [الآية: 114] أي: للمانعين عن العبادة في العاجلة مذلة مديدة ﴿وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [الآية: 114] أي: وفي العاجلة عقوبة شديدة.

وأفاد الأستاذ: أن لأهل الإشارة خزي في الدنيا ذل الحجاب عن الذات والصفات وعذاب الآخرة الاقتناع بالدرجات.

﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ [الآية: 115] أي: مِلكاً ومُلكاً والمراد بهما ناحيتي الأرض بجميع جوانبها/ أي: له الأرض كلها لا تختص به مكان دون مكان منها 38/ ب فإن منعتم أن تصلوا في المساجد حسداً فصلوا حيث ما تيسر لكم من الأرض فإنها جعلت لكم طهوراً ومسجداً ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟﴾ [الآية: 115] أي: ففي أي مكان فعلتم التولية شطر القبلة وجهة الكعبة ﴿فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 115] أي: فهناك جهة التي أمر بها والقبلة التي قبلها لأن إمكان التولية لا تختص بمسجد ومكان ومحلة وبقعة أو فثم ذاته الذي ينبغي التوجه إليه في كل مكان وزمان مع تنزهه عن مرور الزمان عليه وعن نسبة الحلول في الخير إليه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ﴾ [الآية: 115] بإحاطة علمه بالأشياء في بلاده أو برحمته يريد التوسعة في العبادة على عباده ﴿عَلِيمٌ﴾ [الآية: 115] بمصالحهم وأعمالهم وأحوالهم في جميع الأمكنة وسائر الأزمنة وقد نزلت الآية في شأن من خفيت عليه القبلة أو في صلاة النافلة على الراحلة أو في تحويل القبلة.

وفي «**تفسير السلمي**» قال منصور وجهه حيث ما توجهت وقصده أين قصدت وقال أيضاً هذا مثل إبداء الحق للخلق كمثل الهلال يرى في جميع الأقطار ينظر الصدق.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة منها إلى مشارق القلوب ومغاربها وللقلوب شوارق وطوارق فطوارقها هواجس النفوس تطرق في ظلمات المني والشهوات وشوارق القلوب نجوم العلوم وأقمار الحضور وشموس المعارف فما دامت الشوارق طالعة فقبلة القلوب واضحة ظاهرة فإذا استولت الحقائق خفي سلطان الشوارق كالنجوم تستتر عند طلوع الشمس كذلك عند ظهور الحق يحصل اصطلام وقهر فلا شهود رسم ووسم ولا بقاء حس وفهم ولا سلطان عقل وعلم ولا ضياء عرفان ووجدان هذه الجملة صفات لائقة ببقاء البشرية وإذا صار الموصوف خوافاً في بقاء الصفة وما دام يبقى من الإحساس

والتمييز ولو شطية فالقبلة مقصودة فإن لم تكن معلومة تكون مطلوبة.

وقال صاحب «**العرائس**»: فأينما تولوا بعيون الأشرار فثم مكاشفة الأنوار وأيضاً أشار بهذه الآية إلى مشاهدة الشهود في الشواهد كما كشف لخليله
39/أ حيث قال هذا ربي إذ نظر في دائرة الكون وفهم هذه الآية أن من نظر/ بعين العقل فقبلته الآيات ومن نظر بعين القلب فقبلته الصفات ومن نظر بعين الروح فقبلته الذات ومن نظر بعين السر فقبلته المحو عن الكائنات.

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ [الآية: 116] عطف على قالت اليهود والواو استئنافية ويؤيده حذفها في قراءة الشامي وقد نزلت حين قالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقال مشركو العرب الملائكة بنات الله ﴿سُبْحَانَهُ﴾ [الآية: 116] أي أنزه نفسي عن ذلك أو نزهوا أيها المؤمنون شأنه عن ما هنالك فإنه يقتضي التشبيه والحاجة وسرعة الفناء مع أنه تعالى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد وليس محل الحوادث والزوال ولا يتصور في حقه الاتصال والانفصال وفي التعبير بالاتخاذ إشارة إلى مجمل كلامهم فإنهم لم يقصدوا بذلك حقيقة مرامهم لأنهما من المحالات العقلية عند خواصهم وعوامهم مع الإيماء بأن الاتخاذ إذا كان منفياً فكيف يجوز حقيقة التوالد هنالك ومجمل الجواب أنه ليس الأمر كذلك ﴿بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية: 116] ملكاً وخلقاً وملكاً فلا مناسبة لِشيء مع الله فلا ولدية مع أن الملائكة تنافي الإبنية في القواعد الشرعية ﴿كُلٌّ﴾ [الآية: 116] أي: كل شيء مما في العلويات والسفليات ﴿لَّهُ قَانِتُونَ﴾ [الآية: 116] أي: لحكمه منقادون وعن مشيئته وتكوينه لا يمتنعون واختير ما أولاً تحقيراً لشأن جميعهم ثم أتى بِجمع ذوي العقول على جهة التغليب تعظيماً لجانبهم وإيماءً إلى ظهور قنوتهم واستواء ملكيتهم وفيه إشعار إلى نهاية صبره وغاية حلمه عن عباده مع كمال قدرته واقتضاء عظمته.

وقال الأستاذ: مكر بهم حين لم يغنهم في الحال بل جعل موجب اغترارهم طول الإمهال فنطقوا بعظيم الفرية على الله واستبطنوا عجيب المرية في وصف الله وصفوه بالولد وأنى بالولد وهو أحدي الذات لا حيز لذاته ولا

يجوز الشهوة في صفاته بل ليس في الكون شيء من الآثار المفتقرة والأعيان المستقلة إلا وينادي عليه آثار الحلقة ويفصح منه شواهد الفطرة وكل صامت منها ناطق وعلى وحدانيته سبحانه دليل مطابق وشاهد صادق.

﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ [الآية: 117] أي: هو مبدعهما وخالقهما من غير مثال سبق قبلهما ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا﴾ [الآية: 117] أي قدر موجوداً وأراد شيئاً مشهوداً ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ﴾ [الآية: 117] أي: للأمر المقدر ﴿كُن﴾ [الآية: 117] أي: أحدث ﴿فَيَكُونُ﴾ [الآية: 117] أي: فيحدث وفي قراءة الشامي بالنصب جواباً
لظاهر الأمر ثم الظاهر أن هناك حقيقة/ قول من كافٍ ونون أو غيرها من الدر 39/ ب
المكنون والشاهد ابتداء خلق المسيح بأمر كن من غير والد على ما أشار إليه بقوله ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: 59] فيكون وكذا الملائكة فالكون كله تحت ذل كن والعزة لله جميعاً ويدل عليه قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ﴾ [الأعراف: 54] تعني التقدير والتقرير أو المعنى فإنما يكونه فيكون من غير كاف ونون وفي التلويح إن أكثر المفسرين ذهبوا إلى أن هذا الكلام مجاز عن سرعة الإلحاد وسهولته على الله تعالى وكمال قدرته تمثيلاً للغائب أعني تأثير قدرته في المراد بالشاهد أعني أمر المطاع للمطيع في حصول المأمور به من غير امتناع وتوقف ولا افتقار إلى مزاد له عمل واستعمال آلة وليس هنا قول ولا كلام وإنما وجود الاستثناء بالخلق والتكوين مقروناً بالعلم والإرادة والقدرة وذهب بعضهم إلى أنه حقيقة وأن الله تعالى قد أجري سُنَّته في تكوين الأشياء أن يكونها بهذه الكلمة وإن لم يمتنع تكوينها بغيرها والمعنى يقول احدث فيحدث عقيب القول لكن المراد الكلام الأزلي القائم بذات الله لا الكلام اللفظي المركب من الأصوات والحروف لأنه حادث فيحتاج إلى خطاب آخر تسلسل لأنه يستحيل قيام الصوت والحرف بذات الله سبحانه ولما لم يتوقف خطاب التكوين على الفهم واشتمل على أعظم الفوائد وهو الوجود جاز تعلقه بالمعدوم بل خطاب التكليف أيضاً أزلي ولا بد أن يتعلق بالمعدوم على أن الشخص الذي سيوجد أو بذلك وبعضهم على أن الكلام في الأول لا يسمى خطاباً حتى يحتاج إلى مخاطب.

وقال الأستاذ: البديع عند العلماء موجد العين لا على مثال وعند أهل الإشارة الذي ليس له مثل فهذا الاسم يشير إلى نفي المثل عن ذاته ونفي المثال عن أفعاله وصفاته فهو الأحد الذي لا عدد يجمعه والصمد الذي لا أمد بقطعه والحق الذي لا وهم يصوره والموجود الذي لا فهم يقدره وإذا قضى أمراً فلا يعتاض عليه مقدور ولا ينفك عن حكمه مفطور.

40/أ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الآية: 118] من جهته/ المشركين أو من أهل الكتاب المتجاهلين ﴿لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ﴾ [الآية: 118] أي: هلا يكلمنا عياناً أو كما يكلم الملائكة بياناً أو يوحي إلينا بأنك رسوله لنا ﴿أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ﴾ [الآية: 118] أي: علامة على صدقك من الآيات المقترحات حيث قالوا: ﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا﴾ [الإسراء، الآية: 90] الآيات ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم﴾ [الآية: 118] أي: من كفار الأمم الماضية ﴿مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡ﴾ [الآية: 118] قالوا: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ﴾ [النساء: 153] و﴿هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِۖ﴾ [المائدة: 112] والمثلية لا تدل على التماثل في الجمل المقولية فمثل قولهم يدل على تماثل القولين في المؤدى وأن تبايناً في المبنى والمعنى وقوله كذلك يدل على توافقهما في الصفات والغايات وما يترتب عليهما من ذم الحالات والواقعات والتحقيق أن كذلك اطرد في تأكيد الأمر وتحقيقه فيه كأنه سلب عنه معنى التشبيه فلا تكرار لهذا التنبيه، ﴿تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ﴾ [الآية: 118] أي: قلوب هؤلاء وقلوب من قبلهم في العماء والعناد والتعنت وقصد الفساد ﴿قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾ [الآية: 118] أي: أظهرنا الآيات القرآنية والمعجزات الفرقانية والدلالات الآفاقية والأنفسية لقوم يطلبون اليقين لا لمن عاند أو تعلق بوهم وتخمين في أمر الدين قال الواسطي ما أظهر الله شيئاً من الأكوان إلا وخاطبهم به والجهلة يقولون لولا يكلمنا الله وقال أيضاً قد كلمتهم حيث أنزلت عليهم كتابي وبينت لهم خطابي لكن لم يفهموا لكونهم أعرضوا عن جنابي وأي آية أشرف من محمد ﷺ وقد أظهرت ذلك لهم انتهى.

~~وقد أشار صاحب البردة إلى هذه الزبدة بقوله كفاك بالعلم في الأمي~~ معجزة وقوله ومن هو الآية الكبرى لمعتبر.

وأفاد الأستاذ: أن كلام الله سبحانه يتعلق بجميع المخلوقات بأعيانها وآثارها أمر التكوين ويتناول المكلفين أمر التكليف لكن من عدم سمع الفهم تصامم عن استماع الحق فإنه سبحانه خاطب قوماً من أهل الكتاب وأسمعهم خطابه فلم يطيقون سماعه وبعدما رأوا من عظيم الآيات حرفوا وبدلوا في الآيات التي أظهرها ما يزيح العلة من الأغيار ويشفي الغلة من الأحباب أي: الحقد وما تغني الدلائل وإن وضحت عمن حقت له/ الشقاوة وسبقت. 40/ ب

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ﴾ [الآية: 119] أي: بالقرآن المتضمن للصدق فهو مفعول به ومؤيداً بالحق ملتبساً بالصدق فحال عن مفعوله ﴿بَشِيرٗا﴾ [الآية: 119] أي: مبشراً بالجنة للمؤمنين ﴿وَنَذِيرٗاۖ﴾ [الآية: 119] أي: مخوفاً بالنار للعاصين فما عليك إلا البلاغ المبين ولا يضرك إن لم يطعك أحد من العالمين ﴿وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [الآية: 119] أي: لست بمسؤول عن حالهم الذميم وفي قراءة نافع بصيغة النهي لِلمخاطب المعلوم على أنه نهى له ﷺ عن السؤال عن حال أبويه لما ورد من أنه عليه السلام قال ذات يوم ليت شعري ما فعل أبواي[1] فنزلت والأظهر أنه تعظيم لعقوبة الكفار وشدتها كأنها لفظاعتها وصعوبتها لا يقدر سامع أن يصبر على استماع حكايتها.

وقال الأستاذ: أفردناك بخصائص لم نظهرها على غيرك فالجمهور والكافة تحت لوائك والمقبول من وافقك والمردود من خالفك وليس عليك من أخبار الأغيار سؤال ولا عنك لأحد محيد في الحال ولا في الاستقبال.

﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ﴾ [الآية: 120] أي: دينهم وقبلتهم نزلت الآية عند الأمر بالتحويل إلى قبلتهم حيث كانوا يرجون أن يرجع النبي عليه السلام إلى ملّتهم فلما حرف الله القبلة إلى الكعبة شق ذلك عليهم وأيسوا منه أن يوافقهم على دينهم وفيه أيضاً مبالغة إقناطه عليه السلام عن إسلامهم فإنهم إذا لم يرضوا عنه حتى يتبع ملّتهم فكيف يتبعون ملّته ويقبلون

(1) معجم ابن الأعرابي (2/ 237) رقم (736)، تفسير الطبري (2/ 558) رقم (1876)، تفسير ابن كثير (1/ 401)، تفسير القرطبي (2/ 92).

مقالته ﴿قُلۡ﴾ [الآية: 120] أي: في جوابهم ﴿إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ﴾ [الآية: 120] أي: الذي بعثني المولى ﴿هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ﴾ [الآية: 120] إلى طريق الحق على وفق الصدق لا ما تدعون إليه من متابعة الهوى ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ﴾ [الآية: 120] أي: فرضاً وتقديراً ﴿أَهۡوَآءَهُم﴾ [الآية: 120] أي أراءهم الزائفة الباطلة فإن الهوى رأي يتبع الشهوة بخلاف الهدى فإنها الدلالة الموصلة وبخلاف الملّة فإنها ما شرعه الله لأوليائه على لسان أنبيائه من أمللت إذا مليت ﴿بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾ [الآية: 120] أي الدين المعلوم الصحة من الكتاب والسنة مالك من الله ﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [الآية: 120] يمنع ويدفع عنك العقوبة وهو تهديد شديد للأمة.

قال الأستاذ: ولا يقال برضا الأعداء بعدما حصل لك رضانا فإنهم لا يرضون عنك إلا بمتابعة أديانهم ودونه خَرط القتاد[1] فأعلن التبري منهم
41/أ وأظهر التولي عنهم/ وانصب العداوة لهم واعلم أن مساكنتهم إلى ما يرتعون سبب الشقاوة المؤبدة فاحرس عن أخطاء ذلك بقلبك وبالك وكن ببابنا متبرياً عن ما سوانا واثقاً بنصرتنا وإقبالنا فإنك بنا ولنا.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [الآية: 121] أي: على حقيقته ﴿يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [الآية: 121] أي: يقرؤونه حق قراءته من جهة المبنى ويتبعونه حق متابعته من طريقة المعنى فهم جامعون بين التدبر في معناه والعمل بمقتضاه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ﴾ [الآية: 121] أي: حق إيمانه لاتقانه وإحسانه ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ﴾ [الآية: 121] أي: بترك الإيمان وإنكار القرآن ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [الآية: 121] أي: الكاملون في الخسارة حيث خسروا الدنيا والآخرة.

وأفاد الأستاذ: أن الذين فتحنا أبصار قلوبهم بشهود حق كتابنا ووكلنا أسماع قلوبهم بسماع خطابنا وخصصناهم بإسبال أنوار العناية عليهم وأيدناهم بتحقيق التعريف في أسرارهم بإنزاله إليهم يقومون بحق التلاوة ويتصفون بخصائص الإيمان والمعرفة فهم أهل التخصيص والقبول ومن سواهم أرباب

(1) الخرط: السلك والقتاد: هو الشوك وهو أن تغمض على الشوك ثم تمرّ يدك من أعلاها إلى أسفلها.

الرد والنزول ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٢٢ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾ [الآيتان: 122 ـ 123] ختم القضية بما بدأ به القصة إيماءً بأنه كالفذلكة.

وأفاد الأستاذ: أن سُنَّته سبحانه في الخطاب مع قوم موسى عليه السلام أن يناديهم بنداء العلامة فيقول يا بني إسرائيل ومع هذه الأمة أن يخاطبهم بنداءات الكرامة فيقول يا أيها الذين آمنوا انتهى وفيه الإيماء إلى أن شرف النسب دون فضل الحسب.

ثم قال: أما الأعداء فلا يقبل منهم شيئاً وأما الأولياء فقال ﷺ «اتقوا النار ولو بشق تمرة»[1] وكذلك الكفار لا تنفعهم شفاعة الشافعين وهكذا حكم كل أمة مع نبيها وأما المؤمنون فعلى التخصيص تنفعهم شفاعة نبيهم فكل أحد يقول نفسي نفسي ونبينا ﷺ يقول أمتي أمتي.

﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ﴾ [الآية: 124] وفي قراءة الشامي أبراهام أي عامله معاملة الممتحن ﴿رَبُّهُۥ﴾ [الآية: 124] أي: لتربية قلبه الممتحن عند ظهور المنن والمحن ﴿بِكَلِمَٰتٖ﴾ [الآية: 124] أي: بتكيف مأمورات ومنهيات منها توحيد المولى ومنها عدم الالتفات إلى السوى حتى قال لجبريل أما إليك فلا[2] فتحقق أن البلاء
41/ب تحقيق/ الولاء فأصدقهم ولاءً أشدهم بلاءً كما ورد أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل[3] أي: من الأولياء والأصفياء ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [الآية: 124] أي: أداهنّ كاملات غير ناقصات كقوله تعالى: ﴿وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ﴾ [النجم: 37] تفسير السلمي قال بعضهم أشد ما ابتلى به إبراهيم أن حمله ربه أثقال خلقه الخلة ثم طالبه بتصحيح شرائطها التي هي التخلي عن السوى ظاهراً وباطناً ﴿قَالَ﴾ [الآية:

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (1016/ 67)، ومسلم في الصحيح (6539).
(2) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (2/ 28) رقم (1077)، وانظر: كشف الخفا (1/ 357) رقم (1136).
(3) أخرجه الحاكم في المستدرك (1/ 99) رقم (119)، والطبراني في المعجم الكبير (24/ 244) رقم (626)، والنسائي في السنن الكبرى (4/ 352) رقم (7482)، وابن حبان في الصحيح (7/ 160) رقم (2900).

124] أي: الله له بعد قيامه بالأمر إتماماً ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [الآية: 124] أي: سفيراً بشيراً ونذيراً بيني وبين الخليفة لتهذيبهم لاصطلاح الحضرة فإن هذا هو الإمامة المعتبرة.

وأفاد الأستاذ: أن رتبة الإمامة أن يفهم عن الحق ثم يفهم الخلق فيكون واسطة بين الحق والخلق يكون بظاهره مع الخلق لا يفتر عن تبليغ الرسالة وبباطنه مشاهد للحق لا يتغير له صفاء الحالة ويقول للخلق ما يقول له الحق ﴿قَالَ﴾ [الآية: 124] أي: إبراهيم من غاية الشفقة ونهاية الرحمة ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ [الآية: 124] أي: واجعل أيضاً من أولادي أئمة لتستمر هذه النعمة بين الأمة إلى يوم القيامة كقوله سبحانه ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: 74] ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [الآية: 124] فيه إجابة إلى البغية وإشارة إلى أن بعض الذرية في ظلمة الظلمة ليس لهم قابلية الإمامة لعدم نور المعرفة والمراد بالعهد النبوة والولاية.

قال السلمي: قطع بهذا أن يكون أحد يصل إليه بسبب أو نسب إلا برضائه وسبق قضائه.

وزاد عليه الأستاذ حيث أفاد إنما هي أقسام مضى بها أحكام وليس هذا كنعيم الدنيا وسعة الأرزاق فيها إذ لا ادّخار لها عن أحد وإن كان كافراً ولذا لما دعاه إبراهيم بقوله ﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا﴾ يعني ليس للدنيا من الحظر ما يمنعها من كفر لكن عهدي لا ينال إلا من اخترته من خواص عبادي وخلص عبادي.

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ﴾ [الآية: 125] أي: بيت الله المسمى بالكعبة على وجه الغلبة ﴿مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الآية: 125] أي: مرجعاً لهم حيث يأتون ويرجعون ثم
42/أ يعودون ويأتون إما بسفر/ الظواهر وأما بسير السرائر أو موضع ثواب لأنهم بحجهم وعمرتهم وتوجههم إليه في عبادتهم يثابون ﴿وَأَمْنًا﴾ [الآية: 125] أي: موضع أمن من العذاب للمؤمنين الذين يحجون ويطوفون أو من التعرض للملتجئين الذين يضطرون في تفسير السلمي ﴿مَثَابَةً﴾ [الآية: 125] أي: مفزعاً

للمذنبين ﴿وَأَمْنًا﴾ [الآية: 125] أي: للداخلين من المؤمنين.

وقال الصادق: البيت هنا محمد ﷺ فمن آمن به بتصديق الرسالة دخل في ميادين الأمن والأمانة انتهى ولعل توجيه الإشارة على وجه تطبيق العبارة أن يقال التقدير بيت محمد فإن الله منزه عن المكان وإحاطة الأركان ووجه تخصيصه ﷺ بالإضافة أن حين نزول الآية لم يكن أحد قابلاً لهذه النسبة إلا صاحب ختم الرسالة مع ما فيه من الإيماء إلى نكتة خفيفة وهي أن النسبة الإضافية تامة في الحضرة الاصطفائية كما يستفاد من قوله تعالى ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: 80] و﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: 10] و﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ﴾ [آل عمران: 31] وأمثال ذلك فبيته بيته كما أن دعوته دعوته ومحبته محبته وإطاعته إطاعته ومعصيته معصيته مع زيادة الإفادة مع أنه لولاه لما وجد البيت الذي هو قيام للناس ولا حصل لمخلوق نوع من الاستئناس فكان البيت بيته ونائب عنه حجبته ولذلك حصول الدخول لا يفيد بالوصول إلا إلى الرسول ومن النكت الإيمائية أن الحضرة الاحتيائية هي العلة الغائية للهيئة البنائية الملكية والإبراهيمية الدالة على النسبة الخاتمية من الهندسة الأزلية القديمة والله أعلم بحقائق المعارف ودقائق العوارف الصادرة من الإمام الصادق السلالة للصديق الموافق اللاحق بالإمامة والخلافة الصورية والمعنوية.

وقال الأستاذ هو بيت خلقته من الحجر ولكن إضافته إلى الأزل في حكم القضاء والقدر فمن نظر إلى البيت بعين الخلقة انفصل ومن نظر إليه بعين الإضافة وصل واتصل وكل من التجأ إلى الكعبة الفاخرة آمن من عقوبة الآخرة إذا كان التجأوه إليه على جهة الإعظام والاحترام/ والتوبة عن الآثام 42/ ب
ويقال بني البيت من الحجر لكنه حجر يجذب القلوب إلى علّام الغيوب كحجر المغناطيس يجذب الحديد إلى ما فيه من التأنيس بيت من وقع عليه ظله أتاح بغفوة الأمن وساحة الأمان بيت من وقع عليه طرفه بشر بتحقيق الغفران بيت من طاف حوله طاف اللطائف بقلبه من لطف ربه فطوفة بطوفة وشوطة بشوطة ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن: 60] بيت من شهده نسي بيت نفسه وعدم إلا بلزوم حقائق إنسه بيت من زاره نسي مزاره وهجر دياره

بيت ما خسر من أنفق على الوصول إليه ماله بيت ما ربح من ضن بشيء لم ينفقه حتى يسكن ظلاله بيت لا يستبعد إليه المسافة بيت لا يترك زيارته لحصول مخافة أو هجوم آفة بيت ليس له بمهجة الفقراء رأفة بيت من قعد عن زيارته فلعدم فتوته أو لقلة محبته بيت من صبر عنه بلا ضرورة فقلبه أقسى من الحجارة بيت من وقع عليه شعاع أنواره تسلى عن شموسه وأقماره بيت ليس العجب ممن بقي عنه كيف يصبر إنما العجب ممن حضره كيف يرجع أو يدبر ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [الآية: 125] أمر بحسب مبناه أو خبر في معناه كما قرأ نافع والشامي والأمر للاستحباب لا سيما للطائفين حول الباب والمراد بالمقام الحجر الذي أثر فيه قدمه عليه السلام حين قام عليه ودعا الخلق بأمر ربه إليه ومن التبعيضية تفيد حصول الفضيلة بالقرب من المقام في كل جهة إلا أن الخلق أفضل لبيان النبي الأكمل عليه السلام.

قال الأستاذ: عبد رفع لله سبحانه قدماً فإلى القيامة جعل أثر قدمه قبلة لجميع المسلمين إكراماً لا مدى له أي: لا غاية ولا عناية ولا يخفى أنّ قوله ﴿قِبْلَةً﴾ [البقرة: 144] محمول على أن موضع إقبال أو محل قبلة وإجلال لا أنه يصلح أن يكون قبلة كالكعبة للتوجه إليه في حالة الصلاة كما يتوهم بعض العامة ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ﴾ [الآية: 125] أي: أمرناهما وأوحينا إليهما ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ [الآية: 125] أي: نظفاه من الأوثان والأدران ومن غبار/أغيار وطيباه 43/أ
بالروائح الطيبة الآثار لأنه محل نزول الرحمات الإلهية والتجليات الرحمانية السبحانية ﴿لِلطَّآئِفِينَ﴾ [الآية: 125] أي: حوله ﴿وَٱلْعَٰكِفِينَ﴾ [الآية: 125] أي: المعتكفين والمقيمين عنده ﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الآية: 125] أي: المصلين داخله وخارجه بالتوجه إلى عينه لمن بالمسجد الحرام والبلد المحترم إلى جهته بالنسبة إلى سائر أفراد بني آدم في أطراف جميع العالم والإشارة من هذه الآية إلى تطهير القلب الذي هو في الحقيقة بيت الرب كما روي «لا يسعني أرضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي»[1].

(1) كشف الخفا (2/ 100) رقم (1885) وقال عنه موضوع.

وقال الأستاذ: تطهير البيت بصونه عن الأدناس والأوضار وتطهير القلب بحفظه عن ملاحظة الأجناس والأغيار وطواف الحجيج حول البيت معلوم بلسان الشرع وبيان الصدق وطوفان المعاني مفهوم لأهل الحق فقلوب العارفين فيها المعاني طائفة وقلوب الموحدين فيها الحقائق عاكفة فهؤلاء أصحاب التلوين وهؤلاء أرباب التمكين وقلوب القاصدين بملازمة الخضوع على باب الجود أبداً واقفة وقلوب الموحدين على بساط الوصل أبداً راكعة وقلوب الواجدين على بساط القرآن أبداً ساجدة.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا﴾ [الآية: 126] أي: البلد أو المكان ﴿بَلَدًا﴾ [الآية: 126] أي: مسكناً ﴿ءَامِنًا﴾ أي أهله أو ذا أمن ﴿وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ﴾ [الآية: 126] أي: سكانه ﴿مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [الآية: 126] أي ليكونوا في رفاهية وفراغة للشغل بالعبادات وسكون بال عن الانتقال للرزق إلى سائر الجهات ﴿مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [الآية: 126] بدل من قوله أهله إيماء إلى أن غيرهم ليس أهله ﴿قَالَ وَمَن كَفَرَ﴾ [الآية: 126] أي من سكان المكان ﴿فَأُمَتِّعُهُۥ﴾ [الآية: 126] بالتخفيف للشامي ﴿قَلِيلًا﴾ [الآية: 126] أي: تمتيعاً قليلاً في الدنيا إلى منتهى أجله ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ﴾ [الآية: 126] أي: في العقبى ﴿إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ﴾ [الآية: 126] أي: لسوء عمله ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الآية: 126] أي: مآله وسواء حاله قاس إبراهيم عليه السلام الرزق على الإمامة فنسبه سبحانه على أن الرزق نعمة صورية دنيوية تعم أهل الوفاق والشقاق بخلاف الإمامة والتقدم في الديانة فإنها من النعم الدينية المعنوية تختص بأرباب المقامات الأخروية.

وأفاد الأستاذ: أن السؤال إذا لم يكن مشوباً بحظ العبد كان مستجاباً
43/ب ولم يكن سؤال إبراهيم عليه السلام هذا لحظ/ نفسه وإنما كان لحق ربه ولما حفظ أشراط الأدب حيث طلب الرزق لمن آمن منهم على الخصوص أجيب فيهم وفي الذين آمنوا أيضاً على العموم ولما قال في حديث الإمامة ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾ [الآية: 124] من غير إذن منع فقيل ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية: 124] انتهى ولا يخفى أن قوله منع محمول على أنه منع على وجه العموم مع تضمنه الإجابة للخواص بطريق المفهوم.

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾ [الآية: 127] أي: أذكر حين كان يرفع أصول الأساس منه ﴿وَإِسْمَٰعِيلُ﴾ [الآية: 127] عطف عليه لأنه كان يناوله الحجارة فيتناول عنه ﴿رَبَّنَا﴾ [الآية: 127] وقرئ يقولان ﴿رَبَّنَا﴾ ﴿تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾ [الآية: 127] أي: تقربنا إليك بهذا البناء ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ﴾ [الآية: 127] لدعواتنا وأقوالنا ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ [الآية: 127] بنياتنا وأحوالنا.

﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ [الآية: 128] أي: مستسلمين لحكمك في الأعمال مخلصين على وجه الكمال حتى لا يتحرك منا عرق بغير رضاك في جميع الأحوال قال فارس أرحنا عن أسباب الطلب بالحيل والفرض وعن مطالعة الجزاء في العوض ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ﴾ [الآية: 128] أي: واجعل بعض أولادنا وأحفادنا ﴿أُمَّةً مُّسْلِمَةً﴾ [الآية: 128] أي: جماعة منقادة ﴿لَّكَ﴾ [الآية: 128] أي: لتقوم بعدنا مقامنا في القيام بحقوقك وشتان بين من يطلب وارثاً لماله وبين من يطلب نائباً بعده ليقوم بطاعة ربه في مآله ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ [الآية: 128] أي: عرفنا متعبداتنا في حجنا وسائر عباداتنا ﴿وَتُبْ عَلَيْنَآ﴾ [الآية: 128] أي: وفقنا للتوبة وأقبلها منا وثبتنا عليها ولا تؤاخذنا في تقصيراتنا ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ﴾ [الآية: 128] لمن تاب ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ [الآية: 128] لمن آب فارحمنا في جميع حالاتنا من حياتنا ومماتنا.

وقال الأستاذ: أرنا مناسكنا إذ لا سبيل إلى معرفة الموافقات إلا بطريق التوفيق والإعلام والإلهامات وتب علينا بعد قيامنا بما أمرتنا حتى لا نلاحظ حركاتنا وسكناتنا ونرجع إليك عن شهود أفعالنا وأحوالنا لئلا نكون بخطر الشرك الخفي في توهم شيء منا بنا.

﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ﴾ [الآية: 129] أي: في الأمة المسلمة ﴿رَسُولًا﴾ [الآية: 129] عظيماً ﴿مِّنْهُمْ﴾ [الآية: 129] أي: من جملتهم وجلدتهم وهو نبينا محمد ﷺ كما قال أنا دعوة أبي إبراهيم عليه السلام ﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ﴾ [الآية: 129] أي: يقرأ عليهم كتابك ويبين لهم خطابك ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الآية: 129] أي: أحكام مباينة ومعاينة ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [الآية: 129] أي: ما يتعلق/ به من الحكم الإلهية 44/أ
أو ما يوحي إليه ﷺ من السنن النبوية ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ [الآية: 129] أي: يطهرهم عن

الأخلاق الدنية ويزينهم بالشمائل البهية ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ﴾ [الآية: 129] أي: الغالب على مراده ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ [الآية: 129] أي: الحاكم في بلاده على عباده.

﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ [الآية: 130] أي: لا يميل عنها ولا ينصرف منها ﴿إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [الآية: 130] أي: جعلها بأن يعلم أنها مخلوقة لعبادة خالقها أو إلا من استمهنها وأذلها واستخف بها.

قال الأستاذ: أخبر أنه أثر الخليل عليه السلام على البرية فجعل الدين دينه والتوحيد شعاره والمعرفة صفته فمن رغب عن دينه أو حاد عن سننه فالباطل مطرحه والكفر مهواه إذ ليست الأنوار بجملتها إلا مقتبسة من نوره ﴿وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ﴾ [الآية: 130] أي: اخترناه للرسالة ﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الآية: 130] للزلفى والجملة برهان لما سبق من البيان.

﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ﴾ [الآية: 131] أي: سلم نفسك إلى الله بالقطع عن التوجه إلى ما سواه أو أخلص دينك بالتوحيد وقلبك بالتفريد ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ﴾ [الآية: 131] أي بلساني وجناني وسائر أركاني ﴿لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الآية: 131] أي: العالم بأفعالي المطلع على أحوالي.

وقال السلمي: أسلم أي: أخلص سرك فإنه موضع الاطلاع منك ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ﴾ [الآية: 131] أي: أسلمت إليك سري وأخلصت لك أمري فإنك أولى بي مني.

قال الروذ بادي: سلامة النفس في التسليم وبلاؤها في التدبير.

وأفاد الأستاذ: أن الإسلام هو الإخلاص والاستسلام وحقيقته الخروج عن أحوال البشري بالكلية من المنازعات بالاختيارية والمعارضات النفسية ومعنى أسلمت قابلت الأمر بالسمع والطاعة واعتنقت بالحكم بحسب الاستطاعة فلم يدخر شيئاً من ماله وبدنه وولده وحين أمر بذبح الولد قصد الذبح وحين قال خله عن الأسر فعل ما أمر فلم يكن له في الحالتين اختيار وتدبير.

﴿وَوَصَّىٰ﴾ [الآية: 132] وفي قراءة نافع والشامي وأوصى ﴿بِهَآ﴾ [الآية: 132] أي: بالملّة أو بكلمة الإخلاص المستفادة من الجملة ﴿إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ﴾ [الآية: 132] أي: أولاده إسماعيل وإسحاق وغيرهما عليهم السلام ﴿وَيَعْقُوبُ﴾ [الآية: 132]
44/ب أي: ووصي هو أيضاً نبيه يوسف وأخواته الكرام ﴿يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ/ لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾ [الآية: 132] أي: دين الإسلام الذي هو صفوة أديان الأنبياء عليهم السلام ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ﴾ [الآية: 132] أي: في حال من الأحوال ﴿إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [الآية: 132] أي: منقادون لله في تلك الحال فإنها حالة أهل الكمال في المآل والمعنى الزموا الإسلام والتزموا الاستسلام حتى إذا أدرككم الممات صادفكم على ما أنتم عليه من الحياة.

قال الأستاذ: فيه بشارة بما يقوى به دواعيهم على الرغبة فيما كلفهم به من الإسلام لأنهم إذا تحققوا أن الله سبحانه اصطفى لهم ذلك علموا أنه لا محالة يعينهم فسهل عليهم القيام بحق الإسلام.

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ﴾ [الآية: 133] أي بل أكنتم حاضرين ﴿إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ﴾ [الآية: 133] بدل مما قبله ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الآية: 133] أي: أي شيء تعبدونه ﴿مِنۢ بَعْدِى﴾ [الآية: 133] أي: بعد موتي ﴿قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ﴾ [الآية: 133] أي: أسلافك ﴿إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ [الآية: 133] بدل من إله آبائك لتأكيد التوحيد وقع توهم التعديد الناشيء من التكرير لتعذر العطف على الضمير أو نصب على الاختصاص أي: يعني بإلهك وإله آبائك إلهاً واحداً ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [الآية: 133] حال من فاعل نعبد أو مفعوله أو منهما.

﴿تِلْكَ﴾ [الآية: 134] أي إبراهيم وإبناه وحفيده ﴿أُمَّةٌ﴾ [الآية: 134] أي: جماعة ﴿قَدْ خَلَتْ﴾ [الآية: 134] أي: مضت وسبقت ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ﴾ [الآية: 134] أي لكل أحد مثوبة عمله وتنجية أمله ﴿وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 134] أي: لا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا تثابون بحسناتهم وفيه إيماء إلى أن النسب لا ينفع بدون الحسب.

وقال الأستاذ: أنزل الحق سبحانه كلاً بمحله وأفرد لكل واحد قدراً بموجب حكمه فلا لهؤلاء عن أشكالهم خير ولا مما يخص به كل طائفة للآخرين أثر فكل في إقليمه ملك ولكل يدور بالسعادة فلك.

﴿وَقَالُوا﴾ [الآية: 135] أي: اليهود والنصارى ﴿كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ﴾ [الآية: 135] أو للتنويع والمعنى قالت اليهود كونوا هوداً وقالت النصارى كونوا نصارى ﴿تَهْتَدُوا﴾ [الآية: 135] جواب الأمر ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الآية: 135] أي: تتبع دين إبراهيم دون غيره ﴿حَنِيفًا﴾ [الآية: 135] أي مائلاً عن الباطل إلى الحق حال من المضاف أو المضاف إليه وهو الملائم لقوله ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الآية: 135] بل كان رئيس الموحدين وفيه/ تعريض للمخاطبين فأنهم مع أنهم من 45/أ
المشركين يدعون متابعته وكونهم هم المهتدون.

وقال الأستاذ: معناه إذا تجاذبك الفرق بين فرق الخلق واختلف عليك المطالبة بالموافقة على وفق الحق فاحكم بتقابل دعاويهم لدينا وانفرد بتوجهك إلينا جارياً على منهاج صاحب الخلة في اعتزال الجملة سواء كان إياه أوكان من كان ممن لم يوافق مولاه حيث قال وأعتزلكم وما تدعون من دون الله والحنيف المائل المستقيم على طريقة الحق المتبري عن جميع الخلق الواقف مع الحق للحق بالحق.

﴿قُولُوا﴾ [الآية: 136] أي أيها المؤمنون ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ [الآية: 136] أي: القرآن وتقديم ذكره لأنه سبب الإيمان بغيره فهو أول بالإضافة إلينا أو التقدير وما أنزل إلى رسولنا وقدم لتقدمه رتبة وتقدم كتابه مرتبة والتحقيق أنه عليه السلام دخل تحت الخطاب وإنزال الكتاب إليه أصالة وإلينا تبعية محصل تغليب في الجملة ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الآية: 136] أي: من الصحف ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾ [الآية: 136] أي: أحفاد إبراهيم وهم أولاد يعقوب وفيهم الأنبياء والصحف وإن نزلت على إبراهيم لكنهم لما جاؤوا بترويجها والحكم بما فيها من أمره ونهيه عن كونهم متعبدين بتفضيلها داخلين تحت أحكامها فكأنهامنزلة إليهم كما أن القرآن منزل إلينا ﴿وَمَا أُوتِيَ﴾ [الآية: 136] أي وبما

أعطي ﴿مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ﴾ [الآية: 136] من التوراة والإنجيل ومعجزاتهما وخصا بالذكر لكثرة أتباعهما ووقوع المنازعة في شأن أشياعها ﴿وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ﴾ [الآية: 136] أي: جملة ﴿مِن رَّبِّهِمْ﴾ [الآية: 136] أي: منزلاً إليهم من فضل ربهم عليهم ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ [الآية: 136] في أصل النبوة وإن كان بينهم فضل في الرتبة وفيه تعريض لمن يؤمن ببعض ويكفر ببعض ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ﴾ [الآية: 136] أي: لله ﴿مُسْلِمُونَ﴾ [الآية: 136] مذعنون مخلصون.

وأفاد الأستاذ: أنه لما آمن نبينا ﷺ بجميع ما أنزل من قبله أكرم بجميع ما أكرم به من قبله ولما أظهر موافقة الجميع أمر الكل بالكون تحت لوائه فقال آدم ومن دونه تحت لوائي يوم القيامة ولما آمنت أمته بجميع ما أنزل على الرسل ولم يفرقوا بين أحد منهم ضربوا في تكريمه بالسهم الأعلى فتقدموا على كافة الأمم.

45/ب ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟﴾ [الآية: 137] أي: أهل الكتاب وغيرهم/ ﴿بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ [الآية: 137] أي: المثل صلة للتأكيد ومقحمة للتأكيد كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ﴾ ويؤيده أنه قرئ بما آمنتم به وبالذي آمنتم به أو المعنى فإن آمنوا بالإخلاص بمثل ما آمنتم به في مقام الاختصاص ﴿فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟﴾ [الآية: 137] إلى طريق الحق وسبيل الصدق ﴿وَّإِن تَوَلَّوْا۟﴾ [الآية: 137] أعرضوا عن الوفاق ﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ﴾ [الآية: 137] أي: في عداوة وخلاف فإن كل احد من المنقادين والمخالفين في شق غير شق الآخر.

وقال الأستاذ: إن سلكوا طريقكم وأخذوا سبيلكم أكرموا بما أكرمتم ووصلوا إلى ما وصلتم وإن أبوا الامتياز أبينا لهم إلا هواناً فإن نظرنا لمن خدمك يا محمد بالوصلة وإعراضنا عمن باينك وخالفك بالواجب من الخدمة من خالفك فهو في شق الأعداء ومن وافقك فهو في شق الأحياء ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 137] أي: شر الكافرين وفيه تسكين للمؤمنين ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الآية: 137] وعداً للمقبلين والمعنى يسمع أقوالكم ويعلم إخلاصكم وأحوالكم فيجازيكم بها ووعيد للمعرضين بمعنى أنه يسمع ما يبدون ويعلم ما يخفون

فنعاقبهم عليها.

وقال الأستاذ: كفاية الله لكم متحققة وعناية الله بكم متعلقة فمن نابذكم قصمته أيادي النصرة ومن خالفكم قهرته قضايا القسمة وهو السميع لمناجاة أسراركم معنا على الدوام العليم باستحقاقكم منا خصائص اللطف والإكرام.

﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 138] نصب على الإغراء أي: الزموا دين الله كذا فسره أكثر السلف فيكون نظير قوله فطرة الله وسمي صبغة فاته حلية المتدين كما أن الصبغة حلية المصبوغ ولأنه يظهر عليه أثره ظهور الصبغ على مصبوغه ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾ [الآية: 138] أي: فطرة والمعنى لا صبغة أحسن من صبغته وفيه تعريض للنصارى حيث كانوا يغمسون أولادهم في ماءٍ اصفر يسمونه بالمعمودية ويقولون هو تطهير لهم وتحقيق للنصرانية بدل الختان في دين الحنيفية ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ﴾ [الآية: 138] أي: لغيره ﴿عَٰبِدُونَ﴾ [الآية: 138] تعريض لهم بأنهم مشركون وأفاد الأستاذ أن العبرة بموضوع الحق لا بمجموع العبد فما يتكلفه الخلق فإلى الزوال مآله وما أثبت الحق عليه الفطرة فبإثباته العبرة فللقلوب صبغة وللأرواح صبغة وللسرائر صبغة وللظواهر صبغة/ فصبغة الأشباح والظواهر بآثار 46/ أ
التوفيق وصبغة الأرواح والسرائر بأنوار التحقيق.

﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا﴾ [الآية: 139] أتخاصموننا وتجادلوننا ﴿فِى ٱللَّهِ﴾ [الآية: 139] أي: في دينه أو في شأن نبيه حيث اصطفاه من العرب وذلك إن أهل الكتاب قالوا: إن ديننا هو الأقدم وكتابنا هو الأسبق المقدم وكان الأنبياء كلهم منا فلو كنت نبياً لم تكن من غيرنا ﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ [الآية: 139] أي: لاختصاص له بقوم دون قوم يصيب برحمته من يشاء من خليقته ﴿وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ [الآية: 139] أي: كل يجازي بحسن عمله وسوء فعله ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ﴾ [الآية: 139] أي: والحال أن لنا هذه المزية دونكم حيث نخلصه بالإيمان والطاعة خلافكم.

قال الأستاذ: كيف يصح محاجة الأجانب وهم تحت غطاء الغيبة وظلال الحجبة والأولياء في صفات المكاشفة وضياء المشاهدة ومتى يستوي حال من

هو بنعت الإفلاس لغيبته مع حال من هو في حكم الاختصاص والإخلاص لانفراقه في قربته هيهات لا سواء.

﴿أَمْ تَقُولُونَ﴾ [الآية: 140] بالغيبة الضمير لأهل الكتاب وقرأ ابن عامر والكوفي غير شعبة بالخطاب على الالتفات أي: بل تقولون ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ [الآية: 140] وقد نفي الأمرين عن إبراهيم بقوله ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾ [آل عمران: 67] واحتج عليه بقوله ﴿وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ﴾ [آل عمران: 56] والمذكورون معه تابعون له في الدين اتفاقاً فلا يكونون هوداً أو نصارى ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ [الآية: 140] يعني شهادة الله لإبراهيم بالحنيفية والبراءة له عن اليهودية والنصرانية والمعنى: لا أحد أظلم من أهل الكتاب حيث كتموا هذه الشهادة الحقيقية وفيه تعريض بكتمانهم الشهادة على الرسالة المصطفوية ومن الثانية ابتدائية ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 140] وقرىء بالغيبة.

وأفاد الأستاذ: أن من نظر من نفسه إلى الخلق تخيل كلاً برقمه وحسب الجميع بنعت مثله فكما كانوا بحكم الأجنبية في مقالهم حكموا للأنبياء عليهم السلام بمثل حالهم فرد الحق سبحانه عليهم ظنهم وقيل فيهم رأيهم وهل يكون المجذوب عن مشاهدة كالمحجوب في مشاهدة وهل يستوي المختطف عن كله كالمردود إلى مثله ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [ص، الآية: 27] ﴿فَتَعْسًا لَّهُمْ﴾ [محمد، الآية: 8].

46/ب ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ/ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 141] أي تكرير للتأكيد في التحذير عما استحكم في طباع السفهاء من الافتخار بالآباء والاتكال على الأجداد من الأنبياء والأولياء أو الخطاب فيما سبق لأهل الكتاب وفي هذه الآية لنا تبعيد عن الاقتداء بهم في هذا الباب.

وقال الأستاذ: حال بينكم وبينهم حواجز من القسمة فهم أسسوا بنيانهم

على الفرقة والغفلة وأنتم ضربتم خيامكم على الزلفة والوصلة وعتيق فضلنا لا شبيه طريد قهرنا.

﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ [الآية: 142] أي الجهال ﴿مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الآية: 142] يعني المنكرين لتغيير القبلة من المنافقين واليهود والمشركين وهذا إخبار عن الغيب قبل وقوعه وفائدة تقديمه توطين النفس وإعداد الجواب لسائله ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ﴾ [الآية: 142] أي أي شيء صرف النبي والمؤمنين ﴿عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا۟ عَلَيْهَا﴾ [الآية: 142] أي: الصخرة ببيت المقدس ويؤيده أنه قال تعالى بعده ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة: 144] وفي صحيح البخاري أنه عليه السلام صلى نحو بيت المقدس في المدينة ستة عشر شهراً أو سبعة عشر ولكن يحب أن يتوجه إلى الكعبة[1] فنزل ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: 144] الآية فقال السفهاء من الناس وهم اليهود وما وليهم عن قبلتهم التي كانوا عليها فقال الله ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ [الآية: 142] أي: ملكاً، وملكاً فلا يختص به مكان دون مكان لخاصية ذاتية تمنع إقامة غيره مقامه في القبلية وإنما العبرة بارتسام أمره المتعلق بالأحكام الشرعية والقبلة في الأصل الحال التي عليها الإنسان من الاستقبال فصارت عرفاً للمكان المتوجه إليه نحوه للصلاة ﴿يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [الآية: 142] أي هدايته ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الآية: 142] موجب استقامته ومنها ما يرتضيه الحكم وتقتضيه المصلحة من التوجه إلى الصخرة تارة وأخرى إلى الكعبة.

وقال الأستاذ: سقمت بصائر الكافرين فلم يلح لهم وجه الصواب في جميع أفعال المؤمنين فطالعوها بعين الاستقباح فيهم وانطلقت ألسنتهم بالاعتراض في كل مكان يكون منهم فلم يروا شيئاً جديداً إلا أتوا عليه باعتراض جديد زماناً مديداً فمن ذلك تغيير القبلة فإنها لما حولت إلى الكعبة
47/أ قالوا: إن كان قبلتهم/ حقاً فما الذي ولاهم عنها فقال عزَّ وجلَّ ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ يتعبد العباد بالتوجه إلى أي قطر ونحو أراد وكذلك أصحاب

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (7252)، وابن حبان في الصحيح (4/ 617) رقم (1716)، والترمذي في الجامع الصحيح (2/ 169) رقم (340).

الغيبة والحجبة عن شهود تصرف الحق لأوليائه وأتباعهم يطلبون وجوهاً من الأمور لحمل أحوالهم ولو طالعوا الجميع عن عين واحدة لتخلصوا عن ألم توزع الفكر وشغل ترحم الخاطر ومطالبات تقسم الظنون في الباطن والظاهر ولكن يهدي الله لنوره من يشاء.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ [الآية: 143] أي: كما هديناكم صراطاً مستقيماً وجعلنا لكم ديناً قويماً ﴿جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [الآية: 143] أي: خياراً وعدولاً عادلين عن طرفي الإفراط والتفريط كالجود بين البخل والتبذير والشجاعة بين الجبن والتهور وسائر الأخلاق الظاهرية والباطنية معتدلين في الأمور الاعتقادية كالتنزيه بين التعطيل والتشبيه والكسب بين القدر والجبر جامعين بين العلم والعمل متوسطين في طول العمر وتطويل الأمل والحاصل أن الوسط في الأصل بمعنى المتوسط من الأمكنة ثم استعير للأحوال المعتدلة كما قيل خيار الأمور أوسطها ثم أطلق على التصرف بها مستوياً فيه الواحد والجمع والمذكر وأمثالها ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [الآية: 143] أي: لتشهدوا على الأمم بتبليغ الأنبياء ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية: 143] أي: على صدقكم ﴿شَهِيدًا﴾ [الآية: 143] وأنكم أزكياء وذلك أن الله يسأل الأمم يوم القيامة هل بلغكم الرسل فيقولون ما بلغنا أحد عنك شيئاً فيسأل الرسل فيقولون بلغناهم رسالتك فعصوا فيقول هل لكم شهيد فيقولون نعم أمة محمد فيشهدون لهم بالتبليغ وتكذيب قومهم إياهم فيقول الأمم يا رب بِم عرفوا ذلك وقد كانوا بعدنا فيقولون أخبرنا نبينا في كتابه ثم يزكيهم محمد ﷺ واستدل بالآية على أن الإجماع حجة إذ لو كان فيما اتفقوا عليه باطل لما كان تحت عدالتهم طائل.

وأفاد الأستاذ: أنّ الوسط الخيار فجعل هذه الأمة خيار الأمم وجعل هذه الطائفة خيار هذه الأمة فهم خيار الخيار فكما أن هذه الأمة شهداء على الأمم يوم القيامة فهذه الطائفة هم الأصول وعليهم المدار وهم القطب وبهم يحفظ الله جميع الأمة فكل من قبلته قلوبهم فهم المقبول ومن ردته قلوبهم فهم المردود فالحكم لهم والصادق فراستهم والصحيح حكمهم والصائب
47/ب نظرهم عصم جميع/الأمة عن الاجتماع على الخطأ وعصم هذه الطائفة عن

الخطأ في النظر والحكم والرد والقبول ثم بناء أمرهم مستند إلى الرسول ﷺ فكل ما لا يكون اقتداءً بالرسول عليه السلام فهو عندهم رد وصاحبه على لا شيء ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ﴾ [الآية: 143] هي المفعول الأول ﴿ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ﴾ [الآية: 143] أي المفعول الثاني أي الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة فإنه عليه السلام كان يصلي إليها بمكة ثم لما هاجر أمر بالصلاة إلى الصخرة تألفاً لليهود ومن أهل المدينة ثم أمر باستقبال الكعبة والمعنى ما رددناك إلى ما كنت عليها ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ [الآية: 143] أي علماً تنجيزياً يوجب جزاءً عملياً أو لتميز ﴿مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ﴾ [الآية: 143] أي: بالثبات على إيمانه ﴿مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ [الآية: 143] لقلقه وضعف إيقانه ﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً﴾ أي: مخففة من المثقلة واللام هي الفارقة بينها وبن النافية والمعنى قد كانت الجعلة أو التولية لثقيلة ﴿إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ [الآية: 143] أي: هداهم الله إلى حكمة الأحكام الثابتين على الإسلام ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [الآية: 143] أي: تصديقكم بالقبلة الأولى وصلاتكم على وفق حكم المولى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الآية: 143] وبالمؤمنين في الدرجة الأعلى.

قال الأستاذ: بين الله سبحانه أن الحكم في تقدير أمر القبلة إلى وقت التحويل وتحويلها من وقت التبديل كان اختباراً لهم لتميز الصادق من المارق ومن نظر إلى الأمر بعين التفرقة كبر عليه أمر التحويل من كل باب ومن نظر بعين الحقيقة ظهر لبصيرته وجوه الصواب ثم قال ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [الآية: 143] أي من كان مع الله في جميع الأحوال على قلب واحد فالمختلفات من الأحوال واحدة فسواء قرر أو غير أو أثبت أو بدل أو حقق أو حول فهم بدله في جميع الأحوال قال قائلهم:

كيف ما دارت الزجاجة درنا … يحسب الجاهلون أنا جننّا

فإن قابلوا شرقاً أو واجهوا غرباً واستقبلوا حجراً أو قاربوا مدراً، فمقصود قلوبهم واحد وما كان للواحد فجميع الحكم فيه واحد.

﴿قَدْ نَرَىٰ﴾ [الآية: 144] أي: ربما نري أو قد نعلم ﴿تَقَلُّبَ وَجْهِكَ﴾ [الآية:

144] تردد نظرك ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الآية: 144] أي: في جهتها تطلعاً لوحينا أو
48/أ لنزول رسولنا بإتيان أمرنا وذلك لما كان يقع في/روعه ويتوقع من ربه أي: يحوله إلى الكعبة لأنها قبلة إبراهيم عليه السلام وأقدم القبلتين وأدعى لِلعرب إلى الإيمان وأقرب إلى مخالفة اليهود وأهل العدوان ومع هذا يراعي أدبه حيث انتظر ولم يسأل ربه ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ﴾ [الآية: 144] أي: فلنصيرنك مستقبلاً ﴿قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا﴾ [الآية: 144] أي: تحبها وتهواها لمقاصد دينية وافقت المشيئة.

وأفاد الأستاذ: أن كل العبيد يجتهدون في طلب رضاي وأنا أطلب رضاك انتهى وفيه الإشارة إلى أنه هو المراد من العباد في جميع البلاد وغيره إنما هو المريد الطالب للمزيد ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ﴾ [الآية: 144] أي: أقبل بوجهك ﴿شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [الآية: 144] أي نحوه وإنما ذكر المسجد دون الكعبة لأنه عليه السلام كان في المدينة والآفاقي يكفيه مراعاة الجهة فإن استقبال عينها حرج عليه بخلاف المكي القريب إليها.

قال الأستاذ: لكن لا تعلق قلبك بأحجار ولا آثار لأنه ليس في الدار غيره ديار ولكن القبلة مقصود نفسك والحق سبحانه مشهود قلبك.

وفي «**تفسير السلمي**» قيل أعلم أولاً أنه بمرأى من الحق ليكون منادياً يا رب الصدق ومن حسن أدبه أنه نظر إلى جو السماء ولم يسأل بالدعاء فأجيب عن نظره إلى مراده بقوله ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [الآية: 144] أي: ترسم معهم برسم الظاهر في استقبال الكعبة ببدنك ولا تقطع عن مشاهدتنا بقلبك فإنا جعلنا الكعبة قبلة قالبك ونحن قبلة قلبك ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ﴾ [الآية: 144] أيها المؤمنون من بر وبحر ﴿فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ [الآية: 144] أي حال الصلاة إيجاباً وفي غيرها استحباباً.

ولكن كما قال الأستاذ: أخلصوا قلوبكم لي وأفردوا شهودكم بي ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ [الآية: 144] أي: من اليهود والنصارى ﴿لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [الآية: 144] أي التحويل أو التوجه الحق أي: هو الأمر الثابت ﴿مِن رَّبِّهِمْ﴾ [الآية: 144].

قال الأستاذ: ولكن علماً يكون عليهم حجة ولا يكون لهم فيه راحة ومنه زيادة ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 144] تهويل على الأعداء وتأميل للأولياء وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بالخطاب وهو على التغليب في كل منهما.

﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ﴾ [الآية: 145] أي: برهان وحجة على أن القبلة كعبة ﴿مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ﴾ [الآية: 145] ولا قبلوا/ حجتك لأنهم 48/ ب
جاحدون ملّتك ﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾ [الآية: 145] أي في أيام دولتك وفيه تسلية وتسكين لقلبه ﷺ في أمر القبلة أنها لا تكون إلا الكعبة وقطع لطمع اليهود في رجوعه ﷺ إلى قبلتهم حيث كانوا يطمعون ذلك من غفلتهم.

قال الأستاذ: سبق لكم من قديم الحكم القرب بطريق الحق ووقع أعدائكم في شق البعد فبينكما برزخ لا يبغيان فما هم بتابع قبلتك وإن أريتهم من الآثار ما هو أزهر من الشموس والأقمار ﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾ [الآية: 145] إن أتوا بكل احتيال حكماً من الله سبحانه في أزل الآزال ﴿وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾ [الآية: 145] فإن اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطلع الشمس والمعنى أنهم وإن اتفقوا في التظاهر على النبي بحسب الظواهر لكنهم مختلفون فيما بينهم من السرائر ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾ [الآية: 145] أي بأن صليت إلى قبلتهم فرضاً وتقديراً ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [الآية: 145] أي: بعد ما بان لك الحق وظهر لك الصدق بكونك سراجاً منيراً وأن القبلة المنقولة هي الكعبة المقبولة ﴿إِنَّكَ إِذًا﴾ [الآية: 145] حينئذٍ ﴿لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية: 145] أي: من الواقعين في ظلمة الغفلة وقيل إنك إذاً مثلهم فالخطاب للنبي في المبنى ولأمته في المعنى.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الآية: 146] يعني علماءهم ﴿يَعْرِفُونَهُۥ﴾ [الآية: 146] أي محمداً بوصفه ونعته أو القرآن وحقيقته أو للتحويل وحقيقته ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [الآية: 146] أي: كمعرفتهم أبنائهم لا يلتبسون عليهم بغيرهم وعن عمر رضي الله عنه أنه سأل عبد الله بن سلام بعد الإسلام عن النبي عليه السلام فقال:

أنا أعلم به مني بابني قال: ولم قال لأني لست أشك في أمر محمد ﷺ أنه نبي وأما ولدي فلعل والدته خانت بي ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 146] تخصيص لما عاند فيهم واستثناء لمن آمن منهم.

قال الأستاذ: حملهم مستكنات الحسد على مكابرة ما علموه بالاضطرار وكذلك المغلوب في ظلمات نفسه يلقي جلباب الحياء فلا ينجع فيه ملام ولا يردعه عن انهماكه كلام.

﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ [الآية: 147] أي الحق ما ثبت أنه من الله كالذي أنت عليه لا ما لم يثبت كالذي يميل أهل الكتاب إليه ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [الآية: 147] أي: من الشاكين في أنه من ربك والمراد تحقيق الأمر الباهر بحيث لا يشك فيه الناظر أو أمر للأمة باكتساب المعرفة المريحة لظلمة الشك الموجبة للغمة بطريق المبالغة.

وأفاد الأستاذ: أنه بعدما طلع لك شموس اليقين فلا تركن إلى مجوزات
49/أ التخمين/ الخطاب له والمراد به الأمة ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ﴾ [الآية: 148] أي: لكل قوم قبلة ﴿هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ [الآية: 148] أي: وجهه والمعنى مستقبلها أو الله موليها إياه وفي قراءة الشامي بصيغة المفعول أي: هو مولى تلك الجهة قد وليها ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [الآية: 148] أي: من أمر القبلة وغيره مما ينال به السعادات والمعنى إذا كان لكل قوم جهة فاستبقوا إلى أحسن الجهات وسارعوا إلى أيمن الحالات.

قال صاحب «**العرائس**»: أي لكل روح منهاج وقبلة ومعراج في وجود الذات وحقيقة الصفات فعين العيان قبلة الأرواح القدسية وصرف الصفات قبلة الأرواح الجلالية وعين القدم قبلة الأرواح الغيرية وعين الأبد قبلة الأرواح البقائية وأنوار المشاهدة هي قبلة الأرواح السابقة وحسن الصفات هو قبلة الأرواح المؤنسة ونفحات بساتين الغيب هي قبلة الأرواح الروحانية هو موليها أي تلك الروح الرحمانية هي قاصدها قاصدة إياها بجناح الشوق مجذوبة بخيال العشق إلى معدن الألوهية والصمدية ولكل واحدة منها مطلع ومنبع فبعضها والهات وبعضها شائقات وبعضها عاشقات وبعضها مؤنسات

وبعضها فانيات وبعضها باقيات وبعضها صاحيات وبعضها ساكرات من هول المقامات وكشف المشاهدات وبروز المعاينات وإدراك المغيبات ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [الآية: 148] خاطب بها أهل الاستقامة أي: سارعوا إلى صرف الأنانية فإنه أعلى الدرجات لأن أرواح الوسائط في محل الإرادات وأنتم أهل النهايات.

وقال الأستاذ: الإشارة فيه أن كل قوم اشتغلوا عنا بشيء حال بينهم وبيننا فكونوا أنتم أيها المؤمنون لنا وبنا وأنشد بعضهم:

إذا اشتغل اللاهون عنك بشغلهم جعلت اشتغالي فيك منتهى شغلي(1)

﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾ [الآية: 148] أي: في أي موضع تكونوا من موافق ومخالف ولو مفترق الأجزاء ويجمعكم الله إلى المحشر للجزاء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الآية: 148] فيقدر على الإماتة والإحياء.

وفي «**العرائس**»: أن أرواح خواص المعرفة وأرواح السائرة في الميادين الأزلية يأتي بهن الله جميعاً بعد محو الإرادات واضمحلال/ الرسومات في 49/ب سرادق البقاء ويسقي كل روح من الأرواح بكأس الصفاء شراب الوصال ويكشف لها جمال الجمال حتى تكونوا هنالك جميعاً في عميم العطاء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ قادر على أن يشق أرواح السابقين والمعتقدين روائح عنبر الأنانية ونسيم فرد الوحدانية في مقام الاستقامة.

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾ [الآية: 149] أي ومن أي مكان خرجت للسفر إفعل ما أمرت به في الحضر ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [الآية: 149] لأن هذه الأمة المكرّمة مختصة بهذه القبلة المعظمة من بين الأمم المتأخرة ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ [الآية: 149] أي هذا الأمر ﴿لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 149] وفي قراءة البصري بالغيبة.

وقال الأستاذ: كما تستقبلون أينما كنتم القبلة قربتم منها أم بعدتم فكذلك أقبلوا علينا بقلوبكم كيف ما كنتم حظيتم بنا أو منيتم.

---

(1) نسب إلى مسلم بن يسار. انظر: المدهش (1/ 455)، والتبصرة لابن الجوزي (1/ 377).

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [الآية: 150] إعادة هذه الجملة الشريفة لحكمة خفية لطيفة وهوأنه ذكر لتغيير القبلة ثلاث علل مفهومة من قوله ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ إلى قوله ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الآية: 53] الأولى إكرامه تعالى نبيه عليه السلام إذ ولاه قبلة أبيه إبراهيم وابتغاؤه مرضاته وهو قوله ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الآية: 144] الآية الثانية إخباره أن لكل صاحب دعوة قبلة وهوقوله ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ﴾ [الآية: 148] الثالثة قطع حجج معانديه وهو قوله ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ [الآية: 150] فقرن بذكر كل علة معلولها الذي هوالغرض والمرام وذلك قوله ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [الآية: 150] ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ [الآية: 150] علة قوله ﴿فَوَلُّوا۟﴾ [الآية: 150] والمعنى أن التولية عن الصخرة إلى الكعبة احتجاج اليهود من الجهلة بأن المنعوت في التوراة قبلة الكعبة وأن محمداً ﷺ يجحد ملتنا ويتبع قبلتنا واختصاص المشركين بأن من العجب أن محمداً يدعي ملّة إبراهيم ويخالف قبلته وقبلة ابنه إسماعيل أبي العرب ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾ [الآية: 150] استثناء من الناس أي لئلا يكون لأحد من الناس حجة إلا للمعاندين منهم فإنهم يقولون ما تحول إلى الكعبة إلا ميلاً إلى دين قومه وحباً
50/أ لبلده ولو كان على الحق للزم قبله الأنبياء من قبله/ والمراد بالحجة التمسك حقاً كان أو باطلاً في الخصومة أو الحجة بمعنى الاحتجاج في القضية أو الاستثناء للمبالغة في نفي الحجة بالكلية كقوله:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم للعلم بأن الظالم لا حجة له على العالم.

وقال الأستاذ: إذا أردت أن لا يكون لأحد عليك سبيل ولما يقع عليك لمخلوق ظل ولا يصل إليك بالسوء يد فحيث ما كنت وأين ما كنت وكن ما كنت كن لنا وبنا فإن من انقطع إلينا لم يتطرق إليه حدثان بمنعه عنا ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ [الآية: 150] فإن مطاعنهم لا تضر إلا أنفسهم ﴿وَٱخْشَوْنِى﴾ [الآية: 150] فلا تخالفوا أمري.

وأفاد الأستاذ: أنهم إذا كانوا محوا عن كونهم رسوماً يجري عليهم

أحكامنا فإني بالحيثية عنهم ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي﴾ [الآية: 150] عطف على ﴿لِئَلَّا يَكُونَ﴾ [الآية: 150] أو التقدير وأمرتكم لأكمل نعمة هدايتي إليكم بتكميل شريعتي ﴿عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الآية: 150] أي ولكي تهتدوا إلى الاستقامة في طاعتي والاستدامة على عبادتي.

وأفاد الأستاذ: أن إتمام النعمة إضافة الكشف إلى اللطف فإن من كفاه بمقتضى جوده دون من أغناه بحق وجوده وفي معناه أنشد:

نحن في أكمل السرور ولكن ليس إلا بكم يتم السرور
عيبٌ ما نحن فيه يا أهل ودي أنكم غيب ونحن حضور[1]

انتهى وفي الحديث تمام النعمة دخول[2] الجنة وعن علي كرّم الله وجهه تمام النعمة الموت على الإسلام[3] وفيه أن الموت على الإسلام هو ابتداء النعمة في الحقيقة وانتهاؤها دخول الجنة وحصول الرؤية.

ولعل نظر المرتضى إلى تمام النعم الدنيوية والنسبة السببية ونظر المصطفى إلى تمام المنح الأخروية والنتيجة الأبدية ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ﴾ [الآية: 148] يتجه وجهه فالمثال متعدد والمآل متحد:

عباراتنا شتى وحسنك واحد فكل إلى ذاك الجمال يشير

فدخول الجنة بمنزلة المدينة العلمية والموت على الإسلام في مرتبة بابها الذي هو من جملة أسبابها العملية.

﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا﴾ [الآية: 151] الدالة على وجود ذاتنا وجود صفاتنا وشهود أفعالنا ومصنوعاتنا ﴿وَيُزَكِّيكُمْ﴾ [الآية: 151] أي يحملكم على ما تصيرون به أزكياء في علمكم وحلمكم ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ

---

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 145) و(4/ 200) و(7/ 423).
(2) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (20/ 56) رقم (98)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/ 541) رقم (3527)، وابن أبي شيبة في المصنف (6/ 46) رقم (29356)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (17/ 151) رقم (5381).
(3) تفسير البغوي (1/ 166)، تفسير الرازي (2/ 437).

50/ب ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الآية: 151] أي مبناه ومعناه ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [الآية: 151] أي السُّنَّة/ والموعظة واتقان المعرفة وأحكام العبودة ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 151] أي: بالفكر والنظر إذ لا طريق إلى معرفته سوى الوحي والخبر وكرر الفعل ليدل على أنه جنس آخر والتشبيه يتعلق بما بعده أي: كما ذكرتكم بإرسال نبي الرحمة وشفيع الأمة وكاشف الغمة.

﴿فَٱذْكُرُونِىٓ﴾ [الآية: 152] بالطاعة والعبادة ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ [الآية: 152] بالمثوبة والرحمة ﴿وَٱشْكُرُوا۟ لِى﴾ [الآية: 152] لأزيدكم النعمة ﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [الآية: 152] بالمعصية والغفلة.

قال الواسطي: حقيقة الذكر الإعراض عن الذكر ونسيانه والقيام بالمذكور وشأنه وقيل لك نسبة مع الحق يتحمل بها الوارد وهو ذكره إياك ولولا ذكره إياك ما ذكرته وقيل أتم الذكر أن تشهد المذكور لك بدوام ذكرك له وقيل حقيقة الذكر أن ينسى الذاكر كل شيء سواء مذكوره لاستغراقه فيه فيكون أوقاته كلها ذكراً وقيل ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ﴾ [الآية: 152] بالمحبة ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ [الآية: 152] بالرحمة وقيل: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ﴾ [الآية: 152] في أفراحكم ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ [الآية: 152] في همومكم.

وفي «**العرائس**» ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ﴾ [الآية: 152] بلسان الأسرار ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ [الآية: 152] بكشف الأنوار ﴿وَٱشْكُرُوا۟ لِى﴾ [الآية: 152] بمحض العبودية ﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [الآية: 152] بعد إدراك المعرفة وأيضاً ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ﴾ [الآية: 152] بالأعراض عن الكون بتبعيد الأشباح ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ [الآية: 152] بارتفاع البور بتقريب الأرواح.

وأفاد الأستاذ: أن إرسال الرسول مفاتحه لأبواب الوصول وكان في سابق علمه سبحانه أن قلوب أوليائه متعطشة إلى لقائه ولا سبيل لأحد إليه إلا بواسطة دلالة الرسل عليه فأقوام ألزمهم بإرسال الرسل إليهم لِلكلف وآخرون أكرمهم بإرسال الرسول بفنون القرب والزلف فشتان بين قوم وبين قوم والذكر استغراق الذاكر في شهود المذكور ثم استهلاكه في وجود المذكور حتى لا

يبقى منك إلا أثر يذكر فيقال وقد كان مرة فلان ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ أي كونوا مستهلكين بذكركم في وجودنا بعد فنائكم عنا قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ [الذاريات: 16] كانوا وقتاً ولكنهم بانوا دائماً الناس حديث حسن حسناً لمن وعى وطريقة أهل العبادة ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بالموافقات ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بالكرامات/ 51/أ وطريقه أهل الإشارة ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بترك كل حظ منكم ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بأن أقيمكم بحقي بعد فنائكم عنكم ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ مكتفياً بي عن عطائي وإفضالي ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ راضياً بكم دون أفعالكم ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بذكري لكم ما تذكرون ولولا سابق ذكري لما كان لاحق ذكركم ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بقطع العلائق ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بنعت الحقائق ﴿وَاشْكُرُوا لِي﴾ على عظيم المنّة عليكم فإن قلت لكم ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ ويقال الشكر من قبيل الذكر وقوله ﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ النهي عن الكفران أمر بالشكر والشكر ذكر فكرر عليك الأمر بالذكر والثلاث أوّل حدّ الكثرة والأمر بالذكر الكثير أمر بالمحبة لأن في الخبر من أحب شيئاً أحب ذكره[1] فهذا في الحقيقة أمر بالمحبة ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ أحبوني أحبكم ويقال: ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بالتذلل ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بالتفضيل ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بالانكسار اذكركم بالمبار ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ باللسان ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بالجنان ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بقلوبكم ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بتحقيق مطلوبكم ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ على الباب من حيث الخدمة ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بالإيجاب على بساط القربة بإكمال النعمة ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بتصفية السر ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بتوفية البر ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بالجهد والعدّ ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بالجود والعطاء ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ في حال سروركم ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ وأنتم في قبوركم ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ وأنتم بوصف السلامة ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ يوم القيامة يوم لا ينفع الندامة ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بالرهبة ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بالرغبة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا﴾ [الآية: 153] أي: حال الأمور الدنيوية والدينية ﴿بِالصَّبْرِ﴾ [الآية: 153] عن المعاصي والمناهي وحظوظ النفس والملاهي ﴿وَالصَّلَاةِ﴾ [الآية: 153] أي: هي أم العبادات وأس الصّلات ومعراج المؤمنين ومدارج الموقنين ومناجاة رب العالمين ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الآية: 153] أي:

---

(1) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (1/ 388) رقم (501)، وانظر: المقاصد الحسنة (1/ 619) رقم (1050)، وكشف الخفا (2/ 222) رقم (2352).

الذين هم أعم من المصلين بالنصرة والمعونة وإجابة الدعوة.

﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ بَلْ أَحْيَآءٌ﴾ [الآية: 154] أي: هم أحياء عند ربهم يرزقون ﴿وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [الآية: 154] ما هم فيه من الكرامة ونعيم الجنة ففي الحديث أرواح الشهداء في أجواف طير خضر تسرح في الجنة وتأوي إلى قناديل تحت العرش معلقة[1] قيل لأنهم مقتولين في حقه ومن كان مقتولاً فيه كان حياً به.

51/ب وفي «العرائس» أي لا تقولوا ولا/ تظنوا ﴿لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ﴾ [الآية: 154] العشق بسيف الشوق ﴿أَمْوَٰتٌۢ بَلْ أَحْيَآءٌ﴾ [الآية: 154] بعد فنائهم عن حياة الإنسانية بحياة الربانية ولكن لا تشعرون لأنم محبوسون بين الوجود والعدم وهم مخلدون في بقاء القدم ومن ذبح نفسه من أربعة مواضع في أربعة مواضع بأن قطع رأس حرصها من الدنيا في مذبح التفريد وقطع رأس ألمها من إرادة حياتها ووجودها في مصرع التجريد وقطع رأس رياساتها من الخلق في منحر التوحيد وقطع رأس ميلها إلى الآخرة في مقتل التحقيق ألبس الله تعالى روحه أربع لباس في أربع مقام ألبسها لباس سناء المعرفة في مقام المكاشفة وألبسها لباس صفاء المحنة في مقام المشاهدة وألبسها لباس ضياء الوصلة في مقام القربة وألبسها لباس الأنوار الأنانية بنعت البسط والسلطنة في مقام المخاطبة وإذا كان بهذه الصفة فقد فاز من سكرات الممات وصار حياً ببقاء الصفات.

وقال الأستاذ: فاتهم الحياة في الدنيا ولكن وصلوا إلى الحياة الأبدية في العقبى فهم في الحقيقة أحياء يجدون من الله فنون الكرامات ويقال هم أحياء لأن الخلف عنهم الله ومن كان الخلف عنه الله لا يكون ميتاً قال قائلهم في مخلوق:

فإن يك غياب مضى لسبيله ... فهل مات من يبقى له مثل خالد

ويقال هم أحياء بذكر الله لهم فالذي هو مذكور الحق بالجميل بذكره السرمدي فلي بميت ويقال أن أشباحهم متفرقة ولكن أرواحهم بالحق سبحانه

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (9/ 183) رقم (8905).

متخففة ولئن فنيت بالله أشباحهم فلقد بقيت بالله أرواحهم ومن كان فناؤه لله كان بقاؤه بالله.

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم﴾ [الآية: 155] أي: ولنعاملنكم معاملة المبتلى معكم هل تصبرون على البلاء وتستسلمون للقضاء ﴿بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾ [الآية: 155] أي: بقليل من ذلك النوع وإنما قللهم بالإضافة إلى ما وقاهم عنه ليخفف عنهم وليريهم أن رحمته لا تفارقهم أو بالنسبة إلى ما يصيب معانديهم في الآخرة وإنما أخبرهم به قبل وقوعه ليوطنوا عليه نفوسهم والخوف خوف العدو والجوع والقحط ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ﴾ [الآية: 155] أي خسران ونقصان في المال والحلال ﴿وَالْأَنفُسِ﴾ [الآية: 155] بالموت والقتل والمرض والكبر والثقل والكسل ﴿وَالثَّمَرَاتِ﴾/ [الآية: 52/أ
155] أي: بالآفات وعن الشافعي الخوف خوف الله والجوع صوم رمضان والنقص من المال الزكاة والصدقات ومن الأنفس الأمراض ومن الثمرات موت الأولاد.

وقال الأستاذ: ابتلاهم بالنعمة ليظهر شكرهم وابتلاهم بالمحنة ليظهر صبرهم فلما أدخل المعلوم من حالهم في الوجود ورسمهم بالرقم الذي قسمه وأثبتهم على الوصف الذي علمه ففي الخوف تصفية لصدورهم وبالجوع تنقية لأبدانهم وبنقص من المال يزكوا نعمهم وبمصائب النفوس يعظم عند الله أجرهم وبآفة الثمرات يتضاعف من الله خلفهم ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [الآية: 155] يعني الذين لا اعتراض لهم على تقدير الله فيما أمضاه ويقال طالبهم بالخوف عن عقوبته ثم بمقاساة الجوع ابتغاء قربته وكرامته ونقص من الأموال بتصديق الأموال والخروج عنها طلباً للخير عنه بحصول معرفته والأنفس تسليماً لها إلى عبادته والثمرات القول بترك ما يأملونه من الزوائد في نعمته ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [الآية: 155] على استحسان قضيته وهم أهل تسليم وانقياد لجريان قدرته ومطالبات الغيب إما أن يكون بالمال أو بالنفس أو بالقلب أو بالأقارب فمن صرف في سبيله المال فله النجاة ومن بذل لحكمه النفس فله الدرجات ومن صبر عن مصائب الأقارب فله الخلف والقربات ومن لم يدخر عنه الروح فله دوام المواصلات.

﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ﴾ [الآية: 156] أي: أي مصيبة تصيبهم من الأمور المكروهة للنفوس الإنسانية ففي الحديث كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة[1] ﴿قَالُوٓاْ﴾ [الآية: 156] أي: بلسان القال أو ببيان الحال أو بالجمع بينها كما هو شأن أهل الكمال ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ [الآية: 156] أي: كلنا عبده ومالنا ملكه ﴿وَإِنَّآ إِلَيۡهِ﴾ [الآية: 156] أي إلى حكمه في مآلنا ومنالنا ﴿رَٰجِعُونَ﴾ [الآية: 156] وعلى أحوالنا مجزيون والمبشر به محذوف أي: إلى أنه ليس من جنس موصوف بل من قبيل ما لا عين رأت ولا أذن سمعت أو اكتفاءً بقوله.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ﴾ [الآية: 157] أي أنواع من الصلاة وهي الثناء والمغفرة والرضا ﴿مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ﴾ [الآية: 157] أي: خاصة/ بمزيد اللطف 52/ب
والعناية ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ [الآية: 157] إلى المراتب العلية والمناقب الجلية.

في «تفسير السلمي» هذا إشارة تدعو إلى الرضا بالقسمة والصبر على المحنة فإن تحت كل محنة نعمة ومنحة.

وقال الأستاذ: قابلوا الأمر بالصبر لا بل بالشكر لا بل بالفرح والفخر ومن طالع الأشياء ملكاً للحق رأى نفسه أجنبياً بينه وبين حكمه ومنشىء الخلق أولى بالخلق من الخلق ويقال من شاهد المصائب شهد نفسه لله وإلى الله ومن شاهد البلى وعلم أن ما يكون من الله فهو عبد بالله وشتان بين من كان بالله وبين من كان لله الذي كان لله فصابر واقف والذي هو بالله فساقط الاختيار والحكم فإن أثبته ثبت وإن محاه انمحى وإن حركه تحرك وإن سكنه سكن فهو عن اختياراته فانٍ وفى القبضة مصرف وقوله ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ﴾ [الآية: 157] بصلاته عليهم ابتدؤوا ووصلوا إلى صبرهم ووقوفهم عند مطالبات التقدير لا ببصرهم ووقوفهم وصلوا إلى صلاته فلولا رحمته الأزلية لما حصلت طاعتهم بشرط العبودية فعنايته سابقة أوجبت لهم هداية خالصة ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ [الآية: 157] لما رحمهم في البداية اهتدوا في النهاية.

(1) تخريج الأحاديث والآثار (1/ 96) رقم (79).

﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ﴾ [الآية: 158] أي من أعلام مناسكه ومواقف ناسكه جمع شعيرة وهي العلامة وفيه إشعار بالتزام الشعور في المشاعر واكتساب الحضور في مقام الأكابر فمن صعد الصفا ولم يتصف سره بالوفا لم يتبين عليه شيء من شعائر الضياء ومن صعد المروة ولم يتصف بالمروّة ولم يتجلّى في قلبه مرآة الحضرة ولم يبعد عن مرتبة الغفلة لم يظهر عليه الزمن أثر من شعائر الزيادة ولم يترق من حضيض البشرية وإلى علو الهمة العلية الصوفية الصفية وقيل أن الصفا موقف التصفية من الكدورات الدنية والسعي إلى المروة هرب إلى الله والانقطاع إليه بالكلية فإذا تم سعيك بالهرب إلى الله فلا تبطله بالنظر إلى ما سواه.

وأفاد الأستاذ: أن تلك المشاهد والرسوم وتلك الأطلال والرقوم تعظم وتزار وتشد إليها/ الرحال لا أنها أطلال الأحباب وهنالك تلوح الأسرار. 53/ أ

أهوى هواها لمن قد كان ساكنها ... وليس في الدار لي هم ولا وطر[1]

وإن لتراب طريقهم بل لغبار وآثار فريقهم عند الأحباب أقدار عظيمة بل غبرة تقع على حافات طريقهم لأعز من المسك الأذفر[2].

وما ذاك إلا أن مشت بجنابه ... أميمة في سرب وجرّت به برداً

﴿فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ﴾ [الآية: 158] أي قصده على جهة التعظيم ﴿أَوِ ٱعۡتَمَرَ﴾ [الآية: 158] أي زاره على طريقة تكميل التكريم ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ﴾ [الآية: 158] أي: لا حرج لديه ﴿أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ﴾ [الآية: 158] بأن يسعى بينهما ويسرع في محلهما سبعاً ليصل بركات سعيه الباهرة وإلى سبعة أربابه الظاهرة وسبعة أطواره الباطنة إلى سبعة أقاليم العالم الفاخرة على ما أفاده الشيخ نجم الدين المعروف بـ(داية) في تفسيره «**بحر الحقائق**».

وقال الأستاذ: حظي الصفا والمروة بجوار البيت فشرع لهما السعي بينهما كما شرع للبيت الطواف وكما أن الطواف ركن في النسك فالسعي أيضاً

(1) ذكره القشيري في تفسيره (2/ 306)، والنيسابوري في تفسيره (1/ 381).

(2) زكي جيد. انظر: كتاب العين (8/ 181).

ركن والجار يكرم لأجل الجار انتهى وهو مبني على مذهب الشافعي ومن تبعه وأما على مذهب أبي حنيفة ومن وافقه أنه واجب وفيه إشعار بأن مرتبته دون مرتبة البيت ونسبته بناء على أصالته وتبعيته فإن الجار يكرم لأجل الجار ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ [الآية: 158] وقرأ حمزة يطوع بتشديدين مع التحتية أي من فعل يطوع رغبته عملاً من نوافل طاعته ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ﴾ [الآية: 158] أي مثيب على عبادته ﴿عَلِيمٌ﴾ [الآية: 158] بحاله ونيته.

وفي «**بحر الحقائق**» شاكر له بأخذ الواحد من الأعمال الفانية ويعطي العشر إلى سبعمائة ضعف إلى ما لا نهاية له من الحسنات الباقية بل يأخذ الوجود المجازي ويعطي الوجود الحقيقي عليم بنيات العباد في تقربهم إليه فيتقرب إليهم بقدر صفائهم في الطاعات ومروتهم في الخيرات كقوله في الحديث الرباني من تقرب إليّ شبراً تقربت إليه باعاً[1] الحديث.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾ [الآية: 159] كأحبار اليهود ﴿مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [الآية: 159] كالآيات الشاهدة على صدق محمد ﷺ ﴿وَٱلْهُدَىٰ﴾ [الآية: 159] أي: وما
53/ب يدل/ على فريضة اتباعه وفضيلة اتباعه ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ﴾ [الآية: 159] أي أظهرناه وفصّلناه ﴿لِلنَّاسِ﴾ [الآية: 159] أي: لبني إسرائيل ﴿فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الآية: 159] أي: التوراة ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 159] أي: يبعدهم عن رحمته ويطردهم عن حضرته ﴿وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ [الآية: 159] أي: الذين يتأتى منهم اللعن عليهم من الملائكة والثقلين والدواب حتى أنفسهم لما ورد في الحديث رب تالٍ للقرآن والقرآن يلعنه[2] لأن الظالم إذا قال ألا لعنة الله على الظالمين فكان القرآن لعنه بل كأنه بنفسه لعن نفسه.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟﴾ [الآية: 160] عن الكتمان وسائر العصيان ﴿وَأَصْلَحُوا۟﴾ [الآية: 160] ما أفسدوا بتدارك الشأن ﴿وَبَيَّنُوا۟﴾ [الآية: 160] أي: ما أمرهم الله

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (7405)، ومسلم في الصحيح (2675/ 2).
(2) تفسير النيسابوري (1/ 15)، وفي إحياء علوم الدين نسب إلى قول مالك بن أنس (2/ 32).

بالبيان ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [الآية: 160] أي: أوفقهم للتوبة وأرجع إليهم بالقبول والمغفرة ﴿وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الآية: 160] المبالغ في قبول التوبة وإفاضة الرحمة.

وفي «بحر الحقائق» يعني الذين تابوا وأصلحوا ما كان توبتهم من تلقاء أنفسهم إنما أنا أتوب عليهم لأني أنا التواب ولي التوبة ﴿وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [النساء: 18] ولولا تهديد هذه الآية لكان أكثر أهل الحق ما خالطوا الخلق وما اشتغلوا بمناصحتهم وما قاموا بتربيتهم.

وتوضيحه ما أفاد الأستاذ: من أن الإشارة في هذه الآية لمن كاشفه الحق سبحانه بعلم من آداب السلوك ثم ضنّ بإظهاره للمريدين على وجه النصيحة والإرشاد استوجب المقت في الوقت ويخشى عليه نزع البركة حتى تؤخر فيه كما يؤخر تعليم المستحق إلا الذين تداركوا ما سلف من تقصيرهم بحسن الرجعة والقيام للمريدين بحق النصيحة وبينوا لهم بجميل البيان وإقامة البرهان على ما يقولون بحسن قيامهم بمعاملاتهم فإن أظهر الحجج لبيان أفعالك وأصدق الشهادة لتصحيح ما تدعو به الخلق إلى الله أن لا تخالف بمعاملتك ما تشير إليه بمعاملتك قال تعالى حكاية منه ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ﴾ [الآية: 161] أي: المؤمنين أو يعمهم والكافرين ﴿أَجۡمَعِينَ﴾ [الآية: 161] أي: استقر عليهم لعنة الإله ومن يعتد/ بلعنه من خلق الله أو يعمهم اللعنة حتى من 54/أ
جنسهم وأنفسهم وقيل الأول لعنهم أحياء وهذا لعنهم أمواتاً.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ﴾ [الآية: 162] أي: في اللعنة الموجبة للعقوبة المقتضية للطردة عن الحضرة ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ﴾ [الآية: 162] بل يثقل عليهم الحجاب ﴿وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ﴾ [الآية: 162] لا ينظر إليهم نظر الرحمة أو لا يمهلون للرجعة أو لا ينتظرون للمعذرة.

وقال الأستاذ: الإشارة فيه أن الذين بدا لهم بعدما سلكوا طريق الإرادة

ثم رجعوا إلى أحوال أهل العادة في تلك الوحشة قبضوا على تلك الحالة من الدنيا خرجوا، أولئك أصحاب الفرقة فلا على أرواحهم إقبال ولا لمصيبتهم جبران ولا لأحد عليهم ترحم خسروا في الدنيا والآخرة فالبق في الهواء والنقع على الماء يلعنهم ﴿خَٰلِدِينَ﴾ [الآية: 162] مقيمين أبداً في هوانهم وصغرهم لا تخفيف ولا إسعاف ولا رفق ولا إلطاف.

﴿وَإِلَٰهُكُمۡ﴾ [الآية: 163] خطاب عام أي المستحق منكم العبادة على نعت الألوهية ﴿إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ﴾ [الآية: 163] لا شريك له أن يسمى إلهاً معبوداً ولا نظير له أن يجعل مشهوداً ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الآية: 163] تقرير للوحدانية واستحقاق العبودية ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الآية: 163] أي مولى النعم كلها أصولها وفروعها وما سواه إما نعمة أو منعم عليه فلم يستحق العبادة غيره لأن مرجع الكل إليه.

قال الأستاذ: شرفهم غاية التشريف بقوله وإلهكم وإن شيوخ هذه الطائفة قالوا علامة من يعده من خواص الخواص أن يقول له عبدي وهذا أتم من ذلك بكثير فإن قوله: وإلهكم إضافته حقه إليك وأنه أتم من إضافته إياك إلى نفسه لأن إلهيته لك بلا علة وكونك له عبداً يعوض كل نقص وآفة ومتى قال لكم ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ﴾ [الآية: 163] حين ما كانت طاعاتك وحركاتك وسكناتك أو ذاتك وصفاتك لا بل قبل ذلك أزل الآزال حين لا حين ولا أوان ولا رسم ولا حدثان فالواحد من لا مثل له يدانيه ولا سالك يلاقيه ولا قسيم يجانسه ولا نديم يؤانسه ولا معين يساعده ولا منازع يعانده أحدي الحق صمدي العين ديمومي البقاء أبدي العز أزلي الذات واحد من عز سنائه فرد في جلال بهائه وتر في جبروت
54/ب كبريائه قديم في سلطان عزه مجيد/ في جمال ملكوته وكل من أطنب في وصفه أصبح منسوباً إلى العي في نطقه ولولا أنه الرحمن الرحيم لتلاشى العبد إذا تعرض لعرفانه عند أول ساطع من باديات عز شأنه.

﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الآية: 164] أي: في إيجادهما وخلقتهما وعظمتهما وكثرة أجزائهما وإبداع المخلوقات فيهما وقدم السموات لاعتلائها مبنى ومعنى وجمعت لأنها طبقات في جنسها مختلفات ﴿وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾

[الآية: 164] أي في تعاقبهما سيراً وتعارضهما طولاً وقصراً وظلمة ونوراً وبرداً وحراً وستراً وظهوراً ﴿وَٱلْفُلْكِ﴾ [الآية: 164] أي: وفي السفن ﴿ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ [الآية: 164] أي ينفعهم في أمور الدنيا والآخرة أو بالذي ينفعهم من التجارة غيرها للسيارة والنظارة ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 164] أي وفي إنزاله ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الآية: 164] أي من جهتها والمراد بها الفلك أو السحاب أو جهة العلو وهواها قيدها فمن ابتدائية وفي قوله ﴿مِن مَّآءٍ﴾ [الآية: 164] بيانية ولو تبعيضية ومحلها النصب على المفعولية ﴿فَأَحْيَا بِهِ﴾ [الآية: 164] أي بسبب الماء النازل من السماء ﴿ٱلْأَرْضَ﴾ [الآية: 164] بإنبات نباتها ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الآية: 164] أي: ينبتها وجذورتها ﴿وَبَثَّ فِيهَا﴾ [الآية: 164] أي: وفيها نشر في الأرض ﴿مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ [الآية: 164] أي: مما تدب على الأرض من هامة ﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ [الآية: 164] أي: وفي تصريفها وتغييرها في مهابها جنوباً وشمالاً وقبولاً ودبوراً وفي أحوالها عقيماً ولواقح وباردة وحارة ولينة وعاصفة وفي قراءة حمزة والكسائي بالإفراد على أن الجنس هو المراد ﴿وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية: 164] أي: وفي السحاب المذلل بينهما لتفريق المطر على وفق القدر ﴿لَأَيَٰتٍ﴾ [الآية: 164] أي دلالات على وحدة ذاته وعلامات على قدرته وبقية صفاته ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الآية: 164] أي: ينظرون إليها ويتفكرون فيها وعنه عليه السلام ويل لمن قرأ هذه الآية فمج بها أي: لم يتأمل في معناها واكتفى بمبناها.

وأفاد الأستاذ: أنه تعالى تعرف إلى قلوب الطالبين من أصحاب الاستدلال وأرباب العقول والأحوال بدلالات قدرته وإمارات وجوده وسمات ربوبيته التي هي أقسام أفعاله ونبههم على وجوه الحكمة/ودلالات الوحدانية 55/أ بما أثبت فيها من براهين تلطف عن العبارة ووجوه من الدلالة تدق عن الإشارة فما من عين من العدم محصولة من شخص أو طلل أو رسم أو أثر أو سماء أو فضاء أو هواء وماء أو شمس أوقمر أو قطر أو مطر أو رمل أو حجر أو نجم أو بحر إلا وهو على الوحدانية دليل ولن يقصد وجوده سبيل.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا﴾ [الآية: 165] أي: أصناماً

وأضداداً تشغلهم عن مولاه ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 165] يعظمونهم ويطيعونهم كما يحب المؤمنون ربهم ويعظمون أمر عبادته ويميلون إلى طاعته ومحبة العبد لربه إرادة طاعته والاعتناء بتحصيل مرضاته ومحبة الله للعبد إرادة إكرامه وإقامته في عبادته وصونه عن مخالفته والمعنى أن الكفار يستوون بين الله وبين بعض مخلوقاته في المحبة ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [الآية: 165] لأن محبتهم ذاتية لا تنقطع بالأمور العارضية بخلاف محبة الأنداد فإنها لعلل موهومة فاسدة وأغراض مفروضة كاسدة تزول بأدنى سبب ومحنة، ولذا كانوا يعدلون عن آلهتهم إلى الله تعالى عند شدة حالتهم ويعبدون الصنم زماناً ثم يرفضونه إلى غيره عياناً.

وأفاد الأستاذ: أن هؤلاء أقوام لم يجعلهم الحق سبحانه أهلاً لمحبته فشغلهم بمحبة الأغيار عن حضرته حتى رضوا لأنفسهم أن يحبوا كل ما هويته أنفسهم فرضوا بمعمول لهم أن يعبدوه ومنحوت من دونه أن يحبوه وليس المقصود من هذا ذكر محبة الأغيار للأصنام وسائر الآثار ولكن المراد منه مدح محبة المؤمنين على محبتهم ولا يحتاج إلى كثير محبة حتى يزيد على محبة الكفار للأصنام ولكن من أحب حبيباً استكثر ذكره بل استحسن كل شيء من أمره ويقال وجه رجحان محبة المؤمنين على محبتهم للأصنام أن تلك محبة الجنس للجنس وقد يميل الجنس إلى الجنس ومحبتهم للحق سبحانه وتعالى محبة من ليس بجنس لهم فذلك أعز وأحق ويقال أنهم أحبوا
55/ب ما شاهدوه وليس بعجيب محبة ما هو لك مشهود/ وأما المؤمنون فإنهم أحبوا من حال بينهم وبين شهودهم رداء الكبرياء على وجهه ويقال ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: 165] لأنهم لا يتبرؤون من الله سبحانه وإن عذبهم والكفار تبرؤوا من الصنم وكذا الصنم من الكافر.

قال تعالى ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾ [البقرة: 166] أو يقال محبة المؤمنين حاصلة عن محبة الله لهم فهي أتم قال الله ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: 54] ~~ومحبتهم للأصنام من قضايا هواهم ويقال محبة المؤمنين~~ أتم وأشد لأنها على موافقة الأمر والشرع ومحبة الكفار على موافقة الهوى والطبع ويقال

أنهم إذا صلحت أحوالهم واتسعت ذات يدهم وكثرت أموالهم اتخذوا أصناماً أحسن من الذي كانوا يعبدونه قبل ذلك في حال فقرهم فكانوا يتخذون من الفضة عند غناهم أصناماً ويهجرون ما كان من الحديد وعلى هذا القياس وأما المؤمنون فأشد حباً لله لأنهم عبدوا إلهاً واحداً في السرّاء والضرّاء ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ [الآية: 165] أي: لو يعلم هؤلاء الذين ظلموا على أنفسهم باتخاذ الأنداد وسائر المعاصي والفساد ﴿إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ﴾ [الآية: 165] حين يشاهدونه يوم الحساب ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [الآية: 165] سد مسد مفعولي يرى والمعنى لو يعلمون أن القدرة لله جميعاً ولا قدرة لغيره سبحانه أصلاً إذا عاينوا الألم لندموا أشد الندم وفي قراءة نافع والشامي ﴿وَلَوْ يَرَى﴾ بالخطاب العام أي ولو ترى ذلك لرأيت أمراً عظيماً فـ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ مفعوله من رؤية البصر و﴿إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ﴾ بدل من الذين ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ﴾ بدل اشتمال من العذاب وفي قراءة الشامي يرون بصيغة المفعول من الأداة ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ﴾ [الآية: 166] أي المتبوعون ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾ [الآية: 166] وهم التابعون ﴿وَرَأَوُاْ﴾ [الآية: 166] أي شاهد الفريقان العذاب ﴿ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ﴾ [الآية: 166] أي بسبب كفرهم أو فيما بينهم ﴿ٱلْأَسْبَابُ﴾ [الآية: 166] أي أسباب المحبة ووصل الوصل والمودة بل انقلبت محبتهم عداوة.

وقال الأستاذ: إذا بدا لهم أوائل العذاب اتضح أنهم لم يقفوا من الصدق على قدم الصواب وأما المؤمنون فيسلبهم أرواحهم وأملاكهم
وأزواجهم وأولادهم ويسكنهم سنين في القبور ثم/ يبليهم يوم القيامة عند 56/أ
النشور بطول الأهوال وسوء الأعمال ثم يلقيهم في النار ويأتي عليهم طول الأيام والأعمار فلا يزدادون له إلا محبة على محبة فكذلك قال ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [الآية: 165].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ [الآية: 167] أي: ليت لنا رجعة إلى الدنيا ﴿فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ﴾ [الآية: 167] أي: من المتبوعين حينئذٍ ﴿كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا﴾ [الآية: 167] في العقبى ﴿كَذَٰلِكَ﴾ [الآية: 167] أي: مثل الإراءة القطيعة لهم ﴿يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [الآية: 167] سيّئاتهم التي صنعوها أو حسناتهم التي ضيعوها ﴿حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية: 167] أي: ندامات لديهم وويلات إليهم ﴿وَمَا هُم

بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [الآية: 167] بل هم مستقرون في دار البوار.

وقال الأستاذ: عند ذلك يعرفون مرارة طعم صحبة المخلوقات ولكن لا يحصلون إلا على الحسرات.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ [الآية: 168] أي: محللاً أو أكلاً حلالاً طيباً أي: طاهراً من الشبهة أو مستطيباً ليس فيه نوع من المضرة ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ﴾ [الآية: 168] أي طرق تزيينه وسبل تحسينه والمعنى لا تعتدوا به في اتباع الهوى من تحريم رفيع الأطعمة وتحليل الأشياء المحرمة ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الآية: 168] أي: ظاهر العداوة عند أهل اليقين وإن أظهر الموالاة للمريدين.

وأفاد الأستاذ: أن الحرام وأن استلذ به في الحال فهو وبيء في المآل والحلال وإن استكره في الحال فهو مريء في المآل والحلال الصافي ما لم ينس مكتسبه الحق في اكتسابه ويقال الحلال ما حصله الجامع له والمكتسب على شهود الحق في حاله وكل ما يحملك على نسيان الحق أو عصيان الرحمن فهو من خطوات الشيطان وقد قرأ قنبل وشامي وحفص والكسائي بضم الطاء وهما لغتان.

﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ﴾ [الآية: 169] أي: بما يسوءكم في العاقبة ﴿وَٱلْفَحْشَآءِ﴾ [الآية: 169] أي: القبائح الفاحشة ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 169] مما تحرمون وتحللون وسائر مما تعملون.

وقال الأستاذ: والسوء الركون إلى الدنيا والفحشاء متابعة الهوى وإن الشيطان أبداً يدعوك إليهما ويحثك عليهما ولاجترائه على الله يدعوك إلى افترائك على الله.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ [الآية: 170] أي: لأتباع الشيطان وهواه ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 170] ابتغاء لرضاه/ ﴿قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآۗ﴾ [الآية: 170] أي: 56/ب
الذي وجدنا عليه كبراءنا ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا﴾ [الآية: 170] من الأدلة العقلية ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [الآية: 170] إلى الدلائل النقلية والمعنى أيتبعون

من لا يتفكرون في أمر الدين ولا يقتدون بأهل اليقين.

وقال الأستاذ: وما ارتفع أبصارهم عن أشكالهم وأصنافهم من أضرابهم وأسلافهم ولو علموا أن أسلافهم لا عقل يردعهم ولا رشد يجمعهم لنابذوهم مناصبين وعاندوهم مخالفين ولكن سلبوا أنوار البصيرة وحرموا دلائل اليقين ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الآية: 171] أي: فيما هم فيه من الجهالة والضلالة ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً﴾ [الآية: 171] أي: كمثل الدواب السارحة التي لا تفقه ما يقول لهم الراعية الداعية بالجملة الندائية ومثل داعي أرباب الضلالات كمثل راعي الحيواناته الذي يصيح بهن وينصح لهن بما لا تسمعن إلا مجرد صوت لعدم فهمهن وإدراكهن.

قال الأستاذ: عدموا سهم الفهم والقبول فلم ينفعهم سمع الظاهر ونزلوا منزلة البهائم في الخلق عن التحصيل ومن ضارع البهيمة ليس له كبير قيمة ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ﴾ [الآية: 171] أي: هم مثلهم في عدم نفعهم بمشاعرهم وحواسهم ووضعها في غير المواضع المطلوبة منهم ﴿فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الآية: 171] أي: بقلوبهم ما يراد بهم من خلقهم بخلاف أضدادهم من العلماء الأولياء حيث لا يسمعون الباطل ولا يتكلمون بما ليس تحته طائل ولا ينظرون إلى شيء نظر الغافل بل لا يسمعون إلا من الحق ولا ينطقون إلا بالحق ولا يرون إلا الحق فإنهم جامعون بين الطريقة والشريعة والحقيقة فهم لا يعقلون شيئاً من أمور الدنيا لأنهم والهون في محبة المولى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ﴾ [الآية: 172] أي حلالاته ومباحاته ﴿وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ﴾ [الآية: 172] في القيام بطاعاته وعباداته ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [الآية: 172] وعن غير منعمكم معرضون وفيه تنبيه نبيّه على أن الحسنات من الأعمال نتيجة أكل الحلال.

وقال السلمي: طيبات الرزق هي التناول في أوقات الاضطرار مقدار استبقاء المهجة لأداء الفرائض وهو أفضل حلال إذ لا تبعة على أكله بحال.

57/أ وأفاد الأستاذ أن الحلال ما ليس/ عليه تبعة والطيب الذي ليس لمخلوق فيه منة فإذا وجد العبد ما استجمع فيه الوصفان فهو الحلال الطيب عند أهل

العرفان وحقيقة الشكر عليه أن لا تتنفس في غير رضا الملك العلّام ما دام يبقى فيه القوة لذلك الطعام.

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ [الآية: 173] أي أكلها ﴿وَالدَّمَ﴾ [الآية: 173] أي السائل لقوله تعالى ﴿أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾ [الأنعام، الآية: 145] وفي الحديث أحلت لنا ميتتان السمك والجراد ودمان الطحال والكبد[1] ﴿وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾ [الآية: 173] أي وما ذبح لغير اسمه من صنم ونحوه.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه حرم على الظواهر هذه المعدودات وهو ما أهل لغير الله وحرم على السرائر صحبة غير الله بل شهود غير الله انتهى. وفيه الإشارة أن ما عدا الحي الذي لا يموت في صدد آية يزول ويفوت قال تعالى ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: 30] ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾ [الآية: 173] أي: أُحوجَ وأُلجئَ في حال الضرورة إلى أكل الأشياء المذكورة ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ [الآية: 173] أي: حال كونه غير طالب بالاستئثار على صاحب الاضطرار ﴿وَلَا عَادٍ﴾ [الآية: 173] وغير متجاوز سد الرمق وحد الجوعة ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [الآية: 173] أي في أكل ما اضطر إليه ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ [الآية: 173] أي للمعصية فلا يؤاخذ فيما جعل فيه الرخصة ﴿رَّحِيمٌ﴾ [الآية: 173] أي: بعباده أي: حيث رخص لهم في بعض أحوالهم وإن أوجب عليهم العزيمة في بعض أفعالهم وفي الحديث أن الله يحب أن يؤتى رخصه كما يحب أن يؤتى عزائمه ولذا قال الفقهاء من لم يأكل الميتة حال الضرورة حتى مات مع وجود القدرة مات في المعصية.

وأفاد الأستاذ: وأن من لم يجد إلى الاستهلاك في حقائق الحق وصولاً فلا يسلكن غير سبيل الشرع سبيلاً فإما أن يكون محواً في الله أو يكون قائماً بالله أو عاملاً لله والرابع همج لا خطر له.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [الآية: 174] أي: مما يدل على طريق الحق وسبيل الصواب ﴿وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [الآية: 174] أي عوضاً

(1) أخرجه ابن ماجه في السنن (2/ 1073) رقم (3218)، والبيهقي في السنن الكبرى (1/ 254) رقم (1128)، وأحمد في المسند (2/ 97) رقم (5723).

حقيراً وعرضاً يسيراً ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ﴾ [الآية: 174] أي: في ملئها ﴿إِلَّا ٱلنَّارَ﴾ [الآية: 174] أي: في الحال لتلبسهم بأسبابها وفي المآل لوقوعهم في عذابها ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الآية: 174] أي: كلام الرحمة والكرامة لغضبه عليهم وفي آية أخرى ﴿وَلَا يَنظُرُ/ إِلَيْهِمْ﴾ [آل عمران: 77] أي: نظر رعاية 57/ب
وعناية ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ [الآية: 174] أي: لا يطهرهم من دنس ذنوبهم ولا يهذبهم من وسخ عيوبهم فهم على أحسن أخلاقهم بخلاف عصاة المؤمنين حيث يكون دخولهم النار تصفية لهم وينزع الحقد والغش والحسد وأمثالها من صدورهم ﴿وَلَهُمْ﴾ [الآية: 174] أي: للكفار والفجار ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الآية: 174] وحجاب عظيم[1].

وأفاد الأستاذ: أن العلماء مطالبون بنشر دلائل العلم والأولياء مأمورون بحفظ السرائر والحكم فإن كتم هؤلاء براهين العلوم ألجموا بلجام من النار وإن أظهر هؤلاء شظية من السر عوجلوا ببعاد الأسرار وسلب ما أوتوا من الأنوار ولكل حدّ وقدر وعلى كل حكم وأمر.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ [الآية: 175] أي: استبدلوا الجهالة بالهداية في الدنيا ﴿وَٱلْعَذَابَ﴾ [الآية: 175] أي: عذاب الكتمان للأعراض الدنية والمطامع الدنيوية في العقبى ﴿بِٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [الآية: 175] الحاصلة على بيان الحق واظهار المعرفة ﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ [الآية: 175] تعجب من تقلب حالاتهم وقلة مبالاتهم في الالتباس بموجبات النار المحققة في دار القرار.

وقال الأستاذ: إن الذين آثروا العين على الغيب والخلق على الحق والنفس على الأُنس ما أقسى قلوبهم وما أقبح محبوبهم ومطلوبهم وما أخس قدرهم وما أفضح لذوي البصائر أمرهم.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية: 176] أي: بالصدق والصواب

---

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (11/ 323) رقم (11880)، وابن حبان في الصحيح (2/ 69) رقم (354)، والبيهقي في السنن الكبرى (3/ 140) رقم (5199)، وابن أبي شيبة في المصنف (5/ 317) رقم (26471).

وهم رفضوه بالتكذيب وكتمان الباب.

وقال الأستاذ: أمضى القضاء والحكم فيه بالصدق وأوصلهم إلى ما له أهّلهم وأثبتهم على الوجه الذي جبلهم ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الآية: 176] أي: تخلفوا عن المنهج الصواب بتصحيف مبانيه وتحريف معانيه ﴿لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ [الآية: 176] أي: خلاف بعيد عن وفاق.

﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ﴾ [الآية: 177] بالنصب حفص وحمزة على أنه الخبر فالاسم قوله: ﴿أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ [الآية: 177] والمعنى ليس الطاعة المرضية مجرد توليتكم وجوهكم جهة المشرق والمغرب من قبلتي النصارى واليهود بحسب أفق مكة المشرّفة ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ﴾ [الآية: 177] بالتخفيف والرفع لنافع والشامي أي: ولكن صاحب البر فإنه قرئ ولكن البارّ ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ
58/أ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [الآية: 177] أي: وسائر/ ما يجب الإيمان به على وجه اليقين وقدم يوم الآخر إشارة إلى المبدأ والمنتهى ثم روعي الوجود الخارجي في ترتيب المبنى فإن الملك نزل بالكتاب على النبي المجتبى ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ [الآية: 177] أي: أعطاه وهو يهواه لقوله عليه السلام فضل الصدقة أن تؤتيَها وأنت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر أو على حب الله من غير غرض فيما سواه أو على حبّ الإيتاء حيث يفرح بالإعطاء ﴿ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الآية: 177] وقدمهم لأن إيتاءهم على ما ورد اثنان صدقة وصلة ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ [الآية: 177] أي: المحتاجين ﴿وَٱلْمَسَٰكِينَ﴾ [الآية: 177] وفي معناهم الفقراء ﴿وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الآية: 177] أي: منقطع الحاج أو الغزاة أو المسافر الذي انقطع عنه ما يكفيه في سفره ولو كان له مال في مقره أو الضيف النازل به ﴿وَٱلسَّآئِلِينَ﴾ [الآية: 177] ولو كانوا في صورة الغنيين ﴿وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾ [الآية: 177] أي تخليصها بمعاونة المكاتبين أو فك المأسورين ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الآية: 177] أي: المكتوبة ﴿وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [الآية: 177] أي المفروضة وقد ورده في المال حق سوى الزكاة(1) فيصرف إليه قوله ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ﴾ [الآية: 177] المراد به نوافل

(1) أخرجه ابن ماجه في السنن (1/ 570) رقم (1789)، والبيهقي في السنن الكبرى (4/ 84) رقم (7034).

الصدقات ﴿وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ﴾ [الآية: 177] أي الحق أو الخلق قال بعضم الوفاء بالعهود لزوم الحدود والرضا بالموجود والصبر على المفقود ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ﴾ [الآية: 177] أي: في حال مرارة الحاجة ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾ [الآية: 177] في حدة ضرورة العلة ﴿وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ﴾ [الآية: 177] وقت رياضة المجاهدة قال بعض المجاهدين الأحسن في الصفات الكثيرة مع قطع النظر عن التفنن في بابها لمن يخالف في إعرابها فإن الموضع موضع الإطناب فإنه إذا خولف بالأعراف وأتى بفنون العبارة في الإعراب كان البيان أفصح والتبيان أوضح ﴿وَٱلۡمُوفُونَ﴾ [الآية: 177] مرفوع.

بالمدح أي هم الموفون ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الآية: 177] نصب على المدح أي: أخصهم من بينهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ﴾ [الآية: 177] في اتباع رضا المولى ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾ [الآية: 177] أي المعرضون عن السوى وقد ورد عن رئيس أهل الإيقان من عمل بهذه الآية فقد استكمل الإيمان.

وأفاد الأستاذ: أن الأبشار والظواهر ليس بها كثير اعتبار وإنما الخبر عن الله عزيز وكثرة الأوراد وإن جلت فحرفة/ العجائز وإخلاص الطاعات وإن 58/ ب
عزت فصفة العوام وصلة الليل بالنهار في لطائف كثيرة ومجاهدات عزيزة عظيم الخطر في استحقاق الثواب. ولكن معرفة الحق عزيزة وما ذكر في هذه الآية من فنون الإحسان ووجوه قضايا الإيمان وإيتاء المال وتصفية الأعمال وصلة الرحم والتمسك بفنون الذمم والعصم والوفاء بالعهود ومراعاة الحدود لعظيم الأثر كثير الخطر محبوب الحق شرعاً ومطلوبه أمراً لكن قيام الحق عنك عند فنائك منك وامتحائك من شاهدك واستهلاكك في وجود القديم وتعطيل رسومك عن ساكنات إحساسك أتم وأعلى في المعنى فالتوحيد لا يبقى رسماً ولا أثراً ولا يغادر غيراً أي تغيراً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ﴾ [الآية: 178] أي: فرض ﴿عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ﴾ [الآية: 178] أي: الاقتصاص ﴿فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ﴾ [الآية: 178] أي: في حق المقتولين ﴿ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ﴾ [الآية: 178] على خلاف أهل الجاهلية حيث كان ذو

الطول منهم يقول للعرب من غيرهم لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالأنثى وأمرهم أن يتساووا فلا عبرة بالمفهوم الدال على أن لا يقتل الحر بالعبد والذكر بالأنثى فقد روي عن بعض السلف أنها منسوخة بقوله تعالى ﴿أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ﴾ [المائدة: 45] فالقصاص ثابت بين الحر والعبد والذكر والأنثى مطرداً ومنعكساً ﴿فَمَنۡ عُفِيَ﴾ [الآية: 178] أي: ترك ﴿لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ﴾ [الآية: 178] أي: دم أخيه المقتول ﴿شَيۡءٞ﴾ [الآية: 178] أي: من العفو بأن يعفو بعض الأولياء فإنه يسقط القود وفي ذكر أخيه استعطاف موجب للعفو وقيل المعنى من عفي له عن جنايته من جهة أخيه يعني ولي الدم ﴿فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ [الآية: 178] أي على العافي بأن يطالب الدية بلا شدة وغلظة ﴿وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾ [الآية: 178] أي: وعلى المعفو عنه أن يؤديها بلا مطل ونقصان ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 178] أي: ما ذكر من تخير القود أو العفو والدية ﴿تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ﴾ [الآية: 178] لأن القتل كان محتماً على اليهود والعفو على النصارى ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ﴾ [الآية: 178] أي: تعدى عن الحد بأن قتل القاتل ﴿بَعۡدَ ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 178] أي: بعد العفو وأخذ الدية ﴿فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [الآية: 178] أي: في العقبى وقيل في الدنيا بأن يقتل ولا يأخذ منه الدية.

59/أ وأفاد الأستاذ: أن حق القصاص مشروع والعفو خير موضوع فمن جنح/ إلى استيفاء حقه فسلم من نزل عن اقتضاء حقه فمحسن فالأول صاحب عبادة بل عبودية والثاني صاحب فتوة بل حرية ودم يراق جرى فيه القصاص على لسان أهل العلم وأما على لسان الإشارة لأهل القصة فدماؤهم مطلولة وأرواحهم هدرة قال قائل:

وإن فؤاداً رُعْتَه لك حامد وإن دماً أجريته بك فاخر[1]

وسفك دماء أرباب الحب في بساط القرب خلوف أهل الوصال قال النبي ﷺ اللون لون الدم والريح ريح المسك[2].

(1) نسب إلى المتنبي. انظر: المنتحل (1/ 70)، شرح ديوان المتنبي (1/ 233).
(2) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (3/ 37) رقم (2396)، والبيهقي في السنن الكبرى (4/ 11) رقم (6593)، والترمذي في الجامع الصحيح (4/ 184) رقم (1656)، وأحمد في المسند (2/ 317) رقم (8190).

﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ﴾ [الآية: 179] أي: في حكمه ﴿حَيَوٰةٞ﴾ [الآية: 179] أي: عظيمة وعيشة مستقيمة مانعة من الفتنة ودافعة للمحنة أو حياة أخروية للقاتل لأنه إذا اقتص منه في الدنيا لم يؤاخذ به في العقبى وقرأ في القصص أي: فيما قص عليكم من حكم القتل والدية أو في القرآن حياة للقلوب الميتة ﴿يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [الآية: 179] أي: ذوي العقول الكاملة ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [الآية: 179] عن المخالفة أو العقوبة.

وقال الأستاذ: لما قيل القتل أنفى للقتل[1] في استيفاء القصاص حياة لأنه إذا علم أنه إذا قَتَلَ قُتِلَ أمسَك عن القتل فكان فيه حياة القاتل والمقتول وإذا ترك القصاص على لسان الإشارة ففي ترك القصاص أعظم الحياة لأنه إذا تلف فيه فهو الخلف عنه وحياته عنه أتم من بقائه بنفسه وإذا كان الوارث عنهم الله والخلف عنهم الله فبقاء الخلف أعز من حياة من ورد عليه التلف كتب.

﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾ [الآية: 180] أي: ظهر إماراته أو مقدماته ﴿إِن تَرَكَ خَيۡرًا﴾ [الآية: 180] أي: مالاً ولو يسيراً ومالاً كثيراً ﴿ٱلۡوَصِيَّةُ لِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ [الآية: 180] وهو مرفوع بكتب وتذكيره للفصل وكان هذا الحكم في ابتداء الإسلام فنسخ بآية الميراث وبقوله عليه السلام أن الله أعطى كل ذي حق حقه ألا لا وصية لوارث[2] ﴿بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ﴾ [الآية: 180] أي بالعدل بأن لا يجاوز الثلث ولا يفضل الغنى ﴿حَقًّا﴾ [الآية: 180] أي: حق ذلك حقاً ﴿عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [الآية: 180] أي مخالفة الحق من الشرك الجلي والخفي.

قال الأستاذ: من ترك مالاً فالوصية في ماله مستحبة ومن لم يترك شيئاً فأنّى في حاله بالوصية الأغنياء يوصون في آخر أعمارهم بالثلث والأولياء يخرجون في حياتهم عن الكل فلا يبقى منهم إلا همة انفصلت عنهم ولم

(1) قول مشهور عند العرب.

(2) أخرجه ابن ماجه في السنن (2/ 906) رقم (2714)، والترمذي في الجامع الصحيح (4/ 434) رقم (2121)، وأبو يعلى في المسند (3/ 78) رقم (1508)، وابن أبي شيبة في المصنف (6/ 208) رقم (30717).

59/ب يتصل بشيء لأن الحق لا سبيل إليه للهمة والهمة لا تعلق لها بمخلوق البتة/ فبقيت وحدة منفصلة غير متصلة وأنشدوا:

أحبكم ما دمت حياً فإن مت يحبكم عظمي في التراب رميم[1]

هذا وصيتهم وقال بعضهم:

له قلبي الذي غصبه وجسمي لابس وصبه
وللعبرات أجفاني وما يبقى فللعصبه

لا بل كما قال قائلهم:

أما الرسوم فمخبراتٌ أنّهم رحلوا قريبا
رجعوا إلى أوطانهم فجرى لهم دمعي صَبيبا[1]

﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ﴾ [الآية: 181] أي غير الإيصاء من الأوصياء والشهود والأولياء ﴿بَعۡدَمَا سَمِعَهُۥ﴾ [الآية: 181] أي: تحقق عنده ﴿فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ﴾ [الآية: 181] أي: اسم التبديل ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ [الآية: 181] لما يقوله الوحي وغيره ﴿عَلِيمٌ﴾ [الآية: 181] بظاهره وباطنه.

وأفاد الأستاذ: أن من حرّف نطقاً جرى بحق لحقه شؤم ذلك ووباله وعقوبته أن يحرم رائحة الصدق أن يشمه ومن أعان الدين أعانه الله ومن أعان على الدين خذله الله ﴿فَمَنۡ خَافَ﴾ [الآية: 182] أي علم ﴿مِن مُّوصٍ﴾ [الآية: 182] بالتشديد لشعبة وحمزة والكسائي ﴿جَنَفًا﴾ [الآية: 182] ميلاً بالخطأ في الوصية ﴿أَوۡ إِثۡمًا﴾ [الآية: 182] أي: قصداً وتعمداً للجنف في القضية ﴿فَأَصۡلَحَ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الآية: 182] أي: بين الموصى لهم من الوالدين والأقربين أو بين الورثة والموصى لهم بإجرائهم على نهج الشرع أو بالتراضي والتصالح في حقهم ﴿فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الآية: 182] أي في هذا التبديل لأنه تبديل باطل إلى حق بخلاف الأول.

وقال الأستاذ: فيه أن من أن تفرس في بعض المريدين ضعفاً ورأى في

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 171).

بعض أهل البداية رخاوة قصد أو وجد بعض الصادقين تكلم بالصدق المحض على من لم يحتمله فرأى أن يرفق بذلك المريد بما يكون ترخيصاً له أو استمالة أو مداراة أو رضاء بتعاطي مباح فلا بأس به فإن حمل الناس على الصدق المحض مما لم يثبت له كثيرُ أخذٍ والرفق بأهل البداية إذا لم يكن له صارم عزم ولا صادق جهد ركنٌ في ابتغاء الصلاح عظيم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ [الآية: 183] أي: فرض وذلك في شهر شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من الهجرة ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [الآية: 183] أي: من الأنبياء الكرام من لدن آدم أو نوح عليهما السلام أو من أهل الكتاب وأصحاب الخطاب والمراد شهر رمضان لما ورد من أن صيام رمضان كتبه الله على الأمم قبلكم وذهب بعض السلف/ إلى أن الصوم 60/أ على من قبلنا صوم عاشوراء وثلاثة أيام من كل شهر كما كان علينا أول الإسلام[1] وكذا ورد في حديث آخر والله أعلم فعلى الأخير يكون التشبيه في أصل الصوم لا بخصوصه ثم التشبيه تنبيه على توكيد الحكم وترغيب في الصوم تطييبٌ على العزم والصوم في اللغة الإمساك عن أي شيء جرى وفي الطريقة عما تنازع إليه النفس والهوى وفي الشريعة عن المفطرات إذا نوى وفي الحقيقة عن ذكر سوى المولى ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الآية: 183] أي: النار أو المعصية فإن الصوم يكسر الشهوة المانعة عن وصول الجنة وقد ورد أن الصوم جنة.

وأفاد الأستاذ: أن الصوم على ضربين صوم ظاهر وهو الإمساك عن المفطرات مصحوباً بالنية وصوم باطن وهو صون القلب عن الآفات ثم صون الروح عن المساكنات ثم صون السر عن الملاحظات ويقال صوم العابدين شرطه حتى يكمل صون اللسان عن الغيبة وصون النظر عن الطرف بالريبة كما في الخبر «من صام فليصم سمعه وبصره» الحديث وصوم العارفين حفظ السرعن شهود الغير فإن من أمسك عن المفطرات فنهاية صومه إذا هجم الليل على النهار ومن أمسك عن الأغيار فنهاية صومه أن يشهد الحق بلا غبار قال

---

(1) تفسير الطبري (3/ 414)، تفسير القرطبي (2/ 275).

ﷺ صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته[1] فالهاء في قوله عليه السلام عند أهل التحقيق عائد إلى الحق سبحانه فالعلماء يقولون معناه عندهم صوموا إذا رأيتم هلال رمضان وافطروا لرؤية هلال شوّال وأما الخواص فصومهم لله وفطرهم لله لأن شهودهم لله وإقبالهم على الله والغالب عليهم الله والذين هم به محو الله ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ [الآية: 184] أي صوموا أياماً موقتات بأزمنة معلومات أو أياماً قليلات بالنسبة إلى سائر الأوقات.

وأفاد الأستاذ: أن من شهد الشهر صام لله ومن شهد فالق الشهر صام لله فالصوم لله يوجب المثوبة والصوم بالله يوجب القربة الصوم لله تحقيق العبادة والصوم بالله تصحيح الإرادة الصوم لله صفة كل عابد والصوم بالله نعت كل
60/ب قاصد الصوم لله قيام بالظواهر والصوم بالله قيام بالضمائر الصوم لله إمساك/ من حيث عبارات الشريعة والصوم بالله إمساك بإشارات الحقيقة من شهد الشهر أمسك نفسه في أيام معدودات عن المفطرات ومن شهد الحق أمسك في جميع الأوقات عن شهود المخلوقات من صام بنفسه سقي شراب السلسبيل والزنجبيل ومن صام بقلبه سقي شراب المحاب بنعت الإيجاب ومن صام بسره فهم الذين قال الله فيهم ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: 21] شراب يا له من شراب شراب لا يدار على الكف لكنه يبدو له من اللطف شراب استئناس لا شراب كأس ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا﴾ [الآية: 184] أي: مرضاً يضره صومه أو يعسر معه ﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ [الآية: 184] أي: راكب سفر ﴿فَعِدَّةٌ﴾ [الآية: 184] أي فعليه صوم عدد أيام المرض أو السفر ﴿مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [الآية: 184] إن أفطر.

وقال الأستاذ: من أفطر لهذه الأعذار فعليه صوم عدة أيام بعدد ما أفطر قضاءً كذلك الإشارة لمن سقمت إرادته عن الصحة فيرجع إلى غيره أما الرخصة تأويل أو لقلة قوة واحتمال أو عجز للقيام بأحكام الحقيقة فليمهل حتى تقوي عزيمته وتشتد إرادته فعند ذلك يستدرك منه ما رخص له بالأخذ

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (1909)، ومسلم في الصحيح (1081/ 18).

بالتأويل وذلك سُنَّة من الله سبحانه وتعالى في التسهيل على أهل البداية ثم استيفاء ذلك واجباً في آخر الحال قرب النهاية وهذا معنى قوله ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾ [الآية: 184] أي: يستطيعون الصوم لكن يتعبهم الصوم ويجهدهم كالشيخ الفاني والحامل والمرضع إذا خافتا على أنفسهما وولدهما إن أفطروا لكل يوم ﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [الآية: 184] نصف صاع من بر أو صاع من غيره عند فقهاء العراق ومدٌّ عند فقهاء الحجاز فيكون الحكم ثابتاً ولذا قيل التقدير ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾ [الآية: 184] ثم القراءة بالإضافة لنافع والشامي وجمع مساكين وإفرادها لنافع والشامي أو لما أمروا بالصوم واشتد عليهم لعدم تعودهم رخص لهم فنسخ بقوله تعالى ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [الآية: 185] .

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة منه أن من فيه بقية من القوة للوقوف بمطالبات الحقيقة فيرجع إلى تسهيلات الشريعة وانحط إلى رخصة التأويل فعليه الغرامة بواجب الحال وهو الخروج عن ما بقي له من معلوم مال أو رسوم حال ويبقى مجرداً للواحد ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ [الآية: 184] أي: من تنفل بصوم/ وغيره ﴿فَهُوَ﴾ [الآية: 184] أي الخير أو تطوعاً ﴿خَيْرٌ لَّهُۥ وَأَن تَصُومُوا۟﴾ 61/أ
[الآية: 184] أي: وصيامكم في السفر من غير لحوق الضرر ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [الآية: 184] أي: أفضل من الإفطار ولو مع الأعذار ومن تأخير القضاء فإنه ليس في مرتبة الأداء ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 184] ما في الصوم من الفضيلة والمسارعة إلى براءة الذمة وجوابه دل عليه ما قبله.

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾ [الآية: 185] أي: تلك الأيام المعدودات هي شهر رمضان ﴿ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [الآية: 185] أي: ابتدأ فيه إنزاله إلى السماء الدنيا وكان ذلك ليلة القدر أو أنزل فيه جملة من اللوح إلى السماء الدنيا ثم نزل إلى الأرض منجماً في عشرين سنة وفي الحديث نزلت صحف إبراهيم أول ليلة من رمضان والتوراة لست مضين منه والإنجيل لثلاث عشرة والزبور لثمانية عشرة والقرآن لأربع وعشرين[1] وفيه إشعار بأن الإنزال فيه سبب

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (4/ 111) رقم (3740)، والبيهقي في السنن الكبرى (9/ 188) رقم (18429)، وابن أبي شيبة في المصنف (6/ 144) رقم (30191).

اختصاص وجوب الصوم به.

وقال الأستاذ: رمضان يرمض ذنوب قوم ويرمض رسوم قوم فشتان بين من يحرق ذنوبه رحمة وبين من يحرق رسومه حقيقته شهر رمضان شهر فاتحة الخطاب شهر إنزال الكتاب شهر حصول الثواب شهر التقريب والإيجاب شهر تخفيف الكلفة شهر تحقيق الزلفة شهر نزول الرحمة شهر وفور النعمة شهر النجاة وشهر زيادة المناجاة ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [الآية: 185] أي أنزل حال كونه هادياً بإعجازه للخلق وآيات واضحات مما يهدي إلى الحق وفارقاً بين الحق والباطل وبين الحلال والحرام وفاصلاً بين الحدود والحكم والأحكام ﴿فَمَن شَهِدَ﴾ [الآية: 185] أي: علم ﴿مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ﴾ [الآية: 185] أي: هلاله ﴿فَلْيَصُمْهُ﴾ [الآية: 185] أي: فليصم فيه.

قال الواسطي: من شهدني وشاهد أمري فليصم جميع الأوقات عن المخالفات ومن شهد الشهر على رؤية تعظيمه فليمسك فيه عن لغوه ولهوه ومن شهد على رؤية فعله وصومه فليس لله حاجة في ترك طعامه وشرابه ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [الآية: 185] تخصيص لعموم الحكم وشموله أو لئلا يتوهم نسخه كما نسخ قرينه على القول به ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [الآية: 185] ولذا أباح للمريض
61/ب والمسافر الفطر والمعنى لم/ يضيق عليكم الحكم ليسهل بكم الأمر ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ﴾ [الآية: 185] بتشديد الميم لشعبة أي: ولتتموا عدد أيام الشهر بقضاء ما أفطرتم في المرض والسفر ﴿وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [الآية: 185] أي: لتعظموا أمره وتفخموا حكمه ﴿عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ [الآية: 185] أي: لأجل ما أرشدكم إليه ودلكم عليه وما مصدرية أو خبرية وقيل: المراد بالتكبير تعظيم الله بالحمد والثناء عليه وكذلك عدي بعلى وقيل تكبير يوم الفطر وقيل: التكبير عند الإهلال مطلقاً أو هلال شوّال ولا منع من الجمع والله أعلم بالحال.

وقال الأستاذ: لإرادته بك اليسر معرفتك أنه يريد بك اليسر ومن إمارات أنه أراد بعبد اليسر أنه أقامه بطلب اليسر ولو لم يرد به اليسر لما جعله راغباً

في اليسر قال قائلهم:

لـو لـم تـرد نـيـل مـا أرجـو وأطـلـبه   من فيض جودك ما علمتني الطلبا[1]

حقق الرجاء وأكد الطمع وأوجب التحقيق حيث قال: ﴿وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [الآية: 185] لينتفي عن حقيقة التخصيص مجوزات الظنون ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ﴾ [الآية: 185] على لسان العلم تكملوا مدة الصوم وعلى لسان الإشارة لتعترفوا بصفاء الحال ووفاء المآل ﴿وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الآية: 185] في النفس الأخير وتخرجوا من مدة عمركم بسلامة إيمانكم وتوفيق أن يكمل صوم شهرك عظيم لكن تحقيق أن يختم بالسعادة عمرك أعظم نعيم.

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى﴾ [الآية: 186] أي عن قربي منهم وبعدي عنهم ﴿فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ [الآية: 186] أي: فقل لهم إني قريب ولسؤالهم مجيب قيل: إنه تمثيل لكمال علمه بأفعالهم وأقوالهم وإطلاعه على أحوالهم بحال من قرب مكانه منهم والأولى أن يقال له قرب بعبده على ما يليق به فإنه سبحانه في مقام المريد أقرب إلى المريد من حبل الوريد وقد قال بعض العارفين لفرط قربه بك لا تراه ولغاية بعدك عنه ترى شيئاً سواه وهذا تمام لمن يطلب معرفة مولاه ولا يصح الطلب إلا لمن خالف هواه.

وقال سهل: أدنى مقامات القرب الحياء من الله والمعنى أقرب مقامات قرب العبد حياؤه من الرب أو أدنى حالات قرب الرب من العبد أن يستحي العبد من الغفلة عن الرب ثم في حذف السفير والواسطة حيث لم يقل فقل لهم إني قريب إشعار/ بكمال القرب فإن القريب لا يقول قل للسائل إني قريب 62/أ ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [الآية: 186] بحذف الياء فيهما وإثباتهما ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى﴾ [الآية: 186] أي: فليجيبوا إلى طاعتي والقيام بأمري ﴿وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى﴾ [الآية: 186] وليثبتوا على الإيمان بي أو وليوقنوا بإجابتي ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [الآية: 186] راجين إصابة صوب الصواب وحصول الرشاد وحسن المعاد والمآب وقد

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 176).

روي أن بعض الصحابة سأل النبي ﷺ أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه[1] فأنزل الله هذه الآية وفيها الإشارة إلى الحديث المشهور حين كان بعضهم رفعوا بالذكر والدعاء أصواتهم فقال لهم أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصماً ولا غائباً بل تدعون قريباً مجيباً[2].

وأفاد الأستاذ: أن سؤال كل أحد يدل على حاله لم يسألوا عن حكم ولا عن مخلوق ولا عن دنيا ولا عن عقبى بل سألوا عن المولى فقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى﴾ [الآية: 186] فليس هؤلاء من جملة من قال ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ﴾ [طه: 105] أو ﴿ٱلْأَنفَالِ﴾ [الأنفال: 1] أو ﴿ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ [البقرة: 219] وأمثال ذلك السؤال هؤلاء أقوام مخصوصون وإذا سألك عن الذين هم في أسر النفس أو حكم الخلق فجوابهم عليك فقل لهم ما نزلنا إليك وهؤلاء عبادي يسألونك عني فأنا أجيبهم وليس هذا الجواب بلسانك يا محمد وإن كنت السفير بيننا وبين الخلق هذا الجواب أنا أتولاه فإني قريب رفع الواسطة في الإخبار عن القربة لم يقل فقل لهم إني قريب بل قال: ﴿فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ [الآية: 186] وبين أن تلك القربة ما هي حيث تقدس الحق سبحانه عن اقتراب بجهة أو بعاد عن جهة واختصاص بقعة دون بقعة فقال ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [الآية: 186] وأن الحق سبحانه قريب من الجملة والكافة بالعلم والقدرة والسماع والرؤية وهو قريب من المؤمنين على وجه الرتبة والنصرة وإجابة الدعوة وجل وتقدس عن أن يكون قريباً من أحد بالذات وبالبقعة فإنه أحديّ لا يتجه في الأقطار وعزيز لا يتصف بالكنه والمقدار ثم لم يعد إجابته لمن كان باستحقاق زهداً وفي ضمان عبادة بل قال دعوة الداعي إذا دعان يعني كما دعاني وكيف ما دعاني وحيثما دعاني [ثم] / قال: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى﴾ [الآية: 186] هذا تكليف وقوله 62/ب
﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ﴾ [الآية: 186] تعريف وتخفيف وقدم التخفيف على التكليف فكأنه قال إذا دعوتني عبدي أجيبك فأجبني أيضاً إذا دعوتك أنا لا أرضى برد

(1) تخريج الأحاديث والآثار (1/ 114) رقم (101).
(2) أخرجه البخاري في الصحيح (4205)، ومسلم في الصحيح (2704/ 44).

دعائك فلا ترضى عبدي بردي من نفسك إجابتي لك بالخير تحملك عبدي على دعائي لا دعاؤك يحملني على إجابتك ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾ [الآية: 186] فليثقوا بي فإني أجيب من دعاني قال قائلهم:

لا أبتغي بدلاً سواك خليلة فثقي بقولي والكرام ثقات[1]

ثم قال في آخر الآية ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [الآية: 186] أي: ليس القصد من تكليفك ودعائك إلا وصولك إلى إرشادك وولائك انتهى ولعل اعتراض هذه القصة الجلية بين السابق واللاحق من القضية للإشعار بإجابة دعوة الصائمين خصوصاً وسائر السائلين عموماً وقد ورد أن دعاء الصائم مستجاب لا سيما عند الإفطار وحصول الإيجاب وورد «أتاكم شهر رمضان شهر بركة ونزول رحمة ويستجيب الله فيه الدعاء ويحط فيه الخطايا وينظر الله إلى تنافسكم ويباهي الملائكة بكم»[2] وفي رواية «ويبعث الله منادٍ ينادي يا باغي الخير هلم ويا طالب الشر أمسك هل من داع يستجاب له هل من مستغفر يغفر له هل من تائب يتاب عليه»[3] و«لله عند وقت الفطر في كل ليلة من رمضان عتقاء من النار ستون ألفاً فإذا كان يوم الفطر أعتق مثل ما أعتق في جميع الشهر ثلاثين مرة ستين ألفاً في ستين ألفاً»[4] وفي رواية «شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره رضوان وعتق من النار» وفي رواية «فضل الجمعة في شهر رمضان على سائر الجمع كفضل رمضان على سائر الشهور»[5] وفي رواية «لله في كل ليلة من شهر رمضان عند الإفطار ألف ألف عتيق من النار فإن كان ليلة الجمعة عتق في كل ساعة ألف ألف عتيق من النار كلهم قد استوجبوا النار»[6].

---

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 177)، (6/ 341).

(2) مجمع الزوائد (3/ 344) رقم (4783)، والمجالس العشرة (1/ 61) رقم (60).

(3) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (6/ 123) رقم (10312)، ومسلم في الصحيح بنحوه (758/ 170).

(4) جامع الأحاديث (3/ 461) رقم (2583)، وشعب الإيمان للبيهقي (3/ 304) رقم (3606)، تنزيه الشريعة المرفوعة (2/ 185) رقم (26).

(5) جامع الأحاديث (14/ 440) رقم (14680).

(6) شعب الإيمان للبيهقي (3/ 335) رقم (3695)، والجامع الكبير للسيوطي (1/ 16659) رقم (540).

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ﴾ [الآية: 187] أي: التي يصبح منها صائماً ﴿الرَّفَثُ﴾ [الآية: 187] أي: الإفضاء بالجماع ﴿إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ [الآية: 187] وذلك لأن المجامعة ما كانت تحل في ليالي الصيام في أوائل الإسلام وكذا الأكل والشرب بعد العشاء الآخرة أو المنام ثم أن عمر رضي الله عنه باشر بعد العشاء
63/ أ فندم منه وأتى النبي ﷺ واعتذر/ إليه فقام رجال واعترفوا بما صنعوا بعد العشاء(1) فنزلت الآية ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [الآية: 187] استئناف يبين قلة صبرهم وصحة أمرهم في عذرهم وموجب الإحلال بعد حلول هذا الحال لكون كل واحد من الرجل والمرأة.

يستر حال صاحبه كالستور ويمنعه من الوقوع في الفجور أو لأنهما يعتنقان ويشتمل كل منهما على صاحبه شبه باللباس في اشتماله على اللابس وقيل ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ﴾ [الآية: 187] أي: فراش عند الجماع ﴿وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [الآية: 187] أي: لحاف في حال الاجتماع ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ [الآية: 187] تظلمونها بتعريضها للعتاب وتنقيص حظها عن الثواب وهو أبلغ من تخونون كتكتسبون وتكسبون ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية: 187] أي: عاد بالترخيص إليكم ﴿وَعَفَا عَنكُمْ﴾ [الآية: 187] أي: ومحى ما ظهر قبل الرخصة منكم ﴿فَالْآنَ﴾ [الآية: 187] أي: حين النسخ بنزول القرآن ﴿بَاشِرُوهُنَّ﴾ [الآية: 187] جامعوهن ﴿وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [الآية: 187] أي: اطلبوا ما قدره لكم أو أثبته في اللوح المحفوظ من حصول الولد لكم والمعنى أن المباشر يبتغي أن يكون له في فعله تصحيح النية لا أن يقصد مجرد قضاء الشهوة ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ [الآية: 187] أي: في الليل كله ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾ [الآية: 187] غاية للأفعال الثلاثة والمعنى إلى أن يظهر ويتميز بياض الصبح من سواد الليل وقوله ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ [الآية: 187] بيان أن هذا الخيط الأبيض من الفجر لا من غيره وتحقيقه أنه شبه أول ما يبدو من الفجر المعترض في الأفق وما يمتد معه من غبش الليل بخيطين أبيض وأسود واكتفى ببيان الخيط الأبيض بقوله من الفجر عن بيان الخيط الأسود لدلالته عليه ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾

(1) تفسير أبي السعود (1/ 201)، وتفسير البيضاوي (1/ 486).

[الآية: 187] أي بالامتناع من هذه الأشياء فهو بيان لآخر وقت الصوم وقد استفيد أوله بقوله من الفجر وفي إخراج الليل عنه إشارة إلى منع الوصال والله أعلم بحقيقة الحال.

وقال الأستاذ: أخبر أن الحقيقة لا يعود إليها عائد من أوصاف الخلق إن كنت في العبادة التي هي حق الحق أو في أحكام العادة ومن صحبة جنسك التي هي غاية النفس والحظ فسيان في حالك أو ورد فيه الإذن نزلت الآية في زلة بدرت من/ الفاروق فجعل ذلك سبب رخصة جميع المسلمين إلى يوم 63/ ب
القيامة هكذا أحكام العناية ويقال علم أنه لا بد للعبد من الحظوظ فقسم الليل والنهار وفي هذا الشهر بيّن حقه وحظك فقال أما حقي فـ﴿أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ﴾ [الآية: 187] وأما حظك ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ﴾ [الآية: 187] ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ﴾ [الآية: 187] أي: المجامعة ومقدماتها بالشهوة ﴿وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ﴾ [الآية: 187] أي: معتكفون ﴿فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ﴾ [الآية: 187] وهو لبث في المسجد بالنية وشرط الصوم في الاعتكاف واجب عندنا وفي غيره خلاف بين علمائنا وهو في العشر الأخير من رمضان سنة مؤكدة وفيما سواه مستحب وبالنذر واجب وجمع المساجد ليشمل جميع المشاهد وأفضل المساجد للاعتكاف المسجد الحرام ثم مسجد المدينة ثم الأقصى ثم الجامع.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أخبر أن محل القربة مقدم عن اجتلاب الحظوظ فقال: إذا كنتم مشاغيل بنفوسكم كنتم محجوبين بكم فيكم وإذا كنتم قائمين بنا فلا تعودوا إليكم منّا ويقال غيرة الحق سبحانه على الأوقات أن يمزج الجد بالهزليات قالت عائشة رضي الله عنها يا رسول الله إني أحبك وأحب قربك فقال عليه السلام ذريني يا بنت أبي بكر أتعبد ربي وقال ﷺ لي وقت لا يسعني غير ربي[1] ﴿تِلۡكَ﴾ [الآية: 187] أي الأحكام التي ذكرت من الصوم وما قبله ﴿حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 187] أي: ذوات حدوده ﴿فَلَا تَقۡرَبُوهَاۗ﴾

(1) المقاصد الحسنة (1/ 565) رقم (926)، وكشف الخفا (2/ 173) رقم (2159).

[الآية: 187] بمخالفة أوامرها ونواهيها وهو أبلغ من قوله فلا تعتدوها ﴿كَذَٰلِكَ﴾ [الآية: 187] أي: مثل ذلك التبيين ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [الآية: 187] أي: سائر آياته وأحكام بيناته ﴿لِلنَّاسِ﴾ [الآية: 187] أي: عموماً وللمؤمنين خصوصاً ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الآية: 187] أي: يحذرون مخالفة، أمره ونهيه وما يترتب عليها من العقوبة على وفق حكمه.

﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [الآية: 188] أي: لا يأكل بعضكم مال بعض بما لا يحل في الشريعة من نحو الغصب والسرقة والجناية وبين نصب على الظرفية وفي ذكره إيماء إلى زيادة تقبيح أفعالهم فإن وقوع الذنب علانية إعلان بقبح حالهم ﴿وَتُدْلُواْ بِهَآ﴾ [الآية: 188] أي: ولا تلقوا حكومة الأموال ﴿إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ﴾ [الآية: 188] / أي: بالتحاكم ﴿فَرِيقًا﴾ [الآية: 188] 64/أ
طائفة ﴿مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ﴾ [الآية: 188] أي: بما يوجب إثماً كشهادة الزور والرشوة ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 188] أنكم مبطلون وارتكاب المعصية مع العلم بها أدعى إلى العقوبة ولذا ورد ويل للجاهل مرة وويل للعالم سبع مرات[1].

وقال الأستاذ: إذا تحاكمتم إلى المخلوقين فاعلموا أن الله مطلع عليكم بعلمه ومحيط بكم فراقبوا موضع الاستحياء من الحق سبحانه لا تسقطوا عن عينه ولئن كان المخلوقين متعلقين بالظواهر فالحق سبحانه متولي السرائر.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾ [الآية: 189] سأل معاذ بن جبل وغيره النبي ﷺ عن حكمة تغيير الهلال من زيادة الكمال ونقصان الحال[2] ﴿قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ﴾ [الآية: 189] أي: معالم لهم عموماً يوقتون بها أمورهم من حلول ديونهم ومعرفة مرور زمانهم وقدر أعمارهم وأجور أجرائهم ومدد حواملهم ومعالم للعبادات المؤقتة للمؤمنين خصوصاً يعرف بها أقواتها من الصوم والإفطار وعدة النساء ﴿وَٱلْحَجِّ﴾ [الآية: 189] وخص بالذكر لأن الوقت مراعى فيه حال الأداء والقضاء.

---

(1) سبق تخريجه.
(2) أخرجه أبو نعيم في معرفة الصحابة (4/ 298) رقم (1306) واللفظ عنده: «ما بال الهلال يبدو دقيقاً مثل الخيط ثم يزيد ثم يعظم ويستوي ويستدير...».

وأفاد الأستاذ: أن الأهلة مواقيت للناس لأشغالهم ومحاسباتهم وهي مواقيت لأهل القصة في تفاوت أحوالهم ومشاهدتهم فللزاهدين مواقيت أورادهم وعباداتهم وأما أقوام مخصوصون فهي لهم مواقيت حالاتهم قال قائلهم.

شهور ينقضين وما شعرنا بأنصاف لهن ولا سرار[1]

﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾ [الآية: 189] كان الرجل في الجاهلية في حال إحرامه ينقب في بيته نقباً من مؤخره يخرج منه ويدخل به.

فاعلمهم الله بأنه ليس ببر ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ﴾ [الآية: 189] تقدم الخلاف ﴿مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [الآية: 189] أي: بر من اتقى مخالفة المولى.

وقال الأستاذ: يعني ليس البر مجرد مراعاة الظواهر بل البر تصفية السرائر وتنقية الضمائر ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾ [الآية: 189] أي: واتركوا سنة الجاهلية وأربابها وباشروا الأمور من وجوهها وأسبابها ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [الآية: 189] في تغيير أحكامه وما في معناه ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الآية: 189] أي: لكي تظفروا بالبر فيما تعملون ولما انصرف رسول الله ﷺ من الحديبية/ إلى 64/ ب المدينة السكنية حين صده المشركون عن الكعبة الأمينة وصالحهم على أن يرجع السنة الآتية ويخلوا له مكة ثلاثة أيام تجهز رسول الله ﷺ وأصحابه في ذي العقدة لعمرة القضاء وخافوا من قريش عدم الوفاء وكره أصحاب محمد ﷺ قتالهم في الحرم وفي الشهر المحترم[2] نزل قوله: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 190] أي: في إعلاء كلمته وإعزاز دينه وطاعته ﴿ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾ [الآية: 190] أي: بالمدافعة عن بيته ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓا۟﴾ [الآية: 190] أي: بابتداء القتال وهذا الحكم كان في أول الحال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [الآية: 190] أي: لا يريد الخير بالمتجاوزين عن الحد في أمر الدين.

---

(1) نسب إلى عدّة ومنهم قيس بن الملوّح. انظر: دواوين الشعر العربي (9/ 196)، ومنهم الصمة بن عبد الله القشيري. انظر: لسان العرب (4/ 555)، وتاج العروس (1/ 3175).

(2) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (7/ 383) رقم (36843) وهي قصة مشهورة ذكرت في كتب التفاسير والسيرة.

وأفاد الأستاذ: أن المعنى ليكن نفوسكم عندكم ودائع الحق إن أمر بإمساكها أمسكوها أو صونوها وإن أمر بتسليمها إلى القتل فلا تدخروها وهذا معنى قوله ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ﴾ [الآية: 190] وهو أن تقف حيث ما وقفت وتفعل ما أمرت.

﴿وَٱقْتُلُوهُمْ﴾ [الآية: 191] حال نقض عهدهم أو عند الغلبة عليهم ﴿حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ [الآية: 191] أي وجدتموهم في حل أو حرم وإحلال وإحرام.

﴿وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾ [الآية: 191] أي: من البلد الحرام.

قال الأستاذ: يعني عليكم بنصب المعاداة مع أعدائي كما أن عليكم إثبات الموالاة مع أوليائي فلا تبقوا عليكم وإن كانت بينكم أواصر[1] الرحم ووشائج القرابة وأخرجوا أولاً حبهم وموالاتهم من قلوبكم ثم أزعجوهم من أوطان الإسلام ليكون الصغار جارياً عليهم والعز لازماً بكم ﴿وَٱلْفِتْنَةُ﴾ [الآية: 191] أي شركهم في الحرم أو صدهم إياكم عن البيت المعظم ﴿أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ [الآية: 191] أي: أعظم من قتلكم إياهم أو المحنة التي يفتتن بها الإنسان كالإخراج من الأوطان أتعب عليه من القتل لدوام تعبها وتألم النفس بها.

وأفاد الأستاذ: أن المحنة التي ترد على القلوب من طوارق الحجب أشد من المحن التي ترد على النفوس من بذل الروح لأن فوات حياة القلوب أشد من فوات حياة النفوس إذ النفوس حياتها بمألوفاتها وحياة القلوب لا يكون إلا بالله ويقال ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ [الآية: 191] إن تبقى عن الله أعظم من أن تبقى عن روحك وحياتك ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [الآية: 191] أي: حرمة
له لكونه حرمه ﴿حَتَّىٰ/ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ﴾ [الآية: 191] فيكون هتك حرمة الحرم منهم 65/أ
ويصير قتالكم معهم ودفعاً لهم ﴿فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ﴾ [الآية: 191] أي: مكافأة لهم ولا تبالوا بهم وفي قراءة حمزة والكسائي ﴿وَلَا تَقْتُلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يَقْتُلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَتَلُوكُمْ﴾ [الآية: 191] والمعنى حتى يقتلوا بعضكم ﴿كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الآية: 191] أي: مثل ذلك جزاؤهم فافعلوا بهم مثل ما فعلوا بكم.

(1) الوصر: لغة في الأصر بمعنى العهد. والوشائج: الوسائل

وقال الأستاذ: لا تشوش وقتك مع الله إذا كان بوصف الصفوة بما تدخله على نفسك وإن كانت نوافل من الطاعات فإن زاحمك مزاحم يشغلك عن الله فاقطع مادة ذلك عن نفسك بكل ما أمكن لئلا يبقى لك علاقة قصدك عن الله.

﴿فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ﴾ [الآية: 192] أي: عن القتال معكم والكفر بمولاكم ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [الآية: 192] يغفر لهم ما قد سلف ولو ذنب عظيم ويترحم عليهم بالإحسان إليهم.

قال الأستاذ: إذا انقطع عنك غاغة خواطرك وأعداء نفسك مما يخرجك عنه ويزاحمك فسلم حديث النفس ودع مجاهدتها فإن من طولب بحفظ الأسرار يتفرغ إلى مجاهدات النفوس بفنون المخالفات.

﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾ [الآية: 193] أي: شرك والمعنى حتى يسلموا إذ لا يقبل من المشرك الوثني الجزية ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ﴾ [الآية: 193] أي: خالصاً لله فلا يعبد إلا إياه ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ﴾ [الآية: 193] عن كفرهم ﴿فَلَا عُدۡوَٰنَ﴾ [الآية: 193] أي: فلا اعتداء بالقتل والنهب ﴿إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية: 193] أي: الثابتين على ظلمهم باختيار ظلمة شركهم.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة من الآية إلى مجاهدة النفوس فإن أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك[1] أي: استوف أحكام الرياضات حتى لا يبقى لآثار البشرية شيء وسلم النفس والقلب لله فلا يكون معارض ولا منازع منك لا بالتوقي ولا بالتلقي ولا بتدبير ولا باختيار بحال من الأحوال يجري عليك صروفه كما يريد وتكون محواً عن الاختيارات بخلاف ما يرد به الحكم فإذا استسلم النفس ﴿فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى﴾ [الآية: 193] أرباب التقصير فأما من قام بحق الأمر تفصى عن عهدة الإلزام.

﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ﴾ [الآية: 194] قاتلهم المشركون بصدهم المؤمنين

(1) أخرجه البيهقي في الزهد الكبير (1/ 359) رقم (355)، وانظر: تخريج الأحاديث الإحياء (6/ 213) رقم (2564) ومن رجاله وضاع.

65/ب عام الحديبية في ذي القعدة الحرام واتفق خروج المسلمين لعمرة القضاء/ فيه بعد ذلك العام وكرهوا أن يقاتلوهم في الشهر الحرام والحرم والإحرام فقيل هذا الشهر بذاك فلا تبالوا بما هناك ﴿وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ﴾ [الآية: 194] أي: ذوات قصاص وتماثل من غير اختصاص كما قال ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية: 194] وهو فذلكة التقرير ونتيجة التحرير وسمي جزاء الاعتداء للمشاكلة الملحوظ فيها المقابلة نحو وجزاء سيئة سيئة ولما فيه معنى الصورة في المشابهة.

وقال الأستاذ: الإشارة فيه إذا تقابل حقان كلاهما لله فسلم الوقت لحكم الوقت ودره مع إشارات الوقت وإياك أن ترجح أحدهما على الآخر بما لك فيه حظ وإن قل فتحتجب حينئذٍ عن شهود الحق وتعمى به بصيرة قلبك وكل ما كان إلى خلاف هواك أقرب وعن استحلائك وبسكونك إليه أبعد كان ذلك في نفسه أصوب ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [الآية: 194] أي: في الانتصار ولا تعتدوا على غير الأغيار ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الآية: 194] أي: بالنصرة والإظفار.

﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 195] أي: في جهات رضاه ﴿وَلَا تُلْقُوا۟﴾ [الآية: 195] أي: أنفسكم ﴿بِأَيْدِيكُمْ﴾ [الآية: 195] أي باختياركم واقتداركم ﴿إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [الآية: 195] أي: إلى ما ينجر إلى الهلاك والفساد وهو ترك الجهاد أو إلى حب المال والإمساك فإنه يؤدي إلى طول الآمال وحصول الإهلاك ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟﴾ [الآية: 195] أي: في سائر الأخلاق والأعمال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الآية: 195] فيجازيهم على إحسانهم بتحسين المآل.

وأفاد الأستاذ: أن إنفاق الأغنياء بأموالهم وإنفاق العابدين بنفوسهم لا يدخرونها عن العبادات والوظائف على وفق أمره وإنفاق العارفين بقلوبهم لا يدخرونها عن أحكامه وإنفاق المحبين بأرواحهم لا يدخرونها عن حكمه وإنفاق الأغنياء من النعم وإنفاق الفقراء من الهمم إنفاق الأغنياء إخراج المال من الكيس وإنفاق الفقراء إخراج الأغيار من النفس النفيس وإخراج الموحدين إخراج الخلق من السر والإشارة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ﴾ [الآية:

195] إلى إمساك يدك عن البذل فمن أمسك يده وادخر شيئاً لنفسه فقد ألقى بيده ﴿إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ﴾ [الآية: 195] ويقال: أشار إلى إيثار هواك على رضى مولاك ويقال التهلكة هي الغفلة عنه بالاختيار ويقال توهم أنك تعيش من غير لطفه وإقباله/ 66/أ
لحظة ويقال: الرضا بما أنت فيه من الحجاب والفترة ويقال: إمساك اللسان عن دوام الاستغاثة والاستعانة في كل نفس ولمحة وأما قوله ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْ﴾ [الآية: 195] فالإحسان أن ترفق مع كل أحد إلا معك فإحسانك إلى نفسك في صورة إساءتك إليها في طي الأعمار وذلك لارتكابك به كل شديدة ومقاساتك فيه كل عظيمة والإحسان أيضاً ترك جميع حظوظك من غير بقية والإحسان أيضاً تفرغك إلى قضاء حق كل أحد علق عليك حديثه والإحسان أن تعبده على غير غفلة والإحسان أن تعبده وأنت بوصف المشاهدة.

﴿وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ﴾ [الآية: 196] أي الفرض ﴿وَٱلۡعُمۡرَةَ﴾ [الآية: 196] أي: السُنَّة المؤكدة لله أي خالصتين له من غير رياء وسمعة وارتكاب معصية وإتمامهما القيام بشرائطهما وأركانهما وواجباتهما ومستحباتهما وترك مفسداتهما ومحظوراتهما ومكروهاتهما وقرئ وأقيموا الحج والعمرة لله أو المعنى أتموهما إذا شرعتم فيهما ولو أفسدتموها.

وأفاد الأستاذ: أن الحج هو القصد فقصد إلى بيت الحق وقصد إلى الحق فالأول حج العوام والثاني حج الخواص فكما أن الذي يحج بنفسه يحرم ويقف ثم يطوف بالبيت ويسعى ويحلق فكذا من يحج بقلبه فإحرامه بعقد صحيح على قصد صريح ثم يتجرد عن مخالفته ثم باشتماله بثوبي صبره وفقره وإمساكه عن متابعة حظوظه من اتباع الهوى وإطلاق المنى وما في هذا المعنى ثم الحاج أشعث أغبر فكذلك يظهر عليه آثار الخشوع وأنوار الخضوع وأسرار تلبيته لك باستجابة كل جزء منك وأفضل الحج الثج والعج[1] والثج صب دم الذبيحة والعج رفع الصوت بالتلبية فكذلك سفك دم النفس بسكاكين المخالفة

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (1/ 620) رقم (1655)، وابن ماجه في السنن (2/ 975) رقم (2924)، والبيهقي في شعب الإيمان (3/ 428) رقم (3974)، وأبو يعلى في المسند (9/ 19) رقم (5086).

ورفع أصوات السر بدوام الاستعانة وحسن الاستجابة ثم الوقوف بساحات القربة باستكمال أوصاف الهيبة فموقف النفوس عرفات وموقف القلوب الأسامي والصفات لعز الذات عن المواصلات ثم طواف القلوب حول مشاهدة العز والسعي بالأسرار بين وصفي كشف الجلال ولطف الجمال ثم التحلل بقطع أسباب الرغائب والاختيارات والمنى والمعارضات ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾ [الآية: 196] أي: حبستم ومنعتم عن البيت والوقوف أو عن الكعبة في العمرة من جهة عدو ومرض وغيرهما كذهاب النفقة وموت المحرم للمرأة ونحوهما ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ [الآية: 196] أي: فعليكم إن أردتم التحلل ما تيسر من جنس
66/ب الهدي الشامل للإبل والبقرة والشاة/ بشرط أن تذبح في الحرم لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ﴾ [الآية: 196] أي: وأنتم محرمون ﴿حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ﴾ [الآية: 196] أي: مكانه الذي يجب أن ينحر فيه وهو الحرم لقوله تعالى: ﴿هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾ [المائدة: 95].

وأفاد الأستاذ: أن الحصر بأمرين العدو أو مرض فالإشارة فيه إن استولى عدو النفس فلم يجد بداً من الإناخة بعقدة الرخص وتأويلات العلم فعند ذلك يتحلل بموجب العذر والاضطرار إذ لا مزاحمة مع الحكم ثم الهدي الذي يهدى به عند التحلل بالعذر الخروج عن المعلوم وتسليمه للفقراء أو انتظار أن يزول الحصر فيستأنف الأمر وإن مرضت الإرادات وسقمت القصود وآل الأمر إلى التكلف فليجتهد أن لا ينصرف كما أنه في الحج الظاهر يجتهد بأن لا ينصرف بكل مرض وإن احتاج إلى اللبس والحلق وغير ذلك بشرط الفدية ثم إن عجز اشترط أن محله حيث حبسه فكذلك يقوم ويقعد في أحكام الإرادة وأوصاف القصد فإن رجع والعياذ باللَّه لم يقابل إلا بالرد والصد.

فلا عن قلبي كان التفرق بيننا ... ولكنه دهر يشتُّ ويجمع[1]

وفي قوله: ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ﴾ [الآية: 196] إشارة إلى أنه

---

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 187).

يبذل ما أمكنه ويخرج عن جميع ما ملكه وعليه آثار الحسرة واستشعار الحجبة ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم﴾ [الآية: 196] أيها المحرمون ﴿مَّرِيضًا﴾ [الآية: 196] أي: مرضاً يحوجه إلى لبس المخيط واستعمال الطيب ﴿أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ﴾ [الآية: 196] كقمل وجراحة وصداع يضطره إلى حلقه ففعل إحدى هذه المحظورات عند الضرورات ﴿فَفِدْيَةٌ﴾ [الآية: 196] أي: فعليه فدية مخيرة ﴿مِّن صِيَامٍ﴾ [الآية: 196] أي: في ثلاثة أيام ﴿أَوْ صَدَقَةٍ﴾ [الآية: 196] أي: تصدق على ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من أو صاع من غيره عندنا ومدان عند الشافعي ﴿أَوْ نُسُكٍۚ﴾ [الآية: 196] أي: ذبح نسيكة وهي الذبيحة وأقلها شاة.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة منه إلى أنه يبتهل ويجتهد بالتطواف على الأولياء والخدمة للفقراء والتقرب بما أمكنه من وجوه الاحتيال والدعاء انتهى ولا يبعد أن يقال أنه يرجع عند الابتلاء بالبلاء إلى آداب أهل الولاء من الإمساك عن متابعة الهوى والأهواء كما هو شأن أرباب الفيض من الأصفياء إلى أن يحصل البسط والصفاء والوفاء والضياء ومن الإنفاق بطريق الإحسان على قدر الإمكان على المساكين والضعفاء/ ليرتفع عنه البلاء بالدعاء ومن 67/ أ
مجاهدة النفس وذبحها عن مشتهياتها حتى تعود إلى حالة الفناء ومقام البقاء والموت على حصول الرضا الموجب لوصول اللقاء ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ﴾ [الآية: 196] أي الإحصار أو إذا كنتم في حال الأمن والقرار ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ﴾ [الآية: 196] أي: استمتع وانتفع بالتقرب إلى الله تعالى بأعمال العمرة قبل المباشرة بتقربه بالحج في أشهره سواء أفرد بينهما في الإحرام أو جمع بينهما من أحد مواقيت البيت الحرام ﴿فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِۚ﴾ [الآية: 196] فعليه دم شكر لتوفيق الجمع بين النسكين في سفر واحد ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ [الآية: 196] أي: الهدي أو ثمنه ﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ﴾ [الآية: 196] أي: في أشهره والأحب أن يكون أولاً وآخرها يوم عرفة أو قبله ﴿وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْۗ﴾ [الآية: 196] أي إلى أهليكم أو نفرتم وفرغتم عن نسككم ﴿تِلْكَ﴾ [الآية: 196] أي: جملة الثلاثة والسبعة ﴿عَشَرَةٌ﴾ [الآية: 196] جملة مؤكدة وفي اصطلاح الحساب فذلكة ليعلم العدة مفصلة ومجملة ومن فائدتها أن لا يتوهم كون الواو بمعنى الترديدية أو أن المراد بالسبعة

الكثرة أو لا يقع التصحيف بين السبعة والتسعة في القضية الرسمية ثم قوله ﴿كَامِلَةٌ﴾ [الآية: 196] صفة مؤكدة لزيادة المبالغة أو مقيدة مفيدة كمال بديلتها من الذبيحة.

وقال الأستاذ: فإذا تجلى أقمار القصود عن كسوف التعذر وانجلت غيابة الحجبة عن شموس الوصلة وأشرق نور الإقبال في تضاعيف أيام الوقفة فليستأنف للوصلة وقتاً وليفرش للقربة بساطاً وليجدد للقيام بحق السرور نشاطاً وليقل حيّ على البهجة فقد مضت أيام المحنة وليكمل الحج والعمرة وليستلزم القيام بأحكام الصحبة والخدمة ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 196] أي: جواز التمتع ﴿لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِي ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [الآية: 196] إذ لا متعة ولا قران للمكي بل هما مختصان للآفاقي عندنا وأما عند الشافعي فالإشارة إلى الحكم المذكور من الهدي والصيام المسطور واللام تؤيدنا ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [الآية: 196] أي: في المحافظة على أوامره ونواهيه خصوصاً حال مباشرة مناسكه ومواصلة شعائره ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الآية: 196] أي: لمن لم يكن من أهل التقوى عن مخالفة المولى من أصحاب الاجتناب عن كل باب سوى باب رب الأرباب.

وأفاد الأستاذ: أنه ﴿شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الآية: 196] بالحجاب لمن لم يره أهل
67/ب الوصلة والاقتراب/ ﴿ٱلْحَجُّ﴾ [الآية: 197] أي: وقت أعماله ووقت إحرامه عند الشافعي ﴿أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ [الآية: 197] أي: معروفات مشهورات وهي شوّال وذي القعدة وعشر ذي الحجة عندنا وتسع عند الشافعي وذو الحجة كله عند مالك وثمرة الاختلاف مبيّنة في كتب الخلاف وسمي شهران وبعض الشهر أشهراً إقامة للاكثر مقام الكل ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ﴾ [الآية: 197] أي: أوجب على نفسه الحج بإحرامه في الأشهر والتقييد بهن لدفع الحرج المكروه فيما قبلهن بناءً على قواعد علمائنا من أن الإحرام شرط فيصح وجوده قبل الوقت خلافاً للشافعية فإنه ركن عندهم فلا يصح أن يتقدم والله أعلم والحاصل أن من أحرم بالحج لزمه إقامته بجميع مأموراته وانتهاؤه عن محظوراته ﴿فَلَا رَفَثَ﴾ [الآية: 197] أي: فلا جماع ومقدماته ﴿وَلَا فُسُوقَ﴾ [الآية: 197] أي: ولا خروج عن الطاعة بارتكاب

المعصية فإنها أقبح في تلك الحالة ومنها مباشرة المحظورات والإصرار على السيئات بترك التوبة وبهذا يظهر معنى قوله ﷺ من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه[1] وفي قراءة المكي والبصري برفعهما منوناً على معنى لا يكونن رفث ولا فسوق وأما قوله: ﴿وَلَا جِدَالَ﴾ [الآية: 197] فبالفتح لا غير على معنى الإخبار بانتفاء الخلاف في الحج وذلك أن قريشاً كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام فارتفع أمر الخلاف بأن أمروا أن يقفوا مع غيرهم بعرفات وقيل معناه لا مخاصمة مع الخدم والرفقة وغيرهم فيما يتعلق بأمر الدنيا حتى يقضيهم والحاصل أن الكل نفى معناه النهي للمبالغة والدلالة على أنها حقيقة بأنها لا تكون موجودة أي: لا ترفثوا ولا تفسقوا ولا تجادلوا ﴿فِي ٱلْحَجِّ﴾ [الآية: 197] أي: في حال مباشرته من أول إحرامه إلى آخر إتمامه إلا أن ما عدا الجماع من المحظورات يحل بالحلق والجماع بالطواف عندنا وبالسعي عند الشافعي.

وأفاد الأستاذ: فيه الإشارة لمن سلك طريق الإرادة أن لا يعرج على شيء في الطريق ولا يمزج إرادته بشيء مما يحصل به التعويق فمن نازعه أو عارضه أو زاحمه سلم الكل للكل فلا لأجل الدنيا مع أحد تخاصم ولا لشيء من حظوظ النفس والجاه مع أحد تزاحم قال تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَـٰمًا﴾ [الفرقان: 63] ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 197] أي:/ 68/أ
فيكفيكم علمه على ما سواه ويجازيكم على وفق ما قدره وقضاه ﴿وَتَزَوَّدُواْ﴾ [الآية: 197] أي: لميعادكم بالاتقاء عن غير رضى المولى ﴿فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [الآية: 197] أو المعنى تزودوا ما تتبلغون، وجوهكم عن السؤال تكفون، أنفسكم عن الظلم والظلمة تمنعون، ولا تقولوا نحن متوكلون وأنتم متواكلون حيث تحجون وتسألون، بل وحجكم وعمرتكم تبيعون، وقصدكم ومشقتكم تضيعون.

قال السلمي: هذا خطاب للخاص ولأنه لا زاد للعارف سوى معروفه

---

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (1819)، ومسلم في الصحيح (1350/ 438).

ولا للمحب سوى محبوبه وأنشد:

إذا نحن أدلجنا وأنت إمامنا كفى لمطايانا بذكرك حاديا[1]

﴿وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [الآية: 197] فإن قضية اللب في حكم الحب خشية الرب وتقوى القلب حثهم أولاً على التقوى ثم أمرهم بأن يكون المقصود بها هو المولى فيتبرؤوا عن كل شيء من السوى كما هو مقتضى العقل المعرّى عن شوائب الهوى فلذا خص أولوا الألباب بهذا الخطاب.

قال الواسطي: عاتبهم لأنه أحبهم.

وقال الأستاذ: وتقوى العوام مجانبة الزلات في الظواهر وتقوى الخواص مجانبة الأغيار بالسرائر.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ [الآية: 198] أي بأس بل مباح ﴿أَنْ تَبْتَغُوا﴾ [الآية: 198] أي: في أن تطلبوا ﴿فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [الآية: 198] أي: عطاءً ورزقاً منه بالتجارة وقصد الربح فيها للإعانة على الزاد وتصدق الزيادة على العباد بشرط أن يكون القصد الحقيقي من الإرادة في السفر والتجارة حصول الطاعة ووصول العبادة ليكون داخلاً في قوله تعالى: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [النور: 37] وقد حكي عن الشيخ بهاء الدين النقشبندي أفاض الله علينا من أسرار بهائه وأنوار ضيائه أنه قال: رأيت في حجي أمرين غريبين أحدهما شاب في سوق منى باع كذا ألفاً من متاع الدنيا ولم يغفل لمحة عن المولى والآخر شيخ في الملتزم يطلب الدنيا والدرهم وليس له إلا هذا الهم.

وأفاد الأستاذ: أن ما تبتغي من فضل الله مما يعينك على قضاء حقه أو يكون فيه نصيب للمسلمين أو قوة للدين فهو محمود وما تطلبه لاستيفاء حظك أو لما فيه نصيب لنفسك فهو معلول ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ﴾ [الآية: 198] أي: انصرفتم ﴿مِنْ عَرَفَاتٍ﴾ [الآية: 198] أي: من أي جزء من أجزائها وإنما سمي الموقف عرفة لأنه نعت لإبراهيم عليه السلام فلما أبصره عرفه أو لأن آدم وحواء

---

(1) نسب إلى عمرو بن شاس. انظر: محاضرات الأدباء (1/ 343)، وديوان المعاني (1/ 93).

تلاقيا فيه وتعارفا ولا يبعد أن يقال لأنها تعرف الخلق بالإشارة إلى جمع الميثاق وإلى الاجتماع يوم التلاق ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ﴾ [الآية: 198] أي: في مزدلفة وخص المشعر لأنه أفضل/ موافقة وسمي به لأنه معلم العبادة 68/ب للعباد ووصف بالحرام لاحترامه للجمعة أنه من الحرم المحترم.

وقال الأستاذ: إذا وقفت حتى قمت بحق طلبه فاذكر فضله معك لأنه لولا أنه أرادك وإلا لم ترده ولولا أنه اختارك وإلا ما آثرت رضاه ﴿وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ﴾ [الآية: 198] أي: كما علمكم وأولاكم بالهداية إلى ذكر مولاكم لولا الله ما اهتدينا ولا ذكرناه ولا لبينا[1] ﴿وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ﴾ [الآية: 198] أي: وقد كنتم من قبل الهداية والدلالة الموصلة ﴿لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الآية: 198] أي: الجاهلين بالإيمان والطاعة والغافلين عن الذكر والتلبية.

﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ [الآية: 199] أي: من عرفة لا من مزدلفة والخطاب لقريش حيث كانوا يقفون بمزدلفة وسائر الناس بعرفة ويقولون نحن جماعة الحرم لم نخرج من المكان المحترم مريدين بذلك ترفعاً على سائر الأمم فأمروا بأن يساووهم في أمر العبودية حتى يكون إفاضتهم مع الناس من عرفة وقيل: من مزدلفة إلى منى بعد الإفاضة من عرفة إلى هنا فالخطاب عام وقرئ الناس بالكسر أي: الناسي يريد آدم عليه السلام من قوله تعالى: ﴿فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه: 115] وقد قيل: أول الناس أول الناسي والمعنى أن الإفاضة من عرفة إلى مزدلفة شرع قديم من آدم إلى إبراهيم من آبائكم ولا تغيروا القضية بآرائكم ﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ﴾ [الآية: 199] من ذنوبكم وعيوبكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ [الآية: 199] لمن تاب ﴿رَّحِيمٌ﴾ [الآية: 199] بمن آب.

قال ابن عطاء: إذا عمرتم بواطنكم بذكري فارجعوا إلى ما رجع إليه العامة من القيام برسوم العبودية واستغفروا الله عن اشتغالكم بما سواه إن الله غفور للمطيعين تقصيرهم في طاعته رحيم بالعاصين أن يردهم برحمته إلى باب

---

(1) ورد بلفظ «والله لولا الله ما اهتدينا ولا صمنا ولا صلينا» انظر: ما أخرجه البخاري في الصحيح (4196)، ومسلم في الصحيح (1802/ 123).

عبادته ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ﴾ [الآية: 200] أي: أديتم عبادات حجكم ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾ [الآية: 200] أي: فاكثروا ذكره كمبالغتكم في ذكركم أسلافكم وذلك أن العرب كانوا إذا فرغوا من مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد والجبل من منازلهم فذكروا مفاخر آبائهم ومحاسن أيامهم ووقائعهم ﴿أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [الآية: 200] بل اذكروه بلسانكم وجنانكم أكثر ذكراً من ذكركم لآبائكم لأنهم من جملة إحسانكم.

ففي «**تفسير السلمي**» قيل: معناه إنك تذكر إحسان أبيك فتذكره بذلك
69/أ أبداً وإحساني إليك أقدم وأزيد سرمداً فاذكر ذكري أكثر من ذكر/ غيري فإن من رأى بِرّه أكثر ذكره وأفاد الأستاذ أن في قوله ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ﴾ [الآية: 200] إشارة إلى القيام بحق العبودية وفي ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾ [الآية: 200] إشارة إلى القيام بحق المحبة قضاء المناسك قيام بالنفس للاستقامة في الأمر والذكر قيام بالقلب على استدامة الوقت واستغراق العمر ويقال كما أن الأغيار يفتخرون بآبائهم ويستشرفون بأسلافهم فليكن افتخاركم بنا واستشرافكم بذكرنا ويقال؛ إن كان لآبائكم حق التربية فلنا حق الألوهية والربوبية فمن الناس من يقول: ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا﴾ [الآية: 200] أي: اجعل عطانا في دنيانا ﴿وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ [الآية: 200] أي: وليس له نصيب وحظ في الأخرى لأن همه مقصور بالدنيا غير متعدٍ إلى فضل المولى.

وأفاد الأستاذ: أن منهم من لم يجنح قلبه إلينا ويرضى بدوننا عنا فلا يبصر غير نفسه وحظه ولا إيمان له بربه وحقه.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ [الآية: 201] أي: الصحة والقناعة والكفاف وتوفيق الخير والعفاف وفي الحديث أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى[1] ﴿وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ [الآية: 201] أي: المغفرة والرحمة

---

(1) أخرجه مسلم في الصحيح (2721/ 72) وابن ماجه في السنن (2/ 1260) رقم (3832)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/ 522) رقم (3489)، وابن حبان في الصحيح (3/ 182) رقم (900)، وأحمد في المسند (1/ 416) رقم (3950).

والمثوبة والدرجة وقنا عذاب النار أي احفظنا بالاتقاء عن موجبات العقوبة، وقال علي كرّم اللّه وجهه الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة وفي الآخرة الحوراء الحسنة، وعذاب النار المرأة السليطة.

وقال الحسن البصري: الحسنة في الدنيا العلم والعبادة وفي الآخرة الجنة ﴿وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [الآية: 201] احفظنا من الشهوات والسيئات المؤدية إلى العقوبة وقال بعضهم ﴿فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ [الآية: 201] الإعراض عنها ﴿وَفِى ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ [الآية: 201] ترك الاشتغال بها ﴿وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [الآية: 201] نيران شهواتنا فإن ما شغل عنك فهو شؤم وقال بعضهم في الدنيا المعرفة وفي الآخرة الرؤية فإن الحجاب أشد العذاب وقيل:﴿ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ محبة ﴿وَفِى ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ قربة ﴿وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ حذقة الفرقة وقيل: ﴿فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ ذكرك ﴿وَفِى ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ قربك ﴿وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ حرمان شكرك ولا يبعد أن يقال أتي بحسنة منكرة ليشمل كل حالة معروفة ومرتبة مستحسنة وعذاب النار نار الندامة والملامة على الغفلة وترك المعرفة وعدم الإنابة وأخبرني
زبدة الأولياء زكريا/ عن شيخه أبي الحسن البكري قدّس سره السري أن في الآية 69/ب
ذكر سبعون إشارة وأجمعها وأنفعها هذه العبادة ربنا ﴿ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ اتباع الأولى ﴿وَفِى ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ التوفيق الأعلى ﴿وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ حجاب المولى.

وقال الأستاذ: إنما أراد حسنة يتنظم بوجودها جميع الحسنات والحسنة في الدنيا التي بها يحصل جميع الحسنات حفظ الإيمان عليهم في المآل فإن من خرج من الدنيا مؤمناً لم يخلد في النار وبفوات هذا لا يحصل شيء والحسنة التي ينتظم بها حسنات الآخرة المغفرة فإذا غفر فبعدها ليس إلا كل خير ويقال: الحسنة في الدنيا شهوده بالأسرار وفي الآخرة رؤيته بالأبصار قلت: ﴿وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ وصحبة الأشرار ورؤية الأغيار قال: ويقال حسنة الدنيا أن يغنيك عنك وحسنة الآخرة أن لا يردك إليك قلت: وعذاب النار بعده منك وغضبه عليك قال: ويقال حسنة الدنيا توفيق الخدمة وحسنة الآخرة تحقيق الوصلة قلت: وعذاب النار تضييق الفرقة.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ [الآية: 202] أي: الفريق الثاني أو مجموع الفريقين ﴿لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْۚ﴾ [الآية: 202] أي: من جنسه أو من أجله أو مما دعوا به.

قال الأستاذ: إن كان خيراً فخير وإن كان غيراً فغير ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [الآية: 202] أي: المجازاة فبادروا إلى اكتساب الحسنات واجتناب السيئات.

وقال الأستاذ: هو للعوام في العرصة وللخواص في كل لحظة ولمحة ويقال: ذكر فريقين منهم من يقول: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ وثانٍ من يقول: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ والعقبى وثالث لم يذكرهم وهم الراضون بقضائه المستسلمون لأمره الساكتون عن كل دعاء واقتضاء انتهى فكأنه قال: ومنا لا منهم من لم يطلب غيرنا عنا فمن تغنى بنا فما تغنّى عنا وقد يقال هم خواص الفريق الثاني الذي جمعهم الإيمان بالمثاني اندراج المعاني في المباني لكنهم لما كانوا محبين في مرتبة المحبوبين جعلهم عن الأغيار مستورين وفي ذيل عنايته محجوبين كما يشير إليه الحديث القدسي والكلام الأنسي «أوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري» وبه يتم التقسيم السديد كقوله: فمنهم شقي وسعيد.

70/أ ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍۚ﴾ [الآية: 203] أي: أوقات قليلات/ أي: لاكتساب غنيمات ومنها التكبيرات أيام التشريق في إدبار الصلوات وعند ذبح قربان القربات ورمي الجمرات في أوقات منى وحالات منى ﴿فَمَن تَعَجَّلَ﴾ [الآية: 203] أي: استعجل لِلخروج عنها ﴿فِي يَوْمَيْنِ﴾ [الآية: 203] أي: من أيام التشريق فنفر في اليوم الثاني منها بعد رمي الجمار فيها قبل طلوع الفجر عندنا وقبل الغروب عند غيرنا ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [الآية: 203] في تعجله ﴿وَمَن تَأَخَّرَ﴾ [الآية: 203] في النفر حتى رمى اليوم الثالث بعد الزوال أو ولوا قبله ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ﴾ [الآية: 203] في تأخره بل هو أفضل من تقدمه وإنما ذكر على وجه التخيير في القضية رداً على أهل الجاهلية فإن منهم من أثَّمَ المتعجل ومنهم من أثم المتأخر ﴿لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ﴾ [الآية: 203] خبر مبتدأ مقدر أي: نفي الإثم في تعجله وتأخره في حجه وحده من عمره ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [الآية: 203] في مجامع أموركم لحصول أجوركم ووصول حضوركم ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الآية: 203] أي:

موقف حكم للجزاء بعد الإحياء تجمعون وتنشرون.

وأفاد الأستاذ: إن هذه الآية صفة أواخر النسك وهو الرمي في أيام منى لما قاموا بأركان الحج وخفف عليهم بأن خيرهم في الإقامة والإفاضة والتعجيل في التفرقة والإشارة منه أن من خمدت نفسه وحي قلبه واستدام شهوده فإن سقط عنه شيء من فروع أوراده ففيما هو له مستديم من آداب حضوره عوض عن الذي يفوته من سروره.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الآية: 204] أي: كالمنافقين والمرائين ﴿مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ﴾ [الآية: 204] قوله أي: يعظم في نفسك ما يقوله ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الآية: 204] أي: في أمورها وأسباب معاش سرورها أو في معنى الدنيا الدنية فإنها مراده من ادعاء المحبة وإظهار الإيمان والمعرفة ﴿وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ﴾ [الآية: 204] أي: ويحلف بالله وشهده شاهداً على أن ما في جنانه موافق للسانه ويؤيده أنه قرأ ويستشهد الله على ما في قلبه ﴿وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾ [الآية: 204] أي: شديد المخاصمة لأهل الإسلام.

وقال الأستاذ: أخبر أن قوماً أعرض الحق سبحانه عن قلوبهم فأعطاهم في الظاهر بسطة في اللسان ولكن ربط على قولهم أسباب الحرمان فهم في غطاء جهلهم ليس وراءهم معنى ولا على قلوبهم اعتماد ولا على إيمانهم اتكال ولا بهم ثقة بوجه والإشارة إلى أهل الظاهر الذين لم يساعدهم أنوار البصيرة/ فهم مربوطون بالأحكام الظاهرة لا لهم بهذا الحديث إيمان ولا 70/ ب
بهذه الجملة استبصار وإيقان فالواجب صون الأسرار عنهم فإنهم لا يقابلون بهذا الحديث إلا بالإنكار منهم فمن كان أهل الوراعة من العوام الذين في قلوبهم تعظيم لهذه الطريقة ولهم إيمان على الجملة بهذا الحديث فهو أقرب إلى هذه الحقيقة من كثير ممن عد نفسه من الخواص فهو بمعزل عن الإيمان بهذا الأمر الخاص.

﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ﴾ [الآية: 205] أي: أدبر عن خدمتك وأعرض عن حضرتك ﴿سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية: 205] أي: في تخريبها وإهلاك أهلها ﴿لِيُفْسِدَ فِيهَا

﴿وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَۗ﴾ [الآية: 205] أي: كما يفعله ولاة السوء بالإتلاف والقتل ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ [الآية: 205] أي: ولا يرضى بفساد العباد ولو كان الفساد في البلاد ومن جملة ما قضاه وأراد.

وأفاد الأستاذ: أن في الآية إشارة لمن سعيه مقصور على استجلاب حظوظه فهو لا يبالي بما ينحلّ من عرى الدين وهي من أسباب المسلمين بعدما يشد حبال دنياهم وينتظم أسباب مناهم من حرام جمعوه وحطام حصلوه فإذا خلا بِوساوسه وقصوده الردية سعى في الفساد بأحكام الأسباب الدنيوية واستعمالهم من يستعينون بهم في تمشية أمورهم من القوم الذين نزع الله البصيرة من قلوبهم ثم قال ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ وما كان فيه خراب الأمور الدينية ونظام الأحوال الدنيوية فهو الفساد الظاهر والبلية الجلية.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ [الآية: 206] أي: في فعلك وأمرك وحكمك ﴿أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِۚ﴾ [الآية: 206] أي: حملته الأنفة وحمية الجاهلية على تصميم إثمه المأمور بتركه أو أخذته الحمية بسبب ما ارتكبه من الآثام الجلية فالباء للسببية ﴿فَحَسْبُهُۥ﴾ [الآية: 206] أي: فكافيه ﴿جَهَنَّمُۖ﴾ [الآية: 206] جزاءً لفعله ﴿وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [الآية: 206] أي: المقر للعباد وحذف المخصوص بالذم للعلم بالمراد.

وأفاد الأستاذ: أن هؤلاء قوم استولى عليهم التكبر والعناد وزال عنهم خضوع الإنصاف في حق العباد فشمخت آنافهم عن قبول الحق وحصول الصدق فإذا أمرته بمعروف قال: ولمثلي يقال هذا وأنا كذا وكذا ثم يكرّ عليك عاطفاً من غير أن يكون ملاطفاً فيقول: وأنت أولى بأن تؤمر بالمعروف
71/أ وتنهى عن المنكر فإن من حالك وقصتك كذا وكذا ولو ساعده التوفيق/ وأدركته الرحمة على التحقيق لتقلد المنّة لمن هداه إلى رؤية خطئه ونبهه عن سوء وصفه ولم يطو لنا صحة على أحنة تبقى آثارها في القلب عشرين سنة فحسبه جهنم يعني ما هو فيه من الوحشة وظلمات نفسه وضيق اختياره حتى لا يسعى في شيء غير مراده فيقع في كل لحظة غير مرة في عقوبة ومحنة ثم إنه منقول من العذاب الأدنى في الدنيا إلى عقاب العقبى وهو أشد وأبقى.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ﴾ [الآية: 207] أي: يبيعها ببذلها في مرضاة ربها من الجهاد أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للعباد أو الاجتهاد في أمر زاد المعاد ﴿ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 207] أي: طلباً لرضاه لا لغرض سواه ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [الآية: 207] حيث هداهم إلى طريق الرشاد وسبيل الاجتهاد والجهاد.

وأفاد الأستاذ: أن أولئك الذين أدركتهم خصائص الرحمة ونعشتهم سوابق القسمة فآثروا رضى الحق على هواهم واستسلموا بالكلية لمولاهم ولرأفته بهم وصلوا إلى هذه الأحوال لا بهذه الأحوال استوجبوا رأفته في المآل.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ﴾ [الآية: 208] بفتح السين نافع وابن كثير والكسائي أي: في الإسلام والاستسلام ﴿كَآفَّةً﴾ [الآية: 208] أي: جملة لأنها تكف الأجزاء من التفرقة وهي حال من الفاعل أو المفعول لأن السلم بمعنى الصلح تؤنث كالحرب والمعنى أطيعوه جملة إطاعة ظاهرة وباطنة أو في شرائع الإسلام وفروع الأحكام بالتمام ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [الآية: 208] بالتفرق والتقرير ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الآية: 208] أي: ظاهر العداوة في طريق التحقيق.

وقال الأستاذ: كلف المؤمن بأن يسالم كل أحد إلا نفسه فإنها لا تتحرك إلا بمخالفة سيدها فإن من سالم نفسه في عبادته فتر عن اجتهاده ومجاهدته وذلك سبب انقطاع كل مريد وموجب فترة كل مزيد وخطوات الشيطان ما يوسوس إليك من القيام باستيفاء أحكام معاملة الإسلام وتلك نزعات لا عبرة بها ولا ينبغي أن يلتفت إليها كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ﴾ [القصص: 7] ثم أبصروا ما الذي فعل به حين ألقاه وكيف رده إليها بعدما نجاه.

﴿فَإِن زَلَلْتُم﴾ [الآية: 209] أي: تنحيتم عن الدخول في السلم الذي أمرتم ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ [الآية: 209] أي: الآيات/ الواضحات 71/ ب

والمعجزات اللائحات على أنه الحق بالبراهين الواضحات ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ [الآية: 209] لا يعجزه الانتقام ولا يغلبه المرام ﴿حَكِيمٌ﴾ [الآية: 209] لا يأمر إلا بالصدق ولا ينتقم إلا بالحق.

وأفاد الأستاذ: أن الزلة الواحدة بعد كشف البرهان أقبح من كثير منها قبل ذلك الزمان ومن عرف بالخيانة لا يعتمد عليه في الأمانة ومحن الأكابر إذا حلت في القضية ولو بالجزئية كان فيها استئصالهم بالكلية.

﴿هَلۡ يَنظُرُونَ﴾ [الآية: 210] أي: هؤلاء الممتنعون عن الدخول فيما دخل فيه المسلمون والمعنى ما ينتظرون ﴿إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 210] ببأسه أو يأتيهم أمره أو بأسه ﴿فِي ظُلَلٖ﴾ [الآية: 210] جمع ظلة بالضم وهي ما أظل ﴿مِّنَ ٱلۡغَمَامِ﴾ [الآية: 210] أي: السحاب الأبيض فتقع العقوبة أشد فظاعة لأنه مظنة الرحمة. والشر إذا جاء من من حيث يحتسب النعمة كان أصعب البلية ففيه إيماء إلى أن القضية إنما تكون بغتة وفجأة. ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [الآية: 210] فإنهم الواسطة في إتيان أمره والآتون ببأسه الموكلون على عذابه ﴿وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ﴾ [الآية: 210] أي تم أمر إهلاكهم وتحقق وقوع هلاكهم فوضع الماضي موضع المستقبل لدنوه وتيقن وقوعه أو المعنى فرغ من أمر حسابهم فأوقعوا في عقابهم وذلك يوم القيامة جزاءً على اكتسابهم وارتكابهم أو فرغ أمره فيهم لما تعلق قضاؤه وقدره بهم ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾ [الآية: 210] بصيغة المجهول أي: إلى حكمه ترد أمورهم، وبالمعلوم للشامي وحمزة والكسائي أي: إلى أمره تؤول شؤونهم.

وقال الصادق: هل ينظرون إلا إقبال الله عليهم بالعصمة والتوفيق إليهم ونظر العناية إليهم فيكشف عنهم أستار الغفلة فيشهدون بره ولطفه بل يشاهدون البار اللطيف ﴿وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ﴾ [الآية: 210] أي: وصلوا إلى ما سبق لهم في الأزل من إحدى المنزلتين وقال أيضاً: أي كشف عن حقيقة الأمر ومغيبه.

وقال الأستاذ: استبطأ القوم قيام الساعة فأخبروا عن شدة الأمر إذا قامت القيامة بتفصيل ما ذكر من الأحوال وتلك الأفعال في معنى الأهوال يظهر الله سبحانه بما يزيل عنهم الإشكال في علو شأنه سبحانه ونفاذ قدرته

في ما يريده وقوله: ﴿وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ [الآية: 210] أي: انهتك ستر الغيب عن صريح التقدير السابق ولكن استغنى قلوب/ الموحدين بما فيها من أنوار البصائر 72/ أ عن طلب التأويل لهذه الآية وأمثالها إذا لحق سبحانه منزه عن كل انتقال وزوال واختصاص بمكان أو زمان ومقدس عن كل حراك وإتيان.

﴿سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الآية: 211] لتبكيتهم وتقريعهم ﴿كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ﴾ [الآية: 211] أي: معجزة ظاهرة كالفلق والغرق والعصا واليد البيضاء وكم خبرية أو استفهامية ومحلها النصب على المفعولية.

وأفاد الأستاذ: أن فائدة السؤال ليقرر عليهم بسؤاله الحجة لا لتقرر له ﷺ بسؤالهم ما أشكل عليهم من واضح الحجة ﴿وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 211] أي: آياته الموجبة للهداية التي هي أجل أنواع النعمة بجعلها سبب الضلالة أو بالتحريفات الباطلة والتأويلات الزائغة ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ﴾ [الآية: 211] أي: وصلت إليه بطريق الإنعام عليه وفيه تنبيه على أنهم إنما بدلوها بعد ما عقلوها ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الآية: 211] فيعاتبه أشد عقوبة لأنه ارتكب أعظم حوبة.

وقال الأستاذ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الآية: 211] بزوال تلك النعمة وعند ذلك يعرفون قدرها فيطلبونها ولا يصلون قط إليها قال قائلهم:

ستهجرني وتتركني فتطلبني ولا تجدني(1)

﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ [الآية: 212] أي: حسنت في أعينهم وأشربت محبتها في قلوبهم حتى أعرضوا عن غيرها ومالوا إليها وتهالكوا عليها والمزين على الحقيقة هو الله إذ لا فاعل لشيء سواه نعم كل من الوساوس الشيطانية والشهوات النفسانية وسائر الأمور البهية والأشياء الشهية من الأمور الدنيوية مزين بالنسبة المجازية ﴿وَيَسْخَرُونَ﴾ [الآية: 212] أي: الكفار ومن في معناهم من الفجار ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الآية: 212] كبلال وصهيب وابن أم مكتوم وعمار وسائر فقراء الأبرار والمعنى يسترذلونهم ويستحقرونهم أو يستهزؤون بهم على رفضهم للدنيا وإقبالهم على العقبى ومن ابتدائية فكأنهم جعلوا مبدأ السخرية ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 202).

[الآية: 212] أي: مخالفة المولى بمجانبة الهوى ﴿فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [الآية: 212] لأنهم في عالية أعلى عليين وأعداؤهم في هاوية أسفل سافلين ولأنهم في كرامة وغيرهم في مهانة أو لأنهم يتطاولون عليهم فيسخرون منهم في العقبى/ كما 72/ب
سخروا منهم في الدنيا ﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ﴾ [الآية: 212] أي: في الدارين ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الآية: 212] أي: بغير تقدير لكن على تقدير قضاء وتقرير فيوسع في الدنيا استدراجاً تارةً وابتلاء أخرى بخلاف نعيم الأخرى.

قال الأستاذ: ومكروا ولم يشعروا وحملهم اشتداد الظلمة لبصائرهم على الوقيعة في أوليائه سبحانه والسخرية منهم فحين تقشع غواية الجهل عن قلوبهم علموا من الخاسر منهم عند شهود البأس الشديد ومن الذي كان في الضلال البعيد.

﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [الآية: 213] متفقين على ملّة الحق فيما بين آدم وإدريس أو نوح أو بعد الطوفان أو بعد إبراهيم أو متفقين على الضلال والجهالة فيما بين إدريس ونوح أو بين نوح وهود عليهم السلام والأظهر الأول وتقدير الكلام فيما قرئ به فاختلفوا ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الآية: 213] أي: المرسلين ﴿مُبَشِّرِينَ﴾ [الآية: 213] للمطيعين بجنة المثوبة والوصلة ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ [الآية: 213] للعاصين بحرقة العقوبة والفرقة ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ [الآية: 213] يريد به الناس وليس المراد أنه أنزل مع كل واحد كتاباً فإن أكثرهم لم يكن لهم كتاب يخصهم وإنما كانوا يأخذون بكتب من قبلهم ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية: 213] حالٌ من الكتاب أي: ملتبساً بالصدق والصواب ﴿لِيَحْكُمَ﴾ [الآية: 213] أي: الله أو النبي أو الكتاب ﴿بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ [الآية: 213] من أصول الدين أو فروعه للمتقين ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ﴾ [الآية: 213] أي: في الكتاب ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ﴾ [الآية: 213] أي: من اليهود والنصارى ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ﴾ [الآية: 213] الحجج الواضحات ﴿بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ [الآية: 213] أي: حسداً كائناً من عندهم وظلماً على أنفسهم ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الآية: 213] أي: منهم ومن غيرهم ﴿لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الآية: 213] أي: لمعرفة الحق الذي اختلف فيه من اختلف من الخلق ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ [الآية: 213] أي: بإرادته على وفق حكمته ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ

﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسۡتَقِيمٍ﴾ [الآية: 213] لا يضل سالكه المقصد القويم.

وأفاد الأستاذ: أن الغيبة أولاً عن الحق جمعتهم فلما أتاهم الرسول تباينوا على حسب ما رزقوا من أنوار البصيرة وحرموا ويقال: كانوا على ما سبق لهم من الاختيار القديم وبمجيء الرسل تهود قوم وتنصر قوم ثم في العاقبة يرد كل أحد إلى ما سبق من التقدير وأن الناس اجتمعوا كلهم/ في 73/أ
علمه سبحانه ثم تفرقوا في حكمه فقوم هداهم وقوم أغواهم وقوم حجبهم وقوم جذبهم وقوم ربطهم بالخذلان وقوم بسطهم بالإحسان فلا من المقبولين أمر مكتسب ولا لرد المردودين سبب بل هو حكم بت وعزم وقضاء حتم وجزم.

﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ﴾ [الآية: 214] أي: بل أظننتم ﴿أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [الآية: 214] أي: المهيأة لكم ﴿وَلَمَّا يَأۡتِكُم﴾ [الآية: 214] أي: ولم يأتكم بعد زمانكم ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ﴾ [الآية: 214] أي: مثل من الأمم الماضية حيث امتحنوا بالحالة التي هي مثل في الشدة ﴿مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ﴾ [الآية: 214] أي: المصائب والنوائب ﴿وَزُلۡزِلُواْ﴾ [الآية: 214] أي: حركوا بأنواع البلايا والمتاعب ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ [الآية: 214] لتناهي الشدة واستطالة المدة بحيث انقطعت حبال الصبر واضطروا إلى طلب استعجال النصر فقالوا ﴿مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ﴾ [الآية: 214] استبطاءً لتأخره وفي قراءة نافع برفع يقول على أنها حكاية حال ماضية ألا تنبهوا أن نصر الله قريب وفيه إيماءً إلى أن حصول الزلفى ووصول المولى برفض الهوى وتحمل البلوى بلا شكوى إلى السوى وإن مكابدة الرياضات موجبة لرفع الدرجات وعلوّ الحالات وفي الحديث أن الله بنى مكة على المكروهات والدرجات(1) وقد ورد حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات(2).

(1) واللفظ «خلق الله مكة فوضعها على المكروهات والدرجات». انظر: الدر المنثور (2/ 267)، وأخبار مكة للفاكهي (4/ 222) رقم (1507).

(2) أخرجه مسلم في الصحيح (2822/ 1)، والترمذي في الجامع الصحيح (4/ 693) رقم (2559)، والدارمي في السنن (2/ 437) رقم (2843)، وابن حبان في الصحيح (2/ 492) رقم (716)، وأبو يعلى في المسند (6/ 33) رقم (3275).

وأفاد الأستاذ: أن الله سبحانه خلق الجنة وحفها بالمصاعب والمتاعب وخلق النار وحفها بالشهوات والرغائب فمن احتشم ركوب الأهوال بقي عن درك الآمال وأن الله سبحانه ابتلى الأولين بفنون من مقاساة الشدائد وكل من ألحق بهم من خلف الأولياء أدخلهم في سلكهم وأدرجهم في غمارهم فمن ظن غير ذلك فسراب ظنه ماء وحلم لم يحصل على ما ظنه تأويلاً. ومضت سنة اللّه سبحانه أنهم لم ينجوا بعتوة الظفر إلا بعد إشرافهم على عرصاة اليأس فحين طال بهم الترقب صادفهم اللطف بغتة وتحقق لهم المبتغى فجأة قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾ [الآية: 214].

﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ﴾ [الآية: 215] أي: أي شيء ينفقون وعلى من ينفقون ﴿قُلۡ مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ﴾ [الآية: 215] أي: مال حلال والتنكير للتقليل لقوله ﷺ: اتقوا النار ولو بشق تمرة وسبق درهم مائة ألف درهم/ ﴿فَلِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ 73/ ب
وَٱلۡيَتَٰمَىٰ﴾ [الآية: 215] أي: ولو من الأجنبيين ﴿وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾ [الآية: 215] أي: من الفقراء والسائلين ﴿وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۗ﴾ [الآية: 215] أي: المسافرين المنقطعين.

قال الأستاذ: علموا أن الحق ما لفاعله أن يفعل وأن العبد ليس له فعل شيء إلا بإذن مولاه فتوقفوا في الإنفاق على ما يشير إليه تفصيل الإذن لأن العبودية الوقوف حيث ما أوقفك أمر الربوبية ويقال لهم ينفقوا على إشارات الهوى وأن ما طالعوه تفاصيل الأمر وإشارات شرع المولى والواو في قوله: ﴿وَٱلۡأَقۡرَبِينَ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ﴾ يشير إلى نوع من الترتيب فالأولى بمعروفك والداك ثم أقاربك ثم على الترتيب الذي قاله انتهى وهو لا ينافي الجمع الذي ليس فيه المنع وإنما قال نوع من الترتيب لأنه أراد الترتيب الوقوعي المستفاد من الترتيب الذكري وإلا فالواو لمطلق الجمع إجماعاً ونظيره قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ﴾ حيث قال ﷺ ابدأوا بما بدأ الله ﴿وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ﴾ [الآية: 215] أي: سوى ذلك الخير ولو على الغير ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ﴾ [الآية: 215] فيجازيكم بتضعيف الأجر.

﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ﴾ [الآية: 216] أي: الجهاد الأصغر والجهاد الأكبر

لما ورد أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك ﴿وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْۖ﴾ [الآية: 216] أي: مكروه طبعاً عليكم ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا﴾ [الآية: 216] أي: أولاً ﴿وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۖ﴾ [الآية: 216] أي: آخراً بأن يجعل اللّه فيه خيراً كثيراً وذلك الشيء جميع المتاعب الشرعية والمصائب الكونية المكروهة على طبائع البشرية مع أن فيها مناط صلاحهم في الدنيا وسبب فلاحهم في العقبى ومنه الغزو فإن فيه المشقة لكن تصحبه إحدى الحسنيين من الغنيمة أو الشهادة ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا﴾ [الآية: 216] أي: طبعاً ﴿وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْۗ﴾ [الآية: 216] أي: شرعاً وهو جميع منهيات المولى ومستلذات الهوى المفضية إلى الردى ومنه القعود عن القتال فإن فيه فراغ البال وسعة الحال لكن يعقبه حرمان الغنيمة وفقدان المثوبة ولحوق الإذلال في المآل وعسى للإشفاق في الجملة الأولى وللتراخي في الثانية ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ﴾ [الآية: 216] أي: ما هو خير لكم ﴿وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [الآية: 216] خيركم وشركم.

وقال الأستاذ صعبت على النفوس مباشرة القتال فيبين أن راحات/ 74/أ النفوس مؤجلة لأنها في حكم التأديب وبالعكس من هذا راحات القلوب فإنها معجلة إذ هي في وصف التقريب فالسعادة في مخالفة النفوس فمن وافقها حاد عن المحجة المثلى كما أن السعادة في موافقة القلوب فمن خالفها زاغ عن السنة العليا ومبشرات ضمان الحق باليسر أولى أن تقبل من محذورات هواجس النفوس في حلول العسر وحصول الخير.

﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ﴾ [الآية: 217] بدل اشتمال وقرىء عن قتال فيه ﴿قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۖ﴾ [الآية: 217] والأكثر على أنه منسوخ بقوله تعالى: ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾ [التوبة: 5] أي: من حل وحرم وعموم المكان مستلزم لشمول الزمان ونسخ الخاص بالعام جائز عند علمائنا الكرام ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 217] أي: ومنع عن الإسلام أو ما يوصل العبد إلى علو المقام ﴿وَكُفۡرُۢ بِهِۦ﴾ [الآية: 217] أي: بالله ﴿وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ [الآية: 217] أي: وصد عن بيت الله أو حرم الله أو وصد المسجد الحرام بتقدير المضاف المسند إلى المفعول فيه ﴿وَإِخۡرَاجُ أَهۡلِهِۦ مِنۡهُ أَكۡبَرُ عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [الآية: 217] أي: من القتال في الشهر الحرام خطأً كما وقع من بعض المسلمين ابتداء وهو خبر عن الأشياء

الأربعة المعدودة من كبائر الكفرة المردودة ﴿وَٱلْفِتْنَةُ﴾ [الآية: 217] أي: الشرك عمداً ﴿أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ [الآية: 217] أي: من قتل مسلم كافراً في الشهر الحرام سهواً فإن الآية نزلت في سرية بعثها رسول الله ﷺ من المسلمين فقاتلوا المشركين وقد أهل هلال رجب وهم لا يعلمون فاستعظم المشركون سفك الدماء في رجب وهو من الأشهر الحرم(1).

وأفاد الأستاذ: أن من المعاصي ما يكون أشد من غيرها في المبنى وأصعب في المعنى فسوء الأدب على الباب لا يوجب من ضرب الأسواط ما يوجبه على البساط فإذا حصلت زلة النفس فأثرها بالعقوبة المؤجلة وهي الاحتراق وإذا زل القلب فعقوبتها معجلة وهي بالفراق وأثر الغفلة على القلوب أعظم من ضرر زلة النفوس فإن النفس على الحظ تبقى والقلب عن الحق يبقى ﴿وَلَا يَزَالُونَ﴾ [الآية: 217] أي: المشركون ﴿يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ﴾ [الآية: 217] أي: كي يمنعوكم ﴿عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ [الآية: 217] أي: ولم يستطيعوا لعناية ربكم بكم ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ﴾ [الآية: 217] أي: وإن وقع ارتداد
74/ب من بعضكم ورجوع ﴿عَن دِينِهِۦ﴾ [الآية: 217] / إلى دينهم فيكم ﴿فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾ [الآية: 217] أي: عند موته ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ [الآية: 217] أي: بطلت ﴿فِى ٱلدُّنْيَا﴾ [الآية: 217] لبطلان ما تخيلوه من العقائد الدينية وفوات ما لأهل الإسلام من الفوائد الدنيوية ﴿وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ [الآية: 217] بسقوط الثواب وعذاب الحجاب في موقف الحساب ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ [الآية: 217] أي: ملاقوها في دار البوار ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الآية: 217] كسائر الكفار.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة من هذا إلى أن أهل الغفلة إذا راودوك على وجه الفتنة أرادوا صرفك إلى ما هم عليه من الغفلة فلا يرضون إلا بأن تفسخ عقد إرادتك بما تعود إليه من سابق حالتك ومن فسخ مع الله عهده مسخ الله قلبه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الآية: 218] أي: عموماً ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 218] أي: خصوصاً ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 218]

(1) تفسير النسفي (1/ 103).

أي: جزيل ثوابه وجميل ما به وعلق الحكم بالرجاء إيماء بأن العمل غير موجب للجزاء لا سيما والعبرة بالانتهاء المبني على سبق القضاء في الابتداء المبهم أمره على جميع الأصفياء ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ [الآية: 218] كثير الغفران ﴿رَّحِيمٌ﴾ [الآية: 218] عظيم الامتنان على أهل الإيمان والإحسان.

وقال الأستاذ: إن الذين صدقوا في قصدهم وأخلصوا في عهدهم ولم يرتدوا في الإرادة على أعقابهم أولئك الذين عاشوا في روح الرجاء إلى أن يصلوا إلى روح البقاء وفرح اللقاء.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ﴾ [الآية: 219] أي: شربها ﴿وَٱلْمَيْسِرِ﴾ [الآية: 219] أي: عن لعب القمار بالنرد والشطرنج ونحوهما والمعنى يسألونك عن حكم تعاطيهما ﴿قُلْ فِيهِمَآ﴾ [الآية: 219] أي: في مباشرهما ﴿إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ [الآية: 219] وفي قراءة حمزة والكسائي كثير لما يؤدي إلى الانتكاب عن المأمورات وارتكاب المحظورات ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الآية: 219] من تقوية الطبيعة وتوفر السخاوة والشجاعة في الخمر ومن كسب المال وطرب الحال من مغالبة الرجال في الميسر ﴿وَإِثْمُهُمَآ﴾ [الآية: 219] أي: ضررهما بارتكاب ما فيهما من إثم المخاصمة والمشاتمة وأمثالهما ﴿أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ [الآية: 219] أعظم وقرىء أكثر والمراد أنّ المفاسد التي تنشأ منهما أزيد من المنافع المتوقعة فيهما وإذا قيل إن هذه الآية محرمة للخمر فإن المفسدة إذا ترجحت على المصلحة اقتضت تحريم تلك الفعلة والظاهر أنها ليست/ مصرحة بل ملوحة لما روي أنه نزل بمكة 75/ أ
قوله تعالى: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ [النحل: 67] فأخذ المسلمون يشربونها ثم أن عمر ومعاذاً وسعد وغيرهم رضي الله عنهم قالوا: أفتنا يا رسول الله في الخمر والميسر فإنها مذهبة للعقل مسلبة للمال فنزلت هذه الآية[1]: فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ناساً منهم فشربوا فسكروا وأقام أحدهم فقرأ أعبد ما تعبدون فنزلت ﴿لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾ [النساء: 43] فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك

(1) تفسير أبي السعود (1/ 218)، وتفسير البيضاوي (1/ 503).

سعد بن أبي وقّاص في نفر فلما سكروا افتخروا وتناشدوا فأنشد سعد شعراً فيه هجاء الأنصار فضربه أنصاري بلحي بعير فشجه فشكى إلى رسول الله ﷺ فقال عمر: اللّهم بيّن لنا في الخمر بياناً شافياً فنزلت ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ﴾ إلى قوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ فقال عمر: انتهينا يا ربنا[1].

وأفاد الأستاذ: أن الخمر ما خامر العقول وكما أن الخمر حرام فالسكر حرام فمن سكر من شراب الغفلة استحق ما يستحق شارب الخمر من حيث الإشارة فكما أن السكران ممنوع من الصلوات فصاحب السكر بالغفلة محجوب عن المواصلات وأوضح الشواهد الوجود فمن لم يصدق فليجرب ومعنى القمار موجود في أكثر معاملات أهل الغفلة إذا سلكوا طريق الحيل والخداع والكذب في المقال فبذل الصدق والإنصاف عزيز.

وفي «**العرائس**» الخمر حب ما سوى الحق لأن رفع بصر السر عن مشاهدة الحضرة إلى الكون بنعت استحسانه حجاباً لعقل الكل فإذا خامر النفس سر القلب باشره الغفلة وسكرت بإدراك هواها وحظوظها الدنيئة وسقطت عن مباشرة العبودية وبتأثيرها احتجب الروح عن معاينة الآخرة وبقيت في حجاب النفس عن مقام الوصال وحالة المشاهدة، والميسر ميل الشيطان والنفس مع القلب فإذا مال القلب إلى شهوة النفس المختصة بالحيوان فقد قامرها وصار مقموراً سلوب الإيمان والعرفان وقوله: ﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ [الآية: 219] لأن ظلمة الخمر تطفىء نور العقل ويقوى طرب النفس الأمارة فإن خمد نور العقل وظهرت ظلمة الجهل تفسد النفس/ مقام 75/ب
الإيمان وتخرّبه وهو القلب فإذا كان القلب خرباً ومنبع الإيمان مضمحلاً فهو قريب من الكفر والكفر آخر الإثم واللاعب بالنرد والشطرنج وأمثال ذلك كأنه يعبد الأوثان لأن في الاشتغال به اشتباه نور الإيمان بمثال النرد والشطرنج وتخيل الفهم صون الخيال وهذا أول أسباب الشرك لأنهما أما لِجميع الخبائث وقوله:

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (2/ 305) رقم (3101)، والطبراني في المعجم الأوسط (2/ 125) رقم (1464)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/ 253) رقم (3049)، والنسائي في السنن الكبرى (3/ 202) رقم (5049).

﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الآية: 219] أيَّ: معرفة آفتهما وسوء عاقبة من يشتغل بهما وقيل: ﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ في تناولهما ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ في تركهما ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ أي: أي مقدار يتصدقون ﴿قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ بالنصب لغة البصري أي: ما فضل من المال عن العيال وهو منسوخ في حق العوام بآية الزكاة وقيل: ما سهل من الأخلاق والأحوال.

وقال الأستاذ: قيل العفو ما فضل عن حاجتك وهذا لِلخواص أن يخرجوا من فاضل أموالهم عن قدر كفاياتهم فأما خاص الخاص فطريقهم الإيثار وهو أن يؤثر به غيره على نفسه وبه فاقة إلى ما يخرج وإن كان صاحبه الذي يؤثره به له غنى.

وفي «**العرائس**» العفو عند العارفين ما سوى الحق من الكونين يعني اتركوا لي ما شغلكم عني وإن كان لكم فيه خصاصة حتى يكون لكم ذخراً في جميع أنفاسكم عوضاً لما تركتم فالخواص ينفقون ما يحبون طلباً لمرضاته وتركاً لمرادهم لأن الحق سبحانه لا يريد بأوليائه شهوة الكونين غيرة على أحوالهم وصوناً لأسرارهم والعوام ينفقون زوائد أموالهم حصناً لها وحرصاً بها ﴿كَذَٰلِكَ﴾ [الآية: 219] أي: مثل ما تقدم من البيان في كل شأن ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ [الآية: 219] أي: بقية الآيات في الأحكام البينات ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الآية: 219] أي: في الدلالات والقضيات الكائنة.

﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ [الآية: 220] أي: في أمورها فتنتفعون بالعمل بهما أو لكي تتأملوا في نفسهما لتعرفوا فضل العقبى على الدنيا فتعرضوا عن الدار الفانية وتقبلوا على الدار الباقية وتعلموا أن الجمع بينهما من المحال وإلا فكان يجمعها أرباب الكمال فهما كالضرتين وكالكفتين فقد ورد من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى[1] وورد أيضاً أجوعكم

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (4/ 343) رقم (7853)، والبيهقي في السنن الكبرى (3/ 370) رقم (6308)، والبيهقي في شعب الإيمان (7/ 288) رقم (10337)، وابن حبان في الصحيح (2/ 486) رقم (709).

76/أ في الدنيا أشبعكم في الأخرى(1) ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ﴾ [الآية: 220] / حين نزلت ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا﴾ [النساء: 10] واشتد عليهم حتى تركوا المؤاكلة معهم والمخالطة بأموالهم والاهتمام بأمرهم ﴿قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾ [الآية: 220] أي: مداخلتهم لإصلاح حالتهم خيرٌ من مجانبتهم.

وأفاد الأستاذ: أن إصلاح حالهم بما يكون فيهم تأديب لحسن مآلهم أحسن وأتم من إصلاح مآلهم ثم الصبر على الاحتمال عنهم مع بذل النصح لهم ومفارقة الملال من إرشادهم خير من الترخص بأن يقول إنه لا يتوجه علي فرضهم ﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾ [الآية: 220] أي: فهم إخوانكم في الدين فمخالطتهم شأنكم والمعنى إن خلطتم طعامكم وشرابكم بطعامهم وشرابهم حال اجتماعكم فلا حرج عليكم ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ﴾ [الآية: 220] أي: يعلم من يخالطهم لإفساد إليه أو إصلاح لديه فيجاريه عليه.

وقال الأستاذ: فيعامل كلاً على سواكن قلبه من القصود على ظواهر كسبه من جميع القيود ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾ [الآية: 220] أي: لأوقعكم في العنت وهو المشقة بأن كلفكم ما يشق عليكم من المجانبة دون المخالطة والمراد التنبيه على النعمة في التوسعة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ [الآية: 220] أي غالب على أمره ﴿حَكِيمٌ﴾ [الآية: 220] في قضائه وقدره يحكم ما يقتضيه الحكمة وتتسع له الطاقة.

﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَـٰتِ﴾ [الآية: 221] أي: لا تتزوجوهن والمشركات احتزاز من الكتابيات إذا لم يعرفن أنهن مشركات ﴿حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ﴾ [الآية: 221] أي: ولو كتابية ﴿خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ﴾ [الآية: 221] أي: من حرة كافرة ﴿وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ [الآية: 221] بمالها وجمالها ونسبها وجاهها وسائر حالها.

وأفاد الأستاذ: أن صلة حبل الدّين والتمسك بعصمة المسلمين أتم من الرضا بأن ينتهي إلى حد يسلك إلى الكفر ولئن كانت رخصة الشريعة حاصلة في فعله فإشارة الحقيقة مانعة من حيث التنزيه عن اختياره هذا في الكتابيات

(1) لم يعثر عليه.

التي يجوز مواصلتهن فأما أهل الشرك فحرام مواصلتهم قطعاً وواجب مباينتهم في هذا الباب حكماً جزماً انتهى وإنما قال هنا مواصلتهم يشمل الذكور والإناث لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الآية: 221] أي: مطلق الكفار والمعنى لا تزوجوهم المؤمنات أمة أو حرة ﴿حَتَّىٰ يُؤْمِنُواْۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْۗ أُوْلَٰٓئِكَ﴾ [الآية: 221] أي: الكفار ﴿يَدْعُونَ﴾ [الآية: 221] أي: الناس ﴿إِلَى ٱلنَّارِۖ﴾ [الآية: 221] أي: ما يؤدي/ إلى عذابها في دار القرار فلا يليق 76/ ب
موالاتهم ومصاهرتهم ومخالطتهم ﴿وَٱللَّهُ﴾ [الآية: 221] أي: أولياؤه المؤمنون بإقامة المضاف إليه مقام المضاف تفخيماً لشأنهم وتعظيماً لدعائهم ﴿يَدْعُوٓاْ﴾ [الآية: 221] أي: يدعوهم ﴿إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [الآية: 221] أي: إلى أسباب وصولهما وموجبات حصولهما فهم الأحقاء بمواصلتهم ﴿بِإِذْنِهِۦۖ﴾ أي: بتوفيق الله وتيسيره أو لقضائه وتقديره أو المعنى والله يدعوكم وغيركم ﴿إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦۖ﴾ [الآية: 221] أي: بأمره بالإسلام وشرعه للأحكام كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يونس: 25] ويؤيده العطف بقوله ﴿وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الآية: 221] أي: لكي يتذكروا آياته ويعملون بإحكام مواصلاته.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾ [الآية: 222] سببه إن أهل الجاهلية كانوا إذا حاضت المرأة لم يواكلوها ولم يشاربوها ولم يسكنوا في بيت معها كفعل المجوس واليهود ومن تبعهما والمحيض مصدر بمعنى الحيض هنا لقوله: ﴿قُلْ هُوَ أَذًى﴾ [الآية: 222] أي: مؤذي من يقربه نفرة من الاستقذارة ﴿فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ﴾ [الآية: 222] أي: اجتنبوا مجامعتهن ﴿فِي ٱلْمَحِيضِۖ﴾ [الآية: 222] أي: زمان حيضهن ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ﴾ [الآية: 222] أي بالجماع ﴿حَتَّىٰ يَطْهُرْنَۖ﴾ [الآية: 222] أي: من الدم أو يغتسلن ويؤيده قراءة شعبة وحمزة والكسائي بتشديد الطاء والهاء وفتحهما والجملة بيان لغاية الحكم مع زيادة إفادة تأكيد الأمر ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ [الآية: 222] أي: بالماء ﴿فَأْتُوهُنَّ﴾ [الآية: 222] أي: بالوقاع وهو أمر إباحة بالإجماع ﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ﴾ [الآية: 222] أي: المأتي الذي أمركم به من القبل وحلله لكم من الجماع.

قال الأستاذ: ليس كل ما يكون موجب الاستحياء أو التسوير مما هو

باختيار العبد إذ قد يكون من النقائص ما ليس للعبد فيه كسب وهو ابتداء حكم الحق فمن ذلك ما كتب الله على بنات آدم من تلك الحالة ثم أمرن باعتزال المصلى في أوان تلك الهيئة والمصلي مناجٍ ربه فتنحّين عن محل المناجاة حكماً من الله لا حراماً لهن وفي هذا إشارةٌ ويقال أنهن وإن منعن عن الصلاة التي هو حضور بالأبدان فلم يحجبن عن استدامة الذكر بالقلب واللسان وذلك تعرض بساط القرب قال ﷺ مخبراً عنه أنا جليس من ذكرني[1] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ [الآية: 222] أي: من السيئات ﴿وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [الآية: 222] أي: بالماء من الأحداث والنجاسات أو المتنزهين عن الفواحش والقاذورات كمجامعة الحائض وإتيان أدبار الحيوانات.

وقال السلمي أي: المقيمين على توبتهم والمتطهرين عن جميع ما تابوا من معصيتهم.

77/ أ وقال ابن عطاء:/ يحب التوابين من أفعالهم والمتطهرين من أحوالهم وهم القائمون مع الله بلا غاية ولا سبب سواه.

وأفاد الأستاذ: أنه يحب التوابين من الذنوب والمتطهرين من العيوب أو التوابين من الحوبة والمتطهرين من التوهم أن نجاتهم بالقربة أو التوابين من ارتكاب المحظورات والمخالفات والمتطهرين من المساكنات والملاحظات والتوابين بالاستغفار والمتطهرين بصب ماء الخجل بنعت الانكسار والتوابين من الزلة والمتطهرين من العلة أو التوابين من شهود التوبة والمتطهرين من توهم شيءٍ من الزلة بل الحكم ابتداءً لله.

وفي «**العرائس**» يحب التوابين عن وقوفهم في المقامات ويحب المتطهرين بنور المعرفة عن غبار الكائنات وأيضاً التوابين عن طلبهم إدراك بطنان القدم بالعقول الناقصة والعلوم المحدثة والمتطهرين عن رؤية مقدارهم عن صدمة قهر الكبرياء وسلطان العظمة.

(1) كشف الخفا (1/ 201) رقم (611).

قال الجنيد: دخلت على السري وعليه هم فقال: دخل عليّ فتًى من البغداديين فسألني عن شرح التوبة فأجبته فقال لي: وما حقيقتها؟ فقلت: أن لا تنسى ما من أجله أن تبت فقال الغلام: ليس هو هكذا قال الجنيد: فقلت له صدق الفتى قال: وكيف هذا قال الجنيد: إذا كنت في حال الجفاء فينقلني إلى حالة الصفاء فذكري الجفاء عند الصفاء من الجفاء.

﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ﴾ [الآية: 223] أي مواضع حرث ﴿لَّكُمْ﴾ [الآية: 223] ومزارع ومنابت لأولادكم شبهن بها لما يلقى في أرحامهن من النطف التي هي سبب النسل بالبذور ﴿فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ﴾ [الآية: 223] أي: لا فرثكم والمعنى فأتوهن كما تأتون محارثكم وهو كالبيان لقوله: فأتوهن من حيث أمركم الله ﴿أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [الآية: 223] أي: كيف شئتم مستلقية وباركة وقائمة ومن أين شئتم مقبلة ومدبرة ومجنبة ومتى ما شئتم ما عدا الأزمنة المنهية والهيئة الردية.

وقال الأستاذ: لما كانت النفوس بوصف الغيبة عن الحقيقة أباح لها السكون إلى أشكالها إذا كان على وصف الإذن من بارئها فلما كانت القلوب في محل الحضور حرم عليها المساكنة إلى جميع الأغيار ﴿وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ [الآية: 223] أي: العمل لله بما يحبه ويرضاه أو امتثال المأمورات واجتناب المنهيات وقيل: هو طلب الولد بالاجتماع وقيل التسمية عند الجماع.

77/ب وقال الأستاذ: ﴿وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ [الآية: 223] ما ينفعكم ليوم/ إفلاسكم ولذلك قال: ﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ﴾ [الآية: 223] فانظروا لأنفسكم بتقديم ما يسركم وجوده عند ربكم.

وفي «**العرائس**» علم عباده أدب المباشرة بشرط التقوى والديانة وصدق النية في شروعه عند مطالبة النفس الدنية حتى لا ينسوه في جميع أعمالهم وسائر أحوالهم ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 223] أي: الكاملين القائلين بأمر الدين على طريق اليقين وحذف المبشر به لأنه مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

﴿وَلَا تَجْعَلُواْ اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ﴾ [الآية: 224] أي: لا تجعلوا اليمين بالله

علة مانعة ﴿أَن تَبَرُّواْ﴾ [الآية: 224] أي من أن تعملوا البر ﴿وَتَتَّقُواْ﴾ [الآية: 224] أي: الشر ﴿وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الآية: 224] بما يصلح للاستئناس ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ [الآية: 224] لأيمانكم ﴿عَلِيمٌ﴾ [الآية: 224] بإحسانكم.

وقال الأستاذ: نزهوا ذكر ربكم عن ابتذاله بكل حظ لا خطر له ويقال لا تجعلوا ذكر الله شركاً يصطاد به حطام الدنيا أي: فإنه يكون شركاً عند أرباب العقبى.

﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ [الآية: 225] اللغو الساقط الذي لا يعتد به من كلام وغيره ولغو اليمين ما لا عقد معه كما يسبق به اللسان في مجراه أو يتكلم به الإنسان جاهلاً بمعناه أو يحلف عن الشيء ثم ينساه ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الآية: 225] أي: قصدت وعزمت به نفوسكم والمعنى لا يؤاخذكم الله فيما لا قصد معه ولا نية بعقوبة ولا كفارة ولكن يؤاخذكم بهما أو بأحدهما حين قصدتم الأيمان بموافقة القلب اللسان.

وقال أبو حنيفة: اللغو أن يحلف الرجل بناءً على ظنه ثم تبين الأمر بخلافه فالمعنى لا يؤاخذكم بما أخطأتم فيه من الأيمان ولكن يعاقبكم بما تعمدتم الكذب في البيان ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ [الآية: 225] حيث لم يؤاخذ العبد بعد التوبة ﴿حَلِيمٌ﴾ [الآية: 225] حيث لم يعجل بالعقوبة تربصاً للأوبة.

وأفاد الأستاذ: أن ما جرى به اللسان على قصد السهو فليس له كثير خطر في الخير والشر ولكن ما انطوى عليه الضمائر واحتوى عليه السرائر من قصود صحيحة وعزائم قوية فذلك الذي يؤاخذ به إن كان خيراً فجزاء جميل وإن كان شراً فعناء طويل.

﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ﴾ [الآية: 226] أي: يحلفون على أن لا يطؤوهن أربعة أشهر فصاعداً في الحرة وشهرين فأكثر في الأمة ﴿تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾ [الآية: 226] مبتدأ خبره ما قبله أي: انتظارهم هذه المدة فالإضافة إلى الظرف على التوسعة
78/ أ ﴿فَإِن فَآءُو﴾ [الآية: 226] أي: رجعوا في الأشهر الأربعة لما في قراءة ابن/ مسعود فإن فاؤوا فيهن ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الآية: 226] أي: للمولي حنثه بعد أداء

الكفارة وما قصد بالإيلاء من ضرار المرأة بالفيئة التي هي كالتوبة ﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ﴾ [الآية: 227] أي: بترك الفيء واختيار الفراق ﴿فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ [الآية: 227] بحلفهم ﴿عَلِيمٌ﴾ [الآية: 227] بفرضهم وعند أبي حنيفة إن فاء في المدة بالوطء أي: قدر عليها بالوعد إن عجز عنه بنحو أن يقال فئت إليها صح الفيء ولزمه الكفارة وإلا فبانت بعدها بتطليقة وعند الشافعي يطالب بعد المدة بأحد الأمرين وهو الوطء والطلاق فإن أباها جميعاً طلق الحاكم عليه.

قال محمد بن الحسن، في موطأه: بلغنا عن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت رضي الله عنهم أنهم قالوا إذا آلى الرجل من امرأته فمضت أربعة أشهر قبل أن يفيء فقد بانت بتطليقة ولا توقف بعدها وابن عباس اعلم بتفسير القرآن والله أعلم بتحقيق البيان.

وقال الأستاذ: إن كان حق صحبة الأشكال من الخلق محفوظاً عليك حتى لو أخللت به وأخذك بحكمه فحق الحق أحق بأن تجب مراعاة أمره ﴿فَإِن فَآءُو﴾ [الآية: 226] أي: رجعوا إلى إحياء ما أماتوا أو استدراك ما ضيعوا.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الآية: 226] أي: فيما صنعوا ولما تقاصرت لسان الزوجة لكونها أسيراً في يد الزوج تولى الله سبحانه الأمر بمراعاة حقها فأمر الزوج بالرجوع إليها أو بتسريحها.

﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ﴾ [الآية: 227] أي: مل عن صحبتها وأكد العزم على مفارقتها ﴿فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [لآية: 227] مطلع على حاله وسره فإن بدا له بادٍ من الندم فلا يلتبس بإنكار الطلاق ﴿فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أنه طلقها ولما كان الفراق شديداً على المرأة بأن قال إن سألك فراقه فلقد سمعنا موحش تلك المقالة فهو تعزية لها من الحق سبحانه.

﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ﴾ [الآية: 228] أي: المخليات من حبال الأزواج المدخول بهن حقيقة أو حكماً من ذوات الأقراء بخلاف الحاملة والصغيرة والآيسة والمتوفي عنها زوجها ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ﴾ [الآية: 228] أي: ليحملنها على الانتظار المسماة بالعدة ﴿ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [الآية: 228] أي مدة ثلاث حيض عندنا وأطهار عند

الشافعي ويؤيدنا عليه السلام طلاق الأمة تطليقتان وعدتها حيضتان[1] فهو خبر في معنى الأمر وتغيير العبارة للتأكيد والمبالغة فكأنه سبحانه أمرهن فامتثلن فأخبر عن امتثالهن.

78/ب وقال الأستاذ: أمر المطلقات بالعدة/ احتراماً لصحبة الأزواج ولو ساعة يعني لو انقطعت العلاقة بينكما فأقيموا على شرط الوفاء لما سلف من الصحبة ولا تقيموا غيرهُ مقامه بهذه السرعة واصبروا حتى يمضي مقدار من المدة ألا يرى أن غير المدخول بها لم تؤمر بالعدة حين لم يقم بينهما الصحبة ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ﴾ [الآية: 228] يعني الولد إبطالاً لحق الزوج من الرجعة أو الحيض استعجالاً في العدة ولا منع من الجمع ومال الأستاذ إلى الأول حيث قال: يعني إن انقطع بينكما السبب فلا تقطعوا ما أثبت الله من النسب ﴿إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ [الآية: 228] أي: إيماناً كاملاً وليس المراد تقييد نفي الحل بإيمانهن بل التنبيه على أن المؤمنة الكاملة لا تجترئ عليه فقصد به زجرهن وأكد أمرهن ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ﴾ [الآية: 228] أي: أزواجهن ﴿أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾ [الآية: 228] أي: بمراجعتهن إن كان طلاقهن رجعياً ﴿فِى ذَٰلِكَ﴾ [الآية: [الآية: [الآية: 228] أي: في زمان تربصهن من عدتهن ﴿إِنْ أَرَادُوٓاْ إِصْلَٰحًا﴾ [الآية: 228] أي: إن قصدوا مصالحة بينهم وبينهن وأرادوا إصلاح أنفسهم وأنفسهن لا إضرار النساء بمراجعتهن وهو تقييد للأحقية وقيل المعنى وبعولتهن حقيقون بردهن وأما قول من قال وعندي أن معناه وأزواجهن أحق من الأجانب في مدة العدة فمدفوع بأن الأجانب ليس لهم حق في تلك المدة وبعد فراغها يستوي الأجنبي وزوجها في أن الأمر باختيارها ثم ليس المراد منه شريطة قصد الإصلاح للرجعة بل التحريض على هذا الأمر والمنع عن قصد الضرر.

وأفاد الأستاذ: أن من سبق له الصحبة فهو أحق بالرجعة لما وقع في النكاح من الثلمة وقوله: ﴿إِنْ أَرَادُوٓاْ إِصْلَٰحًا﴾ [الآية: 228] يعني أن يكون القصد بالرجعة استدراك ما حصل من الجفاء إليها لا تطويل العدة بأن يعزم على طلاقها

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (7/ 26) رقم (6749)، والترمذي في الجامع الصحيح (3/ 488) رقم (1182)، وعبد الرزاق في المصنف (7/ 221) رقم (12871).

بعدما راجعها ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [الآية: 228] ولهن حقوق على الرجال مثل حقوقهم عليهن على ما عرف في الشرع من حق الرجل على المرأة، وعكسه فيتزين لها كما تتزين له والمقصود وحسن المعاشرة وطيب المخالطة.

وقال الأستاذ: يعني إن كان له عليها حق لما أنفق من المال فلها حق الخدمة لما سلف من الحال ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [الآية: 228] أي زيادة حق سبب المهر الذي ساقوا وللمال الذي أنفقوا أو مزيد شرف لأنهم قوام عليهن وحراس لهن.

وأفاد الأستاذ: أن للرجال عليهن درجة في الفضيلة ولهن مزية في الضعف وعجز/ البشرية ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ [الآية: 228] أي: غالب على المراد لقدرته 79/أ
﴿حَكِيمٌ﴾ [الآية: 228] يأمر بما أراد لحكمته.

﴿ٱلطَّلَٰقُ﴾ [الآية: 229] أي الرجعي ﴿مَرَّتَانِ﴾ [الآية: 229] أي: اثنتان رداً على أهل الجاهلية حيث لم يكن لهم طلقة محصورة معناه التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفرقة وكذا قال علماؤنا الجمع بين التطليقتين والثلاث بدعة.

وقد مال الأستاذ إلى هذا المقال حيث قال ندب إلى تفريق الطلاق لئلا يتسارع إلى تحقيق الفراق وقد قيل في معناه:

قد تبينت أن عزمك قتلي فذريني أضنى قليلاً قليلاً

وفي «العرائس» الطلاق مرتان أحدهما طلاق النفس وشهواتها والدنيا ولهواتها والثاني طلاق الآخرة ولذاتها فينبغي للعارف أن يطلقها لأن عروس مشاهدة الحق غار على قلوب المحبين والمشتاقين أن يكون لهم شيء دون الله قلت ولأنها ضرتان لا تجتمعان إن أرضيت واحدة أغضبت الأخرى وإن أرضيت الأخرى أغضبت الأولى فلا مخلص من علاقتهما سواء يكون بعناقهما أو خناقهما إلا بطلاقهما بإذن المولى ﴿فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ﴾ [الآية: 229] أي: بما عرف من أمر الله والمعنى إذا طلقتموهن واحدة أو اثنتين فلكم الخيار في المراجعة وحسن المعاشرة فإمساك مبتدأ والخبر الجار المقدر ﴿أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾

[الآية: 229] بالطلقة الثالثة كما ورد في السنة أو بعدم المراجعة ضراراً حتى تبين بانقضاء العدة.

وقال الأستاذ: في معناه إما صحبة حميدة أو فرقة جميلة فأما سوء العشرة وإذهاب لذة المعيشة بالأخلاق الذميمة فغير مرضي في الطريقة ولا محمود في الشريعة والحقيقة ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ﴾ [الآية: 229] أيها الأزواج ﴿أَن تَأْخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا﴾ [الآية: 229] من الصدقات أو العطيات.

وأفاد الأستاذ: أن في الخبر العائد في هبته كالعائد في قيئه والرجوع فيها خرجت عنه خسة يعني فما خرجت عنه فلا تدخل في قيئه ﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ﴾ [الآية: 229] أي: الزوجان والمعنى يظنا كما قرىء به أو يعلما وفي قراءة حمزة بضم الياء أي يخاف عليهما ﴿أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 229] بترك أحكام مواجب الزوجية المقررة بالأدلة الشرعية والمعنى أن المرأة إذا خافت أن تعصي الله في أمر الزوج بغضاً له وخاف الزوج إذا لم تعطه امرأته أن يعتدي عليها حل
79/ب له أن يأخذ الفدية منها إذا دعته إلى ذلك باختيار عنها وهو معنى قوله/ ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ أي: أيها الأولياء ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ [الآية: 229] أي: فيما بينهما ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾ [الآية: 229] أي: لا على الرجل في أخذ ما افتدت به نفسها واختلعت ولا على المرأة في إعطاء ما افتدت سواء أخذت شيئاً من زوجها أو ما أخذت.

وقال الأستاذ: يعني إن أرادت المرأة أن تتخلص من زوجها فلا جناح عليها فيما تبذل من مال فإن النفس تساوي لصاحبها كل شيء والرجل إذا فاته صحبة المرأة لو اعتاض منها شيئاً فلا أقل من ذلك حتى إن فاته راحة الحال يصل إلى يده شيء من المال ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 229] إشارة إلى ما حد من الأحكام السالفة ﴿فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ [الآية: 229] أي: فلا تعتدوها بالمضايقة ولا تجاوزوها بالمخالفة.

وأفاد الأستاذ: إن هذه آداب علمكم وشرائع سنّها لكم فحافظوا على ملازمة حدوده وداوموا على محافظة حقوقه ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ

ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الآية: 229] تعقيب للنهي بالوعيد للمبالغة في التهديد.

﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ [الآية: 230] أي: الزوج المطلق تبين ﴿فَلَا تَحِلُّ﴾ [الآية: 230] أي المطلقة ثلاثاً ﴿لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ﴾ [الآية: 230] أي: بعد التطليقة الثالثة ﴿حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥ﴾ [الآية: 230] أي: حتى تتزوج غير المطلق بعد فراغ العدة نكاحاً صحيحاً يطأها فيطلقها وتخرج من عدته خروجاً صريحاً ولعل في ذلك الحكم من الحكمة ردع الزوج عن المسارعة إلى المفارقة والعود إلى المطلقة ثلاثاً بلا كلفة لما فيه من النفرة وقلة الرغبة.

وأفاد الأستاذ: أن الرجل يشق عليه أن ينكح زوجته غيره فمنعه عن اختيار الفراق بغاية المنع لما بين أنها لا تحل له إن فارقها إلا أن تفعل غاية ما يشق عليه وهو الزوج الثاني ليحذر الطلاق ما أمكنه ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ [الآية: 230] أي: الزوج الثاني ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ﴾ [الآية: 230] بنكاح جديد بينهما فالرجعة هنا لغوية لا شرعية ﴿إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ﴾ [الآية: 230] أي: ما بين الله من حقوقهما وعبر بالظن لأن عواقب الأمور مظنونة لكونها مبهمة لا معلومة ﴿وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ [الآية: 230] أي يفهمون وبمقتضاها يعملون وخصوا بذلك لأنهم المنتفعون وغيرهم محرومون.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة في هذه الآية استيلاء المحبة على القلوب الشديدة يهون المقاساة الشديدة فلو انطوى الزوجان بعد الفرقة/ على التحسر 80/أ على ما فاتهما من الوصلة وندما على ذلك غاية الندامة فلا جناح عليهما أن يتراجعا والمرأة في هذه الحالة كالمنشود من الزوج الأول بمكان الزوج الثاني والزوج كالآتي على نفسه في احتمال ذلك ثم قال ﴿إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ يعني أن لا يعودوا بعد ذلك إلى الفراق ثانياً إذا علما حاجة أحدهما إلى صاحبه قال قائلهم:

ولقد حلفت لئن لقيتك مرة   أن لا أعود إلى فراقك ثانية[1]

﴿وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ﴾ [الآية: 231] أي: قاربن انقضاء عدتهن

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 220).

﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا﴾ [الآية: 231] أي راجعوهن من غيرضرار وتثقيل أو أدخلوهن في مقتضى عدتهن من غير تطويل ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا﴾ [الآية: 231] أي: لا تراجعوهن إرادة الإضرار بهن وأنتم لا حاجة بكم إليهن ﴿لِّتَعْتَدُواْۚ﴾ [الآية: 231] أي: لتعلوا عليهن بالاعتداء أي: لتلجئوهن إلى الافتداء واللام متعلقة بالضرار إذ المراد تقييده فإنها إذا زنت يجوز أن تضار لتفتدي.

وأفاد الأستاذ: إن الآية تضمنت الأمر بحسن العشرة وترك المغايظة مع الزوجة فأما تخلية سبيل من غير الجفاء أو قيام بحق الصحبة على شرط الوفاء ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 231] أي: الاعتداء ﴿فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ [الآية: 231] بتعريضها للعقاب وتغويتها للثواب وظلمها ما تعداها إلى غيرها ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًاۚ﴾ [الآية: 231] أي: مهزواً بها بالإعراض عنها وتهاون العمل بما فيها وقد كان الرجل تزوج ويطلق ويعتق ويكون كنت ألعب فنزلت وثبت عنه ﷺ ثلاث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح والعتاق(1) ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية: 231] ومن جملتها إنزال رسولنا إليكم وذكرها شكرها بالقيام لحقوقها ﴿وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾ [الآية: 231] أي: القرآن والسُنَّة خصها بالذكر لشرفها في المرتبة وشمولها كل نعمة مرتبة ﴿يَعِظُكُم بِهِۦۚ﴾ [الآية: 231] أي: بالمنزل من كتابه ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [الآية: 231] تأكيد ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الآية: 231] تهديد.

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ [الآية: 232] أي: انقضت عدتهن وسياق الكلامين دل على اختلاف البلوغين ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ [الآية: 232] أي: فلا تمنعوهن ﴿أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ﴾ [الآية: 232] أي: من أن يتزوجن/ الذين كانوا 80/ب
أزواجهن بنكاح جديد لهن أو من أراد نكاحهن ﴿إِذَا تَرَٰضَوْاْ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِۗ﴾ [الآية: 232] أي تراضياً كائناً بما يعرفه الشرع ويستحسنه الطبع من المهر المتعارف

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (2/ 216) رقم (2800)، وابن ماجه في السنن (1/ 658) رقم (2039)، والترمذي في الجامع الصحيح (3/ 490) رقم (1184)، وأبو داود في السنن (2/ 225) رقم (2196).

بالمروءة واعتبار الكفاءة.

وأفاد الأستاذ: أن الآية تضمنت نهي الأولياء عن مضارتهن وترك أحكام الجاهلية والانقياد لحكم الله في تزويج النساء إذا أردن النكاح من دون استعشار الأنفة والحمية بل إذا رضيت بكفؤ يخطبها فحرام عليكم ظلمها والتذويب عن أوصاف البشرية بقهر النفس أشد مجاهدة وأصدق معاملة لله ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 232] أي نهيه سبحانه عن الفصل والخطاب له ﷺ فإنه الأصل والفصل وصاحب الفضل والمراد هو وأمته لقوله: ﴿يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ [الآية: 232] وخص لأنه المنتفع والمتعظ بالأمر والزاجر ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ [الآية: 232] أي: الاتعاظ بالامتثال والانتهاء ﴿أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾ [الآية: 232] أي: أنفع وأنمى في صلاحكم ﴿وَأَطْهَرُ﴾ [الآية: 232] أي: أنظف وأنقى في فلاحكم ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ [الآية: 232] أي: ما فيه من نفعكم ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 232] لقصور علمكم.

﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ﴾ [الآية: 233] أو عبر عنه بالخبر للمبالغة وهو للندب مطلقاً أو للوجوب إذا تعين وفاقاً ﴿حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ [الآية: 233] أكده بصفة الكمال لأنه سماع يتسامح فيه في بعض الأحوال أو تحديد لا تقريب لقطع النزاع بين الزوجين في مدة الرضا كما يدل عليه قوله سبحانه ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾ [الآية: 233] وهو بيان للمتوجه إليه الحكم أي ذلك الحكم بإرضاع الحولين الكاملين لمن أراد إتمام الرضاعة مطلقاً أو عند اختلاف إرادة الزوجين وفيه دليل على أن أقصى مدة الإرضاع حولان ولأن لا عبرة بالرضاعة بعدها خلافاً لعائشة رضي الله عنها في أن إرضاع الكبير يؤثر في التحريم.

وأفاد الأستاذ: إن غاية الرحمة التي يضرب بها المثل رحمة الأمهات فأمر الله سبحانه الأمهات بإكمال الرحمة بإرضاع المولود حولين كاملين وقطع الرضاع عليه قبل الحولين إشارة إلى أن رحمة الله بالعبد أتم من رحمة الأمهات بالولد ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ﴾ [الآية: 233] أي: وعلى الوالد ﴿رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ﴾ [الآية: 233] أي: نفقة الأمهات المرضعات ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [الآية: 233] أي: بقدر

وسعه لقوله سبحانه: ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [الآية: 233].

1/81 وقال الأستاذ: وقوله: ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي: لما قمن عنك/ وجب حقهن عليك فإن من لك كله فعليك أن يكون كلك له وقوله: ﴿لَا تُكَلَّفُ﴾ أشار إلى أن ادخار المستطاع بخل وغدر والوقوف عند العجز عذر ﴿لَا تُضَآرَّ﴾ [الآية: 233] بتشديد الراء المفتوحة على أنه نهي معلوم أو مجهول وبالمضمومة للمكي والبصري على أنه نفي كذلك ﴿وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ﴾ [الآية: 233] أي: ولا الأب بولده والمعنى لا يضر الوالدان بالولد فيفرط في تعهده ويقصر فيما ينبغي له من حقه ﴿وَعَلَى ٱلْوَارِثِ﴾ [الآية: 233] أي: وارثه المحرم عند أبي حنيفة حال فقر الرضيع ووارث الأب وهو الصبي نفسه حال غناه اتفاقاً ﴿مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 233] أي: مثل ما وجب على الأب من النفقة وسائر أنواع الشفقة.

وقال الأستاذ: كما يجب حق المولود على الوالدين يجب حق الوالدين على المولود ﴿فَإِنْ أَرَادَا﴾ [الآية: 233] أي الوالدين ﴿فِصَالًا﴾ [الآية: 233] أي: فطاماً للولد قبل الحولين صادراً ﴿عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا﴾ [الآية: 233] بينهما أو بغيرها ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ [الآية: 233] لأن أمره مفوض إليهما إذ لا يوجد أحد أحن عليه منهما.

وأفاد الأستاذ: أن الآية اشتملت على تمهيد طريق الصحبة وتعلم محاسن الأخلاق في أحكام العشرة وأن من لا يرحم لا يرحم وقد ورد عنه ﷺ أنه قال لمن ذكر أنه لم يقبّل أولاده أن الله لا ينزع الرحمة إلا من قلب شقي(1) ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ﴾ [الآية: 233] حذف المفعول الثاني للاستغناء عنه بما يتضمنه الفعل من البناء والمعنى أن تعطوا أولادكم مراضع من غير أمهاتهم ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم﴾ [الآية: 233] إلى المراضع ﴿مَّآ ءَاتَيْتُم﴾ [الآية: 233] أي: ما أردتم إيتاءه من أجرتهن وفي قراءة ابن كثير بالقصر أي: فعلتم ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ [الآية: 233] أي: بالوجه المتعارف مروءة والمستحسن شريعة وهو صلة سلمتم وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله وشبه ما هو من

(1) أورده القشيري في تفسيره (1/ 223).

شرائط الأولوية بما هو من شرائط الصحة فاستعير له العبارة إشعاراً بأن كون الاسترضاع مقروناً بتسليم ما يعطي المرضع أكثر ثواباً وأنور مآباً ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [الآية: 233] مبالغة في المحافظة على الموافقة ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الآية: 233] أي: محاذر عن مباشرة المخالفة وحث على المعاشرة (بالمجاملة) والمخالفة.

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ﴾ [الآية: 234] أي: يموتون ﴿وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾ [الآية: 234] أي يتركون/ زوجات من الحرائر ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ﴾ [الآية: 234] خبر 81/ب
بمعنى الأمر أي: ليتوقفن وينتظرن أو يحبسن أنفسهن عن الزواج بعد موت الأزواج ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [الآية: 234] أي: عشر ليالٍ فتأنيث العشر باعتبار الليالي لأنها غرز الشهور والأيام وقيل: أي عشرة أيام لكون التذكر فيه فصيحاً أيضاً وحسنه أنه مقطع الكلام فهو شبيه بالفواصل في تمام النظام كقوله ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾ أي: عشرة أيام بقرينة قوله بعد أن لبثتم إلا يوماً وخص عن هذا الحكم الحامل للإجماع ولقوله تعالى: ﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: 4].

قال القاضي: ولعل المقتضي لهذا التقرير أن الجنين في غالب الأمر يتحرك لثلاثة أشهر إن كان ذكراً ولأربعة إن كان أنثى فاعتبر أقصى الأجلين وزيد عليه عشراً استظهاراً إذ ربما يضعف حركته في المبادىء فلا يحس بها.

وقال الأستاذ: لما كان حق الميت أعظم من المطلق لأن فراقه لم يكن بالاختيار كانت مدة وفائه أطول في الاعتبار ففي ابتداء الإسلام عدة الوفاة كانت سنة ثم ردت إلى أربعة أشهر وعشرة أيام لتحقق براءة الرحم عن ماء الزوج ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ [الآية: 234] أي: انقضت عدتهن ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ﴾ [الآية: 234] أي: مما حرم للعدة عليهن ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ [الآية: 234] أي: بالوجه المستحسن شرعاً وعرفاً.

وقال الأستاذ: يعني إذا انقضت العدة أبيح لها التزوج بزوج آخر فإنها قامت بحق المروءة وأمر الشريعة إذ الميت لا يستديم وفاءه إلى آخر العمر

أحد في الطريقة ولا في الحقيقة وقد قيل:

وكما تبلى وجوه في الثرى ... فكذا يبلى عليهن الحزن[1]

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ [الآية: 234] وبجراء أعمالكم بصير.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا عَرَّضۡتُم بِهِۦ﴾ [الآية: 235] أي: تكلمتم به على طريق غير تصريح بل على سبيل كناية وتلويح ﴿مِنۡ خِطۡبَةِ ٱلنِّسَآءِ﴾ [الآية: 235] أي: من التماس نكاح المعتدات للوفاة حال العدة وبتعريض خطبتها مثلاً أن يقول لها أنك جميلة أو صالحة أو نافعة ﴿أَوۡ أَكۡنَنتُمۡ فِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ﴾ [الآية: 235] أي: فيها أضمرتم من نكاحهن في قلوبكم وأو للتنويع أو التخيير ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ سَتَذۡكُرُونَهُنَّ﴾ [الآية: 235] أي: في أنفسكم فرفع الحرج في ذلك عنكم أو المعنى ستذكرونهن باللسان لعدم صبركم عن الرغبة فيهن وعلى السكوت عنهن ﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ
82/أ سِرًّا﴾ [الآية: 235] التقدير فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن/ نكاحاً أو جماعاً وعبر عنه بالسر لأنه يسر وعن العقد لأنه سببه أومعناه لاتواعدوهن في السر على أن المعنى بالمواعدة في السر المواعدة بما يُستهجن حتى في الذكر ﴿إِلَّآ أَن تَقُولُواْ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗاۚ﴾ [الآية: 235] بأن تذكروا تلويحاً لا تصريحاً والمستثنى منه محذوف أي: ﴿لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ﴾ إلا مواعدة معروفة وقال الأستاذ أبيح من ذلك ما كان فيه استجلاب للمودة وتأسيس لحال الوصلة وحرم منها ما فيه ارتكاب محظورات إلمام بذنب أو عدة بجزم ﴿وَلَا تَعۡزِمُواْ عُقۡدَةَ ٱلنِّكَاحِ﴾ [الآية: 235] أي: لا تقصدوا عقد عقدة النكاح وذكر العزم مبالغة في النهي عن العقد ولا بد عن تقديرالمضاف لأن العزم إنما يكون على الفعل لا نفس العقد والمعنى لا تقصدوا قصداً جازماً في عقد ما يتقيد به أمر الزواج وملخصه لا تصححوا عقد النكاح ﴿حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡكِتَٰبُ أَجَلَهُۥۚ﴾ [الآية: 235] أي: حتى تنقضي عدة الأول فإن حرمة الماضي لا تضيع ولو طال الأجل ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ [الآية: 235] أي: من العزم على ما لا يجوز لكم ﴿فَٱحۡذَرُوهُۚ﴾ [الآية: 235] ولا تعزموه أو فخافوا المطلع على ما في ضمائركم.

(1) نسب إلى أبي العتاهية. انظر: الزهرة (1/ 164)، والبيان والتبيين (1/ 484).

وفي «**تفسير السلمي**» وقيل: فاحذروا أن يكون في أنفسكم سواه فيعرض عنكم الإله ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ [الآية: 235] لمن عزم على معصيته وتركها لخشيته ﴿حَلِيمٌ﴾ [الآية: 235] لا يعجل عليكم بعقوبته وبخهم أولاً في الزلة ثم لم يؤيسهم من الرحمة.

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ﴾ [الآية: 236] أي: لم تجامعوهن حقيقةً أو حكماً وفي قراءة حمزة والكسائي تماسوهن بضم التاء ﴿أَوْ تَفْرِضُواْ﴾ [الآية: 236] أي: لم تفرضوا بمعنى لم تقدروا أو إلا أن تفرضوا أو إلى أن تفرضوا ﴿لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ [الآية: 236] تسمّوا مهراً مفروضاً فعليه بمعنى مفعول والتاء لنقل اللفظ من الوصفية إلى الإسمية ويحتمل المصدرية والمعنى لا تبعة على المطلق من جهة الوزر ولا من مطالبة المهر إذا كانت المطلقة غير ممسوسة ولم يسم لها مهر فإنها لو كانت ممسوسة فعليه المسمى أو مهر المثل وإذا لم تكن ممسوسة وسمي لها فلها نصف المسمى كما سيأتي في بيان هذا المعنى ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾ [الآية: 236] أي: فطلقوهن ومتعوهن بمعنى أعطوهن من مالكم ما به يتمتعن ﴿عَلَى ٱلْمُوسِعِ﴾ [الآية: 236] أي: الغني الذي يكون في سعة من غناه ﴿قَدَرُهُ﴾ [الآية: 236] بسكون الدال نافع والمكي والبصري والشامي وشعبة/ أي: 82/ب
قدر إمكانه ومقدار طاقته ﴿وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ﴾ [الآية: 236] أي: الفقير الذي في ضيق مما ابتلاهُ الله ﴿قَدَرُهُ﴾ [الآية: 236] والحكمة في إيجاب المتعة خبر إيحاش الفرقة بعد الوصلة وهي درع وخمار وملحفة عند أئمتنا الحنفية على حسب حال صاحب البلية في القضية وفي تفسير الوجيز أعلاها خادم وأوسطها ثوب وأقلها أقل ما له ثمن ثم قال والمطلقة قبل تسمية المهر والمسيس يستحق المتعة بالإجماع انتهى. وأكثر السلف على أن المتعة عام لكل مطلقة وعندنا المتعة واجبة لمن لم يسمّ لها مهر ولم يقع لها مسّ ولا متعة لمن سمى لها مهر ولم يقع لها مسّ ومستحبة لسائر المطلّقات. ﴿مَتَٰعًا﴾ [الآية: 236] أي: تمتيعاً ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [الآية: 236] أي: مما يعرف حسنه شريعة ومروءة ﴿حَقًّا﴾ [الآية: 236] صفة لمتاعاً أي: واجباً ﴿عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الآية: 236] أي: إلى أنفسهم بالمسارعة إلى امتثال أمر ربهم.

وقال الأستاذ: يعني إن ابتدأتم بوصلة أشكالكم ثم بدا لكم مفارقة أمثالكم فلا حرج عليكم في اختيار الفرقة إذ أردتم فإن الذي لا يجوز اختيار فرقته واحد فأما صحبة الخلق بعضهم مع بعض فليس بواجب بل غاية وصفة أنه جائز ولكن لما وقع عليهن اسمكم فنصف المسمى يجب لهن فإن الفراق كيف ما كان فهو شديد فجعل ما يستحق من العوض كالخلق لا عند تجرع كأس الفرقة فإن لم يكن مسمى فلا يخلو العقد من متعة فإن تجرع الفرقة مجرد عن كل راحة محنة عظيمة.

﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ [الآية: 237] أي: لأجلهن ﴿إِلَّآ أَن يَعْفُونَ﴾ [الآية: 237] أي المطلقات بأن يتركن مطالبة أزواجهن ﴿أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾ [الآية: 237] أي الزوج المالك لعقده وحله فإن الطلاق لمن بيده الساق عما يعود نفعه بالتشطير مالاً فيسوق المهر إليه يوجب كمالاً وبه فسر أصحابنا والشافعي وأحمد وحجتهم ما رواه الدارقطني عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله قال ولي العقدة الزوج وفسره مالك بالولي ﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟﴾ [الآية: 237] أي: وعفوكم أيها الرجال والنساء ﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [الآية: 237] أي: أدعى إلى كمال الإتقاء من أحوال الأتقياء فإن امتثال العفو المندوب مشعر بأن صاحبه بالأولى بتمثل أمر الوجوب والآية في الجملة داعية إلى خصلة الإيثار التي هي طريقة الأبرار ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [الآية: 237] أي: لا تتركوا تفضل بعضكم على بعض منكم بزيادة الإحسان فيما بينكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الآية: 237] فلا يضيع
83/أ تحملكم وتجملكم/.

وأفاد الأستاذ: أنه يقال من أخل بالفضل واقتصر على العرض فعن قريب يخل بالفرض ويقال نسيان الفضل يقرب صاحبه من البخل وأن من سُنَّة الكرام إذا خفي عليهم موضع الكرام أن يتخذوا بصائر الجود بتطلع لطائف الكريم ليتوفر دواعيهم في اقتناء أسباب الفضل.

﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾ [الآية: 238] أي داوموا عليها بأدائها على وفق

شروطها وأركانها ومراعات سننها وآدابها ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [الآية: 238] أي بينها والفضلى منها خصوصاً وهي صلاة العصر وعليه أكثر السلف والخلف وفي صحيح مسلم أنه ﷺ قال يوم الأحزاب شغلونا عن صلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله بيوتهم ناراً[1] ولعل فضلها لكثرة اشتغال الناس في أسواقهم حينئذٍ عنها ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ﴾ [الآية: 238] أي: في الصلاة عموماً وفي الوسطى خصوصاً ﴿قَٰنِتِينَ﴾ [الآية: 238] ذاكرين ومطيعين أو خاضعين خاشعين.

وأفاد الأستاذ: أن المحافظة على الصلوات أن يدخلها بالهيبة ويخرج بالتعظيم ويستديم بدوام الشهود وبنعت الأدب وأبهم الصلاة الوسطى عنك لتراعي الجميع اعتقاداً منك لكل واحدة منها أنها هي لأن لا يقع منك تقصير في شيء منها انتهى ولا يبعد أن يقال المراد منها الصلاة الواقعة في وسط الناس ومجامعهم وخصت بالمحافظة مخافة الاشتغال بهم وخشية استعمال السمعة والرياء في محافلهم ولذا ورد أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة[2] وإنما شرعت المفروضة علانية بالجماعة لأمره تعالى بقوله ﴿وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة: 43] إشعاراً بأنه من شعائر المسلمين ولأن الصلاة بالجماعة تقتضي أن تكون بالهيئة المجموعة كاملة في المرتبة الحضورية بأن كلاً من المصلين يكون حاضر القلب في جزء من الأجزاء الأركانية وغير ذلك من الحكم الإلهية بالأسرار النبوية.

وقال صاحب «العرائس» المحافظة شهود السر مقام الغيب وخمود النفس عن دواعي الريب ومراقبة القلب أنوار الكشف ورعاية الروح مشاهدة الوصل ومراعات الأدب ظاهراً وباطناً أما الظاهر فبإقامة الحدود في أركانها وأما الباطن فبدفع الخواطر المذمومة الشاغلة عن رؤية الآخرة/ ثم الغيبة عن 83/ب

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (2931)، ومسلم في الصحيح (6271/ 203).
(2) أخرجه البخاري في الصحيح (731)، والطبراني في المعجم الكبير (5/ 144) رقم (4895)، والبيهقي في السنن الكبرى (2/ 494) رقم (4382)، وابن حبان في الصحيح (6/ 238) رقم (2491)، .

الأركان والرسوم برؤية الحق جل جلاله في صلاته ثم الفناء في حقائق المشاهدة عن ملاحظة وجوده لغلبة سكر الوجد ومن هذا حاله فهو غائب في سر الاصطلام ولا يعلم كيفية صلاته لغلبة الوقت ولا عيب عليه لأنه قد بلغ مقام المشاهدة وهذا مقصود الصلاة إشارة من النبي ﷺ بقوله أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك[1] لكن صورة الأحكام تجري على العارف ويحفظها الله عليه وإن لم يعلم شأنه فيها فهؤلاء القوم يغيبون عن الظاهر لِشغل الباطن والعامة يغيبون عن الباطن بشغل الظاهر فشتان ما بين الطائفتين فالعوام طاحوا في أودية الغفلات فيزينون أحكام الظاهر وأهل المعرفة طاروا في عالم المشاهدة فهم في غيبة عن رسوم الأحكام استغراقاً في بحر أنوار مشاهدة ذي الجلال والإكرام وأبهم صلاة الوسطى لمراعاة جميع الأوقات ومراقبة أحايين المكاشفات انتهى وكأنه يشير إلى إيصال صلاة الوصلة فيما بين الصلوات من النوافل وسائر الأذكار والدعوات بحيث لا يخلو في لحظة ولا لمحة ولا نفس نفس السالك عن الذكر والطاعة ولذا قال بعض العارفين الصلاة دوام الحضور مع الله والصيام هو الإمساك عما سواه ثم ما ذكره الشيخ من تقسيم الخاص والعام مستقيم عند المشايخ الكرام لكن فوق هذا مقام للأخص وهو المعبر عنه بجمع الجمع حيث لا منع بمعنى أن حضور الباطن لا يمنع عن القيام بالظاهر وعكسه فهم ثمن يقال فيهم أنهم مجمع البحرين وملتقى النيرين كما قال تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن: 19 ـ 20] وأما غيرهم فكما أشار الله إليهم بقوله ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ۝٢٠ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الاسراء: 20 ـ 21] وفي هذا تنبيه نبيه على أن درجات الصلاة ومراتب الوصلات يكون أبداً في مزية الزيادات كما يقتضيه كمال تجلي الذات والصفات والله أعلم بحقائق الحالات ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ [الآية: 239] من عدو وغيره ﴿فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾ [الآية: 239] أي: فصلوا راجلين واقفين على الأرجل جماعة أو راكبين فرادى مستقبلي القبلة أو غيرها

(1) سبق تخريجه.

84/أ كما قرر صلاة/ الخوف في محلها ولا يصلي عندنا حال المشي والمسايفة خلافاً للعلماء الشافعي ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ﴾ [الآية: 239] أي: كنتم في أمان ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [الآية: 239] أي: فصلوا صلاة إلا من مع أهل الإيمان ﴿كَمَا عَلَّمَكُم﴾ [الآية: 239] أي: لأجل تعليمنا إياكم ﴿مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 239] بعقولكم.

وقال الأستاذ: لا تخلوا بمناجاتي لأوقاتها على الوصف الذي أمكنكم فإن من تخشونه من أعدائكم أنا سلطتهم عليكم فإذا خلوتم لي بقلوبكم قصرت أيديهم عنكم وجعلت الظفر لكم عليهم ثم إذا زال عنكم الخوف وآمنتم فعودوا إلى استقراركم باستفراغ أوقاتكم في الاعتكاف بحضرتي سراً وجهراً انتهى ولعل ذكر الصلاة حال الرفاهية والمخوفات بعد الأمر بمحافظة جميع الصلوات في أثناء أحكام الأولاد والزوجات لئلا يشغلهم الاهتمام بأمرهم عن حكم ربهم كما أشار إليه سبحانه بقوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المنافقون: 9] ولا يبعد أن يكون حكمة إيراد الجمل المعترضة إشارة إلى قطع ما بعدها عما قبلها نزولاً وإيماء إلى أن ما سيأتي منسوخ وإن تأخر وجوده ذكراً.

﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً﴾ [الآية: 240] أي: فعليهم وصيته وفي قراءة البصري والشامي وحفص وحمزة بالنصب أي: فليوصوا وصية ﴿لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا﴾ [الآية: 240] أي: تمتيعاً ﴿إِلَى ٱلْحَوْلِ﴾ [الآية: 240] أي: نصب بالفعل أو المصدر ﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ [الآية: 240] بدل اشتمال منه والمعنى أنه يجب على الذين يتوفون أن يوصوا قبل أن يحتضروا لنسائهم بأن يمتعن بعدهم بإجراء النفقة عليهن وإبقاء السكنى لهن حولاً من غير إخراج الورثة إياهن كما قال قائلهم، إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ثم نسخت هذه المدة بما تقدم من العدة وسقطت النفقة بتوريثها الربع أو الثمن وكذا السكنى لأنه تابعة للنفقة ومن جملة المتعة وهذا عندنا معشر الحنفية خلافاً للعلماء الشافعية فإن السكنى لها بعد ثابتة لكن على وفق المدة المتقدمة ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾ [الآية: 240] أي: عن منازل أزواجهن باختيارهن ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ﴾ [الآية: 240] أي مما لم ينكره الشرع من التشوف للنكاح والتصنع للأزواج ﴿وَٱللَّهُ

عَزِيزٌ﴾ [الآية: 240] أي: لا يدفعه أحد من الانتقام عن من خالفه في الأحكام ﴿حَكِيمٌ﴾ [الآية: 240] أي: حاكم لا يعقب فيما أمرهم وذو حكمة يراعي مصالحهم/. 84/ب

﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الآية: 241] قال الواحدي لما ذكر الله تعالى متعة المطلقة في قوله ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ قال رجل من المسلمين إن أحسنت فعلت وإن لم أزد ذلك لم أفعل فأوجبها الله على المؤمنين الذين يتقون الشرك.

وفي «العرائس» جعل لهن المتاع تسلية لقلوبهن لأنهن كابدن مقاساة الفراق لئلا يضاعف البلاء لهن بلاء الهجران وبلاء الحرمان.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ [الآية: 242] أي: مثل بيان ما سبق من حكم الأزواج والأولاد ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [الآية: 242] أي: سيبين للعباد ما يحتاجون إليه في أمر المعاش والمعاد ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الآية: 242] أي: تفهمونها وتعملون بها فإنها نعم الزاد.

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ [الآية: 243] تعجيب وتنبيه على أمر غريب والمعنى ألم تنظر بعين التعجب ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ﴾ [الآية: 243] أي: من أوطانهم باختيارهم ﴿وَهُمْ أُلُوفٌ﴾ [الآية: 243] أي: كثيرة حتى قيل: أربعون بل سبعون والجملة حالية ﴿حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ [الآية: 243] أي: فراراً من الطاعون في بلادهم حتى نزلوا وادياً في طريقهم ﴿فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟﴾ [الآية: 243] أي: كونوا أمواتاً فماتوا كقوله سبحانه: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: 117] فالأمر للتكوين لِقوله: ﴿كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ [البقرة: 65] ﴿ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ﴾ [الآية: 243] أي مقتهم الله على فرارهم فأماتهم عقوبة لأفعالهم ثم بعثهم ليستوفوا بقية آجالهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [الآية: 243] حيث أحياهم ليعتبروا ويعرفوا أن لا مفرعن القدر فيتيقنوا ويثبتوا وأخبركم لتستبصروا فتصبروا وتشكروا ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [الآية: 243] أي: بل يكفرون وينكرون والقصة مقدمة للأمر بالمجاهدة وتوطئة مشجعة للتعرض بالشهادة على وجه التوكل حال البلاء

وطريق الاستسلام للقضاء.

وأفاد الأستاذ: أنهم لما استبعدوا قدرة الله في الإعادة أراهم في أنفسهم عياناً ثم لم ينفع إظهار ذلك لمن لم يشحذ بصيرته في التوحيد ومن قويت بصيرته لم يضره عدم تلك المشاهدات فإنهم تحققوا بما أخبروا لما آمنوا به بالغيب.

﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ [الآية: 244] لدعواتكم ﴿عَلِيمٞ﴾ [الآية: 244] بنياتكم.

وقال الأستاذ: يعني إن مسكم ألم فتصاعد منكم أنين فاعلموا أن الله سميع لأنينكم عليم بأحوالكم بصير بأموركم وأفعالكم فالآية توجب عليهم تسهيل ما يقاسونه من الألم قال قائلهم:

إذا ما تمنى الناس روحاً وراحة تمنيت أن أشكو إليك فتسمع[1]

85/أ / ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ﴾ [الآية: 245] أي من هذا الذي يعمل عمل المقرض بأن يقدم من ماله أو عمله ﴿قَرۡضًا حَسَنٗا﴾ [الآية: 245] أي: إقراضاً مقروناً بالاخلاص وطيب نفسه ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ﴾ [الآية: 245] أي: فيضاعف جزاؤه ﴿لَهُۥٓ﴾ [الآية: 245] وصيغة المبالغة للمبالغة وفي قراءة ابن عامر وعاصم بالنصب على جواب الاستفهام حملاً على المعنى أي أيقرض الله أحدٌ فيضاعفه وفي قراءة المكي والشامي يضعفه بالتشديد ﴿أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗ﴾ [الآية: 245] أي: كثرة لا يعلم قدرها إلا الله ونصبه على المصدرية على أن الضعف اسم المصدر وجمع لقصد الأنواع.

وقال الأستاذ: سمي القرض قرضاً لأن المتصدق يقطع من ماله شيئاً فيعطي المقترض وهذه التسمية لحفظ قلوب الأحباب حيث خاطبك في باب الصدقة باسم القرض ولفظه ويقال دلّت هذه الآية على عظيم رتبة الغني حيث سأل منه القرض ولكن رتبة الفقير في هذا أعظم لأنه سأل لأجله القرض وقد

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 234) و(3/ 7) و(3/ 462) (5/ 195).

يسأل القرض عن كل أحد ولكن لا يسأل لأجل كل أحد ففي الخبر مات رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند [أبي] شحمة اليهودي على شعير أخذه لقوت عياله(1) أبصر ممن اقترض ولأجل من اقترض انتهى.

والظاهر أنه تعالى إنما سأل القرض لرتبة الفقراء من العلماء والأولياء فكأنه قال من يعطيني لأجلهم أو من يعطيهم لأجلي وأنا كفيل برد الزيادة من فضلي مع أن الكل عبدي ومالي وفيه ابتلاء للأغنياء لا سيما من السفهاء حيث قالوا: إن الله فقير ونحن أغنياء ولا يبعد أن يكون التقدير من ذا الذي يقرض أولياءه ومن الفقراء أصفياءه وفيه إيماء إلى عظم شأنهم وعلو مقامهم حيث نزل نفسه الأنفس منزلة القوم الأقدس.

ثم أفاد الأستاذ: بأنه يقال القرض الحسن ما لا يطالع عليه الجزاء ولا يطلب بسببه العوض ولا الثناء ويقال القرض الحسن أن لا يعطى على الغفلة وإنما يعطى عن شهود الحضرة ويقال القرض الحسن من العوام إذا كان عن ظهر غنى ومن الخواص إذا كان بشرط الإيثار ويقال القرض الحسن من العامة عن مائتين خمسة وعلى لسان القوم بذل الكل وزيادة الروح على ما يبذل.

وفي «**العرائس**» القرض الحسن بذل الموجود مع الحياء والخجل معرفة على تقصيره وفناء أطماع الأعواض والفرح بمخاطبة الحق معه وأيضاً استقرض من عباده ما أعطاهم ليربيه لهم ويزيد فضله على فضله في حقهم
85/ ب ﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ/ وَيَبۡصُۜطُ﴾ [الآية: 245] وفي قراءة الحرميين غير قنبل وشعبة والكسائي يبصط والمعنى يمسك الرزق عمّن ما يشاء ويوسع على من يشاء أو يضيق تارة ويوسع أخرى حسب ما اقتضته حكمته وتعلقت مشيئته فلا تبخلوا بصرف المال في سبيله لأنه قادر على تبديله وتحويله ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [الآية: 245] وعلى أعمالكم تثابون.

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (2916)، وابن حبان في الصحيح (13/ 262) رقم (5936)، وابن ماجه في السنن (2/ 815) رقم (2438)، والترمذي في الجامع الصحيح (3/ 519) رقم (1214)، والنسائي في السنن الكبرى (4/ 49) رقم (6247).

قال الواسطي: يقبضك عما لك ويبسطك فيما له.

وقال الثوري: يقبضك بإياه أي: بفعله ويبسطك لإياه أي: لأجله وقيل ﴿يَقۡبِضُ﴾ أي: يوحش أهل صفوته من رؤية الكرامات ويبسطهم بالنظر إلى الكريم الذات بحيث ينسى حينئذٍ جميع اللذات.

وقال الأستاذ: يقبض الصدقة من الأغنياء قبض قبول وقرض ويبسط عليهم بسط خلف وعوض ويقال قبض على الفقراء ليمنحهم بالصبر وبسط على الأغنياء ليطالبهم بالشكر ويقال يقبض تسلية للفقراء حتى لا يروا من الأغنياء ويبسط لئلا يتقلدوا المنّة من الأغنياء ويقال قبض القلوب بأعراضه وبسط القلوب بإقباله ويقال القبض لما غلب على القلوب من الخوف والبسط لما غلب عليها من الرجاء ويقال القبض لقهره والبسط لبره ويقال القبض لستره والقبض لكشفه ويقال القبض للمريدين والبسط للمرادين ويقال القبض للمتسابقين والبسط للعارفين ويقال يقبضك عنك ثم يبسطك به ويقال القبض حقه والبسط حظك ويقال القبض لمن تولى عن الحق والبسط لمن تجلى له الحق ويقال يقبض إذا أشهدك فعلك ويبسط إذا أشهدك فضله ويقال يقبض بذكر العذاب ويبسط بذكر الثواب.

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [الآية: 246] أي: إلى جمع عظيم يملؤن الأعين بكثرتهم وقوة شوكتهم من تبعيضية ﴿مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰٓ﴾ [الآية: 246] أي: بعد موته ومن ابتدائية ﴿إِذۡ قَالُواْ لِنَبِيّٖ لَّهُمُ﴾ [الآية: 246] يوشع أو شمعون أو غيرها ﴿ٱبۡعَثۡ لَنَا مَلِكٗا﴾ [الآية: 246] أي: أقم لنا أميراً ﴿نُّقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ﴾ [الآية: 246] أي: ننهض معه للقتال مع غير أهل ملتنا وننتظم به كلمتنا وتستقيم به حالتنا ﴿قَالَ هَلۡ عَسَيۡتُمۡ﴾ [الآية: 246] بفتح السين لغير نافع ﴿إِن كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْۖ﴾ [الآية: 246] فصل بين عيسى وخبره بالشرط والمعنى أتوقع حصول جبنكم عن قتال عدوكم إن كتب الجهاد عليكم ﴿قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 246] أي: وأي مانع لنا من عدم المقاتلة في مرضاة/ 86/أ
مولانا مع أعدائنا ﴿وَقَدۡ أُخۡرِجۡنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبۡنَآئِنَاۖ﴾ [الآية: 246] أي وأفردنا

بالسبي والقتل مع أولادنا والجملة حال عامله نقاتل والظرف أعني لنا والمعنى إذا بلغ الأمر منا هذا المقدار فلا بد من الجهاد الذي ليس فيه الفرار ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ﴾ [الآية: 246] وأمر عليهم أفضل الرجال ﴿تَوَلَّوْاْ﴾ [الآية: 246] أي: جبنوا ولم يثبتوا على ما كتب عليهم ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية: 246] وهم كأهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر وسيأتي أنهم هم الذين عبروا النهر.

وفي «**تفسير السلمي**» قال فارس: لا يتجرد للحق من هو قائم بسبب أو علاقة أو سكون أو مسكن.

وأفاد الأستاذ: أنهم استقبلوا الأمر باختيارهم واقترحوا على نبيهم بسؤال إذن القتال لهم فلما أجيبوا إلى ما ضمنوه من أنفسهم ركنوا إلى التكاسل وعرجوا في أوطان التجادل والتغافل ويقال أنهم أظهروا التصلب والجد في القتال ذباً عن المنازل والأموال فكذلك لم يتم قصدهم لأنه لم يخلص لحق الله عزمهم ولو أنهم قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أمرنا وأوجب علينا فإنه سيدنا ومولانا تجب إطاعة أمره علينا لعلهم وفقوا لإتمام ما قصدوا.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ﴾ [الآية: 247] أي: أقام ﴿لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ﴾ [الآية: 247] أي: أميراً سألتموه للقتال ونصبه على حال ﴿قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا﴾ [الآية: 247] أي: من أين يكون له الإمارة لدينا ﴿وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ﴾ [الآية: 247] أي: والحال إنا أحق منه بالإمارة لأنه ليس من بسط المملكة ﴿وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ﴾ [الآية: 247] أي؛ والحال أنه لم يعط توسعاً وزيادة من جهة المال ليكون له قوة المكنة والقدرة نسباً وسبباً ﴿قَالَ﴾ [الآية: 247] ذلك النبي ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية: 247] بالملك والحكم ﴿وَزَادَهُۥ بَسْطَةً﴾ [الآية: 247] أي سعة ومزية ﴿فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ﴾ [الآية: 247] وهو كناية عن الشجاعة وهما شرطان في صحة الخلافة فوفور العلم ليتمكن به من معرفة أمور السياسة وجسامة البدن ليكون إشارة إلى تحقق الشجاعة مع زيادة

الهيبة في قلوب أهل الريبة ويكفيه من جهة نسبة النسب في الجملة أنه من أهل بيت النبوة ﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ﴾ [الآية: 247] من غير اعتراض عليه لا في الابتداء ولا في الانتهاء ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ [الآية: 247] أي في فضله يوسع على الفقير ويغنيه ﴿عَلِيمٌ﴾ [الآية: 247] بحال عبده فيما يبديه ويخفيه.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ﴾ [الآية: 248] حين طلبوا منه إمارة على اصطفاء طالوت ﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ﴾ [الآية: 248] أي: صندوق التوراة وكان من خشب الشمشاد[1] مموهاً بالذهب/ نحواً من ثلاثة أذرع في 86/ب ذراعين أو كان تابوتاً أنزله الله تعالى على آدم فيه صور الأنبياء عليهم السلام كانت بنو إسرائيل يستفتحون به على عدوهم فغلبتهم العمالقة على التابوت فلما سألوا نبيهم البينة على ملك طالوت قال: آية ملكه أن يرد الله التابوت عليكم فحملته الملائكة حتى وضعوه في دار طالوت ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ﴾ [الآية: 248] أي: مودع فيه سكون لأنفسكم واطمئنان لقلوبكم ﴿مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ﴾ [الآية: 248] أي أبناؤهما وهي رضراض الألواح وعصا موسى وثيابه وعمامة هارون عليهما السلام ﴿تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 248] أي: فيما ذكر من علامات اليقين ﴿لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 248] .

وأفاد الأستاذ: أن الله سبحانه إذا أظهر نوراً من فضله أمده بتأييد من قبله فلما ملك طالوت عليهم أزال الإشكال عن قلوبهم بما أظهر من آياته الدالة على صدق قول نبيهم في اختياره فرد عليهم التابوت الذي فيه السكينة فاتضح لهم أنه ملكهم وأن نبيهم صدقهم فيما أخبرهم ويقال: إنّ الله تعالى جعل سكينة بني إسرائيل في التابوت الذي فيه رضراض الألواح وآثار صاحب نبوتهم وجعل سكينة هذه الأمة في قلوبهم فقال فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم ثم إنّ التابوت كان يتداوله الأيدي من الأعداء وغيرهم فمرة كان يدفن ومرة يغلب عليه فيحمل ومرة يرد وأما قلوب المؤمنين فحال بين

(1) شجر السرو، انظر: تاج العروس (1/ 2403).

أربابها وبينها ولم يستودعها ملكاً ولا سماءً ولا هواءً ولا مكاناً ولا شخصاً وقد قال ﷺ قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن يعني في قبضة الحق سبحانه وتحت تقليبه وتصريفه والمراد منه القدرة فشتان بين أمة وبين أمة أمة سكينتهم فيما للأعداء عليه تسلط وأمة سكينتهم فيما ليس لمخلوق عليه سلطان.

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ﴾ [الآية: 249] أي: انفصل وخرج بهم عن مكانهم لقتال العمالقة من أعدائهم ﴿قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ﴾ [الآية: 249] أي: معاملكم معاملة المختبر بما اقترحتموه على وقف ما طلبتموه لما روي أنه قال لهم لا يخرج معي إلا الشاب النشيط فارغاً لا يكون لأحد إلفاً فاجتمع إليه مما اختاره ثمانون ألفاً فسلكوا مفازة في وقت كان قيظاً وحراً وسألوا أن يجري الله لهم نهراً ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ﴾ [الآية: 249] أي: من مائه بفمه أو وعائه ﴿فَلَيْسَ
87/أ مِنِّي﴾ [الآية: 249] أي: من أشياعي فلا يتبعني/ أو من أتباعي فليس بمتحد معي ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ﴾ [الآية: 249] أي: لم يذقه ﴿فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ﴾ [الآية: 249] أي: من أهل ديني ﴿إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ﴾ [الآية: 249] بالضم للشامي والكوفي أي: معروفة وبالفتح لغيرهم أي: مرة من الغرف ﴿بِيَدِهِۦ﴾ [الآية: 249] والمراد الرخصة في اليسير دون الكثير وقد علم ذلك وحياً إن كان نبياً وإلهاماً إن كان ولياً والاستثناء وصل لأن من اغترف فقط ليس ممن شرب بمعنى كرع أو أفرط ﴿فَشَرِبُواْ مِنْهُ﴾ [الآية: 249] أي: بفمهم أو أفرطوا في شربهم ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ [الآية: 249] وتقدم بيان عددهم وروي أن من اقتصر منهم على غرفة كفته لشربه وأداوته ومن لم يقتصر غلب عليه العطش وشدة حرارته وحصل اسوداد بشفته ولم يقدر أن يتجاوز عن منزلته وهذا مثال للدنيا للسالك العقبى وقاصد المولى.

وأفاد الأستاذ: أن الله سبحانه ابتلى الخلق بصحبة الخلق وبالدنيا وبالنفس فمن كانت صحبته مع هذه الأشياء على حد الاضطرار بمقدار القوام وما لا بد له ينجو من هذه الدار ويسلم من عذاب النار ومن جاوز حد الاضطرار وانبسط في الصحبة مع شيء من ذلك بموجب الشهوة والاختيار فليس من الله في شيء إن كان ارتكاب محظور وحرمة ليس من هذه الطريقة

في شيء إن كان ما له منه بد وعلى جهة الفضلة والخواص في كل وقت يقل عددهم ولكن يجل قدرهم ومددهم ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ﴾ [الآية: 249] أي النهر ﴿هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ [الآية: 249] أي: سواء على كمال الإيمان وهم القليل الذين لم يخالفوه بالعصيان وفيه إيماء إلى أنهم هم الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم ﴿مَعَهُۥ﴾ [الآية: 249] أي: مع طالوت متعلق بجاوزه ﴿قَالُواْ﴾ [الآية: 249] أي الذين أفرطوا في شربهم وخالفوا أمر ربهم فيما بينهم أو لمن جاوز النهر منهم ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾ [الآية: 249] أي: لكثرتهم وقوة شوكتهم فإن جالوت كان جباراً من العمالقة من أولاد عمليق ابن عاد وكانت بيضة فيها ثلاث مائة رطل بوزن الحداد.

وأفاد الأستاذ: أنهم نظروا إلى الحال بالعين الظاهرية فداخلهم شيء من رعب البشرية فربط الله على قلوبهم بما ذكرهم من نصرة الحق سبحانه وتعالى لأوليائه إذا شاء على أعدائه ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 249] أي: والخلص منهم الذين يتقوا لقاء ربهم وتوقعوا ثواب كسبهم وهم القليل الذين ثبتوا معه في بلائهم وبعض علمائهم وفضلائهم ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ/ فِئَةً﴾ [الآية: 249] أي: جماعة ﴿غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 87/ب
249] أي بمشيئته ومعونته لهم لا بحولهم وقوتهم وكم خبرية لا استفهامية ومن مزيدة أو مبينة ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الآية: 249] بالنصرة والقوة وإثابة المثوبة.

﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ﴾ [الآية: 250] أي: خرجوا وظهروا ﴿لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفْرِغْ﴾ [الآية: 250] أنزل ﴿عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ [الآية: 250] فيه نصر الله إيماءً إلى قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النحل: 127] ﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ [الآية: 250] بتقوية قلوبنا ﴿وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الآية: 250] أي من الأعداء الظاهرة والباطنة المانعة من إقامة الطاعة ووصلة الحضرة.

وأفاد الأستاذ: أنهم تبرؤوا من حولهم وقوتهم ورجعوا إلى الله بتضرعهم ومسكنتهم مستعينين إليه مستعينين به واثقين بنصره معتمدين على إعطاء صبره فكان أهم أمورهم الصبر والوقوف لعدوهم ثم بعده النصرة عليهم فإن الصبر

حق ربهم والنصر نصيبهم فقدموا تحقيق حقه سبحانه وتوفيقه لهم ثم وجود حظهم ونصيبهم من النصرة على عدوهم ثم أشاروا إلى أنهم يطلبون النصر عليهم لا للانتقام منهم ولا لأجل ملفاتهم من نصيبهم ولكن لكونهم كافرين أعداء ربهم فقاموا بكل وجه لله بالله فلذلك نصروا ووجدوا الظفر.

﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 251] أي فكسروهم وغلبوهم بإرادته على حسب ما قدره وقضاه ﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ﴾ [الآية: 251] روي أنه كان صغيراً يرعى الغنم فأوحى إلى نبيهم أنه الذي يقتل جالوت فطلبه من الله فجاء وقد كلمه في الطريق ثلاثة أحجار وقالت له أنك تقتل بنا جالوت فحملها في مخلاته ورماه بها فقتله وقد وعده طالوت أن يزوج ابنته بعد قتل جالوت ويشركه في نعمته وأمر حكومته فوفى بعهده ثم آل الأمر إلى داوود بعده ﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾ [الآية: 251] أي: ملك بني إسرائيل ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [الآية: 251] أي: النبوة ولم يجتمعا قبل داوود على أحد إذا كان الملك في سبط والنبوة في آخر ﴿وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾ [الآية: 251] يعني صنعة الدرع ومنطق الطير وكلام الدواب.

قال الأستاذ: هيب الله الأعداء بطالوت لما زاده من البسطة في الجسم ولكن عند القتال جعل الظفر على يدي داوود وكان كما في قصة ربع القامة صغير الجثة ولم يكن معه السلاح إلا مقلاع ولكن الظفر كان له لأن نصرة الله سبحانه كانت معه.

ومن «**نفائس العرائس**» أن طالوت هاهنا الروح وهي ملك الباطن ومثل
88/أ داوود نبي الله عليه السلام العقل وجنوده/ القلب وتلك الإلهام والعلم والفهم والإدراك والحواس ومثل جالوت عدو الله تعالى الشيطان وجنده خيل الخيال وأعوان الشهوات فأمر الله تعالى الروح بالمحاربة معه اختباراً للنفس الأمارة فلما فصل الروح بجنودها قالت: إن الله مبتليكم بنهر الشهوة الذي يشرب منه النفس بكأس الغفلة وأضافت إليهم الشرب لأن الروح مقدسة عن رجس البشرية ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى﴾ [الآية: 249] أي: ليس من عالم الروحانيات وليس من أهل مكاشفات الصفات ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ﴾ [الآية: 249] أي:

من نور القدس عالم الأنس ﴿إِلَّا مَنِ ٱغۡتَرَفَ غُرۡفَةَۢ بِيَدِهِۦۚ﴾ [الآية: 249] أي: القلب والحواس والنفس يغترفون بقدر الترفه حتى لم يحترقوا في جوار الروح بنيران المحبة والمواجيد التي يحصل منه نور المعرفة ﴿فَشَرِبُواْ مِنۡهُ﴾ [الآية: 249] أي: النفس وأعوانها لأنهم من ملكوت الأرض ولأجل ذلك مالوا إلى طعمة الطبيعة ﴿إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۚ﴾ [الآية: 249] أي: العقل والملك لأنها من ملكوت السماء وليس لهما إلا لذة التربية أما شرب القلب فبقدر الكفاية لأنه ممزوج بخلاصة الجسم ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ [الآية: 249] أي: الروح والعقل والملك والحواس والقلب ﴿قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلۡيَوۡمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ﴾ [الآية: 249] يعني أوباش الطبيعة وقت محاربة تمنّي النفس وأعوانها لأنهم جبنوا بشربهم مياه الشهوة من نهر الغفلة فصاروا وجلين عن الجهاد ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 249] أي: يقول أعوان الروح الذين يوقنون كشف العيان بعد مجاهدة الشيطان ﴿كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ﴾ [الآية: 249] بالعدد ملأها نور اليقين ﴿غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ﴾ [الآية: 249] أي: من التي ليس معها النصر من عند الله ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الآية: 249] الذين وقفوا على مراد الحق بنعت الرضا والتسليم ورؤية كرمه القديم.

﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 251] وفي قراءة نافع ﴿دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ﴾ [الآية: 251] بنصر المؤمنين على الكافرين ﴿لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ﴾ [الآية: 251] بغلبة المشركين على المؤمنين وتخريب البلاد وتعذيب العباد ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الآية: 251] بهلاك الظالمين وخلاص الصالحين.

وقال الأستاذ ولو تظاهر الخلق وتوافقوا بأجمعهم لهلك الضعفاء لغلبة الأقوياء ولكن شغل بعضهم ببعض ليدفع بتشاغلهم شرهم من قوم أراد خيرهم.

﴿تِلۡكَ﴾ [الآية: 252] / أي: أي تلك الحالات السابقة والإخبارات السالفة 88/ب
﴿ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 252] علامات توحيده ودلالات تمجيدة ﴿نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۚ﴾ [الآية: 252] أي: بالوجه المطابق وعلى وفق الصدق ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ

﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الآية: 252] لما أخبرت بها من غير تعرف واستماع لها.

وأفاد الأستاذ: أنه لمن يكن في علمك ولا في وسع احتيالك الوقوف على هذه الغايات من الكائنات التي سلفت وإنما وقفت عليها بتعريف من قبل الله تعالى.

﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ﴾ [الآية: 253] إشارة إلى الجماعات المذكورة في هذه السورة أو تلك الرسل التي عندك معلومة وفي ذهنك مسطورة ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الآية: 253] أي: لم نجعلهم سواء في الفضيلة وإن استووا في القيام بأمر الرسالة بل خصصنا بعضهم بما ليس لغيره من المنقبة ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 253] كلم موسى عليه السلام في الطور ليلة الحيرة وكلم محمد ﷺ حين كان قاب قوسين أو أدنى ليلة الخيرة وبين المقامين بون بين ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ [الآية: 253] بأن فضله على غيره من وجوه متعددة وبمراتب متباعدة وهو محمد ﷺ فإنه خص بالدعوة العامة والحجج التامة والمعجزات المستمرة بتعاقب الدهر ومزية الفضائل العلمية والعملية الغائية للحصر ولعل الإبهام لوضوح مرتبة الكلام ورفعة المقام وقيل المراد به إبراهيم عليه السلام خصصه بالخلة التي هي من أعلى مراتب الأنام ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [الآية: 253] أي المعجزات الظاهرات ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [الآية: 253] ووجه تخصيصه إفراط اليهود والنصارى في تحقيره وتعظيمه.

وقال الأستاذ: جمعتهم الرسالة ولكن تباينوا في خصائص الفضيلة ولكل واحد منهم أنوار ولأنوارهم مطارح وآثار فمنهم من هو أعلى نوراً وأتم في الرفعة وفوراً، ولم يكن فضائلهم باستحقاقهم ولا بناء على أفعالهم وأحوالهم، بل حكم بالحسنى أدركهم وعاقبة بالجميل تداركتهم ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 253] أي: هداية الناس بأجمعهم ﴿مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم﴾ [الآية: 253] أي: من كان بعد مجيء رسلهم ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ [الآية: 253] أي: ظهرت المعجزات الواضحات لهم ﴿وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟﴾ [الآية: 253] لتعلق المشيئة بعد اتفاقهم كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ

مُخۡتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ﴾ [هـود: 118 ـ 119] أي: لأجل
اختلاف المظاهر الذي يقتضيه نعوت الجمال وصفات/ الجلال كما قال في آية 89/ أ
أخرى ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء ﴿فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ﴾ [الآية: 253] بإحسانه وإقباله عليه فضلاً ﴿وَمِنۡهُم مَّن كَفَرَۚ﴾ [الآية: 253] بخذلانه وإعراضه عنه عدلاً.

وأفاد الأستاذ: أنهم مصروفون بالمشيئة الأزلية التي عليها المدار ومسلوبون الاختيار الذي به الاعتبار والعبودية شد نطاق الخدمة وشهود سابق القسمة ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلُواْ﴾ [الآية: 253] أي: كرره لتأكيد الرد على المعطلة(1) والمعتزلة ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [الآية: 253] ولذا لما ألهم أبوا يزيد ما تريد فقال أريد أن لا أريد فقال بعض أهل المزيد هذا أيضاً نوع من إرادة المريد وقد قال قائلهم:

أريد وصاله ويريد هجري ... فاترك ما أريد لما يريد

وهنا نكتة لطيفة وهي أن المريد إذا ترك الإرادة صار مراداً وأخذ من فائدة مائدة التعويض والتسليم زاداً وحينئذٍ تقول هل من مزيد ويقال له لدينا مزيد وفي الحقيقة فهو المراد والمريد ويحكم ما يريد بالعبيد لا رادّ لقضائه ولا معقب لحكمه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم﴾ [الآية: 254] أي: للزكاة والصدقة والنفقة في المجاهدة ﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٌ لَّا بَيۡعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌۗ﴾ [الآية: 254] وفي قراءة المكي والبصري بفتح الثلاثة والمعنى أنه لا يوجد ذلك الوقت مفاداة ولا مصارفة ولا معاونة لأرباب المخالفة والمخالصة والشفاعة من الأبرار ولذا قال سبحانه ﴿وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الآية: 254] أي: الكاملون في الظلم فإن الشرك لظلم عظيم فقرابه وخيم وحجابه جسيم لا يدفعه شفيع ولا ينفعه حميم.

وقال الأستاذ: يعني اغتنموا مساعدة الإمكان في تقديم الإحسان قبل فناء الجسد وانقضاء الأمد.

(1) النافين لصفة الكلام. شرح قصيدة ابن القيم (1/ 311).

﴿ٱللَّهُ﴾ [الآية: 255] أي: الذات المستجمع لكمال الصفات المستحق لعبادة المخلوقات وهو مبتدأ خبره ﴿لَآ إِلَٰهَ﴾ [الآية: 255] أي: لنا أو موجود أو مشهود ﴿إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ﴾ [الآية: 255] أي: القديم الأزلي والباقي الأبدي ﴿ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [الآية: 255] أي الدائم القيام بتدبير الأنام.

وفي «**تفسير السلمي**» ﴿ٱلۡحَيُّ﴾ [الآية: 255] الذي أحيا كل حي وهو الحي الذي لم يزل ولا يزال والقيوم القائم على كل نفس بما كسبت وقيل من قال هذه الكلمة وفي قلبه طمع أو سؤال أو رغبة أو رهبة فهو مشرك أي: شركاً خفياً حيث جعل ما سوى الله شريكاً في محبة مولاه.

وقال صاحب «**العرائس**» ﴿ٱلۡحَيُّ﴾ [الآية: 255] الذي قام به الأحياء ﴿ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [الآية: 255] الذي يحيي بقيومته الأموات والحي من صفاته الخاصة في
89/ب القدم ونعوته/ العامة فيما أوجد الخلق من العدم والقيومية صفته التي لم يزل كان موصوفاً بها ومحصلها أنه اشتغل بنفسه في أزليته وأبديته.

وقال الخواص: من عرفه بأنه الحي القيوم ألزمه معرفته طلب كل شيء منه وترك القيام بشيء من أموره لقيامه بها.

وأفاد الأستاذ: أن قوله لا إله إلا هو إخبار عن نفي النظير والشبيه بما استوجبه من التقديس والتنزيه ومن تحقق بهذه المقالة لا يرى ذرة من الإثبات لغيره أمن غيره فلا يرفع إلى غيره حاجة ولا يشهد من غيره ذرة فيصدق إليه انقطاعه ويدوم بوجوده انفراده فلا يسمع إلا من الله وبالله ولا يشهد إلا الله وبالله ولا يقبل إلا على الله مع الله ولا يشتغل إلا بالله ولله فهو محو عما سوى الله فما له شكوى ولا دعوى ولا يتحرك منه لغيره عرق أصلاً فإذا استوفى الحق عبداً لم يبق للحظوظ فيه مساغ أبداً ثم أن هذه المقالة يقتضي التحقق بها الفناء عن الرسومات بجملتها والتحقق بأنه لا سبيل للخلق إلا وجود الحق سبحانه فلا وصل ولا فصل ولا قرب ولا بعد فإن ذلك أجمع آفات لا يليق بالقديم وقوله ﴿ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [الآية: 255] المتولي لأمور عباده القائم بكل حركة وسكون والمجري لكل عين وأثر ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ﴾ [الآية:

255] وهي فتور يتقدم نوم الناس ويعبر عنه بالنعاس ﴿وَلَا نَوْمٌ﴾ [الآية: 255] روعي الترتيب الوجودي في ذكرهما وإلا فمقتضى المبالغة عكسهما والجملة نفي للتشبيه وتنبيه على أن من أخذه سِنَة وغفلة لم يكن كاملاً في الحياة والقيومية.

وأفاد الأستاذ: أنه أحد لا ترهقه غفلة وصمد لا تمسه علة وعزيز لا يقاربه ذلة وكريم لا يوازيه قلة وجبار لا تميزه عزلة وفرد لا تضمهُ جثة ووتر لا يحده جهة وقديم لا يلحقه آفة وعظيم لا تدركه مسافة تقدس من جماله جلاله وجلاله جماله وسناؤه بهاؤه وبهاؤه سناؤه وأزله أبده وأبده سرمده وسرمده قدمه وقدمه وجوده.

وفي «العرائس» يخوف بهذه الإشارة خواص المراقبين حتى لا يشتغلوا بغيره عنه طرفة عين وأيضاً ينفي السِّنة نزه نفسه عن الغفلة وينفي النوم قدس نفسه عن الفترة وأيضاً هذا إعلام منه سبحانه للمهمومين أنه ينتقم عن الظالمين للمظلومين ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية: 255] ملكاً وإبداعاً وخلقاً واختراعاً وهذا تقرير لقيوميته كما أن ما قبله تحرير لديموميته وفي/ كل 90/أ
تنبيه على تفرده في ألوهيته.

وفي «العرائس» أزال حلاوة زهر الكونين عن قلوب أهل الصفوة حيث وبخ من التفت سره عنه إلى ما له لأن الالتفات من المنعم إلى النعم شرك بالمنعم ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [الآية: 255] أي: لا يشفع عنده أحد إلا بأمره.

وقال الأستاذ: ومن ذا الذي يتنفس بنفس إلا بإجرائه أو يتوسل إليه من دون إذنه وإبدائه ومن ظن أنه يتوسل إليه باستحقاق أو عمل أو تذلل أو أمل وقربة أو نسب أو علة أو سبب فالظن وطنه والجهل مألفه والغلط غايته والبعد قصاراه ونهايته ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [الآية: 255] أي: ما قبلهم وما بعدهم أو أمور الدنيا وأحوال الأخرى أو ما يدركونه وما لا يدركونه.

وفي «العرائس» يعلم ما بين أيديهم من الخطرات وما خلفهم من العثرات وأيضاً يعلم ما بين أيديهم من المقامات وما خلفهم من الحالات.

والحاصل كما قال الأستاذ: أنه لا يخرج عن علمه معلوم ولا يتلبس عليه موجود ولا معدوم ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾ [الآية: 255] أي: من معلوماته ﴿إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [الآية: 255] أي: بما أراد أن يعلمه بعض مخلوقاته.

وفي «العرائس» حجب علم القدم عن إدراك من وجد من العدم إلا ما كاشف لأهل القلوب من معاينات الغيوب.

وقال الأستاذ: إذا تقاصرت العلوم عن الإحاطة بمعلوماته فأي طمع لها في الإحاطة بذاته ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الآية: 255] الكرسي جسم بين يدي العرش محيط بالسموات السبع والعرش لقوله ﷺ ما السموات السبع والأرضون السبع مع الكرسي إلا كحلقة في فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على الحلقة(1).

قال السلمي: العرش والكرسي إظهار للقدرة لا محل للذات لأنه سبحانه منزه عن سمات الحادثات.

وفي «العرائس» كرسيه قلب العارف وهو أوسع منهما لأنه معدن علوم الألوهية وعلم اللدنيّ مما لا غاية له ولا نهاية.

وقال الأستاذ: خطاب لهم على قدر فهمهم وإلا فأي خطر للأكوان عند صفاته المنزهة عن المكان والزمان وجل قدره عن التعزز بعرش أو كرسي أو التجمل بجني وإنسي ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ﴾ [الآية: 255] أي: ولا يثقله ولا يجهده ﴿حِفْظُهُمَا﴾ [الآية: 255] أي: محافظته لهما.

وقال الأستاذ: كيف يتعب المخلوقات من خلق الذرة والكون بجملته له
90/ب سواء فلا من القليل له تيسير ولا من الكثير عليه تعسير/ ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ﴾ [الآية: 255] المتعالي عن الاستواء والاشتباه ﴿ٱلْعَظِيمُ﴾ [الآية: 255] المستحقر بالإضافة إليه ما سواه.

وفي «العرائس» لا توازيان في عظمته خردلة لأنها في ملكه وسلطانه أقل

(1) أخرجه ابن حبان في الصحيح (2/ 76) رقم (361).

من ذرة انتهى ولكون هذه الآية مشتملة على أمهات المسائل الإلهية والصفات الجمالية والجلالية قال ﷺ أعظم آية في القرآن آية الكرسي كما رواه مسلم[1].

﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [الآية: 256] بعد إسلام المشركين حيث يقبل الجزية من الموحدين ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ﴾ [الآية: 256] أي: الهداية ﴿مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ [الآية: 256] وهو الضلالة بالآيات الواضحة والدلالات اللائحة واتضح أن الإسلام رشد يوصل إلى السعادة الأبدية والكفر غي يؤدي إلى الشقاوة السرمدية.

وقال الأستاذ: امتاز الليل بظلامه عن النهار بضيائه ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾ [الآية: 256] بالشيطان والأصنام أو كل ما عبد من دون الله أو شغل عن طاعة مولاه وقيل طاغوت كل امرئ نفسه وهواه ﴿وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ [الآية: 256] وبما أمره ونهاه وقدره وقضاه ﴿فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ﴾ [الآية: 256] أي: تمسك ﴿بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾ [الآية: 256] من الحبل الوثيق وهي مستعارة لتمسك الحق بالنظر الدقيق على وجه التحقيق للتوفيق وحاصله أنه عقد لنفسه عقداً وثيقاً وحسن ذلك رفيقاً ﴿لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ﴾ [الآية: 256] لا انقطاع لاتصالها قال بعضهم الإيمان إذا دخل القلب أمن السلب ومن رجع إنما رجع عن الطريق فإن من وصل فهو في بحر الحق غريق.

وأفاد الأستاذ: أن العروة الوثقى هي سلوك سبيل المصطفى فمن تحقق بها سراً وتعلق بها جهراً فاز في الدارين وسعد في الكونين ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ [الآية: 256] بالمضمرات ﴿عَلِيمٌ﴾ [الآية: 256] بالنيات.

﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الآية: 257] أي محبهم وناصرهم ومتولي أمورهم والمراد بهم من أراد إيمانهم ﴿يُخۡرِجُهُم﴾ [الآية: 257] بهدايته وتوفيق طاعته ﴿مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [الآية: 257] أي: ظلمات الجهل والغواية وابتداع الهوى ﴿إِلَى ٱلنُّورِۖ﴾ [الآية: 257] أي: نور العلم والهداية واتباع الهدى ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ

---

(1) أخرجه أحمد في المسند (5/ 141) رقم (21315)، وعبد الرزاق في المصنف (3/ 370) رقم (6001)، والبيهقي في شعب الإيمان (2/ 457) رقم (2390).

﴿ٱلطَّـٰغُوتُ﴾ [الآية: 257] أي: المضلات من الشيطان والهوى والمال وجاه الدنيا ﴿يُخْرِجُونَهُم﴾ [الآية: 257] يتسببون لخروجهم ﴿مِّنَ ٱلنُّورِ﴾ [الآية: 257] أي: من نور اليقينيات ﴿إِلَى ٱلظُّلُمَـٰتِ﴾ [الآية: 257] أي: ظلمات الشكوك والشبهات
91/أ بالانهماك في الشهوات ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ﴾ [الآية: 257] / لاختيارهم الأغيار ﴿هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ [الآية: 257] أي: في نار العذاب وعار الحجاب دائمون.

قال الواسطي: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [الآية: 257] ونفوسهم وهواها إلى أنوار ما جعل لهم في السبق من الرضا والصدق والمحبة وغيرها.

وقال الثوري: يخرجهم من ظلمات العلم إلى نور المشاهدة فإنه ليس الخبر كالمعاينة.

قال أبو عثمان: يخرجهم من رؤية الأفعال إلى رؤية المنن والإفضال.

وقال ابن عطاء: يغنيهم عن صفاتهم بصفته فيندرج صفاتهم تحت صفته كما اندرجت أكوانهم تحت كونه وحقوقهم عند ذكر حقه فيصيرون قائمين بالحق مع الحق للحق ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: أن الولي على وزن فعيل في معنى الفاعل فالله يتولى أمرهم أو في معنى المفعول فالمؤمنون يتولون طاعته وكلاهما حق فالأول جمع والثاني فرق وكل جميع لا يكون مقيداً بفرق وكل فرق لا يكون مؤيداً بجمعٍ فذلك خطأ وصاحبه مبطل يخرجهم من ظلمات تدبيرهم إلى سكينة سعة تقديره أو يخرجهم من ظلمات ظنهم أنهم يتوسلون أو يصلون إليه بشيء من سكناتهم وحركاتهم أو يخرجهم من ظلماتهم بأن يدفع عنهم ظل نفسهم ويدخلهم في ظل عنايته أو يخلصهم عن حسبان النجاة بهم أو يحول بينهم وبين الاعتماد على أعمالهم والاستناد إلى أحوالهم.

وفي «العرائس» يوجدهم من ظلمات العدم إلى كشف أنوار القدم أو يخرجهم من ظلمات الامتحان إلى مشاهدة العيان أو من ظلمات العبودية إلى

نور جمال الربوبية أو من ظلمات الفرح بما وجدوا من المقامات والدرجات إلى نور مشاهدة الذات والصفات أو يقدسهم في ظلمات البشرية إلى نور الأبدية ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ [الآية: 257] أي ستروا ما قد عاينوا في نفوسهم من أنوار فعله وقدرته وما بدت في قلوبهم من لوائح العقول ولوامع حكمته بالشروع في لذائذ الشهوات وغطاء الغفلة أولئك أصحاب الهجران عن مشاهدة الرحمن هم فيها في القطيعة وابتداء الطبيعة خالدون ليس لهم مساغ في الوصول أبد الآبدين.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ﴾ [الآية: 258] أي: جادل وخاصم ﴿إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ﴾ [الآية: 258] أي في ثبوت ألوهيته ونعوت وحدته وقدرته وإرادته وهذا تعجيب من محاجة نمرود وحماقته ﴿أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾ [الآية: 258] أي: لأجل إعطائه إياه بعض نعمته والمعنى/ أنه أبطره حصول سلطنته وحمله على شيطنته 91/ ب
وهو نمرود المردود ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ﴾ [الآية: 258] أي: ابتداء أو بعد ما قال له من ربك غيري استغناء ﴿رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ [الآية: 258] بإيجاد العباد بعد إفناء الأجساد ﴿قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ﴾ [الآية: 258] بالعفو والقتل وهذا تلبيس من إبليس حيث أتى بالعبارة الموهمة المموهة ﴿قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ﴾ [الآية: 258] معرضاً عن معارضته الفاسدة إلى ما يقدر عليه من المجادلة الكاسدة ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ﴾ [الآية: 258] وهذا لا شبهة فيه ولا مرية ﴿فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾ [الآية: 258] إن كنت تدعي الربوبية وهذا تعجيز له وتخييل لا طلب آية ودليل ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾ [الآية: 258] أي: فصار مبهوتاً وانقطع سكوتاً ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية: 258] أي: سبيل النجاة في الدنيا وطريق الجنة في العقبى وإلى محبة المولى ومجانبة السوى وقال الأستاذ عجل الحق سبحانه لأعدائه عقوبة الفرقة قبل أن يعاقبهم بالحرقة وهذه العقوبة أشد أثراً في الحقيقة لو كانت لهم عين البصيرة وأن الحق سبحانه أخبر أن إبراهيم عليه السلام انتقل مع العدو اللعين عن الحجة الصحيحة إلى أخرى أوضح منها لا لخلل في الحجة بل لقصور الكافر في اختيار المعاندة ومحك من سدة بصائره عن التحقيق تضييع الوقت بلا فائدة تجدي إلا بمقدار أو ما يكون من الأمر فلا بد منه.

﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾ [الآية: 259] عطف على ما قبله والتقدير أرأيت مثل الذي حاج أو مثل الذي عبر على قرية وهي بيت المقدس حين خربه بخت نصر أو القرية التي خرج منها الألوف أو غيرها والمار عزيز والخضر أو كافر بالبعث ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ [الآية: 259] أي: خالية مع بقاء عروشها أو ساقطة حيطانها على سقوفها ﴿قَالَ أَنَّى﴾ [الآية: 259] في محل النصب على الظرفية بمعنى متى أو على الحالية بمعنى كيف ﴿يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الآية: 259] اعترافاً بالقصور عن معرفة طريق إحياء أهلها واستعظاماً لقدرة المحيي لها إن كان القائل مؤمناً واستبعاداً إن كان كافراً ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ﴾ [الآية: 259] فلبث ميتاً ﴿مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ [الآية: 259] أي: أقامه حياً وذلك أنه مر بهذه القرية على حمار ومعه ركوة عصير وشكوة لبن وسلة عنب أو تين فربط حماره واستبعد أن يعمر القرية بعد شدة خرابها فأراد الله أن يريه آية في نفسه

92/أ ليتيقن أنه سبحانه قادر/ على إحيائها وإحياء أهلها فألقي عليه النوم ونزع الله روحه مائة سنة ثم أحياها بعده ﴿قَالَ﴾ [الآية: 259] أي الله أو ملك ﴿كَمْ لَبِثْتَ﴾ [الآية: 259] أي: أقمت هنا ومكثت ﴿قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ [الآية: 259] على الترديد كقول الظان ﴿قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ [الآية: 259] أي: لم يتغير كل منهما بمرور الزمان عليهما مائة سنة ثم بين علامة مكثه يبلي عظام حماره بعدما أراه بقاء طعامه وشرابه مع أنهما أولى بالتغيير من عظام حماره فقال ﴿وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ﴾ [الآية: 259] كيف بليت عظامه وتفرق نظامه ﴿وَلِنَجْعَلَكَ﴾ [الآية: 259] أي: وفعلنا ذلك لنجعلك ﴿آيَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الآية: 259] فإنه رجع إلى بلده شاباً وكان أحفاده شيوخاً فإذا حدثهم بحديث قالوا هذا حديث مائة سنة ﴿وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ﴾ [الآية: 259] أي: عظام حمارك ﴿كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾ [الآية: 259] أي: نحييها وفي قراءة نافع والمكي والبصري بالراء أي: نبعثها ﴿ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ﴾ [الآية: 259] أي: ظهر أمر الإحياء له وشاهده ﴿قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الآية: 259] في قراءة حمزة والكسائي بصيغة الأمر فالقائل الملك والمراد به علم المشاهدة فإن الخبر ليس كالمعاينة.

قال الأستاذ: لم يكن ذاك سؤال جحد ولا قضية جهل ولا دلالة شك في القدرة بل كان سؤال تعجب من كمال الحيرة وأراد بهذه المقالة زيادة اليقين وسؤال اليقين من الله والحيلة في رد الخواطر المشكلة دأب المتعرفين ولذلك عذر الله سبحانه عزيراً في هذه المقالة حتى قرر عليه ما طلب فيه زيادة اليقين.

وفي «العرائس» تعجبه في القدرة ليس بشك في القادر ولكنه لسكون الخاطر ونقله من مقام الإيمان إلى مقام مشاهدة الحال في ظهور البرهان وأيضاً خاض في بحر الفكرة لطلب درّ المعرفة والفرق بين سؤال إبراهيم وسؤال عزير عليهما السلام أن إبراهيم كان في محل التمكين فأراه الله تعالى مشاهدة القدرة في غيره وعزير في محل التكوين فأراه مشاهدة القدرة في نفسه حتى يباشر قلبه نور الصفات ويصير محكماً في محل التمكين وأيضاً مقام الخليل مقام الانبساط ومقام عزير مقام التحير فانبسط الخليل وسأل مشاهدة الصفات في لباس الآيات فأراه ما سأله في غيره لأنه مملوء من أنوار القدرة 92/ ب
فيطلب مزيداً على حال وتعجب/ عزير تحيره من عناية في أسرار الربوبية فأراه الآية في نفسه تأديباً له لأن أهل الانبساط ليسوا بمؤاخذين كخليل الله وأيضاً سؤال الخليل في طلب المشاهدة وتعجب عزير يحير في كمال القدرة وأيضاً بلغ الخليل مقام كشف المعاينات في الحياة وكشف له الملكوت لأجل اقتباسه نور مشاهدة الحق في الآيات ولم يضطر إلى أن يغيب روحه من الحواس حتى يرى صرف العين لأنه في حال الصحو ولم يبلغ عزير في ذلك الإيمان مقام العيان فألجأه الله إلى غيبته عن الصورة بنعت الغشيان ليرى في حال غيبته مشاهدة الحق لأنه في حال السكر فلما انتبه رأى في صحوه ما رأى في سكره ولكن ما رأى في السكرِ وحال الغيبة مشاهدة الروح وما رأى في الصحو مشاهدة العيان وأيضاً مقام الخليل مقام إيجاد تجلي الصفات ومقام عزير مقام إيجاد تجلي الأفعال وقيل لأن الخليل تلطف في السؤال بالعزة والحكمة فقال أرني وتعجب عزير في القدرة ألا ترى أنه ختم قصته بكمال القدرة فقال ﴿أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الآية: 259] وختم قصة الخليل بالعزة والحكمة فقال ﴿وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الآية: 260] لأن الخليل

سأل إظهار الحكمة ومشاهدة العزة وعزير تعجب من القدرة فأجيب كل من حيث سأل وهذا القول نقله السلمي عن ابن عطاء.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾ [الآية: 260] قال: أو لم تؤمن بأني قادر على الإحياء انتهاءً كقدرتي على الإيجاد من العدم ابتداءً ﴿قَالَ بَلَىٰ﴾ [الآية: 260] آمنت ببيان البرهان ﴿وَلَٰكِن﴾ [الآية: 260] سألت الشهود الغيبي ﴿لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [الآية: 260] بزيادة مشاهدة العيان فأترقى من علم اليقين إلى عين اليقين ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ﴾ [الآية: 260] بكسر الصاد أي أمِلْهن ﴿إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾ [الآية: 260] بسكون الزاي لغير شعبة ﴿ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ [الآية: 260] أي: ساعيات مسرعات ﴿وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ [الآية: 260] لا يعجزه شيء عما يريده ﴿حَكِيمٌ﴾ [الآية: 260] ذو حكمة بالغة في كل ما يبديه ويعيده قال القاضي وفيه إشارة إلى أن من أراد إحياء نفسه بالحياة الأبدية فعليه أن يقبل على القوى البدنية فيقتلها ويمزج بعضها ببعض حتى ينكسر سورتها فيطاوعنه مسرعات متى دعاهن بداعية الشرع وكفى لك شاهداً على فضل إبراهيم عليه السلام ويمن الضراعة في الدعاء وحسن الأدب في السؤال أنه سبحانه أراه ما أراد أن يراه في الحال على أيسر الوجوه وأراه عزيراً بعد أن أماته مائة عام.

93/ أ وفي «تفسير/ السلمي» قيل الطيور كانت طاووساً وبطاً وغراباً وديكاً والمعنى به أن الطاووس أشبه الطيور بزينة الدنيا والغراب أحرص الطيور والبط أطلبهم للرزق والديك أشدهم شهوة فكأنه يقول اقطع عنها زينة الدنيا والمفاخرة بها والحرص عليها وطلب الرزق فيها وإنالة الشهوة منها حتى تنال كمال حقيقة الإيمان فإذا سقطت عن نفسك هذه الخصال حليتك بصفتي في إحياء الموتى ﴿ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ [البقرة: 260] إليك لأنك في ذلك الوقت فانٍ من صفاتك وإنما دعوتهن بصفتنا التي حليناك بها.

وقال الأستاذ: قيل كان في طلب اليقين فأراد أن يقرن حق اليقين بما كان له حاصلاً من عين اليقين وقيل: استجلب خطابه بهذه المقالة حتى قال له الحق سبحانه ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾ [الآية: 260] فإن بقولك أو لم تؤمن قال: بلى

كنت أؤمن ولكن اشتقت إلى قولك لي أوَ لَم تؤمن يطمئن قلبي والمحب أبداً يجتهد أن يجد خطاب حبيبه على أي وجه أمكنه وقيل: إنه طلب رؤية الحق سبحانه ولكن بالرمز والإشارة فمنع منها بالإشارة دون العبارة فقال ﴿أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الآية: 260] وأن موسى عليه السلام إنما سأل الرؤية جهراً فقال ﴿أَرِنِي﴾ [الآية: 260] فرد بالجهر صريحاً فقال: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: 143] وقيل: لما قال إبراهيم عليه السلام ﴿أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [الآية: 260] فقيل له: وأرنا كيف تذبح الحي يعني إسماعيل وطالبه بمطالبه فلما وفى بما طولب منه وفى الحق سبحانه بحكم ما طلب.

وفي «العرائس» سأل الخليل مشاهدة الحق في لباس الخلق.

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 261] أي: مثل نفقتهم في طريق المحبة ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ﴾ [الآية: 261] والمعنى أنه يضاعف مثوبة النفقة بأن يجعل الواحدة سبعمائة ويجعلها كالحبة ينبت الله منها سبعمائة حبة وهذا تمثيل لا يقتضي وقوعه ولا يجب وجوده مع أنه قد يكون في الدخن والذرة وكذا في البر في الأراضي المغلة ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ﴾ [الآية: 261] تلك المضاعفة المسطورة أو زيادة على المضاعفة المذكورة ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ [الآية: 261] بفضله ورحمته على حسب مراتب حال المنفق من إخلاصه وتعبه ونيته ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ [الآية: 261] أي: فضله على عباده ﴿عَلِيمٌ﴾ [الآية: 261] مطلع على نية عباده.

وأفاد الأستاذ: إنّ الذين ينفقون أموالهم فالخلف لهم الجنة والذين يبذلون أرواحهم فالخلف عنهم الحق سبحانه فشتان بين خلف وبين خلف من أنفق ماله وجد مثوبته ومن أنفق حاله/ وجد قربته فإنفاق المال في سبيله 93/ب بالصدقة وإنفاق الأحوال في سبيله بالصدق فالعابدون إذا أنفقوا حبه ضاعف لهم سبعين إلى سبعمائة إلى أضعاف كثيرة والواجدون إذا بذلوا فكما قيل:

فلا حسن نأتي به يقبلونه ... ولا إن أسأنا كان عندهم محو[1]

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 251).

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 262] أي يصرفون في طريق رضاه ﴿ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا﴾ [الآية: 262] أي: امتناناً على الفقير باعتداد إحسانه إليه ﴿وَلَآ أَذًى﴾ [الآية: 262] بذكر إعطائه لمن لا يحب المسكين اطلاعه عليه ﴿لَّهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ [الآية: 262] أي: ثوابهم المضاعف ثابتٌ ﴿عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية: 262] بلحوق عقاب ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الآية: 262] بنوب ثواب.

وأفاد الأستاذ: أن المن شهود ما تفعله والأذى تذكيرك لمن أحسنت إليه إحسانك ويقال ينفقون ما ينفقون ثم لا يشهدون البتة أفعالهم ولا أعمالهم ويقال كيف يمنون بشيء يستقذرونه ويستحقرونه ويقال لا يمنون بفعلهم بل يشهدون المنّة لله بتوفيقه ورود ذلك عليهم.

﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ [الآية: 263] أي: رد جميل على السائل بالعدة أو الدعاء ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ [الآية: 263] أي: وتجاوز عند الحاجة في سؤال العطاء ﴿خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى﴾ [الآية: 263] أي: من منّة أو تعيير على الفقراء ﴿وَٱللَّهُ غَنِيٌّ﴾ [الآية: 263] عن صدقة متبوعة بالمنّة والأذية ﴿حَلِيمٌ﴾ [الآية: 263] عن معاجلة من يخالفه بالعقوبة.

وأفاد الأستاذ: أن قول الفقير المجرد برد من يعرض له بإظهار العذر خير وأتم من صدقة المعجب بفعله وما يتبعه من إلزام المنّة فيه ويقال إقرار منك مع الله بعزمك وجزمك وغفران الله لك على قولك خير من صدقة بالمن مشوبة وبالأذى مصحوبة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم﴾ [الآية: 264] أي: مثوبات نفقاتكم ﴿بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ [الآية: 264] وسائر محبطاتكم ﴿كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ [الآية: 264] أي كإبطال الذي يرائي الخلق بالإنفاق ﴿وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ [الآية: 264] أي: والحال أنه لا يظهر الإيمان إلا على وجه النفاق ﴿فَمَثَلُهُۥ﴾ [الآية: 264] أي: فمثل المرائي في إنفاقه ﴿كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾ [الآية: 264] أي: حجر أملس ﴿عَلَيْهِ تُرَابٌ﴾ [الآية: 264] أي: غبار كثير ﴿فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ﴾ [الآية: 264] مطر

غزير ﴿فَتَرَكَهُۥ﴾ [الآية: 264] أي: الله والوابل ﴿صَلۡدٗاۖ﴾ [الآية: 264] براقاً نقياً كذلك أعمال المرائي يضمحل وقت نزول الرحمة الموجبة لأهل الطاعة وإن ظهر له عمل عند نفسه وسائر الخليقة ﴿لَّا يَقۡدِرُونَ﴾ [الآية: 264] أي المراؤن ﴿عَلَىٰ
شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ﴾ [الآية: 264] أي: على تحصيل ثواب مما عملوا/ ﴿وَٱللَّهُ لَا 94/ أ
يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [الآية: 264] للنعمة إلى العبادة المقبولة في الدنيا المقتضية للمثوبة في العقبى.

وقال الأستاذ: إنما يحمل تحميل المنّة من الحق سبحانه فأما من الخلق فليس لأحد على غيره منة فإن تحمل المنن من المخلوقين أعظم محنة وشهود المنّة من الله أعظم نعمة قال قائلهم:

ليس إجلالك الكبار بذلٍّ   إنما الذُّلُّ أن تجلّ الصغارا[1]

ويقال أفقر الخلق من ظن نفسه موسراً فتبين له إفلاسه كذلك أقل الخلق قدراً من ظن أنه على شيء فيبدوا من الله ما لم يكن يحتسبه.

وفي «**العرائس**» المن تعزز البشرية على الجبرية واستكبار الحدث على الكبرياء القديم والأذى ازدراء الفقير عند العطاء بالتسول وأيضاً المن تذكر الحدث ونسيان القدم لأن المنان إذا منّ على أحد فقد نسي الله عند تذكر نفسه وهذا نوع من الشرك والأذى البذل بنعت البخل والرمي بالعين إلى الفقراء على جهة تعظيم نفسه ورؤية شرفه عليهم وأيضاً المن شهود الأفعال والأذى التماس الأعواض.

﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 265] لأجل طلب رضاه ﴿وَتَثۡبِيتٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾ [الآية: 265] أي وليقينهم وتصديقهم من أصل أنفسهم أن الله سيجزيهم على إنفاقهم وسائر أعمالهم أو لتثبيتهم بوضع صدقاتهم عند أرباب حاجاتهم والحاصل أن مثل نفقة هؤلاء في الزكاة والنماء ﴿كَمَثَلِ جَنَّةِۭ بِرَبۡوَةٍ﴾ [الآية: 265] بالفتح للشامي وعاصم وقرئ بالكسر أي كمثل بستان بموضع مرتفع فإن شجره يكون أحسن منظراً وأكثر ثمراً ﴿أَصَابَهَا وَابِلٞ﴾ [الآية:

(1) ذكره القشيري في تفسيره (254).

265] مطر عظيم قطراً ﴿فَـَٔاتَتۡ أُكُلَهَا﴾ [الآية: 265] بضمتين لغير الحرمي والبصري أي: فأعطت صاحبها ثمرتها ﴿ضِعۡفَيۡنِ﴾ [الآية: 265] أي: حال كونها مثلي ما كانت تثمر غيرها من البساتين ﴿فَإِن لَّمۡ يُصِبۡهَا وَابِلٞ فَطَلّٞۗ﴾ [الآية: 265] يكفيها لكرم منبتها وبرودة هوائها لارتفاع مكانها وهو المطر الضعيف والمعنى أن نفقات هؤلاء زاكية متزايدة عند الله تعالى لا يضيع بحال من أحوالهم وإن كانت تتفاوت بقدر ما ينضم إليها من أفعالهم والحاصل أن صدقاتهم زكت قلت النفقة أو كثرت كما أن تلك الجنة أثمرت صغرت أقطار الأمطار أو كبرت ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الآية: 265] تحذير عن رياء الخلق وترغيب في إخلاص الحق.

94/ ب ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمۡ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٞ/ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَابٖ﴾ [الآية: 266] وسائر الأشجار والأثمار ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [الآية: 266] أي: المنافع الكثيرات ﴿وَأَصَابَهُ ٱلۡكِبَرُ﴾ [الآية: 266] أي: وقد لحقه كبر السن وضعف عن الكسب ﴿وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٞ ضُعَفَآءُ﴾ [الآية: 266] صغار عجزة عن تحصيل النفقة فإن الفاقة والعالة أصعب في الشيخوخة ﴿فَأَصَابَهَآ إِعۡصَارٞ﴾ [الآية: 266] ريح عاصفة منعكسة من السفل إلى العلو مستديرة ﴿فِيهِ نَارٞ﴾ [الآية: 266] لا يدفعها درهم ولا دينار ﴿فَٱحۡتَرَقَتۡۗ﴾ [الآية: 266] أي جنته في تلك الحالة والمعنى تمثيل حال من يفعل الأفعال الحسنة ويضم إليها ما يحبطها من الأعمال السيئة والحسرة إذا كان يوم القيامة واشتد حاجته إلى المثوبة فوجدها محبطة بحال من هذا شأنه في الكيفية وكذا من جال بسره في عالم الملكوت وترقى بفكره إلى جناب الجبروت ثم نكص على عقبيه بالنظر إلى الخلق والالتفات إلى ما سوى الحق ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ [الآية: 266] أي المشتملة على العبارات والإشارات ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الآية: 266] أي: تتأملون فيها وتعتبرون بها.

وأفاد الأستاذ: أن هذه آيات كثيرة ذكرها الله على جهة ضرب المثل للمخلص والمنافق ولمن أنفق في سبيل الله ولمن أنفق ماله في الباطل فهؤلاء يحصل لهم الشرف والخلف وهؤلاء لا يحصل لهم في الحال إلا السرف وفي المآل إلا التلف وهؤلاء ظل سعيهم مشكوراً، وهؤلاء يدعون ثبورا ويصلون

سعيراً، هؤلاء يزكوا أعمالهم وينموا أموالهم ويعلو عند الله أحوالهم ويكون الوصلة مآلهم وهؤلاء حبطت أعمالهم وخسرت أحوالهم وختم بالسوء مآلهم وتضاعف عليهم وبالهم ويقال مثل هؤلاء كالذي أنبت زرعاً فزكا أصله ونمى فضله وعلا فرعه وكثر نفعه ومثل هؤلاء كالذي خسرت صفقته وسرقت بضاعته وضاعت على كبره عيلته وتواتر من كل وجه بليته وفي كل وقت محنته هل يستويان مثلاً أو يتقاربان شبهاً.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ [الآية: 267] أي: حلالاته أو مستلذاته ﴿وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية: 267] من الحبوب والثمرات وسائر الخضراوات التي فيها الصدقات ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ﴾ [الآية: 267] تنفقون أي: لا تقصدوا الرديء مما لكم ﴿تُنفِقُونَ﴾ [الآية: 267] أي: حال كونكم تتصدقون من مالكم ﴿وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ﴾ [الآية: 267] أي: وحالكم أنكم لا تأخذونه في حقوقكم ﴿إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ﴾ [الآية: 267] أي إلا بإغماض وتساهل منكم وفيه إيماء إلى أن الفقراء/ شركاء الأغنياء ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ﴾ [الآية: 267] عن 95/أ
إنفاقكم وإنما يأمركم به لانتفاعكم ﴿حَمِيدٌ﴾ [الآية: 267] بقبوله منكم وإثابته عليكم.

وقال الأستاذ: لينظر كل واحد ما الذي ينفقه لأجل نفسه وما الذي يخرجه بأمر ربه الذي يخرج عليك من ديوانك فما كان لحظك فنفائس ملكك وما كان لربك فخسائس مالك الذي لله فلقمة لقمة والذي لأجلك فأكثرها قيمة وأكملها نعمة ثم أبصر كيف يستر عليك بلا كيف يقبله منك بل أبصر كيف يعوضك عليه بل أبصر كيف يمدحك به بل أبصر كيف ينسبه إليك الكل منه فضلاً لكنه ينسبه إليك فعلاً ثم يولي عليك عطاءً ويسمي العطاء جزاء يوسعك بتوفيقه براً ثم يملأ العالم منك شكراً.

﴿ٱلشَّيْطَـٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ﴾ [الآية: 268] أي: يخوفكم بقوله أن الجود يفقر في آخره ﴿وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ [الآية: 268] بالخصلة الفاحشة في القبح من نحو البخل والرياء ﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ﴾ [الآية: 268] أي: مغفرة لذنوبكم من

أجل إنفاقكم ﴿وَفَضْلًا﴾ [الآية: 268] أي: خلفاً أفضل مما أنفقتم في الدنيا والأخرى ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ [الآية: 268] أي: واسع الفضل في حقكم ﴿عَلِيمٌ﴾ [الآية: 268] بأفعالكم وأحوالكم.

وأفاد الأستاذ: أن الشيطان يعد الفقر لفقره والله يعد المغفرة لكرمه ﴿وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾ [الآية: 268] أي: بالرغبة في الدنيا أو بالأسباب التي تقوي الحرص عليها أو بكثرة الأمل وقلة العمل أو بنسيان القناعة وحرمان الطاعة أو بمتابعة الشهوات وملاحظة الحظوظ واللهوات ويقال: بالرجوع إلى ما تركته لله أو بإخطار شيء مما سواه والفضل الموعود في العاجل القناعة وفي الأجل المثوبة والرؤية والعفو والغفران والجنان والرضوان.

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ﴾ [الآية: 269] أي: علم الكتاب والسُنَّة أو تحقيق العلم وإتقان العمل أو النبوة والولاية وقيل: الحكمة مشاهدة حكمة الحكيم في جميع الأحكام والأقضية بنعت الإنقان والإحكام ﴿مَن يَشَاءُ﴾ [الآية: 269] من الفرقة الناجية الفاخرة ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [الآية: 269] جامعاً لخيري الدنيا والآخرة ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ﴾ [الآية: 269] أي: وما يتعظ بما في هذا الكتاب إلا ﴿إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الآية: 269] أي: أرباب العقول السليمة المهتدية إلى صوب الصواب.

وأفاد الأستاذ: أن الحكمة أن يحكم عليك خاطر الحق لا داعي النفس وباعث الخلق أو الحكمة هي الموافقة كما أن السفه هو المخالفة أو الحكمة شهود/ الحق والسفه شهود الخلق. 95/ب

﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ﴾ [الآية: 270] قليلة أو كثيرة سراً أو علانية في طاعة أو معصية ﴿أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ﴾ [الآية: 270] بشرط أو غيره من فعل أو أمر ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ [الآية: 270] فيجازيكم عليه بقدر إخلاصكم لديه ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ [الآية: 270] أي الواضعين المال في غير موضعه بارتكاب المعصية ﴿مِنْ أَنصَارٍ﴾ [الآية: 270] أي: يدفعونهم ويمنعونهم من العقوبة والجمع للمقابلة.

قال الأستاذ: قوم توعدهم بعقوبته وآخرون توعدهم بعلمه فهؤلاء العوام وهؤلاء الخواص ولا شيء يوجب سقوط العبد من عين الله كمخالفته بعهوده معه بقلبه فليحذر المريد غاية الحذر عن إذلال نفسه.

﴿إِن تُبۡدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [الآية: 271] أي: تظهروها وتعلنوها فهو خير لكم ﴿فَنِعِمَّا هِيَۖ﴾ [الآية: 271] أي: نعم شيء إبداؤها ﴿وَإِن تُخۡفُوهَا وَتُؤۡتُوهَا ٱلۡفُقَرَآءَ﴾ [الآية: 271] أي: تعطوهم إياها مع إخفائها ﴿فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ﴾ [الآية: 271] لأنه أبعد من لحوق السمعة والرياء بها ﴿وَيُكَفِّرُ﴾ [الآية: 271] أي الله وفي قراءة غير الشامي وحفص ونكفر بالنون وجزمها نافع وحمزة والكسائي ﴿عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمۡۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ [الآية: 271] وهي الصغائر ويحتمل الكبائر فمن تبعيضية لا زائدة مؤكدة.

قال الأستاذ: إذا أظهرتَ صحبتك معنا وأعلنت فلقد جودت وأحسنت وإن حفظت سرنا عن دخول الوسائط بيننا صغت شروط الوداد وشيدت من بناء الوصلة العماد.

﴿لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ﴾ [الآية: 272] أي: هداية العباد وإنما عليك تبليغ الإرشاد وتبيين طرق الرشاد ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي﴾ [الآية: 272] أي: هداية موصلة لصلة ﴿مَن يَشَآءُۗ﴾ [الآية: 272] أي على وفق ما تعلق به المشيئة وروي أنه ﷺ كان لا يأمر بالتصدق إلا على المسلمين حتى نزلت ليس عليك هداهم فأمر بالصدقة بعده على كل سائل من أهل كل دين[1].

وأفاد الأستاذ: أن لك المقام المحمود واللواء المعقود والرتب العلية والمنازل البهية والأسرار المرضية وأنت سيد الأولين وسند الآخرين ولا أحد يدانيك فضلاً من أنه يساميك ولكن الهداية من خصائص حقنا نخصها من نشاء من عبادنا يا محمد أنت تدعوهم ونحن نهديهم ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ﴾

---

(1) أورده الطبري في تفسيره (5/ 587 ـ 588)؛ وأخرجه الحاكم في المستدرك (2/ 313) رقم (3128)، والطبراني في المعجم الكبير (12/ 54) رقم (12453)، والنسائي في السنن الكبرى (6/ 305) رقم (11052).

[الآية: 272] نفقة معروفة ﴿فَلِأَنفُسِكُمۡۚ﴾ [الآية: 272] فهو لها لا يتعداها ﴿وَمَا تُنفِقُونَ﴾ [الآية: 272] خبر مختص للخواص من الأمة المنزهين عن الرياء
96/أ والسمعة ونفي في معنى النهي للمبالغة أي:/ ولا تنفقوا ﴿إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ ٱللَّهِۚ﴾ [الآية: 272] أي: لطلب رضاه من غير نظر إلى سواه ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ﴾ [الآية: 272] أي: يوفر ثوابه ويعود نفعه عليكم ﴿وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ﴾ [الآية: 272] أي: لا تنقصون شيئاً من ثواب أعمالكم.

﴿لِلۡفُقَرَآءِ﴾ [الآية: 273] اعمدوا في صدقاتكم واقصدوا في مصادقتكم للفقراء الصادقين ﴿ٱلَّذِينَ أُحۡصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 273] أي: احصرهم الجهاد وحبسهم التعلم والاجتهاد عن كسب البلاد ومنهم أصحاب الصفة الذين انقطعوا عن الخلق بالكلية.

وأفاد الأستاذ: أن معناه وقفوا على حكم الله فاحصروا أنفسهم على طاعته وقلوبهم على معرفته وأرواحهم على محبته وأسرارهم على رؤيته ﴿لَا يَسۡتَطِيعُونَ﴾ [الآية: 273] لأشغالهم بأمر مولاهم في تحسين أحوالهم ﴿ضَرۡبٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الآية: 273] أي ذهاباً فيها لكسب أموالهم.

وقال الأستاذ: أخذ عليهم سلطان الحقيقة كل طريق فلا لهم في الشرق مذهب ولا الغرب مضرب كيف ما نظروا رأوا سرادقات التوحيد محيطة بهم.

كأنّ فجاج الأرض ضاقت برحبها عليهم فما تزداد طولاً ولا عرضاً[1]

فلا يسلم لهم نفس واحد مع الخلق أنى بذلك ولا خلق وإذا لم يكن فإثبات ما ليس شرك في التوحيد والفقير الصادق مع الله لله بالله لا إشراف للأجانب عليهم ولا سبيل للمخلوق إليهم يظهرهم في عين الأغيار في لبسة سوى ما هم به من الأسرار ﴿يَحۡسَبُهُمُ﴾ [الآية: 273] بفتح السين الشامي وحمزة وعاصم أي: يظنهم ويتوهمهم ﴿ٱلۡجَاهِلُ أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ [الآية: 273] أي: من أجل تعففهم عن سؤال مخلوق مثلهم.

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 262).

قال الأستاذ: فأمّا من كان عالماً محرماً فلا إشكال عليه في شيء من أحوالهم ﴿تَعْرِفُهُم﴾ [الآية: 273] أي: يا محمد بالأصالة وغيرك بالتبعية على وجه الفراسة ﴿بِسِيمَٰهُمْ﴾ [الآية: 273] من ضعف أبدانهم وتغير ألوانهم ورثاثة أحوالهم.

وأفاد الأستاذ: أن تلك السيما ليست مما يلوح للبصر تلك سيما تدركها البصيرة لا إشراف عليهم إلا بنور الأحدية وظهور الصمدية ويقال تعرفهم باستبشار قلوبهم عند انكسار نفوسهم فصياح أسرارهم إلى العرش نشاطاً عند ذبول ظاهرهم عن الانتعاش ويقال بكسر الظاهر عند تكسر الباطن وبالعكس من هذه ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًاۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [الآية: 273] أي: إلحاحاً فإذا كان عندهم غداء لم يسألوا عشاء وإذا كان عندهم عشاء لم يسألوا/ غداء والمراد نفي القيد والمقيد أي: لا يسألون الخلق 96/ ب
أصلاً وإنما يطلبون من الله رزقاً وفضلاً.

قال الأستاذ: فإن جرى منهم من الخلق بدون الإلحاف سؤال كما يشير إليه دليل الخطاب فتلك صيانة لهم وستر لقصتهم ليلاحظهم الخلق بعين السؤال من الاحتقار وليس على سرهم ذرة من الإثبات للأغيار.

وفي «**تفسير السلمي**» قيل الذين وقفوا مع الله بهممهم فلم يرجعوا منه إلى غيره ولا يتحركون لطلب الرزق نعرفهم بطيب قلوبهم وحسن حالهم وبشاشة وجوههم.

قال جنيد: كلت ألسنتهم عن سؤال من يملك الأملاك فكيف عمن لا يملكها.

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ [الآية: 274] كعليّ كرّم الله وجهه حيث لا يملك إلا أربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلاً ودرهم نهاراً ودرهم[1] ﴿سِرًّا﴾ [الآية: 274] ودرهم ﴿وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ

(1) أورده القرطبي في تفسيره (3/ 347)، والبغوي في تفسيره (1/ 339)، والرازي في تفسيره (4/ 24)، والزمخشري في الكشاف (1/ 243).

رَبِّهِمْ﴾ [الآية: 274] على أعمالهم ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية: 274] في مآلهم ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الآية: 274] في حال من أحوالهم.

﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [الآية: 275] أي: يأخذونه ويعاملون به فنبه بأكله على غيره ولأنه معظم انتفاعه ﴿لَا يَقُومُونَ﴾ [الآية: 275] من قبورهم ﴿إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الآية: 275] أي إلا قياماً كقيام الذي يصرعه ﴿مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [الآية: 275] أي من مس الشيطان له المورث لجنونه ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 275] العقاب ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [الآية: 275] وعكس القضية للمبالغة القياسية ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [الآية: 275] إنكار للتسوية وإبطال للقياس مع النصوص القوية ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الآية: 275] أي: بلغه وعظ من المولى وزجر بالنهي عن الربا ﴿فَٱنتَهَىٰ﴾ [الآية: 275] أي: تبع النهي واتعظ به ﴿فَلَهُۥ﴾ [الآية: 275] أي حال وصول الشرع إليه ونهيه عنه ﴿مَا سَلَفَ﴾ [الآية: 275] أي: ما تقدم أخذه التحريم ولا يسترد منه ﴿وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الآية: 275] بأن يوفقه بالتوبة أو يخذله بالعود إلى المعصية ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ [الآية: 275] إلى تحليل الربا وغيره من الأمور المنهية ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الآية: 275].

وأفاد الأستاذ: أن من أعرض عن الأمر ورخص لنفسه ما يسول له خاطره من التأويل فلا استقلال لهم في الحال ولا انتعاش في المآل خسروا في عاجلهم ولم يربحوا في آجلهم فمن انتبه بزواجر الوعظ وكبح بلجام الهوى ولم يطل عنان الإصرار فله الإمهال في الحال فإن عاد إلى مذموم تلك الأحوال فلينتظر وشيك الاستئصال وفجأة النكال.

97/أ ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [الآية: 276] أي: يذهب/ بركته وينقص الأموال التي دخل فيها ﴿وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [الآية: 276] أي: يكثرها وينميها

وأفاد الأستاذ: إنما كان بإذن منه سبحانه من التصرفات فمقرون بالخيرات مصحوب بالبركات وما كان بمتابعة الهوى والشيطان يسلط عليه المحق والنقصان وكان عاقبة أمره الخسران ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ﴾ [الآية: 276] لا

يرتضي في حكمه ﴿كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [الآية: 276] فاجر بأخذه وأكله.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الآية: 277] أي: بالله ورسله وبما جاءهم من قبله ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الآية: 277] أي: الطاعات الباقيات ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [الآية: 277] أي: قاموا بالعبادات البدنية والطاعات المالية وخصا بالذكر لإناقتهما وأصالتهما ﴿لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ [الآية: 277] أي: من المثوبات ﴿وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الآية: 277] من آتٍ ﴿وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [الآية: 277] على ما فات.

وأفاد الأستاذ: أن الذين كانوا لنا يكفيهم ما يأخذون منا فإنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً ورجاء من فضلنا أملاً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [الآية: 278] أي: قوموا على تقواه ﴿وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾ [الآية: 278] اتركوا بقايا ما شرطتم على الناس من الربا ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [الآية: 278] أي: في إيمانكم موقنين.

وأفاد الأستاذ: أن الاكتفاء بموعود ربه خير للمسلم من تعلق قلبه بمقصود نفسه مقصودك من تسويلات النفس وعادات الخلق وموعودة ما ضمنه الحق.

﴿فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ﴾ [الآية: 279] أي: ترك ما بقي من رباكم ﴿فَأۡذَنُواْ﴾ [الآية: 279] وفي قراءة شعبة بالمد والكسر أي: فاعلموا بأنفسكم ثم اعلموا غيركم ﴿بِحَرۡبٍ﴾ [الآية: 279] أي: بقتال عظيم مبتدأ ﴿مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الآية: 279] لكم.

وأفاد الأستاذ: إن صاحب الأضرار ليس له عندنا وزن ولا مقدار ولا قدر ولا خطار ﴿وَإِن تُبۡتُمۡ﴾ [الآية: 279] من أفعالكم ﴿فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ﴾ [الآية: 279] ﴿وَلَا تُظۡلَمُونَ﴾ [الآية: 279] بأخذ الزيادة ولا تظلمون بالمطل والمنقصة ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسۡرَةٖ﴾ [الآية: 280] أي: إن وقع غريم صاحب عسرة من شدة فاقة وحاجة ﴿فَنَظِرَةٌ﴾ [الآية: 280] أي: فعليكم انتظار وتأخير في المطالبة ﴿إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖ﴾ [الآية: 280] بفتح السين لغير نافع أي: تيسر يسار بعد عسار ﴿وَأَن تَصَدَّقُواْ﴾ [الآية: 280] بالتخفيف لعاصم أي: وأن تتصدقوا بالإبراء

ووضع الأوزار ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [الآية: 280] أكثر ثواباً من الانتظار من الإعسار إلى الإيسار مع أن البراءة سُنَّة والنظرة فريضة ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 280] ما فيه من الذكر الجميل والأجر الجزيل.

وقال الأستاذ: إذا تقرر عند القاضي إفلاس المحبوس وفقره فلا يحل له استدامة حبسه وإن لم يظهر لذي الحق حجته والمفلس مرتهن بحق خصمه ولكنه في إمهال وانتظار من ربه لا يحكم بهذا علينا ثم مع علمه بإعسارنا
97/ب وعجزنا لديه وصدق افتقارنا إليه وانقطاعنا عن غيره عليه/ ألا يرحمنا ولا يسامحنا مع أنه أمرنا في التصدق في إبرائنا.

وفي «**العرائس**» أدب قوماً بتأدبه في كرمه ورحمته على المعسرين على الطاعة والمكثرين من المعصية وهذا إخبار عن غاية شفقته على عباده إذ أمر بعضهم أن يمْهِل بعضاً في واجب حقوقهم أشار بهذا أن حقيقة الحقوق له يهب بفضله ما قصروا في واجب أمره وأيضاً رمز لأصحاب المعاني في هذه الآية أي إن كان أهل المعرفة في عسر من المشاهدة وكشف القربة فلا تطالبوهم بإثقال المعاملات والتماس الكرامات إلى ميسرة الكشوف وبروز أنوار الحضرة في قلوبهم لأن للعارف مقامين الأول هو القبض والثاني هو البسط فإذا كان في القبض فهو في هبوط الهجران وهو عسر ظاهر ولا يؤدي في ذلك المقام حق الحقيقة وإذا كان في مقام البسط فهو في رجاء التوحيد ويطبق أن يؤدي ما وجب عليه من حق الطريقة لأنه في ذلك الحال يلتبس بأنوار الربوبية ويتهيأ له ما يريد كما وصف الله تعالى أنبياءه وأولياؤه في حال انبساطهم وبسطهم مثل عيسى عليه السلام.

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا﴾ [الآية: 281] أي: يوم القيامة أو يوم الموت أو حساب يوم أو عذاب وقت ﴿تُرْجَعُونَ﴾ [الآية: 281] بصيغة المجهول لغير البصري أي: تردون أو تصيرون ﴿فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [الآية: 281] أي: حكمه وأمره فتأهبوا لِمصيره ﴿ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ [الآية: 281] أي: جزاء ما كسبت من أعمال سبقت وأحوال سلفت ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الآية: 281] بتنقيص ثواب ولا بتضعيف عقاب

روي أنها آخر آية نزل بها جبريل عليه السلام وقال: ضعها في رأس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله ﷺ بعدها إحدى وعشرين يوماً وقيل: سبعة أيام وقيل: ثلاث ساعات.

قال الواسطي: هذا ترهيب للعام فأما الخاص فقوله ﴿وَإِيَّىَ فَٱتَّقُونِ﴾ [البقرة: 41] وأفاد الأستاذ أن الرجوع على ضربين بالأبشار والنفوس عند توفي الأنفس وبالأسرار والقلوب في كل نفس أنفس ومحاسبته نقد ووعد فنقد مطالبته أدق مما سيكون في القيامة من وعده.

وفي «العرائس» أي: خافوا يوم الفصل من وقوف مقام الحياء والخجلة بين يدي ملك يمنع المستدرجين عن مشاهدته ويعاتب أولياءه بالخطرات والإشارات ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ﴾ [الآية: 282] أي: تعاملتم بسلف معيّر ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الآية: 282] أي: زمن محدود معلوم/ ﴿فَٱكْتُبُوهُۚ﴾ 98/أ
[الآية: 282] لأنه أوثق للمطالبة وأدفع للمنازعة والجمهور على استحباب الكتابة ﴿وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ﴾ [الآية: 282] أي بين المستدين والمدين ﴿كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِۚ﴾ [الآية: 282] أي: من يكتب بالسوية لا بزيادة ولا منقصة ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ﴾ [الآية: 282] أي: لا يمتنع من ذلك إذا أمر ﴿كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ﴾ [الآية: 282] أي: مثل ما علمه من كتبة الوثائق والمعنى أنه لا يأب من نفعه للناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها كقوله تعالى: ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَۖ﴾ [القصص: 77] بل يكتب أمر بها بعد النهي عن إبائها تأكيداً في شأنها ﴿فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ﴾ [الآية: 282] أي: وليكن المملي من عليه الحق على طريق الصدق ﴿وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾ [الآية: 282] أي: كل من المملي والكاتب عذابه ﴿وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔاۚ﴾ [الآية: 282] أي: لا ينقص من الحق شيئاً ولو قليلاً ﴿فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا﴾ [الآية: 282] ناقص العقل مبذراً محجوراً ﴿أَوْ ضَعِيفًا﴾ [الآية: 282] صبياً أو مجنوناً أو شيخاً مخبلاً ﴿أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ﴾ [الآية: 282] أو غير مستطيع للإملاء بنفسه لخرس في لسانه أو جهل باللغة في بيانه ﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ﴾ [الآية: 282] أي: متولي أمره من وصيه أو وكيله ومترجمه ﴿بِٱلْعَدْلِۚ﴾ [الآية: 282] أي: بالصدق والحق ﴿وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ﴾ [الآية: 282]

أي: يطلبوا أن يشهدوا على الدّين شاهدان ﴿مِن رِّجَالِكُمْۖ﴾ [الآية: 282] من رجال المسلمين إذا كانت المعاملة فيما بينهم بقرينة أن الخطاب في صدر الآية لهم فلا ينافي ما قاله إمامنا أبو حنيفة من أن شهادة الكفار تسمع لبعضهم على بعض منهم ﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا﴾ [الآية: 282] أي: الشهيدان ﴿رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ﴾ [الآية: 282] أي: فليشهد رجل ﴿وَامْرَأَتَانِ﴾ [الآية: 282] وهذا مخصوص بالأموال عند الشافعية ربما عدا الحدود والقصاص عند الحنفية ﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ [الآية: 282] لعلمكم بعد التهم ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ﴾ [الآية: 282] بالتخفيف للمكي والبصري ﴿إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ﴾ [الآية: 282] أي: لأجل أن إحديهما إن نسيت الشهادة ذكرتها الأخرى وفيه إشعار بنقصان عقلهن وقلة ضبطهن وفي قراءة حمزة بكسر إن على الشرط فتذكر بالرفع مع التشديد إذ الفاء مانعة من الجزم ﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ [الآية: 282] لتحمل الشهادة وأدائها إذا تعينوا ومنه علم أن تحمل الشهادة فرض كفاية ثم ما بعد إذا في الكلام مزيدة ﴿وَلَا تَسْأَمُوا أَن تَكْتُبُوهُ﴾ [الآية: 282] أي: ولا تملوا من كثرة المداينة بين الأصحاب أن تكتبوا الدين أو الحق أو الكتاب ﴿صَغِيرًا/ أَوْ كَبِيرًا﴾ [الآية: 282] 98/ب

قليلاً كان الحق أو كثيراً ﴿إِلَىٰ أَجَلِهِ﴾ [الآية: 282] أي: وقت حلوله ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ [الآية: 282] أي: الكتاب ﴿أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ﴾ [الآية: 282] أعدل في حكمه ﴿وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ﴾ [الآية: 282] أي: أثبت لها وأعون على إقامتها ﴿وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا﴾ [الآية: 282] وأقرب في أن لا تشكوا في جنس الدين وقدره وأجله ونحوه ﴿إِلَّا أَن تَكُونَ﴾ [الآية: 282] أي: تقع ﴿تِجَارَةٌ حَاضِرَةٌ﴾ [الآية: 282] وفي قراءة عاصم بنصبهما أي: إلا أن تكون المعاملة تجارة حاضرة وهو استثناء من الأمر بالكتابة أي: إلا أن تبتاعوا مبايعة ناجزة وهذا معنى قوله ﴿تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا﴾ [الآية: 282] فلا بأس ألا تكتبوها لبعده عن النسيان والمنازعة ﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ [الآية: 282] والأوامر في هذه الآية للاستحباب عند جمهور الأمة وكذا النواهي محمولة على الكراهة التنزيهية على خلاف في أحكامهما ونسخهما ﴿وَلَا يُضَارَّ﴾ [الآية: 282] يحتمل البيانين ﴿كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ [الآية: 282] فنهيهما عن ترك الإجاحة والتحريف بالنقصان والزيادة والنهي عن

الضرار بهما بأن يكلفا الخروج عما حد لهما ﴿وَإِن تَفۡعَلُواْ﴾ [الآية: 282] الضرار وسائر ما عنه نهيتم ﴿فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۗ﴾ [الآية: 282] خروج عن الطاعة لا حق بكم ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ﴾ [الآية: 282] في أوامركم ونواهيكم ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾ [الآية: 282] أي: أحكامه المتضمنة لمصالحكم ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [الآية: 282] وإظهار الجلالة في مواضع إضمارها لأنه أدخل في التعظيم من الكناية مع عدم الملالة بتكرار الجلالة وقد قيل أن آية المداينة أرجى آية في القرآن لأنها دالة على غاية رحمة من الرحمن حيث أمرهم في المعاملة الدَّينية مع أنها ليست من الأمور الدينية بما لا يشوش عليهم من الأحوال العارضية والدنيوية مع أنه قد ورد أن الدنيا لو كانت تعدل عند الله جناح بعوضة لما سقى كافراً من مائها شربة[1].

وتوضيحه ما قال الأستاذ إنّ الله سبحانه أمر الخلق بالقيام بالصدق وعلمهم كيفية معاملاتهم فيما بينهم بالحق والأخذ بالاحتياط والاستشهاد لئلا يجري من بعضهم على بعض حيف في المطالبة أو الإنكار وذلك من مقتضى رحمته سبحانه عليهم وموجب رفقه بهم لئلا يتخاصموا فيما بينهم فأمر بتحصين الحقوق بالكتابة والإشهاد وأمر/ الشهود بالتحمل ثم بالإقامة ومن 99/أ شرع اليوم ما ينقطع الخصومات به بينهم فبالحري أن يجري ما يرفع في الآخرة آثار الخصومة عنهم وفي الخبر المنقول تواهبوا فيما بينكم[2] فقد وهبت فيكم مالي عليكم فإن الكريم إذا قدر غفر.

وفيما شرع من الدين ـ مع أن الدين شين ـ الدين رفق لأرباب الحاجات لأنه يمسه الحاجة فيحمله الحال على الاحتيال ويضيق به الصبر على الاحتمال ويمنعه حفظ التجمل عن الكدية والسؤال فأذن له في الاستدانة ليجبر أمره في الحال وينتظر فضل الله في المآل وقد وعد على الإدانة المثوبة الكبرى وذلك كله من لطفه تعالى.

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (4/ 341) رقم (7847)، والطبراني في المعجم الكبير (6/ 157) رقم (5840)، وابن ماجه في السنن (2/ 1376) رقم (4110)، والترمذي في الجامع الصحيح (4/ 560) رقم (2320).

(2) أورده القشيري في تفسيره (1/ 271).

﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ [الآية: 283] أي: على جناح سفر يعني مسافرين ﴿وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ﴾ [الآية: 283] أي: فعليكم والوثيقة رهان ﴿مَّقْبُوضَةٌ﴾ [الآية: 283] من يد صاحب الحق وفي قراءة المكي والبصري فرهن بضمتين وكلاهما جمع رهن بمعنى مرهون ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم﴾ [الآية: 283] أي: من الدائنين ﴿بَعْضًا﴾ [الآية: 283] من المديونين واستغنى بالأمانة عن الارتهان والكتابة ﴿فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ﴾ [الآية: 283] أي: دينه بملك الذي هو بمنزلة الأمانة ﴿وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾ [الآية: 283] في الخيانة ﴿وَلَا تَكْتُمُوا ٱلشَّهَٰدَةَ﴾ [الآية: 283] فإنها من جملة الأمانة ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ﴾ [الآية: 283] أي: الكاتم ﴿ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾ [الآية: 283] وأسند الإثم إليه لأنه رئيس الأعضاء وأشرف الأجزاء فكأنه قيل تمكن الإثم في نفسه وفاق سائر ذنوبه ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [الآية: 283] وعد ووعيد.

وفي «**العرائس**» ﴿وَلَا تَكْتُمُوا ٱلشَّهَٰدَةَ﴾ [الآية: 283] أي: لا تكتموا ما أشهدكم الله من مقام أهل الولاية بأن تحملوا ذكرهم حسداً عليهم ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا﴾ [الآية: 283] يعني ما خصهم به ﴿فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾ [الآية: 283] أي جزاء كتمانه قساوة قلبه وإثم القلب الحسد بأهل الولاية وجزاء الحسد الطبع والختم وسوء الخاتمة.

﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية: 284] ملكاً وملكاً.

قال ابن عطاء الكونان هو مبدؤهما من غير شيء سبقهما فمن اشتغل بهما قطعاه عن الله ومن أقبل على الله وتركهما لله ملكهما الله إياه.

وقال صاحب «**العرائس**» أي: لله خزائن ملكوت الكونين وأسرار غيب العالمين لا يكشفها إلا لخواص أجلته من العلماء العالمين ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾ [الآية: 284] من السوء والعزم عليه ﴿يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 284] في الدنيا/ بالمكفرات أو في العقبى بالعقوبات. 99/ب

وفي «**العرائس**» أن تظهروا ما في قلوبكم من حقائق المكاشفات والمخاطبات ليقتدي به أهل الإرادة أو تخفوا عجائب الغيب التي ترى عيون الأرواح المقدسة تورعاً لئلا يفتتن بها أقوام من ضعفاء المؤمنين لقلة فهمهم

يربيكم الله بتمكين الظاهر بما أظهرتم حتى لا تفتتنوا بدقائق الرياء والسمعة ويبقين الباطن بما أخفيتم من الخلق إخلاصاً وصدقاً لتذوقوا حلاوة صفاء الإخلاص في كتمان الأسرار ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [الآية: 284] مغفرته ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ [الآية: 284] عقوبته وجزمهما عطف على جواب الشرط وفي قراءة الشامي وعاصم برفعهما على الاستئناف ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الآية: 284] من الإحياء والمحاسبة والغفران والمعاقبة.

قال الواسطي: من أراد الكون أو المكون يحاسبه الله فيغفر لمن أراد له الجنة ونعيمها الغفلة ويعذب من آثر الدنيا على الآخرة.

وقال الأستاذ: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [الآية: 284] من المعاني والدواعي أو القصود والرغائب وفنون الحوائج والمطالب أو ما تبديه العبادة وما تخفيه الإرادة أو ما تبديه السكنات والحركات وما تخفيه الخطرات ويقال الإشارة فيه إلى استدامة المراقبة واستصحاب المحاسبة فلا تغفل خطره ولا لحظة ولا تمهل وقتك نفساً ولا لمحة.

وفي «**العرائس**» ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [الآية: 284] لمن يدفع خطرات الباطن ترغيباً ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ [الآية: 284] لمن يتبع هواه بدخوله في الزلات تهذيباً.

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [الآية: 285] تنصيص من الله على صحة إيمانه وتخصيص للاعتداد بشأنه وتنبيه على كمال اتباعه في اتباع تصديقه وبرهانه ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ﴾ [الآية: 285] وفي قراءة حمزة والكسائي كتابه على إرادة جنسه ﴿وَرُسُلِهِۦ﴾ [الآية: 285] والترتيب باعتبار حصوله وانفرد ضمير آمن للفظ كل ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [الآية: 285] أي: بالتصديق والتكذيب فلا ينافي الفصل بالتفضيل والتقدير قالوا هذا القول ﴿وَقَالُواْ سَمِعْنَا﴾ [الآية: 285] قولك ﴿وَأَطَعْنَا﴾ [الآية: 285] أمرك ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الآية: 285] غفرانك أو اغفر لنا غفرانك ﴿رَبَّنَا﴾ [الآية: 285] بحذف حرف النداء ﴿وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الآية: 285] أي: المرجع بعد الموت والغناء

بالبعث والجزاء والبقاء.

100/أ وقال /الأستاذ: شهادة الحق سبحانه لنبيه عليه السلام أتم من إخباره عن نفسه بشهادة الإسلام ويقال آمن الخلق كلهم من حيث البرهان وآمن الرسل بالعيان.

وفي «**العرائس**» أن الله قدس باطن رسوله عليه السلام من سوائب النفسانية وخطرات الشيطانية وكحل عين سره بنور الملكوت حتى قيل بالصدق والإخلاص ما كشف له من عجائب الجبروت ورأى بمصابيح القرآن أسرار الأزل والأبد وما جرى في بطنان الغيب وغيب الغيب رؤية عيان وآمن بها إيمان المشاهدة والعرفان ثم المؤمنون على قسمين منهم العارفون والصادقون والمشاهدون والمقربون والمكاشفون والمحافظون والمحسنون والراضون والمتوكلون والمحبون والمريدون والمرادون كل شاهدوا بعض ما شاهد الرسول عليه السلام لولا ذلك لم يشرعوا في بذل الأرواح ومجاهدة الأشباح لكن للنبي ﷺ مشاهدة الصرف خاصة له بلا زحمة الخطرات ولهم مشاهدة اليقين بوسائط الالتباس ممتحنين بالوسواس والقسم الثاني من المؤمنين هم الذين آمنوا إيمان الفطرة بإرشاد العلم والعقل والبيان والبرهان.

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [الآية: 286] أي: إلا ما يسعه من قدرتها وما دون غاية طاقتها لا ما لا يملك دفعه من حديث النفس وخطراتها.

وفي «**العرائس**» لو أظهر من جمال عز الأزل صفة من صفاتي لا يطيق الخلق أن يستقيموا عند كشف ذرة منها لكن أواسيهم بلوائح التجلي بنعت الالتباس لكيلا يغنوا مثل تجلي موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام أيضاً لا يكلف الله حق عبوديته نفوس أوليائه إلا قدر ما يطيقون من جهة التقصير والضعف عند تحمل حقيقة العبودية لا من حق الربوبية أن يذوب الأرواح والأشباح في أول تكبيرة كبروا تعظيماً وإجلالاً وأن الله تعالى ما أظهر للخلق من معرفته إلا مقدار ما يعيشون به من جهلهم بربوبية ربهم ولو أيقنوا أنهم في

معزل من حقيقة العبودية وإدراك صرف الربوبية لماتوا حسرة على ما قالوا ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ [الآية: 286] من خير ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [الآية: 286] من شر لا ينتفع بطاعتها ولا يتضرر بمعصيتها غير ذاتها.

وفي «**العرائس**» لها ما كسبت أرواحهم من مقاسات/ الهجران في دار 100/ب
الامتحان وعليها ما اكتسبت نفوسهم من جرائم الخطرات عند مكاشفة الغيب للمخفيات يجازي الله النفوس في الدنيا بالذنوب في المجاهدات ويجازي الأرواح في الآخرة لِصرف المشاهدات ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا﴾ [الآية: 286] أي: قولوا ذلك وهو تعليم للعباد من آداب الدعاء من تصديره بالنداء والثناء والمعنى لا تحاسبنا ولا تعاقبنا ﴿إِن نَّسِينَا﴾ [الآية: 286] بخلاف من كان قبلنا فإنهم إذا نسوا شيئاً من الشريعة عجلت لهم العقوبة ﴿أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [الآية: 286] أي: بما أدى بنا إلى نسيان أو خطأ من تفريط وقلة مبالاة فإن النسيان والخطأ ليسا من الأمور الاختيارية ثم هذان بالنسبة إلى الحقوق الإلهية دون الآدمية.

وأفاد الأستاذ: أنه تعالى لا يلقنهم الدعاء في الدنيا ثم يمنعهم الإجابة في الأخرى.

وفي «**العرائس**» لا تحجبنا بك عنك إن نسيناك أو أخطأنا بالالتفات إلى غيرك ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا﴾ [الآية: 286] أي: أمراً يثقل لدينا ﴿كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ [الآية: 286] من قتل النفس وقطع موضع النجس وخمسين صلاة في اليوم والليلة وصرف ربع المال للزكاة وسائر ما أصابهم من الشدة والمحنة ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ [الآية: 286] من البلية أو العقوبة أو التكاليف لا تفي بها الطاقة فالدعاء به الاستدامة واعتداداً بالنعمة ﴿وَاعْفُ عَنَّا﴾ [الآية: 286] بمحو ذنوبنا ﴿وَاغْفِرْ لَنَا﴾ [الآية: 286] بستر ذنوبنا ﴿وَارْحَمْنَا﴾ [الآية: 286] بالتعطف بنا والتفضل علينا ﴿أَنتَ مَوْلَانَا﴾ [الآية: 286] أي: ناصرنا ومتولي أمورنا ﴿فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [الآية: 286] من الأعداء الظاهرة والباطنة في أمر الدين.

وقال الأستاذ: أعف عنا في الحال ﴿وَاغْفِرْ لَنَا﴾ في المآل ﴿وَارْحَمْنَا﴾ في

جميع الأحوال إذ ليس لنا أحد سواك فأنت مولانا فاجعل النصرة على ما يشغلنا عنك ويذهلنا منك.

وفي «العرائس» ﴿وَٱعۡفُ عَنَّا﴾ قلة المعرفة بك ﴿وَٱغۡفِرۡ لَنَا﴾ التقصير في عبادتك وارحمنا بمواصلتك ومشاهدتك فانصرنا على القوم الكافرين هذا نجوى أهل الامتحان من المكاشفين والمشاهدين أي: نحن أسرار معرفتك وضعفاء محبتك فارحمنا بتجلي العظمة حتى يقوى منك بك في محل العبودية وكشف الربوبية وانصرنا بمعاونة المعرفة وجند حقائق الإلهام عن مشاعر الألوهية على القوم الكافرين أو على بأس الطبيعة حتى يهربوا عن ميادين معارفك بتأبيد معرفتك وتسريح من تشويشهم في صرف عبوديتك وطلب مشاهدة حضرتك.

سورة آل عمران

[مدنية]

وآيها مائتان

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

101/أ /يتيامن باسم ذاته ووسم صفاته كل بيان في كل زمان ومكان وفي تكرار البسملة إشعاراً بأنّ كل سورة في قضية وصورة ما نزلت إلا ناشئة عن عموم الرحمة الإلهية الشاملة للعموم في الدنيا وللخصوص في العقبى ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡأٓخِرَةُ وَٱلۡأُولَىٰ﴾ [النجم 25] .

ثم العلماء اختلفوا في أن الله اسم مرتجل أو مشتق من أله بمعنى عبد فإله مصدر بمعنى معبوداً ومن وله ثم أبدل واوه همزاً بمعنى تحير فإله بمعنى متحير فيه سبحان من تحير في ذاته سواه حتى تحير أرباب العقول في تحقيق اسمه أيضاً كما تحير الكل في مسماه وقيل من لاه بمعنى احتجب فلاه مصدر بمعنى الفاعل أي: محتجب عن الأبصار وعن مشاهدة الأغيار في جميع الأعصار.

وأفاد الأستاذ: إن أهل التحقيق اختلفوا في أن اسم الله هل هو مشتق من معنى أم لا فكثير منهم قالوا إنه ليس بمشتق من معنى وهو له سبحانه على جهة الاختصاص يجري في وصفه مجرى اسم الأعلام في صفة غيره فإذا قرع هذا اللفظ أسماع أهل المعرفة لم يذهب فهومَهم ولا علومهم إلى معنى غير وجوده سبحانه وحقه فحق هذه القالة أن تكون مقرونة لشهود القلب في كل حالة فإذا قال بلسانه الله أو سمع بأذنه الله شهد بقلبه الله وكما لا تدل هذه الكلمة على معنى سوى الله لا يكون مشهود قائله إلا الله فيقول بلسانه الله ويعلم بفؤاده الله ويعرف بقلبه الله ويحب بروحه الله ويشهد بسره الله ويتملق

بظاهره بين يدي الله ويتحقق بسره بالله ويتخلق بأحواله لله وفي الله فلا يكون فيه نصيب لغير الله وإذا أشرف على أن يصير محواً في الله لله بالله يتداركه الحق برحمته فيكاشفه بقوله ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: 1] استبقاءً لمهجتهم أن يتلف وإرادة قلوبهم أن يبقى فتلطف سنة منه سبحانه أن لا يفني أولياءه بالكلية.

﴿الٓمٓ﴾ [آل عمران: الآية 1] أكثر أرباب العبارة على أن الحروف المقطعة في أوائل السور لا يعلم دقائق مبناها وحقائق معناها غير منزلها وعبروا عن ذلك بقولهم الله أعلم بمراده مع أن هذه العبارة لا تخلو أيضاً عن الإشارة وهو الله أعلم أو أعلم بصيغة المتكلم وحده أو بصيغة الأمر بمعنى أنا أعلم فأنت أعلم أتينا ببعض الحروف إيماءً وإسقاطاً لبعضها اكتفاءً ليكون من رموز المحبوب
101/ب للأحباء على وجه لا يشعر/ به الرقباء والأعداء.

وفي «تفسير السلمي» قيل: الألف من الأحدية واللام من اللطف والميم من الملك ومعناه أن من وحد على الحقيقة بإسقاط العلائق والأعراض عن الأعواض تلطفت له وأخرجته من رق العبودية إلى الملك الأعلى وهو الاتصال لمالك الملك دون الاشتغال بشيء من الملك.

وقال الأستاذ: أشار بقوله ألف إلى قيامه بكفايتك على عموم أحوالك فأنت في أسر الغفلة لا تهتدي إلى صلاحك ورشدك وهو مجرٍ ما يجبرك وكافٍ بما ينصرك فبغير سؤالك بل بغير علمك بحالك يكفيك من حيث لا تشعر ويعطيك من غير أن تطلب والإشارة من اللام إلى لطفه بك في خفي السر حتى أنه لا يظهر عليك محل المنّة في قيام البر والإشارة من الميم موافقة جريان القضاء بمتعلقات الطلبة من الأولياء فلا يتحرك في العالم شيء ولا يظهر في الكون ذرة إلا وهو بمحل الرضا منهم حتى أن قائلاً لو قال في قوله: ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾ [الرحمٰن، الآية: 29] أن ذلك الشأن تحقيق مراد الأولياء لم يكن ذلك ببعيد عند أرباب التأييد ويقال تفرق عن القلوب باستماع هذه الحروف المقطعة التي هي خلاف عادة الناس في التخاطب كل معلوم

ومرسوم ومعتاد وموهوم من ضرورة أو حس أو اجتهاد حتى إذا خلا القلب عن الموهومات والمعلومات وصفا السر عن المعتادات والمعهودات يرد هذا الاسم وهو قوله:

﴿ٱللَّهُ﴾ [الآية: 2] على قلب مقدس عن كل غير وسر مصفى عن كل كيف ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الآية: 2] أي لا معبود بل ولا موجود في نظر أرباب الشهود إلا ذات الواجب الوجود وصفاته من الكرم والجود ﴿ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ [الآية: 2] أي: الذي حياته بذاته أبداً وقيامه في مقام البر بتدبير مصنوعاته على وقف صفاته سرمداً.

وقال الأستاذ هو الذي لا يلهو فيشغل عنك ولا يسهو فتبقى عنك فهو على عموم أحوالك رقيب سرك إن خلوت فهو رقيبك وإن توسطت الخلق فهو قريبك وفي الجملة كيفما دارت بك الأحوال فهو حبيبك.

وقال صاحب «**العرائس**»: ﴿ٱلۡحَيُّ﴾ [الآية: 2] الذي لا يقاس حياته ببعد الأوهام ولا يدرك سرمدية ذاته بغوص قطر الأنام وأيضاً الحي الذي حياته قام بها العالم واستنارت بنورها روح آدم والقيوم الذي/ يبقى ببقائه أهل الفناء ويفنى 102/أ
بقهر قيوميته أهل البقاء.

﴿نَزَّلَ﴾ [الآية: 3] أي: أنزل الله منجماً مدرجاً ﴿عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ﴾ [الآية: 3] أي: بالصدق والصواب ليقع فيه كثرة الخطاب ويسع السؤال والجواب ويكون الرسول والمرسل إليهم دائماً في انتظار الوحي الرباني وفي التوجه إلى نزول السفير السبحاني وهو اشتغال بالحق لما ورد أن انتظار العبادة عبادة بخلاف ما لو نزل جملة واحدة فإنه ما كان حينئذٍ مراجعة ولا مراودة بل كان يأساً وانقطاعاً عن ذلك بالكلية.

وقال الأستاذ: وما كنت يا محمد تدري ما الكتاب ولا قصة الأحباب ولكن صادفك اختيار أزلي واصطفاء أولي فألقاك في أمر عجيب شأنه جليل برهانه عزيز محله ومكانه ﴿مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾ [الآية: 3] أي: موافقاً لما تقدمه من الكتب ومطابقاً لما سبق به الرسل.

وقال الأستاذ: محققاً لموعوده لك في الكتب على ألسنة الرسل عليهم السلام ﴿وَأَنزَلَ﴾ [الآية: 3] أي: مجمله مكمله ﴿ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ [الآية: 3] أي على موسى وعيسى عليهما السلام.

﴿مِن قَبْلُ﴾ [الآية: 4] أي: قبل القرآن ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [الآية: 4] أي: الموجودين في ذلك الزمان وهو حال من كل من المفعولين مجازاً أو من الفاعل حقيقة ﴿وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ [الآية: 4] أي: ما فرق به بين الحق والباطل من التبيان والمراد به جميع الكتب المنزلة على الأمم في سائر الأديان فهو تعميم بعد تخصيص لمزيد البرهان وقال الأستاذ أي: إنا وإن أنزلنا قبلك كتبنا على المرسلين فما أخلينا كتاباً من ذكرك قال قائلهم:

فعندي لأحبابنا الغائبين صحائف ذكرك عنوانها[1]

وكما أتممنا بك أنوار الأنبياء زينا بذكرك جميع ما أنزلنا من الذكر والأنباء ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الآية: 4] أي أنكروا الحق أو ستروا وجحدوا ﴿بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 4] أي: من كتبه وأنبائه ومعجزات أنبيائه وكرامات أصفيائه ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [الآية: 4] وحجاب أكيد ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ [الآية: 4] أي: ذو عزة وغلبة على أوليائه ﴿ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [الآية: 4] أي: ذو عقوبة ونقمة من أعدائه.

قال الأستاذ: عزيز يطلبه كل أحد ولكن لا يجده كثير عدد.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ﴾ [الآية: 5] من الإخفاء ﴿فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الآية: 5] .

أفاد الأستاذ: أنه لا يتنفس عبد نفساً إلا والله سبحانه محصيه ولا يحصل
102/ب في السماء والأرض ذرة إلا وهو سبحانه مجريه/ ومبديه ولا يكون أحد بوصف ولا نعت إلا وهو متوليه هذا على العموم وأما على الخصوص فلا يرفع أحد إليه حاجة إلا وهو قاضيها ولا يراجعه أحد في نازلة إلا وهو كافيها.

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 276)، (6/ 365).

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾ [الآية: 6] أي: أرحام الأمهات ﴿كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [الآية: 6] من أنواع التصويرات.

وفي «تفسير السلمي» قيل يصور كل أحد منكم عالماً به وبصفاته وبأوامره وسائر حالاته فمن لم يصحبه حزن ما قدر عليه في وقت تصويره من الشقاوة والسعادة فهو الجاهل والآمن مكره المقتضى إبعاده.

وقال الأستاذ: هذا فيما لا يزال من حيث الخلقة وهو الذي قدر أحوالكم في الأزل كيف يشاء وهذا فيما لم يزل من حيث القضاء والقسمة ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الآية: 6] إذ لا يعلم غيره ما يعلمه ولا يقدر على مثل ما يفعله.

وأفاد الأستاذ: أنه لا إله إلا هو فيتعقب حكمه بالنقض أو يعارض تقديره بالإهمال والرفض ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الآية: 6] إيماءً إلى غاية قدرته ونهاية حكمته.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الآية: 7] أي جملة القرآن بأحسن الخطاب ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾ [الآية: 7] أي: بعضه دلالات محكمة العبارات محفوظة من نشأة الاحتمالات ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الآية: 7] أي: تلك الآيات أصل الخطاب الذي يرجع إليه ويتفرع عليه بقية آيات الكتاب وأحكام الأبواب وفي إفراد اللام إيماءً إلى أن الكل بمنزلة آية واحدة في هذا البناء ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [الآية: 7] أي: وبعضه آيات آخر إشارات محتملات لا يتضح مقصودها إلا بالاجتهاد في تدبر مبانيها وتفكر معانيها ليحصل المطابقة بين متشابهاتها ومحكماتها أو ليظهر العجز عن إدراك كنه حقائقها ودقائقها في بعض دلالاتها ولا ينافي هذا التقسيم قوله تعالى كتاب أحكمت آياته فإن معناه أنها حفظت من كساد المبنى وفساد المعنى ولا قوله سبحانه كتاباً متشابهاً إذ المراد أنه يشبه بعضها بعضاً في غاية الفصاحة ونهاية البلاغة ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ [الآية: 7] أي: مَيل وعدول عن الحق كالمبتدعة من المجسمة والمعطلة والمتعلقة بالشك والشبهة ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾ [الآية: 7] فيتعلقون بظاهره المنافي للمحكمات أو بتأويل باطل يكون من

الممتنعات ﴿ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ﴾ لأجل طلب افتنان الناس عن دينهم بالتشكيك
103/أ والتلبيس المقتضي للغواية عن يقينهم / ﴿وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ [الآية: 7] ولقصد طلب تأويله على ما يشتهونه ويبنون مذاهبهم الباطلة عليه أو لإرادة حقيقته ما يؤول أمره إليه ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ﴾ [الآية: 7] أي الذي يجب أن يحمل عليه ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [الآية: 7] أكثر القراء والعلماء ذهبوا إلى الوقف على الجلالة وإن قوله ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ [الآية: 7] مبتدأ خبره ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ [الآية: 7] ويؤيده قوله سبحانه إخباراً عنهم ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [الآية: 7] أي كل من المحكم والمتشابه من عند مولانا وما لنا إلا الإيمان بأنه من كلامه والعجز عن إدراك مرامه يريده قراءة ابن مسعود وإن تأويله إلا عند اللَّه وكذا قراءة ابن عباس ويقول الراسخون في العلم ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ كما أخرجه سعيد ابن منصور عنه بإسناد صحيح وغريب إلى أبي أيضاً(1).

وقد أخرج الطبراني وابن أبي حاتم بإسناد صحيح عن عائشة أنها قالت في قوله تعالى ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ﴾ انتهى علمهم إلى ان آمنوا بمتشابهه ولم يعلموا تأويله(2).

وفي «**صحيح البخاري**» عن عائشة أنه عليه السلام تلا هذه الآية وقال فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى اللَّه فاحذروهم(3).

وأخرج ابن أبي حاتم أنّ رسول اللَّه ﷺ سئل عن الراسخين في العلم فقال من برت يمينه وصدق لسانه واستقام قلبه وعف بطنه وفرجه فذلك من الراسخين في العلم(4) وبعضهم ذهبوا إلى ان الواو للعطف وجملة يقولون استثنائية بيانية ولغوية وبقوله تعالى ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ﴾ [الآية: 7] أي متذكر مقصود الخطاب من الكتاب ﴿إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الآية: 7] والتحقيق أنّ بعض الآيات المتشابهات لا يعلم حقيقة معناها أحد إلا اللَّه وبعضها يعلم معناه الثابتون في

(1) تفسير الطبري (6/ 202، 204).
(2) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (3/ 293) رقم (4342)، وانظر: تفسير ابن أبي حاتم (2/ 423).
(3) الصحيح (4/ 1655) رقم (4273).
(4) تفسير ابن أبي حاتم (2/ 421) رقم (3252) و(4/ 441) رقم (6301).

العلم المجتهدون في تحقيق مبنى القرآن ومعناه وبه يرتفع النزاع ويحصل الاجتماع ثم الرابطة بين هذه الآية وما قبلها أنّ الأولى في تصوير الاشباح وتسويتها والأخرى في تصوير الأرواح بالعلم وتزيينها.

وأفاد الاستاذ: ان اللّه سبحانه أنزل الكتاب وجنس فيه الخطاب فمن ظاهر واضح تنزيله ومن غامض مشكل تأويله القسم الأول لبسط الشرع واهتداء أهل الظاهر والقسم الثاني لصيانة الأسرار عن اطلاع الأجانب عليها فسبيل العلماء الرسوخ في طلب معناه على ما يوافق الأصول فما حصل/ 103/ ب
عليه الوقوف فمقابل بالقبول ما امتنع من التأثر فيه بمعاول الفكر سلموه إلى عالم الغيب وسبيل أهل الإرشاد والفهم إلقاء السمع بحضور القلب فما يسنح لفهومهم من لوائح التعريفات بنوا على إشارة الكشف أن طولبوا باستدامة الستر وطي السر تخارسوا عن النطق وإن أمروا بالإظهار والنشر وأطلقوا على بيان الحق نطقوا عن تعريفات الغيب فأما الذين أيدوا بأنوار البصائر فمستضيئون بشعاع شموس الفهم وأما الذين ألبسوا غطاء الريب وحرموا لطائف التحقيق فينقسم بهم الأحوال ويترجم لهم الظنون ويطيحون في أودية التلبيس فلا يزدادون إلا جهلاً على جهل ونفوراً على شك وما يعلم تأويله إلا الله ومن وجد علمه من الله فيكون إيمانهم بلا احتمال بجولان خواطر التجويز بل عن صريحات الظهور وصافيات اليقين وأما أصحاب العقول الصاحية ففي صحبة التذكر ظهور وجوه البراهين وسر أحكام التحصيل في الدين.

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ [الآية: 8] الظاهر أنه من مقال الراسخين ويحتمل أن يكون استئناف تعليم للسالكين والمعنى لا تمل قلوبنا عن نهج الحق الرضي إلى اتباع المتشابه بالتأويل الغير المرضي فعنه ﷺ قلب ابن آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن[1] إن شاء أقامه على الحق وإن شاء أزاغه عنه ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [الآية: 8] إلى الحق والصواب والإيمان بالقسمين من الكتاب ﴿وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ﴾

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (1/ 706) رقم (1926)، والطبراني في المعجم الأوسط (2/ 147) رقم (1530)، ومسلم في الصحيح (2654/ 17)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/ 538) رقم (3522).

[الآية: 8] أي: من عندك ومن طريق فضلك ﴿رَحۡمَةًۚ﴾ [الآية: 8] تزلفنا إليك وتدلنا عليك وتذلنا بين يديك لنفوز بها لديك.

وأفاد الأستاذ: أنهم ما ازدادوا قرباً إلا ازدادوا أدباً واللياذ إلى التقاعد أقوى أسباب رعاية الأدب ويقال حين صدقوا في حسن الاستغاثة أمدوا بأنوار الكفاية ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ﴾ [الآية: 8] لكل مسؤول من كل باب.

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ﴾ [الآية: 9] أي: لحساب يوم أو لجزائه وإلى يوم أو في يوم ﴿لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ﴾ [الآية: 9] أي: في وقوع اليوم وما فيه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾ [الآية: 9] أي: وعده ووعيده في حق العباد لا أن وعيد الفساق
104/أ تحت المشيئة كما أن وعيد الكفار مشروط بعدم التوبة/ وكذا وعد مثوبة الأبرار موقوف على حسن الخاتمة.

وأفاد الأستاذ: أن اليوم جمع الأحباب على بساط الاقتراب وغداً جمع الكافة لمحل الثواب أو لعقاب اليوم جمع الأسرار لكشف الجلال والجمال وغدا جمع الأبشار لشهود الأهوال ومقاساة ما أخبر عنه من تلك الأحوال.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ﴾ [الآية: 10] أي: لن تدفع ﴿عَنۡهُمۡ﴾ [الآية: 10] ولن تنفعهم ﴿أَمۡوَٰلُهُمۡ﴾ [الآية: 10] بل ولا أعمالهم وأحوالهم ﴿وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم﴾ [الآية: 10] بل ولا آباهم وأجدادهم ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 10] أي: بدل رحمته أو طاعته أو من عذابه وعقوبته ﴿شَيۡـٔٗاۖ﴾ [الآية: 10] من الإغناء ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ وَقُودُ ٱلنَّارِ﴾ [الآية: 10] أي: حطبها فإنهم حملوا الأوزار باختيار الأغيار.

قال الأستاذ: لا فداء ينفعهم ولا غنى يرفعهم ولا مال يقبل منهم ولا حجاب يرفع عنهم ولا مقال يسمع فيهم بهم يسعر الجحيم ولهم الطرد الأليم والبعد الحميم ﴿كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ﴾ [الآية: 11] أي: دأب قومك وعادتهم في كفرهم وجهلهم ﴿كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [الآية: 11] استئناف بيان لصنيعهم ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الآية: 11] أي: شديد عقابه كما أنه سريع حسابه.

وقال الأستاذ: أصروا في العتو على سُنَّتهم وأدمنا لهم في الانتقام سُنَّتنا

فلا من الإصرار أقلعوا ولا في المبار طمعوا ولعمري أنهم هم الذين ندموا وتحسروا على ما قدموا ولكن حينما وجدوا الباب مسدوداً والندم عليهم مردوداً.

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الآية: 12] أي: مشافهة ﴿سَتُغْلَبُونَ﴾ [الآية: 12] في الدنيا ﴿وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ [الآية: 12] في العقبى وفي قراءة حمزة والكسائي بالغيبة أي: قل في شأنهم وقد حقق الله ذلك في بدر وقضايا أخر من قتل بني قريظة وإجلاء بني النضير وفتح خيبر ووضع الجزية عليهم ممن ظهر فالآية من دلائل النبوة وشواهد المعجزة ﴿وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [الآية: 12] أي: فراش البعاد وما مهدوه ليوم المعاد.

وقال الأستاذ: أي أخبرهم أنهم يفوتهم حديث الحق في الأجل ولا يكون لهم لذة عيش في الأجل والذي يلقون في الآخرة من شدة العقوبة بالحرقة ليس فوق ما يصيبهم في الدنيا من الغيبة عن الله والفرقة ولكن سقمت بصائر أهل الحجاب فلم يحسوا/ بأليم العقاب. 104/ب

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ﴾ [الآية: 13] أيها الكفار أو الأبرار أو لجملتكم ﴿ءَايَةٌ﴾ [الآية: 13] أي: معجزة ﴿فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ﴾ [الآية: 13] أي: في جماعتين مختلفتين يوم بدر اجتمعتا فئة أي: طائفة عظيمة ﴿تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ﴾ [الآية: 13] تقاتل في طريق نفسه وهواه ﴿يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ﴾ [الآية: 13] أي: يرى المشركون المؤمنين مثلي عدد المشركين وكانوا قريب ألف فرأوهم ألفين ليحصل لهم الرعب أو يرى المؤمنون المشركين مثلي المؤمنين وكانوا ثلاثة أمثالهم فإن أهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر ليثبتوا لهم ويتيقنوا بالنصر الذي وعدهم ويؤيده قراءة نافع ترونهم بالخطاب وكلا المعنيين صدق وصواب إذ قللهم الله في أعين المشركين أولاً حتى اجترؤا عليهم وتوجهوا إليهم فلما لاقوهم كثروا في أعينهم حتى غلبوا مدداً من الله تعالى لهم وذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال: 44] ﴿رَأْىَ ٱلْعَيْنِ﴾ [آل عمران: 13] رؤية ظاهرة معاينة بلا شبهة ولا مرية ولا احتياج

إلى رؤية ﴿وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [الآية: 13] أي: له النصرة كأهل بدر.

وفي «تفسير السلمي» قيل يوفق من يشاء من عباده بلزوم السُنَّة وترك البدعة ولا يبعد أن يقال بلزوم الحضرة وترك الغفلة ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 13] أي: فيما ذكر من كون الواقعة ﴿لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [الآية: 13] لفظة معتبرة لذوي البصائر تعبر بِصاحبها من منزلة الجهلاء الفجار إلى رتبة العلماء الأبرار.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه إذا أراد إمضاء أمر قلل الكثير في أعين قوم وكثر القليل في أعين قوم وإذا لبس على بصيرة قوم أيقنهم نفاذ أبصارهم وإذا فتح أسرار آخرين فلا يضرهم انسداد أبصار آخرين قلت: وإذا أراد الله بقوم فتح باب علم أو عمل هون عليهم طريقه وحسن لهم تحقيقه وإذا أراد بقوم خلاف ذلك طول عليهم سبيله وبعد لهم تحصيله ليقضي الله أمراً كان مفعولاً مما قدر لكل سالك أن يكون لأمر مخلوقاً ومجبولاً.

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ﴾ [الآية: 14] أي: من ذوي الغفلات ﴿حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ [الآية: 14] أي: المشتهيات والمزين على الحقيقة هو الله المتعالي فإنه خالق الأفعال/ 105/أ والدواعي أو الشيطان على طريق السببية والإسناد المجازي ابتلاء ليتميز من يختار حب الله ممن يحب سواه ﴿مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [الآية: 14] حرة أو أمة ﴿وَٱلْبَنِينَ﴾ [الآية: 14] وخصوا لكراهة البنات طبعاً في غالب الناس ولا يبعد أن يكون من باب الاكتفاء أو نوعاً من التغليب ﴿وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ﴾ [الآية: 14] أي: الأموال الكثيرة ﴿مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ﴾ [الآية: 14] وما يشترى بهما من سائر الأشياء المرغوبة ﴿وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ﴾ [الآية: 14] المعلمة أو المرعية أو المطهمة ﴿وَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [الآية: 14] من الإبل والبقر والغنم ﴿وَٱلْحَرْثِ﴾ [الآية: 14] أي: الزراعة ويدخل فيه سائر الصناعة ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 14] أي: جميع ما ذكر ﴿مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الآية: 14] وهي مع كونها قليلة ناقصة مكدرة منقصة وزائلة فانية ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾ [الآية: 14] أي: المرجع بالمثوبة في الجنة التي نعيمها كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة بل دائمة باقية دل عليه ما بعده من الآية

الآتية والحاصل أنه تحريض على استبدال ما عنده من اللذات الحقيقية الأبدية بالشهوات الناقصة الفانية الردية وقد قيل من مال إلى هذه الأشياء واستحسنها قطعة عن طريق الحق وعوقه العوائق ومن استصغرها وأعرض عنها عوض عليها السلامة منها وفتح له الطريق إلى الحقائق.

وقال الأستاذ: نبه بذكر بعض الشهوات على ما سواها مما هو في معناها وفي الجملة ما يحجبك عن الشهود فهو من جملتها وأصعب العوائق في هذا الطريق الشهوة الخفية وأداء الطاعات على وجه الاستحلاء معدود عندهم في جملة الشهوة ومن المقاطع المشكلة السكون إلى ما يلقيك به من فنون تقريبك وكأنه في حال ما يناجيك به ويناغيك فإنه بكل لطيفة يصفك ويطريك تحتها خدع خافية ومن أدركته السعادة كاشفة بشهود جلاله وجماله لإثباته في لطيف أحواله وما يخصه به من أفضاله وإقباله.

﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ﴾ [الآية: 15] أي: من الذي ذكرت لكم وفيه تقرير أن ثواب الله في العقبى خير وأبقى من مستلذات الدنيا لأهل التقوى كما قال ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الآية: 15] خبر مقدم مبتدؤه ﴿جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [الآية: 15] حال مقدرة والجملة استئنافية مبينة لما هو خير ولمن لا يكون له الخير ﴿وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ [الآية: 15] بضم/ 105/ب الراء لشعبة حيث جاء ما عدا رضوانه سبل السلام في المائدة ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [الآية: 15] أي: عالم بأعمالهم وأحوالهم فيثيب محسنهم ويعاقب مسيئهم وقد نبه الله سبحانه في هذه الآية على مراتب نعمه جملة فأدناها متاع الدنيا وأوسطها نعيم العقبى وأعلاها رضاء المولى وكذا قيل من عمل لرجاء الجنة وحصولها فإن غايته بلوغها ووصولها أو من كانت معاملته على رؤيته الرضا فإن له الرضوان وقد قال عزَّ وجلَّ ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [الآية: 15] وعباداتهم عالم بهمم العالمين وإرادتهم.

وقال الأستاذ: بين فضيلة أهل التقوى على أرباب الدنيا فقال هؤلاء لهم متابعة المنى وموافقة الهوى وأولئك لهم الدرجات العلى والله بصير بالعباد

أنزل كل قوم وأوصله إلى مآله.

وأهله ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ [الآية: 16] بلسان القال أو بيان الحال ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا﴾ [الآية: 16] أي صدقنا بما يجب علينا ﴿فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ [الآية: 16] أي: تقصيراتنا التي صدرت عنا ﴿وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [الآية: 16] بانضمام الأغيار في دار البوار والجملة منصوبة بأعني ليلائم قوله ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الآية: 17] على بلياتهم.

﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الآية: 17] في نياتهم ﴿وَٱلْقَٰنِتِينَ﴾ [الآية: 17] أي: الخاشعين في طاعاتهم ﴿وَٱلْمُنفِقِينَ﴾ [الآية: 17] أموالهم في خيراتهم ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ [الآية: 17] أي: في أفضل أوقاتهم وآخر عباداتهم عن تقصيراتهم وزلاتهم أو عن جميع معاملاتهم وقال بعضهم الصابرين مع الله في موارد قضائه فيهم والصادقين في توحيدهم ومحبتهم والقانتين الراجعين إلى الله في سرّائهم وضرّائهم والمنفقين ما سواه له حال بذلهم ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ [الآية: 17] من أفعالهم وأقوالهم.

وأفاد الأستاذ: أن الصبر حبس النفس وذلك على ثلاث مراتب صبر على ما أمر به العبد وصبر عن ما نهي عنه وصبر هو الوقوف تحت جريان حكمه على ما يريد أما في فوات محبوبك أو هجوم ما لا تستطيعه فإذا ترقيت عن هذه الصفة بأن لا يصيبك مشقة أو تنال راحة فذلك رضا لا صبر ويقال الصابرين على ما أمر الله والصادقين فيما عاهدوا الله ﴿وَٱلْقَٰنِتِينَ﴾ [الآية: 17]
106/أ بنفوسهم بالاستقامة في محبة الله ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ﴾ [الآية: 17] عن جميع ما فعلوا/ لرؤية تقصيرهم في الله ويقال ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الآية: 17] بقلوبهم ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الآية: 17] بأرواحهم ﴿وَٱلْقَٰنِتِينَ﴾ [الآية: 17] بنفوسهم ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ﴾ [الآية: 17] بألسنتهم ويقال الصابرين على صدق القصود في العهود والقانتين بحفظ الحدود والمستغفرين عن أعمالهم وأحوالهم عند استيلاء سلطان التوحيد ويقال الصابرين الذين صبروا ولم يتعللوا بالهرب ولم يحتشموا من التعب وهجروا كل راحة وطلب فصبروا على البلوى ورفضوا الشكوى حتى وصلوا إلى المولى ولم يقطعهم شيء من الدنيا والعقبى والصادقين الذين صدقوا في الطلب فقصدوا ثم

وردوا ثم صدقوا حتى شهدوا ثم صدقوا حتى وجدوا ثم صدقوا حتى فقدوا قربتهم قصود ثم ورود ثم شهود ثم وجود ثم خمود والقانتين الذين لازموا الباب وداوموا على تجرع الاكتفاء وترك المحاب ورفض الأصحاب إلى أن تحققوا بالاقتراب ﴿وَٱلْمُنفِقِينَ﴾ [الآية: 17] الذين جادوا بنفوسهم من حيث الأعمال ثم جادوا بميسورهم من الأموال ثم جادوا بقلوبهم بصدق الأحوال ثم جادوا بترك كل حظ لهم في العاجل والآجل استهلاكاً عن القرب والوصال بما لقوا به من الاصطلام والاستئصال والمستغفرين عن جميع ذلك إذا رجعوا إلى الصحو عند الأسحار يعني ظهور الأسفار وهو فجر القلوب لا فجر يظهر في الأقطار.

وفي «العرائس» الصابرين عن جميع حظوظهم لله والصادقين في معاملة الله والقانتين بنعت الرضا عن الله والمنفقين نفوسهم لله وبالله والمستغفرين عن التفاتهم إلى غير الله بالأسحار حين أشرقت أنوار المشاهدة وأسرار المكاشفة ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الآية: 18] بين ألوهيته وعين وحدانيته بنصب الدلائل الدالة عليهما وإنزال الآيات الناطقة بهما.

وقال الأستاذ: أي علم الله وأخبر الله وحكم الله بأنه لا إله إلا هو فهو شهادة الحق للحق بأنه الحق وأول من شهد أنه الله هو الله فشهد في آزاله بقوله وكلامه الأزلي وأخبر عن وجوده الأحدي وكونه الصمدي وعونه القيومي وذاته الديمومي وجلاله السرمدي وجماله الأبدي فقال.

﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 18] أي: بين الله بما نصب من البراهين وأثبت/ من 106/ ب
دلائل اليقين وأوضح من الآيات وأبدى من البينات فكل جزء من جميع ما خلق وفطر ومن كتم العدم أظهر وعلى ما يشاء من الصفات الذاتية حصل من أعيان مستقلة وآثار في ثاني وجودها مضمحلة وذوات للملاقاة قابلة وصفات في المحال متعاقبة فهو لوجوده مفصح ولربوبيته موضح وعلى قدمه شاهد وللعقول مخبر بأنه واحد عزيز ماجد شهد سبحانه بجلال قدره وكمال عزه حين لا جحد ولا جهول ولا عرفان لمخلوق ولا عقل ولا وفاق ولا كفر ولا حدثان ولا غير ولا إلحاد ولا شرك ولا فهم ولا سماء ولا فضاء ولا ظلام ولا ضياء و وصول

للمزدوجات ولا فصول باختلاف الأوقات ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [الآية: 18] أي: وشهدت الملائكة بمعنى أقرت بألوهيته واعترفت بتوحيده في ربوبيته.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه لم يؤيد شهادته لوحدانيته بشهادة الملائكة بل أسعدهم وأيدهم حين وفقهم بشهادته وسددهم إلى معرفة وحدانيته أرشدهم ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾ [الآية: 18] أي: من الأنبياء والأولياء والأصفياء والعلماء والعبرة بشهادتهم وشهادتهم دالة على سبق عنايتهم وسعادتهم وفيه شهادة على أن من لم يشهد عن جهل أو جحد أو عناد وارتداد فهو من الذين غلبت عليهم شقاوتهم.

وأفاد الأستاذ: أن المراد بأولي العلم أولاد بني آدم إذا علموا جلال قدره وعزّ نعته أكرمهم حيث قرن بشهادته شهادتهم فشهدوا عن شهود وتعيين لا عن ظنون وتخمين إن لم يدركوه اليوم ضرورة وحساً لم يعتقدوه ظناً وحدساً تعرف إليهم فعرفوه وأشهدهم فلذلك فشهدوا ولو لم يقل لهم أنه من هو لما عرفوا من هو ولكن العلماء يشهدون بصحو عقولهم والموحدون يشهدون بعد خمودهم فهم كما قيل:

مستهلكون بقهر الحق قد همدوا   واستنطقوا بعد إفتاءٍ بتوحيد(1)

فالمجرى عليهم ما يبدو منهم سواهم والقائم عنهم بما هم عليه وبه عيّرهم ولقد كانوا لكنهم بانوا.

وأولوا العلم على مراتب فمن عالم نعته وفاق ورهبانية ومن عالم وصفه
107/أ فناء وربانية وعالم يعرف أحكامه وحلاله/ وحرامه وعالم يعلم أخباره وسننه وآثاره وعالم يحفظ كتابه وتفسيره وتأويله ومحكمه وتنزيله وعالم يعلم نعوته وصفاته ويستقري حججه وتوحيده وعالم لاطفه حتى أحضره ثم كاشفه فقهره فالاسم باقٍ والعين محو والحكم طار والعبد محق قال قائلهم:

بنو حق غدوا بالحق صرفاً   نعت الخلق فيهم مستعار(2)

---

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 290).
(2) ذكره القشيري في تفسيره (3/ 251).

ليست الإشارة من هذا إلا إلى فنائهم عن إحساسهم وعن علومهم بأنفسهم فأما أعيانهم فمخلوقة وما يقوم بذواتهم من أحوالهم فمسبوقة وذات الحق لا يتصف بقبول حدثان وصفات ذاته لا تقبل اتصالاً بالغير ولا انفصالاً عن الذات تقدس الحق عن كل ضد وند ووصل وفصل وجمع وفرق وعين وخلق وملك وفلك ورسم وأثر وعبد وبشر وشمس وقمر وغير ﴿قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ﴾ [الآية: 18] أي: مقيماً للعدل في قسمه وحكمه أو ثابتاً بصفات الكمال من نعوت الجلال والجمال ونصبه على المدح أو الحال ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الآية: 18] أي: في الحقيقة والمآل ويشهد به جميع الكائنات بلسان القال أو ببيان الحال ﴿ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [الآية: 18] الموصوف بنعت القوة والقدرة ووصف الحكم والحكمة.

﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [الآية: 19] أي: الدين المرضي في حكم الملك العلام إنما هو الاستسلام للأحكام على وفق ما جاء به الرسل الكرام عليهم السلام وقرأ الكسائي بفتح أن على أنه بدل من أنه.

وأفاد الأستاذ: أن الدين الذي يرتضيه والذي حكم لصاحبه بأنه يجاريه ويعليه وبالفضل يلاقيه هو الإسلام والإسلام هو الإخلاص والاستسلام وما سواه فمردود وطريق النجاة على صاحبه مسدود ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [الآية: 19] من اليهود والنصارى وغيرهم من أهل الخطاب ﴿إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ﴾ [الآية: 19] بحقيقة الإسلام وأحكامه في جميع الأبواب ﴿بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ﴾ [الآية: 19] أي: لطلب أعراض فاسدة وأعواض كاسدة من أخذ الرشوة وطلب الرئاسة والحسد على النبوة ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 19] واختار طريقاً سوى رضاه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ [الآية: 19] وشديد العقاب.

وقال الأستاذ: جاءهم العلم الذي عليهم حجة لا المعرفة التي لهم بيان/ ومحجة فأصروا عن الجحود لأنهم حجبوا عن محل الشهود. 107/ ب

﴿فَإِنۡ حَآجُّوكَ﴾ [الآية: 20] أي: جادلوك في الدين وخاصموك بعد تبين اليقين ﴿فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ﴾ [الآية: 20] أي: أخلصت ذاتي وأصلحت صفاتي لحكم تحقيقه ولطلب مرضاته بتوفيقه ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ﴾ [الآية: 20] أي: وأسلم من اتبعني

وتبع أمري وجهه كوجهي في مقصدي وتوجهي ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الآية: 20] أي: اليهود والنصارى ونحوهم ﴿وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ﴾ [الآية: 20] أي: المشركين من العرب وغيرهم ﴿ءَأَسْلَمْتُمْ﴾ [الآية: 20] أي: كما أسلمت أنا وأتباعي أم أنتم باقٍ على كفركم ونزاعي والمراد التحضيض على الإسلام والأمر بالاستسلام ﴿فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ﴾ [الآية: 20] طريق الصواب في الدنيا وحس المآب في العقبى ﴿وَّإِن تَوَلَّوْاْ﴾ [الآية: 20] أي: أعرضوا عن الباب بعد دعائك إلى الجنان ورفع الحجاب ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ﴾ [الآية: 20] وقد بلغت وحصل لك الأجر والثواب ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [الآية: 20] في جميع الأبواب.

وقال الأستاذ: ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ﴾ [الآية: 20] أي: فطالعهم بعين التصريف كي لا يفترق بك الحال في شهود اختلافهم وتباين أطوارهم فإن من طالع الكائنات بعين القدرة علم أن المثبت لِلكل على ما اختص به كل واحد من الكل واحد فادعهم جهراً بجهر وأشهد تصريفنا إياهم سراً بسر واشغل لسانك بنصحهم وفرغ قلبك عن حديثهم وأفرد سرك عن شهودهم فليس الذي كلفناك من أمورهم إلا البلاغ والمجري للأمور والمبدي نحن.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 21] التي أنزلت إليهم ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [الآية: 21] حتى في زعمهم ﴿وَيَقْتُلُونَ﴾ [الآية: 21] وقرأه حمزة يقاتلون ﴿ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الآية: 21] أي: بالعدل والحق والصدق الواضح لدينهم ﴿مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الآية: 21] أي: من علمائهم وفضلائهم ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الآية: 21] تهكماً بهم ففي الحديث المرفوع قتلت بنو إسرائيل [ثلاثة وأربعين نبياً...] (1) فأمروا من قتلهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعاً من آخر النهار في ذلك اليوم ولم ينقطع سوقهم من قساوة القوم(2).

قال الأستاذ: إن الذين ربطناهم بالخذلان ووسمناهم بوصف الحرمان

(1) الزيادة من كتب التفسير.
(2) تفسير الطبري (6/ 286، وتفسير ابن كثير (2/ 27)، وتفسير القرطبي (4/ 46).

أخبرهم بأن إعراضنا عنهم مؤبد في الزمان وأن حكمنا سبق بنقلهم عن دار الجنان إلى دار الهوان وإلى العقوبة والنيران.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتۡ﴾ [الآية: 22] أي: بطلت/ ﴿أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾ [الآية: 22] إلى 108/ أ
شيء يدعونها ويحسبون أنهم يحسنونها ﴿فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [الآية: 22] أي: مما تعقلت بالأمور الدنيوية أو بالأحوال الأخروية ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [الآية: 22] يدفع عنهم العقوبة الأبدية.

وأفاد الأستاذ: أن أولئك الذين ليس لهم اليوم توفيق بأعمال ولا غداً تحقيق لا مآل وإنما ذلك لأنهم فقدوا في الدار من تصرفنا ولم يشهدوا عزتنا وقدرتنا.

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا﴾ [الآية: 23] أي: حظاً قليلاً ﴿مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [الآية: 23] وهو مجرد القراءة ومحض الرواية والعمل بكل آية ﴿يُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الآية: 23] أي: الكتاب فيما وقع لهم من الخلاف في باب من الأبواب ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ﴾ [الآية: 23] أي: يعرضون عن القبول والامتثال ويدبرون بدل الإقبال مع أنهم يدعون العلم والكمال ﴿وَهُم مُّعۡرِضُونَ﴾ [الآية: 23] أي: قوم عادتهم الإعراض والاعتراض في جميع الأحوال.

وقال الأستاذ: امتحناك بدعوة من سبق علمنا بأنهم لا يستجيبون فاصبر على ما أمرت فيهم واعلم سري في أحوالهم فإنهم أهل التولي عن الإجابة لأنهم فقدوا منا حسن التجلي بِسابق الإرادة.

﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 24] أي: التولي عن الأنبياء والإعراض عن قبول الآيات ﴿بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۖ وَغَرَّهُمۡ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾ [الآية: 24] من أن النار لن تصيبهم إلا أزمنة قليلات وأن آباءهم الأنبياء يشفعون لهم فيما صدر عنهم من السيئات.

وقال الأستاذ: عاقبناهم في الدنيا بالاستدراج حتى حكموا لأنفسهم بالنجاة وتخفيف العقاب والإخراج وسوف يعلمون تضاعف البلاء عليهم ويظهر خلود العذاب ودوام الحجاب إليهم.

﴿فَكَيْفَ﴾ [الآية: 25] حالهم في مآلهم ﴿إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ [الآية: 25] أو المعنى حينئذٍ كيف يصفون وعن عذابنا كيف يتخلصون ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ﴾ [الآية: 25] أي: أجر ﴿مَّا كَسَبَتْ﴾ [الآية: 25] في كل ساعة ونفس على وفق ما يعملون ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الآية: 25] أي: بتنقيص الحسنات ولا بتضعيف السيئات.

وأفاد الأستاذ أن هذه الكلمة تعجيب بما أخبر به عن تعظيم الأمر وتفخيم الشأن عند بهت عقولهم ودهشة أسرارهم وانقطاع دعاويهم وانخلاع قلوبهم عن مكانها وترقيها إلى تراقيهم ثم ما يلقونه من الحساب والعذاب وعدم الإكرام والإيجاب وما في هذا الباب/ . 108/ب

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ﴾ [الآية: 26] قيل أصله يا الله آمنا بخير فخفف بحذف حرف النداء وإسقاط همزة الوصل وترك الفضلة ﴿مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ [الآية: 26] نداءٌ ثانٍ أو نعت للأول.

وأفاد الأستاذ: أن معناه يا الله فالميم في آخر اللّهم بدل عن حرف النداء وهذا تعليم الحق لِلخلق كيف الثناء أي: صفني بما أستحقه من جمال القدر فقل يا مالك الملك لا شريك لك ولا معين ولا ظهير ولا قرين ولا وزير ولا مقاسم له في الذات ولا مساهم له في الصفات ﴿تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ﴾ [الآية: 26] أي: من ملكك الذي هو ملكك ﴿مَن تَشَآءُ﴾ [الآية: 26] من خلقك وعبيدك ما تشاء من فضلك وبرك وهو شامل لملك النبوة والولاية والسلطنة والمعرفة والقناعة والعبادة والطاعة والعزلة وترك المذلة ﴿وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾ [الآية: 26] على وفق ما تعلق به المشيئة ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾ [الآية: 26] بإيتائه أو نزعه ﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ [الآية: 26] بإعطائه أو منعه.

وقد قال ابن عطاء الله رحمه الله: ربما أعطاك فمنعك وربما منعك فأعطاك فطوبى لمن ملك ربه قلبه على نفسه وهواها حتى يسلم من شرورها ويخلص من غرورها ويمنعها من فجورها.

وقال الأستاذ: ﴿تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ﴾ [الآية: 26] بشد نطاق خدمتك ﴿وَتَنزِعُ

ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾ [الآية: 26] بنفيه عن بساط حضرتك ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾ [الآية: 26] بإقامته بالإرادة ﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ [الآية: 26] برده إلى ما عليه أهل العادة ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾ [الآية: 26] بعرفانك ﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ [الآية: 26] بخذلانك ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾ [الآية: 26] بأن يشهدك ويوحدك ﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ [الآية: 26] بأن يجحدك ويفقدك ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾ [الآية: 26] بيمن إقبالك ﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ [الآية: 26] بوحشة إعراضك ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾ [الآية: 26] بأن تؤنسه بك ﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ [الآية: 26] بأن توحشه عنك ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾ [الآية: 26] بأن تشغله بك ﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ [الآية: 26] بأن تشغله عنك ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾ [الآية: 26] بطوالع إنسه ﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ [الآية: 26] بطوارق نفسه ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾ [الآية: 26] ببسطه بك ﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ [الآية: 26] بقبضه عنك.

ومن «**نفائس العرائس**» خص الله نفسه بالألوهية ومدحه بملك الربوبية وأنه ذو الملك والملكوت والعز والجبروت وهو موصوف به في الآزال باقٍ عليه فيما لا يزال ثم خص بملكه الذي هو بعض صفاته من يشاء من أنبيائه وصفوته وأوليائه من أهل طاعته/ فالملك الذي خص به الأنبياء هو الاصطفاء 109/أ
والاجتباء والخلافة والخلة والمحبة والتكليم والرسالة والنبوة وظهور الآيات والمعجزات والنهاج والمعراج فكسى الله تعالى سفرة الأنبياء عليهم السلام كسوة الربوبية والسلطنة فظهر منهم الآيات الباهرة المعجزات القاهرة وقهروا بعز ملك الرسالة والنبوة جبابرة الأرض وعتاة الظلمة وهذا موهبة خاصة سبقت لهم العناية وحرم عنها أهل الخذلان والغواية وأما الملك الذي خص به أولياءه فعلى أقسام أربعة منها قسم الكرامات والآيات كطي المسافات واستجابة الدعوات وهؤلاء أهل المعاملات ومنها قسم المقامات وهو أشرف مما قبلها كالزهد والورع والتقوى والصدق والإخلاص والطمأنينة والاستقامة وهؤلاء أهل الدرجات وقسم منها وهو أشرف من الثاني هو الوجد والنجوى والمراقبة والحياء والخوف والرجاء والمحبة والشوق والعشق والشكر والصحو وهؤلاء أهل الحالات وقسم منها وهو أشرف من الثالث وهو الكشف والمشاهدة والمعرفة والتوحيد والتفريد والغناء والبقاء وهؤلاء أهل المعاينات

﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾ [الآية: 26] أي: الخير الدنيوي والأخروي والملك الصوري والمعنوي والمعنى أنه بتصرفك الخير والشر فحذف الثاني للاكتفاء أو اقتصر على الخير لأنه المرغوب فيه بالدعاء أو لأنه المقضي بالذات والشر مقضي بعرض الحادثات إذ لا تلقى شراً جزئياً ما لم يتضمن خيراً كلياً أو لأن الشر لا ينسب إليه تأدباً لما ورد من أن الخير بيديك والشر ليس إليك(1) ونبه على أن الشر أيضاً بيده بقوله ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الآية: 26] أي من الخير والشر وغيرها.

وقال الأستاذ: أي من الحجب والجذب والأخذ والرد والفرق والجمع والقبض والبسط.

﴿تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ﴾ [الآية: 27] أي: تدخل أحدها في مكان الآخر بالتعقيب في الزمان أو بالزيادة والنقصان ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ﴾ [الآية: 27] خفف ياء الميت ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وشعبة والمراد بإخراج الحي من الميت وعكسه إنشاء الفروع والأشجار من الحبوب والأثمار وإبداء الحيوان من النطف والبيض من الطير والطير من البيض وإخراج المؤمن والصالح من الكافر/ والفاجر وعكس ذلك كله وكان عليه السلام 109/ب
إذا رأى عكرمة بن أبي جهل يقول ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ [الآية: 27].

وقال الأستاذ: ﴿تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ﴾ [الآية: 27] حتى يغلب سلطان ضياء التوحيد فلا يبقى من آثار النفس وظلماتها شيء ﴿وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ﴾ [الآية: 27] حتى كان شموس القلب كسفت أو كأن الليل دام وكأن الصبح فقد ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ [الآية: 27] حتى كأن الفترة لم تكن وعهد الوصال رجع فتياً وعود القرب صار غضاً طرياً ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ [الآية: 27] حتى كأن شجرة البرم أورق شوكاً وأزهر شركاً وكأن البائس لم يجد خيراً ولم يشم ريحاً وتقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة.

(1) أخرجه مسلم في الصحيح (771/ 201)، وأبو داود في السنن (1/ 277) رقم (760)، وابن حبان في الصحيح (5/ 71) رقم (1773)، وأبو يعلى في المسند (1/ 433) رقم (574).

ومن «نفائس العرائس» تولج دخان ظلمات البشرية في سلطان ضياء الربوبية أو ظلمة الأشباح النفسيّة في أنوار الأرواح القدسية وأيضاً تحرق سجون ليالي الهجران بطلوع شموس العرفان وأيضاً تحرق حجب قضاء أنس الحدوثية عن ظهور سناء قدس الصمدية ﴿وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ﴾ [الآية: 27] أي: سبل حجاب الفناء على وجوه أهل البقاء وأيضاً ﴿وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ﴾ [الآية: 27] حين كسفت شمس المعرفة في منازل الفكرة وغلبت ظلمة الفترة على نور المعاملة ﴿وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ﴾ [الآية: 27] أي: تخرج أشجار أنوار المعرفة بكشف جمال المشاهدة من القلوب الميتة بتواتر الفترة وأيضاً تخرج أرواح القدسية بأصوات جرس الوصلة عند غلبات الوجود من الأشباح المضمحلة تحت أثقال سلطان كشف توحيد الوحدانية إلى فضاء السرمدية لتجول في سرادق الكبرياء وخيام الملكوت طلباً لمشاهدة جمال الجبروت تخرج مياه دموع العارفين بنيران الوجد من قلوبهم الخالية عن آثار المشاهدة وأيضاً إذا يبست عيون المعرفة في قلوب العارفين من حرارة اليقين وأورقت فيها أشجار الغفلة بأوراق هموم المذمومة ويبست رياحينها بالانقطاع عنها مياه صفاء المعاملة ﴿وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ﴾ [الآية: 27] أي: ما تشاء من الأوراق الحسية والأخلاق الإنسية والحالات الدنيوية والأخروية والمقامات العلية الصفية ﴿بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [الآية: 27] أي: بكثرة زائدة
110/أ عن دائرة الحساب أو بدون محاسبة وعذاب وقد روي مرفوعاً أنه ﷺ/ ذكر عقيب هذا الدعاء المصدر بحسن الثناء حيث قال رحمن الدنيا والآخرة ورحيمها تعطيهما من تشاء وتمنع منهما من تشاء ارحمني رحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك وفيه تنبيه نبيه على أن أحداً لا يوجد ممنوعاً من عطائه سبحانه بالكلية فيوافق ما جاء في الآية ﴿كُلّٗا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا﴾ [الإسراء: 20] .

وأفاد الأستاذ: بعد قوله ﴿وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [الآية: 27] حتى لا كد ولا جهد ولا عرق جبين ولا تعب يمين ليله روح وراحة ونهاره طرب ومهجة وساعاته كرامات ولحظاته قربات وأجناس أفضاله على التفصيل لا يحصره لسان ولا يأتي على استقصاء كنهه عبارة ولا بيان.

ومن «**عرائس النفائس**» ترزق العارفين مقام المشاهدة وترزق المشتاقين مقام المكاشفة وترزق المحبين مقام المداناة وترزق الموحدين مقام البقاء والنقاء والصحو والسكر والمحو ترزق العاشقين مقام الجمع والتفرقة وترزق الأحرار مقام التلوين والتمكين بغير حساب أكثر من أن يحصى عدد أسرارها وبعد حقائق أنوارها.

﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الآية: 28] أي: من المشركين والمنافقين ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ [الآية: 28] أي: أنصاراً وأعواناً وأحباباً وأخداناً ﴿مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 28] أي: مما عدا المخلصين الموافقين كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: 119] والحاصل أنهم نهوا عن موالاتهم لقرابة أو صداقة بجاهلية ونحوها من أغراض نفسية حتى لا يكون حبهم وبغضهم إلا في الله ولا يقع الاستعانة والاستغاثة إلا بأهل الله.

وأفاد الأستاذ: أن من حقائق الإيمان الموالاة في الله والمعاداة في الله وأولى من تسومه الهجران والإعراض من أهل الخذلان نفسك فإنها مجبولة على المجوسية حيث تقول لي وعني وبي وقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾ [التوبة: 123] وأن الإيمان بهذه الطريقة عزيز ومن لا إيمان له بهذه الطريقة من العوام وإن كانوا قد بلغوا من الزهد والجهد مبلغاً عظيماً فليس بأهل لموالاتك والشكل بالشكل أليق والمثل بالمثل أحق ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 28] أي: اتخاذهم أولياء ﴿فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 28]
110/ب أي: من ولايته ﴿فِى شَىْءٍ﴾ [الآية: 28] يصح أن يسمى ولاية فإن المتعادين لا يجتمعا موالاة.

وأفاد الأستاذ: أن صحبة الحق سبحانه وقربته لا يكون مقرونة بصحبة الأضداد وقربهم ألبتة ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ [الآية: 28] أي: إلا أن تخافوا من جهنم ما يجب اتقاؤه ويؤيده أنه قرأ تقية والحاصل أنه سبحانه منع أولياءه عن موالاة أعدائه ظاهراً وباطناً في الأوقات كلها وفي الحالات جميعها إلا وقت المخافة فإن إظهار الموالاة للضعفاء رخصة وقد روي عن عيسى عليه السلام كن

وسطاً وامش جانباً متوسطاً ومختلطاً في معاشرتهم ومخالفتهم وامش جانباً بعيداً عن موالاتهم وموافقتهم ومنه قول الشاطبي قريباً غريباً مستمالاً مُئِطاً أي: قريباً بالقالب مع الخلق ظاهراً في الجلوة وغريباً بالقلب عنهم باطناً في الخلوة وكما قيل:

ودارهم ما دمت في دارهم ....(1)

وقد صرح ابن عباس رضي الله عنهما أنه سبحانه يريد مداراة ظاهرة ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [الآية: 28] أي: يخوفكم الله عن مخالفة ذاته تعالى في نفوسكم وما يتبعها من الهوى والميل إلى سوى المولى ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الآية: 28] أي: المرجع والمأوى فلا يتعرضوا لسخطة بموالاة أعدائه أو بمعاداة أوليائه.

قال ابن عطاء: إنما يحذر نفسه من يعرفه فأما من لا يعرفه فإن هذا الخطاب زائل عنه ومائل منه.

وتوضيحه ما أفاد الأستاذ: من أن هذا خطاب للخواص من أهل المعرفة فأما الذين نزلت رتبهم عن هذا فقال لهم ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ﴾ [آل عمران: 131] ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا﴾ [البقرة: 48] إلى غير ذلك أو المعنى ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [الآية: 28] أن يكون عندكم أنكم رضيتم فإن خفايا المكر تعتري اكابر قال قائلهم:

فأمنته فأتاح لي من مأمني مكراً كذا من يأمن الأحبابا(2)

ويقال ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [الآية: 28] أي: يجري في وهم أحد أنه يصل إليه مخلوق أو يطأ بساط العز قدم همه بشر جلت الأحدية وعزت الصمدية أن من ظن أنه أقربهم إليه ففي الحقيقة أنه أبعدهم عنه.

---

(1) هذا صدر البيت أما عجزه:

وارضهم ما دمت في أرضهم

وقد نسب إلى أبي نصر محمد بن محمد بن أحمد. انظر: الوافي بالوفيات (1/ 59) ونسب إلى المغربي علي بن فضال بن علي أبي الحسن. انظر: الوافي بالوفيات (6/ 479)، والنجوم الزاهرة (2/ 223) وإلى غيرهم...

(2) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 42) و(1/ 300) و(5/ 37).

﴿قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ﴾ [الآية: 29] من موالاة الكفار أو معاداة الأبرار ﴿أَوْ تُبْدُوهُ﴾ [الآية: 29] أي: تظهروه من جنانكم على لسانكم ﴿يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 29] لأن عنده يستوي إخفاؤكم وإعلانكم/ خصوصاً ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية: 29] عموماً جزئياً وكلياً مظهراً ومخفياً وهو إتمام للتحذير لأنه إذا كان لا يخفى عليه شيء منهما فكيف عليه ما في الضمير ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الآية: 29] زيادة تقرير للتحذير من عقاب من لا يعجزه شيء مما تعلق به المشيئة والتقدير. 111/أ

وقال الأستاذ: لا يعزب معلوم عن علمه فلا يحتشم مع علمه بحالك من نازلة بك تسؤك وعن قريب سيأتيك الغوث والإجابة وعن قريب سيزول البلاء والمحنة ويتعجل المدد والكفاية.

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ [الآية: 30] أي: صحيفة عملها أو جزاء فعلها ﴿مِنْ خَيْرٍ﴾ [الآية: 30] أي: طاعة وبر وذكر وفكر ﴿مُّحْضَرًا﴾ [الآية: 30] أي: معيناً مبيناً ﴿وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ﴾ [الآية: 30] أي: وكذا ما اكتسبت من معصية وغفلة مستحضراً ﴿تَوَدُّ﴾ [الآية: 30] أي: تتمنى كل نفس في كل نفس حينئذٍ ﴿لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ﴾ [الآية: 30] أي: وبين سوء أعماله أو وبين ذلك اليوم وهوله ﴿أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ [الآية: 30] أي: مسافة بعيدة ومباعدة عميقة لئلا ترى سوء أعماله أو جزاء قبح أفعاله أو شدة أحوال ذلك اليوم وأهواله ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [الآية: 30] أي: في العقبى كما يحذركم نفسه في الدنيا ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [الآية: 30] عطوف بالعباد فيرجى رحمته وثوابه كما يخشى سخطه وعقابه.

قال الأستاذ: ود أهل الطاعات أن لو استكثروا منها في دنياهم وودّ أرباب المخالفات أن لو كبحوا لجامهم عن الركض في ميدانهم قال قائلهم:

ولو أنني أعطيت من دهري المنى وما كل من يعطى المنى بمسدد
لقلت لأيام مضين: ألا ارجعي وقلت لأيام أتين ألا ابعدي(1)

والإشارة من قوله ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [الآية: 30] للعارفين ومن قوله

(1) نسب إلى أبي العالية. انظر: نور القبس (1/ 78).

﴿وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ [الآية: 30] للمستأنفين فهؤلاء أصحاب العنف والعنوة وهؤلاء أصحاب التخفيف والسهولة ويقال لما قال ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ﴾ اقتضى سماع هذا الخطاب تهويلهم فقال مقروناً به ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ ليحقق تأميناً لهم وكذا سنته يطمعهم في عين ما يروعهم ويقال: أفناهم بقوله ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ﴾ ثم أحياهم وأبقاهم ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ [الآية: 30] ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ﴾ [الآية: 31] وتدعون بغض ما سواه ﴿فَٱتَّبِعُونِي﴾ [الآية: 31] في طريق المحنة وتحقيق الطاعة ﴿يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 31] أي: كما أحبني فإنه يحب من أحبه بل
ولولا أنه أحبه ما أحبه فمحبته سابقة ولاحقة فالمرتبة الحبيبية وهي المرتبة 111/ب
الجامعة بين المحبة والمحبوبية/ خالصة له ﷺ أصالة ولأتباعه على قدر اتباعه تبعية ﴿وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ﴾ [الآية: 31] بأن يستر عنكم عيوبكم ويطهر عن محبة الغير قلوبكم فيقربكم في جوار قدسه ويطربكم إلى خطار أنسه ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ﴾ [الآية: 31] لتقصيرات المحبين ﴿رَّحِيمٞ﴾ [الآية: 31] متفضل على المحبوبين ثم من المعلوم أن الكمال الحقيقي ليس إلا لله وأن كل ما يرى كمال فيما سواه فهو من الله ابتداءً وبالله بقاء وإلى الله انتهاء فلا ينبغي لأحد أن يكون حبه إلا لله وفي الله وذلك يقتضي أن لا يطيع إلا إياه.

ومن «نفائس العرائس» أن حقيقة المحبة عند العارفين والمحبين احتراق القلب بنيران الشوق وروح الروح بلذة العشق واستغراق الجنس في بحر الأنس وطهارة النفس بنهر القدس ورؤية الحبيب بعين الكل وغمض عين الكل عن الكونين وطيران السر في غيب الغيب وتحلق المحب بخلق المحبوب وهذا أصل المحبة وأما فرع المحبة فهو موافقة المحبوب في جميع ما يرضاه ويقبل بلاءه بنعت الرضا والتسليم في ما قدره وقضاه بشرط مراعاة الوفاء ومتابعة المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام وأكمل الثناء وأما آداب أهل المحبة والانقطاع عن الشهوات واللذات والمسارعة في الخيرات والمبرات والسكون في الخلوات والجلوات ومراقبة الأنفاس والساعات واستنشاق نفحات الصفات والتذلل حال المناجاة ودوام النوافل من العبادات حتى صاروا متصفين بصفات الحق ومنورين بنور الحق بين الخلق وفي

الحديث القدسي والكلام الأنسي لا يزال العبد يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت له سمعاً وبصراً ولساناً وجناناً ويداً ومؤيداً[1] وصرف المحبة لا يكون إلا بعد أن ترى الروح الناطقة بعين السر مشاهدة الحق بنعت الجمال وحسن القدم لا بنعت الآلاء والنعمة لأن المحبة إذا كانت من قوله رؤية لِلنعماء يكون محبة معلولة وحقيقة المحبة ما لا علة فيما بين المحب والمحبوب شيء سوى المحبوب وقال أبو عمرو بن عثمان المكي محبة الله هي معرفته ودوام خشيته واشتغال القلب واشتغاله وانتصابه بذكره ودوام أنسه وفكره.

112/أ وقال محمد بن خفيف: المحبة الموافقة لله فيما يحبه/ ويرضاه.

وأفاد الأستاذ: أن قوله سبحانه ﴿تُحِبُّونَ ٱللَّهَ﴾ [الآية: 31] فرق ﴿يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 31] جمع ﴿تُحِبُّونَ ٱللَّهَ﴾ [الآية: 31] مشوب بالعلة ﴿يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 31] بلا علة بل هو حقيقة الوصلة محبة العباد لله حالة لطيفة يجدها السالك من نفسه تحمله تلك الحالة على موافقة أمره بالرضا دون الكراهة وتقتضي منه تلك الحالة إيثاره سبحانه على كل شيء وعلى كل أحد وشرط المحبة أن لا يكون فيها حظ بحال فمن لم يغنى عن حظوظه بالكلية فليس له من المحبة شظية ومحبة الحق سبحانه للعبد إرادة إحسانه إليه ولطفه به وامتنانه عليه وهي إرادة فضل مخصوص فيكون من صفات ذاته وقد يكون بمعنى ثنائه عليه ومدحه له وإيصال جزائه إليه فعلى هذا يكون من صفات فعله ويقال شرط المحبة امتحان كليتك عنك لاستهلاكك في محبوبك وهذا فرق بين الحبيب والخليل قال الخليل: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ﴾ [إبراهيم، الآية: 36] وقال الحبيب: ﴿فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 31] إن كان تابع الخليل نال منه إفضالاً فإن متبع الحبيب محبوب الحق سبحانه مآلاً وكفى بذلك قربة وحالاً ويقال قطع أطماع الكافة أن يسلم لأحد نفس إلا ومقتداهم وأمامهم سيد الأولين وسيد الآخرين محمد ﷺ ويقال في هذه الآية إشارة إلى أن المحبة غير معلولة وليست باجتلاب لطاعة وتجرد عن

(1) تفسير القرطبي (16/ 28)، وتفسير البغوي (7/ 194)، وتفسير الرازي (10/ 170)، وتفسير النيسابوري (2/ 136).

آفة لأنه قال ﴿يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [الآية: 31] وبين أنه يجوز أن يكون عبد له ذنوب كثيرة ثم يحب الله ويحبه الله ويقال: قال أولاً ﴿يُحْبِبْكُمُ﴾ [الآية: 31] ثم قال: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ [الآية: 31] والواو تقتضي الترتيب ليعلم أن المحبة سابقة للغفران أولاً ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ ثم يغفر لهم ويستغفرونه والمحبة توجب الغفران لا العفو يوجب المحبة انتهى كلامه وكأنه أراد أن الترتيب الذكري يفيد الترتيب الوجودي ولا منع أن يكون الواو لمطلق الجمع كما عليه الجميع وأن المغفرة مقدمة على المحبة لأنه سبحانه يحب التوابين ويحب المتطهرين فيظهر المحب المذنب أولاً بالتوبة وغيرها من أسباب المغفرة ثم يجعله في مرتبة المحبوبية لأن هذه المنزلة مرتبة على المتابعة والمتابعة هي الموافقة وترك
112/ب المخالفة كما قيل: إن المحب لمن يحب مطيع/ نعم المحبة الأزلية سابقة على المحبة التنجيزية المبنية على تحقق المتابعة كما يشير إليه قوله سبحانه يحبهم ويحبونه.

ثم أفاد الأستاذ: أن المحبة تشير إلى صفاء الأحوال ومنه حبب الأسنان وهو صفاؤها والمحبة توجب الاعتكاف بحضرة المحبوب في السر ومنه أحب البعير إذا استناخ فلا يبرح بالضرب والحب حرفان حاء وباء الحاء إشارة إلى الروح والباء إلى البدن فالمحب لا يدخر من محبوبه لا بدنه ولا قلبه.

﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ [الآية: 32] أي: كونوا على وفق الكتاب والسُّنَّة ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ [الآية: 32] يحتمل الماضي بمعنى اعرضوا والمضارعة بمعنى فإن تعرضوا ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الآية: 32] لا يرضى عنهم ولا يثيبهم بل يغضب عليهم ويعاقبهم والعدول عن المضمر إلى المظهر للتنبيه على أن غير الكافرين من عصاة المؤمنين لا يخرجون عن درجة المحبوبين لكن فيه إيماء إلى أن المعرضين يحومون حول وادي الكافرين.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الآية: 33] أي: إسماعيل وإسحاق وأولادهما معه ﴿وَءَالَ عِمْرَٰنَ﴾ [الآية: 33] أي: موسى وهارون ابني عمران أو عيسى وأمه مريم بنت عمران وبين العمرانيين ألف وثمانمائة سنة ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾

[الآية: 33] أي: اصطفاهم بالرسالة الربانية والفواضل الروحانية والفضائل الجسمانية على المخلوقات السفلية والعلوية قيل: اصطفى الخواص للمشاهدة والتقريب واصطفى المؤمنين للمطالعة والتهذيب واصطفى العامة للمخاطبة والتأديب كذا في تفسير السلمي.

وقال الأستاذ: اتفق آدم وذريته في الظنية وإنما الخصوصية بالاصطفاء الذي هو من قبله لا بالنسب ولا بالسبب.

ومن «**نفائس العرائس**» ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [الآية: 33] بعلم الصفات وكشف جمال الذات قبل خلق الخلق في أزل الآزال فلما أراد خلق روحه نظر بجماله إلى جلاله وبجلاله إلى جماله فظهر بين النظرين روح آدم فخلقها بصفة الخاص ونفخ في روحه روحاً وهو علم الصفات بفعل الخاص الذي يتعلق بالذات فلا يؤثر في نعوت الأزل ولا طوارق الحدوث آخراً وأيضاً اصطفاهم لنفسه عن خلقه
113/أ لموقع الخطاب وكشف النقاب لاستعدادهم/تحمل أثقال أمانته والتعمق في بحار أزليته والسيران في ميادين وحدانيته والطيران في هواء فرادنيته لطلب كشف أحديته وجمال سرمديته والإشارة في نوح وآل إبراهيم أن الاصطفائية في أسباب المحبة الأزلية لا من جهة الأسباب الحدثية.

﴿ذُرِّيَّةَۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍۗ﴾ [الآية: 34] حال من كل حال والمعنى أنهم ذرية واحد متشعبة بعضها من بعض في الملّة ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ [الآية: 34] بالأقوال ﴿عَلِيمٌ﴾ [الآية: 34] بالأفعال والأحوال.

﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ﴾ [الآية: 35] وهي حنة أم مريم جدة عيسى عليه السلام حين رأت طائراً يطعم فرخة فحنيت إلى الولد وتمنته فقالت إن لك عليّ نذراً إن رزقتني ولداً أن أتصدق به على بيت المقدس فيكون من خدمه فحملت بمريم وهلك عمران ﴿رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ﴾ [الآية: 35] أي أوجبت على نفسي أن أجعل لأجلك ﴿مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا﴾ [الآية: 35] أي: معتقاً لخدمة بيتك أو مخلصاً لعبادتك ﴿فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ﴾ [الآية: 35] أي: نذري أو منذوري ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الآية: 35] بقولي وفعلي ومقدوري.

وأفاد الأستاذ: أن المحرّر هو الذي ليس في رق شيء من المخلوقات حرره الحق في سابق حكمه عن رق الأشغال بجميع الوجوه والأحوال.

﴿فَلَمَّا وَضَعَتۡهَا﴾ [الآية: 36] أي: ما في بطنها وتأنيثه لأنه كان أنثى ﴿قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ﴾ [الآية: 36] أي: وهي لا تصح أن تكون محرراً فذكرته تحزناً واعتذاراً وتحسراً ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ﴾ [الآية: 36] أي: بالشيء الذي وضعت وبالأمر الذي نذرت فالجملة استئناف تعظيماً لموضوعها وتجهيلاً لها بشأنها وقرأ ابن عامر وأبو بكر بصيغة المتكلم على أنه من كلامها تسلية لنفسها في عدم حصول مرامها أي: ولعل الله فيه سراً والأنثى كان خيراً ﴿وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰ﴾ [الآية: 36] بيان لقوله ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ﴾ أي وليس الذكر الذي طلبت كالأنثى التي وهبت في القضية التي نذرت. قال الأستاذ: لعمري ﴿وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰ﴾ [الآية: 36] في الظاهر ولكن إذا تقبلها الحق سبحانه طاح عنه كل أعجوبة في الخاطر ﴿وَإِنِّي سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ﴾ [الآية: 36] تفاؤلاً لعود فائدة إذ هي في لغتهم بمعنى عائدة ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ﴾ [الآية: 36] أجيرها بحفظك ﴿وَذُرِّيَّتَهَا﴾ [الآية: 36] أي: أولادها على فرض وجود ولادتها ﴿مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [الآية: 36] أي: المطرود من باب الكريم الرحيم والله عصمهما ببركة هذه الاستعاذة من أمهما كما روي عنه ﷺ ما من/ مولود يولد إلا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل من مسه إلا 113/ب مريم وابنها[1] والحديث يفيد أن الإعاذة إنما صدرت من حنة قبل وضع مريم وأن الواو لمطلق الجمع من غير مراعاة الترتيب الذكري تكملة لدعائها.

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا﴾ [الآية: 37] فرضي بها في النذر مكان الذكر المحرر المقرر محلها ﴿بِقَبُولٍ حَسَنٖ﴾ [الآية: 37] بوجه حسن مقبول.

وقال الأستاذ: حيث بلغها فوق ما تمنت أمها ويقال حتى أفردها لطاعته وتولاها بما تولى به أولياءه من خاصته وأفضى العجب جميع من في عصرها من حسن تولية أمرها ويقال: القبول الحسن حسن تربيته لها مع علمه سبحانه

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (3431)، ومسلم في الصحيح (2366/ 146).

بأنه يقال فيه بسببها ما يقال فلم يبال بقبح مقال الأعداء:

أجد الملامة في هواك لذيذة حباً لذكرك فليلمني اللوم[1]

وكما قيل:

ليقل من شاء ما شاء فإني لا أبالي

ويقال القبول الحسن أن رباها على نعت العصمة نقياً حتى كانت تقول: ﴿أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ [مريم: 18] ﴿وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ [الآية: 37] أي: رباها تربية صالحة لها مصلحة لأعمالها في جميع أحوالها.

وقال الأستاذ: أنبتها نباتاً حسناً حتى استقامت على الطاعات وآثرت رضاه سبحانه في جميع الأوقات وحتى كان الثمرة منها عيسى عليه السلام ابنها وهذا هو ذا النبات الحسن والثمر المستحسن ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ [الآية: 37] قرأ الكوفيون بتشديد الفاء وقصر زكريا إلا أن شعبة يقرأ مهموزاً منصوباً على أنه مفعول ثانٍ وأن الفاعل هو الله تعالى فالمعنى جعله كافلاً لها وضامناً لمصالح حالها وخفف الباقون ومدوا زكريا مرفوعاً فالمعنى ضمن زكريا القيام بأمرها فبنى غرفة يسمى محراباً بالمسجد لها لا يرقى إلا بسلم إليها.

وأفاد الأستاذ: أن من القبول الحسن والنبات الحسن أن جعل كافلها والقيم بأمرها وحفظها نبياً من الأنبياء عليهم السلام مثل زكريا وقد أوحى الله إلى داوود إذا رأيت لي طالباً فكن له خادماً ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾ [الآية: 37] روي أنه كان لا يطلع غيره إليها وإذا خرج
114/أ أغلق الباب عليها ثم كان يجد فاكهة الصيف/ في الشتاء وبالعكس لديها فعند ذلك ﴿قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾ [الآية: 37] من أين لك هذا المرزوق والحال أن الباب عليك مغلوق ﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ [الآية: 37] فإنه لا رازق سواه ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الآية: 37] أي: بغير احتساب أو بغير محاسبة وعتاب.

(1) نسب إلى أبي الشيص. انظر: العقد الفريد (2/ 342)، وشرح ديوان الحماسة (1/ 420).

وأفاد الأستاذ: أن من إمارة القبول الحسن أنها لم تكن توجد إلا في المحراب ومن كان مسكنه وموضعه الذي فيه يتعهد ويتفقد هو المحراب فذلك عبد عزيز في الباب وقوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾ [الآية: 37] إيضاح عن عين التوحيد وأن رزقه للعباد وإحسانه إليهم بمقتضى مشيئته وإرادته دون أن يكون معللاً بطاعة أحد ووسيلة عبادته.

﴿هُنَالِكَ﴾ [الآية: 38] أي: في ذلك المكان أو الزمان ﴿دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ [الآية: 38] أي: كما وهبتها لحنة أو كما رزقت مريم الفاكهة ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [الآية: 38] مجيب للنداء.

وقال الأستاذ: لما رأى كرامة الله سبحانه معها ازداد يقيناً على يقين ورجاء على رجاء فسأل الولد على كبر سنه وكانت تلك الإجابة نقضاً للعادة ويقال: أن زكريا عليه السلام سأل الولد ليكون عوناً له على الطاعة ووارثاً من نسله في النبوة وليكون قائماً بحق الله فلذلك استحق الإجابة فإن السؤال إذا كان لحق الحق لا لحظ النفس لا يكون له الرد وكان زكريا عليه السلام يرى الفاكهة الصيفية عند مريم في الشتاء وبالعكس فسأل الولد حال الكبر ليكون له آية ومعجزة أي: كما كان وجود الفاكهة لها آية وكرامة.

﴿فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [الآية: 39] قرأ حمزة والكسائي بالتذكير والإمالة لأن الفاعل مؤخر وهو مؤنث غير حقيقي والباقون بالتأنيث باعتبار جماعة من الملائكة وهو جبريل ومن معه ﴿وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ﴾ [الآية: 39] .

أفاد الأستاذ: أن من له إلى الملوك حاجة فعليه بملازمة الباب إلى أن يستجاب ويقال: إن الله سبحانه حكم أنه إنما يقبل بالإجابة على من هو موافق للخدمة فأما من أعرض عن الطاعة فإنه ألقاه في ذل الوحشة.

ومن «**نفائس العرائس**» أن المحراب مقر العباد وملجأ الزهاد ومعصم المتوكلين ومحبس المشتاقين ومسند الراضين وبستان المحبين وسرور المريدين ورياض العاشقين/ وكعبة المستأنسين وحرم المؤمنين وفوز القائلين 114/ب
وقيد الموحدين وستر الشاطحين ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ﴾ [الآية: 39] أي: بأن الله وقرأ

ابن عامر وحمزة بالكسر على إرادة الفعل أو لأن النداء نوع منه وقرأ حمزة والكسائي يبشرك ﴿بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ [الآية: 39] أي: بعيسى عليهما السلام وسميت بها لأنه وجد بكلمة كن في شأنه أو لتكلمه في غير أوانه وهو حال مقدرة ويحيى اسم عجمي وقيل: عربي.

قال الأستاذ: قيل: سمي يحيى به لحياة قلبه بالله ولسان التفسير أنه حي به عقر أمه وقيل: لأنه سبب حياة من آمن به بقلبه ﴿وَسَيِّدًا﴾ [الآية: 39] كريماً على ربه ويسود قومه ويفوقهم ومن سيادته المحضة أنه قطع لهم بالمعصية ولا يبعد أن يقال السيد هو الحر الذي لم يستعبده هواه ولم يسترقه دنياه فيكون عبداً مختصاً لله معتوقاً عن قيد ما سواه.

وأفاد الأستاذ: أنه قيل له سيداً لأنه لم يطلب لنفسه مقاماً ولا شاهد لنفسه قدراً ولما أخلص في تواضعه لله بكل وجه رقاه على الجملة وجعله سيداً للجميع ﴿وَحَصُورًا﴾ [الآية: 39] أي: مبالغاً في حبس النفس عن الشهوات ومنعها عن اللهوات مع القدرة على حصول اللذات روي أنه مر في صباه بصبيان فدعوه إلى اللعب فقال: ما للعب خلقت ﴿وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الآية: 39] أي: الكاملين في الصلاح الواصلين إلى كمال الفلاح ممن لم يأتِ كبيرة ولا صغيرة من الجناح.

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾ [الآية: 40] استبعاداً من حيث العادة أو استعظاماً وتعجباً من هذه الحالة ﴿وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ﴾ [الآية: 40] أدركني كبر السن وأثر فيَّ ضعف القوى وكان له من السن تسع وتسعون أو مائة وعشرون ﴿وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ [الآية: 40] وكان لها من العمر ثمانٍ وتسعون ﴿قَالَ﴾ [الآية: 40] أي: الله أو الملك ﴿كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الآية: 40] أي: يفعل ما يشاء من العجائب مثل ذلك الفعل وهو إنشاء الولد من شيخ فانٍ وعجوز عاقر فإنه على كل شيء قادر.

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً﴾ [الآية: 41] علامة أعرف بها حبل المرأة لأستقبله بالشكر والبشاشة ﴿قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ﴾ [الآية: 41] أي: أن لا تقدر على

تكليم الناس ﴿ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾ [الآية: 41] مع أنك صحيح سوي تقدر على الحمد والتسبيح والذكر وإنما حبس لسانه عن مكالمة الخلق خاصة لتخلص/المدة لذكر 115/أ
الله وشكره قضاء لحق النعمة فكأنه قال: آيتك أن تحبس لسانك إلا عن الشكر والذكر فإن أحسن الجواب ما اشتق عن السؤال ﴿إِلَّا رَمْزًا﴾ [الآية: 41] أي: بالرمز والإشارة بنحو يد أو رأس أو حاجب ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ﴾ [الآية: 41] بلسانك وجنانك ﴿كَثِيرًا﴾ [الآية: 41] أو زماناً كثيراً فإن الأذكار ليس لها وقت معين ولا قدر مبين ﴿وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾ [الآية: 41] من طلوع الفجر إلى الضحى فما بينها وقت القيلولة من النهار وزمان المشغلة المقتضية للغفلة.

﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [الآية: 42] بأن سمعت كلامهم وشهادتهم أو هتفوا بها وما رأتهم ﴿يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ﴾ [الآية: 42] أي: بما لطف بك واجتباك حتى انقطعتِ إلى طاعته وتجردت إلى عبادته ﴿وَطَهَّرَكِ﴾ [الآية: 42] أي: من ملامسة الرجال وعن مساوىء الأحوال ﴿وَٱصْطَفَىٰكِ﴾ [الآية: 42] أي: فضلك واختارك ﴿عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الآية: 42] أي: مطلقاً أو عالمي زمانها لما صح من أن مريم خير نساء عالمها وفاطمة خير نساء عالمها(1).

﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى﴾ [الآية: 43] أي: قومي ﴿لِرَبِّكِ﴾ [الآية: 43] أي: لطاعته أو لمرضاته ﴿وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [الآية: 43] أمرت بالصلاة مع الجماعة بذكر أركانها مبالغة في المحافظة على شأنها وقدم السجود مع أنه مؤخر في الوجود لكونه كذلك في شريعتهم أو للاهتمام بشأن السجود والركوع مع أن الواو لا توجب الترتيب في الوقوع أو المراد بالقنوت إدامة الطاعة وبالسجود الصلاة وبالركوع الخشوع والخضوع.

قال الأستاذ: أي لازمي بساط العبادة وداومي على الطاعة ولا تقصري في استدامة الخدمة فكما أفردك الحق بمقامك وتعظيم شأنك كوني في عبادته أوحد زمانك.

---

(1) مسند الحارث زوائد الهيثمي (2/ 909) رقم (990)، والمطالب العالية (11/ 241) رقم (4053).

﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 44] أي: ما ذكر من قصة مريم وزكريا ﴿مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ﴾ [الآية: 44] أي: أخبار ما غاب عنك ﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ [الآية: 44] أي: نمليه عليك ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ﴾ [الآية: 44] أي: عندهم ﴿إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ﴾ [الآية: 44] أي: أقداحهم بالاقتراع ليعلموا ﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ [الآية: 44] أي: في تربيتها وحضانتها ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [الآية: 44] تنافساً في كفالتها وذلك أن حنة[1] لما ولدت مريم أتت بها سدنة بيت المقدس وقالت لهم: دونكم هذه النذيرة فتنافس فيه الأحبار وتنازع فيه الأخيار حتى اقترعوا عليها فخرجت القرعة لزكريا.

115/ب وقال الأستاذ/: أي هذه القصص نحن عرفناكها وخاطبناك بمعانيها وإن قصصنا نحن عليك هذا بعزيز خطابنا أعز وأتم من أن لو كنت مشاهداً لها.

﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾ [الآية: 45] أي: بمن حصل لمجرد كلام من الله من غير أب ﴿ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [الآية: 45] المسيح بمعنى المبارك لقبه وعيسى علمه وفي الخطاب بها تنبيه لها على أنه يولد من غير أب إذ الولد لا ينسب إلى الأم إلا عند فقد الوالد ﴿وَجِيهًا﴾ [الآية: 45] أي: ذا وجاهة ومكانة وهو حال مقدرة ﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ [الآية: 45] بالنبوة والشفاعة ﴿وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ [الآية: 45] إشارة إلى علو درجته في الجنة.

﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ [الآية: 46] حال كونه طفلاً وكهلاً كلام الأنبياء من غير تفاوت في مراتب الأبناء وفيه الإيماء بأنه يعيش سالماً من كيد الأعداء ﴿وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الآية: 46] كاملين في الصلاح القائمين بحقوق الله وحقوق عباده في الدين.

قال الأستاذ: لم يبشرها بِنصيب لها في الدنيا ولا بحظ لها في الأخرى ولكن بشرها بما أثبت في ذلك من عظيم الآية وكونه نبياً لله مؤيداً بالمعجزة ويقال ربط على قلبها بما عرفها أنه إذا لم ينطق لسانها بذكر براءة ساحتها ينطق الله عيسى عليه السلام بما يكون دلالة على صدقها وجلالتها.

(1) هي امرأة عمران واسمها حنة بنت فاقوذ بن قتيل. انظر: تفسير الطبري (6/ 328).

﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ [الآية: 47] استفهام تعجب واستعظام واستبعاد عادي لما في ما بين الأنام ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ [الآية: 47].

وأفاد الأستاذ: أن المعنى كما شاهدت ظهور الأشياء ناقضة للعادة في رزقنا لك فكذلك ينقض العادة في خلق ولد من غير مسيس بشر ﴿إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾ [الآية: 47] إذا أراد إمضاء حكم أو وجود شيء ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [الآية: 47] إشارة إلى أنه تعالى كما يقدر أن يخلق الأشياء مدرجة مرتبة يقدر أن يخلقها دفعة واحدة فلا يتعسر عليه إبداء ولا يصعب عليه إنشاء.

﴿وَيُعَلِّمُهُ﴾ [الآية: 48] أي: نحن وقرأ نافع وعاصم بالياء أو يعلمه ﴿الْكِتَابَ﴾ [الآية: 48] أي: الكتابة أو جنس الكتب المنزلة عموماً ﴿وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ﴾ [الآية: 48] خصوصاً.

﴿وَرَسُولًا﴾ [الآية: 49] أي: وبرسله مرسلاً ﴿إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الآية: 49] معلماً ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الآية: 49] أي: بمعجزة ظاهرة ودلالة قاهرة وعلامة باهرة هي ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم﴾ [الآية: 49] وقرأ نافع بالكسر/ أي: 116/أ
قائلاً إني أقدر لأجلكم وأصور ﴿مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ [الآية: 49] أي: شيئاً مثل صورة الطير ﴿فَأَنفُخُ فِيهِ﴾ [الآية: 49] أي: في ذلك المماثل ﴿فَيَكُونُ﴾ [الآية: 49] فيصير ﴿طَيْرًا﴾ [الآية: 49] وقرأ نافع طائراً ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [الآية: 49] أي: بأمره وتيسيره ﴿وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ﴾ [الآية: 49] الذي ولد أعمى ﴿وَالْأَبْرَصَ﴾ [الآية: 49] ونحوهما مما عجز عنه الأطباء ﴿وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾ [الآية: 49] أي: الحقيقية والحكمية ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [الآية: 49] إعادة لدفع توهم دعوى الألوهية فإن الإحياء ليس من جنس الأفعال البشرية ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ﴾ [الآية: 49] الآن ﴿وَمَا تَدَّخِرُونَ﴾ [الآية: 49] لاستقبال الزمان ﴿فِي بُيُوتِكُمْ﴾ [الآية: 49] من المغيبات التي لا تشكون فيها من أفعالكم وأحوالكم ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 49] أي: في كل ما ذكر ﴿لَآيَةً لَّكُمْ﴾ [الآية: 49] أي: علامة عظيمة على صدق دعوى الرسالة ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 49] أي: مصدقين للحق غير معاندين أو مريدين للإيمان موفقين.

﴿وَمُصَدِّقًا﴾ [الآية: 50] عطف على رسولاً أي: وموافقاً ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ﴾ [الآية: 50] النازلة إليكم لأمركم بما في كتاب لديكم ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية: 50] في شريعة موسى نبيكم من الشحوم والسمك ولحم الإبل والعمل في السبت ونحو ذلك ﴿وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الآية: 50] أي: بحجة على صدقي في إخباري لكم وأفردها مع أنها آيات متعددة لأنها في جنس الدلالة متحدة ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [الآية: 50] ولا تبالوا مما سواه ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ [الآية: 50] فيما آمركم وأنهاكم على وفق هداه.

﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾ [الآية: 51] أي: وحدوه ﴿هَٰذَا﴾ [الآية: 51] أي: طريق التوحيد والدين القويم ﴿صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [الآية: 51] الموصل إلى جنة النعيم وقرب الرب الكريم وختم الكلام بالاستقامة فإنها أفضل من ألف كرامة.

﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ﴾ [الآية: 52] أي: أدرك من قومه آثار إصرار الكفر وعدم رجوعهم إلى التوبة بالإيمان والشكر ﴿قَالَ مَنْ أَنصَارِي﴾ [الآية: 52] أي: من أعوان ديني وخلان يقيني ممن يقيني من أعدائي ملتجئاً ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ [الآية: 52] غير ملتفت إلى ما سواه ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ﴾ [الآية: 52] أي: أصحابه المخصوصون في محبتهم الثابتون في ملّتهم بخلوص نيتهم ونقاء سريرتهم ﴿نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ﴾ [الآية: 52] أي: أنصار دينه وأعوان نبيه ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ [الآية: 52] وتبرأنا مما سواه ﴿وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [الآية: 52] أي: منقادون مخلصون.

وأفاد الأستاذ: أنه حين بلغهم الرسالة واختلفوا في اختيار الموافقة فمنهم من صدقه ومنهم وهم الأكثرون من كذبه علم أنه لا ينفك أمر النبوة/ 116/ب
من البلاء وتسليط الأعداء انقطع عنهم قلبه وصدق إلى الله قصده وقال لقومه ﴿مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ أي: ومن يساعدني على التجرد لحقه والخلوص في قصده فقال من انبسط عليه بآثار العناية واستخلص بآثار التخصيص بالهداية ما ظهر من كلامه أنه تعلق به الرعاية.

﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ﴾ [الآية: 53] أي: علينا وأعلنا ﴿وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ﴾ [الآية: 53] فيما أمرنا ونهانا ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [الآية: 53] بوحدتك

والقائمين بخدمتك أو من أمة محمد ﷺ الذين يشهدون يوم القيامة على سائر الأمم.

قال ابن عطاء: آمنا بما نور به قلوب أصفيائك من علوم غيبك واتبعنا الرسول فيما أظهر من أوامرك ونواهيك أن يوصلنا اتباعه إلى محبتك فاكتبنا مع من يشهدك ولا يشهد معك سواك.

﴿وَمَكَرُواْ﴾ [الآية: 54] أي: الذين أحس منهم الكفر من اليهود بأن سلطوا عليه من يقتله خفية خيفة من الحواريين ﴿وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ﴾ [الآية: 54] أي: عاملهم معاملة مكرهم بأن رفع عيسى وألقى شبهه على من قصد قتله حتى قتل بدله والمكر من حيث أنه في الأصل حيلة يجلب بها إلى مضرة لا لِسند إلى الله تعالى إلا على سبيل المقابلة والمشاكلة أو بمعنى المجازاة أو مماثلة المعاملة ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الآية: 54] أي: أقواهم وأقدرهم على إيصال الضرر من حيث لا يتصور.

وقال محمد بن علي: مكروا أنفسهم فحسن الله مكرهم عندهم وكان في الحقيقة الماكر بهم لتربيته ذلك عندهم ألا تراه يقول ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ﴾ [فاطر: 8].

ومن «**نفائس العرائس**» سقطوا عن مشاهدة سابق مكر الحق فاحتالوا مع أهل الولاية بتدبير النفس فكان مكرهم مكر الحق عليهم وهم لا يعلمون أنهم مخدوعون وسئل بعض أهل الحقيقة كيف نسب المكر إلى الله فصاح وقال لا علة لصنعه وأنشأ يقول:

فديتك قد جبلت على هواكا ... فنفسي لا تنازعني سواكا
ويقبح من سواك الفعل عندي ... وتفعله فيحسن منك ذاكا
أحبك لا ببعضي بل بكلي ... وإن لم يبق حبك لي حراكا[1]

وحاصله أن في الصفات السبحانية ما هو مستحسن كالتكبر والتجبر

(1) نسب إلى رجل يقال له فلان الطبراني. انظر: الكشكول (1/ 83).

والمنّة على خلاف النعوت الإنسانية.

﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ﴾ [الآية: 55] أي: قابضك/من غير موت 117/أ
لك وافياً تاماً لم ينالوا شيئاً منك أو مميتك عن الشهوات العائقة عن العروج إلى العلويات ﴿وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [الآية: 55] إلى محل كرامتي ومقر ملائكتي ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الآية: 55] من سوء جوارهم وقصدهم إذ ذاك بإمكارهم.

وأفاد الأستاذ بقوله: ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ [الآية: 55] عنك وقابضك منك ﴿وَرَافِعُكَ﴾ [الآية: 55] عن نعوت البشرية ﴿وَمُطَهِّرُكَ﴾ [الآية: 55] من إرادتك بالكلية حتى تكون مصرفاً بنا لنا ولا يكون عليك شيء من اختيارك ويكون إسبال القول عليك قائماً عنك وبهذا الوصف كان يظهر على يده إحياء الموتى وما كانت تلك الأحداث حاصلة إلا بالقدرة جلت ويقال: طهر قلبه عن مطالعة الأغيار ومشاهدة الآثار والأمثال في جميع الأحوال والأطوار ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ﴾ [الآية: 55] أي: ومصير أتباع دينك من المؤمنين بك ولو في الصورة ﴿فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الآية: 55] بغلبة الحجة أو بقوة الشوكة إذا لم يتفق لليهود ملك ودولة ﴿ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ [الآية: 55] أي: مرجعك ومرجعهم من مؤمنهم وكافرهم ﴿فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [الآية: 55] من أمر دينكم وبيان الحكم قوله:

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ [الآية: 56] أي: بالعقاب ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [الآية: 56] أي: مانعين ودافعين في كل باب.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الآية: 57] من ارتكاب المأمورات واجتناب المحظورات ﴿فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ [الآية: 57] بالنون لغير حفص أي: فنجازيهم جزاءً وافياً بإعطاء المثوبات ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية: 57] فلا يرفع لهم الدرجات بل يوقعهم في الدركات.

﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 58] ما سبق من نبأ عيسى وغيره ﴿نَتْلُوهُ﴾ [الآية: 58] أي نقرؤه ﴿عَلَيْكَ﴾ [الآية: 58] بلسان جبريل ﴿مِنَ ٱلْءَايَٰتِ﴾ [الآية: 58] حال كونه من الدلالات الواضحات على نبوتك والمعجزات اللائحات على رسالتك فإنه من

العلوم الغيبية التي لا يطلع عليها إلا الذي أطلعك وأعلمك بها ﴿وَٱلذِّكۡرِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ [الآية: 58] أي: ومن الذكر المشتمل على الحكم والأحكام على وجه الإتقان والأحكام والمراد به القرآن أو اللوح المحفوظ.

وقال الأستاذ: نعرفك يا محمد حق معانيه بما يوحى إليك لا بتكلفك ما تصل إلى علمه وبتعلمك من الامتثال أو استنباطك بنوع من الاستدلال.

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ﴾ [الآية: 59] أي: شأنه الغريب ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: في الخلق والإنشاء ﴿كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾ [الآية: 59] / بل قضية آدم أغرب وخلقته أعجب أن عيسى 117/ب
خلق من أم بلا أب وآدم من غير أب وأم بل ﴿خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾ [الآية: 59] جعله طيناً ثم صلصالاً ﴿ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن﴾ [الآية: 59] بشراً بنفخ الروح فيه إدخالاً ﴿فَيَكُونُ﴾ [الآية: 59] أي: فكان والعدول لحكاية الحال الماضية مع مراعاة الفواصل الماضية والآتية.

وأفاد الأستاذ أنه سبحانه خصهما بتطهير الروح عن النتاج في الأصلاب وأفرد آدم بصفة البدء وعيسى بنفخ الروح فيه على وجه الإعزاز والإغراب وهما وإن كانا كبيري الشأن فنقص الحدثان والمخلوقية لازمة لهما .

﴿ٱلۡحَقُّ﴾ [الآية: 60] المطابق للصدق المطلق من ﴿مِن رَّبِّكَ﴾ [الآية: 60] ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾ [الآية: 60] أي: من جملة الشاكين فضلاً عن أن يقع منك شك في الدين وهذا نهي تكوين له ﷺ مفيد للتمكين ومانع من التلوين ولذا قال ﷺ لما نزل ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ فَسۡـَٔلِ﴾ [يونس: 94] فسئل[1]: ولا أشك ولا أسأل وحاصله الأمر بالثبات على اليقين أو الخطاب له والمراد غيره من المؤمنين.

وقال الأستاذ: فلا تشكن يا محمد في أنه لا يماثله في الإيجاد أحد ولا على إثبات سنية سيد لمخلوق قدره والموجودات التي حقت بوجودها عن كتم العدم من الله بدؤها وإليه عودها.

(1) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (6/ 125) رقم (10211)، وأبو داود في السنن (4/ 489) رقم (5112).

﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ﴾ [الآية: 61] أي: خاصمك وجادلك من النصارى وغيرهم في شأن عيسى ونحوه ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [الآية: 61] أي: من الآيات المبينات للعلوم اليقينيات ﴿فَقُلْ تَعَالَوْاْ﴾ [الآية: 61] أي: هلموا بالرأي والعزم منا ومنكم ﴿نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ [الآية: 61] أي: يدع كل منا ومنكم نفسه وأعزة أهله إلى المباهلة وقدمهم على الأنفس فيما رتبهم لأن الشخص يخاطر بنفسه لهم ويحارب عدوه دونهم ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾ [الآية: 61] أي: نتباهل ونتضرع إلى الله في الدعاء ليجعلنا من المقبولين ﴿فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [الآية: 61] أي: طرده وإبعاده على من يكذب منا ليتبين المحق والمبطل ممن حضر مجلسنا روي أن وفد نجران جادلوه ﷺ في أمر عيسى عليه السلام فدعاهم إلى المباهلة فقالوا: حتى ننظر فلما تخالوا وتشاوروا قالوا للعاقب
118/أ وهو صاحب رأيهم الثاقب ماذا ترى في هذا الأمر فقال والله لقد عرفتم/نبوته ولقد جاءكم بالبيان الفصل في شأن صاحبكم والله ما بأهل قوم نبياً إلا هلكوا فإن أبيتم إلا إلف دينكم فصالحوا الرجل وانصرفوا فأتوا رسول الله ﷺ وقد غدا محتضناً الحسين آخذاً بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفهم رضي الله عنهم وهو يقول: إذا أنا دعوت فأمّنوا فقال: أسقفهم وهو أعلمهم يا معشر النصارى إني لأرى وجوهاً لو سألوا الله تعالى أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله فلا تباهلوا فتهلكوا فأذعنوا لرسول الله ﷺ وبذلوا له الجزية ألفي حلة حمراء وثلاثين درعاً من حديد فقال عليه السلام والذي نفسي بيده لو تباهلوا لمسخوا قردة وخنازير ولا اضطرم عليهم الوادي ناراً ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على الشجر(1) وفيه دليل عظيم على تحقق نبوته وفضل من أتي بهم من أهل بيته.

وقال الأستاذ: يعني بعدما ظهرت على صدق ما يقال لك وتحققت بقلبك معرفة ما خاطبناك فلا تحشم من حملهم على المباهلة وثق بأن لك القهر والنصر فإنا توليناك وفي كنف قربنا آويناك ولو أنهم رغبوا في هذه المباهلة لأضرمت الأودية عليهم نيراناً مؤججة ولكن أخر الله سبحانه ذلك

(1) تفسير البيضاوي (1/ 46).

عنهم لعلمه بمن في أصلابهم من المؤمنين والإشارة في هذه الآية ولمن نزلت حالته عن أحوال الصديقين فإنه إذا ظهرت أنوارهم انخنس آثار هؤلاء فلا قرار ولا عنهم آثاراً.

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ [الآية: 62] أي: الذي أوحينا إليك ﴿لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾ [الآية: 62] أي: الإخبار الصدق الدال على التوحيد المطلق ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [الآية: 62] أي: ليس من يستحق أن يعبد سواه ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الآية: 62] أي: المنعوت بالقدرة التامة والحكمة البالغة.

﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ [الآية: 63] أي: هم وأنتم ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [الآية: 63] أي: بهم وبكم من أهل الفساد في أمر دنياكم ودينكم.

وأفاد الأستاذ أنه لا يتسلط على شواهد التوحيد غبار شبهه ولا يدرك سر حكمه سبحانه وهم مخلوق ولا يدانيه معلوم حصره الوجود أو موهوم يصوره التقدير فإن تولوا يا محمد فإنه لا ثبات عند شعاع نورك لِشبهة مبطل ﴿فَإِنَّ
118/ب ٱللَّهَ/ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [الآية: 63] إما أن يجتاحهم أو يحلم عنهم حتى إذا استمكن ظنونهم يأخذهم بغتة وهم لا يشعرون ولا ينصرون.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الآية: 64] يعم أهل الكتابين ومن يجري مجراهم في الخطاب ﴿تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ﴾ [الآية: 64] أي: مستوية ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [الآية: 64] مما لا يختلف فيه الرسل الواردة عليكم والكتب المنزلة إليكم والكلمة يطلق على الجملة وتفسيرها ما بعدها وهي ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الآية: 64] أي: نوحده بالعبادة ونخلصه في الطاعة ﴿وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ من الإشراك لا جلياً ولا خفياً ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: ولا نطيع الرهبان والأحبار فيما أحدثوا من الأحبار والمقصود انقطاع الرؤية عن المكونات كما قاله السلمي ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ [الآية: 64] أي: أعرضوا عن التوحيد ﴿فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [الآية: 64] منقادون للطاعة على طريق التفريد.

وأفاد الأستاذ: أن الكلمة هي كلمة التوحيد وإفراد الحق سبحانه في إنشاء الأشياء بالشهود وقوله ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الآية: 64] لا تطالع بسرك

مخلوقاً فكما لا يكون غيره معبودك لا يكون غيره مقصودك ولا مشهودك وهذا هو اتقاء الشرك وأنت أول الأغيار الذين يجب أن لا يشهدهم وقوله ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا﴾ فيظهر صدق هذا بترك المدح والذم لهم ونفي الشكوى عنهم وتنظيف السر عن حسبان ذرة من المحو والإثبات منهم قال ﷺ أصدق كلمة قالتها العرب قول لبيد ألا كل شيء ما خلا اللّه باطل[1].

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ [الآية: 65] أي: لم تخاصمون في حقه وتصرفونه عن الملّة الحقيقية وتنسبونه إلى اليهودية والنصرانية ﴿وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ﴾ [الآية: 65] الجملة حالية والمعنى أن إبراهيم كان قبل موسى بألف سنة وقبل عيسى بألفين فكيف يكون إبراهيم تابعاً لهما ومتبعاً لدينهما ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [الآية: 65] قبح المقال وادعاء المحال.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه ضرب على خليله نقاب الضنة وحجاب الغيرة فقطع سببه عن جميعهم بعد ادعاء الكل فيه بتعارض شبههم.

﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [الآية: 66] أي: تنبهوا أنتم المخاطبون الغافلون يا هؤلاء المجادلون الجاهلون ﴿حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ﴾ [الآية: 66] أي: فيما زعمتم به

119/أ في الجملة ﴿فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ﴾ [الآية: 66] بالكلية كقضية/ الحنيفية واليهودية والنصرانية ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ﴾ [الآية: 66] ما حاججتم فيه ﴿وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [الآية: 66] جاهلون به.

وقال الأستاذ: يعني ما كان في كتابكم له بيان ويصح أن يكون لكم عليه برهان فخصّهم في ذلك إما بحق وإما بباطل فالذي ليس لكم البتة عليه دليل ولا لكم إلى معرفته سبيل فكيف تصديتم للحكم فيه وادعاء الإحاطة به.

﴿مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا﴾ [الآية: 67] تصريح بما علم ضمناً ﴿وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا﴾ [الآية: 67] أي: مائلاً عن العقائد الزائغة وفيه نوع من التعريض والكناية ﴿مُّسۡلِمٗا﴾ [الآية: 67] أي: منقاداً لأمر الله ومستسلماً لما قدره وقضاه

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (6147)، ومسلم في الصحيح (2256/ 2).

وهذا التوحيد المطلق الذي أجمع عليه أهل الحق وليس المرام أنه على ملّة الإسلام فإنه مشترك الإلزام ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الآية: 67] رد لادعاء المشركين أنهم على ملّة إبراهيم عليه السلام.

﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ﴾ [الآية: 68] أي: أخصهم منه وأقربهم به ﴿لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾ [الآية: 68] من أمته الثابتين على ملّته ﴿وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ﴾ [الآية: 68] أي: من ذريته ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۗ﴾ [الآية: 68] على طريق موافقته ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 68] أي: ناصر جميع المؤمنين إذا كانوا من أرباب اليقين.

قال الأستاذ: ولأنهم تولوا دينه ووافقوا توحيده ثم ولاية الله إنما تكون بالعون والنصرة والتخصيص والقربة.

﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ﴾ [الآية: 69] أي: تمنوا أن يضلوكم وعن طريق الحق يدفعوكم ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ [الآية: 69] فإن المؤمنين لا يقبلون شيئاً من أقوالهم فيرجع إلى أنفسهم وبال ضلالهم وقصد إضلالهم ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الآية: 69] بتثقيل وزره عليهم وعود وباله إليهم واختصاص ضرره بهم.

وأفاد الأستاذ: أن من حلت به فتنة وأصابته محنة واستهوته غواية رضي لجميع الناس ما حل به من البلية فأهل الكتاب ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: 32].

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 70] أي: المنزلة في الكتب الدالة على حقية ملّة الإسلام وصدق دعوى نبوة محمد عليه السلام ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ [الآية: 70] صدقها في كتبكم أو تشاهدون المعجزات الملزمة لكم.

قال الأستاذ: وأنتم تشهدون قبل بعثته على صحة نبوته فما الذي حملكم على غيكم حتى جحدتم ما علمتم.

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ﴾ [الآية: 71] أي: تخلطون/ ﴿ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ 119/ب
[الآية: 71] أي: بالتحريف والتزوير وإبراز الباطل في صورة الحق المنير ﴿وَتَكْتُمُونَ

ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 71] أي: والحال أنكم عالمون غير ناسين ولا ساهين ولا جاهلين بل متعمدين قاصدين ضالين مضلين.

قال الأستاذ: فهل هذا إلا حكم الخذلان وقضية الحرمان ثم أخبر أن منهم من ينافق في حالته فيريد أن يندفع عنه عوادي المسلمين ولا يخالف إخوانه من الكافرين فتواصوا فيما بينهم بموافقة المسلمين جهراً والخلوص في عقائدهم الفاسدة بعضهم مع بعض سراً بقوله:

﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الآية: 72] أي: بالقرآن وما يقتضي أمره ﴿وَجْهَ ٱلنَّهَارِ﴾ [الآية: 72] أي: أوله وصدره ﴿وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الآية: 72] أي: عن دينهم ويشكون في يقينهم ظناً منهم أن كفر مخالفيهم بعد موافقتهم صدر عن شبهة توجب وهن أمرهم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه بين أن نفاقهم كشف للمسلمين وأن ذلك لا ينفعهم في الدين أما في الدنيا فلاطلاع الله نبيه والمؤمنين عليه وأما في الآخرة فلفقد إخلاصهم فيه.

﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ [الآية: 73] أي: لا تقروا عن تصديق قلبكم ويقينكم إلا لأهل دينكم.

وقال الأستاذ: يحتمل أن يكون هذا ابتداءُ أمر من الله للمسلمين والإشارة فيه ألا تعاشروا الأضداد ولا تفشوا أسراركم للأجانب والأنداد ويؤيده ما نقله السلمي عن بعضهم لا تعاشروا إلا من يوافقكم على أحوالكم وطرائقكم ولكن يلائم الأول قوله ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ [الآية: 73] أي: الهدى الحقيقي هو الهدى الموصل إلى توحيد الحق وتفريده عما سواه فيخص من عباده من يشاء إلى هداه والجملة معترضة بين المتعلِّق والمتعلَّق قوله: ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ﴾ [الآية: 73] والمعنى لا تظهروا إيمانكم بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم إلا لأشياعكم ولا تفشوه إلى المسلمين لئلا يزيد ثباتهم ولا يكون لهم حجة على أتباعكم وقرأ ابن كثير بزيادة همزة الاستفهام الإنكاري والمعنى يتصور إيتاء أحد غيركم مثل ما أوتيتم حتى

يحاجوكم عند ربكم فيدحضوا حجتكم ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [الآية: 73] فهو الذي يختص من يشاء بأنوار العرفان ويختص من يشاء بحكم الخذلان والحرمان.

﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ﴾ [الآية: 74] أي: بأنواع نعمته ومن جملتها إدخال جنته وإيصال/ قربته وإفضال رؤيته ﴿مَن يَشَآءُ﴾ [الآية: 74] وفق ما يشاء ﴿وَٱللَّهُ ذُو 120/ أ
ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الآية: 74] على من تعلقت مشيئته باختصاص رحمته وامتيار نعمته بتوفيق ديانته ورعاية أمانته.

وأفاد الأستاذ: أن الرحمة تكون بمعنى النبوة والولاية والعصمة وجميع أقسام الخيرات التي يختص بشيء منها عبداً من عباده يدخل تحت قوله ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [الآية: 74] أي: بنعمته من يشاء فقوم اختصهم بنعمة الأخلاق وقوم اختصهم بنعمة الأرزاق وقوم اختصهم بنعمة العبادة وآخرين بنعمة الإرادة وآخرين بتوفيق الظواهر وآخرين بتحقيق السرائر وآخرين بعطاء الأبشار وآخرين بلقاء الأسرار قال الله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [النحل: 18] ويقال لما سمع قوله ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [الآية: 74] علموا أن الوسائل ليس بها شيء وإنما الأمر بالابتداء والمشيئة.

﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ﴾ [الآية: 75] أي: مال كثير ومتاع كبير ﴿يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ﴾ [الآية: 75] كعبد الله بن سلام رضي الله عنه استودعه قرشي ألفاً ومائتين أوقية ذهباً فأداها إليه ﴿وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ﴾ [الآية: 75] أي: نحوه من درهم وشيء قليل ﴿لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ﴾ [الآية: 75] كفنحاص بن عازوراء استودعه قرشي آخر ديناراً فجحده وقيل المأمونون على الكثير النصارى إذ الغالب فيهم الأمانة والخائنون في القليل اليهود إذ الغالب عليهم الخيانة ﴿إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا﴾ [الآية: 75] أي: إلا مدة دوامك أيها الطالب قائماً على رأسه مبالغاً في مطالبته للمآرب ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 75] أي: ترك الأداء ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ﴾ [الآية: 75] أي: ليس علينا في شأن من لم يكن على ديننا عقاب ولا ذم وعتاب ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ [الآية: 75] في ادعائهم ﴿وَهُمْ

﴿يَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 75] أن هذا من افترائهم والحاصل أنهم استحلوا حرمة من خالفهم وقالوا لم يجعل في كتابنا احتراماً لهم.

﴿بَلَىٰ﴾ [الآية: 76] أي: عليهم سبيل منهم ﴿مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ﴾ [الآية: 76] في الإيمان وأداء الأمانة ﴿وَاتَّقَىٰ﴾ [الآية: 76] بترك العصيان والخيانة ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الآية: 76] للشرك والطغيان فيجازيهم بالإحسان ويعاقب غيرهم بالخسران والحرمان.

وقال الأستاذ: أخبر أنهم مع كفرهم وأنواع ضلالهم وإضلالهم متفاوتون
120/ب في أخلاقهم وأحوالهم وكلهم خونة في أمانة الدين/ ولكن منهم من يرجع إلى سداد معاملة وإن كانت معاملتهم بالصدق لا تنفعهم في إيجاب الثواب ولكن ينفعهم من حيث تخفيف العذاب إذ الكفار مطالبون بتفصيل الشرائع فإذا كانوا في كفرهم أقل ديناً كانوا بالإضافة إلى الآخرين أحق عذاباً وإن كانت عقوبتهم أيضاً مؤبدة ثم بين أنه ليس الحكم إليهم حتى ﴿قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ﴾ [الآية: 75] لتجري عليهم هذه الحالة أو تنفعهم هذه المقالة بل الحكم لله تعالى كما قال بلى من أوفى بعهده واتقى فصاحب الوفاء مستوجب للوصلة وأهل الكرامة ومستحق للمحبة وصاحب الخطأ مبعود عن القربة وأهل للمهانة ومتعرض للخجلة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 77] أي: يستبدلون بما عاهدوا الله عليه من الإيمان والوفاء بالأمانة ﴿وَأَيْمَـٰنِهِمْ﴾ [الآية: 77] أي: وبما أكدوا عهودهم بالإيمان المغلظة ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [الآية: 77] من أعراض الدنيا وأعواضها الدنية ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ﴾ [الآية: 77] أي: لا نصيب ولا حظ لهم ﴿فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [الآية: 77] من رحمة الله تعالى وسائر نعيم الأخروية ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 77] أي: بما يسرهم أو مشافهة بلا واسطة ﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ [الآية: 77] نظر عناية ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ [الآية: 77] أي: لا يثني عليهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الآية: 77] على أفعالهم وأحوالهم.

وأفاد الأستاذ: أن الذين آثروا هواهم على عقباهم وقدموا مناهم على

موافقة مولاهم أولئك لا نصيب لهم في الآجل ولا استماع بما اختاروا في العاجل خسروا في الدارين بقوا من الحق وما استمتعوا بالحظ جمع عليهم فنون المحن السرمدية والعقوبات الأبدية.

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ﴾ [الآية: 78] أي: من المحرفين في الدين ﴿لَفَرِيقًا يَلْوُنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ﴾ [الآية: 78] أي: يصرفونها بقراءته فيميلونها عن صرافته من المنزل إلى المحرف من الكتاب في تعبير الخطاب وتغيير الباب ﴿لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [الآية: 78] من جهة المبنى أو من طريقة المعنى ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ [الآية: 78] زيادة تشنيع عليهم وتسجيل على جرأة عظيمة لديهم في ادعائهم وافترائهم ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ [الآية: 78] فكيف على غيره سبحانه ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 78] أنهم كاذبون ويتعمدون فيما يفترون.

121/أ وأفاد الأستاذ: أن الإشارة من/ هذه الآية إلى المبطلين في الدعاوى في هذه الطريقة يزينون العبارات ويطلقون ألسنتهم بما لا خبر لقلوبهم من الحالات ولا لهم بذلك تحقيق في بشارة الإشارات تلبيساً على الأغبياء وتدليساً على الأغنياء حتى العوام وأهل البداية يتوهمون أن لهم تحقيق ما يقولونه بألسنتهم من طي المقالات وحالات أرباب النهاية قال تعالى في صفة هؤلاء: ﴿لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [الآية: 78] كذلك أرباب التدليس والتلبيس يروجون قالتهم على المستضعفين في المعرفة فأما أهل الحقائق وأسرارهم عندهم مكشوفة ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 78] أنهم كاذبون كذلك أهل الباطل في هذه الطريقة يتكلمون عن قلوب خربة وأسرار محجوبة ونعوذ بالله من استحقاق المقت في الوقت.

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ﴾ [الآية: 79] أي: الحكمة ﴿وَالنُّبُوَّةَ﴾ [الآية: 79] أو الحكومة والولاية ﴿ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [الآية: 79] أي قوموا بالخدمة على وجه العبودية والعبودة تكذيب ورد على عبدة عيسى عليه السلام وفي قوله ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [الآية: 79] إيماءً إلى أن

عبوديته لا تجتمع مع عبودية من سواه ﴿وَلَٰكِن﴾ [الآية: 79] يقول: ﴿كُونُوا رَبَّٰنِيِّۦنَ﴾ [الآية: 79] منسوبين إلى الرب في العبادة مخلصين له الدين أو إلى التربية للمريدين وإرشاد السالكين ﴿بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [الآية: 79] أي: لسبب كونكم معلمين لفظ الكتاب ومعناه للطلاب وبسبب كونكم تدرسون فيما بينكم وتداومون وتحافظون على علمكم وعملكم وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وتعلمون بمعنى عالمين فتدرسون من الدرس بمعنى التدريس كما قرئ به وفيه حث على الجمع بين العلم والعمل والتعليم فإنه الكمال والتكميل الموجب للتعظيم وقد روي من علم وعمل وعلم يدعى في الملكوت عظيماً(1) وكفى بالله عليماً قال الجريري ﴿كُونُوا رَبَّٰنِيِّۦنَ﴾ [الآية: 79] سامعين من الله ناطقين بالله.

وقال الواسطي: هم الذين يملكون الأشياء ولا يملكهم شيء.

وقال الأستاذ: ليس من صفة من اخترناه للنبوة واصطفيناه للولاية أن
121/ب يدعو الخلق إلى نفسه أو يقول بإثبات/ نفسه وحظه لأن اختياره إياهم للنبوة والولاية يتضمن في عصمتهم وحفظهم عن ما لا يجوز من المقالة فتجويز ذلك في مقالهم منافٍ لحالهم وإنما دعاء الأنبياء والأولياء الخلق إلى الله سبحانه وهو معنى قوله ﴿وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّٰنِيِّۦنَ﴾ [الآية: 79] وهم العلماء بالله الحكماء في الله القائمون بالله الفانون عن غير الله المستهلك حظوظهم المستغرقون في حقائق وجوده عن إحساسهم بأحوال أنفسهم ينطقون بالله ويسمعون بالله وينظرون بالله فهم بالله بمحو ما سوى الله ويقال الرباني من هو محق في وجوده ومحو عن شهوده فالقائم عنه غيره والمجري لما عليه سواه ويقال الرباني الذي لا يستفزه محنة ولا تهزه نعمة فهو على حالة واحدة في اختلاق الطوارق المتعددة ويقال الرباني الذي لا يبالي بشيء من الحوادث بقلبه وسره وإن كان لا يقصر في شيء من الشرع بفعله وأمره بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون من توالي إحساني إليكم وتضاعف نعمتي لديكم ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ

(1) عون المعبود (4/ 229) رقم (1452).

أَن تَتَّخِذُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًاۗ﴾ [الآية: 80] قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة بالنصب عطفاً على يقول ولا مزيدة لتأكيد معنى النفي والمعنى ليس لبشران يستنبئه الله ثم يأمر الناس بعبادة نفسه خصوصاً ولا أن يأمرهم باتخاذ الملائكة والنبيين أرباباً عموماً ورفعه الباقون على الاستئناف أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون منقاودون لله مخلصون وهو استفهام تعجيب أو إنكار وترهيب

وأفاد الأستاذ: أنهم لا ينسبون إليهم ذرة من الإثبات في الخير والشر ويقال يعرفكم حد البشرية وحق الربوبية وأدب العبودية ويقال يأمركم بتوقيرهم من حيث الأمر والشريعة وتحقير قدر الخلق بالإضافة إلى مرتبة الربوبية ﴿أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [الآية: 80] أيأمركم بإثبات الخلق بعد شهود الحق ويقال يأمركم بمطالعة الأشكال ونسبة الحدثان إلى الأمثال بعد أن لاح في أسراركم أنوار التوحيد وطلعت في قلوبكم شموس التفريد.

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الآية: 81] أي: الأنبياء والمرسلين ومن تبعهم من الأمم الأولين ﴿لَمَآ ءَاتَيْتُكُم﴾ [الآية: 81] وفي قراءة نافع لما آتيناكم ﴿مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ﴾ [الآية: 81] اللام/ موطئة للقسم لأن أخذ الميثاق بمعنى 122/أ
الاستحلاف وما شرطية أو خبرية ومن بيانية وقرأ حمزة بكسر اللام على أن ما مصدرية ومن تبعيضية والمراد بالحكمة النبوة والرسالة أو الحكومة والمكانة بالولاية ﴿ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ﴾ [الآية: 81] أي: عظيم وهو محمد ﷺ ﴿مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ﴾ [الآية: 81] أي: موافق لأصولكم المتفق عليها عندكم ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ [الآية: 81] أي: في أمر دينه ولذا قال ﷺ لو كان موسى حياً لما وسعه إلا اتباعي[1] وكذا عيسى إذا نزل من السماء لا يكون إلا من أتباعي ومثل هذا لم يتصور في حق نبي قبله ولا بعده والظاهر أن هذا الميثاق الخاص كان يوم الميثاق العام وهو الملائم لأن يكون بشهادة التوحيد والربوبية مقرونة بشهادة النبوة والعبودية إظهاراً لربوبيته العلية ومنزلته البهية وقد ورد أنه ﷺ أول من قال بلى وذلك لظهور نوره أولاً بل ولا كان وجود موجود لولا أوان هذا في عالم

(1) سبق تخريجه.

الأرواح قبل ظهور الأشباح كما يشير إليه قوله ﷺ كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد[1] فهو نبي الأنبياء في عالم الابتداء كما صار إمام الأنبياء في ليلة الإسراء ويكون شفيع الأنبياء يوم اللقاء حين اجتماعهم تحت اللواء رزقنا الله ذلك الإيواء ﴿قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ﴾ [الآية: 81] أي: اعترفتم ﴿وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِيۖ﴾ [الآية: 81] أي: وقبلتم على ما ذكرت لكم عهدي ﴿قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَاۚ﴾ [الآية: 81] وأخذنا وحذف لِلاكتفاء ﴿قَالَ فَٱشْهَدُواْ﴾ [الآية: 81] قال فليشهد بعضكم على بعض أو أشهدوا على أنفسكم وأممكم أو الخطاب للملائكة ﴿وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [الآية: 81] وهو تأكيد عظيم وتحذير جسيم.

﴿فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 82] أي: أعرض بعد هذا الميثاق الواقع عليه الاتفاق ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [الآية: 82] أي: المتمردون من أهل الكفر والنفاق.

وقال الأستاذ: أخذ الله ميثاق محمد ﷺ على جميع الأنبياء عليهم السلام كما أخذ ميثاقهم في الإقرار بربوبيته سبحانه وهذا غاية تعظيم ونهاية تكريم حيث قرن اسمه باسم نفسه وأثبت قدره كما أثبت قدر نفسه فلا يوجد له في الخاصية نظير في الرتبة ثم سهل سبيل الكافة في معرفة جلالته بما
122/ب أظهر على يده من المعجزة فمن حاد عن سُنَّته أو زاغ عن اتباع طريقته/ بعد ظهور دليله ووضوح معجزته فأولئك هم الذين خست درجتهم ووجب المقت عليهم بجحدهم وسقوطهم عن تعلق العناية بهم.

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ﴾ [الآية: 83] بالغيبة لأبي عمرو وحفص أي: أيتولون فيطلبون غير دين الله الذي اجتباه ولأنبيائه ارتضاه ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية: 83] أي: ولأمره وقضائه وحكمه انقاد من في عالم العلويات والسفليات ﴿طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [الآية: 83] أي طائعين خاشعين خاضعين

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (2/ 665) رقم (4209)، والطبراني في المعجم الكبير (12/ 92) رقم (12571)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/ 585) رقم (3609)، وأحمد في المسند (4/ 66) رقم (16674).

كالملائكة والمؤمنين وكارهين مسخرين مذللين كالمشركين والمنافقين بأنهم لا يقدرون أن يمتنعوا عما قضى عليهم في أمر الدنيا والدين فهم أرباب العدل كما أن الأولين أصحاب الفضل فلا إكراه ولا ظلم في الفضل فإنه سبحانه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون عما فعل كل أحد أو لم يفعل وفي الحقيقة منشأ الاختلافات الحالية إنما هو مقتضى الصفات الجمالية والنعوت الجلالية فافهم هذه النكتة الإيمانية ولا تلج في لجة البحار الأزلية من الحكومات القضائية والقدرية التفصيلية ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [الآية: 83] بالغيبة لحفص على أن الضمير لمن باعتبار معنى الجمعية.

وأفاد الأستاذ: أن من لاحظ غير الحقيقة أو طالع سواه في توهم الإلهية كـ (رأى) السراب ظنه ماء فلما أتاه وجده هباء وله أسلم طوعاً لإسبال أنوار التجلي على أسرارهم وكرهاً لإجراء حكم الإلهية.

﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ [الآية: 84] أي: معشر المسلمين وقدم لأن الإيمان به مستلزم لما بعده وللإشعار بتقديم رتبة نبينا وجلالة كتابنا من حيث نسخ ما قبله ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الآية: 84] من الصحف بطريق الأصالة ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ﴾ [الآية: 84] كيوسف وغيره عليه السلام على وجه التبعية ﴿وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ﴾ [الآية: 84] من التوراة ﴿وَعِيسَىٰ﴾ [الآية: 84] من الإنجيل ﴿وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ﴾ [الآية: 84] تعميم بعد تخصيص يدفع حصر الأنبياء وكتبهم ويقيد الإيمان الإجمالي بكلهم ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ [الآية: 84] بالتصديق والتكذيب بخلاف اليهود والنصارى حيث آمنوا ببعض وكفروا ببعض ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [الآية: 84] أي؛ منقادون في طاعته مخلصون في عبادته.

وقال الأستاذ: أي بالله آمنا لا بنفوسنا ولا بحولنا وقوتنا ولا بجهدنا واكتسابنا ولولا أنه عرفنا من هو وإلا متى علمنا/ أنه من هو. 123/ أ

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا﴾ [الآية: 85] أي: من يطلب ديناً غير دين الإسلام وهو الاستسلام التام ﴿فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [الآية: 85] أي: في جميع الأحكام

﴿وَهُوَ فِي ٱلْأٓخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الآية: 85] أي: الكاملين في خسارة التجارة حيث باع العقبى بالدنيا واختار السوى على المولى.

قال سهل الإسلام: هو التفويض التام فمن لم يفوض إلى مولاه في جميع أحواله لن يقبل شيء من أعماله.

وأفاد الأستاذ: أن من سلك غير الحمود تحت جريان حكمه سبيلاً قلت قدمه في وهدة من المغاليط لا مدى لقعرها ويقال: من توسل إليه بشيء دون الاعتصام به فخسرانه أكثر من ربحه ويقال: من لم يفن عن شهود الكل [لم] يصل إلى من به الكل ويقال: من لم يمش تحت راية المصطفى في قدره المعلى في وصفه لم يقبل منه شيء ولا ذرة ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟﴾ [الآية: 86] أي: والحال أقروا ﴿أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ [الآية: 86] أي: الدالة على أن كلامه صدق وهو استبعاد أن يهديهم بعد الارتداد فإن الجائر عن الحق بعد ما وضح له الأمر الصدق بعيد عن الرشاد ومستبعد عن قبول الإرشاد واستفهام نفي وإنكار لإيمانهم ممن علم الله بشأنهم على كفرانهم.

وأفاد الأستاذ: أن من أبعده عن استحقاق الوصلة في سابق حكمه وفق حكمته متى يقربه إلى بساط الخدمة بفضله في وقته ويقال: الذي أقصاه حكم الأزل متى أدناه صدق العمل والله غالب على أمره بحكم قضائه وقدره ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية: 86] الذين ظلموا أنفسهم باختيار الكفر على الإيمان بعد ظهور الحق وتبيان العيان.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 87] أي: أصالة ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [الآية: 87] تبعيته والمراد بالناس عمومهم فإنهم يلعنون منكر الحق ويسبونهم.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ [الآية: 88] أي: في اللعنة والعقوبة أو النار الدالة عليها اللعنة الموجبة ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ [الآية: 88] بل يزاد فوقه الحجاب ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [الآية: 88] يمهلون ساعة من العقاب.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 89] أي: بعد ارتداد ﴿وَأَصْلَحُوا۟﴾ [الآية:

89] أي: وتداركوا ما عملوا من الفساد ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ [الآية: 89] أي: يقبل توبة العباد ﴿رَّحِيمٌ﴾ [الآية: 89] بتفضل على العبّاد.

وأفاد الأستاذ أن أولئك قصارى حالهم ما سبق لهم من حكمة في ابتداء أمرهم ابتداؤهم رد القسمة ووسائطهم الصد عن الخدمة ونهايتهم/ المصير إلى 123/ب
الطرد والذلة خالدين في تلك المذلة لا يفتر عنهم العذاب لحظة ولا يخفف عنهم الفراق دونهم ساعة إلا الذين تداركتهم الرحمة ولم يكونوا في سبق السبق من تلك الجملة وإن كانوا في توهم الخلق أنهم من تلك الزمرة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ﴾ [الآية: 90] كاليهود كفروا بعيسى والإنجيل بعد الإيمان بموسى والتوراة ﴿ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا﴾ [الآية: 90] بمحمد ﷺ والقرآن ﴿لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ﴾ [الآية: 90] لأنهم لا يتوبون كما علم الله منهم أو لأنهم لا يتوبون إلا عند حلول البأس أو نزول اليأس وتلك التوبة غير مقبولة عنهم بل مردودة عليهم ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الآية: 90] أي: في ضلالهم ثابتون وعلى كفرهم مصرون.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة منه أن الذين رجعوا إلى أحوال أهل العادة بعد سلوكهم طريق الإرادة وآثروا الدنيا ومطاوعة الهوى على طلب الحق سبحانه وتعالى ثم أنكروا على أهل الطريقة وازدادوا في وحشة ظلماتهم على الحقيقة لن تقبل توبتهم ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الآية: 90] عن طريق الحق فإنه لا يقبل الأمانة بعد ظهور الخيانة وعقوبتهم أنهم على ممر الأيام لا يزدادون إلا نفرة قلب عن الطريقة ولا يتحسرون إلا على ما فاتهم من صفاء الحالة ولو أنهم رجعوا عن إصرارهم [لها] لقبلت توبتهم ولكن الحق سبحانه أجرى سُنَّته مع أصحاب الفترة في هذه الطريقة إذا رجعوا إلى أحوال أهل العادة إذ لا يتأسفوا على ماضي أوقاتهم قال الله تعالى ﴿وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ﴾ [الأنعام، الآية: 110] وأن المرتد عن الإسلام لأشد عداوة للمسلمين من الكافر الأصلي فكذلك الراجع عن هذه الطريقة لأشد إنكاراً لها وأكثر اعتراضاً على أهلها من الأجنبي عنها.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الآية: 91] أي: حال حياتهم ﴿وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ﴾ [الآية: 91] عند مماتهم ﴿فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم﴾ [الآية: 91] حين بعثهم وإرادة عذابهم ﴿مِّلۡءُ ٱلۡأَرۡضِ ذَهَبٗا﴾ [الآية: 91] أي: قدر ما يملؤها من الذهب ونحوه فداءً له ﴿وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾ [الآية: 91] أي: ولو تحقق افتداؤه بملئها ذهباً لا ينفعه فالأول فرضي والثاني وقوعي وتحقيقه إن هذه الواو إنما يؤتى بها حيث يراد تحقق الحكم السابق على تقدير الشرط وعدمه حتى ذهب بعضهم إلى أنها للعطف على محذوف هو نقيض الشرط المذكور أي: لو لم يفتد به ولو افتدى به والمقصود
124/أ هاهنا عدم قبول الفدية سواء وجدت أو لم توجد والله أعلم/ أو التقدير فلن يقبل من أحدهم ملؤ الأرض ذهباً لو تقرب به في الدنيا ولو افتدى به من العذاب في العقبى أو المعنى ولو افتدى بمثله في الفداء ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [الآية: 91] من شفيع ولا حميم.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة منه لمن مات بعد فترة وإن كانت له بداية حسنة فلا يحشر في الآخرة مع أهل هذه القصة ولو تشفع له ألف عارف لدفع القصة بل من كمال المكر معه أنه يلقى شبهة في الآخرة حتى يتوهم معارفوه من أهل المعرفة أنه هو فلا يخطر ببال أحد أن يشفع له.

﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ﴾ [الآية: 92] أي: حقيقة البر منكم الذي هو كمال الخير لكم أو لن تنالوا بر الله الذي هو الرضا والرحمة والجنة والوصلة ﴿حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾ [الآية: 92] أي: من المال وبذل الجاه في مرضاة الله وإذابة البدن في عبادته وإراقة المهجة في طاعته ومن للتبيين أي: شيئاً تحبونه أو للتبعيض ويقويه أنه قرأ بعض ما تحبون وهو يفيد أن الكل بالأولى يفيد المرتبة الأعلى.

قال الواسطي: الواسطة إلى البر بإنفاق بعض المحاب والوصول إلى البار بالتخلي عن الكون وما فيه من كل باب.

قال ابن عطاء: لن تصلوا إلى قرب ربكم وأنتم منعطفون إلى حظ نفسكم.

وأفاد الأستاذ: لما كان وجوه البر ذكر فيه من التي هي للتبعيض فمن

أراد البر فلينفق مما يحبه ومن أراد البار فلينفق جميع ما يحبه ومن أنفق محبوبه من الدنيا وجد مطلوبه من المولى ومن كان مربوطاً بحظ نفسه لم يحظ بقرب ربه ويقال إذا كنت لا تصل إلى البر إلا بإنفاق محبوبك فمتى تصل إلى البار وأنت تؤثر عليه حظك وفي «العرائس» نفائس في هذا الباب تركت ذكرها مخافة الأطناب ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ﴾ [الآية: 92] أي: محبوب فيه أو مرغوب عنه أو قليل وكثير أو جليل وحقير ﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [الآية: 92] فيجازيكم عليه من فضله الكريم.

وقال الأستاذ: منهم من ينفق على ملاحظة العوض والجزاء ومنهم من ينفق على مراقبة رفع المحن ودفع البلاء ومنهم من ينفق اكتفاءً بعلمه سبحانه وإرادة الرضا وطلب الثناء كما قال قائلهم:

ويهتز للمعروف في طلب العلى لتذكر يوماً عند سلمى شمائله[1]

/ ﴿كُلُّ الطَّعَامِ﴾ [الآية: 93] أي: المطعومات من المأكولات والمشروبات 124/ب
والمراد تناولها ﴿كَانَ حِلًّا﴾ [الآية: 93] أي: حلالاً ﴿لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ﴾ [الآية: 93] أي: يعقوب عليه السلام ﴿عَلَى نَفْسِهِ﴾ [الآية: 93] كلحوم الإبل وألبانها بأمر من ربه أو باجتهاد من عنده ﴿مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ﴾ [الآية: 93] لأنها كانت محرمة على إبراهيم ومن قبله من الأنبياء عليهم السلام كما ادعته اليهود وأسندوه إلى كتابهم ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الآية: 93] فبهتوا ولم يجسروا أن يخرجوا التوراة وفيه دليل على نبوته وافترائهم في حرمته.

﴿فَمَنِ افْتَرَى﴾ [الآية: 94] أي: ابتدع واخترع ﴿عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِن بَعْدِ ذَلِكَ﴾ [الآية: 94] أي: بعد ما ألزمه الحجة بما هنالك ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الآية: 94] أي: المكابرون المعاندون.

وأفاد الأستاذ: إن الأصل في الأشياء أن لا شرع فيها بالتحليل والتحريم فما لا يوجد فيه حد فذلك من الحق سبحانه توسعة ورفق إلى أن يحصل فيه

(1) نسب إلى كثير. انظر: ديوان المعاني (1/ 111).

أمر وشرع فإن الله وسع أحكام التكليف على أهل النهاية فسبيلهم الأخذ بما هو الأسهل لتمام ما هم به من أحكام القلوب فإن الذي على قلوبهم من المشاق أشد وأما أهل البداية فالأمر مضيق عليهم في الوظائف والأوراد فسبيلهم الأخذ بما هو الأشق والأصعب لفراغتهم بقلوبهم من المعاني فمن ظن بخلاف هذا فقد غلط والإشارة من هذه الآية أيضاً في قوله ﴿فَمَنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ﴾ [الآية: 94] إلى أحوال أهل الدعاوى والمغاليط فإنهم يخلون بنفوسهم فينسبون إلى الله هواجسها والله بريء عنها وعزيز عبد يفرق بين الخواطر والهواجس.

ومن «**نفائس العرائس**» الإشارة فيه إلى أهل هذه القصة يجوز لهم أن يتركوا شيئاً من المأكولات من جهة المجاهدات واختيار الرياضات لا من جهة تحريم الطيبات وأيضاً فيه إشارة إلى ترك اللحوم على الدوام لما فيها ضرارة كضرارة الخمر من جهة المجاهدة لا من جهة التحريم والمضاددة وأيضاً حرم نبي الله يعقوب عليه السلام على نفسه أشهى طعام فالإخبار عنه تعليم لله تعالى أهل محبته ليتركوا ما أحب إليهم من الأطعمة الشهية وما تشتهي أنفسهم من زهرة الدنيا ولذتها الدنية.

125/ أ ﴿قُلۡ صَدَقَ ٱللَّهُۗ﴾ [الآية: 95] أي: في هذا أو غيره ﴿فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ﴾ [الآية: 95] أي: ملّة الإسلام التي هي في الأصل ملّة إبراهيم عليه السلام أو مثل ملّته الحنيفية حتى يتخلصوا من اليهودية المقتضية للافتراء الموجب للأعراض الدنيوية والأعراض النفسية الدنية ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الآية: 95] بل كان موحداً صرفاً في أعلى مراتب اليقين وفيه تعريض باليهود وغيرهم من كفار مكة في دعواهم أنهم على ملّة إبراهيم مع إشراكهم في الدين.

وأفاد الأستاذ: أن ملّة إبراهيم الخروج إلى الله بالكلية والتسليم لحكمه من غير أن تبقى بقية وإثبات ذرة في الحسبان من الإثبات للحدثان شرك في التحقيق عند أهل العرفان.

ومن «**نفائس العرائس**» أن ملّة إبراهيم الشوق والعشق والمحبة والخلة

والفتوة والمروءة والشجاعة والسخاوة والحلم والأمانة والديانة والكرامة وإكرام الضيف والصبر في البلاء والشكر في النعماء والهجرة والخروج عن الله بالكلية والتأوه والصدق والإخلاص والتوحيد والتجريد والتفريد والسماع والوجد والإنصاف بصفة الحق من رسوم البشرية وبهذه الخصال صار إماماً للعارفين وأمر الله أحب عباده إلى متابعته وموافقته في جميع أحواله ومن زاغ عن طريقه ولو ذرة فيكون النفس له صنماً قال تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة: 130] وقوله ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الآية: 95] أي: لم يمل من الحق إلى جبرائيل حيث عرض عليه اللياذة بقوله ألك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا[1] لم يداهن في دينه لمحبة أبويه وقال: ﴿إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: 78] وقال: ﴿إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات: 99] وكسر أصنام الكفر بفأس الحمية وبذل في محبته الأموال والأولاد لا يخاف في الله لومة لائم ولأجل ذلك قال: ﴿فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [الآية: 95] وأيضاً نفى عنه خاطر الشك حيث قال: ﴿أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [البقرة: 260] بقوله: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الآية: 95].

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ [الآية: 96] أي: لعبادتهم وجعل متعبداً لطاعتهم والواضع هو الله ويدل عليه أنه قرئ بصيغة الفاعل ﴿لَلَّذِى بِبَكَّةَ﴾ [الآية: 96] أي: للبيت الذي بمكة فإنها لغة فيها وسميت بها لأنها تبك أعناق الجبابرة عليها أو لازدحام الناس إليها وقد روي أنه كان في موضعه قبل آدم بيت يقال له الصرداح[2] لأنه صرح من الأرض وأبعد وهو المشهود ببيت المعمور المحاذي إلى السماء الرابعة المحاذي إلى البيت المذكور يطوف به الملائكة فلما هبط آدم أمر بأن يحجه ويطوف حوله ثم رفع في الطوفان إلى السماء الرابعة/ يطوف به 125/ ب
الملائكة كل يوم سبعون ألفاً لا يحصل لهم الاعادة وهو لا ينافي ظاهر الآية فإن موضع التشريف هو تلك البقعة الكريمة والجهة المعينة العظيمة وهو لا يمكن رفعها وإنما رفع البيت الموضوع محلها المتشرف بوضعه في مكانها

(1) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (2/ 28) رقم (1077).
(2) المكان الواسع الأملس. انظر: لسان العرب (2/ 512).

العلي شأنها ثم بناه إبراهيم عليه السلام في تلك البقعة ثم هدم فبناه قوم من جرهم وهم حي من اليمن أصهار إسماعيل عليه السلام ثم العمالقة من ملوك مصر أو الشام ثم قريش قبل بعثته عليه السلام ثم عبد الله بن الزبير بناءً على حديثه ﷺ[1] وعلى طبق ما قصد به من المرام من فتح باب غربي وإدخال الحطيم فيه على وجه تمام النظام فتعقبه الحجاج وسد الباب الثاني وأخرج الحطيم ورد الجدار الذي يليه إلى ما كان عليه ولعل الحكمة في ذلك أن كل أحد يتمكن من دخول البيت في الجملة ولو بالدليل الظني وإن تميز ما ثبت من البيت بالدليل القطعي عن غيره مراعاة للأحوط اليقيني في استقبال الصلاة التي هي الركن الديني وبسبب تعظيم هذه البقعة بعد اصطفاء الله ما شاء من الأفراد الإنسانية والحيوانية والأشياء الجمادية والنباتية والأحوال الزمانية والمكانية أن الله سبحانه على ما ورد في بعض الآثار وروي في بعض الأخبار عن بعض الأحبار من الأخيار لما خلق الله عرشه على الماء قبل خلق الأرض والسماء نظر إلى الماء وتجلى على الهواء فتموج واضطرب الماء وخرج منه دخان مرتفع خلق منه السماء وتزبد فوق الماء قطعة مقدار البقعة فجعلت الأرض منها ودحيت من جوانبها وأطرافها، ولذا سميت أم القرى ثم لما كانت تميد وتميل مراراً ولم تستقر قراراً خلق الله الجبال أوتاداً وألقاها عليها اشتداداً وأولها جبل أبو قبيس المسمى بأم الجبال اعتماداً ثم وقع البناء على تلك البقعة للدلالة على الوقعة إرشاداً ﴿مُبَارَكًا﴾ [الآية: 96] كثير الخير المعنوي والنفع الدنيوي والأخروي لمن حجه واعتمره واعتكف دونه وطاف حوله خصوصاً ﴿وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الآية: 96] أي: عموماً لأنه قبلة لحيهم وميتهم وسبب هداية إلى جهة عبادتهم وأدب جلستهم في طاعتهم.

وأفاد الأستاذ: أن البيت حجرة والعبد مدرة فربط المدرة بالحجرة فالمدر مع الحجر وتقدس وتعزز من لم يزل عن الغير ويقال البيت/ مطاف النفوس والحق سبحانه مقصود القلوب البيت أطلال وآثار ورسوم وأحجار ولكن 126/أ

---

(1) الحديث: «لولا أنّ قومك حديثو عهد بشرك لهدمت الكعبة... وجعلت لها بابين...».

إنّ آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار[1]

ويقال البيت حجر ولكن ليس كل حجر كالذي يجانسه من الحجر فإنه لقلوب الأحباب مزعج لا بل لأكباد الفقراء منضج بل لقلوب قوم مثلج مبهج هو بيت مقصد الأحباب ومزارهم وعنده يسمع أخبارهم ويشهد آثارهم بيت من طالعه بعين التفرقة عاد بسر خراب ومن لاحظه بعين الإضافة حظي بكل تقريب وإيجاب بيت كما قيل:

إنّ الديار وإن طمست فإن لها عهداً بأحبابنا إذ عندها نزلوا[2]

بيت من زاره بنفسه وجد ألطافه وعناياته ومن شهده بقلبه نال كشوفاته ومشاهداته ويقال: قال سبحانه ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾ [الحج: 26] فأضافه إلى نفسه وقال هنا إن ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ [الآية: 96] وفي هذا طرف من الإشارة إلى عين الجمع وسميت مكة بكة لازدحام الناس عليه فالكل يتناجزون على البدار إليه ويزدحمون في الطواف حواليه ويبذلون المهج في الطريق وهم مقبلون عليه في التحقيق والبيت لم يخاطب أحد منذ بني بسينه ولم يستقبل واحد بخطوة ولا أرسل أحداً برسالة فإذا كان البيت الذي خلقته للحجّ هذا وصفه في التعزز فما ظنك بمن البيت له فيما يرويه عن ربه قال ﷺ: «الكبرياء ردائي والعظمة إزاري»[3] ويقال: إذا كان البيت المنسوب إليه لا تصل من ناحية من نواحيه إلا بقطع المفاوز والمتاهات فكيف تطمع أن تصل إلى رب البيت بالهوينا دون تحمل المشقات ومفارقة الراحات ويقال لا تعلق قلبك بأول بيت وضع لك ولكن أفرد سرك لأول حبيب آثرك ويقال شتان بين عبد اعتكف عند أول بيت وضع له وبين عبد لازم حضرة أول عزيز كان له ويقال ازدحام الفقراء حول البيت بهممهم ليس بأقل من ازدحام الأغنياء الطائفين بقدمهم ويقال الكعبة بيت

(1) ذكره القشيري في تفسيره (7/ 294).

(2) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 357).

(3) أخرجه الحاكم في المستدرك (1/ 129) رقم (203)، وابن ماجه في السنن (2/ 1397) رقم (4174)، وابن حبان في الصحيح (2/ 35) رقم (328)، وأبو داود في السنن (4/ 102) رقم (4092).

الحق سبحانه في الجهر والقلب بيت الحق سبحانه في السر قال قائلهم:

لست من جملة المحبين إن لم ... أجعل القلب بيته والمقاما
وطوافي إجالة السير فيه ... وهو ركني إذا أردت استلاما[1]

126/ب /فاللطائف بقلوب العارفين والحقائق تعتكف في قلوب الموحدين والكعبة مقصود حج العبد والقلب مقصود الحق بإفراده إياه بالتوحيد والوجد وقوله ﴿مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الآية: 96] بركاته اتصال الألطاف والكشوفات فمن قصده بهمة ونزل عليه بقصده هداه إلى طريق رشده.

﴿فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ﴾ [الآية: 97] كانحراف الطيور عن موازاة البيت على مدى الأعصار وإن ضواري السباع تخالط الصيود في الحرم بلا أضرار وإن كل جبارٍ وقصده بسوء كأصحاب الفيل أهلكه وقهره الملك القهار وكذا ذكره المفسرون والمؤرخون لكن في الآيتين الأوليين نظر ظاهر لأنهما خلاف مشاهدة الحاضر ولعلهما كانتا أيام الجاهلية للدلالة على تعظيم البقعة العلية ولما جاءت الشريعة السنيَّة والآيات النقلية والدلالات العقلية الدالة على تعظيم الكعبة البهية ارتفعت العلامات الحسية والصورية اكتفاءً بالحقائق المعنوية على أنه قد قيل أن جلوس بعض الطيور فوق البيت الشريف إنما هو استشفاء لما فيه من الداء ببركة قرب المحل المنيف ويؤيد ما قدمنا قول الأستاذ ولكن لا يدرك تلك الآيات بإبصار الرؤوس ولكن ببصائر القلوب.

وقال السلمي: ﴿فِيهِ ءَايَٰتٌۢ﴾ [الآية: 97] أي: علامات ظاهرة يستدل بها العارف على معروفه ولا بعيد أن يقال ﴿فِيهِ﴾ [الآية: 97] أي جمع حواليه ﴿ءَايَٰتٌۢ﴾ [الآية: 97] أي: علامات بينات أي: واضحات ودلالات لائحات من المشاعر العظام منها ﴿مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الآية: 97] لأنه خارج عن داخل البيت الكريم أو بدل من الآيات بدل البعض من الكل أو عطف على بيان أن المراد بالآيات أثر القدم في الصخرة الصماء وغوصها فيها إلى الكعبين على وجد الإبداء من الابتداء إلى الانتهاء وتخصيصها بهذه إلا لأنه من بين الصخار وسائر

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 357) و(5/ 186).

الأشياء وإبقاؤه دون سائر آثار الأنبياء وحفظه ألوف سنة مع كثرة الأعداء ويريد البيان أنه قرئ آية بينة على توحيد البناء وسبب هذا الأثر أنه لما ارتفع بنيان الكعبة قام إبراهيم على هذا الحجر ليتمكن من رفع الحجارة فغاصت فيه قدماه وظهر هذا الأثر وفي بعض الآثار أنه لما فرغ من بناء البيت أمر بنداء الناس إليه فصعد عليه ونادى الخلق لديه وقال: أيها الناس حجوا/ بيت ربكم فقالوا في عالم 127/ أ
الأرواح والأصلاب والأرحام لبيك لبيك بعدد ما كتب الله لهم من أحد التسكين.

وقال الشبلي: مقام إبراهيم الخلة فمن شاهد مقام الخليل فهو شريف ومن شاهد في المقام الحق الجليل فهو أشرف.

وأفاد الأستاذ: أن مقام إبراهيم في الظاهر ما تأثر بقدمه وفي الإشارة ما وقف الخليل عليه بهممه ويقال إن شرف مقام إبراهيم لأنه أثر الخليل ولأثر الخليل عند الجليل أثر جميل وخطر جزيل ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [الآية: 97] ليس الضمير راجعاً إلى المقام كما يتوهمه العوام فإنه لا يتصور فيه المرام بل هو عائد إلى نفس البيت أو حرمه وهو أبلغ في احترامه فيفيد أن من التجأ إليه لا يجوز الاعتراض عليه وقد ثبت في الحديث أن من مات في أحد الحرمين بعث يوم القيامة آمناً ويدل عليه صريحاً قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا﴾ [العنكبوت: 67] ويختطف الناس من حولهم والجملة خبرية مبنى وإنشائية معنى فالمراد من دخله فأمنوه أو من دخل بشرائط آدابه كان آمناً من عذاب الله وحجابه.

قال الثوري: من دخل قلبه سلطان الاطلاع كان من هواجس النفس ووساوس الشيطان آمنا.

وقال الواسطي: من دخله على الحقيقة كان آمناً من رعونات النفس في الطريقة.

وأفاد الأستاذ: أن مقام إبراهيم التسليم ومن كان مسلماً لأموره إلى الله لم يبق له اختيار فإذا لم يبق له اختيار كان آمناً لأن ضد الأمن الخوف والخوف إنما يكون على أن لا يحصل مرادك على ما تريد فإذا لم يكن للعبد إرادة ولا اختيار فأي مساغ للخوف في وصفه ويقال إن قيل أن الكناية بقوله

دخله راجعة إلى البيت فمن دخل بيته على الحقيقة كان آمناً وذلك أن يكون دخوله على وصف الأدب ولا محالة دخول البيت تسليم الأمور إلى رب البيت فإن من لم يكن صاحب التسليم فهو معارض للتقدير ودخول البيت إنّما الأدب فيه أن يكون دخولاً على التسليم دون المعارضة والنزاع فيؤول إلى المعنى المتقدم وإن جعلت الإشارة من البيت إلى القلب فمن دخل قلبه
127/ب سلطان الحقيقة أمن من نوازع البشرية وهواجس النفسية/ فإن من التجأ إلى ظل الملك لم يتخط إليه محظور ويقال لا يكون دخول البيت على الحقيقة إلا بخروجك عنك فإذا خرجت عنك صح دخولك في البيت وإذا خرجت عنك أمنت ويقال دخول بيته لا يصح مع تعريجك في أوطانك ومعاهدك فإن الشخص الواحد لا يكون في حالة واحدة في مكانين فمن دخل بيت ربه فالحري أن يخرج عن معاهد نفسه ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [الآية: 97] متعلق بالعامل في الخبر وهو لله أي يجب عليهم ﴿حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ [الآية: 97] أي: قصده للزيارة على الوجه المخصوص في الشريعة وقرأ حفص وحمزة والكسائي بالكسر وهو لغة نجد ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًاۚ﴾ [الآية: 97] بدل من الناس مخصص له والضمير في إليه للبيت أو الحج والمعنى من قرأ في نفسه فلا يلحقه المشقة في ركوبه وله القدرة على الراحلة وملك النفقة لذهابه وإيابه فاضلاً عما لا بد له منه فقد وجب عليه الحج وقد روى رسول الله ﷺ الاستطاعة بالزاد والراحلة(1) ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ [الآية: 97] بامتناعه عن الحج وقبول فرضه أو باستحلال تركه فلا يضر إلا نفسه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الآية: 97] أي: عباد الخلق أجمعين أو المراد بالكفر كفران النعمة أو قرب الكفر بقربان المعصية المؤدية إلى سوء الخاتمة وقيل: وضع كفر موضع لم يحج تأكيداً لوجوبه وتغليظاً على تاركه ولذا ورد من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهودياً أو نصرانياً وتخصيصها بالذكر لأنهما لم يقولا بفريضة الحج عليهما.

---

(1) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح (5/ 225) رقم (2998)، وابن أبي شيبة في المصنف (3/ 433) رقم (15714)، وابن ماجه في السنن (2/ 967) رقم (2897)، والطبراني في المعجم الكبير (11/ 235) رقم (11596).

وأفاد الأستاذ: إن شرط الغني أن لا يدخر عن البيت شيئاً من ماله وشرط الفقير أن لا يدخر عن الوصول إلى نيته نفساً من روحه ويقال الاستطاعة فنون فمستطيع بنفسه وماله وهو الصحيح السليم ومستطيع بغيره وهو الزمن المعضوب وثالث غفل الأكثرون عنه وهو مستطيع بربه وهذا نعت كل مخلص متحقق فإن عطاياه لا يحملها إلا مطاياه ويقال حج البيت فرض على أصحاب الأموال وحج رب البيت فرض على أرباب الأحوال وقد ينسد الطريق إلى البيت ويمنع الحاج عن البيت ولكن لا ينسد الطريق إلى رب البيت ولا يمنع الفقير عن رب البيت ويقال الحج هو القصد إلى من تعظمه فقاصد بنفسه إلى زيارة البيت وقاصد بقلبه إلى شهود رب البيت فشتان بين/ 128/أ
حج وحج فهؤلاء تحللهم عن إحرامهم عند قضاء نسكهم وأداء فرضهم وهؤلاء تحللهم عن إحرامهم عند شهود ربهم فأما القاصدون بنفوسهم فأحرموا عن المعهودات من محرمات الإحرام وأما القاصدون بقلوبهم فإنهم أحرموا عن المساكنات وشهود الغير وجميع الأنام.

ويقال إن سبيل من حج البيت أن يقوم بآداب الحج فإذا عقد بقلبه الإحرام يجب أن يفسخ كل عقد يصده عن هذا الطريق وينقض كل عزم يرده عن هذا التحقيق وإذا تطهر تطهر كل دنس من آثار الأغيار بماء الخجل ثم بماء الحياء ثم بماء الوفاء ثم بماء الصفاء فإذا تجرد عن ثيابه تجرد عن كل ملبوس له من الأخلاق الذميمة فإذا لبى بلسانه وجب أن لا يبقى شعرة من بدنه إلا وقد استجاب لله فإذا بلغ الموقف وقف بقلبه وسره حيث وفقه الحق بلا اختيار ومقام ولا تعرض لتخصيص فإذا وقف بعرفات عرف الحق سبحانه وعرف له تعالى حقه على نفسه ويتعرف إلى الله بتبرئه عن منته وحوله والحق سبحانه يتعرف إليه بتوليه له بمنته وطوله فإذا بلغ المشعر الحرام يذكر لمولاه بنسيان نفسه ولا يصح ذكره لربه مع ذكره لنفسه فإذا بلغ مِن نفي عن قلبه كل طلب ومُنى وكل شهوة وهوى وإذا رمى الجمار رمى عن قلبه وحذف عن سره كل علاقة في الدنيا والعقبى فإذا ذبح ذبح هواه بالكلية وتقرب به إلى الحق سبحانه فإذا دخل الحرم عزم على التباعد عن كل محرم على لسان الشريعة

وبيان الطريقة وإشارة الحقيقة فإذا وقع طرفه على البيت شهد بقلبه رب البيت فإذا طاف بالبيت أخذ سره بالجولان في الملكوت فإذا سعى بين الصفا والمروة صفا عن كل كدورة بشرية وكل آفة إنسانية فإذا حلق قطع كل علاقة بقيت له فإذا تحلل من إحرام نفسه وقصده إلى بيت ربه استأنف إحراماً جديداً بقلبه فكما خرج من بيت نفسه إلى بيت ربه يخرج من بيته إلى ربه فمن أكمل نسكه فإنما عمل لنفسه ومن تكاسل فإن الله غني عن العالمين وقال ﷺ الحاج أشعث أغبر[1] فمن لم يتحقق بكمال الخضوع والذوبان عن كليته فليس بأشعث ولا أغبر.

128/ب ومن «نفائس العرائس» أضاف/الحج إلى نفسه لما فيه من آثار الربوبية وحقائق العبودية وأيضاً ألزم على عباده حق العبودية لأداء شكر الربوبية وأيضاً أضاف الحج في أول الآية لنفسه ونزه نفسه في آخرها ليعلم أهل خبرة العبودية له شفقة على عباده لأن العبادة ترجع إليهم بالثواب وهو منزه عن الأسباب والقاصدون إلى بيت الله على ثلاثة أقسام قسم منهم قاصدون إلى البيت بأموالهم وأنفسهم لطلب الثواب وقسم منهم القاصدون إلى البيت بقلوبهم الصافية عن الدنيا وما فيها لامتثال الأمر ومرضات رب الأرباب وقسم منهم القاصدون إلى مشاهدة رب البيت بأرواحهم العاشقة لطلب حقائق المعرفة والقربة وصفاء الوصلة وزيادة مشهد التجلي والتدلي فأهل الظاهر يحرمون عن المحظورات ويحلون عند فراغ العبادات وأهل الباطن يحرمون عن الكائنات ولا يحلون ما داموا في الدنيا إلى مشاهدة الذات وكشف الصفات فشتان بين من يحرم من المعهودات وبين من يحرم من المسكنات وشهود المكونات آهٍ ذهبوا وذهب معهم البركات وغربت بغروبهم في مغارب الأبد شموس الكرامات وأقمار الآيات رحمة الله عليهم من الأحياء والأموات.

---

(1) أورده القشيري في تفسيره بهذا اللفظ وقد عنون المحدثون أبواب الحديث بهذا اللفظ، لكن جاء بروايات أخرى في نفس المعنى.

وفي «النفائس» عرائس لم نذكرها خوفاً من الملالة الناشئة عن الهواجس.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 98] بآياته البقلية والعقلية والأفاقية والأنفسية وتخصيص أهل الكتاب بالخطاب دليل على أن كفرهم أقبح في هذا الباب وأنهم وإن زعموا أنهم مؤمنون بالتوراة والإنجيل فهم كافرون بكل كتاب لا سيما وهم منكرون الحج مردودون عن هذا الجناب.

وأفاد الأستاذ: أن الخطاب بهذه الآية تأكيد الحجة عليهم فمن حيث الشرع يؤكد الحجة عليهم ومن حيث الحقيقة والقهر يسد المحجة عليهم فهم مدعوون شرعاً وأمراً مطرودون حكماً وقهراً ﴿وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 98] أي: مطلع على أعمالكم وأحوالكم فيجازيكم بأقوالكم وأفعالكم.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ﴾ [الآية: 99] أي: تعرضون أو تمنعون الناس ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 99] أي: دينه وكتابه ونبيّه ﴿مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ [الآية: 99] حال كونكم باغين طالبين لها اعوجاجاً عن الحق وميلاناً عن الصدق بالتلبيس والتزوير أو التحريش بين الكبير والصغير/ ﴿وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ﴾ [الآية: 99] 129/ أ
أي: عارفون أنها سبيل الكمال وأن الصد عنها ضلال وإضلال ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 99] من الأفعال في كل الأحوال.

وأفاد الأستاذ: أنه كيف يصد غيره من هو مصدود في نفسه أن في هذا السر الربوبية أي: لتسليم العبودية.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الآية: 100] وهم طائفة من أهل الإضلال ﴿يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ﴾ [الآية: 100] من أهل الضلال فيرجعوا بعد علو الكمال إلى حضيض النكال والوبال في الحال والمآل.

وأفاد الأستاذ: أن الوحشة ليست بلازمة لأصحابها بل هي متعدية إلى كل من يحوم حولها فمن أطاع عدو الله أبى شؤم صحبته إلا لقاءه في وهدته ثم الآية نزلت في نفر من الأوس والخزرج حيين من الأنصار حين أغرى قوم من اليهود بينهم ليفتنوهم عن دينهم إلى أن تداعى بعضهم بعضاً إلى القتال

فتوجه إليهم رسول الله ﷺ وأصحابه وقال أتدعون الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد إذ أكرمكم الله بالإسلام وألف بينكم بالاجتماع والتضام فألقوا السلام وأظهروا الصلاح واستغفروا وتعانقوا فخاطبهم وعاتبهم[1] بقوله:

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ [الآية: 101] أي: بعد الإيمان ﴿وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 101] أي: من القرآن ﴿وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ﴾ [الآية: 101] أي: بالمشهادة والعيان فالاستفهام للإنكار على وجه التعجيب والاستبعاد مع ظهور أسباب الإرشاد والإسعاد.

وأفاد الأستاذ: أنه لا ينبغي لمن أشرق في قلبه شموس العرفان أن يوقع الكفر عليه ظله فإنه إذا إقبل النهار من هاهنا أدبر الليل من هاهنا ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ﴾ [الآية: 101] أي: يتمسك بدينه ويلتجيء إليه في جميع أمره ﴿فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الآية: 101] أي موصل إلى وصله.

قال الأستاذ: إنما يعتصم بالله من وجد العصمة من الله فأما من لم يهده الله فمتى يعتصم فالهداية منه في البداية توجب اعتصامك به في النهاية لا الاعتصام منك يوجب الهداية وحقيقة الاعتصام به صدق اللجئ إليه ودوام الفرار إليه واستصحاب الاستغاثة إليه ومن كشف عن سره غطاء التفرقة تحقق بأن لا غير به ذرة ولا منه سينة وقد ورد أعوذ بك منك[2] ومن اعتصم بنفسه دون أن يكون محواً عن حوله وقوته في اعتصامه فالشرك وطنه وهو لا يشعر به/ . 129/ب

ومن «نفائس العرائس» من اعتصم به منه اهتدى به إليه لأنه في محل المعرفة ومن عرفه يستفيد برضاه من سخطه وبما فاته من عقوبته وبه منه وهذا سيد الأنبياء عليه أفضل التحية والثناء قال في سجوده حال شهوده أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي

(1) الكشاف (1/ 304)، وتفسير أبي السعود (2/ 64)، وتفسير البيضاوي (1/ 72).
(2) سبق تخريجه.

ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك[1] وكان عليه السلام ذلك الوقت في مشاهدة الجلال والجمال والكمال والقدم والبقاء والجبروت والكبرياء بنعت المعرفة على بعض أسرار إرادته فخاف به منه واستعاذ منه إليه وأيضاً من اعتصم بالله هداه الله إلى معرفة عيوب النفس ومكائد الشيطان وأخلاق القلب وشمائل الروح وأوصاف العقل وأمور المعاملات وحقيقة الحالات وطلب المكاشفات والاطلاع على المشاهدات ولمة الملائكة وعلوم الإلهام والفراسات وأيضاً الاعتصام انجذاب القلب عن الأسباب والأرباب والتبري إلى الله تعالى من الحول والقوة ومن قطع حبل الطلب عن الخلق ارتفع قيام البين بينه وبين الحق والاعتصام قبل المعرفة محال والمعرفة قبل المشاهدة محال ومن شاهد الله تعالى بنعت المعرفة اعتصم به في جميع مراده.

في «تفسير السلمي» عن الواسطي: الاعتصام أن ترى نفسك في ظله وكرمه وحسن قيام نظره لك في أزله وأبده.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [الآية: 102] أي: حق تقواه وعلى وفق ما يرضاه من استفراغ الوسع في اكتساب الأوامر واجتناب الزواجر لقوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: 16] وعن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفاً ومرفوعاً في بيان تقوى أرباب الكمال في محبة المولى هو أن يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وعن بعض العارفين هو أن ينزه الطاعة عن الالتفات إليها وعن توقع المجازات عليها.

وقال الثوري: حق تقواه أن لا يرى في قلبك شيء سواه.

وأفاد الأستاذ: أن حق التقوى أن يكون على وفق الأمر لا يزيد من قبل نفسه ولا ينقص وهذا هو المعتمد من الأقاويل فيه وأمره على وجهين على وجه الحتم وعلى وجه الندب وكذلك القول في النهي/ على قسمين تحريم 130/ أ
وتنزيه فيدخل في جملة هذا أن يكون حق تقاته أولاً اجتناب الزلة ثم اجتناب

(1) سبق تخريجه.

الغفلة ثم التوقي عن كل خلة ثم التنقي عن كل علة فإذا اتقيت عن شهود تقواك بعد اتصافك بتقواك فقد اتقيت حق تقواك وحق التقوي رفض العصيان ونفي النسيان وصون العهود وحفظ الحدود وشهود الإلهية والانسلاخ عن الأحكام البشرية والخمود تحت جريان الحكم بعد اجتناب كل جرم وظلم واستشعار الأنفة عن التوسل إليه بِشيء من طاعتك دون صرف كرمه لك والتحقق بأنه لا يقبل أحداً بعلة ولا يرد أحداً بعلة ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [الآية: 102] أي: كونوا على الإسلام وداوموا على الاستسلام حتى إذا أتاكم الموت صادفكم على حال النظام فهو في الحقيقة نهي عن ترك الإسلام فالمعنى لا تكونن عن حال سوى الاستسلام التام في جميع الليالي والأيام فإن مأتي الموت إنما هو على الإبهام وفيه إيماءٌ إلى أن مدار السعادة على حسن الخاتمة ولما أريد بالإسلام كمال الانقياد والاستسلام بمتابعة جميع الأحكام فسر المسلمون بمتزوجون أي كاملون عاملون بكتاب الله وسُنَّة النبي ﷺ.

وقال الأستاذ: أي لا يصادفكم الوفاة إلا وأنتم بشرط الوفاء.

﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 103] أي: بدينه الذي ارتضاه أو بكتابه المشتمل على أحكامه وما سواه بوصف المبين لقوله عليه السلام القرآن حبل الله المتين واستعير له الحبل من حيث أن التمسك به سبب للنجاة عن الردى كما أن التمسك بالحبل سبب للسلامة عن التردي ومن حيث أنه وسيلة للصعود عن بئر غوايته إلى شرف هدايته وقابل للتنزل من العلو في حالته ولذا ورد: «القرآن حجة لك أو عليك»[(1)] وفي رواية القرآن شافع مشفع أو ما حل مصدق[(2)] ﴿جَمِيعًا﴾ [الآية: 103] أي: حال كونكم مجتمعين عليه غير متفرقين عنه فإنّ الاجتماع المشعر بالإجماع من أقوى الحجج عند الأسماع كما يشير إليه قوله ﴿وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [الآية:

(1) أخرجه مسلم في الصحيح (223/ 1)، وابن ماجه في السنن (1/ 102) رقم (280)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/ 535) رقم (3517)، والدارمي في السنن (1/ 174) رقم (653)، والنسائي في السنن الكبرى (2/ 5) رقم (2217).

(2) أخرجه الحاكم في المستدرك (1/ 757) رقم (2087)، والطبراني في المعجم الكبير (9/ 132) رقم (8655)، وابن أبي شيبة في المصنف (6/ 130) رقم (30052).

103] وفي رواية البزي فبتشديد التاء والمعنى لا تفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف في قضية الصدق ثم الاعتصام بالله/ فنسبة حقيقية والاعتصام بحبل الله 130/ب سببية إضافية.

وقال الواسطي: من يعتصم بالله للخاصة ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 103] للعامة.

وأفاد الأستاذ: أن الاعتصام بحبله سبحانه التمسك بآثار الواسطة وذلك بالتحقق والتعلق بالكتاب والسُنَّة ويصح أن يقال الخواص يقال لهم ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 103] وخاص الخاص قيل لهم: واعتصموا بحبل الله ولمن رجع عند سوانحه إلى اختياره واحتياله أو فكرته واستدلاله أو معارفه وأشكاله أو التجأ إلى ظل تدبيره أو استضاء بنور عقله وتفكيره فمرفوع عنه ظل العناية وموكول إلى سوء حاله في الرعاية والتفرقة أشد العقوبة وهي قرينة الشرك المعبر عنه بالفتنة.

ومن «**نفائس العرائس**» أن وحشة التفرقة تكون في الغيبة وحقيقة الجمعية يكون في مشهد المشاهدة وحبل الله أنواع الواسطة للجمعية من الهداية والكفاية والرعاية والعبودية والمعرفة والمحبة والخدمة والأدب والحرمة والحشمة والنبي والكتاب والسُنَّة أوجب على الجمهور الاعتصام بهذه الوثائق حتى وصلوا إليه ولا تفرقوا عنه لأن من رجع إلى معاملته ومجاهدته وحيلته وفكرته فهو بمعزل عن ظل العناية وكنف الكفاية والاعتصام بالله من باب المعرفة أرشد طائفه إلى نفسه بلا وسائط وأغرقهم في بحار وجوده حتى يلتجئوا من قعر بحر الذات إلى سفن الصفات لينقذهم من لطمات النكرة بأنوار المعرفة وفي مشهد التوحيد الاعتصام للمحبين جهل بعلم القدم وللعارفين مكر وحجاب برسوم المعرفة عن حقائق الأسرار وللموحدين كفر لأن حقيقة التوحيد حالان خمود السر عن الإرادة عند إرادة الحق وفناء الموحد عن الموحدية في رؤية الموحد لأن من التفت عنه بعد شهوده عن القدم إلى رسوم الربوبية والعبودية فهو شرك في الحقيقة وهذا من غرائب

شطحياتي ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية: 103] أي: الذي من جملتها الهداية والتوفيق للرعاية المؤدية إلى الإلفة المألوفة من المعية والحالة الجمعية والهيئة الاجتماعية ﴿إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً﴾ [الآية: 103] أي: في زمن الجاهلية ﴿فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ [الآية: 103] أي: فأوقع/ الإلفة وأثبت المحبة فيما بينكم بالإسلام وموافقة الأحكام. 131/أ

وفي «حقائق السلمي» قيل: أي كنتم أعداء بملازمة حظوظ أنفسكم فألف بين قلوبكم فأزال عنكم حظوظ الأنفس وردكم منها إلى حظ الحق فيكم ﴿فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [الآية: 103] أي: فصرتم بإنعام هدايته وإكرام رعايته متحابين مجتمعين على الأخوة في الله والمحبة في رضاه.

وقال الأستاذ: كانوا أعداء حين كانوا قائمين بحظوظهم معرجين على ضيق البشرية متزاحمين بمقتضى شح النفوس فألّف بين قلوبهم بإخلاص عن أسر المكونات ودفع الأخطار عن أسرارهم فصار مقصودهم جميعاً واحداً وألف ألف شخص في طلب واحدهم في الحقيقة واحد ﴿فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ﴾ [الآية: 103] التي هي عصمته إياكم ﴿إِخْوَانًا﴾ [الآية: 103] متفقي القصد والهمة متفانين عن حظوظ النفس وخفايا البخل والشح وسائر الدنس ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ﴾ [الآية: 103] أي: طرف محفورة منها والمعنى وكنتم مشفين ومشرفين على الوقوع في نار جهنم لكفركم إذ لو أدرككم الموت في تلك الحالة من التفرقة لوقعتم في نار الهاوية كما أن من أدركه الموت في حال الإسلام من الجمعية لوقع في روضة الراضية وقد أشار إليها حديث «القبر روضة من رياض الجنان أو حفرة من حفر النيران»(1) ﴿فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ [الآية: 103] أي: أخلصكم من الحفرة أو النار بالإيمان والإقرار قيل المعنى كنتم على شفا حفرة من النار برؤية النجاة بالعمل فأنقذكم منها بمشاهدة الفضل كذا في «**حقائق السلمي**».

وقال الأستاذ: كنتم تحت أسر مناكم ورباط حظوظكم وهواكم فأنقذكم

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (8/ 272) رقم (8613)، والترمذي في الجامع الصحيح (4/ 639) رقم (2460).

منها بنور الرضا والخمود عند جريان القضاء وتلك حقاً هي المملكة العظمى والدرجة الكبرى ويدخل في جملة هذا ترك السكون إلى ما منك من المناقب والتقى والعقل والحجى والتحصيل والنهى والفرار إلى الله عن كل غير وسوى ﴿كَذَٰلِكَ﴾ [الآية: 103] أي: مثل ذلك التبيين المبين كالعيان ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ﴾ [الآية: 103] أي: دلائله المؤيدة بالبرهان ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الآية: 103] إلى مدارج العرفان ومعارج الإيقان.

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ﴾ [الآية: 104] أيها المؤمنون ومن بيانية متقدمة أو تبعيضية مفيدة أن الأمر للوجوب على وجه الكفاية ﴿أُمَّةٌ﴾ [الآية: 104] أي: جماعة ﴿يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ [الآية: 104] أي: إلى الإسلام/ أو الاستسلام بالمواعظ 131/ب واستحسان الكلام ﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [الآية: 104] وهو امتثال الطاعات ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [الآية: 104] وهو ارتكاب السيئات ﴿وَأُولَٰئِكَ﴾ [الآية: 104] أي: الموصوفون بما ذكر ﴿هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الآية: 104] أي: الكاملون في الفلاح الفائزون بالنجاح.

وأفاد الأستاذ: إن هذه الآية إشارة إلى أقوام قاموا بالله لله لا يأخذهم لومة ولم يقطعهم عن الله استنامة إلى علة وقفوا جملتهم على دلالة أمر الله وقصروا أنفاسهم واستغرقوا عمرهم في تحصيل رضاه عملوا لله ونصحوا لدين الله ودعوا خلق الله إلى الله فربحت تجارتهم وما خسرت نفقتهم.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا﴾ [الآية: 105] أي: في شأن دينهم ﴿وَاخْتَلَفُوا﴾ [الآية: 105] أي: في أمر نبيهم اليهود والنصارى وغيرهم ﴿مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [الآية: 105] أي: الآيات الواضحات والدلالات اللائحات الموجبة للاتفاق المبينة لعدم الافتراق والمراد النهي عن التفرق في الأحوال الممهدة دون الفروع المرتبة لقوله ﷺ على ما رواه جماعة من علماء الأئمة اختلاف أمتي رحمة[1] ﴿وَأُولَٰئِكَ﴾ [الآية: 105] أي: الموصوفون بالتفرق في الدين القويم ﴿لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الآية: 105] وحجاب جسيم وهذا وعيد لهم وتهديد لمن تشبه بهم.

(1) جامع الأحاديث (2/ 40) رقم (874)، وكنز العمال (10/ 136) رقم (28686).

وأفاد الأستاذ: أن هؤلاء أقوام أظهر عليهم في الابتداء رقوم طلب الوصلة ثم وسمهم في الانتهاء بكي الفرقة فباتوا في نفق الأحباب وأصبحوا في زمرة الأجانب وراء الحجاب ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [الآية: 105] قيل: بياض الوجوه وسواده كنايتان عن ظهور بهجة السرور والنعمة وكآبة الحزن والمحنة والأظهر أنهما على ظاهر معناها ثم قيل تبيض وجوه بالشهادة في سبيله وتسود وجوه بالفرار عن طريقه وقيل تبيض بالقناعة بإعطاءهم الحق وتسود وجوه بالطمع في الخلق وقال: محمد بن علي تبيض وجوه بنظرهم إلى مولاهم وتسود وجوه باحتجابهم عنه كذا في الحقائق للسلمي والأظهر أن يقال تبيض بالعلم وتسود بالجهل أو تبيض بالإيمان وتسود بالكفران لقوله تعالى:

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم﴾ [الآية: 106] أي: يقال لهم توبيخاً أكفرتم بالباطن ﴿بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [الآية: 106] بالظاهر فالخطاب للمنافقين أو أكفرتم
132/أ بمحمد ﷺ/ بعد ظهور نبوته ووضوح رسالته بعد إيمانكم به قبل بعثته فالخطاب لأهل الكتاب أو أكفرتم بالافتراق بعد إيمانكم جميعاً يوم الميثاق ﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الآية: 106] أي: بالنفاق أو الشقاق.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ [الآية: 107] فلا يقال لهم بواسطة من العلم والعمل لِكونهم من أهل التوحيد والفضل بل يقال لهم ﴿فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 107] أي: فأنتم منغمسون في رحمته ومنطمسون في نعمته للإشعار بأن المؤمن وإن استغرق عمره في طاعته لا يدخل الجنة إلا بفضله ورحمته ثم قدم ذكرهم في الإجمال المذكور وآخر في التفصيل المسطور ليكون مطلع الكلام ومقطع المرام حيلة المؤمنين ومثوبة الموقنين ﴿هُمْ فِيهَا﴾ [الآية: 107] أي: في رحمته التي هي كناية عن جنته التي هي محل نعمته ﴿خَٰلِدُونَ﴾ [الآية: 107] دائمون باقون بخلاف الكفار فإنهم في العذاب مخلدون ولعله ترك بيان خلودهم لظهور أمرهم أو للاكتفاء بضدهم أو للإعراض عن ذكرهم ويمكن أن يكون التقدير فذوقوا العذاب المخلد بكفركم بدل شكركم.

وأفاد الأستاذ: أن أرباب الدعاوي تسود وجوههم وأصحاب المعاني

تبيض وجوههم وأهل الكشوفات غداً تبيض بالإشراق وجوههم وأصحاب الحجاب تسود بالحجبة وجوههم فتعلوها غبرة وترهقها قترة ويقال من ابيض اليوم قلبه ابيض غداً وجهه ومن كان بالضد فحاله عكسه ويقال من أعرض عن الخلق عند سوانحه ابيض وجهه بروح التفويض ومن علق بالأغيار قلبه عند جوائجه أسود محياه بغبار الطمع وأما الذين ابيضت وجوههم ففي أنس وروح وأما الذين اسودت وجوههم ففي محن ونوح.

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 108] أي: الواردة في وعده ووعيده ﴿نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية: 108] أي: بالوجه الثابت الصدق ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الآية: 108] إذ يستحيل الظلم منه لأنه لا يجب شيء عليه فيظلم بنقضه ولا يمنع عن شيء يكون ملك غيره فيظلم بفعله لأنه المالك على الإطلاق كما قال:

﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية: 109] ملكاً وملكاً ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الآية: 109] علماً وحكماً فيجازي كلاً بما وعد له وأوعده فضلاً وعدلاً.

وأفاد الأستاذ: أن نديم مخاطبتنا معك على دوام الأوقات/ بالإمداد في 132/ب
كل قليل وكثير عمارة لسبيل الوداد وما الله يريد ظلماً للعباد وأنّى لِجوازِ الظلم في وصفه تقديراً ووجوداً فَالخلق كلهم خلقه والحكم عليهم حكمه.

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ [الآية: 110] أي: في علم الله أو في اللوح المحفوظ أو فيما مضى من الأمم أو المعنى أنتم أيها الصحابة وأتباعكم خير أمة ﴿أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [الآية: 110] أي: أظهرت لهم على طريقة تنفعهم كما بينه بقوله ﴿تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [الآية: 110] أي: ما استحسنه الشرع أو ما نشأ عن المعرفة.

وقال الصادق المعروف ما وافق الكتاب والسُّنَّة ﴿وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [الآية: 110] أي: ما استقبحه الشرع أو ما نشأ عن النكرة يحتمل النكرة أو ظهر من أهل البدعة وهذا مقام التكميل ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [الآية: 110] وبما جاء من عنده على وفق ما قضاه إيماناً ثابتاً في مقام الكمال غير مقيد بحال من الأحوال ولذا قال بعض العارفين الصوفية بخير ما تناقلوا في الأقوال والأفعال ولعل وجه

تأخيره مع اقتضاء الترتيب تقديمه ليلائم قوله ﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الآية: 110] إيماناً كإيمانكم ﴿لَكَانَ﴾ [الآية: 110] أي: إيمانهم ﴿خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [الآية: 110] مما هم عليه من شر أحوالهم وسوء أعمالهم ﴿مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [الآية: 110] أي: الكاملون الإيمان الداخلون في الإسلام كعبد الله بن سلام وهم قليل منهم أو بعضهم ﴿وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [الآية: 110] أي: المعاندون أو المنافقون.

قال يحيى بن معاذ: هذه الآية مدحة لهذه الأمة وما كان الله ليمدحهم ثم يعذبهم كذا في «الحقائق».

وأفاد الأستاذ: أنه لما كان المصطفى ﷺ أشرف الأنبياء كانت أمته أشرف الأمم ولما كانوا خير الأمم كانوا أشرف الأمم ولما كان شوق الأمم إليه كانت أعمارهم أقصر الأعمار وخلقهم آخر الخلائق لئلا يطول مكثهم تحت الأرض ثم ما حصلت خيرتهم بكثرة صلاتهم وعبادتهم ولكن بزيادة إقباله عليهم وتحصيله إياهم ولقد طال وقوف المتقدمين بالباب ولكن لما خرج الإذن بالدخول تقدم المتأخرون.

وكم باسطين إلى وصلنا أكفهم لما ينالوا نصيبا[1]

والمعروف خدمة الحق والمنكر صحبة النفس والأنس بالخلق المعروف إيثار حق الحق والمنكر اختيار حظ النفس المعروف ما يزلفك إليه والمنكر ما يحجبك عنه وشرط الأمر بالمعروف أن يكون متصفاً بالمعروف وحق الناهي عن المنكر أن يكون منصرفاً عن المنكر انتهى وهذا شرط الكمال في مقام الإكمال لقوله تعالى/: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: 44] 133/أ
فالأظهرأن العاصي يحب أن ينهى غيره من ولده وعبده ونحوه عما يرتكبه بنفسه لأنه يجب عليه تركه وإنكاره فلا يسقط بترك أحدهما وجوب الآخر.

ثم قال الأستاذ: في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ لو دخل الكافة تحت أمرنا لوصلوا إلى حقيقة العز في الدنيا والعقبى ولكن بعدوا عن القبول في سابق الاختيار فصار أكثرهم موسوماً بالشرك والتعلق بالأغيار.

(1) نسب إلى العباس. انظر: الشعر والشعراء (1/ 180).

﴿لَن يَضُرُّوكُمْ﴾ [الآية: 111] أي: أعداؤكم من أهل الكتاب ﴿إِلَّآ أَذًى﴾ [الآية: 111] أي: ضرراً يسيراً كطعن وتهديد فوجب لكم بالصبر عليه أجراً كثيراً ﴿وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ [الآية: 111] أي: ظهورهم عند ظهوركم عليهم بالفرار ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ [الآية: 111] في هذه الدار ويعذبون بالنار في دار القرار.

وأفاد الأستاذ: أن الحق سبحانه لا يسلط أعداءه على أوليائه إلا بمقدار ما يصدق إلى الله فرارهم فإذا حق فرارهم أكرم لديه قرارهم وإن استطالوا على الأولياء بموجب حسبانهم انعكس الحال عليهم بصغارهم وهوانهم.

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾ [الآية: 112] أي: ألزمهم الله المذلة والمهانة بهدر النفس والمال والأهل أو الجزية ﴿أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ﴾ [الآية: 112] أي: وجدوا في جميع الأحوال ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الآية: 112] أي: إلا معتصمين بذمة الله وعهده الذي عاهدهم أو كتابه الذي أتاهم وذمة المسلمين وعهدهم بالمهادنة لهم أو ضرب الجزية عليهم ﴿وَبَآءُو﴾ [الآية: 112] أي: رجعوا ﴿بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 112] أي: مستوجبين للسخط واللعنة بعد ما كانوا من أهل الرضا والرحمة ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ﴾ [الآية: 112] أي: الظاهرة والباطنة حيث سكنوا واطمأنوا بالدنيا عن الآخرة أو المعنى أحيطت بهم إحاطة الخيمة المضروبة على أهلها الساكنة ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 112] أي: ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب الموجب للبعد عن الرحمة ﴿بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 112] أي: المنزلة أو دلالات المعجزة ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [الآية: 112] أي: بغير جرم من الأنبياء حتى في زعم الأعداء ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 112] أي: بما ذكر من الكفر والقتل ﴿بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾ [الآية: 112] أي: بسبب عصيانهم القاصرة والمتعدية فإن الإصرار على الصغائر يفضي إلى ارتكاب الكبائر والاستمرار على الكبائر يؤدي إلى الكفر الموجب للمقت في الوقت والبعد عن السعد والفرقة والحرقة/ وحرمان الوصلة وسائر النعمة. 133/ ب

وأفاد الأستاذ: إن علم الهجران لا ينكتم وسمة البعد لا تخفى ودليل القطع لا يستتر فهم في صغار الطرد وذل الرد يعتبر بهم أولوا الأبصار ويغتر

بهم أضرابهم من الكفار والفجار ﴿لَيۡسُواْ﴾ [الآية: 113] أي: أهل الكتاب.

﴿سَوَآءٗ﴾ [الآية: 113] أي: مستويين في المساوىء لما سبق من أن منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون ولقوله ﴿مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ﴾ [الآية: 113] بالحق مستقيمة في الصدق وهم الذين أسلموا منهم ﴿يَتۡلُونَ﴾ [الآية: 113] أي: يقرؤون أو يتبعون ﴿ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 113] أي: من القرآن ﴿ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ﴾ [الآية: 113] الظاهر استيعاب ساعاته وأجزائه ويراد استيعاب المجموع لا من كل واحد في أثنائه ولعله لم يذكر آناء النهار للاكتفاء أو للإيماء بأنه الوقت الأولى والأصفى للتلاوة والعبادة ﴿وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ﴾ [الآية: 113] أي: والحال أنهم يصلون ويتلون القرآن في تهجدهم أو أنهم يصلون صلاة العشاء المختصة بالمسلمين لما روى أحمد في «مسنده» أنه عليه السلام أخر صلاة العشاء ثم خرج فإذا الناس ينتظرون الصلاة فقال أما إنه ليس من أهل هذه الأديان أحد يذكر الله هذه الساعة غيركم[1] ثم قرأ ﴿لَيۡسُواْ سَوَآءٗ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [الآية: 113] الآية ولا يبعد أن يقال المعنى وهم ينقادون لحكم ربهم فيما يتعلق بأمرهم ونهيهم ثم مدحهم سبحانه بأوصاف جمة من مختصات هذه الأمة بقوله:

﴿يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [الآية: 114] أي: كإيمان المسلمين ﴿وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۖ﴾ [الآية: 114] كأكابر المؤمنين ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الآية: 114] أي: الموصوفين بالأوصاف المذكورة ممن صلحت أحوالهم عند الله واستحقوا ثناؤه ورضاه أو المراد بالصالحين القائمون بحقوق الله وحقوق ما سواه.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه كما غير بين النور والظلام مغايرة تضاد فكذلك أثبت منافاة بين أحوال الأولياء وأحوال الأعداء ومتى يستوي الضياء والظلمة واليقين والتهمة والوصلة والفرقة والبعاد والإلفة والمعتكف على بساط الأدب والمنصرف عن الباب والمتصف بالولاء والمنصرف عن الوفاء

---

(1) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (6/ 313) رقم (11073)، وأبو يعلى في المسند (9/ 206) رقم (5306)، وأحمد في المسند (1/ 396) رقم (3760).

هيهات لا يلتقيان وكيف يتفقان أو يستويان.

﴿وَمَا يَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلَن يُكۡفَرُوهُۗ﴾ [الآية: 115] بالغيبة قرأه حفص وحمزة والكسائي فلن يحرموه ولن يضيع عند الله ثوابه وسمي ذلك كفراناً كما سمي جزاء الثواب شكراً ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ/ بِٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [الآية: 115] أي: بشارة لهم وإشارة 134/أ
إلى أن التقوى مبدأ خيرهم وقال الأستاذ لن يخيب عن بابه قاصد ولن يخسر عليه تاجر ولن يستوحش معه مصاحب ولن يذل له طالب ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ﴾ [الآية: 116] أي: لن تدفع ﴿عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [الآية: 116] أي: من العذاب فيكون مفعولاً به أو لن تنفعهم ولا تكفيهم شيئاً من الغِنا بمعنى الكفاية فيكون مفعولاً مطلقاً ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ﴾ [الآية: 116] أي: ملازموها في دار البوار ﴿هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الآية: 116] أي: مخلدون مع الأغيار وقال الأستاذ لا في الحال لهم بدل ولا في المآل عنهم خلف فهم في عاجلهم في نقص وخسر وفي آجلهم في قطع وهجر وبلاء وضر وعذاب وفكر.

تبدلت وتبدلنا فأخسرنا ... من ابتغى عوضاً يُسْلي فلم يجد(1)

﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ﴾ [الآية: 117] أي: صفة ما ينفق الكفرة قربة صورية أو مفاخرة جاهلية أو المنافقون رياءً وسمعة ﴿فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ [الآية: 117] أي: الأزمنة الفانية أو في أمور الدنيا الدنية ﴿كَمَثَلِ رِيحٖ﴾ [الآية: 117] فيه نوع من اللطافة المكنية ﴿فِيهَا صِرٌّ﴾ [الآية: 117] أي: صوت شديد وبرد أكيد ﴿أَصَابَتۡ حَرۡثَ قَوۡمٖ﴾ [الآية: 117] أي: زراعة جماعة من الأمور الحسية ﴿ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ [الآية: 117] أي: بالكفر والمعصية ﴿فَأَهۡلَكَتۡهُۚ﴾ [الآية: 117] أي: عقوبة لأفعالهم السيئة بحيث لم يبق لهم منفعة دنيوية ولا أخروية ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 117] أي: بضياع نفقاتهم وإهلاك زراعاتهم لأن أفعاله سبحانه إما عدل وإما فضل لا باطل ولا هزل ﴿وَلَٰكِنۡ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ [الآية: 117] بارتكاب الظلم الموجب للظلمة المانعة عن رؤية نور المعرفة.

وأفاد الأستاذ: أنهم ما وجدوا ميراث ما بذلوا لغير الله إلا حسرات

(1) ذكره القشيري في تفسيره (3/ 345).

متتابعة وما حصل من حسباناتهم إلا على محن مترادفة وذلك جزاء من أعرض وتولى أي عن طريق محبة المولى إلى متابعة الهوى.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾ [الآية: 118] أي: نفساً أجنبية وليجة دخالة في أموركم وأخباركم مطلعة على أسراركم وأفعالكم كالبطانة المتصلة بأبدانكم كائنة من غير طريقكم وأديانكم ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ [الآية: 118] أي: لا يقصرون لكم في فساد أحوالكم ﴿وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ﴾ [الآية: 118] أي: أحبوا عنتكم وتمنوا مضرتكم ومشقتكم ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [الآية: 118] أي: ظهرت العداوة الكامنة في قلوبكم من ألسنتهم
134/ب وكلامهم/ حيث لا يتمالكون ضبط أنفسهم لفرط بغضهم وعداوتهم ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ﴾ [الآية: 118] أي: أظهرنا لكم العلامات الدالة على موالاة المؤمنين الموافقين ومعاداة الكافرين والمنافقين ﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الآية: 118] أمر الدين على وجه اليقين.

وأفاد الأستاذ: أن الركون إلى الصد بعد تبين المشاقة إعانة على الحال بما لا يبلغه كيد العدو في المآل وأشار الحق سبحانه على المسلمين الأبرار بالتحرز عن الاغترار وإظهار البراءة عن الأغيار ودوام الخلوص للحق سبحانه بالقلوب والأسرار وأخبر أن مضارّة القوم للرسول ﷺ أصلية غير طارئة وكيف لا وهو عليه السلام محل الإقبال وهم في محل الإعراض والإدبار ومتى يجتمع الليل والنهار.

﴿هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ﴾ [الآية: 119] المخاطبون في موالاة الكفار ﴿تُحِبُّونَهُمْ﴾ [الآية: 119] أي: بالاغترار ﴿وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾ [الآية: 119] أي: في الإسرار الدال عليها بعض الإظهار ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ﴾ [الآية: 119] أي: بجنس الكتب جميعه وهم لا يؤمنون بكتابكم فأنتم أحق بالبغضاء لهم منهم لكم، وفيه توبيخ بأنهم في باطلهم أصلب منكم في حقكم ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ [الآية: 119] بآياتكم ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ﴾ [الآية: 119] أي: مضوا إلى شياطينهم أو اختلوا في مساكنهم ﴿عَضُّواْ عَلَيْكُمُ﴾ [الآية: 119] أي: على عداوتكم ﴿ٱلْأَنَامِلَ﴾ [الآية: 119] أي: أنامل

أصابعهم ﴿مِنَ ٱلۡغَيۡظِۚ﴾ [الآية: 119] أي: من أجله تأسفاً وتحسراً حيث لم يجدوا سبيلاً إليكم في التشفي والغلبة عليكم ﴿قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الآية: 119] أي: بالحالات المضمرة في قلوبكم كما هو عالم بالأمور المظهرة في أفواهكم.

وقال الأستاذ: أنتم بقضية كرمكم تصفو عن الكدورات قلوبكم فتغلبكم الشفقة عليهم والرحمة إليهم وهم لعتوهم وحنقهم يكيدون لكم ما استطاعوا ولفرط وحشتهم لا يترشح منهم إلا قطرات غيظهم ففرغ يا محمد قلبك منهم ﴿قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ﴾ [الآية: 119] دعهم ينفردوا بمقاساة ما يتداخلهم من الغيظ بهم واستريحوا بقلوبكم عما يحل بهم فإن الله أولى بعباده يوصل إلى من يشاء ما يشاء من مراده ﴿إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ﴾ [الآية: 120] أي: تصبكم أدنى منفعة ﴿تَسُؤۡهُمۡ﴾ [الآية: 120] أي: تحزنهم ﴿وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ﴾ [الآية: 120] أي: مضرة ﴿يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ﴾ [الآية: 120] والتغاير بين فعلي الشرطية بعد اعتبار التفنن في الصنعة التعبيرية للإيماء بأن فرحهم إنما يكون بإصابة المصيبة/العظيمة ﴿وَإِن 135/أ تَصۡبِرُواْ﴾ [الآية: 120] على عداوتهم وأذياتهم ﴿وَتَتَّقُواْ﴾ [الآية: 120] موالاتهم ﴿لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ﴾ [الآية: 120] أي: من ضرر مكيداتهم وقرأ نافع وحمزة وابن كثير وأبو عمر ولا يضركم من ضاره يضيره بمعنى يضره ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾ [الآية: 120] أي: بأعمالهم ﴿مُحِيطٞ﴾ [الآية: 120] فيجازيهم على وفق أحوالهم وفي قراءة شاذة بالخطاب على التقليب.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة من هذه الآية إلى المنصرفين عن طريق الإرادة الراجعين إلى أحوال العادة لا يعجبهم أن يكون لمريد نفاذ وإذا رأوا فترة لقاصد استروحوا إلى ذلك وأن الله تعالى بفضله ومنته يتم نوره على أهل عنايته ويذر الظالمين الزائفين عن سبيله في عقوبة بعادهم لا يبالي بما يستقبلهم.

﴿وَإِذۡ غَدَوۡتَ﴾ [الآية: 121] أي ذهبت ﴿مِنۡ أَهۡلِكَ﴾ [الآية: 121] أي: من حجرة عائشة رضي الله عنها حال كونك ﴿تُبَوِّئُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الآية: 121] أي:

تنزلهم أو تسوي وتهيىء لهم ﴿مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ [الآية: 121] أماكن ومصاف لقتال المشركين يوم أحد ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ [الآية: 121] بأقوالكم ﴿عَلِيمٌ﴾ [الآية: 121] بأحوالكم وفيه تنبيه على مباشرة الأسباب والتوكل على رب الأرباب في النصرة وفتح جميع الأبواب.

قال الأستاذ: وإقامة النبي ﷺ بتوجيه الأماكن للقتال فانتدب لذلك بأمره ثم أظهر في ذلك الباب مكتوبات سره فالمدار على قضائه وقدره والاعتبار بإجرائه واختياره.

﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ﴾ [الآية: 122] أي: جماعتان ﴿مِنكُمْ﴾ [الآية: 122] وكانتا جناحي العسكر فيكم ﴿أَن تَفْشَلَا﴾ [الآية: 122] أي: تجبنا وتضعفا ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ [الآية: 122] أي: حافظهما عن اتباع خواطر مما ترك ما يجب عليهما ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [الآية: 122] لا على غيره من الأسباب لا سيما في هذا الباب.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يبرز الجميع في صدار الاختيار كان الأمر إليهم في نفيهم وإتيانهم وفعلهم وتركهم وفي الحقيقة لا يتقلبون إلا بتصريف القبضة وتقليب القدرة.

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 123] أي: قبل ذلك ﴿بِبَدْرٍ﴾ [الآية: 123] وهذا تذكير ببعض ما أفادهم التوكل للنصر ﴿وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [الآية: 123] أي: حال كونهم قليلين ذليلين في العدة والعدة ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [الآية: 123] أي: في الثبات وطلب النصرة ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الآية: 123] ما أنعمنا عليكم من النعمة.

وفي «الحقائق» ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ [الآية: 123] لضعفكم وصحة
توكلكم على ربكم وانقطاعكم عن حولكم وقوتكم وردكم الأمر بالكلية/ إليه 135/ب
﴿وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [الآية: 123] عند أنفسكم لقلتكم وما كان بدو عز قط إلا بتذليل النفس في الطاعات ومنعها عن الشهوات واللهوات.

وقال الأستاذ: تذكر ما سلف من الإنعام فتح باب التملق في اقتضاء أمثاله في مستأنف الأيام وما أحسن قول الشاطبي: إليك يدي منك الأيادي تمدها.

﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ﴾ [الآية: 124] وبالتشديد للشامي.

﴿بَلَىٰٓ﴾ [الآية: 125] أي: يكفيكم بل زيادة المدد بزيادة العدد يأتيكم ﴿إِن تَصْبِرُوا۟﴾ [الآية: 125] على المقاتلة ﴿وَتَتَّقُوا۟﴾ [الآية: 125] المخالفة ﴿وَيَأْتُوكُم﴾ [الآية: 125] أعداؤكم ﴿مِّن فَوْرِهِمْ﴾ [الآية: 125] وحالهم ﴿هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [الآية: 125] معلمين من التسويم الذي هو إظهار سيما الشيء كقوله ﷺ سوموا فإن الملائكة سومت أي[1]: بالعمامة وقيل: مع العذبة وقال ابن عباس كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيض قد أرسلوها في ظهورهم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم بكسر الواو وقال الأستاذ كان تسكين الحق سبحانه لقلب المصطفى ﷺ بلا واسطة من الله تعالى والربط على قلوب المؤمنين بواسطة الرسول عليه السلام فلولا بقية بقيت عليهم وإلا ما ردهم في حديث النصرة إلى إنزال الملائكة وأنى بحديث الملك والأمر كله بيد الملك.

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 126] أي: إمدادكم بالملائكة ﴿إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ﴾ [الآية: 126] أي: بشارة للنصرة لكم لتستبشروا ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ﴾ [الآية: 126] ولتسكن نفوسكم من الخوف إليه ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 126] لا من العدة ولا من العدد في جميع المدة وإنما بشارة المدد من حيث أن نظر العامة إلى الأسباب أكثر ليتكلوا أو لا يبالوا بمن تقدم وتأخر ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ [الآية: 126] الغالب على مراده ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ [الآية: 126] في تدبير أمر عباده.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أجرى سنته مع أوليائه أنه إذا ضعفت نياتهم أو تناقضت إراداتهم أو أشرفت قلوبهم على بعض فتراتهم أراهم من صنوف عناياته وفنون كراماته ما يقوي به أسباب عرفانهم ويتأكد حقائق إيقانهم فعلى هذه السُنَّة أنزل هذا الخطاب إلى الجملة ثم قطع قلوبهم وأسرارهم عن الأغيار بالكلية فقال: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 126] قلت فهذا

(1) انظر: السنن لسعيد بن منصور (6/ 459) رقم (2675)، وتفسير الرازي (4/ 376).

تدريج للتوحيد الصرف الذي لا يرى في الكون سواه.

﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ [الآية: 127] أي ينصركم يوم بدر ليهلك
136/أ جمعاً من أعدائكم بقتل سبعين ﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾ [الآية: 127] أي: يخزيهم/ بأسر
سبعين فالتنويع في مقام التبيين ﴿فَيَنقَلِبُواْ﴾ [الآية: 127] أي: فينهزم الباقون منهم ﴿خَآئِبِينَ﴾ [الآية: 127] منقطعي الآمال خاسرين.

وأفاد الأستاذ: أن الله سبحانه لا يشمت بأوليائه عدواً فالمؤمن وإن إصابته نكبة فعدوه لا محالة يكبه الله في الفتنة والعقوبة يعني في الآية تسلية لقلوب الأمة مما أصابهم في أحد من الغمة.

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [الآية: 128] أي: من أمر النصر وغيره شيء من التصرف في فعله وتركه والجملة اعتراضية بين المتعاطفين وهو يكبتهم وقوله ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية: 128] أو يعذبهم والمعنى أن الله مالك أمرهم فإمّا أن يهلكهم أو يكبتهم إن قاتلوا أو يتوب عليهم إن أسلموا ﴿أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾ [الآية: 128] إن أصروا ﴿فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [الآية: 128] أي: كاملون في ظلمهم حيث أصروا على كفرهم.

ومن «**نفائس العرائس**» أراد السيد عليه السلام تقديس حضرة الجلال عن أنفاس المجرمين في قولهم بما لا يليق بجلال الله من الشرك والكفر لئلا يبقى في ساحة الكبرياء في قلبه غير الله في جمال وجهه تعالى ومن سرعة حبه وشدة إرادته لم يطالع أمر القدم الذي جرى بالعناية في حق المستورين من بينهم بأستار عوارض الامتحان فعاتبه أين أنت من مشاهدة سبق عنايتي لهم أنعم نظرك في ديوان الأزل فإنهم سواء وليس لك في هذه الغيرة من أمر القدم ومشيئة الأزل في وقتك حين احتجبت بغيرتك على أمرهم شيء وإن صرفت منك أي: رأيت المشيئة واستغنيت بالدعاء عليهم وتصديق ذلك قوله أو يتوب عليهم أو يعذبهم.

وأفاد الأستاذ: أن الإله من له النهي والأمر فلما لم يكن له تعالى في

الإلهية نظير لم يكن إليه ﷺ عليه من الأمر والنهي شيء ويقال جرده بما عرفه وخاطبه عن كل غير ونصيب ودعوى حيث أخبر أنه ليس له من الأمر شيء فإنه إذا لم يجز أن يكون سيد الأولين والآخرين شيء من الأمر فمن نزلت رتبته عن منزلته فمن يكون له شيء من الأمر ويقال استأثر بسر عباده في حكمه فقال أنا الذي أتوب على من أشاء من عبادي وأعذب من أشاء والعواقب عليك مستورة وإنك يا محمد لا تدري فيهم سري ويقال أقامه في
136/ب وقت مقاماً رمى بقبضته من التراب فأصاب جميع الوجوه/ وقال ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ﴾ [الأنفال: 17] وقال في وقت آخر ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [الآية: 128] ثم زاد في البيان فقال:

﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾ [الآية: 129] وإذا كان الملك ملكه والأمر أمره والحكم حكمه فمن شاء عذبه ومن شاء قربه ومن شاء هداه ومن شاء أغواه كما قال ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ﴾ [الآية: 129] يعني الأمر كله لله وليس الأمر لأحد سواه وإن الأمر تابع لمشيئته على وفق قضائه وحكمته فالمعنى يغفر لمن يشاء تائباً كان أو غير تائب ويعذب من يشاء ظالماً كان أو غير ظالم لحكم ومصالح لا يحيط بها إلا هو وحده سبحانه ولا يجب عليه تعذيب ولا إثابة في أمر عباده لأنه الغني المطلق الذي لا يسأل عما يفعل وأن أفعاله لا تخلوا عن العدل أو الفضل بلا فصل إلا أن غالب وصفه الكرم والرحمة ولذا قال ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الآية: 129] أي: يغفر ذنوب العاصين ويرحم على المطيعين ﴿فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: : 193] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ۖ﴾ [الآية: 130] وقرأ ابن كثير وابن عامر مضعفة أي: زيادة مكررة ولعل التخصيص بحسب الواقع عند نزول الآية وإلا فأنواع الربا بأجمعها منهية سواء كانت قليلة أوكثيرة ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [الآية: 130] أي: مخالفته أو معاقبته بترك الفساد وفعل الصلاح ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الآية: 130] راجين الفلاح ومتوقعين النجاح.

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [الآية: 131] أي: بالتجوز عن متابعتهم

والاجتناب عن مشابهتهم وفيه تنبيه على أن النار معدة للكفار بالذات وبالعرض للعصاة.

وقد أفاد الأستاذ: في هذا الباب أن دليل الخطاب يقتضي أن المؤمن لا يعذب بها وإن عُذِّب بها مدة فلا يخلد فيها.

ومن «**دقائق الحقائق**» قال ابن عطاء أمر العوام باتقاء النار لخوفهم منها وتركهم المعاصي لأجلها وأمر الخواص بأن يتقوه وينظروا إليه دون غيره من الأسباب حيث قال ﴿وَاتَّقُونِ يَـٰأُوْلِي ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ [البقرة: 197] [الآية: 131] قلت وكذا قال في الآية السالفة ﴿وَاتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الآية: 130] فكان الآية الأولى خطاب للسابقين والأخرى عتاب اللاحقين.

ومن «**نفائس العرائس**» أن في الآية الشريفة إشارة عجيبة لطيفة في وضوح عيان الحق سبحانه حقائق الآية أن النار لم تعد للمؤمنين ولم تخلق لهم لقوله
137/أ ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ﴾ [الآية: 131] فإذا كانت للكافرين لم تخلق للمؤمنين/ لكن خوف المؤمنين بها زجراً وعظة كالأب البار المشفق على ولده الذي خوف ولده بالأسد أو بالسيف وأنه لا يضربه بالسيف ولا يلقيه عند الأسد فبقي أن هذه الآية تلطف وشفقة على عباده المؤمنين الصادقين وأعجب من ذلك أن الله تعالى خوفهم بالنار والنار للغير ومقصوده تجلي القهر من عظمته للنار وعظمة النار من تجلي عظمته أي اتقوني في النار لأني أخوف النار وأعذبها بي وهذا سر عين الجمع.

﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الآية: 132] أتبع الوعيد السابق بالوعد اللاحق ترهيباً عن المخالفة وترغيباً في الموافقة ولعل في مثل ذلك ذلّ على عزة التوصل إلى ما هنالك.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه قرن طاعة الرسول بطاعة نفسه تشريفاً لقدره وتخفيفاً على الأمة في أمره حيث ردهم إلى شخص من أنفسهم بل وإلى ذات من أنفسهم فإن الجنس إلى الجنس أسكن إلى غير جنسهم.

﴿وَسَارِعُوٓاْ﴾ [الآية: 133] عطف على ما قبله وفي قراءة نافع وابن عامر

باستئنافه أي: بادروا وسابقوا أو اقبلوا أو توجهوا ﴿إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الآية: 133] إلى ما يوجب لكم المغفرة كالإسلام والإخلاص والتوبة ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [الآية: 133] أي: كعرضهما كما جاء في آية أخرى عرضها كعرض السماء والأرض وعن ابن عباس كسبع سموات وسبع أرضين لو وصل بعضها ببعض ثم إذا كان هذا عرضها فما ظنك بطولها ففيه دليل على أنها خارجة عن هذا العالم لأنه لا يسعها ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الآية: 133] هيئت بالذات لكمل المتقين وبالعرض لفساق المؤمنين وفيه وفي ما قبله دليل على أن الجنة والنار مخلوقتان رداً على المعتزلة.

وأفاد الأستاذ: أن الناس في المسارعة على أقسام فالعابدون يسارعون بقدمهم في الطاعات والعارفون يسارعون بهممهم في القربات والعاصون يسارعون بندمهم إلى تجرع الحسرات فمن سارع بقدمه وجد مثوبته ومن سارع بهممه وجد قربته ومن سارع بندمه وجد رحمته.

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ [الآية: 134] أي: في حالتي النعمة والشدة الناشئة منهما المسرة والمضرة أو في الأحوال كلها إذ السالك لا يخلو عن منحة ومحنة أي: لا يخلون في حال ما بإنفاق ما قدروا عليه/ من قليل أو كثير من 137/ب
المال أو بذل جاه وعلم وحال نافعة في المآل.

ومن «**دقائق الحقائق**» قيل أن الذين يتبرون من الأملاك والنفوس والقلوب وينفقونها في مرضات الله ولا يبخلون بشيء مما سواه.

وأفاد الأستاذ: أنهم لا يدخرون عن الله شيئاً من المال ويؤثرونه على الأشياء في كل حال ينفقون أبدانهم في الطاعات وفنون الأوراد والاجتهاد بالرياضات وأموالهم في اقتناء الخيرات وابتغاء الخيرات لوجوه الصدقات وقلوبهم في الطلب ثم دوام المراعاة وأرواحهم على صفاء المحاب والوفاء على عموم الحالات وأسرارهم على المشاهدات في جميع الأوقات منتظرين إشارات المطالبات مشمرين للبدار إلى دقيق المطلوبات ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾ [الآية: 134] أي: الحابسين له الكافين عن إمضائه مع القدرة على إجرائه ففي

الحديث من كظم غيظاً وهو يقدر على إنفاذه ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً[1].

وأفاد الأستاذ: أن أقواماً يتجاوزون عن الخلق لملاحظتهم إياهم بعين النسبة وأقوام يحلمون عن الخلق علماً بأن ذلك بِسبب جرمهم فيشهدونهم بعين التسليط وآخرون يكظمون الغيظ تحققاً بأن الحق سبحانه يعلم ما يقاسون فالتحمل عنهم حينئذٍ يهون وآخرون فنوا عن أحكام البشرية فوجدوا صافي الراحات في المذلة لأنّ نفوسهم ساقطة فانية وآخرون لم يشهدوا ذرة من الأغيار من الإنشاء والأجراء فعلموا أن المنشىء الله فزالت خصوماتهم ومنازعاتهم مع غير الله فلما أفردوه بالإبداع انقادوا لحكمه فلم يروا معه وجهاً غير التسليم لأمره وأكرمهم الحق سبحانه ببرد الرضا فقاموا له بشرط الموافقة وعهد الوفاء ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ﴾ [الآية: 134] أي: المتجاوزين عنهم التاركين عقوبة من يستحقها منهم وفي الحديث أن هؤلاء في أمتي قليل إلا من عصم الله وقد كانوا كثيراً في الأمم التي مضت ذكره الثعلبي[2] عن مقاتل ابن حيان.

ولعل وجه حكمته في تقدير صحته ما رواه الطبراني عن ابن عباس مرفوعاً الحدة تعتري خيار أمتي[3] وفي رواية ابن عدي عن معاذ مرفوعاً الحدة تعتري حملة القرآن لعزة القرآن في أجوافهم[4].

فالمعنى أنهم لا يعفون عن الخلق في مخالفتهم للحق لأنهم خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهوهم عن المنكر من غير مراعاة الاستئناس لقوله سبحانه ﴿يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ

138/أ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ﴾ [المائدة، الآية: 54] /.

(1) أخرجه أبو داود في السنن (4/ 394) رقم (4779)، والترمذي في الجامع الصحيح (4/ 372) رقم (2021)، وابن ماجه في السنن (2/ 1400) رقم (4186)، والطبراني في المعجم الكبير (20/ 188) رقم (415).

(2) الكشاف (1/ 324)، تفسير ابن أبي حاتم (3/ 179)، تفسير أبي السعود (2/ 86)، وتفسير البيضاوي (1/ 93).

(3) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (11/ 151) رقم (11332)، وأبو يعلى في المسند (4/ 327) رقم (2450)، وابن أبي شيبة في المصنف (2/ 228) رقم (617).

(4) كشف الخفا (1/ 354) رقم (1120)، وكنز العمال (3/ 127) رقم (5802).

الحاصل أن حدتهم من الغيرة الإلهية لا من الحمية الجاهلية وهذا فيما يكون متعلقاً بحق الله أو العباد وأما إذا تعلق بأنفسهم فرأوا عفوهم عنهم فرضاً على أنفسهم لا فضلاً منهم عليهم كما قال قائلهم:

رب رام لـي بـأحـجـار الأذى لم أجد بداً من العطف عليه(1)

﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الآية: 134] أي: إلى أنفسهم فإن مال إحسانهم لغيرهم أيضاً إليهم قال الله تعالى ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ [الإسراء: 7] .

وأفاد الأستاذ: أن الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه وهذا في معاملة الحق وأما في معاملة الخلق فالإحسان أن تدع جميع حقك بالكلية كم كان على من كان وتقبل بقبوله منه ولا تقلده في ذلك منة.

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً﴾ [الآية: 135] أي: فعلة قبيحة من أفراد الكبيرة ﴿أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ [الآية: 135] بارتكاب بعض أصناف الصغيرة أو هذا تخصيص بعد تعميم أو الأولى في المعصية المتقدمة والثانية في السيئة القاصرة.

وفي «**الحقائق**» قيل الظلم متابعة النفس ما تشتهيها قلت وهي الفاحشة الجامعة الصادرة من أم الخبائث الشاملة للمعاصي بأجمعها ما قيل:

وجـودك ذنـب لا يـقـاس لـه ذنـب(2)

وأفاد الأستاذ: أن فاحشة كل أحد على حسب حاله ومقامه وكذلك ظلمهم وأن خطورهم المخالفات ببال الأكابر كفعلها من الأغيار وقال قائلهم:

أنـت عـيـني ولـيـس مـن حـق عـيـني غـض أجـفـانـهـا عـلـى الأقـذاء(3)

---

(1) نسب إلى بهلول. انظر: عقلاء المجانين (1/ 25)، وغرر الخصائص الواضحة (1/ 128).

(2) هذا عجز البيت، وصدره: وإن قلت ما ذنبي إليك أجبتني نسب إلى عبد الغني النابلسي. انظر: داووين الشعر العربي (85/ 203).

(3) نسب إلى ابن الرومي. انظر: التمثيل والمحاضرة (1/ 24)، والتذكرة الحمدونية (2/ 37).

وليس الجرم على البساط كالذنب على الباب قلت ولذا قال العارف ابن الفارض:

ولـو خـطـرت لـي فـي سـواك إرادة على خاطري سهواً حكمت بردتي[1]

ثم قال الأستاذ: وقد أوحى الله إلى موسى عليه السلام قل للظلمة حتى لا يذكروني فإني أوحيت أن أذكر من ذكرني وذكري للظلمة اللعنة وقيل لظلمة هذه الأمة أو ﴿ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ﴾ [الآية: 135] انتهى والظاهر أن المراد بالنهي عن الذكر هو الذكر الناشىء عن الغفلة الموجب للطرد واللعنة والمراد بإثباته هاهنا ذكر عذابه وتذكر عقابه أو حكمه الكريم أو حقه العظيم المقتضي للندامة والتوبة ولذا رتب عليه المغفرة/ والجنة ويقال كما أفاد 138/ب
الأستاذ أنهم إذا فعلوا فاحشة بركونهم إلى أفعالهم أو ظلموا أنفسهم بملاحظة أحوالهم فاستغفروا لذنوبهم وسيئاتهم بالتبري عن حركاتهم وسكناتهم على حلماً منهم بأنهم لا وسيلة لهم إليه إلا به فخلصهم من ظلمات نفوسهم وأن رؤية الأحوال والأفعال ظلمات عند ظهور أنوار الحقائق ومن طهره الله بنور العناية الأزلية صانه عن التورط في مغاليط البشرية ﴿وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [الآية: 135] أي: لا يغفرها سواه والجملة معترضة بين المتعاطفين للإيماء بسعة الرحمة وعموم المغفرة والحث على الاستغفار والوعد بقبول التوبة ﴿وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ﴾ [الآية: 135] أي: ولم يقيموا على ذنوبهم ولم يديموا على عيوبهم غير ذاكرين ولا مستغفرين بل كل ما صدر عنهم معصية أتبعوها توبة فلم يكونوا فاسقين لعدم صيرورتهم مصرين لما في الحديث: «ما أصر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة»[2] ﴿وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [الآية: 135] قبح أعمالهم الموجبة لنقض أحوالهم وأن ربهم يغفر الذنب ويقبل التوب عن عباده بفضله ورحمته.

ومن «نفائس العرائس» أن هذه الآية إشارة إلى قوم أخطؤوا في السماع ومجالستهم مع حظوظ أنفسهم وبقايا صفات البشرية فيهم حيث جلسوا بغير

(1) تزيين العشاق (1/ 10) رقم (1/ 114).

(2) أخرجه أبو داود في السنن (1/ 559) رقم (1516)، وأبو يعلى في المسند (1/ 124) رقم (139)، والبيهقي في شعب الإيمان (5/ 409) رقم (7099).

حضور ولا شهود ولا مراقبة ولا محاسبة ولا تقديس الأسرار في طلب الأنوار فالفاحشة منهم سماع القول وإظهار الوجد مع حظوظ النفس والأهوية البشرية والظلم منهم دعوى المقامات والولايات وهم يعلمون أنهم ليسوا على التحقيق في السماع وإظهار الوجد فأدركهم الله بفيض رحمته حيث تعرفهم فضائح أنفسهم عنده ويلقنهم في رؤية التعيير والعتاب وتضييق صدرهم بتلك الفاحشة والظلم فيذكرون الله بشرط الندم ورؤية التقصير والخجل بين يديه وسقوطهم عن عيون المشايخ فيستغفرون الله من كذب دعواهم بنية الصدق في التبري عن دعوى ما ليس لهم وإذا كان الأمر كذلك ولم يصروا على ما فعلوا يغفر الله لهم ما سبق منهم بإيوائهم إلى قربه فإنه مولاهم وصاحبهم لا غير وذلك قوله ومن يغفر الذنوب إلا الله وأيضاً فيها إشارة إلى عشاق الله الذين
استغرقوا/ في بحار العشق والشوق واحترقوا بلوائح نيران الكبرياء وبغتة 139/أ
سطوات العظمة فيطلبون روح الإنس بالاستراحة في مشاهدة المستحسنات ويرتادون مشاهدة عروس القدم في مقام الالتباس وعين الجمع الذي فيه رؤية الحق في مرآة الخلق وذلك الإلتباس فاحشة منهم لأنهم في طلب القدم مع رؤية الحدث وليس هذا شرط تجريد حقيقة العشق وإذا كانوا محترقين بنيران التوحيد والتفريد في رؤية الأزل والأبد والقدم والبقاء يطلبون النزول في مقام التوحيد إلى مقام العشق وهذا ظلم منهم على أنفسهم لأنهم نقضوا حظ التوحيد بفرارهم من الفناء في التوحيد إلى بقائهم في العشق والتجريد.

وقال الجزيري: الفاحشة النزول من الربوبية إلى العبودية يعني الانتقال من المواجيد والأحوال والمكاشفات إلى السلوك في مقام المعاملات من الطاعات والرياضات.

وقال الواسطي: الطاعات فواحش.

قال البقلي: وهذا تفسير بلسان الشطح قلت الظاهر أن مراده هو أن رؤية الطاعات من فواحش السيئات أو الطاعات من أصحاب الغفلات الذين لم يصلوا إلى مقام الجمع ولم يترقوا عن التفرقة في الحالات بمنزلة الفواحش

من أرباب المقامات فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين في الاعتبار أو إيماء إلى توهم الأثنينية من المطيع والمطاع له وهو شرك في مرتبة صرف الوحدة الربوبية ورتبة العبودية، ولذا قيل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ تفرقة ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ جمع والله الموفق والمعين.

﴿أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [الآية: 136] لسيئاتهم ﴿وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [الآية: 136] في مقابلة حسناتهم على مقدار درجاتهم ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [الآية: 136] لتخليص نياتهم وتصحيح طوياتهم.

وقال الأستاذ: مغفرة من ربهم يردهم إلى شهود الربوبية وما سبق لهم من الحسنى في سابق القسمة الأزلية وجنات مؤجلة في فراديس الأنس ومعجلة في روح المناجاة وتمام الأنس ﴿وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [الآية: 136] ما ذكر من المغفرة من فضله والجنة من عدله.

﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾ [الآية: 137] أي: مضت وقائع سنها الله تعالى
139/ب في/ الأمم الماضية من المكذبة والمصدقة ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية: 137] أي:
بسفر الظاهر أو بسير الباطن ﴿فَانظُرُوا﴾ [الآية: 137] أي: بنظر الاعتبار ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [الآية: 137] للرسل الأخيار على ما ورد به الآثار والأخبار.

وقال الأستاذ: يعني اعتبروا بمن سلف وانظروا كيف فعلنا بمن والى وكيف انتقمنا ممن عادى.

﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [الآية: 138] الإشارة إلى القرآن أو إلى ما ذكر قبله من البيان والمعنى أنه حجة بينة لعموم العالمين وبسبب هداية ومحل عظمة لخصوص المخلصين من العالمين العاملين.

وأفاد الأستاذ: أنه بيان لقوم من حيث أدلة العقول ولآخرين من حيث مكاشفات القلوب ولآخرين من حيث تجلي الحق في الأسرار.

﴿وَلَا تَهِنُوا﴾ [الآية: 139] أي: لا تضعفوا عن المجاهدة في الأمور الدينية ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ [الآية: 139] على ما فاتكم من النعم الدنيوية ولا على ما أصابكم

من الرياضات البدنية النافعة في الأيام الأخروية ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ [الآية: 139] والحال أنكم الأغلبون شأناً والأظهرون برهاناً فإنكم على الحق الواضح وغيركم على البطلان اللائح ومجاهدتكم لله ومعالجة غيركم لما سواه والعبرة بالغلبة في العاقبة ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 139] أي: كاملي الإيمان فلا يخفى عليكم هذا البيان.

وقال الأستاذ: إذا قلتم بالله ووصلتم بالله فلا تخافوا من غير الله فإن النصرة من عند الله والغالب الله ومن سوى الله فليس بهم ذرة ولا منهم سينة فينبغي للمؤمن أن لا يظله من غير الله مهابة.

﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ﴾ [الآية: 140] قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر بضم القاف والمعنى إن أصابوا منكم يوم أُحد قتل بعض وجرحه فقد أصبتم منهم يوم بدر مثله ثم إنهم لم يجبنوا فأنتم أحق بأن لا تهنوا لقوله تعالى: ﴿إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ﴾ [النساء: 104] ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ﴾ [الآية: 140] أي: الأوقات الدنيوية والوقائع الكونية ﴿نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الآية: 140] نصرفها بين عمومهم وخصوصهم كما قيل:

فيوماً علينا ويوماً لنا ويوماً نساء ويوماً نسر(1)

بخلاف الأيام الأخروية فإنها بالنسبة إلى المؤمنين أوقات النعم الأبدية/ 140/ أ وبالنسبة إلى الكافرين أزمنة المحن السرمدية ولذا قال بعض الأبرار وما دمت في هذه الدار لا تستغرب وقوع الأكدار.

وأفاد الأستاذ: أن المعنى إن نالكم فيه مشقة فالذين تقدمكم لقوا مثل ما لقيتم ومسوا بمثل ما به مسستم فمن صبر منهم ظفر ومن ضجر من تحمل ما لقي خسر والأيام نوب والحالات دول ولا يخفى على الحق سبحانه شيء أي لا من الآخر ولا من الأول وكأنه أشار إلى قوله سبحانه ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الآية: 140] إيماناً يتعلق به الجزاء فإنه لا يجازي بمجرد التقدير والقضاء

(1) نسب إلى النمر بن تولب. انظر: نهاية الأرب (1/ 269).

بل لا بد من شهور كسب العبد في دار الفناء ليرتب عليه الجزاء في دار البقاء ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾ [الآية: 140] جماعة في مرتبة الشهداء وأرباب الشهود في مقام المشاهدة ورؤية اللقاء ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية: 140] أي: الكافرين والمنافقين والفاجرين وإنما يجعلهم أحياناً غالبين استدراجاً لهم وابتلاءً للمؤمنين ليميز المخلطين من المخلصين.

﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الآية: 141] أي: بتمحيص ذنوبهم وتطهير عيوبهم وتنظيف قلوبهم إن وقعت الغلبة عليهم ﴿وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الآية: 141] بهلاكهم إن كانت الدولة عليهم والحاصل أن أحوال المؤمنين دائرة بين الصبر والشكر المرتب على كل منهما الثواب والأجر كما هو مقتضى هذه الدار بتكليف النهي والأمر.

وأفاد الأستاذ: أن اختبارات الغيب سبك للعبد وباختلاف الأطوار يخلصه عن المشائب فيصير كالذهب الخالص لا خبث فيه كذلك يصفو عن العلل فيخلص لله ويمحق الكافرين في أودية التفرقة ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً﴾ [الرعد: 17] قلت بل هم ﴿كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً﴾ [النور: 39] .

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ﴾ [الآية: 142] أي: بلا ابتلاء من المنحة والمحنة ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ﴾ [الآية: 142] أي: ولم يميز بعد في عالم الوجود ومقام الشهود بين مرتبة المجاهدين ورتبة القاعدين ﴿وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الآية: 142] أي: ولم يميز الصابرين والشاكرين حالة الجزعين والفزعين وهو نصب بإضمار أن على أن الواو للجمع والمعنى ولم يكن العلم التنجيزي متعلقاً بالمجاهدين والصابرين من المؤمنين المخلصين وفيه إيماءً إلى قول بعض الشعراء:

لولا المشقة ساد الناس كلهم ... الجود يفقر والإقدام قتال[1]

140/ب وقد قال ﷺ حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات[2]/ وفي

---

(1) نسب إلى المتنبي انظر: زهر الآداب (1/ 413)، وغرر الخصائص (1/ 142).
(2) سبق تخريجه.

الحديث أن الله بنى مكة على المكروهات والدرجات[1].

وأفاد الأستاذ: أن من ظن أن يصل إلى محل عظيم من دون مقامات الشدائد ألقته أمانيه في مهواة الهلاك وأن من عرف قدر مطلوبه ومقصوده سهل عليه بذل مجهوده وموجوده متى جاد دهر بلذاته على من يضنّ بخلع العذار قال قائلهم:

إذا شام الفتى برق المعالي فأهون فائت طيب الرقاد[2]

انتهى. وشام بمعنى أبصر وفي رواية إذا رام الفتى نيل المعالي لكن الأول هو المعول فتأمل.

﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ﴾ [الآية: 143] أي: الشهادة أو الحرب المؤدي إلى الموت فإنها من أسباب السعادة ﴿مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ﴾ [الآية: 143] أي: تشاهدوا شدته وتعرفوا حدته ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [الآية: 143] معاينين له حتى قتل دونكم من قتل من إخوانكم ولعل من هنا ورد النهي في الحديث عن تمني[3] الموت ولقاء العدو[4].

وأفاد الأستاذ: إن طوارق التمني بعد الصبر على احتمال للمشاق ولكن.

إذا اشتبكت دموع في خدود تبين من بكى ممن تباكى[5]

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ [الآية: 144] أي: ليس غاية مدحته ونهاية محمدته إلا كونه موصوفاً برسالته لا بأمر آخر خاص من بين خليقته بامتداد مدته ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [الآية: 144] أي: فسيخلو كما خلوا بالموت أو القتل والفوت

---

(1) سبق تخريجه.

(2) نسب إلى أبي القاسم السعدي. انظر: يتيمة الدهر (2/ 140)، وقرى الضيف (5/ 29).

(3) واللفظ «لا يتمنين أحدكم الموت...» انظر: ما أخرجه البخاري في الصحيح (6351)، ومسلم في الصحيح (2680/ 10).

(4) واللفظ «لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية...». انظر: ما أخرجه البخاري في الصحيح (2966)، والحاكم في المستدرك (2/ 87) رقم (2413).

(5) نسب إلى المتنبي. انظر: محاضرات الأدباء (1/ 362)، وشرح ديوان المتنبي (1/ 400).

﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ﴾ [الآية: 144] إنكاراً لارتدادهم بعد إسعادهم وإدبارهم بعد إقبالهم وانقلابهم على أعقابهم بموت رسولهم بعد وصولهم إلى معرفة ربهم وحصول محصولهم ورضي الله عن الصديق الأكبر حيث قرأ هذه الآية على المنبر بعد موت النبي عليه السلام واضطرب الأصحاب الكرام وقال بعد الحمد والثناء ألا من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ [الآية: 144] بارتداده بل يضر نفسه بإبعاده عن مقام إسعاده ﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ [الآية: 144] أي: يثيبهم بالثبات على الدين من المؤمنين الصابرين ويعاقب المرتدين وسائر الكافرين أو المراد بالآية التوبيخ على من أراد الفرار من الكفار حين تفوه بعض الفجار أنه قتل النبي المختار فقال أنس بن النضر من أكابر
141/أ الأنصار يا قوم إن كان/ قتل محمداً فإن رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحياة بعده فقاتلوا على ما قاتل عليه ثم قال اللّهم إني أعتذر إليك مما يفعلون وشد بسيفه فقاتل حتى قتل(1) رضي الله تعالى عنه.

وأفاد الأستاذ: أنه لما توفي ﷺ سقمت البصائر إلا بصيرة الصديق رضي الله عنه فأمده الله بقوة السكينة وأفرغ عليه قوة التولي في رتبة الولاية فقال من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات فصار الكل مقهورين تحت سلطان قالته لما انبسط عليهم من نور حالته كالشمس بطلوعها يندرج في شعاعها أنوار الكواكب فيستتر فيها مقادير مضارح شعاع كلّ نجم وإنما قال ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ﴾ [الآية: 144] لأنه ﷺ مات وقتل أيضاً لأنه قال ما زالت أكلة جبر تعاودوني فهذا أوان قطعت أبهري(2) انتهى فأو للتنويع ولعل الحكمة في الجمع بينهما له ﷺ حصول مرتبة شهادة السعادة مع الشهداء من الأنبياء ووصول رتبة الحفظ والعصمة من الإصابة الظاهرة والغلبة الباهرة للأعداء.

(1) الحاكم في المستدرك (3/ 252) رقم (5006)، والطبراني في المعجم الكبير (1/ 264) رقم (769)، والنسائي في السنن الكبرى (6/ 430) رقم (11403).

(2) تفسير ابن كثير (1/ 323)، وتفسير القرطبي (5/ 163)، وتفسير البغوي (7/ 312)، وتفسير الرازي (2/ 212).

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ﴾ [الآية: 145] أي: لذات نفس ولو نفيسة ﴿أَن تَمُوتَ﴾ [الآية: 145] أي: على المفرشة أو المعركة ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 145] أي: بمشيئته وقضائه أو بأمره لملك الموت في قبض روحه ﴿كِتَٰبًا﴾ [الآية: 145] أي: إذناً مكتوباً في اللوح أو مفروضاً على الروح بالتعب أو الروح ﴿مُّؤَجَّلًا﴾ [الآية: 145] مؤقتاً لا يتقدم ساعة ولا يتأخر أجلاً فإن الأنفاس محصورة لا زيادة فيها ولا نقصان منها ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾ [الآية: 145] أي: النتيجة العاجلة لمجاهدته العاملة ﴿نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾ [الآية: 145] أي: بعضها من الغنيمة ونحوها.

وقال الأستاذ: للصالحين العافية وللآخرين الغفلة ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْآخِرَةِ﴾ [الآية: 145] أي: المثوبة الآجلة بالصبر على المحن العاجلة ﴿نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾ [الآية: 145] أي: من ثوابها في الدنيا ﴿وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الآية: 145] جزاءً كاملاً في العقبى كما قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ﴾ [الشورى: 20] أي: بأن نجمع له بين خيري الدنيا والأخرى.

وأفاد الأستاذ: أنّ ثواب الآخرة أولها الغفران ثم الجنان ثم الرضوان وجزاء الشكر الشكر يعني وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان.

﴿وَكَأَيِّن﴾ [الآية: 146] وقرأ ابن كثير وكأين وهما لغتان بمعنى وكم ﴿مِّن نَّبِىٍّ﴾ [الآية: 146] وهو بيان له ﴿قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ [الآية: 146] /أي: 141/ب
ربانيون من العلماء الأتقياء وعابدون لربهم من الأولياء الأصفياء.

وقال أبو محمد الحريري: أي منقطون إلى ربهم فانون عن أوصافهم وإراداتهم مطلعون إلى إرادة الله فيهم وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو قتل بصيغة المجهول إشارة إلى أنهم جمعوا بين وصول القتال مع الأعداء وفي حصول مراتب الشهداء ﴿فَمَا وَهَنُوا۟﴾ [الآية: 146] أي: ما فتروا ﴿لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 146] من الشدة والمحنة ﴿وَمَا ضَعُفُوا۟﴾ [الآية: 146] أي: ما جبنوا عن المقاتلة والمجاهدة وما ضعفوا عن تحمل أمانة الديانة ﴿وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟﴾ [الآية: 146] أي: لم يخضعوا للأعداء ولم يظهروا لهم المذلة والمهانة ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الآية: 146] على المحنة والمشقة في دار البلية.

قال الواسطي: كانوا كأبي بكر لما كانت نسبته إلى الحق أتم لم يؤثر عليه فقدان السبب ولما ضعف نسبة عمر قال من قال مات محمد ضربت عنقه وأبو بكر نظر إلى ما دله عليه المصطفى فقرأ ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ [الآية: 144] الآية.

وأفاد الأستاذ: إن الذين درجوا على الوفاء وقاموا بحق الصفاء ولم يرجعوا عن الطريق وطالبوا نفوسهم بالتحقيق وأخذوا عليها بالتضييق والتدقيق وجدوا محنة الحق سبحانه ميراث صبرهم وكان الخلف عنهم عند نهاية أمرهم فما زاغوا في شرط الجهد ولا زاغوا عن حفظ العهد وسلموا تسليماً وخرجوا عن الدنيا وكان كل منهم للعهد مقيماً مستديماً وعلى شرط الخدمة والوداد مستقيماً.

﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ [الآية: 147] أي: صغائرنا ﴿وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا﴾ [الآية: 147] أي: كبائرنا والمراد بالذنوب المعاصي القاصرة وبالإسراف المظالم المتعدية ﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ [الآية: 147] في مقام العبادة والمجاهدة ودعوى مرتبة المحبة ﴿وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الآية: 147] أي: بالحجة والغلبة وأفاد الأستاذ أنهم تحققوا بحقائق المعنى ثم تحرسوا عن إظهار الدعوى ثم نطقوا بلسان الاستغفار ووقفوا في مواقيت الاستحياء والاستصغار كما قيل:

يتجنب الآثام ثم يخافها فكأنما حسناته آثام[1]

قلت وهذا بيان كما قال قائلهم:

من لم يكن للوصال أهلاً فكل إحسانه[2] ذنوب[3]

﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 148] أي: أعطاهم بسبب التجائهم إلى مولاهم ﴿ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾ [الآية: 148] أي: النصرة والغنيمة والثناء الجميل والمعزة ﴿وَحُسْنَ ثَوَابِ

(1) نسب إلى أبي تمام. انظر: المثل السائر (2/ 81)، ودواوين الشعر العربي (11/ 288).
(2) في المخطوطة طاعاته.
(3) نسب إلى الشبلي. انظر: (1/ 204)، والطيوريات (14/ 35).

﴿ٱلْآخِرَةِ﴾ [الآية: 148] أي: الجنة والقربة والوصلة وخص بالحسن إشعاراً/ بفضله 142/أ
وأن عنده هو المعتد به ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الآية: 148] فيحسن إلى من قام في مقام الإحسان في مراتب الإيقان وأعلاه أن يغفل عن ما سواه ويعبد الله كأنه يراه.

وأفاد الأستاذ أن ثواب الدنيا أقله القناعة ثم الرضا ثم العيش معه ثم الأنس في جلوسه بين يديه ثم كمال الفرح ببقائه ثم استقلال السر لوجوده وحسن ثواب الآخرة دخولهم الجنة وهم محررون عنها غير داخلين في سرها ويقال ثواب الدنيا والآخرة الغيبة عن الدارين برؤية خالقهما وخص ثواب الآخرة بالحسن لمزية دوامها وتمامها وأن لا يشوبها ما ينافيها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الآية: 149] في إضلالهم لكم ﴿يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ [الآية: 149] من إيمانكم وأعمالكم ﴿فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ﴾ [الآية: 149] أي: فترجعوا عن حسن أحوالكم حال كونكم خاسرين في مآلكم وخائبين في آمالكم.

﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ﴾ [الآية: 150] ناصركم ومعينكم وسيدكم ومصلح أموركم ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ﴾ [الآية: 150] فاستغنوا بنصره عن ولاية غيره.

وقال ابن عطاء: بل الله مولاكم معينكم على ما حملكم من أوامره ونواهيه إياكم وهو خير الناصرين على أنفسكم وهواكم.

وزاد الأستاذ: حيث أفاد أنه يعينكم على أنفسكم فيكفيكم شرها ومن سواه يزيد في بلائكم إذا نصروكم لأنهم يعينون أنفسهم عليكم وهو خير الناصرين لأن من سواه يمن عليك بنصرته إياك وهو يجازيك عن استنصارك به ويقال كل من استنصرت به احتجت إلى أن تعطيه شيئاً من كرائمك ثم قد ينصر وقد لا ينصر فإذا استنصرته سبحانه يعطيك كل لطيفة ولا يرضى بأن لا ينصر.

﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ﴾ [الآية: 151] قرأ الشامي والكسائي بضم العين وهما لغتان بمعنى الخوف من الغير والمراد به ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم أُحُد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب إلا تغير

البال ونادى أبو سفيان يا محمد موعدنا موسم بدر القابل إن شئت تدارك الحال فقال عليه السلام إن شاء الله الملك المتعال ﴿بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ﴾ [الآية: 151] سبب إشراكهم به ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ [الآية: 151] أي: آلهة ليس على إشراكها حجة ولا شبهة ﴿وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [الآية: 151] في دار البوار ﴿وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية: 151] أي: مأوى الكفار والفجار.

وأفاد الأستاذ: إن الله سبحانه خص نبينا ﷺ بإلقاء الرعب في قلوب
143/ب أعدائه/ قال: عليه السلام نصرت بالرعب وكذلك أجرى هذه السنة مع أوليائه بطرح الهيبة منهم في قلوب أعدائه فلا يكاد يكون محق إلا ومنه على المبطلين وأصحاب الدعوى والتمويه هيبة في صدورهم ومخافة في قلوبهم.

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ [الآية: 152] أي: وعده إياكم بالنصر على شرط التقوى والصبر حتى خالف الرماة يوم أُحُد للاشتغال بالغنيمة كل أحد وذلك أن المشركين لما أقبلوا جعلوا الرماة يرشقونهم والباقون بالسيف يضربونهم حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم ليقتلوا ويأسروا وهذا معنى قوله سبحانه ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ﴾ [الآية: 152] أي: يقتلونهم بأمره على وفق قضائه وقدره ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ﴾ [الآية: 152] أي: جبنتم لضعف رأيكم أو ملتم إلى الغنيمة والأكل فإن الحرص من ضعف العقل ولذا قيل السخاوة والشجاعة ليس بينهما فصل ﴿وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ [الآية: 152] أي: واختلفتم في أمر القتال أو أمره ﷺ للرماة بحفظ مركزهم وحراسة منزلهم فقال بعضم فما موقفنا هنا بعد انهزام المشركين واغتنام المؤمنين وقال آخرون لا تخالف أمره عليه السلام في ثبات المقام فوقف أميرهم مع نفر دون العشرة ونفر الباقون لأخذ الغنيمة وهو المعنى لقوله: ﴿وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ﴾ [الآية: 152] أي: أظهر لكم ما تمنون من الغنيمة والنصرة وجواب إذا محذوف وهو منعكم النصر أو امتحنكم بالكسرة بتبيين المؤمن والمنافق وتعين المرائي والموافق وطالب الدنيا من طالب العقبى وصاحب المولى كما قال تعالى: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا﴾ [الآية: 152] وهم التاركون المركن للغنيمة ﴿وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ [الآية: 152] وهم الثابتون على موافقة الأمر مخافة المخالفة قال بعض العارفين يعني منكم من

يريد الدنيا ليستعين به على أمر العقبى ومنكم من يريد الآخرة بترك الدنيا لفنائها وقلة غنائها وكثرة عنائها وخسّة شركائها وعملاً بقول عيسى عليه السلام: يا طالب الدنيا لتبر تركك للدنيا أبر ولقوله عليه السلام: لو أن رجلاً في حجره دراهم يقسمها أو آخر يذكر الله لكان ذاكر الله أفضل(1).

ومن «دقائق الحقائق» قيل: قرأ هذه الآية بين يدي الشبلي فقال: أوه قطع الطريق الخلق ورد الأشباح إلى قيمتها وقال أيضاً: أسقط العظمتين/ فقد 144/أ
وصلت قيل وما العظمتان فقال: الكونين انتهى وقال غيره: خطوتان وقد وصلت وفي قوله تعالى: ﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ﴾ [طه: 12] إشارة إلى هذا المعنى وقال بعضهم: منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد العقبى فأين من يريد المولى فقلت: الجواب بلسان العبارة أن من يريد المولى داخل فيمن يريد العقبى شمول العموم للخصوص في المبنى لأن لقاء المولى لا يحصل إلا في جنة المأوى فهم ما يريدون العقبى إلا لما فيه من زيادة الحسنى والحالة الأسنى وأما الجواب ببيان الإشارة فإن يقال منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد العقبى ومن يريدنا فهو منا لا يغيب عنا في الدنيا والأخرى لأنهم فانون عن أنفسهم باقون بنا كالعرائس مستورون تحت حجابنا وساكنون تحت قبابنا لا يعرفهم غيرنا بل لا فرق في مقام الجمع بينهم وبيننا كما قال قائلهم:

أنا من أهوى ومن أهوى أنا(2)

ولم يذكر الصراع الثاني لتوهم الحلول والاتحاد المنزه عنه رب العباد ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ﴾ [الآية: 152] أي: كفكم عن قتالهم بتقوية بالهم وإعانة حالهم وردكم بالهزيمة بعد أخذ الغنيمة حتى غلبوكم وأهلكوكم ﴿لِيَبۡتَلِيَكُمۡ﴾ [الآية: 152] على المصائب ويمتحن ثباتكم في جميع المراتب.

---

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (6/ 116) رقم (5969)، وانظر: مجمع الزوائد (10/ 72) رقم (16751).

(2) هذا صدر البيت وعجزه:

فإذا أبصرته أبصرتنا

نسب إلى الحلاج انظر: حياة الحيوان الكبرى (1/ 245)، وغرر الخصائص (1/ 251).

وقال محمد بن علي: صرف المريدين له عما دونه كذا في «**الحقائق**» والمعنى أنه يصرفهم الله عما سواه من حولهم وقوتهم ورؤية شوكتهم وحالة نصرتهم ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْۗ﴾ [الآية: 152] أي: ما صدر منكم لما علم من ندمكم أو تفضلاً عليكم ﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 152] أي: منكم ومن غيركم في جميع أحوالكم.

وأفاد الأستاذ: أن قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ﴾ [الآية: 152] الآية الإشارة منه أن الحق سبحانه أقام أولياءه بحق حقه وأقعدهم عن تحصيل حظوظهم وقام سبحانه بكفايتهم من كل وجه فمن لازم طريق الاستقامة ولم يزغ عن حده ولم يزغ في عهده فإنه سبحانه يصدق وعده له بجميل الكفاية وداومها ومن ضل عن الاستقامة ولو خطوة عثرت في مشيته واضطربت عليه بمقدار جرمه حاله وكفايته فمن زاد زيد له ومن نقص نقص له وفي قوله جلّ جلاله: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا﴾ [الآية: 152] الآية قيمة كل أحد إرادته فمن كانت همته الدنيا فقيمته خسيسة حقيرة كالدنيا ومن كانت همته الآخرة فشريف
143/ب خطره ومن كانت له همة ربانية فهو سيد وقته ويقال من صفا عن إرادته/ وصل إليه وأقبل بلطفه عليه وأزلفه بمحل الخصوصية لديه وقوله سبحانه ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ﴾ [الآية: 152] الإشارة منه أنه صرف قوماً عنه فشغلهم بغيره منه وآخرون صرفهم عن كل غير فأفردهم له بكل خير فالزاهدون صرفهم عن الدنيا والعابدون صرفهم عن اتباع الهوى والمريدون صرفهم عن المنى والموحدون صرفهم عن ما هو غير وسوى.

﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾ [الآية: 153] أي: تذهبون في الأرض وتبعدون ﴿وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ﴾ [الآية: 153] أي: لا تلتفتون إلى أحد حين شاع أنه ﷺ قتل في حرب أُحُد ﴿وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ﴾ [الآية: 153] أي: في ساقتكم وجماعتكم الأخرى منكم يقول إليّ عباد الله إليّ عباد الله أنا رسول الله من يكرُّ فله الجنة ﴿فَأَثَٰبَكُمْ﴾ [الآية: 153] عطف على صَرَفكم أي: فجازاكم الله عن فشلكم وعصيانكم ﴿غَمًّۢا﴾ [الآية: 153] متصلاً ﴿بِغَمٍّ﴾ [الآية: 153] من غم ذنبكم وظنكم قتل نبيكم وخوفكم من عدوكم وظفر المشركين عليكم على ما هو

منقول عن كثير من السلف واختاره بعض الخلف ﴿لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ﴾ [الآية: 153] أي: لتتمرنوا على الصبر في ابتلائكم فلا تحزنوا على نفع فائت سابق ولا على إصابة خيرات لاحق ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 153] أي: عالم بأعمالكم حتى جزئيات أحوالكم.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة من هذه الآية لا قوام يقع لهم فترة ودواعي الحق سبحانه من أنفسهم ومن جميع الأقطار حتى كان الأحجار من الشوارع واللبن من الجدران يناديه لا تفعل يا عبد الله وهو مصر في ليّه مقيم على غيه جاحد لما يعلم أنه هو الأحق والأولى من حاله فإذا قضى وطره واستوفى نهمته فلا محالة يمسك من إرسال عنانه ويقف عن ركضه في ميدانه فلا يحصل إلا على أنفاس متصاعدة وحسرات متواترة فأوثره الحق سبحانه وحشة على وحشة حتى إذا طال في التحسر مقامه تداركه الحق سبحانه بجميل لطفه وأقبل عليه بحسن عطفه وأنفذه عن ضيق أسره ونقله إلى سعة عفوه وفضله وكثير من هؤلاء يصلون إلى محل الأكابر ثم يقفون بالله حتى عدموا المقام والإكرام فقاموا بالله لله بلا انتظار وتقريب ولا ملاحظة ترحيب.

﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ﴾ [الآية: 154] أي: الحال الذي يغم النفس من الهم الأهم والحزن الأتم ﴿أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾ [الآية: 154] أي: أمناً ذا نعاس حتى قال أبو طلحة غشينا نعاس في المصاف حتى كان السيف يسقط/ من يد أحدنا فيأخذه 144/ أ
ثم يسقط فيأخذه ﴿يَغْشَىٰ﴾ [الآية: 154] أي: الفأس وقرأ حمزة والكسائي بالتأنيث أي: يأخذ الأمنة ﴿طَآئِفَةً مِّنكُمْ﴾ [الآية: 154] وهو جماعة المؤمنين ﴿وَطَآئِفَةٌ﴾ [الآية: 154] أي: من المنافقين ﴿قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ [الآية: 154] أي: أوقعتهم في الهموم الفاسدة ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ [الآية: 154] أي: غير الظن الحق وهو الظن الباطل ﴿ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ [الآية: 154] أي: من الظنون الكاسدة ﴿يَقُولُونَ﴾ [الآية: 154] بناءً على ظنهم واستبعاداً في حقيقة أمرهم وإنكاراً لوعد نصرهم ﴿هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ﴾ [الآية: 154] أي: هل لنا مما أمر الله وحكم ووعد بالنصر والظفر نصيب قطّ فمن زائدة للمبالغة في تأكيد النفي.

وأفاد الأستاذ: إن أهل التوحيد يصلون بعد فتراتهم وتجرع حسراتهم إلى القول بترك أنفسهم وغسل أيديهم منهم ورفع قلوبهم عنهم فيعيشون بالله بلا ملاحظة طمع وطلبه بل على عقيدة اليأس عن كل شيء من غيره عليه أكدوا العهد وبذلوا به الجهد وتركوا كل نصيب وحظ، هذه صفة من أنزل عليه الأمنة فأما الطائفة التي أهمتهم أنفسهم فبقوا في وحشة نفوسهم ومن عاجل عقوبتهم سوء عقيدتهم في الطريقة بعد إيمانهم بها قال الله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: 110] والإشارة من قوله سبحانه: ﴿هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ﴾ [الآية: 154] لهؤلاء أنهم يتحيرون في أمرهم فلا إقبال لهم على الصواب بالحقيقة ولا إعراض عن الجناب بالكلية يحيلون فترتهم على سوء اختيارهم ويضيفون صفوة لو كانت لقلوبهم إلى اجتهادهم فينسون في الحالين ربهم ولا يبصرون تقدير الحق جارياً عليهم ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الآية: 154] أي: أمر النصر وغيره من النفع والضر جميعه له سبحانه يفعل ما يشاء فينقص ويزيد ويحكم ما يريد في حق المريد وقرأ أبو عمرو كله بالرفع على الابتداء وخبره ما بعده والجملة خبر الأول وجملة القول ومقوله معترضة بين السابق واللاحق لأن قوله: ﴿يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم﴾ [الآية: 154] من النفاق ﴿مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾ [الآية: 154] وقت الوفاق حال من ضمير يقولون أي: يقولون مظهرين أنهم مسترشدون طالبون للنصر عازمون على الصبر مبطنين التكذيب والكفر والنكر ﴿يَقُولُونَ﴾ [الآية: 154] أي: بعضهم لبعض أو في أنفسهم ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ [الآية: 154] أي: كما وعد محمد ﷺ أن الأمر كله لله وأولياءه يقولون: ألا إن حزب الله/ هم الغالبون ﴿مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ [الآية: 154] 144/ب
أي: لما غلبنا ولما قتل في المعركة من قتل منا ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ﴾ [الآية: 154] أي: مقيمين ومتحصنين ﴿لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ [الآية: 154] أي: لخرج الذين قدر عليهم القتل إلى مضاجعهم بسبب من الأسباب لبروزهم وظهورهم فإنه سبحانه قدر الأمور ودبرها في سابق قضائه ولا معقب لحكمه في ابتدائه لمصالح جمة ولو كانت الحكمة عند الخلق مجهولة ﴿وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 154] ليبين لكم ﴿مَا فِى صُدُورِكُمْ﴾ [الآية: 154] من الإخلاص

والنفاق والوفاق والشقاق ﴿وَلِيُمَحِّصَ﴾ [الآية: 154] أي: ويخلص ﴿مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الآية: 154] من أصناف الوساوس وأنواع الخطور ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الآية: 154] أي: بخفياتها قبل ظهور جلياتها وفيه وعد للمخلصين ووعيد للمخلطين وتنبيه نبيه على أنه غني عن ابتلاء المكلفين وإنما هو لظهور حال المنافقين وتمرير أمر المؤمنين.

وأفاد الأستاذ: عند قوله: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ [الآية: 154] إن من عرف أن المنشىء الله في أمر الدنيا والدين انسلخ من اختياره وأحواله انسلاخ الشعر من العجين وسلم أموره إلى الله بالكلية على طريق اليقين وإمارة من تحقق بذلك أن يستريح من كد تدبيره ويسعى في سعة شهود تقديره وقوله: ﴿يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾ [الآية: 154] يشير إلى أنهم لم يخلصوا في عقائدهم وأضمروا خلاف ما أظهروا وأعلنوا غير ما استسروا وأحالوا بالكائنات على أسباب ما توهموا في قوله: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ﴾ [الآية: 154] أخبر أن التقدير لا يزاحم والأزل لا يكابر وأن الكائنات محتومة وأن الله غالب على أمره قضية معلومة وفي قوله: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ [الآية: 154] أما أهل الحقائق فإنه تعالى ينتزع من قلوبهم كل آفة وحجبة ويستخلص أسرارهم للإقبال والزلفة قلوبهم خالصة عن الشوائب صافية عن العلائق منفردة للحق مجردة عن الخلق محررة عن النفس والحظ ظاهرة عليها آثار الإقبال والتدلي غالبة عليها حسن التولي بادية فيها أنوار التجلي ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا﴾ [الآية: 155] أي: انهزموا ﴿مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ [الآية: 155] يوم أُحد ﴿إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ [الآية: 155] أي أوقعهم في الزلة وطلب منهم زلل المذلة ﴿بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ [الآية: 155] من المعصية المتقدمة بترك المركز للحرص على الغنيمة فمنعوا التأييد وقوة القلب
145/أ وحصول النصرة فإن المعاصي تجر بعضها إلى بعض كالطاعة/ ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ [الآية: 155] لاعتذارهم وتوبتهم عن قرارهم ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ [الآية: 155] لمن تاب عن السيئات ﴿حَلِيمٌ﴾ [الآية: 155] لا يعجل بالعقوبة ليتوب من وفق للتوبة.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة من هذه الآية إلى أحوال من سقمت إرادتهم

وضعفت نياتهم وقادتهم الهوى وملكتهم الفترة فيقابل لهم أنصح الناصحين ودعوة المنى أو وساوس الشياطين وركنوا إلى الغيبة وآثروا الهوى على التقوى فبقوا عنه لم يتهنوا بما آثروا عليه.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الآية: 156] أي: فيما فعلوا فإن التشبه بالكفار من صنيع الفجار ﴿وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾ [الآية: 156] أي: لأجلهم وفي حقهم ومعنى إخوتهم اتفاقهم في نسبتهم وجلدتهم أو مذهبهم وملتهم ﴿إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية: 156] سافر إخوانهم فيها للتجارة وغيرها ﴿أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى﴾ [الآية: 156] أي: صار إخوانهم غزاة في طريق الآخرة صورة لا حقيقة ﴿لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا﴾ [الآية: 156] أي: لو ثبتوا أو أقاموا ولم يسافروا ولم يقاتلوا ﴿مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟﴾ [الآية: 156] والجملة مقول قالوا: ويتعلق به أيضاً قوله: ﴿لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ﴾ [الآية: 156] على أن اللام للعاقبة كقوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: 8] وكقول القائل:

لدوا للموت وابنوا للخراب[1].

وأفاد الأستاذ: أن من تعود أن يتلهف على ماضيه وسالفه أو يدبر في مستقبله وآنفه فأقل عقوبة له ضيق قلبه في تفرقة همومه وحالته وامتحاءِ الحياة الطيبة عن قلبه لغفلته وقالته ليت كذا ولو كان كذا لكان كذا وثمرة الفكرة في ليت ولعل الوحشة والحسرة وضيق القلب والتفرقة انتهى وفي الحديث إياك واللو فإن لو من الشيطان[2] ورحم الله الشاطبي حيث قال: تفضلاً وكم لو وليت تورث القلب أنصلاً ﴿وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ [الآية: 156] أي: على وفق قضائه وقدره بحيث لا يتصور تغير في أمره سواء كان العبد في حضره أو سفره لأنه هو المؤثر في الحياة والممات لا الإقامة والسفر وسائر الحالات فقد يحيي الله

---

(1) هذا صدر البيت أما عجزه:

فكلكم يصير إلى تباب

نسب إلى أبي العتاهية. انظر: بهجة المجالس (1/ 246)، والازدهار في ما عقده الشعراء (1/ 18).

(2) جامع الأحاديث (10/ 330) رقم (9732)، والمقاصد الحسنة (1/ 546)، وكشف الخفا (2/ 155) رقم (2098).

القارىء والمسافر ويميت المقيم والقاعد المجاور ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الآية: 156] قرأ ابن كثير حمزة والكسائي بالغيبة ففيه وعيد للكافرين كما أن في الخطاب تهديد للمؤمنين عن مماثلة المنافقين.

﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ﴾ [الآية: 157] في طريق رضاه وقرأ نافع وحمزة والكسائي بكسر الميم من مات يمات/ والباقون بالضم من مات يموت 145/ب
وتلطف أبو عمر وفي القضية بقوله: إن مت لم أقل مت لاختياره اللغة الجلية ﴿لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 157] على السيئة ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ [الآية: 157] بتوفيق الطاعة وحسن الخاتمة ﴿خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الآية: 157] من حطام الدنيا بالغفلة والعيشة على الجيفة بالمذلة والمعنى أن السفر والغزوة ليس مما يجلب الموت والمحنة ولا تقديم الأجل ولو ساعة ومع ذلك فلو وقع موت أو قتل في سبيل المولى المرتب عليه نيل المغفرة والرحمة في العقبى خير مما يجمعون من الدنيا لو فرض أن لكم البقاء فإن الفناء في طريق المولى خير من البقاء مع وجود الهوى والسكون مع السوى وقرأ حفص بالغيبة على أن الخطاب للمؤمنين إعراضاً عن الكافرين المعرضين المعترضين.

وأفاد الأستاذ: أن بذل الروح في الله خير من الحياة بغير الله والرجوع إلى الله خير لمن عرف الله من البقاء مع غير الله وما يؤثره العبد على المولى فغير مبارك إن شئت الدنيا وإن شئت العقبى.

﴿وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ﴾ [الآية: 158] على أي وجه اتفق هلاككم وبانتقالكم ﴿لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الآية: 158] فيجازيكم على أعمالكم وأحوالكم.

قال الأستاذ: إذا كان المصير إلى الله طاب المسير إلى الله وإن سفره إليه محط رحالها لمن العسل أجلى مقاساة حالها.

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ [الآية: 159] أي: ما مزيدة للمبالغة أي: فنعمة عظيمة ورحمة وسيمة كائنة منه سبحانه تلينت للمنافقين وتلطفت للمؤمنين وهي عبارة عن ربطة على قلبه وتوفيق الرفق من ربه وفيه إيماءٌ إلى أنه كان مستغرقاً في بحر الشهود مع الله فانياً عن شهود وجود ما سواه في خلوة لي مع الله وقت

لا يسعني ملك مقرب ولا نبي مرسل مشير إلى جبريل ونفسه الجليل حيث لا يتصور الغير في حضرة الخليل فبإنعام من الله إلى الخلق صرف حبيبه الحق عن مقام الجمع الحقيقي إلى حالة الفرق الصوري ترقية إلى مرتبة جمع الجمع بحيث لا يمنعه شهود الوحدة من الكثرة ولا يحجبه مطالعة الكثرة عن وجود الوحدة مع النفع التام للخاص والعام وبهذا يندفع قول من قال من الأكابر الفخام الولاية خير من النبوة لأن الأولى هي الاستفاضة من الحق والثانية حالة الإفاضة على الخلق ولا شبهة أن التوجه إلى الحق أولى من الإقبال على الخلق لأنا نقول هذا إنما
يكون بالنسبة إلى من لم/ يصل إلى مقام جمع الجمع الذي ليس فيه الدفع والمنع. 146/أ

ولذا قال الشبلي: ما أقول إلا الله ولا أسمع إلا من الله وأنا أقول لا والله بل القائل والسامع هو الله حيث يقول ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: 172].

كما قال بعض الأبرار ليس في الدار غيره ديار وقال بعض الأرباب الشهود سوى الله والله ما في الوجود وزاد أبو يزيد حيث قال في نفي ما سواه ليس في جبتي سوى الله.

ويؤيد هذا المعنى ما أظهر لبيد اللبيب في المعنى بقوله: ألا كل شيء ما خلا الله باطل(1) وأشار إليه سبحانه ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: 88] لكن هنا مزلة القدم لبعض الجهلة من الصوفية وهم الطائفة الوجودية القائلة بالعينية فهم شر من الطائفة النصرانية لأنهم يحصرون القضية بعيسى ابن مريم وهؤلاء يدعون الأعم فهم يعمّون ويعمون وفي طغيانهم يعمهون.

وأفاد الأستاذ: أن الله سبحانه جرده عن الأوصاف البشرية وأفرده بما ألبسه من نعت الربوبية وأخبر أنما يلوح إليه لمن أنوار التولي لا من آثار الوفاق والتبري ولولا أنه استخلصه بما ألبسه من الرحمة وإلا متى كان بهذه الصفة ويقال: إن خصائص رحمته سبحانه عليه وعلى أمته أن قواه حتى

(1) سبق تخريجه.

صحبهم وصبر على تبليغ الرسالة إليهم مع الذي كان يقاسيه من اختلافهم مع سلطان ما كان مستغرقاً له ولجميع أوقاته من استيلاء الحق عليه فلولا قوة إلهية استأثره الحق بها وإلا متى أطاق صحبتهم ألا ترى إلى موسى عليه السلام لما كان قريب العهد بسماع كلامه كيف لم يصبر على مخاطبة أخيه فأخذ برأس أخيه يجره إليه ويقال لولا أنه ﷺ شاهدهم محواً فيما كان يجري عليهم من أحكام التصريف وتحقق أن منشأها الله لما أطاق صحبتهم.

﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا﴾ [الآية: 159] سيئ الخلق في معاشرة الخلق ﴿غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ﴾ [الآية: 159] قاسياً وجافياً متجافياً ﴿لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [الآية: 159] أي: لتفرقوا عنك ولم يسكنوا إليك فلم يهتدوا بك ولم ينتفعوا منك ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ﴾ [الآية: 159] في تقصيراتهم ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [الآية: 159] أي: في سيئاتهم ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [الآية: 159] أي: أمور مهماتهم تطييباً لنفوسهم وتسكيناً لحالاتهم وزيادة إلفة في تحصيل جمعياتهم ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾ [الآية: 159] أي: قصدت بالاستخارة ووافقت معهم في الاستشارة ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الآية: 159] لا على ما سواه في إمضاء أمرك على وفق ما قضاه لحديث ما خاب من استخار وما ندم من استشار ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [الآية: 159] على الله في أمر دنياه وعقباه.

قال الواسطي: جميع أوصافك وما يخرج من أنفاسك رحمة مني عليك وعلى من اتبعك ثم أمره بإقامة العبودية/ كما اقتضاه حقوق الربوبية في حسن 146/ ب
المعاشرة مع أوليائه وتقريب منزلتهم والمشورة معهم في محاربة أعدائه ثم قال فإذا عزمت فانقطع منهم جملة وانقطع إلى سيدك كلية وارجع إليه وتوكل عليه وعاشرهم ظاهراً وطالع ربك سراً.

وأفاد الأستاذ في قوله: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا﴾ [الآية: 159] الآية لو سقيتهم صرف شراب التوحيد غير ممزوج بما فيه لهم حظ لتفرقوا عنك هائمين على وجوههم غير مطيقين للوقوف معك لحظة ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ﴾ [الآية: 159] فيما يكون تقصيراً منهم في حقك وتوقيرك وما عثرت عليهم من تفريطهم في خدمتنا فانتصب لهم شفيعاً في حضرتنا ويقال: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ﴾ [الآية: 159] فإن حكمك

حكمنا ولا تعفو إلا وقد عفونا ثم رده عن هذه الصفة بما أثبته في مقام العبودية ونقله إلى وصف التفرقة فقال: ثم قف في محل التذلل مبتهلاً إلينا في استغفارهم وكذلك سُنَّته سبحانه مع أنبيائه وأوليائه يردهم من جمع إلى فرق ومن فرق إلى جمع فقوله ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ [الآية: 159] جمع ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [الآية: 159] فرق أقول والأظهر أن يقال إن قوله ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ [الآية: 159] هو الفرق لتوجهه إلى الخلق ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [الآية: 159] هو الجمع للإقبال على الحق بل هو مقام جمع الجمع الذي ليس فرق بالمنع كما قالوا في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: 5] فرق ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: 5] جمع وأنا أقول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الفاتحة: 2] جمع و﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: 2] فرق ثم قال: ويقال تجنسوا في أحوالهم فمن مقصر في حقه أمر بالعفو عنه ومن مرتكب لذنب أمر بالاستغفار له ومن مطيع غير مقصر وبمشاورته ثم قال: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ﴾ [الآية: 159] على الله أي: لا تتكل على أي مخلوق ولا تعتمد على ما سواه وكل الأمور إليّ بالكلية فإنا لا نخليك على تصريف القبضة في كل قضية من عطية وبلية وحقيقة التوكل شهود التقدير واستراحة القلب عن كد التدبير﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [الآية: 159] يذيقهم برد الكفاية ليزول عنهم كل تعب ونصب يوجب الغواية وأنه يعامل كلاً بما يستوجبه في البداية والنهاية من الرعاية والحماية فقوم يغنيهم عند توكلهم بعطائه وآخرون يكفيهم عند توكلهم بلقائه وقوم يرضيهم في عموم أحوالهم حتى يكتفوا ببقائه ويقفوا معه به له على تكوينات قدره وقضائه.

﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ﴾ [الآية: 160] على وفق قضائه وقدره ﴿فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾
147/أ [الآية: 160] أحد/ مما سواه ﴿وَإِن يَخْذُلْكُمْ﴾ [الآية: 160] بغلبة العدو عليكم ﴿فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ﴾ [الآية: 160] أي: بعد خذلانه إياكم ﴿وَعَلَى اللَّهِ﴾ [الآية: 160] لا على ما عداه ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [الآية: 160] أي: فيما يأتون ويذرون وقيل: إنما يدرك نصر الله على عدوه من تبرأ من حوله وقوته واعتمد في جميع أسبابه على ربه كذا في «**دقائق الحقائق**».

وأفاد الأستاذ: أن نصرته بالتوفيق للأشباح ثم بالتحقيق للأرواح ويقال: ينصركم الله بتأييد الظواهر وتسديد السرائر ويقال النصرة إنما تكون على

العدو «وأعدى أعداؤك نفسك التي بين جنبيك»[1] والنصرة على النفس بأن تهزم دواعي منتها بعواصم رحمته حتى تنقضي جنود الشهوات بهجوم وفود المنازلات فتبقى الولاية لله خالصة من شبهات الدواعي التي هي أوصاف البشرية وشهوات النفوس الدنيئة وأمانيها التي هي آثار الحجبة ومواقع القربة فإن الخذلان التخلية مع المعاصي والغفلة والعترة ومن نصره قبض على يديه في تعاطي المكروه من فعله وكسبه ومن خذله ألقى حبله على غاربه ووكله إلى سوء اختياره من وقعه وجلبه فيفترق عليه الحالات في أودية المباعدات فمرة يشرق غير محتشم وتارة يقرب غير محترم إلا ومن سيبه الحق فلا أخذ بيده ولا مجير له في حقه ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [الآية: 160] في وجدان الأمان عند صدق الابتهال وتصديق الإيمان وتحقيق الإيقان ويقال: لما كان حديث النصرة قال: ﴿فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ﴾ [الآية: 160] جزماً ولما كان حديث الخذلان لم يقل فلا ناصر لكم بل قال بالتلويح والرمز ﴿فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم﴾ [الآية: 160] من بعده وفي هذا لطيفة شريفة لأولي الألباب في مراعاة دقائق أحكام الخطاب في هذا الكتاب.

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّۚ﴾ [الآية: 161] أي: يخون في شيء من الوحي المنزل وقرأ نافع والشامي وحمزة والكسائي بصيغة المفعول أي: وما صح له أن يوجد غالاً أو ينسب إلى الخيانة أصلاً ﴿وَمَن يَغۡلُلۡ﴾ [الآية: 161] أي: يخن في غنيمة وغيرها من أنواع الخيانة وأصناف الجناية ﴿يَأۡتِ بِمَا غَلَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾ [الآية: 161] أي: يحضر بالذي غله يحمل على عنقه وقت الندامة كما جاء في الرواية أو بما احتمل من وبال إثمه فيما يستحقه من العقوبة ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ﴾ [الآية: 161] يعطى جزاءً وافياً بسبب ما عملت ﴿وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ [الآية: 161] بنقص ثواب وزيادة عقاب/. 147/ ب

ومن «دقائق الحقائق» للسلمي قال يحيى العلوي: ما كان لنبي أن يضع أسراره المكنونة إلا عند الأمناء من أمته المصونة.

(1) سبق تخريجه.

وتوضيحه ما أفاد الأستاذ بقوله: تنزه أحوال الأنبياء عن التدنس بالخيانات فما حملناه من الرسالة إلى عبادنا يوصلها إلى مستحقيها واجباً ولا يعتني بشأن حميم له من دون أمرنا ولا يمنع نصيب أحد أمرناه بإيصاله إليه وحقد ينطوي عليه ألا ترى كيف قال: اذهب فواره لأبي طالب لما قال له علي رضي الله تعالى عنه مات عمك الضال وكيف قبل الوحشي قاتل حمزة لما أسلم في ثاني الحال ويقال: ما كان يضع نبي من الأنبياء أسرارنا في غير أهلها بل ينزلون كل أحد عند ما يستوجبه كما في الأثر: أمرنا أن ننزل الناس منازلهم.

﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 162] بالطاعة ﴿كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 162] أي: كمن رجع بغضب منه بالمعصية ﴿وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ﴾ [الآية: 162] أي: مسكنه دار الحرقة والفرقة ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الآية: 162] مصيرهم الذي أوجبه مسيرهم والمعنى أنهما لا يستويان بل بينهما في المراتب شتان فأولهما في أعلى عليين من درج الرضوان وآخرها في أسفل سافلين من درك النيران فآه آه من تفاوت خلق الله حيث لا يسأل عما قدره وقضاه.

وأفاد الأستاذ: أنه لا يستوي من رضي عنه في آزاله ومن سخط عليه فخذله في أحواله وجعله متكلاً على أعماله ناسياً لشهود أفضاله ثم اتباع الرضوان بمفارقة ما زجر عنه ومعانقة ما أمر به فمن تجود عن المزجور وتجلد في اعتناق المأمور فقد اتبع الرضوان واستوجب الجنان.

﴿هُمْ﴾ [الآية: 163] أهل خيرهم وشرهم ﴿دَرَجَٰتٌ﴾ [الآية: 163] أي: ذوو طبقات مختلفات ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 163] أي: حكمه المقدر لهم من مراتب المقامات ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 163] من الحسنات والسيئات.

وأفاد الأستاذ: أنهم أصحاب درجات في حكم الله أي: السابق في الأزل المطابق للأبد فمن سعيد مقرب ومن شقي مبعد.

﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 164] خصوا بالذكر لزيادة انتفاعهم مما بين المكلفين أو لأنهم المقصودون بالذات في أنعام بعث المرسلين ﴿إِذْ بَعَثَ

﴿فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الآية: 164] أي: من جنسهم البشري أو من نوعهم العربي ليتبعوه في أمره ونهيه ويقتدوا بفعله وتركه أو ليفهموا كلامه ويقتفوا مرامه وقرأ بفتح الفاء أي: من أشرفهم لأنه ﷺ/ كان من أفضل قبائل العرب وبطونهم أو لأنه 148/أ
أفضل جميع المؤمنين من الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين كما يشير إليه المقام المحمود والمرتبة العظمى من الشفاعة وحديث آدم ومن ذريته تحت لواء يوم القيامة بل فيه إيماءً إلى أنه مبعوث إلى الخلق كافة ﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [الآية: 164] القرآنية ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ [الآية: 164] أي: يطهرهم من الطبائع والأخلاق الدنيئة وينميهم بالعقائد والأعمال والأحوال البهية ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الآية: 164] أي: يبين مبانيه ويعين معانيه ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [الآية: 164] أي: الوحي المختص بالسُّنَّة الدالة على المواعظة الحسنة والحكم المستحسنة ﴿وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ﴾ [الآية: 164] أي: قبل نبوته وظهور بعثته ﴿لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الآية: 164] أي: ضلالة مبينة وجهالة معينة ففي إرساله منّة عظيمة ومحنة وسيمة لأرباب الهداية وأصحاب العناية في البداية والنهاية.

وفي «دقائق الحقائق» قيل أكبر منّتهُ سبحانه على الخلق وسائط الأنبياء عليهم السلام إليهم ليصلوا بهم إليه ويطلعوا ببركتهم عليه لأنه تعالى لو أظهر بغير واسطة عليهم من صفاته ذرة لأحرقتهم جميعاً ولم تترك منهم بقية وأضلوا عن الطريق بالكلية.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أجزل لديهم العارفة العظمى وأحسن إليهم النعمى حيث أرسل إليهم المصطفى سيد الورى وعرفهم دينهم وأوضح لهم براهينهم وكان لهم بكل وجه معينهم فلا نعمته شكروا ولا حقه وقروا ولا بما أرشدهم استبصروا ولا عن ضلالتهم أقصروا هذا وصف أعدائه الذين جحدوا واستكبروا وأما المؤمنون فتقلدوا المنّة في الاختيار وقابلوا الأمر بالسمع والطاعة عن كنه الاقتدار فسعدوا في الدنيا والعقبى واستوجبوا من الله الكرامة والزلفى انتهى ويشير إلى هذا المعنى التخصيص الواقع في المبنى حيث قال جلت عظمته وعظمت منّته لقد منّ الله على المؤمنين حيث لم يقل على المكلفين لأنه حجة على الكافرين لا نعمة على المنكرين وفيه إيماءً إلى أنه

تعالى ليس له نعمة حقيقة بالنسبة إلى غير المطيعين بل كل نعمة صورية دنيوية سبب نقمة أخروية للعاصين أو موجب منقصة عطية لدرجة الكاملين وأما المصيبة والبلية فتعكس هذه القضية ولذا قال/ابن عطاء ربما أعطاك فمنعك 148/ب
وربما منعك فأعطاك.

﴿أَوَ لَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ﴾ [الآية: 165] أي: حين حصلت لكم بلية عظيمة قوية وهي قتل سبعين في أحد ﴿قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا﴾ [الآية: 165] يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين والجملة صفة لمصيبة وجواب لما قوله ﴿قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ﴾ [الآية: 165] من أين هذا أصابنا وقد وعد الله سبحانه النصر لنا ﴿قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ﴾ [الآية: 165] باختياركم النداء قبل أن يأذن الله لكم أو بترك بعضكم المركز للميل إلى الغنيمة وعدم ملاحظة المخالفة وفقد الموافقة الموحية للنصرة الكاملة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [الآية: 165] من النصر وإيصال الضر وعلى أن يصيب بكم ويصيب منكم.

وأفاد الأستاذ: أن عادة الخلق نسيان ما منهم من الخطأ والعصيان والرجوع بالتهمة فيما يتصل بهم من المحن والخسران وفنون المكاره والافتتان وأن من تعاطى صنوف الإجرام فحقيق بأن لا ينسى حلول الانتقام.

﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ﴾ [الآية: 166] أي: جميع المسلمين وجمع المشركين يوم أُحُد ﴿فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الآية: 166] أي: فبقضائه وقدره لتؤمنوا به.

﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ﴾ [الآية: 167] ليميز المنافقين من المؤمنين المخلصين ﴿وَقِيلَ لَهُمۡ﴾ [الآية: 167] أي: والحال أنه قيل للمنافقين ﴿تَعَالَوۡاْ﴾ [الآية: 167] أي: احضروا في المعركة أو ارتفعوا عن حالة الحجبة إلى مرتبة الوصلة والقربة ﴿قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 167] أي: الكفرة ﴿أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ﴾ [الآية: 167] أي: ادفعوهم عن الضعفة أو بتكثير سواد المقاتلة فإنه يقوي قلوب أرباب المجاهدة ويكسر شوكة الأعداء المقاتلة قيل: قاتلوا أنفسكم على ملازمة الأوامر والنواهي وادفعوها عن طريق الشرك الجلي والخفي والظاهري والباطني كذا في «**دقائق الحقائق**» ﴿قَالُواْ

﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ﴾ [الآية: 167] أي: لو نحس قتالاً لاتبعناكم في المقاتلة ووافقناكم في المدافعة وإنما قالوه للدغل والمداخلة لقوله تعالى: ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ [الآية: 167] لا نخزلهم وكلامهم هذا فإنه أول إمارات ظهرت منهم معلمة بكفرهم ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [الآية: 167] أي: بألسنتهم ففيه مجاز يذكر المحل وإرادة الحال وتأكيد لما ذكره بعض أرباب القال والمعنى يتفوهون من غير ما يتفهمون ويظهرون خلاف ما يضمرون ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ [الآية: 167] من المؤمنين فيما يبينون فإنه سبحانه يعلم الأشياء جليها وخفيها مفصلة وغيره/ يعلم بعضها مجملة. 149/أ

وأفاد الأستاذ: أن الله تعالى هون على المؤمنين وأصحاب البصائر من أرباب اليقين ما لقوا من عظيم الفتنة يوم أُحُد في شهادة المسلمين بغلبة الكافرين بأن قال أن ذلك أجمع كان بإذن الله وأن بلاء يصيب بإذن الله لمن العسل أحلى ومن كل نعيم أشهى انتهى وكما قيل ضرب الحبيب أحلى من الزبيب وكما قال قائلهم:

أريد وصاله ويريد هجري فأترك ما أريد لما يريد[1]

ثم قال في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا﴾ [الآية: 167] الآية أخبر أن الذين لم يكن لهم في الصحبة خلوص كيف تعللوا وتكاسلوا وكذا الملول إذا أراد قطيعة ملّ الوصال وقال: كان وكانا يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم فلا جرم سقوا العسل ودسّ لهم فيه الحنظل ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [آل عمران: 54].

﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾ [الآية: 168] قالوا أيضاً لأجل أشباههم أو أتباعهم وأشياعهم في نفاقهم وشقاقهم ﴿وَقَعَدُوا﴾ [الآية: 168] أي: والحال أنهم قعدوا بأنفسهم في المقاتلة عن وفاقهم ﴿لَوْ أَطَاعُونَا﴾ [الآية: 168] أي: قائلين لو أطاعنا إخواننا في قعودنا أو انصرافنا ﴿مَا قُتِلُوا﴾ [الآية: 168] كما لم يقتل من كان معنا وقرأ هشام بالتشديد لِلتكثير ﴿قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ﴾ [الآية: 168] أي:

(1) سبق التعليق عليه.

ادفعوه وأسبابه عنها في مأواكم ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الآية: 168] في دعواكم ومقتضى فحواكم أنكم تقدرون على دفع القتل عمن كتب عليه بعدم خروجكم ولزوم منازلم بولوجكم والمعنى أن القعود ليس بالدافع والمانع فإن أسباب الموت كثيرة بحسب الوقائع فربما يكون القتال سبباً للهلاك والقعود سبباً للخلاص من المهالك وربما يكون الأمر بخلاف ذلك فلا تغيير لِشيء مما قدر هنالك وهذا جواب لكلامهم وقد سبق رد آخر لمرامهم.

وأفاد الأستاذ: إنّ الذين ركنوا إلى ما سولت لهم نفوسهم من إيثار الهوى المشبه بالهواء والبهاء ثم اعترضوا على من صرفهم أحكام القضاء وقالوا لو تحرزوا عن البروز للقتال لم يسقطوا عن درجة السلامة في الحال والمآل لمذمومة تلك الظنون ولذاهبة عن شهود التحقيق تلك القلوب في جميع الفنون قل لهم يا محمد استديموا لأنفسكم الحياة وادفعوا عنها هجوم
149/ب الوفاة ومتى يقدرون/ على ذلك هيهات هيهات ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًاۚ﴾ [الآية: 169] قرأ الشامي بالتشديد وهشام بالغيبة ولا يحسبن حاسب كما أن الخطاب عام لكل حاسب والمراد بالنهي للحاضر والغائب من جميع الجوانب عن حسبان أن القتلى كالموتى في كل المراتب فإن قتلهم شهادة دالة على سعادة موحية لحياة أبدية ونجاة سرمدية كما قال ابن عطاء المقتول على المشاهدة باقٍ برؤية شاهده ومولاه والميت من عاش على رؤية نفسه ومتابعة هواه فكأنه أشار إلى ما قيل:

ليس من مات فاستراح بميت ... إنما الميت ميت الأحياء(1)

وقد قال قائلهم:

اقتلوني يا ثقاتي ... إن في موتي حياتي(2)

لأن أولياء الله لا يموتون ولكن من دارٍ إلى دار ينتقلون كما قال تعالى:

---

(1) نسب إلى عدي بن الرعلاء الغساني انظر: خزانة الأدب (3/ 446)، ومضاهاة أمثال كليلة ودمنة (1/ 14)، وزهر الأكم (1/ 65).
(2) نسب إلى الحلاج، انظر: آثار البلاد وأخبار العباد (1/ 66).

﴿بَلۡ أَحۡيَآءٌ﴾ [الآية: 169] أي: بل أحياء وغيرهم أموات لكونهم ﴿عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ [الآية: 169] أي: في دار كرامته وقرب مكانته ﴿يُرۡزَقُونَ﴾ [الآية: 169] من نعيم جنته في هياكل طيور خضر تسرح في سقيها تأكل من ثمرتها وتأوي إلى قناديل معلقة تحت العرش للاستقرار إلى يوم القرار كما ورد في الأخبار والآثار حال كونهم.

﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ [الآية: 170] وهو شرف الشهادة الذي هو أسباب السعادة والفوز بالحياة الأبدية والظفر بالمشاهدة الصمدية في المرتبة العندية التي هي غاية منى المقاصد العبدية.

وأفاد الأستاذ: أن الحياة بذكر الحق بعد ما تلت النفس في مقام الصدق أتم من البقاء ببعث الخلق مع الحجبة عن الحق ويقال أن الذي وارثه الحي الذي لم يزل ليس بميت وإن قتل:

فإن كانت الأبدان للموت أنشئت فقتل امرىء في الله لا شك أفضل[1]

﴿وَيَسۡتَبۡشِرُونَ﴾ [الآية: 170] أي: يسرون بقلوبهم ﴿بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم﴾ [الآية: 170] وهم إخوانهم الذين لم يقتلوا فيتصلوا بهم كائنين ﴿مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾ [الآية: 170] زمناً أو رتبة في شأنهم ﴿أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [الآية: 170] ي: لكون الخوف منفي عنهم والحزن لا يتصور منهم.

وأفاد الأستاذ: أن من علم أن أحباءه ينتظرونه وهم الترفه والنعمة في حالهم ومآلهم لا يتهنأ بعيش دون التأهب والإلمام بهم والنزول عليهم قلت في هذه الحال قال بلال: غداً نلقى الأحبة محمداً وحزبه[2] ما أفلح من ندم.

﴿يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 171] أي بمثوبة عظيمة لأعمالهم ﴿جَزَآءٗ وِفَاقًا﴾ [النبأ: 26] بمقتضى العدل ﴿وَفَضۡلٖ﴾ [الآية: 171] أي: زيادة على ما

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 417).
(2) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (5/ 92) رقم (8352)، وابن حبان في الصحيح (16/ 164) رقم (7192)، وأحمد في المسند (3/ 105) رقم (12045)، وابن أبي شيبة في المصنف (6/ 386) رقم (32257).

150/أ اقتضاه/ بطريق الفضل كقوله تعالى: في حق أرباب السعادة الذين هم أعم من أصحاب الشهادة ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: 26] وتنكيرهما للتعظيم في الإفادة ومشيراً إلى ما قاله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: 17] وبينه السُنَّة مجملة بقوله في الحديث القدسي والكلام الأنسي أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر[1] ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 171] أي: وبهذا أيضاً يكونون مستبشرين وأراد عموم المؤمنين لاقتضائه الأولوية بخصوص الشهداء المخلصين وقرأ الكسائي بالكسر على الاستئناف تسلية لسائر المسلمين.

وفي «دقائق الحقائق» قيل يستبشرون بما أنعم عليهم من فضله القديم حيث جعلهم أهلاً لنعمته وفضله الكريم.

وأفاد الأستاذ: أن علة استبشارهم وموجبه فضل من الله ونعمة منه لولا فضله عليهم ونعمته بهم وإلا لما استبشروا وليس استبشارهم بالنعمة وإنما استبشارهم بأنهم عباده وأنه مولاهم ولولا فضله ونعمته عليهم لما كانت هذه الحالة لهم.

﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ﴾ [الآية: 172] أي: بالوحدانية ﴿وَٱلرَّسُولِ﴾ [الآية: 172] بالمتابعة ﴿مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ﴾ [الآية: 172] أي أنواع من الجرح.

وأفاد الأستاذ: أن للاستجابة مزية على الإجابة من حيث الإشارة لا من مقتضى العربية أقول ولا بعد أن يوجه له وجه أيضاً في اصطلاح العلوم الأدبية بأن يقال أن زيادة المبنى تدلّ على زيادة المعنى ولذا قال تعالى في مقام العموم: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: 186] وفي مرتبة الخصوص فاستجاب لهم ثم قال وهو أنهم استجابوا طوعاً لا كرهاً ﴿ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ﴾ [الآية: 172] من غير نظر على تحمل مشقة بل بإشارة القلب ومحبة الفؤاد واختيار الروح واستجلاء تحمل الحكم فاستجابة الحق تعالى بالتحقق بوجوده واستجابة

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (3244)، ومسلم في الصحيح (2824/ 4).

الرسول عليه السلام بالتخلق بما شرع من حدوده واستجابة الحق بالصفاء في حق الربوبية واستجابه الرسول عليه السلام بالوفاء في إقامة العبودية من بعد ما أصابهم القرح في ابتداء معاملاتهم قبل ظهور أنوار التجلي على قلوبهم وابتسام الحقائق في أسرارهم ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ﴾ [الآية: 172] أي: بالإيمان ﴿وَٱتَّقَوْاْ﴾ [الآية: 172] أي: احترسوا من العصيان ﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الآية: 172] لقوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ/ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن: 60]. 150/ ب

ومن دقائق ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ﴾ [الآية: 172] في أداء الشرائع ﴿وَٱتَّقَوْاْ﴾ [الآية: 172] في التوحيد أن يألفوا بشرك جلي أو خفي ﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الآية: 172] هو حفظ أسرارهم وأوقاتهم عليهم من كل شاغل يشغلهم عنا لحق وقيل: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ﴾ [الآية: 172] في إجابة المصطفى ﷺ ﴿وَٱتَّقَوْاْ﴾ [الآية: 172] مخالفة وعلانية ﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الآية: 172] هو البلوغ إلى المحل العظيم من مجاورة الحق ومشاهدته.

وأفاد الأستاذ: أن الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه وهو المشاهدة فإن لم تكن تراه فإنه يراك وهو المراقبة في حال المجاهدة فلأصحابهما وأربابهما ﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الآية: 172] لأهل البداية مؤجلاً ولأهل النار معجلاً هذا وروي أن أبا سفيان وأصحابه لما رجعوا من أحد فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فندب أصحابه للخروج في طلبه وقال: لا يخرجن معنا إلا من حضر يوماً بالأمس فخرج رسول الله ﷺ مع جماعة حتى بلغوا حمراء الأسد وهي على ثمانية أميال من المدينة وكان أصحابه [أصابهم] القرح فتحاملوا على أنفسهم حتى لا يفوتهم الأجر فألقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت[1].

﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾ [الآية: 173] أي: بعض منهم ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ﴾ [الآية: 173] أي: أبا سفيان وأتباعه ﴿قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ﴾ [الآية: 173]أي: جيوشاً واجتمعوا لقتالكم ﴿فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ﴾ [الآية: 173] أي: مقولهم للصحابة ﴿إِيمَٰنًا﴾ [الآية:

(1) المعجم الكبير (11/ 247) رقم (11632)، السنن الكبرى (6/ 317) رقم (11083)، تفسير البغوي (2/ 136)، وتفسير الرازي (4/ 474).

173] أي: إيقاناً فأخلصوا النية وأظهروا الحمية الإسلامية ﴿وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾ [الآية: 173] أي: كافينا ليس سواه ﴿وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [الآية: 173] أي: الله الموكول إليه أمرنا في ما قدره وقضاه.

وأفاد الأستاذ: أنه لم يتلبس على ظواهرهم شيء من أحوال الدنيا إلا انفتح في أسرارهم طوالع من الكشوفات فازدادوا يقيناً على يقين ومن إمارات اليقين استقلال القلوب بالله عند انقطاع المنى من الخلق في توهم الإمداد والإعانة هذا وروي أن أبا سفيان نادى عند انصرافه من أُحُد يا محمد موعدنا موسم بدر القابل إن شئت فقال عليه السلام: إن شاء الله فلما كان القابل خرج في أهل مكة حتى نزل مر الظهران فأنزل الله الرعب في قلبه فرجع هو وأشياعه بنعمة من الله[1].

﴿فَٱنقَلَبُوا۟﴾ [الآية: 174] أي: فانصرف النبي ﷺ وأتباعه ﴿بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾
151/أ [الآية: 174] أي: مصحوبين بعافية وسلامة وزيادة معرفة/ ﴿وَفَضْلٍ﴾ [الآية: 174] أي: ربح تجارة صورية في ضمن تجارة معنوية ﴿لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾ [الآية: 174] إساءة جراحة وشدة مشقة ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 174] أي: لا بطراً ولا أشراً ورياء وسمعة ﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [الآية: 174] على العالمين عموماً وعلى المؤمنين خصوصاً.

قال الأستاذ: وكذا سُنَّة الحق سبحانه مع من صدق في التجائه إليه أن يمهد مقيله في ظل كفايته فلا البلاء يمسه ولا العناء يصيبه ولا النصب يظله.

﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ [الآية: 175] أي: قائل أن الناس قد جمعوا لكم يصد أولياء الله عن أعدائه ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾ [الآية: 175] أي: الناس بأسرهم ﴿وَخَافُونِ﴾ [الآية: 175] أي: وخافوني كما قرأ به أبو عمرو والمعنى واخشوني وحدي واتقوا مخالفة أمري وجاهدوا مع رسولي ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 175] بوعدي ووعيدي.

(1) تفسير البيضاوي (1/ 116).

وقال سهل: أي مصدقين أنه لا دافع ولا نافع غيري.

وقال جنيد: يتوقع العذاب مع كل نفس في كل باب.

وقال الواسطي: الخوف من شرط الإيمان والخشية من شرط العلم كذا في «حقائق السلمي» وكأنه أشار إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: 28] وإلى ما ورد أنا أعلمكم بالله وأخشاكم[1] لله.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة في تسليط دواعي الشيطان على قلوب الأولياء صدق فرارهم إلى الله كالصبي الذي فيه غرامة يخوف بشيء يفزع به الصبيان فإذا خاف لم يهتد إلى غير حجر أمه فإذا التجأ إليها آوته إلى نفسها وضمته إلى نحرها وألصقت خده بخدها كذلك العبد إذا صدق في ابتهاله إلى الله ومرجوعه إليه في مخاوفه آواه إلى كنف قربه وتداركه بحسن لطفه ﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ [الآية: 176] يقعون سريعاً فيه حرصاً عليه وغفلة عما ينافيه وقرأ نافع بضم الياء وكسر الزاي وحزنه وأحزنه لغتان والمعنى لا يوقعوك في الحزن مخافة أن يضروك ويعينون عليك ﴿إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ [الآية: 176] أي: أولياءه ﴿شَيْـًٔا﴾ [الآية: 176] أي: بشيء أو شيئاً من الضر بمسارعتهم في الكفر وإنما يضرون به أنفسهم بالخسارة في التجارة ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الآية: 176] ومعه حجاب جسيم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه زاد في قوة قلبه بما جدد له من تأكيد عهده بأنه لا يشمت به عدواً ولا يوصل إليهم من قبله سوءاً.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الآية: 177] أي: استبدلوه به واختاروه
عليه/ ﴿لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ [الآية: 177] بمخالفتهم كما أنهم لن ينفعوه سبحانه 151/ب
بموافقتهم فإنه سبحانه غني عن الخلق وطاعتهم وعبادتهم وإنما يرجع نفع أعمالهم وضرر أحوالهم إليهم بالإقبال والوبال عليهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الآية: 177] أي: مؤلم بوصف الدوام فيفيد الكمية كما أن ما قبله يفيد بيان الكيفية فلا

(1) المسند الجامع (8/ 166) رقم (2427)، ومسند عبد بن حميد (1/ 435) رقم (1502).

تكرار في الآية الأولى يختصون بالمشركين والمنافقين من هذه الأمة وفي الآية الثانية للحكم على كفار سائر أهل الملّة وعظم عذاب الأولين على وفق عظم ثواب أضدادهم من المؤمنين.

وأفاد الأستاذ: أنهم إن أصروا فما أضروا إلا بأنفسهم وإن أضروا فما أصروا إلا على خسرانهم:

فما نحن عذبنا ببعد ديارهم ولا نحن ساقتنا إليهم نوازع[1]

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْۚ﴾ [الآية: 178] قرأ حمزة فيه وفيما بعده بالخطاب والباقون بالغيبة فيهما أي: لا يحسبن حاسب ولا مخاطب ولا غائب من الكفار والفجار أن إملاءنا لهم خير لأنفسهم وإمهالنا بإطلة عمرهم نفع لوجودهم ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ﴾ [الآية: 178] وزيادة الإثم موجبة لزيادة وبالهم وسوء حالهم ومآلهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [الآية: 178] أي: ذو إهانة في العقبى وحجاب متين في الدنيا وهذا في حق الكفار بخلاف حال الأبرار فإنهم كما ورد طوبى لمن طال عمره وحسن عمله[2] فلهم جنة معجلة في الدنيا وجنة مؤجلة في الأخرى كما أشار إليه قوله سبحانه في سورة الرحمن ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: 46] .

وأفاد الأستاذ: في إشارة الآية أن من تمام المكر بهم والمبالغة في عقوبتهم أن تعذيبهم وهم لا يشعرون ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 182] نملي لهم فيظنون ذلك إنعاماً ولا يحسبونه انتقاماً فإذا برز لهم كوامن التقدير عن مجاراتها علموا أنهم لفي خسران مبين ولقد اتضح لكل ذي بصيرة أنما يكون سبب العصيان وموجب النسيان غير معدود من جملة الإنعام والإحسان.

﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ [الآية: 179] أي: من الاختلاط والمعنى لا يتركهم مختلطين معكم لا يعرف حال مخلصكم ومواقفكم

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 424).
(2) مسند أبي الجعد (1/ 492) رقم (3431).

من مرائيكم ومنافقكم ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ﴾ [الآية: 178] قرأ حمزة والكسائي بالتشديد من التمييز والباقون من الميز وهما لغتان والمعنى حتى يبين المنافق من الموافق والمرائي الخالط من المخلص الضابط بالوحي إلى نبيكم وإخباره بأحوالكم أو بالتكاليف/ الشاقة من بذل أموالكم وأرواحكم. 152/أ

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه جمعهم من حيث الأشخاص والمباني ولكنه فرقهم في الحقائق والمعاني فمن طيب سجيته ومن خبيث طينته وإنهم وإن كانوا في رأي عين العوام مختلطون ففي بصيرة الخواص هم ممتازون ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ﴾ [الآية: 179] لتطلعوا على ما في القلب من اليقين والريب ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجۡتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ﴾ [الآية: 179] أي ولكن يختار من يشاء لرسالته فيخبره ببعض مغيباته.

زاد الأستاذ فإن أسرار الغيب لا يظهر للمتلوثين بأدناس البشرية وأرجاس النفسية وأن الحق سبحانه مستأثر بعلم ما جل وقل من الأخبار فيخص من يشاء من أنبيائه بمعرفة بعض الأسرار قلت وكذا لأوليائه ببركة متابعة أنبيائه ولعل وجه الاقتصار على الرسول إيماءً إلى الأصالة ومشيراً إلى ما يحصل لغيرهم إنما هو بطريق التبعية والنيابة لقول النبي الأجل ﷺ اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله عزَّ وجلَّ[1] ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ﴾ [الآية: 179] أي: بصفة الإخلاص الموجبة للخلاص ﴿وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ﴾ [الآية: 179] على وفق الوفاق وتتركوا عمل أهل النفاق ﴿فَلَكُمۡ أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾ [الآية: 179] ونعيم مقيم.

﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ [الآية: 180] أي: بخلهم ﴿هُوَ خَيۡرٗا لَّهُمۖ بَلۡ هُوَ شَرّٞ لَّهُمۡۖ﴾ [الآية: 180] لاستجلاب العقاب عليهم واستيجاب الحجاب لديهم ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾ [الآية: 180] فيندمون على بخل مالهم وسوء مآلهم حيث لا ينفعهم الندامة ﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾ [الآية: 180] فيرث منهم ما يبخلونه ويمسكونه عن سبيله ولا

---

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (8/ 102) رقم (7497)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/ 298) رقم (3127).

ينفقونه وتبقى عليهم الحسرة والعقوبة والندامة يوم القيامة ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الآية: 180] من المنع والعطاء والبخل والكرم ﴿خَبِيرٌ﴾ [الآية: 180] أي: عالم بصير فيجازيهم على وفق أعمالهم وتفاوت أحوالهم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالغيبة.

وأفاد الأستاذ: أن من آثر شيئاً على الله ولم يبارك له فيه فلا يدوم له في الدنيا بذلك استماع ولا للعقوبة عليه في الآخرة عنه دفاع والبخل على لسان العلم منع الواجب وعلى مقتضى الإشارة إبقاء شيء ولو ذرة من المال أو نفس من الأحوال.

ومن «دقائق الحقائق» قال ابن عطاء السلوك في طريق الحق على السخاء واجتناب البخل وهو بذل النفس والمال والسر والروح والكل فمن نظر في طريق الحق إلى غير لوامع أسرار الرب وسواطع أنوار القرب فهو نحيل روي عن سيد الأنبياء الأصفياء ما جبل ولي لله إلا على السخاء[1].

152/ب ﴿لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ/ قَالُوٓاْ﴾ [الآية: 181] أي: من اليهود لكونهم أغنياء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُ﴾ [الآية: 181] حين نزل من ذا الذي يقرض اللّه في الترغيب والتحريض بالتصدق على الفقراء وهذا من جهلهم بالله سبحانه وصفاته وأحكامه وحكمه في مخلوقاته من فقير وغني وصالح وكافر ونعمة ومعصية وطاعة ومنحة صورية ومحنة معنوية ونحو ذلك حيث يحتقرون الفقراء من الأولياء والأصفياء ويفتخرون بِكثرة الأموال وسعة الجاه وإن كانتا موجبتين للبعد عن الله والاشتغال بما سواه مع ما فيهما من الحساب والعقاب والحجاب والطرد عن الباب.

وأفاد الأستاذ: إن هذا الخطاب لو كان بين المخلوقين لكان شكوى أي: بالكتاب والعقاب والشكوى إلى الأولياء من الأعداء سُنَّة الأحباب ويقال علم الله سبحانه أن في المؤمنين من يغتاب الناس وذلك قبيح من

---

(1) جامع الأحاديث (19/ 1) رقم (2007)، تخريج أحاديث الإحياء (7/ 346) رقم (3271)، الموضوعات لابن الجوزي (2/ 179).

مقالتهم فأظهر قبحاً فوق ذلك من حالتهم ليتصاغر قبح قول الأبرار بالإضافة إلى قول الكفار وفيه أيضاً إشارة إلى دعاء الخلق إلى حسن الخلق بالتجاوز عن الخصم فإن الله سبحانه لم يسلبهم ما أولاهم مع قبيح ما ارتكبوه من التقصير في حق مولاهم ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟﴾ [الآية: 181] وهي تلك القولة وغيرها من هذه المقولة ﴿وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [الآية: 181] أي: بلا جريمة ولا حاجة ومنفعة بل لمجرد كونهم ذوي شوكة وقوة والسين لتأكيد القضية والكتابة بمعنى إثبات القصة أو للتقرير في صحائف الكتبة ﴿وَنَقُولُ﴾ [الآية: 181] أي: على لسان الحزنة ﴿ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [الآية: 181] أي: المحرق للأعضاء الظاهرة الموصل إلى الأجزاء الباطنة وقرأ حمزة سيكتب بالتحتية المفهومة والفوقية المفتوحة وقتلهم بالرفع عن النيابة ويقول بياء الغيبة.

وأفاد الأستاذ: أن هذه الكلمة من موجبات الخجلة لأهل التقصير بأدق إشارة يعني أنهم وإن نسوا أحوالهم وأقوالهم فإنا ننشر لهم ما كتبنا عليهم من قبيح أفعالهم كما قيل:

صحائف عندي للعتاب طويتها ستنشر يوماً والعتاب يطول
سأصبر حتى يجمع الله بيننا فإن نلتق يوماً فسوف أقول[1]

﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 182] أي: العذاب المقترن بالحجاب ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الآية: 182] من قتل الأنبياء أو بما عملت أنفسكم من احتقار الفقراء واستعظام الأغنياء وسائر الأسواء ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ/ لِّلْعَبِيدِ﴾ [الآية: 182] أي: بذي 153/أ
ظلم لعباده مع أنه مالك لملكه وملك في ملكه ولا معقب لحكمه بل ولا يتصور وقوع ظلم في حقه لأن أفعاله كلها إما عدل وإما فضل ليس بينهما فصل.

﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟﴾ [الآية: 183] أي: هم الذين قالوا أيضاً ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ﴾ [الآية: 183] أي: أمرنا في التوراة وأكد علينا ﴿أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ﴾ [الآية: 183] أي: ممن يأتي بعد موسى ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ﴾ [الآية: 183] أي: بأن لا نؤمن لرسول حين يأتينا بهذه المعجزة التي كانت لأنبياء بني إسرائيل

(1) نسب إلى ابن الأحنف. انظر: أدب الكتاب (1/ 25)، ودواوين الشعر العربي (33/ 308).

عليه السلام خاصة وهو أن يقرب بقربان فيقوم النبي عنده فيدعو فتنزل ناراً سماوية فتأكله وهذا من مفترياتهم ليعللوا به عن إيمانهم ومتابعتهم لأن أكل النار القربان لم يوجب الإيمان إلا لكونه معجزة فهو وسائر المعجزات مستوفي هذه القضية ومع هذا رده سبحانه عليهم بالحجة الإلزامية حيث قال ﴿قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [الآية: 183] بالمعجزات الواضحات ﴿وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ﴾ [الآية: 183] من خصوص الآيات الموحية لمتابعة من أتى بها من الرسل كزكريا ويحيى عليهما السلام بالوجه المبين ﴿فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الآية: 183] أي: في هذه الدعوى فإن قتلكم إياهم مناقض للمدعى.

وأفاد الأستاذ: أنهم يقولون على الله سبحانه فيما تعللوا به [من ترك] الإيمان بنبي آخر الزمان فقالوا لقد أمرنا أن لا نصدق أحداً إلا إذا أتانا بقربان يتقرب به فتنزل نار من السماء فتأخذ القربان عياناً ببصر قال تعالى: ﴿قُلْ﴾ لهم من الأنبياء عليهم السلام أتوكم بما اقترحتم عليّ من القربان ثم لم تؤمنوا فلو أجبتكم إليه لم تؤمنوا بي أيضاً فإن من قصته السوابق فلو خاطبته الشمس بلسان فصيح أو سجد له الجبال فرآها بلحظ صحيح لم يلج العرفان في قلبه وما ازداد إلا شكاً على شكه انتهى ولعل الحكمة في عدم هذه المعجزة مع أن مثل هذه الكرامة قد تجري على بعض أولياء الأمة لأن سُنَّة الله سبحانه أن الإتيان بالمعجزة المقترحة موجب لاستئصال أهلها بالعقوبة وقد علم الله في بعضهم ولو في أصلاب جماعة منهم حصول الإيمان والمعرفة فأنزل الله تعالى لنبيه على وجه التسلية.

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [الآية: 184] المعجزات الواضحات التي من جملتها الآيات المقترحات ﴿وَٱلزُّبُرِ﴾ [الآية: 184] أي: وبالزبر كما هو قراءة الشامي ﴿وَٱلْكِتَٰبِ﴾ [الآية: 184] قوله أي: وبالكتاب كما قرأ به هشام ﴿ٱلْمُنِيرِ﴾ [الآية: 184] المبين للخلق طريق الحق
153/ب بالوجه الصدق والزبر جمع زبور/ وهو الكتاب الذي بيانه على الحكم والمواعظ مقصور دون الأحكام المبينة للنهي والمأمور بخلاف الكتاب فإنه في عرف القرآن ما يتضمن الشرائع والأحكام والمراد بالكتاب جنسه الشامل لأرباب الخطاب.

وأفاد الأستاذ: إن عادة الفجار تكذيب الأبرار وعلى هذا النحو درج سلفهم وبهديهم يقتدي خلفهم.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ﴾ [الآية: 185] أي: مرارة كأس سكراته وحرارة بأس غمراته وهذا وعد للمصدق ووعيد للمكذب ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ﴾ [الآية: 185] أي: تعطون جزاء أعمالكم وافياً كان أو شراً بحسب أحوالكم ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۖ﴾ [الآية: 185] أي: يوم قيامكم من القبور ووقوفكم بين يدي عالم ما في الصدور ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ﴾ [الآية: 185] أي: أبعد عنها أو أخرج منها ﴿وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [الآية: 185] أي: التي هي محل الوصلة والقربة ﴿فَقَدْ فَازَۗ﴾ [الآية: 185] أي: نجا وظفر بكل نعمة وبغية ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ﴾ [الآية: 185] أي: تمتعاتها ولذاتها ﴿إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [الآية: 185] أي: ما ينتفع به المغرور وما أحسن ما قال أرباب الحال.

أضغاث نوم أو كظل زائل ... إنّ اللبيب بمثلها لا يخدع[1]

وعن حيدر الكرار أنت نعم الدار لمن لم يرض بك داراً وكأنه رضي الله عنه وكرّم وجهه تبع في هذا المقال ما قال ﷺ نعم المال الصالح للرجل الصالح[2] ونعم ما قال بعض العارفين الدنيا ساعة فاجعلها طاعة.

وتوضيحه ما قاله سبحانه ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ﴾ [المنافقون: 11] أي: نفساً فكل نفس يتخيل أن يكون آخر الأنفاس فيجب على السالك أن يراعيه ولا يضيعه بالاستئناس مع الناس فإنه موجب لحصول الإفلاس.

وأفاد الأستاذ: أن كأس الموت توضع على كف كل حي مخلوق فمن تحساها طيبة النفس أورثته سكر الوجد ومن تجرعها على وجه التعبيس وقع في هذه الرد ووسم بكي البعد يوم القيامة فمن أجير من النار وصل إلى

(1) نسب إلى أبي حصينة. انظر: معجم الأدباء (1/ 420)، ونسب إلى سليمان بن يزيد العدوي. انظر: حماسة الظرفاء (1/ 9).
(2) أخرجه ابن حبان في الصحيح (8/ 6) رقم (3210)، وأحمد في المسند (4/ 197) رقم (17798)، والبيهقي في شعب الإيمان (2/ 91).

الراحة الكبرى ومن صلى بالسعير وقع في المحنة العظمى.

﴿لَتُبْلَوُنَّ﴾ [الآية: 186] أي: والله لتختبرن ﴿فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ﴾ [الآية: 186] بتكليف إنفاقها في جهات الخيرات وبما يصيبها من الآفاق ﴿وَأَنفُسِكُمۡ﴾ [الآية: 186] بالجهاد والقتل والجراحات وبالقيام في الصلاة والصيام وسائر العبادات ربما يرد عليها من المخاوف والأمراض والمتاعب وتغيير الحالات ﴿وَلَتَسۡمَعُنَّ
154/أ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ [الآية: 186] / من المخالفين ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَذٗى كَثِيرٗاۚ﴾ [الآية: 186] أي: من الطعن في الدين وإهانة المسلمين وقد أخبرهم الله سبحانه أولاً بهذا الابتلاء ليوطنوا أنفسهم على الصبر والتحمل في البلاء ولا يرهقهم نزولها بغتة فلا يكونن مستعدين للّقاء ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ﴾ [الآية: 186] على أنواع البلاء ﴿وَتَتَّقُواْ﴾ [الآية: 186] بتحمل أصناف الوفاء ﴿فَإِنَّ ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 186] ما ذكر من الصبر والتقوى من طريق مرضاة المولى ﴿مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ [الآية: 186] أي: من معزوماتها ولزوماتها التي يجب العزم عليها لتحصيل الأجور.

ومن «دقائق الحقائق» ﴿لَتُبۡلَوُنَّ فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ﴾ [الآية: 186] بحبها ومنع حقوقها وفي ﴿وَأَنفُسِكُمۡ﴾ [الآية: 186] برؤية أعمالها والاعتماد عليها.

﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [الآية: 187] أي: علمائهم القائلين للخطاب على لسان أنبيائهم أو بما بين الكتاب من أنبائهم ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ﴾ [الآية: 187] بالتاء الفوقية حكاية للمخاطبة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وشيبة بياء الغيبة واللام جواب القسم الدال عليه الأخذ المرسم والضمير للكتاب ﴿فَنَبَذُوهُ﴾ [الآية: 187] أي: الميثاق والكتاب ﴿وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ﴾ [الآية: 187] بعدم الالتفات إليه وترك الاعتماد عليه ﴿وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ﴾ [الآية: 187] أي: أخذوا بدله أو اختاروا على حصوله ﴿ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ﴾ [الآية: 187] من حطام الدنيا الدنية وأعراضها الفانية ﴿فَبِئۡسَ مَا يَشۡتَرُونَ﴾ [الآية: 187] ما اختاروه لأنفسهم من الخسارة في الدنيا والآخرة بترك العمل في العلم إلى الإيمان والإحسان ومنعه عن أهله بالبخل والكتمان وفي الحديث من كتم علماً عن أهله ألجم يوم القيامة بلجام من

نار[1] وعن علي رضي الله عنه ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا[2] وقيل أخذ الله المواثيق على عامة أوليائه أن لا يخففوا إكرامات الله عندهم لمن لا يفتتن بذلك ولا يتخذوه دعوى وأن يعلموا من قصدهم من المريدين الطريق إلى الحق كذا في «دقائق الحقائق».

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أخبر عنهم أنهم أبرموا عهودهم ألا يزالوا عن وفائه ولكنهم نقضوا أسباب الذمام بما صاروا إليه من الكفران ثم تبين أنما اعتاضوا من ذهاب الدين بأعراض يسيرة وأعراض حقيرة لم يبارك لهم فيه.

﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟﴾ [الآية: 188] أي: فعلوا وقرئ بما أوتوا وبما آتوا أي: أعطوا من أنفسهم وبذلوا من أموالهم ﴿وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟﴾ [الآية: 188] مع أن من المذموم مجمة الحمد على ما فعلوا ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ﴾ [الآية: 188] بمنجاة ﴿مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾ [الآية: 188] ومخلص من الحجاب وقرأ/ الكوفيون بالخطاب في الأول وفي الثاني ابن كثير وأبو عمرو وكل على 154/ب
أصله في فتح السين أو كسرها وباقي الخلافات في الآية من وجوهها والمعنى لا تحسبن الذين يفرحون أنفسهم أو لا تحسب حاسب مخاطب أو غائب الفارحين بما فعلوا من نحو كتمان الحق ﴿وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟﴾ [الآية: 188] من نحو إظهار الصدق فائزين بالنجاة مع المؤمنين فإنهم معذبون مع المشركين لقوله ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الآية: 188] وحجاب عظيم بوجود كتمانهم وعدهم إيمانهم.

وأفاد الأستاذ: أن من باشر رؤية الخلق قلبه ولاحظهم سره ولبه فلا تظن أن عقوبتهم مؤخرة إلى يوم القيامة بل ليسوا من العذاب ﴿بِمَفَازَةٍ﴾ وأي عذاب أشد من الرد إلى الخلق والحجاب عن الحق.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية: 189] أي: يملكهما وما فيهما ومنه اقتداره على حجابهم ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الآية: 189] فيقدر على عقابهم.

---

(1) كنز العمال (10/ 191) رقم (29002)، وكشف الخفا (2/ 255) رقم (2505)، والعلل المتناهية (1/ 97) رقم (117).
(2) فيض القدير (3/ 187) رقم (2965).

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة من هذه الآية هاهنا إلى غناه عن من في الكون وأنهم محتاجون إليه إيجاداً أو إمداداً بالعون وأنهم لا يجدون عنه خلفاً ولا عليه بدلاً ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية: 190] أي: أنفسهما أو نفوس من فيهما ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [الآية: 190] أي: ينقص أولهما وزيادة آخرهما وعكسهما أو اختلافهما نوراً وظلمة وحرارة وبرودة ﴿لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الآية: 190] لدلالات واضحة لأصحاب العقول السليمة المجلوة الخالصة عن شوائب الوهم والغفلة على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته وفي الحديث ويل لمن قرأها ولم يتفكر(1).

أفاد الأستاذ: أن الآيات التي تعرف الحق سبحانه بها إلى العوام هي الآيات التي في الأقطار من العبر والآثار وأما الآيات التي تعرف بها إلى الخواص فالتي في أنفسهم قال سبحانه ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [فصلت: 53] فالآيات الظاهرة توجب علم اليقين والآيات الباطنة توجب عين اليقين والإشارة من اختلاف الليل والنهار إلى اختلاف ليالي العباد فليالي أهل الوصال قصيرة وليالي أهل الفراق طويلة فهذا يقول:

شهور ينقضين وما شعرنا ... بأنصاف لهن ولا سرار(2)

ويقول:

صباحك سكر والمساء خمار ... نعمت وأيام السرور قصار(3)

والثاني يقول:

ليالٍ بعد الظاعنين شكول ... طوال وليل العاشقين طويل(4)

---

(1) أخرجه ابن حبان في الصحيح (2/ 386) رقم (620).
(2) نسب إلى أبي عمرو البجلي. انظر: الرسائل (1/ 163)، وأيضاً نسب إلى جعدة بن معاوية العقيلي. انظر: (1/ 151).
(3) ذكره القشيري في تفسيره (4/ 342).
(4) نسب إلى المتنبي. انظر: يتيمة الدهر (1/ 46)، ومحاضرات الأدباء (1/ 366).

وثالث ليس له خبر/عن طول الليل ولا عن قصره فهو لما غلب عليه كما 155/أ
قال:

لست أدري أطال ليلي أم لا … كيف يدري بذاك من يتقلى
لو تفرغت لاستطالة ليلي … ولرعي النجوم كنت مخلّى[1]

قلت ولا يبعد أن يكون اختلاف الليل والنهار مشيراً إلى أثر صفة الجلال والجمال وما يترتب من الفناء والبقاء والغيبة والحضور والمراقبة والمشاهدة والبسط والقبض لأرباب كما أشار إليه القطب الرباني الشيخ عبد القادر الجيلاني بقوله في «فتوح الغيب» ما أعظم تسخطك على ربك وتهتمك له عزَّ وجلَّ وإعراضك عليه واستبطاؤك له في الرزق والغنى وكشف الكرب والبلوى أما تعلم أن لكل أجلٍ كتاباً ولكل بلية وكربة غاية ونفاذ ألا يتأخر ذلك ولا يتقدم أبداً أوقات البلايا لا تتقلب فتصير عوافياً ووقت البؤس لا تتقلب نعمة وحالة الفقراء لا تستحيل غنى فأحسن الأدب والزم الصمت والصبر والرضا والموافقة لربك عزَّ وجلَّ لأنه سبحانه خلق الأشياء وخلق مصالحها ومفاسدها وعلم ابتداءها وانتهاءها وعاقبتها وانقضاءها وانتظار الفرج إن عجزت عن موافقته بالرضا والغنا في فعله إلى أن يبلغ الكتاب أجله فتسفر الحالة عن ضدها بروز الزمان وانقضاء الآجال كما ينقضي الشتاء فيسفر عن الصيف وينقضي الليل فيسفر عن النهار فإذا طلبت ضوء النهار ونوره بين العشائين لم تعطه بل تزداد في ظلمة الليل حتى إذا بلغت الظلمة غايتها وطلع الفجر جاء النهار بضوئه طلبت ذلك وأردته أوسكت عنه وكرهته فإن طلبت إعادة الليل حينئذٍ لم تجب دعوتك ولم تعط لأنك طلبت الشيء في غير حينه ووقته انتهى ولعل هذا المعنى هو المراد بقوله الصوفي ابن الوقت أو أبو الوقت بالفرق الرقيق بينهما في تحقيق أرباب الطريق.

قال الأستاذ: وأولو الألباب هم الذين صحت خمر عقولهم عن سكر

(1) نسب إلى ابن سهل اللغوي العسكري. انظر: معجم الأدباء (1/ 362)، وإلى أبي نوّاس. انظر: الكشكول (1/ 207)، وإلى خالد الكاتب. انظر: ديوان المعاني (1/ 145)، ومحاضرات الأدباء (1/ 366).

الغفلة عن الحضرة ولو لحظة وأمارة من كان كذلك أن يكون نظره بالحق فإذا نظر من الحق إلى الخلق استقام نظره وإذا نظر من الخلق إلى الحق انتكست نعمته وآثاره وانقلبت أفكاره انتهى لا يخفى أن هذا هو المقام الأعلى وإلا فالسالك المجذوب مقبول وإن كان المجذوب السالك في حال الاعتبار هو
155/ب الأولى/ وبالنظر إلى الأمرين اختلاف القولين حيث قال بعضهم ما رأيت شيئاً إلا وأريت الله قبله وقال آخرون بعده وإنما رجح المقام الأول لأنه ينبىء عن العيان والمشاهدة والثاني يخبر عن الاستدلال والمجاهدة والحاصل أن أولي الألباب ما بينه الله في الكتاب بقوله.

﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ﴾ [الآية: 191] في جميع أحوال الخطاب ﴿قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ﴾ [الآية: 191] أي؛ قائمين وجالسين ومضطجعين.

قال الأستاذ: استغرق الذكر جميع أوقاتهم فإن قاموا فبذكره قاموا كما إن فقدوا وقاموا أو سجدوا فجملة أحوالهم مستهلكة في حقائق الذكر فيقومون بحق ذكره ويقعدون عن خلاف أمره ويقومون بصفاء الأحوال ويقعدون عن ملاحظتها بعين الكمال وعن الدعوى فيها في مقام الدلال ويذكرون قياماً على بساط الخدمة ثم قعوداً على بساط القربة ومن لم يسلم في بداية قيامه عن التقصير لم يسلم له قعوده في نهايته بوصف الحضور وذكر طريق الحق سبحانه ما سلك المريدون طريقاً أصح وأوضح من طريق الذكر وإن لم يكن فيه سوى قوله أنا جليس من ذكرني[1] لكان ذلك كافياً والذاكرون على أقسام وذلك لبيان أحوالهم فذكر يوجب قبض الذاكر لما يذكره من تقصير سلف له أو قبيح حصل منه فيمنعه خجله ذلك عن ذكره فذلك ذكر قبض وذكر يوجب بسط الذاكر لما يحب من لذات الذكر ثم من تقريب الحق إياه بجميل إقباله عليه وذاكر هو محو في شهود مذكوره فالذكر يجري على لسانه عادة وقلبه مصطلم في ما بدا له وذاكر هو في محل الإجلال يأنف من ذكره ويستقذر وصفه فكأنه لتصاغره عنده لا يزيد أن يكون له في الدنيا والآخرة ثناء وبقاء

(1) سبق تخريجه.

ولا كون ولا بهاء قال قائلهم:

ما إن ذكرتك إلا همّ يلعنني قلبي وروحي وسرى عند ذكراكا
حتى كأنّ رقيباً منك يهتف بي إياك ويحك والتذكار إياكا[1]

قلت: وقد يحصل هذا الحال في مقام الجمع الأول المعبر عنه بصرف التوحيد لإشعار التذكار بالأثنينيّة من الذاكر والمذكور ومقصود أهل الجمع هو الفناء في عين المذكور بحيث لا يكون لهم عن فنائهم أيضاً شعور لاستغراقهم في بحر/المشاهدة والحضور ولعل رابعة العدوية قالت في هذه الحالة 156/أ استغفارنا يحتاج إلى استغفار كثير وقال آخر: أذنبت في مقام الاعتراف والإقرار لأجل الاستغفار وهذا الاعتذار أعظم ذنباً من الإصدار لاشتماله على دعوى الوجود والفعل والاقتدار ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الجبار ثم قال والذاكر عنوان الولاية وبيان الوصلة وتحقيق الإرادة وعلامة صحة البداية ودلالة صفاء النهاية فليس وراء الذكر شيء في جميع الخصال المحمودة راجعة إلى الذكر ومنشئة عن الذكر قلت ولذا قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه: 14] مشيراً إلى أن المقصود من أمر العبادات وجميع الطاعات هو الذكر بجميع الهيئات في كل الحالات إلا أن ذكر الله للعبد أتم من ذكر العبد إياه لأن ذكره قديم كسائر صفاته وذكر العبد حادث في حالاته ولأن ذكره للعبد هو الباعث لذكر العبد له كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَمَا يَذۡكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [المدثر: 56] ويومىء إليه قوله سبحانه إنه: ﴿يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: 54] قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ﴾ [العنكبوت: 45] أي: من ذكركم إياه ثم أفضل ذكر العبد إياه أن ينسى حال ذكره ما سواه كما يشعر إليه قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَۚ﴾ [الكهف: 24] ويدل عليه قوله ﷺ أفضل الذكر لا إله إلا الله[2] ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الآية: 191] استدلالاً واعتباراً وتذكاراً لصفاته المتوقفة عليها الخلقة من الوجود والحياة والعلم والقدرة والإرادة ولعل

---

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 436).
(2) أخرجه الحاكم في المستدرك (1/ 676) رقم (1834)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/ 462) رقم (3383)، وابن حبان في الصحيح (3/ 126) رقم (846).

في الآية إشعاراً بما ورد تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذات[1] الله لأن الخلق كلهم لا يحيطون به علماً.

وأفاد الأستاذ: أن التفكر نعت كل طالب وثمرته الوصول بكل مطالب لكن بشرط العلم المقرون بالحلم فإذا سلم الفكر عن شوائب التعلق والتعليق ورد صاحبه على مناهل التحقيق وإذا حصل الشهود والحضور سما صاحبه عن الفكر والفكر إلى حد والذكر سرمد ثم فكر الزاهدين في فناء الدنيا وقلة وفائها وكثرة عنائها وخسة شركائها فيزدادون بالفكرة زهداً فيها وفكر العابدين في جميل المآب وجزيل الثواب فيزدادون نشاطاً عليه ورغبة إليه وفكر العارفين في الآلاء والنعماء فيزدادون محبة للحق سبحانه ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا﴾ [الآية: 191] أي: يتفكرون
156/ب قائلين ذلك وهذا إشارة إلى المتفكر فيه أو إلى الخلق على أنه/ أريد به المخلوق من السموات والأرض أو إليهما لأنهما في معنى المخلوق والمعنى ما خلقته عبثاً ضائعاً من غير حكمة بل خلقته لحكم عظيمة من جملتها أن يكون مبدأ لوجود الإنسان وسبباً لمعاشه في الأبدان ودليلاً يدله على الإيمان بوحدانيتك ويحثه على القيام بطاعتك لينال الحياة الأبدية والسعادة السرمدية وقد قال فارس الحكمة في إظهار الكون إظهار حقائق حكمته بالعقل الحكمي ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ [الآية: 191] أي: أنزهك تنزيهاً لك من العبث في فعلك من إظهار خلقك ﴿فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [الآية: 191] أي: ما يوجب العذاب وما يجر إلى الحجاب.

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ﴾ [الآية: 192] أي: مخلداً ﴿فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ [الآية: 192] لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ [التحريم: 8] مع أن المؤمن العاصي أيضاً سواء دخلها أم لا لا يخلو عن نوع خزي وفضيحة ومحنة ومشتقة لما روى الحافظ أبو يعلى الموصلي أن العاروالخزية تبلغ من ابن آدم في القيامة بين يدي الله ما يتمنى العبد أن يؤمر به إلى النار[2] وفي الآية إيماءٌ إلى أن

(1) تفسير ابن كثير (7/ 466)، والدر المنثور (2/ 411)، والمطالب العالية (13/ 62) رقم (4673).

(2) تفسير ابن كثير (2/ 187)، الدر المنثور (2/ 411)، المطالب العالية (13/ 62) رقم (4673).

العذاب الروحاني أبلغ من العقاب الجسماني حيث جعل حصول الأول مرتباً على وصول الثاني ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [الآية: 192] أي: ينصرونهم بالمنع عن دخولهم أو بالإقدام على إخراجهم من النار وأما الشفاعة لعصاة المؤمنين فلا يقال لها نصرة لأن النصرة دفع بالغلبة والشفاعة بطريق المسألة

وقال الأستاذ: من ابتليته في الأجل بالحرقة فقد أخزيته ومن ابتليته بالفرقة في العاجل فقد أشقيته ومن أوليته بيمن الوصلة فقد آويته وأدنيته.

﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ﴾ [الآية: 193] وهو الرسول أو القرآن ﴿أَنْ ءَامِنُوا۟﴾ [الآية: 193] أي: بأن آمنوا أو أي آمنوا ﴿بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا﴾ [الآية: 193] فامتثلنا.

وقال الأستاذ: يعني أجبنا الداعي ولكن أنت الهادي فلا تكلنا إلينا ولا ترفع ظل عنايتك عنا ولا تسلط غيرك علينا والأمان الدخول في موجبات الإيمان وإنما يؤمن بالحق من أمنه الحق فإيمان الحق للعبد الذي هو إجارته يوجب إيمان العبد بالحق الذي هو تصديقه ومعرفته ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾ [الآية: 193] جمع بر أو بار والمعنى أختم لنا بالخير وأمتنا مخصوصين بصحبتهم معدودين في زمرتهم محشورين في جملتهم.

وأفاد الأستاذ: أنهم المختصون/ بحقائق التوحيد القائمون لله بشرائط 157/أ
التفريد الواقفون مع الله بخصائص التجريد.

﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ [الآية: 194] أي: تصديقهم من الثواب أو على ألسنتهم من حسن المآب ﴿وَلَا تُخْزِنَا﴾ [الآية: 194] أي: لا تفضحنا بسوء أعمالنا وقبح أحوالنا ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الآية: 194] أي: حيث لا تنفع الندامة ﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [الآية: 194] أي: وعد العباد بإثابة المؤمن العاصي وإجابة الداعي وتكرير ربنا للمبالغة بالتضرع في مقام الثناء وللإيماء إلى الاستقلال كل من إفراد الدعاء وفي الآثار من حزبه أمر فقال خمس مرات ربنا أنجاه الله مما يخاف(1).

(1) وهو قول جعفر الصادق. انظر: تفسير القرطبي (4/ 318)، وتفسير الرازي (5/ 26).

وقال الأستاذ: حقق لنا ما وعدتنا على ألسنة الوسائط من إكمال النعمى وتكفير السوأى وغفران كل ما سبق منا من متابعات الهوى وفي دقائق الحقائق قيل لا تخزنا بأعمالنا وعد بفضلك ورحمتك علينا ﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [الآية: 194] بقولك سبقت رحمتي غضبي.

﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ [الآية: 195] أي: طلبتهم وحصول بغيتهم واستجاب أخص من أجاب ﴿أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم﴾ [الآية: 195] أي: بأني وقوله: ﴿مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ [الآية: 195] بيان عامل ليكون الحكم بوصف شامل ﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ [الآية: 195] جملة حالية معترضة واستئنافية مبينة لأن الذكر من الأنثى والأنثى من الذكر أو لفرط الاتصال والاتفاق في الدين المعتبر.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه كيف لا يستجيب لهم وهو الذي لقن لهم الدعاء والثناء وهو الذي ضمن لهم الإجابة ووعدهم جميل الثواب على الدعاء زائداً على ما يدعون لأجله الحوائج من جلب النعماء أو دفع البلاء ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟﴾ [الآية: 195] الشرك أو الأوطان أو الشعائر للدين باختيارهم ﴿وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ﴾ [الآية: 195] بالإلجاء إلى خروجهم لاضطرارهم ﴿وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى﴾ [الآية: 195] بسبب إيمانهم وإظهار إقرارهم ﴿وَقَٰتَلُوا۟﴾ [الآية: 195] الكفار أولاً ﴿وَقُتِلُوا۟﴾ [الآية: 195] في الجهاد آخراً وقرأ حمزة والكسائي بالعكس لأن الواو لا توجب ترتيباً أو لأن المراد لما قتل منهم قاتل الباقون ولم يضعفوا حيناً وشدد ابن كثير وابن عامر قتلوا للتكثير ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ [الآية: 195] أي: لأمحونها وأغفرنها ﴿وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الآية: 195] أي: من تحت أشجار أثمارها أو من تحت تصرف أهلها ﴿ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 195] أي: أثيبهم بذلك إثابة تفضلاً منه لا واجباً عليه ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾ [الآية: 195] أي: الجزاء الحسن ومستحسن المآب. 157/ب

وقال الأستاذ: ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟﴾ [الآية: 195] يعني الديار والمزار وجميع المخالفين والموافقين من الأغيار ﴿وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ﴾ [الآية: 195] أي أخرجوا إلى مفارقة معاهدهم من مألوفاتهم ﴿وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى﴾ [الآية: 195] بالفقر والملام

وفتنوا بفنون المحن والآلام ﴿وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ﴾ [الآية: 195] ذاقوا من اختلاف الأطوار الحر والمز والحلو والقر والنفع والضر ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ﴾ [الآية: 195] الآية يعني لنعطينهم فوق آمالهم وأكثر ما استوجبوه بأعمالهم وأحوالهم.

﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ﴾ [الآية: 196] الخطاب عام لجميع العباد والنهي للمخاطب للمبالغة وجعل التقلب تنزيلاً للسبب منزلة المسبب والمعنى لا ينظر إلى ما للكفرة عليه من السعة وكذا لإخوانهم من الفجرة والظلمة وهذا لأن ذلك التقلب ﴿مَتَٰعٞ قَلِيلٞ﴾ [الآية: 197] يسير زمانه لقصر مدة الدنيا بالنسبة إلى العقبى أو حقير شأنه في جنب أعداء الله لأهل التقوى في الأخرى كما قال تعالى: ﴿قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [النساء: 77] وكما ورد في الحديث ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليم فلينظر بم يرجع[1] ﴿ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۚ﴾ [الآية: 197] أي: مثواهم ومنقلبهم ﴿وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾ [الآية: 197] أي: ما مهدوه لأنفسهم واختاروهم لعاقبة أمرهم قال بعضهم لا يفتننك الدنيا لوقوع الجهال عليها والاغترار بما فيها والتكثر بنعيمها فإنها زادهم إلى النار ومعادهم في دار البوار.

وقال الأستاذ: لا يتداخلنك تهمة أن لهم عندنا قدراً وقيمة إنما هي أيام قلائل وأنفاس معدودة ثم بعدها حسرات مترادفة وأحزان متضاعفة.

﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ﴾ [الآية: 198] أي: الشرك الجلي والخفي وسائر أنواع المعاصي ﴿لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ [الآية: 198] مشتملة على القصور وأشجار الأثمار ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ [الآية: 198] مقدرين الخلود فيها مؤيدين آمنين بها ﴿نُزُلٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ﴾ [الآية: 198] حال كونهم نازلين بها من عنده ومن فضله وجوده ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 198] لكثرته ودوامه وخيرته ﴿خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ﴾ [الآية: 198] مما يتقلب فيه الفجار لقلة بقائه وسرعة فنائه وكثرة عنائه وخسة شركائه.

---

(1) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح (4/ 561) رقم (2323)، وابن ماجه في السنن (2/ 1376) رقم (4108)، والطبراني في المعجم الكبير (20/ 303) رقم (722)، وابن حبان في الصحيح (10/ 173) رقم (14330).

وفي الصحيح عن عمر رضي الله عنه قال جئت فإذا رسول الله ﷺ في
158/أ سرية وأنه لعلى/حصير ما بينه وبينها شيء وتحت رأسه وسادة من أدم حشوها ليف فرأيت أثر الحصير في جنبه فبكيت فقال: ما يبكيك؟ فقلت: يا رسول الله إن كسرى وقيصر فيما هما فيه وأنت رسول الله ﷺ فقال: أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة.

ومن «دقائق الحقائق» قيل: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ﴾ [الآية: 198] فما يطلبونه بأفعالهم ولعل المعنى ما عندهم من الفضل خير للأبرار ما يطلبونه بأعمالهم من الأجر بطريق العدل.

وأفاد الأستاذ: أن المراد الذين وسمناهم بذل الفرقة بئست حالتهم المورثة للحرقة والذين رفعوا قدماً لأجلنا فنعمة الحالة والزلفة وصلوا إلى الثواب المقيم وبقوا في الوصال والنعيم وما عند الله مما ادخرنا لهم حال اضرارهم خير مما أملوه باختيارهم.

﴿وَإِنَّ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [الآية: 199] أي: من اليهود والنصارى كعبد الله بن سلام وأصحابه الذين دخلوا في الإسلام ﴿لَمَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ﴾ [الآية: 199] أي: بوجوده ووحدة ذاته وسائر صفاته ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ﴾ [الآية: 199] من القرآن ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِمۡ﴾ [الآية: 199] من الكتابين ﴿خَٰشِعِينَ لِلَّهِ﴾ [الآية: 199] حال من فاعل يؤمن وجمع باعتبار المعنى وأفرد في يؤمن باعتبار المبنى ﴿لَا يَشۡتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 199] أي: لا يأخذون بدلها ولا يختارون عليها ﴿ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ﴾ [الآية: 199] من الرشوة وغيرها كما يفعله المحرفون من أحبارهم في تغييرها مبنى وتعبيرها معنى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡۗ﴾ [الآية: 199] زيادة على قدر كسبهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ [الآية: 199] لعلمه بالأعمال وما يستوجبه العمال.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ﴾ [الآية: 200] على مشاق الطاعة ﴿وَصَابِرُواْ﴾ [الآية: 200] غالبوا أعداء الله في الصبر على شدة المجاهدة وأعدى عدوكم في الصبر عن الهوى بالمخالفة ﴿وَرَابِطُواْ﴾ [الآية: 200] أبدانكم وخيولكم في ثغور

المجاهدين مخافة هجوم أعداء الدين وفي الحديث أن من الرباط انتظار الصلاة بعد الصلاة ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [الآية: 200] بالتبري عما سواه ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الآية: 200] لكي تفوزوا بمقام رضائه وحصول لقائه وقال بعض أرباب اللسان وأصحاب البيان اصبروا على النعماء وصابروا على البأساء والضراء وأبطؤا في دار الأعداء واتقوا الله إله الأرض والسماء ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الآية: 200] في دار البقاء.

158/ب وفي الجنيد ﴿وَصَابِرُواْ﴾ [الآية: 200] أمرهم/ بالصبر على الصبر ثم قال ﴿وَرَابِطُواْ﴾ [الآية: 200] وهو ارتباط السر مع الله سراً والوقوف مع البلاء جهراً.

وقال ابن عطاء الصبر ألماس الله في أرضه والمتقين سيف النفس وأن الشيطان ليتعوذ من الصبر كما يتعوذ من الشيطان.

وقال الخلدي: خير الدنيا والآخرة صبر ساعة أي: بتحصيل طاعة.

وأفاد الأستاذ: أن الصبر فيما يتفرد به العبد والمصابرة مع العدو والرباط نوع صبر ولكن على وجه مخصوص ويقال أول الصبر التصبر ثم المصابرة ثم الاصطبار وهو نهايته ويقال ﴿ٱصْبِرُواْ﴾ [الآية: 200] على الطاعات وعن المخالفات ﴿وَصَابِرُواْ﴾ [الآية: 200] في ترك الهوى والشهوات وقطع المنى والعلاقات ﴿وَرَابِطُواْ﴾ [الآية: 200] بالاستقامة في الصحبة في عموم الأوقات ويقال ﴿ٱصْبِرُواْ﴾ بنفوسكم ﴿وَصَابِرُواْ﴾ بقلوبكم ﴿وَرَابِطُواْ﴾ بأسراركم ويقال ﴿ٱصْبِرُواْ﴾ [الآية: 200] على ملاحظة المثوبة ﴿وَصَابِرُواْ﴾ [الآية: 200] على ابتغاء القربة ﴿وَرَابِطُواْ﴾ [الآية: 200] في محل الدنو والزلفة على شهود الجمال والعزة والصبر مر مذاقته إذا كان العبد يتحساه على الغيبة وهو لذيذ طعمه إذا شربه على الشهود والرؤية.

سورة النساء

مدنيّة وهي مائة وخمس وسبعون آية[1]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أفاد الأستاذ: أنّ العلماء العارفين اختلفوا في الاسم عن ما إذا اشتق فمنهم من قال اشتق من السمة وهي الكية ومنهم من قال أنه مشتق من السمو وهو العلو وكلاهما فيه الإشارة فمن قال من السمو فهو اسم من ذكره سمت رتبته ومن عرفه سمت حالته ومن صحبه سمت همته فسمو الرتبة يوجب وفور المثوبة والمبار وسمو الحال يوجب ظهور الأنوار في الأسرار وسمو الهمة يوجب التحرز عن رق الأغيار ومن قال أصله من السمة فهو اسم من قصدة وسم بِسمة العبادة ومن صحبه وسم بسمة الإرادة ومن أحبه وسم بسمة الخواص ومن عرفه وسم بسمة الاختصاص فسمة العبادة توجب هيبة النيران أن ترمي صاحبها بشررها وسمة الإرادة توجب حشمة الجنات أن يطمع في استرقاق صاحبها مع شرف خطرها وسمة الخواص توجب سقوط التعجب من استحقاق القربة للماء والطينة على الجملة وسمة الاختصاص توجب امتحاء الحكم عند استيلاء سلطان الحقيقة ويقال اسم من واصله سما عن الأوهام
159/أ قدره/ ومن فاصله وسم بكي الفرقة قلبه على هذه الجملة يدل اسمه انتهى وبرحمته العام أنعم على العوام كالإنعام بأنواع الإنعام في هذا المقام وبرحمته الخاص أكرم الأنبياء والأصفياء من ذوي الاختصاص بإيصالهم إلى مقام الإخلاص من الموجب للخلاص عما سواه يوم لا مفر فيه ولا مناص.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ [النساء، الآية 1] خطاب يعم بني آدم من الموجودين ومن سيوجد في العالم ﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم﴾ [الآية: 1] أوجدكم من العدم ﴿مِّن نَّفْسٍ

(1) كذا في الأصل المخطوط.

وَٰحِدَةٍ﴾ [الآية: 1] وهي آدم ﴿وَخَلَقَ مِنۡهَا﴾ [الآية: 1] من ضلع من أضلاعها ﴿زَوۡجَهَا﴾ [الآية: 1] أي حواء ﴿وَبَثَّ مِنۡهُمَا﴾ [الآية: 1] أي: نشر بواسطة ازدواجها واجتماعها ﴿رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ﴾ [الآية: 1] أي ذكوراً كثيراً وإناثاً كثيراً واكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء بها إذ الحكمة تقتضي أن يكون أكثر بجواز أن يكون لرجل واحد أربع منهن وتذكير كثيراً حمل على الجمع دون الجماعة وترتيب الأمر بالتقوى على هذه القصة الكبرى لما فيها من الدلالة على القدرة القاهرة التي من حقها أن تخشى والنعمة الباهرة التي توجب طاعة المولى.

وقال الأستاذ: يا من أظهرتكم عن كتم العدم بحكم تكلفي ثم خصصت من شئت منكم بتشريفي وحرمت من شئت منكم هدايتي وتشريفي ونقلتكم إلى ما شئت بل أوصلتكم إلى ما شئت بحكم تصريفي اتقوني وأطيعوني فالتقوى جماع الطاعات وأوله ترك الشرك وآخره اتقاء كل غير وأول الأغيار لك نفسك ومن اتقى نفسه وقف مع الله بلا مقام ولا شهود حال لله لا لحظ في الدنيا والعقبى ثم حكم الحق سبحانه بمساكنة الخلق مع الخلق لبقاء النسل وإلى رد المثل للمثل فربط الشكل بالشكل وتفرق إلى العقلاء على كمال القدرة بما لاح من براهين الربوبية ودلالات لحكمة الألوهية حيث خلق جميع هذا الخلق من نسل شخص واحد على اختلاف هيئتهم وتفاوت صورهم وتباين أخلاقهم وأن اثنين منهم لا يتشابهان بكل وجه في الصورة والخلق والهمة والحالة فسبحان من لا مدى لقدراته ولا غاية لمعلوماته ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ﴾ [الآية: 1] بتشديد السين على أن أصله تتساءلون فأذغمت الثانية بعد قلبها سيناً في السين وقرأ الكوفيون بتخفيفها على حذف إحدى التائين والمعنى يسأل بعضكم بعضاً فيقول أسألك بالله ﴿وَٱلۡأَرۡحَامَۚ﴾ [الآية: 1] / بالجر 159/ ب
والظاهر كما قرأ به حمزة وهذا على عادة العرب أنهم كانوا يتوسلون بالأرحام ويتوصلون إلى ذوي القربى على وجه العام والباقون بالنصب واتقوا الأرحام فصلوها ولا تقطعوها ففي الحديث الرحم معلقة بالعرش يقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [الآية: 1] حافظاً مطلعاً فاتقوه ولا تخالفوه أو فاذكروه ولا تنسوه أو راقبوه وشاهدوه فإن من نَسِيَ الحق فلا

شيء أخسّ منه ومن نسي الخلق فلا أحد أخص منه ومن نسي الحق فلا نهاية لمحنته ومن نسي غيره فلا غاية لمحبته وعلو حالته.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يقول للمذنبين يا من نسيت عهدي ورفضت ودي وتجاوزت حدي حان لك أن ترجع إلى بابي فتستحق لطفي وإيجابي ويقول للعارفين يا من نسيت فينا حظك وصنت [عن] غيرنا لحظك ولفظك لقد عظم علينا حقك ووجب علينا نصرك وجل عندنا قدرك فأنا شهيد على حالك وانتقالك أعد عليك أنفاسك وأرى حواسك وأنا متولي خطراتك ومنشيء حركاتك وسكناتك انتهى والحاصل أنكم راقبوا من هو الرقيب عليكم.

﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ [الآية: 2] أي: التي بأيديكم إذا بلغوا وظهر رشدهم إليكم ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ﴾ [الآية: 2] لا تستبدلوا الحرام لكم من أموالهم بالحلال من أموالكم ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ [الآية: 2] منضمة ﴿إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ [الآية: 2] من غير تسوية وتفرقة في انتفاعهما ﴿إِنَّهُۥ﴾ [الآية: 2] أي: الأكل على هذا المنوال والانتفاع من الأموال من غير تفصيل الأحوال ﴿كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [الآية: 2] أي: ذنباً عظيماً وإثماً مبيناً.

وأفاد الأستاذ: أن من أقيم بمحل الرعاية فجاء على رعيته فخصم رعيته ربه فإنه لَينتقم لعباده ما لا ينتقم لنفسه فولي اليتيم إن أنصف وأحسن فحقه على الله وإن أساء وتعدى فخصمه الله انتهى وكأنه إشارة إلى ما روي كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته[1] وإيماءً إلى قوله سبحانه:

﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: 36] ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ [الآية: 3] توقعتم وظننتم أن لا تعدلوا في أمر يتامى النساء إذا تزوجتم بهن ﴿فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [الآية: 3] فتزوجوا ما حل لكم من غيرهن وسهل عليكم من أمرهن ﴿مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [الآية: 3] أي: ثنتين

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (2554)، ومسلم في الصحيح (1829/ 20).

ثنتين وثلاثاً ثلاثاً/ وأربعاً أربعاً. 160/أ

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أباح للرجال الأحرار التزوج بأربع في حالة واحدة وأوجب العدل بينهن في مراعاة القسمة وحقوق النفقة والكسوة فيجب على العبد أن يراعي الواجب فإن علم أنه يقوم بحق هذا الواجب آثر هذا المباح وإن علم أنه يقصر في الواجب فلا يتعرض لهذا المباح فإن الواجب مسؤول عنه وعما يترتب عليه من الجناح ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً﴾ [الآية: 3] أي: فاختاروا واحدة واتركوا الجماعة ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ﴾ [الآية: 3] فإنهن أيسر عليكم لخفة مؤنهن وعدم وجوب القسم بينهن ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 3] التقليل منهن ﴿أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟﴾ [الآية: 3] أقرب أن لا تميلوا عن الحق فيهن.

﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ﴾ [الآية: 4] مهورهن ﴿نِحْلَةً﴾ [الآية: 4] عطية عن صفاء طوية ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا﴾ [الآية: 3] أي: تمييز لبيان الجنس والأصل فيه الإفراد والمعنى فإن وهبن لكم شيئاً من صداقهن عن طيب أنفسهن ﴿فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾ [الآية: 4] فخذوه وانتفعوا به حلالاً بلا تبعة في الدنيا ولا مذمة في العقبى وفي الحديث هنيئاً ما لا إثم فيه ومريئاً لا داء فيه.

وأفاد الأستاذ: إن هذا دل على أن طعام الفتيان والأسخياء مريء لأنهم لا يطعمون إلا عن طيبة أنفسهم وطعام البخلاء رديء لأنهم يرون أنفسهم وإنما ينفقون عن تكلف لا عن طيبة نفس قال ﷺ طعام السخي دواء وطعام البخيل[1] داء انتهى.

وعن علي رضي الله عنه من أراد الشفاء والدواء فعليه بأربعة أشياء مهر المرأة والعسل والقرآن وماء السماء.

﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ﴾ [الآية: 5] الجهال من العيال والأولاد المبذرين للأموال المفسدين في الأحوال ﴿أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا﴾ [الآية: 5] وقرأ نافع وابن عامر قيَماً بمعناه أي: ما تقومون بها وتنتعشون فيها ﴿وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾ [الآية: 5] أي:

(1) جامع الأحاديث (14/ 116)، والمقاصد الحسنة (1/ 426) رقم (653)، وكشف الخفا (2/ 38) رقم (1653).

منها ﴿وَٱكۡسُوهُمۡ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا﴾ [الآية: 5] يعرفه الشرع ويستحسنه الطبع والمراد تأديبهم بآداب الديانة وزجرهم عن الخيانة في الأمانة.

قال سهل: أسفه السفهاء نفسك فإن زجرتها بالعلم والخوف والورع وإلا حجزك عن طريق نجاتك من الخروج عن الدنيا والآخرة كذا في «حقائق الدقائق».

وأفاد الأستاذ: أن السفيه من يمنعك عن الحق ويشغلك عن الرب
والسفيه/ من العيال والأولاد من يؤثر حظوظهم عن حقوق الله ثم قال وحفظ 160/ب
التجمل في الحال أجدى عليكم من أن تتعرضوا للتبذل والسؤال والكدية والاحتيال وإنما يكون البذل خيراً من الإمساك عند تجرد القلب والثقة بالرب وتقويته بالصبر وتأييده بالشكر فأما على نية الكدية ولا تجعل نفسك وعيالك كلاً على الناس فحفظك ما جعله الله كفاية لنفسك أولى ثم الجود لفاضل كفايتك أحرى.

﴿وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ﴾ [الآية: 6] اختبروهم قبل بلوغهم بتتبع أحوالهم في أمر دينهم وضبط مآلهم وحسن تصرفهم في بعض ما يدفع إليهم ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ﴾ [الآية: 6] أي: حد البلوغ فإنه يصلح للنكاح عنده ﴿فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا﴾ [الآية: 6] أبصرتم منهم رشاداً وسداداً يصلح أحوالهم ﴿فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ﴾ [الآية: 6].

وأفاد الأستاذ: أن إيناس الرشد العفة والديانة والسخاء والصيانة وصحبة الشيوخ والحرص على مشاهدة الخير وأداء العبادات على قضية الأمر ويقال الرشد من اهتدى إلى ربه عند من يسنح له من حوائجه لا من يتكل على حوله وقوته وتدبيره واختياره.

﴿وَلَا تَأۡكُلُوهَآ﴾ [الآية: 6] أي: أموال اليتامى ﴿إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْۚ﴾ [الآية: 6] أي: مسوفين ومبادرين كبرهم ولا مفهوم لهما في أمرهم لقوله ﴿وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ﴾ [الآية: 6] من أكلها ﴿وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ﴾ [الآية: 6] أي: بقدر أجرة سعيه فيها وعند حاجته واضطراره بها ﴿فَإِذَا دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ﴾ [الآية: 6] أي: بعد بلوغهم ورشد بين أحوالهم ﴿فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [الآية: 6] بقبضهم فإنه

أنفى للتهمة وأبعد من الخصومة ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الآية: 6] أي: محاسباً رقيباً.

﴿لِّلرِّجَالِ﴾ [الآية: 7] أي: الذكور ﴿نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ [الآية: 7] أي: من العصبة وذوي الأرحام ﴿وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ﴾ [الآية: 7] بدل مما ترك بإعادة العامل ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [الآية: 7] نصب نصيباً على أنه مصدر مؤكد كقوله ﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [النساء: 11] أو على الاختصاص بمعنى نصيباً مقطوعاً واجباً.

وأفاد الأستاذ: أن حكم الميراث لا يختلف بالفضل والمنقبة ولا يتفاوت بالذنب والعيب والمنقصة فلو مات رجل وخلف ابنين تساويا في استحقاق القسمة وإن كان أحدهما براً تقياً والآخر فاجراً عصياً فلا للتقي زيادة لتقواه
ولا للفاجر بخس لفجوره/ والمعنى فيه أن الميراث ابتداء عطاء من قبل الله 161/أ
فتساوى فيه البر والفاجر وكذلك حكم الإيمان ابتداء عطية للمسلمين قال الله تعالى ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: 32] ثم قال فيهم ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ [فاطر: 32].

﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ﴾ [الآية: 8] أي: قسمة الميراث ﴿أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الآية: 8] ممن لا يرث ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ﴾ [الآية: 8] أي: من الأجانب ﴿فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾ [الآية: 8] فأعطوهم شيئاً من المقسوم تطييباً لقلوبهم وتصدقاً عليهم وهو أمر ندب للبلغ من الورثة وقيل: أمر وجوب على خلاف نسخه ﴿وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [الآية: 8] أمر لهم بأن يدعوا لهم ويستقلون ما أعطوهم ولا يمنعوا عليهم ويلطفوا في العبارة معهم.

وأفاد الأستاذ: أن في هذا إشارة لطيفة للمذنبين إذا حضروا العرصة غداً والحق سبحانه يغفر للمطيعين ويعطيهم ثواب أعمالهم فمن كان من فقراء المسلمين لا يحرمهم الغفران إن شاء الله الرحمن بعد ما كانوا من أهل الإيمان وكذلك يوم القسمة لم تكن حاضراً ولا لك استحقاق ثابت فيفضله أهلك لمعرفته مع علمه بما يحصل منك في مستأنف أحوالك من زلتك.

﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية: 9]

أمر للأوصياء بأن تخشوا الله وتتقوه في أمر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون أن يفعل بذراريهم الضّعاف بعد موتهم ﴿فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الآية: 9] أمرهم بالتقوى الذي هو غاية خشية المولى بعدما أمرهم بها مراعاة للمبتدأ والمنتهى إذ لا ينفع الأول دون الثاني في العقبى ثم أمرهم أن يقولوا لليتامى مثل ما يقولون لأولادهم بالشفقة وحسن الأدب والخصال الحسنى.

وفي «**دقائق الحقائق**» قيل استعينوا على كثرة العيال وقلة ذات اليد بالتقوى فإنه الذي يجبر الكسير ويغني الفقير.

قال جعفر الصادق: التقوى تزيد في الرزق وتوسع في المعيشة قال عزَّ وجلَّ ﴿فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الآية: 9].

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه بين في هذه الآية أن الذي ينبغي للمسلم أن يدخر لعياله التقوى والصلاح لا المال لأنه لم يقل فليجمعوا المال وليكثروا لهم العقار والأسباب وليخلفوا العقد والأثاث بل قال ﴿فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ﴾ [الآية: 9] فإنه يتولى الصالحين.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا﴾ [الآية: 10] أي: يأخذونها على وجه الظلم ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ﴾ [الآية: 10] أي: ملئها ﴿نَارًا﴾ [الآية: 10] أي: ما يجر إلى دخولها وما يؤول إلى حصولها ﴿وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [الآية: 10] قرأ ابن عامر/ وأبو بكر بضم الياء أي: يدخلون ناراً تتسعر بهم وتتوقد منهم. 161/ب

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه إنما تولى خصيمة اليتيم لأنه لا أحد لليتيم غيره فكل من وكل أمره إليه وتبرأ من حوله وقوته واعتمد عليه فالحق سبحانه ينتقم له بما لا ينتقم لنفسه.

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ [الآية: 11] أي: يعد كل ذكر بأنثيين، حيث اجتمع الصنفان فيضعف نصيبه لِحكمة إلٰهية يعجز عنها الأوهام العقلية ولا يبعد أن يكون وجهها أن الذكر يحتاج إلى نفقته ونفقة الأنثى والأنثى ينفق عليها الذكر بأمر المولى فهو بالمضاعفة أحرى ويندفع به ما قال بعضهم من أن الأمر لو كان بالقياس لكانت الأنثى بالتفضيل أولى لضعفها

وعجزها عن الحراك على أنه روعي عجزها بإعطاء البعض لعدم دوام استغنائها أو لضعف قلبها ومحبة دنياها وفيه رد على أهل الجاهلية حيث كانوا يحرمون الإناث بالكلية ويقولون إنما يحتاج إلى المال أرباب الإنفاق من الرجال ﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءً﴾ [الآية: 11] أي: إن كان الأولاد نساء خلصاً ليس معهن ذكر فإن الخلط قد ذكر وأنث الضمير باعتبار الخبر ﴿فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ﴾ [الآية: 11] أي: نساء زائدة على اثنتين ﴿فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾ [الآية: 11] أي: المتوفى منكم ﴿وَإِن كَانَتْ﴾ [الآية: 11] أي: المولودة ﴿وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ﴾ [الآية: 11] وقرأ نافع بالرفع على كان التامة، قال ابن عباس حكم البنتين حكم الواحدة لأنه تعالى جعل الثلثين لما فوقها وهو ظاهر وقال الجمهور حكمها حكم ما فوقهما لأنه تعالى لما بين أن حظ الذكر مثل حظ الأنثيين إذا كان معه أنثى وهو الثلثان اقتضى ذلك أن حظهما الثلثان ثم لما أمرهم ذلك أن يزاد النصيب بزيادة العدد رد ذلك الوهم بقوله ﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ﴾ [الآية: 11] ولحديث عطاء نزلت بسبب سعد بن الربيع أحد النقباء استشهد بأحد عن بنتين وزوجة وأخ فأخذ الأخ المال فشكت امرأة سعد إلى رسول الله ﷺ فقال عليه السلام للأخ أعط لبنتي سعد الثلثين واعط أمهما الثمن فما بقي فهو لك رواه الترمذي بسنده عن عطاء عن جابر وكذا أخرجه أحمد وأبو داوود والطيالسي وابن حبان في صحيحه والحاكم وغيرهم(1)
162/أ ﴿وَلِأَبَوَيْهِ﴾ [الآية: 11] ولوالدي الميت ﴿لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا﴾ [الآية: 11] بدل مما قبله بتكرير العامل وفائدة التنصيص على أن استحقاق كل منهما ﴿ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ﴾ [الآية: 11] له للميت ﴿وَلَدٌ﴾ [الآية: 11] ذكراً وأنثى غير أن الأب يأخذ السدس مع الأنثى بالفريضة وما بقي من ذوي الفروض أيضاً بالعصبية ﴿فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ﴾ [الآية: 11] والباقي للأب ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ﴾ [الآية: 11] وقرأ حمزة والكسائي فلأمه بكسر الهمزة فيهما اتباعاً للكسرة التي قبلها ﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾ [الآية: 11] متعلق بما تقدمه من قسمة المواريث كلها أي: هذه الأنصباء للورثة من بعد ما كان من

(1) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح (4/ 414) رقم (2092)، وأبو داود في السنن (3/ 80) رقم (2893)، والبيهقي في السنن الكبرى (6/ 229) رقم (12091).

وصية أو دين وإنما أتى بأو التي للإباحة لِلدلالة على أنهما متساويان في وجوب التأدية متعديان على القسمة مجموعين ومفردين وقدم الوصية على الدين وهي متأخرة في الحكم اهتماماً بشأنها لئلا يتسامح في أمرها فإنها مشبهة بالميراث من حيث أنها توجد بعد الموت وهي شاقة على الورثة والدين إنما يكون مقرراً عندهم لا سيما والمطالب غالباً موجود لديهم وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو بكر بفتح الصاد ﴿ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ﴾ [الآية: 11] أي: هم ورثتكم غالباً فيكم ومن جانبهما لكم ﴿لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًاۚ﴾ [الآية: 11] أي: لا تعلمون من أنفع لكم ممن يرثكم من أصولكم وفروعكم في عاجلكم وآجلكم فتحروا فيه ما وصاكم الله به في شأنه ولا تقصدوا إلى تفضيل بعض أو حرمانه قيل ﴿ءَابَآؤُكُمْ﴾ ببرهم ﴿وَأَبْنَآؤُكُمْ﴾ بالشفقة عليهم والتأديب لهم هما محلّ النفع كذا في «**دقائق الحقائق**».

وأفاد الأستاذ: أن الأبناء ينفعونكم بالخدمة والآباء بالرحمة والآباء في حال ضعفك في بداية عمرك والأبناء في حال ضعفك في نهاية أمرك ﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾ [الآية: 11] مصدر مؤكد لمضمون الجملة المتقدمة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ [الآية: 11] بما رتب ودبر ﴿حَكِيمًا﴾ [الآية: 11] بما قضى وقدر.

﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ﴾ [الآية: 12] أي: نساؤكم ﴿إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ﴾ [الآية: 12] ذكر أو أنثى ﴿فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ﴾ [الآية: 12] أي: وارث من بطنها أو من صلب بنيها أو بني بنيها وإن سفل ذكراً كان أو أنثى منكم أو من غيركم ﴿فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌۚ / فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ/ 162/ب
فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمۚ مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍۗ﴾ [الآية: 12] فرض للرجل ضعف ما للمرأة كما في النسب ويستوي الواحدة والأكثر منهن في الربع والثمن ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ﴾ [الآية: 12] أي: ميت من نعته أنه ﴿يُورَثُ﴾ [الآية: 12] أي: يورث منه ﴿كَلَٰلَةً﴾ [الآية: 12] وهو خبر كان وهو من لم يخلف ولداً ولا والداً أو مفعول له والمراد بها قرابة ليست من جهة الوالد والولد ﴿أَوِ ٱمْرَأَةٌ﴾ [الآية: 12] عطف على رجل ﴿وَلَهُۥٓ﴾ [الآية: 12] أي: وللرجل واكتفى بحكمه عن حكمها لدلالة العطف على تشاركهما ﴿أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾ [الآية: 12]

أي: من الأم إجماعاً ويدل عليه قراءة سعد بن مالك وقراءة أُبي من الأم ﴿فَلِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُۚ فَإِن كَانُوٓاْ﴾ [الآية: 12] الأخوة ﴿أَكۡثَرَ مِن ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 12] أي: مما ذكر من أخ أو أخت ﴿فَهُمۡ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِۚ﴾ [الآية: 12] سوى بين الذكر والأنثى في القسم لأن الإدلاء بمحض الأنوثة ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ﴾ [الآية: 12] وافق حفص أبا بكر هنا في فتح الصاد ﴿غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ﴾ [الآية: 12] أي: قاصد للضرر للورثة بالزيادة على الثلث أو قصد المضارة بالوصية دون القربة والإقرار بدين ليس له في الذمة وهو حال من فاعل يوصي المذكور على قراءة البناء للفاعل أو المدلول عليه على قراءة البناء للمفعول فإنه الفاعل المتروك ﴿وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾ [الآية: 12] مصدر مؤكد ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ [الآية: 12] بالموصي وقصد مضرته ﴿حَلِيمٞ﴾ [الآية: 12] لا يعجل في عقوبته.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة في ثبوت الميراث للأقربين من الورثة بالنسب والسبب أن الميت إذا مات تحمل القريب أحزانه فعوّض الله الموارث على ما يقاسيه ويخامر قلبه من التوجع للميت مال المورث وكذا سنته سبحانه وتعالى التعويض على مقاساة الأدنى جوداً لا وجوباً عليه كما توهمه قوم وكل من كان أقرب نسباً أو أقوى سبباً من الميت كان أكثر استحقاقاً لميراثه.

﴿تِلۡكَ﴾ [الآية: 13] الأحكام المتقدمة ﴿حُدُودُ ٱللَّهِۚ﴾ [الآية: 13] شرائعه التي كالحدود المحدودة لا يجوز مجاوزتها البتة.

وأفاد الأستاذ: أن حدوده أوامره ونواهيه وما تعبد به عباده وأصل العبودية حفظ الحدود وصون العهود ومن حفظ حده لم يصبه مكروه ولا آفة في الوجود وأصل كل بلاء مجاوزة الحدود قلت: وكذا أصل كل عطاء ملازمة الحدود كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الآية: 13] / 163/أ
فالوقوف على العهود ﴿يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ﴾ [الآية: 13] أي: مقدرين الخلود وقرأ نافع وابن عامر ندخله بالنون فيه وفيما بعده ﴿وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [الآية: 13] لما يترتب عليه من النعيم المقيم باتصال الجنة المعجلة وإيصال إلى الجنة المؤجلة لما يقترن بها من عزة

الطاعة ولذة العبادة التي فوق رقبته.

﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا﴾ [الآية: 14] ولعل المغايرة بالجمع والوحدة في الجمل الجزئية من باب التفنن في العبادة ﴿وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [الآية: 14] لاستهانته في أمر الدين المستبين.

وقال الأستاذ: إنما هما عقوبتان معجلة ومؤجلة ويقترن بهما جميعاً الذل الإهانة ولو اجتهد الخلائق على إذلال العاصي بمثل الذي يلحقه بارتكاب معصيته لم يقدروا عليه ولذا قال قائلهم:

من بات ملماً بذنب   أصبح وعليه مذلته[1]

فقلت:

ومن أصبح مبراً ببرٍ   ظل وعليه مهابته[2]

قلت: لو قال معزته لكان أنسب مبنى ومعنى في مقابلته.

﴿وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ﴾ [الآية: 15] أي: يفعلن الزنا وسمي فاحشة لزيادة قباحتها ومزية شناعتها ﴿فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ﴾ [الآية: 15] واطلبوا ممن قذفهن أربعة من رجال المؤمنين يشهدون عليهن ﴿فَإِن شَهِدُوا۟ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ﴾ [الآية: 15] فأجلسوهن في بيوتهن واجعلها سجناً عليهن ﴿حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ﴾ [الآية: 15] إلى ملك الموت أو يأخذهن الموت قيل وكان ذلك عقوبتهن في صدر الإسلام فنسخ بالحد وفيه تسامح لقوله تعالى: ﴿أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ [الآية: 15] كتعيين الحد المخلص عن الحبس وقد صح في حديث مسلم عن عبادة بن الصامت أن النبي ﷺ قال: خذوا عني، خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلاً البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب جلد مائة والرجم قال البغوي: في نسخ الجلد في حق الثيب وبقي الرجم عند أكثر أهل العلم.

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 458).
(2) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 458).

وعن علي: أنه يجمع بينهما ودليل الجمهور أنه ﷺ رجم ماعزاً[1] والغامدية[2] ولم يجلدهما ثم التغريب أيضاً منسوخ في حق البكر عند أبي حنيفة أو محمول على الزجر والسياسة وثابت عند غيره.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه إنما اعتبر في ثبوت/الفاحشة التي هي الزنا 163/ب زيادة الشهوة إسبالاً لستر الكرم والجود على إجرام العباد فإن إقامة الشهادة على الوجه الذي في الشرع في إثبات تلك الحالة كالمتعذر في قوله ﷺ: لماعز لما قال يا رسول الله إني زنيت فطهرني فقال: لعلك لامست لعلك قبلت ثم قال: في بعض المرات استنكهوه[3] ففي هذا أقوى دليل لما ذكر من إسباله الستر على الأعمال القبيحة.

﴿وَٱلَّذَانِ﴾ [الآية: 16] بتشديد النون لابن كثير ﴿يَأْتِيَـٰنِهَا مِنكُمْ﴾ [الآية: 16] أي: يفعلا الفاحشة من الزاني والزانية ﴿فَـَٔاذُوهُمَا﴾ [الآية: 16] بالتوبيخ والتقريع قبل ثبوت أمرهما عند الحاكم الشرعي ﴿فَإِن تَابَا﴾ [الآية: 16] عن فعلهما ﴿وَأَصْلَحَا﴾ [الآية: 16] في حالهما ﴿فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمَآ﴾ [الآية: 16] فاقطعوا عن إيذائهما أو أعرضوا بالإغماض والستر عنهما ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [الآية: 16] لهما أو لغيرها وقيل: هذه الآية سابقة على الأولى نزولاً وكان عقوبة الزناة الأذى ثم الحبس ثم الجلد وقيل الأولى في السحاقات بقرينة صيغة الإناث وهذه في اللواطين بقرينة صيغة الذكرين والزاني والزانية في الزناة بكراً وآية الرجم فيهم ثيباً.

وأفاد الأستاذ: أن الأمر بفنون العقوبات لهم على فعل ذلك أبلغ شيء

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (6824)، والطبراني في المعجم الكبير (22/ 202) رقم (531).

(2) أخرجه مسلم في الصحيح (1695/ 22)، وأبو داود في السنن (4/ 275) رقم (4436)، والنسائي في السنن الكبرى (4/ 283) رقم (7186)، وابن أبي شيبة في المصنف (5/ 542) رقم (28807).

(3) انظر: تخريج الحديث قبل السابق.

في الردع والمنع منه بالرفق الأتم لعل العبد يحذر ذلك فلا يستحق التعذيب العظيم.

﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الآية: 17] أي: قبولها كالواجب عليه سبحانه بمقتضى وعده ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ﴾ [الآية: 17] متلبسين بها سفاهة وقد أطبق السلف والخلف على أن من عصى الله فهو جاهل ولو كان يزعم أنه عالم كامل ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ [الآية: 17] أي: من زمان قريب وهو قبل حلول الموت لقوله تعالى: ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ [البقرة: 180].

وقوله عليه السلام: إنّ الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر[1] وسماه قريباً لأن أمد الحياة غير بعيد لقوله تعالى: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ [النساء: 77] أي: زماناً وشأناً كمية وكيفية وقيل: هم الذين يتقربون بالطاعة إلى من لا يتقرب إليه إلا به والمعنى قبل أن يشرب في قلوبهم حب السوء فيطبع عليها فيتعذر عليهم الرجوع بها ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية: 17] أي: يقبل توبتهم ويغفر حوبتهم وفاءً بما وعد به وأداءً بما كتب على نفسه بقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ﴾
164/أ [الآية: 17] لا على غيره وسواه ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ [الآية: 17] / بنياتهم ﴿حَكِيمًا﴾ [الآية: 17] في معاملاتهم.

وأفاد الأستاذ: أن الاستغفار مع الإصرار فإن التوبة مع غير إقلاع سمة الكذابين وقوله: ﴿ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ﴾ [الآية: 17] يعني عمِل عمَل الجهال وذنب كل أحد يليق بحاله فالخواص ذنوبهم حسبانهم أنهم بطاعاتهم يستوجبون محلاً وكرامة وهذا وهن في المكان إذ لا وسيلة إليه إلا به وقوله ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ﴾ [الآية: 17] من قريب على لسان العلم قبل الموت وعلى لسان المعاملة قبل أن تتعود النفس ذلك فيصير له عادة قال قائلهم:

قلت للنفس إن أردت رجوعاً فارجعي قبل أن يسد الطريق[2]

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (4/ 286) رقم (7659)، وابن حبان في الصحيح (2/ 394) رقم (628)، والبيهقي في شعب الإيمان (5/ 395) رقم (7062).
(2) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 461) و(3/ 483) و(4/ 49) و(5/ 289).

﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ﴾ [الآية: 18] أي: التوبة منفي قبولها ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الآية: 18] أي: يرتكبونها في كل زمان ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ [الآية: 18] سوى بين مسوف التوبة إلى حضور الموت من الفجار وبين من مات من غير توبة من المنافقين والكفار في انتفاء قبول التوبة وعدم الاعتداد بها في تلك الحالة وقيل: المراد بالذين يعملون السوء عصاة المؤمنين وبالذين يعملون السيئات المنافقون لتضاعف كفرهم وسوء أعمالهم وبالذين يموتون الكفار فعلى هذا قيل المراد القريب زمن الدنيا وأن توبة اليأس من المؤمن مقبولة كما ذهب إليه بعض الأئمة ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الآية: 18] وحجاباً عظيماً.

وأفاد الأستاذ: أنه إذا كشف الغطاء وصارت المعارف ضرورية أغلق باب التوبة فإن من شرط التكليف أن يكون الإيمان غيبياً ثم إن في هذه الطريقة إذا عرف بالخيانة لا يشم بعد حقيقة الصدق والأمانة قال داوود عليه السلام في آخر بكائه لما قال له ولم تبكي يا داوود وقد غفرت لك وأرضيت خصمك وقبلت توبتك؟ فقال: إلهي الوقت الذي كان لي رده إليّ فقال هيهات يا داوود ذاك ودّ قد مضى في معناه أنشدوا:

فخل سبيل العين بعدك للبكا فليس لأيام الصفاء رجوع[1]

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ﴾ [الآية: 19] أي: ذواتهن ﴿كَرْهًا﴾ [الآية: 19] وبالضم حمزة والكسائي كان الرجل في الجاهلية إذا مات وله عصبة ألقى ثوبه على امرأته وقال: أنا أحق بها ثم إن شاء تزوجها بصداقها الأول وإن شاء زوجها غيره وأخذ صداقها/ وإن شاء عضلها لتفتدي بما ورثت 164/ب
من زوجها أو منعها من الأزواج لتموت فيرثها فنهوا عن ذلك بما سبق ولحق بقوله: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾ [الآية: 19] عطف على لا يحل أو على أن ترثوا ولا لتأكيد النفي ويؤيده أن قرىء ولا أن تعضلوهن وقيل: الخطاب مع الأزواج كانوا يحبسون النساء من غير حاجة ورغبة حتى يرثوا منهن

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 462) و(6/ 317) و(7/ 246).

أو يختلعن بمهرهن ويؤيده قوله: ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ﴾ [الآية: 19] أي: ظاهرة وقرأ ابن كثير وأبو بكر بالفتح وهي كالنشوز والمخالفة وسوء العشرة وعدم العفة.

وأفاد الأستاذ: أن التلبيس على المستضعفين والتدليس على أهل السلامة من المسلمين غير محمود عند الله تعالى فمن تعاطى ذلك انتقم الله منه ولم يبارك له فيما يختزل من أموال الناس بالباطل والاحتيال ومن استصغر خصمه في الله فأهون ما يعاقبه الله به أن يحرمه الوصول إلى ما يأمله من محبوبه ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ﴾ [الآية: 19] بالإنصاف في الفعل والإجمال في القول.

وقال الأستاذ: أي بتعليم الدين والتأديب بأخلاق المسلمين وحسن الصحبة على كراهة النفس وأن تحتمل أذاهم ولا تحملهم كلفة خدمتك وتتحامى عن مواضع خجلتهم ﴿فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ﴾ [الآية: 19] فاصبروا عليهن ولا تفارقوهن ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾ [الآية: 19] مثل أن يرزق منهما ولد كبير ويكون فيه خير كثير والحاصل عدم متابعة كراهة النفس فإنها قد تكره ما هو أصلح ديناً وأكثر خيراً وقد تحب ما هو بخلافه فليكن النظر إلى ما هو أصلح للدين وأدنى إلى الخير أو التفويض والتسليم إلى ما قدر له من الأمر.

وقد حكي أن امرأة جميلة كانت تحت رجل قبيح الصورة فقيل لها كيف رضيت بهذه الحالة فقالت لعلي أذنبت ذنباً جوزيت بعملي أو هو عمل صالحاً كوفئ بي.

وفي «**حقائق السلمي**» قيل غيّب عنك العواقب لئلا تسكن إلى مألوف ولا تقر من مكروه وقيل: السكون إلى كراهية النفس جعل فيه خير الدارين إذ الخير الكثير ما يتصل بالعقبى لأنه لا كثير في الدنيا.

وأفاد الأستاذ: أن كل ما كان على نفسك أشق كانت عاقبته أهنأ وأمرأ واعلم بأن الحق سبحانه لم يطلع أحداً على غيبه فأكثر ما يعافه الإنسان تكون الخيرة فيه أتم وقد حكم الله سبحانه/ بأن مخالفة النفس توصل صاحبها إلى 165/أ

أعلى المنازل وبعكس ذلك موافقتها كما أن مخالفة القلب توجب عمى البصيرة وبعكس ذلك موافقتها انتهى ولعل من هذا المقام ما ورد عنه عليه السلام أحب حبيبك هوناً ما، عسى أن يكون بغيضك يوماً ما، وابغض بغيضك يوماً ما، عسى أن يكون حبيبك يوماً ما[1] إيماءً إلى أن محبة غير المولى وما يتعلق به من السوى لا عبرة بوجود حصولها ولا بفقد وصولها.

﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ﴾ [الآية: 20] بتطليق امرأة وتزوج أخرى ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا﴾ [الآية: 20] مالاً كثيراً ﴿فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ﴾ [الآية: 20] من القنطار ﴿شَيْـًٔا﴾ [الآية: 20] قليلاً ﴿أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا﴾ [الآية: 20] ظلماً ﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الآية: 20] ذنباً ظاهراً.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يعلمهم حسن العهد في المحبة ونعت الكرم في العشرة بقول لا تجمع الفرقة واسترداد المال عليها فإن ذلك ترك الكرم وإن خوّلت واحدة مالاً كثيراً ثم جفوتها بالفراق فما آتيتها يسير في جنب ما أذقتها من الفراق.

﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ﴾ [الآية: 21] أي: المهر منهن ﴿وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الآية: 21] أي: وصل إليهن بالجماع أو الخلوة الصحيحة وتقرر المهر لهن ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ [الآية: 21] عقداً وثيقاً وعهداً أكيداً وهو حق الصحبة والممازحة المستفادة من قوله تعالى: ﴿فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾ [البقرة: 229] أو ما أشار إليه النبي عليه السلام بقوله: أخذتموهن بأمانة الله[2] أي: بالرفق بهن والشفقة عليهن واستحللتم فروجهن بكلمة الله أو بأمره وحكمه.

---

(1) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح (4/ 360) رقم (1997)، والبيهقي في شعب الإيمان (5/ 260) رقم (6593)، والطبراني في المعجم الأوسط (5/ 214) رقم (5120).

(2) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (2/ 421) رقم (4001)، وابن أبي شيبة في المصنف (3/ 463) رقم (16028)، وعبد الرزاق في المصنف (10/ 195) رقم (18805)، وأبو داود في السنن (2/ 122) رقم (1907).

وأفاد الأستاذ: أن للصحبة السالفة حرمة أكيدة فقفوا عند مراعاة الزمام وأوفوا بموجب الميثاق كالكرام.

﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [الآية: 22] بالعقد أو الوطء ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَۚ﴾ [الآية: 22] لكن ما قد سلف فإن اللّه تجاوز عنه ﴿إِنَّهُۥ﴾ [الآية: 22] أي: نكاحهن ﴿كَانَ فَٰحِشَةً﴾ [الآية: 22] عند الله وفي أحكام الرسالات ﴿وَمَقْتًا﴾ [الآية: 22] ممقوتاً عند ذوي المروءات ﴿وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الآية: 22] سبيل من يراه ويفعله على وفق هواه.

وأفاد الأستاذ: أن الآية تشير إلى حفظ الذمام والوقوف على حد الاحترام فإن السجية يتداخلها الأنفة من أن ينكح فراشه غيره فنهي الأبناء عن تخطي حقوق الآباء في استفراش منكوحة الأب.

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ﴾ [الآية: 23] أي: نكاحهن وهن من ولدتك أو ولدت من ولدك وإن علت ﴿وَبَنَاتُكُمْ﴾ [الآية: 23] أي: من ولدتها أو ولدت من
165/ب ولدها وإن سفلت/ ﴿وَأَخَوَٰتُكُمْ﴾ [الآية: 23] من الأب والأم أو الأب أوالأم وكذا حكم الباقية في الوجوه الثلاثة ﴿وَعَمَّٰتُكُمْ﴾ [الآية: 23] وهي كل أنثى ولدها من ولد ذكراً ولدك بعيداً أو قريباً ﴿وَخَٰلَٰتُكُمْ﴾ [الآية: 23] وهي كل أنثى ولدها من ولد أنثى ولدتك كذلك ﴿وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ﴾ [الآية: 23] تتناول القربى والبعدى ﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ﴾ [الآية: 23] نزل الله سبحانه الرضاعة منزلة النسب في النسبة حتى سمى المرضعة أماً والمراضعة أختاً وفي الحديث يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب(1).

واستثنوا مسألتين إحداهما أنه لا يجوز للرجل أن يتزوج أخت ابنه من النسب ويجوز أن يتجوز أخت ابنه من الرضاعة لأن المانع في النسب وطء أمها وهذا المعنى غير موجود في الرضاع والثانية لا يجوز أن يتزوج أم أخيه من النسب ويجوز في الرضاع لأن المانع في النسب وطء الأب إياها

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (2645)، ومسلم في الصحيح (1446/ 13).

وهذا المعنى غير موجود في الرضاع ﴿وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ﴾ [الآية: 23] بنات نسائكم ﴿ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم﴾ [الآية: 23] في بيتكم وتربيتكم وهذا القيد بناءً على الغالب لا أنه تقييد للحرمة خلافاً لما روي عن علي كرّم الله وجهه أنه جعله شرطاً وإليه ذهب داوود الظاهري وابن حزم ونقل عن الإمام مالك.

﴿مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾ [الآية: 23] أي: دخلتم معهن في الستر وهو كناية عن الجماع وفي معناه الخلوة الصحيحة وعند أبي حنيفة لمس المنكوحة ونحوه كالدخول وفي الترمذي أنه ﷺ قال في رجل تزوج امرأة فطلقها قبل أن يدخل بها أنه لا بأس أن يتزوج ابنتها ولا يحل له أن يتزوج أمها وإليه ذهب عامة العلماء غير أنه روي عن علي رضي الله عنه تقييد التحريم فيهما ثم الأمهات والربائب يتناولان القربى والبعدى ﴿فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية: 23] في نكاحهن وهو تصريح بالمقصود دفعاً للقياس على الأمهات ﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ﴾ [الآية: 23] أي: مواطوأتهم ﴿ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ﴾ [الآية: 23] احترازاً عن المتبنى لا عن أبناء الولد نسباً ورضاعاً ﴿وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ﴾ [الآية: 23] أي: وحرم عليكم الجمع بينهما والظاهر أن الحرمة غير مقصورة على النكاح فإن المحرمات المعدودة كما هي محرمة في ملك النكاح فهي محرمة/ في ملك اليمين وطئاً ولذا قال عثمان وعلي رضي الله 166/ أ
عنهما: حرمتهما آية وأحلتهما آية يعنيان هذه الآية وقوله: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ [النساء: 3] في أول السورة فرجح علي التحريم احتياطاً وعثمان التحليل بناءً على الأصل والجمهور مع علي كرّم الله وجهه ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [الآية: 23] لكن ما مضى مغفور لقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الآية: 23].

﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [الآية: 24] أي: ذوات الأزواج أحصنهن التزويج ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ [الآية: 24] يريد ما ملكت إيمانكم من اللاتي سبين ولهن أزواج كفار فهن حلال للسابين بعد الاستبراء والنكاح مرتفع بتباين الدارين عندنا وبمجرد السبي عند الشافعي ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية: 24] أي: كتب الله عليكم تحريم هؤلاء كتاباً ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾ [الآية: 24] أي: ما سوى ما ذكر من المحرمات وخص عنه بالسُّنَّة ما في معنى المذكورات كسائر محرمات

الرضاع والجمع بين المرأة وعمتها وخالتها وقرأ حمزة والكسائي وحفص أحل بصيغة المفعول عطفاً على حرمت ﴿أَن تَبۡتَغُواْ﴾ [الآية: 24] أي: لا تطلبوا النساء مما وراءه ﴿بِأَمۡوَٰلِكُم﴾ [الآية: 24] سبب صرفها في مهورهن أو أثمانهن وإنفاقهن حال كونكم ﴿مُّحۡصِنِينَ﴾ [الآية: 24] مريدين الإحصان والعفة بالنكاح وملك اليمين ﴿غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَۚ﴾ [الآية: 24] أي: زانين وفيه دليل على أن المهر لا بد أن يكون مالاً كما قاله أبو حنيفة ﴿فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهِۦ مِنۡهُنَّ﴾ [الآية: 24] فمن تمتعتم به من المنكوحات ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ [الآية: 24] أي: مهورهن ﴿فَرِيضَةٗۚ﴾ [الآية: 24] مفروضة ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا تَرَٰضَيۡتُم بِهِۦ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡفَرِيضَةِۚ﴾ [الآية: 24] فيما يزاد على المسمى أو يحط عنه بالتراضي ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ [الآية: 24] بمصالح العباد ﴿حَكِيمٗا﴾ [الآية: 24] فيما قضى وأراد.

وأفاد الأستاذ: أن تكلف انتزاع المعاني التي لأجلها حصل هذا التحريم محال من الأمر لأن الشرع غير معلل بل الحق تعالى حرم ما يشاء على من شاء وكذلك الإباحة ولا علة للشرائع بحال ولو كانت المحرمات من هؤلاء محللات والمحللات محرمات لكان ذلك سائغاً وكذا قوله: ﴿وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [الآية: 24] الآية فإذا حفظت الحد وراعيت العهد وحصل التراضي بحكم الشرع فلا يكون للخلق فيه خصيمة ولا من الحق سبحانه فيه تبعة فذلك مباح طلق.

166/ب ﴿وَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ مِنكُمۡ طَوۡلًا﴾ [الآية: 25] غنى واعتلاء بالقدرة/ على مهر النساء ﴿أَن يَنكِحَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾ [الآية: 25] أي: يتزوج التي أحصنهن أزواجهن وقرأ الكسائي بكسر الصاد أي: أحصن أنفسهن بالعفة ﴿ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ [الآية: 25] أي: الحرائر دون العفائف والمتزوجات لقوله: ﴿فَمِن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ﴾ [الآية: 25] وظاهر الآية مع الشافعي في تحريم نكاح الأمة على من ملك ما يجعلة صداق حرة ومنع نكاح الأمة الكتابية مطلقاً وأول أبو حنيفة وأصحابه طول المحصنات بأن يملك فراشهن على أن النكاح هو الوطء وحمل قوله: من فتياتكم المؤمنات على الإرشاد بالأفضل كما حمل عليه قوله: ﴿ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ [الآية: 25] ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِكُمۚ﴾ [الآية: 25] أي: بتفاضل

ما بينكم في الإيمان فرب أمة تفضل الحرة فيه ومن حقكم أن تعتبروا فضل الإيمان والحسب لا فضيلة النسب والمراد تأنيسهم بنكاح الأمة ومنهم عن الاستنكاف والأنفة على ما كانوا عليه في الجاهلية ويؤيده قوله: ﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍۚ﴾ [الآية: 25] أي: أنتم وأرقاؤكم متناسبون في الالتئام نسبكم من آدم وحسبكم الإسلام فلا تستنكفوا عنهن عند الحاجة لهن ﴿فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾ [الآية: 25] أي: مواليهن ﴿وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ [الآية: 25] أي: مهورهن بإذن أهلهن أو المعنى آتوا مواليهن وذهب مالك إلى ظاهر الآية وجوز إعطاء المهر للأمة وهو خلاف جمهور الأمة ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [الآية: 25] أي: من غير مطل واستهانة بهن ﴿مُحْصَنَٰتٍ﴾ [الآية: 25] حال كونهن عفائف ﴿غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ﴾ [الآية: 25] أي: مجاهرات بالسفاح وهو الزنا ﴿وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍۚ﴾ [الآية: 25] أخلاء وأحباب يزنون بهن في السر وكانت العرب تحرم الأولى دون الثانية ﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ﴾ [الآية: 25] بالتزويج وقرأ أبو بكر وحمزة والكسائي بفتحتين أي: حفظن فروجهن ﴿فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ﴾ [الآية: 25] أي: زنى ﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ [الآية: 25] يعني الحرائر الأبكار ﴿مِنَ ٱلْعَذَابِۚ﴾ [الآية: 25] أي: الحد لقوله تعالى: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: 2] وهو يدل على أن حد العبد نصف حد الحر وأنه لا يرجم لأن الرجم لا يتنصف ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 25] أي: نكاح الإماء ﴿لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْۚ﴾ [الآية: 25] أي: لمن خاف الوقوع في الزنا بغلبة الشهوة وأصل العنت المشقة وسمي الزنا عنتاً لأنه سبب
المشقة في الدنيا والآخرة وخوف/ العنت شرط نكاح الأمة عند الشافعي وهو 167/أ
ليس شرط عند أبي حنيفة وإنما هو بيان الأفضل كقوله: ﴿وَأَن تَصْبِرُواْ خَيْرٌ لَّكُمْۗ﴾ [الآية: 25] لئلا يصير ولدكم عبداً لغيركم أو المعنى صبركم عن نكاح الإماء متعفيفين خير لكم لما ورد الحرائر صلاح البيت والإماء فساده وقال بعض العارفين الصبر عنهن أيسر من الصبر عليهن والصبر عليهن أيسر من الصبر على النار ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ [الآية: 25] لمن يصبر منهم ﴿رَّحِيمٌ﴾ [الآية: 25] بأن رخص لهم.

وأفاد: الأستاذ أن الرخص جعلت للمستضعفين فأما الأقوياء فأمرهم

الجد والأخذ بالاحتياط والتضييق إذ لا شغل لهم سوى القيام بحق الحق بأن كان أمر بالظاهر يشغلهم عن مراعاة القلوب فالأخذ في الأمور الظاهرة بالسهولة والأخف واليسر أولى من الاستقصاء فيما يمنع من مراعاة السر لأنه ترك بعض الأمور لما هو الأهم والأجل فمن نزلت درجته عن الأخذ بالأوثق والأحوط فمباح له الانحدار إلى وصف الترخص ثم قال في آخر الآية ﴿وَأَن تَصْبِرُواْ خَيْرٌ لَّكُمْۗ﴾ [الآية: 25] يعني على مقاساة ما فيه الشدة وفي هذا نوع استمالة للعبيد حيث قال ﴿وَٱصْبِرُوٓاْ﴾ بل قال ﴿وَأَن تَصْبِرُواْ خَيْرٌ لَّكُمْۗ﴾ انتهى.

وقال الجنيد: الصبر مفتاح كل خير.

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ [الآية: 26] ما خفي عليكم من مصالح أفعالكم ومحاسن أعمالكم واللام مؤكدة لإرادة التبيين لا في اللام من معنى الإرداة نحو جئتك لإكرامك ﴿وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [الآية: 26] مناهج من تقدمكم من أهل الرشد كملّة إبراهيم عليه السلام وسائر مكارم أخلاق الأنبياء عليهم السلام لتسلكوا طريقهم وتدركوا حقيقتهم ﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْۗ﴾ [الآية: 26] يعفو عنكم من المآثم والمحارم ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ [الآية: 26] بها ﴿حَكِيمٌ﴾ [الآية: 26] في وصفها.

ومن «دقائق الحقائق» ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ [الآية: 26] فتبينوا ولا تكونوا عمياً عما بيّن لكم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يريد أن يكاشفكم بأسراره فيكم ليظهر لكم ما خفي على غيركم ويهديكم طريق الأنبياء والأولياء وهو التفويض والرضا والاستسلام للحكم والقضاء.

﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية: 27] إن وقع تقصير منكم بتوفيق التوبة لكم وبرجوع الرحمة إليكم ﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ [الآية: 27] أي: حظوظ النفس والهوى والركون إلى السوى بالغفلة عن المولى ﴿أَن تَمِيلُواْ﴾ [الآية: 27] عن الحق ﴿مَيْلًا﴾ [الآية: 27] بموافقتهم على اتباع/ الشهوات 167/ب
واستحلال المحرمات ﴿عَظِيمًا﴾ [الآية: 27] بالإضافة إلى من اقترف خطيئة على

ندرة غير مستحل للخطيئات.

وأفاد الأستاذ: أن إرادتهم منكوسة معبودة وهي عند إرادة الحق سبحانه ضائعة مردودة فعزل بهذا الحديث المبين حديث الأولين والآخرين فمن أراد الله توبته وهدايته ورحمته وحمايته فلا يشمت به عدو ولا يناله في الدارين سوء ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ﴾ [الآية: 28] فلذا شرع الشريعة الحنيفية السمحة السهلة لكم ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [الآية: 28] لا يصبر على حر ولا برد من أمور الكائنات ولا عن ارتكاب الشهوات ولا في تحمل مشاق الطاعات مع قبول حمله بظلمه وجهله.

ومن «دقائق الحقائق» أي: ضعيف الرأي ضعيف العقل لا من أيد بنور اليقين.

وقال الأستاذ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ﴾ [الآية: 28] ثقل الأوزار بمواترة الأوراد إلى قلوبكم أو إتعاب الخدمة بحلاوات الطاعة أو مقاساة المجاهدات بما يليح لقلوبكم من أنوار المشاهدات أو كلف الأمانات بحملها عنكم وإتعاب الطلب بروح الوصال والطرب ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [الآية: 28] وصف بهذا فقرهم وخسرهم ولم يبسط بها عذرهم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم﴾ [الآية: 29] أي: أموال بعضكم ﴿بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [الآية: 29] أي: بأنواعه ما لم يبيحه الحق في شرع الأنبياء كالغصب والربا والسمعة والرياء وقيل يشمل مال غيره ومال نفسه من غير وجهه الذي شرع له ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً﴾ [الآية: 29] أي: تقع مبادلة وقرأ الكوفيون بالنصب أي: إلا أن تكون المعاملة ﴿تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمْۚ﴾ [الآية: 29] وهو استثناء منقطع أي: لكن اقصدوا كون تجارة صادرة عن تراضي المتعاقدين منكم والمتعاطين فيما بينكم والمراد بالنهي المنع عن صرف المال فيما لا يرضاه وبالتجارة صرفه فيما يحبه الله.

وأفاد الأستاذ: أن كل نفقة كانت لغير الله فهي أكل مال بالباطل ويقال: القبض إذا كان على غفلة والبذل إذا لم يكن بمشهد الحقيقة فكل ذلك باطل

انتهى ويشير إليه ما ورد من أعطى لله ومنع لله وأحب لله وأبغض لله فقد استكمل إيمانه[1] والحاصل أن الدنيا كالحية فمن أمسكها بغير رقبة أهلكته وهي أن يأخذها من محلها ويضعها في محلها ويعلم أن كل ما يمنعه عن مولاه فهو شؤم عليه في دنياه وأخراه ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ﴾ [الآية: 29] كما
168/أ يفعله جهلة/ الهند وبعض الحبشة أو بإلقاء النفس إلى التهلكة أو بارتكاب ما يؤدي إلى قتلها أو باقتراف ما يرديها فإنه القتل الحقيقي للنفس عند العارفين بها أو لا يقتل بعضكم بعضاً والمراد بالأنفس من كان من أهل دينهم فإن المؤمنين كنفس واحدة في حقيقة يقينهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمًا﴾ [الآية: 29] فأمره بمنافعكم ونهاه عن مضاركم لفرط رحمته بكم أو معناه كان بكم يا أمة محمد بخصوصكم رحيماً لما أمر بني إسرائيل بقتل النفس ونهاكم عنه.

وقال الأستاذ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ﴾ [الآية: 29] بارتكاب الذنوب ويقال: بتعريضها لمساخطته سبحانه ويقال: بنظركم إليها وملاحظتكم إياها واستحسانكم شيئاً منها وبإيثارها دون رضى الحق عنها.

﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنًا﴾ [الآية: 30] تعدياً على الغير ﴿وَظُلۡمًا﴾ [الآية: 30] على نفسه بترك الخير ﴿فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارًاۚ﴾ [الآية: 30] أي: ندخله إياها.

وقال الأستاذ: فإنا لا نخليه من عقوبة شديدة وهي أن نكله إلى صاحبه ونلقي حبله على غاربه ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ [الآية: 30] لا عسر فيه ولا صارف عنه.

﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ﴾ [الآية: 31] أي: كبائر الذنوب التي نهاكم الله ورسوله عنها ﴿نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ﴾ [الآية: 31] نغفر لكم صغائركم ونمحها بسبب طاعاتكم والأقرب أن الكبيرة كل ذنب رتب الشارع عليه حداً أو بين فيه وعيداً وقيل: ما علم حرمته بدليل قاطع وعنه ﷺ أنها سبع الإشراك بالله

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (2/ 178) رقم (2694)، والطبراني في المعجم الكبير (20/ 188) رقم (412)، والترمذي في الجامع الصحيح (4/ 670) رقم (2521)، والبيهقي في شعب الإيمان (1/ 47) رقم (15).

وقتل النفس التي حرم الله وقذف المحصنة وأكل مال اليتيم والفرار من الزحف وعقوق الوالدين[1] وعن ابن عباس رضي الله عنهما الكبائر إلى سبع مائة منها إلى سبع[2] والأظهر أن يراد بها هاهنا أنواع الشرك لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: 48] ويؤيده قراءة ابن مسعود وابن جبير كبير ما تنهون عنه بالإفراد على إرادة الجنس ﴿وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا﴾ [الآية: 31] الجنة وما وعد من المثوبة أو إدخالاً مع الكرامة وقرأ نافع بفتح الميم وهو أيضاً يحتمل المكان والمصدر فتدبر.

وأفاد الأستاذ: أن الكبائر على لسان العلم هاهنا الشرك يعني فالجمع لمقابلة أصحابه أو إرادة أنواعه وعلى بيان الإشارة أيضاً الشرك الخفي ومن جملة ذلك ملاحظة الخلق واستجلاء قبولهم والتودد إليهم والإغماض على الله سبحانه بسببهم/ وندخلهم في أموالكم وأحوالكم مدخلاً كريماً إدخالاً حسناً لا 168/ب
ترون منكم دخولكم ولا خروجكم وإنما ترون المصرّف لكم.

﴿وَلَا تَتَمَنَّوۡاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ﴾ [الآية: 32] من الأمور الدنيوية كالجاه الوسيع والأموال الكثيرة فلعل عدمه خير من وجوده لكم والمقتضى للمنع عن النهي كونه ذريعة إلى التحاسد والتعادي ومعربة عن عدم الرضا بما جرى من القضاء وأنه مجرد تشبه لحصول الشيء من غير طلب له واجتهاد لأجله وهو مذموم وصاحبه معلوم لأن تمني ما لم يقدر معارضة لحكمة القدر وتمنى ما قدر له بكسب وجد وكد بطالة وتضييع حظ وتمنى ما قدر له بغير كسب في الحال ضياع في المال بل معدود من الحال.

وأفاد الأستاذ: أن لسان المعاملة أن الأمر بالعقبى لا بالتمني ولسان التوحيد أن الأمر بالحكم والقضاء لا بالإرادة والمنى ويقال اسلكوا سبيل من تقدمكم في قيامهم بحق الله ولا تتعرضوا لنيل ما خصوا به من فضل الله

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (1/ 552) رقم (1447)، والطبراني في المعجم الكبير (17/ 48) رقم (102)، والبيهقي في شعب الإيمان (1/ 265) رقم (284).

(2) تفسير الطبري (8/ 245)، وتفسير ابن كثير (2/ 283)، وتفسير الكشاف (1/ 402)، وتفسير ابن أبي حاتم (4/ 129) رقم (5259).

قوموا بحق مولاكم ولا تقوموا بمتابعة هواكم واختيار مناكم ويقال كن طالب حقوقك لا طالب حظوظك فإنك إذا قمت لطلب نصيبك على أي وجه شئت دنيا وأخرى أشركته في توحيدك من حيث لا شعور لك بك ويقال خمودك تحت جريان حكمه على ما سبق له اختياره أحظى لك من تعرضك لوجود مناك إذ قد يكون بغيتك في أمنيتك ويقال من لم يؤدب ظاهره بفنون المعاملات ولم يهذب باطنه بوجوه المنازلات فلا ينبغي أن يتصدى لنيل المواصلات وهيهات متى يكون ذلك هيهات ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ﴾ [الآية: 32] بيان لما سبق والمعنى لكل من الرجال والنساء نصيب من الفضل بحسب ما كتب له من الكسب وسبب ما قدر له من القضاء على طريق العدل فاطلبوا الفضل بالعمل لا بالحسد والتمني والأمل كما قال عليه السلام ليس الإيمان بالتمني(1) وكما صرح به سبحانه في قوله: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [النساء: 123] الآية وقيل: المراد نصيب الميراث وتفضيل الورثة بعضهم على بعض منه.

وأفاد الأستاذ بقوله: لا يتمنوا مقام السادة دون أن تسلكوا سبيلهم
169/أ وتلازموا سيرهم وتعملوا عملهم فإن ذلك جور من الظن/ ويقال لا تتمنى مقامات الرجال فإن لكل مقام أهلاً عند الله وهم معدودون فما لم يمت واحد منهم لا يورث مكانه غيره قال تعالى: ﴿جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ﴾ [الأنعام 156] والخليفة من يخلف من تقدمه فإذا تمنيت مقام ولي من الأولياء فكأنك استعجلت وفاته على ما قدر له من القضاء ﴿وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ﴾ [الآية: 32] قرأ المكي والكسائي بالنقل والباقون بالأصل أي: وادعوه فاطلبوه ﴿مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [الآية: 32] أن يسوقه إليكم ويسهله عليكم فإن الغبطة محمودة وخصلة الحسد مذمومة مردودة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [الآية: 32] وبعباده رحيماً فيعلم ما يستحقه كل إنسان ويتفضل به عن علم وتبيان فينبغي الرضاء بالقضاء والتسليم في جميع مراتب الإحسان.

(1) جامع الأحاديث (18/ 244) رقم (19318).

وأفاد الأستاذ: أن الفرق بين التمني والسؤال من فضله من وجوه منها كون التمني للشيء مع غفلتك عن ربك فتتمنى بقلبك وجود ذلك الشيء من غير توقعه من الله فإذا سألت الله فلا محالة تذكره ومنها إن السائل لا يرى استحقاق نفسه فيحمله صدق الإرادة على التملق والتضرع والمسألة والتمني لا يخلو عن هذه الجملة ومنها أن الله نهى عن تمني ما فضل الله به غيرك ومعناه أن يسلب صاحبك ما أعطاه ويعطيك إياه وأباح السؤال من فضله بأن يعطيك مثل ما أعطى صاحبك ويقال لا تتمنّ العطاء واسألوا الله أن يعطيك من فضله [الرضا] بفقد العطاء وذلك أتم من العطاء وأن التحرر عن رق الأشياء أم من تملكها عند الأصفياء.

﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ [الآية: 33] ولكل تركة جعلنا وارثاً يلونها ويحرزونها ومما ترك بيان لكل مع الفضل بالعامل وفي ترك ضمير كل والوالدان والأقربون استئناف مفسر للموالي ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ﴾ [الآية: 33] والكوفيون عقدت ﴿أَيْمَانُكُمْ﴾ [الآية: 33] أي: بالموالاة ﴿فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ [الآية: 33] كان الحليف يورث السدس من مال حليفه فنسخ بقوله ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾ [الأنفال: 75] ذكره القاضي.

وقال التفتازاني: فيه نظر لأنه لا دلالة على نفي إرث الحليف لا سيما والعاملون به إنما يرثونه عند عدم العصبات وأولي الأرحام انتهى وصورة مولى الموالاة عندنا على ما ذكره السيد الجرجاني شخص مجهول النسب قال الآخر: أنت مولاي ترثني إذا مت ويعقل/ عني إذا جنيت وقال الآخر: قبلت 169/ ب
فعندنا يصح هذا العقد ويصير القابل وارثاً عاقلاً ويسمى مولى الموالاة وإذا كان الآخر مجهول النسب وقال للأول مثل ذلك وقبله ورث كل منهما صاحبه وعقل عنه.

وكان الشعبي يقول: لا ولاء إلا ولاء العتاقة وبه أخذ الشافعي وهو مذهب زيد بن ثابت وما ذهبنا إليه مذهب عمر وعلي وابن مسعود رضي الله عنهم ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ [الآية: 33] أي: عالماً مطلعاً فلا

تتجاوزوا عن أمره ولا تبعدوا عن حكمه وفيه وعد بالعطاء على الوفاء ووعيد على منع النصيب بالجفاء.

﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [الآية: 34] كقيام الولاة على الرعية والرعاة على الماشية بأمرين أحدهما وهبي وثانيهما كسبي كما بينهما فقال ﴿بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الآية: 34] من كمال العقل والدين وحسن التدبير ومزيد اليقين ولذا خصوا بالنبوة والأمانة ووجوب الجهاد وإمامة الجمعة والجماعة ﴿وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ [الآية: 34] في نكاحهن كالمهر والنفقة والكسوة وسائر مطالبهن.

وقال الأستاذ: خص الرجال بالقوة فزيد في الحمل عليهم على حسب القوة والعبرة بالقلوب والهمم لا بالنفوس والجثث انتهى والمعنى أن هذا الجنس خير من جنس النساء لوجود هذه الفضائل في بعض أفرادهم دون غيرهم وإلا فكم من امرأة فضلت رجالاً في مراتب الفضيلة ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ﴾ [الآية: 34] مطيعات لله في أوامرهن قائمات بحقوق أزواجهن ﴿حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ﴾ [الآية: 34] أي: لموجبات الغيبة كحفظهن في حال الحضرة ما يجب حفظه في النفس وفي المال والأسرار الخفية ﴿بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 34] أي: بسبب حفظه سبحانه إياهن بالعصمة فإن المحفوظ من حفظه الحفيظ في الحقيقة.

قال السلمي: قيل بحفظ الله لهن صرن حافظات للغيب ولو وكلهن إلى أنفسهن لهتكن ستورهن وفي الحديث خير النساء امرأة إن نظرت إليها سرّتك وإن أمرتها أطاعتك وإن غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها(1) وتلا الآية والمراد بمالها ماله في تصرفها فالإضافة لأدنى الملابسة ولزيادة البعث على المحافظة فكأن ماله مالها أو للمبالغة فإنها إذا راعته في مالها فبالأولى أن تراعي ماله بعدم صرفها في غير ضرورة حالها ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾ [الآية: 34] عن
170/ أ إطاعة أزواجهن/ ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾ انصحوهن وذكروهن بعقاب الله إياهن في

(1) جامع الأحاديث (12/ 365) رقم (12105)، وتفسير ابن أبي حاتم (4/ 139) رقم (5285).

عصيانهن ﴿وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ﴾ [الآية: 34] أي: مراقدهن بأن لا تدخلوا تحت اللحف معهن وقيل: لا تأتوهنّ أو لا تجامعوهن ﴿وَٱضْرِبُوهُنَّ﴾ [الآية: 34] أي: ضرباً غير مبرح لهن والأمور الثلاثة مرتبة ينبغي أن تقع مدرجة فالآية تتضمن آداب الخلطة وحسن العشرة ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾ [الآية: 34] أي: بالتوبيخ لهن وأزيلوا التعرض عنهن واجعلوا ما كان منهن كأن لم يكن فيهن فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له منهن ومن غيرهن ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ [الآية: 34] برهانه فهو أقدر عليكم منكم على من تحت أيديكم.

وأفاد الأستاذ تبعاً للسلمي: إن لك عليها الطاعة بالبدن والقالب فأما المحبة والميل إليك بالقلب فذلك إلى الرب فلا تكلفها ما لم يرزقك الله فيها فإن القلوب بقدرة الله يحبب إليها من يشاء ويبغض إليها من يشاء وقال: لا تنسى وفاءها بالماضي بنادر جفاء يبدو في الحال فربما يعود الأمر إلى الجميل في الاستقبال والاستحسان في المال.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾ [الآية: 35] أي: ظننتم أو توقعكم خلافاً فيما بين الزوج والمرأة لدلالة السياق عليهما ﴿فَٱبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾ [الآية: 35] إذا اشتبه عليكم حالهما لتبيين أمرهما من إصلاح ذات بينهما بجمعهما أو تفرقهما وخص أقاربهما لأنهما أعرف ببواطن أحوالهما وأقرب إلى طلب صلاح أمرهما وهذا على وجه الاستحباب فلو نصّبا من الأجانب جاز أيضاً في هذا الباب والخطاب للحكام وللولاة أو للأزواج والزوجات قيل واستدل به على جواز التحكيم في الخصومات لكن ليس لهما ولاية التفريق عندنا على ما ذكره صاحب «**المدارك**» إلا إن فوض إليهما وقال مالك لهما: كان يتخالعا إن وجدا فيه صلاح حكمهما ﴿إِن يُرِيدَا﴾ [الآية: 35] أي: الحكمان ﴿إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ [الآية: 35] بين الزوجين والمعنى إن قصدا الإصلاح أوقع الله بحسن سعيهما الموافقة بين الزوجين بإصلاح حالهما ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ [الآية: 35] بظواهركم ﴿خَبِيرًا﴾ [الآية: 35] بسرائركم فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق ﴿وَٱعْبُدُوا ٱللَّهَ﴾ [الآية: 36] أي: وحدوه وأطيعوه ﴿وَلَا/ تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [الآية: 170/ ب
36] من مخلوقاته أو شيئاً من إشراكه جلية أو خفية.

وقال ابن عطاء: الشرك أن تطالع غيره أو ترى ممن سواه ضره أو خيره وقال أيضاً: العبودية ترك الاختيار وملازمة الذلة والافتقار كذا في «دقائق الحقائق».

وأفاد الأستاذ: أن العبودية معانقة الأمر ومفارقة الزجر والشرك جلية اعتقاد معبود سوى الله وخفيه ملاحظة موجود مما عداه والتوحيد أن تعرف أن الحادثات كلها حاصلة بالله قائمة به فهو منشئه ومجريه ومبقيه وليس بأحد ذرة ولا شظية ولا سنية ولا شتمة من الإيجاد والإبداع في كل عضيه ودقائق الرياء وخفايا المصانعات وكوامن الإعجاب والعمل على رؤية الخلق واستحلاء مدحهم والذبول تحت ردهم وذمهم كل ذلك من الشرك الخفي.

ومن «نفائس العرائس» ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ [الآية: 36] لله لا على رؤية العوض والعبادة فإنهما شرك العابدين واعبدوه على رؤية التقصير فإنه عبادة الموحدين وأيضاً شغلهم به منه ولو أحبهم الحب البالغ لأسكرهم بشراب القرب والمشاهدة وأوقعهم في بحار القدم بعد خروجهم من العدم.

قال أبو يزيد: إن الله سبحانه نظر في هذا العالم فلم ير أهلاً لمعرفته فشغلهم بعبادته أقول ولعل معناه أنه لما كان هذا العالم مكان الفناء ولم يحمل دوام المشاهدة واللقاء فأشغلهم بعبادته ليكون وسيلة إلى مشاهدته ولذا قال بعضهم العبودية فناؤك عن مشاهدتك في مشاهدة من تعبده ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ﴾ [الآية: 36] أي: وأحسنوا بهما ﴿إِحْسَٰنًا﴾ [الآية: 36].

قال صاحب «العرائس»: المراد بالوالدين مشايخ المعرفة وإحسان المريدين إليهم بوضع أعناقهم عند ساحاتهم بنعت ترك مخالفاتهم مع نشر فضائلهم عند الخلق والدعاء لهم بمزيد القرب إلى الحق.

قال الجنيد: أمرني أبي أمراً وأمرني السري أمراً فقدمت أمر السري على أمر أبي وكل ما وجدت فهو من بركاته ﴿وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الآية: 36] وبصاحب القرابة أو إخوان المحبة من أهل القربة ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ [الآية: 36] من الأقارب والأجانب في «العرائس» اليتامى أهل فرقة الله الذي وقعوا في النفرة وآفة الشهوة

واحتجبوا بها عن المشاهد فإحسانهم ترغيبهم إلى طاعة مولاهم وتشويقهم إلى مشاهدة/ سيدهم مع التلطف والظرافة في دعائهم إلى الله ومن مات أستاذه قبل 171/أ
بلوغه إلى درجة القوم فهو يتم المعرفة والإحسان إليه تربيته بآداب القوم لئلا ينقطع عن الطريق ﴿وَٱلْمَسَـٰكِينِ﴾ [الآية: 36] أي: الفقراء والضعفاء المعسرين.

قال البقلي: أراد بالمساكين السالكين غير المجذوبين فإن المساكين سلكوا طريق المقامات بالمجاهدات وإحسانهم كشف أسرار المشاهدات عندهم ليقع آثار المحبة في قلوبهم فيسكنون عن المجاهدات الظاهرة ويطلبون الحق بالقلوب الحاضرة والأسرار الظاهرة ليصلوا بطرفة عين المقام لا يصلون إليه بألف سنة بالمجاهدة والرياضة ﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الآية: 36] الذي قرب جواره أو الذي له مع الجوار قرب واتصال بدين أو نسب ﴿وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾ [الآية: 36] البعيد أو الذي لا قرابة له وعنه عليه السلام الجيران ثلاثة فجار له ثلاثة حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق الإسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الإسلام وجار له حق واحد حق الجوار وهو المشرك من أهل الكتاب(1).

وفي «**العرائس**» الجار القريب من كان مقامه مواقعاً لمقاماتكم لأنه في طريق المعرفة جار قربه الله وهو قرابتكم في معرفة الله والجار الجنب هو المؤيد المبتدىء فإحسانك إليه أن ترغبه إلى سلوك مدارج الصديقين وتيسر له مطويات أسرار المحبين وفضائل أحوال المشتاقين وأيضاً الجار الجنب صورتك التي هي حاملة الروح والإحسان إليها أن تعظم جوارحها من حظوظ المعاصي والشهوات.

وأفاد الأستاذ: أن من جيرانك ملكاك فلا تؤذهما بعصيانك وراع حقهما بما تملي عليهما من إحسانك فإذا كان جار دارك مستوجباً للإحسان إليه ومراعاة حقه فجار نفسك وهو قلبك أولى أن لا تضيعه ولا تغفل عنه فلا تمكن حلول الخواطر الردية بها وإذا كان جار نفسك هذا حكمه فجار قلبك

---

(1) جامع الأحاديث (1/ 264) رقم (410) و(12/ 86) رقم (11491)، (37/ 21) رقم (39933)، وشعب الإيمان (7/ 83) رقم (9560).

وهو معرفتك أولى أن تحامي على حقها فلا تمكّن ما يخالفها في مساكنتها ومجاورتها وجار روحك وهو سرك أولى أن تراعي حقه فلا تمكنه من الغيبة عن أوطان الشهود على دوام الساعات ثم الإشارة من قوله ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: 4] غير ملتبسين على قلوب ذوي التحقيق والله ولي التوفيق.

﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾ [الآية: 36] أي: الرفيق في أمر حسن أو مباح كتعلم
171/ب وصناعة ومرافقة فإن صحبك وحصل بجنبك أو المرأة وهو/ قول علي وابن مسعود وابن عباس وعكرمة.

وقال البقلي: هو قلبك وإحسانك إليه أن تفرده من الحدثان وتشوقه إلى جمال الرحمٰن وأيضاً هي النفس الأمارة لما ورد أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك[1] وإحسانك إليها أن تحبسها في سجن العبودية وتميتها عن الشهوة وتحرقها بنيران المحبة وتذرو ترابها برياح المعرفة حتى لا يبقى في دار الله غير الله.

﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الآية: 36] أي: المسافر والضيف وقال البقلي: أراد بابن السبيل غريب الله في بلاد الله حيث لا يعرفه سوى الله الذي يتطرق من نور الأفعال إلى نور الصفات ومن نور الصفات إلى نور الذات وهو في غربة الأزل والأبد لا يسكن روعته ولا يطفئ حرقته ويزيد تحيره وتغربه لا يعرفه أحد يؤانسه قال عليه السلام إن حضروا لم يعرفوا وإن غابوا لم يفتقدوا[2] لا يفتح لهم السدد ولا يزوجهم المنعمات أنوار قلوبهم من نور الشمس والإحسان إليهم بذل المهجة بين أيديهم وزيادة الاستطابة في أوقاتهم ودفع الأغيار عن صحبتهم حتى لا يطلع عليهم أحد يمنعهم ساعة من حالاتهم.

وقال السهل الجاذري: القربى وهو القلب والجار الجنب هو النفس والصاحب بالجنب العقل الذي ظهر على فقه السُنَّة والشرع ﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾

(1) سبق تخريجه.
(2) أخرجه الحاكم في المستدرك (1/ 44) رقم (4) و(3/ 303) رقم (5182)، والطبراني في المعجم الأوسط (5/ 163) رقم (4950)، وابن ماجه في السنن (2/ 1320) رقم (3989)، والبيهقي في شعب الإيمان (5/ 328) رقم (6812).

[الآية: 36] الجوارح المطيعة لله.

﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ﴾ [الآية: 36] من العبيد والإماء وسائر الأشياء.

وفي «العرائس» هم مريدوكم الذي هم أرقاء الإرادة والإحسان إليهم تربيتهم في طريق الله بآداب الله ونشر كرامة الله عندهم ودعاؤهم إلى طريق الرجاء لأن الراجي طيار والخائف سيار وتعليمهم طريق المشاهدة بلزوم المراقبة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [الآية: 36] متكبراً يأنف عن أقاربه وجيرانه وأصحابه ومماليكه يتفاخر عليهم أو يفتخر بهم على غيرهم مع عدم إحسانه إليهم.

﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾ [الآية: 37] في أموالهم أن ينفقوها في مرضاة مولاهم عموماً وفيما أمرهم الله به من بر الوالدين والأقربين وغيرهم خصوصاً وقرأ حمزة والكسائي البخل بفتحتين.

وأفاد الأستاذ: أن البخل على لسان العلم منع الواجب وعلى بيان الإشارة ترك الإيثار في زمان الاضطرار وأمر الناس بالبخل منعهم من مطالبات الحقائق في معرض الشفقة عليهم بموجب الشرع/ وبيان هذا أن يقع 172/أ
لسالك الانسلاخ عن العلائق وحذف فضولات حاله فينصحه بأن يقول ربما لا تقوى على هذا ولأن تكون مع معلومك الحلال أولى بك أن تصير مكدياً إذ ربما تخرج إلى سؤال الناس وأن تكون كلاً على المسلمين ويروى له في هذا الباب الأخبار والآثار وأمثال هذا من حكايات الأبرار ولولا بخله المستكن في قلبه لإعانة بهمته فيما سنح لقلب ذلك المسكين بدل ما يمنعه بقول في معرض النصح ومن كان هذا صفته أدركه عاجل المقت حين أطفأ شراره ذلك المستضعف بما هو عند نفسه أنه نصيحة وشفقة في الشريعة ﴿وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [الآية: 37] أي: المال والعلم والحال فإن البخيل يستر نعمة الله ويجحدها في المآل وقد ورد أن الله إذا أنعم على عبد وأحسن إليه أحب أن يظهر أثرها عليه(1) وقيل: لا يشكرون نعمة العافية عليهم

(1) تفسير ابن كثير (2/ 303).

ويلائمه قوله: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [الآية: 37] كما هانوا النعمة بالبخل ولم يجعلوا آثارها مبيناً والآية نزلت في طائفة من اليهود وكانوا يقولون للأنصار تنصحاً لا تنفقوا أموالكم فإنّا نخشى الفقر عليكم وعن ابن عباس وغيره أنها نزلت في الذين كتموا نعمة محمد ﷺ وهو من أفضل النعم.

وأفاد الأستاذ: أن بخل الأغنياء يمنع النعمة وبخل الفقراء يمنع الهمة.

﴿وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ﴾ [الآية: 38] أي: لا لوجه الله ولا فيما يحبه ويرضاه ﴿وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [الآية: 38] ليتحركوا بالإنفاق ثوابه ويتحرزوا بترك البخل عقابه ﴿وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾ [الآية: 38] أي: إبليس وأعوانه الداخلة والخارجة في الدنيا بالوسوسة وفي العقبى بالمشاركة في العقوبة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أدخل هؤلاء أيضاً تحت قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: 36] فعقوبتهم في العاجل أنهم ليسوا من أهل المحبة وكفى بذلك من المحنة والمختال هو الذي ينظر إلى نفسه والمرائي الذي ينظر إلى أبناء جنسه وكلاهما موسومان بالشرك الخفي وكذلك الذي يرى من نفسه حالاً ورتبة وهو في ذلك المدعي.

﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾ [الآية: 39] أي: أي شيء من الضرر عليهم وأي تبعة راجعة إليهم لو استقاموا على صحيح الاعتقاد/ وقاموا بالإنفاق على وجه السداد ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾ [الآية: 39] أو 172/ب
باختلاف حالهم حكيماً ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [الآية: 40] أي: لا ينقص من الثواب ولا يزيد في العقاب مقدار أصغر شيء من الأشياء كالذرة التي هي عبارة عن جزء من أجزاء الهباء، بل لا يتصور الظلم مطلقاً في حقه فإنّه عبارة عن وضع الشيء في غير موضعه أو عن التعدي في غير ملكه وكلاهما محال في فعله لأنه إما عدل في أمره وإما فضل في حكمه كما بينه بقوله: ﴿وَإِن تَكُ﴾ [الآية: 40] أي: الذرة من العمل ﴿حَسَنَةً﴾ [الآية: 40] وقرأ الحرميان بالرفع أي: وأن تقع حسنة واحدة في مقام العدل ﴿يُضَاعِفْهَا﴾ [الآية: 40] في مرتبة الفضل

وقرأ ابن كثير وابن عامر يضعّفها ﴿وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ﴾ [الآية: 40] أي: يعط من عنده على سبيل الفضل زائداً على ما وعد في مقابلة العمل بالعدل ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الآية: 40] أي: عطاءً جسيماً.

﴿فَكَيْفَ﴾ [الآية: 41] حال هؤلاء الخلق في معرض الحق ﴿إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ [الآية: 41] أي: نبي يشهد على صدق أحوالهم أو قبح أفعالهم ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ﴾ [الآية: 41] من المشهودين والشهداء ﴿شَهِيدًا﴾ [الآية: 41] يشهد على الشهداء بصدق مقالهم وتزكية أحوالهم وعلى المشهودين بما يستحقون من سوء وبالهم وقبح مآلهم على وفق أعمالهم.

﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ﴾ [الآية: 42] أي: أن يدفنوا فيسوى بهم التراب ليخلصوا من العقاب والحجاب وقرأ نافع بفتح التاء وتشديد السين وحمزة والكسائي بتحقيقها مع فتح التاء والباقون بالضم والتخفيف والكل على تشديد الواو ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ [الآية: 42] أي: ولا يقدرون على كتمانه لما عرفوا من علو شأنه وظهور برهانه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ﴾ [الآية: 43] أي مواضعها فضلاً عن صنعها ﴿وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ﴾ [الآية: 43] حال من فاعلها ﴿حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ [الآية: 43] أي: تعرفوا قراءتكم وتفهموا عبادتكم وتتركوا عادتكم روي أن عبد الرحمن بن عوف صنع مأدبة أي: ضيافة ودعا نفراً من الصحابة حين كانت الخمر مباحة فأكلوا أو شربوا حتى ثملوا أي: سكروا وجاؤوا صلاة المغرب فتقدم أحدهم ليصلي بهم وهو علي أو عبد الرحمن أو غيرهما فقرأ أعبد ما تعبدون فنزلت[1] وقيل: غلبه النوم في معنى الخمر وبه ورد الخبر وفي الأحياء قيل سكارى من حب الدنيا وقيل من كثرة الهموم المتعلقة بالسوى.

وقال الواسطي: لا تقرب/إلى مواصلتي إلا وأنت منفصل عن جميع كائناتي. 173/أ

(1) تفسير الطبري (8/ 376)، تفسير الرازي (5/ 212)، والكشاف (1/ 412).

أفاد الأستاذ: أن النهي عن موجب السكر من الشراب لا من الصلاة أي: لا تصادفكم الصلاة وأنتم بصفة السكر أي: امتنعوا من شرب ما يسكر فإنكم إن شربتم سكرتم ثم إذا صادفكم الصلاة على تلك الحالة لا يقبل منكم صلاتكم والسكر ذهاب العقل والاستشعار ولا يصح معه المناجاة مع الحق والمصلي مناجي ربه فكل ما أوجب للقلب الذهول عن الله فهو ملتحق بهذا من حيث الإشارة ولأجل هذه الجملة حصل السكر على أقسام فسكر من الخمر وسكر من الغفلة لاستيلاء الدنيا وأصعب السكر من نفسك وهو الذي يلقيك في الفرقة عنه فإن من سكر من الخمر فقصاراهُ الحرقة إن لم يغفر ومن سكر من نفسه فحاله الفرقة في الوقت عن الحق فأما السكر الذي يشير إليه القوم فصاحبه محفوظ عليه وقته حتى يصلي والأمر مخفف عليه فإذا خرج عن الصلاة يهجم عليه وغالبه فاختطفه عنه ومن لم يكن محفوظاً عليه أحكام الشرع فمسيب فتان ﴿وَلَا جُنُبًا﴾ [الآية: 43] عطف على قوله: ﴿وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾ [الآية: 43] إذ الجملة في موضع النصب على الحال والجنب هو الذي أصابه الجنابة ويستوي فيه المفرد والجمع والمذكر والمؤنث لأنه يجري مجرى المصدر وهو الإجناب والمعنى ولا مجنبين ﴿إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾ [الآية: 43] استثناء من أعم الأحوال أي: لا تقربوا المساجد التي هي مواضع الصلاة تعظيماً لها إلا حال كونكم مجتازين فيها غير لابثين بها إذا كان فيه الماء أو الطريق منحصر إليها وقوله: ﴿حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟﴾ [الآية: 43] أي: من الجنابة وهو غاية للنهي عن القربان للصلاة حال الجنابة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أذن للمضطر أن يترخص في عبور المسجد وهو على وصف الجنابة فإذا عرج زائراً على قدر الضرورة فمعاتب غير معذور كذلك فما يحصل من معاذير الوقت في القيام بشرائط الوقت فموضوع على صاحبه المطالبة ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ﴾ [الآية: 43] أي: مرضاً يخاف معه الضرر باستعمال الماء الواجد له حينئذٍ كالفاقد ﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ [الآية: 43] أي: على جناح سفر والمعنى مسافرين ولا تجدون الماء فيه ﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾ [الآية: 43] كناية عن الحدث الأصغر ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [الآية: 43]

أي: جامعتموهن كما فسره به علي وابن عباس/ وأكثر الصحابة والتابعين وقرأ 173/ب
حمزة والكسائي لمستم وهو كناية عن الحدث الأكبر ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً﴾ [الآية: 43] أي: فلم تتمكنوا من استعماله إذ الممنوع عنه كالمفقود له ﴿فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ﴾ [الآية: 43] أي: شيئاً من وجه الأرض طاهراً أو حلالاً وما روي أنه ﷺ تيمم ومسح يديه إلى مرفقيه[1] والقياس على الوضوء دليل على أن المراد هاهنا ﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾ [المائدة: 6] خلافاً للإمام أحمد بن حنبل فكأنه حمل الزيادة على الاستحباب كما ورد عن ابن الخطاب أنه كان يقبل امرأته ثم يصلي ولا يتوضأ كما رواه ابن جرير[2] وتارة يتوضأ ويصلي كما رواه الدارقطني[3] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [الآية: 43] فلذلك يسر الأمر عليكم ورخص في الحكم لكم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه بفضله جعل التيمم بدلاً من الطهارة بالماء عند إعواز الماء كذلك النزول إلى ساحات الفرق عن ارتقاء ذروة الجمع بقدر ما يحصل من الضعف بدل لأهل الحقائق ثم إن التيمم الذي هو بدل الماء أعم وجوداً من الماء وأحل استعمالاً من الأصل فإن كل من كان أقرب كانت المطالبة عليه أصعب ثم في الظاهر أمرنا باستعمال التراب وفي الباطن باستشعار الخضوع واستدامة الذبول ورد التيمم إلى التقليل وراعى فيه صيانة لرأسك من التراب ولقدمك فإن العز بالمؤمن ومولاه باستحقاق الجلال أولى من الذل لما هو مفلس فيه من الحال ولئن كان إفلاسه عن أعماله يوجب له التذلل فعرفانه بجلال سيده يوجب كامل التعزز والتجمل.

ومن «**نفائس العرائس**» هذا خطاب لأهل العشق والمحبة والشوق الذين أسكرتهم أنوار القدسية وسبحات السبوحية وهم حيارى سكارى مبهوتون في

(1) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (1/ 211) رقم (817)، وابن أبي شيبة في المصنف (1/ 146) رقم (1673)، والدارقطني في السنن (1/ 182) رقم (25).
(2) تفسير ابن كثير (2/ 315)، وأمّا ما ذكره الطبري في تفسيره (8/ 396) و(8/ 397) فإنه روي عن السيدة عائشة رضي الله عنها.
(3) لم يرد عند الدارقطني في سننه أنه توضأ.

نهبة الأحوال تائهون في مشاهد الجلال والجمال فغالب أحوالهم العبرات والغلبات والزعقات والشهقات والهيجان والهيمان لا يعرفون الأوقات ولا يعرفون الليل من النهار ولا النهار من الليل لا يقدرون في حال سكرهم أن يأتوا على شرائط الصلاة من القيام والقراءة والركوع والسجود وكهشام بن عبدان وبهلول وسعدان وجميع عقلاء المجانين أي أيها العارفون بذاتي وصفاتي وأسمائي ونعوتي السكارى من شراب محبتي وسلسبيل إنسي وتسنيم قدسي وزنجبيل قربي وخمر عشقي وعقار/ مشاهدتي إذا كشفت لكم جمالي 174/أ
وأوقعتكم في مقام ربوبيتي فلا تكلفوا أنفسكم أمر صورة الظاهر لأنكم في جناب مشاهدتي وليس في جنة جلالي تعبد حتى إذا سكنتم في سكركم وصرتم صاحين على نعت التمكين فإن جنود العشق ترفع قلم التكليف عن جنون محبتي فإذاً تصلون وتفرقون مقام البدايات على حد الصحو وإن كنتم مضطرين في خمار ذلك السكر لأن السكران والصاحي يذهبان عن صورة العقل إلى عالم العشق عند طلوع جلال عظمتي من مطالع قدمي في عيون إبصار سرائرهم فعند ذلك يستوى حالهما:

إذا طلع الصباح لنجم راحي ... تساوى فيه سكران وصاحي

وإذا بقي العقل الإلهي في إشراق أنوار سلطان المشاهدة ذرة فينبغي أن يصلي ويؤدي حق أوقات فإن بعض مشايخنا لما حان عليهم وقت الصلاة وهم في وجد وحالة قاموا إلى الصلاة ومريدوهم عدوا ركعاتهم وسجداتهم وركعاتهم فإذا سهوا عن شيء ذكروهم ذلك وهذا من كمال ظرفاتهم في المعرفة وأيضاً خاطب أهل الغفلة وسكارى الجهل من شراب الهوى والشهوة أن لا يأتوا إلى مقام مناجاته وقربه ومشاهدته حتى يخرجوا منها فإن الفاعل لا يؤدي فرائضه على شرائط السُنَّة.

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ [الآية: 44] أي: ألم تنظر نظر تعجب أو لم ينته علمك ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ [الآية: 44] أي: حظاً يسيراً من علم التوراة ونحوه بحسب لفظ مبناه أو فهم معناه ﴿يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَـٰلَةَ﴾ [الآية: 44] أي: يختارونها عن الهداية بنحو التحريف وأخذ الرشوة ﴿وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ﴾ [الآية: 44] أي:

سبيل الحق لافتدائكم بهم في طريق باطلهم.

﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ﴾ [الآية: 45] أي: منكم ﴿بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ﴾ [الآية: 45] وقد أخبركم بعداوتهم إياكم فاحذروهم فيما يريدون بكم ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا﴾ [الآية: 45] يلي أمركم ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا﴾ [الآية: 45] يعينكم فاكتفوا به عن غيره والتجؤا إليه واعتمدوا عليه والباء تزاد في فاعل كفى لتوكيد الاتصال الإسنادي بالاتصال الإضافي وقد يزاد في مفعوله كقول حسان:

وكفى بنا فضلاً من غيرنا حب النبي محمد إيانا[1]

يعني الأنصار.

وأفاد الأستاذ: أنهم مكروا ولم يشعروا وجهة مكرهم إن/ أعطوا الكتاب 174/ ب ثم حرموا بركات الفهم من الخطاب حتى حرفوا وأصروا ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ [الآية: 46] أي: من اليهود ومن تبعهم من أهل الجحود ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ﴾ [الآية: 46] أي: قوم يميلونها ﴿عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [الآية: 46] التي وضعها الله فيها بإزالته عنها وإثبات غيرها مكانها أو يؤدونها على ما يشتهون فيها ﴿وَيَقُولُونَ سَمِعۡنَا﴾ [الآية: 46] قولك ﴿وَعَصَيۡنَا﴾ [الآية: 46] أمرك سراً أو غيرك ﴿وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ﴾ [الآية: 46] أي: غير مجاب إلى ما تدعو إليه ﴿وَرَٰعِنَا﴾ [الآية: 46] انظرنا نكلمك أو نفهم قولك ﴿لَيَّۢا بِأَلۡسِنَتِهِمۡ﴾ [الآية: 46] أي: فتلاً بها وصرفاً عن ظاهرها بما تظهرون من الدعاء والتوقير إلى ما تضمرون من السب والتحقير حيث وضعوا ﴿غَيۡرَ مُسۡمَعٖ﴾ [الآية: 46] موضع لا أسمعت مكروهاً ﴿وَرَٰعِنَا﴾ [الآية: 46] المشابه لما يتسابون به موضع وانظرنا ﴿وَطَعۡنٗا فِي ٱلدِّينِۚ﴾ [الآية: 46] استهزاء وسخرية بالأمر اليقين ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا﴾ [الآية: 46] بدل عصينا ﴿وَٱسۡمَعۡ﴾ [الآية: 46] من غير مسمع ﴿وَٱنظُرۡنَا﴾ [الآية: 46] بدل راعنا ﴿لَكَانَ﴾ [الآية: 46] ما ذكر ﴿خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَقۡوَمَ﴾ [الآية: 46] أي: أعدل بهم ﴿وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ﴾ [الآية: 46] أبعدهم الله عن رحمته بسبب كفرهم واستحقاق نقمته ﴿فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [الآية: 46] منهم آمنوا أو سيؤمنون.

---

(1) نسب إلى أبي القاسم. انظر: الحلل في شرح أبيات الجمل (1/ 71).

وأفاد الأستاذ: أنهم تركوا حشمة الرسول ﷺ ورفضوا حرمة قدره، فعوقبوا بالشك في أمره وكذلك لم يترك أحد حشمة محتشم إلا حيل بينه وبين بركات صحبته وزوائد خدمته ولو أنهم عاجلوا في نفي ما داخلهم من الحسد وقابلوا حاله عليه السلام بالتبجيل والإعظام لوجدوا بركات المتابعة فأسعدوا به في الدنيا والآخرة لكن أقصتهم السوابق فأقعدتهم القسمة عن بساط الخدمة وأن من قعدت به الأقدار لم ينهض به الاختيار.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا﴾ [الآية: 47] من القرآن ﴿مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم﴾ [الآية: 47] من التوراة والإنجيل والزبور في التبيان ﴿مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا﴾ [الآية: 47] أي: نمحو تخطيط صورها ﴿فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ﴾ [الآية: 47] أي: ننكسها إلى ورائها في الدنيا أو العقبى ﴿أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ﴾ [الآية: 47] على لسانك المحمود ﴿كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ﴾ [الآية: 47] على لسان داوود فنجعلهم قردة وخنازير وكلاباً من أصحاب السعير ﴿وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 47] بما حكم
175/أ وقضاء/ ﴿مَفۡعُولًا﴾ [الآية: 47] نافذاً كائناً فيما أمضاه.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة فيه إلى صرف القلوب عن الإرادة إلى أحوال أهل العادة حتى كانت دواعيه تتوفر في رفض الدنيا فصار لا يصبر على جمعها ومنعها بمقتضى الهوى.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ [الآية: 48] أي: لعبد لقيه مشركاً به لحكمه عن خلود عذابه عدلاً ﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 48] أي: ما عدا الشرك صغيراً كان أو كبيراً هنالك ﴿لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [الآية: 48] إحساناً وفضلاً وهذا كله في حق من لم يتب عن فعله وإلا فالتائب من الذين كمن لا ذنب له من أصله ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾ [الآية: 48] أي: ارتكب ما يستحقر دونه الآثام فإن الشرك لظلم عظيم وصاحبه مقيم في عذاب أليم.

وأفاد الأستاذ: أن العوام طولبوا بترك الشرك الجلي والخواص طولبوا بترك الشرك الخفي فمن توسل إليه بعمله وبظنه منه أو توهم أن أحكامه سبحانه معلولة بحركاته وسكناته أو رأى خلقاً أو لاحظ نفساً فوطنه الشرك

عند أهل الحقائق والله لا يغفر أن يشرك به وكذلك من توهم أن مخالفاته حصلت من غير تقديره فهو ملتحق بهم.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم﴾ [الآية: 49] من أهل الكتاب حيث قالوا ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة: 18] وفي معناهم من زكى نفسه ومدح علمه وعمله قيل ليست النفس بمحل التزكية فمن استحسن من نفسه شيئاً فقد أسقط من باطنه أنوار اليقين كذا في «**دقائق الحقائق**» ولعل معناه أن الأحوال المستحسنة والأفعال الحسنة كلها وقعت بسبب الإعانة الإلهية وإلا فالنفس لو خليت بطبعها فهي منبع الحالات الرديئة والخيالات الدنيئة ولذا ورد اللّهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين(1) ولا أقل من ذلك فإنك إن تكلني إلى نفسي تكلني إلى ضعف وعورة وذنب وخطيئة(2) ولا حول ولا قوة إلا بالله يشير إلى ما ذكرناه في مبناه ومعناه.

﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ [الآية: 49] و﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس: 9] ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: 10] وفي الحديث اللّهم آتِ نفسي تقواها وزكّاها أنت خير من زكاها(3) وفيه تنبيه نبيه على أن تزكيته هو المعتد به دون تزكية غيره فإن العالم بما ينطوي عليه الإنسان من القبح والإحسان ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [الآية: 49] أدنى ظلم وأصغره ولو/ قليلاً والفتيل هو الخيط الذي في شق النواة أو ما 175/ب
فتلت من أصابعك من الوسخ يضرب به المثل في الحقارة والمعنى ينقص من ثواب أعمالهم المحمودة ولا من عقاب أفعالهم المردودة شيئاً قليلاً ولو كان فتيلا.

وأفاد الأستاذ: أن من ركن إلى تزكية الناس له واستحلى قبول الخواص حاله فهو مزكي نفسه جاهل بيومه وأمسه أن رؤية النفس أعظم حجاب ومن

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (1/ 730) رقم (2000)، والطبراني في المعجم الأوسط (4/ 43) رقم (3565)، والنسائي في السنن الكبرى (6/ 147) رقم (10405).
(2) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (5/ 119) رقم (4803) و(5/ 157) رقم (4932).
(3) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (5/ 201) رقم (5085)، والنسائي في السنن الكبرى (4/ 443) رقم (7864)، ومسلم في الصحيح (2722/ 73).

توهم أن بتكلفه يزكي نفسه بأوراده واجتهاده أو حركاته أو سكناته فهو في غطاء حجابه.

ومن «**نفائس العرائس**» شكى سبحانه وتعالى عن أهل الدعاوي الباطلة الذين يراؤون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً بالغفلة سمعوا كلام الأولياء وباعوا في سوق السالوس على الفقراء وأضافوا حقائق الصديقين إلى أنفسهم وأشاروا إلى مقام الرياضات والمجاهدات بغير علمهم وعملهم ولم يشموا رائحة الصدق في حالهم ومع هذه العيوب يثنون على أنفسهم فرد الله عليهم بقوله: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ [الآية: 49] يلبس أنوار تنزيهه أولياءه وتقدس عن كل سوء صفائه وعن كل خاطر غير سبيل الحق أحباؤه.

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ [الآية: 50] بتزكيتهم أنفسهم في زعمهم أنهم أبناؤه ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦٓ﴾ [الآية: 50] أي: بافترائهم ﴿إِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الآية: 50] ظاهراً من بين آثامهم.

أفاد الأستاذ: أن من أطلق لسان الدعوى من غير تحقيق في المعنى والمفتري في قالته في هذا الأمر لا ينطق بشيء إلا محبّته الأذان وانزجر له قلوب الأعيان فإذا سكت عاد إلى قلب خراب في البنيان.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الآية: 51] حظاً قليلاً من مواضع الخطاب وكشفاً يسيراً من وراء الحجاب ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ [الآية: 51] وهو كل ما عبد من دون الله في كل باب ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الآية: 51] أي: لأجل مشركي مكة وفي حقهم ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [الآية: 51] إشارة إليهم ﴿أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا﴾ [الآية: 51] أقوم ديناً وأعظم يقيناً وذلك حين سأل قريش عن أخبار اليهود أديننا خير أم دين محمد عليه السلام فقالوا: دينكم خير وأنتم أهدى على ما رواه ابن عباس وعكرمة وجماعة من السلف[1] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 51] أبعدهم من رحمته وأدخلهم في نقمته.

---

(1) الدر المنثور (2/ 564).

﴿وَمَن يَلْعَنِ/ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا﴾ [الآية: 52] بمنعه من العذاب ويدفع عنه 176/أ
الحجاب ويقربه إلى الباب.

وأفاد الأستاذ: أن طاغوت كل أحد نفسه وهواه وجبته مقصوده من الأغيار وما سواه فمن لاحظ شخصاً أو طالع سبباً أو عرج على علة أو تابع هوى من بدعة فذلك جبته وطاغوته وأصحاب الجبت والطاغوت يستوجبون اللعن وهو الطرد عن بساط العبودية والحجاب عن شهود الربوبية.

﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ﴾ [الآية: 53] زعمت اليهود أن الملك إليهم يعود والمعنى بل ألهم حظ من ملك المولى نصيباً كثيراً أو من ملك الدنيا قليلاً يسيراً ﴿فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا﴾ [الآية: 53] أي: لو كان لهم نصيب من الملك تقديراً فإذا لا يوتون أحداً ما يوازي نقيراً وهو النقرة في ظهر النواة وهذا بيان لغاية شحهم ونهاية بخلهم فإنهم إذا بخلوا بالنقير وهم ملوك مع الجاه العريض والمال الكثير فما ظنك بهم إذا كانوا فقراء مهانين إذلاء متفاقرين.

وأفاد الأستاذ: أن من جبل على الشح لا يزداد بسعة ذات يده إلا تأسفاً على راحة تنال الخلق به كأنه شرب قطرة ماءٍ من حياضه تحسى بل ترشف من ماء حياته.

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ﴾ [الآية: 54] أي: بل أيحسدون رسول الله ﷺ وأصحابه وأتباعه وأحبابه ﴿عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [الآية: 54] يعني الكتاب والنبوة والعزة والنصرة ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الآية: 54] أسلاف محمد وأبناء عمّه الكريم ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الآية: 54] أي: صحف إبراهيم الخليل والتوراة والإنجيل ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [الآية: 54] النبوة ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ [الآية: 54] كداوود وسليمان فلا يستنكر أن يؤتيه مثل ما آتاهم أو زيادة على ما أعطاهم والحاصل أنه سبحانه ذمهم على صفتي البخل والحسد وهما شر الرذائل في الجسد.

﴿فَمِنْهُم﴾ [الآية: 55] أي: من اليهود وغيرهم ﴿مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ﴾ [الآية: 55] أي: بربه أو بمحمد عليه السلام أو بهذا الإيتاء والإنعام ﴿وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ﴾ [الآية: 55] أعرض ولم يؤمن بقلبه ﴿وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ [الآية: 55] لمن كفر كما أنه

كفي بالجنة ملكاً كبيراً لمن آمن به.

ومن «**دقائق الحقائق**» في قوله: ﴿مِن فَضۡلِهِۦۖ﴾ [الآية: 54] هو الكرامات والولايات والمشاهدات فيكذبهم أهل الزمان ولا يطيعون أهل العرفان فإن ذلك كان الأولياء وأصحاب الإيقان قبل ذلك بين مكذب لهم ومصدق في التبيان.

176/ب وأفاد الأستاذ: أن الملك العظيم/ معرفة الملك الكريم ويقال هو الملك على النفس أي: بعدم تضييع النفس ويقال: الإشراف على أسرار المملكة ويقال: الاطلاع على الخلق باطلاع أنوار الحق.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [الآية: 56] أي: الأفاقية والأنفسية أو الأدلة النقلية والفعلية أو المعجزات الفرقانية أو الآيات القرآنية ﴿سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا﴾ [الآية: 56] أي: ندخلهم ناراً عظيمة وقودها الناس والحجارة ﴿كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم﴾ [الآية: 56] احترقت وخربت حدودهم ﴿بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا﴾ [الآية: 56] بل تعاد تلك الجلود بعينها أو بأن يزال أثر الإحراق عنها ﴿لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ﴾ [الآية: 56] ويدركوا ألم الحجاب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا﴾ [الآية: 56] أي: غير منيع عن إرادته ﴿حَكِيمٗا﴾ [الآية: 56] يعاقب على وفق حكمته.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة منه إلى الجاحدين لآيات الأولياء الكبار يقيمهم بوصف الصغار ويبقيهم في وحشة الأفكار كلما لاح لقلوبهم شيء من هذه القصة جرهم أفكارهم بالغصة إلى ترك الإيمان بها والإزراء بأهلها على وجه الاستبعاد فمنهم مؤبد عقوبتهم أبد الآباد.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الآية: 57] من المتقين الأبرار ﴿سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ﴾ [الآية: 57] مقدرين الخلود في دار القرار ﴿لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ﴾ [الآية: 57] أي: من الأوزار والأقدار ﴿وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا﴾ [الآية: 57] أي: دائماً لا تنسخه الشمس كثيراً ولا قليلا.

وفي «**حقائق السلمي**» قيل: المراد بالظل التفويض وهو محل الراحة والأمن في الدارين.

وأفاد الأستاذ: أنهم اليوم في ظل الرعاية وغداً في ظل الحماية والكفاية بل هم في الدنيا والعقبى في ظل العناية والناس في هذه الجملة متفاوتون فمنهم من هو في ظل رحمته ومنهم من هو في ظل رعايته ومنهم من هو في ظل كرامته ومنهم من هو في ظل عنايته ومنهم من هو في ظل قربته.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [الآية: 58] خطاب يعم المكلفين والأمانات كما قاله السلف وإن نزلت في رد مفتاح الكعبة إلى الحجبة فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص مورد الآية ﴿وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾ [الآية: 58] أي: بالإنصاف والسوية إذا قضيتم بين من ينفذ عليه أمركم أو يرضى بحكمكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا﴾ [الآية: 58] أي: نعم شيئاً ﴿يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ﴾ [الآية: 58] وهو
177/ أ المأمور به من أداء الأمانات والعدل في الحكومات/ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا﴾ [الآية: 58] بأقوالكم ﴿بَصِيرٗا﴾ [الآية: 58] بأحوالكم فيجازيكم عن وفق أعمالكم.

وأفاد الأستاذ: أن رد الأمانات إلى أهلها تسليم أحوال الخلق لهم بعد إشرافك عليها بحيث لا تفسد عليهم ويقال لله سبحانه أمانات وضعها عندك فردّ الأمانات إلى أهلها تسليمها إلى الله سبحانه سالمة من خيانتك فيها فالخيانة في أمانة القلب إدعاؤك فيها والخيانة في أمانة السر ملاحظتك إياها والحكم بين الناس بالعدل تسوية القريب والبعيد في العطاء والبذل وأن لا تحملك مخامرة حقد على انتقام لنفس أحد.

ومن «**نفائس العرائس**» أن الأمانة عهد الله الأزلي الذي عاهد به أرواح أهل القرب في مشاهدة جمال الرب حيث قبلت الأرواح من الربوبية سمات العبودية ومن المشاهد لطائف المحبة ووجدت أسرار الملك والملكوت عند سرادق الجبروت فكتمها عن الأغيار لأن صدور الأحرار قبور الأسرار فلما تلبست الرواح بقوالب الأشباح كادت أن يغشاها للضعف عن حملها فأمر الله بكتمانها عن الخلق حتى يؤدوها إلى الحق عند كشف جماله في الآخرة لأنه تعالى أهل تلك الأمانة وذلك قوله لنا: ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ﴾ [الأحزاب: 72] الآية وأيضاً أمرهم الله بإظهار ما كوشف لهم من أحكام الغيب

عند العارفين وكتمانها عن الجاهلين.

قال الجريري: أفضل الأمانات أمانة الأسرار فلا تظهرها ولا تكشفها إلا لأهلها لأنهم أهل الأمانة العظمى وقال بعضهم: الأمانة أسرار الله وأهل الأمانة هم العارفون بالله والعالمون بأسرار الله وهم الناظرون إلى القلوب بأنوار الغيوب فيحكمون عليها فحقق الله أحكامهم وهو الذي قال تعالى فيهم: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: 65].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [الآية: 59] أي: بما في كتابه ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ [الآية: 59] بما في خطابه ﴿وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [الآية: 59] في اجتهاد صوابه ويندرج فيهم الخلفاء والأمراء والعلماء والأولياء فإنهم أولو الأمر على المريدين الأصفياء ولا يبعد أن يستدل على صحة حجة الإجماع عند عدم النزاع.

177/ب وأفاد الأستاذ: أن الولي هو أولى بالمريد من/ المريد بالمريد ثم النكتة في إعادة ﴿أَطِيعُوا۟﴾ [الآية: 59] في جانب الرسول وعدمها في جانب أولي الأمر للإيمان إلى أن الرسول لا يأمر بغير طاعة الله وأما غيره فقد يأمر بغيرها ولذا قال عليه السلام لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق(1) وقال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ﴾ [الآية: 59] أي: أنتم وأولو الأمر منكم ﴿فَرُدُّوهُ﴾ [الآية: 59] فارجعوا فيه ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الآية: 59] أي: كتابه وتبيانه ﴿وَٱلرَّسُولِ﴾ [الآية: 59] بالسؤال عنه في زمانه والمراجعة إلى سنته بعد أوانه واستدل به منكرو القياس والأظهر أن هذا حجة عليهم بلا التباس فإن رد المختلف إلى المنصوص عليه من الكتاب والسُّنَّة إنما يكون بالتمثيل والبناء عليه في طريق المقايسة فالآية تدل على أن الأحكام ثلاثة آية محكمة وسُنَّة قائمة وفريضة عادلة كما جاء في السُّنَّة ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [الآية: 59] فإن الإيمان بما هنالك يقتضي ذلك ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 59] أي: الرد المقبول ﴿خَيْرٌ﴾ [الآية: 59] لكم وأفضل لأحوالكم ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (18/ 170) رقم (381)، وأحمد في المسند (1/ 131) رقم (1095).

[الآية: 59] عاقبة لمآلكم.

وحكي عن العالم الرباني أبي سليمان الداراني: كل ما عرض لي من الخواطر الحسنة عرضته على الكتاب والسُنَّة فإن وافقهما قبلته وإلا تركته فهما ميزان العدل والتبيان الفضل.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ [الآية: 60] أي: من الكتاب وهم المنافقون وأهل الحجب ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّـٰغُوتِ﴾ [الآية: 60] أي: كثير الطغيان ظاهر العصيان وهو من يحكم بغير الكتاب والسُنَّة ويؤثر الباطل على الحق لأخذ الرشوة ونحوه من المقاصد السّيئة وقال أبو عثمان إلى آرائهم وأهوائهم وأمثالهم وأشكالهم ﴿وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ﴾ [الآية: 60] أي: يرفضوه ويتركوه بالكلية حيث قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّـٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: 256] الآية ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [الآية: 60] عن طريق المعرفة وسلوك الحجة.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ﴾ [الآية: 61] أي: ارتفعوا عن حضيض ظلمات غيار أغيار الغواية إلى أوج علويات أنوار الهداية ﴿رَأَيْتَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ﴾ [الآية: 61] أي: المذبذبين في الدين المتحيرين في أمر اليقين ﴿يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ [الآية: 61] أي: يعرضون إعراضاً مبعوداً ويحجبون بذلك عن بابنا حجاباً مردوداً.

﴿فَكَيْفَ﴾ [الآية: 62] أي: حالهم ومآلهم ﴿إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ﴾ [الآية: 62] أي: نقمة أو محنة ﴿بِمَا قَدَّمَتْ / أَيْدِيهِمْ﴾ [الآية: 62] بسبب شؤم ما عملته 178/أ
أنفسهم من التحاكم إلى غيرك وعدم الرضا بحكمك قيل أعظم المصائب اشتغالك عن الله وأعظم الغنائم اشتغالك بالله ذكره السلمي.

﴿ثُمَّ جَآءُوكَ﴾ [الآية: 62] عطف على إصابتهم ثم أتوك حين أصابتهم للاعتذار عن قباحتهم حال كونهم ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَـٰنًا وَتَوْفِيقًا﴾ [الآية: 62] أي: ما أردنا بالتحاكم إلى غيرك إلا الفصل بالوجه الحسن والتوفيق بين الخصمين بالصلح المستحسن روى ابن أبي حاتم وابن مردويه وغيرهما عن

ابن عباس رضي الله عنهما أن منافقاً خاصم يهودياً فدعاه اليهود إلى النبي ﷺ ودعاه المنافق إلى كعب الملقب بالأشرف ثم أنهما احتكما إليه ﷺ فحكم لليهودي فلم يرض المنافق وقال تتحاكم إلى عمر فقال اليهودي لعمر: قد قضى لي رسول الله ﷺ فلم يرض بقضائه وخاصم إليك فقال عمر للمنافق: كذلك قال نعم فقال: مكانكما حتى أخرج إليكما فدخل فأخذ سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد فقال هكذا أقضي لمن لم يرضَ بقضاء الله ورسوله فنزلت وقال: إن عمر فرق بين الحق والباطل(1) فسمي الفاروق.

وأفاد الأستاذ: أن تضرع غير المخلص عند هجوم الضرورة به لا أصل له فلا ينبغي أن يكون به اعتبار لأن بقاءه إلى زوال المحنة والمصيبة العظمى ترك المبالاة بالمعصية ومن المصائب تمحيق وقتك فيما لا يجدي عليك نفعك ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ﴾ [الآية: 63] من النفاق والشقاق وسوء الأخلاق فلا ينفعهم الكتمان والحلف الكذب وإظهار الوفاق ﴿فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ﴾ [الآية: 63] عن جفائهم وإفنائهم لمصلحة استبقائهم ﴿وَعِظۡهُمۡ﴾ [الآية: 63] انصحهم بلسانك لعله ينفعهم ﴿وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ [الآية: 63] أي: في حقها الخالص بهم أو سراً حيث ليس معهم غيرهم ﴿قَوۡلَۢا بَلِيغٗا﴾ [الآية: 63] يبلغ المراد ويؤثر فيهم وهذا كله لكونه نبي الرحمة لجميع الأمة خاصهم وعامهم.

وقال الواسطي: فأعرض عن جهالهم وعظ أوساطهم من عقلائهم يعني وقل لعلمائهم.

وقال جنيد: كلمهم على مقادير عقولهم.

وقال الأستاذ: ابسط لهم لسان الوعظ بمقتضى الشفقة عليهم ولكن انقبض بقلبك على المبالاة بهم أو السكوت إليهم واعلم أن من لا يكون نحن له لا يغني عن بقيته شيئاً/. 178/ب

(1) تفسير القرطبي (5/ 264).

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ﴾ [الآية: 64] فيما يحكم به لا ليطلب الحكم من غيره ﴿بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ [الآية: 64] أي: بسبب إذنه في طاعته وأمره أو بتوفيقه وتيسيره ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ [الآية: 64] بالمخالفة ثم ﴿جَآءُوكَ﴾ [الآية: 64] بالمراجعة إلى الموافقة ﴿فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ﴾ [الآية: 64] عما صدر عنهم من المعصية والغفلة ﴿وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ [الآية: 64] بالمسألة والشفاعة ﴿لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [الآية: 64] ليعلموه قابلاً لتوبتهم متفضلاً عليهم بإعادة الرحمة إليهم.

﴿فَلَا﴾ [الآية: 65] أي: فليس الأمر كما يزعمون أنهم آمنوا بك وهم مخالفون لحكمك ﴿وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الآية: 65] أي: حقيقة الإيمان ﴿حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الآية: 65] حتى يجعلوك حكماً لهم في جميع أعمالهم ويقبلوا حكمك فيما اختلفوا من مقالهم ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيۡتَ﴾ [الآية: 65] أي: مما حكمت به أو شاكاً من أجله فإن الشاك في ضيق من أمره ﴿وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الآية: 65] وينقادوا لك انقياداً بظاهرهم وباطنهم.

﴿وَلَوۡ أَنَّا كَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَنِ ٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ [الآية: 66] بتعرضها للقتل بالجهاد أو كما قتل بنو إسرائيل من جملة العباد ﴿أَوِ ٱخۡرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم﴾ [الآية: 66] بترك أوطانكم من البلاد ﴿مَّا فَعَلُوهُ﴾ [الآية: 66] أي: المكتوب من القتل والخروج عليهم ﴿إِلَّا قَلِيلٌ مِّنۡهُمۡۖ﴾ [الآية: 66] وهم المخلصون فيهم ورفع قليل على البدلية من ضميرهم وقرأ ابن عامر بالنصب على الاستثناء ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ﴾ [الآية: 66] من المبايعة مع المطاوعة ﴿لَكَانَ خَيۡرًا لَّهُمۡ﴾ [الآية: 66] في عاجلهم وآجلهم ﴿وَأَشَدَّ تَثۡبِيتًا﴾ [الآية: 66] في دينهم وحسن حالهم ومآلهم أو تثبيتاً لثواب أعمالهم.

﴿وَإِذًا لَّأٓتَيۡنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجۡرًا عَظِيمًا﴾ [الآية: 67] في العقبى.

﴿وَلَهَدَيۡنَٰهُمۡ صِرَٰطًا مُّسۡتَقِيمًا﴾ [الآية: 68] إلى المولى قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت: 69] وفي الحديث من عمل بما علم أورثه

الله علم ما لم يعلم[1].

قال محمد بن الفضل: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ [الآية: 66] بمخالفة هواها و﴿اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم﴾ [الآية: 66] بإخراج حب الدنيا من قلوبكم ما فعلوه إلا قليل منهم في عدد المباني كثير في المعاني وهم أهل التوفيق في طريق التحقيق.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أخبر عن سقم إخلاصهم وقوة إفلاسهم ثم أخبر أنه لعلمه بتقصيرهم خلاهم عن كثير من الامتحانات في أمر تدبيرهم ثم قال ولو أنهم جنحوا للخدمة وشدوا نطاق الطاقة ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [الآية: 66] من إصرارهم على كفرهم واستكبارهم ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا﴾ [الآية: 66] ذلك
179/أ لآتيناهم/ من عندنا ثواباً عظيماً ولأرشدناهم صراطاً مستقيماً ولأوليناهم عطاءً مقيماً والأمر بقتل النفس على بيان الإشارة يرجع إلى مخالفة الهوى وذبح النفوس بمنعها عن المألوفات الشاغلة عن المولى والخروج من الديار مفارقة أوطان إرادة الدنيا.

﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ [الآية: 69] في الفرائض والسنن الواصلة إليهم ﴿فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم﴾ [الآية: 69] بسبب الموافقة المقتضية للمرافقة مع كرام المخلوقين ﴿مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ [الآية: 69] بيان للذين وقسمهم أربعة أقسام بحسب منازلهم علماً وعملاً في الدين وحث كافة الناس على أن لا يتأخروا عنهم في مراتب اليقين فالأنبياء هم الفائزون بكمال العلم والعمل الواصلون إلى مرتبة التكميل لأجل الأمل ثم الصديقون الذين بالغوا في التصديق المتعلق باليقينيات وفي الصدق بالقول والفعل في العلميات ثم الشهداء الذين أدى لهم المبالغة في الطاعة حتى بذلوا المهجة في إعلاء الكلمة ثم الصالحين الذين صرفوا أعمارهم في طاعته وأموالهم في محبته وقاموا بحقوق الله وحقوق عباده ابتغاءً لمرضاته ﴿وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [الآية: 69] أي: رفقاء في جنته وقد ثبت بطرق متكاثرة كادت متواترة أنه ﷺ سئل عن الرجل

(1) كشف الخفا (2/ 220) رقم (2346).

يحب القوم ولا يلحق بهم فقال المرء مع من أحب[1] قال أنس فما فرح المسلمون فرحهم بهذا الحديث[2].

﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 70] أي: من لطفه وكرمه وإحسانه ونعمه ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا﴾ [الآية: 70] باستحقاق أهله وسائر أحوال خلقه.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه جرد عليهم محلهم عن كل علة واستحقاق وسبب فإن ما لاح لهم وأصابهم صرف فضله وابتداء كرمه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ﴾ [الآية: 71] ما يحذر به من عدوكم ويعد من سلاحكم ﴿فَٱنفِرُوا۟﴾ [الآية: 71] أي: اخرجوا مسرعين متنفرين عن أهليكهم لجهادكم مع مخالفيكم ﴿ثُبَاتٍ﴾ [الآية: 71] جماعات متفرقة ﴿أَوِ ٱنفِرُوا۟ جَمِيعًا﴾ [الآية: 71] أي: مجتمعين كوكبة واحدة والمعنى بادروا إلى الطاعات وسارعوا إلى الخيرات في جميع الأوقات والحالات قبل أوانِ الفوات وزمان الحسرات والندامات قال تعالى: ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الذاريات: 50] ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المزمل:
8] ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ/ ٱلْمُسْتَقَرُّ﴾ [القيامة: 11 ـ 12]. 179/ ب

وأفاد الأستاذ: أن الفرار إلى الله من صفات القاصدين والفرار مع الله من صفات الواصلين فلا يجد الفرار مع الله إلا من صدق في الفرار إلى الله والفرار من كل غير شأن كل موحد لا غير.

﴿وَإِنَّ مِنكُمْ﴾ [الآية: 72] أي: صورة لِلمنافقين والمرائين ﴿لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ [الآية: 72] أي: ليثقلنكم في تحمل الدين وليمنعكم عن الخروج مع المجاهدين ﴿فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾ [الآية: 72] كقتل وهزيمة ﴿قَالَ﴾ [الآية: 72] أي: المبطىء ﴿قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا﴾ [الآية: 72] حاضراً في القضية فيصيبني ما أصابهم من المحنة والبلية.

﴿وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 73] كنصرة وغنيمة ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ [الآية:

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (6169)، ومسلم في الصحيح (2640/ 165).
(2) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح (4/ 595) رقم (2385).

73] أكده تنبيهاً على فرط الحسرة ﴿كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ﴾ [الآية: 73] أي: أدنى محبة وأقل مواصلة والجملة معترضة بين الفعل ومفعوله وهو ﴿يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ﴾ [الآية: 73] في المقاتلة ﴿فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الآية: 73] فآخذ نصيباً وافراً من الغنيمة وكان مخففة من المثقلة وقرأ ابن كثير وحفص يكن لتأنيث لفظ المودة والمنادى في يا ليتني كنت محذوف أي: يا قوم وأفوز نصب على جواز التمني.

﴿فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ [الآية: 74] أي: يبيعونها بها وهم المخلصون الباذلون أنفسهم في سبيل المولى وطريق العقبى ﴿وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الآية: 74] بأن يموت على الشهادة أو يغلب بالفتح والنصرة فسوف نؤتيه أجراً عظيماً ومكاناً كريماً ﴿وَمَا لَكُمْ﴾ [الآية: 75] مبتدأ وخبر.

﴿لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 75] جملة حالية والمراد تحريضهم على أمر الجهاد بتأكيد القضية ﴿وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ [الآية: 75] أي: وفي سبيل الله المأسورين بتخليصهم عن أيدي أعداء الدين ﴿مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ﴾ [الآية: 75] بيان للمستضعفين ويريد بهم المسلمين الذين بقوا بمكة لصدهم المشركين أو ضعفهم عن الهجرة مستذلين ممتهنين ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ [الآية: 75] أرادوا مشركي مكة شر العباد في خير البلاد ﴿وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ [الآية: 75] يرى أمر ديننا ودنيانا ﴿وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ [الآية: 75] ينصرنا على أعدائنا وقد استجاب الله دعاءهم بأن يسر لبعضهم الخروج إلى المدينة وجعل لمن بقي منهم خيراً من تولي الولاية والنصرة بفتح مكة على أيدي
180/أ الحضرة النبوية فتولاهم ونصرهم أولاً ثم استعمل عليهم عتاب/ بن أسيد رضي الله عنه بعد فتحها فحماهم ورعاهم حتى صاروا أعزة أهلها ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 76] أي: فيما يصلون به إلى رضاه ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ﴾ [الآية: 76] أي: فيما يبلغ بهم الشيطان إلى طغيانه وهواه ﴿فَقَٰتِلُوٓا۟﴾ [الآية: 76] أي: يا أولياء الله ﴿أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [الآية: 76] ممن تبع هواه.

﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [الآية: 76] أي: بالمؤمنين ﴿كَانَ ضَعِيفًا﴾ [الآية: 76] بالإضافة إلى كيده سبحانه للكافرين ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 175].

وقال سهل: المؤمنون خصماء الله على أنفسهم والمنافقون خصماء أنفسهم على ربهم يبدرون إلى اختيارهم ولا يرضوا بما اختار الله مولاهم.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ﴾ [الآية: 77] أي: من ضعفاء المسلمين ﴿كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ﴾ [الآية: 77] عن قتال المشركين.

وقال الأستاذ: أخرجوا أيديكم عن أموركم وكلوا أحوالكم إلى معبودكم ويقال قصروها عن أخذ الحرام والتصرف فيه كالعوام ويقال كفوا أيديكم إلا عن رفعها إلى الله في السؤال بوصف الابتهال ويقال امتنعوا عن الشهوات ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [الآية: 77] أي: وسائر العبادات وخصتا لأنهما من أمهات الطاعات ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ [الآية: 77] من المنافقين أو من الضعفاء في اليقين ﴿يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ﴾ [الآية: 77] أي: المشركين أن يقتلوهم ﴿كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 77] أي: كما يخشون أن ينزل عليهم بأسه فيهلكهم ﴿أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ [الآية: 77] معطوف على اسم الله أي كخشية الله أو كخشية أشد خشية منه على الفرض أو بناءً على زعمهم وقيل: أو بمعنى بل مبالغة في تزييف أمرهم ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ﴾ [الآية: 77] في هذا الحال ﴿لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ [الآية: 77] وهو استزاده في مدة الكف عن القتال حذراً عن الموت وصرف المال.

وأفاد الأستاذ: أنهم استثقلوا أمره واستعجلوا لطفه والعبودية ترك الاستثقال ونفي الاستعجال والتباعد عن التبرم في الانتقال من الحال إلى الحال ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ [الآية: 77] يسير المنال سريع الزوال ﴿وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [الآية: 77] أي: خاف المولى في جميع الأحوال ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [الآية: 77] أي: ولا يتقصون أدنى شيء من جزاء الأعمال وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بصيغة الغيبة وفيه تغليب على كل قراءة.

180/ب قال محمد بن الفضل: متاع الدنيا/ قليل وأقل قيمة منها من يطلبها ويفرح بها ﴿وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [الآية: 77] الدنيا وأهلها والركون إليها.

وقال الأستاذ مكنك من الدنيا ثم قال لنبيه: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ [الآية: 77] فلم يعدها شيئاً لك ثم لو تقصدّت منها بشق تمرة لتخلصت من النار وحظيت بالجنة وهذا غاية الكرم واستقلال الكثير من نفسك لأجل حبيبك أقوى أمارات محبتك ويقال لما زهدهم في الدنيا قللها في أعينهم ليهون عليهم تركها ويقال ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ بجملتِهِ قليل والذي هو نصيبك منها أقل من القليل لو سلم عهدك من التبديل وإذا كانت قيمة الدنيا قليلة فأخسّ من الخسيس من رضي بالخسيس بدلاً عن النفيس وقد اختدع المؤمن من الكون بالتدريج فقال أولاً ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [الآية: 77] فاختطفهم عن الدنيا بالعقبى ثم سلبهم عن الكونين بقوله: ﴿وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [طه: 73] .

﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ﴾ [الآية: 78] بلا تصور الفوت ﴿وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [الآية: 78] أي: قصور مرتفعة أو حصون مجصصة.

وفي «نفائس العرائس» إن ظاهره تخويف للمخالفين وباطنة تجزية للمشتاقين أي: لا تحزنوا أيا المشتاقون إلى لقائي فإني آتيكم بأحسن ما تظنون في فأريحكم من سجن الدنيا وأوصلكم إلى مجلس وصلتي في العقبى ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟﴾ [الآية: 78] أنا معكم فإذا حان وقت القربة أسلبكم من أيدي المنية وموتكم خروج أرواحكم بمشاهدتي كحجر المغناطيس حيث يظهر ينجذب الحديد إليه وبشر أحبائي أن الموت راحتهم والموت وصلتهم والموت تقريب ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ﴾ [الآية: 78] أي: الكفرة ﴿حَسَنَةٌ﴾ [الآية: 78] أي: نعمة كخصب وسعة ﴿يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 78] أي: بلا شبهة ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ [الآية: 78] كقحطٍ وبلية ﴿يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ﴾ [الآية: 78] أي: أضافوها إليك على وجه السببية وقالوا: ما هي إلا بشؤمك كما قالت اليهود منذ محمد دخل المدينة نقصت أثمارها وغلت أسعارها كما قال قوم لنبيهم كما أخبره سبحانه عنهم بقوله: قالوا تطيّرنا بك وبمن معك ولا يبعد أن يكون الآية نظير قوله

سبحانه ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ﴾ [الحج: 11] ﴿قُلۡ كُلٌّ﴾ [الآية: 78] من الحسنة والسيئة/ ﴿مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ﴾ [الآية: 78] حاصلة وواصلة يبسط أو يقبض على 181/ أ
وفق الإرادة والمشيئة.

وأفاد الأستاذ: أن الموت فرح للمؤمن فالخبر عن قربه بشارة له لأنه سبب يوصله إلى الحق ومن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ويقال: إذا كان الموت لا بد منه فالاستسلام لحكمه طوعاً خير لك من أن تحمل كرهاً ثم أخبر أنهم لضعف بصائرهم ومرضِ عقائدهم إذا أصابتهم حسنة فرحوا بها وأظهروا الشكر لها وإن أصابتهم سيئة يهتدوا إلى خلافها فتحرك معهم العرق المجوسي فأضافوه إلى المخلوق فرد الله عليهم بقوله قل يا محمد ﴿كُلٌّ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ﴾ [الآية: 78] خلقاً وابتداعاً وإنشاءً واختراعاً وتقديراً وتيسيراً ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ﴾ [الآية: 78] الغافلين كأنهم في النوم ﴿لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا﴾ [الآية: 78] ولا يستنبهون عن نوم غفلتهم حثيثاً فيتعظون بما يوعظون به من كتاب الله وكلام رسوله فإنهم لو فهموا مبانيه وتدبروا معانيه لعلموا أن الكل منه بل يتيقنوا أن غيره ليس في الوجود كما هو عند نظر أرباب الشهود.

﴿مَّآ أَصَابَكَ﴾ [الآية: 79] أيها المخاطب المعاتب في كل قضية ﴿مِنۡ حَسَنَةٖ﴾ [الآية: 79] أي: نعمة ومنحة ﴿فَمِنَ ٱللَّهِۖ﴾ [الآية: 79] إذ لا منعم سواه ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ﴾ [الآية: 79] أي: بلية ومحنة ﴿فَمِن نَّفۡسِكَۚ﴾ [الآية: 79] الدنية لأنها السبب فيها باستجلاب الأعمال الردية وهو لا ينافي قوله:﴿قُلۡ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ﴾ [الآية: 78] فإن الكل منه إيجاداً وإيصالاً غير أن الحسنة وقعت امتحاناً وإحساناً وإفضالاً والسيئة حصلت مجازاة لما كسبت أعمالاً فالآية نظير قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيۡتَ﴾ [الأنفال: 17] خلقاً ﴿إِذۡ رَمَيۡتَ﴾ [الأنفال: 17] كسباً ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰۚ﴾ [الأنفال: 17] إيجاداً أو إمداداً وهو في الحقيقة مقام الجمع المنتهي إليه حال أهل الطريقة.

وأفاد الأستاذ: أن ما أصابك من حسنة فمن الله فضلاً وما أصابك من سيئة فمن نفسك كسباً وكلاهما من الله سبحانه خلقاً وفي قراءة شاذة عن ابن عباس بعد قوله فمن نفسك وأنا كتبتها عليك ﴿وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ﴾ [الآية: 79] يوجب لهم إلينا

وصولاً ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الآية: 79] أي شاهداً أو مشهوداً وخالقاً ومعبوداً.

﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [الآية: 80] لأنه مبلغ عن مولاه ولا يأمرهم إلا بما يرضاه.

وأفاد الأستاذ: أن هذه الآية تشير إلى الجمع الأتم لحال الرسول ﷺ فقال طاعته طاعتنا فمن تقرب منه تقرب منا ومقبوله مقبولنا ومردوده مردودنا ﴿وَمَن تَوَلَّىٰ﴾ [الآية: 80] عن طاعته/ وأعرض عن محبته ﴿فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [الآية: 80] أي: تحفظ عليهم أعمالهم وتحاسبهم أحوالهم إنما عليك البلاغ في كل باب وعلينا الحساب بالثواب والعقاب. 181/ ب

﴿وَيَقُولُونَ﴾ [الآية: 81] أي: المتولون وهم المنافقون والمراؤون إذا أمرتهم بأمر وبادر إليه المؤمنون ﴿طَاعَةٌ﴾ [الآية: 81] أي: أمرنا وشأننا طاعة وهذا حالهم في صحبتك ﴿فَإِذَا بَرَزُوا۟ مِنْ عِندِكَ﴾ [الآية: 81] أي: خرجوا من خدمتك ﴿بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ﴾ [الآية: 81] زورت خلاف ما قلت لها من أمر الوصول أو عكس ما قالت لك من القبول.

قال الأستاذ: يعني إذا حضروك استسلموا في مشاهدتك فإذا خرجوا انقطع عنهم نور إقبالك فعادوا إلى ظلمات نفاقهم كما قالوا:

إذا ارعوى عاد إلى جهله ... كذا الضنى عاد إلى نكسه
والشيخ لا يترك أخلاقه ... وإن توارى في ثرى رمسه(1)

﴿وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ﴾ [الآية: 81] أي: يثبت ما يزورون من الويل وما يصورون في الليل ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [الآية: 81] بالتجافي منهم وقلة المبالات بهم ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الآية: 81] في الأمور كلها لا سيما في أمرهم ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الآية: 81] موكولاً إليه ومعتمداً عليه.

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الآية: 82] أي: لا يتأملون في مبانيه ولا يتفكرون في معانيه ولا يتبصرون ما فيه ليعلموا حال موافقيه ومخالفيه وأنه ليس فيه شيء

---

(1) نسب إلى صالح بن عبد القدوس. انظر: الحيوان (1/ 214)، والعقد الفريد (1/ 234).

يعارضه وينافيه ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 82] تعالى عما يقولون علواً كبيراً ﴿لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [الآية: 82] من تفاوت المبنى وتناقض المعنى لنقصان القوة البشرية وكمال القدرة الإلهية.

ومن «دقائق الحقائق» أنه سبحانه جزاك على تلاوته ولولا ذلك لكلت الألسن عن قراءته.

وأفاد الأستاذ: أن التدبر إثارة المباني بغوص الأفكار واستخراج المعاني بدقائق الاستنباط لإظهار الأسرار ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ﴾ [الآية: 83] أي: ما يوجب أحدهما بسببه ﴿أَذَاعُوا۟ بِهِۦ﴾ [الآية: 83] أفشوه وأخبروا به وقد قيل من اطلعوه على سر أذاع به لم يطلعوه على الأسرار ما عاشا.

وأفاد الأستاذ: أنهم لما كانوا غافلين عن الحق لم يكن لهم من يبثوا إليه أسرارهم فأظهر السر بعضهم لبعض فأما المؤمنون فعالم أسرارهم مولاهم وما يسنح لهم خاطبوه فيه فلم يحتاجوا إلى إذاعة السر لمخلوق فسامع نجواهم الله/ وعالم خطاياهم الله ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ﴾ [الآية: 83] أي: ذلك الخبر قبل 182/أ
إظهار الأثر ﴿إِلَى ٱلرَّسُولِ﴾ [الآية: 83] أي: إذا كان فيهم ﴿وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾ [الآية: 83] أي: ذوي الرأي من علمائهم أو أمرائهم ﴿لَعَلِمَهُ﴾ [الآية: 83] أي: وجه إظهاره أو إسراره ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [الآية: 83] يستخرجون تدبيره لهم.

قال الواسطي: لو أخذوا طريق السُنَّة وسبيل أكابر الأمة في إرادتهم الخفية لأوصلهم ذلك إلى المقامات الجلية والحالات العلية من منازل الإيمان ومراتب الإيقان التي هي محل الاستنباطات وطرق المكاشفات.

وقال الحسن: استنباط القرآن على قدر تقوى العبد في ظاهره وباطنه ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ [الآية: 83] بإنزال الكتاب وإرسال الرسول ليهتدي به أمته ﴿لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ [الآية: 83] بأنواع الضلالة ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الآية: 83] من الأزمنة النادرة أو قليلاً منكم ممن تفضل الله عليه وهداه إليه من غير كتاب ورسول وبيان بل بعقل اهتدى به إلى صوب الصواب وطريق الإحسان

وعصمة من متابعة الشيطان كزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وغيرهما من أرباب هذا الشأن.

وأفاد الأستاذ: أنهم لو بثوا أسرارهم عند من هو محرم بأخبارهم ومن هو من أهل القصة وشريك في هذه القصة لأزالوا عنهم الأشكال وأمدوهم بنور الهداية والإرشاد عن الوقوع في الغواية والضلال ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 83] مع أوليائه لهاموا في كل وادٍ من التفرقة كإشكالهم في الوقت.

﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 84] أي؛ أنت وحدك ولو لم يقاتل أحد معك ﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ﴾ [الآية: 84] إلا فعل نفسك إذ ترك غيرك لا يضرك وقال الأستاذ استقم معنا بتسليم الكل منك إلى أمرنا فإنك كما لا يقارنك أحد في رتبتك لعلوك على الكل في مرتبتك لا يكلف غيرك بمثل ما تكلف ولا يحمل غيرك ما تحمل لانفرادك عن أشكالك في قدرك ﴿وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾ [الآية: 84] على القتال فإن حثك يبعثهم على جميل الفعال ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ﴾ [الآية: 84] أي: كن على رجاء أن يمنع الله سبحانه شدة المخالفين على الموافقين إصلاح الحال ﴿وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا﴾ [الآية: 84] أي: أظهر صولة وشدة وقوة وقدرة ﴿وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا﴾ [الآية: 84] أي: أكثر عقوبة ونقمة.

182/ب ﴿مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً/ حَسَنَةٗ﴾ [الآية: 85] أي: مقبولة في الشريعة ﴿يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٞ مِّنۡهَاۖ﴾ [الآية: 85] وهو ثواب الشفاعة وجزء الدلالة على الخير والطاعة ﴿وَمَن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةٗ سَيِّئَةٗ﴾ أي مردود في الكتاب والسنة ﴿يَكُن لَّهُۥ كِفۡلٞ مِّنۡهَاۗ﴾ [الآية: 85] نصيب من وزرها مساوٍ لها في قدرها ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا﴾ [الآية: 85] مقتدراً من أقات إذا قدر فهو من القوة أو حافظاً ورازقاً واشتقاقه من القوت فإنه يقوي البدن ويحفظه من ضعف البنية.

﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ﴾ [الآية: 86] أي: من أنواع تحية السلام عند ملاقاة الكرام ﴿فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ﴾ [الآية: 86] أي: أجيبوا الجواب الحسن ﴿أَوۡ رُدُّوهَآۗ﴾ [الآية: 86] بالجواب المستحسن فالجواب من فروض الكفاية عند وجود الجماعة وقيل المراد بالتحية العطية وواجب المثوبة أورد الهدية وعن علي كرّم الله وجهه سلم

على أهل الدنيا بترك السلام عليهم وعدم الإقبال والتوجه إليهم ولعل مقصوده مقام الغناء لاستغراق في بحر البقاء لمشاهدة اللقاء.

وأفاد الأستاذ: أن الآية تعليم لهم في حسن العشرة وآداب الصحبة وأن من حملك فضلاً صار ذلك له في ذمتك قرضاً فإن زدت على فعله وإلا فلا تنقص عن مثله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ [الآية: 86] أي: محاسباً على التحية والهدية والعطية وغيرها من الأمور الحسية والمعنوية ومجازفاً على وفق ما صدر عن صاحبها من تصحيح البنية.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الآية: 87] مبتدأ أو خبر وقال هذا الخطاب يتضمن نفياً وإثباتاً فالنفي يعود إلى الأغيار ويستحيل لغيره ما نفاه والإثبات له بالإلهية ويستحيل له النفي فيما أثبته ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ [الآية: 87] في قبوركم ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الآية: 87] يوم يقوم الناس لرب العالمين في المحاسبة ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [الآية: 87] أي: في ذلك الجمع ولا في ذلك المجمع ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [الآية: 87] أي: وعداً ووعيداً ﴿فَمَا لَكُمْ﴾ [الآية: 88] أيها المؤمنون صرتم متفرقين ﴿فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ [الآية: 88] أي: في شأنهم ﴿فِئَتَيْنِ﴾ [الآية: 88] أي: جماعتين متفرقتين في أنهم هل داخلون معكم في إيمانكم أم خارجون عن حقيقة إيقانكم ﴿وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم﴾ [الآية: 88] ردهم إلى حكم الكفرة من ضلالتهم وطغيانهم ﴿بِمَا كَسَبُوٓاْ﴾ [الآية: 88] من نفاقهم وعصيانهم ﴿أَتُرِيدُونَ﴾ [الآية: 88] أيها المؤمنون ﴿أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 88] وتجعلوه من المهتدين إلى سبيل مولاه ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 88] بمتابعة هواه ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾ [الآية: 88] / 183/أ
إلى هداه لعدم تخلف إرادة الله.

وأفاد الأستاذ: أنهم أفردوا العهد فيهم أنهم أعدائي لا ينالون مني في الدنيا والعقبى رضائي وأنكم لا تنقذون بهممكم من إقماته وإخزاته بقسمتي فإن المدار على القسم دون الهمم قلت نعم الهمم إذا طابقت القسم ثم النعم وإن كان الهمم أيضاً من القسم.

﴿وَدُّواْ﴾ [الآية: 89] أي: تمنى المنافقون ﴿لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ [الآية: 89] أيها

المؤمنون ﴿كَمَا كَفَرُواْ﴾ [الآية: 89] أي: ككفرهم في سرهم ﴿فَتَكُونُونَ﴾ [الآية: 89] أي أنتم وهم ﴿سَوَآءً﴾ [الآية: 89] مستوين معهم في غيهم ﴿فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الآية: 89] ولا تعتدوا عليهم في أمر دينهم لأنهم أعداء ﴿حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 89] بمتاركة أفعال الكفرة ومفارقة بلدان الفجرة ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ [الآية: 89] أعرضوا عن المهاجرة المعتبرة ﴿فَخُذُوهُمْ﴾ [الآية: 89] بالقهر ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ﴾ [الآية: 89] بالنحر ﴿حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [الآية: 89] من البر والبحر ﴿وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيًّا﴾ [الآية: 89] في جلب النفع ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ [الآية: 89] في أمر الدفع.

وأفاد الأستاذ: أن الآية فيها الإشارة إلى أرباب التخليط والأحوال السقيمة يتمنون أن يكون الصديقون منهم وهيهات أن يكون لمناهم تحقيق وما دام المخالفون لكم غير موافقين فباينوهم وخالفوهم ولا تطابقوهم ولا تعاشروهم.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمِۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾ [الآية: 90] أو يتصلون إلى قوم في معاهدتكم بأن دخلوا في مصالحتكم وفارقوا أمر محاربتكم أو ﴿أَوْ جَآءُوكُمْ﴾ [الآية: 90] أي: أو الذين أتوكم كافين عن قتالكم ممتنعين عن قتال قومهم ﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ [الآية: 90] أي: ضاقت قلوبهم وحارت عليهم أمورهم كراهة ﴿أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُواْ قَوْمَهُمْ﴾ [الآية: 90] فإنهم حينئذٍ لاضطرارهم وترك اختيارهم يستحقون الشفقة عليهم والرحمة إليهم شكراً لنعمة الغلبة منكم لديهم بمشيئة الله تعالى ضعفهم وعجزهم فيكم ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية: 90] بأن قوّى قلوبهم وأزال الرعب عنهم ﴿فَلَقَٰتَلُوكُمْ﴾ [الآية: 90] ولم يكفوا عنكم ولم يبالوا بكم.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة من هذه الآية أن عند الأعذار إذن في معاشرة الأغيار بحسب الظاهر لا على وجه الإسرار رفقاً بالمستضعفين لنصيب الغير أي: ليحصل له الخير ﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ﴾ [الآية: 90] أي: عن منازلكم ولم يخالطوكم ﴿فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ﴾ [الآية: 90] لم يتعرضوا لكم ﴿وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ﴾ [الآية:

90] الاستسلام والانقياد لديكم ﴿فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ [الآية: 90] بالإذن لكم في أخذهم وقتلهم دليلاً.

وأفاد الأستاذ/: أن الإشارة منه إلى أنه إذا عاشركم من ليس من أهل القصة معرجين في أوطان نصيبهم فلا تدعوهم إلى طريقتكم وسلموا لهم أحوالهم فإن أمكنكم أن تلاحظوهم بعين الرحمة بحيث يؤثر فيه همتكم وإلا فسلموا لهم أحوالهم. 183/ ب

﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ﴾ [الآية: 91] أي: بالمكر والحيلة ﴿كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ﴾ [الآية: 91] دعوا إلى الكفر والضلالة ﴿أُرْكِسُواْ فِيهَا﴾ [الآية: 91] رجعوا إليها أقبح رجعة وأشنعها ﴿فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ﴾ [الآية: 91] ولم ينبذوا إليكم العهد ولم يصالحوكم ﴿وَيَكُفُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ﴾ [الآية: 91] ولم يمتنعوا عن قتالكم ﴿فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ [الآية: 91] أي: وجدتموهم وتمكنتم منهم ﴿وَأُوْلَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾ [الآية: 91] حجة واضحة في التعرض لهم بالقتل لظهور غدرهم ووضوح كفرهم والمعنى جعلنا لكم عليهم سبيلاً حيث بينا لكم دليلاً.

وأفاد الأستاذ: أن من رام الجمع بين الضدين خاب سعيه ولم يرتفع عرضه فكما لا يكون شخص واحد منافقاً مسلماً لا يكون شخص واحد مريداً للحق مقيماً على أحكام العادة فإن الإرادة والعادة ضدان فالواجب مباينة الأضداد ومجانبة الأجانب في طريق الرشاد ومن كلام السادة الإرادة ترك العادة ولعل معناه إن عادة النفس الغفلة فالإرادة إحضارها إلى الحضرة ومن عادتها تعلقها بالخلق وهو أضر عليها من تشنفها بالحلق فالإرادة تعلقها بمتعلقات الحق ومقامات الصدق ومن عادتها متابعة الهوى فإرادتها موافقة الهدى ومن عادتها السمعة والرياء فإرادتها تصحيح النية وابغاء الرضاء ومن عادتها إرادة بقاؤها فالإرادة إرادتها فناؤها فإن في موتها حياتها وحصول لقائها.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا﴾ [الآية: 92] أي: ما صح

لمؤمن كامل أن يقتل مؤمناً بغير حق في حال من الأحوال إلا حال الخطأ وهو ما لا يصاحبه القصد إلى الفعل أو الشخص أو لا يقصد به زهوق الروح غالباً والأظهر أن الاستثناء منقطع لئلا يوجب إذن الشرع بالقتل الخطأ لأن جهة الحرمة ثابتة فيه بناءً على ترك التروي ولهذا تجب فيه الكفارة إذ لو كان مباحاً محضاً لما وجب الكفارة ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَئًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [الآية: 92] أي:
184/ أ فعليه/ إعتاق نسمة محكوم بإسلامها وإن كانت صغيرة فكأنه إحياء مؤمن بدل من إفناء مؤمن ﴿وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ﴾ [الآية: 92] مؤداة إلى ورثته جبراً لكسر خواطرهم يقتسمونها كسائر المواريث خلافاً لمالك في الزوجين وهي على العاقلة فإن لم تكن فعلى بيت المال فإن لم يكن ففي ماله ودية المرأة نصف دية الرجل وإذا بلغ قيمة العبد المقتول خطأ عشرة آلاف درهم مثلاً فإنه ينقص عن ديته عشرة دراهم ﴿إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟﴾ [الآية: 92] يتصدقوا عليه بالدية بأن يعفوا عنها فقد ورد كل معروف صدقة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه خفف أمر الخطأ على فاعله حتى حمل موجب قتل الخطأ على العاقلة والخواص عاقلة المستضعفين من الأمة وأهل المعرفة عاقلة المريدين والشيوخ عاقلة الفقراء فسبيلهم أن يحملوا أثقال المستضعفين فيما ينوبهم ﴿فَإِن كَانَ﴾ [الآية: 92] المؤمن المقتول ﴿مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [الآية: 92] كفار محاربين أو في تضاعيفهم ولم يعلم القاتل إيمانه ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [الآية: 92] أي: فعلى قاتله الكفارة دون الدية للورثة إذ لا وراثة بينهم وبينهم بالكلية ﴿وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾ [الآية: 92] أي: من جماعة كفرة معاهدين أو أهل الذمة ﴿فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [الآية: 92] ولعل تقديم الجملة الأولى هنا للمبالغة فيما يتعلق بحقوق أهل العهود والذمة فحكمه حكم المسلمين في وجوب الكفارة والدية ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ [الآية: 92] دية لا عينها ولا ثمنها ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ﴾ [الآية: 92] فعليه صيام شهرين ﴿مُتَتَابِعَيْنِ﴾ [الآية: 92] متوالين ﴿تَوْبَةً﴾ [الآية: 92] ذا توبة كائنة ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ [الآية: 92] بحال العباد ﴿حَكِيمًا﴾ [الآية: 92] فيما دبر وأراد.

﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ [الآية: 93] حال من ضمير يقتل ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [الآية: 93] فيه غاية المبالغة في التهديد ونهاية التشديد الأكيد واستدل بظاهره المعتزلة أن صاحب الكبيرة مخلد في العقوبة وعند أهل السُنَّة والجماعة مخصوص بالمستحل له ويؤيده سبب ورود الآية وإن لم يظهر بين العمد والخطأ حسن مناسبة المقابلة وقال بعضهم المراد بالخلود المكث الطويل كما في أصل اللغة فإن الدلائل على أن عصاة المسلمين لا يدوم عذابهم متظاهرة إلى أنه لا بد من قيد إن شاء الله جزاؤه لقوله سبحانه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: 48] ولو بغير توبة من بعض عباده.

وقال الأستاذ: كما يحرم قتل غيرك عليك يحرم قتل نفسك عليك ومن اتبع هواه سعى/ في دم نفسه ومن لم ينصح مريداً بحسن موعظته ولم يعنه بهمته 184/ب فقد سعى في دمه فهو مأخوذ بحاله وحقيق بأن يكون عقوبته الأبدية إن لا يستمتع بما ضنّ به على المريدين من أحواله ولقد قال يا داوود إذا رأيت لي طالباً فكن له جسراً قلت: هو أبلغ من رواية فكن له خادماً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 94] سافرتم وذهبتم إلى الغزو الذي هو طريق رضاه ﴿فَتَبَيَّنُواْ﴾ [الآية: 94] من البيان وقرأ حمزة والكسائي فتثبتوا من الثبات أي: فاطلبوا بيان الأمر وثباته ولا تعجلوا فيه بتحقيق مقدماته ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ﴾ [الآية: 94] لمن حياكم بتحية الإسلام وقرأ نافع وابن عامر وحمزة السلم بفتحتين أي: أظهر الانقياد والاستسلام بإظهار كلمة الإسلام وهي قوله لا إله إلا الله محمد رسول الله عند العلماء الأعلام ﴿لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ [الآية: 94] أي: ظناً وإنما فعلت ذلك للتعوذ ظاهراً ﴿تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الآية: 94] حال كونكم طالبين لماله الذي هو حطام سريع النفاذ في مآله وفيه إشعار بأن هذا الحال هو الحامل لهم على ترك التثبت وتحقق الاستعجال ولا يبعد أن يكون الهمزة الإنكارية في الجملة مقدرة ويلائمه قوله سبحانه ﴿فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾ [الآية: 94] يغنيكم عن قتل أمثاله طمعاً لما عنده من أمواله ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ﴾

[الآية: 94] أي: أول ما دخلتم في هذه السعادة حيث تفوهتم بكلمتي الشهادة فحصنتم بها دماءكم وأموالكم من غير أن يعلم أحد أحوالكم ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ﴾ [الآية: 94] بالاشتهار في إيمانكم والاستقرار في إيقانكم واالاستقامة في مراتب إحسانكم ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْۚ﴾ [الآية: 94] فافعلوا بالداخلين في الإسلام من الأحكام ما فعل الله بكم في أوائل الأيام ولا ينادوا إلى قتل أحد ظناً أنه دخل فيه خوفاً واتقاءً أو سمعة ورياءً فإن إبقاء ألف كافر أهون من إفناء مسلم واحد عنده سبحانه وكرر قوله فتبينوا لتأكيد الحكم وتعظيم الأمر وترتيبه ما ذكر من حالهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا﴾ [الآية: 94] عالماً بأفعالكم وبصيراً بأعمالكم فاحذروه فإنه لا يخفى عليه شيء من أحوالكم روي أن سرية لرسول الله ﷺ غزت أهل فدك فهربوا وبقي مرادس ثقة بإسلامه فلما رأى الخيل
185/أ ألجأ غنمه إلى عاقول من الجبل/ وصعد خوفاً أن يكونوا من أصحاب النبي ﷺ فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل قال لا إله إلا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله أسامة واستاق غنمه فنزلت وروي عن أسامة أنه قال: قلت يا رسول الله إنما قالها خوفاً من السلاح قال: أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم قالها أم[1] لا وفيه دليل على أن المجتهد قد يخطئ وإن خطأه مغتفر لما ورد أن أسامة قال: يا رسول الله استغفر لي فقال: فكيف بلا إله إلا الله فقالها رسول الله ﷺ ثلاث مرات ثم استغفر له وقال له أعتق رقبة.

وقال الأستاذ: عاشروا الناس على ما يظهرون من أحوالهم ولا تتفرسوا فيهم بطائن أعمالهم فإن متولي الأسرار هو الله العزيز الغفار هذا إذا كان غرض فاسد يحملكم عليه من أحكام النفس فأما من كان نظره بالله ولم يستتر عليه بشيء فليحفظ سر الله فيما كوشف به ولا يظهرن لصاحبه ما أراه الله فيه انتهى ولا يخفى أنه ليس لأرباب الكشف أن يعملوا بموجبه إذا كان على خلاف ظاهر الشريعة الغراء أما قضية الخضر فمحمولة على أنه من جملة الأنبياء.

---

(1) أخرجه مسلم في الصحيح (96/ 158).

﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ﴾ [الآية: 95] أي: عن القتال ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 95] أي: موضع الحال ﴿غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ﴾ [الآية: 95] بالرفع بدل من القاعدين أو صفة له وقرأ نافع وابن عامر والكسائي بالنصب على الحال أو الاستثناء ﴿وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ [الآية: 95] لا مساواة بين من قعد عن الجهاد وبين من قام بأمره من العباد والمراد الحث على المجاهدة لرفعه المرتبة الآنفة عن حط المنزلة ﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً﴾ [الآية: 95] أي: بدرجة عظيمة تندرج تحت درجات وسيمة ﴿وَكُلًّا﴾ [الآية: 95] من القاعدين والمجاهدين ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الآية: 95] الثناء الجميل والجزاء الجميل بحسن عقيدتهم وخلوص طويتهم وتحسين نيتهم وإنما التفاوت في زيادة الدرجات المترتبة على زيادة الحسنات ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الآية: 95] ومقاماً كريماً.

﴿دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً﴾ [الآية: 96] بدل تفصيل عن أجزاءٍ باعتبار كل واحدة ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ [الآية: 96] لما فرط منهم ﴿رَّحِيمًا﴾ [الآية: 96] بما وعد لهم وقيل: فضل الله المجاهدين أي الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر على القاعدين أي: التاركين أجراً عظيماً/ كذا في «حقائق السلمي» ولا يبعد أن يقال 185/ ب
فضل الله المجاهدين في طلب العلم وتحصيل المعرفة على القاعدين أجراً عظيماً كما قيل:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها ... واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي[1]

والحاصل أن الجهاد الأكبر والأصغر سواء في عدم تسوية من قام به ومن قعد عنه فلا بد من العمل إلا أنه لا يعلق به الأمل.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [الآية: 97] يحتمل الماضي والمضارع ويؤيد الآخر قراءة البزي بتشديد التاء وصلاً ﴿ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [الآية: 97] في حال ظلمهم أنفسهم بترك الهجرة ومساكنة الكفرة فإنها نزلت في ناس من مكة أسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة واجبة أو ركناً في أول الوهلة ﴿قَالُوا۟﴾ [الآية: 97] أي:

(1) نسب إلى الحطيئة. انظر: العقد الفريد (2/ 324)، والتمثيل والمحاضرة (1/ 16).

الملائكة توبيخاً لهم ﴿فِيمَ كُنتُمْ﴾ [الآية: 97] في أي شيء كنتم في أمر دينكم حيث ما هاجرتم وما أظهرتم إسلامكم ﴿قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية: 97] بعدم القدرة على الهجرة وإظهار الملّة وإعلاء الكلمة ﴿قَالُوا﴾ [الآية: 97] أي: الملائكة تكذيباً لهم أو تبكيتاً بهم ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ [الآية: 97] أي: إلى محل آخر تأمنون بها كما خرج المهاجرون من مكة إلى الحبشة والمدينة ﴿فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾ [الآية: 97] لتركهم واجب الهجرة وتكثيرهم سواد الكفرة ﴿وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [الآية: 97] أي: مصيرهم إلى العقوبة أو مرجعهم إلى الحرقة والفرقة.

قال عبد الله بن المبارك: المقام في عرصات الشرك والعصيان من أوائل الخذلان وقد أمر الله تعالى بالفرار منها بقوله ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها.

وقال عثمان: أرض الفتنة لا تنبت فيها إلا الفتنة وأرض الرحمة تصيب الإنسان رحمته ولو بعد حين كذا في «**دقائق الحقائق**».

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة منه إلى من أدركه الأجل وهو في أسر نفسه وفي رق شهوته ليس له عذر حيث لم يهاجروا إلى ظل قربته وعزته ليتخلص من هوان نفسه وذلته إذ لا حجاب بينك وبين هذا الحديث إلا هواك انتهى والمعنى هداك يمنعك عن هواك ومولاك يغنيك عن سواك وهذا معنى ما قال بعض أهل الحال دع نفسك وتعال.

﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾ [الآية: 98] أي: المماليك أو
186/أ الصبيان ففيه مبالغة من أمر الهجرة ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ/ حِيلَةً﴾ [الآية: 98] من وجدان أسباب الهجرة من المال والقوة ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ [الآية: 98] إذ لا يعرفون الطريق ولا يجدون دليلاً ﴿فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ﴾ [الآية: 99] يتوقع من فضله أن يتجاوز في التقصير منهم ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا﴾ [الآية: 99] بمحو العيوب ﴿غَفُورًا﴾ [الآية: 99] بستر الذنوب.

﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الآية: 100] ابتغاء لمرضاة مولاه ﴿يَجِدْ فِي الْأَرْضِ

مُرَٰغَمًا﴾ [الآية: 100] يصادف منها متحولاً وطريقاً يسيراً ومنزلاً ﴿كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ [الآية: 100] وسعة في الرزق وإظهار الديانة ومخلصاً من الضلالة ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ﴾ [الآية: 100] في سبيله ﴿فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الآية: 100] بسبب وعده على مقتضى فضله ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ [الآية: 100] لما سلف عنه ﴿رَّحِيمًا﴾ [الآية: 100] بما خلف منه.

وأفاد الأستاذ: أن من هاجر في الله عما سوى الله وجد فسحة في ساحة القرب ووسعة في كنف الحب والمهاجر في الحقيقة من هجر نفسه وهواه واتبع سبيل مولاه فيما هداه ومن قصده ثم أدركه الأجل قبل وصوله فلا ينزل إلا بغفوة وصله ولا يكون محط روحه إلا أوطان قربه.

ومن «**نفائس العرائس**» أن من هجر من أوطان نفسه إلى قضاء ولاية التفريد وأتلف مهجته في طريق محبة الله وسبيل التوحيد ولم يبق له مسكن يسكن قلبه فيه من العرش إلى الثرى يجد في الأرض المشرقة بنور وجه الله سبحانه مواطن الأنس ومساكن القدس وسعة أنوار قربته وسناء أسرار وصلته ويستثنى عن كل موطن ومرقد ومسكن ومقعد وعن كل مألوف سوى الأحد وفي أرض القدم وقضاء الأزل للعارفين المهاجرين منهم إليه مراغم وطنات الصفات ومشارب صوافي الحلل والجمال في بحار الذات وأيضاً من هاجر لله في سبيل الله وصار غريب الله في بلاد الله مستوحشاً مما دون الله يجد في أكناف أطراف الأرض مراغم صحبة أوليائه التي هناك سعة أنوار مشاهدة الله وسعة كنوز أزل الآزال ومشاهدة أبد الآباد ومن يخرج من طبيعته وهوى نفسه وحوله وقوته وإشارته وعبارته وعلمه ورسمه إلى الله في طلب مشاهدته وإلى الرسول في متابعته بنعت المحبة ويدركه الموت في تضاعيف السر بعد الامتحان والمحنة ويقع في منزلة العبرة بعد المجاهدة فقد وقع له أجر الوصلة لأن الله تعالى يجاريه لصدقه بقدم الأول قبل أن يهاجر عما دون الله تعالى وقبل أن يخرج عن جميع مراداته متبعاً لأمر/الله ومبتغياً ما يوصله إلى مرضاة 186/ب
مولاه.

﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية: 101] شرعتم بالسفر فيها ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [الآية: 101] أي: التي أطولها وهي الرباعية فمن تبعيضية واللام عهدية ونفي الجناح للتسلية لأن القصر مظنة المنقصة ونظيره في هذا الشأن قوله ﷺ شهرا عيد لا ينقصان[1] ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ [الآية: 101] شريطة باعتبار الغالب فإن أكثر أسفارهم في مبدأ الإسلام كان مخوفاً ولذا ﷺ قصر في سفر حال الأمن وقد قال عليه السلام لما سأله عمر رضي الله عنه عن القصر صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته[2] رواه مسلم ولذا قال أبو حنيفة القصر واجب وقال غيره رخصة ﴿إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الآية: 101] ولعل وجه إبقاء بعض الأفعال مع ارتفاع أسبابها بالإجماع كقصر الصلاة والرمل والاضطباع تنبيهاً للمتأخرين اللاحقين من الأمة على ما قاساه الأئمة السابقون من المحنة والمشقة ففيه حفظ الوفاء وتحقيق معنى الولاء.

﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ﴾ [الآية: 102] إماماً ﴿فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الآية: 102] أي: أمرتهم بإقامتها تماماً ﴿فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ﴾ [الآية: 102] أي: فاجعلهم طائفتين لإدراك فضيلة الجماعة خلفك فلتقم طائفة منهم معك يصلون وتقم الطائفة الأخرى تجاه العدو يحرسون ﴿وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ﴾ [الآية: 102] أي: المصلون أو الباقون أو كلهم أجمعون ﴿فَإِذَا سَجَدُوا۟﴾ [الآية: 102] يعني المصلين ﴿فَلْيَكُونُوا۟﴾ [الآية: 102] أي: غير المصلين ﴿مِن وَرَآئِكُمْ﴾ [الآية: 102] أي: خلفكم أو قدامكم يحرسونكم والخطاب له ولمن يصلي معه تغليباً لشرفه ﴿وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟﴾ [الآية: 102] لإشعارهم بالحراسة ﴿فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟﴾ [الآية: 102] أي: الذين أتوا ثانياً للصلاة ﴿حِذْرَهُمْ﴾ [الآية: 102] وهو ما يتحصن به الغزاة كالدرع والجنة ﴿وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ كالسيف وسائر العدة

(1) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح (3/ 75) رقم (692)، والبيهقي في السنن الكبرى (4/ 250) رقم (7992)، والبخاري في الصحيح (1912)، ومسلم في الصحيح (1089/ 31).

(2) أخرجه مسلم في الصحيح (686)، وأبو داود في السنن (1/ 464) رقم (1201)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/ 242) رقم (3034)، والنسائي في السنن الكبرى (1/ 583) رقم (1891).

والأمر بالأخذ عند الجمهور سُنَّة مؤكدة وتفصيل صلاة الخوف محلّه كتب الفقه على اختلاف الأئمة في الكيفية وفيه إشارة إلى أن العبودية لا ترتفع عن كل أفراد البشرية لا في الخوف ولا في الأمنية ولا حال وصف التفرقة ولا عند سلطان استيلاء الحقيقة ولو كان في عين الجمعية فإن الصلاة معراج للمؤمن إلى مقام القربة وحضور الحضرة ﴿وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ﴾ [الآية: 102] أي: بترك تعلقكم/ بأسباب التوكل وتهيئته العدة مع قوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم 187/أ مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: 60] ﴿فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً﴾ [الآية: 102] والمعنى أنهم تمنوا أن ينالوا منكم في حال صلاتكم غرة فيشدون عليكم شدة وحملة ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾ [الآية: 102] أي: على قدر استطاعتكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [الآية: 102] وعيد متضمن للوعد بأن يكون لِلمؤمنين فتحاً مبيناً.

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الآية: 103] أي: أديتم صلاة الخوف وفرغتم ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ [الآية: 103] فداوموا على الذكر في جميع أحوالكم ﴿فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ﴾ [الآية: 103] برجوعكم إلى وطنكم أو بسكون قلوبكم عن رعبكم ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الآية: 103] أي: الطريقة المعهودة ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [الآية: 103] مفروضاً محدود الأوقات لا يجوز إخراجها عن أوقاتها في جميع الحالات.

﴿وَلَا تَهِنُواْ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ﴾ [الآية: 104] أي: لا تضعفوا ولا تجبنوا في طلب قتال الذين يكفرون ﴿إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [الآية: 104] والآية نزلت في بدر الصغرى امتحاناً للمؤمنين الذين يقاتلون ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ [الآية: 104] أي: ليس شيء عليه يخفى ﴿حَكِيمًا﴾ [الآية: 104] فيما يأمر وينهى.

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الآية: 105] بالصدق ﴿بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 105] بسبب ما عرفك وأوحى به إليك ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ﴾ [الآية: 105] أي: لأجلهم وللذب عنهم ﴿خَصِيمًا﴾ [الآية: 105]

مجادلاً للبراء من غيرهم.

﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ﴾ [الآية: 106] أي: لتقصيرهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا﴾ [الآية: 106] لمن يستغفره ﴿رَّحِيمًا﴾ [الآية: 106] بمن تشفع له وقيل واستغفر الله مما هممت به لما روي أنها نزلت في طعمة بن أبيرق من بني ظفر سرق درعاً من جاره قتادة ابن النعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخبأها عند زيد بن السمين اليهودي فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما أخذها وما له علم بها فتركوه واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهى إلى منزل اليهودي فأخذوها فقال: دفعها إلي طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا إلى رسول الله ﷺ فسألوه أن يجادل عن صاحبهم وقالوا: إن لم تفعل هلك
187/ب وافتضح وبريء اليهود فهم رسول الله ﷺ/ أن يفعل فنزلت ولعل هذا الهم من الخواطر البشرية والعوارض النفسية التي لا تخلو عنها الأنفس القديسة من غير استقرار في المواطن القلبية فإنهم في أعلى مراتب الجمعية.

قال ابن عطاء: لتحكم فإنك ترى بنا وتنطق عنا وأنت بمرأى منا ومسمع في حضرتنا.

وقال الأستاذ: لا تناضل عن أرباب الحظوظ وكن مع أبناء الحقوق ومن جنح إلى الهوى خان فيما أودع نفسه من التقوى ومن ركن إلى نوازع المنى خان فيما طولب به من الحياء لاطلاع المولى.

﴿وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ [الآية: 107] أي: يخونونها بالمعصية وكسب الخطيئة فإن وبال خيانتها راجع إليها في عقوبتها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا﴾ ذا خيانة ﴿أَثِيمًا﴾ [الآية: 107] ذا إثم وسيئة قيل خيانة النفس اتباع مرادها وترك نصيحتها.

وأفاد الأستاذ: أنهم المؤثرون حظوظهم على حقوق مولاهم والراضون بالتعريج في أوطان هواهم دون التقاء إلى منازل رضاهم.

﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الآية: 108] يستترون حياءً منهم وخوفاً عنهم ﴿وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 108] وهو أحق بأن يستحي منه ويحذر عنه ﴿وَهُوَ

مَعَهُمْ﴾ [الآية: 108] لا يخفى عليه سرهم ﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ﴾ [الآية: 108] يدبرون ويزورون ﴿مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ [الآية: 108] فيما يخاصمون من رمي البريء واليمين الكاذبة وشهادة الزور ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ [الآية: 108] يحيط علمه بالكليات والجزئيات.

وأفاد الأستاذ: أن الغالب على قلوبهم رؤية الخلق ولا يشعرون أن الحق مطلع عليهم وناظر إليهم أولئك الذين وسم الله على قلوبهم بوسم الفرقة ليذوقوا في الآخرة ألم الحرقة.

وفي «دقائق الحقائق» عن محمد بن الفضل من لم يكن ربه أعظم شيء في قلبه كان جاهلاً به.

﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [الآية: 109] مبتدأ وخبر ﴿جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ﴾ [الآية: 109] خاصمتم عن طعمة وقومه ﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الآية: 109] جملة مبينة لما قبله ﴿فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الآية: 109] إذا أخذهم بالعقوبة ﴿أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ [الآية: 109] يدفع عنهم الفضيحة.

﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا﴾ [الآية: 110] قبيحاً يسوء به غيره ﴿أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ﴾ [الآية: 110] لم يتعداه وخصه ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ﴾ [الآية: 110] بالتوبة عن سوئه وظلمه ﴿يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا﴾ [الآية: 110] لذنبه ﴿رَّحِيمًا﴾ [الآية: 110] بمحو عيوبه.

﴿وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا﴾ [الآية: 111] قاصراً ومتعدياً ﴿فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ [الآية: 111] أي: لا يتعدى وباله إلى غيره ﴿وَكَانَ/ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ [الآية: 111] بفعله 188/أ ﴿حَكِيمًا﴾ [الآية: 111] في جزائه.

﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً﴾ [الآية: 112] صغيرة ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ [الآية: 112] كبيرة ﴿ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ﴾ [الآية: 112] بأحدهما ﴿بَرِيٓـًٔا﴾ [الآية: 112] عن فعله ﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلَ﴾ [الآية: 112] تكلف في حمله أو اكتسب بجهله ﴿بُهْتَٰنًا﴾ [الآية: 112] افتراءً ظاهراً ﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الآية: 112] ذنباً باهراً.

وأفاد الأستاذ: أن من نسب إلى البريء ما هو صفته من مخازيه عكس

الله عليه الحال فيما ينافيه وألبس ذلك البريء ثوب محنة من راميه وسحب ذيل العفو عن مساوئه وقلب الحال على المتعدي عن منواله بما يفضحه بين أشكاله في عامة أحواله.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ [الآية: 113] بإعطاء رسالته ونبوته وتثبيت حفظه وعصمته ﴿لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ﴾ [الآية: 113] أي: لأثر همهم فيك حين أرادوا أن يخدعوك ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ [الآية: 113] فإن وباله عليهم ﴿وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ﴾ [الآية: 113] لعصمتك عن موافقة قصدهم ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [الآية: 113] القرآن والسُنَّة بالوحي الجلي والخفي في كل قضية ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ [الآية: 113] قبل ذلك من خفيات الأمور لك ولغيرك ﴿وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [الآية: 113] لأنه أعظم مظهر الفضل والفضيلة من أفراد المملكة من الأنبياء والملائكة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه كما عصمه عن ترك حقه عصمه بأن كف عنه كيد خلقه والمحفوظ منا محروس عن غيرنا وأن الله تعالى قد اختصك بإنزال الكتاب واستخلصك بوجوه الاختصاص والإيجاب ولم يمنّ عليه بشيء مثل ما منّ عليه بما خصه به من العلم ويحتمل أنه أراد به علمه بالله وبجلاله وعلمه بعبودية نفسه ومقدار حاله في استحقاق عزه وجماله ويقال علمك ما لم تكن تعلم من آداب الخدمة إذ لم يكن متلبساً عليك معرفة الحقيقة ويقال: أغناك عن تعليم غيرك حتى لا يكون لأحد نوراً إلا مقتبساً من نورك ومن لم يمش تحت رأيك لا يصل إلى جميل برنا ولا يحظى بقربنا ووصلنا وكان فضل الله عليك في الآباد عظيماً لأنك كنت لنا بشرف العزة وكرم الرتبة في الآزال معلوماً ويقال وعلمك ما لم تكن تعلم من علو رتبتك على كافة أبناء جنسك ويقال علمك ما لم تكن تعلم أن أحداً لا يقدر قدرنا إلا بمقدار موافقته لأمرنا.

﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ﴾ [الآية: 114] مصدر بمعنى الفاعل أي: 188/ب من متناجيهم/ ﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾ [الآية: 114] فإن الدال على الخير كفاعله

﴿أَوْ مَعْرُوفٍ﴾ [الآية: 114] كالقرض وإغاثة الملهوف ونحوهما مما يستحسنه الشرع أو لا ينكره العرف من أهل استقامة الطبع ﴿أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ [الآية: 114] بتعهدهم وتفقدهم ودفع النزاع عنهم.

وأفاد الأستاذ: أن صدقتك على نفسك حملها على ما ينفعها ومنعها عن ما يضرها وأما صدقتك على الغير فصدقة بالمال من إنفاق النعمة وصدقة بالبدن بالقيام لهم بالخدمة وصدقة بالقلب بحسن النية وتوكيد الهمة ثم الصدقة على الفقراء ظاهرة والصدقة على الأغنياء أن تجود عليهم بهم فتقطع رجاءك عنهم فلا تطمع منهم ومن المعروف إسعاد المسلمين فيما لهم فيه قربة إلى الله وزلفى وأعلاه التواصي بالطاعة ومن تصدق بنفسه على طاعة ربه وتصدق بقلبه على الرضا بحكمه ولم يخرج بالانتقام لنفسه وحث الخلق على ما فيه نجاتهم بالهداية ولو بدعائه وسؤاله أو أصلح بين الناس بصدقة في حاله فإن لسان فعله أبلغ من بيان نطقه فهو الصديق في وقته ومن لم يهذب نفسه ولم يؤدب غيره ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 114] ما ذكر من الأمور الثلاثة ﴿ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 114] أي: لا لسمعة ورياء ومتابعة هواه ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ﴾ [الآية: 114] بعظمتنا ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الآية: 114] في دنياه وأخراه وقرأ أبو عمر وحمزة بالياء أي: يؤتيه الله إذ لا معطي سواه.

﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ﴾ [الآية: 115] يخالفه ولم يوافقه ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ﴾ [الآية: 115] أي: غير سبيل الهدى عن طريق الهوى بإتيان رسول المولى وكتابه الأعلى ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 115] أي: مما هم عليه من اعتقاد اليقين وأعمال الصالحين ﴿نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ﴾ [الآية: 115] نجعله والياً لما تولى من الضلال ونخلي بينه وبين ما اختاره من تحمل وبال الأثقال ﴿وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ﴾ [الآية: 115] ندخله في مكان الحرقة ومقام الفرقة أزل الآزل ﴿وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [الآية: 115] أي: مرجعاً من سوء المآل على ضد ما لهم من الآمال.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [الآية: 116] أي: لمن لقيه مشركاً من غير توبته ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 116] من معصيته ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ [الآية: 116]

لمن تعلقت مشيئته بمغفرته ولو كان مصراً على سيئته وفيه الوعد والوعيد فتكراره لدفع توهم النسخ أو للتأكيد ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا بَعِيدًا﴾ [الآية:
189/أ 116] عن الحق والهداية فإن الشرك أعظم/أنواع الضلالة وأبعدها عن صوب الصواب وطريق الاستقامة.

وأفاد الأستاذ: أن إثبات الغير في توهم ذرة من الإبداع عين الشرك وما دون الشرك فللعفو فيه مساغ ومن توسل إليه سبحانه بما توهمه من نفسه فقد أشرك من حيث لم يعلم كلا بل هو الواحد وما أحسن قول بعض أرباب الإشارة أخذاً من هذه العبارة كل ذنب لك مغفور سوى الإعراض عنا.

﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ﴾ [الآية: 117] ما يعبدون من دون الله ﴿إِلَّآ إِنَٰثًا﴾ [الآية: 117] من اللات والعزى ومناة والشمس والقمر والكواكب وسائر الجمادات ونحوها من جميع الكائنات.

وأفاد الأستاذ: أنهم أوقعوا على الجمادات التسمية وانخرطوا في سلك التوهم من عدم المعرفة وركنوا إلى مغاليط الحسبان بالغفلة فضلوا عن الحقيقة ﴿وَإِن يَدْعُونَ﴾ [الآية: 117] ما يعبدون بعبادتها ﴿إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا﴾ [الآية: 117] لأنه الذي أمرهم بها وأمالهم إليها وأغواهم عليها فكان طاعته في ذلك عبادته والمريد هو الخارج بالكلية عن الخير والحامل على الضلالة للغير.

﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 118] وأبعده عن رحمته مولاه ﴿وَقَالَ﴾ [الآية: 118] أي: الشيطان ﴿لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ﴾ [الآية: 118] بأن أغويهم وأضلهم ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [الآية: 118] مقداراً مقدراً معيناً معلوماً.

وقال مقاتل بن حيان: من كل ألف وتسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة.

قال الواسطي: إن كان إليك شيء من القدرة والقوة فأغو أحد سوى ما جعل لك من النصيب المفروض فمن هنا يظهر عجزه ويتبين ضعفه.

وأفاد الأستاذ: أن ما إبليس إلا مقلب في القبضة على ما يريده المنشىء

ولو كان به ذرة من الإثبات لكان به شريكاً في الإلهية وكلا إنما يجري الحق سبحانه على الخلق أحوالاً ويخلق عقيب وساوسه للخلق ضلالاً فهو الهادي والمضل وهو سبحانه المصرف للكل فيخلق تعالى في قلوبهم عقيب وساوسه إليهم طول الأمل ويحسن في أعينهم قبيح العمل ثم لا يجعل لأمانيهم تحقيقاً ولا يعقب لما أملوه تصديقاً فهو تعالى موجد تلك الآثار جملة ويضيفها إلى الشيطان مرة وإلى الكافر مرة فهذا معنى قوله:

﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ﴾ [الآية: 119] أي: عن طريق الصواب وسبيل الثواب ﴿وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾ [الآية: 119] الأماني الباطلة بأن لا بعث ولا عقاب ولا حشر ولا حساب ويأمرهم/ بالتسويف في التوبة والتأخير عن الطاعة وبتزينهم طول الحياة 189/ب
وإدراك الآخرة من غير العبادة وبدون ترك المعصية وأمثال ذلك من أنواع الوسوسة ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ﴾ [الآية: 119] بالأمور التي بلا منفعة للأنام أو فيه الآثام ﴿فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [الآية: 119] يشققونها لتحريم ما أحل الله من البحيرة ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 119] عن وجهه صورة أو صفة ويندرج فيه ما فسر به من فقئ عين الحامي والخصاء والوشم والوشر واللواط والسحق واستعمال الجوارح والقوى فبما لا يعود على النفس كمال من الهدي ولا يوجب لها من الله الزلفى ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 119] بإيثار ما يدعوه إليه على ما دعاه إليه مولاه وبمجاوزته عن طاعة الله إلى طاعة من سواه ﴿فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ [الآية: 119] لأنه ضيع رأس ماله وبدل حسن حاله بسوء مآله.

﴿يَعِدُهُمْ﴾ [الآية: 120] ما لا يدركون ﴿وَيُمَنِّيهِمْ﴾ [الآية: 120] ما لا ينالون ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الآية: 120] ما يغترّ به الغافل ويذهل عنه العاقل بإظهار الخير فيما فيه الشر لا غير وهذا الوعد إما للخواطر الفاسدة بإلغائه وإما بلسان أوليائه وقيل يعدهم طول العمر والموت غايتهم ويمنيهم الغنى والفقر سبيلهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً إلا ما يقربهم من الدنيا ويبعدهم من الأخرى.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ﴾ [الآية: 121] مرجعهم ومسكنهم ﴿جَهَنَّمُ﴾ [الآية: 121] أي: نارها وخزيها وعارها ﴿وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾ [الآية: 121] معدلاً ومهرباً للخلاص منها.

وأفاد الأستاذ: إنّ الذين قسم لهم الضلالة في الحال حكم عليهم بالعقوبة في المآل ولولا أنه أظهر ما أظهر بقدرته وإلا متى كانت شظية من الضلالة والهداية لأربابها والوقوف على صدق التوحيد عزيز، وأرباب التوحيد قليل كالإبريز.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ﴾ [الآية: 122] أي: حال كونهم مقدرين الخلود فيها سرمداً ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ﴾ [الآية: 122] ثابتاً وصدقاً ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [الآية: 122] أي: قولاً وعداً كان أو وعيداً والمقصود من الآية معارضة المواعيد الشيطانية الكاذبة لقرنائه بوعد الله الصادق لأوليائه والمبالغة في توكيده مرغبة للعباد في تحصيله وابتغاء/ تأييده. 190/أ

وقال الأستاذ: أي الذين أسعدناهم حكماً وقولاً أنجدناهم حتى أوجدناهم كرماً وطولاً ثم إما نحقق لهم الموعود من الثواب بما يكرمهم به من حسن المآب.

﴿لَّيْسَ﴾ [الآية: 123] أي: حصول الدين ووصول اليقين أو ما وعد الله من الثواب ﴿بِأَمَانِيِّكُمْ﴾ [الآية: 123] بمجرد تمنياتكم أيها المؤمنون من أهل الخطاب ﴿وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِۗ﴾ [الآية: 123] بل لا بد في الطاعة من الاكتساب وفي المعصية من الاجتناب ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا﴾ [الآية: 123] صغيراً أو كبيراً قليلاً أو كثيراً زمناً طويلاً أو يسيراً ﴿يُجْزَ بِهِۦ﴾ [الآية: 123] عاجلاً أو آجلاً وقد صح أن المصائب والأمراض في الدنيا جزاءً كما رواه الترمذي وابن جرير وروى أحمد وابن حبان أنه لما أنزل قال أبو بكر: كيف الصلاح بعد هذه الآية يا رسول الله فقال عليه السلام غفر لك يا أبا بكر ألست تمرض ألست تصيبك اللأواء أي:

الشدة قال بلى يا رسول الله قال: فهو ما تجزون به[1] ﴿وَلَا يَجِدۡ﴾ [الآية: 123] أي: لا يصادف عامل السوء قبل جزائه والعفو عن بلائه ﴿لَهُۥ﴾ [الآية: 123] أي: لنفسه ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 123] من غيره ﴿وَلِيّٗا﴾ [الآية: 123] من يلي أمره فيما ينفعه ﴿وَلَا نَصِيرٗا﴾ [الآية: 123] من يلي نصره في دفع ما يضره.

وأفاد الأستاذ: أن من زرع الحنظل لم يجتن الورد والعنبر ومن شرب السم الزعاف لم يجد طعم العسل كذلك من ضيع حق الخدمة لم يستمكن على بساط القربة ومن وسم بالشقوة لم يرزق الصفوة ومن نفته القضية فلا ناصر له من البرية.

﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الآية: 124] بعضها أو شيئاً منها فإن كل أحد لا يتمكن من كلها وليس مكلفاً بها لقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ﴾ [البقرة: 286] ﴿مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ﴾ [الآية: 124] بيان لمن الشرطية ﴿وَهُوَ مُؤۡمِنٞ﴾ [الآية: 124] حال مقيدة إذ لا اعتداد بالعمل دون الإيمان والمعرفة ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [الآية: 124] قرأ ابن كثير وأبو عمر وشعبة بصيغة المفعول ﴿وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا﴾ [الآية: 124] مقدار نقير وهو النقرة التي في ظهر النواة والمعنى لا ينقص ثواب أعمالهم ولا يوضع عليهم من غيرهم أثقالهم.

وأفاد الأستاذ: أن من تعنى في خدمتنا لم يبق عن نيل نعمتنا بل من عنيناه في طلبتنا أكرمناه بوجودنا بل من جرعناه كأس اشتياقنا نولناه أنس لقائنا.

﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ﴾ [الآية: 125] أخلص نفسه أو قصده أو انقاد ﴿لِلَّهِ﴾ [الآية: 125] ولا يعرف رباً سواه ﴿وَهُوَ مُحۡسِنٞ﴾ [الآية: 125] أتى بالحسنات تاركاً للسيئات ﴿وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ [الآية: 125] الموافقة لدين/ 190/ ب
الإسلام المتفق على صحتها جميع الأنام ﴿حَنِيفٗاۗ﴾ [الآية: 125] مائلاً عن الأديان

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (3/ 78) رقم (4450)، وابن حبان في الصحيح (7/ 170) رقم (2910)، وأبو يعلى في المسند (1/ 97) رقم (98)، وأحمد في المسند (1/ 11) رقم (68).

الباطلة إلى دين الحق الذي هو التوحيد الناشىء عن كمال المعرفة ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾ [الآية: 125] صفياً خالصاً ليس في محبته خلل أصلا.

وأفاد الأستاذ: أن المعنى لا أحد أحسن ديناً ممن أفرد قصده إلى الله وخلص عقده لله عما سوى الله ثم استسلم في عموم أحواله لله وبالله ولم يدخر شيئاً عن الله لا من ماله ولا من جسده ولا من روحه ولا من خلده ولا من أهله ولا من ولده وكذلك كان حال إبراهيم عليه السلام والإحسان بشهادة الشرع أن تعبد الله كأنك تراه ولا بد للعبد من بقية من عين الفرق حتى يصح قيامه بحقوقه سبحانه لأنه إذا حصل مستوفي بالحقيقة لم يصح إسلامه ولا إحسانه وهذا اتباع إبراهيم عليه السلام الحنيف الذي لم يبق له منه شيء على وصف الدوام ثم جرد الحديث عن كل سعي وكد وطلب وجهد حيث قال ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾ [الآية: 125] فعلم أن الخلة لبسة يلبسها الحق لا صفة يكتسبها العبد ويقال الخليل المحتاج بالكلية إلى الحق وكل نفس ليس له شيء منه بل هو بالله لله في جميع أنفاسه وأحواله اشتقاقاً من الخلة التي هي الخصاصة وهي الحاجة ويقال أنه من الخلة التي هي المحبة والخلة أن تباشر المحبة جميع أجزائه ويتخلل سره حتى لا مساغ فيه للغير.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [الآية: 126] ملكاً وخلقاً وملكاً يختار منهما من شاء ويبعد عن رحمته منهما من أساء ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطٗا﴾ [الآية: 126] إحاطة علم وقدرة بهم فكان عالماً بأعمالهم فيجازيهم على خيرها وشرها في مآلهم.

﴿وَيَسۡتَفۡتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِۖ﴾ [الآية: 127] في ميراثهن أو في حسن المعاشرة مع اليتامى ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِيهِنَّ﴾ [الآية: 127] يبين لكم حكمه في حقهن ﴿وَمَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [الآية: 127] عطف على اسم الله فالافتاء مسنداً إلى الله وإلى ما في القرآن من قوله: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ﴾ [النساء: 11] ونحوه باعتبارين مختلفين ونظيره أغناني زيد وعطاؤه في أن المسند إليه بالحقيقة شيء واحد هو المعطوف عليه باعتبار المعطوف في ﴿فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [الآية: 127] أي: في

شأنهن ﴿ٱلَّتِي لَا تُؤۡتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾ [الآية: 127] أي: فرض لهن من ميراثهن وأوجب لهن من حسن معاشرتهن/ وإعطاء صدقاتهن ﴿وَتَرۡغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ 191/أ [الآية: 127] أي: في نكاحهن بجمالهن ومالهن ولا تعطون مهورهن وتأكلون مالهن أو عن نكاحهن لدمامتهن فنهاهم عن عضلهن ﴿وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلۡوِلۡدَٰنِ﴾ [الآية: 127] عطف على يتامى النساء إذ العرب ما كانوا يورثونهم كما لا يرثون الإناث منهم ﴿وَأَن تَقُومُواْ لِلۡيَتَٰمَىٰ بِٱلۡقِسۡطِۚ﴾ [الآية: 127] أي: ويفتيكم في أن تقوموا لهم بالعدل في حقهم ﴿وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ﴾ [الآية: 127] أي: العلمي أو العملي ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمٗا﴾ [الآية: 127] فيجازيكم على الجلي والخفي.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه نهاهم عن الطمع الذي يحملهم على الحيف والظلم على المستضعفين من النسوان واليتامى ويبين أن المنتقم لهم الله فمن راقب الله فيهم لم يخسر على الله بل يجد جميل الجزاء ومن تجاسر عليهم قاسى لذلك أليم البلاء.

﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا﴾ [الآية: 128] أي: علمت وتوقعت من زوجها لما ظهر لها من المخائل بعبوسة الوجه ونحوها ﴿نُشُوزًا﴾ [الآية: 128] ترفعاً عن صحبتها وتجافياً عن عشرتها كراهة لها ومنعاً لحقوقها ﴿أَوۡ إِعۡرَاضٗا﴾ [الآية: 128] بتقليل مجالستها ومحادثتها ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ﴾ [الآية: 128] أي: على المرأة والزوج ﴿أَن يُصَّلِحَا﴾ [الآية: 128] بتشديد الصاد أي: يتصالحا ﴿بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ﴾ [الآية: 128] بأن تحط بعض المهر أو القسم أو النفقة أو تهب له شيئاً تستميله به على طريقة الرفعة وقرأ الكوفيون أن يصلحا من أصلح بين المتنازعين ﴿وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ﴾ [الآية: 128] أي: من الفرقة وسوء العشرة أو من الخصومة ﴿وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ﴾ [الآية: 128] أي: جعلت حاضرة لِخصلة البخل مطبوعة عليها فلا تكاد المرأة تسمح بالإعراض عنها والتقصير في حقها بحط شيء من مهرها وقسمها ولا الرجل يسمح أن يمسكها ويقوم بحقوقها على ما ينبغي إذا كرهها أو أحب غيرها.

قال الثوري: ألزمت الأشباح مخالفة الحق في جميع الأحوال وشحها ما

يضرها من طلب الدنيا وطول الآمال ﴿وَإِن تُحْسِنُواْ﴾ [الآية: 128] العشرة ﴿وَتَتَّقُواْ﴾ [الآية: 128] ما يوجب النفرة ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 128] من الإحسان والخصومة ﴿خَبِيرًا﴾ [الآية: 128] به وبالغرض وسببه فيجازيكم على وفقه.

وأفاد الأستاذ: أن صحبة الخلق بعضهم مع بعض إذا تجردت عن حديث الحق فإنها بعرض الوحشة والملامة وممازجة النفرة والسآمة فمن أعرض عن الله بقلبه أعرض الخلق عن مراعاة حقه وخرج الكافة عليه باستصغار أمره واستحقار قدره/ ومن رجع إلى الله بِقلبه استوى له في الجملة والتفصيل أمره 191/ب
واتسع لاحتمال ما يستقبله من سوء خلق الخلق صدره وهو يسحب ذيل العفو على هنات جميعهم وآثر الصلح بترك نصيبه وتسليم نصيبهم قال تعالى: ﴿وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [الآية: 128] أي: واتضاعك في نفسك عن منافرة من يخاصمك أجدى عليك وأحرى بك من تطاولك على خصمك بإيثار الانتقام وشهود مالك في مزية المقام وأكثر الناس في أثر هذه المحبة وشح النفس قيام العبد لِحظه فلا محالة من حجب عن شهود الحق رد إلى شهود النفس.

﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ﴾ [الآية: 129] أي: لن تطيقوا أن تساووا ﴿بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [الآية: 129] أي: من جميع الوجوه لأن العدل هو أن لا يقع ميل البتة وهو متعذر على وجه الحقيقة لأنه لا بد من التفاوت في المحبة والشهوة والتفات حسن العشرة ﴿وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ [الآية: 129] أي: ولو بالغتم غاية المبالغة في جهة العدالة ولذا كان رسول الله ﷺ يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذه قسمتي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك ﴿فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ﴾ [الآية: 129] أي: إلى واحدة منها بترك المستطاع وبالجور على المرغوب عنها فإن ما لا يدرك كله لا يترك كله ﴿فَتَذَرُوهَا﴾ [الآية: 129] أي الواحدة الأخرى ﴿كَٱلْمُعَلَّقَةِ﴾ [الآية: 129] أي: التي ليست مزوجة ولا مطلقة فعنه ﷺ من كانت له امرأتان يميل مع إحداهما جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل ﴿وَإِن تُصْلِحُواْ﴾ [الآية: 129] ما أفسدتم من الأمر ﴿وَتَتَّقُواْ﴾ [الآية: 129] ما ترتب عليه الوزر ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الآية: 129] يغفر لكم ما تقدم من ذنوبكم ويرحمكم بالحفظ عن

الوقوع في عيوبكم.

وأفاد الأستاذ: في معنى الآية من الإشارة أنكم إذا انتصبتم في أموركم انعكس الحال عليكم وانعكس صلاح ذات بينكم فساداً لكم فإذا قمتم بالله في أموركم استوى العيش لكم وصفا عن الكدر وقتكم فلا تزيغوا عن نهج الأمر قفوا حيث ما وقفتم وانفذوا فيما أمرتم.

وقوله: ﴿فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِۚ﴾ [الآية: 129] يعني أنكم إذا منعتموهن عن صحبة أغياركم ثم قطعتم عنهن ما هو حظوظهن منكم أضررتم بهن من الوجهين لا منكم نصيب ولا إلى غيركم سبيل إلى حبيب وأن هذا الحيف عظيم عند كل لبيب والإشارة من هذا أنه إذا انسد عليك طريق حظوظك منك فتح عليك شهود حقه ووجود/ لطفه فإنّ من كان في الله تلفه فالحق سبحانه له خلفه وأن تصلحوا 192/أ
ما بينكم وبين الخلق وتتقوا فيها بينكم وبين الحق فإن الله كان غفوراً لعيوبكم رحيماً بالعفو عن ذنوبكم.

﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا﴾ [الآية: 130] أي: وأن يتفارقا كما قرئ بها يعني وأن يفارق كل منهما صاحبه بقبول الفراق.ووقوع الطلاق ﴿يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا﴾ [الآية: 130] أي: من الزوجين عن الآخر ببدل أو ما يتسلى به ﴿مِّن سَعَتِهِۦ﴾ [الآية: 130] من فضله الواسع وغناه الشامل الشائع ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا﴾ [الآية: 130] في فضله ﴿حَكِيمًا﴾ [الآية: 130] حكمة في حكمه وإتقاناً في فعله.

وأفاد الأستاذ: أن الصحبة التي لا بد منها صحبة القلب مع دوام الافتقار إلى الرب إذ الحق لا بد منه في الأول والآخر فلا حاجة لبعضهم إلى بعض إلا من حيث الظاهر وذلك في ظنون أصحاب التفرقة فأما أهل التحقيق والمعرفة فيعلمون أن حاجة الخلق بجملتها إنما هي إلى الله سبحانه بلا مرية ولا شبهة.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ﴾ [الآية: 131] تنبيه على كمال سعته وقدر في خلق العلويات والسفليات من جهة الطول والعرض ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [الآية: 131] يعني اليهود والنصارى ومن قبلهم من

العلماء وغيرهم والكتاب لجنس الخطاب ﴿وَإِيَّاكُمْ﴾ [الآية: 131] أي: ووصيناكم أيضاً يا أولي الألباب ﴿أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [الآية: 131] أي: في جميع الأبواب ﴿وَإِن تَكْفُرُوا﴾ [الآية: 131] أي: بالبعد عن هذا الباب وقبول الطرد والحجاب ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية: 131] أي: فاعلموا أن الله مالك الملك كله لا يتضرر بمعاصيكم وكفركم كما لا ينتفع بتقواكم وشكركم وإنما وصاكم لرحمته بكم وإصلاح أمركم لا لحاجته بعبادتكم ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا﴾ [الآية: 131] عن الخلق وعبادتهم ﴿حَمِيدًا﴾ [الآية: 131] في ذاته وصفاته حمداً لم يحمده أحد من مخلوقاته.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه كلف الكافة بالرجوع إلى الله ومجانبة من سواه والوقوف على حد أمره على وفق ما يرضاه وطبق ما قضاه ولكن فريقاً وفق وهدى وفريقاً خذل وأردى ثم عرف أهل التحقيق أنه غني عن طاعة كل ولي وبريء عن زلة كل غوي.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية: 132] كرره تأكيداً للدلالة على كونه غنياً حميداً ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الآية: 132] فكلوا أمركم إليه وتوكلوا في جميع أموركم عليه.

وأفاد الأستاذ: أنه تعالى قطع الأسرار عن التعلق بالأغيار بأن عرفهم
192/ب انفراده بملك/ ما في السموات والأرض مع الطول والعرض ثم أطمعهم في حسن توليه ورعاية الحماية وقيامه بما يحتاجون إليه بجميل اللطف وحسن الكفاية بقوله: ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الآية: 132] وكيلاً يصلح بملكه حالك ولا يختزل مالك.

﴿إِن يَشَأْ﴾ [الآية: 133] أي: إذهابكم ﴿يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ﴾ [الآية: 133] بإفنائكم ﴿وَيَأْتِ بِآخَرِينَ﴾ [الآية: 133] أي: ويوجد قوماً آخرين مكانكم ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 133] أي: من إعدامكم وإيجاد غيركم ﴿قَدِيرًا﴾ [الآية: 133] تام القدرة كامل القوة والخطاب لمن عادى نبيه ﷺ من العرب فمعناه معنى قوله تعالى ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾ [محمد: 38] لما رواه

الطبراني أنه لما أنزل ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ﴾ [الآية: 133] ضرب رسول الله ﷺ يده على ظهر سلمان وقال: إنهم قوم هذا[1].

وأفاد الأستاذ: أن من استغنى عنه في آزاله فلا حاجة له في آباده ويقال لا نهاية للمقدورات فإن لم يكن عمرو فزيد وإن لم يكن عبد فعبيد والذي لا بدّ عنه ولا خلف فهو الواحد الأحد.

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾ [الآية: 134] كالمجاهد يجاهد للغنيمة والعابد يجتهد للرياء والسمعة ﴿فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾ [الآية: 134] أي: فما له يطلب أخسهما فليطلبهما أو أنفسهما فإن من جاهد مخلصاً لم تخطئه الغنيمة ولم تفته رئاسة الولاية وله ما هي في جنبه كلا شيء في الآخرة والمعنى فعند الله ثواب الدارين فيعطي كلا ما يريده من الأمرين كقوله سبحانه: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورى: 20] فليختر العاقل اللبيب ما يعجبه من إعطاء الحبيب ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [الآية: 134] عليماً بأغراض عباده فيجازي كلاً بحسب مقاصده ومراده.

وأفاد الأستاذ: أنهم لما علّقوا قلوبهم بالعاجل من الدنيا ذكرهم الله حديث العقبى فقال فعند الله ثواب الدنيا والآخرة تعريفاً لهم أن فوق هممهم من هذه الخسيسة ما هو أعلى منها من نعيم الآخرة النفيسة فلما سمت قصودهم إلى العقبى قطعهم عن كل مرسوم ومخلوق بقوله ﴿وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [طه: 73].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الآية: 135] أي: مبالغين في القيام
193/ أ بالعدل مواظبين على إقامته مجتهدين في إدامته/ ﴿شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾ [الآية: 135] أي: مقيمين شهادتكم لابتغاء رضاه ﴿وَلَوْ﴾ [الآية: 135] أي: وإن كانت الشهادة ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [الآية: 135] أي: بان تقروا عليها وتعترفوا بها ولا يبعد أن يكون المراد بأنفسكم أولادكم ﴿أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الآية: 135] تعميم بعد تخصيص ﴿إِن

(1) تفسير الطبري (9/ 299)، وتفسير القرطبي (5/ 409).

يَكُنْ﴾ [الآية: 135] أي المشهود عليه ﴿غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا﴾ [الآية: 135] فكلوا أمره إلى الله ولا ترحموا فقره ولا ترهبوا غناه ﴿فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾ [الآية: 135] أي: بالغني والفقير وحسن حالهما ومآلهما.

قال الجنيد: لن يصل إلى قلبك روح التوحيد وله عندك حق لم تقضه أو لم تؤده من حق العبيد ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا﴾ [الآية: 135] أي: كراهة أن تعدلوا عن الحق والهدى وقيل: اتركوا الهوى لأجل أن تصيروا موصوفين بالعدل والهدى ﴿وَإِن تَلْوُۥٓا﴾ [الآية: 135] ألسنتكم عن شهاة الحق أو حكومة العدل والصدق بتحريفها وتغييرها من اللّي وقرأ ابن عامر وحمزة وإن تلوا من الولاية أي: لا تقبلوا على إقامة الشهادة والحكومة ﴿أَوْ تُعْرِضُوا﴾ [الآية: 135] عن أدائها ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [الآية: 135] فيجازيكم عليه قليلاً أو كثيراً صغيراً أو كبيراً.

وأفاد الأستاذ: إن أصل الدين إيثار حق الحق على حق الخلق فمن آثر على الله سبحانه إما ولداً وإما والداً أو قريباً أو ادخر عنه نصيباً فهو بمعزل عن القسط.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا ءَامِنُوا﴾ [الآية: 136] أي: دوموا على الإيمان وأثبتوا على الإيقان لتصلوا إلى مقام الإحسان والعرفان ﴿بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ [الآية: 136] وهو القرآن ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾ [الآية: 136] أي: وجنس الكتب التي أنزلت من قبل ذلك المشتملة على الإيمان بجميع أنبيائه ورسله.

وقال الأستاذ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا﴾ [الآية: 136] من حيث البرهان آمنوا من حيث البيان إلى أن تؤمنوا من حيث الكشف والعيان ويقال آمنوا أنه وراء كل وصل وفصل ووجد وفقد ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [الآية: 136] عن باب المقصود طريداً.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ٱزْدَادُوا كُفْرًا﴾ [الآية: 137] أي: الذين تكرر منهم الارتداد وتركوا القرب واختاروا البعاد واستمروا عليه حتى

دخلوا طريق الميعاد ﴿لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾ [الآية: 137] في تقصيرهم ﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾ [الآية: 137] لمقصدهم ومصيرهم في سيرهم.

﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الآية: 138] فيه إشارة إلى أن الآية السابقة في المنافقين والمترددين/ والمرائين آمنوا في الظواهر وكفروا بالسرائر 193/ ب
وماتوا على الكفر في الأواخر.

وأفاد الأستاذ: أن الذين تبدلت بهم الأحوال فقاموا وسقطوا ثم انتعشوا ثم عثروا ثم ختم بالسوء أحوالهم أولئك الذين قصمتهم سطوات العزة حكماً وأدركتهم شقاوة القسمة خاتمة وحالاً فالحق تعالى لا يهديهم لقصد ولا يدلّهم على رشد فبشرهم بالفرقة الأبدية وأخبرهم بالحرقة السرمدية.

﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 139].

أفاد الأستاذ: أن من اعتصم بمخلوق فقد التجأ إلى غير مجير واستند إلى غير كهف وسقط في مهواة من الغلط بعيد قعرها شديد مكرها ﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ﴾ [الآية: 139] أي: يتعززون بموالاتهم ويتوقعون لهم الغلبة ﴿فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [الآية: 139] أي: له القدرة والقوة فلا يتعزز إلا من أعزه وقد كتب الله العزة لأوليائه والذلة لأعدائه بقوله ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين فلا يؤبَهُ لعزة غيرهم الصورية المجازية الفانية بالإضافة إلى عزتهم المعنوية الحقيقية الباقية.

قال الحسين: من اعتز بغير الحق فعزه الذل المحقق.

وأفاد الأستاذ: إن الذي أصابه ذل التكوين متى يكون له عز على التحقيق والتبيين ومن لا عز له يلزمه فكيف يكون له عز يتعدى إلى غيره ويقال لا يدري أي حاليهم أقبح؟ طلب العز وهم في ذل القهر وأسر قبضة الله أو حسبان ذلك وتوهمه مما سواه ويقال لو هدوا بوجدان العز لما صرفت قصودهم إلى من ليس بيده شيء من الأمر ﴿فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [الآية: 139] والعز على قسمين عز قديم فهو لله وصفاء وعز حادث يختص سبحانه به من يشاء من عباده فهو له تعالى ملكاً ومنه لطفاً.

﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا﴾ [الآية: 140] أي: جادين فيها أو هازلين منها ﴿فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ﴾ [الآية: 140] أي: لئلا يكونوا سبباً لكفرهم أو شريكاً في وزرهم ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ﴾ [الآية: 140] أي: حتى يشرعوا في كلام على غير ذلك النظام.

وقال الأستاذ: لا تجاوروا أرباب الوحشة ولا تصاحبوا أصحاب الغفلة فإن ظلمات أنفسهم تتعدى إلى قلوبكم عند استنشاقكم ما يردونها من أنفاسكم ومن كان بوصف ما متحققاً شاركه حاضروه فيه حقاً فجليس من هو في أنس مستأنس وجليس من/هو في ظلمة متوحش ويقال هجران أعداء الحق 194/أ
فرض محتم ومخالفة الأضداد ومفارقتهم دين لازم والركون إلى أصحاب الغفلة قرع باب الفرقة ﴿إِنَّكُمْ إِذًا﴾ [الآية: 140] إذا قعدتم ﴿مِّثْلُهُمْ﴾ [الآية: 140] أي: في الإثم شريكاً لهم إذا قدرتم عن الإعراض عنهم والإنكار عليهم وقد ورد «المرء على دين خليله فلينظر من يخالله»(1).

وأفاد الأستاذ: إن أوضح برهان على سريرة الرجل صحبة من يقارنه وعشرة من يخادنه فالشكل مقيد بشكله والفرع منتشر عن أصله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [الآية: 140] أي: كما اجتمعوا على الاستهزاء بالآيات جمعاً.

﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ﴾ [الآية: 141] أي: ينتظرون وقوع المكروه لكم ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 141] أي: نصرة وغنيمة ﴿قَالُوٓا۟﴾ [الآية: 141] أي: للمؤمنين منكم ﴿أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ [الآية: 141] في الدين والنصرة فاشركونا في سهام الغنيمة ﴿وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ﴾ [الآية: 141] أي: حظ من الغلبة والقوة ﴿قَالُوٓا۟﴾ [الآية: 141] أي: للكفرة ﴿أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية: 141] ألم نغلبكم ونتمكن من قتلكم فأبقينا عليكم وأوفينا الأمر إليكم ﴿وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (4/ 188) رقم (7319)، والترمذي في الجامع الصحيح (4/ 589) رقم (2378)، والبيهقي في شعب الإيمان (7/ 55) رقم (9436)، وأحمد في المسند (2/ 303) رقم (8015).

[الآية: 141] أي يتثبطهم عنكم وتخويفهم منكم بالهزيمة فشاركونا فيما أصبتم من نعمة الغنيمة ﴿فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾ [الآية: 141] بما يعلم منكم من السريرة ﴿وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [الآية: 141] أي: حجة في العقبى أو استيلاء كلياً في الدنيا.

وأفاد الأستاذ: أن المنافقين لما عدموا الإخلاص في الحقيقة وما ذاقوا فيما استشعروا من العقيدة امتازوا عن المسلمين في الحكم وباينوا الكافرين في الاسم وأوجب على أهل الحق التحرز عنهم والتحفظ منهم ثم ضمن لهم سبحانه جميل الكفاية وجزيل الحماية بقوله: ﴿وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [الآية: 141] وعداً على العموم فإن وبال كيدهم إليهم مصروف وجزاء مكرهم عليهم موقوف والحق من قبل الحق سبحانه منصور أهله والباطل بنصر الحق مجتث أصله.

﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الآية: 142] أي: بزعمهم أو يخادعون أولياءه ﴿وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ﴾ [الآية: 142] أي: مجازيهم على خداعهم أو معاملهم على وفق أعمالهم في تزين أحوالهم إساءة آمالهم.

وأفاد الأستاذ: إن خداع المنافقين إظهار الوفاق في الطريقة واستشعار الخلاف في العقيدة وخداع الحق إياهم ما توهموه من الإخلاص وحكموا به لأنفسهم من استحقاق الاختصاص فإذا كشف الغطاء أيقنوا أن الذين ظنوه
194/ب شراباً كان سراباً ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ/ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾ [الآية: 142] أي: كالمكره على الفعل ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾ [الآية: 142] أي: يبالغون في رياء الناس من غير حقيقة الاستئناس ﴿وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الآية: 142] إلا ذكراً قليلاً أو زماناً قليلاً وفيه إيماءٌ إلى أن أهل الدنيا لا يوفقهم الله أن يذكروا الله كثيراً وأن ذكرهم ولو كثير في العد لا يكون إلا قليلاً غير معتد وأن ذكر أهل الإخلاص وإن كان قليلاً في المبنى فهو كثير في المعنى.

وأفاد الأستاذ: أن علامة النفاق وجود النشاط عند شهود الخلق وفتور العزم عن فوات رؤية الحق بخلاف أهل الإخلاص حيث لا نظر لهم إلا إلى

الحق ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 143] أي: مترددين في أمر الدين ومتحيزين بين أصحاب الكفر وأرباب اليقين.

﴿لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [الآية: 143] منسوبين ﴿وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [الآية: 143] منصوبين فليسوا بمؤمنين مخلصين ولا مشركين مصرين ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾ [الآية: 143] أي: طريق رضاه.

وأفاد الأستاذ أن أحسن الخلق من نزع صدار العبودية ولم يجد له سبيلاً إلى حقيقة الحرية فلا له من العز شظية ولا في الغفلة هنية.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 144] فإنه صنيع المنافقين ودأب المرائين ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾ [الآية: 144] حجة بينة في عقابكم بموالاتكم لأعداء دينكم.

وأفاد الأستاذ: إن من بقي من الحق بقي مع الخلق فيتضاعف عليه البلاء.

﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [الآية: 145] حيث خادعوا المسلمين وباطنوا الكفار وقرأ الكوفيون بسكون الراء وهو لغة بمعنى الطبقة ﴿وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [الآية: 145] يدفع العذاب عنهم زمناً يسيراً.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟﴾ [الآية: 146] عن النفاق ﴿وَأَصْلَحُوا۟﴾ [الآية: 146] العمل على وجه الوفاق ﴿وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ [الآية: 146] وثقوا به وتمسكوا بدينه ﴿وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ [الآية: 146] لا يريدون بطاعته غير رضاه ولا يلتفتون في أمورهم إلى ما سواه ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 146] في زمرتهم ومعدودين في جملتهم.

قال ابن عطاء: ولم يقل من المؤمنين في القسم الأول ليعلم أن الاجتهاد لا يؤثر في سبق الأزل.

وأفاد الأستاذ: إن هذا إشارة إلى نقصان رتبتهم وإن تداركوا بإخلاصهم ما سبق من آفاتهم.

﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ﴾ [الآية: 147] استفهام وقع إنكار أي: يتشفّى به غيظاً أو يدفع به ضرراً ويستجلب/ به نفعاً وهو الغني المتعالي ذاتاً ووصفاً ﴿إِن 195/ أ
شَكَرْتُمْ﴾ [الآية: 147] أي: المنعم الحقيقي على نعمه ﴿وَءَامَنتُمْ﴾ [الآية: 147] به وفيه إيماءً إلى أن شكر المنعم واجب على العبد ولعل تقديمه على الإيمان لأنه وسيلة إليه وبمنزلة حجة عليه ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا﴾ [الآية: 147] مجازياً بالعطاء الجزيل على العمل القليل ﴿عَلِيمًا﴾ [الآية: 147] بظاهركم وباطنكم وشكركم وإيمانكم.

وقال الحسن: ما يفعل الله بتعذيبكم أنفسكم في المجاهدات إن شكرتم أي: طالعتم إحساني إليكم وقطعتم الهمم عن مراقبة غيري عليكم.

وأفاد الأستاذ: إن معنى الآية لا يعذبكم الله عذاب التخليد إن شكرتم في الحال وآمنتم في المآل ويقال إن شركتم وآمنتم صدقتم بأن نجاتكم بالله وإحسانه بكم ولا بشكركم وإيمانكم ويقال الشكر شهود النعمة من الله والإيمان رؤية الله في النعمة فكأنه قال إن شاهدتم النعمة من الله ثم لا يقطعكم شهود النعمة عن شهود المنعم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [الآية: 147] أي: مادحاً للعبد ومثنياً عليه مع ما يعلم من أعماله الصاعدة إليه فإن الله يثني على العبد بما يفعله من الطاعة مع عمله بما تصدر عنه من المعصية ويقال يشكره لأنه يعلم أنه لا يعصي في أمره وقصده مخالفة ربه ولكنه يذنب لاستيلاء أحوال البشرية من غلبة الشهوات النفسية ويقال يشكره لأنه يعلم أن العبد يعلم في حال عيوبه أن له رباً غافراً لذنوبه.

﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ [الآية: 148] أي: من الكلم الصادرة عن كل أحد ﴿إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ [الآية: 148] أو إلا جهر من ظلم بالدعاء على الظالم والتظلم منه عند الحاكم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا﴾ [الآية: 148] بأقوالكم ﴿عَلِيمًا﴾ [الآية: 148] بأحوالكم.

وأفاد الأستاذ: إن قول المظلوم في ظالمه على وجه الإذن ليس بسوء في الحقيقة لكنه يصح وقوع لفظة السوء عليه بالمشاكلة كقوله ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ

﴿مِّثْلُهَاۖ﴾ [الشورى: 40] والجزاء ليس بسيئة ويقال إن من علم أن مولاه يسمع ويعلم ما يجري عليه استحى من النطق بكثير مما تدعوه نفسه إليه ويقال من لم يؤثر مدح الحق على قدح الخلق لمغبون في الحال عن درجة أهل الكمال ويقال من طالع الخلق بعين الإضافة إلى الحق بأنهم عبيد لله لم يبسط فيهم لسان اللوم فإن
195/ب الرجل من القوم يقول لصاحبه أنا أحتمل من أدون خدمك حرمة/لك ما لا أحتمله من ولدي فإذا كان مثل هذا معهوداً بين الخلق فالعبد بمراعاة هذا الأدب بينه وبين مولاه أولى ويقال لا يحب الله الجهر بالسوء من القول من العوام ولا يحب ذلك بخطوره ببال خواصه الكرام.

﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا﴾ [الآية: 149] أي: تظهروا طاعة وبراً ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ [الآية: 149] تفعلوه سراً فإن الله كان به عليماً خبيراً ﴿أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ﴾ [الآية: 149] يقتضي لكم خيراً ويوجب لأمركم شراً ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [الآية: 149] يكثر العفو عن عصاة الأنام مع كمال قدرته على الانتقام فتخلقوا بأخلاق الملك العلّام ومعنى الآية بطريق الإشارة أن تبدوا خيراً تخلقاً بآداب الشريعة أو تخفوه تحققاً بأحكام الطريقة أو تعفوا عن سوء تعلقاً بأبواب الحقيقة فإن الله كان عفوّاً بعيوبكم وذنوبكم قديراً على تحصيل محبوبكم وتحقيق مطلوبكم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [الآية: 150] كاليهود والنصارى في فعلهم ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [الآية: 150] بأن يؤمنوا بالله ويكفروا برسله ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ﴾ [الآية: 150] أي: من الرسل والأنبياء ﴿وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾ أي: من أهل الاصطفاء ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 150] بين ما ذكر من الأمر ﴿سَبِيلًا﴾ [الآية: 150] طريقاً زائفاً عن حق المرء متوسطاً بين الإيمان والكفر.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الآية: 151] أي: الكاملون في كفرهم حيث لا ينفعهم بعض إيمانهم وشكرهم حقاً أي: يقيناً محققاً ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [الآية: 151] لإهانتهم بعض أهل الحق ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾ [النبأ: 26].

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [الآية: 152] أي: بجميعهم ﴿وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ

﴿مِّنْهُمْ﴾ [الآية: 152] في الإيمان بهم لا في تفضيلهم لقوله سبحانه: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: 253] ﴿أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ﴾ [الآية: 152] أي: بعظمتنا ﴿أُجُورَهُمْ﴾ [الآية: 152] الموعودة من رحمتنا وقرأ حفص بالغيبة على تلوين المخاطبة ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ [الآية: 152] لهم فيما فرط من سيئاتهم ﴿رَّحِيمًا﴾ [الآية: 152] عليهم بتضعيف حسناتهم.

وأفاد الأستاذ: أن في الآية من الإشارة أن من لم يخرج عن عهدة الإلزام بالكلية فليس له من حقيقة الوصل شظية قال ﷺ: «المكاتب عبد ما بقي عليه درهم»[1] ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ [الآية: 153] أي: ممن أخطأ في مسلك الخطاب ﴿أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [الآية: 153] أي: جملة كما
196/ أ أتى به موسى على ما أخبر به سبحانه عنهم بقوله: فلما جاءهم بالحق من عندنا/ قالوا: لولا أوتي مثل ما أوتي موسى أو لم يكفروا بما أوتي موسى من قبل ﴿فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 153] فيه تقبيح لأقوالهم وتنقيص لمرتبتهم وأحوالهم والسؤال الثاني وإن كان من آبائهم لكن أسند إلى أبنائهم لأنهم كانوا آخذين بمذهبهم تابعين لمبشرهم والمعنى إن عرفهم راسخ في ذلك وإنما اقترحوا هنالك ليس بأول جهالاتهم وخيالاتهم في تلك المسالك والتقدير إن استعظمت ما سألوه منك فقد سألوا موسى أعظم من ذلك ﴿فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [الآية: 153] أي: معاينة ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ [الآية: 153] أي: نار نازلة من السماء مهلكة ﴿بِظُلْمِهِمْ﴾ [الآية: 153] أي: بسببه وهي تعنتهم وعنادهم أو سؤالهم بما يستحيل شرعاً بالنسبة إلى حالهم ﴿ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ﴾ [الآية: 153] أي: إلهاً لميلهم إلى المحسوس دون المعنى المأنوس ﴿مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [الآية: 153] أي: المعجزات الواضحات ﴿فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 153] حيث قبلنا توبتهم ولم نستأصلهم هنالك ﴿وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾ [الآية: 153] تسلطاً ظاهراً ونصراً باهراً عليهم حين أمرهم بأن يقتلوا أنفسهم توبة عن اتخاذهم العجل وكفرهم قيل أعطي سلطاناً على نفسه في مخالفتها حالة أنسه وقيل: قوة عظيمة في استماع المخاطبة من كلام الحضرة.

(1) سبق تخريجه.

وأفاد الأستاذ: إن الإشارة في الآية أن من يكتفي بأن يكون العجل معبوده متى يسلم له أن يكون الحق مشهوده.

﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ﴾ [الآية: 154] بسبب أخذ ميثاقهم ليقبلوه عند امتناعهم قبول شريعة التوراة فيما كلفوه من الأمور الشاقة ﴿وَقُلْنَا لَهُمُ﴾ [الآية: 154] أي: على لسان موسى عليه السلام عند دخول القرية المعروفة ﴿ٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ﴾ [الآية: 154] أي: بابها ﴿سُجَّدًا﴾ [الآية: 154] أي: ساجدين أو متواضعين أو منحنين ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ﴾ [الآية: 154] أي: على لسان داوود عليه السلام ﴿لَا تَعْدُواْ فِى ٱلسَّبْتِ﴾ [الآية: 154] أي: لا تظلموا في تعظيمه بترك اصطياد السمك فيه وقرأ نافع بتشديد الدال على أن أصله لا تعتدوا فأدغمت التاء في الدال بعد نقل حركة التاء إلى العين فروي قالوا: بإخفاء الحركة وورش بإتمامها ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ [الآية: 154] أي: عهداً مؤكداً على جميع ذلك وهو قولهم: سمعنا وأطعنا أولاً ثم نقضهم بقولهم سمعنا وعصينا آخراً.

196/ب ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ﴾ [الآية: 155] ما مزية للتأكيد/ في القضية والباء للسببية متعلق بفعل محذوف والفاء عاطفة على مقدر أي: فخالفوا ونقضوا ففعلنا بهم ما فعلنا ببعضهم والأولى أن يقدر لعناهم كما جاء مصرحاً به في قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾ [المائدة: 13] فالمراد بالميثاق المنقوض وهو كتمانهم بعث محمد ﷺ في كتابهم أو تركهم العمل بما في خطابهم.

وأفاد الأستاذ: إن المعنى لارتكابهم هذه المناهي واتصافهم بهذه المخازي أحللناهم منازل الهوان وأنزلنا بهم من العقوبة والخذلان فنون الألوان ﴿وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 155] أي المتلوة أو المعجزة أو الآفاقية والأنفسية ﴿وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [الآية: 155] أي: بغير جناية شرعية بل لمجرد عناد وشهود نفسية ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾ [الآية: 155] أوعية للعلوم لا تحتاج إلى شيء آخر من المرقوم أو ﴿فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ﴾ [فصلت: 5] أي: في غطاء لا نسمع ما تقول وتدل عليه ﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ [الآية: 155] فجعلها محجوبة عن العلم بالذات والصفات أو خذلها ومنعها التوفيق للتدبر في

الآيات والتذكر بالموعظات ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الآية: 155] كعبد الله بن سلام وأصحابه أو إيماناً قليلاً لا عبرة به لنقصانه.

﴿وَبِكُفْرِهِمْ﴾ [الآية: 156] بعيسى ﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾ [الآية: 156] يعني بنسبتها إلى الزنى بعد ثبوت براءتها على خلاف جماعة آخرين من أهل الضلالة حيث عظموها فوق رتبتها.

قال الأستاذ: وكانت مريم ولية الله فشقي بها فرقتان أهل الإفراط وأهل التفريط وكذلك كان أولياء الله سبحانه فمنكرهم شقي بترك احترامهم والذين يعتقدون فيهم ما لا يستوجبون يشقون بالزيادة في إعظامهم.

﴿وَقَوْلِهِمْ﴾ [الآية: 157] أي: افتخاراً ﴿إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ﴾ [الآية: 157] أي: بزعمه أو سموه رسولاً استهزاءً أو استئنافاً من الله له ثناءً ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾ [الآية: 157] أي: حقيقة فهم في مقولهم كذبة ﴿وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [الآية: 157] أي: وقع التشبه بين عيسى ومقتولهم حيث ألقى الله شبهه على رجل منهم من أراد قتله فيهم فقتلوه وصلبوه من غير علمهم وقد قيل من حفر لأخيه وقع فيه ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [الآية: 157] في شأن عيسى ﴿لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ﴾ [الآية: 157] أي: تردد من قتله ﴿مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾ [الآية: 157] أي: لكنهم يتبعون الظن في أمره ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ [الآية: 158].

197/أ ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [الآية: 158] / أي: إلى محل ظهور سلطانه والمراد به ردوا إنكاراً لقتله وإثباتاً لرفعه ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا﴾ [الآية: 158] أي: غالباً على أمره ﴿حَكِيمًا﴾ [الآية: 158] في قضائه وقدره.

﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾ [الآية: 159] أي: بعيسى ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ [الآية: 159] أي: الكتابي وهو وقت البأس وزمان اليأس حيث لا ينفع إيمان الناس وقيل: الضميران لعيسى والمعنى أنه إذا أنزل من السماء آمن به أهل الملل جميعاً بلا مراء ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [الآية: 159] بأنه قد بلغ الرسالة وأقر على نفسه بالعبودية.

﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ [الآية: 160] أي: بسبب ظلم عظيم صدر منهم

﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [الآية: 160] أي: المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾ [الأنعام: 146] الآية ﴿وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ [الآية: 160] أي: وبمنعهم عن طريق الحق ناساً كثيراً ومنعاً كثيراً.

﴿وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ [الآية: 161] أي: في التوراة ﴿وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [الآية: 161] بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ﴾ [الآية: 161] دون التائبين من المؤمنين ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الآية: 161] وحجاباً مستديماً.

وأفاد الأستاذ: إن ارتكاب المحظورات يوجب تحريم المباحات فمن ركب محظوراً بظاهره حرم ما كان يجده من الأحوال المباحة له والألطاف الحاصلة له في سرائره.

﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ﴾ [الآية: 162] أي: الثابتون في علم اليقين كابن سلام وأصحابه ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [الآية: 162] أي سائر المؤمنين منهم لأن الكلام معهم أو من غيرهم بعمومهم ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ [الآية: 162] الجملة خبر المبتدأ ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الآية: 162] نصب على المدح ﴿وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [الآية: 162] بتقديرهم على سبيل القطع مفيد للمدح أيضاً لهم ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [الآية: 162] أي: إجمالاً وتخصيصاً كما آمنوا بما سبق تفصيلاً أو تعميماً ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ﴾ [الآية: 162] أي: بعظمتنا ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الآية: 162] حيث جمعوا بين الإيمان الصحيح والعمل النقيح وقرأ حمزة بالغيبة على تلوين العبارة قيل الراسخون في العلم هم العلماء بالله ذاتاً ووصفاً والعلماء بأمر الله وجوباً ونهياً والمتبعون سُنَّة رسول الله ثبوتاً ونفياً.

وأفاد الأستاذ: إن الراسخ في العلم هو أن يكون في الدليل مجتهداً وأن لا يكون في الحكم مقلداً بل يضع النظر في موضعه إلى أن ينتهي إلى حد لا
197/ب يكون مساغ للشك في عقله ويقال الراسخ في العلم من يرتقي عن حد تأمل/
البرهان ويصل إلى حقائق البيان ويقال الراسخ في العلم أن يكون بعلمه عاملاً حتى يفيده عمله علم ما خفي على غيره ففي الخبر «من عمل بما علم ورثه

الله علم ما لم يعلم».

﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [الآية: 163] أي: عموماً ولعل الابتداء بنوح لأنه أول من كفر به أمته بخلاف آدم وشيث وإدريس عليهم السلام ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾ [الآية: 163] ابني إبراهيم ﴿وَيَعْقُوبَ﴾ [الآية: 163] ابن إسحاق ﴿وَٱلْأَسْبَاطِ﴾ [الآية: 163] أولاد يعقوب أو أحفاد إبراهيم ﴿وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾ [الآية: 163] خصهم بالذكر مع اشتمال النبيين عليهم فإن إبراهيم أول أولي العزم منهم وعيسى آخرهم والباقين مشاهيرهم ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [الآية: 163] وقرأ حمزة بالضم أي: كتاباً مزبوراً فيه أنواع الوعظ مسطوراً ﴿وَرُسُلًا﴾ [الآية: 164] أي: وأرسلنا رسلاً ﴿قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ﴾ [الآية: 164] أي: من قبل هذه السورة أو هذه المدة ﴿وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [الآية: 164] أي: قبل ذلك أو مطلقاً لقوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: 78].

وأفاد الأستاذ: إن سُنَّة الله في أوليائه ستر قوم وشهر قوم وبذلك جرت سُنَّته أيضاً في أنبيائه أظهر أسماء قوم وأجمل تفصيل ذكر آخرين والإيمان واجب لجميع الأنبياء عليهم السلام جملةً وتفصيلاً كما أن الاحترام واجب لجميع الأولياء تعميماً وتخصيصاً وكذلك أحوال العباد ستر عليهم بعضها وأظهر لهم بعضها ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [الآية: 164] وهو منتهى مراتب الوحي خص به موسى من بينهم كما أن الخليل خص بالخلة من جملتهم وقد أعطى نبينا ﷺ مثل ما أعطى كل واحد منهم.

﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ﴾ [الآية: 165] بالثواب على الطاعة ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ [الآية: 165] بالعقاب على المعصية ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ﴾ [الآية: 165] أي: معذرة ﴿بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الآية: 165] فيقولوا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه وقف الخلق عند مقاديرهم وبين أنه أرسل

إليهم الرسل لتوفر دواعيهم إلى اجتباء ثوابهم واجتناب ما فيه استحقاق عذابهم وأنه ليس للخلق سبيل لا إلى راحة يطلبونها ولا إلى آفة يجتنبونها إما
198/أ في الحال وإما/في المآل ومن له إلى الله حاجة فأنى يكون له على الله حجة ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا﴾ [الآية: 165] غالباً على أمره ﴿حَكِيمًا﴾ [الآية: 165] في قضائه وقدره ونزل في جماعة من اليهود قال لهم رسول الله ﷺ: إني والله أعلم أنكم لتعلمون أني رسول الله فقالوا: ما نعلم ذلك. ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ [الآية: 166] أي: متلبساً بعلمه الخاص بدأ الذي أراد به أن يطلع عليه بعض عباده من صفاته ومغيباته أو أوامره ونواهيه أو أنزله إليك عالماً بأنك أهل لإنزاله عليك ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾ [الآية: 166] أيضاً بنبوتك ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الآية: 166] قيل: هو الشاهد عليك وعلى خواطرك وأنفاسك فاتقه فيها.

وأفاد الأستاذ: إنه سبحانه سلاه عند تكذيب الخلق إياه بما ذكره من علم الله بصدقه فيما ادعاه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الآية: 167] أي: بأنفسهم ﴿وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 167] أي: منعوا غيرهم عن سلوك دينهم ﴿قَدْ ضَلُّوا۟ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [الآية: 167] أي: عن الحق في الحال والمآل لأنهم جمعوا بين الضلال والإضلال.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَظَلَمُوا۟﴾ [الآية: 168] أي: استمروا على كفرهم وأصروا على ظلمهم ﴿لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾ [الآية: 168] أي: بعدما ماتوا على قبح حالهم وسوء مآلهم ﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾ [الآية: 168] إلى الحق في الدنيا.

﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾ [الآية: 169] أي: العقبى ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الآية: 169] لجري حكمه السابق على وفق علمه اللاحق ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 169] أي: ما ذكر من عدم الغفران ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ [الآية: 169] سهلاً لا يصعب عليه ولا يستعظم لديه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية: 170] بالأمر الثابت والقول الصدق ﴿مِن رَّبِّكُمْ﴾ [الآية: 170] ﴿فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ﴾ [الآية: 170] أي: إيماناً خيراً لكم أو يكن الإيمان خيراً لكم.

وأفاد الأستاذ: إنه سبحانه أخبر أنه غني عنهم فإن آمنوا فحظوظ أنفسهم اكتسبوها وإن كفروا فلأباهم لأنفسهم اجتلبوها والحق تعالى منزه الوصف عن التجمل بالوفاق والتنقص بالخلاف والشقاق ﴿وَإِن تَكۡفُرُواْ﴾ [الآية: 170] فهو غني عنكم لا يتضرر بكفركم كما لا ينتفع بشكركم ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [الآية: 170] ملكاً وملكاً كرهاً وطوعاً ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ [الآية: 170] بأحوالكم ﴿حَكِيمًا﴾ [الآية: 170] فيما دبرلكم.

وأفاد الأستاذ أن المراد به أنهم إن خرجوا عن استعمال العبودية فعلاً لم يخرجوا عن حقيقة كونهم عبيده خلقاً كما قال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا﴾ [مريم: 93] انتهى ولعل اختيار ما في آية تغليباً لأفراد الأكثر من غير ذوي العقول واعتبار/ من في أخرى تغليباً لأشرف 198/ب
الخلق من ذوي الفحول.

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ [الآية: 171] أي: لا تجاوزوا عن صوب الصواب ﴿وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الآية: 171] أي: ولا تنقلوا عنه ﴿إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾ [الآية: 171] أي: نقل الحق وقول الصدق المنزه عن الصاحبة والولد حيث أنه صمد لم يكن له كفواً أحد ﴿إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ﴾ [الآية: 171] أي: لا أنه ولد الزنى كما بهت اليهود ولا ابن الله كما تفوهت النصارى ﴿رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥ﴾ [الآية: 171] أي: أوجده بكلمة كن على ما قيل وجعله رسولاً إلى بني إسرائيل ﴿أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ﴾ [الآية: 171] أوصلها إليها وحصلها فيها بنفخ جبريل في جيب درعها ﴿وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ﴾ [الآية: 171] أي: وذو روح شريف صدر عنه لا بتوسط ما يجري مجرى الأصل والمادة له وقيل: سمي روحاً مبالغة لأنه كان يحيي الأموات الحسية أو القلوب القسية ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ﴾ [الآية: 171] جميعاً من غير تفرقة ﴿وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ﴾ [الآية: 171] أي: آلهتنا ثلاثة الله والمسيح ومريم ﴿ٱنتَهُواْ﴾ [الآية: 171] أي: عن التثليث ﴿خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ﴾ [الآية: 171] نصبه كما سبق ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ﴾ [الآية: 171] الذات لا تعدد فيه بوجه ما في جميع الكائنات ﴿سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ﴾ [الآية: 171] أي: أسبح تسبيحه وأنزه تنزيهه من أن يكون له ولد فإنه إنما يكون لمن له مثل وكفؤ ويتطرق إليه فناءٌ ﴿لَّهُۥ

مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية: 171] والملائكة تنافي الولدية ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الآية: 171] أي: موكولاً إليه أمر من يخالفه ويوافقه في القضية.

﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ﴾ [الآية: 172] أي: لن يأنف ﴿أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ﴾ [الآية: 172] فإن عبوديته شرف يتباهى به من سواه ﴿وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [الآية: 172] بأجمعهم مع كمال قربهم ووقوفهم في مرتبة جمعهم وكونهم أقوى من غيرهم في نحو قلع الجبال والتصرف في سائر الأحوال وما أحسن من قال:

لا تدعني إلا بيا عبدها فإنه أشرف أسمائي[1]

﴿وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾ [الآية: 172] أي: ولو على توهم استحقاق كرامته ﴿وَيَسْتَكْبِرْ﴾ [الآية: 172] أي: يتكبر عنها مع أنفة من غير توهم فضيلة ﴿فَسَيَحْشُرُهُمْ﴾ [الآية: 172] أي: مع غيرهم ﴿إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ [الآية: 172] فيجازيهم جزاءً بديعاً منيعاً.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ [الآية: 173] أي: يعطيهم ثوابهم كاملاً ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ [الآية: 173] أي: زيادة على ما يقتضيه عدلاً ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الآية:
199/أ 173] أي: على وفق ما كان سبحانه بهم/ عليماً ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 173] أي: مما سواه ﴿وَلِيًّا﴾ [الآية: 173] ينفعهم ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ [الآية: 173] يدفع العذاب عنهم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ﴾ [الآية: 174] أي: دليل عقلي وتبيان جلي ﴿مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [الآية: 174] فالمعجزات هو البرهان والنور هو القرآن أي: جاءكم دلائل العقل وشواهد النقل ولم يبق لكم عذر ولا علة ولا وجه من وجوه الحجة ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ [الأنعام: 149].

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ﴾ [الآية: 175] أي: لم يعتمدوا على ما سواه فصاروا ممن قام في مقام العبادة لله والتوكل على مولاه ﴿فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى

(1) نسب إلى الأعشى انظر: زهر الأكم (1/ 64).

﴿رَحْمَةٍ مِّنْهُ﴾ [الآية: 175] أي: ثواب قدره بإزاء إيمانه وعمله رحمة منه وعدلاً ﴿وَفَضْلٍ﴾ [الآية: 175] أي: إحسان زائد على قدر استحسانه كرماً وفضلاً ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ﴾ [الآية: 175] أي: إلى قربه أو مكان وعده ﴿صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [الآية: 175] بالجمع بين العلم النافع والعمل الرافع وقيل: هو الإسلام والطاعة في الدنيا وطريق الجنة في العقبى.

وأفاد: الأستاذ أنه يحفظ عليهم إيمانهم عند التوفي في المآل كما ألزمهم بالإيمان والعرفان في الحال وهدايتهم هي إكرامهم بأن عرفوا أن هذه الهداية من الله تفضلاً لهم لا أنهم استوجبوها بطلبهم وجهدهم ولا بتعبهم وكدهم.

﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ [الآية: 176] أي: في الكلالة حذف لدلالة الجواب عليه على وجه الجلالة فقد روي في الصحيحين وغيرها أن جابر بن عبد الله كان مريضاً فعاده رسول الله ﷺ فقال: إني كلالة فكيف أصنع في مالي فنزلت وهي آخر ما نزل من الأحكام ﴿قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ [الآية: 176] سبق أن الكلالة من لا والد له ولا ولد وهو أعم من أن يكون رجلاً أو امرأة فالأخت لا بد أن تكون كلالة لأنها مذكورة في جواب فتوى الكلالة ﴿إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ﴾ [الآية: 176] أي: مات ﴿لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ﴾ [الآية: 176] أي: لا ذكر ولا أنثى ولا والد أيضاً فإن الأخت لا ترث مع الأب ﴿وَلَهُ أُخْتٌ﴾ [الآية: 176] أي: من الأبوين أو الأب فإن ولد الأم مضى حكمه في أول السورة ﴿فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا﴾ [الآية: 176] أي: والمرء يرث جميع مال أخته إن كان الأمر بالعكس ﴿إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ﴾ [الآية: 176] أي: ذكر وأنثى ولا والد أيضاً ﴿فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ﴾ [الآية: 176] أي: فصاعداً على ما في «**المدارك**» وغيره ﴿فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ﴾ [الآية: 176] أي: الأخ ﴿وَإِن كَانُوا﴾ [الآية: 176] أي: من يرث بالأخوة ﴿إِخْوَةً﴾ [الآية: 176] أي: وأخوات فغلب المذكر أو اكتفى به ﴿رِّجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ/ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ 199/ب اللَّهُ لَكُمْ﴾ [الآية: 176] يبين الله لكم طرق هدايتكم في أمر دينكم ومعيشتكم ﴿أَن تَضِلُّوا﴾ [الآية: 176] كراهة أن تقعوا في الضلالة وتميلوا عن الهداية ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الآية: 176] فهو عالم بمصالح العباد في المعاش والمعاد.

سورة المائدة

[مدنية]

وهي مائة وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

أفاد الأستاذ إن سماع اسم الله يوجب الهيبة والهيبة تتضمن الغناء والغيبة وسماع الرحمن الرحيم يوجب الحضور والأوبة والحضور يتضمن البقاء والقربة فمن أسمعه بسم الله أدهشه في كشف جلاله ومن أسمعه الرحمن الرحيم عيشه بلطف أفضاله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ [المائدة، الآية: 1] الإيفاء الوفاء وهو القيام بمقتضى العهود وهي تعم العقود التي عقدها الله تعالى على عباده وألزمها إياهم من التكاليف على وفق مراده وما يعقدون بينهم من عقود الأمانات وعهود المعاملات مما يجب الوفاء به في جميع الحالات قيل أول عقد عقد عليك عقد إجابتك له بالربوبية فلا تخالفه بالرجوع إلى سواه في العبودية والعقد الثاني تحمل الأمانة لله فلا تخفر بها في مبتدأه ومنتهاه.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه ناداهم قبل أن بدأهم وسماهم قبل أن رآهم وأهّلهم في آزاله لما أوصلهم إليه في آباده وشرفهم بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الآية: 1] كلفهم بقوله: ﴿أَوۡفُواْ﴾ [الآية: 1] ولما علم أن التكليف يوجب المشقة والبلاء قدم التشريف بالثناء على التكليف الموجب للعناء ويقال يا من فتحت بصيرتهم لشهود حتى لا تكونوا كمن أعرضت عنهم من خلقي ﴿أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ [الآية: 1] كل حي لا يميز في القضية والإضافة بيانية أي: البهيمة التي هي الأنعام وهي الأزواج الثمانية وألحق بها الظباء وبقر الوحش لتصحيح الحال الآتية: ﴿إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾ [الآية: 1] أي: تحريمه وإلا محرم ما يتلى عليكم

من قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ [المائدة: 3] الآية ﴿غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ﴾ [الآية: 1] حال من الضمير في لكم والصيد تحتمل المصدر والمنقول ﴿وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ [الآية: 1] حال مما استكن في (محلي) والحرم جمع حرام وهو المحرم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [الآية: 1] أي: من تحريم وتحليل للمريد.

ومن «**نفائس العرائس**» أن المحرم الذي ذكر الله من اكتسى إحرام أنوار غيرته في حرم مشاهدة قربه وحضرته قد منعه أن يصيد في بيداء العبودية صيود الحظوظ النفسية لأن صيده هو بنفسه تعالى لا غير الله ومن/ كان هو 200/ أ
صيده حرم عليه سواه.

وأفاد الأستاذ: إن تحليل بعض الحيوانات وإباحتها من غير جرم سبق منها والمنع من ذبحها من غير طاعة حصلت لها دليل على أن لا علة لصنعه وحرم الصيد على المحرم بخصوصه لديه لأن المحرم متجرد عن نصيب نفسه لقصده الله فالأليق بصفاته كف الأذى عن كل حيوان واجتنابه عن شهواته وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [الآية: 1] معناه لا حجر عليه في أفعاله فيخص من يشاء بالنعمى ويفرد من يشاء بالبلوى فهو يمضي الأمور في آباده على حسب ما أراد وأخبر وقضى وعلم في آزاله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 2] جمع شعيره وهي اسم ما أشعر أي: جعل شعاراً ويعني بها مناسك الحج من أعماله ومواقفه لأنها علاماته وأعمال نسكه وقيل: المراد معالم دينه وقيل: فرائضه التي حدها لعباده وقيل: جميع محارمه.

وأفاد الأستاذ: إن إجلال الشعائر هو الإخلال بالأوامر ﴿وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ﴾ [الآية: 2] أي: ولا تحلوه بعدم تعظيمه أو بالنسيء فيه أو القتال به والجمهور على أنه منسوخ يجوز ابتداء القتال مع أهل الشرك في أشهر الحرام ولو في الحرم المحترم ﴿وَلَا ٱلْهَدْىَ﴾ [الآية: 2] أي: وبعدم التعرض لما أهدي إلى الكعبة ﴿وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ﴾ [الآية: 2] أي: ذوات القلائد من الهدي تخصيص بعد تعميم لشرفها وهي جمع قلادة وهي ما قلد بها الهدي من نحو فعل أو لحاء

شجر ليعلم به أنه هدي.

وأفاد الأستاذ: أن تعظيم المكان الذي عظمه الله وإكرام الزمان الذي أكرمه الله وتشريف الإعلام على ما أمر به الله هو المطلوب من العبد أمراً والمحبوب فيه حالاً﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ [الآية: 2] أي: لا تستحلوا قتال قوم قاصدين إلى بيت الله وزيارته ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا﴾ [الآية: 2] أي: يطلبون أن يثبتهم ويرضى عنهم بزعمهم وهذاالحكم منسوخ الآن أيضاً فيهم وقد حكى ابن جرير الإجماع على أن المشرك يجوز قتله وإن أم البيت الحرام إذا لم يكن له أمان من أهل الإسلام[1].

وقال الأستاذ: وبالحري لمن يقصد البيت أن لا يخالف رب البيت وابتغاء الفضل والرضوان بتوقي موجبات السخط ومجانبة العصيان ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ﴾ [الآية: 2] أي: أحللتم كما قرىء به والمعنى/ صرتم حلالاً وخرجتم من 200/ ب
الإحرام ﴿فَٱصْطَادُوا۟﴾ [الآية: 2] أمر إباحة من غير إلزام.

وقال الأستاذ: وإذا خرجتم عن أسر حقوقنا فارجعوا إلى استجلاب حظوظكم فأما ما دمتم تحت قهر بطشنا فلا نصيب لكم منكم لأنكم لنا قلت وفي الآية إشارة إلى ما روي عنه عليه السلام روحوا قلوبكم ساعة فساعة[2] ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ﴾ [الآية: 2] بسكون النون ابن عامر وأبو بكر أي: لا يحملنكم شدة بغضهم وعداوتهم ﴿أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [الآية: 2] أي: لأن منعوكم عنه عام الحديبية ﴿أَن تَعْتَدُوا۟﴾ [الآية: 2] أي: على الاعتداء والتجاوز عن الحد بالانتقام وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بكسر الهمزة على أنه شرط معترض بين العامل ومعموله أغنى عن جوابه بلا يجرمنكم والآية نزلت حين أراد الصحابة منع بعض المشركين عن العمرة انتقاماً من أصحابهم لما صدوهم عن البيت بالحديبية على ما رواه ابن حاتم عن زيد بن أسلم[3].

---

(1) تفسير ابن كثير (2/ 11).
(2) تفسير ابن كثير (2/ 11).
(3) كنز العمال (3/ 37) رقم (5354).

وقال الأستاذ: أي كونوا قائمين بنا متجردين عن كل نصيب وحظ مما سوانا ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ﴾ [الآية: 2] أي: المأمورات ﴿وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [الآية: 2] أي: عن المنهيات وحاصلهما العفو والإغضاء أو متابعة الهدى ومخالفة الهوى.

وأفاد الأستاذ: أن البر فعل ما أمرت به والتقوى ترك ما زجرت عنه ومن المعاونة على البر والتقوى الاتصاف بجميل الخصال على الوجه الذي يقتدي به أهل الكمال وكذا قوله ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ﴾ [الآية: 2] أي: المعصية القاصرة ﴿وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [الآية: 2] أي: المعصية المتعدية وقيل: البر ما اطمأن إليه القلب[1] من غير أن ينكر بسبب ولا جهة من الريب والإثم بخلافه.

ومن «نفائس العرائس» معنى البر المحبة والتقوى المعرفة والإثم طلب حظ المشاهدة من المشاهدة والعدوان دعوى الأنانية في الاتحاد لأنه احتجب بحظ الربوبية عن الربوبية في العبودية ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [الآية: 2] احذروا عقابه واحترسوا عتابه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الآية: 2] وانتقامه أشد في كل باب.

وأفاد الأستاذ: أن العقوبة ما يتعقب الجرم مما يسوء صاحبه وشدة العقوبة حجاب المعاقب عن شهود المُعَاقِب فإن تجرع كاسات البلاء عن شهود المبلي أحلى من العسل والشهد.

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ [الآية: 3] أي: ما فارقه الروح من غير التذكية ﴿وَٱلدَّمُ﴾ [الآية: 3] أي: المسفوح لقوله تعالى: ﴿أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾ [الأنعام: 145] ﴿وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ﴾ [الآية: 3] .

201/ أ وأفاد الأستاذ/ أن من الميتة المحرم تناولها أن تناول من عرض أخيك على وجه الغيبة ويقال كما أن في الحيوان ما يكون المذكى منه مباحاً والميتة منه حراماً فكذلك من أذبح نفسه بسكاكين المجاهدات فظاهر نفسه مباح قربه حلال صحبته ومن ماتت نفسه في ظلمة غفلته حتى لا إحساس له بالأمور الدينية فخبيثة نفسه محظور قربه حرام معاشرته غير مبارك صحبته فإن السلف

(1) أخرجه أحمد في المسند (4/ 228) رقم (18030)، وانظر: جامع الأحاديث (23/ 440) رقم (26378).

سموا الدنيا خنزيرة ورأوا وأن ما يلهي قربه وينسى المعبود كونه ويحمل على العصيان حصوله فهو محرم على القلوب ففي طريق القوم حب الدنيا حرام على القلوب وإن كان إمساك بعضها حلالاً على الأبدان والنفوس قلت: ومن كلام القوم الدنيا حرام على أهل العقبى والآخرة حرام على أهل الدنيا وهما حرامان على أهل المولى وفي الحديث اتقوا مجالسة الموتى قيل: من الموتى قال الأغنياء[1]: ﴿وَمَآ أُهِلَّ﴾ [الآية: 3] أي: ذبح ﴿لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [الآية: 3] أي: من صنم ونحوه ﴿وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ﴾ [الآية: 3] التي ماتت بالخنق ﴿وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ﴾ [الآية: 3] المضروبة بنحو خشب أو حجر حتى تموت ﴿وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ﴾ [الآية: 3] التي ترددت وطاحت من علو أو في بئر فماتت ﴿وَٱلنَّطِيحَةُ﴾ [الآية: 3] التي نطحتها أخرى فماتت ﴿وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ﴾ [الآية: 3] أي: منه فماتت ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ﴾ [الآية: 3] أي: أدركتم ذبحه من هذه الأشياء وفيه حياة مستقرة فإنه حلال والزكاة في الشرع قطع الحلقوم والمريء بمحدّد ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ [الآية: 3] واحد الأنصاب وهي أحجار كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويعدون ذلك قربة فحرم الله أكل هذا اللحم وإن ذكر عليها اسم الله لما فيه من الشرك ﴿وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ﴾ [الآية: 3] أي: وحرم عليكم الاستقسام بالأقداح وذلك أنهم إذا قصدوا فعلاً كسفر ونكاح مثلاً ضربوا ثلاثة أقداح مكتوب على أحدها أمرني ربي وقيل: افعل وعلى الآخر نهاني ربي وقيل: لا تفعل والثالث غفل لا شيء عليه فإن خرج الأمر فعلوه وإن خرج النهي تركوه وإن خرج الغفل أجالوها ثانياً فمعنى الاستقسام طلب معرفة ما قسم لهم دون ما لم يقسم بالأزلام وقيل: هو استقسام الجزور بالأقداح على الأنصباء المعلومة فالمراد به جنس القمار ﴿ذَٰلِكُمۡ فِسۡقٌۗ﴾ [الآية: 3] إشارة إلى الاستقسام ووجه كونه فسقاً أنه دخول في علم الغيب وضلال باعتقاد أن ذلك طريق إليه وفي معناه الرمل والفأل من القرآن فإن الحروف الهجائية لا دلالة لها على/ شيء من الأمور المستحسنة أو المستقبحة نعم إن كان الفأل 201/ب

(1) لم يخرج له أحد وإنما ذكر في تفسير البحر المديد (2/ 394)، وتفسير حقي (2/ 372)، (5/ 330)، (6/ 210) القول منسوب إلى عيسى عليه السلام، وفي تفسير حقي (7/ 351) نسبه إلى النبي ﷺ.

بالمعنى القرآني المشير إلى المعنى المراد في الجملة فلا بأس إلا أنه ﷺ كان يحب الفأل الحسن ويكره الطيرة[1] والله سبحانه أعلم أو إشارة إلى تناول ما حرم وتعاطيه فإنه فسق وضلال وجهالة.

وأفاد الأستاذ: أن المذبوح على غير اسمه فإنه ليس بطيب فمن بذل روحه فيه وجد روحه منه ومن تهارشته كلاب الدنيا وقتلته مخالب الأطماع وأسرته مطالب الأعراض والأعواض فحرام ماله على أهل الحقائق وأما المنخنقة فالإشارة منه إلى الذي ارتبك في حال المني والرغائب وأخذه خناق الطمع وخنقته سلاسل الحرص فحرام على السالكين سلوك سنّتهم ومحظور على المريدين متابعة طريقتهم وأما الموقوذة فالإشارة فيها إلى نفوس حبست على طلب الخسائس حتى استكملت أكلها فهي التي ذهبت بلا عوض حصل منها والإشارة من المتردية إلى من هلك في أودية التفرقة وعمي عن استبصار رشد الحقيقة فهو يهيم في مفاوز الظنون وينهمك في متاهات المنى والإشارة من النطيحة إلى من صارع الأمثال ونازع الأشكال وناطح طلاب الدنيا فخصموه بطلب حرصهم وهزموهم بزيادة تكليمهم وأكيلة السبع ما ولغ فيه طلاب الدنيا فإن الدنيا جيفة وأكلة الجيف الكلاب واستثنى منه المذكى وهو ما تفرد من متاع الدنيا لله لأن زاد المؤمن من الدنيا وما كان لله فهو محمود وما كان للنفس فهو مذموم والإشارة من قوله ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ [الآية: 3] فهو ما أرصد لغير الله ومقصود كل حريص بموجب شرهه معبوده من حيث هويه قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية: 23] يعني: اتخذ هواه إلهه ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ﴾ [الآية: 3] إشارة إلى كل معاملة ومصاحبة بنيت على استجلاب الحظوظ الدنيوية لا على وجه الإذن إذ القمار ذلك معناه. وقلت المعاملات المجردة عن هذه الصفة فيما نحن فيه من الوقت ﴿ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾ [الآية: 3] أي: إيثار هذه الأشياء انسلاخ من الدين وخروج عن مرتبة اليقين ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ﴾ [الآية: 3] أي: من إبطاله ورجوعكم عنه ومن أن يغلبوكم

---

(1) أخرجه أحمد في المسند (2/ 332) رقم (8374)، وابن أبي شيبة في المصنف (5/ 310) رقم (26396).

202/ أ فيه نزلت بعد عصر يوم الجمعة في عرفة عام حجة الوداع ﴿فَلَا/ تَخْشَوْهُمْ﴾ [الآية: 3] أي: بعدما أظهرت دينكم أن يظهروا عليكم ﴿وَٱخْشَوْنِۚ﴾ [الآية: 3] أي: أخلصوا الخشية لي في أمري ونهيي واتباع ديني.

قال: سهل أعجز الناس من خشي ما لا ينفعه ولا يضره والذي بيده النفع والضر كله يخاطبه بقوله فلا تخشوهم ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِۚ﴾ [الآية: 3].

وقال الأستاذ: أي بعدما انهتك عن قلوبكم آثار الحسبان وتحققتم بأن المتفرد بالإبداع أنا فلا تلاحظوا سواي ولا يظلّن قلوبكم إشفاق من غيري ويقال إذا كانت البصائر متحققة بأن النفع والضر والخير والشر لا يحصل شظية منه إلا بقدرة الحق سبحانه فمن المحال أن ينطوي من مخلوق على رغب ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ [الآية: 3] حرف التعريف للمعهود والحاضر وما يتصل به من الوقت الحاضر ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [الآية: 3] أي: فلا زيادة بعده ولذا لم ينزل حرام ولا حلال بعدها أو بالنصر والإظهار على الأديان كلها.

وأفاد الأستاذ: أن إكمال الدين تحقيق القبول في المآل كما أن ابتداء الدين توفيق الحصول في الحال فلولا توفيقه لم يكن للدين حصول ولولا تحقيقه لم يكن في الدين قبول وإنما أراد بذكر اليوم وقت نزول هذه الآية وتقييد الوقت في الخطاب بقوله اليوم لا يعود إلى عين إكمال الدين ولكن إلى تعريفنا ذلك في ذلك الوقت فالدين موهوب ومطلوب فالمطلوب ما أمكن تحصيله والموهوب ما سبق منه حصوله ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [الآية: 3] أي: بتوفيقي وهدايتي.

وأفاد الأستاذ: أن النعمة ما لا يقطعك عن المنعم على الحقيقة بل يوصلك إليه في الطريقة والنعمة المذكورة هنا الدين وإتمامها وفاء المال واقتران الغفران وحصوله فإكمال الدين تحقيق المعرفة وإتمام النعمة تحصيل المغفرة وهذا خطاب لجماعة المسلمين ولا شك في مغفرة جميع المؤمنين وإنما الشك يعتري في الآحاد والأفراد بل يبقى على الإيمان في الآباد ﴿وَرَضِيتُ﴾ [الآية: 3] اخترت ﴿لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾ [الآية: 3] من بين الأديان فلا أسخطه أبداً في سالف الأزمان.

وأفاد الأستاذ: أن ذلك لما قسم للخلق أديانهم فخص قوماً باليهودية وقوماً بالنصرانية إلى غير ذلك من النِّحَل والملل وأفرد المسلمين بالتوحيد والعرفان ومزيد اليقين/ فقدم قوم الكمال على التمام فقالوا التمام يقبل الزيادة 202/ ب
ولذلك وصف به النعمة لقبول النعم الزيادة ولا رتبة بعد الكمال ولذلك وصف به الدين ويقال لا فرق بين الدين والنعمة المذكورة هنا وإنما ذكر باللّفظين على جهة التأكيد ثم أضافه إلى نفسه وإلى العبد أيضاً حيث قال: دينكم ونعمتي فوجه إضافته إلى العبد من حيث الاكتساب ووجه إضافته إلى نفسه من جهة الخلق فالدين من الله عطاء ومن العبد عناء وحقيقة الإسلام الإخلاص والانقياد والخضوع لجريان الحكم بلا نزاع في السر فمن اضطر متفرع على ذكر المحرمات وما بينهما اعتراض بما يوجب التجنب عنها وهو أن تناولها فسوق وحرمتها من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والإسلام المرضي والمعنى ﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ﴾ [الآية: 3] إلى تناول شيء من هذه المحرمات ﴿فِي مَخۡمَصَةٍ﴾ [الآية: 3] أي: في حال قحط وزمان مجاعة ﴿غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ﴾ [الآية: 3] أي: غير مائل لمعصية بأن يأكلها للذة أو مجاوزاً حدّ الرخصة ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ﴾ [الآية: 3] لا يؤاخذه بأكله ﴿رَّحِيمٞ﴾ [الآية: 3] حيث رخص له بنفعه.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة من هذه الآية أنه لو وقع لسالك فترة أو لمريد في السلوك وقفة ثم تنبه لعظيم الوقعة فبادر إلى جميل الرجعى باستشعار التحسر على ما جرى تداركته الرحمة ونظر الله سبحانه إليه بقبول الرجعة.

﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡۖ﴾ [الآية: 4] أي: من المطاعم المستحسنات ﴿قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ [الآية: 4] أي: الحلالات والمستلذات بما لم تستخبثه الطبائع المستقيمات.

وأفاد الأستاذ: أنها الحلال الذي يحصل من تناوله طيبة القلوب فإن أكل الحرام[1] يوجب قسوة القلب والوحشة مقرونة بقسوة القلب وضياء القلوب

---

(1) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (3/ 146) رقم (4783)، وأحمد في المسند (4/ 379) رقم (19407).

وطيبة الأوقات متصل بصون الخلق عن تناول الحرام والشبهات.

وفي «**نفائس العرائس**» قال يوسف بن الحسين الطيب من الرزق ما يبدو لك من غير تكلف ولا إشراف نفس وسأل أبو الحسن النوري عن القوت قال: القوت هو الله أقول القوت ذكر الحي الذي لا يموت ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ﴾ [الآية: 4] أي: وأحل لكم صيد ما علمتم من كواسب الصيد على أهلها
203/أ من السباع من ذوات الأربع والطير ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ [الآية: 4] حال/ كونكم معلمين إياه الصيد وهو للمبالغة والتأكيد لما علم من قوله ﴿وَمَا عَلَّمْتُم﴾ [الآية: 4] والمكلب مؤدب الجوارح ومدربها بالصيد مشتق من الكلب وإن كانت عامة في الجوارح على سبيل التغليب لأنه غالباً يوجب التأديب ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 4] من الحيل في الترتيب وطرق التأديب فإن العلم بها الإلهام من الله المجيب أو مما علمكم أن تعلموه من اتباع الصيد بإرسال صاحبه وينزجر بزجره يتصرف بدعائه ويمسك عليه الصيد ولا يأكل منه ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية: 4] وهو مما يأكل منه الأسباع الطير لأن تأديبها إلى هذا الحد متعذر وقال آخرون لا يشترط مطلقاً لكن كثير من السلف على أن الجوارح إذا أخذت الصيد وأكلت شيئاً منه ولم يدركه صاحبه فيذبحه فهو حرام وبعض آخر منهم علي وابن عباس على حلته وإن أكل منه ثلثه على ما رواه ابن جرير ويؤيد الأول قوله عليه السلام لعلي بن حاتم وإن أكل منه فلا تأكل إنما أمسك على نفسه وإليه ذهب أكثر الفقهاء وقال بعضهم لا يشترط ذلك وكذا مذهبنا على ما ذكره صاحب «**المدارك**» ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الآية: 4] أي: على ما علمتم والمعنى سموا عليه عند إرساله وهذا الأمر للندب عند الجهود خلافاً للإمام أحمد فإن ذكره عنده شرط للحلية وقيل: اذكروا اسم الله على أكله ولا تكونوا من الغافلين في فعله ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [الآية: 4] أي: مخالفته الموجبة للعقاب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [الآية: 4].

وأفاد الأستاذ: فيما أجاد بقوله لما كان الكلب المعلم ترك حظه وأمسك ما اصطاده على صاحبه حلت فريسته وجاز اقتناؤه واستغرق في ذلك حكم نجاسته وخساسته كذلك من كانت أعماله وأحواله لله سبحانه مختصة تجل رتبته وتعلو حالته ويقال حسن الأدب يلحق الأخسة برتبة الأكابر وسوء الأدب

يزيد الأعزة إلى حالة الأصاغر وهو تعالى سريع الحساب في القيامة بحيث لا يشغله شأن عن شأن ﴿وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [الرعد: 41] اليوم مع الأحباب والأولياء فهم لا يسامحون في خطره ولا في لحظه معجل حسابهم مضاعف في الوقت ثوابهم وعقابهم.

﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ [الآية: 5] ذكر ما هو معلوم ليعطف عليه ما هو مجهول بقوله: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾ [الآية: 5] وهو يتناول/ الذبائح 203/ ب
وغيرها ﴿وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾ [الآية: 5] أي: فلا عليكم أن تطعموهم وتبيعوه منهم ولو حرم عليهم لم يجز ذلك فيهم ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [الآية: 5] أي: الحرائر العفائف وتخصيصهن بعث ما هو الأولى منهن ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [الآية: 5] وإن كن حربيات خلافاً لابن عباس فيهن وأكثر السلف على أنه لا يجوز تزوج الذمية الزانية ﴿إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ [الآية: 5] مهورهن وتقييد الحل بإتيانها لتأكيد وجوبها والحث على المبادرة في أدائها ﴿مُحْصِنِينَ﴾ [الآية: 5] أعفاء بالنكاح ﴿غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ﴾ [الآية: 5] مجاهرين بالسفاح ﴿وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ﴾ [الآية: 5] مسرين في الجناح فعن بعض السلف لا يصح نكاح البغية من عفيف وعقد الفاجر على عفيفة حتى يتوبا وهو مذهب الإمام أحمد ويؤيده ظاهر قوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً﴾ [النور: 3] الآية ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الآية: 5] أي: بشرائع الإسلام بأن ينكره ويمتنع منه ﴿فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾ [الآية: 5] أي: في الدنيا ﴿وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الآية: 5] أي: إن من مات على طريق الكافرين.

وفي «**دقائق الحقائق**» من لم يشكر الله على ما وهب له من المعرفة واليقين فقد كفر بمعالي درجات الإيمان والدين فيه أحبط مأموله من الاجتهادات والرياضات في الشهور والسنين وسائر الأوقات.

وأفاد الأستاذ: في قوله ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ [المائدة: 5] أن الطيب ليس ما تستطيبه النفوس لكن الطيب ما يوجد فيه رضا الحق سبحانه فيوجد عند ذلك راحة القلوب وفي قوله: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾ [المائدة: 5]

القدر الذي بيننا وبينهم من الوفاق في إثبات الربوبية لم يَعْرَ من أثر في القربة فقال تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً﴾ [المائدة: 82] وكذلك الأمر في المحصنات من نسائهم وحل الطعام لهم والذبيحة بيننا وبينهم فيحل لنا أكل ذبائحهم ويجوز لنا أن نطعمهم من ذبائحنا ولكن التزوج بنسائهم يجوز لنا ولا يجوز منا تزويجهم بنسائنا لأن الإسلام يعلو ولا يعلى قلت: ولأن النساء غالباً يتبعن الرجال في حسن الحال وقبح الفعال ويتقلدن لهم في المآل.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [الآية: 6] أي: أردتم القيام إليها وأنتم محدثون ممتنعون عنها.

204/أ وفي «التوضيح» أن في الآية/ من الإشارة إلى أن الوضوء عند عدم الحدث سُنَّة لكونه إيثاراً لظاهر الأمر وعند الحدث واجب بخلاف الغسل فإنه ليس بسُنَّة لكل صلاة يعني وإن كانت مستحبة فإنه الطهارة الكاملة وإنما لم يجب ولم يسن سُنَّة مؤكدة لدفع الحرج عن الأمة ورحمة على العامة ﴿فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ﴾ [الآية: 6] أمروا الماء عليها وزاد الإمام مالك الدلك على ذلك ﴿وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ﴾ [الآية: 6] أي: معها أو مضافة إليها وهذا عند الجمهور خلافاً لزفر ومن معه ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ﴾ [الآية: 6] الباء مزيدة أو للإلصاق أو تبعيضية فأبو حنيفة أوجب ربع الرأس لأنه ﷺ مسح على ناصيته ومالك مسح كله أخذاً بالاحتياط في الدين والشافعي أقل ما يقع عليه الاسم أخذاً باليقين والتحقيق أن مطلق مسح الرأس فرض والربع واجب عندنا للدليل الظني والاستيعاب سُنَّة لتركه حال مسحه على ناصيته فالاحتياط في الفعل لا في الحكم ﴿وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ﴾ [الآية: 6] نصبه نافع وابن عامر وحفص والكسائي عطفاً على وجوهكم ويؤيده السُنَّة الشائعة وعمل الصحابة وقول أكثر الأمة وجره الباقون على الجوار كقوله تعالى: ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌۢ﴾ [البقرة: 10] وقولهم: جحر ضب خرب.

والتحقيق أن ظاهر قراءة النصب يفيد وجوب الغسل كما أن ظاهر قراءة الجر يوجب المسح فغايته أن الآية تصير بمنزلة المجمل أو تدل على جواز الأمرين والأحاديث الصحاح بنية الغسل حال عدم لبس الخف والمسح حال لبس الخف فالقراءتان محمولتان على الحالتين وأما جواز المسح بدون الخف

فيرده الحديث الصحيح في الآثار «ويل للأعقاب من النار»[1] ثم في الفصل بينه وبين أخواته تنبيه نبيه على أن استحباب الترتيب أو إيجابه والله أعلم بمراده.

وفي «نفائس العرائس» بدأ بغسل الوجه لأنه منبت أنوار تجلي الحق التي برزت من الوحدانية للأرواح فعكست لطائفها على الوجوه من جملة الأشباح وأيضاً خص الوجه بالغسل ابتداء لأنه تعالى خلقه بنفسه ونقشه بنقش خاتم تلك الصفات والإشارة في الآية إلى تطهير الأسرار من الالتفات إلى الأغيار لاقتباس الأنوار بمياه الحزن التي تجري من عيون قلب المجروح بالمحبة على سواد في العين فإذا كان مطهراً من غير الحق فصلاته مواصلة وحركاته قربة وقربه زلفة/ وقيامه محبة وركوعه خشية وسجوده شهود وتحياته انبساط ودعواته 204/ ب
مستجابة أي إذا قمتم عنكم إلى وصلتي ومشاهدتي طهروا أنفسكم من الحدوثية في بحار الربوبية حتى تصلوا إلي بي لأن الحدث كالعدم لا يقوم بإزاء القدم.

وقال أبو عثمان: شرائط الطهارة معروفة وحقيقتها لا ينالها إلا الموفقون من طهارة السر وأكل الحلال وإسقاط الوساوس عن القلب وترك الظنون والإقبال على الأمر والطاعة بحسب الطاقة.

وقال سهل: أفضل الطهارات أن يطهر العبد من رؤية طهارته.

وقال الأستاذ: كما أن في الشريعة لا يصح الصلاة بغير الطهور لا يصح في الحقيقة الصلاة بغير الطهور وكما أن للظاهر طهارة فللسرائر أيضاً طهارة وطهارة البدن بماء السماء وطهارة القلب بماء الندم والخجل ثم بماء الحياء والوجل وكما يجب غسل الوجه عند القيام إلى الصلاة وجب في بيان الإشارة صيانة الوجه عن التبذيل للإشكال عند طلب خسائس الأغراض وكما يجب غسل اليدين في الطهارة يجب قصرهما عن الحرام والشبهة وكما يجب مسح الرأس يجب صونه عن التواضع والخفض لكل أحد وكما يجب غسل الرجل في الطهارة يجب صونها في الطهارة الباطنة عن النقل فيما لا يجوز ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟﴾ [الآية: 6] أي بالغوا في غسل جميع الأعضاء ولذا أوجب أبو حنيفة غسل الفم والأنف في الحدث الأكبر وسنهما في الحدث الأصغر ﴿وَإِن

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (60)، ومسلم في الصحيح (241/ 27).

كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ [الآية: 6] أي: مسافرين أو على جناح سفر ﴿أَوْ جَآءَ﴾ [الآية: 6] أو بمعنى الواو كما قال الرازي أي وقد جاء ﴿أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾ [الآية: 6] كناية عن الحدث الأصغر ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [الآية: 6] اشارة إلى الحدث الأكبر ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً﴾ [الآية: 6] أي حقيقة أو حكماً ﴿فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [الآية: 6] أي: فاقصدوا التراب وما في معناه من هذا الباب ﴿فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ﴾ [الآية: 6] على وجه الاستيعاب ولعل التكرير لاستقصاء التطهير دليلاً يتوهم فسخ التيمم في التأخير ولفظ منه دال على المسح ببعضه وهو لا ينافي جواز التيمم على الصخر الذي لا تراب عليه وقال بعض العارفين: إذا خطر لي خاطر الدنيا أتوضأ وإذا حدث لي خاطر العقبى أتغسل.

205/ أ وأفاد الأستاذ: أنه كما يجب الطهارة [الأعلى] / فيقتضي غسل جميع البدن فقد يقع للمريد فترة توجب عليه الاستقصاء في الطهارة الباطنة وذلك بتحديد عقد وتأكيد عهد والتزام غرامة واستدامة ندامة كما أنه إذا لم يجد المتطهر الماء ففرضه التيمم فكذلك إذا لم يجد المريد من يفيض عليه صوب همته ويغسله ببركة إشارته ويعينه بما يؤوب عنه من زيادة حالته اشتغل بما تيسر له من اقتفاء آثارهم والاسترواح إلى ما يجده من سالف سيرهم ومأثور حكاياتهم ثم كما أن فرض التيمم على الشطر والنقصان فكذلك المطالبات على صفاء صاحب هذه الحالة يكون أخف لأنه وقت الفترة وزمان الضعف والملالة ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 6] بالأمر بأنواع الطهارة للصلاة ﴿لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ [الآية: 6] أي: تضييق لكم ﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ [الآية: 6] أي: من الأحداث أو من الذنوب فإن الطهارة تكفير للعيوب وتنظيف للقلوب.

وأفاد الأستاذ: أنه يطهر ظواهركم عن الذلة بعصمته ويطهر قلوبكم عن الغفلة برحمته ويطهر سرائركم عن ملاحظة الأشكال ويفرغ ظهوركم عن الوقوع في شباك الأشغال أو يطهر عقائدكم عن أن يتوهم تدنس المقادير بالأعلال ويلوح من جملة ما يريد الله الآية إشارة إلى أنه إذا بقي المريد عن أحكام الإرادة فليحط رحله بساحة العبادة وإذا عدم اللطائف في سرائره فليستدم الوظائف على ظواهره وإذا لم يتحقق بأحكام الحقيقة فليتخلق بآداب الشريعة وليتعلق بأصحاب الطريقة وإن لم يتحرج عن ترك الفضيلة فلا يدنس تصرفه

بالحرام والشبهة ﴿وَلِيُتِمَّ﴾ [الآية: 6] أي: بشرعه ما هو مطهرةٌ لأبدانكم عن الأحداث ولقلوبكم عن الآثام ومكفرة لذنوبكم فيما بين الأنام ﴿نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية: 6] أي: في الدين لتبلغوا إلى أعلى مراتب اليقين ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الآية: 6] نعمته فيزيدها عليكم فيما تستقبلون.

وأفاد الأستاذ: أن إتمام النعمة لقوم بنجاة نفوسهم وعلى آخرين بنجاتهم عن نفوسهم فشتان بين قوم وبين قوم ويقال إتمام النعمة وفاء العاقبة فإذا خرج من الدنيا على وصف العرفان والإيمان فقد تمت سعادته وصفت نعمته ويقال إتمام النعمة في شهود المنعم فإن وجود النعمة يكون لكل أحد ولكن إتمامها في شهود المنعم الأحد الصمد.

﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية: 7] أي: بالإسلام لتذكركم المنعم بكل الإنعام أو ترغبكم في شكره على الدوام/ ﴿وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ﴾ [الآية: 7] 205/ ب
أي: خصوصاً من بين الأنام كليلة العقبة وبيعة الرضوان أو الميثاق العام الذي أخذ عليهم حين أخرجهم من صلب آدم عليه السلام ﴿إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا﴾ [الآية: 7] قولك ﴿وَأَطَعْنَا﴾ [الآية: 7] أمرك فأثبتوا عليه بمتابعة أمره ونهيه ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [الآية: 7] في نسيان نعمه ونقض عهده ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الآية: 7] بخفيات أحوالكم فضلاً عن جليات أعمالكم.

قال أبو عثمان: النعم كثيرة وأجل النعم المعرفة والمواثيق كثيرة وأجل المواثيق الإيمان.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة منه إلى التعريف السابق الذي لولاه لما علمت أنه من هو ويقال أمرهم بتذكر ما سبق لهم من القسم وهم في كتم العدم فلا للأغيار عنهم خبر ولا لهم عين ولا أثر ولا وقع لأحد عليهم بصر وقد سماهم بالإيمان وحكم لهم بالغفران قبل حصول العصيان ثم لما أظهرهم وأحياهم عرفهم التوحيد قبل أن كلفهم الحدود وعرض عليهم بعد ذلك الأمانة وحذرهم الخيانة فقابلوا قوله بالتصديق ووعدوا من أنفسهم الوفاء بشرط التحقيق فأمدهم بحسن التوفيق وثبتهم على سواء الطريق ثم شكرهم حيث أخبر عنهم بقوله ﴿إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [الآية: 7] ثم قال ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [الآية: 7] يعني في نقض ما أبرمتم من العقود والرجوع عما قدمتم من العهود ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾

[الآية: 7] لا يخفى عليه من خطرات قلوبكم ونيات صدوركم.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ﴾ [الآية: 8] أي: قائمين بالحق لله لا للرياء والسمعة بما سواه ﴿شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الآية: 8] أي بالعدل والحق لا بالجور والميل عن الصدق قيل كونوا أعواناً لأوليائه على أعدائه.

وقال الأستاذ: يعني لا يعوقنكم حصول نصيب لكم في شيء من الوفاء لنا والقيام بما يتوجه عليكم من حقنا ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ﴾ [الآية: 8] أي: لا يحملنكم شدة بعضكم للمشركين على ترك العدل فيهم فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل كمثله وقذف وقتل نساء وصبية ونقض عهد تشفياً مما في قلوبكم ﴿ٱعْدِلُواْ هُوَ﴾ [الآية: 8] أي: العدل الذي هو موافقة الهدى ومخالفة الهوى ﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [الآية: 8] أي: في الدنيا والعقبى وإذا كان هذا مع الكفار فما ظنك به مع الأبرار ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [الآية: 8] أي: في جميع الأطوار ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 8] أي: في الليل والنهار.

وقال الأستاذ: أي لا يحملنكم ضغائن صدوركم على الحلول بحنيات
206/ أ الحيف/ فإن مرتع الظلم وبيء وموضع الزيغ مهلك دنيء ثم صرح الأمر بالعدل فقال ﴿ٱعْدِلُواْ﴾ [الآية: 8] ولا يكون حقيقة العدل إلا بالعدل على كل حظ ونصيب والعدل أقرب إلى التقوى والجور أقرب من الردى ويوقع عن قريب في عظيم البلوى قلت وما أحسن قول العارف ابن الفارض:

عليك بها صرفاً وإن شئت مزجها فعدلك عن ظلم الحبيب هو الظلم(1)

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الآية: 9] الجملة في موضع المفعول الثاني على طريق الحكاية.

وأفاد الأستاذ: أن الله سبحانه وصفهم بالأعمال الصالحة ووعدهم بالمغفرة ليعلم أن العبد يكون له أعمال صالحة وإن كانت له ذنوب يحتاج إلى غفرانها بخلاف ما توهمه من قال أن المعاصي تحبط الطاعات ويقال: بين أن العبد وإن كانت أعماله صالحة فإنه يحتاج إلى عفوه وغفرانه ولولا ذلك لهلك خلافاً لمن قال أنه لا يجوز أن يعذب البريء ويجب أن يثيب المحسن ويقال لو كان ثواب

(1) انظر: داووين الشعر (11/ 134).

المحسن واجباً وعقوبة البريء غير حسن لكان التجاوز عنه واجباً ويكن حينئذٍ فضلاً يمن به عليهم قلت وفي هذا رد بليغ على المعتزلة وسائر المبتدعة.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ [الآية: 10] أي: بكتبنا أو بمعجزاتنا أو بدلالات مصنوعاتنا ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [الآية: 10] ملازموا عقوباتنا.

قال الأستاذ: لهم عقوبتان معجلة وهي الفراق ومؤجلة وهي الاحتراق.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ﴾ [الآية: 11] بإهلاككم وإتلافكم ﴿فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡۖ﴾ [الآية: 11] بمنعها أن تمد عليكم ورد مضرتها عنكم ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾ [الآية: 11] فيما يأمركم وينهاكم ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [الآية: 11] فإن من توكل على الله كفاه في إيصال الخير ودفع الشر عن ما سواه وقد روي عن ابن عباس وكثير من السلف أن المشركين رأوا رسول الله ﷺ وأصحابه بعسفان قاموا إلى الظهر جميعاً فلما صلوا ندموا أن لا كانوا أكبوا عليهم وهموا أن يواقعوا بهم إذا قاموا إلى العصر فرد الله كيدهم بأن أنزل صلاة الخوف[1] والآية إشارة إلى ذلك وقيل: إشارة إلى ما روي أنه ﷺ أتى بني قريظة ومعه الخلفاء الأربعة يستقرضهم لدية مسلمين قتلهما عمرو بن أمية الضمري يحسبهما مشركين فقالوا نعم/ يا أبا 206/ ب
القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك فأجلسوه وهموا بقتله فعمد عمرو ابن جحاش إلى رحًى عظيمة يطرحها عليه فأمسك الله يديه فنزل جبريل عليه السلام فأخبره فخرج أو في قوم أرسلوا أعرابياً لقصده فجاء وهو ﷺ راقد تحت شجرة فسل سيف رسول الله ﷺ وقال من يمنعك مني فقال: الله فأسقطه جبريل من يده وأخذه ﷺ ذكره محمد بن إسحاق وعكرمة وغير واحد[2] وفي رواية فلما أخذه ﷺ قال: من يمنعك مني فقال: لا أحد أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله فنزلت[3].

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (3/ 32) رقم (4323)، والطبراني في المعجم الكبير (5/ 215) رقم (5135)، والنسائي في السنن الكبرى (1/ 597) رقم (1938)، وابن أبي شيبة في المصنف (2/ 214) رقم (8277).

(2) أخرجه البخاري في الصحيح (4136)، ومسلم في الصحيح (843/ 311)، وانظر: تخريج الحديث اللاحق.

(3) تفسير أبي السعود (3/ 13)، وتفسير البيضاوي (1/ 304).

وأفاد الأستاذ: أن الآية تذكرهم ما سلف لهم من نعمة دفع البلاء وهو ما قصر عنهم أيدي الأعداء وذلك من أمارات العنايات بالأولياء ولقد بالغ في الإحسان إليك من كان لك بظهر الغيب من غير التماس منك أو سبق شفاعة فيك أو رجاء نفع في المستأنف منك أو حصول ربح في الحال عليك أو وجوب حق في السالف لك ثم قال ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [الآية: 11] يعني كما أحسنت إليكم في السابق من غير سابقة استحقاق ثواب فانتظروا جميل إحساني في اللاحق من غير رابطة استيجاب ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ [الآية: 12] شاهداً من كل سبط ينقب عن أحوال قومه ويفتش عنها أو كفيلاً ضمنوا عن قومهم الوفاء بالأحكام التي أمروا بها روي أن بني إسرائيل لما فرغوا من فرعون واستقروا بمصر أمرهم الله تعالى بالمسير إلى أريحاء أرض الشام وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون وقال إني كتبتها لكم داراً وجعلت لكم بها قراراً فاخرجوا إليها وجاهدوا فيها فإني ناصركم بها وأمر موسى عليه السلام أن يأخذ من كل سبط نقيباً يكون كفيلاً على قومه للوفاء بما أمروا به فأخذ عليهم الميثاق بالوفاء واختار منهم النقباء وسار بهم إلى أريحاء فلما دنا من أرض كنعان ومكان أهل العدوان بعث النقباء يتجسسون أخبار الأعداء ونهاهم أن يحدثوا قومهم بالأنباء فرأوا أجراماً عظيمة وأحوالاً شديدة فهابوا فرجعوا فحدثوا قومهم بما طالعوا فنكثوا الميثاق إلا كالب بن يوفنا من سبط يهود أو يوشع بن نون من
سبط أفرائيم بن يوسف/ عليه السلام وستأتي تتمة القصة في بقية السورة. 207/ أ

وقال أبو بكر الوراق: لم يزل في الأمم الأخيار والأبرار والأبدال والأوتاد من الزهاد والعباد على مراتب العباد كما قال سبحانه وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً وهم الذين كانوا مرجوعين إليهم عند الضرورات في المصائب والعاهات والبليات كما ذكر عن النبي ﷺ قال في هذه الأمة أربعون على خلق إبراهيم وسبعة على خلق موسى وثلاثة على خلق عيسى وواحد على خلق محمد عليهم الصلاة والسلام فهم على مراتبهم سادات الخلق وهداة الحق الذين ذكره ﷺ أن بهم يمطرون ويرزقون وبهم يدفع البلاء ويحصل النصر على الأعداء كذا في «**حقائق السلمي**».

وفي «**نفائس العرائس**» أن الله سبحانه لما أراد أمراً عظيماً من الربوبية بين عباده وبلاده وضعه على أوليائه ليقوموا به على وفق مراده معذرة لضعف الخلق

ونيابة عن تقصيرهم في الحق فإذا خرجوا من ذلك بنعت الرضا في العبودية سهل الله ذلك بعده على العامة لأن العامة خلقوا بنعت الضعف وأولياءه بوصف القوة وروي عن عبد الله بن مسعود أنه قال: قال رسول الله ﷺ أن لله تعالى في الأرض ثلاثمائة قلوبهم على قلب آدم وله أربعون قلوبهم على قلب موسى وله سبعة قلوبهم على قلب إبراهيم وله خمسة قلوبهم على قلب جبريل وله ثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل وله واحد قلبه على قلب إسرافيل فإذا مات الواحد أبدل الله مكانه من الثلاثة وإذا مات من الثلاثة أبدل الله مكانه من الخمسة وإذا مات من الخمسة أبدل الله مكانه من السبعة وإذا مات من السبعة أبدل الله مكانه من الأربعين وإذا مات من الأربعين أبدل الله مكانه من الثلاثمائة وإذا مات من الثلاثمائة أبدل الله مكانه من العامة بهم يحيي ويميت قال لأنهم يسألون إكثار الأمة فيكثرون ويدعون على الجبابرة فيقصمون ويستسقون فيسقون فتنبت لهم الأرض ويدفع عنهم أنواع البلاء[1].

والمناسبة بين الآية وما قبلها من الدلالة أنه لما أمر الله المؤمنين بالوفاء بعهده وأمرهم بالعدل والحق في حكمه وذكرهم بأنواع نعمه شرع يبين لهم كيفية أخذ العهود في القيام/ بالحدود على من كان قبلهم ولما انقضوها طردهم 207/ ب
ولعنهم ليتعظ المؤمنون وينتبه الغافلون.

وأفاد الأستاذ: أنه ذكرهم حسن فضله معهم وقبح فعلهم في مقابلة إحسانه لهم بنقضهم في عهدهم وعرف المؤمنين بحالهم تحذيراً عن أن يتنزلوا في منزلتهم فيستوجبوا مثل ما استوجبوه من عقوبتهم ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ﴾ [الآية: 12] أي: بالنصرة والمعونة لكم ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي﴾ [الآية: 12] أي: صدقتموه بما جاؤوا به من حكمي قيل اليهود مقرون بأن الصلاة والزكاة لا تنفعان إلا مع إيمان لكنهم مكذبون ببعض الرسل فذكر بعدهما الإيمان بجميع الرسل لأنه لا يحصل النجاة إلا بالإيمان بجميعهم ﴿وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾ [الآية: 12] أي: نصرتموهم وعظمتموهم وقويتموهم وأصله الذب ومنه التعزير.

وقال الأستاذ: أي لئن أقمتم بحقي وتركتم حقوقكم لأوصلن إليكم حظوظكم ولئن أجللتم أمري في العاجل لأجللت قدركم في الآجل وإقامة

(1) جامع الأحاديث (9/ 222) رقم (8289).

الصلاة أن يشهد من تعبده بها كما قال ﷺ أعبد الله كأنك تراه[1] ويقال شرطها أن تقبل على من تناجيه كما تستقبل القطر الذي هو قبلة الكعبة فيه وأما إتيان الزكاة فحقه أن يكتسب المال من وجهه وتصريفه في حقه ولا تمنع الحق الواجب فيه عن أهله ولا تؤخر الإيتاء عن وقته ولا تحوج الفقير إلى طلبه فإن الواجب عليك أن توصل ذلك إلى مستحقه وتعزير الرسل الإيمان بهم على وجه الإجلال واعتناق أمرهم بتمام الجد والاستقلال وإيثارهم عليك في جميع الأحوال قلت وفيه إيماءٌ إلى أن ذكر الإيمان بالرسل وتقديرهم للتعميم بعد التخصيص ببعض أمورهم من العبادة البدنية والمالية أو المركبة منهما في بعض القضية الفرضية ثم خص النفقة النقلية بقوله: ﴿وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ﴾ [الآية: 12] بالإنفاق في السبل المرضية والطرق الإلهية ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ [الآية: 12] يحتمل المصدرية والمفعولية.

وأفاد الأستاذ: أن الأغنياء ينفقون أموالهم في سبيل الله والفقراء يبذلون مهجهم وأرواحهم في طلب الله فهؤلاء من مائتي درهم يخرجون خمسة وهؤلاء لا يدخرون عن أمره نفساً ولا ذرة ﴿لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [الآية: 12] أي:
208/ أ ببركة وجود حسناتكم فإن الحسنات يذهبن السيئات لا أن المعاصي تحبط/ الطاعات ﴿وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ﴾ [الآية: 12] أي: بساتين مشتملة على الأشجار والأثمار والأزهار ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الآية: 12] على وفق أعمال الأبرار.

وأفاد الأستاذ: أن التكفير هو الستر والتغطية فهو سبحانه يستر ذنوب العبد فيمحوها من ديوانه وينسي الحفظة سوالف عصيانه وينفي تذكر ما أسلفه من قبله ولا يوقفه في العرصة على ما قدمه من ذنبه ثم بعد ذلك يدخله الجنة بفضله ﴿فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ﴾ [الآية: 12] أي: بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق به الوعد العظيم لكم ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الآية: 12] أي جادة الطريق لأجل عدم التوفيق الموصل إلى مقام التحقيق فإن الضلال بعد العهد أظهر في استحقاق العقوبة كالذنب بعد التوبة.

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم﴾ [الآية: 13] ما زائدة مؤكدة فبسبب نقضهم ﴿مِّيثَٰقَهُمْ﴾ [الآية: 13] أي نوع من أنواعه.

(1) سبق تخريجه.

قال أبو عثمان: نقض الميثاق الرجوع إلى الخلق بعد الإقرار الأول بالحق ﴿لَعَنَّهُمْ﴾ [الآية: 13] طردناهم من رحمتنا وأبعدناهم من قربتنا ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَسِيَةً﴾ [الآية: 13] أي: غليظة يابسة لا تتأثر فيها الموعظة وقرأ حمزة والكسائي قسية وهي مبالغة قاسية أو بمعنى ردية.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه جعل جزاء العصيان الخذلان بالزيادة في العصيان ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾ [الآية: 13] أي: كلام الله ﴿عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ [الآية: 13] أي: يبدلونه ويغيرونه عن أماكنه أو يؤولونه بغير وجهه.

وأفاد الأستاذ: أن قسوة القلب أولها فقد الصفوة ثم استيلاء الشهوة ثم جريان الهفوة ثم استحكام القسوة فإن لم يتفق إقلاع من هذه الجملة فهو تمام الشقوة ويقال قسوة القلب عدم التوجع بما يمتحن به من الصد محنة الرد وذلك غاية الفراق ونهاية البعد ﴿وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ [الآية: 13] تركوا نصيباً وافراً مما وعظوا به من التوراة ونحوها حيث لم يعملوا بها وقيل معناه أنهم حرفوها فنزلت بشؤمه عن حفظهم أشياء كما روى ابن مسعود قال: قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الآية.

وأفاد الأستاذ: إن أول آفاتهم نسيانهم إذا ما عصوا إلا بعد ما نسوا فالنسيان أول العصيان والنسيان حاصل من الخذلان قلت وأول الناس أولى الناس ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ [طه: 115] فالنسيان والغفلة يوجب البعد/ عن الحضرة كما أن الذكر والفكر يقتضيان السعد بالقربة 208/ ب
﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾ [الآية: 13] أي: خيانة فهي فاعلة بمعنى المصدر كالعاقبة أو فرقة خائنة أو فعلة ذات خيانة والمعنى أن الخيانة عادتهم ودأب سالفتهم لا تزال ترى ذلك منهم وتشاهده فيهم لا تنفك عنهم ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ [الآية: 13] أي: لم يخونوا فهم الذين آمنوا منهم فالاستثناء من ضمير منهم ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ﴾ [الآية: 13] أي: إن أظهروا إيمانهم أو دخلوا في أمانهم إلا قليلاً منهم لم يخونوا فهم الذين آمنوا منهم فالاستثناء من ضمير منهم ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الآية: 13] .

وأفاد الأستاذ: أن للصفح على العفو مزية وهو أن في العفو رفع الجناح

وفي الصفح إخراج ذكر الإساءة من القلب فمن تجاوز عن الجاني ولم يلاحظه بعد التجاوز بعين الاستحقار والإزراء فهو صاحب الصفح والإحسان تعميم الجود بإسداء الفضل.

﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ﴾ [الآية: 14] أي: وأخذنا من النصارى ميثاقهم كما أخذنا ممن قبلهم من اليهود وغيرهم وفيه إيماءٌ إلى أنهم سموا أنفسهم نصارى لادّعاء النصرة لله تعالى بزعمهم ﴿فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ [الآية: 14] كأمثالهم ﴿فَأَغْرَيْنَا﴾ [الآية: 14] أي: ألزمنا وألصقنا وأوقعنا ﴿بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الآية: 14] أي: بين فرق النصارى من النسطورية واليعقوبية والملكائية أو بينهم بين الطوائف اليهودية ﴿وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾ [الآية: 14] أي: يخبرهم بشنيع صنيعهم وجزاء مطيعهم.

وأفاد الأستاذ: أن من الإشارة في هذه الآية أن النصارى أثبت لهم الاسم بدعواهم ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ﴾ [المائدة: 14] لتناصرهم وأما المسلمون فقال: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الحج: 78] فلا جرم لما اتسموا بالتناصر بدعواهم حرفوا وبدلوا فلما سمهم الحق بالإسلام صانهم من التبديل فعصموا ولما استمكن منهم النسيان أبدلوا بالعداوة فيما بينهم وأرباب الغفلة لا إلفة بينهم وأهل الوفاق لا مباينة لبعضهم من بعض قال ﷺ المؤمنون كنفس واحدة[1] وقال تعالى في صفة أهل الجنة ﴿إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ [الحجر: 47].

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الآية: 15] يعني اليهود والنصارى ووحد الكتاب للجنس ﴿قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الآية: 15] كنعت محمد ﷺ وآية الرجم في التوراة وبشارة عيسى بأحمد في الإنجيل ﴿وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الآية: 15] أي: مما كنتم تخفونه وتحرفونه حيث لا يخبر به إذا لم/ يتعلق به أمر ديني أو عن كثير منكم فلا 209/أ
يؤاخذه بجرمه الدنيوي.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه وصف الرسول عليه السلام بإظهار بعض ما

(1) تفسير الرازي (5/ 143).

أخفوه وذلك علامة صدقه إذ لولا صدقه لما عرف ذلك ووصفه بالعفو عن كثير من أفعالهم وذلك من أمارات خلقه إذ لولا خلقه لما غفر ذلك فإظهار ما أبداه دليل علمه والعفو عن ما أخفى برهان حلمه ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ [الآية: 15] يعني بهما القرآن فإنه الكاشف لظلمات الشك والضلال والكتاب الواضح الإعجاز في غاية من الإجلال وقيل: يريد بالنور محمد ﷺ لأنه نور العالم وقيل: بعناية الأزل وصلتم إلى نور الكتاب المبين ونور التوحيد وأنواره الظاهرة والباطنة.

وقال ابن عطاء: العبد ينال بهذا النور ما هو أجل من النور كمن أخذ سراجاً في بيت مظلم يدور به في البيت فيجد به أجل من السراج.

﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 16] وحد الضمير لأن المراد بهما واحد ولأنهما في الحكم متحد ﴿مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [الآية: 16] طرق السلامة والنجاة من العقوبة والملامة أو سبل الله المنزه عن كل منقصة ﴿وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [الآية: 16] أي: من أنواع الكفر إلى الإسلام والتوحيد ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ [الآية: 16] أي: بإرادته أو بتوفيقه ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الآية: 16] هو أقرب الطرق إلى الله الكريم الموصل إلى النعيم المقيم.

وأفاد الأستاذ: أنوار التوحيد ظاهرة لكنها لا تغني عمن فقد البصيرة فمن استخلصه بقديم العناية أخرجه من ظلمات التفرقة إلى ساحة الجمعيّة فامتحى عن سره شهود الأغيار وذلك نعت عن كل وقف على المحجة المثلى من الأبرار.

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [الآية: 17] هم اليعقوبية من النصارى الذين قالوا المسيح هو الله وقالوا باتحاد اللاهوت والناسوت ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [الآية: 17] أي فمن يمنع من قدرته وإرادته ﴿شَيْـًٔا﴾ [الآية: 17] أي: من المنع أو من الدفع ﴿إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [الآية: 17] عطف على المسيح عطف العام على الخاص فكل من المسيح وأمه مذكور مرتين مرة بالتصريح ومرة بالتلويح وقيل: فائدة عطف من في الأرض عليه لدلالة على أنهما من جنس ما في الأرض من الرتبة/ السلفية لا تفاوت بينها وبينهم في العوارض 209/ ب

البشرية والحاصل أنه سبحانه احتج بذلك على فساد مقولهم وضعف تصور عقولهم وتقريره أن المسيح مقدور مقهور قابل للفناء كسائر الممكنات في قبضة الربوبية ومن كان كذلك فهو بمعزل عن رتبة الألوهية.

وأفاد الأستاذ: من اشتمل عليه أرحام الطوامث متى يفارقه نقص الخلقة ومن لاحت عليه شواهد التغيير أنّى يليق به نعت الربوبية ولو قطع البقاء عن جميع ما أوجد فأي نقص يعود إلى الصمدية ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ [الآية: 17] أي: فيهما أو في غيرها ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الآية: 17] ومنه المسيح وأمه ونحوهما.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاؤُا اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ [الآية: 18] أشياع ابنيه عزير والمسيح كما قيل: لأتباع ابن الزبير الخبيبيون أو مقربون عنده قرب الأولاد من والدهم وقيل: ﴿نَحْنُ أَبْنَاؤُا اللَّهِ﴾ [الآية: 18] أنبياء الله وعن ابن عباس أن النبي ﷺ دعا جماعة من اليهود إلى دين الإسلام وخوفهم بعقاب الله فقالوا كيف تخوفنا بعقاب الله ونحن أبناؤه وأحباؤه ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمْ﴾ [الآية: 18] أي: فإن صح ما زعمتم فلم يعذبكم بذنوبكم فإن من كان بهذا المنصب لا يفعل ما يوجب تعذيبه وقد عذبكم في الدنيا بالقتل والأسر والمسخ واعترفتم أنه سيعذبكم بالنار أياماً معدودات ومن المعلوم أن الحبيب لا يعذب حبيبه أقبح تعذيب والوالد لا يعذب ولده بل يؤدبه ويزكيه بنوع تهذيب والمسخ والخسف وأمثالهما من قبيل تعذيب لا طريق تأديب ﴿بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ [الآية: 18] أي: ممن خلقه الله كسائر المخلوقات ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾ [الآية: 18] أي: فضلاً وهم من آمن بالله ورسله ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ [الآية: 18] أي: عدلاً وهم من كفر بما يجب الإيمان به ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [الآية: 18] أي: كلها سواء في كونه خلقاً لم ومِلكاً ومُلكاً ﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [الآية: 18] أي: المرجع والمسير فيجازي المحسن بحسناته والمسيء بسيئاته.

وأفاد الأستاذ: أن البنوة تقتضي المجانسة والحق سبحانه منزه عن المناسبة والمحبة التي بين المتجانسين توجب الاحتفاظ والمؤانسة وذات الحق
210/أ سبحانه عن ذلك مقدسة فقال ﴿بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ [الآية: 18] / والمخلوق

متى يصح أن يكون بعضاً للقديم والقديم لا بعض له لأن الأحدية حقه فإن لم يكن له عدد لم يجز أن يكون له ولد ويقال في الآية إشارة لأهل المحبة بالأمان من العذاب والعقوبة لأنه قال فلم يعذبكم بذنوبكم ويقال بين في هذه الآية أن قصارى الخلق إما عذاب وإما غفران ولا سبيل إلى شيء وراء ذلك في العيان والبيان.

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾ [الآية: 19] أي: الدين وحذف لظهوره أو ما كتمتم وحذف لتقديم ذكره ﴿عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الآية: 19] أي: جاءكم على حين فتور من الإرسال وانقطاع من الوحي وبيان الأحوال أن تقولوا أي: كراهة ﴿أَن تَقُولُوا۟﴾ [الآية: 19] أو لئلا تعتذروا وتقولوا ﴿مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ﴾ [الآية: 19] يرغبنا ﴿وَلَا نَذِيرٍ﴾ [الآية: 19] يرهبنا ﴿فَقَدْ جَآءَكُم﴾ [الآية: 19] أي: لا تعتذروا فقد جاءكم ﴿بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾ [الآية: 19] أي: الجامع بين البشارة والنذارة الحاوي بوصف الكتاب ونعت الرسالة ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الآية: 19] فيقدر على الإرسال تترى كما فعل بين موسى وعيسى عليهما السلام إذ كان بينهما ألف وسبعمائة سنة على ما ذكره ابن سعد[1] في «**الطبقات**» عن ابن عباس والزمخشري عن الكلبي وألف نبي عليهم السلام وعلى الإرسال على فترة كما فعل بين عيسى ومحمد عليهما السلام كان بينهما ستمائة سنة وعشرون على ما ذكره وهب وقيل: سبع مائة وقال مقاتل وقتادة والضحاك: ستمائة ونقل عن ابن عباس أن بين ميلاديهما خمسمائة سنة وتسع وستون وأربعة أنبياء لأنه من بني إسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي على ما ذكره[2] البيضاوي.

وفي الآية امتنان عليهم بأن بعث إليهم حين انطمست آثار الوحي وكانوا أحوج ما يكونون إليه.

وأفاد الأستاذ: أن في كل زمان يقع فترة في سبيل الله ثم يجدد الحال ويعم الطريق بإبداء السالكين من كتم العدم ولقد كان زمان رسول الله ﷺ أكثر الأزمنة بركة فأحيى بظهوره ما اندرس من السبيل وأضاء بنوره ما انطمس من

(1) الدر المنثور (2/ 749).

(2) تفسير البيضاوي (1/ 309).

الدليل وبذلك من عليهم وذكره عظيم نعمته فيهم.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية: 20].

أفاد الأستاذ: أنه كان الأمر لبني إسرائيل على لسان نبيهم بأن يذكروا نعمة الله عليهم وكان الأمر لهذه الأمة بخطاب الله لا على لسان/ مخلوق ثم أمر بأن 210/ب يذكروه فقال: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: 152] فشتان بين أمره بذكره سبحانه وبين من أمر بذكر نعمته ثم جعل جزاءهم ثوابه الذي هو فضله وجعل جزاء هذه الأمة خطابه الذي هو قوله ﴿ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ﴾ [الآية: 20] فأرشدكم وشرفكم بهم وأيدكم كلما هلك نبي قام نبي فيكم من لدن إبراهيم حتى ختم بعيسى عليهم السلام ولم يبعث في أمة ما بعث في بني إسرائيل من الأنبياء الكرام ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ [الآية: 19] أي: وجعل منكم أو فيكم السلاطين العظام امتناناً بأن منهم سادة الدنيا وقادة العقبى وقيل: لما كانوا مملوكين في أيدي القبط وأنقذهم الله تعالى وجعلهم مالكين لأنفسهم وأمورهم سماهم ملوكاً وقيل: المعنى جعلكم أصحاب الخدم والحشم وهم أول من ملك الخدم أو كان الرجل من بني إسرائيل إذا كان له منزل وخادم سمي ملكاً رواه ابن أبي حاتم عن رسول الله ﷺ وهو المنقول عن ابن عباس(1) وغيره.

وقال أبو سعيد القرشي: ملككم سياسة أنفسكم وحراسة أنفاسكم وقيل: أي قانعين وقيل: وزراء أنبيائكم.

وقال الحسين: أحراراً من رق الكون وما فيه.

وأفاد الأستاذ: أن الملك من المخلوقين من عبد الملك الحقيقي ويقال: الملك من ملك هواه والعبد من هو في رق شهواته تاه أو جعلكم ملوكاً لم يحوجكم إلى أمثالكم ولم يحجبكم عن نفسه بأشغالكم وسهل سبيلكم إليه في عموم أحوالكم ﴿وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الآية: 20] أي: من فلق البحر وتظليل الغمام وإنزال المنّ والسلوى ونحوها من سائر الأنعام أو من الفضل والشرف في الدين أيام أوانهم والمراد بالعالمين عالمي زمانهم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه لئن آتى بني إسرائيل بمقتضى جوده فقد أغنى عن الإيتاء هذه الأمة فاستقلوا بوجوده والاستقلال بوجوده أتم من الاستغناء

(1) تفسير ابن كثير (3/ 73).

بمقتضى جوده.

﴿يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ﴾ [الآية: 21] أرض بيت المقدس سميت بذلك لأنها كانت دار الأنبياء وقرار الأصفياء ومطهرة من أهل الشرك والأعداء ﴿ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ [الآية: 21] قسمها وقدرها لكم أو كتب في اللوح المحفوظ أنها تكون سكناكم إن آمنتم/ وأطعتم مولاكم فاثبتوا على آثاركم 211/ أ لتدخلوا في داركم ﴿وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ﴾ [الآية: 21] أي: ولا ترجعوا مدبرين خوفاً من الجبارين وجاهدوهم فتكونوا غالبين وقيل لا ترتدوا من دينكم بالعصيان وعدم الوثوق على الله المستعان ﴿فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ﴾ [الآية: 21] ثواب الدارين وجزم تنقلبوا على العطف أو نصب على الجواب وقيل معجبين بأنفسهم غير راجعين إلى ربهم في أحوالهم.

وأفاد الأستاذ: أن الارتداد على قسمين عن الشريعة وإقامة العبودية فذلك يوجب عقوبة النفوس بالقتل وعن الإرادة وذلك يوجب العقوبة التي هي الفراق على القلب.

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ﴾ [الآية: 22] أقوياء متغلبين ﴿وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ﴾ [الآية: 22] إذ لا طاقة لنا بهم ولا مقاربة لنا معهم.

وأفاد الأستاذ: أنهم لاحظوا الأغيار بعين الحسبان فتوهموا منهم الحدثان فداخلهم هواجم الرعب فأصروا على ترك أمر الرب ومن طالع الأغيار بأنوار البصائر شاهدهم في أسر التقدير قوالب متعرية عن إمكان الإيجاد فلم يقع على قلبه ظل التوهم من العباد.

﴿قَالَ رَجُلَانِ﴾ [الآية: 23] هما كالب ختن موسى على أخته مريم بنت عمران ويوشع ابن أخت موسى على ما قاله ابن عباس ومجاهد والسدي وغيرهم ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ [الآية: 23] أي: الله ويتقونه أو يخافون أمر الله وعقابه ﴿أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا﴾ [الآية: 23] أي: بالإيمان والثبات على الإيقان ﴿ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ﴾ [الآية: 23] أي: باب قريتهم والمعنى باغتوهم في المضيق وآمنوهم من قضاء الطريق ﴿فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ﴾ [الآية: 23] أي: وأنتم متوكلون ﴿فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَ﴾

[الآية: 23] لتعسّر الكرّ عليهم في مضائق بلادهم من عظم أجسادهم أو لأنهم أجسام لا قلوب فيها أو لتيقن إنجاز وعده في نصرة نبيه ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [الآية: 23] أي: موقنين به ومصدقين لوعده إذ من شأن المؤمن أن يتوكل على ربه قيل لذي النون ما التوكل في هذا الباب قال خلع الأرباب وقطع الأسباب.

وقال الأستاذ: ويحتمل أن يقال التوكل من شرط الإيمان وظاهر التوكل الذي لعوام المؤمنين العلم بأن ما قضاه فلا مرد له وحقائق التوكل ولطائفه التي
211/ب لخواص المؤمنين شهود الحادثات/ بالله ومن الله والله فإن فقد ذلك انتفى عنه اسم الإيمان.

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا﴾ [الآية: 24] بيان للإبداء الواقع بها ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ﴾ [الآية: 24] أي: يعينك أو وأخوك الأكبر ﴿فَقَٰتِلَآ﴾ [الآية: 24] أي: الجبارين من أعدائك ﴿إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [الآية: 24] ننتظر نصرك وما أحسن ما قال بعض الصحابة يوم بدر حين المشورة إنا لا نقول كما قالت بنو إسرائيل بل نقول اذهب أنت وربك إنا معكم مقاتلون رواه البخاري في المغازي والإمام أحمد والنسائي وابن أبي حاتم(1).

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي﴾ [الآية: 25] أي: في بذلها لله واستعمالها في رضاه ﴿وَأَخِيۖ﴾ [الآية: 25] قاله شكوى بثه وحزنه إلى الله لما خالفه قومهم وأيس منهم ولم يبق معه موافق يثق به غير هارون عليه السلام ﴿فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [الآية: 25] أي: الخارجين عن دائرة اليقين بأن يحكم لنا بما نستحقه ويحكم عليهم بما يستحقون في أمر الدين.

﴿قَالَ فَإِنَّهَا﴾ [الآية: 26] أي: الأرض المقدسة ﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ﴾ [الآية: 26] لا يدخلونها بسبب المعصية ﴿أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [الآية: 26] روي أن موسى عليه السلام سار بعد الأربعين بما بقي من بني إسرائيل ففتح بيت المقدس وأقام فيه ما شاء الله ثم قبض قال البغوي وهو الأصح وقد نقل عن كثير من

(1) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (10/ 109) رقم (20089)، والنسائي في السنن الكبرى (6/ 333) رقم (11140)، وأحمد في المسند (1/ 389) رقم (3698).

السلف أن موسى وهارون ماتا في التيه ولم يبق أحد من التيه سوى يوشع وكالب إلا مات فيه ويوشع سار بأولادهم وفتح الشام كما رواه ابن حاتم عن ابن عباس وهو منقول عن مجاهد وغيره ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الآية: 26] أي: لا تحزن عليهم فإنهم أحقاء بذلك لفسقهم روي أنهم لبثوا أربعين سنة في ستة فراسخ يسيرون من الصباح إلى المساء فإذا هم حيث ارتحلوا عنه والأكثر على أن موسى وهارون عليهما السلام كانا معهم في التيه إلا أنه كان ذلك روحاً لهما وزيادة في درجتهما وعقوبة لهم.

وأفاد: الأستاذ أنه سبحانه حيرهم في مفاوزهم حتى عموا عن مقاصدهم فصاروا يبيتون حين يصبحون وكذلك من حيره الحق في مفاوز التفرقة بالقلب يتقلب ليلاً ونهاراً في مطارح الظنون ثم لا يحصل إلا على مناهل الحيرة فيحطون حيث يرحلون فلا وجه للرأي الصائب يلوح لهم ولا خلاص من قفص التجويز يساعدهم والذي التجأ إلى شهود الصمدية استراح عن النقلة فكره ووقع في روح الاستبصار روحه.

212/ أ ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ/ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ﴾ [الآية: 27] أي: خبرهما وهما قابيل القاتل وهابيل المقتول ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية: 27] أي: بالنبأ الصدق وكان من شأنهما على ما ذكره ابن جرير عن ابن عباس أنه لم يكن مسكين يتصدق عليه فقالا نقرب قرباناً فقرب هابيل خير غنمه وقرب الآخر بعض زرعه فجاءت نار من السماء وأكلت الشاة وتركت الزرع وكان هذا علامة القبول والرد وهذا الكبش هو الذي فدي به إسماعيل عليه السلام أتي به من الجنة فحسد قابيل أخاه وذكر أكثر المفسرين أن الله قد شرع لآدم أن يزوج بناته من بنيه وكان يولد له في كل بطن ذكر وأنثى وكان يزوج أنثى هذا البطن ذكر البطن الآخر فكانت أخت هابيل ذميمة وأخت قابيل جميلة فأراد أن يستأثر بها على أخيه فأبى آدم ذلك وأمرهما أن يقربا قرباناً فمن تقبل منه فهي له فتقبل من هابيل فحسده وهذا معنى قوله ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾ [الآية: 27] أي: ما يتقرب به إلى الله تعالى من ذبيحة أو غيرها ولم يثنّ لأنه في الأصل مصدر ﴿فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا﴾ [الآية: 27] وهو هابيل ﴿وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْـَٔاخَرِ﴾ [الآية: 27] لأنه سخط حكم ربه ولم يخلص في تقربه وقصد إلى أخسّ ما عنده ﴿قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ [الآية: 27]

توعده بقتله لفرط حسده على تقبل قربانه ﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الآية: 27] أي: المعاصي والمعنى أنك أتيت من قبل نفسك بترك التقوى وعدم الرضا بحكم المولى لا من قبلي فلم تقتلني ولا ذنب لي.

﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى﴾ [الآية: 28] أي: مخالفة لأمر ربي ﴿مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الآية: 28] خوفاً من الله في فعلي وتحرياً لما هو الأفضل عندي ولذا قال ﷺ كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل كما أخرجه ابن سعد في الطبقات[1] وفي رواية كن خير ابني آدم[2] وفي أخرى كن عبد الله المظلوم ولا تكن عبد الله الظالم[3].

﴿إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى﴾ [الآية: 29] أي: بإثم قتلي ﴿وَإِثْمِكَ﴾ [الآية: 29] أي: الذي عليه قبل ذلك حتى لم يتقبّل من أجله قربانك وهذا قول ابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة والسدي على ما رواه ابن جرير عنهم ﴿فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ﴾ [الآية: 29] أي: لاستحلال دمي أو لعدم الرضا بقضاء ربي ﴿وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية: 29] وقال ابن عباس خوفه بالنار فلم ينته/ بالانزجار. 212/ب

وأفاد الأستاذ: أنه تحقق بأن العقوبة لاحقة به على ما يسلفه من ذنبه فرضي بانتقام الله دون انتصافه لنفسه فإنه إذا رأى المظلوم ما يحل بالظالم من أليم بلائه هان عليه ما يقاسيه من عنائه ويطيب قلبه برضائه.

﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ﴾ [الآية: 30] أي: سهلته وزينته وهونته للقتل ﴿قَتْلَ أَخِيهِ﴾ [الآية: 30] أي: قتله إياه مع كونه أخاه ﴿فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ﴾ [الآية: 30] أي: صار ﴿مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الآية: 30] ديناً ودنيا إذ بقي بقية عمره مطروداً حزيناً.

قال ممشاد الدينوري: كان معصية آدم من الحرص ومعصية إبليس من الكبر ومعصية ابن آدم من الحسد فالحرص يوجب الحرمان والكبر يوجب الخذلان والحسد يوجب الخسران.

﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا﴾ [الآية: 31] أي: إلى غراب ميت وخص لأنه يتشاءم به ﴿يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية: 31] أي: التراب حتى واراه ﴿لِيُرِيَهُۥ﴾ [الآية: 31] أي:

---

(1) كشف الخفا (2/ 134) رقم (2022)، والمقاصد الحسنة (1/ 524).
(2) كشف الخفا (2/ 134)، والتلخيص الحبير (5/ 225) رقم (2146).
(3) المقاصد الحسنة (1/ 523) رقم (846)، وكشف الخفا (2/ 134) رقم (2022).

الله أو الغراب ﴿كَيْفَ يُوَرِي سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾ [الآية: 31] أي: جيفته لما روي أنه لما قتله تحير في أمره ولم يدر ما يصنع به بل قيل أنه حمله على عنقه ﴿قَالَ يَوَيْلَتَىٰ﴾ [الآية: 31] كلمة هلكة وجزع وحسرة والألف فيها بدل من ياء المتكلم والمعنى يا ويلتي احضري فهذا أوانك وظهور شأنك ﴿أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ﴾ [الآية: 31] لأهتدي إلى ما اهتدى إليه من بحث التراب ﴿فَأُوَٰرِيَ سَوْءَةَ أَخِي﴾ [الآية: 31] عطف على أكون ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾ [الآية: 31] على قتله لما كابد فيه من التحير في أمره وحمله سنة على رقبته وتبرئ أبويه منه لفعله واسوداد لونه وعدم الظفر بما فعله من أجله.

﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 32] أي: بسبب قتله أخاه ظلماً ﴿كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الآية: 32] أي: حكمنا عليهم وقضينا على من بعدهم ﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ [الآية: 32] أي بغير قتل نفس يوجب القصاص ﴿أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية: 32] أو بغير فساد فيها كالشرك وقطع الطريق ونحوهما ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [الآية: 32] أي: لأن من استحل دم مسلم كأنما استحل دماء الناس إذ لا فرق عنده بين نفس ونفس كما قاله ابن عباس ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ [الآية: 32] أي: حرم قتلها وكف عنها أو أنجاها من مهلكة وقعت فيها ﴿فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [الآية: 32] والمقصود من الجملتين تعظيم النفس من جهة إفنائها وإبقائها ترهيباً عن التعرض لها وترغيباً في المحاماة عليها وإنما خص بني إسرائيل/ بالذكر من بين الأمم وإن كان القتل محرماً من لدن آدم على 213/ أ
طريق الأعم لأنهم على ما روي أول آية نزلت عليهم الوعيد من الإنباء وغلظ عليهم الأمر بحسب طغيانهم على الأنبياء ويسبب سفكهم الدماء والحاصل أنه كما ورد عنه ﷺ: «من سن سُنَّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ومن سن سُنَّة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة» وقد جاء في الحديث ما قتلت نفسٌ ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل منها وذلك لأنه سن القتل ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ﴾ [الآية: 32] أي: بني إسرائيل خصوصاً ﴿رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [الآية: 32] بالمعجزات الظاهرات على صدق ما ذكروا من الأخبار والواقعات ﴿ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 32] أي: بعدما كتبنا عليهم

هذا التشديد وبيّنا لهم هذا الوعيد الأكيد ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ لَمُسۡرِفُونَ﴾ [الآية: 32] بالقتل ولا ينالون وفيه إيماءٌ إلى أن الصلحاء في كل زمان قليلون.

﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الآية: 33] أي: يحاربون أولياءهما أو يخالفون أمرهما ونهيهما من قاتل النفس وقاطع الطريق ونحوها ﴿وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا﴾ [الآية: 33] بالشرك والمعاصي والفتنة والإغراء بين أهلها بالعداوة ﴿أَن يُقَتَّلُوٓاْ﴾ [الآية: 33] أي: يبالغ في قتلهم حتماً من غير صلب أن أفردوا القتل ﴿أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ﴾ [الآية: 33] أي: مع القتل أن قتلوا وأخذوا المال فقال أبو حنيفة ومالك يصلب حياً ويطعن حتى يموت وقال الشافعي يقتل ثم يصلب نكالاً لغيره من نحو فعله ﴿أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ﴾ [الآية: 33] بقطع أيديهم اليمنى وأرجلهم اليسرى أن أخذوا المال ولم يقتلوا وحصل لكل نصاب القطع فيما أخذوا ﴿أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [الآية: 33] أي: يحبسوا إن اقتصروا على الإخافة كما قاله أبو حنيفة أو ينفوا من بلد إلى بلد بحيث لا يتمكنون من القرار في موضع ﴿ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٌ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ [الآية: 33] أي: ذل وفضيحة ﴿وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الآية: 33] .

أفاد الأستاذ: أن السعي بالفساد على ضربين بالظاهر وعقوبته معلومة في مسائل الفقه بلسان العلم وفي الباطن وعقوبته واردة على الأسرار وذلك بقطع ما كان متصلاً من ورادات الحق وكسوف شموس العرفان والستر بعد الكشف والحجاب بعد البسط واستشعار الوحشة بعد الأنس وتبديل توالي التوفيق بتتابع صنوف الخذلان والنفي عن بساط العبادة والإخراج إلى متابعة النفوس وذلك/ 213/ب
والله خزي عظيم وعذاب أليم.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ﴾ [الآية: 34] استثناء مخصوص بما هو حق الله تعالى كما يدل عليه قوله ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [الآية: 34] وتقييد التوبة بالتقدم على القدرة يدل على أنه بعد القدرة لا يسقط الحد وإن أسقطت العقوبة وأن الآية في قطاع المسلمين لأن توبة المشرك تدرأ عنه العقوبة قبل القدرة وبعدها، هذا وعمل كثير من السلف كعلي وأبي موسى وغيرهما يدل على أنه يسقط أيضاً حقوق الإنسان إلا إذا أخذ مالاً معيناً فيجب الضمان.

وأفاد الأستاذ: أن من أقلع عن معاصيه وارتدع عن ارتكاب مساوئه قبل أن ينتهك عند ستر السداد لا تقام عليه في الظاهر حدود الشريعة لاستبهامها على الإمام ولا يؤاخذه الحق سبحانه بقضايا إجرامه أخذاً بظاهر ما يثبت من حاله في استصحاب السداد فإذا بدا للإمام صفحة جرمه أقيم عليه الحد وأن تقنع بنقاب التقوى وكذلك إذا سقط العبد عن عين الله لم يصل بعده إلى ما كان عليه من معاودة تقريب الحق سبحانه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ [الآية: 35] أي: القربة بطاعته كذا فسره جميع من تكلم في التفسير من السلف والمعنى اطلبوا ما تتوسلون به إلى ثوابه وقرب جنابه من فعل الطاعة وترك المعصية وفي الحديث الوسيلة منزله في الجنة.

وقال جعفر: اطلبوا منه القربة إليه.

وأفاد الأستاذ: أن ابتغاء الوسيلة هو التبري عن الحول والقوة والتحقق بشهود الطول والمنة ويقال الوسيلة ما سبق لك من العناية القديمة ويقال ابتغاء الوسيلة تجريد الأعمال عن الرياء وتجريد الأحوال عن الإعجاب وتخليص الأنفاس عن الحظوظ.

وفي «**نفائس العرائس**» اتقوا الله في النظر إلى السوى وابتغوا إليه الوسيلة بنعت التقوى ولا يكون عندكم الوسيلة إليه شيئاً دونه لأنه هو الوسيلة إليه ألا ترى إلى قول الشاعر:

أيا جود معن ناجِ معناً بحاجتي … فما لي إلى معن سواك شفيع[(1)]

وسيلته محبته ومعرفته والاستعانة بطاعته ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ﴾ [الآية: 35] بمحاربة/ الأعداء الظاهرة والباطنة المانعة عن وصوله ﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ 214/ أ [الآية: 35] بالقرب إليه والمكانة لديه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الآية: 36] من صنوف الأموال ﴿جَمِيعٗا﴾ [الآية: 36] من أنواع المنال ﴿وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ﴾ [الآية: 36] على المنوال ﴿لِيَفۡتَدُواْ بِهِۦ﴾ [الآية: 36] ليجعلوه فدية لأنفسهم في الوبال ﴿مِنۡ عَذَابِ

(1) لم يسم الشاعر وإنما قاله في مدح معن بن زائدة وله فيها قصة. انظر: المستطرف (1/ 351)، وغرر الخصائص (1/ 145).

يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [الآية: 36] في المال ﴿مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ﴾ [الآية: 36] في حال من الأحوال ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الآية: 36] مؤلم بكمال النكال وأنواع الإنكال.

وأفاد الأستاذ: أن اليوم يتقبل من الأحباء مثقال ذرة وغداً لا يقبل من الأعداء مثل الأرض ذهباً وفضة.

﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَـٰرِجِينَ مِنْهَا﴾ [الآية: 37] بالاضطرار ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [الآية: 37] في دار البوار.

﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا﴾ [الآية: 38] أي: أيمانهما ما قرىء بها وتفضيل المسألة في الكتب الفقهية ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا﴾ أي من أخذِ مال الغير بغير أمر المولى﴿نَكَـٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي عقوبة في الدنيا ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ [الآية: 38] أي: في الانتقام ﴿حَكِيمٌ﴾ [الآية: 38] فيما شرع من الأحكام.

﴿فَمَن تَابَ﴾ [الآية: 39] من السارق وغيره ﴿مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ﴾ [الآية: 39] على نفسه وتعديه على مثله ﴿وَأَصْلَحَ﴾ [الآية: 39] في أمره بالتخليص عن عهدة التبعة في حكمه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ﴾ [الآية: 39] أي: يرجع بالرحمة إليه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الآية: 39] يغفر ذنبه ويرحم بالعصمة بعده.

وأفاد الأستاذ: أن من أستوى في أحكام التوبة فتدارك ما ضيعه وندم على ما صنعه وأصلح من أمره ما أفسده أقبل الله عليه بفضله فغفره وعاد إليه باللطف فجبره.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية: 40] خلقاً وملكاً ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ [الآية: 40] ولو مطيعاً ﴿وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [الآية: 40] ولو عاصياً ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الآية: 40] أي: ناصر القدرة بما تعلقت به المشيئة والمعنى ألم تعلم أنك عاجز عن الخروج من ملكي ولم تقدر من الهرب مني ومن عذابي وإني أعذب من أشاؤهم المخالفون لأمري وأغفر لمن أشاؤهم المراجعون لحكمي.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه بين أنه لا يعذب من يعذب بعلة ولا يرحم من يرحم بعلة وأنه إنما يتصرف في عبيده بحق ملكه وأن الحكم حكمه والأمر أمره.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ﴾ [الآية: 41] أي: لا يوقعك في الهم والحزن ﴿ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ [الآية: 41] أي: صنع الذين يقعون في إظهار

الكفر سريعاً إذا وجدوا فيه فرصة ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ [الآية: 41] أي: من المنافقين ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ [الآية: 41] أي: ومن اليهود ونحوهم من الكافرين ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ [الآية: 41] أي: هم سماعون/ 214/ب والضمير للفريقين أو من اليهود قوم سماعون واللام للعلة والمفعول محذوف أي سماعون كلامك ليكذبوا عليك ﴿سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ﴾ [الآية: 41] لم يحضروا مجلسك تكبراً من الأغنياء أو إفراطاً في البغضاء ولو كانوا من الفقراء ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ [الآية: 41] أي: بعد أن وضعه الله مواضعه إما لفظاً بإهماله أو تغيير بنائه وإما معنًى بحمله على غير مراده وإجرائه في غير مورده ﴿يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا﴾ [الآية: 41] المحرف ﴿فَخُذُوهُ﴾ [الآية: 41] فاقبلوه واعملوا به ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ﴾ [الآية: 41] بأن أفتيتم بخلافه ﴿فَٱحْذَرُواْ﴾ [الآية: 41] قبول ما أفتيتم به نزلت على ما في الصحيحين وغيرهما في رجل وامرأة محصنين من اليهود زنيا وقد بدلوا الرجم في التوراة بمائة جلدة والتحميم والإركاب على حمار مقلوباً فلما وقعت تلك الكائنة بعد الهجرة فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ واستفتوا وقالوا إن حكم بمثل ما قلنا اعملوا ويكون نبي من أنبياء الله قد حكم بذلك فيكون حجة بينكم وبين الله وإن حكم بالرجم فلا تتبعوه فأمر ﷺ بالرجم وألزمهم أنه حكم التوراة فرجما وعلم من ذلك للعباد أن كفرهم للعناد ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ﴾ [الآية: 41] ضلالته أو فضيحته ﴿فَلَن تَمْلِكَ﴾ [الآية: 41] فلن تستطيع ﴿لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [الآية: 41] في دفع فتنته.

قال الخواص: من يرد افتراق أوقاته لن تملك جمع حالاته ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ [الآية: 41] من خبائث الشرك والمعصية والآية حجة على المعتزلة وقال أبو عثمان يطهر قلوبهم بالمراعاة والمراقبة بالحياء من ربهم في المخالعة ﴿لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ﴾ [الآية: 41] فضيحة وخذلان للمنافقين وجزية وهوان لليهود ومن نحا نحوهم من الكافرين ﴿وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الآية: 41] وهو الخلود في النار أبد الآبدين.

وأفاد الأستاذ: في إشارة الآية أن من أقصاه الحق عن محل التقريب وأرخى له عنان الإمهال وكله ومكره ولبس عليه حاله وسره فهو ينهمك في

أودية حسبانه وإنما يسعى في أمر نفسه ويعمل بما يعود إليه وباله فأمر نبيه ﷺ بترك المبالاة بأمثالهم وقلة الاهتمام بأحوالهم وعرفه أنهم بمعزل عن رحمته
215/أ وأن من ردته القسمة الأزلية لا ينفعه الإعلال في الاستقبال/ فقال ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً يعني أن من أهله الله للحرمان وقيده بشكال الخذلان فشفاعة الأغيار فيه غير مقبولة ولطائف القبول إليه غير موصولة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْۚ﴾ [الآية: 41] أولئك الذين لم يعجن طينتهم بماء السعادة فجبلوا على نجاسة الشرك والمعصية فإن عدم الطهارة الأصلية لا ينتفي بفنون العالالات العارضية ويقال من أرسل عليه غاغة الهوى وسلط عليه نوازع المنى وأذله بسوء القضاء فليس يلقي عليه غير الشقاء ﴿لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الآية: 41] ردوا من الهوان إلى الهوان وغصوا بالفراق وعذبوا بالاحتراق فلا يدري أي حالتهم أقرب من استيجاب الذل بدايتهم في الرد أم نهايتهم في الشرك والجحد قلت الأول أقرب والثاني:

﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ [الآية: 42] كرره للتأكيد أو اللام مزيدة للتأييد ﴿أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِۚ﴾ [الآية: 42] أي: الحرام كالرشى من سحته إذا استأصله لأنه مسحوت البركة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي بضمتين وهما لغتان قيل: سماعون للدعاوى الباطلة ﴿أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِۚ﴾ [الآية: 42] أي: بدينهم وعبادتهم العاطلة.

وفي «**نفائس العرائس**» وصف الله سبحانه أهل السالوس الذين في هذا الزمان يجلسون في الزوايا ويظهرون التزهد والتقشف في الخبايا ويطرحون على أعناقهم الطيالسة يسمعون مدائح أهل الدنيا بالمخايلة لهم مثل قولهم ليس في الدنيا مثلك يا شيخ وأنت كذا وكذا وهو يشتري غرورهم وأقاويلهم الباطلة وهم يمدحونه لأجل الشفاعة عند الأتراك والظلمة ويجعلونه وسيلة إلى السلطان ويعطونه رشوة لاستجلاب مرادهم بحكم الشيطان فهو يسمع الكذب ويأكل السحت طهر الله وجه الأرض منهم ووقانا من صحبتهم وسوء أفعالهم فإنهم قوام الدين وأكلوا الدنيا بالدين ﴿فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْۖ﴾ [الآية: 42] تخيير لرسول الله ﷺ إذا تحاكموا إليه بين الحكم والإعراض وهو قول للشافعي والأصح وجوبه إذا كان المترافعان ذميين لأنا التزمنا بالذب عنهم ودفع

الظلم منهم لأن الآية ليست في أهل الذمة بل في أهل العهد كما صرح به الرازي وعند أبي حنيفة يجب مطلقاً أما لو ترافعوا إلينا مع مسلم فوجب إجماعاً وقال كثير من السلف كابن/عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم أن الآية منسوخة بقوله 215/ب ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [المائدة: 49] لأن الجزم بالحكم للتخيير بينه وبين الأعراض عنه ﴿وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [الآية: 42] بأن يعادوك لإعراضك عنهم فإن الله يعصمك منهم ومن غيرهم ﴿وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ﴾ [الآية: 42] بالعدل الذي أمر الله تعالى به للتأديب وإن كانوا ظلمة مستحقين للتعذيب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ [الآية: 42] أي: يرضى عنهم ويثيبهم ويحفظهم عما شانهم ويعظم شأنهم.

﴿وَكَيۡفَ يُحَكِّمُونَكَ﴾ [الآية: 43] أي: يجعلونك حكماً بينهم ﴿وَعِندَهُمُ ٱلتَّوۡرَىٰةُ فِيهَا حُكۡمُ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 43] منصوص في قضيتهم ففيه تعجيب من تحكيمهم مَن لا يؤمنون به وتنبيه على أنهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق وإقامة الشرع وإنما طلبوا به ما يكون أهون عليهم وإن لم يكن حكم الله في زعمهم ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوۡنَ﴾ [الآية: 43] أي: يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم ﴿مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ﴾ [الآية: 43] أي: بعد التحكيم فيما بينهم ﴿وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الآية: 43] لا بك ولا بكتابهم فيستحقون ما قدر الله من عذابهم.

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى﴾ [الآية: 44] يهدي إلى الحق على طريق الصدق ﴿وَنُورٞۚ﴾ [الآية: 44] يبين ما استبهم من الحكم فيما بين الخلق على وجه العدل ﴿يَحۡكُمُ بِهَا﴾ [الآية: 44] أي: أنبياء بني إسرائيل أو موسى ومن بعده إن قلنا شرع من قبلنا شرعنا ما لم ينسخ وبهذه الآية تمسكاً القائل به ﴿ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ﴾ [الآية: 44] أي: انقادوا بحكم الله وانقطعوا عما سواه ﴿لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ﴾ [الآية: 44] عطف على ﴿ٱلنَّبِيُّونَ﴾ [الآية: 44] أي: وكذا حكم لهم زهادهم وعلماؤهم السالكون طريقة أنبيائهم في أحكامهم وأنبائهم ﴿بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 44] لسبب أمر اللّه اياهم بأن يحفظوا كتابه عن التضييع والتحريف وأن يظهروا ما فيه من الأحكام على وجه الترصيف ﴿وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ﴾ [الآية: 44] أي: رقباء لا يتركون أن يغيروا شيئاً منه يبينون ما يخفى منه أو

شهداء بأنه من عند الله لا من عند غيره ﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾ [الآية: 44] خطاب لعلماء اليهود على وجه يتناول علماء هذه الأمة أيضاً بأن لا يخافوا غير الله في حكوماتهم ولا يداهنوا في حكم الله مراعاة لظالم أو مداراة لحاكم ﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى﴾ [الآية: 44] لا تستبدلوا بأحكامي التي أنزلتها في كتابي ﴿بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [الآية: 44] وهو الرشوة والجاه المانع من جنابي.

216/أ قال محمد بن الفضل: لا تطلبوا الدنيا بعمل العقبى ﴿وَمَن/ لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 44] أي: مستهيناً به منكراً له ﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [الآية: 44] ففي مسلم عن البراء أن الآيات الثلاث نزلت في الكفار[1] فكفرهم لإنكارهم به وظلمهم بالحكم على خلافه وفسقهم بالخروج عنه.

وفي «**حقائق السلمي**» قبل من لم يحكم للناس كحكمه لنفسه فقد كفر نعم الله عنده وظلم نفسه بذلك وخرج عن طاعة ربه. وقال جماهير السلف: نزلت هذه الآية في أهل الكتاب دون من أساء من هذه الأمة.

وقال الحسن البصري: من لم يحكم به فهو فاسق ومن لم يحكم به من أهل الكتاب فهو كافر وقيل أن هذه الآية في هذه الأمة أو طلاق الكفر للتغليظ والشدة أو المراد به كفر النعمة فيكون كفراً دون كفر كما روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس ورواه الحاكم في «**مستدركه**» وقال صحيح على شرط الشيخين[2] وهو قول عطاء وطاووس وغيرهم.

وأفاد الأستاذ: أن من الإشارة في الآية على وجه البشارة أنه سبحانه يخبر أنه استحفظ بني إسرائيل التوراة فحرفوها فلما وكل حفظ التوراة إليهم ضيعوها بالتغيير والتحريف بخلاف هذه الأمة فإنه سبحانه تولى حفظه عليهم كما قال ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ [الحجر: 9] فلا جرم لو غير واحد من القرآن حركة أو سكوناً نادى عليه الصبيان بتخطيئه فمن اتخذ غيره حكماً ولم يخمد تحت جريان حكمه رضى واستسلاماً فعن شرك خامر قلبه وكفر قارن سره وهيهات أن يكون مع الله سواه.

---

(1) تفسير الطبري (10/ 346) رقم (12022)، وتفسير ابن كثير (3/ 115).
(2) تفسير الطبري (10/ 356) رقم (12053. . . .)، وتفسير ابن أبي حاتم (4/ 485) رقم (6468).

﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ﴾ فرضنا على اليهود ﴿فِيهَآ﴾ [الآية: 45] أي: في التوراة ﴿أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾ [الآية: 45] أي: يقتل بها ﴿وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ﴾ [الآية: 45] أي: تُفقأ ﴿وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ﴾ [الآية: 45] تجدع ﴿وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ﴾ [الآية: 45] أي: تقطع وقرأ نافع بالإسكان حيث يقع ﴿وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ﴾ [الآية: 45] أي: يقلع وقد رفع الكسائي العين وما عطف عليه على أنها جملة مستأنفة ﴿وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ [الآية: 45] أي: ذات قصاص أو فيها قصاص أو مقتصة بها فيما يمكن الاقتصاص منها وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر والكسائي برفعهما على أنها إجمال للحكم بعد التفصيل ﴿فَمَن تَصَدَّقَ﴾ [الآية: 45] من المستحقين ﴿بِهِۦ﴾ [الآية: 45] بالقصاص بمعنى فمن عفا عنه ﴿فَهُوَ﴾ [الآية: 45] أي: التصدق والعفو ﴿كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾ [الآية: 45] للمتصدق والعافي يكفر الله به ذنوبه لما روى ابن مردويه عن رسول الله ﷺ وفيه فإن كان ربع الدية فربع خطاياه وإن كان الثلث فثلث خطاياه وإن كان الدية حطت[1] عنه/ خطاياه وكذلك روى ابن أبي 216/ ب
حاتم عن جابر بن عبد الله وهو قول الحسن البصري وقتادة والنخعي وقيل للجاني أي: لا يؤاخذه الله به كما أن القصاص كفارة لذنبه فهذا قول ابن عباس ومجاهد والشعبي ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 45] من القصاص وغيره ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الآية: 45] حيث لم ينصفوا المظلوم من الظالم بالعدل الواجب على الحاكم قيل نزلت لما اصطلحوا أن لا يقتل شريف بوضيع وضعيف ورجل بامرأة ونحو ذلك.

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم﴾ [الآية: 46] أي: أتبعنا النبيين ﴿بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ [الآية: 46] حاكماً بما فيها ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ [الآية: 46] أي: بيان وبرهان والجملة في موضع النصب بالحال ولذا قال ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ [الآية: 46] أي: موافقاً لما سبقه في أصول الدين وأكثر أحكامه ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [الآية: 46] خصوا لكونهم المنتفعين.

﴿وَلْيَحْكُمْ﴾ [الآية: 47] أي: وآتيناه الإنجيل وقلنا لهم ليحكم وقرأ حمزة بكسر اللام وفتح الميم أي: وآتيناه ليحكم ﴿أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ

(1) تفسير ابن كثير (3/ 124)، والدر المنثور (3/ 92).

يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [الآية: 47] أي: الخارجون عن طاعة ربهم.

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية: 48] أي: القرآن متلبساً بالصدق ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الآية: 48] من جنس الكتب المنزلة أي: مطابقاً لما فيها من القواعد المقررة والأصول الممهدة ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [الآية: 48] أي: رقيباً على سائر الكتب بحفظه من التغيير ويشهد له بصحة الثبات والتقرير ﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُم﴾ [الآية: 48] أي: بين أهل الكتاب وغيرهم ﴿بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 48] أي: عليك وكذا بما أوحي إليك ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [الآية: 48] أي: مقاصدهم التي يحرفونها ويذكرونها بين يديك ﴿عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الآية: 48] وظهر أمره لديك ﴿لِكُلٍّ﴾ [الآية: 48] أي: لكل أمة ﴿جَعَلْنَا مِنكُمْ﴾ [الآية: 48] أيها الناس ﴿شِرْعَةً﴾ [الآية: 48] شريعة ظاهرة لائحة ﴿وَمِنْهَاجًا﴾ [الآية: 48] طريقة واضحة واستدل به على أنا غير متعبدين بالشرائع المتقدمة.

قال بعض الصوفية: الطرق إلى الخالق بعدد أنفاس الخلائق وقيل: كل قد فتح له طريق إلى الله فمن استقام على الطريق وصل إلى الله سبحانه ومن زاغ وقع في سبيل الشيطان وأتباعه ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [الآية: 48] جماعة متفقة على ملّة واحدة وطريقة متحدة في جميع الأزمنة من غير نسخ وتحويل في بعض الأقضية ﴿وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الآية: 48] لكن أراد ليختبركم فيما آتاكم من الشرائع المختلفة المناسبة لكل عصر وقرن/ من الأزمنة هل تعملون بها 217/أ
مذعنين لها معتقدين أن اختلافها مقتضى الحكمة الإلهية أم تزيغون عن الحق وتفرطون في العمل بالأحكام الدينية ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [الآية: 48] أي: فابتدروا إلى الطاعات وسارعوا إلى العبادات انتهاز الفرصة والأوقات.

وأفاد الأستاذ: أن استباق الزاهدين برفض الدنيا واستباق العابدين بقطع الهوى واستباق العارفين بنفي المنى واستباق الموحدين بترك الورى ونسيان الدنيا والعقبى في محبة المولى ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ [الآية: 48] وعد للمبادرين ووعيد للمقصرين ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [الآية: 48] بالجزاء الفاصل بين المقصر والعامل.

وفي «نفائس العرائس» أن الله جعل في بحار القدم والبقاء شرائع لورود الأرواح القدسية ومشارب لقلوب العارفة وسواقي لعقول الصادرة من أنواره الواردة ولكل واحد منها شرعة من تلك البحار فلبعض شرعة العلم ولبعض شرعة القدرة والقوة ولبعض شرعة الصمدية ولبعض شرعة الحكمية ولبعض شرعة المحبة ولبعض شرعة العظمة ثم جعل لها منهاجاً من الصفات إلى الذات ومن الذات إلى الصفات ومن الصفات إلى الصفات ومن الذات إلى الذات ومن الأسماء إلى النعوت ومن النعوت إلى الأسماء ومن الأسماء إلى الأفعال ليعرفه كل واحد بقدر ذوقه وشربه وجعل بينهم تباعداً وتقارباً في مراتب قربه وقد قال تعالى: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ [البقرة: 60] فمن وافق شربه شرب صاحبه لم يقع بينهم الخلاف في الشرعة والمنهاج ومن لم يكن شربه موافقاً لشرب صاحبه لم يعرف أحدهما مكان الآخر ويكون بينهما نزاع وذلك من غيرة الله عليهم وعلى نفسه لئلّا يركن بعضهم إلى بعض ولا يطلع عليه أحد سواه وذلك رحمة الله على الجمهور قال عليه السلام اختلاف العلماء رحمةٌ لاختيارهم في طريقهم بحقائق العبودية وعرفان الربوبية وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [الآية: 48] يعني: شيوخاً وأكابر بغير المريدين والسالكين ﴿وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الآية: 48] من المقامات البهية والحالات السنية كيف تخرجون من دعواكم بحقيقة عبوديتي وتخرجون جواهر العلم من كتابي وحكمتي ثم خاطبهم جميعاً بقوله: ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [الآية: 48] عرفهم مكان تقصيرهم/ أي: ما 217/ ب
أدركتم مني في جنب ما عندي لكم كقطرة في بحار فسارعوا إلى خيرات مشاهدتي وجميل عطياتي ثم أفردهم مما وجدوا إلى عين جلاله لقوله ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ [الآية: 48] إليه مرجع افتقاركم من مقاماتكم لزيادة القربة والمعرفة في حالاتكم وهناك يظهر تفاصيل درجاتكم وما غاب عنكم من حقائق أنواري ودقائق أسراري وهذا معنى قوله ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [الآية: 48].

﴿وَأَنِ ٱحْكُم﴾ [الآية: 49] أي: وأمرنا بأن أحكم ﴿بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 49] فيهم ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [الآية: 49] أي: مشتهياتهم على خلاف هديهم في حكوماتهم ﴿وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [الآية: 49] أي: يضلوك ويصرفوك عنه فيما يخيلون عليك.

وقال الأستاذ: قم بالله فيما تحكم وأقم حقوقه فيما يؤخر ويقدم ولا تلاحظ الأغيار فيما تؤثر وتذر فإن الكل محو في التحقيق عند نظر أهل التوفيق ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ [الآية: 49] الحكم المنزل بهم ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ [الآية: 49] وهو ذنب التولي عن حكم ربهم وفيه إشارة إلى أن ذنوبهم كثيرة وأن هذا بجنبها يسيرة ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ﴾ [الآية: 49] أي: وأن قليلاً منهم لصالحون.

﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ [الآية: 50] أي: الملّة الجاهلية من الميل والمداهنة بمقتضى المشتهيات النفسانية ﴿يَبْغُونَ﴾ [الآية: 50] يريدون وعن حكم الله يعدلون وقرأ ابن عامر بالخطاب في تبغون أي: أتعودون في ظلمة الحجاب بعدما انكشف لكم النقاب ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [الآية: 50] أي: بأنه أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾ [الآية: 51] أي: لا تعاشروهم معاشرة الأحياء فإنهم لكم أعدى الأعداء ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [الآية: 51] على مخالفتكم ومعاداتكم لإجماعهم على مضادتكم ومناوأتكم.

وقال الأستاذ: لا تجنحوا إلى الملاينة مع أعداء الله سبحانه إيثاراً لسكون إلى حظٍّ واحتشاماً من قيام بحق أو ركوناً إلى قرابة نسيب أو استحقاق المودة حميم أو تهيباً من استيحاش صديق بل صمموا عقودكم على التبري منهم بكل وجه فهم بعضهم أولياء بعض والضدية بينكم وبينهم قائمة إلى الأبد ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [الآية: 51] أي: من والاهم منكم فإنه من جملتهم ويحشر في
زمرتهم وهذا للتشديد في وجوب مجانبتهم ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ/ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ 218/أ
[الآية: 51] أي: الذين يوالون الكفار من المنافقين أو الذين ظلموا أنفسهم بارتكاب المعاصي من الفاسقين وقيل: الظالم من أبى أن يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله وقيل: الظالم من وضع في قلبه غير ذكر الله وسوى محبة مولاه.

﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [الآية: 52] أي: شك ونفاق وغرض في معاملتهم ﴿يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ﴾ [الآية: 52] أي: في موالاتهم ومعاونتهم ﴿يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ [الآية: 52] بأن ينقلب أمر الدولة للكفرة ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ

﴿بِالْفَتْحِ﴾ [الآية: 52] أي: أن يظهر للمؤمنين النصرة الظاهرة ﴿أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ﴾ [الآية: 52] كضرب الجزية وإجلاء بعض أرباب العداوة ﴿فَيُصْبِحُوا﴾ [الآية: 52] يعني هؤلاء المنافقين ﴿عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾ [الآية: 52] أي: على ما حدثت بهم أنفسهم من أنه لا يتم أمر المؤمنين وقال الأستاذ يعني أن الذين سقمت ضمائرهم وضعفت في التحقيق بصائرهم سبق إلى قلوبهم هوادة الأعداء خوفاً من معرّتهم وطمعاً في المأمول من صحبتهم ولو استيقنوا أنهم في أسر العجز وذل الإعراض عنه سبحانه لأملوا الموعود من كفايته والمعهود من جميل رعايته ولكنهم حجبوا عن محل التوحيد ومقام الإحسان فتفرقوا في أودية الظنون والحسبان وعن قريب يأتيكم الفرج أيها المؤمنون وترزقون الفتح بحسن الإقبال والظفر بالسؤال بسابق الاختيار فيستشعرون الندم ويقاسون الألم.

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الآية: 53] بالرفع قراءة الكوفيين على أنه كلام مستأنف ويؤيده قراءة نافع وابن كثير وابن عامر مرفوعاً بغير واو وقرأ أبو عمرو بالنصب مع الواو عطفاً على أن يأتي باعتبار المعنى وكأنه قال ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ﴾ [الآية: 52] ﴿وَيَقُولَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الآية: 53] أي: بعضهم لبعض تعجباً من حال المنافقين وتبجحاً بما منّ الله عليهم حيث جعلهم من المخلصين ﴿أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ [الآية: 53] أي: حلفوا أغلظها في أزمانهم ﴿إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ﴾ [الآية: 53] في باطنهم كظاهرهم وأنهم أحباؤكم ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ [الآية: 53] فإنهم أعداؤكم ﴿فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾ [الآية: 53] في أمر الدنيا والدين.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ﴾ [الآية: 54] قرأ نافع من يرتد أي: من يرجع إلى عقبه ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ﴾ [الآية: 54] أي: بدلاً عنهم ﴿بِقَوْمٍ﴾ [الآية: 54] ﴿يُحِبُّهُمْ﴾ [الآية: 54] أي: يهديهم إلى سبيل محبته ويثيبهم في طريق طاعته ﴿وَيُحِبُّونَهُ﴾ [الآية: 54] حيث يعظمونه ويطيعونه ويذكرونه ولا ينسونه ولا يشكرونه ولا يكفرونه فقيل:/ هم أهل اليمن كما رواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس وقيل: 218/ ب الأشعريون لما روى ابن جرير أنه ﷺ قال: قوم هذا مشيراً إلى الأشعري وقيل: الفرس لأنه ﷺ سئل عنهم فضرب بيده على عاتق سلمان وقال هذا وذووه[1] قيل

(1) تخريج الأحاديث والآثار (1/ 411) رقم (423).

هم أبو بكر وأصحابه كما روى ابن أبي حاتم عن الحسن البصري وهو قول علي وقتادة.

وقال الواسطي: كما أنه بذاته يحبهم كذلك يحبون ذاته فإن الهاء راجعة إلى الذات دون النعوت والصفات وقال بعضهم بفضل حبه لهم أحبوه وكذلك بفضل ذكره لهم ذكروه ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 54] متذللين لهم عاطفين عليهم متواضعين إليهم مع علو شأنهم لديهم ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الآية: 54] متعالين ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ [الفتح: 29] والمنافقين متكبرين على الظالمين ﴿يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 54] أي: بأموالهم وأنفسهم وألسنتهم وقلوبهم باختلاف أحوال اجتهادهم في أفعال إجهادهم فقيل: الجهاد ثلاثة مع نفسك وعدوك وقلبك والجهاد في سبيل الله هو مجاهدة القلب لئلا يتمكن فيه غفلة الرب ومجاهدة النفس أن لا يرتكب المعصية ومجاهدة الشيطان أن لا يغتر في حاله عن الطاعة ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [الآية: 54] أي: لتصلبهم في دينهم وقطع الرجاء والخوف من غير ربهم ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 54] أي: ما سبق من أحوال الأولياء ﴿فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ [الآية: 54] فيوفقه طريق الأحياء ويرزقه متابعة الأنبياء ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ [الآية: 54] كثير الفضل والعطاء ﴿عَلِيمٌ﴾ [الآية: 54] بمن هو أهله من أرباب الشكر والثناء وأصحاب الصبر في حال الابتلاء.

وفي «نفائس العرائس» أن الآية فيها ذكر شرف الصحابة والتابعين فمن بعدهم من المؤمنين وبين تعالى أن المحبة من خواص صفته الأزلية لأنه كان بذاته يحب أحباءه وكان ذاته موصوفاً بالمحبة الأزلية وكما أنه تعالى يحب الأولياء بذاته وصفته فهم يحبونه بذواتهم وصفاتهم من جميع حالالتهم لأن مصدر المحبة القدم وليس هناك فعل ومحبة العباد مصدرها قلوبهم وليس هناك فعل وأصل المحبة وقع بغير العلة من الآلاء والنعماء والأفعال والحركات في البناء كان سبحانه أحبهم بعلمه في الأزل قبل إيجادهم اصطفائية فكأنه قد
219/أ أحب نفسه لأن كونهم لم يكن إلا بكون وجوده وجوده سبب وجودهم/ وهو تعالى أحب فعله ومرجع الفعل صفته ومرجع الصفة ذاته فكأنه أحب ذاته ولم يكن الغير في البين فكان هو المحب وهو المحبوب وصفته المحبة وهم يحبونه بتجلي الصفة في قلوبهم وهو مباشرة نور محبته في فؤادهم فلما تجلت عيون

أرواحهم بنور محبته وطلبت مصدر أصل الصفة فوجدت مشاهدة الأزل عياناً بلا حجاب فأحبتها بالمحبة الأصلية التي لا تتحول من مصرف الأزل أبداً فإذا كان كذلك فالمحب والمحبوب والمحبة في عين الجمع واحد وهذا إشارة إلى قوله بلسان نبيه ﷺ حيث أخبر عن المحب المتحد المتصف بصفاته حيث قال في أثناء الحديث فإذا أحببته كنت له سمعاً وبصراً ولساناً ويداً[1].

وفي هذا المعنى أنشد المجنون:

أنا من أهوى ومن أهوى أنا ... نحن روحان حللنا بدنا

فإذا أبصرتنا أبصرته ... وإذا أبصرته أبصرتنا[2]

وأفاد الأستاذ: فيما أجاد أنه سبحانه جعل صفته من لا يرتد عن الدين أن يحب الله ويحبه الله ففيه بشارة عظيمة للمؤمنين لأنه يحب أن يعلم أن من كان غير مرتد فإن الله يحبه وفيه إشارة دقيقة فإن من كان مؤمناً يحب أن يكون لله محباً فأما إذا لم يكن له محبة فبالخطر صحة إيمانه وفي الآية دليل على جواز محبة العبد لله وجواز محبة الله للعبد فمحبة الحق للعبد لا تخرج من وجوه إمّا أن تكون بمعنى الرحمة عليه أو بمعنى اللطف والإحسان إليه أو المدح له والثناء عليه أو يقال إنه بمعنى إرادته لتقريبه وتخصيص محله فكما أن رحمته إرادته لإنعامه فمحبته إرادته لإكرامه والفرق بين المحبة والرحمة على هذا القول أن المحبة إرادة إنعام مخصوص والرحمة إرادة كل نعمة فتكون المحبة أخص من الرحمة واللفظتان تعودان إلى معنى واحد فإن إرادة الله سبحانه واحدة وبها يريد سائر مراداته ويختلف أسماء الإرادة باختلاف أوصاف المتعلّق لله وأما محبة العبد لله سبحانه فهي حالة لطيفة يجدها في قلبه وتحمله تلك الحالة على إيثار موافقته أمره وترك حظوظه فيه وإيثار حقوقه سبحانه بكل وجه وتحصل العبارة عن تلك الحالة على قدر ما يكون صفة العبد في الوقت الذي يعبر عنه/ 219/ ب فيقال: المحبة ارتياح القلوب بوجود المحبوب ويقال: المحبة ذهاب المحب بالكلية في ذكر المحبوب ويقال المحبة خلوص المحب لمحبوبه بكل وجه من وجوه المحبة تنتجه الهمة فمن كانت همته أعلى كانت محبته أصفى بل أوفى بل

---

(1) سبق تخريجه.

(2) نسب إلى الحلاج، انظر غرر الخصائص الواضحة (1/ 251).

أغلى ويقال: المحبة سكر لا صحو فيه ويقال: المحبة بلاء لا يرجى شفاؤه وسقم لا يعرف دواؤه ويقال: المحبة غريم يلازمك لا يبرح ورقيب من المحبوب يستوفي له منك دقائق الحقوق في دوام الأحوال ويقال: المحبة [قضية] توجب المحبة فمحبة الحق أوجبت محبة العبد لقوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [الآية: 54] ولولا أنه يحبهم وإلا لما أحبوه ويقال: لولا أنه أخبر عن المحبة وإلا أنّى يكون للطينة جسارة ذكر المحبة، ثم بيّن الله سبحانه صفة المحبين فقال: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الآية: 54] يبذلون المهج في المحبوب من غير كراهة ويبذلون الأرواح في الذب عن المحبوب من غير ادخار شظية من الميسور ثم قال في صفتهم ﴿يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 54] بنفوسهم من حيث استدامة الطاعات ويجاهدون بقلوبهم بقطع المنى والمطالبات ويجاهدون بأرواحهم بحذف العلاقات ويجاهدون بأسرارهم بالاستقامة على الشهود في دوام الأوقات ثم قال: ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [الآية: 54] أي: ولا يلاحظون نصح حميم ولا يركنون إلى استقلال حكم ولا يجنحون إلى استجلاب حظ ونصيب ولا يزيغون عن سنن الوفاء بحال ثم بين سبحانه أن جميع ذلك إليهم لأمنهم فقال ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ [الآية: 54] متفضل ﴿عَلِيمٌ﴾ [الآية: 54] بمن يخص بذلك من عبيده.

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الآية: 55] أي: إيماناً كاملاً كما بينه بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [الآية: 55] أي: يقومون بأمهات العبادات البدنية والمالية المستلزمة أن يقوموا بالبقية ﴿وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ [الآية: 55] أي: خاشعون للحق متواضعون مع الحق.

وأفاد الأستاذ: أن الولي الناصر ولا موالاة بين المؤمنين وبين أعداء الحق سبحانه فأعداء الحق هم أعداء الدين وإنما حرف التحقيق يقتضي أن معنى ما عداه بخلافه وأعدى عدوك نفسك كما(1) في الخبر ومن عادى نفسه لم يخرج بالمخاصمة عنها مع الخلق وبالمعارضة فيها مع الحق.

220/أ ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الآية: 56] أي: من يتخذهم/ أولياء ويجعل من عداهم أعداء ﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الآية: 56] كما أن حزب

(1) سبق تخريجه.

الشيطان هم الخاسرون والغلبة بالبرهان والحجة وباعتبار العاقبة.

وقال سهل: الغالبون لأهوائهم.

وأفاد الأستاذ: أن حزب الله هم الغالبون عن حظوظهم الذين هم خصم الحق على أنفسهم لا خصم أنفسهم على مولاهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا﴾ [الآية: 57] أي: مهزوّاً به وتلعباً في أمره ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ﴾ [الآية: 57] بالنصب عطف على الموصول الأول أي؛ ولا تتخذوا سائر الكفار أيضاً أولياء لأن جميعهم لكم أعداء وقرأ أبو عمرو والكسائي بالجر عطفاً على الموصول الثاني ثم الكفار وإن عم أهل الكتاب لكن يطلق على المشركين لتضاعف كفرهم وتزايد عداوتهم لأهل الدين وفي الآية إشارة إلى المحب في الله والبغض في الله كما ورد في الحديث من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل إيمانه(1).

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه نبههم عن موجب التحيز عنهم والتميز منهم وأن المخالف في العقيدة لا يكون موافقاً في الحقيقة ويقال: أمرهم أن يلاحظوهم بعين الاستصغار كما لاحظوا دين المسلمين بعين الاحتقار ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [الآية: 57] في مراعاة أمره ونهيه ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [الآية: 57] بوعده ووعيده.

﴿وَإِذَا نَادَيۡتُمۡ﴾ [الآية: 58] أي: الناس ﴿إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا﴾ [الآية: 58] أي: الصلاة أو المناداة ﴿هُزُوٗا وَلَعِبٗاۚ﴾ [الآية: 58] فإن اليهود كانوا حينئذٍ يستهزؤن ويضحكون ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ﴾ [الآية: 58].

أفاد الأستاذ: أن الأذان دعاء إلى محل النجوى فمن تحقق بعلو المحل فسماع الأذان يوجب له روح القلب واسترواح الروح ومن كان محجوباً عن حقيقة الحال لاحظ ذلك بعين اللعب وأدركه بسمع الاستهزاء وذلك حكم الله غاير بين عباده على ما يشاء.

﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ هَلۡ تَنقِمُونَ مِنَّآ﴾ [الآية: 59] هل تعيبون منا وتنكرون علينا ﴿إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلُ﴾ [الآية: 59] أي: من الكتب على من قبلنا وهذا عين المدح والمعروف إجماعاً بيننا ﴿وَأَنَّ أَكۡثَرَكُمۡ فَٰسِقُونَ﴾ [الآية: 59]

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (2/ 178) رقم (2694)، والبيهقي في شعب الإيمان (1/ 47).

أي: خارجون عن ديننا وهذا هو الحق أيضاً لو أنصفتهم من قبلنا فالاستثناء من قبيل:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب(1)

وكما قال تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ/ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [البروج: 8 ـ 9] إيذاناً بأن الإيمان 220/ب
لأهل الكتاب لأنهم من أهل الحجاب.

وقال الأستاذ: يعني ما لنا عندكم عيب إلا أنا تحققنا أننا محو في الله وأن الكائنات حاصلة بالله ولا نقتفي أثراً لما سوى الله في الله وهذا والله عيب زائل ونقص ليس له في التحقيق حاصل أقول بل هذا نقص في التحقيق كمال وعيب في نظر أرباب الكمال جمال.

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 60] أي: من منعوتكم ﴿مَثُوبَةً﴾ [الآية: 60] أي: جزاءً ثابتاً ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 60] والمثوبة في أصلها مختصة بالخير كالعقوبة بالشر ونصبها على التمييز عن بِشَرٍّ بدفعِ توهم الخير ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ [الآية: 60] أي: هو من أبعدهم الله عن رحمته وسخط عليهم بارتكاب معصيته ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ﴾ [الآية: 60] وهم أصحاب السبت من اليهود ﴿وَٱلْخَنَازِيرَ﴾ [الآية: 60] وهم كفار أهل مائدة عيسى من النصارى ﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [الآية: 60] أي: ومن عبد ما سوى الله من المشركين وقرأ حمزة بضم الباء وجر الطاعون عطفاً على القردة للإشعار بالمسخ في المسيرة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ [الآية: 60] الملعونون ﴿شَرٌّ مَّكَانًا﴾ [الآية: 60] لأنهم في مقام التذليل ﴿وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الآية: 60] أي: قصد الطريق الموصل إلى الرب الجليل والمراد الزيادة مطلقاً من صفتي التفضيل.

وقال الأستاذ: يعني أخس من المذكورين منّا قدراً وأقلهم خطراً من سقط عن عين الله فأذله وأبعده عن نعت التخصيص فأضله ومنعه عن وصف التقريب فأبعده وحجبه عن شهود الحقيقة فطرده.

﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ﴾ [الآية: 61] أي: منافقوكم ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ [الآية: 61] بما أنزل إليكم ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ﴾ [البقرة: 14] ﴿وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ﴾

(1) نسب إلى النابغة. انظر: الحيوان (1/ 360)، ونهاية الأرب (2/ 303).

[الآية: 61] أي: في باطنهم وخيالهم ﴿وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ﴾ [الآية: 61] على حالهم جملة حالية والمعنى دخلوا وخرجوا كافرين ما أثر فيهم من صحبة المؤمنين ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ﴾ [الآية: 61] أي: من الكفر والكيد بالمسلمين بدخولهم عليهم حيناً بعين الحين.

وأفاد الأستاذ: أنهم أظهروا الصدق وفي التحقيق نافقوا فافتضحوا من حيث أوهموا ولبسوا فلا حالهم بقيت مستورة ولا أسرارهم كانت عند الحق مكتومة وهذا نعت كل مبطل عند أرباب الحقائق أحوالهم ظاهرة في أنوار فراستهم.

﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾ [الآية: 62] أي: من المنافقين وغيرهم ﴿يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ﴾ [الآية: 62] أي: الحرام وقيل: الكذب لقوله تعالى عن قولهم الإثم ﴿وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [الآية: 62] / الظلم أو مجاوزة الحد عن المعاصي أو الإثم ما يختص بهم 221/ أ والعدوان ما يتعدى إلى غيرهم ﴿وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ﴾ [الآية: 62] أي: الرشوة وخص بالذكر للمبالغة ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 62] لبئس شيئاً ما عملوه وإلى آخرتهم قدموه.

﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ﴾ [الآية: 63] زهادهم وعبادهم ﴿وَٱلْأَحْبَارُ﴾ [الآية: 63] علماؤهم ورؤساؤهم ﴿عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ﴾ [الآية: 63] أي: عن كذبهم وافترائهم ﴿وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ﴾ [الآية: 63] أي: الحرام في بيعهم وشرائهم ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾ [الآية: 63] من عدم النكر والتنكير عليهم ووجود الميل إليهم وخص الصنع بخواصهم والعمل بعوامهم لأن الصنع عمل بعد تدرب فيه وتردد إجادة تحر ولأن ترك الحسنة أقبح من موافعة المعصية من حيث أن النفس تلتذ بها وتميل إليها ولا كذلك ترك الإنكار عليها فكان جديراً بأبلغ الذم فيها قال ابن عباس وغيره ما في القرآن آية أشد توبيخاً للعلماء(1) منها.

وأفاد الأستاذ: أن الرباني من كان لله وبالله ولم يبق منه بقية لغير الله ويقال الرباني من توقى عن الآفات ثم ترقى إلى أعلى الساحات ثم تلقى ما كوشف به من زوائد القربات فخلا عن نفسه وصفا عن وصفه وقام لربه بربه وقد جعل الله الربانيين تائبين عن الأنبياء والمرسلين الذين هم أولوا الدين فهم خلفاء ينهون

(1) تفسير الطبري (10/ 449) رقم (12239)، وتفسير ابن كثير (3/ 144).

الخلق بهممهم وأحوالهم أكثر مما ينهون بأقوالهم فإنهم إذا أشاروا إلى الله حقق الله ما يرومون إليه ويحقق ما يعلقون هممهم عليه.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [الآية: 64] وذلك حين كف الله عنهم نعمة الدنيا بعدما جحدوا القرآن وأنكروا الدين وكانوا قبل ذلك في خصب ورخاء فقالوا هو ممسك يقتر الرزق، وغل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ولا قصد إثبات يد وغل وبسط في عالم الوجود وقيل معناه أنه فقير كقولهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران: 181] ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟﴾ [الآية: 64] دعا عليهم بالبخل والنكد وبالفقر والمسكنة والكبد أو المراد بغلّ الأيدي حقيقة (يغلون) أسارى في الدنيا ومسحبين إلى الحميم في العقبى فتكون المطابقة من حيث اللفظ دون المعنى وملاحظة الأصل في المبنى ﴿بَلْ يَدَاهُ﴾ [الآية: 64] أي: نعمتاه أي: الدنيوية والأخروية والظاهرية والباطنية ﴿مَبْسُوطَتَانِ﴾ [الآية: 64] أي: لأهلها مبذولتان فاليد
221/ب بمعنى النعمة وقيل ثنيُ اليد مبالغة في الرد/ ونفي البخل عنه وإثباتاً لغاية الجود فإن غاية ما يبذله السخي من ماله أن يعطيه بيده ﴿يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [الآية: 64] أي: هو مختار في إنفاقه فيوسع تارة ويضيق تارة أخرى على حسب مشيئته ومقتضى حكمته.

وقال الأستاذ: أي بل قدرته بالغة ومشيئته نافذة ونعمته سابغة وإرادته ماضية ويقال ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [الآية: 64] يرفع ويضع ويدفع ولا يمنع ولا يخلو أحد عن نعم الدفع وإن خلا نعم النفع قلت وكذا لا يخلو أحد عن نعم النفع لما سبق في قوله من عدم المنع ولقوله سبحانه ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء: 20] أي: ممنوعاً.

ولعل الأستاذ أراد بالنفع المنفعة الأخروية والدنيوية النافعة للأمور الدينية.

ولذا قال ابن عطاء: ربما أعطاك فمنعك وربما منعك وأعطاك فالحق تارة يعطي للإكرام وأخرى للاستدراج مزلة الأقدام ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم﴾ [الآية: 64] أي: من اليهود ﴿مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [الآية: 64] أي: من الأحكام والحدود ﴿طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ [الآية: 64] في الوجود والمعنى كلما نزلت آية كفروا وازدادوا طغياناً وكفراً بخلاف المؤمنين فإنهم يزيدون بنزول كل آية إيقاناً وشكراً قال تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾ [البقرة: 26] ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا

﴿هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: 82] ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: 82] كما يزداد المريض داء من الأدواء من تناول الغداء الصالح للأصحاء فهو كالنيل ماء للمحبوبين ودماء للمحجوبين كما قال ﷺ: القرآن حجة لك أو عليك[1] وفي رواية القرآن شافع ومشفع أو ماحل مصدق[2] ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ﴾ [الآية: 64] أي: أوقعنا بين طوائف اليهود أو بينهم وبين النصارى على ما قاله الحسن ومجاهد ﴿ٱلْعَدَٰوَةَ﴾ [الآية: 64] أي: الظاهرة ﴿وَٱلْبَغْضَآءَ﴾ [الآية: 64] الكامنة ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [الآية: 64] فلا تتوافق قلوبهم وأحوالهم ولا يتطابق آراؤهم وأقوالهم ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟﴾ [الآية: 64] أي: اليهود ﴿نَارًا لِّلْحَرْبِ﴾ [الآية: 64] أي: مع المسلمين أو مع أحد ولو من المشركين ﴿أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾ [الآية: 64] بأن أوقع بينهم منازعة مانعة لهم من الغلبة ﴿وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾ [الآية: 64] أي: للفساد وهو اجتهادهم في كيد العباد وهتك المحارم وإثارة الفتن في البلاد ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [الآية: 64] أي: لا يعزهم ولا يرضى عنهم ويجازيهم على فسادهم
يوم الدين ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ/ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ مع جرائمهم العظام ﴿ءَامَنُوا۟﴾ [الآية: 65] 222/ أ
بمحمد عليه السلام ودخلوا في دين الإسلام ﴿وَٱتَّقَوْا۟﴾ [الآية: 65] المعاصي والآثام والظلم للأنام ﴿لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ [الآية: 65] التي فعلوها ولم نؤاخذهم بها ﴿وَلَأَدْخَلْنَـٰهُمْ جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [الآية: 65] فيه تنبيه عن عظمة عيوبهم وكثرة ذنوبهم وأن الإسلام يجبُّ ما قبله من كفرهم وعصيانهم وبعض العلماء على أن من آمن ولم يراع التقوى لم تكفر سيئاته التي عمل بها في الكفر وفي الآية نوع إشعار إليه وكذا في حديث الصحيحين دلالة عليه فعن ابن مسعود قلنا أنؤاخذ بأعمالنا في الجاهلية والإسلام فقال عليه السلام: أما من أحسن منكم إسلامه فلا يؤاخذ بها ومن أساء أخذ بعمله في الجاهلية[3].

لكن قال النووي: المراد بحسن الإسلام إيمان صحيح لا نفاق فيه والمراد من الإساءة النفاق انتهى.

---

(1) سبق تخريجه. (2) سبق تخريجه.

(3) أخرجه مسلم في الصحيح (120/ 189)، وأبو يعلى في المسند (9/ 65) رقم (5131).

وهذا تأويل حسن وإن قيل هو خلاف المتبادر وفيه أن التأويل لا يكون إلا كذلك وأن إبقاؤه على ظاهره مخالف لقواعد أهل السُنَّة ومقوٍ لمذهب المعتزلة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه وتعالى إنما وعدهم الغفران بشرط التقوى ودليل الخطاب أن لا يغفر لمن لم يتقِ منهم في العقبى وقال لظالمي هذه الأمة ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ [فاطر: 32] ثم قال في آخر الآية بعد ذكر الأقسام ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ [الرعد: 23] وقال: ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [المدثر: 56] أي: أهل أن يتقى فإن تركتم التقوى فهو أهل أن لا يغفر انتهى.

وهذا يشير إلى الفرق بين مسلمة أهل الكتاب وبين مؤمني هذه الأمة في الخطاب.

ثم قال الأستاذ: ويقال لو أنهم راعوا أمرنا أصلحنا لهم أمرهم ولكنهم وقفوا فوقفوا.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ [الآية: 66] بإذاعة ما فيها ولطاعة أحكامهما ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [الآية: 66] أي: القرآن أو سائر الكتب المنزلة فإنها من حيث أنهم مكلفون بها كالمنزل إليهم ﴿لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ [الآية: 66] أي: لوسع عليهم أرزاقهم بأن يفيض عليهم بركات من السماء والأرض بأن نزل عليهم المطر وأخرج لهم نبات الأرض قيل أراد به التوسعة كما يقال فلان في الخير من فرقه إلى قدمه وعبر عن الأخذ والانتفاع بالأكل لأنه أجل منافعهم وإيماءً إلى محط نظرهم إنما هو في شبع/ بطنهم لحرصهم وشرهم وفي 222/ب الآية إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: 2 ـ 3] وفي الحديث إلى الله أن يرزق عبده المؤمن إلا من حيث لا يحتسب.

وقال الأستاذ: أي لو سلكوا سبيل الطاعة لوسعنا لهم أسباب المعيشة وسهلنا لهم الحال الطيبة حتى إن ضربوا يمنة ما لقوا غير اليمن وإن ذهبوا يسرة ما وجدوا إلا اليسر ﴿مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾ [الآية: 66] جماعة عادلة متوسطة غير غالية ولا مقصرة وهم الذين صاروا في هذه الأمة وساروا في هذه الملّة.

وأفاد الأستاذ: أن المقتصد هو الواقف على حد الأمر لا يقصر فيه فينقص

ولا يجاوز فيزيد ويقال المقتصد الذي تساوى في همته الفقد والوجود في الحادثات ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾[الآية: 66] وهم كفارهم يقال في حقهم ﴿سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 66] أي: بئس ما يعملونه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [الآية: 67] أي: أخبر جميع ما أوحي إليك غير مراقب من أحد نفعاً وضراً ولا خائف مكروهاً وشراً.

وفي «حقائق السلمي» قيل: ﴿بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [الآية: 67] من الرسالة ولا تبلغ ما خصصناك به من محل الكشف والمشاهدة فإنهم لا يطيقون سماع ما أطقت حمله من مشاهدة الذات والتجلي في الصفات.

وقال الأستاذ: أي لا تكتم شيئاً مما أوحينا إليك ملاحظة لغير إذ لا غير في التحقيق إلا رسوم موضوعة وأحكام القدرة عليها جارية ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ﴾ [الآية: 67] أي: لم تبلغ جميعه كما أمرتك به ﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الآية: 67] وقرأ نافع وابن عامر وأبو بكر رسالته أي: فما أديت شيئاً منها لأن كتمان بعضها يضيع ما أدي منها كترك بعض أركان الصلاة فإن حكمة الدعوة ينتقض به ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الآية: 67] أي: أنا ناصرك وحافظك فلا تخف أحداً غيري في تبليغك أو عدة وضمان من الله بعصمة روحه من تعرض أعدائه اطمئناناً لقلبه وسره فروى الترمذي وقال الحاكم صحيح الإسناد أنه كان رسول الله ﷺ يحرس من قبل ذلك فلما نزلت هذه الآية تركت الحراسة(1) وقيل: المائدة آخر ما نزل من القرآن فلا يشكل ثج رأسه الأشرف أو المراد حفظة روحه ﷺ.

وفي «الحقائق» قيل: لصون سرك عن الاشتغال بهم والنظر إليهم.

223/ أ وقال/ الأستاذ: جمعاً بين المعينين بحفظ ظاهرك من أن يمسك أذاهم فلم يسلط بعد هذا عدو عليه ويصون سرك عنهم حتى لا يقع فيه احتشام منهم ويقال ﴿يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الآية: 67] حتى لا تغرق في بحر التوهم بل تشاهدهم كما هم وجوداً بين طرفي العدم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الآية: 67] أي: لا يمكنهم مما يريدون من الهلاك بك وبالمسلمين أو المعنى بلغ أنت رسالتك

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (2/ 342) رقم (3221)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/ 251) رقم (3046)، والطبراني في المعجم الكبير (11/ 256) رقم (11663).

والله الهادي وليس عليك هداهم.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ [الآية: 68] متعد به من الدين ﴿حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ [الآية: 68] المراد إقامة أصولهما وما لم ينسخ من فروعهما ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الآية: 68] من سائر الكتب المنزلة ومن جملة إقامتها الإيمان بمحمد ﷺ والإذعان لِحكمه.

وقال الأستاذ: أي ليس انتعاشكم ولا نظام معاشكم ولا قدركم في الدنيا والعقبى ولا مقداركم ومنزلتكم في حال من حالاتكم إلا بمراعاة الأمر والنهي والمحافظة على أحكام الشرع ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ [الآية: 68] كرره ليتعقب عليه قوله ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الآية: 68] أي: فلا تحزن عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم بما تبلغه إليهم فإن ضرر ذلك لاحق بهم لا يتخطاهم وفي المؤمنين مندوحة لك عنهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الآية: 69] أي: باللسان كالمنافقين أو المراد بهم الكاملون من المؤمنين ﴿وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ [الآية: 69] سبق تفسير في سورة البقرة ورفع الصائبون هنا على الابتداء والخبر محذوف أي: كذلك والجملة معترضة بين أصحابي الكتابيين والنكتة أنهم طائفة مائلة إلى كل من الملّتين وقيل: إن بمعنى نعم وما بعدها في موضع الرفع بالابتداء وقيل: الصابئون منصوب بالفتح فإنه كما جوز بالياء جوز بالواو ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [الآية: 69] أي: بجنانه أو ثبت على إيمانه ومات على إيقانه ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [الآية: 69] أي: قام بأحكام الإسلام وأركانه ومن في محل الرفع بالابتداء وخبره ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية: 69] في العقبى ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الآية: 69] على ما فاتهم من الدنيا والجملة خبر إن.

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الآية: 70] ليقوموا بوعدهم وليوفوا بعهدهم ﴿وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا﴾ [الآية: 70] ليبينوا لهم أمر دينهم وليذكروا لهم
223/ب طريق يقنيهم ﴿كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ/ أَنفُسُهُمْ﴾ [الآية: 70] أي: بما لا تشتهي نفوسهم ومُخالف أهواءهم من الشرائع وميثاق التكاليف التي يكون دواءهم.

وقال الأستاذ: وداروا مع الهوى فوقعوا في البلاء ومن أمارات الشقاء

الإصرار على متابعة الهوى ﴿فَرِيقًا﴾ [الآية: 70] أي: من الأنبياء ﴿كَذَّبُواْ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ [الآية: 70] عدل عن قتلوا مراعاة للفاصلة وبناءً على حكاية الحال الماية استحضاراً لتلك الحال الشنيعة وتنبيهاً على أن ذلك دأبهم وحالهم في الأوقات الماضية وقصدهم في الأزمنة الآتية.

﴿وَحَسِبُوٓاْ﴾ [الآية: 71] أي: ظنوا أنهم مع هذه الأفعال القبيحة ﴿أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [الآية: 71] أي: لا يصيبهم عقوبة وبلية وقرأ أبو عمر وحمزة والكسائي برفع تكون على أنّ أنْ هي المخففة عن المثقلة وأصله أنه لا تكون فتنة.

وقال الأستاذ: اغتروا بطول الإمهال فأصروا على قبيح الأعمال فلما أخذتهم فجأة النقم لم ينفعهم الندم واشتد بهم الألم ﴿فَعَمُواْ﴾ [الآية: 71] عن الدين ودلائل اليقين ﴿وَصَمُّواْ﴾ [الآية: 71] عن استماع الحق من النبيين كعبدة العجل وغيرهم من المذنبين ﴿ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية: 71] أي: ثم تابوا فقبل الله توبتهم أو وفقهم بالتوبة فتابوا عن معصيتهم والمعنى بثم أنهم تمادوا في الضلالة إلى أن حصل لهم الهداية بالتوبة ﴿ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ﴾ [الآية: 71] أي: كرةً بعد أخرى ﴿كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ [الآية: 71] بدل من ضمير الجمع أو من قبيل لغة أكلوني البراغيث ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 71] فيجازيهم على وفق أعمالهم وطبق أحوالهم.

﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [الآية: 72] وهم طائفة من أهل الحلول والاتحاد المسمون باليعقوبية.

وأفاد الأستاذ: أنهم سقمت بصائرهم والتبس أمارات الحدوث عليهم فخلطوا في عقائدهم استحقاق أوصاف القدم بنعوت الحدوث وصفات العدم ﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الآية: 72] إني عبد الله ورسوله إليكم ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ﴾ [الآية: 72] أي: أنا عبد مربوب مثلكم فاعبدوا خالقي وخالقكم ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾ [الآية: 72] أي: في عبادته أو ما يخص به من أفعاله وصفاته ﴿فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ﴾ [الآية: 72] أي: منعه من اللذات الأبدية والمراتب السرمدية ﴿وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ [الآية: 72] أي: منزلة نار الفرقة ودار الحرقة ومسكنه مقام الحجاب ومحل العقاب ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [الآية: 72] / أي 224/أ

وليس للكفار أنصار من الأغيار في دار البوار.

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [الآية: 73] أي: أحد ثلاثة من الآلهة هو والمسيح وأمه فلا ينافي قوله سبحانه ما يكون من نجوى ثلاثة وهو حكاية عما قاله النسطورية والملكانية القائلون بالأقانيم الثلاثة.

وقال الأستاذ: بلغ الخذلان بهم حداً كابروا الضرورة فحكموا للواحد بأنه ثلاثة ولا يخفى فساد هذا على مجنون في القضية فضلاً على عاقل له أدنى مزية ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [الآية: 73] من مزيدة للاستغراق والمعنى ما في الموجودات ذات واجب مستحق العبادات من حيث أنه مبدأ جميع الكائنات إلا إله موصوف بالوحدانية متعالٍ عن قبول الشركة في المراتب الربانية من الصفات الصمدانية ﴿وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ﴾ [الآية: 73] أي: بالتوبة عن مقولهم ﴿لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ﴾ [الآية: 73] أي: ممن بقي على كفرهم أو مات على شركهم ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الآية: 73] مؤلم في جميع أحوالهم.

﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الآية: 74] أي: بجنانهم ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ﴾ [الآية: 74] بلسانهم عن عقائدهم الفاسدة وأقوالهم الكاسدة ويرجعون بالتنزيه والتوحيد بعد هذا التقرير والتهديد ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الآية: 74] مع هذا الذنب الجسيم والمعنى يغفر لهم إن تابوا ويمنحهم من فضله إن أنابوا وفي هذا الاستفهام تعجيب من إصرارهم بعدم توبتهم واستغفارهم.

وقال الأستاذ: لم يغلق باب التوبة عليهم مع قبيح أقوالهم وفساد عقائدهم وأحوالهم تضعيفاً لِرجاء المؤمنين بخصائص رحمته وآمالهم.

﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [الآية: 75] والجملة وصف لرسول أو استئناف بيان لأحوال كل رسول أي: ما هو إلا رسول من جنس الرسل الذين خلوا ومضوا من قبله فإنه خصهم الله تعالى بآيات كما خصه بها فإنه سبحانه إن خلق عيسى من غير أب فقيل خلق آدم من غير أب وأم وهو أغرب وإن أحيى الموتى على يده فقد أحيا العصا وجعلها حية تسعى على يد موسى وهو أعجب ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾ [الآية: 75] صدقت بكلمات ربها وكتبه كسائر النساء اللاتي يلازمن التصديق والصدق بالتوفيق ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾

[الآية: 75] ويفتقران إليه كسائر الأنعام وقيل: هو كناية عن يغوطان ويبولان ﴿ٱنظُرْ﴾ [الآية: 75] نظر تعجيب في عالم البيان ﴿كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْآيَٰتِ﴾ [الآية: 75] أي: العلامات الفارقة بين ذات القدم/ والحدثان ﴿ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ 224/ ب يُؤْفَكُونَ﴾ [الآية: 75] كيف يصرفون عن استماع الحق فلا يتأملون ولا يؤمنون.

وأفاد الأستاذ: أن من اشتملت عليه الأرحام المنتنة وتناوبته الآثار المتعاقبة أنّى يليق بوصف الألهية ثم مسته الحاجة حتى اتصف بالأكل وأصابته الضرورة إلى أن يخلص من قضايا الطعام فأنّى يليق به استيجاب بالعبادة واستحقاق التسمية بالإلهية انظر يا محمد [كيف] نزيد في إيضاح الحجة وكيف تلبّس عليهم سلوك المحجة.

﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [الآية: 76] يعني عيسى عليه السلام وأن ملك بعض ذلك إنما هو تمليك الله له هنالك فهو لا يملك من ذاته ولا في جميع حالاته ولا يملك مثل ما يضر الله به من البلاء والمصيبة وما ينفع به من الصحة والسعة واختير ما في العبادة نظراً إلى ما هو عليه في ذاته من النسبة الجمادية توطئة لنفي القدرة عنه بالكلية وإيماءً إلى أنه بمعزل عن الإلهية وقدم المضرة لأن التحرز عنها أهم من تحري المنفعة ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ [الآية: 76] بالأقوال ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ [الآية: 76] بالأحوال والأعمال الصحيحة والعقائد الفاسدة والنيات الخالصة والكاسدة.

وأفاد الأستاذ: أن تعليق القلب بدون الرب في استدفاع الشر واستجلاب الخير تمحيق الوقت بما لا يجدي وإذهاب العمر فيما [لا] يغني إذ المتفرد بالإيجاد بريء عن الأنداد.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ [الآية: 77] أي: غلواً باطلاً في جميع الأبواب ولا تتجاوزوا عن صوب السداد والصواب فترفعوا عيسى عليه السلام إلى أن تدعو له الإلهية أو تضعوا فتزعموا أنه لغير رشده ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ﴾ [الآية: 77] يعني أسلافهم وأئمتهم الذين ضلوا قبل بعثة محمد ﷺ في شريعتهم ﴿وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا﴾ [الآية: 77] أي: خلقاً كثيراً ممن شايعهم على ضلالتهم ﴿وَضَلُّوا۟﴾ [الآية: 77] أي: واستمروا كلهم ﴿عَن سَوَآءِ

﴿ٱلسَّبِيلِ﴾ [الآية: 77] أي: الموصل إلى رضاء الجليل ولقاء الخليل.

وأفاد الأستاذ: أن التعمق في الباطل قطع لآمال الرجوع الآيل وكلما كان بعد المسافة من الحق أتم وأشد كان اليأس من الرجعة أوجب وأسد ومتبع الضلال شر من مبتدعه في المآل لأن المبتدع يبني في الحال والمتبع يتم البناء به في الاستقبال ومن به كمال الشر شر ممن فيه ابتداء الشر قلت ولعله من هذه الحيثية وإلا فيناقضه من سنّ سُنَّة سيئة.

225/ أ ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [الآية: 78] أي/ لعنهم الله أو أوقع لعنهم ﴿عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ﴾ [الآية: 78] في الزبور ﴿وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ﴾ [الآية: 78] في الإنجيل ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 78] أي: اللعن الشنيع المقتضي الحال الفظيع ﴿بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ﴾ [الآية: 78] أي: بسبب عصيانهم واعتدائهم في طغيانهم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أمر الأنبياء عليهم السلام حتى ذكروا الكفار بالسوء وأما الأولياء فاستخصهم بذكر نفسه فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيۡكُمۡ﴾ [الأحزاب: 43] فلعنة الكفار بلسان الأنبياء وذكر المؤمنين ببيان الحق على أحسن الإنباء فإنه لو كان ذلك ذكراً لكان فيه استحقاق فضيلة فكيف وهو ذكر بالجميل والمدحة ولقد قال قائلهم:

لئن ساءني أن نلتني بمساءة　　　قد سرني أني خطرت ببالك[1]

﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ﴾ [الآية: 79] أي: لا ينهى بعضهم بعضاً عن معاودة منكر فعلوه أو عن ارتكاب منكر أرادوا فعله وتهيئوا له ولا ينتهون عنه ولا يمتنعون منه بل يصرون عليه ﴿لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ [الآية: 79] .

وأفاد الأستاذ: أن الرضا بمخالفة أمر الحبيب موافقة للمخالف ولا إلفة بعد تميز الخلاف والسكوت عن جفاء يعامل به كرم ومروءة والإغضاء على ما يقال في محبوبك دناءة.

﴿تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ﴾ [الآية: 80] يعني المنافقين ﴿يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ﴾ [الآية: 80] أي: يوالون المشركين بغضاً للمؤمنين ﴿لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ﴾ [الآية: 80] أي: ليس شيئاً قدموه ليردوا عليه يوم القيامة مما هيّؤوه ﴿أَن

(1) نسب إلى ابن الدمينة. انظر: الحماسة المغربية (1/ 97)، والتذكرة السعدية (1/ 45).

سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية: 80] أي: وهم جاحدون ﴿وَفِي ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾ [الآية: 80] فما بعد أن هو المخصوص بالذم والمعنى بئس موجب سخط الله وهو الحجاب وسبب الخلود في العذاب.

قال الواسطي: ما أظهر من الوسم المكروه على خلقه جعل ذلك مضافاً إلى غضبه وسخطه من غير أن يشوش عليه شيء في عقبه ألا ترى إلى قول الحكيم كيف يؤثر عليه ما هو أجراه أم كيف يغضبه ما هو أبداه وكيف يجري عليه الغضب على نحو ما يعرف من الآدميين ولا يكره شيئاً خلقه وتولى إظهاره وإن كان نفس ما أظهره مكروهاً في ذاته إذ لا ضرر عليه في شيء من خلقه كما لا رتبة له في شيء من خلقه.

225/ ب وأفاد الأستاذ: أن شر خصال اللئام مطابقة من يضاد/ الأصدقاء الكرام فإذا كان سخط الله في موالاة أعدائه فرحمته ورضوانه في معاداة أعدائه وموالاة أحبائه.

﴿وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ﴾ [الآية: 81] أي: نبينا أو نبيهم ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ﴾ [الآية: 81] من القرآن والتوراة ﴿مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الآية: 81] لأن الإيمان الكامل يمنع عن محبة الأعداء ﴿وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الآية: 81] خارجون عن الدين بالاعتداء داخلون في مقام الأعداء.

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ [الآية: 82] فإنهم متفقون على الانهماك في حسدهم والتمادي في عنادهم والقساوة في قلوبهم وحرصهم على طول عمرهم وقلة رجوعهم إلى الحق وعدم رحمهم على الخلق ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ﴾ [الآية: 82] للين جانبهم وحسن تواضعهم وقوة كرمهم وإحسانهم وقلة حرصهم على الدنيا وكثرة اهتمامهم بالعلم والعمل للعقبى كما أشار إليه بقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ﴾ [الآية: 82] أي: علماء ﴿وَرُهْبَانًا﴾ [الآية: 82] أي: زهاداً ﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الآية: 82] عن قبول الحق حتى يفهموا أو يتوضعوا خلاف اليهود فإنهم مستكبرون وفيه دليل على أن الأوصاف الجميلة محمودة وإن كانت في كفرة مبعودة.

وقد قال الإمام الحجة: إنّ الكافر الفقير أحق عذاباً في النار من الكافر

الغني ولو اشتركا في دار البوار وقال بعضهم أثنت عليهم حرمات الخدمة وإن كانوا على طريق المخالفة لأنهم لما أظهروا لزوم الباب صح لهم التزهد والرهبانية بنوع من الانتساب وإن قصدوا في تحقيق مقام الاكتساب.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه بين أن صفة العداوة وإن كان يجمعهم في المخالفة فمعرة بعضهم تزيد على بغض في بغض المقابلة وبقدر ما للنصارى من الترهب أثر فيهم بالمقاربة من أهل القرب وأنهم وإن لم ينتفعوا به من حيث الخلاص لفقد الإخلاص فقد ذكرهم الله سبحانه بمقاربة أهل الاختصاص.

﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ﴾ [الآية: 83] أي: سماع القبول باعتبار بعضهم من أهل الوصول ﴿تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾ [الآية: 83] كالسيول ﴿مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ [الآية: 83] أي: النازل على الرسول وهو بيان لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا﴾ [الآية: 83] بمحمد عليه السلام ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [الآية: 83] أي: من أمته فإنهم شهداء على/ الأمم يوم القيامة قيل نزلت في 226/أ سبعين رجلاً من قوم النجاشي وفدوا على رسول الله ﷺ فقرأ عليهم سورة يس فبكوا وآمنوا[1] فقال لهم: لعلكم إذا رجعتم إلى أرضكم انتقلتم إلى دينكم فقالوا:

﴿وَمَا لَنَا﴾ [الآية: 84] أي: مانع حاصل لنا ﴿لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾ [الآية: 84] أي: في الجنة.

﴿فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا﴾ [الآية: 85] أي: فجازاهم وأعطاهم بسبب قولهم عن صميم قلوبهم ﴿جَنَّاتٍ﴾ [الآية: 85] أي: بساتين مشتملة على الأشجار ذوات الأثمار والأزهار ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [الآية: 85] أي: مقدرين الخلود في دار القرار ﴿وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الآية: 85] أي: الأبرار في هذه الدار.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الآية: 86] عموماً ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ [الآية: 86] خصوصاً ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [الآية: 86] أي: ملازمون في العذاب الأليم والحجاب المقيم.

(1) تفسير القرطبي (6/ 256)، وتفسير البغوي (3/ 87)، وتفسير ابن أبي حاتم (5/ 56) رقم (6716)، والدر المنثور (3/ 130).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ [الآية: 87] أي: من المشتهيات والمستلذات المباحات ﴿وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ﴾ [الآية: 87] أي: لا تتجاوزوا عن الحد بالتضييق على أنفسكم في تحريم الحلالات كما فعل بعض المترهبين من النصارى كسراً للنفس ورفضاً للشهوات ومبالغة في تحصيل الرضاءات ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [الآية: 87] بل يحب المقتصدين أو معناه لا تعتدوا حدود ما أحل لكم إلى تعاطي ما حرم عليكم ولا تعتدوا في تناول الحلال وخذوا منه بقدر الكفاية المعينة على عبادة ذي الجلال فإن الزيادة على هذا الحال وبال في المآل.

وقال أبو عثمان: لا تحرموا على أنفسكم المكاسب وطلب قوة الحلال من تلك المراتب ولا تعتدوا أي: لا رازقاً سوى ذي الجلال فإنه الرازق لكنه ربما أوصل إليك رزقك بمكتسب وربما حصل لك الرزق بلا سبب.

وأفاد الأستاذ: أن من أمارات السعادة الوقوف على حد العبادة إن أباح الحق شيئاً قبله وقابله بالخشوع وإن حظر وقف ولم يتعرض للحظوظ ومما أباحه من الطيبات الاسترواح إلى نسيم القرب في أوطان الخلوة وتحريم ذلك أن يستبدل تلك الحالة بالخلطة دون العزلة والعشرة دون الخلوة وذلك هو العدوان العظيم والخسران الجسيم هذا والآية نزلت في جمع من الصحابة منهم علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه تبتلوا واعتزلوا النساء وطيبات/ الطعام 226/ب
واللباس وهموا بالاختصاء ولذلك قيل: الاعتداء هو الاختصاء وروي أن رسول الله ﷺ وصف القيامة لأصحابه يوماً وبالغ في إنذارهم فترّقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على أن لا يزالوا صائمين وأن لا يناموا على الفرش ولا يأكلوا الطعام والدسم ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا في الأرض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال لهم: إني لم أؤمر بذلك إن لأنفسكم حقاً فصوموا وأفطروا وقوموا فإني أقوم وأنام وأصوم وأفطر وآكل اللحم والدسم وآتي النساء فمن رغب عن سُنَّتي فليس مني[1] فنزلت.

(1) تفسير الطبري (10/ 519)، وتفسير ابن كثير (3/ 171).

﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ [الآية: 88] أي: كلوا ما أحل لكم وطاب مما رزقكم ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ [الآية: 88] في مخالفة ما أمركم به ونهاكم عنه فيما تفعلون وفيما تأكلون وتشربون وتلبسون قال بعضهم رزقه الذي رزقك ما هو من غير حركة منك ولا استشراق فيك وهو الطيب الحلال يحل محل الدعوة ويطيب قلبك بتناول تلك اللقمة.

وأفاد الأستاذ: أن الحلال الصافي بأن يأكل على شهوده فإن نزلت الحالة عن هذا فعلى ذكره فإن الأكل على الغفلة حرام في شريعة الإرادة هذا وقيل: لما نزلت الآية السابقة في منعهم على ما اتفقوا عليه من أنواع الرياضة والمجاوزة عن مراعاة طريق السُنَّة قالوا: يا رسول الله إنا قد حلفنا على تلك الحالة[1] فنزل قوله تعالى:

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ [الآية: 89] هو الحلف على ما يظن أنه كذلك وإن لم يكن وإليه ذهب أبو حنيفة وأحمد وقيل: هو ما يبدو من المرء بلا قصد كقول الرجل لا والله وبلى والله وإليه ذهب الشافعي ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم﴾ [الآية: 89] أي: إذا حنثتم ﴿بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ﴾ [الآية: 89] أي: بما وثقتم الأيمان عليه بالقصد والنية وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر بالتخفيف وابن ذكوان عاقدتم ﴿فَكَفَّارَتُهُ﴾ [الآية: 89] أي: فكفارة حنثه وجزاء حنثه ﴿إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ [الآية: 89] أي: من أعدله أو أمثله أو من أقصده في النوع أو القدرة وهو نصف صاع من بر أو صاع من شعير وتمر ونحوهما وهو قول عمر وعلي وعائشة ومجاهد والشعبي وسعيد بن جبير وغير واحد من
227/أ السلف واختار أبو حنيفة أو مد/ لكل مسكين كما هو مذهب الشافعي ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ [الآية: 89] وهي ثوب جامع يستر عامة البدن كقميص أو إزار ورداء عندنا وقيل: ما يستر به العورة وبه قال مالك والشافعي وأحمد وهو قول محمد من أصحابنا ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ [الآية: 89] أي: إعتاق إنسان مسلماً كان أو كافراً صغيراً أو كبيراً ذكراً أو أنثى وشرط الشافعي فيه الإيمان قياساً على كفارة القتل ومعنى أو في الآية إيجاب إحدى الخصال الثلاث مطلقاً وتخيير المكلف في

(1) الوجيز (1/ 333).

التعيين والعتق أفضل ثم الكسوة ثم الإطعام فبديء بالأيسر والأيسر على الأنام ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ [الآية: 89] أي: واحداً منها بأن لم يفضل ما يطعم عشرة مساكين من قوته وقوت عياله في يومه وليلته ﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ﴾ [الآية: 89] أي: فعليه صوم ثلاثة أيام أو فكفارته صيام ثلاثة أيام متتابعات كما قرئ بها وبه قال أبو حنيفة لأن قراءة الشاذة بمنزلة السُنَّة في الرواية خلافاً للشافعية حيث قالوا: لم يثبت كتاباً ولم ترو سنة وفي «تفسير المعين» للصفوي الشافعي أنها قراءة أبي وابن مسعود والشواذ وإن كانت ليست بحجة فلا أقل أن يكون خبر واحد وتفسير من الصحابة وهو في حكم المرفوع وعليه أبو حنيفة وأحمد ونص الشافعي في موضع من الأم على وجوب التتابع ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 89] أي: المذكورة ﴿كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ [الآية: 89] أي: وحنثتم وترك ذكر الحنث للعلم بأن الكفارة تجب بالحنث لا بنفس الحلف ﴿وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ﴾ [الآية: 89] أي: بأن لا تبذلوها لكل أمر أو بأن تبروا فيها ما استطعتم ولم يفت خير بها ﴿كَذَٰلِكَ﴾ [الآية: 89] أي: مثل ذلك البيان ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [الآية: 89] إعلام شرائعه من مأموراته ومنهياته ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الآية: 89] أي: نعمة التعليم وسائر تفضلاته.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة في الآية إلى وقت يغلب على قلبك التعطش إلى شيء من إقباله أو وصاله فتقسم عليه بجماله أو جلاله أن يرزقك شظية من أفضاله فذلك في شريعة الرضا لغو من اليمن فيعفو عنك رحمة عليك لضعف حالك والأولى هو الذوبان والخمود بحسن الرضا تحت ما يجري عليك من أحكامه في الرد والصد وأن تؤثر استقامتك في أداء حقوقه على كرامتك بحسن تقريبه/ وإقباله كما قال قائلهم: 227/ ب

أريد وصاله ويريد هجري فأترك ما أريد لما يريد[1]

ومن اللغو في اليمين عندهم ما يجري على لسانهم في حال غلبات الوجد في تجديد العهد وتأكيد العقد فيقول وحقك لا نظرت إلى غيرك ولا قلت لغيرك ولا حلت عن عهدك وامتثال هذا وهذا كله في حكم التوحيد محو في مقام التفريد سهو ومن أنت في الرفعة حتى تعد من نفسك وأين في الدار غيره ديار

(1) سبق التعليق عليه.

حتى تقول بتركه أو تتحقق بوصله أو هجره كلا بل هو الله الواحد القهّار وكما أن الكفارة الشرعية إمّا عتق وإما كسوة أو إطعام فإن لم تستطع فصيام ثلاثة أيام فكفارتهم على موجب الإشارة إمّا بذل الروح بحكم الوجد أو بذل القلب بصحة القصد أو بذل النفس بدوام الجهد فإن عجزت فإمساك وصيام عن المناهي والزواجر والملاهي.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ﴾ [الآية: 90] أنواع المسكر ﴿وَٱلْمَيْسِرُ﴾ [الآية: 90] أصناف القمار ﴿وَٱلْأَنصَابُ﴾ [الآية: 90] أي: الأصنام نصبت للعبادة أو حجارة كانوا يذبحون قرابينهم لآلهتهم عندها طلباً للقربة ﴿وَٱلْأَزْلَٰمُ﴾ [الآية: 90] سبق تفسيرها في أول السورة ﴿رِجْسٌ﴾ [الآية: 90] أي: ذوات قذر يعاف عنه العقول أو موحيات سخط أو أسباب إثم في المعقول والمنقول ﴿مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [الآية: 90] لأنه مسبب في تسويله وتزينه ﴿فَٱجْتَنِبُوهُ﴾ [الآية: 90] أي: الرجس أو ما ذكر ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الآية: 90] أي: تفوزون بالمقاصد الدينية والمراتب الأخروية.

وأفاد الأستاذ: أن الخمر ما خامر العقول والخمر حرام بإجماع أرباب النقول والإشارة فيه أنه يزيل نفاد العقل بما يوجب عليه من الالتباس ومن شرب من خمر الغفلة فسكره أصعب من سكر من شرب الخمر فشراب الغفلة يوجب البعد عن الحقيقة فمن سكر من خمر الدنيا فهو ممنوع عن الصلاة ومن سكر من شراب الغفلة فهو محجوب عن المواصلات وكما أن من شرب الخمر وجب عليه الحد فكذلك من شرب شراب الغفلة فعليه الحد بضرب سياط الخوف وكما أن السكران لا يقام الحد ما لم يفق فالغافل لا ينجح فيه الوعظ ما لم ينته وكما أن مفتاح الكبائر شرب الخمر فأصل كل زلة وسبب كل
228/ أ بعد وحجبة الغفلة عن/ الحضرة، وحرّم الميسر في الشرع وفي شريعة الحب القوم مقهورون ومن حيث الإشارة فأبدانهم مطروحة في شوارع التقدير يطؤها كل عابر سبيل ومن الصادرين من غير القادرين وأرواحهم مستباحة بحكم القهر عليها خرجت القرعة من غلبات الحكم لديها قوله تعالى: ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ﴾ [الصافات: 141].

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الآية: 91] بوقوع هذه الأشياء ﴿أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ﴾ [الآية: 91] في ظاهركم وباطنكم خصوصاً ﴿فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ [الآية:

91] ﴿وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 91] أي: يشغلكم بالخلطة والجلوة عن العزلة والخلوة ويمنعكم عن الحضرة ﴿وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [الآية: 91] أي: وعن صلاة المواصلة ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [الآية: 91] منها أم أنتم مصرون عليها وبهذا التقدير في المبنى قيل المعنى فانتهوا كما قيل في قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ﴾ [آل عمران: 20] أي: أسلموا.

وأفاد الأستاذ: أنه طال عهدهم بالحقيقة فقاسوا الهوان في مطارح القربة فصاروا سخرة الشياطين والفجرة فبقوا عن الصلاة التي هي محل النجوى وكمال الراحة وفسدت ذات بينهم بما تولد بينهم من الشحناء والبغضاء والعداوة.

﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ [الآية: 92] فيما أمرا به ﴿وَٱحْذَرُوا۟﴾ [الآية: 92] ما نهيا عنه ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ [الآية: 92] أي: أعرضتم عن الطاعة وترك المراقبة ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الآية: 92] وقد أدى الرسالة وأثبت الحجة وأوقع النصيحة فيرجع إليكم مضرة المعصية والمخالفة.

قال الواسطي: الحذر لا يزول عن العبد وإن كان مدرجاً تحت الصفات ولولا ذلك لبسطه العلم إلى قلة المبالاة بالأفعال والمقالات ولكن الأدب في إقامة المقامات هو المراعاة والموافقات كما ازدادت السرائر لعلماء الآخرة ازدادت لهم الخشية وقال أيضاً احذروا لا تلاحظوا طاعاتكم فتسقطوا عن درجة كمالاتكم.

وقال الأستاذ: كلما كان العبد أعرف بربه كان أخوف بقلبه من جهة حجبه وإنما ينتفي الحذر عن العبد عند تحقق الوعد بقوله ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ﴾ [الأنعام: 82] وذلك عند دخول الجنة وحقيقة الحذر نهوض القلب بدوام الاستغاثة مع مجاري الأنفاس في كل ساعة هذا وروى أحمد عن ابن عباس لما نزل/ تحريم 228/ ب
الخمر قالوا كيف بمن كان يشربها قبل التحريم وبعض الذين قتلوا يوم أُحُد شهداء والخمر في بطونهم فأنزل الله تعالى:

﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ﴾ [الآية: 93] أي: إثم ﴿فِيمَا طَعِمُوٓا۟﴾ [الآية: 93] أي؛ مما لم يحرم عليهم بعد لقوله: ﴿إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟

﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الآية: 93] أي: اتقوا المحرم من الشرك وسائر المعصية وثبتوا على الإيمان والأعمال الصالحة ﴿ثُمَّ ٱتَّقَوا۟﴾ [الآية: 93] أي: ما حرم عليهم بعد كالخمر وآمنوا بتحريمه ﴿وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟﴾ [الآية: 93] أي: استمروا على اتقاء المعاصي ﴿وَّأَحْسَنُوا۟﴾ [الآية: 93] أي: وتحروا للأعمال الجميلة وبها اشتغلوا ويحتمل أن يكون هذا التكرير باعتبار الأوقات الثلاثة أو باختلاف الحالات الثلاث من استعمال العبد التقوى بينه وبين نفسه أولاً وبينه وبين الناس ثانياً وبينه وبين الله ثالثاً وكذلك بدل الإيمان في الكرة الثالثة بالإحسان إشارة إلى قولهﷺ وفي تفسيره الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه[1] أو باعتبار المراتب الثلاث من المبدأ والوسط والمنتهى أو باعتبار أنواع ما يتقى فإنه يبتغي أن يترك المحرمات توقياً من أصناف العقوبات والشبهات تحرزاً للنفس عن الوقوع في المحرمات وبعض المباحات الشاغلة عن الطاعات والعبادات المانعة عن الوصول إلى مقامات أرباب الإرادات وأصحاب القربات في علوا الحالات ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الآية: 93] فلا يؤاخذهم بما يؤاخذ المسيئين وفيه أن من فعل ما ذكر صار محسناً ومن صار محسناً صار لله محبوباً ومن خالف شيئاً من ذلك كان لله مغضوباً.

وقال سهل: في قوله ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟﴾ [الآية: 93] أي: إذا طلبوا الحلال ولم يؤاخذوا فوت الكفاية من المال تحسيناً للحال وتحصيناً للمال.

وأفاد الأستاذ: أن من حافظ على الأمر والنهي فليس للقمة يتناولها من الخطر ما يضايق فيها وإنما المقصود من العبد التأدب لصحبة طريقه سبحانه فإذا اتقى الشرك تعرف ثم أتقى الحرام فيما تصرف ثم اتقى الشح فآثر وما أسرف أو يقال ﴿ثُمَّ ٱتَّقَوا۟﴾ [الآية: 93] المنع ﴿وَّءَامَنُوا۟﴾ [الآية: 93] بالخلف وهذا
229/ أ للعوام ﴿ثُمَّ ٱتَّقَوا۟﴾ [الآية: 93] شهود الخلق وأحسنوا شهود الحق/ وهذا للخواص ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الآية: 93] أعمالاً والمحسنين آمالاً والمحسنين أحوالاً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 94] أي: ليعاملنكم معاملة المختبر

(1) سبق تخريجه.

وأنتم محرمون ﴿بِشَيْءٍ مِنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾ [الآية: 94] أي: بتناول بعض منه بالأيدي لقربه وأنسه وبعض منه بالرماح لنفرته وبعده فإن الآية كما قال مقاتل ابن حبان نزلت عام الحديبية ابتلاهم الله بالصيد وكانت الوحوش والطيور تغشاهم في رحالهم لم يروا مثلها قط بحيث يتمكنون من صيدها أخذاً بأيديهم لأن فيها صغاراً وفراخاً على ما نص عليه مجاهد وطعناً برماحهم لأن فيها كباراً[1] ﴿لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 94] أي: يرى ويميز ﴿مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ [الآية: 94] أي: من يخاف الله ولم يره أو من يخاف عقاب الله وهو غائب غير مشاهد فيميز ممن لا يخاف لضعف إيمانه وقلة إيقانه والتقليل والتحقير في شيء إما للتنبيه على أنه ليس من العظائم التي تدحض الأقدام كالابتلاء ببذل الأنفس والأموال وارتكاب الأمور العظام فمن لم يثبت عنه فكيف يثبت عندما هو أعظم منه أو للإشارة إلى أنما يقع به الابتلاء بعض من كل بالإضافة إلى مقدوره سبحانه فإنه قادر على أن يبتلي بأعظم من ذلك ليبعثهم على الصبر ويهون عليهم الأمر ويؤيده أنه سبق الإعلام به قبل حلوله ليوطن النفس عليه بعد نزوله ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 94] أي: الابتلاء بالصيد أو الإنذار والإعلام ﴿فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الآية: 94] أي: فالوعيد لاحق به وهو ملام.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أباح الصيد لمن كان حلالاً وحرم الصيد على المحرم الذي قصد زيارة البيت مآلاً والإشارة فيه أن من قصد بيتنا ينبغي أن يكون الصيد منه في أمان لا يتأذى منه بحال من الأحوال حيوان ولذا قالوا البر من لا يؤذي الذر ولا يضمر الشر.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ [الآية: 95] أي: محرمون جمع محرم والمراد بالصيد هنا المصيد وهو عام لكل حيوان متوحش في أصل الخلقة
229/ ب كما عليه الجمهور ومنهم أبو حنيفة واستثنى الشارع كما ورد خمس يقتلن/ في الحل والحرم الحدأة والغراب والعقرب والفأرة والكلب[2] العقور وفي رواية

---

(1) تفسير النيسابوري (3/ 208).

(2) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (2/ 387) رقم (3870)، وأبو يعلى في المسند (7/ 478) رقم (4503).

أخرى الحية بدل العقرب[1] والمراد بالغراب الذي يأكل الجيف دون الذي يأكل الزرع وعند الشافعي يجوز للمحرم قتل ما يؤكل لحمه من الصيد ﴿وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا﴾ [الآية: 95] ذاكراً لإحرامه غير مكره على فعله عالماً فإنه حرام عليه قتل ما يقتله والأصح عند السلف والخلف وعليه أبو حنيفة إن العمد والخطأ والنسيان سيان في لزوم الكفارة دون الإثم والعصيان فليس قوله متعمد التقيد وجوب الجزاء بل لقوله ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُۚ﴾ [المائدة: 95] ولأن الآية نزلت فيمن تعمد إذ روي أنه عنّ لهم في عمرة الحديبية حمار وحش فطعنه أبو اليسر برمحه فقتله فنزلت[2] ﴿فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾ [الآية: 95] برفع جزء منوناً ورفع مثل مضافاً قراءة الكوفيين بمعنى فعليه أو فواجبه جزاء يماثل ما قتله من النعم ومن بيان للجزاء أو للمثل وقرأ الباقون على إضافة المصدر إلى المفعول والمعنى فعليه أن يجزى مثل ما قتله وهذه المماثلة باعتبار الخلقة والهيئة عند مالك والشافعي وأحمد ومحمد من أصحابنا وبحسب القيمة عند أبي حنيفة وأبي يوسف وهو المروي عن ابن عباس وقول إبراهيم وعطاء ومجاهد والقاسم فيقوّم الصيد حيث صيد أصيد أو بقربه فإن بلغت ثمن هدي تحير بين أن يهدي من الغنم ما قيمة الصيد وبين أن يشتري بقيمته طعاماً فيعطي كل مسكين نصف صاع من برأو صاعاً من غيره وبين أن يصوم عن طعام كل مسكين يوماً وإن لم تبلغ يخير بين الإطعام والصيام واللفظ للقول الأول أوفق وللثاني أتم وأعم والله أعلم ﴿يَحْكُمُ بِهِۦ﴾ [الآية: 95] أي: بالجزاء ﴿ذَوَا عَدْلٍ﴾ [الآية: 95] أي: رجلان صالحان ﴿مِّنكُمْ﴾ [الآية: 95] أي: من المسلمين والجملة صفة جزاء واستئناف بيان وهو يؤيد قول ابن حنيفة لأن التقويم أمس بالاجتهاد والنظر من المماثلة في الخلقة والهيئة إليهما وقرأ ذوا عدل على إرادة الجنس والإمام كما هو مذهب الشافعي ﴿هَدْيًا﴾ [الآية: 95] حال منتظرة من الضمير في به ﴿بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾ [الآية: 95] أي: واصلاً إلى حرمها بأن يذبح فيه ويتصدق به ثم وهو الأفضل أو يتصدق به حيث

(1) أخرجه أبو عوانة في المستخرج (4/ 367) رقم (2944)، وابن خزيمة في الصحيح (4/ 191) رقم (2669).

(2) تفسير النيسابوري (3/ 210)، والكشف والبيان للثعلبي (5/ 160).

يشاء كما هو مذهبنا ﴿أَوْ كَفَّرَةٌ﴾ [الآية: 95] عطف على جزاء ﴿طَعَامُ مَسَٰكِينَ﴾ [الآية: 95] عطف بيان وقرأ نافع/ وابن عامر كفارة طعام بالإضافة البيانية كقولهم: 230/ أ
خاتم فضة ﴿أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا﴾ [الآية: 95] أي: أو ما ساواه من الصيد فيصوم عن طعام كل مسكين يوماً والعدل في الأصل مصدر أطلق للمفعول وذلك إشارة إلى الطعام وصياماً تميز للعدل وأو للتخيير في الآية عند الأكثر ومنهم أبو حنيفة وهو الأصح من قولي الشافعي ﴿لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ﴾ [الآية: 95] أمره متعلق بمحذوف أي: أوجبنا عليه ذلك ليذوق ثقل فعله وجزاء هتكه لحرمة إحرامه ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾ [الآية: 95] أي: من قتل الصيد محرماً في الجاهلية أو قبل التحريم أو في هذه المرة ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ [الآية: 95] أي: مثل هذا الفعل ﴿فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ﴾ [الآية: 95] أي: فهو ينتقم الله منه ومع ذلك عليه الكفارة فيه وعن ابن عباس لا كفارة عليه فإن الأمر أشد بالنسبة إليه ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ [الآية: 95] أي: قوي قادر غالب على أمره ﴿ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [الآية: 95] ممن أصر على مخالفة حكمه.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة في هذه الآية أن من قصدنا فعليه بحسم الأطماع جملة ولا ينبغي أن يكون له بحال من الأحوال نوع مطالبة وكما أن الصيد حرام على المحرم إلا أن يتحلل بقالبه فكذلك الطمع والطلب والاختيار على الواحد حرام ما دام محرماً بقلبه ويقال العارف صيد الحق ولا يكون للصيد صيد فإذا قتل المحرم الصيد فعليه الكفارة وإذا لاحظ العارف الأغيار أو طمع في شيء أو اختار لزمته الكفارة ولكن لا يكتفي منه بجزاء المثل ولا أضعاف أمثال ما تصرف فيه أو طمع أو رغب بل كفارته تجرده على الحقيقة عن كل غير قليل وكثير وصغير وكبير.

﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ﴾ [الآية: 96] أي: مصيده وقيل اصطياده في حال الإحرام وعدم الجرم وهو الأصح المنقول عن أكثر السلف والمراد به ما صيد منه مما لا يعيش إلا في الماء وهو حلال أكله لقوله ﷺ في البحر هو الطهور ماؤه والحل ميتته[1] وقال أبو حنيفة لا يحل منه إلا السمك وقيل: يحل السمك وما

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (1/ 237) رقم (491)، وابن ماجه في السنن (1/ 136) رقم (386)، والترمذي في الجامع الصحيح (1/ 100) رقم (69)، والدارمي في السنن (1/ 201) رقم (729).

يؤكل نظيره في البر﴿وَطَعَامُهُۥ﴾ [الآية: 96] أي: أكل ما قدمه البحر أو نصب عنه بخلاف ما طغا فإنه لا يحل عندنا ﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ﴾ [الآية: 96] تمتيعاً لكم نصب على المفعول له والمعنى منفعة لكم أيها المقيمون من المؤمنين ﴿وَلِلسَّيَّارَةِ﴾ [الآية: 96] أي: ولسياريكم من المسافرين حيث يتزودونه قديداً ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ﴾ [الآية: 96] أي: ما صيد فيه أو الاصطياد فيه فعلى/الأول يحرم على المحرم ما 230/ ب
صاده الحلال وإن لم يكن له مدخل بالدلالة والإشارة ونوع من السببية والجمهور على حله لقوله عليه السلام لحم الصيد حلال لكم ما لم تصطادوه أو صيد لكم ما ﴿مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ [الآية: 96] أي: محرمين ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الآية: 96] أي: إلى موضع حكمه تجمعون.

وأفاد الأستاذ: إن حكم البحر بخلاف حكم البر فإذا غرق العبد في بحر الحقائق سقط حكمه من بين الخلائق فصيد البحر مباح له لأنه إذا غرق صار محواً فما إليه ليس به ولا منه إذ هو محو فيه ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾ [يوسف: 21].

﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ﴾ [الآية: 97] أي: صيرها وسميت كعبة لتكعبها وارتفاعها ﴿ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ [الآية: 97] أي: المحترم في كل مقام وهو عطف بيان للكعبة على جهة المدح والمفعول الثاني ﴿قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ﴾ [الآية: 97] أي: قواماً لدينهم ودنياهم وسبب انتعاشهم في أمر معادهم ومعاشهم يلوذ به الخائف الضرير ويأمن فيه الضعيف والكسير ويربح فيه الفقير وقرأ ابن عامر قيّماً بالقصر على أنه مصدر أعل عينه كما أعل فعله.

قال الشبلي: الكعبة أمام أعين الناس والحق أمام قلوب الأولياء من أهل الاستئناس ﴿ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ [الآية: 97] قيل: أي حرام في مجاورته ارتكاب المخالفة أزيد من سائر المقام وقيل: حرام على من يراه أن يرى وضعه دون واضعه وهو الله.

وفي «**حقائق السلمي**» قوله ﴿قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ﴾ [الآية: 97] أي: من زل عن قيامه وأعرج بالتدنس بمعصيته وآثامه فتعلق به أقامه ببركاته وآثار الأنبياء فيه إلى حال استقامته.

ومن «**نفائس العرائس**» أنه سبحانه ألبس الكعبة سناءَ قدس آياته ونورها

بصفح مشارق صفاته من مطالع ذاته وصيرها مرآة حسنة وجماله لينظر أنظار نظار معارفه وأبصار عُشاق كواشفه داء عظمته وكبريائه لقيامهم على مشاهد قربه ومواقف قدسه ليطلبوا منها رؤية براهين كمال صفته ومشارق صنيع جلال قدمه وحرم تِلك المنازل على الأغيار دون الأخيار ومنع الأخيار عن الدخول فيها مع بقاء نفوسهم ليعلموا أنها ممنوعة من تناول الكل لهم ليعرفوا عين القدم أنه منزه عن خطوة كل حادث جعل الكعبة بيته وجعل بيته قلب العالم وظهر بجلاله منه لعيون العارفين كما ظهر لموسى من طور سيناء هكذا جعل قلب العارف كعبة مشاهدته في حرم صورته وسد بابه عن كل طائف غير نظره فيظهر/آثار 231/ أ
جلاله من صورهم ﴿وَٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَٱلۡهَدۡيَ وَٱلۡقَلَٰٓئِدَۚ﴾ [الآية: 97] معطوفات على الكعبة والمراد بالشهر الحرام ما يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة لأنه المناسب لقرنائه فالألف واللام للعهد وقيل للجنس وينصرف إلى الكل لانتفاء قرينة البعض فالمعنى جعل الله الأشهر الحرم قياماً للناس فيه الحج والأمن من القتال والمراد بالهدي ما أهدي إلى الكعبة ومن القلائد ذوات القلائد ومن الهدي وهي ما قلد به من نعل أو لحاء شجرة ليعلم أنها هدي وكانوا يأمنون بتقليد الهدي ويحصل به القيام في أمرهم على وجه النظام ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 97] أي: الجعل المذكور أو ما ذكر في السورة من الأمور ﴿لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الآية: 97] فإنه شرع الأحكام لدفع المضار قبل وقوعها وجلب المنافع المترتبة على وجودها دليل كمال حكمة الشارع في حكمه وبيان إحاطة علمه ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ﴾ [الآية: 97] أي جزئي وكلي ﴿عَلِيمٌ﴾ [الآية: 97] ختم للتخصيص بالتعميم لإفادة التكميل والتتميم.

وأفاد الأستاذ: أن حكم الله سبحانه بأن يكون بيته اليوم ملجأ يلوذ به كل مؤمل ويستقيم ببركة زيارته كل جائز وحائد عن نهج الاستقامة يستنجح بالابتهال هناك كل ذي إربٍ من صاحب أدب والبيت حجر والعبد مدر والحق سبحانه ربط المدر بالحجر ليعلم أنه الذي لم يزل لا سبيل إليه للحدثان والغير فسبحان من يغير ولا يتغير.

﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الآية: 98] لأرباب الحجاب ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [الآية: 98] بمن هداه إلى الصواب وأعطاه الثواب.

وأفاد الأستاذ: أنه شديد العقاب للأعداء غفور رحيم للأولياء ويقال شديد العقاب للخواص بتعجيل الحجاب إن زاغوا عن الشهود لحظة غفور رحيم للعوام إن رجعوا إليه توبة وحسرة.

﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ [الآية: 99] أي: التبليغ وقد بلغ وعلى الله هداية من وصل إليه وبلغ.

وقال الأستاذ: أي المنفرد بالإلهية الله، والرسول وإن جل قدره فليس عليه إلا البلاغ وهو أيضاً بتسييره سبحانه ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ [الآية: 99] أي: تظهرون وتسرون.

﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ﴾ [الآية: 100] أي: الحرام والحلال والمؤمن
231/ب والكافر والعاصي والمطيع والجاهل/ والعالم والغافل والذاكر.

وأفاد الأستاذ: أن الخبيث ما اكتسبه الغافل عن الله في حال اكتسابه والطيب ما اكتسبه عن شهود الحق وقت انتسابه ويقال الخبيث ما لم يخرج منه حق الله تعالى والطيب ما أخرج منه حقه سبحانه ويقال الخبيث ما ادخرته لنفسك والطيب ما قدمته لأمره من عملك أو مالك ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ﴾ [الآية: 100] أي: وأحزنك قلة الطيب فإن العبرة بالجودة والرداءة دون القلة والكثرة ولأن ما قل وكفى خير مما كثر وألهى على ما ورد عن النبي المصطفى والخطاب في أعجبك لكل معتبر من أرباب العقول السليمة بدليل قوله ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الآية: 100] أي: فاحذروا العقاب وما يترتب عليه من الحجاب في تحري الخبيث وإن كثر وإيثار الطيب وإن قل ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الآية: 100] أي: راجين أن تبلغوا مقام الفلاح بالملازمة على حال الصلاح والإصلاح.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [الآية: 101] أي: إن تظهر تحزنكم وتضركم ﴿وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ﴾ [الآية: 101] أي: على لسان رسولكم ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا﴾ [الآية: 101] أي: عن أشياء لم يكلف بها كما في حديث أن الله فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدوداً فلا تعتدوها وحرم أشياء فلا تنتهكوها وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان فلا

تبحثوا عنها على ما رواه الدارقطني وغيره عن ابن ثعلبة الخشني مرفوعاً[1]
وروى الترمذي وابن ماجه والإمام أحمد وابن جرير أنه لما نزلت ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ [آل عمران: 97] قال سراقة بن مالك أكل عام فأعرض عنه رسول الله ﷺ حتى أعاد ثلاثاً فقال: لا ولو قلت نعم لوجب ولو وجب لما استطعتم فاتركوني ما تركتكم[2] ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [الآية: 101] لا يعاجلكم بالعقوبة ويعفو عن كثير من المخالفة وعن عباس أنه ﷺ كان يخطب ذات يوم غضبان من كثرة ما يسألون عنه مما لا يعنيهم فقال: لا أسأل عن شيء إلا أجبت فقال رجل أين أبي؟ فقال: في النار فقال: آخر من أبي؟ فقال: حذافة وكان يدعي لغيره فنزلت رواه ابن جرير وغيره[3].

﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ﴾ [الآية: 102] أي: المسألة المغمة دون المسائل المهمة أو
سأل عن الأشياء الملمة ﴿قَوْمٌ/ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ [الآية: 102] متعلق بيسألها ﴿ثُمَّ 232/ أ
أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ﴾ [الآية: 102] أي: بسببها حيث تركوها وهجروها ولم يعملوا بها أو أنكروها وفي الحديث الصحيح ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم[4] قال بعضهم لا تسألوا عن مقامات الصديقين ودرجات الأولياء العارفين المحققين فإنه إن بدا لكم منهم شيئاً فأنكرتم ذلك هلكتم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه إذا أسبل عليكم ستر العطف فلا تتعرضوا لعلم ما أخفي عنكم بالعطف فينتقص بالتجسس عليكم عيشكم ويقال لا تتعرضوا للوقوف على محل الأكابر فلا تستوجبون ذلك فيسوءكم تقاصر رتبتكم ويقال إذا بدا من الإعراض علم فاطلبوا له عندكم وجهاً من التفاؤل ولا تطلبوا أسرار الباري

---

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير (2/ 249) رقم (1111)، والبيهقي في السنن الكبرى (10/ 12) رقم (19509)، والدارقطني في السنن (4/ 183) رقم (42).
(2) تفسير الطبري (11/ 110)، وتفسير ابن كثير (3/ 207).
(3) تفسير البيضاوي (1/ 371).
(4) أخرجه مسلم في الصحيح (1337/ 412)، وابن حبان في الصحيح (1/ 198) رقم (18)، والنسائي في السنن الكبرى (2/ 319) رقم (3598)، وأحمد في المسند (2/ 247) رقم (7361).

واركنوا إلى روح المنى في استدفاع ما أظلكم ولا تبحثوا عن سر ذلك ودعوا الأمر مجملاً وقوله ﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ﴾ [الآية: 102] يعني توهم قوم أنهم محررون عن التأثير بما يصادفهم من فجأة التقادير وذلك منهم ظن كما قال بعضهم:

تبين يوم البين أن اعتزامه
على الصبر من إحدى الظنون الكواذب(1)

﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ [الآية: 103] ولما كان عليه أهل الجاهلية من أنهم إذا ولدت الناقة خمس أبطن آخرها ذكر بحروا أذنها أي: شقوها وخلوا سبيلها فلا تركب ولا تحلب إلا لخدم الأصنام ومن أنهم يقول الرجل منهم إن شفيت ونحوه فناقتي سائبة ويجعلها بالبحيرة في تحريم الانتفاع وعدم احتباسها عن كلأ وماءٍ حيث وجدتا ومن أنهم إذا ولدت الشاة أنثى فهي لهم وإن ولدت ذكراً فهو لآلهتهم وإن ولدتهما قالوا وصلت الأنثى أخاها فلا يذبح الذكر لأجلها ومن أنهم إذا نتجت من صلب الفحل عشرة أبطن حرموا ظهره ولم يمنعوه من ماء ولا كلأ قصد شربه أو رعيه والمعنى ما صير اللّه بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حامياً مشروعة لديه ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ [الآية: 103] أي: بتحريم ذلك ونسبته إليهم افتراء عليه ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الآية: 103] أي: قوم جهلة كالأنعام لا يفرقون بين الحلال والحرام وبعضهم عقلاء في الجملة ولكن يمنعهم تقليد آبائهم مع حب الرياسة والعناد عن الاعتراف بالقضية.

وأفاد الأستاذ: أن هذه أحكام ابتدعوها فردهم الحق سبحانه عن
232/ب الابتداع/ وأمرهم بحسن الاتباع وأخبر أن ما صدر من عاداتهم لا يعد
من جملة عباداتهم.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ﴾ [الآية: 104] أي: إلى متابعة حكمهما وموافقة أمرهما ونهيهما ﴿قَالُواْ حَسْبُنَا﴾ [الآية: 104] أي: يكفينا ﴿مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ [الآية: 104] أي: أمر ديننا ودنيانا بناءً على قلة علمهم وكثرة

(1) نسب إلى أبي غانم. انظر: أمالي الزجاجي (1/ 5)، وأخبار أبي القاسم الزجاجي (1/ 16)، وانظر: الأغاني (5/ 427).

جهلهم واختبار تقليد من قبلهم ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [الآية: 104] الهمزة للإنكار من تقليد غير العلماء الأبرار والمعنى أيقتدون بآبائهم الجاهلين ولو كانوا لا يغفلون شيئاً من أمر الدين ولا يهتدون إلى طريق اليقين ويتركون متابعة الأنبياء والمرسلين وأتباعهم من العلماء العاملين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [الآية: 105] أي: احفظوها والزموا إصلاحها ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ [الآية: 105] بالقيام بما وجب عليها من فعلها وتركها فلا ينافي قوله ﷺ من رأى منكم منكراً واستطاع أن يغيره بيده فليغيره بيده وإن لم يستطع فبلسانه وإن لم يستطع فبقلبه فمعنى اهتديتم إذا ائتمرتم بالمعروف وانتهيتم عن المنكر ونهيتم عنه حسب طاقتكم فيه كما رواه ابن جرير عن سعد بن المسيّب وروي عن غيره واحد من السلف والخلف[1].

وذهب كثيرون من السلف وتبعهم بعض الخلف على أن فيه رخصة لترك الحسبة إذا علم عدم قبولها أو يكون فيها مفسدة أو أضرار له منها ويدل عليه حديث إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك نفسك ودع عنك أمر العام فإن وراءكم أيام الصبر فمن صبر فيهن قبض على الجمر للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله قالوا: يا رسول الله أجر خمسين منهم؟ قال: أجر خمسين منكم[2].

ولذا قال بعض العارفين: هذا زمان السكوت وملازمة البيوت والقناعة بالقوت إلى أن تموت ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 105] وعد للمهتدين ووعيد للمتمردين وتنبيه على أن أحداً لا يؤاخذ بذنب غيره في أمر الدين فالأولى هو الاشتغال بالله عما سواه.

وأفاد الأستاذ: أن الفقير يكفيه أن يمشي وقد جبر بعض كسره فأما إذا

(1) أخرجه ابن ماجه في السنن (2/ 1330) رقم (4013)، والبيهقي في السنن الكبرى (6/ 94) رقم (11293)، والبيهقي في شعب الإيمان (6/ 85) رقم (7559)، وابن حبان في الصحيح (1/ 541) رقم (307).

(2) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (10/ 91) رقم (19980)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/ 257) رقم (3058)، وأبو داود في السنن (4/ 215) رقم (4343)، والبيهقي في شعب الإيمان (7/ 127) رقم (9731).

233/ أ ادعى التقدم على غيره والطمع في إنجاد من سواه من أمره فمحال من/ الحدس والظن في تخليه ويقال من تفرغ إلى غيره تشاغل عن نفسه ومن اشتغل بنفسه لم يتفرغ إلى غيره.

ومن «**نفائس العرائس**» أنه سئل أبو عثمان عن هذه الآية فقال عليك نفسك إن اشتغلت بإصلاح فسادها وستر عوراتها وترويج كسادها شغلك ذلك عن النظر إلى الخلق والاشتغال بهم عن الحق.

وقال محمد بن علي: عليك نفسك إن كفيت الناس شرها فقد أديت حقها ودخل خادم الحسين بن منصور عليه في ليلة توعد من العدو لقتله فقال له: أوصني فقال: عليك نفسك إن لم تشغلها شغلتك أي: إن لم تشغلها بعبادة مولاها شغلتك في مشتهاتها وهواها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ﴾ [الآية: 106] أي: فيما أمرتم شهادة بينكم والمراد بالشهادة الإشهاد في الوصية وإضافتها إلى الظرف على التوسعة ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾ [الآية: 106] أي: شارف حالته وظهرت أمارته وهو ظرف للشهادة ﴿حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ﴾ [الآية: 106] بدل منه أو ظرف، حضر ﴿ٱثۡنَانِ﴾ [الآية: 106] فاعل شهادة أي: فيما فرض عليكم أن يشهد اثنان ويجوز أن يكون خبرها على حذف المضاف أي: شهادة بينكم شهادة اثنين من نعتهما أنهما ﴿ذَوَا عَدۡلٍ مِّنكُمۡ﴾ [الآية: 106] من أقاربكم كما نقل عن عكرمة وروى ابن جرير عن الحسن البصري والزهري واختاره صاحب «**المدارك**» أو من المسلمين ﴿أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ﴾ [الآية: 106] أي من غير أقاربكم أو من غير المسلمين فيكون منسوخاً لأن شهادة الذمي على المسلم لا تسمع إجماعاً على ما ذكر البيضاوي[1] ﴿إِنۡ أَنتُمۡ ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الآية: 106] أي: سافرتم فيها ﴿فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ﴾ [الآية: 106] أي: قاربتم الأجل عطف على ضربتم وجواب الشرط محذوف أي: إن كنتم مسافرين ولم تجدوا مسلمين فيجوز شهادة غيرهم من الذميين ﴿تَحۡبِسُونَهُمَا﴾ [الآية: 106] أي: تقفونهما وتصبرونهما صفة للآخران ﴿مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [الآية: 106] أي: صلاة العصر[2]

(1) تفسير البيضاوي (1/ 374).
(2) تفسير الطبري (11/ 176)، وتفسير ابن كثير (3/ 217).

كما روى ابن عباس في رواية العوفي وهو قول أكثر السلف أو بعد أي صلاة كانت وهو قول الزهري ﴿فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ﴾ [الآية: 106] أي: فيحلفان به ﴿إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾ [الآية: 106] إن شك أحد الوارثين فيهما وأراد حبسهما لأيمانهما والجملة معترضة بين المقسم به وبين المقسم عليه وهو قوله: ﴿لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا﴾ [الآية: 106] أي: لا نستبدل بالقسم أو بالله عرضاً من الدنيا والمعنى لا تحلف كاذباً بالطمع لنا ﴿وَلَوْ كَانَ﴾ [الآية: 106] أي: المقسم له ﴿ذَا قُرْبَىٰ﴾ [الآية: 106] / قريباً منا دفعاً لما يتوهم من أنه قد يسامح في حقه ﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ 233/ ب
ٱللَّهِ﴾ [الآية: 106] أي: الشهادة التي أمر الله بحفظها وتعظيمها ﴿إِنَّآ إِذًا﴾ [الآية: 106] أي: إن كتمنا ﴿لَّمِنَ ٱلْءَاثِمِينَ﴾ [الآية: 106] .

﴿فَإِنْ عُثِرَ﴾ [الآية: 107] أي اطلع ﴿عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا﴾ [الآية: 107] أي: الآخرين ﴿ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا﴾ [الآية: 107] أي: فعلاً ما أوجبا إثما بينهما ﴿فَـَٔاخَرَانِ﴾ [الآية: 107] أي: فشاهدان آخران ﴿يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾ [الآية: 107] خبر لقوله فآخران ثم بينهما لأنهما بقوله: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ﴾ [الآية: 107] بصيغة المجهول أي: جني عليهم وهم الورثة فضمير استحق للإثم والمعنى ارتكب الذنب بالقياس إليهم وقرأ حفص مبنياً للفاعل وهو ﴿ٱلْأَوْلَيَٰنِ﴾ [الآية: 107] أي: من الورثة الذين استحق عليهم الأوليان من بينهم بالشهادة أن يجردوهما للقيام بالشهادة، ويظهروا بها كذب الكاذبين والأوليان يراد به الأحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما وقرأ حمزة وأبو بكر الأولين بصيغة الجمع على أنه صفة للذين أو بدل منه وسموا الأولين لأنهم كانوا أولين في الذكر في قوله شهادة بينكم ﴿فَيُقْسِمَانِ﴾ [الآية: 107] عطف على أن يقومان أي فيحلفان ﴿بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا﴾ [الآية: 107] أي: أصدق وأولى بالاعتبار والقبول من يمين هذين الوصيين الخائنين ﴿وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ﴾ [الآية: 107] أي: ما تجاوزنا الحق فيها ﴿إِنَّآ إِذًا﴾ [الآية: 107] أي: إن اعتدينا ﴿لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية: 107] أنفسهم أو الواضعين الباطل موضع الحق ومحصل الآيتين أن المحتضر إذا أراد الوصية ينبغي أن يشهد عدلين من ذوي نسبه أو دينه على وصيته أو يوصي إليهما احتياطاً فإن الوصي الواحد يكفي اتفاقاً فإن لم يجدهما بأن كان في سفر فآخران من غير المسلمين أو من

غير قرابتهم ثم وقع نزاع وارتياب فيهما أقسماً على صدق ما يقولان بالتغليظ في الوقت أو على رؤوس الأشهاد فإن اطلع على أنهما كذبا بأمارة ومظنة حلف آخران من أولياء الميت والحكم منسوخ إن كان الاثنان شاهدين فإنه لا يحلف الشاهد ولا يعارض يمينه يمين الوارث وثابت إن كانا وصيين ورد اليمين إلى الورثة إما لظهور خيانة الوصيين فإن تصديق الوصي لأمانته أو لتغيير الدعوى فإن سبب نزول الآية على ما رواه الترمذي وأبو داوود أن رجلاً من المسلمين خرج
234/ أ مسافراً و معه رجلان/ من أهل الكتاب ومات بأرض ليس بها مسلم فلما قدموا بتركته فقدوا جام فضة مخوصاً بالذهب فرافعوا إلى رسول الله ﷺ فنزلت فحلفهما بعد صلاة العصر فحلفا على أنهما ما اطلعا على الإناء ثم وجد الإناء عند من اشترى منهما فقام رجلان من أوليائه فحلفا أن الإناء لنا وأخذوا بالظاهر من هذا الحديث أنهما كانا وصيين لا شاهدين ويؤيده ما رواه ابن أبي حاتم عن ابن مسعود من أن المراد بالشهادة الوصاية فلا يكون نسخاً في الآية وعليه غير واحد من الصحابة والتابعين(1) وأما الإمام أحمد والقاضي شريح قالا في خاصة مثل هذه الواقعة شرطان لجواز استشهاد الذميين عند فقد المؤمنين أن يكون في سفر وأن يكون في وصية لكن قال الزهري وابن زيد أن حكم الآية منسوخ إن أريد من الغير الكافرين فإن شهادة الكافر كانت في بدءِ الإسلام ثم نسخت.

﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 108] أي: الحكم الذي تقدم أو تحليف الشاهد ﴿أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ﴾ [الآية: 108] أي: أقرب إلى أن يأتي الشهداء بشهادتهم على نحو تلك الحادثة ووفق ما حملوها من غير تحريف وخيانة فيها ﴿أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ [الآية: 108] أي: ترد اليمين على المدعين وهم أولياء الميت بعد إيمانهم فيفتضحوا بظهور الخيانة واليمين الكاذبة وجمع الضمير لأنه حكم يعم الشهود كلهم والمعنى أنه أقرب إلى أحد الأمرين أداء الشهادة على الصدق أو الامتناع عن أدائها بالكذب أو أيهما وقع كان فيه الصلاح ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [الآية: 108] أي: فيما نهيناكم عنه بالمخالفة ﴿وَٱسْمَعُوا۟﴾ [الآية: 108] أي: ما أمرناكم

(1) أخرجه البيهقي في السنن والآثار (15/ 435) رقم (6078)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (15/ 398) رقم (4928).

سمع الإجابة ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [الآية: 108] الخارجين عن الطاعة إلى الحجة أو المحجة أو طريق الجنة أو سبيل المحبة.

وأفاد الأستاذ: أن حكم هذه الآية كان ثابتاً في الشرع فنسخ وبيان التفسير يخبر عن تفصيله والنسخ هو الإزالة وذلك في العبادات جائز ومعنى النسخ يوجد في سلوك المريدين لأن في الابتداء فرضهم القيام بالظواهر من حيث المجاهدات فإذا لهم من أحوال القلوب شيء آلت أحوالهم إلى مراعاة القلوب فيسقط عنهم أو ردّ الظاهر وتجنيس القرب فهو كالنسخ من حيث الصورة إذ اتصافهم بمراعاة القلوب والحالات أنهم من تأدبهم بأحكام المعاملات.

﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ﴾ [الآية: 109] منصوب بإضمار اذكر أي: اذكر/ يوم 234/ ب
يجمعهم ﴿فَيَقُولُ﴾ [الآية: 109] أي: لهم ﴿مَاذَآ أُجِبۡتُمۡۖ﴾ [الآية: 109] أي: أي إجابة من إقرار أو إنكار أجبتم وهذا السؤال لتوبيخ قومهم أو لتعظيم يومهم ﴿قَالُواْ لَا عِلۡمَ لَنَآ﴾ [الآية: 109] أي: بما أنت تعلمه منا ومن غيرنا ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾ [الآية: 109] فتعلم ما أجابونا وأظهروا لنا وأضمروا الخلاف عنا وقيل: المعنى لا علم لنا إلى جنب علمك فأقروا بالجهل واعترفوا بالعجز وقيل: ذلك من إقامة الأدب لا جهل لما أجابوا.

وقال سهل: لا علم لنا بمرادك في سؤالنا وقيل: لا علم لنا إلا ما علمتنا فإنك أنت أعلم بهم منا وليس علمنا كعلمك بنا.

وقال الأستاذ: به يكاشفهم بنعت الجلال فتنخنس فهومهم وعلومهم حتى ينطقوا بالبراءة عن التحقيق ويقولوا ﴿لَا عِلۡمَ لَنَآ﴾ [الآية: 109] وهكذا يكون الحالة غداً من قال بشيء أو مال إلى شيء مما يكون نعتاً لمخلوق فعند ظهور أوائل التعزز تتلاشى الجملة فالملائكة يقولون ما عبدناك حق عبادتك والأنبياء يقولون ﴿لَا عِلۡمَ لَنَآ﴾ [الآية: 109].

﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ﴾ [الآية: 110].

أفاد شيخنا عطية رحمه الله: أن عيسى إما منصوب تبعاً لما بعده وهي اللغة الشائعة وإما مرفوع محلاً أي: وما بعده صفة له وهي تكون منصوبة إذا كانت مضافة ﴿ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ﴾ [الآية: 110] أي بالنبوة والرسالة ﴿وَعَلَىٰ

وَٰلِدَتِكَ﴾ [الآية: 110] أي: بالصديقية والمعنى أنه تعالى يوبخ الكفرة يومئذٍ بسؤال الرسل عن الإجابة وتعديد ما أظهر عليهم من الآيات المتعددة فكذبهم طائفة وسموهم سحرة وعلا آخرون واتخذوهم آلهة ﴿إِذْ أَيَّدتُّكَ﴾ [الآية: 110] قويتك وأعنتك ﴿بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [الآية: 110] أي: بجبريل يسير معك حيث تسير أو بالنفس التي تحيي به النفس حيوة أبدية ويؤيده قوله ﴿تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ﴾ [الآية: 110] أي: تدعوهم إلى الله تعالى ﴿فِى ٱلْمَهْدِ﴾ [الآية: 110] كائناً فيه ﴿وَكَهْلًا﴾ [الآية: 110] والمعنى تكلمهم في حالة الطفولية والكهولية بالتسوية والمراد إلحاق حاله في الطفولية بحال الكهولية في كمال العقل والتكلم وبه استدل على أنه سينزل فإنه رفع قبل أن يكتهل ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الآية: 110] أي: الحفظ والكتابة ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [الآية: 110] أي: الفهم والحذاقة ﴿وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ﴾ [الآية: 110] أي: هيئة مثل هيئة الطير ﴿بِإِذْنِى﴾ [الآية: 110] أي: لك في ذلك ﴿فَتَنفُخُ فِيهَا﴾ [الآية: 110] أي: في تلك الهيئة ﴿فَتَكُونُ طَيْرًۢا﴾ [الآية: 110] وقرأ نافع طايراً ﴿بِإِذْنِى﴾ [الآية: 110] أي: يطير بأمري أو إرادتي
235/ أ ﴿وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ﴾ [الآية: 110] الذي ولد/ أعمى ﴿وَٱلْأَبْرَصَ﴾ [الآية: 110] الذي عجز عنه الأطباء ﴿بِإِذْنِى﴾ [الآية: 110] أي: بتيسيري ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [الآية: 110] أي: بأن تدعوهم فيقومون من قبورهم ﴿بِإِذْنِى﴾ [الآية: 110] أي: بقدرتي وحكمي.

قال أبو علي الروذبادي: غاية الربوبية في غاية العبودية فمن استقام على بساط العبودية أظهر الله عليه من أوصاف الربوبية بقضائه وقدره قلت: وفي هذا المعنى ورد من كان لله كان الله له ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ﴾ [الآية: 110] أي: منعتهم عن قتلك ﴿إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [الآية: 110] حين إتيانك لهم بالمعجزات الواضحات ﴿فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ﴾ [الآية: 110] أي: ما هذا الذي جئت به ﴿إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الآية: 110] واضح وقرأ حمزة والكسائي إلا ساحر فالإشارة إلى عيسى عليه السلام.

قال الأستاذ: تذكير وجوه النعم يستخرج خلاصة المحب المستور والهيمان في حديث المذكور وكل وقت للأحباب يمضي صار لهم حديث يتلى

من بعدهم أما عليهم وإما عنهم.

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ﴾ [الآية: 111] أي: ألهمت إلى علماء الدين وأرباب الزهد واليقين الواصلين في مقام المخلصين فالوحي بمعنى الإلهام كما قاله الحسن البصري والسدي وغيرهما من العلماء الأعلام ﴿أَنْ ءَامِنُواْ بِى وَبِرَسُولِى﴾ [الآية: 111] يجوز كون أن مصدرية ومفسرة ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ [الآية: 111] أي: بك وبرسلك ﴿وَٱشْهَدْ﴾ [الآية: 111] أي: أنت وكفى بك شهيداً ﴿بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ [الآية: 111] أي: منقادون مطيعون.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه إنما خصهم بالوحي إليهم إلهاماً لانبساط ضياء عيسى عليه السلام إكراماً وفي الأثر «هم القوم لا يشقى بهم جليسهم»(1).

﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الآية: 112] قيل: هذه الاستطاعة على ما يقتضيه الحكم والإرادة لا على ما تقتضيه القدرة وقيل المعنى هل يطيع ربك بإجابة سؤالك أي: هل يجيبك واستطاع بمعنى أطاع كاستجاب وأجاب وقرأ الكسائي بتاء الخطاب ونصب ربك أي: هل تستطيع سؤال ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارفٍ لك ﴿قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [الآية: 112] في سؤال المائدة واقتراح المعجزة فإنها سبب للمهلكة ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 112] بكمال القدرة وصحة النبوة.

﴿قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا﴾ [الآية: 113] أي: نشارك بالأكل منها والانتفاع للتقوى على الطاعة بها ﴿وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾ [الآية: 113] بانضمام علم الاستدلال على كمال القدرة بعلم المشاهدة فإنه ليس الخبر/ كالمعاينة ﴿وَنَعْلَمَ﴾ [الآية: 113] 235/ ب أي: علم عيان وإيقان بعدما علمنا علم إيمان وبرهان ﴿أَن قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ [الآية: 113] أي: فيما وعدتنا من ادعاء النبوة وإجابة الدعوة ﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [الآية: 113] أي عند من لم يحضرها من السالكين.

وأفاد الأستاذ: أنهم طلبوا المائدة ليسكن قلوبهم بما يشاهدونه من عظيم الآية وعجيب المعجزة فغدروا وأجيبوا إليه إذ كان مرادهم حصول اليقين وزيادة البصيرة ويقال كل يطلب سؤله على حسب ضرورته وحالته فمنهم من كان

(1) أخرجه مسلم في الصحيح (2689/ 25).

سكونه في مائدة من الطعام يجدها ومنهم من كان سكونه في فائدة من الكلام يردها ومنهم عزيز من يجد الغناء عن برهان يتأمله أو بيان يطلبه.

﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [الآية: 114] أي: لما رأى أن لهم عرضاً صحيحاً في هذا المبنى وأنهم لا يقلعون عن هذا المعنى ﴿ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا﴾ [الآية: 114] أي: يكون يوم نزولها عيداً نعظمه فضمير يكون للمائدة على حذف مضافين والعيد اسم ليوم فيه سرور مخصوص وقيل العيد السرور الذي يعود فلا حذف لكن في الإسناد مجاز لأنها سبب للسرور ﴿لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا﴾ [الآية: 114] بدل من لنا بإعادة العامل أي: عيداً لسابقينا ولاحقينا روي أنها نزلت يوم الأحد ولذلك اتخذه النصارى عيداً ﴿وَءَايَةً مِّنكَ﴾ [الآية: 114] أي: آية كائنة منك دالًّا على كمال قدرتك وصحة نبوة عبدك وهي معطوفة على ﴿عِيدًا﴾ [الآية: 114] ﴿وَءَايَةً مِّنكَ﴾ ﴿وَٱرْزُقْنَا﴾ [الآية: 114] المائدة والشكر عليها ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [الآية: 114] أي: خير المطيعين لأنه خالق الرزق بلا عوض ومعطيه بلا غرض.

وأفاد الأستاذ: أنه شتان بين أمة طلب لهم نبيهم سكوناً بإنزال المائدة عليهم وبين أمة بدأهم الله سبحانه بإنزال السكينة عليهم في قلوبهم ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح: 4] وفرقاً بين من زيادة إيمانه بآياته التي تتلى عليهم وبين من سكونهم إلى كرامات وعطايا تباح لهم.

﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ [الآية: 115] أي: إجابة لسؤالكم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي بالتخفيف ﴿فَمَن يَكْفُرْ﴾ [الآية: 115] أي: بي وبرسولي وبنعمتي ﴿بَعْدُ﴾ [الآية: 115] أي: بعد نزول المائدة ﴿مِنكُمْ﴾ [الآية: 115] أي: من المقترحين ﴿فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا﴾ [الآية: 115] أي: تعذيباً كأنبت نباتاً
236/أ على أن العذاب اسم للتعذيب كالسلام/ للتسليم والمتاع للتمتيع إذ لو جعل اسماً لما يعذب به لقيل بعذاب لأن التعذيب لا يتعدى إلى مفعولين وجوز أن يكون مفعولاً به على السعة ﴿لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ﴾ [الآية: 115] الضمير للمصدر فيكون في موقع المفعول المطلق ويقوم مقام العائد إلى الموصوف فإن لا أعذبه صفة ﴿أَحَدًا﴾ [الآية: 115] أو للعذاب إن أريد به ما يعذب به على الحذف والإيصال ﴿مِّنَ

﴿ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الآية: 115] أي: عالمي زمانهم روي أنها نزلت سفرة حمراء بين غمامتين وهم ينظرون إليها حتى وقعت بين أيديهم فبكى عيسى عليه السلام خوفاً على المعترضين وقال اللّهم اجعلني من الشاكرين اللّهم اجعله رحمة ونعمة ولا تجعلها نقمة ومحنة ثم قام فتوضأ وصلى ثم كشف المنديل عن وجه المائدة وقال بسم الله خير الرازقين فإذا سمكة مشوية بلا فلوس[1] ولا شوك تسيل دسماً وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من ألوان البقول ما خلا الكراث وإذا خمسة أرغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله أمن طعام الدنيا أم من طعام الآخرة قال ليس منهما ولكن اخترعه الله بقدرته كلوا ما سألتم واشكروا على نعمه يمددكم الله ويرزقكم من فضله[2] وقيل لما وعد الله إنزالها بهذه الشرطية استعفوا عن طلب المائدة فلم تنزل على ما رواه ابن أبي حاتم وابن جرير بإسناد صحيح عن الحسن البصري ومجاهد والجمهور على أنها نزلت وأنهم كفروا بها وعصوا بعدها فمسخوا قردة وخنازير لأجلها[3] وكيف لا وقد قال تعالى إني منزلها وعن مجاهد أن هذا مثل ضربه الله لمقترح المعجزة وعن بعض الصوفية أن المائدة هنا عبارة عن حقائق المعارف فإنها غذاء روح العارف كما أن الأطعمة غذاء البنية قيل: وعلى هذا فلعل الحال أنهم رغبوا في حقائق لم يستعدوا للوقوف عليها فقال لهم عيسى عليه السلام إن حصلتم الإيمان فاستعملوا التقوى بترك العصيان وثبات الإيقان حتى تمكنوا من الاطلاع عليها والوصول إليها فلم يقلعوا عن سوء الفعال وألحوا في السؤال فسأل عيسى ربه لأجل اقتراحهم بيان الحال فبين الله تعالى أن إنزاله/ سهل ولكن فيه خطر لهم 236/ ب
وخوف عاقبة أمرهم فإن السالك إذا انكشف لهم ما هو أعلى من مقامه لعلة لاحتله ويزل فيه بعض قدمه فيضل ولا ينفعه إظهار ندمه.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أجابه إلى سؤاله لهم ولكن توعدهم بأليم

---

(1) بلا قشر.

(2) تفسير ابن كثير (3/ 229)، وتفسير القرطبي (6/ 370)، وتفسير النيسابوري (3/ 232)، وتفسير ابن أبي حاتم (5/ 162).

(3) تفسير الطبري (11/ 229)، وتفسير ابن كثير (3/ 226).

العقاب لو خالفوا بعده ليعلم العالمون أن المراد إذا حصل والكرامة إذا تحققت فالخطر أشد والحال من الآفة أقرب ومهما كانت الرتبة أعلى كانت الآفة أخفى ومحن الأكابر إذا حلّت جلت.

﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 116] أي: يوم القيامة تقريعاً وتوبيخاً للنصارى على رؤوس الأشهاد وحين رفع عيسى إلى السماء وقالت النصارى ما قالته على ما قاله السدي وغيره واختاره الطبري[1] ﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 116] صفة إلهين أو متعلق باتخذوني أي: من غيره ففيه تنبيه على أن عبادة الله مع عبادة غيره كلا عبادة فمن عبده مع عبادتهما كأنه عبدهما ولم يعبده قيل: لما سمع عليه السلام هذا الخطاب المتضمن للعتاب ارتعدت مفاصله وانفجرت عين من الدمع من أصل كل شعرة في بدنه ﴿قَالَ سُبْحَٰنَكَ﴾ [الآية: 116] أي: أنزهك تنزيهاً من أن يكون لك شريك في ملكك ﴿مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ [الآية: 116] أي: ما ينبغي لي أن أقول قولاً لا يحق لي أن أقوله ولا يجوز لي أن أتقوله ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي﴾ [الآية: 116] إلا مما أخفيه كما تعلم ما أعلنه ﴿وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [الآية: 116] أي: ما تخفيه من معلوماتك في ذاتك فالمراد بالنفس الذات مأخوذاً من النفاسة لا من النفس بفتحتين حتى يحتاج إلى القول بالمشاكلة فإنه جاء لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك من دون المزاوجة والمقابلة.

قال جنيد: تعلم ما أنا عليه وما لك عندي ولا أعلم مالي عندك إلا ما أطلعتني عليه ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [الآية: 116] أي: المطلع على الذنوب والعيوب.

وأفاد الأستاذ: أن المراد من هذا السؤال إظهار براءة ساحته عما نسب إليه من الدعاء إلى القول بالتثليث فليس هذا خطاب تعنيف بل خطاب تشويف ثم إن عيسى عليه السلام حفظ أدب الخطاب فلم يزك نفسه بل بدأ بالثناء على
237/أ الحق سبحانه فقال سبحانك تنزيهاً/ عما لا يليق بوصفك ثم قال ﴿مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ [الآية: 116] أي: إني كنت مخصوصاً من قبلك بالرسالة ومن شرائط النبوة

(1) تفسير الطبري (2/ 539).

العصمة فكيف يجوز أن أقول ما لا يجوز لي ثم قال ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ﴾ [الآية: 116] وكان واثقاً بأن الحق سبحانه علم منه نزاهته من تلك المقالة ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى﴾ [الآية: 116] أن علمك محيط بكل معلوم ﴿وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ [الآية: 116] أي: لا أطلع على غيبك إلا بقدر ما تعرفني بإعلامك ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [الآية: 116] الذي لا يخرج معلوم عن علمك ولا مخلوق عن حكمك.

﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ﴾ [الآية: 117] عطف بيان لضمير به أو خبر مضمر أو مفعوله مثل هو أو أعني ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ [الآية: 117] أي: رقيباً عليهم أمنعهم أن يقولوا ذلك ويعتقدوه أو مشاهد لأحوالهم من كفر وإيمان وطاعة وعصيان ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى﴾ [الآية: 117] بالرفع إلى السماء لقوله ﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران: 55] والتوفي في الأصل أخذ الشيء وافياً والموت نوع منه قال تعالى ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾ [الزمر: 42] ﴿كُنتَ أَنتَ﴾ [الآية: 117] أي: وحدك ﴿ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية: 117] المراقب لأحوالم والمطلع على أقوالهم وأفعالهم.

وفي «دقائق الحقائق» كنت مراقباً لهم بما أجريت عليهم من محتوم قضائك بهم ﴿وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [الآية: 117] أي: مطلع عليه ومراقب إليه.

وأفاد الأستاذ: في معنى الآية ما دعوتهم إلا إلى عبادتك ولا أمرتهم إلا بتوحيدك وتقديسك وطاعتك ﴿مَّا دُمْتُ﴾ [الآية: 117] حياً ﴿فِيهِمْ﴾ [الآية: 117] كنت واجداً لهم على هذه الجملة فلما فارقتهم كان تصرفهم في قبضتك على مقتضى مشيئتك فأنت أعلم مني بما كانوا عليه من وصفي وفاقهم وخلافهم رفعتي اقتصادهم وإسرافهم.

﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ [الآية: 118] ولا اعتراض على المالك المطلق أن يفعل في ملكه بملكه ما يشاء من أمره وفيه تنبيه نبيه على أنهم استحقوا ذلك لأنهم عبادك وعبدوا غيرك ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [الآية: 118] أي: مع كفرهم فلا يمتنع جوازه غفلاً ﴿فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الآية: 118] في أحكامك على عبادك وقيل تقديره أن تعذبهم أي: من كفر منهم فإنهم عبادك ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [الآية:

/237ب 118] أي: من أسلم منهم فإنك أنت العزيز الحكيم غالب على أمرك حكيم/ في حلمك لا يجب عليك شيء فإن عذبت فعدل وإن غفرت ففضل.

وقال الورّاق: أن تعذبهم بتقصيرهم في طاعتك فإنهم عبادك مقرين لك بالتقصير في عبادتك وإن تغفر لهم ذنوبهم فأنت أهل العز والكرم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه بين أن حكم المولى في عبيده نافذ بحكم إطلاق ملكه فقال: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ﴾ [الآية: 118] يحسن منك تعذيبهم وكان لك ذلك ﴿فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الآية: 118] أي: المعز لهم بمغفرتك لهم ويقال: أنت ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ [الآية: 118] القادر على الانتقام منهم فالعفو عن القدرة سمة الكرم وعن العجز أمارة الذل ويقال أن تغفر لهم فإنك أعز من أن تتجمل بطاعة مطيع أو تتنقص بذلة عاصٍ وقوله ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ [الآية: 118] رد على من قال غفران الشرك ليس بصحيح في الحكمة.

وذكر صاحب «العرائس» عن ابن مسعود أنه قال: ليأتين على جهنم زمان تخفق أبوابها ليس أحد فيها وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقاباً[1] أقول إن صح عنه فيجب أن يحمل على أن مراده بجهنم طبقة من طبقات النار يعذب فيها عصاة المؤمنين دون الكفار للإجماع على أن الكفار مخلدون في النار لا يخرجون منها ولا يخفف عنهم من عذابها.

﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [الآية: 119] وقرأ نافع بنصب يوم على أنه ظرف مستقر رفع خبر أو المعنى هذا الذي من كلام عيسى واقع يوم ينفع الصادقين صدقهم في الدنيا.

وأفاد الأستاذ: أن من يعجل ميراث صدقه في دنياه من قبول حصل له من الناس أو رئاسة عقدت له أو نفع وصل إليه من جاه أو مال فلا شيء له في أجله من صواب صدقه لأن الحق سبحانه خص يوم القيامة بأن ينفع فيه للصادقين صدقهم ﴿لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الآية: 119] أي: من تحت الأشجار أو من تحت تصرف أهلها الأبرار ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الآية: 119] مقدرين

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (8/ 247) رقم (7969)، وانظر: تفسير الطبري (15/ 484) رقم (18580).

الخلود في دار القرار ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [الآية: 119] أي: مقام الرضا هو الظفر الجسيم والآية بيان النفع المقيم.

وأفاد الأستاذ: أن رضا الحق سبحانه إثبات محل لهم وثناؤه عليهم ومدحه لهم وتخصيصهم بإفضاله وفنون نواله ورضاهم عن الحق سبحانه في آخرهم ووصولهم إلى منالهم.

﴿لِلَّهِ/ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا فِيهِنَّۚ﴾ [الآية: 120] أي: من العلويات 238/ أ
والسفليات جميعهن وفيه تنبيه نبيه على كذب النصارى وغيرهم وفساد دعواهم في المسيح وأمه والأصنام وأمثالهن.

قال الأستاذ: تمدح الحق سبحانه بقدرته القديمة الشاملة لجميع المقدورات الصالحة لإيجاد المصنوعات ولم يتجمل بإضافة غير إلى نفسه من رسم وأثر وعين وطلل ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرُۢ﴾ [الآية: 120] من الإبعاد والإسعاد والصد والرد والنفع والصنع، والقمع والمنع.

سورة الأنعام

[مكيّة]

وهي مئة وخمس وستون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أفاد الأستاذ: أنه سبحانه باسمه استنارت القلوب واستقلت وباسمه زالت الكروب واضمحلت وبرحمته عرفت الأرواح وارتاحت وبالهيبة انخسفت العقول فطاحت ويقال بسم الله نال كل مؤمل سؤله وبرحمة الله وجد كل واجد وصوله.

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ [الأنعام، الآية: 1] أي: وجد العلويات والسفليات وجمع السموات والأرض وهي مثلهن في الطبقات لظهور تعددها ولأن طبقاتها مختلفة بالذات متفاوتة الآثار والحركات وقدمها لشرفها وعلو مكانها وتقدم وجودها وزمانها.

وفي «**دقائق الحقائق**» قيل السموات سموات المعرفة والأرض أرض الخدمة وقيل حمد نفسه بنفسه حين علم عجز الخلق عن بلوغ حمده وقيل: حمد نفسه على ما بدا للخلق من مصالحهم ومعايشهم لغفلة الخلق عن ذلك ويشير إليه قوله ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ﴾ [الآية: 1] أي: أنشأها وأحدثهما وفيه تنبيه على أن الظلمة والنور لا يقومان بأنفسهما رداً على المثنوية[1] وجمع الظلمات لكثرة أسبابها من الأجرام الحاملة لها فإن لكل جرم ظلمة ولو في الجملة وليس لكل جرم نوراً ولأن المراد بالظلمة الضلال وبالنور الهدى والهدى واحد والضلال متعدد كما يومىء إليه قوله سبحانه ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ﴾ [البقرة: 257] وتقديمها لتقدمها في الوجود كما يشير إليه قوله

---

(1) الذين يثبتون إلهين اثنين إله النور وإله الظلمة. انظر: شرح منظومة الإيمان (1/ 155).

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾ [يس: 37] ويدل عليه قوله ﷺ إن الله خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره/ فمن أصابه منه فقد اهتدى 238/ب
ومن أخطأه فقد ضل وغوى(1).

وقال بعضهم: إبداء الظلمات في الهياكل والأشباح والنور في القلوب والأرواح وقيل الظلمات الجهل والنور المعرفة وقيل جعل الظلمات في التدبير والنور في التفويض وتحقيق ذلك في كتاب التنوير لإسقاط التدبير ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الآية: 1] عطف على خلق على معنى أنه خلق الله ما لا يقدر عليه أحد سواه ثم هم به يسوون ما لا يقدر على شيء مما يظنون كما قال تعالى ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [الأعراف: 191] ﴿أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النحل: 21] وثم لاستبعاد عدولهم بعد وضوح قدرته عند عقولهم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه بدأ بالثناء على نفسه فحمد ذاته بثنائه الأزلي وأخبر عن سنائه الصمدي وعلائه الأحدي فالذي إشارة وخلق السموات والأرض عبارة واستقلت الأسرار بسماع الذي لتحققها بوجوده ودوامها بشهوده واحتاجت القلوب عند سماع الذي يلي سماع الصلة لأن الذي من الأسماء الموصولة لكون القلوب تحت ستر الغيوب فقال ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام: 1] أي: خلق ظلمة الليل وضياء النهار ووحشة الكفر والشرك والعصيان ونور الاستبصار والإيمان والعرفان والإيقان والإحسان ويقال جعل الظلمات نصيب قوم لا بجرم سلف والنور يصيب قوم لا لاستحقاق سبق ولكنه حكم به جرى قضاؤه ثم ويقال جعل ظلمة العصيان محنة قوم ونور العرفان نزهة قوم.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ﴾ [الآية: 2] أي: بدأ خلقكم منه فإنه المادة الأولى وإن آدم الذي هو أصل البشر خلق منه أولاً أو خلق أباكم منه أولاً ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا﴾ [الآية: 2] أي: قدر مدة الموت لكل أحد وهو القيامة الصغرى فإن من

(1) تفسير البغوي (3/ 126)، وتفسير الرازي (1/ 110)، وتفسير النيسابوري (3/ 240).

مات فقد قامت قيامته[1] ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾ [الآية: 2] لا يعلمه إلا هو وهو أجل القيامة الكبرى كذا فسره ابن عباس وغير واحد من السلف وقال الحسن الأول ما بين الخلق والموت من مدة العمر والثاني ما بين الموت والبعث من مدة البرزخ فإن الأجل كما يطلق لآخر المدة يطلق للجملة وقيل: الأول النوم والثاني الموت وقيل: الأول لمن مضى والثاني لمن بقي/ ولمن يأتي وقيل: أجلاً مدة 239/ أ
الدنيا وأجل مسمى عمر الإنسان كما روي عن ابن عباس ومجاهد ﴿ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ [الآية: 2] في أمر الساعة تشكون وثم استبعاد لامترائهم بعد ما ثبت أنه خالقهم وخالق أصولهم ومحييهم إلى آجالهم فإن من قدر على خلق المواد وجمعها وإبداع الحياة فيها وإبقائها ما يشاء أولاً كان قادراً على جميع تلك المواد وإحيائها ثانياً فالآية الأولى دليل التوحيد والثانية برهان البعث.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أثبت القوالب من الطين وأودعها عجائب السر وأظهر عليها ما لم يظهر على مخلوق فالعبرة بالوصل لا بالأصل الوصل قربة والأصل تربة الأصل من حيث النطفة والقطرة والوصل من حيث القربة والنصرة ثم قال وجعل للامتحان أجلاً ثم جعل للامتنان أجلاً فأجل الامتحان في الدنيا وأجل الامتنان في العقبى ويقال: ضرب للطلب أجلاً وهو وقت المهلة ثم عقبه بأجل بعده وهو وقت الوصلة فالمهلة لها بدء ومنتهى والوصلة بلا بدء ولا منتهى فوقت الوجود له للابتداء وهو حين تطلع شمس التوحيد ثم يتسرمد فلا غروب لها بعد الطلوع.

﴿وَهُوَ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 3] الضمير لله أو للذي خلق والله خبره وقوله ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية: 3] متعلق باسم الله باعتبار المعنى الوصفي الذي ضمنه اسم الله وهو مقولية هذا الاسم عليه خاصة والمعنى هو المستحق للعبادة فيهما لا غير كقوله ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: 84] ولولا هذا الاعتبار لم يصح أن يقال هو الله لأنه هو راجع إلى الله ولا يصح أن يقال الله الله إلا باعتبار معنى وصفي ومن أجل دفع هذه الشبهة قيل ضمير هو للشأن لا أنه

---

(1) المقاصد الحسنة (1/ 670) رقم (1183)، وكشف الخفا (2/ 279) رقم (2618).

راجع إلى الله ومحل معناه هو المعبود فيها أو المعروف بالإلهية فيها.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه هو الله الذي هو معبود من في السماء ومقصود من في الأرض وهو الموجود قبل كل سماء وفضاء وظلام وضياء وشمس وقمر وعين وأثر وغير ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ [الآية: 3] من خيركم وشركم فيجازيكم بما ينفعكم ويضركم قيل أريد بالسر والجهر ما يخفى ويظهر من أحوال الأرواح وبالمكتسب أعمال الجوارح من الأشباح.

﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ [الآية: 4] من الأولى مزيدة للاستغراق
239/ب والثانية للتبعيض وقيل: للتبيين والمعنى ما يظهر/لكم دليل قط من الأدلة الواضحة في البرهان أو معجزة من المعجزات في مقام التبيان أو آية من آيات الله القرآن ﴿إِلَّا كَانُوا۟﴾ [الآية: 4] أي: الكفار ﴿عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ [الآية: 4] أي: تاركين للنظر فيها غير ملتفتين إليها قيل: آياته في خلقه أولياؤه وأهل صفوته وعلماؤه كذا في السلمي.

وقال الأستاذ: أي لا يزيدهم كشفاً ولطفاً إلا قابلوه جحداً وكفراً وعنفاً ولا يوليهم إقبالاً إلا قابلوه بإعراض يقتضي إدباراً وإملالاً ولا يلقيهم بسطاً إلا جازوه قبضاً.

﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية: 5] أي: بالكلام الصدق ﴿لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ [الآية: 5] وهو القرآن أو بالنبي الصادق وهو نبي آخر الزمان حيث كذبوا به وبكتابه واستهزؤا بخطابه وتخويف عقابه ﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الآية: 5] أي: سيظهر لهم ما كانوا يستهزؤون به عند نزول العذاب بهم في الدنيا أو العقبى أو عند ظهور الإسلام وارتفاع أمر كلمته العليا.

﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم﴾ [الآية: 6] أي: مبتدأ من قبلهم ﴿مِّن قَرْنٍ﴾ [الآية: 6] أي: من أهل زمان بعض القرون والقرن مدة أغلب أعمار الناس وهي سبعون سنة وقيل: ثمانون وقيل: مائة وهو الأظهر وعليه الأكثر ويدل عليه أنه عليه السلام قال في شأن أحد من الصحابة أن يعيش قرناً فعاش مائة وقيل: القرن أهل عصر فيه نبي أو فائق في العلم قلت المدة أو كثرت ﴿مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾

[الآية: 6] جعلنا لهم فيها مكاناً أو قررنا لهم فيها شأناً أو آتيناهم من الآلات والقوى ما تمكنوا بها من أنواع التصرف فيها ﴿مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ﴾ [الآية: 6] أي ما لم نجعل لكم في السعة وطول المدة يا أهل مكة أو ما لم نعطكم من القوة والسعة في المال والاستظهار بالعدد والأسباب ثم الالتفات في الكلام لدفع الإبهام ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم﴾ [الآية: 6] أي: المطر أو السحاب أو المظلة فإن مبدأ المطر منها ﴿مِّدْرَارًا﴾ [الآية: 6] مقداراً كثير الدر والصب ويستوي فيه المذكر والمؤنث ﴿وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ﴾ [الآية: 6] عاشوا في الخصب والريف بين الأنهار والأزهار والأشجار والأثمار ﴿فَأَهْلَكْنَٰهُم﴾ [الآية: 6] أي: بأنواع من العذاب كالقحط والصواعق وغيرها ﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾ [الآية: 6] أي: بسببها ولم يغن عنهم شيئاً تمكنهم فيها ﴿وَأَنشَأْنَا﴾ [الآية: 6] أي: أحدثنا ﴿مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾
[الآية: 6] بدلاً من المهلكين فليخافوا أن نفعل بهم كما فعلنا بهؤلاء الكافرين/. 240/أ

وقال الأستاذ: يعني من تقدمهم كانوا أشد تمكناً من إمهالنا وأكثر نصيباً في الظاهر من نوالنا، سهلنا لهم أسباب المعاش ووسعنا عليهم أبواب الانتعاش فحين وطنوا على كواذب المنى قلوبهم وأدركوا من أحوال الدنيا محبوبهم ومطلوبهم فتحنا عليهم من مكامن التقدير وأبرزنا لهم من غوامض الأمور ما قرعوا عليه من الندم وذاقوا دونه طعم الألم وأنشأ من بعدهم قرنا آخرين وأورثناهم مساكنهم وأمكناهم أماكنهم فلما انخرطوا في الغي عن مسلكهم ألحقناهم في الإهلاك بهم سنة منا في الانتقام وأمضيناها عن أعدائنا وعادة في الكرام أجزيناها لأوليائنا.

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ﴾ [الآية: 7] مكتوباً في ورق ﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ [الآية: 7] أي: مسوه بأعضائهم وأدركوه بأجزائهم وتقييده بالأيدي لدفع التجوز فإنه قد يطلق على الفحص كقوله ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾ [الجن: 8] وتخصيص اللمس دون الاستماع والإبصار لأن التزوير لا يقع فيه غالباً فلا يمكنهم أن يقولوا إنما سكرت أبصارنا والحاصل أن اللمس أبلغ في إيقاع العلم من المعاينة فإن أكثر السحر والتزوير في المرئي ﴿لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ [الآية: 7] في علم الله على ما أصروا ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الآية: 7] لتعنتهم وعنادهم في الدين قيل نزلت

حين قالوا: لن نؤمن بك حتى تأتينا بكتاب من عند الله ومعه أربعة من الملك يشهدون أنه من عند الله.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يخبر عن كمال قدرته في بدء ما يريدونه بعد ما قضى لهم الضلال فلو أشهدهم كل دليل وأوضح لهم كل سبيل ما ازدادوا إلا تمادياً في الضلال والنفرة وانهماكاً في الجهل والغيبة.

﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ [الآية: 8] أي: هلا أنزل معه ملك يكلمنا أنه نبي كقوله ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: 7] ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ [الآية: 8] أي: أمر هلاكهم واستئصالهم فإن سُنَّة الله جرت بذلك فيمن قبلهم وهو أن من اقترح آية ولم يؤمن بها استؤصلوا بالعذاب بعد نزولها أو لعدلوا إلى اقتراح أمر آخر يؤيد الأول قوله ﴿ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾ [الآية: 8] أي: بعد نزوله طرفة عين لا يمهلون وقيل معناه لماتوا من هول رؤية الملك لِضعف القدرة البشرية عن رؤيتهم في الصورة الملكية وإنما/ رآهم كذلك أفراد الأنبياء بأقدارهم 240/ب
القدسية وأنوارهم الإنسية ويؤيده قوله:

﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا﴾ [الآية: 9] أي: لو قدرنا الرسول الذي أنزل معه ملكاً يشهد على صدقه ﴿لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا﴾ [الآية: 9] أي: في صورة رجل لعدم قدرتهم إلا على رؤية صورتهم كما مثل جبريل على شكل دحية في نظر الصحابة وقيل نزل جواباً لقولهم ولو شاء ربنا لأنزل ملائكة ويدل عليه قوله ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ [الآية: 9] أي: لخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم ﴿قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ [يس: 15].

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه بين أن العبرة بالقسمة دون الاعتبار والحجة فما لا يغني السراج عن فقد الصبر كذلك ما يغني الحجج عمن فقد عناية الأزل ومن لم يقدس سره لبس عليه أمره.

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ [الآية: 10] أي: استهزاء قومك بك بنحو الاقتراح منك مع التصميم على عنادك ﴿فَحَاقَ﴾ [الآية: 10] أي: أحاط ﴿بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم﴾ [الآية: 10] أي: من الرسل أو من الكفار ﴿مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ

﴿يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ [الآية: 10] حيث أهلكوا لأجله أو نزل بهم وبال استهزائهم وفي هذا تسلية له ﷺ وعلى ما يرى من قومه ووعيد لأعدائه.

وقال الأستاذ: أي سبقك يا محمد من كذب كما كذبت فحق لهم نصرنا فانتقمنا ممن ناوأهم فعاد إليهم وبال كيدهم.

﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الآية: 11] أي: بالأقدام أو بالفكر في الأعلام ﴿ثُمَّ ٱنظُرُواْ﴾ [الآية: 11] أي: نظر اعتبار ﴿كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ [الآية: 11] كيف أهلكهم الله بعذاب الاستئصال كي تعتبروا بالأحوال قيل معناه إباحة السير للتجار وسائر السالكين وإيجاب النظر في آثار الهالكين.

وقال الأستاذ: يعني قيل لهم دوخوا[1] الأرض وسيحوا بسيركم منها الطول والعرض ثم انظروا هل أفلت من حكمنا أحد وهل وجد من أمرنا ملتحداً ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ [الآية: 12] أي: ملكاً وملكاً وخلقاً وهو سؤال تبكيت في معرفة الخلاق ﴿قُل لِّلَّهِۚ﴾ [الآية: 12] تقرير له وتنبيه على أنه المتعين للجواب بالاتفاق.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه سائلهم هل له في الدار دياراً وهل للكون في التحقيق عند الحق مقداراً فإن بقوا عن جواب يشفي فقل الله في الربوبية يكفي ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۚ﴾ [الآية: 12] أي: أوجبها على ذاته وأثبتها في صفاته
241/ أ والتزمها من تفضلاته فمن أقبل إليه مع عظم ذنبه قبله وقربه/ لديه وفي الآية إيماءٌ إلى الحديث القدسي والكلام الأنسي من قوله سبقت رحمتي غضبي[2] والمراد بالرحمة ما يعم الدارين ويشمل أهل الكوفين ومن ذلك الهداية إلى معرفته والعلم بتوحيده بإنزال الكتب ونصب الأدلة وإرسال الرسل وإظهار المعجزة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أخبر وحكم وأراد على حسب ما علم فمن تعلق بنجاته علمه وسبق بدرجاته حكمه ومن علمه في آزاله أنه يشقى فبقدر شقائه في البلاء يبقى ﴿لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ﴾ [الآية: 12] أي: في القبور ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾

---

(1) سبق تخريجه. (2) استولوا عليها.

[الآية: 12] أي: وقت البعث والنشور فيجازيكم بأعمالكم على وفق أحوالكم ﴿لَا رَيْبَ فِيهِۚ﴾ [الآية: 12] أي: في اليوم أو الجمع ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ [الآية: 12] بتضيع رأس مالهم من صرف أنفاسهم بغير ما ينفعهم في مآلهم لما ورد ليس يتحسر أهل الجنة يوم القيامة إلا على ساعة مرت بهم ولم يذكروا الله فيها والموصول مبتدأ خبره قوله ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية: 12] والفاء للدلالة على أن عدم إيمانهم مسبب على خسرانهم.

﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِۚ﴾ [الآية: 13] أي: ولله سبحانه ما استقر في الأزمنة المتضمنة للأمكنة فسكن من السكنى وتعديته بفي كما في قوله ﴿وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ [إبراهيم: 45] أو المعنى ما اشتمل الملوان عليه أو من السكون والمعنى ما سكن فيهما وتحرك واكتفى بأحد الضدين عن الآخر كما في قوله تعالى: و﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل: 81] أي: والبرد ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ [الآية: 13] بكل مسموع ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ [الآية: 13] بكل معلوم فلا يخفى عليه شيء من موجود ومعدوم.

وأفاد الأستاذ: في إشارة الآية أن الحادثات لله ملكاً وبالله ظهوراً ومن الله بدءاً وإليه رجوعاً ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ [الآية: 13] لأنين المشتاقين ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ [الآية: 13] بحنين الواجدين.

﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾ [الآية: 14] نصب غير على أنه مفعول أول لاتخذوا والتقديم لأن الإنكار في اتخاذ غير الله ولياً لا في اتخاذ الولي والمراد بالولي المعبود لأنه رد لمن دعاه إلى الشرك ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية: 14] أي مبديهما ومبدعهما ومخترعهما لا عن مثال سبق فيهما وجره على أنه بدل من الله أو نعت له فإنه بمعنى الماضي ولذلك قرأ فظرف الإضافة معنوية فيكون معرفة فجاز أن يكون صفة لمعرفة.

وأفاد الأستاذ: أن المعنى المراد أَبْعَدَ ما أكرمني بجميل ولايته اتخذ ولياً غيره وأَبْعَدَ ما وقع علي نظر عنايته أنظر في الدارين إلى أحد سواه إن هذا
241/ب محال من الظن والتقدير/ في حق أهل التحقيق من أرباب التعبير ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ

﴿وَلَا يُطْعَمُۗ﴾ [الآية: 14] أي: يرزق ولا يرزق أو ينفع ولا يجري النفع عليه وتخصيص الطعام لشدة الاحتياج إليه وإلا فلا أحد إلا أنه يحتاج لديه وهو غير محتاج إلى أحد حتى في افتقار ما سواه إليه.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه له نعت الكرم فلذلك يطعم وله حق القدم فلذلك لا يطعم ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَۖ﴾ [الآية: 14] أي: من هذه الأمة أو من البرية حيث قال في الميثاق الأول قبل كل أحد بلى عند قوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ﴾ [الأعراف: 172] أو في العهد الأول كما يشير إليه قوله كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد(1) ولقوله أول ما خلق الله نوري أو روحي ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الآية: 14] عطف على أمرت أي: وقيل لي ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الآية: 14] بي شركاً جلياً ولا خفياً والمراد تثبيته أو الخطاب والمقصود أمته.

﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الآية: 15] مبالغة أخرى في قطع طمعهم من أن يكون مثلهم في شركهم وعصيان ربهم والشرط معترض بين الفعل والمفعول به وجواب الشرط محذوف دل عليه الجملة.

وقال الأستاذ: إني بعجزي متحقق ومن عذاب ربي مشفق وبمتابعة أمره متحقق ﴿مَّن يُصْرَفْ﴾ [الآية: 16] أي: العذاب ﴿عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ﴾ [الآية: 16] أي: الله بمعنى أنعم عليه ونجاه وقرأ حمزة والكسائي وشعبة يصرف مبنياً للفاعل على أن الضمير فيه لله وقد قرىء بإظهاره والمفعول وهو العذاب محذوف أو يومئذٍ بحذف المضاف ﴿وَذَٰلِكَ﴾ [الآية: 16] أي: الصرف والرحمة بمعنى الإنعام ﴿ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الآية: 16] أي: الظفر الظاهر عند أرباب اليقين.

وأفاد الأستاذ: أن من أدركه سابق عنايته صرف عنه لاحق عقوبته.

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾ [الآية: 17] أي: يصبك ببلية موحية لصبر كمرض وفقر ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ﴾ [الآية: 17] فلا قادر على كشفه وإزالته ورفعه ﴿إِلَّا هُوَۖ﴾

---

(1) سبق تخريجه.

[الآية: 17] ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ﴾ [الآية: 17] أي: بنعمة مقتضية لشكر كصحة وغنى فلا قادر على بقائه ولا ارتفاعه إلا هو وترك هذا الظهور بتقديره ولدلالة نظيره وإذا كان الأمر كذلك من غير تغيير ﴿فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الآية: 17] أي: من مس الضر ورفعه ومس الخير ودفعه فلا يقدر غيره على تغييره كقوله تعالى: ﴿فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ [يونس: 107] وفيه إيماءً إلى أنه الداء والدواء وما سواه كالهباء في الهواء.

وأفاد الأستاذ: أنه إنما ينجيك من البلاء من يلقيك في العناء إذ المنفرد
242/أ بالإبداع واحد فالأغيار كلهم أفعال وأن/الإيجاد لا يحصل من الأفعال.

وفي «نفائس العرائس» أي: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ﴾ بضر الحجاب فلا كاشف لضره بك إلا ظهور مشاهدة جماله لك قلت ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ﴾ بخير الخطاب فلا دافع لخيره بك إلا ظهور مشاهدة جلاله لك.

وقال الجنيد: معبودك أول خاطر يخطر لك عند نزول ضر وعناء أو ظهور بلاء إن رجعت فيه إلى الله فهو معبودك وهو الذي يكفيك وإن رجعت إلى غيره تركك وما رجعت إليه.

﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الآية: 18] تصوير لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة في جميع بلاده والمعنى أن قهره استعلى عليهم فهم مسخرون مقهورون فيما ينسب إليهم ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الآية: 18] في أمره وتدبيره ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ [الآية: 18] العالم بجميع ما يجري على وفق قضائه وتقديره قيل قهرهم على الإيجاد والإبداء كما قهرهم على الموت والفناء وقيل الآمر بالطاعة من غير حاجة والناهي عن المعصية من غير كراهة والمثيب من غير عوض والمعاتب من غير غرض لا يتشفى بالعقوبة ولا يتعزز بالطاعة كذا في «حقائق الدقائق».

وقال الأستاذ: علت رتبة الأحدية صفة البشرية فهذا لم يزل وهذا لم يكن فحصل ومتى يكون بقاء للحدثان مع وضوح سلطان التوحيد وما معه من البرهان.

﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً﴾ [الآية: 19] نزل حين قالت قريش يا محمد لقد

سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا أن ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فأرنا من يشهد لك أنك رسول الله نقله محيي السُنَّة والواحدي وغيرهما[1] والشيء يقع على كل موجود لا على المعدوم خلافاً للمعتزلة ويطلق عليه سبحانه بناءً على أن الشيء مصدر بمعنى الفاعل فالله شاء أراد ويقال أنه شيء لا كالأشياء.

قال الحسين: لا شهادة أصدق من شهادة الحق لنفسه بما شهد في الأزل به ﴿قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدُۢ﴾ [الآية: 19] أي: هو شاهد ﴿بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ﴾ [الآية: 19] أي لأخوفكم بالقرآن أيها الحاضرون أو أهل مكة الموجودون ﴿وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾ [الآية: 19] أي: وسائر من بلغه القرآن من الأسود والأحمر إلى يوم المحشر واكتفى بذكر الإنذار عن ذكر البشارة لأن المقام مقامه أو من باب الاكتفاء بذكره عن ذكر ضده أو بناء على الإشارة إلى البشارة في ضمنه.

وأفاد الأستاذ: أنه غلبت شهادة الحق سبحانه على كل شهادة فهم إذا أقبلوا يشهدون فلا يحيط بحقائق الشيء علومهم والحق سبحانه هو الذي/ لا 242/ ب يخفي شيء من أمورهم وفهومهم ثم أخبر أنه مبعوث إلى الكافة ومن سيوجد إلى يوم القيامة ﴿أَئِنَّكُمۡ لَتَشۡهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخۡرَىٰۚ﴾ [الآية: 19] تقرير لما سبق وإنكار واستبعاد للعدول عما تحقق ﴿قُل لَّآ أَشۡهَدُۚ﴾ [الآية: 19] بما تشهدون من الأمر المتعدد ﴿قُلۡ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ [الآية: 19] أي: وأنا له عابد بل ولا لغيره مشاهد ﴿وَإِنَّنِي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾ [الآية: 19] أي: به معه في العبادة واعتقاد الربوبية.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [الآية: 20] أي: من اليهود والنصارى ﴿يَعۡرِفُونَهُۥ﴾ [الآية: 20] أي: الرسول الجليل بنعته المذكور في التوراة والإنجيل ﴿كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمُۘ﴾ [الآية: 20] أي: بصفاتهم وأنبائهم والمعنى أنهم متحققون في معرفته بحيث لا يشكون في رسالته فعدم إيمان بعضهم لعنادهم وحسدهم ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ [الآية: 20] حيث هجروا كتابهم وتركوا خطابهم ﴿فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الآية:

(1) تفسير الرازي (6/ 241)، تفسير أبي السعود (3/ 118)، تفسير البيضاوي (1/ 398).

20] واختاروا عذابهم وحجابهم.

وأفاد الأستاذ: أنه أحاط علمهم بصدق المصطفى في نبوته لكن أدركتهم الشقاوة الأزلية فعقدت ألسنتهم عن الإقرار برسالته فجحدوه جهراً وعلموا صدقه سراً.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الآية: 21] كقولهم الملائكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا عند الله وعزير ابن الله والمسيح ابن الله ﴿أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ﴾ [الآية: 21] أي: بكتبه وخوارق عاداته والمعنى لا أظلم ممن ذهب إلى أحد الأمرين فكيف بمن جمع بين الوصفين ﴿إِنَّهُۥ﴾ [الآية: 21] أي: الشأن ﴿لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الآية: 21] فكيف يفلح الأظلم منهم.

وأفاد الأستاذ: أن شؤم الخذلان بلغ بالنكاية فيهم ما جسرهم على الإصرار على الكذب على الله ثم لم يستحيوا من اطلاعه ولم يخشوا من عذابه.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾ [الآية: 22] أي: العابد والمعبود وإنسهم وجنهم ﴿جَمِيعًا﴾ [الآية: 22] تأكيداً وحال أي: مجتمعين والظرف منصوب باذكر مقدراً ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ﴾ [الآية: 22] أول ما نعاتبهم ﴿أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ﴾ [الآية: 22] أي: آلهتكم التي جعلتموها شركاء لله ﴿ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الآية: 22] أي: تزعمونهم شركاؤهم حينئذٍ يشاهدونهم في غاية من المهانة فالسؤال عنهم تقريع وتوبيخ لهم وقيل: تقديره أين شركاؤكم الذين تزعمون أنها تشفع لكم عند الإله حيث كانوا يقولون في حق الأصنام هؤلاء شفعاؤنا عند الله.

وأفاد الأستاذ: أنه يجمعهم يوم الحشر والنشر ولكنه يفرقهم في الحكم والأمر فالبعث يجمعهم لكن الحكم يفرقهم.

﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ﴾ [الآية: 23] أي: عاقبة كفرهم وشركهم في الدنيا أو
243/أ معذرتهم/التي يتوهمون أن يتخلصوا بها في العقبى أو مآل محبتهم الأصنام ومآل إليه الهوى ﴿إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الآية: 23] أي: إلا التبري عن سوى المولى وقرأ ابن كثير وابن عامر وحفص لم تكن بالتأنيث وفتنتهم بالرفع

على أنها الاسم والباقون بالنصب وقرأ نافع وأبو عمرو وأبو بكر بالتأنيث والنصب على أن الاسم أن قالوا والتأنيث للخبر وحمزة والكسائي بالتذكير والنصب وكذا بنصب ربنا على النداء أو المدح والحاصل أنهم يكذبون من فرط الحيرة والدهشة ويحلفون عليه مع علمهم بأنه لا ينفع في تلك الحالة كما يقولون ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون مع أنهم بالخلود موقنون وحينئذٍ يختم على أفواههم وتشهد عليهم ألسنتهم وجميع أعضائهم.

وأفاد الأستاذ: أن هذا الذي أخبر عنهم غاية التمرد حيث جحدوا ما كذبوا فيه أقسموا ولو كان لهم بالله علم لتحققوا بأنّ الله يعلم سرهم ونجواهم ولا يخفى عليه شيء من أولاهم وعقباهم لكن الجهل الغالب عليهم استنطقهم بما فيه فضائحهم.

﴿انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [الآية: 24] أي: في العقبى بنفي شركهم في الدنيا ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾ [الآية: 24] أي: غاب وبطل في نظرهم ﴿مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [الآية: 24] في حال كفرهم من إثبات الآلهة أو ادعاء الشفاعة والمعنى أن الخبرة أوقفتهم في عدم التمييز بين ما ينفعهم وما لا ينفعهم.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ [الآية: 25] حين تلاوة ما نزل عليك ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [الآية: 25] أي: قلوب المستمعين أو قلوب جميعهم ﴿أَكِنَّةً﴾ [الآية: 25] أغطية ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾ [الآية: 25] أي كراهة أن يفهموه ﴿وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [الآية: 25] أي: ثقلاً وصمماً مانعاً عن أن يسمعوه.

قال الواسطي: منهم من يستمع إليك أي: بنفسه ويتردد في ظلمات حسه ومنهم من يستمع منك نبأ فهو يتقلب في أنوار أنسه قال ابن عطاء: لأنه لم يجعل له سمع فهم الصواب وإنما جعل له سمع الخطاب.

وقال الأستاذ: بين أن السمع في الحقيقة سمع القبول وذلك عن عين اليقين يصدر لا من سمع الظاهر فلا عبرة به عند أرباب البصائر ويقال من ابتلاه الحق بقلب مطبق ووضع فوق بصيرته غطاء مغلق فالتلبيس لم يزده في ذلك إلا نفرة على نفرة ﴿وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾ [الآية: 25] لفرط

عنادهم واستحكام تقليدهم بعد مشاهدتهم أنواع المعجزة للبشر كانشقاق القمر ونبع الماء من بين الأصابع وتسبيح الحجر وغيرها مما لا يحصى ولا يحصر.

243/ب قال الأستاذ: يعني/ من أقصته القسمة الأزلية لم ينعشه الحيلة الأبدية ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ﴾ [الآية: 25] أي: بلغ تكذيبهم الآيات المفهوم من قوله ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ إلى أنهم ﴿إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ﴾ [الآية: 25] في حق الكتاب المبين ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الآية: 25] أي: أباطيل المتقدمين وأكاذيب السابقين.

﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ [الآية: 26] أي: عن الإيمان أو القرآن ﴿وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾ [الآية: 26] ويتباعدون عن ما يؤديهم إلى الإيقان والعرفان أو ينهون عن التعرض لرسوله وينأون عنه بعدم الإيمان به كأبي طالب ونحوه وهذا يدل على أنم مقهورون وفي أسر تصرفنا مسخرون ﴿وَإِن يُهْلِكُونَ﴾ [الآية: 26] أي: ما يهلكون بذلك ﴿إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الآية: 26] أي: وبال ضررهم لا يتعداهم إلى غيرهم أو ما يميزون بين ما ينفعهم وما يضرهم فالبهائم أحسن منهم.

وأفاد الأستاذ: أن في هذه الآية إشارة صعبة لمن يدعو إلى الحق جهراً ثم لا يأتي ذلك سراً ويقال لما خالفت أحوالهم قضايا أقوالهم أجراهم من ألقى حبالهم على غابرهم ويقال من أبعده عن القسمة فضله لم يقر به فعله.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ [الآية: 27] أي: حالهم عند الحساب ﴿إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ [الآية: 27] أي: عاينوا ما فيها من العذاب أو دخلوها وذاقوا أنواع العقاب لرأيت أمراً فظيعاً وحالاً شنيعاً ﴿فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ﴾ [الآية: 27] تمنينا الرجوع إلى الدنيا ﴿وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 27] عطف على نرد أو حال من الضمير فيه فيكون في حكم المتمني فالمعنى يا ليتنا نرد غير مكذبين وكائنين من المؤمنين وقوله الآتي.

﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الآية: 28] راجع إلى مفهوم التمني من إرادة الإيمان وما تضمنه من الوعد به ونصبهما حمزة وحفص على الجواب بإضمار أن بعد الواو كما بعد الفاء وقرأ ابن عامر برفع الأول على العطف ونصب الثاني على الجواب.

وقال الأستاذ: يعني به حين ينجز للعبد ما وعده له من القربة ويشغل من شاء بنوع من القلة حتى لا يطلع أحد على محل الأسرار الإلهية ﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ﴾ [الآية: 28] أي: إضراب عن إرادة إيمانهم المفهوم من تمنيهم والمعنى أنه ظهر لهم ما كانوا يخفون من نفاقهم وقبائح أعمالهم فتمنوا ذلك ضجراً لا عزماً على أنهم لو ردوا لآمنوا ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟﴾ [الآية: 28] أي: إلى الدنيا بعد الوقوف على عقوبة العقبى/ وظهور أمر المولى ﴿لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ [الآية: 244/ أ
28] من الكفر والمعاصي لما سبق لهم من الشقاء بحكم القضاء ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ﴾ [الآية: 28] فيما وعدوا من أنفسهم بالقيام بحق الوفاء وترك الجفاء.

وفي «الحقائق» أي: ظهر لهم من عيوب أسرارهم ما كان يخفيه عنهم فإنه علمهم أي: وهم ما علموا أنفسهم ولا عرفوا ربهم.

وأفاد الأستاذ: أن عذاب يوم الكشف ينتهك الأستار ويظهر الأسرار فكم من مجلل بثوب تقواه وحكم له معارفه أنه زاهد في دنياه راغب في عقباه محب لمولاه مفارق لهواه ينكشف الأمر على خلاف ما توهموه وافتضح عندهم بغير ما ظنوه وكم من منهتك ستره بما أظهر عليه ظن الكل أنه خليع العذار رهين الإعلال مشوش الأسرار ظهر لذوي البصائر جوهره وبرز من خفايا السر حقيقته ثم قال تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ [الآية: 28] أخبر عما علم أنه لا يكون أنه لو كان كيف كان يكون فقال: لو ﴿رُدُّوا۟﴾ أهل العقوبة إلى دنياهم ﴿لَعَادُوا۟﴾ إلى جحدهم وإنكارهم فكذلك لو ردّ أهل الصفاء والوفاء إلى دنياهم لعادوا إلى أحسن أعمالهم أقول بل عادوا إلى أحسن أفعالهم وأقوالهم وأنهم لصادقون في أقوالهم.

﴿وَقَالُوٓا۟ إِنْ هِىَ﴾ أي الحياة ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [الآية: 29 في العقبى.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ [الآية: 30] أي: سوء حالهم وقبح مآلهم ﴿إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [الآية: 30] أي: حين سؤاله عن أفعالهم وتوبيخهم على أعمالهم ﴿قَالَ أَلَيْسَ هَـٰذَا﴾ [الآية: 30] أي: البعث للثواب والعقاب ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية: 30] بالأمر الثابت

على وفق الصواب ﴿قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ﴾ [الآية: 30] إقرار مؤكد باليمين بعد البلاء وانجلاء الأمر غاية الجلاء فلا يدفع عنهم العناء ﴿قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الآية: 30] ليوم الحساب.

قال الأستاذ: يا حسرة عليهم من موقف الخجل ومحل مقاسات الوجل وتذكر تقصير العمل فهم واقفون على أقدام الحسرة يقرعون أسنان الندم حين لا ندم ينفعهم ولا شكوى تسمع منهم ولا رحمة تنزل عليهم.

﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ﴾ [الآية: 31] إذ فاتهم نوال النعيم وأدركهم نكال الجحيم ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾ [الآية: 31] غاية للتكذيب لا للخسارة لأن خسرانهم ليس له غاية ومن مات فقد قامت له القيامة ﴿قَالُواْ يَٰحَسْرَتَنَا﴾ [الآية: 31] أي: تعالي فهذا أوانك لنتأسف ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾ [الآية: 31] أي: قصرنا في أمر الساعة بعدم الإيمان بها وفقد الاهتمام بشأنها ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْۚ﴾
244/ب [الآية: 31] / تمثيلاً لاستحقاقهم أثقال الآثام أو تمثل ذنوبهم من بين الأنام بأقبح صورة وأنتن رائحة فتركب عليهم وتسوقهم إلى النار كما روي في بعض الأخبار والآثار ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [الآية: 31] أي: بئس شيئاً يزورونه وزرهم.

وأفاد الأستاذ: أنهم لم يخسروا مالاً ولا مقاماً ولا حالاً ولكن كما قيل:

لعمري لئن أنزفت دمعي فإنه لفرقة من أفنيت في ذكره عمري[1]

المصيبة لهم والحسرة على غيرهم ومن لم يعرف جلال قدره متى يتأسف على ما يفوته من حديثه وأمره.

﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌۖ﴾ [الآية: 32] أي: وما أعمالها إلا لعب ولهو لأهلها تمنعهم عما يعقب منفعة أبدية وتلهيهم عما يوجب لذة حقيقية.

قال محمد بن علي: لعبٌ لمن جمعه لهو لمن يرث عنه بعده.

وأفاد الأستاذ: أن ما يشغل عن الحق كونه فغير مبارك لونه.

(1) ذكره القشيري في تفسيره (2/ 224).

﴿وَلَلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ﴾ [الآية: 32] أي: لدوامها وخلوص منافعها ولذاتها بتمامها وقرأ الشامي ولدار الآخرة ﴿خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الآية: 32] أي: يجتنبون المناهي والملاهي ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الآية: 32] أي: لا يتأملون ولا يميزون بين الخير والشر فيما يفعلون وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالتاء على خطاب المخاطبين أو تغليب الحاضرين على الغائبين ولذا قال بعض العارفين فيه تعزية للفقراء بما حرموا عنها وتقريع للأغنياء بما ركنوا إليها.

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ﴾ [الآية: 33] أي: الشأن ﴿لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ﴾ [الآية: 33] أي: فينا أو فيك أو في كتابنا ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ [الآية: 33] وقرأ نافع والكسائي بالتخفيف من الإكذاب والمعنى لا ينسبونك إلى الكذب لعلمهم بصدقك ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الآية: 33] أي: يكذبون بكتابنا لما فيه من الآيات الدالة على وحدانيتنا وظلموا أنفسهم بإنكار آياتنا.

وأفاد الأستاذ: أن هذه تعزية للرسول ﷺ وتسلية فقال قد نعلم ما قالوا فيك وإنما قالوا ذلك بسببنا ولأجلنا ولقد كنت عظيم الجاه فيهم قبل أن أوقعنا عليك هذا الرقم وكانوا يسمونك محمد الأمين وإنما أصابك ما يصيبك لأجل تحديثنا فغير ضائع لك هذا عندنا وحالك فينا كما قيل:

أشاعوا لنا في الحي أشنع قصة وكانوا لنا سلماً فصاروا لنا حرباً(1)

﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ [الآية: 34] أي: على منوالك ﴿فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا﴾ [الآية: 34] فتأس بهم واصبر فإن النصر مع الصبر
245/أ ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 34] أي: لمواعيده/ التي من جملتها قوله: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات: 171 ـ 172 ـ 173] وقيل: لا مغير لما أجرى به في الأزل بتغيير ظهورها في الأبد إذ الأزل الأبد عنده واحد بل ولا أزل ولا أبد حقيقة ﴿وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الآية: 34] أي: من أجنادهم ما يكفي للمعتبر بآثارهم.

وقال الأستاذ: يعني أن من سلك سبيلنا وصبر على ما أصابه من حديثنا

(1) ذكره القشيري في تفسيره (2/ 224) و(3/ 64) و(5/ 71).

فلا خسرت فينا صفقتهم ولا خفيت علينا حالتهم.

﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ﴾ [الآية: 35] أي: شق وعظم لديك ﴿إِعْرَاضُهُمْ﴾ [الآية: 35] أي: عن الإيمان بك وبما أنزل إليك ﴿فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية: 35] أي: تطلب سرباً ومنفذاً تنفذ فيه إلى جوف الأرض أو تحت الثرى ﴿أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الآية: 35] أي: مصعداً تصعد فيه إلى السماء والثريا تأتيهم بآية أي: فتطلع لهم من الأرض أو فتنزل من السماء آية ملجئة لإيمانهم فافعل والمقصود بيان حرصه البالغ على إسلام قومه أنه ولو قدر أن تأتيهم بآية من تحت الأرض أو فوق السماء بها رجاء لهدايتهم وفيه إيماءٌ إلى أن الأمر كله لله كما أعقبه بقوله ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [الآية: 35] وفقهم على سبيل رضى المولى ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الآية: 35] أي: الغافلين عن هذا المعنى.

وأفاد الأستاذ: أنه ﷺ لفرط شفقته عليهم استقصى في التماس الرحمة من الله لهم وحمل على قلبه العزيز بسبب ما علم من سوء أحوالهم ما أثر فيه من فنون الأحزان فعرفه أنهم مبعدون عن القربة منكوبون بسالف القسمة ولو أراد الحق سبحانه أن يخفف عنهم أو لو شاء أن يهديهم لكان لهم مقيل في صدر الانبساط ومثوى على البساط ولكن من كبسته العزة لم تنعشه الحيلة.

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ [الآية: 36] أي: إنما يجيب دعوتك ويقبل (نبوتك) الذين يسمعون كتابنا بفهم وتأمل نشأ لهم من أسماعنا وإحياء قلوبهم بنا وهؤلاء كالموتى غافلون عنا ﴿وَٱلْمَوْتَىٰ﴾ [الآية: 36] أي منهم ومن غيرهم ﴿يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 36] فينتبهون ويعلمون ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ﴾ [الآية: 36] أي: إلى إجزائه وحكمه ﴿يُرْجَعُونَ﴾ [الآية: 36].

قال ابن عطاء: أخبر الله تعالى أن أهل السماع هم الأحياء وهم أهل الخطاب والجواب وأخبر أن الآخرين هم الموتى لقوله: ﴿وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 36].

245/ب وأفاد الأستاذ: أن من فقد الأسماع في سرائره عدم توفيق/الاتباع لظواهره والاختيار السابق في متعلقاته غالب أي: فهو اللاحق.

﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ﴾ [الآية: 37] أي: آية معينة أو معجزة مقترحة لقولهم ﴿حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا﴾ [الإسراء: 90] الآيات ﴿قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةٗ﴾ [الآية: 37] وقرأ ابن كثير بالتخفيف أي: آية مما اقترحوه بلسانهم أو آية ملجئة تضطرهم إلى إيمانهم كنتق الجبل لمن قبلهم ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الآية: 37] أن الله قادر على إنزالها وأن إنزالها يستجلب عليهم وبالها.

وأفاد الأستاذ: أنهم من جهلهم استزادوا من المعجزات ولم يعلموا أن المانع لهم من الإيمان بالآيات ما سكرت من بصائرهم لا ما توهموه من عدم دلائلهم.

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الآية: 38] تدب على وجهها أو جوفها إلى ما تحت الثرى ﴿وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ﴾ [الآية: 38] أي: في جانب الهواء وجهة السماء ﴿إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ﴾ [الآية: 38] محفوظة أحوالها مقدرة أرزاقها وآجالها وإتيان الصفة لدابة وطائر لزيادة التعميم والمبالغة المفهومة من من الزائدة بحيث لا يبقى وهم خروج شيء من الأفراد لكون الواصفين من أوصاف الجنس دون النوع فيشعر بأن القصد فيهما إلى الجنس ولذا جمع الأمم لِلحمل على المعنى مع أفراد لفظ الدابة والطير فكأنه قال وما من دواب وطيور إلا أمم أمثالكم في أن أحوالها تشبه أحوالكم.

وقال الأستاذ: تساوت المخلوقات وتماثلت المصنوعات في الحاجة إلى المنشىء في حال الابتداء ثم في حال البقاء وكذلك في جميع الصفات النفسانية والنعوت الذاتية توقفت على الإيجاد والاختيار فما من شيء وأثر ورسم وطلل إلا وهو على وحدانيته شاهد ظاهر وعلى كونه في نفسه مخلوقاً دليل باهر ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ﴾ [الآية: 38] ما أهملنا في اللوح المحفوظ شيئا ما مما يجري في الأرض ولا في السماء من جليل وقليل وقبيح وجميل وجماد وحيوان وملك وإنسان أو في القرآن فإنه دون فيه ما يحتاج إليه من أمر الدين مفصلا أو مجملاً أو مجملاً لقوم يعلمون ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ﴾

[الآية: 38] أي: إلى جزائه وحكمه على وفق قضائه يبعثون ويجمعون جميع الأمم
246/أ فينصف بعضها من بعض بمقدار الألم كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ/ حُشِرَتْ﴾ [التكوير: 5] وكما ورد في الأحاديث أنه يأخذ للجماء من القرناء ما روي عن ابن عباس وغيره إن حشر البهائم موتها محمول على أن موتها يعقب حشرها لقوله تعالى حكاية عن الكفار أنهم حين يحشر سائر الحيوانات للاقتصاص ثم ترد ترابا ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾ [النبأ: 40].

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [الآية: 39] أي: المتلوة أو المصنوعة وقيل: المعنى لم يصدقوا إظهار كرامتنا على المقربين في حضرتنا ﴿صُمٌّ﴾ [الآية: 39] عن سماع آياته بسمع قبول ﴿وَبُكْمٌ﴾ [الآية: 39] أي: عن نطق بحق وصدق ﴿فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [الآية: 39] أي: خابطون في ظلمات أنواع الكفر أو في ظلمة الجهل وظلمة العناد وظلمة التقليد وهو كناية عن عمى البصيرة فكأنه قال وعمي عن مشاهدة الحق وهذه الصفات حقيقة في حقهم يوم القيامة لقوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾ [الإسراء: 97] والله أعلم.

وأفاد الأستاذ: إن الذين فاتتهم العناية الأزلية سد الحرمان أسماعهم وغشّى الخذلان أبصارهم والإرادة لا تعارض والمشيئة لا تزاحم والله المتعال غالب في جميع الأحوال ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ﴾ [الآية: 39] أي: يخذله فيميته على الكفر ويعذبه بنار الفرقة والحرقة ﴿وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الآية: 39] أي: يرشده إلى الهدى ويحفظه من الردى ويميته على الإيمان فيدخله الجنة ويقربه إلى مقام الوصلة.

﴿قُلْ﴾ [الآية: 40] أي: للكفرة ﴿أَرَءَيْتَكُمْ﴾ [الآية: 40] أي: أخبروني عن هذا الأمر القريب والشأن العجيب ﴿إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 40] أي: كما أتى من قبلكم ﴿أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾ [الآية: 40] أي: نفخة القيامة بالفرض والتقدير عندكم ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ﴾ [الآية: 40] أي: في صرف العذاب عنكم وهو متعلق الاستخبار والمتضمن للتوبيخ والإنكار ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الآية: 40] أن الأصنام آلهة فأخبروني لم لا تدعونها في تلك الحالة ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾ [الآية:

41] أي: بل تخصونه بالدعاء كما حكي عنهم في مواضع من نحو قوله: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [لقمان: 32] وتقديم المفعول لإفادة التخصيص وبل للانتقال من حال إلى حال بدون الإبطال ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ﴾ [الآية: 41] أي: ما تدعونه إلى كشفه ودفع ضره ﴿إِن شَاءَ﴾ [الآية: 41] أن يتفضل عليهم في الدنيا ولكن لم يشأ كشف عذابهم في العقبى كما أخبر عنه بقوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ/ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ 246/ ب
[النساء: 48] ﴿وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ [الآية: 41] أي: ما تشركون مع الله أو تتركون حينئذٍ عبادة ما سواه.

قال الجريري: مرجع العارفين إلى الحق أوائل البدايات ومرجع العوام إليه بعد الإياس من الحق في أواخر النهايات.

وقال الأستاذ: يعني إذا مسكم ضرٌّ أو نابكم أمر مرٌّ فممن ترومون كشفه ومن الذي تأملون لطفه أمخلوقاً شرقياً أو شخصاً غربياً أو ملكاً سماوياً أو عبداً أرضياً ثم قال: ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾ [الآية: 41] أي: أنكم وإن ترددتم بنفوسكم أو فكرتم طويلاً بقلوبكم لم تجدوا من دونه أحداً ولا عن حكمه ملتحداً فتعودون إليه في استكشاف الضر واستلطاف الخير والبر كما قيل:

وترجعني إليك وإن تنائت ... دياري عنك معرفة الرجال(1)

وكما قيل:

قد تركناك والذين تريد ... فعسى أن تملهم فتعود(2)

وإذا جربت الكل وذقت الحلو والمر أفضى بك الضر إلى بابه والالتجاء إلى جنابه فإذا رجعت بنعت الانكسار وشواهد الذل والاضطرار فإنه يفعل ما يريد ويحكم ما شاء إن شاء أتاح اليسر وأزال العسر وإن شاء ضعف الضر وعوض الأمر وإن شاء ترك الحال على ما قبل السؤال والابتهال ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ [الآية: 42] أي: رسلاً ﴿إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ [الآية: 42] أي: إلى طوائف

(1) نسب إلى مسلم بن الوليد. انظر: زهر الآداب (1/ 451)، والتذكرة الحمدونية (2/ 54).
(2) ذكره القشيري في تفسيره (4/ 48).

كائنة من قبل ظهورك ومقدمة من قبل نورك والفاء في ﴿فَأَخَذْنَٰهُم﴾ [الآية: 42] فصيحة أي: فكفروا وكذبوا رسلهم ﴿فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ﴾ [الآية: 42] أي: بشدة الفقر والحاجة والضراء أي: مضرة المرض والآفة ﴿وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ [الآية: 42] يتذللون لنا ويتنادون بنا ويعتمدون علينا.

وقال ابن عطاء: أخذنا عليهم الطرق كلها ليرجعوا إلينا.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يخبر عن سالف سُنَّته في إبداء الأمم وما أوجب لمن أطاعه منهم من النعم والكرم وما أحل بمن خالفه من أنواع الألم وأصناف النقم.

﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟﴾ [الآية: 43] معناه نفي تضرعهم لديه مع قيام ما يدعوهم إليه ﴿وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الآية: 43] أي: ما رقت فيما تضرعت لأن قساوة القلب توجب مباعدة الرب ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 43] فأصروا عليه فلا يتوبون.

وأفاد الأستاذ: أنهم لما أظلهم البلاء فلو رجعوا بجميل التضرع والثناء
247/أ وحسن الابتهال/ والتملق بالدعاء لكشفنا عنهم المحن ولأتحنا لهم المنن ولكن صدهم الخذلان عن العقبى فأصروا على تمردهم في متابعة الهوى فقست قلوبهم بترك عبادتهم وتضاعفت أسبات شقاوتهم.

﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾ [الآية: 44] من البلاء الموجب للولاء ولم يتعظوا بالبأساء ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الآية: 44] من أنواع النعماء مراوحة عليهم بين نوبتي الضرّاء والسرّاء وامتحاناً لهم بالشدة والرخاء وابتلاء بالقبض والبسط والفناء والبقاء ورتبة بصفة الجلال ونعت الجمال من إظهار الكرم والكبرياء أو استدراجاً ليكون الأخذ أفظع والهلاك أشنع لما روي أنه عليه السلام قال مكروا ورب الكعبة[1] ويؤيده قوله ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟﴾ [الآية: 44] أي: أعجبوا بما أعطوا وحسبوا أنهم أكرموا ولم يقوموا بحق النعمة والشكر عليها كما

(1) انفرد به الملّا علي.

لم يستقيموا في وقت المحنة حيث لم يصبروا فيها ولم ينظروا في كل حالة إلى المبلى بها ﴿أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾ [الآية: 44] فجأة تعقب حسرة ﴿فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الآية: 44] متحيرون في وادي الغفلة وآيسون من بوادي الرحمة وقانطون من حصول التوبة لما خامر قلوبهم من وصول الوحشة.

﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ۚ﴾ [الآية: 45] أي: أصلهم أو آخرهم بحيث لم يبق منهم عين ولا أثر ولم يرو عنهم حديث ولا خبر ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الآية: 45] على إهلاك الظالمين الذين من شؤمهم يقطع الرحمة على العامة حتى تحزن الطير في وكره والسمك في بحره والبوم في بره ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ﴾ [الآية: 46] أخبروني ﴿إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ﴾ [الآية: 45] بأن أصمكم وأعماكم ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم﴾ [الآية: 45] بأن أغواكم في طريق هواكم ﴿مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ﴾ [الآية: 45] أي: بما أخذ من الأعضاء ويخلصكم من البلاء والعناء.

قال الترمذي: إن أخذ الله سمعكم عن فهم خطابه وأبصارهم عن الاعتبار بصنائع قدرته وختم على قلوبكم بسلب معرفته عنكم هل يقدر أحد فتح باب من هذه الأبواب سواه كلا بل هو المبدي بالنعمة فضلاً والمتم في الانتهاء كرماً.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه عرفهم محل عجزهم وحقيقة حاجتهم في القدرة القديمة لدوام فقرهم وضرهم فقال: إن لم يدم عليهم نعمة أسماعهم وأبصارهم ولم يوجب لهم ما ألبسهم من القوافي لكل وجه في كل لحظة فمن
247/ ب الذي يهب/ ما سلبه أو يضع ما منعه أو يعيد ما نفاه أو يرد ما أبداه كلا بل هو الله ولا رب سواه قلت ولهذا المعنى ورد في الدعاء اللّهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا[1].

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ [الآية: 46] نكررها ونبينها تارة من جهة المقدمات العقلية والنقلية وأخرى من جهة الترغيب والترهيب في الأمور الدينية

(1) أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة (2/ 351) رقم (445)، والطبراني في الدعاء (1/ 535) رقم (1911).

والأخروية ﴿ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ [الآية: 46] أي: يعرضون عنها ولا ينتفعون منها.

﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً﴾ [الآية: 47] أي: فجأة من غير مقدمة بل على غفلة ﴿أَوْ جَهْرَةً﴾ [الآية: 47] معاينة بظهور أمارة وعلامة وقيل: ليلاً ونهاراً ﴿هَلْ يُهْلَكُ﴾ [الآية: 47] أي: ما يهلك به ﴿إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الآية: 47] أي: على أنفسهم بالكفر والمعصية.

﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾ [الآية: 48] المؤمنين بالجنة والقربة ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ [الآية: 48] الكافرين بالحرقة والفرقة ﴿فَمَنْ ءَامَنَ﴾ [الآية: 48] اتقن علمه ﴿وَأَصْلَحَ﴾ [الآية: 48] عمله ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية: 48] من حلول العذاب ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الآية: 48] بفوات الثواب وقال بعضهم من أخلص باطنه وأصلح ظاهره فلا خوف عليهم من القنوط عن الوصلة ولا هم يحزنون من جهة القطيعة.

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ [الآية: 49] يصيبهم ألم العقاب وندم الحجاب ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [الآية: 49] بسبب خروجهم عن الطاعة من كل باب.

﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 50] مقدوراته في خلقه أو خزائن رزقه فأعطيكم ما تريدون ﴿وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ [الآية: 50] أي: ما لم يوح إليّ فأخبركم بكل ما سيكون وهو عطف على عندي والمعنى ولا أقول أعلم الغيب فلا زائدة لتأكيد النفي والمبالغة وقيل: عطف على لا أقول ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ﴾ [الآية: 50] أي: من جنس الملائكة أو أقدر على ما تقدرون عليه بحسب العادة ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ [الآية: 50] أي: تبرأ عن دعوى ما تستبعده العقول الرضية من دعوى الألوهية والملكية وادعى النبوة التي هي من الكمالات البشرية... لاستبعادهم دعواه وتصميمهم على فساد مدعاه.

وقال الأستاذ: يعني قل لهم إني لا أتخطى خطي ولا أتعدى حدي وإنما يقال لي بلغت وما حمّل علي أوصلت ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ [الآية: 50] مثل للضال والمهتدي أو الجاهل والعالم.

248/ أ وقال الأستاذ: هل يتشاكل الضوء والظلام وهل يتماثل/ الجحد والتوحيد ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الآية: 50] فتهتدوا بأنهم لا يستون.

﴿وَأَنذِرْ بِهِ﴾ [الآية: 51] أي: خوف بما يوحى إليه وهو القرآن الذي أنزل عليه ﴿ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [الآية: 51] أي: هول يوم حشرهم وطول وقوفهم لحسابهم واحتمال عذابهم وهم المؤمنون المفرطون فيما يعملون فإن الإنذار ينفعهم فيتعظون لا المنكرون ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ﴾ [الآية: 51] يتولى أمرهم ﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾ [الآية: 51] يشفعهم بغير إذنه إن أراد العذاب بهم والجملة في موضع الحال من ضمير أن يحشروا ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الآية: 51] لكي يتقوا عن كفرهم وكفرانهم.

قال أبو عثمان: أهل المعاملات وأرباب الصدق في المجاهدات خائفون في ذلك مما يبدو منهم من الإيمان والعرفان والتوكل والإيقان وأنواع والبر والإحسان وعرض ذلك على ربهم يشغلهم خوفه عن رؤية شيء من أعمالهم في آمالهم أو من التلذذ بها أو الاعتماد عليها.

وقال أبو سعيد الخراز: أي أنذرهم أن يحيلوا إلى وسيلة غيري أو شفيعاً إلى نفسي سواي.

وأفاد الأستاذ: أن الإنذار إعلام بمقام الخوف وإنما خص الخائفين بالإنذار كما خص المتقين بإضافة الهدى إليهم حيث قال ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 2] لأن الانتفاع والاتباع بالتقوى والإنذار أخص بهم ويقال: الخوف هاهنا العلم وإنما يخاف من علم فإن القلوب التي هي غطاء الجهل فلا تباشرها طوارق الخوف وقوله: ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ [الآية: 51] يعني كما أنه لا ناصر لهم من الأغيار فلا معتمد لهم من أفعالهم ولا مستند من أحوالهم ولا يؤملون شيئاً سوى صرف العناية وخصوص الرحمة.

﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ [الآية: 52] أي: شوقاً إليه واعتماداً عليه ﴿بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ [الآية: 52] أي: يذكرونه على الدوام أو يصلون المكتوبات في الليالي والأيام ولا يشغلهم شاغل من الأنام ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ

﴿ٱللَّهِ﴾ [النور: 37] والحضور عن الحضرة في الغدوة بعزم خدمته إلى العشية وفي العشية بعزم خدمته إلى الغدوة حتى تكون أوقاتهم مسرمدة بغير فترة فكانوا أصحاب المراقبة وأرباب المشاهدة.

وفي «العرائس» فيه لطيفة شريفة حيث وصفهم بالحضور بالغدو والآصال لا على تسرمد الأحوال لترويحهم سويعات بأحكام الظاهر لإصلاح البال
248/ب وهذا منّة منه كي لا يحرقهم بنيران محبتهم ولا يزيلهم حدة إرادتهم ﴿يُرِيدُونَ/ وَجْهَهُۥ﴾ [الآية: 52] أي: يدعون ربهم حال كونهم مخلصين موحدين ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ﴾ [الآية: 52] أي: حسابهم عليهم لا يتعداهم إليك كما أن حسابك عليك لا يتعداك إليهم ﴿فَتَطْرُدَهُمْ﴾ [الآية: 52] بالنصب على جواب النفي أي: فتبعدهم من قربك ﴿فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية: 52] جواب النهي روي أن كفار قريش وصناديد المشركين قالوا: لو طردت هؤلاء الأعبُد يعنون فقراء المسلمين كعمار وصهيب وجنابا جلسنا إليك وحادثناك فقال: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: 114] قالوا: فأقمهم عنا إذا جئناك قال: نعم وروي أن عمر رضي الله عنه قال له: لو فعلت حتى تنظر إلى ماذا يصيرون فدعى بالصحيفة وبعلي كرّم الله وجهه ليكتب فنزلت هذا وسئل أبو يعقوب النهرجوري عن المريد قال صفته ما ذكر الله في كتابه المجيد ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ [الآية: 52] الآية وهو دوام ذكر وإخلاص عمل من البداية إلى النهاية وقد أوصى الله بهذه الآية أكابرهم في التعطف عليهم والصفح عن زللهم والتلطف بهم.

وأفاد الأستاذ: أن هذه وصية له ﷺ في باب الفقراء والمستضعفين وذلك أنه لما قصر لهم لسان المعارضة واستدفاع ما كانوا بصدده من إخلاء الرسول عليه السلام مجلسه عنهم سكنوا متضرعين لقلوبهم بين يدي الله داعين له بحسن الابتهال فتولى الحق سبحانه خصميتهم فقال: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الآية: 52] أي: لا تنظر يا محمد إلى حرقتهم على ظواهرهم وانظر إلى حرقتهم في سرائرهم ويقال: كانوا مستورين بحالتهم فشهرهم بأن أظهر قصتهم ولولا أنه سبحانه قال: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الآية: 52]

فشهد لهم بالإرادة وإلا فمن كان يتجاسر أن يقول: إن شخصاً مخلوقاً يريد الحق سبحانه والتحقيق أن الإرادة اهتياج يحصل في القلب يسلب القرار من العبد حتى يصل إلى الله فصاحب الإرادة لا يهدأ ليلاً ولا نهاراً ولا يجد من دون وصوله إليه سبحانه سكوناً ولا قراراً ويقال: تقيدت دعوتهم بالغداة والعشي لأنهما من الأعمال الظاهرة والأعمال الظاهرة مؤقتة ودامت إرادتهم فاستغرقت جميع أوقاتهم لأنها من الأحوال الباطنة والأحوال الباطنة/ مسرمدة غير مؤقتة ويقال: 249/ أ
أصبحوا ولا سؤل لهم من دنياهم ولا مطالبة من عقباهم ولا هم سوى حديث مولاهم فلما تجردوا لله تمحضت عناية الحق لهم فتولى حديثهم وقال: ولا تطردهم يا محمد قال: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ [الآية: 52] لا تطالب بحسابهم ولا يطالبون بحسابك بل كل يتولى الحق سبحانه وتعالى حسابهم فإن كان أمره خيراً فهو ملاقيه وإن كان شراً فهو مقاسيه.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ [الآية: 53] أي: كما فتنا أحوال الناس في أمر الدنيا ﴿فَتَنَّا﴾ [الآية: 53] أي: ابتلينا ﴿بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ [الآية: 53] في أمور الدين فقدمنا هؤلاء الفقراء على أكابر الكفار والأغنياء ﴿لِّيَقُولُوٓاْ﴾ [الآية: 53] أي: الرؤساء ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ﴾ [الآية: 53] أي: الضعفاء ﴿مَنَّ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 53] أنعم عليهم ﴿عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ﴾ [الآية: 53] بالهداية والتوفيق لما يسعدهم دوننا وهو إنكار منهم بأن يخص هؤلاء من بينهم بإصابة الحق وسبق الخير لهم في طريق الصدق كقولهم لو كان خيراً ما سبقونا إليه واللام للعاقبة أو العلة ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الآية: 53] أي: بمن يقع منه الشكر والإيمان فيوفقه وبمن يصدر منه الكفر والكفران فيخذله.

قال الحسين: قطع الخلق بالخلق عن الحق فقال فتنا بعضهم ببعض.

وقال أبو بكر الورّاق: هو فتنة الرجل بولده وزوجته والاشتغال بهم وبأسبابهم وقد ذكر عن بعض السلف أنه قال ما شغلك عن الله فهو شؤم وهو بلاء وفتنة وسبب به ملوم.

وقال الأستاذ: أما الفاضل فليشكر وأمّا المفضول فليصبر.

وفي «**نفائس العرائس**» الفقير الصادق إذا امتنّ الله عليه بمعرفته وكشف

مشاهدته وكساه رداء هيبته يكون مبجلاً عند جميع خلقه لبروز نور جلال الله من وجهه فحيث يحيي يقوم العالم بحقه لصولة حاله وغلبة وجده ولطائف كلامه وشرائف مرامه ويكون سالب قلوب الخلق بما يجري علي أحكام ربوبيته فيظهر لهم منه سنى كراماته ولطيف آياته فيحسد عليه أهل الدنيا من المغرورين بمزخرفاتها الواقعين في ورطاتها ويقولون عند العامة أهؤلاء الذين لهم آية وكرامة وأرادوا بذلك صرف وجوه الناس عنه إليهم حسداً عليهم فأجاب الله رغماً لأنوفهم ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الآية: 53] أي: هو تعالى يعلم صدقهم وإخلاصهم في كرمهم وجودهم وبذل وجودهم شكراً لإنعامه
وحمداً/ لما منّ عليهم من إكرامه حيث خصهم بالدرجات الرفيعة والحالات 249/ ب
الشريفة المنيعة وفي الآية نكتة أخرى وهي أن فتنة الفقير طمعه إلى الغني وفتنة الغني بغضه للفقير لئلا يؤدي حقه.

﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [الآية: 54] أي: بالقرآن ﴿فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الآية: 54] أي: أمرهم بأن يبدأهم بالتسليم عليهم ويبلغ سلام الله إليهم ويبشرهم بسعة رحمة ربه وكمال فضله لهم بعد النهي عن طردهم إيذاناً بأنهم الجامعون بين فضيلتي العلم والعمل بسبب الإيمان والقرآن ومن كان كذلك ينبغي أن يقرب ولا يطرد ويعز ولا يذل ويبشر من الله بالسلامة في الدنيا وبالرحمة في العقبى.

قال الواسطي: برحمته وصلوا إلى عبادته لا بعبادتهم وصلوا إلى رحمته وقيل: سلم أنت على الذين يؤمنون بآياتنا فإنا نسلم على الذين آمنوا بنا بلا واسطة وذلك قوله ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس: 58].

وأفاد الأستاذ: أن السلام السلامة أي: فقل لهم سلام عليكم منا سلمتم في الحال عن الفرقة وفي المآل عن الحرقة ثم أن وكل بك من كتب عليك الذلة فقد تولى بنفسه لك كتابة الرحمة وكتابته لك أزلية وكتابته عليك وقتية والوقتية لا تبطل الأزلية ﴿أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا﴾ [الآية: 54] أي: سيئة وهو استئناف لتغير الرحمة وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بالفتح على البدل منها وقوله:

﴿بِجَهَٰلَةٍ﴾ [الآية: 54] في موضع الحال أي: من عمل سيئة جاهلاً بحقيقة ما يتبعه من المضرة ومتلبساً بفعل الجهلة ﴿ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ [الآية: 54] أي: بعد العمل أو السوء ﴿وَأَصۡلَحَ﴾ [الآية: 54] أي: عمله أو أخلص توبته وأحسن أمله ﴿فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [الآية: 54] أي: يغفره ويرحمه البتة فجواب الشرط محذوف والمذكور دليله أقيم مقامه وقرأ الشامي وعاصم بالفتح على إضمار مبتدأ أو خبر أي: فأمره أو فله غفرانه البتة وعلى كل دلت الآية على أن لزوم المغفرة لا يكون إلا بالتوبة وأما المغفرة من غير التوبة فهي تحت المشيئة.

وأفاد الأستاذ: يعني من تعاطى شيئاً من أعمال الجهال ثم سوف في الرجوع والأوبة في الحال أو الاستقبال قابلناهُ بحسن الإمهال وجميل الإفضال فإذا عاد بتوبته وحسرته أقبلنا عليه بلطف وقبول في رحمته.

250/أ ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ [الآية: 55] أي: مثل/ ذلك التفصيل الواضح والتبين اللائح ﴿نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ [الآية: 55] التي يحتاج الناس إلى بيانها في الأوقات في القرآن المبين ببيان صفة المطيعين والمجرمين المصرين منهم والأوابين ﴿وَلِتَسۡتَبِينَ سَبِيلُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [الآية: 55] أي: نفصل الآيات ليظهر الحق للكاملين ولتستبين سبيل المجرمين وقرأ نافع بالخطاب ونصب سبيل أي: ولتستوضح يا محمد سبيلهم وتعرف طريقتهم فتعامل كلاً منهم بما يحق له وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وحفص برفعه على معنى ولتبين سبيلهم والباقون بالياء والرفع على تذكير السبيل ومن هنا كان عليه السلام يبدر أصحابه بالسلام[1] رواه الترمذي.

وقال الأستاذ: نزيل الإشكال ونوضح طريق الاستدلال وتطلع شموس التوحيد وتمد أهله بحسن التأييد وتسم قلوب الأعداء بوسم الخذلان ونذيقهم شؤم الحرمان لئلا يبقى لأحدٍ عذر في حال ولا في الطريق إشكال.

﴿قُلۡ إِنِّي نُهِيتُ﴾ [الآية: 56] أي: صرفت وزجرت بما نصب لي من أدلة

(1) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (2/ 154) رقم (1430)، والطبراني في المعجم الكبير (22/ 155) رقم (414).

التوحيد وبما كشف لي من حقائق التفريد ﴿أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 56] أي: عن عبادة ما سواه بخلاف من اتخذ إلهه هواه ﴿قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ﴾ [الآية: 56] أي: لا أوافق آرائكم ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا﴾ [الآية: 56] أي: إن اتبعت رضاكم ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [الآية: 56] في أمر الدنيا والدين.

وقال الأستاذ: يعني صرح بالاعتراف بجميل ما خصصناك به من وجوه العصمة وصنوف النعمة وأخبرهم أنك في كنف الإيواء تتقلب وفي قبضة الصون تتصرف فلا للهوى علي سلطان ولا لي في محل التحقيق تباعد ولا عن الحضور غيبة.

﴿قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾ [الآية: 57] أي: بصيرة واضحة وحجة لائحة من الحجج العقلية والأدلة النقلية ﴿مِّن رَّبِّى﴾ [الآية: 57] أي: من جهته أو من معرفته ﴿وَكَذَّبْتُم بِهِۦ﴾ [الآية: 57] أي: بربي حيث أشركتم به غيره أو بما بين لي من توحيده وتفريده.

وقال الأستاذ: قل الله سبحانه لم يغادرني في فقر الطلب والتماس التحير وأغناني عن كد الاستدلال وروحني بشموس التحقيق ولئن بقيتم في ظلمة الالتباس فليس لي قدرة على إزالة ما ابتليتم به من التحير ونفي ما امتحنتم به من الجهالة والتردد ﴿مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ﴾ [الآية: 57] يعني العذاب الذي استعجلوه بقولهم ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ [الأعراف: 70] ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الآية: 57] أي: في إنزال العذاب وإيصال الثواب ﴿يَقُصُّ ٱلْحَقَّ﴾
250/ ب [الآية: 57] أي: يبينه ويظهره/ ويميزه ويعينه ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَـٰصِلِينَ﴾ [الآية: 57] أي: الفارقين بين الخطأ والصواب وما يتفرع عليهما من العقاب والثواب وقرأ أبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي يقص الحق من القضاء وهو مرسوم بدون الياء والمعنى يقضي القضاء الحق ويحكم الحكم الصدق بما يقضي ويحكم من تأخير وتعجيل وهداية وتضليل وهو خير الحاكمين وأرحم الراحمين.

﴿قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى﴾ [الآية: 58] أي: في قدرتي ومكنتي ﴿مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ﴾ [الآية: 58] من العذاب ﴿لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ [الآية: 58] قبل يوم

الحساب ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية: 58] أي: ما يليق لهم من حصول الإمهال أو نزول العقاب.

وقال الأستاذ: يعني لو قدرت على إبداء ما طلبتم من إقامة البراهين لكم لأجبتكم إلى كل ما اقترحتم علي شفقة عليكم لكن المتفرد بالحكم هو الله فلا يعارض فيما يريد مما سواه.

﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ﴾ [الآية: 59] أي: خزائنه جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن أو ما يتوصل به إلى المغيبات مستفاد من المفاتح الذي هو جمع مفتح بكسر الميم وهو المفتاح ويؤيده أنه قرئ مفاتيح.

وفي البخاري[1] مفاتيح الغيب خمس ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ﴾ [لقمان: 34] الآية والمعنى أن التوصل إلى المغيبات المحيط علمه بها.

﴿لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾ [الآية: 59] فيظهرها على ما اقتضت حكمته وتعلقت به مشيئته.

وأفاد الأستاذ: أن المفتاح ما يرتفع به الغلق فالذي يحصل به مقصود كل أحد قدرة الحق فإن التأثير لها في الإيجاد عندما تعلقت المشيئة بالمراد ويقال عندك مفاتح الغيب وعنده مفاتح الغيب فإن آمنت بغيبه أسبل السجف[2] على غيبك.

﴿وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ﴾ [الآية: 59] أي: يتعلق علمه بالمشاهدات كما يختص علمه بالمغيبات ﴿وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا﴾ [الآية: 59] أي: لا تسقط إلا بعد تعلق الإرادة بها فهو مبالغة في إحاطة علمه بالجزئيات ﴿وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الآية: 59] أي: مما تحت الأرض السابعة من السفليات أو من البذور المدفونة في أرضي الزراعات ﴿وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ﴾ [الآية: 59] أي: من جميع الكائنات والثلاثة معطوفة على ورقة وقوله: ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [الآية: 59]

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (4778)، وأبو يعلى في المسند (9/ 345) رقم (5459)، وأحمد في المسند (2/ 24) رقم (4766).
(2) في تفسير القشيري: مد الشمس.

أي: اللوح المحفوظ صفة المذكورات كما أن قوله: ﴿إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ [الآية: 59]
251/أ صفة ورقة ويؤيده أنها قرئت بالرفع على الابتداء والخبر ﴿ إِلَّا فِي/ كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الآية: 59].

وقال أبو سعيد القرشي: في هذه الآية ﴿مَا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ﴾ أي ورقة خضراء معلقة من تحت العرش فإذا يبست الورقة وقعت بين يدي ملك الموت عليه السلام مكتوب عليها اسمه واسم أبيه يعلم ملك الموت أنه قد أمر بقبض روحه.

قال صاحب «العرائس» وفي الحديث المروي عن النبي ﷺ قال: ما من زرع على الأرض ولا ثمار على الأشجار إلا عليها مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ورق فلان ابن فلان وذلك قوله في محكم كتابه ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ﴾ [الآية: 59] الآية.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾ [الآية: 60] أي: يميتكم فيه وعبر عن الإنامة بالتوفي لأن النوم أخو الموت ولما بينهما من المشاركة في زوال الإحساس والتمييز ففيه نوع من الاستعارة ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ [الآية: 60] أي: كسبتم فيه من الأوزار ﴿ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ﴾ [الآية: 60] أي: يوقظكم ﴿فِيهِ﴾ [الآية: 60] في النهار ﴿لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ [الآية: 60] أي: أجل الحياة إلى الممات والمعنى يستوفي مدة آجالكم وتنقضي جملة أفعالكم ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ﴾ [الآية: 60] أي: مآلكم ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 60] أي: يجازيكم بأعمالكم على وفق أحوالكم.

وأفاد الأستاذ: أنه يتوفى الأنفس في حال النوم وفي حال الوفاة فكما أنه لا يعاقبك بالليل ولا يعذبك إذا توفاك على ما جرحت بالنهار مع علمه بأفعالك فبالحري أن لا يعذبك غداً إذا ما توفاك على ما علمه من قبح أحوالك.

وفي «النفائس» توفاهم بالليل لطيران أرواحهم في أسرار الملكوت وسيرانها في أنوار الجبروت ليزيد شوقها إلى معادنها وتعرف ما يجازي به

بأعمال الأشباح التي كسبتها بالنهار من الثواب والعقاب وتعلم قدرة الله بالإحياء والإماتة مباشرة ومعاينة لتحيى عليها وقت انقطاعها من الحدثان إلى مشاهدة الرحمن.

﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الآية: 61] أي: الغالب على عباده في مراده فهو تصوير لقهره وعلوه بالقدرة والقوة.

وأفاد الأستاذ: أنه فوق عباده بالقهر والغلبة وللرفعة وفوقهم بالقدرة على أن يعذبهم من فوقهم بإنزال العقوبة عليهم والسخطة ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ [الآية: 61] ويحفظ أبدانكم كما قال تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ
251/ب يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: 11] أو يحفظ أعمالكم وهم الكتبة الكرام/ البررة ولعل الحكمة فيه أن المكلف إذا علم أن أعماله تكتب عليه وتعرض على رؤوس الأشهاد لديه كان أزجر عن السيئات وأفخر في العبادات فإن العبد إذا وثق بلطف سيده وبره اعتمد على لطفه وستره واغتر بفضله وكرمه فلم يحتشم منه احتشامه من خدمه المتطلعين على علمه وعمله ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ [الآية: 61] أي: حان أجله وانقطع أمله وارتفع عمله ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ [الآية: 61] أي: ملك الموت وأعوانه وقرأ حمزة توفاه بألف ممالة ﴿وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الآية: 61] فإنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ﴾ [الآية: 62] أي: جميع الخلق ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾ [الآية: 62] أي: إلى حكمه وجزائه وهو متولي أمرهم وحاكم بالعدل في حقهم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه ردهم إلى نفسه فما غابوا عن القبضة لحظة ولا خرجوا عن المشيئة نفساً ولا لمحة والرد إلى من رباك وأولاك خير من البقاء مع من أبلاك وأقماك وقال بعضهم هي أرجى آية في كتاب الله لأنه لا مرد للعبد أعز من أن يكون مرده إلى مولاه ﴿أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ [الآية: 62] أي: أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾ [الآية: 62] حيث لا يحتاج إلى ضرب وقسمة وفكر ورؤية فيحاسب الخلائق في مقدار ساعة.

﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم﴾ [الآية: 63] أي: يخلصكم ﴿مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الآية:

63] أي: شدائدها أو من الخسف والفرق بها ﴿تَدْعُونَهُ﴾ [الآية: 63] جملة حالية ﴿تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الآية: 63] أي: إعلاناً وإسراراً أو معلنين ومسرين وقرأ أبو بكر بكسر الخاء حيث جاء ﴿لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ﴾ [الآية: 63] أي: يقولون لئن أنقذتنا من هذه الشدة المبتلى بها في تلك الحالة ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الآية: 63] لا من الكافرين وقرأ الكوفيون نجانا.

وأفاد الأستاذ: أن تذكير النعمة يوجب زيادة في المحبة فإنه إذا عرف جميل ما أسدى إليه ربه تمكن في قلبه حبه.

﴿قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم﴾ [الآية: 64] بتشديد الجيم للكوفيين وهشام ﴿مِّنْهَا﴾ [الآية: 64] أي: من هذه الشدة ﴿وَمِن كُلِّ كَرْبٍ﴾ [الآية: 64] أي: أعم سواها بما ينزل بالقلب ﴿ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ [الآية: 64] ولا تشكرون الرب كما هو حق العبد وتعودون إلى الشرك ولا تفون بالعهد.

﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ [الآية: 65] كما فعل بقوم
252/ أ نوح ولوط وعاد وثمود وأصحاب الفيل ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ [الآية: 65] كما/ أغرق فرعون وخسف بقارون وقيل: ﴿مِّن فَوْقِكُمْ﴾ [الآية: 65] أكابر ظلمتكم وأرباب حكومتكم و﴿مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ [الآية: 65] عبيدكم وخدمكم وسفلتكم ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾ [الآية: 65] يخلطكم فرقاً مختلفين على أهواء شتى فيقوم القتال بينكم ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الآية: 65] أي: يقاتل بعضكم بعضاً ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ﴾ [الآية: 65] أي: نوضحها ونبينها بالوعد والوعيد ﴿لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [الآية: 65] لكي يفهموا ويتدبروا ويعملوا بما يعملون.

وأفاد الأستاذ: أنه لا طعم أدوى للإنسان من طعم الإنسان إن شئت في الولاية وإن شئت في العداوة والبغضة فمن مني بالبغضة مع أشكاله تنغص عليه عيشه في الدنيا ومن مني بمحبة أمثاله تكدر عليه حاله مع المولى ومن صانه الله عن الخلق فهو المحفوظ المعافى.

﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ﴾ [الآية: 66] أي: بالعذاب أو بالكتاب ﴿قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾ [الآية: 66] أي: الصدق والصواب ﴿قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ [الآية: 66] أي: بموكول إلى

أمركم إنما أنا منذر لكم والله هو الولي المتصرف فيكم.

وقال الأستاذ: يعني قل لهم إنما على تبليغ الرسالة فإما تحقيق الوصلة بالوجود والحالة الرضية فمن خصائص القدرة القوية وأحكام المشيئة الأزلية.

﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ [الآية: 67] أي: لكل خبر من الأخبار وقت استقرار ﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 67] بعضه في الدنيا وبعضه في العقبى وفيه تهديد شديد ووعيد أكيد.

قال الواسطي: لكل دعوى كشف وقال بعض الأخيار.

سوف ترى حين ينجلي الغبار أفرس تحتك أم حمار(1)

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ [الآية: 68] بالتكذيب لها والاستهزاء بها والطعن فيها ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [الآية: 68] واترك المجالسة معهم ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [الآية: 68] أي: غير ما ذكر من الآيات أو أعاد الضمير على معنى الآيات وهو القرآن.

وقال الأستاذ: لا توافقهم في الحالة ولا ترد عليهم ببسط القالة ذرهم ووحشتهم بحسن الأعراض عنهم وتصاون عن الإصغاء إلى تهاوشهم بحسن الانقباض منهم ﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ﴾ [الآية: 68] أي: بأن يشغلك بالوسوسة حتى ينسيك النهي عن المجالسة وقرأ ابن عامر بالتشديد ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ﴾ [الآية: 68] أي: بعد أن تذكره وهو مصدر وألفه للتأنيث ﴿مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الآية: 68] أي: معهم فإنهم ظلمة بوضع التكذيب والاستهزاء موضع التصديق والاستعظام.

﴿وَمَا عَلَى/ الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ [الآية: 69] أي: ما على 252/ب
المتقين شيء من حساب آثام الخائضين ﴿وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ﴾ [الآية: 69] أي: ولكن عليهم أن ينكروهم ذكرى ويمنعوهم عن الخوض مرة أخرى ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الآية: 69] أي: يجتنبون الخوض حياءً منهم لكرامتهم أو كراهة لمساءتهم روي

(1) سبق التعليق عليه.

أنه لما نزل النهي عن مجالستهم قال المسلمون إذا لم نستطع أن نجلس في الحرم ونطوف البيت المكرم فإنهم يخوضون أبداً فنزلت رخصة لهم في القعود بشرط التذكير.

وقال كثير من السلف: هذا منسوخ بآية النساء المدنية وهي قوله ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء: 140] وفي رواية قال المسلمون نخاف الإثم حين نتركهم ولاتها هم ولاتها هم معنى الآية ولكن عليكم التجنب ويذكر النهي ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الآية: 69] حين يرون إعراضكم عنه وصح عن سعيد بن جبير على ما نقله ابن أبي حاتم عنه إنما عليكم إن تخوضوا في آيات الله شيء من حسابهم إذا تجنبتم وأعرضتم عنها فالمعنى عليكم الإعراض والحاصل أنه إن كان المراد بالآية رخصة مجالستهم بشرط وعظهم فهو منسوخ فإن آية سورة النساء مدنية متأخرة وإن كان المراد رفع الإثم عن المتقين بشرط التجنب عن صحبتهم حين خوضهم فهو عين ما في سورة النساء فلا نسخ وعليه كلام سعيد بن جبير والله أعلم بحقيقة الحال.

وأفاد الأستاذ أن من كان نقي الثوب عن ارتكاب الأجرام كان بمعزل يوم نشره من ملاقاة تلك الآلام.

﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ [الآية: 70] أي: بنوا أمر دينهم على التشهي وأسسوا بنا تعنتهم على التلهي وتدينوا بما يضرهم أجلاً بما ينفعهم عاجلاً كعبادة الأصنام وتحريم نحو البحيرة من الأنعام والمعنى أعرض عنهم ولا تنظر إليهم في إدبارهم وإقبالهم ولا تبال بأقوالهم وأفعالهم ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ [الآية: 70] حتى اطمأنوا بها عن العقبى ﴿وَذَكِّرْ بِهِۦٓ﴾ [الآية: 70] أي: عظهم بالقرآن وأحكام المولى ﴿أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الآية: 70] مخافة أن تفضح أو تحبس وترهن أو تسلم إلى الهلاك بسوء ما عملت ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ﴾ [الآية: 70] يتولى أمرها في جميع الأبواب ﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾ [الآية: 70] يدفع عنها العذاب ﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ﴾ [الآية: 70] أي: تَفْدِ النفس كل فداء
لدفع بعض بلاء ﴿لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ﴾ [الآية: 70] / أي: لا ينفعها ولا يدفع شيئاً عنها 253/أ

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبۡسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْۖ﴾ [الآية: 70] من العقائد الفاسدة والأعمال الكاسدة ﴿لَهُمۡ شَرَابٌ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ﴾ [الآية: 70] تأكيد وتفصيل متضمن لتهديد ووعيد والمعنى هم بين ماءٍ مغلي يتجرجر في بطونهم ونار تشتعل بأبدانهم بسبب كفرهم وكفرانهم فلهم حجاب الفرقة وعذاب الحرقة والحجاب أشد العذاب.

وفي «النفائس» اترك البطالين الذين شغِلوا عنا بحظوظ الكونين حتى لا يزاحموا مجالس الصديقين فإنهم محجوبون بحظوظهم من لذة خطابنا وحقائق كتابنا ولذة صحبة أحبابنا.

وقال الأستاذ: أي كلهم وما اختاروهُ لأنفسهم فإنا أعتدنا لهم من خفي مكرنا فيهم ما إذا أحللناه بهم كسرنا عليهم خمار الغفلة وكشفنا عنهم خمار الوهم والغلطة.

﴿قُلۡ أَنَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا﴾ [الآية: 71] أن عبدناه ﴿وَلَا يَضُرُّنَا﴾ [الآية: 71] إن تركناه والمعنى ما لا يقدر على نفعنا وضرنا ﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعۡقَابِنَا﴾ [الآية: 71] بارتكاب الشرك والمعصية ﴿بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الآية: 71] بتوفيق الإيمان والطاعة والمعنى لا يقع شيء من ذلك فإن المخالف لما هنالك ﴿كَٱلَّذِي ٱسۡتَهۡوَتۡهُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ [الآية: 71] وقرأ حمزة أستهويه بألف ممالة ومحل الكاف النصب على الحال من فاعل نرد أي: ننكص مشبهين الذي استهوته الشياطين وذهبت به مرد الجن والغيلان وأضلته ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ حَيۡرَانَ﴾ [الآية: 71] أي: في المهامة والمهالك حال كونه متحيراً ضالاً عن طريق الهداية واقفاً في سبيل الغواية ﴿لَهُۥٓ أَصۡحَٰبٞ﴾ [الآية: 71] أي: لهذا المستهوي رفقة ﴿يَدۡعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلۡهُدَى﴾ [الآية: 71] أي: من طريق الهوى ويقولون ﴿ٱئۡتِنَاۗ﴾ [الآية: 71] أي: اتبعنا في طريقتنا واسلك سبيل تحقيقنا فلا يلتفت إليهم ولا يعرج عليهم ويتبع الغول فيهلك لديهم.

قال صاحب «الانتصاف»: ومن أنكر استهواء الجن واستيلائهم على بعض الإنس بقدرة الله الملك المتعال فهو ممن استهوته الشياطين في مهامه

الغفلة والضلال ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ﴾ [الآية: 71] أي: الذي هدى به من شاء من عباده ﴿هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ [الآية: 71] وحده وما عداه ضلال لكن على وفق مراده.

وقال الأستاذ: في معنى الآية قل لهم يا محمد أتؤثر الضلالة على الهدى بعد طلوع شموس البرهان وندع الطريقة المثلى بعد ظهور البيان ونترك ساحة الجنة وقد نزلناها ونطلب في الجحيم مثوى بعدما كفيناها أن هذا بعيد من العقول ومحال من ظنون الفحول.

253/ب وفي «**نفائس العرائس**» أي/أن هدى الله الذي بسط شرائعه وحقائقه وطرائقه للأنبياء والأولياء والصديقين والمقربين وذلك طريق عرفانه والوصول إلى جنان مشاهدته وعيانه وذلك الطريق لأهل اصطفائه يدل لأصفيائه على الرضا بقضائه والصبر في بلائه والشكر على نعمائه والتسليم لمراده بحيث لا يكون لهم معارضة في بلاده وهذا معنى قوله ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الآية: 71] من جملة القول عطف على أن هدى الله واللام بمعنى الباء أي: بأن نسلم ونختار الهداية ونخلص له العبادة.

قال أبو عثمان: أمر العبد بالتسليم والتسليم ترك التدبير في التأخير والتقديم والرضى بمجاري القضاء.

﴿وَأَنْ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ﴾ [الآية: 72] عطف على التسليم أي: وأمرنا بالإسلام والاستسلام وبإقامة الصلاة وسائر الأحكام وبالاتقاء عن الآثام قبل إقامة الصلاة وحفظ حدودها والدخول فيها بشرط الحرمة والقيام بها على سبيل الهيبة والمناجاة بلسان الافتقار والذلة والخروج منها على رؤية التقصير والحرقة فهذه إقامة صلاة المعبود الترسم بمجرد الركوع والسجود ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ [الآية: 72] أي: تجمعون وعلى وفق أعمالكم مجزيّون.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ﴾ [الآية: 73] أي: قائماً بالعدل والحكمة في الخلق ﴿وَيَوۡمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ﴾ [الآية: 73].

قال الأستاذ: يعني أنه لا يعتاص على قدرته سبحانه حدوث مقصود ولا يتقاصر حكمه عن تصريف موجود ﴿قَوۡلُهُ ٱلۡحَقُّ﴾ [الآية: 73] أي: الواقع الصدق

النافذ في الخلق.

قال الحسين: هو الحق ولا يظهر من الحق إلا الحق قال الله قوله الحق ﴿وَلَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ [الآية: 73] أي: ظاهراً وباطناً ويكون ظهور ذلك النور ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ﴾ [الآية: 73] حين يقول الملك الجبار لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ﴾ [الآية: 73] أي: هو عالم ما غاب وظهر للعباد ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الآية: 73] بما يقع في البلاد من الصلاح والفساد على طبق ما قضاه وأراد والجملة بمنزلة الفذلكة للآية.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾ [الآية: 74] عطف بيان لأبيه سواء يكون اسمه أو لقبه واسمه تارخ على ما في التواريخ ومنع صرفه للعجمة ويؤيده أنه قرأ يعقوب من العشرة آزر بالضم على النداء ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾ [الآية: 74] من
دون الله الذي استحق/ العبادة ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الآية: 74] أي: 254/ أ
في ضلالة ظاهرةٍ عن طريق اليقين في أمر الدين وأفاد الأستاذ أن الأضل منهمك في الجحود والنسل متصف بالتوحيد والحق سبحانه يفعل ما يريد أي: تارة كذا وأخرى كما فعل عكس ذلك في قضية نوح وولده البليد وإليهما الإشارة بقوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّۚ﴾ [النساء: 95] ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ [الآية: 75] أي: مثل هذه الإرادة الآتية ﴿نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية: 75] أي: عجائبها وبدائعها أو دلائل الربوبية وصنائعها.

وفي «البحر» عن علي رضي الله عنه مرفوعاً قال: كشف الله عن السموات والأرض حتى العرش وأسفل الأرضين(1).

وقال أبو سعيد الخراز: أراه ذلك ليطيق الهجوم على عظمته ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾ [الآية: 75] في أمر الدين وقيل: التقدير ليستدل وليكون من الموقنين بأن لها صانعاً وقيل: أراه ملكوت السموات والأرض أنها محدثة وأن لها مدبراً فصار من الموقنين بأن لا دافع ولا نافع سوى الله وقيل: أرى الخليل الملكوت فاشتغل بالاستدلال للخلق على الحق فلما كشف له تبرأ عن الكل إجمالاً فقال

(1) تفسير البغوي (3/ 158)، وتفسير أبي السعود (3/ 152).

لجبريل أما إليك فلا[1].

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه لاطفه بسابق العناية ثم كاشفه بلاحق الهداية فأراه من دلالة توحيده ما لم يبق في قضاء سره شظية من غبار الريب فلما صحا من غيم التجوز سماء سره قال: بنفي الأغيار جملة وتبرأ عن الجميع ولم يغادر منها تهمة.

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ﴾ [الآية: 76] أي: أظلم عليه وستر حاله بظلامه لديه ﴿رَءَا كَوْكَبًا﴾ [الآية: 76] نورانياً منسوباً إليه ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّى﴾ [الآية: 76] أي: هذا الحادث ربي وهو محتاج إلى رب مثلي أو على زعمكم فإنهم كانوا يعبدون الأصنام والكواكب العظام ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ﴾ [الآية: 76] أي: غاب ونزل ﴿قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ﴾ [الآية: 76] فضلاً عن أن أعبدهم كالغافلين فإن الانتقال من حال الكمال إلى حال الزوال واحتجاب الأنوار تحت الأستار يعارض المرتبة الألوهية ويناقض الرتبة الربوبية ولم يستدل بطلوعه على أنه ليس يريه مع أن تغيره بظهوره كتغيره بغروبه لأن في الطلوع نوع عظمة وإشراق نور وسطوة لا سيما في حال ظلمة ووقت غفلة ولأن حال الزوال أظهر في مقام الاستدلال بالنسبة إلى أرباب/ 254/ب
الضلال أو أراد تعدد الدلالة عند الانتقال والله أعلم بالأحوال.

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الآية: 77] أظهر عجز نفسه في التحقيق واستعان بربه في إدراك الحق على جهة التوفيق وأرشد قومه إلى طريق الحقيق.

قال الواسطي: لئن لم يعنّي ربي على الهداية التي شاهدتها بأعلام أنواره لأكونن من القوم الضالين في نظري إلى نفسي من بقائي وصفاتي.

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا﴾ [الآية: 78] أي: الشيء الطالع ﴿رَبِّى﴾ [الآية: 78] فذكر اسم الإشارة صيانة للرب عن شبهة التأنيث في العبارة أو لتذكير الخبر ﴿هَٰذَآ أَكْبَرُ﴾ [الآية: 78] أي: جرماً وأضاء فالضلالة أكثر ﴿فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ

(1) سبق تخريجه.

يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾ [الآية: 78] أي: من الأجرام المحدثة المحتاجة إلى محدث يحدثها ومخصص يخصصها بما تختص به من طلوعها وغروبها.

وقال السلمي: برئ من الاستدلال بالمخلوقات على الخالق العلمي بأن لا دليل على الله سواه ثم لما تبرأ عنها توجه إلى موجدها الذي دلت هذه الممكنات وسائر الكائنات على إبداعه لها فقال:

﴿إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ﴾ [الآية: 79] أي: وجه ذاتي وتوجه صفاتي ﴿لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ [الآية: 79] أي: أبدع العلويات والسفليات من الموجودات ﴿حَنِيفٗاۖ﴾ [الآية: 79] حال كوني مائلاً عن الشرك إلى التوحيد وعن رؤية الغير إلى التفريد ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الآية: 79] أي: بالله بإشراك ما سواه لا جلياً ولا خفياً في أمر الدين وبحث اليقين.

قال الإمام جعفر الصادق: يعني أسلمت قلبي للذي خلقه وانقطعت إليه من كل شاغل وشغل للذي فطر السموات والأرض فإن الذي رفع السموات بغير عمد وأظهر منها بدائع صنعه قادر على حفظ قلبي من الخواطر المذمومة والوساوس التي لا تليق بالحق.

وأفاد الأستاذ: أن الخليل الجليل أحاط به سجوف الطلب ولم ينجل له بعد صباح الوجود فطلع نجم العقول فشاهد الحق سره بنور البرهان فقال هذا ربي ثم زيد في ضيائه فطلع له قمر العلم فطالعه بشرط البيان فقال: ﴿هَٰذَا رَبِّيۖ﴾ [الآية: 78] ثم أسفر الصبح ومقع النهار وطلع شموس العرفان عن برج
255/ أ شرفها فلم يبق للطلب مكان ولا للتجويز حكم ولا للتهمة قرار فحينئذٍ/ قال: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾ [الآية: 78] إذ ليس بعد شهود الغيب ريب ولا عقب الظهور ستر ويقال قوله عند شهود الكواكب والشمس والقمر ﴿هَٰذَا رَبِّيۖ﴾ [الآية: 78] أنه كان يلاحظ الآثار والأغيار بالله ثم كان يرى الأشياء لله ومن الله ثم طالع الأغيار محوا في الله فقال: ﴿إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ﴾ [الآية: 79] الآية أي: أفردت قصدي لله وظهرت عقدي عن غير الله وحفظت عهدي في الله لله وأخلصت وجدي بالله فإن الله بالله بل محو في الله وبالله ولله.

﴿وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ﴾ [الآية: 80] أي: جادلوه في التوحيد وخاصموه في التفريد ﴿قَالَ أَتُحَـٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ﴾ [الآية: 80] وقرأ نافع وابن عامر بخلاف عن هشام بتخفيف النون أي: أتجادلونني في وحدانيته وصمديته ﴿وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ﴾ [الآية: 80] أي: دلني على توحيده وهداني إلى تمجيده ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ﴾ [الآية: 80] أي: معبوداتكم في وقت من أوقاتكم لأنها لا تنفع ولا تضر بنفسها ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ﴾ [الآية: 80] أن يصيبني من جهتها ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۗ﴾ [الآية: 80] أي: أحاط به علماً كما أحاط به حكماً ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [الآية: 80] أي: تتعظون فتعتبرون فتؤمنون ولا تكفرون.

وقال الأستاذ: يعني قال لهم: أترومون ستر الشموس بإسبال أكمامكم عليها أو تريدون أن تجروا ذيولكم إليها وقد تعالى سلطانه وتوالى بيانه.

﴿وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ﴾ [الآية: 81] وهو لا يملك نفعاً ولا ضراً ﴿وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ﴾ [الآية: 81] وهو خالق الخير والشر والنفع والضر طراً ﴿مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ﴾ [الآية: 81] أي: بإشراكه ﴿عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ﴾ [الآية: 81] أي: حجةً وبرهاناً لا من جهة النقل ولا من طريق العقل فإن العقل السليم لم يجوز إشراك المصنوع بالصانع وتسوية المقدور العاجز بالقادر الضار النافع ﴿فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ﴾ [الآية: 81] أي: من الموحدين والمشركين ﴿أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [الآية: 81] أي: تميزون بين الحق والباطل.

وقال الأستاذ: وأي خوف يقع على قلبي ظله ولم أُلِمّ بشرك ولم أجنح قط إلى جحد وأنتم ما شممتم رائحة التوحيد في طول عمركم ولا ذقتم طعم الإيمان في سالف دهركم ثم بسوء ظنكم تجاسرتم وما ارعويتم وخسرتم فما باليتم فأينا أولى بأن يلاحظ بعين سره ما هو بصدده من سوء مكره وعاقبة أمره ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ [الآية: 82] أي: ولم يحفظوه بشرك سابق ولا بشك لاحق/ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ﴾ [الآية: 82] من العذاب ﴿وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الآية: 82] إلى طريق الصواب وسبيل الثواب. 255/ب

وفي «تفسير السلمي» ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ [الآية: 82]

أي: لم يرجعوا في النوائب والمهمات إلى غير الله في جميع الحالات أولئك لهم الأمن من الآفات وهم مهتدون إلى معرفة الذات والصفات حيث رجعوا إلى من إليه المرجع والمآب وفي المنافع والمضرات.

وأفاد الأستاذ: أنهم الذين أشاروا إلى الله ثم لم يرجعوا إلى غير الله فإن من قال الله ثم رجع لتضل عند حاجاته أو مطالباته أو شيء من حالاته إلى غير الله فخصمه في الدنيا والعقبى هو الله والظلم في التحقيق وضع الشيء في غير موضعه وأصعبه حسبان الحدثان مما لم يكن فكان فإنّ المنشىء الله والمجري الله ولا إله إلا الله وسقط ما سوى الله.

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ [الآية: 83] أرشدناه إليها وعلمناه إياها وأظهرناها له وبيناها قومه أي: حجة عليهم إن لم يقبلوها وهدية إليهم أن قابلوها ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾ [الآية: 83] وقرأ الكوفيون بالتنوين فمن نشاء مفعول ودرجات منصوب بنزع الخافض أي: إلى درجات أو مصدر أي: نرفعه رفعات أو ظرف أي في درجات عاليات ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ [الآية: 83] في رفعه وخفضه ﴿عَلِيمٌ﴾ [الآية: 83] بحال من يرفعه ويخفضه واستعداده له.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أشار إلى ترقيه من شهود آياته إلى إثبات ذاته وكذلك الترتيب لأهل السلوك في وصولهم إلى الله فإنما هو تحقق بالآيات التي هي أفعاله وهذه مرقاة لهم وهي الأولى ثم إثبات صفاته وهي الرتبة الثانية ثم التحقيق بوجوده وذاته وهي غاية الوصول فبرسوله يعرف العبد نعوته وبنعوته يعرف ثبوته.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ﴾ [الآية: 84] ولده ﴿وَيَعْقُوبَ﴾ [الآية: 84] حافده ﴿كُلًّا﴾ منهما ﴿هَدَيْنَا﴾ [الآية: 84] إذ الهداية سبب النجاة به وباعث العبادة وموجب السعادة ﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ﴾ [الآية: 84] أي: من قبل إبراهيم وعد هدايته نعمة على إبراهيم من حيث أنه جده وشرف الوالد يتعدى إلى ولده ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ﴾ [الآية: 84] أي: وهدينا من ذرية نوح أيضاً ﴿دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ

وَمُوسَىٰ وَهَـٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [الآية: 84] أي: وكانوا في مقام الإحسان وكمال العرفان.

256/ أ ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ﴾ [الآية: 85] أي: ابن مريم/ أي إلى أن الذرية تتناول أولاد البنت ﴿وَإِلۡيَاسَۖ﴾ [الآية: 85] وهو من أسباط هارون أخي موسى ﴿كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [الآية: 85] أي: الكاملين في الصلاح العاملين بالفلاح.

﴿وَإِسۡمَـٰعِيلَ﴾ [الآية: 86] خص بالذكر منفرداً عنهم إشارة إلى أنه جد الفرد الأكمل منهم وهو نبينا عليه السلام وعليهم ﴿وَٱلۡيَسَعَ﴾ [الآية: 86] أي: ابن أخطوب بن العجوز أو يوشع بن نون وقرأ حمزة والكسائي اليسع وعلى القراءتين علم أعجمي دخل عليه اللام كما دخل على اليزيد في قوله: رأيت الوليد بن اليزيد مباركاً ﴿وَيُونُسَ﴾ [الآية: 86] أي: ابن متى ﴿وَلُوطٗاۚ﴾ [الآية: 86] وهو ابن هاران أخي إبراهيم ﴿وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَـٰلَمِينَ﴾ [الآية: 86] وفيه دليل فضلهم على من عاداهم من الخلق أجمعين فيدخل فيه ملائكة المقربين وفي البحر أن الله ذكرهم على ست مراتب السلطنة والقدرة لداوود وسليمان والبلاء والشدة لأيوب والجمع بين الابتلاء والوصول إلى الملك ليوسف وقوة المعجزة والصولة لموسى وهارون وزيادة الزهد والعصمة ليحيى وعيسى وإلياس وعدم بقاء أهل التبعية لإسماعيل واليسع ويونس ولوط.

﴿وَمِنۡ ءَابَآئِهِمۡ﴾ [الآية: 87] يعني وفضلنا بعض آبائهم أي: أصولهم ﴿وَذُرِّيَّـٰتِهِمۡ﴾ [الآية: 87] أي: فروعهم ونبينا عليهم السلام فرداً أكملهم ﴿وَإِخۡوَٰنِهِمۡۖ﴾ [الآية: 87] أي: حواشيهم وأتباعهم ﴿وَٱجۡتَبَيۡنَـٰهُمۡ﴾ [الآية: 87] أي: اخترناهم للنبوة والولاية ﴿وَهَدَيۡنَـٰهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الآية: 87] أي: طريق موصل إلى وصول الرعاية وحصول العناية.

قال الجنيد: أخلصناهم لقربتنا وأدبناهم لحضرتنا وذللناهم على الاكتفاء بنا عما سوانا ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ﴾ [الآية: 88] إشارة إلى ما هم عليه ﴿يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ﴾ [الآية: 88] إليه ﴿وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ﴾ [الآية: 88] أي: هؤلاء الأنبياء مع علو شأنهم بالفرض والتقدير لتحقق عصمتهم في إيمانهم ﴿لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ

﴿يَعۡمَلُونَ﴾ [الآية: 88] أي: لكانوا كغيرهم في حبوط أعمالهم وسقوط أحوالهم في حالهم ومآلهم.

وقال الأستاذ: ذكر عظيم المنّة على كافتهم صلوات الله وسلامه عليهم وبين أنه لولا تخصيصه إياهم بالتعريف وتفضيله له على ما سواهم بغاية التشريف وإلا لم يكن لهم استيجاب ولا استحقاق ثم قال ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ﴾ [الآية: 88] إلى آخره يعني لو لاحظوا غيراً أو شاهدوا من دوننا شيئاً لتلاشى ما أسلفوه من عرفانهم وإحسانهم.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ/ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [الآية: 89] يريد بهم الجنس ﴿وَٱلۡحُكۡمَ﴾ [الآية: 256/ ب
89] أي: الحكمة أو الحكومة بمعنى فصل القضية ﴿وَٱلنُّبُوَّةَۚ﴾ [الآية: 89] وهي أعم من الرسالة ﴿فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا﴾ [الآية: 89] أي: بهذه الثلاثة أو بالنبوة ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [الآية: 89] يعني بعض قريش فالإشارة الأولى للتعظيم وهذه للتحقير ممن علم الله منهم التقصير ﴿فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا﴾ [الآية: 89] أي: وفقنا بمراعاتها ﴿قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾ [الآية: 89] يعني المهاجرين والأنصار والتابعين لهم إلى يوم الدين رضي الله عنهم أجمعين أو يريد الأنبياء والمرسلين أو الملائكة المقربين أو أهل الفرس المتفرسين أو أهل اليمن المباركين.

وقال الأستاذ: يعني أن أعرض قومك يا محمد فليس كل من أثبتناهم فعلى الجحود أظهرناهم بل كثير من عبادنا نزهنا عن الجحود قلوبهم وعجنّا بماء السعادة طينتهم فهم لا يحيدون عن التوحيد لحظة ولا يزيغون عن التحصيل شمّة.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ﴾ [الآية: 90] يريد بهم الأنبياء الذين تقدم ذكرهم ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [الآية: 90] بهاء السكت وأثبتها في الدّرج نافع وابن كثير وأبو عمرو وعاصم إجراء للوصل مجرى الوقف وحذفها حمزة والكسائي في الوصل على الأصل وقرأ ابن عامر بها الضمير إلا أنه أشبعها في رواية عن ابن ذكوان فهو كفاية عن المصدر والمعنى اختص طريقهم بالاقتداء فإن الاهتداء في متابعة الأنبياء والمراد ما توافقوا عليه من التوحيد وأصول الدين ومكارم الأخلاق

المجمع عليها دون الفروع المختلف فيها.

وقال الأستاذ: أولئك الذين طهر الله عن الجحد أسرارهم ورفع على الكافة أقدارهم فاقتف يا محمد هديهم وآثارهم قلت: ومن جملتها قوله: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ﴾ [الآية: 90] أي: على التبليغ ﴿أَجۡرًاۖ﴾ [الآية: 90] أي: جعلاً من جهتكم كما لم يسأل من قبلي من النبيين بل إن أجري إلا على رب العالمين وفيه إيماءً إلى أن الأنبياء وأتباعهم من العلماء الأولياء العاملين لم يكونوا في الخلق طامعين ﴿إِنۡ هُوَ﴾ [الآية: 90] أي: التبليغ ﴿إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الآية: 90] أي: تذكير وموعظة لهم في أمر الدين.

﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ﴾ [الآية: 91] أي: ما عظموه حق عظمته أو ما عرفوه حق معرفته في الرحمة والإنعام على الأنام ﴿إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ﴾ [الآية: 91] من الكتاب والوحي والإلهام مع تضمن بعثته عظائم رحمته
257/أ وجلائل نعمته أو في السخط على الكفار والقهر بهم حتى/ جسروا على هذه المقالة وتصمموا على هذه الحالة.

ولذا قال السلمي: لو عرفوا ذلك لذابت أرواحهم وفنيت أشباحهم والقائلون هم اليهود والبالغون في الجحود كما يدل عليه نقض كلامهم وإلزامهم بما لا بدّ لهم من الإقرار به من مرامهم ﴿قُلۡ﴾ [الآية: 91] أي: لهم ﴿مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ﴾ [الآية: 91] أي: ذا قراطيس أو القراطيس ﴿تُبۡدُونَهَا﴾ [الآية: 91] أي: تظهرون ما تحبون ﴿وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗاۖ﴾ [الآية: 91] مما لا تشتهون مثل نعت محمد ﷺ وآية الرجم روي أن قائله مالك بن الصيف قاله لما أغضبه النبي ﷺ بقوله: أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى هل تجد فيها أن الله يبغض الحبر السمين؟ قال: نعم، قال: فأنت الحبر السمين(1).

وقراءة الجمهور بالخطاب في الأفعال الثلاثة يؤيد أن الآية في اليهود اللّهم إلا أن يقال أن قريشاً واليهود والنصارى يتشاركون في إنكار القرآن فلم

(1) المقاصد الحسنة (1/ 207)، وكشف الخفا (1/ 248)، تفسير الطبري (11/ 521).

يبعد أن يكون الكلام الواحد بعضه خطاب مع قريش وبقيته مع اليهود والنصارى كأنهم طائفة واحدة وأما على قراءة ابن كثير وأبي عمرو بالغيبة فهو التفات من الخطاب إلى الغيبة عند من يقول الآية في اليهود إهانة بهم وقيل: هو حمل على ما قالوا وما قدروا وقال ابن عباس ومجاهد واختاره ابن جرير أن الآية نزلت في قريش وهم يسمعون كتاب موسى من اليهود ويسلمونه ويقولون لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم(1).

والحاصل أن صدر الآية مناسب لأن تكون نازلة في المشركين وجعل التوراة قراطيس متعين أن يكون في حق اليهود ويمكن الجمع كما تقدم والله أعلم ويؤيده خطاب العموم بقوله سبحانه: ﴿وَعُلِّمْتُم﴾ [الآية: 91] على لسان محمد أو بسبب القرآن ﴿مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ﴾ [الآية: 91] زيادة على ما في التوراة والإنجيل وخبر من قبلكم ونبأ من بعدكم ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 91] أنزله أو أنزله الله أمره بأن يجيب عنهم ولا ينتظر الجواب منهم إشعاراً بأن هذا الجواب هو الصواب وتنبيهاً على أنهم تحيروا حتى لم يقدروا على الجواب والمعنى قل هذا الكلام لهم ﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ﴾ [الآية: 91] أي: اتركهم في أباطيلهم ﴿يَلْعَبُونَ﴾ [الآية: 91] في أضاليلهم حيث لا يعملون بما يعلمون ويحسبون أنهم يحسنون ثم هذه العبارة التفسيرية ما تنافي/ الإشارة الصوفية حيث قالوا: قل الله 257/ ب
ثم اترك ما سواه كما لا يخفي على أهل الانتباه وفي معناه استغفر الله مما سوى الله.

وأفاد الأستاذ: في قوله: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الآية: 91] أن من توهم أن العلوم تحيط بجلاله فالإحاطة غير سائغة في نعته كما أن الإدراك غير جائز في وصفه وكما أن الإشراف محال على ذاته ثم قال: ﴿مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الآية: 91] أي: سألهم عن الأحوال وخاطبهم في معاني أحكام الرسوم والأطلال ثم بقوا في ظلمة الحيرة ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾ [الآية: 91] يعني صرح بالإخبار عن التوحيد ولا يهولنك تماديهم في الأباطيل فإن تمويهات الباطل لا

(1) تفسير الطبري (12/ 243) رقم (14190).

تأثير لها في «الحقائق».

وقال صاحب «العرائس» قطع الله بقوله ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الآية: 91] أطماع الحدثان عن إدراك كنه قدمه وعزة أزله لأن الحدثان لا يبقى أثرها في جمال سطوات غيرة الرحمن كيف يعرف قدره من لا يعرفه وكيف يعرفه من لا يعرف نفسه وكيف يعرف نفسه من لا يكون خالق نفسه وكيف يكون خالق نفسه والأزلية منزهة عن الأضداد والأنداد لأن سطوات عظمته لا يبقى للحدثان أثر في ساحة كبريائه.

﴿وَهَٰذَا﴾ [الآية: 92] القرآن ﴿كِتَٰبٌ﴾ [الآية: 92] جامع البيان ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ [الآية: 92] أي: على قلب عليّ الشأن ﴿مُبَارَكٌ﴾ [الآية: 92] كثير البركة والمنفعة للإنسان ﴿مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [الآية: 92] مطابق لما في التوراة وموافق لما في الكتب السماوية قبله ليتباركوا فيه وليؤمنوا بجميع ما جاء من عنده ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾ [الآية: 92] ولتخوف أهلها من المشركين ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الآية: 92] من أهل الشرق والغرب أجمعين وسميت مكة أم القرى لأنها مشتملة على مكان اجتماعهم وموضع حجهم واعتمارهم أو لأن الأرض دحيت من تحتها فهي أصلها ولأن فيها قيام العالم ونظام بني آدم وقرأ شعبة بالغيبة أي لينذر النبي أو الكتاب ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ [الآية: 92] في العاقبة ثم بين الإيمان بالنبي والكتاب نوع من الملازمة ولذا اكتفى بتوحيد الضمير في به ﴿وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ﴾ [الآية: 92] أي: وسائر عباداتهم ﴿يُحَافِظُونَ﴾ [الآية: 92] وخصت الصلاة لأنها أم العبادات وأساس الطاعات الموجبة للصلاة.

وأفاد الأستاذ: أن كتاب الأحباب عزيز الخطر جليل الأثر فيه سلوة
عند/ غلبة الوجد والجذبة ومن بقي عن الوصول تذلل للرسول كما قيل: 258/أ

وكتبك حولي لا تفارق مضجعي ... وفيها شفاء للذي أنا كاتم
كأني ملحوظ من الجن نظرة ... وهن حوالي الرقى والتمائم[1]

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الآية: 93] فزعم أنه بعث نبياً كمسيلمة

(1) ذكره القشيري في تفسيره (2/ 272).

والأسود العنسي أو اختلف عليه أحكاماً من السوائب وغيرها كعمرو بن لحي.

وفي معناه من كذب في رؤياه أو في دعواه بما ليس في مبناه.

وقال سهل: من ذكر بالغفلة فقد افترى على الحضرة ﴿أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ﴾ [الآية: 93] جملة حالية من فاعل قال كمسيلمة فإنه كان يدعي الوحي والنبوة على ما قاله عكرمة وقتادة أو كعبد الله بن أبي سرح كان يكتب لرسول الله فلما نزلت ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ [المؤمنون: 12] وبلغ قوله ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ [المؤمنون: 14] قال عبد الله تبارك الله أحسن الخالقين تعجباً من تفصيل خلق الإنسان فقال عليه السلام اكتب فتبارك الله أحسن الخالقين فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقاً لقد أوحى إليّ كما أوحى إليه ولئن كان كاذباً لقد قلت كما قال ثم تاب ومات مسلماً ساجداً أو كان ما ظهر له انعكاساً من مرآة النبوة في مقابلة الحضرة فتوهم أنها مكاشفة له مستقلة ولم يعرف أنها عارية مردودة وأو في الآية للتنويع أو بمعنى الواو ولذا قال: ﴿وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 93] كالذين قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا وتسميته إنزالاً مجاز والمعنى سأنظم كلاماً يماثل ما ادعيتم أن الله أنزله أو هو من قبيل المشاكلة والمقابلة.

قال الأستاذ: يعني الذين يتنزلون منزلة المحدثين ولم يلق إلى أسرارهم خصائص خطاب المحققين فالحق عنهم بريء والمتبع بما لم ينل كلابس ثوبي زور وفي معناه أنشدوا:

إذا اشتبكت دموع في خدود تبين من بكى ممن تباكى[1]

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ﴾ [الآية: 93] أي: لو ترى زمان سكرات الظلمة وشدائد حالهم من ظلمة المعصية والغفلة لرأيت أمراً في غاية الفظاعة ونهاية من الشناعة ﴿وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ﴾ [الآية: 93] لتعذيب أشباحهم بضرب مقامعهم أو لقبض/ أرواحهم كالمتقاضي المسلط عليهم وقد 258/ ب
ورد أن أرواح الكفار تتفرق في أجسادهم وتأبى الخروج فتضربهم الملائكة

(1) سبق التعليق عليه.

بمقامعهم حتى تخرج رواه ابن أبي حاتم وغيره[1] ويؤيده قوله: ﴿أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ﴾ [الآية: 93] أي: يقولون أو قائلين لهم اخرجوها إلينا من أجسادكم تغليظاً لهم وتعنيفاً عليهم أو أخرجوها من العذاب وخلصوها من أيدينا تهكماً بهم ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ [الآية: 93] يريد به وقت الإماتة أو زمن القيامة أو الوقت الممتد من الإماتة إلى ما ليس له نهاية ﴿تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ [الآية: 93] أي: الذل والهوان والمراد به العذاب المشتمل على المذلة والإهانة ﴿بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ [الآية: 93] من إدعاء الولد والشريك مطلقاً ودعوى النبوة والوحي والرسالة كاذباً ﴿وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الآية: 93] فلا تتأملون فيها ولا تؤمنون بها فالهوان والصغار جزاء الاستكبار والاستحقار جزاءً وفاقاً وعلى وفق أحوالهم طباقاً.

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا﴾ [الآية: 94] للحساب والجزاء بالثواب أو العقاب في العقبى ﴿فُرَٰدَىٰ﴾ [الآية: 94] منفردين عن الأموال والأولاد والشفعاء وسائر ما آثرتموه علينا من الدنيا ﴿كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الآية: 94] وقد كنتم تنكرون ذلك بالمرة وهو بدل من فرادى أي: على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد أو حال من الضمير في فرادى أي: مشبهين ابتداء خلقكم حفاة عراة غرلاً بُهماً ﴿وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ﴾ [الآية: 94] أي: ما تفضلنا به عليكم في الدنيا فشغلتم به عن العقبى وغفلتم بسببه عن المولى ﴿وَرَآءَ ظُهُورِكُمْۖ﴾ [الآية: 94] أي: ما قدمتم منه شيئاً يسيراً ولا قدمتم فيه منه نقيراً ولا قطميراً بل جئتم مفلسين مبلسين ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ﴾ [الآية: 94] أي: من الأصنام ﴿ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُاْۚ﴾ [الآية: 94] أي: شركاء لله في تربيتكم واستحقاق عبادتكم ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الآية: 94] أي: تقطع وصلكم وتحقق فصلكم وقرأ نافع والكسائي وحفص بالنصب على إضمار الفاعل فأسند التقطع إلى ضمير الأمر لتقرره في النفوس أي: تقطع الأمر بينكم وأصله لقد تقطع ما بينكم كما قرىء به ﴿وَضَلَّ عَنكُم﴾ [الآية: 94] أي: ضاع وبطل وغاب منكم ﴿مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الآية: 94] أنها شفعاء ولا بعث ولا جزاء قال بعضهم أجمل مقام العبد إظهار إفلاسه من جميع حالاته والرجوع إليه خالياً

(1) تفسير ابن كثير (3/ 302).

عن عبادته وجميع طاعاته وقيل لأبي حفص بماذا تقدم على الله؟ قال: وما للفقير أن يقدم/ على الغني سوى فقره قال الله: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ﴾ [الآية: 94] خالين 259/ أ عن أعمالكم وأحوالكم.

وقال الأستاذ: دخلت الدنيا بخرقة وخرجت منها بخرقة ألا وتلك الخرقة أيضاً لبسة وما دخلت إلا بوصف التجرد ولا خرجت إلا بحكم التفرد ثم الأثقال والأوزار والأحمال والأوضار لا يأتي عليها حصر ولا مقدار فلا مالكم أغنى عنكم ولا حالكم يرفع منكم ولا لكم شفيع يخاطبنا فيكم فقد تقطع بينكم وتفرق وصلكم وتبدد شملكم وتلاشى ظنونكم وخانكم في التحقيق وسعكم وفنونكم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ [الآية: 95] أي: شاقهما وخالقهما بسبب نبات الزرع في الحال والأشجار والأثمار في المآل.

وقال ابن عطاء: مظهر ما في حبة قلب الأحباء من الإخلاص والرياء ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ﴾ [الآية: 95] أي ما ينمو من الحيوانات والنباتات ﴿مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ [الآية: 95] مما ينموا كالنطف والبذريات ﴿وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ [الآية: 95] أي: ومخرج ذلك من الحيوان والنبات وهو عطف على ﴿فَالِقُ ٱلْحَبِّ﴾ [الآية: 95] فإن قوله ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ﴾ [الآية: 95] وقع موقع البيان له ﴿مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ [الآية: 95] لا يصلح أن يكون بيانه لأن فلق الحب إلا لإخراج الحي من الميت ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 95] أي: فاعل هذه الأشياء هو الله فلا تعبدوا إلا إياه ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [الآية: 95] أي: فكيف تصرفون عنه إلى ما سواه.

وأفاد الأستاذ: أن موجد ما في العالم من الأعيان والآثار والرسوم والأطلال يسلط العدم على ما يريد من مصنوعاته ويحكم بالبقاء لما يريد من مخلوقاته فلا لحكمه رد ولا لحقه جحد.

﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ [الآية: 96] أي: هو شاق عمود الصباح عن ظلمة الليل المحتاج إلى المصباح والإصباح في الأصل مصدر أصبح إذا دخل في الصبح سمي به الصبح ﴿وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا﴾ [الآية: 96] يسكن الشخص إليه ويستأنس به

ومنه قوله تعالى: ﴿لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا﴾ [الروم: 21] ويستريح فيه ومنه قوله ﴿لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ﴾ [يونس: 67] واعمل اسم الفاعل لأنه بمعنى الدوام التجددي نحو ولقد أمر على اللئيم يسبني لا بمعنى الثبوت الدائمي كمالك يوم الدين وقال القاضي نصبه بفعل دل عليه جاعل لا به فإنه في معنى الماضي ويدل عليه قراءة الكوفيين وجعل الليل حملاً على معنى المعطوف عليه فإن فالق بمعنى فلق ولذلك قرىء به ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ﴾ [الآية: 96] عطف على محل الليل ويدل عليه أنه قرئ بالجر ﴿حُسۡبَانٗاۚ﴾ [الآية: 96] بنزع الخافض لقوله ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ﴾ [الأنعام: 96] أي: يجريان بحساب معين لأدوالٍ مختلفة على أطوار مؤتلفة
259/ب يحسب/ بهما الأوقات والأزمنة ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 96] أي: ما ذكر من الفلق والجعل أو كل واحد منهما ونحوه ﴿تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ﴾ [الآية: 96] الغالب على أمره ﴿ٱلۡعَلِيمِ﴾ [الآية: 96] بقضاءه وقدره.

وقال الأستاذ: كما فلق صبح الكون فأشرقت الأقطار كذلك فلق صبح القلب فاستنار به الأسرار وكما جعل الليل سكناً لتسكن فيه النفوس من كدّ التصرف عن أسباب المعاش كذلك جعل الليل سكناً لروح الأحباب يسكنون فيه إلى روح المناجاة إذا هدأت العيون من الأغيار وجعل الشمس والقمر يجريان بحسبان معلوم على حد مفهوم والشمس بوصفها مذ خلقت لم تنقص ولم تزد والقمر لا يبقى ليلة واحدة في حالة واحدة بل أبداً في النقصان والزيادة على جري العادة فلا يزال ينمو حتى يصير بدراً ثم يتناقص حتى لا يرى قدراً ثم يأخذ في الظهور به كذلك دأبه أبداً إلى أن تنقض عليه العادة يعني في مقدمات يوم القيامة.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ﴾ [الآية: 97] أي: ظاهرة ﴿لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ﴾ [الآية: 97] أي: في ظلمات الليل فيهما والإضافة لملابستها إليها أو مشبهات الطرق وسماها الظلمات على الاستعارة.

قال أبو علي الجوزجاني: جعل الله الليل مطية ودليلاً بالمطية يركبها في التلف حال الابتلاء والدليل يستدل به إلى أبواب الرضاء قال الله ﴿لِتَهۡتَدُواْ بِهَا﴾

[الآية: 97] الطريق إلى الجنة العليا.

وقال الأستاذ: كما أن نجوم السماء يهتدى بها في الفلوات كذلك نجوم القلب يهتدى بها في معرفة رب الأرضين والسموات ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأَيَٰتِ﴾ [الآية: 97] بيناها فصلاً فصلاً أو مفصلاً لا مجملاً ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 97] فإنهم المنتفعون.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [الآية: 98] هو آدم خلق منها حواء ثم خلق منهما أولادهما.

قال الأستاذ: ذكرهم وصفهم حين خلقهم من آدم عليه السلام ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ [الآية: 98] أي: ذلكم استقرار في الأصلاب أو فوق الأرض واستيداع في الأرحام أو تحت الأرض أو موضع استقرار واستيداع فيها وقرأ ابن كثير وأبو عمر بكسر القاف على أنه اسم فاعل والمستودع مفعول أي: فمنكم قارّ ومنكم مستودع لأن الاستقرار منا دون الاستيداع لنا ولا يجوز أن يكون المستقر فتح القاف اسم مفعول لأن/ استقر فعل لازم ولا يبنى المفعول إلا من المتعدي 260/ أ
والتحقيق أن الاستقرار والاستيداع حالان يعتوران على الإنسان في الزمان والمكان من الظهر إلى الرحم إلى الدنيا إلى موضع البلى إلى العقبى إلى النار أو الجنة العليا ففي كل رتبة يحصل له استقرار واستيداع استقرار بالإضافة إلى ما قبلها واستيداع بالإضافة إلى ما بعدها كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: 42] كما أن منه أمر المبتدأ ولعلهم قالوا النهاية هي الرجوع إلى البداية لهذا المعنى.

وقال الأستاذ: كما أن للنفوس والأشباه مستقراً ومستودعاً فللأسرار والضمائر مستقر ومستودع فمن عبد مستقر قلبه أوطان الشهوات والمنى ومن عبد مستقره موقع الزهد والتقى ومن عبد مستقره حيث لا مسكن ولا مثوى وراء الورى.

وفي «**نفائس العرائس**» أنه سبحانه أنشأ الكل من جوهر الفطرة وجوهر الفطرة منشؤه نور فعل الخاص ومنشؤ نور فعل الخاص ظهور الصفة وظهور

الصفة بظهور الذات تجلى القدم فأخرج الكل من العدم وتخصيص لطائف الكتاب بالإشارة إلى نفس واحدة أي: بظهور نفس وحدانية أزلية أبدية منزهة عن الاجتماع والافتراق فبعض القلوب مستقرها عالم الملكوت ومستودعها عالم الجبروت وبعض العقول مستقرها الآيات ومستودعها الصفات وبعض الأرواح مستقرها الصفات ومستودعها الذات بنعت البقاء في الصفات بنعت والفناء في الذات لأن القدم منزه أن يحيل في الحدث وأيضاً مستقر القلوب المقامات ومستودعها الحالات ومستقر العقول العبادات ومستودعها الكرامات ومستقر الأرواح أنوار المعرفة من تجلي الصفات ومستودعها أنوار التوحيد من تجلي الذات ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ [الآية: 98] الفقه تدقيق النظر فهو أليق بالاستدلال بالأنفس لدقته بخلاف الاستدلال بالآفاق لظهوره.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ [الآية: 99] أي: من جانب السماء ما طهوراً ﴿فَأَخْرَجْنَا﴾ [الآية: 99] على تلوين الخطاب بالالتفات من الغيبة إلى التكلم بصيغة العظمة تعظيماً للقضية به أي: بسبب الماء أو بسبب إنزاله ﴿بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الآية: 99] أي: نبت كل صنف مما ينبت والمراد إظهار القدرة في إثبات الأنواع المقننة والأصناف المختلفة بماء واحد كما قال تعالى: ﴿يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ﴾ [الرعد: 4] ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ﴾ [الآية: 99] أي: من النبات والماء ﴿خَضِرًا﴾ [الآية: 99] أي: شيئاً أخضر وهو الخارج من الجنة المتشعب زرعاً وشجراً ﴿نُّخْرِجُ مِنْهُ﴾ [الآية: 99] من الخضر أو الماء ﴿حَبًّا مُّتَرَاكِبًا﴾ [الآية: 99] بعضه على بعض كسنابل البر وغيره ﴿وَمِنَ ٱلنَّخْلِ﴾ [الآية: 99] أي: وأخرجنا من النخل نخلاً ﴿مِن طَلْعِهَا﴾ [الآية: 99] وهو أول ما يخرج من ثمرها ﴿قِنْوَانٌ﴾ [الآية: 99] أي: عراجين جمع قنوٍ كصنوان جمع صنو ﴿دَانِيَةٌ﴾ [الآية: 99] قريبة من المتناول سهلة للمجني لقصر النخل اللاصق عروقها بالأرض أو ملتفة قريب بعضها من بعضها وهو من باب الاكتفاء عن نقيضها وإنما اقتصر على ذكرها ولم يذكر مقابلها لدلالتها عليه وزيادة النعمة فيها ﴿وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ﴾ [الآية: 99] عطف على نبات كل شيء أو على خضراً أو حباً وهو أقرب ثم المراد من الأعناب إن كان الكروم تسمية للشجر باسم الثمر فلا حاجة إلى

تقدير وإلا فلا بد أن يقدر من نبات أعناب لأن البستان لا يكون من العنب نفسه بل من الأشجار ﴿وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ﴾ [الآية: 99] أي: شجرها وهو عطف على جنات ﴿مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾ [الآية: 99] حال من الرمان أو من الجميع أي: بعض ذلك مشتبه ببعض آخر منه وبعضه غير متشابه في الهيبة والقدر واللون والطعم والافتعال والتفاعل يشتركان كثيراً يقال اشتبه وتشابه واستويا وتساويا ﴿ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ﴾ [الآية: 99] أي: إلى ثمر كل واحد مما ذكر وقرأ حمزة والكسائي بضم الثاء والميم وهو جمع ثمرة كخشبة وخشب أو ثمار ككتاب وكتب ﴿إِذَآ أَثْمَرَ﴾ [الآية: 99] أي: إذا أخرج ثمره كيف يثمر حينئذٍ لا يكاد ينتفع به ﴿وَيَنْعِهِۦٓ﴾ [الآية: 99] أي: وإلى حال نضحه أو إلى نضجه كيف يعود ضخماً وذا نفع ولذة والمراد به نظر استدلال واعتبار حيث صار عنباً ورطباً بعدما كان نباتاً وحطباً ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ﴾ [الآية: 99] أي: في ما ذكر لكم ﴿لَأٓيَٰتٍ﴾ [الآية: 99] دلالات على كمال قدرته ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية: 99] بوحدانيته في إلهيته.

وقال الأستاذ: تجانست أجرام الأرض وتفاوتت أقطار الكون واختلفت الأشياء وتباين النبات في الطعم واللون فدل كل مخلوق بلسان فصيح وبيان صريح أنه بنفسه غير مستقل في فعله.

﴿وَجَعَلُواْ﴾ [الآية: 100] أي: صيروا وهم مشركو مكة ﴿لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ﴾ [الآية: 100]أي: الملائكة وعبدوهم وقالوا الملائكة بنات الله وسماهم جناً لاجتنانهم واختفائهم من أعين الإنس تحقيراً لشأنهم والشياطين لأنهم أطاعوهم كما يطاع الله تعالى أو عبدوا الأوثان بتسويلهم وإغوائهم فكأنهم عبدوهم أو قالوا الله خالق الخير وكل نافع كالنور والشيطان خالق الشر وكل ضار/ كالظلمة كما هو 261/ أ
رأي الثنوية ومفعولاً جعلوا شركاء الجن ولله متعلق بشركاء قدم للاهتمام ﴿وَخَلَقَهُمْ﴾ [الآية: 100] حال بتقدير قد يعني وقد علموا أن الله خالقهم دون الجن وليس من يخلق كمن لا يخلق فالضمير إلى الكفار أو الضمير إلى الجن أو إليهم جميعهم ففيه تنبيه نبيه على أن المخلوق لا يصلح أن يكون شريكاً لخالقه وهذا هو الأظهر فتفكر وتدبر.

قال الأستاذ: سدت بصائرهم فاكتفوا بكل منقوص أن يعبدوه وتلك عقوبة أرباب الغفلة عن الله عجلت لهم ﴿وَخَرَقُواْ لَهُۥ﴾ [الآية: 100] أي: وقرأ نافع بالتشديد للمبالغة والمعنى افتروا واختلقوا له ﴿بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ﴾ [الآية: 100] فقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت العرب: الملائكة بنات الله ﴿بِغَيۡرِ عِلۡمٖۚ﴾ [الآية: 100] أي: من غير رؤية ودلالة بل عن جهالة وضلالة من جهة تلك المقالة ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ﴾ [الآية: 100] أي: سبح سبحانه ﴿وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الآية: 100] أعداؤه به وهو بأن له ولداً أو شريكاً في ملكه.

﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ [الآية: 101] من إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها أي: هو بديع سمواته وأرضه أو إلى الظرف فالإضافة حقيقية بمعنى في أي أنه عديم النظير فيها أو هو مبدعها ومحدثها على غير مثال سبق عليها وهو قول مجاهد والسدي وغيرهما ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ﴾ [الآية: 101] أي: من أين أو كيف يكون له ولد ﴿وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ﴾ [الآية: 101] يكون منها الولد والولد إنما يكون بين المتجانسين ولا يناسبه شيء فإنه خالق الأشياء وأين الخالق من المخلوق في باب الأكفاء ولذا قال تعالى: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾ [الإخلاص: 1 ـ 4].

وأشار إليه بقوله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [الآية: 101] لا يخفى عليه خافية من موجود وعديم.

وأفاد الأستاذ: الواحد يستحيل له الولد لاقتضائه البعضية والتوحيد ينافيه يعني لدلالة وجود الولد على الإثنينية ولأن القديم لا يكون محلاً للحوادث الكونية.

﴿ذَٰلِكُمُ﴾ [الآية: 102] أي: الموصوف بما ذكر لكم من صفات الكمال وهو مبتدأ وقوله: ﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الآية: 102] أخبار مترادفة أو التقدير هو خالق كل شيء ﴿فَٱعۡبُدُوهُۚ﴾ [الآية: 102] إذ لا يستحق العبادة غيره ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾ [الآية: 102] أي: موكول إليه أمر كل شيء فكِلوا الأمور إليه وتوكلوا واعتمدوا في جميع الأحوال عليه.

وقال الأستاذ: تعرف إليهم بآياته ثم تعرف إليهم/ بصفاته ثم كاشفهم 261/ ب
بحقائق ذاته فقوله: ﴿لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الآية: 102] تعريف للسادة والأكابر وقوله ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الآية: 102] تعريف للعوام والأصاغر.

﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الآية: 103] أي: لا تراه حاسة البصر والعين التي هي النظر في دار الدنيا الفاني حين وجود غبار الأغيار تراه العين الباقية في دار القرار الذي هو محل مشاهدة الآثار ولا يحيط به الأبصار فإن الإدراك أخصّ من الإبصار فيؤول حكماً إلى معنى قوله ولا يحيطون به علماً أو لا يراه جميع الأبصار لاحتجاب الكفار في دار البوار كما قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: 15] مفيداً أنه تعالى يتجلى على قوم هم عنده محجوبون أو لا يراه أحد على ما هو عليه لا بشر مرسل ولا ملك مقرب لديه لكن إذا تجلى بوجه يمكن رؤيته تدركه الأبصار على ما فسره ابن عباس ونقل عنه الترمذي وابن أبي حاتم وصححه الحاكم على شرط الشيخين ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الآية: 103] أي: يحيط علمه بها ويراها بكمالها.

قال ابن عطاء: لا تحيطه وهو يحيط بها.

وقال أبو يزيد: أن الله احتجب على القلوب كما احتجب على الأبصار فإن أوقع التجلي فالبصر والفؤاد واحد أقول بل حينئذٍ جميع الأجزاء مشاهد ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ﴾ [الآية: 103] أي: بالأبرار والأخيار ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ [الآية: 103] أي: العالم بالأخبار فيدرك ما لا يدركه الأبصار كالإبصار وجواز أن يكون من باب اللف والنشر أي: لا تدركه الأبصار لأنه اللطيف وهو يدرك الأبصار لكونه الخبير.

قال الحسين: لطف عن الكنه فاني له الوصف ومن لطفه ذكره لعبده في الدهور الخالية إذ لا سماء مبنية ولا أرض مدحية.

وقال الأستاذ: تقدست الصمدية عن كل لحوق ودرك فأنّى بالإدراك ولا حد له ولا طرف ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ﴾ [الآية: 103] الذي لا يخفى عليه شيء ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ [الآية: 103] الذي أحاط علمه بكل معلوم.

ومن «**نفائس العرائس**» لا تدركه الأبصار إلا بالإبصار مستفادة من أبصار

جلاله وكيف يدركه الحدثان ووجود الكون عند ظهور سطوات عظمته عدم وهو يدرك الأبصار ببصره القديم تنزه عن المشابهة بالحدثان بأن يكسيها أنوار صفاته ليراها به لا بنفسها لأنه بلطف ذاته ممتنع عن مطالعة خلقه مع علو شأن علمه وإحاطته بجميعهم وجوداً وعدماً فقوله ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الآية: 103] من لطف جماله انجذب القلوب بنعت العشق إلى ضياء وجهه الكريم عجزاً واضطراراً من لطفه غرقت الأرواح في بحار محبته وفنيت الأسرار في فضاء هويته ودهشت القلوب في معارك أشواقه واضمحلت العقول في بيداء ألوهيته من إدراك غوامض علمه.

262/ أ ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ/ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [الآية: 104] البصائر جمع البصيرة وهي للقلب كالبصر للقالب سميت بها الدلالة لأنها تجلى بها الحق والمعنى قد جاءتكم الآيات القرآنية والدلالات الفرقانية التي هي للقلوب كالبصائر ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ﴾ [الآية: 104] الحق وشاهد الصدق ﴿فَلِنَفْسِهِۦ﴾ [الآية: 104] أبصر ونفعه له أظهر ﴿وَمَنْ عَمِىَ﴾ [الآية: 104] عن الحق الحقيق وضل عن سوء الطريق ﴿فَعَلَيْهَا﴾ [الآية: 104] وباله في التحقيق.

قال الخواص: أنزل الله البصائر فطوبى لمن رزق بصيرة منها وأدنى البصائر أن يبصر الإنسان رشده في الظواهر والسرائر ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ [الآية: 104] أي: أحفظ عليكم فأجازيكم فإنما أنا منذر والله تعالى هو الحفيظ لأعمالكم والمجازي على وفق أحوالكم وهذا الكلام وارد على لسانه عليه السلام.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أوضح السبيل وألاح الدليل وأزاح العلل وأنار السبل ولكن قيل:

وما انتفاع أخي الدنيا بمقلته   إذا استوت عنده الأنوار والظلم(1)

﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ [الآية: 105] أي: ومثل ذلك التبيين نبينها ونكررها ونعينها.

(1) نسب إلى المتنبي. انظر: خزانة الأدب (1/ 275)، والتذكرة الحمدونية (2/ 57).

وقال الأستاذ: أوقع الفتنة في قلوبهم فجنس عليهم الأحوال فمن شبهة داخلتهم ومن حيرة ملكتهم ومن تحقيق أدرك قوماً ومن تعريف توقف على آخرين ﴿وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ﴾ [الآية: 105] صرفناها واللام لام العاقبة والدرس التعلم والقراءة أي: ﴿وَلِيَقُولُواْ﴾ [الآية: 105] أي: المشركون من أهل الجحود درست وتعلمت من اليهود ثم تزعم أنه نزل عليك من عند الملك المعبود وقرأ ابن كثير وأبو عمرو دارست أي دارست أهل الكتاب وذاكرتهم في الخطاب وقرأ ابن عامر دارست من الدروس أي: قدمت هذه الآيات وعفت واندرست هذه البينات كقولهم أساطير الأولين ﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ﴾ [الآية: 105] اللام هنا على أصله لأن التبيين مقصود والتصريف والضمير للآيات باعتبار أنه القرآن أو للمصدر ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 105] فإنهم المنتفعون فهم المقصودون بالذات في تصريف الآيات وإن كان بحسب الظاهر سبب شقاوة قوم مدبرين وسعادة جمع مقبلين كما قال عزَّ وجلَّ يضل به كثيراً أو يهدي به كثيراً ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: 82] ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: 82] فالقرآن حجة لك أو عليك فإنه شافع مشفع أو ماحل مصدق[1]/ فهو كالنيل ماء 262/ ب
للمحبوبين ودماء للمحجوبين.

قال ابن عطاء: لقوم يعلمون حقيقة البيان وهو الوقوف معه حيث وقف والجري معه حيث جرى.

﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [الآية: 106] أي: باعتقاده والعمل به.

وقال الأستاذ: أي انظر ما الذي يرد على قلبك به الإشارة فلازمه ودع أقاويل الأغيار في طي العبارة إذ الواجب عليك في الوقت الكون بحكم الوقت قلت وما هنا قيل الصوفي أبو الوقت وابن الوقت والأول أكمل فتدبر وتأمل ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الآية: 106] اعتراض أكد به الاتباع واجتناب الابتداع ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الآية: 106] أي: لا تلتفت إلى أقوالهم ولا تحتفل بآرائهم.

(1) سبق تخريجه.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 107] أي: توحيدهم وعدم إشراكهم ﴿مَآ أَشْرَكُواْ﴾ [الآية: 107] وهو دليل على أنه لا يريد إيمانهم لأن مراده واجب الوقوع.

وقال الأستاذ: العجب ممن أقر بقصور حاله عن استحقاق المدح ببقائه عن مراده كيف يصف معبوده بجواز أن يرتفع في ملكه مراده ﴿وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًاۖ﴾ [الآية: 107] رقيباً على أعمالهم حافظاً لأفعالهم ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ [الآية: 107] تقوم بأمورهم وأحوالهم والمعنى لست مأموراً منا بأن تكون حفيظاً عليهم ولا أنت من تلقاء نفسك وكيلاً للنظر إليهم فأعرض عنهم ولا تخضع لديهم.

﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 108] أي: من جملة النصائح أن لا تذكروا بالقبائح آلهتهم التي يعبدونها من غير الله ويدعونها ممن سواه ﴿فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوًۢا﴾ [الآية: 108] أي: تجاوزا عن الحق إلى الباطل ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍۗ﴾ [الآية: 108] جاهلين بالله وبما يحب أن يذكر به روي أنه عليه السلام كان يطعن في آلهتهم فقالوا: لتنتهين عن سب آلهتنا أو لنهجون إلهك فنزلت على [ما] رواه ابن جرير وابن أبي حاتم عن السدي(1) وروى عبد الرزاق عن قتادة أن المسلمين كانوا يسبونها وهم يسبون الله عدواً فنهوا عنه لئلا يكون سبهم سبباً لسب الله سبحانه وفيه دليل على أن أداء لطاعة إذا أدت إلى معصية راجحة على معصية أخرى وجب تركها فإن ما يؤدي إلى الشر شر والمعنى إن سب آلهتهم وإن كان حقاً فيه فائدة لكن فيه عظيم مفسدة.

وقال الأستاذ: يعني خاطبهم بلسان الحجة وإلزام الدليل ونفي الشبهة ولا تكلمهم على موجب نوازع النفس والعادة فيجعلهم ذلك على ترك الإجلال/لذكر ذي الجلال ويقال: لا تطابقهم على قبيح فعلهم فيزدادوا جرأة 263/أ
في غيهم فيكون فعلك سبباً وعلة لزيادة كفرهم وفسقهم أقول ولا يبعد أن يقال فيه الإيماء إلى مقام الفناء وهو الاشتغال بذكر الله والنسيان لما سواه كما قال تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَۚ﴾ [الكهف: 24] أي: نفسك وغيرك

(1) تفسير الطبري (12/ 34)، تفسير البغوي (3/ 176).

وكما قال سبحانه ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾ [الأنعام: 91] ﴿كَذَٰلِكَ﴾ [الآية: 108] أي: مثل ذلك التزيين لهم ﴿زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ [الآية: 108] أي: من الخير والشر بإحداث ما يمكنهم منه ويحملهم عليه توفيقاً وتخذيلاً ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ﴾ [الآية: 108] وعد لمحسنهم ووعيد لمسيئهم ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 108] أي: فيجازيهم بأعمالهم على وفق أحوالهم.

قال الواسطي: زينت الأعمال عند أربابها فأسقطوا عن درجة المحققين لأبوابها إلا من عصم بنور مشاهدته على وجه البيان فشاهد منه التوفيق بل شاهد المنان وقيل سهلنا ويسرنا له ما هو فيه وإليه حتى يستوفي ما قدرنا له وعليه.

وقال الأستاذ: لبسنا عليه حقائق الأشياء حتى ظنوا القبيح جميلاً ولم يروا لسوء حالهم تبديلاً فركنوا إلى الهوى ولم يميزوا بين العافية والبلاء.

وفي «نفائس العرائس» أن الله سبحانه وتعالى ابتلى العموم بالدنيا وأعمالها في نفع الجاه والمال وسائر أغراضها وابتلى الخصوص برؤية معاملات العقبى وحصول أعواضها فمن كان من غير أهله أبقاه في أعماله وحجبهم بها عن لذة قربه ووصاله ومن كان أهله من العارفين رفعها عن عينه حتى لا يرى لها وزناً ومقداراً عند رؤية امتنانه بما سبق لهم من اصطفائيته بالولاية والمعرفة وزين للبطالين سرور أعمالهم النفسية حتى يروها مستحسنة قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: 104] وزين للمجاهدين أعمالهم في العبادة حتى يزيد رغبتهم فيها فكل حزب بما لديهم فرحون وسبحان من أقام العباد فيما أراد.

﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ [الآية: 109] أوكدها وأغلظها وأشدها ﴿لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ﴾ [الآية: 109] آية من مقترحاتهم كجعل الصفا ذهباً ﴿لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا﴾ [الآية: 109] من غير توقف فيها ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 109] أي: في قدرته لا تحت إرادتي حتى آتيكم بها متى أريدها بل هو قادر عليها يظهر ما يشاء منها متى شاء ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ [الآية: 109] استفهام إنكار أي: وما يدريكم ﴿أَنَّهَآ﴾

[الآيـة: 109] أي: الآيـة الـمـقـتـرحـة ﴿إِذَا جَآءَتۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الآيـة: 109] أي: لا
263/ب تدرون أنهم لا يؤمنون والله يعلم/ ذلك ولذا لم ينزلها ففيه إنكار السبب مبالغة في نفي المسبب مع التنبيه على أنه تعالى إنما ينزلها لعلمه بأنها إذا جاءت لا يؤمنون بها وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر بالكسر على أن الكلام قد تم قبله كأنه قال: وما يشعركم ما يكون منهم ثم أخبرهم بما علم فيهم والخطاب للمؤمنين فإنهم كانوا متمنين في مجيء الآية لهم طمعاً في إيمانهم أو للمشركين إذ قرأ ابن عامر وحمزة لا يؤمنون بالخطاب فتقديره وما يشعركم ما يكون منكم.

وأفاد الأستاذ: أنهم وعدوا من أنفسهم الإيمان لو شاهدوا البرهان ولم يعلموا أنهم تحت قهر حكم السلطان بتسليط الشيطان وما يعني وضوح الأدلة لمن لم يساعده سوابق الرحمة ولواحق العصمة بموجبات القسمة.

﴿وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَـٰرَهُمۡ﴾ [الآية: 110] عن الحق فلا يفقهرونه ولا يبصرونه فلا يؤمنون بها ﴿كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ﴾ [الآية: 110] بما أنزل من الآيات ﴿أَوَّلَ مَرَّةٖ﴾ [الآية: 110] من انشقاق القمر وسائر المعجزة أو كما لم يؤمنوا بما أنزل على سائر الأنبياء لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۖ﴾ [القصص: 48] أو فلا يؤمنون لو ردوا من الآخرة إلى الدنيا كما لم يؤمنوا به أول مرة في الدنيا لقوله سبحانه ﴿وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام: 28] ﴿وَنَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ [الآية: 110] ونتركهم في ضلالتهم متحيرين لا نهديهم هداية المؤمنين.

قال أبو حمزة: أقبل على قلوب فأقبلت عليه وأعرض عن قلوب فأعرضت عنه.

وقال الأستاذ العجب من يبقى على قلبه شبهة في مسألة القدر والحق سبحانه يقول.

﴿وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَـٰرَهُمۡ﴾ [الآية: 110] لا بل من حقائق التقليب بقاء إشكال هذا الأمر مع وضوحه على قلوب من هو من جملة العقلاء فسبحان من يخفى مثل هذا الأمر مع وضوحه هذا هو قهر القادر وحكم الواحد.

﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ [الآية: 110] أي: فرأوهم عياناً ﴿وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [الآية: 111] بأن شهدوا لك بياناً ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [الآية: 111] أي: جمعنا لهم كل شيء من الطيور والسباع والدواب ﴿قُبُلًا﴾ [الآية: 111] بضمتين جمع قبيلة بمعنى جماعات أو مصدر بمعنى مقابلات لقراءة نافع وابن عامر بكسر وفتح والمعنى أنهم لو أتوا بجميع ما اقترحوا من قولهم لولا أنزل علينا الملائكة وقولهم فيأتوا بآياتنا ونحو ذلك ﴿مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟﴾ [الآية: 111] لما سبق عليهم
من القضاء الذي ضاق معه/ الفضاء ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 111] استثني من 264/ أ
أعم الأحوال والمعنى لما آمنوا في حال من أحوالهم إلا حال مشيئة الله إيمانهم وإرادته إيقانهم فيبدل طبعهم عن تمرنهم في كفرهم وقيل: الاستثناء منقطع ولكن مشيئة اللّه إذا تعلقت آمنوا وهذه حجة واضحة وبينة لائحة على المعتزلة وسائر المبتدعة في أن كفرهم وابتداعهم تحت المشيئة واضطر الزمخشري هنا وتعسف بقوله: أراد المشيئة بالآية الملجئة ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ [الآية: 111] أي: لا يعلمون ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟﴾ [الأنعام: 25] فيقسمون ﴿بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ [المائدة: 53] على ما لا يشعرون.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه بين أن الآيات وإن توالت وشموس البرهان وإن تعالت فمن قصمته العزة وكبسته القسمة لم يزده ذلك إلا حيرة وضلالاً ولم يستجد إلا للشقوة حالاً ومآلاً ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ [الآية: 112] أي: كما جعلنا لك عدواً من المشركين ﴿جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا﴾ [الآية: 112] من المجرمين ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ [الآية: 112] بدل من عدو الإنس بمعنى الأعداء والمراد منهم مردة الفريقين ﴿يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الآية: 112] أي: يوسوس شياطين الجن إلى شياطين الإنس أو بعض الجن إلى بعض منهم وبعض الإنسان إلى بعض منهم ﴿زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ﴾ [الآية: 112] أي: الأقوال المزخرفة والآراء المزينة والأهواء المموهة ﴿غُرُورًا﴾ [الآية: 112] أي: للغرور وحال كونهم مغترين والمعنى أن الشياطين يغرون الضالين بالاعتقادات الكاسدة والخيالات الفاسدة وفي الحديث الصحيح أن أبا ذر سأل هل للإنس شياطين؟ فقال: نعم هم شر من شياطين الجن ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ﴾ [الآية: 112] إيمانهم أو عدم وجود عدو لهم ﴿مَا فَعَلُوهُ﴾ [الآية:

112] أي: ما وقع منهم ما ذكر من معاداة الأنبياء وإيجاد زخرف الأبناء وفيه أيضاً حجة على المعتزلة ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الآية: 112] أي: افتراءهم وكفرهم ولا تبال بأمرهم.

وأفاد الأستاذ: أن كل ما كان المحل أعلى كانت البلايا أوفى والمطالبات أقوى فلما كانت رتبة الأنبياء عليهم السلام أشرف وأسعد كانت العداوة معهم أصعب وأشد.

﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ﴾ [الآية: 113] عطف على غروراً بناءً على جعله مفعولاً له أي: ليغتروا بأحوالهم ولتميل إلى زخرف أقوالهم ﴿أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [الآية: 113] أي: قلوب المائلين إلى العاجلة العادلين عن الآجلة ﴿وَلِيَرْضَوْهُ﴾ [الآية: 113] ليحبوه لأنفسهم ﴿وَلِيَقْتَرِفُوا۟﴾ [الآية: 113] أي: ليكتبسوا ﴿مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾ [الآية: 113] من آثامهم.

264/ب وقال الأستاذ: وكلت/أسماع الكفار باللغو وقلوبهم بالسهو فرضوا لأنفسهم أخص الأنصباء أي: لكونهم من الأغبياء في صورة الأغنياء.

﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا﴾ [الآية: 114] أي: قل لهم أفغير الله أطلب من يحكم بيني وبينكم ويفصل للحق منا من المبطل منكم ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا﴾ [الآية: 114] مبيناً فيه الحق والباطل.

وقال الأستاذ: قل لهم أترون أني بعد ظهور البيان ووضوح البرهان أذر اليقين وأوثر التخمين وأفارق الحق واختار الحظ إن هذا محال من الظن ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الآية: 114] أي: من اليهود والنصارى ﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ﴾ [الآية: 114] أي: القرآن ﴿مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية: 114] لأن وصفه مذكور فيما بينهم ومسطور في كتبهم مع أنه ﷺ لم يخالط علماءهم ولم يمارس كتبهم ولا أبناءهم وإنما وصف جميعهم بالعلم بناءً على أكثرهم والمراد بهم فقهاؤهم حيث لم يعتبر سفهاؤهم وقرأ ابن عامر وحفص منزل بالتشديد أي إلى نزوله منجماً ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [الآية: 114] أي: الشاكين في كونهم عالمين وهو من باب التهييج والتحريض كقوله ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: 14] وكقوله:

﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [يونس: 94] الآية فقال ﷺ حين نزوله لا أشك ولا أسأل وقيل: المراد نهي الأمة على أن الخطاب لكل أحد بناءً على أن الأدلة لما تعاضدت على صحته فلا ينبغي لأحد أن يمتري في حجته.

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ [الآية: 115] بلغت الآية الغاية من أخباره وأحكامه ومواعيده وآثاره ﴿صِدْقًا﴾ [الآية: 115] في أخبار ما سبق ومواعيد الأنام فيما لحق ﴿وَعَدْلًا﴾ [الآية: 115] في الأقضية وأحكام الحق فيما بين الخلق قيل صدقاً للأولياء تفضلاً عليهم وعدلاً على الأعداء لأخذهم بميزان العدل فيهم ﴿لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الآية: 115] لا رادّ لقضائه ولا مغير لحكمه ولا مخلف لوعده.

وقال الأستاذ: تقدس عن التغير ذاته وتنزه عن التبدل صفاته فالتمام ينفي النقصان وكل نقص فمن الحدوث أصله وأتى بالنقص والصدق وصفه وقرأ الكوفيون كلمة ربك أي: ما تكلم به أو القرآن المشتمل على البرهان ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ [الآية: 115] بأسرارهم ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ [الآية: 115] بأخبارهم فيمهلهم في ديارهم ولا يمهلهم في إيثارهم.

﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية: 116] أي: أكثر الخلق من الجن والإنس وهم/ طوائف الكفرة والمشركين كقوله سبحانه: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: 103] أو المراد بهم الجهال أو أتباع الهوى والضلال 265/ أ
﴿يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 116] أي: عن الطريق الموصل إلى رضاه قيل من نظر إلى سوء الحق خاب وضل بين الخلق ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الآية: 116] أي: لا يرجعون في عقائدهم إلى علم يقين بل يبنون دينهم على ظن وتخمين من جهالتهم في آرائهم وتقليدهم لآبائهم وتتبعهم لأهوائهم.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الآية: 117] أي: بمن يضل عن سبيل الحق ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [الآية: 117] إلى صوب الصواب والصدق فلا تغتر بكثرة السفهاء البطالين ولا تهتم بقلة العلماء العاملين لقوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ

عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: 13] وقوله سبحانه: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْۗ﴾ [ص: 24].

وأفاد الأستاذ: إن أهل الله قليلون عدداً وإن كانوا كثيرين وزناً وخطراً ومدداً وأما الأعداء ففيهم كثرة فإن لاحظتهم فتنوك وإن صاحبتهم منعوك من الحق وقبلوك وتقاصر علوم الخلق عن إدراك غيبه إلا بقدر ما عرفهم من أمره.

﴿فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ﴾ [الآية: 118] مسبب عن إنكار اتباع المضلين الذين يحرمون الحلال ويحلون الحرام بالظن والتخمين والمعنى كلوا مما ذكر اسم الله عليه ذبحه لا مما ذكر عليه اسم غيره أو مات حتف أنفه ﴿إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤۡمِنِينَ﴾ [الآية: 118] فإن الإيمان بها يقتضي استباحة ما أحل الله واجتناب ما حرم الله تعالى لا إحلال شيء وتحريمه بموجب الطبيعة والظن والهوى.

وأفاد الأستاذ: هذه الآية في حكم التفسيرية تختص بالذبيحة وفي معنى الإشارة منع من الأكل بحال الغفلة فمن أكل على الغفلة فما دامت تلك القوة باقية في الأبدان فخواطره إما هواجس النفس أو وساوس الشيطان.

﴿وَمَا لَكُمۡ أَلَّا تَأۡكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ﴾ [الآية: 119] أي: وأي غرض لكم في أن لا تأكلوا من ذكر اسمه وحده عليه وتأكلوا من غيره كالميتة وما لم يذكر اسم الله عليه وما ذكر عليه اسم غيره وخلاصته مالكم أن لا تجعلوا مأكولكم من اللحم منحصراً فيما ذكر اسم الله عليه ﴿وَقَدۡ فَصَّلَ﴾ [الآية: 119] أي: بين الله وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بصيغة المجهول أي: والحال أنه عين ﴿لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيۡكُمۡ﴾ [الآية: 119] مما لم يحرم بقوله: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ﴾
[المائدة: 3] الآية وقرأ نافع/وحفص حرم بصيغة الفاعل ﴿إِلَّا مَا ٱضۡطُرِرۡتُمۡ إِلَيۡهِۗ﴾ 265/ب
[الآية: 119] أي: مما حرم عليكم فإنه أيضاً حلال لكم حال الضرورة فما موصولة والاستثناء من ضمير حرم.

وقال الأستاذ: يعني أي شيء عليكم لو تركتم الغفلة وما الذي يضركم لو استدمتم على الذكر في الحضرة برفع الغيبة وقد تبين لكم التفرقة بين أنس

الذكر ووحشة الغفلة في الوقت والحال إلى أن تعرفوا حكم الثواب والعقاب في المآل ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ﴾ [الآية: 119] بتحليل الحرام وتحريم الحلال وقرأ الكوفيون بضم الياء أي ليضلون غيرهم من نحو أبنائهم ﴿بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الآية: 119] أي: بتشهيهم غير متعلقين بدليل يفيد العلم ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ﴾ أي: المتجاوزين الحق إلى الباطل والحلال إلى الحرام.

﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ﴾ [الآية: 120] أي: اتركوا ما يعلن وما يسر من الذنوب أو ما بالجوارح والقلب وقيل الزنى في الحوانيت واتخاذ الأخدان في التوابيت وقيل: ظاهر الإثم حظوظ النفس وباطن الإثم حظوظ القلب وقيل: ظاهر الإثم رؤية الأعمال وباطنه الركون إليها في سر الأحوال وقيل: ظاهر الإثم طلب الدنيا وباطن الإثم طلب الجنة ونعيم العقبى إذ هما جميعاً يشغلان عن المولى وما يشغل عن المولى فهو بالإثم أولى.

وأفاد الأستاذ: أن ظاهر الإثم ما للأغيار اطلاع بوجه إليه وباطن الإثم ما هو سر بينك وبين الله ولا وقوف لمخلوق عليه ويقال باطن الإثم خفي العقائد ومسترقات الألحاظ ويقال: باطن الإثم ما تلبسه على نفسك بنوع تأويل ويقال باطن الإثم على لسان المجاهدات الركون إلى تتبع المرخصات ويقال باطن الإثم على لسان أهل المحبة روم التفصّي عن مطالبات المحبة قال قائلهم:

وإن قلت وما أذنبت قال مجيبه وجودك ذنب لا يقاس به ذنب[1]

ويقال أسبغت عليكم النعم ظاهرة وباطنة فذروا الإثم ظاهراً وباطناً فإن من شرائط الشكر استعمال النعمة فيما لا يكون فيه الإثم والمخالفة.

﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ﴾ [الآية: 121] أي: أكل ما لم يذكر اسم الله عليه ﴿لَفِسْقٌ﴾ [الآية: 121] أي: خروج عن الطاعة فالضمير مما

(1) في دواوين الشعر (85/ 203) اللفظ عنده في صدر البيت: وإن قلت ما ذنبي إليك أجبتني.

266/ أ على تقدير مضاف والآية ظاهرة في تحريم متروك/التسمية عمداً أو نسياناً وذهب إليه ابن عمر ونافع وعامر ومحمد بن سيرين وهو اختيار أبي ثور وداوود الظاهري وعن أحمد مثله وذهب بعض السلف كابن عباس وأبي هريرة إلى أن التسمية مستحبة وهو مذهب الشافعي وقالوا الآية فيما ذبح لغير الله وقيل: الواو في ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٌۗ﴾ [الآية: 121] حالية والفسق ما أهل لغير الله بدليل قوله ﴿أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ﴾ [الأنعام: 145].

وقال بعض منهم: المراد من الآية الميتة كما رواه أبو زرعة عن عطاء بن السائب وذهب أكثر السلف كعلي وابن مسعود وغيرهما وهو المشهور عن مذهب مالك وأحمد وعليه أبو حنيفة وأصحابه وقيل: الإجماع منعقد على أن ترك التسمية نسياناً لا يضر وأما عمداً فالذبيحة حرام واستثناء النسيان لحديث ورد بذلك ويحمل عليه ما تعلق به الشافعي من حديث ذبيحة المسلم حلال وإن لم يذكر اسم الله عليه إذ لا دلالة فيه على جواز تعمد ترك التسمية لديه ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ﴾ [الآية: 121] من الإنس والجن ﴿لَيُوحُونَ﴾ [الآية: 121] لَيُوسْوِسون ويلقون ﴿إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ﴾ [الآية: 121] من الكفار ﴿لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ﴾ [الآية: 121] بِقولهم تزعم أن ما قتلت أنت وأصحابك والصقر والكلب حلال وما قتله الله حرام كما روى هذا التفسير أبو داوود وابن ماجه وابن جرير عن السدي عن ابن عباس وغيره(1) واتفق أكثر المفسرين على ذلك وقال أبو عثمان المغربي يلقون على ألسنة المدعين ما يقطعون به الطريق على المحققين ﴿وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ﴾ [الآية: 121] في استحلال ما حرم ﴿إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ﴾ [الآية: 121] فإن من ترك طاعة الله إلى طاعة غيره واتبعه في دينه فقد أشرك به.

وأفاد الأستاذ: أن ما كان مكتسبه من الأموال عاصياً أو لربه ناسياً فتوقّيه شرط عند أصحاب المراعاة ثم قال ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ﴾ [الآية: 121] فهذا يدل على أن ممن توقى ذلك اتحدث لله خواطره وانقطع عنه خواطر الشيطان فأصل كل قسوة متابعة الشهوة ومن تعود متابعتها فليودع

(1) فتح القدير الجامع بين فني الرواية (2/ 22).

صفوة القلب وحالتها.

﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا﴾ [الآية: 122] بالجهل والكفران وقرأ نافع بالتشديد ﴿فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ [الآية: 122] بالعلم والإيمان ﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا﴾ [الآية: 122] بالإسلام والقرآن ﴿يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ [الآية: 122] أي يهتدى به كيف يسلك ويتصرف فيما بينهم ﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ﴾ [الآية: 122] أي: صفته أنه كائن ﴿فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [الآية: 122] أي: في ظلمات الحالات أو في شدائد/ الواقعات ﴿لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الآية: 266/ ب
122] والحاصل أنه سبحانه مثل به من هداه الله المتعال وأنقذه من الضلال وجعل له نور الحجج والآيات يتأمل بها في الحادثات ويتميز بين الحق والباطل في الواقعات وبين المحق والمبطل من أرباب الكائنات ومن بقي في تيه المفازات وتاه في ميدان الجهالات والضلالات لا يفارقها بحال من الحالات ﴿كَذَٰلِكَ﴾ [الآية: 122] أي: كما زين للمؤمنين إيمانهم ﴿زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 122] مما يقتضي كفرانهم والآية نزلت في عمر أو عمار أو حمزة وأبي جهل.

وقال جعفر الصادق: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا﴾ [الآية: 122] عنا ﴿فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ [الآية: 122] بنا وجعلناه إماماً يهتدي بنوره الأجانب والأقارب في جميع المراتب كمن ترك مع شهوته وهواه واشتغاله بما سواه ولم يؤيد بروائح مطالعة قرب الأنس وفوائح مؤانسة حضرة القدس.

وقال ابن عطاء: أو من كان ميتاً بحياة نفسه وموت قلبه فأحييناه بإماتة نفسه وإحياء قلبه وسهلنا عليه سبيل التوفيق وكحلناه بأنوار القرب والتحقيق فلا يرى غيرنا ولا يلتفت إلى ما سوانا وقيل: أي ميتاً بالاعتماد على الطاعة فأحييناه وجعلنا له نور التضرع والمعذرة.

وقال القاسم: أحيا أولياءه بنور الانتباه كما أحيا (الأمشاج) بالأرواح.

وقال ابن عطاء: من كان ميتاً بالانقطاع عنا فأحييناه بالاتصال بنا وجعلنا له نوراً إلى غاية الألماع كمن تركناه في ظلمة الانقطاع.

وقال شاه الكرماني: علامة الحياة ثلاثة وجدان الأنس بفقدان الوحشة

والامتلاء من الخلق بإدمان الذكر في الحضرة واستشعار الهيئة بخالص المراقبة.

وأفاد الأستاذ: أن الإيمان عند هؤلاء القوم حياة القلب بالله فأهل الغفلة إذا ألهموا الذكر فقد صاروا أحياءً بعد ما كانوا أمواتاً وأرباب الذكر لو اعتراهم نسيان فقد ماتوا بعد الحياة والذي هو في أنوار القرب وتحت شعاع العرفان وفي روح الاستبصار لا يدانيه من هو في أسر الظلمات وقيد الشهوات ورهين الآفات.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا﴾ [الآية: 123] أي: كما جعلنا في مكة أكابر مجرميها ليمكروا فيها بصد الناس عن الهدى وحملهم على متابعة الهوى وجعلنا بمعنى صيرنا ومفعولاه أكابر مجرميها على
267/أ تقديم المفعول الثاني أي: صيرنا/ مجرى كل قرية رؤساءها ومترفيها أو أكابر مجرميها بالإضافة هي المفعول الأول والمفعول الثاني في كل قرية ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الآية: 123] لأن وباله يحيط بهم ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الآية: 123] ذلك لجهلهم.

وقال الأستاذ: لبسنا عليهم حقائق التوحيد وسوّل لهم ظنونهم شطية من المحو والإثبات في القضية فانهمكوا ظانين أنهم يمكرون في التحقيق مخادعون وسيعلمون عملهم حين لا ينفعهم علمهم ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ﴾ [الآية: 124] دالة على صدق محمد في النبوة ﴿قَالُوا۟﴾ [الآية: 124] أي: أهل مكة ﴿لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 124] من إنزال الوحي ونزول الملائكة روي أن أبا جهل قال زاحمنا بني عبد مناف في الشرف حتى إذا صرنا كفرسي رهان قالوا: منا نبي يوحى إليه والله لا نؤمن به أبداً إلا أن يأتينا وحي كما يأتيه فنزلت(1) ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الآية: 124] وقرأ ابن كثير وحفص بالإفراد والجملة استئنافية للرد عليهم بأن النبوة ليست بالنسب والمال والنسبة الجاهلية وإنما هي بالفضائل القدسية والفواصل الإنسية يختص بها من

(1) تفسير البغوي (3/ 185)، تفسير البيضاوي (1/ 450).

تعلق به المشيئة الإلهية فيجتبي لرسالته من علم أنه يصلح لها وهو أعلم بالمكان الذي فيه يضعها.

قال النصر أبادي: الله يعلم الأوعية التي يصلح لمنازلاته ومكاشفاته فيزينها بخواص الأنوار ويقدسها بلطائف الأسرار ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ﴾ [الآية: 124] الذل وحقارة بعد ظهور الكبر والعظمة ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 124] أي: في حكمه أو يوم القيامة أو التقدير من عنده ﴿وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ﴾ [الآية: 124] بسبب مكرهم أو جزاءً على مكرهم.

وأفاد الأستاذ: بعد إزاحة العلة وبيان الحجة وزوال الشبهة فالتعلّل باستزادة البصيرة إقدام على [سوء] الأدب وقلة الحرمة وذلك محال من الحال والتصدي لمساواة من جاءه الاستحقاق نوع من تسويلات نفس الإنسان بل موجب لمقاساة الهوان لما تعلق به الخذلان.

﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ﴾ [الآية: 125] يوفقه طريق الإيمان ويعرفه سبيل الإيقان ﴿يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ [الآية: 125] يوسع قلبه لقبول التوحيد وانقياد الأحكام والتسليم بالأذهان وهو كناية عن جعل النفس قابلة/ للحق ومهيئة لحوله 267/ ب
منها مصفاة عما ينافيه ويمنعه منها عن قبولها وقد روى ابن جرير وابن أبي حاتم بروايات متنوعات أنه ﷺ تلا هذه الآية فقالوا: يا رسول الله ما هذا الشرح قال: نور يقذف به في القلب قالوا وهل لذلك من أمارة قال: نعم الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله والظاهر أن هذا بيان شرح حال أهل الكمال.

وقال سهل: إن الله تعالى ينظر إلى القلوب فما كان أشدهم تواضعاً لله خصه بما شاء من هداه ثم بعد ذلك ما كان أسرع رجوعاً عن إرادة ما سواه.

وأفاد الأستاذ: أن آية من شرح الله للإسلام صدره أي: لا يتحرك في باطنه عرق للمنازعة مع تقدير صاحب القدرة فإن الإسلام يقتضي تسليم الكل بلا استئثار في القضية فمن استثقل شيئاً مما كلف به فيعد غير مستسلم لحكمه ويقال نور في البداية هو نور العقل ونور في الوسائط وهو نور العلم ونور في

النهاية هو نور العرفان فصاحب العقل مع العرفان وصاحب العلم مع البيان وصاحب المعرفة في حكم العيان ويقال أول أثر لأنوار الغيب في العبد شبهة على نقائص قدره ومساوىء عيبه ثم تشاغله عن شهود نفسه بما يلوح بقلبه من شهود ربه ثم غلبات الأنوار على سره حتى لا يشهد السر بعد ما كان يشهد لناظر في قرص الشمس يستهلك أنوار بصره في شعاع الشمس كذلك يستهلك أنوار البصيرة في حقائق الشهود فيكون صاحب الوجود دون الشهود ثم بعده خمود العبد بالكلية وبقاء الأحدية بنعت السرمدية ﴿وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ﴾ [الآية: 125] أي: يجعله ضالاً وعن الطريق عوجاً ﴿يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا﴾ [الآية: 125] فلا يبقى فيه للخير منفذ أصلاً وقد سأل عمر رضي الله عنه رجلاً من أهل البادية ما الحرجة فيكم؟ قال: الشجرة تكون بين الأشجار التي لا تصل إليها راعية ولا وحشية فقال عمر كذلك قلب المنافق لا يصل إليه شيء من الخير(1) وقرأ ابن كثير ضيقاً بالتخفيف ونافع وأبو بكر حرجاً بكسر الراء أي شديد الضيق والباقون بالفتح وصفا بالمصدر للمبالغة أو بتقدير ذا حرج ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ﴾ [الآية: 125] شبهةُ مبالغة في ضيق صدره بمن يزاول ما لا يقدر عليه من
268/ أ أمره فإنه صعود السماء مثل فيما يبعد عن الاستطاعة/ ولذا يعد من خرق العادة فنبه به على أن الإيمان ممتنع منه لا يمتنع الصعود عليه أو معناه كأنما يتصاعد إلى السماء هرباً من الإيمان وتباعداً عن الإيقان والعرفان وأصل يصعد يتصعد وقد قرىء به شاذاً وقرأ ابن كثير بالتخفيف وأبو بكر يصاعد بالتشديد بمعنى يتصاعد.

وقال الأستاذ: يجعل صدره ضيقاً حتى لا يسع فيه غير مراده وحد البشرية ضيق القلب والبال وصاحبه في أسر الحدثان والأعلال ولا عقوبة أشد من الغفلة عن الحضرة ﴿كَذَٰلِكَ﴾ [الآية: 125] أي: كما يضيق الله صدره ويظلم عليه أمره ﴿يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ﴾ [الآية: 125] أي: العذاب أو الخذلان أو يسلط الشيطان ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الآية: 125] أي: عليهم ووضع الظاهر موضع المضمر إيماءً إلى أن تحقق خذلانهم لعدم إيمانهم.

(1) تفسير الطبري (12/ 104)، وتفسير ابن كثير (3/ 336)، وتفسير البغوي (3/ 186).

﴿وَهَٰذَا﴾ [الآية: 126] أي: البيان الذي جاء به القرآن أو ما سبق من التوفيق والخذلان ﴿صِرَٰطُ رَبِّكَ﴾ [الآية: 126] أي: طريقه الذي ارتضاه ويختاره من اجتباه وهداه أو طريقته وعادته الذي اقتضتها حكمته وأوجبتها مشيئته ﴿مُسْتَقِيمًاۚ﴾ [الآية: 126] لا عوج فيه أبداً أو عاد لا مطرد أو هو حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقاً ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الآية: 126] يتعظون بالآيات ويفهمون الدلالات.

وأفاد الأستاذ: أن الصراط المستقيم إقامة العبودية مع تحقق الربوبية فهو فوق مؤيد بجمع وجمع مقيد بشرع وإثبات للموافقة بغاية الوسع والقدرة ونبوّ من المخالفة بغاية الجهد والطاقة والتحقق بأن المجرى واحد لا شريك له ثم ترك الاعتماد ونفى الاستناد فلا على حركاته يعتمد ولا إلى سكناته يستند فتنظر ما يفتح من التقدير بما يوجب التبديل والتغيير فإن زاغ صاحب الاستقامة لحظة أو التفت يمنة أو يسرة سقط سقوطاً لا ينتعش البتة.

﴿لَهُمْ﴾ [الآية: 127] أي: دار الله الملك العلّام فالإضافة لتشريف الجنة أو دار السلامة من وقوع الكراهة والملامة لأنها متضمنة لأنواع الكرامة أو دار تحيتهم فيها سلام فيما بينهم أو من الله إليهم تعظيماً لهم.

وقال سهل: ﴿دَارُ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [الآية: 127] هو الذي سلم فيه من هواجس نفسه ووساوس عدوهِ وقيل: هو السلامة من القطيعة/. 268/ ب

وأفاد الأستاذ: أن دار السلام دار السلامة ومن كان في رق شيء من الأعراض والمخلوقات والأغراض لم يجد السلامة والآية تشير إلى أن القوم في الجنة لكنهم ليسوا في أسر الجنة بل تحرزا عن رقّ كلّ قطيعة ويقال كل من لم يسلم اليوم على نفسه وروحه وكل ماله من كريمه وعظيمه تسليم وداع لا يجد غداً تلك الفضيلة فمن أراد أن يسلم عليه ربه غداً فليسلم على الكون بجملته أولاً على نفسه وروحه نقداً ويقال دار السلام غداً لمن سلم اليوم لسانه من الغيبة وجنانه من الرّيبة وأبشاره وظواهره من الزلة وأسراره وضمائره من الغفلة وعقيدته من البدعة ومعاملته من الحرام والشبهة وأعماله من الرياء

والمصانعة وأحواله من الإعجاب والملاحظة ﴿عِندَ رَبِّهِمۡۖ﴾ [الآية: 127] أي: لحكمه في حقهم أو يوم القيامة قد فصل أمرهم أو ذخيرة لهم عنده لا يعلم كنهما غيره كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ﴾ [السجدة: 17] وكما ورد أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر[1].

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه شرف قدر تلك الدار لكونها في محل الكرامة واختصاصها بعندية الزلفة وإلا فالأقطار كلها ديار ولكن قيمة الدار بالجار قال قائلهم:

إني لأحسد جاركم لجواركم ... طوبى لمن أضحى لدارك جاراً
يا ليت جارك باعني من داره ... شبراً لأعطيه بشبرٍ داراً[2]

ويقال الحقيقة وإن كانت منزهة عن قبول الجوار وليس القرب منه بتداني الأقطار فإطلاق هذا اللفظ لقلوب الأحباب مؤنس بل لو جاز القرب في وصفه من حيث المسافة لم يكن لهذا كثير أثر وإنما حياة القلوب بهذا لأن حقيقته مقدسة عن هذه الصفات ثم لأجل قلوب أحبابه يطلق هذا يوقع العلماء في كد التأمل هذا هو أمارة الحب قال قائلهم:

أنا من أجلك حملت الأ ... ذى الذي لا أستطيع[3]

﴿وَهُوَ وَلِيُّهُم﴾ [الآية: 127] أي: مولاهم وناصرهم ﴿بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الآية: 127] بسبب أعمالهم أو متولي أمرهم فيجازيهم على وفق أحوالهم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه هنا شرف قدر تلك المنازل حيث قال ﴿وَهُوَ
269/ أ وَلِيُّهُم﴾ [الآية: 127] فإنه إذا كان وليهم كانت المنازل/ بأسرها طابت كيف كانت وأين كانت قال قائلهم:

أهوى هواها لمن قد كان ساكنها ... وليس في الدار لي هم ولا وطر[4]

(1) سبق تخريجه.
(2) ذكره القشيري في تفسيره (2/ 306) و(7/ 444) وانظر غرر الخصائص (1/ 250).
(3) ذكره القشيري في تفسيره (2/ 306).
(4) ذكره القشيري في تفسيره (2/ 306).

وهو وليهم في دنياهم وهو وليهم في عقباهم وليهم في أولاهم وأخراهم وليهم الذي استولى حديثه على قلوبهم فلم يدع فيها لغيره نصيباً ولا مثوى وليهم الذي هو أولى بهم منهم وليهم الذي آثرهم على أضرابهم وأشكالهم وآثروه في جميع أحوالهم وليهم الذي يطلب رضاهم وليهم الذي لم يكلهم إلى هواهم ولا إلى دنياهم ولا إلى عقباهم وليهم الذي بأفضاله يلاطفهم وبجماله وجلاله يكاشفهم وليهم الذي اختطفهم عن كل حظ ونصيب وحال بينهم وبين كل حميم وقريب وحررهم عن كل موهوم ومفهوم ومطلوب ومحبوب وليهم الذي هو مؤنس أسرارهم وشاهد معتكف أبصارهم وحضرته مربع أرواحهم وليهم الذي ليس لهم سواه ولا يشهدون إلا إياه ولا يجدون إلا إياه لا في بدايتهم يقصدون غيره ولا في نهايتهم يجدون غيره ولا في وسائطهم يشهدون غيره.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ [الآية: 128] بنون العظمة وقرأ حفص بالغيبة أي: اذكر يوم نحشر الثقلين ونقول ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ﴾ [الآية: 128] أي: الشياطين ﴿قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾ [الآية: 128] أي: من إغوائهم كما قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والحسن وغيرهم والمعنى أضللتم كثيراً منهم ﴿وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾ [الآية: 128] أي: مطيعوهم ﴿رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ [الآية: 128] أي: انتفع الإنس بالجن حيث دلوهم على الشهوات وما يتوصل به إليها من الحالات والجن بالإنس بأن أطاعوهم وحصلوا مرادهم وشاركوهم في فسادهم وحاصله أن بعضهم مطاع وبعضهم مطيع وهذا قول ابن عباس ومحمد بن كعب والزجاج وقيل: استمتع بعض الإنس ببعضه وبعض الجن ببعضه أو كان في الجاهلية إذا نزلوا مفازة قالوا أعوذ بكبير هذا الوادي فيفتخر كبير الجن بتعوذ الإنس بهم ويقولون نحن سيد الإنس والجن وهذا هو الاستمتاع وبه قال ابن جرير ويؤيده
269/ ب قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ/ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: 6] أي: طغياناً وضلالاً ﴿وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا﴾ [الآية: 128] أي: القيامة الصغرى أو الكبرى وهو اعتراف بما فعلوا من طاعة الشيطان واتباع الهوى ومخالفة الرحمن وتحسر على حالهم من الطغيان والخذلان.

قال الأستاذ: يعتذرون فلا يسمع ويحتجون بما لا ينفع ولقد كانوا من قبل لو أتوا بأقل منه قبل منهم لكنهم سبقت القسمة فحقت لهم النقمة ﴿قَالَ﴾ [الآية: 128] أي: الله أو القائل بأمره ﴿ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ﴾ [الآية: 128] منزلكم ومأواكم ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ﴾ [الآية: 128] إلا الأوقات التي ينقلون فيها من السعير إلى الزمهرير وقيل: إلا ما شاء الله قبل الدخول وهو مدة حياتهم في الدنيا أو البرزخ أو الموقف فكأنه قيل: النار مثواكم أبداً إلا ما أمهلكم وقيل الخطاب في النار مثواكم لكل كافر وفاسق والاستثناء للفساق وما بمعنى من والمراد به بعض الفجار الذين دخلوا النار وليسوا من الكفار ولا يبعد أن يكون الخطاب عاماً للثقلين والاستثناء للمؤمنين من الفريقين ولا يبعد أن يكون التقدير إلا من شاء الله منكم إنقاذه منها بأن هداه في دار الدنيا ويؤيده عموم قوله سبحانه ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ﴾ [الآية: 128] ولعل هذا مجمل ما رواه ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس أن معنى هذه الآية أنه لا ينبغي لأحد أن يحكم على الله في خلقه لا ينزلهم جنة ولا ناراً ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ [الآية: 128] في فعله ﴿عَلِيمٌ﴾ [الآية: 128] بخلقه ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ [الآية: 129] أي: كما ولينا بعض الإنس بعض الجن ﴿نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًا﴾ [الآية: 129] نكل بعضهم إلى بعض فيغويهم أو أولياء بعض وقرناءهم في العقبى كما كانوا في الدنيا أو فسلط بعضهم على بعض كما ورد من أعان ظالماً سلطه الله عليه.

قال الفخر الرازي: وهذا دال على أن الرعية إذا كانوا ظلمة فالله يسلط عليهم ظالماً مثلهم قلت: وقد ورد كما تكونوا يولَّ عليكم[(1)] أو يهلك بعضهم بيد بعض وينتقم من بعضهم ببعض جزاءً على ظلمهم وبغيهم.

ويشير إلى هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: 251] وهذا قول مالك بن دينار وغيره ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الآية: 129] من الكفر والمعاصي.

﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ [الآية: 130] هذا توبيخ وتقريع

---

(1) جامع الأحاديث (15/ 402) رقم (15812)، كشف الخفا (2/ 126) رقم (1997).

270/ أ للكافرين/ من رب العالمين والمعنى أنه قد أتاكم رسل منكم في الجملة فالأصح بل الصحيح أن الرسل من الإنس والجن تبع لهم كما أن النساء تبع للرجال في أحكامهم إلا ما خص بهن فخرجن من عموم أعمالهم قالوا: ونظيره يخرج منها اللؤلؤ والمرجان وهما يخرجان من الملح دون العذب وقيل: الرسل من الجن رسل الرسل إليهم كقوله تعالى: ﴿وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ [الأحقاف: 29] ونظيره قوله سبحانه: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ﴾ [يس: 14] وتعلق قوم بظاهر هذا الكلام وقالوا: بعث إلى كل من الثقلين رسل من جنسهم ولعله محمول على غير زمان نبينا ﷺ إذ الإجماع على أنه مبعوث إلى جميع الخلق جنهم وإنسهم ﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى﴾ [الآية: 130] أي: يتلون مبانيها أو يبينون معانيها ﴿وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ [الآية: 130] أي: ويخوفونكم البعث وملاقاة يوم القيامة بالحساب والعذاب ﴿قَالُوا۟﴾ [الآية: 130] أي: في الجواب ﴿شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا﴾ [الآية: 130] باستيجاب العقاب ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ [الآية: 130] من المال والجاه وسائر الأسباب ﴿وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ﴾ [الآية: 130] فهذه شهادة من الله عليهم شهدوا على أنفسهم بالكفر والشهادة الأولى حكاية لقولهم والمقصود من الثانية ذم حالهم وتخطئة رأيهم وسفاهة نظرهم تحذيراً للسامعين من مثل كلامهم وفساد مرامهم وجهله وغرتهم الحياة الدنيا حالية معترضة إيماءً إلى أنهم اغتروا الحياة الدنيوية وأعرضوا عن الآخرة بالكلية حتى آل أمرهم في الحال إلى سوء المآل وفوت المنال.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يعرفهم أنه أزاح لهم العلة من حيث إلزام الحجة لكن حكم لهم في الأزل بالشقوة فليس عليهم المحجة.

﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ﴾ [الآية: 131] أي: مصدرية أو محققة من المثقلة أي: الأمر ذلك لانتفاء كون ربك إلخ أو لأن الشأن لم يكن ربك مهلك أهل القرى بسبب ظلم صدر منهم وهم غافلون لم ينتبهوا بإرسال رسول إليهم كقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: 15] وأما ما قال بعض المفسرين من أن التقدير ظالماً وأنه لا يهلكهم بدون التنبيه بالرسل والآيات فإنه ظلم فخروج/ من مذهب أهل السُنَّة وشائبة من بدعة المعتزلة 270/ ب

كما يستفاد من كلام الأستاذ فيما أفاد بقوله متى يصح وصفه بوسم الظلم والملك ملكه والخلق خلقه ومتى يقبح منه تصرف في شخص بما أراد والعبد عبده والحكم حكمه.

﴿وَلِكُلٍّ﴾ [الآية: 132] من المكلفين ﴿دَرَجَٰتٌ﴾ [الآية: 132] مراتب مختلفات ناشئات ﴿مِّمَّا عَمِلُواْۚ﴾ [الآية: 132] في أوقات وحالات ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ﴾ [الآية: 132] فيخفى عليه خافية أو قدر مما يستحق به من مثوبة أو عقوبة وقرأ ابن عامر بالتاء لتغليب الخطاب على الغيبة.

وأفاد الأستاذ: أن المحسن في روح الثواب متنعم والمذنب في نوح العقاب متألم.

﴿وَرَبُّكَ ٱلۡغَنِيُّ﴾ [الآية: 133] عن العباد والعبادة ﴿ذُو ٱلرَّحۡمَةِۚ﴾ [الآية: 133] فلا يعجل لهم بالعقوبة قيل الغني عن طاعة المطيعين ذو الرحمة على المسيئين.

وأفاد الأستاذ: أن الغني يشير إلى عزّه وذو الرحمة يومىء إلى لطفه أخبرهم بقوله ﴿ٱلۡغَنِيُّ﴾ [الآية: 133] عن جلاله وبقوله ﴿ذُو ٱلرَّحۡمَةِۚ﴾ [الآية: 133] عن جماله فبجلاله يكاشفهم فيغنيهم وبجلاله يلاطفهم فيحييهم ويبقيهم ويقال سماع غناه يوجب محوهم وسماع رحمته يوجب صحوهم فهم في سماع هذه الآية مترددون بين بقاء وبين فناء وبين إكرام وبين اصطلام وبين تقريب وبين تذويب وبين اجتياح وبين ارتياح ﴿إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ﴾ [الآية: 133] أيها العصاة والضلال بأن يعذبكم عذاب الاستئصال ﴿وَيَسۡتَخۡلِفۡ مِنۢ بَعۡدِكُم مَّا يَشَآءُ﴾ [الآية: 133] من الخلق يعملون بطاعته كأهل الفرس وطبقته ونظيره قوله ﴿وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم﴾ [محمد: 38] ﴿كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوۡمٍ ءَاخَرِينَ﴾ [الآية: 133] أي: قرناً بعد قرن يعني فهو قادر على ذلكم لكنه أبقاكم ترحماً عليكم والأظهر أن الخطاب عام للخلق إيماءً إلى الاستغناء المطلق وإشارة إلى القدرة التامة والمشيئة الكاملة كما قال إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين والمعنى إن يشأ إذهاب هذا العالم واستخلاف ما يشاء من الخلق غير بني آدم فعل على الوجه الأتم والله سبحانه أعلم.

﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ﴾ [الآية: 134] من البعث والجزاء على الطاعة والمعصية ﴿لَآتٍ﴾ [الآية: 134] لكائن البتة ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ [الآية: 134] لله في قدرته على المطالبة.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة من هذه الآية إلى قصر الأمل ومن قصر أمله
271/ أ حسن عمله وكل ما هو آتٍ فهو/ قريب أجله.

﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ [الآية: 135] أي: على غاية تمكنكم واستطاعتكم أو على ناحيتكم وجهتكم وقرأ أبو بكر حيث جاء في القرآن مكاناتكم والأمر للتهديد أو للمبالغة في الوعيد الشديد والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم ﴿إِنِّى عَامِلٌ﴾ [الآية: 135] ما كنت عليه من الثبات على الإسلام والمداومة على مخالفتكم ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾ [الآية: 135] أي: الذي تكون له العاقبة الحسنى التي خلق الله لها هذه الدنيا أو المعنى فسوف تعلمون أيّنا يكون له الغلبة والاستيلاء في الدنيا والمثوبة والاستعلاء في العقبى أو من يكون له دار البوار ومن يحصل له دار القرار وفيه مع الإنذار إنصاف في المقال وحسن أدب في مقام الجدال وتنبيه على وثوق المنذر بأنه محق في الحال وسحق في المآل وقرأ حمزة والكسائي يكون بالتذكير لأن تأنيث العاقبة ليس على الحقيقة ﴿إِنَّهُۥ﴾ [الآية: 135] أي: الشأن ﴿لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الآية: 135] أي: لا يسعدون حيث يظفر المطيعون.

﴿وَجَعَلُوا۟﴾ [الآية: 136] أي: مشركو العرب ﴿لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ﴾ [الآية: 136] أي: مما خلقه ﴿مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا﴾ [الآية: 136] أي: حصة وحظاً وسهماً ﴿فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ﴾ [الآية: 136] متعلق بقالوا وفيه تنبيه على أن ذلك من اخترعوه لم يأمرهم الله به ولم يصل إليه ﴿وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا﴾ [الآية: 136] والإشارة في الموضعين إلى النصيبين المعهودين وفي الكلام حذف دل عليه التقسيم أي: ونصيب لشركائهم لقوله ﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ﴾ [الآية: 136] روي أنهم كانوا يعينون شيئاً من الحرث والنتاج لله ويصرفونه إلى الضيفان والمساكين وشيئاً منهما

لآلهتهم وينفقون على خدم أصنامهم ثم إن رأوا ما عينوا لله أزكى بدلوه بما لآلهتهم وإن رأوا ما لآلهتهم أزكى تركوه لها حباً لآلهتهم أو إذا سقط شيء من الثمر مثلاً من نصيب الصنم فيما سمي للصنم ردوه إلى ما جعلوه للصنم وقالوا: إنه فقير وسدنته يحتاجون إلى نفقة وإن هلك أو انتقص منه شيء أخذوا بدله مما جعلوه لله وإن سقط من نصيب الله في نصيب الأوثان خلوه أو مات شيء منه لم يبالوا به وقالوا الله غني.

وفيه تنبيه على فرط جهالتهم وكثرة حماقتهم حيث أشركوا الخالق في
271/ب خلقه جماداً لا يقدر على شيء من أمره ثم رجحوه/ عليه بأن نسبوا النصيب الأوفر إليه وقرأ الكسائي بضم الزاي في الموضعين وهو لغة وقد جاء الكسر فيه أيضاً فهو مثلث كالود ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الآية: 136] حكمهم هذا وأمثاله.

وأفاد الأستاذ: أنهم لما بنوا قاعدة أمرهم على موجب الهوى صارت فروعهم لائقة بأصولهم فهو كما قيل:

إذا كان القضاء إلى ابن آوى فتعديل الشهود إلى القرود[1]

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ [الآية: 137] أي: مثل ذلك التزيين في قسمة القربات بين الله وآلهتهم أو إشارة إلى نفس هذا التزيين فهو تزيين قتل الأولاد ﴿زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ﴾ [الآية: 137] أي: بوأدهم ونحرهم لأصنامهم ﴿شُرَكَآؤُهُمْ﴾ [الآية: 137] من الجن فإن الشياطين أمروهم بما فعلوا من آثامهم وهو فاعل زُيِّن مجازاً في النسبة وإلا فالفاعل هو الله في الحقيقة وقرأ ابن عامر زين على البناء للمفعول ورفع قتل عن النيابة ونصب أولادهم وجر شركاءهم بإضافة القتل إليه مفصولاً بينهما بمفعوله وقول من قال بضعفه ضعيف مردود عليه لوروده في كلام الفصحاء من الشعراء البلغاء ولأن القرآن مما يستشهد به لا له لصحة الرجوع في كل باب إليه.

ولهذا قال صاحب «التسهيل»: إذا كان المضاف مصدراً جاز أن يضاف

(1) ذكره القشيري في تفسيره (2/ 315)، وانظر: التمثيل والمحاضرة (1/ 44).

نظماً ونثراً إلى فاعله مفصولاً بمفعوله.

قال أبو حيان: وأصحابنا يقولون إن الزمخشري غير نحوي ولا يلتفتون إلى خلافه للنحاة انتهى ومن طعن في القراءة المتواترة يخشى عليه من الكفر لأن القراء لا يقرأون من عند أنفسهم فإذا ثبت شيء بالدليل القطعي فإنكاره والطعن عليه من صنع الغويّ وإن وقع من النحوي اللغوي ﴿لِيُرۡدُوهُمۡ﴾ [الآية: 137] ليهلكوهم بالإغواء ﴿وَلِيَلۡبِسُواْ عَلَيۡهِمۡ دِينَهُمۡۖ﴾ [الآية: 137] ليخلطوا عليهم ما كانوا عليه من دين إسماعيل عليه السلام أو ما وجب عليهم أن يتدينوا من دين الإسلام ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُۖ﴾ [الآية: 137] أي: ما فعل المشركون ما زين لهم إذاً لشركاء التزيين أو الفريقان جميع ذلك ﴿فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ﴾ [الآية: 137] أي: ما يختلفون على الله من الكذب وهم لا يعلمون.

وأفاد الأستاذ: أن الآية صرحت بأن المراد على المشيئة والاعتبار لسابق القضية.

﴿وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ﴾ [الآية: 138] أي: ما جعل للآلهة ﴿أَنۡعَٰمٞ وَحَرۡثٌ حِجۡرٞ﴾ [الآية: 138] حرام ممنوع فعل بمعنى مفعول يستوي فيه الواحد والجمع والذكر والأنثى ﴿لَّا يَطۡعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ﴾ [الآية: 138] من رجال خدم الأوثان ﴿بِزَعۡمِهِمۡ﴾ [الآية: 138] من غير/ حجة لديهم ﴿وَأَنۡعَٰمٌ حُرِّمَتۡ ظُهُورُهَا﴾ [الآية: 138] من البحائر والسوائب والحوامي ﴿وَأَنۡعَٰمٞ لَّا يَذۡكُرُونَ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا﴾ [الآية: 138] في ذبحها أي: وما يذكرون أسماء الأصنام عليها ﴿ٱفۡتِرَآءً عَلَيۡهِۚ﴾ [الآية: 138] لأجل الافتراء على الله فيما نسبوا إليه ﴿سَيَجۡزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾ [الآية: 138] ي: بسبب افترائهم والمعنى أنه إذا قسموا أنعامهم فقالوا هذه حجر وهذه محرمة الظهور وهذه لا يذكر اسم الله عليها فجعلوها أجناساً بأهوائهم ونسبوا ذلك إلى الله بافترائهم. 272/ أ

﴿وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ [الآية: 139] أي: أجنة البحائر والسوائب ﴿خَالِصَةٞ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِنَاۖ﴾ [الآية: 139] أي: نساءنا إن ولد حياً ﴿وَإِن يَكُن مَّيۡتَةٗ فَهُمۡ فِيهِ شُرَكَآءُۚ﴾ [الآية: 139] أي: فذكورهم

وإناثهم فيه سواء وتأنيث الخالصة للمعنى فإن ما في معنى الأجنة ولذا وافق عاصم في رواية أبي بكر ابن عامر في تكن بالتاء وخالفه هو وابن كثير في ميتة فنصب كغيرهم ﴿سَيَجْزِيهِمْ﴾ [الآية: 139] الله ﴿وَصْفَهُمْ﴾ [الآية: 139] أي: جزاء وصفهم الكذب على الله في التحريم والتحليل من قوله سبحانه: ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ﴾ [النحل: 62] ﴿إِنَّهُۥ حَكِيمٌ﴾ [الآية: 139] بأحكام فعله ﴿عَلِيمٌ﴾ [الآية: 139] بأحوال خلقه.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة فيه إلى أن من نحا نحوهم في زيادة شيء في الدين أو نقصان شيء من شرع المسلمين فمضاه لهم في البطلان منخرط لسلكهم في الطغيان.

﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ﴾ [الآية: 140] أي: بالواو مخافة السبي والفقر وقرأ ابن كثير وابن عامر بالتشديد للتكثير ﴿سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الآية: 140] لقلة عقلهم وكثرة جهلهم بأن الله رازق أولادهم لا هم بأنفسهم ﴿وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 140] من البحائر ونحوها ﴿ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ [الآية: 140] إلى الحق والصواب في أمر الدين.

قال الأستاذ: انسدت عليهم طريقة الثقة بالله رب العباد فحملهم خشية الفقر على قتل الأولاد ولذا قال أهل التحقيق من إمارات اليقين وحقائق الدين كثرة العيال على وثق الاتكال.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ﴾ [الآية: 141] أي: أبدع بساتين من الكروم ونحوها ﴿مَّعْرُوشَٰتٍ﴾ [الآية: 141] مرفوعات على ما يحملها ﴿وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ﴾ [الآية: 141] أي: متروكات على وجه أرضها ومحلها ﴿وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ﴾ [الآية: 141] أي: أكل كل واحد منها يعني ثمره في الكيفية والهيئة ومختلفاً حال مقدرة أي: مقدراً اختلافه لأنه لم يكن كذلك حال إنشائه ﴿وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ/ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ﴾ [الآية: 141] يتشابه بعض أفرادها في اللون والطعم ولا يتشابه بعضها فيهما. 272/ب

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه كما أنشأ في الظاهر جنات وبساتين كذلك

أنشأ في السر جنات وبساتين فنزهة القلوب والسرائر أتم من جنات الظواهر فأزهار القلوب مؤنقة وشموس الأسرار مشرقة وأنهار المعارف زاخرة وكما تتشابه الثمار كذلك يتماثل الأحوال وكما يختلف طعومها وروائحها مع تشاكلها من وجه فكذلك الأحوال مختلفة القضايا وإن اشتركت في كونها أحوالاً ﴿كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ﴾ [الآية: 141] أي: ثمر كل واحد من ذلك ﴿إِذَآ أَثۡمَرَ﴾ [الآية: 141] إن لم ينضج بعد ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ﴾ [الآية: 141] وهذا شيء كان واجباً قبل وجوب الزكاة وعن بعض السلف أنه الزكاة والآية مدنية أو مكيّة وتفصيل الزكاة عُلِمَ بالمدينة وقرأ ابن كثير ونافع وحمزة والكسائي بكسر الحاء.

وأفاد الأستاذ: أن حقه الواجب يوم الحصاد إقامة الشكر فأما إخراج البعض فبيانه على لسان العلم وشهود المنعم في عين النعمة أتم من الشكر على وجود النعمة ﴿وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ﴾ [الآية: 141] في التصدق لقوله ﴿وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ﴾ [الإسراء: 29] وفي الأكل بأن تأكلوا فوق الشبع أو في البخل بأن لا تعطوا حق الله ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [الآية: 141] أي: لا يرضى فعلهم وعن ابن عباس أن أحداً من الصحابة صرم خمسمائة نخلة فقسمها في يوم واحد ولم يترك لعياله شيئاً فنزلت تلك الآية.

وقال الأزهري: الإسراف في المعصية وقال مجاهد: لو كان لأحد مثل أحد ذهباً فأنفقه في طاعة الله لم يكن مسرفاً ولو أنفق درهماً في المعصية لعد من المسرفين.

ومن القول الألطف في الشرف لا سرف في خير ولا خير في سرف.

وأفاد الأستاذ: أن الإسراف على لسان العلم مجاوزة الحد على بيان الإشارة فكل ما أنفقته في حظ نفسك فهو إسراف ولو كانت سمسمة وما أنفقته في سبيله فليس بإسراف ولو أربى على الألف.

﴿وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ [الآية: 142] أي: وأنشأ من الأنعام ﴿حَمُولَةٗ وَفَرۡشٗاۚ﴾ [الآية: 142] ما يحمل الأثقال وما يفرش للذبح.

وأفاد الأستاذ: أن تسخير الحيوان للإنسان آية مزية في الفضيلة على سائر البرية وكما سخر الأعيان للإنسان كذلك سخر الأزمان في تصاريف الحدثان لخواص الإنسان ﴿كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 142] أي: مما أحل
273/ أ لكم من الثمار والزروع/ والأنعام ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [الآية: 142] أي: طرائقه وأوامرهُ كما اتبعها المشركون في التحليل والتحريم من عند أنفسهم ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الآية: 142] ظاهر العداوة لمبالغته في إرادة الغواية.

وأفاد الأستاذ: أن الرزق لا يتخصص بالمأكولات بل هو سائغ في جميع ما يحصل به الانتفاع وينقسم الرزق إلى رزق الظواهر ورزق السرائر فهذا وجود النعم وذاك شهود الكرم بل الخمود في وجود القدم وللقلب رزق هو التحقيق من حيث العرفان وللروح رزق وهو المحبة بصدق التحرز عن الأكوان وللسر رزق وهو الشهود الذي هو قرينة العيان.

﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ [الآية: 143] بدل من حمولة وفرشاً وما بينهما معترضة والمراد بالزوج هنا ما معه آخر من جنسه يزاوجها وإن كان قد يقال لمجموعها ﴿مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ [الآية: 143] أي: زوجين اثنين الكبش والنعجة وهو بدل من ثمانية والضأن اسم جنس كالإبل وقرىء بفتح الهمزة وهو لغة فيه ﴿وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ﴾ [الآية: 143] التيس والعنز وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بفتح العين وهو جمع ماعز ﴿قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ﴾ [الآية: 143] أي اذكر الضأن وذكر المعز ﴿حَرَّمَ﴾ [الآية: 143] أي: الله عليكم أيها المشركون ﴿أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ [الآية: 143] أي أنثييهما ونصب الذكرين والأنثيين بحرم ﴿أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ [الآية: 143] أو ما حملت إناث الجنسين ذكراً كان أو أنثى كما قالوا ما في بطون هذه الأنعام، الآية. ﴿نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ﴾ [الآية: 143] أي: أخبروني بأمر معلوم يدل على أن الله حرم شيئاً من ذلك ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الآية: 143] في دعوى التحريم عليه.

﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ [الآية: 144] المقصود إنكار فعل التحريم لكنه

ورد في صورة إنكار المفعول ليطابق ما كانوا يدعونه من التفصيل في المفعول والترديد فيه فيكون الإنكار في طريق برهاني من جهة أنه لا بد للفعل من متعلق فإذا نفى جميع متعلقاته على التفصيل لزم نفي الفعل على وجه التكميل ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ﴾ [الآية: 144] بل أكنتم حاضرين مشاهدين ﴿إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا﴾ [الآية: 144] حين وصّاكم بما ذكر من تحريم بعض وتحليل بعض وهذا من باب آلهتكم ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الآية: 144] فنسب إليه تحريم ما لم يحرم والمراد كبراؤهم المقررون لذلك أو عمرو بن لحي/ المؤسس 273/ ب
له فإنه أول من غير دين إسماعيل عليه السلام ﴿لِيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الآية: 144] ملتبساً بغير دليل يفيد علماً أو حال كونهم جاهلين ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية: 144].

وأفاد الأستاذ: أن الذي ينبغي للعبد أن يتأدب به عند سماع ذكر الضأن استدامة السكون بالتزام حسن الخلق فإن الضائنة مستسلمة لمن يلي عليها فلا بصياحها تؤذي ولا بعدوها يعني كذلك سبيل من وطئ هذا البساط وكذا في الإبل آيات منها انقيادها لمن جرّ زمامها واستناختها حيثما تناخ بلا نزاع ولا اختيار ومنها ركوبها عند الحمل وصبرها على مقاساة العطش ودومانها في السير.

﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ﴾ [الآية: 145] أي: في القرآن أو فيما أوحي إلى مطلقاً وفيه تنبيه نبيه على أن التحريم إنما يعلم بالوحي لا بالهوى محرماً أي لا أجد شيئاً من الطعام ﴿مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ﴾ [الآية: 145] في وقت ﴿إِلَّآ أَن يَكُونَ﴾ [الآية: 145] أي: إلا في وقت أن يكون الطعام ﴿مَيْتَةً﴾ [الآية: 145] وقرأ ابن كثير وحمزة بالتاء لتأنيث الخبر وقرأ ابن عامر بالتاء ورفع ميتة على أن كان هي التامة وقوله: ﴿أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾ [الآية: 145] عطف على أن يكون مع ما في حيزه أي: لا وجود ميتة أو دماً مسفوحاً أي: سائلاً مصبوباً كالدم في العروق لا الكبد والطحال ﴿أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ﴾ [الآية: 145] أي: فإن الخنزير أو لحمه قذر لتعوده أكل النجاسة.

قال الماوردي: ضمير فإنه للخنزير لأنه أقرب مذكور ونازعه في ذلك أبو حيان وقال: إنه عائد على اللحم لأنه المضاف وهو المحدث عنه والمضاف إليه ذكر لتعريف المضاف وتخصيصه فقيل ما قاله الماوردي أولى من حيث المعنى لأن تحريم اللحم قد استفيد من قوله أو ﴿لَحْمَ خِنزِيرٍ﴾ [الآية: 145] فلو عاد الضمير عليه لما كان في الكلام تأسيس فوجب عوده إلى الخنزير ليفيد تحريم الكبد والشحم وسائر أجزائه قلت الأول موافق لمذهب مالك والثاني مطابق لما عليه الجمهور والله أعلم بمراده بذلك ﴿أَوْ فِسْقًا﴾ [الآية: 145] عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض للتعليل ﴿أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [الآية: 145] صفة موضحة له وسمي فسقاً لتوغله في الفسق ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾ [الآية: 145] فمن دعته الضرورة إلى تناول شيء مما ذكر ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ [الآية: 145] على مضطر مثله أو غير طالب للذة ﴿وَلَا عَادٍ﴾ [الآية: 145] قدر الضرورة ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الآية: 145] لا يؤاخذه حيث عمل بالرخصة والآية محكمة لأنها تدل
274/ أ على أنه لم يجد فيما أوحي/ إلى تلك الغاية محرماً غير هذه وذلك لا ينافي ورود التحريم في شيء آخر بعد هذا ويمكن أن يكون الحصر إضافياً أي: لا أحد فيما أوحي إليّ في القرآن بخلاف ما أوحي إلى من السنة على طبق البيان.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه بيّن أن الشارع هو الله والمانع عن الخلق هو الله وما كان من غير الله فهو ضائع باطل عند الله ثم بين أنه إذا جاء الاضطرار زال حكم الاختيار.

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾ [الآية: 146] أي: حرمنا على اليهود ما لم يكن مشقوق الأصابع كالإبل والنعامة والبط أو كل ذي حافر كما قاله ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقيل: كل ذي مخلب من الطير ﴿وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ﴾ [الآية: 146] أي: جميع شحومهما من الثروب وشحوم الكلى ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ﴾ [الآية: 146] إلا ما علقت من الشحوم لظهورها ﴿أَوِ ٱلْحَوَايَآ﴾ [الآية: 146] أو ما اشتمل على الأمعاء ﴿أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ [الآية: 146] أي: ما اختلط من الشحوم بالعظام فإنه حلال وأوهنا كما في قولهم جالس الحسن أو ابن سرير كذا قاله بعضهم وفيه أو أن للإباحة

للمثال فجاز أن يجالسهما معاً أن يجالس أحدهما بخلاف التحريم هنا فإنه يعمهما فالصواب في هذه الآية أن أو للتفصيل والتنويع فصل بها ما حرم عليهم من البقر والغنم وهي أبلغ من الواو فإنها تدل على التساوي في الحكم كأنه قال كل واحد من الثلاثة مستقل بحكم الحلية على أن الواو قد يتوهم منها معنى المعية والجمعية مع أنه ليس المراد من الآية البهية ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 146] أي: التحريم أو الجزاء أو التضييق ﴿ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ﴾ [الآية: 146] بسبب ظلمهم ومخالفتهم أمر بينهم ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ [الآية: 146] في إخبارنا من تحريمنا ذلك عليهم لا كما زعموا أن إسرائيل حرمه علينا وليس من عمل ذنب صدر عنا.

وقال الأستاذ: بين أن ما حرمه عليهم ضيعوه وما لم يعاتبهم عليه لم يشهدوا مكره العظيم فيه وما ابتدعوه من قبل أنفسهم أهملوه ولم يحافظوا عليه فاستوجبوا عظيم الوزر وأليم الهجر.

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ﴾ [الآية: 147] لا يعجل بالعقوبة على المعصية ولكنه يمهل ولا يهمل في الآخرة ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ﴾ [الآية: 147] عذابه ﴿عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الآية: 147] إذا نزل عليهم بسبب إجرامهم أو ذو رحمة واسعة للمطيعين وذو بأس شديد للمجرمين.

274/ب وقال سهل قيل للنبي ﷺ من/ أعرض عنك فرغبة فينا فإنه من رغب فينا ففيك رغب لا غير قال عزَّ وجلَّ ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ﴾ [الآية: 147] أي: أطعهم في الرحمة ولا تقطع قلبك عنهم بالمرة.

وقال الأستاذ: الإشارة منه بيان تخصيص الأولياء بالمرحمة وتخصيص الأعداء بالطرد واللعنة والصورة الإنسانية جامعة لهم ولكن القسمة الأزلية فاصلة بينهم.

﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ [الآية: 148] إخبار عن مستقبل في أحواله ووقوع مخبره يدل على إعجازه ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾ [الآية: 148] أي: لو شاء خلاف ذلك مشيئة أو قضاء كقوله سبحانه ﴿فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: 149] لما فعلنا نحن ولا آباؤنا وأرادوا بذلك أنهم على

الحق المشروع المرضي عند الله مأمور به فإن ما لم يشأ لم يكن وما شاء فهو مرضي مأمور به ولم يريدوا الاعتذار عن ارتكاب هذه القبائح بإرادة الله تعالى إياها منهم حتى ينتهض ذمهم به دليلاً للمعتزلة وحاصل القضية أن الكفرة اعتقدوا عدم التفرقة بين المأمور والمراد كما اعتقدت المعتزلة فاحتجوا على حقيقة الإشراك بالله وسائر ما يركبون من القبائح بأنها ليست بمعصية لأنها موافقة للمشيئة التي تساوق الأمر وينادي على ذلك قوله ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ [الآية: 148] فإنه لو كان المراد أن الكل بمشيئة الله لما كانوا إلا كاذبين لا مكذبين فالمعنى كذب الأمم السابقة بهذه الشبهة الداحضة أنبياءهم وعلماءهم السابقة واللاحقة ﴿حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ﴾ [الآية: 148] الذي بتكذيبهم عليهم أنزلنا فعلموا أنهم على دين مبغوض غير مرضي عندنا ﴿قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ﴾ [الآية: 148] أي: من أمر معلوم لكم يصح الاحتجاج به على زعمكم ﴿فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآ﴾ [الآية: 148] أي: تظهروه لأجلنا ﴿إِن تَتَّبِعُونَ﴾ [الآية: 148] أي: ما تتبعون في ذلك ﴿إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ [الآية: 148] لا العلم ﴿وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ﴾ [الآية: 148] تكذبون على الله.

وأفاد الأستاذ: فيما بنى الإشارة على ظاهر العبارة حيث قال كذبت قالتهم لأنها لم تصدر عن التصديق فذموا على جهالتهم وإن كان صدقاً في التحقيق انتهى وحاصله أن هذه كلمة حق أريد بها الباطل لا أنه موافقة للمعتزلة ومخالفة لأهل السُّنَّة.

﴿قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ﴾ [الآية: 149] أي: البينة الثابتة التي بلغت غاية المتانة
وهي الكتاب والسُّنَّة/ ﴿فَلَوۡ شَآءَ﴾ [الآية: 149] أي: الهداية الشاملة ﴿لَهَدَىٰكُمۡ 275/أ
أَجۡمَعِينَ﴾ [الآية: 149] بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن شاهد آية قوم وضلالة آخرين وله في ذلك مصالح وحكم لا بمبتدىء إليه إلا من اكتحل عينه بنور اليقين.

قال جنيد: آثار مشيئة الهداية عند أهل الهدى بينة.

وقال النصرآبادي: الخلق كلهم منعهم شدة الحاجة عن معاني رؤية

الحجة ولو أسقط عنهم الحاجة لكشف لهم براهين الحجة وقال أيضاً رؤية الحاجة حسنة ورؤية الحجة أحسن.

وأفاد الأستاذ: أن إرادته سبحانه لا تتقاصر عن مراده وليس عليه شيء معتاض في البلاد والعباد.

﴿قُلْ هَلُمَّ﴾ [الآية: 150] أي: أحضروا ﴿شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَاۖ﴾ [الآية: 150] يعني قدوتهم فيه استحضرهم ليلزمهم الحجة ويثبت بانقطاعهم لهم الضلالة ﴿فَإِن شَهِدُواْ﴾ [الآية: 150] أي: للعناد والمكابرة ﴿فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْۚ﴾ [الآية: 150] فلا تصدقهم فيه لأن التصديق ملزوم الشهادة وقيل: ففي الشهادة كناية عن إثبات المفسدة وقيل: مشاكلة والمعنى أثبت على ما أنت عليه من الحجة المقرونة بالهداية ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [الآية: 150] منهم ومن غيرهم ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ﴾ [الآية: 150] من أمثالهم ﴿وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الآية: 150] أي: يسوون الأصنام وغيرها بخالقهم.

وأفاد الأستاذ: أن في الآية إشارة إلى أن ما تجرد عن برهان يصححه وبيان يوضحه فغير مقبول من قائله ولا عذر لقابله.

﴿قُلْ تَعَالَوْاْ﴾ [الآية: 151] أمر من التعالي وأصله أن يقوله من كان في علو لمن كان في سفل فاتسع فيه بالتعميم وهنا للتخصيص وجه وهو أن العالم يقول للجاهلين ارتفعوا عن حضيض مقامكم السفلي إلى إدراك مقامي المتعالي ﴿أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ﴾ [الآية: 151] أي أقرؤه وأبينه وما يحتمل الخبرية والمصدرية ﴿عَلَيْكُمْۖ﴾ [الآية: 151] متعلق بحرم أو أُتل ﴿أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ﴾ [الآية: 151] أي: لا تشركوا فإن مفسرة ولا ناهية ليصح عطف الأمر عليه ولا يمنعه تعليق الفعل المفسر بما حرم فإن التحريم باعتبار الأوامر يرجع إلى أضدادها ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ﴾ [الآية: 151] أي: احسنوا بهما ﴿إِحْسَٰنًاۖ﴾ [الآية: 151] زائداً بالنسبة إلى غيرهما ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍۖ﴾ [الآية: 151] أي: من أجل فقر حال أو مستقبل أو من خشية كقوله خشية إملاق ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْۖ﴾ [الآية: 151] قدم نرزقكم هنا بخلاف سورة الإسراء ليكون كالدليل في القضية فإن رازق

الأصل رازق التابع بالأولوية واختير هنا التقديم لأن التقدير من إملاق بكم
فناسب نحن نرزقكم وإياهم/ وهناك زيدت الخشية المتعلقة بالمستقبلة فالتقدير 275/ب
خشية إملاق يقع بهم يلائم نحن نرزقهم وإياكم ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ﴾ [الآية: 151] أي: كبائر الذنوب لاستثناء اللمم من العيوب ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الآية: 151] بدل منه وهو مثل قوله ظاهر الإثم وباطنه وقد سبق بيانه.

وقد قال المحاسبي: الفواحش ما أريد به غير الله وقيل ما ظهر من الفواحش في الأفعال هو الرياء والسمعة وما بطن منها الدعاوي الكاذبة ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 151] قتلها ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية: 151] وهو القود وقتل المرتد ورجم المحصن كما ورد ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ [الآية: 151] إشارة إلى ما ذكر مفصلاً ﴿وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾ [الآية: 151] أي: بحفظه مجملاً ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الآية: 151] أي: أمره ونهيه علماً وعملاً.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [الآية: 152] أي: إلا بالطريقة التي هي أحسن طرق ما يفعل بما له كحفظه وتثميره ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ [الآية: 152] جمع شدة وهي القوة والجلادة كنعمة وأنعم وقيل مفرد لا جمع له وقيل جمع لا واحد له والمعنى حتى يصير بالغاً رشيداً معتمداً عليه فادفعوا إليه ﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الآية: 152] أي: بالعدل والسوية بقدر الوسع والطاقة ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [الآية: 152] أي: ما يسعها ولا يعجز عنها فإن أخطأت بعد بذل جهدها فلا حرج عليها ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ﴾ [الآية: 152] في حكومة ونحوها ﴿فَٱعْدِلُوا۟﴾ [الآية: 152] أي: في القضية وما يتعلق بها أو إذا تكلمتم بكلمة فلا تجوروا فيها.

قال أبو سليمان: إذا تكلمتم فتكلموا بذكره يعني وإذا سكتم فتفكروا في أمره ﴿وَلَوْ كَانَ﴾ [الآية: 152] المقول له أو عليه ﴿ذَا قُرْبَىٰ﴾ [الآية: 152] صاحب قرابة منكم ومناسبة بينكم ﴿وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 152] أي: بما عاهدكم الله عليه أو بما عاهدتم الله عليه ﴿أَوْفُوا۟﴾ [الآية: 152] اعملوا به ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الآية: 152] أي: تتعظون به وتنتفعون منه وقرأ

حفص وحمزة والكسائي بتخفيف الذال حيث أتى.

﴿وَأَنَّ هَٰذَا﴾ [الآية: 153] إشارة إلى ما في الآيتين أو إلى ما في السورة أو إلى الكتاب جميعه ﴿صِرَٰطِى﴾ [الآية: 153] ديني ﴿مُسْتَقِيمًا﴾ [الآية: 153] لا عوج فيه عن الوصول إلى ربي.

وقال جعفر: طريقي من القلب إلى الله بالإعراض عما سواه وقرأ حمزة والكسائي أنّ بالكسر على أنها جملة مستأنفة وابن عامر بالفتح مخففة والباقون مشددة فبتقدير اللام على أنه علة لقوله ﴿فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الآية: 153] وهو عطف على لا تشركوا أو الجمع بين حرفي العطف/ الواو والفاء عند تقديم 276/ أ
المعمول فصلاً بينهما شائع وسائغ نحو ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ [المدثر: 3] ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: 18] وقرأ ابن عامر صراطي فتح الياء ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾ [الآية: 153] أي: الأديان المختلفة أو الطرق التابعة للهوى فإن مقتضى الهدى واحد ومقتضى الهوى متعدد لاختلاف الطبائع والعادات في تتبع الشهوات ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ﴾ [الآية: 153] الباء للتعدية أي: فتفرقكم وتزيلكم ﴿عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الآية: 153] الذي هو اتباع الحق واقتفاء البرهان المحقق ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ [الآية: 153] الاتباع الخالي عن الابتداع ﴿وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الآية: 153] الضلالة وتتبعون الهداية.

وأفاد الأستاذ: أن هذه أشياء عشرة تضمنها هذه الآيات أولها الشرك فإنه رأس المحرمات والذي لا يقبل معه شيء من الطاعات وينقسم ذلك إلى جلي وخفي فالجلي عبادة الأصنام والخفي ملاحظة الأنام بعين استحقاق الإعظام والثاني من هذه الخصال ترك العقوق وتوقير الوالدين بحفظ ما يجب لهم من أكيدات الحقوق وبعد ذلك قتل الأولاد خشية الإملاق وإراقة دمائهم بغير استحقاق ثم ركوب الفواحش ما بطن منها وما ظهر وما بدا واستتر ويدخل في ذلك جميع أقسام الآثام ثم قتل النفس بغير الحق وذلك إنما يكون لفقد شفقة الخلق ثم مجانبة مال اليتيم والنظر إليه بعين التكريم ثم الصدق في القول والعدل في الفعل ثم بذل الإنصاف في المعاملات والتوقي من جميع

التبعات ثم متابعة السبيل بما يشير إليه لوائح الدليل فمن قابل هذه الأوامر بجميل الاعتناق سعد في داريه وحظي بعظائم منزلته بالاتفاق.

﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الآية: 154] عطف على ذلكم وصاكم وتم للتراخي في الإخبار فإن الإيتاء قبله مما يعلم بالإخبار ﴿تَمَامًا﴾ [الآية: 154] أي: كاملاً جامعاً لما يحتاج إليه في باب الديانة أو تماماً للكرامة والنعمة ﴿عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ﴾ [الآية: 154] القيام به في الطاعة ﴿وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [الآية: 154] أي: وبياناً مفصلاً للأمور السابقة واللاحقة ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ [الآية: 154] أي: وهداية عامة ونعمة خاصة ﴿لَّعَلَّهُم﴾ [الآية: 154] أي: بني إسرائيل ﴿بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ﴾ [الآية: 154] أي: بلقائه للجزاء ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية: 154] وللقيام بأمره يستعدون وعن الإقبال إلى غيره يعرضون وبحقائق العوارف ودقائق المعارف يوقنون.

276/ب وأفاد الأستاذ/: أنه سبحانه يهون علينا مشقة مقاساة التكليف ببيان التعريف فإن الذين كانوا قبلنا كانوا في الضعف والعجز مثلنا ثم صبروا فظفروا وأخلصوا فتخلصوا.

﴿وَهَٰذَا﴾ [الآية: 155] القرآن ﴿كِتَٰبٌ﴾ [الآية: 155] جامع ﴿أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ [الآية: 155] كثير النفع والخير ﴿فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الآية: 155] في طاعته ﴿وَٱتَّقُوا۟﴾ [الآية: 155] في مخالفته ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الآية: 155] بواسطة متابعته وهو العلم بمبانيه ومعانيه والعمل بما فيه والحذر عن ما ينافيه.

﴿أَن تَقُولُوٓا۟﴾ [الآية: 156] أي: أنزلناه كراهة أن تقولوا أو لئلا تقولوا ﴿إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا﴾ [الآية: 156] أي: اليهود والنصارى ﴿وَإِن كُنَّا﴾ [الآية: 156] أي: وأنه كنا ﴿عَن دِرَاسَتِهِمْ﴾ [الآية: 156] قراءتهم ﴿لَغَٰفِلِينَ﴾ [الآية: 156] ما نفهم ما يقولون فإنه ليس بلساننا.

﴿أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ﴾ [الآية: 157] بلغتنا ﴿لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾ [الآية: 157] لحدة أذهاننا وثقابة أفهامنا ﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الآية: 157] حجة واضحة تعرفونها ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ [الآية: 157] لمن تأمل فيها وعمل بمقتضاها ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 157] بعد معرفة صحتها أو

التمكن من معرفتها ﴿وَصَدَفَ عَنْهَا﴾ [الآية: 157] أي أعرض أو صد غيره فضل وأضل ﴿سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ﴾ [الآية: 157] شدته ﴿بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾ [الآية: 157] بسبب إعراضهم بأنفسهم أو صدهم لغيرهم.

وأفاد الأستاذ: أن إنزال الكتاب عليهم تحقيق الإيجاب فإذا بقي العبد عن سماع الخطاب تسلى بقراءة الكتاب ومن لم يجد في قراءة القرآن كمال العيش والأنس فإنه يقرأ ترسماً لا تحققاً وفي قوله: ﴿أَن تَقُولُوا﴾ أزاح كل علة وبدا بكل وصلة فلم يبق لك متعللاً ولا في إيثار الالتجاء إلى العذر موضحاً وفي قوله فمن أظلم عقوبة كل جرم مؤجلة وعقوبة التكذيب معجلة وهي ما يوجب بقاؤهم في أسر الشك حتى لا يستقر قلبهم على شيء.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ [الآية: 158] أي: أهل مكة وهم ما كانوا منتظرين لكن لما كان يلحقهم لحوق المنتظر شبهوا بالمنتظرين والمعنى ما ينتظرون ﴿إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ [الآية: 158] أي: ملائكة الموت أو العذاب وقرأ حمزة والكسائي بالتذكير ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ [الآية: 158] أي يظهر تجليه والمراد يوم القيامة أوله إتيان ليس كإتيان غيره نؤمن به ولا نعرف كيفه أو كل آياته يعني آيات القيامة والهلاك الكلي لأرباب الملامة لقوله: ﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ [الآية: 158] يعني أشراط الساعة أو طلوع الشمس من مغربها وهو الصحيح لقوله ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ [الآية: 158] / أي التي تضطرهم إلى الإيمان ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا﴾ 277/ أ
[الآية: 158] كالمحتضر فإن الأمر حينئذٍ عياني والمطلوب إيمان برهاني ﴿لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ [الآية: 158] صفة نفساً ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الآية: 158] عطف على آمنت والمعنى لا ينفع الكافر إيمانه في تلك الحالة ولا الفاسق الذي ما اكتسب خيراً في إيمانه بالتوبة وحاصله أن من باب اللف التقديري أي لا ينفع نفساً إيمانها ولا كسبها في الإيمان إن لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فيه والمعنى لا ينفعهم تلهفهم حينئذٍ على ترك الإيمان بالكتاب ولا على ترك العمل بما فيه من الخطاب ﴿قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ [الآية: 158] أمر تهديد ووعيد شديد والمعنى انتظروا أحد الأمور الثلاثة فإنا منتظرون لها فإن لكم الويل بها ولنا الفوز بها.

وقال الأستاذ: أخبر أنّهم بعدما أزيح العلل عنهم اقترحوا ما ليسهم لهم واغتروا بطول السلامة فيهم ثم بين أنه إذا مضى بعقوبة عبد حكماً مؤبداً فلا معارض لتقديره ولا مناقض لتدبيره أصلاً أبداً.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ﴾ [الآية: 159] أي: من اليهود والنصارى حيث أخذوا ببعض ما أمروا وتركوا بعضه كما قاله ابن عباس وغيره أو المراد بهم أهل البدع من هذه الأمة كما نقل عن عائشة وأبي هريرة أو يراد المعنى الأعم كما روي عنه عليه السلام افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة كلها في الهاوية إلا واحدة وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية إلا واحدة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين كلها في الهاوية إلا واحدة وفي رواية فسر تلك الواحدة بمن يكون على ما هو عليه وأصحابه من الطريقة المؤيدة بالكتاب والسُنَّة وقرأ حمزة والكسائي فارقوا أي: باينوا ﴿وَكَانُواْ شِيَعًا﴾ [الآية: 159] فرقاً تشيع كل فرقة أمام ضلاله ﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍۚ﴾ [الآية: 159] أي: من السؤال عنهم وعن تفرقهم أو من عتابهم وأنت بريء منهم ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الآية: 159] يتولى جزاءهم ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ [الآية: 159] أي: يعاقبهم على وفق أعمالهم.

وقال الأستاذ: اتفقوا بأبدانهم وافترقوا بقلوبهم فكانوا مجتمعين جهراً بجهر متفرقين في التحقيق سراً بسر.

﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَاۖ﴾ [الآية: 160] أي: بعشر حسنات أمثالها فضلاً من الله وكرماً وهذا أقل ما وعد فلا ينقص منه شيئاً وقد جاء الوعد بسبعين وسبعمائة وبغير حساب ولذا قيل: المراد بالعشرة الكثرة.

وفي «تفسير/السلمي» قيل من لاحظها من نفسه فعشر أمثالها ومن لاحظها من مواصلة الحق لها فهو من يضاعف له بغير حسابها. 277/ب

وأفاد الأستاذ: أن هذه الحسنات للظاهر فأما حسنات القلوب فللواحدة مائة إلى أضعاف مضاعفة ويقال الحسنة عن فضله تصدر وبلطفه تحصل فهو يجري ثم يقبل ويثني ثم يجازي ويعطي ويقال إحسانه الذي هو التوفيق يوجب إحسانك الذي هو الوفاق وإحسانه الذي هو خلق الطاعة فالعناء منك فعله

والجزاء لك فضله ويقال: إحسان النفوس توفية الخدمة وإحسان القلوب حفظ الحرمة وإحسان الأرواح مراعاة أدب الحشمة ويقال: إحسان الظواهر يوجب إحسانه في السرائر والذي منك مجاهدتك والذي إليك مشاهدتك ويقال: إحسان الزاهدين ترك الدنيا وإحسان المريدين رفض الهوى وإحسان العارفين قطع المنى وإحسان الموحدين بالتخلي عن الدنيا والعقبى والاكتفاء بوجود المولى ويقال إحسان أرباب البداية صدق الطلب وإحسان أصحاب النهاية حفظ الأدب فشرط الطلب أن لا تبقى ميسوراً إلا بذلته وشرط الأدب أن لا يسمو ولا يبدو لك شيء إلا قطعته وتركته ويقال للزاهد عشر أمثالها من حيث الجزاء وذلك بوعد وللعارف آلاف الآلاف أمثالها من حيث اللقاء وذلك بنقد ويقال للزهاد والعباد وأصحاب الأوراد وأرباب الاجتهاد جزاء محصورا محدوداً ولأهل العرفان ولا يقال محصول غير مقطوع ولا ممنوع ولا معدود.

وفي «**نفائس العرائس**» أصل الحسنة إخلاص العبودية عند ظهور الربوبية لما ورد من أن الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه[1] ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا﴾ [الآية: 160] أي: الإجزاء مثلها لا يضاعف عليها عدلاً ﴿وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ [الآية: 160] بنقص ثواب أو زيادة عقاب أصلا.

وقال الأستاذ: يعني يكال عليه بالكيل الذي يكيل فيما أوفى ويوقف حيث رضي لنفسه أن يكون له موقفاً.

﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ﴾ [الآية: 161] أي: بإرشاده وهداه ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الآية: 161] يوصلني إلى رضاه ويقطعني عما سواه ﴿دِينٗا﴾ [الآية: 161] أي: أعني ديناً عظيماً ﴿قِيَمٗا﴾ [الآية: 161] أي: قويماً ومن الاعوجاج سليماً وهو فعيل من قام كسيد من ساد وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي بكسر ففتح
278/ أ مخفف على أنه/ مصدر نعت به ﴿مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ [الآية: 161] عطف بيان لديناً لما فيه من التلويح إلى زيادة التوضيح ﴿حَنِيفٗاۚ﴾ [الآية: 161] حال من إبراهيم أي: مائلاً إلى الصواب الصريح ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الآية: 161] كما يقوله

(1) سبق تخريجه.

المشركون فإن الشرك لظلم قبيح والدين من حيث الانقياد أو الجزاء في المعاد يسمى ديناً ومن حيث أنه يبين ويملي للخلق ملّة ومن حيث أنه يرده المتعطشون إلى زلال الكمال شرعة وشريعة فهي ألفاظ متقاربة ومعانٍ متناسبة.

وأفاد الأستاذ: أن الصراط المستقيم أن لا ترى من دونه مثبتاً لا بذره ولا بسينه والدين القيم ما لا تمثيل فيه ولا تعطيل ولا نفي للفرق الذي يشير إلى العبودية ولا رد للجمع الذي هو شهود الربوبية والحنيف المائل إلى الحق الزائغ عن الباطل الحائد عن ضد الحقيقة إلى جادة الطريقة فمن سلك إلى مخلوق سبيلاً أو أبرم فيهم تأميلاً أو قدم عليهم تعويلاً فقد استشعر تسويلاً وتجرع تضليلاً.

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ [الآية: 162] عبادتي أو قرباني وذبيحتي أو حجي وعمرتي ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾ [الآية: 162] أي: وما أنا عليه في حياتي وموتي من إيماني وطاعتي وجميع حالاتي أو حياتي وموتي بأنفسهما مع ما يضاف إلى حالهما ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الآية: 162] أي: خالص له وهو خالقه ومالكه.

﴿لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ [الآية: 163] أي: في خلقه وملكه ﴿وَبِذَلِكَ﴾ [الآية: 163] الإخلاص الذي هو طريق الخلاص ﴿أُمِرْتُ﴾ [الآية: 163] في مقام الاختصاص ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الآية: 163] من هذه الأمة أو من مطلق البرية لأنه أول من قال بلى في يوم الميثاق ووقت الابتلاء بل كان نبياً وآدم بين الطين والماء.

وفي «تفسير السلمي» أسلمت بتصاريف قدرته متبرئاً من حولي وقوتي في طاعته.

وأفاد الأستاذ: أن من كوشف من حقائق التوحيد ودقائق التفريد شهد أن القائم عليه والمجرى إليه والممسك لديه والمنقل له من وصف إلى وصف واحد لا يشاركه قسيم وماجد لا يضارعه نديم ويقال من علم أنه بالله علم أنه لله فإذا علم نفسه لله لم يبق فيه نصيب لغير الله فهو مستسلم لحكم الله غير معترض على تقدير الله ولا معارض لاختيار الله ولا معرض عن اعتناق أمر الله.

﴿قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي رَبّٗا﴾ [الآية: 164] فاشركه في عبادتي أو اجعله إلهاً ﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيۡءٖۚ﴾ [الآية: 164] أي: موجدهُ بالكرم/ من كتم العدم إلى ميدان الوجود 278/ ب
لإظهار أثر الجود.

وقال الأستاذ: كيف أؤثر عليه بدلاً وإني لا أجد عن حكمه حولاً وكيف أقول لغير أو ضد أو شريك أو ند أو بدونه من معبود أو لغيره من مقصود وإن لاحظت [يمنة] ما شاهدت إلا ملكه وإن طالعت يسرة ما عاينت إلا ملكه بل إن نظرت يمنة وجدت عندي يمنه وإن نظرت يسرة وجدت نحوي يسره ﴿وَلَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٍ إِلَّا عَلَيۡهَاۚ﴾ [الآية: 164] أي: لا يتجاوزها إثمها إلى غيرها ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ﴾ [الآية: 164] باختيارها ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ﴾ [الآية: 164] في معاشكم ومعادكم ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ﴾ [الآية: 164] في أعمالكم واعتقادكم.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الآية: 165] يخلف بعضكم بعضاً أو خلفاء الله في الأرض تتصرفون فيها بأمره ﴿وَرَفَعَ بَعۡضَكُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ﴾ [الآية: 165] في الشرف والغنى بحسب قضائه وقدره ﴿لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ﴾ [الآية: 165] ليختبركم فيما أعطاكم من المال والجاه فيمتحن الغني من جهة شكره والفقير من جهة صبره.

قال السلمي: قيل يخلف الوليّ وليّ والصدّيق صدّيق ويرفع درجات البعض على البعض لئلا تخلو الأرض عن حجة الله وقيل: رفع بعضهم فوق بعض درجات ليقتدي الأدنى بالأعلى ويتبع المريد درجة المراد ليصل إليه إن أراد خالق العباد ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الآية: 165] لمن عصاه وخالف أمر من ارتضاه فإن ما هو آتٍ قريب عند الله أو لأنه يسرع إذا أراده وقضاه ﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمُۢ﴾ [الآية: 165] لمن أطاع مولاه ولم يلتفت إلى ما سواه.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه صير التوبة إليكم وقصر حكم عصركم عليكم فأنتم المقصودون اليوم دون من سواكم ثم إنه جعلكم أصنافاً وخلقكم أخيافاً فمن مسخر ومسخر له ومن مرفه مروح أتعب لأجله كثير ومن معنٍّ وذي مشقة

أدير على رأسه رحى البلاء ليختبركم فيما أتاكم ويمتحنكم فيما أعطاكم إن حسابه لكم لاحق وحكمه فيكم سابق.

وفي «**نفائس العرائس**» درجة بعضهم المعاملات ودرجة بعضهم المشاهدات ودرجة بعضهم المقامات ودرجة بعضهم المكاشفات ودرجات بعضهم الفراسات ودرجة بعضهم الكرامات ودرجة بعضهم المواجيد
279/أ والواردات ودرجة بعضهم الحكميات ودرجة بعضهم اللدنيات/ ودرجة بعضهم المعرفة ودرجة بعضهم التوحيد ودرجة بعضهم التلوين ودرجة بعضهم التمكين ودرجة بعضهم اليقين ودرجة بعضهم الفناء ودرجة بعضهم البقاء ودرجة بعضهم الحيرة ودرجة بعضهم الشكر ودرجة بعضهم الصحو ودرجة بعضهم المحو وما فوق ذلك إلا رسوم مندرسة وطرق منطمسة لأن هناك ظهور كنه القدم ولا يبقى مع القدم العدم ابتلاءهم بهذه المقامات لفناء علة الحدث في القدم فمن خرج بنعت الربوبية منها ويدعي بها يضرب ويصلب ويقتل ويحرق كما فعل بحسين بن منصور[1] روَّح الله روحه ومن خرج منها بنعت العبودية ويبقى بنعت الاستقامة كالنبي ﷺ حيث قال أنا العبد لا إله إلا الله عصم من فورة السكر وغفر له خطراتها في أثناء الطريق وهذا قوله ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾ [الآية: 165] في المآب.

(1) الحلّاج.

سورة الأعراف

[مكيّة]

وهي مئتان وست آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أفاد الأستاذ: أن الباء مكسورة في نفسها وعملها الخافض لما يليها وهي صغيرة القامة ونقطتها التي بها تميز عن غيرها واحد وهو نهاية القلة في موضع هذه النقطة أسفلها وهي مشيرة إلى التواضع والخضوع والمسكنة في الذات والهيئة والسين من اسم الله ساكن فالإشارة من الباء أن لا تذر في الخضوع والتذلل والجهد والتوسل ميسوراً ثم يسكن للتقدير منتظراً مأموراً فإن من بالقبول بفضله فذلك المأمول وإن رد بحكمه فله الحكم فتوافق لتقديره بالموافقة في الرضا به إذ الميم تشير إلى المنّة إن شاء ثم إلى موافقتك لتقديره بالرضاء به إذا لم يشأ ويقال: الباء تشير إلى بيان قلوب الحقائق بلطائف المكاشفات بما يخصهم الحق سبحانه بذلك من دون الخلق فهم على بيان مما يخفى على الخلق ببرهان فالغيب لهم كشف والخبر لهم عيان وما الناس علم فلهم وجود وحكم والسين يشير إلى سرور والقلب عند تقريبات البسط بما يهيمهم فيه من وجوه المناغاة وصنوف لطائف المناجاة فهم في جنات/ 279/ ب
ونعيم وعيش بسيط وتكريم ودوام روح مقيم والميم يشير إلى محبة الحق سبحانه لهم بدءً فإنها هي الموجبة لمحابهم إذ عنها صدر كل حب فبحبه لهم أحبوه وبقصده لهم طلبوه وبإرادته لهم أرادوه ويقال: نزهة أسرار الموحدين في الإناخة بغفوة البسملة فمن حل بتلك الساحة حصل له الراحة ووقع في حدائق القدس واستروح إلى نسيم الأنس ويقال: قالة بسم الله ربيع المحبة وأزهارها لطائف الوصلة وأنوارها زوائد القربة قلت وأسرارها موائد المعرفة.

﴿الٓمٓصٓ﴾ [الأعراف، الآية: 1] أي: أنا الله أعلم وأصدق في قوله الحق.

قال الحسين: الألف ألف المألوف واللام لام الآلاء والميم ميم الملك والصاد صاد الصدق وقال في القرآن علم كل شيء وعلم القرآن في الأحرف التي في أوائل السور وعلم الحروف في لام الألف وعلم لام ألف في الألف وعلم الألف في النقطة وعلم النقطة في المعرفة الأصلية وعلم المعرفة الأصلية في علم الأزل وعلم الأزل في المشيئة وعلم المشيئة في غيب الهوى وغيب الهوى ليس كمثله شيء وقال أيضاً: الألف ألف الأزل واللام لام الأبد والميم ما بينهما من الأمد والصاد اتصال من اتصل به وانفصال من انفصل عنه وفي الحقيقة لا اتصال ولا انفصال ولا اتحاد ولا الانحلال وهذه ألفاظ تجري على حسب العادات ومعادن الحق مصونة عن الألفاظ والعبادات كذا في «**دقائق الحقائق**».

وأفاد الأستاذ: أن هذه الحروف من المتشابه في القرآن على طريقة قوم من السلف فالحق سبحانه مستأثر بعلمه دون خلقه وعلى طريقة قوم فلها معانٍ تعرف وفيها إشارات توصف: فالألف تشير إلى إلفة الأرواح وسكونها في دار الغربة إلى إشكالها فإن الغريب للغريب نسيب ولولا الاشتراك في الغربة لما وقع بين الأشخاص في هذه الدار نوع من الإلفة ثم الشكلية تجمعهم فإذا كانت الأرواح العطرة أصابت الشكلة فهي في تحقيق في ذلك المعنى كالمتحدة فمنه تقع الإلفة بين المتشاكلة ولأجل اتحاد المقصود يتفق القاصدون ويقال ألف من عرف وتلف من وقف أنف عن حديث غيره من
280/أ ألف ويقال: الألف تجرد من قصده عن كل غير فلم/ يتصل بشيء وحين استغنى عن كل شيء اتصل به كل شيء على جهة الاحتياج إليه ويقال صورة اللام كصورة الألف ولكن لما اتصلت بالحروف تعاقبها الحركات كسائر الحروف فمرة أصبحت مفتوحة ومرة أصبحت مكسورة ومرة مرفوعة وأما الألف التي هي بعيدة عن الاتصال بالعلاقات فباقية على وصف التجرد عن تعاقب الحركات فهي سكونها الأصلي وأما الصاد فتشير إلى صدق أحوال المستأنسين في الصدق ويقال: الصاد تنذر محنة الصد وهو بلاء أهل الود لأن أمارة الصدق في المحبة أن لا يزيد بالمنحة ولا ينقص بالمحنة.

﴿كِتَٰبٌ﴾ [الآية: 2] أي: هذا أو هو كتاب جامع لكل باب ﴿أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [الآية: 2] من بين الأحباب ﴿فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾ [الآية: 2] ضيق وقبض من تبليغه إلى الأصحاب ﴿لِتُنذِرَ بِهِۦ﴾ [الآية: 2] الكافرين والمتحرين ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 2] أي: وتذكر ذكرى للموقنين.

وأفاد الأستاذ: أن كتاب الأحباب تحفة الوقت وشفاء عما يقاسيه من ألم البعد وهم المقت.

﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الآية: 3] من أوامره ونواهيه ومتابعة السُنَّة مستفاد من الآيات وهي قوله: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: 7] ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ﴾ [الآية: 3] أي: من غير ربكم ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ [الآية: 3] من الجن والإنس فيضلوكم وقرىء ولا تبتعوا أي لا تطلبوا سواه.

وقال الأستاذ: استسلموا لمطالبات التقدير وقفوا حيث ما وقفتم وتحققوا بما عرفتم وطالعوا ما به كوشفتم ولا تلاحظوا غيراً ولا تركنوا إلى علة ولا تظنوا أن لكم من دونه وسيلة ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الآية: 3] أي: تتعظون اتعاظاً قليلاً أو زماناً يسيراً وما مزيدة لتأكيد القلة وقرأ حفص وحمزة والكسائي تذكرون بحذف إحدى التاءين وابن عامر تتذكرون بالغيبة على أن الخطاب بعد مع صاحب النبوة والباقون غير ابن عامر بإدغام التاء في الذال المعجمة.

﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ﴾ [الآية: 4] أي: وكثير من أهل القرى ﴿أَهْلَكْنَٰهَا﴾ [الآية: 4] بالعذاب لمخالفة رسلها أو أردنا إهلاك أهلها لقوله: ﴿فَجَآءَهَا﴾ [الآية: 4] أي: فجاء أهلها فجأة ﴿بَأْسُنَا﴾ [الآية: 4] عذابنا بالشدة ﴿بَيَٰتًا﴾ [الآية: 4] أي: بآيتين ليلاً كقوم لوط وهو مصدر وقع في موقع الحال ﴿أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾ [الآية: 4] عطفاً عليه أي: قائلين نصف النهار كقوم شعيب وهو مأخوذ من القيلولة وكلا الوقتين وقت الغفلة والاستراحة فالعذاب فيهما أفظع وأوقع في الشدة/ وفي التعبيرين 280/ ب
مبالغة في غفلتهم وأمنهم من العقوبة.

﴿فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ﴾ [الآية: 5] أي: دعاؤهم واستغاثتهم أو دعاؤهم من ديانتهم ﴿إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ [الآية: 5] إلا اعترافهم

بظلمهم واستحقاق العذاب بفعلهم وتحسرهم حين لا ينفعهم.

وقال الأستاذ: يعني كم من قرية ركنوا إلى الغفلة واغتروا بطول المهلة فباتوا في خفض الدعة وأصبحوا وقد صادفتهم البلايا بغتة وأدركتهم القضية فجأة فلا بلاء كشف عنهم ولا دعاء سمع لهم ولا فرار نفعهم ولا صريخ أنقذهم فما زالوا يفزعون إلى الابتهال ويصيحون بالويل ويدعون إلى كشف الضر ويبكون على مس السوء حتى بادوا فكان لا عين ولا أثر ولا لأحد منهم خبر فتلك سُنَّة الله في الذين خلوا من الكافرين وعادته في الماضين من الماردين.

﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ [الآية: 6] عن قبول الرسالة فإجابة أهل النبوة ﴿وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الآية: 6] عما أجيبوا به في تلك الحالة والمراد من هذا السؤال توبيخ الكفرة وتقريع الفجرة كما أن المقصود من السؤال الأول تشريف أرباب الرسالة وتقريب أصحاب النبوة.

وقال الأستاذ: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ [الآية: 6] عن القبول فيتقنعون بذل الخجالة ﴿وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الآية: 6] عن البلاغ فيتكلمون ببيان الهيبة فالكل بسمة العبودية من أهل التقصير والتوقير والحق تعالى بنعت الكبرياء والتعزز في التقدير.

﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم﴾ [الآية: 7] أي: على الرسل والمرسل إليهم ما كانوا عليه من عمل قليل أو جليل لديهم ﴿بِعِلْمٍ﴾ [الآية: 7] عالمين بظواهرهم وبواطنهم أو بمعلومنا منهم ﴿وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾ [الآية: 7] عنهم فيخفى علينا شيء من أحوالهم.

قال ابن عطاء: في حال عدمهم ووجودهم.

وقال الأستاذ: فلنخبرنهم يوم الحشر تفصيل ما هم عليه اليوم مما عملوه ونوقفنهم على ما أسلفوه ونقيمنهم في مقام صغارهم ومحل خزيهم فيما ندموه وسيعلمون أنه لم يشذّ عن علمنا صغير ولا كبير مما علموه وجهلوه ويقال أجرى الحق سُنَّته بتخويف العباد بعلمه مرة كما يخوفهم بعقوبته تارة فقال

تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا﴾ [البقرة: 48] أي: العذاب الواقع في ذلك اليوم وقال في موضع ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: 28] وهذا أبلغ في التخويف وقال ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العلق: 14].

﴿وَالْوَزْنُ﴾ [الآية: 8] أي: وزن الأعمال وهو مقابلتها بالجزاء والقضاء ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ [الآية: 8] أي: يوم السؤال وهو خبر/ مبتدأ الذي هو الوزن وقوله 281/ أ ﴿الْحَقُّ﴾ [الآية: 8] صفته أي: العدل السوي والأظهر أو هو الخبر ومعناه الثابت الصدق وما قبله ظرف له ومتعلق به والجمهور على أن صحائف الأعمال توزن بميزان له لسان وكفتان ينظر إليه الخلائق إظهاراً للمعدلة وقطعاً للمعذرة كما يسألهم عن أعمالهم مع علمه بتفاصيل أحوالهم فتعترف بها ألسنتهم وتشهد بها جوارحهم وقيل: يوزن أشخاصهم لما روي عنه عليه السلام وإنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة[1] لكن الظاهر المتبادر منه أنه ليس له قدر ومنزلة عنده سبحانه لا أنه يوزن له وقيل: توزن الأعمال بنفسها مع كونها أعراضاً بإيجادها وتقليبها أجساماً ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ [الآية: 8] أي: حسناته أو أعماله أو ما يوزن به أفعاله وجمعه باعتبار باختلاف الموزونات أو تعداد الوزنات فهو جمع موزون أو ميزان ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الآية: 8] أي: الفائزون بالنجاة والثواب.

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم﴾ [الآية: 9] أي: باقتراف ما عرضوها للعقاب ﴿بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الآية: 9] بسبب تكذيبهم بالكتاب وظلمهم على أنفسهم بإنكار الحساب.

قال الأستاذ: توزن أعمالهم بميزان الإخلاص وأحوالهم بميزان الصدق فمن كانت أعماله بالرياء مصحوبة لم يقبل أعماله ومن كانت أحواله بالإعجاب مشوبة لم ترفع أحواله.

وفي «دقائق الحقائق» للسلمي من وزن نفسه بميزان العدل كان من

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (4729)، ومسلم في الصحيح (2785/ 18).

المحبين ومن وزن خطراته وأنفاسه بميزان الحق اكتفى بمشاهدته والموازين مختلفة ميزان للنفس والروح وميزان للقلب والعقل وميزان للمعرفة والسر فميزان النفس والروح الأمر والنهي وكفتاه الكتاب والسُنَّة وميزان العقل والقلب الثواب والعقاب وكفتاه الوعد والوعيد وميزان المعرفة والسر الرضاء والسخط وكفتاه الهرب والطلب.

وفي «**نفائس العرائس**» للحق سبحانه موازين يزن بها الأعمال والأحوال فيزن بميزان الإخلاص المعاملات ويزن بميزان الصدق الحالات فكل عمل عمل برؤية الأغراض والأعواض ورؤية العمل والالتفات فيه إلى غير الله فهو ساقط عن محل القبول وكل حالة صاحبها يعجب بها فهي ساقطة عن درجة الوصول فالثبات ميزان المعاملات والصدق ميزان الحالات فمن هاهنا يزن
281/ب نفسه بميزان/ الرياضات والمجاهدات ويزن قلبه بميزان المراقبات ويزن عقله بميزان الاعتبارات ويزن روحه بميزان المقامات ويزن سره بميزان المحاضرات ومطالعة الغيبيات ويزن صورته بميزان المعاملات الذي كفتاه الحقيقة والطريقة ولسانه الشريعة وعموده العدل والإنصاف يوزن نفسه يوم القيامة بميزان الشرف ويوزن قلبه بميزان اللطف ويوزن عقله بميزان النور ويوزن روحه بميزان السرور ويوزن سره بميزان الوصول ويوزن صورته بميزان القبول فإذا ثقلت موازينه بما ذكرنا فجزاء نفسه الأمن من الفراق وجزاء قلبه مشاهدة الشوق في الأشواق وجزاء عقله مطالعة الصفات وجزاء روحه كشف أنوار الذات وجزاء سره إدراك أسرار القدميات وجزاء صورته الجلوس في مجالس وصال الأبديات وافهم يا صاحبي أن حكمة وزن الأعمال يوم القيامة للعباد أن الله يبين لهم ما كان مكتوباً في اللوح المحفوظ قبل الخلق مما يجري عليهم من القضاء والقدر والرضا والسخط والشقاوة والسعادة مقابلة ما جرى عليهم في الدنيا الذي في أوراق الحساب التي في أيدي الملائكة ليزيدهم برهاناً وعياناً وعلماً بعلمه المحيط على كل شيء أو ليكون حجة عليهم في إخراج أعمالهم على وفق ما كان مكتوباً عليهم وافهم يا صاحبي أن الأعمال أعراض كيف تكون موزونة ليس هذا في علم الخلق بل أن ميزانه

الحقيقي رده وقبوله وهو قادر على أن يخرج الأعراض بصور الجواهر فيزن بميزانه الذي يظهره لهم يوم القيامة وذلك على لسان الشرع يوجب الإيمان به قال ابن عباس يوزن الحسنات والسيئات في ميزان له لسان وكفتان فأما المؤمن فيؤتى بعلمه في أحسن صورة فيوضع في كفة الميزان فتثقل حسناته على سيئاته فيوضع عمله في الجنة فيعرفها بعمله فذلك قوله تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [الآية: 8] ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الآية: 8] وهم أعرف بمنازل لهم في الجنة إذا انصرفوا إليها من أهل الجمعة إذا انصرفوا إلى منازلهم وأما الكفار فيؤتى بأعمالهم في أقبح صورة فتوضع في كفة الميزان وهي الباطل فيخفف وزنه حتى يوضع في النار ثم يقال للكافر إلحق بعملك.

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية: 10] بأن سكنتم بها وتصرفتم فيها.

282/ أ وفي «**نفائس العرائس**» من الله على عباده بتمكينهم/ في الأرض بنعت تسهيل عبادته لهم حيث يسر لهم عبوديته بقدرة خلقها فيهم بعد أن كلفهم ذلك ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ﴾ [الآية: 10] جمع معيشة أي: أسباباً تعيشون بها.

وفي «**العرائس**» جعل فيها لأبدانهم معائش الغذاء ولقلوبهم معائش الذكر ولعقولهم معائش الفكر ولأرواحهم روح رؤية ظهور جلاله في ملكوت الأرض من كل زهرة وخضرة لعرفان المنعم القديم بنعت عجزهم في شكره ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [الآية: 10] ما زائدة لمبالغة القلة أي: تشكرون شكراً قليلاً ويسيراً فيما أنعمت عليكم جليلاً وكثيراً وهو لا ينافي قوله سبحانه ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: 13] أي: كثير الشكر فإن شكره مع كثرته قليل في مقابلة نعمته لقوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: 34] أي: لا تقدروا على إحصائها فضلاً عن القيام بشكرها ولذا قال بعض العارفين العجز عن الشكر هو الشكر كما قال بعضهم العجز عن درك الإدراك إدراك.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ [الآية: 11] أي: خلقنا أباكم آدم طيناً غير مصور ثم صورناه فنزل خلقه وتصويره منزلة خلق الكل وتصويره أو خلقناكم يا بني آدم في أصلاب الرجال ثم صورناكم في أرحام الأمهات أو صورناكم في

ظهر آدم أو يوم الميثاق حين أخرجكم كالذر فثم للتراخي في الأخبار.

ومن «**العرائس**» ﴿خَلَقْنَٰكُمْ﴾ أشباحكم جمعاً في آدم ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ في حواء أو ﴿خَلَقْنَٰكُمْ﴾ هياكل و﴿صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ أرواحاً وفي التعرف خلقنا أرواحكم ثم صورنا أشباحكم ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن﴾ [الآية: 11] أي: لم يكن في العالم الموجود أو في علم واجب الوجود ﴿مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الآية: 11] أي: مع أنه كان من المأمورين سواء كان الاستثناء متصلاً أو منقطعاً وقيل: لم يكن من أهل شهود الصفات ورؤية جلال الذات وأقول بل كان من مظاهر الجلال قضاء ومن كان من مظاهر الجمال.

وقال الأستاذ: أي أنبتناكم على النعت الذي أردنا وأقمناكم في الشواهد التي اخترنا فمن قبيح صورته خلقاً ومن منيح وسقيم حالته خلقاً ثم إنا نعرفكم سابق أيادينا إلى أبيكم ثم لاحق خلافه بما بقي عرق منه فيكم ثم ما عاملنا به من كان يحسدكم ويناديكم ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الآية: 12] أي: تسجد كما في ص ولا صلة مؤكدة معنى النفي الذي دخلت عليه ومنبهة على أن الموبخ عليه ترك السجود والأظهر في مقام/ التحقيق وبيان التدقيق ما قيل من أن الممنوع 282/ب
عن الشيء مضطر إلى خلافه فكأنه قيل: ما أحوجك إلى عدم السجدة وما حملك على تركها ﴿إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ [الآية: 12] بها وفيه دليل على أن مطلق الأمر للوجوب على الفور.

وقال الأستاذ: ولولا قهر الربوبية جرى عليك وإلا فما موجب امتناعك عن سجود آدم عليه السلام لو كنت تعظم أمري فليتحقق الموجودون أن موجب امتناعه عن السجود الخذلان الحاصل ولو ساعده التوفيق لم يبرح بعد من السجود انتهى.

وقد قال نديم الباري الشيخ عبد الله الأنصاري: إلهي قلت لآدم لا تأكل وأطعمته وقلت لإبليس اسجد ومنعته قلت: فالأمر كله لله ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وقال العارف البقلي: أدخل عشاق المحبة من الملائكة في مقام المحنة

لكنه تجلى لهم بنور جماله وكماله في آدم فسجدوا ولم يسجد إبليس لأنه كان محجوباً من ذلك الجمال بنظره إلى نفسه وقياسه بجهله وكذا من نظر من الحق إلى النفس احتجب بها عن حضرة القدس ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾ [الآية: 12] جواب من حيث المعنى يعلم منه المانع في المبنى واستأنف استبعاد أن لا يكون مثله مأموراً بالسجود لمثله كأنه قال المانع أني خير منه ولا يحسن للفاضل أن يسجد للمفضول فكيف يحسن أن يؤمر به فهو الذي سن التكبر وقال بالحسن والقبح العقليين أولاً حيث قابل النص بالمعقول وقد أخطأ برأيه في قياسه واستدلاله حيث قال: ﴿خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾ [الآية: 12] والنار ألطف وأنور فإنّ من الطين الحلم والوقار والرزانة والصبر وهو محل النبات والنمو ومن النار الإهلاك والطيش والسرعة والرفعة ومع هذا غلط في نظره أيضاً بأن رأى الفضل كله باعتبار العنصر وغفل عما يكون باعتبار الأمر وذهب عنه أن مظهر الجمال أفضل من مظهر الجلال لقوله سبحانه في الحديث القدسي والكلام الأُنسي سبقت رحمتي غضبي[1] وفي رواية غلبت.

وأفاد الأستاذ: أنه ادعى الخيرية فكان الواجب عليه لولا الشقوة أن يؤثر التذلل على التكبر لا سيما الخطاب الوارد عليه من الحقيقة ثم إنه وإن سلك طريق القياس فلا وجه له مع النص فلو لم يخطئ في قياسه لم يزد في استحقاق محوه ونفيه لأنه ادعى الخيرية بجوهره ولم يعلم أن الخيرية بحكمه سبحانه وقسمه/ . 283/ أ

وقال أبو حفص: عرف الله سبحانه الملائكة استغناءه عن عبادتهم فقال: ﴿ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ﴾ [الآية: 11] ولو كان سجودهم يزن عنده مثقال ذرة لما أمرهم بذلك ولا صرف وجوههم إلى آدم فإن سجود الملائكة وسجود جميع الخلق لا يزيد في ملكه لأنه عزيز قبل أن يخلقهم وعزيز بعد أن يغنيهم وعزيز حين يبعثهم وله العزة جميعاً ثم عيّر إبليس بامتناعه عن السجود لآدم وقلة عرفانه بشرفه حيث قال ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ﴾ [الآية: 12] أي: أي شيء يمنعك من متابعة أمري

(1) سبق تخريجه.

ولم يبق في البين غيري أي: يمنعك من ذلك قهر سابق مني عليك وخذلان وارد في المشيئة متوجه إليك وإلا فمن الحدثان بامتناعها عن متابعة أمري وليس لها قدرة ولا مشيئة وكلها عاجزة في قبضة قهري ومن سبق له الشقاء من العباد لا يسبق بالمراد وإن كان جميع عبادة الثقلين مصحوبة معه في استياقه إلى الحضرة.

وقال الواسطي: من استصحب كل نسك في الدنيا والآخرة، والجهل وطنه والاعتراض غرضه والبعد من الله سببه لا تقرب منه لأن العبادات تقطع عن الرعايات ورؤية النسك رؤية الأفعال والنفوس ولا تقريب على الله أشد ممن طالع نفسه بعين الرضا فلما كلم الله إبليس بكلام التعيير وقهر السلطنة ألبسه من خطابه قدره في الجواب ولولا إلباس الحق إياه لكان مبهوتاً عند وارد قهر الخطاب عليه ولم يطق بجواب الأمر ولكن أجابه إجباراً لا اختياراً وذلك قوله ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾ [الآية: 12] لما رأى الملعون لباس قهر الخطاب عليه لا يفوته أنا ولولا ذلك لما قال أنا وأين أنانيته وكان هباء في أنانيته الحق ونظر الملعون إلى جوهر النار الصادر من قهر القدم فانتسب إلى قهر القدم وقال: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾ [الآية: 12] ولم ينظر بنظر المعرفة إلى الطين الذي صدر من لطف القدم والرحمة الأزلية فالنار من غضبه والطين من رحمته والرحمة سابقة على الغضب للحديث القدسي سبقت رحمتي غضبي(1) فنظر إلى صفة واحدة ولم ينظر إلى صفة أخرى واحتجب بالصفة عن الصفة
فقال: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾ [الآية: 12] ولو رأى مصدر جميع الصفات/ لذاب تحت 283/ب
رؤية الكبرياء وأنوار العظمة ولم يكن بعد فناء أبداً لأن من عرف وصف القدم صار عدماً في القدم وأين النار من الطين الذي هو مفيض فيض ألطاف العزة مخلوق يد الصفة الخاصة بقوله ﴿خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [ص: 75] ومسقط الأرواح التي صدرت من تجلي القدس بقوله ﴿وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر: 29] وذلك محل التواضع والعبودية الخالصة ومنبت أجسام الأنبياء والرسل والأولياء والصديقين ومنبت أغذية الخلائق ومرجع الكل وهو موثقة الأجسام والأرواح في العالم ليخرج منه سنابك القدس بمجالس الأنس والنار عذاب قهره يجازي بها من خلقه

(1) سبق تخريجه.

ناريًا كإبليس وجنوده.

﴿قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا﴾ [الآية: 13] من الجنة أو السماء أو منزلتك أو هيئتك ﴿فَمَا يَكُونُ﴾ [الآية: 13] أي: ما يستقيم ويصح ﴿لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ [الآية: 13] وتعصي بها فإنها مكان الخاشع الخاضع ومنزلة الطائع المتواضع ﴿فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ [الآية: 13] أي: الأذلاء المهانين لما في الحديث من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله[1].

قال الأستاذ: أي فارق بساط القربة فإن التكبر والترفع على البساط ترك الأدب في مقام الانبساط وترك الأدب يوجب الطرد عن الباب ويقال من رأى لنفسه محلاً وقيمة فهو متكبر والمتكبر بعيد من الحق سبحانه ورؤية المقام قدح في الربوبية إذ قدر لغيره تعالى ممن ادعى لنفسه محلاً فقد نازع الربوبية وفارق العبودية.

﴿قَالَ أَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ [الآية: 14] أي: أمهلني إلى يوم القيامة ووقت بعثة البرية فضمير يبعثون عائد على ما دل عليه المعنى إذ ليس ما يعود إليه شيء في المبنى ولا يبعد أن يراد به آدم وذريته بل هو الظاهر لما سيأتي من ضمير ﴿لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ﴾ [الآية: 16] ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ﴾ [الآية: 15] إلى يوم الوقت المعلوم كما في آية أخرى وهو النفخة الأولى أو وقت يعلم الله انتهاء أجله فيه وفي إسعافه إليه ابتلاءً للعباد وتعريضهم للثواب بمخالفته في المعاد.

وأفاد الأستاذ: أن الملك المتعال أجاب دعاءه في الحال ولكن كان ذلك مكراً به لأنه مكنه من مخالفة أمره إلى يوم القيامة فلم يزدد بذلك التمكين إلا شقوة على شقوة ليعلم الكافة أنه ليس كل إجابة الدعوة نعمة ولطفاً بل يكون بلاءً ومكراً قلت: ولهذا قال بعض العارفين لو كان نظر عنايته/ سبحانه إليه لقال في سؤاله لديه انظر لي ولم يقل أنظرني وفي الحديث 284/أ
أحيني ما كانت الحياة خيراً لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي واجعل

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (5/ 139) رقم (4894).

الحياة زيادة لي في كل خير واجعل الموت راحة لي من كل شر(1).

﴿قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي﴾ [الآية: 16] أي: بعدما أن أمهلتني فاقسم بسبب إغوائك إياي بواسطتهم لاجتهدن في إغوائهم بأي طريق يمكنني فيهم وهذا معنى قوله: ﴿لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ﴾ [الآية: 16] ترصداً بهم كما يقعد القطاع للسابلة ﴿صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الآية: 16] أي: في طريقك القويم أو على سبيلك القديم.

وأفاد الأستاذ: أنه جاهر الحقيقة بالخلاف بعدما أظهر من نفسه الخلوص في العبودية فعلم أن جميع ما كان عنده في سالف حاله لم يصدر عن إخلاص وصدق.

وفي «العرائس» هاهنا قسم أي: بإرادتك السابقة في إغوائك إياي ﴿لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الآية: 16] كما قال ﴿فَبِعِزَّتِكَ﴾ [ص: 82] أي: بما ألبستني لباس قهرك في الأزل أقدر أن أقعد في طريقهم المستقيم وإلا فلا أقدر أن آمرهم في ذرى العالم أي: بقوة قهرك أوسوس في صدورهم التي هي طريقك المستقيم الذي يسلك فيه عساكر أنوار تجليك وفي قوله لهم نكتة عجيبة أي: لأقعدن لهم لا عليهم فإن وسوستي لهم تزيد تشوفهم عند إخسائي عن صدورهم بنعت إياسي عن الظفر بهم ويتصرح هناك إيمانهم وإيقانهم عن نعوت الاضطراب وطوارق علة الوساوس وغبار الشك ألا ترى إلى قوله عليه السلام حين شكا أصحابه عما وجدوا في صدورهم من الوسوسة فأشار عليه السلام بقوله ذاك صريح الإيمان(2).

وقال محمد بن عيسى الهاشمي: لو نجا إبليس بشيء لنجا برؤية القدرة عليه والإقرار على نفسه بقوله ﴿رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي﴾ [الحجر: 39] وقال بعضهم إبليس أعقل من المعتزلي حيث قال ﴿رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾.

﴿ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ﴾ [الآية: 17] أي: من قبل آخرتهم فأشككهم فيها

(1) سبق تخريجه.

(2) أخرجه مسلم في الصحيح (132/ 209)، والبيهقي في شعب الإيمان (1/ 303) رقم (343)، وابن حبان في الصحيح (1/ 361) رقم (148).

﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ [الآية: 17] أي: من قبل دنياهم فأزين لهم أعمالهم ﴿وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾ [الآية: 17] من جهة حسناتهم وسيئاتهم ولم يقل من فوقهم لأن رحمة الله تنزل منه ولم يقل من تحتهم لأن الإتيان منه فيه توحش وهو لا يريد إلا اغترارهم لا توحشهم وفرارهم وهذا التفسير مأثور عن ابن عباس رضي الله عنهما وعدي الفعل إلى الأولين بحرف الابتداء لأنه منهما يتوجه إليهم/ وإلى 284/ ب
الآخرين بحرف المجاورة فإن الآتي منهما كالمنحرف عنهم المار على عرضهم.

وأفاد الأستاذ: أنه أخبر بأنه يأخذ عليهم جوانبهم ويتسلط عليهم من جميع جهاتهم ولم يعلم أن الحق سبحانه قادر على حفظهم عنه فإن ما يكيدهم من القدرة يحصل وبالمشيئة يوجد ولو كان الأمر به أو إليه لكان أولى الخلق بأن يؤثر فيه كدحة نفسه فحيث لم ينفعه جهده في سالف أحواله لم يضرهم كيده بما توعدهم به من سوء أفعاله.

وفي «**نفائس العرائس**» من بين أيديهم من جهة النفس والهوى ومن خلفهم من جهة الشهوة والمني وعن إيمانهم من طريق الدعوى وعن شمائلهم من طريق إظهارهم الشكوى في البلوى أو من بين أيديهم من طريق الطاعات ومن خلفهم من طريق رؤية الأعواض وعن أيمانهم من طريق العلم وعن شمائلهم من طريق الجهل أو من بين أيديهم من طريق القلب ومن خلفهم من طريق العقل وعن إيمانهم من طريق الروح وعن شمائلهم من طريق النفس ولم يذكر الفوق والتحت لأن التحت موضع الفناء في العبودية عن السجود الذي يوجب القربة وذلك السجود شهود والشهود محل رعاية الحق ولا يقدر أن يمر على باب رعايته أحد دونه والفوق محل الكشف والمشاهدة ووارد التجلي وظهور سبحات وجه القدم ولو دنا منه جميع الشياطين من الثرى إلى الثريا بقدر رأس إبرة لاحترقوا في أقل لمحة.

وقال الشبلي: لم يقل من فوقهم ومن تحتهم لأن الفوق نظر الملك إلى قلوب العارفين والتحت موضع الساجدين وموضع نظره وموضع عبادتهم لا يكون للشيطان هناك موضع ولا فيه طريق أقول ولا يبعد أن يقال لم يقل من

فوقهم لأن الله سبحانه لم يجعل له استيلاءً عليهم واستعلاءً لديهم لقوله سبحانه ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَـٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: 141] ولم يقل من تحتهم لتكبره عليهم وأنفته لديهم أن يكون من تحتهم.

وقال أبو عثمان المغربي: إنّ الشيطان يأتي الإنسان من بين يديه بالأماني والكرامات ومن خلفه بالبدع والضلالات وعن يمينه بالطاعات من غير المراعاة ومن يساره بالكفر وسائر السيئات ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَـٰكِرِينَ﴾ [الآية: 17] وإنما قاله قياساً وظناً لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾ [سبأ: 20]
لما رأى فيهم مبدأ الشر متعدداً ومبدأ الخير/ واحداً وقيل سمعه من الملائكة وهم 285/ أ
رأوا في اللوح المحفوظ قوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: 13] فأخذ بمفهومه وقال بعض العارفين فالأكثر من هلك بإطاعته والأقل من أدركته السعادة فنجا من ضلالته وشقاوته.

﴿قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا﴾ [الآية: 18] أي: مذموماً كما قرىء به من ذاته إذا ذمه ﴿مَّدْحُورًا﴾ [الآية: 18] مطروداً عن بابه مبعوداً عن جنابه.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أخرجه من درجته ومن حالته ورتبته ونقله إلى مقام طرده ولعنته ثم يخلده أبداً في عقوبته ولا يذيقه ذرة من برد رحمته فأصبح وهو مقدم على الجملة وأمسى وهو أبعد من الزمرة وهذه آثار قهر العزة فأي كبد يسمع هذه القصة ثم لم يتفتت من هذه القصة ﴿لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ [الآية: 18] اللام لتوطئة القسم وجوابه الساد مسد جواب الشرط قوله ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الآية: 18] أي: علمي منك ومنهم نقلب المخاطب لأنه رئيسهم وفي مقام التلبيس إبليسهم.

﴿وَيَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ [الآية: 19] أي: كلا رغداً ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ [الآية: 19] أي من بين أشجارها ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [الآية: 19] فتصيرا من الذين ظلموا وهل يحتمل الجزم على العطف والنصب على الجواب والثاني هو الأقرب إلى الصواب.

وقال الأستاذ: لما أسكن آدم الجنة خلق معه سبب الفتنة وهو ما أكرمه

به من الزوجة وأي: نقص كان يكون في الجنة لو لم يخلق فيها تلك الشجرة التي هي شجرة المحنة لولا ما أخفي من سر القسمة.

﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الآية: 20] كما سبق في البقرة والمعنى فعل الوسوسة لأجلها أو أوقع حديث النفس وحكاية الشهوة إليهما.

وأفاد الأستاذ: أن نسبة ما حصل منهما إلى الشيطان من أمارات العناية لهما حيث كانت الخطيئة منهما لكن قال تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الآية: 20] ويقال: التقى آدم عليه السلام إبليس بعد ذلك فقال له يا شقي وسوست إليّ وفعلت وفعلت فقال إبليس يا آدم هب أني كنت إبليس فمن كان إبليسي قلت وقد ورد في حديث إشارة إلى هذا المعنى حيث قال ﷺ فمن أعدى الأول ﴿لِيُبْدِيَ﴾ [الآية: 20] أي ليظهر ﴿لَهُمَا مَا وُۥرِيَ﴾ [الآية: 20] غطي وستر ﴿عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا﴾ [الآية: 20] عوراتهما بلباس الجنة عليهما وكانا لا يريانها من أنفسهما ولا أحدهما/ من الآخر. 285/ ب

وقال الأستاذ: فيه دلالة على عناية بهما حيث قال ليبدي لهما فلم يطلع على سوآتهما غيرهما ﴿وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الآية: 20] أي: قربانها أو أكلها ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَا﴾ [الآية: 20] أي: كراهة أي: تصيرا ﴿مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا﴾ [الآية: 20] كملكين من الملائكة المقربين ﴿مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾ [الآية: 20] الذين لا يموتون أو من الدائمين في الجنة لا تخرجون وإنما كانت رغبتهما في أن يحصل لهما أيضاً ما للملائكة من الكمالات الفطرية والقوة الزائدة والاستغناء عن الأطعمة والأشربة وذلك لا يدل على فضلهم على آدم عليه السلام في الجملة.

وقال الأستاذ: تاقت أنفسهما إلى أن يكونا ملكين لا لأن رتبة الملائكة كانت أعلى من رتبة آدم ولكن لانقطاع الشهوات والمني عنهما ويقال: لما طمعا في الخلود وقعا في الخمود ووقعا في البلاء والعناء ويقال: إذا كان الطمع في الجنة وهي دار الخلد والبقاء أوجب على تلك المحن فالطمع في الدنيا التي هي دار الفناء متى يسلم صاحبه من الفتن ويقال: يحتمل أنهما ركنا إلى الخلود لا لنصيب أنفسهما ولكن لأجل البقاء مع ربهما وهذا أولى

لأنه يوجب تنزيه محل النبوة عن المقام الأدنى وقيل: ساعات الوصال قصيرة وأيام الفراق طويلة فما لبثنا في دار الوصلة إلا بعضاً من النهار دخلا ضحوة النهار وخرجا نصف النهار ويقال: أن الفراق عين تصيب أهل الوصلة وفي معناه قال قائلهم:

إن تكن عين أصابتك فلا زالت العين تصيب الحسنا[1]

ويقال: حين تم لهم أسباب الوصلة ووطنا نفوسهما على دوام القربة بدا الفراق من مكامنه فأباد من شملهما ما انتظم كما قيل:

حين تم الهوى وقلنا سررنا وحسبنا من الفراق أن أمنّا

بعث البين رسله في خفاء فأبادوا من شملنا ما جمعنا[2]

﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الآية 21] أي: اقسم لهما أني من الناصحين لكما وصيغة المبالغة للمبالغة فهو كقولهم اللّهم شاركنا في دعاء الصالحين ﴿فَدَلَّىٰهُمَا﴾ [الآية 22] أي: خدعهما فنزلهما عن علو منزلتهما إلى رتبة سافلة فدلاهما ﴿بِغُرُورٍ﴾ [الآية 22] بما غرهما به من القسم لهما فإنهما ظنا أن أحداً لا يحلف بالله كذباً وقد ورد/ المؤمن عز كريم والفاجر خب لئيم. 286/أ

وأفاد الأستاذ: أن حسن ظن آدم على الجملة حمله على سكون قلبه إلى يمين العدو لأنه لم يخطر بباله أن يكذب في يمينه بالله ثم لما بان له أنه دلاهما بغرور تاب إلى الله بصدق الندم واعترف بأنه أساء واحترم فعلم الله صدقه فيما قدم فتداركه بجميل العفو والكرم ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ﴾ [الآية 22] أي: وجدا طعمها وشرعا في أكلها وابتدأت لذة شهواتهما ﴿بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا﴾ [الآية 22] أي: أخذتهما ملامة العقوبة وشآمة المعصية وتساقط عنهما كسوتهما وظهرت لهما عوراتهما.

وأفاد الأستاذ: أنه لم يحصل لهما استيفاء من الأكل بها ولا استمتاع به

(1) ذكره القشيري في تفسيره (2/ 354) وعنده اللفظ:

إن تكن عين أصابتك فما إلا لأنّ العين تصيب الحسنا

(2) ذكره القشيري في تفسيره (2/ 354).

للنفس منها حتى ظهر تباشير العقاب وتنغص الحال من جميع الأبواب وكذا صفة من آثر على الحق سبحانه شيئاً يبقيه عنه بلا امتناع ولا يكون له بما آثر إمتاع ويقال: لما بدت لهما سوآتهما احتالا في سترهما ﴿وَطَفِقَا﴾ [الآية 22] أخذا أو شرعا ﴿يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الآية 22] أي: يرقعان ورقة فوق ورقة على سوآتهما من أوراق أشجار الجنة التي كانت بقربهما.

قال الأستاذ: فبعد ما كانت كسوتهما حلل الجنة ظلّا يستتران بورق الجنة كما قيل:

لله دَرُّهُم من فتية بكروا مثل الملوك وأراحوا كالمساكين[1]

وأنشدوا:

لا تعجبوا لمذلتي فأنا الذي عبث الزمان بمهجتي فأذلها[2]

ثم إن آدم عليه السلام رضي بأن يساعده الإمكان في الاستتار بورقة وكانت الأشجار تتطاول من آدم برفعه وتأبى أن يأخذ آدم منها حبة وقبل ذلك كان يلاحظ الجنة وكان يتيه على الكون بأسره في الجملة فصار كما قيل:

وكانت على الأيام نفسي عزيزة فلما رأت صبري على الذل ذلت[3]

وكان لا تصل يده إلى الأوراق حين أراد قطافها ليخصفها على نفسه فلو لم تصل يده إلى تلك الشجرة التي هي شجرة المحنة لكان ذلك في شأنه من المنحة ولكن وصلت يده إلى شجرة المحنة تتمة للبلاء والفتنة ولم تصل/ يده 286/ ب
إلى شجرة الستر إبلاغاً في القهر لما خالف الأمر وناداهما ربهما قائلاً لهما ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الآية 22] ﴿وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الآية: 22] كما قال تعالى في [سورة] طه: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا فِيهَا

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 42).
(2) ذكره القشيري في تفسيره (2/ 355).
(3) نسب إلى عبد الله بن المعتز. انظر: التذكرة الحمدونية (2/ 24).

﴿وَلَا تَضۡحَىٰ﴾ والمقصود أن هذا عتاب على مخالفة النهي لهما وتوبيخ على الاغترار بقول العدو فيهما.

وقال الأستاذ: وكان ما داخلهما من الخجالة أشد من كل عقوبة لو كانت في الغيبة عن سماع نداء الحضرة فإن الحضور يوجب الهيبة فلما ناداهما بالعتاب حل بهما من الخجل ما حل في باب ذلك الجناب وفي معناه أنشدوا:

واخجلتا من وقوفي وسط دارهم إذ قال لي مغضباً من أنت يا رجل[1]

قالا: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا﴾ [الآية: 23] بكسب المعصية التي هي سبب خروج من الجنة.

وقال الحسين: الظلم هو الاشتغال عنه بغيره على وجه الغفلة ﴿وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا﴾ [الآية: 23] بقبول التوبة ومحو السيئة ﴿وَتَرۡحَمۡنَا﴾ [الآية: 23] بالحفظ والعصمة ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الآية: 23] الهالكين في مقام الحسرة وحالة الحيرة.

وأفاد الأستاذ: أنهما اعترفا بالظلم جهراً وعرفا الحكم في ذلك سراً فقولهما ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا﴾ [الآية: 23] اعتراف من حيث الشريعة والعرفان فإن المدار على الحكم من حيث الحقيقة فمن لم يعترف بظلم الخلق طوى الشريعة ومن لم يعرف جريان حكم الحق فقد جحد الحقيقة ثم نطقا بقوله: ﴿وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الآية: 23] عن عين الطريقة حيث لم يقولا بظلمنا خسرنا بل قالا فعلنا ما فعلنا وإن لم تغفر لنا خسرنا فبترك غفرانك نخسر لا بارتكاب ظلمنا يعني لأن وجود فعلنا كالعدم في جنب كرم القدم ﴿قَالَ ٱهۡبِطُواْ﴾ [الآية: 24] الخطاب لآدم وحواء وما اشتملا عليه من البنات والأبناء ﴿بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞ﴾ [الآية: 24] أي: حال كونكم متعادين في مقام البلاء وحالة العناء.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أهبطهم ولكن إبليس أهبط عن رتبته فوقع في

(1) ذكره القشيري في تفسيره (2/ 355)، (4/ 359).

اللعنة وآدم أهبط عن بقعته فتداركته الرحمة ويقال لم يخرج آدم عن رتبة الفضيلة وإن أخرج عن دار الكرامة ويدل عليه قوله ﴿ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾ [طه: 122] وأما إبليس فإنه أخرج من الحالة والرتبة ولم ينتعش قط عن تلك السقطة.

﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ﴾ [الآية: 24] أي: مقر أو قرار ﴿وَمَتَٰعٌ﴾ [الآية: 24] أي: تمتع بلا مدار/ ﴿إِلَىٰ حِينٖ﴾ [الآية: 24] أي: حين انقضاء آجالكم وانتهاء 287/أ
أعمالكم ثم ترجعون إلينا وتحاسبون لدينا والعود أحمد لمن في كل حال يحمد.

وأفاد الأستاذ: أن آدم عليه السلام لما أخرج من الجنة وأسكن أرض المحنة كلف العمل والسقي والزرع والغرس للمعيشة وكان لا يتجدد حاله إلا تجدد بكاؤه وجبريل عليه السلام يأتيه ويقول: هذا الذي قيل لك قبل ذلك ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ﴾ [طه: 118] فلم تعرف قدره وقدر حالك فذق قضايا خلافك وكان يسكن عن الجذع ويقابل الحكم بأن يخضع كما قيل:

فجاشت إليّ النفس أول مرة وزيدت على مكروهها فاستقرت[1]

﴿قَالَ فِيهَا تَحۡيَوۡنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ﴾ [الآية: 25] ﴿وَمِنۡهَا تُخۡرَجُونَ﴾ [الآية: 25] يوم القيامة للمجازاة على وجه المعدلة وقرأ ابن ذكوان وحمزة والكسائي بصيغة المعلوم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أخبر أنهم يستقبلهم في الدنيا اختلاف الأحوال ويتفاوت عليهم تفاوت الأطوار فمن يسر ومن عسر ومن خير ومن شر ومن حياة ومن موت ومن ظفر ومن فوت.

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا﴾ [الآية: 26] أي: خلقناه لكم بتدبيرات إلٰهية وأسباب سماوية ﴿يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ﴾ [الآية: 26] يغطي عوراتكم التي قصد الشيطان إبداؤها واحتاج والداكم إلى خصف الورق لموجب إخفاءها روي أن العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة ويقولون: لا نطوف بثياب عصينا الله فيها فنزلت ولعل ذكر قصة آدم تقدمت لذلك وتوطئة لما هنالك حتى يعلم أن انكشاف العورة أول

(1) نسب إلى عمرو بن معديكرب. انظر: الحيوان (2/ 86)، والحماسة البصرية (1/ 1).

سيئة أصابت الإنسان من الشيطان وأنه أغواهم كما أغوى آباهم ﴿وَرِيشًا﴾ [الآية: 26] أي: ولباساً خاصاً مما تتجملون به في الأحوال من الريش وهو الجمال والمراد به ثياب الزينة زيادة على ستر العورة ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [الآية: 26] أي: خشية الله وهو حلل المعنى ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الآية: 26] لاشتماله على ذلك المبنى وقرأ المكي والبصري وعاصم وحمزة برفع لباس على أنه مبتدأ خبره جملة ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 26] أي: ما ذكر من إنزال اللباس والريش والتقوى ﴿مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 26] أي: الدالة على فضله ورحمته ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الآية: 26] أي: يتعظون بموعظته أو يعرفون قدر نعمته.

287/ب وقال الأستاذ:/ سترناكم بالأسباب الظاهرة المنافع وسيرنا لكم ما تدفعون بها صنوف المضارِّ عنكم بما مكناكم من وجوه المنافع ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [الآية: 26] ذلك خير فإن لباس الظاهر يقي آفات الدنيا ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [الآية: 26] يصون عن الآفات التي توجب سخط المولى فلباس التقوى بجميع أجزاء العبد وأعضائه وللنفس لباس من التقوى وهو بذل الجهد والورع وللقلب لباس من التقوى وهو صدق القصد ينفي الطمع وللروح لباس من التقوى وهو ترك العلائق وحذف العوائق وللسر لباس من التقوى وهو نفي المساكنات والتصاون من الملاحظات ويقال تقوى العابدين ترك الحرام وتقوى العارفين نفي مساكنة الأنام ويقال للعوام وجود التقوى وللخواص التقوي عن شهود التقوى.

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الآية: 27] لا يضلنكم بأن يمنعكم دخول الجنة بإغوائكم ﴿كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الآية: 27] كما فتنهما فأخرجهما مما كانا فيه من النعمة والنهي في المبنى للشيطان وفي المعنى نهيهم عن اتباعه والافتتان به ينزع ﴿يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ﴾ [الآية: 27] من فاعل أخرج والإسناد إليه للتسبب.

وأفاد الأستاذ: أن من أصغى إلى وساوس نفسه بأسماع الهوى وجد الشكلية بين وساوس الشيطان وهواجس النفس فيتناصر الوسواس والهواجس فتصير خواطر القلب وزواجر العلم مغمورة مقهورة فعن قريب تستميل تلك

الوساوس والهواجس صاحبها وينخرط في مسلك موافقة الهوى فيسقط في مهواة الزلة فإذا لم يحصل تدارك يوشك التوبة صارت الحالة قسوة والقلب إذا قسا فارقته الحياة وتم له البلاء ﴿إِنَّهُۥ﴾ [الآية: 27] أي: الشأن أو الشيطان ﴿يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ﴾ [الآية: 27] جنوده ﴿مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الآية: 27] تعليل للنهي عن متابعته وتأكيد للتحذير من فتنته فإن عدواً يراك ولا تراه لشدة مؤنته لا تغلب عليه إلا بنصرة الله ومعونته.

وأفاد الأستاذ: أنه لا يحصل للعبد احتراس من رؤية الشيطان إياه وهو عنه غائب إلا برؤية العبد الحق سبحانه بقلبه فيستغيث إليه من كيده فيدخله/ 288/أ
في كنف عنايته وحض حمايته فيجد الخلاص من حيلة الشيطان ومكره ﴿إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ﴾ [الآية: 27] أحباء ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية: 27] لما أوجدنا بينهم من المناسبة والمشاكلة والآية فذلكة القصة ونخبة الحكاية.

﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً﴾ [الآية: 28] فعلة متناهية في القباحة كعبادة الصورة وكشف العورة ﴿قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ [الآية: 28] حيث اعتقدوا أن فعل آبائهم مستند إلى أمر من الله وشرع لهم ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ [الآية: 28] فلا يجوز فيه تقليد الآباء لأن عادته سبحانه جرت على الأمر بمحاسن الأفعال والحث على مكارم الأخلاق والأحوال ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 28] إنكار متضمن للنهي عن الافتراء وعلى ما يترتب عليه من تقليد الآباء.

قال الأستاذ: استروحوا في التعلل إلى سلوكهم نهج أسلافهم فاستمسكوا بحبل واهٍ فزلت بهم أقدام العزة ووقعوا في وهدة المحنة.

﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِ﴾ [الآية: 29] بالعدل وهو التجافي عن طرفي الإفراط والتفريط والثبات على التوسيط مما أمر به الأنبياء ومرّ عليه الأصفياء.

قال الجنيد: أمر بحفظ السريرة وعلو الهمة وأن ترضى بالله عما سواه.

وأفاد الأستاذ: أن القسط العدل وقيع ذلك في حق الله وفي حق الخلق وفي حق نفسك فالعدل في حق الله الوقوف على حد الأمر من غير تقصير في المأمور به ولا إقدام على المنهي عنه ثم أن لا تدخر عنه شيئاً مما خولك ثم

لا تؤثر عليه شيئاً مما ملكك وأما مع الخلق فعلى لسان العلم بذل الإنصاف وعلى موجب الفتوة ترك الانتصاف وأما في حق نفسك فإدخال العنف عليها وسد أبواب الرحمة بكل وجه إليها والنهوض على عموم الأحوال في كل نفس بخلافها ﴿وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ﴾ [الآية: 29] أي: توجهوا بذواتكم إلى عبادته مستقيمين غير عادلين عنها إلى غيرها ﴿عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الآية: 29] في وقت كل سجود أو مكانه وهو الصلاة ﴿وَٱدْعُوهُ﴾ [الآية: 29] اعبدوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ
ٱلدِّينَ﴾ [الآية: 29] الطاعة والعبادة والدعوة فإن إليه مصيركم يوم القيامة/ ولا تقبل 288/ ب
عبادة إلا إذا كانت موافقة للشريعة وخالصة عن الرياء والسمعة قيل الإخلاص دوام المراقبة وملازمة المحاسبة ونسيان الحظوظ في حالة المشاهدة.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة منه إلى استدامة المشاهدة في كل حالة وأن لا ينساه لحظة في كل ما يأتيه ويذره ويقدمه ويؤخره ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ﴾ [الآية: 29] أنشأكم ابتداءً ﴿تَعُودُونَ﴾ [الآية: 29] إليه انتهاءً كما بدأكم بإيجادكم وإنشائكم تعودون إلينا بعد موتكم وفنائكم فنجازيكم على أعمالكم بحسب أحوالكم وقيل كما بدأكم من التراب تعودون إليه في هذه الباب وقيل: كما بدأكم حفاة عراةً غرلاً تعودون حالاً وقيل؛ كما خلقكم مؤمناً وكافراً يعيدكم موقناً ومكابراً ويبينه قوله:

﴿فَرِيقًا هَدَىٰ﴾ [الآية: 30] بأن وفقهم للإيمان والعرفان ﴿وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَـٰلَةُ﴾ [الآية: 30] ثبت عليهم العصيان والنكران بمقتضى القضاء السابق والقدر اللاحق.

قال النوري: يجري عليكم في الأبد كما قضينا عليكم في الأزل ﴿إِنَّهُمُ﴾ [الآية: 30] أي: الفريق الثاني فإن الفريق الأول اتخذوا الله ولياً وأما الذين ﴿ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 30] فيتبعونهم ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الآية: 30] فيما يتخذونهم.

وأفاد الأستاذ: أن من كانت قسمته له سبحانه وتعالى له السعادة كانت فطرته على السعادة ومن كانت فطرته على السعادة كانت حالته بنعت السعادة

ومن كانت حالته بنعت السعادة كانت عاقبته إلى السعادة ومن كانت له القسمة بالعكس فالحالة بالضد قال ﷺ من كان بحالة لقي الله بها وجملة العلم بالقضاء والقدر أن يتحقق أنه علم ما يكون أنه كيف يكون وكما علم الحادثات أن يكون أراد أن يكون كما علم أن يكون وما علم أنه لا يكون فما جاز أن يكون أو أراد أن لا يكون وكما أراد أن يكون أو لا يكون أخبر أنه يكون أو لا يكون وعلى الوجه الذي أخبر وقضى على العبد وقدر ما جرى عليه ما سبق به الحكم وعلى ما قضى عليه حصل العبد على ذلك الوصف.

289/ أ ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ﴾ [الآية: 31] / ثيابكم التي تستر عورتكم ﴿عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ [الآية: 31] لطواف أو صلاة ومن السُنَّة أن يكون الرجل حالة الصلاة في أحسن هيئة وأفاد الأستاذ أن لسان العلم يوجب ستر العورة في الصلاة وعلى موجب الإشارة زينة العبد بحضور الحضرة ولزوم الشدة واستدامة شهود الحقيقة ويقال زينة نفوس العابدين آثار السجود وزينة قلوب العارفين أنوار الوجود فالعابد على الباب بنعت العبودية والعارف على البساط بحكم الحرية فشتان بين عبد وبين عبد في القضية ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ﴾ [الآية: 31] ما طاب لكم ﴿وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ﴾ [الآية: 31] بالتعدي إلى الحرام أو بإفراط الطعام أو بتحريم الحلال وتحليل الحرام وعن ابن عباس كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان سرف ومخيلة أي: ما دام تقدم ولا تجد فيك الخصلتين اللتين هما السرف في الأكل والخيلاء في اللبس.

وقال علي بن الحسين بن واقد: جمع الله الطب في نصف آية فقال ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ﴾ [الآية: 31] ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [الآية: 31] المتعدين حده في حلال وحرام.

وأفاد الأستاذ: أن الإسراف ما تناولته ولو بقدر سمسمة ويقال الإسراف هو التعدي عن حد الاضطرار فيما يتضمن نصيباً لك أو خطأً بأي وجه كان.

﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 32] من الثياب وسائر ما أبيح لكم في كل باب ﴿ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾ [الآية: 32] من النبات كالقطن والكتان ومن الحيوان

كالحرير والصوف ومن المعادن كالدروع ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ﴾ [الآية: 32] المستلذات من المأكل والمشرب وفيه زجر للكفار حيث حرموا على أنفسهم لبس الثياب حالة الطواف والمتمتع بالمستلذات أيام الحج ولما لم يتصور الفعل بدون الفاعل فإنكار الفاعل بالكلية إنكار الفعل في الجملة وفيه دلالة على أن الأصل في الأشياء الإباحة ﴿قُلۡ هِيَ﴾ [الآية: 32] أي: الطيبات مخلوقة ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ [الآية: 32] بالأصالة والكفرة إنما شاركوهم على سبيل التبعية ﴿خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾ [الآية: 32] لا يشاركهم غيرهم في النعمة وفية إشارة أيضاً إلى أن نعمتهم في العاقبة خالصة من كدورات الغصة التي هي واقعة في
الدنيا عامة ثم خالصة حال مقدرة وقرأ نافع بالرفع على/ أنها خبر بعد خبر أو هي 289/ب
خبر هي والظرف متعلق بها ومقدم عليها ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ [الآية: 32] أي: كتفصيل هذا الحكم نبين سائر الأحكام ﴿لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ [الآية: 32] أن الله هو الذي يحل الحلال ويحرم الحرام أو لقوم عالمين غير جاهلين.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة منه إلى زينة السرائر فزينة العارفين آثار التوفيق وزينة الواجدين أنوار التحقيق وزينة القاصدين ترك العادة وزينة العابدين حسن العبادة ويقال زينة النفوس صدور الخدمة وزينة القلوب حفظ الحرمة وزينة الأرواح الإطراق بالحضرة باستدامة الهيبة والحشمة ويقال: زينة اللسان الذكر وزينة القلب الفكر وزينة الظاهر السجود وزينة الباطن الشهود ويقال: زينة النفوس حسن المعاملة من حيث المجاهدات وزينة القلوب دوام المواصلة من حيث المشاهدات ومعنى قوله ﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 32] أن الله لم يمنع هذه الزينة عن من تعرض لوجدانها فمن تصدق لطلبها فهي مباحة له من غير تأخر ولا قصور لها ثم أرزاق النفوس بحكم إفضاله وأرزاق القلوب بموجب إقباله ويقال: أرزاق المريدين الإلهام بذكر الله وأرزاق العارفين الإكرام في نسيان ما سواه.

﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ﴾ [الآية: 33] أي: ما تزايد قبحه كالكبائر ﴿مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الآية: 33] جهرها وسرها ﴿وَٱلۡإِثۡمَ﴾ [الآية: 33] كل ما يوجب الإثم تعميم بعد تخصيص أو أريد به الصغائر ﴿وَٱلۡبَغۡيَ﴾ [الآية: 33] الظلم أو الكبر

وللمبالغة أفرده بالذكر ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ متعلق بالبغي مبني ومؤكد له معنى ﴿وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ [الآية: 33] عطف على الفواحش ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ حجة وبرهاناً ومن المحال أن يكون البرهان على الإشراك (.بالسبحان..) فيكون هذا تهكماً على أهل الطغيان واستهزاءً بأهل العدوان وتنبيهاً على تحريم ما يدل عليه البرهان ﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 33] من الشريك والولد والصاحبة ونحوها من الإلحاد في الذات والصفات سبحانه وتعالى عما يصفون.

وأفاد الأستاذ: أن ما ظهر منها الزلة وما بطن منها الغفلة ويقال: فاحشة الخواص تتبع ما لأنفسهم فيه نصيب ولو بذره أو سينه ويقال فاحشة الأحباب الصبر عن المحبوب ويقال: فاحشة قوم لأن لا/ يلاحظوا غيراً بعين 290/ أ
الاستحقاق قال قائلهم:

يا قرة العين سل عيني هل اكتحلت بمنظر حسن مذ غبت عن عيني[1]

ويقال: فاحشة قوم أن يبقى لهم قطرة من الدمع لم يسكبوه لفرقته أو تبقى لهم نفس لم يتنفسوا به في حسرته وفي معناه أنشدوا:

لئن بقيت في العين مني دمعة فإني إذا في العاشقين دخيل[2]

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ [الآية: 34] مدة مضروبة لها بداية ونهاية والأجل يطلق على مجموع المدة مرة وعلى آخرها تارة ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ﴾ [الآية: 34] حان وقتهم أو انقرضت مدتهم ﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الآية: 34] أي: لا يتأخرون ولا يتقدمون أي: لا يطلبون التأخر والتقدم لشدة الأهوال أو لمعرفتهم في تلك الحال أنه من طلب المحال وقيل: المراد بالأجل أجل العمر فإذا كمل امتنع فيها التقديم عقلاً والتأخير نقلاً وقيل: التقدير ولا يستقدمون قبل ذلك فهو معطوف على مجموع الشرط والجزاء.

وقال الأستاذ: لكل قوم مدة معينة فإذا تناهت تلك المدة زالت تلك الحالة فلنعمة المترفين مدة فإذا زالت فليس بعدها إلا الشدة ولمحنة

(1) ذكره القشيري في تفسيره (2/ 365)، (7/ 81).
(2) ذكره القشيري في تفسيره (2/ 365).

المستضعفين مدة فإذا انقضت تلك المدة زالت تلك الشدة ويقال إذا سقط قرص الشمس زال سلطان النهار وفلا يزداد بعده إلا تراكم الظلمة وإذا ارتحل عسكر الظلام بطلوع الفجر فبعد ذلك لم يبق في تعالي النهار تهمة.

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ﴾ [الآية: 35] أي: من جنسكم ﴿يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ﴾ [الآية: 35] بلسانكم ﴿ءَايَٰتِي﴾ [الآية: 35] التي فيها الفرائض والأحكام إليكم ﴿فَمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [الآية: 35] المخالفة ﴿وَأَصۡلَحَ﴾ [الآية: 35] الموافقة ﴿فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [الآية: 35] في الأخوة لا بوقوع عقاب ولا بغوث ثواب.

وأفاد الأستاذ: أن المعنى إذا أتاكم الرسل فلا تركنوا إلى الظن والتخمين واحملوا الأمر على الجد واليقين فإنّا مع استغنائنا عن الأغيار وتقدسنا عن المنافع والمضار نطالب بالقليل والكثير ونحاسب على النقير والقطمير.

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [الآية: 36] أي: لم يصدقوها أو لم يلتفتوا إليها ﴿وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ﴾ [الآية: 36] فتركوا العمل بها ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ﴾ [الآية: 36] ملازموها ﴿هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الآية: 36] أي: دائمون لها.

290/ب وقال الأستاذ: من قابل ربوبيتنا بالجحد/ وحكمنا بالرد لقي الهوان وقاسى الآلام والأحزان ثم العجز يلجئه إلى أن يخضع بعد أن لا ينفع ولا يسمع.

﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الآية: 37] بأن تقول على الله ما لم يقله ﴿أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ﴾ [الآية: 37] أي: كذب ما قاله ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمۡ﴾ [الآية: 37] يصيبهم ﴿نَصِيبُهُم﴾ [الآية: 37] حظهم ﴿مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِۖ﴾ [الآية: 37] مما كتب لهم من الأرزاق والآجال والأعمال والأخلاق والأحوال أو مما أثبت لهم في اللوح المحفوظ من الخير بحسب القضاء والقدر.

وأفاد الأستاذ: أن نصيبهم من الكتاب ما سبق لهم به الحكم على وفق الحكم فمن جرى بسعادته القلم وقع عليه رقم السعادة ومن رقم بشقاوته الحكم حق عليه علم الشقاوة ويقال: من سبق له قسم السعادة فلو وقع في

قعر لظى تداركته العناية وأخرجته الرحمة ومن سبق له قسم الشقاوة فلو نزل الفردوس تداركته السخطة وأخرجته اللعنة ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا﴾ [الآية: 37] ملك الموت وأعوانه ﴿يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ﴾ [الآية: 37] يقبضون أرواحهم وافياً بالإماتة والجملة حال من الرسل وحتى غاية نيلهم أي: ينالهم نصيبهم إلى وقت وفاتهم وهي التي يبتدأ بعدها الكلام وجواب إذا ﴿قَالُوٓاْ﴾ [الآية: 37] أي: سؤال توبيخ ﴿أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ﴾ [الآية: 37] أي: أين الآلهة التي كنتم تعبدونها وأين الأغيار التي كنتم تدعونها فما موصولة وهي في الكتابة مفصولة ﴿قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا﴾ [الآية: 37] غابوا منا فلا نراهم ولا ننتفع بهم ﴿وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾ [الآية: 37] باتباعهم.

﴿قَالَ﴾ [الآية: 38] أي: أحد من الملائكة أو الله يوم القيامة ﴿ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ﴾ [الآية: 38] متعلق بادخلوا أو بـ(خلت) ففي بمعنى مع ﴿كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ﴾ [الآية: 38] أي: في النار ﴿لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ﴾ [الآية: 38] أي: شبيهتها من جهة ضلالتها التي ضلت للاقتداء بها ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا﴾ [الآية: 38] أي: تداركوا تلاحقوا واجتمعوا في النار ﴿قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ﴾ [الآية: 38] دخولاً أو منزلة وهم الأتباع ﴿لِأُولَىٰهُمۡ﴾ [الآية: 38] أي: لأجل أولاهم إذ الخطاب مع الله لا معهم وهم المتبوعون ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا﴾ [الآية: 38] سنوا لنا الضلال أو تسببوا لنا في الوبال فاقتدينا بهم في الأفعال ﴿فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا﴾ [الآية: 38] أي: مضاعفاً ﴿مِّنَ ٱلنَّارِۖ﴾ [الآية: 38] لأنهم ضلوا وأضلوا ﴿قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ﴾ [الآية: 38] أما القادة فبكفرهم وتضليلهم وأما الاتباع فبكفرهم وتقليدهم
﴿وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ﴾ [الآية: 38] ما لكل فريق/ منكم من العذاب والنكال وقرأ أبو 291/ أ
بكر بالغيبة على الانفصال من الإقبال.

﴿وَقَالَتۡ أُولَىٰهُمۡ لِأُخۡرَىٰهُمۡ﴾ [الآية: 39] مشافهة لهم ﴿فَمَا كَانَ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٖ﴾ [الآية: 39] بل نحن وإياكم متساوون في العذاب بطريق عدل ﴿فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ﴾ [الآية: 39] من قول الله للفريقين من جميع الأمة أو من قول القادة للسادة.

وأفاد الأستاذ: إن آثار إعراض الحق عنهم أورثت وحشة الحق لهم حتى تبرّم بعضهم ببعض وضاق كل واحد منهم عن كل شيء حتى عن نفسه فدعا بعضهم على بعض وتبرأ بعضهم من بعض وكذلك صفة المطرودين.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [الآية: 40] وتركوا الإيمان بها ﴿وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا﴾ [الآية: 40] بعدم التدبر والتفكر فيها ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ﴾ [الآية: 40] لأعمالهم وأرواحهم ﴿أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الآية: 40] كما يفتح لأبواب المؤمنين وأرواحهم والتأنيث للأبواب والتشديد لكثرتها وقرأ أبو عمرو بالتخفيف وحمزة والكسائي مذكراً لأنّ التأنيث غير حقيقي ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الآية: 40] أي: ثقب الإبرة وذلك مما لا يكون وكذا ما يتوقف عليه ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الآية: 40].

قال الأستاذ: فلا دعاؤهم يسمع ولا بكاؤهم ينفع ولا بلاؤهم يكشف ويرفع ولا عناؤهم يدفع.

﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾ [الآية: 41] فراش ﴿وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الآية: 41] أي: أغطية جمع غاشية ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية: 41] عبر عنهم بالمجرمين مرة وبالظالمين تارة تفنناً في العبادة وأشار إلى أنهم جامعون لأسباب العقوبة وأنهم يستحقون العقاب بكل خصلة.

وأفاد الأستاذ: أنه كما أحاطت بهم الزلات في الدنيا فتدنس بالغفلة باطنهم وتلوث بالذلة ظاهرهم كذلك أحاطت العقوبات غداً بجوانبهم فمن فوقهم عذاب ومن تحتهم عذاب وكذلك من سائر جوانبهم ثم في القلب من ضيق العيش استيلاء الوحشة ما يوفى على الكل ويربى.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الآية: 42] جمع على عادته سبحانه في كلامه المجيد بين الوعد والوعيد وحمله لا نكلف نفساً إلا وسعها معترضة بين المبتدأ وخبره للترغيب في اكتساب النعيم المقيم بما يسعه طاقتهم ويسهل عليهم معرفتهم.

291/ب وقال الأستاذ: رفعنا عن ظاهرهم/وباطنهم كلفة أعمالهم فيسرنا عليهم

الطاعات بحسن التوفيق وخففنا عنهم العبادات بتقليد التكليف.

﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلّٖ﴾ [الآية: 43] أي: نخرج من قلوبهم أسباب الغل وهو الحقد والحسد أو نطهرها منه حتى لا يكون بينهم إلا التودد قيل: من تخطى بساط قرب الرحمٰن سقط عنه رعونات النفس وحظوظ الشيطان وقد روى ابن جرير عن علي إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال تعالى: ﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلّٖ﴾ [الآية: 43] ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ﴾ [الآية: 43] أي: تحت منازلهم وأشجارهم أو تحت تصرفهم ﴿ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ﴾ [الآية: 43] في بساتينهم وقصورهم زيادة في لذتهم وسرورهم.

وقال الأستاذ: طهرنا قلوبهم عن كل غش واستخلصنا أسرارهم عن كل آفة فطهر قلوب العارفين عن كل حظ وعلاقة كما طهر قلوب الزاهدين عن كل رغبة ومنية وطهر قلوب العابدين عن كل نهمة وشهوة وطهر قلوب المحبين عن محبة كل مخلوق وغل كل صدر [كل] أحد على قدر مرتبته ويقال لما خلق الجنة وكلها في تزيينها إلى الرضوان والعرش ولي حفظه إلى الحملة والكعبة سلم مفتاحها إلى بني شيبة وأما تطهير صدور المؤمنين فتولاه بنفسه فقال: ﴿وَنَزَعۡنَا﴾ [الآية: 43] ويقال: إذا كان نزع الغل من الصدور من قبله فلا محل للغرم الذي لزمهم بسبب الخصوم [حيث] كان منه سبحانه وجه أدائه ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ [الآية: 43] أي: لما جزاؤه هذا ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ﴾ [الآية: 43] أي: لولا هدايته وتوفيقه لنا بالإيمان والعمل الصالح وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله وقرأ ابن عامر ما كنا بغير واو على أنها مبنية للأولى وقد ورد لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا[1] وهذه الآية حجة لنا لا علينا.

وأفاد الأستاذ: أن هذا اعتراف منهم وإقرار بأنهم لم يصلوا إلى ما وصلوا إليه من جزيل تلك العطيات وعظيم تلك الرتب والمقامات بجهدهم واستحقاق فعلهم وإنما كان ذلك أجمع ابتداء فضل منه ولطف ﴿لَقَدۡ جَآءَتۡ

(1) سبق تخريجه.

﴿رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية: 43] فاهتدينا بإرشادهم للخلق في أمر معاشهم ومعادهم
292/أ وفيه تنبيه نبيه على أن ما عملوه يقيناً في الدنيا/ صار لهم عين اليقين في العقبى ﴿وَنُودُوٓاْ﴾ [الآية: 43] أي: من قبل الله أو الملائكة ﴿أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ﴾ [الآية: 43] إذا رأوها من بعيد أو بعد ما دخلوها والمنادى له بالذات ﴿أُورِثْتُمُوهَا﴾ [الآية: 43] أعطيتموها بلا تعب كالميراث ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 43] بمقابلة أعمالكم وحسب درجات أحوالكم فضلاً ورحمة لأنه لا يجب على الله شيء لا عقوبة ولا مثوبة وقد ورد في الحديث الصحيح لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله قالوا: ولا أنت يا رسول الله ﷺ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته(1) والظاهر أن دخول الجنة بسبب الإيمان الحاصل من أثر رحمة الرحمن ودرجات الجنان على وفق مراتب الإحسان.

وأفاد الأستاذ: أن هذا تسكين لقلوبهم وتطييب لنفوسهم وإلا فإذا رأوا تلك الجنان علموا أن أعمالهم المشوبة بالتقصيرات لم توجب تلك الدرجات.

﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا﴾ [الآية: 44] في الدنيا من الثواب في العقبى ﴿فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا﴾ [الآية: 44] من أصناف العذاب وأنواع الحجاب وإنما قالوه: تبجحاً بحالهم وحسن مآلهم وشماتة بأعدائهم وتحسيراً لهم في أعمالهم ﴿قَالُواْ نَعَمْ﴾ [الآية: 44] وقرأ الكسائي بكسر العين وهما لغتان.

وأفاد الأستاذ: أن أهل النار بحقية الدين اعترفوا وأقروا بسوء ما عملوا [ولكن] حين لا ينفعهم إقرار ما صنعوا ولا اعتذار بما فعلوا ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ﴾ [الآية: 44] نادى منادٍ بين الفريقين ﴿أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية: 44] وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة الكسائي بتشديد أن ونصب ما بعدها ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 45] أي: يعرضون عن طريق رضاه أو يمنعون الناس

(1) أخرجه الطبراني في الأوسط (8/ 74) رقم (8004)، وابن حبان في الصحيح (2/ 60) رقم (348)، وأحمد في المسند (2/ 451) رقم (9830).

عن دين الله ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ [الآية: 45] أي: يطلبون لتلك الطريقة من الشريعة والحقيقة زيغاً وميلاً عما هو عليه من ظهور الحقيقة ﴿وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ كَٰفِرُونَ﴾ [الآية: 45] جاحدون ومنكرون ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾ [الآية: 45] أي: بين الفريقين سور الأعراف لقوله تعالى ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ﴾ [الحديد: 13] أي: بين الجنة والنار حاجز يمنع وصول أثر أحديهما إلى الأخرى من الثواب والعقاب.

وأفاد الأستاذ: أنّ ذلك الحجاب الذي بينهما حصل من الحجاب السابق في الكتاب ولما حجبوا/ في ابتداء سابق القسمة عما خُصّ به المؤمنون من 292/ ب القربة والزلفة حجبوا في الانتهاء عما خص به السعداء من المغفرة والرحمة ويقال: حجاب وأي: حجاب لا يرفع بحيلة ولا ينفع معه وسيلة سبق به الحكم قبل الطاعة والجرم.

﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ﴾ [الآية: 46] أي: أعراف الحجاب وأعاليه المشرفة على الباب ﴿رِجَالٌ﴾ [الآية: 46] طائفة استوت حسناتهم وسيئاتهم فيحبسون بين الجنة والنار حتى يقضي الله فيهم ما يشاء مما يؤول لهم القرار ﴿يَعْرِفُونَ كُلًّۢا﴾ [الآية: 46] من الأبرار والفجار ﴿بِسِيمَٰهُمْ﴾ [الآية: 46] بعلامتهم التي أعلمهم الله بها من بياض الوجوه وسوادها.

وأفاد الأستاذ: أن هؤلاء أصحاب الأشراف خصوا بأنوار البصائر اليوم فأشرفوا على مقادير الخلق بأسرارهم وأشرفوا غداً على مقامات الكل وطبقات الجميع بإبصارهم ويقال عرفوهم غداً بسيماهم التي وجودهم عليها في دنياهم فأقوام موسومون بأنوار الود والقرب وآخرون موسومون بآثار الرد والحجب ﴿وَنَادَوْا۟﴾ [الآية: 46] أي: أصحاب الأعراف ﴿أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية: 46] أي: إذا نظروا إليهم سلموا عليهم وتمنوا ما لديهم ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا﴾ [الآية: 46] لعدم إذنهم فيها ﴿وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ [الآية: 46] دخلوها وما أطمعهم إلا وأراد أن أطمعهم.

وأفاد الأستاذ: أنهم سلموا اليوم عن النكرة والجحد وأكرموا بالعرفان والتوحيد وسلموا غداً من فنون الوعيد وسعدوا بلطائف المزيد وتحققوا أنهم

بلغوا من الرتب ما لم يسم إليهم طرف تأمليهم ولم يحط بتفصيلها كنه عقولهم.

﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾ [الآية: 47] أي: من غير رغبة منهم إليهم وإلى آثارهم ﴿قَالُوا۟﴾ [الآية: 47] نعوذ بالله من ديارهم ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية: 47] أي: مشاركين لهم في دخول نارهم.

قال الأستاذ: وإنما يصرف أبصارهم إليهم تقريراً عليهم عظيم المنّة التي بها نجاتهم فيزيدون في الاستغاثة وصدق الابتهال لتكمل لديهم العارفة بإدامة ما لاطفهم به من الإيواء والمحافظة.

﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾ [الآية: 48] أي: من رؤساء الكفرة والأشراف من أهل الظلم والإسراف ممن ظهر لهم على طريقة الأشراف ﴿قَالُوا۟﴾ [الآية: 48] لهم ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ﴾ [الآية: 48] لم ينفعكم كثرتكم وجماعتكم
293/أ أو جمعكم المال ومحنتكم/ ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الآية: 48] أي: واستكباركم بالجاه وعظمتكم وقيل ما استفهام توبيخ وتقريع أي: أي شيء أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون عن الحق أو على الخلق في زمانكم.

﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾ [الآية: 49] الإشارة إلى ضعفاء أهل الجنة الذين كانت الكفرة يحتقروهم في الدنيا ويحلفون أن الله لا يدخلهم الجنة على فرض ثبوت العقبى.

وأفاد الأستاذ: أن سيماهم ما يرون عليهم من غبار الرد وأمارة البعد فيقولون لهم هل يغني عنكم ما ركنتم إليه من أباطيلكم وسكنتم إليه من فاسد ظنكم وباطن تأويلكم فشاهدوا اليوم تخصيص الحق بمن ظننتم أنهم ضعفاؤكم وانظروا هل يغني عنكم الذين زعمتم أنهم أولياؤكم وشركاؤكم ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الآية: 49] أي: فقيل على لسان الملائكة لأصحاب الأعراف بعد هذا الإيقاف وحصول الإشراف ادخلوا الجنة بالفضل والرحمة وقيل: الخطاب للضعفاء وأنه من تتمة قول أصحاب الأعراف والمعنى قالوا الرؤساء الكفار في النار أهؤلاء الذين نظرتم إليهم بعين الاحتقار

قيل لهم ادخلوا الجنة مع الأبرار.

﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ﴾ [الآية: 50] أي: صبوا علينا من الماء من أنهاركم الجارية ﴿أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ﴾ [الآية: 50] من سائر الأشربة ليخفف عنا نوعاً من العقوبة أو المراد بالماء من أنواع الشراب وبالرزق المأكول من كل باب وقال بعضهم ماء الرحمة ورزق القربة وكذا في «**دقائق الحقائق**» وهذا الطلب يحتمل أن يكون على رجاء وطمع من الفريق أو من باب تعلق الفريق بكل حشيش في الطريق ﴿قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [الآية: 50] أي: منعهما عنهم عامة وأباحهما للمؤمنين خاصة لما سبق من أن النعمة في الآخرة لهم خالصة.

وأفاد الأستاذ: أن الآية دلت على أن أواخر ما يبقى على الإنسان هم الأكل والشرب وأنهم في تلك العقوبات الشديدة يقع عليهم الجوع والعطش في تلك المدة المديدة فيتضرعون في ذلك المقام ويطلبون شربة من الماء أو لقمة من الطعام وهم في غاية من الآلام والعادة اليوم أن من كان في ألم
شديد لا يأكل ولا يشرب وهذا/ أشد ثم أبصر كيف لا يستقيم نظره مع 293/ ب
استغنائه عن العقوبة ولكن قهر الربوبية وعن الأحدية وأنه فعال لما تعلق به الإرادة الأزلية فكما لم يرزقهم اليوم من عرفانه ذرة لا يسقيهم غداً في تلك الأحوال قطرة وفي معناه أنشدوا:

وأقسمن لا يسقيننا الدهر قطرة ولو زخرت من أرضهن بحور[1]

﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ﴾ [الآية: 51] أي: الذين شرع الحق للخلق ﴿لَهۡوٗا وَلَعِبٗا﴾ [الآية: 51] كتحريم البحيرة والتصفيق حول الكعبة واللهو صرف الهم بما لا يحسن أن يصرف به واللعب طلب الفرح بما لا يحسن أن يطلب به ﴿وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ﴾ [الآية: 51] أي: الفانية فتركوا طلب الحياة الباقية ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ﴾ [الآية: 51] أي: نجاريهم على نسيانهم أو نعاملهم معاملة الناسين لهم فنتركهم في عذابهم ﴿كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا﴾ [الآية: 51] هذا فلم يخطروه

(1) ذكره القشيري في تفسيره (2/ 378).

ببالهم ولم يستعدوا لهم في حالهم ﴿وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [الآية: 51] أي: وكما كانوا في حق آياتنا المتلوة والمنصوبة مصرين على إنكارهم.

وأفاد الأستاذ: أنهم كما تركوا أمره وضيعوا حقه تركهم في العقوبة ولا يشكيهم فيما يشكون من المشقة فيأتي عليهم مرور أحقاب بلا كشف عذاب ولا برد شراب ولا حسن جواب ولا إكرام خطاب ذلك جزاء من لم يعرف قدر الوصلة في أوقات المهلة.

﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ﴾ [الآية: 52] قرآن عظيم الشأن كريم البرهان ﴿فَصَّلْنَٰهُ﴾ [الآية: 52] بيَّنّا معانيه مفصلة لكل ما يحتاج الإنسان إلى البيان ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الآية: 52] أي: مشتملاً على علم منا بأهل كل زمان ومكان ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية: 52] حالان من الهاء في فصلناه أو منصوبان على المفعول.

وقال الأستاذ: أنزلنا عليهم الكتاب وأوحينا إليهم من الخطاب ما لو قابلوه بالتصديق وصاحبوه بالتحقيق لوجدوا الشفاء من محنة العباد ونالوا الضياء بقرب الوداد ووصلوا في الدنيا والعقبى إلى جميل المراد ولكن أبى القسمة في نصيبهم إلا الشقوة.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾ [الآية: 53] أي: ما ينظرون إلا ما يؤول إليه أمر الكتاب من تبيين صدقه بظهور ما نطق به من الثواب والعقاب ﴿يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ﴾
294/أ [الآية: 53] وهو يوم القيامة وتهويله ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ/ نَسُوهُ﴾ [الآية: 53] تركوا الإيمان به والعمل له ترك الناسين للمهمة الأولى وهو خدمة المولى ﴿مِن قَبْلُ﴾ [الآية: 53] أي قبل إتيانه يعني في الدنيا ﴿قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية: 53] ونحن كذبناهم بالباطل إذ قد تبين لنا أنهم جاؤوا بالصدق ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ﴾ [الآية: 53] أي: من الآلهة التي كنا نسميها شركاء ونظن أنها عند الله شفعاء ﴿فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ﴾ [الآية: 53] لنا اليوم عند نزول البلاء وحصول العناء ﴿أَوْ نُرَدُّ﴾ [الآية: 53] أي: هل نرد إلى الدنيا لتدارك ما فاتنا من الأشياء ﴿فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [الآية: 53] جواب الاستفهام الثاني ﴿قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ [الآية: 53] بصرف أعمارهم في سوء أعمالهم ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [الآية: 53]

أي: وبطل عنهم وغاب منهم فلم ينفعهم ما توهموا نفعه لهم.

وأفاد: الأستاذ أنه إذا كشف جلال الغيب وانتفى من قلوبهم أغطية الريب فلا بكاء لهم ينفع ولا دعاء لهم يسمع ولا شكوى منهم ترفع ولا بلوى من دونهم تقطع.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الآية: 54] أي: من ستة أوقات أو في مقدار ستة أيام من أيام الدنيا أو أيام الآخرة كل يوم ألف سنة أو المراد بالستة يوم الأحد إلى الجمعة وأما يوم السبت فلم يقع فيه خلقه ومنه سمي السبت سبتاً وهو القطع هذا وفي خلق الأشياء مدرجة مع القدرة على إيجاده دفعة دليل الاختيار واعتبار للنظار وحث على التأني في الأمور للأبرار ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الآية: 54] أو استولى عليه أو استوى الخلق عليه بمعنى استتم فما خلق فوقه شيئاً وجمع السلف وجمع من الخلف على أن استواء العرش صفة الله بلا كيفية نؤمن بها ونكل علمها إلى عالمها.

وقد قال الإمام مالك: الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة فالمعنى أن له سبحانه استواءٌ على العرش بالوجه الذي عناه منزهاً عن الاستقرار والتمكن وسائر صفات الحدوث من إثبات الجهة والجسم والحلول التي توجد في الكائنات والعرش هو الجسم المحيط بسائر الأجسام سمي به لرفعته أو للتشبيه بسرير الملك فإن الأمور والتدابير تنزل منه إلى عالم الخلق وقيل المراد به الملك ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ [الآية: 54]
يغطيه به ولم يذكر عكسه للعلم/به أو لأن اللفظ يحتملها وقرأ حمزة والكسائي 294/ب
وأبو بكر بالتشديد فيه وفي الرعد للدلالة على التكرير والإشارة إلى أن التكثير ﴿يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ [الآية: 54] يعقبه سريعاً ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ [الآية: 54] أي: وخلقها حال كونهن مذللات منقادات بتيسيره وتدبيره وقضائه وتقديره وقرأ ابن عامر كلها بالرفع على الابتداء والخبر.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه تعرف إلى الخلق بآياته الظاهرة الدالة على قدرته وهي أفعاله وتعرف إلى الخواص منهم بآياته الدالة على نصرته التي هي

إفضاله وإقباله وظهر لأسرار أخص الخواص بنعوته الذاتية التي هي جماله وجلاله فشتان بين قوم وقوم ثم كما يدخل في الظاهر الليل على النهار والنهار على الليل فكذا يدخل القبض على البسط والبسط على القبض ومنه الإشارة إلى ليل القلوب ونهار القلوب فمن عبدٍ أحواله أجمع قبض ومن عبد أحواله أجمع بسط فمن عبد يكون مرة بعين القبض ومرة بعين البسط كما أن في العالم في بعض الأقطار نهار بلا ليل وفي بعضها ليل بلا نهار وفي بعضها ليل يدخل على نهار ونهار يدخل على ليل ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ﴾ [الآية: 54] أي: مخلوق الأرض والسماء ﴿وَٱلْأَمْرُ﴾ [الآية: 54] لا يجري في ملكه إلا ما يشاء ويقال الخلق مختص بالتدريج والأمر بضده.

قال الواسطي: إذا كان له فمنه وبه وإليه لأن الأمر صفة الأمر.

وأفاد الأستاذ: أن منه الخير والشرع والنفع والضر والتصرف والأمر ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الآية: 54] تعالى بالوحدانية في الألوهية وتعظم بالفردانية في الربوبية حيث خلق العالم على ترتيب قويم وتدبير حكيم والجملتان الأخيرتان فذلكة التقرير ونتيجة التحرير وفي الجملة الأخيرة إيماء إلى إفادة معنى قدمه وثبوت دوامه وإشارة إلى إسداء إنعامه على خواص الخلق وعامه ثم أمرهم بأن يدعوه متذللين مخلصين فقال:

﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الآية: 55] أي: ذوي تضرع خفية وتذلل ومسكنة وفي خفية إيماء إلى أن الإخفاء دليل الإخلاص في الدعاء ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [الآية: 55] المجاوزين ما أمروا به في الدعاء وغيره ففيه تنبيه على أن
295/أ الداعي ينبغي أن لا يطلب/ما لا يليق به كرتبة الأنبياء والصعود إلى السماء وقيل: هو الصياح والإطناب في الدعاء وفي «**مسند الإمام**» أحمد وغيره إن أحداً من الصحابة سمع أحداً يقول اللّهم إني أسألك الجنة ونعيمها واستبرقها ونحو من هذا وأعوذ بك من النار وسلاسلها وأغلالها(1) وفي رواية اللّهم إني أسألك

(1) أخرجه أبو يعلى في المسند (2/ 71) رقم (715)، وأحمد في المسند (1/ 172) رقم (2483)، وأبو داود في السنن (1/ 551) رقم (1482).

قصراً أبيض في يمين الجنة فقال له: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول إنه سيكون أقوام يعتدون[1] في الدعاء وقرأ هذه الآية قال بحسبك أن تقول اللّهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل وقد رواه أبو داوود أيضاً[2].

وأفاد الأستاذ: أن الأمر بالدعاء إذن في التسلي لأرباب المنحة فإنهم إلى أن يصلوا إلى كشف المحبة ووجود المأمول والمنحة استروحوا إلى روح المناجاة في حال الدعوات فالدعاء نزهة لأرباب الحاجات وراحات لأصحاب الطلبات ومعجل من الأنس بما يتأدى إلى القلب من عاجل قربه وما أخلص عبد في دعائه إلا روح الله سبحانه في الوقت قلبه ويقال علمهم أدب الدعاء حيث قال ﴿تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الآية: 55] وهذا أدب الدعاء أن يدعو بوصف الافتقار والانكسار ونشر الاضطرار ومن غاية ما تقرر لديك نعت كرمه به أن جعل إمساكك عن دعائه الذي لا بد لك منه اعتداء منك انتهى وفيه إشارة إلى حديث «من لم يدع الله يغضب عليه»[3].

ولله در قائل:

الله يغضب إن تركت سؤاله وبني آدم حين يسأل يغضب

﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية: 56] بالمعاصي والآثام ﴿بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ [الآية: 56] ببعث الأنبياء عليهم السلام وشرعهم الأحكام وقيل: لا تفسدوا بالمعاصي فإن من شؤمها يمسك المطر فتخرب الأرض بعد ما كانت تخضر.

وأفاد الأستاذ: إن من الإفساد بعد الإصلاح إهمال النفس عن

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (1/ 267) رقم (579)، وابن ماجه في السنن (2/ 1271) رقم (3864)، وابن حبان في الصحيح (15/ 166) رقم (6763)، وأحمد في المسند (4/ 87) رقم (16847).

(2) أخرجه ابن ماجه في السنن (2/ 1264) رقم (3846)، وأبو يعلى في المسند (2/ 71) رقم (715)، وأحمد في المسند (1/ 183) رقم (1484)، وابن أبي شيبة في المصنف (6/ 44) رقم (29345).

(3) الدر المنثور (7/ 301).

المجاهدات بخلع عذارها حتى تتبع هواها بعد ما كبحت لجامها عن العدو في ميدان الخلاف ومن ذلك إرسال القلب في أودية المنى بعد إمساكها على أوصاف الإرادة ومن ذلك الرجوع إلى الحظوظ بعد القيام بالحقوق ومن ذلك
295/ب استشعار محبة مخلوق بعد تأكيد العهد معه بأن/ لا يحب سواه ومن ذلك الجنوح إلى تتبع الرخص في طريق الطلب بعد حمل النفس على ملازمة الأولى والأشق ومن ذلك الانحطاط [بحظ] إلى طلب مقام منه أو إكرام بعد القيام معه بترك كل نصيب ومن الجملة الرجوع من الأعلى إلى الأدنى إفساد في الأرض بعد الإصلاح انتهى وفيه إيماءً إلى ما ورد في الدعاء اللّهم إني أعوذ بك من الحور[1] بعد الكور أي من النقصان بعد الزيادة أو من الشقاوة بعد السعادة أو من المعصية بعد العبادة ﴿وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ﴾ [الآية: 56] أي: خائفين من عقابه وطامعين في ثوابه أو خائفين من رده عدلاً وطامعين في قبوله فضلاً وقيل: ﴿خَوۡفٗا﴾ [الآية: 56] من بعده ﴿وَطَمَعًاۚ﴾ [الآية: 56] في قربه ﴿إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [الآية: 56] المطيعين في أمره ونهيه وفيه تصريح للطمع حال الإحسان لا يعتريه الإنسان.

وأفاد الأستاذ: أنه يقال المحسنين عملاً والمحسنين أملاً فالأول العابدون والثاني العاصون ويقال: المحسن من كان حاضراً بقلبه غير لاهٍ عن ربه ولا ناسياً لحقه.

وفي «العرائس» ذكر في قوله تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 54] إلى هنا كثير من «النفائس» أحببت أن أذكرها ملخصاً وأحررها مخلصاً فبين أنه سبحانه خاطبهم بالتربية بجذب قلوبهم بالمحبة ثم أشار إليهم بالألوهية لفناء الحدث في القدم ثم صرفهم من المحو إلى الصحو ومن الحضور إلى الغيبة بقوله الذي أشاره وأن ربكم عبارة الأول للبسط والثاني للقبض ثم صرفهم من الصفات إلى الأفعال كما صرفهم من الذات إلى الصفات كي لا يحترقون في أنوار الألوهية الأول خطاب القلب والثاني خطاب الروح والثالث خطاب العقل الأول قوله

(1) تفسير القرطبي (16/ 67).

إن ربكم والثاني قوله الله والثالث قوله الذي ثم أنزلهم من الشهود إلى الشواهد وخاطبهم على قدر عقولهم حيث أحالهم من القدم إلى الحدث لعلمه بضعفهم على حمل بوادي طارقات سطوات الوحدانية فقال الذي خلق السموات والأرض جعل الآيات مرآة الصفات لأهل المشاهدات خلقها في ستة أيام أيام الله قضاؤه وقدره حصرها بأيام مخصوصة وهي الستة وفي كل يوم من أيامه ظهور صفة من صفاته من مطلع القدم طلعت للعدم/ لكون الحدوث في هذه 296/ أ
الأيام الستة ظهور ستة صفات من صفاته أولها العلم والثاني القدرة والثالث السمع والرابع البصر والخامس الكلام والسادس الإرادة كملت الأشياء بظهور أنوار الصفات الستة ولما أتمها صارت الحدثان كجسد آدم بلا روح فتجلى من صفته السابعة وهي حياته القديمة الأزلية الباقية المنزهة عن همهمة الأنفاس والمشابهة والقياس فيبقي الأشياء بصفاته القائمة بذاته ويكون إلى الأبد حياتها بروح حياته المقدسة عن الاتصال والانفصال وفي أدق الإشارة السموات الأرواح والأرض الأشباح والعرش القلوب بدأ بكشف الصفات للأرواح وبدأ بكشف الأفعال للأشباح ثم بدأ بكشف الذات استوى فهو القدم بنعت الظهور للعدم ثم استوى تجلي الصفات فاستوى بنفسه لنفسه على نفسه المنزهة عن المباشرة بالحدثان والاتصال والانفصال عن الأكوان وبالأكوان الاستواء صفة ذاتية على الحقيقة خارجة عن مطالعة الخليقة السموات والأرض جسد العالم والعرش قلب العالم والكرسي دماغ العالم خص جميع العالم بالأفعال والصفات وخص العرش بظهور الذات لأنه قلب الكل وهو غيب الرحمن وعلمه وحكمته رأيت في المكاشفة أنواراً شعشعانياً بلا جسم ولا مكان ولا صورة تتلألأ فسألت عن ذلك فقيل لي هذا عالم يسمى عرشاً قيل في التفسير عرشه علمه لقول ابن عباس في تفسير قوله ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ﴾ [البقرة: 255] أي: وسع علمه ثم رجع إلى ذكر الأفعال والأشباح بقوله ﴿يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ﴾ [الآية: 54] ﴿يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا﴾ [الآية: 54] ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ﴾ [الآية: 54] أي بأمره بدأ بذكر الليل لأنه ستر الأولياء وحجال الأصفياء وملجأ النقباء وقيام عرائس أهل المناجاة يلبس القبض البسط لأنهما ضدان ويقبض ويبسط الليل

قبض العارفين والنهار بسط المشاهدين يكون أحدها طالب الآخر لأن من وصفه الحضور والغيبة من خفاء التجلي وبداية الليل النفس والنهار القلب والشمس
296/ب الروح والقمر/العقل والنجوم العلوم مسخرات في سماء الملكوت وهو الجبروت بأمره بقدرته الكاملة وعزته الشاملة ومحبته القديمة التي تؤلف أرواح القدسية إلى مشاهد الأزلية ثم إن الله سبحانه أضاف الكل إلى أمر مشيئته ونفاذ قدرته وأخرج الجميع من تكلف الحدثان وعلة الأكوان بقوله ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الآية: 54] الخلق فعله والأمر صفته الخلق في الأشباح والأمر في الأرواح بنور الخلق سلب العقول وحيرها من إدراك كنه الآيات ويتجلى الأمر جذب القلوب إلى عالم الصفات وعشقها بجمال الذات ثم أثنى على نفسه حيث يقصر الأفهام عن وصف صفاته ويعجز الألسن عن بلوغ مدح ذاته بقوله ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 54] أي: تقدس عن كل ما يجرى في خواطر خلقه رب العالمين رب الجميع بظهور صفته في خلقه ورب العارفين بظهور ذاته في صفته ولما عرفهم أعلام الربوبية أمرهم بخالص العبودية وأدبهم بأحسن التأديب بقوله:

﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الآية: 55] إذا عرفتموه بنعوت الكبرياء وجلال العظمة وعز القدم والبقاء كونوا في رؤية هذه الصفات عند احتياجكم إلينا بنعت الفناء بحيث لا يطلع على أسرار نفوسكم فإن دعوة المضطر تقع على مسامع الغيوب حين هاجت بوصف اللطف من لسان القلوب وإن أصفى الوقت في التضرع ودعوة الخفية وذكر الخفي الذي وصفه عليه السلام بالخيرية حيث قال «خير الذكر الخفي»(1).

قال أبو عثمان: التضرع في الدعاء أن لا تقدم إليه أفعالك وصلاتك وصيامك وقراءتك ثم تدعو على أثره إنما التضرع أن تقدم افتقارك وعجزك وضرورتك وفاقتك وقلة حيلتك ثم تدعو بلا سبب ولا علة فيرفع دعاؤك.

وقال الواسطي: ﴿تَضَرُّعًا﴾ بذل العبودية ﴿وَخُفْيَةً﴾ [الآية: 55] أي: اخف ذكري

(1) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (1/ 406) رقم (552)، وابن حبان في الصحيح (3/ 91) رقم (809)، وأحمد في المسند (1/ 172) رقم (1477).

صيانة عن غيري ألا ترى قوله عليه السلام «خير الذكر الخفي»[1] وافهم أن للدعاء مقامات فبعضهم يدعوه بلسان الظاهر وبعضهم يدعوه بلسان الباطن وبعضهم يدعوه بإشارة العقل وبعضهم يدعوه بإشارة القلب وبعضهم يدعوه بإشارة الروح وبعضهم يدعوه بإشارة السر نعت أهل الظاهر التضرع ونعت أهل الباطن الافتقار والتخشع ونعت/أهل العقل الفكر ونعت أهل القلب الذكر 297/أ
ونعت أهل الروح الشوق ونعت أهل السر الفناء يدعونه بالإذن ولا يكون الإذن في الدعاء إلا في مقامين مقام القبض ومقام البسط الدعاء في مقام القبض بنعت العبودية والدعاء في مقام البسط بحكم الانبساط من إدراك مباشرة صولة الربوبية ولا بد للعارفين من هذين المقامين والدعاء على الأحوال شتى دعاء أهل البلاء لكشف الهموم ودعاء أهل النعماء لكشف الوجود ودعاء المحبين لتسلي القلوب ودعاء المشتاقين للبلوغ إلى الوصول ودعاء العاشقين لنيل المأمول ودعاء العارفين لوجدان البقاء ودعاء الموحدين لمحوهم في الفناء وفيه أنس المستأنسين وتضرع العارفين وبهاء المحبين وزيادة قرة عيون الموحدين ما أطيب ألحانهم في السجود لكشف شهود الوجود وما أحلى روح مناجاتهم بالعبرات وحركات ضمائرهم بالزفرات ثم حذرهم عن الرجوع من الأعلى إلى الأدنى ومن متابعة الحق إلى متابعة النفس من تخريب أرض القلب بمساحة الهوى بعد إصلاحها بصفاء المراقبة والحضور والمشاهدة بقوله ﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا﴾ [الآية: 56] ثم زاد سبحانه في أدب الدعاء وقرن بالتواضع والإخلاص فيه مقام الوفاء والرجاء بقوله ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الآية: 56] أي: ادعوه بوصف الإجلال في رؤية جلاله وبنعت البسط في رؤية جماله فإن حقيقة الدعاء في الشهود الوجل في العبودية لمعرفة الربوبية والسرور من رجاء الوصول إلى المقصود وأيضاً ادعوه خوفاً من اطلاعه على جريان كل مأمول سواء في القلب أي: خافوا من طيران ذكر الحدث في رؤية القدم وطمعاً في مقام من قربه أشرف من مقام الدعاء لأن الدعاء وسيلة فإذا حصل الوصول انقطعت الوسيلة وأيضاً خوفاً من رد الدعاء وطمعاً في استجابة الدعاء ثم بين تعالى أن من

(1) انظر: تخريج الحديث السابق.

كان هذا وصفه يكون من المحسنين الذين يقربون منه به بقوله ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ/ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾. 297/ ب

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ﴾ [الآية: 57] وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي الريح على وحدة الجنس ﴿بُشْرًۢا﴾ [الآية: 57] بضم النون والشين جمع نشور بمعنى ناشر وقرأ ابن عامر بسكون الشين تخفيفاً وحمزة والكسائي بفتح النون وسكون الشين على أنه مصدر في موقع الحال بمعنى ناشرات للسحاب الثقال وعاصم بضم الموحدة وسكون الشين على أنه تخفيف بشر جمع بشير وقد قرىء به بمعنى مبشرات ﴿بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ [الآية: 57] أي قدام أثر رحمته ومقدمة نعمته وهو المطر فإن الصِّبا تثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب تعصره وتدره والدبور تفرقه.

وأفاد الأستاذ: أن تباشير التقريب تتقدم فيتأدى نسيمه إلى مشام الأسرار وكذلك آثار الأعراض تتقدم فتوجد ظلمة القبض في الباطن وظل الوحشة يتقدمها ونسيم الوصل يعدمها في قريب منه قال قائلهم:

ولقد تنسمت الرياح لحاجتي فإذا لها من راحتيك نسيم[1]

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ﴾ [الآية: 57] أي: حملت الرياح ﴿سَحَابًا ثِقَالًا﴾ [الآية: 57] بالماء وجمعه لأن السحاب بمعنى السحائب ﴿سُقْنَٰهُ﴾ [الآية: 57] أي: السحاب وأفرد الضمير باعتبار اللفظ والفعل مأخوذ من السوق ﴿لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ [الآية: 57] أي: لأجل مكان للإنبات فيه أو لإحيائه أو لسقيه أو إلى جانبه ﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ﴾ [الآية: 57] أي: بسبب السحاب أو السوق أو في البلد ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ﴾ [الآية: 57] بالماء ﴿مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [الآية: 57] من كل أنواعها ﴿كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [الآية: 57] الإشارة إلى إخراج الثمرات وهو أقرب أو إلى إحياء البلد الميت وهو أنسب أي: كما نحييه بإحداث القوة النامية فيه وبتطريتها بأنواع النبات والثمرات نخرج الموتى من الأجداث ونحييها برد النفوس إلى مواد أبدانها بعد جمعها وبتطريتها بالقوى والحواس المدركات ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الآية: 57] فتعلمون أن من قدر

(1) نسب إلى أبي العتاهية. انظر: المنتحل (1/ 15)، والحماسة البصرية (1/ 73).

على ذلك قدر على ما هنالك.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة منه تحصل لمهجور تمادى به الصد وبرح به الوجدُ فأدرس رسمه بل أبطل كله البعد فيأتيه بشير القرب فيعود عود وصله بعد الذبول طرياً ويصير دارس حاله عقيب السقوط ندياً قال/ قائلهم: 298/ أ

كن كمن ألبس أكفانه　　وقرب النعش من الملحد

فجال ماء الروح في جسمه　　فرده الوصل إلى المولد[1]

تبارك الله سبحانه　　ما كل هم هو السرمد

﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [الآية: 58] أي: المكان الكريم التربة ﴿يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ [الآية: 58] بمشيئته وتيسيره كثيراً سريعاً عزيزاً حسنه ﴿وَٱلَّذِى خَبُثَ﴾ [الآية: 58] كالحرة والسبخة ﴿لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ [الآية: 58] قليلاً بطيئاً عديماً نفعه.

وأفاد الأستاذ: أنه إذا زكا أصل [نما الفرع وإن طاب] العنصر فالجزء يحاكي أصله فالأسرة تدل على السريرة فمن صفا ساكن قلبه زكا ظاهر فعله فمن كان بالعكس فحاله الضد ﴿كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْأَيَٰتِ﴾ [الآية: 58] نرددها وتكررها ﴿لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ [الآية: 58] على نعمائه ويتكفرون في الآية ويعتبرون بما في الدنيا من قلة بقائها وسرعة فنائها والآية مثل الأبرار والفجار فمن تدبرها انتفع بها ومن لم يرفع رأسه إليها ولم يتأثر منها وفي ما بيناه إيماء إلى قوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ [الأنعام: 122] ولما ذكر قصة آدم عليه السلام في أول السورة من الابناء شرع هنا في قصص بقية الأنبياء فقال:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ [الآية: 59] وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن إدريس أول رسول من بعده بعث وهو ابن خمسين سنة أو أربعين ﴿فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [الآية: 59] أي: وحدوه وأطيعوه ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الآية: 59] بالرفع على أنه صفة إله باعتبار محله لأن من زائدة وهو اسم ما وقرأ الكسائي بالجر بناءً على لفظه وقرىء بالنصب على الاستثناء ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية:

(1) ذكره القشيري في تفسيره (3/ 178).

59] إن لم تؤمنوا ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الآية: 59] وهو يوم القيامة أو يوم العقوبة وهو وعيد على مخالفته وبيان للداعي إلى عبادته وموافقته.

وأفاد الأستاذ: أنه بلغ الرسالة فلم ينجع فيهم ما أظهر لهم من الدلالة لأن محروم القسمة لا ينفعه مجهود الحيلة.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ﴾ [الآية: 60] أي: الأشراف الأكابر فإنهم يملون عيون الأصاغر ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ﴾ [الآية: 60] أي: زوال عن الحق ﴿مُّبِينٍ﴾ [الآية: 60] أي: بين الصدق بامتناعك وآبائك عن دين أنبيائك.

298/ ب ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى/ ضَلَٰلَةٌ﴾ [الآية: 61] أي: شيء من الضلال الموجب للوبال ﴿وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الآية: 61] وثابت على الدين المتين وطريق اليقين.

وأفاد الأستاذ أن نوحاً عليه السلام نسب إلى الضلالة فتولى جوابهم بنفسه في المقالة فقال ﴿يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ﴾ [الآية: 61] ونبينا ﷺ نسب إلى ما نسب إليه من الضلالة فتولى الحق سبحانه الرد عنه فقال ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ [النجم: 2] فشتان بين من نضح عن نفسه وبين من دفع عنه ربه قلت لعله إشارة إلى أن نوحاً عليه السلام كان سالكاً مريداً ونبينا ﷺ مجذوباً مراداً.

﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾ [الآية: 62] لتصلوا إلى مقام قربي ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 62] من صفات لطفه وقهره ونعوت جماله وجلاله وقرأ أبو عمرو وأبلغكم بالتخفيف والمعنى أوصلكم إلى ما أرسلني إليكم وجمع الرسالات باختلاف الأوقات وتنوع الجهات من العقائد والعبادات والمعاملات وأريد لكم الخير بالموعظة في المأمورات والمنهيات.

وقال الأستاذ: أي أعلم أني بالغت في تبليغ الرسالة لكن من لم يسبق له القسمة بالسعادة لا ينفعه نصحي ولا يؤثر فيه قولي فإن من أسقطته القسمة لم تنعشه النصيحة.

﴿أَوَعَجِبْتُمْ﴾ [الآية: 63] الهمزة للإنكار والواو للعطف على محذوف أي:

أكذبتم وعجبتم كذا قاله جماعة.

وقال صاحب «البحر»: هذا مخالف لكلام سيبويه والنحاة فإنهم مصرحون بأن الواو لعطف ما بعدها على ما قبلها من الكلام ولا حذف في المقام وكان الأصل وأعجبتم لكنه اعتناء بهمزة الاستفهام فقدمت على حرف العطف لصدارة الاستفهام وقد رجع الزمخشري إلى الجماعة انتهى وهو أظهر في المعنى وأبعد من التكلف في المبنى ﴿أَن جَآءَكُمْ﴾ [الآية: 63] أي: من أن جاءكم ﴿ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الآية: 63] رسالة أو موعظة ﴿عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ﴾ [الآية: 63] على لسان رجل من جملتكم أو من جنسكم لا من الملائكة ﴿لِيُنذِرَكُمْ﴾ [الآية: 63] ليخوفكم الذكر أو الرجل أو ربكم عاقبة الكفر والأوزار ﴿وَلِتَتَّقُواْ﴾ [الآية: 63] منهما بسبب الإنذار ﴿وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الآية: 63] بالدخول في الجنة مع الأبرار وفي إيراد الترجي إيماءً إلى أنه لا يجب على الله/ شيء من الثواب 300/ أ
والعقاب.

وأفاد الأستاذ: أنهم عجبوا من كون شخص رسولاً لله ولم يتعجبوا من كون الصنم شريكاً لله وهذا فرط الجهالة وغاية الغباوة والضلالة.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ﴾ [الآية: 64] وهم من آمن به وكانوا ثمانين على ما رواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس أربعين رجلاً وأربعين امرأة منهم بنوه سام وحام ويافث ﴿وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ [الآية: 64] بالطوفان أجمعين ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا عَمِينَ﴾ [الآية: 64] عمي القلوب غير مستبصرين وهو مخفف عميين.

وأفاد الأستاذ: أنهم لم يسعدوا بما عملوه ولم يصلوا إلى ما أملوه.

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ﴾ [الآية: 65] أي: وأرسلناه إليهم وقوله ﴿هُودًا﴾ [الآية: 65] عطف بيان لأخاهم والمراد به الواحد منه كقولهم يا أخا العرب وإنما جعل منهم لأنه أفهم بمقاله وأعرف بحاله وأرغب بالاقتداء في أفعاله ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الآية: 65] من عقابه ونكاله في الدنيا وعذابه في العقبى.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦٓ﴾ [الآية: 66] إذ كان من أشرافهم من آمن به ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾ [الآية: 66] أي: متمكناً في خفة عقل وسخافة حيث ادعيت إلهاً واحداً وخالفت دين قومك في جعلهم الإله متعدداً ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [الآية: 66] في دعوتك ودعويك عذاباً سرمداً.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ﴾ [الآية: 67] تحملني على الجهالة والكذب والضلالة ﴿وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الآية: 67] كامل العقل والديانة.

﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي﴾ [الآية: 68] على طريقة النصيحة ﴿وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ﴾ [الآية: 68] مريد للخير والمصلحة ﴿أَمِينٌ﴾ [الآية: 68] مأمون على الرسالة.

﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْۚ﴾ [الآية: 69] وفي إجابة الأنبياء للكفرة عن كلماتهم الفضيحة بما أجابوا وقابلوه بالنصيحة والإعراض عن مقابلة مقالتهم بالخشونة وبيان كمال الحكم والشفقة والرحمة وهضم النفس وحسن المجالة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أخبر أنهم سلكوا طريق سلفهم وإخوانهم فوقعوا في وهدتهم وآمنوا بمثل حالتهم فما خسر من آثر على هواه رضا الله ولا ربح من قدم هواه على حق الله ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ
نُوحٍ﴾ [الآية: 69] أي: في مساكنهم حيث/ أخلفكم أو في الأرض بأن أخذ منهم 299/ ب
وأعطاكم ﴿وَزَادَكُمْ فِي ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً﴾ [الآية: 69] قامة وقوة وكان طويلهم مائة ذراع وقصيرهم ستين خوفهم أولاً من عقاب الله وانتقامه ثم ذكرهم بزيادة إحسانه وأنعامه بقوله ﴿فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 69] أي سائر الآية ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الآية: 69] تفوزون بمقام الرضا في قضائه والصبر على بلائه والشكر على نعمائه.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه جعل الخلق بعضهم خلفاً عن بعض فلا يغني فوجاً منهم في جنس إلا أقام فوجاً عنهم في ذلك الجنس فأهل الغفلة إذا انقرضوا أخلف عنهم قوماً وأهل الوصلة إذا أدرجوا خلف عنهم قوماً ولا ينبغي للعبد أي: من الأصاغر أن يسمو طرف تأمله إلى محل الأكابر فإن ذلك المقام

مشغول بأهله ما لم تنته نوبة أولئك لا تنتهي النوبة إلى هؤلاء وكما زاد قوماً على من تقدمهم في بسطة الخلق زاد قوماً على من تقدمهم في بسطة الخُلُق فكما أوقع التفاوت بين شخص وشخص فيما يعود إلى المباني أوقع التباين بين قوم وقوم فيما يرجع إلى المعاني وقوله ﴿فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 69] عام والأول خاص فهذا يتضمن ترويح الظواهر والثاني متضمن التلويح في السرائر والتلويح بوجود المبار والتلويح بشهود الأسرار.

﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ﴾ [الآية: 70] أي: منفرداً عن سائر آلهتنا ﴿وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ [الآية: 70] أي: ونترك عبادة أصنامنا التي كان يعبدها آباؤنا استبعدوا اختصاص الله بالعبادة لما كتب عليهم من الشقاوة دون السعادة ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ [الآية: 70] أي: من العذاب المدلول عليه بقوله أفلا تتقون ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ [الآية: 70] في وعيدك للمكذبين.

وأفاد الأستاذ أنهم طاحوا في أودية التفرقة فلم يجدوا قراراً في ساحة الوحدة فشق عليهم الإعراض عن الأغيار أي: ورضوا أن يكونوا تحت حجب الأستار وفي معناه قال قائلهم:

أراك بقية من قوم موسى فهم لا يصبرون على طعام[1]

ويقال شخص لا يخرج عن عُش التفرقة لمحة وشخص لا يحيد عن سنن/التوحيد لحظة فلا يعبد إلا واحداً فكما لا يعبد إلا واحداً لا يشهد إلا 300/أ
واحداً قال قائلهم:

لا يهتدى قلبي إلى غيركم لأنه سد عليه الطريق[2]

قلت والله ولي التوفيق.

﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ﴾ [الآية: 71] وجب وحق ﴿عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ﴾ [الآية: 71] عذاب ﴿وَغَضَبٌ﴾ [الآية: 71] يترتب عليه عقاب وحجاب والمراد بالغضب في هذا المقام إرادة الانتقام.

(1) نسب إلى أبي نوّاس. انظر: التمثيل والمحاضرة (1/ 5)، وأخبار النساء (1/ 43).
(2) نسب إلى العباس. انظر: محاضرات الأدباء (1/ 343).

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه إذا أراد هوان عبد طرحه في مفازة التفرقة والإنكار وإن من علامة غضبه وإعراضه رد العبد إلى شهود الأغيار وتغريقه إياه في بحار الظنون والأفكار إذ لا تحصيل للأغيار في معنى الإثبات والإقرار ﴿أَتُجَٰدِلُونَنِي فِي أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ﴾ [الآية: 71] أي: في أشياء ما هي إلا أسماء أحدثتموها وليس في مسمياتها معنى يوجب إلٰهيتها وسميتموها آلهة ﴿أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ [الآية: 71] أي: ما جعل في عبادتها من حجة وبرهان بل هي من موضوعاتكم ومخترعاتكم لأن المستحق للعبادة بالذات هو المستجمع لكمالات الصفات ﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ﴾ [الآية: 71] أمر الله فينا وفيكم ﴿إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾ [الآية: 71] حتى تروا حالنا وحالكم ومآلنا ومآلكم.

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾ [الآية: 72] أي: في الدين والطاعة ﴿بِرَحْمَةٍ﴾ [الآية: 72] منه ﴿مِّنَّا﴾ [الآية: 72] عليهم ونعمة منا إليهم ومنحة منا لديهم.

وأفاد الأستاذ: أن لا رتبة فوق رتبة النبوة ولا درجة أعلى من درجة الرسالة فأخبر سبحانه أنه نجا هود عليه السلام برحمته وكذلك نجّى الذين آمنوا معه برحمة ليعلم أن النجاة لا تكون باستحقاق العمل في عبادته وإنما يكون بابتداء فضل من الله ورحمة فما نجا من نجا إلا بفضل من الله سبحانه قلت ومن هذا المقام نطق عليه السلام حيث قال لن يدخل أحدكم الجنة بعمله قالوا: ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلّا أن يتغمدني الله برحمته(1) وفيه إيماءٌ إلى كبريائه وعظمته واستغنائه عن وجود عبده وعبادته وأنه لا يجب عليه شيء من مثوبته وعقوبته ﴿وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [الآية: 72] أي استأصلناهم وأهلكناهم عن آخرهم ﴿وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 72] تعريض لمن
300/ب آمن منهم ودخل في الدين وتنبيه/ على أن الفارق بين من نجا ومن هلك هو الإيمان واليقين.

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الآية: 73] حجة ظاهرة الدلالة على صحة

(1) سبق تخريجه.

نبوتي وصدق دعوتي إضافة تعظيم لكم بالرسالة من عند ربكم ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ﴾ [الآية: 73] نصبها على الحال والعامل فيها معنى الإشارة أي معجزة عظيمة فإنما خرجت من الصخرة يوم عيدهم بمحضر منهم حين اقترحوا تلك المعجزة وعهدوا أن يؤمنوا به بعد ظهور تلك الآية ﴿فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ﴾ [الآية: 73] من عشبها وتشرب من مائها ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ﴾ [الآية: 73] من ضربها وطردها ﴿فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [الآية: 73] بالنصب على جواب النفي.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه غاير بين الرسل من حيث الشرائع وجمع بينهم في التوحيد الذي هو أصل المنابع وأساس المنافع فالشرائع التي هي العبادات مختلفة الحالات والكل مأمورون على وجه واحد بتوحيد الذات ثم أخبر عن إمضاء سنته تعالى بإرسال الرسل عليهم السلام وإمهال أممهم في مآلهم من المقام ريثما ينظرون في معجزات الرسل عليهم السلام ثم أخبر عما أدرجوا عليه من مقابلتهم الرسل الكرام بالتكذيب تسلية للحبيب فيما كان يقاسي من بلاء قومه في البلاد.

﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ عَادٖ﴾ [الآية: 74] في مساكنهم ﴿وَبَوَّأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الآية: 74] أي: أسكنكم في أرض الحجر ﴿تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورٗا وَتَنۡحِتُونَ ٱلۡجِبَالَ بُيُوتٗاۖ﴾ [الآية: 74] أي: تنقبون بيوتاً في جبالها وتسكنون وقت الشتاء فيها ﴿فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 74] بشكرها وبالتأمل فيها وفكرها ﴿وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾ [الآية: 74] لا تفسدوا فيها حال كونكم قاصدين الفساد للبلاد والعباد.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أزاح في بسط الدلالة علتهم ووسع عليهم حالتهم بتمكينهم من السقيا على ما دعت إليه حاجتهم فلا الدليل تأملوه ولا السبيل لازموه ولا النعمة عرفوا قدرها ولا المنة قدموا شكرها فصادفهم من البلاء ما أدرك أشكالهم قال: قرأ ابن عامر.

﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ﴾ [الآية: 75] تكبروا عن الإيمان واستنكفوا من الإيقان ورضوا بجهلهم وتقليد أهل الطغيان ﴿لِلَّذِينَ/ ٱسۡتُضۡعِفُواْ﴾ 301/أ

[الآية: 75] لمن استذلوهم من الرعايا ﴿لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾ [الآية: 75] بدل كل إن كان ضمير منهم لقومه وبدل بعض إن كان للذين فإن المستضعفين كثيرون وأربعة آلاف منهم مؤمنون ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الآية: 75] قالوه على الاستهزاء بهم أو بناءً على زعمهم ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾ [الآية: 75] عدلوا عن نعم من الإيجاز في الجواب إلى الأطناب تلذذاً بما يستطاب في الخطاب وتشهيراً بوجه الصواب.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ [الآية: 76].

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أجرى سُنَّته أنه لا يخص بأفضاله وجميل صنعه وإقباله في الغالب من عباده في جميع بلاده إلا من يسمو إليه طرفه بالإجلال وأن لا يوضح له قدره بين الأضراب والأشكال فأنصار كل نبي إنما هم ضعفاء وقته ثم أن من لاحظه أهل الغفلة بعين الاحتقار فليس [الأمر] كما تذهب إليه الأوهام ولا كما يعتقد فيه الأنام بل الجواهر مستورة في معادنها وقيمة المحال بساكنها قال قائلهم:

وما ضر نصل السيف أخلاق غمده إذا كان غضباً حيث وجهته برى[1]

قال ﷺ كم من أشعث أغبر ذي طمرين[2] لا يؤبه به لو أقسم على الله لأبره[3].

﴿فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ﴾ [الآية: 77] أسند إلى جميعهم فعل بعضهم للملابسة أو لأنه كان برضاهم في القضية والمعنى فنحروها ﴿وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ [الآية: 77] أي: استكبروا عن امتثاله وهو ما بلغهم صالح بقوله فذروها ﴿وَقَالُواْ﴾ [الآية: 77] حين قال لهم ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأعراف: 72] ﴿يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ [الآية: 77] أي: من العذاب ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾

(1) نسب إلى الإمام الشافعي. انظر: معجم الأدباء (2/ 351)، وخريدة القصر (1/ 118).
(2) الثوب الخلق، انظر: النهاية في غريب الحديث (3/ 306).
(3) أخرجه الحاكم في المستدرك (4/ 364) رقم (7932)، والطبراني في المعجم الأوسط (1/ 264) رقم (861)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/ 692) رقم (3854).

[الآية: 77] أي: من الصادقين في دعوى الرسالة وإظهار المعجزة.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ [الآية: 78] أي: الزلزلة من الأرض والصيحة من السماء حتى تقطعت قلوبهم في صدورهم فلا ينافي ما وقع في موضع آخر فأخذتهم الصيحة فبين في كل محال نوعاً من العقوبة ﴿فَأَصْبَحُوا﴾ [الآية: 78] لإنكارهم ﴿فِي دَارِهِمْ﴾ [الآية: 78] أي: مسكنهم وأرضهم مع طولهم وأعراضهم ﴿جَاثِمِينَ﴾ [الآية: 78] خامدين ميتين من غير شعورهم لازمين لمكانهم وقبورهم واقعين على صدورهم.

﴿فَتَوَلَّى﴾ [الآية: 79] أي: أعرض وأدبر ﴿عَنْهُمْ وَقَالَ﴾ [الآية: 79] في حقهم ﴿يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي/ وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ [الآية: 79] بما أوحى إلي قلبي 301/ ب
﴿وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾ [الآية: 79] أي: المريدين للخير بكم.

وأفاد الأستاذ: أن الجِبِلَّة تدعو إلى وفاق الهوى وخلاف الهدى فتستثقل النفس قول الناصحين فتخرج عليهم فكأنها تعدهم الواشين قال قائلهم:

وكم سقت في آثارهم من نصيحة وقد يستفيد البغضة المنتصح[1]

﴿وَلُوطًا﴾ [الآية: 80] أي: وأرسلنا لوطاً ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾ [الآية: 80] أي: وقت قوله لهم ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ [الآية: 80] استفهام توبيخ وتقريع على تلك الغفلة المتمادية في القباحة ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [الآية: 80] أي: ما فعلها قبلكم أحد من ذوي العقول والباء للتعدية ومن الأولى زائدة لمزيد الاستغراق في النفي والثانية للتبعيض والجملة استئناف.

﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾ [الآية: 81] الاستفهام للإنكار وقرأ نافع وحفص بالإخبار وفي جعل الشهوة علة وصفهم بالبهيمية الصرفة وتنبيه لهم على أن العاقل ينبغي أن يكون الداعي له إلى المباشرة طلب الولد وبقاء النوع لا مجرد قضاء الشهوة واقتضاء اللذة مع قطع النظر عن القباحة

(1) نسب إلى العباس بن الفرج الرياشي. انظر: الكامل في اللغة والأدب (1/ 336)، ونسب إلى عمارة بن عقيل. انظر: جمهرة الأمثال (1/ 171)، ونسب إلى الأقرع بن معاذ. انظر: التذكرة الحمدونية (2/ 328).

﴿بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ﴾ [الآية: 81] أي: عادتكم المجاوزة عن الحد في القضية وهو إضراب انتقال من حال إلى حال لا إضراب إبطال.

وأفاد الأستاذ: أن الحق سبحانه أباح في الشرع ما أزاح به العذر فمن تخطى حد الأمر وجرى على مقتضى الهوى استقبل هوانه واستوجب إذلاله واستجلب باختياره صغاره.

﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ﴾ [الآية: 82] أي: بعضهم لبعض في حق لوط ومن آمن به ﴿أَخۡرِجُوهُم مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [الآية: 82] يبالغون في الطهارة ويراعون الديانة قالوه على وجه الاستهزاء والسخرية ويتطهرون من دبر الرجال والنسوة على ما فسره ابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم من الأئمة ﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ﴾ [الآية: 83] ممن آمن به فإنه ما آمن به أحد سوى أهل بيته ﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ﴾ [الآية: 83] وأهله فإنها ﴿كَانَتۡ﴾ [الآية: 83] تسر الكفر من أهله ﴿مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾ [الآية: 83] الباقين في عذاب الكافرين والتذكير لتغليب الذكور.

﴿وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ﴾ [الآية: 84] نوعاً من المطر عجيباً في الوبيل وهو
302/ أ مبين بقوله وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل/ ﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [الآية: 84] وقيل: خسف بمقيميهم وأمطرت الحجارة على مسافريهم.

﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ﴾ [الآية: 85] قبيلة أو المراد بلد مدين أي: وأرسلنا إليهم ﴿أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ﴾ [الآية: 85] وكان يقال له خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه في الأشياء ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ﴾ [الآية: 85] يريد المعجزة التي كانت له وليس في القرآن إنها ما هي ﴿فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ﴾ [الآية: 85] أي: آلته على اضمار أو أراد بالكيل الذي هو المصدر ما يكال به لقوله ﴿وَٱلۡمِيزَانَ﴾ [الآية: 85] ولما في سورة هود وقرأ المكيال والميزان ﴿وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ﴾ [الآية: 85] لا تنقصوهم في غيرها أيضاً حقوقهم وإنما قال أشياءهم ليعلم القليل والكثير تنبيهاً على أنهم كانوا يبخسون بالجليل والحقير.

وأفاد الأستاذ: أن قوم شعيب خسّت مرتبة همتهم فقنعوا بالتطفيف في المكيال والميزان عند معاملتهم ثم أن الحق سبحانه لم يسألهم في ذلك المقدار ليعلم أن الأقدار ليست من حيث الإخطار ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية: 85] بالكفر والمكر والمكس والجور ﴿بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الآية: 85] أي: إصلاح أمرها وأهلها ببعث الأنبياء واتباع شرائعهم في جميع الأشياء ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ [الآية: 85] أي: العمل بما أمرتم ونهيتم ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [الآية: 85] في الدنيا والعقبى ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 85] أي: مصدقين بما أقول لكم من أمر اليقين.

﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ﴾ [الآية: 86] أي: في كل طريق من طرق الدين كالشياطين المانعين أو كانوا يجلسون على ممر المسافرين ويحذرونهم بأن شعيباً من الكذابين ويوعدونهم بالقتل وغيره لمن تبعه من المؤمنين وهذا منقول عن ابن عباس وغيره من أكابر المفسرين أو كانوا يقطعون الطريق على المارين أو كانوا مكاسين كما قاله السدي وبعض العلماء المعتبرين ﴿وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الآية: 86] أي: تمنعون عن إتباعه أو إظهار دينه ﴿مَنْ آمَنَ بِهِ﴾ [الآية: 86] أي: بالله أو برسوله ﴿وَتَبْغُونَهَا﴾ [الآية: 86] تطلبون لسبيل الله ﴿عِوَجًا﴾ [الآية: 86] بإلقاء الشبهة أو وصفها للناس بأنها معوجة.

وأفاد الأستاذ: إن شر المعاصي ما لا يكون لازماً لصاحبه وكان متعدياً عنه إلى غيره ثم بقدر الأثر في التعدي يحصل الضرر للمبتدىء ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا﴾ [الآية: 86] في العدد ﴿فَكَثَّرَكُمْ﴾ [الآية: 86] بالمدد/ والمدد في النسل 302/ ب
والمال وسعة الحال وفراغ البال ﴿وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الآية: 86] من الأمم قبلكم في المال فاعتبروا بهم واختاروا حسن المقال وجميل الفعال.

وقال الأستاذ: منّ عليكم بتكثير الأعداد لأن التناصر والتعاون يمشي الأمور ويحصل المراد ويقال كمال كل أمر في الخير والشر بالأعوان والأنصار فلا نعمة فوق اتفاق الأنصار في الخير ولا محنة فوق اتفاق الأعوان في الشر.

﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ﴾ [الآية: 87] أي: بترك متابعته ﴿فَٱصْبِرُواْ﴾ [الآية: 87] فتربصوا وانتظروا ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَاۚ﴾ [الآية: 87] ينصر المحقين على المبطلين فهو وعد للمصدقين ووعيد للمكذبين ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [الآية: 87] إذ هو أعلم العالمين وأعدل العادلين.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ﴾ [الآية: 88] أي: المكذبين ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ﴾ [الآية: 88] أي: لتصيرن أو لترجعن بناء على التغليب فإن الأنبياء لا يجوز عليهم الكفر لا في الابتداء ولا في الانتهاء ﴿قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ﴾ [الآية: 88] أي: نعود في ملّتكم وإن كنا كارهين والهمزة للإنكار أو التعجب أي: كيف نعود فيها ونحن كارهون لها.

﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَاۚ﴾ [الآية: 89].

وقال الأستاذ: كما أن أهل الخير لا يميلون إلا إلى أشكالهم فأهل الشر لا يرضون لمن رأوا إلا بأن يساعدهم على ما هم عليه من أحوالهم والأوحد في بابه من باين نهج أضرابه ﴿وَمَا يَكُونُ﴾ [الآية: 89] أي: يصح ﴿لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَاۚ﴾ [الآية: 89] خذلاننا وارتدادنا فإنه مقلب القلوب وعلام الغيوب وإذا أراد الله بعبد سوءاً فلا مرد له والمعنى لا يمكن ولا يكون الارتداد ونحن على هذا الطبع من الوداد نعم لو أراد الله لنا البعاد عن مقام الإسعاد فهو قادر على أن لا يغير طبائعنا وقلوبنا ويصرفنا عن سبيل السداد ولكن الله رؤوف بالعباد ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًاۚ﴾ [الآية: 89] فسبحان من أقام العباد فيما أراد ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَاۚ﴾ [الآية: 89] فيما قضى علينا من المراد ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ﴾ [الآية: 89] أحكم ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية: 89] أي: بإظهاره ونجاة أربابه وبيان الباطل
303/أ وإهلاك أصحابه أو المراد بالحق ما يستحق/ كل من الخلق ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ [الآية: 89] أي: الحاكيمن من الفتاحة وهي الحكومة أو فتح باب العدالة وإظهار القضية المغلقة.

وأفاد الأستاذ: أنهم نطقوا عن صحة عزائمهم حيث قالوا ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم﴾ [الآية: 89] ثم أقروا بالشكر لله حيث قالوا ﴿بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا﴾ [الآية: 89] ثم تبرؤوا عن حولهم وقوتهم حيث قالوا ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا﴾ [الآية: 89] أي بأن يلبسنا لباس الخذلان ويردنا إلى مقام الهوان ثم استناموا إلى جميل التوكل فقالوا ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ [الآية: 89] أي: به وثقنا ومنه الخير أملنا ثم فوضوا أمرهم إلى الله فقالوا ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية: 89] فتداركهم الحق سبحانه عند ذلك بجميل الصنعة وحسن الكفاية.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾ [الآية: 90] وهم حالفون ﴿لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾ [الآية: 90] لاستبدالكم دينه الباطل بدين آبائكم الحق على زعمهم وهم جاهلون وعن معرفة الحق غافلون.

وقال الأستاذ: تواصوا فيما بينهم بتكذيب نبيهم وأشار بعضهم على بعض باستشعار وقوع الفتنة بمتابعة مرشدهم وكانوا مخطئين في حكمهم مبطلين في ظنهم فعلم أن كل نصيحة لا يجب قبولها وكل إشارة لا يحسن اتباعها.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ [الآية: 91] الزلزلة وفي سورة الحجر فأخذتهم الصيحة ولعلها كانت من مبادىء العقوبة وكان في أثنائها سحابة فيها شرر من النار ولهيبها وهو قوله تعالى في الشعراء: ﴿عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ﴾ [الشعراء: 189] ﴿فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ [الآية: 91] زهقت أرواحهم وخمدت أشباحهم وهو وعيد لأمثالهم وأشباههم.

﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا﴾ [الآية: 92] أي: كأن لم يقيموا بها حيث استوصلوا منها شبه الله تعالى حال هؤلاء المكذبين في مآلهم بحال من لم يكونوا قط في ديارهم ومنازلهم.

﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الآية: 92] ديناً ودنيا إلا الذين صدقوا واتبعوه كما قالوه زعماً وظناً فإنهم هم الرابحون في الأولى والأخرى.

وقال الأستاذ: وكانت لهم غلبة في وقتهم ولكن لما اندرست أيامهم سقط صيتهم وحمل ذكرهم وتفتح سحاب من توهم شيئاً منهم ثم قال الحق
303/ب غالب/ في كل أمر والباطل زاهق في كل وصف وإذا كانت العزة نعت من هو أزلي الوجود والجلال حق من هو الملك المعبود فأي أثر للقطرة مع القدرة وأي: خطر للعلل مع الأزل.

ولقد أنشدوا في قريب من هذا:

استقبلنا وسيفه مسلول وقال لي واحدنا معذول[1]

﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾ [الآية: 93] أي: أعرض عنهم لما أيس منهم ﴿وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ [الآية: 93] من صميم قلبي قاله تأسفاً بهم لشدة حزنه عليهم ثم أنكر على نفسه في توجهه إليهم بقوله: ﴿فَكَيْفَ ءَاسَىٰ﴾ [الآية: 93] أحزن ﴿عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾ [الآية: 93] ليسوا بأهل حزن في الدين إذا كانوا للعذاب مستحقين.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه بين أنه عليه السلام راعى حد الأمر فإذا خرج عن عهدة التكليف في التبليغ فما عليه من إقرارهم وإنكارهم وتوحيدهم وجحودهم شيء إن أحسنوا فالميراث الجميل راجع إليهم وإن أساؤوا فالضرر بالتألم عائد عليهم ومالك الأغيار أولى بها من الأغيار فالخلق خلقه والملك ملكه إن شاء هداهم وإن شاء أغواهم فلا تأسف على نفي وفقد ولا أثر من كون ووجود.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ﴾ [الآية: 94] فكذبه أهلها ﴿إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا﴾ [الآية: 94] المكذبين بالأنبياء ﴿بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ [الآية: 94] بالشدة والحاجة والوباء والغلاء وأنواع البلاء ﴿لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ [الآية: 94] كي يتضرعون ويتذللوا ويرجعوا إلى أمر رب السماء وقبول متابعة الأنبياء قال بعض الأصفياء من الأولياء دعاك إلى ما به من الشفقة والرحمة والعطايا والمزايا فلم تجبه ولم ترجع إليه فصب عليك أنواع البلايا والرزايا لترجع كرهاً إذا أبيت الرجوع إليه طوعاً فلم

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 241) و(2/ 402) و(5/ 16).

تجبه ولم تتوكل عليه.

﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ﴾ [الآية: 95] أي: أعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والمحنة أنواعاً من الرخاء والمنحة ابتلاء بالأمرين واستدراجاً في الحالين ﴿حَتَّىٰ عَفَوا۟﴾ [الآية: 95] أي: كثروا نفراً ومالاً وتوهموا أنهم نالوا منالاً وحصلوا كمالاً ﴿وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ﴾ [الآية: 95] فأصابنا مثل ما أصابهم من البلاء والعناء كفراناً لنعمة الله وشكره ونسياناً لحمده وذكره واعتقاداً بأن هذا من عادة دوران الفلك/ ودهره ﴿فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾ [الآية: 95] فجأة وهي 304/ أ
حال النقمة أشد فظاعة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الآية: 95] بنزول العقوبة.

وأفاد الأستاذ: أن رب العباد والبلاد حركهم بالبلاء الأدون تحذيراً من البلاء الأصعب فإنما تمادوا في غيهم ولم ينتبهوا من غفلتهم مد عليهم ظلال الاستدراج وصبّ عليهم أسباب الترفية بمنع الاحتياج مكراً بهم في الحال واستدراجاً لهم في المآل فإذا وطنوا على مساعدة الدنيا قلوبهم وركنوا إلى ما سولت لهم من امتداد أيامهم مع كثرة آثامهم أبرز لهم من مكامن التقدير ما نغّص عليهم طيب الحياة واندق بغتة عنق السرور وشرقوا بما كان يتحسون من كاسات الأماني فتبدل ضياء نهارهم بظلمة الوحشة وتكدر ما في شرابهم بيد النوائب كما سبق به القسمة.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ [الآية: 96] أي: تلك القرى التي أرسلناها إليهم رسلاً ﴿ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟﴾ [الآية: 96] بدل ما كفروا وعصوا ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية: 96] بإنزال المطر وإخراج النبات أو وسعنا عليهم الخيرات ويسرناها لهم من جميع الجهات وقرأ ابن عامر لفتحنا بالتشديد للتكرير والتكثير ﴿وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟﴾ [الآية: 96] رسلنا ﴿فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الآية: 96] من مخالفة أمرنا.

وقال الأستاذ: ولو آمنوا بالله واتقوا الشرك بما سواه لفتحنا عليهم أسباب العطاء فإن سبق بخلافه القضاء فأبواب الرضا والرضاء أتم من العطاء ويقال ليس العبرة بالنعمة بل العبرة بالبركة في النعمة ولذا لم يقل لضعفنا لهم

النعم ولكن قال باركنا لهم في ما خولناهم قلت وفي الحديث اللّهم قنعني بما رزقتني وبارك لي فيه[1].

﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ [الآية: 97] أي: أبعد ذلك آمنوا ﴿أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا﴾ [الآية: 97] عذابنا ﴿بَيَٰتًا﴾ [الآية: 97] أي: تبييتاً أو مبيتاً أو مبيتين أو وقت بيات ﴿وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾ [الآية: 97] حال كونهم غافلين.

﴿أَوَ أَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ [الآية: 98] قرأ نافع وابن كثير وابن عامر أو بالسكون على الترديد للتنويع ﴿أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى﴾ [الآية: 98] ضحوة النهار ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الآية: 98] يلهون من فرط الغفلة أو يشتغلون بما ليس فيه المنفعة.

وأفاد الأستاذ: إن أكثر ما ينزل البلاء ينزل فجأة على غفلة من أهله
304/ب ويقال ومن حذر البيات لم يجد روح الرقاد ويقال: رب ليلة مفتتحة بالفرح/ مختتمة بالترح ويقال: رب يوم تطلع شمسه من أوج السعادة قامت ظهيريته على قيام الفتنة.

﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِۚ﴾ [الآية: 99] وهو استدراج العبد بنعمة أخذه من حيث لا يشعر به ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الآية: 99] خسروا بالكفر ولم يعتبروا بالأمر.

وأفاد الأستاذ: إن من عرف علو قدره خشي خفي مكره ومن أمن خفي مكره نسي عظيم قدره.

ومن «**نفائس العرائس**» بكل قوم مكر فمكره بالعموم ممزوج بالقهر وهوان يعطيهم أسباب العبودية ولم يوفقهم بها ويعطيهم النعمة ولا يعطيهم لسان الشكر عليها ولا يعرفهم حقائق استدراجه بسلب النعمة عنهم وإخلائهم بلا نعمة ولا شكر منهم ومكره بالخصوص أن يلذذ ما وجدوا منه في قلوبهم ويحجبهم بتلك الحلاوة عن إدراك فوق مقاماتهم من مكاشفة الغيوب في

---

(1) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (3/ 443) رقم (15816)، والبيهقي في الآداب (3/ 59) رقم (769)، والطبراني في الدعاء (1/ 276) رقم (882).

القلوب ومكره بالمحبين والعاشقين ظهور الصفات في الآيات وهو مقام الالتباس ومكره بالعارفين والموحدين أن يريهم نفسه على قدر قوة المعرفة والتوحيد ولا يعرفهم مكان المكر هناك بأن يعلموا أن ما وجدوا منه عندما لم يجدوا منه كقطرة في بحاره ذلك من حلاوة مباشرة أنوار القدم والبقاء في أسرار أرواحهم وقلوبهم وعقولهم ولو اطلعوا على حقائق مكره حيث حجبهم به عنه لذابوا من الحياء تحت أنوار سلطان كبريائه وعظمته ومكره بأهل الإلحاد أن يريهم جلاله وجماله في مرآة قلوبهم فيرونه بحسن الأزل وجمال الأبد بنعت فنائهم فيه فيبقيهم من حد الفناء فيرون أنفسهم كأنهم هو من حدة مباشرة الصفة بالعقل فيحتجب عنهم ويبقيهم في حلاوة تأثير أنوار الصفات فيرون أنفسهم في محل الربوبية فيدعون هناك بالأنانية كحسين بن منصور وأبي يزيد قدس الله روحهما فهناك أخفى المكر وألطف الاستدراج ولولا فضله وكرامته عليهم لأبقاهم فيما هم فيه ولكن بلطفه الخفي وإنعامه الجلي أخرجهم من ذلك وأغرقهم في بحار عظمته حتى أقروا بأنهم ليسوا على شيء منه وأنهم في أول درجته من عبوديته ألا ترى قول أبي يزيد في آخر عمره حيث قال ما ذكرتك إلا
عن غفلة ولا عبدتك إلا عن/ فترة وإلى قول حسين بن منصور في وقت قتله 305/ أ
أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وهذا لطف الله بنبينا ﷺ حيث حرسه في هذا المكر الخفي في مقام رؤية الأعلى وشهود قاب قوسين أو أدنى بقوله لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك[1] ذوقه طعم الربوبية وأوقفه في مقام العبودية حتى افتخر بعبوديته بعد وحدان ربوبيته بقوله أنا العبد لا إله إلا الله وكل صنيع منه لطيف بأوليائه إن مكر بهم وإن لم يمكر بهم ومن نجا من مكره وكل في قبضة العزة متحيرون وكيف يأمن منه من يعرفه بالربوبية ويعرف نفسه بالعبودية حكي أن رجلاً سأل الشبلي عن معنى مكر الله فأنشأ الشبلي يقول:

أحبك لا ببعضي بل بكلي ... وإن لم يبق حبك لي حراكا

---

(1) أخرجه مسلم في الصحيح (486/ 222)، وأبو داود في السنن (1/ 327) رقم (879)، وابن حبان في الصحيح (5/ 258) رقم (1932)، وأبو يعلى في المسند (1/ 237) رقم (275).

ويقبح من سواك الفعل عندي وتفعله فيحسن منك ذاكا[1]

فقال السائل: أسأله عن آية من كتاب الله ويجيبني ببيت شعر فعلم الشبلي أنه لم يفتطن لما قال فقال: يا هذا مكره بهم تركه إياهم على ما هم فيه.

قال الحسين: لا يأمن من المكر إلا من هو غريق في المكر فلا يرى المكر به مكراً وأما أهل اليقظة فإنهم يخافون المكر في جميع الأحوال إذ السوابق جارية والعواقب خفية وقال أيضاً من لا يرى الكل تلبيساً كان المكر منه قريباً.

قال أبو الخير الديلمي: كنت يوماً عند الجنيد فارتعدت فرائصه وتغير لونه وبكى وقال: ما أخوفني أن يأخذني الله قال له بعض أصحابنا تتكلم في درجات الراضين وأحوال المشتاقين قال: يا بني إياك أن تأمن مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون.

قال سهيل: المكر تدبير الله بسابق العلم فلا ينبغي لأحد أن يأمن مكر الله يدفع القدرة فلا يجوز أن يخرج نفسه من قدرة الله عليه.

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾ [الآية: 100] أي: ألم يبين ﴿لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَآ﴾ [الآية: 100] أي: يرثون ديارهم ويعقبون آثارهم ﴿لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم﴾ [الآية: 100] إن الشأن لو نشاء أصبناهم بالبلاء للجزاء ﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾ [الآية: 100]
كما أصبنا من قبلهم بعيوبهم ﴿وَنَطْبَعُ﴾ [الآية: 100] أي: ونحن/ نختم ﴿عَلَىٰ 305/ب
قُلُوبِهِمْ﴾ [الآية: 100] ﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الآية: 100] الموعظة أبداً سماع قبول وتفهم وحصول.

وقال الأستاذ: أي أو لم يعلم المغترون بطول سترنا أن لو أردنا لعجلنا عنهم الانتقام وأبلغنا فيهم الاصطلام ثم لا ينفعهم ندم ولا يشكي عنهم ألم.

﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ﴾ [الآية: 101] أي: قرى الأمم التي مر ذكرها وبيانها ﴿نَقُصُّ

(1) نسب إلى أبي نوّاس. انظر: دواوين الشعر العربي (30/ 65).

عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَاۚ﴾ [الآية: 101] نحكي إليك بعض أخبارها ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [الآية: 101] بالمعجزات الظاهرات والآيات الباهرات ﴿فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ﴾ [الآية: 101] عند مجيئها ولم يصلحوا للإيمان عند ظهورها ﴿بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبْلُۚ﴾ [الآية: 101] بما كذبوه من قبل الرسل بل كانوا مستمرين على التكذيب بجميع الأنبياء أو من قبل رؤيتهم تلك المعجزات من الأبناء والمعنى أن كفرهم السابق بسبب كفرهم اللاحق وعن كثير من السلف وهو مختار بعض الخلف أن المراد من قبل يوم أخذ الميثاق أنهم أقروا باللسان وأضمروا التكذيب في الجنان.

وأفاد الأستاذ: أنهم سلكوا طريقاً واحداً في التمرد واجتمعوا في خط واحد في الجحد والتبلد فلا إلى الإيمان جنحوا ولا من العدوان رجعوا وكذلك صفة من سبق بالشقاء قسمته وحق بالعذاب عليهم كلمته ﴿كَذَٰلِكَ﴾ [الآية: 101] أي: مثل ذلك الطبع الشديد والختم السديد والحتم الأكيد ﴿يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الآية: 101] فلا تلين شكيمتهم بالآيات ولا تدخل فيهم شيء من أثر العنايات.

﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم﴾ [الآية: 102] أي: لأكثر الأمم السابقة ﴿مِّنْ عَهْدٍۖ﴾ [الآية: 102] وفاء للعهود السالفة أو بالعهد الذي عاهدهم يوم الميثاق أو عهدهم مع أنبيائهم على وفق الوفاق ورفع الشقاق ﴿وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ﴾ [الآية: 102] أي: وإن الشأن علمنا جمهورهم ﴿لَفَٰسِقِينَ﴾ [الآية: 102] خارجين عن طاعاتنا.

وأفاد الأستاذ: أن نجماً في العذر طارقهم وأفل من سماء الوقار شارقهم فعدم أكثرهم رعاية العهد وحق من الحق لهم قسمة الرد والصد ويقال شكاً من أكثرهم إلى أقلهم فالأكثرون من ردتهم القسمة والأولون من قبلتهم الوصلة.

وقال صاحب «العرائس»: كأنّ هذه الآية نزلت في شأننا مع هؤلاء البطالين الذين سلكوا الطريقة واحتظوا بها وجدوا فيها من الجاه/ والمال 306/ أ
والسعة ونقضوا عهد الإرادة واشتغلوا بالرياسة وخانوا في الشريعة وأنكروا

على المشايخ من أهل الحقيقة أعمى الله قلوبهم ما أشد إنكارهم على الحق وما أشد خروجهم عن طريق الصدق جمعهم الله في الاستدراج وطردهم عن أنوار المنهاج كأنه تعالى عاتب الجمهور حيث لم يفوا عهد الأزل حيث وقف الكل على ما وجدوا وهكذا شأن من لم يلتفت في شاهدة المحبوب إلى غير المحبوب ولكنهم معذورون لأن الحدثان لا يستقلّ أثقال محامل الكبرياء ومطايا القدم والبقاء في أودية الفناء.

قال الجنيد: أحسن العباد حالاً من وقف مع الله على حفظ الحدود والوفاء بالعهود قال تعالى: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَـٰسِقِينَ﴾ [الآية: 102] أي: متجاوزين عن الحد وخارجين عن العهد.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم﴾ [الآية: 103] أي: بعد الرسل أو أممهم ﴿مُّوسَىٰ﴾ [الآية: 103] بآياتنا أي: المعجزات ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ﴾ [الآية: 103] أي: قومه ممن هم على دينه أو خص الأشراف لأنهم مدار رأيه وحضار مجلسه ﴿فَظَلَمُواْ بِهَاۖ﴾ [الآية: 103] بأن كفروا بها مكان الإيمان الذي هو حقها لوضوحها ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [الآية: 103] لتعتبر بما لهم في سوء أفعالهم وقبح حالهم.

وقال الأستاذ: لما انقرضت أيامهم وتقاصر عن بساط الإجابة إقدامهم بعث الله إليهم موسى عليه السلام نبيهم وضم إليه هارون عليه السلام صفيّه فقوبلا بالجحود والتكذيب فسلك بهم مسلك إخوانهم في التبعيد والتعذيب.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَـٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الآية: 104] قيل: لم يقل إليك لأنه لم يرسل الحبيب إلى العدو فهو في الحقيقة رسول إلى المؤمنين ليكون موعظة للعابدين وحجة على المعاندين كما أن القرآن هدى للمتقين وخسارة للظالمين كالنيل ماء للمحبوبين ودماء للمحجوبين وقد يقال إن رب العالمين أرسل أفضل المحبين إلى أمكر الظالمين تخليصاً للضعفاء والمساكين.

﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّۚ﴾ [الآية: 105] صفة رسول أو خبر بعد خبر وعليّ بمعنى الباء نحو قولهم جبلت على حال حسنة ويؤيده قراءة أبيّ

بالباء وفي قراءة نافع عليّ بتشديد/ الياء فقوله أن لا أقول فاعل حقيق. 306/ ب

قال ابن عطاء: من تحقق بالحق فلا يقول على الحق إلا ما يليق بالحق.

وأفاد الأستاذ: أن الرجوع إلى دعاء فرعون إلى الله بعد سماع كلام الله بلا واسطة صعب شديد ولكنه لما ورد الأمر قابله بحسن القبول فلما ترك اختيار نفسه أمده الحق سبحانه بنور التأييد حتى شاهد فرعون محواً في التقدير فقال ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ [الآية: 105] فإذا لم يصح أن يقول على الحق إلا الحق والخلق محو فيما هو الموجود الأزلي فأي سلطان لآثار التفرقة في حقائق الجمع ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الآية: 105] أي: العصا أو اليد البيضاء ﴿فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الآية: 105] أي: فخلهم حتى يرجعوا معي إلى الأرض المقدسة التي هي موطن الأنبياء ومسكن الأصفياء وكان فرعون قد استعبدهم وأقامهم في مقام الإهانة واستخدمهم في الأعمال الشاقة وأحوال المهانة.

﴿قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ﴾ [الآية: 106] أي: من عند رب العالمين ﴿فَأْتِ بِهَآ﴾ [الآية: 106] أي: فأحضرها ليثبت صدقك بها ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الآية: 106] في دعوتك النبوة والرسالة بإرسال هؤلاء الجماعة.

وأفاد الأستاذ: أن من المعلوم أن مجرد الدعوى لا حجة فيه ولكن إذا ظهر البرهان لم يبق غير الانقياد لما هو الحق الثابت كالعيان فمن استسلم سلم ومن جحد الحقائق بعد لوح البيان سقط سقوطاً لا ينتعش في مكان ولا زمان.

﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ﴾ [الآية: 107] أي: بأمر الله ﴿فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ﴾ [الآية: 107] أي: حية عظيمة ﴿مُّبِينٌ﴾ [الآية: 107] ظاهر الهيئة روي أنه لما ألقاها صارت ثعباناً فاتحاً فمه بين لحييه ثمانون ذراعاً وضع لحيه الأسفل على الأرض والأعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب منه فأحدث فزعاً عنه وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون ألفاً وصاح فرعون يا موسى أنشدك بالذي أرسلك خذه وأنا أؤمن بك وأرسل معك بني إسرائيل فأخذه فعاد عصاه على سيرتها الأولى.

وأفاد الأستاذ: أن الله سبحانه إنما أظهر المعجزة من عصاه لطول مقارنته إياها فإن الإنسان إلى ما ألفه أسكن بقلبه فلما رأى ما ظهر في العصا
307/أ من الانقلاب أخذ موسى عليه السلام في الفرار/لتحققه بأن ذلك من قهر الحقائق وفي هذا إشارة إلى أن السكون إلى الشيء غرة وغفلة أي شيء كان فإن تقلب العبد في قبضة القدرة وهو في أسر التقليب فليس الطمع في السكون مساغ بحال.

﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ﴾ [الآية: 108] أخرجها أي: من جيبه أو من تحت إبطه ﴿فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ﴾ [الآية: 108] أي: بيضاء بياضاً خارجاً عن العادة يجتمع عليها النظارة والمعنى أنها بيضاء نورانية غلب شعاعها شعاع الشمس ثم أعادها إلى كمه فعادت إلى لونها الأول على ما قاله مجاهد وغيره فلا ينافي ما روي أنه كان آدم شديد الأدمة.

وأفاد الأستاذ: أن العصا وإن كانت معه في زمان قيده أخص به لأنه عضو له فكاشفه أولاً برسم من رسم ثم أشهده من ذاته في ذاته ما عرف أنه أولى به منه فلما رأى انقلاب وصف في يده علم أنه ليس بيده شيء من أمره.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ [الآية: 109] في صنعته قيل: قال هو وأشراف قومه على سبيل التشاور في أمره فحكي عنهم هنا وعنه في الشعراء وقال الملأ بطريق التبليغ من لسان فرعون إلى قومه وهم القبط.

﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم﴾ [الآية: 110] يا معشر القبط ﴿مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾ [الآية: 110] أي: مصر ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ [الآية: 110] أي: تشيرون في أمره بأن نفعل به أو أي أمر تأمرون به وعلى كل تقدير يشم من هذا الكلام رائحة الدهشة والحيرة في مقام المرام.

وقال الأستاذ: إذا أراد الله هوان عبد لا يزيد للحق حجة إلا ويزيد لذلك المبطل فيه شبهة فكلما ازداد موسى عليه السلام في إظهار المعجزات ازدادوا حيرة في روم التأويلات.

﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ﴾ [الآية: 111] من الإرجاء وهو التأخير أي: أخر أمره وأمر أخيه أو حبسهما وفيه ست روايات متواترات في السعة كلها معتبرات محل بيانها كتب التراث ﴿وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾ [الآية: 111] أي: جمعاً يحشرون إليك من في مدائن صعيد نواحي مصر من السحرة.

﴿يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٖ﴾ [الآية: 112] وقرأ حمزة والكسائي هنا وفي يونس بكل سحار عليم كما هو المجمع عليه في الشعراء كأنه اتفقت عليه آراؤهم الكاسدة فأشار وآية إلى فرعون على وفق عقيدته الفاسدة/ وبالجملة إشارة إلى 307/ ب
عجزه بالانتصار إلى غيره المنافي لدعواه بالألوهية.

وقال الأستاذ: توهم الناس أنهم بالتأخير وتقديم التدبير وبذل الجهد والتشمير يغيرون شيئاً من التقدير ولم يعلموا أن القضاء غالب والحكم سابق وعند حلول الحكم فلا سلطان للحكم والفهم كلا بل هو الله الواحد القهار.

﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرۡعَوۡنَ﴾ [الآية: 113] بعدما أرسل الشرط إليهم في طلبهم غضباً عليهم ﴿قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ﴾ [الآية: 113] أي: على موسى ومن كمال عقلهم ما جزموا بالغلبة في فعلهم وقرأ نافع وابن كثير وخص بلفظ الإخبار وتقدير الاستفهام لحمل المخاطب على الإقرار.

﴿قَالَ﴾ [الآية: 114] فرعون ﴿نَعَمۡ﴾ [الآية: 114] إن لكم لأجراً في عطاء المال ﴿وَإِنَّكُمۡ لَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾ [الآية: 114] بزيادة الجاه في المآل قيل: دعاء فرعون السحرة إلى القرب منهم وجرى لهم في الأزل مقام القرب من الحق.

وقال الأستاذ: ظنوا أنهم يغلبون بما يسحرون ولم يعلموا أن تأثير القدرة فيهم أبلغ من تأثير سحرهم وأنه لا يرد عنهم ما زوروه في أنفسهم من فنون حيلهم ومكرهم فكادوا وكيد لهم فهو كما قيل:

ورمتني بأسهم صائبات ... فتعمدته بسهم فطاشا[1]

فبيناهم في توهم الغلبة لهم فتح عليهم من مكامن القدرة جيش فوجدوا

(1) ذكره القشيري في تفسيره (2/ 417).

أنفسهم في فخّ القدرة مقهورة بسيف المشيئة.

﴿قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ﴾ [الآية: 115] أي: ما بيدك من العصا ﴿وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ﴾ [الآية: 115] ما بأيدينا من الحبال والعصي خيروا موسى مراعاة للأدب والمروءة أو إظهاراً الجلادة.

﴿قَالَ أَلْقُواْ﴾ [الآية: 116] قاله كرماً وتسامحاً لهم أو ازدراءً بهم ووثوقاً على الله في شأنهم فليس أمرهم بالإلقاء قبله من قبيل الإباحة للسحر ولا من باب الرضا بالكفر بل لتوقف ظهور الحق في الأمر ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الآية: 116] أي: بأن خيّلوا إليها ما لا حقيقة لها أو ما الحقيقة بخلافها ﴿وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ [الآية: 116] أي: أرهبوهم إرهاباً شديداً كأنهم طلبوا رهبتهم ﴿وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [الآية: 116] في فنّه الذميم روي أنهم ألقوا حبالاً غلاظاً وخشباً طوالاً كأنها حيات ملأت الوادي وركب بعضها بعض من كثرتها قيل: خمسة عشر
308/أ ألف ساحر وقيل أكثر ومع/ كلٍّ عصي وحبال غلاظ طوال قال السدي: كانوا بضعة وثلاثين ألف رجل ونقل ابن جرير أنهم سبعون ألف ساحر.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ [الآية: 117] فألقاها أي: فصارت حية ﴿فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ﴾ [الآية: 117] وقرأ حفص بتحقيق القاف أي: تبتلع ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾ [الآية: 117] أي: ما يزورونه من الإفك وهو صرف الشيء وقلبه عن وجهه روي أنها لما تلقفت حبالهم وعصيهم وابتلعتها بأسرها أقبلت على الحاضرين وحملت على الكافرين فهربوا وازدحموا حتى هلك جمع عظيم من خوف ذلك المقام أو من كثرة الزحام ثم أخذها موسى فعادت كهيئتها الأولى فقالت السحرة لو كان هذا سحر لبقيت حبالنا وعصينا جهراً.

﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ﴾ [الآية: 118] ثبت ظهوره وتبين نوره ﴿وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 118] أي: السحر وزوره.

قال بعض العارفين: أظهر الحق تعالى لطيفة من صنعه في خشية عجز السحرة عنها وجعل سبب نجاتهم فيها فقال ﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ﴾ [الآية: 118] أي: بإظهار القدرة في جماد وبطل ما كانوا يعملون من الأباطيل في عناد.

﴿فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ﴾ [الآية: 119] صاروا أذلاء مقهورين والضمير لفرعون وقومه الحاضرين.

﴿وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ﴾ [الآية: 120] ولله بالوحدانية عابدين وجعلهم ملقين على وجوههم إيماءً إلى أن الحق غلبهم وإلى السجود جذبهم من غير تمالك لهم.

قال الواسطي: أدركتهم سابقة ما قضي لهم في الأزل من السعادة فأظهر منهم سجود العبادة.

وقال جعفر الصادق: وجدوا نسيم رياح العناية القديمة بهم فالتجأوا إلى السجود شكراً لما أنعم عليهم.

﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الآية: 121] لا رب القبط على زعم فرعون.

﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ [الآية: 122] أبدل لدفع وهم أنهم أرادوا به فرعون.

وقال الأستاذ: موهوا بسحرهم أنهم غلبوا فأدخل الله سبحانه [على] تمويهاتهم قهر الحق فطاحت تلك الحيل وخاب منهم الرجاء والأمل وجذب الحق سبحانه أسرارهم على الوهلة فأصبحوا في صدار العداوة وكانوا في التحقيق من أهل المودة فسبحان من يبرز العدو في نعت الولي ثم يقلب الكتاب ويظهر الولي في صورة العدو ثم يأبى الحال إلا حصول المقضى في الباب.

308/ب ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ [الآية: 123] / بالله أو بموسى أو بكل منهما والاستفهام فيه للإنكار وقرأ حفص بلفظ الإخبار وبيان تحقيق الهمزة وتسهيلها محله كتب القراءة ﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ [الآية: 123] في الإيمان به ﴿إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ﴾ [الآية: 123] أي: إن هذه الصنع لحيلة صنعتموها أنتم وموسى ﴿فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ [الآية: 123] مدينة مصر قبل أن تبرزوا للميعاد ﴿لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا﴾ [الآية: 123] من القبط بالإفساد فتبقى البلد لكم ولبني إسرائيل معكم ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 123] عاقبة فعلكم وهو تهديد بحمل تفصيله قوله.

﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾ [الآية: 124] أي: من كل شق طرفاً ﴿ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الآية: 124] أجمعين تفضيحاً لكم وتنكيلاً لأمثالكم.

قال سمنون: يحمل الهيكل من البلايا على المشاهدة ما لا يحمل في حال الغيبة ألا ترى كيف لم يبال سحرة فرعون بما هددهم به من غير عون.

وقال الأستاذ: خاطبهم فرعون معتقداً أنهم هم الذين كانوا ولم يعلم أن تلك الأسرار قد حررت عن رق الأشكال وأن قلوبهم طهرت عن توهم التفرقة وأن شمس العرفان طلعت في أسماء أسرارهم فأشهدوا الحق بنظر صحيح لم يبق لتخويفات النفس فيهم سلطان ولا لشيء من العلل فيهم مساغ.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ [الآية: 125] أي: لا محالة بالموت إليه راجعون فلا نبالي بوعيدك ولا نهتم بتهديدك أو إلى حكم ربنا لا إلى حكمك منصرفون فإن الأمر كله لله ولا قوة ولا قدرة لمن سواه.

وأفاد الأستاذ: أنه لما كان مصيرهم إلى الله سهل عليهم ما لقوا في مسيرهم إلى الله.

﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ﴾ [الآية: 126] أي: ما تنسب عيباً إلينا ولا تنكر بشيء علينا ﴿إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا﴾ [الآية: 126] وهو أفضل المواهب وأكمل المناقب فلا يتأتى العدول عنه لنا طلباً للدنيا فالاستثناء من قبيل المدح بما يشبه الذم كما قيل:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب(1)

ثم فزعوا إلى الله وأعرضوا عما سواه ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ [الآية: 126] أفض علينا صبراً يغمرنا ويعمرنا إلى آخر عمرنا ﴿وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الآية: 126] ثابتين على الدين واليقين قال ابن عباس وغيره كانوا أول النهار أعداء سحرة وفي آخره شهداء بررة وقيل: لم يقدر عليهم لقوله تعالى: ﴿أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [القصص: 35].

(1) سبق التعليق عليه.

وأفاد الأستاذ: أنهم لما عملوا لله وأوذوا في الله صدقوا القصد إلى الله فطلبوا المعونة من قبل الله كذا سنة من كان كله لله أن يكون كله على الله.

309/ أ ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ﴾ [الآية: 127] أي: لفرعون ﴿أَتَذَرُ/ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ﴾ [الآية: 127] أي: بني إسرائيل ﴿لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الآية: 127] بتغيير الناس عليك وتغيرهم عنك ودعوتهم إلى مخالفتك ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ [الآية: 127] أي: وليترك عبادتك وأصنامك التي أمرت الناس بعبادتهما نيابة عنك وتقرباً إليك ولذا قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النازعات: 24] وقيل: كان يعبد الكواكب وقيل: كان لفرعون بقرة يعبدها ويأمر أن يعبدوا بقرة حسناء نقله ابن عباس وقيل: علق على عنقه صليباً يعبده قاله الحسن البصري: ﴿قَالَ﴾ [الآية: 127] أي: فرعون ﴿سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ﴾ [الآية: 127] قرأ الحرميان بالتحقيق ﴿وَنَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ﴾ [الآية: 127] نستبقي بناتهم إبقاءً للنسل وإبداء للخدمة والمعنى أنا نفعل ما كنا نعمل من قبل حين حكمت الكهنة بوجود مولود لهم على يده ذهاب ملكنا ليعلم أنا على ما كنا عليه من القهر والغلبة لنا ولا يتوهم أحد أنه المولود الذي حكم المنجمون بأنه السبب لذهاب تصرفنا ﴿وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ﴾ [الآية: 127] غالبون وهم تحت أيدينا مقهورون.

وقال الأستاذ: لما استزادوا من فرعون في التمكن من موسى عليه السلام وقومه استنكف أن يقر بعجزه ويعترف بقصور قدرته فتوعد موسى وقومه بما عكس الله عليه تدبيره وغلب عليه تقديره.

﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ﴾ [الآية: 128] حين شكوا إليه من تهديد فرعون وأمره ﴿ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ﴾ [الآية: 128] على حكمه ﴿إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ﴾ [الآية: 128] ملكاً وملكاً ﴿يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ﴾ [الآية: 128] فلربما يأخذ منه ويعطيكم بسهولة كالميراث بأن يهلكهم ويخلفكم ففيه تسلية لهم في تلك الحالة وتقريراً للأمر بالاستعانة ﴿وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [الآية: 128] أي: عاقبة الأمر بالظفر والنصر للمتقين الله ولمن لا يلتفت إلى ما سواه فثقوا به ولا تبالوا بغيره وقال بعضهم معناه الآخرة للمتقين خاصة وأما الدنيا فإنها بالشركة بين المسلمين والكفرة.

وقال الأستاذ: أحالهم على من كان رجوعه إليه فقال لهم إن رجوعي عند تحيري في أموري إلى ربي فليكن رجوعكم إليه وتوكلكم عليه وتعرضوا لنفحات نشره ورشحات يسره فإنه حكم لأهل الصبر بجميل العقبى وحصول النصر.

﴿قَالُوٓاْ﴾ [الآية: 129] أي: بنو إسرائيل ﴿أُوذِينَا﴾ [الآية: 129] بقتل الأبناء ﴿مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا﴾ [الآية: 129] بالرسالة والأبناء ﴿وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ﴾ [الآية:
309/ب 129] بإعادته على يد الأعداء ﴿قَالَ﴾ [الآية: 129] موسى ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمۡ/ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الآية: 129] أي: أرضهم وملكهم وهذا تصريح بما علم ضمناً لما رأى أنهم لم يتسلوا بما كنى ﴿فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ﴾ [الآية: 129] من شكر وكفران وطاعة وعصيان ليجاريكم على أعمالكم بحسب أحوالكم.

وأفاد الأستاذ: أنه خفي عليهم شهود الحقيقة وغشي على بصائرهم وجود الطريقة حتى قالوا توالت علينا البلايا ففي حالك بلاء وقبلك شقاء فما الفضل بين الأعداء والأحباء فأجابهم موسى عليه السلام بما علق لهم الرجاء بكشف البلاء فقال ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ﴾ [الآية: 129] الآية فربطهم على الانتظام ووفقهم في نظام المقام ومن شهد ببصر الأسرار شهد تصاريف الأقدار.

﴿وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ بِٱلسِّنِينَ﴾ [الآية: 130] بالجدوب لقلة الأمطار والنبات والسنة غلت على عام القحط لكثرة ما يذكر عنه ويؤرخ منه ﴿وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [الآية: 130] بكثرة العاهات ﴿لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الآية: 130] يتعظون فيرق قلوبهم بالبلاء على سبيل الولاء ليتضرعوا إلى المولى بحسن الالتجاء في طريق الولاء قال محمد بن الفضل أول رياضة يروض الإنسان بها نفسه الجوع لأن الله تعالى أخذ الأعداء بذلك فقال ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين وآخر رياضة يروض الإنسان بها نفسه التقوى لأن الله فقال تعالى: ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ﴾ [البقرة: 41].

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه شدد عليهم وطأة القدرة بعدما ضاعف لديهم أسباب النعمة فلا الوطأة أصحابهم شدتها ولا النعمة نبهتهم كثرتها لا بل إن مسهم يسره لاحظوه بعين الاستحقاق وإن مسهم عسر حملوه على التطيّر بموسى عليه السلام بمقتضى الاغترار في الشقاق.

﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ﴾ [الآية: 131] من الخصب والسعة ﴿قَالُوا۟ لَنَا﴾ [الآية: 131] لأجلنا ﴿هَٰذِهِۦ﴾ [الآية: 131] أي: هذه النعمة ونحن مستحقوها ولم يشكروا منعها ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ [الآية: 131] جلب وبلية ﴿يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾ [الآية: 131] يتشاءموا بهم ويقولون ما أصابتنا إلا بشؤمهم.

وأفاد الأستاذ: أن الكفور لا يرى فضل المنعم فيلاحظ الإحسان بعين الاستحقاق ثم إذا اتصل به شيء مما يكرهه تجنى وحمل الأمر على ما يتمنى.

وكذا الملول إذا أراد قطيعة مل الوصال وقال: كان وكانا

﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 131] أي: شرفهم من قبل الله كما قاله ابن عباس والمعنى إن سبب خيرهم وشرهم عنده وهو مشيئته وحكمة وسبب شؤمهم وهو أعمالم القبيحة المكتوبة عنده فإنها التي ساقت إليهم ما يسوؤهم/ 310/أ ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 131] أن ما يصيبهم من حكم مولاهم ومن شؤم أعمالهم.

وأفاد الأستاذ: أن المتفرد بالإيجاد وهو الواحد ولكن بصائرهم مسدودة وعقولهم عن شهود الحقيقة مصدودة وأفهامهم عن إدراك المعاني مردودة.

﴿وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ﴾ [الآية: 132] أصلها ما الشرطية وأكدت بما المزيدة ثم قلبت الما ها استثقالاً لتكرارها ومحلها الرفع على الابتداء أو النصب بفعل يُفسره ما بعده أي: أي شيء تحضرنا به من خرق عادة ﴿لِّتَسْحَرَنَا بِهَا﴾ [الآية: 132] أي: لتسحر بها أعيننا وتتحيل بها علينا ﴿فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 132] بمصدقين لك في دعواك بالرسالة إلينا.

وأفاد الأستاذ: أنهم جعلوا الإصرار على الاستكبار شعارهم وهتكوا بألسنتهم في العتو أستارهم.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ﴾ [الآية: 133] أي: ماءً طاف بهم وغشي أماكنهم من مطر أو سيل وفسر الطوفان بالجدري وبالموتان وبالوباء وبالطاعون ﴿وَٱلْجَرَادَ﴾ [الآية: 133] حتى أكلت حروثهم وأفسدت زروعهم ﴿وَٱلْقُمَّلَ﴾ [الآية: 133] قيل: هو كبار القردان وقيل: هو السوس الذي يخرج من الحنطة وقيل: هو القمل بفتح القاف حتى أكلت أبدانهم ومصت دمائهم ﴿وَٱلضَّفَادِعَ﴾ [الآية: 133] أي: في مياههم ومآكلهم وثيابهم ﴿وَٱلدَّمَ﴾ [الآية: 133] الرعاف الدائم على ما رواه ابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم أو جعل النيل ماءً للمحبوبين ودماءً ما للمحجوبين ﴿ءَايَٰتٍ﴾ [الآية: 133] حال كون المذكورات معجزات وعلامات على صدق موسى عليه السلام ﴿مُّفَصَّلَٰتٍ﴾ [الآية: 133] مبينات لا يشكل على عاقل أنها آيات واضحات أو مفصلات لوقوعهن في حالات لما قيل من أن بين كل آيتين منها شهراً وكان امتداد كل واحدة منها أسبوعاً وقيل: أن موسى عليه السلام لبث فيهم بعدما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات على اختلاف الأوقات ﴿فَٱسْتَكْبَرُواْ﴾ [الآية: 133] عن الإيمان أو تكبروا على أهل اليقين ﴿وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ [الآية: 133] في علم الله المتين أو صاروا مجرمين بامتناع قبول الدين.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه جنس عليهم العقوبات لما نوعوا فنون المخالفات فلا إلى التفكير عادوا ولا إلى التطهير قصدوا وعقوبتهم بصرف قلوبهم عن شهود الحقائق أبلغ مما اتصل بظواهرهم من فنون البلايا التي هي العلائق والعوائق ونعوذ بالله من السقوط/عن عين الله. 310/ب

﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ﴾ [الآية: 134] أي: العذاب المفصّل ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ [الآية: 134] متوسلاً أي: بحق عهده عندك وهو النبوة ﴿لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ﴾ [الآية: 134] أي: العذاب النازل بنا ﴿لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الآية: 134].

﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ﴾ [الآية: 135] أي: أنزلنا ورفعنا عنهم ذلك العذاب

﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ﴾ [الآية: 135] إلى حد من الزمان هم واصلوه فمعذبون فيه أو مهلكون وهو وقت الغرق أو الموت ﴿إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾ [الآية: 135] ينقضون عهدهم ويخلفون وعدهم وهو جواب لما في إيراد إذا إيماءً إلى أنهم قلبا النكث من غير تأمل فيه وتوقف عنه.

وأفاد الأستاذ: أنهم يقولوا ادع لنا ربنا بل ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ [الآية: 134] لأنهم ما زادوا بزيادة تلك المحن إلا بعداً وأجنبية ثم أنهم أبرموا العقد ونقضوه وقدموا العهد ورفضوه كما قيل:

إذا ارعوى عاد إلى جهله كذي الضنى دعا إلى نكسه[1]

﴿فَٱنتَقَمْنَا﴾ [الآية: 136] أي: فأردنا الانتقام ﴿مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾ [الآية: 136] البحر الذي لا يدرك مقره ﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [الآية: 136] حين جاءهم رسولنا ﴿وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾ [الآية: 136] أي: غير ملتفتين إليها قبل إرسالنا.

قال القاسم: من يعتقد أسرار الأولياء في جميع الأوقات لا ينفعهم اللجاء إليه في أزمنة البليات ألا ترى كيف لم يؤثر على أصحاب فرعون اللجأ إلى موسى وطلب العون فقال عز من قائل: فانتقمنا منهم بعدما كشفنا عنهم.

﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ﴾ [الآية: 137] بالاستعباد في تحمل البلاء وذبح الأبناء واستخدام النساء من مستضعفيهم ﴿مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا﴾ [الآية: 137] عن الحسن البصري وقتادة وغيرها أن المراد بمشارق الأرض ومغاربها أرض الشام ملكها بنو إسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتمكنوا فيها مثل الورثة ﴿ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ [الآية: 137] بالخصب والرخاء وسعة العيش بها ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الآية: 137] أي: مضت واستمرت بهم واتصلت إليهم إنجاز وعده سبحانه إياهم بالنصر والظفر وهي كما قاله مجاهد وابن جرير معنى قوله تعالى ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ﴾ [القصص: 5] إلى قوله: ﴿مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ﴾ [القصص: 6] ﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾ [الآية: 137] بسبب صبرهم على الشدائد.

---

(1) نسب إلى صالح بن عبد القدوس. انظر: الحيوان (1/ 214)، والعقد الفريد (1/ 234).

311/أ وأفاد/ الأستاذ: أن من صبر في الله على مقاساة المذلة وضع الله على رأسه قلنسوة العزة فإن العزيز سبحانه لا يشمت بأوليائه أعداءهم ولا يضيع من جميل عهده جزاءهم ﴿وَدَمَّرْنَا﴾ [الآية: 137] وضربنا ﴿مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ﴾ [الآية: 137] من القصور والعمارات ﴿وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ [الآية: 137] أي: يرفعون الكروم في الجنات وقرأ ابن عامر وأبو بكر بضم الراء هنا وفي النحل.

﴿وَجَاوَزْنَا﴾ [الآية: 138] أي: عبرنا ﴿بِبَنِي إِسْرَاءِيلَ الْبَحْرَ﴾ [الآية: 138] وأغرقنا فرعون وقومه ففيه تسلية لرسول الله ﷺ مما رأى من المخالفين وإيقاظ للمؤمنين حتى لا يغفلون عن محاسبة أنفسهم ومراقبة أحوالهم ومحافظة أعمالهم لئلا يقعوا فيما أحدثه بنو إسرائيل من الأمور الشنيعة بعد أن منّ الله عليهم بالنعم الجسام وأراهم من الآيات العظام ﴿فَأَتَوْا﴾ [الآية: 138] مروا ﴿عَلَىٰ قَوْمٍ﴾ [الآية: 138] من العمالقة الذين أمر موسى تبعاً لهم ﴿يَعْكُفُونَ﴾ [الآية: 138] بكسر الكاف لحمزة والكسائي أي: يقيمون ﴿عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ﴾ [الآية: 138] أي: عبادتها قيل: كانت تماثيل بقر وذلك أول شأن العجل ومبدأ الجهل يتصور أن يكون الإله بالعجل ﴿قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا﴾ [الآية: 138] مثالاً نعبده بحسب الظاهر ﴿كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الآية: 138] يعبدونها على وفق الخاطر وما كافة للكاف ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الآية: 138] أي: ما تعرفون ذاته وصفاته فإن العاقل لا يطلب معبوداً مخلوقاً لا ينفع ولا يضر أبداً وفيه تنبيه أن إيمانهم كان تقليداً أو وقع لهم هذا ارتداداً.

﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ﴾ [الآية: 139] القوم الجهلاء ﴿مُتَبَّرٌ﴾ [الآية: 139] مكسر مدمر ﴿مَّا هُمْ فِيهِ﴾ [الآية: 139] أي: بهدم الله دينهم الذي هم عليه من الابتداء ويحطم أصنامهم في الانتهاء ﴿وَبَاطِلٌ﴾ [الآية: 139] مضمحل من أصله في نظر العقلاء ﴿مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 139] من عبادتها البتة ليس فيها رؤية ولا شبهة ولو قصدوا بها القربة والوصلة.

وأفاد الأستاذ: أنه لم يخلص في قلوبهم حقائق التوحيد ولم يصل إلى

صدورهم دقائق التفريد تاقت نفوسهم إلى عبادة غير المولى حتى قالوا لموسى ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الآية: 138] وكذا صفة من لم يتحرر قلبه عن إثبات الأمثال والأعمال ساكن الأمثال والأعمال ويقال إن من اكتفى بالصنم أن يكون معبوده متى يتوهم/ في وصفه أن يخلص لله قصوده. 311/ ب

﴿قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا﴾ [الآية: 140] أطلب لكم معبوداً ﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الآية: 140] والحال أنه خصكم بنعم لم يعطها غيركم.

وقال الأستاذ: ذكرهم انفراده سبحانه بإنشائهم وإبدائهم وأن الإله هو المنفرد بالإيجاد ونبّههم أيضاً على عظيم نعمته عليهم وأنه ليس له حق إنعامه عليهم مقابلتهم إياه بالتولي لغيره والعبادة لمن سواه.

﴿وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم﴾ [الآية: 141] وقرأ الشامي ﴿مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ [الآية: 141] أي: اذكروا هذا اللطف العظيم له معكم ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ [الآية: 141] أي: حال كونهم يذيقونكم أو يكلفونكم أو يبغون لكم ﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ [الآية: 141] شدته ﴿يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ [الآية: 141] بالتشديد لغير نافع ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ [الآية: 141] بيان لما قبله أو بدل بعض منه مبين له ﴿وَفِى ذَٰلِكُم﴾ [الآية: 141] الإنجاء أو العذاب ﴿بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [الآية: 141] محنة جسيمة أو محنة عظيمة.

وقال الأستاذ: ما ازداد موسى عليه السلام في تعديد أنعام [اللّه] عليهم وتنبيههم على عظيم الآية إلا ازدادوا جحداً على جحد وبعداً بالقلوب على محل العرفان على بعد وهذه إمارة من أبلاه الله سبحانه في سبق السبق بالقطع والرد.

﴿وَوَٰعَدْنَا﴾ [الآية: 142] بإثبات الألف لغير البصري ﴿مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً﴾ [الآية: 142] للمناجاة وإرسال كتاب من عنده للأمة وهي ذو القعدة على ما قاله ابن عباس ومجاهد ومسروق وابن جريج ﴿وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ﴾ [الآية: 142] من ذي الحجة في أمر الإقامة تعظيماً للحجة ﴿فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ﴾ [الآية: 142] أي أكمل وقت وعده بالغاً ﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [الآية: 142] أو فصار أربعين.

وأفاد الأستاذ: أن عدة الأحباب عزيزة فإذا حصلت المواعدة من

الأحباب فهي عذبة حلوة كيف ما كانت وفي هذا المعنى أنشدوا:

أمطليني وسوفيني وعديني ولا تفي[1]

ويقال علل الحق سبحانه موسى بالوعد الذي وعده بأن يسمعه مرة أخرى كلامه وذلك أنه في المرة الأولى ابتدأه بالإسماع من غير وعد فلا انتظار ولا توقع ولا أمل فأخذه سماع الخطاب بمجامع قلب موسى عليه السلام فعلق قلبه بالميقات المعلوم ليكون تأميله تعليلاً له ثم إن وعد الحق سبحانه لا يكون إلا صدقاً فاطمأن قلب موسى للميعاد ثم لما مضى ثلاثون ليلة أتى بها
312/أ [كما] سلف العهد فزاد له عشراً في الوعد والمطل في الإنجاز غير محبوب/ إلا في سنة الأحباب فإن المطل عندهم أشهى من الإنجاز وفي قريب من هذا المعنى أنشدوا:

رقّي لعمركم لا تهجرينا ومنينا المنى ثم امطلينا
عدينا موعداً ما شئت إنا نحب وإن مطلت الواعدينا
فإما تنجزي عدتي وإما نعيش بما نؤمل منك حينا[2]

انتهى وحاصله أن كلام المولى لموسى أولاً كان على طريق الجذبة التي تواري عمل الثقلين وهو نعت المراد وهذا المقام في حصول المرام إنما هو على سبيل السير والسلوك كما هو وصف المريد فهو مجذوب سالك كسائر الأنبياء وبعض الأصفياء وهناك طائفة من الأولياء يسمى سالكاً مجذوباً لم يحصل له الكمالات إلا بالرياضات كما هو طريقة الحكماء.

وفي الجملة يورد الأربعين في العبادة قوة تأثير الباطن من الصفاء والضياء كما يشير إليه حديث خمرت طينة آدم بيدي أربعين صباحاً[3] وحديث

(1) نسب إلى العتابي. انظر: المحب والمحبوب (1/ 40).
(2) ذكره القشيري في تفسيره (2/ 435)، ونسب إلى ابن قيس الرقيات، انظر: التذكرة الحمدونية (2/ 190)، والأغاني (5/ 105).
(3) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (2/ 261) رقم (701)، وانظر: تفسير الطبري (6/ 307).

من أخلص لله أربعين صباحاً أظهر الله ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه[1] وحديث من حفظ على أمتي أربعين حديثاً من أمر دينها بعثه الله فقيهاً عالماً[2] وأمثال ذلك ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ﴾ [الآية: 142] أي: عند ذهابه إلى ميقات ربه ﴿لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى﴾ [الآية: 142] كن خليفتي ﴿فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ﴾ [الآية: 142] أرفق بهم واحملهم على طاعة ربي ﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [الآية: 142] بالسكون عن أمرهم والرضا بحالهم.

وأفاد الأستاذ: أن هارون عليه السلام كان حمولاً بحسن الخلق فلما كان المرور إلى فرعون استصحب موسى عليه السلام هارون فقال الله سبحانه: ﴿وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى﴾ [طه: 32] بعدما قال ﴿وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا﴾ [القصص: 34] ولما كان المرور إلى سماع الخطاب فرده عن نفسه فقال ﴿ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى﴾ [الآية: 142] وهذا غاية الحمل من هارون ونهاية التشرب والرضا فلم يقل لا أقيم في قومك ولم يقل هلا تحملني مع نفسك كما استصحبتي حال المرور إلى فرعون بل صبر ورضي بما ألزم وهذه من شدائد بلاء الأحباب وفي قريب منه أنشدوا:/ 312/ ب

قال لي من أحب والبين قد جدّد دمعي مرافق الشهيق
ما ترى في الطريق تصنع بعدي قلت أبكي عليك طول الطريق[3]

ثم أن موسى عليه السلام لما رجع من سماع الخطاب ورأى من قومه ما رأى من عبادة العجل فتح باب العتاب وأخذ برأس أخيه يجره إليه حتى استلطفه هارون عليه السلام في الخطاب فقال: ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ﴾ [طه: 94] ويقال: لو قال هارون إن لم تعوضني عما فاتني من الصحبة فلا تعاتبني فيما لم أذنب فيه بحال ذرة ولا حبة لكان موضع هذه المقالة ويقال

---

(1) الدر المنثور (2/ 69)، جامع الأحاديث (41/ 394) رقم (45421).
(2) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (2/ 270) رقم (1725). وانظر: الدر المنثور (7/ 266)، وجامع الأحاديث (2/ 254) رقم (22042).
(3) ذكره القشيري في تفسيره (3/ 151)، وقد نسب لابن الرومي. انظر: يتيمة الدهر (1/ 237)، وقرى الضيف (2/ 283) مع اختلاف في بعض ألفاظ البيت الأول.

الذنب كان من بني إسرائيل والعتاب جرى مع هارون كذا الحديث والقصة فما كل من عصى وجنى استوجب العتاب فالعتاب ممنوع عن الأجانب.

﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا﴾ [الآية: 143] لوقتنا الذي وقتناه واللام للاختصاص أي: أخص مجيئة لميقاتنا الذي عيناه ﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الآية: 143] من غير واسطة الملائكة وروي أن موسى عليه السلام كان سمع ذلك الكلام من كل وجهة من جهاته وبكلّ ذرة من أجزاء ذاته ففيه تنبيه على أن سماع كلامه القديم ليس من جنس سماع الحديث وإيماءً إلى مقام كماله في مرتبة الجمع بخلاف حالته الأولة في ابتداء الجذبة حيث سمع الكلام من جانب الشجرة.

قال أبو سعيد الخراز: من غيرة الله تعالى أنه لم يكلم موسى إلا جوف الليل وغيبه عن كل ذي جنس حتى لا يحضر كلام الله معه أحد سواه ولما سمع كلامه في أثناءِ إنبائه اشتاق إلى جماله ولقائه لما قيل فالأذن تعشق قبل العين أحياناً ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الآية: 143] أي: تجلى لي فأراك وأغيب عما سواك وهذا المقام المعبر عنه بالفناء والبقاء والمحو والصحو ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِى﴾ [الآية: 143] أي: لن تشاهد ذاتي بل لك أن تطالع مظاهر صفاتي فإن تجلي الذات لم يتصور لأحد في الدنيا لأنها دار الفناء وإنما محلها دار البقاء كما قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: 22 ـ 23] وكما ورد سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون[1] والأحاديث متواترة في ثبوت رؤية الله في الآخرة وعليه أجمعت أئمة الأمة سوى المعتزلة وكفي بهم
313/أ حسرة إن عوملوا/ بمعتقدهم فيحرموا هذه النعمة ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ﴾ [الآية: 143] استدراك بين أن بنيته في الدنيا لا تطيق رؤية المولى.

قال الحسين في قوله: ﴿تَرَىٰنِى﴾ لو تركه على ذلك لتقطع شوقاً ولكنه سلاه بقوله ﴿وَلَٰكِنِ﴾.

قال الواسطي: لن إلى وقت لا إلى (الغائه) إلى الأبد فكان موسى غائباً

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (2/ 294) رقم (2225)، والترمذي في الجامع الصحيح (4/ 688) رقم (2554).

عن طبع البشرية حتى استطاع المقام والمناجاة والكلام فلما وجد حلاوة الكلام طلب كشف المرام في الحال غائباً عن المآل ﴿فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ﴾ [الآية: 143] الجبل ﴿مَكَانَهُۥ﴾ [الآية: 143] عند تجلي الحق سبحانه مع كونه أعظم جسماً وأقوى جسداً ﴿فَسَوْفَ تَرَىٰنِي﴾ [الآية: 143] والتعليق بالممكن دال على أنه جائز غير محال ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾ [الآية: 143] أي: ظهر له نور عظمته وتبين له ظهور قدرته وقوته ﴿جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الآية: 143] مدكوكاً مدقوقاً وقرأ حمزة والكسائي دكّاء ممدوداً أي: أرضاً مستوية ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الآية: 143] أي: سقط مغشياً عليه من هول ما رأى وقد ورد ما تجلى إلا قدر الخنصر[1] وهذه عبارة ما نقل عكرمة عن ابن عباس لكن في الترمذي وغيره ما يدل على أنه مرفوع.

قال ابن عطاء: شغله بالجبل ثم تجلى ولو لم يشغله بالجبل ثم تجلى لمات وقت التجلي ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ﴾ [الآية: 143] أي: موسى ﴿قَالَ﴾ [الآية: 143] تعظيماً لما رأى ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ [الآية: 143] أي: أنزهك عن ما لا يليق بك ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ [الآية: 143] أي: من الجرأة عليك في مسألة الرؤية بغير إذن منك على ما فسره مجاهد وغيره ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 143] أول قومي إيماناً وأسبقهم إيقاناً وقال ابن عباس ومجاهد وأبو العالية معناه أنا أول من آمن بأنك لا ترى في الدنيا وإنما محل رؤيتك العقبى وهذا لا ينافي مقام الإسراء ورؤيته ﷺ ربه بعين بصره على ما قاله بعض العلماء فإنه مقام من مقامات الأخرى.

قال جعفر الصادق: في قوله ﴿سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ [الآية: 143] رجعت إليك من نفسي فلا أميل إلى علمي فالعلم ما علمتني والفعل ما أكرمتني ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 143] بأنك لا ترى في الدنيا وإنما جوز الكلام ولم يجوز الرؤية لأن الرؤية هي الإشراف على الذات والكلام صفة من الصفات ولا سبيل لأحد من خلقه إلى ذاته قال عزَّ وجلَّ: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ﴾ [طه: 110] أي علماً.

(1) الدر المنثور (3/ 545)، وتفسير الطبري (13/ 97) رقم (15078)، وتفسير ابن كثير (3/ 470).

313/ب وأفاد الأستاذ: في مقام بسط المراد أنه جاء موسى مجيء/المشتاقين ومجيء المهيمين جاء موسى بلا موسى جاء موسى ولم يبق من موسى شيء لموسى. آلاف وآلاف الرجال قطعوا مسافات طويلة فلم يذكرهم أحد وهذا موسى خطا خطوات فإلى القيامة يقرأ الصبيان ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ﴾ [الآية: 143] لميقاتنا ويقال لما جاء موسى للميقات باسطه الحق سبحانه [سقط] بإسماع الخطاب فلم يتمالك حتى قال: ﴿أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ [الآية: 143] فإن غلبات الوجد عليه استنطقته بطلب كمال الوصلة من الشهود ولذا قالوا:

وأبرح ما يكون الشوق يوماً ... إذا دنت الخيام من الخيام

ويقال: صار موسى عند سماع الخطاب بعين السكر فنطق بما نطق والسكران لا يؤاخذ بقوله ألا يرى أنه ليس في نص الكتاب معه بحرف من العتاب ويقال إنه لما يسكر لم ينكر ويقال أخذته عزة السماع فخرج لسانه عن طاعته جرياً على مقتضى ما صحبه من الأريحية وبسط الوصل ويقال جمع موسى عليه السلام كلمات كثيرة يتكلم بها في تلك الحالة فإن في القصص أنه كان يتحمل في أيام الوعد كلمات الحق ويقول لمعارفه ألكم حاجة إلى الله ألكم كلام معه فإني أريد أن أمضي إلى مناجاته ثم أنه لما جاء وسمع الخطاب لم يذكر مما دبره في نفسه به وتحمله من قومه وجمعه في قلبه شيئاً ولا حرفاً بل نطق بما صار في الوقت غالب قلبه فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ [الآية: 143] وفي معناه أنشدوا:

فيا ليل كم من حاجة إليّ مهمة ... إذا جئتكم بالليل لم أدر ما هيا[1]

ويقال: أشد الخلق شوقاً إلى الحبيب أقربهم من الحبيب هذا موسى عليه السلام كان غريق الوصلة واقفاً في محل المناجاة محدقاً به سجوف التولي غالباً له بديهات الوجود ثم في عين ذلك كان يقول: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ [الآية: 143] كأنه غائب عن الحقيقة ولكن ما ازداد القوم شرباً إلا ازدادوا عطشاً

(1) نسبت إلى مجنون ليلى. انظر: المرقصات والمطربات (1/ 83)، ودواوين الشعر العربي (9/ 218).

ولا ازدادوا قرباً إلا ازدادوا شوقاً لأنه لا سبيل إلى الوصال بالكمال والحق سبحانه يصور أسرار أصفيائه عن مداخلة الملال ويقال نطق موسى عليه السلام بلسان الافتقار فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ [الآية: 143] ولا أقل من نظرة والعبد قتيل هذه القصة فقوبل بالرد وقيل [له] : ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الآية: 143] وكذا قهر/الأحباب ولذا قال قائلهم: 314/أ

جور الهوى أحسن من عدله ... وبخله أظرف من بذله(1)

ويقال لما صرح بسؤال الرؤية جهراً صريحاً رد صريحاً جهراً فقيل له: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الآية: 143] ولما قال نبينا ﷺ بسره في هذا الباب وأشار إلى السماء منتظراً لورود الجواب من حيث الرمز نزل قوله تعالى: ﴿قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ﴾ [البقرة: 144] فرده إلى شهود الجهات والأطلال إشارة إلى أنه أعز من أن يطمح إلى شهوده اليوم طرف بل الألحاظ مصروفة عنه موقوفة اليوم على الأغيار فقوله: ﴿أَرِنِيٓ﴾ [الآية: 143] سمو الهمة إلى الرتبة العلية وقوله: ﴿تُبۡتُ إِلَيۡكَ﴾ [الآية: 143] إناخة بغفوة العبودية وشرط الإنصاف أن لا تبرح محل الخدمة وإن حيل بينك وبين وجود القربة لأن القربة حق نفسك والخدمة حق ربك ولأن تكون بحق ربك أتم من أن تكون بحظ نفسك وفي معناه أنشدوا:

أريد وصاله ويريد هجري ... فاترك ما أريد لما يريد(2)

﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ﴾ [الآية: 144] اخترتك ﴿عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [الآية: 144] أي: الموجودين في زمانك ﴿بِرِسَٰلَٰتِي﴾ [الآية: 144] وفي نزلة الحر مبين برسالاتي أي بوحي أحكامي لك ﴿وَبِكَلَٰمِي﴾ [الآية: 144] أي: تكليمي إياك ﴿فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ﴾ [الآية: 144] أعطيتك من الرسالة ﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الآية: 144] على هذه النعمة ولا تطلب ما ليس لك به طاقة روي أن سؤال الرؤية كان يوم عرفة وإعطاء التوراة يوم النحر.

---

(1) ذكره القشيري في تفسيره (2/ 436).
(2) سبق التعليق عليه.

وأفاد الأستاذ: أن هذا الخطاب لتدارك قلب موسى عليه السلام بكل هذا الرفق كأنه قال يا موسى إن منعتك عن شيء واحد وهو الرؤية فلقد خصصتك بكثير من الفضائل اصطفيتك بالرسالة وأكرمتك بشرف الحالة فاشكر هذه الجملة واعرف هذه النعمة وكن من الشاكرين ولا تتعرض لمقام الشكوى وفي معناه أنشدوا:

إن أعرضوا فهم الذين تعطّفوا   وإن قد وفوا فاصبر لهم إن أخلفوا[1]

وفي الآية إشارة لطيفة يعني إن منعتك مسؤولك ولم أعطك مأمولك فإذا انصرفت منا لا تكن من الشاكين عنا.

﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الآية: 145] بعض كل شيء مما
يحتاجون إليه من أمر الدين ﴿مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا/ لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [الآية: 145] أي: 314/ب
للموعظة وإرادة الخير في المرام ولتبيين الحلال والحرام.

قال الأستاذ: وفي الأثر أن موسى عليه السلام كان يسمع صرير القلم وهذا نوع لطف لأنه إن منعه من النظر فقد علله بالأثر ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾ [الآية: 145] أي: فقلنا له: خذ الألواح بقوة، أي جد وعزيمة قال بعضهم سر الله عند عباده وأهل خصوصيته لا يحمله منهم إلا الأقوياء بأبدانهم وقلوبهم ألا ترى أن الله يقول فخذها بقوة والقوة هي الثقة بالله وترك الاعتماد على ما سواه.

ولذا قال بعضهم: عطاياه لا تحمل إلا مطاياه وقيل: أي خذها ولا تأخذها بنفسك والقوي بل من لا حول ولا قوة إلا به ومن يكون حوله وقوته بالقوي.

وأفاد الأستاذ أن فيها بشارة لأن في الأخذ إشارة إلى غاية القرب وهو المكان والمراد به هنا صفاء الحال لأن قرب المكان محال على الله المتعال ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا﴾ [الآية: 145] بأحسن ما فيها كالصبر والعفو بالإضافة إلى الانتصار في العقوبة والقصاص منها ففيه الحث على الأفضل وندب

(1) ذكره القشيري في تفسيره (2/ 438)، وفي المخطوطة (كم قد وفوا) (بدل وإن جنوا).

العمل بالأكمل كقوله تعالى: ﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ [الزمر: 55] أو المراد من الأحسن الواجبات والمندوبات فإنهما أحسن من الرخص والمباحات.

وأفاد الأستاذ: أن قوله بأحسنها أي: بحسنها وأن الهمزة للمبالغة أو معنى ﴿بِأَحۡسَنِهَاۚ﴾ [الآية: 145] أن لا يعرج على تأويل في المعنى فيدور مع الأولى قلت: وهو المقام الأعلى ﴿سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [الآية: 145] قال مجاهد والحسن البصري: سترون عاقبة من خالف أمري.

قال الأستاذ: يعني عليها غبرة العقوبة خاوية على عروشها ساقطة على سقوفها منهدم بنيانها والإشارة من دار الفاسقين إلى النفوس المتابعة للشهوات والقلوب التي هي معادن المنى وفاسد الخطرات فإن الفسق يوجب خراب المحل الذي يجرى فيه فمن جرى على نفسه فسق خربت نفسه وآية خراب النفوس انتفاء ما كان عليها وفيها من سكان الطاعات فكما يتعطل المنازل عن قطانها إذا تداعت للخراب فكذلك إذا خربت النفوس بعمل المعاصي ينتفي عنها لوازم الطاعات ومعتادها فبعد ما كان للعبد تيسر عليه فعل الطاعات لو ارتكب شيئاً من المحظورات فشق عليه فعل العبادة حتى لو خير بين ركعتي صلاة وبين مقاساة كثير من المشاق/ على الطاعة وعلى هذا النحو 315/ أ
ظلم القلوب وفسادها في إيجاب خراب محالها.

﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ﴾ [الآية: 146] أي: عن ظهور مشاهد صفاتي في الآفاق والأنفس في مخلوقاتي ﴿ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الآية: 146] بأن أطبع على قلوبهم وأعميهم عن عيوبهم فلا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها ﴿بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ [الآية: 146] يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم الباطل فهو متعلق بيتكبرون وجوز أن يكون حالاً من فاعله فإن تكبر المحق على المبطل حق والتكبر على المتكبر صدقة.

وقال الأستاذ: معناه سأحرم المتكبرين بركات الاتباع حتى لا يقابلوا الآيات التي يكاشفون بها بالقبول ولا يسمعون ما يخاطبون به بسمع الإيمان

والتكبر جحد على الحق على لسان العلم فمن جحد حقائق الحق فجحوده تكبره وباعتراضه على التقدير ما يتحقق جحوده في القلب ويقال التكبر توهم استحقاق الحق لك ويقال من رأى لنفسه قيمة في الدنيا والآخرة فهو متكبر ويقال من ظن أن به شيئاً أو منه أو له أو إليه شيئاً من النفي والإثبات لا على وجه الاكتساب فهو متكبر في هذا الباب ﴿وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ﴾ [الآية: 146] منزلة أو معجزة ﴿لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾ [الآية: 146] لعنادهم أو لانهماكهم في تقليد أجدادهم وفي الحقيقة لما قضى عليهم من بعادهم ﴿وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ﴾ [الآية: 146] وقرأ حمزة والكسائي بفتحتين أي: طريق السداد ﴿لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ [الآية: 146] في سبيل المعاش والمعاد ﴿وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ ٱلْغَيِّ﴾ [الآية: 146] الضلالة ﴿يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ [الآية: 146] لما فيهم من كمال الجهالة ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 146] أي: مصيرهم إلى هذه الحالة ﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾ [الآية: 146] أي: غير متدبرين فيها ولا ملتفتين إليها.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه بين بهذا أنه ليس يكفي شهود الحق حقاً وشهود الباطل باطلاً لا بد مع شهود الحق من وجود التوفيق للحق ومنع شهود الباطل من وجود العصمة من [اتباع] الباطل وقلت ولهذا ندعو اللّهم أرنا الحق حقاً وارزقنا أتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه[1] ويقال إنّ الجاحد للحق مع تحققه أقبح حالاً من الجاهل به المقصر في تعريفه قلت: وقد ورد ويل للجاهل مرة وويل للعالم سبع مرات وورد أشد الناس عذاباً يوم
القيامة عالم لم ينفعه الله[2] بعلمه وكذا عن العقلاء ليس من يلحس العسل/ 315/ب
مع علمه بأنه مسموم كمن يلعقه واسمه عنده غيره معلوم.

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [الآية: 147] أي: ولقائهم الدار الآخرة أو لقاء ما وعد الله في العاقبة من جزائهم ﴿حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ [الآية: 147] لا ينتفعون بها في جميع أحوالهم ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الآية:

(1) تفسير ابن كثير (1/ 571).
(2) سبق تخريجه.

147] أي: ما يجزون إلا جزاء أفعالهم.

﴿وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ﴾ [الآية: 148] أي: السامري ومن تبعه ولو بالرضا ﴿مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ [الآية: 148] أي: بعد ذهابه لميقات ربه ﴿مِنۡ حُلِيِّهِمۡ﴾ [الآية: 148] التي استعاروها من القبط حين هموا بالخروج وإضافتها إليهم لأنها كانت بأيديهم أو لما آل ملكها إليهم وهو جمع حلي كثدي وثدي وقرأ حمزة والكسائي بالكسر للاتباع ﴿عِجۡلٗا جَسَدٗا﴾ [الآية: 148] بدناً ذا لحم ودم كما قال ابن عباس والحسن وقتادة أو جسداً مجسداً من الذهب خالياً من الروح ونصبه على البدل من عجلاً ﴿عِجۡلٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ﴾ [الآية: 148] صوت بقر يدخل في جوفه الريح فيصوت وروي أن السامري لما صاغ العجل ألقى في فمه من تراب أثر فرس جبريل فصار حياً وهذا هو ظاهر ما في سورة طه وملائم لما سبق من كلام الحبر وغيره فقيل كانوا يسجدون حين خواره ويرفعون رؤوسهم عند سكوته.

وأفاد الأستاذ: أنه لم يظهر قلوبهم في ابتداء أحوالهم عن توهم الظنون ولم يتحققوا بخصائص القدم وشروط الحدوث فعثروا عن أقدام فكرهم في وهاد المغاليط لما سلكوا نهج السير ويقال أن أقواماً رضوا بالعجل أن يكون معبودهم متى شمت أسرارهم نسيم التوحيد هيهات [لا] لا ولا من لاحظ جبريل وميكائيل أو العرش أو الثرى أو الجن أو الورى فإن ما لحقه ذلك أو وجد من قبيل ما يقبل نعوت الحدثان أو صح في التجويز أن يرتقي عليه صواعد التقدير وشرائط الكيفية فغير صالح لاستحقاق الإلهية ويقال شتان بين أمة وأمة أمة خرج نبيهم عليه السلام من بينهم أربعين يوماً فعبدوا العجل وأمة خرج نبيهم ﷺ من بينهم وأتى نيف وألف وأربعمائة سنة والحمد لله فمن ذكر بين أيديهم أن الشموس والأقمار أو شيئاً من الرسوم والأطلال يستحق الإلهية لأحرقوهم بهممهم ويقال أجْهِلْ بقوم رضوا بأن يكون مصنوعهم معبودهم ولولا قهر الربوبية/وأنه يفعل ما يشاء وإلا ففي أي عقل يستقرّ مثل هذا 316/أ
التلبيس ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ﴾ [الآية: 148] بما يكون على كماله دليلاً﴿وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ﴾ [الآية: 148] بل رأوه حيواناً بليداً ذليلاً عند آحاد البشر فكيف حسبوا أنه خالق الأجسام والقوي والقادر وهذا استفهام توبيخ على نهاية جهالتهم

وتقريع على غاية ضلالتهم ﴿ٱتَّخَذُوهُ﴾ [الآية: 148] أي: العجل إلهاً ﴿وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾ [الآية: 148] حيث وضعوا الأشياء في غير موضعها.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه جعل من نعوت استحقاق الإلهية صحة الخطاب وأن يكون منه الهداية فهذا يدل على استحقاق الحق النعت بأنه متكلم في حقائق آزاله وأنه متفرد بهداية العبد لا هادي سواه وفيه إشارة إلى مخاطبته سبحانه الخلق وتكليمه مع العبد فإن الملوك إذا جلت رتبتهم استنكفوا أن يخاطبوا خدمهم بلسانهم حتى قال قائلهم:

وما عجب تناسي ذكر عبد ... على المولى إذا كثر العبيد[1]

وبخلاف هذا أجرى الحق سبحانه سنته مع عباده المؤمنين أما الأعداء فيقول لهم ﴿ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: 108] وأما المؤمنون حقاً فقال ﷺ ما منكم من أحد إلا ويكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان.

﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ﴾ [الآية: 149] كناية من اشتد ندمهم فإن النادم يعضّ يده غمّا فتصير يده مسقوطاً فيها فالظرف نائب الفاعل وقيل: سقط الندم في أنفسهم ﴿وَرَأَوْاْ﴾ [الآية: 149] علموا ﴿أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّواْ﴾ [الآية: 149] باتخاذ العجل إلهاً ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا﴾ [الآية: 149] بتوفيق التوبة ﴿وَيَغْفِرْ لَنَا﴾ [الآية: 149] بالتجاوز عن المعصية ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الآية: 149] الكاملين في الخسران المبين وقرأها حمزة والكسائي بالتاء ونصب ربنا على النداء.

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ﴾ عليهم ﴿أَسِفًا﴾ [الآية: 150] حزيناً لديهم لما قد أعلمه الله تعالى بذلك وهو فوق الطور بقوله: ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ﴾ [طه: 85] .

وقال الأستاذ: لو وجد موسى قومه بألف ألف وفاق لكان متنغص العيش لما مني به من حرمان سماع الخطاب والرد إلى شهود الأغيار فكيف وقد وجد قومه قد ضلوا وعبدوا العجل ولا يدري أي المحن كانت أشد على

(1) ذكره القشيري في تفسيره (2/ 441).

موسى عليه السلام فقدان سماع الخطاب أو بقاؤه عن سؤال الرؤية أو ما/ 316/ب
شاهد من افتتان بني إسرائيل واستيلاء الشبهة على قلوبهم في عبادة العجل سبحان الله ما أشد بلاءه على أوليائه ﴿قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِيٓ﴾ [الآية: 150] أي: فعلتم من الخلاف بعد ذهابي عنكم والخطاب للعبدة ﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ [الآية: 150] أي: وعده الذي وعدنيه من الأربعين أو أسبقتم أمر ربكم ﴿وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ﴾ [الآية: 150] طرحها من شدة الغضب حمية لمخالفة الرب ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾ [الآية: 150] أي: بشعر رأسه ﴿يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ﴾ [الآية: 150] خوفاً من أن قصر من أن قصر في كفهم عن فعلهم وهارون أكبر منه بثلاث سنين وكان حمولاً ليناً ولذا كان أحب إلى بني إسرائيل ﴿قَالَ ٱبْنَ أُمَّ﴾ [الآية: 150] وبكسر الميم شامي وكوفي غير حفص وكانا أخوين من أب كما صرح به مجاهد والسدي وابن جرير وغيرهم فذكر الأم ليرفقه إليه ويعطفه عليه ﴿إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي﴾ [الآية: 150] إزاحة لخطور التقصير في حقه والمعنى بذلت وسعي في كفهم حتى قهروني واستضعفوني وقاربوا قتلي ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ﴾ [الآية: 150] أي: لا تفعل بي شيئاً يفرحون به ﴿وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية: 150] معدوداً في عدادهم بنية التقصير لنوع من المخالفة.

﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي﴾ [الآية: 151] ما صنعت بأخي ﴿وَلِأَخِي﴾ [الآية: 151] إن وقع له تقصير في أمري ضم إليه نفسه في طلب المغفرة للترضية ودفع الشماتة وإظهار التذلل في العبودية وبيان استغناء الربوبية ﴿وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ﴾ [الآية: 151] بمزيد نعمتك أو بإدخال جنتك ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الآية: 151] فأنت أرحم بنا على أنفسنا منا.

وأفاد الأستاذ: أن موسى عليه السلام وإن كان سمع من الله أنه فتن قومه لكن لما شاهدهم أثرت فيه المشاهدة ما لم يؤثر فيه السماع وإن علم فيه قطعاً أنه كما سمع فإن للمعاينة تأثيراً آخر ثم إن موسى عليه السلام لما أخذ برأس أخيه يجره إليه استلطف هارون موسى في خطاب فقال له: ﴿يَبْنَؤُمَّ﴾ فذكر الأم هاهنا للاسترفاق والاسترحام وكذلك قوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي﴾ [طه: 94] يريد بهذا أنه قد توالت المحن علي فذرني وما أنا فيه ولا تزد في بلائي

خلفتني فيهم ولم تصحبني وتلك علي شديدة ولقيت بعدك منهم ما ساءني ولقد
317/أ علمت أنها كانت عليّ عظيمة كبيرة وحين رجعت/أخذت في عتابي وجر رأسي وقصد ضربي وكنت أؤمل منك تسليتي وتعزيتي فرفقاً بي ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ﴾ [الآية: 150] ولا تضاعف علي البلاء فعند ذلك رق له موسى عليه السلام ورجع إلى الابتهال إلى الله والسؤال بنشر الافتقار فقال ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي﴾ [الآية: 151] إلى آخره وفي هذا إشارة إلى وجوب الاستغفار على العبد في عموم الأحوال والتحقق بأن له سبحانه تعذيب البريء إذ الخلق كلهم ملكه وتصرف المالك في ملكه نافذ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ﴾ [الآية: 152] سيصيبهم ويصل إليهم ﴿غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [الآية: 152] وهو ما أمر به للتوبة من قتل أنفسهم وقيل: غضب في العقبى ﴿وَذِلَّةٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الآية: 152] وهو إخراجهم من ديارهم وهوانهم إلى الأبد في آثارهم ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ﴾ [الآية: 152] على رب العالمين حيث قالوا ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ﴾ [طه: 88] وقيل: الآية في أولادهم ووصف الأبناء بقبح فعل الآباء لكونهم في مقام الرضاء.

قال الحسين بن الفضل: لا ترى مبتدعاً إلا ذليلاً لأن الله يقول: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ﴾ [الآية: 152].

وقال الأستاذ: يعني إن الذين اتخذوا العجل معبوداً سينالهم في مستقبل أحوالهم جزاء أعمالهم والسنين في قوله سينالهم للاستقبال ومن لا يضره عصيان العاصين لا يبالي بتأخير العقوبة عن الحال وفرق بين الإمهال والإهمال فالحق سبحانه يمهل ولكنه لا يهمل فلا ينبغي لمن يذنب ولم يؤاخذ في الحال أن يغتر في الإمهال.

﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الآية: 153] من الكفر وسائر المنهيات ﴿ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِهَا﴾ [الآية: 153] أي: من بعد ارتكابها ﴿وَءَامَنُوٓاْ﴾ [الآية: 153] أي: اشتغلوا بالإيمان والمعرفة وما يتبعه من الأعمال الصالحة ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا﴾ [الآية: 153] أي: بعد تحقق التوبة ﴿لَغَفُورٌ﴾ [الآية: 153] وإن عظم الذنب كجريمة عبدة

العجل أو أكثر كجرائم بني إسرائيل أو غفور لذنوبهم ﴿رَّحِيمٌ﴾ [الآية: 153] بإصلاح قلوبهم.

وقال الأستاذ: الإيمان الذي هو بعد التوبة يحتمل آمنوا بأنه يقبل التوبة أو آمنوا بأن الحق سبحانه وتعالى لم يضره عصيان أو آمنوا بأنهم لا ينجون من توبتهم من دون فضل الله أو آمنوا بأن عدواً ما سبق منهم من نقض العهد شركاً فآمنوا من الرأس أو يقال استداموا للإيمان وكانت موافاتهم على الإيمان أو آمنوا بأنهم لو عادوا إلى ترك العهد وتضيع الأمر/أسقطوا من عين 317/ ب
الله إذ ليس كل مرة تسلم الجرة.

﴿وَلَمَّا سَكَتَ﴾ [الآية: 154] أي: سكن كما قرىء به ﴿عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ﴾ [الآية: 154] الغضب باعتذار هارون أو بتوبتهم ﴿أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ﴾ [الآية: 154] التي ألقاها.

وأفاد الأستاذ: أن الآية تشير إلى حسن إمهاله سبحانه للعبد إذا تغير عن حد التمييز وغلب عليه ما لا يطيق رده من بواده الغيب وإذا كانت حالة الأنبياء عليهم السلام أنه يغلبهم ما يعطلهم عن الاختيار فكيف الظن بمن دونهم ﴿وَفِي نُسْخَتِهَا﴾ [الآية: 154] أي: فيما نسخ فيها بعد تكسرها فهي فعله بمعنى مفعول كالخطبة أو الألواح فإنها نسخت من اللوح المحفوظ أو فيما كتب فيها نفسها كما يدل عليه خذها ﴿هُدًى﴾ [الآية: 154] بيان للحق ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ [الآية: 154] إرشاد للخلق أو نعمة خاصة ﴿لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الآية: 154] أي: يخشونه ويتقوه خلافه وتقديم المعمول لإفادة الحصر والاختصاص.

﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ﴾ [الآية: 155] قومه أي: من قومه فنصبه بنزع الخافض ﴿سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا﴾ [الآية: 155] روي أن موسى عليه السلام أمر أن يختار من بني إسرائيل سبعين ليدعوا ربهم فلما دعوا قالوا اللّهم اعطنا ما لم تعط أحداً من قبلنا ولا من بعدنا فكره الله تعالى ذلك منهم فأخذتهم الرجفة وهذا قول ابن عباس أو اختار سبعين ليعتذروا من عبادة العجل فلما سمعوا كلام الله تعالى قالوا لموسى ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ [البقرة: 55] فماتوا

وهذا قول السدي ومحمد بن إسحاق أو أخذتهم الرجفة لأنهم علماء وما نهوا بني إسرائيل عن عبادة العجل وهذا قول مجاهد وقتادة وابن جريج ﴿فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ [الآية: 155] أي: الصاعقة أو رجفة الجبل وصعقوا منها قال بعضهم ما ماتوا ثم بعد تضرع موسى كشف عنهم الرجفة فاطمأنوا وقال بعضهم: إنهم ماتوا لكن أحياهم الله تعالى بدعاء موسى عليه السلام ويؤيد الأول ﴿قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ أَتُهْلِكُنَا﴾ جميعنا ﴿بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾ [الآية: 155] من التجاسر على طلب الرؤية من بعض السبعين وقيل: المراد بما فعل السفهاء عبادة العجل لأن علماءهم ما عبدوه لكنهم ما أنكروا عليهم ولا نهوهم وقيل السبعون اختارهم موسى لميقات التوبة عنها فغشيهم هيبة قلقوا منها ورجعوا حتى كادت
318/أ تبين/مفاصلهم وأشرفوا على الهلاك فخاف موسى عليهم فبكا ودعا فكشفها الله عنهم ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ [الآية: 155] أي: ابتلاؤك واختيارك حين أسمعتهم كلامك حتى طمعوا في الرؤية أو أوجدت في العجل خواراً فضلوا به ﴿تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ﴾ [الآية: 155] ضلالة بالتجاوز عن حده ﴿وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ﴾ [الآية: 155] هداه فتقوي بها إيمانه ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا﴾ [الآية: 155] أي: متولي أمرنا ﴿فَٱغْفِرْ لَنَا﴾ [الآية: 155] ذنوبنا أي: الماضية ﴿وَٱرْحَمْنَا﴾ [الآية: 155] بالعصمة في الأزمنة الآتية ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ﴾ [الآية: 155] أي: تغفر السيئة وتبدلها بالحسنة بلا غرض ولا عوض في القضية.

وأفاد الأستاذ: أن موسى عليه السلام جاهر الحق بنعت التحقيق ففارق الحشمة فقال صريحاً ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ [الآية: 155] ثم وكل الحكم إليه فقال ﴿تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ﴾ [الآية: 155] ولقد قدم الثناء على الدعاء فقال ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا﴾ [الآية: 155] ثم عقبه ببيان التضرع فقال ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ﴾ [الآية: 155].

﴿وَٱكْتُبْ﴾ [الآية: 156] أي: أثبت ﴿لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ [الآية: 156] أي حسن معيشة وتوفيق طاعة ﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [الآية: 156] أي: الجنة والقربة ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الآية: 156] أي: تبنا ورجعنا من هاد يهود إذا تاب ورجع.

وقال الأستاذ: أي ملنا إلى دينك وصرنا لك بالكلية من غير أن نترك لأنفسنا من بقية ﴿قَالَ﴾ [الآية: 156] أي: الله تعالى مجيباً لموسى في قوله: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ [الآية: 155] قال ﴿عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ﴾ [الآية: 156] تعذيبه ﴿وَرَحْمَتِى﴾ [الآية: 156] أي: العامة ﴿وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [الآية: 156] من المؤمن والكافر وسائر الموجودات في الدنيا ﴿فَسَأَكْتُبُهَا﴾ [الآية: 156] أي: أثبتها خاصة في العقبى ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الآية: 156] أي: الكفر والمعاصي ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [الآية: 156] خصها بالذكر لإنافتها أو لأنها تشق على أصحابها ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية: 156] فلا يكفرون بشيء منها.

قال أبو عثمان: لا أعلم في القرآن آية أقنط من قوله: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [الآية: 156] والناس يرونها أرجى آية وذلك أن الله يقول: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الآية: 156] ومن يمكنه تصحيح التقوى فيكون بشرط الآية.

وأفاد الأستاذ: أن في هذه لطيفة حيث لم يقل عذابي لا أخلي منه أحداً بل علقه على المشيئة وفيه إشارة أيضاً إلى أن أفعاله سبحانه غير معللة باكتساب الخلق لأن لم يقل عذابي أصيب به/ العصاة بل قال: ﴿مَنْ أَشَآءُ﴾ 318/ ب [الآية: 156] وفيه إشارة إلى جواز الغفران لمن أراد لأنه قال: ﴿أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ﴾ [الآية: 156] فإذا أشاء أن لا يصيب به أحداً كان له ذلك وإلا لم يكن حينئذٍ مختاراً ثم لما انتهى إلى الرحمة قال: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [الآية: 156] لم يعلقها بالمشيئة لأنها نفس المشيئة ولأنها قديمة والإرادة لا تتعلق بالقديم ولما كان العذاب من صفات الفعل علق بالمشيئة وبعكسه الرحمة لأنها من صفات الذات ويقال في قوله تعالى: ﴿وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ ﴾[الآية: 156] مجال لآمال العصاة لأنهم وإن لم يكونوا من جملة المطيعين والعارفين والعابدين فهم ﴿شَىْءٍ﴾ [الآية: 156] وقوله ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الآية: 156] أي: سأوجبها لهم فيجب الثواب للمؤمنين من الله تعالى ولا يجب لأحد على الله شيء وإنما يجب منه لصدقه في قوله: ولا يجب عليه شيء لعزة في ذاته وقوله تعالى ههنا: ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ أي: يجتنبون أن يروا الرحمة بحكم استحقاقهم فإذا اتقوا هذه الظنون أن يكون أحكامه سبحانه معللة باكتسابهم استوجبوا الرحمة بحكمه بها

لهم ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الآية: 156] ما يكاشفهم بها في الأقطار مما يقفون عليها بوجوه الاستدلال وما يلاطفهم به في الأسرار مما يجدونه في أنفسهم من فنون الأحوال.

﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ﴾ [الآية: 157] والمراد من آمن منهم بمحمد ﷺ أو عامة أمته الصالحين ولعله سماه رسولاً بالإضافة إلى الله ونبياً بالإضافة إلى العباد ولذا أخر وإلا فالنبوة قبل الرسالة باعتبار تحقق الوجود في الرتبة وإن كان الرسالة أخص بالنسبة إلى مرتبة النبوة ﴿ٱلۡأُمِّيَّ﴾ [الآية: 157] الذي لا يكتب ولا يقرأ وصفه به تنبيهاً على أن كمال علمه مع نعت حاله إحدى معجزاته.

وقال الأستاذ: أي أنه لم يكن شيء من فضائله وكمال علمه وتهديه إلى تفصيل شرعه من قبل نفسه وتعلمه وتكلفه واجتهاده وتصرفه بل ظهر عليه كل ما ظهر من قبله سبحانه وإلا فكان هو أمياً غير قارىء للكتب ولا متبع للسير انتهى كلامه.

وقال ابن عطاء: الأميّ هو الأعجمي قال: أعجمياً عما سوانا عالماً بنا وبما أُنزل عليه من كلامنا وحقائقنا ﴿ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ﴾ [الآية: 157] اسماً وصفة ورسماً ووسماً ﴿يَأۡمُرُهُم﴾ [الآية: 157] أي: النبي ﴿بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ [الآية: 157] الخير ﴿وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ [الآية: 157] الشر ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ [الآية: 157] مما حرموا على أنفسهم من البحيرة والسائبة والوصيلة ومما حرم عليهم في التوراة من لحوم الإبل والشحوم ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ
319/أ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾ [الآية: 157] كالدم ولحم الخنزير والميتة أو نحو أكل الربا/ والرشوة.

وأفاد الأستاذ: أن المعروف هو القيام بحق الله والمنكر هو البقاء بوصف الحظوظ وأحكام الهوى والتعريج في أوطان المنى وما تصوره العبد من تزويرات الدعوى والفاصل بين الجنسين والمميز للقسمين في الشريعة فالحسن من أفعال العباد ما كان بنعت الإذن من مالك الأعيان فلهم فعل ذلك والقبيح ما كان موافقاً للنهي والزجر فليس لهم إلا رفض ذلك ﴿وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ﴾ [الآية: 157] وقرأ الشامي آصارهم بمدّ الهمزة أي: عهوهم الثقيلة

﴿وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [الآية: 157] والمعنى تخفف عنهم ما كلفوا به من التكاليف الشاقة التي كانت في ديتهم كتعيين القصاص في العمد والخطأ وقطع الأعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة وأصل الإصر الثقل الذي يأصر صاحبه أي يحبسه من الحراك لثقله.

قال الأستاذ: الإصر الثقل ولا شيء أثقل من كدِّ التدبير فمن نقل من كد التدبير إلى روح شهود التقدير فقد وضع عنه كل إصر وكفي كل وزر وأمر، والأغلال التي كانت عليهم [هي] ما ابتدعوه من قبل أنفسهم باختيارهم في التزام طاعات الله [ما] لم يفرض عليهم فوكلوا إلى: حولهم وقوتهم فيه فأهملوها ونقضوا عهودهم ومن لقي بخصائص الرضا بما يجري من المقادير وشهود الحق في أجناس الأحداث فقد خص بكل نعمة وفضل ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ﴾ [الآية: 157] بهذا الرسول ﴿وَعَزَّرُوهُ﴾ [الآية: 157] عظموه بالتقوية وقرىء بالتخفيف وأصله المنع ومنه التعزير أي: منعوه وحفظوه ﴿وَنَصَرُوهُ﴾ [الآية: 157] على عدوه أو نصروا أمر دينه.

وأفاد الأستاذ أنهم اعتزوا به وبنصرته ﷺ وإلا فهو كان الله حسيبه ومن كان استقلاله بالحق لم يقف انتعاشة على نصرة الخلق قلت وإليه الإشارة في قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ [التوبة: 40] الآية ﴿وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾ [الآية: 157] أي: مع نبوته وسمي القرآن نوراً لأنه بإعجازه ظاهر أمره مظهر غيره أو لأنه كاشف الحقائق ومظهرها للخلايق ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [الآية: 157] الفائزون في الدارين.

﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ﴾ [الآية: 158] أي: بالأصالة ﴿جَمِيعًا﴾ [الآية: 158] وإلى الجن بل وإلى غيرهم بالتبعية لكونه ﷺ مبعوثاً إلى الثقلين بل في صحيح مسلم بعثت إلى الخلق وهو على/ عمومه كما بين في محله 319/ ب
ثم حكم المجنون والصبي ومن لم تبلغه دعوته أيضاً على تقدير وجوده فيهم أو فرض وجودهم في زمانه لما ورد لو كان موسى حياً لما وسعه إلا اتباعي[1]

(1) سبق تخريجه.

ولهذا يحكم عيسى عليه السلام بعد نزوله بأحكام هذا الدين من أصوله وفروعه ويشير إلى عموم رسالته أيضاً إلى العلويات والسفليات قوله: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية: 158] فإنه صفة لله وإن حيل بينهما بما هو متعلق المضاف وهو الرسول إليه وهو الله فالفصل ليس بأجنبي ولأن المتعلق كالمتقدم على لفظ الجلالة ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الآية: 158] بيان لما قبله فإن من ملك العالم كان هو الإله لا غيره ﴿يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ [الآية: 158] مزيد تقرير لخصوصية الألوهية بناء على إظهار الربوبية المقتضية للخلق أن يقوموا بحق العبودية ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ﴾ [الآية: 158] أي: بذاته وصفاته ﴿وَكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الآية: 158] أي: التي أنزلت عليه وعلى سائر الرسل من كتبه ووحيه ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الآية: 158].

قال الأستاذ: صرح بما رقيناك إليه من المقام وأفصح عما لقيناك به من الإكرام وقل إني لجماعتكم مرسل وعلى كافتكم مفضل وديني لمن نظر وفكر واعتبر وسبر مفصل وإلهي الذي له ملك السموات والأرض لا شريك ينازعه ولا شبيه يضارعه فله حق التصرف في ملكه بما يؤيد من حكمه ومن جملة ما حكم وقضى ونفذ به التقدير وأمضى إرسالي إليكم لتطيعوه فيما يأمركم وتحذروا عن ارتكاب ما يزجركم وأن مما أمركم به أنه قال لكم: آمنوا بالنبي الأميّ واتبعوه لتفلحوا في الدنيا والعقبى وتستوجبوا الزلفى والحسنى وتتخلصوا به من البلوى والسوى.

﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ﴾ [الآية: 159] يعني بني إسرائيل ﴿أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية: 159] جماعة يهدون الناس محقين أو يدلون بكلمة الحق وطريقة الصدق ﴿وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ [الآية: 159] وبالحق يسوون الحكم بينهم قيل: يدلون الخلق على طريق الحق يسلكون على قدم الصدق والمراد بهم الثابتون على الحق من اليهود قرناً بعد قرن وقيل: مؤمنو أهل الكتاب وقيل: قوم وراء الصين رآهم رسول الله ﷺ ليلة المعراج فآمنوا به فهم على الحق آمنوا بمحمد ﷺ لا يصل أحد منهم إلينا ولا منا/ إليهم وهذا قول ابن جريج ونقل عن ابن عباس والسدي. 320/أ

وقال الأستاذ: هم الذين سبقت لهم العناية وصدقت فيهم الولاية فبقوا على الحق من غير تحريف ولا تحويل وأدركتهم الرحمة السابقة فلم يتطرق إليهم مفاجأة تغيير ولا خفي تبديل.

﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ﴾ [الآية: 160] أي: صيرنا بني إسرائيل قطعاً متميزاً بعضهم عن بعض وفرقناهم ﴿ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ﴾ [الآية: 160] مفعولاً ثاني ﴿أَسْبَاطًا﴾ [الآية: 160] بدل منه ولذلك جمع ﴿أُمَمًا﴾ [الآية: 160] نعت أي: قبائل.

وأفاد: الأستاذ أنه فرقهم أصنافاً وجعلهم في التحزب أخيافاً ثم كفاهم ما أهمهم وأعطاهم ما لم يكن لهم بد منه فيما نالهم ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ﴾ [الآية: 160] في التيه ﴿أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ﴾ [الآية: 160] الفاء فصيحة أي: فضرب فانفجرت ﴿مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ﴾ [الآية: 160] في حذف ما ذكر أي: إلى أن موسى عليه السلام لم يتوقف في الامتثال وتحصيل المرام وإن ضربه لم يكن مؤثراً يتوقف عليه الفعل في ذاته بحسب تحقيق المقام ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾ [الآية: 160] سبط ﴿مَّشْرَبَهُمْ ۚ﴾ [الآية: 160] موضع شربهم ومحل شربهم ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ﴾ [الآية: 160] ليقيهم حر الشمس.

وقال الأستاذ: ما وقاهم أدنى الحر والبرد ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ﴾ [الآية: 160] شيئاً كالترنجبين ﴿وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ﴾ [الآية: 160] وطيراً كالسماني.

وقال الأستاذ: أي ما نفي عنهم تعب الجوع والجهد والتعب والكد ﴿كُلُوا۟﴾ [الآية: 160] أي: وقلنا لهم تمتعوا ﴿مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ﴾ [الآية: 160] أي: حلالاته أو مستلذاته.

قال الأستاذ: فجرنا لهم العيون عند النزول حتى كانوا يشاهدونه عياناً وألقينا بقلوبهم من البراهين ما أوجب لهم من قوة اليقين ولكن ليست العبرة بأفعال الخلق ولا بأعمالهم والمدار على مشيئة الحق سبحانه وتعالى فيما يمضي عليهم من فنون أحوالهم ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ [الآية: 160] ما رجع ضرر كفران نعمهم إلينا ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الآية: 160] يضرون

أنفسهم ولا علينا (ثواباً) لهم فعلهم راجع إليهم فلا يتعدى ضرره عنهم.

﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [الآية: 161] أي: اذكر ذلك الزمان وتعجب في ظهور هذا الشأن والقرية بيت المقدس أو أريحا ﴿وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ﴾ [الآية: 161] أي: رغداً واسعاً من غير حرج عليكم ولا نسبة حرمة إليكم ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾ [الآية: 161] أي: مسألتنا أي: تحط عنا سيئاتنا ﴿وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ﴾ [الآية: 161] أي: باب القرية ﴿سُجَّدًا﴾ [الآية: 161] ساجدين متواضعين/ 320/ ب
منقادين شكراً لرب العالمين على الفتح النبيه والخلاص من محن التيه ويراد واو الجمع هنا في ﴿وَكُلُواْ﴾ لا ينافي فاء التعقيب في ﴿فَكُلُواْ﴾ في سورة البقرة وكذا تقديم قولوا على وادخلوا هنا ﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ﴾ [الآية: 161] وقرأ نافع وابن عامر بالتأنيث على بناء المفعول ورفع ما بعده والشامي وحده خطيئتكم بالتوحد وأبو عمر وخطاياكم ﴿سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الآية: 161] ولم يأت بالعطف هنا بخلاف البقرة لدلالة على أنه تقبل محض ليس في مقابلة ما أمروا به من دخول الباب والله أعلم بالصواب.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يخبرهم عما ألزمهم من مراعاة الحدود وما حصل منهم من نقض العهود التي ألزمهم من التكليف ولقّاهم به من صنوف التعريف وإكرامه من أراد منهم بالتوفيق والتصديق وإذلاله من شاء منهم بالخذلان وحرمان التحقيق ثم ما عاتبهم به من فنون البلاء وأذاقهم من سوء الجزاء حكماً من الله حتماً وقضاء جزماً.

﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾ [الآية: 162] بتأن لما أبهم في البقرة ﴿قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾ [الآية: 162] حيث بدلوا حطة بحنطة استهزاء ودخلوا على أستهاهم حيناً ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا﴾ [الآية: 162] عذاباً مقدراً ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ﴾ [الآية: 162] بسبب ظلمم على أنفسهم.

وقال الأستاذ: جاء في التفسير أنهم زادوا حرفاً في الكلمة التي قيل لهم فقالوا حنطة بدل حطة فلقوا من البلاء ما لقوا تعريفاً أن الزيادة في الدين والابتداع في الشرع عظيم الخطر ومجاوزة حد الأمر شديد الضرر ويقال إذا

كان تفسير كلمة هي عبارة عن التوبة يوجب كل ذلك العذاب قال فما الظن بتغيير ما هو خبر عن صفات رب الأرباب ويقال إن القول أنقص من العمل بكل وجه فإذا كان التغيير في القول يوجب كل هذا فكيف التبديل والتغيير في الفعل.

﴿وَسْـَٔلْهُمْ﴾ [الآية: 163] أي: اليهود الذين بحضرتك سؤال توبيخ وتقريع بقديم كفرهم وعصيانهم ليكون لك معجزة على تحقيق نبوتك وتصديق رسالتك ﴿عَنِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ [الآية: 163] أي: خبرها وما وقع بأهلها ﴿ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾ [الآية: 163] أي قريبة منه وهي أيلة بين مدين والطور على شاطىء البحر ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ﴾ [الآية: 163] أي: يتجاوزون حدود الله بالصيد
321/أ يوم السبت الذي حرم الله عليهم/الاصطياد فيه والمعنى يعدون آلات الصيد يوم السبت وقد نهوا أن يشتغلوا فيه بغير العبادة ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا﴾ [الآية: 163] حال من الحيتان أي: ظاهرة على وجه الماء ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ﴾ [الآية: 163] أي: لا يعظمون سبتهم وهو غير يوم السبت من الأحد وغيره ﴿لَا تَأْتِيهِمْ﴾ [الآية: 163] أي: مطلقاً أو لا يأتيهم مثل إتيانهم يوم سبتهم فقوله ﴿كَذَٰلِكَ﴾ [الآية: 163] متصل بما قبله أو هو منقطع عنه والتقدير مثل ذلك الامتحان الشديد ﴿نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [الآية: 163] أي: يختبرهم بسبب فسقهم وخروجهم عن طاعة ربهم.

وأفاد الأستاذ: أن دينهم كان الأخذ بالتأويل وذلك روغان في التحقيق فإن الحقائق تأبى إلا الصدق وأن التعريج في أوطان الحظوظ والجنوح إلى محتملات الرخص فسخ لأكيد مواثيق الحقيقة ومن شاب شيب له ومن صفا صفي له.

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ﴾ [الآية: 164] أي: جماعة من أهل القرية وهم بعض صلحائهم الذين اجتهدوا في الموعظة بعدما أيسوا من قبولهم النصيحة لأنهم افترقوا على ثلاثة فرق فرقة عاصية وفرقة ناهية وفرقة ساكتة فقالت الساكتة للناهية ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ [الآية: 164] أي: مستأصلهم في الدنيا ﴿أَوْ مُعَذِّبُهُمْ

عَذَابًا شَدِيدًا﴾ [الآية: 164] في العقبى لتماديهم في عصيان المولى ﴿قَالُوا﴾ [الآية: 164] أي: الفرقة الناهية في جواب الساكتة السائلة هذه ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ [الآية: 164] أي: موعظتنا أنها عذر إلى ربنا حتى لا تنسب إلى التفريط في النهي عن المنكر فيما بيننا وقرأ حفص موعظة بالنصب على المصدر أو العلة أي: اعتذرنا به معذرة أو وعظناهم معذرة إلى ربكم ليرضى عنا ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الآية: 164] عن الاصطياد في السبت فلا بأس من أن يدركهم الرحمة إذ لا يحصل البأس إلا بالهلاك ووقوع العقوبة.

وأفاد الأستاذ: أن الحقائق وإن كانت لازمة فليس للعبد عند لوازم الشرع عاذرة بل الوجوب يفترض شرعاً وإن كان التقدير غالباً بكل وجه.

﴿فَلَمَّا نَسُوا﴾ [الآية: 165] تركوا ترك الناسي ﴿مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ [الآية: 165] ما وعظهم به صلحاؤهم ﴿أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الآية: 165] بالاعتذار في مخالفة أمر الله ﴿بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾ [الآية: 165] شديد على وزن فعيل وقرأ أبو بكر بخلاف عنه على وزن فيعل كضيغم وابن عامر بكسر/ 321/ب
الموحدة وسكون الهمزة ككبد في كبد ونافع يقلب الهمزة ياء ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الآية: 165] بسبب فسقهم وخروجهم عن طاعة ربهم والأصح أن الفرقة المرتكبة صاروا قردة دون الفرقتين الأخريين وهذا قول ابن عباس والحسن وغيرهما وقد نقل عن ابن عباس أنه توقف في الفرقة الساكتة ثم صرح بعد بأنهم من الناجين وعند بعضهم كابن زيد أن الفرقة الساكتة أيضاً مسخوا.

وأفاد الأستاذ: أنه إذا تمادى العبد في تهتكه ولم يبال بطول الإمهال والستر لم يمهله يد التقدير عن استئصال العين ومحو الأثر وسرعة الحساب وتعجيل العذاب الأدنى قبل هجوم الأكبر ثم البريء في فضاء السلامة وتحت ظل الحفظ ودوام روح التخصيص وبرد عيش التقريب.

﴿فَلَمَّا عَتَوْا﴾ [الآية: 166] تكبروا ﴿عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الآية: 166] أي عن ترك ما نهوا عنه لقوله: ﴿وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ [الأعراف: 77] ﴿قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [الآية: 166] ذليلين والمراد من أمرهم سرعة التكوين وأنهم صاروا

كذلك لحقيقة الأمر كقوله سبحانه: إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: 117] فالمراد بالقول الحكم المتعلق بالإرادة وعن بعض السلف أنهم سمعوا منادياً لهم ﴿كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ [الآية: 166] ثم الأصح أن المسخ صوري ومعنوي وأنهم هلكوا بعد ثلاثة أيام ولم يبق منهم نسل كما صرح بذلك ابن عباس وغيره من جماهير السلف وبعض الأحاديث يدل على ذلك ثم العذاب البئيس هو هذا المسخ فهذه الآية تقرير وتفصيل للماضية وقيل: المسخ معنوي لا صوري فعن مجاهد مسخت قلوبهم لا أبدانهم وقيل: العذاب البئيس غير المسخ وهو قد كان أولاً ثم كان المسخ آخراً والله أعلم.

وأفاد الأستاذ: أنه إذا انتهى مدة الإمهال فليس بعده إلا حقيقة الاستئصال وإذا سقط العبد عن عين الله لم ينتعش بعده إلى الأبد ومن أسقطه حكم الملوك فلا قبول بعد الرد وفي معناه أنشدوا:

وإذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكد ... إليه بوجه آخر الدهر تقبل[1]

﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾ [الآية: 167] أي: أعلم أو قال أو أمر أو حكم وأجرى مجرى فعل القسم ولذا/ أجيب بجوابه وهو قوله ﴿لَيَبۡعَثَنَّ عَلَيۡهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ 322/ أ [الآية: 167] أي: أوجب ربك على نفسه ليسلطن على اليهود وليرسلن إليهم إلى آخر الدهر ﴿مَن يَسُومُهُمۡ﴾ [الآية: 167] يعذبهم ﴿سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِۗ﴾ [الآية: 167] أشد أنواعه كالإهانة بالسبي وضرب الجزية فقد بعث الله عليهم بعد سليمان عليه السلام بخت نصر فخرب ديارهم وقتل مقاتلتهم وسبى نساءهم وذريتهم وضرب الجزية على بقيتهم وكانوا يؤدونها إلى المجوس حتى بعث الله محمداً ﷺ ففعل بهم ما فعل من المهانة ثم ضرب عليهم الجزية فلا تزال مضروبة عليهم إلى نزول عيسى عليه السلام فإما السيف وإما الإسلام ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلۡعِقَابِۖ﴾ [الآية: 167] لمن أصر على المعصية ﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [الآية: 167] لمن تاب وأناب إلى الطاعة قيل ما كان في القرآن من قوله سريع العقاب فإنها كانت عقوبة القلوب بالحجاب عن علام الغيوب.

---

(1) نسب إلى معن بن أوس. انظر: نهاية الأرب (1/ 271)، وخزانة الأدب (3/ 196).

وأفاد الأستاذ: إن الحق سبحانه أمضى سُنَّته بالإنذار وتقديم التعريف بما يستحقه كل أحد على ما يحصل منه الآثار إبداء للعذر وإن جلت رتبته عن كل عذر فإن نجع فيهم القول وإلا دمّر عليهم بالفعل.

﴿وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا﴾ [الآية: 168] أي: صيرناهم جماعات متفرقة وفرقناهم في البلاد بحيث لا يكاد يخلو قطر منهم غيرة للعباد وتتمة لأدبارهم حتى لا يكون لهم قط شوكة ولا تجتمع لهم كلمة ﴿مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [الآية: 168] كمن آمن بالمدينة ونظراءهم ﴿وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 168] منحطون عن الصلاح من كفرتهم وفسقتهم ﴿وَبَلَوْنَٰهُم﴾ [الآية: 168] اختبرناهم وامتحناهم ﴿بِٱلْحَسَنَٰتِ﴾ [الآية: 168] أي: النعم ﴿وَٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الآية: 168] أي: النقم ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الآية: 168] أي: ينتهون عما كانوا عليه من المخالفات.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أجراهم على ما علم أنهم يكونون عليه من صلاح وسداد ومعاص وفساد ثم ابتلاهم بفنون الأفعال من محن أزاحها ومن منن أتاحها فطالبهم بالشكر على ما أسدى والصبر على ما أبلى ليظهر للمعتبرين من الملائكة والخلائق أجمعين جواهرهم في الخلاف والوفاق والإخلاص والنفاق وأما الحسنات فهي ما يشهدهم المجرى ولا يلهيهم عن المبدى وأما السيئات فالترديد بين الإنجاز والتأخير والباحة والتقصير ويقال:
الحسنة أن تنسيك نفسك/ والسيئة أن تشهدك نفسك ويقال: الحسنات أن 322/ب
يخطفهم عن شهود الأغيار والأعيان والسيئات أن يطرحهم في مفاوز الظنون والحسبان ويقال: الحسنات تيسير وقت عن الغفلات حالٌّ وتسهيل يوم عن الآفات بائن والسيئات التي ابتلاهم بها خذلان حاصل وحرمان متواصل.

﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ [الآية: 169] من بعد ذلك الجيل الذي وجد فيهم الصالح والطالح ﴿خَلْفٌ﴾ [الآية: 169] بدل سوء والمراد بهم الذي كانوا في عصر رسول الله ﷺ ﴿وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الآية: 169] أي: علم التوراة أو نفسها من أسلافهم يقرؤون مبانيها ويقفون على معانيها من جملتها ذم الدنيا وما فيها ومع هذا ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ﴾ [الآية: 169] يختارون حطام هذا الشيء الأدنى

وهو الدنيا المأخوذ من الدنو والدناءة والمراد منه ما كانوا يأخذون من الرشوة في تبديل الحكومة على تحويل الكلمة وتحريف البنية.

﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ [الآية: 169] أي: الله لا يؤاخذنا بل يتجاوز عنا ﴿وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ﴾ [الآية: 169] جملة مستأنفة مشيرة إلى أنهم مصرون على ذلك غير تائبين عما هنالك فلا ينفعهم الاستغفار اللساني مع وجود الإصرار الجناني.

وأفاد الأستاذ: أنهم استوجبوا الذم بقوله سبحانه: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ [الآية: 169] لأنهم أثروا العرض الأدنى وركنوا إلى عاجل الدنيا وجعلوا نصيبهم من الآخرة المنى فقالوا: ﴿سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ [الآية: 169] ويقال من أمارات الاستدراج ارتكاب الذلة والاغترار بزمان المهلة وحمل تأخير العقوبة على استحقاق الوصلة ثم أخبر عن إصرارهم على الاغترار بالمنى وإيثار متابعتهم الهوى بقوله: وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الآية: 169] أي: في التوراة وهو ﴿أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ [الآية: 169] والمراد توبيخهم على البتّ بالمغفرة مع عدم التوبة والدلالة على أنه افتراء على الله وخروج عن ميثاق التوراة والاستثناء منقطع البتة فإن معنى قال عليه افتراه واختلقه واخترعه اللّهم إلا أن يقال معناه أن لا ينقلوا على الله إلا الحق فالاستثناء متصل.

وأفاد الأستاذ: أن الاستفهام في معنى التقرير أي: أمروا أن لا يصفوا الحق إلا بنعت الجلال واستحقاق صفات الكمال وأن لا يتحكموا عليه بما لم/ يأت منه خبر ولم يشهد لصحته برهان ولا نظر ﴿وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ﴾ [الآية: 323/ أ
169] أي: وقد علموا ما في الكتاب فهم ذاكرون للميثاق في هذا الباب.

وقال الأستاذ: يعني تحققوا بمضمون الكتاب ثم جحدوا بعد لوح البيان وظهور البرهان ﴿وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الآية: 169] أي: لا للذين يخالفون فإن مصيرهم إلى النار ومآل المتقين إلى دار القرار ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الآية: 169] أن الآخرة خير وأبقى لمن اتقى فلا يستبدلوا الأدنى المؤدي إلى العقاب بالأعلى المورث للثواب وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالتاء على تلوين الخطاب.

وقال الأستاذ: يعني التعرض لنفحات فضله سبحانه خير لمن أمل جوده من مقاساة التعب لمن بذل في تحصيل هواه موجوده.

﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ﴾ [الآية: 170] وقرأ أبو بكر بالتخفيف أي: يستمسكون ويعتصمون ﴿بِٱلْكِتَٰبِ﴾ [الآية: 170] أي: بكتاب الله والمراد به جنسه والقرآن ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الآية: 170] أي: التي هي أم العبادات وناهية عن السيئات والموصول عطف على الأول ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ اعتراض أو مبتدأ خبره ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ [الآية: 170] على تقدير منهم أو وضع الظاهر موضع ضميرهم.

وأفاد الأستاذ: إن قوله يمسكون بالكتاب إيماناً وأقاموا الصلاة إحساناً فبالإيمان وجدوا الأمان وبالإحسان وجدوا الرضوان فالأمان معجل والرضوان مؤجل ويقال ﴿يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ﴾ [الآية: 170] سبب النجاة ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الآية: 170] تحقيق المناجاة فالنجاة في المآل والمناجاة في الحال ويقال افرد الصلاة هاهنا بالذكر من جملة الطاعات ليعلم أنها أفضل العبادات بعد معرفة الذات والصفات وقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ [الآية: 170] أي: من أمل سبب إنعامنا لم تخسر له صفقة ولم يخفق له في الرجاء رفقه ويقال: من نقل إلى بابه قدمه لم يعدم في الآجل نعمه ومن رفع إلى ساحات جوده هممه نال: في الحال كرمه ويقال: من توصل إليه بجوده نال في الدارين شرفه ومن اكتفى بوجوده كان الله عنه خلفه.

﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ﴾ [الآية: 171] أي: قلعناه ورفعناه ﴿فَوْقَهُمْ﴾ [الآية: 171] أي: فوق رؤوسهم ﴿كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ﴾ [الآية: 171] سقيفة أو سحابة ﴿وَظَنُّوٓا۟﴾ [الآية: 171] تيقنوا من كمال قربه إليهم ﴿أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ﴾ [الآية: 171] ساقط عليهم إن خالفوا
في عهدهم وذلك أنهم أبوا أن يقبلوا أحكام التوراة لثقلها فرفع الله الطور فوقهم/ 323/ب
لقبولها وقيل لهم إن قبلتم ما فيها وإلا ليقض عليكم بأمر ربها فسجدوا وقبلوا ﴿خُذُوا۟﴾ [الآية: 171] أي: قلنا لهم اقبلوا ﴿مَآ ءَاتَيْنَٰكُم﴾ [الآية: 171] من الكتاب ﴿بِقُوَّةٍ﴾ [الآية: 171] بجد واجتهاد في العمل به وعزم على تحمل مشاقه ﴿وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ﴾ [الآية: 171] من المعارف والأحكام وسائر الأقوال ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الآية:

171] بسبب رذائل الأحوال وفضائح الأعمال.

وأفاد الأستاذ: أنه ليس من يأتي طوعاً كمن يأتي جبراً وإن الذي يأتي قهراً لا يعرف للحق سبحانه قدراً وأنشدوا في معناه:

إذا كان لا يرضيك إلا شفاعة فلا خير في ود يكون بشافع(1)

ويقال قصارى من أتى جبراً أن ينقص على عقبيه طوعاً كذلك لما قبلوا الكتاب بالإجبار ما لبثوا حتى قابلوه بالتحريف في الأخبار.

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ [الآية: 172] أي: بعد ما أخذ أولاد صلبه من ظهره ﴿مِن ظُهُورِهِمْ﴾ [الآية: 172] بدل الاشتمال ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الآية: 172] وقرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر بالجمع أي: إن الله سبحانه أخرج ذرية آدم بعضهم من ظهور بعض على نحو ما يتولد الأبناء من الآباء بالترتيب في عالم وجود القضاء على وفق سبق القضاء ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [الآية: 172] أي: أشهد بعضهم على بعض بمضمون قوله لهم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الآية: 172] قد ورد الأحاديث الصحاح بما يدل على أن الله استخرج ذرية آدم من صلبه وميز بين أهل الجنة والنار بوضعهم بيضاء وسوداء في يمينه ويساره وأما الإشهاد عليهم هناك بأنه ربهم ففي حديثين موقوفين على ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم كما حققه الثقات من المحدثين ووافقهما أكثر السلف كأبي بن كعب ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وقتادة والسدي وغيرهم ويؤيده ما في الصحيحين عن النبي ﷺ يقال للرجل من أهل النار أرأيت لو كان لكل جميع الدنيا أكنت مفتدياً به؟ فيقول: نعم، فيقال قد أردت منك أهون من ذلك أخذت عليك في ظهر أبيك آدم أن لا تشرك بي شيئاً فأبيت إلا أن تشرك بي وقال الحسن البصري وتبعه جمع من الخلف واختاره المعتزلة أن المراد بهذا الإشهاد أنه خلقهم على فطرة الإسلام ونصب لهم دلائل التوحيد في مقام المراد فصارت/ هذه الخلقة في مقام الابتلاء 324/ أ
بمنزله أنه قيل لهم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الآية: 172] لكن لا يخفى أنه لا منع من الجمع ليكون الثاني دال على الأول فتأمل ثم قيل المؤمنون فهموا من قوله

---

(1) ذكره القشيري في تفسيره (2/ 463).

﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الآية: 172] الإثبات؟ ﴿قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [الآية: 172] والكافرون فهموا النفي فقالوا: بلى هذا.

وقد قال أبو سعيد الخراز: من كان حين قال ومن أين أجابوا وكيف كانوا هل أجابت عنهم إلا القدرة النافذة والمشيئة التامة وهل كانوا إلا رسماً لأحكام ملك تقديره وهل هم الأشباح تختلف عليهم تصاريف تدبيره.

قال الحسين: لا يعلم أحد من الملائكة والمقربين لماذا أظهر الخلق وكيف الابتداء إذ الألسنة ما نطقت والعيون ما أبصرت والآذان ما سمعت كيف أجاب من هو عن الحقائق غائب وإليه آيب في قوله ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الآية: 172] فهو المخاطب وهو المجيب؟

وقال الحسين: أيضاً في قوله ﴿قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [الآية: 172] القائل عنكم سواكم والمجيب عنكم غيركم فسقطتم أنتم وبقي من لم يزل كما لم يزل.

قاله الواسطي: في قوله ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الآية: 172] هو تقرير في صورة السؤال.

وأفاد الأستاذ: وأجاد فيما أفاد أنه سبحانه أخبر بهذه الآية عن سابق عهده وصادق وعده وتأكيد عناج وده بتعريف عبده وفي معناه أنشدوا:

سقياً لليلى والليالي التي ... كنا بليلى نلتقي فيها[(1)]

وأنشدوا:

أفديك بل أيام دهري كلها ... يفدين أياماً عرفتك فيها[(2)]

ويقال فاجأهم بتحقيق العرفان قبل أن وقع لمخلوق عليهم بصر وظهر في قلوبهم مصنوع أثر وكان لهم من حميم أو قريب أو صديق أو شفيق خبر وفي

(1) ذكره القشيري في تفسيره (2/ 464).

(2) ذكره القشيري في تفسيره (2/ 464)، والأصفهاني في محاضرات الأدباء (1/ 182) ونسبه إلى ابن بوقة. وعنده (أيام عمري) بدل (أيام دهري).

معناه أنشدوا:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلبي خالياً فتمكنا[1]

ويقال جمعهم في الخطاب لكنه فرقهم في الحال فطائفة خطابهم بوصف القربة فعرفهم في نفس ما خاطبهم وفرقة أبقاهم في أوطان الغيبة فأقصاهم عن نعت العرفان وحجبهم ويقال أقوام لاطفهم إلى عين ما كاشفهم فأقروا بنعت التوحيد وآخرون أبعدهم في نفس ما أشهدهم فأقروا عن رأس الجحود ويقال وسم بالجهل قوماً فألزمهم بالإشهاد بيان/ الحجة فأكرمهم بالتوحيد 324/ ب
آخرين فأشهدهم واضح المحجة ويقال تجلى لقلوب قوم فتولى تعريفهم فقال: بلى عن حاصل تعين وتعزز عن آخرين فأثبتهم في أوطان الجحد فقالوا: بلى عن ظن وتخمين ويقال: جمع المؤمنين في الإسماع ولكن غاير بينهم في الرتب فجذب قلوب قوم إلى الإقرار بما أطمعهم فيه من المبار وأنطق آخرين بصدق الإقرار بما أشهدهم من العيان وكاشفهم به من الأسرار ويقال فرقة ردهم إلى الهيبة فهاموا وفرقة لاطفهم بالقربة فاستقاموا ويقال عرف الأولياء أنه من هو فتحققوا بتحصيلهم ولبس على الأعداء فتوقفوا لحيرة عقولهم ويقال: أسمعهم وفي نفس ما أسمعهم أحضرهم لما أسمعهم ثم أخذهم عنهم فيما أحضرهم وقام عنهم فأنطقهم بحكم التعريف وحفظ عليهم بحسن التولي أحكام التكليف فكان سبحانه لهم مكلفاً وعلى ما أراد مصرفاً وبما استخلصهم له معرفاً وبها رقاهم إليه مشرفاً ويقال: كاشف قوماً في حال الخطاب بجماله فطوحهم في هيمان حبه فاستمكنت محابهم في كوامن أسرارهم فإذا سمعوا اليوم تجدد لهم تلك الأحوال فالانزعاج الذي يظهر فيهم لذكر ما سلف لهم من العهد المتقدم في الآزال ويقال: أسمع قوماً بشاهد التربية فأصحاهم عن عين الإشهاد فأجابوا عن عين التحقيق والشهود وأسمع آخرين بشاهد الربوبية فمحاهم عن التحصيل فأجابوا بوصف الجحود ويقال أظهر آثار العناية بدءاً حين اختص بالأنوار التي رست عليهم قوماً فمن

---

(1) نسب إلى مجنون بني عامر. انظر: الحيوان (1/ 52)، والبيان والتبيين (1/ 233) ونسب إلى غيره كابن الطيرية. انظر: محاضرات الأدباء (1/ 349).

حرمه تلك الأنوار لم يجعله أهلاً للوصلة ومن أصابته تلك الأنوار أفصح بما خص به من غير مقاساة الكلفة (شهدنا) قال بعضهم ﴿شَهِدْنَآ﴾ [الآية: 172] قول الملائكة وهو أنه قال الله للملائكة اشهدوا على إقرارهم قالوا: شهدنا والأظهر أنه تتمة كلام بني آدم ويحتمل أن يكون ابتدأ كلام من الله سبحانه ويتعلق به ﴿أَن تَقُولُواْ﴾ [الآية: 172] والمعنى شهدنا ما ألقي إليكم وأظهرناه حجة عليكم كراهة أن تقولوا أو لئلا تقولوا ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا﴾ [الآية: 172]
325/أ أي: من أنك ربنا ﴿غَـٰفِلِينَ﴾ [الآية: 172] ليس علم/ بهذا لنا ولا يكون لهم عذراً أصلاً لوقوع الميثاق أولاً ونصب الأدلة على الربوبية ثانياً وإرسال الرسل لتذكير العهد الأول آخراً وقرأ أبو عمرو بالغيبة على الالتفات وكذا في قوله:

﴿أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ﴾ [الآية: 173] أي: قبل زماننا ﴿وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ﴾ [الآية: 173] فاقتدينا بهم في أفعالنا لأن التقليد عند قيام الدليل والتمكن من العلم به لا يصلح أن يكون عذراً في خطأ السبيل ﴿أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [الآية: 173] يعني آباءهم المبطلين بتأسيس الشرك في الأولين.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ [الآية: 174] مثل ذلك التبيين ﴿نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ﴾ [الآية: 174] الدالة على اليقين ليتيقنوا فيما يعلمون ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الآية: 174] إلى طريق الحق فيما يعملون.

وأفاد الأستاذ: أنه إذا سدت عيون البصيرة فيما ينفع وضوح الحجة أي: ولا شروح الحجة.

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية: 175] على اليهود أو على قومك ﴿نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا﴾ [الآية: 175] أحد علماء بني إسرائيل والأكثرون على أنه بلعم بن باعوراء أوتي علم بعض كتب الله عالم باسم الله الأعظم فسأله قومه أن يدعو على موسى وجنوده فأبى ثم ألحوا فألحوا وجاؤوه بالرشوة فقيل ودعا وقبل الله دعاءه فبقوا في التيه ثم دعا موسى عليه فنزع عنه الإيمان والاسم الأعظم كما صرح بذلك ابن مسعود وابن عباس وقال بعضهم: ما يسّر الله له الدعاء على موسى لكن قال لهم أخرجوا النساء إليهم فعسى أن يزنوا بهن ففعلوا فوقع واحد من بني إسرائيل

في الزنا فنزل عليهم الطوفان فقتل أحد علمائهم الزاني فكشف عنهم العذاب قيل فحُسِب من هلك في الطوفان في ساعة من النهار فوجد سبعين ألفاً هكذا رواه ابن جرير وابن عساكر ومحمد بن إسحاق وغيرهم وروي عن ابن عمر وابن عمران المراد أمية بن الصلت وكان قد قرأ التوراة والإنجيل وكان يعلم بأمر النبوة قبل البعثة فلما بعث النبي ﷺ حسده لطمعه أن يكون هو المبعوث فكفر فقيل مرادها أن يشبهه في كثرة علمه وتتبعه كتب الأوائل ومع ذلك صار إلى موالاة المشركين ومناصرتهم أقول والعبرة/ بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فتشمل 325/ ب
الآية جميع علماء السوء وجهلة الصوفية ﴿فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا﴾ [الآية: 175] أي: من الآيات بأن كفر بها أو أعرض عنها ﴿فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ [الآية: 175] أي: حتى لحقه أو استتبعه ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ﴾ [الآية: 175] أي: في علم الله أو فصار من الضالين في طريق هداه لأجل متابعة هواه وترك أمر الله ورضاه.

وأفاد الأستاذ: أن الحق سبحانه يظهر الأعداء في صدار الخلة ثم يردهم إلى سابق القسمة ويبرز الأولياء بنعت الخلاف والزّلّة ثم يغلب عليهم مقسومات الوصلة.

﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ﴾ [الآية: 176] إلى أعلى منازل درجات العلماء ﴿بِهَا﴾ [الآية: 176] بسبب تلك الآيات وملازمتها ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الآية: 176] أي: مال إلى مال الدنيا الدنية وزخارفها الفانية وإلى مرتبة السفالة والرذالة والجهالة والضلالة ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ﴾ [الآية: 176] في ترك طريق مولاه ومتابعة رضاه قال القاضي وإنما قيد رفعه بمشيئة الله ثم استدرك عنه بفعل العبد تنبيهاً على أن المشيئة سبب لفعله الموجب لرفعه وإن عدمه دليل عدمها دلالة انتفاء المسبب على انتقاء سببه وأن السبب الحقيقي هو المشيئة وأن ما نشاهده من الأسباب إنما هي وسائط معتبرة في حصول المسبب من حيث أن المشيئة تعلقت به كذلك هذا.

وقال ابن عطاء: سوابق الأزل تؤثر على انتهاء الأبد ولو جرى له في حكم الأزل السعادة لأثر ذلك عليه في عواقب سعيه وكدحه وأواخر أحواله.

وأفاد الأستاذ: أنه لو ساعدته المشيئة بالسعادة الأزلية لم تلحقه الشقاوة الأبدية ولكن من قصمته السوابق لم تنعشه اللواحق وفي قوله: ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية: 176] إذا كان مساكنة آدم الجنة وطمعه في الخلود فيها أوجبا خروجه عنها فالركون إلى الدنيا متى يوجب البقاء بها وفي قوله: ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ موافقة الهوى ينزل صاحبها من سماء العز إلى تراب الذل ويلقيه في وهدة الهوان ومن لم يقصد علماً وشهوداً فعن قريب يقاسيه وجوداً ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ﴾ [الآية: 176] في أحسن أحواله وهو ﴿إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ
326/ أ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ [الآية: 176] أي: يلهث دائماً/ سواء حمل عليه بالطرد والزجر أو ترك ولم يتعرض له بالنهي والأمر واللهث امتداد اللسان من النفس الشديد وحصر من بين الحيوانات بذلك لضعف فؤاده وقيل: لما دعا على موسى خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كالكلب وقد روي أنه يدخل النار بصورة كلب أصحاب الكهف ويدخل كلب أصحاب الكهف بصورة بلعم في الجنة.

وأفاد الأستاذ: أن من أخلاق الكلب الوقوع في من لم يجفه على جهة الابتداء ثم الرضا عنه بلقمة كذلك الذي ارتد عن طريق الإرادة يصير ضيق الصدر سيىء الخلق يبدأ بالجفاء كل بريء ثم يهدي طياشته بنيل كل عوض خسيس وفي قوله: ﴿إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ﴾ [الآية: 176] كذلك المحجوب عن الحقيقة فسيان عنده الإحسان والإساءة فهو في الحالتين إما صاحب ضجر أو صاحب بطر لا يحمل المحنة إلا على زوال الدولة ولا يقابل النعمة إلا بالنهمة فهو في الحالتين محجوب عن الحقيقة ويقال للكلب نجاسته أصلية وخساسته كلية كذلك للمردود في الصفة نقصان القيمة وحرمان القسمة ويقال: إقامة في محل القربة ثم أبرز له من مكامن المكرما أعدله من سابق التقدير فأصبح والكل دون رتبته وأمسى والكلب فوقه مع خساسته وفي معناه أنشدوا:

فبقينا بخير والدنيا مطمئنة فأصبحت يوماً والزمان تقلبا(1)

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 41) و(2/ 466) و(3/ 62) و(7/ 31) وهناك اختلاف بين الألفاظ في صدر البيت.

ويقال ليست العبرة بما يلوح في الحال وإنما العبرة بما يؤول إليه في المآل ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 176] أي: هذا المثل ﴿مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [الآية: 176] بأن كفروا أو أعرضوا عنها ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ﴾ [الآية: 176] أي: القصة المذكورة على اليهود أو على كفار مكة ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الآية: 176] أي: يتدبرون فيتعظون فيؤمنون ويتقون.

﴿سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ﴾ [الآية: 177] أي: مثل القوم ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [الآية: 177] بعد قيام الحجة عليها وثبوت علمهم بها ﴿وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ﴾ [الآية: 177] بمخالفتها.

﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 178] أي: هداية موصلة ﴿فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى﴾ [الآية: 178] اكتفى في الإخبار عمن من هداه الله بالمهتدي تنبيهاً على أن الاهتداء
جمال/ عظيم وكمال جسيم فالكلام من قبيل أنا أبو النجم وشعري شعري ونظيره 326/ ب
ما ورد فمن هاجر إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله[1] أي: فيكفيه هذا أن يقال في حقه وأن يوصف به أو معناه فأولئك هم الرابحون لما يستفاد من مقابلته بقوله: ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الآية: 178] أي: الكاملون في الخسران ولعل وجه الإفراد في الأول والجمع في الثاني في تحقيق المعنى بعد اعتبار اللفظ والمبنى هو الإيماء إلى قلة أرباب الهداية وكثرة أصحاب الضلالة والغواية كما يؤخذ من الإشارة بهو للقريب وبذلك للبعيد في العبارة هذا وقيل: ليس الناجي من سعى وأحسن السعي إنما الناجي لمن سبقت له الهداية من الهادي قال الله عزَّ وجلَّ ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى﴾ [الآية: 178] وقال الأستاذ ليست الهداية من حيث السعاية الهداية من حيث البداية ليست الهداية بكفر العبد ونظره إن الهداية بفضل الحق وجميل نظره.

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا﴾ [الآية: 179] خلقنا ﴿لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ [الآية: 179] يعني المصرين على الكفر في علمه تعالى وهو لا ينافي قوله تعالى ﴿وَمَا

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (6689)، ومسلم في الصحيح (1907/ 155).

خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56] لأن المراد بها المعهود وهم المؤمنون في علمه تعالى والإلزام تخلف إرادته سبحانه ويدل على ذلك قوله لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين يعني المعهودين من العاصين ويؤيده حديث خلقت هؤلاء للجنة ولا أبالي وهؤلاء للنار ولا أبالي وهذا معنى قوله ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورى: 7] وقيل اللام في هذه الآية للعاقبة نحو لدوا للموت وابنوا للخراب[1].

﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ [الآية: 179] أي: لا يفهمون معرفة الحق وطريق الصواب ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ [الآية: 179] أي: الآيات الدالة على معرفة رب الأرباب ﴿وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ﴾ [الآية: 179] مواعظة الكتاب ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [الآية: 179] في عدم الإبصار للاعتبار وفقد الاستماع للتقدير في الإخبار وفي أن قوامهم متوجه إلى أسباب المعيشة الدنيوية وهممهم مقصورة على الأمور الشهوية ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الآية: 179] فإن الأنعام تعقل ما خلقت له
327/أ من المرام إما بالطبع وإما بتسخير الآنام فتدرك منافعها ومضارها/ في الليالي والأيام بخلاف الكفار فإنهم خلقوا لعبادة الرحمن وهم يطيعون الشيطان إما جحوداً وإما عناداً وقيل ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ [الآية: 179] شواهد الحق ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ [الآية: 179] دلائل الحق ﴿وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ﴾ [الآية: 179] دعوة الحق ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الآية: 179] لأن (الأنعام) لا تحسّ بالاستتار والتجلي والأرواح نعيمها وعذابها في الاستتار ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الآية: 179] أي: الكاملون في الغفلة عن أنواع الأذكار.

وأفاد الأستاذ: أن من خلقه لجهنم متى يستوجب الجنان ومن أهله للسخط أنّى يستحق الرضوان ولولا انسداد البصائر وإلا فأي إشكال بقي بعد هذا الإيضاح الظاهر ويقال هم اليوم في جحيم الجحود مقرنين في أصفاد الخذلان ملبسين ثياب الحرمان طعامهم ضريع الوحشة وشرابهم حميم الفرقة وغداً هم في جحيم الحرقة كما فصل في الكتاب شرح تلك الحالة ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ

(1) سبق التعليق عليه.

﴿لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ [الآية: 179] أي لا يفهمون معاني الخطاب كما فهمه المحدثون وليس لهم تمييز خواطر الحق وبين هواجس النفس ووساوس الشيطان ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ [الآية: 179] شواهد التوحيد وعلامات اليقين ولا ينظرون إلا من حيث الغفلة ولا يسمعون إلا دواعي الفتنة ولا ينخرطون إلا في سلك ركوب الشهوة ﴿أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الآية: 179] لأن الأنعام رفع عنها التكليف فإن لم يكن بها وفاق الشرع فليس منها أيضاً خلاف الأمر وأن الأنعام لا نهمة لها إلا الاعتلاف وما تدعو إلى الجبلة من مباشرة الجنس فكذلك من أقيم بشواهدها وأظهر على وصفها من المربوطين بأحكام النفس وفي معناه أنشدوا:

نهارك يا مغرور سهو وغفلة ... وليلك نوم والردى لك لازم
وسعيك فيها سوف تكره غبَّه ... كذلك في الدنيا تعيش البهائم(1)

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الآية: 180] هي أحسن أسماء المباني لأنها دالة على معاني هي أحسن المعاني والمراد بها الألفاظ الدالة عليها أو الصفات بنفسها ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الآية: 180] بتلك الأسماء وتخلقوا بتلك الصفات وتعلقوا بمحبة الذات/ فكل اسم يصلح للتخلق إلا لفظ الله فإنه للتعلق. 327/ ب

قال بعضهم: كل اسم من أسمائه يبلغك مرتبة من المراتب فاسمه الله يبلغك إلى الوله في حبه والرحمٰن الرحيم يبلغانك إلى رحمته وكذلك جميع أسمائه إذا دعوته بهما من خلوص ضميرك وصفاء عقلك وتحقيق هذا المبنى في المقصد الأسنى وكذا في شرح الأستاذ للأسماء الحسنى.

وأفاد هنا من جملة ما أجاد أن الحق سبحانه تعرف إلى أوليائه بنعوته وأسمائه فعرفهم أنه من هو بأي وصف هو وما الواجب في وصفه وما الجائز في نعمته وما الممتنع في حقه وحكمه فيتجلى لقلوبهم بما يكاشفهم به من أسمائه وصفاته وأن العقول محجوبة عن الهجوم بذواتها على ما يصح إطلاقه في وصفه فإن كانت واقفة على الواجب والجائز والممتنع في ذاته فللعقل

(1) كان عمر بن عبد العزيز يردده ويتمثل بهما. انظر: الكشكول (1/ 322)، وبهجة المجالس (1/ 244)، والبصائر والذخائر (1/ 234).

العرفان في الجملة وبالشرع الإطلاق والبيان في الإخبار والقالة فما ورد به التوقيف يطلق وما سكت عنه التوقيف يمنع ويقال من كان الغالب عليه وصفاً من صفاته كان غلب على هجيراه فمن كان مكاشفاً بعطائه مربوط القلب بأفضاله فالغالب على قالته الثناء عليه بأنه الوهاب والبار المعطي وما جرى مجراه ومن كان مجذوباً عن شهود الأنعام مكاشفاً بنعت الرحمة فالذي يغلب على ذكره وصفه بأنه الرحمن الرحيم الكريم وما في معناه ومن سمت همته عن شهود جوده واستهلك في حقائق وجوده فالغالب على لسانه الحق ولذلك أكثر أقوال العلماء في الإخبار عن الباري لأنهم في الترقي من شهود الفعل إلى شهود الفاعل وأهل المعرفة الغالب على لسانهم الحق لأنهم مختطفون عن شهود الآثار متحققون بحقائق الوجود ويقال إن الله سبحانه وقّف الخلق بأسمائه فهم يذكرونها قالة وتعزز بذاته فالعقول وإن وصفت لا تهجم على حقائق الإشراف إذ الإدراك لا يجوز على الحق فالعقول عند بواده الحقائق متقنعة بنقاب الحيرة عن التعرض للإحاطة والمعارف تائهة عند [قصد
328/أ الإشراف على حقيقة الذات والأبصار حسيرة عند طلب الإدراك في أحوال/ الرؤية فالحق سبحانه عزيز وباستحقاق نعوت التعالي متفرد ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾ [الآية: 180] وقرأ حمزة بفتح الياء والحاء أي: واتركوا الذين يزيفون ويميلون عن الحق إلى الباطل ﴿فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ﴾ [الآية: 180] أي: من جهة مبانيها أو طريقة معانيها أو من حملتها اشتقاق أسماء الآلهة منها كاللات والعزى ومناة ونحوها وقيل: الإلحاد فيها تسمية بما لم يرو في الكتاب والسُنَّة إطلاقها كيا سخيّ ويا مكار ويا عاقل وأشباهها أو يوهم معنًى فاسداً كقولهم يا أبا المكارم وأبيض الوجه وأمثالها ﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 180].

وأفاد الأستاذ: أن الإلحاد هو الميل عن الاقتصاد وذلك على وجهين بالزيادة والنقصان فأهل التمثيل زادوا فألحدوا وأهل التعطيل نقصوا فألحدوا.

﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ [الآية: 181] أي: يقولون به ويدعون إليه أي: يقضون ويعملون وهم الصحابة والتابعون وفي الحديث لا تزال

من أمتي طائفة على الحق إلى أن يأتي أمر الله فالآية[1] دالة على صحة إجماع الأمة.

وأفاد الأستاذ: أن الحق سبحانه أجرى سنته بأن لا يخلي البسيطة من أهل لها هم الغيات وفيهم دوام الحق في الظهور في معناه قالوا:

إذا لم يكن قطب .... فمن ذا يديرها[2]

وهدايتهم بالحق أنهم يدعون إلى الحق ويدلون على الحق ويتحركون بالحق ويسكنون للحق بالحق هم قائمون بالحق يصرفهم الحق للحق بالحق أولئك هم غياث الخلق هم يسقون إذا قحطوا ويمطرون إذا أجدبوا ويجابون إذا دعوا.

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [الآية: 182] الدالة على تحقق ذاتنا وصفاتنا ﴿سَنَسۡتَدۡرِجُهُم﴾ [الآية: 182] سنستقربهم قليلاً قليلاً إلى الحجاب ونستزلّهم ساعة فساعة إلى العذاب ﴿مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الآية: 182] أي: ما يريد بهم رب الأرباب أو من حيث لا يشاهدون الأسباب فكلما جددوا معصية جدد الله لهم نقمة وأنساهم التوبة عن تلك المعصية فانتقلوا من النعمة إلى النقمة ومن المنحة إلى المحنة.

وأفاد الأستاذ: أن الاستدراج هو أن يلقي في أوهامهم أنهم من أهل الوصلة في الحقيقة والسابق لهم من القسمة حقائق الفرقة ويقال الاستدراج انتشار الصيت/ بالخير في الخلق والانطواء على الشر في السر مع الحق ويقال 328/ ب
الاستدراج الرجوع من توهم صفاء الأحوال إلى ركوب قبيح الأعمال ولو كان صادقاً في حاله لكان معصوماً في أعماله ويقال الاستدراج دعاوٍ عريضة صادرة عن معانٍ مريضة ويقال: الاستدراج إفاضة البر مع إنساء الشكر.

﴿وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ﴾ [الآية: 183] أي: أمهلهم في ضلالهم المبين ﴿إِنَّ كَيۡدِي

(1) تفسير أبي السعود (3/ 297)، وتفسير البيضاوي (1/ 78).
(2) ذكره القشيري في تفسيره (2/ 472).

﴿مَتِينٌ﴾ [الآية: 183] أي: أخذي شديد ومكري أكيد وإنما سماه كيداً لأن ظاهره إحسان وباطنه خذلان وصورته منحة ونعمة وحقيقته محنة ونقمة فأي نعمة آخرها النار وأي محنة آخرها الجنة وفي الحديث أمهلناهم فظنوا أنا أهملناهم(1).

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟﴾ [الآية: 184] أي: فيعلموا ﴿مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ﴾ [الآية: 184] ليس بنبيهم شيء من الجنون بل هو أعقل العقلاء من أرباب الفنون ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الآية: 184] موضح إنذاره ومظهر أنواره.

﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟﴾ [الآية: 185] نظر اعتبار ولم يتأملوا تأمل استظهار ﴿فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية: 185] في عجائب المخلوقات من عوالم العلويات والسفليات ﴿وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾ [الآية: 185] أي: وفيما يقع عليهم اسم الشيء من المصنوعات الموجودات والممكنات التي لا يمكن حصرها ولا يتصور إحصاؤها ليدلهم على كمال قدرة صانعها ووحدة مبدعها وعظم شأن مالكها ومتولي أمرها ليظهر لهم صحة ما يدعوهم إليه نبيهم ﷺ فتفسير ما الذي بمعنى شيء بشيء للإشارة إلى أن المراد بما عام أي: أي شيء كما قال بعض أرباب الحال: ففي كل شيء له شاهد يدل على أنه واحد وقال بعض أبدع الله الأوليات من لا شيء ثم اخترع خلق البقيات بعد تلك الأشياء من السابقات كالسماء من دخان والملائكة من نور وآدم من تراب على سلسلة الموجودات فنبه على أن الملكوت أوليات وما سواها خلق من موجودات سابقات فعلى هذا من شيء متعلق بخلق لا بيانية كما في وجوه الإعرابات هذا وقيل: النظر في الملك والملكوت يورث الاعتبار والنظر إلى الملك وصفاته الجبروت يسقط عنك الاشتغال بالأغيار مع أنه في نظر الأحرار ليس في الدار غيره ديار ﴿وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن
329/ أ يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾ [الآية: 185] عطف على ملكوت/ وأن مصدرية ومخففة واسمه ضمير الشأن وكذا اسم يكون في معرض البيان والمعنى أو لم ينظروا في اقتراب آجالهم وتوقع حلولها في كل حال من أحوالهم فيسارعون إلى تدارك الفوت قبل مفاجآت الموت ويبادروا إلى التوبة عن الحوبة قبل نزول العقوبة.

(1) انفرد به الملّا علي القاري.

وأفاد الأستاذ: أن الناس في مغاليط آمالهم ناسون لوشيك آجالهم فكم من ناسج لأكفانه وكم من بان لأعدائه وكم من زارع لم يحصد زرعه هيهات الكبش يعتلف والقصاب مستعد له ويقال سرعة الأجل تنقص لذة الأمل ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ﴾ [الآية: 185] أي: بعد القرآن ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية: 185] إذ لم يؤمنوا به والمعنى لعل أجلهم سبق أملهم فما لهم لا يبادرون إلى الإيمان بالقرآن وماذا ينتظرون بعد وضوح هذا التبيان فإن لم يؤمنوا به فبأي حديث أحق منه يريدون أن يؤمنوا به ومن يضلل الله فلا هادي له تقرير وتعليل لما قبله ونذرهم بالرفع على الاستئناف وقرأ أبو عاصم وعمرو بالياء لقوله.

﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 186] وحمزة والكسائي به وبالجزم عطفاً على محل ﴿فَلَا هَادِىَ لَهُۥ﴾ [الآية: 186] ﴿وَيَذَرُهُمْ﴾ [الآية: 186] كأنه قيل من يضلل الله لا يهده أحد غيره ويتركهم ﴿فِى طُغْيَٰنِهِمْ﴾ [الآية: 186] أي: ضلالتهم وكفرانهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾ [الآية: 186] حال كونهم يترددون.

وأفاد الأستاذ: إن من حرمه أنوار التحقيق غمه في ضباب الجهل فهو يزول يميناً ويسقط شمالاً.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾ [الآية: 187] أي: القيامة وهي من الأسماء الغالبة وإطلاقها عليها إما لوقوعها بغتة أو لسرعة حسابها كأنه ساعة أو لأنها على طولها عند الله كساعة أو من باب التسمية بأضدادها ﴿أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ [الآية: 187] أي: متى يكون إرساؤها أو أن يوجد إثباتها نزلت في قريش يسألون عن وقتها استبعاداً لوقوعها ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى﴾ [الآية: 187] استأثر به ذاتها لم يطلع عليه ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ﴾ [الآية: 187] أي: لا يظهر أمرها في زمانها ﴿إِلَّا هُوَ﴾ [الآية: 187] والمعنى أن الخفاء بها مستمر على غيره إلى وقت وقوعها.

وأفاد الأستاذ: أن السائل عن الساعة رجلان منكر يتعجب لفرط جهله وعارف مشتاق يستعجل لفرط شوقه والمتحقق بوجوده ساكن في حاله فسيان عند قيام القيامة ودوام السلامة والإيمان بها غيب ويقين/ أهل التوحيد صاف 329/ ب

عن شوائب الريب ﴿ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية: 187] عظمت على أهلها من الملائكة والثقلين بشدة هولها وكأنه إشارة إلى إخفائها وهذا قول ابن عباس واختاره ابن جرير أو شقت عليهما عند وقوعها حتى انهدمت وانشقت وهذا قول ابن عباس أيضاً ووافقه ابن جريج أو ثقل خفاؤها على أهلها وهو قول قتادة أو خفيت فيها لا يعلمها أحد من أهلها وكل خفي ثقيل على الخاطر وبيل وهذا قول السدي وعلى الوجوه كلها كلمة في استعارة منبهة على تكمن ثقلها ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ [الآية: 187] إتيان فجأة على حال غفلة كما روي عنه عليه السلام أن الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه(1) من هذا عند النفخة الأولى وهي مبدأ القيامة الكبرى التي توجد البعثة عند النفخة الثانية هذا وقيل من مات فقد قامت قيامته(2) والموت إن لم يكن بغتة فمقدماته لا تكون إلا فجأة فرحم الله من تنبه عن قوم الغفلة واستعد الزاد لهذه الرحلة ﴿يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ [الآية: 187] أي: عالم بها كذا قاله ابن عباس وغيره وهو فعيل من حفي عن الشيء إذا سأل عنه فإن من بالغ في السؤال عن الشيء والبحث عنه استحكم علمه به ولذلك عدي بعن ولما كان المبالغة في السؤال مستلزماً للعلم أطلق الحفي وأريد به العالم أو كأنك بالغت في السؤال عنها حتى علمت وقتها وقيل عنها متعلقة بيسألونك ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 187] أي: لا يطلع عليه أحد سواه كرره للمبالغة فيما أخفاه ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 187] أن علمها مختص به لم يؤته أحداً من خلقه.

﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي﴾ [الآية: 188] أي: فضلاً عن غيري ﴿نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ [الآية: 188] جلب خير ولا دفع شر وهو إظهار للعبودية وتبرؤ عن ادعاء علم الغيب الخاص بالمرتبة الربوبية ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 188] بأن يلهمني إياه ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ [الآية: 188] بوقت حصول الخير ونزول الشر ﴿لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ﴾ [الآية: 188] أي: الشر والمعنى لو كنت أعلم

(1) تفسير الطبري (13/ 297)، وتفسير ابن كثير (3/ 519).
(2) سبق تخريجه.

الغيب في مالي لخالفت حالي من اكتساب المبار واجتناب المضار فلم أكن غالباً
330/ أ مرة ومغلوباً أخرى/أو رابحاً تارة وخاسراً أخرى في تجارة الدنيا ﴿إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ [الآية: 188] ما أنا إلا عبد مرسل لإنذار الفجار وبشارة الأبرار ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية: 188] في الحقيقة لأنهم هم المنتفعون نزلت حين قالت قريش ألا تعلم الرخص قبل الغلاء فتشتري وتربح والأرض التي تريد أن تجرب وترتحل إلى الأرض التي تخصب.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أمره بتصريح الإقرار بتبريه عن حوله ومنته أي قوته وأن قيامه وأمره ونظامه بطول ربه ومنته ولذلك يتجنس على الأحوال ويختلف في الأطوار فمن عسر يمسني ومن يسر يخصني فلو كان الأمر بمرادي ولم يكن بيد غيري قيادي تشابهت أحوالي في اليسر ولتشاكلت أوقاتي في البعد من العسر.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [الآية: 189] هو آدم عليه السلام.

قال الأستاذ: إنه سبحانه أخرج النسمة من نفس واحدة وأخلاقهم مختلفة وهممهم متباينة كما يخلق الشخص من نطفة واحدة وأعضاء الشخص وأجزاؤه مختلفة فمن قدر على تنويع النطفة المتشاكلة أجزاؤها فهو القادر على تنويع أخلاق الخلق الذين أخرجهم من نفس واحدة ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا﴾ [الآية: 189] أي: وخلق من جسدها وهو ضلع من أضلاعها وجنسها لقوله ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ [النحل: 72] ﴿زَوْجَهَا﴾ [الآية: 189] حواء ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ﴾ [الآية: 189] ليأنس بها ويطمئن إليها اطمئنان الشيء إلى جزئه أو جنسه.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه رد المثل بالمثل وربط الشكل بالشكل ليعلم العالمون أن سكون الخلق من الخلق لا إلى الحق وكذلك أنس الخلق بالخلق لا بالحق فالحق تعالى قدوس منه كل حظ للخلق خلقاً وهو منزه عن رجوع شيء إلى حقيقته حقاً ثم ذكر الضمير ذهاباً إلى المعنى ومناسبة للمبنى وفقت بالجهل لخفته ﴿فَلَمَّآ أَثْقَلَت﴾ [الآية: 189] صارت ذا ثقل بكبر الولد في بطنها

﴿دَعَوَا ٱللَّهَ﴾ [الآية: 189] ﴿رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا﴾ [الآية: 189] أعطيتنا ﴿صَٰلِحًا﴾ [الآية: 189] بشراً سوياً أو ولداً صلح بدنه رضياً فإنهما أشفقا وخافا أن يكون بهيمة على ما قاله الضحاك ونقل عن ابن عباس ﴿لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الآية: 189] على هذه النعمة المجددة.

330/ب ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ﴾ [الآية: 190] أتى/ أولادهما فسموا عبد العزى وعبد مناف على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ويدل عليه قوله تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الآية: 190].

وأفاد: الأستاذ إنّ شر الناس من يبتهل إلى الله عند هجوم البلاء بخلوص الدعاء وشدة التضرع والبكاء فإذا أزيل شكاياته ورفع منه آفاته ضيّع الوفاء ونسي البلاء وقابل الرفد بنقض العهد وأبدل العقد برفض الرد أولئك الذين أبعدهم الله في سابق الحكم وخرطهم في سلك أهل الرد وروي أنه لما حملت حواء أتاها إبليس في غير صورته فقال لها ما يدريك ما في بطنك لعله بهيمة أو كلب وما يدريك من أين يخرج فخافت من ذلك فخوفها مراراً كثيرة وذكرت ذلك لآدم فهما منه ثم عاد إليها وقال إني من الله بمنزلة فإن دعوت الله أن يجعله خلقاً مثلك ويسهل عليك خروجه فسميه عبد الحارث وكان اسمه حارثاً في الملكية فقبلت فلما ولدت سمياه عبد الحارث ولم يعرفا أنه من تلبيس إبليس وقد صح هذا النقل عن ابن عباس وكثير من السلف والخلف على ما رواه ابن أبي حاتم وابن جرير والسدي وذكر الترمذي والنسائي والإمام أحمد والحاكم في مستدركه وابن مردويه وابن أبي حاتم حديثاً مرفوعاً عن ابن عباس[1] لكنه في رواية الكل نوع ضعف على ما ذكره المحققون ففي الجملة له أصل ثابت وهذا ليس بشرك حقيقي لأنهما ما اعتقدوا أن الحارث ربه بل قصدوا إلى أنه سبب صلاحه فسماه الله تعالى شركاً للتغليظ فإن الذنب من العارفين الموقنين أشد وأعظم من عامة المؤمنين فإن الأولى بهما أن لا يفعلان ما أتيا به من الشرك الخفي كما يفعله الجهلة في

(1) تفسير الطبري (13/ 307)، وتفسير ابن كثير (3/ 525).

زماننا من تسميتهم بعبد النبي وعلى هذا يكون لفظ شركاء من إطلاق الجمع على الواحد تجوز وقرأ نافع وأبو بكر شركاً أي: شركة بأن أشركا فيه غيره أو ذوي شرك وهم شركاً قيل ويحتمل أنهما لما فعلا هنالك اقتدى لهم بعض الناس بذلك فسموا أولادهم عبد شمس ونحوه فنسب إليهما كل ذلك/لتسببهما 331/أ
ثم قال ﴿فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الآية: 190] أي: إشراكاً جلياً أو خفياً.

﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا﴾ [الآية: 191] أي: الأصنام ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [الآية: 191] أي: جميعهم كسائر الأنام.

وأفاد الأستاذ: أنه كما لا يجوز أن يكون الرب مخلوقاً لا يجوز أن يكون غير الرب خالقاً فمن وصف الحق بخالص وصف الخلق فقد ألحد ومن نعت الخلق بما هو من خصائص حق الحق فقد جحد.

﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ﴾ [الآية: 192] لعبدتهم ﴿نَصْرًا﴾ [الآية: 192] نصرة ومنفعة ﴿وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ [الآية: 192] فيدفعون عنها شيئاً من المضرة.

﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ﴾ [الآية: 193] أي: المشركين ﴿إِلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [الآية: 193] أي: الإسلام وترك الهوى ﴿لَا يَتَّبِعُوكُمْ﴾ [الآية: 193] وقرأ نافع بالتخفيف وقيل الخطاب للمشركين لا له ﷺ وأتباعه من المسلمين وهم في تدعوهم ضمير الأصنام لا المشركين والمعنى أن تدعوهم أن يهدوكم لا يتبعوكم ويلائمه قوله ﴿سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَـٰمِتُونَ﴾ [الآية: 193] ساكتون لهم.

وأفاد الأستاذ: إنه سبحانه بين أن المعبود هو القادر على هداية داعيه وعلم العبد بقدرة معبوده يوجب تبريه من حوله وقوته وإفراد الحق تعالى بالقدرة على قضاء حاجته وإزالة ضرورته فيتقاصر عن قصد الخلق خطاه وينقطع آماله من غير مولاه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 194] أي: تدعوهم عباده وتسمونهم آلهة ﴿عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ [الآية: 194] من حيث أنها مملوكة له مسخرة لأشباهكم ﴿فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [الآية: 194] إنها آلهة وتستحق العبادة.

وأفاد الأستاذ: أنها إذا قرنت الضرورة بالضرورة تضاعف البلاء وترادف العناء فالمخلوق إذا استعان بمخلوق مثله ازداد بعد المراد من النجح وكيف يشكك من هو أخيذ شكاته هيهات إن ذلك خطأ من الظن وباطل من الحسبان.

﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ [الآية: 195] فيه تنبيه على أن الأصنام المنحوتة بأيديكم وقوة أفعالكم لو كانوا أحياء عقلاء أمثالكم ما كانوا يستحقون عبادتكم كما لا يستحق بعضكم عبادة بعض ولا يستوجب طاعتكم وكيف وهم دونكم في المرتبة وهو يتصور أن يكون المعبود أنقص رتبة من العابد وأعجز في تحصيل المقاصد.

وقد أجاب الأستاذ فيما أفاد بقوله: بين بهذه الآية أن الأصنام التي
331/ب عبدوها دونهم فيما اعتقدوا/ فيه صفة المدح ثم [لم] يعبد بعضهم بعضاً فكيف استجازوا عبادة ما فوقهم في النقص ﴿قُلِ ادْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ﴾ [الآية: 195] واستعينوا بهم في عدواتي ﴿ثُمَّ كِيدُونِ﴾ [الآية: 195] أي: بالغوا أنتم وإياهم فيما يقدرون عليه من مكروهاتي ﴿فَلَا تُنظِرُونِ﴾ [الآية: 195] فلا تمهلوني ولا تهملوني فإني بكيدكم لا أبالي لوثوقي على ولاية ربي المتعالي.

قال الأستاذ: صدق التوكل على الله يوجب ترك المبالاة بغير الله كيف لا والتفرد بالقدرة على النفع والضر والخير والشر هو الله.

﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَـٰبَ﴾ [الآية: 196] القرآن ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّـٰلِحِينَ﴾ [الآية: 196] بتوفيق الإيمان وتحقيق الإحسان والصالحون يتناول الأنبياء والمؤمنين الأصفياء.

وقال الواسطي: يتولى الصالحين بالوقاية ويتولى الفاسقين بالغواية.

وأفاد الأستاذ: إن من قام بحق الله يتولى الله أموره على وجه الكفاية فلا يحوجه إلى أمثاله ولا يدع شيئاً من أحواله إلا أجراه على ما يريده بحسن إفضاله فإن من لم يفعل ما يريده جعل العبد راضياً بما يفعله وروح الرضا

على الإسرار أتم من راحة الغطاء على قلوب الأبرار.

﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ [الآية: 197] من شمس أو قمر وكوكب أو نبي مرسل أو ملك مقرب ﴿لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ﴾ [الآية: 197] لعدم استقلالهم في أفعالهم وأحوالهم فكيف هؤلاء الجماد من الأصنام التي في أدنى مراتب الأنام.

﴿وَإِن تَدۡعُوهُمۡ﴾ [الآية: 198] أي: المشركين ﴿إِلَى ٱلۡهُدَىٰ﴾ [الآية: 198] والخطاب له ﷺ والمؤمنين ﴿لَا يَسۡمَعُواْۖ﴾ [الآية: 198] سماع قبول ﴿وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ﴾ [الآية: 198] أنوار الحق عليك لقصور نظرهم الحاصل على الحاضر من غير ترق إلى عالم السر.

وأفاد الأستاذ: أنهم شاهدوه بأبصار رؤوسهم لكنهم حجبوا عن رؤيته ببصائر أسرارهم وقلوبهم فلم يعتد برؤيتهم ويقال رؤية الأكابر ليست بشهود أشخاصهم لكن بما يحصل للقلوب من مكاشفاة الغيب وذلك على تقادير الاحترام وحصول الإيمان انتهى وأما جعل ضميرهم إلى الأصنام فبعيد عن المرام في هذا المقام.

﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ﴾ [الآية: 199] أي عن المسيئين ﴿وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ﴾ [الآية: 199] أي: بالمعروف من أفعال المحسنين ﴿وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [الآية: 199] أي: اصفح
عن أعمال الغافلين وهذه/ الآية لمكارم الأخلاق جامعة وقد جاء في تفسيرها 332/ أ
حديث قدسي وكلام أنسي وهو أن تعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من قطعك[1].

وأفاد الأستاذ: أن العفو من خصائص سُنَّة الله تعالى في الكرم فأمر نبيه ﷺ بالأخذ به على الوجه الأتم إذ الخبر ورد بأن المؤمن آخذ من الله خلقاً حسناً وكلما كان الجرم أكثر فالعفو عنه أجل وأكمل وأعظم وعلى قدر عظم رتبة العبد في الكرم يوفق للعفو عن الأصاغر والخدم وقد قال ﷺ في

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (1/ 279) رقم (909)، والمعجم الكبير (20/ 188) رقم (413)، والبيهقي في السنن الكبرى (10/ 235) رقم (20880).

الجراحات التي أصابتهم في حرب أُحُد اللّهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون[1] ثم أفضل العرف أن يكون أكمل العطاء لأكثر أهل الجفاء وبذلك عامل رسول الله ﷺ عامة الناس ثم الإعراض عن الأغيار بالإقبال على من لم يزل ولا يزال وفي ذلك النجاة من الحجاب والتحقق بما يتقاصر عن شرحه الخطاب.

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ﴾ [الآية: 200] أي: وأن ينخسنك منه نخس بوسوسته تحملك على خلاف ما أمرت به من طاعة كاعتراك غضب وكراهة ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ [الآية: 200] في تلك الحالة ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ﴾ [الآية: 200] بمقالك ﴿عَلِيمٌ﴾ [الآية: 200] بحالك.

وقال الأستاذ: إن سنح في باطنك من الوسواس أثر فاستعذ بالله يدركك بحسن التوفيق وإن هجس في صدرك من الحظوظ خطرة فاستعذ بالله يدركك بإزالة كل نصيب وإن لحقتك عزة في بذل الجهد فترة فاستعذ بالله يدركك بإدامة التأبيد وإن اعتريك في الترقي إلى محل الوصول وقفة فاستعذ بالله يدركك بإدامة التحقيق وإن تقاصر عنك في خصائص القرب صيانته لك عن شهود المحل فاستعذ بالله بتثبتك له لا لك بك.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾ [الآية: 201] مخالفة الله أو مخالفة ما سواه ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ﴾ [الآية: 201] لمة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي طيف أي: خيال ووسوسة ﴿مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟﴾ [الآية: 201] تنبهوا وتصوروا ما أمر الله به ونهى عنه ﴿فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الآية: 201] بسبب تذكر مواقع الخطاب ومواضع الحجاب فيحترزون منها ولا يتبعونه فيها والآية/ تأكيد وتقرير لما قبلها وكذا قوله سبحانه. 332/ب

﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ﴾ [الآية: 202] وقرأ نافع من الإمداد أي وإخوان الشياطين الذين لم يتقوا في الدين يهديهم الشياطين ويزيدونهم ﴿فِى ٱلْغَىِّ﴾ [الآية:

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (3477)، وابن حبان في الصحيح (3/ 254) رقم (973)، والطبراني في المعجم الكبير (6/ 120) رقم (5694).

202] أي: الضلالة بالتزيين ﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ [الآية: 202] أي: يمتنع الشياطين ولا يمسكون عن إغوائهم حتى يردوهم إلى ولائهم أو لا يكفّ الإخوان عن الغي والهوى ولا يقصرون عن المتقين الشائعين للهدى.

وقال الأستاذ: إنما يمس المتقين طيف الشيطان في ساعات غفلتهم عن ذكر الله ولو أنهم استداموا ذكر الله بقلوبهم لما مسهم طيف الشيطان فإن الشيطان لا يقرب قلباً في حال شهودهم الله لأنه ينخنس عند ذلك ولكل صارم نبوه ولكل عالم هفوة ولكل عابد شدة ولكل قاصد فترة ولكل سائر وقفة ولكل عارف حجبة قال ﷺ «الحدة تعتري خيار أمتي» فأخبر أن خيار الأمة وإن جلت رتبتهم لا يتخلصون عن حدة تعتريهم في بعض أحوالهم فتخرجهم عن دوام الحلم ثم إخوان الشياطين أرباب دوام الغفلة فهم في كمال الغفلة تدوم بهم الحجبة فمن هم بالذلة من لم يلم أو ألم ولكن لم يصرفهم الخيار ومن غفل أو اغتر وعلى دوام الغيبة أصر فهم المحجوبون قطعاً والمبعدون عن محل القرب صداً ورداً.

﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ﴾ [الآية: 203] من القرآن أو مما اقترحوه في معارضة العدوان ﴿قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا﴾ [الآية: 203] أي: هلَّا جمعتها وأتيتها من عند نفسك أو هلّا طلبتها من ربك ﴿قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي﴾ [الآية: 203] لست بمختلق لآية ولا بمقترح من حجة ﴿هَٰذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [الآية: 203] أي: حجج بينة ظاهرة يبصر بها القلوب صوب صواب المحجة ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية: 203] لا للذين هم في طريق الحق معاندون.

وأفاد الأستاذ: إن من شاهد الخلق من حيث سقط في مهوات المغاليط فهو في متاهات الشك يجوب منازل الريب ولا يزداد إلا عمى على عمى ومن طالع الخلق بعين تصريف القدرة إياهم تحقق بأنهم لا يظهرون إلا في معرض اختيار الحق لهم فهو ينظر بنور البصيرة ويستديم شهود التصريف بوصف السكينة.

﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا﴾ [الآية: 204] اسكتوا ﴿لَعَلَّكُمْ

333/ أ ﴿تُرۡحَمُونَ﴾ [الآية: 204] / نزلت في الصلاة كانوا يتكلمون فيها فأمروا باستماع قراءة الإمام والإنصات له وظاهر اللفظ يقتضي وجوبها حيث يقرأ القرآن مطلقاً وعامة العلماء على استحبابها خارج الصلاة واستدل به من لا يرى القراءة على المأموم وهو ظاهر وجهه خلافاً لمن خالفه وصفه هذا والأصح أنها نزلت في ترك التكلم في الصلاة على ما قاله مجاهد وسعيد بن جبير والضحاك وجمع كثير من السلف أو في ترك القراءة مع الإمام إذا جهر فيها على ما قاله الزهري ولا شك أنه يستحب الاستماع والإنصات عند قراءة القرآن مطلقاً وعن ابن عباس ومجاهد لا بأس إذا قرأ الرجل في غير الصلاة أن يتكلم ثم الخطبة حكمها كالصلاة.

وقال الأستاذ: واستمعوا له بسمع الإيمان والتصديق وأنصتوا بالنسبة لخواطر عن معارضات الاعتراض ومطالبات الاستكشاف ومن باشر التحقيق سره لازم التصديق قلبه والإنصات في الظواهر من آداب أهل الباب والإنصات بالسرائر من آداب أهل البساط قال الله تعالى في نعت تواصي الجن بعضهم لبعض عند شهود الرسول ﷺ ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ﴾ [الأحقاف: 29] فإذا كان حضرة الواسطة توجب هذه الهيبة فلزوم الهيبة وحفظ الأدب عن حضور القلب بشهود الرب أولى وأحق قال الله تعالى ﴿وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ فَلَا تَسۡمَعُ إِلَّا هَمۡسٗا﴾ [طه: 108].

﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ﴾ [الآية: 205] عام في الأذكار من القراءة والدعاء وغيرها ﴿تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ﴾ [الآية: 205] أي: متضرعاً وخائفاً ﴿وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾ [الآية: 205] أي: ومتكلماً كلاماً دون الجهر وفوق السر فإنه أدخل في الخشوع والإخلاص والخضوع وقال ابن عباس رضي الله عنهما أن تسمع نفسك دون غيرك ﴿بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ﴾ [الآية: 205] بأوقات الغدو والعشيات ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾ [الآية: 205] في جميع الأنفاس والساعات.

وأفاد الأستاذ: أن التضرع إذا كوشف بوصف الجمال في أوان البسط والخيفة إذا كوشف بنعت الجلال في أحوال الهيبة وهذا للأكابر فأما من
333/ ب دونهم فتنوع أحوالهم من حيث الخوف والرجاء والرغبة والرهبة ومن فوق/

الجميع فأصحاب البقاء والفناء والصحو والمحو ووراهم أرباب الحقائق مثبتون في أوطان التمكين فلا تلّون لهم ولا تجنس لقيامهم بالحق وامتحائهم عن شواهدهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ [الآية: 206] أي: الملأ الأعلى من المقربين عنده ﴿لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ﴾ [الآية: 206] بل يفتخرون بطاعته ﴿وَيُسَبِّحُونَهُۥ﴾ [الآية: 206] ينزهونه من جهة ذاته وصفاته ﴿وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ﴾ [الآية: 206] ويخصونه بالعبادة ولا يشركون به غيره في الطاعة وهو تعريض بمن عداهم من خليقته ولذا شرع السجود لقراءته والمعنى أنهم مع كونهم آمنين من خوف سوء العاقبة وعذاب يوم القيامة متوجهون إلى عبادته وقائمون بطاعته ومنقادون بسجدته فأنتم مع خوفكم كيف تتمادون في الغفلة وتطيعون غيره في السجدة وهذا أول سجدة في القرآن لتاليها ومستمعها بالإجماع على خلاف وجوبها واستحبابها وعنه ﷺ إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي فيقول يا ويله أمر هذا بالسجود فله الجنة وأمرت بالسجود وعصيت فلي النار(1).

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أثبت لهم عندية الكرامة وحفظ عليهم أحكام العبودية لئلا ينفك حال جمعهم عن نعت فرقهم وهذه سُنَّة الله تعالى مع خواص عباده يلقاهم بخصائص عين الجمع ويحفظ عليهم حقائق عين الفرق لئلا يخلو بآداب العبودية في أوان جود الحقيقة.

(1) أخرجه مسلم في الصحيح (81/ 133)، وابن ماجه في السنن (1/ 334) رقم (1052)، والبيهقي في السنن الكبرى (2/ 312) رقم (3516)، وابن حبان في الصحيح (6/ 465) رقم (2759).

سورة الأنفال

[مدنية]

وهي ست وسبعون آية(1)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ بسم الله إخبار على قدرته عن الإبداع والاختراع الرحمن الرحيم إخبار عن نصرته بالامتناع وحسن الدفاع فبقدرته أوجد ما أوجد من مراده وبنصرته وحّد من وحد من عباده.

﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِۖ﴾ [الأنفال، الآية 1] أي: الغنائم وسميت الغنيمة نفلاً لأنها عطية من الله وفضيلة زائدة كما سمي به ما يشرطه الإمام لمقتحم خطر عطية له وزيادة على سهمه ﴿قُلِ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ﴾ [الآية: 1] أي: أمرها مختص بهما يقسمها الرسول ﷺ على ما يأمره الله به.

334/ أ وأفاد الأستاذ: أن الأنفال هاهنا ما آل إلى المسلمين من أموال/ المشركين وكان سؤالهم عن حكمها فقال تعالى قل لهم إنها لله ملكاً ولرسوله ﷺ الحكم فيها بما يقضي به أمراً وشرعاً ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ﴾ [الآية: 1] أي: الحال التي بينكم بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم الله وتسليم أمره إلى الله ورسوله فيما يأمره وينهاه ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [الآية: 1] فإن الإيمان يقتضي ذلك بحكم اليقين أو إن كنتم كاملي الإيمان في أمر الدين.

وعن أنس رضي الله عنه قال: بينما رسول الله ﷺ جالس إذ رأيناه ضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر: ما ضحكك يا رسول الله؟ قال: رجلان جثيا من أمتي بين يدي رب العزة فقال أحدهما: يا رب خذ لي مظلمتي من

(1) كذا في الأصل المخطوط.

أخي قال الله أعطِ أخاك مظلمته قال: يا رب لم يبق من حسناتي شيء قال: يا رب يحمل عني من أوزاري وفاضت عينا رسول الله ﷺ بالبكاء ثم قال: إن ذلك ليوم عظيم يحتاج الناس إلى أن يتحمل عنهم من أوزارهم فقال الله للطالب ارفع بصرك فانظر في الجنان فرفع رأسه فقال: يا رب أرى مدائن من فضة وقصوراً من ذهب مكللة باللؤلؤ لأي نبي هذا؟ لأي صديق هذا؟ لأي شهيد هذا؟ قال هذا لمن أعطى الثمن قال: يا رب ومن يملك ثمنه؟ قال أنت قال بماذا؟ قال بعفوك عن أخيك قال: رب قد عفوت عنه قال خذ بيد أخيك فأدخله الجنة ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الآية: 1] فإن الله يصلح بين المؤمنين يوم القيامة(1).

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ إذا كان يوم القيامة نادى منادياً أهل التوحيد أن الله قد عفا عنكم فليعف بعضكم عن بعض وعلى الثواب كذا في «**الدر المنثور**» في التفسير المأثور.

وقال الأستاذ: في قوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [الآية: 1] اجتنبوا لأمر الله أن تطيعوا دواعي مناكم والحكم بمقتضى هواكم والتقوى إيثار رضى الحق على مراد النفس ﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الآية: 1] بالانسلاخ عن شح النفس وإيثار حق الغير على ما لكم من النصيب والحظ وتنقية/القلوب عن خفايا الحسد والحقد 334/ ب
﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الآية: 1] أي: في الإجابة إلى ما يأتيكم من الإرشاد والهداية ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 1] أي: سبيل المؤمنين أن لا يخالفوا هذه الجملة.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ [الآية: 2] أي: الكاملون ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الآية: 2] فزعت لذكره وخافت لفكره استعظاماً لجلاله وقدره قال بعضهم: الوجل على مقدار المطالعات فإن طالع السطوة هابه مخافة موته وإن طالع ودهُ هابه مخافة قوته وجملة ذلك من طالع التقريب بالتأديب وجل ومن طالع التهديد بالتبعيد وجل ومن طالعه مغيباً عن مشاهده قائماً بسرمده خالياً من أزله وأبده فلا

(1) تفسير ابن كثير (4/ 11)، والدر المنثور (4/ 10)، وكنز العمال (3/ 58) رقم (5482).

وجل حينئذٍ ولا اضطراباً ولا تباعد ولا اقتراب فإنه تحقق بالذات ونسي الصفات وفني بالذات عن الذات كما هرب رسول الله ﷺ عن الصفات إلى الذات فقال: أعوذ بك منك[1] كذا في «**حقائق السلمي**».

وأفاد الأستاذ: أن الوجل شدة الخوف ومعناه هاهنا أنه يخرجهم الوجل عن أوطان الغفلة ويزعجهم عن مساكن الغيبة فإذا انفصلوا عن أودية التفرقة وفاؤوا إلى مشاهد الذكر نالوا السكون إلى الله فيزيدهم ما يتلى عليهم من آياته تصديقاً على تصديق وتحقيقاً على تحقيق فإذا طالعوا جلال قدره وأيقنوا قصورهم عن إدراكه توكلوا عليه في إمدادهم برعايته في نهايتهم كما استخلصهم بعنايته في بدايتهم ويقال: سُنَّة الحق سبحانه مع أهل العرفان أن يردوهم بين كشف جلال وبين لطف جمالٍ فإذا كاشفهم بجلاله وجلت قلوبهم وإذا لاطفهم بجماله سكنت قلوبهم قال الله تعالى: ﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: 28] وجلت قلوبهم بخوف فراقه ثم تطمئن وتسكن أسرارهم بروح وصاله فذكر الفراق يفنيهم وذكر الوصال يصحيهم ويحييهم ويقال: الطالبون في نوح رهبتهم والواصلون في روح قربتهم والموحدون في محو غيبتهم استولت عليهم الحقائق فلا لهم تطلع إلى وقت مستأنف فيستفزهم خوف أو يهزهم طمع ولا
لهم بأحوالهم إحساس فتملكهم لذة إذ لما اصطلموا ببواده ما ملكهم/ فهم محو 335/ أ
عنهم والغالب عليهم سواهم ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الآية: 2] اطمئناناً بالدين ورسوخاً باليقين أو لزيادة المؤمن به في كل حين قال جنيد: زادتهم إيماناً بأن لا سبيل لهم إلى الوصول إلى الله إلا به وقال بعضهم: أظهر عليهم ببركة التلاوة زيادة يقين في بواطنهم وزيادة طاعة في ظواهرهم كذا ذكره السلمي ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الآية: 2] يعتمدون فيما يذرون ويفعلون ولا يخشون إلا الله ولا يرجون إلا إياه ولا يلتفتون إلى ما سواه.

﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الآية: 3] أي: يديمونها ويحافظون على شروطها وأركانها ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الآية: 3] في سبيل الله وطريق رضاه فهم

(1) سبق تخريجه.

الجامعون بين العبادة البدنية والطاعة المالية.

وأفاد الأستاذ: أنهم لا يرضون في أعمالهم بإخلال ولا يتصفون بجمع مال من غير حلال ولا يعرجون في أوطان التقصير بحال.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ﴾ [الآية: 4] ولأنهم حققوا إيمانهم صدقاً بأن ضموا إليه مكارم الأحوال القلبية من الخشية والإخلاص والتوكل ونحوها ومحاسن أفعال البدنية التي مدار الطاعة عليها ومعيار العبادة لديها من الصلاة والزكاة والصدقة وأمثالها.

وقال الأستاذ: أولئك الذين صفتهم أن لا يكونوا للشريعة عليهم نكير ولا لهم عن أحكام الحقيقة معدل ومحيد ﴿هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ﴾ [الآية: 4] أي: حقوا حقاً وصدقوا صدقاً أو حق لهم حقاً ﴿لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ﴾ [الآية: 4] كرامة وعلو منزلة ورفعة قربة ﴿عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ [الآية: 4] على قدر مراتبهم ﴿وَمَغۡفِرَةٞ﴾ [الآية: 4] لما صدر عنهم وفرط منهم ﴿وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾ [الآية: 4] نعيم مقيم لا ينقطع عدده ولا ينتهي أمده ولا مدده.

وقال الأستاذ ﴿لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ [الآية: 4] على حسب ما أهلهم به من الرتب فبسابق قسمته لهم استوجبوها ثم بصادق خدمتهم حين وفقهم لها بلغوها ولهم مغفرة في المآل لمسيئهم وفي الحال لمحسنهم والمغفرة الستر والحق سبحانه يستر مثالب العاصين ولا يفضحهم لئلا يحجبوا عن مأمول أفضالهم ويستر مناقب العارفين عليهم لئلا يعجبوا بأعمالهم وأحوالهم وفرق بين/ ستر وبين ستر وشتان ما هما وأما الرزق الكريم فيحتمل أنه الذي يعطيه من 335/ ب
حيث لا يحتسب ويحتمل أنه الذي لا ينقصه بإجرامهم ويحتمل أنه لا يشغلهم بوجوده عن شهود الرزاق ويحتمل أنه رزق الأسرار بما يكون استقلالها به من المكاشفات.

﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ﴾ [الآية: 5] أي: هذه الحال في كراهتهم إياها كحال إخراجك للحرب في كراهتهم له ﴿وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ﴾ [الآية: 5] جملة حالية وذلك أن عير قريش أقبلت من الشام وفيها تجارة عظيمة

ومعها أربعون راكباً منهم أبو سفيان وعمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل وعمرو بن هشام فأخبر جبريل رسول الله ﷺ فأخبر المسلمين فأعجبهم تلقيها لكثرة المال وقلة الرجال فلما خرجوا بلغ الخبر أهل مكة فنادى أبو جهل فوق الكعبة يا أهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم أموالكم إن أصابها محمد لم تفلحوا أبداً فخرج أبو جهل بجميع أهل مكة ومضى بهم إلى بدر وهو ما كانت العرب تجتمع عليه لسوقهم يوماً في السنة وكان رسول الله ﷺ بوادي دفران فنزل عليه جبريل للوعد بإحدى الطائفتين إما العير وإما النفير فاستشار فيهم أصحابه فقال بعضهم: هلّا ذكرت لنا القتال حتى نتأهب له إنا خرجنا للعير فردد عليهم وقال: إن العير مضت على ساحل البحر وهذا أبو جهل قد أقبل فقالوا: يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فغضب رسول الله ﷺ فقام أبو بكر وعمر فأحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال: أنظر أمرك فامضِ فيه فوالله لو سرت إلى عدن أبين ما تخلف عنك رجل من الأنصار ثم قال مقداد بن عمرو: امضِ بما أمرك الله فإنا معك حيث ما أحببت لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى اذهب أنت وربك إنا هاهنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون فتبسم
رسول الله ﷺ ثم قال: أشيروا/ عليّ أيها الناس وهو يريد الأنصار لأنهم كانوا 336/ أ
عددهم وقد شرطوا حين بايعوه وبالعقبة أنهم برآء من ذمامه حتى يصل إلى ديارهم فتخوف ﷺ أن لا يروا نصرته إلا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ وقال: لكأنك تريدنا يا رسول الله ﷺ قال: أجل قال: قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطينا على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامضِ يا رسول الله لما أردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضنا معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا وإنّا لصبرٌ عند الحرب صدَّق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله فنشطه قوله ثم قال: سيروا على بركة الله وابشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم.

هذا وفي «**حقائق السلمي**» قال بعضهم: أفناك عن أوصافك ومواضع سكونك وإغفارك وما كان يميل إليه قلبك لئلا تلاحظ محلاً ولا تسكن إلى

مألوف أصلاً فأخرجك من المألوفات ليكون بالحق قيامك وعليه اعتمادك وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون ظاهر خروجك ومفارقتك وطنك ولا يعلمون أن خروجك منه الخروج عن جميع الرسوم المألوفة والطبائع المعهودة وأنك بمفارقة هذا الوطن المعتاد يصير الحق وطنك.

﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ﴾ [الآية: 6] أي: في إيثارك الجهاد بإظهار الحق لإيثارهم تلقى العير عليه طلباً وميلاً إلى السهل ﴿بَعۡدَمَا تَبَيَّنَ﴾ [الآية: 6] أي: ظهر لهم الحق بأنهم ينصرون أينما توجهوا لإعلام رسول الله ﷺ إياهم ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ﴾ [الآية: 6] أي: يكرهون القتال كراهة من يساق إلى الموت وهو يشاهد أسبابه وكان ذلك لقلة عددهم وعدم عددهم إذ روي أنهم كانوا رجالة وما كان فيهم إلا فارسان فكان مجادلتهم لفرط فزعهم ورعبهم لا لمخالفة أمره ﷺ/ 336/ ب
لهم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه بين أن الجدال منهم عادة وسجية وفي كل شيء لهم اختيار وجدال فكرهوا خروجه إلى بدر فجادلوه فيه كما جادلوه في حديث الغنيمة في قوله تعالى ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِۖ﴾ [الآية 1] وما يكون من خصال العبد إفراد غير متكرر أو يكون على وجه القدرة كان أقرب إلى الصفح والتجاوز عنه وأما إذا صار ذلك عادة فهو أصعب ويقال ما لم تباشر خلاصة الإيمان القلب لا يوجد كمال التسليم وترك الاختيار وما دام يتحرك في العبد عرق في الاختيار فهو بعيد من ذوق راحة الإيمان ولقد أجرى الله سُنَّته مع أوليائه وكذلك كانت سُنَّته سبحانه مع أنبيائه أنه لا يتيح لهم كمال إلا بعد مفارقة مألوفات الأوطان ومساكنة ما لهم فيه حظ ونصيب من كل معهود ويقال في هجرة الأنبياء من أوطانهم أمان لهم عن عادية الأعادي وإحياء لقلوب قوم تقاصرت أقدامهم عن المسير إليهم وكذلك هجرة الأولياء من خواصه فيها لهم خلاص من البلايا واستخلاص كثير من المزايا ثم جحود الحق بعد وضوح برهانه علم لاستكبار صاحبه وهو في الحال في وحشة غيه معاقب بجرح الصدر وتنغص العيش يملّ حياته ويتمنى وفاته كما قال سبحانه ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ﴾ [الآية: 6].

﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ﴾ [الآية: 7] العير أو النفير ﴿أَنَّهَا لَكُمْ﴾ [الآية: 7] بدل اشتمال ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ﴾ [الآية: 7] أي: صاحبة الحدة مستعارة من واحدة الشوك ﴿تَكُونُ لَكُمْ﴾ [الآية: 7] يعني العير لقلتهم دون النفير لكثرتهم.

وأفاد الأستاذ أن التعريج في أوطان الكسل ومساكنة مألوفات الراحة من خصائص أحكام النفس فهي بطبعها تؤثر في كل حال نصيبها ويتعجل لذة حظها ولا يتعجل أحد إلى جلائل النعم إلا بتجرع كاسات شدائد الألم والانسلاخ عن معهودات النصيب والرضى بالقسم.

وفي «**دقائق الحقائق**» من ظن أنه يصل إلى الحق بالجهد فمتعّن ومن ظن
337/أ أنه يصل بغير الجهد فمتمنٍّ وقال بعضهم/ لا يصل أحد إلى حياة القلب ما لم يمت نفسه بنزع الشهوات عنها ومخالفتهما في جميع أحوالها وهو معنى قوله: ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ [الآية: 7] ﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ﴾ [الآية: 7] أي: بمشيئته ويبينه ويعليه ويغلبه ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الآية: 7] الموحى بها في هذا المراد وبأوامره للملائكة بالإمداد ﴿وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الآية: 7] أي: باستئصالهم من البلاد والمعنى أنكم تريدون أن تصيبوا مالاً ومنالاً ولا تلقوا مكروهاً ولا ملالاً والله يريد إعلاء الدين وإظهار الحق اليقين وإبطال أمر الكافرين.

وقال الأستاذ: إذا أراد الله سبحانه تخصيص عبد بولايته قضى لطوارق نفسه بالأفول وحكم لغصن شهواته بالذبول وأبى لطوالع الحقائق إلا إشراقها ولوامع الموانع إلا استحقاقها والحاصل أنه سبحانه فعل ما فعل.

﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [الآية: 8] قال في الأوائل:

قال الواسطي: يحق الحق بتجلي أنواره ويبطل الباطل بأستاره وقيل: يحق الحق بالبراهين ويبطل الباطل بالدعاوي كذا ذكره السلمي.

وقال الأستاذ: ليحق الحق بالتوفيق فيما يحصل ببذل المجهود والتحقيق لما يظهر من عين الجود ويقال: ليحق الحق بنشر أعلام الوصل ويبطل الباطل

بقهر أقسام الهزل.

﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ﴾ [الآية: 9] أي: حين علموا أن لا محيص من القتال أخذوا يقولون: أي رب انصرنا على عدوك أغثنا يا غياث المستغيثين وعن عمر رضي الله عنه أنه ﷺ نظر إلى المشركين وهم ألف وإلى الصحابة وهم ثلاثمائة فاستقبل القبلة ومد يده يدعو اللّهم أنجز لي ما وعدتني اللّهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض فما زال كذلك حتى سقط رداءه فقال أبو بكر: يا نبي الله كفاك مُناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك[1]. قيل من صدق اللَّجأ في استغاثة أجيب في الوقت وحالته ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ﴾ [الآية: 9] أي: بأني معينكم ﴿مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ﴾ [الآية: 9] أي: (بالقتال) ألف منهم ﴿مُرۡدِفِينَ﴾ [الآية: 9] متبعين بعضهم بعضاً أو متبعين المؤمنين وقرأ نافع بفتح الدال أي: متيقنين أو متبعين بمعنى أنهم كانوا مقدمة أو ساقة.

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 10] أي: الإمداد ﴿إِلَّا بُشۡرَىٰ﴾ [الآية: 10] بشارة بالنصر ﴿وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ﴾ [الآية: 10] فيزول بها ما في صدوركم من الوجل/ 337/ ب لقلتكم وذلتكم ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ﴾ [الآية: 10] وأما إمداد الملائكة وكثرة العدد والعدد ونحوها فوسائط لا تأثير لها فلا تحسبوا النصر منها ولا تيأسوا بفقدها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الآية: 10].

وأفاد الأستاذ: أن الاستغاثة على حسب شهود الفاقة وعدم المنّة والطاقة والتحقق بانفراد الحق بالقدرة على إزالة الشكاية تيسير للمسؤول وتحقيق للمأمول فإذا صدقت الاستغاثة بعجل الإجابة وحصل الأمان وقضيت الحاجة بذلك جرت سُنَّة العادة ويقال بشرهم بالإمداد بالملك ثم رقاهم عن هذه الحالة بإشهادهم أن الإنجاز من الملك لم يذرهم في المساكنة إلى الإمداد بالملك فقال: وما النصر إلا من عند الله ثم قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

(1) أخرجه مسلم في الصحيح (1763/ 58)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/ 269) رقم (3081)، والنسائي في السنن الكبرى (6/ 155) رقم (10442)، وابن حبان في الصحيح (11/ 114) رقم (4793).

[الآية: 10] فالنجاة من البلاء حاصلة وفنون الإنجاز والإمداد بألطافه متواصلة والدعوات مسموعة والإجابة غير ممنوعة وزوائد الإحسان متاحة ولكن الله عزيز فالطالب واحد ولكن لعطائه والراغب واصل ولكن إلى مباره والسبيل سهل ولكن إلى وجدان لطفه فأما الحق فهو عزيز وراء كل فصل ووصل وقرب وبعد وما وصل أحد إلا إلى نصيبه وما بقي أحد إلا عن حظه وفي معناه قيل:

وقلن لنا نحن الأهلة إنما ... نضيء لمن يسري بليل ولا نقري
فلا بذل الا ما تزود ناظر ... ولا وصل إلا بالخيال الذي يسري(1)

﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ﴾ [الآية: 11] وقرأ نافع بالتخفيف من أغشيته إياه والفاعل على القراءتين هو الله وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويغشيكم النعاس بالرفع ﴿أَمَنَةً مِّنْهُ﴾ [الآية: 11] أمناً من الله وهو مفعول له في المعنى ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ﴾ [الآية: 11] من الحدث والجنابة ﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [الآية: 11] أي: وسوسته وتخويفه إياهم من العطش ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾ [الآية: 11] بالوثوق على لطف الله بكم ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾ [الآية: 11] بالمطر حتى لا تسوخ في الرمل أقدامكم أو بالربط أقدامكم حال إقدامكم قيل:
338/ أ القلوب ثلاثة قلب مربوط بالكائنات وقلب مربوط بالأسامي/ والصفات وقلب مربوط بالذات.

وأفاد الأستاذ: إنه غشيهم النعسة تلك الليلة فأزالت عن ظواهرهم ونفوسهم كدّ الإعياء والكلال وأنزل على قلوبهم روح الأمن وأمطرت [السماء] فاغتسلوا بعدما لزمتهم الطهارة الكبرى بسبب الاحتلام واشتدت الأرض بالمطر فلم ترسب الأقدام في رملها وانتفى عن قلوبهم ما كانت الشياطين توسوس به إليهم أنه يصيبهم العناء بسلوك الرمل والبقاء عن الغسل فلما باينهم الإحساس واستمكن النعاس وتداركتهم النصرة والعناية استيقنوا بأن الإعانة من قبل الله لا بسكونهم وحركاتهم وأشهدهم صرف التأييد وإتمام الكفاية ولما طهر ظواهرهم بماء السماء طهر سرائرهم بماء التحقيق عن شهود

(1) نسب إلى علي بن الجهم، انظر: محاضرات الأدباء (1/ 425)، والزهرة (1/ 12).

كل غير وكل علة وصان أسرارهم عن الإصغاء إلى الوساوس فربط على قلوبهم بشهودهم جريان التقدير على حسب ما يجريه الحق سبحانه من فنون التصريف ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾ [الآية: 11] أقدام الظواهر في مشاهد القتال وإقدام السرائر على نهج الاستقامة بشهود مجاري التقدير.

﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ﴾ [الآية: 12] في إعانتهم وتثبيتهم ﴿فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الآية: 12] بتبشيرهم وتسكين فؤادهم أو بتكثير سوادهم أو بمحاربة أعدائهم ﴿سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ﴾ [الآية: 12] كالتفسير لقوله: ﴿أَنِّى مَعَكُمْ﴾ [الآية: 12].

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه عرفنا أن الملائكة محتاجون إلى تعريف الحق إياهم قضايا التوحيد وتثبيتهم المؤمنين قيل: كانوا يظهرون للمؤمنين في صورة الرجال ويخاطبونهم بالإخبار عن قلة عدد المشركين واستيلاء المسلمين عليهم وهم لا يعرفون أنهم ملائكة وقيل: تثبيتهم إياهم بأن كانوا يلقون في قلوبهم ذلك من جهة الخاطر ثم إن الله تعالى يخلق لهم فهماً لذلك وكما يوصل الحق سبحانه وساوس الشيطان إلى القلوب يوصل خواطر الملك وأمدهم بإلقاء الخوف والرعب في قلوب الكفار ﴿فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ﴾ [الآية: 12] أي: أعاليها التي هي المذابح والرؤوس ﴿وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الآية: 12] إصبع ومفصل والمعنى جزوا رقابهم وقطعوا أطرافهم.

قال الأستاذ: وذلك بأمر الله وتعريفه/ من جهة الوحي والكتاب ويكون 338/ ب
معناه إباحة ضربهم ونيلهم على أي وجه كان كيف ما أصابوا سافلهم وأعاليهم ويحتمل فاضربوا فوق الأعناق ضرباً يوجب قتلهم لأنه لا حياة بعد ضرب العنق ولفظ فوق يكون صلة وإلا فاضربوا منهم كل بنان أي: ضرباً يعجزهم عن الضرب ومزاولة المسلمين لأنه لا مزاولة تحصل بعد فوات الأطراف ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 13] أي: الضرب أو الأمر به ﴿بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الآية: 13] أي: خالفوها.

وقال الأستاذ: بين أنهم في مغاليط حسبانهم وأكاذيب ظنونهم والمنشىء

بكل وجه الله لانفراده بقدرة الإيجاد ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الآية: 13] وعيد لهم بما أعد لهم في العقبى بعد ما حاق بهم في الدنيا.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يمهل المجرم أياماً ثم لا يهمله بل يذيقه بأس فعله ويزيل عنه شبهة ظنه.

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ [الآية: 14] أي: العذاب ﴿فَذُوقُوهُ﴾ [الآية: 14] أيها المشركون معجلاً وعلموا ﴿وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [الآية: 14] مؤجلاً فللعاصين عقوبتان محصل بنقد ومؤخر بوعد والمعنى ذوقوا ما عجل لم في الدنيا مع ما أجل لكم في الأخرى.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا﴾ [الآية: 15] حال كونهم كثيرين ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ [الآية: 15] بالانهزام وقصد الفرار.

﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ﴾ [الآية: 16] يريد الكر بعد الفرار ﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾ [الآية: 16] أي: مجتمعاً إلى جماعة من المسلمين ليستعين بهم على أعداء الدين وانتصابهما على الحال وإلا لغوٌ لا عمل له أو على الاستثناء من المولين أي: إلا رجلان متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة ﴿فَقَدْ بَآءَ﴾ [الآية: 16] رجع ﴿بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 16] ﴿وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الآية: 16] وهذا إذا لم يزد العدد على الضعف لما سيأتي من قوله تعالى: ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ﴾ [الأنفال، الآية: 66] وقيل: الآية مخصوصة بأهل بدر.

وقال الأستاذ ﴿إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الآية: 15] في المعركة زحفاً مجتمعين فاثبتوا لقتالهم ولا تنهزموا والشجاعة ثبات القلب كما قيل الشجاعة صبر ساعة وفي الجهاد مع العدو بالظاهر فالواجب الثبوت عن الصولة الأولى
339/أ وكذلك في جهاد/ الباطن مع الشيطان فمن الواجب منه الوقوف عند دواعيه إلى الزلة فمن وقف على حد الإمساك عن إجابته بانجرار فيما يدعوه بوساوسه فقد وفى الجهاد حقه وكذلك في مجاهدة النفس فإذا وقف العبد عند إجابة النفس فما ترومه بهواجسها ولم يطع شهوته فيما تحمله النفس عليه من البدار إلى ابتغاء

حظه فقد وفى الجهاد حقه والإشارة في قوله: ﴿إِلَّا﴾ يعني غير ﴿مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ﴾ [الآية: 16] بإيثار بعض الرخص ليتقوى على ما هو أشد كأكله مثلاً ما يقيم صلبه ونومه ليقوى على السهر وكرفقه بنفسه بإيثار بعض راحات شبحه من إزالة عطش أو نفي مقاساة جوع أو برد أو غيره لئلا يبقى عن مراعاة قلبه واستدامة اتصال قلبه بربه فإن ترك بعض أوراد الظاهر لئلا يبقى به عن الاستقامة في أحكام واردات السرائر أخذ في حق الجهاد بحزم والإشارة في قوله: ﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾ [الآية: 16] إلى اعتقاد المريد بصحبة أقرانه فيما يساعدونه في المجاهدة ويتقوى بشهود ما هم فيه من المكابدة على الإقامة على مجاهدته ثم باستمداده من همم الشيوخ فإن المريد ربيب همة شيخه فالأقوياء من الأغنياء ينفقون على خدمهم من نعمهم والأصفياء من الأولياء ينفقون على مريديهم من هممهم يجبرون كسرهم وينوبون منهم وينجدونهم بحسن إرشادهم ومن أهمل مريداً وهو يعرف صدقه أو خالف شيخاً وهو يعرف فضله وحقه ﴿فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 16] بسخطه والله تعالى حسيبه في مكافأته على ما حصل من قبيح وصفه.

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾ [الآية: 17] بقوتكم ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ [الآية: 17] بنصرتكم وتسليطكم عليهم وإلقاء الرعب في قلوبهم روي أنه لما طلعت قريش من العقنقل قال عليه السلام: هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللّهم إني أسألك ما وعدتني فأتاه جبريل وقال له: خذ قبضة من التراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان تناول كفاً من الحصباء فرمى بها في وجوههم وقال:
شاهت الوجوه فلم يبق مشرك إلا شغل بعينه فانهزموا وردفهم المؤمنون/ 339/ ب
يقتلونهم ويأسرونهم ثم لما انصرفوا أقبلوا على التفاخر فيقول الرجل: قتلت وأسرت فنزلت والتقدير إن افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾ [الآية: 17] حقيقةً وخلقاً ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾ [الآية: 17] صورةً وكسباً ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الآية: 17] أتى بما هو غاية الرمي من إيصالها إلى أعينهم جميعها وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بتخفيف لكن ورفع ما بعده في الموضعين.

وقال الفارسي: ما كنت رامياً إلا بنا ولا مصيباً إلا بمعونتنا.

وأفاد الأستاذ: إن الذي نفى عنهم من القتل هو إماتة الروح وإثبات الموت وهو من خصائص قدرته والذي يوصف به الخلق من القتل هو ما يفعلونه في أنفسهم الذي يحصل ذهاب الروح عقيبه.

وفائدة الآية قطع دعاويهم في قول كل واحد منهم على جهة التفاخر قتلت فلاناً فقال: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾ [الآية: 17] أي: لم تكن أفعالكم مما انفردتم بإيجادها بل المنشيء والمبدع هو الله عزَّ وجلَّ فصانهم بهذه الآية وصان نبيه ﷺ عن ملاحظة أفعالهم وأحوالهم ولذلك قال: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ [الآية: 17] أي: ما رميت بنفسك ولكن رميت بنا فكان منه قبض التراب وإرساله من يده ولكن من حيث الكسب وكسبه موجد من الله بقدرته وكان التبليغ والإصابة من قبل الله خلقاً وإبداعاً وليس الذي أثبت ما نفى ولا ما نفى هو الذي أثبت والفعل فعل واحد والتغاير في جهة الفعل لا في عينه وقوله: إذ رميت فرّق ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الآية: 17] جمع والفرق صفة العبودية والجمع نعت الربوبية وكل فرق لم يكن مضمناً بجمع وكل جمع لم يكن في صفة العبد مؤيداً بفرق فصاحبه غير سديد الوتيرة وأن الحق سبحانه يكل الأغيار إلى ظنونهم فيتيهون في أودية الحسبان ويتوهمون أنهم منفردون بإجراء مأمنهم وذلك منه مكر بهم قال الله تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف، الآية: 104] وأما أرباب التوحيد فيشهدهم مطالع التقدير ويعرفهم جريان الحكم ويريهم أنفسهم في أسر التصريف
340/ أ وقهر الحكم وأما/ الخواص من الأولياء وأصحاب العرفان فيجرى عليهم ما يجري وهم عن إحساس ذلك مأخوذون يثبتهم بشواهد النظارة بالتقدير ويتولى حفظهم عن مخالفة الشرع ﴿وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا﴾ [الآية: 17] ولينعم عليهم نعمة عظيمة بنصرة وغنيمة ومشاهدة آيات جسيمة ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ [الآية: 17] بأقوالهم ﴿عَلِيمٌ﴾ [الآية: 17] بأحوالهم قال دويم: البلاء الحسن أن يكون رؤية الحق أسبق إليه من نزول البلاء فيميز به البلاء وهو لا يشعر لاستغراقه في رؤية الحق.

وأفاد الأستاذ: أن البلاء الاختبار فيختبرهم مرة بالنعم ليظهر شكرهم أو كفرانهم ويختبرهم أخرى بالمحن ليظهر صبرهم أو ضجرهم ونسياهم والبلاء الحسن توفيق الشكر في المنحة وتحقيق الصبر في المحنة وما يفعل الحق فهو حسن من الحق لأن له أن يفعل وهذا حقيقة الحسن وهو ما للفاعل أن يفعله ويقال: حسن البلاء لأنه منه وطاب البلاء لأنه فيه ويقال: البلاء الحسن أن يشهد المبلي في عين البلاء ويقال: البلاء الحسن ما ليس فيه زجر إن كان عسراً ولا بطر إن كان يسراً ويقال: بلاء كل أحد على حسب حاله ومقامه فأصفاهم ولاءً أوفاهم بلاء قال عليه السلام: أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل[1] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ [الآية: 17] تنفيس لقوم وتهديد لقوم أصحاب الرفق بقولهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ [الآية: 17] لأنينكم فيروّح عليهم بهذا وقتهم ويحمل عنهم محنتهم وأنشدوا:

إذا ما تمنى الناس روحاً وراحة تمنيت أن أشكو إليك فتسمعا[2]

وقالوا: قل لي بألسنة التنفس كيف أنت وكيف حالك وأما الأكابر فلا يؤذن لهم في النفس وتكون المطالبة متوجهة عليهم بالصبر والوقوف تحت جريان التقدير من غير إظهار ولا شكوى فيقول: لو ترشح منك ما كلفت بشربه توجه عليك الملامة فلا يكون منك بيان ولا سينه فإني سميع لقالتك عليم بحالتك ويقال في قوله: ﴿عَلِيمٌ﴾ [الآية: 17] تسلية لأرباب البلاء فإن من علم أن مقصوده يعلم حاله سهل عليه ما/ يقاسيه فيه قال سبحانه لنبيه عليه 340/ ب
السلام: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ [الحجر، الآية: 97] ذلكم إشارة إلى البلاء الحسن ومحله الرفع أي: المقصود.

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ [الآية: 18] من بلاء المؤمنين ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الآية: 18] والمعنى أن المقصود إحسان المؤمنين وإيمان الكافرين وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بتشديد موهن وقرأ حفص بالإضافة.

---

(1) سبق تخريجه.

(2) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 234) و(3/ 7) و(3/ 7) و(3/ 462) و(5/ 195).

وقال الأستاذ: موهن بتقوية قلوب المؤمنين والثبات على انتظار النصرة من قبل رب العالمين وموهن كيد الكافرين بأن يأخذهم من حيث لا يشعرون ويظفر عليهم جند المسلمين.

﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾ [الآية: 19] خطاب لأهل مكة حيث تعلقوا بأستار الكعبة حين خروجهم للغزوة قائلين: اللّهم انصر أعلى الجندين وأهدى الفئتين وأكرم الحزبين[1] ﴿وَإِن تَنتَهُواْ﴾ [الآية: 19] عن كفركم ومعاداة رسولكم ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [الآية: 19] لتضمنه سلامة الدارين وخير المنزلين ﴿وَإِن تَعُودُواْ﴾ [الآية: 19] لمحاربته ﴿نَعُدْ﴾ [الآية: 19] لمناصرته ﴿وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ﴾ [الآية: 19] لن تدفع جماعتكم عنكم ﴿شَيْـًٔا﴾ [الآية: 19] من الأعناء والمضار ﴿وَلَوْ كَثُرَتْ﴾ [الآية: 19] فئتكم ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 19] بالنصر والمعونة وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالفتح أن فالمعنى ولأن الله مع المؤمنين كان ذلك الفتح المبين.

وأفاد الأستاذ: أنهم سألوا بألسنتهم هلاك أنفسهم وذلك لانجرارهم في مغاليط ظنونهم ثم توهموا استحقاق القربة وكانوا في عين الفرقة وحكم الشقوة موسومين باستيجاب اللعنة فبدعائهم وقعوا في شقائهم وباختيارهم منوا ببوارهم ويقال: ظنوا أنهم أهل الرحمة فأدلّوا فلما كشف الستر خابوا وأذلوا فعند ذلك علموا أنهم زاغوا في ظنهم وضلوا ثم ليس المراد من خير المبالغة لأنه قد يقال هذا خير لك من هذا إذا كان الثاني ليس فيه شيء وترك موافقتهم للرسول ﷺ بكل وجه هو شر لهم ولكنه أراد به في الأحوال الدنيوية وعلى موجب ظنونهم وإن تعودوا نعد يعني إن عدتم إلى الجميل من السيرة عدنا لكم بجميل السنة وإن عاودتم الإقدام على الشر عدنا عليكم ما أذقناكم من الضر ﴿وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ﴾ [الآية: 19] من غلبته قدرة الأحد لم تغن عنه كثرة العدد.

(1) تفسير البغوي (3/ 342)، وتفسير الرازي (7/ 382)، تفسير أبي السعود (4/ 14)، تفسير البيضاوي (1/ 97).

341/ أ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ/ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ﴾ [الآية: 20] أو أن لا تتولوا عن الرسول ولا تعرضوا عن طاعته فإن طاعة الله في متابعته وقيل: الضمير للجهاد أو للأمر الذي دل عليه المصدر أو التقدير عن أحدهما وأنتم تسمعون القرآن وسائر البرهان ونصائح الإخوان.

وأفاد الأستاذ: أن الناس في طاعة الله على أقسام فمطيع لخوف عقوبته ومطيع طمعاً في مثوبته وآخر تحقيقاً لعبوديته وآخر تشوقاً لربوبيته وكم من مطيع ومطيع كما قيل:

أحبك يا شمس الزمان وبدره وإن لامني فيك السها والفراقد
وذاك لأن الفضل عندك باهر وليس لأن العيش عندك بارد[1]

وفي قوله تعالى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ ولم يقل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول نوع تخصيص وضرب تفصيل بلطف عن العبارة ويبعد عن الإشارة ولا تولوا عنه ﴿وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ﴾ [الآية: 20] أي: تسمعون دعاءه إياكم وتسمعون ما أنزل عليه من دعائي إياكم.

﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا﴾ [الآية: 21] وهم الكفرة والمنافقون الذين ادعوا أنهم يسمعون ﴿وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ﴾ [الآية: 21] سماعاً به ينتفعون فكأنهم من رأس الشيء لا يسمعون قيل: من سمع ولم يرَ عليه فوائد السماع وزيادة في أحواله فهو غير مستمع ولا سامع ذكره السلمي.

وقال الأستاذ: لا يكون ممن يشهد جهراً ويجحد سراً ويقال: لا تقروا بلسانكم وتصروا على كفرانكم ويقال: من نطق بتلبيسه تشهد الخبرة بتكذيبه.

﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ﴾ [الآية: 22] أي: ما يدب على الأرض ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 22] أي: في حكمه ﴿ٱلصُّمُّ﴾ [الآية: 22] عن الحق ﴿ٱلۡبُكۡمُ﴾ [الآية: 22] عن الصدق ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ [الآية: 22] لا يميزون بنظر البصر ولا بعين البصيرة بين الحق والباطل وبين الباقي والزائل وإنما كانوا شراً من البهائم لإبطالهم ما ميزوا به وفضلوا لأجله.

(1) نسب إلى المتنبي. انظر: يتيمة الدهر (1/ 4)، وقرى الضيف (1/ 39).

وأفاد الأستاذ: إن دواعي الحق بحسن البيان ناطقة وألسنة البرهان فيما ورد به التكليف صادقة وخواطر الغيب بكشف ظلم الريب مفصحة وزواجر التحقيق عن متابعة التمويه للقلوب ملازمة ومن صُمّ عن إدراك ما خوطب به سره وعمي عن شهود ما كوشف به قلبه وحرص عن إجابة ما أرشد إليه من
341/ب مناجحة فهمه وعقله فدون رتبة البهائم قدره فوق كل/ خسيس من حكم الله ذله وصغره.

﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ [الآية: 23] سعادة مكتوبة لهم أو منفعة للآيات المنزلة عليهم ﴿لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ [الآية: 23] سماع تفهم وتبصر بهم ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾ [الآية: 23] أي: فرضاً وتقديراً وقد علم أن لا خير فيهم ﴿لَتَوَلَّوا۟﴾ [الآية: 23] لأعرضوا عنه ولم ينتفعوا به أو ارتدوا بعد التصديق وقبوله ﴿وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الآية: 23] عادتهم الإعراض ودأبهم الاعتراض وقصدهم الأعراض وطلبهم الأغراض فحرموا الأعواض.

وأفاد الأستاذ: إن من أقصته سوابق القسمة لم تدنه لواحق الخدمة ومن علمه الله بنعت الشقوة حرمه ما يوجب عفوه ويقال لو كانوا من معقولات الرحمة لألبسهم صدار العصمة ولكن سبق بالحرمان حكمهم فختم بالضلالة أمرهم.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ﴾ [الآية: 24] أي: بالعبادة ﴿وَلِلرَّسُولِ﴾ [الآية: 24] أي: بالطاعة ﴿إِذَا دَعَاكُمْ﴾ [الآية: 24] أي: وحد الضمير لما تقدم من التقدير وفي «**حقائق الدقائق**» استجيبوا بسرائركم وللرسول بظواهركم انتهى ولعله أشار إلى مقامي الجمع والفرق كما لا يخفى ﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الآية: 24] من العلوم الدينية النافعة في الأحوال الأخروية المورثة للحياة الأبدية والمعيشة الرضية السرمدية من العقائد والأعمال والأحوال البهية السُنيَّة قيل: حياة النفس بمتابعة الرسول وحياة القلب بمشاهدة الرب.

وقال الأستاذ: أجاب واستجاب بمعنى واحد كأوقد واستوقد وقيل:

للاستجابة مزية وخصوصية كأنه يكون طوعاً لا كرهاً أقول لا بد للفرق بينهما لأن زيادة المبنى تفيد زيادة المعنى فهو إما محمول على المبالغة أو على الإجابة الخاصة ثم قال وفرق بين من يجيب لخوف أو طمع وبين من يستجيب لا لغرض ولا على ملاحظة عوض وحق الاستجابة أن تجيب بالكلية من غير أن تذر من المستطاع بقية والمستجيب لربه محو عن كله باستيلاء الحقيقة والمستجيب للرسول قائم لشرعه من غير إخلال بشيء من أحكام الشريعة والطريقة وقد أمر الله سبحانه بالاستجابة له سبحانه وبالاستجابة للرسول عليه السلام فالعبد المستجيب على الحقيقة من قام بالله سراً واتصف بالشرع جهراً يفرده الحق سبحانه بحقائق الجمع وينصبه في/ مشاهد الفرق فلا 342/ أ
يكون للحدثان بشرب حقائقه تكدير ولا لمطالبات الشرع على أحواله نكير وقوله: ﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الآية: 24] إذا أفناهم عنه أحياهم به ويقال: العابدون أحياهم بطاعته بعدما أفناهم عن مخالفته وأما العالمون فأحياهم بدلائل ربوبيته بعدما أفناهم عن الجهل وظلمته وأما المؤمنون فأحياهم بنور موافقته بعدما أفناهم بسيوف مجاهدته وأما الموحدون فأحياهم بنور توحيده بعدما أفناهم عن الإحساس بكل غير والملاحظة لكل حدثان ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ [الآية: 24] تمثيل لغاية قربه من عبده كقوله: في مقام المزيد للمريد ونحن أقرب إليه من حبل الوريد أو تخييل لتقليبه على العبد قلبه فينسخ عزائمه ويغير مقاصده ويحول بينه وبين الكفران إذا أراد إسعاده بينه وبين الإيمان إن شاء إبعاده ﴿وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الآية: 24] على وفق ميعاده للمرىء في معاده.

وأفاد الأستاذ: أن المعنى يصون القلب من تقليب أربابها بل يقلبها كما يشاء من هداية وضلال وغيبة ووصال وحجبة وقربة ويقين ومرية وأنس ووحشة ويقال: صان قلوب العابدين عن الجنوح إلى الكسل فجدوا في معاملتهم وصان قلوب المريدين عن التعريج في أوطان الفشل فصدقوا في منازلتهم وصان قلوب العارفين على حد الاستقامة عن الميل فتحققوا بدوام مواصلتهم ويقال: حال بينهم وبين قلوبهم لئلا يكون لكم رجوع إلا إلى ربهم

فإذا سنح لهم أمر فليس لهم إلى الأغيار سبيل ولا على قلوبهم تعويل وكم بين من يرجع عند سوانحه إلى قلبه وبين من لا يهتدي إلى شيء إلا إلى ربه كما قيل:

لا يــهــتــدى قــلــبي إلــى غــيــركــم[1]

لأنه سد عليه الطريق ويقال: العلماء هم الذين وجدوا قلوبهم قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ﴾ [الزمر، الآية: 21] لمن كان له قلب والعارفون هم الذين فقدوا قلوبهم قال تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ [الآية: 24].

﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ [الآيــة: 25] أي: اتــقــوا ذنباً يعمكم ضرره في الأثر كالمداهنة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكافتراق الكلمة وظهور/ البدعة والتكاسل في الجهاد مع الكفرة على أن قوله 342/ ب
﴿لَّا تُصِيبَنَّ﴾ [الآية: 25] جواب الأمر بمعنى إن أصابتكم الفتنة لا تصب الظالمين منكم خاصة بل تلحقكم عامة ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الآية: 25] إذا أراد العقوبة وقد يقال في معنى الآية أن الخاصة من العلماء والمشايخ إذا مالوا إلى المباحات وقعت العامة في الشبهات وإذا ارتكبوا الشبهات وقع اتباعهم في المحرمات وإذا حرصوا على المحرمات وقع معتقديهم في الكفر والمنكرات وعلى هذا القياس سائر الحالات.

وقال الأستاذ: أي احذروا أن ترتكبوا ما يوجب لكم عقوبة يختص بمرتكبها بل يعم شؤمها من يتعاطاها ومن لا يتعاطاها وغير المجرم لا يؤاخذ بجرم من أذنب ولكن قد ينفرد أحد بجرم فيحمل أقواماً من المختصين بفاعل هذا الجرم على أن يتعصبوا له إذا أخذ بحكم ذلك الجرم فبعد أن لا يكونوا ظالمين يصيرون ظالمين بمعونتهم وتعصبهم لهذا الظالم فيكون فتنة لا تختص

(1) هذا صدر البيت وعجزه:

كــأنــمــا ســد عــلــيــه الــطــريــق

وقد نسب إلى العباس بن الأحنف. انظر: محاضرات الأدباء (١/ ٣٤٣).

بمن كان ظالماً في الحال بل يصيب الظالم ومن يصير ظالماً في الاستقبال بسبب تعصبهم للظالم ومطابقتهم معه ورضاهم به هذا معنى التفسير من حيث الظاهر والعبارة فأما من جهة الإشارة فإن العبد إذا باشر بنفسه الزلة عادت إلى القلب منه الفتنة وهي العقوبة المعجلة ويصيب النفس من الفتنة العقوبة المؤجلة والقلب إذا حصلت منه زلة وهو همه بما لا يجوز تعدى فتنته إلى السر وهي الحجبة وكذلك المقدم في شأنه إذا فعل ما لا يجوز انقطعت البركات التي كانت تتعدى منه إلى متبعيه وتلامذته فكان انقطاع تلك البركات عنهم نصيبهم من الفتنة وهم لم يعلموا ذنباً ويقال: إن الأكابر إذا سكتوا عن النكير عن الأصاغر أصابتهم فتنة بتركهم الإنكار عليهم فيما فعلوه من الإجرام ولقد قيل:

إن السفيه إذا لم ينه مأمور(1)

فعلى هذا تصيب فتنة الزلة مرتكبها ومن ترك النهي عن المنكر أخذ بجرم نفسه من ترك الأمر بالمعروف ويقال: إن الزاهد إذا انحط إلى رخص الشرع/ 343/ أ
في أخذ الزيادة من الدنيا فما فوق الكفاية وإن كان من وجه حلال تعدى فتنته إلى من به يتحرج به من المبتدئين فيحمله ما رأى منه على الرغبة في الدنيا وترك التعليل فيؤديه إلى الانهماك في أودية الغفلة من الأشغال الدنيوية والعابد إذا جنح إلى شق وترك الأوراد تعدى ذلك إلى من كان ينشط في المجاهدة فيستوطن الكسل ثم يحمله الفراغ وترك المجاهدة على متابعة الشهوات فيصير كما قيل:

إن الشباب والفراغ والجِدَة مفسدة للمرء أي مفسدة(2)

وهكذا يكون نصيبهم من الفتنة والعارف إذا رجع إلى ما فيه حظ له نظر

---

(1) نسب إلى الأحوص. انظر: المنتحل (1/ 26) وتمام البيت: بني هلال ألا تنهوا سفيهكم. . . إن السفيه إذا لم ينه مأمور ومنهم من ذكر بني تميم ومنهم من ذكر بني عدي وقد نسب في الأخير إلى ابن جرير. انظر: التذكرة الحمدونية (2/ 92).

(2) نسب إلى أبي العتاهية. انظر: التمثيل والمحاضرة (2/ 231)، ومعجم الأدباء (2/ 231). والجدة: بالكسر: الغنى والسعة.

إليه المريد فيتدانى له فترة فيما هو به من صدق المنازلة فيكون ذلك نصيبه من فتنة العارف وفي الجملة إذا غفل الملك وتشاغل عن سياسة رعيته تعطل الجند والرعية وعظم فيه الخلل والبلية وفي معناه أنشدوا:

رعاتك ضيعوا بالجهل منهم غنيمات فساستهم ذئاب[1]

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الآية: 25] بتعجيل ذلك في مقام الحساب ومن شدة عقوبته أنه إذا أخذ عبداً ليعاقبه لا يمكنه من تلافي موجب تلك العقوبة.

﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ﴾ [الآية: 26] أي: في العدد ﴿مُّسۡتَضۡعَفُونَ﴾ [الآية: 26] في المدد ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الآية: 26] أرض مكة ﴿تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ﴾ [الآية: 26] بالنهبة ﴿فَـَٔاوَىٰكُمۡ﴾ [الآية: 26] إلى المدينة ﴿وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ﴾ [الآية: 26] بإمداد الملائكة ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ [الآية: 26] كالغنيمة ﴿لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [الآية: 26] هذه النعمة وترزقون الزيادة.

وأفاد الأستاذ: إنه سبحانه يذكرهم ما كانوا فيه من القلة والذلة وصنوف الخلة[2] ثم ما نقلهم إليه من الإمكان والبسطة ووجوه الإحسان والحيطة وندبهم إلى إقامة الشكر على جزيل تلك القسم وإدامة الحمد على جميل تلك النعم فمهد لهم في ظل إيوائه مقيلاً ولم يجعل للعدو إليهم بيمن رعايته سبيلاً ورزقهم من الطيبات رزق الأشباح والظواهر من طيبات الغذاء ورزق الأرواح والسرائر من صنوف الضياء وحقيقة الشكر على هذه النعم الغيبة عنها بالاستغراق في شهود المنعم بها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ [الآية: 27] بمخالفتها أو بتعطيل الفرائض والسنن أو بأن تضمروا خلاف ما تظهرون ﴿وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ﴾ [الآية: 27] أي: فيما بينكم وهو مجزوم/ بالعطف أو منصوب على الجواب ﴿وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [الآية: 27] أنكم تخونون. 343/ ب

(1) ذكره القشيري في تفسيره (3/ 15).
(2) الخلة بالفتح: الحاجة.

قال أبو عثمان: من خان الله في السر هتك الله في العلانية سره ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: أن الخيانة الاستبطان بخلاف ما يؤمل منك بحق التعويل فخيانة الله بتضييع ما ائتمنك عليه وذلك بمخالفة النصح في دينه وخيانة الرسول بالاتصاف بمخالفة ما تبدي من مشايعته والخيانة في الأمانات بترك الإنصاف والاتصاف بغير الصدق وخيانة كل أحد على حسب ما وضع عنده من الأمانة فمن اؤتمن في مال فتصرفه فيه بغير إذن صاحبه خيانة ومن اؤتمن على حُرَمٍ فملاحظته إياهن خيانة فعلى هذا الخيانة في الأعمال الدعوى فيها فإنها من قبلك دون التحقيق بأن منشأها الله والخيانة في الأحوال ملاحظتك بها دون غيبتك عن شهودها باستغراقك في شهود الحق إن لم يكن استهلاكك في وجود الحق وإذا أخللت بسُنَّة من السنن أو أدب من آداب الشرع فتلك خيانة للرسول ﷺ والخيانة في الأمانات بينك وبين الخلق فبإيثارك نصيب نفسك عن نصيب المسلمين بإرادة القلب فضلاً من المعاملة بالفعل.

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ﴾ [الآية: 28] أي: بلية لأنهما سبب الرجوع في الإثم والعقوبة أو محنة من الله لأرباب المنحة.

قال أبو صالح حمدون: من اعتمد على شيء سوى الله فهو عليه فتنة ذكره السلمي ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾ [الآية: 28] لمن آثر رضي الله عليهما وراعى حدوده فيهما.

وأفاد الأستاذ: أن أموالكم وأولادكم سبب فتنة لكم لأن المرء لأجل جمع ماله ورعاية أولاده يرتكب ما هو خلاف الأمر فيورثه فتنة العقوبة ويقال الفتنة الاختبار فيختبرك بالأموال هل تؤثرها على حق الله وبالأولاد هل تترك لأجلهم ما فيه رضاه فإن آثرتم حقه على حقكم ظهرت به فضيلتكم وإن اتصفتم بضده عوملتم بما يوجبه من عكس محبوبكم ويقال المال ما للكفاف والعفاف نعمة وما للتكاثر والتفاخر نقمة وفي الجملة ما يشغلك عن الله/ فتنة. 344/ أ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾ [الآية: 29] هداية في

قلوبكم فتفرقوا بها بين الحق والباطل ونصراً يقرب بين المحق والمبطل بإعزاز المؤمنين وإذلال الكافرين أو مخرجاً من الشبهات أو نجاة عن الظلمات أو نوراً يبين أمركم وظهوراً يعين قدركم ﴿وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [الآية: 29] بسترها ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ [الآية: 29] بمحوها وقيل: بالعفو عن الصغائر وبالتجاوز عن الكبائر وقيل: المراد ما تقدم وما تأخر لأنها في أهل بدر كما في الخبر ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الآية: 29] يتفضل على عبده بما شاء من عنده ولا يتعاظم ذنب في جنب عفوه.

وأفاد الأستاذ: ما يفرقون بين الحق والباطل من علم وافر وإلهام باهر فالعلماء فرقانهم مجلوب برهانهم والعارفون فرقانهم موهوب عرفانهم فهؤلاء مع مجهود نفسهم وهؤلاء بمقتضى جود ربهم فالفرقان تعريف من الله والتكفير للذنوب تخفيف من الله والغفران تشريف للعبد من الله قلت وذلك كله فضل من الله إذ لا يجب للعبد شيء على مولاه.

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الآية: 30] تذكار له ﷺ لما مكر به قريش حين كان بمكة قبل هجرته إلى المدينة ليشكر نعمة الله في خلاصه من مكرهم واستيلائه عليهم في آخر أمرهم والمعنى أذكر حين يمكرون بك ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾ [الآية: 30] بالحبس والوثاق ﴿أَوْ يَقْتُلُوكَ﴾ [الآية: 30] بسيوف الاتفاق ﴿أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ [الآية: 30] من مكة على وجه الوفاق ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 30] برد مكرهم عليهم وسوء كيدهم إليهم أو بمجازاتهم عليه إذ رجوعهم إليه أو بمعاملة الماكرين معهم بأن أمرك بالهجرة في الخفية وأخرجهم إلى بدر في معزّة فقتلوا وأسروا في مذلة ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ﴾ [الآية: 30] إذ لا يؤبه بمكرهم دون مكره فإستار أمثال هذه الأعمال إنما هو للمزاوجة والمشاكلة... في الأقوال ولا يجوز إطلاقها ابتداء عليه سبحانه لما فيه من إيهام ذم عن شأنه هذا وقد قال الشبلي المكر في النعم الباطنة والاستدراج في النعم الظاهرة ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: أن المكر إظهار الإحسان وقصد الإساءة في السر والمكر
344/ب من الله هو الجزاء على المكر ويكون مكره/ بهم أن يلقي في قلوبهم أنه

محسن إليهم ثم في التحقيق يعذبهم وإذا شغل قوماً بالدنيا وصرف همومهم إليها حتى نسوا أمر الأخرى فذلك مكره بهم يوطنون نفوسهم عليها فيتيح لهم من مأمنهم فيأخذهم بغتة هذا مكره بالعوام.

ومن جملة مكره اغترار قوم بما يرزقهم من الصيت الجميل بين الناس وإجراء كثير من الطاعات عليهم مع شوب لهم من قبول الناس إياهم ثم أسرارهم تكون بالأغيار منوطة وهم عن الله غافلون وعند الناس أنهم عند اللّه مكرمون وفي معناه:

وقد حسدوني في قرب داري منكم وكم من قريب الدار وهو بعيد[1]

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا﴾ [الآية: 31] أي: مضمونها وفهمنا مكنونها ﴿لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ﴾ [الآية: 31] أي: في مبناها ومعناها ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الآية: 31] إن أي: ما هذا إلا ما سطره المتقدمون من القصص فاكتتبها ويتلوها كمقالة النضر بن الحارث أسندت إليهم لرضاهم بها وهذا غاية من كابرتهم ونهاية معانديهم إذ لو استطاعوا ذلك فما منعهم أن يشاؤوا هنالك وقد تحداهم بأقصر صورة إظهاراً للمعجزة ثم قارعهم بسيف المجاهدة فلم يعارضوه مع استنكافهم ومبالغتهم في الأنفة أن يغلبوا في مضمار الفصاحة وميدان البلاغة فما أيسر الدعوى وما أعسر المعنى.

وأفاد الأستاذ: إن فرط جهلهم وشؤم جحدهم ستر على عقولهم قبح دعاويهم في القدرة على معارضة القرآن فافتضحوا عند الامتحان لعدم البرهان والعجز عما وصفوا من أنفسهم من الفصاحة والبيان وقديماً ما قيل:

من تحلى بغير ما هو فيه فضح الامتحان ما يدعيه[2]

ويقالوا لما لاحظوا القرآن بعين الاستصغار حرموا بركات الفهم فعدوه من جملة أساطير الأولين وكذلك من لا يراعي حرمة أوليائه يعاقب بأن يستر

(1) ذكره القشيري في تفسيره (3/ 20) و(3/ 154).
(2) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 17) و(3/ 21)، والقيرواني في العمدة في محاسن الشعر (1/ 193).

عليه أحوالهم فيظنه مثله في استحقاق مثالبه فيطلق فيهم لسان الوقيعة وهو بذلك أحق.

﴿وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا﴾ [الآية: 32] أي: القرآن ﴿هُوَ ٱلْحَقَّ﴾
345/أ [الآية: 32] أي: الثابت المنزل ﴿مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا/ حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الآية: 32] للعقوبة على أفكاره ﴿أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الآية: 32] أي: من عنده وهذا الكلام الباطل من كلام ذلك القائل وهو مما ليس تحته طائل إلا أنه أراد به التهكم بأهل الإسلام وإظهار اليقين والجزم التام على كونه باطلاً في مقام المرام.

وقال الأستاذ: دل على سؤالهم العذاب على تصميم عقدهم على تكذيب الرسول عليه السلام فاستيقنوا عند أنفسهم أنه لا يستجاب فيهم ما يدعونه على أنفسهم وفي هذا أظهر دليل على أن سكون النفس إلى الشيء ليس بعلم لأنه كما يوجد مع العلم يوجد مع الجهل.

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ [الآية: 33] بيان لما كان الموجب لإمهالهم والسبب للتوقف في إجابة سؤالهم واللام لتأكيد النفي في تغيير حالهم والدلالة على أن عذاب استئصالهم والنبي بين أظهرهم خارج عن دعاته وغير مستقيم في حكمته سبحانه ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الآية: 33] بقولهم اللّهم غفرانك وفيه اعتناء بشأن الاستغفار ولو صدر من الكفار أو باستغفار من بقي فيهم من المؤمنين الأبرار.

وأفاد الأستاذ: أن المعنى وما كان الله ليعذب أسلافهم وأنت في أصلابهم وليس يعذبهم اليوم وأنت فيما بينهم إجلالاً لقدرك وإكراماً بمحلك وإذا خرجت من بينهم فلا يعذبهم وفيهم خدمك الذين يستغفرون فالآية تدل على تشريف قدر الرسول عليه السلام ويقال للجوار حرمة فجار الكرام في ظل إنعامهم فالكفار إن لم ينعموا بقرب رسول الله ﷺ منهم فقد اندفع العذاب عنهم بمجاورته.

وأحبها وأحب منزلها الذي نزلت به وأحب أهل المنزل

ويقال إذا كان كون الرسول عليه السلام في الكفار يمنع العذاب عنهم

فكون المعرفة في القلوب أولى بأن يدفع العذاب عنهم وفي قوله ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الآية: 33] إيماءً إلى أنه سبحانه علم أنه ﷺ لا يتأبد مكثه في أمته إذ قال له ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾ [الأنبياء، الآية: 34] فقال إني أضيع أمته وإن انقضى فيهم مدته فما دامت ألسنتهم بالاستغفار منطلقة فصفوف العذاب عنهم مندفعة/ ويقال إن العذاب وإن تأخر عنهم مدة مقامهم في 345/ ب
الدنيا فلا محالة يصيبهم العذاب في العقبى فالاعتبار بالعواقب لا بالأوقات الطوارق أقول ولعل هذا هو المعنى بقوله تعالى:

﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 34] أي: وأي شيء لهم من ما يمنع تعذيبهم وكيف لا يكون العذاب نصيبهم ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [الآية: 34] أي: وحالهم في هذا المقام منع أهل الإسلام وأرباب الكرام عن البلد الحرام ومن جملة صدهم عنه إلجاء رسول الله ﷺ والمؤمنين إلى الهجرة وإحصارهم عام الحديبية ﴿وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ﴾ [الآية: 34] أي: مستحقين ولاية أمره مع شكرهم بربه وفيه رد لهم بما كانوا يقولون نحو ولاة البيت المعظم والحرم المحترم فنصد من نشاء وندخل من نشاء ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الآية: 34] الذين لا يعبدون فيه سواه وقيل الضميران لله ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 34] أن لا ولاية لهم عليه ويراد بالأكثر لكل كما يراد بالعلة العدم أو فيه تنبيه على أن فيهم من يعلم ويعاند والله أعلم.

وأفاد الأستاذ: أن في الآية دليلاً على أنه سبحانه لا يعذب أولياءه لقوله ﴿وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ﴾ [الآية: 34] فإذا عذب من لم يكونوا أولياءه دل على أنه لا يعذب من كان من جملة أوليائه والمؤمنون كلهم أولياء الله لأنه قال ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البقرة، الآية: 257] والمؤمن وإن عذب بمقدار جرمه زماناً فإذا لم يخلد في دار العقوبة فما يقاسون بالإضافة إلى التأبيد جلل.

إذا سلم العهد الذي كان بيننا فودّي وإن شط المزار سليم[1]

﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ﴾ [الآية: 35] أي دعاؤهم أو ما يسمونه صلاة أو ما

(1) ذكره القشيري في تفسيره (3/ 24).

يضعون موضعها والأظهر طوافهم المتضمن للصلاة ﴿عِندَ ٱلۡبَيۡتِ﴾ [الآية: 35] أي: بيت الله الحرام المعظم عند الخاص والعام ﴿إِلَّا مُكَآءً﴾ [الآية: 35] أي: صفيراً ﴿وَتَصۡدِيَةً﴾ [الآية: 35] أي: تصفيقاً ومساق الكلام لتقرير استحقاقهم العذاب والملام أو عدم ولايتهم للمسجد الحرام فإنّها لا تليق بمن هذه صلاته وعبادته أما صلاتهم روي أنهم كانوا يطوفون عراة الرجال والنساء مشبكين بين أصابعهم يصفرون فيها ويصفقون بها.

وقال الأستاذ: تجردت أعمالهم بظواهرهم عن خلوص عقائدهم فلم
يوجب سبحانه لها احتساباً ولم يجعل لهم فيها ثواباً فزكاء القالة/ لا يكون إلا 346/أ
مع صفاء الحالة وعناء الظواهر إلا مع ضياء السرائر ﴿فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ﴾ [الآية: 35] إما العذاب الدنيوي الخاص بهم كما وقع يوم بدر من قتلهم وأسرهم أو العذاب الأخروي العام لهم ولأمثالهم ﴿بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ﴾ [الآية: 35] اعتقاداً أو عملاً.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ﴾ [الآية: 36] أنفسهم أو غيرهم أو ليعرضوا ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [الآية: 36] أي: طريق رضاه أو عن دينه واتباع نبيه ﴿فَسَيُنفِقُونَهَا﴾ [الآية: 36] أي: في غير محلها ﴿ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةً﴾ [الآية: 36] أي: ندماً وغماً ووبالاً في مآلها لفواتها من غير حصول مقصودها ﴿ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ﴾ [الآية: 36] في آخر ما هنالك وإن كان الحرب بينهم سجالاً قبل ذلك.

وقال الأستاذ: يرومون بإنفاقهم صنوف أموالهم صلاحاً ونظاماً لأحوالهم ثم لا يحظون إلا بخسران ولا يحصلون إلا على نقصان خسروا وهم لا يشعرون وخابوا وسوف يعلمون.

سوف ترى إذا تجلى الغبار أفرس تحتك أم حمار[1]

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ [الآية: 36] أي: ثبتوا على كفرهم لإيمان بعضهم ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ﴾ [الآية: 36] أي في عذاب الخلد يجمعون.

(1) نسب إلى ابن المعتز. انظر: التمثيل والمحاضرة (1/ 74).

وأفاد الأستاذ: أنهم وإن آلهتهم آمالهم فإلى الهوان والذلة مآلهم ولم تغن عنهم أموالهم ولا ينفعهم أعمالهم بل ختم بالشقاوة أحوالهم.

﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [الآية: 37] الكافر من المؤمن والمنافق من المخلص والصالح من الفاسق واللام متعلقة بيحشرون وقرأ حمزة والكسائي ليميز من التمييز وهو أبلغ من الميز ﴿وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا﴾ [الآية: 37] فيجمعه ويضم بعضهم إلى بعضهم حتى يتراكموا لفرط ازدحامهم ﴿فَيَجْعَلَهُۥ﴾ [الآية: 37] أي: كله ﴿فِى جَهَنَّمَ﴾ [الآية: 37] تنكيلاً له ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ [الآية: 37] الفريق الخبيث ﴿هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الآية: 37] الكاملون في الخسران لأنهم خسروا أنفسهم وأموالهم وضيعوا أعمالهم وأحوالهم وخابوا آمالهم قيل: الطيب من الأموال وأرفقت إرفاق الفقراء في أوقات الضرورات والخبيث ما دخل عليهم في أوقات استغنائهم عنها فاشتغلت خواطرهم بها كذا ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ أن الخبيث ما لا يصلح لله والطيب ما يصلح لله والخبيث ما حكم الشرع بقبحه/ وفساده والطيب ما شهد العلم بحسنه وصلاحه ويقال 346/ ب
الخبيث ما شغل صاحبه عن الله والطيب ما أوصل صاحبه إلى الله والخبيث ما يأخذه المرء وينفقه في حظ نفسه والطيب ما ينفقه بأمر ربه والخبيث عمل الكافر يصور له ويعذب بإلقائه إليه والطيب عمل المؤمن فيصور له في صورة جميلة فيحمل المؤمن عليه ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ [الآية: 38] أي: لأجلهم ﴿إِن يَنتَهُواْ﴾ [الآية: 38] عن معادات رسولهم ﴿يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الآية: 38] من ذنوبهم ﴿وَإِن يَعُودُواْ﴾ [الآية: 38] إلى الكفر الذي سبق عنهم ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الآية: 38] الذين يخربوا على أنبيائهم بتدميرهم لسوء تدبيرهم.

وقال الأستاذ: إن كبحوا لجام التمرد والعناد وأقلعوا عن الركض في ميدان التجبر والفساد أزلنا عنهم صغر الهوان وأوجبنا لهم روح الأمان ويقال: إن حلوا نطاق العناد أطلقنا عنهم عقال البعاد ويقال: إن أبصروا قبح أفعالهم جدناً عليهم بإصلاح أعمالهم ويقال: إن جنحوا للاعتذار ألقينا عليم

حلة الاغتفار ويقال:

إن عـادوا إلـى الـتـنـصـل أبحنا لهم حسن التفضل
أنـاس أعـرضـوا عـنـا بـلا جـرم ولا مـعـنـى
أسـاءوا ظـنـهـم فـيـنـا فـهـلّا أحـسـنـوا الـظـنـا
فـإن كـانـوا لـنـا كـنّـا وإن عـادوا لـنـا عـدنـا
وإن كـانـوا قـد اسـتـغـنـوا فـإنّـا عـنـهـم أغـنـى[1]

﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾ [الآية: 39] أي: لا يوجد شرك يوجب نقمة ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ﴾ [الآية: 39] أي: جهرة وعلانية بأن تضمحل الأديان الباطلة ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ﴾ [الآية: 39] عن كفرهم ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ [الآية: 39] فيجازيهم عن انتهائهم وابتداء إسلامهم وإصلاح أعمالهم وأحوالهم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أمرهم بمقاتلة الكفار حتى يستأصل شأفتهم بحيث يأمن المسلمون معرتهم ويطفؤون بالكلية فتنتهم إذ حية الوادي لا تؤمن ما دامت تبقى فيها الحركة.

﴿وَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾ [الآية: 40] أي: أعرضوا وما انتهوا ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَىٰكُمۡۚ﴾ [الآية: 40] متولي أموركم فيما أولادكم فثقوا به ولا تبالوا بغيره ﴿نِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ﴾ [الآية: 40] أي: لا يضيع من تولاه ﴿وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الآية: 40] لمن أعرض عما سواه.

347/ أ وقال الأستاذ: فإن أبوا إلا عتوًّا وعن الإيمان إلا نبوًّا/ فلا يقعن على قلوبهم ظل مخافة منهم فإن الله سبحانه ولي نصرتكم ومتولي كفايتكم إن لم تكونوا له بحيث يقال: نعم العبيد أنتم فنعم المولى هو لكم ونعم النصير هو لكم ويقال: نعم المولى كان لكم يوم قسمة العرفان ونعم النصير لكم يوم نعمة الغفران ويقال نعم المولى لك حين لم تكن ونعم النصير لك حين كنت

(1) ذكره القشيري في تفسيره (3/ 28).

ويقال نعم المولى بالتعريف قبل التكليف ونعم النصير لك بالتخفيف والتضعيف يضعف لكم الحسنات ويخفف عنكم السيئات.

وهواك أول ما عرفت من الهوى والقلب لا ينسى الحبيب الأوّلا[1]

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم﴾ [الآية: 41] أي: الذي اتخذتموه من الكفار الحربيين قهراً ﴿مِّن شَيۡءٖ﴾ [الآية: 41] أي: مما يقع عليه اسم الشيء حتى الخيط والمخيط أو من شيء معتد به مما لم يتغير بفساده ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ [الآية: 41] أي: مبتدأ خبره محذوف أي: فثابت أن لله خمسه والجمهور على أن ذكر الله للتعظيم وأن المراد قسم الخمس على الخمسة المعطوفين في قوله: ﴿وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الآية: 41] فكأنه قال ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ [الآية: 41] يصرف على هؤلاء الأخصين به وحكمه باقٍ غير أن سهم الرسول ﷺ يصرف إلى ما كان يصرفه إليه من مصالح المسلمين كما فعله الشيخان وقيل: إلى الخليفة وقيل: إلى الأصناف الأربعة وقال أبو حنيفة سقط سهمه وسهم ذوي القربى بوفاته عليه السلام وصار الكل مصروفاً إلى الثلاثة الباقية وعن مالك الأمر فيه مُفَوّض إلى رأي الإمام يصرفه إلى ما يراه أهم وذهب أبو العالية إلى ظاهر الآية وقال: يقسم ستَّة أقسام ويصرف سهم الله إلى الكعبة لما روي أنه عليه السلام كان يأخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة ثم يقسم ما بقي على خمسة ذوي القربى بنو هاشم وبنو المطلب وقيل: بنو هاشم وحدهم وقيل: جمع قريش والغني والفقير فيه سواء وقيل: هو مخصوص بفقرائهم كسهم ابن السبيل وقيل: الخمس كله لهم والمراد باليتامى والمساكين وابن/ السبيل من كان منهم والعطف 347/ ب
للتخصيص والآية نزلت ببدر ﴿إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ﴾ [الآية: 41] فاعملوا بما علمتم لأن البمقصود من العلم هو العمل ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا﴾ [الآية: 41] أي: وبما أنزلنا من الآيات والملائكة والنصرة ﴿عَلَىٰ عَبۡدِنَا﴾ [الآية: 41] أي: الخاص وهو محمد القائم بمقام الحمد والإخلاص ﴿يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ﴾ [الآية: 41] يوم بدر فإنه فرق فيه بين الحق والباطل ﴿يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ﴾ [الآية: 41] جمع المؤمنين وجمع

(1) ذكره القشيري في تفسيره (3/ 30).

الكافرين ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الآية: 41] فيقدر على نصر القليل على الكثير.

وأفاد الأستاذ: أن الغنيمة ما يجد المؤمن من أموال الكفار إذا ظفروا به عند المجاهدة بهم والقتال معهم فإذا لم يكن قتال أو ما في معناه فهو فيء والجهاد قسمان جهاد الظاهر مع أهل الكفر والطغيان وجهاد الباطن مع النفس والشيطان وهو الجهاد الأكبر كما في الخبر[1] وكما أن في الجهاد الأصغر غنيمة عند الظفر فكذا غنيمة في الجهاد الأكبر وهو أن يملك نفسه التي كانت في يد العدو من الهوى والشيطان فكانت ظواهره مقراً للأعمال الذميمة وباطنه مستقراً للأحوال الدنية فيصير محل الهواء مسكن الرضا ومقر الشهوات والمنى مسلماً لما يرد عليه من مطالبات المولى فتصير النفس مستلبة ممن أسر الشهوات والقلب مختطفاً من وصف الغفلات والروح منتزعة من أيدي العلاقات والسر مصوناً عن الملاحظات وتصبح غاغة النفس منهزمة وراية الحقوق بالاستجابة لله خافقة وكما أن من جملة الغنيمة سهماً لله وللرسول وهو الخمس فمما هو غنيمة على لسان الإشارة سهم خالص لله وما لا يكون للعبد فيه نصيب لا من كرائم العقبى ولا من ثمرات التقريب ولا من خصائص الإقبال فيكون العبد عند ذلك محرراً عن رقّ كل نصيب خالصاً لله بالله بمحو ما سوى الله كما قيل:

من لم يكن بك فانياً عن حظه ... وعن الهوى والأنس والأحباب
فلأنه بين المراتب واقف ... لمنال حظ أو لحسن ثواب[2]

348/أ / ﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الآية: 42] العدوة بالحركات الثلاث شط الوادي قرأ بها في الموضعين إلا أن الفتحة شاذة والكسرة لابن كثير وأبي عمرو ﴿وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ﴾ [الآية: 42] البعدى من المدينة تأنيث الأقصى وكان قياسه قلب الواو كالدنيا والعليا تفرقة بين الاسم والصفة فجاء على الأصل كالقود وهو أكثر

(1) تفسير البغوي (5/ 402)، وتفسير أبي السعود (6/ 122)، وتفسير البيضاوي (1/ 241)، وكشف الخفا (1/ 424) رقم (1362).
(2) ذكره القشيري في تفسيره (3/ 121).

استعمالاً من القصيا ولعل السبب قله استعماله بخلاف الدنيا والعليا ﴿وَٱلرَّكۡبُ﴾ [الآية: 42] أي: العير أو قوادها ﴿أَسۡفَلَ مِنكُمۡۚ﴾ [الآية: 42] في مكان أسفل من مكانكم يعني الساحل وهو منصوب على الظرف واقع موقع الخبر والجملة حال من الظرف قبله وفائدتها الدلالة على قوة العدو واستظهارهم بالركب وحرصهم على المقاتلة عنها وتوطين نفوسهم على أن لا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى جهدهم وضعف شأن المسلمين واختلاط أمرهم واستبعاد غلبتهم عادة وكذا ذكر مراكز الفريقين فإن العدوة الدنيا كانت رخوة تسوخ فيها الأرجل ولا يمشي فيها إلا بالتعب ولم يكن بها ماءٌ بخلاف العدوة القصوى وكذا قوله: ﴿وَلَوۡ تَوَاعَدتُّمۡ﴾ [الآية: 42] أنتم وهم للقتال ثم علمتم حالكم وحالهم ﴿لَٱخۡتَلَفۡتُمۡ﴾ [الآية: 42] أنتم ﴿فِي ٱلۡمِيعَٰدِ﴾ [الآية: 42] هيبة منهم ويأساً من الظفر عليهم ليتحققوا أن ما اتفق لهم من الفتح ليس إلا صنيعاً من الله خارقاً للعادة فيزادوا إيماناً وشكروا بزيادة العبادة ﴿وَلَٰكِن﴾ [الآية: 42] جمع بينكم على هذه الحالة ﴿لِّيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗا﴾ [الآية: 42] أي: حقيقاً بأن يفعل وهو نصر أوليائه وقهر أعدائه.

قال جعفر الصادق: ما قضاه في الأزل يظهره في الحين بعد الحين والوقت بعد الوقت ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أخبر عما جرى يوم بدر من القتال وما حصل من فنون الأحوال بحكم التقدير لا بما يحصل للخلق من التدبير وحكم ما يقتضيه رؤية التفكير بل لو كان ذلك عن اختيار وتواعد كنتم عن تلك الجملة عن استكراه وتباعد فجرى ما جرى ﴿لِّيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗا﴾ [الآية: 42] له مقضياً فحصل من الأمور ما سبق به من التقدير/ ﴿لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ 348/ب
بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ﴾ [الآية: 42] وقرأ نافع والترمذي وأبو بكر من حيين ﴿عَنۢ بَيِّنَةٖۗ﴾ [الآية: 42] أي: ليموت من يموت عن بينة عاينها ويعيش من يعيش عن حجة شاهدها لئلا يكون لأحد حجة ومعذرة فإن وقعة بدر من الآيات الباهرة أو ليصدر كفر من كفر وإيمان من آمن عن وضوح وبينة على استعارة الهلاك والحياة للغواية والهداية أو المراد بهما المشارف للهلاك والحياة أو من هذا حاله في علم الله وقضائه.

وقال الأستاذ: ليضل من زاغ عن الحق بعد لزوم الحجة ويهتدي من أقام على الحق بعد وضوح المحجة ويقال الحق أوضح السبيل ونصب الدليل ولكن سد بصائر قوم عن شهود الرشد وفتح بصائر آخرين لإدراك طريق الحق والهلاك من عمه في أودية التفرقة والحي من اكتحل بنور المعرفة ويقال الهالك من كان بحظه مربوطاً والحي من كان من أسر كل نصيب مستلباً مجذوباً ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الآية: 42] بكفر من كفر وشقائه وإيمان من آمن وثوابه ولعل الجمع يبن الوصفين لشمول الأمرين من الإقرار والاعتقاد في الحالين.

﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًاۖ﴾ [الآية: 43] أي: يقللهم حال رؤياك في عينك لتختبر به أجلة أصحابك فيكون تبيناً لهم وتشجيعاً على عدوهم ﴿وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا﴾ [الآية: 43] كما في الحال لا في المآل إذ لا عبرة بكثرة عدوهم مع قلة مددهم ﴿لَّفَشِلْتُمْ﴾ [الآية: 43] جنيتم عليّ حسب العادة ﴿وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ [الآية: 43] أي: اختلفتم في أمر الحرب مع الكفار وتفرقت آراؤكم بين القرار والفرار ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَۗ﴾ [الآية: 43] أي: أنعم عليكم بالسلامة من الفشل والمنازعة في المقاتلة ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الآية: 43] ليعلم ما فيها وما سيكون منها وما يغير أحوالها مما يفتريها بعدها.

قال الأستاذ: وكيف أي لا يعلم التغيير ولا منه لصد المقادير.

﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا﴾ [الآية: 44] الضميران مفعولا يرى وقليلاً حال من الثاني وإنما قللهم في أعين المسلمين حين قال ابن مسعود لمن إلى جنبه أتراهم سبعين فقال: أراهم مائة تثبيتاً لهم وتصديقاً لرسولهم ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ [الآية: 44] حتى قال/ أبو جهل: أن محمداً وأصحابه أكلة 349/أ
جزور قلل المسلمين في أعينهم قبل التحام القتال يتجبروا عليهم ولا يستعدوا لهم ثم كثرهم حتى يروهم مثليهم حتى لتفاجئهم الكثرة فتبهتهم وتكسر قلوبهم وهذا من عظائم آيات تلك الواقعة فإن البصر وإن كان قد يرى الكثير قليلاً والقليل كثيراً لكن لا على هذا الوجه ولا إلى هذا الحد وإنما يتصور ذلك بصد

الله الأبصار عن إبصار بعض دون بعض مع التساوي في شروط الرؤية والإدراك.

وأفاد الأستاذ: أن الله إذا أراد أمراً هيأ أسبابه فقلل الكفار في أعين المسلمين فزادوا جسارة وقلل المسلمين في أعين الكفار فازدادوا نشاطاً على القتال صغراً في حكم الله وخسارة ﴿لِيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الآية: 44] كرره لاختلاف الفعل المعلل به أو لأن المراد بالأمر ثم الالتقاء على الوجه الحكمي وهنا إعزاز الإسلام وأهله وإذلال المشرك وحزبه ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الآية: 44] .

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه إذا أراد نصرة عبد فلو كاده جميع البشر أو أراده الكافة بكل ضرر لا ينفع من شاء مضرته كد ولا يحصل بينه وبين متاح لطفه سد وإذا أراد بعبد سوء فليس له رد ولا ينفعه جد ولا ينعشه بعد ما أسقط حكمه جهد.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً﴾ [الآية: 45] حاربتم جماعة مخالفة في أمر الديانة ﴿فَٱثْبُتُواْ﴾ [الآية: 45] للقاء ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الآية: 45] بالثناء والدعاء مستظهرين بذكره مترقبين لنصره ﴿لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الآية: 45] تفوزون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه تنبيه نبيه على أن العبد ينبغي أن لا يشغله شيء عن ذكر الله وأن لا يلتجي عند الشدائد إلا إلى مولاه ولا يدعو إلا إياه ولا يرجو ولا يخاف سواه ويتوجه إليه فارغ البال كامل الإقبال واثقاً بأن لطفه لا ينفك عنه في شيء من الأهوال وسائر الأحوال.

وأفاد الأستاذ: إنما يكون بقوة القلب وشدة اليقين ولا يكون ذلك إلا لنفاذ البصيرة والتحقيق بالله وشهود الحادثات كلها منه فعند ذلك يستسلم لله ويرضى بحكمه ويتوقع منه حسن الإعانة ولهذا أحالهم على الذكر فقال: ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الآية: 45] ويقال: إن جميع الخيرات في ثبات القلب وبه يتبين أقدار الرجال وإذا أورد على/ الإنسان خاطر يزعجه وهاجس في نفسه 349/ ب يهيجه فمن كان صاحب بصيرة توقف ريثما يتبين له حقيقة الوارد فيثبت لكونه رابط الجأش ساكن القلب صافي اللب وهذا نعت الأكابر مع الرب.

﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ﴾ [الآية: 46] ولا تتنازعوا في اختلاف الآراء بعد حكم الأمر ﴿فَتَفۡشَلُواْ﴾ [الآية: 46] جواب النهي ﴿وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾ [الآية: 46] أي: دولتكم ففيها استعارة أو المراد بها الحقيقة فإن النصرة لا تكون إلا بريح يبعثها الله في تلك الساعة وفي الحديث نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور ﴿وَٱصۡبِرُوٓاْۚ﴾ [الآية: 46] على محاربة الأعداء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الآية: 46] بالمعونة والحفظ والإعلاء.

وأفاد الأستاذ: أن الموافقة بين المسلمين أصل الدين وأول الفساد ورأس الضلال الاختلاف في الأفعال وكما يجب الموافقة في الدين والعقيدة تجب الموافقة في الرأي والعزيمة قال الله تعالى في صفة الكفار ﴿تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ﴾ [الحشر، الآية: 14] وإنما تتحد عزائم المسلمين لأنهم كلهم يجمعهم التبري من حولهم وقوتهم ويتمحضون في رجوعهم إلى الله وشهودهم التقدير فيتحدون في هذه الحالة الواحدة وأما الذين توهموا الحادثات من أنفسهم وصلوا في متاهات حسبانهم وأجروا الأمور حتى (يسمح) لرأيهم فكل يبني له على ما يقع ويختار، فإذا تنازعوا تشعبت بهم الآراء وافترقت بهم الطرق فيضعفون وتختلف طرقهم وكما يجب في الدين طاعة الرسول ﷺ يجب طاعة أولي الأمر ولهذا يجب في كل وقت نصب إمام للمسلمين ثم لا يجوز مخالفته وقال عليه السلام أطيعوه ولو كان عبداً مجدعاً(1) وكان رسول الله ﷺ إذا بعث سرية أمر عليهم أميراً وقال: عليكم بالسواد الأعظم(2) فإجماع المسلمين حجة والصلاة بالجماعة سُنَّة مؤكدة والاتباع محمود والابتداع ضلالة.

﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم﴾ [الآية: 47] كأهل مكة حين خرجوا لحماية غيرهم بعد عبورهم بخيرهم ﴿بَطَرٗا﴾ [الآية: 47] أي: أشراً وفخراً ﴿وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ [الآية: 47] للثناء عليهم بالشجاعة والسخاوة ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [الآية: 47] حال كونهم معرضين عن طريق الحق ورضاه ومانعين الخلق عن اتباع

---

(1) ذكره القشيري في تفسيره (3/ 30).
(2) أخرجه أحمد في المسند (4/ 278) رقم (18473)، وانظر: المقاصد الحسنة (1/ 283)، كشف الخفا (1/ 333).

هداه ﴿وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ﴾ [الآية: 47] فيجازيهم على أفعالهم بحسب/ 350/أ
أحوالهم.

﴿وَإِذۡ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [الآية: 48] في معاداة الرسول وغيرها بأن وسوس لهم بحسن آمالهم ﴿وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٞ لَّكُمۡۖ﴾ [الآية: 48] هذه مقالة نفسانية ووسوسة شيطانية والمعنى أنه ألقى في روعهم وخيل إليهم في نفوسهم أنهم لا يغلبون لكثرة عددهم ولا يطاقون لقوة عددهم وعقلوا أن الله سبحانه مع المؤمنين في مددهم وأوهمهم أن اتباعهم إياه فيما يظنون أنها قربات عند الله مجير لهم حتى قالوا اللّهم انصر إحدى الفئتين وأفضل الملتين ﴿فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلۡفِئَتَانِ﴾ [الآية: 48] تلاقى الفريقان والتقى الجمعان ﴿نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ﴾ [الآية: 48] رجع القهقرى عما كان عليه وأبطل كيدهم لديه وعاد ما خيل إليه من أنه مجيرهم وخلاصهم سبب هلاكهم ومناصهم ﴿وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكُمۡ﴾ [الآية: 48] مبتعد عنكم ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ﴾ [الآية: 48] مما لا طاقة لكم ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ﴾ [الآية: 48] ما لا تخافون منه لجهلكم والمعنى أنه تبرأ منهم وخاف عليهم وأيس من حالهم لما رأى إمداد الله المسلمين بالملائكة المسومين المقربين أو خاف على نفسه من أن يصيبه مكروه من جهة الملائكة المقربين.

قال الواسطي: ترك الذنوب على ضروب منها من تركه حباً كيوسف ﷺ ومنها تركه خوفاً كإبليس حين نكص على عقبيه.

وأفاد الأستاذ: أن الشيطان إذا زين للإنسان بوساوسه أمراً والنفس إذا سولت له شيئاً عميت بصائر أرباب الغفلة عن شهود صواب الهداية فينجر الغافل معه في قياد وساوسه ثم تلحقه هواجم التقدير وكوامن المكر من حيث لا يرتقب ولا يحتسب في التدبير فلا الشيطان يفي له بما يعده ولا النفس شيئاً مما يتمناه تجده كما قال القائل:

أحسنت ظنك بالأيام إذ حسنت ... ولم تخف سوء ما يأتي به القدر
وسالمتك الليالي فاغتررت بها ... وعند صفو الليالي يحدث الكدر(1)

(1) نسبت إلى بعض الأعراب كما نقل الأصمعي. انظر: الكشكول (1/ 386)، ونسب إلى=

﴿وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الآية: 48] يحتمل أن يكون من تتمة كلامه وأن يكون مستأنفاً من عنده سبحانه.

350/ب ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [الآية: 49] أي:/ شك وشبهة وقيل هم المشركون ﴿غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [الآية: 49] يعنون المسلمين ﴿دِينُهُمْ﴾ [الآية: 49] حين تعرضوا لما لا طاقة لهم فخرجوا ثلاثمائة وبضعة عشر إلى ألف أو أكثر فأجاب الله عنهم بما علم منهم بقوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الآية: 49] أي: يعتمد على قضاه ويلتمس رضاه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ [الآية: 49] غالب على مراده ولا يغلب من استجار به وإن قل وذل في أمره ﴿حَكِيمٌ﴾ [الآية: 49] يفعل بحكمته البالغة ما يستبعده العقل ويعجز عن إدراكه أصحاب الحيل.

وأفاد الأستاذ: أصحاب الغفلة وأرباب الغرّة إذا هبت رياح صولتهم في زمان غفلتهم يلاحظون أهل الحقيقة بعين الاستحقار ويحكمون لهم بضعف الحال فينسبونهم إلى الضلال ويعدونهم من جملة الجهال وكذلك أهل زمان الفترة في مدة مهلة الغيبة والذين لهم قوة اليقين ونور البصيرة في الدين ساكنون تحت جريان الحكم يرون الغائبات من الحواس بعيون البصيرة من وراء ستر رقيق فلا طوارق الحال تهزهم ولا هواجم الوقت تستفزهم وعن قريب يلوح لهم علم اليسر وينجلي سحاب العسر ويمحق الله كيد الكائدين ويذهب مكر المعاندين.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ [الآية: 50] لو يجعل المضارع ماضياً عكس أن فالمعنى ولو رأيت ﴿إِذْ يَتَوَفَّى﴾ [الآية: 50] وقرأ ابن عامر بالتأنيث أي: تبين بقبض أرواح ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ﴾ [الآية: 50] أي: حال كون الملائكة ضاربين ﴿وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾ [الآية: 50] أي: ما أقبل وأدبر منهم بمقامع من حديد قائلين لهم خذوا هذا ﴿وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [الآية: 50] أي: الحرق مع الحجاب الشديد وجواب لو محذوف أي: لرأيت أمراً فظيعاً وحالاً شنيعاً.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يسليهم عندما يتأسون من اختيارات التقدير

= سعيد بن وهب. انظر: محاضرات الأدباء (1/ 484).

بما يذكرهم من زوال المحنة ووشك روح اليسر وسرعة حصول النصر وحلول النقم بمرتكبي الظلم فإن المؤمن لكريم الظفر فإذا شاهدوا بأرباب الجرائم حلول الانتقام رق قلبه لهم فلا ينخرط في سلك الشماتة بل يخلو قلبه عن شهوة الانتقام بل يحنوا على كل أحد بحسن الصفح عن الملام كما قيل:

قوم إذا ظفروا بنا جادوا بعتق رقابنا[1]

﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 51] أي: ما ذكر من الضرب والعذاب ﴿بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ [الآية: 51] / أي: بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصي الموحية للحجاب والعقاب ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ﴾ [الآية: 51] أي: بذي ظلم ﴿لِّلۡعَبِيدِ﴾ لاستغنائه عن ظلمهم ولعدم تصور الظلم في فعله بهم. 351/ أ

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه كيف ما يعاملهم به من السرّاء والضرّاء فذلك منه حسن وعدل إذ الملك ملكه والخلق خلقه والحكم حكمه.

﴿كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ﴾ [الآية: 52] أي: دأب هؤلاء وعادتهم مثل دأب آل فرعون وطريقتهم التي دأبوا فيها وداموا عليها ﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ [الآية: 52] أي: من قبل آل فرعون مما كان على منوال عملهم ﴿كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 52] تفسير لدأبهم ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡ﴾ [الآية: 52] كما أخذ هؤلاء بعيوبهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيّٞ﴾ [الآية: 52] على أمره ﴿شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الآية: 52] على من كفر من عباده.

وقال الأستاذ: لما سلكوا مسلك آل فرعون في الضلال سلكنا بهم مسلكهم فيما أذقناهم من النكال وسوء الحال ووبال المآل وسُنَّة الله لا تتغير في الإنعام وعادته لا تتبدل في الانتقام ومن لم يعتبر بما يشهده اعتبر به فيما يصنعه.

﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 53] أي: ما حل بهم من زوال حالهم وسوء مآلهم ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ﴾ [الآية: 53] بسبب أنه سبحانه ﴿لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ﴾ [الآية: 53]

---

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 5) و(3/ 39).

أي: مبدلاً للنعمة بالنقمة ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الآية: 53] أي: ما يبدلوا بهم من الحالة الحسنى إلى الفعلة السوءى أي كتغيير قريش حالهم في صلة الأرحام والكف عن تعرض الأنبياء السابقين بمعاداة الرسول عليه السلام ومن تبعه من أصحابه الكرام والسعي في إراقته وما أهل الإسلام إلى غير ذلك مما أحدثوا بعد بعثة سيد الأنام وليس السبب عدم تغيير الله ما أنعم عليهم حتى يغيروا حالهم بل هو المفهوم الذي يقتضي ما لهم وهو جري عادته سبحانه على تغيير ما بهم متى تغيروا في حالهم.

قال جعفر الصادق: ما دام العبد يعرف نعمة الله عنده فإن الله لا ينزعها عنه حتى إذا جهل النعمة ولم يشكرها فبالتحري حينئذٍ أن تنتزع منه كذا ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: فيما أطنب وأجاد وزاد في بيان المراد بقوله إذا أنعم الحق سبحانه على قوم نعمة وأرادوا إمهالهم أكرمهم بتوفيق الشكر لهم فإذا شكروا نعمة الله قيدوها فدامت فيهم وإذا أراد الله تعالى إزالة نعمة عن/عبد 351/ب
أزاله بخذلان الكفران فإذا حال عن طريق الشكر عرض النعمة للزوال فما دام العبد يشكر النعمة مقيماً كان الحق لإنعامه عليه مديماً فإذا قابل النعمة بالكفران انتشر سلك نظامه فبقدر ما يزيد في إصراره يزول الأمر عن قراره.

﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۚ﴾ [الآية: 54] بعيوبهم تكرير للتأكيد ولما نيط من الوعيد ﴿وَكُلٌّ﴾ [الآية: 54] أي: من الفريقين المكذبين ﴿كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ﴾ [الآية: 54] فاستحقوا العذاب الشديد.

وأفاد الأستاذ: أنه تنوع من آل فرعون المعصية فنوع لهم العقوبة فكذلك هؤلاء عوقبوا بأنواع النقمة لما ارتكبوا من أنواع الزلة وفائدة تكرار ذكرهم تأكيد في التعريف لأنه لا يهمل المكلف أصلاً وإن أهمله حيناً ودهراً.

﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الآية: 55] أي: أصروا على كفرهم ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية: 55] لعدم رجوعهم عن أمرهم ولعل هذا في قول علم

الله منهم عدم الإيمان واختيار الكفر والعصيان.

وقال الأستاذ: قوله ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 55] أي: في سابق علمه وصادق حكمه فإذا كانوا في علمه شر الخلائق فكيف يسعدون باختلاف السعايات وصنوف الطوارق هيهات أن تتبدل الحقائق ولذا قال ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية: 55] وكلامه صدق وقوله حق فلم يبق للرجاء فيهم مساغ ولم ينجع فيهم نصح وإبلاغ.

﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ﴾ [الآية: 56] أي: أخذت العهد ﴿مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ﴾ [الآية: 56] أي: من المعاهدة أو المحاربة والموصول بدل من الذين كفروا بدل البعض للاحتراز بل للتخصيص في معرض البيان وهم يهود قريظة عاهدهم رسول الله ﷺ أن يمالؤا عليه فأعانوا المشركين بالسلاح [يوم أحد] وقالوا نسينا ثم عاهدهم فنكثوا ما ولوهم عليه يوم الخندق[1] ﴿وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ [الآية: 56] تبعة العار ولا عقوبة النار.

وقال الأستاذ: أي الذين صاروا نقض العهد لهم سجية فلم يذروا من استفراغ الوسع في جهلهم بقية وأن من الكبائر التي لا غفران لها في هذا الطريق أن ينقض العبد عهداً أو يترك عقداً التزمه بقلبه مع الله/ أولئك الذين 352/ أ
سقطوا عن عين رضاه فرفع عنهم ظل العناية وأزال عنهم حمى الحماية.

﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ﴾ [الآية: 57] أي: تجدنهم وتظفرن بهم ﴿فِي ٱلْحَرْبِ﴾ [الآية: 57] في وقت حربهم ﴿فَشَرِّدْ بِهِم﴾ [الآية: 57] أي: فرق عن مناصبتك ونكل عنها بقتلهم والنكاية فيهم ﴿مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾ [الآية: 57] من الكفرة فيما وراءهم ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ [الآية: 57] أي المشردين ﴿يَذَّكَّرُونَ﴾ [الآية: 57] يتعظون.

وقال الأستاذ: يريد إن صادقت واحداً من هؤلاء الذين دأبهم نقض عهدهم فاجعلهم عبرة لمن يأتي بعدهم لئلا يسلكوا طريقتهم فيستوجبون عقوبتهم كذلك من فتح عقده مع الله بقلبه برجوعه إلى رخص التأويلات ونزوله إلى السكون مع

(1) تفسير البيضاوي (1/ 116).

العلالات يجعله الله نكالاً لمن بعده بحرمانه ما كان خوله وتنغيصه عليه مأمن حظوظه أمله فيفوته حق الله ولا يكون له امتناع بما آثره على رضاه.

وتبدلت وتبدلنا واحسرتا من ابتغى عوضاً لليلى فلم يجد

﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ﴾ [الآية: 58] معاهدين ﴿خِيَانَةً﴾ [الآية: 58] نقض عهد بأمارات تلوح عليهم ﴿فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ﴾ [الآية: 58] فاطرح عهدهم إليهم ﴿عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ [الآية: 58] على حالة مستوية في العلم في النقض بينك وبينهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [الآية: 58] أي: من يناجز المعاهدين بالحرب قبل إعلامهم ففي الحديث من كان بينه وين قوم عهد فلا يشد عقدة ولا يحلها حتى ينقضي أمدها أو ينبذ إليهم عهدهم على سواء[1].

وقال الأستاذ: يريد إذا تحققت بخيانة قوم منهم فصرح بأن لا عهد بينك وبينه وإذا حصلت الخيانة زال سمة الأمانة وخيانة كل أحد على ما يليق بحاله ومن ضن بميسور له ولو (سمسمة) أو سينة أو لحظة عن مطالبات الحقيقة فقد خان في عهده وزاغ عن حده وعقوبته معجلة وهو أن لا يحبه الله ومن لا يحبه الله فإنه يذله ويهينه فيكون عقوبته وإذلاله وإهانته.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ﴾ [الآية: 59] أيها النبي عليه أو الحاسب العام ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ [الآية: 59] استئناف فيه معنى التعليل وفتح ابن عامر
352/ب الهمزة والمعنى لا يحسبنهم/ سبقوا فاعتصموا وتخلصوا إنهم لا يفوتون الله أو لا يجدون طالبهم عاجزاً عن إدراكهم.

وأفاد الأستاذ: أنه كيف يعارض الحق أو ينازعه من في قبضة تقلبه وبقدرته تصرفه وبتصريفه إياه وعدمه وثبوته.

﴿وَأَعِدُّوا۟﴾ [الآية: 60] أيها المؤمنون ﴿لَهُم﴾ [الآية: 60] أي: لناقضي عهودهم وللكافرين بعمومهم ﴿مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الآية: 60] من كل ما يتقوى

(1) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (9/ 231) رقم (18627)، وفي شعب الإيمان (4/ 81) رقم (4359)، وأحمد في المسند (4/ 385) رقم (19455)، وأبو داود في السنن (3/ 38) رقم (2761).

به في المحاربة وعن عقبة بن عامر سمعته عليه السلام يقول على المنبر ألا إن القوة الرمي ثلاثاً ولعله خصه بالذكر لأنه أقواه.

وقال أبو علي الروندباري: القوة المنعة بالله ذكره السلمي.

وقال الأستاذ: أعدوا لقتال الأعداء ما يبلغ وسعكم ذلك من قوة وأتمها قوة القلب بالله والناس فيها مختلفون فواحد يقوي قلبه بموعود نصره وآخر يقوي قلبه لتحققه بأنه بمشهد من ربه قال الله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ﴾ [الطور، الآية: 48] وآخر يقوي قلبه بإيثار رضا الله على مراد نفسه وآخر يقوي قلبه برضاه بما يفعله مولاه ويقال أقوى محبة للعبد تبرّيه عن حوله وقوته ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ﴾ [الآية: 60] اسم للخيل التي تربط في سبيل الله فقال بمعنى مفعول ﴿تُرۡهِبُونَ بِهِۦ﴾ [الآية: 60] أي: تخوفون بما استطعتم أو بالإعداد الذي هو سبب الإمداد ﴿عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ﴾ [الآية: 60] يعني كفار مكة ولو من أقاربكم ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ﴾ [الآية: 60] من غيرهم من الكفرة كاليهود والمنافقين ومشركي الفرس والروم ونحوهم.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة فيه أن لا يجاهد على رجاء غنيمة تنالها أو استشفاء صدره من قضية حقدنا لها بل قصده أن يكون كلمة الله هي العليا في حالها ومآلها ﴿لَا تَعۡلَمُونَهُمُ﴾ [الآية: 60] لا تعرفونهم بأعيانهم ﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ﴾ [الآية: 60] بعزمهم وإصرارهم على كفرانهم ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ﴾ [الآية: 60] من إنفاق مال وبذل روح ومنال ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 60] طريق رضاه ﴿يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ﴾ [الآية: 60] أجره ﴿وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ﴾ [الآية: 60] بنقض ثواب وزيادة عقاب ومغالطة حساب.

﴿وَإِن جَنَحُواْ﴾ [الآية: 61] مالوا ﴿لِلسَّلۡمِ﴾ [الآية: 61] وقرأ شعبة بالكسر أي: للصلح والاستسلام ﴿فَٱجۡنَحۡ لَهَا﴾ [الآية: 61] عاهد معهم ولا تمل عنهم وتأنيث ضمير السلم تحمله على نقيضه من الحرب قال:

السلم تأخذ منها ما رضيت به ... والحرب يكفيك من أنفاسها جرع[1]

(1) نسب هذا البيت إلى العباس بن مرداس السلمي. انظر: خزانة الأدب (1/ 469)، وإصلاح المنطق (1/ 30).

353/أ / ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الآية: 61] ولا تخف أحداً سواه فإنه يعصمك من كيدهم ويحيق بهم ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ [الآية: 61] لأقوالهم ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ [الآية: 61] بحالهم والآية مخصوصة بأهل الكتاب لاتصالها بقصتهم في حالهم ومآلهم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه بعث نبيه ﷺ بالرحمة والشفقة على الخليقة وفي مسالمة الكفار رجاء أن يؤمنوا بأيامهم في المستأنفة فإن أبوا فليس أحد يخرج عن قبضة العزة ويقال العبودية هي الوقوف حيث ما وقفت أو أمرت بالقتال فلا تقصر في المجاهدة وإن أمرت بالمواعدة فمرحباً بالمسالمة ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الآية: 61] في كل حالة في أن يختار لك ما فيه الخيرة فيوفقك لما هو الأولى ويختار لك من قسمي الأمر في الحرب والصلح ما هو الأعلى.

﴿وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُۚ﴾ [الآية: 62] أي: محسبك وكافيك.

قال جرير:

إني وجدت من المكارم حسبكم   أن تلبسوا حُرَّ الثياب وتشبعوا

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 62] جميعهم.

﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْۚ﴾ [الآية: 63] مع ما فيهم من العصبية والضغينة من أدنى القضية والتهالك عن الانتقام بالجزئية حتى صاروا كنفس واحدة من كمال الإلفة والمواصلة وزوال الوحشة والفرقة وهذا من أظهر أنواع المعجزة وبيانه ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ [الآية: 63] لتناهي عدوانهم البعدة عن حالة الإلفة ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْۚ﴾ [الآية: 63] بقدرته البالغة ﴿إِنَّهُۥ عَزِيزٌ﴾ [الآية: 63] تام القدرة والغلبة ﴿حَكِيمٌ﴾ [الآية: 63] صاحب الحكم والحكمة.

وقال الأستاذ: لبسوا عليك وراموا خداعك بطلب الصلح منك ويستنبطون لك بخلاف ما يظهرون عندك فإن الله كافيك فلا تشغل قلبك بغفلتك عن شر ما يكيدونك فإني أعلم وإن لم تعلم وأقدر على ما لا تقدر وهو الذي بنصره أفردك وبلطفه أيدك وعن كل سوء ونصيب طهرك وعن رق

الأشياء حررك وفي جميع الأحوال كان لك وهو الذي أيدك بمن آمن بك من المؤمنين وهو الذي ألف بين قلوبهم المختلفة فجمعها على الدين وإيثار رضاء الحق/ ولو كان ذلك بحيل الخلق لم ينتظم هذه الجملة ولو أبلغت بكل ميسور 353/ ب
من الأفعال وبذلت بكل مستطاع من المال.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 64] كافيك ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الآية: 64] أي: وكافي أتباعك بسبب اتباعك أو كافيك من اتبعك من تمام الأربعين إذ روي أنه أسلم مع النبي ثلاث وثلاثون رجلاً وست نسوة ثم أسلم عمر فنزلت وقد قال ابن عباس نزلت في إسلام عمر رضي الله عنه فمن على الأول مجرور المحل أو منصوبه على المفعول معه وعلى الثاني مرفوعه.

وأفاد الأستاذ: إن أحسن التأويلات في هذه الآية أن يكون من هاهنا في محل النصب أي من اتبعك من المؤمنين يكفيهم الله ومن أقوى التأويلات في العربية أن من في محل الرفع أي: وحسبك من اتبعك من المؤمنين وقد علم أن استقلال الرسول ﷺ كان بالله لا بمن سوى الله أو كل من هو سوى الله فمحتاج إلى نصرة الله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ﴾ [الآية: 65] أي: بالغ في حثهم عليه واحرص في ترغيبهم إليه.

وأفاد الأستاذ: أن المؤمن من لا يزداد بنفسه ضعفاً إلا ازداد بقلبه قوة لأن الاستقلال بقوة النفس نتيجة الغفلة وقوة القلب بالله سبحانه على الحقيقة ﴿إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ﴾ [الآية: 65] في معنى الأمر بمصابرة الواحد للعشر والوعد بأنهم إن صبروا يحصل لهم الغلبة بالعون والنصر ﴿وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ﴾ [الآية: 65] وقرأ الحرميان والشامي بالتأنيث ﴿يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ﴾ [الآية: 65] بسبب أنهم جهلة بالله والدار الآخرة فلا يثبتون ثبات المؤمنين لرجاء المثوبة وعلو الدرجة أو لا يستحقون من الله إلا الهوان والخذلان والفضيحة.

وأفاد الأستاذ: أن هذا لهم فأما النبي ﷺ فهو بتوحده كان مأموراً بأن

يثبت لجميع الكفار لكمال قدرته إذ كانت قوته بالله ﷺ قال: «بك أصول»
354/أ وفي/تحريضه للمؤمنين على القتال كانت لهم قوة وبأمر الله كانت له قوة فقوة الصحابة كانت بالنبي ﷺ وتحريضه إياهم وقوته عليه السلام كانت بالله وبأمره فشتان ما بينهما ﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ﴾ [الآية: 66].

قال النصر أبادي: التخفيف كان لهم دون الرسول ﷺ لأن من لا يثقله حمل أمانة النبوة كيف يخاطب بتحقيق اللقاء للأضداد وكيف يخاطب به وهو يقول:

اللّهم بك أجول وبك أصول[1]

ذكره السلمي ﴿وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ [الآية: 66] بالفتح قرأ عاصم وحمزة.

قال ابن عطاء: ما في السماء لا يؤخذ إلا بالافتقار وما في الأرض لا يؤخذ إلا بالاضطرار ذكره السلمي ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ﴾ [الآية: 66] وقرأ الكوفيون بالتذكير ﴿يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ [الآية: 66] أي: ضعفهم ﴿وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 66] لما أوجب الله على الواحد مقاومة العشرة والثبات لهم في مقام المجاهدة في الآية السابقة وثقل ذلك عليهم خوف العجز عن خروج العهدة خفف عنهم بمقامه الواحد للاثنين وقيل: كان فيهم قلة فأمروا بذلك ثم لما وجد فيهم كثرة خفف عنهم هنالك وتكرير المعنى الواحد بذكر الأعداد المناسبة للدلالة على أن حكم القليل والكثير واحد في القضية والضعف ضعف النية والبصيرة إذا كانوا متفاوتين فيها ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [الآية: 66] بالنصرة والمعونة.

وأفاد الأستاذ: أن الضعف الذي علمه فيهم كان ضعف الأشباح فخفف الله عنهم وأما القلوب فلا يدخلها الضعف فحمل عنهم في ممارسة القتال بالقدرة المذكورة وفي الكتاب والعوام يحملون المشاق بنفوسهم وجثثهم والخواص بقلوبهم وهممهم قالوا:

حملت بالقلب ما لا يحمل البدن والقلب يحمل ما لا يحمل البدن[2]

---

(1) نسب إلى الحلاج. انظر: دواوين الشعر العربي (51/ 17).
(2) نسب إلى الحلاج. انظر: دواوين الشعر العربي (51/ 17).

﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ﴾ [الآية: 67] وقرأ البصري بالتأنيث ﴿حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية: 67] أي: يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقلّ حزبه ويعز الإسلام ويكثر أهله ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا﴾ [الآية: 67] أي: حطامها بأخذكم/ الفداء من الأسرى ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾ [الآية: 67] أي: يريد لكم ثواب 354/ ب
الآخرة أو سبب نيل الآخرة من إعزاز أوليائه وإذلال أعدائه ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ [الآية: 67] غالب على أمره ﴿حَكِيمٌ﴾ [الآية: 67] في حكمه.

قال الأستاذ: أخذ النبي ﷺ يوم بدر منهم الفداء وكان ذلك جائز لوجوب القول بعصمة الأنبياء ولكن لو قتلهم كان أولى بحسب الأغنياء فإرادتهم عرض الدنيا هو أخذ الفداء والله جعل رضاه في قتل الأعداء أو رحمة الشرع خلاف رحمة الطبع فشرط العبودية أن يرقى العبد لله وإذا كان الأمر بالغلظة فكما قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾ [النور، الآية: 2] ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ [الآية: 67] بالانتقام من أعدائه ﴿حَكِيمٌ﴾ [الآية: 67] في جميع ما يصنع بأوليائه.

﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ﴾ [الآية: 68] أي: حكم مكتوب ﴿مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾ [الآية: 68] إثباته في اللوح أن لا سبق وهو أن لا يعاقب المخطىء في اجتهاده بأنّ لا يعذب أهل بدر من عبادة أو قوة ما لم يصرح لهم بالمنهي عنه أن الفدية التي أخذوها ستسهل لهم في دينه ﴿لَمَسَّكُمْ﴾ [الآية: 68] تنالكم ﴿فِيمَآ أَخَذْتُمْ﴾ [الآية: 68] من الفداء ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الآية: 68] روي أنه عليه السلام قال: لو نزل العذاب لما نجا منه غير عمر بن الخطاب وذلك لما روي أنه ﷺ أتى يوم بدر بسبعين أسيراً فيهم عمه العباس وعقيل بن أبي طالب فاستشار فيهم وقال أبو بكر قومك وأهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوي بها أصحابك وقال عمر: اضرب أعناقهم فإنهم أئمة الكفر والله أغناك عن الفداء ومكني من فلان لنسب له ومكن علياً وحمزة من أخويهما فلنضرب أعناقهم فلم يهوَ ذلك رسول الله ﷺ وقال: إن الله ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن وأن الله لشدد قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة وأن مثلك يا أبي بكر مثل إبراهيم قال: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم، الآية: 36] ومثلك يا عمر

مثل نوح قال: ﴿لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح، الآية: 26] فخير أصحابه
355/ أ بين القتل والفداء فأخذوا الفداء فنزلت فدخل عمر على رسول الله/ ﷺ فإذا هو وأبو بكر يبكيان فقال: يا رسول الله أخبرني فإن أجد بكاء بكيت وإلا تباكيت فقال: أبكي على أصحابك في أخذهم الفداء ولقد عرض عليّ عذابهم أدنى من هذه الشجرة بشجرة قربية(1) والآية دليل على أن الأنبياء مجتهدون وأنه قد يكون خطأً منهم ولكن لا يقرون عليه وزبدة القضية أن الصديق كان مظهر نعوت الجمال وأن الفاروق مظهر صفات الجلال وأنه ﷺ متحل بأوصاف الكمال الشامل للجمال والجلال إلا أنه لكونه رحمة للعالمين مال إلى الجمال وتخلق بأخلاق الملك المتعال حيث ورد في الحديث القدسي والكلام الأنسي سبقت رحمتي غضبي(2).

﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ﴾ [الآية: 69] من الفدية فإنها من جملة الغنيمة والفاء للسببية والمعنى لما أزال عنكم العقوبة أباح لكم الغنيمة ﴿حَلَٰلًا﴾ [الآية: 69] حال من المغنوم أو أكلاً حلالاً وفائدته إزاحة ما وقع في نفوسهم بسبب تلك المعاينة أو بسبب حرمتها على الأمم السالفة ولذا زيد في وصفه بقوله: ﴿طَيِّبًا﴾.

قال جعفر الصادق: الحلال ما لا يعصى الله فيه والطيب ما لا ينسى الله فيه ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: أن الحلال ما كان مؤذناً فيه والطيب أن تعلم أن ذلك من قبل الله فضلاً لك من قبله لا استحقاقاً ويقال: هو الذي لا يكون صاحبه عن شهود ربه غافلاً عند أخذه ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [الآية: 69] في مخالفة أمره ونهيه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ [الآية: 69] غفر لكم ما فعلتم ﴿رَّحِيمٌ﴾ [الآية: 69] أباح لكم ما أخذتم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم﴾ [الآية: 70] أي: في تصرفكم ﴿مِّنَ

(1) أخرجه مسلم في الصحيح (1763/ 58)، والبيهقي في السنن الكبرى (9/ 67) رقم (17818)، وأحمد في المسند (1/ 32) رقم (221).
(2) سبق تخريجه.

﴿ٱلْأَسْرَىٰٓ﴾ [الآية: 70] وقرأ البصري من الأسارى ﴿إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾ [الآية: 70] إيماناً وإخلاصاً ﴿يُؤْتِكُمْ خَيْرًا﴾ [الآية: 70] أي: عوضاً من الأشياء خيراً ﴿مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ﴾ [الآية: 70] من العذاب ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ [الآية: 70] في الانتهاء ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ [الآية: 70] للمذنبين ﴿رَّحِيمٌ﴾ [الآية: 70] بالمطيعين روي أنها نزلت في العباس كلفه رسول الله ﷺ أن يفدي نفسه وابني أخويه عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث فقال: يا محمد تركتني أتكفف قريشاً ما بقيت فقال/ أين 355/ ب
الذهب الذي دفعته إلى أم الفضل وقت خروجك وقلت لها إني لا أدري ما يصيبني في وجهي هذا إذا حدث لي حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل وقثم فقال: وما يدريك قال: أخبرني به ربي تعالى قال: فاشهد أنك صادق وأن لا إله إلا الله وأنك رسوله والله لم يطلع عليه أحد إلا الله ولقد دفعته إليها في سواد الليل قال العباس فأبدلني الله خيراً من ذلك فلي الآن عشرون عبداً إن أدناهم ليضرب في عشرين ألفاً وأعطاني زمزم ما أحب أن لي بها جميع أموال أهل مكة وأنا أنتظر المغفرة(1) أي: الموعدة.

وأفاد الأستاذ: أن الذي يعطيهم خير مما أخذ منهم يحتمل أن يكون في الآخرة من حسن الثواب ويحتمل أن يكون في الدنيا من جميل العوض ويقال ما يؤهلهم له من توفيق الطاعات وحلاوة الإيمان وهو خير مما أخذ منهم ويقال هو ما أعطاهم من الرضا بما كانوا فيه من الفقر بعدما كانوا أغنياء في حال الكفر.

﴿وَإِن يُرِيدُوا۟﴾ [الآية: 71] أي: الأسرى ﴿خِيَانَتَكَ﴾ [الآية: 71] نقض ما عاهدوك ﴿فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [الآية: 71] بنقض ميثاقه المأخوذ بالنقل والعقل حيث اختاروا الكفر والجهل ﴿مِن قَبْلُ﴾ [الآية: 71] أي: قبل بعثتك ﴿فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾ [الآية: 71] أي: فأمكنك منهم كما فعل يوم بدر بهم والمعنى وإن عادوا لخيانتك فيمكنك منهم كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ﴾ [الأنفال: 19] ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ [الإسراء: 8] ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ [الآية: 71] بأحوال العباد ﴿حَكِيمٌ﴾ [الآية: 71] فيما دبر

(1) تفسير النيسابوري (4/ 103)، والكشاف (2/ 387)، وتفسير أبي السعود (4/ 37)، وتفسير البيضاوي (1/ 123).

وقضى وأراد.

وقال الأستاذ: يريد وإن عادوا إلى قتالك بعدما مننت عليهم بالإطلاق وخانوا عهدك بالوفاق فالخيانة لهم دأب وطريقه غالباً ثم إنا نمكنك منهم ثانياً كما مكناك من أسرهم أولاً.

إن عادت العقرب عدنا لها وكانت النعل لها حاضرة[1]

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الآية: 72] أي: ثبتوا إيمانهم ﴿وَهَاجَرُواْ﴾ [الآية: 72] وتركوا أوطانهم حباً لله ولرسوله وهم المهاجرون من أصحابه ﴿وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ﴾ [الآية: 72] فصرفوها على مصالح الجهاد وأنفقوها على المحاويج من العباد ﴿وَأَنفُسِهِمْ﴾ [الآية: 72] فبذلوها بمباشرة القتال مع أعدائهم ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾
356/أ [الآية: 72] لأجل رضاه ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ﴾ [الآية: 72] هم الأنصار أو/ والمهاجرين إلى ديارهم ونصروهم على أعدائهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ [الآية: 72] مجموع الفريقين ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [الآية: 72] بالنصرة والمظاهرة ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ [الآية: 72] وقرأ حمزة بكسر الواو أي: فليست لهم هذه الموالاة ﴿حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ﴾ [الآية: 72] أي: استعانوا بكم لأجل الدين بسبب غلبة الكافرين ﴿فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ﴾ [الآية: 72] أي: فواجب عليكم أن تنصروهم على أعداء الدين ﴿إِلَّا عَلَىٰ قَوْمِۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾ [الآية: 72] عهد فإنه لا ينقض عهدهم بنصرهم عليهم ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الآية: 72] أي: عالم بأحوالكم ومطلع على جميع أعمالكم من القليل والكثير والنقير والقطمير.

وأفاد الأستاذ: أن كمال الهجرة مفارقة الأخلاق الذميمة وهجران النفس في ترك إجابتها إلى ما تدعو إليه من شهواتها الردية ومن ذلك هجران إخوان السوء والخروج والتباعد عن الأوطان التي باشر فيها الزلة ثم الهجرة من أوطان الحظوظ والنصيب إلى أوطان رضا الحق وأما قوله ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ﴾ [الآية: 74] فهم الذين يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة،

(1) نسب إلى الفضل بن العباس بن عتبة. انظر زهر الأكم (1/ 127).

وعوام هؤلاء في الأمور الدنيوية وخواصهم في الكرائم الأخروية وخاص الخاص في كل ما يصح فيه الإيثار من الأحوال السنية.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [الآية: 73] في المناصرة والمؤازرة وفي هذا تحريض للمؤمنين على المعاونة فإنهم أولى بالمعروف بمقتضى الديانة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه قطع العصمة بينهم وبين المؤمنين فالمؤمن للمؤمن مجانب وللأقارب مقارب والكفار بعضهم لبعض بحسب المراتب كما قيل طير السماء على أُلّافها تقع ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾ [الآية: 73] أي: ما أمرتم من قطع العلائق بينكم وبين الكفار ﴿تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية: 73] يحصل فتنة فيها عظيمة من ضعف الإيمان وقوة أهل الكفر والعدوان ﴿وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الآية: 73] أي: عظيم أو كثير مما يترتب عليه من أمر الأديان.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟﴾ [الآية: 74] أي: ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 74] أي: في طريق هداه وطلب رضاه ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟/ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ 356/ ب
حَقًّا﴾ [الآية: 74] أي: وهم المهاجرون والمجاهدون والناصرون عدلاً وصدقاً قال المفسرون: لما قسم الله المؤمنين ثلاثة أقسام بين الكاملين في الإيمان منهم ثم الذين حققوا إيمانهم بمقتضاه من الهجرة والمجاهدة وبذل المال ونصرة الحق في جميع الأحوال ووعد لهم الموعود العظيم بقوله: ﴿لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الآية: 74] لا تبعة له ولا منة فيه من النعيم المقيم ثم ألحق بهم في الأمرين من سيلحق بهم ويتسم بسُنَّتهم بقوله:

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ مَعَكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنكُمْ﴾ [الآية: 75] أي: من جملتكم أيها المهاجرون والأنصار حيث دخلوا في ملّتكم ووافقوا صفتكم وفي الحديث المتفق على صحته بل المتواتر معنى في قضيته المرء مع من أحب[1] وفي رواية من أحب قوماً حشر معهم[2].

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (6169)، ومسلم في الصحيح (2640/ 165).
(2) أخرجه الحاكم في المستدرك (3/ 18) رقم (4294)، وكشف الخفا (2/ 222) رقم (2353).

هذا وتفصيل المناقب مما يعرف في قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ [الحديد، الآية: 10] وفي قوله سبحانه: ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء، الآية: 95] ﴿وَأُوْلُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ [الآية: 75] أي: في التوارث من الأجانب كما كان في صدر الإسلام أن المهاجرين والأنصار كانوا يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الأقارب ﴿فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الآية: 75] أي: في حكمه وفي اللوح المحفوظ وفي القرآن المبين وهو دليل واضح على توريث ذوي الأرحام كما ذهب إليه علماؤنا الأعلام ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ﴾ [الآية: 75] بين المواريث بين الأنام والحكمة في إناطتها بنسبة الإسلام وجهة المصاهرة أولاً واعتبار القرابة ثانياً.

وقال الأستاذ: يريد من سلك مسلكهم في الحال ومن سيلحق بهم في الاستقبال ثاني الأحوال فالألفة تجمعهم والولاية تشملهم فلهم من الله في العقبى جزيل الثواب وجميل النجاة من العذاب وفي الدنيا التناصر والولاية والتقارب والمودة.

سورة [التوبة] براءة

[مدنية]

وهي مائة وثلاثون آية[1]

وإنما تركت التسمية فيها لأنها نزلت لرفع الأمان بها وبسم الله الرحمن الرحيم أمان فلا يلائم عنوان السورة بكتبها وهذا توجيه علي كرّم الله وجهه وقيل: لما اختلفت الصحابة في أن الأنفال/ والتوبة سورة واحدة وهي سابعة 357/ أ
السبع الطوال أو سورتان تركت بينهما فرجة لم تكتب البسملة[2].

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه جرد هذه السورة عن ذكر البسملة ليعلم أنه يخصّ من يشاء وما يشاء بما يشاء ويفرد من يشاء وما يشاء عما يشاء وليس لصنعه سبب ولا له في أفعاله عرض ولا أرب واتضح للكافة أن هذه الآية أثبتت حيث أثبتت في الكتاب لأنها منزلة وفي الأمر هنالك محصلة.

وأفاد الأستاذ: أن بعض السور المفتتح بذكر الكفار مثل قوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [محمد، الآية: 1] وقوله: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ [المسد، الآية: 1] ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ﴾ [الهمزة، الآية: 1] وأمثالها مما ثبتت البسملة في أوائلها إلا أنها ليس ذكر البراءة فيها صريحاً وإن تضمنته تلويحاً ويقال إذا كان تجرد السورة عن هذه الآية يشير إلى أنها لذكر الفراق فبالتحري أن يخشى ويمنع تجرد الصلاة عنها عن كمال الوصلة والاستحقاق.

﴿بَرَآءَةٌ﴾ [التوبة، الآية: 1] أي: هذه براءة واصلة ﴿مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الآية: 1] والمعنى أن الله ورسوله برئا من العهد الذي عاهدتم به من المشركين وإنما علقت البراءة بالله وبرسوله والمعاهدة للمسلمين الدلالة على أنه يجب عليهم نبذ عهود المشركين إليهم وإن كانت صادرة بإذن الله

(1) كذا في الأصل المخطوط.
(2) تفسير النيسابوري (4/ 108).

لهم واتفاق الرسول معهم فإنهما برئا منه وهم في حكمهما وتابع لصلحهما وحربهما وذلك أنهم عاهدوا مشركي العرب فنكثوا إلا ناساً منهم بني ضمرة وبني كنانة فأمرهم بنبذ العهد إلى الناكثين وأمهل الشركين أربعة أشهر ليسيروا أين شاؤوا بقوله:

﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ [الآية: 2] شوّال وذي العقدة وذي الحجة والمحرم لأنها نزلت في شوّال ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ﴾ [الآية: 2] أي: لا تفوتونه وإن أمهلكم ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الآية: 2] بالقتل والأسر في الدنيا والعذاب والحجاب في العقبى فلا يمهلهم ولا يتركهم سدى.

وأفاد الأستاذ: أن الفراق شديد وأشده أن لا يعقبه وصال وفراق المشركين كذلك لأنه قال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء، الآية: 48] ويقال من مني بفراق أحبابه فبئست صحبته أنه/ كان بين رسول الله ﷺ وبين 357/ب
أولئك المشركين عهد ولا شك أنهم كانوا قد وطنوا أنفسهم عليه فنزل الخبر من الغيب بغتة وأتاهم الإعلام بالفرقة فجأة فقال: ﴿بَرَآءَةٌ﴾ [الآية: 1] أي: هذه براءة كما قيل:

فبتنا بخير والدنيا مطمئنة ... فأصبحت يوماً والزمان تقلبا

وما أشد الفرقة لا سيما إذا كانت بغتة على غير ترقب قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ﴾ [مريم، الآية: 39] وأنشدوا:

فكان سراج الوصل أزهر بيننا ... فهبت به ريح من البين فانطفى[1]

ثم إنه سبحانه وإن قطع عنهم الوصلة فقد ضرب لهم المدة على وجه المهلة فأمنهم في الحال ليتأهبوا لتحمل مقاساة البراءة فيما يستقبلونه من الحال والإشارة فيه أنهم إن أقلعوا في مدة الإمهال عن الغي والضلال وجدوا في المآل ما فقدوا من الوصال وإن أبوا إلا التمادي في ترك الخدمة انقطع ما بينه وبينهم من العصمة وفي قوله: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ﴾ [الآية: 2] الآية من الإشارة أنهم

(1) ذكره القشيري في تفسيره (3/ 345) وعتده: لليلى.

إن أصررتم على قبيح آثاركم مشيتم إلى هلاككم بقدمكم وسعيتم في عاجلكم في دمكم وحصلتم في آجلكم على خسرانكم وندمكم وما خسرتم إلا في صفقتكم وما ضر جرمكم سواكم.

تبدلت وتبدلنا واحسرتا لمن ابتغى عوضاً لسلمى فلم يجد

﴿وَأَذَٰنٌ﴾ [الآية: 3] أي: فعال بمعنى الأفعال كالعطاء والأمان وهذا إيذان وإعلام ﴿مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ﴾ [الآية: 3] يوم العيد الأضحى لأن فيه تمام الحج ومعظم أفعاله ولأن الإعلام كان فيه حيث قام علي كرّم الله وجهه يوم النحر عند جمرة العقبة فقال: يا أيها الناس إني رسول الله إليكم فقالوا: بماذا؟ فقرأ عليهم ثلاثين أو أربعين آية ثم قال: أمرت بأربع أن لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة إلا كل نفس مؤمنة وأن يتم إلى كل ذي عهد عهده ولما روي أنه عليه السلام وقت يوم النحر عيد الجمرات في حجة الوداع فقال: هذا يوم الحج الأكبر وإنما وصف بالأكبر/ لأن العمرة تسمى بالحج الأصغر أو لأنه ظهر فيه عز المسلمين وذل 358/ أ
المشركين ﴿أَنَّ ٱللَّهَ﴾ [الآية: 3] أي: بأن الله ﴿بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الآية: 3] أي: من عهودهم ﴿وَرَسُولُهُۥ﴾ [الآية: 3] أي: كذلك أو هو عطف على المستكن في بريء.

وقال الأستاذ: أي ليكن إعلام من الله ورسوله للناس بنقض عهودهم وإعلان فيهم بأنهم [ما] فطموا عن مألوفهم من الإهمال ومعهودهم فقد برح الجفاء بأن ليس لهم ولا إذا لم يكن لهم فيما عقدوا وفاء وليعلم الكافة بأنهم أعداء فمن رأى من الأغيار شظية من الآثار ولم يرَ حصولها بتصاريف الأقدار فقد أشرك في التحقيق واستوجب هذه البراءة ومن لاحظ الخلق تصنعاً أو طالع نفسه إعجاباً فقد جعل ما لله لغير الله وظن ما من الله من غير الله فهو على خطر من الشرك بالله ﴿فَإِن تُبۡتُمۡ﴾ [الآية: 3] من الكفر والغدر ﴿فَهُوَ﴾ [الآية: 3] أي: الثواب ﴿خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ﴾ [الآية: 3] أي: دنيا وأخرى ﴿وَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ﴾

[الآية: 3] أي: أعرضتم عن التوبة وتبتم عن الحوبة ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِ﴾ [الآية: 3] لا تفوتونه طلباً ولا تعجزونه هرباً وهذا في الدنيا ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الآية: 3] في العقبى.

وقال الأستاذ: إن عادوا إلى الباب لم يقطع رجاءهم ومد إلى وضوح العذر إرجاؤهم وبين أنهم إن أصروا على عتوهم فإلى ما لا يطيقون من العذاب منقلبهم وفي النار مثواهم.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الآية: 4] استثناء من المشركين في قوله ﴿بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الآية: 3] في معنى الاستدراك مكانه قيل لهم بعد أن أمروا بنبذ العهد إلى الناكثين ولكن الذين عاهدوا منكم ﴿ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ شَيۡـٔٗا﴾ [الآية: 4] من شروط العهد ولم يظاهروا عليكم أحداً أي: من أعدائكم ولعل هذا تخصيص بعد تعميم للاهتمام به ﴿وَلَمۡ يُظَٰهِرُواْ عَلَيۡكُمۡ أَحَدٗا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ﴾ [الآية: 4] أي: إلى تمام مدتهم ولا تجروهم مجرى الناكثين لعهدتهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [الآية: 4] في ملتهم.

وأفاد الأستاذ: أن من وفى بحق عقده قدره على حفظ عهده إذ لا يستوي من وفاه ومن جفاه كما قيل:

وما سوِّي إذا اختلفتم ترك وفاء وحفظ عهد

358/ب / ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ﴾ [الآية: 5] أي: التي أبيح للناكثين أن سيحوا فيها ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الآية: 5] أي: الناكثين ﴿حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾ [الآية: 5] من حل ومن حرم ﴿وَخُذُوهُمۡ﴾ [الآية: 5] وأسروهم ﴿وَٱحۡصُرُوهُمۡ﴾ [الآية: 5] واحبسوهم ﴿وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ﴾ [الآية: 5] كل ممر لئلا ينبسطوا في البلاء ولا يفسدوا العباد.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أراد إذا انسلخ الحرم فاقتلوا من لا عهد له من المشركين فإنّهم وإن لم يكن لهم عهد وكانوا حرماً جعل لهم من الأمان في مدة هذه المهلة شعباً فكيف يأمر بترك قتال من أبى وكيف يرضى بقطع

وصال من أتى.

ثم أفاد فيما أجاد: أنه سبحانه أمرهم بجميع أنواع معالجة قتال الأعداء وأعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك فسبيل العبد في مباشرة الجهاد الأكبر في النفس بتضييق النفس عليه بالمبالغة في جميع أنواع الرياضات واستفراغ الوسع في القيام بصدق المعاملات ومن تلك الجملة أن لا ينزل بساحات الرخص والتأويلات أو يأخذ بالأشق في جميع الحالات ﴿فَإِن تَابُوا۟﴾ [الآية: 5] رجعوا عن الشرك بالإيمان ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [الآية: 5] أي: وقاموا بالعبادة البدنية والطاعة المالية تصديقاً لما بهم من الإيقان ﴿فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾ [الآية: 5] أي: فاتركوا سبيل تعرضهم بالإساءة إليهم واشهدوا لهم بالإحسان ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الآية: 5] غفر لهم ما مضى من المعصية رحيم فيما بقي بتوفيق الطاعة وتحقيق المعصية وفيه دليل على أن تارك الصلاة ومانع الزكاة لا يخلى سبيله بل يجب التعرض له بما يقتضي زجره.

وأفاد الأستاذ: أن حقيقة التوبة هي الرجوع بالكلية من غير أن يترك بقية فإذا أسلم الكافر بعد شركه ولم يقصر في واجب عليه من قسمي فعله وتركه حصل الإذن في تخلية سبيله وفكه.

إن وجدنا لما ادعيت شهوداً   ولم تجد عندنا لحق حدوداً

وكذلك النفس إذا انخنست وآثار البشرية إذا اندرست فلا حرج في التحقيق في المعاملات في أوان مراعاة الخطرات مع الله عند حصول
359/ أ المكاشفات والجلوس/ مع الله أولى من القيام بباب الله قال الله تعالى فيما ورد به الخبر اللدني أنا جليس من ذكرني(1).

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الآية: 6] أي: المأمور بالتعرض لهم ﴿ٱسْتَجَارَكَ﴾ [الآية: 6] أي: استأمنك وطلب جوارك ﴿فَأَجِرْهُ﴾ [الآية: 6] فأمنه في ديارك ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 6] أي: بتدبره ويطلع على حقيقة أخباره ﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ [الآية: 6] أي: أوصله موضع أمنه إن لم يسلم بطيب قلبه ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 6] الأمن

(1) سبق تخريجه.

﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 6] ما الإيمان فلا بد من الإيمان مقدار ما يسمعون ويتأملون.

وأفاد الأستاذ: أن المؤمن استعاذ طول عمره من الفراق حتى لا يمنع عن سماع كلام الله وحتى لا يكون في زمرة من يقول لهم ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون، الآية: 108] وإذا قال اليوم لأعدائه ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [الآية: 6] وإن لم يؤمن بعد سماع كلامه نهي عن تعرضه بقوله ﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ [الآية: 6] أترى أنه لا يؤمن أولياءه غداً من فراقه وقد عاشوا اليوم على إيمانه ووفاقه وكلا إنّه يمتحنهم بذلك قال تعالى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء، الآية: 103] ثم قال ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 6] فإذا كان هذا أمره فيمن لا يعلم فكيف بأمره بمن يعلم قيل:

ومتى يضيع من ينيخ ببابنا والمعرضون لهم نعيم وافر

﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ﴾ [الآية: 7] إنكار واستبعاد لأن يكون عهد ثابت مع وغرة صدورهم للمؤمنين ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [الآية: 7] استثناء منقطع أي: ولكن الذين عاهدتم عند الحرم المحترم منهم فتربصوا أمرهم وانتظروا عهدهم كما دل عليه قوله: ﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾ [الآية: 7] أي: فاستقاموا على العهد فاستقيموا على الوفاء بالوعد وهو قوله سبحانه ﴿فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ﴾ [الآية: 4] غير أنه مطلق وهذا مقيد بالاستقامة ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الآية: 7] ما يخالف الديانة.

وقال الأستاذ: كيف يكون المفلس من عرفانه كالمخلص في إيمانه وكيف يكون المحجوب عن شهوده كالمستهلك في وجوده وكيف يكون من يقول أنا كمن يقول أنت/ وأنشدوا: 359/ب

فأحبابنا شتان وافٍ وناقض ولا يستوى قط المحب وباغض(1)

ثم إن تمسكوا بحبل وفائنا أحللناهم في ظل ولائنا وإن زاغوا عن عهدنا أبليناهم بصدنا ثم لم يربحوا على بعدنا والمتقي الذي يستحق محبته من يتقي

(1) ذكره القشيري في تفسيره (3/ 68) و(3/ 299) و(6/ 336).

محبة نفسه فإذا اتقى محبة نفسه قال: بترك حظه وقام بحق ربه.

﴿كَيْفَ﴾ [الآية: 8] تكرار لاستبعاد ثباتهم على عهدهم ونفي حكمهم مع وعدهم ﴿وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ [الآية: 8] أي: وحالهم معكم أنهم إن يظهروا عليكم ويغلبوا عليكم ﴿لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ﴾ [الآية: 8] لا يراعوا في حقكم ﴿إِلًّا﴾ [الآية: 8] حلفاً ولا قرابة ولا تربية ﴿وَلَا ذِمَّةً﴾ [الآية: 8] عهداً أو حقاً أو حرمة.

وأفاد الأستاذ: أن الله سبحانه وصفهم بلؤم الظفر وفي هذا إشارة إلى أن الكريم إذا ظفر غفر وإذا قدر ما غدر بل ما غادر فيما سر وبرّ ﴿يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ [الآية: 8] أي: بألسنتهم والجملة استئناف لبيان حالتهم المنافية لثباتهم على العهد المؤدية إلى عدم مراقبتهم عند الظفر للوعد ﴿وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ﴾ [الآية: 8] أي: ما يتفوه به أفواههم ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الآية: 8] متمردون لا عقيدة تردعهم ولا مروءة تمنعهم من يتحامى عن الغدر فقليل منهم.

وأفاد الأستاذ: أنه لا عجب من صنيعهم فإنّهم في حقنا كذلك يفعلون يظهرون الإيمان ويضمرون الكفران كذلك يعيشون معكم في زي الوفاق ويستبطنون عين الشقاق وسوء النفاق.

﴿اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ [الآية: 9] أي: اختاروا على طريق رضاه وسبيل هداه ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [الآية: 9] عرضاً يسيراً وعوضاً حقيراً من لذات الدنيا وشهوات النفس والهوى ﴿فَصَدُّوا عَن سَبِيلِهِ﴾ [الآية: 9] أي: فاعرضوا بأنفسهم ومنعوا غيرهم عن الوصول إلى دينه النافع لهم في الدنيا والعقبى ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 9] من مخالفة التقوى وموافقة الهوى.

وأفاد الأستاذ: أن من رضي من الله بغير رضاه أرخص في صفقته ثم إنه خسر في تجارته فلا له بما آثر على الله استماع ولا في دونه سبحانه له إقناع بقي عن الله ولم يستمتع بغير الله هذا هو الخسران المبين.

360/أ ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا/ وَلَا ذِمَّةً وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾ [الآية: 10] في عدم المراقبة ونقض المعاهدة قيل: الأول عام في المنافقين وهذا خاص باليهود والمنافقين.

وقال الأستاذ: من لا يراعي حق الله كيف يراعي حق الخلق في الله إن أخلاقهم لتشابهت في ترك الحرمة.

﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾ [الآية: 11] أي: فهم إخوانكم في الدين لهم ما لكم وعليهم ما عليكم.

وقال الأستاذ: معناه إن قبلناهم وصلحوا لولائنا فلحمة النسب ﴿فِي ٱلدِّينِ﴾ [الآية: 11] بينكم وبينهم واشجة وإلا فليكن الأجانب منا على جانب منكم ﴿وَنُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 11] جملة اعتراضية بين الشرطية الماضية والآتية للتأمل على ما فصل من أحكام المعاهدين وخصال التائبين.

﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُم﴾ [الآية: 12] أي: نقضوا ما بايعوا عليه من أيمانهم ونقضوا وفاءهم بعهودهم ﴿مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ﴾ [الآية: 12] بتصريح الكذب وتقبيح الحكم ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ﴾ [الآية: 12] أي: رؤوساءهم فإن قتلهم أهم والمنع من مراقبتهم أتم وفيه دليل على أن الذمي إذا طعن في الإسلام فقد نكث عهده في الاحتكام ثم محل بيان الهمزتين للقراء كتبهم المبسوطة في بيان كيفية الأداء وتواضيح تحقيق البناء ﴿إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ﴾ [الآية: 12] على الحقيقة وإلا لما طعنوا ولم ينكثوا العقدة وقرأ ابن عامر لا إيمان بالكسر بمعنى لا أمان أو لا إسلام أو ليس لهم إيمان فيراقبوا لأجله وقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾ [الآية: 12] متعلق بقاتلوا أي: ليكن غرضكم في المقاتلة أن ينتهوا عماهم عليه من المخالفة لا مجرد إيصال الأذية.

وقال الأستاذ: إن جنحوا إلى الغدر ونكثوا ما قدموه من ضمان الوفاء بالعهد وبسطوا ألسنتهم فيكم باللوم فاقصدوا من رحى الفتنة عليه تدور وغصن الشر من أصله ينشعب وهم سادة الكفار وقادتهم وحق القتال أعداء القوة جهراً والتبري من الحول والقوة سراً.

﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ﴾ [الآية: 13] دخلت الهمزة على النفي للأفكار فأفادت المبالغة في العقل المختار والمعنى بالغوا في أن تقاتلوا ﴿قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ﴾ [الآية: 13] التي حلفوها مع الرسول/ والمؤمنين على أن لا يعاونوا عليهم ولا 360/ب

على مخالفيهم المشركين فعاونوا بني بكر على خزاعة بعد صلح الحديبية ﴿وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ﴾ [الآية: 13] من مكة حين تشاوروا في أمره بدار الندوة وثم قيل هم اليهود نكثوا عهد الرسول وهموا بإخراجه من المدينة ﴿وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الآية: 13] بالمعاداة والمقاتلة فإنه عليه السلام بدأهم بالدعوة وإلزام الحجة بإتيان الكتاب والتحدي به على جهة المعجزة فعدلوا على معارضته إلى المعاداة فما يمنعكم أن تعارضوهم وتصادموهم بالغلبة ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ﴾ [الآية: 13] أي: أتتركون قتالهم مخافة أن يصيبكم مكروه منهم ﴿فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ﴾ [الآية: 13] فقاتلوا أعداءه ولا تتركوا قضاه ورضاه ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 13] فإن قضية الإيمان أن لا يخشى العبد إلا من مولاه ولا يلتفت إلى ما سواه.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه حرضهم على القتال على ملاحظة أمر الله بذلك لا على الانطواء على الحقد في أحد فإن من غضب لنفسه فمذموم الوصف ومن غضب لله فإن نصر الله قريب والخشية من الله بشير الوصلة والخشية من غير الله نذير الفرقة وحقيقة الخشية تقبض السر عن ارتكاب الزجر ومخالفة الأمر.

﴿قَاتِلُوهُمْ﴾ [الآية: 14] أي: أمروهم بالقتال بعد بيان موجبه والتوبيخ والتوعيد على تركه ﴿يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ﴾ [الآية: 14] يذلهم ﴿وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية: 14] وعدلهم إن قاتلوهم بالنصر عليهم والمتمكن من قتلهم وإذلالهم ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 14] يعني بني جذاعة ﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ [الآية: 15] لما لقوا منهم وقد أوفى الله بما وعدهم فالآية من المعجزات حيث تحقق ما أخبرت به من المغيبات ﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ﴾ [الآية: 15] ابتداء إخبار بأن بعضهم يتوب عن كفره وكان ذلك أيضاً كذلك في آخر أمره ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ [الآية: 15] بما كان وما سيكون من القضية ﴿حَكِيمٌ﴾ [الآية: 15] لا يفعل ولا يحكم إلا على وفق الحكمة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه هون عليهم كلفة المخاطرة بالمهجة بما

وعدهم من الظفر والنصر فإن شهود خزي العدو مقاساة الضر والسوء والظفر
361/ أ بالأرب يذهب تعب الطلب/ وشفاء صدور المؤمنين على حسب مراتبهم في المقام ودرجات اليقين فمنهم من شفا صدره في قهر عدوه ومنهم من شفي صدره في نيل مرجوه ومنهم من شفي صدره في الظفر بمطلوبه ومنهم من شفي صدره في لقاء محبوبه ومنهم من شفي صدره في درك مقصوده ومنهم من شفي صدره بلقاء معبوده وكذلك ذهاب غيظ قلوبهم تختلف أسبابه ويتنوّع أبوابه وفيما ذكرنا تلويح لما تركنا ويتوب الله على من يشاء حتى يكون استقلاله بمحول الأحوال لا بصفاء الأحوال.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ [الآية: 16] خطاب للمؤمنين حيث كره بعضهم القتال وأم منعطفة بمعنى بل والهمزة وهي فيها للتوبيخ على الحسبان ﴿أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ﴾ [الآية: 16] أي: ولم يتبين الخلص منكم والذين جاهدوا من غيركم ونفى العلم وأراد المعلوم للمبالغة فإنه كالبرهان عليه من حيث أن تعلق العلم به مستلزم لوقوعه أو المراد علم ظهوره وتنجيزه المترتب عليه الجزاء في حكمه ويشير إليه التغيير بلما المتوقع حصول منفيه ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟﴾ [الآية: 16] عطف على جاهدوا داخل في الصلاة ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾ [الآية: 16] بطانة ويفشون إليهم أسرارهم ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 16] أي: بأعمالكم وبصير بأحوالكم.

وأفاد الأستاذ: أن من ظن أنه يقنع منه بالدعوى دون التحقق بالمعنى فهو على غلط من حسبانه وفي غفلة من حسبانه والذي طالبهم به من حيث الأمر صدق المجاهدة في الله وترك الركون إلى غير الله والتباعد عن مساكن أعداء الله ثقة بالله واكتفاءً بالله وبالتبري عن غير الله وهذا هو الذي أمرهم بأن لا يتخذوا من دون المؤمنين وليجة والمعنى في ذلك كي لا يفشوا في الكفار أسرار المسلمين وأولى من يهجره المسلم لئلا يطلع على أسرار نفسه التي هي أعدى عدوه وفي هذا المعنى قال قائلهم:

كتابي إليكم بعد موتي بليلة ولم أدر أني بعد موتي أكتب

والذي في الحكاية أنه قال أبو يزيد فيما يخبر أنه قال للحق في بعض أوقات مكاشفته كيف أطلبك فقال: فارق نفسك ويقال:/ ولا يتم ذلك بل 361/ ب
يحصل منه شظية إلا بكيّ عروق الأطماع والمطالبات لا في الدنيا ولا في العقبى ولا في رؤية الحال والمقام ولو بسينة والحرية عزيزة قال قائلهم:

أتمنى على الزمان محالاً أن ترى مقلتاي طلعة حر

﴿وَمَا كَانَ﴾ [الآية: 17] ما صح ﴿لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾ [الآية: 17] شيئاً من المساجد فضلاً عن المسجد الحرام وقيل: هو المراد وجمع لأنه قبلة المساجد أو لكبره في المشاهدة أو لأن جهاته الأربع مساجد فعامره كعامر الجميع في خدمة الواحد ويدل عليه قراءة ابن كثير وأبي عمرو بالتوحيد ﴿شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ﴾ [الآية: 17] أي: بإظهار الشرك وتكذيب الرسول عليه السلام وهو حال من الواو والمعنى ما استقام لهم أن يجمعوا بين أمرين متنافيين عمارة بيت الله وعبادة ما سواه ﴿أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ [الآية: 17] حيث لم يكن على وفق رضائه ﴿وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ [الآية: 17] محجوبون عن لقائه.

وأفاد الأستاذ: أن عمارة المساجد بإقامة العبادة فيها والعبادات لا تقبل إلا بخلوص النيات والمشرك فاقد الإخلاص فهو بمعزل عن مقام الاختصاص.

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [الآية: 18] اكتفى بطرفي المؤمن به عما بقي من أنواعه ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ﴾ [الآية: 18] خصنا بالذكر من بين الأمور الدينية لأنهما أُمّا العبادات الدينية والمالية والمعنى إنما يستقيم عمارتها لهؤلاء الجامعين للفضائل العملية والفواضل العملية ومن عمارتها تزيينها بالفرش وتنويرها بالسرج وتنظيفها وتطييبها وإدامة العبادة والذكر وإفادة العلم فيها وصيانتها مما لا تبين له كحديث الدنيا ومتعلقاتها فقد روي قال الله تعالى أن بيوتي في أرض المساجد وأن زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر من بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور أن يكرم زائره ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾

[الآيـة: 18] أي: فـي سـبيـل هـداه وطـريـق رضـاه ﴿فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [الآية: 18] إلى وصول لقائه وحصول بقائه وفي التغيير بصفة التوقع
362/ أ تنبيه/ نبيه للمؤمنين أن لا يغتروا بأحوالهم ولا يتكلوا على أعمالهم.

وقال الأستاذ: لا يكون عمارة المساجد إلا بتخريب أوطان البشرية فعمارة العابد المساجد بتخريب أوطان شهوته والزاهد يعمرها بتخريب أوطان منيته والعارف يعمرها بتخريب أوطان علاقته والموحد يعمرها بتخريب أوطان ملاحظته ومساكنته وكذلك رتبتهم في الإيمان مختلفة فإيمان من حيث البرهان وإيمان من حيث البيان وإيمان من حيث العيان وشتانهم ما هم قال قائلهم:

لا تـعـرضـن لـذكـرنـا فـي ذكـرهـم ليس الصحيح إذا مشى كالمقعد

﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 19] أي: كإيمان من آمن والمعنى إنكار أن يكون أفعال المشركين المحبطة حاوية لأعمال المؤمنين المثبتة ﴿لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 19] تقرير لما سبق وزيادة تحرير فيما ألحق به ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية: 19] إلى طريق الحق وكيف يستوي من هدي إلى صوب بساط الصواب ومن طرد عن الباب وبعد الحجاب والآية نزلت كما روي أنه لما أسر العباس عيره المسلمون بالشرك وقطيعة الرحم وأغلظ له علي رضي الله عنه في القول فقال العباس ما لكم تذكرون مساوءنا وتكتمون محاسننا إنما نعمر المسجد[1] الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني.

وقال الأستاذ: ليس من قام بمعاملة ظواهره كمن استقام في مواصلة سرائره ولا من اقتبس من سراج معالمه كمن استبصر بشموس معارفه ولا من نصب بالباب من حيث الخدمة كمن مكن من البساط من حيث القربة وليس نعت من تكلف بها نفاقاً كوصف من تحقق بها وفاقاً بينهما بون بيّن.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 20] أعلى رتبة وأكثر كرامة ممن لم يستجمع هذه الصفات الحميدة

(1) في المخطوطة مساجد.

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾ [الآية: 20] بحصول المثوبة ووصول القربة.

وقال الأستاذ: آمنوا بأن شاهدوا بأنوار بصائرهم حتى لم يبق في سماء يقينهم سحاب ريب ولا/ في هواء معارفهم ضباب شك وهاجروا فلم يعرجوا 362/ ب
في أوطان التفرقة فتمحصت حركاتهم وسكناتهم بالله وجاهدوا لا لملاحظة غرض أو مطالعة عوض فلم يدخروا لأنفسهم من ميسورهم شيئاً إلا آثروا الحق به عليهم وظفروا بالبغية من مقامهم بالحق بعد فنائهم من الخلق.

﴿يُبَشِّرُهُمۡ﴾ [الآية: 21] وقرأ حمزة يبشرهم بضم الشين من البشارة ﴿رَبُّهُم بِرَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَرِضۡوَٰنٖ وَجَنَّٰتٖ لَّهُمۡ فِيهَا﴾ [الآية: 21] في الجنات ﴿نَعِيمٞ مُّقِيمٌ﴾ [الآية: 21] دائم.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾ [الآية: 22] يستحقر دونه ما استوجبوه لأجله ولعله إشارة إلى الحديث القدسي والكلام الأنسي أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر[1].

وأفاد الأستاذ: أن البشارة من الله على قسمين بشارة بواسطة الملك عند التوفي في ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: 30] وبشارة بلا واسطة بقول الملك ﴿يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم بِرَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَرِضۡوَٰنٖ﴾ [الآية: 21] وذلك عند الحساب يبشرهم بلا واسطة بحسن التولي فعاجل بشارتهم بنعمة الله وآجل بشارتهم برحمة الله فشتان ما بينهما ويقال البشارة بالنعمة والجنة لأصحاب الإحسان والبشارة بالرحمة لأرباب العصيان فأصحاب الإحسان صلح أمرهم للشهرة فأظهر أمرهم للملك حتى بشروهم جهراً وأهل العصيان لم يصلح أحوالهم لا للستر فتولى بشارتهم من غير واسطة ليس ستراً ويقال إن كان للمطيع بشارة بالاختصاص فإن للعاصي بشارة بالخلاص وإن كان للمطيع بشارة بالدرجات فإن للعاصي بشارة بالخلاص بالنجاة ويقال: إن القلوب مجبولة على محبة من بشر بالخير فأراد الحق سبحانه أن يكون محبة العبد له سبحانه على الخصوص فتولى بشارتهم بعزيز خطابه من غير واسطة فقال

(1) سبق تخريجه.

﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ﴾ [الآية: 21] وفي معناه أنشدوا:

لولا تمتع مقلتي بلقائه لوهبتها لمبشري بإيابه[1]

363/ أ ويقال بشر العاصي بالرحمة والمطيع بالرضوان ثم الكافة بالجنة فقدم/ العاصي في الذكر وقدم المطيع في البر فالذكر قوله وهو قديم والبر طوله وهو عميم وقوله الذي لم يزل أعز من طوله الذي حصل لا لتقديم العصاة على المطيعين ولكن لضعفهم والضعيف أولى بالرفق من القوي ويقال تقدم أمر العاصي بالرحمة حتى إذا كان يوم العرض وحضور الجمع لا يفتضح العاصي ويقال ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ﴾ [الآية: 21] يعرفهم أنهم لم يصلوا إلى ما وصلوا من نيل تلك الدرجات لسعيهم وطاعتهم ولكن برحمته سبحانه وصلوا إلى طاعتهم لا بطاعته وصلوا إلى نعمته قال رسول الله ﷺ ما منكم من أحد ينجيه عمله قالوا: ولا أنت يا رسول الله قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته[2] وقوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ [الآية: 21] قوم نعيمهم عطاء ربهم على وصف التمام وقوم نعيمهم لقاء ربهم على نعت الدوام فالعابدون لهم تمام عطائه والعارفون لهم دوام لقائه ثم قال ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [الآية: 22] الكناية في قوله: فيها كما يرجع إلى الجنة يصلح أن يرجع إلى الحالة لا سيما وقد ذكر الأجر بعدها فكما لا ينقطع عطاؤه عنهم في الجنة لا يمتنع عنهم لقاؤه متى شاؤوا في الجنة قال الله تعالى: ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ [الواقعة، الآية: 33] لا مقطوعة عنهم نعمته ولا ممنوعة منهم رؤيته.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [الآية: 23] يمنعونكم عن الإيمان ويحملونكم على العصيان ﴿إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ﴾ [الآية: 23] اختار الكفر المقتضي للهجران على الإيمان الموجب للأمان ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الآية: 23] بوضع الموالاة موضع العادات.

(1) ذكره القشيري في تفسيره (3/ 81)، وذكر في نهاية الأرب (2/ 416)، والمنتحل (1/ 60).
(2) سبق تخريجه.

وأفاد الأستاذ: أن من لا يصلح بطاعة ربك لا تستخلصه لصحبة نفسك.

﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ﴾ [الآية: 24] أقاربكم مأخوذ من العشرة وقيل: من العشيرة وقرأ أبو بكر عشيراتكم وقريء عشايركم ﴿وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا﴾ [الآية: 24] أي: اكتسبتموها ﴿وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا﴾ [الآية: 24] فوات وقت رواجها أو تخافون فناءها ﴿وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ﴾ [الآية: 24] ترضونها تحبون سكناها ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الآية: 24] / أي: 363/ ب
من أمره وحكمه في دينه ﴿وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ﴾ [الآية: 24] خص للاهتمام بشأنه ﴿فَتَرَبَّصُوا۟﴾ [الآية: 24] انتظروا عاقبته ﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [الآية: 24] إما بلية عاجلة وإما عقوبة آجلة ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الآية: 24] لا يرشدهم إلى طريق المحبة الحقيقية الموحية للنعمة السرمدية والمراد بما سبق حب الاختياري دون الطبيعي الاضطراري إذ لا يدخل تحت الحكم التكليفي.

وأفاد الأستاذ: أن علامة الصدق في التوحيد قطع العلاقات ومفارقة العادات وهجران المعارف والاكتفاء بالله على دوام الحالات ويقال: من نفق سوق دينه كسدت أسواق حظوظه ما لم يخل منك منازل الحظوظ لا يعمر بك مشاهد الحقوق انتهى وقد قيل: من رق ثوبه رق دينه.

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾ [الآية: 25] أي: أوقات متعددة كبدر وأحد والأحزاب وفتح مكة ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ [الآية: 25] وهو وادٍ بين مكة والطائف ﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ [الآية: 25] إذا المسلمون يومئذٍ اثنا عشر ألفاً والكفار أربعة آلاف فلما التقوا قال بعض أصحاب رسول الله ﷺ لن نغلب اليوم من قلة إعجاباً بكثرتهم فانهزم أكثرهم وكان عمه العباس أخذ بلجام بغلته وابن عمه أبو سفيان وابن الحارث أخذ بركابه وناهيك بهذا شهادة على تناهي شجاعته فقال للعباس صِح بالناس يا أصحاب الشجرة يا أصحاب سورة البقرة فقالوا: يا عباد الله هلموا إلى رسول الله ﷺ فكروا بعدما فروا قائلين لبيك لبيك ونزلت الملائكة نصرة للمؤمنين فالتقوا مع المشركين ثم أخذ كفاً من التراب فرماها في وجوههم

فقال: شاهت الوجوه ثم قال: انهزموا ورب الكعبة فانهزموا(1) ﴿فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا﴾ [الآية: 25] أي: كثرتكم شيئاً من الأغنياء أو من أمر الأعداء ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ [الآية: 25] أي: ببرحها وسعتها لا يجدون فيها مقراً يثبتون بها ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم﴾ [الآية: 25] أي: الكفار ظهوركم ﴿مُّدْبِرِينَ﴾ [الآية: 25] أي: قاصدين الفرار منهزمين والإدبار بالذهاب إلى خلف خلاف الإقبال.

وأفاد الأستاذ: أن النصرة من الله في شهود القدرة والمنصور من يأخذ
364/أ الحق سبحانه بيده/ فيخرجه من مهواة تدبيره ويوقفه على وصف التبصر بقضاء شهود تقديره.

﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ﴾ [الآية: 26] رحمته التي سكنوا إليها واطمأنوا بها وآمنوا فيها ﴿عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا﴾ [الآية: 26] من الملائكة ﴿لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [الآية: 26] بأعينكم ﴿وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الآية: 26] بالقتل والأسر والسبي ﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [الآية: 26] في الدنيا ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [طه، الآية: 127] قال بعضهم: السكينة التي أنزلها على رسوله وهو سكون قلبه مع ربه بلا علاقة غيره والسكينة التي أنزلها على المؤمنين هو سكون قلوبهم بما يأتيه نبيهم من عند ربهم من وعد ووعيد وترغيب وترهيب ذكر السلمي.

﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ [الآية: 27] منهم بتوفيقه للإسلام ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ [الآية: 27] بالتجاوز عنهم ﴿رَّحِيمٌ﴾ [الآية: 27] بالتفضل عليهم.

وأفاد الأستاذ: أن السكينة هي الطمأنينة والخمود آثار البشرية بالكلية والرضا بما بدا من عالم القضاء من غير معارضة اختيار ودعوى اقتدار وأنزل جنوداً لم تروها وفود اليقين وزوائد الاستبصار في أمر الدين وعذب الذين كفروا بالتطوح في متاهات التفرقة والسقوط في وهدة ضيق التدبير ومحنة الغفلة والغيبة عن شهود التقدير ثم يتوب الله بأن ردهم من الجهل عن حقائق

(1) أخرجه مسلم في الصحيح (1775/ 76)، والدارمي في السنن (2/ 289) رقم (2452)، وابن حبان في الصحيح (14/ 450) رقم (6520).

العلم ثم نقلهم من تلك المنازل إلى مشاهد اليقين ثم رقاهم عن تلك الجهلة بما لقيهم به من عين الجمع.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [الآية: 28] لخبث بواطنهم ولو نطقت ظواهرهم ﴿فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾ [الآية: 28] لنجاستهم أو للمنع في دخول الحرم أو المراد به النهي عن الحج والعمرة لا عن مطلق الدخول وإليه ذهب أبو حنيفة وقاس مالك سائر المساجد على المسجد الحرام في المنع والنهي عن الاقتراب للمبالغة ﴿بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾ [الآية: 28] يعني سَنَة براءة وهي التاسعة وقيل: سنة حجة الوداع قيل: فيه دليل على الكفار يخاطبون بالفروع وقد يقال المعنى لا تمكنوا الكفار بأهل الإسلام من دخول الحرم الحرام ولو بقصد الإحرام ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ [الآية: 28] فقراً وحاجة بسبب منعهم من الحرم وانقطاع ما كان لكم من قدومهم من المكاسب والانتفاع/ بأنواع الرفق من الجوانب ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [الآية: 28] أي: عطاءه ﴿إِن شَآءَ﴾ [الآية: 28] أي: على وفق قضائه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الآية: 28] في منعه وعطائه. 364/ ب

وأفاد الأستاذ: أنهم فقدوا طهارة الأسرار بماء التوحيد فبقوا في قذرات الظنون والأوهام فمنعوا قربان المساجد التي هي مشاهد القرب وأما المؤمنون فطهرهم عن التدنس بشهود الأغيار فطالعوا الحق فرداً فيما يبينه من الأمر ويمضيه من الحكم ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ [الآية: 28] توقع الإفقار من الأسباب من قضايا انغلاق باب التوحيد ومن لم يفرد معبوده بالقسمة بقي في فقر سرمد يقال: من أناخ بعفوة كرم مولاه واستمطر سحاب جوده، أغناه عن كل سبب وكفاه كل تعب وقضى له كل سؤل وأرب وأعطاه من غير طلب.

﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ﴾ [الآية: 29] فإيمانهم كلاً إيمان للنقصان في مراتب الإيقان ﴿وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ [الآية: 29] أي: ما ثبت تحريمه بالكتاب والسُّنَّة على الأعيان ﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ﴾ [الآية: 29] أي: الثابت الذي هو ناسخ سائر الأديان ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الآية:

29] بيان للذين لا يؤمنون ﴿حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ﴾ [الآية: 29] ما تقرر عليهم أن يعطوه من الكلية والجزئية ﴿عَن يَدٖ﴾ [الآية: 29] قاهرة عليهم بالغلبة ﴿وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾ [الآية: 29] في غاية من المذلة.

وأفاد الأستاذ: أن من استوجب الهوان لا ينجيك من شره غير ما يستحقه من الإذلال على صغره ومن داهن عدوه فالتحري أن يلقي سوءه ومن أشد الناس عداوة لك نفسك المجبولة على الشر فلا تفلح معها إلا بذبحها بمدية المجاهدة فإنها لا تؤمن بالتقدير ولذلك تخلد إلى التدبير ولا يسكن إلا بوجود المعلوم يعني ومن المعلوم شؤم فإنه في الحقيقة مجهول وموهوم.

﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 30] قرأ عاصم والكسائي بتنوين عزير على أنه عربي مخبر عنه بابن عير موصوف به وحذفه في القراءة الأخرى بمنع صرفه بالعجمة والعلمية ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ﴾ [الآية: 30] لأنه مجرد قول خال عن بيان البرهان يوجد في
365/أ الأفواه ولا/ يوجد مفهومه في الأعيان ﴿يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ﴾ [الآية: 30] المضاهاة المشابهة والهمزة فيه لغة وبه قرأ عاصم أي: يضاهي قولهم قول الكفار من قبلهم والمراد قدماً واهم على معنى أن الكفر قديم فيهم ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ﴾ [الآية: 30] دعا عليهم بالإهلاك فإن من قاتله الله هلك أو أنشأ للإخبار بسوء حالهم في مآلهم أو تعجب من شناعة أقوالهم ويؤيده قوله: ﴿أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾ [الآية: 30] كيف يصرفون عن الحق إلى الباطل المحق.

﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ﴾ [الآية: 31] علماءهم ﴿وَرُهۡبَٰنَهُمۡ﴾ [الآية: 31] عبادهم ﴿أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 31] بأن أطاعوهم في سبيل هداه وطريق رضاه ﴿وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ﴾ [الآية: 31] بأن جعلوا أنبياء الله ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ﴾ [الآية: 31] أي: المتخذون والمتخذون أجمعوا ﴿إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ﴾ [الآية: 31] ليطيعوا ﴿إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ﴾ [الآية: 31] وهو الله وأما طاعة الرسل وسائر من أمر الله بطاعته فهو في الحقيقة طاعة ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ﴾ [الآية: 31] استئناف منذر بالتوحيد ومحرر للتقرير ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [الآية: 31] قال بعضهم سكنوا

إلى أمثالهم وطلبوا الحق من غير مظانه وطريق الحق واضحة لمن كحل بنور التوفيق وبصر سبل التوفيق ومن عمي عن ذلك كان مردوداً من طريق الحق إلى طريق الأجناس من الخلق ذكره السلمي.

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ﴾ [الآية: 32] يخمدوا ﴿نُورَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 32] حجة الإله على وحدانيته المقرونة بصحة نبوة محمد ﷺ ورسالته ﴿بِأَفۡوَٰهِهِمۡ﴾ [الآية: 32] بأقوالهم الباطلة وحججهم الداحضة ﴿وَيَأۡبَى ٱللَّهُ﴾ [الآية: 32] أي: يمتنع ولا يرضى ﴿إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾ [الآية: 32] بإعلاء التوحيد وإعذار أهل التفريد ﴿وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [الآية: 32] الكافرون حذف جوابه لدلالة ما قبله أو لو بمعنى أن الوصلية.

وأفاد الأستاذ: أن من رام أن يستر شعاع الشمس بدخان ما يوقده من نيرانه أو عالج أن يمنع حكم السماء بمحن تدبيره أو يسقط نجوم الفلك بسهام قوسه أظهر رعونته ثم لم يحظ بمراده كذلك من توهم أن سُنَّة التوحيد يعلوها وهج شبهة فقد أخلّ في ظنه وافتضح في وهمه.

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ﴾ [الآية: 33] ليعلي دينه أو يغلّب رسوله ﴿عَلَى ٱلدِّينِ/ كُلِّهِۦ﴾ [الآية: 33] أي: الآيات جميعها بنسخ 365/ ب
أحكامها أو بنصر رسوله على جميع أهلها ﴿وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾ [الآية: 33] والمراد بالكافرين ثمة أهل الكتاب وقدموا لكونهم أهل الخطاب أو تخصيص بعد تعميم باب الإطناب.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أزاح العلل بما ألاح من الحجج وأزال الشبهة بما أوضح من النهج فشموس الحق طالعة وأدلة الشرع لامعة كما قال:

هي الشمس إلا أن للشمس غيبة وهذا الذي نعنيه ليس يغيب[1]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ﴾ [الآية: 34] أي:

(1) ذكره القشيري في تفسيره (3/ 92) و(3/ 194) و(3/ 494).

العلماء والمشايخ من اليهود والنصارى ﴿لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ [الآية: 34] يأخذونها بالرشى في الأحكام وبسائر مآكل الحرام ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ﴾ [الآية: 34] دينه الإسلام.

وأفاد الأستاذ: أن العالم إذا ارتفق بأموال الناس عرضاً مما يعلمهم زالت بركات علمه ولم يطب في طريق الزهد مطعمه والعارف إذا انتفع بخدمة المريد أو ارتفق بشيء من أحواله وأعماله زالت آثار همته ولم تجد في حكم التوحيد أسرار حالته ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ﴾ [الآية: 34] منهم ومن غيرهم ﴿وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 34] أي: لا يصرفون ما يتعلق بها من الحق في مصارفه من الخلق لقوله ﷺ ما أدي زكاته فليس بكنز[1] أي: مما أوعد عليه فإن الوعيد على الكنز مع عدم الإنفاق فيما أمر الله أن ينفق فيه بالاتفاق والضمير إلى أجناس الذهب والفضة أو إلى الدنانير والدراهم أو الكنوز المستفادة من الفعل أو الأموال بقرينة الحال والفضة وتخصيصها لقربها وإدلاله حكمها على ما سواها أو لكونها أكثر إنفاقاً مما عداها ﴿فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الآية: 34] في الدنيا والعقبى.

وقال الأستاذ: فلهم في الآجل عقوبة والذين لا يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة فلهم في العاجل حجبة وقليل من عباده من سلم من الحجاب في محتضره ومن العتاب في منتظره.

﴿يَوۡمَ يُحۡمَىٰ﴾ [الآية: 35] يوقد ﴿عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ﴾ [الآية: 35] لأن جمعهم وإمساكهم كان بطلب الوجاهة الرضية
366/أ والتنعم بالمطاعم الشهية والملابس البهية أو لأنها أشرف الأعضاء/ الظاهرة أو لأنها أصول الجهات الأربع في مقاديم البدن ومؤخره وجنبيه أو لأنهم ازوروا عن السائل بجنوبهم وأعرضوا عنه بوجوههم وولوه بظهورهم.

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (1/ 547) رقم (1438)، والطبراني في المعجم الكبير (23/ 281) رقم (613)، وابن ماجه في السنن (1/ 569) رقم (1787)، والبيهقي في السنن الكبرى (4/ 83) رقم (7025).

وأفاد الأستاذ: أنهم لما طلبوا الجاه عند الخلق بمالهم وبخلوا بإخراج حق الله عنه شان الله وجوههم ولما أسندوا ظهورهم إلى أموالهم قال تعالى: ﴿فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾ [الآية: 35] ويقال: عبسوا في وجوه العفاة وعقدوا في وجوههم حواجبهم فوضعت الكية (غداً) على تلك الجباه المقبوضة على الفقراء ولما طووا كشحهم دون الفقراء إذا جالسوهم وضع المكواة على جنوبهم ﴿هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ [الآية: 35] أي: يقال لهم هذا ما جمعتم ومنعتم لمنفعتها وكان عين مضرتها وسبب وبالها في مآلها ﴿فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [الآية: 35] أي: جزاءه.

﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ﴾ [الآية: 36] أي: مبلغ عددها ﴿عِندَ اللَّهِ﴾ [الآية: 36] أي في حكمه ﴿اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ [الآية: 36] تمييز تأكيد ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [الآية: 36] أي: كائنة في اللوح المحفوظ ﴿يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الآية: 36] أي: ثابت منذ خلق الله الأجرام العلوية والسفلية والأظهر الأيام والليالي الزمانية ﴿مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ [الآية: 36] واحد فرد وهو رجب وثلاثة سرد ذي القعدة وذو الحجة والمحرم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه لما علم أنهم لا يداومون على ملازمة القرب والعبادات منها أفرد بعض الشهود بالتفضيل ليخصوها باستكثار الطاعة فيها فأما الخواص من عباده فجميع الشهور لهم شعبان ورمضان وكذلك جميع الأيام لهم جمعة وجميع البقاع لهم كمكة وجميع المشاهد كالمساجد وفي معناه أنشد بعضهم:

يا رب إن جهادي غير منقطع وكل أرض لي ثغر طرسوس[1]

﴿ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ [الآية: 36] أي تحريم الأشهر الأربعة هو الدين القويم والطريق القديم وملّة إبراهيم ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ [الآية: 36] بهتك حرمتها وارتكاب حرامها والجمهور على أن حرمة المقاتلة فيها منسوخة وأولو الظلم بارتكاب المعاصي فيهن فإنه أعظم وزراً كارتكابها في الحرم وحال الإحرام إلا

(1) ذكره القشيري في تفسيره (3/ 95) و(5/ 233).

366/ب أنه كيفية لا كمية ومما يدل على نسخها أن غزوة/ حنين وقعت في ذي القعدة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه قال للعوام لا تظلموا في بعض الشهور أنفسكم يعني بارتكاب الزلة وأما الخواص فمأمورون أن لا يظلموا في جميع الشهور قلوبهم باحتقاب الغفلة ويقال: الظلم على النفس أن يجعل العبد زمامه بيد شهواته فتورده مواطن هلكاته ويقال: الظلم على النفس بخدمة الخلق بدل طاعة الحق ويقال: من ظلم على نفسه بارتكاب المحظورات بلي بالفترة في الطاعات ومن ظلم على قلبه بمضاجعات امتحن بعدم الصغرة في مرور الأوقات ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾ [الآية: 36] جميعاً وهي مصدر كف عن الشيء فإن الجميع مكفوف عن الزيادة وقع موقع الحال ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الآية: 36] بشارة بمعية المعونة وضمان بالنصرة بسبب التقوى عن المعصية والغفلة.

وأفاد الأستاذ: أنه لا سلاح أمضى على عدوك من تبريك عن حولك وقوتك.

﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ﴾ [الآية: 37] كانوا إذا جاء شهر حرام وهم محاربون أحلوه وحرموا مكانه شهراً آخر حتى رفضوا خصوص الأشهر واعتبروا مجرد العقد والمعنى أنها تأخر حرمة الشهر إلى شهر آخر ﴿زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ [الآية: 37] لأنه تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرمه فهو كفر آخر ضموه إلى كفرهم ﴿يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الآية: 37] ضلالاً زائد وقرأ حمزة والكسائي وحفص يُضَلّ عن بناء المفعول وعن يعقوب يُضِلّ على أن الفاعل هو الله ﴿يُحِلُّونَهُۥ﴾ [الآية: 37] المنسي من الأشهر الحرام ﴿عَامًا﴾ [الآية: 37] سنة ويحرمون مكانه شهراً آخر ﴿وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا﴾ [الآية: 37] فيتركونه على حرمته والجملتان حال وتفسير للضلال ﴿لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 37] ليوافقوا عدة الأربعة المحرمة ﴿فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 37] بمواطأة العدة من غير موافقة الأزمنة ﴿زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ﴾ [الآية: 37] وقرئ على بناء الفاعل وهو الله تعالى فإنه المزين الحقيقي وقد تنسب إلى الشيطان بالإسناد المجازي والمعنى أضلهم حتى حسبوا قبيح

أعمالهم حسناً ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِى ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [الآية: 37] إلى تحسين حالهم/ في 367/ أ
الدنيا وتزيين مآلهم في العقبى.

وأفاد الأستاذ: أن الدين ملاحظة الأمر ومجانبة الوزر وترك التقدم بين يدي الله ورسوله في جميع أحكام شرعه ورسوم دينه فالآجال في الطاعات مضروبة والتوفيق في عرفانه متبع والصلاح في الأمور بالإقامة على نعت العبودية فالشهر ما سماه الله شهراً والحول ما أعلم الخلق أنه قدم ما بينه شرعاً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 38] أخرجوا إلى الجهاد في طريق رضاه ﴿ٱثَّاقَلۡتُمۡ﴾ [الآية: 38] ومعنى تثاقلتم على الأصل والمعنى تباطأتم وتمايلتم ﴿إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [الآية: 38] بالتخلف فيها والتوقف بها عن الصعود إلى مكارم الأخلاق ومعاليها كما قيل:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي(1)

وكان ذلك في غزوة تبوك أمروا بها بعد رجوعهم من الطائف في وقت عسرة وشدة حرارة وبعد مسافة وكثرة أعداء بشوكة فتشق على المنافقين وبعض الضعفاء من المؤمنين ﴿أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ [الآية: 38] وغرورها ﴿مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾ [الآية: 38] أي: بدلها من نعيم قصورها وحورها وسائر سرورها ﴿فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ [الآية: 38] أي: التمتع بها أو ما ينتفع منها ﴿فِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [الآية: 38] في جنبها ﴿إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [الآية: 38] يسير حقير.

وقال الأستاذ: عاتبهم على ترك البدار عن توجه الأمر وانتهاز فرصة الرخصة وأمرهم بالجد في العزم والقصد في الفعل فالجنوح إلى التكاسل والاسترواح إلى التثاقل إمارات ضعف الإيمان إذ الإيمان غريم لازم ولا يرضى من العبد بغير ممارسة الأشق وملابسة الأحق ثم قال ﴿أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ [الآية: 38] من الآخرة أي: وهل يحمد بالعابد أن يختار دنياه على عقباه أم هل يحسن بالعارف أن يؤثر هواه على رضا مولاه فغيبة يوم من الزاهد

(1) نسب إلى الحطيئة. انظر: العقد الفريد (2/ 324)، والتمثيل والمحاضرة (1/ 16).

عن الباب تعدل شهوراً وغيبة لحظة من العارف عن البساط تعدل دهوراً ﴿إِلَّا تَنفِرُواْ﴾ [الآية: 39] أي: أن لا تنفر إلى ما استقريتم إليه مديماً ﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الآية: 39] بإهلاككم في الدنيا بسبب فظيع ونوع شنيع كقحط وظهور عدو وقد ورد اللّهم إني أسألك عيشة نقية وميتة سوية[1].

367/ب وأفاد الأستاذ: /أن العذاب الأليم هو أن لا يعاتبه على تأخير الرجوع أو إذا أعرض العبد عن الطاعة لا يبعث وراءه من جند التوفيق ما يرده إلى الباب أو هوان يسلبه حلاوة النجوى إذا آب وهو الصدود يوم الورود وهو الوعيد بالفراق فأما نفس الفراق فهو تمام التلف للعشاق وأنشدوا:

وزعمت أن البين منك غداً هدد بذلك من يعيش غدا[2]

ويقال: من تلك النصرة إبقاؤه إياه فيما لقاءه به من كشوفاته في تلك الحالة ولولا نصرته لتلاشى تحت سطوات كشفه من الحضرة ﴿وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ [الآية: 39] أي: يستبدل بكم جمعاً آخرين مطيعين خيراً منكم كأبناء فارس واليمنين.

وقال الأستاذ: أي يصرف ما كان عليه من إقباله إلى غيره من أشكاله وليس كل من حفر بئراً يشرب من معينها.

أسقى رياحين الحفاظ مدامعي وسواي في روض التواصل يرتع[3]

﴿وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا﴾ [الآية: 39] فإنه الغني عن كل شيء في كل أمر ولا تضروا دينه أو رسوله فإن الله وعدله بالغلبة والنصرة وكلامه حق ووعده صدق ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الآية: 39] ومنه التغيير والتبديل على وفق التقدير.

﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ [الآية: 40] إلا تنصروه فسينصره الله كما نصره ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الآية: 40] أي: يتسببون لإذن الله له بخروجه

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (1/ 725) رقم (1986).
(2) و(3) ذكره القشيري في تفسيره (3/ 98).

وهموا بإخراجه ثاني اثنين حال كونه لم يكن معه إلا رجل واحد موحد ليس له ثان في الوجود من الكرم والجود ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ﴾ [الآية: 40] سبقاً في ميدان الشهود وفي هذا منقبة عظيمة للصديق في تخصيص مقام التوفيق.

وقال السلمي: أي نصرة الله حين أغناه عن نصرتكم بقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ [المائدة، الآية: 67] فمن كان في ميدان العصمة كان مستغنياً عن نصرة المخلوقين.

وأفاد الأستاذ: أن من عزيز تلك النصرة أنه لم يستأنس بثانيه الذي كان معه بل رد الصديق إلى الله ونهاه عن مساكنته إياه فقال: ما ظنك باثنين الله ثالثهما[1] ويقال: كان ﷺ ثاني اثنين بظاهر شبحه ولكن كان مستهلك الشاهد في الواحد بسره ﴿إِذۡ هُمَا/ فِي ٱلۡغَارِ﴾ [الآية: 40] وهو نقب في أعلى جبل 368/ أ
ثور بمكة على مسافة ساعة نجومية مكثا فيه ثلاثة أيام.

قال ابن عطاء: أي في محل القرب وكهف الأنوار وغار الأسرار.

وقال الأستاذ: صحيح ما قالوه للبقاع دول ما خطر ببال أحد أن ذلك الغار يصير مأوى سيد الأبرار وسيد الأخيار ولكن يختص بقسمته من يشاء كما ﴿يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾ [البقرة: 105] ﴿إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ﴾ [الآية: 40] وهو أبو بكر بإجماع المفسرين فمن أنكر صحبته صار من الكافرين[2] ﴿لَا تَحۡزَنۡ﴾ [الآية: 40] أي: على أو عليك أو علينا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾ [الآية: 40] بالعصمة والمعونة لنا.

وقال ابن عطاء: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾ [الآية: 40] في الأزل حيث وصل بيننا وصلة الصيحة وما انفصل.

وقال الفارسي: إنما نهى عن الحزن لأن الحزن لا يحل بمثله لأنه في محل قربة.

---

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (3653)، ومسلم في الصحيح (2381/ 1).
(2) باعتبار أنه أنكر ما في القرآن من صريح الآية.

وأفاد الأستاذ: أنه علقت قلوب قوم بالعرش فطلبوا الحق منه وهو تعالى يقول ﴿لَا تَحْزَنْ﴾ [الآية: 40] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [الآية: 40] إنه سبحانه وأنه تقدس عن كل مكان ولكنه في هذا الخطاب حياة لأسرار أرباب المواجيد وينشد:

يا طالب الله في العرش الرفيع به لا تطلب العرش إن المجد في الغار[1]

أقول ولعل هذا الغار حصل له تجلي الجمال فثبت في مقامه تبعاً لأصحابه مرامه بخلاف الطور حيث ما أطاق النور فإنه لما وصل له تجلى الجلال ﴿جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف، الآية: 143] مع أحكامه وأيضاً في تسميته بالغار إشارة إلى أنه سبحانه غار على حبيبه حتى ستره عن أعين الأغيار.

ثم قال الأستاذ: في الآية دليل على تحقيق صحبة الصديق حيث سماه الله صاحبه وعده ثانية ولما كان في الإيمان تالية كان من جملة أصحابه في الغار ثانيه ثم في القبر ضجيعه وفي الجنة يكون رفيقه ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ﴾ [الآية: 40] أمنه الذي يسكن عنده القلوب وطمأنينته ﴿عَلَيْهِ﴾ [الآية: 40] أي: على النبي زيادة في كماله أو على صاحبه لأنه كان منزعجاً في حاله ولا يبعد أن يقال على كل منهما بما يليق في مقامهما لاحتياجهما إلى تسكين خاطرهما واطمئنان قلبهما في كل لحظة ولمحة إلى ربهما فتقدير الآية فأنزل الله سكينته على النبي
بحسب الأصالة وعلى الصديق بسبب التبعية فإنهما كانا في مقام الضيافة/ الإلهية 368/ب
وفي خصوصيته الحالة المعية وقال بعضهم: السكينة سكون القلب إلى ما يبدو من محل الأقدار ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: أن الكناية في الهاء من عليه تعود إلى الرسول ﷺ ويحتمل أن يكون عائدة إلى الصديق فإن حملت على الصديق يكون خصوصية من بين المؤمنين على الانفراد قال الله تعالى ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح، الآية: 4] للصديق على التخصيص ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ﴾ كما قال عليه السلام «إن الله يتجلى للناس عامة ويتجلى لأبي بكر

(1) ذكره القشيري في تفسيره (3/ 99).

خاصةً» وإنما كان حزن الصديق ذلك اليوم لأجل الرسول ﷺ إشفاقاً عليه لا لأجل نفسه ثم أنه نفى عليه السلام عنه حزنه وسلاه بأن قال: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [الآية: 40] وحزن لا يذهب إلا بمعية الحق لا يكون إلا لحق الحق ﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [الآية: 40] يعني الملائكة أنزلهم ليحرسوه في الغار عن عين الأغيار وليعينوه يوم بدر والأحزاب وحنين على أعدائه من الكفار فتكون الجملة حينئذٍ معطوفة على قوله نصره.

وقال جعفر الصادق: ذاك جنود اليقين والثقة بالله والتوكل عليه والإعراض عما سواه ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ﴾ [الآية: 40] يعني الشرك أو دعوة الكفر ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا﴾ [الآية: 40] يعني التوحيد أو دعوة الإسلام ولا يخفى نكتة اختلاف الجملتين حيث يدل الجملة الفعلية على الحدوث في المقام والإسمية على الاستمرار والدوام على وفق المرام والمعنى وجعل ذاك بتخليص سيد الأبرار عن أيدي الكفار بهجرته من مكة إلى المدينة أو بتأييده إياه بالملائكة في المواطن المذكورة المشهورة وبحفظه ونصره حيث حضر من السفر والحضر[1].

وقال الأستاذ: بإظهار حجج دينه وتمهيد سبيل حقه ويقينه فرايات الحق إلى الأبد عالية وتمويهات الباطل واهية وحزب الحق منصورون ووفد الباطل مقهورون ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ [الآية: 40] في قدره ﴿حَكِيمٌ﴾ [الآية: 40] في أمره.

﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا﴾ [الآية: 41] حال نشاطكم له ﴿وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 41] حال مشقته عليكم أو لقلة عيالكم ولكثرتها أو ركباناً أو مشاتاً أو خفافاً وثقالاً من السلاح أو
369/ أ صحاحاً ومراضاً ولذا لما قال ابن/ أم مكتوم لرسول الله ﷺ أنفر قال: نعم حتى
نزلت ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾ [النور الآية: 61].

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أمرهم بالقيام بحقه والبدار إلى أداء أمره على

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (3/ 83) رقم (4463)، وانظر: تلخيص كتاب الموضوعات للذهبي (1/ 42).

جميع أحوالهم ﴿خِفَافًا﴾ [الآية: 41] يعني في حال حضور قلوبكم فلا يمسنكم نصب المجاهدات ﴿وَثِقَالًا﴾ [الآية: 41] إذا أردتم إليكم في مقاساة تعب المكابدات فإن البيعة أخذت عليهم في المنشط والمكره ويقال: ﴿خِفَافًا﴾ [الآية: 41] إذا كنتم محمولين في حال الجمع ﴿وَثِقَالًا﴾ [الآية: 41] إذا كنتم متحملين في إيوان الفرق.

﴿لَوْ كَانَ﴾ [الآية: 42] ما دعوه إليكم فرضاً وتقديراً ﴿عَرَضًا قَرِيبًا﴾ [الآية: 42] نفعاً دنيوياً قريب المأخذ وسهلاً يسيراً ﴿وَسَفَرًا قَاصِدًا﴾ [الآية: 42] متوسطاً ﴿لَّاتَّبَعُوكَ﴾ [الآية: 42] لوافقوك أو رافقوك ﴿وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ﴾ [الآية: 42] المسافة التي تقطع بالمشقة.

قال الأستاذ: يريد به المتخلفين عنه في غزوة تبوك بين سبحانه أنه لو كانت المسافة قريبة والأمر هيناً لما تخلفوا عنك وهكذا من كان غير متحقق في قصده كان غير مبالغ في جهده يعيش على حرف وينصرف بحرف ﴿فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾ [الحج، الآية: 11] وإذا رأيت المريد يتبع الرخص وينجح إلى الكسل ويتعلل بالتأويلات فاعلم أنه منصرف عن الطريق متخلف عن السلوك وأنشدوا:

وكذا الملول إذا أراد قطيعة ... ملّ الوصال وقال كان وكانا[1]

﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ﴾ [الآية: 42] أي: المتخلفون إذا رجعت من تبوك حيث يعتذرون ويقولون: ﴿لَوِ ٱسْتَطَعْنَا﴾ [الآية: 42] لو كان لنا استطاعة العدة أو طاقة البدن والبنية ﴿لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾ [الآية: 42] سد مسد جوابي القسم والشرط وهذا من المعجزات لأنه إخبار عما وقع قبل وقوعه من الحادثات ﴿يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ [الآية: 42] بإيقاعها في العذاب لأن الحلف الكاذب إيقاع للنفس في الهلاك والحجاب.

وأفاد الأستاذ: يمين المتعلل والمتأول بمعنى فاجرة يشهد بكذبها عيون

---

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 415) و(2/ 426) و(3/ 102، 152) و(4/ 204) و(4/ 309) و(6/ 54)، وذكر في محاضرات الأدباء (1/ 338) ونسب إلى أعرابي.

الفراسة ونفرت قلوب أرباب الكياسة ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الآية: 42] في ذلك لأنهم كانوا مستطيعين للخروج هنالك.

﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ﴾ [الآية: 43] حسن خطاب في مبدأ عتاب بينه بقوله: ﴿لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ﴾ [الآية: 43] أي: لأي شيء أذنت لهم حتى استأذنوك واعتلوا بأكاذيب فيما أظهروك وهلّا توقفت/ ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾ [الآية: 43] في 369/ ب
الاعتذار ﴿وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [الآية: 43] حال الاختبار.

وقال الأستاذ: لما لم يكن منه عليه السلام خرق حد محذور ولا تعاطي أمر محظور وإنما بدر منه ترك ما هو الأولى قدم الله تعالى ذكر العفو على الخطاب الذي هو في صورة العتاب بقوله: ﴿لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ﴾ [الآية: 43] ومن جوز الزلة على الأنبياء إذا لم يكن ذلك في تبليغ أمر وتمهيد شرع يقول قابله بالعفو قبل أن وفقه للعذر وكذا سُنَّة الأحباب مع الأحباب قال قائلهم:

ما حطك الواشون عن رتبة عندي ولا ضرك مغتاب
كأنهم أثنوا ولم يعلموا عليك عندي بالذي عابوا[1]

ويقال: حسنات الأعداء وإن كانت حسنات فكالمردودة وسيئات الأحباب وإن كانت سيئات فكالمغفورة كما قيل:

من ذا يؤاخذ من يحب بذنبه وله شفيع في الفؤاد مشفع[2]

﴿لَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [الآية: 44] ليس من عادتهم أن يستأذنوك في التخلف عنك ﴿أَن يُجَٰهِدُواْ﴾ [الآية: 44] أي: كراهة أن يجاهدوا ﴿بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۗ﴾ [الآية: 44] وإنما قد يستأذنوك لعذر بهم ومانع لهم من أحوالهم ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [الآية: 44] أي: بأمورهم وأعمالهم.

وأفاد الأستاذ: أن المخلص في عقدة غير مؤثر شيئاً على أمره ولا مدخر مستطاعاً في استفراغ وسعه وبذل جهده من مقاسات كده واستعمال جده.

---

(1) نسب إلى أبي نوّاس. انظر: ربيع الأبرار (1/ 170)، والمنتحل (1/ 61).
(2) ذكره القشيري في تفسيره (3/ 103).

﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ﴾ [الآية: 45] في التخلف عن الجهاد ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾ [الآية: 45] أي: بالمبدأ أو المواد وخُصّا فإن الإيمان بهما باعث على المجاهدة وعدمه حامل على نفي المكايدة ﴿وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ [الآية: 45] أي: في ميادين شكوكهم وظنونهم يتحيرون.

وأفاد الأستاذ: أن من رام من عهده الإلزام فرجة وانتهز في التأخر والتخلف فرصة فلعدم إيمانه وتصديقه ولما استكن من الريبة في قلبه وسره أولئك الذين يتقلبون في ريبهم ويترددون في شكهم.

﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ﴾ [الآية: 46] في الغزوة ﴿لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ﴾ [الآية: 46] للخروج ﴿عُدَّةً﴾ [الآية: 46] أهبة ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ﴾ [الآية: 46] والمعنى ما خرجوا ولكن تثبطوا لأنه سبحانه كره نهوضهم للخروج وقيامهم عن الولوج ﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾ [الآية: 46] فحبسهم بالجبن والكسل ومنعهم بالخوف والفشل
370/أ ﴿وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟/ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾ [الآية: 46] تمثيل لقاء الله كراهة الخروج إليهم أو تصويراً لوسوسة الشيطان بحكم القعود عليهم أو حكاية قول بعضهم لديهم والقاعدين يتحمل المعذورين وغيرهم وعلى الوجهين لا يخلو عن ذم لهم.

وأفاد الأستاذ: أنهم لو صدقوا في الطاعة لاستجابوا ببذل الوسع والطاقة ولكن سقمت إرادتهم فحصلت دون الخروج بلادتهم ولذا قيل:

لو صح منك الهوى أرشدت للحيل(1) ... .

وقوله: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ﴾ [الآية: 46] ألزمهم الخروج من حيث التكليف والامتحان ولكن ثبتهم في بيوتهم بالخذلان فبأمر الإلزام دعاهم وبأمر

(1) هذا صدر البيت وعجزه:

لكن حبّك لي قول بلا عمل

انظر: التمثيل والمحاضرة (١/ ٤٨).
ونسب إلى أبي حفص الشطرنجي وهو عجز لبيت وصدره:

اتبعت لما ملكت الوعد بالعلل

انظر: مصارع العشاق (١/ ١١٩)، وقالوا أنه من الأمثال. انظر: جمهرة الأمثال (١/ ١٨٥).

التكوين أقصاهم.

﴿لَوۡ خَرَجُواْ﴾ [الآية: 47] أي: فرضاً وتقديراً ﴿فِيكُم﴾ [الآية: 47] أي: فيما بينكم أو في وقت خروجكم ودخلوا في طريقكم معكم ﴿مَّا زَادُوكُمۡ﴾ [الآية: 47] بخروجهم شيئاً ﴿إِلَّا خَبَالٗا﴾ [الآية: 47] فساداً وشراً ودغلاً وضراً فالاستثناء متصل وما زادوكم خيراً ولكن زادوكم ضيراً فالاستثناء منفصل ﴿وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ﴾ [الآية: 47] ولأسرعوا ركابيهم بينكم بالنميمة والهزيمة ﴿يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ﴾ [الآية: 47] يطلعون لكم إيقاع المخالفة حال المخالطة وترك الموافقة حين المخالفة ﴿وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ﴾ [الآية: 47] جماعة ضعفة يسمعون قولهم ويطيعون أمرهم أو جمع يسمعون حديثكم للنقل إليهم واظهار حالكم اليهم ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية: 47] فيعلم ضمائرهم كما يعلم ظواهرهم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أخبر نبيه النبيه عن سابق علمه بهم وذكر ما علم أن لا يكون إن لو كان كيف يكون فقال: لو ساعدوكم في الخروج لكان ما يلحقكم من سوء سيرهم في التضريب بينكم والنميمة فيكم والسعي فيما يسوؤكم أكثر مما نالكم بتخلفهم من نقصان عددكم ومن ضره أكثر من نفعه فعدمه خير من وجوده ومن لا يحصل من شيء غير شروره فتخلفه أنفع من حضوره.

﴿لَقَدِ ٱبۡتَغَوُاْ ٱلۡفِتۡنَةَ﴾ [الآية: 48] أي: طلبوا تشتيت أمرك وتفريق قومك ﴿مِن قَبۡلُ﴾ [الآية: 48] أي: يوم أُحُد قال ابن أبي وأصحابه: كما تخلفوا عن تبوك بعد ما خرجوا مع الرسول ﷺ أي: ذي جدة أسفل من ثنية الوداع انصرفوا يوم أُحُد ﴿وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلۡأُمُورَ﴾ [الآية: 48] أي: دبروا الحيل والمكائد لأجلك ودوروا الآراء في إبطال أمرك/ ﴿حَتَّىٰ جَآءَ ٱلۡحَقُّ﴾ [الآية: 48] الأمر السلطاني والفتح 370/ ب
السبحاني لنصرك ﴿وَظَهَرَ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 48] بأعلى دينك ﴿وَهُمۡ كَٰرِهُونَ﴾ [الآية: 48] ظهور شأنك فوقع الأمر على رغم أنفهم وفضاحة حالهم وكشف عملهم الإتيان لتسليته عليه السلام والمؤمنين على تخلفهم وبيان حسن اختيار الله لهم في تثبيط مخالفيهم وكراهة انبعاثهم وهتك أستارهم وكشف أسرارهم وإزاحة

أعذارهم وإزالة اقتدارهم.

وأفاد الأستاذ: أنهم وإن ظهروا وفاقكم فقد استبطنوا نفاقكم واعلموا أنهم يؤازرونكم ويعاونونكم ويناصرونكم وراموا بكيدهم تشويش أموركم حتى كشف الله عوراتهم وأخبارهم وفضحهم حتى تحذرتم عنهم بما تحققتم من أسرارهم.

﴿وَمِنْهُم﴾ [الآية: 49] أي: من المنافقين أو المتخلفين ﴿مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي﴾ [الآية: 49] في القعود عن المجاهدة ﴿وَلَا تَفْتِنِّيٓ﴾ [الآية: 49] أي: توقعني في الفتنة من العصيان والمخالفة بأن لا تأذن لي في التخلف عن هذه الغزوة أو في الفتنة بسبب فساد المال وضياع العيال إذ لا كافل لهم بعدي في حال الترحال أو في الفتنة بنساء الروم لما رووا أن جد ابن قيس قال: لقد علمت الأنصار أني مولع بالنساء فلا تفتني ببنات الأصفر ولكن أعينك بمالي ما تركتني في حالي وفي رحالي ﴿أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ۗ﴾ [الآية: 49] انتبهوا على الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة التخلف بها ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الآية: 49] جامعة لهم يوم القيامة وهذه الساعة لأن إحاطة أسبابها كوجود ما بها.

وأفاد الأستاذ: أنهم أبرزوا قبيح أفعالهم في معرض التخرج لمعذرتهم وراموا أن يلبسوا على الرسول والمؤمنين خبث سيرتهم وسريرتهم فبين الله أن الذي منه فروا بزعمهم سقطوا فيه بفعلهم وكذا المتجلد بما يهواه متطوح في وادي بلواه وسيلقى في الآخرة من الهوان ما يغني عن الحاجة إلى البرهان.

﴿إِن تُصِبْكَ﴾ [الآية: 50] في بعض غزواتك ﴿حَسَنَةٌ﴾ [الآية: 50] نصرة وغنيمة كما في بدر ﴿تَسُؤْهُمْۖ﴾ [الآية: 50] تحزنهم لفرط حسدهم ﴿وَإِن تُصِبْكَ﴾ [الآية: 50] في بعضها ﴿مُصِيبَةٌ﴾ [الآية: 50] شدة ومحنة كما أصاب يوم أُحد ﴿يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ﴾ [الآية: 50] يتبجحوا بانصرافهم
371/أ ويتخمدوا/ في التخلف لرأيهم ﴿وَيَتَوَلَّوا۟﴾ [الآية: 50] أي: ينقلبوا عن متحدثهم بذلك وعن محبتهم هنالك ﴿وَّهُمْ فَرِحُونَ﴾ [الآية: 50] مسرورون فيما بدا لك.

وأفاد الأستاذ: أنه هكذا صفة الحسود يتصاعد أنين قلبه عند شهود

الحسنى ولا يسر قلبه غير حلول البلوى ولا دواء لجروح الحسود فإنه لا يرضى بغير زوال النعمة عن صاحبه ولذا قالوا:

كل العداوة قد ترجى إماتتها　　　إلا عداوة من عاداك من حسد

وأن الله عجل عقوبة الحاسد وذلك حزن قلبه بسلامة محسوده فالنعمة للمحسود فقدر الوحشة للحاسد تَعُد.

﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [الآية: 51] أي: ما قدره وقضاه علينا أو أثبته في اللوح المحفوظ لأجلنا لا يتغير بموافقتكم ولا يتبدل بمخالفتكم أو ما اختصنا بإثباته من النصرة أو إيجابه من الشهادة.

قال إبراهيم ابن آدم: من رضي بالمقادير لم يقم ذكر السلم.

وأفاد الأستاذ: أن المؤمن لا يلحقه شماتة عدوه لأنه ليس يرى إلا مراد وليه فهو يتحقق أن ما يناله مراد مولاه فيسقط عن قلبه ما يهواه ويستقل بروح رضاه فيعذب عنده ما كان يصعب من بلواه وأنشدوا في معناه:

إن كان سركم ما قال حاسدنا　　　فما بجرح إذا أرضاكم ألم[1]

ويقال: شهود جريان التقدير يخفف عن العبد كل عسير ﴿هُوَ مَوْلَىٰنَا﴾ [الآية: 51] ناصرنا ومتولي أمرنا ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ﴾ [الآية: 51] لا على ما سواه ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [الآية: 51] أي: ليعتمدوا عليه ويلتجئوا في جميع أمورهم إليه بل وليكونوا كالميت بين يديه.

وأفاد الأستاذ: إن قوله هو مولانا تعريف للعبيد أن له [سبحانه] أن يفعل ما يريد لأنه تصرف مالك الأعيان في ملكه وهو يبدي ويجري ما يريد بحق حكمه وأول التوكل هو الثقة بالله بوعده ثم الرضا باختياره ثم نسيان أمورك بما يغلب على قلبك من أذكاره ويقال: التوكل سكون السير عند حلول الأمر ونهايته التفويض فهو يساوي الحلو والمر والنفع والضر والنعمة والمحنة.

﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ﴾ [الآية: 52] ما تنتظرون لنا ﴿إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾

---

(1) نسب إلى المتنبي. انظر: سر الفصاحة (1/ 63)، وشرح ديوان المتنبي (1/ 243).

[الآية: 52] أي: العاقبتين اللتين كل منهما حسني العواقب ويمني المراتب من
371/أ النصرة والشهادة ﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ﴾ [الآية: 52] أي: إحدى السوايف/ ﴿أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ﴾ [الآية: 52] كقارعة من السماء ﴿أَوْ بِأَيْدِينَا﴾ [الآية: 52] أي: أو بعذاب على أيدينا وهو القتل على الكفر ﴿فَتَرَبَّصُوٓاْ﴾ [الآية: 52] أي: ما هو عاقبتنا ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾ [الآية: 52] ما هو عاقبتكم.

وأفاد الأستاذ: أن سبحانه في هذه الآية بيّن الفرق بين الفريقين من المؤمنين والكافرين فقال الذي تنتظرون أيها الكفار من شأن الأبرار وقوع الدائرة عليهم في القتال أو القتل ينالهم في الحال وأي واحد منهما تولهم من الله نعمة لأنا إن ظفرنا بكم فنصر وغنيمة وإعزاز للدين ورفعة وإن قتلنا فشهادة ورحمة ورضوان من الله وزلفة وإن كان الذي يصيبنا في الدنيا هزيمة ونكبة فذلك موجب لأجر ومثوبة فإذاً لن يستقبلنا إلا ما هو حسنى ونعمة وما أنتم فإن ظفرنا بكم فتعجيل ذل لكم ومحنة وإن قتلتم فعقوبة من الله وسخطة وإن كانت اليد لكم في الحال فخذلان من الله وسبب عذاب وزيادة نقمة ويقال ﴿هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾ [الآية: 52] إما قيام بحق الله في الحال فيكون بوصف الرضا وهي في التحقيق الجنة الكبرى وإما وصول إلى الله في المآل بوصف الشهادة ووجدان الزلفة في العقبى وهي الكرامة العظمى.

﴿قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعًا﴾ [الآية: 53] بحسب الظاهر ﴿أَوْ كَرْهًا﴾ [الآية: 53] بحسب الباطن فأو للتنويع ويضم الكاف الكوفيون ﴿لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ﴾ [الآية: 53] وهو أمر في معنى الخبر أي: لمن تقبل منكم نفقاتكم أنفقتم طوعاً أو كرهاً وفائدته مع أنهم لا يتفقون إلا وهم كارهون هو المبالغة في تساوي الإنفاقين في عدم القبول ولو وقع طوعاً فرضاً ونفي التقبل يحتمل أمرين أن لا يؤاخذ منهم أو أن لا يثابوا عليه ﴿إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ [الآية: 53] خارجين عن الطاعة والجملة استئناف بيان وتعليل برهان لما قبله.

وأفاد الأستاذ: أن المردود لا يقبل منه التوسل ولا يغير حكم شقاوته بتكثير التكلف والتعمل ويقال تقرب العدو يوجب زيادة المقت له وتحبب

الحبيب يقتضي زيادة العطف عليه قال تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ [الفرقان، الآية: 70].

﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ﴾ [الآية: 54] وقرأ حمزة والكسائي تقبل بالتذكير أي: وما منعهم قبول نفقاتهم ﴿إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ﴾ [الآية: 54] أي: إلا كفرهم بها ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ﴾ [الآية: 54] متثاقلون ﴿وَلَا يُنفِقُونَ/ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ [الآية: 54] حيث لا يرجون بفعلهما ثواباً ولا 372/ أ
يخافون على تركها عقاباً.

وأفاد الأستاذ: أنهم فقدوا الإخلاص في أعمالهم فعدموا الاختصاص في أحوالهم وحرموا الخلاص في عاجلهم ومآلهم ومن أطاع في العبادة من حيث العادة من غير أن تحمل عليها لوعة الإرادة لم يجد لطاعته راحة وزيادة ويقال: من لاحظ الخلق في الهجر من أعماله وركن إلى الكسل في السر من أحواله فقد وسم بالخذلان وختم بالحرمان وهذه هي أمارة القطيعة وعلامة الفرقة الموجبة للحرقة.

﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ﴾ [الآية: 55] أي: كثرة مالهم وسعة جاههم وزيادة رجالهم فإن ذلك استدراج لهم في مبدأ حالهم ومعادهم ومآلهم ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الآية: 55] بسبب ما يكابدون لجمعها وحفظها من المتاعب وما يرون فيها من الشدائد والمصائب ﴿وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ﴾ [الآية: 55] أي: تخرج أرواحهم بصعوبة عن أشباحهم لتعلقهم بأموالهم وأولادهم ولقلة زادهم في رحلة معادهم ﴿وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [الآية: 55] بنعمة العافية مصروفون عن النظر في العاقبة وطلب حسن الخاتمة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه بين ما حسبوه نعمة واعتدوه من الله منّة فهو في التحقيق محنة وسبب شقاء وفرقة وإنما دس التقدير سموم الصاب فيما استلذوه من الشراب ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون، الآيتان: 55 ـ 56].

﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ﴾ [الآية: 56] يعني المنافقين ﴿إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ﴾ [الآية: 56] من

جملة المؤمنين المنافقين ﴿وَمَا هُم مِّنكُمْ﴾ [الآية: 56] في السيرة ولو كانوا معكم في الصورة ﴿وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾ [الآية: 56] يخافون أن يكون للمشركين دولة فيظهرون الإسلام تقية.

وأفاد الأستاذ: أن إظهار التلبيس من أشعار إبليس لا يكسو الأسرار برد السكون ولا يشفي البصائر برد الثقة واليقين ما لا يكون فلا يكون بجلة إبداؤه وهو كائن سيكون.

﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً﴾ [الآية: 57] حصناً يلوذون إليه أو يلتجؤون إليه ﴿أَوْ مَغَارَاتٍ﴾ [الآية: 57] جمع مغارة وهي مكان الغار أي: مكاناً عالياً يصعدون عليه ﴿أَوْ مُدَّخَلًا﴾ [الآية: 57] أي: نفقاً وسرباً يختبؤون لديه ﴿لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ﴾ [الآية: 57]
372/ ب لأقبلوا إلى نحوه ومالوا إلى صوبه ﴿وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ [الآية: 57] أي: يسرعون/ إسراعاً لا يرده شيء كالفرس الجموح في عدوه.

وأفاد الأستاذ: أن الممارق في الخلة ينسل عن سلكها بأضعف خلة إن وجد مهرباً آوى إليه رجعة وإن أمل أن ينال ما يتعلل به عد ذلك فرصة.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ﴾ [الآية: 58] بكسر الميم للسبعة وضمها يعقوب من العشرة أي: ومن المنافقين من يعينك ﴿فِي الصَّدَقَاتِ﴾ [الآية: 58] أي: في قسمها باختلاف الحالات ﴿فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا﴾ [الآية: 58] أي: شيئاً كثيراً ﴿رَضُوا﴾ [الآية: 58] أي: استحسنوا وأحبوا ومدحوا ﴿وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا﴾ [الآية: 58] أي: مطلقاً وأعطوا يسيراً ﴿إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ [الآية: 58] أي: كرهوا وغضبوا وذموا.

وقال الأستاذ: أولئك أصحاب الأطماع يتملقون في الظاهر ما دامت الصدقات إليهم واصلة فإن انقطعت انقلبوا كأن لم يكن بينكم وبينهم مودة ويقال من كان رضاه بوجدان سببه وسخطه في عدم ما يؤمّله من نصيبه فهو ليس من أهل الولاء إنما هو قائم بحظه غير صالح لصحبه وأما المتحقق فكما قيل:

فسرت إليك في طلب المعالي   وسار سواي في طلب المعاش(1)

---

(1) نسب إلى المتنبي. انظر: يتيمة الدهر (1/ 43)، وشرح ديوان المتنبي (1/ 182).

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 59] من النعمة ﴿وَرَسُولُهُۥ﴾ [الآية: 59] من الغنيمة والصدقة أو ذكر الله للتعظيم والتنبيه على أنما فعله النبي النبيه إنما كان بحكمه وأمره وعلى وفق قضائه وقدره ﴿وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾ [الآية: 59] كافينا ووافينا وإنعامه دائم فينا ﴿سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ﴾ [الآية: 59] أي: نعمة أخرى ترضينا ﴿إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾ [الآية: 59] فهو يغنينا فيما يقينا ويهنينا فيما يمنينا وجواب الشرط مقدر أي: لكان خيراً لهم في دنياهم وأخراهم.

وأفاد الأستاذ: أنهم لو وقفوا مع الله بشرط الرضا لأتتهم فنون العطاء وتحقيق المنى ولو حفظوا مع الله الأدب لسعدوا بوجدان مالهم من الأدب من غير معاناة تعب ولا مقاساة نصب لكنهم عرجوا في أوطان الطمع فوقعوا في الذل والحرب.

﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ [الآية: 60] أي: الزكاة فهؤلاء المعدودين دون غيرهم من الطماعين المردودين والفقير من ليس له مال يغنيه ولا كسب
373/ أ يكفيه من الفقر كأنه يصيب فقاره الكسر والعار والمسكين من لا شيء له من/ المال مأخوذ من السكون كأن العجز أسكنه عن طلب معاشه ويؤيده قوله تعالى: ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ [البلد، الآية: 16] وقيل: بالعكس لقوله تعالى ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ﴾ [الكهف، الآية: 79] وأجيب بأنهم كانوا عملة لها واستدلوا أيضاً بأنه عليه السلام كان يسأل المسكنة ويتعوذ من الفقراء أجيب أنه كان يتعوذ من فقراء القلب أو الافتقار إلى غير الرب ويسأل السكون والسكينة اللّازمة للسكنة بأنه كان دائماً بصفة الفقر لكن لا من قلة المال بوصف المسكنة ولا من فقد المال في جميع الحال بل لأن الله تعالى أثبت الافتقار ولما سواه من الأنبياء والأصفياء بقوله: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ [محمد، الآية: 38] وقد أورد الفقر فخري[1] وإن لم يصح إسناده عند المحدثين لكنه معتبر في المعنى عند المحققين.

---

(1) المصنوع في معرفة الحديث الموضوع (1/ 128) رقم (207)، والموضوعات للصغاني (1/ 52) رقم (77).

ولذا قال سهل التستري: الفقر معزة والمسكنة مذلة ﴿وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا﴾ [الآية: 60] الساعين في تحصيلها وجمعها ﴿وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ [الآية: 60] وهم قوم ضعاف أسلموا ونيتهم ضعيفة فيه فتستألف قلوبهم بنية تقوية يقينهم أو جمع أشراف يترقب بإعطائهم إسلام نظائرهم وكان سهم المؤلفة لتكثير سواد الأمة فلما أعز اللّه المسلمين وكثرهم سقط سهم المؤلفة ﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾ [الآية: 60] أي: وللصرف من فك الرقاب بأن يعاون المكاتب لشيء منها على أداء نجومه أو بأن تبتاع الرقاب فتعتق قربة قال مالك وأحمد أو بأن يفدي الأسارى ﴿وَٱلْغَٰرِمِينَ﴾ [الآية: 60] أو المديونين لأنفسهم في غير معصية إذا لم يكن لهم وفاء أو لإصلاح ذات بين وإن كانوا أغنياء لحديث لا تحل الصدقة لغني[1] إلا لخمسة لغازٍ في سبيل الله أو لغارم أو رجل اشتراها بماله أو رجل له جارٌ مسكين فيتصدق على المسكين فأهدى المسكين للغني أو لعامل عليها ﴿وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 60] أو منقطع الغزاة عند أبي يوسف ومنقطع الحاج عند محمد والمراد الفقراء منهم وعند الشافعي يجوز التصرف إلى أغنياء المتطوعة الذين يتطوعون الجهاد لظاهر الحديث المذكور ﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الآية: 60] المسافر المنقطع عن ماله ﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 60] مصدر لما دل عليه الآية أي: فرض الله لهم الصدقات
فريضة ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ [الآية: 60] يعلم أحوال الكائنات بأسرها/ ﴿حَكِيمٌ﴾ [الآية: 373/ ب
60] يضع الأشياء في مواضعها وقد روي عن عمر وحذيفة وابن عباس وغيرهم من الصحابة والتابعين جواز صرفها إلى صنف واحد وبه قالت الأئمة الثلاثة خلافاً للشافعي وقد أفتى بعض أصحابه على خلافه على أن الآية بيان أن الصدقة لا تخرج لإيجاب قسمها عليهم وأخذ الشافعي بظاهر الآية المقتضية تخصيص استحقاق الزكاة بالأصناف الثمانية ووجوب الصرف إلى كل صنف وجد منهم ومراعاة التسوية بينهم مفضية للاشتراك وهولاً يخفي ما فيه من الحرج المرفوع من هذه الأمة.

وأفاد الأستاذ: أن الفقهاء تكلموا في صفة الفقير والفرق بينه وبين

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (1/ 565) رقم (1477)، وابن ماجه في السنن (1/ 589) رقم (1839)، والترمذي في الجامع الصحيح (3/ 43).

المسكين لما احتاجوا إليه في قسم الزكاة المفروضة والشافعي رحمه الله يقول الفقير الذي لا شيء له والمسكين الذي له بلغة من العيش وأبو حنيفة رضي الله عنه يقول بالعكس وأهل المعرفة اختلفوا فيه فمنهم من قال بالأول ومنهم من قال بالثاني واختلافهم ليس كاختلاف الفقهاء وذلك لأن كل واحد منهم أشار إلى ما هو حاله أو وقته ووجوده وشربه ومقامه فمن أهل للمعرفة من رأى أخذ الزكاة المفروضة أولى وقالوا: لأن الله سبحانه جعل ذلك ملكاً للفقراء فهو أحل له مما يتطوع به عليه ومنهم من قال الزكاة المفروضة مستحقة لأقوام ورأوا الإيثار على الإخوان أولى فلم يزاحموا أرباب السهمان وتحرجوا من أخذ الزكاة وقالوا الأولى تسليم ذلك لهم ومنهم من قال: إن ذلك وسخ الأموال وهو لأصحاب الضرورة وقالوا: نحن آثرنا الفقراء اختياراً فلم يأخذوا الزكاة المفروضة ثم على مقتضى أصولهم في الجملة لا في أخذ الزكاة للفقراء مراتب أولها الحاجة ثم الفقر ثم المسكنة فذو الحاجة من يرضى بدنياه وتسد الدنيا فقره والفقير هو الذي يكتفي بعقباه وتجبر الجنة فقره والمسكين هو الذي هو لا يرضى بغير مولاه لا إلى الدنيا يلتفت ولا بالآخرة يشتغل ولا بغير مولاه يكتفي قال ﷺ «اللّهم أحيني مسكيناً وأمتني مسكيناً واحشرني في زمرة المساكين»[1] وقال عليه السلام: «وأغننا من الفقر» لأن
374/ أ عليه بقية فهو ببقيته محجوب عن ربه[2]/ ويحسن أن يقال الفقر المستعاذ منه أن لا يكون له شيء والمسكنة المطلوبة أن يكون له بلغة ليتفرغ بوجود تلك البلغة إلى العبادة وإذا لم يكن له بلغة ليتفرغ بوجود ذلك البلغة إلى العبادة وإذا لم يكن له بلغة شغله فقر عن أداء حقه فلذلك استعاذ منه، وقوم سمت هممهم عن هذا الاعتبار وهذا أولى بأصولهم فالفقير الصادق عندهم من لا سماء تظله ولا أرض تقله ولا سمة تتناوله ولا معلوم تشغله فهو عبد بالله يرد إلى التمييز في أوان العبودية وفي غير هذا الوقت مصطلم عن شواهده

---

(1) أخرجه ابن ماجه في السنن (2/ 1381) رقم (4126)، والترمذي في الجامع الصحيح (4/ 577) رقم (2352)، والبيهقي في السنن الكبرى (7/ 12) رقم (12930).

(2) أخرجه مسلم في الصحيح (2713/ 61).

واقف بربه منشق عن جملته ويقال الفقير من كسر فقاره وهذا في العربية والفقير عندهم من سقط اختياره وتعطلت عنه دياره فاندرست في استيلاء من اصطلمه آثاره وكأنه لم يبق منه إلا أخباره وأما المسكين فهو الذي أسكنته حاله بباب مقصوده لا يبوح عن سره فهو معتكف قلبه لا يغفل لحظة عن ربه وأما العاملون عليها فعلى لسان العلم من يتولى جميع الزكاة على شرائطها معروفة على لسان الإشارة أولى الناس التعاون عن أخذ الزكاة من صدق في أعماله لله فإنهم لا يرجون على أعمالهم عوضاً ولا يطلعون في مقابلة أحوالهم غرضاً كما قيل:

وما أنا بالباغي على الحب رشوة ... قبيح هوى يرجى عليه ثواب[1]

وأما ﴿وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ﴾ [الآية: 60] فعلى لسان العلم من يستمال قلبه بنوع إرفاق معه ليتوفر في الدين نشاطه فلهم من الزكاة سهم استعطافاً لهم وحاشا أن يكون في القوم من يكون حضوره بسبب طمع أو لنيل ثواب أو لرؤية مقام أو لتطلع حال وذلك في صفة العوام وأما الخواص فكما قالوا:

من لم يكن بك فانياً عن حظه ... وعن الهوى والأنس بالأحباب

أو تيمته صبابة جمعت له ... ما كان مفترقاً من الأسباب

فلأنه بين المراتب واقف ... لمنال حظ أو لحسن مآب[2]

وأما قوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾ [الآية: 60] فهو على لسان العلم المكاتبون وهؤلاء القوم لا يتحررون ولهم تعريج على سبب أو بقي لهم في الدنيا والعقبى أرباب أو لا يستفزهم طلب فمن كان ببقية من هذه الجملة فهو بعد لم يتحرر قال ﷺ المكاتب عبد ما بقي عليه درهم[3] وأنشد/ بعضهم: 374/ب

أتمنى على الزمان محالا ... أن ترى مقلتاي طلعة حر[4]

---

(1) نسب إلى المتنبي. انظر: يتيمة الدهر (1/ 59)، وشرح ديوان المتنبي (1/ 341).
(2) ذكره القشيري في تفسيره (3/ 121). (3) سبق تخريجه.
(4) نسب إلى أبي الحسن البديهي الشهرزوري. انظر: المنتحل (1/ 37)، ولباب الألباب (1/ 63).

وأما قوله تعالى: ﴿وَٱلۡغَٰرِمِينَ﴾ فيهم على لسان العلم من ركبهم دَين وهؤلاء القوم لا يقضي عليهم ما ألزمهم أملاك الخلق ولهذا قيل: المعرفة غريم لا يقضي دينه.

وأما قوله تعالى: ﴿وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 60] فعلى طريق العلم من سلك سبيل الله وجب له في الزكوات سهم وعلى هذه الطريقة من سلك سبيل الله يتوجه عليه المطالبات فيبذل أولاً ماله ثم جاهه ثم نفسه ثم روحه وهذا في أول قدم له.

وأما قوله تعالى: ﴿وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ﴾ [الآية: 60] فهو على لسان العلم من وقع في القربة وفارق وطنه على أوصاف مخصوصة وعند القوم إذا تقرب العبد عن مألوفات أوطانه فهو في قرى الحق فالجوع طعامه والخلوة مجلسه والمحبة شرابه والأنس منشوده والحق تعالى مشهوده ﴿وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابٗا طَهُورًا﴾ [الإنسان، الآية: 21] لقوم وعد بالجنة والآخرين فقد في الوقت وهو شراب المحاب وعذاب شراب الثواب وفي معناه أنشدوا:

ومقعد قوم قد مشى من شرابنا وأعمى سقيناه ثلاثاً فأبصرا
وأخرس لم ينطق ثلاثين حجة أدرنا عليه الكأس يوماً فأخبرا[1]

﴿وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ﴾ [الآية: 61] أي: يخالفونه قولاً وفعلاً وينكرون عليه حالاً يكون كمالاً ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٞۚ﴾ [الآية: 61] أي: يسمع كلما يلقى إليه ويصدق كلما يقال لديه وسمي بالجارحة كرجل عدى للمبالغة كأنه من فرط استماعه جملته آلة السماع كما سمي الجاسوس عيناً لهذا المعنى بلا نزاع روي أنهم قالوا محمد أذن سامعة تقول ما شئنا ثم نأتيه بعذرنا فيصدقنا ﴿قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٖ لَّكُمۡ﴾ [الآية: 61] يسمع الخير ويقبله ويعرض عن الشر وينكره كما فسره بقوله: ﴿يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ﴾ [الآية: 61] أي: يصدق به لما قام عنده من الأدلة على موجب تصديقه ﴿وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الآية: 61] أي: ويصدقهم لما علم من خلوصهم به واللام مزية للتفرقة بين الإيمان الذي بمعنى التصديق والتسليم وإيمان الأمان الذي بمعنى

(1) نسب إلى الأقيشر السعدي. واسمه المغيرة. انظر: حماسة القرشي (1/ 35)، ونهاية الأرب (1/ 423)، ونسب إلى أبي نوّاس. انظر: المحب والمحبوب (1/ 124).

تحقيق التكريم ﴿وَرَحۡمَةٞ﴾ [الآية: 61] أي: وهو رحمة للعالمين عموماً وخصوصاً
375/ أ ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡۚ﴾ [الآية: 61] أي: لمن ظهر الإيمان حيث يقبله/ ولا يكشف سره ولا يهتك ستره وفيه تنبيه على أنه ليس يقبل قولكم جهلاً بحالكم بل رفقاً بكم وتآلفاً لأمثالكم وقرأ حمزة بجر رحمة عطفاً على خير والباقون برفعها عطفاً على ﴿أُذُنُ﴾ [الآية: 61] أي: هو إذن ورحمة للذين آمنوا منكم ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [الآية: 61] أي: في الدنيا والفرقة وفي العقبى بالحرقة.

وأفاد الأستاذ: إن عين العداوة بالمساوىء موكلة وعين الرضا عن المعايب كليلة بسط الأئمة اللسان في صاحب الرسالة فعابوه بما هو إمارة كرمه ودلالة فضله فقالوا إنه لحسن خلقه يسمع ما يقال له فقد قال ﷺ «المؤمن عزّ كريم والمنافق خب لئيم»[1] وقد قيل من العاقل قالوا: الفطن المتغافل وفي معناه أنشدوا:

وإذا الكريم أتيته بخديعة ... فرأيته فيما تروم يسارع
فاعلم بأنك لم تخادع جاهلاً ... إن الكريم بفضله يتخادع[2]

﴿يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ﴾ [الآية: 62] على معاذيرهم في مقالهم أو تخلفهم ﴿لِيُرۡضُوكُمۡ﴾ [الآية: 62] أي: لترضوا عنهم أيها المؤمنون الغافلون منهم ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ﴾ [الآية: 62] أولى للأرض بالطاعة ورعاية الموافقة وتوحيد الضمير لتلازم الرضا بين القضية ﴿إِن كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ [الآية: 62] في إيمانهم صادقين وفي تصديقهم موافقين.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أخبر أن من تزين للخلق وتقرب إليهم وأدام رضاهم واتبع في ذلك هواهم فإن الله تعالى يسقط به عند الخلق حياءهم ويشينهم بما توهموا أنه يزينهم وأن الله لا يضيع ما كان لله فأما ما كان لغيره فوبال من أصابه ومحال من طلبه ويقال: إن الخلق لا يصدقك وإن حلفت له

(1) تفسير الطبري (7/ 293).
(2) نسب إلى علي بن الجهم. انظر: بهجة المجالس (1/ 138)، ونسب إلى أبي شراعة. انظر: المنتحل (1/ 66)، ونسب إلى محمد بن حازم الباهلي. انظر: البصائر والذخائر (2/ 2)، ودواوين الشعر (83/ 316).

والحق يقبلك وإن تخلفت عنه فالاشتغال بالخلق محنة غير مأجور عليها والإقبال على الحق نعمة وأنت مشكور عليها فالمغبون من ترك ما يشكر عليه ويؤثر ما لا يؤجر عليه.

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ﴾ [الآية: 63] أي: الشأن ﴿مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الآية: 63] أي: يشاققهما ويخالفهما ﴿فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا﴾ [الآية: 63] على حذف الخبر أي: فحق أن له نار جهنم ﴿ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [الآية: 63] أي: العذاب المقيم.

وأفاد الأستاذ: أنه يعجل عقوبته في الحال بالفرقة وفي المآل بالخلود في الحرقة.

375/ ب ﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ/ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية: 64] على المؤمنين ﴿سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ [الآية: 64] تنبهم بأسرارهم وتكشف على أستارهم ﴿قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟﴾ [الآية: 64] أمر تهديد ووعيد شديد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ﴾ [الآية: 64] أي: مظهر ما تحذرونه من إنزال السورة وأظهار السريرة أي: عن سبب استهزائهم.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ﴾ [الآية: 65] أي: في الكلام ﴿وَنَلْعَبُ﴾ [الآية: 65] في مقام المرام ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الآية: 65] توبيخ على استهزائهم بمن لا يصح الاستهزاء في حقهم وسبب نزوله أن ركباً من المنافقين مروا على رسول الله ﷺ في غزوة تبوك فقالوا: انظروا إلى هذا الرجل يريد أن يفتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فأخبر الله نبيه فدعاهم فقال: قلتم كذا فقالوا لا والله ما كنا في شيء من أمرك وأمر أصحابك ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الراكب ليقصر بعضنا على بعض وعثاء السفر فصدق في حقهم أن السفر قطعة من سقر(1).

﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟﴾ [الآية: 66] أي: لا تشتغلوا باعتذاراتكم المؤكدة فإيمانكم ﴿قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [الآية: 66] أي: أظهرتم الكفر الذي في طويتكم بعد إظهاركم

(1) تفسير البيضاوي (1/ 155)، تفسير الثعالبي (2/ 139).

الإيمان بألسنتكم ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ﴾ [الآية: 66] لتوبتهم وإخلاصهم في الالتجاء أو لتجنبهم عن الإيذاء والاستهزاء ﴿نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ﴾ [الآية: 66] أي: مصرين على النفاق أو مقدمين على الشقاق وقرأ عاصم بالنور فيهما على صيغة المعلوم ونصب طائفة الثانية.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه جرد العفو والعذاب عن علة الجرم وسبب الفعل على العبد حيث أحال على المشيئة إذ لو كان الموجب لعفوه وتعذيبه صفة العبد السوي بينهم عند تساويهم في الوصف فلما اشتركوا في الكفر بعد الإيمان وعفا عن بعضهم وعذب بعضهم دل على أنه يفعل ما يشاء ويختص من يشاء أقول هذا إن كان المراد عذاب الدنيا فهو ظاهر وإن كان عذاب العقبى فصرف بعضهم عن الكفر دون بعض إنما هو من باب الفضل والعدل ولا يسأل عما يفعل فتأمل فإنه موضع زلل وخطل ومحل ووحل وخلل.

﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ﴾ [الآية: 67] متشابهة في النفاق كأبعاض الشيء الواحد في الوفاق ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ﴾ [الآية: 67] بالكفر
376/ أ والمعصية ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾ [الآية: 67] عن الإيمان والطاعة/ ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ [الآية: 67] عن الصلة والبرّة وقبض اليد كناية عن الشح والخسة ﴿نَسُواْ اللَّهَ﴾ [الآية: 67] أي: أغفلوا ذكره وتركوا شكره ﴿فَنَسِيَهُمْ﴾ [الآية: 67] أي: تركهم من لطفه وفضله ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الآية: 67] الكاملون في الخروج عن دائرة الخير والإحسان حيث صدرت صفاتهم على خلاف نعت الإيمان.

قال أبو بكر الوراق: يستر المنافق المنافق عن عوراته والمؤمن مرآة المؤمن يبصره عيوبه ويدله على سبيل نجاته.

وقال سهل: نسوا نعم الله عندهم فأنبأهم شكر النعمة لهم.

وأفاد الأستاذ أن المؤمن بالمؤمن يتقوى والمنافق بالمنافق يتعاضد وطير السماء على ألّافها تقع فالمنافق لصاحبه أسر به قوامه وأصل به قيامه بعينه على فساده ويعمي عليه طريق رشاده والمؤمن ينصر المؤمن ويبصره عيوبه ويبغضها لديه ويقبح في غيبته ذنوبه فهو على السداد يتخذه ومن الفساد يبعده

ومعنى ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ [الآية: 67] لا ينفقون في سبيل الله ولا يجدون في إعانة عباد الله ولا يأخذون بأيدي الضعفاء لأجل الله ثم لا يرفعون أيديهم في طلب الحوائج إلى الله ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [الآية: 67] أي جازاهم في نسيانهم وتركوا طاعته وآثروا مخالفته فتركهم وما اختاروه لأنفسهم قال تعالى: ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة، الآية: 17].

﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ﴾ [الآية: 68] أي: وسائر الكفار الفجار ﴿نَارَ جَهَنَّمَ﴾ [الآية: 68] ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [الآية: 68] مقدرين الخلود في دار البوار ﴿هِيَ حَسْبُهُمْ﴾ [الآية: 68] أي: عقاباً وجزاءً ووفاقاً ﴿وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ [الآية: 68] أبعدهم عن رحمته وطردهم عن جنته ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ [الآية: 68] وحجاب جسيم.

﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [الآية: 69] أي: أنتم كمن قبلكم أو فعلكم مثل ما فعل الذين من قبلكم ﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً﴾ [الآية: 69] أي: في أنفسهم أو شوكة وغلبة في جاههم ﴿وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا﴾ [الآية: 69] أي: أتباعاً وأجناداً والجهلة بيان لتثبيتهم وتمثيل حالهم بحالهم ﴿فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ﴾ [الآية: 69] نصيبهم الذي خلق لهم من ملاذ الدنيا ﴿فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ﴾ [الآية: 69] أي: على طبق أخلاقهم ﴿كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ﴾ [الآية: 69] ذم الأولين باستمتاعهم بحظوظهم الناقصة من الشهوات الفانية واشتغالهم بها عن النظر في العاقبة والسعي في تحصيل الملاذ الحقيقية الباقية تمهيداً لذم المخاطبين بمشابهتهم واقتفاء/ سيرتهم واتباع طريقتهم ﴿وَخُضْتُمْ﴾ [الآية: 69] أي: دخلتم في الباطل 376/ ب
واستغرقتم فيما لا طائل فيه ﴿كَالَّذِي خَاضُوا﴾ [الآية: 69] أي: كالقوم الذين خاضوا أو كالخوض الذي خاضوه ﴿أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ [الآية: 69] أي: الصورية ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [الآية: 69] لم يستحقوا عليها ثواباً لا في الدنيا ولا في الجزاء في العقبى ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الآية: 69] الذي خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة وحالة الندامة.

﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ﴾ [الآية: 70] أغرقوا بالطوفان

﴿وَعَادٍ﴾ [الآية: 70] أهلكوا بالريح ﴿وَثَمُودَ﴾ [الآية: 70] عوقبوا بالرجفة ﴿وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الآية: 70] أهلك نمرود ببعوض ﴿وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ﴾ [الآية: 70] أهلكه وقوم شعيب أهلكوا بالنار يوم الظلة ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ﴾ [الآية: 70] أي: قرى قوم لوط أي: ائتفكت بهم وانقلبت عليهم فصارت عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضودة مسومة ﴿أَتَتْهُمْ﴾ [الآية: 70] أي: كلهم ﴿رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [الآية: 70] أي: بالمعجزات الواضحات والحجج الطاهرات ﴿فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ [الآية: 70] أي: لم يكن من عادته سبحانه ما يشاء به ظلم الناس كالعقوبة من غير الجريمة ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الآية: 70] حيث عرضوها للعقاب ووقعوا في ظلمة الحجاب.

وقال الأستاذ: أي ألم ينته إليهم خبر القرون الماضية ونبأ الأمم الخالية كيف دمرنا جمعهم وكيف بددنا شملهم وقضينا فيهم بالعدل وحكمنا عليهم باستئصال الكل فلم يبق منهم نافخ نار ولم يخلصوا إلا على عار وشنار.

﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [الآية: 71] .

قال أبو عثمان: المؤمنون يتعاونون على العبادة ويتبادرون إلى الطاعة وكل واحد منهم يشد ظهر صاحبه ويقيم على سبيل مرضاة ربه كما قال ﷺ المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً[(1)] ﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ [الآية: 71] في سائر أنواع العبادة فهم كاملون مكملون في أمر الطاعة وطريق أهل السعادة ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 71] لا محالة فإن السير مؤكدة لوقوع الحالة أو أراد الرحمة الخاصة الواقعة بهم يوم القيامة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ [الآية: 71] غالب في حكمه ﴿حَكِيمٌ﴾ [الآية: 71] في صنعه.

وأفاد الأستاذ: أن المؤمنين يعين بعضهم بعضاً على الطاعات ويتواصون بينهم بترك المحظورات فتحابهم في الله وقيامهم بحق الله وصحبتهم لله/ 377/أ

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (481)، ومسلم في الصحيح (2585/ 65).

وعداوتهم لأجل الله تركوا حظوظهم بحق الله وآثروا على هواهم رضا الله أولئك الذين عصمهم الله في الحال وسيرحمهم الله في المآل.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً﴾ [الآية: 72] ستطيبها النفس المطيبة وتطيب فيها المعيشة وفي الخبر أنها قصور من اللؤلؤ الزبرجد والياقوت الأحمر(1) ﴿فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ [الآية: 72] أي: بساتين إقامة ونزهة دائمة وعنه عليه السلام عدن دار الله التي لم ترها عين ولا يخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلاثة النبيون والصديقون(2) والشهداء يقول الله تعالى: طوبى لمن دخلك(3) ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [الآية: 72] لأنه المبدأ لكل كرامة وسعادة والمؤدي إلى حصول الأصول والفوز باللقاء والريادة ففي الحديث أن الله تعالى يقول لأهل الجنة هل رضيتم فيقولون وما لنا أن لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك فيقول أنا أعطيكم أفضل من ذلك قالوا: وأي شيء أفضل من ذلك؟ قال: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبداً ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 72] الرضوان ﴿هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [الآية: 72] الذين يستحقر دوونه كل نعيم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه وعدهم جميعهم الجنة ومساكن طيبة ولا يطيب المسكن إلا برؤية المحبوب وكل محب يطيب مسكنه برؤية محبوبه ولكنهم يختلفون في الهمم فمن مربوط بحظ مردود إلى خلق ومن مجذوب إلى حق موصول بحق وفي الجملة الأمر كما قيل:

أجيراننا ما أوحش الدار بعدكم ... إذا غبتم عنها ونحن حضور(4)

ويقال: قوم يطيب مسكنهم بوجود عطائه وقوم يطيب مسكنهم بشهود لقائه ثم أمارة أهل الرضوان وجدان طعمه نقداً فهو في روح الأنس وروح الأنس لا تتقاصر عن راحة دار القدس بل هو أتم وأعظم والله أعلم.

---

(1) الدر المنثور (8/ 649).

(2) تفسير الطبري (21/ 221)، وتفسير القرطبي (15/ 295)، جامع الأحاديث (1/ 229).

(3) تفسير الطبري (14/ 351) رقم (16943) و(16944)، والكشاف (2/ 447).

(4) ذكره القشيري في تفسيره (3/ 133) و(7/ 423).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ﴾ [الآية: 73] بالسيوف الحادة ﴿وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ [الآية: 73] بإقامة الحدود وإلزام الحجة ﴿وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [الآية: 73] بعدم المحاباة والملايمة ﴿وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [الآية: 73] مصيرهم دار العقوبة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه دعا الخلق كافة إلى حسن الخلق ودعا نبينا ﷺ/ عن حسن الخلق قال لموسى عليه السلام ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا﴾ [طه، 377/ب
الآية: 44] وقال لنبينا ﷺ ﴿وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [الآية: 73] أقول ذلك لأن موسى عليه السلام كان يغلب عليه صفة الجلال فأمر بالتليين والتهوين لحصول الاعتدال وكان نبينا ﷺ يغلب عليه نعت الجمال فأمر بالتغليظ والتشديد لوصول الكمال ونظيره أنه ﷺ أمر الصديق برفع بعض الصوت في القراءة والفاروق بحفظ بعضه في تلك الحالة بناءً على هذه الحكمة الجلية والنكتة العلية ثم قال: ويقال إنما قال بعض إظهار الحجة لما أزاح عدوهم بأيام المهلة ففي الأول أمرهم بالرفق حيث قال: قل إنما أعظكم بواحدة فلما أصروا واستكبروا أمره بالغلظة فإن المجاهدة أولها باللسان بشرح البرهان وإيضاح الحجج والبيان ثم إن حصل من العدو جحد بعد إزالة العذر فبالوعيد والزجر فإن لم ينجع الكلام ولم يتبع الملام فالقتال والخراب وبذل الوسع في هذا الباب.

﴿يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ﴾ [الآية: 74] روي أن عليه السلام أقام في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المتخلفين فقال الجلاس بن سويد: لئن كان ما يقول محمد لإخواننا حقاً لنحن شر من الحمير فبلغ رسول الله ﷺ فاستحضره فحلف بالله ما قاله فنزلت فتاب الجلاس وحسنت توبته[1] ﴿وَلَقَدۡ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلۡكُفۡرِ﴾ [الآية: 74] وهي شكهم في أمر دينهم ﴿وَكَفَرُواْ بَعۡدَ إِسۡلَٰمِهِمۡ﴾ [الآية: 74] أي: أظهروا الكفر بعد إظهار إيمانهم ﴿وَهَمُّواْ بِمَا لَمۡ يَنَالُواْۚ﴾ [الآية: 74] من قتله عليه السلام وهو أن خمسة عشر منهم توافقوا عند مرجعه من تبوك أن يدفعوه عن راحلته إلى البوادي إذ تسنم العقبة بالليل فأخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينما هما كذلك إذ سمع حذيفة بوقع أخفاف

(1) تفسير الرازي (8/ 97)، الكشاف (2/ 449).

الإبل وقعقعة السلاح فقال إليكم إليكم يا أعداء الله فهربوا أو من إخراجه وإخراج المؤمنين من المدينة أو ما سولت لهم أنفسهم أنه يخرج الأعز منهم الأذل[1].

وقال الأستاذ: وتمنوا زوال [دولة] الإسلام فأبى الله إلا إعلاء أمرها بالإتمام ﴿وَمَا نَقَمُوٓاْ﴾ [الآية: 74] أي: ما أنكروا ﴿إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ/ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن 378/ أ
فَضْلِهِۦۚ﴾ [الآية: 74] فإن أكثر أهل المدينة قبل الهجرة النبوة كانوا محاويج في ضيق من جهة المعيشة فلما قدم رسول الله ﷺ كثر مالهم بالغنيمة مع زيادة النماء والبركة والاستثناء مفرغ من أعم المفاعيل أو أشمل التعاليل ﴿فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ﴾ [الآية: 74] أي: التوب من الحوب ﴿خَيْرًا لَّهُمْۖ﴾ [الآية: 74] في الدارين ﴿وَإِن يَتَوَلَّوْاْ﴾ [الآية: 74] بالإصرار على فعل الكفار ﴿يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِۚ﴾ [الآية: 74] بالقتل والنار ﴿وَمَا لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مِن وَلِيٍّ﴾ [الآية: 74] بل أمرهم بأن ينفعهم ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ [الآية: 74] ينصرهم بدفع الضرر عنهم.

﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الآية: 75] نزلت في ثعلبة بن حاطب أتى النبي ﷺ وقال: ادع الله أن يرزقني مالاً فقال عليه السلام: قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه فقال: والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالاً لأعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنماً فنمت كما ينمى الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل وادياً وانقطع عن الجماعة والجمعة فسأل عنه رسول الله ﷺ فقيل: كثر ماله حتى لا يسعه وادٍ فقال: يا ويح ثعلبة فبعث رسول الله ﷺ مصدقين لأخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسألاه الصدقة وأقرأه الكتاب الذي فيه الفرائض فقال ما هذه إلا جزية؟ ما هذه إلا أخت الجزية فارجعا حتى أرى رأيي فلما رجعا قال لهما رسول الله ﷺ: قبل أن كلماه يا ويح ثعلبة مرتين فنزلت هذه الآية فجاء ثعلبة بالصدقة فقال عليه السلام: إن الله منعني أن أقبل منك فجعل التراب يحثو على رأسه فقال هذا عملك أمرتك فلم تطعني فقبض رسول الله ﷺ فجاء بها إلى أبي

---

(1) تفسير الرازي (8/ 97)، تفسير النيسابوري (4/ 181)، تفسير أبي السعود (4/ 84)، تفسير البيضاوي (1/ 158).

بكر فلم يقبلها ثم جاء بها إلى عمر فلم يقبلها وهلك في زمان عثمان(1).

﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضۡلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ﴾ [الآية: 76] منعوا حق الله منه ﴿وَتَوَلَّواْ﴾ [الآية: 76] أعرضوا عن طاعة الله بسببه ﴿وَّهُم مُّعۡرِضُونَ﴾ [الآية: 76] أي: والمنافقون
378/ ب قوم عادتهم الإعراض ودأبهم حصول الأعواض ووصول/ الأغراض سئل أبو حفصة ما البخل؟ فقال: ترك الإيثار عند الحاجة والاضطرار. وقال حمدون: من رأى لنفسه ملكاً فقد بخل لأنه قصر عنه أيدي الآخرين كذا تفسير السلمي. وأفاد الأستاذ: أن ثعلبة تطلب إحسان ربه وتقرب إليه بإبرام عهده فلما حقق الله سؤله وصدق مأموله فسخ ما أبرمه وانسلخ عما ألزمه واستولى عليه البخل وضنّ بإخراج حقه فلحقه شؤم النفاق بما بقي إلى الأبد في أسره وجد البخل على لسان العلم مع الواجب وبخل كل أحد على ما يليق بحاله وكل من آثر شيئاً دون رضا ربه فقد اتصف ببخله فمن بخيل بخل بماله فيزول البركة عنه حتى يؤول إلى وارث أو يزول بحادث ومنهم من بخل بنفسه فتقاعس عن طاعته فتفارقه الصحة حتى لا يستمتع بحياته والذي بخل بروحه عنه عوقب بالخذلان حتى يكون حياته سبب شقائه.

﴿فَأَعۡقَبَهُمۡ نِفَاقٗا فِي قُلُوبِهِمۡ﴾ [الآية: 77] أي: فجعل الله عاقبة فعلهم سوء اعتقاد في صدورهم أو فأورثهم البخل نفاقاً متمكناً في قلوبهم ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ يَلۡقَوۡنَهُۥ﴾ [الآية: 77] أي: الله بالموت أو عملهم بمعنى جزائه وهو يوم القيامة ﴿بِمَآ أَخۡلَفُواْ ٱللَّهَ﴾ [الآية: 77] بسبب إخلافهم إياه ﴿مَا وَعَدُوهُ﴾ [الآية: 77] من التصدق والتصديق وصلاح أعمالهم ﴿وَبِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ﴾ [الآية: 77] وبكونهم كاذبين فيه وفي غيره.

وأفاد الأستاذ: أن من نقض العهد في نفسه رفض الود من أصله وكل من أظهر في الجملة خيراً واستبطن شراً فقد نافق بقسطه والمنافق في الصف الأخير في دنياه وفي الدرك الأسفل من النار في عقباه.

(1) تفسير الطبري (14/ 371)، تفسير ابن كثير (4/ 184)، تفسير أبي السعود (4/ 85)، تفسير البيضاوي (1/ 159).

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ﴾ [الآية: 78] ما أسروه في أنفسهم ﴿وَنَجْوَىٰهُمْ﴾ [الآية: 78] وما يتناجون فيما بينهم ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [الآية: 78] فلا يخفى عليه شيء من العيوب فقد خوفهم بعلمه كما خوفهم في مواضع بفعله.

﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ﴾ [الآية: 79] أي: يعيبون المتطوعين ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [الآية: 79] إن كان قليلة أو جزيلة روي أنه عليه السلام حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم وقال: كان لي
379/ أ ثمانية آلاف/ فأقرضت ربي أربعة وأمسكت لعيالي أربعة فقال رسول الله ﷺ: بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت فبارك الله له حتى صولحت إحدى امرأتيه عن نصف الثمن على ثمانين ألف درهم وتصدق عاصم بن عدي بمائة وشقّ تمر وجاء أبو عقيل الأنصاري بصاع تمر فقال: بت ليلتي أجر بالجرير على صاعين فتركت صاعاً لعيالي وجئت بصاع فأمره رسول الله ﷺ أن ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا: ما أعطى عبد الرحمن وعاصم إلا رياء ولقد كان الله ورسوله لغنيين عن صاع أبي عقيل ولكن أحب أن يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت[1] ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ [الآية: 79] أي: وسعهم وطاقتهم ووجدهم ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾ [الآية: 79] يستهزؤون بهم ﴿سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾ [الآية: 79] جازاهم على سخريتهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الآية: 79] على كفرهم ومعصيتهم.

وأفاد الأستاذ: أن قليل أهل الإخلاص في الوفاق أفضل من كثير أهل النفاق قلت: وقد ورد: سبق درهم مائة ألف درهم[2] ثم قال: ولما أوحشوا المسلمين بسخريتهم وصف الله سبحانه بما يستحيل في وصفه على التحقيق من السخرية بأحد تطيباً لقلوب أوليائه وأن تقدس عن ذلك العزة بِكبريائه.

---

(1) تفسير الطبري (14/ 391)، وتفسير البغوي (4/ 78)، الكشاف (2/ 452).
(2) أخرجه الحاكم في المستدرك (1/ 576) رقم (1519)، والبيهقي في السنن الكبرى (4/ 181) رقم (7568)، والنسائي في السنن الكبرى (2/ 32) رقم (2306).

﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ﴾ [الآية: 80] يريد به التساوي بين الأمرين في عدم الإفادة لهم في الدارين كما أوضحه بقوله: ﴿إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ﴾ [الآية: 80] روي أن عبد الله بن عبد الله بن أبي وكان من المخلصين سأل رسول الله ﷺ في مرض أبيه أن يستغفر له النبي النبيه فنزلت(1) فقال عليه السلام: لأزيدن على السبعين فنزلت ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ﴾ [المنافقون، الآية: 6] لأنه عليه السلام فهم من السبعين العدد المخصوص لأنه الأصل فجوز أن يكون ذلك حد يخالفه حكم ما وراءه فبين له أن المراد به التكثير دون التحديد وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعمائة
ونحوها في التكثير لاستعمال السبعة على جملة أقسام العدد/ بأسره ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ 379/ ب
كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۗ﴾ [الآية: 80] فيه تنبيه على أن يأسهم من المغفرة عنهم وعدم قبول استغفارك لهم ليس ببخل منا ولا لقصور فيك بل لعدم قابليتهم بسبب الكفر الصارف عن مجاوزتهم ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [الآية: 80] الخارجين عن الطاعة المتمردين في المخالفة. وأفاد الأستاذ: أن من غلبته شقوته لم ينفعه تضرعه ودعوته ويقال: صريع القدر لا ينعشه الجهد والحيلة.

﴿فَرِحَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ بِمَقۡعَدِهِمۡ﴾ [الآية: 81] بقعودهم عن الغز ﴿خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 81] أي: خلفه أو لمخالفته ﴿وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 81] إيثاراً للدعة والسعة على العبادة والطاعة بخلاف المؤمنين حيث أحبوا المجاهدة ببذل المال والمهجة ﴿وَقَالُواْ﴾ [الآية: 81] للمؤمنين أو لبعض أحد من المنافقين ﴿لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ﴾ [الآية: 81] في شدة الحرارة وكثرة العثرة ﴿قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ﴾ [الآية: 81] فينبغي دفعها في العقبى بالمجاهدة في الدنيا ﴿لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ﴾ [الآية: 81] إن ما يهم إليها وممرهم عليها تركوا ما بهم من إيثار الدعة على الطاعة مع أن الدنيا في جنب طول القيامة كساعة.

وقال الأستاذ: استقرهم سرورهم بتخلفهم ولم يعلموا أن ثبورهم في تأخرهم وما آثروه من راحة نفوسهم على أداء حق الله والخروج في صحبة

(1) تفسير الرازي (8/ 107)، تفسير أبي السعود (4/ 87)، تفسير الثعالبي (4/ 305).

رسول الله نزع الله الراحة منهم بما عاتبهم وسيصلون سعيراً في الآخرة بما قدموه من نفاقهم وعاقبهم.

﴿فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا﴾ [الآية: 82] إحياء عما يؤول إليه أمرهم في الدنيا والأخرى وقد أخرجه عن صيغة الأمر لدلالة على أنه حتم واجب الوقوع.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يبدل خبرتهم بحسرة وفرحتهم بترحة وراحتهم بعبرة حتى يكثر بكاؤهم في العقبى كما كثر ضحكهم في الدنيا وذلك ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [الآية: 82] من كفر بربه وعصى.

﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ﴾ [الآية: 83] أي: ردك إلى المدينة وفيها طائفة المتخلفين من المنافقين فإن بعضهم كانوا مؤمنين أو من بقي منهم على حياته أو على نفاقه فإن منهم من مات ومنهم من تاب ﴿فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ﴾ [الآية: 83] إلى غزوة أخرى يعذبوك ﴿فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِىَ عَدُوًّا﴾ [الآية: 83] إخبار في/ النهي للمبالغة ﴿إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الآية: 83] وهي 380/ أ
الخرجة إلى غزوة تبوك والجملة تعليل لما قبله وكان إسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة لهم تخلفهم ﴿فَٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ﴾ [الآية: 83] أي: المتخلفين لعدم لياقتهم للجهاد كالنسوان والأولاد وقد قال الفرزدق:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها ... واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي[1]

وأفاد الأستاذ: إنه سبحانه يقول: بعد ما ظهرت خيانتهم وشقاقهم وتقرر كذبهم ونفاقهم لا تنخدع بتملقهم ولا تثق بقولهم ولا تمكنهم من صحبتك فيما يظهرونه من وفائك وإذا وهَى سلك العهد فلا يحتمل بعده الشد وإذا اتسع الخرق فلا ينفع بعده الرقع.

﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾ [الآية: 84] روي أن ابن أبي دعا رسول الله ﷺ في مرضه فلما دخل عليه سأله أن يستغفر له ويكفنه في شعاره الذي يلي جسده ويصلي عليه فلما مات أرسل قميصه ليكفن فيه وذهب ليصلي

---

(1) هذا البيت للحطيئة وقد سبق التعليق عليه. ولم يثبت إطلاقاً في مرجع أنه للفرزدق.

عليه فنزلت: وإنما لم ينه عن التكفين في قميصه ونهى عن الصلاة عليه لأن الضنة بالقميص كان مخلاً بالكرم أو لأنه كان مكافأة لإلباسه العباس قميصه حين أسر ببدر ولأنه لم يمنعه عن عذابه بخلاف الصلاة عليه بالدعاء والاستغفار منه ﷺ فإنه مظنة المغفرة ومينة لاستحقاق الرحمة.

وقد طلب مزيد من أبي يزيد أن يعطيه فروته ليتكفن به فقال له: لو لبست جلدتي ما نفعتك إلا تبعيتي ﴿وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ [الآية: 84] ولا تقف عليه حال دفنه أو وقت زيارته لعدم منفعة دعوته ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الآية: 84] تعليل للنهي عما تقوم ذكره.

﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ﴾ [الآية: 85] واكتفى هنا بنفي زيادة لا للتأكيد لما تقدم فيه من المزيد ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [الآية: 85] وفيما سبق ليعذبهم إيماءً إلى الإيجاز بعد الإطناب وقد كرر للتأكيد في هذا الباب وجوز أن يكون هذه في فريق غير الأول وهو أقرب إلى الصواب.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يقول: لا تحسبن أن يمكن أهل النفاق من
380/ ب تنفيذ/ مرادهم وتكثير أموالهم وأولادهم إسداء معروف منا إليهم أو إسباغ إنعام من لدنا عليهم إنما ذلك مكربهم واستدراج لهم وإمهال لا إهمال وسيلقونه غبه عن قريب في المآل.

﴿وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ [الآية: 86] أي: كلها أو بعضها وفيها ﴿أَنْ ءَامِنُوا۟﴾ [الآية: 86] أي: آمنوا أو بأن آمنوا ﴿بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ﴾ [الآية: 86] ذو الفضل في المال والسعة في رخاء الحال ﴿وَقَالُوا۟ ذَرْنَا﴾ [الآية: 86] دعنا في الدعة ﴿نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾ [الآية: 86] بحسب الضرورة ووفق المعذرة.

قال الأستاذ: أولئك الذين خصهم الله بخذلانه وصرف قلوبهم عن ابتغاء رضوانه.

﴿رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ﴾ [الآية: 87] جمع خالفة وهن النسوان ولعل فيه تغليباً لهن على الصبيان ﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [الآية: 87] أي: ختم لهم بالشقاوة

﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [الآية: 87] ما في المجاهدة وموافقة الرسول من السعادة وما في الخلف عنه من فوت الزيادة.

وأفاد الأستاذ: أنهم أبعدوا عن بساط الطاعة واستطابوا الدعة ورضوا بالتعريج في أوطان الفرقة ومنازل الفرقة ولو أنهم رجعوا إلى الله بصدق الندم لقابلهم ربهم بالفضل والكرم ولكن القضاء غالب والأمر لازب.

﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ [الآية: 88] أي: إن تخلف هؤلاء الأغنياء فقد جاهد سيد الأنبياء مع أصحابه الأصفياء ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ﴾ [الآية: 88] النصر والغنيمة في الدنيا والجنة والكرامة في العقبى ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الآية: 88] الفائزون بالمطالب العليا أو بلقاء المولى.

وقال الأستاذ: ليس من أقبل كمن صد ولا من قبل أمره كمن رد ولا من وحّد كمن جحد ولا من عبد كمن عَنَد ولا من أتى كمن أبى فلا جرم ربحت تجارتهم وجلت رتبتهم.

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [الآية: 89] بيان لمالهم من الخيرات الأخروية والنعيم المقيم.

وأفاد الأستاذ: إن الآية تشير إلى أن راحاتهم في المآل موعودة فتدل على أن الآلام والأتعاب في الحال لهم موجودة مشهودة ويقال صادق يقينهم بالثواب يهون/ عليهم مقاساة ما يلقونه إلى الوقت من الأتعاب. 381/ أ

﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ﴾ [الآية: 90] أي: المعتذرون ﴿مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ [الآية: 90] كأسد وغطفان ﴿لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾ [الآية: 90] حيث استأذنوا في التخلف معتذرين بقلة المال وكثرة العيال وكان اعتذارهم تصنعاً لقوله تعالى ﴿وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الآية: 90] في دعوى الاعتذار ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الآية: 90] أي: أصروا على كفرهم ﴿مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الآية: 90] وحجاب جسيم.

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ﴾ [الآية: 91] كالهرمى الزمنى ﴿وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ﴾ [الآية: 91] كالفقراء ﴿حَرَجٌ﴾ [الآية: 91] إثم في

التأخر عن المجاهدة ﴿إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الآية: 91] أي: أخلصوا لهما بالإيمان والطاعة في السر والعلانية.

وأفاد الأستاذ: أن قيمة الفقر تظهر عند سقوط الأمر ولو لم يكن في القلة خير إلا هذا لكفى لها بذلك فضيلة بقوا في أوطانهم لم يتوجه عليهم في الجهاد أمر ولا بمفارقة المنازل امتحان وخير اكتفى عنهم بنصحة القلب واعتقاد أن لو قدروا لخرجوا وأصحاب الأموال امتحنوا اليوم بجمعها ثم بحفظها ثم ملكتهم محبتها حتى شقت عليهم الغيبة عنها ثم ينزجر اللوم عليهم في ترك إنفاقهم ثم ما يتعقبه غداً من الحساب والعذاب يربو على الجميع ﴿مَا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ مِن سَبِيلٖۚ﴾ [الآية: 91] ليس عليهم جناح ولا تبعة ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ﴾ [الآية: 91] للمسيء فكيف للمحسن ﴿رَّحِيمٞ﴾ [الآية: 91] بجنس المؤمن قبل المحسن من رأى إحسان الله إليه ولا يرى نفسه محسناً لديه ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: أن المحسن هو الذي لا يكون للشرع منه مطالبته لا في حق الله ولا في حق الخلق حتى لو كان خير في حكمه وقصر في أمره لم يكن محسناً في نفسه.

﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ﴾ [الآية: 92] أي: لتعينهم بدابة ونحوها في سفرهم ﴿قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾ [الآية: 92] جملة حالية من المفعول في أتوك بتقدير قد وجواب إذا قوله تعالى ﴿تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ﴾ [الآية: 92] أي: يسيل دمعها فإن من للبيان وهي مع المجرور في محل النصب على التمييز وهو أبلغ من يفيض دمعها لأنه يدل على أن العين صارت
381/ب دمعاً فياضاً ﴿حَزَنًا﴾ [الآية: 92] نصب على العلة ﴿أَلَّا يَجِدُواْ﴾ [الآية: 92] لئلا/ تجدوا متعلق بحزناً أو تفيض ﴿مَا يُنفِقُونَ﴾ [الآية: 92] في سبيل مرضات ربهم والمراد بهم البكاؤون وهم سبعة من الأنصار معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب وسالم بن عمير وثعلبة بن عتمة وعبد الله بن معقل وعلية بن زيد أتوا رسول الله ﷺ وقالوا: نذرنا الخروج فاحملنا على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة نفروا معك فقال: لا أجد فتولوا وهم يبكون وقيل: هم أبو

موسى وأصحابه وأميرهم[1] كما قال قائلهم:

قال لي من أحب والبين قد حلّ ودمعي موافق لشهيق
ما ترى في الطريق تصنع بعدي قلت أبكي عليك طول الطريق[2]

﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ﴾ [الآية: 92] أي: باللوم والمعاتبة ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ﴾ [الآية: 92] أي: بلا معذرة ﴿وَهُمۡ أَغۡنِيَآءُۚ﴾ [الآية: 92] واجدون الأهبة والمكنة ولهم الاستطاعة والقدرة فإن من صدق في الولاء لم يحتشم من مقاساة العناء والذي هو في الولاء مماذق وللصدق مفارق يتعلل بما لا أصل له لأنه حرم الخلوص فيما هؤلاء أهل له:

وكذا الملول إذا أراد قطيعة ملَّ الوصال وقال كان وكانا

﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ﴾ [الآية: 93] استئناف بيان لما هو سبب استئذانهم من غير علة وهو رضاهم بالدناءة والانتظام في جملة الخوالف إيثار للدعة ﴿وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ [الآية: 93] حتى غفلوا عن وخامة العاقبة ﴿فَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الآية: 93] تبعية المعتبة.

وقال الأستاذ: قيل في تفسير مع الخوالف مع النساء في البيوت والإسلام يثني على الشجاعة وفي الخبر أن الله تعالى يحب الشجاعة ولو على قتل حية[3] وفي معناه أنشدوا:

كتب القتل والقتال علينا وعلى المحصنات جر الذيول[4]

ومن استوطن مركب الكسل واكتسى لباس الفشل وركن إلى مخاريق الحيل فلا جرم حرم استحقاق القربة ومن أراد الله تعالى هوانه وأذاق خذلانه فليس له عن حكم الله مناص ولا عن عذابه خلاص.

---

(1) تفسير النيسابوري (4/ 194)، تفسير أبي السعود (4/ 92).
(2) سبق التعليق عليه.
(3) تفسير القرطبي (1/ 315)، تفسير القشيري (3/ 152).
(4) نسب إلى عمر بن أبي ربيعة. انظر: العقد الفريد (2/ 147)، والكامل في اللغة (1/ 253).

﴿يَعۡتَذِرُونَ إِلَيۡكُمۡ﴾ [الآية: 94] في التخلف عنكم ﴿إِذَا رَجَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡۚ﴾ [الآية: 94] من هذه السفرة لديهم ﴿قُل لَّا تَعۡتَذِرُواْ﴾ [الآية: 94] بالمعاذير الكاذبة منكم لأنه ﴿لَن
382/ أ نُّؤۡمِنَ لَكُمۡ﴾ [الآية: 94] / لن نصدقكم لأنه ﴿قَدۡ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنۡ أَخۡبَارِكُمۡۚ﴾ [الآية: 94] أي أخبرنا بأخباره بالوحي إلى نبيه بعض أخباركم وهو السر والفساد مما في أسراركم ﴿وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ﴾ [الآية: 94] فكأنه استتابة وإمهال للتوبة ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الآية: 94] فيجازيكم على أعمالكم بحسب أحوالكم وحسب أعمالكم.

﴿سَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ إِذَا ٱنقَلَبۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ لِتُعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ﴾ [الآية: 95] بأن لا تعاتبوهم وتقبلوا العذر منهم ﴿فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ﴾ [الآية: 95] بعد توبيخهم وإظهار تفضيحهم ﴿إِنَّهُمۡ رِجۡسٞۖ﴾ [الآية: 95] لا ينفع فيهم التغيير فإن المقصود منه التطهير بالحمل على الإنابة وقبول التغيير وهؤلاء كأنهم عين النجاسة فلا يتصور فيهم الطهارة فالجملة علة الإعراض وترك المعاتبة ﴿وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [الآية: 95] نصبه على المصدر والعلة.

﴿يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ لِتَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡۖ﴾ [الآية: 96] بحلفهم فتستديموا عليهم بما كنتم تصنعون بهم ﴿فَإِن تَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡ﴾ [الآية: 96] أي: فرضاً وتقديراً ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرۡضَىٰ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [الآية: 96] فإن رضاكم لا يستلزم رضا الله ورضاكم وحدكم لا ينفعهم إذا كانوا في سخط ربهم والمقصود من الآية النهي عن الرضا عنهم والاغترار بمعاذيرهم بعد الأمر بالإعراض عنهم وعدم الالتفات نحوهم.

وأفاد الأستاذ: أن من كان مسخوط الحق لا ينفعه أن يكون مرضي الخلق وليست العبرة بقبول غير الله إنما المدار على ما سبق من السعادة حكم الله.

﴿ٱلۡأَعۡرَابُ﴾ [الآية: 97] أي: سكان البادية ﴿أَشَدُّ كُفۡرٗا وَنِفَاقٗا﴾ [الآية: 97] من أهل القرية لتوحشهم وقساوتهم وغلظتهم وعدم مخالطتهم لأهل العلم والمعرفة وقلة استعمالهم للكتاب والسنّة ﴿وَأَجۡدَرُ أَلَّا يَعۡلَمُواْ﴾ [الآية: 97] وأحق بأن لا يعرفوا ﴿حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦۗ﴾ [الآية: 97] من تفاصيل الشريعة ﴿وَٱللَّهُ

عَلِيمٌ﴾ [الآية: 97] يعلم حال أهل الوبر والمدر ﴿حَكِيمٌ﴾ [الآية: 97] فيما خلق ودبر ﴿وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ﴾ [الآية: 98] أي: بعدما يصرفه في سبيل الله ﴿مَغۡرَمٗا﴾ [الآية: 98] أي: غرامة وخسارة حيث لا ينفعه إلا رياء وتقية ولا يحتسب له عند الله أجراً ومثوبة ﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَۚ﴾ [الآية: 98] أي: ينتظر لكم دوائر الزمان لينقلب الأمر/ فيتخلص من الهوان ﴿عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۗ﴾ [الآية: 98] جملة اعتراضية للدعاء عليهم بنحو ما يتربصونه لهم أو إخبارية عن وقوع ما يتربصون به عليهم والدائر من الأصل مصدر واسم فاعل من دار يدور سمي بها عقبة الزمان ونوبة الدوران والسوء بالفتح مصدر ضيف إليه للمبالغة كقولهم رجل سوء وقرأ ابن كثير وأبو عمر وبضم السين هنا وفي مثاني سورة الفتح ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ [الآية: 98] لمقالهم ﴿عَلِيمٞ﴾ [الآية: 98] بأحوالهم. 382/ ب

﴿وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [الآية: 99] فليسوا سواء في السرائر ﴿وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ﴾ [الآية: 99] هي ثاني مفعولي يتخذ أي سبب ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 99] صفتها أو متعلق بعاملها ﴿وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ﴾ [الآية: 99] أي: وسبب دعواته لأنه كان يدعو للمتصدقين ويستغفر لهم ولذلك سن للمصدق وهو آخذ الصدقة أن يدعو للمتصدق عند أخذ الصدقة ﴿أَلَآ إِنَّهَا﴾ [الآية: 99] أي: نفقتهم ﴿قُرۡبَةٞ لَّهُمۡۚ﴾ [الآية: 99] شهادة من الله بصحة معتقدهم وتصديق لرجائهم وقرأ ورش بضم الراء ﴿سَيُدۡخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦٓۚ﴾ [الآية: 99] أي: مكان رحمته من جنته والسين لتحقيق قضيته ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [الآية: 99] لتقرير محبته التي هي موجبة لجنته ورحمته.

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ﴾ [الآية: 100] وهم الذين صلوا إلى القبلتين أو الذين شهدوا بدراً والذين أسلموا قبل الهجرة ﴿وَٱلۡأَنصَارِ﴾ [الآية: 100] أهل بيعة العقبة الأولى وكانوا سبعة وأهل العقبة الثانية وكانوا سبعين أو الذين آمنوا حين قدم عليهم أبو زرارة مصعب بن عمير ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ﴾ [الآية: 100] يعني اللاحقين بالسابقين من القبلتين أو من اتبعوهم بالإيمان والطاعة إلى قيام الساعة ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ﴾ [الآية: 100] بتوفيق الطاعة وقبول العبادة ﴿وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾ [الآية: 100] بما نالوه من النعمة الدينية والدنيوية.

وقال ابن عطاء: السابق من سبق له في الأزل من الحق حسن العناية وقد ظهر عليه في وقت إيجاده أنوار تلك السابقة ذكره السلمي.

وقال الأستاذ: السابقون مختلفون فمن سابق بصدق قدمه ومن سابق بصدق هممه ويقال السابق من سعادته القسمة بالتوفيق وأسعدته القضية
383/أ بالتحقيق فبسبق عنايته بهم/ سبقوا بطاعته لهم أقول ولعل هذا المعنى هو المراد بقوله سبحانه: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة، الآيتان: 10 ـ 11] ويقال: جمع الرضا صفيّهم السابق منهم واللاحق بهم ويقال ليس اللاحق كالسابق فالسابق في روح الطلب واللاحق في مقاساة التعب ومعاناة النصب حال الطلب ويقال رضاهم عن الله قضية رضي الله عنهم ولولا أنه رضي عنهم في آزاله وإلا فمتى وصلوا إلى رضاهم عنه في آباده ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الآية: 100] وقرأ ابن كثير من تحتها الأنهار ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [الآية: 100] والحظ الجسيم والنعيم المقيم.

﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم﴾ [الآية: 101] أي: حول بلدتكم وهي المكنية وهي المدينة السكينة ﴿مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِۖ﴾ [الآية: 101] أي: وقوم من سكانها ﴿مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾ [الآية: 101] أي: أصروا واستمروا على ترك الوفاق ودوام الشقاق ﴿لَا تَعْلَمُهُمْۖ﴾ [الآية: 101] أي: لا تعرفهم بأعيانهم ﴿نَحْنُ نَعْلَمُهُمْۚ﴾ [الآية: 101] نطمع على سرائرهم وضمائرهم والمعنى أنهم أن قدروا أن يلتبسوا عليك لم يقدروا أن يلتبسوا علينا.

وقال الأستاذ: تشاكل المخلص والمنافق في الصورة فلم يتميز بالخبث والمباني وإن تباينا في الحقائق والمعاني ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ [الآية: 101] بالفضيحة والقتل وبأحدها وعذاب القبر أو بأخذ الزكاة ونهكة البنية وإن مرض المؤمن كفارة ومرض المنافق عقوبة أو إتعاب أبدانهم بكثرة الطاعة وعدم المثوبة ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [الآية: 101] وحجاب عن كريم.

﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ [الآية: 102] ولم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة لهم وهم طائفة من المتخلفين أوثقوا أنفسهم على سواري المسجد لما

بلغهم ما نزل في المتخلفين فقدم رسول الله ﷺ فدخل المسجد على عادته فصلى ركعتين فرآهم فسأل عنهم فذكروا له أنهم أقسموا أنهم لا يحلوا أنفسهم حتى تحلهم فقال وأنا أقسم أن لا أحلهم حتى أؤمر فيهم فنزلت فأطلقهم.

وقال الأستاذ: إن اتصفوا بعيوبهم فلقد اعترفوا بذنوبهم والإقرار يؤكد الحقوق فيما بين الخلق في مشاهد الحكم ولكن الإقرار بحق الله سبحانه يوجب/ إسقاط الجرم في مقتضى سُنَّة كرم الحق سبحانه وفي معناه أنشدوا: 383/ ب

قيل لي قد أساء فيك فلان   وجلوس[1] الفتى على الضيم عار
قلت قد جاءني فأحسن عذرا   دية الذنب عندنا الاعتذار[2]

﴿خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ [الآية: 102] أي: خلطوا العمل الصالح الذي هو إظهار الندامة والاعتراف بالخطيئة بعمل آخر سيئ هو التخلف وموافقة أهل المخالفة والواو بمعنى الباء كما في قوله بعت الشاء شاة ودرهماً أو للدلالة على أن كل واحد منهما مخلوط بالآخر وهذا هو الأظهر فتدبر ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [الآية: 102] أي: يرجع بالرحمة إليهم فيعتبر توبتهم ويغسل حوبتهم وفيه إيماءً إلى أن اعترافهم كان مقروناً بالندامة مع العزم على تأبيد تلك الجناية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ [الآية: 102] لمن تاب ﴿رَّحِيمٌ﴾ [الآية: 102] لمن آب إلى الباب.

وأفاد الأستاذ: أن في قوله تعالى ﴿وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ [الآية: 102] بعد قوله ﴿عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ [الآية: 102] دليل على أن الزلة لا تحبط ثواب الطاعة إذ لو حبطته لم يكن العمل صالحاً ويؤكد ذلك قوله تعالى عسى الله أن يتوب عليهم وعسى كما قيل من الله واجب وقد يحب من الله الشيء ولا يجب عليه شيء فتجب منه لأن قوله صدق فإذا أخبر أنه يفعل شيئاً يجب أن يفعل ويقال قوله: ﴿خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ [الآية: 102] يحتمل أن معناه أنهم يتوبون والتوبة عمل صالح وقوله ﴿وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ [الآية: 102] يحتمل أن نقضهم التوبة فيكون الإشارة في قوله ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [الآية: 102] إلى أنهم إن نقضوا توبتهم وعادوا إلى ما تركوه من زلتهم

(1) في تفسير القشيري: سكوت، وفي بهجة المجالس وقعود، وفي رسائل الثعالبي: ومقام.
(2) نسب إلى ابن المعتز. انظر: رسائل الثعالبي (1/ 22).

فواجب منا أن نتوب عليهم فلئن بطلت بنقضهم توبتهم لما اختلفت بفضلنا توبتنا عليهم.

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً﴾ [الآية: 103] تشهد على صدق أحوالهم روي أنهم لما أطلقوا قالوا: يا رسول الله هذه أموالنا التي خلفتنا فتصدق بها عنا وطهرنا عنها فقال ما أمرت أن آخذ من أموالكم[1] شيئاً فنزلت ﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾ [الآية: 103] أي: عن الذنوب أو حب المال المؤدي بهم إلى العيوب ﴿وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [الآية: 103] وتنمي بها حسناتهم وترفعهم إلى منازل المخلصين ودرجاتهم ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية: 103]
384/ أ أي: أدع لهم واستغفر لذنوبه ﴿إِنَّ صَلَوٰتَكَ﴾ [الآية: 103] وقرأ/ حمزة والكسائي وحفص بالتوحيد ﴿سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [الآية: 103] سكن إليها نفوسهم وتطمئن بها قلوبهم وجمعها لتحدد المدعو لهم وإفرادها لإرادة جنسها الشامل لكلهم ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ [الآية: 103] لأقوالهم ﴿عَلِيمٌ﴾ [الآية: 103] بأحوالهم. قال رويم: تطهر قلوبهم وتزكي أنفسهم.

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ﴾ [الآية: 104] أي: ادع لهم فإن دعاك يكون سكوناً لهم إلى العقبى وانقطاعاً بهم عن الدنيا ذكر السلمي.

وقال الأستاذ: تطهرهم من طلب الأعواض عليها تزكيهم عن ملاحظتهم إياها وتطهرهم بها عن شح نفوسهم وتزكيهم بها بأن لا يتكبروا بأموالهم بل يتعززون بالتجرد عنها ويرون عظيم منة الله عليهم بوجدان التحذر منها وقوله ﴿إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [الآية: 103] أي انتعاشهم بهتك معهم أتم لهم من استقلالهم بأموالهم.

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ﴾ [الآية: 104] الضمير إما للمتوب عليهم والمراد أن يمكن في قلوبهم قبول توبتهم والاعتداد بصدقهم وإما لغيرهم والمراد به التخصيص على التوبة وعدم الشك في قبولها بعد حصول شرائط الصحة والهمزة استفهام تقرير وإعلام تحرير فكأنه قال ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ﴾ [المائدة، الآية: 98] أي: لا غيره

(1) تفسير الطبري (14/ 454) رقم (17152)، تفسير القرطبي (8/ 242)، تفسير الرازي (8/ 135)، تفسير ابن أبي حاتم (7/ 400) رقم (10769).

﴿يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ﴾ [الآية: 104] أي: بالتجاوز عن السيئات والتبديل بالحسنات ﴿وَيَأۡخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [الآية: 104] أي: يقبلها ليزيد لهم في الدرجات وتقربهم إلى علو الحالات والمقامات ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ﴾ [الآية: 104] أي: بتوفيق التوبة وقبولها ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ [الآية: 104] بثبوتها بعد حصولها.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه تمدح بقبول توبة العاصين إذ به يظهر كرمه كما تمدح بجلال عزه ونبههم عن أن يعرفوا به جلاله وقدمه وكما تؤخذ باستحقاق كبريائه وعظته تفرد بقبول توبة العبد عن جرمه وزلته فكما لا شبيه له في جلاله وجماله لا شريك له في أفضاله وإقباله ويأخذ الصدقات قلت أو كثرت فقدر الصدقة وخطرها بأخذه لها لا بكثرتها وقلتها قلت في الصورة صدقتهم ولكن أخذها وقبلها حلت بقبوله لها كما قيل:

يكون أجاجاً دونكم فإذا انتهى إليكم تلقى طيبكم فيطيب[1]

﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ﴾ [الآية: 105] بما شئتم جهراً أو سراً ﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ﴾ [الآية: 105] خيراً أو شراً ﴿وَرَسُولُهُۥ/ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [الآية: 105] باطلاعه سبحانه إياهم على 384/ ب
الأعمال كما رأيتم وتبين لكم من الأحوال ﴿وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [الآية: 105] برجوعكم عند الموت إليه ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الآية: 105] حين المجازاة عليه قيل اعمل وأصلح العمل واخلص النية فإن الله سيريك وضميرك والرسول يراه رؤية المشاهدة والمؤمنون يرون رؤية الفراسة قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر، الآية: 75] ذكره السلمي ويؤيده حديث اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله عزَّ وجلَّ[2] وأفاد الأستاذ أنه سبحانه خوفهم برؤيته تعالى أعمالهم فلما علم أن فيهم من يتقاصر حالته على الاحتشام لاطلاع الحق قال ورسوله ثم قال: ولمن نزلت رتبته والمؤمنون وقد خسر من لا يمنعه الحياء ولا يردعه الاحتشام وسقط عن عين الله من هتك جلباب الحياء كما قيل إذا قل

(1) نسب إلى ابن الدمينة. انظر: العقد الفريد (2/ 418)، وإلى العباس بن الأحنف. انظر: بهجة المجالس (1/ 173)، وزهر الآداب (1/ 400)، والأشباه والنظائر (1/ 3)، والحماسة المغربية (1/ 99). ونسب إلى المجنون. انظر: التذكرة الحمدونية (2/ 199).

(2) سبق تخريجه.

ماء الوجه قل حياؤه ولا خير في وجه إذا قل ماؤه ومن لم يمنعه الحياء عن تعاطي المكروهات في العاجل يلقى غب ذلك حسراته عن قريب في الآجل.

﴿وَءَاخَرُونَ﴾ [الآية: 106] من المتخلفين ﴿مُرْجَوْنَ﴾ [الآية: 106] وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص مرجون وهما لغتان أي: مؤخرون وفي أمرهم موقوفون ﴿لِأَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 106] في شأنهم بأحد الحكمين ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ﴾ [الآية: 106] أي: أصروا ﴿وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية: 106] أي: يرحمهم إن تابوا والترديد بالنسبة إلى العبيد وفيه دليل على أن كلا الأمرين بإرادة المريد ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ [الآية: 106] بأحوالهم كلهم ﴿حَكِيمٌ﴾ [الآية: 106] فيما يفعل بهم والمراد بهؤلاء كعب بن مالك وهلال بن الربيع ومرارة بن الربيع يجمع أوائل أسمائهم حرون مكة لأجل إيمائهم وسيأتي عند قوله سبحانه وعلى الثلاثة الذين خلفوا تتمة أحوالهم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه لم يصرح بقبول توبتهم ولم يسمهم باليأس عن مغفرتهم بل وقفوا على قدم الخجالة متميلين بين الرغبة والرهبة مترددين بين المخافة والمهابة أخبر الله سبحانه أنه إن عذبهم فلا اعتراض يتوجه عليه وإن رحمهم فلا سبيل لأحد إليه وقد قال بعضهم:

385/أ ويشبعني من الآمال وعد ومن علمي/بتقصيري وعيد

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا﴾ [الآية: 107] عطف على ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 106] أو منصوب على الاختصاص وقرأ نافع وابن عامر بغير واو على الاستئناف ﴿ضِرَارًا﴾ [الآية: 107] المضارة للمؤمنين ﴿وَكُفْرًا﴾ [الآية: 107] أي: وتقوية للكفر الذي تضمرونه ﴿وَتَفْرِيقًا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 107] الذين كانوا يجتمعون في مسجد قباء من المصلين روي أن بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء سألوا رسول الله ﷺ أن يأتيهم فيصلي فيه فأتياه فصلى فيه فحسدتهم إخوانهم بنو غنم بن عوف فبنوا مسجداً على قصد أن يؤمهم فيه ابن عامر الراهب إذا قدم من الشام فلما أتوه أتوا رسول الله ﷺ فقالوا قد بنينا مسجداً لذي الحاجة والعلة والليلة المطيرة والشاتية فصل فيه حتى تتخذوه مصلى فأخذ ثوبه

ليقوم معهم فنزلت فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن والوحشي فقال لهم: انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه واحرقوه ففعل فاتخذ[1] مكانه كناسة ﴿وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الآية: 107] أي: ترقباً وانتظاراً للراهب الذاهب إلى الشام الهارب عن مقام المرام فإنه قال رسول الله ﷺ يوم أُحُد لا أجد قوماً يقاتلونك إلا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله إلى يوم حنين وانهزم مع هوازن وذهب إلى الشام ليأتي من قيصر بجنود يحارب بهم رسول الله ﷺ ومات بقنسرين وحيداً ﴿مِن قَبْلُ﴾ [الآية: 107] متعلق بحارب أو باتخذوا أي: اتخذوا مسجداً من قبل أن ينافق هؤلاء المذكورون سابقاً بالتخلف لما روي أنه بني قبيل غزوة تبوك فسألوا رسول الله ﷺ بأن يأتيه فقال: أنا على جناح سفر وإذا قدمنا إن شاء الله صلينا فيه فلما قفل كرر عليه ﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الآية: 107] أي: ما أردنا بهذا البناء إلا الخصلة الحسنى وهي إرادة الصلاة والذكر والتوسعة على المسلمين ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الآية: 107] في هذا اليمين.

وأفاد الأستاذ إن من لم يكن مخلصاً في ولائه لم يأنس القلب بكده/ 385/ب وعنائه فتودده بالظاهر ينادي عليه بالنوائه وبقوله بالتكليف شهادة صدق على عدم صفائه.

من لم يكن للوصال أهلًا فكل طاعاته ذنوب[2]

﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ [الآية: 108] من أيام وجوده ﴿أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾ [الآية: 108] أولى بأن تصلي ﴿فِيهِ﴾ [الآية: 108] قال جماعة من السلف منهم ابن عباس رضي الله عنهم أنه يعني مسجد قباء أسسه رسول الله ﷺ وصلى فيه أيام مقامه بيننا من الإثنين إلى الجمعة وقال آخرون: ومسجد رسول الله ﷺ لقول أبي سعيد سألت رسول الله ﷺ فقال: هو مسجدكم هذا مسجد المدينة والقول الأول وهو الأوفق للقصة والثاني هو اللاحق بالقضية

---

(1) تفسير القرطبي (8/ 253)، وتفسير البغوي (4/ 94)، الكشاف (2/ 473)، تفسير النيسابوري (4/ 204)، تفسير أبي السعود (4/ 102)، تفسير البيضاوي (1/ 171).

(2) ذكره القشيري في تفسيره (3/ 166)، واللفظ عنده (فكل إحسانه).

فإنه رواه مسلم في صحيحه ومع بيانه عليه السلام لا عبرة بقول غيره ولو كانوا من الصحابة الكرام فإن قيل لا منافاة لأنه إذا كان في مسجد قباء قد أسس على التقوى فمسجد المدينة بالأولى والأحرى فليكن المراد من قوله: المسجد أي مسجد موصوف بهذه الصفة ويكون الحديث الصحيح مبيناً للفرد الأكمل منه فالجواب أنه يأتي هذا الجمع ما رواه الترمذي والنسائي وغيرهما أن رجلين تخاصما في أن المسجد المؤسس على التقوى هو مسجد المدينة أو قباء فأتيا رسول الله ﷺ وسألاه فقال رسول الله ﷺ: مسجدي هذا[1] إلا أن فيه إشكالاً[2] حيث اتفق المفسرون على أن قوله سبحانه ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟﴾ [الآية: 108] نزل في أهل قباء لكن يمكن الجمع بأن يقال العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فما رواه الترمذي وأبو داوود أن هذه الآية نزلت في أهل قباء[3] لا يعارض ما تقدم مما صح عنه ﷺ أعلم وأما ما رواه ابن ماجه عن أبي أيوب وجابر وأنس أن هذه الآية لما نزلت ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟﴾ [الآية: 108] قال عليه السلام واقفاً على مسجد قباء يا معشر الأنصار إن الله قد
386/أ أثنى عليكم خيراً في الطهور فما طهوركم[4] الحديث فلا يدل على اختصاص/ أهل قباء ولا ينافي على أهل مسجده من الأنصار أيضاً ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ [الآية: 108] أي: المتطهرين من الأحداث والنجاساة أو من الذنوب والسيئات والمعنى يرضى عنهم ويقربهم تقريب المحب إلى الحبيب.

وأفاد الأستاذ: في قوله تعالى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ [الآية: 108] إن المقام في أماكن العصيان والتعريج في أوطان أهل الجحود والطغيان من علامات الممالأة مع أربابها وسكانها وموالاة أصحابها وقطانها والتباعد عن مساكنهم

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (6/ 207) رقم (6025)، وانظر: جامع الأصول (9/ 6955) رقم (6955).
(2) تفسير ابن كثير (4/ 214).
(3) أخرجه ابن ماجه في السنن (1/ 128) رقم (357)، وابن أبي شيبة في المصنف (1/ 142) رقم (1632).
(4) أخرجه الحاكم في المستدرك (1/ 257) رقم (554)، وابن ماجه في السنن (1/ 127) رقم (355)، والبيهقي في شعب الإيمان (3/ 18) رقم (2747).

وهجران من جنح إلى مسالكهم علم لمن أشرب قلبه مخالفتهم وباشر مسرهم عداوتهم ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ﴾ [الآية: 108] أي: يتطهرون عن (وهر) المعاصي وذلك سمة العابدين ويتطهرون عن الشهوات والأماني وذلك صفة الزاهدين ويتطهرون عن محبة المخلوقين عن شهود أنفسهم فيما به يتصفون وذلك نعت العارفين ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ [الآية: 108] بأسرارهم عن المساكنة إلى كل مخلوق أو ملاحظة كل محدث مسبوق.

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ﴾ [الآية: 109] أي: بنيان دينه وحيطان يقنه ﴿عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ﴾ [الآية: 109] أي: على قاعدة محكمة وهي التقوى وطلب مرضاة المولى ﴿خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾ [الآية: 109] أي: على طرف بئر ساقط والمعنى على قاعدة هي أضعف القواعد وأوهنها وأرخاها وأوهاها ﴿فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾ [الآية: 109] أي: فأدى به لخوره وقلة استمساكه أي: السقوط في النار وقيل: ضميريه راجع إلى الباني واصل الجرف ما جرفه الوادي الهائر ولما جعل الحرف الهاير مجازاً عن الباطل قيل: ﴿فَٱنْهَارَ بِهِۦ﴾ [الآية: 109] على معنى فصاخ الباطل في نار جهنم وقرأ ابن عامر وأبو بكر وحمزة بسكون الراء تحقيقاً وقرأ نافع وابن عامر أسس بالبناء للمفعول ورفع بنيانه ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [الآية: 109] إلى ما فيه نجاة وصلاح في أمر الدين.

وأفاد الأستاذ: أن المريد يجب أن يؤسس بنيانه على يقين صادق فيما يعتقد ثم على خلوص في العزيمة أن لا ينصرف قبل الوصول على الطريق الذي يسلكه ثم على انسلاخه من جميع مناه وشهواته ومآربه ومطالباته ثم يبني بناء أمره على دوام ذكره بحيث لا يعترضه/ نسيان يمنعه عن شكره ثم على 386/ ب
ملازمة حقوق المسلمين وتقديم جمهورهم بإيثار على نفسه والذي ضيّع الأصول في ابتدائه حرم الوصول في انتهائه والذي لم يحكم الأساس في بنيانه سقط السقف بجدرانه.

﴿لَا يَزَالُ بُنْيَـٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْاْ﴾ [الآية: 110] أي: بنيانهم الذي بنوا مصدر أريد به المفعول وليس بجمع ولذلك وصف بالمفرد وأخبر عنه بقوله: ﴿رِيبَةً فِى

﴿قُلُوبِهِمۡ﴾ [الآية: 110] أي: شكاً ونفاقاً والمعنى أن بناءهم هذا لا يزال بسبب شكهم وتزايد نفاقهم فإنه حملهم على ذلك ثم لما هدم الرسول ﷺ أثر ما هنالك رسخ الشك ﴿فِي قُلُوبِهِمۡ﴾ [الآية: 110] وازداد النفاق في قلوبهم صدورهم بحيث لا يزول وسمه ورسمه عنهم ﴿إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمۡۗ﴾ [الآية: 110] قطعاً قطعاً بحيث لا ينفي لها قابلية الإدراك أصلاً وقطعاً وهو في غاية المبالغة والاستثناء من أعم الأحوال أو الأزمنة وقرأ ابن عامر وحفص وحمزة تقطع بمعنى ينقطع ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ [الآية: 110] بخلقه ﴿حَكِيمٌ﴾ [الآية: 110] في صنعه.

وأفاد الأستاذ: أن عروق النفاق لا تقلع عن عرصات اليقين إلا بمنجل التحقيق بصحيح البرهان فمن أيدّ لإدامة المسير ووفق لتأمل البرهان وصل إلى ثلج الصدور وروح العرفان ومن أقام على معتاد التقليد لم يسترح قلبه عن كد التردد وظلمة التجويز وجولان الخواطر المشككة بالقلب.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ﴾ [الآية: 111] تمثيل لإثابة الله إياهم الجنة على بذل أنفسهم وأموالهم في سبيل الجنة.

قال أبو عثمان: ﴿ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ﴾ [الآية: 111] كيلا يخاصمون عنها فإنها ليست لهم والإنسان لا يخاصم عما ليس له كذا ذكر السلمي.

وأفاد الأستاذ: أنه لما كان من المؤمنين تسليم النفس والمال لحكم الله ومن الله الجزاء والثواب شبه الشرى الذي فيه العوض والمعوض فلما بينهما من المشابهة أطلق لفظ الاشتراء فهو كما قال ﴿هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم﴾ [الصف، الآية: 10] وقال ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ﴾ [البقرة، الآية: 16] وإلا ففي الحقيقة لا يصح في وصف الحق سبحانه الاشتراء لأنه لا مالك سواه وللمقال في هذه الآية مجال فيقال البائع لا يستحق الثمن إذ امتنع من تسليم المبيع ويقال: لا يجوز في الشرع أن يبيع ويشترى شيئاً واحداً ويكون/ واحداً بائعاً أو مشترياً إلا 387/أ
إذا كان أباً أو جداً ذلك لفرط الشفقة وانتفاء التهمة والتحقق بأنه نظر له واحتياط في أمره وللمولى عليه في ذلك غبطة ولما كانت رحمته سبحانه بالعبد أتم ونظره

له أبلغ وأعم وكان للمؤمن فيه من الغبطة ما لا يخفى صح تلك الصفقة وإن كان حكمه لا يقاس على حكم غيره ويقال: إنما قال ﴿أَنفُسَهُمْ﴾ [الآية: 111] ولم يقل قلوبهم لأن النفس محل الآفات وجعل الجنة في مقابلتها وجعل ثمن القلب أعلى من جنته وهو ما يخص به أولياءه فيها من عزيز رؤيته ويقال النفس محل العيب والكريم يرغب في شري ما يزهد فيه غيره ويقال: من اشترى شيئاً لينتفع به اشترى خير ما يجده ومن اشترى شيئاً لينتفع به غيره يشتري ما رد على صاحبه لينفعه بثمنه وفي بعض الكتب المنزلة يا بني آدم ما خلقتكم لأربح عليكم وإنما خلقتكم لتربحوا عليّ.

وكان الشيخ أبو علي الدقاق يقول: لم يقل اشترى قلوبهم لئن القلب وقف على محبته والوقف لا يشترى ويقال: الطير في الهواء والسمك في السماء لا يصح شراؤه لأنه غير ممكن التسليم كذلك القلب صاحبه لا يمكنه تسليمه قال تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ [الأنفال، الآية: 24] في التوراة الجنة جنتي والمال مالي فاشتروا جنتي بمالي فإن ربحتم فلكم وإن خسرتم فعليّ ويقال أخبر أنه اشتراها لئلا يدعي العبد فيها ولا يساكنها ولا يلاحظها ولا يعجب بها ﴿يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 111] استئناف بيان ما لأجله الشري وقيل: يقاتلون في معنى الأمر ﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ [الآية: 111] وقرأ حمزة والكسائي تقديم المبني للمفعول فإن الواو لا تفيد الترتيب وفعل البعض قد يسند إلى الكل.

قال الأستاذ: وسيان عندهم أن يقتلوا أو يقتلوا قال قائلهم:

وإن دماً أجريته لك شاكر   وأن فؤاداً رعته لك حامد[1]

﴿وَعْدًا عَلَيْهِ﴾ [الآية: 111] مصدر مؤكد لما تدل عليه اشترى فإنه بمعنى الوعد وقوله: ﴿حَقًّا﴾ [الآية: 111] نعت له ﴿فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ﴾ [الآية: 111] مذكوراً فيها كما أثبت في الفرقان ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 111]

(1) نسب إلى المتنبي.. انظر: شرح ديوان المتنبي (1/ 233)، والمنتحل (1/ 70)، وعنده بدل لك شاكر بك فاخر.

مبالغة في إيجازه وعداً وتقريراً لكونه حقاً والمعنى لا أحد أوفى بعهده منه ﴿فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ﴾ [الآية: 111] أي: فافرحوا به غاية الفرح
387/ب والطرب فإنه أوجب لكم عظيم/ المطلب ولذلك حال ﴿وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [الآية: 111] فإنه يشتمل على النعيم المقيم.

وأفاد الأستاذ: أنه يقال: لم يكن منا بيع وأنه أخبر عن نفسه بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 111] فجعل بيعه بيعنا وهذا مثل ما قال في نعت نبينا ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال، الآية: 17] وهذا عين الجمع الذي أشار إليه جميع القوم التائبون رفع على المدح أي: هم.

﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾ [الآية: 112] والمراد بهم المؤمنون المذكورون الذين تابوا من الكفر وسائر المناهي ورجعوا عن الغفلات والملاهي ﴿ٱلْعَٰبِدُونَ﴾ [الآية: 112] لله المخلصون في طريق رضاه ﴿ٱلْحَٰمِدُونَ﴾ [الآية: 112] أي: الشاكرون للنعماء ﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾ [الآية: 112] روى الحاكم في مستدركه عن أبي هريرة مرفوعاً السائحون هم الصائمون شبه الصوم بالسياحة من حيث أنه تفوق عن جنس الشهوات وقيل: هم السائرون للجهاد أو لتحصيل العلم في البلاد ﴿ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ﴾ [الآية: 112] في الصلاة أي: المصلون ﴿ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [الآية: 112] بالإيمان والطاعات ﴿وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [الآية: 112] أي: عن الكفر والسيئات وزيد العاطف فيه للدلالة على أنه عطف عليه في حكم خصلة واحدة فكأنه قال الجامعون بين الوصفين أو لتلازمها باعتبار منطوقها ومفهومها وأما العاطف في قوله: ﴿وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 112] أي: فيما بينه وعينه من العقائد والشرائع فلتنبيه على أن ما قبله مفصل الفضائل وهذا محل الشمائل ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 112] الموصوفين بما يجلّ عن إحاطة الأفهام وتعبير الكلام قال بعضهم: التائب الراجع إلى الله من كل ما سواه فالعابد المداوم على الخدمة مع رؤية التقصير في العبودية والحامد الذي يحمده سبحانه على الضرّاء والسرّاء والسائح الذي يسيح في طلب الأولياء والراكع الساجد في الخاضع لله في جميع الأحوال والآمرون بالمعروف هم المتحابون في الله والناهون عن المنكر هم المتباغضون في الله والحافظون لحدود الله العاملون معه على آداب الكتاب والسُنّة كذا ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: أنه تعالى مدحهم بعدما أوقع عليهم سمة الاشتراء
بقوله: / ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلۡعَـٰبِدُونَ﴾ [الآية: 112] ومن رضي ببيع ما اشتراه فليس له حق الرد 388/ أ
ويقال من اشترى شيئاً فظهر بالبيع له عيب فله حق الرد إذا لم يعلم العيب وقت
الشراء فأما إذا كان عالماً به فليس له الرد ولقد قال تعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱخۡتَرۡنَـٰهُمۡ عَلَىٰ
عِلۡمٍ عَلَى ٱلۡعَـٰلَمِينَ﴾ [الدخان، الآية: 32] ويقال: من اشترى شيئاً فوجد به عيباً فله
حق الرد فإذا رده رده على من اشتراه منه فاشترى هو نفوسنا منه سبحانه فإذا أراد
الرد فلا يرد إلا على نفسه وكما أن الرد إليه فلو ردنا كان الرد عليه ثم التائبون
الراجعون إلى الله فمن راجع يرجع عن زلته إلى طاعته ومن راجع يرجع عن
متابعة هواه إلى موافقة رضاه ومن راجع يرجع عن شهود نفسه إلى شهود لطفه
ومن راجع يرجع عن الإحساس بنفسه وأبناء جنسه إلى الاستغراق في حقائق
حقه ويقال: تائب يرجع من أفعاله إلى تبديل أحواله فيجد غداً فنون أفضاله
وصنوف لطفه ونواله وراجع يرجع عن كل غير وضد وند إلى ربه بربه لربه بمحو
كل أرب وعدم الإحساس والخبر عن كل طلب ويقال: تائب يرجع لحظ نفسه من
جزيل ثوابه أو حذاراً عن نفسه من أليم عقابه وتائب يرجع لأمره له برجوعه
وإيابه وتائب يرجع طلباً لفرح نفسه حيث نجا من أوضاره وتخلص من شؤم
أوزاره وأما قولهم العابدون فهم الخاضعون بكل وجه للمولى الذين لا يستر فهم
كرائم الدنيا ولا يستبعدهم عظائم العقبى ولا يكون العبد عبداً له على الحقيقة إلا
بعد تحرره عن كل شيء حادث في الطريقة وكل أحد فهو له عبد من حيث
الخلقة قال الله تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَـٰنِ عَبۡدٗا﴾
[مريم، الآية: 93] ولكن صاحب العبودية عزيز بالخصوصية الحامدون الشاكرون
له على وجود أفضال المثنون عليه عند شهود جلاله وجماله ويقال: الحامدون بلا
اعتراض على ما يحصل بقدرته ولا انقباض عما يجب من طاعته ويقال:
الحامدون على منعه وبلائه كما يحمدون على نفعه وعطائه ويقال: الشاكرون له
إن أدناهم والحامدون له إن أقصاهم السائحون الصائمون ولكن عن شهود غير
الله الممتنعون عن خدمة غير الله المكتفون من الله/ بالله ويقال: السائحون الذين 388/ ب
يسيحون في الأرض على جهة الاعتبار طلباً للاستبصار ويسيحون بقلوبهم في

مشارق الأرض ومغاربها بالتفكر في جوانبها ومناكبها والاستدلال بتغيرها على مشيئها يسيحون بأسرارهم في الملكوت فيجدون روح الوصال ويعيشون بنسيم الأنس للتحقق بشهود الحق ذي الجمال والكمال الراكعون الخاضعون لله في جميع الأحوال بخمودهم تحت سلطان تجلي الجلال وفي الخبر أن الله إذا تجلى لشيء خشع له[1] وكما يكون في الظاهر راكعاً يكون في الباطن خاشعاً ففي الظاهر لإحسان الحق إليه بحسن توليه وفي الباطن كالعيان للحق بأنوار تجليه الساجدون في الظاهر بنفوسهم على بساط العبودية وفي الباطن بقلوبهم عند شهود الربوبية والسجود على أقسام سجود عند صحة القصود فيسجد بنعت التذلل على بساط الافتقار ولا يرفع رأسه عن السجود إلا عند تباشير الوصال وسجود عند الشهود إذا تجلى الحق لقلبه فلم ينظر بعده إلى غيره في جميع الأحوال وسجود في حال الوجود وذلك بخموده عن كليته وفنائه عن الإحساس بجميع أوصافه وجملته وهذا نهايات مقام أرباب الكمال ﴿ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [الآية: 112] هم الذين يدعون الخلق إلى الله ويحذرونهم عن غير الله يتواصون بالإقبال على الله وترك الأشغال بغير الله ويأمرون نفوسهم بالتزام الطاعة لحملهم إياها على سنن الاستقامة وينهون نفوسهم عن المنى واتباع الشهوة بترك التقريح في أوطان الغفلة وما تعودوه من المساكنة والاستنابة ﴿وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 112] الواقفون حيث وقفهم الله الذين يتحركون إذا حركهم ويسكنون إذ أسكنهم ويحفظون مع الله أنفاسهم.

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الآية: 113] بأن ماتوا على الكفر روي أنه عليه السلام قال لعمه أبا طالب حين حضره الوفاة قل كلمة أحاج لك عند الله
389/أ فأبى فقال: لا أزال استغفر لك ما لم أنه عنه/ فنزلت[2] وروي أنه لما فتح مكة خرج إلى الأبواء فزار قبر أمه ثم قام باكياً فقال: إني استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فأذن لي واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي وأنزل عليّ الآيتين[3]

(1) سبق تخريجه.
(2) تفسير أبي السعود (4/ 10)، وتفسير البيضاوي (1/ 175).
(3) تفسير أبي السعود (4/ 107).

ومفهوم الآية السابقة يدل على جواز الاستغفار لإحياء الكفار فإنه طلب توفيقهم للإيمان وعمل البر به رفع النقض باستغفار إبراهيم لأبيه الكافر فقال:

﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾ [الآية: 114] أي: وعدها إياه كما قرىء به حيث قال له: ﴿لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ [الممتحنة، الآية: 4] أي: لأطلبن مغفرتك بالتوفيق للإيمان ولأطلبن ما يستحق به المغفرة والإحسان أو وعدها أبوه بالرجوع على الكفران ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ﴾ [الآية: 114] بأن مات على الكفر أو أوحى إليه فيه بأنه لن يؤمن ﴿تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ [الآية: 114] وقطع استغفاره عنه ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ﴾ [الآية: 114] كثير التأوه والقائل آهٍ واهٍ وهو الكناية عن فرط ترحمه ورقة قلبه ﴿حَلِيمٌ﴾ [الآية: 114] صبور على أذى أبيه وسوء خلقه.

وأفاد الأستاذ: إن أصل الدين هو التبري من الأعداء والتولي للأولياء والولي لا حميم له ولا قريب ولا صديق له ولا نسيب ثم لما أمر الله سبحانه المسلمين بالتبري عن المشركين والإعراض عنهم والانقباض من الاستغفار لهم يبين أن هذا سبيل الأولياء وطريق الأنبياء وأن إبراهيم وإن استغفر لأبيه فإنما كان من قبل تحققه بأنه لا يؤمن فلما علم أنه عدو لله أظهر البراءة عنه.

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا﴾ [الآية: 115] أي: لينسبهم إلى الضلال ومؤاخذهم مؤاخذة الضلال ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ﴾ [الآية: 115] للإسلام وطريق أهل الكمال ﴿حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ [الآية: 115] أي: خطر ما يجب اتقاؤه في جميع الأحوال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الآية: 115] ومنه أمرهم قبل البناء وبعده فالجملة كالتيمم.

قال السلمي: أي ما كان الله ليضل قوماً في الأبد بعد إذ هداهم في الأزل.

وأفاد الأستاذ في معناه أن الله لا يحكم بضلالكم وذهابكم عن طريق الحق باستغفاركم للمشركين إلا بعد أن يبين لكم أنهم منتهون عنه فإذا علمتم أنكم نهيتم عن استغفاركم لهم فإن أقدمتم على ذلك فحينئذٍ ضللتم عن الحق

بعقلكم بعد ما نهيتم من استغفارهم هذا بيان التفسير والتأويل للآية والإشارة فيها لأنه لا سلب لعطائه/ إلا بترك أدب منكم ويقال من أهله لبساط الوصلة 389/ب
ما مني بعده بعذاب الفرقة إلا لمن سلف عند ترك الحرمة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية: 116] أي: جميع الموجودات من العلويات والسفليات ﴿يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [الآية: 116] فتوجهوا إلى الله تعالى وتبرأوا عما عداه حتى لا يبقى لكم مقصود سواه.

وأفاد الأستاذ: أن الحق لا يتجمل بوجود مملوكاته ولا يلحقه نقص بعدم مخلوقاته فقيل: إن أوجد شيئاً من الحدثان كان ملكاً وملكاً أكثر مبالغة من مالكاً وملكه قدرته على إبداع ما هو ملكه فالمعدوم مقدوره ومملوكه فإذا وجده فهو في حال حدوثه مقدوره ومملوكه فإذا أعدمه خرج عن الموجود ولم يخرج عن كونه مقدوراً له ثم يحيي من يشاء بعرفانه وتوحيده ويميت من يشاء بكفره وإلحاده وترديده ويقال: يحيي قلوب العارفين بأنوار المواصلة ويميت نفوس العابدين بآثار المنازلة ويقال: يحيي من أقبل عليه بفضله ويميت من أعرض عنه بتكبره بعدله.

﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ [الآية: 117] من أذن المنافقين للتخلف عنه في غزوة تبوك ﴿وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ [الآية: 117] أي: الذين كانوا قد خرجوا معه حين هموا بالانصراف عنه لما أصابهم العسرة من الجوع والعطش والإعياء في تلك الغزوة والمعنى أنه سبحانه وفقهم للتوبة وقبل توبتهم من تلك الحوبة وفيه توطئة لتوبة الثلاثة وتسلية لهم في هذه البلية وإيماءً إلى أن ما من أحد إلا وهو محتاج إلى التوبة لقوله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ [النور، الآية: 31] لأنه ليس أحد إلا وله مقام ينتقص دونه ما هو فيه من الرتبة والترقي إليه توبة من تلك النقيصة مع ما فيه من الإشارة إلى إظهار فضيلة التوبة بأنها مقام أرباب النبوة وأصحاب الولاية ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ [الآية: 117] أي: في وقت الشدة والمحنة حتى يعتقب على بعير واحد عشرة ويقسم الرجلان تمرة وشرب

بعضهم ماء الكرش من كثرة العطش وشدة الحرارة ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ﴾ [الآية: 117] وحمزة وحفص بالتذكير أي: بعدما قارب للقوم أن يميل ﴿قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ﴾ [الآية: 117] عن الثبات على الإيمان/ أو عن اتباع الرسول في ذلك الشأن 390/ أ
وأراد بالفريق المتخلفين أو بعض الضعفاء من المؤمنين.

وقال الأستاذ: فتوبته عليهم أن تدارك قلوبهم حتى لم تزغ وهكذا سُنة الحق سبحانه مع أوليائه إذا أشرفوا على العطب وقاربوا من التلف واستمكن اليأس في قلوبهم من النصرة ووطنوا أنفسهم أن يذوقوا أليم البأس يمطر عليهم سحائب الجود بوجود الإجابة فيعود عود الحياة بعد يبسه طرياً ويرد ورد الأنس عقب ذبوله غضاً جنياً ويصير أحوالهم كما قال بعضهم.

كنا كمن ألبس أكفانه ... وقرب النعش من اللحد
فحال ماء الروح في وحشة ... ورده الوصل إلى الورد
تبارك الله سبحانه ... ما كل هم هو بالسرمد[1]

﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [الآية: 117] أي: أثبت التوبة لديهم ولم يكل حالهم إليهم ﴿إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [الآية: 117] وبأحوالهم حكيم وبأعمالهم عليم.

﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ﴾ [الآية: 118] أي: وتاب على الثلاثة ﴿ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ [الآية: 118] تخلفوا عن الغزو وخلف أمرهم فأنهم آخرون مرجون ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ﴾ [الآية: 118] أي: برحبها وسعتها لإعراض الناس عنهم بالكلية وهو مثل لشدة الحيرة ﴿وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ﴾ [الآية: 118] وسببه أنه ﷺ أمر أصحابه أن لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم فلما رأوا ذلك أخلصوا نياتهم وطهروا طوياتهم ﴿وَظَنُّوٓاْ﴾ [الآية: 118] علموا ﴿أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 118] لا مخلص من سخطه ولا مهرب من عقابه ﴿إِلَّآ إِلَيۡهِ﴾ [الآية: 118] أي: إلى طلب رضاه والاستغفار عن رؤية ما سواه ففرضوا أمرهم إلى الله ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الآية: 118] أي: قبل توبتهم بعد توفيقهم لها ﴿لِيَتُوبُوٓاْۚ﴾ [الآية: 118] ليعدوا من جملة التوابين أو أثبت التوبة عليهم ليدوموا ورجع عليهم بالرحمة ليستقيموا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ

---

(1) سبق التعليق عليه.

هُوَ ٱلتَّوَّابُ﴾ [الآية: 118] لمن تاب وآب ولو عاد في اليوم بلا حساب ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ [الآية: 118] بالتفضل والإحسان له في المآب.

وأفاد الأستاذ: أنه لما صدق منهم اللجاء سبق إليهم الشفاء وسقط عنهم البلاء وكذلك الحق يكور نهار اليسر على ليال العسر ويطلع شموس المنّة على نحوس الفتنة ويدير فلك السعادة فيمحق تأثر طوارق النكادة سُنَّة منه تعالى لا يبدلها وعادة منه في الكرم يجريها ولا يحولها.

390/ ب ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الآية: 119] في/ إيمانهم وأيمانهم وتوبتهم وإنابتهم والصدق كما يكون في الأقوال يكون في الأحوال بل هو أتم أقسامه عند أرباب الكمال ففي الزبور كذب من ادعى محبتي فإذا جنه الليل نام عني أي اختار على حضوري غيبتي.

﴿مَا كَانَ لِأَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ وَمَنۡ حَوۡلَهُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 120] أي: عن أمره وحكمه وهو نهي عبر عنه للمبالغة بصيغة النهي ﴿وَلَا يَرۡغَبُواْ﴾ [الآية: 120] أي: ولا أن يميلوا ﴿بِأَنفُسِهِمۡ عَن نَّفۡسِهِۦۚ﴾ [الآية: 120] بأن يصرفوا أنفسهم عما لم يصن نفسه عنه والحاصل أنهم أمروا بأن يصحبوه عن البأساء والضرّاء ويكابروا معه الأهوال في الأحوال برغبة ونشاط من غير فتور وملال روي أن أبا خيثم بلغ بستانه وكانت له امرأة حسناء فرشت له في الظل وبسطت له الحصير وقربت إليه الرطب والماء البارد فنظر فقال: ظل ظليل ورطب يانع أي: ناضج وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله ﷺ في الضح(1) والريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته وأخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله ﷺ طرفه إلى الطريق فإذا ركب يزها السراب أي: يدفعه فقال: كن أبا خيثمة فكان ففرح به رسول الله ﷺ واستغفر له(2) ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 120] أي: وجوب المتابعة ﴿بِأَنَّهُمۡ﴾ [الآية: 120] سبب أنهم ﴿لَا يُصِيبُهُمۡ ظَمَأٞ﴾ [الآية: 120] أي: شدة عطش

(1) الكشاف (2/ 483)، تفسير أبي السعود (4/ 110)، تفسير البيضاوي (1/ 178)، وانظر: ما أخرجه أبو نعيم في معرفة الصحابة (8/ 493) رقم (2769).

(2) أخرجه مسلم في الصحيح (2769/ 53)، والطبراني في المعجم الكبير (19/ 85) رقم (173)، وابن حبان في الصحيح (8/ 155) رقم (3370).

من فقد الماء ﴿وَلَا نَصَبٌ﴾ [الآية: 120] تعب من الإعياء ﴿وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 120] أي: مجاعة في سبيل الأعداء ﴿وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا﴾ [الآية: 120] أي: لا يدوسون مكان وطيئة ﴿يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ﴾ [الآية: 120] يغضبهم ﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا﴾ [الآية: 120] كالجرح والقتل والأسر والنهب ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ﴾ [الآية: 120] يستوجبون به الثواب في دار المآب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الآية: 120] أي: منهم ومن غيرهم على إحسانهم.

﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً﴾ [الآية: 121] أي: قليلة ولو علاقة أو تمرة ﴿وَلَا كَبِيرَةً﴾ [الآية: 121] أي: كثيرة كمثل ما أنفق عثمان في جيش العسرة ﴿وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا﴾ [الآية: 121] من الأودية ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ﴾ [الآية: 121] أي: أثبت لهم ذلك هنالك ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 121] بذلك ﴿أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 121] أي: جزاء حسن أعمالهم أو حسن جزاء أعمالهم.

وأفاد الأستاذ: أنه لا يجوز لهم أن يؤثروا على النبي ﷺ شيئاً من نفس وروح ومال وولد وأهل وليسوا يخسرون على الله وأنى ذلك وأنهم لا يرفعون لأجله سبحانه خطوة إلا/ قابلهم بألف خطوة ولا ينقلون فيه قدماً إلا لقّاهم 391/أ
لطفاً وكرماً ولا يقاسون فيه عطشاً إلا سقاهم من شراب محابه كأساً ولا يتحملون لأجله مشقة إلا لقاهم لطفاً وإيناساً.

﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً﴾ [الآية: 122] أي: وما استقالهم أن ينفروا جميعهم لنحو غزو وجهاد وطلب علم واجتهاد فإنه يخل بأمر المعاش كما لم يستقم لهم أن ينشطوا عن ذلك جميعاً فإنه يخل بأمر المعاد ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ﴾ [الآية: 122] أي: فهلّا أخرج من كل جماعة كثيرة كقبيلة وأهل بلده جماعة قليلة ﴿لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِي ٱلدِّينِ﴾ [الآية: 122] ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتعلموا ما يناسبه وما ينافيه ليكملوا في أنفسهم ويكملوا غيرهم كما أشير إليه بقوله ﴿وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ﴾ [الآية: 122] أي: ليجفوهم ويرغبوهم فهو من باب الاكتفاء وخص الإنذار بالذكر لأنه أهم الأشياء ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [الآية: 122] أراده أن قومهم يحذرون عما منه ينذرون وفيه دليل على أن الجهاد وتعلم

الفقه وتعليمه من فروض الكفاية وأن أخبار الآحاد حجة لأن عموم كل فرقة يقتضي أن ينفر من كل ثلاثة تفردوا بقرية طائفة النفقة لتنذر فرقتها فلو لم يعتبر الخبر ما لم يتواتر لم يفد ذلك عموم ما هنالك.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه جعل المسلمين على مراتب أمر الدين ومقامات اليقين فعوامهم كالرعية للملك وكتبة [الحديث] كخزان الملك وأهل القرآن كحفاظ الدفاتر ونفائيس الذخائر والفقهاء بمنزلة الوكلاء للملك إذ الفقيه يوقع عن الله وعلماء الأصول كالقواد وأمراء الجيوش والأولياء كأركان الباب وأرباب القلوب وأصحاب الصفاء كخواص الملك وجلسائه فيشتغل قوم بحفظ أركان الشرع وآخرون بإمضاء الأحكام وآخرون بالرد على المخالفين وآخرون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجعل قوماً مفردين بحضور القلب وهم أصحاب الشهود ليس لهم شغل يراعون مع الله أنفاسهم وهم أصحاب الفراغ لا يستفزهم طلب ولا يهزهم أرب فهم بالله لله وهم محوٌ عما سوى الله وأما الذين يتفقهون في الدين فهم الداعون وإنما يفهم الخلق
391/ب عن الله إذا كان/ يفهم عن الله قلت والجامع لهذه المقامات والحاوي لتلك الحالات أمة ولو كان واحداً من الأمة كما قال قائل:

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد[1]

ثم اعلم أن العالم العامل هو الإنسان الكامل فإن الخلق كلهم هلكى إلا العالمون.

والعالمون كلهم هلكى إلا العاملون والعاملون كلهم هلكى إلا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم[2] في الخاتمة من تعبير اللاحقة بتقدير السابقة فنسأل الله الحماية والعافية.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم﴾ [الآية: 123] من الكفار أي: أمروا

(1) نسب إلى أبي نوّاس. انظر: التمثيل والمحاضرة (1/ 89)، ويتيمة الدهر (1/ 44).
(2) تفسير النيسابوري (1/ 173)، كشف الخفا (2/ 312) رقم (2796)، والموضوعات للصغاني (1/ 38) رقم (39).

بقتال الأقرب منهم فالأقرب كما أمر رسول الله ﷺ أولاً بإنذار عشيرته الأقربين فإن الأقرب أحق بالشفقة في حقه واصطلاح أمره وقد ورد أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك[1] وفي حديث آخر أعدى عدوك زوجتك التي تضاجعك وما ملكت يمينك[2] رواه الديلمي.

وأفاد الأستاذ: إن أقرب الأعداء إلى المسلم ﴿مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾ [الآية: 123] الذين يجب عليه منازعته أعدى عدوه وهو نفسه فيجب أن يبدأ بمقاتلة نفسه ثم بمجاهدته للكفار قال عليه السلام رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر[3] ﴿وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ [الآية: 123] أي: شدة على المجاهدة وقوة على المكابدة.

وأفاد الأستاذ: إن من حابى عدوه قهر فكذلك المريد في حال مجاهدته يحب أن لا يجنح إلى رخص التأويلات ويأخذ في الأمور بأشق الحالات فإن نزول المريد عن مطالبات الحقيقة إلى ما يطلبه من التأويل فسخ لعهدة ونقض لعهدته وذلك كالردة لأهل الظاهر ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الآية: 123] بالحراسة والإعانة ومعية جميعة المحبة.

392/ أ ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم﴾ [الآية: 124] / أي: فمن المنافقين ﴿مَّن يَقُولُ﴾ [الآية: 124] لأمثالهم إنكاراً واستهزاءً ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ﴾ [الآية: 124] السورة ﴿إِيمَٰنًا﴾ [الآية: 124] أي: إيقاناً ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الآية: 124] بزيادة العلم الحاصل من تدبر الصورة وانضمام الإيمان بها وبما فيها إلى إيمانهم فالزيادة باعتبار المؤمن به لا في نفس الإيمان لأنه عند المحققين غير قابل للزيادة والنقصان ﴿وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الآية: 124] وهم يفرحون بنزولها لأنه سبب لزيادة كمالاتهم ورفعة درجاتهم.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [الآية: 125] شك وكفر ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ [الآية: 125] أي: كفراً بها متضمن إلى الكفر بغيرها ﴿وَمَاتُواْ وَهُمْ

(1) سبق تخريجه.
(2) جامع الأحاديث (5/ 47) رقم (3709)، كنز العمال (16/ 283) رقم (44483)، والمقاصد الحسنة (1/ 120)، كشف الخفا (1/ 13) رقم (382).
(3) سبق تخريجه.

﴿كَـٰفِرُونَ﴾ [الآية: 125] لاستحكام ذلك فيهم حتى انتقلوا إلى الآخرة إلى حالهم فسبحان من جعل بحر القرآن الجليل كنهر النيل ماء للمحبوبين ودماء للمحجوبين قال تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾ [البقرة، الآية: 26] ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء، الآية: 82].

وأفاد الأستاذ: إنه سبحانه جعل إنزال القرآن لقوم شفاءً ولقوم شقاءً فإذا ما أنزلت سورة جديدة زاد شكهم وتحييرهم فأسقام بعضهم حال بعض ثم لم تزدادوا إلا تحيراً قال تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ [فصلت: 44] وأما المؤمنون فزادتهم السورة إيماناً فليرتقوا من حد تأمل البرهان إلى روح البيان ثم من روح البيان إلى روح العيان فشموس العرفان طالعة على أسرارهم وأنوار التحقيق لامعة لأسرارهم فلا لهم نعت الطلب ولا لهم حاجة إلى السير ولا عليهم سلطان للكفر.

﴿أَوَلَا يَرَوْنَ﴾ [الآية: 126] المنافقون وقرأ حمزة بالخطاب فالمعنى أيها المؤمنون ﴿أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ﴾ [الآية: 126] ليتلون بأنصاف البليات ﴿فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾ [الآية: 126] ولا يبعد أن يراد بالتثنية التكثير المقصود به المرات ﴿ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ﴾ [الآية: 126] لا يرجعون عن النفاق وخبث الطويات ﴿وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الآية: 126] أي: لا يعتبرون/ بأنواع الموعظات. 392/ب

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه لم يخل أرباب التكليف عن دلائل التعريف والتحريك لهم في كل وقت بنوع من البيان والتكليف في كل أوان بضرب الامتحان وكما لم يردد لهم إلا إيضاح البرهان ولم يتجدد لهم من الله إلا زيادة الخذلان والحجبة عن البيان وأما أصحاب الحقائق فما للأغيار في كل عام مرة أو مرتين فلهم في كل نفس مرات لا يخليهم الحق سبحانه من زواجر توجب بصائر وخواطر وزواهر تتضمن بتكليفات وأوامر.

﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الآية: 127] تغامزوا بعيونهم غيظاً لما فيها من عيوبهم أو إنكاراً وسخرية فيما بينهم قائلين لبعضهم ﴿هَلْ

﴿يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ [الآية: 127] إن قمتم من خدمة الحضرة فإن لم يرحم أحد قاموا وإلا فأقاموا ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ۚ﴾ [الآية: 127] عن الحضرة مخافة الفضيحة ﴿صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾ [الآية: 127] عن الإيمان والجملة اختبارية أو دعائية ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ [الآية: 127] بسيئاتهم ﴿قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [الآية: 127] لسوء فهمهم وعدم تدبرهم.

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [الآية: 128] من جنسكم عربي أو بشر مثلكم وقرأ من أنفسكم أي: أشرفكم ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ﴾ [الآية: 128] شاق شديد ﴿مَا عَنِتُّمْ﴾ [الآية: 128] ما مصدرية أي: عنتكم ولقاؤكم المكروه ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ [الآية: 128] أي: على تحصيل إيمانكم وتصحيح شأنكم ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 128] منكم ﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الآية: 128] والرأفة أشد الرحمة فتقديم الأبلغ مع أن التدرج أنسب محافظة للفاصلة أو مراعاة للنعيم فيكون كالذليل، والتتميم قال بعضهم: حريص على هدايتكم لو كانت الهداية إليه مشفق على من اتبعه أن يأتيه نزغة من نزغات الشيطان الرجيم يستجلب برحمته لهم رحمة الله إياه.

وأفاد الأستاذ: أن المعنى جاءكم رسول يشاكلكم في البشرية لكنه يباينكم فيها أفردناه به من الخصوصية ألبسناه لباس الرحمة عليكم وأقمناه بشواهد العطف والشفقة على جملتكم قد وكل همته بشأنكم أكبر همومه/ هم 393/ أ
إيمانكم.

﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ [الآية: 129] أعرضوا عن الإيمان بك ﴿فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 129] فإنه يكفيك ويعينك ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الآية: 129] كالدليل لما قبله ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ [الآية: 129] أي: اعتمدت فيما أخافه وأرجوه ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الآية: 129] أي: الملك الفخيم أو الجسيم الأعظم المحيط بجميع الكائنات الذي تنزل منه الأحكام المقدرات.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه قال له ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ﴾ [الأنفال: 64] ومن ثم أمر بأن يقول ﴿حَسْبِىَ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 129] لقوله حسبك الله عين الجمع وقل ﴿حَسْبِىَ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 129] فرق أقول بل هو جمع الجمع أي: قل ولكن بنا تقول

فنحن المتولي عنك وأنت مستهلك في عين التوحيد منك فأنت بنا ومحو عن غيرنا انتهى.

فنحمده شاكرين ونشكره قاصرين وفي مقام قصورنا عن مرام حضورنا صابرين وقد ختم الجزء الأول الشريف بالحمد المنيف كما ابتدأ به وسيبدأ بنا الجزء الثاني من تفسير السبع المثاني المسمى بأنوار القرآن وأسرار الفرقان لظهور نور العبارة وسرور حبور الإشارة وكان الفراغ من كتابته يوم الأربع المبارك ثاني عشرون جمادي أول من شهور سنة ألف ومائة تسعة وثلاثون من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام وحسبنا اللّٰه ونعم الوكيل.

2/ أ

/ سورة يونس عليه السلام

[مكيّة]

وآياتها مائة وتسع آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله: أي باسم المعبود واجب الوجود المنعم بالنعم الظاهرة والباطنة جلائلها ودقائقها، عمومها وخصوصها.

وقال الأستاذ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ كلمة سماعها يوجب شفاء كل عائد، ضياء كل قاصد، غذاء كل فاقد، بل كل واحد هو كل خائف، سلوى كل عارف، أمان كل تائب، بيان كل طالب، قلوب العارفين لا تفرح إلا بسماع بسم الله، كروب الخائفين لا تبرح إلا عند سماع بسم الله.

﴿الٓرۚ﴾ [الآية 1] فتحها نافع وابن كثير وحفص وأمالها الباقون إجراء لألف الراء مجرى المنقلبة من الياء، قيل: معناه إن الله أري، ذكره السلمي.

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [الآية 1] إشارة إلى ما تضمنته السورة أو القرآن من الآي، والمراد من الكتاب أحدهما فإنه يطلق عليها، ووصفه الحكيم لاشتماله على الحكم أو الحكيم أو لأنه كلام حكيم أو محكم آياته لم ينسخ شيء منها.

وأفاد الأستاذ أن الألف مفتاح اسم الله واللام مفتاح اسمه اللطيف، والراء مفتاح اسمه الرحيم، أقسم بهذه الأسماء أن هذا الكتاب هو الموعود لكم يوم الميثاق.

والإشارة فيه إنما خلقنا لكم الميعاد، وصعدنا لكم غناج الوداد، وانقضى لكم زمان الميعاد، فالعصاة ملقاة والأيام بالسرور متلقاة، فبادروا إلى شرب كاسات المحاب، واستقيموا بالباب على نهج الأحباب.

﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا﴾ [الآية 2] أو استفهام إنكار للتعجب، وعجباً خبر كان واسمه ﴿أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾ [الآية 2] أي لإظهار التوحيد أو تحقيق التفريد حيث قالوا: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾ [ص: الآية 5]، أو تعجبوا أن يبعث الرسول بشراً، وجوزوا أن يكون الإله حجراً ﴿أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ﴾ [الآية 2] أن مفسرة، والمعنى: خوِّف الكفار والفجار بالنار ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الآية 2] أي خص البشارة أن لا يصح للكفرة ما يصح أن يبشروا به وعمَّم الإنذار لأنه قلما من أحد ليس فيه ما ينبغي أن ينذر منه أو لأن في الإنذار ولم يكن بوجود الكفار.

وأن الاستناد أن تعجبهم كان من ثلاثة أشياء: من جواز البعث بعد
2/ب الموت، ومن إرسال الرسل إلى الخلق، ثم من تخصيص محمد ﷺ/ بالرسالة من بين الخلق، ولو عرفوا كمال قدرته لم ينكروا جواز البعث، ولو علموا كمال ملكه لم يجحدوا إرسال الرسل إلى خلقه، ولو عرفوا أن له أن يفعل ما يريد لم يتعجبوا من تخصيص محمد ﷺ بالنبوة من بين الخليقة ولكن سدت بصائرهم فتاهوا في أودية الحيرة وعثروا من الضلالة في كل وهدة.

﴿أَنَّ لَهُمْ﴾ [الآية 2] أي بأن لهم ﴿قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الآية 2] مسابقة منيعة ومنزلة رفيعة، وسميت قدماً لأن السبق بها كما سميت النعمة يداً لأنها يعطى بها، وأضافها إلى الصدق لتحققها وللتنبيه على أنهم إنما ينالوا هذا بصدق البينة في طلبها.

وحاصله: إن لهم أجراً حسناً بما قدموا من العبادات أو بما سبقت لهم من الله السعادة.

وأفاد الأستاذ أن ما قدموه لأنفسهم من صنوف طاعات أخلصوا فيها وفنون عبادات صدقوا في القيام بتحقيقها، ويقال هو ما قدم الحق لهم يوم القسمة من مقتضى عنايته بشأنهم وما حكم لهم من أنواع إحسانه بهم وأجناس ما أفردهم به من إمتاعهم. ويقال: قدم صدق عند ربهم هو ما رفعوه من أقدامهم في بدايتهم أيام إرادتهم، فإن لأقدام المريدين المرفوعة لأجل الله

حرمة عند الله، ولأيامهم الخالية في حال ترددهم ولياليهم الماضية في طلبه، وهم في حرقة تحيرهم حقاً يرعاه الله.

﴿قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا﴾ [الآية 3] أي ما هذا الكتاب الحكيم أو الذي جاء به الرسول الكريم ﴿لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الآية 76] وقرأ ابن كثير والكوفيون: لساحر، على أن الإشارة للرسول ﷺ وفيه إشارة إلى اعترافهم في الجملة بأنهم شاهدوا أموراً خارقة معجزة إياهم عن المعارضة.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الآية 3] أي أصول الموجودات ﴿فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الآية 2] أي أوقات أو في مقدار ستة أيام كهذه الأيام أو كل يوم ألف سنة مما يعده الأنام للعباد أن يدرجوا في أمر المعاش والمعاد ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ﴾ [الآية 3] أي أمره وحكمه ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الآية 3] المحيط للعلو والعرش ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ [الآية 3] يقدر أمر الكائنات على ما اقتضته حكمته وسبقت به كلمته ومضت به مشيئته، وأصل التدبير النظر في دبر الحادثة لتجيء / محمودة العاقبة. 3/ أ
وقال بعضهم: يختار للعبد ما هو خير له من اختياره لنفسه، ذكره السلمي.

﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ [الآية 3] تقرير لعظمته وتحرير لعزّته وغلبته ورد على مَن زعم منهم أن آلهتهم تشفع له وإثبات الشفاعة لمن حصل إذن من ربهم ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ﴾ [الآية 3] أي الموصوف بتلك الصفات العلية المقتضية للألوهية والربوبية ﴿رَبُّكُمْ﴾ [الآية 3] لا غيره إذ لا يشاركه أحد في ذلك ﴿فَٱعْبُدُوهُ﴾ [الآية 3] وحّدوه بالعبادة ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الآية 3] في أمركم أيها المشركون تتعرفون أنه المستحق للعبادة لا ما تعبدونه من الصقر والشبه والحجارة التي هي أحسن مراتب جنس الأشياء الحادثة.

وأفاد الأستاذ أنه سبحانه لا يحتاج فعله إلى مدة ولا إلى عدة وكيف ذلك ومن جملة أفعاله الزمان والمدة فخلق السماوات والأرض في ستة أيام وتلك الأيام أيضاً من جملة ما خلق الله سبحانه كما خلق سائر الأنام ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الآية 3] توحيد بجلاله الكبرياء بوصف الملكوت وإليها فلوكنا إذا أراد، والتجلي والظهور لرعيتهم وحشمهم يروا لهم على سرير ملكهم

في إيوان مشاهدهم، فأخبر الحق سبحانه بما يقرب من لهم الخليقة بما ألقي إليهم من هذه الكلمة، ومعناه: اتصافه بعز الصمدية وجلال الأحدية وإفراده بنفي الجبروت وعلاء الربوبية وتقدس الجبار عن الأقطار والمعبود عن الحدود.

و﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ [الآية 3] أي الحادثات صادرة عن تقديره حاصلة بتدبيره فلا شريك يصده وما قضاه فلا أحد يرده، ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ [الآية 3] هو الذي ينطق من يخاطبه وهو الذي يحقق ما يشاء على مَن يشاء إذا التمس مطالبه ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ [الآية 4] تعريف، وقوله: ﴿فَٱعْبُدُوهُ﴾ [الآية 4] تكليف، فحصول التفريق بتحقيقه ووصول ما به التكليف بتوفيقه ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ [الآية 4] بالموت والنشور لا إلى سواه فاستعدوا للقائه ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 4] مصدر مؤكد لنفسه، لأن قوله: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ [الآية 4] وعد من الله ﴿حَقًّا﴾ [الآية 4] مصدر مؤكد لغيره وهو ما دل عليه وعد الله.

وأفاد الأستاذ أن الرجوع يقتضي ابتداء الأرواح، قبل حصولها في الأشباح كان لها في مواطن التسبيح والتقديس إقامة والغائب إذا رجع إلى وطنه/ من سفره فلقدومه أثر عند مجيئه ورؤيته، ويقال المطيع إذا رجع إلى الله 3/ب
فله الزلفى والمثوبة والحسنى، والعاصي إذا رجع إلى ربه رجع بنعت الإفلاس في الطريق والخسران فيلقى لباس الغفران وحلة الصفح والأمان ورحمة مولاه خير له من نسكه وتقواه ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا﴾ [الآية 4] فموعود المطيع الفراديس العلى، وموعود العاصي الرحمة والرضا والجنة لطف الحق والرحمة وصف الحق، فاللطف فعل لم يكن ثم حصل الوصل، والوصف نعت لم يزل.

﴿إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ [الآية 4] بعد بدئه وإهلاكه ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الآية 4] أي بعدله أو بعدالتهم وقيامهم على العدل في مرامهم أو بما كتب لهم من نصيبهم وحظهم أو بحسب أعمالهم ومقتضى أحوالهم ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾ [الآية 4] أي بأنواع كفرهم وأصناف شركهم.

وأفاد الأستاذ أن مَن كان له في جميع عمره نفس على وصف ما ابتدأه

الحق سبحانه ففي الإشارة يكون لذلك إعادة ولقد أنشد قائلهم:

كل نهر فيه ماء قد جرى فإليه الماء يوماً سيعود[1]

قلت: ويؤيده ليس يتحسر أهل الجنة يوم القيامة إلا على ساعة مرت بهم ولم يذكروا الله فيها، ولله در القائل: الدنيا ساعة فاجعلها طاعة. ويناسبه ما قال بعضهم: كما تعيشون تموتون وكما تموتون تحشرون.

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً﴾ [الآية 5] أي ذات ضياء أو وصف بالمصدر مبالغة، وقرأ قنبل ضياء بهمزتين ﴿وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾ [الآية 5] أي ذات نور أو سمي نوراً للمبالغة وهو أعم من الضياء فإن الضياء أقوى النور. وقيل ما بالذات ضوء وما بالعرض نور، وقد نبّه سبحانه بذلك على أن خلق الشمس نيرة في ذاتها والقمر نيراً يعرض مقابلتها، والاكتساب بها الاكتساب منها ﴿وَقَدَّرَهُۥ﴾ [الآية 5] أي مسير كل واحد منهما أو القمر ﴿مَنَازِلَ﴾ [الآية 5] أو قدر القمر ذا منازل، وتخصيصه بالذكر لتعلق أحكام الشرع به ولذا علله بقوله: ﴿لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ [الآية 5] أي حساب الأوقات من الأشهر والأيام/ في المعاملات 4/أ
والتصرفات في الأحكام.

﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ﴾ [الآية 5] أي جميع ما ذكر ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية 5] متلبساً بالحق مراعياً فيه مقتضى الحكمة البالغة ﴿يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 5] وهم المؤمنون لأنهم المنتفعون بها أو القوم يقبلون بمعنى يستعملون عقولهم بالتأمل فيها. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص بفصل الياء.

وقال الأستاذ: العقول نجوم وهي للشياطين رجوم، وللعلوم أقمار وهي أنوار واستبصار، وللعارف شموس ولها على أسرار العارفين طلوع واستظهار، كما قيل: إن شمس النهار تغرب بالليل وشمس القلوب ليس تغيب، وكما أن في السماء كوكبين شمس وقمر فالشمس أبداً بضيائها والقمر في الزيادة والنقصان كما يستر بمحاقه، بدأ بعد ذلك حتى يكمل بدراً بنعت

(1) لم ينسب لأحد، ذكره القشيري في تفسيره (3/ 192) و(6/ 98)، وانظر نظم العقيان في أعيان الأعيان (1/ 3)، والتدوين في أخبار قزوين (1/ 113).

إشراقه ثم يأخذ في النقص إلى أن لا يبقى شيء منه لتمام امتحاقه ثم يعود جديداً وكل ليلة يجد مزيداً، فإذا صار بدراً تماماً لم يجد أكثر من ليلة لكماله مقاماً ثم يأخذ في النقصان إلى أن يخفى شخصه ويتم نقصه، كذلك من الناس من هو متردد بين قبضه وبسطه وصحوه ومحوه وذهابه وإيابه لإفنائه فيستريح ولإقباله دوام صحيح. وقيل:

كلما قلت قد دنا حل قيدي قدموني فأوثقوا المسمارا[1]

﴿إِنَّ فِي ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [الآية 6] ظلمة ونوراً وبرداً وحراً وطولاً وقصراً ﴿وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 6] أي فيما أوجده من أنواع الكائنات في جهة العلويات والسفليات أو في اختلاف ما أبرزه من المصنوعات ﴿لَأٓيَٰتٍ﴾ [الآية 6] أي لدلالات على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته ﴿لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ [الآية 6] يحذرون من مخالفته ويخافون من عقوبته أو يتقون عواقب الأمر فإنه يحملهم على النذير والفكر.

وأفاد الأستاذ أن في اختصاص النهار بضيائه وانفراد الليل بظلماته من غير استيجاب لهذا، أو غير استحقاق عتاب مع هذا، دلالات على أن الرد والقبول والمنع والوصول ليس بمعلول بسبب، ولا بحاصل الأمر مكتسب،
كلا إنها إرادة ومشيئة وحكم وقضية، والنهار وقت حضور أهل الغفلة في/ 4/ب
أوطان كسبهم ووقت أرباب القربة والوصلة بانفرادهم لشهود ربهم، قال قائلهم:

هي الشمس إلا أنَّ للشمس غيبة وهذا الذي نعنيه ليس يغيب[2]

والليل لأحد الشخصين إما للمحبين فوقت النجوى، وإما للعاصين فبثّ الشكوى، وفي المثل: «لا يعرف قدر الليل إلا صديق صادق أو عاشق فاسق».

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ [الآية 7] لا يتوقعونه لا رجاء ولا خوف لإنكارهم البعث أصلاً ﴿وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الآية 7] لجهلهم بها وغفلتهم عن

(1) هذا البيت منسوب للشبلي. انظر محاضرات الأدباء (2/ 49).
(2) لم ينسب لأحد. ذكره القشيري في تفسيره (3/ 194)، وانظر روح المعاني (11/ 91).

كثرة عنائها وقلة غنائها وسرعة فنائها وخسة شركائها ﴿وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا﴾ [الآية 7] سكنوا إليها قاصرين هممهم على لذائذها وزخارفها أو سكنوا فيها لانهماكهم فيما يضادها وينافيها ولاشتغالهم بحب العاجل عن التأمل في أمر الآجل ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ۝٨﴾ [الآية 8] بما واظبوا عليه من المناهي وتمزقوا به من الملاهي.

وأفاد الأستاذ أنهم أنكروا جواز الرؤية فلم يرجوها والمؤمنون آمنوا بجوازها فأملوها. ويقال: لا يرجون لقاءه لأنهم لم يشتاقوا إليه ولن يشتاقوا إليه لأنهم لم يحبوه ولن يحبوه لأنهم لم يعرفوه ولن يعرفوه لأنهم لم يطلبوه ولن يطلبوه لأنه أراد أن لا يطلبوه. قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: الآية 42]، ويقال: لو أراد أن يطلبوا لطلبوا ولو طلبوا لعرفوا ولو عرفوا لأحبوا ولو أحبوا لاشتاقوا ولو اشتاقوا لرجوا ولو رجوا لبروا، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَأٓتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾ [السَّجدَة: الآية 13]. ثم أصحاب الدنيا رضوا بالحياة الدنيا فحرموا الجنة، والزهاد والعباد ركنوا إلى الجنة ورضوا بها فبقوا عن الوصلة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ﴾ [الآية 9] أي يدلهم بسبب إيمانهم إلى سلوك سبيل يؤدي إلى الجنة أو لما يريدونه فيها من أنواع اللذّة، وهذا بالنسبة إلى الآخرة. وأما في الدنيا فإلى أحوال الطريقة ومقامات الحقيقة. فقد ورد عنه ﷺ: «من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم»[1]. وفي الاكتفاء بنسبة الإيمان لدخول الجنان من غير فرض لعمل/ الإحسان الموجب 5/أ
لزيادة الامتنان. رد على المعتزلة حيث دل على استقلال الإيمان بالسببية وأن العمل الصالح كالنعمة والتكملة في القضية.

﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ﴾ [الآية 9] أي من تحت تصرفهم أو تحت قصورهم ﴿ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الآية 9] أي الأنهار الأربعة من جوانب دورهم ﴿فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾

(1) أخرجه أبو نعيم في الحلية. انظر الدرر المنثورة في الأحاديث المشهورة (1/ 20)، وتذكرة الموضوعات (1/ 20)، وتخريج أحاديث الإحياء (1/ 168).

[الآية 9] أي النعيم المقيم ﴿دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا﴾ [الآية 10] أي دعاءهم في الجنة ﴿سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾ [الآية 10] أي نسبحك من المنقصة في الممدحة ﴿وَتَحِيَّتُهُمۡ﴾ [الآية 10] أي ما يحيي بعضهم بعضاً أو تحية الملائكة إياهم ﴿فِيهَا سَلَٰمٞۚ﴾ [الآية 10] أو تحية الله لهم في مقام التكريم كما قال تعالى: ﴿سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ٥٨﴾ [يس:الآية 58]، ﴿وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ﴾ [الآية 10] أي غاية دعائهم وتمام مدعائهم ﴿أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الآية 10] أي قولهم هذا الكلام لحصول جميع المرام في ذلك المقام وأن هي المحققة من النقلة في قراءة شاذة، وعن كثير من السلف إن أهل الجنة كلما اشتهوا شيئاً قالوا: سبحانك اللهم، فيأتيهم الملك بما يشتهونه فيسلِّم عليهم فيردون عليه وذلك تحيتهم، فإن أكلوا حمدوا وذلك قوله: ﴿وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ﴾ [الآية 10].

﴿وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ﴾ [الآية 11] أي لو يسرع إليهم الضرر ﴿ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ﴾ [الآية 11] أي بالنفع المقرر وعدل عن تعجيله لهم بالخير للإشعار بسرعة إجابته لهم في الخير حتى كان استعجالهم به تعجيل لهم. وتوضيحه: أنهم يستعجلون بالخير فيجيب الله لهم أسرع إجابة حتى كان استعجالهم نفس تعجيله تعالى لهم، فاستعجاله لهم مثل استعجالهم صفة محذوف ﴿لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡۖ﴾ [الآية 11] أي لأميتوا وأهلكوا ولكن بفضله يستجيب لهم سريعاً في الخير لا في الشر، وفيه إيماء إلى أنه سبحانه يجيب دعاءهم بسرعة في منفعتهم بخلاف دعائهم في مضرتهم، كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَيَدۡعُ ٱلۡإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلۡخَيۡرِۖ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ عَجُولٗا﴾ [الإسراء:الآية 11] أي لكونه ظلوماً جهولاً، وفي هذه تسلية لأرباب الأدعية وتقييد لقوله سبحانه: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر:الآية 60] الآية. وقرأ ابن عامر: (لقضي) على البناء للفاعل وهو الله سبحانه، وفي قراءة شاذة: لقضينا.

وأفاد الأستاذ: أن المراد لو أجبناهم إذا دعوا على أنفسهم وأعزّتهم من أهلهم عند غيظهم وضجرهم لعجلنا إهلاكهم/ ولكنا بحلمنا لا نجيبهم وبرحمتنا 5/ب
عليهم لا نسمع بالإجابة فيهم دعاءهم، وإنما يشكو العبد بأنه لا يجيب دعاءه ويجيب رجاه لجهله بأن ترك إجابته لطف منه بحاله لما علم الله أن في ذلك بلاء

لو أجابه كما قيل:

أنـــاس أعـــرضـــوا عـــنـــا بـــلا جـــرم ولا مـــعـــنـــى
أســـاؤوا ظـــنـــهـــم فـــيـــنـــا فـــهـــلّا أحـــســـنـــوا الـــظـــنّـــا

﴿فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الآية 11] أي في ظلمات ظلالهم يتحيرون، وفيه إيماء إلى أن مَن يرجو اللقاء لم ييأس من قبول الدعاء ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا﴾ [الآية 12] لإزالته مخلصاً بجنبه ملقياً عليه مضطجعاً ﴿أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا﴾ [الآية 12] أو للتنويع مشيراً إلى نعيم الدعاء في جميع الأحوال أو في أصناف المضار والأهوال ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ﴾ [الآية 12] ذهب على طريقته قبل الضر ونسي الأمر واستمر على الكفر أو مر على موقف الدعاء ونزّ عن مقام اللقاء ﴿كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ﴾ [الآية 12] أي كأنه لم يدعنا قبل ذلك ﴿إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ﴾ [الآية 12] أي إلى كشف ضر أصابه ﴿كَذَٰلِكَ﴾ [الآية 12] أي مثل ذلك التزيين ﴿زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الآية 12] من الانهماك في الشهوات والإعراض عن العبادات وترك الدعوات. وقد قال سيد الأنبياء: «من سرّه أن يستجيب الله له في البلاء فليكثر الدعاء في الرخاء»(1).

وقال الأستاذ: إذا امتحن العبد وأصابته الضرورة وأزعجته الحال إلى التخلص مما ناله فيعلم أن غير الله لا ينجيه فتحمله الضرورة على صدق الالتجاء إلى الله وإذا كشف الله عنه ما يدعوه لأجله، شغلته راحة الإخلاص عن تلك الحالة وزايله ذلك الاتباع ومداركاته لم يكن في بلاء قط:

وكأن الفتى لم يعر يوماً إذا اكتسى ولم يك صعلوكاً إذا ما تموّلا(2)

ويقال: بلاء يلجئك إلى الانتصاب بين يدي معبودك أجدى لك من عطاء ينسيك ويقصيك. قلت: ومن حكم ابن العطاء: ربما أعطاك فمنعك وربما منعك فأعطاك.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ﴾ [الآية 13] الأمم الماضية ﴿مِن قَبْلِكُمْ﴾ [الآية 13] يا

---

(1) ذكره القشيري في تفسيره (3/ 200) و(5/ 492)، وابن عجيبة في البحر المديد (4/ 388).
(2) نسب إلى جابر بن ثعلب الطائي. انظر الحماسة البصرية (1/ 48).

أهل مكة لما ظلموا حين ظلموا أنفسهم بارتكاب المناهي واكتساب الملاهي
6/أ ﴿وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم/ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ [الآية 13] حال من الواو أو عطف على ظلموا.

قال ابن عطاء: أي لما اعتمدوا سوانا. وقال الصادق: لما قابلوا نعمنا بالكفران.

وقال أبو عثمان: لما لم يعرفوا حقوق أكابرهم ولم يتباينوا بأدائهم، ذكره السلمي.

﴿وَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْۚ﴾ [الآية 13] وما استقام لهم أن يؤمنوا لفساد استعدادهم وخذلان الله لهم باختيار كفرهم وعلمه بأنهم يموتون على ضلالهم ﴿كَذَٰلِكَ﴾ [الآية 13] أي مثل ذلك الجزاء، وهو إهلاكهم، بسبب تكذيب الأنبياء ﴿نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [الآية 13] أسوأ الإجزاء.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه قد أجرى سنّته بإهلاك الظالمين وكما في الخبر: لو كان الظلم بيتاً في الجنة لسلط الله عليه الخراب[1]، والظلم وضع الشيء في غير موضعه فإذا وضع العبد قصده عند حوائجه إلى المخلوقين فيعلق قلبه بهم في الاستعانة وطلب المأمول، فقد وضع الشيء في غير موضعه وهو ظلم فعقوبة هذا الظلم خراب القلب وهو انسداد طريق رجوع ذلك القلب إلى الرب لأنه لو رجع إلى الله لأعانه وأغاثه وكفاه ولكنه يصر على تعلق قلبه بالمخلوق فيبقى عن الله ولا ترتفع حاجته من غير الله، فكان من فقره وحاجته في مضرة فإنصاف إلى معرفة المذلة وحاجة الكريم إلى اللئيم، ثم لا يرتفع محنة عظيمة، وعلى هذا القياس إذا أحب مخلوقاً فقد وضع محبته في غير موضعها وهو ظلم، فعقوبته خراب روحه لعدم صفاء ودّه ومحبته لله وذهاب ما كان يجده من الإنس بالله، ثم إذا بقي عن الله يذيقه الخلق طعم المخلوقين فلا له مع الحق سلوة ولا منه إلّا الجفوة بينه وبين الله استيلاء القسوة وعدم الصفوة.

﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ [الآية 14] أي استخلفناكم فيها

(1) سيأتي تخريجه لاحقاً.

بعد القرون التي أهلكناهم استخلاف من نختبر ﴿لِنَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ﴾ [الآية 14] أتعملون خيراً أو شراً فيعاملكم على مقتضى أعمالكم وبحسب أحوالكم.

وأفاد الأستاذ أن معناه: عرّفناكم سير مَن كان قبلكم وما أصابهم بسبب ذنوبهم فإن اعتبرتم بهم نجوتم وإن لم تعتبروا أحللنا بكم من العقوبة ما يعتبر بكم غيركم لأن مَن لم يعتبر بمن سبقه اعتبر به مَن لحقه ومن لم يعتبر بما يسمعه اعتبر به من يتبعه.

6/ب ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٖ﴾ [الآية 15] أي حال تلك الآيات/ واضحة الدلالات ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا﴾ [الآية 15] من المشركين ﴿ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ﴾ [الآية 15] أي بكتاب آخر ليس فيه ما نكرهه من معايب آلهتنا أو ما نستبعده من البعث بعد موتنا ﴿أَوۡ بَدِّلۡهُۚ﴾ [الآية 15] أي غيِّره أو حوِّله بأن يجعل مكان الآية المشتملة على ما لا نحبه آية أخرى يكون فيها ما نقول، وأو للتخيير بين الأمرين أو للتنويع باختلاف القائلين ﴿قُلۡ مَا يَكُونُ لِيٓ﴾ [الآية 15] ما يتصور لعصمتي ﴿أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِٕ نَفۡسِيٓۖ﴾ [الآية 15] أي مِن قِبَلها إذ ليس الأمر باختيارها وإنما أكتفي بالجواب عن التبديل لاستلزام امتناعه امتناع الآخر منهما أو لمفهوم القضية الأخرى بالأولى والأخرى، أو المراد بالتبديل بل ما يشملها كما يدل عليهما قوله: ﴿إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۖ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي﴾ [الآية 15] أي وتقديراً ﴿عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾ [لآية 15] وفيه تعريض بأنهم استوجبوا باقتراحهم العذاب الأليم.

﴿قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الآية 16] أي غير ذلك ﴿مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ﴾ [الآية 16] أي ولا أعلمكم الله به على لسان غيري، ثم قرره بقوله: ﴿فَقَدۡ لَبِثۡتُ فِيكُمۡ عُمُرٗا﴾ [الآية 16] مقدار أربعين سنة ﴿مِّن قَبۡلِهِۦٓ﴾ [الآية 16] أي قبل القرآن لأتلوه عليكم ولا أعلمه بكم ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [الآية 16] أفلا تستعجلون عقولكم بالتدبر والتفكر في أمركم لتعلموا أنه ليس إلا من الله إليكم فما لكم تعرضون، وفي أمركم ما تنظرون.

﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الآية 17] فيه براءة مما أضافوا إليه

بالكفاية ﴿أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ﴾ [الآية 17] تعريض لهم في القضية ﴿إِنَّهُۥ﴾ [الآية 17] أي الشأن ﴿لَا يُفۡلِحُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ [الآية 17] بالكذب والتكذيب ونحو ذلك مما يعقلون.

وأفاد الأستاذ أن من المفترين على الله الذين يظهرون من الأحوال ما ليسوا فيها صادقين، وجزاؤهم أن يحرموا ذلك أبد الآبدين ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ﴾ [الآية 18] في أشياء لا يقدرون على دفع ضر ولا جلب نفع لهم ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [الآية 18] الأصنام ﴿شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [الآية 18] تشفع لنا في أمورنا العارضة في الدنيا، وهذا من فرط جهالتهم وشدة غباوتهم وحماقتهم حيث تركوا عبادة الموجد الضار النافع إلى عبادة ما يُعلم قطعاً أنه لا يضر ولا ينفع على توهم أنها ربما تشفع ﴿قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ﴾ [الآية 18] أي
7/أ أتخبرونه/ بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض إن هؤلاء شفعاء، وما لا يعلمه العالم بجميع المعلومات الكائنة في عالم العلويات والسفليات لا يكون له تحقق ما في الموجودات والممكنات، فنفى العلم وأراد نفي المعلوم.

﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [الآية 18] أي عن إشراكهم أو عن الذين تشركونهم به، وقرأ حمزة والكسائي بالخطاب بناء على أن الالتفات في الباب.

وأفاد الأستاذ أن من فرط غباوتهم أنهم انتظروا الشفاعة في المآل من لا يوجد فيهم الضر والنفع في الحال. أخبر أنهم يخبرون عما ليس على الوجه الذي قالوه معلوماً لله ولو كان كما قالوه لعلمه الحق سبحانه لأنه لا يغرب عن علمه معلوم.

ومعنى قوله ﴿لَا يَعۡلَمُ﴾ أي يعلم بخلافه ومن تعلق قلبه بالمخلوقين في استدفاع المعتاد واستجلاء المسار، فكالسالك سبيل من عبد الأصنام إذ المنشيء والموجد للشيء من العدم هو الله الملك العلّام ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [الآية 19] موحدين على الفطرة أو متفقين على طريقة الحنيفية وذلك من عهد آدم عليه السلام إلى أن قتل قابيل هابيل، أو بعد الطوفان أو على الضلالة في فترة من أصحاب الرسالة فاختلفوا باتباع الهوى وإيضاع الهدى أو بنبيئة الأنبياء

فتبعتهم طائفة وكفرتهم أخرى.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ [الآية 19] بتأخير الحكم بينهم أو العذاب الفاصل بينهم إلى يوم القيامة فإنه يوم الفصل ووقت الجزاء والعقوبة ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ [الآية 19] بإهلاكهم عاجلاً في الدنيا ﴿فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الآية 19] بأنني المبطل وإنني المحق.

وأفاد الأستاذ أنهم إنما اختلفوا لأن الله خص قوماً بقبوله وعنايته، وآخرين بإبعاده وإهانته، ولولا تلك الإرادة لما وقفت هذه المخالفة.

﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الآية 20] أي من الآيات التي اقترحوها حيث أعرضوا عن الآيات التي شاهدوها ﴿فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ [الآية 20] أي هو المختص بعلمه فلعله يعلم في إنزال الآيات المقترحة من مفاسد مانعة عن إنزالها ومنها نختم العذاب منكرها عند ظهورها ﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾ [الأعراف:الآية 71] لما يفعل الله بي وبكم.

7/ب وأفاد الأستاذ أن الآية تشير أنه ﷺ في ستر الغيب وخفاء/ الأمر عليه في الجملة فكما اهتم في الانتظار لما يحدث في المستأنف من التغيير، فهو أيضاً في انتظار ما يوجد من المقادير، والفرق بينه وبينهم أنه يشهد ما يحصل به ومنه على حسب الإرادة وهم متطرحون في أودية الجهالة يحيلون الأمر مرة على الدهر ومرة على النجم ومرة على الطبع وكل ذلك حيرة وعمى خارجة عن طريق العقل والشرع.

﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً﴾ [الآية 21] صحة وسعة ﴿مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ﴾ [الآية 21] كبلية وشدة ﴿إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِيٓ ءَايَاتِنَاۚ﴾ [الآية 21] بالطعن فيها والاحتيال في دفعها وإطفائها ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًاۚ﴾ [الآية 21] منكم حيث دبر عقابكم قبل أن تدبروا كيدكم واحفلوا حقاً الكيد وهو من الله سبحانه، إما الاستدراج أو الجزاء على المكر ويؤيده قوله: ﴿إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ [الآية 21] حيث يطلعون على ما يمكرون فيجازون بما يفعلون.

وقال الأستاذ: يعني إذا أصابهم مضرة ومحنة فرحمناهم وكشفنا عنهم

أحالوا الأمر على غيرنا ونزهوه من سواها بقولهم مطرنا بنو كذا، وقولهم إن هذه بسعادة نجم ومساعدة دولة ووقاية فلك وحيرات وسر، فهذا كان مكرهم ومكر الله بهم جزاؤهم على مكرهم، والإشارة في هذا أنه ربما يكون لكم يد أو للطالب حجبة أو فترة إذا أحاله الحق بكشفٍ وتجلٍّ وإقبال فمن حقهم أن لا يلاحظوها فضلاً من أن يساكنوها فإذا لم يرتفعوا عن ملاحظة أحوالهم إلى الغيبة بشهود الحق لهم، مكر الله بهم بأن ينبئهم في تلك الأحوال من غير ترق عنها ووجود الزيادة عليها فهذا مكره بخواصهم وما سبق في حق عوامهم.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمۡ﴾ [الآية 22] يحملكم على السير ويمكّنكم من السفر، وقرأ ابن عامر: ينشركم من النشر أي بينكم ويفرقكم ﴿فِى ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ﴾ [الآية 22].

قال ابن عطاء: سير الأولياء بقلوبهم وسير الأعداء بنفوسهم، ذكره السلمي. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِى ٱلۡفُلۡكِ﴾ [الآية 22] أي السفن وأريد بهذا الجمع لقوله: ﴿وَجَرَيۡنَ بِهِم﴾ [الآية 22] بمن فيها ولعل حكمة العدول عن الخطاب إلى الغيبة وهو أنه تذكير لغيرهم على وجه العبرة ليتعجب من حالهم وينكر عليهم في مآلهم بريح عاصف أي ذات عصف شديدة الهبوب ﴿جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ
8/ أ ٱلۡمَوۡجُ﴾ [الآية 22] اضطراب الماء ﴿مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ [الآية 22] يتصور منه مجيء/ الموج ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡۙ﴾ [الآية 22] أهلكوا بأن سدت عليهم مسالك الخلاص كمن أحاط به العدو ﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [الآية 22] أي الانقياد والطاعة، والجملة بدل مما قبله، والمعنى أنهم رجعوا إلى أصل الفطرة لزوال العارض من جهة الشدة ﴿لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الآية 22] على إرادة القول أو مفعول دعوا لأنه بمعنى قالوا: ﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ﴾ [الآية 23] عما أبلاهم ﴿إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِى ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ﴾ [الآية 23] أي يطلبون فيها الفساد بل بالظلم في حق العباد والبلاد.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ﴾ [الآية 23] أي ظلمكم ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ﴾ [الآية 23] فذلك وباله عليكم وضرره راجع إليكم ﴿مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ [الآية 23] أي

منفعة الحياة الدنية حاصلة لديكم حيث ينكشف بقاؤها ويطول حسابها ويبقى عقابها، ونصبه حفص على أنه مصدر مؤكد أي يتمتعون متاع الحياة الدنيا ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ﴾ [الآية 23] أي رجوعكم في العقبى ﴿فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الآية 23] فيجازيكم بما تدرون وبما تفعلون.

وقال الأستاذ: يريد أنهم يصبحون في النِّعم يجرون أذيالهم ثم يمسون يبكون بلياليهم وقد يبيتون والصّحة ملكهم ثم يصبحون وخفايا التقدير أهلكتهم هـ. وأنشدوا:

أقمت زماناً والعيون قريرة وأصبحت يوماً والجفون سوافك[1]

فإذا رجعوا إلى الله بإخلاص الدعاء يجود عليهم بكشف البلاء، فلما أنجاهم وبالإجابة أرعاهم إذ أنهم إلى غيهم يرجعون وعلى مناهجتهم في تمردهم يسلكون، ثم قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ [البَقَرَة:الآية 21] إلى آخره، أي نمتعكم زماناً قليلاً ثم تلقون غبّ ذلك وبيلاً وتقاسون عذاباً طويلاً.

﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الآية 24] أي حالها العجيبة وصفتها الغريبة في سرعة زوالها وذهاب نعيمها بعد إقبالها واغترار الناس بمنالها وغفلتهم عن مآلها ﴿كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الآية 24] أي وأنبتنا به الأشياء ﴿فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 24] فاشتبك بسببه حتى تخالط بعضه ببعض ﴿مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ﴾ [الآية 24] من أصناف الزرع والثمار وأنواع الكلأ والحشيش والأشجار ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ [الآية 24] أي زينتها بأجناس أزهارها ﴿وَٱزَّيَّنَتْ﴾ [الآية 24]
بنفائس أنوارها وأشكالها المختلفة/ وألوانها المؤتلفة كعروس أخذت الثياب 8/ب
الملونة وأفنان الحلي المزيّنة فتزينت بها، وأصل ﴿وَٱزَّيَّنَتْ﴾ تزينت وقد قرئ بها ﴿وَظَنَّ أَهْلُهَآ﴾ [الآية 24] أي أصحاب الأرض المائلون إليها ﴿أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا﴾ [الآية 24] أي جاءها أمرنا بإفنائها فضرب زرعها بما يجتاحها ﴿لَيْلًا أَوْ نَهَارًا﴾ [الآية 24] لاستوائها في أمرها ﴿فَجَعَلْنَٰهَا﴾ [الآية 24] أي نباتها ﴿حَصِيدًا﴾ [الآية 24] شبيه زروع حصودها ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ﴾ [الآية 24] أي

(1) نسب إلى عبد الكريم بن هوازن. انظر مرآة الجنان (1/ 439).

كأنه لم يلبث ولم ينبت زروعها فيما سبق من حالها ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ﴾ [الآية 24] أي نبيّنها الكرّات والمرّات ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الآية 24] في المصنوعات وعجائب المخلوقات.

وأفاد الأستاذ أنه سبحانه شبّه الحياة الدنيا بالماء المنزل من السماء ينبت به النبات وتخضر الأرض بالأزهار وتظهر الثمار ويوطن أربابها نفوسهم عليها فتصيبها جائحة سماوية بغتة وتصير كأن لم تكن، كذلك الإنسان بعد كمال سنه وتمام قوته واستجماع الخصال المحمودة فيه تخترمه المنية وتبطل أموره المنتظمة كما قيل:

فقدناه لما تمّ واعتمّ بالعلا وكذاك كسوف البدر عند تمامه[1]

ومن وجوه نسبة الأموال الدنيوية الماء المنزل من السماء أن المطر لا يستنزل بالحيلة كذلك الدنيا لا تساعد إلا بالغنيمة، ثم إن المطر وإن كان لا يجيء إلا بالتقدير فقد يستسقى كذلك الرزق وإن كان بالغنيمة فقد يلتمس من الله ويستعطى، ومنها أن الماء في موضعه سبب حياة الناس وفي غير موضعه سبب الخراب. كذلك المال لمستحقه سبب سلامته وانقطاع المتصلين به وعند من لا يستحقه سبب طغيانه وسبب بلاء من هو متصل به كما قيل:

نِعَم الله لا تعاب ولكن ربما استقبحت على إنسان[2]

وقد ورد: نعم المال الصالح للرجل الصالح[3]، ومنها أن المال إذا كان بمقدار كان سبب الصلاح وإذا جاوز الحد أوجب الكفران والطغيان والنقم،

(1) قاله أبو الفتح البستي في رثاء أبي القاسم الصاحب. انظر زهر الآداب وثمر الألباب (1/ 162)، والتمثيل والمحاضرة (1/ 52) وانظره في تفسير القشيري (3/ 211).

(2) ذكر بلفظ:

نعمة الله لا تُعاب ولكن ربما استقبحت على أقوام

قاله عمر بن إبراهيم بن عمر بن حبيب البصري في عبيد الله بن يحيى بن خاقان الوزير. انظر الوافي بالوفيات (٧/ ١٢٧)، وطبقات الشعراء (١/ ١٢٦).

(3) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (2/ 91) رقم (1248)، وفي الآداب (3/ 86) رقم (791). وانظر كشف الخفا (2/ 320) رقم (2823).

وقد ورد: قليل يكفيك خير من كثير يطغيك[1]. ومنها أن الماء ما دام جارياً كان طيباً فإذا طال مكثه تغير كذلك المال إذا أنفقه صاحبه كان محموداً فإذا ادّخره صاحبه وأمسكه كان معلولاً مذموماً، ومنه قولهم: اصرف ما/ في 9/ أ
الجيب يأتيك ما في الغيب[2]، ويشير إليه قوله سبحانه: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سَبَإ:الآية 39]، ومنها أن الماء إذا كان طاهراً يصلح للشرب وللطهور وإذا كان غير طاهر فبالعكس كذلك المال إذا كان حلالاً وبعسكه إذا كان حراماً، ويوميء إليه قوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ﴾ [المَائدة:الآية 100]. ويقال: كما أن الربيع ينوره أشجاره ويظهر أزهاره ويخضرّ رياعه ويتزين بالنبات وهاده وتلاعه ثم لا يؤمن أن تصيبه آفة من غير الارتقاب وينقلب الحلال بما لم يكن في الحساب كذلك من الناس من يكون له أحوال صافية وأعمال بشرط الخلوص زاكية وغصون أنسه متدلية ورياض قربه موفقة ثم تصيبه عين فيذبل عود وصاله وتنسد أبواب عوائد إقباله كما قيل:

عين أصابتك إن العين صائبة والعين تسرع أحياناً إلى الحسد[3]

﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [الآية 25] أي دار السلامة من الآفة والملامة أو دار الله، ولا يخفى ما في تخصيص هذا الاسم من المناسبة المبينة لوجه التسمية، أو دار يكثر فيما بين أهلها السلام أو يحصل لهم تحية الملائكة الكرام من عند الملك العلّام، والمراد بها الجنة ﴿وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [الآية 25] بالتوفيق للهداية ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الآية 25] أي في غاية من الاستقامة المؤدية إلى وصول الجنة وحصول الوصلة وهو الإيمان والإسلام والتدرُّع بلباس التقوى في جميع الأحكام وفي تعميم الدعوة وتخصيص الهداية بالمشيئة دلالة على أن الأمر غير الإرادة وأن المصر على الضلالة لم يرد الله له الهداية، ويمكن أن يقال والله يدعو من يشاء إلى صراط مستقيم وإلى دار السلام هو اعتناق أوامره والانتهاء عن

---

(1) نقل عن ابن مسعود بلفظ: ما من يوم إلا وملك ينادي يا ابن آدم قليل يكفيك. انظر إحياء علوم الدين (4/ 436).

(2) هذا قول وليس بحكم شرعي لأنّه يجوز الادخار لا عن بخل أو شح به.

(3) ذكره القشيري في تفسيره (3/ 211).

الزواجر، فالدعاء من حيث التكليف والهداية تفريق والتكليف على العموم والتفريق على الخصوص، ويقال: التكليف بحق سلطانه والتقريب بحكم إحسانه. ويقال: الدعاء قوله، والهداية طوله، دخل الكل تحت قوله وانفرد الأولياء بتخصيص طوله. ومعنى ﴿دَارُ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [الآية 25] أن أهلها فيها سالمون من
9/ب الحرقة والفرقة، / سلموا من الحرقة فحصلوا في لذة عطائه، وسلموا من الفرقة فوصلوا إلى عزيز لقائه. ويقال: تلك الدار درجات للأبرار فالذي يسلم قلبه عن محيد الأغيار درجته أعلى من درجة من سلم نفسه من الذنوب والأوصار، ويقال: قوم سلمت صدورهم من الغل والحسد والحقد والجور، وقوم سلم الحق منهم فليس بينهم وبين أحد محاسبة وليس لهم على أحد مناقشة، فالمسلم مَن سلم المسلمون مِن لسانه ويده، والمحسن مَن سلم الخلق بأجمعهم من قلبه. ويقال: الصراط المستقيم طريق المسلمين، فهذا للعوام بشرط علم اليقين ثم طريق المؤمنين وهو للخواص بشرط عين اليقين، ثم طريق المحسنين وهو الخاص الخاص بشرط حق اليقين، فهو ثبوت العقل أصحاب البرهان وهؤلاء بكشف العلم أصحاب البيان وهؤلاء بضياء المعرفة بالوصف كالعيان وهو الذي قال ﷺ: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه»(1).

﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ﴾ [الآية 26] أي في مراتب الإيمان والإسلام والإحسان ﴿ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [الآية 26] المثوبة، الحسنى: وهي الجنة العليا ﴿وَزِيَادَةٞ﴾ [الآية 26] أي وما يزيد على المثوبة الشاملة للدونية لكنها لما كانت على نهاية الوصلة وغاية الفرقة فسر بها ﷺ كما في صحيح مسلم ومسند الإمام أحمد وسنن الترمذي وابن ماجه وثبت عن الصدِّيق الأكبر وأكثر أكابر الصحابة وأئمة أهل السنَّة خلافاً للمعتزلة وسائر المبتدعة المحرومين من هذه الرتبة العلية ولعل تسميتها بالزيادة لقوله: ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓ﴾ [الآية 26]، ولقوله: ﴿وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ﴾ [ق:الآية 35] وهذا العموم الذي اخترناه لا ينافي ما روي عن ابن عباس من أن الحسنى مثل حسناتهم والزيادة عشر أمثالها إلى أضعافها، ولعله مقتبس من مقابلة قوله الآتي:

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (50)، ومسلم في الصحيح (9/ 5).

﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثۡلِهَا﴾ [الآية 27] ولكن رفعه بأن هذا في مقابلة الحسنى كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ﴾ [الروم:الآية 10] السوء المقابل للزيادة الموجبة لكمال العزة قوله: ﴿وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞ﴾ [الآية 27] ويؤيده تعالى: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا/ نَاظِرَةٞ ٢٣﴾ [القِيَامَة: الآيتان 22 – 23] الآية. 10/أ
وأما ما نقل عن مجاهد أن الزيادة هي المغفرة والرضوان ففيه أن المغفرة مقدمة على دخول الجنة والرضا هو الموجب للقاء.

وأفاد الأستاذ أن الحسنى التي لهم في الجنة وما فيها من صنوف النعمة، وقوله تعالى: ﴿وَزِيَادَةٞ﴾ [الآية 26] فعلى موجب الخبر وإجماع السلف النظر إلى الله، ويحتمل الحسنى الرؤية والزيادة دوامها، ويحتمل أن تكون الحسنى اللقاء والزيادة البقاء في حال اللقاء.

﴿وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ﴾ [الآية 26] لا يغشيها ﴿قَتَرٞ﴾ [الآية 26] سواد وغبرة ﴿وَلَا ذِلَّةٌ﴾ [الآية 26] مهانة، والمعنى لا يرهقهم ما يرهق أهل الحرقة ولا يلحقهم سوء حالة من جهة الفرقة كما لتلك الفرقة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ﴾ [الآية 26] ملازموها ﴿هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الآية 26] دائمون لا انقراض لها ولا زوال لنعيمها بخلاف الدنيا وزخارفها.

وأفاد الأستاذ في قوله سبحانه: ﴿وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ﴾ [الآية 26] لا يقع عليها غبار الحجاب وبعكسه حديث الكفار ولو من أهل الكتاب حيث قال: ﴿وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ عَلَيۡهَا غَبَرَةٞ﴾ [عبس:الآية 40]، قلت: وسيأتي قوله: ﴿وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞ﴾ [الآية 27] قال: والذلة التي تصيبهم أن لا يردوا من غير شهوده إلى رؤية غيره ﴿هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الآية 26] أي في فنون إفضالهم في جميع أحوالهم.

﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الآية 27] أي اللمم وجزاؤهم ﴿جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثۡلِهَا﴾ [الآية 27] لا يزاد عليها، وفيه تنبيه نبيه أن الزيادة هي الفضل وإن تركها هو العدل ﴿وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞ﴾ [الآية 27] أي مذلة يصيبهم منها قترة وغبرة ﴿مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖ﴾ [الآية 27] أي أحد يعصمهم من السخط والعقوبة.

وقال الأستاذ: والذين كسبوا السيئات وعملوا الذلات لهم جزاء سيئة مثلها والباء صلة أي للواحد واحد بلا زيادة، ﴿وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞ﴾ [الآية 27] آثار الحجاب على وجوههم لائحة فإن الأسرّة تدل على السريرة ﴿مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۖ﴾ [الآية 27] أي ما لهم عاصم من العذاب ومانع من ذلّ الحجاب ﴿كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ﴾ [الآية 27] لفرط سوادها، وقرأ ابن كثير والكسائي: قطعاً بالسكون ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الآية 27] ولعل
10/ب المراد بالسيئات أنواع الكفر وأصناف الشرك لتختص الآية/ بالكفار ولا تعم الفساق والفجار كما عليه أئمة أهل السنَّة خلافاً للخوارج والمعتزلة.

والظاهر أن الله سبحانه قد اقتصر على بيان حالة الفريقين من المؤمنين والكافرين من جهة الوعد والوعيد من جميع القرآن الحميد وسترى بيان حال الفاسقين حتى يبقوا بين الرجاء والخشية ولا يعفو في اليأس والأمنة وليعلموا أنهم تحت المشيئة مع أن بعضهم لهم عقوبة سابقة ونقمة لاحقة.

﴿وَيَوۡمَ نَحۡشُرُهُمۡ﴾ [الآية 28] أي الفريقين ﴿جَمِيعٗا﴾ [الآية 28] أي جميعهم أو مجتمعين ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ﴾ [الآية 28] أي لجميع المشركين ﴿مَكَانَكُمۡ﴾ [الآية 28] أي الزموا مكانكم حتى تنظروا ما نفعل بكم ﴿أَنتُمۡ﴾ [الآية 28] تأكيد للضمير المنتقل إليه من عامله ﴿وَشُرَكَآؤُكُمۡۚ﴾ [الآية 28] عطف عليه وقرىء بالنصب على المفعول معه ﴿فَزَيَّلۡنَا بَيۡنَهُمۡۖ﴾ [الآية 28] الضمير للمشركين أو لهم وللمعبودين ففرقنا بينهم وقطعنا الوصل التي كانت عندهم.

﴿وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمۡ إِيَّانَا تَعۡبُدُونَ﴾ [الآية 28] قيل هذا إيجاز عن براءة ما عبدوه من عبادتهم فإنهم إنما عبدوا في الحقيقة أهواءهم لأنها الآمرة بالإشراك لا ما أشركوا والأظهر أن القول على حقيقته، فالمراد بالشركاء الملائكة والمسيح ونحوهم، أو أنه سبحانه ينطق الأصنام فنشأ فهمهم بذلك الكلام مكان الشفاعة التي كانوا تفرقوا منها في ذلك المقام، أو المراد بالشركاء الشياطين وهو الأظهر ويؤيده خطيئة رئيسهم كما أخبر الله عنه بقوله: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾ [إبراهيم:الآية 22] الآية، ولا يبعد أن يراد بشركائهم من حملهم على الشرك من

رؤسائهم كما يدل عليه قوله سبحانه: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟﴾ [البقرة:الآية 166] الآية. وفي الجملة يتبرأ بعضهم من بعض بقوله: ويذوق كل وبال فعله.

قال الأستاذ: وفائدة هذا التعريف أن ما ليس لله فهو وبال عليهم فاشتغالهم اليوم بذلك من المحال ولهم في المآل من ذلك الوبال التمني. ثم لا يخفى أن إرادة الأصنام أو الملائكة الكرام أولى بالمقام لقوله سبحانه حكاية عن جوابهم: ﴿فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [الآية 29] فإنه العالم بالحال والمآل ﴿إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ﴾ [الآية 29] فإن متحققة واللام فارقة ولا يبعد أن يكون الحكم مجملاً والقول مفصلاً.

11/أ ﴿هُنَالِكَ﴾ [الآية 30]/ في ذلك المكان أو الزمان ﴿تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ﴾ [الآية 30] تختبر ما قدمت من خير وشر، فتعاين ما يترتب عليها من نفع وضر. وقرأ حمزة والكسائي: تتلوا من التلاوة أي تقرأ ذكر ما قدمت من صحيفة عمله أو من التلوا أي تتبع عملها فيقودها إلى الجنة أو إلى العقوبة، وقرأ يتلو بالنون ونصب كل وإبدال ما منه والمعنى يعاملها معاملة المختبر بحالها المعترف بسعادتها وشقاوتها بتفرق ما أسلفت من عبادتها وخطيئاتها.

وفي تفسير السلمي قيل: المعنى تطلب كل مدع بحقيقة ما ادعى، قلت: وما يسر الدعوى وما أعسر المعنى.

﴿وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الآية 30] أي ارجعوا إلى جزائه وانقلبوا إلى رضائه ﴿مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾ [الآية 30] أي متولي أمورهم على الحقيقة ﴿وَضَلَّ﴾ [الآية 30] أي ضاع وبطل وغاب ﴿عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [الآية 30] من دعوى بشفاعة الآلهة أو من دعوى الصلاح والديانة.

وقال الأستاذ: إنما يقفوا على خسرانهم إذا ذاقوا طعم هوانهم وإذا ردوا إلى الله لم يجدوا إلا البعد من الله والطرد من قبل الله وذلك جزاء من آثر على الله.

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 31] أي منهما جميعاً فإن الأرزاق

تحصل بأسباب سماوية ومواد أرضية أو مِن لبيان مَن على تقدير مضاف أي من أهل السماء والأرض ﴿أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الآية 31] أم من يستطيع خلقهما أو من يحفظهما من الآفات مع كثرتها وسرعة انتقالها من أدنى شيء مما يضرها ﴿وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ [الآية 31] أي من ينشىء الحيوان من النطفة والنطفة منه ﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ [الآية 31] أي أمر العالم كله وهو تعميم بعد تخصيص له.

قال الواسطي: إذا قال من يدبر الأمر كيف يجوز لقائل يقول فعلي وعملي أي بتدبيري وتحقيق هذا التغيير في التنوير لإسقاط النذير ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ [الآية 31] أي لا يقدرون على المكابرة والعناد لفرط وضوح الأمر أنه لا خالق سواه للعباد، ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزّخرُف:الآية 87].

﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الآية 31] مخالفته أو معاقبته بإشراككم إياه ما لا وجود له إلا بإيجاد الله.

وأفاد الأستاذ أنه سبحانه كما توحّد بكونه خالقاً تفرّد بكونه رازقاً وكما لا خالق سواه فلا رازق سواه، ثم إن الرزق/ على أقسام، فللأشباح رزق: 11/ب
وهو لقوم توفيق الطاعات، ولآخرين خذلان الذات. وللأرواح رزق: وهو لقوم حقائق الوصلة ولآخرين في الدنيا الغفلة وفي العقبى العقوبة والمهانة. وقوله: ﴿أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الآية 31] فيكحّل بعض الأبصار بالتوحيد وبعضها بعميها عن التحقيق والتأييد، ﴿وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ [الآية 31] المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ [الآية 31] ولكن ظناً لا عن تحقق بصيرة ونطقاً لا عن تصديق سريرة.

﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [الآية 32] أي المتولي لهذه الأمور وهو المستحق للعبادة هو ربكم بالربوبية حيث أنشأكم وأحياكم ورزقكم ودبر أمركم على وفق المشيئة والإرادة ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [الآية 32] ليس بعد الحق إلا الباطل، فمن يخطىء الحق الذي هو عبادة الحق وقع في تيه الضلال الموجب

للإعلال والإنكار ﴿فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ﴾ [الآية 32] عن الحق إلى الباطل مع وضوح أن ليس تحته طائل.

وأفاد الأستاذ أن للكون موضوعات الحق ومتعلقات الإرادة ومتناولات التشبيه ومحسبات التقدير ومصرفات القدرة فهي أشباح خالية وأحكام التقدير عليها جارية.

﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ [الآية 33] أي كما حقت الربوبية له حقت كلمة الله وحكمه وعدله ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ﴾ [الآية 33] تمردوا في خروجهم عن طاعة ربهم ﴿أَنَّهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الآية 33] علة أو بدل من الكلمة، والمراد بها العِدَة بالعقوبة لقوله تعالى: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ﴾ [هُود:الآية 119] ﴿وَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي لَأَمۡلَأَنَّ﴾ [السَّجدَة:الآية 13] الآية.

وأفاد الأستاذ أنه سبق منه الحكم وصدق فيهم القول فلا لحكمه تحويل ولا لقوله تبديل وأن العلل لا تغير الأزل.

﴿قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ [الآية 34] جعل الإعادة كآية في الإلزام بها لظهور برهانها وإن لم يساعدوا على بيانها ولذلك خصّ الرسول ﷺ في الخطاب بأن ينوب عنهم في الجواب فقال: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ [الآية 34] عن طريق الحق وسبيل الصدق.

قال ابن عطاء: يبدىء الخلق بإظهار القدرة فيوجد المعدوم ثم يعيدها بإظهار الهيبة فيفقد/ الموجود، ذكره السلمي. 12/أ

﴿قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ﴾ [الآية 35] بنصب الآيات وإرسال الرسل ﴿قُلِ ٱللَّهُ يَهۡدِي لِلۡحَقِّ﴾ [الآية 35] يقال هداه للحق وإلى الحق، فجمع بينهما تفنناً في العبارة واقتصر عليه الزمخشري ويؤيده أنه تعالى قال: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ﴾ [الإسرَاء:الآية 9]، وفي موضع آخر: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الشّورى:الآية 52] لكن قد يقتدي بنفسه، ومنه قوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة:الآية 6]. وحقق ابن قيم الجوزية الفرق في مقام الجمع بقوله: اللام تكون للفاعل في المعنى نحو قولك: لمن هذا؟ فيقال: لزيد، فيأتي

باللام[1]. وأما إلى فيكون للمفعول في المعتبر نحو قولك: لمن هذا؟ فيقال لزيد، إلى من يصل هذا الكتاب؟ فيقال في الجواب: إلى عبد الله، وسر ذلك أن اللام في الأصل للملك أو الاختصاص أو الاستحقاق، والملك والاستحقاق إنما يكون للفاعل الذي يملك ويستحق وإلى انتهاء الغاية، والغاية: منتهى ما يقتضيه العقل فهو بالعقول أليق لا عن تمام بمقتضى الفعل. والله أعلم بأسرار كتابه.

وأفاد الأستاذ أن الحق اسم الله سبحانه فهو حق ومعناه أنه موجود وأنه هو الحق ومحق الحق وأما الحق من أوصاف الخلق ما حسن فعله وصح اعتقاده وجاز النطق به و﴿ٱللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّۗ﴾ [الآية 35] أي إلى الحق. هدايته وهداه له وهداه الجنة بمعنى، فمن هداه الحق للحق وفقه للحق وعزيز من هداه الحق إلى الحق للحق فلا نصيب له ولا حظ انتهى. ولا يخفى أن قوله للحق له مزية على قوله: إلى الحق، على ما نطق به أهل الحق فينبغي أن يكون التقدير ﴿أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾ [الآية 35] للحق لأن الهداية للحق من خواص الحق بخلاف الهداية المطلقة وتوضيحه: أن المراد بهدايته الحقيقية في الهداية الموصلة بخلاف هداية غيره من الأنبياء والكتب المنزلة، وهذا هو المعنى الحقيقي في حق الحق وهو لا ينافي استعمال الهداية في حقه أيضاً على الطريقة المجازية كما حقق في قوله: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ﴾ [فُصّلَت:الآية 17] فإنه بمعنى الدلالة بالوجه
12/ب المطلق إلى الحق، لا بمعنى الدلالة إلى الحق المقيد بكونه للحق. فتدبره/ تحقق.

والحاصل أن الهداية بنوعيها منتفية عن الشركاء في الألوهية وثابتة لله سبحانه بالنسبة الحقيقية والمجازية، وقد يوجد إسناد المجازية إلى غيره سبحانه من الأنبياء والعلماء والكلمات القرآنية ﴿أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰۖ﴾ [الآية 35] أي أم الذي لا يهتدي من قوله هدي بنفسه إذا اهتدى وهو الموافق لما عليه جمهور القراء، ولا يهدي غيره إلا أن

(1) زاد المعاد (1/ 87).

يهديه الله وهذا حال أشرف الشركاء كالملائكة وبعض الأنبياء، وقرأ ابن كثير وورش وابن عامر يهدي بفتح الياء وتشديد الدال، وحفص بكسر الياء والتشديد، وأصله يهتدي، وأدغم وفتحت الهاء بحركة التاء المنقولة إليها أو كسرت لالتقاء الساكنين، وقالوا باختلاس فتحة الهاء، وأبو بكر باتباع الياء الهاء المكسورة لما سبق والباقي وهو حمزة والكسائي أي بتخفيف الدال كما تقدم.

﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [الآية 35] بما يقتضي صريح العقل بطلانه وأظهر العقل والشرع برهانه ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ﴾ [الآية 36] في معتقدهم ﴿إِلَّا ظَنًّا﴾ [الآية 36] مستنداً إلى خيالات كاسدة ومقدمات فاسدة كقياس الغائب على الشاهد والخالق على المخلوق بأدنى مشاركة موهومة، والمراد بأكثرهم جميعهم ﴿إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الآية 36] من العلم الحق والاعتقاد الصدق ﴿شَيْئًا﴾ [الآية 36] من الاعتبار أو لا ينفع شيئاً من الأشياء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [الآية 36] وعيداً على اتِّباعهم الظنون وإعراضهم عن اليقين في القرون.

قال أبو جعفر: كيف يجوز لنا أن نتكلم في حقائق الأصول والله يقول ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا﴾ [الآية 36] ذكره السلمي.

فأفاد الأستاذ أن العبد يجب أن يكون على ظن في مآل حاله إذ لا يعرف أحد غيب نفسه في مآله وفي صفة الحق يجب أن يكون على قطع وبصيرة، فالظن في الله معلول، والظن فيما من الله غير محمود، ولا يجوز بوجه من الوجوه أن يكون أهل المعرفة به سبحانه فيما يعود إلى صفته على الظن كيف وقد قال تعالى فيما أمر نبيه عليه السلام أن يقول: ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾ [يوسف:الآية 108] وكما قلت:

طلع الصباح/ فلات حين سراج ... وأتى اليقين فلات حجاج 13/أ
حصل الذي كنا نؤمل نيله ... من عقد ألوية وحل رتاج
فالبعد قوض بالدنو خيامه ... والوصل وكذا سجله معتاج
قد حان السرور فحيلا ... لهواجم الأحزان بالإزعاج

﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ﴾ [الآية 37] أي افترى أو مفترى ﴿مِن دُونِ

﴿ٱللَّهِ﴾ [الآية 36] أي مما سواه ﴿وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾ [الآية 37] أي ولكن كان تطبيقاً أو مطابقاً لما تقدمه من الكتب الإلٰهية وموافقاً لما سبقه من كلمات الرُّسل الماضية ﴿وَتَفۡصِيلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [الآية 37] أي وتبيين ما حقق وأثبت من العقائد الدينية والأحكام الشرعية ﴿لَا رَيۡبَ فِيهِ﴾ [الآية 37] أي منهياً عنه الشك عند أرباب اليقين ﴿مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الآية 37] أي كائناً من عند أرحم الراحمين.

وأفاد الأستاذ أن أبصارهم انسدت فلم يزدادوا بكثرة سماع القرآن إلا عمى على عمى كما أن أهل الحقيقة ما ازدادوا إلا هدى على هدى، فسبحان من جعل خطابه لقوم سبب لخيرهم ولآخرين موجب لضرهم.

﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ﴾ [الآية 38] بلى أتقولون اختلقه محمد، فأم منقطعة وبل للانتقال والهمزة لإنكار المقال ﴿قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ﴾ [الآية 38] في بلاغة المبنى وجزالة المعنى فإنكم مثله في العربية والفصاحة وأشد تمرُّناً منه في النظم والقيادة ﴿وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم﴾ [الآية 38] أي استعينوا مع ذلك بمن أمكنكم من الاستعانة ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 38] أي مما سواه فإن له القوة العالية والحجة البالغة ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [الآية 38] في تكذيب صاحب الرسالة.

وقال الأستاذ: اعترف كل خطيب بليغ فصيح بالعجز على معارضته وما أراد معارضته إلا من افتضح في مقالته.

﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ﴾ [الآية 39] أي بل سارعوا في تكذيبهم بالقرآن أول ما سمعوه قبل أن يتأملوا ما فيه ويعلموه ﴿وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥۚ﴾ [الآية 39] ولم يتفقوا بعد على تأويل معانيه ولم يبلغ أذهانهم تحسين معانيه ولم يتبين حقيقة أخبار ما فيه ولذا تكلموا بما ينافيه ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ﴾ [الآية 39] المرسلين ﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية 39] فيه وعيد للمكذبين، ووعد للمصدقين.

13/ب وأفاد الأستاذ أنهم قابلوا الحق بالتكذيب لتقاصر/ علومهم عن التحقيق فإن التحقيق من شرط التصديق وإنما يؤمن بالغيب من لوح بقلبه حقائق

البرهان وصرف عنه دواعي الريب في جميع الأزمان.

﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾ [الآية 40] أي ومن المكذبين من يصدق به في باطنه ولكن يعاند في ظاهرهِ أو من مرية ﴿وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾ [الآية 40] لكثرة جهالته وغلبة ضلالته فيموت على كفره ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [الآية 40] أي المصرين والمعاندين، ولا يبعد أن يكون ضمير منهم راجع إلى الخلق جميعهم كقوله سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التّغَابُن:الآية 2].

واختاره الأستاذ حيث أفاد بقوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البَقَرَة:الآية 26] فمنهم الذين كحل الحق أبصار قلوبهم بنور اليقين، وأما الذين لم يؤمنوا فهم الذين وسم قلوبهم بالعمى وزالوا بالضلالة عن الهدى تلك سنَّة الله في الطائفتين ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فَاطِر:الآية 43] ، ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزَاب:الآية 62] .

﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾ [الآية 41] أي فتبرأ منهم فقد أزلت عذرهم، والمعنى قل مختص لي جزاء عملي ولكم جزاء عملكم حقاً كان أو باطلاً وهذا إرخاء العنان في معرض البيان ﴿أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَاْ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [الآية 41] أي لا تؤاخذون بعملي ولا أؤاخذ بعملكم لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعَام:الآية 164] ولما فيه إيهام الإعراض عنهم وتخلية سبيلهم، قيل إنه منسوخ بأمر القتال معهم.

وأفاد الأستاذ أنه اختار الطريقين واستبان حقائق العرفان فلا المحسن بجرم المسيىء معاقب ولا المسيىء بجرم المحسن معاتب كل على حدة مما يعمل أو على ما يفعله يُحاسب.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ [الآية 42] إذا قرأت القرآن وأوضحت الشرائع بالبرهان ولكن لا يقبلون فصلاً كالأصم الذي لا يسمع أصلاً ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ﴾ [الآية 42] أي تقدر على إسماعهم العلم ﴿وَلَوْ كَانُواْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الآية 42] ولو انضم إلى صممهم عدم تعقلهم.

وأفاد الأستاذ أن مَن استمع بتكليفه ازداد في تخلقه بزيادة تصرفه ومن

أسمعه الحق تفضله استغنى عن إدراكه عن فعله، والحق سبحانه يسمع أولياءه بما يناجيهم به في أسرارهم فإذا سمعوا دعاء الواسطة قابلوه بالقبول لما سبق
14/أ لهم من/ إسماع الحق ومن عدم إسماع الحق إياه من حيث التفهيم لم يرده سماع الخلق إلا جحداً على جحد ومن لم يحط به إلا بعداً على بعد.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ﴾ [الآية 43] فعاينوا دلائل نبوتك ولكن لا يصدقون برسالتك ﴿أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ﴾ [الآية 43] أي تقدر على هدايتهم ﴿وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الآية 43] أي وإن انضم إلى عدم بصرهم عدم بصيرتهم فإن المقصود من الإبصار هو الاعتبار والاستبصار والعمد في تلك البصيرة ولذلك بحدس الأعمى المستبصر ويتفطن بما لا يدركه البصير الأحمق حين يتحمق، والآية كالتعليل بالهمز للتبرىء منهم والإعراض عنهم.

وأفاد الأستاذ أن من سُدّت بصيرته بالغفلة والغيبة لم يزده إدراك البصر إلا حجبة على حجبة ومن لم ينظر إلى الله بالله ولم يسمع من الله بالله فقصاراه العمى والصم ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج:الآية 46]، وقد قال عليه السلام فيما أخبر عن الله: «فبي يسمع وبي يبصر»[1]. وأنشد قائلهم:

تأمل بعين الحق إن كنت ناظراً ... إلى منظر منه إليه يعود[2]

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا﴾ [الآية 44] بسبب سمعهم وبصرهم وعقيدتهم ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ﴾ [الآية 44] وقرأ حمزة والكسائي بالتخفيف والرفع ﴿أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الآية 44] بإفساد حواسهم وتفويت منافعهم وفيه دلالة على أن العبد ليس مسلوب الاختيار بالكلية كما زعمت الجبرية.

وأفاد الأستاذ أنه سبحانه نفى عن ذاته ما يستحيل تقديره في نعته، وكيف يوصف بالظلم وكما يتوهم أن لو فعله لكان له ذلك إذ الحق حقه والملك

(1) أورده ابن كثير في تفسيره (4/ 590).
(2) نسب إلى غلام تحدّث إليه أبو الحسين النوري فأنشد هذا الشعر. انظر طبقات الصوفية (1/ 58)، وحلية الأولياء (10/ 254)، والوافي بالوفيات (1/ 119)، وتاريخ بغداد (5/ 133).

ملكه ومن لا يصح تقدير فتح فعل منه أنى يوصف بالظلم جوازاً أو وجوداً.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾ [الآية 45] وقرأ حفص بالياء ﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ﴾ [الآية 45] أي جميعهم مشبهين بمن لم يلبثوا ﴿إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ﴾ [الآية 45] يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا لطول هول ما يشاهدونه في العقبى ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ [الآية 45] أي أول ما حشروا ثم يتقطع التعارف لشدة الأمر عليهم حين نشروا.

وأفاد الأستاذ أن الأيام والشهور والأعوام والدهور بعد مضيها في حكم اللحظة لمن تفكر فيها، ومتى يكون لها أثر بعد تقضيها، والآتي من الوقت قريب فكأنه مر، والماضي من الدهر كأن لم يعهد.

﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 45]/ أي بالبعث والجزاء ﴿وَمَا كَانُواْ 14/ب
مُهْتَدِينَ﴾ [الآية 45] إلى طريق الأولياء في تصديق الأنبياء ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾ [الآية 46] بنصرتك ﴿بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾ [الآية 46] أي من العذاب في حياتك كما أراه يوم بدر ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ [الآية 46] قبل أن نريد فنري أصحابك في الدنيا ﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ [الآية 46] في الدنيا والأخرى فنريكه في العقبى فهو جواب لهما، وقيل هو جواب نتوفينك وجواب نريك محذوف أي فذاك وأو للتنويع أو التخيير ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ [الآية 46] أي مطلع على أفعالهم ومجازاتهم بحسب أحوالهم.

وقال الأستاذ: معناه أن خبره صدق ووعده ووعيده حق وبعد النشر حشر وفي ذلك الوقت مطالبة وحساب ثم على الأعمال ثواب وعقاب وما أسرع ما يكون المعلوم مشاهداً موجوداً.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ [الآية 47] أي جماعة من الأمم الماضية ﴿رَّسُولٌ﴾ [الآية 47] يبعث إليهم ليدعوهم إلى ما يعود نفعه عليهم ﴿فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ﴾ [الآية 47] بالبينات فكذّبه أكثرهم ﴿قُضِىَ بَيْنَهُم﴾ [الآية 47] أي الرسل ومكذبيهم ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾ [الآية 47] بالعدل فأنجي الرسول والمؤمنون وأهلك المكذبون ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الآية 47].

وأفاد الأستاذ أنه سبحانه لم يخل زماناً من شرع ولم يخل شرعاً من

حكم ولم يخل حكماً مما يتعقبه من ثواب وعقاب.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ [الآية 48] استبعاداً له واستهزاءاً به ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الآية 48] خطاب منهم للنبي والمؤمنين أو لمجموع المرسلين.

وأفاد الأستاذ أن الاستعجال بهجوم الموعود من أمارات أصحاب التكذيب وأما أهل التصديق والتحقيق فليس لهم واردٌ يَرِدُ عليهم استقباله قبل وروده ولا استعجال على حين كونه ووجوده ولا إذا أورد استعمال لما تضمنه من حكمه فهم مطروحون في أسر حكمه لهم لا يتحرك عرق عنهم باختيارهم.

﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [الآية 49] أي دفع ضر ولا جلب نفع ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الآية 49] أن أملكه منهما ومن غيرهما أو ولكن ما شاء الله من ذلك كائن لا محالة.

وأفاد الأستاذ أن الملوك متى يكون لهم ملكه وإذا كان سيد البرايا لا يملك لنفسه ضرّاً ولا نفعاً فمن نزلت رتبته وفقرت حالته متى يملك أمره أو
15/أ يكون باختياره نسمة ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ [الآية 49] مضروب/ لهلاكهم ﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ﴾ [الآية 49] أي قارب وقت إهلاكهم ﴿فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الآية 49] أي لا يتأخرون ولا يتقدمون لمحة، وإذا تحقق انتهاء زمان من هو هالك فلا يستأخرون ساعة هنالك ولا يستقدمون. قيل: ولكن كذلك أو كما لا يتصور وجود تقدمهم بعد تحقق مجيء أجلهم بالفعل لا يتصور وقوع تأخرهم بالفعل والمعنى أنكم لا تستعجلوا إهلاككم فإنه سيجيء وقتكم وينجز وعدكم.

﴿أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ﴾ [الآية 50] الذي تستعجلونه ﴿بَيَٰتًا﴾ [الآية 50] وقت بيتوتة واشتغال بنوم راحة ﴿أَوْ نَهَارًا﴾ [الآية 24] حين كنتم مشتغلين بطلب معاشكم في غفلة ﴿مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [الآية 50] أي أي نوع من العذاب يستعجلونه وكل أنواعه تكرهونه وهو جواب الشرط كقولك: إن أتيتك ماذا تعطيني؟ والجملة متعلقة بأرأيتم فإنه بمعنى أخبروني.

وأفاد الأستاذ أن من عرف كمال القدرة لم يأمن فجأة الأخذ بالشدة ومن

خاف البيان لم يمتلك بالسباق، ويقال من توسد الغفلة اختطفته فجأة العقوبة ومن استوطن مركب الزلة عثر به في وهدة من المحنة.

﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ﴾ [الآية 51] أي أبعد وقوعه ﴿ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ [الآية 51] حين عدم نفعه ﴿ءَآلْـَٰٔنَ﴾ [الآية 51] أي قيل لهم في تلك الحالة في هذا الزمان آمنتم به ﴿وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [الآية 51] قبل مجيئه، وقرأ نافع الآن بالقصر.

وقال الأستاذ: لا حجة بعد إزاحة العلة ولا عذر بعد وضوح الحجة. ويقال بعد انهتاك ستر الغيب لا يقبل تضرُّع المعاذير في الغيب.

﴿ثُمَّ قِيلَ﴾ [الآية 52] عطف على قيل المقدر ﴿لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ [الآية 52] بالكفر والآثام ﴿ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ﴾ [الآية 52] أي الإيلام والآثام على الدوام ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [الآية 52] في الليالي والأيام فإن الدنيا مزرعة الغني.

وقال الأستاذ: لا تكلف نفس إلا تجرُّع ما سقت ولا تحصد إلا سنابل ما زرعت.

﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ﴾ [الآية 53] يستخبرونك أحق ما تقول من الوعيد وحق مبتدأ والضمير مرتفع به سادسه خبره ﴿قُلْ إِي وَرَبِّيٓ﴾ [الآية 53] أي بمعنى نعم وهو من لوازم القسم ﴿إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ [الآية 53] أي أن العذاب لكائن ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ [الآية 53] فايتين العذاب الواقع.

﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ﴾ [الآية 54] على نفسها أو غيرها، والمعنى لو ثبت لنفس عصت/ بربّها ﴿مَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 54] من أموالها وخزائنها 15/ب ﴿لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾ [الآية 54] أي لجعلته فدية من العذاب بخلاصها.

وقال الأستاذ: لا يقبل منهم عدل ولا صرف ولا يحصل فيما سبق لهم من الوعيد خلف ولا ندامة تنفعهم وإن صدقوها ولا كرامة تنالهم وإن طلبوها ولا ظلم يجري عليهم ولا حيف كلا بل هو الله العدل في قضائه العزّ في علائه بنعت كبريائه ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ﴾ [الآية 54] أي أخفوها لأنهم بهتوا بما

عاينوا فلم يقدروا أن ينطقوا، وقيل أظهروها، وقيل أخلصوها ﴿لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ﴾ [الآية 54] أي بالعدل أو بحسب الفعل ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الآية 54] ولا تكرار، فإن الأول قضى بين المرسلين والمكذبين والثاني حكم بين الظالمين والمظلومين وتشير إليهم دلالة الظلم عليهم.

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 55] تقرير للقدرة على المثوبة والعقوبة ﴿أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ [الآية 55] أي ما وعده من الثواب والعقاب كائن لا خلف في هذا الباب ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 55] أمور العقبى لقصور نظرهم على ظاهر الدنيا، قيل المعنيون من رجع إلى غير ربه في سؤاله لأن الكل له فمن طلب بعضها من غيره فقد أخطأ في طريقه ﴿أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ [الآية 55] أي يحرم سائل غيره ويبعد عليه وجه طلبه ولا يخيب مقصود سائله ويبلغه إلى قضي مسائله ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ أن الحادثات بأسرها معه ملكاً وبه ظهوراً وملكاً ومنه ابتداء وإليه انتهاء فقوله حق ووعده صدق وأمره حتم وقضاؤه جزم وهو عَلِيٌّ وعلى حالنا قويّ.

﴿هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ [الآية 56] في الدنيا فهو قادر عليها في العقبى لأن القادر لذاته لا تزال قدرته ولا تحول قوته والمادة القابلة للحياة والممات قابلة لهما في جميع الأوقات ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الآية 56] في جميع الحالات. وقال بعضهم: هو يحيي القلوب بإماتة النفوس بحياة النفوس، ذكره السلمي.

وقال الأستاذ: يحيي القلوب بأنوار المشاهدة ويميت النفوس بأنواع المجاهدة فنفوس العابدين أتلفها فنون المجاهدات وقلوب العارفين سرّ منها
16/أ عيون المشاهدات. ويقال: يحيي/ مَن أقبل عليه ويُميت مَن غفل عنه ولم يمل إليه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [الآية 57] أي جاءكم كتاب ناصح جامع للحكمة العملية الكاشفة عن محاسن الأعمال وجمائح الأحوال المرغبة وفي مستحسناتها والمنفرة عن

مستقبحاتها وحاوٍ نافع للحكمة العلية التي هي شفاء لما في الصدور من سوء العقائد وأخلاق الشرور وهداية للمتقين إلى الحق واليقين ورحمة شاملة لأنواع نعمة المؤمنين والتنكير فيها لتعظيمها.

وقال ابن عطاء: الموعظة للنفوس والشفاء للقلوب والهدي للأسرار والرحمة لمن هذه صفته من الأبرار، ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: أن الموعظة للكافة أجمعين لكنها لا تتجمع في قوم تمتنع في آخرين فمن أصغى ليسمع سره اتضح نور التحقيق في صدره ومن استمع إليه بنعت غيبته ما اتصف إلا بدوام حجبته. ويقال الموعظة لأرباب الغيبة ليتوبوا والشفاء لأصحاب الحضور ليطيبوا، ويقال: الموعظة للعوام والشفاء للخواص والهدى لخاص الخاص والرحمة لجميعهم، وبرحمته وصلوا إلى جميع ذلك. ويقال: شفاء كل أحد على حسب ذاته، فشفاء المذنبين بوجود الرحمة، وشفاء المطيعين بوجود النعمة، وشهود العارفين بوجود القربة، وشفاء الواجدين بوجود الحقيقة. ويقال: شفاء العاصين بوجود النجاة، وشفاء المطيعين بوجود الدرجات، وشفاء العارفين بالقرب والمناجات.

﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 58] بإعطاء الإيمان ﴿وَبِرَحۡمَتِهِۦ﴾ [الآية 58] بإيجاد القرآن فافرحوا ﴿فَبِذَٰلِكَ﴾ [الآية 58] أي لا بغيره ﴿فَلۡيَفۡرَحُواْ﴾ [الآية 58] وفائدة التكرير التأكيد والبيان بعد الإجماع للتأبيد مع ما فيه من عموم الحكم للخاطئين والغائبين على ما أخبرناه من التقدير المفيد للتقييد. وعن يعقوب من القرّاء العشرة: فلتفرحوا بالخطاب على الأصل المتروك في هذا الباب، وقد روي مرفوعاً ويؤيده أنه قرئ فافرحوا وهما يقويان ما قدرنا على نهج ما قررنا.

وأفاد الأستاذ: أن الفضل هو الإحسان الذي ليس بواجب على فاعله والرحمة إرادة النعمة. وقيل هي النعمة أي بمعنى الإنعام، فعلى الأول هي من صفات الذات، وعلى الثاني من صفات الأفعال، والإحسان/ على أقسام، 16/ب
وكذلك النعمة ونعم الله أكثر من أن تحصى. ويقال: فضل الله ما أكرمهم به من أجر الطاعات ورحمته ما عصمهم من ارتكاب الزلات. ويقال: فضل الله دوام

التوفيق ورحمته تمام التحقيق. ويقال: فضل الله ما يخص به أهل الطاعات من صنوف إحسانه ورحمته ما يخص به أهل الزلات من وجوه غفرانه. ويقال: فضل الله الرؤية ورحمته إبقاؤه في تلك الحالة. ويقال: فضل الله المعرفة في البداية ورحمته المغفرة في النهاية. وقوله: ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ﴾ [الآية 58] أي بما أهلكم له لا بما تتكلفون من حركاتكم وسكناتكم وتصلون إليه بنوع من تكلفكم ﴿هُوَ﴾ [الآية 58] أي ذلك الفضل والرحمة العليا ﴿خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الآية 58] من حطام الدنيا وأمثالها، فإن مآلها إلى زوال. وقرأ ابن عامر بالخطاب أي فبذلك فليفرح المؤمنون فهو خير مما يجمعون أيها المخاطبون.

وقال الأستاذ: أي مما يتصفون به من الأحوال الزاكية الباقية مما تجمعون من الأموال الوافية الفانية، ويقال الذي تكرمته فهو سابق النعمة خير لك مما تكلفته من صنوف الخدمة.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ﴾ [الآية 59] جعل الرزق منزلاً لكونه بأسباب من السماء مقدراً ومحصلاً ﴿فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا﴾ [الآية 59] أي بعضه حراماً عليكم أو على بعضكم وبعضه حلالاً لكم من عندكم لقولكم: ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا ﴿قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ [الآية 59] أي في ذلكم فيحمله تقولون ﴿أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [الآية 59].

﴿وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ [الآية 60] أي بغير ظنهم ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الآية 60] بزعمهم أيحسبون أن لا يجازوا بذنبهم وفي إتمام الوعيد تهديد شديد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [الآية 60] حيث أنعم عليهم بالعقل وهداهم بالرسل والكتب إلى طريق الفضل.

وقال الأستاذ: إن الله لذو فضل على الناس في إهمال من أجرم والعصمة لمن لم يجرم ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [الآية 60] بل هم بنعمة ربهم يكفرون.

﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ﴾ [الآية 61] أي في أمر من الأمور مما يظهر شأنه أو يسر
17/أ في الصدور ﴿وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ﴾ [الآية 61] / أي من عند الله أو من أجله ﴿مِن

قُرۡءَانٍ﴾ [الآية 61] متعلق بنتلو، أي بعض قراءة ﴿وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ﴾ [الآية 61] تعميم للأعمال والخطاب بعد تخصيص الحكم بالرسول والكتاب ﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا﴾ [الآية 61] مطلعين مراقبين مع الكرام الكاتبين ﴿إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ﴾ [الآية 61] أي تدخلون فيه وتخرجون منه.

قال شقيق: على العبد أن يلزم قلبه دوام نظر الله عزَّ وجلَّ إليه وقربه منه وقدرته عليه لقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا﴾ [الآية 61].

وقال بعضهم: من شهد شهود الحق إياه قطعه ذلك عن مشاهدة ما سواه، ذكره السلمي.

وقال الأستاذ: خوّفهم بما عرَّفهم من اطلاعه عليهم في جميع أحوالهم ورؤيته ما يسلفونه من فنون أعمالهم والعلم بأنه يراهم يوجب استحياءهم، وهذه حال المراقبة لهم، فالعبد إذا علم أنه يراه مولاه يستحي منه ويترك متابعة هواه ولا يحوم حول ما نهاه. وأنشدوا في معناه:

كأنّ رقيباً منك حال بهجتي إذا رمت تسهيلاً عليَّ تصعبا(1)

﴿وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ﴾ [الآية 61] وقرأ الكسائي بكسر الزاي أي لا يبعد عن علمه ولا يغيب عن حكمه ﴿مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ﴾ [الآية 61] أي بعض موازن نملة أو هباء صغيرة ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الآية 61] أي في السفليات والعلويات الشاملة بجميع الموجودات والممكنات، وقدمت الأرض لأن الكلام في أهلها أو المقصود منه البرهان على إحاطة علمه بها ﴿وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ﴾ [الآية 61] كلام برأسه مقرر لما قبله، ولا نافية، وأصغر اسمها، وفي كتاب خبرها.

وقرأ حمزة برفعهما على الابتداء وجوّز عطفه على لفظ ﴿مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ﴾ [الآية 61] وفتح بدل الكسرة لامتناع الصرف وعلى محله مع الجار لما قرأ به

---

(1) ذكره القشيري في تفسيره (3/ 185، 247).

رفعه وجعل الاستثناء منقطعاً. والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ أو علم الله المسمى بأمّ الكتاب والأول أوْلى لأنه يفهم منه الثاني بالأحرى بل علم من القضية الأولى ولما فيه/ من الإشارة إلى أن جميع الأمور الحادثة قد دخلت تحت أحكام الكتابة فجف القلم والله سبحانه أعلم. 17/ب

وأفاد الأستاذ: أنه كيف يخفى ذلك عليه أو يتقاصر عنه علمه وهو منشئه وموجده وببعض أحكامه الجائزة مخصصة، وإنما قال: ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الآية 61] ردهم إلى كتابه ذلك عليهم لعدم اكتفائهم في الامتناع عما نهوا عنه برؤيته وعلمه بما لديهم.

﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 62] الذين يتولون بالطاعة أو يتولاهم بالكرامة، ولا يخفى ما بينهما من الملازمة ﴿لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الآية 62] من لحوق كراهة ﴿وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [الآية 62] بملامة وندامة ولا خوف عليهم من لحوق عقاب وعتاب ولا هم يحزنون من فوات ثواب. والآية كالجملة يفسرها ما بعدها ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾ [الآية 63] أو بيان لتوليهم من الله أو توليهم إياه، والمعنى الذين آمنوا بترك الشرك الجلي وكانوا يتقُّون الشرك الخفي.

وأفاد الأستاذ: إن المولى على وزن فعيل مبالغة من الفاعل وهو من توالت طاعاته من غير أن يتخللها عصيان، ويجوز أن يكون فعيل بمعنى مفعول كجريح وقتيل بمعنى مجروح ومقتول فيكون الولي من يتوالى عليه إحسان الله وإفضاله أو يكون بمعنى كونه محفوظاً من المعاصي في عامة أحواله، فكما أن النبي لا يكون إلا معصوماً فالولي لا يكون إلا محفوظاً، والفرق أن المعصوم لا يلم البتة بالسيئات والمحفوظ قد يحصل منه هنات وقد يكون له في الندرة زلات ولكن لا يكون له إصرار عليها وثبات فأولئك يتوبون من قريب ويبدِّل الله سيئاتهم حسنات فلا خوف عليهم في الآخرة ولا هم يحزنون في العاقبة وهو أحسن مما قيل في الآية إلا أن الأولى أن يقال في الخواص منهم مَن ﴿لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الآية 62] لا في الحال ولا في المآل لأن حقيقة الخوف توقع محذور يصيب في المستقبل أو ترقُّب محبوب يزول في

المستأنف فإنهم في حكم الوقت ليس لهم يطلع إلا الاستقبال، والحزن هو أن يناله حزونة في الحال وهم في روح الرضا بكل ما يجري عليهم من الأحوال ولا يكون وليّاً إلا كان موفقاً لجميع ما يلزمه من الطاعات محفوظاً بكل وجه عن جميع الزلات، وكل خصلة حميدة يمكن أن يعبر بها فيقال: هي صفة الأولياء. ويقال: الولي/ لا يقصر في حق الحق ولا يؤخر القيام بحق الخلق، يطيع لا 18/أ
لخوف عقاب ولا لنفع ثواب ولا على ملاحظة حسن مآب أو تطلُّع لعاجل اقتراب ويقضي لكل أحد حقاً يراه واجباً ولا يقتضي من أحد حقاً له لازماً، ولا ينتقم ولا ينتصف ولا يشمت ولا يحقد ولا يقلد أحداً منه ولا يرى لنفسه ولا لما يعمله وعلمه قدراً ولا قيمة، الذين آمنوا في الحال وكانوا يتقون الشرك في المآل، ويقال: لو آمنوا بقلوبهم من حيث المعارف واستقاموا بنفوسهم في أداء الوظائف. ويقال: آمنوا بتلقي التصريف واتقوا بالتوقي عن المحرمات بالتكليف.

﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الآية 64] وهو ما بشَّر الله به المتقين في كتابه على لسان نبيِّه وما يريهم في الرؤيا الصالحة وما يسنح لهم من المكاشفة ويلمح لهم من المشاهدة وما يبشرون به عند النزع على لسان الملائكة كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ [فُصِّلَت:الآية 30] أي هم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة في دار المقامة. وقيل: هذه الآية بيان لقولهم من قبل الله وما قبلها برهان لتوليهم إياه. قيل: وفي الأخرى تصديق تلك البشرى.

وأفاد الأستاذ: أن الأمر يدل على الصحة فإذا قاموا بما أُمروا به واستقاموا بما أخبروا بشرتهم الشريعة بالخروج عن عهدة الإلزام وبشّرتهم الحقيقة باستيجاب الإكرام بما كوشفوا به من الإعلام، وهذه البشرى في عاجلهم وأما البشرى في آجلهم فالحق سبحانه يتولى ذلك التفريق والبيان بقولهم: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ﴾ [التّوبَة:الآية 21]. ويقال: البشارة العظمى ما يجدونه في قلوبهم من ظفرهم بنفوسهم بسقوط مآربهم وأي تلك أتم هي البشرى الكبرى. ويقال: الفرق بين هذه البشارة التي لهم وبين البشارة التي لغيرهم أن التي لهم نقد تحصيل وأن التي لغيرهم وعد جميل. ﴿لَا تَبْدِيلَ

﴿لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ﴾ [الآية 64] لا تغيير لأحكامه ولا خلف لمواعيده ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية 64] إشارة إلى كونهم في الدارين من أهل البشارة ﴿هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾
18/ب [الآية 64] فإنه الظفر بالنعيم المقيم ولا يحزنك قولهم/ أي في جنابنا أو فيك أو في كتابنا أو إشراكهم وتكذيبهم وتهديدهم.

﴿إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ﴾ [الآية 65] استئناف فيه معنى التعليل. والقراءة الشاذة بالفتح كالدليل كأنه قيل: لا تحزن بقولهم ولا تبالِ بفعلهم ولا تهتم لأمرهم لأن الغلبة لله جميعاً فهو يغلبك عليهم ويعليك لديهم ﴿هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ [الآية 65] لأقوالهم ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ [الآية 65] بأعمالهم وأحوالهم.

وأفاد الأستاذ: أن العبد ما دام متفرقاً يضيق صدره ويستوحش قلبه بما يسمع ويشاهد من الأغيار بما يتقدس عنه صفة الجبار فإذا صار عارفاً فإن زالت عنه تلك الصفة لتحققه بأن الحق سبحانه وراء كل طاعة وذلّة فثناء المثنين وتسبيحهم لا يوجب في وصفه زيناً، ومقالات الكفار في نعته لا توجب شيئاً فلا له من هذا استيحاش ولا بذلك استئناس. ثم يتحقق للعارف بأن المجري لطاعة أرباب الوفاق الله والمنشىء لأحوال أصحاب الشقاق الله فكما لا يبالي الحق بوجود ما يجري لا يبالي العبد بشهود ما يجري كما قيل:

بنو حق غدوا بالحق صدقاً ونعت الحق فيهم مستعار(1)

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ﴾ [الآية 66] خلقاً وملكاً ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ [الآية 66] من الملائكة المقرّبين والأنبياء المرسلين وإذا كان هؤلاء الذين هم أشراف الممكنات في رتبة العبودية ولا يصلح أحد منهم للربوبية فما لا يعقل من الموجودات أولاً بأن لا يكون سبحانه شركة في مراتب الكمالات فهو كالتوطينة المتضمنة للحجة على قوله: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَۚ﴾ [الآية 66] على النعت الحقيقي وإن كانوا يسمونها شركاء بالوصف المجازي كما يدل عليه قولهم: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزُّمَر:الآية 3]، ويقولون:

(1) ذكره القشيري في تفسيره (3/ 251).

﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [الآية 18] سبحانه وتعالى.

﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ [الآية 67] ما يتبعون اليقين وإنما يتبعون الظن في الدين، وقد سبق أن الظّنّ لا يغني من الحق شيئاً وأما قول من قال إنما يتبعون ظنهم إنها شركٌ فبعيد لأنه يبعد هذا الظن من العقلاء ولو كانوا جهلاء. ولما تقدم عنهم من أنهم شفعاء.

قال الأستاذ: ﴿لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِۗ﴾ [الآية 66] ملكاً
19/أ جزماً ويبدي/ عليهم ما يريد حكماً حتماً فلا لقبوله علّة ولا لموجب ردّه زلّة، كلا إنما أحكام سابقة لم يوجبها أجرام لاحقة ولا طاعات ولا عبادات صادقة ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ﴾ [الآية 67] أي مسكناً ومقرّاً ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًاۚ﴾ [الآية 67] أي لتبصروا فيه تنبيهاً على جلال قدرته وتنويهاً على كمال نعمته. قال بعضهم: جعل الليل سكوناً لتسكنوا فيه إلى المناجاة والخلوة والنهار مبصراً لتبصروا فيه عجائب القدرة ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ﴾ [الآية 67] سماع التدبير والعبرة.

وأفاد الأستاذ: أن الليل لأهل الغفلة بعد وغيبة ولأهل الندم توبة وأوبة وللمحبين زلفة وقربة، فالليل هو لصورته غير ما مؤنس لكنه وقت القربة لأهل الوصلة كما قيل شعر:

وكم لظلام الليل عندي من يد تخبر أنّ المانوية(1) تكذب(2)

﴿قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ﴾ [الآية 68] أي تبناه ﴿سُبۡحَٰنَهُۥۖ﴾ [الآية 68] أنزّهه أو نزّهوه عن التبني فإنه لا يتصور إلا ممن يصح أن يكون له الولد وهو في مرتبة التمني.

وأفاد الأستاذ: أنه لا يجوز له التبني لتفرُّده وأنه لا شبيه له في وصفه

(1) قوم من المجوس ينتسبون إلى رجل اسمه ماني وهم يقولون: إنَّ النور مطبوع على الخير والصلاح والظلمة مطبوعة على الشر والفساد. انظر معجز أحمد (1/ 391).
(2) هذا البيت لأبي الطيب. انظر كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام (2/ 520)، والكشكول (1/ 302).

﴿هُوَ ٱلْغَنِيُّ﴾ [الآية 68] الجملة لتنزّهه كالعلة وإن اتخاذ الولد مسبب عن الحاجة ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 68] تقدير لمعناه أو تحرير لعِتقي كون المملوك ولداً لمولاه ﴿إِنْ عِندَكُم﴾ [الآية 68] ما عندكم ﴿مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ﴾ [الآية 68] أي برهان بمبدأ البيان فثبت أن قولكم من البطلان الناشىء من قبل الشيطان ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:الآية 28] توبيخ على اختلافهم وتقريع على جهلهم في شقاقهم.

﴿قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ [الآية 69] باتخاذ الولد وإضافة الشرك ونحو ذلك ﴿لَا يُفْلِحُونَ﴾ [الآية 69] لا ينجون من الحرقة والفرقة ولا يفوزون بالجنة والتوبة ﴿مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ [الآية 70] أي لهم تمتع في الحياة الدنية الفانية ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ [الآية 70] أي بالموت والبعث والحشر والنشر فيلقون العقوبة القائمة البائنة ﴿ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ﴾ [الآية 70] بإيقاع الحجاب الأكيد ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾ [الأنعام:الآية 70] بسبب كفرهم وترك شكهم الناشىء عن عدم فكرهم.

19/ب وأفاد الأستاذ: إن ما فيها من الاستمتاع إنما هي أيام قليلة ثم يتبعها/ آلام طويلة فلا قدم لهم بعد ذلك ترفع ولا ندم بهم ينفع.

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ﴾ [الآية 71] أو خبر أمره مع قومه ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ﴾ [الآية 71] أي شق وعظم ﴿عَلَيْكُم مَّقَامِى﴾ [الآية 71] أي قيامي على الدعوة أو إقامتي بينكم طول المدة ﴿وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 71] للنصيحة والموعظة ﴿فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾ [الآية 71] أي اعتمدت فيها بتوبتي من المعصية ﴿فَأَجْمِعُوٓا۟﴾ [الآية 71] أي فاعزموا ﴿أَمْرَكُمْ﴾ [الآية 71] بالمكيدة ﴿وَشُرَكَآءَكُمْ﴾ [الآية 71] أي معهم، ويؤيده قراءة يعقوب بالرفع عطفاً على الضمير المتصل، وجاز من غير المؤكد بالمتصل لوجود الفصل أو منصوب بفعل محذوف تقديره وادعوا شركاءكم، وقد قرأه يعقوب أيضاً في رواية رويس، وفي قراءة: فاجمعوا من الجمع، وفي قراءة شاذة، والمعنى أنه أمرهم بالعزم أو الاجتماع على قصده والسعي في إهلاكه على أي وجه يمكنهم نفيه بالله وقلة مبالاة بهم ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ﴾

[الآية 71] حالكم في قصدي ﴿عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ﴾ [الآية 71] مستوراً ومكسوفاً بل أحيلوه ظاهراً مكشوفاً ﴿ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ﴾ [الآية 71] أدوا ﴿إِلَيَّ﴾ [الآية 71] وامضوا على ذلك الأمر الذي يريدونه بي ﴿وَلَا تُنظِرُونِ﴾ [الآية 71] ولا تمهلون ولا تأخروا أمري.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أنزل هذه الآيةعلى وجه التسلية لنبيه عليه السلام والتحية لما كان يصيبه من قومه من مقاساة الشدة فإن أيام نوح في المحنة وإن طالت فما لبثت كثيراً إلا وقد زالت كما قيل:

وأحسن شيء من النوائب أنها إذا هي نابت لم تكن خلدا[1]

ثم بيَّن أنه بتوكله على ربه [مهما فعلوا] صَبَر ولم يحتشم عبد عندما وثق بربه من كل ما به نزل، ثم إن نوحاً عليه السلام قال: إني توكلت على الله، وهذا عين التفرقة. وقال لنبينا ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ﴾ [الأنفال:الآية 64] وهذا عين الجمع فبانت المزية وظهرت الخصوصية.

﴿فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ﴾ [الآية 72] أعرضتم عن تذكيري ﴿فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍ﴾ [الآية 72] يوجب لكم الإعراض أو يجب عليَّ الاعتراض بالحمل على تهمة الإعراض ﴿إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الآية 72] إذ لا تعلُّق لي بما سواه ﴿وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [الآية 72] أي المخلصين في طلب رضاه أو من المنقادين لحكمه لا أخالف في أمره/ ولا أرجو من غيره. 20/أ

وأفاد الأستاذ: أن من كان عمله لله لم يطلب الأجر عليه من غير الله وهكذا جرت سنَّته في جميع أولياء الله.

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ [الآية 73] أي فأصروا على تكذيبه ﴿فَنَجَّيۡنَٰهُ﴾ [الآية 73] من الغرق ومن تلك الفرق ﴿وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ﴾ [الآية 73] ونجيناهم وكانوا ثمانين ﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ خَلَٰٓئِفَ﴾ [الآية 73] من الهالكين ﴿وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [الآية 73] بسبب الطوفان ﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ﴾ [الآية 73] المخوفين عن

(1) لم ينسب لأحد وقد ذكره القشيري في تفسيره (3/ 255).

الكفران بالنيران.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أغرق قومه بأمواج القطرة وفي الحقيقة أغرقهم بأمواج القدرة وحفظ نوحاً وقومه في السفينة وفي الحقيقة نجاهم في سفينة السلامة، كان نوحٌ في سابق حكمه من المحروسين وكان قومه في قديم قضائه من المغرقين فجرت به الأحوال على ما جرت به القسمة في الأزل.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [الآية 74] أي أرسلنا من بعد نوح ﴿رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ﴾ [الآية 74] كل رسول إلى قومه ﴿فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [الآية 74] بالمعجزات الواضحة المبينة له صحيح الدعوة ﴿فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟﴾ [الآية 74] فما استقام لهم أن يؤمنوا ﴿بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ﴾ [الآية 74] بسبب تفردهم تكذيب الحق قبل بعثة الرسل إلى طريق الصدق.

وقال الأستاذ: جروا في التكذيب على منهاجهم في خلافهم فأجرى سنَّته من غير تحويل في إتلافهم ﴿كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [الآية 74] لانهماكهم في الضلالة وإهمالهم أمر الدين، وفي أمثال هذه الآية دلالة لامعة على أن الأفعال بقدرة الله واقفة وأن للعبد فيها بحسب الكسب نسبة جامعة.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم﴾ [الآية 75] أي من بعد هؤلاء الرسل ﴿مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [الآية 75] بالآيات التسع ﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ [الآية 75] أي للإجرام معتادين فلذلك تهاونوا في أمر الدين وصاروا من المعتدين.

وقال الأستاذ: قص عليه ﷺ نبأ الأولين وشرح له جميع أحوال الغابرين ثم فضله على كافتهم أجمعين فكانوا نجوماً وهو البدر وكانوا أنهاراً وهو البحر ثم به انتظم عقدهم وبنوره أشرق نهارهم وبظهوره ختم عدوهم كما قيل، شعر:

20/ب /يومك وجه الدهر من أجله حسنَّ غد والتفت الأمس[1]

(1) أورده القشيري في تفسيره (3/ 258) و(6/ 349) من دون نسبه لأحد وقد ورد في نفس القافية مع اختلاف في صدر البيت. =

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا﴾ [الآية 76] وتبين لهم الباطل بإظهارنا ﴿قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾ [الآية 76] أي واضح في هذا الأمر أو ظاهر أنه من نوع السحر.

﴿قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمۡۖ﴾ [الآية 77] إنه لسحر فحذف المكي للقول لدلالة ما قبله عليه أو إشارة من بعده إليه ﴿أَسِحۡرٌ هَٰذَا وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ﴾ [الآية 77] من تمام كلام موسى عليه السلام للدلالة على أنه ليس بسحر فإنه لو كان سحر لامتحق سريعاً ولم يبطل سحر السحرة جميعاً.

وقال الأستاذ: ما زادهم الحق بياناً إلا ازدادوا طغياناً وكذلك تعالى أجرى سنَّته في المردودين عن معرفته إنه لا يزيد في الحج هذا إلا ويزيد في قلوبهم عمي، ثم خفي عليهم مقصود النبيين صلوات الله عليهم أجمعين فقالوا: ﴿أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِۦ﴾ [الشعراء: 35] فنظروا من حيث كانوا ولم يعرفوا طيباً غير ما ذاقوا صفة من قصته السابقة وردته المشيئة.

﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا﴾ [الآية 78] لتصرفنا ﴿عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا﴾ [الآية 78] من عبادة الآلهة ﴿وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الآية 78] أي الملك والرياسة فيها، وسمي بها لاتفاق الملوك بالكبر والتكبُّر على أتباعهم وأرباب أطماعهم ﴿وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا بِمُؤۡمِنِينَ﴾ [الآية 78] أي فلسنا فيما جئتنا به مصدقين.

وأفاد الأستاذ: أنهم ركنوا إلى التقليد فيما دانوا واستحبوا استدامة ما عليه كانوا فلحقهم شؤم العقيدة وسوء الطريقة حتى توهموا أن الأنبياء عليهم السلام إنما دعوهم إلى الله ليكون لهم الكبرياء على عبادة الله ولم يعلموا أنهم إنما دعوهم إلى الله لله بأمر الله.

﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ٱئۡتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٖ ۝٧٩﴾ [الآية 79] وقرأ حمزة: بكل سحار عليم بالغ في علمه حاذق في بثه.

وأفاد الأستاذ: أن فرعون لما استغاث في استدفاع ما استقبله بغير الله لم

=
ذلك تحرس الدهر من أجله   حنّ غدٌ والنفس أمس
انظر التذكرة الحمدونية (١/ ٤٧٤).

يلبث إلا يسيراً حتى تبرأ عنهم، وبقوله: لأفعلن ولأصنعن وتوعدهم وكذا قصارى كل محبة وولاية في غير الله فإنما تؤول إلى العداوة والبغضة. قال تعالى: ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف:الآية 67].

﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ﴾ [الآية 80] أي لا نبالي
21/أ / بسحركم وإنَّا على ربّنا متوكلون.

وأفاد الأستاذ: أنه عليه السلام أمرهم أمراً إظهاراً لبطلانهم ليدخل الحق ما أتوا به من التمويه في شأنهم لنظر سلطانهم ﴿فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئۡتُم بِهِ ٱلسِّحۡرُۖ﴾ [الآية 81] أي الذي جئتم به هو السحر لا ما سمى فرعون وقومه سحراً. وقرأ أبو عمرو: والسحر بهمزة استفهام ممدودة على ما استفهامية مرفوعة بالابتدائية وجئتم خبر والسحر بدل مما ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبۡطِلُهُۥٓۖ﴾ [الآية 81] سيمحقه ويمحو شأنه ويظهر بطلانه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [الآية 81] أي لا يبينه صيانة لأمر الدين، وفيه دليل على أن السحر إفساد وتمويه لا حقيقة فيه.

وقال الأستاذ: لما التقم عصا موسى عليه السلام جمع ما جاؤوا به من حبالهم وعصيهم علموا أنه أبطل تلك الأعيان وأفناها عن دائرة المكان.

﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ﴾ [الآية 82] أي يبينه ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الآية 82] أي بإجراء أمره في قضائه ﴿وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ [الآية 82] كلياته وجزئياته.

وأفاد الأستاذ: أن من جملة ما أحقه إيمان السحرة وكان عندهم أنهم لفرعون ينصرون وبحياته كانوا يقسمون حيث قالوا لفرعون: ﴿إِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ [الشعراء:الآية 44]، وقال سبحانه: بعزَّتي إنكم لمغلوبون[1]، فكان على ما قال الله تعالى دون ما قالوا. وفي معناه أنشدوا:

كم رمتني بأسهم صائبات فتعمدتها بسهم فطاشا[2]

﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ﴾ [الآية 83] في مبدأ أمره ﴿إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوۡمِهِۦ﴾ [الآية 83]

---

(1) انفرد به القشيري في تفسيره (3/ 263).
(2) أورده القشيري في تفسيره (2/ 417) و(3/ 263).

إلا طائفة من أولاد بني إسرائيل دعاهم فلم يظهروا الإجابة من المخافة، أو إلا طائفة من أهل الفتوة وأرباب الفطنة وأصحاب الفطرة فإنهم آمنوا ﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ﴾ [الآية 83] أي مع خوف منه من إشراف عسكرهم والإضافة لأدنى الملابسة ﴿أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ [الآية 83] أي يعذبهم فرعون والاكتفاء بضميره للإيمان أن الخوف من الملأ ما كان إلا بسببه ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 83] لمتكبِّر جبَّار أو غالب قهَّار ﴿وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الآية 83] في الكبر والمعصية حتى حملته الجرأة على ادعاء الربوبية واسترقاق أسباط أرباب النبوة.

وأفاد الأستاذ: في صدر الآية إن أهل الحقيقة في كل وقت قليل عددهم ولكنه كثير عند الله خطرهم ومددهم. قلت وقد قال مقالي وقليل ما هم.

وقال موسى لما رأى خوف المؤمنين: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ/ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ﴾ [الآية 84] أي إليه التجئوا وعنده فافرحوا ﴿إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ [الآية 84] منقادين لأمره ومستسلمين لحكمه ومخلصين في دينه. 21/ب

وقال الأستاذ: إنه سبحانه بيَّن أن الإيمان ليس من حيث الأقوال فرداً بل لا بد فيه من صدق الأحوال قصداً، وحقيقة التوكل توسل ينفذ منه تفضل ثم يعلم أنه بفضله سبحانه نجاته تحصل لا بما يأتي به من التكلف والتحمُّل، هذا هو حقيقة التوكل.

﴿فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ [الآية 85] لأنهم كانوا مسلمين فصاروا في دعائهم مقبولين ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً﴾ [الآية 85] أي موضع فتنة ومحل محنة ﴿لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية 85] والمعنى لا تسلِّطهم علينا فيفتنوننا.

﴿وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الآية 86] من لؤم مكائدهم وشؤم مشاهدتهم.

وقال الأستاذ: تبرأنا مما منا من الحول والمنة وتحققنا بما منك من الطول والمنة فلا تجعلنا عرضاً لسهام أحكامك في عقوبتك وانتقامك وارحمنا بلطفك وإكرامك ونجنا ممن غضبت عليهم فأذللتهم وبكَيِّ فراقك وسمتهم.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا﴾ [الآية 87] أي اتخذا ﴿لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا﴾ [الآية 87] تسكنون فيها أو ترجعون للعبادة إليها ﴿وَٱجْعَلُوا۟﴾ [الآية 87] أنتما وقومكما ﴿بُيُوتَكُمْ﴾ [الآية 87] أي تلك البيوت ﴿قِبْلَةً﴾ أي ذوات قبلة، يعني مواضع صلاة وقيل مساجد متوجهة نحو القبلة وهي الكعبة، وكان موسى يصلي إليها ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 87] بالغلبة في الدنيا وبالجنة في العقبى.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ﴾ [الآية 88] أي هي لهم بعبادتنا منازل وهي نفوسهم ولمعارفنا محال وهي قلوبهم ولمحبتنا مواضع وهي أرواحهم ولمشاهدتنا معاهد وهي أسرارهم، فنفوس العابدين بيوت الخدمة وقلوب العارفين أوطان الحشمة وأرواح المهيمين مشاهد القربة وأسرار الموحدِّين منازل الهيبة ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً﴾ [الآية 88] ما تزين به من اللباس والمركب ونحوهما من أنواع الجمال ﴿وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الآية 88] أي أصنافاً من الأموال ﴿رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ﴾ [الآية 88] دعا عليهم بلفظ الأمر بما علم من ممارسة
22/أ أحوالهم أنه لا يكون غير/ الضلال في أموالهم. وقرأ الكوفيون بضم الياء فاللام للعاقبة وهي متعلقة بآتيت ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ [الآية 88] أهلكها بذنوبهم ﴿وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [الآية 88] أي واقسمها واطبع عليها ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [الآية 88] جواب للدعاء أو دعاء بلفظ التمني.

قال مشايخ ما وراء النهر(1): الرضا بكفر العدو مع استقباح نفس الكفر لا يكون كفراً. قال تعالى حكاية عن موسى: ﴿وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟﴾ [الآية 88]، وإنما الرضا بالكفر مع استحسان الكفر كفر كذا في كشف الكشاف، وبه ينكشف ما أشكل من القول بأن الرضا بالكفر كفر والرضا بالقضاء إيمان، وإن أجيب أيضاً بأن الرضا واجب بالقضاء من حيث إنه مقضي وتعلق به تقدير الحق، والكفر كفر من حيث إنه فعل الخلق وإنه تعالى لا يرضى لعباده الكفر. ومحل القضية اختلاف الحيثية.

(1) يراد بذلك في الأغلب من بخارى وسمرقند وهم المقابلين لعلماء العراق.

وقال الأستاذ: لما أيس من إيمانهم حين دعاهم إلى الله دعا عليهم بإنزال السخطة وإدامة الفرقة، ومن المعلوم أن الأنبياء من حقهم العصمة فإذا دعا عليهم بمثل هذه لم يكن ذلك إلا بإذن من الله في الحقيقة.

﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ [الآية 89] يعني موسى وهارون لأنه كان يؤمن حال الدعاء ﴿فَاسْتَقِيمَا﴾ [الآية 89] فاثبتا على ما أنتما عليه من الدعوة والزما الحجة ولا تستعجلا في تحصيل الطلبة فقد روي أنه مكث فيهم بعد الدعاء أربعين سنة ﴿وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 89] أي طريق الجهلة في العجلة، وفي رواية لابن ذكوان بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين. وفي رواية ضعيفة عنه أيضاً بإسكان التاء وفتح الباء وتثقيل النون.

وأفاد الأستاذ: أن الاستقامة في الدعاء بترك الاستعجال في حصول المقصود ولا يسقط الاستعجال من القلب إلا بوجدان السكينة فيه ولا تكون تلك السكينة إلا بحسن الرضا بجميع ما يبدو من الغيب. ويقال: من شرط الدعاء صدق الافتقار في الابتداء، ثم حسن الانتظار في الانتهاء، وكمال هذا الرضا ومجريات الأقدار فيما يبدو من المسارّ والمضارّ. / ويقال: في الآية إشارة إلى أن 22/ ب
للأمور آجالاً معلومة فإذا جاء الوقت فلا تأخير للمقدم في الوقت المعلوم.

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ الْبَحْرَ﴾ [الآية 90] أي وجوزناهم في البحر حتى يلقوا الساحل حافظين لهم، وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أعلِّمكم الكلمات التي تكلَّم بها موسى حين جاوز البحر ببني إسرائيل، فقلنا: بلى يا رسول الله، قال: قولوا اللهم لك الحمد وإليك المشتكى وأنت المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»[1].

قال عبد الله: فما تركتهن منذ سمعتهن من رسول الله ﷺ، رواه الطبراني في معجمه الصغير بإسناد جيد.

﴿فَأَتْبَعَهُمْ﴾ [الآية 90] أي فتبعهم ولحقهم ﴿فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا﴾

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (3/ 356) رقم (3394)، وفي المعجم الصغير (1/ 221) رقم (339).

[الآية 90] أي للبغي والمجاوزة عن الحد ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [الآية 90] وقرأ حمزة والكسائي بكسر على أنه استئناف بدل أو تفسير لآمنت أو على إضمار قلت: فتنكب على الإيمان أوان القبول وبالغ فيه حين لا ينفع الوصول.

وقال الأستاذ: حملت العزَّة فرعون على تقحُّم البحر في أثرهم فلما تحقق الهلكة حملته ضرورة الحيلة على الاستفادة فلم ينفعه ذلك الافتقار لفوات وقت الاختيار. ويقال: لما شهد صولة القدرة أفاق من سكرة الغلطة لكن بعد شهود اليأس لا ينفع التخاشع والإلباس.

﴿ءَآلۡـَٰٔنَ﴾ [الآية 91] أتؤمن الآن حين آيست من نفسك ولم يبق اختيار لك ﴿وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ﴾ [الآية 91] أي قبل ذلك مدة عمرك ﴿وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [الآية 91] الضالين المضلين، وفيه إيماء إلى أن حال اليأس يقبل أي المرتدين بسبقهم في أمر الدين ولذا قال بعض علمائنا: توبة اليائس مقبولة وأيمان اليائس مردودة ولكن مخالف لظاهر قوله تعالى: ﴿وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [النِّساء:الآية 18] الآية.

وقال الأستاذ: أبعد طول الإمهال والإصرار على ذميم الأفعال والركض
23/أ في ميدان الاغترار وانقضاء وقت الاعتذار هيهات/ لقد استوجبت أن ترد في وجهك إذ لا لعذرك قبول ولا لك إلى ما ترومه وصول.

﴿فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ﴾ [الآية 92] ننقذك مما وقع فيه قومك من غرق البحر بأن نجعلك طافياً على وجه النيل ليراك بنو إسرائيل ﴿بِبَدَنِكَ﴾ [الآية 92] أي مقروناً ببدنك عارياً عن زوجك أو لباسك ﴿لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗ﴾ [الآية 92] لمن وراءك من بني إسرائيل علامة يحصل لهم اطمئنان وسكينة، أو لن يأتي بعدك من القرون إذا سمعوا حال أمرك ممن شاهدك نكالاً عن الطغيان وموعظة وعبرة أو حجة تدلهم على أن الإنسان على ما يكون عليه من عظم الملك وكبرياء الشأن مملوك مقهور بعيد عن مظان الربوبية ﴿وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾ [الآية 92] لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها.

﴿وَلَقَدۡ بَوَّأۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدۡقٖ﴾ [الآية 93] منزلاً صالحاً مرضياً وهو الشام ومصر ﴿وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ [الآية 93] أي المستلذات الحلالات ﴿فَمَا ٱخۡتَلَفُواْ﴾ [الآية 93] في أمر دينهم من الحكومات ﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُۚ﴾ [الآية 93] أي الأمن بعدما قرأوا التوراة وعلموا أحكامها وعرفوا حلالها وحرامها، أو في أمر محمد عليه السلام إلا بعد ما علموا صدق نبوّته بظهور تفوقه وصفاته ومظاهر معجزاته ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾ [الآية 93] بإنجاء المحقين وإهلاك المبطلين.

وقال الأستاذ: أدلنا لهم الأيام وأكثرنا لديهم الأنعام وأكرمنا لهم المقام وأتحنا لهم فنون الحسنات وأدمنا لهم جميع الخيرات فلما قابلوا النعمة بالكفران وأصروا على البغي والعدوان أذقناهم سوء العذاب وسددنا عليهم أبواب ما فتحت لهم من التكريم والإيجاب وذلك جزاء من حاد عن طريق الوفاق وجنح إلى جانب الشقاق.

﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكّٖ﴾ [الآية 94] أي فرضاً وتقديراً ﴿مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ [الآية 94] مجملاً وتفصيلاً ﴿فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَۚ﴾ [الآية 94] فإنه محقق عندهم ثابت في كتبهم والمراد تحقيق المقدمة والاستشهاد بما في الكتب المتقدمة وأن القرآن مصدق لما فيه من الأصول المجملة والمقصود نهج الرسول وزيادة تثبيته لإمكان وقوع شك له ولذا قال عليه السلام: «لا أشك ولا أسأل»[1]، وفيه / تنبيه على أن من خالجته شبهة في الدين ينبغي أن يسارع في 23/ ب
حلها بالرجوع إلى العلماء من أهل اليقين.

وقال الأستاذ: أي فإن تنزلت منزلة أهل الأدب في ترك الملاحظة إلى ما خصصناك به فاسأل من أرسلنا قبلك هل بلغنا أحداً منزلتك وهل خصصنا أحداً بمثل تخصيصك ﴿لَقَدۡ جَآءَكَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ [الآية 94] واضحاً لا مدخل فيه للمزية لاشتماله على الآيات القاطعة ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾ [الآية 94] أي المزلزلين عما ألقيت عليه من الجزم واليقين.

---

(1) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (6/ 125) رقم (10211).

﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾﴾ [الآية 95] وهذا نظير قوله: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [القصص:الآية 86] والمراد بهما التثبيت على أمر الدين.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ [الآية 96] بأنهم على الكفر يموتون ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 96] إذ لا ينتقض قضاءه ولا يتغير حكمه.

﴿وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ﴾ [الآية 97] فإن السبب الأصلي لإيمانهم وهو تعلق إرادة الله به منقود في شأنهم ﴿حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [الآية 97] وحيثية لا ينفعهم الإيمان إذا خرجوا من مقام البرهان وشاهدوا بالعيان.

وأفاد الأستاذ: إن الأعداء حقت عليهم كلمة العقاب والأولياء حقت لهم كلمة الثواب فالكلمة أزلية والأحكام سابقة والأفعال في المستأنف على ممر الأوقات على موجب القضية لاحقة فالذين نصيبهم من القسمة الشقوة لا يؤمنون وإن شاهدوا كل دلالة وعاينوا كل معجزة.

﴿فَلَوْلَا﴾ [الآية 98] فهلا ﴿كَانَتْ قَرْيَةٌ﴾ [الآية 98] من القرى التي أهلكناها ﴿ءَامَنَتْ﴾ [الآية 98] قبل معاينة العذاب ولما تأخر الإيمان إليها كما أخر فرعون إلى مشاهدة العقاب ﴿فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ﴾ [الآية 98] بأن يتقبله الله منها ويكشف العذاب عنها ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾ [الآية 98] أي قوم يونس ﴿لَمَّآ ءَامَنُوا۟﴾ [الآية 98] أول ما رأوا أمارة للعذاب ولم يؤخروا إلى حلول العقاب ﴿كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الآية 98] أي إلى حين انتقالهم إلى العقبى.

روي أن يونس عليه السلام بعث إلى نينوى من الموصل فكذّبوه وأصروا عليه فوعدهم بالعذاب إلى ثلاث، وقيل إلى أربعين، فلما دنا الموعد غامت
24/أ السماء غيماً أسوداً ذا دخان شديد فهبط حتى غشي مدينتهم/ فهابوا فطلبوا يونس فلم يجدوه فأيقنوا صدقه فلبسوا المسوح وبرزوا إلى الصعيد بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم وفرقوا بين كل والدة وولدها ليكون أرق لقلوبهم وأخلص للدعاء وأقرب إلى الإجابة فحن بعضها إلى بعض وعلت الأصوات وأخلصوا التوبة

وأظهروا الإيمان وتضرعوا إلى الرحمٰن فرحمهم وكشف عنهم وكان عاشوراء يوم الجمعة[1].

وأفاد الأستاذ: أن قوم يونس تداركتهم الرحمة الأزلية بما أجري عليهم توفيق التضرع فكشف عنهم العذاب وصرف عنهم ما أظلّ عليهم من العقوبة بعدما عاينوا من تلك الأبواب فبرحمته وصلوا إلى تضرعه لا بتضرعهم وصلوا إلى رحمته.

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ﴾ [الآية 99] بحيث لا ينفرد واحد منهم جميعاً مجتمعين على اليقين غير مختلفين في أمر الدين ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 99] روي أنها نزلت لما كان رسول الله ﷺ حريصاً على إيمان قومه شديد الاهتمام به ولذلك قرره بقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 100] أي بإرادته سابقاً وتوفيقه لاحقاً ﴿وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الآية 100] الدين ولا الشرع لما على قلوبهم من الطبع. وقرأ أبو بكر: ونجعل بالنون.

وقال الأستاذ: لا يمكن حمل الإذن في هذه الآية إلا على معنى المشيئة لأنه أمر للكافة بالإيمان والذي هو مأمور بالشيء لا يقال إنه غير مأذون فيه ولا يجوز حمل هذه الآية على أن معناها: لا يؤمن أحد إلا إذا ألجأه الحق إلى الإيمان واضطره لأنه لا يوجب إذاً أن لا يكون أحد مؤمناً في العالم بالاختيار وذلك خطأ فدل على أنه أراد به إلا أن يشاء الله أن يؤمن هو طوعاً وبمقتضى هذا أن يريد من أحد أن يؤمن طوعاً ثم لا يؤمن به لأنه يبطل فائدة الآية فصح قول أهل السنّة: إن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

﴿قُلِ ٱنظُرُواْ﴾ [الآية 101] أي تفكروا ﴿مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 101] من عجائب صنعته لتدلكم على جلال وحدته وكمال قدرته ﴿وَمَا تُغْنِي ٱلْآيَٰتُ

(1) انظر تفسير الرازي (8/ 350)، وتفسير النيسابوري (4/ 282)، وتفسير ابن أبي حاتم (8/ 100).

﴿وَٱلنُّذُرُ﴾ [الآية 101] أي ما تنفع ولا تدفع الكتب والرسل ﴿عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الآية 101] في علم الله وحكمه، وما نافية أو في موضع النصب استفهامية. قال
24/ب بعضهم: لا تصل العقول الخالية عن التوفيق إلى سبيل النجاة / الباقية إذ ما يغني ضياء النقل مع ظلمة الخذلان وإنما ينفع أنوار الفقر في التحقيق مَن كان مؤيداً بأسرار التوفيق، ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: أن الأدلة وإن كانت لامعة فما تغني إذا كانت البصائر مسدودة كما أن الشموس وإن كانت طالعة فما تغني إذا كانت الأبصار عن الإدراك بالعمى مزودة كما قيل:

وما انتفاع أخي الدنيا بمقلته ... إذ استوت عنده الأنوار والظُلم(1)

﴿فَهَلۡ يَنتَظِرُونَ﴾ [الآية 102] أي ما ينتظرون ﴿إِلَّا مِثۡلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾ [الآية 102] أي مثل وقائعهم ونزول بأس الله بهم إذ لا يستحقون إلا مثل ما نزل عليهم ﴿قُلۡ فَٱنتَظِرُوٓاْ﴾ [الآية 102] هلاكي ﴿إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ﴾ [الآية 102] أي نهلك الأمم المكذبين ثم نخلص المؤمنين المخلصين.

﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا﴾ [الآية 103] أي وجب وعدنا ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيۡنَا نُنجِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الآية 103] أي مثل ذلك الإنجاء ننجي محمداً وصحبه حين نهلك أهل الشرك وحزبه، وحقاً نصب بفعله المقدر، والجملة اعتراض مقدر. وقرأ الكسائي وحفص: ننج تخفيفاً ورسمه بحذف الياء اتفاقاً.

وأفاد الأستاذ: أن حروف الصلاة يقوم بعضها مقام بعض بقوله تعالى: ﴿عَلَيۡنَا﴾ [الآية 103] وسمعنا بمعنى منا والأشياء تجب من الله إذا أخبر أنها لكون كلامه صدقاً ولا يجب عليه شيء لكونه إلٰهاً ملكاً فيجب الشيء من الله لصدقه ولا يجب عليه لعزّه.

﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي شَكّٖ مِّن دِينِي﴾ [الآية 104] أي من جهة صحبتي

---

(1) أورده القشيري في تفسيره (2/ 284)، 3/ 280)، (5/ 337)، (8/ 70)، والماوردي في الحاوي الكبير (12/ 552).

فلا أشك في بطلان دينكم ﴿فَلَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنۡ أَعۡبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُمۡۖ﴾ [الآية 104] أي يحييكم ويميتكم وخص التوفي بالذكر للنذير في الوعيد ﴿وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الآية 104] بما دل عليه العقل وطائفة النقل، والمعنى إن هذا خلاصة ديني من اعتقادي وعملي وهو أني لا أعبد ما تخلقونه وتعبدونه بل إنما أعبد خالقكم وقابضكم فانظروا بعين الإنصاف واتركوا طريق الاعتساف لتعلموا صحة ديني وبطلان دينكم وتتركوا الخلاف.

وقال الأستاذ: إن كنتم في غطاء الريب فأنا في ضياء الغيب، أنتم في ظلمة الجهل وأنا في شموس الوصل. ويقال: قد تميزنا على مفترق الطريق وأنتم وقعتم في وهدة العوج وأنا ثابت على سواء النهج.

/ ﴿وَأَنۡ أَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ﴾ [الآية 105] أي وأمرت بالاستقامة في الدين 25/أ
بامتثال الأوامر والانتهاء عن الزواجر ﴿حَنِيفٗا﴾ [الآية 105] حال من الدين أو الوجه أو من ضمير أقم ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الآية 105] لا شركاً جلياً ولا خفياً.

قال ابن عطاء: صحح معرفتك بالله ولا تكونن من الناظرين إلى ما سواه، ذكره السلمي.

وقال الأستاذ: أخلص قصدك للدين وجرد قلبك عن إثبات كل ما لحقه قهر التكوين وكن مائلاً عن الزيغ والبدعة داخلاً في جملة من أخلص على الحقيقة.

﴿وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ﴾ [الآية 106] بنفسه إن دعوته ﴿وَلَا يَضُرُّكَۖ﴾ [الآية 106] إن خذلته ﴿فَإِن فَعَلۡتَ﴾ [الآية 106] أي دعوته ﴿فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية 106] جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر عن تبعة الدعاء.

قال شقيق: الظالم من طلب نفعه ممن لا يملك [نفع] نفسه واستدفع الضر مما لا يملك الدفاع عن نفسه ومن عجز عن إقامة حاله كيف يقيم أمر غيره، ذكره السلمي.

وقال الأستاذ: ألا تعبد ما لا ينفعك عبادته ولا يضرك ترك عبادته وتلك صفة كل ما يُعبد من دون الله. واستعانة الخلق بالخلق تحيق الوقت بلا طائل ومَن لا يملك ضرّاً ولا نفعاً لنفسه كيف يستعين به مَن هو في مثل حاله.

﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ﴾ [الآية 107] أي يصيبك به ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ﴾ [الآية 107] يرفعه إلا هو بفضله ﴿وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ﴾ [الآية 107] بنفع من أنواعه ﴿فَلَا رَآدَّ﴾ [الآية 107] لا دافع ﴿لِفَضۡلِهِۦۚ﴾ [الآية 107] الذي أراد به، ولعل تخصيص الإرادة بالخير والشر للصبر مع تلازم الأمرين للتفنن في العبادة أو للتنبيه على أن الخير مراد بالذات والضرّ إنما مسّهم لا بالقصد الأول ووضع الفضل موضع الضمير للدلالة على أنه متفضل بما يزيد به من الخير لاستحقاق لهم عليه ولم يستثن لأن مراد الله لا يمكن رده ﴿يُصِيبُ بِهِۦ﴾ [الآية 107] من الخير ﴿مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ﴾ [الآية 107] للمذنبين ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ [الآية 107] للمحسنين فتعرضوا لرحمته بالطاعة ولا تيأسوا من مغفرته بالمعصية.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه كان تفرّد بإبداع الضرّ واختراعه فلا شريك يعضده كذلك توحّد بكشف الضرّ وصرفه فلا نصير ينجده، ويقال: هوّن على المؤمن الضر ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ﴾ [الآية 107] حيث الفاقة إلى نفسه والحنظل يستلذ من كف من تحبه.

25/ب ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ/ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ﴾ [الآية 108] أي رسوله أو كتابه فلم يبق لكم عدو عن جنابه ﴿فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ﴾ [الآية 108] بالإيمان والطاعة ﴿فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ﴾ [الآية 108] لأن نفعه لها ﴿وَمَن ضَلَّ﴾ [الآية 108] أي بالكفر والمعصية ﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ﴾ [الآية 108] لأن وبال ضلالها راجع إليها فهذا دواءه وبلاؤه اكتسب وهذا ضياؤه وشقاؤه اجتلب ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ﴾ [الآية 108] بحفيظ موكول إليَّ أمركم وإنما أنا بشير ونذير لكم.

﴿وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَٱصۡبِرۡ﴾ [الآية 109] على دعوتهم وتحمّل أذيتهم ﴿حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُۚ﴾ [الآية 109] بالنصرة أو بالأمر بالمجاهدة ﴿وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾

[الآية 109] إذ لا يمكن الخطأ في حكمه لاطلاعه على السرائر واطلاعه على الظواهر.

وقال الأستاذ: قف عند جريان أحكامنا الحقيقية وانسلخ عن مرادك بالكلية ليجري عليك ما يريد لا كما تريد. قلت: لله در القائل في مقام المزيد:

أُريد وصاله ويريد هجري ... فأترك ما أُريد لما يريد[1]

(1) هذا البيت منسوب لابن المنجم الواعظ. انظر الوافي بالوفيات (6/ 105).

سورة هود عليه السلام

[مكيّة]

وهي مائة وثلاث وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: هذه كلمة استولت على عقول قوم فبصّرها وعلى قلوب آخرين فحيّرها، فالتي بصّرها فبنور برهانه، والتي حيّرها فبقهر سلطانه، فعالم سلك سبيل بحثه واستدلاله فسكن لما طلع نجوم عقله تحت ظلال إقباله، وعارف يغوص لنيل وصاله فطاح لما لاح لمعة من تقدسه من الإعلال باستحقاق جلاله.

﴿الٓر﴾ [الآية 1] أي أنا الله أرى وأُري فيا حسرة كبرى لمن لا يرى ﴿كِتَٰبٌ﴾ [الآية 1] أي مضمون هذه السورة كتاب جامع ولباب لامع ﴿أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [الآية 1] أي نسجت نسجاً لا يعتريه خلل من جهة المبنى ولا طريقة المعنى أو منعت نسختها من النسخ في المنتهى أو أحكمت بالحجج والدلائل الدينية أو جعلت حكمية أو حاكمة لاشتمالها على أمهات الحكم النظرية والأحكام العلمية ﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ [الآية 1] بفرائد الفوائد وزوائد العوائد من المواعظ والعقائد ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ﴾ [الآية 1] ولذا أُحكمت ﴿خَبِيرٍ﴾ [الآية 1] ولذا فصلته وبيّنت باعتبار شأنه ولمع برهانه.

قال الواسطي: أحكمت بالحلال والحرام وفصلت بالوعد والوعيد
26/أ للأنام/ من لدن حكيم فيما أنزل خبير بمن أقبل على أمره وأعرض عنه. وقال بعضهم: أحكمت آياته في قلوب العارفين وفصِّلت أحكامه على أبدان الظالمين، ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: أنّ الألف إشارة إلى انفراده بالوحدانية، واللام إشارة إلى لطفه بأهل توحيده، والراء إشارة إلى رحمته بكافة البرية وهي في معنى القسم أي بانفرادي بالربوبية ولطفي بمن عرفني بالأحدية ورحمتي على كافة البرية إن هذا ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [الآية 1] أي حُفِظَت عن التبديل والتغيير ثم فصِّلت ببيان لقوة الحق فيما يتصف به من جلال الصمدية وما تعبد به الخلق من أحكام العبودية ثم ما لاح بقلوب المحبين فيه من لطائف القربة في عاجلهم والبشرى بما وعدهم به من عزيز لقائه في آجلهم وخصائصهم التي امتازوا بها عن مَن سواهم في منازلهم.

﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ﴾ [الآية 2] أي لا تعبدوا ﴿إِلَّا ٱللَّهَۚ﴾ [الآية 2] لأن لا تعبدوا إلا إياه أو هي بغير الآيات ألا تعبدوا إلا الله أو تقديره الزموا عبادة ما سواه ﴿إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ﴾ [الآية 2] أي من لدن حكيم خبير ﴿نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ بالعقاب، والحجاب على الكفر والكفران، وبالثواب وحسن المآب على الإيمان والإحسان.

وقال الأستاذ: إنني لكم منه نذير من الله بالفرقة بشير بدوام الوصلة فالفرقة لمن في عاجله جحدوا والوصلة لمن في آجله وجدوا.

﴿وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ﴾ [الآية 3] عطف على أن لا تعبدوا أي اعبدوا الحكيم الخبير واستغفروا ربكم عن رؤية العباد وقضيته التقصير ﴿ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾ [الآية 3] أي ارجعوا إليه بالاعتماد عليه في جميع الأمور من النقير والقطمير وثم لتراخي الرتبة وترقي الرتبة قيل: استغفروا من الدعاوي المذمومة وتوبوا إليه من الخطرات الملومة.

وقال الأستاذ: أي توبوا عن توهم أن نجاتكم بتوبتكم لعلمكم بأن نجاتكم بكرمه لا بعبادتكم ﴿يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا﴾ [الآية 3] متيقناً مستحسناً بحصول العيشة في أمن وسعة وحياة طيبة في قناعة وطاعة ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ [الآية 3] وهو آخر الأعمال المقدّرة قبل قيام الساعة.

26/ب قال الواسطي: المتاع الحسن هو طيب النفس وسعة/ الرزق والرضا بمقدور الحق فيما قسم بين الخلق.

وقال الأستاذ: يعيشكم عيشاً طيباً مباركاً فيه وفي عمركم. ويقال: هو إعطاء الكفاية مع زوال الحرص في البداية والنهاية. ويقال: هو القناعة بالموجود والاعتماد على المعبود. ويقال: هو أن لا يحوجه إلى مخلوق فلا يحيل لأحد عليه منة لا سيما للكبير وقليل المروة. ويقال: هو أن يوفِّقه لاصطناع المعروف إلى من يعرف حاله من أرباب الحاجة. ويقال: هو أن لا يلم حال شبابه في زلّة وفي حال مشيبه لا ينصف عن الله بغفلة. ويقال: هو أن يكون راضياً عليه بما يجري عليه من نوع العسر واليسر وصنفيّ الحلو والمر وجنسيّ النفع والضر.

﴿وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ﴾ [الآية 3] أي يعطي كل ذي فضل في دينه جزاء فضله في دنياه وأخراه.

وقال الجرجاني: مَن قدر عليه الفضل في السابق يوصله إلى ذلك عند إيجاده اللاحق.

وأفاد الأستاذ: أن من زادت حسناته على سيئاته أعطاه جزاء ما فضل له من الطاعات، ومن زادت سيئاته على حسناته كافأه بما يستوجبه من زيادة الخيبات. هذا بيان التفسير. ويقال: من فضله بحسن توفيقه وتأييده أوصله إلى ما يستوجبه من لطفه ومزيده وثبَّته.

﴿وَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾ [الآية 3] أي تعرضوا ﴿فَإِنِّيٓ﴾ [الآية 3] أو إن أعرضوا فقل ﴿أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ﴾ [الآية 3] يوم القيامة ووقت الملامة حين لا ينفع الندامة.

﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡۖ﴾ [الآية 4] رجوعكم في الدنيا والآخرة ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [الآية 4] ومنه المثوبة والعقوبة.

وقال الأستاذ: تنقطع الدواعي عند الرجوع إلى الله بنفي الظنون ويحصل اليأس من غير الله بكل وجه من الفنون ويبقى العبد بنعت الاضطرار في وصف الانتظار والحق يجري ما سبق به القسمة من أنواع الأقدار.

﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ﴾ [الآية 5] يصرفونها عن الحق ويجرفونها عن

الصدق أو يعطفونها على الباطل وعلى تحصيل ما ليس تحته طائل ﴿لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ﴾ [الآية 5] أي من الله ليسرهم/ فلا يطلع رسوله والمؤمنين على شرهم. 27/ أ

وقال الأستاذ: أي يستسرون ما ينطوي عليه عقائدهم ويضمرون للرسول ﷺ والمؤمنين خلاف ما يظهرون والحق سبحانه مطلع على قلوبهم فهو يعلم ما في صدورهم فتلبيسهم لا يغيِّر من الله شيئاً عنهم، فالله سبحانه أطلع رسوله على ما أخفوه إما بتعريف وحي أو ملك أو مكاشفة بقوَّة نور النبوَّة والمؤمنين بضياء الفراسة فكل مؤمن فله بقدر حاله من الله هداية. قال ﷺ: «اتقوا فراسة المؤمن فإن المؤمن ينظر بنور الله»(1)، ولذا قال قائلهم:

أبعيني أراك أم بفؤادي كل ما في الفؤاد للعين بادي(2)

﴿أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ﴾ [الآية 5] أي وقت يأوون إلى فراشهم ومآبهم ويتغطوا بثيابهم ﴿يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾ [الآية 5] في قلوبهم ﴿وَمَا يُعۡلِنُونَۚ﴾ [الآية 5] بأفواههم يبتغون في علمهم سرهم وعلنهم.

وفي تفسير السلمي: يعلم ما تسرون من أحوالكم وما تعلنون من أفعالكم ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الآية 5] بالأسرار ذات الصدور وما بها أو بالقلوب وأحوالها وما بها.

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا﴾ [الآية 6] غذاؤها ومعاشها لتكفله إياه تفضُّلاً ورحمة لها، وأتى بلفظ الوجوب تحقيقاً لوصوله وحملاً على التوكل في حصوله ﴿وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ﴾ [الآية 6] أي أماكنها في حياتها ومماتها أو يعلم بما في أصلاب آبائها وأرحام أمهاتها، أو يعلم مساكنها من الأرض حين وجدت بالفعل ومودعها من المواد حين كانت بعد القوة ﴿كُلّٞ﴾ [الآية 6] من الدواب وأحوالها ﴿فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [الآية 6] مذكور في اللوح المحفوظ المكين، وفي هذه الآية إشارة إلى كونه عالماً بالمعلومات كلها وفي ما بعدها إلى

---

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (3/ 312) رقم (3254) والمعجم الكبير (8/ 102) رقم (7497)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/ 298) رقم (3127).
(2) أورده القشيري في تفسيره (3/ 293).

برهان كونه قادراً على الممكنات بأسرها تقديراً للتوحيد وتحريراً لما سبق من الوعد والوعيد.

وأفاد الأستاذ: أن في الخبر إذا أحيل أحدكم على قلبي فليحتل، ويقال: إذا كان الرزق على الله فمن المحال طلبه مما سواه، والأرزاق مختلفة فرزق كل حيوان على ما يليق بصفته ويناسب بشاكلته لم يقل ما يشتهيه ومقدار ما
27/ب يكفيه فإنه موكول إلى مشيئته. وقيل: أراد بمستقرها ومستودعها الدنيا/ والأخرى. ويقال: مستقر المريد بأن شيخه كمستقر الصبي بباب وليه. ويقال: مستقر الفقراء سدة الكرما. ويقال: مستقر العابدين المساجد ومستقر العارفين المشاهد، فالمساجد مستقر نفوس العابدين والمشاهد مستقر قلوب العارفين. ويقال: الكل له مثوى ومستقر إلا الموجد فإنه لا مستقر له ولا مأوى ولا منزل ولا مثوى.

قلت: لأنه وصل إلى مقام المحو والفناء وحلّ له حال البقاء من غير حلول واتحاد كما توسمه أهل الجفا ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾ [النّجْم:الآية 42]. ويقال: النفوس مستودع التوفيق والقلوب مستودع التحقيق. وقيل: القلوب مستودع المعرفة والأرواح مستودع المحبة والأسرار مستودع المشاهدة.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ﴾ [الآية 7] أي خلقها وما فيها أو خلق العلويات والسفليات وقدَّم السموات لسبق وجودها أو لشرفها في اعتبار شهودها، وأفرد الأرض لاختلاف العلويات بالأصل والذات دون السفليات ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [الآية 7] أي قبل خلقهما لم يكن حائل بينهما إلا أنه كان موضوعاً على الماء، ففيه دليل على إمكان الخلاء. وقيل: لما كان الماء على متن الريح والله أعلم بالصحيح ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الآية 7] متعلق بخلق بينهما اعتراض، والمعنى ليعاملكم معاملة المبتلي لأحوالكم في كيفية أعمالكم واختير أحسن على الحسن للتحريض على أحاسن المحاسن والتخصيص على الترقي دائماً في مراتب المكارم من العلم والعمل، فإن المراد بالعمل ما يعم عمل القلب والجوارح ولذا ورد عنه ﷺ في تفسير: «أيكم أحسن عملاً وأورع عن

محارم الله وأسرع في طاعة الله»[1]، فالمعنى أيكم أكرم عملاً وعلماً.

وأفاد الأستاذ: أن الابتداء من قبله سبحانه تعريف للملائكة حال من يبتليه في الشكر عند اليسر والصبر عند العسر، ولم يقل أيكم أكثر عملاً إذ أحسن العمل بموافقة الأمر. ويقال: أحسنهم عملاً أبعدهم عن ملاحظة عمله ووجوده بأن يستغرق في شهود معبوده.

﴿وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ
إِلَّا سِحْرٌ/ مُّبِينٌ﴾ [الآية 7] أي ما البعث أو القول به أو القرآن المتضمن لذكره إلا 28/ أ
كالسحر في تخديعه. وقرأ حمزة والكسائي: إلا ساحر، على أن الإشارة إلى القائل به.

وقال الأستاذ: استبعدوا النصر لتقاصر علومهم عن التحقيق بكمال قدرة الحق ولو عرفوا ذلك لأيقنوا أنه ليس بمستحيل في الإيجاد والتقدير لأنه على كل شيء قدير.

﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ﴾ [الآية 8] أي الموعود لأرباب الجحود ﴿إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾ [الآية 8] إلى جماعة من أزمنة قليلة محدودة ﴿لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ﴾ [الآية 8] أي ما يمنعه عن وقوعه ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ﴾ [الآية 8] كيوم بدر ونحوه ﴿لَيْسَ﴾ [الآية 8] العذاب ﴿مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾ [الآية 8] ويوم منصوب بخبر ليس مقدم عليه ﴿وَحَاقَ﴾ [الآية 8] أي وأحاط ﴿بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الآية 8] أي العذاب الذي كانوا به يستعجلون، ووضع المضامين موضع المستقبل مبالغة في التحقيق وتأكيد للتهديد فإن ما هو آت فكأنه الآن كان.

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً﴾ [الآية 9] أي أعطيناه نعمة يجد لها بعض اللذة ﴿ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا﴾ [الآية 9] سلبنا تلك النعمة ﴿مِنْهُ إِنَّهُۥ﴾ [الآية 9] أي في حالة له من المخالفة ﴿لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ﴾ [الآية 9] مقطوع رجاؤه من فضله لقلّة الصبر وعدم الثقة ﴿كَفُورٌ﴾ [الآية 9] مبالغ في كفران النعمة.

(1) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (7/ 408) رقم (10788)، وانظر زوائد الهيثمي (2/ 804) رقم (820)، والمطالب العالية (8/ 183) رقم (2853).

قال أبو سعيد الخراز: من أُذيق حلاوة الذكر وصفاء السر ثم نزع ذلك منه ولم يظهر عليه الاهتمام لفقده ولا يرى مطالبته من سره فليحكم بالموت لقلبه وسره بالعمى عن طريق الهدى، قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً﴾ [الآية 9] وهو محل القربة ﴿ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ﴾ [الآية 9] وهو حجاب النعمة، ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: أن تغير ما صفا من النعمة حالة معهودة فلا أحد إلا وله منه حصة فمن لم يرجع بالتأسف قبله ولم يتضاعف في كل نفس تلهفه وكربه أدرج في ديوان النسيان وأنبت اسمه من جهة أهل الهجران، ومن استمسك بعروة الضراعة واعتكف بعتوة المذلة وتحسى كأس الحسرة عللاً بعد نهل مرة بعد مرة طالعه الحق بنعت الرحمة وجدّد له ما اندرس من أحوال القربة وأطلع عليه شمس الإقبال بعد الأفول والغيبة، كما قيل:

28/ب / تقشع غيم الهجر عن قمر الحب وأشرق نور الصبح في ظلمة الغيب[1]

وليس للأحوال الدنيوية كثير خطر في التحقيق ولا يعد زوالها وتكدرها من جملة المحن عند أرباب التوفيق لكن المحنة الكبرى والرؤية العظمى ذبول غصن الوصال وتكدُّر مشرب القرب وأفول شوارق الأنس ورمد بصائر أرباب الشهود فعند ذلك تقوم القيامة وهنالك تكسب أنواع العبرة وهي أرواح تذوب عندها فتقطر من العيون بتصاعدها فإذا نعق في ساحة هؤلاء غراب البين ارتفع إلى السماء نواح أسرارهم بالويل.

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ﴾ [الآية 10] أي نعمة بعد شدة كصحة بعد سقم وغنى بعد عدم ﴿مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ﴾ [الآية 10] أي المصائب التي هي ساءتني ﴿إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ﴾ [الآية 10] بطر وبالنعم مغتر ﴿فَخُورٌ﴾ [الآية 10] مفتخر لا شاكر في السر ولا صابر في الضر. وفي لفظ: الإذاقة والمس إيماء إلى أن ما يجده الإنسان من المنن والمحن في الدنيا أنموذج لما يجده في العقبى وإشارة إلى أن الإنسان يقع في الكفران بأدنى شيء من الإحسان لأن الذوق إدراك طعم

(1) أورده القشيري في تفسيره (3/ 297).

المحصول والمس مبدأ الوصول.

وقال القاسم: لو رددنا عليه ما قبضناه عنه ﴿لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓۚ﴾ [الآية 10] آمناً من مكري مطمئناً بغيري ﴿إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ﴾ [الآية 10] مفروح به ﴿فَخُورٌ﴾ [الآية 10] بما لا يفتخر به، ذكره السلمي.

وقال الأستاذ: أمنوا بغتات مكرنا ولم يخافوا فجأة ما يأخذهم من قهرنا.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ [الآية 11] على الضر استسلاماً بالرضا للقضاء ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الآية 11] شكر السابق لإيلاء حق النعماء ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ﴾ [الآية 11] لما صدر عنهم من المعصية ﴿وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾ [الآية 11] أي مثوبة عظيمة لما ظهر منهم من الطاعة والاستثناء منفصل إن أريد بالإنسان الجنس فإنه إذا كان محلّى باللام أفاد استغراق العام ومن حمله على الكافر وجعل اللام للعهد سبق ذكرهم جعل الاستثناء منقطعاً.

﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ﴾ [الآية 12] بترك تبليغ بعض ما أُنزل عليك وهو ما يخالف دين المشركين وقرنائهم مخافة ردهم واستهزائهم ولا يلزم من توقع الشيء لوجود ما يدعو إليه وقوعه بجواز أن يكون ما يصرف/ عنه وهو 29/ أ
عصمة صاحب النبوة عن الخيانة في الوحي والتقية في التبليغ.

وأفاد الأستاذ: أنهم اقترحوا عليه من ضلالتهم بأن يأتي بكتاب ليس فيه سب آلهتهم فبيَّن الله سبحانه أنه ﷺ لا يترك تبليغ ما أنزل إليه لأجل كراهتهم ولا يبدل ما يوحى إليه لأجل رعايتهم ﴿وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ﴾ [الآية 12] أي وعارض لك أحياناً ضيق صدر لأجلهم بأن تتلوه عليهم مخافة ﴿أَن يَقُولُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ﴾ [الآية 12] ينفعه في الاتِّباع كما للملك ﴿أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ﴾ [الآية 12] يصدقه في القليل والكثير ﴿إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٞۚ﴾ [الآية 12] ليس عليك إلا إنذارك بما أوحي إليك ولا عليك غير ذلك، ردوا أو اقترحوا أو قبلوا واعتقدوا فما بالك يضيق صدرك ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ﴾ [الآية 12] فتوكل عليه في جميع أمورك فإنه عالم بحالهم وحالك وفاعل بهم وبك ما يناسبهم ويناسبك، ولعله كان يحصل له ضيق الصدر قبل تيسير الأمر وتكميل القدر فلما ترقى من مقام

التفرقة إلى مقام الجمع ثم إلى جميع الجمع وهو الحالة التي لا تمنع الوحدة عن الكثرة ولا تدفع الكثرة عن الوحدة استراح في أجر الشهود واستغرق عن الشهود بغير وجود المعبود.

وأفاد الأستاذ: أن هذا وجه الاستبعاد أي لا يكون منك ترك ما أوحي إليك ولا يضيق صدرك بما يبدو من الغيب ومن شرح للتوحيد صدره ونوّر بشهود التقدير سرّه متى يلحقه ضيق صدرك أو استكراه أمرك.

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ [الآية 13] بل أتقولون اختلق القرآن الدال عليه ما يوحي إليه ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ﴾ [الآية 13] في لطافة المباني وظرافة المعاني وتوحيد المثل باعتبار كل واحد، ولذا لم يقل أمثاله فخزاهم بعشر سور أولاً ثم خزاهم بسورة ثانياً ثم قال: ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ﴾ [الآية 13] أي بكلام منتظم عند أهله إظهاراً للمعجزة ودفعاً للشبهة ﴿مُفْتَرَيَٰتٍ﴾ [الآية 13] أي مختلقات من عند أنفسكم إن اختلقته من عند نفسي فإنكم فصحاء وبلغاء مثلي بل أنتم بحسب الظاهر أقدر مني لتعلمكم القصص والأشعار دوني ﴿وَٱدْعُوا۟﴾
[الآية 13] أي للمعاونة وعلى/ المعارضة ﴿مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ 29/ب
[يُونس:الآية 38] أي ما سواه من الجن والإنس أجمعين ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الآية 13] أي من المفترين.

﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟﴾ [الآية 14] بإتيان ما دعوتم إليه، وجمع الضمير إما لتعظيم الرسول ﷺ ويؤيده آية: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ﴾ [القَصَص:الآية 50] أو لأن المؤمنين أيضاً كانوا من المتحدّين لقوة يقينهم في الدين ولذا رتب عليه قوله: ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 14] ملتبساً بما لا يعلمه إلا الله ولا يقدر عليه سواه ﴿وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [الآية 14] أي منقادون، حثّ على ثبات الإسلام وبعث على الرسوخ في متابعة الأحكام.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ [الآية 15] بعمله وبره بها ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا﴾ [الآية 15] نوصل إليهم وافياً جزاء أعمالهم في الدنيا من الصحة والرئاسة وسعة الرزق وكثرة الأولاد ودفع المكاره ونحوها ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾

[الآية 15] لا ينقصون شيئاً من أجور أعمالهم. والآية نزلت في أهل الرياء كما قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك وغيرهم من الكبراء[1]. وقال أنس والحسن في اليهود والنصارى[2]، وقيل: في المنافقين، وقيل في المشركين وبرهم إلى المساكين.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ﴾ [الآية 16] في مقابلة ما عملوا من الأوزار لأنهم استوفوا ما يقتضيه صور أعمالهم الحسنة وبقيت لهم أثقال العزائم السببية ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا﴾ [الآية 16] أي في الدنيا لأنه لم يبق لهم ثواب في العقبى أو لم يكن أجر في الأخرى لأنهم لا يريدوا به وجه الله تعالى فإن العمدة في اقتضاء الثواب هو الإخلاص في الاحتساب ﴿وَبَٰطِلٞ﴾ [الآية 16] أي في نفس الأمر ﴿مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الآية 16] لعدم وجود صحة العمل حيث ما كانوا يعملون.

وقال الأستاذ: أولئك الذين خابت آمالهم وظهرت لهم بخلاف ما احتسبوه مآلهم حبطت أعمالهم وحاق بهم محالهم انتهى. وفي الحديث: «أشد الناس عذاباً من يرى الناس فيه خيراً ولا خير فيه»[3].

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الآية 17] أي حجة وبرهان من عنده يدل على الحق فيما يأتيه ويذره والهمزة لإنكار أن يعقب من هذا شأنه في العقبى هؤلاء المقصورين هم وأفكارهم على/ الدنيا وأن يقارب بينهم في المنزلة العليا 30/أ
وهو الذي أغنى عن ذكر الخير هنا وتقديره: أفمن كان على بينة ودلالة على الهدى وترك الهوى كمن كان يريد الحياة الدنيا واتباع الردى وهو حكم يعم كل مؤمن. وقيل: المراد به النبي ﷺ لقوله ﴿وَيَتۡلُوهُ﴾ [الآية 17] أي ويتبع تلك البينة التي هي حجة العقل ﴿شَاهِدٞ﴾ [الآية 17] دليل يسمعه بصحته من النقل وهو العثرات والنعوت بالفرقان ﴿مِّنۡهُ﴾ [الآية 17] أي من قبل الرحمٰن وفضله ﴿وَمِن قَبۡلِهِۦ﴾ [الآية 17] قبل القرآن كتاب موسى يعني التوراة فإنها أيضاً تتلوه في التصديق والتحقيق أو التنبيه هو القرآن ويتلوه بمعنى يغزوه والشاهد جبريل

(1) تفسير ابن كثير (4/ 311). (2) تفسير ابن كثير (4/ 311).
(3) أورده السيوطي في جامع الأحاديث (4/ 427) رقم (3483).

والضمير في يتلوه لمن آمن قبله ﴿كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ [الآية 17] جملة مبتدأة ﴿إِمَامًا﴾ [الآية 17] كتاباً مؤتماً به في الدين ﴿وَرَحۡمَةًۚ﴾ [الآية 17] نازلة على المؤمنين.

وقال الأستاذ: في الكلام إضمار ومعناه أفمن كان على بينة كمن ليس على بينة أي لا يستويان، والبينة لأقوام برهان العلم ولآخرين بيان الأمر بالقطع والجزم يشهدهم الحق ما لا يطلع عليه غيرهم(1) والشاهد الذي يتلوه هو مشاهد به، وفي الخبر: أولياء الله الذين إذا رأوا ذكر الله. وقال تعالى: ﴿وَلَوۡ نَشَآءُ لَأَرَيۡنَٰكَهُمۡ فَلَعَرَفۡتَهُم بِسِيمَٰهُمۡۚ﴾ [محمد:الآية 30]، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ [الآية 17] إشارة إلى من كان على بينة ﴿يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۚ﴾ [الآية 17] أي بالله أو بكلامه أو برسوله والإيمان بواحد منهما إيمان بغيره، أو المعنى يؤمنون بكل واحد ممن سبق ذكره أو بجميع ما يجب الإيمان به ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ مِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ﴾ [الآية 17] أي أنواع الكفار الذين تحزبوا على النبي المختار ﴿فَٱلنَّارُ مَوۡعِدُهُۥۚ﴾ [الآية 17] مثوبة ومنزلة ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُۚ﴾ [الآية 17] أي في شك من الموعد أو القرآن ﴿إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الآية 17] لقلة نظرهم واختلال فكرهم ولأنهم لا يوقنون.

﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ﴾ [الآية 18] فإن أسند إليه ما لم ينزله أو نفى عنه ما أنزله ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُعۡرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ﴾ [الآية 18] في موقف حسابهم بأن يحاسبوا على مراتب أحوالهم ويعرض عليهم سبحانه جميع أعمالهم ﴿وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾ [الآية 18] من الملائكة والنبيين/ أو من جوارحهم الناطقين ﴿هَٰٓؤُلَآءِ 30/ب
ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية 18] قال بعضهم: المفتري من اتخذ حال الفساد يدعيه لنفسه حالاً وأظهر من نفسه مشاهدة ما لا يشهده، ذكره السلمي.

وزاد الأستاذ: فيما أفاد أن من عقوبته أن لا ترزق تلك الحالة أبداً في الاستقبال ثم إنه يكشف للشهداء عيوبه فيفتضح بين الخلق والشهداء قلوب

(1) أورده السيوطي في جامع الأحاديث (10/ 320) رقم (9707)، وانظر كنز العمال (1/ 418) رقم (1783).

الأولياء ومن شهد قلوبهم عليه بالرد فغير مقبول عند الحق.

﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 19] يعرضون بأنفسهم أو يصدون غيرهم عن دين ربهم ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ [الأعراف:الآية 45] ويطلبون سبيله أن يكون معوجاً أو يصفونها بالانحراف عن الحق والصواب والإنصاف أو ينفون أهلها أو يعرجوا بالردة والخلاف ﴿وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [الآية 19] أي والحال أنهم كافرون بالآخرة وتكريرهم لتأكيد كفرهم وتحقيق اختصاصهم.

وأفاد الأستاذ: أن هذه الآية من جملة صفات المفترين ومن صدّ عن السبيل أن يظهروا من أنفسهم أحوالاً سنية ثم يبخلون بأحكام الشريعة العلية ولا يرون ذلك كبيرة في الطريقة الرضية فيوهمون المستضعفين من أهل الاغترار بهم أن لهم في ذلك رخصة فيَضِلون ويُضِلون ويقتلون. ومن جملة صدهم الناس عن السبيل تغريرهم الناس وإيقاعهم في الغلط كي يرتفقوا للشيء مما في أيديهم من حطام الدنيا ويمدحون غير أهله ويسمحون من لا يستوجبه لأخذ شيء منهم من غير وجهه ويداهنون في دين الله من أمره وغيبه.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُواْ مُعْجِزِينَ﴾ [الآية 20] الله أن يعاقبهم ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 20] أي في الدنيا ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الآية 20] أي يدفعون عنهم العقاب أو يرفعون عنهم الحجاب ولكنه أخر العذاب إلى يوم الحساب ليكون أشد وأبقى ﴿يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ [الآية 20] أي يزاد لهم عذاب فوق العذاب ﴿مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ﴾ [الآية 20] لتصاممهم عن سماع الصدق ﴿وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ﴾ [الآية 20] لتعاميهم عن رؤية الحق. وقال بعضهم: كيف يستطيع السمع من لم يفتح مسامعه بسماع الحق/ وكيف يبصر من لم يكتحل بنور التوفيق إذ لا سمع إلا عن إسماع ولا بصر إلا عن إبصار، ذكره السلمي. 31/أ

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ [الآية 21] باشتراء عبادة الآلهة بعبادة الله ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ [الآية 21] من الآلهة وشفاعتها أو خسروا بما بدلوا وضاع عنهم ما حصلوا فلم يبق معهم يوم القيامة سوى الحسرة والندامة.

﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾ [الآية 22] وقال الأستاذ: أولئك الذين

هذه صفاتهم لم يربحوا في تجارتهم ولا لحقوا غاية ما طلبوا في غيهم وضلالتهم فنفوا عن الحق ولم يبارك لهم فيما اعتاضوا به من صحبة الخلق أولئك الذين خسرت صفقتهم وبارت بضاعتهم لقوا الهوان وذاقوا اليأس والحرمان فلا محالة أنهم في النشأة الآخرة لأشد الناس خسراناً وأوفرهم من الخيرات نقصاناً.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [الآية 23] اطمأنوا إليه وخشعوا لديه ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الآية 23] دائمون في النعمة.

قال شاه الكرماني: علامة الإخبات ثلاثة: غم الإياس مع التوبة لكثرة العودة إلى المعصية وخوف الاستدراج في استتابة الستر والمهلة وتوقع العقوبة في كل وقت وساعة حذراً وشقاقاً من العدالة، ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: إن الإخبات هو التسبيح للرب بالقلب بدوام الانكسار ومن علامة المخبتين الأبرار والقبول تحت جريان الأقدار والحموم بدوام الاستقامة في الأسرار.

﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ﴾ [الآية 24] من المؤمنين والكافرين ﴿كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ﴾ [الآية 24] شبه الكافر بالأعمى لتعاميه عن آيات الله المنصوبة وبالأصم لتصامه عن آياته المتلوة والمؤمن بالسميع والبصير لأن أمره بضد مخالفه فكل منهما مشبه باثنين باعتبار وصفين متغايرين وهذا من باب اللف وصفة الطباق ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ﴾ [الآية 24] أي الفريقان مثلاً تمثيلاً أو صفة أو حالاً ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الآية 24] بضرب الأمثال والتأمل في الأحوال فتعملون بما يستوجب لكم حسن المآل وحصول الآمال في / الاستقبال. 31/ب

وأفاد الأستاذ: أن مثل الكافر في كفره كالأعمى والأصم ومثل المؤمن في إيمانه كمثل السميع والبصير هذا بيان التفسير. وفي الإشارة الأعمى من عمي عن إبصار رشده والأصم الذي طرش بسمع قلبه فلا باستدلاله شهد سر تقديره في أفعاله، ولا بنور فراسته توسم ما وقف عليه من مكاشفات الغيب بقلبه ولا بسمع القبول استجاب لدواعي الشريعة ولا بحكم الإنصاف انقاد

لما توجب عليه من مطالبات الوقت بما يلوح بسره من تلويحات الحقيقة. وأما البصير فهو الذي يشهد أفعاله سبحانه بعلم اليقين ويشهد صفاته بعين اليقين ويشهد ذاته بحق اليقين والغائبات له حضور والمستورات له كشف، والذي يسمع فصفته أن لا يسمع هواجس النفس ولا وساوس الشيطان فيسمع من دواعي العلم شرعاً ثم من خواطر التعريف قدراً ثم يخاطب بكاشف الخطاب من الحق سراً فهؤلاء لا يستويان ولا في الطريق يلتقيان، وأنشدوا:

راحت مشرقة ورحت مغرباً فمتى التقاء مشرق ومغرب[1]

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾ [الآية 25] قال الأستاذ: كان نوح عليه السلام أطول الأنبياء عمراً وأشدهم بلاء ولكثرة نياحه على نفسه سمي نوحاً وسبب ذلك أنه مرّ بكلب فقال: ما أقبحه، فأوحى الله إليه أن اخلق أنت أحسن من هذا، فأخذ يبكي وينوح على نفسه حتى أوحى الله إليه: يا نوح كم تنوح، فإذا كان في طول عمره فعل مرة ما لم يكن مرضياً فاحتاج أن ينوح على نفسه كل تلك النياحة فكيف حال مَن لم يذكر يوماً مضى من عمره في مدة تكليفاته ولم يحصل منه فيه إلا كثيراً من زلاته[2] ﴿إِنِّي لَكُمْ﴾ [الآية 25] أي باقي. قال الزمخشري: صلة حال يعني متلبساً بالإنذار. وقال مكي: ثاني مفعول أرسلنا وعدل عن أنه التفاتاً. وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة بالكسر أي قائلاً وقال: إني لكم ﴿نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الآية 25] ناصح أبين لكم موجبات العذاب ووجه الخلاص من الحجاب.

32/أ ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الآية 26] بدل / من إني أو مفعول مبين أو إن مفسرة متعلقة بأرسلنا أو بنذير أي لا تعبدوا إلا إياه ولا تعتمدوا على ما سواه ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ [الآية 26] أي مؤلم مديم.

﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾ [الآية 27] لا

---

(1) نسب هذا البيت إلى امرىء القيس. انظر إعجاز القرآن للباقلاني (1/ 215)، وقد ذكره القشيري في تفسيره (3/ 311)، وذكر في لفظ مختلف في عجز البيت، فشتان بين مشرق ومغرب في مصادر عدة.

(2) أورده القرطبي في تفسيره (13/ 334).

مزية لك علينا في أصلنا نخصك بوجود الرسالة ووجوب الطاعة.

وأفاد الأستاذ: أنهم أنكروا له صحة النبوة لمشاكلته إياهم في الصورة ولم يعلموا أن المباينة بالسريرة ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾ [الآية 27] أخساؤنا وأسافلنا ﴿بَادِىَ ٱلرَّأْىِ﴾ [الآية 27] أي ظاهره من غير تعمق ومتبادرة من غير تحقق من البدو وأول الرأي من البدأة والباء مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها في هذه الحالة، ويؤيده أنه قرأ أبو عمرو بالهمزة وانتصابه بالظرف على حذف المضاف أي وقت حدوث بادي الرأي والعامل فيه اتبعك، وإنما استرذلوهم لذلك أو لفقرهم فإنهم لما لم يعلموا إلا ظاهراً من الحياة الدنيا كان الأحظ منها عندهم أشرف وأفضل والمحروم منها أخس وأرذل وجهلوا أن الامتياز يحصل بالمعاني لا بالمباني من استصغر أحداً ونظر بعين الحقارة إليه سلّطه الله عليه وأهلكه لديه أو على يديه ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ﴾ [الآية 27] أي لك ولا لأتباعك ﴿عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ [الآية 27] أي مزية وخصوصية توجب أهليتك للنبوة وتقتضي لأصحابك استحقاق المتابعة ﴿بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ﴾ [الآية 27] أي في دعوى النبوة وهم في دعوى العلم بصدق الرسالة فقلب المخاطب على الغائبين.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ﴾ [الآية 28] أخبروني ﴿إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى﴾ [الآية 28] أي على حجة شاهدة بصحة دعوتي ﴿وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً﴾ [الآية 28] بإعطاء البينة أو النبوة ﴿مِّنْ عِندِهِۦ﴾ [المَائدة:الآية 52] من فضله ﴿فَعُمِّيَتْ﴾ [الآية 28] أي فخفيت البينة أو النبوة أو كل واحدة أو الرحمة ﴿عَلَيْكُمْ﴾ [الآية 28] ولم يهدكم إلى ما نفعه راجع إليكم. وقرأ حمزة والكسائي وحفص بضم عين فتشديد ميم أي أخفيت ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾ [الآية 28] أي ألزمكم على الاهتداء به ﴿وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ﴾ [الآية 28] لا تختارونها ولا تتأملون فيها.

وأفاد الأستاذ: أن الصبح لا خلل في ضيائه بكون الحاضرين عمياناً
32/ب والسيف لا خلل في مضائه بكون ضاربيه صبياناً / فكيف للبشر قدرة على هداية من أضله الله وإن كان نبياً، هيهات لا ينفع مع الجاحد نصح ولا ينجع في المصر وعظ.

﴿وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾ [الآية 29] أي على إظهار البينة أو على التبليغ بقرينة المقام ولو لم يجر له ذكر في الكلام ﴿مَالًاۖ﴾ [الآية 29] جعلاً ﴿إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ﴾ [يُونس:الآية 29] لا على ما سواه فإنه المأمول منه مطلوب العبد ومتمناه.

وأفاد الأستاذ: أن سنَّة الأنبياء عليهم السلام أن لا يطلبوا على رسالتهم أجراً ولا أملوا لأنفسهم عند الخلق قدراً بل عملوا لله فلم يطلبوا شيئاً مما سواه فمن سلك من العلماء على طريقتهم حشر في زمرتهم ومن أخذ على صلاحه من أحد عوضاً أو اكتسب بسداده جاهاً لم يَرَ مِنَ الله إلا هواناً وبعداً ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ﴾ [الآية 29] جواب لهم حين سألوه طردهم ﴿إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ﴾ [الآية 29] فيخاصمون طاردهم أو إنهم يلاقونه ويفوزون بقربه فكيف أطردهم ﴿وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ﴾ [الآية 29] بلقاء ربكم أو بأقدارهم أو في التماس طردهم.

﴿وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 30] أي يدفع انتقامه عني ﴿إِن طَرَدتُّهُمۡۚ﴾ [الآية 30] عن الصحبة والمتابعة وهم بتلك الصفة والمثابة ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الآية 30] فتعرفون أن طردهم ليس من الحكمة.

قال أبو عثمان: ما أنا بمعرض عن من أقبل على الله فقد أعرض عن الله، ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: أن مجالسته الفقراء اليوم وهم جلساء الحق غداً أحرى وأجدى من مجالسته قوم من الأغنياء إلا أغنياؤهم من أهل الرد فطرد من قربة الله وأدناه يوجب لصاحبه الخزي في دنياه والعقوبة في عقباه.

﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾ [الآية 31] أي خزائن رزقه حتى جحدتم فضلي وأنكرتم قولي ﴿وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ﴾ [الآية 31] عطف على عندي أي إني أعلم الغيب حتى تكذبوني وتجرموني ﴿وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ﴾ [الآية 31] حتى تقولوا ما أنت إلا بشراً مثلنا.

وقال الأستاذ: أي لا أتعدى ولا أتخطى خطي أبلغكم ما حملت من

رسالتي ولا أنقص ما كلفت ولا أزيد فيما به أُمرت ﴿وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِيٓ أَعْيُنُكُمْ﴾ [الآية 31] في شأن من استرذلتموهم لفقرهم وعتاكم ﴿لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ
33/ أ خَيْرًاۖ﴾ [الآية 31] فإن ما أعد الله لهم في العقبى خير مما آتاكم في الدنيا / وأبقى ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمْۖ﴾ [الآية 31] من قصد الهدى أو نية الردى ﴿إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية 31] الواقعين في ظلمة الهوى إن قلت شيئاً من ذلك سدى، والأزدرى افتعال من زرى عليه إذا عابه قلبت تاؤه وإلا لتجانس الزاي في صفة الجهر وإسناده إلى الأعين للمبالغة وللإشارة إلى أنهم عابوهم بادي الرؤية من غير الرؤية لما عاينوا من رثاثة حالهم وقلة مالهم دون تأمل في معاني كمالهم، وفيه إيماء إلى ما ورد في الحديث القدسي والكلام الإلٰهي: «أوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري»[1].

﴿قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا﴾ [الآية 32] خاصمتنا ﴿فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا﴾ [الآية 32] أي أطلته في نفسه أو أتيته بأنواعه ﴿فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ [الآية 32] من العقوبة ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الآية 32] في دعوى النبوة وإخافة المخالفة فإنه لا يؤثر فينا المناظرة ولو ظهر لك المغالبة.

وقال الأستاذ: أوضح لهم البراهين فيما لو أمعنا النظر فيه أثمر لهم اليقين ولكنهم أصروا على الجحود ولم يقنعوا من الموعود بغير المشهود.

﴿قَالَ إِنَّمَا يَأۡتِيكُم بِهِ﴾ [الآية 33] أي بموعوده ﴿ٱللَّهُ إِن شَآءَ﴾ [الآية 33] عاجلاً أو آجلاً من غير وجوب عليه إلا أنه بمقتضى حكمه بوقوعه لا خلف لوعده ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ﴾ [الآية 33] لدفع العذاب أو رفع الحجاب أقرّ بالعبودية وتبرأ من الحول والقوة وأحال الأمر على المشيئية. ولقد أنصف من لو يجاوز حده في الدعوى والأنبياء عليهم السلام وإن كانوا أصحاب التحري للناس بمعجزتهم فهم معترفون بأنهم موقوفون عند حدهم ومرتبتهم.

﴿وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ﴾ [الآية 34] شرط ودليل جواب والجملة دليل جواب قوله: ﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ﴾ [الآية 34] وتقديره إن

(1) أورده الغزالي في إحياء علوم الدين (6/ 455).

كان الله يريد أن يغويكم فإن أردت أن أنصح لكم لا ينفعكم نصحي إياكم وفيه دلالة على أن إرادة الله يصح تعلقها بالإغواء وإن خلاف مراده من محال الأشياء ﴿هُوَ رَبُّكُمْ﴾ [الآية 34] أي خالقكم ومربيكم والمتصرف فيكم ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الآية 34] فيجازيكم بأعمالكم على حسب أحوالكم.

وأفاد الأستاذ: أن من لم يساعده تعريف الحق بحكم العناية لم ينفعه نصح / الخلق في النهاية. ويقال: من لم يؤهله الحق للوصال في آزاله لم ينفعه 33/ب
نصح الخلق في أحواله. ويقال: من سبق الحكم بالضلال أنى ينفعه النصح وبسطه الدلالة. ويقال: ﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْۚ﴾ [الآية 34] ومن المحال اجتماع الهداية والغواية فإذا أراد بقوم الغواية لم يصح أن يكونوا من أهل الهداية، ثم بيَّن المعنى فيه بقوله: ﴿هُوَ رَبُّكُمْ﴾ [الآية 34] ليعلم أن الرب هو من يفعل بعباده ما يشاء بحكم الربوبية أي وليس لهم إلا التسليم في مقام العبودية.

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُۖ﴾ [الآية 35] أي افترى الكذب على الله ﴿قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ﴾ [الآية 35] لا يضركم ﴿فَعَلَيَّ إِجْرَامِى﴾ [الآية 35] أي وباله وقرىء بفتح الهمزة أي أثقال أعمالي ﴿وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾ [الآية 35] أي من إجرامكم عليَّ، إنما مصدرية أو إجرامكم عليَّ إنها موصولة.

﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ﴾ [الآية 36] أي أبداً ﴿مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ [الآية 36] وهم ثمانون ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ [الآية 36] أي لا تحزن عليهم ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [الآية 36] فإنهم لما ينزل بهم مستحقون.

وقال الأستاذ: عرفه الحق أنه غني عن إيمانهم فكشف لهم أحكام ما لهم وأنهم ممن سبق لهم الحكم بشقائهم فعند ذلك دعاه بإهلاكهم.

﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الآية 37] بمرئى منا وحال حضورنا لا في غفلة عنا، والتعبير بكثرة آلة الحس الذي به يحفظ الشيء ويصان من الخلل والنقصان للمبالغة في الحفظ والصيانة على طريقة التمثيل.

وقال الواسطي: أسقط عن نفسك تدبيرك واصنع ما أنت صانع من أفعالك على مشاهدة دون مشاهدة نفسك ومشاهدة أحد من سوانا ﴿وَوَحْيِنَا﴾

[الآية 37] إليك كيف تصنعها ومتى تركبها ﴿وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۚ﴾ [الآية 37] لا تراجعني فيهم ولا تدعني باستدفاع العذاب عنهم ﴿إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ﴾ [الآية 37] محكوم عليهم بالإغراق فلا سبيل إلى كفه عنهم.

قال ذو النون: إن كنت أيدت بشيء من العناية فقد نجوت من الغواية وإلا فالدعاء والنداء لا ينقذ الغرقى.

وقال الأستاذ: أي قم بشرط العبودية في صنع السفينة بأمرنا وتحقق
34/أ بشهودنا وإن بمرأى منا ومن علم اطلاع الحق عليه / يلاحظ نظر نفسه ولا غيره إليه لا سيما وقد تحقق بأن المجري هو سبحانه. ثم قال له: راع حد الأدب فما لم يكن لك إذن منا بالشفاعة لأحد فلا تخاطبنا فيه، ويقال: سبق لهم الحكم بالغرق وأمواج بحر التقدير تتلاطم وكل بحار القدرة مغرقون إلا من أهّله الحق بحكمه فحمله في سفينة العناية. ويقال: كان قوم نوح عليه السلام من الغرقى في بحر القدرة قبل كونهم غرقى في بحر القَطْرة.

﴿وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ﴾ [الآية 38] حكاية حال ماضية بالنسبة إلى الأمم الآتية وإلا فلا صباح ضده سبحانه ولا رواح ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ﴾ [الآية 38] استهزؤوا به في عمله فإنه كان يعمل السفينة في بريته التي هي بعيدة عن الماء أوان عزته وكانوا يضحكون منه ويقولون له: صرت بحاراً بعدما كنت نبياً.

وأفاد الأستاذ: أنه لما تحقق بما أمر الله به لم يبال في إمضاء ما كلف بما سمع من الغير ونظر إلى الموعود بطرف التصديق وكان كالمشاهد له قبل الوجود ﴿قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ﴾ [الآية 38] إذا أخذكم الغرق في الدنيا والخوف في العقبى.

﴿فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ﴾ [الآية 39] في دنياهم ويعني بالموصول إياهم ﴿وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٞ مُّقِيمٌ﴾ [الآية 39] دائم في احترامهم.

قال الأستاذ: فلا طاقة لمخلوق بمقاساة تقديره إلا مَن يحمل عنه بفضله ما يحمله بحكمه.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا﴾ [الآية 40] حتى هي التي يبتدئ بعدها الكلام فلا يحتاج إلى معنى لنظام المرام ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ [الآية 40] أي نبع الماء فيه كالقدر يفور، والمراد بالتنور تنور الخبز وابتداء النبع منه على خرق العادة ولأن في الكوفة في موضع مسجد وقيل غير ذلك ﴿قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا﴾ [الآية 40] في السفينة من كل أي ﴿مِن كُلٍّ﴾ [الآية 40] نوع من الحيوانات ﴿زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ﴾ [الآية 40] ذكر وأنثى وهذا على قراءة حفص والباقون أضافوا على معنى احمل اثنين من كل زوجين أي من كل صنف ذكراً وصنف أنثى ﴿وَأَهۡلَكَ﴾ [الآية 40] عطف على زوجين عند حفص وعلى اثنين عند اليافي والمراد امرأته وبنوه ونساؤهم ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ﴾ [الآية 40] بأنه من المغرقين يريد ابنه كنعان أو يام على خلاف في اسمه وامرأته واعلة بالعين / المهملة فإنهما كانا من الكافرين ﴿وَمَنۡ ءَامَنَۚ﴾ 34/ ب [الآية 40] عطف على أهلك أي وغيرهم من المؤمنين ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ﴾ [الآية 40] من الكثيرين وكانوا تسعة وسبعين زوجته المسلمة وبنوه الثلاثة، سام أبو العرب، ويافث أبو الترك، وحام أبو السودان، واثنان وسبعون رجلاً وامرأة من غيرهم. وقد روي أنه عليه السلام اتخذ السفينة في سنتين من الساج وكان طولها ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسون وسمكها ثلاثون وجعل لها ثلاثة بطون فحمل في أسفلها الدواب والوحش وفي أعلاها الطير وفي أوسطها الإنس. قال بعضهم: السبق قيد العواقب فمن أجرى له في السبق السعادة كانت عاقبته إلى السعادة ومن أجرى له في السبق الشقاوة ختم له بالشقاوة، وألسنة الأنبياء والأولياء قاصرة على السؤال لمخالفة ما جرى في الأزل لأنه حكم القاهرية وسلطان الجبارية، ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: أن إبليس جاء إلى نوح عليه السلام وقال: احملني في السفينة، فأبى نوح عليه السلام، فقال إبليس: أما علمت أني من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم ولا مكان اليوم إلا في سفينتك، فأوحى الله إليه احمله يا نوح معك، ويقال: لم يكن لابن نوح معه مكان وهو أقرب الأحباء وأمر بحمل إبليس وهو أضعف الأعداء لأن أسرار تقدير الحق لا تجري على قياس الخلق كافة، قيل له: يا نوح إن ابنك لا تحمله والعدو فأدخله فإنه

سبحانه ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [الآية 107] من محاه وجده لم يثنه كده ومن أقصاه ربه لم يدنه نَسبه ولا حسبه ولا أبوه ولا جده ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [الآية 40] بورك فيهم فلم يدخل خلل في الكون فهلك من أهلكه منهم.

﴿وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا﴾ [الآية 41] أي في السفينة ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 41]
أي ملازمين للتسمية ومستعينين بالبسملة ﴿مَجْرِىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ [الآية 41] أي إجرائها
وإرسائها أو مكانها على المجرى والمرسى اسما الزمان أو المكان. روي أنه عليه
السلام كان إذا أراد أن تجري قال: بسم الله فجرت وإذا أراد أن ترسوا قال: بسم
الله فرست. وقرأ حمزة والكسائي وحفص مجريها بالفتح من جرى وقرأ مرسيها
35/ أ أيضاً من رسي وكلاهما يحتمل الوجهين ﴿إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ/ رَّحِيمٌ﴾ [الآية 41]
بالمؤمنين من المذنبين والمطيعين.

قال الأستاذ: عرّفه أن نجاته من القطرة لما تقاطرت ليست ما يحيل وإن تنوعت وتكاثرت فببسم الله سلامته وبتوكله على الله نجاته وراحته لا بل بتفضله سبحانه خلاصه وعافيته.

﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ﴾ [الآية 42] أي فركبوا فيها وهي تسري بهم ﴿فِى مَوْجٍ﴾ [الآية 42] من الطوفان وهو ما يرتفع من الماء عند اضطراب البحر ﴿كَٱلْجِبَالِ﴾ [الآية 42] أي كل موجة منها كجبل في تراكمها وارتفاعها والمشهور أن الماء على شوامخ الجبال خمسة عشر ذراعاً ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ﴾ [الآية 42] كنعان ﴿وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ﴾ [الآية 42] عزل فيه نفسه عن أبيه أو عن دينه مفعل للمكان من عزله عنه أبعده منه.

وأفاد الأستاذ: أنه كان في معزل عن أبيه بظاهره وكان في سر تقديره أيضاً بمعزل مما سبق لنوح وقومه من فضله ثم إنه نطق بلسان الشفقة وقال ببيان النصيحة: ﴿يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا﴾ [الآية 42] في السفينة مصاحباً لنا بالدخول في ديننا كما يدل عليه قوله: ﴿وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الآية 42] في الدين أو في الانعزال فإنهم من المغرقين.

وقال الأستاذ: لم يقل له لا تكن من الكافرين لأنه كان حاله متلبسة على

نوح عليه السلام وكان ابنه ينافقه فقيل له: يا نوح إنه مع الكافرين لأنه في سابق حكمنا من الكافرين. هذا والجمهور كسروا الياء ليدل على ياء الإضافة المحذوفة وعاصم فتح الياء هنا وحفص حيث جاء اقتصاراً على الفتح من الألف المبدلة من ياء الإضافة، وقد أدغم الياء في الميم أبو عمرو والكسائي وحفص لتقاربهما.

﴿قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعۡصِمُنِى مِنَ ٱلۡمَآءِۚ﴾ [الآية 43] يحفظني من أن يغرقني.

قال الأستاذ: أخطأ من وجهين أي الهلاك من الماء وكان من الله ورأى النجاة من الجبل وهو من الله. قلت: وكذا حال من اتكل على جبل الفعل ظناً منه أن يمنعه ويعقله عن الخلل ويأبى عن ركوب سفينة الشريعة الموضوعة على متن الطريقة الجارية بين أمواج بحر الحقيقة ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ﴾ [الآية 43] أي لكن من رحم الله عصمه أو لا معصوم إلا من رحمه.

قال الأنطاكي: لا اعتصام لأحد من خلق الله إلا بالله، / ذكره السلمي. 35/ ب
﴿وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ﴾ [الآية 43] بين نوح وابنه أو بين ابنه والجبل الذي قصده ﴿فَكَانَ﴾ [الآية 43] أي فصار ﴿مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ﴾ [الآية 43] لكونه كان في علم الله من المهلكين.

﴿وَقِيلَ يَـٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِى مَآءَكِ وَيَـٰسَمَآءُ أَقۡلِعِى وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ﴾ [الآية 44] نقص ﴿وَقُضِىَ ٱلۡأَمۡرُ﴾ [الآية 44] أي وكمل أمر إنجاز ما وعد من إنجاء المؤمنين وإهلاك الكافرين.

وقال الأستاذ: لما غرق ابن نوح سكن الموج ونضب الماء وأقلعت السماء فكأنه كان المقصود من الطوفان أن يغرق ابن نوح وهو كنعان كما قيل:

عجبت لسعي الدهر بيني وبينها ... فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر[1]

(1) هذا البيت منسوب لأبي صخر الهذلي. انظر إعجاز القرآن للباقلاني (1/ 93)، واعتلال القلوب للخرائطي (2/ 336)، ونهاية الإرب (2/ 12).

﴿وَٱسۡتَوَتۡ﴾ [الآية 44] استقرت السفينة وثبتت ﴿عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ﴾ [الآية 44] جبل بالموصل أو غيره. روي أنه ركب السفينة عاشر رجب ونزل عنها عاشر المحرم فصام ذلك اليوم فصار ستة أيام للأنام ﴿وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية 44] هلاكاً لهم.

﴿وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ﴾ [الآيـة 45] أي أراد يـراه ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ﴾ [الآية 45] لي ولغيري وقد وعدت أن تنجي بأهلي فما حاله أو فما له ينجُ، ولعل قوله سبحانه: ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ﴾ [الآية 40] كل منهما عنده أو فهم أن المراد به امرأته فقط لا سيما وقد كان ينافقه ولده كما سبق ﴿وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾ [الآية 45] لأنك أعلمهم وأعدلهم وأكثرهم حكمة.

﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ﴾ [الآيـة 46] الـذي وعـدتـه فـإنـه داخـل فـي المستثنى أو ليس من أهل دينك ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ﴾ [الآية 46] أي ذو عمل فاسد أو سمي بالمصدر مبالغة كرجل عدل. وقرأ الكسائي عمل بصيغة الماضي ونصب غير أي عمل عملاً غير صالح.

وقال الأستاذ: أي أنه ليس من أهل الوصل قسمة وإن كان من أهلك نسباً ولحمة أو إن خطابك في بابه عمل غير صالح ﴿فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ﴾ [الآية 46] أصواب هو أو غيره.

وقال الأستاذ: أي سترت عيني في حال أوليائي وأعدائي ولا يعلم غيري سر تقديري هذا. وقرأ ابن كثير بفتح اللام والنون المشددة وكذا نافع وابن عامر إلا أنهما كسرا النون كغيرهما على أن أصله تسألني فحذف نون الوقاية
36/أ لاجتماع النونان وكسرت التشديدة لمحافظة الياء ثم / حذفت بعد كسر ما قبلها للاكتفاء. وأثبت ورش وأبو عمرو في حال الوصل الياء.

﴿إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [الآية 46].

قال الأستاذ: تلطف له في الجواب بقوله: ﴿إِنِّيٓ أَعِظُكَ﴾ [الآية 46] لأنه لما لم يستجب له في ولده تدارك بحسن الخطاب قلبه. قيل: إن ابن نوح بنى من الزجاج بيتاً وقت اشتغال أبيه بالسفينة فلما ركبها نوح دخل ابنه في البيت الذي

اتخذه من الزجاج فسلط الله عليه سبحانه البول حتى أخذ يبول بما امتلأ ذلك البيت من بوله فغرق كل في ماء البحر وغرق ابن نوح في بوله ليعلم أنه لا مفر من القدر. أقول: وليعلم أن من أراد النجاة بعقله أو بفعله فهو مجنون مشحون ببوله.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ﴾ [الآية 47] أي من سؤالي عنك ﴿مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ﴾ [الآية 47] بصحته ﴿عِلۡمٌ﴾ [الآية 47] من عندك ﴿وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي﴾ [الآية 47] ما صدر عني ﴿وَتَرۡحَمۡنِيٓ﴾ [الآية 47] بتوفيق التوبة وقبولها مني ﴿أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الآية 47] أعمالاً والخائبين آمالاً.

قال الأستاذ: ونسي نوح حديث ابنه في حديث نفسه فاستعاذ بفضله أو استجار بلطفه فوجد السلامة من ربه.

﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا﴾ [الآية 48] أي انزل من السفينة مسلَّماً من المكاره من جهتنا أو مسلماً عليك من عندنا وفي كلامنا وعلى ألسنة عبادنا حتى ينقاد الجن المردة والحيوانات المؤذية عند ذكرك المقرون بسلامنا ﴿وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ﴾ [الآية 48] أي أنواع بركات حاصلة لديك وراجعة إليك أو زيادات في نسلك حتى تصير آدم ثانياً فيمن بعدك ﴿وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَۚ﴾ [الآية 48] أي وعلى أمم هم الذين معك، فمن بيانية، سموا أمماً لتحزبهم أو لتشعُّب الأمم من نسلهم أو على أمم ناشئة ممن معك فمن ابتدائية والمراد بهم المؤمنون لقوله: ﴿وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمۡ﴾ [الآية 48] أي في الدنيا بأنواع النعيم ﴿ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الآية 48] في الدنيا والعقبى.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه طهّر وجه الأرض من أعدائه وخصّ نوحاً عليه السلام بالسلامة من بلائه ومن معه من أصدقائه وأقربائه والأمم التي أخبر أنه سيمتعهم ثم يمسهم العذاب هم الذين ليسوا من أهل السعادة /بل 36/ب
إنهم من أهل الشقاوة وأصحاب الحجاب.

﴿تِلۡكَ﴾ [الآية 49] أي قصة نوح ﴿مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ﴾ [الآية 49] بعض الأخبار الغيبية ﴿نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ﴾ [الآية 49] الإنباء أو الإيحاء ﴿فَٱصۡبِرۡۖ﴾ [الآية 49] في السراء والضراء ﴿إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ﴾ [الآية 49]

الحسنى أو الموعودة بالظفر في الدنيا وبالفوز في العقبى ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الآية 49] الشرك والمعصية والغفلة عن ذكر الله بل وعن تصور ما سواه.

وقال الأستاذ: أي أعلمتك بهذه الجملة وأبنائك بهذه القصة المجملة لما خصصناك بتعرفتنا إياك من غير أن نقلته من شخص أو قرأته من كتاب فإن قابلك قومك بالتكذيب فاصبر فإنه تنقلب هذه الأمور عن قريب.

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ﴾ [الآية 50] أي وأرسلنا إلى عاد ﴿أَخَاهُمْ﴾ [الآية 50] أي واحداً منهم ﴿هُودًا﴾ [الآية 50] عطف بيان لما قبله ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ [الآية 50] وحده ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ [الآية 50] على الله في إشراك عبادة ما سواه.

﴿يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الآية 51] أي جعلاً على تبليغي ﴿إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ﴾ [الآية 51] خاطب به كل أمة رسول للأمة إزاحة للتهمة وتمحيضاً للنصيحة فإنها لا تنجع ما دامت منسوبة بالطمع ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الآية 51] أفلا تستعملون عقولكم فتعرفوا الحق من الباطل وخطأكم من صوابكم.

وقال الأستاذ: لم يأت نبي من الأنبياء الكرام عليهم السلام إلا من أخبر أنه ليس لهم في مالهم طمع ولا لهم مطالبة أجر وإن الذي يعمل معه لا يطلب الأجر من غير الله بل من عمل لله وعرف الله لم يطلب في الجملة أجراً لا من غير الله ولا من الله. قلت: لأن الأجر حاصل بفضل الله بل ليس لهم مقصود إلا الله ولا مشهود سواه.

﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ﴾ [الآية 52] أي اطلبوا مغفرته بالإيمان ﴿تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ﴾ [الآية 52] أي توسلوا إلى رحمته بالإحسان وترك العصيان أو استغفروا من الأوزار ثم توبوا إليه من الاستغفار كما قالت رابعة: استغفارنا يحتاج إلى كثير من الاستغفار[1]. وقيل: لأنه متضمن الوجود والقدرة والفعل لما سوى الله ولا حول ولا قوة إلا بالله ولذا قيل: وجودك ذنب ولا يقاس به ذنب.

(1) إحياء علوم الدين (2/ 111).

وقال الأستاذ: أي استغفروا ربكم ثم توبوا إليه بعد الاستغفار من توهمكم بأن / نجاتكم باستغفاركم بل تحققوا بأنكم لا تجدون نجاتكم إلا بفضل ربكم فبفضله وتوفيقه توصلتم إلى استغفاركم لا باستغفاركم وصلتم إلى نجاتكم ولو أنه برحمته أهّلكم للاستغفار وإلا لما وصلتم إلى توبتكم واستغفاركم وتنصلكم واعتذاركم. 37/ أ

﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ [الآية 52] أي ينزل منها المطر كثير الدر ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾ [الآية 52] أي ويضاعف قوتكم بزيادة قوتكم أو يمددكم بأموال وبنين كما في آية أخرى.

ومنهم قال الحسن بن علي رضي الله عنهما: مَن كثر استغفاره كثر نسله أي في نفسه وماله. قيل: وإنما رغَّبهم بكثرة المطر وزيادة القوة لأنهم كانوا أصحاب الزراعة والعمارة.

وأفاد الأستاذ: أن الاستغفار قرع باب الرزق والإكثار للأمطار وإذا رجع العبد إلى الله بحسن ضراعته فتح عليه أبواب رحمته ووفر عليه أسباب نعمته. وقيل: ينزل على ظواهركم أمطار النعمة وعلى ضمائركم أسرار المنَّة ويزدكم قوة تحصلون بها توسعة أنواع الرزق وقوة تحصلون بها تحسين أصناف الخلق ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا﴾ [الآية 52] لا تعرضوا عما أدعوكم ﴿مُجْرِمِينَ﴾ [الآية 52] مصرِّين على إجرامكم.

﴿قَالُوا يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ [الآية 53] بحجة تدل على صحة دعواك النبوة وذلك لفرط عنادهم وعدم اعتذارهم بما جاءهم من المعجزة.

قال الأستاذ: ما زادهم هود بسطاً لآياته وإيضاحاً لمعجزاته إلا زادهم الله عمى على عمى ولم يرزقهم بصيرة ولا هدى ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا﴾ [الآية 53] من جهة العبادة ﴿عَن قَوْلِكَ﴾ [الآية 53] أي لأجل قولك في دعوى الرسالة ﴿وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 53] إقناطاً له من التصديق والإجابة.

﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ﴾ [الآية 54] ما نقول إلا قولاً أصابك ﴿بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ﴾ [الآية 54] أي جنون سبّك إياها وصدك عنها.

قال الأستاذ: كيف يظنون أن آلهتهم مسّت أعداءهم بضر وهي لم تمسهم بخير فالأصنام لا تضرّ أعداءها ولا تنفع أولياءها ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ﴾ [الآية 54] أي الذي لا أشاهد سواه ﴿وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾ [الآية 54].

﴿مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ۝٥٥﴾ [الآية 55] أي لا تهملون ولا تؤخروا أمري وهذا كمال نعمة الله وامتناعهم عن أضراره ليس إلا بعصمته إياه / 37/ب
ولذلك عقبه بقوله: ﴿إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ﴾ [الآية 56] أي لا أعتمد على من سواه.

قال الأستاذ: أخبر أنه بموعود الله له من نصرته واثق وأنه في خلوص طاعته وصفاء معرفته صادق ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ﴾ [الآية 56] أي مالك لها وقادر عليها ومتصرفاً على ما يريد بها والأخذ بالنواصي تمثيل لذلك. قال بعضهم: كيف يكون لك محل وأنت لغيرك قيامك ولذلك قيل: من قال فقد نازع القبضة، ذكره السلمي. ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الآية 56] أي إنه على العدل القويم لا يضيع عنده معتصم ولا يفوته ظالم.

ومن تفسير «بحر الحقائق» في قوله: ﴿إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم﴾ [الآية 56] أي هو الذي يربيني على طلب الحق ويربيكم على طلب الباطل ما من دابة تدبّ في طلب الخير والشر إلا هو آخذ بناصيتها يجريها إلى النفع والضر وهي من قبضة قدرته مذلّلة له إن ربي على صراط مستقيم في إصلاح أهل الخير وإفساد حال أهل الشر. ومعناه من يطلبه فليطلبه على صراط مستقيم والشريعة على قدم الطريقة فإنه يصل إليه بالحقيقة وأيضاً يعني الصراط المستقيم هو الذي ينتهي إليه لا إلى غيره بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ ۝٤٢﴾ [النّجم:الآية 42].

﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾ [الآية 57] أصله تولوا ولذا قرأ البزي بتشديد التاء وصلاً فإن تعرضوا عما نفعه عائد إليكم ﴿فَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦٓ إِلَيۡكُمۡۚ﴾ [الآية 57] فلا تقصير مني ولا عذر لكم عني ﴿وَيَسۡتَخۡلِفُ رَبِّي﴾ [الآية 57] في دياركم وأموالكم ﴿قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ﴾ [الآية 57] ثم لا يكونوا أمثالكم بل يكونون أطوع منكم مع أن فناءكم وبقاءكم مستويان عند ربكم إذ الحق سبحانه بوجود الأعيان لا يلحقه زين

وبفقدهم لا يمسهم شين فلا فرق إن وحدوا وعبدوا أو جحدوا وألحدوا ﴿وَيَسْتَخْلِفُ﴾ [الآية 57] مستأنف عطف على الجواب بالفاء ويؤيده القراءة الشاذة بالجزم على المحل ولا تقرونه شيئاً من الضرر ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ [الآية 57] رقيب ومطّلع فلا تخفى عليه أعمالكم ولا يغفل عن مجازاتكم وفق أحوالكم.

﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ [الآية 58] بالعذاب أو عذابنا المأمور من عندنا ﴿نَجَّيْنَا هُودًا 38/أ
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ [الآية 58] وكانوا أربعة آلاف/.

قال الأستاذ: لم يقل باستحقاقه النجاة بوسيلة نبوته أو لحشمة طاعته ورسالته بل قال ﴿بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾ [الآية 58] ليعلم الكل أن الأنبياء عليهم السلام ومَن دونهم عتيق برحمته وغريق منته لا استحقاق لأحد ولا واجب على الله لبشر. قلت: ويدل عليه حديث البخاري وغيره: لن ينجو أحد منكم بعمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله، قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته[1] ﴿وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [الآية 58] تذكير لبيان ما نجي منه وهو السموم كانت تدخل أنوف الكفرة فتقطع أمعاءهم وتخرج من أدبارهم. أو المراد به ننجيهم أيضاً من عذاب الأخرى والتعريض بأن المهلكين كما عذبوا في الدنيا فهم معذبون بالعقبى.

﴿وَتِلْكَ عَادٌ﴾ [الآية 59] أي تلك القبيلة ﴿جَحَدُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ [الآية 59] كفروا بها وأعرضوا عنها ﴿وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ﴾ [الآية 59] الذين أظهروها ومن عصى رسولاً فقد عصى الرُّسل لأنهم أمروا بطاعة الكل ﴿وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [الآية 59] أي متكبِّر معاند، والمعنى عصوا من دعاهم إلى الإيمان وما ينجيهم وأطاعوا من دلّهم على الكفران وما يرديهم.

وأفاد الأستاذ: أن إنزال قصتهم تسلية للرسول ﷺ فيما كان يقاسيه من البلاء وتقوية للمؤمنين فيما ندبوا إليه من حسن الرجاء فالعدة في تبديل ما كانوا يلقونه من الشدة بالرخاء.

---

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (6463)، ومسلم في الصحيح (2816/ 71).

﴿وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الآية 60] أي جعلت اللعنة تابعة لهم في الدنيا والآخرة فهم في محنة الفرقة وعقوبة الحرقة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أخبر أنهم خسروا في الدنيا والعقبى أما هذه الدنيا فالاستئصال بألم الشدة ثم ما أتبعوا به من اللعنة، ثم ما يلقونه في الآخرة من تأبيد الشقوة وبقاؤهم عن الرحمة أصعب من صنوف كل تلك المحنة، كما قيل:

من ابتغى عوضاً لسلمى فلم يجد[1] تبدلت وتبدلنا واحسرتا

﴿أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ﴾ [الآية 60] أي جحدوا ربوبيته أو كفروا نعمته ﴿أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ﴾ [الآية 60] دعاء عليهم بالإبعاد، وكرر ألا، وذكر أرباب البلاء تعظيماً لأمر مآلهم وتخييباً على الاعتبار بحالهم ﴿قَوْمِ هُودٍ﴾ [الآية 60] عطف بيان لتبيين أنهم عاد/ الأولى دون عاد الثانية وهي عاد إرم والله أعلم. وقيل: 38/ب
ينادى يوم القيامة بقوله: ﴿أَلَآ إِنَّ عَادًا﴾ [الآية 60]... إلى آخر الآية.

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 61] هو كوَّنكم منها وكفكم فيها لا غيره فإنه خلقهم من آدم وآدم خلق منها. ومراد الفطن الذي خلق نسله أيضاً منها والمراد منها التراب هنا أو التقدير من ترابها ﴿وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [الآية 61] أعمركم فيها، فاستعمر بمعنى أعمر كاستهلك بمعنى أهلك أو أقدركم على عمارتها.

وعن الضحاك أطال عمركم فيها فإن الواحد كان يعيش ثلاثمائة إلى ألف سنة ﴿فَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾ [الآية 61] لما مضى ﴿ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾ [الآية 61] فيما بقي يسمع كلام مناجيه ﴿إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [الآية 61] من مرام راجيه.

﴿قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا﴾ [الآية 62] أي بيننا ﴿مَرْجُوًّا﴾ [الآية 62] فيك الخير لنا والرشاد والصلاح فيما بين العناء من ﴿قَبْلَ﴾ [الآية 62] فلما سمعنا هذا القول منك انقطع رجاؤنا عنك ﴿أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا

(1) هذا البيت منسوب لأبي محمد الجوهري. انظر تاريخ دمشق (37/ 288)، وتفسير القشيري (3/ 63).

﴿تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ﴾ [الآية 62] من توحيد الله والتبريء عن ما سواه ﴿مُرِيبٖ﴾ [الآية 62] موقع في الريبة وموجب للشبهة.

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ﴾ [الآية 63] أي فرضاً وتقديراً ﴿عَلَىٰ بَيِّنَةٖ﴾ [الآية 63] بيان وبصيرة أو حجة ومعجزة ﴿مِّن رَّبِّي﴾ [الآية 63] من عنده ولطفه ﴿وَءَاتَىٰنِي مِنۡهُ رَحۡمَةٗ﴾ [الآية 63] أي نبوّة من فضله ﴿فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 63] من يمنعني من عذابه ﴿إِنۡ عَصَيۡتُهُۥ﴾ [الآية 63] في تبليغ المنع عن إشراكه ﴿فَمَا تَزِيدُونَنِي﴾ [الآية 63] حينئذ باستتباعكم ﴿غَيۡرَ تَخۡسِيرٖ﴾ [الآية 63] غير أن تخسرون بإبطال ما منحني الله به.

﴿وَيَٰقَوۡمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗ﴾ [الآية 64] نصبها على الحالية وعاملها معنى الإشارة ولكم حال منها تقدمت عليها لتنكيرها ﴿فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ﴾ [الآية 64] فاتركوها ترعى نباتها وتشرب ماؤها ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ﴾ [الآية 64] بما يسوؤها ﴿فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٞ قَرِيبٞ﴾ [الآية 64] عاجل لا يتراخى عن مسّكم بالسوء لها إلا يسيراً وهو ثلاثة أيام ولياليها.

﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ﴾ [الآية 65] عيشوا في منازلكم السفلى أو في داركم الدنيا ﴿ثَلَٰثَةَ أَيَّامٖ﴾ [الآية 65] الأربعاء والخميس والجمعة ثم العقوبة ﴿ذَٰلِكَ وَعۡدٌ/ غَيۡرُ مَكۡذُوبٖ﴾ [الآية 65] أي غير كذاب أو غير مكذوب فيه لأن 39/أ
وقوعه بالنقد في الحال لا بالوعد في المآل.

﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا صَٰلِحٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا﴾ [الآية 66] كما قدمناه ﴿وَمِنۡ خِزۡيِ يَوۡمِئِذٍۚ﴾ [الآية 66] أي ونجيناهم من خزي يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة أو ذلّهم وفضيحتهم يوم القيامة. وقرأ نافع يومئذ بالفتح على اكتساب المضاف إلينا من المضاف إليه ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡقَوِيُّ﴾ [الآية 66] القادر على إمضاء حكمه ﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾ [الآية 66] الغالب على أمره.

﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الآية 67] أي هالكين.

﴿كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ﴾ [الآية 68] لم يقيموا فيها سالمين ﴿أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ

﴿كَفَرُواْ رَبَّهُمْۗ﴾ [الآية 68] قرأ حفص وحمزة بمنع صرفه للعلمية وتأنيث القبلية والباقون بالتنوين باعتبار الحي ﴿أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾ [الآية 68] نوّنه الكسائي وحده.

﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ﴾ [الآية 69] أي الملائكة وكانوا تسعة أو ثلاثة: جبريل وميكائيل وإسرافيل ﴿إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ﴾ [الآية 69] ببشارة الولد، وقيل: بهلاك قوم لوط أو بأن نسبة الخلة ثابتة وأنها لا تنقطع. وقيل بخروج محمد ﷺ من نسله، ذكره السلمي. وقيل: كانت البشارة بإسحاق وببقائه حتى يولد له ولد لقوله: ﴿وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [الآية 71] يعني من نسله ذكره الأستاذ، ولا منع مع الجمع في مقام المراد. ﴿قَالُواْ سَلَٰمًاۖ﴾ [الآية 69] سلمنا عليك سلاماً أو اذكروا ﴿قَالَ سَلَٰمٌۖ﴾ [الآية 69] أمركم سلام وجوابي سلام أو عليكم سلام رفعه في إجابتهم ليكون أحسن من تحيتهم. وقرأ حمزة والكسائي قال سلم بالكسر والسكون وهما لغتان.

قال ابن عطاء: قالوا لك رتبة الخلّة السالمة من الذلّة قال سلام أي هذا السلام الذي يوجب السلامة من السلام.

وقال الترمذي: كان الملائكة قصدوا إهلاك قوم لوط فلما رآهم الخليل عليه السلام فزع منهم فقالوا سلاماً أي قد سلمت أنت وأهلك من قصدنا بالإهلاك فقال: سلام، أي الحمد لله الذي أمّنني وأهلي من الهلاك.

وأفاد الأستاذ: أن تلك البشارة هو قولهم سلاماً وإن ذلك كان من الله
39/ب وأي بشارة أتم من سلام الخليل/ على الخليل، وأن صباحاً يكون مفتتحاً بسلام الحبيب فصباح مبارك وهذا إذا كان مساء.

﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ [الآية 69] أي مشوي وسمين لآية أخرى، والمعنى فما أبطأ بجيبه، وفيه إشارة إلى أنه إذا أنزل الضيف يحبب المبادرة إلى تقديم السفرة.

﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ﴾ [الآية 70] لأن الامتناع من أكل ما تقدم إلى الضيف معدود من الجفاء في مذهب أرباب الوفاء.

قال جعفر الصادق: مَن لم يتناول طعام الفقراء فقد أظهر الكبرياء، ذكره السلمي. ﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ [الآية 70] أي أدرك من جهتهم مخافة أو أضمر من أجلهم خشية كما هو من لوازم البشرية أو خاف خوف الرحمة والخشية على الأمة، ويشير إليه قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾ [الآية 70].

﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ﴾ [الآية 71] على رؤوسهم للخدمة أو وراء الستارة تسمع المحاورة ﴿فَضَحِكَتْ﴾ [الآية 71] سروراً بزوال الخيفة ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [الآية 71] نصبه ابن عامر وحمزة وحفص بفعل يفسره ما دل عليه الكلام، وتقديره ووهبناها من وراء إسحاق يعقوب ورفعه الباقون على أنه مبتدأ خبره الظرف أي ويعقوب مولود من هذه يعقبه من صلبه.

﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَى﴾ [الآية 72] أصل من التشرف أطلق في كل أمر فظيع أي يا عجباً ﴿أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ﴾ [الآية 72] ابنة تسع وتسعين ﴿وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ [الآية 72] ابن مائة وعشرين، ونصبه على الحالية والعامل فيها معنى الإشارة ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ [الآية 72] وأمر غريب وهو استعجاب من حيث العادة لأنه من جهة القدرة.

وإليه الإشارة بقوله: ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ [الآية 73] بالهمزة الإنكارية فإن خوارق العادة باعتبار أهل بيت النبوة ومهبط المعجزات وتخصيصهم بمزيد النعم والكرامات ليس مما يستغربه عاقلاً فضلاً عمن نشأت وشابت في ملاحظة الآيات، ونصب أهل البيت على المدح أو النداء ﴿إِنَّهُ حَمِيدٌ﴾ [الآية 73] محمود بذاته وحامد لصفاته ﴿مَجِيدٌ﴾ [الآية 73] كريم بإظهار مصنوعاته.

40/أ ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ﴾ [الآية 74] أي ما/ أوجس من الخيفة واطمأن قلبه بالمعرفة ﴿وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى﴾ [الآية 74] أي بعد المخافة ﴿يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾ [الآية 74] أي يجادل رسلنا في شأنهم ويجادلنه أيام قوله إن فيها لوطاً، وهو جواب لما جيء بالصيغة المضارعة على حكاية الحال الماضية. وقال: لما كان مراجعته مع الله في حق لوط عليه السلام بحق الله لا لحظ نفسه سلم لهم

الجدال، وهذا يدل على علو شأنه حيث سومح له في هذا الحال.

﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ﴾ [الآية 75] غير متعجل على الانتقام ﴿أَوَّٰهٌ﴾ [الآية 75] كثير التأوُّه من الآثام والتأسُّف على الأنام ﴿مُّنِيبٌ﴾ [الآية 75] راجع إلى ربه في جميع الليالي والأيام، وفيه إيماء إلى أن رقّة قلبه وفرط مرحمته حملته على مجادلته لأنه حق؛ غير حق أنه كان يقابل ما يرد على ماله ونفسه وولده باحتمال حمله.

﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾ [الآية 76] أي أوحى إليه ونودي به، أو قالت الملائكة له ﴿أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ﴾ [الآية 76] الجدال أو عن هذا الحال أو توقع المحال ﴿إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ [الآية 76] بعدائهم على وفق تقديره المحتم بمقتضى قضائه المبرم ﴿وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ [الآية 72] غير مصروف بجدال ولا دعاء فإن الحكم بعذابهم قد نزل ووقت الانتقام منهم قد حصل.

﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ﴾ [الآية 77] ساعة مجيئهم لأنهم جاؤوا في صورة غلمان فظن أنهم ناس ضيفان فخاف أن يقصدهم قومه فيعجز عن دفعهم بنفسه ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ [الآية 77] صدراً وهو كناية عن شدة انقباض الحالة للعجز عن المدافعة ﴿وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ [الآية 77] شديد مأخوذ من العصبية أو العصابة.

قال الأستاذ: مقاساة الحزن بحق الله محمود ولذا حمده المعبود.

﴿وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾ [الآية 78] يسرعون إليه كأنهم يدفعون عليه لطلب الفاحشة من النازلين للضيافة لديه ﴿وَمِن قَبْلُ﴾ [الآية 78] تخيل تلك الحالة ﴿كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الآية 78] أنواع الفاحشة فتمرنوا بها ولم يستحيوا منها حتى جاؤوا مهاجرين لها ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى﴾ [الآية 78] أراد نسائهم فإن كل نبي أبو أمته من حيث شفقته وحسن تربيته. ففي قراءة ابن مسعود: وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم أو هؤلاء بناتي تزوجوهن وكانوا يطلبوهن ولا يجيبهم لخيانتهم وعدم كفاءتهم فقد أمَّنَ أضيافه / كرامة وحمية لمراعاتهم. 40/ب

قال الأستاذ: ألقى جلباب الحشمة وآثر حق الله ما هو مقتضى البشرية فلم يراهم حق الكفاءة بعدما كان فيه ترك المعصية ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ [الآية 78]

أنطق فعلاً وأفعل المبالغة نحو كمال الطهارة لقولهم: العسل أحلى من الخل، والمعنى أنهن في غاية من الطهارة والحلية لأجلكم ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [الآية 78] في مخالفة أمري ﴿وَلَا تُخْزُونِ﴾ [الآية 78] لا تفضحوني ﴿فِي ضَيْفِيٓ﴾ [الآية 78] في شأنهم أو لأجلهم فإن إخزاءهم من إخزائي ﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ [الآية 78] يهتدي إلى سبيل سديد.

﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾ [الآية 79] حاجة ولا ميل إلى النسوان ﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ [الآية 79] من إتيان الذكران.

قال الأستاذ: أصروا على صبيانهم واستمروا على طغيانهم وزهدوا في المأذون لهم شرعاً وانجروا على ما قادهم الهوى إليه طبعاً وهذه صفة البهائم لا يردعها عقل قائم، انتهى.

وقال جنيد: سمعت السري يقول: رأيت ربّ العزَّة في المنام فقال لي: يا سري خلقت الخلق وخلقت الدنيا فذهب مع الدنيا تسعة أعشار الخلق وبقي معي عشر منهم، ثم خلقت الجنة فذهب مع الجنة تسعة أعشارهم وبقي معي منهم العشر، ثم سلطت عليهم البلاء ففر من البلاء تسعة أعشار ما بقي وبقي معي عشر العشر، فقلت: ماذا تريدون لا الدنيا أردتم ولا الجنة طلبتم ولا من البلاء فررتم، فأجابوني وقالوا: إنك لتعلم ما نريد، ذكره السلمي.

فانظر إلى اختلاف المرادين وفرق المريدين من الفريقين في فلول واحد وإنك لتعلم ما تريد وقد نودي أبو يزيد وقيل له: ما تريد، فقال: أريد أن لا أريد، فقال بعض أرباب المريد: هذا أيضاً إرادة غير لائقة من العبيد فإنه سبحانه هو المريد. ولله در القائل:

أريد وصاله ويريد هجري   فأترك ما أريد لما يريد[1]

﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً﴾ [الآية 80] لو قويت بنفسي على دفعكم ﴿أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [الآية 80] أي إلى قوي أتمنع به عنكم شبهه بركن الجبل في

(1) هذا البيت منسوب لابن المنجم الواعظ المعري. انظر فوات الوفيات (2/ 301) والوافي بالوفيات (6/ 105).

شدته وثباته في مرتبته، وجواب لو محذوف تقديره لدفعتكم، أو لو للتمني.

41/أ وقال / ابن عطاء: لو أن المعرفة بيدي لأوصلتها إليكم، ذكره السلمي.

وقال الأستاذ: لو أن لي بكم قوة لمنعتكم عن ارتكاب المعصية وإن أهم الأشياء على الأولياء أن لا يجري من الخلق ما ليس فيه رضا الحق، انتهى. وعن النبي ﷺ: «رحم الله أخي لوطاً كان يأوي إلى ركن شديد»(1)، في الحقيقة نصرة الله ومعونته فكان النبي ﷺ استغرب من لوط عليه السلام قوله: ﴿أَوْ ءَاوِىٓ﴾ [الآية 80] وعده نادر إذ لا يمكن أشد من الركن الذي كان يأوي إليه ويعتمد عليه. وروي أنه أغلق بابه دون أضيافه وأخذ يجادلهم من وراء بابه فتسوروا جدار سطحه.

فلما رأت الملائكة ما على لوط من اضطرابه ﴿قَالُوا۟ يَـٰلُوطُ﴾ [الآية 81] إن ركنك لشديد ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ﴾ [الآية 81] أي إضرارك بإضرارنا فهوّن عليك ودعنا وإياهم فخلاهم فضرب جبريل بجناحه وجوههم فطمس أعينهم وأعماهم فخرجوا يقولون: النجاة النجاة فإن في بيت لوط سحرة ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ [الآية 81] القطع من الإسرار وقرأ نافع وابن كثير بالوصل حيث جاء في القرآن من السري وهو السير بالليل ﴿بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ [الآية 81] بطائفة منه وفيه تجريد أو تأكيد ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ﴾ [الآية 81] أي لا يتخلف ﴿مِنكُمْ أَحَدٌ﴾ [الآية 81] والنهي في اللفظ لأحد وفي المعنى للوط ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ﴾ [الآية 81] استثناء من قوله: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ [الآية 81] ويدل عليه أنه قرىء فأسر بأهلك بقطع من الليل ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ﴾ [الآية 81] وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالرفع على البدل من أحد والظاهر أنه استثناء منقطع فيها أي لكن امرأتك لا تسر بها وإنها تسير بنفسها وتلتفت إلى ما وراءها لميلها إليهم ﴿إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ﴾ [الآية 81] لمشاركتها في المعصية معهم ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ﴾ [الآية 81] كأنه عليه الأمر بالإسراء ﴿أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ [الآية 81] كأنه جواب لوط في الاستبطاء. حكي عن السري أنه قال: قلوب الأحرار لا تحتمل الانتظار. وقال بعضهم: انتظار ما هو

(1) انظر تخريج الأحاديث والآثار للزيلعي (2/ 147) رقم (613).

كائن قريب خصوصاً إذا كان ذلك من قائل صدق وموعد حق.

وقال الأستاذ: لما ضاق به الأمر كشف الله عنه الضر فتعرّف إليه الملائكة فقالوا: لا عليك فإنهم / لا يصلون إلينا بسوء ولا إليك وإنَّا رسل 41/ ب
ربك جئنا بإهلاكهم فاخرج أنت وأهلك من بينهم واعلم أن من شاركهم في عملهم بنوع قلة من العذاب خصه معهم ومن جملتهم امرأتك التي كانت تدل القوم على تلك الفعلة الفاحشة وأن العقوبة لاحقة بها مدركة لها فإن الجسارة على الزلّة وخيم العاقبة ولا ينفع الاتصال بالأنبياء والأولياء إذا كان في الحكم والقصة من جملة الأشقياء.

﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ [الآية 82] عذابنا أو أمرنا به ﴿جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا﴾ [الآية 82] فقد روي أن جبريل عليه السلام أدخل جناحه تحت مدائنهم ورفعها إلى السماء حتى سمع أهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا﴾ [الآية 82] على الدنيا وأهلها أو على شذاذها ﴿حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ [الآية 82] من طين متحجر لقوله في آية أخرى: ﴿حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾ [الذّاريات:الآية 33] وأصله سكن كل معذّب ﴿مَّنضُودٍ﴾ [الآية 82] نضد معداً لعذابهم.

﴿مُّسَوَّمَةً﴾ [الآية 83] معلّمة لعقابهم أو معلَّمة باسم من يرمى بها ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ [الآية 83] في خزائنه وحكم قضائه ﴿وَمَا هِيَ﴾ [الآية 83] أي تلك العقوبة أو الحجارة ﴿مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [الآية 83] فإنهم بظلمهم حقيق بأن يمطر عليهم، وفيه وعيد لكل ظالم.

وفي تفسير السلمي: الظالم من وضع ما أمر غيره موضعه. قلت: فالظالم من وضع في قلبه غير محبة الله واعتمد في حال على من سواه، وعنه ﷺ: «أنه سأل جبريل عليه السلام فقال: يعني ظالمي أمتك ما من ظالم منهم إلا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة إلى ساعة»[1].

(1) انظر تخريج الأحاديث والآثار للزيلعي (2/ 148) رقم (614).

وفي تفسير السلمي: لما أدركهم الحكم السابق الجاري في الأزل قلبنا لهم أرضهم كما حكمنا عليهم بتقليب قلوبهم وصرفهم عن طريق الحق وسبيل الصدق.

وأفاد الأستاذ: أنه سنَّة الله في عباده قلب الأحوال عليهم والانقلاب من سمات الحدوث والذي لا يزول ولا يحول فهو الذي لم يزل ولا يزال بنعوته الصمدية وإن من عاش في السرور دهراً ثم بدله بعسره عسراً فكمن لا يرى قط خيراً والذي قاسى طول عمره ضراً ثم أعطي يسراً فكمن لم ير عسراً ولذا
42/أ قيل: أي محنة آخرها الجنة وأي نعمة آخرها / النار، قال الله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام:الآية 110].

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [الآية 84] أراد أولاد مدين ابن إبراهيم عليه السلام أو أهل مدين وهو بلد بناه فسمي باسمه ﴿قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ﴾ [الآية 84] المعروفين نفسهما أو أحدهما ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ﴾ [الآية 84] بسعة تقيكم عن النجس الذي هو غاية الخسة ﴿وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ [الآية 84] لا ينفذ منه أحد منكم والمراد عذاب الاستئصال في الدنيا أو عقاب العقبى وإضافة العذاب إلى اليوم ظرفية ونسبة الإحاطة إلى اليوم مجازية. قال بعضهم: أقرب حالك إلى الاستدراج أيام الأمن والدعة وزمان تواتر النعمة. وقال بعضهم: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ﴾ [الآية 84] بسعة وإني أخاف عليكم بتقصيركم شكر النعمة. ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أخبر عن قصتهم وما أصابهم من العذاب الأليم والبلاء العظيم وفي الظاهر إجرامهم كانت يسيرة ولعل العوام يرون أمثالها صغيرة ولا يقولون إنها كبيرة إذ ذاك تطفيف في المكيال وليس لذلك كثير أثر في نقص المال وليس قدر الإجرام لأعيانها ولكن بمخالفة الجبار حيث عظّم شأنها كما قال الله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور:الآية 15].

قلت: ولهذا المعنى قيل: ليس في الذنوب من صغيرة. وقيل: احتقار كل صغيرة، كبيرة.

﴿وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ﴾ [الآية 85] صرح الأمر بالإبقاء بعد النهي عن ضده مبالغة في الاعتبار وتشبيهاً على أنه لا يكفيهم الكف عن نعمة طلب اللطف بل يلزمهم السعي في الإبقاء ولو بزيادة لا يتأتى دونها ولا يتصور بغيرها، أو المراد بالأول نقص أنفسهما وبالثاني بخس ما فيهما بالعدل، أي بالسوية من غير النقصان والزيادة فإن الزيادة فضل وهو مندوب غير مأمور به وقد يكون محظوراً كما في بيع مثله بمثله ﴿وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ﴾ [الآية 85] تفهيم بعد تخصيص فإنه أعم من أن يكون في المكيل والموزون أو غيرهما كالمعدود والمزروع / ونحوهما، وكذا قوله ﴿وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾ [البَقَرَة:الآية 60] فإن العثو يعم تنقيص الحقوق وغيره من أنواع الفساد. 42/ب
وقيل: المراد بالبخس أحد العشور من المعاملات المسمى بالمكس والعَسْو السرقة الكبرى والصغرى والغارة وفائدة الحال إخراج ما يقصد به إصلاح المال كما فعله الخضر عليه السلام. وقيل معناه: لا تعثوا في الأرض مفسدين أمور دنياكم ومصالح أخراكم.

﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ﴾ [الآية 86] ما أبقاه من مال حال لكم بعد الفترة عما حرم عليكم ﴿خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ [الآية 86] مما تجمعون بالتطفيف ونحوه من أعمالكم ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ﴾ [الآية 86] مصدِّقين لي في تضمني لكم ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ﴾ [الآية 86] أحفظكم عن قبائحكم أو أحفظ عليكم أعمالكم وعليها أجازيكم وإنما أنا نذير وقد اعتذرت حين أنذرت. وقال بعضهم: ما ادخره الله من الكرامات خير لكم مما تسألونه من المرادات أن كنتم مؤمنين إن اختيار الحق لعبده خير من اختياره لنفسه، ذكره السلمي.

وقال الأستاذ: يعني القليل من الحلال أجدى من الكثير المعقب للوبال فلم يقابلوه نصيحته لهم إلا بالعنود وبالتمادي بما هو دأبهم من الجحود.

﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ﴾ [الآية 87] من الأصنام والأنداد، وقرأ حمزة والكسائي وحفص: صلاتك بالإفراد، والمعنى أصلاتك تأمرك بتكليف أن تترك، فحذف المضاف للعلم بأن الرجل لا يأمر

بالفعل غيره وتركه ﴿أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ۖ﴾ [الآية 87] عطف على مرادي أو أن نترك فعلنا ما نشاء في أموالنا من تقطيع الدراهم والدنانير ونحو ذلك ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ [الآية 87] تهكموا به وقصدوا وصفه بضده كما تهكموا بصلاته الزائدة على سائر عباداته.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى﴾ [الآية 88] أي معرفة وحكمة ونبوَّة من فضل ربي ﴿وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًاۚ﴾ [الآية 88] من المال الحلال من عنده وكرمه بلا كد مني في تحصيله أو في حصول أصله فذر ما يكفيني وعن أمثالكم يغنيني. وجواب الشرط محذوف تقديره: فهل يسع لي مع هذا الإنعام
43/أ الكلي الجامع للسعادات الروحانية / والجسمانية أن أخونه في وحيه وأخالفه في أمره وغيبه وهو اعتذار عما أنكروا عليه من تغيير المألوف من النهي عن المنكر والأمر بالمعروف.

وأفاد الأستاذ: أن البينة نور يستبصر به ما خفي على من هو تحت خطر الغفلة والرزق الحسن ما به دوام الاستقلال وما ذلك إلا بمقتضى عنايته الأزلية وحسن تولية شأنه في جميع ما فيه خلاصه من إتمام النعمة ودوام العصمة. ويقال: الرزق الحسن ما كفي لصاحبه كد طلبه ولم يصبه نصب بسببه أو هو ما هو غير مرتقب ولا محتسب ولا مكتسب فيصل إليه بلا تعب أو هو ما يستوفيه شهود الرزق ويختطفه من النعم بوجود الإرفاق، أو هو ما لا يشاء الرزاق ويحمل صاحبه على التوسعة في الإنفاق.

﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُۚ﴾ [الآية 88] أي ما أريد أن آتي إلى ما أنهاكم عنه لا يستبد به فلو كان صواباً لآثرته ولم أعرض عنه فضلاً عن أن أنهى عنه.

قال أبو عثمان: ليس بواعظ مَن كان واعظاً دون عمله.

وقال الأستاذ: لا يمكن للناصح أن يساعد المأمور في كل ما يأمره به ولكن يجب أن لا يحول حول ما يتمناه عنه فإن الإتيان بجميع الطاعات غير ممكن والتجرد عن جميع المأزورات واجب، ويقال: مَن لم يكن له حكم على نفسه في

المنع عن الهوى لم يمض له حكم على غيره فيما يرشده إليه من الهدى ﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ﴾ [الآية 88] ما أريد إلا أن أصلحكم بأمري بالمعروف ونهيي عن المنكر ما دمت أستطيع إصلاحكم ﴿وَمَا تَوۡفِيقِيٓ﴾ [الآية 88] التوفيق جعل الأسباب متوافقة أي وما يكون موافقاً لإصابة الحق وسلوك صوب صواب الصدق ﴿إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ [الآية 88] أي إلا بهدايته ومعرفته. قيل: مرادي إصلاحكم إن ساءكم التوفيق وما توفيقي إلا بالله في التحقيق. وقيل: التوفيق حسن عناية من الحق سبق إلى بعض الخلق ليس فيه سبب ولا منه مطلب.

وأفاد الأستاذ: أن حقيقة التوفيق ما يتفق به الشيء وفي الشريعة التوفيق ما يتفق به الطاعة وهو قدرة الطاعة ثم كل ما يقرب العبد من الطاعة من توفير الدواعي وفنون التنبيهات يعد من جملة التوفيق على التوسع والاستفادة والتوفيق بالله / ومن الله وهو سبحانه متفضِّل بإعطائه ﴿عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ﴾ 43/ ب
[الآية 88] فإنه القادر على كل شيء وما عداه عاجز في حذف أنه بل معدوم ساقط عن درجة اعتباره. وفيه إشارة إلى محض التوحيد الذي هو أنضر مراتب العلم ﴿وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ [الآية 88] إيماء إلى معرفة المعاد.

وأفاد الأستاذ: أن التوكل تفويض الأمر إلى الله وأمارته ترك التدبير بشهود التقدير والثقة بالوعود عند عدم الموجود وتبين ذلك بانتفاء الاضطراب عند عدم الأسباب. ويقال: التوكل سكون القلب بمضمون الرب.

﴿وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ﴾ [الآية 89] لا يسيئكم ﴿شِقَاقِيٓ﴾ [الآية 89] مخالفتي ومعاداتي ﴿أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ﴾ [الآية 89] من الغرق ﴿أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ﴾ [الآية 89] من الريح ﴿أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ﴾ [الآية 89] من الرجفة ﴿وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ﴾ [الآية 89] زماناً ومكاناً فإن لم تعتبروا بمن قبلكم فاعتبروا بهم، وإفراد بعيد للفظ قوم أو أريد إهلاكهم على تقدير مضاف.

﴿وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ﴾ [الآية 90] استعينوا بالمغفرة والإيمان والمعرفة ﴿ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ﴾ [الآية 90] عما أنتم عليه بتجديد التوبة في كل لمحة عن الغفلة.

وأفاد الأستاذ: إن الاستغفار هو التوبة فالمعنى توبوا إليه ثم داوموا عليه

فإنه إذا لم يتصل وفاء المآل بصفاء الحال ولم يحصل القبول وكأن لم يكن لما سلف حصول ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ﴾ [الآية 90] عظيم الرحمة لأهل التوبة ﴿وَدُودٌ﴾ [الآية 90] لأرباب المودة وأصحاب المحبة. والمعنى فاعل بهم من لطفه وإحسانه ما يفعل البليغ المودة بمن يودّه من أهله وجيرانه.

وقال الأستاذ: يرحم العصاة لأنه يودهم، ويقال: يرحمهم ولذلك يودونه والودود يكون بمعنى المودود كالحلوب بمعنى المحلوب، والرحمة تكون لصاحب المعصية فإن المطيع يستحق المثوبة على الطاعة ثم ليس كل من يحب السلطان في محل الأكابر فإن من الجند أصاغرهم قد يحبون الملك على إضعافهم. وأنشدوا:

ألا رُبَّ مَن يدنو ويزعم أنه يودّك والنائي أودّ وأقرب[1]

قلت: ونظيره قوم في صحن الحرم بوصف الغيبة عن الرب وجميع في تيه اليمن تبعت الحضور بحسب القلب.

44/أ ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ﴾ [الآية 91] / أي ما نفهم صحة ما تقول من وجوب التوحيد وحرمة البخس ونحوهما وما ذكرت دليلاً عليهما وذلك لقصور عقلهم وعدم تفكرهم وإلا فكيف لا يفهم كلامه وهو خطيب الأنبياء وناصح الأذكياء ﴿وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ﴾ [الآية 91] أي مهيناً لا عز لك فينا. وقيل: قليل العقل بمصالح الدنيا، ذكره السلمي ﴿وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ﴾ [الآية 91] أي عزَّة قومك عندنا لكونهم على ملتنا ﴿لَرَجَمۡنَٰكَۖ﴾ [الآية 91] لقتلناك برمي الأحجار ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ﴾ [الآية 91] فتمنعنا عزتك عن رجمنا إياك وهذا دأب السفيه البليد يقابل الحجج بالسب والتهديد.

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّاۖ﴾ [الآية 92] أي جمعتموه بالمنسي المنبوذ وراء الظهر بإشراككم به وإهانتكم برسوله فلا تبقون عليّ لله وتراعون جانب من سواه، والهمزة للتوبيخ وظهري منسوب إلى

(1) نسبه أبو بكر بن طاهر الأبهري إلى رجل يودع الكعبة. انظر طبقات الصوفية (1/ 109) رقم (12).

الظهر وظهر بالكسر من تغيير النسب ﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [الآية 92] فلا يخفى عليه شيء منها فيجازيهم عليها بحسب مراتبهم فيها.

قال الأستاذ: إن ربي يكافئكم على أعمالكم وهو أعلم بما تستوجبونه في جميع أحوالكم.

﴿وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ [الآية 93] سبق مثله في سورة الأنعام، والفاء في سوف تعلمون هنا لكي للتصريح بأن الإقرار والتمكن عليه سبب لذلك وحذفها ها هنا لأنه جواب سائل، قال: فما يكون بعد ذلك فهو أبلغ في مقام التهويل عن المهالك ﴿وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ﴾ [الآية 93] على من يأتيه لا لأنه قسيم له بل لأنهم لما أوعدوه وكذبوه قال: سوف تعلمون من المعذّب والكاذب مني ومنكم ﴿وَٱرْتَقِبُوٓا۟﴾ [الآية 93] انتظروا ما يفعل بي وبكم ﴿إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ [الآية 93] بمجيء عذابنا مراقب لحكم ربي وربكم وهذا من باب إرخاء العنان مع أهل العدوان.

﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ [الآية 94] بمجيء عذابنا ﴿نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾ [الآية 94] ذكره بالواو كما في قصة عاد وإذا لم يسبقه ذكر وعيد يجري بجري السبب له بخلاف قصتي صالح ولوط فإنه ذكر بعد الوعيد وذلك قوله: ﴿وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ [الآية 65] وقوله: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ﴾ [الآية 81]، ولذلك جاء بفاء السببية قال: ﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ﴾ [الآية 94] / روي أن 44/ب
جبريل صاح بهم فهلك جميعهم ﴿فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ [الآية 94] ميتين جامدين خامدين.

﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ﴾ [الآية 95] كأن لم يقيموا في منازلها ﴿أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ [الآية 95] شبَّههم بهم لأن عذابهم كان أيضاً بالصيحة إلا أن صيحتهم كانت من تحتهم وصيحة مدين كانت من فوقهم.

وأفاد الأستاذ: أن شعيباً عليه السلام وثق بكون الموعود في الاستقبال فأرخى لهم ستر الإمهال فلما حلّت بهم العقوبة وانتهاء آجالهم في الغواية، صاروا كأن لم يكن منهم نافخ نار ولا في ديار الظالمين من ديار. قال

تعالى: ﴿فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [الحشر:الآية 2].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [الآية 96] المعجزات ﴿وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ [الآية 96] أي حجة ظاهرة وهي العصا أو اليد البيضاء وأفردها لأنها أبهرها.

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ﴾ [الآية 97] أتباعه ﴿فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ﴾ [الآية 97] بالكفر بموسى وربه وذلك لفرط غوايتهم وكثرة جهالتهم ﴿وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ [الآية 97] أي مرشد أو ذي رشد يؤدي إلى طريق السداد وإنما هو من محض يفضي إلى البعاد.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه كرر قصة موسى عليه السلام تفخيماً لشأنه وتنبيهاً على علو قدره ومكانه فالآيات التي أرسل بها معجزاته الباهرة وبراهينه القاهرة وأصعب عدو قهره أولاً نفسه دلّه الله سبحانه على ذلك كما قال: إلٰهي أين أطلبك فقال: عند المنكسرة قلوبهم من أجلي، فنبَّهه على استصغاره لنفسه وانكساره لربه بقلبه فزالت صولته وصار معصوماً عن شهود فضيلته والسلطان الذي خصه به استيلاؤه على قلوب من رآه كما قال: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى﴾ [طٰه:الآية 39] فلم يره أحد إلا أحبه.

ثم لم يأخذه في الله ضعف ولا فشل، لطم وجه فرعون وهو رضيع كما في القصة ولطم وجه ملك الموت لما طالبه بقبض روحه كما في الخبر، وأخذ برأس أخيه يجره إليه لما رجع من سماع الخطاب عند المعاتبة، وأقدم بالجسارة على سؤال الرؤية وقتل القبطي لما استعان به من وافقه في العقيدة، وقال الله تعالى: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ [الأعراف:الآية 155] لما أخبره الحق بما
45/أ عمل قومه من عبادة العجل بحكم / الضلالة، ففي جميع هذا تجاوز الله عنه لما أعطاه من السلطان والقوة.

﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الآية 98] أي يتقدَّمهم إلى نار العقبى كما كان يتقدمهم إلى الضلالة في الدنيا ﴿فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ [الآية 98] ذكر بلفظ الماضي مبالغة في تحقيقه وترك النار لهم منزلة الماء فسمي إتيانها موروداً ﴿وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ﴾ [الآية 98] أي بئس الورد الذي وردوه فإنه يراد لتبريد الأكباد والنار

لتحريق الأجساد وتقطيع الفؤاد.

﴿وَأُتْبِعُواْ فِي هَٰذِهِۦ﴾ [الآية 99] أي الدنيا ﴿لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ﴾ [الآية 99] أي يلعنون في الدنيا والآخرة، أو تقديره ويوم القيامة يقال لهم ﴿بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ﴾ [الآية 99] وبئس العون المعان والعطاء المعطى والمخصوص بالذم محذوف أي رفدهم وهو اللعنة في العقبى أو في الدنيا والأخرى.

وقال الأستاذ: أبعدوا في عاجلهم من الإيمان والأمان وفي آجلهم من الغفران والجنان والذي في الحال من الفرقة أعظم في التحقيق من الذي في المآل من الحرقة هذه صفة من امتحنه الله باللعنة.

﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية 100] أي النبأ ﴿مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ﴾ [الآية 100] المهلكة في الدنيا ﴿نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ﴾ [الآية 100] مقصوص عليك ﴿مِنْهَا قَآئِمٌ﴾ [الآية 100] من تلك القرى باق كالزرع القائم ﴿وَحَصِيدٌ﴾ [الآية 100] ومنها عافي الأثر كالزرع المحصود، والجملة مستأنفة.

﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ﴾ [الآية 101] بإهلاكنا إياهم ﴿وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْۖ﴾ [الآية 101] باختيار الكفر لهم ﴿فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ﴾ [الآية 101] فما نفعتهم ولا قدرت أن تدفع عنهم ﴿ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَۖ﴾ [الآية 101] حين جاءهم عذابهم وحصل حجابهم وأنزل عليهم ما أصابهم ﴿وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾ [الآية 101] أي هلاك أو تخسير وتخييب.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ﴾ [الآية 102] أي أهلها ﴿وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ﴾ [الآية 102] حال منها وفائدتها الإشعار بأنهم أخذوا لظلمهم المؤدي إلى الظلمة والإنذار لكل ظالم ظلم نفسه أو غيره من وخامة العاقبة ﴿إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [الآية 102] صعب غير مرجو الخلاص والمناص، وهو كناية عن المبالغة في التحذير عن المخالفة.

وأفاد الأستاذ: أن الحق سبحانه يمهل ولكن لا يهمل ويحكم ولكن لا يجهل ويعلم ثم لا يعجل وأنه لا يسأل عما يفعل ويقال إذا أخذ النفوس بالتوفيق فلا سبيل للخذلان وإذا أخذ القلوب بالتحقيق فلا طريق للحرمان

45/ب عليها، / قال تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ [البُرُوج:الآية 12].

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ [الآية 103] فيما نزل بالأمم المعذبة أو فيما قصد الله من القصة المقرونة بالقصة ﴿لَآيَةً﴾ [الآية 103] لغيره ﴿لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْآخِرَةِ﴾ [الآية 103] يعتبر به من جهة المواعظ لعلمه بأنه ما حاق بهم من العقوبة في الدنيا أنموذج مما أعد الله للمجرمين في العقبى ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية 103] إشارة إلى يوم القيامة وعذاب الآخرة ﴿يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ﴾ [الآية 103] أي يجمع له الخلق والمعنى الجمع لما فيه من المحاسبة والمجازاة بالمثوبة والعقوبة ﴿وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ [الآية 103] أي مشهود فيه الكائنات من أهل الأرضين والسموات.

قال أبو سعيد الخراز: مَن غاب في حقيقة عين الجمع لا يهوله ما جمعوا له من ذلك المقام ومن كان في كشف المشاهدة لم يتعجب من شهود ذلك اليوم، كذا ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: أن الأيام ثلاثة: مفقود وهو أمس ليس بيدك منه شيء، ويوم مقصود وهو غد لا تدري تدركه أم لا، ويوم مشهود وهو اليوم الذي أنت فيه والمقصود ربما تبلغ فالمشهود وقتك وهو بِعَرضِ الزوال فاشغله بما ينفعك في الحال والمآل.

﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ﴾ [الآية 104] أي اليوم الموعود ﴿إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ﴾ [الآية 104] أي لانتهاء مدة معدودة وغاية متناهية معلومة. والمراد بالأجل هنا مدة التأجيل كلها لا منتهاها فإنه غير معدود في عالم الوجود.

وأفاد الأستاذ: أن الأجل لا يتقدم ولا يتأخر والحيل متقاصرة والآجال على ما عملها الحق وأرادها به جارية فللطلب وقت إذا جاء أجله وكذلك للوصول وقت أي وإن كان قبله أمله، فالطلب مع رجاء الوصال والوجود مع خوف الزوال. ولقد قال بعض أرباب الحال:

عيب السلامة أن صاحبها متوقع لقواصم الظهر[1]

(1) أورده القشيري في تفسيره (3/ 374) و(7/ 228).

وقضية البلوى ترقب أهلها عقب الرجاء ونوبة الدهر.

﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ [الآية 105] أي الجزاء أو القضاء، وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة يأتِ بحذف الياء اجتزاء عنها بالكسرة ﴿لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ﴾ [الآية 105] لا تتكلم بما ينفع وينجي من جواب أو شفاعة ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [الآية 105] أي بإذن الله وهذا في موقف وقوله: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [المرسلات: الآيتان 36،35] في موقف آخر أو المأذون فيه هي الأجوبة الحقة والممنوع عنه الأعذار الباطلة كما يشير إليه قوله سبحانه: / ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ:الآية 38]، ﴿فَمِنْهُمْ﴾ [الآية 105] أي من الناس أو من أهل الجمع ﴿شَقِيٌّ﴾ [الآية 105] وجبت له النار بمقتضى الوعيد ﴿وَسَعِيدٌ﴾ [الآية 105] وجبت له الجنة بموجب الوعد نفسه، قال ﷺ: «السعيد مَن سعد في بطن أمه والشقي من شقي في بطن أمه»[1] رواه الطبراني في معجمه الصغير عن أبي هريرة مرفوعاً. 46/ أ

قال جنيد: الشقي من حرم الرحمة والسعيد من رزقها.

وقال إبراهيم الخواص: الشقي من اعتمد على نفسه في تدبيره والسعيد من فوّض أمره إلى ربه.

وأفاد الأستاذ: أن الشقي من قسم له الحرمان في آزاله والسعيد من رزق له الإيمان في مآله، يقال: الشقاء على قسمين: قوم شقاؤهم غير مؤبد وقوم شقاؤهم على التأبيد وكذلك القول في السعادة فالشقي الذي على التأبيد من هو في أسر التأبيد ونسيان جريان التقدير والسعيد من رجع من ظلمات التدبير وحصل على وجد شهود أنوار التقدير. وأما الشقي على التأبيد فمنهم أهل الخلود في مقتضى الوعيد والسعيد على التأبيد هم الذين قال الله فيهم: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق:الآية 35].

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾ [الآية 106] إخراج النفس أولاً

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (8/ 223) رقم (8465)، وفي المعجم الصغير (2/ 56) رقم (773)، وانظر كشف الخفا (1/ 452) رقم (1475).

﴿وَشَهِيقٌ﴾ [الآية 106] رد النفس آخراً كما في طريق أصوات الحمير من النهيق شبه حالهم بمن استولت الحرارة على قلبه وانحصر فيه روحه من شدة كربه.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [الآية 107] عبارة عن التأبيد والمبالغة فإن النصوص دالة على دوام العقوبة والمراد سموات الأرض وأرضها كما يدل عليه قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم:الآية 48] والسموات أو المراد بها العلويات والسفليات ولا يخلو عنهما الكائنات ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ [الآية 107] استثناء من الخلود في النار لأن بعض أهلها، وهم فسّاق الموحدين، يخرجون منها بوقت شاء ربها وذلك كاف في مسحة الاستثناء لأن زوال الحكم عن الكل يكفيه زواله عن البعض وهم المراد بالاستثناء الثاني فإنهم مفارقون عن الجنة أيام العقوبة فإن التأبيد من مبدأ معين ينتقض باعتبار الابتداء
كما ينتقض باعتبار الانتهاء وهؤلاء وإن / شقوا بعصيانهم فقد سعدوا بإيمانهم. 46/ب
وقيل: إلا ها هنا بمعنى سوى كقولك: عليّ ألف إلا الألفان القديمان والمعنى سوى ما شاء ربك من الزيادة التي لا حد لها على مدة بقاء السموات والأرض. ثم قال: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ [الآية 107] أن ينقلهم إلى نوع آخر من العذاب غير الزفير والشهيق يعني وكذلك أهل الجنة ينعمون بما هو أعلى من الجنة وهو الفوز بتتمة الرؤية. ثم قال: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ [الآية 107] أن لا يلحقهم تلك العقوبة قبل أن يدخلهم النار فالاستثناء لبعض أوقاتهم من العقوبة قبل إدخالهم النار لا بعد إدخالهم فيها، يعني وكذلك استثناء أهل الجنة لبعض الأزمنة المتقدمة الحالية من النعمة الحاصلة بدخول الجنة قبل إدخالهم فيها لا بعد استقرارهم بها ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [الآية 107] وهو المحمود في كل أفعاله ولو لم يظهر لنا حكم بعض أفعاله.

وقال الأستاذ: فيه إشارة إلى أن الذي يحصل كما يحصل كل بمشيئته لا باستحقاق عمل ولا بإيجاب مثوبة.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ﴾ [الآية 108] وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالبناء للمفعول من سعده الله بمعنى أسعده ﴿فَفِى ٱلْجَنَّةِ﴾ [الآية 108].

قال الأستاذ: اليوم في جناب القربة وغداً في جناب المثوبة وبضدهم الكفار اليوم في عقوبة الفرقة وغداً في عقوبة الحرقة ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [الآية 108] أي أعطوا عطاء غير مقطوع وهو تصريح بأن الثواب لا ينقطع وتنبيه على أن المراد بالاستثناء في الثواب ليس الانقطاع ولأجله فرق بين الثواب والعقاب في التأبيد.

وقال الأستاذ: فيه دلالة على أن تلك النعمة غير مقطوعة ولا ممنوعة.

﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [الآية 109] أي المشركين الحمقى أي من بطلان عبادتهم وبرهان ضلالتهم ﴿مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ﴾ [الآية 109] من غير علم بأن آلهتهم لا تنفع ولا تضر لعبادتهم مع زيادة إفادة أن الأبناء في تخصيص تقليد الآباء ﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ [الآية 109] حفظهم جميعهم من تعذيبهم في العقبى أو من رزقهم في الدنيا ﴿غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾ [الآية 109] من النصيب وهو تأكيد لتقييد التوفية.

47/أ / ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ﴾ [الآية 110] أي في الكتاب أو في موسى فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة كما اختلفت أمتك في القرآن من جهة الإيمان والكفران ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن﴾ [الآية 110] أي حكم أزلي من ربك بتأخير العقاب إلى العقبى عن قومك ﴿رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ [الآية 110] لحكم عليهم في الدنيا لتمييز ما بينهم بإنزال ما يستحقه المبطل منهم لتبيين حال الحق فيهم ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ [الآية 110] أي كفار قومك ﴿لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ﴾ [الآية 110] من القرآن ﴿مُرِيبٍ﴾ [الآية 110] موقع في الريب وموجب للشبهة.

﴿وَإِنَّ كُلًّا﴾ [الآية 111] قرأ نافع وابن كثير وأبو بكر بتخفيف إن مع العمل اعتباراً للأصل وتنوين كلاً بدل من المضاف إليه، والمعنى وإن جميع المختلفين من المؤمنين والكافرين ﴿لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [الآية 111] اللام الأولى موطئة للقسم والثانية للتأكيد وما مزيدة للفصل بينهما، وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة بتشديد الميم على أن أصله لمّن ما فقلبت النون ميماً للإدغام فاجتمعت ثلاث ميمات فحذفت أولاهن ﴿إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الآية 111] فلا يفوت عنه

شيء وإن خفي عن غيره.

﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ [الآية 112] من الاستقامة في العقائد بالتوسط بين التشبيه والتعطيل وفي القيام بوظائف العبادات وكذا في الإنصاف بتحسين الأخلاق من غير إفراط وتفريط في مرتبة الكمال والتكميل ولصعوبة هذا الأمر وغايته في التفسير قالوا: الاستقامة خير من ألف كرامة. وعنه عليه السلام: «شيبتني سورة هود»(1)، والحاصل أن الاستقامة هي ملازمة الصراط المستقيم وملاحظته في كل حالة وهو كالصراط الموعود والجسر الممدود أدق من الشعر في معرفة الحدود وأحد من السيف المحدود، ولهذا المعنى وجب طلب الثبات على هذا المبنى في فاتحة الكتاب التي هي فصل الخطاب.

وأفاد الأستاذ: أن السين في الاستقامة سين الطلب أي سل من الله الإقامة لك على الحق وحقيقة الاستقامة على الطاعة المداومة على القيام بحقها من غير إخلال بها. ويقال: المستقيم من لا ينصرف عن طريق الله ومن لم يصل إلى الله ويصل سيره فيراه وورعه بتقواه ويبالغ في ترك هواه.
47/ب ويقال: / استقامة النفوس من نفي الزلة واستقامة القلوب بنفي الغفلة واستقامة الأرواح بنفي العلاقة واستقامة الأسرار بنفي الملاحظة.

﴿وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾ [الآية 112] أي من شركه وآمن بك فالمعية بالمشاركة في الجملة وهو عطف على المتمكن في استقم وإن لم يؤكد لمنفصل لما قام مقامه من فاصل.

وقال الأستاذ: أي فليستقم أيضاً ﴿وَلَا تَطْغَوْاْ﴾ [الآية 112] أي لا تخرجوا عما حدّ لكم من الطاعة بالدخول في المعصية والأفول في الغفلة ﴿إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الآية 112] فيجازيكم على القليل والكثير.

﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ [الآية 113] أي لا تميلوا أدنى ميل إليهم كالتزيي بزيهم ﴿فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [الآية 113] بركونكم إليهم وبكونكم لديهم

(1) أورده السيوطي في جامع الأحاديث (25/ 140) رقم (27760)، وانظر كنز العمال (1/ 573) رقم (2590).

وإقبالكم عليهم.

قال حمدون: لا تصاحب الأشرار فإن ذلك يحرمك صحبة الأخيار.

وسئل ابن المبارك عن الخياطين للظَلَمة هل هم من أعوانهم، فقال: إنهم منهم وإنما أعوانه من يبيع الخيط والإبرة لهم.

وقال الأستاذ: لا تعملوا أعمالهم ولا ترضوا بأعمالهم ولا تمدحوهم على أعمالهم ولا تتركوا الأمر بالمعروف عليهم ولا تأخذوا شيئاً من حرام أموالهم ولا تمكِّنوهم من قلوبكم ولا تخالطوهم ولا تعاشروهم أي لئلا تشاركوهم في ما لهم بما يلحق من صاحبهم من وبالهم فإن من أحب قوماً حشر معهم ﴿وَمَا لَكُم﴾ [الآية 113] أيها الكفار ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ [الآية 113] من أنصار ينفون العذاب عنكم في دار القرار ومستقر البوار ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [الآية 113] أي ثم لا ينصركم الله من عنده إذ سبق في حكمه أن يعذبكم به، وفيه إشارة إلى أن من طلب النصرة من غير الله حرم نصرة مولاه.

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾ [الآية 114] في غدوه وعشيه ﴿وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ﴾ [الآية 114] وفي ساعات منه قريبة من النهار، وصلاة الغدوة وصلاة الفجر لأنها أقرب الصلاة من أول النهار وصلاة العشية العصر وقيل الظهر والعصر لأن أول العشاء ما بعد الزوال وصلاة الزلفا المغرب والعشاء وذكر التهجد في أوقات الأسحار لأنها من آخر الليل قريبة من النهار.

وقال الأستاذ: ولو استغرق جميع الأوقات بالعبادات فإن إخلاله لحظة من الزمان عن فرض يؤديه أو نفل يأتيه حسرة عظيمة وخسارة وخيمة انتهى.
48/ أ وقد قيل: الدنيا ساعة فاجعلها / طاعة. وورد عنه ﷺ: «ليس يتحسر أهل الجنة إلاعلى ساعة مرت بهم ولم يذكروا الله فيها»[1]، ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ [الآية 114] أي يكفرنها، والمراد بها الصغائر مع ما يرجى من الكبائر، ففي الحديث: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارات لما بينهن من

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (20/ 93) رقم (182)، والبيهقي في شعب الإيمان (1/ 392) رقم (512).

اجتناب الكبائر»[1] رواه أبو نعيم في الحلية بسند صحيح عن أنس. وفي سبب النزول أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: إني أصبت من امرأة غير أني لم آتِها، فنزلت[2].

قال الواسطي: أقول إن الطاعات تذهب بظلم الخطيئات. وقال بعضهم: رواية الفضل تسقط عن العبد رؤية العمل، ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: أن الحسنات ما يجود به الحق والسيئات ما يذنب به العبد فإذا أدخل حسنات عفوه على قبائح العبد وجرمه محاها وأبطلها، ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية 114] أي قوله فاستقم وما بعده أو القرآن جميعه ﴿ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ [الآية 114] موعظة للمتعظين من الصابرين في البلية والشاكرين على العطية.

﴿وَٱصْبِرْ﴾ [الآية 115] على الطاعة وعن المعصية ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الآية 115] أي المخلصين لما ورد من أن الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه[3].

وأفاد الأستاذ: إن الصبر حبس النفس عن معاتقة الأمر ومفارقة الرجز والمحسنون هم العالمون الذين يعلمون أن الأجر على الصبر بالفضل لا باستحقاق العمل.

﴿فَلَوْلَا﴾ [الآية 116] فهل ﴿كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ﴾ [الآية 116] من العقل أو الفضل وجوز أن يكون مصدراً كالتقية أي ذوي اتقاء على أنفسهم وصيانة لها من عذاب ربهم، ويؤيده أي ترى بقية في الشعر إذ بفتح فسكون وهي المرة من مصدر بقاه يبقيه إذا راقبه ﴿يَنْهَوْنَ﴾ [الآية 116] الناس بألسنتهم أو

---

(1) أخرجه مسلم في الصحيح (233/ 14)، والترمذي في الجامع الصحيح (1/ 418) رقم (214)، وابن حبان في الصحيح (5/ 24) رقم (1733)، وأحمد في المسند (14/ 333) رقم (8715).

(2) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (4/ 316) رقم (7318)، وانظر تفسير البيضاوي (1/ 267).

(3) أخرجه البخاري في الصحيح (50)، ومسلم في الصحيح (9/ 5).

ينكرون عليهم بقلوبهم أو يمنعون أنفسهم ﴿عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 116] من الكفر والمعاصي ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ [الآية 116] أي لكن قليلاً منهم أنجيناهم من المهالك لأنهم كانوا كذلك وهم الذين أطاعوا أنبياءهم وأما غيرهم فلم ينهوا عن الفساد في البلاد وفيما بين العباد ﴿وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ﴾ [الآية 116] ما أنعموا من الشهوات واهتموا بتحصيل اللذات واللهوات/ 48/ب وأعرضوا عن ملازمة الطاعات ﴿وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾ [الآية 116] مصرين على ارتكاب الإجرام والسيئات، وفيه تنبيه نبيه لنبيه ﷺ وأتباعه أن السبب لاستئصال الأمم السالفة في إهلاكهم هو فشو الظلم من الكفر والمعاصي فيهم وتركهم للهدى واتباعهم للهوى.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾ [الآية 117] أي بمجرد شرك وكفر ﴿وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [الآية 117] فيما بينهم لا يضمون فساداً أو بغياً إلى كفرهم وذلك لفرط رحمته ومسامحته فيما يتعلق به ولهذا قدم الفقهاء عند تزاحم الحقوق حق العباد على حقه لأنه غني عن عبادة العبد وإيمانه وصلاحه، وقد قيل: الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم. قيل: المعنى وأهلها ينصف بعضهم بعضاً.

وقال أبو سعيد القرشي: الصلاح هو الرجوع إلى الحضرة في كل نفس وخطرة، كذا ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه لم يهلك أحداً كان مصلحاً وإنما أهلك مَن كان ظالماً. ويقال: معناه لو أهلك الله أهل القرى وهم مصلحون كلهم ما كان ذلك ظلماً منه لأن الملك ملكه والعبد ملكه. ويقال: المصلح مَن قام بحق ربه دون طلب حظه. ويقال: مصلح يصلح نفسه لطاعته حسن حاله لكن لا كمصلح أصلح قلبه بمعرفة سيده أو أصلح سره لمشاهدة ربه.

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [الآية 118] مسلمين أجمعين ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [الآية 118] بعضهم على الحق اليقين وآخرون على الباطل المبين.

﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ﴾ [الآية 119] من بينهم بأن هداهم الله من فضله فآمنوا به وبرسوله واتفقوا في دين الحق على أصوله وإن وقع لهم اختلاف في فروعه ﴿وَلِذَٰلِكَ﴾ [الآية 119] الاختلاف ﴿خَلَقَهُمۡۗ﴾ [الآية 119] واللام للعاقبة كما في حديث: «لدوا للموت وابنوا للخراب»[1].

قال جنيد: خلقهم للاختلاف فرتقوا في المخالفة ولو خلقهم للموافقة لما رجعوا عن الله إلى ما سواه.

وقال الأستاذ: لجعلهم أرباب الوفاق ثم لم يوجبوا لمملكته وجماله زيناً ولو شاء لجعلهم أصحاب الخلاف ثم لم يوجبوا لسلطنته وجلاله شيئاً. ثم قال: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ﴾ [الآية 118] لأنه كذلك أراد بهم ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ﴾ [الآية 119] في سابق حكمه فعصمه عن الخلاف في حاصل عمره ﴿وَلِذَٰلِكَ
49/أ خَلَقَهُمۡۗ﴾ [الآية 119] أي خلق كلّاً لما / أقامهم به ونصبهم له وأثبتهم فيه من توحيد ووفاق وجحد وشقاق ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ [الآية 119] ثبت حكم وعيده فلا تبديل لقوله ولا تحويل لحكمه، أو هي قوله: ﴿لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ [الآية 119] أي من عصاتهما ﴿أَجۡمَعِينَ﴾ [الآية 119] أو منهما أجمعين لا من أحد منهما، واللام للعهد فيهما.

﴿وَكُلّٗا﴾ [الآية 120] أي كل نبأ ﴿نَّقُصُّ عَلَيۡكَ﴾ [الآية 120] أي نخبرك به ﴿مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ﴾ [الآية 120] بيان للكل ﴿مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ﴾ [الآية 120] بدل منه، وفائدته التنبيه على المقصود من الاقتصاص له وهو زيادة يقينه وطمأنينة قلبه وثبات نفسه على تأدية الرسالة وتسليته في احتمال تأذية أهل الضلالة ﴿وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ﴾ [الآية 120] أي في الأنباء المقتصة ﴿ٱلۡحَقُّ﴾ [الآية 120] ما هو الحق المطابق للصدق الموافق ﴿وَمَوۡعِظَةٞ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الآية 120] أي ونصيحة وتذكرة لأهل التبصرة وأرباب الخبرة وأصحاب العبرة الموصوفون بسكب العبرة.

﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ﴾ [الآية 121] على حالتكم ﴿إِنَّا عَٰمِلُونَ﴾ [الآية 121] على حالتنا ﴿وَٱنتَظِرُوٓاْ﴾ [الآية 122] ما يفعل الله بنا وبكم

(1) جامع الأحاديث (19/ 190) رقم (20536)، والمقاصد الحسنة (1/ 528) رقم (855).

﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ [الآية 122] في ذلكم معكم.

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 123] خاصة لا يخفى عليه مما فيهما خافية ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ﴾ [الآية 123] أي أمر الكل جميعه. وقرأ نافع وحفص بصيغة المجهول، قيل إليه مرجع الكل لأنه منه مبدأ الكل، ذكره السلمي ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [الآية 123] فإنه كافيك فيما تستعين إليه ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [الآية 123] أنت وهم فيجازيكم بما تستحقون. وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالخطاب والباقون بالغيبة.

وفي تفسير السلمي: وكيف يغفل عنك مَن قدّر عليك عملك وما أنت آتيه في كل نَفَس إلى آخر أجلك.

وقال الأستاذ: أعمى على قلوبهم العواقب وأخفى دونهم السوابق، وألزمهم القيام بما كلفهم في الحال فقال: فاعبده فإن تقسيم القلب وترحم الظن وخيم فقال: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [الآية 123] أي استدفع عنك البلاء بحسن الظن وجميل الأمل ودوام الرجاء ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [الآية 123] بل أحاط بكل شيء علماً وأمضى في كل أمر حكماً.

سورة يوسف عليه السلام

[مكيَّة]

وهي مائة وإحدى عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: من وسم ظواهره بسمة العبودية وسرائره بمشاهد الربوبية فقد سمت همته للمراتب العلية وقربت رتبته إلى المنازل السنية.

﴿الٓر﴾ [الآية 1] أنا الله أرى من فوق العرش إلى ما تحت الثرى وأرى في الدار الكبرى وأريد جميع ما جرى من الورى ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ [الآية 1] أي هذه آيات السورة الواضحة معانيها أو المبينة لمن تدبرها إنها من عند الله لبلاغة مبانيها.

وأفاد الأستاذ: إن التخاطب بالحروف المتفرقة سنّة الأحباب في سر المحاب والقرآن وإذا كان المقصود منه هو الإيضاح والبيان ففيه تلويح وتصريح ومفصل ومجمل يعرفهما الأعيان. ويقال: وقف مفهوم الخلق على مراد الحق فيما خاطب حبيبه المطلق في هذه الآية وتقييدهم على الإيمان بها في الجملة وأفرده عليه السلام بقمم هذه الإشارة فهو سر الحبيب مع الحبيب بحيث لا يطلع عليه الرقيب، يقول قائلهم:

بين المحبين سر ليس يغشيه قول ولا قلم للخلق يحكيه[1]

وفي إنزال هذه الحروف المقطعة إشارة وهي أن من كان بعين العقل والصحو استنبط من اللغة اليسيرة ما شاء الله من المعاني الكثيرة ومَن كان في

(1) نسب إلى الشعبي. انظر تفسير الآلوسي (1/ 82)، وجامع لطائف التفسير (1/ 110).

مقام الغيبة والمحو يسمع الكثير فلا يفهم منه اليسير هذا لكمال عقله وهذا لتمام وصله، وأنزل الله هذه الحروف التي لا سبيل على الوقوف على معانيها ووجه ارتباط مبانيها ليكون للأحباب فرحة حين لم يقفوا على معانيها لعدم السبيل إليها كما عليها فلم يتوجه عليهم مطالبة بفهم ما فيها وكان ذلك لائقاً بأحوالهم إذا كانوا مستغرقين في عين الجمع بحسب جمعية بالهم ولذا قيل: استراح مَن لا عقل له.

أقول: ويحتمل ـ والله أعلم ـ أن تكون الحكمة في إيراد الحروف المقطعة إشارة إلى حصول المثوبة لمن قرأ أو سمع مبانيها ولم يفهم معانيها ولذا خصّ ﷺ حروف «أَلَمّ» في قوله: «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به عشر حسنات»[1]، «لا أقول «أَلَمّ» حرف بل ألف حرف ولام حرف وميم حرف».

50/ أ ثم أفاد / الأستاذ: أن قوله تعالى: ﴿تِلْكَ﴾ [الآية 1] يحتمل أن تكون إشارة إلى موعود أنجز بهذا وعده أي الذي وعدناك قبل هذا بتفريق منا لك من تخصيص وإفراد بتقريب فقد خلقناه الآن فهذه الحروف بيان الإنجاز وتحقيق الموعود والإشارة من الكتاب المبين ها هنا إلى حكمه السابق له بأن يرقيه إلى الرتبة التي لا ينالها غيره ولقد قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ [القَصَص:الآية 46] أو حين كلمنا موسى أخبرناه بعلو قدرك وإن لم تكن حاضراً وأخبرناه بأنَّا نبلغك هذا المقام الذي أنت فيه الآن من المرام وكذا كل نبي أوحينا إليه ذكرنا له قصتك وشرحنا له حالتك فالآن وقت تحقيق ما أخبرنا. وفي معناه أنشدوا:

سقياً لمعهدك الذي لو لم يكن ... ما كان قلبي للصبابة معهدا[2]

وقد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾ [الأنبياء:الآية 105]

---

(1) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (2/ 342) رقم (1983)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/ 175) رقم (2910)، وعبد الرزاق في المصنف (3/ 375) رقم (7/ 60)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (12/ 418) رقم (4012).

(2) هذا البيت نسب إلى عبد الله بن علي البصري أبي القاسم. انظر طبقات الصوفية (1/ 99)، وورد في تاريخ دمشق (8/ 307)، وتفسير القشيري (8/ 377).

أي بعد التوراة أو بعد ذكرك لما قبله من الأنبياء ﴿أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [الأنبياء:الآية 105] يعني أمة محمد ﷺ.

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ﴾ [الآية 2] أي الكتاب ﴿قُرۡءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الآية 2] وسمى البعض ﴿قُرۡءَٰنًا﴾ لأنه في الأصل اسم جنس وصار علماً بالغلبة ونصبه على الحالية و﴿عَرَبِيًّا﴾ صفة له وكونه منزلاً من اللوح أو السماء أو معززاً على ألسنة القراء ومنسوباً إلى العرب العربا لا ينافي أن أصله كلام قديم نفسي إلٰهي منزَّه عن حدوث البقاء وحلول الفناء كما هو طريقة أهل السنَّة خلاف المعتزلة من أهل البدعة. وحاصل المسألة إن هذا الكلام الأمني مظهر الكلام النفسي القدسي ﴿لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ [الآية 2] أي كي تفهموا مبانيه وتعلموا معانيه.

وأفاد الأستاذ: أن في إنزال الكتاب عليه فإرسال الرسل إليه تحقيق لأحكام المحبة وتأكيد لأسباب الوصلة فإن من عدم حقيقة الوصول استأنس بالرسول ومن بقي عن شهود الأحباب تسلى بوجود الكتاب كما قال قائلهم في هذا الباب:

وكتبك حولي لا تفارق مضجعي فيها شفاء للذي أنا كاتم[1]

﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ﴾ [الآية 3] مصدر والمعنى أحسن الاقتصاص لأنه اقتص أبدع الأساليب أو أحسن ما يقص لاشتماله على الحكم والقضاء والأعاجيب / ﴿بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ [الآية 3] أي بإيحائنا إليك 50/ب
هذه السورة التي شأنها علية وبرهانها جلية ﴿وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ﴾ [الآية 3] قبل وحينا إليك بهذه السريرة ﴿لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾ [الآية 3] عن معرفة هذه القصة المشحونة بالفيضية حيث ما سرت على سمعك وما خطرت ببالك، وإن مخففة من الغفلة واللام هي الفارقة.

وفي تفسير السلمي قال بعضهم: أعجب القصص من بين القصص وفيه إشارة لما لقي النبي ﷺ من عشيرته فلم يخرج عليهم منتقماً لذاته بل رأى

(1) أورده القشيري في تفسيره (1/ 10) وفي رسالته (1/ 51).

ذلك كله من موارد قضاء الحق ومواجب قدرته فلما رجعوا إليه واعتذروا لديه قال: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ [الآية 92] كيف يكون عليكم عيب فيه وكنتم المجبورون عليه، انتهى.

ولا يخفى أن التعلق بالقضاء جائز بعد الوقوع في القضية لا قبله ولا حال مباشرته في البلية كما حقق في حديث: «حجّ آدم موسى»[1].

وأفاد الأستاذ: أنه أحسن القصص لأنَّا نحن نقص وعليك نقص، وهذا الوحي بك خصّ أو لخلوه عن الأمر والنهي الذي سماعه يوجب اشتغال القلب لما هو بعرض وقوع التقصير في حكم الرب أو لأن فيه ذكر مراتب الحب أو لما فيه من ذكر ترك يوسف هواه وإعراضه عن زليخا عند مراودتها إياه أو لأن فيه بيان عفو يوسف عن إخوته في حال سكوته وكمال عظمته وأن من قبله لمن الذاهبين عن فهم هذه القصة والمعنى إنك لم تصل إليها بكدك وجهدك ولا بطلبك وجدك بل هذه مواهب لا مكاسب. فالمعنى فبعطائنا وجدته لا بعنائك ويتفضلنا لا بتعلمك وبتلطفنا لا بتكلفك وبنا لا بك.

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ﴾ [الآية 4] عبري لا عربي ولذا لم يصرف ﴿لِأَبِيهِ﴾ [الآية 4] ففي الحديث الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف ابن يعقوب ابن إسحاق ابن إبراهيم[2] ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ [الآية 4] أصله يا أبي عوض عن الياء بالتاء لتناسبهما في الزيادة كما في نعمة ورحمة ولذا قلبها ابن كثير وابن عامر حال وقفها وكسرها الجمهور لأنها عوض حرف يناسبها وفتحها ابن عامر حيث جاء لأنها حركة أصلها أو لأنه يا أبتا فحذف الألف وأبقى الفتحة ﴿إِنِّي رَأَيْتُ﴾ [الآية 4] من الرؤيا لا من الرؤية أي أبصرت في المنام ﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ
وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ/ لِي سَٰجِدِينَ﴾ [الآية 4] استئناف بيان حالهم التي رآهم عليها فلا 51/ أ
تكرار أو كرر لزيادة تحقق أمره فيها وإنما أجريت مجرى العقلاء لوصفها

(1) أخرجه ابن منده في التوحيد (1/ 100) رقم (77) والمقدسي في الأحاديث المختارة (215).

(2) أخرجه البخاري في الصحيح (4688)، والحاكم في المستدرك (2/ 377) رقم (3325)، وابن حبان في الصحيح (13/ 92) رقم (5776).

بصفاتهم أو باعتبار حال ذواتهم. قيل: أعجبه حسن رؤياه حتى أعلم أباه فكان فيه أول بليته ومحنته إلى أن بلغ تحقيق ما رأى من رتبته ومحنته، كذا ذكره السلمي.

﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ﴾ [الآية 5] تصغير شفقة أو لأن سنه اثنتا عشرة ﴿لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ﴾ [الآية 5] فيحتالوا لإهلاكك حيلة ومكراً بغياً وحسداً لما فهم من رؤياه أن الله يصطفيه لرسالته ويفوقه على إخوته فخاف عليه من أذيته ولم يدر أنه من لوازم قضيته في بليته ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ [الآية 5] ظاهر العداوة كما فعل بآدم وحواء وسائر المذنبين.

قيل: إن يعقوب عليه السلام دبّر ليوسف في ذلك خوفاً عليه أن يقع من إخوته شر لما هنالك فوكل إلى تدبيره ووقع به ما وقع في ضميره ولو ترك تدبيره وفوض إليه سبحانه في أمره لحظة لكان الكل بتقديره ولذا قال الأستاذ: إذا جاء القضاء والقدر لا ينفع الوعد والحذر.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ [الآية 6] أي كما اجتباك لمثل هذه الرؤية الدالة على العزّة والعظمة ﴿يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ﴾ [الآية 6] للملك والنبوة.

قال ابن الحسين: اجتباه بما منحه من حسن العشرة ولطف الصحبة مع أوليائه وأعدائه وترك الانتقام لنفسه في بلائه. وقيل: اجتباه بصرف كيدهن عنه ولولا اجتبائه لورد عليه منهن ما ورد فمنهن، كذا ذكره السلمي.

﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ﴾ [الآية 6] أي من تفسير غوامض الله وكلمات الأنبياء وروايات الحكماء. أو تقديره وهو يعلمك من تعبير الرؤيا لأنها أحاديث الملك إن كانت صادقة وأحاديث النفس والشيطان إن كانت كاذبة.

وقال الأستاذ: لتقف على مقدار كل قائل بما تسمع من نطقه في لحن قوله لحدة كياستك وشدة فراستك ﴿وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ﴾ [الآية 6] بالنبوّة أو بأن يصل نعمة الدنيا بنعمة الأخرى.

وأفاد الأستاذ: أن من إتمام النعمة توفيق الشكر على النعمة وأن يعرفونك برؤية المنعم عن شهود النعمة ومن إتمامها رفع الهمة عن مساكنة التخمة ﴿وَعَلَىٰٓ/ 51/ب

ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ [الآية 6] أي سائر بنيه ولعله استدل بضوء الكواكب على نبوتهم أو ولايتهم ووقعة مخالفتهم ﴿كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ﴾ [الآية 6] جديك بالرسالة قيل على إبراهيم بالخلة وإنجائه من النار وإسحاق بالنبوة وإنقاذه من الذبح ومن النار ﴿مِن قَبْلُ﴾ [الآية 6] أي قبلك أو قبل وقتك ﴿إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ﴾ [الآية 6] عطف بيان ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ﴾ [الآية 6] بمن يستحق الاجتباء ﴿حَكِيمٌ﴾ [الآية 6] في وضع الأشياء.

﴿لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ﴾ [الآية 7] دلالات على قدرته سبحانه

أسرار السريرة ولهذا قيل: الظاهر عنوان الباطن، وكان إخوته يحسدونه لذلك فلما رأى الرؤيا ضاعف لأبيه المحبة حتى لم يصبر عنه ساعة لما هنالك فتتابع حسدهم حتى حملهم على تعرضهم له بقول بعضهم: ﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ﴾
[الآية 9] خفية ﴿أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾ [الآية 9]/ منكورة بعيدة من العمارة وأو يحتمل 52/أ
التنويع والتخيير ﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾ [الآية 9] يصفو لكم توجه أبيكم فيقبل بكليته عليكم وينحصر ميله إليكم ﴿وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ﴾ [الآية 9] قيل بعد الفراغ من أمره أو قتله أو طرحه ﴿قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ [الآية 9] تائبين إلى الله عن جنايتكم أو مع أبيكم تمهيد إعذار في خيانتكم

وقال الأستاذ: لما كان المعلوم لله تبليغه إياه لما قدره وقضاه لهم في قلب قائل في غيبهم ما أنهاه.

﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۫نَّا عَلَىٰ﴾ [الآية 11] بالإخفاء وبالإدغام مع الإشمام لجميع القراء. وعن أبي جعفر إدغام بلا إشمام وأصله لا تأمننا والمعنى لم تخافنا ﴿عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ﴾ [الآية 11] أي/ لخيره مريدون وعليه 52/ب مشفقون.

وقال الأستاذ: من قبل على محبوبه حديث أعدائه لقي ما لقي يعقوب

أريد وصاله ويريد هجري ... فأترك ما أريد لما يريد(1)

﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ﴾ [الآية 13] لشدة مفارقته عليَّ وقلّة صبري عنه وعزته لديّ ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾ [الآية 13] أبدل الهمزة ورش والسوسي والكسائي مطلقاً وحمزة وقفاً ﴿وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ﴾ [الآية 13] لاشتغالكم بالرتع واللعب مما يلهيكم، أو لقلة اهتمامكم بمحافظته وأنتم عنه غافلون من مكانته.

وقال الأستاذ: لما خاف الذئب عليه امتحن بحديث الذئب لديه ونقل الكذب إليه ففي الخبر ما معناه إنما يسقط على ابن آدم ما يخافه ويقال:

لخاطره واطمئناناً لقلبه.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة في الآية أنه لما حلّ به البلوى عجلنا له تعريف ما ذكر من البشرى يكون محمولاً بالتفريق في غير ما هو متحمل له من البلوى الغيبية. ويقال: إن انقطع على يوسف مراعاة أبيه إياه فحصل له الوحي من قبل مولاه كذا سنّته تعالى أنه لا يفتح على نفوس أوليائه باباً من البلاء إلا فتح عليهم صنوف أبواب الصفاء وفنون لطائف الولاء.

﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ١٦﴾ [الآية 16] أي متباكين آخر النهار أو أول الليل وهو أظهر ليكون حالهم أستر وفي احتيالهم أعذر. ﴿يَبۡكُونَ﴾ [الآية 16] أي متباكين.

وأفاد الأستاذ: أن تمكين الكذاب من البكاء سمة خذلان الله إياه. وفي الخبر: إنه إذا كمل نفاق المرء ملك عينه حتى يبكي متى شاء[1] ولا يبعد أن يقال: إنهم وإن جنوا عليه ندموا على ما فعلوا به فعلاً تمّ البكاء لندمهم وإن لم يظهروا لأبيهم خوفاً من عملهم بناءً على طمعهم.

﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ﴾ [الآية 17] نسابق في العدو والرمي ﴿وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا﴾ [الآية 17] لئلا يقع في العناء ﴿فَأَكَلَهُ/ ٱلذِّئۡبُۖ﴾ 53/ ب
[الآية 17] من غير قصدنا الذنب ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا﴾ [الآية 17] بمصدق في حقنا ﴿وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾ [الآية 17] في قولنا لسوء ظنك بنا وفرط محبتك لأخينا.

﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ﴾ [الآية 18] أي فوقه ﴿بِدَمٖ كَذِبٖۚ﴾ [الآية 18] ذي كذب بمعنى مكذوب فيه أو وصف بالمصدر للمبالغة كرجل عدل. روي أنه لما سمع بخبر يوسف صاح من غاية التأسف وطلب قميصه فأخذه وألقاه على وجهه وبكى حتى خضب خده بدم القميص وقال: ما رأيت كاليوم ذئباً أحلم من هذا أكل ابني ولم يمزق عليه قميصه، ولذلك الحال ﴿قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ﴾

(1) أورده القشيري في تفسيره (3/ 406).

[الآية 18]أي سهّلت لكم وهوَّنت في أعينكم أمراً عظيماً ومنكراً جسيماً ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [الآية 18] أجمل وأكمل أو فأمري صبر جميل. وفي الحديث: الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه إلى الخلق[1].

وقال يحيى بن معاذ: هو أن يتلقى البلاء بقلب رَحيب ووجه بشير، ذكره السلمي. وفي الفاء التحتية إيماء إلى نكتة جلية وهي ما أشار إليه ﷺ بقوله: «الصبر عند الصدمة الأولى»[2] على ما رواه أبو يعلى ﴿وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ﴾ [الآية 18] أي المطلوب منه المعونة ﴿عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [الآية 18] أي على احتمال ما تصفونه من حلول المحنة وحصول الكربة ونزول المصيبة فإن المعونة تأتي على قدر المؤونة.

﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ﴾ [الآية 19] جماعة مسافرة من مدين إلى مصر ﴿فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ﴾ [الآية 19] الذي يرد الماء ويستقي لهم وهو مالك الخزاعي ﴿فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ﴾ [الآية 19] أرسلها في الجب ليملأها فتدلى وتعلق يوسف بها فأخرجه فلما رأى وجهه ﴿قَالَ يَا بُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَامٌ﴾ [الآية 19] نادى البشرى ببشارة لنفسه أو إشارة لقومه فكأنه قال تعالى: هذا أوانك فأقبلي. وقرأ غير الكوفي: يا بشراي بالإضافة ﴿وَأَسَرُّوهُ﴾ [الآية 19] أي أخفاه الوارد وأصحابه من بقية أحبابه ﴿بِضَاعَةً﴾ [الآية 19] متاعاً للتجارة ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [الآية 19] من إسرارهم وأسرارهم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه لما أراد خلاص يوسف من الجب أزعج خواطر السيارة في قصد المسامرة وأعدمهم الماء حتى احتاجوا إلى الاستقاء وقد قيل: الأدب تشويش في العالم والمقصود منه سكون واحد ولهذا قيل: رب ساعٍ / لقاعد. وروي أن يهوداً كان يأتيه كل يوم بالطعام فأتاه يومئذ فلم 54/أ
يجده في المقام فأخبر الإخوة فأتوا الرفقة وقالوا: هذا غلامنا أبق منا ومكث يوسف مخافة أن يقتلوه.

(1) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (7/ 220) رقم (10076).
(2) أخرجه البخاري في الصحيح (7154)، ومسلم في الصحيح (926/ 14).

﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ [الآية 20] أي اشتروه أو باعوه بقيمة مبخوسة لكونها مزيفة أو منقوصة أو منحوسة ﴿دَرَٰهِمَ﴾ [الآية 20] بدل من الثمن ﴿مَعْدُودَةٍ﴾ [الآية 20] قليلة بأنهم كانوا يزنون ما بلغ الوقية وهي أربعون درهماً ويعدون البقية ﴿وَكَانُواْ﴾ [الآية 20] أي الإخوة أو الوارد والرفقة ﴿فِيهِ﴾ [الآية 20] في حق يوسف ﴿مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾ [الآية 20] أي الراغبين عنه.

وقال ابن عطاء: لقلة علمهم بنفاسته وكل من لم يعرف قدر جوهر ومرتبة قيمته فهو زاهد في حقه كذلك الرجل يبيع آخرته بالدنيا والجنة بالهوى وربما يبيع الرجل إيمانه بأخس بقية وربما فاته الحق بلحظة فليتق الله في كل لمحة، كذا ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: أنهم لم يعرفوا خسرانهم في الحال ولكنهم وقفوا عليه في المآل كما قيل: كفى للمقصر الحياء يوم اللقاء. ويقال: ليس العجب ممن يبيع مثل يوسف بثمن بخس إنما العجب ممن يجد مثل يوسف بثمن بخس وأعجب منهما من يبيع وقته الذي أعزّ من الكبريت الأحمر بعوض حقير من الدنيا بترك النعيم الأكبر. ويقال: إن السيارة لم يعرفوا قيمة كماله فزهدوا في شرائه بدراهم بخس والذين وقفوا على جماله وشيء من حسن حاله غالوا بمصر في ثمنه حتى اشتروا بزنته دراهم ودنانير مرات كما ذكر في خبره. وفي معناه أنشدوا:

إن كنت عندك يا مولاي مُطَّرَحاً فعند غيرك محمول على الحدق[1]

﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ﴾ [الآية 21] وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر وكان الملك يومئذ ريان بن الوليد العمليقي وقد آمن بيوسف ومات في حياته ﴿لِٱمْرَأَتِهِۦٓ﴾ [الآية 21] زليخا وقيل زاعيل ﴿أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ﴾ [الآية 21] اجعلي مقامه كريماً وأحسني بعهده تعظيماً ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾ [الآية 21] في محافظة أموالنا وملاحظة أحوالنا ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ [الآية 21] في مالنا حيث لا ولد لنا.

(1) نسب إلى أبي الفضل الدارمي. انظر نفح الطيب (3/ 115).

قال ابن عطاء: كل من اعتمدت عليه أو سكنت إليه يصيبك منه محنة لديه، ألا ترى إلى صاحب يوسف لما قال لامرأته أكرمي مثواه عسى / أن ينفعنا وركن إلى يوسف، صار يوسف محنة عليه وعليها حتى قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً، وما بعده من المحن، ذكره السلمي. 54/ب

وأفاد الأستاذ: أنه لما نودي على يوسف في مصر بالبيع لم يرض الحق سبحانه حتى أصابتهم الضرورة ومسّتهم الفاقة إلى أن باعوا من يوسف جميع أملاكهم ثم باعوا كلهم منه أنفسهم طلباً للطعام فصاروا بأجمعهم عبيده عليه السلام، ثم إنه لما ملكهم منّ عليهم فأعتقهم فلئن مر عليه بمصر يوم ظل فيه ينادى عليه بالبيع أصبح بمصر يوماً آخر وقد ملك فيه جميع أملاكهم وملك رقاب جميعهم فيوم بيوم، قال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: الآيتان 5،6]، يومان شتان ما هما ثم إنه أعتق جميعهم كذا الكريم إذا قدر عفا.

قلت: وقد قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عِمرَان:الآية 140]، وأنشدوا:

فيوم لنا ويوم علينا ويوم نساء ويوم نسر[1]

ولعل فيه الإشارة إلى البشارة بما وقع له ﷺ في آخر أمره من فتح مكة عليه وإذلال قومه لديه وعفوه عنهم وقوله للقوم: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ [الآية 92].

﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 21] أي كما مكّنا محبته في قلب سيده مكَّناه في منزله ليشكر على نعم ربه ﴿وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ [الآية 21] تفسير كتاب الله وتبيين أحكامه أو تعبير المنامات المنبهة على الحوادث الكائنة في أيامه ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾ [الآية 21] فلا راد لقضائه ولا معقب لحكمه، أو على أمر يوسف أراد به إخوة يوسف شيئاً وأراد الله غيره فلم يكن إلا ما أراده. وقد ورد في حديث قدسي وكلام أنسي: «عبدي أريد وتريد ولا يكون

(1) هذا البيت لأبي سفيان. انظر البداية والنهاية (4/ 86).

إلا ما أريد، فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله البلاء»[1]. وفي رواية: «من لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلائي ولم يشكر على نعمائي فليلتمس ربّاً سواي»[2].

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 21] صنائع حكمه وبدائع لطفه أو أن الأمر كله بيده.

وقال الواسطي: يصرفهم في تدبيره ويدبرهم في تصريفه ويُوجد منهم المفقود ويُفقد منهم الموجود، فالإضافات ضرب من الإشراك. قلت: وهذا معنى قولهم: التوحيد / إسقاط الإضافات لأن الكائنات بأسرها كما قال تعالى: 55/ أ
﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان:الآية 3].

وأفاد الأستاذ: أنه لا عبرة لمن يرى الخلق في الحال وإنما الاعتبار بما يظهر من سر تقدير في المآل إن أرادوا من حسده أن لا يكون له فضيلة في دار نفسه على إخوته وأهله وأراد الله أن يكون له ملك الأرض بأسره فكان ما أراد الله لا ما أراد سواه، وأرادوا أن يكون عبداً ذليلاً وأراد مولاه أن يكون سيداً عزيزاً.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ﴾ [الآية 22] منتهى اشتداد بنيته وسمة قوته وهو سن الوقوف فيما بين الثلاثين والأربعين ﴿ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا﴾ [الآية 22] بين الناس أو حكمة وهي العلم المقرون بالعمل ﴿وَعِلْمًاۚ﴾ [الآية 22] علم تأويل الأحاديث ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ [الآية 22] أي كما جزيناه على إحسانه في علمه وعمله واتقائه في عنفوان أمره ﴿نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الآية 22] من سائر المؤمنين على إحسانهم بحسب مراتب إبقائهم. قيل: لما عقل عن الله في أوامره ونواهيه واستقام معه على

(1) ورد بلفظ مختلف دون ذكر الفقرة الأولى. انظر ما أخرجه ابن ماجه في السنن (2/ 1338) رقم (4031)، والترمذي في الجامع الصحيح (4/ 601) رقم (2396).

(2) أخرجه أبو نعيم في معرفة الصحابة (21/ 153) رقم (6428)، وأورده المناوي في الإتحافات السنية (1/ 68) رقم (155) والسيوطي في جامع الأحاديث (15/ 74) رقم (15013).

شروط آدابه أعطاه حكماً على الغيب في تعبير الرؤيا وعلماً بنفسه في مخالفة الهوى، ذكره السلمي.

وقال الأستاذ: يعني حين استوى شبابه وكمُل قوته وكان وقت استيلاء شهوته وتوفر دواعي مطالب بشريته آتاه الله الحكم الذي حبسه على الحق وصرفه عن الباطل والعلم بأن ما يعقب اتباع اللذات من هواجم القدم أشد مقاساة من كلفة الصبر في الحال للامتناع من دواعي الشهوة الموجبة للندامة في المآل فآثر مشقة الامتناع على لذة الاتباع وذلك الذي أشار إليه الحق من جميل الجزاء الذي أعطاه وهو إمداده بالتوفيق حتى استقام في التقوى والورع على سواء الطريق، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العَنكبوت:الآية 69] أي الذين جاهدوا بسلوك طريق المعاملة لنهدينهم سبيل الصبر على الاستقامة حتى يتبين لهم حقائق المواصلة.

﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ﴾ [الآية 23] طلبت وتحالت وتمحلت أن يواقعها ﴿وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ﴾ [الآية 23] ستراً للحال ليوافقها ﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ [الآية 23] أي هيبات أو هيهات لأجلك، والكلمة اسم فعل بني على الفتح كأين. وقرأ ابن كثير بفتح الهاء وضم التاء تشبيهاً /له بحيث، ونافع وابن عامر 55/ب
بكسر الهاء وفتح التاء إلا أن هشاماً بهمز. وقد روي عنه ضم التاء أيضاً ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ﴾ [الآية 23] أعوذ بالله معاذاً ﴿إِنَّهُ﴾ [الآية 23] أي الشأن ﴿رَبِّي﴾ [الآية 23] أي سيدي ومالكي ﴿أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ [الآية 23] أي مكاني ومحل تعهدي فليس من جزاء فضله أن أخونه في أهله. وقيل: الضمير لله أي إنه خلقني وأحسن تربيتي بتحسين منزلتي حيث عطَّف على قلب سيدي عليَّ حتى مال إليَّ فلا أعصيه بمقابلة إنعامه لديّ ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [الآية 23] المجازون الحسنى بالسيئة.

وأفاد الأستاذ: أنها لما أغلقت عليه أبواب الغرفة فتح الله عليه أبواب العصمة والمعرفة والمروءة. وفي التفسير: إنه حفظ حرمة الرجل الذي ادعى أنه اشتراه وهو العزيز، وفي الحقيقة أشار بقوله: ﴿إِنَّهُ رَبِّي﴾ [الآية 23] إلى

الحق تعالى فقال: ﴿أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ [الآية 23] حيث خلصني من الجب وأوقع لي الحب في قلب العزيز حيث قال: ﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ﴾ [الآية 21] فلا ينبغي أن أقدم على عصيانه وقد أفردني بجميل إحسانه. ويقال: لما حفظ حرمة المخلوق بظهر الغيب منه خوف الوبال أكرمه الحق سبحانه بالإمداد بأن عصمه في الحال ومكَّنه من مواصلتها في المآل على الوجه الحلال. وأما ما في تفسير السلمي من أنه قيل لما نظر في ترك المعصية إلى صاحبه ووليّ نعمته الأدنى ولم ينظر إلى ربّه ووليّ نعمته الأعلى عوقب بالهمّ، قيل: ﴿هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا﴾ [الآية 24] ففيه نظر وبحث باهر إذ شأن الأنبياء أعلى من ذلك لوصولهم إلى مرتبة الجمع الذي لا يتصور ذلك هنالك. وعن التنزل أنه أراد بربّ العزيز إنما خاطبها بهذا الجوهر الكنيز لتنتبه عن الغفلة من إحسان زوجها إليها الموجب لإيجاب إحصان نفسها عليها، وأيضاً ورد في الحديث: «من لم يشكر الناس لم يشكر الله»(1). وفسر الصالح ممن جمع بين حقوق الله وحقوق ما سواه ولا يلزم ممن أنكر الخلق نسيان ذكر الحق.

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا﴾ [الآية 24] أي قصدت مخالطته وقصد مخالطتها، والمراد بهمِّه ميل طبعه البشري لا قصده الاختياري وذلك مما لا يدخل تحت التكليف الإلٰهي بل الحقيقي بالثناء الجميل والجزاء الجميل من الله سبحانه / من 56/أ
يكفّ نفسه عند قيام هذا الهمّ عن العقل المهتم أو المراد بهمِّه همَّ المشارفة فتكون الجملة من قبيل المشاكلة والمقابلة وقد وقف بعضهم على قوله همت به وجعل قوله وهمَّ بها متصلاً بقوله: ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ [الآية 24] فلا إشكال حينئذ من جهة المعنى وإن كان هذا الإعراب ضعيفاً من نحو المبنى فقيل: تمثّل له جبريل أو يعقوب في نظره عاضاً على أصبعه، وقيل: جاءه النداء من عالم السماء أتعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب في ديوان الأنبياء.

وفي تفسير السلمي قال ابن عطاء: همَّت به همَّ شهوة وهمَّ بها همَّ

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (4/ 51) رقم (3582)، وفي المعجم الكبير (2/ 356) رقم (2501)، والترمذي في الجامع الصحيح (1955)، وأحمد في المسند (12/ 472) رقم (7504).

موعظة تزجرها عن همّها ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ [الآية 24] قال واعظاً في قلبه وهو واعظ الله في قلب كل مؤمن.

وقال جنيد: تحرك طبع البشرية في يوسف ولم يعاونه طبع العادة والعبد في تحريك الخلقة فيه غير مذموم.

وقال ابن عطاء: قالت زليخا ليوسف: اصبر إلي ساعة حتى أعود إليك، قال: فما تفعلي، قالت: أغطي وجه ذلك الصنم فإني أستحيي منه، فتذكر يوسف عند ذلك اطلاع ربه فهرب منها، فذلك البرهان. وقيل: لولا أن رأى برهان ربه لهمّ بها، وفي الآية تقديم وتأخير.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ [الآية 24] مثل التثبيت ثبتناه ﴿لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [الآية 24] خيانة السيد ﴿وَٱلْفَحْشَآءَ﴾ [الآية 24] الزنا، ذكره المفسرون وقيل: السوء الهم والفحشاء الموافقة، ذكره السلمي. أو السوء العزم والفحشاء مقدمة الزنا وهذا المعنى هو المناسب لمراتب الأنبياء.

وقد أفاد الأستاذ: أنه سبحانه صرف عنه السوء حتى لم يوجد منه العزم على ذلك الفعل وإن كان منه همّ لم يكن ذلك جزماً والصرف عن الطريق إذ بعد الحصول يكون كشفاً لا صرفاً ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [الآية 24] الذين أخلصهم الله لطاعته. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بكسر اللام حيث جاء: أي الذين أخلصوا دينهم لله.

قال جنيد: أول ما يبدؤوا من الإخلاص في أحوال الأولياء خلوص سرائرهم وهممهم وإرادتهم وأحوالهم ثم خلوص أفعالهم فمن لم يخلص في سره لا ينال الإخلاص في فعله.

وأفاد الأستاذ: أنه لم يكن نجاته وخلاصه في إخلاصه ولكن في صرفه عن السوء واستخلاصه.

﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ﴾ [الآية 25] تبادرا الباب البراني وذلك أن يوسف فرّ / منها 56/ب
ليخلص عنها وأسرعت عنه لتمنعه الخروج بناء على أن غرضها وتعلّقت بثوبه

وأجذبته من خلفه ﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ﴾ [الآية 25] شقّته من طوله ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا﴾ [الآية 25] وجدا زوجها ﴿لَدَا ٱلْبَابِ﴾ [الآية 25] حاضراً فرآها معه فاستحيت منه فاحتالت في دفع التهمة عنها بإيقاعها عليه لنقصان محبتها وقلة عقلها ومروؤتها مع عدم ديانتها ﴿قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الآية 25] إيهاماً بأنها فرّت منه بترفُّع لساحتها عند زوجها وإغرائه على يوسف انتقاماً منه لحرمانها.

وفي تفسير السلمي قيل: لو فر إلى ربّه والتجأ لكفى ولكنه لما هرب منها وفرّ بنفسه عنها أحلّ نفسه محل التهمة حتى قالت: ﴿مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا﴾ [الآية 25]. قلت: وهذه طريقة الملامتية من السادة الصوفية عملاً بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة:الآية 54].

وقال ابن عطاء: لم تستغرق هي في محبتها بعد فلم تجب بالصدق وآثرت نفسها على نفسه فلما استغرقت في المحبة أظهرت بالحق وآثرت نفسه على نفسها وقالت: ﴿ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الآية 51].

وقال الأستاذ: لم يضر يوسف ما قدّت من قميص دنياه بعدما صح عليه لباس تقواه، ويقال: لقنته حديث السجن أو العذاب الأليم لئلا يقصد قتله ففي عين ما سمعنا به نظرت له وأبقت عليه.

﴿قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى﴾ [الآية 26] طالبتني بالمواطأة. وإنما قال ذلك دفعاً للتهمة لما عرّضته له من العقوبة ولو لم تكذب بمقالتها لسكت عن حالها ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ [الآية 26] صبي في المهد من أهلها ابن عمتها أو خالها وإنما ألقى الله الشهادة على لسان أهلها ليكون ألزم عليها، وقد قيل: إذا كان العبد صادقاً في نفسه لم يبال الله أن ينطق الحجر لأجله ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [الآية 26] لأنه يدل على أنها جرت قميصه من قدّامه بالدفع عن نفسها.

﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [الآية 27]

لأنه دال على أنها تبعته فجذبت ثوبه فقدّته وتسميتها شهادة لأنها أدّت موادها
57/أ حيث ثبت قول يوسف وبطل / قولها.

﴿فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ﴾ [الآية 28] أي هذا الأمر من كيدكن والخطاب لها ولأمثالها ﴿مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ [الآية 28] فإن كيد النساء ألطف من الجلب وأعلق بالقلب وأشد تأثيراً في النفس ولأنهن يمكرن الرجال مواجهة والشيطان يوسوس به مسارقة فلا ينافيه قوله سبحانه: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النِّساء:الآية 76]، ولا يبعد أن يقال: إن كيد الشيطان بغير توسطهن ضعيف لما في الحديث من أن «النساء حبائل الشيطان»[1] أي شبكته في مصيدته.

وفي تفسير السلمي: أنا أخاف من النساء أكثر من الشيطان لما سبق من الآيتين.

وقال الشبلي: كيدهن عظيم على من يدركه من ربه التوفيق والرعاية فأما من كان بعين الحق فكيف يكيده كايد.

﴿يُوسُفُ﴾ [الآية 29] خذ منه حرف الغنة لكمال قربه ونقطته لحديثه ﴿أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا﴾ [الآية 29] استظهر ولا تظهره ﴿وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ﴾ [الآية 29] يا زليخا، وأسقط اسمها لجمال الإعراض عنها ﴿إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ﴾ [الآية 29] من القوم المذنبين وتذكير للتغليب.

وقال الأستاذ: ليس كل إحداها البلاء إن البلاء من صنعة أرباب الولاء فأما الأجانب فتجوز عنهم ويخلى سبيلهم لا لكرامة محلهم ولكن لحقارة قدرهم. هذا يوسف عليه السلام كان بريء الساحة فظهر للكُلِّ سلامة جانبه فابتلي بالسجن وامرأة العزيز ظهر سوء فعلها ثم لم ينزل شظية من البلاء بها.

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ﴾ [الآية 30] هي اسم لجمع امرأة وتأنيثه بهذا الاعتبار غير

(1) تخريج أحاديث الإحياء (5/ 477) رقم (2777)، والمقاصد الحسنة (1/ 695) رقم (1247)، وكشف الخفاء (2/ 315) رقم (2802).

حقيقي ولذا ذكر فعله ﴿فِي ٱلْمَدِينَةِ﴾ [الآية 30] أي في مصر ﴿ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ﴾ [الآية 30] تطلب مواقعة غلامها إياها وتريد موافقته لها في هواها ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ [الآية 30] أي من شقّ شغاف قلبها وهو حجابه كمال حبها حتى وصل إلى فؤادها. وقرأ شغفها أي أحرق حبهُ قلبها ولبّها.

وفي تفسير السلمي قال بعضهم: إشغاف في الحب حال الجمود حين لا عبرة عما به ولا الإخبار عن قلبه كما قال تعالى في قصة موسى: ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى﴾ [الشُّعَرَاء:الآية 13]. وقال: جنون المحبة ألا يرى جفاء الحبيب له جفاء بل يرى جفاءه وفاء. وقيل: أدخلها حبه حتى لم تكن تعرف سواه ولم يكن للملامة عليها من الغير أثر بل ولم يكن عن غيره خبر ﴿إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الآية 30] أي بعد أن ظهر عن صوب / الصواب حيث صارت للعبد 57/ب
من الأحباب في وراء الأبواب. وقيل: الضلال هو العشق بالكمال ومنه قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧﴾ [الضّحى:الآية 7].

وفي تفسير السلمي: سأل جعفر بن محمد عن العشق فقال: ضلال. ثم قرأنا: ﴿لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الآية 30] معناه في عشق ظاهر. وقال بعضهم: في غلبة العشق ضلّ فيه بصيرتها وعقلها فلم يبق عليها محل الكتمان من غلبت شوقها وكثرت ذوقها.

وأفاد الأستاذ: أن الحب لا يكتم ولا يجوز ولا يكون محبة إلا وأتيح لها لسان العذول ولما تحقق لها في يوسف مقام المحبة بسطت النسوة فيها لسان الملامة إثم كل من كان أحسن قيمة [أسرع] إلى الملامة كنَّ النسوة وكنّ من جملة خدمها بلا ملامة.

﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾ [الآية 31] بنيّاتهن، وسمي مكراً لأنهن قلن ذلك توسلاً لما وصل يوسف زعماً منهن أنها ترينهن ﴿أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ﴾ [الآية 31] تدعوهن ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا﴾ [الآية 31] يتكئ عليها من الوسائد وغيرها أو مجلس طعام فيه نحو الأترنج وغيره مما يحتاج إلى الآلة في قطعه ﴿وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا﴾ [الآية 31] حتى يتكئن والسكاكين في أيديهن فإذا خرج عليهن يبهتن

ويشغلن عن نفوسهن فتقع أيديهن على أيديهن فيقطعنها فيبكتن بالحجة لديهن ﴿وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾ [الآية 31] وأشارت إلى رفعة مقامه حيث لم تقل إليهن لا سيما وقد قصدت به إضرارهن فإنها صارت كالضرة لهن لملامتهن وعدم ملاءمتهن ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ﴾ [الآية 31] عظّمنه وهِبْن حسنه. وقد ورد في الخبر عن سيد البشر أنه رآه ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر ﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ [الآية 31] جَرحْنَ ما في أيديهن أي كفوف أيديهن ﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ﴾ [الآية 31] تنزيهاً له من عجزه وتعجباً من قدرته على خلق مثله وأصله حاشا كما قرأه أبو عمرو ووصلاً فحذف ألفه الأخيرة تخفيفاً ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ [الآية 31] ألا إن هذا الجمال غير معهود وفي جنس البشر موجود ﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [الآية 31] فإن الجمع بين الجمال الرائق والكمال الفائق والعصمة البالغة من خواص الملائكة.

58/أ وقال الأستاذ: أرادت أن تقلب عليهن استحقاق الملامة / وتنفي عن نفسها أن يكون لها أهلاً بالسلامة فعملت بهن ما عملت فلما رأينه تغيرن وتحيرن ونطقن بخلاف التمييز على حسب ما تصورن فقلن: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ [الآية 31] وكان بشراً، وقلن: ﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [الآية 31] ولم يكن ملكاً.

﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾ [الآية 32] أي فهذا هو ذلك العبد الكنعاني الذي لمتنني فيه وفي الافتتان به قبل أن تتصورونه حق تصوره ولو تصوّرتنه بما عاينتن لعذرتنّني أو فهذا الذي لمتنني في محبته وكمال مودته.

قال النصرآبادي: العذر في طلب العشق من نقصان العشق، ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: أنه لما أثر في النسوة رؤية يوسف عليه السلام حتى قطعن أيديهن بدل الثمار ولم يشعرن عن حالهن في ذلك المقام أوضحت بذلك عذرها عندهن لدفع الملام فقالت هذا بأول لقيتهنّ له لم يتمالكن حتى قطعن أيديهن فكيف يتصور الصبر لي وهو معي في منزلي. ويقال: إن امرأة العزيز كانت أتم في حديث يوسف من النسوة فأثر رؤيته فيهن ولم يؤثر فيها لأنها بطول اللقاء قوي حالها فصارت رؤية يوسف لها غذاء معتاداً بها فلم

يؤثر فيها والتعبير صفة أهل الابتداء في الأمر فإذا دام المعنى نال التغير. قال الصديق لمن رآه يبكي وهو قريب العهد بالإسلام: هكذا كنا حين قست القلوب أي قويت وصلبت وكذا الحرق أول ما يطرح فيه الماء يسمع له نشيش[1] فإذا انفرد شراب الماء سكن فلا يسمع له صوت أصلاً.

﴿وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ﴾ [الآية 32] فامتنع طالباً للعصمة في حاله، أقرّت لهن حيث عرفت أنهن يعذرنها حيث ابتلين ببلائها ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ﴾ [الآية 32] أي ما آمر به أو موجب أمري به ﴿لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ [الآية 32] أي الأذلين.

﴿قَالَ رَبِّ﴾ [الآية 33] يا ربي ﴿ٱلسِّجْنُ﴾ [الآية 33] أي مكان الحبس، وقرأ يعقوب بفتح السين أي احتباسي لا احتراسي ﴿أَحَبُّ إِلَيَّ﴾ [الآية 33] أي آثر عندي ﴿مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾ [الآية 33] من الموافقة نظراً إلى العاقبة التي هي حالة المعاقبة وإسناد الدعوة إليهن لأنهن خوفنه عن مخالفتها وزين له مطاوعتها أو لأن كل واحدة منهن كانت تدعوه / إليها بلسان حالها وعرض جمالها. قيل: إنما ابتلي 58/ب
بالسجن لقوله هذا وكان الأولى به أن يسأل الله العافية.

وفي «**تفسير السلمي**» قال بعضهم: توهم يوسف أن السجن ينجيه من الفتنة والبلوى فأوقعه في الفتنة الكبرى حتى قال لصاحب السجن: ﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾ [الآية 42]. قال بعضهم: ترك طريق الاضطرار واختار تركه مع اختياره حتى لبث في السجن ما لبث بالتثبيت على العصمة. وقوله له من السجن تلك الخطيئة الفظيعة وهو الركن إلى غير الحق بقوله: ﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾ [الآية 42].

﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى﴾ [الآية 33] بالتثبيت على العصمة ﴿كَيْدَهُنَّ﴾ [الآية 33] في تحبيب ذلك إلي وتحسينه لدي ﴿أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾ [الآية 33] أمِلْ إلى إجابتهن أو إلى ذاتهن بحسب طبيعتي وموجب شهوتي وأصل الصبوة الميل إلى الهوى ومنه الصبي، وكذا الصبا لأن النفس تستطيبها وتميل إلى هبوبها ﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾

(1) صوت اللحم عند القلاء. انظر تاج العروس (1/ 7680).

[الآية 33] من الذين لا يعلمون بما يعملون فإنهم والسفهاء سواء.

وأفاد الأستاذ: إن الاختبار مقرون بالاختيار ولو تمنى العافية بدل ما كان يدعى إليه لعله لأنه كان يعافى مما عليه. ويقال: إنه نطق عن عين التوحيد حيث قال: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾ [الآية 33] علم أن نجاته من البلاء بصرفه سبحانه للطفه لا بتجنُّبه ولا بتكلُّفه. ويقال: لما آثر يوسف لحوق المشقة في الله على لذّة نفسه وهواه آثره على إخوته وأهل عصره حتى قيل له في آخر أمره: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ [الآية 91].

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ﴾ [الآية 34] دعاءه ونداءه ورجاءه في الخلاص عنهن ﴿فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ﴾ [الآية 34] ولا بتثبيت العصمة ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ [الآية 34] لدعاء الملتجئين ﴿الْعَلِيمُ﴾ [الآية 34] بدل المضطرين.

وقال الأستاذ: لما رجع إلى الله بصدق الاستعانة تداركه سبحانه بحق الإغاثة كذلك ما اغبرّ لأحد في سبيل الله قدامه إلا لاح عليه كرمه وتوالى لديه نعمه.

﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ﴾ [الآية 35] أي هم للعزيز وأهله بعدما رأوا الشواهد الدالة على براءة يوسف من شهادة الصبي وقدّ القميص وقطع النساء أيديهن واستقصائه عنهن، وفاعل بَدَا مضمر يفسره ﴿لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ﴾
59/أ [الآية 35] وذلك لأنها خدعت زوجها وحملته/ على سجنه زماناً دفعاً للتهمة عنها.

قال الأستاذ: لما سجن العزيز يوسف مع ظهور براءته أبقى على امرأته أن ينتهك سترها وجميل حالته حول الله ملكه وملكه إليه ثم في آخر الأمر حكم الله له بأن صارت امرأته بعد مقاساتها الضر لديه وهكذا جرى من صبر لله وفي حكم الله عليه.

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ﴾ [الآية 36] أي واتفق أن دخل حال دخوله السجن خادمان من عبيد الملك شرابيه وخبازهُ ﴿قَالَ أَحَدُهُمَا﴾ [الآية 36] وهو الشرابي ﴿إِنِّي أَرَانِي﴾ [الآية 36] في المنام وهي حكاية حال ماضية ﴿أَعْصِرُ خَمْرًا﴾

[الآية 36] أي عنباً، وسماه خمراً باعتبار مآله ﴿وَقَالَ ٱلْآخَرُ﴾ [الآية 36] أي الخباز ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ﴾ [الآية 36] تنهش من ذلك الخبز ﴿نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ﴾ [الآية 36] أي بتعبيره ومآل أمره ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [الآية 36] أي الذين يحسنون تأويل الرؤيا. وإنما قالا ذلك لأنهما رأياه في السجن يذكر الناس ويعبر رؤياهم أو من المحسنين إلى أهل السجن فأحسن إلينا بتأويل ما رأينا إن كنت تعرفه فإنك من العالمين العاملين.

وقال ابن عطاء: أي من المائلين إلى الفقراء بالإحسان إليهم والقعود معهم والأنس بهم. وقيل: من المحسنين إلى المسيئين.

وأفاد الأستاذ: إن شهود الإحسان من المحسن ذريعة بها يتوسل إلى استجلاب إحسانه.

﴿قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ﴾ [الآية 37] أي بتأويل ما قصصتما عليّ ﴿قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ﴾ [الآية 37] أي بذلك التأويل ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ﴾ [الآية 37] بالوحي والإلهام بالتكهن والتنجم والإزلام ﴿إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ﴾ [الآية 37] كأنه أراد قبل أن يؤول رواياتهما أن يدعوهما إلى التوحيد القويم والطريق المستقيم كما هو سنَّة الأنبياء وعادة الأولياء من علماء الأصفياء في الهداية من البداية إلى النهاية وقدم الإخبار بالغيب ليكون لهم معجزة دالة على صدقه في التعبير والدعوة.

﴿وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ﴾ [الآية 38] أظهر أنه من بيت النبوة لتقوية الرغبة في استماع الدعوة واستقبال الإجابة ولذلك جوز للخامل من العالم العامل أن يصف نفسه ليعرف حاله فيلتبس معه كماله.

59/ب وقال أبو / عثمان: أسلم الطرق من الاغترار طريق الاقتداء لأنها طريق الأئمة الأبرار ﴿مَا كَانَ لَنَآ﴾ [الآية 38] ما صح لنا معشر الأنبياء ﴿أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ﴾ [الآية 38] أي أي شيء كان من الأشياء سفلياً أو علوياً أو لا شركاً جلياً ولا خفياً ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية 38] التوحيد لدينا ﴿مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا﴾ [الآية 38] بالوحي إلينا ﴿وَعَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [الآية 38] سائرهم تبعثنا لإرشادهم إلى حسن معاشهم

وزاد معادهم ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ [الآية 38] المبعوث إليهم ﴿لَا يَشۡكُرُونَ﴾ [الآية 38] هذا الفضل المنعم عليهم فيعرضون عن الإيمان ويسيئون في مقابل الإحسان.

قال الواسطي: رؤية الفضل حسن ورؤية التفضل أحسن ورؤية المتفضل والغنى عن رؤيته أحسن وأحسن. وقيل: أحسن الناس حالاً من رأى نفسه تحت ظل فضله ونعمه لا تحت سعيه وعمله.

﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ﴾ [الآية 39] أي ساكنيه ﴿ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ﴾ [الآية 39] آلهة متعددة في التفرقة متحددة ﴿خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ [الآية 39] أي المنفرد الغالب الذي لا يعادله ولا يقاومه غيره.

﴿مَا تَعۡبُدُونَ﴾ [الآية 40] أي أنتما ومن على طريقتكما ﴿مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ﴾ [الآية 40] أي إلا أشياء باعتبار أسامي أطلقتم الآلهة عليها من غير حجة تدل على تحقق مسمياتها لا من جهة العقل ولا من طريق النقل ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ﴾ [الآية 40] في أمر العبادة ﴿إِلَّا لِلَّهِۚ﴾ [الآية 40] المستحق لها بالذات المستجمع لكمال الصفات فهذا بطريق العقل وأما بطريق النقل فأشار إليه بقوله ﴿أَمَرَ﴾ [الآية 40] أي على لسان أنبيائه ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ﴾ [الآية 40] التوحيد الصدق ﴿ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ﴾ [الآية 40] الحق ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الآية 40] لا يميزون بين المعوج والمستقيم.

﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا﴾ [الآية 41] وهو الشرابي ﴿فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ﴾ [الآية 41] يعود إلى سقيه إياه ﴿وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ﴾ [الآية 41] على طبق ما رأياه، فقالا: كذبنا في رؤيانا فقال: ﴿قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ﴾ [الآية 41] قطع ما يؤول إليه أمركما وتحقق عاقبة ما نزل بكما على وفق استفتائكما.

وأفاد الأستاذ: أنهما اشتركا في دخول السجن وحصول السؤال وتباينا
60/أ في المآل واحد صلب وواحد وهب له وقُرِّب، كذا قضايا / التوحيد واختيار الحق المريد لما يشاء بالعبيد فمن مرفوع فوق السماك مطلعه ومن موضوع

تحت التراب مضجعه. أقول: ولعل في الآية إشارة إلى أن الدنيا سجن الفريقين في الحال مع اختلافهما في العقبى من حيث المآل.

﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا﴾ [الآية 42] الظانّ يوسف إن ذكر ذلك عن اجتهاد وإن ذكره عن وحي فهو الناجي إلا أن يؤول الظن باليقين ﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾ [الآية 42] أي اذكر حالي عند الملك كي يخلصني من ذلك ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [الآية 42] أي أنسى الشيطان الشرابي أن يذكر وأنسى يوسف ذكر الله في قوله حتى استعان بما سواه ويؤيده حيث رحم الله أخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك لما لبث في السجن سبعة بعد الخمس[1] والاستعانة بالعباد في كشف الشدة وإن كانت محمودة في الجملة لكن لا تليق بمنصب أرباب النبوة وأصحاب الولاية.

قال أبو سعيد القرشي: لما قال لصاحب السجن: ﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾ [الآية 42] نزل جبريل عليه السلام وقال: إن الله يقرؤك السلام ويقول: من حببك إلى أبيك من بين إخوتك ومن قيّض لك السيارة ومن طرح في قلب من اشتراك مودّتك ومن صرف عنك وبال المعصية وعصمك، قال: هو الله سبحانه، قال: فإنه يقول: حفظتك في هذه المواضع أخشيت أن أنساك في السجن حتى استعنت بغيري أما كان ربك أقرب منك وأقدر على خلاصك لتلبثن فيه بضع سنين، قال يوسف: وربي عني راض، قال جبريل: نعم، قال: لا أبالي ولو إلى الساعة[2].

وقال أبو حفص: قال الله تعالى ليوسف: أنت الذي طلبت مني السجن لم تستشفع لغيري في الخلاص منه. وقال ابن عطاء: غار الحق على يوسف حين غلب عليه البشرية بالرجوع في حاجته إلى البرية فأدركه الحق لقطع حاجته منهم وإيصاله إلى حاجته في سر الغيب عنهم، ذكره السلمي.

---

(1) أورده الرازي في تفسيره (9/ 49)، والنيسابوري في تفسيره (4/ 366)، والسيوطي في الدر المنثور (4/ 541)، والبيضاوي في تفسيره (1/ 289)، والقرطبي في تفسيره (9/ 196).

(2) أخرجه الحاكم في المستدرك (2/ 263) رقم (2948)، وأحمد في المسند (2/ 346) رقم (8535)، والطبري في تفسيره (16/ 136)، وابن كثير في تفسيره (4/ 394).

وقال الأستاذ: بين أن تعبير الرؤيا وإن كان حقاً فطريقه غلبة الظن دون
60/ب القطع ولو كان صدقاً، ثم إنه عوتب يوسف عليه السلام بأن / نسي حديثه من استعان به لئلا يطلب على نشره علمه عوضاً بعده ففي بعض الكتب المنزلة: يا ابن آدم علم مجاناً كما علمت مجاناً.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ﴾ [الآية 43] أي رأيت ﴿سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ﴾ [الآية 43] قد انعقد حبها ﴿وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ﴾ [الآية 43] وسبعاً أخر حصل كمالها فالتوت اليابسات على الخضر حين غلبن عليها وإنما استغنى عن بيان حالها بما قصّ من حال البقرة ومآلها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ﴾ [الآية 43] أي عبّروها ﴿إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [الآية 43] إن كنتم عالمين لعبارة الرؤيا وهي الانتقال من الصورة الخالية إلى المعاني النفسية التي هي بمنزلة المرآة الجلية وانعكاس صور جمالها في المراتب المثالية واللام لتقوية العامل فإن الفعل لما أخر عن مفعوله ضعف فقوي باللام كاسم الفاعل.

قال الأستاذ: كان ابتداء بلاء يوسف بسبب رؤيا رآها فنشرها وسبب نجاته أيضاً رؤيا رآها الملك وأظهرها ليعلم أن الله يفعل ما يشاء بالعبيد ويحكم ما يريد.

﴿قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ﴾ [الآية 44] أي هذه تخاليطها ومظنة تغاليطها ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ﴾ [الآية 44] المختلطة ﴿بِعَٰلِمِينَ﴾ [الآية 44].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا﴾ [الآية 45] من صاحبي السجن وهو الشرابي ﴿وَٱدَّكَرَ﴾ [الآية 45] أصله اذتكر من الذكر فأبدل التاء إلا وأدغم، والمعنى تذكر حال يوسف ومقاله ﴿بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [الآية 45] جماعة من الأزمنة مجتمعة أي مدة طويلة، والجملة اعتراض بين القول ومقوله ﴿أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ﴾ [الآية 45] إليّ مَن عنده علمه.

فأرسل إلى ﴿يُوسُفُ﴾ [الآية 46] فجاءه وقال له يوسف: ﴿أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾ [الآية 46] المبالغ في الصدق لما جربه في إخباره الحق ﴿أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ﴾ [الآية 46] أي في

تعبير رؤيا ذلك ﴿لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ﴾ [الآية 46] أعود إلى الملك ومن عنده ﴿لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [الآية 46] تأويلها أو مرتبتك.

وقال الأستاذ: لما كان المعلوم لله والمحكوم أن ملك يوسف عليه السلام يكون في ذلك الوقت قبض الله القلوب حتى خفي عليها تعبير تلك
الرؤيا ولم يحصل / للملك ثلج الصدر إلا بتعبيره فإنه سبحانه إذا أراد أمراً حكم به 61/ أ
سهَّل تمام أسبابه، ويقال: إن الله تعالى أفرد يوسف من بين أشكاله بشيئين بحسن الخلق وبزيادة العلم فصار جماله سبب بلائه وصار علمه سبب نجاته ليعلم مزية العلم على غيره، ولهذا قيل: العلم يعطي ولا يعطى. ويقال: إذا كان العلم بالرؤيا يوجب ملك الدنيا فالعلم بالمولى أولى أن يوجب الملك في العقبى.

﴿قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا﴾ [الآية 47] أي على عادتكم المستمرة. وقرأ حفص بفتح الهمزة وكلاهما مصدر دأب في العمل وانتصابه على الحال أي دائبين والأظهر أن تزرعون أمراً خرجه في صورة الخبر مبالغة لقوله: ﴿فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ﴾ [الآية 47] لئلا يأكله السوس ﴿إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ﴾ [الآية 47] في تلك السنين مما تحتاجون.

﴿ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ سَبۡعٞ شِدَادٞ يَأۡكُلۡنَ مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ﴾ [الآية 48] ما ادخرتم لأجلهن، والمراد أهلهن وللمطابقة بين المعبر والمعبر عنه أسند الأكل مجازاً إليهن ﴿إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ﴾ [الآية 48] تحفظون لبذور الزراعة فيما بعدهن.

﴿ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الآية 49] ما يعصر كالعنب والزيتون لكثرة الثمار فيه. وقرأ حمزة والكسائي بالخطاب على تغليب المستغني في الجواب وهذه بشارة بشرهم بها بعد أن أوّل البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخصبة والعجاف واليابسات بسنين مجدبة واتباع العجاف والسمان بأكل ما جمع في السنين المخصبة المجذبة، ولعله علم ذلك بوحي الرب أو بأن انتهاء الجذب يكون بالخصب أو بأن السنّة الإلٰهية على أن يوسع على عباده بعد ما ضيق عليهم لقوله سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ﴾ [البَقَرَة:الآية 245].

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦ﴾ [الآية 50] بعدما جاء الرسول بنقل تعبيره خشية تغييره في كيفية تصويره ﴿فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ﴾ [الآية 50] في طلبه ﴿قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ [الآية 50] خوفاً من حاسد أن يتوسل إلى تقبيح أمره ﴿فَسْـَٔلْهُ﴾ [الآية 50] أي أطلب منه أن يفتش ويفحص عن موجب الحبس من جهة التهمة ﴿مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ [الآية 50] ليظهر براءة ساحته فيما أردن من كيدهن
61/ب لإطلاعهن/ على امتناعه من الميل إليهن ﴿إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ [الآية 50] وإنما أريد نفي التهمة كما دأب كل كريم مخافة طعن كل لئيم. وفيه وعيد لهن على كيدهن ووعد لمن احترس عن مكرهن. وعنه ﷺ في مدحه لصبر يوسف بطريق المبالغة: «لو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث لأسرعت الإجابة»(1).

وأفاد الأستاذ: أن يوسف عليه السلام أراد أن لا يلاحظه الملك بعين الخيانة فتسقط هيبته عن قلبه فلا يؤثر فيه قوله فذلك توقف حين ظهر أمره.

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ﴾ [الآية 51] ما شأنكن ﴿إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ [الآية 51] لها أو لكن حتى ظهر أمره لكن ﴿قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ﴾ [الآية 51] تنزيه له وتعجيب من قدرته على خلق عفيف مثله في براءة ساحته ﴿مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ﴾ [الآية 51] أي من خطيئة لا صغيرة ولا كبيرة، ومن زائدة للمبالغة في نفي قليله وكثيره.

وأفاد الأستاذ: أن الحقائق لا تكتم أصلاً ولا بد أن تبين ولو بعد حين فصلاً فصلاً لنسب يوسف إلى ما كان منه بريئاً ولبث على ذلك ملياً وكان أمره عليهم خفياً. ثم إن الله تعالى رفع التهمة ودفع المظنة وأنطق جذاله وأظهر حاله وطهر عما قذف به سرباله حيث قلن: ﴿حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ﴾ [الآية 51]. ثم لما كانت محبة زليخا ناقصة في يوسف رمت ذنبها عليه وبعدما تناهت في محبته واستكملت في مودته أقرّت بذنبها ونظافة ساحته، فالتناهي في الحب يوجب هتك الستر وقلة المبالاة بظهور الأمر

(1) أورده البيضاوي في تفسيره (1/ 2930).

والسر كما قال قائلهم:

ليقل مَن شاء ما شاء فإني لا أبالي[1]

وهذا معنى قوله سبحانه: ﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٔـٰنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ﴾ [الآية 51] واستقر ﴿أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ [الآية 51] وكنت من الكاذبين ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ [الآية 51] في قوله هي راودتني عن نفسي ﴿لَمِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ [الآية 51].

ولما عاد إليه الرسول وأخبر بكلامهن قال: ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية 52] أي الاهتمام بإعلام أمرهن ﴿لِيَعْلَمَ﴾ [الآية 52] العزيز وغيره ﴿أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ﴾ [الآية 52] أي وأنا غائب عنه أو هو غائب عني أو مكان الغيب من وراء الأستار المعلقة والأبواب المغلقة ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ/ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [الآية 52] لا ينفذ 62/أ
كيدهم ولا يسد مكرهم بل يرجع إليهم أمرهم كما في قوله: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر:الآية 43].

وأفاد الأستاذ: أن يوسف عليه السلام إنما أراد أن يظهر براءة ساحته لأنه علم أنهم يستحقون العقوبة بل ما يبسطون فيه من ملامته فلم ير أن يصيبهم بسببه من قبل الله آفة شفقة منه على عباده سبحانه وهذه صفة أوليائه لا يكونون خصم أنفسهم ولهذا قيل: الصوفي دمه هدر وماله مباح.

﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ﴾ [الآية 53] لا أنزهها عن ذنبي تنبيهاً على أنه لم يرد بذلك تزكية نفسه ولا إعجاب حاله بل إظهار ما أنعم الله عليه من العصمة والتوفيق بفضله وكرمه ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [الآية 53] من حيث إنها مائلة إلى الشهوات بطبعها وتستعمل القوة والجوارح في أثرها في جميع الأوقات والحالات ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ﴾ [الآية 53] أي مدة رحمته وحالة عصمته أو إلا من رحمه الله من النفوس فعصمه عن السوء في الأنفاس.

وقال ابن عطاء: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ﴾ بنفسي ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ﴾ بربي ﴿إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ﴾ [الآية 53] للمسيئين ﴿رَّحِيمٌ﴾ [الآية 53] للمحسنين. وعن ابن عباس رضي

(1) لم ينسب لأحد، وقد أورده القشيري في تفسيره (1/ 307) و(3/ 431).

الله عنه أنه لما قال ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب قال له جبريل: ولا حين هممت[1]، فقال: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓ﴾ [الآية 53] الآية.

وأفاد الأستاذ: أن قوله: ﴿لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ [الآية 52] بيان الشكر لما عصمه الله. وقوله: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓ﴾ [الآية 53] بيان العذر لما قصر في أمر الله، فاستوجب لشكره زيادة الإحسان واستحق بعذره العفو والغفران.

﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ﴾ [الآية 54] أجعله صاحباً خالصاً لمجلسي ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ﴾ [الآية 54] أي فلما أتوا به وشاهد الملك نظام مرامه من كلامه ﴿قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ﴾ [الآية 54] ذو مكانة وذو أمانة.

قال ابن عطاء: كيف لم يستخلصه لنفسه وقد استخلصه الحق من قبله فهو لديه من المخلصين، ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: أنه لما اتضح للملك طهارة فعله ونزاهة حاله استحضره لاستصفائه لنفسه فلما كلّمه وسمع بيانه رفع محله ومكانه وضمن برّه / 62/ب
وإحسانه.

﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ [الآية 55] أي ولّني أمر أرض مصر الموضوعة للزراعة وضبطها ﴿إِنِّي حَفِيظٌ﴾ [الآية 55] لها ممن لا يستحقها ﴿عَلِيمٞ﴾ [الآية 55] بوجوه التصرف فيها وإنما آثر هذا الكل لعلمه بما يعم فوائده ويحيل عوائده مع ما يقتضيه من البعد عن مجلس الملك والوزراء والتقرب إلى صحبة الضعفاء وخدمة الفقراء، وفيه دلالة على جواز طلب التولية وأخذها وإظهار أنه مستعد لها إذا علم أنه لا سبيل إلى إقامة الحق وسياسة الخلق إلا بحصولها وقبولها. وعن مجاهد أنه أسلم الملك على يده ببركة صحبته.

وقال الواسطي: مدح النفس قبيح إلا في وقت الإذن فيه، ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: إنما سأل جعله ليضع الحق موضعه فيوصل نصيب الفقراء

(1) أخرجه البيهقي في الزهد الكبير (1/ 377) رقم (373) وابن حجر في المطالب العالية (10/ 328) رقم (3735).

إليهم فطلب حق الله في ذلك ولم يطلب حظ نفسه هنالك ولم يقل: إني حسن جميل بل قال: إني حفيظ عليم كاتب حاسب ليعلم أن الفضل في السريرة لا في مجرد الصورة.

﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 56] أرض مصر وتوابعها ﴿يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ﴾ [الآية 56] ينزل من بلادها كل بقعة يوافقه هواها. وقرأ ابن كثير: نشأ بالنون وفيه إيماء إلى أن مشيئته تابعة لمشيئة الله المقتضية لرضاه لا ما وافقه على مقتضى طبعه وهواه.

وقال الأستاذ: لما لم يكن دواعي الشهوات من نفسه مكَّنه الله من ملكه قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا﴾ [الشّورى:الآية 23]، ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ﴾ [الآية 56] في الدنيا والأخرى ﴿وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الآية 56] بل نوفي أجورهم ونحسن أمورهم عاجلاً وآجلاً. قيل: المحسن من يرى جميع ما يجري عليه من الحق.

﴿وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ﴾ [الآية 57] أي كمية وكيفية ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [الآية 57].

قال الأستاذ: أخبر عن حقيقة التوحيد وطريقة التفريد وبيَّن ما يؤتى بعض عباده من الطاعة فبفضله لا بفعلهم وبرحمته لا بحمد منهم فقال: ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ﴾ [الآية 56]، ثم رقىٰ هممهم عما أولاهم من نِعَمه فقال: ﴿وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ﴾ [الآية 57] ثم بيَّن أنه لمن يكون ذلك فقال: ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [الآية 57] ليعلم أنه لا بد من متابعة التقوى / ومخالفة الهوى انتهى. وروي أنه لما 63/أ استوزره الملك أقام العدالة واجتهد في تكثير الزراعة وضبط أنواع القلة حتى دخلت السنون المجدبة وعمّ القحط مصر ونواحيها من كل قرية وتوجه الناس إليه وتذلّلوا بين يديه فباعهم أولاً بالدراهم والدنانير حتى لم يبق شيء معهم، ثم بالحلي ثم بالجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم بالرقاب حتى استرقهم جميعهم ثم عرض على الملك أمرهم ففوّض إليه حكمهم فأعتقهم ورد إليهم أموالهم وكان قد أصاب كنعان ما أصاب سائر البلدان فأرسل يعقوب عليه السلام

بنيه أجمعين غير بنيامين لجلب الطعام إليه.

﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ﴾ [الآية 58] حين وقفوا لديه ﴿وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ [الآية 58] لطول مدة الغيبة وتغيير الهيئة وعظمة الهيبة.

وأفاد الأستاذ: أنه عرف إخوته وأنكر معرفته لأنهم اعتقدوا أنه في رقّ العبودية وهو قد قعد في مرتبة السلطنة فمن طلب الملك في صفة العبيد معنى يعرفه كذلك من يعتقد في صفة العبودية وهو من صفات الحادث الموجود متى يكون عارفاً بالله الودود. ويقال: لما جفوه جفاهم حجاباً بينه وبين معرفتهم إياه كذلك العاصي بخطئه وزلّته ينفع غيره على وجه معرفته.

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾ [الآية 59] أصلحهم بعدتهم وقام بخدمتهم وأدى حاجتهم ﴿قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ﴾ [الآية 59] وذلك لما روي أنهم لما دخلوا عليه قال: من أنتم وما أمركم لعلكم عيون طالبون فسادكم. قالوا: معاذ الله نحن بنو أب واحد وهو شيخ صديق نبي من الأنبياء اسمه يعقوب، قال: كم أنتم؟ قالوا: اثني عشر فذهب أحدنا إلى البرية وهلك، قال: فكم أنتم ها هنا؟ قالوا: عشرة، قال: فأين الحادي عشر؟ قالوا: عند أبينا يتسلى به عن المهالك، قال: فمن يشهد لكم بذلك؟ قالوا: لا يعرفنا ها هنا من يشهد لنا، قال: فدعوا بعضكم عندي رهينة وأتوني بأخيكم من أبيكم حتى أصدقكم. فاقترعوا فأصابت
شمعون. وقيل: كان يعطي/ يوسف لكل نفر حملاً من طعام فسألوه حملاً زائداً 63/ب
لأخ لهم من أبيهم فأعطاهم وشرط عليهم أن يأتوه به ليعلم صدقهم ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ﴾ [الآية 59] أُتِّمه ﴿وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾ [الآية 59] للضيف والمضيفين لهم وكان أحسن إنزالهم وضيافتهم.

﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾﴾ [الآية 60] أي لا تقربوني ولا تدخلوا دياري معطوف على الجزاء وهو إما نهي أو نفي في البناء. قال بعضهم: من خالف أمر سيده ضيّق الله عليه في رزقه وحرم مقام تقديره، ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: إن المحب غيور، ولما كان ليعقوب تسلٍّ عن يوسف برؤية ابنه بنيامين أبت المحبة إلا أن تظهر سلطانها بالكمال فغارت عن بنيامين أن ينظر

إليه يعقوب بعين يوسف. ويقال: تلطف يوسف في استحضار أخيه بالترغيب والترهيب، أما الترغيب ففي ماله الدنيء أوصله إليهم فقال: ألا ترون إني أوف الكيل، وفي إقباله بالإكرام عليهم فقال: ﴿وَأَنَا۠ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ﴾ [الآية 59]. وأما الترهيب فيتبع المال بقوله: ﴿فَإِن لَّمۡ تَأۡتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيۡلَ لَكُمۡ عِندِي وَلَا تَقۡرَبُونِ ۝٦٠﴾ [الآية 60]، ويمنع الإكرام والإقبال بقوله: ﴿وَلَا تَقۡرَبُونِ﴾.

﴿قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنۡهُ أَبَاهُ﴾ [الآية 61] نستمهد في طلبه من أبيه ﴿وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ﴾ [الآية 61] ذلك من غير تقصير فيه.

﴿وَقَالَ لِفِتۡيَٰنِهِ﴾ [الآية 62] لغلمانه الكيالين. وقرأ حمزة والكسائي وحفص: لفتيانه على جمع الكثرة ﴿ٱجۡعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ﴾ [الآية 62] أي شروا بها الطعام ﴿فِي رِحَالِهِمۡ﴾ [الآية 62] توسيعاً لحالهم وتفضُّلاً عليهم برد مالهم وترفُّعاً من أن يأخذ ثمن الطعام من أمثالهم ﴿لَعَلَّهُمۡ يَعۡرِفُونَهَآ﴾ [الآية 62] حق ردها أو لكي يعرفوها وينكروا كونها لهم ﴿إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ﴾ [الآية 62] وفتحوا أوعية رحالهم ﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [الآية 62] لعل معرفتهم ذلك تدعوهم إلى رجوعهم إلينا بتحسين حالهم وتزيين مالهم.

﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ﴾ [الآية 63] وقصدوا أن يأتوا بأخيهم ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ﴾ [الآية 63] حكم بمنعه بعد هذا الحين إن لم نذهب ببنيامين ﴿فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ﴾ [الآية 63] ما نحتاج إليه ونرفع المانع من الكيل
64/أ المعلق عليه. / وقرأ حمزة والكسائي يكتل بالياء على إسناده إلى الأخ أي يكتل لنفسه فيضم اكتياله إلى اكتيالنا ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الآية 63] عن أن يناله مكروه منا أو من غيرنا.

﴿قَالَ هَلۡ ءَامَنُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾ [الآية 64] على حفظه ﴿إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمۡ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبۡلُ﴾ [الآية 64] وقد قلتم في يوسف وإنا له لحافظون. وقد ورد: «لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين»(1)، ﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗا﴾ [الآية 64] فأفوض أمري إليه

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (6133)، ومسلم في الصحيح (2998/ 63).

ولا أتوكل إلا عليه ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِمِينَ﴾ [الآية 64] فأرجو أن يرحمني بحفظه ولا يجمع عليّ مصيبتين من لطفه وكرمه، وانتصاب حفظاً على التمييز. وقرأ حمزة والكسائي وحفص: حافظاً وهو يحتمل التمييز والحال كقولهم: لله دره فارساً. وفي تفسير السلمي عن بعضهم قال يعقوب: جربت حفظكم في واحد حين قلتم وإنا له لحافظون واعتمدت عليكم ولم أرجع في حفظه إلى الله فلقيت فيه ما لقيت وإني في هذا أرجع إلى ربي فالله خير حافظاً، فلما استحفظه به رد إليه الأول والآخر.

وأفاد الأستاذ: إن من عرف بالخيانة لا يلاحظ بعين الأمانة ولذا لم تسكن نفس يعقوب بضمانهم لما سبق إليه من شأنهم.

﴿وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى ۖ﴾ [الآية 65] أي أي شيء تطلب وما ذلك وهل من مزيد على ما هنالك أكرمنا وأحسن مثوانا وباع منا ورد علينا متاعنا ﴿هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ﴾ [الآية 65] رحمة علينا لنستظهر بها لدينا ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾ [الآية 65] بالرجوع إلى من أحسن إلينا ﴿وَنَحْفَظُ أَخَانَا﴾ [الآية 65] في ذهابنا وإيابنا فإنه صغير ﴿وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ﴾ [الآية 65] باستصحاب أخينا على رضى أبينا ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية 65] الكيل الذي اكتاله لنا من قبل ﴿كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾ [الآية 65] قليل لا يكفينا. وفي تفسير السلمي: قال بعضهم: الإشارة في هذه الآية إلى أن أعمال الخلق كلها مردودة إليهم فإنهم إنما عملوها بأنفسهم لأنفسهم قال الله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ﴾ [الإسراء:الآية 7]، قال: فمن شكر فإنما يشكر لنفسه وإن الذي يلحقهم من المثوبات والكرامات إنما هو من جهة الجزاء، ألا ترى أن النبي ﷺ قال: «ليس ينجي أحدكم عمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله! قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته»[1].

64/ب وأفاد الأستاذ: أن يوسف عليه السلام بيَّن لهم أنه لم / يعاملهم محتاج

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (6463)، ومسلم في الصحيح (2816/ 73).

إلى عوض أخذه منهم مما باعهم فجمع لهم الكيل وما أعطوه من الثمن، والإشارة في هذا إلى قوله: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ [الإسراء:الآية 7] فكل من خطى لله خطوة كافأه الله وجازاه فيجمع له بين روح الطاعة ولذة العيش والراحة من حيث الخدمة وبين ما يعده في الآخرة من الثواب والنعمة والله سبحانه وراء كل طاعة وخدمة. قلت: وفي الحديث: «إنما هي أعمالكم أحصيها لكم»[1] أي وأردها إليكم وأجازيكم بها على وفق ما لديكم.

﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ﴾ [الآية 66] إذ رأيت ما رأيت منكم ﴿حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ﴾ [الآية 66] حتى تؤتوني ما أتوثق به من عنده، أي عهداً مؤكداً بذكره، والمعنى حتى تحلفوا بالله ﴿لَتَأْتُنَّنِي بِهِ﴾ [الآية 66] في جميع أحوالكم ﴿إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ﴾ [الآية 66] إلا أن تغلبوا هناك فلا تطيقوا ذلك ﴿فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ﴾ [الآية 66] عهدهم ﴿قَالَ﴾ [الآية 66] يعقوب ﴿اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ﴾ [الآية 66] من طلب الموثق وإثباته ﴿وَكِيلٌ﴾ [الآية 66] مطلع رقيب فلا اعتماد إلا عليه ولا استناد إلا إليه. قيل: ما اعتمد يعقوب منهم الميثاق لما سبق منهم إليه قيل ذلك من الشقاق فعلم أن مواثيقهم في حفظهم معلولة فقال: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا﴾ [الآية 64]، وقال: ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [القصص:الآية 28] أي هو الذي يحفظ قلوبكم ولا يكلكم على رأيكم وأهوائكم في أمركم.

وأفاد الأستاذ: أن الحذر لا يغني من القدر عمل يعقوب عليه السلام معهم في باب ابن يامين ما أمكنه من الاحتياط وأخذ الميثاق فلم يغن عنه اجتهاده وحصل على ما حكم الله مراده.

﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ﴾ [الآية 67] لأنهم كانوا ذوي جمال وأبّهة مشتهرين في مصر عند الملك بالقربة والكرامة فخاف عليهم أن يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا في هذه الكرة فإن العين حق وتأثير صدق ويدل عليه قوله ﷺ في دعوته حال عودته: «اللهم إني أعوذ بكلمات الله

(1) أخرجه مسلم في الصحيح (2577/ 55).

التامة من كل عين لامة»[1] مصيبة ملحّة ﴿وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ﴾ [الآية 67] مما قضى عليكم بما أشرت به إليكم فإنه إذا جاء القضاء ضاق الفضاء.

65/أ قال جعفر الصادق: نسي يعقوب اعتماده على / العصبية والقوة وإن التقدير يغلب التدبير بقوله: ﴿لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ﴾ [الآية 67] لكن ساعده التوفيق واستدركه عن قريب بالتوحيد وتحقيق التفريد حيث قال: ﴿وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ﴾ [الآية 67] ذكره السلمي ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ﴾ [الآية 67] لا دافع ولا مانع ولا ضار ولا نافع سواه ﴿عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ﴾ [الآية 67] ما اعتمدت على غيره ﴿وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الآية 67] إذ مدار الكل عليه ولا ملجأ ولا منجا من الله إلا إليه.

وقال ابن عطاء: كيف يرد عن غيره من لا يرد عن نفسه وكيف يقوم لكفاية غيره من هو عاجز عن كفاية أمره بل ربما يبدي الحق الأسباب والأخذ بالأسباب كالأخذ عن مسبِّب الأسباب.

وأفاد الأستاذ: أنه يحتمل أن يكون أراد بتفريقهم في الدخول قصد الحصول والوصول لعل واحداً منهم يقع بصره على يوسف إن كان الآخر لم يره. ويقال: ظن يعقوب أنهم في أمر يوسف كما هو في شدة العناية لشأنه ولم يعلم أنهم كارهون لمكانه. قلت: كان يعلم ذلك ببرهانه ولكن حديث «حبك الشيء يعمي ويصم»[2] أورده في حسن الظن بإخوانه.

﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَهُمۡ أَبُوهُم﴾ [الآية 68] أي من أبواب متفرقة حين حلولهم ﴿مَّا كَانَ يُغۡنِي عَنۡهُم﴾ [الآية 68] أي رأي يعقوب فيهم ولا اتباعهم له في أمرهم من الله مما قضاه عليهم ﴿مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ﴾ [الآية 68] أي شيئاً ما من أحوالهم ولذا نسبوا إلى السرقة والخيانة حتى أصابوا ما تضاعفت عليهم

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (3/ 183) رقم (4781)، وانظر مجمع الزوائد (5/ 195) رقم (8461).
(2) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (4/ 334) رقم (4359)، والبيهقي في شعب الإيمان (1/ 368) رقم (411)، وأحمد في المسند (5/ 194) رقم (21740)، وأبو داود في السنن (4/ 496) رقم (5132).

المصيبة ﴿إِلَّا حَاجَةً﴾ [الآية 68] لكن حاجة ﴿فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ﴾ [الآية 68] من شفقة عليهم وميله إليهم ﴿قَضَىٰهَا﴾ [الآية 68] أظهرها ووصاها ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَـٰهُ﴾ [الآية 68] من أن التدبير لا يغير التقدير ولذا قال: ﴿وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾ [الآية 67] أراده بكم من الضرّ ﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 68] سر القدر وأنه لا يغني عنه الحذر.

قال يوسف بن الحسين: أجّل المعلوم ما أخذه العبد من الحق بغير واسطة الخلق، ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: أنه إن لم يحصل مقصود يعقوب في المآل حصل مراده في الحال وفي ذلك القدر لأرباب القلوب استغلال. ويقال: إن الأصاغر حفظ إشارات الكبائر، والقول فيما يأمرون به أن فيه فائدة أم لا فذاك الأدب في مقام الطلب. ويقال:/ إذا كان مثل يعقوب يستر على أولاده وينمي فيه 65/ ب
حصول مراده ثم لا يحصل مقصوده علم أنه لا ينبغي أن يعتقد في الشيوخ أن جميع ما يريدون يتفق كونه على ما أرادوا، إن الذي لا يكون إلا ما يريد واجباً وما أراد هو كائن لله الواحد القهار.

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾ [الآية 69] بنيامين على أكل الطعام أو في المنزل والمقام، روي أنه أضافهم فأجلسهم مثنى فبقي بنيامين وحده فبكى وقال: لو كان أخي يوسف حياً لجلس معي، فأجلسه معه على ما مائدته ثم قال: لينزل كل اثنين منكم بيتاً وهذا لا ثاني له فيكون معي، فبات معه فقال له: أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك، قال: أنّى لي بذلك ومَن يجد أخاً مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل ﴿قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ﴾ [الآية 69] أي حقيقة وأنتم ما تعرفون ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ [الآية 69] أي لا تحزن ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الآية 69] في حقنا.

وأفاد الأستاذ: أن حديث المحبة وأحكامها أقسام: اشتاق يعقوب إلى لقاء يوسف فبقي في بيت الأحزان سنين كثيرة، واشتاق يوسف إلى بنيامين فرزق رؤيته في مدة يسيرة، هكذا أمر أصحاب الولاء فمنهم معترفون به

ومنهم صاحب البلاء، وقيل: لئن سخنت عين يعقوب بمفارقة بنيامين فلقد قرّت عين يوسف بلقائه، كذا أمر الخلق أجمعين لا تغرب الشمس عن قوم إلا وتطلع على آخرين مصائب قومٍ عند قوم فوائد، ويقال: إن الله تعالى وفّق بنيامين لما أصابه الأسف على فقدٍ رؤية أبيه ناله الفرح بشهود رؤية أخيه.

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ﴾ [الآية 70] المشربة، وكانت من ذهب أو فضة وقد جُعلت صاعاً يكتال به ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ [الآية 70] نادى مناد ﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ﴾ [الآية 70] أي القافلة ﴿إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ﴾ [الآية 70] أي آخذون السقاية على وجه الحقيقة بأجمعكم أو بأخذ أحدكم. قيل: ولعله لم يقل بأمر يوسف أو كان نفيه السقاية والنداء عليها برضا بنيامين. وقيل: معناه أنكم لسارقون يوسف من أبيه والأظهر أن همزة الاستفهام مقدرة ليخرج عن وقوع الكذب في الخبر.

66/أ ﴿قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ/ عَلَيْهِم﴾ [الآية 71] أي والحال إنهم التفتوا إليهم ﴿مَّاذَا تَفْقِدُونَ﴾ [الآية 71] أي أي شيء ضاع منكم.

﴿قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾ [الآية 72] من الطعام جعلاً له ﴿وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ﴾ [الآية 72] كفيل أؤديه إلى من رده.

وقال الأستاذ: لما نسب إليه من نشوء ضر هان عليه ما وجد من شؤم الوصال. ويقال: لئن نسب يوسف أخاه إلى السرقة جهل فقد تعرف إليه أنا أخوك سراً فكان محتملاً لأعباء الملامة في ظاهره محمولاً بوجدان الكرامة في سره وفي معناه أنشدوا:

أجد الملامة في هواك لذيذة ... حباً لذكرك فليلمني اللُّوّم[1]

﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ﴾ [الآية 73] قسم فيه معنى التعجيب مختصة باسم الله ﴿لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 73] بأخذ مال أهلها ﴿وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ﴾

(1) هذا البيت منسوب لأبي الشيص الشاعر محمد بن عبد الله بن رزين. انظر فوات الوفيات (3/ 403)، والوافي بالوفيات (1/ 420).

[الآية 73] قبل وصولها، استشهدوا بعلمهم على براءة أنفسهم مما يدل على كمال أمانتهم وفرط ديانتهم كرد البضاعة التي وُضِعَت في رِحالهم وربط أفواه دوابهم كي لا يتناول زرعاً وطعاماً لغيرهم.

وقال الأستاذ: يعني حسن سيرتنا في المعاملة يدلكم على حسن سيرتنا في المقالة.

﴿قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ﴾ [الآية 74] جزاء السارق في طريقتكم ﴿إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ﴾ [الآية 74] في دعوى براءة ساحتكم.

﴿قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ﴾ [الآية 75] أي منزله أو عنده المسروق ﴿فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ﴾ [الآية 75] أي جزاء سرقته واستحقاقه أخذ من وجد في رحله واسترقاقه. قيل: وهكذا كان شرع يعقوب عليه السلام، ويشير إلى قوله: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية 75] بالسرقة من مال المسلمين والمستأمنين.

﴿فَبَدَأَ﴾ [الآية 76] المؤذن ﴿بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ﴾ [الآية 76] بنيامين نفياً للتهمة وبعداً عن المظنة ﴿ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا﴾ [الآية 76] أي السقاية ﴿مِن وِعَآءِ أَخِيهِ﴾ [الآية 76].

قال الأستاذ: تجاسر أخوة يوسف على الرضا بجريان جزاء السرقة عليهم بحكم القضاء ثقة بأنفسهم أنهم لم يباشروا الزلة التي هي موجبة للذلة وكان بنيامين شاركهم في براءة الساحة فلما استخرج من وعائه السقاية بسط الأخوة فيه لسان الملامة فلم يكن له جواب البتة لأنه إن أقرّ بالسرقة لم يكن ذلك صدقاً إذ لم يصدر منه فعله، ولو قال: لم أفعل، أفشى سر يوسف إليه/ 66/ب
في بابه أنه يحتال معهم لأجله حتى يبقى هو معه فسكت لسانه وتحقق بالحال جنانه. ويقال: ساء بما ظهر عليه القالة ولكن حصل بذلك صفاء الحالة ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [الآية 76].

﴿قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ﴾ [الآية 77] بنيامين ﴿فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ۚ﴾ [الآية 77] يعنون يوسف، قيل: كان في البيت دجاجة فأعطاها صاحب حاجة،

وقيل: كان لأبي أمه صنم فسرقه وكسره اقتداء بجده لأبيه ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِۦ﴾ [الآية 77] أخفاها ﴿وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ﴾ [الآية 77] أي لم يظهرها وهو تأكيد لأسرّها، والضمير للقصة أو القالة أو الحالة ﴿قَالَ﴾ [الآية 77] بلسان القال أو ببيان الحال ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ [الآية 77] أي منزلة في السرقة منه لسرقتكم أخاكم ومخالفتكم أباكم ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ [الآية 77] أي هو يعلم أن الأمر ليس كما تقولون.

وقال الأستاذ: كان بنيامين بريئاً مما رمي به فأنطقهم الله حتى رموا يوسف بمثله واحداً بواحد ليعلم أن الجزاء واجب.

﴿قَالُوا يَٰٓأَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾ [الآية 78] في العمر أو القدر، ذكروا له حاله استعطافاً عليه ﴿فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ﴾ [الآية 78] أي بدله فإن أباه مولع به هنالك لأن فيه رائحة أخيه الهالك ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الآية 78] بعامة الناس فنحن أولى بذلك.

﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ﴾ [الآية 79] فإن أخذ غيره ظلم عندكم بناء على أن قولكم فلو نأخذ مكانه أحدكم ﴿إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ﴾ [الآية 79] في مذهبكم، هذا جوابه بحسب الظاهر وأراد باعتبار السر أن الله تعالى أذن لنا أن نأخذ من وجدنا الصاع في رحله لمصلحة مقررة لديه وحكمة محررة لمرضاته عليه فلو أخذنا غير من وجد في رحله لوضعت الشيء في غير محله.

وقال الأستاذ: كثرة التنقل وما راموا به من ذكر أبيهم لانتفاء التوسل وما قبل منهم ما عرضوا عليه من أنفسهم بأخذ أحدهم على سبيل البدل كذلك كل من عند الله مطالب بفعل نفسه فيما أجرى ولا تزرو وازرة وزر أخرى، فلا أب يؤخذ بدل ولد ولا القريب يرضى به عوضاً عن أحد، ولذا قال يوسف: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ﴾ [الآية 79]. ويقال: توهموا أن الحديث
67/أ معهم من حيث معاملة الأموال فعرضوا أنفسهم / أن يؤخذ واحد منهم بدل أخيهم في الخدمة والابتذال ولم يعلموا أن يوسف كادهم في تلك الحال، ومقصود ما استمكن في قلبه من حب أخيه وقربه في الاستقبال وكلًّا أن يكون

عن المحبوب بدل أو يقوم مقامه أحد في مقام الجمال وحال الكمال، وأنشدوا في معناه:

أبى القلب إلا حب ليلى وبغضت   إلـيّ نـسـاءٌ مـا لـهـنّ ذنـوب[1]

﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ﴾ [الآية 80] يئسوا من يوسف وإجابته إياهم ﴿خَلَصُوا۟ نَجِيًّا﴾ [الآية 80] انفردوا واعتزلوا متناجين ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾ [الآية 80] في السن وهو روبيل أو في الرأي هو شمعون ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟﴾ [الآية 80] استفهام تقديره أي وقد علمتم ﴿أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا﴾ [الآية 80] عهداً وثيقاً ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 80] أو بإذنه أو حلفاً أكيداً من اسمه ﴿وَمِن قَبْلُ﴾ [الآية 80] أي قبل هذا ﴿مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ﴾ [الآية 80] أي ما قصدتموه في شأنه وما توسمتوه في حقه ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ﴾ [الآية 80] أي لن أفارق أرض مصر ﴿حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ﴾ [الآية 80] في الرجوع إليه ﴿أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى﴾ [الآية 80] أو يقضي موتاً أو حياة بالخروج منها أو بخلاص أخي منهم فيها ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [الآية 80] لأن حكمه لا يكون إلا بالحق المبين.

﴿ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ﴾ [الآية 81] واعتذروا عن أخيكم ﴿فَقُولُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ﴾ [الآية 81] أي على ما شهدنا من ظاهر أمره ﴿وَمَا شَهِدْنَآ﴾ [الآية 81] أي وما تكلمنا عليه ﴿إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾ [الآية 81] بأن رأينا السقاية أخرجت من وعائه ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ﴾ [الآية 81] أي لباطن حاله ﴿حَٰفِظِينَ﴾ [الآية 81] فلا ندري أنه سرق أو دُست السقاية في رحله.

﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا﴾ [الآية 82] يعنون مصر، والمعنى أرسل إلى أهلها واسألهم عن القصة التي جرت في محلها ﴿وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ [الآية 82] أي وكذلك اسأل أصحاب العير من القافلة التي توجهنا فيهم ورجعنا معهم ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ [الآية 82].

قال الأستاذ: ما ازدادوا إقامة حجة إلا ازداد يعقوب في قولهم شبهة،

---

(1) في تفسير القشيري (3/ 455):

أحب ليلى وبغضت إليَّ   نـسـاء مـا لـهـنَّ ذنـوب

فإن يقين الجرم في المرة الأولى أوجب التهمة في الكرة الأخرى. ويقال في الجملة مسائل الأطلال والآثار راحة القلوب للأحباب في سلوة الأسرار، وهذا الباب مما للشرح فيه مجال للأبرار/ الأحرار. 67/ب

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ [الآية 83] أي فلما رجعوا إلى أبيهم ونقلوا إليه قضية أخيهم قال: بل زينت وسهلت لكم أنفسكم أمراً رأيتموه فقررتموه وإلا فما أدرى الملك بأن السارق يؤخذ بسرقته وهذه القضية ليست من قواعد ملته ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [الآية 83] أجمل وأكمل أو فأمري صبر جميل وأجري جزاء جميل ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾ [الآية 83] أي بيوسف وبنيامين وأخيهما أجمعين مجتمعين فإن تضييق المخرج يوجب توسيع الفرج وقد ورد: اشتدي أزمة تنفرجي[1] ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الآية 83] بتقديره ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ [الآية 83] في تدبيره.

﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾ [الآية 84] أعرض عنهم كراهة ما ضاق منهم ﴿وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [الآية 84] يا أسفي وحزني هذا أوانك فتعالي وأقبلي والأسف أشد الحسرة، وألف بدل من ياء الإضافة، وفي حديث ضعيف: لم تعطِ أمة من الأمم إنا لله وإنا إليه راجعون إلا أمة محمد ﷺ[2]، ألا ترى إلى يعقوب حين أصابه ما أصابه لم يسترجع وقال: يا أسفي، وإنما تأسف ﴿عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [الآية 84] وحده لأنه كان في انفراده أخذ بمجامع قلبه ولأنه كان واثقاً بنجاتهما دون حياته ﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ﴾ [الآية 84] لكثرة بكائه ﴿مِنَ ٱلْحُزْنِ﴾ [الآية 84] أي من جهة حزن بلائه في مقام ولائه وكأن العبرة محقت سوادها، وقيل: ضعف نظره، وقيل عمي بصره، وفيه دليل على جواز التأسف والبكاء لصدورهما عن الأنبياء أو لكونهما من الجبلة البشرية الصادرة عن الصفة الرحيمية فمن ضحك عند موت

(1) أورده السيوطي في جامع الأحاديث (4/ 415) رقم (3455) والقضاعي في المسند (1/ 436) رقم (498)، والسخاوي في المقاصد الحسنة (1/ 115) رقم (114)، والعجلوني في كشف الخفاء (1/ 127) رقم (366).

(2) أورده البيضاوي في تفسيره (1/ 304)، وأبو السعود في تفسيره (4/ 301)، والزمخشري في كشافه (3/ 207)، والنيسابوري في تفسيره (4/ 392).

ولده لا يعد من أهل الأخلاق السنية، ولقد بكى رسول الله ﷺ على ولده إبراهيم وقال: «القلب يجزع والعين تدمع، ولا نقول ما يسخط الرب، وإنا عليك يا إبراهيم لمحزونون»(1)، ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [الآية 84] مملوء من الغيظ على أولاده ممسك له في قلبه غير مظهره أو مملوء من حزن يوسف ترشح منه هذا التأسف فكل إناء يرشح بما فيه، ولذا قيل: إنه عوتب فيه للتنبيه.

ففي تفسير السلمي قال أبو سعيد القرشي: أوحى الله تعالى إلى يعقوب: يا يعقوب تتأسف على غيري وعزّتي لأحزن عينيك ولا أردهما عليك حتى تنساه. وسئل أبو سعيد أيضاً: لِمَ لَمْ يذهب عين آدم وعين داود / من طول 68/ أ
بكائهما وذهب بِعين يعقوب في قلة زمان بكائه بالإضافة إليهما، فقال: لأن بكائهما كان من خوفه سبحانه وبكاء يعقوب كان من فَقْد ولده فحفظا وعوقب به. وقال أيضاً: بكاء الحزن يعمي البصر وبكاء الشوق يجلي النظر.

وأفاد الأستاذ: إن يعقوب لم يجد مساعداً لنفسه على تأسفه وتولى على الجميع وانفرد بإظهار أسفه، وفي معناه أنشدوا:

فريد عن الخلان في كل بلدة إذا عظم المطلوب قلّ المساعد(2)

قال: وسمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول: كان بكاء داود أكبر من بكاء يعقوب فلم يذهب بصره وذهب بصر يعقوب لأن يعقوب بكى لأجل يوسف ولم يكن في قدرة يوسف ما يحفظ بصر من يبكي لأجله وأما داود فكان يبكي لله وفي قدرته سبحانه ما حفظ بصر الباكي لأجله وسمعته يقول: لم يقل الله عَمِيَ يعقوب لأنه لم يكن في الحقيقة عمى وإنما كان ذلك حجاباً عن رؤية غير يوسف. ويقال: كان ذهاب بصر يوسف في غيبة يوسف رفقاً من الله سبحانه بيعقوب حتى لا يحتاج إلى أن يرى غيره لأنه لا شيء أشد على الأحباب من

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (1303)، والحاكم في المستدرك (1/ 538) رقم (1410)، والبيهقي في شعب الإيمان (10162).
(2) نسب هذا البيت لأبي الطيب المتنبي. انظر نشوار المحاضرة (1/ 91) وشرح ديوان المتنبي (1/ 232).

رؤية غير المحبوب في بحار فراق المطلوب، وأنشدوا في معناه:

لما تيقنت أني لست أبصركم غمضت عينيّ فلم أنظر إلى أحد[1]

قال: وسمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول: كان يعقوب يتسلى برؤية ابنه بنيامين في حال غيبته فلما بقي عن وقته قال: ﴿وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [الآية 84] لأنه لما مُنع من النظر كان يتسلى بالأكبر فلما بقي عن الأثر كما بقي عن النظر قال: ﴿وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [الآية 84] وعمي البصر.

﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ﴾ [الآية 85] أي لا تزال ﴿تَذۡكُرُ يُوسُفَ﴾ [الآية 85] أي وتُظهر التأسُّف ﴿حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا﴾ [الآية 85] مريضاً مشرفاً على الهلاك أو ضعيفاً نحيفاً كالحرض وهو الإشفاق ﴿أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ﴾ [الآية 85] الميتين المستهلكين.

قال القرشي: كل مشتاق لا يزال يذكر أنين قلبه حتى يعيِّره الناس على حبه فإما أن يموت على بعده وإما أن يفوز بقربه، ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: أن مِن أطيب الأشياء عند أهل الهدى الهلاك في حكم الهوى فكيف يخوَّف بالهلاك مَن كان أحب الأشياء إليه الإهلاك. قلت: وفي معناه أنشدوا:

اقتلوني يا ثقاتي إن في موتي حياتي[2]

68/ب / وفي قوله تعالى: ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ﴾ [البَقَرَة:الآية 179] إشارة إلى هذا المعنى.

﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي﴾ [الآية 86] همِّي الذي لا أقدر عليه، الصبر من البث بمعنى النشر ﴿وَحُزۡنِيٓ﴾ [الآية 86] غمِّي الذي أذاب قلبي في حب ولدي ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الآية 86] لا إلى ما سواه مع رضائي بما قضاه فخلوني وشكايتي فإنكم لم تعرفوا حكايتي ﴿وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 86] من صنعته ورحمته ﴿مَا لَا

(1) أورده القشيري في تفسيره (3/ 460).
(2) نسب هذا البيت للحلاج. انظر آثار البلاد وأخبار العباد (1/ 66).

تَعۡلَمُونَ﴾ [الآية 86] من أنه يحب مَن دعاه ولا يحب من اشتكاه. وفي الحديث: «اللهم لك الحمد وإليك المشتكى وأنت المستعان أي في البلوى ولا حول ولا قوة إلا بالله فإنه هو المولى»(1).

وقال السلمي: أي علمي بالله علم حقيقة الحال وعلمكم به علم الاستدلال.

وأفاد الأستاذ: أنه شكا إلى الله ولم يشكو من الله، فمن شكا إلى الله وصل ومن شكى من الله انفصل. ويقال: لما شكا إلى الله وجد السلوة من الله. ويقال: كان يعقوب متجمِّلاً بنفسه وقلبه مستريحاً محمولاً بسره وروحه لأنه علم من الله صدق حاله فقال: ﴿وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [الآية 86] أي من صفات كماله الجامعة لنعوت جماله وجلاله، وفي معناه أنشدوا:

إذا ما تمنى الناس روحاً وراحة تمنيت أن أشكو إليه فيسمع(2)

﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ [الآية 87] فتعرفوا منهما وتفحصوا عن حالهما ﴿وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ﴾ [الآية 87] من تفريحه وتنفيسه أو راحته ورحمته، وقرىء: من روح الله أي من رحمته التي يجتبي بها أهل محبته، ولعل فيه من إشارته إلى حديث: «إني لأجد نفس الرحمٰن من قبل اليمن»(3)، ويؤيده ما روي أن يعقوب رأى ملك الموت فسأله عنه فقال: هو حي. وقيل: علم من رؤيا يوسف أنه لا يموت أبداً حتى يقع خرورهم له سُجداً ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [الآية 87] بذاته وصفاته، فإن الغارق بهما لا يقنط من رحمته لا في خلوته ولا في جلوته.

قال جنيد: يحقق رجاء الراجيين عند تواتر النوائب وترادف المصائب. وفي الخبر: انتظار الفرج أفضل العبادة. وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ

---

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (3/ 356) رقم (3394) وفي المعجم الصغير (1/ 211) رقم (339)، والبيهقي في الدعوات الكبير (1/ 247) رقم (220).

(2) نسب هذا البيت إلى المجنون العامري. انظر الكشكول (1/ 383).

(3) أخرجه الطبراني في مسند الشاميين (2/ 149) رقم (1083)، وانظر المصنوع في معرفة الحديث الموضوع (1/ 69) رقم (70)، وكشف الخفاء (1/ 217) رقم (659).

ٱللَّهِ﴾ [الآية 87] الآية، ذكره السلمي.

وقال الأستاذ: أمَرَهُم بطلب يوسف بجميع حواسهم ليطلبوه بالبصر
69/أ لعلهم يرون وجهه وبالأذن لعلهم يسمعون ذكره وبالشم لعلهم يجدون ريحه / لظن يعقوب أنهم مثله في إرادتهم الوقوف على شأنه والاطلاع على مكانه. ويقال: لم يكن ليعقوب أحد من الأولاد بمكان يوسف أظهر من قلة الصبر عنه ما أظهر من التأسف وآثر غيبة الباقين منهم في طلبه على حضورهم في مجلسه، فشتان بين حاله معهم في حضوره وبين حاله مع يوسف عند فقده واحد لم يره فابيضت عيناه من الحزن لفرقته عنه وآخرون أمرهم باختياره لغيبتهم عنه.

﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ﴾ [الآية 88] بعدما رجعوا إليه ﴿قَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ﴾ [الآية 88] شدة المجاعة وكثرة الحاجة وقلة الكفاية الموجبة للقناعة ﴿وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ﴾ [الآية 88] رديئة أو قليلة ترد وتدفع رغبة عنها من أزجيته ودفعته، قيل: كانت دراهم زيوفى، وقيل سمناً وصوفاً ﴿فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ﴾ [الآية 88] أتمَّه لأجلنا ﴿وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ﴾ [الآية 88] برد أخينا إلينا أو بالمسامحة وقبول الأمتعة الرديئة أو بالزيادة في الكمية والكيفية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ﴾ [الآية 88] أحسن الجزاء، والتصدُّق، التفضُّل مطلقاً، ومنه حديثه ﷺ في قصر الصلاة في السفر: «هذه صدقة يتصدق الله عليكم فاقبلوا صدقته»[1]، لكنه اختص عرفاً بما يبتغى به الثواب أو يبتغى به عن العقاب. قيل: في هذه الآية تعليم آداب الدعاء والرجوع إلى ملازمة الأصفياء ومخالطة الأسخياء فمن لم يرجع إلى سيده بالذل والافتقار ولم يعلم إنما هو من سيده إليه إنما هو من طريق الصدقة والتفضُّل عليه على سبيل الاستحقاق كان منبوذاً مطروداً بالإتفاق.

وأفاد الأستاذ: إنهم لما دخلوا على يوسف خاطبوه بذكر الضرّ ومقاساة

(1) أخرجه مسلم في الصحيح (686/ 4)، وأبو داود في السنن (1/ 464) رقم (1201)، وابن حبان في الصحيح (6/ 450) رقم (2741) وأبو يعلى في المسند (1/ 163) رقم (181).

الجوع والفقر ولم يذكروا حديث يوسف وما لأجله وجّههم أبوهم من أهم الأمر، ويقال: استلطفوه بقولهم ﴿مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ﴾ [الآية 88] ثم ذكروا بعد ذلك حديث قلة بضاعتهم في الأمر. ويقال: نظروا إلى فقرهم فنطقوا بقدرهم فقالوا: جئنا ببضاعة مزجاة، ولما شاهدوا قدر يوسف سألوه عن قدره فقالوا: أوف لنا الكيل، ويقال: جئنا ببضاعة لا تُقبل إلا بهذه الحضرة فأوف لنا كيلاً يليق بفضلك لا بفقرنا وبكرمك لا بعدمنا، ثم/ تركوا هذا اللسان وانتقلوا من هذا 69/ ب العنوان وقالوا في معرض البيان: ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ﴾ [الآية 88]، فنزلوا أوضع منزل في حصول هذا الشأن كأنهم قالوا: إن لم نستوجب معاملة البيع والشراء فلقد استحققنا بذل العطاء على الله المكافأة والجزاء، فإن قيل: كيف قالوا وتصدّق علينا وكانوا أنبياء ولا تحل لهم الصدقة على أولاد الأنبياء وأرادوا أن من وراءنا من يجوز له الصدقة فحينئذ ينتهبون كلحم بريرة[1].

﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ﴾ [الآية 89] أي قبح فعلكم به ﴿وَأَخِيهِ﴾ [الآية 89] أي وما فعلتم بأخيه من إفراده عنه وإذلاله في أحواله من إدباره وإقباله ﴿إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ﴾ [الآية 89] قبحه أو عاقبته، قاله على طريق النصيحة حملاً لهم على التوبة لا للمعاتبة.

وأفاد الأستاذ: أن يوسف قال لهم: أنهيتم كلامكم وأكثرتم مرامكم فما كان في ألسنتكم إلا ذكر ضرورتكم فلا يخطر في ضميركم حديث أخيكم. ويقال: إن قوله لهم: هل علمتم ما فعلتم بيوسف في باب العقاب أعظم من كل عقاب حيث أخجلهم مشافهة. ويقال: لما خجلوا بعد العقاب لم يرض يوسف حتى بسط عذرهم في هذا الباب بقوله: ﴿إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ﴾ [الآية 89]، حيث لم يكن لهم غير هذا الجواب.

﴿قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ﴾ [الآية 90] استفهام تقرير وتحقيق للمرام ولذلك أكد بأن واللام، ويؤيده قراءة ابن كثير بلفظ الإخبار، ومعنى الإعلام

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (5279)، ومسلم في الصحيح (1505/ 14).

فاختلف فيما عرف به من الإعلام ﴿قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ﴾ [الآية 90] من أبي وأمي ذكره تعريفاً لنفسه وتفخيماً لأمره وتعريضاً لغيره وإدخالاً له في قوله: ﴿قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآۖ﴾ [الآية 90] بالسلامة والكرامة من غير الملامة ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ﴾ [الآية 90] البزي بإثبات الياء على لغة والمعنى من يخف الله يترك المعصية ﴿وَيَصْبِرْ﴾ [الآية 90] على الطاعة وفي البلية ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الآية 90] أي منّا ومن سائر المؤمنين.

﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾ [الآية 91] اختارك من بيننا بجمال الصورة وكمال السيرة ﴿وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ﴾ [الآية 91] والحال إن شأننا إن كنا فاعلين للخطيئة الموجبة للقطيعة. قيل: المعنى اختارك وقدمك علينا بحسن
70/أ التوفيق والعصمة وترك المكافأة على الإساءة وإن كنا/ لخاطئين لمسيئين إليك فقابلت إساءتنا إليك بالإحسان إلينا بما فضّل الله عليك، ذكره السلمي.

﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ﴾ [الآية 92] لا تعبير ولا تغييب ﴿عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَۖ﴾ [الآية 92] أي في يوم الوصل أو في وقت الفضل.

وقال جعفر الصادق: لا عيب عليكم فيما عملتم لأنكم مجبرون عليه، وذلك في سابق القضاء عليكم، ذكره السلمي ﴿يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْۖ﴾ [الآية 92] دعاء لهم بالمغفرة تصريحاً وبالرحمة تلويحاً حيث قال: ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الآية 92] فيغفر للمذنبين ويتفضّل على التائبين.

وأفاد الأستاذ - أعني أبا القاسم القشيري -: إنه سمع الأستاذ بالاستحقاق أبا علي الدقاق يقول: لما قال يوسف ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ﴾ [الآية 90] وأحال في استحقاق الأجر على ما عمل من الصبر أنطقهم الله حتى أجابوه بلسان التوحيد فقالوا: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾ [الآية 91]، يعني إن هذا ليس بتقواك وصبرك إنما هو بإيثار الله إياك علينا فيه تقدمت علينا لا بحمدك وجدك، فقال يوسف على جهة الانقياد للحق: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَۖ﴾ [الآية 92] أسقط عنهم اللوم لأنه كما لم يرتقبوه من نفسه حيث نبهوه عليه لم ير جفاءهم منهم فنطق عن عين التوحيد وأخبر عن شهود التقدير.

وأفاد الأستاذ: أن يوسف أسرع التجاوز عنهم ووعد يعقوب الاستغفار لهم بقوله: ﴿أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ﴾، لأنه كان أشد حباً لهم فعاتبهم، وأما يوسف فلم يرهم أهلاً للعتاب فتجاوز عنهم في حال الخطاب. ويقال: ما أصابهم في الحال من الخجلة قام مقام كل عقوبة، ولذا قيل في المثل: كفى للمقصر الحياء يوم اللقاء.

﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا﴾ [الآية 93] أي القميص الذي كان عليه، أو القميص الذي كان لديه مما جاء به جبريل إليه ﴿فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا﴾ [الآية 93] يرجع ذا بصر ويصير مبصراً ﴿وَأْتُونِي﴾ [الآية 93] أنتم وأبي على تغليب المخاطبين ﴿بِأَهْلِكُمْ﴾ [الآية 93] من نسائكم وذراريكم ومواليكم ﴿أَجْمَعِينَ﴾ [الآية 93] كلكم أو مجتمعين.

وأفاد الأستاذ: أنه لما كان سبب البلوى والعمى قميص يوسف أراد الله أن يكون سبب خلاصه أيضاً من التأسف.

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ﴾ [الآية 94] انفصلت القافلة بأن خرجت من مصر وفارقت عماراتها ﴿قَالَ أَبُوهُمْ﴾ [الآية 94] لمن حضره ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ﴾ [الآية 94] تنسبوني إلى الفند وهو نقصان/ عقل يحدث مِنْ هَرَم 70/ب
وجواب لولا محذوف تقديره لصدقتموني.

﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾﴾ [الآية 95] لفي ذهابك عن الصواب قديماً بالإفراط في محبة يوسف وفكره وإكثار ذكره وتوقع لقائه.

وأفاد الأستاذ: إنه ما دام البلاء مقبلاً كان أمر يوسف وحديثه على يعقوب مشكلاً فلما توالت المحنة انقلبت الحالة ورجعت المحنة. ويقال: كان يوسف عن يعقوب على أقل من مرحلة حيث ألقوه في الجب فاشتبه عليه خبره وحاله ولما زال البلاء وجد ريحه وبينهما مسافة ثمانين فرسخاً من مصر إلى محله. ويقال: إنما انفرد يعقوب بوجدان ريح يوسف لإيراده عند فقده بوصف التأسُّف. ويقال: إنما وجد ريح يوسف من وجد على فقد يوسف فإن ريح الأحباب لا يشمه إلا الأصحاب ومسائلة الرياح ومخالفة الأطلال سنّة

أرباب الأحوال. وفي معناه أنشدوا:

وإني لأستهدي الرياح نسيمكم إذا أقبلت من نحوكم بهبوب
وأسأله حَمْل السلام إليكم فإن هي يوماً بلّغت فأجيبوا[1]

فاستعمال لفظ الريح هذا توسع كما يقال: هبت ريح النصرة أو الفتية.

وفي تفسير السلمي قال جعفر الصادق: إنها ريح الصبا سأل الله تعالى أن يبشِّره بابنه فأذن الله له في مقصده فكان يعقوب ساجداً فرفع رأسه شاهداً فقال: إني لأجد ريح يوسف، فقال له بعض أولاده: إنك لفي ضلالك القديم، أي في حبك القديم، فكان الريح ممزوجاً بالعناية والشفقة والرحمة وبزوال النقمة والمحنة والرحمة، وكذا المؤمن يريد المتحقق في حبه يجد ريح نسيم الإيمان في قلبه وروح العرفان في روحه وسرور الرضوان في سرّه لما سبقت له من السعادة الحسنى والعناية العظمى.

﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ﴾ [الآية 96] أي يهودا لما روي أنه قال كما أحزنته بحمل قميصه الملطخ إليه أُفرحه بحمل هذا وإلقائه عليه ﴿أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾ [الآية 96] أي طرح البشير على وجه يعقوب أو يعقوب ونفسه لتقر عينه ويزداد شمه فيكثر روحه ويزيد فتوحه ﴿فَٱرْتَدَّ﴾ [الآية 96] أي رجع وصار ﴿بَصِيرًا﴾
71/أ [الآية 96] لما انتعش/ فيه من نسيم الوصال روحه ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الآية 96] من وصال يوسف وزوال التأسُّف.

﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾﴾ [الآية 97] واقعين في الخطيئة فاطلب لنا المغفرة. وقال السلمي: أزل اسم العقوق منا بإظهار الرضا عنا.

وأفاد الأستاذ: أن كل إنسان وهمته من الشأن وقع يعقوب ويوسف في السرور والاستبشار وأخذ أخوه يوسف في الاعتذار وطلب الاستغفار كما قيل: مصائي قوم عند قوم فوائد.

(1) أورده القشيري في تفسيره (3/ 471).

﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾﴾ [الآية 98] بي أو بمن رجع إليه وتاب عليه. روي أنه أخّره إلى السحر بعد أداء العبادة أو إلى ليلة الجمعة تحرياً لوقت الإجابة أو إلى أن يعلم استحلالهم من يوسف فإن عفو المظلوم ستره المغفرة ويؤيده ما في تفسير السلمي.

قال ابن عطاء: إن يعقوب قال: ارجعوا إلى يوسف فاسألوه أن يجعلكم في حل ثم أستغفر لكم فإن الذنب بينه وبينكم.

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ [الآية 99] من القحط وأصناف المضرة والمشيئة متعلقة بالدخول الموصول بالأمنية والدخول الأول كان خارج البلد حين استقبلهم الولد مع من معه من حشمه وخدمه وسائر العظماء من الملك وصحبة الوزراء. روي أنه كان أولاد يعقوب وأحفاده يوم دخلوا معه مصر اثنين وسبعين رجلاً وامرأة وصاروا ليلة خرجوا مع موسى ستمائة ألف وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلاً مقاتلا سوى النسوة والهرمى والمرضى.

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الآية 100] أي سريره الخاص به ﴿وَخَرُّوا۟﴾ [الآية 100] أي أبوه والإخوة ﴿لَهُۥ سُجَّدًا﴾ [الآية 100] تحية وتكرمة وكان جائزاً عندهم في الشريعة أو معناه خروا سجداً لله شكراً لما أولاه، أو على حياة يوسف ولقياه.

وأفاد الأستاذ: أنهم اشتركوا في الدخول ولكن تباينوا في حال الإيواء ومقام الوصول فانفرد الأبوان بالابن لبعدهما من الجفاء كذلك غداً إذا وصل المؤمنون إلى دار الغفران يشتركون فيه وفي وجود الجنان وشهود الرضوان ولكنهم يتباينون في بساط القربة/ فيختص به أهل الصفاء والوفاء دون من 71/ب
اتصف اليوم بالجفاء والالتواء.

﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا﴾ [الآية 100] صدقاً ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ﴾ [الآية 100] أي من الحبس الشامل للجب ومن السجن تصريحاً ومن الجب تلويحاً.

وقال الصادق: ولم يقل من الجب وهو أصعب لأنه لم يرد مواجهته أخوته باللوم بعد أن قال لهم: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ [الآية 92].

وقال ابن عطاء: الحكمة فيه أن السجن اختاره لنفسه بقوله: ﴿رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ﴾ [الآية 33] والجب كان موضع اضطراره ولم يكن شيء فيه باختياره وفي الاختيار آفات بخلاف الاضطرار فشكر الله على تخليصه من فتنة اختياره لنفسه وقال بعضهم: معناه إذ أخرجني من السجن حين استجرت إلى غيره ولا يكلني إلى من استجرت إليه أمره.

وأفاد الأستاذ: أنه ذكر حديث السجن دون البئر لطول مدة السجن وقلة مدة البئر. وقيل: لأن فيه تذكير جرم الآخرة المتضمن للتعبير ﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ﴾ [الآية 100] أي البادية فإنهم كانوا أصحاب الماشية ﴿مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الآية 100] أفسد وحرّش ﴿بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ﴾ [الآية 100] في تدبيره إذ ما من صعب إلا ويسهل عند معرفة المسببية بتقديره.

وقال الأستاذ: فبلطفه عصمني وعصمهم حتى لم يقتلوني ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الآية 100] بوجود مصالح خلقه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ [الآية 100] الذي يفعل كل شيء على ما يقتضي حكمته وحكمه.

﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ﴾ [الآية 101] أي بعضه وهو ملك مصر، وقال أبو عثمان: الملك هو الرضا بما كان جرى عليه القضاء من خالق الضراء والسراء. وقيل: هو القناعة وتوفيق الطاعة ﴿وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِۚ﴾ [الآية 101] أي بعض تفسير الكتب الإلۤهية وتعبير الرؤيا المنامية.

وأفاد الأستاذ: أن التأويل للخواص والتفسير والتنزيل للعوام وأن الملك على الحقيقة صفاء الخلق مع الخليقة. ويقال: الملك الذي أشار إليه قسمان: ملكه في الظاهر من حيث الولاية والإمارة، وملكه على نفسه حتى لم يعمل بما همَّ به من زلّة النفس الأمارة. أقول: وهذه هي الولاية الحقيقية
بخلاف/ الأولى فإنها الولاية المجازية الإضافية الوارد فيها نعمت المرضعة 72/أ

وبئست الفاطمة[1] إذ أولها ملامة وآخرها ندامة ﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 101] مبدعهما ومخترعهما ومبتدئهما، وانتصابه على أنه صفة المنادى فيتبعه أو منادى برأسه ﴿أَنتَ وَلِيِّۦ﴾ [الآية 101] متولي أمري ﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ [الآية 101] فيما نذر لي من النعمة والمضرة ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا﴾ [الآية 101] اقبضني مسلماً كاملاً أو منقاداً شاملاً كأن أكون عالماً عاملاً ﴿وَأَلْحِقْنِى﴾ [الآية 101] في الرتبة والكرامة ﴿بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الآية 101] من أرباب النبوة والولاية.

وأفاد الأستاذ: أن قوله: ﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 101] ثناء، وقوله: ﴿تَوَفَّنِى﴾ [الآية 101] دعاء، تقدم الثناء على الدعاء فإنه صفة أهل الولاء. وقوله: ﴿أَنتَ وَلِيِّۦ﴾ [الآية 101] إقرار بقطع الأسرار عن الأغيار. ويقال: معناه أنت الذي تولاني في الدنيا بعرفانك وفي العقبى بغفرانك فليس لي في الدارين غيرك. قوله: ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا﴾ [الآية 101]، قيل: سأل الوفاة لأنه علم أنه ليس بعد الكمال إلا الزوال يعني الإكمال المتعال الذي لا يزال بلا زوال. ويقال: من أمارات الاشتياق في حالة المحبة تمني الموت على بساط العافية وتمام الصحة مثل يوسف عليه السلام ألقي في الجب فلم يقل توفني، وأقيم فيمن يغريه فلم يقل توفني، وحُبِس في السجن فلم يقل توفني، فلما تمَّ له المُلك والفضل واجتمع له الشمل قال: توفني، فعلم أنه كان مشتاقاً إلى لقاء المولى.

وسمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول: قال يوسف لأبيه: قد علمت أنَّا نلتقي في الآخرة بعد الموت والفناء فلم بكيت كل هذا البكاء؟ فقال: يا بني إن هناك طريقين خفت أن تسلك طريقاً وأسلك طريقاً، فقال يوسف عند ذلك: ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الآية 101].

﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية 102] ما ذكر من نبأ يوسف عليه السلام والخطاب لنبينا ﷺ ﴿مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ [الآية 102] نعرضه عليك ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ﴾ [الآية 102] عندهم ﴿إِذْ أَجْمَعُوٓا۟﴾ [الآية 102] في تبعيد أخيهم عن قرب أبيهم ﴿أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ [الآية 102] لإرسال أخيهم.

(1) أخرجه أحمد في المسند (2/ 476) رقم (10165).

﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ﴾ [الآية 103] على إيمانهم بالاستئناس
72/ب ﴿بِمُؤۡمِنِينَ﴾ [الآية 103] / لعنادهم وانقلابهم كالنسناس.

﴿وَمَا تَسۡـَٔلُهُمۡ عَلَيۡهِ﴾ [الآية 104] على إنباء الأنباء ﴿مِنۡ أَجۡرٍ﴾ [الآية 104] جعل كما هو طريق جملة على الأبرار بخلاف ما يفعله جملة الأخبار من جملة الأخيار ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ﴾ [الآية 104] عظة ﴿لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الآية 104] عامة وهداية للعالمين خاصة.

﴿وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٖ﴾ [الآية 105] وكم من علامة دالة على وجود الصانع وحكمته وتوحيده وقدرته ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الآية 105] في العوالم العلوية والسفلية كما قيل:

وفي كل شيء له شاهد دليل على أنه واحد[1]

﴿يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا﴾ [الآية 105] على الآيات الآفاقية والأنفسية ويشاهدونها ولا يلتفتون إليها ﴿وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ﴾ [الآية 105] لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها لغفلتهم عنها.

وأفاد الأستاذ: أن الآيات ظاهرة والعلامات ظاهرة وكل جزء من المخلوقات شاهد على أنه إلٰه واحد ولكن من غمض عينيه لم يستمتع بضوء نهاره وكذلك من نظر في نظره واعتباره لم يحظ بعرفانه واستبصاره.

﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ﴾ [الآية 106] في إقرارهم بوجوده وخلقهم من كرمه وجوده ﴿إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ﴾ [الآية 106] به لعبادة غيره وهو الشرك الأكبر وللعبادة على قصد الرياء والسمعة وهو الشرك الأصغر.

قال الواسطي: ألا وهم مشركون في ملاحظة الخواطر والحركات، يعني والتوحيد إسقاط الإضافات.

---

(1) نسب هذا البيت إلى أبي العتاهية. انظر الأغاني (4/ 39)، والتمثيل والمحاضرة (1/ 3). ونسب آخر إلى لبيد. انظر محاضرات الأدباء (1/ 488)، ولكن في جميع المراجع اللفظ عندهم:

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

وأفاد الأستاذ: أن الشرك الجلي أن يتخذ من دونه سبحانه معبوداً، والشرك الخفي أن يتخذ بقلبه عند حوائجه من دونه مقصوداً. ويقال: شرك العارفين أن يتخذوا من دونه مشهوداً أو طالعوا سواه موجوداً. ويقال: من الشرك الخفي الحوالة على الأشكال في تحسين الأحوال والإخلاد إلى الاختيار والاحتيال عند تزاحم الأشغال.

﴿أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأۡتِيَهُمۡ غَٰشِيَةٞ مِّنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 107] عقوبة في الدنيا تغشاهم جملة ﴿أَوۡ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ﴾ [الآية 107] فجأة بدون علامة سابقة ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [الآية 107] بإتيانها ولا يستعدون لشأنها.

وقال الأستاذ: أفأمن الذي اغترّ بطول الإمهال أن يبتلى بالاستئصال أو اغترّ بطول السلامة أن يقوم للبلاء عليه القيامة. ويقال: الغاشية من العذاب وهو نوع من /الحجاب يحصل في القلب من القسوة لا يزول بالتضرع ولا 73/أ
يتسع بالتجمع. ويقال: الغاشية من العذاب أن يزول عن القلب شرعة الانقلاب إلى رب الأرباب ومسبِّب الأسباب حتى إن تمادى لصاحبه الغفلة استمكن من قلبه القسوة. ويقال: إذا قامت الساعة أغلق باب التوبة كذلك العبد يستقبله في هذه الطريقة ما يوجب قطونه من الأيوبة كما قيل:

قلت للنفس إن أردت رجوعاً فارجعي قبل أن يسد الطريق[1]

﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ﴾ [الآية 108] الطريقة ﴿سَبِيلِيٓ﴾ [الآية 108] وهو الدعوة إلى الحقيقة من توحيد رب العباد وإعداد الزاد للمعاد ﴿أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الآية 108] حبه وقربه ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ [الآية 108] بيِّنة لائحة وحجة واضحة ﴿أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾ [الآية 108] أدعوا أنا وأتباعي من غير مخالفة، وفيه إيماء إلى أنه ليس له وأتباعه إلا الدعوة وأما مفتاح الهداية ففي قبضة رب العزة في البداية والنهاية.

قال الواسطي: أيقن له أنه ليس إليه من الهداية شيء. وقال محمد بن علي: أي أنا على معاينة وكذا من اتبعني قلباً وقولاً وفعلاً.

(1) نسب إلى المتنبي. انظر الكشكول (1/ 136).

وأفاد الأستاذ: أن الدعاء على البصيرة أن يكون صاحبه ملاطفاً بالتوفيق جهراً ومكاشفاً بالتحقيق سراً ﴿وَسُبْحَانَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 108] أنزِّهه تنزيهاً عن الشركاء ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الآية 108] فإني وأتباعي منهم براء.

وفي تفسير السلمي: أي أنزّه الحق عن أن يتصل أحد إليه إلا به وما أنا من المشركين أي أرى الهداية من غيره.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ [الآية 109] بإظهار النبوة فيه رد لقولهم: لو شاء ربك لأنزل ملائكة ﴿نُّوحِىٓ إِلَيْهِم﴾ [الآية 109] كما أوحي إليك وتميزوا عن غيرهم بذلك. وقرأ حفص: نوحي أي نحن نوحي إليهم ونظهر الأمور لديهم ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ [الآية 109] لأن أهلها أعلم وأحلم من سكان الصحراء وقد ورد في بدائنا ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 109] بالأقدام وبالأفهام ﴿فَيَنظُرُوا۟﴾ [الآية 109] فيبصروا ويتبصروا ويتأملوا ويتدبروا ﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الآية 109] من المكذبين حيث كفروا وأدبروا فيحذروا عن تكذيبك ويتظفروا بتقريبك أو من المشقوقين في الدنيا المشغولين بها المتهالكين عليها فينقلبوا عن حبها ويعرضوا إلى حب مولاها ﴿وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [الآية 109] بحذف موصوفها من الحياة أو الحالة أو الساعة ﴿خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾ [الآية 109]
73/ب / باجتناب المعصية واكتساب الطاعة ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الآية 109] إن ما عند الله أبقى وأتقى لمن اتقى. وقرأ نافع وابن عامر وعاصم للالتفات بالخطاب أو قصد العموم في هذا الباب.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ﴾ [الآية 110] غاية الجملة مقدرة أي لا يعذرهم تمادي آبائهم في ارتكاب آثامهم فإن من قبلهم أمهلناهم على حالهم حتى آيس الرُّسل عن النصر عليهم في دنياهم أو يئسوا عن إيمانهم لانهماكهم في كفرهم وطغيانهم ﴿وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟﴾ [الآية 110] أي وظن المرسل إليهم أن الرسل ظنوا أنهم قد كذبوا واختلفوا فيما وعدهم الله من النصرة. فالمراد بالظن ما يهجس في البال من الخطرة على طريقة الوسوسة وفيه إفادة المبالغة في الإمهال مع عدم الإهمال فالآية كقوله سبحانه: ﴿مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ

﴿ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ﴾ [البَقَرَة:الآية 214].

وقرأ غير الكوفيين بالتشديد أي وظن الرسل أن القوم قد كذبوهم فيما أوعدوهم من حصول النصرة أو حلول العقوبة ﴿جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا﴾ [الآية 110] في تلك الحالة ﴿فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ﴾ [الآية 110] من المؤمنين والأنبياء متى نشاء. وقرأ ابن عامر وعاصم فننجي بالماضي المبني للمفعول ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا﴾ [الآية 110] لا يدفع عذابنا ﴿عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [الآية 110] الذين تعلق بهم غضبنا.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه حكم بأنه لا يفتح للمريدين شيئاً من الأحوال إلا بعد يأسهم منها كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ﴾ [الشورى:الآية 28] وينشر رحمته فكما أنه ينزل المطر بعد اليأس فكذلك يفتح الأحوال بعد اليأس منها والرضا فالإفلاس عنها.

﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ﴾ [الآية 111] في قصص الأنبياء مع أممهم بل في كل قصة من قصصهم ومنها قصة يوسف وإخوته وخصصهم من غصصهم ﴿عِبۡرَةٞ﴾ [الآية 111] ما يعتريه في جميع الأبواب ﴿لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ﴾ [الآية 111] لذوي العقول السليمة المبرأة عن الأخلاق الذميمة.

وأفاد الأستاذ: إن في قصة هذه السورة أنواع من العبرة منها للملوك في بسط العدل على الرعية والإحسان إلى البرية، ومنها لأرباب التقوى أن يوسف لما ترك هواه رقّاه الله إلى ما رقّاه، ومنها لأهل الهوى في اتباع الهوى أن زليخا/ لما تبعت هواها لقيت ما لقيت من شدة بلواها، ومنها 74/أ
للمماليك في حفظ حرمة السادة كيوسف حيث حصل له مرتبة السعادة، ومنها العفو عند القدرة كما وقع له التجاوز عن الإخوة، ومنها ثمرة الصبر كيعقوب في تحمُّله على الضر إلى أن ظفر بوصول المراد وحصول الأجر ﴿مَا كَانَ﴾ [الآية 111] القرآن ﴿حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن﴾ [الآية 111] كان ﴿تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾ [الآية 111] موافقاً لما تقدمه من الكتب الإلٰهية ومطابقاً لما سبقه من الأحاديث النبوية الأولية ﴿وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الآية 111] يحتاج إليه في الأمور الدينية والدنيوية إذ ما من قضية إلا ولها مستند معتمد من الآيات القرآنية

من غير واسطة أو بواسطة بيان الأحاديث المصطفوية أو استنباط العلماء التفسيرية ولذا قال ابن عباس:

جميع العلم في القرآن لكن تقاصر عنه أفهام الرجال(1)

وهذا من الضلالة والجهالة للعامة ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ [الآية 111] ينال بها كل نعمة ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 111] خاصة في الدنيا بالسلامة وفي العقبى بالكرامة.

(1) ذكره البخاري علاء الدين في كشف الأسرار (1/ 45) و(3/ 401).

سورة الرعد

[مدنيَّة]

وهي خمس وأربعون آية[1]

74/ ب

/ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أفاد الأستاذ: أن بسم الله كلمة سماعها يورث لقوم حلياً ثم طرباً، ولقوم حرباً ثم هرباً، فمن سمع بشاهد الرجاء طلب وجود رحمته فإذا نالها طرب، ومن سمع بشاهد الرهبة حزب من خوف عقوبته ثم إليه هرب.

﴿الٓمٓرۚ﴾ [الآية 1] أي أنا الله أعلم وأرى جميع الورى، والوراء ووراء الوراء مما فوق العرش وما تحت العرش ﴿تِلۡكَ﴾ [الآية 1] أي هذه الآيات ﴿ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ﴾ [الآية 1] القرآن أي الجامع للأبواب أو السورة الكاملة في فصل الخطاب ﴿وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾ [الآية 1] أي مجموع ما نزل عليك ﴿مِن رَّبِّكَ﴾ [الآية 1] أي من عنده بكرمه وجوده ﴿ٱلۡحَقُّ﴾ [الآية 1] هو الثابت الصدق ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الآية 1] لا حلاء لهم بالنظر ولما سبق عليهم من القضاء والقدر.

وقال الشبلي: ما من حرف من الحروف إلا وهي تسبح بلسان وتذكر بلغة وبيان، لكل لسان منها حرف ولكل حرف لسان وبرهان وهو سر الله في خلقه بالعموم وبه يقع زوائد الفهوم وزيادات الأذكار والعلوم، ذكره السلمي.

وأفاد/ الأستاذ: إن الألف تشير إلى اسم الله واللام إلى اللطيف والميم إلى المجيد والواو إلى الرحيم أي بسم الله اللطيف المجيد الرحيم إن هذه آيات الكتاب الذي أخبرت المتقدمين أني أنزله على محمد الأمين، وهذا الكتاب الذي أُنزل إليك حق وصدق لأنه سبحانه أنزله على نبيه وحبيبه ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ [الآية 1] من الكفار ﴿لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الآية 1] به فهم الأكثرون عدداً والأقلون مدداً.

---

(1) كذا في الأصل المخطوط.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [الآية 2] مبتدأ وخبر ﴿بِغَيۡرِ عَمَدٖ﴾ [الآية 2] أي من دون عماد ولا اعتماد باستناد ﴿تَرَوۡنَهَا﴾ [الآية 2] أي السموات مرفوعة كذلك مصنوعة ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الآية 2] استواء يليق به على الطريقة المشروعة لا على وفق اللغة الموضوعة ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ﴾ [الآية 2] ذلّلهما بما أدار منهما من الحركة المستمرة على غاية من السرعة تنفع في حدوث الكائنات وبقاء الموجودات ﴿كُلّٞ يَجۡرِى لِأَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ [الآية 2] لمدة معيّنة وغاية مبينة بقوله سبحانه: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ﴾ [التّكوير: الآيتان 1،2]، ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ﴾ [الآية 2] أمر الملك والملكوت من الإيجاد والإعدام وسائر القضايا والأحكام ﴿يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ فينزلها مفصلة ويبينهما مجملة ﴿لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ﴾ [الآية 2] لكي تتفكروا فيها فتعلموا أن من قدر على تقدير هذه الأشياء قدر على تقدير الإعانة والجزاء.

وقال السلمي: لعلكم تتيقنون أن الذي يجري عليكم هذه الأحوال لا بد لكم من الرجوع له في المآل.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه دلّ على ذاته وصفاته بما أخبر به من آياته ومن جملتها رفع السماء وليس تحتها عماد يشدها ولا بجنبها ستار يسدها وقد أخبر في آية أنه زيَّن السماء بكواكبها وحسَّن الأرض بجوانبها ومناكبها و﴿ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الآية 2] استواء قهر وتسخير ومعناه أنه احتوى على ملكه احتواء قدر وتدبير، ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلّٞ يَجۡرِى﴾ [الآية 2] في فلك ويدل على جراء ذلك أنه فعل ملك ملكه غير مشترك.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ﴾ [الآية 3] بسطها بالطول والعرض ليثبت عليها

75/أ الأقدام ويتقلّب فيها الأنام ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾ [الآية 3] جبالاً/ ثوابت جمع راسية والتاء للمبالغة ﴿وَأَنۡهَٰرٗا﴾ [الآية 3] ثمراً وأشجاراً وأزهاراً وأظهر أثماراً. قال بعضهم: كما جعل فيها أوتاداً من أوليائه وسادة من عبيدهم وإليهم الملجأ فمن ضرب في الأرض يقصدهم فاز وطاب ومن كان سعيه بغيرهم هلك وخاب، ذكره السلمي ﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [الآية 3] متعلق بقوله ﴿جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ﴾ [الآية 3]

أي وجعل فيها من جميع أنواع الثمرات صنفين اثنين كالحلو والحامض والأسود والأبيض والصغير والكبير ونحو ذلك يغشى الليل النهار ويليه مكانه ويغير شأنه، ويعين زمانه فيصير الجو مظلماً بعدما كان مضيئاً ومضيئاً بعد كونه مظلماً. وقرأ حمزة والكسائي وشعبة بالتشديد للمبالغة والتأكيد ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ [الآية 3] المذكور من المصنوعات ﴿لَأَيَٰتٍ﴾ [الآية 3] دلالات وعلامات على فعل وجب الوجود من ذات المستجمع لكمال الصفات ﴿لِقَوۡمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الآية 3] في تكوُّن الموجودات وتخصصها بالكميات والكيفيات واختلاف الأوقات.

﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ﴾ [الآية 4] بعضها طيبة وبعضها سيئة وبعضها رخوة وبعضها صلبة مع اشتراك تلك القطع في الطبيعة الأرضية وما يلزمها بتوسط ما يعرض لها من الأسباب السماوية ففيه رد على الحكمة الطبيعية ﴿وَجَنَّٰتٌ مِّنۡ أَعۡنَٰبٍ وَزَرۡعٌ وَنَخِيلٌ﴾ [الآية 4] أي وفيها بساتين أنواع الأشجار المثمرة لأصناف الأزهار والأثمار ولعل تخصيص الأعناب والنخيل باعتبار كثرة وجودهما في بعض الديار وتوحيد الزرع لأنه مصدر في أصله وقلة اختلاف المقصد في مورده ومصدره. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص برفعهما عطفاً على جنات أو قطع متجاورات وعلى هذا الخلاف ﴿صِنۡوَانٌ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٍ﴾ [الآية 4] أي نخلان أصلهما متحد ومتفرقاً فإن أصلهما متعدد ﴿يُسۡقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ﴾ [الآية 4] أي تستقي المذكورات بمادة واحدة في الكل. وقرأ عاصم بالتذكير على تأويل ما ذكر ﴿وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٍ فِي ٱلۡأُكُلِۚ﴾ [الآية 4] أي في الثمر صفة وقدراً ورائحة وطعماً ولوناً وطبعاً مع أن أجزاؤها/ متماثلة وأبعاضها متشاكلة. وقرأ 75/ ب حمزة والكسائي يفضل على طبق يبدل الأمر ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوۡمٍ يَعۡقِلُونَ﴾ [الآية 4] يستعملون عقولهم بالنظر والفكر.

قال السلمي: روي عن النبي ﷺ أنه قال: «العاقل مَن عقل عن الله أمره»(1). وقال الواسطي: العاقل ما عقلك عن المجازي.

﴿وَإِن تَعۡجَبۡ﴾ [الآية 5] يا محمد أو أيها المخاطب من إنكارهم البعث

(1) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (4/ 166) رقم (4683).

﴿فَعَجَبٌ قَوۡلُهُمۡ﴾ [الآية 5] خبر ومبتدأ، أي فقولهم حقيق بأن يتعجب منه فإن من الآيات المعدودة على الطريقة المشهودة بجملتها المشهودة دالة على وجود المبدأ الحقيقي المفيدة للتوحيد الإلٰهي حيث يبدي ويعيد ففيهما شهادة على تحقيق الإعادة من حيث إنها تدل على كمال علمه وقدرته وسائر صفاته وقيود المواد لأنواع تصرفاته.

وقال الأستاذ: أي فهذا موضع أن يتعجب منه للخلق والعجب لا يجوز في صفة الحق لأن التعجب هو الاستبعاد وهو لا يستبعد شيئاً مما أراد، حسن ما قالوا إنما تعجب من حجب فإن مَن لم ينل عيون بصيرته لم يتعجب من شيء صدر عن قدرته، وقوم أطلقوا اللفظ بأن هذا من باب الموافقة أي المشاكلة والمقابلة أي إنك إن تعجبت فهذا عجب موافقة لك فإطلاق هذا لا يجوز وإن كان فيه إشارة لطيفة إذا الأدب هو السكوت عن مثل هذه العبارة الموهمة ولو منفية، والقوم عبروا عن ذلك بقولهم: أعجب العجب قول مَن لا يجوز في وصفه العجب . . . وإن تعجب فعجب قولهم.

ثم قوله سبحانه: ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا﴾ [الآية 5] بدل من قولهم، أو هو مقولهم والعامل في إذا محذوف دل عليه قوله: ﴿أَءِنَّا لَفِى خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ﴾ [الآية 5] والتقدير أئذا كنا تراباً نُبعث، والمعنى أنعود إذا صرنا تراباً، فعجبوا مما لا يقتضي استعجاباً فإن مبدأهم إذا كان تراباً فلا يبعد أن يصير معادهم تراباً.

وأفاد الأستاذ: استبعادهم النشأة الثانية مع إقرارهم بالخلق الأول وهما في معنى واحد موضع للتعجب إذ هو صريح في المناقضة، وكان القوم أصحاب تمييز وتحصيل / فالتباس مثل هذا عليهم موضع العجب فلولا أن الله 76/أ
سبحانه لبس عليهم كما قال: ﴿فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ﴾ [يس:الآية 9] وإلا ما كان ينبغي لهم أن يخفى عليهم جواز هذا مع وضوحه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ﴾ [الآية 5] أي بقدرته على بعثهم ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ﴾ [الآية 5] مقيدون بأنواع الضلال من غير رجاء خلاصهم وعدم قصور مناصهم أو يفعلون يوم القيامة بأثقال أنكال أعمالهم ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ﴾ [الآية 5] ملازموها

﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الآية 5] لا ينفكون عنها، وتوسيط الفصل لتخصيصهم بدوامها.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أخبر أنهم وإن جزوا في فج المهلة واغتروا بسلامتهم في الحال لما عليهم من الغفلة، ففي مضمار الهلاك ما يجرون، وإلى سواء المآل ما يصيرون.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ﴾ [الآية 6] بالعقوبة قبل العافية، وذلك إنهم استعجلوا على سبيل الاستهزاء بما هدَّدهم سيد الأنبياء من عذاب الدنيا قبل عقاب العقبى ﴿وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ﴾ [الآية 6] مضت عقوبات أمثالهم من المكذِّبين لأنبيائهم فما لهم لم يعتبروا بها ولم يجوِّزوا حلول مثلها.

وأفاد الأستاذ: أنهم لفرط غيهم استقبلوا بتمنيهم حلول حينهم وكم من أقوام درجوا وكانوا على منهاجهم، ركضوا في ميادين الجهل فعثروا في أشكال المقت ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ [الآية 6] أي ظلمهم لأنفسهم وفي التقييد به دلالة على جواز العفو قبل التوبة لمن تعلق المشيئة في حقه بالمغفرة لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النِّساء:الآية 48]، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الآية 6] للكفار ولمن شاء من الفجار، والآية جامعة بين الوعد والوعيد كقوله تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [الحجر: الآيتان 49،50]. وقد ورد: لولا عفو الله وتجاوزه ما هنأ أحداً العيش الرغد ولولا وعيده وعتابه لاتكل كل أحد(1).

وقال أبو عثمان: إنما يرجوا المغفرة من الله من يرتكب الذنوب على خطر وخوف وحذر عنهما لا من يقتحم فيها من غير مبالاة بها، ذكره السلمي. وهذا باعتبار الحالة اللاحقة وأما البناء على الملاحظة السابقة / 76/ ب
فكما أفاد الأستاذ أنه سبحانه يغفر لمن سبق له الحكم بالسعادة والولاية ويعذِّب لمن سبق له الحكم بالشقاوة والعداوة.

(1) انظر تخريج أحاديث الإحياء (8/ 281) رقم (3781).

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦٓۗ﴾ [الآية 7] لعدم اعتذارهم بالآيات المنزلة من عنده ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞۖ﴾ [الآية 7] مرسل للإنذار وما عليك إلا تبليغ الأخبار والإيقان بما يصح به نبوّتك من المعجزات لا بما يقترحه عليك الكفار من خصوص الآيات ﴿وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ﴾ [الآية 7] قادر على هدايتهم وهو الله سبحانه لكن لا يهدي إلا من شاهد آيته وسبقت عنايته وتعلقت به إرادته وفيه إيماء بأن اقتراحهم للعناد دون الاسترشاد وإلا فقدرته ثابتة على وجه الكمال وعلمه محيط للخلق بجميع الأحوال.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أتاهم بأوضح البرهان وأوضح البيان فعمُوا عن شهود الحق وزلّت أقدام فكرهم عن نهج الصدق فاقترحوا بتتميمهم أموراً بعدما أزيحت عليهم وما ذاك إلا لما استولت عليهم غفلتهم. ثم قال عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞۖ﴾ [الآية 7] وليس إليك ولا بك إلا الإنذار وهو الإعلام بما يتضمن معنى التخويف، والحق سبحانه منفرد بالقدرة على الهداية والتقريب.

﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۚ﴾ [الآية 8] أي ما تنقصه وما تزداده في الحبة والعدد والمدة، وأقصى مدة الحمل سنتان عند أبي حنيفة، وقيل خمسة، وقيل لا حد له. وجاز جعل الفعلين لازمين فما مصدرية وإسنادها إلى الأرحام مجازية ﴿وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ﴾ [الآية 8] بقدر ولا يجاوزه ولا يجوز نقصه. قال بعضهم: كل شيء بوزن ومقدار ومن لم يزن أنفاسه فهو من الغافلين ومن لم يعرف مقداره وقدر عظيم النعمة عنده فهو من المعجبين.

﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [الآية 9] السر والعلانية أو ما غاب عن العباد وظهر في البلاد ﴿ٱلۡكَبِيرُ﴾ [الآية 9] العظيم الشأن في صنعته وحكمته ﴿ٱلۡمُتَعَالِ﴾ [الآية 9] المستعلي في كل شيء بقدرته أو كبر عن نعت المخلوقين وتعالى عن وصف المحدثين.

وقال السلمي: الكبير في ذاته المتعالي في صفاته.

وقال الأستاذ: أحاط الحق سبحانه بالمعلومات علماً وأمضى بالكائنات

77/أ حكماً فلا معلوم يعزب عن علمه/ ولا مخلوق يخرج من حكمه تعالى قدره عن سمات النقص وتقدّس وصفه عن صفات العيب.

﴿سَوَآءٌ مِّنكُم﴾ [الآية 10] في علمه بكم ﴿مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ﴾ [الآية 10] في نفسه ﴿وَمَن جَهَرَ بِهِۦ﴾ [الآية 10] لغيره ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ﴾ [الآية 10] طالب للخفاء في مختبأ من الليل مخافة ظهور الويل ﴿وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ [الآية 10] أي ظاهر لكل ناظر، وهو عطف على من، وقيل على مستخف، والآية معذرة لكمال علمه وشمول حلمه.

وقال الأستاذ: سيان منكم من خاطبنا بوصف الدعاء جهراً ومن خاطبنا بقلبه ببيان النجوى سراً فإن لكل واحد منهما إجابة منهما في الدعاء إذا ساعدته المشيئة والقضاء. ويقال: سواء منكم مَن أخفى ما به من الحال إشفاقاً وغيره وإخفاء من الرقيب لئلا يطلع على سره ومَن كان مغلوباً بجهر ويبدي ما به ولا باختياره أو لأنه لا يشهد غيراً في العيان فيتكلف الكتمان أو يكون النطق موجوداً منه وهو في ذلك مأخوذ عنه، أو يكون مستنطق الإشراق له على ما يبديه بل الحق سبحانه ينطقه بذلك ويجزيه فالكل منه له أصل ومبنى وهو صاحب معنى وهو كذلك سواء في علم الله ورؤيته وسمعه المستتر، والذي يجهر والذي يكمن والذي يظهر فالبصر للكل متفائل والعلم للجميع شامل إلا من أسر أو جهر أو استخفى وظهر.

﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ﴾ [الآية 11] ملائكة تعتقب في حفظه والتاء للمبالغة أو لإرادة الجماعة ﴿مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ﴾ [الآية 11] من جوانبه ﴿يَحْفَظُونَهُۥ﴾ [الآية 11] من المضار له أو يراقبون أحواله ﴿مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 11] أي بأمره وإرادته كما قضاه أو من أجل أمر الله. وقد قرىء به.

وقال ابن عطاء: الأسباب بحفظك من أمره فإذا جاء القضاء خلى بينك وبينه وكيف يكون محفوظاً من هو غير محفوظ من حافظه، والمحفوظ على الحقيقة من هو محفوظ بالحافظ الحقيقي، ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: إن الكناية في قوله: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ﴾ [الآية 11] فهم الملائكة

77/ب الذين تعقب بعضهم بعضاً بالليل والنهار ويحفظون هذا المكلف أو/ هذا العبد من أمر الله أي البلاء الذي قدَّره الله يحفظونهم من أمر الله وذلك أن الله سبحانه وكّل لكل من الخلق ملائكة يدفعون عنهم البلاء إذا قاموا وعقلوا ولا يقف عليه كثير أحد فإذا نام العبد تحفظه الملائكة وإذا انتبه وقام ومشى وفي جميع أحواله.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ﴾ [الآية 11] من العافية والنعمة ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾ [الآية 11] من الأحوال السنية بالأموال الدنية ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ﴾ [الآية 11] لأن خلاف مراد الله محال ﴿وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [الآية 11] مما يلي أمرهم فيدفع السر عنهم.

قال القاسم: إذا أراد إهلاك قوم حسَّن في أعينهم موارد هلاكهم حتى يمشوا إليه بأرجلهم وتدبيرهم وهو الذي أتى بهم، ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: إنهم إذا غيروا ما بهم من الطاعة غيَّر الله ما بهم من منة المنة والإحسان والنعمة إذا كانوا في نقمة فغيّروا ما بهم من الشكر بالعبادة فإن الله يغيّر عليهم ما منَّ به من الأنعام والسعة فيسلبهم من ذلك ما وهبهم، وإذا كانوا في شدة فلا يغيِّر ما بهم من البلية حتى يغيروا ما بأنفسهم من السكون والسكوت، وإذا أخذوا في التضرُّع وأظهروا العجز فيهم غيَّر ما بهم من المحنة بالتبديل والتحويل. ويقال: أو غيروا ما بألسنتهم من الذكر غير الله ما بقلوبهم من الحضور فأبدلهم به النسيان والغفلة، فإذا كان عبد في بسط وتقريب وكشف بالقلب ووقت وترحيب فإن الله لا يغيِّر ما بهم حتى يغيروا ما بأنفسهم بترك أدب أو إخلال بحق أو إلمام بذنب. ويقال: لا يسلب ما قدّره سبحانه لعبد من نعمه الظاهرة والباطنة حتى يترك ويغيِّر العبد ما هو به من الشكر والحمد على النعمة فإذا قابل النعمة بالكفران وأبدل حضور القلب بالنسيان وما يطيع ببدنه بالعصيان أبدل الله تعالى ما به من النعمة بالحرمان والخذلان وسلب ما كان يعطيه من الإحسان، وإذا أراد الله بقوم بلاء وفتنة فما تعلقت به المشيئة يجري لا محالة. ويقال: إذا أراد الله بقوم سوءاً وفر دواعيهم حتى يعلموا أو يختاروا ما فيه/ 78/أ بلاؤهم فيمشون إلى هلاكهم بقدمهم وفي الحقيقة يسعون بدمهم كما قيل:

إلى حتفي مشى قدمي أرى قدمي أراق دمي[1]

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا﴾ [الآية 12] من أذية المطر ومضرته ﴿وَطَمَعًا﴾ [الآية 12] في إغاثته ومنفعته.

وقال ابن عطاء: خوفاً للمسافر وطمعاً للمجاور. وقيل: يخاف المطر من يضره ويطمع فيه من ينفعه.

وأفاد الأستاذ: إنه سبحانه كما يريهم البرق في الظاهر فيردهم بين خوف من احتباس المطر وطمع في مجيئه كذلك يريهم البرق في أسرارهم بما يبدي فيها من اللوائح ثم اللوامع ثم كالبروق في الضياء من الهوامع وهذه أنوار المحاضرة ثم أنوار المكاشفة خوف من أن ينقطع ولا يبقى وطمعاً في أن يدوم ولا يفنى فيرتقي صاحبه عن المحاضرة إلى المكاشفة ثم من المكاشفة إلى المشاهدة ثم إلى الوجود ثم من دوام الوجود إلى تمام الجمود. ﴿وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ﴾ [الآية 12] الغيم المنسحب في الهواء ﴿ٱلثِّقَالَ﴾ [الآية 12] جمع ثقيلة وصف به السحاب لأنه اسم جنس في معنى الجمع.

وأفاد الأستاذ: أنه إذا أنشأت السحابة في السماء أظلم في الوقت الجو والخلاء ولكنه يعقبه بعد ذلك ضحك الرياض وما لم تبك السماء لم يضحك الرياض ولم تمثل الحياض كما قيل:

ومأتم في السماء يبكي والأرض من تحتها عروس

كذلك تنشأ في القلب سحابة الطلب فيحصل تردد الخاطر في القلب ثم يلوح وجه التحقيق فتضحك الروح بفنون راحات الأنس وصنوف أزهار القرب.

﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ﴾ [الآية 13] قيل: وعن ابن عباس سئل النبي ﷺ فقال: «ملك موكّل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب»[2]، ﴿بِحَمْدِهِۦ﴾

(1) نسب هذا البيت إلى أبي الفتح البستي. انظر زهر الآداب وثمر الألباب (1/ 151).
(2) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح (5/ 294) رقم (3117)، والنسائي في السنن الكبرى (5/ 336) رقم (9072)، وابن منده في التوحيد (1/ 59) رقم (44).

[الآية 13] أي معه أو متلبساً به ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ﴾ [الآية 13] أي من خوف الله وعظمته، وقيل من خشية الرعد وهيبته ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ﴾ [الآية 13] فتهلكه ﴿وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ﴾ [الآية 13] في صفاته من كمال العلم والقدرة الأزلية والتفرُّد بالألوهية ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ [الآية 13] المماحلة والمكابدة والمعاقبة لأعدائه. وقيل: إنه مثل في القوة والقدرة كقوله ﷺ: «فساعد الله أشد ومواساته أحد»[1].

78/ب وأفاد الأستاذ: أن الصواعق في الحقيقة / هي الفترات في هذه الطريقة يصيب بها مَن يشاء من عباده أن يقع في الفترة ويعقل عن العثرة.

﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾ [الآية 14] أي الدعاء الحق والنداء الصدق فإنه الذي يحق أن يعبد ويليق به أن يُسجد له أو يُدعى إلى عبادته دون غيره من خليقته، أو له الدعوة المجابة فإن من دعاه أجاب ومن حشر داعيه ما خاب، والحق بمعنى الثابت المستقل ضد الباطل المماطل أو الحق هو الله وكل دعاء إليه دعوة الحق. قال ابن عطاء: أصدق الدعاوي دعاوي الحق فمن أجاب داعي الحق بلغه إلى الحق، ومن أجاب دواعي النفس رمي به إلى الهلاك المطلق والضلال المحقق. وقال بعضهم: داعي الحق مَن يدعو بالحق إلى الحق.

وقال جعفر الصادق: مَن دعا لنفسه فإلى نفسه دعاه وهو الكفر والضلال.

وأفاد الأستاذ: إن دواعي الحق صارخة في القلوب من حيث البرهان فتدعو العبد بلسان الخواطر في البيان فمن استمع إليها بسمع التفهم استجاب ببيان العلم وفي مقابلتها دعاوي الشيطان وهي هاتفة بالعبد بتزيين المعاصي الموجبة للعبد، فمن أصغى إليها بسمع الغفلة استجاب بصوت الغي والضلالة ومعها دواعي النفس من الجهالة وهي فائدة للعبد بزمام الحظوظ ومانعة له من قيام الحقوق فمن ركن إليها ولاحظها في جميع الباب وقع في الحجاب ومن الدواعي داعي الحق لا بواسطة ملك ولا بدلالة عقل ولا بإشارة علم ونقل

(1) أخرجه أحمد في المسند (4/ 136) رقم (17267).

فمن أسمعه الحق ذلك استجاب لا محالة بالله لله.

﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ﴾ [الآية 14] الأصنام، فحذف المفعول لإشارة المقام إليه ولدلالة قوله: ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ [الآية 14] عليه ﴿لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ﴾ [الآية 14] من المطلوبات ﴿إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ﴾ [الآية 14] الاستجابة كاستجابة من بسط كفيه مائلاً ﴿إِلَى ٱلۡمَآءِ﴾ [الآية 14] في بئر عميق أو مكان سحيق داعياً إياه ﴿لِيَبۡلُغَ فَاهُ﴾ [الآية 14] ليبلغ الماء يواصله ولا يحاصله فإنه جماد لا يشعر بندائه ولا يقدر على إجابة دعائه، وهذا تمثيل من الله لما سواه من شركائه ﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ﴾ [الآية 14] أي ضياع وخسار ليس في الدار غيره ديار.

79/أ وأفاد / الأستاذ: إن هواجس النفس ودواعيها تدعو إلى ما في الطريقة شرك وذلك لشهود شيء منك وحسبان أمرك وتعريج في أوطان الفرق والعمي عن حقائق معنى الجمع.

﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الآية 15] من الملائكة والمؤمنين ﴿طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا﴾ [الآية 15] حالة الشدة والرخاء ذكرها من الكفرة والمنافقين حال البلاء والرياء.

قال جنيد: العارف طوعاً والمعرض كرهاً ﴿وَظِلَٰلُهُم﴾ [الآية 15] تبعاً لهم ﴿بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ﴾ [الآية 15] في طرفي الأيام. والمراد بهما الدوام أو حال من الضلال وتخصيص الوقتين لأن الامتداد والتقلص فيهما أظهر من غيرهما. والغدو جمع غداة وهي أول النهار، والآصال جمع أصيل وهو ما بين العصر والمغرب. وقيل: المراد بالسجود الانقياد لإحداث ما أراد من العباد شاؤوا أو كرهوا.

وأفاد الأستاذ: إن الكافر يسجد حالة الضرورة تواضعاً مختاراً طائعاً ولكن لما كان سجوده لطلب كشف الضر قال الله: إنه يسجد كرهاً، فعلى مقتضى هذا كل مَن يسجد لابتغاء عرض أو لدفع شر أو كشف محنة فهو ممن يسجد كرهاً والساجد طوعاً فهو من يسجد لأجل الأمر لا لملاحظة عوض أو انتفاء محنة وغير ذلك. ويقال: السجود على قسمين: ساجد بنفسه وساجد

بقلبه، فسجود النفس هو المعهود، وسجود القلب من حيث الوجود. وفرق بين مَن يكون بنفسه ساجداً وبين من يكون بقلبه واحداً، وأعزهم مَن جَمَعَ بين الوصفين فيكون ساجداً بنفسه وواجداً بقلبه. ويقال: الكل يسجدون لله إما من حيث الأفعال بالاختيار وإما من حيث الأحوال بنعت الانكسار والاستئثار، وسجود الأحوال من حيث الدلالة على الوحدانية وكل جزء من عين أو أثر فعلى الوحدانية شاهد وعلى هذا المعنى لله ساجد. وسجود الظلال من حيث الشهادة على قدرة الصانع واستحقاقه بصفات الجمال والجلال والكمال.

﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 16] خالقهما ومتولي أمرهما ومربِّي
79/ب أهلهما ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ [الآية 16] إذ لا جواب سواه ﴿قُلْ/ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾
[الآية 16] أنكرهم عما يعد من أنكرهم فإن اتخاذهم أولياء من غير مولاهم أشد منكر صدر منهم لعدم عقلهم وقلّة فكرهم ﴿لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ [الآية 16] لا يقدرون على جلب نفع إليها ولا دفع ضر عنها فكيف يستطيعون شيئاً من ذلك لغيرها.

وأفاد الأستاذ: أنه التحق في المعنى بها كل مَن هو موسوم برقم الحدوث من عبد الأصنام ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ [الآية 16] المشرك الجاهل بحقيقة العبادة والعالم المحقق لطريق السعادة أو المعبود الغافل عن أعمالكم والمعبود المطلع على أحوالكم.

وقال أبو حفص: الأعمى مَن يرى الله بالأشياء ولا يرى الأشياء بالله والبصير مَن يكون نظره من الكون إلى المكونات.

وقال الأستاذ: أي فهما لا يستويان، والأعمى مَن على بصيرته غشاوة وحجبته، والبصير مَن كحل الحق بصيرة سره بنور الوحدة ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِى﴾ [الآية 16] وقرأ أبو بكر وحمزة والكسائي بالتأنيث أي لا تستوي ﴿ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ﴾ [الآية 16] ظلمات الشرك ونور التوحيد.

وأفاد الأستاذ: أن من جملة الظلمات السكون في أوطان التدبير ومن جملة النور الخروج إلى ضياء شهود التقدير ﴿أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ﴾

[الآية 16] صفته لشركاء شريكه معها في نعت الإنكار ﴿فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ﴾ [الآية 16] أي خلق الله وخلقهم ﴿عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [الآية 16] على عائديهم، والمعنى أنهم ما اتخذوا شركاء له سبحانه خالقين مثله حتى يتشابه عليهم الخلق فيقولون: هؤلاء خلقوا كما خلق الله فاستحقوا العبادة كما استحقها خالق العباد ولكنهم اتخذوا شركاء أعجز عن جميع الأشياء ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الآية 16] لا خالق غيره فيشاركه في العبادة كما هم مقرون بهذه العبارة، وقد أخبر الله عنهم بقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ﴾ [الزمر:الآية 38] ويقولون ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الزمر:الآية 3] فهذا مقول من عقول أضلّها الله باريها.

وأفاد الأستاذ: إن المخاطب بعين التكلُّم لا يدخل في الخطاب أي في عموم الكلام، وهذا مبني على تجويز إطلاق الشيء عليه سبحانه بمعنى الموجود، وأما إذا كان بمعنى الشيء فلا مدخل له في هذا الباب والله / أعلم 80/أ بالصواب ﴿وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ﴾ [الآية 16] المتوحِّد بالألوهية ﴿ٱلۡقَهَّٰرُ﴾ [الآية 16] الغالب على كل شيء كما تقتضيه الربوبية.

وأفاد الأستاذ: أن الواحد الذي في فضله غنية عن فضل كل أحد هو المستغني عن كل أحد والقهَّار الذي لا يجري نفس في ملكه بخلاف حكمه.

﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الآية 17] من جانبها ﴿مَآءٗ فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا﴾ [الآية 17] أي بمقدارها الذي قدّر لها أو بقدرها في صغرها وكبرها ﴿فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا﴾ [الآية 17] رفعه وهو وسخ الغليان ﴿رَّابِيٗاۖ﴾ [الآية 17] مرتفعاً عالياً ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ﴾ [الآية 17] أنتم ﴿عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ﴾ [الآية 17] وتعم الغليان كالذهب والفضة والنحاس والحديد وغيرها، ذكرها على وجه التهاون بها إظهاراً لكبريائه وإشعاراً باستغنائه ﴿ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ﴾ [الآية 17] لطلب حلي بقصد الزينة ﴿أَوۡ مَتَٰعٖ﴾ [الآية 17] كالآنية المقصود بيان منافعها العرفية ﴿زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ﴾ [الآية 17] أي ومما توقدون عليه يحصل أوساخه مثل زبد الماء، ومن للتبعيض أو الابتداء. وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالياء على أن ضميره للناس وإضماره للعلم به ﴿كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ﴾ [الآية 17] أي مثلهما على حذف مضاف فإنه مثل الحق في تمام إفادته

ودوام ثباته بالماء الذي ينزل من السماء فتسيل به الأودية على قدر الحاجة والمصلحة والطريق المعتدلة المستقيمة فينتفع به أنواع المنافع الدينية والدنيوية وبالفلذ الذي ينتفع به في صنوع الجلية لتحصل الزينة واتخاد الأمتعة المختلفة ويدوم كل منهما مدة متطاولة ومثل الباطل في سرعة زواله وقلة نفعه في حاله يؤيدهما كما بينهما بقوله: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً﴾ [الآية 17] أي جفاء كما قرء به أي حال كونه يرمي به السيل والفلذ المذاب ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ [الآية 17] كالماء الخالص وخلاصة الفلذ فيمكث في الأرض ينتفع به أهلها ﴿فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 17] أي للناس لعلهم يتذكرون وما يعقلها إلا العالمون.

قال الواسطي: خلق الله درة صافية فلاحظها بعين الجمال فذابت حباً فسالت ما صفا القلوب من وصول ذلك المطلب وضياء الإسرار من نزول ذلك المشرب. وقال أيضاً: أنزل من السماء ماءً هو القرآن فاحتمل السيل
80/ب زبداً رأينا رؤيتك لأعمالك وصولك بها على خيراتك/ وأما الزبد فيذهب جفاء عند التوحيد وأما ما ينفع الناس وهو اليقين في معرفة الرب فيثبت في أرض القلب.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه شبَّه القرآن المنزل بالماء من السماء وشبَّه القلوب بالأودية وشبَّه وساوس الشيطان وهواجس النفس بالزبد الذي يعلو الماء وشبَّه الحق بالجواهر الصافية من الأوساخ الرديئة كالذهب والفضة والصفر وغيرها، وشبَّه الباطل بخبث هذه الجواهر وإن الأودية مختلفة في صغرها وكبرها فبقدرها يحتمل الماء في القلة والكثرة كذلك القلوب تختلف في الإحمال على حسب الضعف والقوة، وكما أن السيل إذا حصل في الوادي يحتمل الزبد فيلقطه ويرميه فكذلك القرآن إذا حصل حفظه في القلب نفى الوساوس والهواجس عنها، وكما أن الماء قد يصحبه ما يكدره وقد يخلص بعضه عما يشوبه فكذلك فهم القرآن في قلوب أهل الإيمان قد تحفظ به النزغات الدنية الشيطانية والخواطر الرديئة النفسانية فمن بين صاف وكدر فيظهر في نظر معتبر وكما أن الجواهر التي يتخذ منها الأواني إذا أدنيت خلص من الخبث كذلك الحق يميز بين الباطل ويبقي الحق ويضمحل الباطل

ويبقى التائب الثابت ويفني الزائل. ويقال: الأنوار إذا تلألأت في القلوب نفت آثار الظلمة، فنور اليقين ينفي ظلمة الشك ونور العلم ينفي عتمة الجهل ونور المعرفة ينفي أثر الفكرة ونور المشاهدة ينفي آثار البشرية وأنوار الجمع تنفي آثار التفرقة وعند أنوار الحقائق يتلاشى آثار حظوظ الخلائق وأنوار طلوع الشموس من حيث عرفان الآثار تبقي ظلمة الليل من حيث حسبان آثار الأغيار، ثم الجواهر الذي يُتخذ منها الأواني مختلفة فمن إناء يتخذ من الذهب وآخر من الرصاص إلى غير ذلك، كذلك القلوب تختلف هنالك وفي الخبر: «إن لله أواني وهي القلوب»[1]. فمريد قاصد ومحب واجد وعائد خائف وموحِّد عارف ومتعبِّد متقشف ومتهجد متصوِّف. وأنشدوا في معناه:

81/ أ ألوانها شتى الفنون وإنما تسقى بماء/ واحد من منهل[2]

وقد ورد: الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا.

﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ [الآية 18] أي المثوبة الحسنى ﴿وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُۥ﴾ [الآية 18] من المنكرين وهو مبتدأ خبره ﴿لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦٓۚ﴾ [الآية 18] ليتخلصوا من العقاب، ولو للتمني وهو المحال في هذا الباب ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡحِسَابِ﴾ [الآية 18] فقد ورد من نوقش في الحساب عُذِّب ﴿وَمَأۡوَىٰهُمۡ﴾ [الآية 18] مرجعهم أو مثواهم ﴿جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾ [الآية 18] مستقرهم.

وأفاد الأستاذ: أن الحسنى الموعودة على الاستجابة قبول استجابتهم وذلك أجّل الأشياء عنهم ولا شيء أعز على المحب من قبول محبوبه منه شيئاً ﴿وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا﴾ [الآية 18] ثم ما أنفقوا غداً لا يقبل منهم ولهم سوء الحساب ثم مأواهم بدوام العذاب.

---

(1) تخريج أحاديث الإحياء (4/ 286) رقم (1786)، وجامع الأحاديث (9/ 221) رقم (8288).

(2) ذكره القشيري في تفسيره (3/ 499).

﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ﴾ [الآية 19] فيستجيب ﴿كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ﴾ [الآية 19] عمى القلب فلا يستبصره فيستجيب، والهمز بالإنكار وقوع شبهة في تشابههما بعد حصول قرب أمثالهما ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الآية 19] ذوو العقول الخالصة المميزة للأشياء المختلطة.

وأفاد الأستاذ: أن الاستفهام بمعنى النفي في هذا المقام أي لا يستوي البصير والضرير والمقبول بالوصلة والقربة والمردود بالغفلة والحجبة والمؤهل للتقريب والمعرَّض للتعذيب والذي أقصيناه عن شهودنا والذي هديناه بوجودنا إنما يتعظ من العقل له موجب أدناه وتشريف دون من عقله له سبب إقصاء وتعنيف.

﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 20] بما عقدوه على أنفسهم من الاعتراف بوحدانية ربهم ﴿وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ﴾ [الآية 20] بما وثقوه من المواثيق الكائنة بينهم وبين الله وبين عباده فهو تفهيم وللكمال تتميم. قال بعضهم: الموفون بعهدهم القائمون بشرط العبودية من اتباع الأوامر الشرعية.

وقال ابن عطاء: أي الميثاق الأول في قولهم بلى بأنه لا رب لهم غيره تعالى فلا يخافون غيره ولا يرجون سواه ولا يسكنون إلا إليه ولا يعتمدون إلا عليه.

﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ [الآية 21] من الرحم وموالاة
المؤمنين والإيمان بجميع النبيِّين ومراعاة/ حقوق المسلمين. قيل: هم المتحابون في ذات الله، ذكره السلمي. 81/ب

وقال الأستاذ: أي الذين يصلون أنفاسهم بعضها ببعض فلا يتخللهم نفس لغير الله ولا في شهود غير الله. ويقال: يسرون بسراهم في إقامة العبودية والتبري من الحلول والقوة ويخشون ربهم خشية تعظيم ومهابة.

وقال الأستاذ: الخشية لجام يقف المؤمن عن الركض ميادين الهوى وزمام يجره إلى استدامة حكم التقوى ويخافون سوء الحساب من المناقشة في

المحاسبة الموجبة للعقوبة فيحاسبون أنفسهم قبل القيامة.

وقال الأستاذ: هو أن يبدو لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون.

﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ [الآية 22] على الطاعة وعن المعصية في المصيبة ﴿ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ﴾ [الآية 22] طلباً لرضاه لا لرضى سواه.

قال أبو عثمان: صبروا على المناهي لا لخوف النار بل لسبب النهي من عظمة الناهي.

وأفاد الأستاذ: أن الصبر يختلف باختلاف الأعراض التي لأجلها يصبر الصابر، فالعباد يصبرون لخوف العقوبة، والزهاد يصبرون طمعاً للمثوبة، وأصحاب الإرادة هم الذين صبروا ابتغاء وجه ربهم، وشرط هذا النوع من الصبر رفض ما يمنع من الوصول واستدامة التقوي عن كل حصول فيدخل فيه ترك الشهوات والتجرد عن جميع الشواغل والعلاقات فيصبر على القلّة والذلّة وعن كل شيء يُغفل عن الوصلة. ومما يجب عليهم الصبر عليه هو الوقوف على حكم تقدير الحق فإنه سبحانه يتفضل على الكافة من المحتملين وينفرد خصوصاً على المريدين فيمتحنهم بالصبر في أيام إرادتهم فإذا صدقوا في صبرهم جاد بتحقيق ما طلبوا عليهم ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الآية 22] التي هي أم العبادات البدنية ﴿وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ﴾ [الآية 22] وهو أصل الطاعات المالية ﴿سِرّٗا﴾ [الآية 22] لمن يعرف بالمال ﴿وَعَلَانِيَةٗ﴾ [الآية 22] لمن عرف بعين الحال أو بحسب ما اتفق لهم وما يليق بالمنفق عليهم.

وأفاد الأستاذ: أن الأغنياء ينفقون أموالهم والعباد ينفقون أنفسهم فيحمِّلون نفوسهم فنون الاجتهاد ويصبرون على أداء الفرائض وقضاء الأوراد، والمريدون
82/ أ ينفقون قلوبهم فيتجرعون / كاسات الصبر والصبر كاسمه أي المر إلى أن يلوح علم من الإقبال عليهم، وأما المحبون فينفقون أرواحهم وهي كما قيل:

ألست لي خلفاً مني كفى شرفاً   فما وراءك لي قصد ومطلوب[1]

(1) أورده القشيري في تفسيره (4/ 4).

﴿وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ [الآية 22] أي يدفعونها بها فيجازون الإساءة بضدها أو يدفعون بالطاعة والتوبة المعصية فيمحوها.

وأفاد الأستاذ: أنهم يعاشرون الخلق يبذلون الإنصاف ولا يطلبون الانتصاف إن عاملهم أحد بالجفاء قابلوه بالوفاء وإن أذنب قوم إليهم اعتذروا عنهم، وإن مرضوا عادوهم، كما قيل:

إذا مرضتم أتيناكم نعودكم   وتذنبون فنأتيكم ونعتذر[1]

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ [الآية 22] عاقبة الدنيا وما ينبغي أن يكون مآل أهلها إلى العقبى وهي الجنة المأوى.

﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا﴾ [الآية 23] أي بساتين يقيمون فيها ولا يبغون حولاً عنها ﴿وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ﴾ [الآية 23] أي يلحق بهم من صلح من أهلهم وإن لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعاً لمكانتهم وتعظيماً لشأنهم وزيادة لأنفسهم في دخول الجنة لما بينهم من القرابة وحصول الوصلة والقربة، وفيه دلالة على أن الدرجة تعلو بالشفاعة وفي التقييد بالصلاح إشارة إلى عدم منفعة مجرد الأنساب.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يكمل النعمة عليهم بأن يجمع بينهم وبين من يحبون صحبته من أقاربهم وأزواجهم، والخبر ورد بقوله: «المرء مع مَن أحب[2] فمن كان محبوبه أمثاله وأقاربه حُشر معهم ومن كان اليوم بقلبه مع الله فهو غداً مع الله»، وفي الخبر: «أنا جليس من ذكرني»[3] فهذا في العاجل وأما في الآجل ففي الخبر: «الفقراء الصابرون جلساء الله يوم القيامة»[4].

---

(1) نسب إلى الشاعر المؤمّل بن أميل. انظر المنتحل للثعالبي (1/ 25)، واللطف واللطائف (1/ 17).

(2) أخرجه البخاري في الصحيح (6169)، ومسلم في الصحيح (2640/ 165).

(3) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (1/ 451) رقم (680)، وابن أبي شيبة في المصنف (1/ 108) رقم (1224).

(4) أورده القشيري في تفسيره (4/ 5).

﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾ [الآية 23] من أبواب الفرقان أو أبواب التحفات قائلين: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم﴾ [الآية 24] بشارة بدوام السلامة وتمام الكرامة ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الآية 24] من غير الأغيار.

﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ [الآية 25] أوثقوه به من القبول والإقرار نقض العهد. وقال بعضهم: هو لزوم التدبير والاختيار وترك التفويض والتسليم والانكسار بعد أن أخبرك أن ليس/ لك من الأمر شيء. 82/ ب

وأفاد الأستاذ: أن من كفر بعد إيمانه نقض عهد الإسلام في الظواهر ومن رجع إلى أحكام العادة بعد سلوك طريق الإرادة فقد نقض عهده في السرائر فالمرتد جهراً عقوبته قطع رأسه والمرتد سراً عقوبته قطع سره. ويقال: نقض العهد هو الاستعانة بالأغيار. ويقال: هو الرجوع إلى الاختيار والتدبير بعد شهود الأقدار وملاحظة التقدير. ويقال: هو أن يقول بترك نفسه ثم يعود إلى ما قال بتركه ﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ [الآية 25] أي بوصله من صلاح العباد ﴿وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 25] بأنواع الفساد في البلاد والله لا يحب الفساد ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ﴾ [الآية 25] الطرد والإبعاد ﴿وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [الآية 25] أي دار البوار.

﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [الآية 26] يوسِّعه من فضله ﴿وَيَقْدِرُ﴾ [الآية 26] يضيِّقه له أو لغيره من عدله أو لأجل حكمة في حكمه كما قال تعالى في آية أخرى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾ [الإسراء:الآية 30].

قال الأستاذ: يبسط الرزق للأغنياء ويطالبهم بالشكر ويضيِّق على الفقراء ويطالبهم بالصبر، ثم وعد الزيادة للشاكرين والمعية للصابرين ﴿وَفَرِحُواْ﴾ [الآية 26] أي الكفار والفجار ﴿بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الآية 26] بما بسط لهم من الجاه والمال وغفلوا عن تقبيح الحال في المآل.

قال الأستاذ: فرح الأغنياء بزكاة أموالهم وفرح الفقراء بضعف أحوالهم ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ [الآية 26] في جنب حياة العقبى ﴿فِى ٱلْأَخِرَةِ﴾ [الآية 26] إلا

منفعة لا يدوم لها انتفاع كعجالة الماشي وزاد الراعي.

قال الأستاذ: فأموال الأغنياء وإن كثرت قليلة بالإضافة إلى ما وعدهم من جود أفضاله، وأحوال الفقراء وإن صعبت قليلة بالنسبة إلى ما وعدهم من شهود جماله وجلاله.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾ [الآية 27] لعدم اعتبارهم بما نزل من قبله ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ [الآية 27] باقتراح الآيات بعد افتضاح المعجزات ﴿وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ [الآية 27] أقبل عليه بقلبه وتاب. قال جعفر: يضل عن إدراكه ووجوده عن قصده بنفسه ويهدي إلى حقائقه من طلبه به.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الآية 28] أي المهتدون هم الذين صدقوا أو أيقنوا ﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 28] بكلام ربهم أو بمطلق ذكر أنسابه أو بذكر رحمته
83/أ بعد/ ذكر خشيته أو بذكر أدلته الدالة على وجوده ووحدانيته ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الآية 28] أي تسكن به وتميل إليه ولا تميل عنه.

وقال الأستاذ: قوم اطمأنت قلوبهم بذكر الله ففي الذكر وجدوا سكونهم وبالذكر وصلوا إلى صفوتهم، وقوم اطمأنت قلوبهم بذكر الله لهم فذكرهم الله بلفظه وأثبت الطمأنينة في قلوبهم على وجه التخصيص لهم. ويقال: إذا ذكروا أن الله ذكرهم استراحت قلوبهم واستبشرت أرواحهم واستأنست أسرارهم فإذا كان عبد لا يطمئن قلبه بذكر ربه فلخلل في قلبه ولأن قلبه بين القلوب الصحيحة قلب. قلت: وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ [ق:الآية 37] أي قلب سليم كما في قصة إبراهيم، أي سالم عن غير حب الرب.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ﴾ [الآية 29] أي حالة طيبة في الدنيا ﴿وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾ [الآية 29] منزلة حسنة في العقبى.

قال الحريري: طوبى لمن طاب قلبه مع الله لحظة من عمره ورجع بقلبه إلى ربه في جميع دهره، ذكره السلمي.

وقال الأستاذ: طابت أوقاتهم فطابت أنفاسهم وحالاتهم. ويقال: طوبى لمن قال له الحق طوبى له، ويقال: طوبى لهم في الحال ولهم حسن مآب في المآل.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ [الآية 30] مثل إرسال الرسل قبلك ﴿أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ﴾ [الآية 30] جماعة مجتمعة أو معدودة مقصودة ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ﴾ [الآية 30] طوائف مختلفة متعددة أرسلوا إليهم فليس يدع إرسالك إلى أمتك ﴿لِّتَتْلُوَاْ﴾ [الآية 30] لتقرأ ﴿عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الآية 30] أي الكتاب الذي أنزلناه عليك ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الآية 30] الذي علَّم القرآن فلم يعرفوا برحمته ولم يشكروا نعمته ﴿قُلْ هُوَ﴾ [الآية 30] أي الرحمٰن ﴿رَبِّى﴾ [الآية 30] خالقي ومتولي أمري ومربي حالي ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الآية 30] لا مستحق للعبادة غيره ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ [الآية 30] لا على مَن سواه ﴿وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [الآية 30] مرجعي في المآب أو رجوعي في كل باب.

وقال الأستاذ: أي إن كفروا بنا فآمن أنت فإنك أنت المقصود من البرية بحسن الإقبال عليه وجميل النظر إليه، كما قيل في هذا المعنى:

وكنت أطالب الدنيا بحر ... فأنت الحر وانقطع الكلام(1)

/ ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا﴾ [الآية 31] عند قراءته ﴿سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾ [الآية 31] 83/ ب
حركت به عن مقارها ﴿أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ﴾ [الآية 31] تصدّعت من خشية ربّها ﴿أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [الآية 31] فتقرأه أفتسمعه وتجيب لكان هذا القرآن لأنه الغاية في الإعجاز والنهاية في البيان مع الإيجاز أو لما آمنوا به كقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ [الأنعام:الآية 111]، ﴿بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ [الآية 31] أي بل له القدرة على كل شيء شاءه.

وقال الأستاذ: ولو كان شيء من المخلوقات يظهر بغيرنا في الإيجاد لكان يحصل بهذا القرآن ولكن المنشىء الله والخير والشر جملته من الله

(1) نسب هذا البيت إلى النابغة الذبياني. انظر يتيمة الدهر (2/ 51)، وقرى الضيف (4/ 249) وفي تفسير القشيري (فكنت الحب) بدل (فأنت الحر).

والأمر لله فإذا لم يكن شيء من الحدثان بالقرآن والقرآن كلام الرحمٰن فكيف يكون مظنة وذرة من النفي والإثبات لمخلوق، كلا إن ذلك محال.

﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الآية 31] من إيمانهم مع ما رأوا من شدة طغيانهم علماً منهم ﴿أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًاۗ﴾ [الآية 31] إلى طريق إيقانهم، أو معناه أفلم يعلم كما هو قول أكثر المفسرين لما روي أن علياً وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين قرؤوا: أفلم يتبين، أي إن لم يظهر لهم أن نفي هداية بعضهم لعدم تعلق المشيئة باهتدائهم.

وقال الأستاذ: أفلم ييأسوا من إيمانهم وقد علموا أنه من يهده الحق فهو المهتدي ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ﴾ [الآية 31] من المعصية ﴿قَارِعَةٌ﴾ [الآية 31] داعية تقرعهم ﴿أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾ [الآية 31] فيقلقون منها ويضطربون بها حيث لا محيص لهم عنها ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ ٱللَّهِۚ﴾ [الآية 31] القيامة الصغرى أو الطامة الكبرى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [الآية 31] أي وعده ووعيده لا في المبدأ ولا في المعاد لامتناع الخلف في إخبارهم برب العباد.

وأفاد الأستاذ: أن شؤم كفرهم لا يزال واصلاً إليهم ولوم فعلهم دائماً لاحق بهم ونازل عليهم.

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ [الآية 32] فيه تسلية لنبيه النبيه وتنبيه على وعيد مَن وقع فيه ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الآية 32] أي فأمهلتهم لكن ما أهملتهم ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْۖ﴾ [الآية 32] أي عذّبتهم ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [الآية 32] أي عقابي إياهم، وفيه تعجيب لحسن وقوع التعذيب.

﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ﴾ [الآية 33] رقيب دائم ﴿عَلَىٰ كُلِّ نَفْسِۭ بِمَا كَسَبَتْۗ﴾ [الآية 33]
84/أ من خير أو شر لا يخفى عليه شيء من أعمالهم/ وأحوالهم ولا يفوت عنده شيء من جزائهم والخبر محذوف تقديره: كمن ليس كذلك من شركائهم.

قال جنيد: بالله قامت الأشياء وبه فنيت وبتجليه حسنت المحاسن

وباستتاره قبحت ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾ [الآية 33] الأظهر أنه عطف على الخبر المقدر أي أفمن بهذه الصفة لم يوحدوه وجعلوا له شركاء آلهة عبدوها مع أنها ليس لها إلا مجرد شركة الأسماء لا حقيقة لمسمياتها ولجعلهم إياها شركاء معبودين تركوا منزلة العاقلين في قوله سبحانه: ﴿قُلْ سَمُّوهُمْۚ﴾ [الآية 33] بأي اسم شئتم وبأي صفة ذكرتم فإنهم لا يستحقون العبادة ولا يستأهلون الشركة فإنهم أحقر من ذلك وأخس من أن يذكروا هنالك فأرني أي تأثير منهم وأي نفع لكم فيهم وأي ضرر يتصور منهم ﴿أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ﴾ [الآية 33] بل تخبرونه ﴿بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 33] من شركاء يستحقون العبادة أو من صفات لم يستوجبونها لها وهو العالم بالكائنات علويها وسفليها وكليها وجزئيها.

وقال الأستاذ: أتقولون ما لم يعلم الله بخلافه ﴿أَم بِظَٰهِرٖ مِّنَ ٱلْقَوْلِۗ﴾ [الآية 33] أي أم تسمونهم شركاء بظاهر من المبنى من غير ملاحظة إلى حقيقة المعنى كتسمية الزنجي كافوراً وهذا احتيال بليغ على أسلوب عجيب في غاية من الإيجاز ينادي على نفسه بالإعجاز ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ﴾ [الآية 33] فلم يلتفتوا إلى الدليل ﴿وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِۗ﴾ [الآية 33] أي منعوا عن سبيل الحق وطريق الصدق. وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بفتح الصاد أي منعوا أنفسهم أو غيرهم عن الإيمان الذي يوجب خيرهم ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾ [الآية 33] يود وقوع ضلالته ﴿فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الآية 33] أحد يقدر على هدايته. قال بعضهم: زيَّن الله طرق الهلاك في عين من قدَّر عليه الإهلاك فيراه رشداً ليوصله إلى المقضي عليه هنالك.

وقال أبو يزيد: اجتنب مكر النفس وانتبه له فإنه أخفى من كل خافية وهو أهلك كل مَن هلك.

وقال الأستاذ: صاروا مصروفين عن الحق مسدودة عليهم الطرق فإن من أضلّه حكماً لا يهديه أحد قطعاً.

﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ/ ٱلدُّنْيَاۖ﴾ [الآية 34] بالقتل والأسر ونحوه ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَشَقُّۖ﴾ [الآية 34] لشدّته ودوامه ﴿وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 34] أي عقوبته 84/ ب

﴿مِن وَاقٍ﴾ [الآية 34] مانع ولا دافع ولو في بعض مدته.

﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الآية 35] صفة الجنة التي وعد المتقون بها مبتدأ خبره ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ [الآية 35] وهو تمثيل لما غاب بما شاهدنا بالمشاركة الاسمية لا بحقيقة المسماة في الكمية والكيفية لما ورد من الحديث القدسي والكلام الأنسي: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»(1). ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ﴾ [الآية 35] لا ينقطع ثمرها ﴿وَظِلُّهَا﴾ [الآية 35] كذلك أثرها كما بيّنها بقوله: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَـٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الواقعة: الآيات 30،33].

وقال الأستاذ: أي صفة الجنة التي وعد المتقون هي أنها جنة تدوم اللذات فيها متصلة وأنها جنتان معجلة ومؤجلة، فالمؤجلة ما ذكره الله سبحانه في نص القرآن، والمعجلة جنة الوقت بالجنان فالراحات من حيث البسط فيها متصلة ونفحات الأنس لأربابها بالسر دائمة لا مقطوعة ولا ممنوعة.

﴿تِلْكَ﴾ [الآية 35] الجنة الموصوفة ﴿عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟﴾ [الآية 35] مآلهم الذي يتم به آمالهم ﴿وَّعُقْبَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾ [الآية 35] وهي أولى لهم، وفي ترتيب الجملتين إيماء إلى أحوال الفرقتين من أطماع المتقين وإقناط الكافرين.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ [الآية 36] كابن سلام من علماء اليهود وأمثاله من الأصحاب ﴿يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [الآية 36] لصدق يقينهم بما رأوا من نعتك في كتبهم ﴿وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾ [الآية 36] أي وبعض كفرة أهل الكتاب ممن هو وراء الحجاب ﴿مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ﴾ [الآية 36] بعض المنزل عليك وهو ما لا يوافق ما حرّفوه من التوراة أو ما يخالف شرائعهم المختصة ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ﴾ [الآية 36] وحده ﴿وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ﴾ [الآية 36] غيره ﴿إِلَيْهِ﴾ [الآية 36] لا إلى غيره ﴿أَدْعُوا۟﴾ [الآية 36] غيري ﴿وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ﴾ [الآية 36] مرجعي أو رجوع أمري وهذا مما اتفق عليه الرسل من قبلي.

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (3244)، ومسلم في الصحيح (2824/ 4).

وأفاد الأستاذ: أن العبودية هي المبادرة إلى ما أُمرت به والمجاوزة عن ما زجرت عنه ثم التبري عن الحول والمنة والتفرد للاعتراف بالطول والمنة. وأصل العبودية القيام / بالوظائف ثم الاستقامة عند لوح اللطائف. 85/ أ

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ [الآية 37] أي مثل هذا الإنزال المشتمل على أصول الأعمال ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ [الآية 37] أي القرآن ﴿حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ [الآية 37] يحكم في القضايا والأحكام بما تقتضيه الحكمة بحسب اختلاف الأنام ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾ [الآية 37] التي يدعونك إليها ويحضرونك عليها ﴿بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [الآية 37] بدأبهم ﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ﴾ [الآية 37] يدفع العقاب ﴿وَلَا وَاقٍ﴾ [الآية 37] يرفع الحجاب.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ﴾ [الآية 38] بشراً مثلك لا من جنس الملك ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [الآية 38] نساء وأولاداً كما هي لك فلم يك ذلك قادحاً في صحة رسالتهم ولا تلك العلاقات كانت شيئاً غلة لهم عن عبادتهم.

وأفاد الأستاذ: أن من اشتغل بالله فكثرة العيال وتراكم الأشغال لا يؤثر في حاله ولا يضره بنقص كماله وبضعف الأحوال يتأثر بكثرة الاشتغال لا يؤثر في حاله ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ﴾ [الآية 38] وما صحَّ له ولم يكن في وسعه ﴿أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ﴾ [الآية 38] بمعجزة تقترح عليه أو بحكم يلتمس منه ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 38] بمشيئته وأمره ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الآية 38] لكل وقت حكم يكتب على العباد على ما يقتضيه اصطلاحهم عن الفساد.

وقال الصادق: للرؤية. وقال ابن عطاء: لكل علم بيان ولكل بيان لسان ولكل لسان عبارة ولكل عبارة طريقة ولكل طريقة أهل فمن لم يميز بين الأحوال فليس له أن يتكلم في مقامات الرجال.

وقال الأستاذ: لكل شيء أجل وهو وقت قسم له وكل أجل مثبت في كتاب الله وهو اللوح المحفوظ لأنه لا تفاوت في علمه ولا افتتان لأحد على حكمه.

﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [الآية 39] ينسخ ما يستصوب نسخه ﴿وَيُثْبِتُ﴾ [الآية 39] ما تقتضيه حكمته وحكمه أو يمحو أسباب التأويل عن ديوان عمله بمقتضى عدله ويثبت الحسنات مكانها من فضله. وقيل: يمحو قوماً ويثبت قوماً. وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي: يثبت بالتشديد للمبالغة والتأكيد ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الآية 39] وهو اللوح المحفوظ إذ ما من كائن إلا وهو مكتوب فيه. وعن ابن عباس: يمحو ما يشاء إلا الشقاوة والسعادة والحياة والممات[1].
85/ب وعن كثير من السلف كعمر وابن/ مسعود وغيرهم: أنهم كانوا يدعون بهذا الدعاء: اللهمَّ إن كنت كتبتنا أشقياء فامحه واكتبنا سعداء وإن كنت كتبتنا سعداء فأثبتنا فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب[2]. فالمراد بأم الكتاب هو علم الله تعالى عن التغيير والتحويل في جميع الأبواب.

وقال سهل: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ [الآية 39] من الأسباب ويثبت الأقدار. وقال الواسطي: منهم من أخذ بهم الحق بلطفه ومحاهم عن نفوسهم بنفسه.

وأفاد الأستاذ: أن صفات ذات الحق سبحانه من كلامه وعلمه وقوله وحكمه لا تدخل تحت المحو والإثبات، وإنما المحو والإثبات من صفات فعله، فالمحو يرجع إلى الإعدام والإثبات إلى الإيجاد وإذا تقدّر هذا الحال فللمقال في تفصيل المحو والإثبات مجاله فيقال: يمحو من قلوب الزهاد حب الدنيا ويثبت بدله في قلوبهم حب الأخرى، ويمحو عن قلوب العارفين اختيار الحظوظ ويثبت بدلها إيثار الحقوق، ويمحو عن قلوب الموحدين شهود الخلق ويثبت بدله شهود الحق، ويمحو إيثار البشرية ويثبت أنوار الأحدية. ويقال: يمحو العبد فلا يجري عليه حكم التقدير ويكون محوً تحت جريان أحكام التقدير. ويقال: يمحو أنس وقت كان أصفى من اللآلىء ويثبت أياماً هي أشد من

(1) تفسير الطبري (12/ 410).
(2) تفسير الطبري (16/ 481) وتفسير ابن كثير (4/ 469).

الليالي. ويقال: يمحوا العارفين بكشف جلاله ويثبتهم في وقت بلطف جماله.

﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ [الآية 40] قبل أن نعذِّبهم، والمعنى كيف ما دارت الحال سواء أريناك بعض ما أوعدناهم أو توفيناك قبل ما عذبناهم ﴿فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ﴾ [الآية 40] التبليغ البليغ فقط ﴿وَعَلَيۡنَا ٱلۡحِسَابُ﴾ [الآية 40] للجزاء والعقاب لا عليك شيء من هذا الباب فلا تحتفل بحجابهم ولا تستعجل بعذابهم فإنه كائن لا محالة ولا شبهة في هذه المقالة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه نفى عنه الاستعجال أمراً وحقق في قلبه أنه يوشك أن يجعل الموعود جهراً.

86/أ ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ﴾ [الآية 41] أرض الكفرة ﴿نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَا/﴾ [الآية 41] بما نفتحه على المسلمين من أماكنها. وقيل: المراد بالأرض معمورتها وأخذها بنقص طرفها ونفحها من أرض معرفتها ولذا قيل: موت العالِم فوت العالَم.

وقال محمد بن علي: تخرب الأرض بذهاب أهل الولاية من بينهم فلا يكون لهم مرجع إلى ولي في نوائبهم ومحنهم فيتواتر عليهم النائبات وتتتابع المصيبات فلا يكون فيهم من يكشف الله بدعائه عنهم فيخرب الكائنات.

وأفاد الأستاذ: أن الآية قرأت عند أهل التفسير بموت العلماء، وفي كلام أهل المعرفة والتأويل بفوت الأولياء الذين إذا أصاب الناس بلاء ومحنة فزعوا إليهم فيدعون ربهم فيكشف البلاء عنهم. ويقال: هو ذهاب أهل المعرفة حتى إذا جاء مسترشد في طريق الله لم يجد من يهديه إلى الله. ويقال: ننقصها من أطرافها بخراب البلدان. قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ٢٦﴾ [الرَّحمٰن:الآية 26] فموعود الحق خراب العالم وفناء أهله من بني آدم ووعده حق لأن كلامه صدق.

﴿وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦ﴾ [الآية 41] لا مطيل له يرده ولا بتغييره،

والمعنى أنه حكم للإسلام بالإقبال وعلى الكفرة بالإدبار والاضمحلال وذلك كائن لا يمكن تغيره لا في الحال ولا في الاستقبال ﴿سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [الآية 41] في جزاء الأعمال على حسب الأحوال.

قال ابن عطاء: أحكام الحق ماضية على الخلق في ما ساء وسر ونفع وضر وضلّ وهدى، زاد الأستاذ: فلا ناقض لما أبرمه ولا مبرم لما نقضه ولا قابل لما رده ولا رادٌّ لمن قبله ولا معزّ لمن أهانه وأذلّه ولا مذلّ لمن أعزّه وأدلّه وهو سريع الحساب في الدنيا لأن أولياؤه إذا ألمُّوا بمحظور أو هموا بمزجور عوتبوا في الوقت وطولبوا حسن الرجعى خوفاً من المقت.

﴿وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الآية 42] بأنبيائهم والمؤمنين من علمائهم ﴿فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الآيــة 42] إذ لا يوجد مكر عند مكره فإنه القادر على ما هو المقصود منه دون غيره فيعاملهم به ويجازيهم عليه.

86/ب قال الحسين: لا مكر أبين من مكر الله لعباده حيث أوهمهم أن/ لهم سبيل وصول إليه.

وأفاد الأستاذ: أن مكرهم إظهار الموافقة مع أشرار كفرهم ومكر الله تعالى بهم توهمهم أنهم محسنون في أعمالهم وحسبانهم أن بهم شيئاً من أحوالهم وظنهم أنه لا يلحق بهم مكرهم وتخليته إياهم مع مكرهم من أعظم مكره بهم.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الآيـة 43] مـن الـمـشـركـيـن أو الـيـهـود ﴿لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ﴾ [الآية 43] من الحق إلى الخلق ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ [الآية 43] فإنه أظهر من الآيات الدالة على كوني من أهل الرسالة ما ينفي عن شاهد بين حالي وحالكم من الهداية والضلالة ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الآية 43] علم القرآن وما اشتمل عليه من بيان البرهان على وجه أعجز جميع أفراد الإنسان أو علمهم التوراة وهو ابن سلام وأخبر به فإنهم يشهدون بما شاهدوا في كتابهم

من نعت محمد ﷺ وصفة كتابة وأحوال المؤمنين من أصحابه كما وقع هذا الشرح في آخر سورة الفتح.

وقال سهل: علم الكتاب عزيز والعمل بعلمه أعزّ والعمل عزيز والإخلاص في العمل أعزّ والإخلاص عزيز والمشاهدة في الإخلاص أعزّ والمشاهدة عزيز والواقعة في المشاهدة أعزّ والموافقة عزيز والأنس في الموافقة أعزّ والأنس عزيز وآداب محل الأنس أعزّ.

سورة إبراهيم عليه السلام

[مكيّة]

وهي إحدى وخمسون آية[1]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: قلوب العارفين بالله إشراقها، وقلوب الوالهين بالله احتراقها، لهؤلاء ذوق الشراب محبته ولهؤلاء شوق إلى لقاء رؤيته، فأصحاب الوصول قالوا: بالله حصل من الحادثات ما حصل، وأرباب الوصول قالوا: بالله وصل من الطالبين مَن وصل.

﴿الٓر﴾ [الآية 1] سبق مراراً ﴿كِتَٰبٌ﴾ [الآية 1] أي هذه السورة كتاب جامع للأسرار ولُباب لامع للأنوار ﴿أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ﴾ [الآية 1] وأحلنا بيانه عليك ﴿لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ﴾ [الآية 1] بدعائك إياهم إلى ما تضمنه من نفع دنياهم وأخراهم ﴿مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [الآية 1] من أنواع الضلالة وموجبات التفرقة ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [الآية 1] أي إلى نور الهداية الموصلة إلى أنوار التوحيد وأسرار المعرفة وأطوار الجمعية
87/أ في مقام/ التنديد. ولا يخفى أن النور في الآية يحتمل الإفراد والوحدة والجنس الشامل للكثرة، فقد قال جعفر الصادق: من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان ومن ظلمات البدعة إلى نور السنَّة، ومن ظلمات النفوس إلى أنوار القلوب.

وقال الأستاذ: من ظلمات الجهل إلى نور العلم، ومن ظلمات الجمال إلى نور اليقين، ومن ظلمات وجود التقدير إلى قضاء نور شهود التقدير، ومن ظلمات دعاوي النفوس إلى نور معارف القلوب، ومن ظلمات التفرقة إلى أنوار الجمع، ومن ظلمات الابتداع إلى أنوار الاتباع ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ [الآية 1] بتوفيقه وتسهيله وتحقيقه أو بإرادته ومشيئته وسابق حكمه وقضائه ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ

(1) كذا في الأصل المخطوط.

﴿ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [الآية 1] بدل من إلى النور بتكرير عامله وإضافة الصراط إلى الله لأنه مقصده أو مظهره وتخصيصه بالوصفين للإيماء إلى أنه لا يذلّ سالكه ولا يخيب سائله. والمراد به الصراط المستقيم والدين القويم.

وأفاد الأستاذ: إن صراط الله هو نهج التوحيد بشواهد التفريد.

﴿ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ [الآية 2] جملة من مبتدأ وخبر على ما قرأه نافع وابن عامر بالرفع والباقون بالجر على البدل ﴿وَوَيۡلٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٖ شَدِيدٍ﴾ [الآية 2] وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج من ظلمات الحجاب إلى نور مدرك صوب الصواب.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه عرَّف الخلق بأن الله هو الذي له ما في السموات وما في الأرض فمن عرفه فله المآب الحميد ومن جحده فله العذاب الشديد وذلك العذاب هو جهله بأنه من هو يعني والحجاب أشد العذاب.

﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [الآية 3] ويؤثرون اليسير من حطام الدنيا عن الخطير من إنعام الأخرى وذلك لشدة ضلالتهم وكثرة جهالتهم حيث لم يعلموا أن الآخرة خير وأبقى لمن هو أتقى وأنقى ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 3] ويعرضون عن طريق الحق أو يمنعون عنه ومن قدروا عليه من الخلق ﴿وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًاۚ﴾ [الآية 3] أي يطلبون لها زيغاً وميلاً عن الحق ليفرحوا
87/ب فيها وينسبوها/ إلى الباطل. وفي الكلام حذف وإيصال والموصول يحتمل الثلاثة من الأحوال ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۢ بَعِيدٖ﴾ [الآية 3] عن الوصال وعن حسن الحال في المآل.

وقال الأستاذ: أولئك لهم في الدنيا الافتراق وهو أشد عقوبة وفي الآخرة الاحتراق وهو أجلّ محنة ومصيبة.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ﴾ [الآية 4] إلا بلغة قومه الذين هو منهم وبُعِثَ فيهم ولو أُرسل إلى غيرهم ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ﴾ [الآية 4] ما أُمروا به فيفهموه منه بسرعة ولم ينقلوه لغيرهم بترجمته فيحصل لهم مرتبة الكمال ورتبة

التكميل كما أشار إليه قوله ﷺ: «خيركم من تعلَّم القرآن وعلَّمه»[1]. هذا ولو نزل على من بعث إلى أمم مختلفة كتب على تلك الألسنة استقل ذلك بزيادة من المعجزة لكن كان يومىء إلى اختلاف الكلمة وفوت فضل المجاهدة في تعلُّم المباني ومعرفة المعاني المقتضية لجزيل المثوبة مع بُعد أكثر أفراد الأمة شرقاً وغرباً عن تلك الحضرة، فإفراد اللغة بهذه الملاحظة برحمة عامة دالة على نعمة خاصة ولعل وجه تخصيص هذه اللغة كونها لغة أهل الجنة في الدار الآخرة مع ما فيه من الإشارة إلى أن تحصيل هذه المنزلة من الانتفاع بالآيات المنزلة ليس بمعرفة اللغة ولا بمجرد العلم والمعرفة، فكم مِن جاهل باللسان حصل له الإيمان والعرفان، وكم مِن عالم بمراتب بلاغة المعاني وفصاحة البيان وقع في مقام الكفران والخذلان كما يومىء إلى هذا التبيان قوله: ﴿فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ﴾ [الآية 4] بخذلانه عن الإيمان ﴿وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [الآية 4] بتوفيقه للعرفان.

وقال الأستاذ: إنما كان كذلك ليكون آكد في إلزام الحجة وأنى ينفع ذلك إذا لم يوفقوا لسلوك المحجة فأهل الهداية فازوا بسابقة العناية وأصحاب الغواية وقفوا في ذلّ العداوة فلا اعتراض عليه فيما يصنع ولا يسئل عما يفعل لِمَ يفعل، يعني وكذا لا يعقل فتأمل.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ [الآية 5] كاليد والعصا ﴿أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ﴾ [الآية 5] أن مفسرة لا مصدرية لخللها بالنسبة المعنوية، والمعنى / كن 88/ أ
سبباً لإخراج قومك ﴿مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [الآية 5] بدعوتك لهم من ظلمات شكّهم إلى نور اليقين ومن علاقات حالهم إلى الحضور المبين ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 5] أنذرهم وعِظْهم بوقائعه التي وقعت على الأمم المؤتلفة أو بنعمائه وبلائه في الأيام المختلفة.

---

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (5027)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/ 173) رقم (2907)، والدارمي في السنن (2/ 538) رقم (3337)، والنسائي في السنن الكبرى (5/ 19) رقم (8037).

وقال الأستاذ: ذكّرهم بما سلف لهم من وقت الميثاق وإقرارهم ما وقع عنهم من فنون البلاء في سالف أحوالهم. ويقال: وذكّرهم بما سبق من الصفوة لأرواحهم قبل حلولها في أشباحهم.

سقياً لها ولطيبها ولحسنها وبهائها   أيام لم يلج النوى بين العصا ولحائها[1]

أو هي الأيام التي كان العبد فيها في كتم العدم، والحق يقول بقوله الأزلي: «عبادي لم يكن للعبد عين ولا أثر ولا لمخلوق عنه خبر ولا وفاق بعد ولا شقاق ولا وفاء ولا حياء ولا جهد للسابقين ولا عناء ولا ورد للمقتصدين ولا بكاء ولا ذنب للظالمين ولا السواء كان متعلق العلم متناول القدرة مقصور الحكم على الإرادة لا علم له ولا اختيار ولا ذلّة ولا أوضار ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [الآية 5] أي للمبالغ في الصبر على بلائه والشكر على نعمائه فإنه إذا سمع بما نزل عليَّ من قبله من البلاء وأُفيض عليه من النعماء اعتبر وتنبَّه وتبَّصر لما يجب عليه من الصبر والشكر أو لكل مؤمن، فقد ورد: أن الإيمان نصفان نصفه صبر ونصفه شكر[2]، فيصبر عن المعصية ويشكر بالطاعة على أن حاله لا يخلو عن المحنة.

وأفاد الأستاذ: أن الصبار غريق المحن لكنه راضٍ بحكمة لذيذ العيش بسره وإن كان مستوجباً للرحمة عند خلقه، والشكور غريق المنن لكنه محجوب لشهود النعم عليه استغراقه في ظهور حقه، بل هذا واقف مع صبره وهذا واقف مع شكره وكل ملازم لحده وقدره والله غالب على أمره مقدّس في نفسه متعزّز بجلالة قدسه.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ
فِرْعَوْنَ﴾ [الآية 6] أي اذكروا نعمة الله وقت إنجاءه سبحانه إياكم/ في أصلاب 88/ب
أبائكم أو زمان إنجاء أسلافكم ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ [الآية 6] ليذيقونكم أشد

---

(1) تفسير القشيري (4/ 28) وروح المعاني (13/ 230) من دون نسبة.
(2) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (7/ 123) رقم (5/ 97)، والقضاعي في المسند (1/ 127) رقم (159).

العقوبة من الاستبعاد والذلّة والاستعمال في الأعمال الشاقة ﴿وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ [الآية 6] إظهاراً للعداوة ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ [الآية 6] يتركون بناتكم أحياء للنسل وإبقاء للخدمة ﴿وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ﴾ [الآية 6] أي في مجموع ذلك ابتلاء وامتحان ﴿مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [الآية 6] ويجوز أن تكون الإشارة إلى الإنجاء، فالمراد بالبلاء النقمة إلى سوء العذاب، فالمراد به المحنة وعلى كل تقدير طولبوا بالصبر وعوتبوا بترك الشكر.

وأفاد الأستاذ: أن تذكير ما سلف من النعمة توجب تجديد ما سبق من المحبة، وفي الخبر: «جُبِلَتْ القلوب على حبّ مَن أحسن إليها»[1]، فالحق سبحانه أمر موسى عليه السلام بتذكير قومه عزيز ما سبق إليهم من شرائف إنعامه ولطائف إكرامه، وفي بعض الكتب المنزلة على بعض الأنبياء المرسلة: «عبدي أنا لك محب فبحقي عليك كن لي محباً»[2]، ثم أمرهم بأن يذكرهم بما كانوا فيه من البلاء العظيم من فرعون وقومه من ذبح الأولاد والاسترقاق وما كان فيه من صنوف العقوبة ثم تخليص الحق لهم عن ذلك لعجائب الكفاية.

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ﴾ [الآية 7] من كلام موسى أو من قوله تعالى، والمعنى أعلمكم ربّكم حيث قال لكم: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ﴾ [الآية 7] ما أنعمت عليكم بالإيمان والطاعة ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [الآية 7] النعمة على النعمة والمراد الكثرة أو نعمه الظاهرة والباطنة أو نعم الدنيا والآخرة ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ﴾ [الآية 7] بنعمكم أو قصرتم في شكركم ﴿إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [الآية 7] فيصيبكم، ومن عادة الكريم أن يصرِّح بالوعد ويعرض بالوعيد.

قال ابن عطاء: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ﴾ هدايتي ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ من إكرامي ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ﴾ إحساني لأعذبنكم اليوم بامتحاني وغداً بفراقي وهجراني،

---

(1) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (1/ 381) رقم (466)، والقضاعي في المسند (1/ 350) رقم (599). وانظر جامع الأحاديث (12/ 33) رقم (11366).

(2) تفسير الرازي (3/ 4) وتفسير القشيري (4/ 29) وإحياء علوم الدين (6/ 332).

ولئن عرفتم قدر أفضالي ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [الآية 7] من وجود نوالي إلى شهود جمالي وحالي، ويقال: لئن شكرتم وجود توفيق العبادة لأزيدنكم تحقيق الإرادة. ويقال: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ﴾ وجود ألطافي ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ شهود أوصافي، أو ﴿لَئِن
89/أ شَكَرْتُمْ﴾ صنوف نعمي/ ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ كشوف كرمي، ثم لأرقينكم إلى شهود قدمي، ويقال: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ﴾ ما خوّلتكم لأمن عطائي ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ ما وعدتكم من لقائي.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [الآية 8] من الثقلين وتخصيصهما لانحصار تصور الكفر فيهما ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [الآية 8] مستحق للحمد في ذاته ويحمده ملائكته وأهل سمواته بل وينطق بنعمته ذرّات مخلوقاته فما صبرتم بكفركم وكفرانكم إلا أنفسكم حيث حرمتموها مزيد النعمة وعرّضتموها لشدة النقمة كما جاء في آية: ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمان:الآية 12].

وقال الأستاذ: إن اجتمعتم أنتم ومن عاصركم وكل مَن غاب عنكم وحضركم والذين يقتفون أثركم عن أن تكفروا بالله جميعاً وأخذتم كل يوم شركاً فظيعاً ما أوحيتم لقومنا شيئاً كما لو شكرتم وآمنتم لملكنا ربنا والحق بنعوته ووصف جبروته عليّ وعن العالم بأسره غني.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ﴾ [الآية 9] كلام مبتدأ من الله تعالى، وقيل: من كلام موسى ﴿وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ [الآية 9] عطف على ما قبله ﴿لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [الآية 9] اعتراض، المعنى أنهم لكثرتهم لا يعلمهم إلا خالقهم، وقد ورد النسابون ﴿جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [الآية 9]
89/ب بالمعجزات/ الواضحة والحجج الظاهرات ﴿فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِيٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ [الآية 9] بأن عضوها غيظاً من مجيء أنبيائهم وإفضاح أحوالهم أوردوها في أفواه أنبيائهم بمنعوتهم عن أنبيائهم ﴿وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ﴾ [الآية 9] على زعمكم في الرسالة ﴿وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ﴾ [الآية 9] من الإيمان والمعرفة ﴿مُرِيبٍ﴾ [الآية 9] موقع في الريبة أو في شبهة توجب قلق النفس وعدم الطمأنينة.

قال الأستاذ: ألم يأتكم استفهام في معنى التقرير أخبرهم أنه أخبرهم أنه لما جاءتهم الرسل قابلوهم بالكنود وعاملوهم بالجحود وردوا أيديهم في أفواههم وجروا على سبيل أمثالهم في الكفر وأشباههم وبنوا على الشك والريبة قواعدهم وأسرُّوا على الشرك والفرية مذاهبهم.

﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾ [الآية 10] دخلت همزة الإنكار على الظرف لأن الكلام في المشكوك فيه لا في الشك مجرده، والمعنى إنما ندعوكم إليه وهو لا يحتمل الشك لكثرة الأدلة الظاهرة عليه كما أشار إليها بقوله: ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 10] صفة للجلالة.

وأفاد الأستاذ: أن المراد بالاستفهام هنا التوبيخ والنفي أي كيف يشك في نبوّته مَن لا يتحرك إلا نفس أو مصرفاً بنعوته بلا كيف يبصر جلال قدره إلا من كحّله بنور برّه ﴿يَدْعُوكُمْ﴾ [الآية 10] إلى الإيمان بربكم ﴿لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ [الآية 10] بعض ذنوبكم وهو ما بين الحق وبينكم فإن الإسلام يحيد دونه المظالم ﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ﴾ [الآية 10] تأخيراً حسناً ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الآية 10] إلى وقت سمّاه الله وقدّره وقضاه وجعله أجر أعمالكم.

وقال الأستاذ: ليس العجب ممن يكلفه سيده المشاق ويحمله ما لا يطاق أن يهرب من خدمته أو يحتج إلى شوق راحته إنما العجب من عزيز كريم يدعو عبده لغفرانه ويفيض عليه إذا أجابه سجال إحسانه ثم يقابل أمره بالعناد ويؤثر عليه راحة نفسه في داره ما يجمع أمره بسبب الفساد لا يشمل هذا إلا على قسمة بإشقائه صادقة وأحكام لله برده سابقة.

﴿قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ [الآية 10] لا فضل لكم علينا فلم تُخَصُّون بالنبوَّة دوننا ﴿تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا﴾ [الآية 10] أي تصرفونا بهذه الدعوة ﴿عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ/ ءَابَآؤُنَا﴾ [الآية 10] قدماؤنا ﴿فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ [الآية 10] بحجة ظاهرة 90/أ
تدل على استحقاقكم بمزية فاخرة أو على صحة ادعائكم بالنبوَّة لعدم اعتدادهم بما ظهر على أنبيائهم من المعجزة وتفننوا بطلب الآيات المقترحة.

وأفاد الأستاذ: أنهم شاهدوا من الرسل ظواهرهم ولم يعرفوا سرائرهم

ومالوا إلى تقليدهم لأسلافهم على ما اعتادوا من شقاقهم وخلافهم.

﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الآية 11] أي ما نحن إلا أمثالكم في الصورة البشرية ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [الآية 11] بالسريرة السنية من النبوَّة والولاية وسائر الأوصاف الرضية كالشجاعة والسخاوة والقناعة وأمثالها من الأحوال العلّية. وفي الآية دلالة على أن النبوَّة عظيمة وهبية لا كسبية وإن ترجيح بعض الجائزات بالمشيئة الأزلية.

وفي «تفسير السلمي»: قيل يمن على مَن يشاء بالمعرفة. وقال سهل: بحلاوة كلامه وفهم مرامه.

وقال الأستاذ: أي الفرق بيننا أنه مَنَّ علينا بتعريفه واستخلصنا بما أفردنا به من شريعته.

﴿وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [الآية 11] أي بأمر خرق العادة متعلق بالمشيئة وكل نبي يختص بنوع من المعجزة ﴿وَعَلَى اللَّهِ﴾ [الآية 11] أي لا على غيره ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 11] في الصبر في معاداتكم والتحمُّل على معاداتكم. قيل: التوكل رد العيش إلى يوم واحد وإسقاط هم غد. وقيل: الثقة بالوعد. وقيل: التوكل غضّ البصر عن الدنيا وقطع القلب عن الأخرى اعتماداً على كرم المولى.

﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ﴾ [الآية 12] أي أي عذر لنا في عدم توكلنا على مولانا في جميع ما أولانا من أمور دنيانا وأخرانا ﴿وَقَدْ هَدَانَا﴾ [الآية 12] ربنا ﴿سُبُلَنَا﴾ [الآية 12] طرق معرفته ومنها العلم بأن الأمور كلها بقبضته وقدرته وتحت مشيئته.

وقال الأستاذ: أي ما لنا أن لا نتوكل على الله وقد رقانا من حد تكشف البرهان إلى روح تكلف البيان بكثرة ما أفاض علينا من جميل الإحسان وكفانا من مهمات الشأن.

90/ ب ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا﴾ [الآية 12] أكدوا / بالقسم المقدر وتوكلهم وعدم

مبالاتهم بما يجري من الكفار عليهم فالصبر على الإيذاء من سنن الأنبياء.

وأفاد الأستاذ: أن الصبر على البلاء يهون إذا كان على رؤية المبلي ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الآية 12] فليثبت المتوكلون على توكلهم الناشىء عن إيمانهم بوجوده وإيقانهم بكرمه وجوده.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الآية 13] بربهم ﴿لِرُسُلِهِمۡ﴾ [الآية 13] أي المرسل إليهم تهديداً وتوعيداً لهم ﴿لَنُخۡرِجَنَّكُم مِّنۡ أَرۡضِنَآ﴾ [الآية 13] بلدتنا ﴿أَوۡ لَتَعُودُنَّ﴾ [الآية 13] أو لتصيرنّ ﴿فِي مِلَّتِنَاۖ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ﴾ [الآية 13] إلى رسلهم ﴿رَبُّهُمۡ لَنُهۡلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية 13] الكافرين منهم.

﴿وَلَنُسۡكِنَنَّكُمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ [الآية 14] في دارهم وديارهم ﴿مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ﴾ [الآية 14] آمنين من شرار شرارهم ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية 14] أي ما ذكر من إهلاك الظالمين وإسكان المؤمنين ﴿لِمَنۡ خَافَ مَقَامِي﴾ [الآية 14] موقفي وهو الموقف الذي يوقف فيه العباد يوم القيامة للحكومة المميزة بين أرباب المثوبة وأصحاب العقوبة لقيامي بالاطلاع عليه وحفظي لأعماله بالنظر إليه ﴿وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [الآية 14] وعيدي لعبيدي من تبعيدي، فالأول تذكير المحاسبة في الآجل والثاني تحقيق المراقبة في العاجل.

وأفاد الأستاذ: لما عجز الأعداء عن معارضة الأنبياء أخذوا معهم في الجفاء بأنواع الإيذاء والتهديد لهم بفنون البلاء من ذلك الإخراج عن الأوطان والتشريد في البلدان فربط الله على قلوبهم بوعد النصر على مقاساة بلائهم.

﴿وَٱسۡتَفۡتَحُواْ﴾ [الآية 15] أي يسأل من الله الأنبياء الفتح والنصر على الأعداء ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ﴾ [الآية 15] وخسر كل ظالم للخلق معاند للحق أو متنكر على الطاعة ومتفنن في الخصومة.

وأفاد الأستاذ: أن الكفار استعجلوا القضاء فلما نزل بهم البلاء لم ينفعهم التضرُّع والبكاء ولم يقبل منهم الصدقة والنداء وندموا حين لا ندامة وتضرّعوا بعدما عدموا السلامة. ويقال: أن الرسل لما بغتوا بإقرار قومهم سألوا من الله النصرة عليهم فأجابهم الله بإهلاكهم. ويقال: إذا صدق النجاء

واستعظم البلاء قرب النجاء.

﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ﴾ [الآية 16] أي من بين يديه فإنه مرجعها ومباشر لأسبابها
91/أ واقف على شفيرها في الدنيا مبعوث إليها/ في العقبى، أو من خلفه بمعنى وراء حياته وحقيقته ما توارى عنك بمعنى استتر، فلفظ وراء يقع على ما بين يديه وعلى ما خلفه ﴿وَيُسْقَىٰ﴾ [الآية 16] أي عطف على مقدّر تقديره من وراءه جهنم يُلقى فيها ما يلقى ويسقى ﴿مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ﴾ [الآية 16] عطف بيان لماء وهو ما يسيل من جروح أهل النار.

﴿يَتَجَرَّعُهُۥ﴾ [الآية 17] يتكلف جرعه وبلغه ﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾ [الآية 17] لا يقرب أن يبلغه فكيف يسيغه وهو يغص به فيطول عناءه، والسوغ مرور الشراب على الحلق بسهولة وقبوله طبيعة ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ [الآية 17] أي أسبابه من المشتقات فتحيط به من جميع الجهات أو من كل مكان من جسده حتى من أصول شعره وأصابع يده ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ [الآية 17] فيستريح ولا حي صحيح كما قال تعالى: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [طه:الآية 74]، ﴿وَمِن وَرَآئِهِۦ﴾ [الآية 17] من بين يديه أو من خلفه أو من غير ما ذكر من عذابه ﴿عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ [الآية 17] أي نوع آخر أشد من هذا وهو حبس الأنفاس وضيق الاحتباس وضم قرين سوء إليه ويستقبل في كل وقت عذاباً أشد مما هو عليه من الخلود فيما بين يديه.

وأفاد الأستاذ: أن هذا الكافر يأتيه العذاب فيما بين يديه من الزمان أو من خلفه لأجل ما سلف في الماضي من العصيان ويسقى من عصارة أهل النار ما يشربه جرعة بعد جرعة ولصعوبة مرارته وحرارته لا يشربه بمرقه، ويأتيه الموت من كل عضو من الشدة وهذا أجر من اغترّ بأيام قليلة ساعدته المنية فيها وانخدع بها ولم يشعر بما يليها.

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ﴾ [الآية 18] مبتدأ خبره ﴿أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ﴾ [الآية 18] وقرأ نافع الرياح، والمعنى حملته ﴿فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ [الآية 18] شديد هبوبها فيه شبه عبادة الكفرة برماد طيّرته الريح العاصفة، وفي

معناها صنائعهم من صلة الرحم وإغاثة الملهوف وعتق الرقاب والضيافة والصدقة في كونها حيطة لبنائها على غير أساس من معرفة الله وتصحيح النية والتخليص من الرياء والسمعة مع أن الله سبحانه جازاهم عليها في دنياهم بطول الأعمار / 91/ب
وكثرة الأولاد وسعة الأموال ودوام الصحة ﴿لَّا يَقۡدِرُونَ﴾ [الآية 18] يوم القيامة ﴿مِمَّا كَسَبُواْ﴾ [الآية 18] من أعمالهم ﴿عَلَىٰ شَيۡءٖ﴾ [الآية 18] من الجزاء الجميل وهو قولك لمثيل ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية 18] الإشارة إلى ضلالتهم وطغيانهم في كفرانهم مع حسبانهم أن لهم ثواباً على صورة إحسانهم ﴿هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ﴾ [الآية 18] فإنه الغاية في البُعد عن صراط العزيز الحميد.

﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ﴾ [الآية 19] وقرأ حمزة والكسائي: خالق السموات والأرض بالحكم ﴿إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ﴾ [الآية 19] يعدمكم ﴿وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ﴾ [الآية 19] يخلقكم.

﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ ٢٠﴾ [الآية 20] بمتعذر أو متعسر فإنه على كل شيء مقتدر فمن هذا برهانه تعالى شأنه كان حقيقاً بأن لو منَّ به ويعيد على وفق أمره ءجاء لثوابه وخوفاً من عقابه.

وقال الأستاذ: أي الله خلق السموات والأرض بالحكم الحق أي له ذلك بحق ملكه وخلقهما بقوله الحق فجعل كل جزء منها على وحدانيته دليلاً، ولمن أراد الوصول إلى ربه سبيلاً. ثم قال: ﴿إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ﴾ [الآية 19] بالإفناء ﴿وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ﴾ [الآية 19] بموقف من الإنشاء وليس ذلك عليه بعسير وأنى ذلك وهو على كل شيء قدير.

﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ﴾ [الآية 21] أي يبرزون من قبورهم يوم القيامة لحكمه سبحانه بمحاسبة أمورهم، وذكر بلفظ الماضي لتحقق ظهورهم ولسبق تعلق علمه سبحانه بهم ﴿جَمِيعٗا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ﴾ [الآية 21] أي ضعفاء الرأي من الأتباع الذين قلدوا الرؤساء الأقوياء في اتّباع الابتداع ﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ﴾ [الآية 21] من الأغنياء الأعتياء الذين استبقوهم في الإغواء ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا﴾ [الآية 21] تبعاً في الدنيا بتكذيب الأنبياء والإعراض عن نصيحة الأولياء ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا﴾ [الآية 21] دافعون عنا في العقبى ﴿مِنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ﴾ [الآية 21] من الأولى للبيان

واقعة موقع الحال والثانية للتبعيض واقعة موقع المفعول إنما قالوا توهُّماً أن يدفعوا عنهم شيئاً من البلاء أو يرفعوا عنهم شيئاً من العناء ﴿قَالُواْ﴾ [الآية 21] أي المستكبرين ﴿لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الآية 21] للإيمان ووفقنا للعرفان ﴿لَهَدَيْنَٰكُمْ﴾ [الآية 21] لشركناكم في الهداية وفي الخلاص من العقوبة ولكنا غوينا فأغويناكم
92/ أ كما غوينا. / والمعنى فاخترنا لكم ما اخترنا لأنفسنا فلا عتب لكم علينا ولا مزية لكم لدينا ولا ملامة من جهتكم راجعة إلينا حين تبين حالنا فنحن وإياكم ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾ [الآية 21] ملجأ ومنجا من عذابنا الذي نزل بنا بأمر ربنا. روي أنهم يقولون: تعالوا نجزع ونتضرع لعله ينفعنا فيجزعون ويشفعون خمسماية عام فلم ينفعهم فيقولون: تعالوا نصبر لعل صبرنا يفيدنا في هذا المقام فلا يفيدهم فيقولون: سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا مدافع عنا.

﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ [الآية 22] حكم وفرغ منه وتمّ ودخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار قام خطيباً في الأشقياء لدفع توهُّم الأغبياء في حقه حقيقة إحقاقه الإغواء حيث لم يعرفوا حقائق الأشياء بما بيَّن لهم الأنبياء من أن الله يضلّ من يشاء ويهدي من يشاء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ﴾ [الآية 22] وعداً من حقه أن ينجز لقوله الحق وخبره الصدق من الوعد بالبعث والجزاء بالثواب والعقاب ﴿وَوَعَدتُّكُمْ﴾ [الآية 22] وعد الباطل بأن لا بعث ولا حساب ﴿فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ [الآية 22] بتبيين خلف وعدي في المآب ﴿وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ﴾ [الآية 22] تسلط جبر وقهر يحببكم به إلى ارتكاب الكفر والمعصية ﴿إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ﴾ [الآية 22] لكن دعوتكم إلى الضلالة والجهالة والغفلة ﴿فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى﴾ [الآية 22] أسرعتم في إجابة دعوتي وما تأملتم في أول أمري ولا في مآل عقاب عاقبتي ﴿فَلَا تَلُومُونِى﴾ [الآية 22] بوسوستي فإن من صرح بالعداوة لا يُلام بمثل هذه الحالة ﴿وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم﴾ [الآية 22] حيث أطعتموني حيث دعوتكم ولم تطيعوا دعوة ربكم على لسان البشير النذير ولم تقبلوا نصيحته لكم بقوله: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر:الآية 6].

وقد قال السلمي في التفسير: إنه قيل مَن لم يلم نفسه على الدوام ويَرضَى عنها في حال من أحوالها فقد أهلكها. أقول: وسببه أن مَن لم يَلم نفسه اللوامة

في الدنيا على خلاف الأولى احتاج إلى ملامتها في الأخرى عند مشاهدة العقبى / ومحاسبة المولى. 92/ ب

﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ﴾ [الآية 22] بمغيثكم من العذاب ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ﴾ [الآية 22] من طرد الباب ورفع الحجاب. وقرأ حمزة بكسر الياء على الأصل في باب الالتقاء ﴿إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ﴾ [الآية 22] بحذف ياء الإضافة وكون ما مصدرية، إني كفرت اليوم في العقبى بإشراككم إياي ﴿مِن قَبۡلُ﴾ [الآية 22] قبل هذا اليوم في الدنيا بمعنى تبرأت منه وتبعّدت عنه كقوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡ﴾ [فاطر:الآية 14]، ﴿إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [الآية 22] تتميم لكلامه أو ابتداء كلام من الله سبحانه وتعالى له أو لغيره. وفي حكاية أمثال ذلك مما يقع بيانه هنالك تنبيه للسامعين وإيقاظ للغافلين حتى يحاسبوا أنفسهم ولا يضيعوا أنفاسهم لئلا يحشروا مع حزب الشيطان وأتباعهم.

﴿وَأُدۡخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ﴾ [الآية 23] بساتين معمورة بأنواع أثمارها ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ [الآية 23] أي تحت أشجارها أو تحت قصور أهلها ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ [الآية 23] مقدره الخلود فيها ﴿بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡۖ﴾ [الآية 23] بسبب أمره أو بقضائه وقدره والمدخلون هم الملائكة أو المعنى أذن لهم بدخولها ﴿تَحِيَّتُهُمۡ﴾ [الآية 23] تحية الملائكة أو الله سبحانه لهم أو تحية ما بينهم ﴿فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ [الآية 23] أو ملاقاتهم فيها ذات سلامة من الملامة والكراهة في تلك المقامة فإنها دار النعمة والكرامة.

وأفاد الأستاذ: أن الإيمان هو التصديق والعمل الصالح للتصديق تحقيق ويدخل في جملة الأعمال الصالحة ما قلّ وكثر من وجوه الخير حتى القذاة يميطها عن الطريق. قال تعالى: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا كُفۡرَانَ لِسَعۡيِهِۦ﴾ [الأنبياء:الآية 94] أي في عاقبة أمره. ثم أحوالهم في دار السلام متفاوتة في الرتبة، فقوم يُحييهم الملائكة قال تعالى: ﴿وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [الأنبياء:الآية 103]، وقوم يحييهم الملك، قال تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞۚ﴾ [الأحزاب:الآية 44] سلموا من الاحتراق، ثم من الفراق، ثم من العذاب، ثم من الحجاب. أقول: ولا منع للجمع في مقام السلام للجميع لأنهم وصلوا إلى مرتبة

93/أ جمع الجمع المؤدي إلى ذلك المقام ولعموم رحمة / رب كريم بقول مطلق عميم ﴿سَلَٰمٌ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ٥٨﴾ [يس:الآية 58].

﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا﴾ [الآية 24] وضعه وبيّنه للملّتين من جميع الأمة ﴿كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ﴾ [الآية 24] أي جعل كلمة طيبة ﴿كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ﴾ [الآية 24] فهو تفسير لقوله ضرب مثلاً فأبهمه أولاً ثم أوضحه ثانياً لأنه أوقع للنفس في تأثيرها لأجل إعادة الجملة وتكريرها ﴿أَصۡلُهَا ثَابِتٞ﴾ [الآية 24] في الأرض ثابت بفروعه فيها ﴿وَفَرۡعُهَا﴾ [الآية 24] أعلاها ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الآية 24] أي الهواء.

﴿تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا﴾ [الآية 25] تعطي أثمارها ﴿كُلَّ حِينِۢ﴾ [الآية 25] عيّنه الله لإثمارها ﴿بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ﴾ [الآية 25] بأمر خالقها وإرادة بارئها ﴿وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾ [الآية 25] أمثال أهل الجنة أو أمثال هذا المثل ﴿لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الآية 25] بالانتقال من الأمثال إلى تصور اختلاف الأحوال فيحصل لهم الكمال بتأملهم في كلام المتعال.

﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٖ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ [الآية 26] أي مثل شجرة خبيثة ﴿ٱجۡتُثَّتۡ﴾ [الآية 26] أخذت اجتثّث بالكلية واستؤصلت ﴿مِن فَوۡقِ ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الآية 26] لأن عروقها قريبة من فوقها ﴿مَا لَهَا مِن قَرَارٖ﴾ [الآية 26] لا استقرار بها ولا مدار للاستمرار عليها، وفسرت الكلمة الطيبة بكلمة التوحيد ودعوة الإسلام ولها القرآن، والكلمة الخبيثة بالإشراك بالله والدعاء إلى عبادة مَن سواه وتكذيب الحق وأهله. والأظهر أنه ما يعم ذلك من كل كلمة مليحة أو كلمة قبيحة، فالكلمة الطيبة ما أعرب عن حق أو دعا إلى صلاح، والكلمة الخبيثة ضدها، وقد فسرت الشجرة الطيبة بالنخلة[1]. وروي ذلك مرفوعاً من الطرق الصحيحة، وشجرة طوبى في الجنة[2]، والخبيثة بالحنظل[3] ولعل المراد بها أيضاً ما يعم ذلك بأن

(1) النكت والعيون (2/ 330)، وتفسير الخازن (4/ 114).
(2) أخرجه ابن حبان في الصحيح (16/ 429) رقم (7413).
(3) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح (5/ 295) رقم (3119) وأبو يعلى في المسند (7/ 182) رقم (4165).

ذلك كل شجرة يطيب ثمرها في جميع زهرها وما يكون بخلاف ذلك أمرها وهو لا ينافي ما صح في الأخبار من تفسير الشجرة الطيبة بالنخلة حيث يراد بها مثلاً أو نظر كلها لا حقيقة الانحصار، بل في العموم إشارة إلى بيان اختلاف مراتب أخلاق الأبرار وأحوال الأشجار بحسب تفاوت مذاق الأثمار وبقائها وثباتها في الديار والقفار كما أشار / إليه قوله سبحانه: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ [الأعراف:الآية 58]. 93/ ب

وأفاد الأستاذ: ربما أراد من أن هذا المثل خبّره الله به للإيمان والمعرفة فشبّهه بشجرة طيبة أصل تلك الشجرة باقٍ تؤتي أُكلها كل وقت وزمان وينتفع بها أهلها كل حين وآن، فالإيمان كتلك الشجرة أصلها المعرفة مصححة بالأدلة والبراهين وسنن المرسلين ثم مجانبة المعصية كصيانة الشجرة عما يضرها من كشط مظهرٍ وقطع عرق وإتلاف غصن وما جرى مجراه، وأوراق تلك الشجرة قيامة بآداب العبودية وأنهار تلك الشجرة أخلاقه الجميلة وثمرة تلك الشجرة حلاوة الطاعة ولذة الخدمة ثم الثمار تختلف في الطعم والطبع والرائحة والصورة كذلك ثمرات الطاعة ومعاني الأشياء التي يجدها العبد في قلبه تختلف من حلاوة طاعة وهي صفة العابدين، وبسط يجده في وقته وهو صفة العارفين، ولوعة تدركه في ضميره وهو صفة المريدين، وأسف يناله وهو صفة المحبين، وقلق واهتياج يجده ولا يعرف سببه ولا يجد سبيلاً إلى سكونه وهو صفة المشتاقين إلى ما لا يفي بشرحه نطق ولا يستوفيه قول. وذكر من لوائح ولوامع وطوارق وشوارق، كما قيل:

طـوارق أنـوار تـلـوح إذا بـدت فتظهر كتماناً وتُخبر عن جمع(1)

ثم إن ثمرات الأشجار في السنة مرة وثمرة هذه الشجرة في كل لحظة كذا وكذا كرة، وكما قال تعالى في ثواب أهل الجنة: ﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ۝٣٢ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ۝٣٣﴾ [الواقِعَة: الآيتان 32،33] وقلوب أهل الحقائق عنها لا مصروفة ولا محجوبة وهي لها في كل وقت ونفس بعدله غير محجوبة ولا

(1) أورده القشيري في تفسيره (4/ 44) وفي الرسالة (1/ 32) وقد نسبه إلى الجنيد.

مدفوعة وثمرات هذه الشجرة أشرق وأنوارها ألطف وأظرف وإشارات هذه القصة وألفاظهم في مراتبهم ومعانيهم كالرياحين والأزهار وهي مختلفة متفاوتة الكلية والكيفية ومقدار الاستمرار. ويقال: الكلمة الطيبة وهي الشهادة لله بالوحدانية وللرسول بالنبوَّة والرسالة وإنما تكون طيبة إذا صدرت عن سر مخلص، والشجرة
الطيبة المعرفة،/ وأصلها ثابت في أرض غير سبخة[1] والأرض السبخة من 94/أ
أرض الكافر والمنافق لا تنبت، والإيمان في قلوبهم لا يثبت. ثم لا بد للشجرة من الماء وما لِهذه الشجرة من دوام العناية وإنما تورق بالكفاية وتتورد بالكلاءة والهداية وتثمر بالوقاية والرعاية. ويقال: ما هذه الشجرة إلا الحياة والندامة والتلهف والحسرة والخشوع وإسبال الدموع والإثابة. ويقال: ثمرات هذه الشجرة مختلفة بحسب أحوال أهلها فمنها التوكُّل والتفويض والتسليم والمحبة الوافية والشوق والرضا وسائر الأحوال الصافية والأخلاق الزكية ثم الكلمة الخبيثة هي كلمة الكفر وخبثها ما صحبها من نجاسة الشرك والعصبية فخبيث الكلمة لصدورها عن قلب هو مستقر الشرك ومتبعه والشجرة الخبيثة هي الشرك اجتثت من فوق الأرض لأن أساس الكفر متناقض متضاد ليس له أصل صحيح ولا برهان موجب ولا دليل كاشف ولا علة مقتضية، إنما ذلك شبه وأباطيل وضلال اقتضاها وساوس وتأويل ما لها من قرار لأنها حاصلة من شِبَه واهية وأصول فاسدة بادية، ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ [الآية 27] الذي يثبت بالحجة عندهم وتمكّن قلوبهم في الحياة الدنيا فلا يزالون إذا افتتنوا في دينهم كأصحاب الأخدود وأمثالهم وفي الآخرة فلا يتلعثمون إن سئلوا عن معتقدهم في القبر ولا يدهشهم أهوال يوم الحشر والنشر، وقد صح عنه ﷺ أنه ذكر قبض روح المؤمن فقال: «ثم تعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه في قبره ويقولان له: مَن ربك وما دينك وما نبيّك فيقول: ربي الله وديني الإسلام ونبيي محمد عليه السلام، فنادى من السماوات: صدق عبدي»[2]، فذلك قوله: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ

---

(1) الأرض التي تعلوها الملوحة. انظر لسان العرب (3/ 23).
(2) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (9/ 233) رقم (9145).

﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية 27] على أنفسهم بالكفر والمعصية وحيث لم يقدروا على الجواب وتحيروا في محضر الحساب المؤدي إلى العقاب ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [الآية 27] من تثبيت / المؤمنين وإثابتهم وإضلال الكفار ومعاقبتهم. 94/ ب

وفي «تفسير السلمي» قال بعضهم: الخلق كلهم مجبورون تحت الإرادة والقدرة مقهورون على لسان الجبروت والعظمة وليس من أمورهم شيء راجع إليهم، ممنوعين عما يريدون مقضي عليهم بِما يكرهون، وهذا من آثار العبودية وفنائها، والله تعالى يدبر الأمور ويبديها وينشئها، أنشأها على إرادته وإبدأها على مشيئته لا ناقض لما أبرم ولا مبرم لما نقض، والأفعال على الحقيقة فعله والكون صنعه ولا علة لفعله ولا لصنعه.

وأفاد الأستاذ: أن البعث هو البقاء على الاستقامة وترك العوج في الديانة والقول الثابت هو الشهادة الصادرة عن صفاء العقيدة وخلوص السريرة الحميدة. ويقال: القول الثابت هو بيان الجنان لا نطق اللسان. ويقال: هو قول العزيز القدير الذي لا يجوز عليه الزوال والفناء، هو بالثبوت أوْلى من قول العبد يقول الله وقول العبد أثر والآثار لا يجوز عليها الثبات والبقاء عيناً وإنما يكون حكماً، فثبات العبد لقول الله وهو حكمه له بالإيمان وإخباره أنه مؤمن وتسميته له بالإيمان والعرفان وقول الله لا يزول في جميع الأزمان ففي الدنيا ينبئهم حتى لا يدعهم لغيرهم شبهة، وفي القبر يثبِّتهم عند سؤال الملك للفتنة، وفي القيامة يثبِّتهم عند المحاسبة، وفي الجنة يثبِّتهم ولا يزول حمدهم لله مع كمال المعرفة، ثم إذا تنوَّعت عليهم الخواطر وتصنّفت عليهم الدواعي فالحق ينبئهم حتى لا يحيدوا عن النهج المستقيم ولا يزيغوا عن الدين. ويقال: إذا دعتهم الوساوس إلى متابعة الشيطان وجرتهم الهواجس إلى مواقعة النفس فالحق يثبِّتهم على موافقة رضاه. ويقال: إذا دعتهم دواعي المحبة من كل جنس لمحبة الدنيا تركوا الجميع ولم يستجيبوا إلا لدواعي حبه سبحانه، كما قيل:

إذا واجهتنا حيلة كي تزيلنا أبينا وقلنا إلى إجابته أول[1]

---

(1) ذكر القشيري في تفسيره لفظاً آخر وهو على النحو التالي:
إذا ما دعتنا حاجة كي تردنا أبينا وقلنا مطلب الحق أولاً

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 28] شكرها ﴿كُفْرًا﴾ [الآية 28] بها
أ/95 بأن وضعوها/ مكانه كفراناً لها ﴿وَأَحَلُّوا﴾ [الآية 28] أنزلوا ﴿قَوْمَهُمْ﴾ [الآية 28] أتباعهم وأشياعهم في الكفران وترك الإيمان والعرفان ﴿دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾ [الآية 28] دار الهلاك بحملهم على الكفر والإشراك.

﴿جَهَنَّمَ﴾ [الآية 29] عطف بيان لها ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ [الآية 29] يدخلون فيها ويقاسون ألم حرّها وبردها ﴿وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾ [الآية 29] دار البوار ومقرّها الكفار والفجار.

وقال أبو عثمان: أجهل الخلق مَن استعملها في المعصية ولم يقم بشكرها بأن يعرف النعمة في رضى وليّها من الطاعة.

وقال الأستاذ: أي وضعوا الكفران محل الشكر والإحسان كمن أبدلها مما كان ينبغي أن يشكروا، واستعمال النقمة في المعصية من هذه الجملة وأعضاء العبد كلها نعم من الله عليه فإذا استعمل العاصي يديه في زلّة بدل ما كان الواجب استعماله في الطاعة فقد بدّل نعمته كفراً، وكذلك إذا أودع الغفلة قلبه مكان المعرفة والعلاقة وقفة مكان الانقطاع إليه وعلق قلبه بالأغيار بدل الثقة به ولطخ لسانه بذكر المخلوقين ومدحهم بدل ذكر الله واشتغل بغير الله دون الفناء في ذكره كل هذا تبديل نعمة الله كفراً، وإذا كان العبد منقطعاً إلى الله مكتفياً من قبل الله ووجد في فراغه مع الله راحة ومع الخلق سلوة ومن إقباله عليه سبحانه كفاية ثم رجع إلى أسباب التفرقة ووقع في بحار الأشغال ومعاملة الخلق ومدحهم وذمّهم فقد أحلّ قومه دار البوار على معنى إيقاعه قلبه ونفسه وجوارحه في المذلّة من الخلق والمضرّة من الحال، وشأنه كما قيل:

ولم أر مثل مَن يفارق جنة ويقرع بالتطغيان باب جهنم[1]

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِ﴾ [الآية 30] الذي هو التوحيد ومقام

(1) ذكره القشيري في تفسيره (4/ 46).

التفريد بإيقاع غيرهم من حضيض التقليد. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء، والمعنى ليضلوا بهم أتباعهم باتباعهم لأهوائهم عن طريق الحق وسبيل الصدق، واللام للمعاتبة كما في حديث: «لدوا للموت وابنوا للخراب»[1]، ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا﴾ [الآية 30] عيشوا بشهوتكم أو بعبادة / آلهتكم التي ألهتكم عن طاعة مولاكم 95/ب
وساعة آخرتكم ﴿فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾ [الآية 30] كسائر الكفار والفجار.

وأفاد الأستاذ: أنهم رضوا بأن يكون معمولهم معبودهم ومنحوتهم مقصودهم فضلُّوا عن نهج الاستقامة وزلوا عن مقام الكرامة وسيلقون غب صنيعهم يوم القيامة حين لن ينفعهم الندامة كما قيل:

قد تركناك والذي تريد فعسى أن تملهم فتعودا[2]

﴿قُلْ تَمَتَّعُوا﴾ [الآية 30] أياماً قلائل في الدنيا فإن مآلكم إلى خلود النار في العقبى.

﴿قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الآية 31] خصّهم بالإضافة التشريفية تنبيهاً على أنهم المقيمون لحقوق العبودية. والمعنى قل لهم ما أمرناك به من قولنا ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة:الآية 43] أو أمرهم بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة بقرينة قوله: ﴿يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ [الآية 31] وفيه تنبيه على أنهم لفرط مسارعتهم إلى مطاوعتهم لا تنفك طاعتهم عن أمره ﷺ بإطاعتهم، أو التقدير: قل لهم ليقيموا أو ينفقوا كقول القائل: محمد تفد نفسك كل نفس ﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ [الآية 31] إنفاق سر وعلانية، وفي وقتي سر أو علانية والأحب إخفاء النافلة وإعلان الواجب ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ﴾ [الآية 31] فيشتري المقصر ما يتدارك به أو ما يفدي به نفسه ﴿وَلَا خِلَالٌ﴾ [الآية 31] لا مخافة فيه فينفعه أحد بالشفاعة لمن بالغ في المعصية كما قلت:

قلت للنفس إن أردت رجوعاً فارجعي قبل أن يسد الطريق

وقرأ ابن كثير وأبو عمر بالفتح فيهما.

(1) أورده السيوطي في جامع الأحاديث (19/ 190) رقم (20536).
(2) ذكره القشيري في تفسيره (4/ 46).

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الآية 32] مبتدأ وخبر ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ [الآية 32] تعيشون به على وجه المأنوس وهو يشمل المأكول والمشروب والملبوس، ومن بيانية مقدمة ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ﴾ [الآية 32] بمشيئته وقدرته أو بمقتضى قضائه وقدره ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ﴾ [الآية 32] معدّة لانتفاعكم بها في الزروع والأشجار المنتجة للأثمار.

﴿وَسَخَّر لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ﴾ [الآية 33] يدأبان في مسيرتهما ويدومان في إنارتهما ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ [الآية 33] يتعاقبان لراحتكم ومعيشتكم.

96/أ قال جعفر الصادق: سخّر لكم السموات/ بالأمطار والأرض بالنبات والفلك بأن تتخذوا سبيلها متجراً والشمس والقمر توصلان إليكم منافع الزروع والثمار، وسخر قلب المؤمن لمحبته ومقاربته وحظ الله من العبد القلوب لا غير لأنه موضع نظره ومستودع أمانته وسره، ذكره السلمي. ولعل المراد بحفظ الله حقه الواجب على العبد من إعانة من حفظ قلبه من غير ربه وكثير ما يستعجل الحظ بمعنى النصيب في القسمة، وأما الحظ بمعنى اللذة فلا يجوز نسبتها إليه سبحانه.

وأفاد الأستاذ: أن معنى الآية في الظاهر رفع السماء فأعلاها والأرض من تحتها دحاها وخلق بحاراً وأجرى أنهاراً وأنبت أشجاراً وأنبت بها أزهاراً وأثماراً وأمطر من السماء ماء مدراراً وأخرج من الثمرات أصنافاً ونوع لها أوصافاً وأفرد لكل واحد منها طعماً مخصوصاً ولإدراكه وقتاً معلوماً مصنوعاً، وأما في الباطن فسماء القلوب زينها بمصابيح العقول وأطلع فيها شمس التوحيد وقمر الوفاق ومرج في القلوب بحر الخوف والرجاء وجعل بينهما برزخاً لا يبغيان لا الخوف يغلب الرجاء ولا الرجاء يغلب الخوف كما في الخبر: «لو وزنا لاعتدلا»[1]، وهذا لعوام المؤمنين. وأما للخواص فالفيض والبسط ولخاص الخاص الهيبة والأنس والبقاء والفناء، وسخّر لهم الفلك في

(1) أورده القشيري في تفسيره (4/ 50).

هذه البحار ليعبروها بالسلامة وهي فلك التوفيق والعصمة والحماية وسفينة الإيواء والحفظ والرعاية، وكذلك سخّر ليالي الطيب للمريدين وليالي الطرب لأهل الأنس من المحبين وليالي الحرب للتابعين وكذلك نهار العارفين باستغنائهم عن سراج العلم عند طلوع نهار اليقين.

﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُ﴾ [الآية 34] وأعطاكم بعض جميع مسؤولاتكم بلسان حالكم أو بيان قالكم من جهة حاجاتكم وفيه تنبيه على أن كل صنف من الموجود بعض ما في قدرة واجب الوجود، وما يحتمل أن تكون موصولة وموصوفة أو مصدرية على أنها تكون بمعنى المفعول، وقرىء بتنوين كل أي من كل شيء ما احتجتم إليه، ويجوز أن تكون ما نافية / في موضع النصب 96/ ب على الحالية، وأتاكم من كل شيء غير سائليه.

قال الأستاذ: أي ما سمت إليه هممكم وتعلق به سؤالكم وخسر تحقيق ذلك بيانكم أنلناكم فوق ما تأملون وأعطيناكم أكثر مما ترجون. ومن قرأ بتنوين كل وجعل ما نافية أي من كل شيء مما لم تسألوه كذلك جاء أنه قال: يا أمة محمد أعطيتكم قبل أن تسألوني هذا لأرباب الطاعات دعوت وغفرت لكم قبل أن تستغفروني وهذا لأرباب الزلّات علم قصور لسان العاصي وما يمنعه من الخجل وما يقبض على لسانه إذا تذكر ما عمله من الزلل فأعطاه غفرانه بدءاً وكفاه خشية السؤال والتنصل فقال: غفرت لكم قبل أن تستغفروني، ومتى خطر على قلب العبد ما أهلّه الحق سبحانه من العرفان وكيف ذا والحديث قبل أن كان له إمكان أو معرفة أو إيمان أو طاعة أو عصيان أو عبادة أو إحسان أو كان له أعضاء وأركان أو كان للعبد شبحاً أو أثراً لا بل كما قيل:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى   فصادف قلبي فارغاً فتمكنا[1]

---

(1) نسب هذا البيت إلى مجنون بني عامر. انظر البيان والتبيين (1/ 233)، والحيوان (1/ 338).
ونسب إلى ابن الطثرية. انظر محاضرات الأدباء (٨/ ٣٤٩)، وأخبار أبي تمام (١/ ٤٠)، وحماسة القرشي (١/ ٢١).

﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 34] أي أنواع النفع من المنن وأصناف الدفع من المحن ﴿لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾ [الآية 34] لا تحصروها ولا تضبطوها ولا تطيقوا عد أنواعها فضلاً من أفرادها لعدم تناهي أجناسها وأصنافها فكيف تقدرون أن تقوموا بشكرها، وصرف كل منها في طاعة منعهما فلا شكر لذلك إلا أن معرفة العجز عما هنالك وهذا تحقيق كلام الصديق: العجز عن درك الإدراك إدراك ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ﴾ [الآية 34] كثير الظلم على نفسه بأن يعرِّضها للحرمان ﴿كَفَّارٞ﴾ [الآية 34] شديد الكفران لما فيه من الإنعام والإحسان. قيل: ظلوم في الشدة يشكر أو يجذع، كفار في النعمة يجمع ويمنع.

وقال السلمي: ظلوم لنفسه حيث ظن أن شكره يقابل نعمه، كفار محجوب عن رؤية فضله وكرمه.

وقال الأستاذ: أي كيف شكركم يفي بنعمي وشكركم نذر يسير
97/أ وإنعامي. وفير وإني لكم بعد إنعامي وعلومكم عن تفصيلها / متقاصرة وفهومكم عن تحصيلها متأخرة وإذا كان ما يدفع عن العبد من وجوه المحن وفنون البلايا والفتن من مقدراته لا نهاية لها فكيف يأتي الحصر والإحصاء على ما لا يتناهى وكما أن النفع من نعمه والدفع أيضاً من نعمه وكرمه. ويقال: إن توفيق الشكر من جملة ما ينعم به الحق على العبد فإذا أراد أن يشكروه عليه لم يمكنه إلا بتوفيق آخر فإنه يبقى عليه من النعم ما لا يشكره.

﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ﴾ [الآية 35] بلده مكة ﴿ءَامِنٗا﴾ [الآية 35] ذا أمن لمن فيها أو نزل بها ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ﴾ [الآية 35] من بعدي وأولادي من صلبي ﴿أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾ [الآية 35] واجنبني وجنبني منه لغات بمعنى اجعلني في جانب عنه، وفيه دلالة على أن عصمة الأنبياء بتوفيق الله لهم وحفظه إياهم.

وفي تفسير السلمي قيل: المراد بالأصنام أنفس الأنام فإن لكل نفس صنماً من الهوى إلا من طهر بنور توفيق المولى.

وقال ابن عطاء: المراد بعبادتها والخلد والركون إليها.

﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الآية 36] سرن بسبب ضلالة كثير من الخلق، فهذا موجب سؤال الاستفادة بالحق ﴿فَمَن تَبِعَنِى﴾ [الآية 36] على ديني ﴿فَإِنَّهُۥ مِنِّى﴾ [الآية 36] بعضي لاينفك عني فيما ينوبني ﴿وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الآية 36] تقدر أن تغفر له وترحمه من البداءة أو بعد التوفيق للتوبة أو بعد التعذيب إن كانت المعصية فيما عدا الشرك والكفر، وفيه إشارة إلى أن كل ذنب فله سبحانه أن يغفره حتى الشرك غير أن الوعيد فرق بينه وبين غيره.

وقال الأستاذ: لما سأل أن يجعل مكة بلداً آمناً طلب أن يجعل قلبه محلاً آمناً والبدن يكون آمناً إذا صبر عن المخالفات والهوى والقلب يكون آمناً إذا لم يكن فيه شيء غير حب المولى، ثم الصنم ما يعبد من دون الله قال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الفرقان:الآية 24] فصنم كل شيء ما يشغله عن مولاه من طاعة وعبادة ومال وولد وجاه. ويقال: إنه لما بنى بيت ربه
97/ب استعاذ به أن يجيره من ملاحظة بنائه وفعله، ويقال: / إنه عليه السلام كان متردداً بين شهود فضل ربه وشهود فضل نفسه فلما لقي من فضله وجوده قال من كمال بسطه: واغفر لي ربي، ولما نظر من حيث فقد نفسه قال: واجنبني وبنيَّ. ويقال: شاهد عزه واستغناءه فقال: واجنبني، وشاهد شمول لطفه وعموم جمعه فقال: ﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ﴾ [الشعراء:الآية 86]، ثم قال: ومن نفعني ﴿فَإِنَّهُۥ مِنِّى﴾ [الآية 36] موافق لي ومن أهل ملتي ﴿وَمَنْ عَصَانِى﴾ [الآية 36] وخالفني وعصاك ﴿فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الآية 36] كائن بعين البسط فلاحظهم بعين الرحمة واسترحمهم بالإشارة. ويقال: من عصاني ولم يقل من عصاك وإن كان من عصاه فقد عصى الله ولكن للفظ من عصاني إيماء إلى أنه إنما طلب الرحمة فيما كان تصيب نفسه من ترك حقه في عصيانهم لربه فلم يقتصر لنفسه بل قال لهم برحمة ربه. ويقال: إن قول نبينا ﷺ في هذا المعنى ثم جئت قال جزماً وسأل حتماً: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»[1]. وإبراهيم عليه السلام عرض وقال: فإنك غفور رحيم. ويقال: لم يجزم السؤال لأنه راعى أدب المقال. أقول: فجزم نبينا ﷺ للسؤال

---

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (3477)، وابن حبان في الصحيح (3/ 254) رقم (973)، والبيهقي في شعب الإيمان (2/ 164) رقم (1447).

يومىء إلى ما له من الكمال في مقام البسط والكمال.

﴿رَبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي﴾ [الآية 37] بعض أولادي وأجنادي ﴿بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ﴾ [الآية 37] لئلا ينشغلوا بغير القيامة ويتكلوا على ربهم في أمر المعيشة ﴿عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ﴾ [الآية 37] المحترم المكرَّم الذي حرَّمت التهاون به والتعرُّض لأهله. روي أن هاجر كانت جارية سارة وهما بالشام فوهبتها من إبراهيم عليه السلام فولدت منه إسماعيل فغارت عليهما فناشدته أن يخرجهما من عندها فأخرجهما إلى أرض مكة فأظهر الله عين زمزم من جناح جبريل أو قدم إسماعيل ثم إن قبيلة جرهم رأوا ثمَّ طيوراً فقال: لا طير إلا على الماء، فقصدوه فرأوهما فقالوا: أشركينا في ماءك فنشركك في ألباننا ففعلت ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾
98/أ [الآية 37] أي أسكنتهم عند مسجدي المعظم لإقامة الصلاة، / والمقصود من الدعاء توفيقهم للعبادة. وقيل: اللام لام الأمر، والمراد هو الدعاء لهم بالإقامة والاستقامة بتوفيق الطاعة وحسن العبادة.

قال ابن عطاء: أسكنتهم وادياً لا متعلق لي ولا علاقة لهم سؤال ﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الآية 37] أي أفئدة من أفئدة الناس أو من للتبعيض ولذا قال بعضهم: لو قال أفئدة الناس لازدحمت عليهم فارس والروم ونحوهم ولحجت اليهود والنصارى وغيرهم وفيه إشارة إلى أن الدعوة خاصة والمدعوين زبدة وخلاصة ﴿تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾ [الآية 37] تميل إليهم شرقاً وتحمس عليهم ذوقاً ﴿وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [الآية 37] فواكه المطعومات والملبوسات ﴿لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ [الآية 37] ربهم على تلك الحالات، وأجاب الله دعوته وجعله حرماً آمناً يجيء إليه ثمرات كل شيء حتى قد يوجد فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في وقت واحد، وحتى يوجد تحف الأشياء المحتاج إليها مجموعة في أيام موسم الحج مسهلة من الأطراف والأكفاف مجلوبة.

قال ابن عطاء: من انقطع عن الخلق بالكلية صرف الله إليه وجوه البرية وجعل مودّته في صدورهم ومحبته في قلوبهم وذلك من دعاء الخليل من ربه الجليل لما قطع بأهله من الخلق وأسباب الرزق دعا لهم بالرفق فقال: ﴿فَٱجۡعَلۡ

﴿أَفْئِدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ [الآية 37] الآية، قال: مَن كان لله كان الله له.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أخبر عن صدق توكله وصدق تفويضه بقوله: ﴿إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى﴾ [الآية 37] أي قوماً منهم ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ﴾ [الآية 37] فلا متعلق من الأغيار بقلوبهم ولا متناول لأفكارهم وأسرارهم مطروحون ببابك مقيمون بحضرة جنابك جار بينهم حلمك إن راعيتهم وكفيتهم كانوا أعز خلق الله وإن أقصيتهم ونبذتهم كانوا أذلّ خلق الله عند بيتك المحرم وإنما رأى الرفقة بينهم في الجوار لا في المبار فقال: ﴿عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾ [الآية 37] ثم قال: ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الآية 37] أي / أسكنتهم لإقامة حقك بهم لا لحظوظهم بك 98/ ب
بإقامة حقك عليهم ليشتغلوا بعبادتهم ﴿فَٱجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ [الآية 37] فأمر قوماً بأن يقوموا بكفايتهم وارزقهم من الثمرات فإن مَن قام بحق الله أقام الله بحقه قوماً واستجاب الله دعاءه وصارت القلوب من كل بحر وبر كالمجبول على محبة ذلك البيت الأجلّ والميل إلى سكان ذلك المحل.

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ﴾ [الآية 38] تعلم سرنا كما علم علننا، والمعنى أنك أعلم بأحوالنا ومصالحنا وأرحم منا بأنفسنا فلا حاجة لنا إلى الطلب إلا لإظهار العبودية وافتقاراً إلى الحضرة الربوبية. وقيل: ما نخفي من وجد الفرقة وما نعلن من التضرع والمسكنة، وتكرير ربّنا للمبالغة في مقام الدعوة.

قال السلمي: وقيل ما نخفي من الحجة وما نعلن من الجد.

قال ابن عطاء: ما نخفي من الأحوال وما نعلن من الأفعال ﴿وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الآية 38] من الاستغراق في نفي الحقائق.

وأفاد الأستاذ: أن من عرف هذه الجملة استراح عن النظر إلى الأغيار واستروح قلبه عن مترجم الأفكار.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ﴾ [الآية 39] أي في حال كبري ﴿إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾ [الآية 39] روي أنه وُلِد له إسماعيل لتسع وتسعين سنة وإسحاق لمائة واثنتي عشرة، وقيد الهبة بحال الكبر استعظاماً للنعمة واستظهاراً

لما فيه من الآية. وإسماعيل جد نبينا ﷺ وإسحاق أبو سائر الأنبياء ﴿إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [الآية 39] أي مجيب، ومنه قوله: سمع الله لمن حمده، أي أجابه.

﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [الآية 40] صيِّرني مديماً لها وقائماً بحقوقها ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾ [الآية 40] أي واجعل بعض أجنادي مقيمين لها ومواظبين عليها والتبعيض لعلمه إما بإعلامه سبحانه له أو باستقراء عادة الله في الأمم الماضية من وجود الكفار والفجار في الذرية.

وأفاد الأستاذ: أن في هذه الآية دلالة على أن أفعال العباد مخلوقة فإن الجعل والخلق بمعنى / واحد في اللغة. 99/أ

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ﴾ [الآية 41] وقد سبق عذر استغفاره لهما، وقيل: أراد وجوبهما ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 41] من السابقين واللاحقين ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾ [الآية 41] يوم يقوم الناس لربِّ العالمين.

وأفاد الأستاذ: أن إجابة الدعاء فضل من الله يفعل من يشاء فلا ينبغي للعبد أن يتوكل على دعاء أحد من الأعيان وإن كان عالي الشأن بل يجب على العبد أن يعلق قلبه بالله ولا يسكن إلى ما سواه فلا دعاء أتم من دعاء إبراهيم ولا عناية أتم من عنايته بشأن أبيه ثم إنه لم ينفعه فيه ولا ينبغي للعبد أن يترك دعاءه ويقطع رجاءه فإن إبراهيم دعا لأبيه فلم يستجب فيه، ثم إنه لم يترك الدعاء في حق سائر الأشياء كالأبناء ولا غضاضة على العبد في أن لم يجبه مولاه في شيء ولا مذلة بل الدعاء عبادة فلا بد للعبد من فعلها والإجابة فضل فله سبحانه فعلها وتركها.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الآية 42] فيه مثلبة للمظلوم وتهديد للظالم الملوم.

وأفاد الأستاذ أن المظلوم إذا تحقق أنه سبحانه عالم بما يلاقيه من البلاءات على مقاساته وخفف عليه تحمله ومرارته. والظلم على وجوه، ظلم على النفس بوضع الزلة مكان الطاعة، وظلم على القلب بتمكين الخواطر الرديئة وإخطار الغير بالبال، وظلم على الروح بمحبة المخلوقين. ويقال:

الشيطان من جملة الظالمين والعبد المؤمن مظلوم من جهته والحق سبحانه ينتصف له منه غداً وذلك لمن لا يتبعه اليوم طائعاً فيتأذى بوساوسه ويدفعه بالمجاهدة عن نفسه ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الآية 42] أي أبصارهم فلا تقر في أماكنها من هول ما ترى.

﴿مُهْطِعِينَ﴾ [الآية 43] حال كونهم مسرعين إلى الداعي وصوب صوت النداء ﴿مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾ [الآية 43] رافعيها إلى جهة السماء ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ [الآية 43] أي لا يرجع إليهم نظرهم فينظروا إلى أنفسهم بل بقيت عيونهم شاخصة ﴿وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ [الآية 43] كالخلاء خالية عن الفهم لفرط الحيرة والدهشة أو خالية عن الصدق / خاوية عن الحق. 99/ ب

قال ابن عطاء: هذا صفة قلوب الحق متعلق به لإقرار الأمة، ولا يسكن إلا إليه وليس في قلوبهم محل لغير الله قال تعالى: ﴿وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [النّمل:الآية 88] ولا تلتفت إلى غير الله ولا لها قرار مع ما سواه.

وقال الأستاذ: وهذا لعوام المؤمنين لتعلق قلوبهم بالانتقام لهم وأما الخواص فإذا علموا أنه سبحانه عالم بهم وبحالهم فإنهم يثقون بذلك ويكتفون لما هناك، وأما خاص الخاص فعلموا أنهم عبيده فإنهم لا يرضون بالعفو عن مَن ظلمهم حتى يستغفروا لهم كما قال ﷺ: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»[1]. وأما أصحاب التوحيد فإذا علموا أن المنشىء هو الله ولا مخترع سواه فليس بينهم وبين أحد محاسبة ولا مع أحد معاتبة ولأمته مطالبة أنهم يعدون إثبات الغير في الظن والحساب شركاء نظر إلى حقيقة الوحدة.

﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ﴾ [الآية 44] خوِّفهم ﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ﴾ [الآية 44] وقت إتيان العذاب لهم وهو يوم القيامة أو يوم موتهم فإنه أول أيام عذابهم، ويؤيده قوله سبحانه: ﴿فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ [الآية 44] بالكفر والكفران والعصيان والعدوان ﴿رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ [الآية 44] أخِّر العذاب عنا وأمهلنا على حالنا إلى

(1) انظر تخريج الحديث السابق.

حد من الزمان قريب من آجالنا لتدارك أحوالنا وإصلاح أعمالنا ﴿نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ﴾ [الآية 44] بإقرار التوحيد وإظهار الدعوة لا بحقيقتها لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ [الأنعام:الآية 28]. ولما قيل: وما مواعيدها إلا أباطيل وتظهر مما يقع لهم ولأمثالهم من الدعاء عند البلاء والعود إلى الجفاء بعد الإنجاء ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾ [الآية 44] ما لكم جواب القسم جاء بلفظ المخاطبة على المطابقة دون الحكاية وإلا لقيل: ما لنا، والمعنى يقال لهم أقسمتم بلسان الحال ما لكم من زوال في جاه ومال حيث نعمتم شديداً وأملتم بعيداً.

﴿وَسَكَنتُمْ﴾ [الآية 45] أمداً مديداً ﴿فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ [الآية 45] بالكفر والمعصية، قيل: أراد بهم عاداً وثموداً ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾ [الآية 45] بما يشاهدون وما نزل عليهم في منازلهم وآثارهم وما
100/ أ تسمعون / من تواتر أخبارهم ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [الآية 45] من أحوالهم تنبيهاً على أمثالهم.

قال أبو عثمان: مجاوزة الفساق وأهل المعصية من غير ضرورة فسق كامن ومعصية مستترة لأن الله تعالى ذمّ قوماً من عباده فقال: ﴿وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ [الآية 45] ولم يقدر من أقام بها، وقال: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا﴾ [النّساء:الآية 97].

وقال الأستاذ: أي أحللنا بهم العقوبة وأشهدناكم فما اعتبرتم وجريتم على منهاجهم وما انزجرتم وفعلتم مثل فعلهم وبإمهالنا إياكم اغتررتم فانظروا مثل ما عاملناهم به جزاء لكم على ما أسلفتم.

﴿وَقَدْ مَكَرُوا۟﴾ [الآية 46] لإبطال الحق وإظهار الباطل ﴿مَكْرَهُمْ﴾ [الآية 46] المستغرق فيه جهدهم وفكرهم ﴿وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾ [الآية 46] ما يمكرهم به جزاء لمكرهم أو مكتوب عنده فعلهم وجزاؤهم ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ﴾ [الآية 46] في العظمة والشدة ﴿لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾ [الآية 46] مسوِّي لإزالة الجبال الثابتة فإن وصلته فرضية غير واقعية. وقيل: مخففة من المثقلة والمعنى إنهم

مكروا ليزيلوا ما هو ثابت كالجبال الراسية من آيات الله وشرائعه الماضية. وقرأ الكسائي: لتزول بالفتح والفرع على ألفها المخففة واللام هي الفاصلة والمراد منه المبالغة في تفخيم أمرهم وتعظيم مكرهم.

﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ﴾ [الآية 47] كقوله: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا﴾ [غافر:الآية 51] لأصله مُخلِفَ رسله وعده فقدم المفعول الثاني إيذاناً بأنه لا يخلف الوعد أصلاً كقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ [الآية 47] لا يخلف الميعاد فإذا لم يخلف وعده أحداً لا يخلف رسله أبداً ﴿عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [الآية 47] غالب لا يدافع وقادر لا يمانع ذو انتقام لأوليائه من أعدائه.

وقال الأستاذ: أي لا تحسبنه مخلف رسله وعده لا يخلف الوعد لصدقه في قوله، وله أن يعذبهم بما وعدهم لِحَقّه في ملكه وهو ﴿عَزِيزٌ﴾ [الآية 47] لا يصل إليه أحد وإن كان ولياً ﴿ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [الآية 47] لا يفوته أحد وإن كان قوياً.

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ [الآية 48] غير السموات والتبديل بالصفة أو الذات ويؤيد الأولى قوله تعالى: ﴿يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ [الفُرقان:الآية 70]، ويقوي الثاني ما عن علي كرَّم الله وجهه: «تبدل أرضاً من فضة
100/ب / وسمٰوات من ذهب»[1] وهو لا ينافي ما روى ابن مسعود وأنس رضي الله عنهما: «يحشر الناس على أرض بيضاء لم يخطئ أحد عليها خطيئة»[2].

وعن ابن عباس: هي تلك الأرض بعينها وإنما تغير صفتها ويدل عليه ما روى أبو هريرة مرفوعاً: تبدل الأرض غير الأرض فينبسط الأديم فلا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً[3].

وفي «**تفسير السلمي**» قيل: فإن الأشياء إذ ذاك قد عادت إلى مصادرها.

---

(1) أخرجه أبو نعيم في صفة الجنة (1/ 170) رقم (140).
(2) أخرجه ابن حبان ـ بلفظ مختلف ـ في الصحيح (16/ 312) رقم (7320).
(3) أورده البيهقي في البعث والنشور (2/ 137).

وقيل: متى كانوا أشياء حتى صاروا لا شيء لأنهم في جنب الحق أقل من الهباء في الهواء.

قال الأستاذ: لا تختلف عينها وإنما تختلف صورتها وذلك ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ [التّكوير: الآيتان 3،2] وإنما يدل المكان الزمان على إفراد الإنسان باختلاف أحوالهم في السرور والمحن الناشئة عن أعمالهم فمن وصل من الرخاء إلى البلاء أو من البلاء إلى الرجاء. ويقال: تغير الوقت عليهم. ويقال: إن آدم عليه السلام لما قتل أحد بنيه الآخر قال:

تغيّرت البلاد ومن عليها فوجه الأرض مغبّر قبيح

فعلى هذه القضية فمن كان صاحب بسط فرد إلى حال القبض أو كان صاحب أنس فصار صاحب حجاب يصح أن يقال: بدّل له الأرض غير الأرض. قال بعضهم:

فما الناس بالناس الذين عهدتهم ولا الدار بالدار الذي كنت أعرف

قلت: وكما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ [التّوبَة:الآية 118]. وكقول القائل:

أما الخيام فكأنها كخيامهم وأرى نساء الحي غير نسائهم(1)

ثم قال: وكذا العبد المريد إذا وقعت له فِترة وكانت الشمس له كاسفة والأرض به راجفة والنهار له ليل والليل له ويل ﴿وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [الآية 48] أي خرجوا من قبورهم وقت نشورهم وحضورهم لمحاسبة ربهم ومجازات كسبهم، وفي الوصفين إيماء إلى أن الحال في غاية من الصعوبة والمآل في نهاية من الشدة فإن الأمر إذا كان لواحد قهار فلا مستغاث لأحد ولا استئجار ولا خلاص إلا لمن ستره الستار وغفر الغفار ورحمه الجبّار.

﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ﴾ [الآية 49] قرنوا مع الشياطين من قرنائهم/ 101/ أ
أو قرنت أيديهم وأرجلهم في الأغلال إلى رقابهم ﴿فِى ٱلْأَصْفَادِ﴾ [الآية 49] أي

(1) نسب إلى أبي الحسن الغالي. انظر معجم الأدباء (2/ 26).

القيود، وإنكار الفعال على مقدار ما لهم من سوء العقائد والأعمال.

﴿سَرَابِيلُهُم﴾ [الآية 50] قمصانهم ﴿مِّن قَطِرَانٍ﴾ [الآية 50] وهو ما يتخلف من شجر الأبهل فيطبخ ويطلى به الجربى من الإبل فيحرق الجرب بحدّته ويزيله بشدته وهو أسود اللون منتن الرائحة تشتعل به النار بسرعة يطلى به جلود أهل النار ليقوم مقام خلع الأبرار فيجتمع عليهم ألم لذعه ووخشة لونه ونتن ريحه واشتعال النار في جرمه، على أن التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين، ولعل أسبابها ما يحيط بجواهر النفس من الأخلاق الرديئة والعقائد الدنيئة التي توجب لصاحبها أنواعاً من الآثام المورثة للعموم والآلام على الدوام ﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [الآية 50] لأنهم لم يتوجهوا إلى الحق بها ولم يستعملوا حواسهم التي خُلقت لأجله فيها كما يطلع على الأفئدة لأنها فارغة عن المعرفة.

وإنما يفعل بهم ذلك ﴿لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ﴾ [الآية 51] مجرمة ﴿مَّا كَسَبَتْ﴾ [الآية 51] واكتفى في الكلام بما يناسب المقام أو برزوا ليجزي الله كل نفس ما عملت من خير أو شر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [الآية 51] لأنه لا يشغله حساب عن حساب تعالى شأنه وعظم برهانه.

وأفاد الأستاذ: أن الأغلال تجمعهم والأصفاد تقرنهم والسلاسل تقيدهم والقطران يثلمهم والحميم شرابهم والحرقة عذابهم والفرقة حجابهم وذلك جزاء مَن خالفوا ربهم.

﴿هَٰذَا﴾ [الآية 52] ما في هذه الآية أو السورة ﴿بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ﴾ [الآية 52] كفاية لهم في الموعظة ليتعظوا به ويتيقظوا من نوم الغفلة ﴿وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ﴾ [الآية 52] عن المعصية ﴿وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [الآية 52] منزّه عن نعت المثلية ووصف الشركة ﴿وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الآية 52] الميثاق الأول ويوم المآب.

وأفاد الأستاذ: أن الحجج واضحة والأمارات لائحة والمهلة متسعة والداعي مبلغ والتمكين من القيام بحق التكليف مساعد ولكن القسمة سابقة والتوفيق ممنوع عن طائفة، والرب سبحانه فعّال لما يريد فمن / اعتبر نجا 101/ ب
ومن غفل تردى ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ [الروم:الآية 4] والله أعلم.

سورة الحجر

[مكيّة]

وهي تسع وتسعون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: سقطت ألف الوصل من كتابة بسم الله ولكن لإسقاطها علّة، فلم يقبل من قبل باستحقاق وزيد في شكل الباء بسم الله وليس لزيادتها علّة ليعلم أن الإثبات والإسقاط بلا علّة فلم يقبل من قبل باستحقاق وعلّة ولا رد من رد لاستيجاب وعلّة. فإن قيل: العلة في إسقاط الألف من بسم الله كثرة الاستعمال من كتابتها أشكل بأن الباء من بسم الله زيد في شكلها، وكثرة الاستعمال موجود في حقها فإن قيل: العلة في زيادة شكل الباء بركة اتصالها ببسم الله أشكل بحذف ألف الوصل لأن الاتصال موجود فيها لم يبق إلا أن الإثبات والنفي ليس لهما علّة يرفع من يشاء ويمنع من يشاء.

قلت: لا يبعد أن يقال: النكتة في تطويل الباء ظهور معنى الاستعانة مخافة اشتباهها بسمات ما يليها في الكتابة فيكون إشارة إلى أن توفيق الإيمان فضل سبب من العمل بخلاف تحقيق الخذلان فإنه عدل موجبه قول: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ [الأنبياء:الآية 23]. وفيه أيضاً إيماء إلى أن الحكم الإلٰهية منها معلومة ومكشوفة لنا ومنها مجهولة ومستورة عنا.

﴿الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ۝١﴾ [الآية 1] أي هذه السورة آيات الجامع لكونه كتاباً كاملاً ومقروءاً شاملاً يبين الرشد من الغي آخراً وأولاً أو ظاهر أنواره وباهر أسراره لمن أعطي فضلاً فاضلاً.

وأفاد الأستاذ: أنه يبيِّن للمؤمنين ما يسكن قلوبهم وللمريدين ما يقوي

رجائهم وللمحسنين ما يهيج اشتياقهم وللمشتاقين ما يثير لواعج أسرارهم.

﴿رُبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ۝﴾ [الآية 2] حين عاينوا يوم القيامة أو حلول الموت أو نزول النصرة والغلبة. وقرأ نافع وعاصم: ربما بالتخفيف وما نكرة موصوفة كقوله:

ربما تكره النفوس من الأمـ ـر له فرجة كحل العقال[1]

ورب ها هنا تحتمل الكثرة في الندامة والقلة لما يدهشهم أهوال / 102/أ القيامة.

وفي «تفسير السلمي» قال بعضهم: ربما يود الذين فسقوا لو كانوا مطيعين، وقيل: ربما يود الذين كسلوا لو كانوا مجتهدين وربما يود الذين غفلوا لو كانوا ذاكرين. قلت: وفي الحديث: «ليس يتحسر أهل الجنة يوم القيامة إلا على ساعة مرت بهم ولم يذكروا الله فيها»[2]. ومن القواعد الصوفية: أن الغفلة كفر وضلالة، كما قال العارف ابن الفارض:

ولو خطرت لي في سواك إرادة على خاطري سهواً حكمت بردتي[3]

وقال الأستاذ: وإذا عرفوا عن من بقوا علموا كيف شقوا، وأي كأس سقوا. ويقال: إذا صارت المعارف ضرورية احترقت نفوس أقوام عقوبة وتقطعت قلوب آخرين حسرة.

﴿ذَرْهُمْ﴾ [الآية 3] دعهم واتركهم ﴿يَأْكُلُوا۟﴾ [الآية 3] متمناهم ﴿وَيَتَمَتَّعُوا۟﴾ [الآية 3] بدنياهم ﴿وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ﴾ [الآية 3] يشغلهم توقعهم لطول الأعمار عن مولاهم وعن استعدادهم لزاد معادهم في عقباهم ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 3] سوء صنيعهم إذا عاينوا جزاءهم.

---

(1) نسب لكعب بن مالك. انظر خزانة الأدب (2/ 302)، ونسب إلى أمية بن أبي الصلت. انظر فرحة الأديب (1/ 46) وإلى غيرهم.
(2) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (20/ 93) رقم (182)، والبيهقي في شعب الإيمان (1/ 392) رقم (512).
(3) نسب إلى الفارضي. انظر تزيين الأسواق في أخبار العشاق (1/ 10).

قال أبو عثمان: أسوأ الناس في حالاته مَن كان شغله تنفيذ شهواته.

وقال الأستاذ: إن قيمة كل امرىء همّته وهمّة كل أحد تظهر بها نهمته فإذا كانت النهمة مقصورة على الأكل والمتع فصاحبها منعوت بالصفة البهيمية ولكن البهيمة لا تحاسب وعلى العقل لا تطلب والتكليف يتبعه التعنيف والتشريف.

﴿وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ﴾ [الآية 4] أي أهلها ﴿إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ﴾ [الآية 4] أي أجل مقدّر كُتِبَ في اللوح على وجه مفهوم.

وأفاد الأستاذ: أن الآجال معلومة والأحوال مقسومة والمشيئة في الكائنات ماضية ولا يخفى على الحق خافية.

﴿مَّا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ ۝٥﴾ [الآية 5] عنه ساعة.

﴿وَقَالُواْ﴾ [الآية 6] أي المفترون لقلة عقولهم لأعقل الخلق وأكملهم ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ﴾ [الآية 6] أي على زعمه ومظنة أصحابه ﴿إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ﴾ [الآية 6] حيث تقول قول المجانين من أن الإله واحد لا شريك له، وإن القرآن كتابه وإنك رسوله، وقد ورد: «اذكروا الله حتى يقولوا مجنون»[1].

﴿لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا﴾ [الآية 7] لولا تحضرنا ﴿بِٱلۡمَلَـٰٓئِكَةِ﴾ [الآية 7] ليصدقوك على
102/ب إنذارك ويعضدوك على آثارك ﴿إِن كُنتَ/ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ [الآية 7] في إخبارك.

﴿مَا نُنَزِّلُ﴾ [الآية 8] أي ما تتنزل ﴿ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةَ﴾ [الآية 8] وقرأ أبو بكر بصيغة المجهول وحفص وحمزة والكسائي بالنون ونصب الملائكة ﴿إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾ [الآية 8] إلا تنزيلاً ملتبساً بالوجه الذي نحقق له إرادته وتعلق به قدرته واقتضته حكمته ولا حكمة في أن يأتيكم بصورة المشاهدة فإنها توجب لكم المشابهة ولا في معاجلتكم بالعقوبة فإن منكم ومن نسلكم من سبقت كلمتنا له بالإيمان بالمعرفة وفسر الحق بالوحي والعذاب، ويؤيده قوله: ﴿وَمَا كَانُوٓاْ إِذٗا مُّنظَرِينَ﴾ [الآية 8] إذا جواب وجزاء الشرط مقدر تقديره: ولو نزلنا الملائكة ما كانوا مؤخرين.

(1) أخرجه أبو يعلى في المسند (2/ 521) رقم (1376).

وأفاد الأستاذ: أنهم اقترحوا الآيات بعدما أرتجت علتهم بما أيّده به من المعجزات فتوجه اللوم عليهم بسواد أديمهم وأخبر الحق سبحانه أنه أجرى عادته بأنه إذا أظهر الملائكة لأبصار قوم بأعيانهم كان ذلك عند إرادة استئصالهم لأنه تصير المعرفة ضرورية وفي المعلوم أنه لم يكن في الوقت هلاكهم لعلمه أن في أصلابهم من يؤمن بالله في استقبالهم.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾ [الآية 9] أي القرآن لقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزّخرُف:الآية 44]، ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الآية 9] من التحريف والزيادة والنقص بأن نقدر له جمله وحفظه لما فيه من الحروف والسكون والحركة.

وفي «تفسير السلمي»: وإنا لنحفظه في قلوب أوليائنا.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أنزل التوراة ووكّل حفظها إلى بني إسرائيل فقال بما استحفظوا من كتاب الله ففرقوا وبدلوا وأنزل القرآن وأخبر أنه حافظه فلما تولى حفظه لا جرم أنه لكتاب عزيز ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فُصّلَت:الآية 42]. ويقال: أخبر أنه حافظ القرآن وإنما حفظه بقراءته فقلوب القرّاء خزائن كتابه وهو لا يضيع حافظ كتابه فإن في تضييعهم تضييع كتابه.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ [الآية 10] جميعاً من النبيين ﴿مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الآية 10] فرقهم المختلفين، والمعنى نبأنا رجالاً منهم وجعلناهم رسلاً إليهم.

103/أ ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ/ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾﴾ [الآية 11] كما يفعل هؤلاء المجرمون والتعبير بالصيغة المضارعية مع ما الموضوعة للزمن الحالية بناء على أن حكاية الحال الماضية والمراد به تسلية للذات المصطفوية.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أخبر أن عادتهم كان التكذيب وأدام سنّته معهم في التعذيب.

﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ﴾ [الآية 12] ندخل استهزاء النبيين ﴿فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الآية 12] من الكافرين.

﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ [الآية 13] أي حال كونهم غير مؤمنين بالذكر المبين ﴿وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الآية 13] قد مضت عادة المتقدمين بوقوع سنَّة الله فيهم بأن خذلهم وأسلك الكفر في قلوبهم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أزاغ قلوبهم عن شهود الحقيقة فسد بالحرمان عليهم سكون الطريقة وبيَّن أنه لو أراهم الآيات عيان ما ازدادوا إلا عتواً وطغياناً وأن من سبق له الحكم بالشقاء لا يزداد على ممر الأيام إلا ما سبق به صادق القضاء.

﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟﴾ [الآية 14] أي فصار المقترحون ﴿فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ [الآية 14] إليه يصعدون ويرون عجائبها ويشاهدون غرائبها.

﴿لَقَالُوٓا۟﴾ [الآية 15] من غلوهم في عتوهم ﴿إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا﴾ [الآية 15] فاسدة ومنعت من أبصارنا مأخوذة من السكر بمعنى سد النهر. قرأه ابن كثير بالتخفيف، أو صيرت ومحيت من السكر ضد الصحو ﴿بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ [الآية 15] مجبول فيهم السحر.

وأفاد الأستاذ: أن من غلبه التقدير كان بأمر التكليف مدعواً وبأمر التقدير مقضياً فمتى ينجح فيه النصح ومتى يكون للوعظ فيه مساغ كلا إن البصيرة له مسدودة ومثقلات الخذلان بقدمه مشدودة، فهم يحملون النصيحة على الوقيعة والحقيقة على الخديعة.

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا﴾ [الآية 16] اثنى عشر بالهيئات اليمنية والأشكال السنية ﴿لِلنَّٰظِرِينَ﴾ [الآية 16] المتفكرين فيها المعتبرين بها مستدلين على قدرة مبدعها وتوحيد صانعها.

﴿وَحَفِظْنَٰهَا﴾ [الآية 17] جعلناها محفوظة ﴿مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾ [الآية 17] فلا يقدر أن يصعد إليها ويوسوس إلى أهلها ويتصرف في أمرها ويطلع على أحوالها.

103/ب ﴿إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ﴾ [الآية 18] لكن من/ استرقه ﴿فَأَتْبَعَهُۥ﴾ [الآية 18] تبعه

ولحقه ﴿شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾ [الآية 18] فيخبله أو يحرقه، والشهاب شعلة نار ساقطة لها بريق لامعة، واستراق السمع اختلاسه سرّاً شبّه به خطفتهم اليسيرة من الأحوال الكثيرة لسكان السماء لما بينهم من المناسبة المقتضية للإعلاء إلى جهة الهواء.

وعن ابن عباس: إنهم كانوا لا يحجبون عن السموات السبع فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات، فلما ولد محمد ﷺ مُنِعوا بالشهب من كلها[1].

قال جنيد: قلوب العباد محفوظة من نزعات الشيطان بالتأييد الإلٰهي فمنها ما كانت محفوظة بالمعرفة ومنها ما كانت محفوظة بالنجاء والاستقامة ومنها ما كانت محفوظة بلا حول ولا قوة إلا بالله. وقال بعضهم: زين السموات بالكواكب والبروج وجعل فيها علامات لمن يهتدي بها في ظلمات البر والبحر وزين القلوب باطّلاعه عليها وأنواع الأنوار ليهتدي بتلك الأنوار إلى مقامات المعرفة وأن يهتدي بها مَن كان بصيراً مفتوحاً عين فؤاده إلى النظر إليه نظر العيان والمشاهدة.

وأفاد الأستاذ: أن النجوم للشياطين رجوم إذا راموا أن يسترقوا السمع المعلوم والمفارق في القلوب والعقول نجوم ثم هي أيضاً للشياطين رجوم فلو دنا إبليس وجنوده من قلب ولي من أولياء الله وحزبه أحرقته بل محقته نجوم عقله وأقمار علمه وشموس توحيده، وكما أن نجوم السماء زينة للناظرين إذا لاحظوها فقلوب العارفين زينة للملائكة إذا نظروا إليها.

﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا﴾ [الآية 19] بسطناها ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾ [الآية 19] جبالاً ثوابت مثبتة ﴿وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا﴾ [الآية 19] أي في سهلها وجبلها ﴿مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ [الآية 19] مما له وزن في أبواب النعمة وأسباب المنفعة.

وأفاد الأستاذ: أن نفوس العابدين أرض العبادة وقلوب العارفين أرض

---

(1) أورده القرطبي في تفسيره (10/ 10)، والبغوي في تفسيره (4/ 372)، وأبو السعود في تفسيره (5/ 71).

المعرفة وأرواح المشتاقين أرض المحبة والخوف والرجاء لها رواسي. ويقال: من الرواسي التي أنبتها فيها الأولياء الذين هم أوتادها بهم البلاء عن الخلق يرفع وهم الغياث / فإذا وقع للناس منهم قالبهم الفزع. ويقال: من 104/أ الرواسي العلماء الذين بهم قوام الشريعة فالذين هم علماء الأصول فيهم قوام أصل الدين وبإلفتها نظام أحكام الشرع المبين. وقال بعضهم:

وا حسرتا من فراق قوم هم المصابيح والعيون والمزن

والمدن والرواسي والخير والأمر والسكون. وكما أثبت في الأرض متون النبات من الزروع والأشجار أنبت في القلوب صنوفاً من الأثمار والأنوار والأنهار فمن ذلك نور اليقين ونور العرفان ونور الحضور ونور الشهود ونور التوحيد إلى غير ذلك من الأنوار أي التي من جملة أسرار الأبرار.

﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾ [الآية 20] من المطاعم والملابس تعيشون بها وتتنعمون منها ﴿وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾ [الآية 20] أي عطف على معايش، يراد به العيال والخدم والمماليك والحشم ومما ير ما يظنون أنهم يرزقونهم ظنّاً كاذباً منهم فإن الله يرزقهم وإياهم وكذلك الآية وتحصيلها مع ما قبلها هو الاستدلال على غاية قدرته ونهاية حكمته والتفرد في ألوهيته بجعل الأرض ممدودة بمقدار معين وشكل مبين مختلفة الأجزاء في وضع البناء ومحدثة فيها أنواع النبات وأصناف النماء متفاوتة في الخلقة والطبيعة مع تجويز العقل خلاف هذه الهيئة ليتأملوا في ذلك ويوحِّدوه ويعبدوه لما هنالك. واستنبطوا منه أن القادر على ما ذكر ابتداء قادر على ما يريده من البعث وغيره، انتهى.

وأفاد الأستاذ: أن سبب عيش كل أحد مختلف، فعيش المريدين بيمين إقباله، وعيش العارفين بلطف جماله، وعيش الموحِّدين بكشف جلاله، كل مربوط بحاله، وكل يصيب من إفضاله، والحق منزه عن التجمُّل بأفعاله.

﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ﴾ [الآية 21] أي وإن من شيء إلا ونحن قادرون على إيجاده وإظهاره أضعاف ما وجد منه من آثاره، فضرب الخزائن مثلاً لاقتداره ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُ﴾ [الآية 21] من بحر القدرة ونهر الإرادة ﴿إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾

[الآية 21] عيّنته الحكمة وبيّنته المشيئة، فإن تخصيص بعضها بالإيجاد فيما بين العباد والبلاد بخصوص بعض الأوقات على بعض / الصفات والحالات لا بد له 104/ ب
من تخصيص حكيم ومقدِّر عليهم كما قال في كلامه القديم: ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [الأنعام:الآية 96].

قال السلمي: كان جنيد إذا قرأ هذه الآية وعنده المريدون يقول: فأين تذهبون. وقال رجل لأبي حفص: أوصني، قال: يا أخي احفظ باباً واحداً تنفتح لك الأبواب، والزم سيداً واحداً تخضع لك الرقاب.

وأفاد الأستاذ: أن خزائنه في الحقيقة مقدوراته وهو سبحانه قادر على كل ما هو موهوم لمحدثاته. ويقال: خزائنه في الأرض قلوب العارفين بالله الفارغين عما سواه وفي الخزانة جواهر من كل صنف باهر فحقائق العقل جواهر وضعها في قلوب أقوام ولطائف العلم جواهر وبدائع المعرفة جواهر فأسرار العارفين مواضع سره والنفوس خزائن توفيقه والقلوب خزائن تحقيقه واللسان خزائن ذكره، والجنات خزائن شكره، والأركان خزائن بره. ويقال: مَن عرف أن خزائن الأشياء عند رب السماء تقاصرت خطاه عن التردد إلى منازل الخلق في طلب الرفق وعن الطواف في الآفاق من جهة الرزق وينقطع آماله عن غير الله وينفرد قلبه لمولاه ويتجرّد عن التعلق بما سواه، ثم من عرف القسمة طرب واستراح عن كد الطلب فإن المعلوم لا يتغير ولا يزيد ولا ينقص في المقدر. ويقال: أراح قلوب الفقراء عن تحمل المنّة عن الأغنياء في الإعطاء وأراح الأغنياء عن مطالبة الفقراء ما منهم شيئاً من العطاء فليس للفقير صرف القلب عن الرب إلى أحد ولا اعتقاد منه، لا حد للغني تقليد منه لأحد إذ الملك كله لله والأمر بيد الله ولا قادر على الإبداع إلا الله.

﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾ [الآية 22] حوامل لسحائب الأمطار شبه الريح الذي جاءت مبشرة بخبر خير سار لخاطر من إنشاء سحاب ماطر بالحال كما شبه ما لا يكون كذلك بالعقيم الحائل. وقرأ حمزة بإفراد الريح على تأويل الجنس ﴿فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الآية 22] من السحاب أو من جهة السماء ﴿مَآءً﴾ [الآية 22] أي طهوراً

مباركاً ﴿فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ﴾ [الآية 22] جعلناه سقياً لكم أجمعين ﴿وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ
بِخَٰزِنِينَ﴾ [الآية 22] متمكنين/ من إخراجه، نفى عنهم ما أثبته لنفسه كأنه قال: 105/أ
نحن الخازنون للماء على معنى نحن القادرون على خلقه في السماء وإنزاله منها إلى الأرض وإبقائه فيها، وما أنتم عليه بقادرين لكونكم عن رزقكم عاجزين، فما نافية ويحتمل أن تكون موصولة أو موصوفة معطوفة على ما، فخازنين بمعنى حافظين في الغدران والآبار والعيون من الأرضين.

وقال الأستاذ: كما أن الرياح في الآفاق مقدورات للمطر كذلك الآمال في القلوب من مبشرات الخواطر. ويقال: إذا هبت رياح التوحيد على الأسرار كشفت عن آثار السرير غيار الأغيار فلا للخلاف فيها أثر ولا عن العلائق لها خبر. ويقال: إذا هبت رياح العناية على أحوال عبد عادت مساوئه مناقب ومثالبه محاسن. قلت: كما قال تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ﴾ [الفُرقان:الآية 70] من يكون عكسه في الحالات فكل محاسنه عيوب، كما قيل:

مَن لم يكن للوصال أهلاً فكل طاعاته ذنوب[1]

﴿فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ﴾ [الآية 22] كذلك يجعل الحق سبحانه لأوليائه ألطافاً معلومة معروفة لأوقات معهودة، ويجعل من شراب القلوب لكل قدراً معلوماً ووصفاً مفهوماً من شراب يسكر ومن شراب يحضر ومن شراب يصحي ومن شراب يمحو أو يفني كما قيل:

فصحوك في لفظي هو الصحو كله وسكرك من لحظي يبيح لك السكرا[2]

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ﴾ [الآية 23] بإيجاد الحياة بما فيهم الحياة الكاملة في بعض الأجسام القابلة ﴿وَنُمِيتُ﴾ [الآية 23] بإزالتها من أجزاءها الشاملة، وقد أوَّل الحياة بما يعم الحيوان والبيان ﴿وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾ [الآية 23] الباقون إذا مات الخلائق أجمعون.

---

(1) ذكره القشيري في تفسيره (3/ 166) وهناك اختلاف بلفظة واحدة: فكل إحسانه.
(2) ذكره القشيري في تفسيره (4/ 78)، وعنده: يبيح لك الشربا.

قال الواسطي: نحيي من نشأ بنا ونُميت مَن نشأ عنَّا.

وقال الخراز: الحي من العباد من بالحق حياته والميت منهم من ببقائه حركاته وسكناته. وقيل: يحيي القلوب بمشاهدة الأنوار ويُميت النفوس بالحجب والأستار.

وقال الأستاذ: نحيي القلوب بالمشاهدة ونُميت النفوس بالمجاهدة. ويقال: يحيى المريدين بِذِكْرِهِ ويميت الغافلين بهجره، /أو يُحيي قوماً بموافقة 105/ب
الأمر في الطاعات ويُميت قوماً بمتابعة النفس في الشهوات، أو يحيي قوماً بأن يلاطفهم بلطف كماله ويُميت قوماً بأن يحجبهم عن نيل أفضاله.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [الآية 24] من استقدم ولادة ووفاة من استأخر وجوداً وشهوداً، ومن خرج من أصلاب الرجال ومن تأخر عن هذا الحال، أو من تقدم في الإسلام والجهاد وسبق إلى الطاعة من العباد أو تأخر حاله في العلياء من العباد لا يخفى علينا شيء من حقائق أعمالكم ولا كيفية من دقائق أحوالكم. قيل: إن امرأة حسناء كانت تصلي خلف سيد الأنبياء، فتقدَّم بعض الملأ ينظر إليها وتأخر آخر لئلا يطلع عليها، فنزلت. قال ابن عطاء: من القلوب قلوبٌ همتها مرتفعة عن الأدناس والنظر إلى الأكوان فضلاً عن الناس، ومنها ما هي مربوطة مقترنة بالانحباس لا ينفك عنها طرفة عين من الأنفاس. قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [الآية 24]، وقال بعضهم: عرفنا الراغبين فينا والمعرضين عنا.

وقال الأستاذ: العارفون مستقدمون بهممهم والقائدون مستقدمون بقدمهم والتائبون مستقدمون بندمهم وأقوام مستأخرون بقدمهم وهم العصاة، وآخرون مستأخرون بهممهم وهم الراضون بخسائس الحالات.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ﴾ [الآية 25] أي يجمعهم ويبشِّرهم للحساب والثواب والعقاب ﴿إِنَّهُۥ حَكِيمٌ﴾ [الآية 25] باهر الحكمة في خلقه ﴿عَلِيمٌ﴾ [الآية 25] أي خلقهم لأجله.

وأفاد الأستاذ: أنه /سبحانه يبعث كلاً في العقبى على الوصف الذي 106/أ

خرج عليه من الدنيا فمن منفرد القلب بربّه على نعت الجمعية السرية، ومن مقطوع في أودية التفرقة البشرية، ثم يحاسبهم على ما يستوجبونه من أحوال العبودية أو على ما يقتضيه من نعوت الربوبية.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ [الآية 26] أي أصله المتفرع عليه نسله وفضله وهو آدم عليه السلام أو عبّر عنه به كأنه جملة الأنام ﴿مِن صَلْصَٰلٍ﴾ [الآية 26] طين يابس يصلصل أو يصوِّت إذا نُقِر ﴿مِّنْ حَمَإٍ﴾ [الآية 26] كائن من طين أسود معين ﴿مَّسْنُونٍ﴾ [الآية 26] مصور.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه ذكرهم نسبتهم لئلا تعجبهم حالتهم ويقال لهم القيامة في التربية لا لتربة والنسبة تربة لكن الصفة قربة.

﴿وَٱلْجَآنَّ﴾ [الآية 27] أي أبا الجن أو إبليس أو أُريد به الجنس وانتصابه بفعل تفسيره ﴿خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ﴾ [الآية 27] قبل خلق الإنسان ﴿مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾ [الآية 27] من نار الحر التام النافذ في المسام وهو باعتبار العنصر الغالب كغلبة التراب الإنساني في الغالب، ومساق الآية كما هو للدلالة على كمال القدرة المتعلقة بالخلق في ابتداء الإنشاء فهو للإشارة إلى المقدمة الثانية التي يتوقف عليها إمكان الحشر من قبول لمواد الجمع وإعادة الإحياء.

وأفاد الأستاذ: أن النار إذا انطفأت صارت رماداً لا يجيء منه شيئاً أبداً والطين إذا انكسر عاد إلى ما كان عليه أولاً، كذلك العدوي انطفىء ما كان يلوح عليه من سراج الطاعة لم يتخير بعده، وآدم عليه السلام لما عثر خيره ما العناء به كما قال سبحانه: ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾ [طه:الآية 122].

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ﴾ [الآيتان 28،29] عدّلت خلقته وهيَّأته لنفخ الروح في هيكله وهيبته ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الآية 29] بمقتضى أمري فاجتمع في آدم جميع ما يوجد في العالم من الخلق والأمر مع زيادة خصوص من الإضافة التشريفية المشيرة إلى إرادة الحالة التكثيفية كما يقتضينا نسبة العبودية إلى الربوبية ﴿فَقَعُوا لَهُۥ﴾ [الآية 29] أمر من وقع يقع، أي فاسقطوا لأجله من حيث إنه نسخة جامعة لمظهر كماله من

ظهور جماله وجلاله ﴿سَٰجِدِينَ﴾ [الآية 29] لله شكراً له فيما أبداه فصار آدم قبلة للملائكة في تلك الساعة كالكعبة فلا سجود إلا لله ولا معبود سواه.

﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ﴾ [الآية 30] أي جميعهم ﴿أَجْمَعُونَ﴾ [الآية 30] وهم مجتمعون، فأكد بالكل للإحاطة وبأجمعون للدلالة على وقوع السجدة دفعة واحدة ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ [الآية 31] لكنه ﴿أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الآية 31] حيث لم يكن في علم الله من الشاهدين.

قال أبو عثمان: فتح الله أعين الملائكة بخصائص آدم عليه السلام وأعمى عين إبليس عن مشاهدة ذلك المقام فرجعت / الملائكة إلى حال 106/ب الاعتذار وقام إبليس في منهج الاحتجاج ومقام الاستكبار.

وأفاد الأستاذ: أن الملائكة لاحظوه بعين الخلقة فاستصغروا قدره وحاله فقضوا العجب من أمره لهم بالسجود له فكشف لهم شظية مما اختصه به فسجدوا له لما أُمروا واللعين حجب عن حاله وماله فادعى الخيرية وبقي في ظلمة الحيرة.

﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ﴾ [الآيـة 32] أي أي غـرض لـك مـعـي أن لا تكون ﴿مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٣٢ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ﴾ [الآيتان 32،33] أي لا يصح من مقامي بل ينافي مرامي أن أسجد ﴿لِبَشَرٍ﴾ [الآية 33] جسماني كثيف وأنا ملك روحاني لطيف ﴿خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الآية 33] وهو أخسّ العناصر وأدناها وخلقتني من نار وهي أشد منها وأعلاها، استنقص آدم باعتبار النوع والأصل ولم يرَ ما أودعه ربّه من أسرار القرب والوصل فنظر إلى الصدق وغفل عما فيه من رد الشرف.

﴿قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا﴾ [الآية 34] من الجنة العالية أو الصورة الملكية ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ [الآية 34] مطرود من رحمة مَن هو كريم رحيم.

﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ﴾ [الآية 35] الطرد من الرحمة والبُعد عن الحضرة ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الآية 35] وهو وقت جزاء المقرّبين والمُبعدين.

﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي﴾ [الآية 36] أي إذا لعنتني فأخِّرني في حياتي وأمهلني في عقوبتي ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الآية 36] أراد أن يجد وسعة في الإغواء وفسحة في الفناء إذ لا موت بعد وقت البعث، فأُصيب إلى الأول دون الثاني.

﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾﴾ [الآيتان 37،38] المسمى فيه أجلك عند الله سبحانه وتعالى وهو النفخة الأولى، وهذه المخاطبة إن لم تكن بواسطة إنما هي على سبيل الإهانة، فقد قال بعض أهل المعرفة لو كتب له السعادة لقال: أنظر إليّ، بدل: أنظرني.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه سأله ومعلوم له حاله ولو ساعدته المعرفة لقال: لا تقل لي ما لك وما منعك بل مَن منعك حتى أقول: أنت عزيزي حيث استبقيتني وبهواك أغريتني ولو رحمتني لهديتني وفي كنف عصمتك
107/أ آويتني ولكن الحرمان / أدركه حتى قال: لم أكن لأسجد لبشر، ولما أبعده الحق سبحانه عن معرفته وأفرده بلعنته استظهره إلى يوم البعث فأجابه، وظنَّ اللعين أنه حصل في الخير مقصوداً مديداً، أو لم يعلم أنه ازداد بذلك عذاباً شديداً وكان ذلك في الحقيقة مكراً مكيداً وإن كانت إجابة السؤال في صورة الحال لشبه العطاء وبراً أكيداً. وبعض أهل الرجاء يقول: إن الحق سبحانه في حين ما لعن عدوه ولم يرده في دعائه في الإمهال ولم يمنعه من الاستنظار فالمؤمن إذا أمره ربّه بالاستغفار ورسوله بالافتقار أوْلى أن لا يقنط من رحمته وهذا وإن كان شيئاً في صورة المعنى فالذي ذكرناه أليق وأوْلى بالمعنى لأن إنظار اللعين زيادة شقاء لا تحقيق عطاء.

﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ [الآية 39] قيل: الباء سببية، والأصح أنها قسمية وما مصدرية، والمعنى أقسم بإغوائك إياي ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ﴾ [الآية 39] المعاصي ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 39] أي في أرض الدنيا التي هي دار الغرور ومنبع الشرور أو في متعلقات الأمور السفلية والشهوات البهيمية المانعة من الدرجات العلوية والمقامات العلية البهية ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الآية 39] أي لأتسبب في إغوائهم فإنه لو قدر على إغواء غيره لاستبقى على هداية نفسه ورعاية أمره.

﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الآية 40] الذين أخلصتهم لطاعتك

وطهّرتهم من شوائب معصيتك فلا يعمل فيهم كيدي بناء على عصمتك.

قال أبو حفص: المخلص من لا يخالف سيده ظاهراً وباطناً.

وأفاد الأستاذ: أن الإخلاص هو بصيغة الأعمال عن الغير وعن الآفاق المانعة عن صلاح الأحوال. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بكسر اللام حيث جاء: الذين أخلصوا نفوسهم من السمعة والرياء وابتغوا في طاعتهم وصول الرضاء وحصول البقاء واللقاء.

﴿قَالَ هَٰذَا﴾ [الآية 41] التخليص ﴿صِرَٰطٌ عَلَيَّ﴾ [الآية 41] طريق حق عليَّ أن أراعيه ﴿مُسْتَقِيمٌ﴾ [الآية 41] لا انحراف عنه لمن كان راعيه أو هذا الإخلاص طريق عليَّ يؤدي إلى الوصول إليَّ. وقرأ يعقوب: عليّ من علو الشرف والرفعة.

﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الآية 42] تسلُّط وطغيان ولا إغواء وبرهان، والمقصود تقرير عصمتهم / وهدايتهم وانقطاع مخالب الشيطان عن طمع 107/ ب
غوايتهم ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ [الآية 42] أي الذين اختاروا الغواية وتركوا الهداية واشتروا العقوبة بالمغفرة.

وأفاد الأستاذ: أن السلطان الحجة وهي لله على خلقه وليس للعدو حجة في أمره كما قال تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام:الآية 149]. والسلطان التسلُّط والمخلوق لا يتعدى مقدوره محل قدرته فلا تسلُّط في الحقيقة لمخلوق على مخلوق بالتأثير فيه وفي حالته، وإذا سمي الله واحداً بالعبودية فهو من جملة الخواص فإذا أضافه إلى نفسه فهو خاص الخاص فهؤلاء خواص عباده الذين محاهم عن شواهدهم واختطفهم عنهم وصانهم عن أسباب تفرقتهم وجردهم عن حولهم وقوتهم وكان النائب عنهم في جميع تصرفاتهم ومجموع حالاتهم يحفظ عليهم آداب الشرع الشريف ويلبسهم صدار الاختيار في أوان أداء التكليف ويأخذهم عنهم باستهلاكهم في شهوده واستغراقهم في وجوده فأي سبيل للشيطان إليهم، وأي يد للعدو عليهم، ومن أشهده الحق حقائق التوحيد ورأى العالم مصرفاً في قبضة التقدير على نعت

التقرير لم يكن نهباً للأغيار، قال قائلهم:

ليس في الدار غيره دياراً

وقد قالوا في معناه:

جحودي لك تقديس وعقلي فيك تهويس
فمن آدم لولاك ومن في البين إبليس[1]

﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ﴾ [الآية 43] أي لموعد الغاوين أو المتبعين أو لموعدك وإياهم ﴿أَجْمَعِينَ﴾ [الآية 43] تأكيداً وحال بمعنى مجتمعين.

﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ [الآية 44] يدخلونها لكثرتهم أو طبقات ينزلونها لتفاوت مراتبهم في متابعتهم وهي جهنم، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم سقر، ثم الجحيم، ثم الهاوية وهي أسقمها، كذا في «الدر المنثور»[2]. ولعل تخصيص العدد لأن أهلها سبع فرق ﴿لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ﴾ [الآية 44] من الأتباع ﴿جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ [الآية 44] نصيب معلوم فأعلاها لعصاة الموحدِّين وأسفلها للمنافقين وما بينهما لليهود والنصارى والصابئين والمجوس والمشركين. وقرأ أبو بكر بضم الراء.

108/ أ ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الآية 45] من الكفر/ ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الآية 45] لكل واحد جنة وعين، أو لكل منهم عدة منهما. قال الواسطي: من اتقى للعوض جعل ثوابه عليه ما يرجوه ويأمله ومن اتقى لا لعوض فالحق عوض له من كل ثواب وبدله.

وأفاد الأستاذ: أن المتقي من وقاه الله بفضله لا مَن اتقى بتكلُّفه في فعله إلا بعد أن وقاه الله سبحانه بفضله فهم اليوم في جنات بعضها أرفع من بعض في الدرجات كما أنهم غداً في جنات بعضها فوق بعض في الدرجات فدرجة قوم حلاوة الخدمة ولذاذة الطاعة ولقوم البسط والراحة ولآخرين الرجاء والرغبة ولآخرين الإنس والقربة ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ﴾ [البَقَرَة:الآية 60] ولذا لِكل قوم مذهبهم.

---

(1) ذكره القشيري في تفسيره (4/ 88).
(2) شعب الإيمان للبيهقي (1/ 347)، تفسير الطبري (17/ 107) والدر المنثور (5/ 81).

﴿ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ﴾ [الآية 46] سالمين أو مسلَّماً عليكم من ربّ العالمين أو الملائكة المقرّبين ﴿ءَامِنِينَ﴾ [الآية 46] من الزوال وتحويل الحال.

وأفاد الأستاذ: أن معناه يقال لهم ادخلوها وأجمل ذلك ولم يقل من الذين يقول لهم ادخلوها فقوم يقول لهم الملَك ادخلوها، وقوم يقول لهم الملِك ادخلوها، ويقال: إذا وافوا الجنة وقد قطعوا المسافة البعيدة وقاسوا الأمور الشديدة فمن حقهم أن يدخلوا الجنة خاصة وعلموا أن الجنة لهم مباحة ولعلهم يقفون حتى يقال لهم ادخلوها ويقال: يحتمل أنهم لا يدخلونها بقول الملك حتى يقول لهم الحق ادخلوها، كما قيل:

ولا ألبس النعمى وغيرك ملبس ولا أقبل الدنيا وغيرك واهب[1]

﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ﴾ [الآية 47] حقد وغش كان لهم في الدنيا من جهة الدين أو الأخرى. وعن علي رضي الله عنه: أرجوا أنا عثمان وطلحة والزبير منهم رضي الله عنهم[2] أو من التحاسد على درجات الجنة ومراتب القربة ﴿إِخۡوَٰنًا﴾ [الآية 47] حال كونهم كالإخوان المتحابين مجتمعين موصوفين بأنهم ﴿عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ [الآية 47] قال أبو حفص: كيف يبقى الغل في قلوب ائتلفت بالله واجتمعت على محبته واتفقت على مودّته وأنست بذكره واطمأنت بشكره إن تلك قلوب صافية من هواجس النفوس وظلمات الطبائع بل كحلت بنور التوفيق فصارت إخواناً على سرر متقابلين.

108/ب ﴿لَا يَمَسُّهُمۡ/ فِيهَا نَصَبٞ﴾ [الآية 48] لا يصيبهم فيها تعب ﴿وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ﴾ [الآية 48] فهم دائمون في طرب لا يلحقهم ذل الزوال وتغير الحال بل هم بدوام عن الوصال على وجه الكمال.

﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ﴾ [الآية 49] للمسيئين ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ [الآية 49] للمطيعين.

---

(1) ذكره القشيري في تفسيره (4/ 91).

(2) أخرجه الحاكم في المستدرك ـ بلفظ مختلف ـ في المستدرك (3/ 424) رقم (5613).

﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ۝﴾ [الآية 50] للمجرمين مع ما لهم من الحجاب المقيم.

قال ابن عطاء: أقرّ عباده بين الحقوق والرجاء ليصح لهم سبيل الاستقامة في إقامة الإيمان والطاعة فمن غلب عليه خوفه أقنطه وأبطله.

﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ۝﴾ [الآية 51] أي أخبرهم عن خبرهم المشتمل على وعدهم ووعيدهم في عاقبة أمرهم.

﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الآية 52] أي نسلِّم عليك سلاماً، أو سلَّمنا سلاماً، قال: أي سلام كما في آية أخرى، وقدَّم لهم الطعام فلما رأى امتناعهم من تناول المرام أضمر في نفسه خيفة من هيبة ذلك المقام ﴿قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ﴾ [الآية 52] خائفون، والوجل اضطراب النفس لتوقُّع ما يُكره في المستقبل.

﴿قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ﴾ [الآية 53] من التبشير، وقرأ حمزة نبشرك من البشارة ﴿بِغُلَٰمٍ﴾ [الآية 53] وهو إسحاق لقوله: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ﴾ [هُود:الآية 71]، ﴿عَلِيمٍ﴾ [الآية 53] أي إذا بلغ، والمعنى أنه يعيش إلى حد العلم فكانت البشارة بالولد وبقائه إلى مرتبة العلم والحلم.

﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ﴾ [الآية 54] يعجب من أن يولد له مع بلوغ الكبر على أنه وقت العبر ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ [الآية 54] أي فبأي أعجوبة تبشروني فإن البشارة بما لا يتصور وقوعه عادة بشارة غريبة وحالة عجيبة. وقرأ ابن كثير بكسر النون مشددة على إدغام نون الجمع في نون الوقاية. ونافع بكسرها مخففة على حذف نون الجمع استثقالاً لاجتماع المثلين واستدلالاً بإبقاء نون الوقاية على الياء.

﴿قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية 55] بالأمر الثابت لا محالة في وقوعه أو باليقين الذي لا لبس في حصوله أو بطريق هو حق من قول الله وأمره ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ﴾ [الآية 55] أي الآيسين من ذلك فإنه تعالى قادر أن يخلق بشراً من غير أب وأم فكيف من شيخ فانٍ وعجوز عاقر.

ولما كان استعجاب إبراهيم باعتبار العادة دون القدرة ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾﴾ [الآية 56] المخطئون طريق المعرفة وكمال/ 109/ أ
العلم والقدرة. وقرأ أبو عمرو والكسائي: يقنط بالكسرة.

قال الجوزجاني: أيام الكبر أيام القنوط من الدنيا والإقبال على الأخرى وما عند المولى، ألا ترى أن إبراهيم عليه السلام لم يقبل بشرى الولد من الملائكة عند الكبر إلى أن ذكروا له أن البشرى من الله تعالى فزال عنه القنوط لعلمه بقدرة الله على الأشياء.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [الآية 57] ما شأنكم الذي أُرسلتم لأجله سوى البشارة لأنه رآهم على هيئة مخالفة لسمة الطائفة المبشرة.

﴿قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [الآية 58] يعني إلى إهلاك الكافرين من قوم لوط.

﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ﴾ [الآية 59] إلا آل لوط من بناته ومَن آمن بنبوَّته ﴿إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الآية 59] بما تعترضهم به المجرمين. وقرأ حمزة والكسائي لمنجوهم بالتخفيف ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ﴾ [الآية 60] استثناء من آل لوط ﴿قَدَّرْنَآ﴾ [الآية 60] وقرأ أبو بكر بالتخفيف، والمعنى قضينا وقلنا ﴿إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ [الآية 60] الباقين مع المجرمين المعذّبين، وأصل التقدير جعل الشيء على مقدار غيره وإسناد الملائكة للتقدير إلى أنفسهم مع أنه فعل الله لما لهم من القرب والاختصاص به ولما وقع لهم من الإذن والأمر فيه.

﴿فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [الآيتان 61،62] وإنما نكرهم لأنه لم يجدهم على صورة البشر وتفرّس فيهم على الجملة أنهم جاؤوا لأمر متضمن للبشر.

﴿قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الآية 63] يشكُّون من العذاب، والمعنى ما جئناك بما ينكرون لأجله ظنّاً أنَّا نضرك بل جئناك بما يسرك ويتشفى لك من عدوك ﴿وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية 64] باليقين الصدق ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ [الآية 64] أي بالحكم الحق.

﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ [الآية 65] وقرأ الحرميان بهمز وصل أي اذهب بهم ﴿بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ [الآية 65] في طائفة منه ﴿وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ﴾ [الآية 65] أي كن على آثارهم تزودهم وتُسرع بهم وتطّلع على أحوالهم وأخبارهم ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾ [الآية 65] لينظر ما وراءه فيرى من الهول ما لا يطيقه أو فيصيبه ما أصابهم. وقيل: نهوا عن الالتفات بالمرة ليوطنوا أنفسهم عن الهجرة ﴿وَٱمْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ [الآية 65] أي إلى حيث أمركم الله بالمضي إليه من الشام أو مصر فإنَّا منجوك
109/ب وأهلك إلا امرأتك فإنما نعذبها لمشاركتها مع قومك/ في الكفر والمعصية.

قال الأستاذ: وكانت تدل قومها على أضيافه فاستوجبت العقوبة.

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ﴾ [الآية 66] أي وقدرنا موجباً إلى لوط ﴿ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ﴾ [الآية 66] مبهم تفسيره ﴿أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ [الآية 66] والمعنى أنهم مستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى أحد منهم حال كونهم داخلين في الصبح وجمعه للحمل على المعنى فأدابر هؤلاء بمعنى مدبريهم وفي الإيهام أولاً والتعيين آخر تفخيم لأمره وتعظيم لشأنه.

وقال الأستاذ: أي علمناه وعرَّفناه أنهم مهلكون وبالعقوبة مستأصلون.

﴿وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ﴾ [الآية 67] قرية قوم لوط وهي سدوم ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الآية 67] بأضيافه طمعاً فيهم.

﴿قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾﴾ [الآية 68] أي فلا تتعرضوا لهم فتفضحوني بفضيحة ضيفي فإن من أُسيء إلى ضيفه فقد أُسيء إليه ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [الآية 69] بِمخالفة أمره ﴿وَلَا تُخْزُونِ﴾ [الآية 69] لا تخجلوني في خلاف حكمه.

﴿قَالُوٓاْ﴾ [الآية 70] أي قومه ﴿أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الآية 70] عن أن تحمي أحداً منهم أو تمنع بيننا وبينهم.

﴿قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ﴾ [الآية 71] يعني نساء قومه فإن نبي كل أمة بمنزلة أبيهم فتزوجوهن ﴿إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ [الآية 71] قضاء الحاجة فلم ينجح فيهم ولم يتأثر لهم وعظه فأخبروه أنهم ملائكة أو شكوا لعقوبتهم.

وظاهر القرآن أن قوله: ﴿لَعَمْرُكَ﴾ [الآية 72] من همة كلام الملائكة خطاباً للوط عليه السلام لكن الجمهور على أن الخطاب لنبينا ﷺ من الله تعالى على أنها جملة تسمية معترضة بين أجزاء القصة. فقد روى البيهقي وابن أبي شيبة وابن جرير عن ابن عباس أنه قال: ما حلف الله بحياة أحد إلا بحياة محمد قال ﴿لَعَمْرُكَ﴾ [الآية 72]. وقد أخرج ابن مردويه عن أبي هريرة مرفوعاً مثله[1]، والتقدير ﴿لَعَمْرُكَ﴾ [الآية 72] تسمى وهو لغة في العمر يختص به القسم إيثاراً للأحقية فيه لكثرة دورانه على ألسنتهم وجوابه ﴿إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ﴾ [الآية 72] أي في سكرة غفلتهم وغمرة غوايتهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾ [الآية 72] يتحيّرون فلا يسمعون نصحك ولا يعقلون وعن سكرهم لا يقلعون.

قال الثوري: لعمرك أي بالحياة التي خصصت بها من بين الخلق فحيوا
110/أ بالأرواح وحييت بي / فبقاؤك متصل ببقائي لأنك باق بي. وقال بعضهم: لعمارة سكرك بمشاهدتنا وقطع نظرك عن جميع مكوناتنا.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ﴾ [الآية 73] أي صيحة جبريل أو غيره من الملائكة أو صيحة هائلة ﴿مُشْرِقِينَ﴾ [الآية 73] حال كونهم داخلين في وقت شروق الشمس أي فبينما هم في حيرة سكرتهم وغفلة زعمهم لا يرتقبون عقوبة ولا يخافون مساءة أخذتهم العقوبة فباتوا في حيرة وسرور وأصبحوا في محنة وثبور فانهدمت صفوفهم وخرّت عليهم سقوفهم كما قال تعالى: ﴿فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا﴾ [الآية 74] عالي المدينة ﴿سَافِلَهَا﴾ [الآية 74] بأن صارت منقلبة بهم ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ [الآية 74] من طين متحجر معرب (سنك كل) ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الآية 75] المتفرسين المتفكرين بنظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشيء بسمته على حسب خبرهم. والمعنى أن في ذلك لعبرة واضحة لمن اعتبر ودلالة لائحة لمن استبصر، وفي الحديث: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله تعالى»[2]

(1) الدر المنثور (5/ 90).
(2) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح (5/ 298) رقم (3127)، والطبراني في المعجم الأوسط (3/ 312) رقم (3254)، وفي المعجم الكبير (8/ 102) رقم (7497).

رواه البخاري في تاريخه.

وأفاد الأستاذ: أنه جاء في التفسير: المتفرسين والفراسة خاطر يحصل من غير أن يعارضه ما يخالفه من غير ظهور برهان عليه فيخرج من القلب عين ما يقع لصاحب الفراسة اشتقاقاً من فريسة الأسد إذا افترسه بفمه، والحق سبحانه يُطلع أوليائه على ما خفي على غيرهم، وصاحب الفراسة لا يكون من شرطه التفرُّس في جميع الأشياء وفي جميع الأوقات بل يجوز أن ينسد عليهم عيون الفراسة في بعض أوقات المكروه كالأنبياء عليهم السلام وأن نبينا ﷺ كان يقول لعائشة رضي الله عنها في زمان الإفك: «إن كنت فعلت فتوبي إلى الله»[1]، وكإبراهيم ولوط عليهما السلام لم يعرف الرسل. قلت: وكيعقوب عليه السلام لم يشم ريح يوسف من يد كنعان وشمّها من مصر وبينهما مسافة بعيدة من المكان ﴿وَإِنَّهَا﴾ [الحجر:الآية 76] المدينة ﴿لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾ [الحجر:الآية 76] سابق يسلكه المارون عليها ويرون آثارها مما نسب إليها.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الآية 77] لأنهم في علم الله من المتقين.

110/ب ﴿وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ﴿٧٨﴾﴾ [الآية 78] / الأيكة الغيضة وهي بقعة كثيرة الأشجار الملتفة كان قوم شعيب يسكنونها فبعثه الله إليهم فظلموا أنفسهم بتكذيبه بالظلة كما في سورة الشعراء، والمعنى ما كانوا إلا ظالمين بالكفر والمعصية ﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الآية 79] أي انتصرنا منهم بالعقوبة وأتمها بسدوم أو الأيكة ومدين فإنه كان مبعوثاً إليها فكان ذكر أحدهما منبهاً عن الآخر منهما، ولذا قال: ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [الآية 79] لبسبيل واضح ودليل لائح من قصده بيّنته أمه عينه.

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ﴾ [الآية 80] وهو وادٍ بين المدينة والشام كان يسكنه قوم ثمود ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ [الآية 80] أي صالحاً ومن كذّب واحداً من النبيِّين فكأنما كذبهم أجمعين.

﴿وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا﴾ [الآية 81] التي كانت معجزة كناقة صالح وغيرها ﴿فَكَانُوا

---

(1) أورده القشيري في تفسيره (4/ 102).

عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ [الآية 81] مغترين بطول مدتهم وتأخير عقوبتهم.

﴿وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ [الآية 82] من الأسراب، وكانوا عند أنفسهم وفي زعمهم ﴿ءَامِنِينَ﴾ [الآية 82] من العذاب لفرط غفلتهم أو لظنّهم أن الجبال تحميهم منك كما غرتهم.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [الآيتان 83،84] من البيوت الوثيقة واستكثار العدة حيث جاءتهم الصيحة بغتة فلم يغني حين حلّ عليهم حيلتهم حيلة.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [الآية 85].

قال الأستاذ: دل على أن اكتساب العباد مخلوقة لله لأنها مما بينهما ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الآية 85] خلقاً مكتسباً بالصدق الذي لا يلائم استمرار الفساد ودوام شر العباد في البلاد فلذلك اقتضت الحكمة إهلاك هؤلاء بأنواع البلاء وإزاحة فسادهم بما جرى به القضاء أن يقع في الحالة الماضية ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ﴾ [الآية 85] أي ساعة القيامة ﴿لَآتِيَةٌ﴾ [الآية 85] فينتقم الله فيها لك ممن كذّبك ليزيد ثوابك ويعظم جنابك ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ [الآية 85] فأعْرِض عنهم إعراضاً جميلاً لتنال بهم أجراً جزيلاً. قال علي: ليريه الله وجه الصفح هو الرضا بلا عقاب.

وأفاد الأستاذ: أن الصفح الجميل الذي لا تذكير للذلة فيه كما قيل:

تعالوا نصطلح ويكون منا مراجعة بلا عدّ الذنوب(1)

أو هو الاعتذار عن الجرم والإقرار إن الذنب كان منك لا من / العاصي فيك كما قال قائلهم: فتذنبون فنأتيكم فنعتذر. 111/أ

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ﴾ [الآية 86] الذي خلقك وخلقهم وبيده أمرك وأمرهم ﴿الْعَلِيمُ﴾ [الآية 86] بحالك وحالهم.

---

(1) ربما يكون هذا البيت لعلي بن الجهم، انظر زهر الأكم في الأمثال والحكم (1/ 105) ومحاضرات الأدباء (1/ 110).

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا﴾ [الآية 87] سبع آيات وهي الفاتحة فإنها سبع آيات بالاتفاق غير أن منهم من عدّ البسملة آية دون أنعمت عليهم، ومنهم من عكس القضية ﴿مِّنَ ٱلْمَثَانِى﴾ [الآية 87] ومن بيانية والمثاني من التثنية لأنها تكرر قراءتها في كل صلاة أو لأنها نزلت مرتين مرة بمكة حين فرضت الصلاة ومرة بالمدينة لما حوّلت القبلة، أو لأن نصفها يضاف إلى الحق ونصفها يضاف إلى الخلق كما ورد في حديث ﴿وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ [الآية 87] من عطف الكل على البعض فيكون تعميماً بعد تخصيص، أو من إطلاق الكل على البعض تفخيماً له وتعظيماً فيكون من عطف إحدى صفتي الشيء على الأخرى، ويدل عليه ما رواه البخاري وغيره مرفوعاً: الفاتحة أعظم سورة من القرآن وهي السبع المثاني والقرآن العظيم[1].

وأفاد الأستاذ: أن أكثر المفسرين على أنه سورة الفاتحة.

﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ [الآية 88] لا تطمح ببصرك طموح اختبار بل انظر نظر اعتبار ﴿إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾ [الآية 88] أصنافاً من كفار وفجّار فإنه مستحقر بالإضافة إلى ما أوتيته من الحالات والمقامات فإنه كمال مطلوب بالذات مفضي إلى دوام اللذات. وعن الصديق رضي الله عنه حين أوتي القرآن ورأى أن أحداً أوتي من الدنيا أفضل مما أوتي فقد صغر عظيماً وعظم صغير[2]. وروي أنه ﷺ وافى بأذراعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها أنواع البز والطيب والجواهر وسائر الأمتعة فقال المسلمون: لو كانت هذه الأموال لنا لتقوّينا بها ولأنفقناها في سبيل الله، فقال ﷺ: «لقد أُعطيتم سبع آيات هي خير من هذه القوافل السبع»[3] يعني قراءتها مع التأمُّل في مبانيها والتأمُّل بمعانيها خير من تلك القوافل وما فيها، بل لا مناسبة من الأحوال الباقية والأموال

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (4474)، والحاكم في المستدرك (1/ 744) رقم (2048)، والنسائي في السنن الكبرى (1/ 317)، وابن حبان في الصحيح (3/ 56) رقم (777).

(2) أورده الرازي في تفسيره (9/ 334) والزمخشري في كشافه (3/ 324) وانظر تخريج الأحاديث والآثار (2/ 217).

(3) انظر تفسير الرازي (9/ 334)، وتفسير النيسابوري (4/ 497)، والكشاف (3/ 324) وتفسير البيضاوي (1/ 381).

الفانية، كما قيل:

111/ب / رضينا قسمة الجبّار فينا لنا علم وللأعداء مال

فإن المال يفنى عن قريب وإن العلم يبقى لا يزال[1]

وقال بعضهم: لا تنظروا إلى زينة أرباب الدنيا فإن بريق أموالهم تذهب بحلاوة إيمانكم للغفلة عن المولى.

وفي «تفسير السلمي» قال بعضهم: غار الحق على حبيبه أن يستحسن من الكون شيئاً فإن ذلك منفعة لا حاصل له في الحقيقة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه غار على عينه أن يستعملها في النظر إلى غيره. ويقال: إذا لم يسلم له إشباع نظر ظاهره إلى الدنيا فكيف يسلم له سكون قلبه إلى غير المولى. ويقال: أمر بعض بصره عما متع به الكفار في الدنيا فتأدب عليه السلام فلم ينظر ليلة المعراج إلى شيء مما أُري في أمر الأخرى وأثنى عليه سبحانه وتعالى بقوله: ﴿مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النّجم:الآية 17]. وكان يقول لكل شيء رآه: التحيات لله، أي المُلك لله.

﴿وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الآية 88] إنهم لم يؤمنوا.

وقال الأستاذ: أدّبه به حين لم يتغير بصفة أحد وهذا حال أهل التمكين ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الآية 88] ألِن جنابك لهم وارفق بهم وتواضع في حقهم، وكان من غاية حسن خلقه ونهاية تواضعه أنه لو استعان به وليدة إلى مولاها في الشفاعة لمضى معها وتولى خدمة الوفد بنفسه تواضعاً لهم مع رفعة قدره وكمال أنسه.

﴿وَقُلۡ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلۡمُبِينُ ۝٨٩﴾ [الآية 89] أُنذركم ببيان وبرهان إن عذاب الله نازل بكم إن لم تطيعوني بإيمان وعرفان.

---

(1) نسبت إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه. انظر دواوين الشعر العربي (1/ 196)، والبعض نسبه إلى بعض الأكابر، انظر قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر (1/ 197)، ومسائل الجاهلية التي خالف فيها رسول الله ﷺ (581).

وأفاد الأستاذ: أنه لما لم يكن بنفسه وكان قائماً بحقه سلم له آت أن يقول إني أنا لاستهلاكك فينا سلمنا أن تقول إني أنا لما كنت بنا ولنا.

﴿كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ۝﴾ [الآية 90] أي مثل العذاب الذي أنزلناه عليهم، والمراد يعني بهم أهل الكتاب.

﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ۝﴾ [الآية 91] أجزاءً وأبعاضاً في الدين اليقين فقالوا عناداً: بعضه حق موافق للتوارة والإنجيل وبعضه باطل مخالف لهما في التفسير والتأويل أو المشركين حيث قسّموه إلى شعر وسحر وكهانة وأساطير الأولين.

112/أ وقال الأستاذ: /قل إني أنا لكم منذر بعذاب كالعذاب الذي عذّبنا به المقتسمين وهم الذين تقاسموا بالله لنبيننه في قصة صالح عليه السلام. قلت: فيكون حينئذ قول الذين جعلوا القرآن عضين مبتدأ خبره ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝﴾ [الآيتان 92،93] من الكفر والمعاصي.

قال السلمي: وقيل يسألهم عن كل حركة وسكون في ماذا كانت حركاتهم ولماذا كانت سكناتهم.

وقال الواسطي: يطالب الأنبياء والأولياء بمثاقيل الذر ولسموّ رتبتهم ولا يطالب العامة بذلك ليعدمهم عن مصادر السر وحطّ همّتهم.

وأفاد الأستاذ: أن القوَّام يسألهم عن نصيح أعمالهم والخواص يسألهم عن تصحيح أحوالهم. ويقال: يسأل قوماً عن حركات ظواهرهم ويسأل آخرين عن خطرات سرائرهم، ويسأل الصدِّيقين عن تصحيح المعاني تشريفاً لهم، ويسأل المدعين عن تصحيح الدعاوي تعنيفاً عليهم منهم إليه.

﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الآية 94] أي فاجهر بما تؤمر به من الشرائع أو فافرق بين الحق والباطل وميِّز بين الحق والباطل ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الآية 94] فلا تلتفت إلى ما يصدر عنهم ولا تنال بهم من وعدهم ووعيدهم.

وقال الأستاذ: أي كن لنا وقل بنا وإذا كنت بنا لنا فلا تحتفل بغيرنا وافرح بما خاطبناك وأفصح عما خصصناك وأعلن محبتنا إياك.

﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾﴾ [الآية 95] بك أو بكلامنا فتقمعهم بقهرنا وإهلاكنا ﴿الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الآية 96] عاقبة أمرهم في الدنيا والأخرى.

وقال الأستاذ: دفعنا عنك غاوية شرّهم ودرأنا عنك سوء مكرهم ونصرناك بموجب عنايتنا بشأنك فلا عليك فيما يقولون أو يفعلون أو يقرِّرون أو يعقلون فمحل العقبى إلا لك الظفر في الدنيا والعذر بالأخرى بعناية المولى.

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ [الآية 97] فينا أو فيك أو في كلامنا ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ [الآية 98] فنزِّهه عمَّا يقولون من الباطل حامداً له على أنْ هداك للحق ﴿وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾ [الآية 98] سكناً لربّ العالمين أو مِنَ المضلين، وقيل من الخاضعين لقضائه المنقادين في بلائه.

وقال الأستاذ: /إن ضاق قلبك بسماع ما يقولون فيك من ذمّك فارتع 112/ب
بلسانك في رياض تسبيحنا والثناء علينا يكن ذلك سبباً لزوال ضيق قلبك وسلوة لك بما تذكر من جلال قدرنا وتقدُّسنا في استحقاق عزّنا.

﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الآية 99] أي الموت بإجماع المفسِّرين، وسُمِي به لتيقُّن كل حي مخلوق لحاقه به أو لأن عين اليقين لم تتصور إلا بمعاينة الموت المبين. والمعنى فاعبده ما دامت فيك من الحياة بقية ولا تخلّ بالعبادة لحظة خفية. وليس المعنى أن العبادة معيّأة بوصول اليقين ومقام المشاهدة كما يتوهمه بعض الزنادقة والملاحدة.

قال ابن عطاء: لم يرض من نبيه ﷺ لمحة عين إلا في عبادته. وقيل: واعبده انقطاعاً إليه واعتماداً عليه حتى يأتيك اليقين بأن الأمر كله ﷺ وتولى إضلال من أضلّه وهداية مَن هداه.

وأفاد الأستاذ: أن معناه قف على بساط العبودية معتنقاً للخدمة إلى أن تجلس على بساط القربة وتطالب بآداب الوصلة. ويقال: التزم شرائط العبودية إلى أن ترقى بل تلقى بصفات الحرية. ويقال: إن أشرف خصالك قيامك بحق العبودية لأنه عين الإباء عبدها فإنه أشرف أسمائنا، ويقال: كن عبدنا تكن عندنا.

سورة النَّحل

[مدنية، وقيل: مكيَّة]
وهي مائة وثمان وعشرون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أفاد الأستاذ: أن ألف الوصل في بسم الله لم يكن لها في التحقيق أصل اجتلبت للحاجة إليها للتوصل بها إلى المنطق بالساكن فإذا وقع المعنى عنها أسقطت في الأدراج ولكن كان لها بقاء في الحظ كذا من لا أصل له كلما ازداد صحبة استأخر رتبة، وأنشدوا:

أدرجت في أثناء نسيانكم حتى كأني ألف الوصل[1]

ويقال: سبب للألف في قولهم قتلوا وفعلوا، وأي موجب لحذف الألف من السموات طاحت العلل في الفرق وليس إلا الاتفاق في الوضع
113/أ كذلك الإشارة في أرباب الرد والقبول من المريد، قال الله تعالى: ﴿فَعَّالٌ/ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هُود:الآية 107].

﴿أَتَىٰ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [الآية 1] كأن يستعجلون ما أوعدهم الرسول ﷺ من قيام الساعة أو تمام النصرة والغلبة ويقولون: لو صح ما يقوله فالأصنام تشفع لنا وتدفع عنا فنزلت إلى قوله: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الآية 1] والمعنى أن الأمر الموعود به لتحقق وقوعه به كأنه أجابه فلا تستعجلوا بمجيئه فإنه يأتي في محله حينئذ لا خير لكم منه ولا مفر لكم عنه وهو سبحانه منزَّه عن أن يكون له شريك فيدفع مراده.

---

(1) نسب هذا البيت لأبي الفتح البستي. انظر التمثيل والمحاضرة (1/ 38).

وقرأ حمزة والكسائي بالخطاب على وفق قوله: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [الآية 1] والباقون بالغيبة على تلوين الخطاب والأقرب أن التقليب معتبر في الفعلين تخويفاً للنقلين لما روي أنه لما نزلت ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ﴾ [الآية 1] فوثب النبي ورفع الناس رؤوسهم فنزلت: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [الآية 1].

وأفاد الأستاذ: إن صيغة أتى للماضي والمراد منه الاستقبال ولكنه لسرعة ما يكون وكانوا يستبعدونه من أمر الساعة قال تعالى: ﴿أَتَىٰ﴾ [الآية 1] والمعنى سيأتي، ويريد بالأمر القيامة والكائنات كلها والحادثات بأسرها من جملة أمره، أي حاصل بأمر تكوينه وهو أمر من أموره لأنه حاصل بتقديره وتيسيره وقضائه وتدبيره مما يحصل من خير وشر ونفع وضر وحلو ومر فذلك من جملة أمره ينزل.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿يُنْزِلُ﴾ [الآية 2] من أنزل والمعنى يُرسل ﴿الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ﴾ [الآية 2] بالقرآن فإنه يحيي به القلوب الميتة بالجهالة والضلالة أو يقوم في القلب مقام الروح في الغالب كما قال تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى:الآية 52] الآية من أمره أي من أجله أو بأمره ﴿مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [الآية 2] أن يتخذهم رسلاً إلى بلاده ويقولون ﴿أَنْ أَنذِرُوا﴾ [الآية 2] أي أعْلِمُوا ﴿أَنَّهُ﴾ [الآية 2] أي الشأن ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ [الآية 2] إشراك غيري ومخالفة أمري، وفي الآية دلالة على أن نزول الوحي بواسطة الملائكة وأن حاصله هو التنبيه على التوحيد الذي هو منتهى كمال القوة العلمية والأمر بالتقوى الذي هو أقصى كمالات القوة العلمية، / وأن النبوّة عطية وهبية لا قضية كسبية. 113/ب

قال ابن عطاء: الحدث من العباد من يكلمه الملك في سره ويطلعه على حقائق الغيوب ويفتح لروحه طريقاً إلى الإشراف على الموت، قال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ﴾ [الآية 2].

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يُنزل الملائكة بالروح من أمره على الأنبياء والرسالة للتشريف وعلى أرباب التوحيد وهم المحدثون بالتفريق فالتفريق للأولياء من حيث الإلهام والخواطر وإنزال الملائكة على قلوبهم غير مسدودة

ولكنهم لا يؤمرون أن يتكلموا بذلك ولا يحملون رسالة إلى الخلق. وأراد بالروح الوحي والقرآن وفي الجملة الروح ما هو سبب الحياة، إما حياة القلب وإما حياة البدن.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية 3] أي أوجدهما على أوضاع مختلفة وأشكال مؤتلفة قدّرها بقدرته وخصّصها بحكمته سبحانه ﴿تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الآية 3] منهما أو مما يفتقر في وجوده أو بقائه إليهما ومما لا يقدر على خلقهما.

وأفاد الأستاذ: أنه خلقهما بقوله الحق وبحكمه الحق وخلقهما لأمر الحق من تكليف الخلق وما يعقب التكليف من الحشر والنشر والثواب والعقاب تقديساً وتنزيهاً أن يكون له شريك أو معه مليك.

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ﴾ [الآية 4] جماداً لا حسّ لها ولا حركة بها ﴿فَإِذَا هُوَ﴾ [الآية 4] أي جنس الإنسان ﴿خَصِيمٌ﴾ [الآية 4] يجادل في الخصومة ﴿مُّبِينٌ﴾ [الآية 4] للحجة الداحضة بقوله: ﴿مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾ [يس:الآية 78].

وأفاد الأستاذ: أنه تعالى لإظهار حكمته تفرق إلى الغفلات بكمال قدرته حيث أخبر أنه قدر على تصوير الإنسان على ما فيه من التركيب العجيب والتأليف الغريب من نطفة مماثلة الأجزاء مشاكلة في وقت الإنشاء مختلفة للأعضاء في وقت الإظهار والإبداء والخروج من الخفاء ثم ما ركب فيه من التمييز والعقل ويسّر عليه النطق والعقل والتدبير والاستيلاء على الحيوانات بطريق التسخير كما أشار إليه سبحانه بقوله: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ﴾ [الآية 5] أي الإبل والبقر والغنم واقتضائها بمضمر يفسره ﴿خَلَقَهَا﴾ [الآية 5]، وقوله ﴿لَكُمْ﴾ [الآية 5] يحتمل أن يتعلق بخلقها وما بعد تفصيل/ لمنافعها وأن يكون 114/ أ
خبراً مقدماً أي ﴿فِيهَا دِفْءٌ﴾ [الآية 5] ما يدفئ به فيقي البرد ما يصنع من صوفها ووبرها وشعرها ﴿وَمَنَٰفِعُ﴾ [الآية 5] أخر من نسلها ودرها وظهرها وغير ذلك ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [الآية 5] أي وتأكلون ما يؤكل منها من لحومها وشحومها

وألبانها، وللمحافظة على رؤوس الآي قدَّم منها.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه منَّ عليهم بما أخبرهم وذكّرهم من خلق الحيوانات من النعم وما يسّر لهم من صنوف النعم ثم ما لهم فيها من الحمالة والانتفاع بها في جميع أحوالها من الحمل عليها عند قطع المسافات والتوسل بظهرها ونسلها ودرّها إلى الطلبات.

﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾ [الآية 6] زينة حال ﴿حِينَ تُرِيحُونَ﴾ [الآية 6] تردونها من مراعها بالعشي إلى مأواها ﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ [الآية 6] تخرجونها بالغدو إلى مراعيها فإن الأقنية في الوقتين تتزين بها ويجلّ أهلها في أعين الناظرين إليها وتقديم الإراحة لأن الجمال أظهر فيها فإنها تقبل مالئة بطونها حافلة ضروعها وتأوي إلى حظائرها حاضرة لأهلها.

﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ﴾ [الآية 7] أحمالكم إن لم تكن جمالكم ﴿إِلَى بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ﴾ [الآية 7] على ظهوركم ﴿إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ﴾ [الآية 7] أو بكلفة ومشقة تقطع الأنفاس ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الآية 7] حيث رَحمَكُم بخلقها لانتفاعكم وسخّرها لكم وتيسير أمرها عليكم.

وأفاد الأستاذ: أن الغني له جماله بماله والفقير له استقلاله بحاله، فشتان ما هما، فالأغنياء يتجملون بأنعامهم حيث يريحون وحين يسرحون، والفقراء يستقلون بمولاهم حين يمسون وحين يصبحون وهو لا يحمّل أثقالهم جمالهم وهو لا يجمّل الحق عن قلوبهم أثقالهم ثم أقوام استعملهم فأحوالهم مقاساة الشدائد فيصلون سيرهم سيراً هم، وأقوام هم في حمل مولاهم مروحون عن كداء التدبير في تمشية الأمور مستريحون بشهود التقدير راضون باختيار الحق من العسير واليسير.

﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ﴾ [الآية 8] عطف على الأنعام وخلق الأجناس الثلاثة ﴿لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ [الآية 8] ولتتزينوا بها، والمراد بالعلة إظهار الحكمة فإن أفعال الله تعالى ليست معلّلة عن التغني في الأسباب ﴿وَيَخْلُقُ/ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ 114/ ب

[الآية 8] بالعلوم العادية من الحيوانات البرية والبحرية، وفيه إشعار بأن له ما علم لنا به من البرية، وجوز أن يكون المراد بهذا الإخبار ما خلق في الجنة والنار مما لم يخطر عن قلب بشر من الأخيار والأشرار.

وأفاد الأستاذ: أن أهل الجنة كما يجدون في الآخرة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فأرباب الحقائق اليوم يجدون ما لا يخطر لهم قط ببال ولا قُرئ في كتاب ولا سمعوا من أستاذ، والتكليف كالإحاطة بما أخبر الحق أنه لا يعلم تفصيله محال، وكيف يعلم ما أخبر الحق سبحانه أنه لا يعلم.

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الآية 9] بيان الطريق المقتصد المستقيم الموصل إلى الدين القويم رحمة وفضلاً من الرحيم الكريم.

وأفاد الأستاذ: أن أهل الجنة كما يجدون في الآخرة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فأرباب الحقائق اليوم يجدون.
والمراد بالسبيل الجنس ولذا أضيف إليه القصد. وقال: ﴿وَمِنْهَا جَآئِرٌ﴾ [الآية 9] عادل مائل عن القصد أو عن الحق أو عن الله سبحانه، وفيه إيماء إلى أن ما وعد طريق الهداية كلها سبيل الغواية كما قال تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [يونس:الآية 32]، وكقوله سبحانه: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام:الآية 153] الآية.

﴿وَلَوْ شَآءَ﴾ [الآية 9] هدايتكم أجمعين ﴿لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الآية 9] إلى قصد السبيل، ومن السبيل ما هو جائر والله مسبِّب الجائر والسبيل القصد هو السكون على أنوار اليقين وسبيل الجائر سبيل التوهم والدعاوي.

وقال الأستاذ: قوم هداهم السبيل وعرّفهم الدليل وصرف قلوبهم عن خواطر الشك وعصمهم عن الجحد والشرك وأطلع في قلوبهم شمس العرفان وأفردهم بنور البيان وآخرون أضلّهم وأغواهم وعن شهود الحجج أعماهم وفي سابق حكمه من غير سبب أذلّهم وأقمعهم ولو شاء لعرّفهم وهداهم.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ﴾ [الآية 10] أي بعضه ما

تشربونه ﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ﴾ [الآية 10] أي ويحصل من بعضه شجر ﴿فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ [الآية 10] تزرعون الدواب.

﴿يُنْبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ﴾ [الآية 11] وقرأ أبو بكر بالنون للتعظيم أو لملاحظة أسباب / التوحيد نظراً إلى تفريد صنعة ربّ الأرباب ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ 115/ أ
وَالْأَعْنَابَ﴾ [الآية 11] أي أشجارها وأزهارها وأثمارها ﴿وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ [الآية 11] أي وبعض كلها إذا لم ينبت في الأرض كل ما يمكن وجوده من ثمارها وهو تعميم للثمر بعد تخصيصها ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ [الآية 11] أي آية آية ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الآية 11] فيها على وجود الصانع وحكمته وكرمه وجوده وقدرته، فإن مَن تأمَّل الجنة تقع في الأرض ويصل إليها نداوة تنفذ فيها فينشق أعلاها ويخرج منه ساق شجرها وينفتق أسفلها فيخرج منه عروقها ثم ينمو أو يخرج منه الأوراق والأزهار والأكمام والأثمار على أشكال مختلفة وأنواع مؤتلفة مع اتحاد المراد علم أن ذلك ليس إلا بفعل فاعل مختار مقدّس عن منازعة الأضداد والأنداد، ولعل فصل الآية بالتفكُّر إشعاراً بهذا الإيجاد والإمداد.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أنزل المطر وجعل به السقيا والنبات وأجرى العادة بأن يديم به الحياة وبه تنبت الأشجار ويخرج الثمار ويجري الأنهار ثم قال: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الآية 11]، ثم قال بعده: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الآية 12]، ثم قال بعده: ﴿لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الآية 13] وعلى هذا الترتيب يحصل المعرفة، فأولاً التفكُّر ثم العلم ثم التذكُّر باستدامة العلم ينكر أو لا فيضع النظر موضعه فإذا لم يقع في نظره خلل وجب له العلم لا محالة ولا فرق بين العلم والعقل في الحقيقة ثم بعده يستديم النظر واستدامة النظر هو التذكُّر، ويقال: إنما قال ﴿لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الآية 12] على الجمع لأنه يحصل له كثير من العلوم حتى يصير عارفاً إذ كل جزء من العلم يحصل بآية ودليل آخر، فالعالم متى يكون عارفاً بربّه آيات ودليل لأن دليل هذه المسألة خلاف دليل تلك المسألة، فبدليل واحد يعلم بوجود النظر عليه وبأدلة كثيرة يصير عارفاً بربّه، وبدليل واحد يعلم أنه يجب عليه تذكر علومه.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ﴾ [الآية 12] بأن هيّأها لمنافعكم بقضائه وقدره ﴿مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓ﴾ [الآية 12] حال كونها مسخرات له سبحانه خلقها ودبّرها كيف أراد بها. وقرأ حفص: والنجوم مسخرات على الابتداء والخبر. ورفع ابن / عامر الشمس والقمر أيضاً ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ 115/ب
يَعۡقِلُونَ﴾ [الآية 12] جمع الآية هنا وذكر العقل لأنها تدل أنواعاً من الدلالة ظاهرة لذوي العقول السليمة من العقائد السقيمة غير محوجة إلى استبقاء فكر كأحوال النبات، ومن الدلالات الخفية المحتاجة إلى إثارة الفكر وإعادة النظر ليحصل بمجموعها في مواضع موضوعها نتيجة الاستدلال بمصنوعها على كمال صانعها.

﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الآية 13] عطف على الليل، أي وسخر لكم فيها من حيوان ونبات ﴿مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥٓ﴾ [الآية 13] أصنافه وأشكاله وخواصه وأحواله ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الآية 13] يتعظون بما يشاهدون من الآيات ويرون اختلاف النبات في الطباع والهيئات الدالة على أن صانعها حكيم عظيم في ما خلقه من الكائنات.

وأفاد الأستاذ: أن الليل والنهار ظرف الأفعال والناس مختلفون في الأفعال من جهة الأحوال، فالموفق يجري وقته في طاعة الله، والمخذول يجري وقته في متابعة هواه، والعابد يكون في مرض يقيمه يديمه، والعارف في ذكر يحصله أو وارد يغلب على قلبه فيؤنسه، وأما أرباب التوحيد فهم مختطفون عن الإحساس بالأوقات لغلبة ما يرد عليهم من الحالات كما قيل:

لســـت أدري أَطَـالَ لـيـلـي أم لا[1]

وفي الآية إشارة إلى شمس التوحيد وقمر المعرفة ونجوم العلوم ثم لأقوام خلق لهم في الأرض الرياض والحياض والدور والقصور والمساكن

---

(1) وعجزه: «كيف يدري بذاك من يتقلّى». نسب إلى أبي نواس. انظر الكشكول (1/ 207) وإلى خالد الكاتب، انظر محاضرات الأدباء (1/ 366)، وإلى بعض العارفين، انظر زهر الأكم (1/ 216).

والمواطن وفنون النعم وصنوف القسم وآخرون لا يقع لهم طير على وكر ولا لهم في الأرض شبر، فهم لا ديار تملكهم ولا علاقة تمسكهم أولئك سادات الخلق وصفائن الحق.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ﴾ [الآية 14] لتتمكنوا من الانتفاع به في الركوب والغوص والاصطياد ﴿لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمًا طَرِيًّا﴾ [الآية 14] هو السمك، ووصفه بالطراوة لأنه أرطب اللحوم في اللطافة وتمسك بظاهره مالك والثوري على أن من حلف أن لا يأكل لحماً حنث بأكل لحم السمك، وأجاب عنه الجمهور بأن مبنى الأيمان على العرف المشهور ﴿وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةً﴾ [الآية 14] كاللؤلؤ
116/ أ والمرجان ﴿تَلۡبَسُونَهَا﴾ [الآية 14] / أي تلبس نسائكم فأسند إليهم لأنهن من جملتهم ولأنهن يتزيّن بها من جهتهم ﴿وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ﴾ [الآية 14] السفن ﴿مَوَاخِرَ فِيهِ﴾ [الآية 14] جواري في البحر تشقّه بوسط صدرها من المخر وهو شقّ الماء ﴿وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ [الآية 14] أي سعة رزقه بركوبها للتجارة أو زيادة ثوابه بدخولها للجهاد والحج والعمرة ﴿وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [الآية 14] أي تعرفون نعم الله منها ومن غيرها فتقومون بحقها.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه خلق صنوفاً من البحر ففرّق قوماً في بحار الشغل وآخرين في بحار الحزن وآخرين في بحار اللّهو والسهو فالسلامة عن بحر الشغل ركوب سفينة التوكل، والنجاة من بحر الغم ركوب سفينة الرِّضا، والخلاص من بحر اللّهو والسهو ركوب سفينة الذكر. وأنشد بعضهم:

الناس بحر عميق والبعد منه سفينة
وقد نصحتك فانظر لنفسك المسكينة[1]

﴿وَأَلۡقَىٰ فِى ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِىَ﴾ [الآية 15] أي وجعل فيها جبالاً ثوابت ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمۡ﴾ [الآية 15] كراهة أن تميد بكم وتضطربُ لكم فصارت كالأوتاد التي تمنعها عن الحركة المانعة عن مباشرة أمر المعاش والمعاد ﴿وَأَنۡهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾

(1) نسب إلى منصور الفقيه المصري، انظر بهجة المجالس (1/ 145)، والمنتحل (1/ 53)، ومعجم الأدباء (2/ 471).

[الآية 15] إلى مقاصدكم في معيشتكم أو إلى معرفة الله في إيصال نعمتكم.

﴿وَعَلَامَاتٍ﴾ [الآية 16] يستدل بها السائلة من الإمارات القابلة كجبل وسهل ونهر وبحر ﴿وَبِالنَّجْمِ﴾ [الآية 16] أي الجنس الشامل للشمس والقمر وسائر الكواكب ﴿هُمْ﴾ [الآية 16] العرب أو الخلق كلهم ﴿يَهْتَدُونَ﴾ [الآية 16] بالليل والنهار وفي البراري والبحار.

وأفاد الأستاذ: أن الآية في الظاهر للجبال وفي الإشارة للأولياء الذين هم غياث الخلق في شدة الحال بهم يرحمهم ربّهم، وبهم يغيثهم[1]، فمنهم أبدال ومنهم أوتاد ومنهم القطب. وفي الخبر: «الشيخ في قومه كالنبي في أمّته»[2]، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال:الآية 33]، وقال: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ﴾ [الفَتْح:الآية 25]. ثم قال: الأولياء والأعيان طرق إلى الله بهم يهتدي السالكون، والكواكب نجوم السماء ومنها رجوم الشياطين، والأولياء نجوم في الأرض وكذا العلماء وهم أئمة التوحيد والدين وهم رجوم الكفار والملحدين. ويقال: فرق بين
116/ب نجوم يهتدى بها لفجاج الدنيا / وبين نجوم يهتدى بهم إلى قرب المولى.

﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ [الآية 17] إنكار بعد إقامة أدلته على غاية قدرته ونهاية حكمته لأن يساوي ما لا يقدر على شيء في استحقاق مشاركته ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الآية 17] فتعرفوا فساد ما يقولون من إشراك ما لا يخلقون.

﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 18] من أنواع النفع وأصناف الدفع ﴿لَا تُحْصُوهَآ﴾ [الآية 18] لا تضبطوا عددها فضلاً أن تطيقوا القيام بشكرها في مددها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ﴾ [الآية 18] لتقصيركم في أداء شكرها ﴿رَّحِيمٌ﴾ [الآية 18] لا يعاجلكم بالعقوبة على كفرها.

---

(1) انظر جامع الأحاديث (13/ 455) رقم (13515)، وتذكرة الموضوعات (1/ 20)، وتخريج أحاديث الإحياء (1/ 189) رقم (189)، والمقاصد الحسنة (1/ 412) رقم (609).

(2) المقاصد الحسنة (1/ 412) رقم (609).

﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ١٩﴾ [الآية 19] من أعمالكم وأحوالكم فيه وعد للمطيعين ووعيد للمسيئين.

وقال الأستاذ: أي ما تسرُّون من الإخلاص وملاحظة الأشخاص فلا يخفى عليه الحسبان، وما تعلنون من الوفاق والشقاق والإحسان والعصيان، فالآية توجب تخويف أرباب الزلات وتشريف أصحاب الطاعات.

﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 20] أي الآلهة الذين تعبدونهم مما سواه، وقرأ عاصم بالغيبة ﴿لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا﴾ [الآية 20] أي لا يقدرون على خلق شيء من البرية والعجز ينافي صفات الألوهية ونعوت الربوبية ﴿وَهُمۡ﴾ [الآية 20] بأنفسهم ﴿يُخۡلَقُونَ﴾ [الآية 20] بِخَلْقِهِ سبحانه إيَّاهم.

﴿أَمۡوَٰتٌ﴾ [الآية 21] وهم أموات حالاً ومآلاً ﴿غَيۡرُ أَحۡيَآءٖ﴾ [الآية 21] بل غالبهم جمادات والإلٰه يجب أن يكون حيّاً بالذات لا يعتريه الممات ﴿وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ﴾ [الآية 21] لا يدرون أي وقت بعثهم أو وقت بعث أتباعهم، فدل هذا على جهلهم بحالهم ومآلهم والإلٰه لا يكون إلا عالماً بالماضي والحال والاستقبال إلى أزل الآزال.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أخبر أن الأصنام لا يصح منها الخلق لكونها مخلوقة فدلّ أنَّ مَن وجد منه سمة الخلق لا يصح منه الخلق والخلق هو الإيجاد ففي الآية دليل على خلق أعمال العباد. ثم قال: فكل مَن علق قلبه بشيء وتوهم فيه خيراً أو شراً ونفعاً أو ضرّاً فقد أشرك بالله بظنّه وإنما التوحيد تجريد القلب عن حسبان نفي وإثبات من غير الربّ.

﴿إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ [الآية 22] فذلكة القضية ونتيجة الحجج البينة ﴿فَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [الآية 22] / بعد وضوح الأدلة الظاهرة ﴿قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٞ﴾ [الآية 22] 117/أ غير عارفة بالعرف والفكرة استدلوا على وقوعها بالفكرة ﴿وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ﴾ [الآية 22] من أن يقبلوا كلام أهل البصيرة وإن تقلدوا أرباب الخيرة لا جرم حقاً أو لا بد من وقوعه صدقاً إن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون فيجازيهم على ما يفعلون وما يدرون إنه لا يحب المستكبرين مطلقاً فضلاً عن مَن استكبر عن

توحيد ربّه أو اتباع رسوله.

وأفاد الأستاذ: أنه لا قسم لذاته سبحانه جوازاً ووجوداً ولا شبيه له ولا شريك فمن لم يتحقق بهذه الجملة قطعاً بشهادة البراهين له تفصيلاً فهو في درك الشرك واقع وعن حقائق التوحيد بمعزل. قال تعالى في صفة الكفار: ﴿قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ [الآية 22] أي هم في أسر الشرك وعطاء الكفر ثم ليس فيهم اتصاف الطلب ولا مطالبة العرفان وإلا فالعلة لمن أراد المعرفة متاحة وأدلة الحق لائحة.

﴿لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [الآية 23] فيفضحهم ويبيّن نفاقهم ويُعلن للمؤمنين كفرهم وشقاقهم ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [الآية 23] دليل الخطاب أنه يحب المتواضعين المتخاشعين وكفاهم فضلاً ببشارة الحق بمحبته.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [الآية 24] أي ما يدّعي إنزاله من ربّ العالمين.

﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ﴾ [الآية 25] قالوا ما قالوا إضلالاً لغيرهم فحملوا أوزار ضلالهم ﴿كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الآية 25] فإن إضلالهم نتيجة رسوخهم في ضلالهم ﴿وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم﴾ [الآية 25] أي وبعض أوزار ضلال من تسببوا بإضلالهم من غير ما يحملوا أثقال جميع ما كسبوا من ضلالتهم ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الآية 25] حال من المعقول، أي يضلون مَن لا يعلم أنهم ضلال. وأسباب وبال وفائدة الدلالة على أن جهلهم لا يعذرهم إذ كان عليهم أن يبحثوا أو يميّزوا بين ما ينفعهم ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [الآية 25] بِئس شيئاً يزرونه فعلهم.

وأفاد الأستاذ: أنه لحقهم سوء تكذيبهم فأصروا على الإعراض عن النظر فقست قلوبهم ولم ينجح قولهم في الإقرار بالحق فلبسوا على من ساء لهم وقالوا: هذا الذي جاء به محمد أكاذيب العجم فضلوا وأضلوا ولما
117/ب سمعوا في الدنيا لغير المولى وضيّعوا / أعمالهم، حملوا في العقبى على أوزار أنفسهم أوزار غيرهم وأثقالهم أولئك الذين خسروا في الدنيا والأخرى.

﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الآية 26] بأن فعلوا حيلاً ليمكر بها رسل

ربهم ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ﴾ [الآية 26] أي أمره وعذابه ﴿بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾ [الآية 26] ما بنوا عليه من جهة أساسهم واستنكارهم وعمدهم التي عليها محل اعتمادهم فقطعت أطنابهم وحركت أوتادهم ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾ [الآية 26] وصار سبب إهلاكهم ﴿وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الآية 26] لا يحتبسون ولا يتوقعون. قيل: وهو على سبيل التمثيل.

وأفاد الأستاذ: أنهم اتصفوا بالمكر فحاق بهم سوء مكرهم ووقعوا فيما حفروه لغيرهم واغتروا بطول آمالهم فأخذهم العذاب من مأمنهم واشتغلوا بلهوهم فنقض عليهم بغتة أطيب يومهم. قال: والذي وصف نفسه سبحانه في كتابه من الإتيان فبمعنى العقوبة وذلك على عادة العرب في التوسع في العبارة، وإنما ينكشف القمر ليلة بدره ويعامل الماكرين بما يليق بمكره. وفي معناه أنشدوا:

فأمَّنته فأتاح لي من مأمني مكراً كذا من يأمن الأياما[1]

﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ﴾ [الآية 27] يذلهم ويعذّبهم ﴿وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ﴾ [الآية 27] أضافهم إلى نفسه حكاية لإضافتهم زيادة لتوبيخهم وخجالتهم، والمعنى أين آلهتكم ﴿ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ﴾ [الآية 27] تنادون المؤمنين في شأنهم. وقرأ نافع بكسر النون فإن مشاقة المؤمنين كمشاقة ربّهم.

وأفاد الأستاذ: أن هذا عاجل بلائهم وبين أيديهم أجله وحسرة المفلس تتضاعف إذا حوسب وشوهد حاصله ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [الآية 27] من الأنبياء والأولياء الذين كانوا يدعونهم إلى توحيد ربهم فيشاقونهم ويتكبّرون عليهم ﴿إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ﴾ [الآية 27] أي الفضيحة ﴿وَٱلسُّوٓءَ﴾ [الآية 27] المذلة والعقوبة ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الآية 27] وفائدة قولهم هذا إظهار الشماتة وزيادة الإهانة ونتيجة حكايته هي الملاطفة بمن سمع روايته.

وقال الأستاذ: يسمع يومئذ قولهم ويبين للكافة صدقهم، ويقع الندم

---

(1) ذكره القشيري في تفسيره (4/ 138).

على جاحدهم، وأما اليوم فعليهم الصبر والتحمُّل على البلاء وعن قريب ينكشف الغطاء، ولقد أنشد بعضهم:

118/ أ / خليلي لو دارت على رأسي الرحى مِنَ الذلِّ لَمْ أجزع ولم أتكلَّم
وأطرقت حتى قيل لا يعرف الجفا ولكن أفصحت يوم التكلُّم[(1)]

﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [الآية 28] وقرأ حمزة بالتأنيث لجماعة الملائكة وموضع الوصول يحتمل الأوجه الثلاثة ﴿ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [الآية 28] بارتكاب الكفر والمعاصي في الدنيا ﴿فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ﴾ [الآية 28] استسلموا وانقادوا لحكم المولى حين عاينوا الموت وشاهدوا مقدمة عقوبة العقبى وتعللوا بقولهم ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ﴾ [الآية 28] ظنّاً منهم أن كِذْبهم ينفعهم وجهلاً بأن الله يعلم عملهم ولذا يجيبهم الملائكة بقولهم: ﴿بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الآية 28] فهو يجازيكم عليه وفق ما تحاسبون من حيث لا تحتبسون.

﴿فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾ [الآية 29] كل صنف باباً من أبوابها المعدة لهُ في دخوله أو وصوله. وقيل: المراد من الأبواب أجناس العذاب الفاشية من أصناف الحجاب ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الآية 29] أي منزلهم ومأواهم جهنم المعدّة للكافرين والمنكرين.

وأفاد الأستاذ: أنهم جحدوا وأنكروا ما عملوا من مخالفة ربّهم وكذلك الذين دنسوا نفوسهم بإعراضهم عن الطاعات إذا نزل بهم الوفاة أخذوا في الجزع والتضرُّع ثم لم تطب نفوسهم بأن يقروا بتفاصيل أعمالهم عند أمثالهم فيما يتعلق بإرضاء خصومهم وما خانوهم في معاملاتهم، ثم الله يؤاخذهم بالكبير والصغير والنقير والقطمير ثم يبقون أبداً في وبال ما اكتسبوه لأن شؤم ذلك يلحقهم حتى يكون في آخر أحوالهم غلبة شبهة عليهم فيخرجون من توحيد ربهم، والمتكبِّر مَن جحد الحق وعاند الصدق.

﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾ [الآية 30] يعني المؤمنين ﴿مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ﴾

---

(1) ذكره القشيري في تفسيره (4/ 139).

[الآية 30] أنزل خيراً من حيث يتعلق به خير الدنيا والآخرة كما يشير إليه قوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ [الآية 30] مكافأة من حسن حالة وجمال راحة وتوفيق طاعة وتحقيق قناعة ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾ [الآية 30] لمن اتقى إذ ثوابها أنقى وأبقى ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ [الآية 30] دار العقبى.

﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ [الآية 31] بدل أو عطف بيان أو خبر مبتدأ محذوف هو أو
هي أي بساتين إقامة حول قصور بلا فقر/ وآفة ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ [الآية 31] ويخلدون 118/ ب
فيها ولا يتحولون عنها ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [الآية 31] من تحت القصور والأشجار أو من تحت تصرف سكّان الدار ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ﴾ [الآية 31] جميع ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، وفي تقديم لظرف إشارة إلى أن الإنسان لا يجد جميع مرامه إلا في الجنة وكذا ورد: «اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة»[1] ﴿كَذَٰلِكَ﴾ [الآية 31] مثل هذا الجزاء ﴿يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ﴾ [الآية 31] بالشرك والمعصية والغفلة وخطور السوء بحسب مراتبهم في مقام الصفاء وحلل الضياء.

وأفاد الأستاذ: أن الحسنة التي للذين أحسنوا في الدنيا هي جبران الطاعات في عاجلهم من حلاوة الطاعات لصفاء الأوقات ويصح أن تكون تلك الحسنة زيادة التوفيق لهم في الأعمال وزيادة التحقيق لهم في الأحوال، ويصح أن يقال: تلك الحسنة أنه يوفّقهم للاستقامة على ما هم عليه من إقامة الطاعة. ويصح أن يقال: تلك الحسنة أن يبلّغهم منازل الأكابر السادة، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾ [السَّجدَة:الآية 24]، ويصح أن تكون تلك الحسنة ما يتعدى منهم إلى غيرهم من بركات إرشادهم للمريدين وما يجري على من اتبعهم مما أخذوه وتعلّموه منهم. قال ﷺ: «لأن يهتدي بهداك رجل خير لك من حمر النعم»[2]، ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾ [الآية 30] لأن في الدنيا مشاهدة

---

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (3797)، ومسلم في الصحيح (1804/ 126).

(2) أخرجه البخاري في الصحيح (3701)، وأبو داود في السنن (3/ 361) رقم (3663)، والطبراني في المعجم الكبير (6/ 167) رقم (5877)، وأبو يعلى في المسند (13/ 440) رقم (7527).

وفي الآخرة معاينة لهم ما يشاؤون كما أن الإرادات والهمم تختلف في الدنيا فكذلك في الأخرى، وفي الخبر: «من كان بحالة يلقى الله بها» فمن مريد يكتفي من الجنة بوجود الجنة ومن مريد لا يكتفي من الجنة دون شهود ربّ العزّة[1]. ويقال: إذا شاؤوا أن يعودوا إلى مألوفاتهم من قصورهم وما وجدوا من صحبة الحور العين وسائر أحوالهم وأمورهم فمسلم لهم ذلك، ومن شاء أن تدوم رؤيته ويتأيد سماعه وخطابه فلهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد وهما مما لم يخطر ببال أحد.

﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ [الآية 32] طاهرين من دنس الظلم ووسخ المعصية أو فرحين ببشارة الملائكة إياهم بالجنة أو طيبين بقبض أرواحهم لتوجه
119/أ نفوسهم بالكلية إلى حضرة القدس وحضرة / الأنس والمرتبة العلية.

وأفاد الأستاذ: أن منهم من طاب وقته لأنه غفر ذنوبه وستر عيوبه، ومنهم من طاب قلبه لأنه سلم عليه محبوبه، ومنهم من طاب قلبه لأنه لم يفته مطلوبه، ومنهم من يطيب وقته لأنه يعود إلى لقاء ربّه ويصل إلى حصول مأربه، ومنهم من يطيب قلبه لأنه أمن من زوال حاله وحظي بسلامة مآله، ومنهم من يطيب قلبه لأنه وصل إلى إفضاله وآخر لأنه وصل إلى لطف جماله وآخر لأنه قد خص بكشف جلاله. ويقال: ﴿تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ [الآية 32] طيبة أنفسهم طاهرة من التدنُّس بوسخ المخالفات وطاهرة قلوبهم عن العلاقات وأسرارهم عن الالتفات إلى أحد من المخلوقات.

﴿يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ﴾ [الآية 32] من عندنا أو من عند ربكم ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ [الآية 32] أي بسلام آمنين ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الآية 32] من أعمال المحسنين، فالجنة معدّة لكم على وفق أعمالكم وبحسب مراتب أحوالكم.

وأفاد الأستاذ: أن منهم مَن يلاطفه بذلك الملك، ومنهم مَن يكاشفه بذلك الملك.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ [الآية 33] ما ينتظر الكفار والفجار من غاية الإهمال ونهاية

---

(1) أورده القشيري في تفسيره (2/ 58).

الاغترار ﴿إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [الآية 33] لقبض أرواحهم، وقرأ حمزة والكسائي بالتذكير ﴿أَوۡ يَأۡتِيَ أَمۡرُ رَبِّكَۚ﴾ [الآية 33] بظهور القيامة والحساب أو بحصول الحجاب وبنزول العذاب في الدنيا أو العقبى ﴿كَذَٰلِكَ﴾ [الآية 33] أي مثل فعلهم ﴿فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾ [الآية 33] فأصابهم ما أصابهم ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الآية 33] بإهلاكهم ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ [الآية 33] بكفرهم ومعاصيهم المؤدية إلى هلاكهم.

﴿فَأَصَابَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ﴾ [الآية 34] جزاء سيئات أعمالهم ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ [الآية 34] وأحاط بهم جزاء استهزائهم وسوء أحوالهم.

وأفاد الأستاذ: أن القوم لم ينتظروا مجيء الملائكة لأنهم لم يعترفوا ولم يعتقدوا كونهم ولكن ما كانت عاقبتهم تؤول إلى ذلك وعلم الله ذلك منهم هنالك أخبر أنهم ينتظرون وهم كانوا يستعجلون معتقدين أن الرسل غير صادقين ولما سلكوا مسلك أمثالهم من المستقدمين عوملوا بمثل ما لقي سلفهم ومان كان ذلك من الله ظلماً عليهم لأنه تصرف في ملكه/ من غير 119/ ب
حكم حاكم عليه.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الآية 35] أي توحيدنا ﴿مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ نَّحۡنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ﴾ [الآية 35] قالوا ذلك منعاً لبعثة الرسل من جانب الحق لتكليف متمسكين بأن ما شاء الله يجب ولم يرتفع ما لم يشأ ولم يقع بل يمتنع. والحاصل أن مقولهم كلمة حق أُريد به الباطل بدليل قوله سبحانه: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكُواْۗ﴾ [الأنعام:الآية 107] ولإجماع السلف على ما ورد في الحديث: «ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن»[1] لكن ليس للمكلف أن يتعلق بالقضاء والقدر إذ أنها إرادة أوامر معولهم هذا كقولهم: ﴿أَنُطۡعِمُ مَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطۡعَمَهُۥٓ﴾ [يس:الآية 47]، ولا خلاف أن الله لو شاء أطعمهم ﴿كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾ [الآية 35] فأشركوا بالله واعتقدوا أجله وكذّبوا

(1) أخرجه أبو داود في السنن (4/ 479) رقم (5077)، والنسائي في السنن الكبرى (6/ 6) رقم (9840)، ومالك في الموطأ (1/ 161) رقم (8).

رسله ﴿فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الآية 35] ما عليهم إلا التبليغ الموضّح للحق فإن الله سبحانه هو الهادي المطلق فيهدي ببعثة الرسل فيهدي مَن شاء هدايته ويزيد في ضلال من أراد ضلالته، كما قال: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾ [البَقَرَة:الآية 26] فهو كالغذاء الصالح فإنه ينفع المزاج السليم ويضرّ الطبع السقيم، وقد كان النيل ما للمحبوبين فرد ما للمحجوبين.

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾ [الآية 36] أي نبيّاً منهم آمراً لهم ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [الآية 36] بعبادة الله واجتناب ما سواه ﴿فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ﴾ [الآية 36] وفّقهم للإيمان وأرشدهم للفرقان ومنهم ﴿وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ [الآية 36] إذ لم يوفّقهم ولم يرد هدايتهم إلى مقام الإحسان ﴿فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 36] أي بالأقدام أو الأفهام ﴿فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [الآية 36] للأنبياء عليهم السلام.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه لم يخلِّ زماناً من شريعة ولم يفرد شرعاً من حجة ولكن فرقهم في سابق حكمه ففريقاً قرّبهم وهداهم وفريقاً حجبهم وأعماهم.

﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ﴾ [الآية 37] إلى إرشاد كل منهم وهدايته ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ﴾ [الآية 37] أي من تعلق علمه بضلالته. وقرأ غير الكوفيين لا
يهدي على البت للمفعول وهو أبلغ، والمعنى فإن الله يرد ضلالته لا يفضل أحد/ 120/أ
هدايته ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [الآية 37] من ينصرهم لا منهم ولا من غيرهم بدفع العذاب عنهم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه ألزم رسوله الوقوف على حد العبودية فإن عرف حقائق الربوبية فقال: إنك وإن كنت بأمرنا لك حريصاً على هدايتهم فإن من ضمنت له الضلالة لا يجري عليه غير ما قسمته له لا محالة.

﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ [الآية 38] مبالغة في كفرانهم وطغيانهم ﴿لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ [الآية 38] فلا حساب ولا عذاب ولا ثواب، قال تعالى في الجواب: ﴿بَلَىٰ﴾ [الآية 38] يبعثهم وينجز لهم ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ﴾ [الآية 38] وجوب

وقوعه لامتناع الخلف في وعده ولأن البعث مقتضى حكمته في حكمه حق هذا الوعد ﴿حَقًّا﴾ [الآية 38] ووقع صدقاً ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 38] لجهلهم بأحكام ربّهم ولقصور نظرهم في عاقبة أمرهم ولغفلتهم عن حكمة بعثهم المبينة لقوله: ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ [الآية 39] من الحق ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰذِبِينَ﴾ [الآية 39] في إيمانهم فإن السبب الداعي إلى بعث الخلق هو مقتضى حكمة الحق من التمييز بين المحق والمبطل والباطل والصواب بالعقاب والثواب.

قال في الجاهلية بعض العقلاء: إن لله داراً للجزاء فإنّا نشاهد في هذه الدار أن كل مَن أحسن في عمله من أعمال الإبرار من كفالة يتيم وإطعام فقير وإغاثة ملهوف وإعانة ضعيف لا تظهر مجازاته من ربّه بل نراه في سوء حاله بخلاف مَن عمل عمل الفجّار من ضرب وغبن وقتل فإنه يطول عمره ويكثر ماله ويسع جاهه ويقلّ آفاته وبلاؤه، وقد أشار الله تعالى إلى هذا المعنى في قوله: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية:الآية 21].

﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ [الآية 40] هو بيان إمكانه وبرهان لوقوع شأنه وتوضيحه أن تكوين الله بمحض قدرته وتعلق مشيئته من غير توقف مدد ولا عدد وإلا لزم التسلسل في خلق خليقته فكما أمكن له تكوين الأشياء بلا سبق مادة أمكن له تكوينها وقت الإعادة. ونصب ابن عامر والكسائي فيكون عطفاً على نقول أو جواباً لأمر كن.

وأفاد الأستاذ: أن بالسمع علم تعلق قوله بما يفعله وحمله قوم على أن
120/ب معناه أنه لا يتغير عليه/ فعل شيء أراده لمعنى الآية على القولين جميعاً إن الذي لا يحتاج في فعله إلى مادة يخلق منها لا يفتقر إلى مدة يوقع الفعل فيها والآية تدل على أن قوله ليس بمخلوق إذ لو كان مخلوقاً لكان مقولاً له كن، فذلك القول يجيب أن مقولاته بقول آخر وهذا يؤدي إلى أن يتسلسل ولو تسلسل ما تحصل.

﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ﴾ [الآية 41] أي في سبيل رضاه ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟﴾

[الآية 41] من جهة كفار قريش وغيرهم وأخرجوا من ديارهم وأموالهم، وفي معناه من هاجر أهل البدعة وبلاد الظلمة ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ [الآية 41] أي نؤدينه حسنة كالحبشة والمدينة ﴿وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ [الآية 41] أي أعظم درجة وأكثر بركة مما يعجل لهم في الدنيا من الغنيمة ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 41] ما أعدّ لهم من أجرهم لزادوا في اجتهادهم وصبرهم وشكروا على أمرهم.

﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾ [الآية 42] أي هم الصابرون على البلاء ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الآية 42] في العطاء وسائر القضاء.

وأفاد الأستاذ: أن من هاجر عن أوطان السوء في الله ومرضاته أبدله الله جوار أوليائه بما يكون له في جوارهم معونة على الزيادة في صفاء أوقاته ومن هجر أوطان الغفلة مكّنه الله من مشاهدة الوصلة، ومن فارق مجالسة المخلوق في جواره وانقطع بقلبه إلى الله باستدامة ذِكْره فكما في الخبر: «أنا جليس من ذكرني»[1]، وبداية هؤلاء القوم نهاية أهل الجنة ففي الخبر: «الفقراء الصابرون جلساء الله يوم القيامة»[2]. ويقال: القلب مظلوم من جهة النفس لما تدعوه إليه من شهواتها فإذا هجرها أورث الله للقلب أوطان النفس حتى تنقاد لما يطالبه القلب من الطاعة فبعض ما يكون أوطان الذلة بدواعي الشهوة يصير وطن الطاعة بسهولة آدابها، ثم الصبر الوقوف تحت جريان القضاء، والتوكل الثقة بالله بحسن الرجاء.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ [الآية 43] رد لقولهم: أبعث الله بشراً رسولاً، ومن العجب أنهم رضوا أن يكون الإلٰه حجراً ولم يرضوا أن يكون الرسول بشراً، والمعنى أن السنَّة الإلٰهية جرت بأن لا يبعث للدعوة العامة 121/أ إلا بشراً يوحى إليه على ألسنة الملائكة لحكمة / تقتضي ذلك، فإن شككتم فيما هنالك ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ [الآية 43] أي الرهبان والأحبار أو علماء الأخبار

(1) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (1/ 451) رقم (680)، وعبد الرزاق في المصنف (1/ 108) رقم (1224).
(2) أورده القشيري في تفسيره (4/ 5).

ليعلموكم بآثار الأنبياء الأخيار ﴿إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الآية 43] وتقرُّون بأنكم تجهلون ولا تعاندون فيما تقولون. وفي الآية دلالة على جواب المراجعة إلى العلماء في مسائل الواقعة.

وأفاد الأستاذ: أن أهل الذكر هم العلماء والعلماء مختلفون في الأنباء، فالعلماء بالأحكام إليهم الرجوع في الاستفتاء للعوام فمن أشكل عليه شيء من أحكام الأمر والنهي فرجوعهم إلى العلماء بأحكام الله، ومن اشتبه عليه شيء من سلوك الله فرجوعهم إلى العلماء بالله. فالفقيه يرفع في أحكام الشرع عن الله والعارف ينطلق في أدب الطلب وأحكام الإرادة وشرائط الصحبة مع الله.

﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾ [الآية 44] أي أرسلناهم بالمعجزات اللائحة والكتب الواضحة ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ﴾ [الآية 44] أي الذكر العظيم وهو القرآن الكريم والفرقان الحكيم ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [الآية 44] ما تشابه عليهم ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الآية 44] ويتعاملون في مبانيه ويثبطون حقائق معانيه.

قال ابن عطاء: قطع عقول الخلق عن فهم كتابه والإشراف عليه والاطلاع على سرّه إلا عقل نبيه ﷺ فإنه قال: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [الآية 44]، وإن كان فيه أحكام الخلق فالخطاب معك فأنت صاحب البيان لهم بما أُنزل إليك من الحق فإنهم في مقامات الوحشة، وأنت في محل الحضرة ومحل الإيمان ومقر الأمان ومقام الإحسان وكمال العرفان فبيان الكتاب ما تبينه وآداب الشريعة ما ترسمه لأنك الأمين في جميع الأحوال ولا يؤتمن على أسرار الحق إلا الأمناء من أهل الكمال لقول بعضهم: «صدور الأحرار قبور الأسرار»[1].

وأفاد الأستاذ: أن البيان إليك والاعتماد عليك فإنك الأمين على وحينا والواسطة بيننا.

---

(1) ليس بحديث ولكنه كلام صحيح. انظر المقاصد الحسنة (1/ 387) رقم (559)، وكشف الخفا (1/ 451) رقم (1471).

﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الآية 45] المكرات السيئات واحتالوا لهلاك الأنبياء وفساد المؤمنين والمؤمنات ﴿أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ﴾ [الآية 45] كما خسف بقارون ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الآية 45] بغتة من جهة السماء كما فعل بقوم لوط أو من الجهتين كما وقع لقوم نوح. 121/ب

﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ﴾ [الآية 46] بانقلابهم ﴿فِي تَقَلُّبِهِمْ﴾ [الآية 46] في حال تزودهم وتصرفهم في مسائرهم ومتاجرهم ﴿فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾ [الآية 46] دافعين العذاب عن أنفسهم.

﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾﴾ [الآية 47] أي على مخافة أن يهلك قوماً قبلهم فيخوفوا على أنفسهم فيأتيهم العذاب وهم متخوِّفون. والمعنى أنه يستوي عندنا عذابهم في كونه بغتة أو جهرة كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الأنعام:الآية 47]، أو على تنقص بأن ينقص شيئاً بعد شيء في أنفسهم وأموالهم حتى يهلكوا بكمالهم.

وأفاد الأستاذ: أن سهام تقدير الحق عرضها أحوال الخلق ولا تطيش تلك السهام فإذا صادف الغرض أو أصابه حرق بلا التئام، وبين كل نفسٍ للعبد مخاوف يجب على العبد فيه صبره وشكره ولا ينبغي أن يأمن في ذلك من الله مكره فأكثر الأسنة تعمل في الوطنين نفوسهم وقلوبهم على ما وعدهم الحق من عوائد المنة، وأنشدوا:

يا راقد الليل مسروراً بأوله   إنَّ الحوادث قد يَطْرِقْن أسحاراً[1]

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ﴾ [الآية 48] استفهام تقرير أي قد رأوا مثل هذه الصنائع من آثار التقدير فما لهم لم يتفكروا في صنعته ليظهر لهم كمال قدرته

---

(1) نسب هذا البيت إلى أبي عبد الحميد المكفوف. انظر الحيوان (2/ 102). وقال البعض: غير معروف، انظر الزهرة (1/ 231)، ونسب إلى طرفة انظر المنتحل (1/ 46) ونسب إلى ابن السكيت، انظر البصائر والذخائر (1/ 10)، ونسب إلى عدي بن زيد، انظر نهاية الأرب (1/ 269) والتمثيل والمحاضرة (1/ 14).

فيخافوا من مخالفته الموجبة لعقوبته. وقرأ حمزة والكسائي: ألم تروا، بالخطاب، ثم ما موصولة مبهمة بناؤها قوله: ﴿مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلَالُهُ﴾ [الآية 48] وقرأ أبو عمرو بالتأنيث، والمعنى أو لم ينظروا إلى المخلوقات التي لها ظلال في الكائنات مغيبة ومتمايلة ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ﴾ [الآية 48] عن جانبي كل واحد منها وتوحد اليمين وجمع الشمال لاعتبار اختلاف ما في المبنى والمعنى كتوحيد الضمير في ظلاله وجمعه في قوله: ﴿سُجَّدًا لِلَّهِ﴾ [الآية 48] أي منقادين له ﴿وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ [الآية 48] ذليلون صاغرون، والمعنى ترجع الظلال بارتفاع الشمس
وانحدارها من جانب إلى جانب منها / منقادة إلى قدرها من تفيؤها أو واقفة على 122/أ
الأرض منتصفة بها على هيئة من يسجد عليها، والأجرام في أنفسها أيضاً مستسلمة لأفعال الله، قيل: ما خلق الله شيئاً من الجماد والحيوانات ينازع صانعه وخالقه إلا الإنسان فإنه ادعى لنفسه ما ليس له من قدرة وعلم، ذكره السلمي. ولذا كان ظلوماً جهولاً.

وأفاد الأستاذ: أن كل مخلوق من عين أو أثر ومن حجر أو مدر فمن حيث البرهان لله ساجد ومن حيث البيان على الوحدانية شاهد.

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 49] أي ينقاد لإرادته وتأثيره طبعاً ولتكليفه وأمره طوعاً ﴿مِن دَابَّةٍ﴾ [الآية 49] بيان لما في الأرض ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ [الآية 49] بيان لما في السماء على النشر المعكوس وما يعم العقلاء وغيرهم ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الآية 49] عن عبادته ولا يستخسرون، يسبِّحون الليل والنهار لا يفترون.

﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [الآية 50] أي وهو من فوقهم، تعبير كقوله: وهو القاهر ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [الآية 50] من طاعته، وفيه إيماء إلى أن الملائكة يكلفون واقفون بين الأمن والمخافة.

وأفاد الأستاذ: أن المراد من السجود هنا سجود شهادة لا سجود عبادة فإذا امتنع قوم من إقامة الشهادة في المقالة فقد شهد كل جزء منهم من حيث البرهان والدلالة، والملائكة مع جلالة مقام قربهم يخافون ربهم أن ينزل

عليهم عذاباً من تخوفهم. ويقال: خير الدنيا والأخرى للعبد خوفه من المولى يمنعه من الزلة ويحمله على الطاعة.

﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ﴾ [الآية 51] تأكيد لواحد في قوله ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ [الآية 51] وإيماء إلى أن المقصود إثبات الواحد دون الإلٰهية إذ ليس في الله شك للبرية ﴿فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ [الآية 51] لأن غيري لا يتصور منه الرهبة ولا الرغبة.

قال أبو عثمان: نهاك ربك أن تتخذ إلٰهين أو تدّعي معه شريكاً فاتخذت آلهة وادّعيت شركاء متعددة بأن عبدت نفسك وهواك وطبعك ومرادك وعبدت الخلق في طمع عطائك فكيف يصح لك التوحيد مع ذلك وأين تصل إلى محل توحيد ربّك.

122/ ب وأفاد الأستاذ: إن الحاجة إلى إثبات / صانع واحد داعية وما زاد على الواحد فالأعداد فيه متساوية.

﴿وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الآية 52] ملكاً وملكاً ﴿وَلَهُ ٱلدِّينُ﴾ [الآية 52] الطاعة والانقياد ﴿وَاصِبًاۚ﴾ [الآية 52] لازماً ولازباً للعباد لما تقرّر من أنه الإلٰه ولا يرجى ولا يخاف سواه، أي وله الجزاء دائماً سرمداً بثواب من آمن وعقاب من كفر أبداً ﴿أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ﴾ [الآية 52] ولا ضار سواه كما لا نافع إلا إيَّاه.

﴿وَمَا بِكُم﴾ [الآية 53] من نعمة فمن الله، أي وأي شيء اتصل بكم ﴿مِّن نِّعۡمَةٖ﴾ [الآية 53] دنيوية أو أخروية ظاهرية أو باطنية فهو ﴿فَمِنَ ٱللَّهِۖ﴾ [الآية 53] وما شرطية من بيانية ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ﴾ [الآية 53] فما يتضرعون إليه في دفع المضرة.

﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنكُم﴾ [الآية 54] وهم كفاركم ﴿بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ﴾ [الآية 54] بعبادة غيرهم.

﴿لِيَكۡفُرُواْ﴾ [الآية 55] بعبادة غيره ﴿بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ﴾ [الآية 55] من نعمة الكشف عنهم كأنهم قصدوا كفران النعمة بشركهم أو إنكار كونها من ربهم ﴿فَتَمَتَّعُواْۖ﴾

[الآية 55] أمر تهديد ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الآية 55] أغلظ وعيد. قال أبو حفص: جميع النعم عليك من ربك وشكرك لغيره ورجوعك في النوائب كلها إليه وعبادتك لغيره فما هذا.

وأفاد الأستاذ: أن النعمة ما يقرب العبد من الحق فأما ما يوجب النسيان والطغيان والغفلة والعصيان وأولى أن يكون محنة ويقال: ما للعبد فيه نفع أو يحصل به للشر دفع فهو على أصح القولين نعمة سواء كان دينياً أو دنيوياً والعبد مأمور بالشكر عليه مزجور عن كفرانه وأكثر الناس يرون الإحسان من الخلق، قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سَبَإ:الآية 13]. وفائدة الآية قطع الأسرار عن الأغيار في حالة اليسر والعسر والثقة بأن الخير والشر والنفع والضر كلاهما من الله سبحانه، ثم إذا أظل للعبد هواجم الاضطرار التجأ إلى الله في استدفاع ما مسّه من البلاء بالجوار فإذا منَّ الله عليه وجاء بكشفه عنه صار كأنه لم يمسّه سوء ولا أصابه همّ، كما قيل:

كأن الفتى لم يعرَ يوماً إذا اكتسى   ولم يك صعلوكاً إذا ما تموَّلا[1]

123/ أ / ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 56] لآلهتهم التي لا علم لها ولا يتوقع نفع وضر من جهتها ﴿نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ [الآية 56] حصة من الحرث والأنعام كما جعلوا نصيباً منها لخالق الأنام ﴿تَاللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ [الآية 56] من كونها آلهة يستحق التقرُّب إليها ويتعاقبون على عبادتها وصرف أرزاقنا إلى سدنتها.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَاتِ﴾ [الآية 57] فإن خزاعة وكنانة كانوا يقولون الملائكة بنات الله ﴿سُبْحَانَهُۥ﴾ [الآية 57] تنزيه له من مقالتهم أو تعجيب من جرأتهم ﴿وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الآية 57] من البنين جملة حالية من خبر ومبتدأ معترضة بيانية.

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ﴾ [الآية 58] أُخْبِرَ بولادتها ﴿ظَلَّ﴾ [الآية 58] صار ﴿وَجْهُهُۥ﴾ [الآية 58] أو دوام النهار كله ﴿مُسْوَدًّا﴾ [الآية 58] من الكآبة والاغتمام

(1) نسب إلى جابر بن الثعلب الطائي، انظر الحماسة البصرية (1/ 48) وديوان الحماسة (1/ 110)، وسمط اللآلىء (1/ 241).

والحياء من الخاص والعام ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [الآية 58] مملوء غيظاً من المرأة لتلد له الغلام.

﴿يَتَوَارَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ﴾ [الآية 59] يستخفي من أهله ﴿مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ﴾ [الآية 59] من حزن المبشّر به عرفاً وعادة أو المخبر به لغة ﴿أَيُمْسِكُهُۥ﴾ [الآية 59] أي حال كونه محدثاً في نفسه متفكِّراً في أمره من أنه هل يتركه غير مدفون ويحفظه حياً ﴿عَلَىٰ هُونٍ﴾ [الآية 59] أي مذلة وإهانة ﴿أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ﴾ [الآية 59] أم يقتله ويخفيه أم يدفنه فيه حياً إلى أن يموت، وتذكير الضمير للفظ ما ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الآية 59] بئس حكمهم هذا حيث يجعلون لله ما يكرهون.

وأفاد الأستاذ: أن فرط جهلهم حملهم على وصف معبودهم الأحد الصمد بالولد ثم الله زاد في خذلانهم حتى قالوا الملائكة بنات الله وكانوا يكرهون البنات فرضوا لله ما لم يرضوا لأنفسهم ويلتحق بهؤلاء في استحقاق الذمّ كل من آثر حظ نفسه على حق مولاه فإذا فعل ما له فيه نصيب وعرض كان مذموم الوصف ملوماً على ما اختاره من الفعل ثم إنه عابهم على قبيح ما كانوا يفعلونه ويتصفون به من كراهة أن يولد لهم الإناث فقال: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ﴾ [الآية 58] الآية استولى عليهم رؤية الخلق وملكتهم الحيرة فأنفوا من البنات لئلا يلحقهم أنفة في تزويجهن وتمكين البعل فيهن وهذه نتائج الإقامة
123/ ب في أوطان / التفرقة والغيبة عن شهود الحقيقة ثم قال: ﴿أَيُمْسِكُهُۥ﴾ [الآية 59] إلى آخره، وتلك الجفوة في أفعالهم حصلت من قساوة قلوبهم في أحوالهم ولا عقوبة أشد، فما كان تتعجل لهم من فرط غيظهم وفقد رضاهم وشدة ضيقهم على من لا ذنب له من أولادهم فهذه صفة أهل النار في دركات جهنم عن تكدُّر الوقت واستيلاء الوحشة ونعوذ بالله من سوء الخاتمة.

﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ﴾ [الآية 60] أي الصفة السوء وهي الحاجة إلى الولد المنادية بالغنى والمنافية لمقام الاستغناء والكبرياء ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [الآية 60] وهو الوجوب الذاتي والغنى المطلق والنزاهة عن صفات الخلق ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الآية 60] المنفرد بجلال القدرة وكمال الحكمة.

وأفاد الأستاذ: أن من عرفه بنعوت الإلٰهية تمَّت سعادته الدنيوية والأخروية وتعجلت في الحقيقة راحته فإن سرّه يتنزل على الدوام في رياض معرفته وروحه أبداً في الطرب من هيجان وجد حضرته، والذي وُسِمَ بالشرك ففي عقوبة معجّلة وهموم محصّلة.

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم﴾ [الآية 61] لو يعاقبهم بكفرهم وتعذيبهم ﴿مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا﴾ [الآية 61] وأضمرها من غير ذكرها لما يدل عليها ما قبله من الناس أو ما بعده ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾ [الآية 61] أي متحركة قط لشؤم أفعالهم. وعن ابن مسعود: كاد العجل يهلك في حجره بذنب ابن آدم أو من دابة ظالمة. وفيه إيماء إلى أنه لا يخلو نفس من نوع ظلم يستحق به المؤاخذة. وقيل: لو هلك الآباء لم يكن الأبناء ﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الآية 61] لانتهاء أعمارهم أو لابتداء دمار ديارهم كي يتوالد بنو آدم ويتم بهم نظام العالم ويرزقون العافية ببركة أهل الطاعة فالمراد بالناس غالبهم لعصمة الأنبياء وحفظ الأولياء مع أنه سبحانه لو واخذهم لأخذهم وهو عادل بهم ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ﴾ [الآية 61] قارب مجيئه ﴿لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الآية 61].

وأفاد الأستاذ أنه سبحانه لو عاملهم بما استحقوا عاجلاً لخلا البسيطة منهم آجلاً ولكن الحكم سبق بإمهالهم دون إهمالهم وسيلقون غب أعمالهم / 124/أ في مآلهم.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ [الآية 62] لأنفسهم من البنات وإثبات الشريك في الرياسة ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ﴾ [الآية 62] مع ذلك وهو ﴿أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الآية 62] عند الله تعالى كقوله سبحانه حكاية عنهم: ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ [فصلت:الآية 50]، ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ﴾ [الآية 62] مقدمون إليها ودائمون فيها. وقرأ نافع بكسر الراء في ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ [الآية 62] في العقبى وأنهم مفرطون في المعاصي مصرُّون عليها في الدنيا ولعلها خير. هذه الجملة لمراعاة الفاصلة.

وقال الأستاذ: لما لان لهم العيش ظنوا أنهم ينجون وبما يؤملونه

يحظون فحسنت في أعينهم نتائج صفاتهم ويوم يكشف لهم الغطاء يعضون بنواجذ الحسرة على أنامل الخيبة فلا يسكن عنهم أنّة ولا يُسمع منهم دعوة ولا ينغلق لأحدهم رحمة.

﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ [الآية 63] رسلاً ليُصلحوا أحوالهم ﴿فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [الآية 63] فحاصروا على كفرنا وكذبوا جاحدين برسلنا ﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ [الآية 63] في الدنيا أو العقبى على أن الآية حكاية حال ماضية أو آتية ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الآية 63] يوم القيامة. ومن أشد العذاب وجود الحجاب ومقارنة الفريق السوء في البعد عن باب ذلك الجناب.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أنزل هذه الآية على جهة التسلية للنبي ﷺ وذلك أنه أخبر أن من تقدَّمه من الأمم كانوا في سلوك الضلالة والانخراط في سلك الجهالة كمن مني بهم من قربه ولم يعجز الله أحداً منهم، والشيطان كما سوّل لهم لأمته وكما كان ولياً لهم فهو لهؤلاء وليهم فأما المؤمنون فالله واقيهم.

﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ﴾ [الآية 64] أي للمنزل إليهم ﴿ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ [الآية 64] من التوحيد وأحوال المعاد ومواضع القدر وأحكام أفعال العباد ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 64] وللهداية إلى طريق الرشاد وللرحمة في توفيق أخذ الزاد للمؤمنين المنتفعين دون المحرومين من المجرمين، فالبيان عام كقوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [البَقَرَة:الآية 185] والهداية خاصة لقوله: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البَقَرَة:الآية 2]، والرحمة أخص لقوله: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ
مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعرَاف:الآية 56]/ . 124/ب

وقال الأستاذ: إن أتت الواسطة بيننا وبين أوليائنا ولك البرهان الأعلى والنور الأوفى تبلِّغ عنَّا وتؤدي منَّا فأنت رحمة من خزائننا أرسلناك إلى أوليائنا فمن يتبعك بإنبات أنواع النبات فيها بعد يبسها.

﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ [الآية 65] بإنبات أنواع النبات فيها بعد يبسها ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾ [الآية 65] علامة على صانعها ودلالة على خالق ما فيها ﴿لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [الآية 65] سماع نذير فيها أو قبول لها فضلاً

عن قوم بأعينهم يبصرونها ويشاهدون ما عليها.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أحيا بماء التوفيق قلوب العابدين فجنحت إلى جانب الوفاق واجتنبت طريق الشقاق وأحيا بماء التحقيق أرواح العارفين فاعتكفت على بساط الوصال في دار القرار وأحيا بماء التجريد أسرار الموحدين فتجرّدت عن رقّ آثار الأغيار وانفردت بحقائق اتصال أنوار الأسرار.

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [الآية 66] في خلقها وشهود وجودها ﴿لَعِبْرَةً﴾ [الآية 66] دلالة يعتبر بها من حال الجهالة إلى مقام المعرفة ﴿نُّسْقِيكُم﴾ [الآية 66] وقرأ نافع وابن عامر وأبو بكر بفتح النون وهو استئناف بيان للعبرة ﴿مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ﴾ [الآية 66] وقال في سورة المؤمنين: ﴿مِّمَّا فِي بُطُونِهَا﴾ [المؤمنون:الآية 21] رعاية للنبي وعناية للمعنى فإنَّ الأنعام اسم جمع ليس له مفرد من لفظ كما صرَّح سيبويه به ﴿مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا﴾ [الآية 66] فعن ابن عباس: إن البهيمة إذا اعتلفت وانطبخ العلف في كرشها كان أسفله فرثاً وأوسطه لبناً وأعلاه دماً ومن الأولى تبعيضية والثانية ابتدائية ﴿خَالِصًا﴾ [الآية 66] صافياً من لون الدم ورائحة الفرث ﴿سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ [الآية 66] سهل المرور في حلقهم من جملة دفعهم في رزقهم.

قال أبو بكر الوراق: العبرة في الأنعام تسخيرها لأربابها وطاعتها لأصحابها وتمردك على ربّك في مخالفة أمره.

وأفاد الأستاذ: أن أوجه العبرة في الأنعام تسخيرها وتكثير ما فيها من الانتفاع بلحمها وشحمها وشعرها ودرّها وأصلها ونسلها ثم عجيب ما أظهر من/ قدرته أخرج اللبن على لطافة طعمه وصفاء لونه وكثرة نفعه فالذي يقدر 125/أ على حفظ اللبن بين الفرث والدم يقدر أن يحفظ المعرفة الموجبة للعزّة بين وجوه وحشة الزلّة المقتضية للذلّة.

﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ﴾ [الآية 67] نوع ثمر ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا﴾ [الآية 67] عصيراً يصير خمراً ﴿وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ [الآية 67] كالتمر والزبيب والدبس والخل وسائر ما يكون مستحسناً والآية إن كانت سابقة على تحريم الخمر فدالة على الكراهة وإلا فجامعة بين العتاب والمنّة. وقيل: المراد بالسكر النبيذ.

وأفاد الأستاذ: أن الورق الحسن ما كان حلالاً ولا يقتضي وبالاً أو هو ما أتاك الله من حيث لا محتسب أو هو ما لا ينسب لله مكتسبه أو هو الذي لا منّة لمخلوق به عليك ولا تبعة لله متوجهة إليك ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الآية 67] يستعملون عقولهم بالنظر في الكائنات وبالتأمل في الآيات البينات.

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ [الآية 68] ألهمها وقذف في قلبها ﴿أَنِ ٱتَّخِذِي﴾ [الآية 68] أي اتخذي، أو بأن اتخذي، فإن مفسرة أو مصدرية ﴿مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ [الآية 68] مساكن ﴿وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ [الآية 68] من كرم أو سقف، ومن تبعيضية في المواضع الثلاثة لأنها لا تبنى في جميعها، وسمي ما تبنيه لتعسل فيه بيتاً تنبيهاً ببناء العمارة لما فيه من حسن الصنعة وصحة القسمة معجز عنها أحداث الهندسة إلا بالآيات عديدة وانتظار دقيقة. وقرأ ابن عامر وأبو بكر: يعرشون بضم الواو وورش وأبو عمرو وحفص بيوتاً بضم الياء.

﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [الآية 69] أي من جميع أصناف ثمرات تشتهينها حلوها ومرها وسائر ما تبغينها ﴿فَٱسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ﴾ [الآية 69] الطرق التي ألهمك في علمك لإخراج عسلك ﴿ذُلُلًا﴾ [الآية 69] جمع ذلولة مراعاة للمعنى كما أن إفراد الخطاب محافظة على المبنى أي حال كونك مذلّلة منقادة لما أمرك ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا﴾ [الآية 69] التفات منها إلى الناس لبيان الإنعام عليهم من خلق النحل وإلهامها لأجلهم ﴿شَرَابٌ﴾ [الآية 69] لأنه مما يُشرب ﴿مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ﴾ [الآية 69]
125/ب أبيض وأصفر وأسود وأحمر بسبب تفاوت سرّ النحل أو اختلاف الفصل/ فيه ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ [الآية 69] إما بنفسه كما في الأمراض البلغمية أو مع غيره كما في المعاجين الطبية، والأظهر أن تنكيره للتعظيم لا للتبعيض المنافي للمرتبة المدحية. وقيل: الضمير للقرآن من مبانيهِ ومعانيهِ أو لما بين الله من أحوال النحل فيه ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الآية 69] فإن من نذير اختصاص النحل بتلك العلوم الغريبة والأفعال العجيبة علم الله أنه لا بد من قادر حكيم يلهمها ويحملها على عملها.

قال ابن عطاء: ألهمها ودلّها على موضعها وعملها كيف تضع ما في

بطنها حيث لا تضع إلا على حجر نظيف أو خشب لطيف لا يخلطه طين ولا تراب، ثم قال: ﴿كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [الآية 69] مما عليه رزقك بلا حساب، ثم أمرها بالتواضع في كل باب فقال: ﴿فَٱسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا﴾ [الآية 69] منقادة لربّ الأرباب مسبِّب الأسباب ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ﴾ [الآية 69] جعل ما يخرج من النحل شيئين لا يصفيهما إلا النار فإذا صفتهما صارا عسلاً وشمعاً، فالعسل هو غذاء الخلق وشفاء من الحق، والشمع موضوع للحرق، كذلك إذا أخلص العبد عمله خلص له ونفعه ما خالطه برياء وشرك فلا يصلح إلا ليحرقه.

وقال أبو بكر الوراق: النحلة لما اتبعت أمر ربّها وسلكت سبيلها جعل الله شفاء للناس لعابها كذلك المؤمن إذا اتبع الأمر وحفظ السر وأقبل على الحق جعل رؤيته ومجالسته وكلامه شفاء للخلق فمن جالسه سعد ومن نظر إليه اعتبر ومن سمع كلامه اتعظ وتبصّر.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه عرف الخلق أن التفصيل ليس من جهة القياس والاستحقاق فإن النحل لم يكن له خصوصية في القامة والصورة والرتبة جعل ما وراءه عسلاً هو شفاء للناس والإنسان في كمال صورته وتمام عقله وفطنته وما اختص به االأنبياء والأولياء من الرتبة جعل ما وراءهم بحيث لا يخفى من الوحشة، فأي فضيلة للنحل وأي ذنب للإنسان في هذه الدار ليس ذلك إلا صدق الاختيار. ويقال: إن الله سبحانه أجرى بسنَّته أن يخفي/ كل شيء عزيز 126/أ
خطير في شيء حقير جعل الإبريسم[1] في الدود هو أصغر الحيوانات وأضعفها والعسل في النحل وهو أضعف الطير وأصغرها وجعل الدر في الصدف وهو أوحش حيوان من حيوانات البحر وأودع الذهب والفضة والفيروزج[2] ونحوها في الحجر كذلك أودع المعرفة والمحبة في قلوب المؤمنين وهم أضعف الناس وأقلهم إذ فيهم من يعصي وفيهم من يخطىء.

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ﴾ [الآية 70] بأحوال مؤتلفة ﴿ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ﴾ [الآية 70] بآجال

---

(1) ضرب من الأصباغ. انظر لسان العرب (2/ 345) وتاج العروس (1/ 1479).
(2) أرقى أنواع الحرير.

مختلفة ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾ [الآية 70] يعاد إلى أخسّه من الهرم الذي يشابه الطفولية في نقصان العقل وضعف القوة البدنية ﴿لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ [الآية 70] لسوء الفهم ونسيان العلم.

قال عكرمة: حافِظ القرآن محفوظ من هذه البلية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾ [الآية 70] بمقادير أعمارهم ومراتب أعمالهم ﴿قَدِيرٌ﴾ [الآية 70] على تغيير أحوالهم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه خلق الإنسان في أحسن تركيب وأزين ترتيب في الأعضاء الظاهرة والأجزاء الباطنة من النور والضياء والفهم والذكاء وذوقه من العقل والتفكير والعلم والتبصير وفنون المناقب التي خصّه بها من الرأي والتدبير ثم في آخر عمره جعله إلى أرذل العمر مردوداً وأراه كل يوم ألماً جديداً، ويقال: أرذل العمر في التحقيق هو أن يرد إلى الخذلان بعد التوفيق فيكون في أول أحوال عمره مطيعاً ثم يصير في آخره عاصياً أو هو أن يرغب في عنفوان شبابه في الإرادة فيسلك طريق الله مدة ثم يقع له فَتْرَة فينفسخ عقد إرادته ويرجع إلى الدنيا بهمَّته. وعند القوم إن هذا في السلوك ردّة أو هو ميل المرءِ إلى محبة الرياسة أو اجتماع المظالم.

﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ﴾ [الآية 71] كما في بسط الخلق وحسن الخلق وحصول الرفق فمنكم غني ومنكم فقير ومنكم عزيز ومنكم حقير ومنكم مالك يتولى رزقه ورزق غيره ومنكم مملوك حاله بخلاف أمره ﴿فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ﴾ [الآية 71] فليس الذين فضلوا في رزقهم بمعطي رزق أنفسهم ﴿عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ [الآية 71] أي مماليكهم وخدمهم فإن ما يردون
126/ب عليهم/ بعض رزقهم الذي جعل الله في أيديهم ﴿فَهُمْ﴾ [الآية 71] أي الموالي ومماليكهم ﴿فِيهِ سَوَآءٌ﴾ [الآية 71] مستقرون في رزق الله إياهم ﴿أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الآية 71] حيث يتخذون غيره ربّاً يعبدون أو يعتقدون سواه منعماً يشكرون له ويحمدون. وقرأ أبو بكر بالخطاب لمناسبة ما قبله من قوله: ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ﴾ [الآية 71].

قال إبراهيم الخواص: منهم من جعل رزقه في الطلب والسجدة، ومنهم من جعل رزقه في الكسب والصنعة، ومنهم من جعل رزقه في القناعة، ومنهم من جعل رزقه في التوكل طلباً للراحة، ومنهم من جعل رزقه في الكفاية، ومنهم من جعل رزقه في المشاهدة كما قال سيد المرسلين: «أبيت عند ربي يطعمني ويسقين»[1].

وأفاد الأستاذ: أن أرزاق المخلوقات مختلفة، فمن مضيّق عليه رزقه ومن موسّع عليه رزقه، ومن أرزاق هي أرزاق النفوس وأرزاق هي أرزاق القلوب وأرزاق هي أرزاق الأرواح وأرزاق هي أرزاق الأسرار، فأرزاق النفوس لقوم توفيق الطاعات ولآخرين خذلان السيئات، وأرزاق القلوب لقوم حضور القلب باستدامة ذكر الربّ ولآخرين اشتغال أرواحهم في أحوالهم بالعلاقة بينهم وبين أشكالهم فيكون ولاءهم ومحبتهم لأمثالهم وأرزاق الأسرار لا تكون إلا بمشاهدة الحق ومطالعة الأنوار، فأما مَن لم يكن من هذه الجملة فليس من أصحاب الأسرار بل هو محجوب تحت أستار أغيار الأغيار.

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ [الآية 72] أي من جنسكم نساء قابلة لأن تتزوجوهن وتسكنوا إليهن وجعل بينكم مودّة ورحمة لتأنسوا بها ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ [الآية 72] أي بنات خادمات أو أولاد البنين والبنات فيكون في بنين تغليب الذكور على الإناث فالاكتفاء بهم لأنهم زينة الحياة الدنيا وأصحاب الإناث.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه رد الخلق إلى الخلق وشغل الخلق بالخلق لأن الجنس أولى بالجنس كاجتماع الجن بالجن والتئام الإنس بالإنس لزيادة الأنس. ولما أراد الحق فينا جنس الخلق هيّأ سبب التناسل من النسل لاستبقاء مثل الأصل ثم منَّ علينا بخلق البنين وابتلى قوماً بالبنات ﴿وَرَزَقَكُم

(1) أخرجه ابن راهويه في المسند (2/ 463) رقم (1035)، ومالك في الموطأ (2/ 188) رقم (5).

127/ أ ﴿مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ﴾ [الآية 72] الحلالات / أو المستلذات، ومن للتبعيض فإن ما في الدنيا أنموذج من العقبى. وقيل: الرزق الطيب ما فتح لك من غيره للاستشراف والطلب.

وأفاد الأستاذ: أن الرزق الطيب لقوم ما يستطيبه نفسه ولآخرين ما يستطيبه سرّه فمنهم من يستطيب مأكولاً ومشروباً ومنهم من يستطيب خلوة وصفوة إلى غيره من الأرزاق المختلفة والأوقاف المؤتلفة ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 72] وهو حسبان شيء من الأغيار وتعلق القلب بهم في استبقائهم واستدفاع محظور واستجلاب محبوب في هذه الدار ﴿وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ [الآية 72] حيث أضافوا نعمه إلى غيره مع رجائهم منه خيره.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا﴾ [الآية 73] من المطر والنبات وغيرهما من الطيبات ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [الآية 73] أي يملكوا حالاً من الحالات ولا يملكوا من الصفات.

وأفاد الأستاذ: أن تعليق القلب بشيء من الشخص أو السبب معناه لعبادة غير الرب من حيث إنه تضييع وقت فيما لا يعنيه وفيه استجلب من الله في التحقيق معتقه.

﴿فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَۚ﴾ [الآية 74] لا تجعلوا له مثلاً تشركون به أو تقيسون عليه، فإن ضرب ﴿ٱلْأَمْثَالَۚ﴾ [الآية 74] هو تشبيه الأموال بالأحوال إن الله يعلم فساد ما يعدون بما يعتمدون عليه من القياس على أن عبادة عبيد الملك وخدمه أدخل في التعظيم من عبادة الملك نفسه وأنتم لا تعلمون ذلك بجهلكم بما هنالك ولو علمتم لما جرأتم أوانه سبحانه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ﴾ [الآية 74] كيف يضرب الأمثال ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الآية 74] حقيقة الأحوال، وهو المناسب لما بعده من المقال ويؤيده ما أفاد الأستاذ بقوله: كيف يضرب الأمثال لمن لا يساويه شيء في الذات والصفات وكمال الأفعال ومن نظر إلى الحق من حيث الخلق وقع في ظلمات تيه المسببية بعيداً عن مقام التحقيق والتنبيه.

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ [الآية 75] يكون تصرفه

فيه مستحسناً ﴿وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا﴾ [الآية 75] خيراً كثيراً ﴿فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُۥنَ﴾ [الآية 75] أي لا يستوي/ الأحرار والعبيد نفعاً وضرّاً 127/ ب
مثل ما يشركه به سبحانه بالمملوك العاجز عن التصرف في شأنه ومثل ذاته بالحر المالك المتصرف بماله، والتسوية بينهما مع تشاركهما في المخلوقية والجنسية على امتناع التسوية بين الأصناف التي هي أعجز البرية وبين الله الجامع للصفات الألوهية والنعوت الربوبية، أو هو تمثيل للكافر المطلق والمؤمن الموفق، وقيد العبد بالمملوك احتراس عن الحر فإنه أيضاً عَبَدَ الله وسلب القدرة احتراز عن المكاتب والمأذون وجعله قسماً للمالك دال على أن المملوك لا يملك خلاف المالك.

وفي «تفسير السلمي» قال بعضهم: أخبر الله تعالى عن العبد وصفته فقال: لا يقدر على شيء فمن رجع إلى شيء من علمه وعمله وحاله وقاله فإنه المتبري من العبودية وهو منازعة الربوبية فإن العبودية هو أن يتجلى عن سوى معبوده ويرى الأشياء بوجوده ويرى نفسه له في شهوده ومشاهدة كرمه وجُودِهِ.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه شبّه الكافر في كفران سيده نعمة، والعبد المملوك الذي لا ملك له والمؤمن المخلص فيما حققه بمن رزقه ثم بالخيرات وفقه ثم وعده الثواب وحسن المآب على ما أنفقه ثم نفى عنه المساواة فليس كل مَن كان بنفسه ملاحظاً لأبناء جنسه متمادياً في حسبان غلطه كما كان قائماً بربّه مصطلماً عن مشاهدته النائب عنه غيره.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الآية 75] كل الحمد له لا يستحقه سواه لأنه مولى النِّعم كلها ومقدِّر أسبابها بأسرها ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 75] فيعبدون سواه ويضيفون نعمه إلى غيره مع أنهم يأكلون من رزقه ويرجون خيره.

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ﴾ [الآية 76] ولد أخرس لا يفهم ولا يفهم عنه ﴿لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ [الآية 76] من تدبير عمله لنقصان عقله ﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ﴾ [الآية 76] ثقيل وعيّال على ولي أمره ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ﴾ [الآية 76] حيث ما يرسله مولاه في أمر ينفعه ﴿لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾ [الآية 76] من كفاية مهمة ﴿هَلْ يَسْتَوِى﴾ [الآية 76] أي في الفضل ﴿هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾ [الآية 76]

128/أ أي ومَن هو فهيم منطيق عليم ذو كفاية ورشد/ ورعاية ينفع نفسه وينصح غيره يحثّه على العدل الشامل الجامع الفضائل ومكارم الشمائل ﴿وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الآية 76] في دين قويم لا يتوجه إلى مطلب إلا ويبلغه بسعي أقرب، وهذا تمثيل آخر ضربه الله لنفسه والأصنام لإبطال المشاركة بينه وبينها كما وقعت في الأوهام أو للمؤمن والكافر وبرهان ملة الإسلام وبطلان عبادة الأصنام.

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 77] أعلم ما غاب فيهما عن العباد تختص به سبحانه لا يعلمه غيره كقوله: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام:الآية 59]، ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [الآية 77] أي ما أمر قيام القيامة في السهولة والسرعة ﴿إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ﴾ [الآية 77] كرجع طرف النظر ﴿أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [الآية 77] في تصور أهل الفكر وأو بمعنى بل، وقيل للتخيير في تخييل التمثيل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الآية 77] فيقدر أن يحيي الخلائق دفعة ولو كان إحياؤهم متدرجة.

قال النهر جودي: الحق سبحانه ستر غيبه من خلقه وستر أولياءه إلا عن الصدِّيقين من عباده فالإشراف على الغيب عزيز والإشراق على الأولياء أعز.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه استأثر الغائبات فسترها على المخلوقات فيخرج قوماً في صدر الولاية ثم ينقله إلى صفة العداوة ويقيم قوماً برقم العداوة ثم يردهم إلى وصف الولاية فالعواقب مستورة والخواتم مبهمة والخلق في عقله مما يراد منهم أي غفلة.

﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ [الآية 78] وقرأ الكسائي بكسر الهمزة على أنه لغة فيها أو إتباع لما قبلها وهمزة بكسرها وكسر ما بعدها والهاء مزيدة أو لغة ﴿لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ [الآية 78] جهالاً ومقالاً ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ [الآية 78] أداة تتعلمون بها فتحسون بمشاعركم جزئيات الأشياء فتدركونها ثم تنتبهون بقلوبكم لمشاركات في الكليات ومباينات في الجزئيات لتتمكنوا من حصول العلوم البديهية الوهبية ووصول المعالم النظرية والكسبية ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الآية 78] كي تفرقوا بعض نعمه وتقوموا بحق شكره من

اجتناب زجره واكتساب أمره.

128/ ب قال الواسطي: لا تفهمون شيئاً مما أخذ عليكم من الميثاق في وقت/ يلي.

وقال أبو عثمان المغربي: جعل لكم السمع لتسمعوا به خطاب الأمر والنهي والأبصار لتبصروا به عجائب القدرة والأفئدة لتعرفوا بها آثار موارد الحقيقة ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الآية 78] تبصرون دوام نعمي فترجعوا إلى بابي وعتبتي.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه خلقهم من غير أن شاورهم وأنبتهم على الوصف الذي أراده دون أن خيّرهم ولم يعلموا بماذا سبق حكمهم بالسعادة خلقهم أو للشقاوة عن العدم أخرجهم، ويقال: أخرجهم من بطون أمهاتهم فلا صلاح أنفسهم علموه ولا صفة ربهم عرفوه، ثم بحكم الإلهام هداهم حتى قبل الصبي ثدي أمه وإن لم يسبق له تعريف، كذلك اهتدى المؤمن إلى ربّه بحكم الإلهام والإكرام وإن لم يكن قد تقدمه لا تفريق ولا تخويف ولا تكليف ولا تعنيف، ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ﴾ [الآية 78] لتسمعوا خطابي ﴿وَالْأَبْصَارَ﴾ [الآية 78] لتعتبروا بأفعالي ﴿وَالْأَفْئِدَةَ﴾ [الآية 78] لتعرفوا حق إكرامي فتشكروا عظيم إنعامي.

﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ [الآية 79] وقرأ ابن عامر وحمزة بالخطاب أي ألم ينظروا ﴿إِلَى الطَّيْرِ﴾ [الآية 79] اسم جنس بمعنى الطيور حال كونهن ﴿مُسَخَّرَاتٍ﴾ [الآية 79] مذلّلات للطيران بما خلق لها من الأجنحة والأسباب المؤاتية ﴿فِي جَوِّ السَّمَاءِ﴾ [الآية 79] أي الهواء والخلاء ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ﴾ [الآية 79] فإن ثقل جسدها يقتضي نزولها وسقوطها ولا علّاقة فوقها تمنعها ولا دعامة تحتها تمسكها ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ [الآية 79] أي تسخير الطير للطيران ﴿لَآيَاتٍ﴾ [الآية 79] بأن خلقها خلقة يمكن الطيران معها وخلق الجو بحيث يمكن الطيران فيه وإمساكها في الهواء على خلاف مقتضى طبعها ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 79] خصّ بهم لأنهم هم المنتفعون.

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾ [الآية 80] موضعاً تسكنون فيه وقت

الحضر كالبيوت المتخذة من الحجر والمدر ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا﴾ [الآية 80] أي سكناً وقت السفر وهي القباب المتخذة من الأدم وكذا الخيام المتخذة من الوبر والشعر فإنها من حيث إنها ثابتة على جلودها يصدق عليها أنها منها ﴿تَسْتَخِفُّونَهَا﴾ [الآية 80] تجدونها خفيفة تخفّف عليكم باعتبار حملها ونقلها
129/أ ﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ﴾ [الآية 80] وقت/ رحلتكم ﴿وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾ [الآية 80] أي وكذلك يخف عليكم باعتبار وضعها أو ضربحها وقت الحضر أو حال النزول في السفر. وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بفتح العين.

وقال الأستاذ: للنفوس وطن وللقلوب وطن والناس على نفسهن مستوطن ومسافر، فكما أن الناس بنفوسهم مختلفون فكذلك بقلوبهم منقلبون فالمريد والطالب مسافر بقلبه لأنه متلوّن فيرتقي من درجة إلى درجة، والعارف مقيم مستوطن لأنه واصل متمكّن والطريق إلى الله منازل ومراحل ولا يقطع تلك المنازل بالنفوس وإنما يقطع بالقلوب فالمريد سالك مسافر والعارف واصل مجاور ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ﴾ [الآية 80] الصوف للضأن والوبر للإبل والشعر للمعز وإضافتها إلى ضمير الأنعام لأنها من جملتها في الأنعام ﴿أَثَٰثًا﴾ [الآية 80] ما يُلبس ويُفرش ﴿وَمَتَٰعًا﴾ [الآية 80] ما يتّجر ويدّخر ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الآية 80] وقت مماتكم أو انتهاء قضاء حاجاتكم.

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ﴾ [الآية 81] من الشجر والحجر والأبنية والغمامة ﴿ظِلَٰلًا﴾ [الآية 81] تتقون بها حر الشمس وسمومها ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ﴾ [الآية 81] أي من الكهوف والبيوت المنحوتة ﴿أَكْنَٰنًا﴾ [الآية 81] جمع كن أي مواضع تسكنون بها ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ﴾ [الآية 81] ثياباً من الصوف والكتان والقطن وغيرها ﴿تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [الآية 81] أي والقر، وحفص بما ذكر اكتفاء بأحد الضدّين عن الآخر والإيماء إلى أن وقاية الحر لهم كانت أم عندهم ﴿وَسَرَٰبِيلَ﴾ [الآية 81] ما يلبس من الدروع والجوشن ﴿تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾ [الآية 81] ويلات حربكم ﴿كَذَٰلِكَ﴾ [الآية 81] كإتمام النعمة السابقة ﴿يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية 81] في الأزمنة اللاحقة ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ [الآية 81] تنقادون لأمره وتقومون لحق شكره. قال بعضهم: تمام النعمة الانقطاع عن النعمة

بالسكون إلى المنعم.

وقال حمدون: تمام النعمة في الدنيا المعرفة وفي الآخرة الرؤية.

﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ [الآية 82] أي أعرضوا عنك ولم يقبلوا منك فلا يضرّك في أمر الدين ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [الآية 82] وقد بلّغت الرسالة وكشفت الغمة ونصحت الأمة.

وقال الأستاذ: أي فما عليك إذا بلّغت الرسالة إذ ما جعلنا إليك حكم الهداية والضلالة.

/ ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ [الآية 83] حيث يتقلبون فيها ويغترفون منها أو 129/ب
يعترفون بها ﴿ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ [الآية 83] حيث لا يشكرونها ويعرضون عن أداء حقوقها بل يكفرون بعبادة غير منفعها، ومن جملتها نعمة نبوّة محمد ﷺ ومعجزاته عرفوها ومن غاية العناد أنكروها ومعنى ثم استبعاد النكرة بعد المعرفة ﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [الآية 83] لأن بعضهم قد يؤمنون فهم شاكرون.

وأفاد الأستاذ: أنهم يعرفون في حال توبتهم قبح ما كانوا عليه في حال زلتهم ثم إذا أنقضوا توبتهم صاروا كأنهم لم يعرفوا نعمتهم.

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ [الآية 84] وهو نبيّهم يشهد لهم وعليهم بإيمانهم وكفرانهم ﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الآية 84] في الاعتذار عنهم إذ لا عذر لهم في العقبى ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [الآية 84] لا يسترضون إذا فاتهم مقام العتبى والرضى في الدنيا.

﴿وَإِذَا رَءَا الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ﴾ [الآية 85] جزاء الظلمة الظلمة الواقعة في الحجاب ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ﴾ [الآية 85] أي العقاب ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [الآية 85] يمهلون وراء الباب.

﴿وَإِذَا رَءَا الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ﴾ [الآية 86] أي مما ادعوها شركاً من أصنامهم أو ممن أشركوهم في الكفر بالحمل عليه من شياطينهم ورؤسائهم ﴿قَالُوا رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِن دُونِكَ﴾ [الآية 86] نعبدهم أو نطيعهم

من غيرك وهو اعتراف بأنهم مخطئون في ذلك أو التماس كأن يشطر عذابهم هناك ﴿فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الآية 86] أي فأجابوهم بالتكذيب في أنهم شركاء لله أو في أنهم حملوهم على الكفر وألزموهم إياه.

﴿وَأَلْقَوْا﴾ [الآية 87] أي أظهروا كلهم ﴿إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ﴾ [الآية 87] الاستسلام لحكمه في العقبى بعد استكبارهم عنه في الدنيا ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾ [الآية 87] أي بطل وضاع منهم ﴿مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [الآية 87] من آلهتهم ينصرون أو يشفعون حيث كذبوهم وتبرؤوا منهم.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الآية 88] بالمنع عن الإيمان والحمل على الكفران ﴿زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ﴾ [الآية 88] على وفق ضلالهم وإضلالهم ﴿بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ [الآية 88] من أعمالهم وأحوالهم.

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الآية 89] يعني تبياناً،
130/أ فإن نبي كل أمة بُعِث / منهم ﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ﴾ [الآية 89] على أمتك من الأعداء والأولياء، وقيل على هؤلاء الأنبياء فإنه مزك لهم كما أن أمته مزك لأممهم ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ [الآية 89] أي القرآن الجامع للأبواب ﴿تِبْيَانًا﴾ [الآية 89] بياناً وبرهاناً ﴿لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [الآية 89] ما يحتاج إليه في الحال والمآل بحسب ما يليق به من التفصيل والإجمال المبين بالسنَّة أو قياس الأئمة ﴿وَهُدًى﴾ [الآية 89] للناس من الكافرين والمؤمنين كافة ﴿وَرَحْمَةً﴾ [الآية 89] للمتقين عامة ﴿وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [الآية 89] أي المنقادين من المحسنين خاصة وإنما حرمان المحروم من تفريطه في الطاعة، وفي الآية إشارة إلى ما نسب إلى ابن عباس رضي الله عنه من قوله:

جميع العلم في العلم لكن ... تقاصر عنه أفهام الرجال[1]

وأفاد الأستاذ: أن فيه للمؤمنين شفاء وهو لهم ضياء وعلى الكافرين بلاء وهو لهم سبب محنة وشقاء.

---

(1) انفرد في ذكره الملا علي رحمه الله تعالى.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾ [الآية 90] أي بمطلق العدالة من التوسط في الأمور اعتقاداً كالتوحيد بنعت التنزيه المتوسط بين التعطيل والتشبيه، وكالقول بالكسب المتوسط بين محض الجبر وصرف القدر وعملا يه كالتقييد بأداء الواجبات وسنن المكملات المتوسط بين البطالة ومبالغة الرهبة وخلقاً كالجرد المتوسط بين التقدير والتدبير وكذا في سائر الأخلاق والأحوال من الأكل والشرب واللباس المختلفة بحسب الكمية والكيفية الواقعة بين الناس في العادة المؤتلفة ولذا قالوا: الإرادة هي ترك العادة ﴿وَٱلْإِحْسَـٰنِ﴾ [الآية 90] أي إحسان الطاعة، وأكملها ما بيَّنه ﷺ بقوله: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه»[1]، أو الإحسان إلى أفراد الحيوان وأصناف الإحسان ﴿وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الآية 90] أي وإعطاء الأقارب ما يحتاجون إليه على سبيل الندب أو الواجب ولو كانوا كالعقارب وهو تخصيص بعد تعميم ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ﴾ [الآية 90] ما يفحش فعله كالكبائر ﴿وَٱلْمُنكَرِ﴾ [الآية 90] ما أنكرته الشريعة ولو من الصغائر ﴿وَٱلْبَغْىِ﴾ [الآية 90] وهو شامل لأنواع الظلم المتعدي إلى الغير، فالآية كما قال ابن مسعود هي أجمع آية للخير
130/ب والشر[2] وقد صارت سبب/ إسلام عثمان بن مظعون أخوال برضاعة النبي ﷺ ﴿يَعِظُكُمْ﴾ [الآية 90] ينصحكم بالأمر والنهي والتمييز بين الخير والشر ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الآية 90] تتدبرون فتتعظون ولو لم يكن في القرآن غير هذه الآية لصدق عليه أنه تبيان لكل شيء وهدى ورحمة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أمر عبده بالعدل فيما بينه وبين ربّه بإيثار حقه على حظه وتقديم رضاه على هواه والتفرُّد بملازمة جميع الأمور والتجرُّد عن جميع الزواجر وبالعدل فيما بينه وبين نفسه وهو منعها مما فيه هلاكها كما قال تعالى: ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ [النّازعَات:الآية 40] فكمال عدله من نفسه كي عروق طمعه وبالعدل بينه وبين الخلق وهو بدل النصيحة وترك الخيانة ونصب العوام منه بدل النداء وكف الأذى وصفة الخواص بدل الإنصاف وترك

---

(1) سبق تخريجه.
(2) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (9/ 134) رقم (8659)، والبيهقي في شعب الإيمان (2/ 473) رقم (2440).

الانتصاف وإسداء الأنعام وترك الانتقام وكف الأذى والصبر على تحمُّل ما يصيبه منهم من البلوى، وأما الإحسان في الفعل فالحسن من أفعالنا ما أمر الله به وأذن لنا فيه بخدع فاعله. ويقال: الإحسان أن تقضي ما عليك من حق وتترك كل ما لك عند أحد.

﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 91] أي بقبول عهده من عهدة القيام بأمره ونهيه ﴿إِذَا عَٰهَدتُّمْ﴾ [الآية 91] الله بالأيمان في سماع وعده ووعيده أو بعهده إياكم في الميثاق باستدامة الإيمان ﴿وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ﴾ [الآية 91] أي أيمان البيعة أو الأيمان المتفارقة ﴿بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ [الآية 91] توثيقها بذكر الله عليها ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ [الآية 91] شاهداً بتلك المقالة أو الحالة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الآية 91] ما توفون وما تنقضون. قيل: من تحمل العهد بنفسه وصوله نقضه في أول قدمه ومن تحمله بربه حفظ عليه في ميثاقه وعهده.

وقال الواسطي: قد تقدمت العهود في الميثاق الأول فمن أقام على وفاء ميثاقه فتح له طريق حقائقه ومن خاف أغلق دونه مسالك رشده.

وقال الأستاذ: لكل قوم منهم عهد مخصوصٌ عاهدوا الله عليه فهم
131/أ الطالبون بالوفاء بعهده، فنزاهة عهده أن لا يرجع إلى الدنيا فإذا رجع/إلى ما تركه منها فقد نقض عهده ولم يوف بوعده، والعابد عاهده في تركه، والمراد عاهده في ترك العادة وإيثاره بكل وجه في العبادة والعارف عهده التجرُّد له وإنكار ما سواه، والمحب عهده القول بترك نفسه معه، والموحِّد عهده الأسمى عنه وإفراده إياه وغيبته عما سواه، والعبد منهي عن نقض عهده مأموراً بالوفاء به.

﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا﴾ [الآية 92] أي مغزولها ﴿مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾ [الآية 92] بعد إبرام وإحكام في غزلها ﴿أَنكَٰثًا﴾ [الآية 92] طاقات، نكثت فتلها بقطعها أو حلها وكانت ريطنة القرشية تفعل هذه القضية فإنها كانت خرقاء وتسمى حمقاء ﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلَۢا بَيْنَكُمْ﴾ [الآية 92] أي لا تكونوا متشبهين بامرأة هذا شأنها متخذي أيمانكم دخلاً ومسدة فيما بينكم ﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾ [الآية 92] بأن يكون جماعة أكثر عدداً وأوفر عدداً من جماعة،

والمعنى لا تقدروا في بيعتكم بقوم لقلتهم وكثرتكم.

وأفاد الأستاذ: أن من نقض عهده أفسد بآخر أمره أوله وهدم بفعله ما أسّسه، وقطع بيده ما غرسه، وكان كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا﴾ [الآية 92] من بعد ما أبرمت فتلها. وإن السالك إذا وقعت له فترة والمريد إذا حصلت له في الطريق وقفة، والعارف إذا حصلت له حجة، والمحب إذا استقبله فرقة، فهذه محن قطيعة ومصائب فجيعة، وكما قيل:

فلأبكين على الهلال تأسُّفاً   خوف الكسوف عليه قبل تمامه(1)

فهؤلاء كسفت شمسهم وانطفأ بهم في ليلة مظلمة سراجهم وانتثرت من سماء صفاتهم نجومهم وأصاب أزهار أنسهم وربيع وصلهم إعصار فيه بلاء شديد وعذاب أليم أكيد، فإن الحق سبحانه إذا أراد بقوم بلية فكما قال: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام:الآية 110] كما لم يؤمنوا به أول مرة وآثار سخطة الملوك موجعة وقضية إعراض السلطان موحشة، وكما قيل:

والصبر يحسن في المواطن كلها   إلا عليك فإنه مذموم(2)

هنالك تُسكب العبرات وتُشق الجيوب وتُلطم الخدود وتُعطل العشار وتخرب المنازل وتُسد الأبواب وتُغلق مسوح المصيبة من جدران المعاني،
131/ب وينوح/ نائحهم في جميع المباني ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ﴾ [الآية 92] أي يمتحنكم للقيام بالأمر بحبل الوفاء أو بنقض العهد وإظهارالجفاء.

وأفاد الأستاذ: أن كل أحد وقوع بلائه على ما يليق بحاله، فمن كان بلاؤه بحديث دنياه أو بنفاية عن هواه أو بحرمانه كلف ما به في عقباه فاسم البلاء في صفته مجاز في الحقيقة، ثم هذا بلاء العام، وأما بلاء الكرام فغير هذا المرام، كما قيل:

من لم يبت والبين يقرع قلبه   لم يدر كيف تفتت الأكباد(3)

---

(1) ذكره القشيري في تفسيره (4/ 195).
(2) نسب إلى العتبي. انظر الوساطة بين المتنبي وخصومه (1/ 77) ونور القبس (1/ 71).
(3) نسب إلى عمر بن أحمد بن بديل اليامي. انظر ربيع الأبرار (1/ 209) والورقة (1/ 32).

﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [الآية 92] إذا جازاكم على أعمالكم بالثواب والعقاب وفق أحوالكم.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [الآية 93] أي متحدة وعلى الإسلام متفقة ﴿وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ﴾ [الآية 93] ضلالته بالخذلان ﴿وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [الآية 93] هدايته بتوفيق الإيمان ﴿وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الآية 93] سؤال توبيخ ومجارات للأنام لا سؤال التفريق والاستعلام.

وقال الأستاذ: ليس واقعة القوم بخسران أصابهم في أموالهم أو من جهة تقصير في أعمالهم أو لما ضيّعوا من أحوالهم، هذا لعمري وجوه وأسباب ولكن سر القصة في هذا الباب كما قيل:

أنا صبٌّ مَنْ هَوَيتُ ولكن ... ما احتيالي بسوء رأي الموالي(1)

قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [الآية 93] فلو شاء الله سعادتهم لرحمهم وعن المعاصي عصمهم ولدوام ذكره بدل الغفلة ألهمهم ولكن سبقت القسمة فمن ذلك حصلت الغيبة والقسوة. وما أحسن ما قالوا:

شكا إليك ما وجد ... من خانه فيك الجلد

حيران لو شئت اهتدى ... ظمآن لو شئت ورد(2)

﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾ [الآية 94] تصريح بما علم ضمناً وتأكيد لتقبيح المنهي عنه أولاً ﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌ﴾ [الآية 94] عن محجة الإسلام ولو كانت واحدة ﴿بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾ [الآية 94] أي تحقُّقها بالحجة الواضحة ﴿وَتَذُوقُوا السُّوءَ﴾ [الآية 94] العذاب في الدنيا ﴿بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الآية 94] بإعراضكم عن المولى أو منعكم غيركم عن القيام بحق الوفاء ﴿وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الآية 94] في العاقبة.

وقال الأستاذ: ليكن لتصديقكم بأيمانكم عن تحقيقكم ببرهانكم لأنكم

---

(1) ذكره القشيري في تفسيره (4/ 196).

(2) نسب لأبي الفضل عبد الله بن أحمد الميكالي في مدح عبد الله بن النجم. انظر رسائل الثعالبي (1/ 67).

إذا وقفتم/ على حد التجويز دون القطع واليقين أفضى بكم ترددكم إلى أوطان 132/ أ
شرككم إذ الشك في الله والشرك بالله قرينان في الحكم.

﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟﴾ [الآية 95] أي لا تستبدلوا ﴿بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 95] وبيعة رسوله ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [الآية 95] عرضاً يسيراً وعرضاً حقيراً. سئل جنيد: مَن أحسن الخلق، قال: مَن جعل دينه سبباً وطريقاً للانبساط إلى الخلق في الارتفاق منهم ﴿إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 95] من النصرة والغنيمة في الدنيا والمثوبة والنعمة في العقبى ﴿هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [الآية 95] مما تختارونه من الأدنى ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الآية 95] تميزون بين الأدنى والأعلى.

وقال الأستاذ: لا تختاروا على القيام بحق الله والوفاء بعهد الله عوضاً يسيراً مما تنفقون به من حلالكم وحرامكم فإن ما أعدَّ الله لكم في جناتكم بشرط موافاتكم على إيمانكم يرقى ويربى على ما تتعجلون به من حظوظكم في حسبانكم.

﴿مَا عِندَكُمْ﴾ [الآية 96] من أعراض الدنيا ﴿يَنفَدُ﴾ [الآية 96] ينقضي ويفنى ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 96] من خزائن رحمته وما أعدّه الله للمؤمنين من جنّته ﴿بَاقٍ﴾ [الآية 96] لا ينفذ إلى الأبد.

وقال الأستاذ: أي الذي عندكم بعرض حادث أو وارث والذي عند الله من ثوابكم في مآبكم نعم مجموعة لا مقطوعة ولا ممنوعة. ويقال: ما عندكم أو منكم أو بكم فأفعال معلولة وأحوال مدخولة وما عند الله فثواب مقيم ونعيم عظيم. ويقال: ما منكم من معارفكم ومحابكم آثار متفاوتة وأصناف متناوبة أعمالها غير باقية وإن كانت أحكامها غير باطلة والذي يتصف الحق من رحمته بكم ومحبته لكم وثنائه عليكم فصفات أزلية ونعوت سرمدية. ويقال: ما عندكم من اشتياقكم إلى لقائنا فبعرض الزوال وقبول الانقضاء وما وصفنا به نفسنا كما ورد به الأثر: «طال شوق الأبرار إلى لقائي وأنا إلى لقائهم أشد شوقاً»[1]، فذلك إقبال لا يتناهى وإفضال لا يفنى.

---

(1) جامع الأحاديث القدسية ـ قسم الضعيف (1/ 67) رقم (1140)، وتخريج أحاديث الإحياء (6/ 218) رقم (2569) وقال العراقي: لم أجد له أصلاً.

﴿وَلَنَجْزِيَنَّ﴾ [الآية 96] وبالنون لابن كثير وعاصم ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم﴾ [الآية 96] على الفاقة ولحوق سائر المشقة والكلفة ﴿بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الآية 96] بجزاء أحسن من أعمالهم لحصول آمالهم في الجنة ودرجات القربة.

وأفاد الأستاذ: أن جزاء الصبر الفوز بالطلبة والفوز بالبغية، والهمم في
132/ب الطلبات مختلفة. ويقال: مَن صبر على مقاساة مشقة/ في الله فثوابه وعوضه عظيم من قِبَل الله، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزُّمَر:الآية 10] ومَن صبر عن اتِّباع شهوة لأجل الله وارتكاب هفوة في مخافة الله فجزاؤه كما قال سبحانه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا﴾ [الفُرقان:الآية 75] ومن صبر تحت جريان حكم الله محققاً بأنه يمري من الله فلقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البَقَرَة:الآية 153].

﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [الآية 97] موافقاً لقواعد الشريعة العليا ﴿مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [الآية 97] بالمولى أو الاعتداد بأعمال الكفر في العقبى لاستحقاق الثواب وإنما التوقع عليها تخفيف العقاب إن لم يجتازوا عليها في الدنيا بطول الأعمار وكثرة الأولاد وزيادة الجاه والأسباب ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [الآية 97] يعيش في الدنيا معيشة حسنة فإنه إن كان موسراً تطاف النعمة وإن كان معسراً يطيب عيشه بالقناعة والرضا بالقسمة والفراغ للعبادة وتوقع التوبة العظيمة في الآخرة بخلاف الكافر فإنه إن كان معسراً فظاهر النقمة وإن كان موسراً لم يدع خصوصه وخوف فوته أن يتهنى بعيشه وقال بعمل هو أن يتبرع عن العبد تدبيره ورد إلى تدبير الحسن في حقه بحسب تقديره.

وقال الحريري: هو العيش مع الله والفهم عن الله. وقيل: القناعة، وقيل: عيش الفقراء الراضين، ذكره السلمي ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الآية 97]من الطاعة واختيار القناعة.

وأفاد الأستاذ: أن الصالح ما يصلح للقبول وهو ما كان على وجه أمر به الرسول، فالعمل الصالح لا يكون من غير إيمان فقوله: ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [الآية 97] معناه عمل صالحاً في الحال وهو مؤمن في المآل لأن صفاء الحال لا

يبتغى إلا مع وفاء المآل فإن الأمور بخواتيمها في الاستقبال، ويقال: هو مؤمن في المآل أي مصدق بأن نجاته من فضل الله لا بعمله الصالح. ويقال: هو مؤمن أي مصدق بأن عمله الصالح بتوفيق الله وإحسانه وإبداعه. ثم قوله: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [الآية 97] الفاء للتعقيب فهذا في الدنيا معجل، وقوله: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾ [الآية 97] الواو للعطف فهو في الآخرة مؤجل، ثم من ملك الحياة الطيبة لا يعرف ذلك / بالنطق وإنما يعرف ذلك بالذوق، فقوم قالوا إنه حلاوة الطاعة، وقوم قالوا 133/ أ
إن ذلك القناعة، وقوم قالوا هو الرضا، وآخرون قالوا لذاذة النجوى. ويقال: الحياة الطيبة هي الحضور في الحضرة، وفي معناه قالوا:

نحن في أكمل السرور ولكن ليس إلا بكم يتمّ السرور
عيب ما نحن فيه يا أهل ودّي أنكم غُيَبٌ ونحن حضور[1]

ويقال: الحياة الطيبة للأولياء أن لا يترك لهم مسؤولاً إلا حققه ومأمولاً إلا صدّقه، وأما الخواص فالحياة الطيبة أن لا يكون لهم حاجة ولا سؤال ولا أرب ولا مطلب وكم بين مَن له مراد فيرتفع وبين مَن لا إرادة له فلا يريد شيئاً، الأولون قائلون بشرط العبودية والآخرون معتقون بشرط الحرية.

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الآية 98] أردت قراءته وصدّقت تلاوته ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ [الآية 98] أي استحباباً وقيل وجوباً ﴿مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [الآية 98] أي من تلقين وسوسته وتزيين خطوبه وتحسين متابعته فإنه بمنزلة الكلب على بابه، المنع عما وراء حجابه، وللدفع عن قراءة كتابه ولا يتصور الخلاص عنه إلا بالالتجاء إلى جنابه.

وأفاد الأستاذ: أن شيطان كل واحد ما يشغله عن ربّه فمن سلط عليه نفسه حتى شغله عن ربّه ولو كان بشهود طاعته واستجلاء عبادة أو ملاحظة حال ومرتبة فذلك شيطانه فالواجب عليه أن يستعيذ بالله من شر نفسه وشر كل ذي شر من خلقه.

﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ﴾ [الآية 99] تسلُّط أو برهان ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 145) و(4/ 200) و(7/ 423).

[الآية 99] بطريق العرفان ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الآية 99] في كل آن وزمان فإنهم لا يطيعون الوسوسة إلا فيما يحتقرون على طريق النقلة وسبيل الندرة ولذا أمروا بالاستعاذة للإيمان فإنه ليس له الاستقلال في السلطنة.

﴿إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ﴾ [الآية 100] أي يجيبونه ويطيعونه ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ﴾ [الآية 100] بسببه ﴿مُشْرِكُونَ﴾ [الآية 100] بربّه، قيل: مَن اتبع هواه فقد تولّاه الشيطان وأغواه.

قال النصرأبادي: من صحَّح نِسْبَتَه مع الحق لا يؤثر عليه بعد ذلك منازعة للخلق لا من جهة الطبع الإنساني ولا من الوسواس الشيطاني.

وقال الأستاذ: أنّى يكون للشيطان سلطان والعبد / يعلم أن الحق منفرد بالإبداع متوحِّد بالاختراع، إنما سلطانه على الذين هم في غطاء غفلتهم وستر حسبانهم ومظنتهم فأما أصحاب التوحيد فإنهم يرون الحادثات بالله ظهورها ومن الله ابتداؤها وإلى الله مآلها وانتهاؤها. 133/ ب

﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ﴾ [الآية 101] بناء على نسخها وفق الحكمة ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾ [الآية 101] من المصالح المختلفة باختلاف أحوال الأمة، ﴿قَالُوٓاْ﴾ [الآية 101] ـ أي الكفرة ـ: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍ﴾ [الآية 101] أي على ربك حيث تأمر بشيء ثم يبدو لك خلافه فتنهى عنه فإن الله سبحانه منزَّه عن البدء بأن يتغير علمه في الانتهاء ما لم يتبين له في الابتداء، وهذا من عندهم للبناء على معتقدهم أن القرآن لم ينزل من السماء، وهو جواب إنما، والجملة فيما بينهما اعتراضية أو حالية ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 101] حكمة الأحكام وأنه نازل من عند الملك العلّام.

وقال الأستاذ: ما ازدادوا في طول مدتهم إلا شكّاً على شكّهم وجهلاً على جهلهم لم يصدقوهم في أصل دينه فجروا على منهاجهم في تكذيبه فما زادهم سورة ولا آية إلا ازدادوا شكاً ومرية.

وكذا الملول إذا أراد قطيعة   ملّ الوصال وقال كان وكانا.

﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ﴾ [الآية 102] يعني جبريل الأمين النازل من حظيرة الأنس ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية 102] متلبساً بالحكمة المناسبة للجن والإنس ﴿لِيُثَبِّتَ﴾ [الآية 102] أي الله ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الآية 102] على الإيمان بأنه كلامه بالبرهان فإنه إذا سمعوا الناسخ في معرض البيان لما فيه من غاية المصلحة التي هي غاية الحكمة رسخت عقائدهم وازدادت فوائدهم ﴿وَهُدًى وَبُشْرَىٰ﴾ [الآية 102] للمسلمين، أي وليهدي هداية ويبشر بشارة للمنقاد لحكمه المبين.

قال الواسطي: الأرواح ليس لها نوم ولا موت بل هي جوهرة لطيفة للطفها تسمى روحاً وللطف جبريل عليه السلام يسمى روحاً.

وأفاد الأستاذ: أنهم لفرط جهلهم بربّهم وبعد رتبتهم عن تحصيلهم آجالهم على ذكر الملك ولو كانوا مستغرقين في شهود الملك لما ردوا في حين التعريف إليهم بذكر الملك.

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ [الآية 103] يعنون جبراً
134/أ ويساراً / كانا يصنعان السيف بمكة ويقرآن التوراة والإنجيل جهرة وكان ﷺ إذا مر بهما استمع لقراءتهما ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ﴾ [الآية 103] وقرأ حمزة والكسائي بفتح الياء والحاء أي لغة الذي يميلون بقولهم إلى الاستقامة إليه ﴿أَعْجَمِىٌّ﴾ [الآية 103] غير بين اللِّسان ﴿وَهَٰذَا﴾ [الآية 103] القرآن ﴿لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [الآية 103] ذو فصاحة وبيان.

وقال الأستاذ: لم يستوحش الرسول ﷺ من تكذيبهم وخفاء حاله عليهم بعد علمه بأن الحق يعلم صدقه ويعلم محله وقدره، وأي ضرر يلحق مَن كان مع السلطان مجالسته إذا خفي على الأخسّية من الرعية حالته، ثم إنه أقام الحجة في الرد عليهم حيث قال ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ﴾ [الآية 103] وهذا من فرط جهلهم أنهم توهموا أن هذا القرآن الذي عجز كافة الخلق عن معارضته في فصاحته وبلاغته منقول وحاصل من قبل مَن هو أعجمي القالة أَلْكَنُ النُّطق.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 104] ويظنون أنها من عند مَن

سواه ﴿لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ﴾ [الآية 104] إلى سبيل رضاه ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الآية 104] وحجاب مقيم.

وأفاد الأستاذ: أن من سبق بالشقاوة قسمته لم يتعلق من الحق سبحانه به رحمته ومن لم يهده الله في عاجله إلى معرفته لا يهديه الله في آجله إلى جنته.

﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ [الآية 105] لأنهم لا يخافون عتاباً على كذبهم ولا يرجون ثواباً على صدقهم ﴿وَأُولَٰئِكَ﴾ [الآية 105] أي الكافرون ﴿هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [الآية 105] حقاً على الحقيقة والمفترون في الشريعة والطريقة.

وأفاد الأستاذ: أن هذا من لطائف المعاريض لما وصفوه عليه السلام بالافتراء في الإنباء أناب الحق سبحانه عنه في الجواب فقال: لست أنت المفتري إنما المفتري من كذّب معبوده وجهل توحيده.

﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ﴾ [الآية 106] لسبب إكراه وقع في شأنه ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ﴾ [الآية 106] وتكلّم بكلمة الكفر من طرف لسانه ﴿وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [الآية 106] أي والحال أنه لم تتغير عقيدته من عرفانه فلا عتب عليه من ربّه ولا لأحد تعرُّضه لسببه ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا﴾ [الآية 106]
طاب به نفسه واعتقده / قلبه ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ 134/ب
[الآية 106] ذلّاً أعظم من جرم من كفر بمولاه. روي أن قريشاً أكرهوا عماراً وأبويه ياسراً وسمية على الارتداد فربطوا سمية بين بعيرين وجيء بحربة في قبلها وقالوا: إنك أسلمت من أجل الرجال فقُتلِت وقتلوا ياسراً وهما أول قتيلين في الإسلام وأعطاهم عمار بلسانه ما أرادوا مُكرهاً فقيل: يا رسول الله إن عماراً كفر، فقال: كلا إن عماراً مُلئ إيماناً من قرنه إلى قدمه واختلط الإيمان بلحمه ودمه. فأتى عمار رسول الله ﷺ وهو يبكي فجعل رسول الله يمسح عينيه وقال: «ما لك! إن عادوا لك فعد لهم بما قلت»[1] وهو دليل على جواز التكلُّم بالكفر عند الإكراه

---

(1) تفسير البغوي (5/ 46) وتفسير الرازي (9/ 470) والكشاف (3/ 403).

وإن كان الأفضل أن يتجنب عنه إعزازاً للدين كما فعله أبواه لما روي أن مسيلمة أخذ رجلين فقال لأحدهما: ما تقول في محمد؟ قال: رسول، قال: فما تقول فيّ؟ قال: أنت أيضاً، فخلّاه. وقال للآخر: ما تقول في محمد؟ قال: رسول الله، قال: فما تقول فيَّ؟ قال: أنا أصمّ، فأعاد عليه ثلاثاً فأعاد جوابه فقتله فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «أما الأول فقد أخذ برخصة الله، وأما الثاني فقد صدع بالحق فهنيئاً له»[1].

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه إذا صدع قلب عبده بقلبه وإخلاصه في عقده ثم لحقته ضرورة في حاله خفف عنه حكمه ودفع عنه عناه فإذا تلفّظ بكلمة الكفر مُكرهاً وهو بالتوحيد متحقّق صدراً عُذِرَ فيما بينه وبين الله، وكذلك الذين عقدوا بقلبهم وتجردوا لسلوك طريق ربّهم ثم اعترضت أسباب وانتقت لهم أعذار فبقدر ما يوجبه الحال لو كان لهم ببعض الأسباب اشتغال أو إلى شيء من المعلوم رجوع وإقبال لم يقدح ذلك في صحة إرادتهم ولا يعد ذلك منهم فسخاً لعهدهم في طريقتهم ولكن من رجع باختياره ورضاه ووضع قدماً ورفعه في طريق الله بحكم هواه فقد نقض عهد إرادته لله وفسخ عقد قصده إلى الله وهو مستوجب للحجبة إلى أن تتداركه الرحمة.

﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية 107] إشارة إلى الكفر بعد الإيمان والكفر بعد الفرقان ﴿بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [الآية 107] بسبب أنهم آثروها عليها واستبدلوا ما / بها ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [الآية 107] في علمه 135/أ سبحانه إلى ما يوجب اليقين ويقتضي ثباتهم على الدين.

وأفاد الأستاذ: أن السالك إذا آثروا الحظوظ على الحقوق بقي عن الله ولم يبارك له فيما آثره على حق مولاه، ولقد قالوا:

قد تركناك والذي تريد ... فعسى أن تملّهم فتعودا[2]

(1) تفسير الرازي (9/ 472) والكشاف (3/ 403) وتفسير أبي السعود (5/ 143).
(2) ذكره القشيري في تفسيره (4/ 48).

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ﴾ [الآية 108] أي ختم ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۖ﴾ [الآية 108] فأنبت عن مشاهدة الحق والتأمُّل في آياته من الخلق ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ﴾ [الآية 108] الكاملون في الغفلة حيث اعتقلتهم الحالة الراهنة عن نذير العاقبة.

﴿لَا جَرَمَ﴾ [الآية 109] أي لا بد ولا محالة ﴿أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [الآية 109] الكاملون في الخسارة والواقعون في الحسرة والندامة.

وأفاد الأستاذ: أن مَن تمادى في فترته ولم يترك حاله بملازمة حسرته ازدادت قسوته بعد الصفوة ولم يستمتع بما هو فيه من الاستلذاذ في أيام الفترة كما قال تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٠٩﴾ [الآية 109] فهؤلاء في الحاضرة قبل الآخرة هم المحجوبون وبذلّ البُعد موسومون.

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾ [الآية 110] أي بالولاية والنصرة ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ﴾ [الآية 110] أي عذبوا كعمار وأصحابه وقرأ ابن عامر بصيغة المعلوم أي بعد ما عذّبوا المؤمنين كالحضرمي أكره مولاه جبراً حتى ارتد ثم أسلما وهاجرا ﴿ثُمَّ جَٰهَدُواْ﴾ [الآية 110] بأمره ﴿وَصَبَرُوٓاْ﴾ [الآية 110] على حكمه ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا﴾ [الآية 110] بعد الهجرة والمجاهدة والصبر على المشقة ﴿لَغَفُورٞ﴾ [الآية 110] لما صدر عنهم من المعصية ﴿رَّحِيمٞ﴾ [الآية 110] بقبول التوبة وتوفيق العصمة.

قال سهل: هجروا قرناء السوء بعد أن طهر الفتنة منهم في الصحبة ثم جاهدوا أنفسهم على ملازمة أهل الطاعة وصبروا معهم على تلك الحالة.

وأفاد الأستاذ: أن من صبر حين عزم الأمر المحقق فلم يجنح إلى جانب الرخص وأخذ في الأمر بالأشق أكرم الله حقه وقرَّب مكانه بأن يعمه الحق في محل السيادة ويلقيه في كل حال بالزيادة وربحت صفقته حين خسر أشكاله فيقدم على الجملة وإن قل احتياله.

﴿يَوۡمَ تَأۡتِي كُلُّ نَفۡسٖ تُجَٰدِلُ عَن نَّفۡسِهَا﴾ [الآية 111] تسعى في خلاصها / لا 135/ب

يهمها شأن غيرها فتقول نفسي نفسي ﴿وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ [الآية 111] تُعطى جزاء عملها وافياً ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الآية 111] بزيادة عذاب أو نقصان ثواب. قال بعضهم: ذهب وقت الخلق اشتغالاً بنفوسهم في الدنيا تجادل عن نفسها وفي الآخرة تجادل عنها فمتى تتفرغ لعبادة ربّها، ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: أن غداً كلٌّ مشغول بنفسه ليس له فراغ لغيره وعزيز عبد لا يشتغل بنفسه، قال ﷺ: «مَن كان بحالة لقي الله بها»[1] إنما يكون الفارغ غداً مَن كان اليوم فارغاً وإنما يجادل عن نفسه مَن كان له اهتمام نفسه والمؤمن مَن لا نفس له. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ﴾ [التوبَة:الآية 111] فأنفسهم اشتراها الحق منهم ثم أودعها عندهم فليس لهم فيها حق وإنما يراعون فيها أمر الحق.

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً﴾ [الآية 112] جعلها مثلاً كمكة أو لكل قوم أنعم الله عليهم بالنعمة فأبطرتهم وأوقعتهم في النقمة ﴿كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً﴾ [الآية 112] لا يزعج أهلها مخافة وحركة ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا﴾ [الآية 112] أقواتها في أوقاتها ﴿رَغَدًا﴾ [الآية 112] واسعاً ﴿مِّن كُلِّ مَكَانٍ﴾ [الآية 112] من نواحيها ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 112] بترك الاعتداد بها والقيام بأداء شكرها ﴿فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ﴾ [الآية 112] فأذاقهم ما غشيهم من الجوع والخوف مما عمّهم ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [الآية 112].

وأفاد الأستاذ: أن فراغ القلب عن الأشغال نعمة عظيمة فإذا كفر عبد هذه النعمة بأن فتح على نفسه باب الهوي وانجرّ في قياد الشهوة شوّش الله عليه نعمة قلبه وسلبه ما كان يجد من صفاء وقته فإن طوارق النفوس توجب غروب شوارق القلوب، وفي الخبر: «إذا أقبل الليل من ها هنا أدبر النهار من ها هنا»[2]، فكذلك القلب إذا انقطع عنه معهود ما كان الحق أتاحه له

---

(1) أورده القشيري في تفسيره (2/ 58)، (4/ 142) و(5/ 59).
(2) أخرجه البخاري في الصحيح (1954)، ومسلم في الصحيح (1100/ 51).

أصابه عطش شديد ولهب عظيم.

﴿وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ [الآية 113] ما أصابهم من الجدب الشديد ﴿وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [الآية 113] حال التباسهم بالظلم الموجب للوعيد.

﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ [الآية 114] خالصاً أو ظاهراً أو
136/أ مستلذاً ﴿وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [الآية 114] / تطيعون.

وأفاد الأستاذ: أن الحلال الطيب ما يتناوله العبد على شريطة الإذن يشاهد الذكر على قضية الأدب في ترك الشره وحقيقة الشكر الغيبة عن شهود النعمة بالاستغراق في شهود المنعم.

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ [الآية 115].

وأفاد الأستاذ: أن تناول المحرمات إنما يباح عند هجوم الضرورات فإن ألجأته الضرورة فيقدر ما يسد الرمق في تلك الحالة كذلك عند استهلاك العبد بغلبات الحقيقة فبقدر ما يؤدي الغرض لا بد من رجوعه إلى حال الصحو ثم لا يمكن من التقريح في أوطان التفرقة والتمييز بعد مضي أوقات الصحو لأداء الشرع، وكما قيل:

إن يك منه لي غيبة بعد غيبة فإن إليه بالوجوب إيابي[1]

﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ﴾ [الآية 116] نصب بلا بعد تقولوا ﴿هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾ [الآية 116] بدل منه، وهذا كما قالوا: ﴿مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا﴾ [الأنعام:الآية 139] الآية، ﴿لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ [الآية 116] تعليل لما يتضمن من أغراضهم الفاسدة، وقيل: اللام للعاقبة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [الآية 116] أي لا يفوزون بالمطلب فإن الصدق أنجى في تحصيل الأرب.

(1) ذكره القشيري في تفسيره (4/ 216).

﴿مَتَٰعٞ قَلِيلٞ﴾ [الآية 117] ما يغترون لأجله منفعة قليلة تتقطع في مدة قريبة ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [الآية 117] في الآخرة.

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا مَا قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُۖ﴾ [الآية 118] في سورة الأنعام: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٖۖ﴾ [الأنعام:الآية 146] الآية ﴿وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ﴾ [الآية 118] بالتحريم ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ [الآية 118] حيث فعلوا ما عوقبوا به عليه وفيه تنبيه على أن التحريم للمضرة يكون للعقوبة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه بيَّن أنَّ مَن تقدّمنا تعبدوا بأشياء كما تعبدنا فمنهم من أتى بما أمر به ومنهم من تخلّف عنه وكل عومل له بما استوجبه، من مطيع قلبه قرّبه ومن عاصٍ رده فحجبه.

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ﴾ [الآية 119] بسببها ﴿ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُوٓاْ﴾ [الآية 119] ما أفسدوا وتداركوا ما فوّتوا ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا﴾ [الآية 119] بعد/ التوبة المقرونة بإصلاح الحالة ﴿لَغَفُورٞ﴾ [الآية 119] لتلك 136/ ب
الملة ﴿رَّحِيمٌ﴾ [الآية 119] بالإثابة على الإنابة.

وأفاد الأستاذ: أنهم إذا ندموا على قبيح ما قدموا وأسفوا على كثير ما أسلفوا فيما أسرفوا ومحوا بصوب عبرتهم آثار عثرتهم نظر الله إليهم بالرحمة وعمّهم بأنواع المغفرة.

﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ﴾ [الآية 120] لأنه كان وحده مؤمناً وغيره كافراً ولكماله واستجماع حاله من شمائل وفضائل لأفكار لا توجد معرفة إلا في جماعة كما قيل: ليس من الله بمستنكر لأن يجمع العالم في واحد ﴿قَانِتٗا لِّلَّهِ﴾ [الآية 120] مطيعاً لأمره قائماً بحكمه مداوماً على ذِكْرِهِ ﴿حَنِيفٗا﴾ [الآية 120] ملاعن غير دينه ﴿وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الآية 120] بربّه لكمال تبريه من الشرك حلية وخفية.

﴿شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ﴾ [الآية 121] قال الواسطي: قابلاً لقضائه وقسمته قبول رضا لا قبول كراهة ﴿ٱجۡتَبَٰهُ﴾ [الآية 121] للنبوّة ﴿وَهَدَىٰهُ﴾ [الآية 121] للدعوة ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الآية 121] إلى حصول الجنة ووصول القُرْبة.

وأفاد الأستاذ: إن الشاكر في الحقيقة من يدعي عجزه عن شكره إذا شكره من أجل نعمة لأنه هو الذي خلقه ووفّقه به، واجتباه اختاره وعظم شأنه حتى كان بالكلية له سبحانه وتحقق بأنه عبده وإن رقّاه إلى محل الأكابر من خلقه.

﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ﴾ [الآية 122] رزقه أولاداً طيبة وعمراً طويلاً في السعة والطاعة وحبّبه إلى جميع البرية حتى جميعهم يبنون عليه وينسبون ملتهم إليه، أو النبوَّة أو الرسالة أو مرتبة الخلة ﴿وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الآية 122] لمن أشرف أهل الجنة كما سأله بقوله: ﴿وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يُوسُف:الآية 101]. وقيل: آتيناه في الدنيا المعرفة حتى يصلح في الآخرة لبساط المجاورة.

وقال الأستاذ: أي آتيناه في الدنيا حسنة حتى كان لنا بالكلية ولم يكن فيه لغيرنا بقية.

﴿ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ [الآية 123] أي بعده ﴿أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ﴾ [الآية 123] في توحيد الحق ودعوة الخلق على وفق الرفق ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الآية 123] بل كان قدوة الموحدين وعهدة المحتفين الذي جادل فرق المشركين وأبطل مذاهبهم الزائفة بالحجج الدامغة.

قال الدينوري: أمر النبي ﷺ باتباع الخليل لئلا يأنف أحد عن الاتباع
بعد ظهور الدليل، وملّة إبراهيم كان حسن الخلق والسخاء والإيثار والوفاء
فزاد ﷺ حتى جاد بالكونين عوضاً عن المكوّن / الكريم فقيل له: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ 137/ أ
خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾ [القَلَم:الآية 4].

﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبۡتُ﴾ [الآية 124] تعظيمه والتحلي للعبادة فيه ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ﴾ [الآية 124] على نبيهم ﴿فِيهِۚ﴾ [الآية 124] في قبوله. والمراد بهم اليهود أَمَرَهُم موسى عليه السلام أن يتفرّغوا للعبادة يوم الجمعة فأبوا وقالوا: نريد يوم السبت لأنه تعالى فرغ فيه من خلق السموات والأرض، فألزمهم الله السبت باختيارهم وشدّد الأمر عليهم ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾ [الآية 124] بمجازاة كل فريق بما يستحقون.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة فيهم أنهم حادوا عن موجب الأمر ومالوا

إلى جوانب هواهم ثم إنهم لم يراعوه حق رعايته فصار سبب عصيانهم، أو جعل العمل في السبت محرّماً عليهم. واختلافهم فيه أن قوماً حرّموا وقوماً أحلُّوا بمعصية منهم.

﴿ٱدْعُ﴾ [الآية 125] أي الأنام ﴿إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ [الآية 125] أي الإسلام ﴿بِٱلْحِكْمَةِ﴾ [الآية 125] بالمقالة المحكمة وهو الحجة الواضحة للحجة المزينة للشبهة ﴿وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ [الآية 125] المخاطبة المقلقة والنصيحة النافعة، فالأولى لدعوة الخاصة والثانية للعامة ﴿وَجَٰدِلْهُم﴾ [الآية 125] أي أهل المعاندة ﴿بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الآية 125] بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين وإيثار الوجه الأيسر والطريق الأشهر فإن ذلك أنفع لتسكين لهبهم وتليين شبقهم. قيل: قدم الحكمة لأنها إصابة المقالة باللسان وإصابة الفكر بالجنان، وإصابة الحركة بالأركان. والمعنى إن تكلم تكلم لحكمة وإن تفكر ففكر لحكمة وإن تحرك تحرك لحكمة وأحسن المجادلة ما ليس له حظ النفس في تلك الحالة.

وأفاد الأستاذ: أن الدعاء إلى الله هو الحث على طاعته والزجر عن مخالفته والدعاء بالحكمة أن لا يخالف بفعله ما يأمر غيره به والموعظة الحسنة ما يكون صادراً عن علمه وحلمه ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [الآية 125] إلى طريقه ودليله، والمعنى أن تبليغ الدعوة وإلزام الحجة عليك، وأما حصول الهداية والضلالة والمجازاة فليس إليك بل هو أعلم منك بالفريقين.

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾ [الآية 126] أمر بالمخالفة وترك
137/ب المخالفة ومراعاة العدالة ولو مع مَن / يناصبه من أرباب الضلالة والجهالة من حيث إن الدعوة تتضمن رفض العادة. وقيل: إنه عليه السلام لما رأى حمزة وما به من المثلة فقال: «والله لئن أظفرني الله بهم لأمثلنّ مكانك بسبعين منهم» فنزلت فكفّر عن يمينه[1] ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ﴾ [الآية 126] أي لِلْصبر ﴿خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (3/ 218) رقم (4894)، والطبراني في المعجم الكبير (3/ 143) رقم (2937)، والبيهقي في شعب الإيمان (7/ 120) رقم (9703).

[الآية 126] من الانتقام للمنتقمين.

ثم خصّ الأمر به لرسوله لأنه أولى الناس به لزيادة علمه ووثوقه بربّه فقال: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [الآية 127] إلا بمعونته وتثبيته ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية 127] على الكافرين في عقوبتهم، أو على المؤمنين في بليتهم ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ﴾ [الآية 127] أي ضيق صدر وقلق قلب ﴿مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [الآية 127] وقرأ ابن كثير بكسر الصاد، ومال أبو سعيد الخراز عن موضع الإباحة بالقصاص على وجه المماثلة ونهي النفس عن هواها من بلوغ مناها وعرف أن الفضل والنصر في احتمال مؤن الصبر بقوله: ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ [الآية 126] فمال النبي ﷺ من العدل إلى موضع الفضل فعرض عليه ذلك وقيل له: إن العبر على الخلق نافلة وعليك فريضة، ثم أعلمه أن ذلك لا يتم له مع الخلق إلا حين نسبته بالخلق، فقال: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [الآية 127].

وأفاد الأستاذ: أن أُجْرِي عليكم ظلم من غيركم فأردتم الانتقام والمكافأة فلا تجازوا أحداً لإذن بما هو في حكم الشرع مبين لكم ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ﴾ [الآية 126] وتركتم الانتصاف لأجل مولاكم فهو خير لمن فعل ذلك منكم. والأسباب التي تحمل المرء على ترك الانتصاف مختلفة فمنهم مَن يترك ذلك طمعاً في أن يرضي الله خصومه، ومنهم من يترك ذلك لأنه يكتفي بعلم الله بما يجري عليه، ومنهم من يترك ذلك لكرم نفسه وتجوّزه عن الخطر ولاستجلابه العفو عند الظفر، ومنهم من لا يرى لنفسه حقاً ولا يعتقد لأحد حقاً لهو في عقد إرادته القول بترك نفسه فعنده مباح ملكه وهدر دمه، ومنهم من ينظر إلى خصمه بعين التسليط عليه جزاء له على ما عمله من مخالفته، قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى:الآية 30] فاشتغاله
138/أ باستغفاره عن جرمه يمنعه عن اتصافه من / خصمه. ثم قوله: ﴿وَاصْبِرْ﴾ [الآية 127] تكليف ﴿وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [الآية 127] تعريف، واصبر أمر بالعبودية، وما صبرك إلا بالله خبر عن حق الربوبية ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية 127] بمطالعة تقديرنا فما لا تجعله عندنا خطراً لا ينبغي أن يوجب فيك أثراً فإن أسقطنا قدره استصغرنا أمره، فإذا عرفت انفرادنا بإيجادهم فلا يضيق قلبك بشدة عداوتهم

وعنادهم فإنَّا إذا ضمنا كفايتك لا نشمتهم بك ولا نجعل لهم سبيلاً إليك.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾ [الآية 128] أي خافوا الله بتعظيم أمره ﴿وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾ [الآية 128] بالشفقة على خلقه.

وقال الأستاذ: إن الله معهم بالنصرة والمعية الخاصة مع الذين اتقوا رؤية النصر من غيرهم وهم أصحاب التبري من الحول والقوة، والمحسن الذي يعبده كأنه يراه وهو حال المشاهدة.

سورة [الإسراء] أو بني إسرائيل

[مكيّة]

وهي مائة وعشرون آية(1)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أفاد الأستاذ: أن بسم الله كلمة ما سمعها عابد إلا شكر عصمته وما سمعها تائب إلا وجد رحمته، كلمة ما حقّقها عارف إلا تفطّر قلبه بنسيم قربته، كلمة ما شهدها واحد إلا قطر دمعه لخوف فرقته.

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الآية 1] سبحان اسم بمعنى التسبيح الذي هو التنزيه عن التعطيل والتشبيه وانتصابه بمضمر ترك إظهاره وتصدير الكلام به للتنزيه عن عجز إسرائه، وأسري وسري بمعنى لكن أسري في مبالغة التقدير أسري. وقوله: ﴿لَيْلًا﴾ [الآية 1] نصب على الظرفية وتنكير للدلالة على تقليل المدة الإسرائية وفيه نوع من الإرادة التجريدية أو التأكيدية لأن الإسراء مختص بالأزمنة الليلية ﴿مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [الآية 1] بعينه لما روي أنه عليه السلام قال: «بينا أنا في المسجد الحرام عند البيت بين النائم واليقظان إذ أتاني جبريل بالبراق أو من الحرم»(2) وسماه المسجد الحرام في الحجر لأنه كله مسجد أو لأنه محيط به، والقول الأول أولى يطابق المبتدأ المنتهي وهو قوله تعالى: ﴿إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الآية 1] حيث لا حرم لذلك المسجد أصلاً أشار إليه صاحب البردة بقوله:

---

(1) كذا في الأصل المخطوط.

(2) أخرجه البخاري في الصحيح بنحوه (3207)، والطبراني في المعجم الكبير (19/ 270) رقم (599)، وابن حبان في الصحيح (1/ 236) رقم (48).

سريت من حرم ليلاً إلى حرم كما سرى البدر في داجٍ في الظلم[1]

المراد أن ما روي أنه كان نائماً في بيت أم هاني ما بعد صلاة العشاء فأُسري به، وقد جمعت بين القولين/ في رسالتي «المعراج العلوي في المعراج النبوي» مع فوائد متعلقة بها لا يستغني الطالب عن تحقيقها، والمراد به بيت المقدس وكونه أقصى لأنه لم يكن حينئذ وراءه مسجد مبارك ﴿ٱلَّذِى بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ﴾ [الآية 1] ببركات الدين والدنيا لأنه مهبط الوحي ومعبد الأنبياء من لدن موسى ومحفوف بالأنهار والأشجار المنتجة للأزهار والأثمار ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ﴾ [الآية 1] كمشاهدة بيت المقدس ومكاشفة الأنبياء وذهابه في برهة من الليل مسيرة شهر ثم الانتهاء إلى عجائب ملكوت السماء ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ [الآية 1] لأقواله ﴿ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الآية 1] بأفعاله فيكرِّمه ويقرِّبه على وفق حاله. 138/ ب

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أخبر عن موسى عليه السلام حين أكرمه بإسماعه من غير واسطة كلامه فقال: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا﴾ [الأعرَاف:الآية 143]، وأخبر عن نبيّنا ﷺ فقال: ﴿أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ﴾ [الآية 1] وليس من جاء بنفسه كمن أسرى به ربه، هذا متحمِّل وهذا محمول، هذا بنعت الفرق وهذا بوصف الجمع، هذا مريد وهذا مراد. ويقال: جعل المعراج بالليل عند غفلة الرقباء وغيبة الحسّاد ومن غير ميعاد ومن غير تقديم استعداد. ويقال: أرسله الحق سبحانه ليتعلم أهل الأرض منه آداب المجاهدة ثم رقاه إلى السماء ليتعلم الملائكة منه آداب المشاهدة. قال تعالى: ﴿مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧﴾ [النّجْم:الآية 17] وما التفت يميناً ولا شمالاً وما طمع في مقام الإكرام حالاً ومآلاً تحرّر عن كل طلب وأرب إلا حب الربّ. وقوله: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ﴾ [الآية 1] كأنه تعريف بالآيات ثم تفريق الصفات ثم كشف الذات. ويقال: أراه تلك الليلة من آياته ما عرف به أنه ليس كمثله شيء سبحانه في جلاله وجماله وعزِّه وكبريائه ومجده وسنائه، ثم أراد من آياته ما عرف به أيضاً أنه ليس أحد من الخلائق مثله في نبوّته ورسالته وعلوّ حالته وجلال رتبته.

(1) البوصيري، انظر دواوين الشعر العربي (9/ 74).

﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟﴾ [الآية 2] أي قائلاً لا تتخذوا. وقرأ أبو عمر بالغيبة أي لئلا يتخذوا ﴿مِن دُونِى وَكِيلًا﴾ [الآية 2] رباً يوكّل الأمر إليه غيري.

139/أ وقال الأستاذ: أرسل الله إلى موسى عليه السلام كما أرسل/ إلى نبينا ﷺ ولكن البدر في سمائه بضيائه وعلائه والشمس في طلوعها وإشراقها ما أقربه البدر إذا طلعت من خفائه.

﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ [الآية 3] نصب على اختصاص ليعم القراءتين وفيه تذكير فإنعام الله عليهم في إنجاء آبائهم من الغرق وحملهم على نوح في سفينة الغرق ﴿إِنَّهُۥ﴾ [الآية 3] أي نوحاً ﴿كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الآية 3] فيه إيماء إلى أن أنجاه ومن معه كان ببركة شكره وحث للذرية على الاقتداء به.

وأفاد الأستاذ: إن الشكور الذي يكون شكره على توفيق الله له بشكره لا يتقاصر عن شكره لنعمه ويقال: الشكور الذي يشكر ما له ينفقه في سبيل الله ولا يدّخره ويشكر بنفسه يستعملها في طاعته فلا يبقي شيئاً من الخدمة يؤخره ويشكر بقلبه لربّه بذكره لا يأتي عليه ساعة إلا بذكره انتهى. ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سَبَإ:الآية 13].

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الآية 4] أوحينا إليهم وحياً مقضياً ﴿فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الآية 4] هو التوراة النازل عليهم ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ [الآية 4] أولهما مخالفة أحكام التوراة وقتل شعيا، وثانيهما قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى، والجملة جواب قسم تقديراً ﴿وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الآية 4] بالاستكبار عن طاعة الله أو بالتجبر على خلق الله.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة في تعريفهم ما سيكون في المستأنف منهم وما يستقبلهم ليزدادوا يقيناً إذا لقوا ما أخبروا به وليكون أبلغ في لزوم الحجة عليهم وليتحرزوا عن مخالفة الأمر بحمدهم وليعلموا أن ما سبق به القضاء فلا محالة يحصل ولا مخلص منه وإن جدّ العبد في التباعد عنه.

﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا﴾ [الآية 5] وعد عقاب أولاهما وقيل: الوعد هنا بمعنى

الوعيد إما مجازاً أو تمكناً ﴿بَعَثۡنَا﴾ [الآية 5] سلّطنا ﴿عَلَيۡكُمۡ عِبَادٗا لَّنَآ﴾ [الآية 5] أي منقادين لقضائنا وهم بخت نصّر عامل بابل وجنوده ﴿أُوْلِي بَأۡسٖ﴾ [الآية 5] ذوي بطش ﴿شَدِيدٖ فَجَاسُواْ﴾ [الآية 5] ترددوا لطلبكم وتفحصوا في أثركم ﴿خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ﴾ [الآية 5] وسطها للقتل وغارت أهل الدار فقتلوا كبارهم وسبوا صغارهم وحرقوا التوراة وخرّبوا المسجد وما حوله من العمارة ﴿وَكَانَ وَعۡدٗا﴾ [الآية 5] عقابهم ﴿مَّفۡعُولٗا﴾ [الآية 5] لا بد أن يفعل.

وأفاد الأستاذ: أن الله سبحانه / يعد أقواماً لأحوال مخصوصة حتى إذا 139/ ب
كان وقت إرادته فيهم كان هؤلاء موجودين عندهم.

﴿ثُمَّ رَدَدۡنَا لَكُمُ ٱلۡكَرَّةَ﴾ [الآية 6] الدولة والغلبة ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ [الآية 6] على الذين بعثوا عليكم وذلك بأن ألقى الله في قلب بهمن بن أسقيديار لما ورث المُلك من جده شفقة عليهم فرد أسراهم إلى الشام وملك دانيال عليهم فاستولوا على من كان فيها من أتباع بخت نصر أو بأن سلّط داوود على جالوت فقتله ﴿وَأَمۡدَدۡنَٰكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ أَكۡثَرَ نَفِيرًا﴾ [الآية 6] مما كنتم، والنفير من ينفر مع الرجل من قومه. وقيل: جمع نفر بمعنى الخدم والحشم.

وأفاد الأستاذ: أن الآية تدل على أنه سبحانه مقدر أعمال العباد ومدبر أمور البلاد بأن انعطافهم على أعدائهم من جملة أكسابهم وقد أخبر الحق سبحانه أنه هو الذي تولاه بقوله: ﴿ثُمَّ رَدَدۡنَا لَكُمُ ٱلۡكَرَّةَ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الآية 6].

﴿إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ﴾ [الآية 7] في عملكم أو إلى غيركم ﴿أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ﴾ [الآية 7] لأن منفعتها عائدة إليها ﴿وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَاۚ﴾ [الآية 7] إساءتها مختصة بها لا يتجاوز غيرها ووبالها واقع عليها وقيل اللام للمشاكلة.

قال أبو يزيد: من عمل لنفسه أي لحظة لا يعمل لله أي خالصاً لوجهه ومن عمل لله أي وابتغى رضاه لا يعمل لنفسه أي لمناه واتّباع هواه.

وقال الأستاذ: إن أحسنتم فثوابكم اكتسبتم، وإن أسأتم فعذابكم اجتلبتم، والحق أعزّ من أن يعود من أفعال عباده إليه زين أو شين.

﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [الآية 7] وعد عقوبة المرة الأخيرة ﴿لِيَسُـٔۥاْ وُجُوهَكُمۡ﴾ [الآية 7] بعثناهم ليجعلوها بادية آثار المساءة فيها. وقرأ ابن عامر وحمزة وأبو بكر: ليسوا على الإفراد على أن الضمير فيه للوعد والبعث أو لله وهو الأظهر لقراءة الكسائي بالنون ﴿وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَلِيُتَبِّرُواْ﴾ [الآية 7] ليهلكوا ﴿مَا عَلَوۡاْ﴾ [الآية 7] ما استولوا عليه ﴿تَتۡبِيرًا﴾ [الآية 7] أي إهلاكاً كثيراً وذلك بأن سلّط الله عليهم الفرس مرة أخرى. وقيل: ودخل صاحب الجيش يذبح قرابينهم فوجد فيه دماً يغلي فسألهم عنه فقالوا: دم قربان لم يُقبل منا، فقال: لم تصدقوني، فقتل عليه ألوفاً منهم فلم يهد الدم. ثم قال: إن
140/ أ لم تصدقوني ما تركت منكم أحداً، فقالوا: إنه دم / يحيى عليه السلام، فقال: لمثل هذا ينتقم منكم ربكم. ثم قال: يا يحيى قد علم ربي وربك بما أصاب قومك من أجلك فاهدأ بإذن الله قبل أن لا أبقي أحداً منهم فهدأ ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يَرۡحَمَكُمۡۚ﴾ [الآية 8] بعد المرة الآخرة وإن عدتم نوبة ثانية إلى معصيتكم عدنا مرة ثالثة إلى عقوبتكم فعادوا بتكذيب محمد ﷺ وقصد قتله فعاد الله بتسليط نبيه عليهم فقتل منهم بني قريظة وأجلى بني النضير وضرب الجزية على البقية. ثم هذا لهم في الدنيا وجعلنا جهنم للكافرين منهم ومن غيرهم حصيراً حبيساً ومصيراً لا يقدرون على الخروج منها أبد الآباد.

قال ابن عطاء: عسى ربكم أن يتعطف عليكم فيخرجكم من ظلمة المعصية إلى نور الطاعة فمن طلب الرحمة من غير الله فهو مخطىء يستحق النقمة. وقيل: إن عدتم إلى المعصية عدنا إلى المغفرة.

﴿وَإِنۡ عُدتُّمۡ﴾ [الآية 8] إلى الفرار عنا ﴿عُدۡنَاۚ﴾ [الآية 8] إلى أخذ الطريق عليكم لتعودوا إلينا.

وقال أبو عثمان: إن عدتم إلينا بعد المخالفة عدنا إليكم بالرحمة.

وأفاد الأستاذ: إن عسى كلمة ترجية وإطماع وقفهم على حد الرجاء والأمل والخوف والوجل فقال: عسى، وإن لم يصرح بفقرائهم ورحمتهم لكن في الآية للرجاء موجب قوي وهو قوله: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمۡ﴾ [الأعراف:الآية 129] أي

عسى من رباكم وبلطفه عزاكم أن يرحمكم في دنياكم وأخراكم، وإن عدتم عدنا أي إن عدتم إلى الزلة عدنا إلى العقوبة وإن عدتم إلى التوبة عدنا في إدامة المثوبة. ويقال: وإن عدتم إلى الاستخارة عدنا إلى الإجارة. قيل: إن عدتم إلى الجفاء عدنا إلى الوفاء. ويقال: إن عدتم إلى ما يليق بكم عدنا إلى ما يليق بكرمنا.

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الآية 9] يدل على الطريقة التي هي أقوم الطرق لكونها الجامعة بين الشريعة والحقيقة ﴿وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الآية 9] أي الطاعات المفروضة ﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الآية 9] أي عظيماً وثواباً كثيراً جسيماً. وقرأ حمزة والكسائي بشر من البشارة.

﴿وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ⑩﴾ [الآية 10] عطف على معمول يبشر بمعنى يخبر أو / تقديره أنه يبشر المؤمنين ببشارتين ثواب أنفسهم وعقاب أعدائهم. 140/ ب

وأفاد الأستاذ: أن القرآن يهدي إلى الصواب والسعادة ولكن الخلل من جهة المستدل لا سيما إذا كان من أهل العناد إذ الدليل قد يكون ظاهراً وإذا كان المستدل معرضاً أو بآداب النظر فمن لم يهتد لتقصيره لا لقصور في دليله وتأثيره فالقرآن نور من استصحاب تخلص من ظلمات جهله وخرج من غمار شكّه ومن رمدة عيون نظره التبس عليه رشده. ويقال: الحول ضوءه أشد من العمى لأن العمي يعلم أنه لا يصبر فيتبع فائدة والأحول يتوسم الشيء شيئين فهو من تخلية وحسبانه بما روي: من كان سليم الحاسة كذلك المبتدع إذا سلك طريق الجدل ولم يضع النظر موضعه بقي في ظلمة جهله ويصول بباطل دعواه على خصمه بمجرد عقله.

﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ﴾ [الآية 11] يدعو الله عند غضبه بالشر على نفسه وأهله وماله بمثل دعائه بالخير في اعتدال حاله أو يدعوه بما يحسبه خيراً وهو ليس إلا شراً ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ [الآية 11] يسارع إلى كل ما يخطر بباله ولا ينظر في عاقبة أمره ومآله ولا يدري حسن حاله وسوء وباله، أو المعنى منهم من

يعجل بالخير ومنهم من يعجل بالشر فكل منهم من يفوض الأمر. قال سهل: أسلم الدعوات الذكر والثناء وترك الاختيار في السؤال والدعاء لأن في الذكر كفاية له وربما يدعو الإنسان ويسلك هلاكه.

وأفاد الأستاذ: أن الأدب في الدعاء أن لا يسأل إلا عند الحاجة ثم ينظر فإن كان شر يستغني عنه لا يتعرض له ولا يرغب فيه، فإن في الخبر: «مِن حُسْنِ إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»[1]. ثم من آداب الداعي أنه إذا سأل من الله حاجة ويرى في الإجابة مهلة أن لا يتهم الحق سبحانه البتة ويجب أن يعلم أن الخير له في أن لا يجيبه والاستعجال فيما يختاره العبد غير محمود له وشر من ذلك الاستثقال في الخلق لما يبدو من الغيب مما اختاره الحق، وأولى الأشياء السكوت في حاله والرضا بحكمه فإن لم يساعده الصبر وسأل قالوا: حبب ترك الاستعجال والثقة بأن المقسوم لا تفاوت فيه وأن /اختيار 141/أ الحق للعبد خير له من اختياره لنفسه. قلت: وإذا التزم أن لا يدعو إلا بالدعاء المأثور تخلص عن الأمر المحذور.

﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِۖ﴾ [الآية 12] علامتين دالتين على جمال قدرتنا وثناء حكمتنا كما بيَّنه سبحانه بقوله: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [القصص:الآية 73]، ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾ [الآية 12] الإضافة بيانية والمعنى خلقناها ممحوة ناقصة الإضاءة ﴿وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الآية 12] مضيئة كاملة الإنارة لما سبق فيها من الحكمة المشتملة على الرحمة ولما صرح هنا بقوله: ﴿لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الآية 12] لتطلبوا في بياض النهار استعانة أسباب معاشكم وتتوصلوا به إلى استبانة أعمالكم ﴿وَلِتَعْلَمُواْ﴾ [الآية 12] باختلافهما ﴿عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَۚ﴾ [الآية 12] جنس حسابكم ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ﴾ [الآية 12] تحتاجون إليه في أمر الدين والدنيا ﴿فَصَّلْنَٰهُ

---

(1) أخرجه ابن ماجه في السنن (2/ 1315) رقم (3976)، والترمذي في الجامع الصحيح (4/ 558) رقم (2317)، والبيهقي في شعب الإيمان (4/ 254) رقم (4986)، وابن حبان في الصحيح (1/ 466) رقم (229).

تَفْصِيلًا﴾ [الآية 12] بيَّناه تبييناً جميلاً.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه جعل الليل والنهار علامة على كمال قدرته ودلالة على وجود وحدانيته في تعاقبهما وتقاربهما وزيادتهما ونقصانهما ثم جعلهما وقتاً صالحاً لإقامة العبودية والاستقامة على معرفة جلال الألوهية فالمعارف شرطها الدوام والاتصال والوظائف حقها التوقيت والاختصاص ثم جعل كل واحد بدلاً من صاحبه حتى لو وقع في بعض العبادات تقصير وحصل لأداء بعضها تأخير تدارك بالقضاء في الوقت الآتي تأخيره وتلا في تقصيره. ويقال: من وجوه الآيات في الليل والنهار إفراد النهار بالضياء من غير سبب وتخصيص الليل بالظلام لغير أمر مكتسب، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الآية 12] وهو اختلاف أحوال القمر في إشراقه ومحاقه وأنه لا يبقى في ليلتين على حالة واحدة بل هو في كل ليلة على منزل آخر بنقصان أو بزيادة، وأما الشمس فحالها على دوام أحوالها والناس كذلك أوصافهم فأرباب التمكين الدوام شرطهم وأصحاب التلوين التنقل حقهم. قال قائلهم:

ما زلت أنزل من ودادك منزلاً تتحيَّر الألباب دون نزوله[1]

/ ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ﴾ [الآية 13] عمله وما قدّر له من سعادته أو 141/ ب
شقاوته ﴿فِى عُنُقِهِۦ﴾ [الآية 13] لزوم الطوق في رقبته وذمته ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا﴾ [الآية 13] مكتوباً هو صحيفة آثار أعماله أو نفسه المنتقشة بأسرار أحواله فإن الأفعال الاختيارية تحدث في النفس أحوالاً يفيد تكرُّر أحوالها ملكات جلية ﴿يَلْقَىٰهُ﴾ [الآية 13] وقرأ ابن عامر بصيغة المفعول من لقيته كذا والمعنى يجده ﴿مَنشُورًا﴾ [الآية 13] لكشف الغطاء عما فيه مسطوراً.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه ألزم كل واحد ما يجد من عهدته خلاصاً ولا ينال من لدنه مناصاً وهو بحكم السعادة لقوم وبحكم الشقاوة لقوم،

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 31) و(4/ 239).

والذين هم أهل السعادة أسرج لهم مراكب التوفيق فيسير بهم إلى ساحة النجاة والوصلة والقربة، والذين هم أهل الشقاوة ربط بهم مثقلة الخذلان والفرقة والحرقة فيفقدهم عن النهوض إلى نهج الخلاص ويقعون في وهدة الهلاك من غير المناص.

﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ﴾ [الآية 14] أي يقال له بيان القال أو لسان الحال ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ﴾ [الآية 14] الذي أرسلته إلى ربك مع مَن كان معك ﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ﴾ [الآية 14] الباء زائدة، والمعنى كفيت غيرك ﴿ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الآية 14] أي حاسباً لدلالة أعمالك وكافياً لدلالة أحوالك. روي عن عمر رضي الله عنه: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا وتزينوا للعرض قبل أن تُعرضوا»(1).

وقال يحيى بن معاذ: اقرأ كتابك فإنك كنت المملي في بابك. وقيل: محاسبة الأبرار في الدنيا ومحاسبة الفجار في العقبى.

وأفاد الأستاذ: أن من ساعدته السعادة الأزلية وعاونته العناية الأولية حفظه عند معاملاته على وفق كتابه عما يكون وبالاً عليه يوم حسابه ومن أبلاه بحكم رده أعمله ثم تركه وعمله وأمله فإذا استوفى أجله عرف ما ضيّعه وأهمله فإذا حكمه في حال نفسه فلا محالة حكم باستحقاقه لعذابه لما تحقق من قبيح أعماله في بابه، فكم من حسرة يتجرعها وكم من خيبة يلقاها
142/أ وينتعلها وكم من عويل يظهره فلا يرحم وكم تأويل يدعوه فلا / يسمع ولا يلزم. ويقال: من حاسبه بكتابه فكتابه يلازمه ومن حاسبه بكتاب نفسه ففي كتابه سبحانه العفو والرحمة فالواجب على العبد أن يتمهل في دعائه فيقول: اللهم حاسبني بكتابك على ما قلت غافر الذنب قابل التوب ولا تعاملني بمقتضى كتابي ففيه بواري وهلاكي وما يوجب سوء مآلي.

﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ﴾ [الآية 15] لا ينجي اهتداؤه غيره ﴿وَمَن ضَلَّ

---

(1) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح (4/ 638) رقم (2459)، وابن أبي شيبة في المصنف (7/ 96) رقم (34459).

﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ [الآية 15] لا يؤذي ضلاله سواه ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الآية 15] لا تحمل نفس حاملة وزر نفس أخرى لا في الدنيا ولا في الأخرى. فيه رد على ما كان عليه الجاهلية الأولى.

وأفاد الأستاذ: أن قضايا أعمال الخلق مقصورة عليهم إن كانت طاعة فضياؤها لأصحابها وإن كانت ذلّة فبلاؤها لأربابها والحق غني مقدّس واحدي منزَّه ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الآية 15] يمهد الحجة ويبيِّن الشريعة فيلزمهم الحجة فلا يدخل أحد في السعير إلا بعد إرسال الرسول منعوت بالتدبير البشير كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ [المُلك:الآية 8] فعلى هذا من نشأ في شاهق جبل أو حال كونه سائق جمل ولم يسمع برسول الحق في هذا الباب ولا سمع نداءه سبحانه بذكر الكتاب فهو معذور مدفوع عنه العقاب، وكذا المجنون في جميع عمره والطفل الصغير يجهل أمره.

وذهب الأشعري إلى أنهم يمتحنون يوم القيامة يأمرهم الله بدخول النار فمن أطاع نجا ودخل الجنة وانكشف علم الله فيه سابق السعادة ومن عصى دخل دار العقوبة وانكشف كونه من أهل الشقاوة. ونسب هذا القول إلى مذهب أهل السنَّة والجماعة وهو مختار بعض الأئمة، ويدل عليه كثير من الأحاديث الواردة في السنَّة والتحقيق أن أطفال المؤمنين في الجنة بلا شبهة لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ﴾ [الطور:الآية 21]، وأما أطفال الكفار فبعد البعثة خدم أهل الجنة ببركة نبي الرحمة، وأما أطفالهم قبلها فالله عالم بحالهم وما كانوا يختارون من أعمالهم. / وبهذا يحصل الجمع بين الأحاديث 143/ب
المختلفة الواردة في حقهم فظاهر الآية يدل على أن لا وجوب قبل الشرع ولا دليل إلا السمع وبعضهم فسّر الرسول بالدليل الهادي إلى المنقول والمعقول وذهب جماعة إلى أن هذه الآية في حكم الدنيا.

والمعنى أن الله لا يهلك أمة إلا بعد إرسال الرسول إليهم وإبلاغ الحجة وإلزامها عليهم ويؤيده ارتباط ما قبله بما بعده وهو قوله: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً﴾ [الآية 16] أي إذا تعلقت إرادتنا بإهلاك قوم لإنقاذ قضائنا السابق ﴿أَمَرْنَا

﴿مُتْرَفِيهَا﴾ [الآية 16] منعيميها بطاعة واجبة عليهم على لسان رسول إليهم ﴿فَفَسَقُوا فِيهَا﴾ [الآية 16] أي خرجوا عن الطاعة وتمردوا في المعصية. وروي عن ابن عباس وسعيد بن جبير وغيرهما: أن معناه أمرنا بالفسق فيحتاج إلى أن يؤول. ويقال: المراد بالأمر الأمر القدري يعني سخرهم الله إلى فعل فواحش المعصية فاستحقوا العقوبة لأن الله لا يأمر بالفحشاء، وتخصيص المترفين لأن غيرهم يتبعهم ومجلسهم يجمعهم ولأنهم أسرع إلى الحماقة وأقدر على مخالفة الطاعة ﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ﴾ [الآية 16] أي كلمة العذاب السابقة بحلول العقاب في العاقبة اللاحقة ﴿فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ [الآية 16] أهلكناها بإهلاك أهلها وتخريب ديارها.

وقال أبو عثمان: إذا أخرج الله إنكار المعاصي عن القلوب يخاف على الخلق إذ ذاك الهلاك من قبل الحق.

وقال الأستاذ: إذا كثر أهل الفساد وغلبوا أو قلّ أهل الصلاح وفقدوا فعند ذلك يعمّ الله الخلق ببلائه على وفق قضائه فلا يكون للناس ملجأ من أولياء يتكلم في بابهم ولا فيهم من يبتهل إلى الله فيسمع دعاءهم فعند ذلك تشتد المحن إلى أن ينظر الله إلى الخلق نظر الرحمة فيبدل الحال بالرحمة والمنن.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا﴾ [الآية 17] وكثيراً أهلكنا ﴿مِنَ ٱلْقُرُونِ﴾ [الآية 17] ببيان وتمييز لكم ﴿مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ﴾ [الآية 17] كعاد وثمود ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾ [الآية 17] يدرك سرائرها وظواهرها فيعاقب عليها بأسرها على وفق إصرارها.

144/أ وأفاد الأستاذ: أن في الآية تسلية للمظلومين/ إذا استبطأوا هلاك الظلمة فيهم وتمنوا فقراء باديهم عنهم، فإذا الفكر فيمن مضى منهم كيف بنوا مشيداً وأملوا بعيداً فبادوا جميعاً يعلم أن الآخرين عن قريب سينخرطون في مسلكهم ويمتحنون بمثل شأنهم فإذا أظلّهم سحاب الوحشة فأووا إلى ظلّ شهود التقدير فتزول عنهم الوحشة وتطيب لهم الحياة وتحصل البهجة.

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ [الآية 18] أي وهو معرض عن أمور الآجلة ﴿عَجَّلْنَا

﴿لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ [الآية 18] لأنه لا يجد كل متمنٍّ جميع ما يتمناه ولا كل أحد جميع ما يهواه، وفي تعليق أمر التعجيل بالمشيئة إشارة إلى أن همّ المعيشة قضية زائدة لا يحتاج إليها ولا يعول في شيء عليها بإمداد وتفرقة الخواطر لديها ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا﴾ [الآية 18] يدخلها ملوماً ﴿مَّدْحُورًا﴾ [الآية 18] مطروداً من رحمة الله مبعوداً. والآية في أرباب الرياء والسمعة وأصحاب الجاه والرشوة.

وأفاد الأستاذ: أن من رضي بالخسيس من عاجل الدنيا بقي عن النفيس من أجل الأخرى، ثم لا يخطىء إلا بقدر ما قسم له في القضية الأولى ثم أنس ما يكون به قلباً وأشد ما يكون إليه سكوناً نختطف من نعمة بغتة ولا يخطىء مما جمعه من كرائمه ومتعه من أقاربه إلا حسرة، فلقد قيل:

يا غافلاً أسمعه الصوت   إن لم تبادر فهو الفوت
مَن لم يزل نعمته قبله   زال عن النعمة بالموت[1]

﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا﴾ [الآية 19] أي حقها من السعي الخالص لها بالإئتمار بما أمر والإنزجار عن ما زُجر لا التقرب بما يخترعون من رأيهم ويسلكون فيها على وفق أهوائهم وهو مؤمن وفي إيمانه موفق وفي إيقانه محسن ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [الآية 19] وعملهم مبروراً وجزاؤهم موفوراً.

وأفاد الأستاذ: أن علامة من أراد الآخرة على الحقيقة أن يسعى لها فإرادة الآخرة إذا نجزت من عملها كانت أمنية لا رادة فهو مؤمن أي في المآل كما أنه مؤمن في الحال، أو هو مؤمن أن نجاته بفضله سبحانه لا بسعيه وتحسين شأنه ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [الآية 19] / أي 143/ ب
مقبولاً ومع القبول يكون بالتضعيف موفوراً فكما أن صدقة العبد إذا قبلها يربِّيها ويكبِّرها فكذلك طاعة العبد إذا شكرها يهنيها ويكبرها.

(1) نسب إلى أبي العتاهية. انظر الأغاني (4/ 57) في تفسير القشيري نعمته عاجلاً.

﴿كُلًّا﴾ [الآية 20] كل واحد من الفريقين ﴿نُمِدُّ﴾ [الآية 20] بالعطاء مرة بعد أخرى ونجعل الأنفة مدة السالفة ﴿هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ﴾ [الآية 20] بدل من ﴿كُلًّا﴾ وبيان ﴿مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ﴾ [الآية 20] متعلق بنمد أي من معاطاة لا من متمني العبد وهواه ﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الآية 20] ممنوعاً حيث لا يمنعه في الدنيا من مؤمن ولا كافر تفضيلاً واستدراجاً.

قال ابن عطاء: قوم أقامهم الحق بخدمته وقوم اختصهم بمحبته ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ﴾ [الآية 20] أي عطيته.

وقال الأستاذ: نجازي كلّاً بعمله ونعطي كلّاً بقدره فلقوم منهم نجاة ولقوم درجات ولقوم سلامة ولقوم كرامة ولقوم مثوبة ولقوم قربة. قلت: فلقوم حسرات ولقوم دركات ولقوم ندامة ولقوم ملامة ولقوم حرقة ولقوم فرقة ولقوم عذاب ولقوم حجاب.

﴿انظُرْ﴾ [الآية 21] بعين الاعتبار ﴿كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الآية 21] من جهة الاختيار أو الاختبار في الرزق والخلق والخلُق والرفق وحسن النطق وصوت الخلق ﴿وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ﴾ [الآية 21] للأولياء ﴿وَأَكْبَرُ﴾ [الآية 21] دركات للأعداء ﴿وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الآية 21] وأكثر تفصيلاً، فإن تفاوت الآخرة بالجنة ودرجاتها في المحنة وبالنار ودركاتها في المحنة.

وأفاد الأستاذ: أن العباد فضّل بعضهم على بعض لكن في زكاء أعمالهم والعارفون فضِّل بعضهم على بعض لكن في صفاء أحوالهم، فذكاء الأعمال بالاختصاص وصفاء الأحوال بالاستخلاص، فقوم تفاضلوا بصدق العزم وقوم تفاضلوا بعلو الهمم، والتفضيل في الآخرة أكبر وعلوّ المراتب فيها أكثر كما أخبر عنه سيد البشر ﷺ فقال: «إنكم لترون أهل عليين كما ترون الكوكب الدري في أفق السماء»(1)، وإن أبا بكر وعمر منهم وإنهما

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (3/ 370) رقم (3427)، وفي المعجم الصغير (1/ 220) رقم (353)، وأبو يعلى في المسند (2/ 369) رقم (1130) وأحمد في المسند (3/ 26) رقم (11222).

رضي الله عنهما من أهل الحضرة تفاضلهم بلطائفهم من الأنس بنسيم القربة بما لا بيان له بصفة ولا عبارة ولا برمز يدركه ولا إشارة، منهم مَن يشهده / 144/ أ ويراه في الأسبوع مرة، ومنهم من لا يغيب عن الحضرة لحظة ثم يجتمعون في الرؤية ويتفاوتون في القسمة وليس كل مَن يراه يراه بالعين التي يراه الغير. وأنشد بعضهم:

لو يسمعون كما سمعتُ كلامها خرُّوا لعزَّة رُكَّعاً وسجودا[1]

﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾ [الآية 22] فتصير جائياً على نفسك الملامة والمذمة من المؤمنين والملائكة والفضيحة من الله سبحانه وترك النصرة. ومفهومه أن الموحِّد لا يكون إلا ممدوحاً منصوراً.

وأفاد الأستاذ: أن من أشرك بالله أصبح مذموماً من قِبَل الله ومخذولاً من قِبَل مَن عَبَده مما سواه.

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الآية 23] أمر أمراً مقطوعاً وحَكَم حكماً مقضياً مرضياً بأن لا تعبدوا إلا إيَّاه لأن العبادة وهي غاية المسكنة والمذلّة لا تحق إلا لمن له نهاية العظمة والمعزة ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الآية 23] أي وبأن تحسنوا بهما وتبرُّوا إليهما، وهذا في غاية من التأكد حيث قرن حقهما بأمن التوحيد كما قال: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ [لقمان:الآية 14] أي لنعمة الإيجاد والتنزيه ونسبة السببية الموجبة للشكر عليك وفي الحديث: «من لم يشكر الناس لم يشكر الله»[2].

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أمر عباده بإفراده في العبادة وذلك بالإخلاص فيما يستعمله من العبودية وأن يكون مغلوباً باستيلاء سلطان الحقيقة عليه بما تختطفه عن شهود عبوديته وأمر بالإحسان إلى الوالدين

---

(1) نسب إلى كثير عزة. انظر العقد الفريد (1/ 121) والكشكول (1/ 197).
(2) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح (4/ 339) رقم (1955)، والطبراني في المعجم الكبير (2/ 356) رقم (2501)، والبيهقي في شعب الإيمان (6/ 516) رقم (9119)، وأبو يعلى في المسند (2/ 365) رقم (1122).

ومراعاة حقهما والوقوف عند إشارتهما والقيام بخدمتهما وملاءمة ما كان عائداً إلى رضاهما فيما لا يكون مأثماً، وحسن العشرة ونهاية الحرمة لهما وأن لا ينتدب بشواهد الكسل لأوامرهما بل بذلّ المسكنة فيما يعود إلى حفظ قلوبهما، هذا في حال حياتهما، وأما بعد وفاتهما فيصدق الدعاء لهما وأداء الصدقة عنهما وحفظ وصيتهما على الوجه الذي فعلا والإحسان إلى مَن كان من أهل ودّهما ومعارفهما. ويقال: أمر الحق العبد بمراعاة حق الوالدين وهو من جنس العبد فمن عجز عن خدمة جنسه فأنّى يقوم بحق ربّه.

144/ب ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا﴾ [الآية 23] إن الشرطية / زيدت معها ما لتأكيد القضية وأحدهما فاعل يبلغن ويدل على قراءة. والمعنى أن يكونا في كنفك وكفالتك ويصلا حال الكبر في أيام قوتك ودولتك ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ [الآية 23] فلا تتضجر مما يستقذر عنهما ويستثقل من مؤنهما وهو صوت يدل على تضجر مبني على الكسر لالتقاء الساكنين وتنوينه في قراءة نافع وحفص للتنكير وفتحه على قراءة ابن كثير وابن عامر على التخفيف والنهي عن ذلك الذي هو أدنى في الأذى يدل على المنع من غيره بالأولى. أمر بالإحسان إليهما ثم نهى عن الإساءة إليهما تأكيداً للقيام بحقهما ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ [الآية 23] ولا تزجرهما عما لا يعجبك من أحوالهما ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الآية 23] واطلب في رضاهما أجراً عظيماً.

﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الآية 24] تذلّل لهما وتواضع فيهما من فرط رحمتك عليهما لافتقادهما إلى من كان أفقر خلق الله إليهما ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا﴾ [الآية 24] أي وادعُ ربك وربّهما أن يرحمهما برحمته الباقية ولا تعتكف برحمتك الفانية وإن كانا من الفئة العاصية لأن من الرحمة أن يهديهما قبل أن يفنيهما ﴿كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الآية 24] أي رحمة مثل رحمتهما عليَّ وقربتهما في حال صغري وإشارة إرشادهما إلى وفاء بوعدك للراحمين كما ورد: «الرحماء يرحمهم الرحمٰن»(1). روي أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ: إن أبوي

(1) لم يرد بهذا اللفظ وإنما ورد بصيغ أخر.

بلغا عندي من الكبر أنّي لي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما، قال: لا فإنهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وأنت تفعل ذلك وأنت تريد موتهما(1).

وفي تفسير السلمي قيل: لا تخالفهما فيما يريدان وإن كان على خلاف هواك بعد أن لا يكون في ذلك خلاف شريعة هناك وسبيل فتضلّ عن برّهما، فقال: أن لا تقوم على كسل إلى خدمتهما.

وأفاد الأستاذ: إن في الآية إشارة إلى المداراة وحسن العشرة وسرعة الإجابة والمبادرة إلى الخدمة والصبر على أمرهما وترك التبرُّم وأن لا يدخر ميسوراً عنهما.

﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾ [الآية 25] تأكيد لقصد البر إليهما واعتقاد ما يجب من التوقير لهما وتهديد على أن يضمر لهما كراهة واستثقالاً بهما ﴿إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ﴾ [الآية 25] قاصدين الصلاح ومريدين الفلاح ﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ﴾ [الآية 25] أي للراجعين/ إلى حكم الله وقضائه في إرضائهما ﴿غَفُورًا﴾ 145/أ
[الآية 25] لما فرط عنه في حقهما.

وقال الأستاذ: إذا علم الله الصدق من قلب عبده أمده بحسن الإنجاد وأكرمه بجميل الإمداد ويسر عليه العسير من الأمور وحفظ عنه الشرور من الأمور وعطف عليه قلوب الجمهور.

﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ [الآية 26] أي صاحب القرابة ما يجب له من حسن العشرة والبر والصلة والنفقة والكسوة حال الفقر والفاقة ﴿وَالْمِسْكِينَ﴾ [الآية 26] أي سائر الفقراء وأصحاب المسكنة بما يوجب المرحمة والشفقة ﴿وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ [الآية 26] أي القريب بما أمكنه من الضيافة ولا تقتر تقتيراً ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ [الآية 26] بصرف المال في غير مرضاة الرب فرضاً وتقديراً بل اختر طريق العدل مرة وسبيل الفضل كرة وابتغِ بين ذلك سبيلاً يمكن سلوكه دواماً كما قال تعالى:

(1) الكشاف (3/ 433).

﴿وَالَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ۝٦٧﴾ [الفُرقان:الآية 67] وهذا كله باعتبار ما يتعلق بغير ما عرف بيانه من الشريعة لما في الحديث: «إن الاقتصاد نصف المعيشة»[1] وإلا فقد قال بعض السلف: لا سرف في خير ولا خير في سرف.

وأفاد الأستاذ: إن إيتاء الحق يكون من المال ومن النفس ومن القول ومن الفعل. أقول: وكذا من الحال ومن نزل عن اقتضاء حقه وبذل لكل أحد ما طلب به من أمره فهو القاسم بقضية ما ألزمه الحق سبحانه بحكمه والتبذير مجاوزة الحد في التقدير وما كان لحظ النفس وإن كان بسمة فهو تبذير وما كان لله وإن كان ألوفاً فهو بخطر تقتير وتقصير.

﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [الآية 27] أي أمثالهم في الشرارة فإن التضييع والإتلاف نوع من المضرة أو أصدقاؤهم وأتباعهم لأنهم يطيعونهم في السرف بالصرف في المعصية، أو قرناؤهم في دار العقوبة. روي أنهم كانوا ينحرون الإبل ويتقامرون عليها ويبذرون أموالهم في الربا والسمعة فنهاهم الله عن ذلك وأمرهم بالإنفاق في القربة والطاعة ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾ [الآية 27] أي مبالغاً في كفران النعمة وصرفها فيما يوجب النقمة.

وأفاد الأستاذ: أنهم إنما كانوا إخوان الشياطين لأنهم أنفقوا على هواهم فجروا في طريقهم على دواعي الشيطان وبنوا على وساوسهم/ فيما 145/ب
يفضي إلى العصيان.

﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ﴾ [الآية 28] وإن أعرضت عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد عليهم حال احتياجهم أو حين سؤالهم أو رؤية أحوالهم ﴿ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا﴾ [الآية 28] لانتظار رزق من كرم ربك تتوقع حصوله فتعطيهم وتُحسن إليهم ﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ [الآية 28] أي وعداً جميلاً وأجراً جزيلاً أو الدعاء لهم بالميسور بمعنى اليسر بعد العسر نحو: الله أغناكم ورزقنا وإياكم.

---

(1) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال (3/ 49) رقم (5433).

وقال الأستاذ: أي إن لم يساعدك الإمكان فيما طالبوك من الإحسان فاصرفهم عنك بوعد جميل إن لم تسعفهم يتقدم جزيل كان وعد الكرام أهنأ من نقد اللئام.

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ [الآية 29] تمثيلاً لمنع الشحيح وإسراف المبذر ونهى عنهما وأمر بالاقتصاد والتبسُّط بالتوسط بينهما المعبر عنه بالكرم ﴿فَتَقْعُدَ﴾ [الآية 29] فتصير ﴿مَلُومًا﴾ [الآية 29] بسوء التدبير ﴿مَحْسُورًا﴾ [الآية 29] نادماً من حصول التقتير ووصول التدبير.

وقال الأستاذ: لا تمسك عن الإعطاء فتكدى ولا تسرف في البذل وكثرة ما تسدي واسلك بين الأمرين طريقاً وسطياً إن ربك الرزاق لمن يشاء ويقدر مرة ويضيقه كرة بمشيئته التابعة للحكمة فليس ما يصيبك من الإضاقة إلا للمصلحة ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ﴾ [الآية 30] أي جميعهم صغيراً وكبيراً ﴿خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ [الآية 30] يعلم سرهم وعلنهم فيرى من مصالحهم ما يخفى عليهم ولا يظهر سره لديهم فيوسع على من يرى مصلحته في التوسعة له وتحقيقه ويضيق على مَن يعلم مصلحته في تضييقه كرة أو تارة وتارة بحسب اقتضاء الحكمة في مقام العبد من تصديقه. وفي الحديث القدسي والكلام الأنسي: «إنه من عبادي مَن لا يصلحه إلا الفقر ولو أغنيته لفسد عليه دينه وأن من عبادي مَن لا يصلحه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسدت عليه دينه وضيّقت عليه يقينه»(1)، وفي الآية إشارة أيضاً إلى التخلُّق بأخلاق الله تعالى بالعطاء تارة وبالمنع أخرى على حسب ما يظهر كل منهما بالوقت أحرى كما في الحديث: «من أعطى لله ومنع لله فقد استكمل إيمانه»(2)، وإيماء إلى/ أن التقلُّب بين مظهر الجمال يوماً وبين مظهر 146/أ
الجلال يوماً كما يستفاد بطريق الاستئناس من قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عِمرَان:الآية 140]، وكما قيل:

---

(1) جمع الجوامع (1/ 608) رقم (328) قال: لا يصح.
(2) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (20/ 188) رقم (412)، والترمذي في الجامع الصحيح (4/ 670) رقم (2521)، وأبو يعلى في المسند (3/ 60) رقم (1485).

يـوم عـلـيـنـا ويـوم لـنـا ويـوم نـسـاء ويـوم نـسـر[1]

وكما يشير إليه قوله عليه السلام: «أجوع يوماً فأصبر وأشبع يوماً فأشكر»[2].

أو المعنى ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [الآية 30] من الكفار والفجار ﴿وَيَقْدِرُ﴾ [الآية 30] على مَن يشاء من الأبرار ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾ [الآية 30] بما يمنعهم عن بابه وينفعهم في موقف حسابه.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه إذا بسط لا يبقي فاقة وإذا قبض استنفذ كل طاقة.

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾ [الآية 31] مخافة الفاقة، وقتلهم أولادهم هو وأدهم بناتهم من سوء أخلاقهم فنهاهم عنه وتكفّل لهم بأرزاقهم فقال: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ [الآية 31] وفي تقديمهم تنبيه نبيه لهم في قبح أمرهم ﴿إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾ [الآية 31] ونبأ عظيماً يستدعي فساداً كثيراً. وقرأ ابن كثير بالكسر والمد، وقرأ ابن ذكوان بفتحتين مقصوراً.

وأفاد الأستاذ: أن من عرف أن الرازق هو الله المتعال خفّ عن قلبه همّ العيال ومن خفي عليه أن الحق قسم أرزاقهم قبل الخلق فطرح في متاهات مغاليط التعبير ونعني بالقلب والبدن في أمر التدبير ثم لا يكون غير ما سبق به التقدير.

﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ﴾ [الآية 32] بالعزم وإتيان المقدمات كالنظرة والقبلة فضلاً أن تباشروه بالفعلة ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً﴾ [الآية 32] ظاهرة القباحة وزائدة الفضاحة ﴿وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الآية 32] وبئس طريقاً طريقه وهو الغصب على الأبضاع المؤدي إلى قطع الأنساب ووسيلة النزاع.

وأفاد الأستاذ: أن الآية ترجح الزنا على غيره من الفواحش الظاهرة لأن فيه تضييع خدمة الحق وهتك حرمة الخلق ثم ما فيه من الإخلال بالنسب

(1) هذا قول لأبي سفيان وقد مرّ تخريجه.
(2) انفرد به الملا علي رحمه الله تعالى.

وإفساد ذات البين بمقتضى الأنفة.

﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية 33] إلا بإحدى ثلاث: كفر بعد إيمان، وزنى بعد إحصان، وقتل مؤمن بعدوان[1].

وقال الأستاذ: لا يجوز قتل نفس الغير بغير الحق ولا للمرء أن يقتل نفسه أيضاً بالوجه المطلق وكما أن قتل النفس بالحديد وما يقوم مقامه من الآلات محرَّم فكذلك ارتكاب ما يؤدي إلى هلاك المرء / محترم، ومَن انهمك 146/ ب في مخالفة ربّه سعى في هلاك نفسه ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا﴾ [الآية 33] غير مستوجب للقتل بمقتضى الشرع الجامع بين النفل والفعل ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ [الآية 33] للوارث الذي يلي أمره بعد فراغ عمره تسلُّطاً وبرهاناً بالمؤاخذة على طريقة العدل ﴿فَلَا يُسْرِف﴾ [الآية 33] مريد القتل ﴿فِّى ٱلْقَتْلِ﴾ [الآية 33] بأن يقتل من لا يستحق القتل، فإن العاقل لا يفعل ما يعود عليه بالهلاك العاجل أو الآجل، أو الولي بالمثلة، وقتل غير القاتل. وقرأ حمزة والكسائي: فلا تسرف على خطاب أحدهما أنه أي المقتول ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾ [الآية 33] بثبوت القصاص لقتله في الدنيا وبحصول الثواب وأجره في العقبى.

وأفاد الأستاذ: أن في قوله سلطاناً أما في الظاهر فالمطالبة إما بالقصاص وإما بالدية، وأما في المعنى والإشارة فبالنصرة من قبل الحضرة ومنصور الحق لا ينفل سنانه ولا يطيش سهامه ولا ينخفض سنامه.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ﴾ [الآية 34] لأن قربه مما يقرِّب إلى الجحيم فضلاً عن أن يتصرفوا فيه ﴿إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [الآية 34] بالطريقة التي هي أحسن وهي الطريق القويم ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ [الآية 34] غايته لجواز التصرف الذي دل عليه لاستثناء مما يفيد صلاحه ورشده.

وقال الأستاذ: لما لم يكن لليتيم من يهتم بأمره ويراعي شأنه أمر الله

(1) تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي (4/ 43) رقم (1677)، ونصب الراية (3/ 713).

سبحانه الأجنبي الذي ليس بينه وبين اليتيم سبب ولا نسب أن يتولى أمره ويقوم في حسابه ويقف على بابه فالصبي قاعد بصفة الفراغ والهوينا والولي ساع بمقاساة العناء فأمر الحق سبحانه للولي بالعدل أحظى للصبي في مقام الفضل من شفقة أبيه عليه في حال حياته قبل الفصل ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ﴾ [الآية 34] أي بما عاهدكم الله من أمره أو بما عاهدتموه وغيره ﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الآية 34] مطلوباً، يُطلب من المعاهد عدم تضييعه والوفاء بحقه وإن صاحبه كان مسؤولاً عن عهده والقيام بوعده.

﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ﴾ [الآية 35] بالكيل القويم ولا تبخسوا فيه شيئاً للطمع المستقيم ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ [الآية 35] بالميزان السوي ولا تتبعوا الطبع الرديء. وقرأ حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ [الآية 35] أي تأميلاً ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [الآية 35] أي عاقبة ومآلاً وإن كان خلافه يوهم أن يزيد مآلاً وحالاً.

147/ أ وقال الأستاذ: كما تُدين تُدان وكما / تُعامِل تُجازى، وكما تُكِيل يُكال عليك، وكما تكون يكونون معك. ويقال: مَن أوفى وفوا له ومن خان خانوا معه. قلت: وقد ورد: كما تكونوا يولّ عليكم[1].

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الآية 36] لا تتبع ما لم يتعلق به علمك تقليداً أو ظنّاً مأخوذ من قولهم: قفوت أثر فلان إذا أقفيته، ومنه القفا لأنه مفاخرة كأنه يتبعه.

وقال الأستاذ: جانب مجاوزات الظنون والحسبان وما لم يطلعك الحق عليه فلا تتكلف للوقوف عليه من غير برهان إذا أشكل عليك شيء من حكم الوقت فارجع إلى الله فإن لاح لقلبك وجه من التحقيق تكن مع ما رأيت فإن بقي الحال على حد الالتباس فكِل علمه إلى الله وقف حيث ما وقفت. ويقال: الفرق بين مَن قام بالعلم وبين من أقام بالحق وأن العلماء يعرفون

---

(1) كشف الخفا (1/ 147) رقم (147)، معجم الشيوخ لابن جميع (1/ 210) رقم (102)، تذكرة الموضوعات (1/ 182).

الشيء أولاً ثم يعملون بعلمهم وأصحاب الحقائق يجري بحكم التصرف عليهم شيء لا علم لهم به على التفصيل وبعد ذلك يكشف عليهم وجهه على وجه التكميل فربما يجري على لسانهم شيء لا يدرون وجهه ثم بعد فراغهم عن النطق به يظهر به لقلوبهم برهان ما قالوا ودليل ما نطقوا به من شواهد العلم أو تحقيق ذلك بجريان الحال في تأني الوقت من الاستقبال والله أعلم بأحوال أرباب الكمال.

﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الآية 36] أي كل هذه الأعضاء بأجزائها مجرى الفضلاء لما كانت مسؤولة عن حالها شاهدة على صاحبها مع أن أُولاء قد يطلق على غير الفضلاء كقوله:

ذم المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد أولئك الأيام[1]

وفي الآية دلالة على أن العبد قد يؤاخذ بعزمه على المعصية.

وقال أبو سعيد الخراز: من استقرّت المعرفة في قلبه لا يبصر في الدارين سوى ربّه ولا يسمع إلا منه ولا يشتغل إلا به.

وأفاد الأستاذ: أن هذه الأعضاء للحق عند العبد أمانة، وقد تقدم في بابها ما أوضحته براهين الشريعة للديانة فمن استعمل هذه الجوارح في الطاعة وصانها عن استعمالها في المخالفة فقد سلم الأمانة / على وصف السلامة واستحق المدح 147/ ب
والكرامة، ومن دنسها بالمخالفة ظهرت عليه الخيانة واستوجب الملامة.

﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ [الآية 37] أي مرحاً بكسر الراء كما قرىء بها، والمصدر آكد من صريح النعت في مقام الجمل كرجل عدل ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ﴾ [الآية 37] لن تشقّها بشدة وطأتك بها على خيال أن لك طولاً ﴿وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾ [الآية 37] لا تتطاول برقبتك على ظن أن لك على غيرك فضلاً يوجب فصلاً. وفي الآية إشارة إلى أن الاحتيال حماقة مجرّدة لا تعود على

(1) نسب إلى جرير. انظر المثل السائر (2/ 113)، وتزيين الأسواق في أخبار العشاق (1/ 191).

صاحبها بفائدة وقد ورد في الحديث المرفوع: «مَن تواضع لله رفعه الله ومن تكبَّر وَضَعَهُ الله»[1]. وقال بعضهم: أسوء خصلة في الإنسان التكبُّر والتجبُّر وأحسن خلّة فيه التواضع والتكسُّر. فمن تكبَّر فقد أخبر عن رذالة نفسه ومَن تواضع فقد أظهر كرم طبعه، كذا في تفسير السلمي.

وأفاد الأستاذ: أن الخيلاء والتبختر والمدح والتكبُّر كل ذلك نتائج الغيبة من الذكر والحجبة عن شهود نعمة الحق والغفلة عن الشكر «فإن الله إذا تجلى بشيء خشع له»، بذلك ورد الخبر. وأما في حال حضور القلب واستيلاء الذكر وسلطان شهود الرب فالقلب مطرق لازب وحكم الهيبة غالب ونعت المدح وصفة الزهو وأسباب التفرقة كلها ساقط ذاهب.

﴿كُلُّ ذَٰلِكَ﴾ [الآية 38] ما ذكر من الخصال الخمس والعشرين المذكورة من قوله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الآية 22] التي على ما عن ابن عباس أنها في ألواح موسى مسطورة ﴿كَانَ سَيِّئُهُۥ﴾ [الآية 38] يعني المنهي عنه منها ﴿عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ [الآية 38] وقرأ الحرميان وأبو عمر سيئة منصوبة مفردة من غير إضافة على أنها خبر كان وذلك إشارة إلى ما نهي عنه خاصة وما بعدها بدل منها. والمراد بالمكروه المقابل للمرضي لا ما يقابل المراد لقيام القاطع بأن الحوادث كلها واقعة بأمره سبحانه على ما أراد.

وأفاد الأستاذ: أنه إذا سعدت الأقدام بحضور ساحات الشهود وعطرت الأسرار بنسيم التقريب من عالم جود واجب الوجود تجرّدت الأوقات عن
148/أ الحجبة واستولى سلطان الحقيقة وحصل/ النفي عن هذه الأوصاف الذميمة.

﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية 39] إشارة إلى ما ذكر من الأحكام المتقدمة ﴿مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ﴾ [الآية 39] التي هي معرفة الحق لذاته وواجبات صفاته ومعرفة العمل بحق القيام بوظائف عباداته ومراتب طاعاته.

---

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (8/ 172) رقم (8307)، والبيهقي في شعب الإيمان (6/ 276) رقم (8140)، وابن أبي شيبة في المصنف (7/ 120) رقم (34663).

وأفاد الأستاذ: أن هذا له عليه السلام تشريف بالوحي والإعلام ولأوليائه تعريف بحكم الإلهام ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الآية 39] كرّره للتنبيه على أن التوحيد رأس الحكمة وملاك المعرفة وأن توحيد الإلٰه وتفريده عمّا سواه مبدأ الأمر ومنتهاه، فإن من لا قصد له بَطُلَ عمله ومن قصد بفعله أو تركه غيره ضاع سعيه ورتبه عليه أولاً ما هو عائده الشرك في الدنيا وآخر ما هو نتيجته في الأخرى بقوله: ﴿فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الآية 39] أي حال كونك تلوم نفسك ومطروداً من رحمة ربك.

﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ﴾ [الآية 40] خطاباً لمن أطلق بنات الله على الملائكة المقرّبين، والهمزة للإنكار على القائلين. والمعنى أفخصكم ربكم بما فضلتم من أولادكم وهم بنوكم ﴿وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا﴾ [الآية 40] بناتاً مكروهة عندكم هذا ليس على وفق عقولكم في عادتكم ﴿إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ [الآية 40] وتفترون بهتاناً جسيماً حيث تنسبون إليه ما هو منزَّه عمَّا تصفون وتجعلون له ما تكرهون وتشهدون على الملائكة ما لا تعلمون.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ [الآية 41] كرّرنا تحرير هذا المعنى في وجوه من تقرير المبنى ﴿فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ [الآية 41] في مواضع منه مثنى مثنى ﴿لِيَذَّكَّرُوا۟﴾ [الآية 41] ليتذكروا مرة بعد أخرى وليظهر لهم وجه الأخرى. وقرأ حمزة والكسائي من الذكر الذي هو بمعنى التذكُّر أو ليذكروا ما ذكرنا لهم حجة في المدعي وليزدادوا به خطأ وخطراً ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ [الآية 41] أي تنفُّراً عن الحق وعدم طمأنينة إلى الصدق.

وعن سفيان الثوري كان إذا قرأها قال: زادني لك خضوعاً ما زاد أعداءك نفوراً. فالقرآن كالنيل ماءً للمحبوبين ودماً للمحجوبين، وكما في الحديث: «القرآن حجة لك أو عليك»[1]، وفي لفظ آخر: «القرآن شافع مشفع

---

(1) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (3/ 3) رقم (2709)، والطبراني في المعجم الكبير (3/ 284) رقم (3424)، والدارمي في السنن (1/ 174) رقم (653)، وأحمد في المسند (5/ 342) رقم (22953).

148/ب ما حل مصدق»[1]، وقد قال تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا/ وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾ [البَقَرَة:الآية 26]. وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الآية 82].

قال الأستاذ: أي أتبعنا دليلاً بعد دليل وبياناً بعد بيان وأقمنا برهاناً بعد برهان وأزحنا كل علّة وأوضحنا كل حجة فما ازدادوا في تمرُّدهم إلَّا عتواً وفي طغيانهم إلَّا غلُّواً وعن قبول الحق إلا نُبوّاً.

﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ﴾ [الآية 42] أي مشاركاً لوجوده أو في أثر كرمه وجوده ﴿ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ﴾ [الآية 42] أي المشركون. وقرأ ابن كثير وحفص بالغيبة على أن الكلام للنبي ﷺ من أوله إلى آخره، ووافقهما نافع وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر في الثانية على أن الآية الأولى مما أمر ﷺ أن يخاطب به المشركين والثانية مما نزَّه الله به سبحانه نفسه عن مقالهم تعريفاً للمؤمنين ﴿إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ [الآية 42] جواب عن قولهم وجزاء للو، والمعنى لطلبوا إلى من هو مالك الملك سبيلاً بالمغالبة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض في العرف والعادة كما قال تعالى في آية أخرى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ﴾ [المؤمنون:الآية 91] وما كان معه من إلٰه إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعليّ بعضهم على بعض، سبحان الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون، أو لابتغوا بالتقرُّب إليه والطاعة لعلمهم بعجزهم وقدرته سبحانه المعروفة بالعزَّة والغلبة كقوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [الآية 57].

﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ [الآية 43] تنزَّه شأنه ﴿وَتَعَٰلَىٰ﴾ [الآية 43] برهانه ﴿عَمَّا يَقُولُونَ﴾ [الآية 43] أي أنتم أو هم ﴿عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الآية 43] تعالياً متباعداً عما يقولون كثيراً، فإن واجب وجوده وبقاؤه لذاته وسائر الكائنات من إيثار فيض جوده وأسرار صفاته.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه بيَّن أنه لو قدَّر تعدُّد الصانع لجرى بينهم التضاد والتمانع كما هو من الملوك واقع وتبين عند ذلك في صفتهم العجز

---

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (9/ 132) رقم (8655)، والبيهقي في شعب الإيمان (2/ 351) رقم (2010)، وابن أبي شيبة في المصنف (6/ 130) رقم (30052).

الذي هو من لوازم الحدوث بلا مانع ولا دافع وأنه سبحانه منزّه عن الشريك والظهير والمعين والنظير.

﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾ [الآية 44] وقرىء البصري وحفص وحمزة والكسائي بالتأنيث ﴿وَمَن فِيهِنَّۚ﴾ [الآية 44] أي وما فيهن معهن لقوله ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ/ بِحَمۡدِهِۦ﴾ [الآية 44] أي تسبيحاً مقروناً بمدحه. والمعنى تنزّهه عمّا هو من 149/ أ
لوازم الحدوث والإمكان ويشهد له تجلّي مَن فيه الإحسان وعليٌّ مراتب الشأن والبرهان ببيان المقال ولسان الحال في جميع الأحوال كما يفهمه أرباب الإشارة وأصحاب الكمال ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ﴾ [الآية 44] أيها المشركون به في ذاته وأيها الغافلون عن مشاهدة أفعال ومطالعة صفاته، وإلا ففي كل شيء له شاهد دليل على أنه واحد ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾ [الآية 44] حيث لم يعاجلكم بالعقوبة على ما صدر منكم من الشرك والغفلة، غفوراً لمن تاب منكم عن المعصية وآب من تيه حيرة كثرة التفرقة إلى مرتبة جمع الوحدة.

وقال أبو عثمان المغربي: المكنونات كلها تسبحنّ الله تعالى باختلاف اللغات ولكن لا يسمع تسبيحها ولا يفقه عنها إلا العلماء الربانيون الذين فتحت أسماع قلوبهم، كذا في «تفسير السلمي».

وأفاد الأستاذ: أن الأحياء من أهل السموات والأرض يسبِّحون الله تسبيح القالة وغير الأحياء يسبِّح من حيث البرهان والدلالة، فما من جرم من الأعيان والآثار إلا وهو دليل على الصانع وحكمته وجلال الهيبة.

﴿وَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ جَعَلۡنَا بَيۡنَكَ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ حِجَابٗا﴾ [الآية 45] يحجبهم عن فهم ما تقرؤه لديهم ﴿مَّسۡتُورٗا﴾ [الآية 45] ذا ستر وغطاء نازلاً إليهم واقعاً عليهم بحيث لا يفهمون ولا يفهمون أنهم لا يفهمون ما بيّنا لهم من الدلالة لكونهم مطبوعين على الضلالة كما قوله: ﴿وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً﴾ [الآية 46] تكنّها وتسترها وتحول دونها عن إدراك المعرفة وقبولها ﴿أَن يَفۡقَهُوهُ﴾ [الآية 46] كراهة أن يفهموا مبانيه ويعلموا معانيه ﴿وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ﴾ [الآية 46] ثقلاً أن يسمعوا ما فيه ليميزوا بين موافقه ومنافيه.

وقال الأستاذ: أي ندخلك في إيواء حفظنا وضربنا عليك سرادقات عصمتنا ومنعنا الأيادي الخاطئة عنك بلطفنا. وفي الآية إشارة بأنه خالق ضلالتهم وأنه المثبت على قلوبهم ما استكنّ فيها من فرط غوايتهم ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ﴾ [الآية 46] منفرداً عن ذكر غيره على ما تصوروا من وجود
149/ب ما سواه قصوراً ﴿وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ/ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا﴾ [الآية 46] هرباً من إسماع التوحيد ونفراً من الاقتصار على التقرير في مقام التمجيد والتحميد.

وأفاد الأستاذ: أنهم لا يعرفون الربوبية فإذا سمعوا توحيد الإلٰه تعجبوا وأنكروا إذ لا يتحمد في قلوبهم إلا حديث من له شكل ومِثل فجحدوا وكفروا.

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ﴾ [الآية 47] أي لأجله وبسببه من المهن وبما أنزل عليك ﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ﴾ [الآية 47] أي متناجون فيما بينهم إذا كانوا بين يديك، والمعنى نحن أعلم بعرضهم من الاستماع حين هم مستمعون إليك ومضمرون لمقصودهم عليك ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الآية 47] وهم الضالون المضلُّون ﴿إِن تَتَّبِعُونَ﴾ [الآية 47] ما تتبعون ﴿إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ [الآية 47] سخروا به لزوال عقله.

وأفاد الأستاذ: أنهم لبسوا على رسول الله ﷺ أحوالهم وأظهروا الوفاق من أنفسهم ففضحهم الله وكشف أسرارهم وبيَّن مقابحهم وهتك أستارهم وإن ما ينطوي عليه السرائر فلا بد من أن يظهر لأهل البصيرة ذلك منهم على الأسرة.

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [الآية 48] مثّلوك بالشاعر والساحر والكاهن والمجنون باختلاف الأقوال ﴿فَضَلُّوا۟﴾ [الآية 48] عن الحق في جميع الأحوال ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ [الآية 48] إلى الخروج عن الضلال والوصول إلى أرباب الهداية والكمال. وقيل: المسحور هو الذي له سحر وهو الرياء أي إلا رجلاً يتنفس ويأكل ويشرب مثلكم.

وذهب إليه الأستاذ حيث أفاد بقوله: عابوه بما ليس بنقيصة في نفسه حيث قالوا: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ [الآية 47] إذا سخروا رأيه، وأي

نقيصة كانت له بأن كان عليه السلام من جملة البشر، والحق سبحانه متولي نصرته ولم يكن تخصيصه عليه السلام ببنيته ولا بصورته أو بنسبته وصنعته وإنما شرفه بأنه من جملة من تعلق به لطف القدم سبحانه ورحمته.

﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا﴾ [الآية 49] حطاماً وفتاتاً ﴿أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقًا جَدِيدًا﴾ [الآية 49] استبعدوا ما بين غضاضة الحي وطراوته ويبوسة الرميم وجمادته من توهم منافاته ومباعدته لقلة نظرهم في آثار قدرته وأسرار حكمته.

وأفاد الأستاذ: أنهم أقروا بأن الله خلقهم / ثم أنكروا قدرته على 150/ أ
إعادتهم بعد أن أعدمهم، وكما جاز أن يوجدهم أولاً وهم في كتم العدم لا عين ولا أثر لهم جاز كذلك ثانياً لكونهم متناول القدرة ومتعلق الإعادة فما كان من حقهم جحدوا الإعادة ولكن إذا رمدت عيون القلب لم يستبصر صاحبه قدرة الرب.

﴿۞ قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ۝٥٠﴾ [الآية 50] أي أو نحوهما مما لا يفنيه الموت حيث ما خلق فيه الحياة ﴿أَوۡ خَلۡقًا﴾ [الآية 51] أي مخلوقاً آخر غيرهما ﴿مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ﴾ [الآية 51] مما يعظم عن قبول الحياة عندكم وأن قدرته تعالى لا تقصر عن إحيائكم بعد إفنائكم لاشتراك الأجسام في قبول الأعراض من نحو الحياة والممات وسائر الأقسام، فكيف إذا كنتم عظاماً مدفونة يابسة وقد كانت بالحياة قبل ذلك موصوفة بأنها غضّة طرية والعقل حاكم بأن الشيء قبل عهد فيه ما لم يعهد من قبل ﴿فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ﴾ [الآية 51] بعدما يبيدنا، وفي عين هذه المناظرة وجود المناقضة وحصول المعارضة ﴿قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ﴾ [الآية 51] وكنتم تراباً وهو أبعد شيء من الحياة بالمرة ﴿فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ﴾ [الآية 51] يحرِّكونها نحوك تعجُّباً من قولك واستهزاء بك ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ﴾ [الآية 51] أي وجوده فنصدقك حين نشاهده ﴿قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا﴾ [الآية 51] ويقع نفع تصديقكم حينئذ بعيداً فإن كل ما هو آت قريب وما يمكن إتيانه ليس بقريب.

وأجاب الأستاذ: أنه سبحانه لا يتقاصر عليه مقدور لأنه موصوف بقدرة

أزلية وقدرته عامة التعلق بالمشيئة فلا المشقة تجري في صفته ولا الرفاهية لِلخلق الأول والإعادة سيان عليه، لا من هذا ولا من ذاك عائداً إليه لأن قدمه يمنع تأثير ما يحدث لديه.

﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ﴾ [الآية 52] إلى بعثه ﴿فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الآية 52] حامدين لنعمته مثنين على كمال قدرته. وقد ورد أنهم ينفضون التراب عن رؤوسهم ويشربون شراب المعرفة من كؤوسهم ويقولون: سبحانك اللهم وبحمدك ولا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ﴿وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ﴾ [الآية 52] ما مكثتم في قبوركم ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الآية 52] زماناً يسيراً قبل حضوركم أو في
150/ب حياتكم/ قبل مماتكم لما ترون من إطالة مدة القيامة واستمرار حالة الإقامة. وفي تفسير السلمي قيل: مَن أسمعه الحق الدعوة وفّقه للجواب ومَن لم يُسمعه الدعوة كيف يجيبه على وجه الصواب.

قال جنيد: يقولون حال بعثتهم: الحمد لله الذي جعلنا من أهل دعوته.

وقال الأستاذ: إن يدعوكم تستجيبون وأنتم حامدون له والحمد بمعنى الشكر وإنما يشكر العبد على النعمة فالآية تدل على أنهم في قبورهم في نعمة.

﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى﴾ [الآية 53] أي الكلمة ﴿هِىَ أَحْسَنُ﴾ [الآية 53] مما يجري على لسانهم ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾ [الآية 53] يهيج المرىء والمخاشنة بهم مما تفضي إلى عنادهم وازدياد فسادهم وغفلتهم عن ذكر ربهم وعن ضروريات معاشهم ومعادهم ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الآية 53] ظاهر العداوة بتبعيدهم عنا وتقصيرهم فينا.

وأفاد الأستاذ: أن الأحسن من القول ما يكون ذكر الله والثناء عليه وترك ما سواه. ويقال: أحسن الكلمة ما يترتب عليها العقوبة أو أحسن قول المذنبين الإقرار بالخطيئة، وأحسن قول العارفين الإقرار بالعجز عن المعرفة.

﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾ [الآية 54] قيل: هذا تفسير للتي هي أحسن وما بينهما جملة معترضة، أي قولوا لهم نحو هذه الكلمة

ولا تشهدوا لأحد منهم من أهل العقوبة لخفاء أمر العاقبة اللاحقة المترتبة على القضية السابقة.

قال القاسم: سبق علمه في الخلق الرحمة والعقوبة فهو يرجع لمنتهاه بما قد أجراه في مبتداه ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ [الآية 54] موكولاً إليك أمرهم بل جعلناك لهم عليها دليلاً «فدارِهِمْ ما دُمتَ في دارِهِمْ»[1].

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه سدّ على كل أحد طريق معرفته لنفسه ليلطف كل قلبه بربّه وأنسه فجعل العواقب مشتبهة في بابها حيث قال: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ [الآية 54] ثم قدّم حديث الرحمة على حديث العقوبة فقال: ﴿إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾ [الآية 54] وفي ذلك ترجيح لأمل أهل التقوى أن يقوى ثم العبد عالم بظاهر حاله والربّ عالم بحاله ومآله فوجه المبالغة هذا في أعلم والله أعلم.

﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَاوَاتِ/ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية 55] واختلاف أحوالهم ومراتب 151/أ
أعمالهم وآمالهم ومآلهم فيصطفي منهم لنبوّته ورسالته ويجتبي منهم لولايته ورعايته ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الآية 55] بمزيد العلم اللدني لا بمزية المال الدني وبالفضائل القدسية والشمائل الأنسية والتبري عن العلائق النفسانية والتنزُّه عن العوائق الجسمانية ﴿وَآتَيْنَا دَاوُودَ﴾ [الآية 55] من جملتهم ﴿زَبُورًا﴾ [الآية 55] أفاد بقراءته سروراً واستفاد من إضاءته نوراً فشرّفه بما أوحى إليه من الكتاب لا بما أعطي من الملك وفصل الخطاب في هذا الباب، وفيه إيماء إلى أن نبينا ﷺ سيد الأنبياء فإن كتابه المجيد وخطابه الحميد أبلغ الأنباء. وقرىء حمزة بضم الزاي وهما لغتان في معنى المفعول كالقبول والحصول.

﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم﴾ [الآية 56] أنها آلهة ﴿مِّن دُونِهِ﴾ [الآية 56] من غيره كالملائكة والمسيح ونحوه ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ﴾ [الآية 56] لا يستطيعون ﴿كَشْفَ

---

(1) كشف الخفا (1/ 399) رقم (1279)، قال: ليس بحديث وإنما هو شعر. وتمامه: «وأرضهم ما دمت في أرضهم».
ونسب إلى أبي نصر محمد بن محمد بن أحمد. انظر الوافي بالوفيات (١/ ٥٩).

﴿ٱلضُّرِّ﴾ [الآية 56] كالمرض والقحط والفقر ﴿عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ [الآية 56] كذلك منكم إلى غيركم بل كما قال تعالى: ﴿لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ [الرعد:الآية 16] ولا يملكون موتاً وحياة ولا نشوراً.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [الآية 57] هؤلاء الآلهة التي يدعونهم ويعبدونهم من كمال الغفلة هم بأنفسهم يطلبون إلى الله القربة بالطاعة والعبادة ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ [الآية 57] بدل من واو يبتغون فأي موصولة أي يبتغي الوسيلة من هو أقرب منهم إلى الربّ فكيف بغير الأقرب ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الآية 57] حجابه وعقوبته كآحاد الأمة وأفراد البرية فكيف تزعمون أنهم آلهة ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الآية 57] حقيقاً بأن يحذره كل أحد حتى الرسل والملائكة.

وفي «تفسير السلمي»: يرجون رحمته في الدنيا بتواتر النعمة ودوام العاقبة وفي الآخرة بترك العقوبة ودخول الجنة وحصول القربة.

وأفاد الأستاذ: أنه يقال في المثل: تعلق الخلق بالخلق كتعلق المسجون بالمسجون، أي فإنه لا يتعلق بمثله إلا المجنون. ويقال: الفقير إذا تعلق بالفقير كالضرير إذا قاد الضرير سقطا جميعاً في المسير. وفي المثل: لاذ ضعيف بحرملة والغريق يتعلق بكل حشيش.

﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الآية 58] بالموت واستئصال / الجملة ﴿أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾ [الآية 58] بالقتل وأنواع البلية 151/ب
﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الآية 58] في اللوح المحفوظ ﴿مَسْطُورًا﴾ [الآية 58] مكتوباً وعلى وفق ما قضاه معذوراً.

وأفاد الأستاذ: أن العذاب على أقسام: ألم يرد على النفوس والظواهر وهي تتصاغر بالإضافة إلى ما يرد على القلوب والسرائر وعذاب القلوب لأصحاب العلاقة أشد من الشدة التي تصيب أصحاب القلة والفاقة، ثم إن الحق سبحانه أجرى السنَّة بأن مَن وصل منه إلى غيره راحة انعكست الراحة إلى موصولها وبخلافه مَن أصاب مِن قبله وحشة عادت الوحشة إلى محصلها، فمن

سام الناس ظلماً وطغياناً وعنفاً وعدواناً فبقدر ظلمه يعذِّبه الله سبحانه في الوقت على حكم المقت بتنغيص العيش واستيلاء الغضب من كل أحد عليه وفق غضب الربّ. وترجم ظنونهم وتقسم أفكارهم وآمالهم في أحوالهم وأشغالهم ولو ذاقوا من راحة الفرقة وحلاوة الخلوة عن الأمور المشغلة شظية ليعلموا ما طعم الحياة الطيبة ولكن حرموا المنعم وما علموا ما منُّوا به من النعم.

﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ﴾ [الآية 59] الباء مزيدة، والمعنى ما صرفنا عن إرسال الآيات المقترحة ﴿إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ﴾ [الآية 59] كعاد وثمود وسائر الأمم المهلكة واستوجبوا العقوبة على ما مضت به السنَّة ﴿وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ﴾ [الآية 59] باقتراحهم الآية المعجزة ﴿مُبۡصِرَةً﴾ [الآية 59] مبيِّنة ظاهرة ﴿فَظَلَمُواْ﴾ [الآية 59] أنفسهم ﴿بِهَاۚ﴾ [الآية 59] بسبب عقرها وكفروا بها ﴿وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ﴾ [الآية 59] آيات القرآن البينات أو المعجزات وخوارق العادات ﴿إِلَّا تَخۡوِيفٗا﴾ [الآية 59] بالعقوبة في الدنيا أو العقبى لمن لم يؤمن بها ويكفر بعد مشاهدتها.

قال المحاسبي: الآيات التي يظهرها الله تعالى رحمة على السابقين وتنبيه للمقتصدين وتخويف للظالمين.

وأفاد الأستاذ: أن الله سبحانه أجرى السنَّة بأنه إذا أظهر آية اقترحها الأمم المكذبة ثم لم يؤمنوا إذ لم يعجل لهم العقوبة وكان من المعلوم والمحكوم له أن لا يحتاج القوم الذين كانوا في وقت الرسول وزمن النزول لأجل من في أصلابهم من الذين علم أنهم يؤمنون برسولهم وكتابهم فكذلك أخّر عنهم العذاب الذي تعجّلوه لما خوّفوا به. /وفي قوله: ﴿وَمَا نُرۡسِلُ 152/أ
بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا﴾ [الآية 59] قرن التخفيف بالتخويف وذلك من مقتضى رحمته بخليقته ثم إنه علم أنه لا يفوته شيء بتأخيره العقوبة عنهم وأخذ العذاب بحلمه ثم لا محالة يفعل بمقتضى حكمه وعلمه.

﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لَكَ﴾ [الآية 60] بالوحي إليك ﴿إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ﴾ [الآية 60] علماً وقدرة وحكماً ﴿بِٱلنَّاسِۚ﴾ [الآية 60] فهم في قبضة قدرته وحيرة علمه وحكمته

ومشيئته في عقوبته ورحمته ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ﴾ [الآية 60] ليلة المعراج ووقت الإيناس ﴿إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الآية 60] منحة للمؤمنين ومحنة للكافرين ﴿وَٱلشَّجَرَةَ﴾ [الآية 60] أي وكذا ما جعلنا الشجرة ووجودها ﴿ٱلْمَلْعُونَةَ﴾ [الآية 60] وهي شجرة الزقوم المذكورة ﴿فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾ [الآية 60] إلا فتنة لهم حيث أمن بها بعضهم واستبعد وجودها أكثرهم بقولهم: إن الجحيم تحرق الحجارة بزعمه ثم يقول نبت الشجر في قعره، ولم يعلموا أن من قدر أن يحيي وبر السمندل[1][2] من أن تأكله النار وأحشاء النعامة من أذى الإجمار قدر أن يخلق في النار شجرة لا تحرقها النار. ثم المراد بلعنها لعن طاعميها أو بعدها لوقوعها في قعرها ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ﴾ [الآية 60] بأنواع التخويف ﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ﴾ [الآية 60] تخويفهم ﴿إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا﴾ [الآية 60] عتواً ونبوّاً متجاوزاً عن الحد كثيراً.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه قرن الامتحان بالتخويف للتبيان في التكليف لتمييز المصدق والموافق من المكذب والمنافق والموحد من الجاحد فعند الإمتحان يُكرم المرء أو يهان، فالذين يتداركهم الحماية وقفوا وثبتوا وصدقوا فيما قيل لهم وحققوا، وأما الذين خامر الشرك في قلوبهم وضمائرهم ولم تباشر خلاصة التوحيد أسرار سرائرهم فما ازدادوا بما امتحنوا من أصناف الامتحان إلا تحيُّرا وتردّداً وضلالاً وتبلُّداً وتحجُّباً وتبعُّداً.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ [الآية 61] بجعله قبلة للعالم لكونه علّمه الأسماء وكرّمه في عالم الأرض وفي السماء امتحاناً للفضلاء والسقماء ﴿فَسَجَدُوٓا۟﴾ [الآية 61] كلهم أجمعون بمعنى مجتمعين ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ [الآية 61] أبى واستكبر وكان من الكافرين حيث عارض الأمر وصريح النقل بما تخايل له من قبيح العقل وتوهّم أنَّ إباءه يقتضي يقيناً ﴿قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [الآية 61]
152/ب خلقته من طين ظلماني/ وخلقتني من نار جوهرها يضيء نوراً مبيناً. وفي هذا الاستكبار إيماء إلى علة الإنكار.

---

(1) طائر لا يحترق. انظر تاج العروس (1/ 7190) ولسان العرب (11/ 348).
(2) الكشاف 3/ 460).

قال أبو عثمان: الكبر وتعظيم النفس الدنية أول كل معصية ومبدأ كل بلية.

وأفاد الأستاذ: أنه امتنع الشقي فقال: لا أسجد لغيرك يوجِّه سجدته لك وكان ذلك منه حسداً وجهلاً ولو كان بالله عارفاً لكان لأمره مؤثراً ولِحَظ نفسه تاركاً أصلاً وما ادعى له فضلاً.

﴿قَالَ﴾ [الآية 62] زيادة على الضلال في مقام الإضلال ﴿أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾ [الآية 62] الكاف لتأكيد الخطاب لا محل لها من الإعراب، وهذا مفعول أول والذي صفته، والمفعول الثاني محذوف وهو مكرّماً عليَّ دلالة صلته عليه. والمعنى أخبرني عن هذا الذي كرَّمته عليَّ لأمري للسجود له بما أكرمته عليَّ ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الآية 62] جملة مستأنفة واللام موطئة القسم وجوابه ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾ [الآية 62] لأستأصلنهم بالإغواء ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الآية 62] لا أقدر على أن أقاومهم لقبولهم طريق الاهتداء.

وأفاد الأستاذ: أنه لو علقت به ذرة من المعرفة والتوحيد في مقام الوصال لم يخطب على نفسه بالإضلال ولا بشهود الإغواء من نفسه لزعم الكمال، لكنه أقامه الحق ذلك المقام فأنطقه بما هو لقلوب أهل التحقيق مهيج لتدقيق المقال، فسبحان مَن أقام العباد فيما أراد.

﴿قَالَ ٱذْهَبْ﴾ [الآية 63] امض لما قصدته فابعد عن بابنا لما أردته ملوماً مدحوراً ﴿فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ﴾ [الآية 63] جزاؤك وجزاؤهم تجزون فيها ﴿جَزَآءً مَّوْفُورًا﴾ [الآية 63] مكملاً مكثوراً.

وأفاد الأستاذ: أن هذا غاية التهديد ونهاية الوعيد الشديد وفيه بيان أن الأمر لا يفوته وتأخير عقوبة قوم لا يعجزه فإن ذلك إمهال لا إهمال ومكر واستدراج وإذلال لا إنعام وإكرام وإدلال.

﴿وَٱسْتَفْزِزْ﴾ [الآية 64] استخف ﴿مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم﴾ [الآية 64] أن تستفزه ﴿بِصَوْتِكَ﴾ [الآية 64] بدعائك إلى الفساد لأوليائك ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ [الآية 64] وصِحْ عليهم بركبانك ومشاتك. وقرأ حفص بكسر الجيم وهما لغتان في جمع راجل، والمراد من الخيل الخيّالة ومنه قوله عليه السلام: «يا خيل الله

اركبي»[1] ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ﴾ [الآية 64] بحملهم على كسبها وجمعها من
153/أ الحرام/ وتضييعها فيما لا ينبغي من المرام ﴿وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ [الآية 64] بحثِّهم على التوصل إلى الولد بالسبب المحرَّم وتعليمهم الحِرَف الدنية والأفعال المنافية للأحوال الأخروية ﴿وَعِدْهُمْ﴾ [الآية 64] المواعيد الباطلة كشفاعة الآلهة وأن لا بعث ولا حساب ولا عقاب والاتكال على كرامة الآباء وتأخير التوبة بطول الآمال ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الآية 64] وهو تزيين الخطأ بما يُوهم أنه صواب ويجعل صاحبه معجباً ومقدوراً.

وقال الأستاذ: أي افعل ما أمكنك فلا تأثير في أحد لفعلك إذ المنشىء المبدع هو الله المريد وهذا غاية التهديد ونهاية الوعيد الشديد.

﴿إِنَّ عِبَادِى﴾ [الآية 65] يعني المخلصين ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الآية 65] على إغرائهم قدرة من التسليط والتمكين ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ [الآية 65] لمن يفوِّض أمره إليه من المتوكلين ويستعيذ به من الشياطين.

وأفاد الأستاذ: أن الشيطان هو الحجة والبرهان فالآية لعموم الإنسان إذ المخلوق له الحاجة والحق سبحانه له الحجة. ويقال: ليس لإبليس على أحد تسلُّط بالتلبيس إذ المقدور بالقدرة الحادثة لا يخرج عن محل القدرة والحادثات كلها تحدث لقدرة الله سبحانه فليس لإبليس ولا لغيره من المخلوقين تسلُّط من حيث التأثير في أحد، فعلى هذا الآية أيضاً على عمومها. ويقال: أراد بقوله ﴿عِبَادِى﴾ الخواص من المؤمنين الذين هم أهل الحفظ والعصمة والرعاية من قبل الله فإن وساوس الشيطان لا تضرهم إلا التجائهم إلى الله ودوام استجارتهم بالله، فإن الشياطين إذا قربوا من قلوب أهل المعرفة احترقوا بضياء معارفهم قلت ويؤيده حديث: «تقول النار: جز يا مؤمن فإن نورك أطفأ لهبي»[2]. ويقال: إن فرار الشيطان من المؤمن أشد من فرار

---

(1) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (7/ 362) رقم (10590)، وأبو داود في السنن (2/ 330) رقم (54).
(2) أورده الغزالي في إحياء علوم الدين (6/ 100).

المؤمن من الشيطان، وإنما يكون عبده من لا يكون في أسر غيره فأما من استعبده هواه واسترقه دنياه واستمكن منه الأطماع واستذلّه كل خسيسة ونقيصة فلا يكون من جملتهم خصيصته. وفي الخبر: «تعس عبد الدينار والدرهم وعبد الخميصة»[1]. ويقال: عباده هم المتقون بظلّ عنايته/ لتبرئهم عن حولهم 153/ ب
وقوتهم وانفرادهم بالله بحسن التوكل والتفويض في جميع قضيتهم.

﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [الآية 66] الربح وأنواع الأمتعة التي لا توجد عندكم ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [الآية 66] وبما تحتاجون إليه عليماً وعما تقصرون في طاعته حليماً وبإمداده لكم بعد إيجاه كريماً.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه تعرف بجميع مخلوقاته إلى العباد فما من حادث من أعين وأثر ورسم وطلل وغير وغير إلا وهو شاهد على وحدانيته دال على ربوبيته.

﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ﴾ [الآية 67] خوف الغرق ﴿ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الآية 67] ذهب عن خواطركم وسرائركم كل مَن تدعونه في حوادثكم بظواهركم وضمائركم إلا الله علماً بأنه لا يكشف الضر سواه ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ﴾ [الآية 67] من الغرق وخلصكم من الغرق وأوصلكم إلى قفر البحر ﴿إِلَى ٱلْبَرِّ﴾ [الآية 67] أي ساحله الذي بأهله أبر ﴿أَعْرَضْتُمْ﴾ [الآية 67] عن التوحيد وارتكبتم الأمر المنكر ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾ [الآية 67] موصوفاً بكفران النعمة ونسيان المحنة.

قال ابن عطاء: ليس بخالص لله تعالى من لا يكون مع الله في حالة النعمة والرخاء كحالة الشدة والبلاء ومن يلتجىء إلى غيره في أحوال الشدائد والكرب فهو من عبيد السوء الذي لا يقوّمه إلا الأدب أو يستحق من الرب كمال الغضب.

وأفاد الأستاذ: أن حيلة الإنسان على أنه إذا أصابته شدّة أو مسته محنة

---

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (2886)، وابن حبان في الصحيح (8/ 12) رقم (3218)، وابن ماجه في السنن (2/ 1385) رقم (4135).

فزع إلى الله في استدفاع البلية وقد يعتقدون أنهم لا يعودون بعدها إلى ما ليس فيه رضا الله سبحانه فإذا أزال الله تلك النقمة وكشف الله تلك المحنة عادوا إلى ما عنه تابوا وكأنهم لم يكونوا في حين مسهم. وفي معناه أنشدوا:

فكم قد جهلتم ثم عدنا بحلمنا أحبابنا كم تجهلون ونحلم[1]

﴿أَفَأَمِنتُمْ﴾ [الآية 68] من الاستدراج والمكر بعدما نجوا ثم من البحر ﴿أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ﴾ [الآية 68] بأن يقلبه الله وأنتم عليه ﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ [الآية 68] ويجاء بحصب أن يرمي بالحصباء بإشارتنا إليه ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا﴾ [الآية 68] يحفظكم من/ ذلك لديه فإنه لا راد لفعله ولا معقب لحكمه. 154/ أ

﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ﴾ [الآية 69] في البحر ﴿تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [الآية 69] بخلق دواعي تلجئكم إلى أن تفرحوا فتركبوه طلباً للمقصود الأمري ﴿فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ﴾ [الآية 69] مما لا يمر بشيء إلا قصفته وكسرته وقصمته ﴿فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ﴾ [الآية 69] أي الله كما هو الحقيقة أو القاصف ويؤيده قراءة يعقوب بالتأنيث على إسناده إلى الضمير الريح بالنسبة المجازية السببية ويعزي المعنى الأول قراءة ابن كثير وأبو عمرو بالنون في الأفعال الأربعة ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ﴾ [الآية 69] بما فعلنا ﴿تَبِيعًا﴾ [الآية 69] مطالباً يتبعنا بانتصار أو صرف اختيار.

قال ابن عطاء: ابتدأهم بالبر قبل الطاعة وبالإباحة قبل الدعوة وبالعطاء قبل المسألة كقاسم الكل ليكونوا لمن له الكل وبيده كفاية الكل.

وأفاد الأستاذ: إن الخوف ترقُّب العقوبات مع مجاري الأنفاس والساعات كذا قاله الشيوخ والسادات من أهل السعادات، وأَعْرَفهم بالله أخوفهم من الله، وصنوف المحنة في الدنيا كثيرة وأنواع النعمة يسيرة وكم من مسرور أول ليله أصبح بشدائد ورزايا ومحن وبلايا في قضايا وكم من مهموم يتقلّب على فراشه أصبح وقد فجأته البشرى لكمال النعمة. وفي معناه قالوا:

---

(1) ذكره القشيري في تفسيره (4/ 288).

مَن خاف البيان لا يأخذه السبات، ووصفوا أهل المعرفة قالوا في صفتهم المعروفة:

مستوفزون على رجل كأنهم فقد يريدون أن يمضوا فيرتحلوا[1]

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الآية 70] بحسن الصورة واعتدال القامة والأمزجة المعتدلة والتمييز بالعقل إلى طريق العدل والإفهام بالنطق على سبيل الفضل والعبارة والإشارة والاهتداء إلى أسباب المعاش وزاد المعاد والتمكن من الصناعات وغير ذلك من الصفات مما يقف الحصر دون إحصائه ويتحيّر العقل في تصور انتهائه، ومن ذلك ما ذكره ابن عباس من أن كل حيوان يتناول طعامه بفمه إلا الإنسان فإنه يرفعه إليه بيده.

وفي «تفسير السلمي» قيل: كرمناهم بالرسل وتبيين السبل. وقيل: بالفهم/ عن الله والاستغناء عما سواه. 154/ ب

وقال الواسطي: أفرد آدم بالاصطفاء بقوله ثم اجتباه وأفرد بني آدم بالتكريم مما يدخل فيه المؤمن والكافر والبر والفاجر، ثم اصطفى من ولده بقوله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فَاطِر:الآية 32]، وقال أيضاً: ﴿كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الآية 70] بأن سخرنا الكون وما فيه لهم لئلا يكونوا في تسخر شيء عندهم ويتقرعوا إلى عبادة ربهم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه إنما قال ﴿كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الآية 70] ولم يقل المؤمنين ولا العابدين ولا المجتهدين مع أنه قال في صفة الكفار ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ [الحَجّ:الآية 18] تقديساً لتكريمه من أن يكون مقابلاً للعقل أو معلّلاً بوفاق أمر أو مسبباً لاستحقاق بوجه وذلك التكريم أنهم متى شاؤوا من الأوقات وقفوا معه على بساط المناجاة ومن ذلك التكريم أنك على أي وصف كنت من الطهارة وغيرها إذا أردت أن تخاطبه خاطبته وإذا أردت أن تسأل منه شيئاً سألته ومن ذلك التكريم أنه إذا تاب ثم نقض توبته تقبله ومن ذلك أنه زين

(1) ذكره القشيري في تفسيره (4/ 289) و(7/ 473).

ظاهرهم بتوفيق المجاهدة وحسن باطنهم بتحقيق المشاهدة ومن ذلك أنه أعطاهم قبول سؤالهم وغفر لهم قبل استغفارهم وحسن حالهم كذا في الأثر: «أعطيتكم قبل أن تسألوني وغفرت لكم قبل أن تستغفروني»[1]. ومن جملته أنه قال لهم: ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ [البقرة:الآية 152] ومن ذلك لقوم توفيق صدق القدم ولآخرين تحقيق علو الهمم.

﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ﴾ [الآية 70] على الدواب ﴿وَالْبَحْرِ﴾ [الآية 70] على السفن دفعاً لهم عن المحن والحزن ﴿وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ [الآية 70] المستلذات والحلالات ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الآية 70] بالاستيلاد والغلبة أو بالشرف والكرامة، والمستثنى خواص الملائكة فإنهم أفضل من العامة أو جميعهم من حيثية الجنسية التي لا يقيد شمول الإفراد بالإحاطة إلا مستقراً فيه مع أن المسألة خلافية فكون أولتها ظنية لا قطعية.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة في قوله حملناهم في البر ما أوصل إليهم
155/أ جهراً والإشارة لحديث البحر ما أفردهم به من لطائف الأحوال سراً، / ويقال: لما حمل بنو آدم الأمانة قال تعالى: حملناهم حملاً هو جراء حمل وحمل هو فعل مَن لم يكن وحمل هو فضل من لم يزل هو الرزق الطيب ما كان على ذكر الرب ومن لم يكن غائباً بقلبه ولا غافلاً عن ربه استطاب كل رزق في يده فأشرى على لقاء المحبوب أرى والأري على الغيبة من المحبوب شري، كما نقل عن ابن أدهم أنه أنشد:

وما بي إلا جوعة قد سددتها وكل طعام بين جنبي واحد

وفي هذا تقريض للجماعة الذين تركوا القناعة وقالوا: لن نصبر على طعام واحد، ويقال: فضلهم بأن لاحظوا نفوسهم بعين الاستقدار وأعمالهم بعين الاستصغار.

﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ [الآية 71] بمن اهتموا به من رسول أو نبي

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (2/ 443) رقم (3535)، والنسائي في السنن الكبرى (6/ 424) رقم (11382)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (14/ 154) رقم (4443).

أو اقتدوا بمقدم من عالم أو ولي. وقيل: بكتابهم أو دينهم الذي اختاروه بِعقائدهم وأفعالهم.

قال ابن عطاء: يصل كل مريد إلى مراده وكل محب إلى محبوبه وكل مدعٍ إلى دعواه وكل منتم إلى من انتماه.

وأفاد الأستاذ: أن إمام كل أحد من يقتدي به وليس كل من يقتدي به المربي يهتدي به فإن من إمام به يهتدى ومن إمام به يرتدي ﴿فَمَنْ أُوتِيَ﴾ [الآية 71] من المدعوين ﴿كِتَٰبَهُۥ﴾ [الآية 71] كتاب عمله ﴿بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ﴾ [الآية 71] ويعرفون ثوابهم ومآبهم ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [الآية 71] لا ينقصون من أجورهم أدنى شيء مما يقتضي حسابهم ولعله ترك مقابلهم للاكتفاء بذكرهم عن غيرهم ولما يفهم من أن حال ضدهم بضدهم فهم لا يقرؤون كتابهم ولا يجدون في كتابهم ثوابهم فإن أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حميماً حين يلمع في نظر غرورهم سرابهم فهم متعطشون ولم يذوقوا إلا ماء شرابهم ولا يبعد أنه اكتفى لذكر قرينهم بقوله سبحانه في حقهم: ﴿وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ﴾ [الآية 72] الدنيا ﴿أَعْمَىٰ﴾ [الآية 72] عمى القلب عن معرفة الرب ﴿فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ [الآية 72] أي كذلك أو بل أشد فيما هنالك لقوله: ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الآية 72] منه في الدنيا لزوال الاستعداد وقبل ظهور المعاد. ومما يدل على أن الثاني للتفضيل من عمى بقلبه كالأبله إن أبا عمرو لم يمله فإن أفعل التفضيل/ تامة بمن، فكانت ألفه في حكم المتوسط كما في أعمالكم بخلاف 155/ ب
النعت فإن ألفه واقعة في الطرف لفظاً وحكماً فكانت معرضة للإمالة من حيث تصير باقي التثنية، وقد أمالها حمزة والكسائي وأبو بكر من غير فرق بينهما وورش بين بين فيهما. قيل: مَن كان في هذه أعمى عن مشاهدة العدل فهو في الآخرة أعمى عن مطالعة الفاضل.

وأفاد الأستاذ: أن مَن كان في هذه الدنيا أعمى عن مشاهدته ببصائره فهو في الآخرة أعمى عن معاينته بأبصاره وأضل سبيلاً لأن لهم اليوم فرقة وغداً تضاف إلى فرقتهم حرقة.

﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ﴾ [الآية 73] نزلت في قريش قالوا: لا نمكنك من الحجر وتقبيلك وإسلامك حتى تلم بآلهتنا وتمسها بيدك، ثم إن هي المخففة واللام هي الفارقة والمعنى أن الشأن قاربوا بمبالغتهم أن يوقعوك في الفتنة في استنزالهم واستزلالهم ﴿عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الآية 73] من أحكامهم ﴿لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ﴾ [الآية 73] أي غير ما أوحينا إليك من أمرهم ﴿وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا﴾ [الآية 73] أي ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك بافتتانك ولياً برياً من ولايتي فتكون ذليلاً جليلاً ولا في أمرك جميلاً، ومن المعلوم أن الشرطية الفرضية غير لازمة الوقوع في القضية لا سيما بالنسبة إلى المحفوظ بالعصمة الأبدية بحكم القضايا الأزلية.

وقال الأستاذ: ضربنا عليك سرادقات العصمة وآويناك في كنف الرعاية وحفظناك عن خطى اتباع هواك في القضية فالزلة منك محال ومعدوم والافتراء في نعتك غير موهوم ولو جنحت لحظة إلى جانب المخالفة لتضاعف عليك شدائد البلية لكمال قدرك وعلو أمرك فإن من كان أعلى درجة ذنبه لو حصل يكون في التأثير أشد مرتبة.

﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ﴾ [الآية 74] ولولا نسبتنا إيّاك ﴿لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ﴾ [الآية 74] لقاربت أن تميل أدنى ميل إلى اتباع مرادهم ﴿شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾ [الآية 74] من الميل أو قرب النيل وفي هذا منّة عظيمة ونعمة جسيمة بالنسبة إليه ﷺ. والمعنى إنك كنت في معرض الركون/ إليهم وفي صدد الوقوف عليهم لقوة خداعهم 156/أ
وشدة احتيالهم ولكن أدركتك عصمتنا وساعدتك رعايتنا وحمايتنا فمنعت أن تقرب من الركون الذي هو أدنى الميل فضلاً عن أن تركن إليه بالميل الواجب للويل وهو تصريح في أنه عليه السلام ما همَّ بإجابتهم مع مبالغتهم في دعوتهم وتلويح بأن العصمة توفيق من اللهلعباده في حالتهم.

قال ابن عطاء: إن الله تعالى عاتب الأنبياء بعد مباشرة ما يسمى زله وفعله وعاتب نبينا ﷺ قبل وقوعه ليكون بذلك أشد انتهاءً ويحفظنا بشرائط المحبة فكمال قربه بربه فقال: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ﴾ [الآية 74].

وقال الأستاذ: لو وكلناك ونفسك ورفعنا عنك ظل العصمة لألممت

بشيء مما لا يجوز من المخالفة ولكنَّا أفردناك من الحفظ ما لا يتقاصر عنك آثاره ولا يعزب عن ساحتك أنواره، انتهى. ويؤيده ما ورد في الدعاء: «اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين ولا أقل من ذلك فإنك إن تكلني إلى نفسي تكلني إلى ضعف وعروة وذنب وخطيئة وإني لا أثق إلا برحمتك»[1]. وهذه التحلية على تقديرها في الجملة وإلا لو كانت بالكلية لما بقي من الوجود أثر ولا من الشهود خبر.

﴿إِذًا﴾ [الآية 75] أي لو قاربت ﴿لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ﴾ [الآية 75] أي عذاب الدنيا وعذاب الأخرى مثلي ما يعذب به في الدار من غيرك بمثل هذا الفعل وقربه لأن خطأ الخطير أخطر كما إن غضب الأمير على الوزير أكبر وأكثر ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ [الآية 75] ناصراً نصير بحالك يدفع العذاب عنك ولا تقدر أن تمتنع عنه بقوتك وحولك وغيرهم لبعد هذه القوة والنصرة غاية البعد عن الإذاقة.

وأفاد الأستاذ: أن هبوط الأكابر ومنزلتهم على حسب صعودهم ورفعتهم ومحن الأجلة إذا حلت جلت، وأنشد:

أنت عيني وليس من حق عيني غمض أجفانها على الأقذاء[2]

﴿وَإِن كَادُوا﴾ [الآية 76] أي أهل مكة قاربوا ﴿لَيَسْتَفِزُّونَكَ﴾ [الآية 76] ليزعجوك بمعاداتهم ﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾ [الآية 76] أي أرض مكة في مماكراتهم عند مجاوراتهم ﴿لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾ [الآية 76] إخراجاً ظاهرياً حقيقياً وإلا فقد أخرجوه إخراجاً نسبياً مجازياً كما قال/ تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ [محمد:الآية 13]، ﴿وَإِذًا﴾ [الآية 76] أي ولو خرجت ولو باختيارك ﴿لَّا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ﴾ [الآية 76] وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص خلافك وهما لغتان أي لا يبغون بعدك ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الآية 76] فالاستثناء 156/ب

(1) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (1/ 475) رقم (759).
(2) نسب هذا البيت لابن الرومي. انظر التمثيل والمحاضرة (1/ 24)، والتذكرة الحمدونية (2/ 37)، والزهرة (1/ 33).

مفرع أو إلا قليلاً منهم فإنهم يؤمنون ويبقون في حال يكون جميلاً وقد كان كذلك فإنهم أهلكوا ببدر بعد هجرته، وفيه تنبيه نبيه على أنَّ مَن حفر[1] بئراً لأخيه سقط في حفرته.

وأفاد الأستاذ: من أنه يتمتع بحياته بعد مضي أكابره وأغرقه غلط في حسبانه ومظنته فإن الحسود لا يسود وأن الأرض كلها ملك لنا وتقلب أوليائنا لترددهم في البلاد وتطوافهم في أقطار العباد تزدد على بساطنا وتقلب في ديارنا فالبقاع لهم سواسية:

فسر أو أقم وقف عليك محبتي   مكانك من قلبي عليك مصون[2]

﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا﴾ [الآية 77] أي سنَّ الله ذلك سنَّة وهو أن يهلك أمة سعوا في خروج رسولهم من بين أظهرهم لغلوهم في كفرهم، فالسنَّة لله وإضافتها للرسل لأنها من أجلهم، وإذا أردت دليلاً فقوله: ﴿وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ [الآية 77] أي تغييراً وتبديلاً.

وأفاد الأستاذ: أن الحق سبحانه أمضى سنَّته مع الأولياء بالإنعام ومع الأعداء بالإرغام فلا لهذه تبديل ولا لهذه تحويل.

﴿أَقِمِ الصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ [الآية 78] أي وقت زوالها ﴿إِلَىٰ غَسَقِ الَّيْلِ﴾ [الآية 78] أي ظلمته وهو وقت صلاة العشاء الآخرة ﴿وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ﴾ [الآية 78] أي صلاة الصبح سميت قرآناً لأنه ركنها كما تسمى الصلاة ركوعاً وسجوداً ﴿إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الآية 78] يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار نزولاً وصعوداً أو شواهد القدرة من تبدُّل الظلمة بالضياء وبالنوم الذي هو آخر الموت بالانتباه المشابه للبعث بالإحياء.

وأفاد الأستاذ: أن الصلاة بالأبدان مؤقتة والمواصلات بالسر والجنان سرمدة، والمنتظر للصلاة في الصلاة والصلاة قرع باب الرزق محل المناجاة إيماء إلى قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ

---

(1) في المخطوطة: وقع، وهو تحريف.

(2) هذا البيت منسوب لمعقل بن عيسى. انظر الزهرة (1/ 75) والأغاني (10/ 105).

﴿وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ [طه:الآية 132]، والصلاة اعتكاف القلب في مشاهدة القدر والقضاء، ويقال: هي الوقوف[1] / على بساط النجوى وفرق أوقات الصلاة ليكون 157/ أ
للعبد عود إلى بساط الانبساط في اليوم والليلة مرات وإلى محراب المجاهدات كرّات. ﴿وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ﴾ [الآية 78] أي قراءته ﴿إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا﴾ [الآية 78] يشهده ملائكة الليل والنهار على لسان العلم، وأما على لسان القوم فقرآن الصبح الذي هو وقت انتباه العبد من نوم الغفلة ونشاطه من كسل النفس فلها هذه المزية.

﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ﴾ [الآية 79] وبعض الليل فاترك هجوده بالقرآن وتلاوته وبسبب قيام الليل وعبادته ﴿نَافِلَةٗ لَّكَ﴾ [الآية 79] فريضة زائدة لك على الصلوات المفروضة عليك أو فضيلة منفية لك لاختصاص وجوبه بك ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ﴾ [الآية 79] أي فيقيمك ﴿مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الآية 79] يحمد القائم فيه يوم الدين على لسان الأولين والآخرين وهو الشفاعة العظمى والمرتبة العليا.

وأفاد الأستاذ: أن المقام المحمود هو المجالسة في حال الشهود، ويقال: الليل للمطيع والعاصي كل بحسب حاله، هذا في استكثار حسن أعماله وهذا في اعتذاره من قبيح أفعاله.

﴿وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي﴾ [الآية 80] أي في القبر ﴿مُدۡخَلَ صِدۡقٖ﴾ [الآية 80] إدخالاً مرضياً بالسلامة ﴿وَأَخۡرِجۡنِي﴾ [الآية 80] منه عند البعث ﴿مُخۡرَجَ صِدۡقٖ﴾ [الآية 80] إخراجاً ملقياً بالكرامة. وقيل: إدخاله في كل ما يلابسه من المكان والزمان وإخراجه منه على منوال ذلك الشأن فيشمل إدخاله المدينة وإخراجه من مكة وإدخاله النار وإخراجه منها سالماً إلى الدار وإدخاله فيما حمله من أعباء الرسالة وإخراجه منه مؤدياً حقه على وجه الجمالة ﴿وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا﴾ [الآية 80] حجة وبرهاناً ينصرني على مَن خالفني ويعين مَن وافقني ليكون على ديني نصيراً.

---

(1) في المخطوطة: الباط، والمثبت من تفسير القشيري (4/ 297).

وقال جعفر الصادق: أي أدخلني في ميدان معرفتك وأخرجني من ميدان معرفتك إلى مشاهدة ذاتك.

وأفاد الأستاذ: أن إدخال الصدق وإخراجه أن يكون دخوله وخروجه في الأشياء بالله لا بغيره. ﴿وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا﴾ [الآية 80] حتى لا ألاحظ دخولي ولا خروجي إلا بل أكون لعقلك بصيراً.

157/ب ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾ [الآية 81] نور الإسلام ﴿وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الآية 81] / وذهب شرك الظلام ﴿إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الآية 81] مضمحلاً في نفسه هالكاً من أهله كما قال تعالى: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القَصَص:الآية 88]. وكما قال لبيد: «ألا كل شيء ما خلا الله باطل»[1]. وذهب ما سواه وكان كذلك قبل الآن وهو كما قيل: «كان الله ولم يكن معه شيء والآن على ما عليه كان»[2].

وأفاد الأستاذ: أن الحق ما كان لله والباطل ما كان لغير الله. ويقال: الحق من الخواطر ما دعا إلى الله، والباطل ما دعا إلى ما سواه.

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 82] أي ما هو في تقويم دينهم وتتميم نعيمهم وإحياء أرواحهم كالدواء الشافي للمرضى في اصطلاح نفوسهم وأشباحهم ومن البيان فإن كله كذلك في هذا الشأن ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الآية 82] هذه الجملة في مقابلة ما سبق، فكأنه قال: وما هو شقاء ونقمة للمنكرين، فهذا كالنيل ماء للمحبوبين ودماً للمحجوبين. وفي الحديث: «القرآن حجة لك أو عليك»[3]، وفي رواية: «القرآن شافع مشفع أو ماحل مصدق»[4].

وأفاد الأستاذ: أن القرآن شفاء من داء الشك للمؤمنين ومن داء الجهل للعالمين ومن داء الفكرة للعارفين ومن لواعق الشوق للمحبين ومن داء الفتور

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (6147)، ومسلم في الصحيح (2256/ 2).
(2) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال (10/ 370) رقم (29850).
(3) سبق تخريجه. (4) سبق تخريجه.

للمريدين والقاصدين، وأنشدوا:

وكُتْبُك حولي لا تفارق مضجعي وفيها شفاء للذي أنا كاتم[1]

﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الآية 82] فالخطاب واحد والكتاب واحد ولكنه لقوم رحمة وشفاء ولقوم سخطة وشقاء، قوم كحل بصائرهم بنور التوحيد والشهود فهو لهم شفاء وقوم أغشى على بصائرهم بستر الجحود فهم لهم شقاء.

﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ [الآية 83] بالصحة والسعة ﴿أَعْرَضَ﴾ [الآية 83] عن ذكر ربه واشتغل عن شكره بغيره ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ [الآية 83] بعُدَ بنفسه عن الله وحكمه كأنه مستغن مستبد بأمره. وقرأ ابن ذكوان: ناء بقلبه ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ [الآية 83] من مرض وفقر ﴿كَانَ يَـُٔوسًا﴾ [الآية 83] شديد اليأس من رحمة ربه.

قال الواسطي: أعرض عن المنعم بالنعمة، والنعمة العظمى هي الهداية والإيمان والمعرفة والولاية والعبد لا ينفك عن رؤية نفسه، وهذا / هو 158/أ
الإعراض عن منعمه بأن يستحلي طاعته ويتلذذ بها ويسكن إليها ويتحصن من النار بسببها.

وقال الأستاذ: إذا أزلنا عنه موجبات الخوف في المآل وأرضينا له جعل الإمهال وهيّأنا له أسباب الرفاهية من سعة الجاه وكثرة المال اعترته مغاليط النسيان واستهوته دعاوي العصيان فأعرض عن شكر الخذلان وتباعد عن بساط الوفاق. ويقال: إعراضه في هذا الفصل نسيانه رؤية الفضل وتوهمه أن ما أوتي من النعم باستحقاق لطاعة أخلصها أو لبلاء وشدة قاساها وهذا شرك في التحقيق والله ولي التوفيق.

﴿قُلْ كُلٌّ﴾ [الآية 84] كل أحد ﴿يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ [الآية 84] طريقته التي تشاكل حقيقته التي تقتضي هدايته أو غوايته أو جوهر روحه التابع لمزاج شبحه ﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾ [الآية 84] وكذا بمن هو أدرى سبيلاً وأغوى دليلاً.

---

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 10) و(4/ 301).

قال ابن عطاء: كما قال ﷺ: «كل ميسر لما خلق له»[1].

وقال أبو بكر: كل نفس يتبع أثر قلبه وهمته بأمر ربه.

وقال جعفر: كل مكنون يظهر ما أودع فيه من الخير والشر، كذا في «تفسير السلمي». وقول الصادق موافق لقولهم: كل إناء يترشح بما فيه.

ثم رأيت الأستاذ قد أفاد بقوله كل يرشح بمودع باطنه فالأسرة تدل على السريرة وما تجنه الضمائر يلوح على السرائر فمن صفا عن الكدورة جوهرة لا يفوح منه إلا شر مناقبه ومن طبع عن الكدورة طينته فلا يعبق بمن يحوم حوله إلا ريح مثالبه. ويقال: حركات الظواهر تدل وتخبر عن الواطنات في السرائر. ويقال: حب الغبيرا لا تنبت غصن العود في الصحراء. ويقال: مَن عجن بماء الشقاوة طينته وطبع على الفكرة حيلته لا يسمح بالتوحيد قريحته ولا ينطلق بالتفريد عبادته.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾ [الآية 85] الذي يحيى بها بدن الإنسان ويديره في هذا الشأن ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الآية 85] من المبدعات الكائنة بكن من غير مادة ومدة وتولد من أصل وعدة بخلاف جسده حيث خلق من نطفة ومضغة وعلقة كما قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف:الآية 54]، ووجد بأمره وحدث
158/ ب بحكمه/ فيفيد عدم مذمه مما استأثره الله بعلمه لما روي أن اليهود قالوا لقريش: سلوه عن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فإن أجاب عنها أو سكت فيها فليس بنبي، وإن أجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي[2]، فبيَّن لهم الصفتين وأبهم أمر الروح وهو سهم في التوراة. وقيل: الروح جبريل وقيل خلق أعظم من الملك، وقيل القرآن، ومن أمر ربي معناه ومن وحيه ويلائمه قوله سبحانه: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الآية 85] تستعيدونه بتوسط حواسهم فإن اكتساب العقل للمعارف النظريات إنما هو من الضروريات

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (7551)، ومسلم في الصحيح (2649/ 9).
(2) تفسير الطبري (17/ 543)، تفسير القرطبي (10/ 325).

المستفادة من إحساس الجزئيات وكذا قيل: مَن فَقَدَ حسّاً فقد فَقَدَ عِلْماً. ولعل أكثر الأشياء لا يدركه الحسن والأشياء من أحواله وصفاته المعرفة لذاته، وفيه إشارة إلى أن الروح مما لم يكن معرفة ذاته إلا بعوارض تميزه عما يلتمس به ذكر بعض صفاته. روي أنه عليه السلام لما قال لهم ذلك قالوا: نحن مختصون بهذا الخطاب، فقال: بل نحن وأنتم، فقالوا: ما أعجب شأنك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وساعة تقول هذا، فنزلت: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ﴾ [لقمَان:الآية 27]، وما قالوه لسوء فهمهم وقلة علمهم لأن الحكمة الإنسانية أن يعلم من الحق والخير ما يسعه القوة البشرية بل ما ينتظم به معاشه ومعاده وهو بالإضافة إلى معلومات الله التي لا نهاية لها يسير ولو بالإضافة إلى الإنسان كثير.

وفي «تفسير السلمي»: سئل أبو سعيد الخراز عن الروح أمخلوقة هي؟ قال: نعم ولولا ذاك ما أقرّت بالربوبية حين قالت: بلى، والروح هي التي أوقعت على البدن اسم الحياة وبالروح ثبت العقل وبالروح قامت الحجة وعرف العدل والفضل. وقال ابن عطاء: إن الله تعالى ستر أمر الروح على جميع خلقه وستر كيفية صفات نفسه وستر ما يبدو منه وستر ما يقابل به الخلق عند معاينته إلا أن العلماء اتفقوا على أنها جسم لطيف وجوهر شريف وأن الأرواح خُلِقت قبل الأشباح.

159/أ / وأفاد الأستاذ: أنهم أرادوا أن يغالطوه في جواب ما سألوه فأمره أن ينطق بلفظ يفصح عن أقسام الروح لأن ما ينطبق عليه لفظ ﴿ٱلرُّوحُ﴾ [الآية 85] يدخل تحت قوله: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الآية 85]. وفي الجملة الروح مخلوقة والحق أجرى العادة بأن يخلق الحياة لعبده ما دام الروح في جسده والروح لطيفة تقرر للكافة بطهارتها ولطافتها وهي مخلوقة قبل الأجساد بألوف من السنين وقبل أن أدركها التكليف كأن للأرواح صفاء التسبيح وضياء المواصلات ويمن التفريق وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً لأن أحداً لم يشاهد الروح ببصره.

﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الآية 86] أي إن شئنا ذهبنا

بالقرآن المزبور ومحوناه عن المصاحف والصدور ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيۡنَا وَكِيلًا﴾ [الآية 86] من يتوكل علينا ويتكفل لك عنا برد المحفوظ المنظور.

﴿إِلَّا رَحۡمَةً مِّن رَّبِّكَۚ﴾ [الآية 87] فإنها إن زلتك غلفها تسترد ذلك أو لكن رحمة من ربك تركه غير مذهوب به ليكون امتناناً ببقائه بعد المنة في إنزاله ويؤيده قوله: ﴿إِنَّ فَضۡلَهُۥ كَانَ عَلَيۡكَ كَبِيرًا﴾ [الآية 87] حيث جعل في إبقائه خيراً كثيراً وفيه تنبيه نبيه على أنَّ الحافظ للقرآن في قلوب القراء كما أوقع به الإيمان سبحانه ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩﴾ [الحِجر:الآية 9].

وأفاد الأستاذ: إنَّ سنَّة الحق سبحانه مع أحبابه وخواص عباده أن يديم لهم شهود افتقارهم إليه ليكونوا في جميع الأحوال منقادين لديه مطيعين لجريان حكمه ولا يتحرك بينهم عرق بخلاف أمره، وعلى هذه الجملة خاطب حبيبه بقوله: ﴿وَلَئِن شِئۡنَا لَنَذۡهَبَنَّ بِٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ [الآية 86]، ومن كان استقلاله بالله يقدم مراد سيده في العزل والولاية على مراد نفسه. ثم قال: ﴿إِلَّا رَحۡمَةً مِّن رَّبِّكَۚ﴾ [الآية 87] والمقصود من هذا إدامة تفرُّد سرّه به سبحانه دون غيره.

﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ﴾ [الآية 88] ومنهم الملائكة ﴿عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ﴾ [الآية 88] من عندهم ﴿بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ﴾ [الآية 88] في بلاغة المبنى وجزالة المعنى ﴿لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ﴾ [الآية 88] لا يقدرون على إتيان شبهه ﴿وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا﴾ [الآية 88] متظاهرين ومنقادين على الإتيان به.

159/ب وفيه إيماء إلى أن ما أفاد الأستاذ/ من أن سائر الأنبياء معجزاتهم باقية حكماً ومعجزة نبينا باقية عيناً وإن هذا القرآن المجيد ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾ [فصلت:الآية 42].

﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا﴾ [الآية 89] كرّرنا بالوجه الأكمل ﴿لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ﴾ [الآية 89] من كل معنى هو كالمثل في غرابته ووقوعه موقعه في أنفس مَن انتفع بقراءته ﴿فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا﴾ [الآية 89] إلا جحوداً لوحدته ورحمته وكفراناً بنعمته ومنّته.

وأفاد الأستاذ: أنه ليس أحظى عند الأحباب من كتاب الأحباب فهو

شفاء لهم من داء الضناء وضياء لأسرارهم عند اشتداد البلاء.

﴿وَقَالُوا﴾ [الآية 90] أي كفار قومك تعنتاً واقتراحاً بعدما ألزمهم الحجة ببيان إعجاز القرآن وانضمام غيره من أنواع المعجزة ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ﴾ [الآية 90] وبالتخفيف الكوفي أي تشقق ﴿لَنَا مِنَ الْأَرْضِ﴾ [الآية 90] بعض أرض مكة ﴿يَنبُوعًا﴾ [الآية 90] عيناً يدوم ماؤها كثيراً.

﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾ [الآيتان 91،92] بفتح السين هنا نافع وابن عامر وعاصم أي قطعاً وزناً ومعنى ﴿أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا﴾ [الآية 92] بما تدّعيه من معانيه وشاهداً على صحة ما فيه من مبانيه.

﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ﴾ [الآية 93] من ذهب كما قرىء به ﴿أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ﴾ [الآية 93] في معارجها بحيث نشاهدك من مدارجها ﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ﴾ [الآية 93] وحده ﴿حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ﴾ [الآية 93] فنصدقه ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي﴾ [الآية 93] تعجباً من اقتراحاتهم وتقبيح ضلالاتهم. وقرأ ابن كثير وابن عامر: قال ـ أي الرسول ـ: ﴿هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ [الآية 93] واحداً من البشر رسولاً أي كسائر الرسل حيث لم يكن أمر الآيات إليهم بل كانوا يأتون بما يظهره الله عليهم مما يلائم حال قومهم لديهم. وهذا جواب إجمالي وجاء تفصيله في آيات أخر كقوله: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا﴾ [الأنعام:الآية 7] كتاباً ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم﴾ [الحجر:الآية 14] باباً.

وأفاد الأستاذ: أنهم اقترحوا الآيات بعد إزالة العلة فركضوا في مضمار سوء الأدب فحرموا رموز الوصلة والقربة ولو أجيبوا إلى ما طولبوا ما ازدادوا إلا الجحد / والفكرة كما قيل: 160/ أ

إن الكريم إذا حباك بودّه ستر القبيح وأظهر الإحسانا
وكذا الملول لو أراد قطيعة ملّ الوصال وقال كان وكانا[1]

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 26).

﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي﴾ [الآية 93] أي له الربوبية، وهل يقتضي صفة البشرية إلا العبودية، فمن أين الإتيان بما سألتم من قبلي ولا كان مثل هذا لأحد من قبلي.

﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [الآية 94] ويتركوا متابعة الهدى وسلوك طريق الردى ﴿إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا﴾ [الآية 94] والعجب أنهم أنكروا كون الرسول بشراً وجوّزوا كون الإله حجراً.

وأفاد الأستاذ: أنهم تعجبوا مما ليس بمحل الأعجوبة لهم ولكن حملهم عليه فرط جهلهم ثم اقترن بذلك فرط حسدهم فاقتصروا على تكذيبهم وجحدهم، انتهى.

والله سبحانه من كرمه وحلمه بهم أزال صورة سيمتهم في مقالهم إصلاحاً لحالهم بقوله: ﴿قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ﴾ [الآية 95] أي ماشين ظاهرين كما أنكم ﴿مُطْمَئِنِّينَ﴾ [الآية 95] ساكنين فيها مستقرين بها ﴿لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا﴾ [الآية 95] من جنسهم لتمكنهم من الاجتماع به والتلقي والتلقن من علمه، وأما الإنس فعامتهم عماة عن إدراك الملك والتلقف منه في دوران الفلك فإن ذلك مشروط بنوع من التناسب والتجانس بحسب تخلية القلب عن غير حب الرب وتجلية الروح بأنواع عن تخلية الفتوح، وهذا لا يحصل إلا لِخواص البشر الخالين عن غبار الكدر فيصلح أن يكون واسطة رابطة بين الخلق والحق فتدبر فإن الجنسية علة الضم وميل الجنس إلى الجنس أتم والله سبحانه أعلم.

﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ [الآية 96] على أني رسول الله إليكم وبلّغتكم ما أنزل عليكم وأنكم عاندتم فيما لديكم ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾ [الآية 96] يعلم سرائرهم وظواهرهم وفيه غاية وعيد ونهاية تهديد.

﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾ [الآية 97] أي من عنده ﴿وَمَن يُضْلِلْ﴾ [الآية 97] أي بإضلاله أو خذلانه أو اختيار غوايته ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ﴾ [الآية 97] أي من غيره ممن يقدر على هدايته.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه من أراد بالسعادة في آزاله استخلصه من آباده

بأفضاله ومن علمه / في الآزال بالشقاء وسمه في أبده بسمة الأعداء، فلا 160/ ب
لحكمه تحويل ولا لقوله تبديل ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الآية 97] أي نجمعهم بعد بعثهم من قبورهم إلى موقف نشورهم ﴿عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ [الآية 97] يُسحبون عليها أو يمشون بها، ويؤيد الأول قوله: ﴿يُسْحَبُونَ ۝٧١ فِى ٱلْحَمِيمِ﴾ [غافر: الآيتان 71، 72]، ويقوي الثاني ما روي أنه قيل لرسول الله ﷺ: كيف يمشون على وجوههم؟ قال: «إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم»[1]، ﴿عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [الآية 97] حقيقة ظاهراً وباطناً في أول حسابهم أو وقت عذابهم أو كفاية أنهم لا يبصرون ما يقر به أعينهم ولا يسمعون ما تتلذّذ به مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم لأنهم في دنياهم لم يستبصروا بالآيات والعبر المطلق وتصاموا على استماع الحق وأبوا أن ينطقوا بالصدق فجوزوا إجزاء الوفق ﴿مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ﴾ [الآية 97] فسكنت لهبها عنهم بأن أكلت جلودهم وأحرقت لحومهم ﴿زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾ [الآية 97] توقُّداً بهم بتبدُّل جلودهم ولحومهم لتكذيبهم بإعادتهم بعد إفنائهم وبإمدادهم بعد إنجادهم كما أشير إليه بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية 98] أي ما تقدم من عذابهم ﴿جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا﴾ [الآية 98] حطاماً ورفاتاً ﴿أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ [الآية 98] وبهذا يزول الإشكال المشهور وهو أن الظاهر العدل في حق الكافر أنه إذا عبد غير الله مثلاً سبعين سنة أن لا يعذب أزيد من القدر المذكور ساعة ولا قدر سنة ووجهه أنهم لما كانوا متفوهين أن الإعادة لا تكون آية فجوَّزوا بدوام الإعادة سرمداً.

وأفاد الأستاذ: أنهم لما أصروا على تكذيبهم جازاهم الله بإدامة تعذيبهم ولو ساعدهم التوفيق لوجد منهم التحقيق ولكن عدموا التأييد فحرموا التوحيد.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ﴾ [الآية 99] أو لم يعلموا ﴿ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ﴾ [الآية 99] أي نفسهما ﴿عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ [الآية 99] أي ابتداءً أو إعادة

(1) انظر تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف (2/ 290) رقم (729).

فإنهم ليسوا أشد خلقاً منهما في البناء ولا الإعادة عليه أصعب من الابتداء بل هما في مرتبة السواء وإن كانت الإعادة أهون في العادة كما يشير إليه قوله سبحانه: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ [غافر:الآية 57] أي
161/ أ أكثر عظمة في صدورهم/ ﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ [الآية 99] لا شك في حلول أجلهم على وفق جعله لهم من غير تقديم وتأخير في زمانهم. والمراد بالأجل القيامة الصغرى أو الساعة الكبرى ﴿فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الآية 99] مع وضوح الحق لهم ﴿إِلَّا كُفُورًا﴾ [الآية 99] جحوداً لربّهم.

﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّيٓ﴾ [الآية 100] خزائن رزقه ومكامن كرمه ونعمه ﴿إِذًا﴾ [الآية 100] أي حينئذ ﴿لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ﴾ [الآية 100] لبخلتم مخافة نفاذ الأنفاذ وغفلة عن قضية ما عندكم ينفذ وما عند الله باقٍ، ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا﴾ [الآية 100] بخيلاً غاية البخل فإنه لا أحد إلا ويختار النفع لنفسه ولو آثر غيره شيء فإنما يؤثره لعوض أو عرض في فعله فهو إذن بخيل بالإضافة إلى جود الله وكرمه وفضله، وفي الحديث: «لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى ثالثاً، ولن يشبع عين ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب»(1). وفيه تنبيه على أن الإنسان خُلِق في أصله معيوباً بأنواع سوء خلقه من فتور وكفور وعجول وهلوع وظلوم وجهول ونحو ذلك. وإنما يحسن الله أخلاق من شاء من عباده بالتخلق بأخلاق ربهم والتحلي بحلية اكتساب ما أمرهم واجتناب ما زجرهم، فلو خلي الإنسان لمحة بطبعه رجع إلى أصله في عيوبه.

وقال حمدون: أخبر الحق عن حقيقته طباع الخلق فقال: لو ملكتم ما أملكه من فنون الرحمة وخزائن الخير والنعمة لقلب عليكم سوء طبائعكم في الشح والبخل المركب فيكم.

وأفاد الأستاذ: أنه إذا كان البخل غريزة والشح سجية فمساعدة المكنة

---

(1) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح (4/ 569) رقم (2337)، والبيهقي في شعب الإيمان (7/ 269) رقم (10274)، وابن حبان في الصحيح (8/ 30) رقم (3237)، وأحمد في المسند (4/ 368) رقم (19299).

واقتدار المعروف لا يغير الخلقة.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ [الآية 101] هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والطوفان والسنون ونقص من الثمرات ﴿فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ﴾ [الآية 101] أي سلهم من حال دينهم ومن آيات نبيهم، ولعل مبنى هذا المعنى على قوله تعالى: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [يُونس:الآية 94]، ولذا قال النبي الأكمل: «لا أشك ولا أسأل»[1].

قال جعفر الصادق: من الآيات التي خصه الله بها الاصطفاء بالرسالة وإلقاء المحبة والكلام والثبات في محل الخطاب ومقام المرام والحفظ في اليم / واليد البيضاء وإعطاء ألواح التوراة، كذا في «تفسير السلمي». 161/ ب

وأفاد الأستاذ: إن كثرة ذكره سبحانه لموسى عليه السلام في كتابه من أمارة إكرامه ومحبته له مقدورة من أحب شيئاً أكثر ذكره، انتهى. والأظهر أن موجب كثرة ذكره وجود كثرة أتباعه وأصحابه ومداولة أحكام ما يستفاد من كتابه فاحتاجوا إلى بيان كثرة معجزات نبينا ﷺ في تبيان أخبارهم ليكون حجة واضحة وبيّنة لائحة على رهبانهم وأحبارهم أصالة وعلى كفار مكة وسائر المشركين تبعية.

﴿فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ [الآية 101] أي مجذوعاً ممكوراً.

﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ [الآية 102] يا فرعون، وقرأ الكسائي بصيغة المتكلّم ﴿مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [الآية 102] الآيات الظواهر البواهر ﴿إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ [الآية 102] بينات واضحات وطاهرات لائحات ينظرن صدق المعجزات بظواهر أنوارها ووضوح أسرارها ولكنك ركنت إلى الغفلة وملت إلى الظلمة وتجاحدت وتعاندت لكونك معجباً مغروراً ﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ [الآية 102] مصروفاً عن الخير مطبوعاً على الشر داعياً وقت هلاكك ثبوراً وشتان

(1) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (6/ 125) رقم (10211).

بين الظنين فإن ظن فرعون كذب بحت وصرف وبهتان وظن موسى يحوم حول اليقين وتحقق الإمكان.

﴿فَأَرَادَ﴾ [الآية 103] فرعون ﴿أَن يَسْتَفِزَّهُم﴾ [الآية 103] يستخف موسى وقومه وينفيهم ﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 103] أرض مصر بإخراجهم أو الأرض مطلقاً بقتلهم واستئصالهم ﴿فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا﴾ [الآية 103] فعكسنا عليه أمره وقلبنا عليه مكره فاستفززناه بالإغراق وقومه.

وأفاد الأستاذ: أن فرعون أراد إهلاك بني إسرائيل واستئصالهم وأراد الحق نصرتهم وبقاءهم وإقبالهم فكان ما أراد الحق لا ما كاد اللعين المحقق.

﴿وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [الآية 104] بعد إغراق فرعون وقومه ﴿لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ﴾ [الآية 104] التي أراد أن يستفزكم منها بالطول والعرض ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [الآية 104] أي الكرة أو الحياة أو الساعة أو الدار الآخرة، يعني قيام القيامة لجميع الأمة ﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ [الآية 104] جماعات ملتفة من قبائل متفرقة،
162/ أ والمعنى نأتي بكم / جميعكم فنحكم بينكم ونميِّز سعدائكم من أشقيائكم ونبيِّن حقيقة أنبيائكم وحقيقة أصفيائكم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه لما ورّثهم منازل أعدائهم ومكّنهم من ذخائرهم ومساكنهم استوصى بهم شكر نعمتهم وعرّفهم أنهم لو سلكوا في العصيان مسلك من تقدمهم ذاقوا من العقوبة مثل عقوبتهم.

﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ﴾ [الآية 105] أي القرآن ﴿وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾ [الآية 105] أي الفرقان، والمعنى ما أنزلنا القرآن إلا متلبساً بالحق المقتضي لإنزاله وما نزل إلا متلبساً بالحق المشتمل عليه لإكماله.

وأفاد الأستاذ: أن القرآن حق ونزوله حق ومنزله حق والمنزل عليه حق والقرآن بحق نزل ومن حق نزل وعلى حق نزل. قلت: وقد جاء الحق وزهق الباطل، وقل الحق من ربكم تحقق، من شاء فليؤمن بقبوله ومن شاء فليكفر بعدوله ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا﴾ [الآية 105] للمطيع بالثواب وقرب الجنات

﴿وَنَذِيرًا﴾ [الآية 105] مخوّفاً للعاصي من العقاب والحجاب عن الباب فما عليك إلا البلاغ وعلينا الحساب على ما جرى به القلم في صفات الكتاب.

﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ﴾ [الآية 106] أي في أزمنة منّجمة أنزلناه ﴿لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [الآية 106] بحكم الاستئناس وأمر الأساس بالقياس ﴿عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ [الآية 106] على مهل وتؤدة ولبث فإنه أهون لحفظ أهل العلم وأعون على تدارك إدراك أهل الفهم ﴿وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الآية 106] يناسب كونه لكل حادثة من الحوادث لتفسيرات أو تأويلات.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه فرق تنزيل القرآن إليه ليهون حفظه عليه وليكثر تردُّد قلبه لديه وليكون نزوله في كل واقعة وحادثة دليلاً على أنه ليس مما أعانه عليه غيره ولأنه يقول من تلقاء نفسه.

﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ﴾ [الآية 107] أي بالقرآن ﴿أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟﴾ [الآية 107] بالعصيان، فإنهما سببان حيث لم يزده إيمانكم به كمالاً ولا امتناعكم عنه يورثه نقصاناً وزوالاً، لا بل آمنتم به أمِنْتُم ودخلتم دار الأمان وإن أبيتم هلكتم ووصلتم دار الخسران، فنفعه عائد إليكم وضرره راجع عليكم وذاتنا وصفاتنا على وجه الكمال
162/ ب منزَّهة عن تصور النقصان وتوسم الزوال كما يعرفه أولوا / العلم والفهم بالأحوال كما قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ﴾ [الآية 107] قبل نزوله ﴿إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية 107] القرآن ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ [الآية 107] يسقطون على وجوههم حال كونهم ساجدين تعظيماً لأمره.

﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾﴾ [الآية 108] أو شكراً لإنجاز وعده كائناً مأتياً محصولاً موصولاً.

﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ﴾ [الآية 109] حال كونهم باكين ﴿وَيَزِيدُهُمْ﴾ [الآية 109] سماع القرآن ﴿خُشُوعًا﴾ [الآية 109] لما يفيدهم من مدد الرحمٰن. ولعل تكرار الخرور للإشارة بما أثر فيهم من مواعظ القرآن وزواجر الفرقان للمبالغة في بيان واقعة كل مِن الحالة، فتارة في مقام الرجاء والبسط والانبساط، وتارة في مقام الخوف والقبض عن قرب البساط. فهم دائماً بين حال الفناء والبقاء وسرمداً

بين حصول الإيجاد ووصول الأمداد في دار المعاش والمعاد كما تقتضيه صفات الجمال والجلال من نعوت الجمال.

وقال الأستاذ: إن آمنتم حصل النفع لكم وإن جحدتم ففي من آمن من أوليائنا خلف عنكم والضرر عائد عليكم، فإن من أضاء عليه شموس إقبالنا أشرق الكون بنور معارفهم لنا وإذا يتلى عليهم آياتنا سجدوا بدل جحودكم واستجابوا بدل تمرُّدكم وقابلوا بالتصديق ما نقول لهم ويخرُّون للأذقان يبكون لِمَا ظهر لهم من طريق التحقيق وسبيل التوفيق، فإن السماع مؤثر في قلوب قوم محيِّر لأسرار آخرين، فتأثير السماع في قلوب العلماء بالتبصر، وتأثير السماع في أسرار الموحِّدين بالتحيُّر. تبصُّر العلماء بصحة الاستدلال، وتحيُّر الموحِّدين في شهود الجمال والجلال. وبكاء كل أحد لما يناسبه من الحال، فالتائب يبكي لخوف عقوبته ولما أسلفه من زلته وحوبته، والمطيع يبكي لتقصيره في طاعته ولئلا يفوته ما يأمله من منته، وقوم يبكون تحسُّراً على ما يفوتهم من الحق بالنسبة إليهم والبكاء عند الأكابر معلول، وهو في الجملة يدل على ضعف حال الرجل المجهول بالنسبة إلى الأقوياء من الرجال الفحول. وفي معناه أنشدوا:

خُلِقْنَا رِجالاً لِلتجلُّد والأسى وتلك الغواني للبكاء والمآتم[1]

163/أ / ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾ [الآية 110] نزل حين سمع المشركون رسول الله ﷺ يقول: يا الله يا رحمٰن، فقالوا: إنه ينهانا عن أن نعبد إلٰهين وهو يدعو اثنين. فالمراد ردهم بكون التسوية بين اللفظين فإنهما مطلقان على ذات واحد وإن اختلف اعتبار إطلاقهما بالنعت المتعدد والتوحيد إنما هو للذات الواجب الوجود الذي هو المعبود والمقصود والمشهود، كما أشار إليه بقوله: ﴿أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الآية 110] أي الصفات العليا. والحاصل أن توهم الإثنينية إنما نشأ من العلة الأصولية.

---

(1) نسب هذا البيت لأبي تمام. انظر نهاية الأرب في فنون الأدب (1/ 277) والرسالة الموضحة (1/ 51).

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه من عظيم نِعَمه وامتنانه على أوليائه نزههم بأسرارهم في رياض ذِكْره لتعدد أسمائه فينتقلون من روضة إلى روضة ومن مأنس إلى مأنس لتزول الوحشة. ويقال: الأغنياء ترددهم في بساتينهم وتنزههم في منابت رياحينهم والفقراء تنزههم لترويحهم في مشاهد تسبيحهم يستروحون إلى ما يلوح لأسرارهم من كشوفات جلاله وجماله ما يكون مداداً لاستفاضة أنوارهم ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ [الآية 110] أي بقراءة صلاتك بالمرة ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ [الآية 110] بالمبالغة ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ [الآية 110] أي اطلب بين ما ذُكِرَ من الجهر والمخافتة ﴿سَبِيلًا﴾ [الآية 110] طريقة متوسطة معتدلة فإن الاقتصاد محمود في جميع المواد. ولعل المراد بها صلاة التهجد لما روي أن أبا بكر رضي الله عنه كان يخفت ويقول: أناجي ربي وقد علم حاجتي. وعمر رضي الله عنه كان يجهر ويقول: أطرد الشيطان وأوقظ الوسنان وأرضي الرحمان. فلما نزلت أمر رسول الله ﷺ أبا بكر أن يرفع قليلاً[1] وعمر أن يخفض قليلاً. وقيل معناه: لا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها بأسرها وابتغ بين ذلك سبيلاً بالإخفات نهاراً والجهر ليلاً، وَعَدَّ الفجر من الليل لكمال قربه قيلاً.

وقال الأستاذ: لا تجهر جهراً يسمعه الأعداء ولا تُخافت بها بحيث لا يسمعه الأولياء وابتغ بينهما سبيلاً يكون نجواك من الأحباب مسموعاً/ ومن 163/ ب
الأجانب ممنوعاً. وقيل: المراد بالصلاة الدعاء ففيه الإيماء إلى أنه لا يقتصر على ما في القلب من النداء والثناء.

﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ [الآية 111] أي الذي يتنزَّه أن يتخذ ولداً فضلاً أن يكون أحد له ولداً ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ [الآية 111] أي في ملك الألوهية وملك الربوبية أزلاً وأبداً ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ﴾ [الآية 111] لكون عزّه سرمداً. والمعنى ليس له ولي يواليه ويصافيه من أجل مذلة ومنقصة تنافيه

(1) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (2/ 496) برقم (4210)، والقاسم بن سلام في فضائل القرآن (1/ 280) رقم (252). وانظر تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف (2/ 294) رقم (732).

ليدفعها بموالاته أو يراعيه خوفاً من معاداته بل له أولياء يتعزّزون بولايته ويدفعون المذلة بعنايته فإنه لا يذل مَن والاه ولا يُعزّ مَن عاداه ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ [الآية 111] أي عَظِّمه تعظيماً بليغاً وتكريماً كثيراً تنبيهاً بأن العبد وإن بالغ في التنزيه والتحميد واجتهد في العبادة والتمجيد ينبغي أن يعترف بالقصور عن حق القيام بوظيفة المعرفة والعبادة اللائقة للحميد المجيد، لأن معنى الله أكبر هو أنه أكبر من أحد يعرفه حق المعرفة وأن يعبده حق العبادة، كما قال أهل الكمال: ما عرفناك حق معرفتك وما عبدناك حق عبادتك[1].

وفي هذا المقام قال عليه السلام: «لا أحصي ثناءً عليك أنتَ كما أثنيتَ على نفسك»[2]. ولعل هذا وجه ابتداء أمّ العبادات بعد تصحيح النيات وتخليص الطويات تبكير التحريم المتضمِّن لهذا التعظيم، ومن هنا قال الإمام الأعظم إنه يجوز بدله كل ما دل على تعظيمه بالوجه الأتم، يعني غير مشوب بالدعاء ليكون الإخلاص ثابتاً في الابتداء وببركته ينسب تلك الحال إلى وقت الانتهاء. وروي أنه عليه السلام كان إذا أفصح الغلام من بني عبد المطلب[3] علّمه هذه الآية، ويسميها آية العزّة.

وقال ابن عطاء: عظّم منه وإحسانه في قلبك لعلمك بتقصيرك في شكر ربك، انتهى. فنحمده شاكرين ونشكره قاصرين وفي مقام قصورنا عن مرام حضورنا صابرين[4].

---

(1) روح المعاني (17/ 202) وتفسير أبي السعود (3/ 161).
(2) أخرجه مسلم في الصحيح (486/ 222)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/ 524) رقم (3493)، وابن ماجه في السنن (1/ 373) رقم (1179)، والنسائي في السنن الكبرى (1/ 98) رقم (158).
(3) أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة (2/ 423). وانظر تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف (2/ 296) رقم (733).
(4) يوجد كلام مبهم جزء منه على الهامش.

سورة الكهف

[مكيّة]

إلا قوله: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ [الآية 28]

وآياتها مائة وعشرة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أي يجب به الابتداء وينبغي به الانتهاء لاشتماله على العلم/ الذي هو 164/أ
الأعظم، والصفتين الموجبتين لدوام الدعاء وتمام الثناء، ولتضمنها شهود وجوده وظهور كرمه وجوده.

وقال الأستاذ: ما استئلفت القلوب إلا بسماع بسم الله وما استنارت الأرواح إلا بوجود جمال الله، وما طربت الأرواح إلا بشهود جمال الله. سماع بسم الله راحة الأرواح وضياؤها شقاء الأشباح وتلاوتها قوت العارفين وغذاؤهم لأنه به يزول كدّهم وعناؤهم وبه استقلالهم وبقاؤهم.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الآية 1] أي وجعله أهلاً لهذا الخطاب، وفي ترتُّب استحقاق الحمد وثنائه على إنزاله في إتيانه إيماء إلى أنه أعظم نعمائه وأفضل آلائه لأنه الهادي إلى كمال العباد والداعي إلى ما ينتظم به أمر المعاش والمعاد ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾ [الآية 1] شيئاً من اختلال المبنى أو اعتلال المعنى أو من انحراف وانصراف من دعوة الخلق إلى جناب الحق.

﴿قَيِّمًا﴾ [الآية 2] بل جعله قيماً بمصالح العباد على وفق المراد، هذا وفي «تفسير السلمي» قيل: العبد هو الذي لا يرعى غير سيده، وقيل: العبد هو التخلُّق بأخلاق سيده.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه سمّاه عبده لما كان فانياً من حظوظه خالصاً لله لقيامه بحقوقه.

وأنزل هذا الكتاب ﴿قَيِّمًا﴾ [الآية 2] ولم يجعل له عوجاً، صانه عن التفاوض والتناقض فهو كتاب عزيز من ربّ عزيز منزل على عبد عزيز أي مُرسل إلى قوم أعزاء ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا﴾ [الآية 2] ليخوِّف الله أو عبده أو الكتاب أرباب الكفر وأصحاب الحجاب بنوع فظيع من العذاب وصنف فظيع من العقاب ﴿مِّن لَّدُنْهُ﴾ [الآية 2] صادراً من عنده وارداً من حكمه بما سبق له من قضائه وقدره كما قال تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ [المُزمّل: الآيتان 12،13]. وقرأ أبو بكر بإسكان الدال من شمه من الضمة للدلالة على أصله وكسر النون لالتقاء الساكنين على غير حدة وكسر الهاء لاتباعه.

وأفاد الأستاذ: أن البأس الشديد معجلهُ الفراق ومؤجلهُ الاحتراق. ويقال: هو البقاء عن الله والابتلاء بغير الله ﴿وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 2] المصدِّقين الموقنين ﴿الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ﴾ [الآية 2] أي الواقعة على وفق الشرع المبين ﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ [الآية 2] أي بأن لهم ثواباً مستحسناً في الجنة/ 164/ب
ودار الكرامة ومحل الإقامة ومكان النعمة والبقاء والفوز بالرؤية واللقاء حال كونهم ﴿مَّاكِثِينَ فِيهِ﴾ [الآية 3] لابثين في مقام الأجر وخالدين في مرام علو القدر ﴿أَبَدًا﴾ [الآية 3] لا انقطاع فيه سرمداً. ثم قيل: العمل الصالح ما أُريد به وجه الله وابتغي فيه رضاه، والأجر الحسن أن لا يحجب عن لقاء مولاه، كذا في «تفسير السلمي».

وأفاد الأستاذ: أنه هو الذي لم يستعجل صاحبه عليه خطأ في الدنيا من وصول عوض أو حصول عرض أو قبول طائفة وانقياد رئاسة وما في هذا المعنى.

﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾﴾ [الآية 4] أي بخصوصهم في ضمن عمومهم، وفي تكرير الإنذار واختصاصه بهم استعظام لكفرهم.

﴿مَّا لَهُم بِهِ﴾ [الآية 5] أي بالولد أو باتخاذه أو بهذا القول ﴿مِنْ عِلْمٍ وَلَا

﴿لِآبَائِهِمْ﴾ [الآية 5] لأنه صدر عن جهل كاسد أو تقليد فاسد حيث كانوا يطلقون الأب والابن بمعنى المؤثر والأثر فيه أنه لا خصوصية للأثر بالولد لشموله الحجر والمدر والشجر والثمر. والمعنى ليس لهم بالله شيء من معرفة ذاته وصفاته إذ لو عرفوه حق معرفته لعظَّموه حق عظمته ولم يجوِّزوا نسبة الاتحاد إليه ولم يفتروا إثبات الشريك والصاحبة والولد وسائر الحوادث عليه.

وأفاد الأستاذ: إن قالتهم القبيحة الدنيئة نتيجة جهلهم بالوحدانية ولقد توارثوا ذلك الجهل من أسلافهم تقليد الذرية، والحية لا تلد إلا الحية ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً﴾ [الآية 5] عظمت مقالتهم هذه في الكفر والجهالة والشرك والضلالة، وكلمة نصب على التمييز ﴿تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ [الآية 5] صفة لها تفيد استعظام اجترائهم على إخراجها من أفواههم ﴿إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الآية 5] ما يقولون إلا افتراء عليه لغاية جهلهم بما لديه.

قال ابن عطاء: أكبر الدعاوي من ادعى في الله أو أشار إلى الله أو تكلم عن الله أو خروج عن حجاب البساط ودخل في ميدان الانبساط. قال الله عزَّ وعلا: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الآية 5]، كذا في «تفسير السلمي».

ولعل وجهه أنه سبحانه كما قيل في حقه عزَّ شأنه ما خطر ببالك فالله وراء ذلك كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه:الآية 110]، وكذا قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الأنعام:الآية 91]. ويدل عليه قوله ﷺ: 165/أ
«تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في الخالق فتهلكوا»[1]. وفي رواية: «فإنكم لا تقدِّرون قدره»[2] أي لا يعرفون حق معرفته ولا يعظِّمون حق عَظَمَتِهِ. وقد قال الإمام حجة الإسلام: السالك يصل إلى مقام المرام بحيث إذا عبر عنه بأي لسان وأي بيان يقع في طغيان وعصيان.

وقال الأستاذ: كبرت في الإثم كما خبثت في الجسم ومن نطق بها لم

(1) جامع الحديث (11/ 325) رقم (10901)، وكنز العمال (3/ 106) رقم (5705).
(2) المقاصد الحسنة (1/ 261) رقم (342)، وكشف الخفاء (1/ 311).

يحصل له به إذن في المعنى لحقه هذا الوصف في المعنى ومن تكلَّم في هذا الشأن قبل أوانه فقد دخل في غمار هولها من جهة بيانه مثل تحقق شأنه.

﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ﴾ [الآية 6] قاتلها وقاطعها ومانعها عن حظك ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ﴾ [الآية 6] إذا ولوا عن اتِّباع طريقك ﴿إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ﴾ [الآية 6] أي القرآن الحادث نزله بك ﴿أَسَفًا﴾ [الآية 6] للتأسُّف عليهم والتحسُّر بما لديهم. قال بعضهم: لا تشغل سرك بمخالفاتهم فما عليك إلا البلاغ برسالاتهم والهدى منا لمن نشاء والبُعد عنا لمن نشاء.

وأفاد الأستاذ: أنه عليه السلام من غاية شفقته ونهاية رحمته دَاخَلَه فرط الحزن من امتناعهم عن طريقته فهوَّن الله عليه حاله في هذا الباب بما أشبه ظاهرة العتاب كأنه قال: ولا كل هذا يا خير البشر فليس من امتناعهم في عزّنا أثر ولا في دينك من ذلك ضرر. ويقال: أشهده جريان تقديره وعرفه أن مَن امتنع فلمنعه سبحانه إياه وإن كان كفرهم في الشرع منهياً عنه فهو في الحقيقة مراد للحق لكونه على وفق ما قضاه ولا حول ولا قوة إلا بالله.

﴿إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الآية 7] من الحيوانات والنباتات والجمادات ﴿زِينَةٗ لَّهَا﴾ [الآية 7] لأهلها ﴿لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا﴾ [الآية 7] وأقصر أملاً وهو من زهد فيه ولم يغتر به وقنع منه بما يدفع به شدائد أيامه وصرفه على ما ينبغي في فوائد مرامه.

﴿وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيۡهَا﴾ [الآية 8] من الزينة المحال إليها ﴿صَعِيدٗا جُرُزًا﴾ [الآية 8] تراباً مستوياً جهاتها، فإن الجرز هي الأرض التي قطع نباتها.

165/ ب وأفاد الأستاذ: أن ما على الأرض زينة لها تدرك بالأبصار/ وممن على الأرض من هو رتبة لها يعرف بالأسرار وإن قيمة الأوطان بقطانها وزينة المساكن في سكّانها. ويقال: العباد هم زينة الدنيا وأهل المعرفة هم زينة العقبى ثم أحسنهم عملاً أصدقهم نية وأخلصهم طوية. ويقال: أحسن أعمال المرء ولو كان من الأبرار نظره إلى أعماله بعين الاستحقار والاستصغار ثم كون ما على الأرض زينة لها في الحال سلب قدرة ما أخبر أنه يؤول إليه في المآل فلم يغن

عنه من ضيائها لما أخبر أنه سيعقبها من قيامها.

﴿أَمْ حَسِبْتَ﴾ [الآية 9] بل أظننت ﴿أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ﴾ [الآية 9] من أرباب الكهف ﴿كَانُواْ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾ [الآية 9] في إيتاء حياتهم مدة مديدة وقصتهم بالإضافة إلى خلق ما على الأرض من الأجناس والأصناف الفانية للحصر بالطول والعرض على كيفيات متفاوتة وهيئات متخالفة تعجب الناظرين من مادة واحدة، ثم ردها إليها بصفة عائدة ليس بعجيب من آثار رحمته ولا غريب من أسرار قدرته وأنوار حكمته، ثم الكهف الغار الواسع والرقيم اسم الجبل أو الوادي الذي فيه كهفهم فيكون بدل اشتمال في تحقيق المبنى وكالعطف التفسيري في تدقيق المعنى. وقيل: أصحاب الرقيم قوم آخرون كانوا ثلاثة فألجأهم المطر إلى كهف فانحطت صخرة إليهم وسدت الباب عليهم... الحديث بطوله، وفي الصحيح تفصيله[1].

قال الجنيد: لا يعجب منهم فشأنك أعجب وأغرب في المعنى حيث أُسري بك في ليلة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وبلغ بك سدرة المنتهى وكنت في القرب كقاب قوسين أو أدنى.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أزال موضع الأعجوبة من أوصافهم بما أضافه إلى نفسه بقوله: ﴿مِنْ ءَايَٰتِنَا﴾ [الآية 9] وقلب العادة من قبل الله غير مستنكر ولا مستبعد من بعد تعلق الإرادة.

﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾ [الآية 10] هرباً من الفتنة وهم فتية من أشراف الروم وأصحاب الفتوة وأرباب المروءة أرادهم دقيانوس على الشرك والكفر فأبوا إلا الإيمان والشكر وهربوا إلى الغار وتركوا الأغيار وطلبوا تيسير الأمور في التخليص عن الأشرار/ ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾ [الآية 10] توجب لنا 166/أ
مغفرة ونعمة وأمناً من عدو يريد بنا نقمة ﴿وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا﴾ [الآية 10] أي سهِّل لنا بعض الأمر الذي نحن عليه ومتوجهون إليه من مغارة الكفار وعزلة الأخيار،

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (2333)، ومسلم في الصحيح (2743/ 100).

واختيار طريق الأخيار ﴿رَشَدًا﴾ [الآية 10] نصيراً بسببه راشدين مرشدين.

قال سهل: ارزقنا في جميع أحوالنا توفيق ذكرك وشكرك فإنه أجل أنواع رحمة من عندك، وسهِّل لنا سبيل التحقيق فإنه أرشد الطريق.

وقال الأستاذ: أخذوا في التبرِّي مِن حَوْلِهم وقوّتهم ورجعوا إلى الله بصدق فاقتهم على قدر طاقتهم فاستجاب الله دعوتهم ودفع عنهم ضرورتهم وبوّأ لهم في كنف الإبواء مقيلاً حسناً.

﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ [الآية 11] حجاباً يمنع سماع غيرنا والمعنى اصممناهم إصامة وأقمناهم إقامة ﴿فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ [الآية 11] ذوات عدد مبين ومدد معين. قيل: أحدق عنهم أسماعهم حتى لا يسمعوا إلا منا، وأخذنا عنهم أبصارهم حتى لا ينظروا إلا إلينا.

وقال الأستاذ: أخذناهم عن إحساسهم بأنفسهم واختطفناهم عن شواهدهم بما استغرقناهم فيه من حقائق ما كاشفناهم به من شهود الأحدية وأطلعناهم عليه من دوام نعت الصمدية.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ﴾ [الآية 12] أيقظناهم ﴿لِنَعْلَمَ﴾ [الآية 12] ليتعلق علمنا تعليقاً حالياً مطابقاً لتعلقه ماضياً سابقاً تعلُّقاً استقبالياً ﴿أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ﴾ [الآية 12] المختلفين منهم ومن غيرهم في مدة لبثهم ﴿أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا﴾ [الآية 12] خبط أمد زمان لبثهم وحفظ مدة أوان مكثهم.

وقال الأستاذ: أي رددناهم إلى حال صحوهم وأوصاف تمييزهم وأقمناهم بشواهد التفرقة بعدما محونا عن شواهدهم بما أقمناهم بوصف الجمع.

﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية 13] على وفق الصدق ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ﴾ [الآية 13] جمع فتى كصبي جمع صبية، أي جماعة في حال السّببية ﴿ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ﴾ [الآية 13] في الأمور اليقينية ﴿وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ [الآية 13] بالتثبيت على الأحوال الدينية.

قال ابن عطاء: زدناهم نور الإيقان. وقال ابن عطاء: زدناهم بصيرة في الإيمان.

وقال سهل: سماهم/ الله فتية لأنهم آمنوا بالله بلا واسطة وقاموا إلى الله 166/ب بإسقاط القلائق وترك الخلائق والعوائق.

وسئل محمد بن علي عن الفتوة فقال: الفتوة تصديق فيما وعدوا وعداً وهو الإيمان على الحقيقة وأن لا يخالف ظاهرك باطنك ولا باطنك ظاهرك.

وسئل أبو حفص عن الفتوة فقال: الفتوة أن ينظر إلى الخلق كلهم بعين الولاية فلا تستقبح منهم إلا ما خالف الشريعة ولا تلزم أحداً على سببية بأن تجعل له في ذلك معذرة.

وأفاد الأستاذ: أنهم لما كانوا مأخوذين عنهم تولى الحق سبحانه أن قص عنهم بالحق وفرق بين ما كان موصوفاً بوصف غيره له لعناية فيه وامتحانه منه وقيام غيره عنه. ويقال: لا يسمع قصة الأحباب أعلى وأحلى مما يسمع من الأحباب كما قيل:

وحدَّثتني يا سعد عنها فزِدْتَنِي جنوناً فزِدْنِي من حديثك يا سعد[1]

وقد ورد: رب زدني تحيُّراً فيك[2]. ويقال: ﴿فِتْيَةٌ﴾ لأنهم آمنوا بلا مهلة لما أتاهم دواعي الوصلة. ويقال: ﴿فِتْيَةٌ﴾ لأنهم قاموا بالله وما استقرُّوا حتى وصلوا إلى الله فلاطفهم بإحضارهم حتى كاشفهم في أسرارهم بما زاد من أنوارهم فلقاهم أولاً بالتبيين ثم رقاهم إلى ما رقّاهم من اليقين.

﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [الآية 14] وقويناها بالصبر على هجر وطنهم وترك أهلهم ومفارقة مالهم وتشتُّت حالهم وبالجرأة على إظهار ناموس الحق والرد على دقيانوس الباطل ﴿إِذْ قَامُوا﴾ [الآية 14] بين يديه ﴿فَقَالُوا﴾ [الآية 14] رداً لدعوى

---

(1) نسب إلى العباس بن الأحنف. انظر الكشكول (1/ 210)، وزهر الآداب وثمر الألباب (1/ 70)، وحماسة القرشي (1/ 16). وفي تفسير القشيري: حنيناً يدل جنوناً.

(2) هو قول لأحد الصالحين.

ربوبيته ﴿رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا﴾ [الآية 14] قولاً ذا شطط أي بُعد عن الحق مفرط في ظلم الخلق.

قال جعفر الصادق: قاموا إلى الحق بالحق قيام الأدب والرفق ونادوا نداء الصدق وأظهروا له صحة الافتقار ولجؤوا إليه أحسن اللجوء والانكسار.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أراد بربط قلوبهم زيادة يقينهم بربهم حتى متع نهار معارفهم واستضاء شموس تقديرهم فلم يبق للتردد مجال في
167/أ خواطرهم واتخذ في التجريد منازل أسرارهم. / ويقال: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [الآية 14] بأن أغنيناهم عن الاعتبار والتفكر بما أوليناهم من أنوار التبصُّر أو بما استقر فيها من شواهد الغيب واليقين فلم يهجس فيها خواطر الريب والتخمين فقاموا بالله ولله ومَن قام بالله فقد ما سوى الله. ويقال: مَن قام بالله لم يقصد حتى يصل إلى الله، ثم مَن أحال الشيء من الحوادث على الله فقد أشرك ومن توهم أن في الحادثات شيئاً من غير الله فقد اتخذ إلٰهاً غير الله.

﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [الآية 15] مبتدأ ﴿قَوْمُنَا﴾ [الآية 15] عطف بيانه وخبره قوله: ﴿ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ [الآية 15] وهو إخبار معناه إنكار ﴿لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ﴾ [الآية 15] هلّا يأتون على عبادتهم ببرهان ظاهر في صحة حالتهم ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الآية 15] بنسبة الشريك إليه أو دعوى الألوهية لديه.

قال الواسطي: هو أن يقول شيئاً ولا يعمل به أو يشير إليه ثم يرجع إلى غيره.

وأفاد الأستاذ: أنه لما لم يكن حجة لهم اتضح فيما ادعوه كذبهم فمن اكتفى بنفس قالته دون ما يشهد لقالته من أولية معلول في نحلته. ويقال: من ذكر في الدين قولاً لم يردهُ برهان عقلي أو تبيان نقلي فهو مفترٍ ومن أظهر من نفسه حالاً لم يوجبه صدق مجاهدة أو حق منازلة فهو مفتر والذي يصدق في قوله على وفق طريقه هو الذي يسمع من الحق بسره ثم ينطق بلطفه.

﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ﴾ [الآية 16] خطاب فيما بينهم ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾

[الآية 16] أي إذا اعتزلهم القوم ومعبودهم إلا الله ﴿فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم﴾ [الآية 16] يبسط رزقكم ويوسع عليكم ﴿مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾ [الآية 16] في أولاكم وأخراكم ﴿وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾ [الآية 16] ما ترتفقون به وتنتفعون منه، وجزمهم بذلك لقوة دينهم ووقوف يقينهم. وقرأ نافع وابن عامر بفتح الميم وكسر الفاء.

وأفاد الأستاذ: أن العزلة عن غير الله يوجب الوصلة بالله بل لا تحصل الوصلة بالله إلا بعد العزلة عن غير الله. ويقال: لما اعتزلوا ما عبدوا من دون الله آواهم الحق إلى كنف رعايته ومهّد لهم مثوى في كهف / عنايته. ويقال: 167/ب
من تبرأ من اختياره في احتياله وصدق رجوعه إلى الله في أحواله ولم يستغرق بغير الله من أشكاله وأمثاله آواه إلى كهف إقباله وكفاه جميع أشغاله وهيّأ له محلاً يتفيأ فيه من برد ظلاله بكمال إقباله.

﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ﴾ [الآية 17] أصله تتزاور فأدغمت التاء في الزاي، وقرأ الكوفيون بحذفها والشامي تزور كتحمر وكلها من الزور وبفتحتين بمعنى الميل أي أن تميل عن محلهم ولا يقع شعاعها عليهم فيؤذيهم لأن الكهف كان جنوبياً أو لأن الله زوّرها عنهم ﴿ذَاتَ ٱلْيَمِينِ﴾ [الآية 17] جهة يمينهم ﴿وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ﴾ [الآية 17] تقطعهم ﴿ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ [الآية 17] جهة يسارهم ﴿وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ﴾ [الآية 17] أي في متسع من الكهف يعني في وسطه بحيث ينالهم روح الهوى أو لا يؤذيهم كرب الغار وعتوه إلينا.

وأفاد الأستاذ: أن نور الشمس يتقاصر بل يتضائل غرباً بالإضافة إلى أنوارهم لأن نور الشمس ضياء يستضيء به الخلق ونور معارفهم أنوار يعرف بها الحق، فهذا نور يظهر في الظهيرة وهذا نور يلوح في السريرة.

﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية 17] أي شأنهم وإيوائهم أو إخبار قصتهم وأنبائهم ﴿مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 17] المطلع على أحوالهم وأسرارهم وازورار الشمس وقوضها طاعة وعارية من آياته الظاهرة.

ومال إليه الأستاذ حيث أفاد أن في الآية دلالة على أن في القصة شيئاً

بخلاف العادة ليكون آية من جملة كرامات الأولياء وعلامة على صدق حالات الأصفياء فيحتمل أن شعاع الشمس إذا انتهى إليهم ازورّ عنهم وانقبض دونهم بخلاف ما يقول أصحاب الهيبة ليكون فعلاً ناقصاً للعادة ﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ﴾ [الآية 17] بالتوفيق ﴿فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ [الآية 17] إلى تحقيق سويّ الطريق ﴿وَمَن يُضْلِلْ﴾ [الآية 17] بخذله ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الآية 17] من يلي أمره ويرشده إلى ما ينفعه ويضره.

قال ابن عطاء: ما حجب عن الله أحد إلا من أراد أن يصل إليه بحركاته وسعيه وما وصل إليه أحد إلا من أراد أن يصل إليه بصفته تعالى.

168/أ وأفاد الأستاذ: إن الله يهدي/ قوماً بوضوح البراهين وقوماً بكشوف اليقين بمعارف الأولين قضية الاستدلال ومعارف الآخرين حقيقة الوصال فهؤلاء مع برهان وهؤلاء على بيان كأنهم أصحاب عيان ومن وسمه بسمة الحرمان فلا عرفان ولا إيمان ولا عفو ولا غفران.

﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا﴾ [الآية 18] جمع يقظ بفتح وكسر أي مستيقظين لانفتاح عيونهم أو لكثرة تقلُّبهم ﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾ [الآية 18] نيام جمع راقد وقعود فلهم وجود في عين الشهود.

قال أبو سعيد الخراز: هذا حال الفناء والبقاء أن يكونوا فانين بالحق باقين به لأنهم لا كالنيام ولا كاليقظى أوصافهم فانية عنهم وأوصاف الحق بادية عليهم وهو حيرة تحت كشف ووله مقابلة بعين.

وأفاد الأستاذ: أنهم مسلوبون عنهم متخطفون منهم مستهلكون فيما كوشفوا به من وجد وجود الحق وظاهرهم في رأي الخلق أنهم بأنفسهم وفي التحقيق العليم عنهم غيرهم وهم محو فيما كوشفوا من الحقائق ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ﴾ [الآية 18] في حال رقدتهم ﴿ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾ [الآية 18] كي لا تأكل الأرض ما بينها من أبدانهم على طول أزمانهم.

وأفاد الأستاذ: إن هذا إخبار عن حسن إيوائه لهم ولا كشفقة الأمهات بل أتم ولا كرحمة الآباء بل أعز وأدوم. ويقال: إن أهل التوحيد صفتهم كما

قاله الحق سبحانه في صفة أصحاب الكهف وأرباب التجريد: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ [الآية 18] فهم بشواهد الفرق في ظواهرهم لكنهم بعين الجمع بما كوشفوا به في سرائرهم يجري عليهم أحوالهم غير مكلفين بل هم مثبتون وهم خمود عما هم فيه في تصرفاتهم الخلق عنهم سواهم ﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ [الآية 18] أي بفناء كهفهم أو عتبة بابهم منادياً بحسن أدابهم وهو كلب مروا به فتبعهم فحملوا على طرده فأنطقه الله فقال: أنا أحب أحباء الله فناموا وأنا أحرسكم، أو كلب راعٍ مروا به فتبعهم وتبعه الكلب على إثره.

وقال أبو بكر الوراق: بمجالسة الصالحين ومجاورتهم تأثر على الخلق وإن لم يكونوا أجناساً، ألا ترى كيف ذكر أصحاب الكهف فذُكر كلبهم معهم بمجاورته إياهم.

وأفاد الأستاذ: /أنه سبحانه كما ذكرهم ذَكَر كلبهم ومن صدق في محبة 168/ب
أحد ودام عليه أحب من ينتسب وما ينتسب إليه. ويقال: كلب خطا خطوات مع أحبابه فإلى القيامة يقرأ الصبيان وغيرهم بل الحق يقول بقوله العزيز الحميد: ﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ [الآية 18] أترى أن المسلم يصحب أولياءه وأتباع حبيبه من وقت شبابه إلى زمان مشيبه يودّه يوم القيامة جائياً أنه لا يفعل ذلك أبداً.

وجاء في التفاسير أنهم قالوا للراعي الذي يتبعهم والكلب معه فقال: لما تطردونني [قالوا:] اصرف عنا هذا الكلب، فقال الراعي: لا يمكنني فأنا ربيته. ويقال: أنطق الله الكلب معهم فقال: لم تطردونني، فقالوا: لتنصرف عنا، قال: لا يمكنني أن أنصرف عنكم[1]. وفي رواية: فقال الذي أخذكم أخذني، فقالوا: وما علامة صحبته، فقال: أنتم تخافون بلاء يصيبكم في الاستقبال وأنتم بلاء في الحال ثم إن بلاؤكم الذي تخافون أن يصيبكم من الأعداء هو بلاء منكم وأنتم الأولياء[2]. ويقال: كل يعامل بما يليق به من حاله

(1) تفسير القشيري (4/ 340).
(2) تفسير القشيري (4/ 340).

ورتبته. الأولياء قال في صفتهم: ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ [الآية 18]، والكلب في صفته قال: ﴿وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ﴾ [الآية 18]. ويقال: لما لزم الكلب محله ولم يتجاوز حده فوضع يده على الوصيد بقي مع الأولياء، كذا أدب الخدمة يوجب بقاء الوصلة مع الأصفياء.

﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية 18] فنظرت إليهم ﴿لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾ [الآية 18] لهربت منهم هيبة لما لديهم ﴿وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ [الآية 18] خوفاً يملأ صدرك لما ألْبَسهم الله من العظمة أو لما أوقع في مكانهم من الوحشة. وقرأ الحرميان: لملئت بتشديد اللام للمبالغة في المرام. وابن عامر والكسائي بضم عين رعباً.

قال جعفر الصادق: لو اطلعت عليهم من حيث أنت لولّيت عنهم فراراً ولو اطلعت عليهم من حيث الحق شاهدت فيهم معاني الوحدانية والربوبية.

وقال الأستاذ: لو اطلعت عليهم من حيث أنت لولّيت منهم فراراً، ولو شاهدتهم من حيث شهود وتولي الحقيقة لهم لبقيت على حالك قراراً، ولو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً لأنك لن تريد أن تشهد غيرنا أو لوليت منهم فراراً من رؤيتهم إلينا لأنك لا تطيق/ اطلاع الغير علينا. 169/ أ

﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ﴾ [الآية 19] كما أنمناهم أي أيقظناهم أي على غاية قدرتنا ونهاية عظمتنا ﴿لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ﴾ [الآية 19] ليسأل بعضهم بعضاً فيتعرفوا حالهم وما صنع الله بهم فيزدادوا يقيناً على يقين ويستبصروا به أمر البعث يوم الدين ويشكروا ما أنعم الله عليهم بحفظهم من كيد المشركين ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا۟﴾ [الآية 19] بناء على غلبة ظنهم ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ [الآية 19] لأن النائم لا يصحى مدة نومه ولا يدري عدد يومه، ولعل المحققين منهم بسبب ما يرد عليه ﴿قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ [الآية 19] وقد لبثوا طويلاً من عمرهم لكنهم كانوا مأخوذين عنهم فلم يكن لهم علم بتفصيل أحوالهم، كما قال قائلهم:

لست أدري أطَالَ ليلي أم لا كيف يدري بذاك مَن يتقلى

لو تفرّغت لاستطالة ليلي ولرعي النجوم كنت مخلى[1]

ويقال: أيام الوصال قليلة عندهم وإن كانت قدر سنة وأيام الفراق طويلة عندهم ولو كانت مقدار سنة. وفي المثل: الدهور في السرور شهور والشهور في الشرور دهور. وأنشدوا:

صباحك سُكْرٌ والمساء خمار نعمت وأيام السرور قصار[2]

قال ابن عطاء: مقام الحبيب مع الحبيب وإن طال فإنه قصير عنده إذ لا يقضي من حبيبه وطراً ولو مكث معه دهراً فإن شوقه في الابتداء كذوقه في الانتهاء. أقول: ولهذا قالوا النهاية هي الرجوع إلى البداية.

﴿فَابْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾ [الآية 19] وقرأ أبو عمرو وحمزة وأبو بكر بسكون الراء وهو الفضة مضروبة أو غيرها، وحملهم له دليل على أن التزوُّد لا ينافي التوكُّل والتجرُّد فإن الدراهم سبب الراحة كالمرء للجراحة.

وأفاد الأستاذ: أنهم ما داموا مأخوذين عنهم لم يكن لهم مطالبة بأكل وشرب فيهم ولا شيء في صفة نفس لهم فلما ردوا إلى التمييز أخذوا إلى التدبير للأكل أول ما أحسوا بحال العقل، وفي هذا دلالة على شدة ابتداء
169/ب الخلق بالأكل ﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾ [الآية 19] أحل/ وأطيب أو أرخص وأكثر ﴿فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ﴾ [الآية 19] أي بمرزوق من الورق حال المبادلة ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ [الآية 19] وليتكلف اللطف في المعاملة حتى لا يخسر أو في المخافتة حتى لا يُعرف ولا يُشهر ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ [الآية 19] أي لا يفعلوا ما يؤوي إلى شعور أحد أبداً.

وأفاد الأستاذ: إنهم تواصوا فيما بينهم بحسُن الخلق وجميل الرفق، أي

---

(1) نسب إلى ابن سهل اللغوي. انظر معجم الأدباء (1/ 362)، ونسب إلى أبي نواس، انظر الكشكول (1/ 207)و وإلى خالد الكاتب، انظر ديوان المعاني (1/ 145) ومحاضرات الأدباء (1/ 366) وإلى غيرهم أيضاً.

(2) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 436).

ليتلطف بمن يشتري منه شيئاً من الرزق. ويقال: أوصوا إلى مَن يشتري لهم الطعام بأن يأتيهم بألطف شيء وأطيبه مما يوجد في ذلك المقام لأنه أتم لنظام المرام فإن مَن كان من أهل المعرفة لا يوافقه الخشن من الملبوس والكسوة ولا النازل في الطعم من المأكول والمشروب وسائر النعمة. ويقال: أهل المجاهدات وأصحاب الرياضات طعامهم الخشن ولباسهم كذلك والذي بلغ المعرفة لا يوافقه إلا كل لطيف ولا يستأنس إلا بكل مليح هنالك، انتهى. ويؤيده أنهم كانوا من أهل الجذبة والمرادون من الحضرة لا سيما وهم أهل النقمة في الابتداء فلا يوافقهم الرياضة في الانتهاء فكل يعمل على شاكلته ويأمل على قاعدة طبيعته وعادته، وأما أرباب البداية وأصحاب الرياضة فمدارهم على ترك العادة فإنه علامة الإرادة فأفرق بين المريد والمراد لتعرف مراتب الزهاد والعباد ولا تشكر على أحد من العباد.

﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا﴾ [الآية 20] يطلعوا ﴿عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ﴾ [الآية 20] يقتلونكم أو يضربونكم في مدينتهم ﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الآية 20] إن دخلتم في طريقتهم.

وأفاد الأستاذ: أنهم تواصوا فيما بينهم بكتمان الأسرار من الأجانب والأغيار وأخبروا أنهم إن أطلعوا على حالهم بالغوا في إيذائهم إما بالقتل وإما بالضرب وبما أمكنهم من وجوه الفعل ولا يرضون إلا برجعتكم إلى ما منه تخلصهم فإن من احترق كدسه فما لم يحترق كدس غيره لا يطيب نفسه فإن البلية إذا عمت طابت ويقال: من خصلة الأبرار حفظ الأسرار من الأغيار، فإن صدور الأحرار قبول الأسرار. ويقال: مَن أظهر لأعدائه سره فقد جلب شره وباختياره أثر ضره وفَقَدَ ما سرّه.

170/أ / ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ [الآية 21] أي وكما أنمناهم وأيقظناهم لتزداد بصيرتهم فيما هديناهم أطلعنا عليهم جمعاً ممن أردناهم ﴿لِيَعْلَمُوا﴾ [الآية 21] أي الذين أطلعناهم على مَن أوليناهم ﴿أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ [الآية 21] بالبعث ﴿حَقٌّ﴾ [الآية 21] لأن نومهم وانتباههم كحال موتهم وبعثهم ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ﴾ [الآية 21]

ساعة القيامة ﴿لَا رَيْبَ فِيهَآ﴾ [الآية 21] لا شك في إمكانها وقيامها ﴿إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾ [الآية 21] أي أمر القيامة حين أماتهم الله ثانياً فقال بعضهم: ماتوا بالمرة، وقال آخرون: ناموا نومهم أول مرة، وهذا المعنى لا ينافي اختلافهم في المبنى حيث قالت طائفة: بنى عليهم بنياناً يسكنه الناس فيه قراراً. وقال جماعة: بنى عليهم مسجداً يصلى فيه ويجعل مزاراً كما قال تعالى: ﴿فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾ [الآية 21] من تفصيل أحوالهم جملة معترضة ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الآية 21] ولنجعلن لهم ذلك مشهداً.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه جعل أحوالهم عبرة لمن جاء بعدهم حين كشف لأهل الوقت قصتهم فازداد يقين من كان يؤمن بالله والدار الآخرة حين شاهدوا بالمعاينة ما كان نقضاً للعادة المستمرة ثم إن الله ردهم إلى ما كانوا عليه من الحالة التي كانوا مأخوذين على التمييز متقلبين في القبضة على ما أراده الحق مستوعبين فيما كوشفوا فيه مستهلكين عنهم في وجود الحق سبحانه.

﴿سَيَقُولُونَ﴾ [الآية 22] أي الخائضون في قصتهم من أهل الكتاب في عهد رسول الله ﷺ ومن المؤمنين في معرفة عدتهم حيث قال بعضهم: ﴿ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الآية 22] على ما قاله النصارى ﴿رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ﴾ [الآية 22] ورمياً بالريب ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الآية 22] كما قاله بعض المؤمنين، وقد روي كذلك عن علي كرَّم الله وجهه ﴿قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [الآية 22] ممن أعلمناه بعضهم وفيه إيماء إلى الحديث القدسي: «أوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري»[1].

170/ب وقال الأستاذ: سعد كلبهم حتى كرّر الحق سبحانه ذكرهم وذكر/ الكلب معهم على وجه التكرار كما ذكرهم ثم عد الكلب من جملتهم فقال: ﴿قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم﴾ [الآية 22] هذا بيان كرم لا مدى له ومنتهى.

(1) تفسير النيسابوري (2/ 159)، إحياء علوم الدين (6/ 455).

ثم قال: ﴿مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [الآية 22] وكذا نعت أوليائه لا يعرفهم إلا خواص أصفيائه ومن كان قريباً في الحال منهم فهم في كتم الغيرة وإيواء النعمة لا يطلع الأجانب عليهم فإن الأجانب لا يعرفون الأقارب ولا يشكل أحوال الأقارب على الأقارب وقد قالت الطائفة: وشيوخهم الصوفية وأهل بيت واحد لا يدخل فيهم غيرهم، ثم قال ويقال في صفة أصحاب الكهف: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الآية 22] إلى آخره. وقال في صفة هذه الأمة: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجَادلة:الآية 7] إلى آخره، فشتان ما بينهما، انتهى.

ولا يخفى ما فيه من سوء الأدب مع الرب في المقابلة ولو بطريق المشاكلة على أن قضية الآية الثانية لا خصوصية لها بالأمة الآتية دون الماضية وما أحسن قول بعض الصوفية: ثالث ثلاثة كفر ورابع ثلاثة إيمان.

﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا﴾ [الآية 22] فلا تجادل في شأن الفتية بيان عددهم إلا حداً ظاهراً غير متفق في حقهم وهو أن نقصّ عليهم ما في القرآن من غير تجهيل لهم ورد عليهم ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الآية 22] ولا تسأل أحداً منهم عن قصتهم لا سؤال مسترشد فإن فيما أوحي إليك لمندوحة عن غيره مع إنه لا علم لهم بها ولا سؤال نعت نريد تفضيح المسؤول عنه وتزييف ما عنده فإنه يخل بمكارم الأخلاق ومحاسنها.

وقال الأستاذ: فما لا يعرفهم من كان بمعزل عن حالهم لا يهتدي إلى أحكامهم من لا يعرف مراتب كمالهم فلم يصح استفتاؤه في بابهم من الذين غاب علمهم عنهم ومن لم يكن قلبه محلاً لمحبة الأحباب لم يكن لسانه مقراً لذكرهم في هذا الباب.

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الآيتان 24،23] الاستثناء من القول لا من الفعل والمعنى لا تقولن لأجل شيء يعزم عليه إني فاعل فيما يستقبل إليه إلا بمشيئته ومقروناً بإرادته قائلاً إن شاء الله في قضيته.

وأفاد الأستاذ: أنه إذا كانت الحوادث صادرة عن مشيئة الله فمن عرف الله لم يجد من نفسه ما علم/ أنه لا يتم إلا بالله. ويقال: مَن عرف الله سقط 171/أ

اختياره عند مشيئته واندراج أحكامه في شهود حكم ربه لقضيته. ويقال: المؤمن يعزم على اعتناق الطاعة في مستقبله بقلبه لكنه يتبرأ عن حوله وقوته بسره، فالشريعة تستدعي منه نهوض قلبه في طاعته والحقيقة تقف بسره عند شهود وما منه لخموده تحت جريان قسمته.

﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ﴾ [الآية 24] أي مشيئته ﴿إِذَا نَسِيتَۚ﴾ [الآية 24] أي قضيته وتذكرته بعدما وعدته كما روي أنه لما نزل قال عليه السلام: «إن شاء الله»[1]، وقيل: اذكر ربك بالاستغفار إذا تركت الاستثناء في الأخبار أو اذكر ربك وأليم عقابه إذا تركت الاستثناء في بابه واذكره إذا اعتراك النسيان لتذكر المنسي في البيان، أو اذكره إذا تركت بعض ما أمرك به ليحملك على تداركه، واذكر ربك حين تركت نفسك. ومنه قول بعض أرباب الحال: دع نفسك. ويقال: وأنشد وجودك ذنب لا يقاس به ذنب. وهذا مجمل قولهم في الفناء والبقاء والمحو والصحو.

وقال الواسطي: إذا نسيت ذكري فاذكرني.

وقال الصادق: إذا نسيت الأغيار فتقرّب إلى الله بالأفكار. وقال الجنيد: حقيقة الذكر في مشاهدة المذكور.

وقال الأستاذ: اذكر ربك إذا نسيت في الحقيقة نفسك فإن ذكرك لنفسك يمنعك من استغراقك في شهود ذكرك. ويقال: اذكر ربك إذا نسيت ذكرك لربك فإن العبد إذا كان ملاحظاً لذكره كان مغير الذاكر لمذكوره. ويقال: واذكر ربك إذا نسيت منه حظك. ويقال: اذكر ربك إذا نسيت غير ربك ﴿وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي﴾ [الآية 24] ليدلني أو يرشدني ﴿لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا﴾ [الآية 24] أي مما لم يرشد به أحداً.

﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ﴾ [الآية 25] أي حال كونهم أحياء مضروباً على آذانهم ﴿ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ﴾ [الآية 25] وقرأ حمزة والكسائي بالإضافة ﴿وَٱزۡدَادُواْ﴾ [الآية 25] أي أصحاب الكهف ﴿تِسۡعٗا﴾ [الآية 25] أي تسع سنين على المائة، وهو

(1) تفسير القرطبي (30/ 347).

بيان لما أجمله فيما قبله أو إنه حكاية كلام أهل الكتاب فإنهم اختلفوا أيضاً في هذا الباب فقال بعضهم: ثلاثمائة. وقال آخرون: ثلاثمائة وتسع سنين.

171/ ب ويلائمه قوله سبحانه: / ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْ﴾ [الآية 26] بمدة لبثهم كما قال فيما سبق: ﴿رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ﴾ [الآية 21] ويناسبه قوله: ﴿لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ [الآية 26] أي مختص به علم ما غاب فيهما لا يعلم أحد غيره بتفاصيل أحوالهما.

وقال الأستاذ في قوله سبحانه: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ﴾ [الآية 26] من لم يعد أيامه لاشتغاله بالله أحصى الله أنفاسه التي هي لله، قال تعالى: ﴿وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا﴾ [الجنّ:الآية 28]، ﴿أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ﴾ [الآية 26] ذكر بصيغة التعجب دلالة على أن أمره في الإدراك خارج عما عليه إدراك أهل الأفلاك من السامعين والمبصرين هناك إذ لا يحجبه شيء لطيف وكثيف وصغير وكبير وخفي وجلي، والهاء يعود إلى الله، والياء مزيدة عند سيبويه ومحله الرفع على الفاعلية. وعند الأخفش محله النصب على المفعولية والفاعل ضمير المأمور وهو كل أحد، والباء مزيدة إن كانت الهمزة للنقدية ومعدية إن كانت للصيرورة ﴿مَا لَهُم﴾ [الآية 26] لأهل السموات والأرض كلهم ﴿مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ﴾ [الآية 26] يتولى أمرهم ﴿وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ﴾ [الآية 26] أي قضائه ﴿أَحَدٗا﴾ [الآية 26] منهم. وقرأ ابن عامر بالخطاب لكل من يصلح له في هذا الباب.

﴿وَٱتۡلُ﴾ [الآية 27] أي اقرأ أو اتبع ﴿مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ﴾ [الآية 27] أي من القرآن العظيم والفرقان الحكيم ولا تلتفت إلى قولهم ائت بقرآن غير هذا أو بدله ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الآية 27] لا أحد يقدر على تغييرها وتبديلها غير ذاته ﴿وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا﴾ [الآية 27] ملتجأ إن عدلت عن مرضاته.

وأفاد الأستاذ: أنه لا مغيِّر لحكمه فمن أقصاه فلا قبول له ومن أقمأه فلا وصل له ومن قبله فلا رد له ومن قرّبه فلا صد له.

﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ﴾ [الآية 28] أي

احبسها لهم وثبتها معهم في مجامع أوقاتهم أدنى طرفي النهار لجمعية حالاتهم ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الآية 28] يطلبون في طاعتهم رضاه ولا يقصدون في طلبه سواه.

قال ذا النون: أمر الله تعالى الأنبياء بمخالطة الفقراء والصبر معهم في الخلاء والملاء.

وقال ابن عطاء: خاطب الله نبيه ﷺ وعاتبه وقال: اصبر مع مَن صبر علينا بنفسه وقلبه وروحه، وهم الذين لا يفارقون محل الاختصاص من الحضرة بكرة/ وعشياً فحق لمن لم يفارق حضرتنا أن نصبر عليه فلا نفارقه. 172/أ

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه قال: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ [الآية 28] ولم يقل قلبك لأن قلبه كان مع الحق وظاهره مع الخلق، فأمره بصحبة الفقراء جهراً بجهر واستخلص قلبه لنفسه سراً بسر. ويقال: توقت دعوتهم بالغداة والعشي من الأيام. وأما قوله ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الآية 28] فلمعنى الحال وهو يشير إلى الدوام. ويقال: يريدون وجهه لا يريدون نيلهم بعطائها ولا عقابهم بكرائها كشف قناعهم وأظهر وصفهم وشهرهم بعدما كان قد سترهم وسلمت لهم هذه الإرادة لما تجردوا عن إرادة كل مخلوق ومحبة كل مخلوق بمقتضى العادة.

﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ [الآية 28] لا تجاوزهم نظرك إلى غيرهم وهو نهي عن الازدراء بالفقراء وطرح العين إلى طرده ذي الأغنياء ﴿تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الآية 28] حال من الكاف.

وقال الأستاذ: لا ترفع عنهم بصرك ولا تقطع عنهم نظرك. ويقال: لما نظروا بقلوبهم إلى ربهم أمر الله رسوله بأن لا يرفع بصره عنهم، وهذا جزاؤهم بالبشارة في العاجل والإشارة فيه إلى الآجل كأنه قال جعلنا نظرك إليهم ذريعة لهم إلينا وخلفاً بما يبتغونهم اليوم من نظرهم علينا فلا تقطع اليوم عنهم نظرك فإنا لا نمنع غداً نظرهم عنا ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾ [الآية 28] أي جعلنا قلبه غافلاً عن ذكرنا وشكرنا وفكرنا كأمية بن خلف في الاستدعاء إلى طرد الفقراء الأصفياء لاستحضار صناديد قريش من الأغنياء الأغبياء. وفيه تنبيه نبيه على أن عمدة موجبة غفلة عن المعقولات وانهماكه في

المحسوسات حتى خفي عليه أن الشرف دينه والحسب والأحوال المرضية لا بحيلة النسب والأموال الردية ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ [الآية 28] على وفق ما أراده سبحانه وقضاه ﴿وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الآية 28] تقدماً عن الحق وتعدياً على الخلق.

وقال سهل: الغفلة إبطال الوقت في البطالة.

وقال الجوزجاني: الغفلة هي طول الأمل.

وقال الأستاذ: أغفلنا قلبه عن ذكرنا حتى أشغله بالنعمة عن شهود المنعم ووجود المنة. ويقال: هم الذين طرح قلوبهم في أودية التعرفة فهم في الخواطر الردية متحيرون وعن شهود مولاهم محجوبون. ويقال: من إمارات الغفلة سوء العمل وطول/ الأمل والتفريج في أوطان الكسل. ويقال: الغفلة 172/ب
تزجية الوقت في غير قضاء فرض أو اقتناء نفل.

﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [الآية 29] مبتدأ وخبر فالحق ما يكون من جهة المولى لا ما يقتضيه الهوى.

وقال الأستاذ: قل يا محمد ما يأتيكم من ربكم فهو حق وقوله صدق ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الآية 29] أي لا أبالي بإيمان مَن آمن وكفر مَن كفر وهو لا يقتضي استقلال العبد بفعله وقدرته فإنه وإن كان بمشيئته فمشيئته ليست إلا بمشيئته.

وأفاد الأستاذ: إن هذا غاية التهديد ونهاية الوعيد أي إن آمنتم ففوائد إيمانكم عائدة إليكم وإن أبيتم فعذاب الجحود موقوف عليكم والحق سبحانه عزيز لا يعود إليه بإيمان الكافة إذا وجدوا زين ولا بكفر الجميع إن جحدوا شيء ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا﴾ [الآية 29] هيّأنا ﴿لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الآية 29] فسطاطها شبه بها ما يحيط من النار بالكفار والفجار. وقيل: سرادقها ظلمات دخانها أو جدرانها من نيرانها ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟﴾ [الآية 29] من مآبهم من العطش ﴿يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ﴾ [الآية 29] كالنحاس المذاب أو كدردي الزيت في باب الشراب ﴿يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ﴾ [الآية 29] يحرقها بحرارته إذا قدم إلى وجهه قبل مذاق مرارته ﴿بِئْسَ ٱلشَّرَابُ﴾ [الآية 29] جنس شرابهم ﴿وَسَآءَتْ﴾ [الآية 29] النار

﴿مُرْتَفَقًا﴾ [الآية 29] مكان عذابهم ومتكأ حال حجابهم، وهو لمقابلة قوله الآتي في حق الأبرار: ﴿وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الآية 31] وإلا فلا ارتفاق لأهل النار ولا انتفاع في دار البوار.

وأفاد الأستاذ: إن العقوبة الكبرى لهم أن يشغلهم بآلامهم حتى لا يتفرعوا عنهم إلى التحسُّر على ما فاتهم من طاعة الحق في أيامهم ولو علموا ذلك لعله كان يرحمهم من فضله إذ الحق أكرم من أن يعذِّب أحداً يهتم لأجله. ويقال: لو علموا من الذين تقول ﴿وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الآية 29] لعله كان لهم تسلي ساعة ولكنهم لا يعرفون قدر من يقول وإلا فهذا لهم شبه تعريفة والعبارة عن هذا تدق والإشارة بهذا تحق. ويقال: قال أهل النار أحاط بهم سرادقها وأهل الجنة طاب بأهلها حدائقها والحق سبحانه منزَّه عن أن يعود إليه عائد من تعذيب هولاً ولا من تنعيم هولاً جلّت الأحدية وتقدّست الصمدية، انتهى. لكن اقتضت أنوار صفات الجمالية/ وأسرار نعوت الجلالية وآثار مظاهر الربوبية اختلاف مراتب 173/أ
أرباب العبودية كما أشار إليه في الحديث القدسي والكلام الأنسي: «خلقت هؤلاء للجنة ولا أبالي وخلقت هؤلاء للنار ولا أبالي»[1].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾﴾ [الآية 30] بل نثيبهم أحسن ما كان أملاً كما في حديث: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»[2].

وقال الأستاذ: من وقع من فريقنا عليه غبرة طريقنا لم يقع عليه فترة فراقنا ومن خطى خطوة إلينا بقدمه غفرنا له ما قدّمه، من رفع إلينا يده أجزلنا منا رفده، من التجأ إلى شدة كرمنا أوليناه إلى ظلّ نعمنا، ومن شكى فينا عليلاً مهدنا له من ذوي فضلنا مقيلاً. ويقال: الإحسان في العمل أن لا ترى

---

(1) أخرجه أبو نعيم في معرفة الصحابة (13/ 188) رقم (4157)، وابن حبان في الصحيح (2/ 50) رقم (338)، وأحمد في المسند (4/ 186) رقم (17696).
(2) أخرجه البخاري في الصحيح (3244)، ومسلم في الصحيح (2824/ 4).

قضاء حاجتك إلا في صرف فضله فإذا أخلصت في توسلك إليه بفضله وتوصل إلى مأمولك لديه بطوله بتبريك عن حولك وقوتك استوجبت حسن إقباله ومزيد ثوابه وجزيل نواله.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ [الآية 31] أي من تحت أمرهم أو من تحت قصرهم ﴿يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ﴾ [الآية 31] من الأولى للابتداء والثانية لبيان البناء ﴿وَيَلۡبَسُونَ ثِيَابًا خُضۡرٗا﴾ [الآية 31] لأن الخضرة أحسن الألوان طلاوة وأكثرها طراوة وأشدها على البيض حلاوة ﴿مِّن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ﴾ [الآية 31] نمارق من الديباج وما غلظ منه من غير العلاج. وجمع بين النوعين لاشتمالهما على ما تشتهيه النفس وتلذّ به العين ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۚ﴾ [الآية 31] على السرر كما هو هيبة أهل السرور فيما هيىء لهم في القصور.

قال ابن عطاء: الأنس في رياض القدس في مجال القربة وميادين الرحمة مشرفين على بساتين الوصلة يشاهدون مليكهم في كل حالة ﴿نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ﴾ [الآية 31] الجنة ونعيم المآب ﴿وَحَسُنَتۡ﴾ [الآية 31] الجنة أو أرائكها ﴿مُرۡتَفَقٗا﴾ [الآية 31] متكأ ومنتفعاً بها.

وقال الأستاذ: أولئك أصحاب جنة الخلد وأرباب سعادة الجد وكمال الرفد يلبسون ثياباً من حلل الوصلة ويتوجون بتاج القربة ويحلون بحلي المباسطة يتكؤون على أرائك الروح يشمُّون رياحين الأنس في حظائر القدس، يقيمون في مجال الزلفة يسقون شراب / المحبة، يسقيهم ربّهم من 173/ب
غير واسطة شراباً طهوراً يطهّر قلوبهم عن محبة كل مخلوق، نِعْمَ الثواب ثوابهم ونِعْمَ المآب مآبهم ونِعْمَ الربّ ربّهم ونعمت الدار دارهم ونِعْمَ الجار جارهم ونعمت الحال حالتهم ونِعْمَ المآل مآلهم.

﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا﴾ [الآية 32] للكافر والمؤمن ﴿رَّجُلَيۡنِ﴾ [الآية 32] حال رجلين مقدرين أو موجودين مشهورين ﴿جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ﴾ [الآية 32] بساتين ﴿مِنۡ أَعۡنَٰبٖ﴾ [الآية 32] من الكروم ﴿وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ﴾ [الآية 32] وجعلنا النخيل محيطة بهما ﴿وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا﴾ [الآية 32] وسطهما ﴿زَرۡعٗا﴾ [الآية 32] ليكون كل منهما

جامعاً للأقوات متواصل العمارات على الشكل الأليق والترتيب الأنيق.

﴿كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا﴾ [الآية 33] أعطت ثمرها ﴿وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ﴾ [الآية 33] لم ينقص من أُكلها ﴿شَيْـًٔا﴾ [الآية 33] مما يعهد في ثمرها بخلاف غيرها حتى يتم في عام وينقص في آخر غالباً ﴿وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا﴾ [الآية 33] فيدوم ماؤهما وينمو بهاؤهما ويزيد صفاؤهما وضياؤهما.

﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ﴾ [الآية 34] أنواع من المال من غير ما ذكر، وسكَّن أبو عمرو الميم وفتحها عاصم ﴿فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ﴾ [الآية 34] في ذلك المقام ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾ [الآية 34] يراجعه في الكلام ويخاطبه في المرام تكبُّراً وفخراً ﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا﴾ [الآية 34] مما يزيد جمالاً ﴿وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ [الآية 34] حشماً وأعواناً وأولاداً وإخواناً.

﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ﴾ [الآية 35] أي بصاحبه مفتخراً بنعمته ﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ [الآية 35] ضار لها بمعصيته ﴿قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ﴾ [الآية 35] تفنى هذه الجنة وتزول هذه النعمة ﴿أَبَدًا﴾ [الآية 35] لاغتراره بمهلته وتمادي جميله وطول أمله وكثرة غفلته.

﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ [الآية 36] ذكرها تأكيداً لكون جنته سالمة ونعمته دائمة ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى﴾ [الآية 36] أي بموتي وبعثي على تقدير صحته ﴿لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا﴾ [الآية 36] أي من جنته. وقرأ الحرميان والشامي: منهما، أي من الجنتين ﴿مُنقَلَبًا﴾ [الآية 36] أي مرجعاً ومآباً لأنها فانية وتلك باقية، أو الخبرية باعتبار الكمية والكيفية بناء على حسن الظن في مرتبة الربوبية. وإنما أقسم على القضية لاعتقاده أن مولاه إنما أولاه ما أولاه لاستحقاقه إياه وهو معه أينما تلقاه.

﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾ [الآية 37] أي يجاوبه ويخاطبه ﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾ [الآية 37] لأنه أصل مادتك القريبة ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ [الآية 37] / 174/أ
وهي مادتك القريبة ﴿ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾ [الآية 37] عدّلك وكمّلك إنساناً ذكراً بالغاً مبلغ الرجال وهذا من أعظم النعم عند أرباب الكمال، وجعل كفره بالبعث كفراً

بالله لأن منشأه أنشأك في كمال قدرته والتردُّد في تعلق إرادته والجهل والغفلة في القائل في مبدأ خلقته الدالة على إمكان إعادته.

﴿لَّٰكِنَّا۠﴾ [الآية 38] أصله لكن أنا كما قرىء به فنقل وأدغم، ويشير إليه رسمه بالألف وصلاً ووقفاً تبعاً للرسم حتماً أو على لغة من يثبت ألف أنا مطلقاً ﴿هُوَ﴾ [الآية 38] ضمير الشأن وهو بالجملة الواقعة خبراً له خبر أنا أو ضمير ﴿ٱللَّهُ﴾ [الآية 38] والله بدل ﴿رَبِّي﴾ [الآية 38] خبره، والجملة خبر أنا والاستدراك من أكفرت، كأنه قال: أنت كافر بالله لكني مؤمن به ﴿وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا﴾ [الآية 38] ﴿وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ﴾ [الآية 39] أي هل قلت عند دخولها وحال وصولها ومشاهدة حصولها ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الآية 39] كائن وما لم يشأ بائن لا قوة إلا بالله فما شاء أبقاه وما شاء أفناه. وفي الحديث: «من رأى شيئاً فأعجبه فقال ما شاء الله لا قوة إلا بالله لم يضرّه»[1]، ﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالٗا وَوَلَدٗا﴾ [الآية 39] أي إن ترني ما قرأ قالون وابن كثير وأبو عمرو بإثبات الياء على وفق أصولهم وهو المفعول الأول وأنا تأكيد له.

وجواب الشرط قوله: ﴿فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ﴾ [الآية 40] أي يؤتيني كما قرأ به الحرميان والبصري، والمعنى فأتوقع وأرجو أن يعطيني ﴿خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ﴾ [الآية 40] في الدنيا أو العقبى أو فيهما لإيماني بالمولى ﴿وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا﴾ [الآية 40] على جنتك لكفرك وغفلتك ﴿حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الآية 40] جمع حسبانة وهي الصاعقة ﴿فَتُصۡبِحَ﴾ [الآية 40] جنتك ﴿صَعِيدٗا زَلَقًا﴾ [الآية 40] أرضاً ملساء يزلق عليها باستئصال ما فيها.

﴿أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا﴾ [الآية 41] غائراً تحتها ﴿فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ﴾ [الآية 41] للماء الغائر ﴿طَلَبٗا﴾ [الآية 41] تزدرئ في رده.

﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾ [الآية 42] وأهلك أمواله وتغير أحواله حيثما توقعه صاحبه وخوفه منه مجاوبه.

---

(1) كشف الخفا (2/ 77) رقم (77)، والمقاصد الحسنة (1/ 471)، وانظر المطالب العالية لابن حجر (10/ 349) رقم (3751).

وأفاد الأستاذ: أن في العبارة من الإشارة إلى أنه سبحانه كما أخبر أنه خلق رجلين بالوصفين المذكورين يخلق عبدين يطيب لهما الوقت ويمهد لهما بساط اللطف ويمكنهما من مكان البسط فيستقيم أحدهما في الترقي إلى النهاية من مقام البداية بحسن المنازلة وصدق/ المعاملة ويثمر له المجاهدة 174/ب
ثمرات حسن الأخلاق فيعالجها بحسن الاستفاضة ثم يتحقق بخصائص الأحوال الصافية ثم يختطف عنها بما يكاشف من حقائق التوحيد ويصبح منشقاً عن جملته باستهلاكه في وجودها بأن له من دقائق التفريد، والثاني لا يقدر ما أُهِلّ له من حسن البداية فيرجع إلى ما لو فاته ويتنكس أمره بانحطاطه فيه وهذه عاداته فيرتد عن سلوك الطريقة ويتردى في ظلمة الغفلة فيصير وقته ليلاً مظلماً أو يتطوح في أودية التفرقة ويوسم بمكواة الطرد ويسقى شراب الإهانة وينخرط في سلك المهجورين وذلك جزاء مَن لم يرهم الحق لوصلته أهلاً ولم يجعل لبدايتهم في التحقيق والقبول أصلاً كما قيل:

مَن ابتغى عوضاً لسلمى فلم يجد ... تـبدّلـت وتـبدّلـنـا وا حـسـرتـا[1]

﴿فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ﴾ [الآية 42] ظهر البطنية تخسُّراً وتحسُّراً ﴿عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا﴾ [الآية 42] صرف في عمارتها ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾ [الآية 42] ساقطة متقلبة ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ [الآية 42] بأن سقطت عروشها أولاً وسقط الكروم فوقها آخراً ﴿وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا﴾ [الآية 42] تذكر موعظة أخيه وعلم أنه من قبل شركه وقع فيما وقع فيه فتمنى لو لم يشرك به سبحانه فلم يهلك له بستانه.

وأفاد الأستاذ: أنه إذا ظهر غداً خسران من أثر حق نفسه وهواه على حق مولاه قرع باب ندمه ثم لا ينفعه لما قدمه ولو قرع في الدنيا حين وقفت له الفترة باب كرمه ورعايته لأشكاه عن ضرورته وأنجاه عن ورطته بعنايته ولكنه سبحانه ربطه بالخذلان ولبس عليه الأمر بحكم الاستدراج في هذا الشأن.

﴿وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ﴾ [الآية 43] أي جماعة ﴿يَنصُرُونَهُۥ﴾ [الآية 43] يقدرون على نصره بدفع الإهلاك أو رد المهلك ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 43] فإنه القادر على ذلك

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 375)، (4/ 353) و(6/ 293).

وحده ﴿وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾ [الآية 43] ممتنعاً بقوته عن انتقام الله منه بقدرته.

وأفاد الأستاذ: أن من اشتهر أمره بسخط السلطان عليه لم ينظر أحد من الجند والرعية إليه، كذلك مَن وسمه الحق بكي الهجران لم يرث له ملك ولا نبي ولم ينتبه لمكانه صدِّيق ولا ولي.

﴿هُنَالِكَ﴾ [الآية 44] في ذلك المقام وتلك الحال والمرام ﴿ٱلْوَلَٰيَةُ﴾ [الآية 44]
النصرة ﴿لِلَّهِ﴾ [الآية 44] وحده لا يقدر عليه غيره/ ﴿ٱلْحَقِّ﴾ [الآية 44] الثابت أمره 175/أ
وقدره. وقرأ حمزة والكسائي بكسر الواو ومعناه السلطنة والقهر والغلبة. وقيل هنالك إشارة إلى الآخرة. وقرأ أبو عمرو والكسائي الحق بالرفع صفة الولاية.

قال الواسطي: من تولاه بالحقيقة فهو الولي ومن والاه الله فهو الوالي. قال الله هنالك الولاية لله الحق.

وأفاد الأستاذ: أن المنفرد بنعت ملكوته لا يشركه في جلال سلطانه من الحدثان نعته فإذا بدا من سلطان الحقيقة شظية فلا دعوى ولا معنى لبشر ولا وزن فيما هنالك للحدثان ولا خطر كلا بل هو الله الواحد القهار فالقدرة لله ولذلك قال هنالك: الولاية لله بكسر الواو والنصرة من الله، ولذلك قال هنالك: الولاية لله الحق بكسر الواو.

﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ [الآية 44] ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الآية 45] يبين لهم صفتها الغريبة وشبهتها القريبة في زهرة كمالها وسرعة زوالها ﴿كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ﴾ [الآية 45] التف بسبب إنزاله ﴿نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 45] وخالط بعضه بعضاً من كثرته ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا﴾ [الآية 45] مهشوماً مكسوراً ﴿تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ﴾ [الآية 45] تفرِّقه فيصير كأن لم يكن في عالم الأشباح ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الآية 45] من الإنشاء والإفناء ﴿مُّقْتَدِرًا﴾ [الآية 45] مبالغاً في القدرة وكاملاً في القوة.

وأفاد الأستاذ: أن من وطَّن نفسه على الدنيا وبهجتها غرّته بأمانيها وخدعته بالاطلاع فيها، ثم إنها تدس الصاب في شرابها والحنظل في عسلها والسم في دسمها تعد ولا تفي بعداتها وتربي وتوفي إفنائها على خيراتها في

مبراتها نعمها مشوبة بنقمها ومأنوسها مصحوب ببؤسها وبلاؤها في ضمن عطائها والمعذور من اغتر بها والمخدوع من خُدِعَ لها.

﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الآية 46] يتزيّن بها الإنسان في دنياه وتفني عنه عما قربت في إخراجه ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ [الآية 46] من أعمال الخيرات التي تبقى ثمراتها في الجنان.

قال جعفر: هو تفريد التوحيد فإنه باق ببقاء الواحد. وقيل: هو نصيحة الخلق بأمر الحق. وقال ابن عطاء: هي الأعمال الصالحة والأحوال الصادقة ﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾ [الآية 46] فائدة ﴿وَخَيْرٌ/ أَمَلًا﴾ [الآية 46] عائدة لأن صاحبها 175/ب
ينال به في العقبى ما كان يأمل بها في الدنيا.

وأفاد الأستاذ: أنَّ مَن اعتضد بعباده واغترّ بأولاده ونسي مولاه في أوان أوراده خسر في حاله وندم على ما فاته في مآله. ويقال: زينة أهل الغفلة في الدنيا بالمال والبنين وزينة أهل الوصلة بالأعمال واليقين، فهؤلاء زينتهم ظواهرهم وهؤلاء زينتهم بسرائرهم. ويقال: أهل الدنيا زينتهم بكرائمها وأهل العقبى زينتهم بعظائمها، وأهل الحقيقة زينتهم بعبوديته وافتخارهم بمعرفة ربوبيته. ويقال: ما كان للنفس فيه حظ فهو من زينة الحياة الدنيا ويدخل في ذلك الجاه وقبول الخلق وكذلك يدخل في جميع المألوفات والمعهودات على اختلافها وتفاوتها. ويقال: كل ما للإنسان فيه شرب ونصيب فهو معلول إن شئت في عاجله وإن شئت في آجله والباقيات الصالحات ما كان خالصاً لله غير مشوب بقرض ولا مصحوب بعوض أو ما يلوح في السرائر من تحلية العبد بالنعوت ويفوح نشره في سماء الملكوت. ويقال: هي التي سبقت لهم من الغيب يوم القسمة من لطيف القربة وشريف الزلفة. ويقال: هي ضياء شموس التوحيد المستكن به في السرائر مما لا يعترض عليه كسوف الحجبة.

﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ﴾ [الآية 47] نذهب بها فنجعلها هباءً منثوراً. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر تسير بالتأنيث على بناء المفعول ورفع الجبال ﴿وَتَرَى

﴿ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [الآية 47] بادية ظاهرة برزت من تحت الجبال ليس عليها ما يسترها ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ﴾ [الآية 47] وجمعناهم إلى الموقف وتعبيره بالماضي لتحقق وقوعه في الآتي ﴿فَلَمْ نُغَادِرْ﴾ [الآية 47] لم نترك ﴿مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الآية 47].

قال ابن عطاء: دل الحق سبحانه بهذه الآية على إظهار جبروته وتمام قدرته وعظم عزته ليتأهب العبد لذلك الموقف وحسابه ويصلح سريرته وعلانيته لخطاب ذلك المقام وجزائه.

وأفاد الأستاذ: أن تسير جبال الأرض اليوم بموت السادة إذ هم الأوتاد للعالم في الحقيقة وفي قوله تعالى: ﴿فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الآية 47] إشارة إلى أن القادر لا يغادر أحداً اليوم على البسيط إلا وهو يقبض ملكه وتغيير مسلكه ويقضي هلكه.

176/أ / ﴿وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾ [الآية 48] مصطفين لا يحجب أحد أحداً، وفيه تشبيه حال الجنة المعروض على السلطان لا ليعرفهم بل ليأمر فيهم ما يناسبهم أو يشرفهم.

كما أفاد الأستاذ من أنه ينادي المنادي على آحادهم هذا الذي أطاع الله واتقى وهذا الذي أضاع وطغى وهذا أتى ووحّده وهذا أبى وجحد، وهذا عرف وأقرّ وهذا خالف وأصر، وهذا الذي أنعمنا عليه فشكر وهذا الذي أحسَنّا إليه فكفر، وهذا الذي سقيناه شرابنا ورزقناه محابنا وشوّقناه إلى لقائنا ولقيناه خصائص رعايتنا وهذا الذي وسمناه بحجتنا وحرمناه وجود قربتنا وألبسناه قطاف فراقنا ومنعناه توفيق وفاقنا وأخجلنا من توفي وسط دارهم إذ قال لي معرضاً: من أنت يا رجل ﴿لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ﴾ [الآية 48] حفاة عراة أو أحياكم كما خلقناكم ابتداء ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾ [الآية 48] وقتاً موعوداً، البعث والنشور والوقوف والحضور.

وأفاد الأستاذ: أن قوماً يقال لهم سلام عليكم كيف كنتم وكيف قطعتم طريقكم وكيف وجدتم مقيلكم وهل إلى لقائنا اشتقتم، وقوم يقال لهم ما صنعتم وما ضيعتم وما قدّمتم وما أخرتم وما أعلنتم وما أسررتم. ويقال:

يجيب بعضهم عند السؤال فيفصحون عن مكنون قلوبهم ويشرحون ما هم به من أحوالهم مع محبوبهم، وآخرون تملكهم الحيرة وتسكتهم الدهشة وتسكنهم الوحشة فلا لهم بيان ولا ينطق عنهم لسان، وآخرون كما قيل:

قالت سكينة مَن هذا فقلت لها   أنا الذي أنت من أعدائه زعموا(1)

﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ [الآية 49] صحائف الأعمال في أيدي العمَّال أصحاب اليمين والشمال، أو في الميزان لتتميز أرباب الأحوال ﴿فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ﴾ [الآية 49] خائفين ﴿مِمَّا فِيهِ﴾ [الآية 49] من الذنوب ﴿وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا﴾ [الآية 49] أي وا هلكتنا وحسرتنا ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الآية 49] تعجباً من شأنه في استقصاء الحساب ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً﴾ [الآية 49] من السيئات ﴿وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ [الآية 49] عدّها وحفظها وأحاط بها ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا﴾ [الآية 49] من الخير والشر ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الآية 49] / بنقص ثواب ومزيد عقاب. 176/ ب
قال أبو حفص: أشد آية في القرآن تلي هذه الآية: ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا﴾ [الآية 49].

وأفاد الأستاذ: أن ما يصيبهم ما كتب في الكتاب الأول وهو اللوح المحفوظ من بدو أحوالهم. ويقال: إن عامل عبداً بما في الكتاب الحق من الرحمة والشقي عبد يحاسبه بما كتب عليه من الملك من الذلة. ويقال: إذا حاسبهم في المآل يتصور لهم الحال كأنهم في الحال ما فارقوا مباشرة الأفعال فمن أنكر في هذا بقلبه باشر خوف ربه لا يعلم أنه إن رأى في عمله سيئة فهو موضع الخجل لتقصيره وإن رأى حسنة على خجلة أهل الغفلة إذا عثروا على زلاتهم. ويقال: أصحاب الطاعات إذا وجدوا ما قدموا من العبادات فينالهم السرور والبهجة وحياة القلب والراحة، وأما أصحاب المخالفات فإنما يجدون فيما قدموا مجاوزة الحد ومناقضة العهد وما في هذا الباب من فنون الذلة وسوء القصد.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ﴾ [الآية 50] أي العالم بمنزلة قبلة العالم في

(1) ذكره القشيري في تفسيره (4/ 359).

وجوب التوجه إليه وثبوت الإقبال عليه ولزوم التواضع لديه ﴿فَسَجَدُوٓاْ﴾ [الآية 50] أي كلهم أجمعون ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ﴾ [الآية 50] كررت هذه القصة المشتملة على القصة في مواضع من الأحوال لكونها مقدمة للأمور والمقصود بيانها في تلك المحال، وهنا لما بين حال المغرور بالدنيا والمعرض عنها وكان سبب الاغترار بها حب الشهوات وتسويل الشيطان بالغفلات زهدتم أولاً في زخارف الدنيا بأنها سريعة الزوال وعرضة للانتقال والأعمال الصالحة خير وأبقى لمن اتقى، ثم غرهم الشيطان وأذكرهم ما بينه وبينهم من العداوة القديمة ليستقيموا على الجادة القويمة ﴿كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ﴾ [الآية 50] فخرج عن أمره بترك السجود لأجله.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أظهر للملائكة شظية ما استخلص به آدم من علم اليقين فسجدوا لله بتيسير من الله وفضله المبين وسكر بصيرة اللعين فما شهد منه غير الطين ولو صدق في قوله: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾ [الأعراف:الآية 12] لما فسق عن الأمر ولكن أدركته الشقاوة الأصلية فلم تنفعه الوسيلة/ بالحيلة. 177/ أ

﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ﴾ [الآية 50] الهمزة للتعجيب والإنكار، والفاء للتعقيب في الأخبار، والمعنى أعقب ما وجد منه ما ذكر وصدر عنه ما أخبرنا تأخذونه ﴿وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي﴾ [الآية 50] وتستبدلونهم بي فتطيعونهم بدل طاعتي ﴿وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ﴾ [الآية 50] حيث يمنعونكم عن عبادتي ﴿بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا﴾ [الآية 50] من رب العالمين إبليس وذريته.

قال الحسن: خاطبك الله تعالى بأحسن خطاب ودعاك الله إلى نفسه بألطف دعاء وإشراق آداب فقال: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي﴾ [الآية 50].

وقال يحيى بن معاذ: لا يكون وليّاً لله من نظر إلى شيء دون الله.

وأفاد الأستاذ: أن في الآية إشارة إلى من تفرّده بالولاية فلا يعتقد غيره ولا يسأل غيره ولا يخاف غيره ولا يرجو غيره.

﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ﴾ [الآية 51] ففي إحضار

إبليس وذريته خلق السموات والأرض وإحضار بعضهم خلق بعض ليدل على نفي الاعتضاد بهم في ذلك بطريق الأولى لعدم وجودهم هنالك كما صرح به بقوله: ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ [الآية 51] أعوان ودّ لاتخاذهم أولياء من دون الله شركاً فإن استحقاق العبودية من توابع الربوبية والاشتراك في الخالقية يستلزم الاشتراك في العبادة، فوضع المضلين موضع الضمير ذماً لهم واستبعاداً للاعتضاد بهم.

قال أبو سعيد الخراز: لقد عجزت الخليقة أن تدرك بعض صفات ذاتها في ذاتها أو تدري كيف كيفيتها في أنفسها، قال الله: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ [الآية 51] فلم يُمَلِّك الله الخليقة أن تحوي علم أنفسها فكيف تدرك شيئاً من صفات مالكها.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أكْذَبَ المنجمين والأطباء الذين يتكلمون في طبائع الأشياء وهيئات أفلاك السماء بقوله: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ [الآية 51] وبيَّن أنَّ ما يقولون من إيجاب الطبائع لهذه الكائنات لا أصل له في تحقيق الآيات البينات. وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ [الآية 51] يشير إلى أنه سبحانه لم يجعل للذين يضلُّون الناس عن دينهم في / القول بالطبائع حجة ولم يعطهم لتصحيح ما يقولونه برهاناً وبينة. ويقال: إذا 177/ ب
تقاصر علوم الخلق عن العلم بأنفسهم فكيف يحيطوا علومهم بحقائق الصمدية واستحقاقه لنعوته الأحدية إلا بمقدار ما يخصهم به من التفريق على ما يليق برتبة كل أحد مما جعله فيه أهلاً من مراتب العبودية، ويحتمل أن يقال: أخبر أن علومهم تتقاصر عن الإحاطة بجميع أوصافهم الكونية ولا حاجة لهم بذلك إذ لا يتعلق به شيء من الأمور الدينية. فالإشارة في هذا أن يصرفوا عنايتهم إلى طلب العلم بالله وبصفاته وأحكامه فإنه لا بد لهم بحكم الديانة من التحقق بها إذ الواجب على العبد معرفة معبوده بما يزيد التردد في مسائل التوحيد في باب الإسلام وما يتعلق ببابه من إثبات مسائل الصفات والأحكام.

﴿وَيَوْمَ يَقُولُ﴾ [الآية 52] أي الله للمشركين. وقرأ حمزة بالنون للعظمة

﴿نَادُواْ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ [الآية 52] أنهم شركاء أو شفعاء ﴿فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ﴾ [الآية 52] ولم يغيثوهم ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم﴾ [الآية 52] بين المشركين وشركائهم ﴿مَّوْبِقًا﴾ [الآية 52] مهلكاً يشتركون فيه وهو النار.

وأفاد الأستاذ: أن الله سبحانه علم أن الأصنام لا تغني ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع ولكن يعرفهم في الآخرة بما يصير معارفهم ضرورية حسماً لأوهام قوم حيث توهموا أن عبادتهم للأصنام نوع تقرُّب إلى الله على وجه تعظيم له كما قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزُّمَر:الآية 3] فإذا تحققوا بذلك صدقوا في الندم وكان استيلاء الحسرة عليهم في ذلك من أشد العقوبات لهم.

﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ﴾ [الآية 53] قريبة منهم ﴿فَظَنُّوٓاْ﴾ [الآية 53] أيقنوا ﴿أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ [الآية 53] واقعون فيها ومخالطوها ﴿وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ [الآية 53] مكاناً ينصرفون إليه.

وقال الأستاذ: إذا صارت الأوهام منقطعة والمعارف ضرورة والنار معاينة استيقنوا أنهم يواقعونها ولا يسمع لهم معذرة ولا ينفعهم حيلة ولا تقبل فيهم شفاعة ولا يؤخذ منهم فدية واستمكنت الخيبة وتمّ اليأس والحسرة فهي العذاب الأكبر وما دونه جلل.

178/أ ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ [الآية 54] أي كرّرنا ﴿فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ/ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ [الآية 54] من كل جنس يحتاجون إليه ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ﴾ [الآية 54] يتأتى منه الجدل ﴿جَدَلًا﴾ [الآية 54] خصومة بالباطل وانتصابه على التمييز.

وأفاد الأستاذ أنه سبحانه أوضح للكافة الحجج لكن لبس على قوم النهج فوقعوا في العوج ثم الجدال في الله محمود في أعدائه ومذموم في أحبابه، والجدال مع الله شرك لأنه صرف مخالفة ووهم أن أحداً يعارض التقدير وتجويز ذلك انسلال من الدين ومن أمارات السعادة للمؤمن فتح باب العمل عليه وإغلاق أبواب الجدل دونه.

﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ﴾ [الآية 55] من الإيمان بعلّام الغيوب ﴿إِذْ جَآءَهُمُ

﴿ٱلۡهُدَىٰ﴾ [الآية 55] وهو الرسول الأمين والقرآن المبين ﴿وَيَسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّهُمۡ﴾ [الآية 55] من الذنوب ﴿إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمۡ﴾ [الآية 55] أي انتظار أن يجيئهم ﴿سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [الآية 55] وهي عذاب الاستئصال في الدنيا ﴿أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ﴾ [الآية 55] عقاب العقبى ﴿قِبَلٗا﴾ [الآية 55] بكسر ففتح. وقرأ الكوفيون بضمتين وهو لغة والمعنى عياناً ونصبه على الحال من الفاعل أو المفعول أو منهما.

قال سهل: جاءهم النبي ولكن طريق الهداية كانت مسدودة عليهم فمنعهم عن الهدى والإيمان، والعمل الحكم الجاري عليهم في الأزل.

وأفاد الأستاذ: أنه لا عذر لهم أولاً ألجأهم إلى ما تعاطوه من العصيان وترك المبادرة إلى المأمور به ولا توفيق يساعدهم فيخرجهم عن جوار الرأي إلى عزم الفعل، فهم وإن لم يكونوا بنعت الاستطاعة على ما ليس يفعلون ليسوا عاجزين عن ذلك فهم بحيث لو أن العبد أراد منهم ما أمروا به لتأتي منه ذلك ولقدر عليه ففي الحال ليس بقادر على ما ليس يفعله ولا هو عاجز عنه وهذا يسميه قوم حالة الاطلاع والتخلية واسطة بين القدرة والعجز.

﴿وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾ [الآية 56] للمطيعين ﴿وَمُنذِرِينَۚ﴾ [الآية 56] للعاصين فسعد قوم باتباعهم وشقي آخرون بنزاعهم ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الآية 56] بعد ظهور المعجزات ﴿بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ [الآية 56] باقتراح الآيات ﴿لِيُدۡحِضُواْ بِهِ﴾ [الآية 56] ليزيلوا بجدالهم الباطل ﴿ٱلۡحَقَّۖ﴾ [الآية 56] عن مقرهم الواصل كقولهم للرسل: ﴿مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا﴾ [يس:الآية 15]، ﴿وَلَوۡ شَآءَ/ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ 178/ب
مَلَٰٓئِكَةٗ﴾ [المؤمنون:الآية 24] وأمثال ذلك ﴿وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي﴾ [الآية 56] من الكتاب ﴿وَمَآ أُنذِرُواْ﴾ [الآية 56] به من العقاب ﴿هُزُوٗا﴾ [الآية 56] مهزوءاً به في كل باب. قال بعضهم: أحق الناس بسمة الظلم مَن يرى الآيات فلا يعتبر بها ويرى طريق الخير فيعرض عنه ويرى موقع الشر فيتبعه ولا يختفي منه.

﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعۡرَضَ عَنۡهَا﴾ [الآية 57] فلم يتدبرها ولم يتذكرها ﴿وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُۚ﴾ [الآية 57] من المعاصي ولم يتفكر في عاقبتها ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً﴾ [الآية 57] أغطية كثيرة، والجملة علة لإعراضهم

ونسيانهم بأنهم مطبوع على قلوبهم في عصيانهم ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾ [الآية 57] كراهة أن يفقهوه، وتذكير الضمير وإفراده لمعنى الآيات وهو القرآن أو ما فيها من البينات ﴿وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۖ﴾ [الآية 57] ثقلاً وصمماً يمنعهم أن يسمعوا حق سماعه ﴿وَإِن تَدۡعُهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ فَلَن يَهۡتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا﴾ [الآية 57] أي لا تحقيقاً ولا تقليداً لأنهم لا يفقهون ولا يسمعون توفيقاً وتأييداً.

وأفاد الأستاذ: أن معناه لا أحد أظلم ممن ذكر ووعظ بما يلوح له من الآيات بما شاهده وعرفه من أمر أصلح له أو شغل كفي أو دعاء أُجيب له أو سوء أدب حصل منه فأُدِّب عليه بما يكون تيهاً له أو حصل منه طاعة فكرتي في العاجل إما بمعنى وجد ما في قلبه من بسط أو حلاوة أو أنس وإما بكفاية شغل أو إصلاح أمر، ثم إذا استقبله أمر نسي ما عومل به وأعرض عن تذكُّره ونسي ما قدّمت يداه من خيره وشره فوجد في الوقت موجبه، فمن كانت هذه صفته جعل على قلبه ستور غفلة وقسوة حتى تنقطع عنه بركات تنبيهه. ويقال: مَن أظلم ممن استقبله أمر مكافأة لما أسلفه من ترك أدبه فيتهم ربه ويشكو ما يلاقيه وينسى جرمه الذي بسببه أصابه ما أصابه، كما قيل:

وعاجز الرأي مضياع لفرصته   حتى إذا فات أمر عاتب القدرا[1]

﴿وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ﴾ [الآية 58] للعاصين ﴿ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ﴾ [الآية 58] للمطيعين أو العالمين أو غفور لأنه ذو الرحمة فرحمته الأزلية أوجبت المغفرة ﴿لَوۡ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ﴾ [الآية 58] بما استحقوا به العقاب/ ﴿لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلۡعَذَابَۚ﴾ [الآية 58] 179/أ
في الدنيا ﴿بَل لَّهُم مَّوۡعِدٞ﴾ [الآية 58] في العقبى ﴿لَّن يَجِدُواْ﴾ [الآية 58] في دفعه ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ [الآية 58] من غيره سبحانه ﴿مَوۡئِلٗا﴾ [الآية 58] ملجأ ومنجا.

قال الواسطي: وكلناهم إلى سوء تدبيرهم حين سخطوا حسن اختيارنا لهم وفق تقديرهم.

وقال الأستاذ: لو عاملهم بما استوجبوه من المعصية لعجّل لهم العقوبة

(1) نسب إلى الرياشي، انظر التذكرة الحمدونية (1/ 374). ونسب إلى الخليل أحمد الفراهيدي، انظر المنتحل (1/ 37).

لكنه يؤخرها بمقتضى حكمه ثم في العاقبة يفعل ما يفعل على قضية إرادته وحكمه.

﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ [الآية 59] أي قرى عاد وثمود وأمثالها ﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾ [الآية 59] أي أهلها ﴿لَمَّا ظَلَمُوا۟﴾ [الآية 59] على أنفسهم بإهمالها ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم﴾ [الآية 59] بضم الميم وفتح اللام أي لإهلاكهم. وقرأ أبو بكر بفتح الميم واللام وحفص بكسر اللام لهلاكهم ﴿مَّوْعِدًا﴾ [الآية 59] وقتاً معيناً وزماناً مبيناً لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون، فليعتبر غيرهم بهم ولا يغتروا بتأخير عذابهم.

وأفاد الأستاذ: أنهم لما لم يشكروا النعمة ولم يصبروا في المحن عجّلنا لهم العقوبة. ويقال: لما غفلوا عن شهود التقدير وحرموا روح الرضا في حالاتهم وكّلناهم في ظلمات تدبيرهم فطاحوا في أودية غفلاتهم.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ﴾ [الآية 60] لخادمه أو تابعه يوشع بن نون بن افرايم بن يوسف عليه السلام ﴿لَآ أَبْرَحُ﴾ [الآية 60] لا أزال أسير ولا أزول عما أنا عليه من السير والطلب لتحصيل الأدب ﴿حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ [الآية 60] ملتقى بحر فارس والروم مما يلي المشرق إذ وعد لقاء الخضر فيه أو البحران موسى وخضر عليهما السلام، فإن موسى كان بحر علم الظاهر والخضر كان بحر علم الباطن ﴿أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا﴾ [الآية 60] أو أسير زماناً طويلاً، والمعنى حتى يقع إما بلوغ المجمع أو مضي الحقب وهو الدهر. قيل: وهو ثمانون سنة، وقيل سبعون. وفي الحديث: «إن موسى خطب الناس بعد هلاك القبط ودخوله مصر خطبة بليغة فأعجب بها فقيل له: هل تعلم أحداً أعلم منك، فقال: لا، فأوحى الله إليه: بلى عندنا الخضر وهو مجمع البحرين»[1]. وقيل: إن موسى سأل ربه: أي عبادك أحب إليك، قال: الذي يذكرني ولا يسألني، قال: فأي عبادك أقضى، قال: الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى، قال: فأي عبادك

---

(1) تفسير البيضاوي (1/ 507).

179/ب أعلم، قال: الذي ينبغي علم الناس إلى علمه عسى/ أن يصيب كلمة تدل على هدى أو ترده عن ردى، فقال: إن كان في عبادك أعلم مني فادللني عليه، قال: أعلم منك الخضر، قال: أين أطلبه، قال: على الساحل عند الصخرة، قال: كيف لي به، قال: فخذ حوتاً في مكتل فحيث تقذفه فهو هنالك، فقال لفتاه: إذا فقدت الحوت فأخبرني، فذهبا يمشيان.

﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا﴾ [الآية 61] أو محل وصلهما ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ [الآية 61] نسي موسى أن يطلبه ويتعرف حاله ويوشع أن يذكر له ما يرى من حياته ووقوعه في البحر وذهابه ﴿فَاتَّخَذَ﴾ [الآية 61] الحوت ﴿سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾ [الآية 61] مسلكاً ومهرباً.

﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾ [الآية 62] مجمع البحرين ﴿قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا﴾ [الآية 62] أعطنا ما نتغذى به ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ [الآية 62] تعباً.

﴿قَالَ﴾ [الآية 63] فتاه ﴿أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ﴾ [الآية 63] على ساحل البحر ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ﴾ [الآية 63] أي ذِكْره لك بما رأيته منه ﴿وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ [الآية 63] بدل من الضمير وهو اعتذار عن نسيانه بوسواس الشيطان له في شأنه ﴿وَاتَّخَذَ﴾ [الآية 63] الحوت ﴿سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ [الآية 63] اتخاذاً عجيباً.

﴿قَالَ ذَلِكَ﴾ [الآية 64] أي أمر الحوت ﴿مَا كُنَّا نَبْغِ﴾ [الآية 64] الذي كنا نبغيه ونطلبه فإنه أمارة المطلوب ﴿فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا﴾ [الآية 64] فرجعا في الطريق الذي جاءا [منه] ﴿قَصَصًا﴾ [الآية 64] يتبّعان آثارهما اتّباعاً.

﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا﴾ [الآية 65] هو الخضر، وقيل إلياس أو غيره ﴿آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ [الآية 65] وحياً ونبوّة ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الآية 65] مما يختص بنا ولا يُعلم إلا من جانبنا.

وأفاد الأستاذ: أن معناه صار مرحوماً من قبل تلك الرحمة التي خصصناه بها من عندنا، أو يرحم بها على عبادنا. ثم قيل: العلم اللدني ما يحصل من طريق إلهام دون التكليف بالطلب. ويقال: هو ما لا يجد صاحبه

سبيلاً إلا في صحبته ودليلاً على صحته. وقد قيل: أقوى العلوم أبعدها من الدليل. وقال ذو النون: العلم اللدني هو الذي يحكم على الخلق بمواقع التوفيق والخذلان.

﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ﴾ [الآية 66] قال فارس: استثنى موسى على نفسه ولم يستثنِ الخضر على موسى في ذلك الوقت علم تكلف واستدلال وعلم الخضر علم لدني من غيب إلى غيب/ بلا شك ولا ريب على شرط 180/ أ
تعليمك لي ﴿مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الآية 66] علماً ذا رشد وهو إصابة الخبر. وقرأ عمرو بفتحتين ولا ينافي كونه صاحب الشريعة أن يتعلم من غيره ما لم يكن من أبواب الديانة، فإن الرسول ينبغي أن يكون أعلم ممن أُرسل إليه فيما يبعث به من أصول الدين وفروعه لا مطلقاً، وقد راعى موسى عليه السلام في ذلك غاية التواضع والأدب فاستجمل نفسه واستأذن أن يكون تابعاً له وسأل منه أن يرشده وينعم عليه ببعض ما أنعم الله به عليه.

﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾﴾ [الآية 67] نفى عنه استطاعة الصبر معه على وجود من التأكيد له ثم علل ذلك واعتذر عما هنالك بقوله: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الآية 68] من أمور ظواهرها مناكير وبواطنها لم يحط بها خبرك مما تعلق به المقادير.

قال جعفر: لن تستطيع أن تصبر مع من هو دونك فكيف تصبر مع من هو فوقك.

وقال ابن عطاء: كره صحبة المخلوقين فآيسه من صحبته بقوله: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾ [الآية 67] لعلّه يفارقه بهذه اللفظة فمن وجد الله صاحباً استوحش مما سواه غالباً.

وقال أبو عثمان المغربي: إنما أوتي الناس من قبل أنهم لا يعرفون مقامهم مع الله قال الله: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [هُود:الآية 17] والبينة هي الكشف عن مراد الحق فيه فإذا عرف مراده فيه استراح واطمأن ومن ذلك أنه يبدي له علم مجاري أحكامه قبل أن تجري فإذا جرت الأحكام عليه يصبر لديه

كما قال الخضر لموسى: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الآية 68] لصبرت ولكن ستر عنك محل هذا العلم لموضع التأديب والتهذيب ولذلك قيل: من عرف علم ما يجري عليه صبر على أحكامه لعلمه بما يراد منه.

﴿قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا﴾ [الآية 69] معك غير منكر عليك ﴿وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ [الآية 69] فيما يبدو لديك وهو عطف على ﴿صَابِرًا﴾ [الآية 69]، أي ستجدني إن شاء الله صابراً وغير عاصٍ لك أمراً.

﴿قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْـَٔلْنِي﴾ [الآية 70] أي ابتداء ﴿عَن شَيْءٍ﴾ [الآية 70] مما أنكرته ولم تعلم ما يقتضي صحته ﴿حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ/ ذِكْرًا﴾ [الآية 70] أي حتى 180/ب
أبيِّن لك حجته.

قال أبو عثمان المغربي: للمتبع أن يسأل المتبع ويهتدي له بالسؤال إن كان المتبع من أهل الإشراف لكنه يكتفي بإشرافه عليه وتأديبه في وقت الأدب لديه، ألا ترى كيف قال الخضر لموسى: ﴿فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الآية 70].

وأفاد الأستاذ: أنه ليس للمريد أن يقول لشيخه لم، ولا للتلميذ أن يقول لأستاذه ولا للعامي أن يقول للمفتي.

﴿فَٱنطَلَقَا﴾ [الآية 71] فذهبا على الساحل يطلبان السفينة ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا﴾ [الآية 71] الخضر بأن أخذ فأساً وقلع لوحين من ألواحها وكان في خرقها إبقاء على صاحبها لئلا يرغب الملك الطامع في السفن إليها لعيبها ﴿قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ [الآية 71] فإن خرقها سبب لدخول الماء فيها المفضي إلى غرق أهلها، والمعنى لتؤدي عاقبة هذا الأمر إلى غرق أهلها لأنه علم أنه لم يكن قصده إغراق أهل السفينة بخرقها. وقرأ حمزة والكسائي ليغرق أهلها ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا﴾ [الآية 71] أتيت أمراً فظيعاً.

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾﴾ [الآية 72] أي أنت تنظر إلى هذا من حيث العلم وأنا أجري على هذا من حيث الحكم، كذا أفاد الأستاذ.

﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ [الآية 73] من الوصية بعدم الاعتراض والمسألة من أول الوهلة ﴿وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ [الآية 73] ولا تغشني عسراً في المتابعة من أمري بالمضايقة والمؤاخذة على النسيان فإن ذلك يعسر على نوع الامتنان.

﴿فَانطَلَقَا﴾ [الآية 74] أي بعدما خرجا من السفينة ذهبا ﴿حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا﴾ [الآية 74] ولداً صغيراً ﴿فَقَتَلَهُ﴾ [الآية 74] من غير سبب يوجبه ﴿قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾ [الآية 74] طاهرة من الذنوب ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ [الآية 74] قُتِلَت من جهتها. وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو: زاكية بالألف وتخفيف الياء ﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا﴾ [الآية 74] أي منكراً عظيماً. وقرأ نافع وابن عامر وأبو بكر بضمتين.

﴿۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾﴾ [الآية 75] أزيد لك في مواجهة بالعتاب على ترك محافظة الوصية في هذا الباب وإشارة بقلّة الصبر
181/ أ لما تكرَّر منه/ مخالفة الأمر.

﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي﴾ [الآية 76] ولو سألت صحبتك ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾ [الآية 76] قد وجدت عذراً من قبلي لما خالفتك ثلاث مرات إذ الثلاث آخر حد القلة وأول حد الكثرة فلم يكن بعد ذلك المسامحة.

﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ [الآية 77] أنطاكية أو غيرها ﴿اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ [الآية 77] يقرب أن يسقط ﴿فَأَقَامَهُ﴾ [الآية 77] بعمارته أو بإشارته ﴿قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ﴾ [الآية 77] وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالتخفيف أي لأخذت ﴿عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الآية 77] أي أجرة نتعشى بها.

قال الواسطي: الخضر شاهد أنوار الملك وموسى شاهد الوسائط فأخبره أن السؤال من الله فلا تعصيب عند المنع فإن المانع والمعطي واحد فلا تشهد الأسباب واشهد المسبب حتى تستريح من هواجس النفس ووساوس النعت.

وفي «تفسير السلمي» قال ﷺ: «إذا سألت فاسأل الله»[1]، فأخبر الخضر موسى أن السؤال من الناس هو السؤال من الله فقال: لا تغضب من المنع حين أبوا أن يضيفوهما.

قال الأستاذ: فإن لم تأخذ بسببك فلو أخذت بسببنا لكان أخذه خير لك من ترك ذلك، ولئن وجب حقهم فلم خللت بحقنا هنالك. ويقال: إن سفره هذا كان سفر تأديب فردّ إلى تحمُّل المشقة وإلا فموسى عليه السلام حيث سقى لبنات شعيب عليه السلام كان ما حباه من التعب والجوع أكثر ولكنه كان ذلك الوقت محمولاً وفي هذا الوقت متحملاً.

﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ﴾ [الآية 78] أي هذا الاعتراض سبب افتراقنا أو هذا الوقت وقت المفارقة بيننا مع اشتياقنا له.

قال جنيد: إذا وردت ظلم الأطماع على القلوب حجبت النفوس عن حظوظها من بواطن الحكم ﴿سَأُنَبِّئُكَ﴾ [الآية 78] سأخبرك ﴿بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الآية 78] أي بالخبر الباطن فيما لم تقدر عليه الصبر لكونه من حيث الظاهر منكراً.

﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ﴾ [الآية 79] ملكاً أو إجارة ﴿يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ﴾ [الآية 79] خدمة أو تجارة ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الآية 79] أجعلها معيبة بقاء لأهلها ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم﴾ [الآية 79] قدامهم أو خلفهم ﴿مَّلِكٌ﴾ [الآية 79] ظالم ﴿يَأْخُذُ كُلَّ
181/ب سَفِينَةٍ﴾ [الآية 79] أي صالحة كما قرىء / بها ﴿غَصْبًا﴾ [الآية 79] قهراً من أهلها.

﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا﴾ [الآية 80] يغشيهما ﴿طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ [الآية 80] لعلمهما بعقوقه لهما فيلحقهما شراً يضرهما دهراً وإنما خشي ذلك لأن الله تعالى أعلمه بما هنالك.

﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا﴾ [الآية 81] قرأ نافع وأبو عمرو بالتشديد أي

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (3/ 623) رقم (6303)، والترمذي في الجامع الصحيح (4/ 667) رقم (2516)، وابن حبان في الصحيح (15/ 166) رقم (6763).

يرزقهما بدله ولداً ﴿خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً﴾ [الآية 81] طهارة من الأحوال الردية والأفعال الدنية ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ [الآية 81] وقرأ ابن عامر بضمتين أي رحمة وشفقة على والديه. قيل: ولدت لهما جارية فزَّوجها نبي فولدت نبياً هدى الله به أمة من الأمم وانتصاب زكاة ورحماً على التمييز والعامل اسم التفضيل.

﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا﴾ [الآية 82] من ذهب وفضة. روي ذلك مرفوعاً والذم على الكنز إنما هو لمن لا يؤدي زكاته. وقيل: من كتب العلم، وقيل: كان لوحاً من ذهب مكتوب فيه: عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب، وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح، وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل، وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلُّبها بأهلها كيف يطمئن إليها لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله[1] ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ [الآية 82] قيل كان يتيماً وبين الأب الذي حفظا فيه سبعة آباء ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾ [الآية 82] أي الحكم وكمال الرأي والعلم والحكم ﴿وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [الآية 82] أي مرحومين من عنده. ولعل إسناد الإرادة أولاً إلى نفسه لأنه المباشر للتعقيب، وثانياً إلى الله تعالى وإلى نفسه لأن التبديل بإهلاك الغلام وإيجاد الله بدله، وثالثاً إلى الله وحده لأنه لا مدخل له في بلوغ الغلامين أو لأن الأول في نفسه شر والثاني خير والثالث ممتزج، أو لاختلاف حال العارف في الالتفات إلى الوسائط.

ذكر البيضاوي: والتعليل الأول هو المعول وفق ما أفاد الأستاذ على ما سنذكره عنه، والآخر هو الظاهر إما بطريق العبارة فمن نوع التفنن، وإما بطريق الإشارة/ فمن باب التلوين والله أعلم بحقائق اليقين ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ﴾ 182/أ
[الآية 82] أي ما رأيته مني ﴿عَنْ أَمْرِى﴾ [الآية 82] رأيي وإنما فعلته بأمر ربي وعلى وفق ما حكم لي. ومبنى ذلك على أنه متى تعارض ضرران يجب تحمل أهونهما لدفع أعظمهما وهو أصل ممهد مؤتلف غير أن الشرع في تفاصيله مختلف ﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الآية 82] أي ما لم تستطع فحذف التاء تخفيفاً وآخر

(1) تفسير الرازي (10/ 243)، والكشاف (4/ 45).

القصة أولى به تطريفاً.

ومن فوائد هذه القصة أن لا يعجب المرء بعلمه ولا يبادر إلى إنكار ما لا يستحسنه بعقله فلعل فيه سراً هو غير عالم بوجهه وأن يداوم على التعلم ويتذلل للمعلِّم لا سيما حال السؤال ويراعي الأدب في المقال وأن ينبِّه المعلِّم المجرم على جرمه ويعفو عنه بحلمه حتى يتحقق إكثاره ويبيِّن إصراره فيما جرى عنه بعدما ظهر إعذاره والله أعلم بحقائق القرآن ودقائق الفرقان.

هذا وقد أفاد الأستاذ أنه لما فارق الخضر موسى عليهما السلام لم يرد أن يبقى في قلب موسى شبه اعتراض عليه فأزال عن قلبه ذلك بما أوضح له من الحال وكشف السر لديه فبيَّن أن قصده من خرق السفينة سلامتها أو بقاؤها لأهلها حيث لم يطمع فيها الملك الغاصب وبقاء السفينة لأهلها وهي معيبة كان خيراً لهم من سلامتها وتصير عنهم مغصوبة، وبيَّن أن قتل الغلام فيما سبق به القلم ومضى من الله الحكم أن في بقاء الغلام فتنة للوالدين وفي إبدال الخلف عنه سعادة لهما في الكونين، وأما تسوية الجدار فلاستبقاء كنز الغلامين وترك طلب الرفق مع الخلق على وجه اكتساب الأجرة فلموجب الثقة بالله في جميل الكفاية من غير اكتساب وفق ثقة بالمقسوم على جهة الرعاية ثم بيَّن الخضر أن جميع فِعْله لم يكن من قبله بالاختيار والاستقلال ولا يكلفه من حيث النظر والاستدلال وإنما ذلك بتعريف من الله من حيث الإلهام وإجراء الحق عليه بما هو محفوظ من تعاطي غير ما كان يجريه الحق
182/ب إليه عليه السلام. ويقال: لما كانت السفينة قال: أردت أن/ أعيبها، فأخبر عن نفسه بالانفراد بالإرادة فيه مراعاة للأدب فلما انتهى إلى حديث الغلام المقتول قال: فأردنا، لما كان فيه القتل والخلق فالقتل منه كسباً والخلق من الله فضلاً، فلما انتهى إلى حديث اليتيمين قال: فأراد ربك أن يبلغا لأنه لم يكن لتكسبه فيه شيء أصلاً.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ [الآية 83] يعني إسكندر الرومي ملك فارس والروم. وقيل: المشرق والمغرب، ولذا سمي ذو القرنين. وقيل: لأنه اقترض في أيامه

قرنان من الناس. وقيل: كان لرأسه قرنان وهما صغيران. وقيل: كان لتاجه قرنان. وقيل: من كمال شجاعته كان كالكبش الشجاع لأنه ينطح أقرانه بقرنيه. واختُلِف في نبوَّته مع الإجماع على إيمانه وديانته والسائلون هم اليهود وسألوه امتحاناً، أو مشركوا مكة سألوه تعنتاً وافتتاناً ﴿قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ [الآية 83] أي من ذي القرنين أو من الله سبحانه وهو الأنسب بما بعده من تعظيم شأنه.

وأفاد الأستاذ: أن إنزال الحق سبحانه القرآن في القصص التي سألوا رسول الله ﷺ كان له معجزة حيث عرفوا من أحواله بالضرورة أنه لم يكن للكتب قارئاً ولا للأخبار عنها سائلاً ولا من أحد لها مستمعاً، ثم كانوا يعارضون ما يقوله بالكتب المنزلة فيجدونها موافقة لها فعلم مَن أنعم النظر في بابه أن ذلك بتعريف سماوي. وكان لرسول الله ﷺ ذلك زيادة رتبة وسبباً يوجب له في كل وقت سكون قلب وسلوة. ويقال: فرق ظاهر بين نبينا ﷺ حيث تولى تعليمه بنفسه يعني حيث قال: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النِّساء:الآية 113]، ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه:الآية 114]. ولعل وجه الفرق بينهما والله أعلم بهما أن موسى عليه السلام كان مريداً مجذوباً ونبينا ﷺ كان مراداً محبوباً، أو لأن موسى عليه السلام كان ممن يدّعي العلم ويُظهر الحكم ونبينا ﷺ كان ممن يتواضع للحق ويعترف بالعجز عند الخلق كما
183/أ يشير إليه قوله في الحديث: «لا أُحصي ثناء عليك»(1)، وقوله/ في التنزيل: ﴿وَمَآ أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ [الأحقاف:الآية 9] ومن تواضع لله رفعه الله.

﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 84] بالتصرف فيها كيف يشاء ﴿وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الآية 84] أراده وأقبل عليه ﴿سَبَبًا﴾ [الآية 84] وصلة توصله إليه وتشهدُ لديه من العلم والقدرة والآلة والقوة.

﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾ [الآية 85] أي فأراد بلوغ المغرب فاتبع سبباً يكون وسيلة وصوله إليه وذريعة حصوله لديه. وقرأ الكوفيون وابن عامر بقطع الألف والتاء

(1) سبق تخريجه.

المخففة في المواضع الثلاثة.

قال ابن عطاء: أي جعلنا الدنيا طوع يده فإذا أراد طُوِيت الأرض فإذا أحب انقلبت له الأعيان وإذا شاء مشى على الماء وإذا هوى طار على الهواء وكذلك مَن أخلص سريرته في حضرتنا مكّناه من مملكتنا يتقلّب فيها كيف يشاء، فمن كان للملك كان الملك له.

وأفاد الأستاذ: أن ذا القرنين مُكِّن في الأرض جهراً يعني وكثيراً من الأولياء سراً وكان تطوى له الأرض إذا قطع أجوازها وسهل عليه أن يروح مشارقها ومغاربها ويحضر أقطارها ومناكبها ومن كان في محل إمامة من الأولياء فالحق سبحانه يملّكه من المملكة ليحصل عند همّه من ما أراده من حصول طعام وشراب أو ما جرى مجراه وكذا من قطع مسافة واستتار عن أبصار ومما في معناه من تصديق مأمول وتحقيق مسؤول وإجابة دعاء وكشف بلاءٍ وفق ذلك تمكنه من تحقيق همة له في أمرهم فوق ذلك من التمكين في أن يخلص الله بهمتهم قوماً بما شاؤوا ويمنع بهمتهم قوماً عما يشاؤون فلهم من الحق تحقيق أمل إذا تصرفوا في المملكة بإرادات في سوانح وحادثات، وفوق هذا التمكين في المملكة بإيصال قوم إلى منازل ومحال والله يحقق فيهم هممهم بكل حال.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ﴾ [الآية 86] أي الموضع الذي تغرب عنه الشمس آخراً من معمورة الأرض ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ [الآية 86] ذات حمأة وهي طين أسود منتن. وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر: حامية أي حارة ولا منافاة بينهما لاحتمال كون العين جامعة بينهما ﴿وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا﴾ [الآية 86] عند تلك العين قوماً كفاراً، ولعلهم كانوا من عَبَدَة الشمس لما توهموا أن لها أنواراً.

183/ب وأفاد الأستاذ: أنه كما للشمس التي في السماء مطلعها / شروق وغروب فللشمس التي هي شموس التوحيد طلوع وغروب فطلوعها في أوقات غلبة العرفان وتحقيق الشهود والبيان على مقادير أربابها في الزيادة والنقصان وغروب هذه الشموس في ظلمات ليالي الغفلة باستتار أنوار التجلي ورد العبد

إلى أوصاف التفرقة والتفاوت التي لأصحاب القلوب فيما يجدونه من اختلاف أحوالهم توفي وتربى على تفاوت كثير من الناس في منازل قلوبهم واختلاف أوصافهم ﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ﴾ [الآية 86] أي بالقتل على كفرهم وكفرانهم ﴿وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ [الآية 86] بالإرشاد إلى إيمانهم وإحسانهم ونداء الله سبحانه إياه إن كان نبيّاً فيوحى وإن وليّاً فعلى لسان نبي.

﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ﴾ [الآية 87] أي استمر على ظلم نفسه بالكفر ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ﴾ [الآية 87] أي أنا وأتباعي بما نقدر عليه قهراً في الدنيا ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ﴾ [الآية 87] أي إلى حكمه ﴿فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا﴾ [الآية 87] في العقبى، فيه إيماء إلى أن الظلم في كل عصر كان وخيماً ومشربه ذميماً وأن العدل والإيمان طريقه قويماً كما أشار إليه بقوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [الآية 88] وهو ما يقتضيه كمال الإنسان من مباشرة الإحسان ﴿فَلَهُۥ﴾ [الآية 88] فله الدنيا والعقبى ﴿جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الآية 88] مثوبة فعلته الحسنى. وقرأ حمزة والكسائي وحفص جزاءً بالتنوين منصوباً على الحال، أي فله الحالة الحسنى مجزياً بها بالوصف الأسنى ﴿وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ [الآية 88] سهلاً ميسراً لا صعباً منكراً. وفي الحديث: «يسروا ولا تعسرُّوا وبشِّروا ولا تنفِّروا»[1]. فإما للتخير بين القتل على ضلالتهم وبين الدعوة إلى هدايتهم أو للتقسيم أي فليكن شأنك معهم إما التعذيب وإما الإحسان، فالأول لمن أصرّ على الطغيان والثاني لمن أظهر الإيمان.

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾﴾ [الآية 89] أي طريقاً يوصله إلى المشرق ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾﴾ [الآية 90] الغالب عليهم طول نهارهم وآخرون كانوا من أهل مغرب الشمس الغالب عليهم حال استتارهم، كذلك الناس في طلوع شموس التوحيد منهم مَن الغالب عليه طلوع شموسهم فالحضور نعتهم والشهود وصفهم والتوحيد حقهم وآخرون لهم من شموس التوحيد النصيب الأقل والقسط الأرذل.

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (69)، ومسلم في الصحيح (1734/ 8).

184/ أ / ﴿كَذَٰلِكَ﴾ [الآية 91] أمر ذي القرنين كما وصفناه في رفعة المكان وبسطة البرهان أو أمره فيهم كأمره في مقاتليهم من التخيير أو التقسيم بالإلهام والتعليم ﴿وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ﴾ [الآية 91] من العُدد والعَدد ﴿خُبْرًا﴾ [الآية 91] علماً تؤلف بظواهرها وسرائرها.

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾﴾ [الآية 92] طريقاً ثالثاً معترضاً بين المشرق والمغرب أخذاً من الجنوب إلى الشمال.

﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ﴾ [الآية 93] وقرأ ابن كثير وعمرو وحفص بالفتح وهما الجبلان المبني سد بينهما في منقطع أرض الترك ويأجوج ومأجوج وراءهما ﴿وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ [الآية 93] لغرابة لغتهم وقلة فطنتهم. وقرأ حمزة والكسائي بضم الياء وكسر القاف أي لا يفقهون السامع كلامهم ولا يبينون له مرامهم.

﴿قَالُوا﴾ [الآية 94] أي مترجمهم، وفي مصحف ابن مسعود: قال الذين من دونهم ﴿يَٰذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾ [الآية 94] وقرأ عاصم بالهمزة فيهما وهما قبيلتان من ولد يافث ابن نوح ﴿مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 94] أي في أرضنا بالقتل والتخريب. قيل: كانوا يخرجون في الربيع فلا يتركون رطباً إلا أكلوه ولا يابساً إلا احتملوه ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ [الآية 94] جعلاً نُخرجه من أموالنا. وقرأ حمزة والكسائي خِراجاً ﴿عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ [الآية 94] يحجز دون خروجهم علينا ويسد طرق ضررهم إلينا. وقرأ ابن كثير وأبو عمر وحفص بفتح السين.

﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي﴾ [الآية 95] وقرأ ابن كثير مكنني أي ما جعلني ﴿فِيهِ رَبِّي﴾ [الآية 95] من المُلك والمال ﴿خَيْرٌ﴾ [الآية 95] مما تبذلون لي من الخِراج ولا حاجة لي إليه في الحال ولا في المآل ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ [الآية 95] أي بقوة فعله من العمال أو بما أتقوى به من آلات الأعمال ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ [الآية 95] حاجزاً حصيناً ومانعاً مبيناً.

﴿ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾ [الآية 96] ناولوني قطعه أو أعطوني زبره فإن إعطاء الآلة من الإعانة بالقوة ويؤيده قراءة أبي بكر: ردماً أئتوني بكسر التنوين بهمزة

الوصل على معنى جيئوني ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ﴾ [الآية 96] وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بضمتين وأبو بكر بضم فسكون أي بين جانبي الجبلين بتنضيد ﴿قَالَ﴾ [الآية 96] للعملة ﴿ٱنفُخُواْ﴾ [الآية 96] في أكوار الحديد ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ﴾ [الآية 96] أي المنفوخ فيه/ ﴿نَارٗا﴾ [الآية 96] كالنار بالإحماء ﴿قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا﴾ 184/ب [الآية 96] نحاساً مُذاباً وفيه تنازع الفعلان.

﴿فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ﴾ [الآية 97] بحذف التاء للتخفيف حذراً من تلاقي متقاربين. وقرأ حمزة بالإدغام ﴿أَن يَظۡهَرُوهُ﴾ [الآية 97] أن يعلوه بالصعود لارتفاعه ويلائمه ﴿وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا﴾ [الآية 97] أي خرقاً لثخنه وصلابته.

﴿قَالَ هَٰذَا﴾ [الآية 98] أي السد والإقدار على هذا الصد ﴿رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّيۖ﴾ [الآية 98] على عباده ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي﴾ [الآية 98] وقت وعده بخروج يأجوج ومأجوج أو بقيام الساعة بأن شارف يوم القيامة ﴿جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ﴾ [الآية 98] مدكوكاً مبسوطاً مسوى بالأرض. وقرأ الكوفيون دكّاً بالمد أي أرضاً مستوية ﴿وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي حَقّٗا﴾ [الآية 98] كائناً لا محالة، وهذا آخر القصة.

وأفاد الأستاذ: أنهم ما كانوا يهتدون إلا إلى لسان أنفسهم وما كانوا يفقهون لغة غيرهم فقالوا بعبارتهم في شرح قصتهم بإشارتهم ورفعوا إليه في باب يأجوج ومأجوج مظلمتهم وضمنوا له خِراجاً فغواه إليه من جهتهم فأجابهم إلى سؤالهم وتحقيق بغيتهم في حسن مآلهم ولم يأخذ منهم ما ضمنوا له من العمالة لما رأى من الواجب عليه من حق الحماية ووجوب الرعاية على حسب المكنة واستعان بهم في الذي احتاج إليه من الآلة والقوة بقوله: ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِۖ﴾ [الآية 96] فلما فعلوا ما أمرهم به ونفخوا فيه لما أضرم عليه النار جعل بينهم السد ثم أخبر أنه إنما يبقى ذلك إلى أن يأذن الله لهم بالخروج ويندفع عن الناس عائدة شرهم إلى الوقت المضروب لهم في التقدير، فبعد ذلك يكون من شأنهم ما يريد الله بهم. وبيَّن سبحانه أن خروجهم من وراء سدهم من أشراط الساعة وأن بعدهم من قريب ينفخ في الصور لقيام القيامة كما قال تعالى: ﴿وَتَرَكۡنَا بَعۡضَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ﴾ [الآية 99] أي بعض الخلق ﴿يَمُوجُ فِي بَعۡضٖۖ﴾ [الآية 99]

ويضطربون ويختلطون إنسهم جهنّم حيارى كأنهم سكارى ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ [الآية 99] أي وقد نفخ فيه لقيام الساعة ﴿فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا﴾ [الآية 99] للحساب والجزاء من الثواب والعقاب.

﴿وَعَرَضْنَا﴾ [الآية 100] أبرزنا وأظهرنا ﴿جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا﴾ [الآية 100] أي غريباً وعجيباً كما أخبر عنه سبحانه بقوله: ﴿مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ [الفُرقان:الآية 12]. 185/أ

﴿ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ﴾ [الآية 101] أعين بصيرتهم ﴿فِى غِطَآءٍ﴾ [الآية 101] غشاوة وغفلة ﴿عَن ذِكْرِى﴾ [الآية 101] عن النظر إلى ما يذكرهم معرفة ذاتي وصفاتي من الآيات الكونية.

قال ابن عطاء: أي أعين أنفسهم في غطاء عن نظر الاعتبار وأعين قلوبهم في غطاء عن مشاهدة الأعيان في الملكوت فإذا فتح عين قلبه بالمشاهدة فتح عين رأسه بنظر الاعتبار والمراقبة المورثة للمجاهدة ﴿وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ [الآية 101] استماعاً لذكري وكلامي من الآيات القرآنية. وفيه إيماء إلى أنهم كانوا عارين عن الوصول إلى مقام المجتهدين في أمر الدين ليدركوا المعارف والعوارف بعقولهم الواصلة إلى زينة عين اليقين وعن الحصول في رتبة المريدين والمقلدين للمجتهدين في درك الحقائق والدقائق إلى منزلة علم اليقين. قيل: كانوا لا يستطيعون سمعاً لأن أذانهم مسدودة عن سماع الحق ومن لم يفتح له من قلبه سمع السماع كيف يسمع بظاهر سمعه وهو تبع لسمع قلبه.

وأفاد الأستاذ: أنهم نظروا بأعين رؤوسهم لكنهم فقدوا نظر القلب من حيث الاعتبار والاستدلال للتحقيق ولم يكن لهم سماع الإجابة لما فقدوا من التوفيق فيتوجه عليهم التكليف ولم يساعدهم التعريف وكانوا لا يستطيعون سمعاً لأنهم فقدوا من قبله سبحانه الإسماع فلم يستطيعوا سمع القبول مع حصول الإسماع.

﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ [الآية 102] الاستفهام للإنكار أي أفظنوا ﴿أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِى﴾ [الآية 102] كالمسيح والملائكة ﴿مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ﴾ [الآية 102] معبودين

يتبعونهم أو يشفعون لهم ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا﴾ [الآية 102] ما يهيّأ للتنزيل أول ما يدخل تحت الباب، وفيه تهكُّم وتنبيه على أن ما وراءنا من العذاب والحجاب ما يستحقر دونه هذا العقاب.

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾﴾ [الآية 103] وفي جمع التمييز إيماء إلى تنوُّع أعمالهم واختلاف أحوالهم.

﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الآية 104] ضاع وبطل لكفرهم وعجبهم كالرهبانية فإنهم خسروا الدنيا والآخرة ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الآية 104] ولا يبعد أن يكون المعنى ضاع سعيهم في تحصيل الدنيا من الجاه والمال وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً في حصول مراتب الكمال ووصول مناقب/ المآل. 185/ب

وقال أبو بكر الوراق: هو الذي بطل معروفه بالمنة وطلب الشكر على تلك الصنعة ويبطل طاعاته بالرياء والسمعة وضيعوا أحوالهم بالعجب والغرّة وأبطلوا أنفاسهم بالملاحظة.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ [الآية 105] المتلوة ودلائله المنصوبة على التوحيد والنبوَّة ﴿وَلِقَآئِهِۦ﴾ [الآية 105] بالبعث كما هو حقه ولقاء عذابه ﴿فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الآية 105] مقداراً ولا نضيع لهم ميزاناً يوزن به أعمالهم لانحباطها غباراً.

وأفاد الأستاذ أنهم عموا عن شهود الحقيقة فبقوا في ظلمة الجحود والنكرة فتفرقت بهم الأوهام والظنون في أودية الحيرة ولم يكونوا على بصيرة ولم تستقر قلوبهم على عقيدة مقطوع بها فليس لهم في الآخرة وزن وخطر بسببها فاليوم هم كالأنعام وغداً واقفون ساقطون كتراب الأقدام.

﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية 106] أي الأمر ذلك ﴿جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا﴾ [الآية 106] أي بسبب ذلك.

وأفاد الأستاذ: أنهم اليوم في عقوبة الجحد وغداً في عقوبة الرد، اليوم هم في ذل الفراق وغداً في ألم الاحتراق.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الآية 107] ولو إجمالاً ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الآية 107] أي الدالة على إيمانهم إكمالاً ﴿كَانَتْ لَهُمْ﴾ [الآية 107] فيما سبق من حكم الله عدلاً ووعده إياهم فضلاً ﴿جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الآية 107] والفردوس أعلا درجات الجنة وأصله البستان الذي يجمع الكرم والنخلة، ولعله يكون مختصاً بمن جمع بين المعرفة والعبادة.

وأفاد الأستاذ: أن لهم جنات معجلة سراً بسر وجنات مؤجلة جهراً بجهر، اليوم جنات الوصل وغداً جنات الفضل، اليوم جنات العرفان وغداً جنات الرضوان. قلت: كما قال تعالى مشيراً إلى هذا التبيان: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرَّحمٰن:الآية 46].

قال أبو بكر الوراق: من أنزل نفسه منزل الصادقين أنزله الله تعالى منزلة المقرّبين.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ [الآية 108] حال مقدّرة ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [الآية 108] لا يطلبون تحوُّلاً عنها ولا انتقالاً منها إذ لا يجدون حالاً أطيب منها حتى تنازعهم أنفسهم إليها.

قال ابن عطاء: منعمون بنعيم الأبد يتقلبون في مجاورته ويفرحون بمرضاته فأمنوا من كل مخوف ووصلوا إلى كلّ محبوب فلا يشتهون شيئاً إلا
وجدوا إليه سبيلاً/ فكيف يطلبون عنه تحويلاً. 186/أ

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه عرفنا أن ما يخوله غداً من الإنعام يكون على وجه الدوام فيما لا ينفكون عن أفضالهم لا يخرجون عن أحوالهم فهم أبداً في الجنة ولا إخراج منها وأبداً لهم الرؤية ولا حجاب لهم عنها.

﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى﴾ [الآية 109] لمتعلقات علمه وحكمته أو لمباني كلماته ومعاني آياته ﴿لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ﴾ [الآية 109] أي جنسه بأسره لأن كل جسم متناهٍ في قدره ﴿قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى﴾ [الآية 109] فإنها غير متناهية كعلمه وأمره. وقرأ حمزة والكسائي بالياء ﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ﴾ [الآية 109] بمثل البحر الموجود ﴿مَدَدًا﴾ [الآية 109] زيادة ومعونة في عالم الوجود إمداداً ولعل معنى

القبلية باعتبار كلمات العلمية محمولة على الحالة التصورية. والمعنى أن النفاد متصوره في هذا دون ذلك وليس المراد أنه يتصور نفاذ لما هنالك، وأما باعتبار معاني الكلمات في خواطر المخلوقات فالقبلية على بابها ولا إشكال في إيرادها.

وقد قال البيضاوي في التعليل: لكن لا على وجه التكميل فإن مجموع المتناهيين متناه بل مجموع ما يدخل في الوجود من الأجسام لا يكون إلا متناهياً للدلائل القاطعة على تناهي الأبعاد والمتناهي ينفذ قبل أن ينفذ غير المتناهي لا محالة، انتهى كلامه ولكن توجيه القبلية لا يفهم منه مرامه.

وكذا فيما أفاد الأستاذ بقوله: أي لا تنفد معاني كلمات الله، أي بالنسبة إلى علم الله لأنه لا نهاية لها لأن متعلقات الصفات القديمة لا نهاية لها كمعلومات الحق سبحانه وتعالى ومقدوراته وسائر متعلقات صفات ذاته، والذي هو مخلوق لا يستوفي ما هو غير متناه وإن كثر ذلك، انتهى.

ومما يؤيد ما قرّرنا ويقوّي ما حرّرنا سبب نزول هذه الآية حيث قال اليهود في كتابكم: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البَقَرَة:الآية 269] وتقرأون: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسرَاء:الآية 85]، فالمراد بالحكمة العلم بمعاني القرآن على قدر ما يتصور من الإنسان وهو متناه في هذا الشأن ومع وجود كثرته قليل بالنسبة إلى علمه سبحانه لأن معلوماته غير متناهية عن شأنه وعظيم برهانه.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الآية 110] لا أدّعي الإحاطة بما هنالك ﴿يُوحَىٰٓ إِلَيَّ 186/ ب أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [الآية 110] وإنما تميَّزت عليكم بنحو ذلك.

وقال الأستاذ: معناه أخبر أنك مثلهم من حيث الصورة والجنسية ومبانيهم من حيث السيرة والخصوصية فإنه سبحانه خصّه بالنبوّة والرسالة وترك غيره في بيداء الجهالة والضلالة. ويقال: إني وأنتم في الصورة أكفاء ووجه اختصاصي عنكم إيحاء ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ [الآية 110] يأمل حُسن لقائه أو يخاف سوء جزائه ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ [الآية 110] يرتضيه الشرع ويقبله أبداً ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الآية 110] بأن يرائيه أو يطلب منه أجراً. وعنه

عليه السلام: «اتقوا الشرك الأصغر، قالوا: وما الشرك الأصغر، قال: الرياء»[1].

وأفاد الأستاذ: إن حمل الرجاء في هذه الآية على خوف العقوبة ورجاء المثوبة حَسَن ولكن تَرْكُ هذا على ظاهره أولى لأن المؤمنين قاطبة يرجون لقاء المولى فالعارف بالله سبحانه يرجو لقاء الله والنظر إليه والعمل الصالح الذي بوجوده يصل إلى لقائه لديه إنما هو صبره على لواعج محرقات اشتياقه وزواعج احتراقه. ويقال: العمل الصالح بيننا اعتقاد جواز الرؤية وانتظار وقته للنظرة في الحضرة. ويقال: فليخلص في عمله بأن لا يلاحظ بغير الرضا عبادته ولا يستكثر من طاعته بناء على غروره وغفلته وليتبرأ من حوله وقوته. أقول: ويسأل سلامة قلبه في عاقبته بأن يموت على حُسن خاتمته.

(1) الكشاف (4/ 59)، وتفسير أبي السعود (5/ 252)، وتفسير البيضاوي (1/ 527).

سورة مريم عليها السلام

[مكيّة]

وهي ثمان وتسعون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أي الذي يفتتح به كل مغلق عظيم، ويبدأ به كل أمر كريم، ويُطرد به كل شيطان رجيم، ويُبعد به كل خلق دميم وحال ذميم وصاحب لئيم.

وأفاد الأستاذ: أن بسم الله عزيز مَن عبده أَلِفَ سُهاده ومن طلبه ودع وساده، من عرفه أنكر أحبابه ومن صحبه ترك أصحابه، من ذكره نسي اسمه، من شهده فَقَدَ عقله ولبّه، اسم عزيز جُبِلَت القلوب على محبته ولكن لا كل قلب بل كل قلب ليس يوفّق على محبته فهو قلب ما اتصفت أشباح الأبرار إلا بعبادته وما اعتكفت أرواح الأحرار إلا على/ مشاهدته، عزيز مَن عرفه 187/أ
واعترف أنه وراء ما وصفه.

﴿كٓهيعٓصٓ ①﴾ [الآية 1] لعل في الكاف إشارة إلى كفاية مهمات أوليائه وكف شرّ بليّات أعدائه، وفي الهاء إيماء إلى هويته وهيبته وهدايته وتنبيه على بدايته، وفي الياء إلى يد قدرته وتصرُّفه بحوله وقوّته، وفي العين إلى كمال عنايته وتمام رعايته وحمايته، وفي الصاد إلى صدق كلماته وصد المعرضين عن فهم آياته.

وأفاد الأستاذ: تعريف الأحباب بأسرار معاني الخطاب حروف خص الحق سبحانه الأحباب بفهم معانيها فللأغيار سماعها وذكرها وللرسول ﷺ فهمها وسرّها. ويقال: أشار بالكاف إلى أنه الكافي في الإنعام والانتقام والرفع والوضع على ما سبق به القضايا والأحكام. ويقال: في الكاف تعريف

كرمه مع أوليائه وتخويف بمكره بخفي بلائه. ويقال: في الكاف إشارة إلى كتابته الرحمة على نفسه وفق مراده قيل كتابة الملائكة الزلّة على عباده، والهاء تشير إلى هدايته المؤمنين إلى عرفان وتعريف هويته باستحقاق جلال سلطانه وتعريف هيبة المؤمن ما له عليه من الحق بحكم إحسانه، والياء إشارة إلى يسر نعمه بعد عسر محنه وإلى يده المبسوطة بالرحمة للمؤمنين من عباده، والعين تشير إلى علمه بأحوال عبده سرّه وجهره وقلّه وكثره وحاله وماله وقدر طاقته وحق فاقته، وفي الصاد إلى أنه الصادق في وعده.

قال إبراهيم بن شيبان: أما الكاف كاف لخلقه، والهاء هادٍ لخلقه، والياء يد الله على خلقه، والعين عالِم بإصلاح عبده، والصاد صادق في وعده.

﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ﴾ [الآية 2] خبر محذوف، أي هذا المتلوّم عليك ﴿عَبْدَهُۥ﴾ [الآية 2] مفعول رحمة ﴿زَكَرِيَّآ﴾ [الآية 2] بدل أو بيان.

قال ابن عطاء: خص زكريا بالرحمة من بين الأنبياء لأنه وهب له يحيى الذي لم يعصِ ولم يهم بمعصية فهذا هو محل اختصاصه وكرامته ورحمة زكريا إجابة دعوته ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾﴾ [الآية 3] لأن الإخفاء أشد إخباتاً وأكثر إخلاصاً مع أن الهجر والإخفاء عنده سبحانه عن السواء.

وأفاد الأستاذ: أنه إنما اختار الإخفاء في مقالة لئلا يطلع أحد على سر
187/ب حاله فأخفى نداءه عن الأجانب ممن هنالك ولو أمكنه أن يخفيه/ عن نفسه لفعل ذلك.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى﴾ [الآية 4] أي أضعف دعامة بدني وعمود جسدي ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [الآية 4] أي ظهر الشيب على شعر رأسي الدال على ضعف أساسي، والمُشعر إلى حال الانتقال من داري ﴿وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ [الآية 4] في جميع عمري فكيف في آخر أمري بل كلما دعوتك استجبت لي فكذا أرجوا إجابة دعائي لحسن مآلي وتحسين حالي.

قال ابن عطاء: كيف يشقى مَن إليه مرجعه وإياه دعاؤه وبه قوّته وقُوته وعليه توكُّله ومنه تأييده ونصرته.

﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ﴾ [الآية 5] بني عمي ﴿مِن وَرَآءِي﴾ [الآية 5] بعد موتي أو لا يحسنوا خلافتي في أمتي ويبدلوا عليهم ديني وملتي لظهور فسادهم عندي ﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا﴾ [الآية 5] لا تلد صبياً ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ [الآية 5] والياً لأمري من صلبي.

وقرأ بعد الأستاذ فيما إذا أفاد بقوله: إني خفت أن تذهب النبوة من آل يعقوب إطلاق الفتوة.

وقال أبو الحارث: سؤال الأنبياء لا يكون إلا بإذن في الأنبياء من أهل بيتي تنتقل إلى بني أعمامي فهب لي ولداً يعبدك ويكون من نسلي وأهلي.

﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ [الآية 6] العلم والحال لأن الأنبياء لا يورثون المال. والجملتان مرفوعتان على أنهما نعتان لقوله ولياً، وجزمهما أبو عمرو والكسائي على أنهما جواب الدعاء.

وقال ابن عطاء: أي ولداً وليّاً يرزقني النبوّة ويرث من آل يعقوب أخلاق الفتوة.

وقال ابن الحارث: سؤال الأنبياء لا يكون إلا بإذن في الإنباء ﴿وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [الآية 6] مرضياً قولاً وعملاً وحالاً ومآلاً أو راضياً منك في تدبيرك وتقديرك.

قال ابن عطاء: قام مقام معتذر لما وجد في نفسه من فترة العبادة لكبر السن فسأل الله من يعينه على عبادة ربه وينوب عنه فيما عجز عنه من حقه فقال: ﴿وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [الآية 6].

وأفاد الأستاذ: أنه لم يرد الولد لشهوة الدنيا وأخذ الحظ منها وإنما طلب الولد ليقوم لحق المولى. وفي قوله: ﴿يَرِثُنِي﴾ [الآية 6] دليل على أنه كما سأل الولد سأل بقاء ولده فقال: ولداً يكون وارثاً لي، أي يبقى بعدي ويرث من آل يعقوب النبوّة وتبليغ الرسالة.

188/أ / ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ﴾ [الآية 7] جواب لندائه ووعد

بإجابة دعائه وتولى تسميته تشريفاً مع الإيماء إلى إبقائه حتى يقوم بأمر الدين وإحيائه ويحيي نسب آبائه بحسب أبنائه ﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ [الآية 7] مشاركاً في اسمه ومساوياً في رسمه إذ لم يصدر عنه ارتكاب ذنب ولم يقع في همه.

وفي «تفسير السلمي» قال جنيد: سمي يحيى لأنه يحيي من يحيي بالطاعة والموافقة ولا يموت إلا بالمعصية والمخالفة وكان هذا صفته ونعته ولم يجر عليه وسم الخلاف ولا النسيان بحال بل كان محمود السيرة دائماً في أقوال وأفعال وأحوال وكذا قال ﷺ: «ما من أحد إلا أخطأ أو همَّ بخطيئة إلا يحيى بن زكريا فإنه ما أخطأ ولا همَّ»(1).

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ﴾ [الآية 8] من أين أو كيف ﴿يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ [الآية 8] يبوسة وقساوة في المفاصل المانعة من الولادة، ولعل استعجابه من حيث العرف والعادة وإلا فالمؤثر كمال القدرة والإرادة.

وأفاد الأستاذ: أنه أراد به من الذي يكون منه هذا الولد لي أهذه المرأة وهي عاقر أو امرأة أخرى أتزوجها أو مملوكة أستفرشها، فالسؤال إنما كان عن تعيين مَن يكون الولد منها. وقيل: إن بين السؤال وبين الإجابة مدة طويلة فكأنه سأل الولد في ابتداء شيبه واستجيبت دعوته بعدما تناهى في كبره.

﴿قَالَ﴾ [الآية 9] الله أو الملك ﴿كَذَٰلِكَ﴾ [الآية 9] الأمر ﴿قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ﴾ [الآية 9] أو التقدير مثل ذلك ﴿قَالَ رَبُّكَ﴾ [الآية 9]، ويؤيده أنه قرىء ﴿هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ﴾ [الآية 9] أي عليَّ سهل لديّ ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ [الآية 9] بل كنت معدوماً صرفاً.

﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً﴾ [الآية 10] علامة أعلم بها وقت وقوع ما

---

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (12/ 216) رقم (12933)، وأبو يعلى في المسند (4/ 418) رقم (2544)، وأحمد في المسند (1/ 291)، وابن أبي شيبة في المصنف (6/ 345) رقم (31907).

بشّرتني به ﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ﴾ [الآية 10] أي لا تطيق كلامهم ﴿ثَلَٰثَ لَيَالٍ﴾ [الآية 10] بأيامها إلا رمزاً ﴿سَوِيًّا﴾ [الآية 10] أي حال كونك سوي اللِّسان من غير حدوث النقصان، ولعل أراد به التجرُّد للذكر والتفرُّد للشكر في هذا الإنعام والإحسان.

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ﴾ [الآية 11] من الغرفة أو المصلى ﴿فَأَوْحَىٰٓ﴾ [الآية 11] أومأ ﴿إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟﴾ [الآية 11] / أي صلُّوا أو بأن نزِّهوا ربكم ﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [الآية 11] طرفي النهار. 188/ ب

وأفاد الأستاذ: أنه عرَّفهم عن طريق الإشارة أن آلة الكلام التي كانت يخاطبهم بها ليست الآن منطلقة.

﴿يَٰيَحْيَىٰ﴾ [الآية 12] أي قلنا له ﴿خُذِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الآية 12] التوراة ﴿بِقُوَّةٍ﴾ [الآية 12] بجد واجتهاد ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [الآية 12] يعني فهْمَ التوراة أو الحكمة أو النبوة أو الحكم بالصواب في القول أو إحكام الأمر في الفعل.

قال ابن عطاء: الحكم المعرفة، وقال بعضهم: الحكم إصابة الحق في الأقوال والأفعال والأحوال.

وقال يوسف بن الحسين: أوتي يحيى حكماً على الغيب وفراسة صداقة لا يخالطها ريب.

﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾ [الآية 13] أي آتيناه رحمة منا عليه أو تعطُّفاً في قلبه على والديه وعلى مَن انقاد إليه ﴿وَزَكَوٰةً﴾ [الآية 13] طهارة من وقوع المعصية لديه ﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾ [الآية 13] مطيعاً وعن المخالفة نقياً مُعرِضاً عن ما سوانا مقبلاً علينا.

وقال الأستاذ: أي آتيناه رحمة من عندنا وطهارة وتوفيقاً لمجلوبات التقوى وتحقيقاً لموهوباتها فإن التقوى على قسمين: مجموع مجلوب يتوصل إليه العبد بتكلُّفه وموضوع من الله سبحانه موهوب منه يصل العبد إليه ببذله وفضله سبحانه.

﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ﴾ [الآية 14] أي باراً بوالديه ليس عقوقاً لهما ﴿وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا﴾ [الآية 14] متكبِّراً متجبِّراً على الخلق ﴿عَصِيًّا﴾ [الآية 14] عاصياً للحق.

﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ﴾ [الآية 15] من الله ﴿يَوْمَ وُلِدَ﴾ [الآية 15] من أن يناله الشيطان بما ينال به أفراد الإنسان ﴿وَيَوْمَ يَمُوتُ﴾ [الآية 15] وقت نزعه وشدة أمره وحين دفنه ﴿وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ [الآية 15] من قبره في مواقف الأهوال وشدائد الأحوال.

وأفاد الأستاذ: أنه له أمان يوم ولادته في البداية ويوم وفاته في النهاية ويوم أن يصونه عن الدفع والعوج في العقيدة بما يشهد على الدوام من حقية الإلٰهية وكذا له منه سبحانه الأمان في القيامة فهو في الدنيا معصوم عن الزلة محفوظ عن الآفة وفي الآخرة مصون عن البلاء والمحنة.

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الآية 16] في القرآن ﴿مَرْيَمَ﴾ [الآية 16] قصتها ﴿إِذِ ٱنتَبَذَتْ﴾ [الآية 16] اعتزلت ﴿مِنْ أَهْلِهَا﴾ [الآية 16] وتبعدت عن محلها حين أتت ﴿مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ [الآية 16] شرقي بيت المقدس مكان قرارها، أو شرقي دارها ولذلك اتخذ النصارى المشرق قبلة في أمر العبادة.

192/ أ / ومدارها ﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا﴾ [الآية 17] سرمداً ستراً أو باباً ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ [الآية 17] إضافة للتشريف، والمراد به جبريل ﴿فَتَمَثَّلَ﴾ [الآية 17] تصوَّر ﴿لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [الآية 17] سوي الخلق قوي الخلق.

وأفاد الأستاذ: أنها اعتزلت منهم لتحصيل تطهُّرها فاستترت من أبصارهم مبالغة في تستُّرها فلما أبصرت جبريل في صورة إنسان ولم تتوقعه في ذلك المكان والزمان أو حسّت في نفسها خيفة ولم يكن لها حيلة إلا تخويفه بالله ورجوعها إلى الله.

﴿قَالَتْ﴾ [الآية 18] أي من غاية مخافتها ونهاية عفّتها ﴿إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الآية 18] أي بالذي يرحمني ويعصمني ﴿مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ [الآية 18] يتقي الله ويحتفل بمن يستعيذ إلى مولاه وأحذرك عقوبته إن عرفته أو إن كنت ممن يحب أن يتقي منك بأن يقصد صدور سوء عنك.

﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ۝١٩﴾ [الآية 19] طاهراً تقياً. والمعنى لأكون سبباً في هبته لك بالنفخ في جيب درعك، ويجوز أن يكون حكاية لقوله سبحانه، ويؤيده قراءة نافع بخلاف عن قالون وأبي عمر بالياء بدل الهمز.

﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ [الآية 20] لم يباشرني رجل بالحلال ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ [الآية 20] أي زانية في جميع الأحوال.

﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ [الآية 21] سهل كخلقك، أي أمر ولدك ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ﴾ [الآية 21] أي ونفعل ذلك لنجعله ﴿ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الآية 21] علامة لهم على قدرتنا ﴿وَرَحْمَةً مِّنَّا﴾ [الآية 21] بإظهار منتنا ونعمتنا ﴿وَكَانَ﴾ [الآية 21] في أمر ولدها ﴿أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ [الآية 21] تعلق به قضاء الله في الأزل كسائر الأحوال.

قال الأبهري: برحمته أنجى أمماً من الكفر وبرحمته أهلك أمماً في ترك الشكر. قال تعالى لعيسى ﴿رَحْمَةً مِّنَّا﴾ [فُصّلَت:الآية 50]، فبتلك الرحمة أهلك الخلق حتى قالوا: ﴿ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المَائدة:الآية 73]، وحتى قالت اليهود ما قالوا في طريق الملامة.

﴿فَحَمَلَتْهُ﴾ [الآية 22] بأن نفخ في جيب درعها فدخلت النفخة في جوفها ﴿فَٱنتَبَذَتْ﴾ [الآية 22] أي فاعتزلت به وهو في بطنها ﴿بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ [الآية 22] بعيداً من أهلها.

﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ﴾ [الآية 23] فألجأها وجع الولادة ﴿إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ [الآية 23] تستتر إليه وتعتمد عند الولادة عليه ﴿قَالَتْ يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا﴾ [الآية 23] أي النفاس استحياء من الناس ﴿وَكُنتُ نَسْيًا﴾ [الآية 23] وقرأ حفص بالفتح أي ما من شأنه/ أن ينسى في الجملة ﴿مَّنسِيًّا﴾ [الآية 23] متروك الذكر بالكلية، 189/ب فالجمع بينهما للمبالغة في القضية.

قال جعفر الصادق: لما لم تر في قومها موقفاً سديداً ولا محققاً رشيداً ولا صاحب فراسة يبرئها من قولهم جهراً قالت ما قالت.

وأفاد الأستاذ: أنه يحتمل أنها قالت شفقة على قومها ارتضيتم عقوبة بسببها لأنها علمت أنهم يبسطون لسان الملامة فيها وينسبونها إلى وقوع الفحشاء منها. ويقال: ﴿قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا﴾ [الآية 23] حتى لم أسمع ما قيل في الله بسببي من أن عيسى ابن الله وأن مريم زوجته. ويقال: ﴿قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا﴾ [الآية 23] في الوقت الذي كنت مرفوقاً ولم تستقبلني هذه الخشونة في الحال التي لحقتني.

﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ﴾ [الآية 24] عيسى ولدها، وقيل جبريل، على أن معنى تحتها أسفل مِن مكانها. وقيل الضمير في تحتها للنخلة لا لها. وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص من تحتها بالكسر والجر على أن في نادى ضمير أحدهما ﴿أَلَّا تَحْزَنِى﴾ [الآية 24] أي لا تحزني أو بأن لا تحزني ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ [الآية 24] جدولاً، هكذا روي مرفوعاً فهو فعيل من السريان بمعنى الجريان. وقيل: سيداً من السرو بمعنى الشرف وهو عيسى. والمقصود تسكين ما بها من الوحشة بالإشارة إلى البشارة.

﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ [الآية 25] أي هزي الثمرة بهزِّ الشجرة، والهز التحريك بالجذبة والدفعة ﴿تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ﴾ [الآية 25] أي تتساقط، فأدغمت التاء الثانية في السين تخفيفاً وحذف حمزة إحدى التائين، وقرأ حفص تساقط من تساقطت مبالغة سقطت ﴿رُطَبًا جَنِيًّا﴾ [الآية 25] تمييز، ولعله تعالى ألهمها ذلك ليُريها من آياته ما هو تسكين لروعتها ويُطعمها الرطب الذي به تهوين لِلنفساء وشهوتها.

قال الأستاذ: وكان جذعاً يابساً أخرج الله في الوقت منه الثمرة وهي الرطب الجني وكان في ذلك آية ودلالة لها بأن الذي قدر على فعل مثل هذا قادر على خلق عيسى من غير أب، يعني ويكون براءة لساحتها فإن مثله لا يتصور لمن يُظهر الفاحشة منها. ويقال: ما دامت مجردة بلا علاقة كان زكريا
190/أ يجد رزقها عندها من غير تكلُّف / كدّها، فلما جاء علامة الولد أُمِرَت بهز النخلة اليابسة وهي في أضعف حالها وزمان قرب وضع حملها ليعلم أن علاقة

المحبة توجب العناء والمشقة. ويقال: لما لم يكن لها في هذه الحالة من يقوم بتعهدها تولى الله بكفايتها وقام برعايتها ليعلم العالمون أنه لا يضيع خواص عباده في حالة حاجتهم.

﴿فَكُلِي﴾ [الآية 26] من الرطب الجني ﴿وَٱشۡرَبِي﴾ [الآية 26] من ماء السري ﴿وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ﴾ [الآية 26] وطيبي نفساً وارفعي عنك حزناً.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه كفاها ما احتاجت إليه من أسباب أكلها وشربها وأنعم عليها بتسكين خوفها وتطييب قلبها قائلاً لها بإلهامها ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا﴾ [الآية 26] أي فإن تري آدمياً مخاطباً لك ومعترضاً لأحوالك ﴿فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا﴾ [الآية 26] صمتاً وقرّي به أو صياماً وكانوا لا يتكلمون في صيامهم ﴿فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا﴾ [الآية 26] بعد أن أخبرتكم بنذري وأعلمتكم بخبري وإنما أناجي ربي في أمري. وأمرها بذلك لكراهة المجادلة مع العامة والاكتفاء بكلام عيسى فإنه قاطع في قطع أصحاب الطعن والملامة.

وقال الأستاذ: فإما ترين من البشر أحداً فلا تخاطبيه بالعبارة وعرِّفيه بالإشارة إني نذرت للرحمٰن صوماً صمتاً مع الخلق بترك المخاطبة والمجاورة اشتغالاً بذكر الحق.

﴿فَأَتَتۡ بِهِۦ﴾ [الآية 27] مع ولدها ﴿قَوۡمَهَا﴾ [الآية 27] راجعة إليهم ﴿تَحۡمِلُهُۥۖ﴾ [الآية 27] حاملة إياه لديهم ﴿قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا﴾ [الآية 27] فظيعاً بدعياً.

﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ﴾ [الآية 28] هو رجل صالح وقيل طالح ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا﴾ [الآية 28] ذات بغي وفساد والأولاد غالباً يتبعون الطرفين في الصلاح والسؤدد فمن أين لك هذه الحالة الشنيعة والمعصية الفظيعة.

﴿فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ﴾ [الآية 29] إلى عيسى أرى أن تكلِّموه ليجيبكم وبالجواب الشافي يطيبكم ﴿قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ﴾ [الآية 29] صار ﴿فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا﴾ [الآية 29] حال كونه طفلاً ولم يُعهد مِن مِثله الكلام أصلاً.

وأفاد الأستاذ: أنها في الظاهر أشارت إلى الولد وفي الباطن إلى الله الأحد ليُنطق الولد.

190/ب ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ [الآية 30] أي مِن عبيده الخاص الواصل/ إلى مقام الاختصاص وإنما أنطقه الله به أو لأن العبودية أول مقامات الصوفية وللرد على مَن يزعم له بالربوبية.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أنطقه بقوله: ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ [الآية 30] ليكون حجة على قومه فإنه كان المعلوم لله أنهم يقولون في حقه أنه ابن الله ونحوه فأجرى الله على لسانه ليكون حجة في برهانه فيقال لأتباعه: إن صدق عيسى أنه عبد الله بطل قولكم أنه ثالث ثلاثة، وإن كذب فالذي كذب لا يكون ابناً لله لا محالة وإنما يكون عبداً لله إذا لم يكن عبد هواه ولا في قيد شيء سواه فمن تحرر عن غيره فهو في الحقيقة عبده ﴿ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الآية 30] الإنجيل أو معرفة التوراة ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [الآية 30] التعبير بلفظ الماضي إما باعتبار ما سبق في قضائه أو بجعل المحقق وقوعه كالواقع في عطائه. وقيل: أكمله الله عقلاً واستنبأه طفلاً، واختاره الأستاذ كما بيَّنه بما أفاد في قوله: أتاني في سابق حكمه وجعلني نبياً من فضله. وفي الآية رد على من يقول إن النبوة بكثرة الطاعة لأنه تعالى قال ذلك في حال ما وُلِد عيسى ولم يوجد بعد منه العبادة وأخبر عنه أنه جعله نبياً.

﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا﴾ [الآية 31] نفّاعاً معلِّماً للخير يُرشد الخلق إلى أمور دينهم ويمنعهم من ارتكاب أخلاف دينهم ﴿أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ [الآية 31] حيث كنت وصرت.

قال جنيد: مباركاً على صحبني وتبعني في أن أدله على الإعراض عن الدنيا والإقبال على العقبى والتوجه إلى المولى.

وأفاد الأستاذ: أنه كان من بركاته إغاثة الملهوف وإعانة الضعيف ونُصرة المظلوم ومساواة الفقير وإرشاد الضال والنصيحة للخلق في إظهار الحق بحسن الخلق وكف الأذى عنهم وتحمُّله منهم ﴿وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ﴾ [الآية 31] وأمرني بالصلاة المتضمنة للصِّلات ﴿وَٱلزَّكَوٰةِ﴾ [الآية 31] زكاة المال إن ملكته

أو تطهير النفس عن الرذائل وتحليتها بالفضائل.

قال ابن عطاء: أمرني بمواصلته وطهارة السر عما دونه بمقاطعته ﴿مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [الآية 31] لأن المقصود من حياة الدنيا هو عبادة المولى، فالدنيا مزرعة الأخرى.

﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي﴾ [الآية 32] أي وجعلني مبالغاً في البر للوالدة ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا﴾ [الآية 32] غير قابل للنصيحة ﴿شَقِيًّا﴾ [الآية 32] / تاركاً ما يجب عليه من 191/ أ
الخدمة والشفقة. وقيل: الشقي من كُتِبَ عليه سوء الخاتمة.

قال سهل: جباراً أي جاهلاً بأحكام ربه شقياً متكبراً عن ارتكاب أمره.

وقال ابن عطاء: الجبار الذي لا ينصح الخلق بالموعظة والشقي الذي لا يقبل النصيحة.

﴿وَالسَّلَامُ﴾ [الآية 33] أي سلام الله أو السلامة من الملامة ﴿عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ﴾ [الآية 33] أي في بدءِ أمري ﴿وَيَوْمَ أَمُوتُ﴾ [الآية 33] آخر عمري وأوسط حالي ﴿وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [الآية 33] انتهى مآلي.

وأفاد الأستاذ: أن السلام بمعنى السلامة أي السلامة لي يوم الولادة بما نسب إليّ من كلتي الحالة كمقالة النصارى في مجاوزة الحد في المدحة وملامة اليهود في الذمة، والسلامة يوم مماته حتى يكون بالسعادة وفاته وسلامته يوم بعثه من رؤية الأهوال وما يُبتلى به غير الوصال، وقد قال عيسى عليه السلام: السلام علي، وقد قال تعالى لنبينا ﷺ: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، فشتان ما هما.

﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [الآية 34] أي ذلك الذي تقدم هو أمره وخبره لا ما مدحه أو ذمه غيره ﴿قَوْلَ الْحَقِّ﴾ [الآية 34] أي هو القول الثابت أمره والمتحقق قدره. وقرأ ابن عامر وعاصم بالنصب على أنه مصدر مؤكد، أي قال القول الحق ﴿الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ [الآية 34] في أمره يشكون أو يتنازعون فرده على إطلافه قوم وقبله فوق استخفاف قوم فعدلوا عن الحق العدل الذي هو التوسيط بوقوعهم في

طرفي الإفراط والتفريط إلا أنه سبحانه أعرض عن كلام اليهود لظهور بطلانه ووضوح برهانه وبيَّن خطأ غلو بعض النصارى في شأنه بقوله:

﴿مَا كَانَ﴾ [الآية 35] ما صحَّ ﴿لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ﴾ [الآية 35] قال الأستاذ: لا يجوز أن يكون له ولد على الحقيقة لأنه الواحد والولد بعض الوالد ولأنه لا داعي له إلى صحبة زوجة فيكون له ولد ولا يجوز عليه التبني لأحد لعدم الجنسية بينهما، انتهى. وقد يقال: لا يصح أن يكون له ولد حقيقة لأنه يلزم أن يكون محلاً للحادث صفة وهو محال ولأن الولد جزء من الوالد والله منزّه أن يكون مركباً أويصير كلاً مرتباً ولا يصح أن يكون له زوجة لعدم الجنسية والكفوية
191/ب ولوجود الصفة الصمدية وهي الانتفاء / عن البرية بالكلية. ولعل هذا وجه امتناع اتخاذ الولد والتبني مبالغة للتنزيه في القضية ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾ [الآية 35] أي أراد قدر شيئاً ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [الآية 35]أي فيكون تحقق وجوده بأمره من أثر جوده. وقيل: هو كفاية عن سرعة تأثير الإرادة. وقرأ ابن عامر: فيكون بالنصب على الجواب.

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ﴾ [الآية 36] من كلام عيسى عليه السلام وما بينهما جمل معترضة لتبيين المرام وهو عطف على إنّي عبد الله. وقرأ نافع وابن كثير وعمرو بالفتح أي واعلموا أن الله ربي وربكم فاعبدوه وحده ولا تشركوا به شيئاً ولا تخالفوه ﴿فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [الآية 36] دين قويم يترتب عليه نعيم مقيم.

﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ﴾ [الآية 37] اليهود والنصارى بأسرهم أو فرق النصارى بخصوصهم فإن النسطورية قالوا إنه ابن الله واليعقوبية قالوا هو ابنه هبط إلى الأرض ثم صعد إلى السماء، والملكائية قالوا: هو عبد الله ورسوله ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الآية 37] أي منهم ومن غيرهم ﴿مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الآية 37] أي من شهود يوم عظيم، هوله وعناؤه وحسابه وجزاؤه، وهو يوم القيامة.

وأفاد الأستاذ: أن من عجن بماء السعادة طينته أطاع في عاجله ثم ما أضاع في آجله، ومن أقصته القسمة السابقة لم تدنه الخدمة اللاحقة وسيبدو غب هذا الأمر حقيقة العاقبة.

وفي «تفسير السلمي»: من اشتغل بالله استولى عليه أنوار مولاه فلا يستعبده سواه ولا يسترقه هواه ولا دنياه ولا عقباه.

﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ [الآية 38] أي يحضرون يوم القيامة موقفنا، وهما صيغتا تعجُّب، ومعناه أن أسماعهم وأبصارهم جدير بأن يتعجب منها في العقبى بعدما كانوا صماً عمياً في الدنيا، أو معناه التهديد بما سيسمعون ويبصرون يومئذ، وهذا المعنى أولى من الأول فتأمل لقوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ [الإسراء:الآية 72]، ﴿لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الآية 38].

وأفاد الأستاذ: أن معارفهم تصير ضرورية وأحوالهم كلها معكوسة لكن الحجة تتأكد عليهم لا تسمع منهم والرحمة لا تتعلق بهم فلا يرحم / شكواهم 192/أ
ولا يسمع ندائهم.

﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾ [الآية 39] حين يتحسر المسيء على كثرة عصيانه والمُحسن على قلّة إحسانه ﴿إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ [الآية 39] بدل مما قبله، أي فرغ حساب الأبرار والفجار وتصادر الفريقان إلى الجنة والنار ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ [الآية 39] أي الآن على تصور ذلك الزمان ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 39] حتى يشاهدوا بالعيان.

وأفاد الأستاذ: أن الساعة تقوم بهم بغتة وتصادفهم القيامة فجأة وهم غير مستعدين لها بالطاعة فيتحسرون على ما فاتهم من الموافقة وعلى ما أصابهم من المخالفة ويقال: سبق لقوم الشقاوة وهم في محو العدم ولآخرين السعادة وهم بنعت القدم ولم يتقدم من هؤلاء وفاق ولا من أولئك شقاق.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ [الآية 40] لا يبقى لأحد غيرنا عليها وعلى أهلها مُلْك ولا مَلِك ﴿وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [الآية 40] يُردُّون للجزاء على أعمالهم بحسب اختلاف أحوالهم.

وأفاد الأستاذ: أن المسلم إذا مات هان عليه أمره إذا كان ربه وارثه وقد قال مخلوق في صفة مخلوق:

فإن يكن عتاب مضى سبيله   فما مات من يبقى له مثل خالد

قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا﴾ [آل عِمرَان:الآية 169] لماذا لأن الله وارثهم وهو حي لا يفنى. قلت: ويلائمه ما ورد عند موته ﷺ على لسان الخضر والملائكة تعزية للأمة: «إن في الله عزاء من كل مصيبة وعوضاً من كل فانية وخلفاً من كل هالك»[1]، فإلى الله فأنيبوا وإليه فارغبوا ولله در من قال من أرباب الحال:

لكل شيء إذا فارقته عوض   وليس لله إذا فارقت مِن عوض

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الآية 41] رئيس الموحدين وسائس المجردين ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا﴾ [الآية 41] ملازماً للصدق ومداوماً على التصديق على طريق المبالغة والتحقيق ﴿نَّبِيًّا﴾ [الآية 41] أي ورسولاً بمدد العناية والتوفيق.

وأفاد الأستاذ: أن الصديق هو الذي لا يشهد غير الله مثبتاً ولا نافياً. ويقال: هو المستجيب له فيما يطالبه جملة وتفصيلاً. ويقال: هو الواقف مع الحق في عموم الأوقات على قدم الصدق.

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ﴾ [الآية 42] أي يا أبي، والتاء عوض عن ياء الإضافة 192/ب وإنما يذكر للاستعطاف / واستجلاب الشفقة ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾ [الآية 42] فيعرف حالك ويسمع مقالك ويرى استقبالك ﴿وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا﴾ [الآية 42] في جلب نفع وسلب ضر، دعاه إلى الهدى وبيّن طريقة الردى وعرّفه أن العبادة لا تحق إلا لمن له الإنعام العام والاستغناء التام عن جملة الأنام وهو الموصوف بنعت الكمال المستجمع لصفات الجمال والجلال، وينبّهه عن أن الشيء ولو كان صَبيّاً مميزاً سميعاً بصيراً مقتدراً على ما يسمى نفعاً وضراً لكنه يكون ممكناً لا يستنكف العقل الصحيح والطبع الصريح عن عبادته وإن كان أشرف الخلق كالنبي والملائكة لا يراه مثله في الحاجة والانقياد للقدرة الواجبة فكيف إذا كان جماداً لما يسمع ولا يبصر. ثم دعى أباه إلى أن ينفعه ليهديه

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (3/ 59) رقم (4391)، والطبراني في المعجم الأوسط (8/ 109) رقم (8120)، والبيهقي في السنن الكبرى (4/ 60) رقم (6883).

الصراط المستقيم والدين القويم لما لم يكن محظوظاً من العلم الإلٰهي مستقلاً بالنظر السوي، فقال: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا﴾ [الآية 43] وديناً قوياً.

وأفاد الأستاذ: أن الآية دلت على أن استحقاق المعبود الوصف بالسمع والبصر على الكمال دون نقصان له في جميع مراتب الأحوال، وكذلك القول في القدرة على الضرر والنفع بالأفعال، وإذا رجع العبد إلى التحقيق ورافقته العناية بالهداية والتوفيق علم أن كل الخلق لا يصلح قدرة واحد منهم للإبداع لاعتبار هيبة الأفراد ولا في كتيبة الإجماع فمن علق قلبه بمخلوق من الكائنات أو توهم شظية لهم من التقى والإثبات فقد ضاها عَبَدَة الأصنام من اللات والمناة. وفي الآية إشارة إلى الخلاص في الاتباع لأهل الحق والهلاك في الابتداع والتطوع في مغاليط الطرق ولهذا أمر أباه باتباعه إياه لما ترجح عليه جانبه في كون الحق معه وإن كان أكبر سناً منه وأسبق وجوداً له.

﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ [الآية 44] بقبول طاعته حين حصول وسوسته ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا﴾ [الآية 44] والمطاوع للعاصي لا يكون إلا عاصياً
ولذا قيل: أساس الأديان على هجران أرباب العصيان، وقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا/ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَكُونُوا مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة:الآية 119]. 193/أ

﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الآية 45] حال ارتكاب العصيان ﴿فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا﴾ [الآية 45] قريباً في اللِّعان أو في العذاب أو موالياً به في مقام الحجاب فإنه أشد العقاب كما أن رضوان الله أكبر من الثواب، وذكر الخوف إما للمحاملة أو لخفاء العاقبة في المعاملة.

وأفاد الأستاذ: أنه لم يغادر الخليل عليه السلام شيئاً من الشفقة على والده لكن لم ينفعه جميل وعظه ولم ينجح فيه كثير نصحه فإن من أقصته سوابق التقدير لم يخلصه لواحق التدبير.

﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾ [الآية 46] قابل استعطافه ولطفه بالإرشاد بالفظاظة وغلظة العناد فناداه باسمه ولم يقابل يا أبت بيا بني ونحوه ثم

أشار إلى تهديده بقوله: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ﴾ [الآية 46] عن مقالك فيها أو الرغبة عنها ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ [الآية 46] بالحجارة حتى تنفد مني فاحذرني ﴿وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ [الآية 46] زماناً طويلاً.

﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ﴾ [الآية 47] توديع ومتاركة مستحسنة ومخاطبة للسيئة بالحسنة لا أقول لك بما يسؤك من قبلي ولكن ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾ [الآية 47] أي أطلب لك تحقيق المغفرة المرتبة على توفيق الإيمان والتوبة ﴿إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ [الآية 47] بليغاً في البر وباللطف خفياً.

قال أبو بكر الأبهري: لما بدا منه كلام الجهلة من الدعوة إلى الهيبة والوعيد على ذلك أن خالفه بالخيبة جعل جوابه جواب الجهالة كما في كلام المتعال: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان:الآية 63].

وأفاد الأستاذ: إن هذا قبل أن أيس من إيمانه وكان بعد في بقية من الرجاء في شأنه فلما تحقق أنه مختوم بالشقاوة في عنوانه قال: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [الآية 48] بالمهاجرة بديني لما يحبه الله ويرضاه ﴿وَأَدْعُوا رَبِّي﴾ [الآية 48] وأعبده وحدي ﴿عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ [الآية 48] خائباً ضائعاً مثل حالتكم في دعاء آلهتكم. وفيه تنبيه على أن الإجابة والإثابة غير واجب وإن ملاك الأمر خاتمته وهو غائب.

قال القاسم: من أراد السلامة في الدنيا والآخرة في الأمور الباطنة
193/ب والأحوال الظاهرة فليعتزل قرناء السوء / لئلا يقع في المخاطرة، ذكره السلمي.

﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [الآية 49] بالهجرة إلى الشام ﴿وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ﴾ [الآية 49] ولده ﴿وَيَعْقُوبَ﴾ [الآية 49] مِن الحَفَدَة بدل مَن فارقهم من الكَفَرَة كما أفاد الأستاذ بقوله: لما أيس من أصله آنسه الله بما بشّره به من نسله.

وقال أبو محمد الحريري: ما ترك أحد له سبحانه شيئاً إلا عوضه الله تعالى خيراً منه، ولعل تخصيصهما بالذكر لأنهما أبا الأنبياء أو لأنه أراد أن يفرد إسماعيل بذكره لفضله من حيث إنه جد سيد الأصفياء ﴿وَكُلًّا﴾ [الآية 49] منهما أو منهم ﴿جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ [الآية 49] ويؤيده قوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا﴾

[الآية 50] النبوّة والبركة ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ [الآية 50] ظاهراً يفتخر الناس بهم ويثنون عليهم استجابة لدعوتهم: ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الشُّعَرَاء:الآية 84].

قال ابن عطاء: الألسنة هي المعبرة عن الحق والصواب بجزيل إثباته وبجميل إنبائه والمذكرة على الدوام لنعمائه وحسن بلائه.

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا﴾ [الآية 51] أخلص عبادته عن الشرك والرياء والسمعة أو أسلم وجهه لله وأخلص نفسه عما سواه. وقرأ الكوفيون بالفتح على أن المعنى أخلصه الله، وهذا المقام أعلى وأغلى في رضاه ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ [الآية 51] أرسله الله إلى الخلق فأنبأهم عن الحق ولذا قدم الرسول مع أنه أخص في مقام التكريم والأعم يستحق التقديم، أو روعي الفاصلة أو لأن النبوة وهي جمعة الولاية ونسبته أخذ القبض من الحق أعلى في الرتبة من جهة الرسالة وتبليغ الأحكام إلى الخلق.

﴿وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ [الآية 52] من ناحيته اليمنى من اليمين وهي التي على يمين موسى أو من جانبه الميمون من اليمن بأن تمثّل له الكلام من جهة ذلك المقام ﴿وَقَرَّبْنَاهُ﴾ [الآية 52] تقريب التعظيم والتكريم شبهه بأن قربه الملك للتكليم ﴿نَجِيًّا﴾ [الآية 52] مناجياً حال من الفاعل أو للمفعول.

وأفاد الأستاذ: أن للنجوى مزية على النداء في بدايته وقت السماع في نهايته فوفقه الحق وناداه ثم قرّبه وناجاه في جميع الحالين توّلاه.

194/ أ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا﴾ [الآية 53] من أجلها أخاه معاضدة أخيه وموارثة / فيما يبغيه إجابة لدعوته: ﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾﴾ [طه:الآية 29] هارون فإنه كان أكبر من موسى وهو مفعول لوهبنا، وقوله: ﴿هَارُونَ﴾ [الآية 53] عطف بيان له ﴿نَبِيًّا﴾ [الآية 53] حال منه ولعل الاقتصار على نعت النبوة لكونه كان تابعاً لموسى في أمر الرسالة.

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾ [الآية 54] وصدق الوعد دلالة حفظ العهد وقد وعد الصبر على الذبح فصبر حتى جاءه الفتح ﴿وَكَانَ رَسُولًا

﴿نَبِيًّا﴾ [الآية 54] فيه دلالة على أن الرسول لا يلزم أن يكون صاحب شريعة مستقلة فإن أولاد إبراهيم عليه السلام كنوا على شريعته وتابعي ملته وطريقته.

﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ﴾ [الآية 55] أهل بيته أو جميع أمته ﴿بِالصَّلَوٰةِ وَالزَّكَوٰةِ﴾ [الآية 55] بالعبادة البدنية والطاعات المالية فإنها من أصول المهمات الدينية ﴿وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا﴾ [الآية 55] لاستقامة أقواله وأفعاله وأحواله وكان هذا أجمل صفاته وأكمل خصاله.

﴿وَاذْكُرْ فِى الْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ﴾ [الآية 56] قيل لقب به لكثرة درسه وهو سبط شعيب وجد أبي نوح ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ۝٥٦ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [الآيتان 56،57] يعني شرف النبوة وفضيلة القربة وعظمة الرتبة. وقيل: الجنة، وقيل السماء السادسة أو الرابعة.

﴿أُولَٰٓئِكَ﴾ [الآية 58] إشارة إلى المذكورين في صدر الصورة ﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم﴾ [الآية 58] بجمع النعم الدينية والدنيوية لديهم ﴿مِّنَ النَّبِيِّۦنَ﴾ [الآية 58] بيان للموصولين ﴿مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ﴾ [الآية 58] بدل منه ﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا﴾ [الآية 58] أي ومن ذرية من حملنا ﴿مَعَ نُوحٍ﴾ [الآية 58] خصوصاً وهم من عدا إدريس فإن إبراهيم كان من ولد سام بن نوح عليهم السلام ﴿وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الآية 58] الباقون ﴿وَإِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الآية 58] عطف على إبراهيم، أي ومن ذرية إسرائيل وهو يعقوب وكان منهم موسى وهارون وداوود وسليمان وزكريا ويحيى وعيسى ﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا﴾ [الآية 58] ومن جملة من هديناه إلى طريق الجنة ﴿وَاجْتَبَيْنَآ﴾ [الآية 58] للنبوة والكرامة ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [الآية 58] استئناف لبيان خشيتهم مع علو طبقتهم وكمال قربتهم. وقد ورد: «أتلوا القرآن وابكوا فإن لم
194/ب تبكوا فتباكوا»[1]. وبكياً جمع باك فعول بمعنى فاعل. وقرأ حمزة والكسائي / بكسر الباء اتباعاً لما بعدها، ويعم ما قال ذو الحال:

وما في الدهر أشقى من محبٍّ   وإن وجد الهوى حلو المذاق

---

(1) أخرجه أبو عوانة في المستخرج (4/ 461) رقم (3134)، وانظر تخريج الإحياء (2/ 369) رقم (869).

تــراه بــاكــيــاً أبــداً حــزيــنــاً لــخــوف تــفــرُّق أو لاشــتــيــاق
فــيــبكــي إن نــأوا شــوقــاً إلــيــهــم ويــبكــي إن دنــوا خــوف الــفــراق[1]

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أقامهم بشواهد الجمع وأخبر أن صرف المنة كان لله في تخصيصهم بأحوالهم وتأهيلهم لما رقّاهم إليه من حسن مآلهم وأنه بفضله اختارهم واجتباهم ومما ألبسهم من خصائص النعم ما اختصهم به من رقة قلوبهم إذ تتلى عليهم آيات ربهم وسجود ظواهرهم يدل على سجود سرائرهم فما حقق لهم من شواهد الجمع إمارة صحة ما وقفهم له من عين الفرق، فبوصف التفرقة قاموا بحق آداب العبودية وبنعت الجمع تحققوا بحقائق الربوبية، انتهى. وفيه تنبيه نبيه على أن مقام جمع الجمع بما هو بمشاهدة الكثرة في عين الوحدة وملاحظة الوحدة في عين الكثرة والقيام بآداب حقوق العبودية بحسب الظواهر والاشتغال بمراقبة الأحوال الناشئة عن شهود النعوت الربوبية بحسب السرائر فكل جمع بلا تفرقة يؤدي إلى ضلالة وزندقة.

﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ﴾ [الآية 59] فعقبهم وجاء بعدهم عقب سوء في الصفات ﴿أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الآية 59] التي هي أم العبادات بتركها أو بقلة مراعاتها وتأخيرها عن أوقاتها ﴿وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ﴾ [الآية 59] أي المنهيات والمحرمات أو الملهية المانعة عن الكمالات. فعن علي كرّم الله وجهه: «اتبع الشهوات من بنى الشديد وركب المنظور ولبس المشهور»[2]، ﴿فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾ [الآية 59] عن طريق الجنة أو جزاء غيّه في الدنيا أو في الآخرة أو هو وادٍ في جهنم يستعيذ منها أوديتها.

والمعنى كما أفاد الأستاذ: فسيلقون عن قريب ما يستوجبونه ويُعامَلُون بما يستحقونه.

﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [الآية 60] وقرأ ابن

(1) نسب هذا البيت إلى الجعدي. انظر شرح ديوان الحماسة (1/ 410)و ونسب إلى أحمد ابن يحيى، انظر أمالي الزجاجي (1/ 11) وإلى غيرهما.
(2) الكشاف (4/ 98) وتفسير القرطبي (11/ 125).

كثير وأبو عمرو وأبو بكر على البناء للمفعول من أدخل ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾
195/ أ [الآية 60] أي لا ينقصون شيئاً من جزاء أعمالهم على / حسب أحوالهم.

وأفاد الأستاذ: أنه تعالى استثنى من الحائدين على الطريقة المثلى من ثبت على نهج الاستقامة والتجأ إلى الاعتصام بالله على نهج الاستدامة فأولئك الذين تداركهم الرحمة الأزلية وسيبقون في النعمة السرمدية.

﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ [الآية 61] بالنصب على المدح ﴿ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ [الآية 61] أي وعدهم إياها وهي غائبة عنهم أو هم غائبون عنها ﴿إِنَّهُۥ﴾ [الآية 61] إن الله ﴿كَانَ وَعْدُهُۥ﴾ [الآية 61] موعوده الذي هو الجنة ﴿مَأْتِيًّا﴾ [الآية 61] يأتيها أهلها الموعود لهم لا محالة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه سيجزي لهم عداتهم فيوصلهم إلى درجاتهم ويحقق لهم ما وعدهم من على حالاتهم. ثم قال: إنه كان وعده مأتياً أن ما أتيته فقد أتاك وما أتاك فقد آتيته.

﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ [الآية 62] فضول كلام ﴿إِلَّا سَلَٰمًا﴾ [الآية 62] إلا تسليماً في ذلك المقام وهو غاية المرام فهو من باب: ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم، أوعد الدعاء بالسلامة وأهلها أغنياء عنه لغواً فهو من باب اللغو ظاهراً، وإنما فائدته الإكرام. وقيل: الاستثناء منقطع أي لكن يسمعون قولاً يسلمون فيه من العيب والنقص أو إلا تسليم الملائكة عليهم أو تسليم بعضهم على بعض منهم أو تسليم بهم.

وأفاد الأستاذ: أن آذانهم مصونة عن سماع الأغيار فلا يسمعون إلا من الله فإن لم يكن ذلك فلا يسمعون إلا بالله ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [الآية 62] على عادة المتنعمة والمتوسطة بين الزهادة والرغابة. أو المراد دوام رزقنا كما قال تعالى: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرّعد:الآية 35].

وأفاد الأستاذ: أنهم كانوا يعدون من عنده طعام بكرة وعشاء من جملة الأغنياء لأن فقراءهم إن وجدوا غداءهم عدموا في الغالب عشاءهم وإن وجدوا عشاءهم قلّ ما كانوا يجدون غداءهم، والذي كان له معلوم الغداء

والعشاء كان معدوداً من الأغنياء، فعبّر عن أحوال الجنة أن لهم رزقاً غداء وعشياً والمعنى أنهم أغنياء وإلا فليس في الجنة غداة ولا عشي، ويقال: لهم ما يشتهون بمقدار الغدو والعشاء من الزمان في الجنة ثم إن الأرزاق يختلف فيها فللأشباح رزق من مطعوم ومشروب وللأرواح رزق من سماع وشهود ولكل على ما قدر استحقاقه قسط / معلوم. 195/ ب

﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الآية 63] أي نعطي منهم ﴿مَن كَانَ﴾ [الآية 63] في الدنيا ﴿تَقِيًّا﴾ [الآية 63] وعن المعاصي نقياً.

وأفاد الأستاذ: أن الجنة للأتقياء من العاملين معدّة والرحمة للعطاء من المسلمين مدخرة فالجنة لطف من الله والرحمة وصف لله وعيده بخصوصه من كان اليوم في قيد أمره ثم قوم يتقون المخالفات وقوم يتقون الشهوات وآخرون يتقون الغفلات وآخرون يتقون شهود غيره في الكائنات.

﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ [الآية 64] حكاية قول جبريل عليه السلام حين استبطأه رسول الله ﷺ لما سئل عن قصة أصحاب الكهف وذي القرنين ولم يدر ما يجيب ورجاء أن يوحى إليه فيه فأبطأ عليه خمسة عشر يوماً، وقيل أربعون، حتى قال المشركون: ودعه ربّه وقلاه، ثم نزل بيان ذلك واعتذر عن إبطائه فيما هنالك بقوله: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ [الآية 64]، ﴿لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ [الآية 64] من الأمكنة والأمر منه والمعنى لا ينتقل من مكان إلى مكان ولا يتنزل من زمان إلى زمان إلا بأمره ومشيئته على مقتضى حكمته ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [الآية 64] تاركاً لأمرك ولا لغيرك.

وأفاد الأستاذ: أن الملائكة أبداً ينزلون بإذن الحق سبحانه بعضهم بإنجاء المظلومين وبعضهم بإغاثة المهلوفين وبعضهم بتدبير الجاحدين وبعضهم بنصرة المؤمنين وبعضهم إلى ما لا يحصى من أمور الناس أجمعين، والله سبحانه لا يترك جاحداً ولا عائذاً مِنْ حفظ وتربية وإنعام وإمهال واتصال وإكرام.

﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ﴾ [الآية 65] باستعانته ﴿وَٱصْطَبِرْ

﴿لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾ [الآية 65] على تحمُّل كفته ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ [الآية 65] نظيراً أو كفياً أو مثلاً وشبيهاً يستحق أن يسمى إلٰهاً أو أحداً يسمى الله فإن المشركين وإن سموا الصنم إلٰهاً لم يسمُّوه الله أبداً كما يدل عليه قوله سبحانه: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ﴾ [لقمَان:الآية 25]، ويشير إليه قولهم: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزُّمَر:الآية 3]. وبهذا المعنى يتم مبنى كلمة التوحيد على ما
قرّره أهل التأييد وذلك لظهور أحديته في صفاته وتعالي ذاته / عن المماثلة 196/ أ
بمخلوقاً. والجملة تقرير للام والمعنى إذا صح أن لا أحد مثله ولا يستحق العبادة غيره لم يكن بد من التسليم لأمره والاشتغال لعبادته والاصطبار على حكمه وفق إرادته.

﴿وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ [الآية 66] أي جنسه أو بعضهم المعهود وهم الكفرة أو أُبي ابن خلف فإنه أخذ عظاماً بالية وقال: يزعم محمد أنَّا نُبْعَثُ بعد أن نموت إذاً. وعن ابن ذكوان: ﴿أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيًّا﴾ [الآية 66] من الأرض.

﴿أَوَلَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ [الآية 67] وقرأ نافع وابن عامر وعاصم يذكر من الذكر بمعنى التفكر أي أيقول ما لا يذكر ويتذكر ولا يتفكر ﴿أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ يَكُ شَيۡـٔٗا﴾ [الآية 67] بل كان عدماً صرفاً فإنه لو تأمل فيما هنالك لم يقل ذلك فإن خلقة الابتداء أعجب من جمع المواد بعد التفريق إعادة وإحياء في الانتهاء.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أبطل لهم كل دعوى صدرت عنهم حيث ذكرهم بهم وكونهم من العدم.

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحۡشُرَنَّهُمۡ وَٱلشَّيَٰطِينَ﴾ [الآية 68] أي معهم ﴿ثُمَّ لَنُحۡضِرَنَّهُمۡ﴾ [الآية 68] جميعهم ﴿حَوۡلَ جَهَنَّمَ﴾ [الآية 68] ليرى السعداء ما نجاهم الله منه فيزدادوا غبطة وسروراً وينال الأشقياء ما ادخروا لمعادهم عدة ويزدادوا غيظاً وحسرة من رجوع السعداء عنهم إلى دار الثواب وشماتتهم عليهم لبقائهم في دار العقاب والحجاب ﴿جِثِيّٗا﴾ [الآية 68] على ركبهم لما يدهمهم من هول المطلع ويدهشهم أو لأنه من توابع التوافق للحساب. قيل: التواصل إلى الثواب والعقاب ونظيره الآية الآتية: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٖ جَاثِيَةٗۚ﴾ [الجَاثيَة:الآية 28].

﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ﴾ [الآية 69] أمة شاعت ملة ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا﴾ [الآية 69] أي أكثر عصياناً وأكبر طغياناً فنطرحهم فيها بياناً وعياناً.

وأفاد الأستاذ: أن من تقدم اليوم عليهم في الضلال والإضلال ضوعف غداً عليه العذاب والإغلال.

﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ۝٧٠﴾ [الآية 70] أي أولي بالصلي أو صليهم أولى.

وأفاد الأستاذ: أن مَن كان في غفوة اليوم أشد علواً وإدلالاً كان في النار غداً أبعد من الله وأشد عقوبة وإذلالاً.

﴿وَإِن مِّنكُمْ﴾ [الآية 71] ما منكم من أحد أيها الإنسان ﴿إِلَّا وَارِدُهَا﴾
[الآية 71] / واصلها أو حاضر دونها أو مار بجسرها فإنه ممدود على متنها يمر بها 196/ب
المؤمنون وهي خاوية ويُطرح فيها الظالمون وهي غائظة ﴿كَانَ﴾ [الآية 71] ورودهم ﴿عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [الآية 71] واجباً أوجبه الله على نفسه وقضى بأن وعد به وعداً من غير خلقه أو حلف به من غير تصور حنثه. وأما قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء:الآية 101] فالمراد عن عذابها لما ورد من أن بعض المؤمنين في الجنة يقولون: أليس قد وعدنا ربنا أن ندخل النار فيقال لهم: عبرتم وما شعرتم. وفي حديث تقول النار: «جز يا مؤمن فإن نورك أطفأ لهبي»[1].

﴿ثُمَّ نُنَجِّى﴾ [الآية 72] وقرأ الكسائي بالتخفيف أي نخلص ونبعد وننجي ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾ [الآية 72] بحسب مراتب تقواهم من سابق ولاحق فيساقون إلى الجنة ونعمها ﴿وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [الآية 72] كما كانوا مع زيادة إحساس ألمها.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾ [الآية 73] واضحات المباني ظاهرات المعاني مع الإيجاز المقرون بالإعجاز ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الآية 73] لأجلهم أو في حقهم ﴿أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ﴾ [الآية 73] من المؤمنين والكافرين ﴿خَيْرٌ مَّقَامًا﴾ [الآية 73]

(1) سبق تخريجه.

مكاناً. وقرأ ابن كثير بالضم أي موضع إقامة ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ [الآية 73] مجلساً ومجتمعاً ومآباً أو قوماً ونفراً وأصحاباً وأحباباً، والمعنى أنهم لما سمعوا الآيات مع دلالتها على حقيقة الإيمان بها وعجزوا عن معارضتها والدخل عليها بمناقضتها أخذوا في الافتخار بما لهم حظوظ الدنيا وأنواع لذاتها والاستدلال بزيادة حظهم فيها على فضلهم وحسن حالهم عند الله لقصور نظرهم على الحال وعدم تدبرهم في المآل أو يقيسون العقبى بتقدير وقوعها على الدنيا.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾﴾ [الآية 74] متاعاً ومتجراً ورئياً منظراً ومفخراً. وقرأ قالون وابن ذكوان بأن قدم رئياً، والمعنى أن هؤلاء ينخرطون في سلك من تقدمهم وسيلقون ما يستوجب عملهم فهم مغرورون بجاههم ومالهم في الدنيا الفانية وغافلون عن أحوال معادهم ومآلهم في العقبى الباقية وجاهلون بأن يمنعهم بمالهم من صورة إنعام استدراج وليس
197/أ بإكرام كما بيَّنه بقوله:/ ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾ [الآية 75] فليزد له مدداً في أمره ومدداً في عمره ويمهله في طول أمله وسوء عمله.

وأفاد الأستاذ: أن الله يمهل الكفار والفجار ليركنوا إلى أباطيل أفعالهم ويغتروا بسلامة أحوالهم فبينما هم في غفلة الإمهال واغترار بسلامة الأحوال إذ يغشاهم التقدير بصنوف الأهوال ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ﴾ [الآية 75] في الدنيا عاجلاً ﴿وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ﴾ [الآية 75] أي ساعة العقاب في العقبى آجلاً ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾ [الآية 75] أي حينئذ ﴿مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ [الآية 75] من الفريقين ﴿وَأَضْعَفُ جُندًا﴾ [الآية 75] من الطائفتين بأن عاينوا خلاف ما قدروه وعاد ما متعوا به عكس ما صوروه.

﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًىۗ﴾ [الآية 76] هداية ورعاية تنفعهم بداية ونهاية، وفيه إيماء إلى أن تمتيع الكافر وإمهال الفاجر كما أنه ليس بفضله فكذا قصور حظ المؤمن ليس لنقصه بل لأن الله أراد به خيراً في تقليل ماله لتحصيل كماله وفي زيادة فضائله لتحسين شمائله واستحسان ما له.

وأفاد الأستاذ: أن زيادة الهدى أن يصير علم يقينهم عين اليقين وعين

نفيهم حق اليقين ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ [الآية 76] الطاعات التي تبقى عائداتها واستمرار مدتها في جميع الأوقات والساعات ﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ [الآية 76] مرجعاً ومآباً مما مُتِّعَ به الكفرة والفجرة من النعم الناقصة الفانية لا سيما وأن مآلها النعيم المقيم ومآل هذه الحسرة العذاب الأليم.

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾﴾ [الآية 77] أي في الدنيا أو في العقبى على تقدير وقوعها لزعمه أنه إنما أوتي ما أوتي من النعم في الدنيا لاستحقاقها وكونه من أهلها. وقرأ حمزة والكسائي ولداً بضم فسكون وهو جمع ولد كأسد في أسداً ولغة فيه كغرب وعرب ولما كانت الرؤية أقوى مستند الإخبار استعمل أرأيت بمعنى الإخبار والفاء على أصلها للتعقيب فالمعنى أخبر بقصة هذا الكافر المكابر عقب حديث أهل المناكر.

197/ب ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ﴾ [الآية 78] أقد بلغ من عظمة شأنه / وقوة سلطانه أن ارتقى إلى علم الغيب الذي يختص بالرب ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ [الآية 78] بأن يعلِّمه الغيبيات أو يمنح عليه بجميع المرادات.

﴿كَلَّا﴾ [الآية 79] ردع وزجر عن ذلك وتنبيه على أنه مخطىء فيما يتصور هنالك ﴿سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾ [الآية 79] السين بمجرد التأكيد في ثبوت الوعيد ﴿وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا﴾ [الآية 79] أي نزيده من أنواع العذاب زيادة أبداً.

﴿وَنَرِثُهُۥ﴾ [الآية 80] بموته ﴿مَا يَقُولُ﴾ [الآية 80] أي مفتخراً به من ماله وولده ﴿وَيَأْتِينَا﴾ [الآية 80] في القيامة الصغرى أو الكبرى ﴿فَرْدًا﴾ [الآية 80] لا يصحب مالاً ولا ولداً.

وقال الأستاذ في بيان المراد: أفرأيت الذي قابل آياتنا بالكفر بعد ظهور الحجة وقال بتمنيه من غير الحجة لأعطين مالاً وولداً أيرى أن يكون تمنيه تصديق ولمقصوده تحقيق اطلع الغيب من غيرَ الريب فقال ما قال بتفريق له منا أو اتخذ عهداً بذلك عنا أن يكون له مالاً وولداً أي ليس الأمر كذلك أبداً. ودليل الخطاب يقتضي أن المؤمن إذا ظن بالله ظناً جميلاً أو أمل منه شيئاً جزيلاً فالله يحققه له ويصدق ظنه لأنه على عهد من ربه والله غير مخلف

وعده. قلت: ويؤيده حديث: «أنا عند ظن عبدي بي»[1]، ويقويه أنه فسر بعضهم العهد بكلمة الشهادة والأعمال الصالحة.

﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾﴾ [الآية 81] ليتعززوا بهم حيث يكونون وصلة إلى القربة أو شفاعة عن الحرقة.

﴿كَلَّا﴾ [الآية 82] ردع ونفي عن حصوله أصلاً ﴿سَيَكْفُرُونَ﴾ [الآية 82] أي جميع آلهتهم ﴿بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [الآية 82] ويتبرؤون عن طاعتهم لقوله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ [البَقَرَة:الآية 166]، وسينكر الكفرة تلك العبادة لما شاهدوا سوء العاقبة كما أخبر الله عنهم قولهم يوم الدين: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعَام:الآية 23]. فمن تعزَّز بغير الله أذلّه الله.

وأفاد الأستاذ: أنهم ما أملوا نفعاً لهم عاد ضراً عليهم. ويقال: طلب العز من أماكن الذل فأخفقوا في الطلب ونفوا عن المطلب.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الآية 83] أي سلطناهم عليهم حتى اتخذوهم أولياء أو قضينا لهم قرناء ﴿تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ [الآية 83] أي تهزهم هزاً بأن
198/أ تقويهم وتغريهم على الثبات/ بالتسويلات وتحبيب الشهوات واللهوات، فهذا سبب عدولهم عن قبول الآيات وقعودهم عن الطاعات والعبادات.

وأفاد الأستاذ: أن معناه تزعجهم إزعاجاً فخاطر الشيطان يكون بإزعاج وظلمة وخاطر الحق يكون بسكون وراحة، وهذا أحد الدلائل الفارقة بينهما.

﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية 84] بإنزال العذاب عليهم ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ﴾ [الآية 84] أيام آجالهم ﴿عَدًّا﴾ [الآية 84] قدّرناه وفق أحوالهم وهو أيام محصورة وأنفاس معدودة.

وأفاد الأستاذ: أن الأنفاس لا تنفع بعد حلوله الحيل. وقيل: انقضاءه لا يزيد ولا ينقص بالعلل.

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (7405)، ومسلم في الصحيح (2675/ 2).

﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ﴾ [الآية 85] نجمعهم ﴿إِلَى الرَّحْمَنِ﴾ [الآية 85] إلى ربهم الذي عمَّت رحمته بهم ولاختيار هذا الاسم في هذه السورة شأن عظيم الصورة، ولا يبعد أنه لكونها مسوقة لتعداد النعمة وازدياد الرحمة وشرح حال الشاكرين لها والكافرين بها ﴿وَفْدًا﴾ [الآية 85] وافدين عليه ومكرَّمين لديه وملتجئين إليه.

وأفاد الأستاذ: أنه قيل ركباناً على نجائب طاعاتهم وهم مختلفون بتفاوت حالاتهم فمن راكب على صور عملهم ومن راكب على مراكب هممهم ومن راكب على نجائب أنوارهم ومن راكب على مراكب أسرارهم ومن محمول يحمله الحق في عقباه كما يحمله اليوم في دنياه وليس محمول الحق كمحمول الخلق.

﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الآية 86] كما يُساق البهائم ﴿إِلَى جَهَنَّمَ﴾ [الآية 86] هائمين ﴿وِرْدًا﴾ [الآية 86] عطاشاً.

وقال الأستاذ: فهؤلاء يساقون بوصف عزّه وهؤلاء يساقون بنعت الذلة فيجمعهم في السوق ولكن يغاير بينهم في معانيهما، فشتان ما بينهما، انتهى.

ولعل الأستاذ أخذ اشتراك السوق من محل آخر وهو سورة العزم حيث قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ [الزُّمَر:الآية 71]، ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ [الزُّمَر:الآية 73] وإلا ففي هذه السورة تغاير بينهما في العبارة بحسب الصورة حيث عبر عن المتقين بالحشر بين الجمع إيماء إلى وصولهم في العبارة إلى مقام الجمعية للمَعَزَّة وعن المجرمين بالسوق المشابه بسوق البهائم إشارة إلى أنهم بوصف التفرقة المقتضية للمذلة فينبغي أن يحمل ما في الذم / على طريق المشاكلة والمقابلة. 198/ ب

﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ [الآية 87] أي الخلائق أجمعون ﴿الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ [الآية 87] إلا مَن أذن له الرحمٰن وقال صواباً أو لا يملكون الشفاعة لأحد إلا مَن اتخذ عند الرحمٰن عهداً بالإيمان أو لا يشفعون لأحد إلا من اتخذ عند الرحمٰن عهداً بالإحسان كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء:الآية 28] أي اختارهم الرحمٰن.

وأفاد الأستاذ: إن ذلك العهد حفظهم في دنياهم ما أخذ عليهم يوم

الميثاق من القيام بالشهادة بوحدانية مولاهم.

﴿وَقَالُواْ﴾ [الآية 88] أي بعض الخلائق الممنوعين عن الحقائق بالعلائق والعوائق ﴿اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾ [الآية 88] لتعلُّق قلوبهم بالولد وغفلتهم عن معرفة الأحد الصمد.

﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾﴾ [الآية 89] منكراً شديداً والالتفات للمبالغة في الذم بالجرأة على الله في هذه النسبة.

﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ﴾ [الآية 90] وقرأ نافع والكسائي بالتذكير ﴿يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾ [الآية 90] تتشقّق مرة بعد أخرى من أجله وبسببه. وقرأ أبو عمرو وابن عامر وحمزة وأبو بكر يتفطرن والأول أبلغ ﴿وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ﴾ [الآية 90] أي أجزاؤها ﴿وَتَخِرُّ الْجِبَالُ﴾ [الآية 90] تسقط أجزاؤها ﴿هَدًّا﴾ [الآية 90] هدماً.

﴿أَن دَعَوْا﴾ [الآية 91] لأن ادعوا ﴿لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا﴾ [الآية 91] وقال الأستاذ: عظم بهتانهم في قالتهم وكبرت جرأتهم في قبيح حالاتهم لكن الصمدية متقدسة عن عائد يعود إليها من رين بتوحيد موحد أو مين بإلحاد ملحد فما شاهت إلا وجوههم بما خاضوا فيه من حالهم وصاروا إليه من ضلالهم كما لو يتجمل بما قاله الآخرون إلا قائله وما اقتصر إلا عليه حاصله وآجله.

﴿وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾﴾ [الآية 92] أي لا يصح له ولا يليق به أن يتبنى أحداً لاستغنائه عنه بكونه صمداً ولاستقلاله بكونه فرداً أحداً ولدوام بقائه أبداً سرمداً ولأن كل ما عداه بالنسبة إليه نعمة أو منعم عليه فلا يجانس من هو مبدأ النعم كلها أصولها وفروعها، وأما حقيقة حصول الولد فمن المستحيل عند كل أحد كما قال تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: الآيتان 3،4].

وأفاد الأستاذ: أنه في بيان المراد بقوله: أنّى يولد وهو أحد وأنّى
199/أ بالولادة ولا جنس له / وجوداً ولا جوازاً.

﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾ [الآية 93]

مملوكاً له يأوي إليه بالعبودية وينقاد لديه تحت تصرف الربوبية ﴿لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ﴾ [الآية 94] أحاط بهم وحصرهم بحيث لا يشذ أحد منهم عن حياطة علمه وإرادته وحيازة قبضته وقدرته ﴿وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ [الآية 94] أشخاصهم وأفعالهم وأنفاسهم فإن كل شيء عنده بمقدار لا يزيد ولا ينقص أبداً.

وأفاد الأستاذ: أنه لا يعزب عن علمه معلوم ولا ينفك عن قدرته ما يصح أن يقال حدوثه موهوم.

﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾ [الآية 95] منفرداً لا يصحب أحداً ولا مالاً ولا ولداً.

وأفاد الأستاذ: أنه لا خدم يصحبهم ولا حشم يلحقهم كلٌّ بنفسه مشتغل وكلهم عن غيره منفرد مستقل.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ [الآية 96] سيُحْدِث لهم في القلوب مودّة من تعرض منهم لأسبابها ولا حصول مناسبة بين أربابها. ففي الصحيحين عن النبي ﷺ: «إذا أحب الله تعالى عبداً يقول لجبريل عليه السلام: أحببت فلاناً فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء: إن الله تعالى قد أحب فلاناً فأحبوه فيحبّه أهل السماء، ثم يضع المحبة في الأرض في صلحاء أهلها»(1).

وأفاد الأستاذ: أن المراد يجعل في قلوبهم ودّ الله سبحانه نتيجة أعمالهم الخالصة، وفي الخبر: «وما يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أحبه»(2).

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ﴾ [الآية 97] أي أنزلناه ﴿بِلِسَانِكَ﴾ [الآية 97] بلغتك أو سهّلناه ببيان سنّتك ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الآية 97] الصابرين إلى التقوي

---

(1) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (10/ 450) رقم (19673).
(2) أخرجه البخاري في الصحيح (6502)، وابن حبان في الصحيح (2/ 58) رقم (347).

بالحالة الحسنة في الدنيا والعقبى من الجنة المأوى وزيادة الحسنى ﴿وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا﴾ [الآية 97] أشد الخصومة جحوداً وعناداً.

وأفاد الأستاذ: أن الكلام واحد والخطاب متحد وهو لقوم بشير ولآخرين نذير، فطوبى لمن بُشِّر بما وُفِقَ له والويل لمن خُوِّف بل خذله القوم بين موفّق ومخذول أي وبين مردود ومقبول.

﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ﴾ [الآية 98] تشجيع لنبيه على إنذارهم وتخويف لهم على إنكارهم ﴿هَلۡ تُحِسُّ مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ﴾ [الآية 98] هل تشعر بهم وترى لهم
199/ب رمزاً ﴿أَوۡ تَسۡمَعُ لَهُمۡ رِكۡزَۢا﴾ [الآية 98] صوتاً / خفيفاً فضلاً عن أن يكون كلاماً جلياً.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أنبتهم وأحياهم وعلى ما شاء فطرهم وأبقاهم ثم بعد ذلك لما شاء أماتهم وأفناهم فبادوا بأجمعهم وهلكوا عن آخرهم فلا كبير منهم ولا صغير ولا جليل ولا حقير وسيطالبون يوم الحشر والنشر بالنقير والقطمير.

سورة طه عليه السلام

[مكيّة]

وآياتها مائة وأربع وثلاثون آية[1]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أفاد الأستاذ أنه اسم عزيز من تحقق بجلال عزّته في خلوص عبوديته فإذا وصل إلى ضياء صفوته نزل عن سماء تخوفه، عزيز مَن عرفه سمت همته فإذا سمت همته سقطت عن الدارين طلبته، اسم مَن عرفه زال كربه به طاب قلبه دينه حبه ربه حسبه عزيز من وسمه بعبوديته حرر عن رق شهوته وأعتقه عن أسر مطالبته فلا يهزه لمحبوب طلب ولا يستفزه لمجذوب هرب.

﴿طه ۝١﴾ [الآية 1] قيل معناها يا طاهراً يا هادي. وقيل طوبى لمن بك اهتدى، وقيل اجعله طأها بهمزة ساكنة أبدلت التاء والهاء كتابة على أنه أمر له ﷺ بأن يطأ الأرض بقدميه فإنه كان يقوم في تهجده على إحدى رجليه، ويلائمه في المعنى: ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢﴾ [الآية 2] لتتعب بكثرة الرياضة في الدنيا بل لتنال خدمة المولى والدرجات العلى في دار العقبى.

قال الواسطي: سمي القرآن قرآناً لأنه مقارن لِمتكلِّمه لا يبانيه كما يصل إلينا شعاع الشمس ولم يباين القرص ولا ينافيه. وقال ابن عطاء في قوله ﴿لِتَشْقَىٰٓ﴾: أي لتتعب في خدمتنا فكان جوابه من النبي ﷺ زيادة تعبُّد واجتهاد كأنه يقول: وهل يتعب أحد في خدمتك وأنت محل استرواح أهل معرفتك. فأما هذه الحركات فهو القيام بشكر ما أهلتني له من قربك ومناجاتك وخدمتك والدنو من حضرتك، ألا تراه عليه السلام لما قيل له: أتفعل هذا

(1) كذا في الأصل المخطوط.

وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً»[1].

200/ أ وأفاد الأستاذ: أن الطاء إشارة إلى طهارة قلبه /عن غير الله والهاء إشارة إلى هداية قلبه إلى مولاه. ويقال: طأ بسرك بساط القربة فإنك لا تهدي إلى غيرنا، أي بالقربة والحجبة. ويقال: طوينا عن سرك ذكر غيرنا وهديناك بنا إلينا، أي وإلى خيرنا.

﴿إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝٣﴾ [الآية 3] أي لكن أنزلناه تذكيراً وموعظة لمن في قلبه خشية ورقة.

قال جعفر: القرآن تذكرة للخائفين ورحمة للمؤمنين وأنس للمحبين.

وقال الأستاذ: أي ليس المقصود من إيمائنا إليك تعبك لربك وإنما هذا الاستفتاح باب الوصلة وتمهيد بساط القربة، فالقرآن تبصرة لذوي العقول وتذكرة لأولي الوصول، فهؤلاء به يستبصرون فينالون راحة النفس في آجلهم وهؤلاء به يتذكرون فيجدون روح الأنس في عاجلهم.

﴿تَنزِيلًا﴾ [الآية 4] نصبه على المدح ﴿مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى﴾ [الآية 4] جمع العليا تأنيث الأعلى، وفيه تنبيه على تفخيم شأن المنزِل بإظهار تعظيم المنزَل بذكر أفعاله وصفاته في مكنوناته من سفلياته وعلوياته، وقدم الأرض لأنه أقرب في نظر الحس من سماواته وأفاد الأستاذ أنه سبحانه جعل الأرض قرارَ العبادة في عامة بلاده ونفوس العابدين أرضاً وقراراً لطاعتهم وقلوب العارفين قراراً لمعرفتهم. أقول: ولعله جعل السماء محل أرواحهم كما جعل الأرض مكان أشباحهم إيماء إلى أن الإنسان ما بين الترقي إلى أعلى عليين وبين التنزيل إلى أسفل سافلين.

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [الآية 5] أي استوى ملكه على عرشه ومعظم خلقه ومنزل ظهور تدبيره ووضوح تقديره جسماً اقتضته حكمته

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (1130)، ومسلم في الصحيح (2819/ 79).

وتعلقت به مشيئته.

قال ابن عطاء: استوى إظهاراً لقدرته لا مكاناً لذاته، يعني لاستغنائه وعزته.

وقال ابن فارس: ليس على الكون من الله أثر ولا على الله من الكون أثر أي ولا خبر. وسئل مالك بن أنس: كيف استوى؟ فقال: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به فريضة والسؤال عنه بدعة[1]، كذا في «حقائق السلمي».

وأفاد الأستاذ: أن عرش السماء قبلة دعاء الخلق وعرش القلب محل نظر الحق فشتان بين عرش وبين عرش، انتهى[2]. ويؤيده / ما ورد: «لا 200/ب
يسعني أرضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن بي».

﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦﴾ [الآية 6] مِلكاً ومُلكاً ليدل بذلك على كمال قدرته وجمال إرادته ولما كانت القدرة تابعة للإرادة وهي لا تنفك عن العلم والإحاطة عقب ذلك بإحصاء علمه بجليات الأمور وخفياتها وكلياتها وجزئيتها فقال: ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ﴾ [الآية 7] فاعلم أني غني عن جهرك ﴿فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ﴾ [الآية 7] فضلاً عن الجهر ﴿وَأَخْفَى﴾ [الآية 7] من سرك وهو ما خطر لك من حالك ثم ذهب عن وهمك وخيالك.

قال الواسطي: السر ما خفي على العباد والذي هو أخفى ما لم يقل له كن، انتهى. ففيه إيماء إلى أنه عالم بالموجودات والمعدومات سواء يكون من الممكنات أو المحالات.

وأفاد الأستاذ: أن النفس لا تقف على ما في القلب من الأنوار والقلب لا يقف على ما في الروح من الأسرار والروح لا سبيل له إلى حقائق السر

(1) الأسماء والصفات للبيهقي (2/ 410) رقم (836)، والاعتقاد له (1/ 76) رقم (55).
(2) تفسير النيسابوري (2/ 103).

والذي هو أخفى من السر فمما لا يطلع عليه إلا الحق. ويقال: الذي هو أخفى من السر لا يفسده الشيطان ولا يكتبه الملكان ويستأثر بعلمه الجبار ولا يقف عليه الأغيار.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨﴾ [الآية 8] تأنيث الأحسن، وفضل سائر أسماؤه تعالى على سائر الأسماء في الحسن لصياغتها على مبانٍ هي ألطف المباني ولدلالتها على معانٍ هي أشرف المعاني.

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩﴾ [الآية 9] عقب تمهيد نبوّته قصة موسى وغصة محنته ليأتم به نبينا ﷺ في تحمُّل أعباء نبوّته والصبر على مقاساة شدائد أمته.

وأفاد الأستاذ: أن هذا سؤال في صيغة الاستفهام والمراد منه التقدير وإثبات المرام، انتهى. ولذا قيل: المعنى وقد أتاك حديث موسى.

﴿إِذْ رَءَا نَارًا﴾ [الآية 10] قيل: استأذن شعيباً عليه السلام في الخروج إلى أمه وخرج بأهله فلما وافى وادي طوى وفيه طور سيناء ولد له ابن في ليلة شاتية مظلمة مثلجة والأرض مسبعة كانت ليلة الجمعة وقد خفيت جادته وتفرقت ماشيته إذ رأى النور من جانب الطور وظن كونه ناراً ﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ
201/أ ٱمْكُثُوٓا۟﴾ [الآية 10] مكانكم/ واغتنموا زمانكم ﴿إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾ [الآية 10] أبصرت إبصاراً ﴿لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ﴾ [الآية 10] بشعلة على حطب أو خرقة أو بجمرة تنتفعون منها وتستدفئون بها ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ [الآية 10] أي عندها ﴿هُدًى﴾ [الآية 10] أي هادياً يدلني على الطريق فإنه كان غاوياً وفي مقام الاستغراق نادياً وناجياً.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه ألاح له النار حتى أخرجه من أهله يطلبها وكان المقصود إخراجه من بينهم لتجلي نور ربها فكان يدنو موسى والنار تنادي، وفي القصة أنه لما أتاها وجد شجرة تشتعل من أولها إلى آخرها فجمع موسى حشائش تأخذ من تلك النار فلم تأخذها عرف أن هذه النار لا

تسمح نفسها بأن يعطى إلى أحد شعلة منها، كما قيل:

وقلن لنا نحن الأهلة إنما   نضيء لمن يسري بليل ولا نقري[1]

يا موسى هذه النار تضيء ولكن شعلة منها لأحد ما تعطي، يا موسى هذه النار تحرق القلوب لا النفوس، ويقال: كان موسى في مزاولة قبس من النار وكان يحتال كيف يأخذ شيئاً منها لينتفع بها مع أهله، فبينما هو في حالة من القلق إذ سمع النداء المطلق من جانب الحق كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾﴾ [الآية 11] قائلاً ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ [الآية 12] وفتحه ابن كثير وأبو عمرو أي أني. قيل: لما أتى النار وجد ناراً بيضاء تتقد في شجرة خضراء من أسفلها إلى أعلاها لا حرارة النار تضر الخضرة ولا رطوبة الخضرة تضرّها. وفيه إشارة إلى مرتبة جمع الجمع حيث لا تحجب الكثرة الوحدة ولا الوحدة تحجز الكثرة. ثم لما نودي قال: من المتكلِّم، قال: إني أنا ربك، فوسوس إليه إبليس على جهة التلبيس: لعلك تسمع كلام جني، فقال: عرفت أنه كلام الله لأني أسمعه من جميع الجهات وبجميع الأعضاء. وهو إشارة إلى أنه عليه السلام تلقى من ربه كلامه تلقياً روحانياً ثم بمثل ذلك الكلام لبدنه وانتقل إلى الحس المشترك فانتعش به من غير اختصاص بعضو وجهة توضحه على وجه يظهر توجيهه أن قوة إدراك كل حس من الحواس الخمس بعالم من العوالم مخصوصة وبمقتضى كمال الحكمة جعل قوة الحس المشترك/ في في ساحة دماغ الإنسان متعينة وجعل 201/ ب
رئيس سائر الحواس مشتركاً مع كل حاسة بما أعطي من القوة الخاصة ليكون حاوياً للأخبار وجامعاً للأسرار جملة ودفعة. وبيانه أن لون الماء إنما يدركه البصر وصوته يدركه السمع وريحه يدركه الشم وطعمه يدركه الذوق وحره وبرده يدركه اللمس والحس المشترك يدركه جميعها كذا حققه السيد الهمداني. وحاصله أنه عليه السلام بجميع أجزائه صار سمعاً حتى سمع كلام ربه ولذا روي: أنه كلما بعد أو دنا لم يختلف ما كان يسمع من النداء. كما أن نبينا ﷺ صار بجميع

(1) نسب إلى علي بن الجهم. انظر الحماسة المغربية (1/ 102)، والزهرة (1/ 12)، ومحاضرات الأدباء (1/ 425).

أجزائه بصراً حتى رأى ربه في مقام دنا وليس الخبر كالمعاينة كما ورد في الرواية[1].

وأفاد الأستاذ: أنه إنما علم موسى عليه السلام أنه كلام الحق سبحانه بأنه لا يسمع فيه الترتيب والنظم والتركيب، ويقال: إنما عرف موسى إنه كلام الله تعالى بتعريف خصّه الحق سبحانه به من بين الخلق من حيث الإلهام الرباني دون نوع من الاستدلال البرهاني.

﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ﴾ [الآية 12] أمره بذلك لأن الحضرة تواضع وأدب مما يقتضي هنالك ولذلك طاف السلف حافين حول الكعبة طائفين، أو لتلطخ نعليه بخبث فإنهما كانتا من جلد حمار غير مدبوغ كما ورد في حديث[2]. وقيل: ليباشر الوادي بقدميه متبرِّكاً بمساس رجليه. وقيل: معناه فرِّغ قلبك من الأهل والمال ليتم لك حال الكمال. وفيه إيماء إلى نفي الإثنينية وثبوت الوحدة اليقينية.

وقال ابن عطاء: أعرض بقلبك عن الكونين فلا تنظر إليهما بعد هذا الخطاب الزين، ذكره السلمي. وفيه إيماء إلى ما قيل: خطوتين وقد وصلت وأجمل من هذا المقال في مقام الإجمال ما قال بعض أرباب الحال: دع نفسك وتعال.

وأفاد الأستاذ: أن معنى اخلع نعليك تبقَّ عن نوعي أفعالك وامتح عن شهود جنسي أحوالك وقرب وبعد ووصل وفصل وارتياح واجتياح وبقاء
202/أ وفناء، وكن دائماً بوصفنا، قائماً بحقنا، والمشتت في أحواله / وصفاته متى يكون كالمجرد عن حملته المصطلم عن شهوده الغائب عن وجوده. ويقال: اخلع نعليك وألقِ عصاك وأقم عندنا هذه الليلة ولا تبرح لما هنالك، انتهى. وقال بعضهم: سمع موسى كلام الحق بما لا يشبه كلام الخلق، فلما سمع ذلك الخطاب واستلذّ بذلك الباب وأخذ عن التمييز في الحساب رده الحق إلى

---

(1) تفسير القرطبي (19/ 4).
(2) تفسير أبي السعود (6/ 7)، وتفسير البغوي (5/ 266).

الخلق ليسكن ما به ويرجع إلى حاله في خطابه ﴿إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ﴾ [الآية 12] المنزَّه من أن يُداس بنعل طاهر أو نجس أو المطهر عن شهود الغير من جنس وإنسٍ، والمُظهر لوجود الأنس ﴿طُوًى﴾ [الآية 12] عطف بيان للوادي وصرف للعلمية وتأنيث البقعة. ونوّنه ابن عامر والكوفيون بتأويل المكان.

وأفاد الأستاذ: إنك بالواد المقدس عن الإعلال أي في الأعمال والأحوال وساحات الصمدية تَجِلُّ عن كل شينٍ وزين من زين بإيمان وشين كفران وزين بإحسان وشين بعصيان كلا إنها ربوبية سطوات عزها تقهر كل مسبوق في كل قضية، انتهى. وقيل في قوله ﴿طُوًى﴾: أطوِ عنك بساط المخالفة فمن حل في هذا الوادي ووطئه طوي عن قلبه ما لا يكون مقدساً من حبه.

﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ﴾ [الآية 13] اصطفيتك على الناس بالرسالة والتكليم. وقرأ حمزة: وإنا اخترناك بصيغة التعظيم والتكريم ﴿فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾ [الآية 13] إليك ويُلقى عليك ويُملى لديك.

﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى﴾ [الآية 14] بيان لما يوحى وإشعار بأنه مقصور على تقدير التوحيد الذي هو منتهى العلم والأمر بالعبادة التي هي كمال العمل ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾ [الآية 14] خصها بالذكر وأفردها بالأمر للحكمة التي أناط بها إقامتها المفيدة إدامتها وهو تذكُّر المعبود وشكره وشغل للقلب واللِّسان والأركان بذكره، أو لذكري خاصة من غير شائبة بذكر غيري عامة.

وقال الأستاذ: أي على علم مني بك اصطفيتك وجرّدتك عن كل نعت هو فيك وبك ونقيتك عن دنس أوهام كل ما يأتيك. ويقال: بعدما اخترتك فأنت بي وأنت لي وأنت محو عنك في قيامي. وقوله: ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ [الآية 14]
إلى آخره، تقدّست عن الإعلال/ في آزالي وتنزّهت عما يجوز عن الامتثال 202/ب
والأشكال باستحقاقي لِجلالي وجمالي. ويقال: الأغيار في وجودي فَقْدٌ والأطلال والرسوم عند ثبوت حقي محو. وقوله: ﴿فَٱعْبُدْنِى﴾ [الآية 14] أي تذلَّل لحكمي وانفذ لأمري واخضع لجبروت سلطاني ثم إقام الصلاة من غير ملاحظة مجراها

ومنتهاها تورث الإعجاب وهو مما يوجب الحجاب ويقتضي العتاب، وإذا أقام العبد صلاته على نعت الشهود والتحقيق بأن مجراها غيره في الوجود كانت الصلاة فتح باب المواصلة والوقوف في محل التجويز والتحقق بخصائص القرب والزلفة.

﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ﴾ [الآية 15] القيامة ﴿ءَاتِيَةٌ﴾ [الآية 15] كائنة لا محالة فكن متهيئاً لها في كل حالة لما ورد: «الدنيا ساعة فاجعلها طاعة»(1)، و«الدنيا مزرعة الآخرة»(2) ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ [الآية 15] أقرب أن أخفيها فلا أقول إنها آتية بما فيها ولولا ما في الأخبار من اللطف والأعذار لما أخبرت بها واخترت الإسرار لأنها من جملة الأسرار، أو أكاد أخفيها عن نفسي كما قرىء بها، أي لو كان ممكناً إخفاؤها. وفي الجملة أظهر إتيانها وأخفى زمانها ﴿لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ [الآية 15].

وأفاد الأستاذ: أن الفائدة في تعريف العباد قرب الساعة ليستفيقوا من غفلات التفرقة في الطاعة فإذا حضروا بقلوبهم ففي حالة استدامة الذكر ما هو موعود في الآجل أكثره للحاضرين موجود في العاجل فالحاضرة لهم كالآخرة ولذا جعلوا من أمارات الاستقامة شهود الوقت قيامه.

﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا﴾ [الآية 16] أي لا يمنعك عن تصديق الساعة أو تحقيق الطاعة ﴿مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا﴾ [الآية 16] ويغفل عن قيامها وعن الاهتمام بأمرها ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ [الآية 16] تبع مَيل نفسه إلى اللذات وترك خدمة مولاه بتحسين الطاعات ﴿فَتَرْدَىٰ﴾ [الآية 16] فتهلك وتقوى وتطرح في مقام الردى.

وأفاد الأستاذ: أنه إذا أكرم الله عبداً بحسن التنبيه في عالم الوجود وأحضره بنعت الشهود فلا ينبغي أن ينزل عن سماء صفاته المؤدية إلى الجنة

---

(1) انفرد به الملا علي القاري رحمه الله تعالى، ولكن ذكر بلفظ: «الدنيا ساعتان» انظر أخبار مكة للفاكهي (5/ 105).

(2) المقاصد الحسنة (1/ 351) رقم (497)، وكشف الخفاء (1/ 412) رقم (1320)، والفوائد الموضوعة (1/ 133) رقم (178).

والحضرة والقربة إلى جحيم أهل الغفلة ومنزلة أرباب الحرقة ومرتبة تطرحهم في أودية الفرقة.

﴿وَمَا/ تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [الآية 17] استفهام صورة وإعلام بما يريد فيها معجزة. 203/ أ

﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا﴾ [الآية 18] أعتمد عليها وأستند إليها وأتقوى بها ﴿وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي﴾ [الآية 18] أخبط بها الورق على رؤوس غنمي ﴿وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ﴾ [الآية 18] حاجات أخر معلومة عند أهلها منها أنها تدفع عني عدوي وتحرس غنمي وتسمعني في حال وجدي وتضيء لي بالليل إذا أظلم عليّ وإذا أعييت في الطريق أركبها فتحملني وأعظم مآربها أنك قلت لي بسببها: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [الآية 17]. ويقال: إنما قال تعالى ذلك لأنه عليه السلام صحبته هيبة المقام عند فجأة سماع الكلام فسكن بعض ما كان به من بوادر الإجلال بأن رده إلى سماع ذكر تلك العصا بسبب ذلك السؤال وإلى إيرائه ما فيها من الآيات الباهرة والمعجزات القاهرة. ويقال: لما بسطه الحق بسماع كلامه أخذته أريحية الخطاب فأجاب عما سئل وعما لم يسأل بطريق الإطناب. ويقال: جميع ما عد من المنافع في العصي كان من قِبَلِ الله تعالى فكيف جاز له أن ينسبها ويضيفها إلى نفسه. ولقد قالوا:

يا جنة الخلد والهدايا أفأهدي إليكِ ما منكِ يُهدى[1]

انتهى كلام الأستاذ.

وفي «تفسير السلمي» قال ابن عطاء: انفرد الله تعالى بعلوم الغيب جميعها فللخلق من الأشياء ظاهرها وعند الله حقيقتها وسرائرها، فقال: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [الآية 17] ليعرفه بذلك مقدار علمه وإن حقائق العلوم مختصة بربه، فقال: ﴿هِيَ عَصَايَ﴾ [الآية 18] فقال له: بل محل لإظهار قدرتنا فيه.

وقال جنيد في قوله ﴿عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا﴾ [الآية 18]: قال له الحق

(1) ذكره القشيري في تفسيره (4/ 493).

كلما يعتمد عليه قلبك وتسكن إليه نفسك فإن الكل محل العلل وإن كل ما تسكن إليه ستهرب عن قليل عنه وعما لديه.

﴿قَالَ أَلْقِهَا يَـٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ [الآيتان 19،20] قيل: انقلبت حية صفراء بغلظ العصا فكذلك سماها جاناً باعتبار المبتدأ ثم تورمت وعظمت فسماها ثعباناً باعتبار المنتهى.

وأفاد الأستاذ: أنه لا عبرة بما يوهم ظواهر الأشياء من الأمور المركبة والأجزاء فقد يوهم/ الشيء بظاهره ما سيبدو في المستقبل بخلافه أُري موسى عصاه ثم كان المقصود آيته ومعجزته لا محنته وفتنته. 203/ب

﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ﴾ [الآية 21] فإنه لما رآها حية تسرع والحجر والشجر تبتلع فخاف عنها وهرب منها، وقد قيل: كان بين لحييها أربعون ذراعاً فلما رأى ذلك الأمر العجيب الهائل ملكه من الفزع ما يملك البشر عند الأهوال والمخاوف.

قال ابن عطاء في قوله عصاي: أضافها بالملك إلى نفسه ولم يكن له في الحقيقة أن يرى لنفسه ملكاً وهو بين يدي الحق فلما أضافها إلى نفسه قال ألقها فألقاها فإذا هي حية تسعى فخاف وتبرأ من إضافتها ملكاً لنفسه فتعطف الحق عليه فقال: خذها ولا تخف فلا تهرب مما ادعيت فيه المُلك فإنها لن تضرك.

قال الواسطي في قوله ألقها يا موسى: اطرح عن نفسك السكون إلى العصا والاعتماد عليها والركون إليها وعد المنافع فيها فلما ألقى وحكى سره منها قال خذها ولازمها على شرط أن ترى أن النافع والضار لا الأسباب والأغيار ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾ [الآية 21] هيأتها وحالتها المتقدمة. قيل: لما قال له ذلك اطمأنت نفسه هنالك حتى أدخل يده في فمها وأخذ بلحييها.

وفي «تفسير السلمي» قيل: الحكمة في انقلاب العصا حية في وقت الكلام أنه جعلها آية ومعجزة لموسى عليه السلام ولو ألقاها بين يدي فرعون ولم يشاهد منه قبل ذلك ما شاهد من ظهور آياتها فهرب منها كما هرب فرعون حين دهشته رؤيتها.

وقال الواسطي: خوف موسى من العصا أنه شاهد أثر سخطه فيها فلم يأمن مكره تعالى، انتهى. وقد جاء في دعاء بعض العلماء الإلٰهي: اللهمَّ أرنا الأشياء كما هي.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أشهده بانقلاب العصا من حال إلى حال مرة عصا ومرة ثعباناً ثم بعد ذلك عصا أنه يثبِّت عباده في حالة التلوين مرة ومرة فمن أخذ ومن رد ومن جمع ومن فرق.

﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ [الآية 22] أي جنبك تحت عضدك ﴿تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ [الآية 22] عاهة وعائبة، وهو/ كناية عن البرص ككناية السوأة عن 204/أ
العورة ولم يصرح باسمه لأن الطباع تكرهه وتنفر عن رسمه ﴿ءَايَةً أُخْرَىٰ﴾ [الآية 22] معجزة ثانية بينهما غاية المباينة فهذا بمنزلة تعدد البينة لتأكد ثبوت الحجة ووضوح المحجة.

وقد أفاد الأستاذ: أنه سبحانه كما أراه آية من خارج عن بدنه وهي العصا أراه آية من نفسه وهو قلب يده بيضاء إذا أدخلها في جيبه من غير برص لها، قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فُصّلَت:الآية 53]. قيل: وإنما قال في جيبك ولم يقل في كمك إذ لم يكن للباسه كم.

﴿لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾﴾ [الآية 23] أفاد الأستاذ: أن الآية الكبرى هي ما كان يجده في نفسه من الشهود والوجود شوقاً وما لا يكون بتكلف العبد وتصرفه من فنون الأحوال التي يدركها صاحبها ذوقاً.

﴿ٱذْهَبْ﴾ [الآية 24] بهاتين الآيتين ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ [الآية 24] وادعه إلى العبادة على وفق العبودية ﴿إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ [الآية 24] تكبَّر وعصى في دعوى الربوبية وفيه تنبيه نبيه على النبوة قبل الرسالة وأن التكميل بعد كمال الولاية ولو لم يقدر فيه السراية بالهداية.

وأفاد الأستاذ: أنه بعدما أسمعه بلا واسطة كلامه وشرف مقامه وأعجب إكرامه وأتم مرامه أمره بالذهاب لدعائه إلى الله مع علمه تعالى بأنه لا يؤمن

ولا يجيب ولا يسمع ولا غرو أن يشق على موسى ذهابه إلى فرعون وسماع جحده منه بعدما سمع من الله كلامه ولكنه آثر أمره سبحانه على مراد نفسه وحفظ شأنه. ويقال: لما أمره بالذهاب إلى فرعون سأل الله أهبة النقلة وما يتم به تبليغ ما حمل من الرسالة وذلك قوله: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾﴾ [الآيتان 25، 26] يعني لما أمره سبحانه بأمر عظيم وخطب جسيم سأله أن يشرح صدره ويفتح قلبه لتحمل أعبائه والصبر على مشاقه وبلائه ويسهل أمره بإيجاد أسباب حصوله ورفع الموانع عن أبواب وصوله وزيادة إلى تأكيد للمبالغة في الخصوصية.

﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾﴾ [الآيتان 27،28] كلامي وقت بياني فإنه يحسن التبليغ من البليغ.

وفي «تفسير السلمي»: رب اشرح لي صدري حتى لا أشاهد غيرك
ويسر لي أمري حتى لا أنطق إلا بمعرفتك/ واحلل عقدة الإنسانية من لساني 204/ب
حتى لا أتكلم إلا بما أتلقنه منك.

قال ابن عطاء: أراد به العقدة النفسانية. وقال أيضاً: اشرح لي صدري بنور القربة وأحلل عقدة من لساني أي عقدة الاختيارية الإنسانية حتى يكون كلامي عنك وبك.

وقال الأستاذ: ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾﴾ [الآيتان 26،25] حتى أطيق أن أسمع كلام غيرك بعد أن سمعت منك كلامك ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾﴾ حتى ينطق بمخاطبة غيرك وقوّني حتى أرى ما أرى بك لا بهم.

﴿وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾﴾ [الآيتان 29،30] يعينني على ما كلّفتني ويساعدني فيما حمّلتني.

قال جنيد في قوله رب اشرح لي صدري الآيات: ما سأل الله تعالى موسى إلا الأخلاق أي تحسين الأحوال وتزيين الأعمال.

وقال أبو علي الروزباري في سؤال موسى من ربه شرح صدره وتيسير

أمره وإطلاق لسانه ومعازرة أخيه في بيانه ولم يسأل ضعفاً من التبليغ والتبيين فإن الله تعالى أيده بالثبات والتمكين ولكنه عليه السلام وقف مقام الحق بين يدي الحق وسأل بلسان الحق لما قد سبق به من علم الحق إلى الخلق.

﴿ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ۝٣١﴾ [الآية 31] قوتي وطاقتي ﴿وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ۝٣٢﴾ [الآية 32] نبوّتي ورسالتي. وقرأهما ابن عامر بلفظ الخبر وجزمهما على أنه جواب الأمر.

قال الأستاذ: ضاق قلبه عن الاتساع لشهود الخلق ومخاطبتهم فسأل الخرجة عما كان به من القبض في مباسطتهم فقال: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ۝٢٥ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ۝٢٦﴾ [الآيتان 25،26] ثم لما كان ذهابه إلى فرعون سأل أن يصحب أخاه معه بقوله: ﴿وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ۝٣٢﴾ [الآية 32] ولما ذهب لسماع كلام الله حين قال تعالى: ﴿وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ﴾ [الأعراف:الآية 142] لم يستصحبه لأن الذهاب إلى الخلق يوجب الوحشة فطلب الصحبة ليخف عليه كلفة المشقة. ويقال: إن المحبة توجب التفرُّد والانفراد إذ ليس للغير مع الحب مساغ في الفؤاد ففي ذهابه إلى فرعون استصحب أخاه ولما كان الذهاب إلى الميقات لم يكن للغير سبيل إلى صحبته لما كان المقصود من ذهابه ما كان موسى مخصوصاً به من حالته.

205/ أ ﴿كَيۡ/ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ۝٣٣ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ۝٣٤﴾ [الآيتان 33،34] فإن التفاوت يهيّج الرغبات ويؤدي إلى تكاثر الخيرات وتزايد المبرات ﴿إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ۝٣٥﴾ [الآية 35] ناظراً بأفعالنا وعالماً بأحوالنا وبأن التعاون مما يصلحنا وأن هارون نِعْمَ المعين لي فيما أمرتني.

وقال الأستاذ: بيَّن الله أنه سأل مشاركة هارون إياه لحق ربه لا لحظ نفسه حيث قال: ﴿كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ۝٣٣ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ۝٣٤﴾ [الآيتان 33،34].

﴿قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ﴾ [الآية 36] مسؤولك ﴿يَٰمُوسَىٰ ۝٣٦ وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَيۡكَ مَرَّةً أُخۡرَىٰٓ ۝٣٧﴾ [الآيتان 36،37] أنعمنا عليك في وقت آخر يسع لجميع المنن الأخر.

قال جعفر: قيل لموسى استكثرت تسبيحك وتذكيرك ونسيت بدايات

فضلنا عليك في حفظك في اليم وردك إلى الأم وتربيتك في حجر عدوك وأكبر من هذا خطابنا معك وكلامنا لك وأكبر من هذا إخبارنا باصطفائنا إياك.

وأفاد الأستاذ في تحقيق المراد أعطيناك ما سألت وتناسيت ابتداء حالك حين حفظناك في اليم ونجينا أمك من الغم وربيناك في حجر عدوك فإن كان سؤالك واختيارك ودعاؤك وأثبتنا في قلب امرأة فرعون شفقتك وألقينا عليك محبة مني حتى أحبك عدوك ورباك بعدما قتل بسببك ما لا يحصى من الولدان فالذي بدأك بهذه المنن هو الذي أتاك سؤلك وحقق لك مأمولك.

﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾﴾ [الآية 38] بالإلهام أو في المنام ما يوحى ما لم يعلم إلا بالإلهام ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ﴾ [الآية 39] أي اطرحيه عن حجر قلبك ﴿فِى ٱلتَّابُوتِ﴾ [الآية 39] أي الصندوق التنبيه بقربك ﴿فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ﴾ [الآية 39] أي يم الهم وهو بحر النيل على ما قيل ﴿فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ﴾ [الآية 39] أمر بمعنى الخبر مبالغة في الأمر ﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى﴾ [الآية 39] أي في منازعته الألوهية ﴿وَعَدُوٌّ لَّهُۥ﴾ [الآية 39] في مخالفة العبودية أو زوال الأمور الملكية أو تكرير عدو للمبالغة أو الأول باعتبار ما وقع والثاني باعتبار ما يتوقع ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى﴾ [الآية 39] أي محبة كائنة مني قد زرعتها في قلوب العباد بحيث لا يكاد يصبر
205/ب عنك مَن رآك من أهل البلاد فلذا أحبك فرعون مع ما كان يقتل من الأولاد، / ويجوز أن يتعلق مني بألقيت أي أحببتك ومن أحبه الله أحبه ما سواه.

وأفاد الأستاذ: أنه يقال في لفظ الناس فلان ألقى محبته على فلان أي أحبه، ويقال: وألقيت عليك محبة مني طرحت في قلوب الناس محبة لك فإن الحق إذا أحب عبد فكل مَن شاهده أحبه. ويقال: جعل ملاحة في عينيه فكان لا يراه أحد إلا أحبه. ويقال: ألقيت محبة مني أي أنبت في قلبك محبتي فإن محبة لله لا تكون إلا بإثبات الحق سبحانه ذلك في قلبك. وفي معناه:

إنَّ المحبة أمرها عجب تُلْقى عليك وما لها سببُ[1]

(1) ذكره القشيري (5/ 1) وانظ شرح ديوان المتنبي (1/ 171)، والزهرة (1/ 4).

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه رباه في حجر عدوه وكان قد قتل ألوفاً من الولدان بسببه وبلاء كل أحد كان بعده إلا بلاء موسى فإنه كان بسنين قبله فاليوم الذي أخذ موسى في حجره كان قد أمر بقتل كثير من الولدان من حذره ثم إنه رأى من هلاك ملكه على يده ليعلم أن أسرار الأقدار لا يعلمها إلا الجبار. ويقال: كان فرعون يسمي والد موسى وأباه ولم يكن في الحقيقة أباه وكان يقال لأم موسى ظِئر موسى ولم تكن في الحقيقة كذا فحيث الدعوى بالأبوة والنبوة لم يكن لها تحقيق وحيث كان اللقب تحقيق وحيث كان المعنى والحقيقة لم يكن عن ذلك خبر ولا عنه أحد من ذلك معرفة وأثر، هكذا الحديث والقصة أي مما يوجب حدوث القصة. ولقد جاء في الأخبار: أن النهر ألقاه على الساحل فحُمِل إلى فرعون فلما وقع بصر امرأة فرعون عليه باشر حبه قلبها وكذلك وقعت محبته في قلب فرعون ولكنها كانت أضعف فسبقت بقولها: ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ﴾ [القصص:الآية 9] ولولا إنها علمت أنه أخذ شعبة من قلب فرعون كما أخذ من قلبها لم تقل ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ﴾ [القصص: الآية 9]. ثم حكي أن موسى لما وُضِعَ في حجر فرعون لطم وجهه فقال فرعون: إن هذا من أولاد الأعداء، فقالت امرأته: إنه صبي لا تمييز له وتشهد له أنه لا يميز بين النار وبين غيرها من الجوهر والدنيا وأرادت أن تصدق قالتها وتحقق حالتها فاستحضرت شيئاً من النار وشيئاً من الجواهر / والدينار فأخذ جبريل يده 206/ أ من الميل إلى الجواهر والدينار وصرفها إلى صوب النار فأخذ جمرة بيده وقربها من فمه فأحرقت لسانه وعظم شأنه. ويقال: إن العقدة التي كانت على لسانه إنما كانت من ذلك الاحتراق في زمانه. ويقال: إنهم شاهدوا ولم يشاهدوا إذ العجب أنه لم تحترق يده من أخذ الجمرة واحترق لسانه من أثر الشعلة ليعلم أن هذا الأمر ليس بالقياس المقتضي شأنه بل فعال لما يريد سبحانه، انتهى.

ولا يخفى أنه لا دلالة على عدم احتراق يده غايته أنه على عادة الصغار أمال الجمرة إلى فمه فأثر في لسانه لكمال لطافته ولا يبعد أن يقال ما احترقت يده مجازة لجرها لحية فرعون أو لطمها وجهه ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [الآية 39] ولتتربى حال كونك بمرأى مني ويحسن إليك عني وأنا راعيك ومراقبك

بعيني عنايتي وبمن رعايتي وحسن حمايتي.

وقال الأستاذ: أي لا أمكِّن غيرك ليستميلك عني. ويقال: أحفظك من كل غير وحديث سوى حديثنا. ويقال: ما وكلنا حفظك أي أحد سوانا.

﴿إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ﴾ [الآية 40] لكم وذلك أنه كان لا يقبل ثدي المراضع فجاءت أخته مريم وقيل كلثوم متفحصة خبره ومتجسسة أمره فصادفتهم يطلبون مرضعة له يقبل ثديها فقالت: هل أدلكم على متكفلة به لكم، فقالوا: بلى، فجاءت بأمه فقبل ثديها ﴿فَرَجَعْنَٰكَ﴾ [الآية 40] فرددناك ﴿إِلَىٰٓ أُمِّكَ﴾ [الآية 40] وفاء بقولنا: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ﴾ [القَصَص:الآية 7]، ﴿كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ [الآية 40] بلقائك وبقائك ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ [الآية 40] هي بفراقك أو أنت على فراقها وفقد إشفاقها.

وأفاد الأستاذ: أن البلاء على حسب قوة صاحبه وضعفه فكل ما كان المرء قوياً كان بلاؤه أوفى وكل ما كان أضعف كان البلاء أخف وقد كانت أم موسى ضعيفة فرد إليها ولدها بعد أيام قليلة، ويعقوب لما قوي في حاله لم يصل إليه يوسف إلا بعد سنين طويلة، انتهى. ويؤيده ما ورد في الحديث من هذا المعنى: «أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل»[1] من الأولياء والأصفياء ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا﴾ [الآية 40] أي نفس القبطي الذي استغاثه عليه السبطي.

206/ب قال الواسطي: ألقاه/ في أعظم الأسوأ حتى يجد طعم الأصفى ﴿فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ [الآية 40] غم قتله خوفاً من عقاب ربه ﴿وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾ [الآية 40] ابتليناك ابتلاء كبيراً أو أنواعاً كثيرة وخلصناك مرة بعد أخرى وهو إجمال لما ناله في سفره من الهجرة عن وطنه ومفارقة إلفه ومشيه راجلاً عن حذره وفقد زاده وإيجاد نفسه مع ما سبق له من وضع أمه في تابوت الهم وقذفه في اليم وما لحق في رجوعه من ضلاله طريقه وتفرق غنمه وتشتت حاله مع أهله وكل منهما فتنة وبلية ومحنة، وقد قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء:الآية 35].

(1) أخرجه ابن حبان في الصحيح (7/ 160) رقم (2900)، والنسائي في السنن الكبرى (4/ 352) رقم (7482).

وقال أبو الحارث: فتناك بك عما سوانا.

وأفاد الأستاذ: أنه أجرى عليه ما هو في صور كثيرة من قتل النفس بغير حق هنالك، ثم بيَّن أنه لم يضره ذلك فليست العبرة بفعل العبد وقلبه بل العبرة بعناية الحق لشأن أحد وعدوانه لآخر، ويقال: كم من أناس لا يموتون وقد ضربوا ألوفاً من السوط والخشبة ومقتول موسى مات بالوكزة، فما الذي أوجب من وفاته لو أنه أراد به فتنة موسى وشدة بليته. وروي في بعض الكتب: أن أقام سبحانه موسى كذا وكذا مقاماً يسمعه كلامه كل مرة بإسماع آخر نوعاً وجنساً وفي كل مرة يقول له: ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ [الآية 40] أريناك عين الجمع حتى رآك عنك ما داخلك من الغم بصيغة مقتضى التفرقة فلما أريناك سر جريان التقدير نجيناك من الغم في التدبير وفتناك فتوناً وأخلصناك لنا حتى لا تكون لغيرنا. ويقال: جئنا عليك البلاء ونوعنا العناء حتى جردناك من كل اختيار وإرادة ثم حينئذ رقيناك إلى ما استوجبته من المقام الذي خلقناك له من النبوة والرسالة.

﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ﴾ [الآية 40] قضاء لأوفى الأجلين وهو عشر سنين ﴿فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ [الآية 40] بينه وبين مصر ثماني مراحل ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ﴾ [الآية 40] على مقدار معين من الزمان قدّرته لأن أكلمك وبالرسالة أكمِّلك غير مستقدم عن أوانه ولا مستأخر عن إبانه، أو على مقدار مبين من السن يوحى فيه غالباً إلى الأنبياء
ويكمل عنده حال أكثر الأولياء وهو أربعون سنة / ﴿يَٰمُوسَىٰ﴾ [الآية 40] في تكرير 207/أ
النداء إيماء إلى كمال الاعتناء.

وأفاد الأستاذ: أن الأجل إذا جاء للأشياء فلا تأخير فيه ولا تقديم. وأنشدوا في قريب من معناه:

بينما خاطر المنى بالتلاقي سانح في فؤاده وفؤادي
جَمَعَ الله بيننا فالتقينا هكذا بغتة بلا ميعاد[1]

(1) ذكره القشيري في تفسيره (5/ 2)، (7/ 31).

﴿وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي ۝٤١﴾ [الآية 41] اخترتك لكلام قدسي ومرام أنسي حتى لا تختار غيري.

وقال الأستاذ: استخلصتك لي حتى لا تصبح لأحد غيري ولا يتأتى منك شيء غير تبليغ رسالتي وما هو مرادي منك، أي من إشاعة حكايتي وروايتي. ويقال: أفردت سرّك لي وجعلت إقبالك عليَّ دون غيري وحلت بينك وبين كل أحد ممن هو دوني.

﴿ٱذۡهَبۡ أَنتَ﴾ [الآية 42] أصالة ﴿وَأَخُوكَ﴾ [الآية 42] تبعاً ﴿بِـَٔايَٰتِي﴾ [الآية 42] بمعجزاتي ﴿وَلَا تَنِيَا﴾ [الآية 42] لا تقصرا ﴿فِي ذِكۡرِي﴾ [الآية 42] في تبليغ أمري أو لا تفترا عن الاشتغال بذكري.

قال سهل: لا تكثرا الذكر باللسان وتغفلا عن مراقبة الجنان.

﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝٤٣﴾ [الآية 43] تجاوز عن حد العبودية بدعوى الربوبية.

قال ابن عطاء: اذهبا إلى فرعون بعبارة النذارة في الطريقة وهما مبعوثان إلى السحرة بإشارة البشارة في الحقيقة لأن الأعداء ليس لهم عنده من الخطر ما يرسل إليهم الأنبياء ولكن يبعث إليهم بعض أنبيائه ليخرج أولياءه من بين أعدائه.

﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا﴾ [الآية 44] بيِّنا له أمراً هيناً مثل هل لك إلى أن تزكى وأهديك إلى ربك فتخشى أو عداه شباباً لا يهرم بعده وملكاً لا يزول له ونظيره قوله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ﴾ [النحل:الآية 125]، ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ﴾ [الآية 44] الأحوال السابقة ﴿أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾ [الآية 44] الأهوال اللاحقة والمعنى باشر أمر الدعوة على رجائكما أنه يثمر النتيجة ولا يخيب سعيكما في الأخيرة والفائدة في إرسالهما والمبالغة عليهما في اجتهادهما مع علمه سبحانه بأنه لا يؤمن إلزام الحجة وقطع المعذرة وإظهار القدرة.

قال النهرجوري: هذا رفقك بمن جحدك فكيف رفقك بمن عبدك. وقال

أيضاً: لأنه أحسن إليك في ابتداء أمرك فلم تكافئه فأحببت أن أكافيه / عنك. 207/ ب

﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ﴾ [الآية 45] أي يعجل علينا بالعقوبة ولا يصبر إلى إتمام الدعوة وإظهار المعجزة ﴿أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾ [الآية 45] يزداد طغياناً في النعمة وكفراناً بالنعمة، وفي الآية إشارة إلى أن الخوف الذي يميل جبلّية الإنسان إليه لإيلام صاحبه عليه.

وأفاد الأستاذ: أنهما لم يخافا على أنفسهما شفقة عليهما ولكن قالا: إنا نخاف أن يحل بنا مكروه من جهته فلا يحصل منا ما تأمرنا به من القيام بأمر دعوته فكان ذلك الخوف لأجل الله لا لأجل حظوظ أنفسهما ولا لغرض سوى رضاه. ويقال: لم يخافا من فرعون على أنفسهما ولكن خافا من تسليط الله إياه عليهما وإنما راعيا حسن الآداب في فصل الخطاب.

﴿قَالَ لَا تَخَافَآ﴾ [الآية 46] من غيري أن يضرّكما ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ﴾ [الآية 46] بالحفظ والنصرة لكما ﴿أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [الآية 46] ما يجري بينه وبينكما فأحدث في كل حال ما يصرف شره عنكما.

وأفاد الأستاذ: أنهما تلطفا في استجلاب هذا القول من الحق سبحانه بقولهما: ﴿إِنَّنَا نَخَافُ﴾ [الآية 45] وكان المقصود لهما أن يقول الحق ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ﴾ وإلا فأنى بالخوف من غير الحق لمن هو مخصوص بالنبوة والرسالة. ويقال: سكن الخوف منهما بقوله: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ﴾ [الآية 46] فقويا على الذهاب إليه من جهة دعوة الدين إذ من شرط التكليف التمكين ولذا قالا بعدما قال لهما لا نبالي الآن بغيرنا بعدما أنت معنا.

﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ [الآية 47] بالدعوة إلى التوحيد والنبوة كما يستفاد من قوله تعالى: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾﴾ [النَّازعَات: الآيتان 18، 19]، ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الآية 47] الذين هم من ذرية الأنبياء ومن جملة المؤمنين والأولياء ﴿وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾ [الآية 47] بالتكاليف الصعبة في أيدي الأعداء.

وأفاد الأستاذ: أنه طال البلاء ببني إسرائيل من جهة فرعون اللعين فقد

أدركهم الحق سبحانه ولو بعد حين وهذه عادته بإجراء سنَّته في بريته يرخي عنان الظالم اللئيم لكن إذا أخَذَهُ فَأَخْذه شديد أليم ﴿قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ﴾ [الآية 47] بعلامة هي معجزة مصدقة لدعوى / الرسالة. وفيه إشارة إلى أن 208/ أ
وحدة الحجة كفاية في وضوح المحجة.

وأفاد الأستاذ: أنه ما نفعتهم تلك الآية البينة وإنما تأكدت عليهم الحجة فإذا عمي بصر القلب فأنى تنفع بصيرة الحجة. وفي معناه قالوا:

وفي نظر الصادي إلى الماء حسرة   إذا كان ممنوعاً سبيل الموارد(1)

﴿وَالسَّلَامُ﴾ [الآية 47] أي سلام الله أو سلامنا أو السلامة في الدنيا والعقبى ﴿عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ﴾ [الآية 74] قال الواسطي: من سبقت له العناية اتبع الهداية في البداية والنهاية.

وأفاد الأستاذ: أنه إنما يتبع الهدى من كحّل عين قلبه بنور العرفان فأما مَن كان على قلبه غشاوة الجهل وقساوة النسيان فمتى يتبع الهدى الثابت بالبرهان.

﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ﴾ [الآية 48] أي في الدنيا والعقبى ﴿عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [الآية 48] أعرض عن الهدى وأقبل على الردى.

وأفاد الأستاذ: أن قسوة القلب نوع عقوبة وكذا الفترة في الطاعة وكذا خسران نصيب الكمال في الأنفس والأموال والأحوال.

﴿قَالَ﴾ [الآية 49] أي بعدما أتياه وقالا ما أُمِرا به ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ﴾ [الآية 49] هذا من باب الاكتفاء أو لأنه الأصل في الخطاب فكذا في الموانع النداء مع ما فيه من مراعات رؤوس الآي.

﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ [الآية 50] صورته وسيرته ومما خلق لأجله ويطابق حاله ويوافق كماله ﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [الآية 50] ثم عرفه كيف يرتفق بإعطائه وكيف يتوصل به إلى كمال بقائه اختياراً وطبعاً وهو عبارة في غاية البلاغة

(1) نسب إلى الأخطل. انظر محاضرات الأدباء (1/ 374).

مع اختصارها على إعرابها عن الموجودات بأسرها مفتقراً إليه ومنعم عليه في حد ذاته وصفاته وأفعاله وأن الغني القادر بالذات المنعم على الإطلاق هو الله لا سواه.

وأفاد الأستاذ: أنه إنما أجاب موسى عن هذا السؤال بالحوالة على فعله ليعلم أن الدليل على إثباته سبحانه ما عليه من أفعاله عزّ شأنه.

﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾﴾ [الآية 51] فما حال الأمم الماضية بعد الإماتة من السعادة والشقاوة.

﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى﴾ [الآية 52] لا عند غيره ﴿فِى كِتَٰبٍ﴾ [الآية 52] / مثبت 208/ ب
في اللوح المحفوظ أو في كتاب الحفظة ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّى﴾ [الآية 52] لا يخطئه ﴿وَلَا يَنسَى﴾ [الآية 52] فإنهما محالان على العالم بالذات.

وقال الأستاذ: أي إنما يمكنني أن أخبركم بما أخبرني به ربي فما عرفني عرفت وما ستره عليّ وقفت.

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾ [الآية 53] بساطاً وفراشاً. وقرأ الكوفيون مهداً أي كالمهد مبسوطاً وممهداً.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه جعل الأرض مستقراً لأبدانهم وجعل أبدانهم مستقرة لعبادته وقلوبهم مستقرة لمعرفته وأرواحهم مستقرة لمحبته وأسرارهم مستقرة لمشاهدته ﴿وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ [الآية 53] بين الجبال والأودية والفلوات والبرية تسلكونها من أرض إلى أرض لتبلغوا منافعها وتضلوا منابعها هذا وعند أرباب الحقائق الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ [الآية 53] مطراً لإحياء نباتكم وقد يكون في الماء من الإيماء إلى نزول ما به العلم والمعرفة من عالم السماء في أودية قلوب العلماء ﴿فَأَخْرَجْنَا﴾ [الآية 53] التفات ﴿بِهِۦٓ﴾ [الآية 53] أي بسبب الماء النازل من السماء ﴿أَزْوَٰجًا﴾ [الآية 53] أصنافاً ﴿مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ [الآية 53] متفرقة في الصورة والسيرة ومختلفة بحسب المنفعة المعدّة لأنواعْ البرية كما يشير إليه قوله: ﴿كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾﴾ [الآية 54] لذوي العقول الناهية عن ارتكاب القبائح واتباع الفضائح.

﴿مِنْهَا﴾ [الآية 55] من الأرض ﴿خَلَقْنَاكُمْ﴾ [الآية 55] فإن التراب أصل خلقة أول آبائكم وأول قطرة مواد أبدانكم وأعضائكم ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ [الآية 55] أي بإماتتكم وتقليب أجزائكم ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [الآية 55] بتأليف أجزائكم المتعفنة المختلطة بالتراب على الصورة السابقة ورد الأرواح إليها في الدار اللاحقة، والإخراجة الأولى هي الخلق منها وإدخال الأرواح عليها. وكأنه أشير إلى هذا الباب في قول بعض أولي الألباب: ما للتراب ورب الأرباب.

وأفاد الأستاذ: أن الأجساد قوالب والأرواح ودائع، فالقوالب نسبتها التربة والودائع صفتها القربة والقوالب يربيها بأفضاله والودائع بكشف جلاله ولطف جماله، وللقوالب / اليوم اعتكاف على بساط عبادته وللودائع اتصاف 209/ أ
بدوام معرفته.

﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ﴾ [الآية 56] فرعون ﴿ءَايَاتِنَا كُلَّهَا﴾ [الآية 56] أنواعها وأصنافها من الآفاقية والأنفسية والآيات التسع المعلومة في القضية ﴿فَكَذَّبَ﴾ [الآية 56] بجنس الآية ﴿وَأَبَىٰ﴾ [الآية 56] عن قبول الإيمان والطاعة.

وأفاد الأستاذ: بجحده، وأعماه عن شهود ذلك بسره فمن نجح فيه من كلامه وما انتفع بما حذّره من انتقامه وبشّره به من إنعامه.

﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا﴾ [الآية 57] وطننا ﴿بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [الآية 57] هذا تعلُّل وتحيُّر ودليل على أنه علم كونه محقاً في أمره حتى خاف منه على ملكه فإن ساحراً لا يقدر أن يُخرج ملكاً مثله من محله.

﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ﴾ [الآية 58] للمعارضة ﴿بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ﴾ [الآية 58].

وقال الأستاذ: دعاهم موسى إلى الله تعالى وخاطبهم من حديث العقبى بتبشير ثواب وتخويف عقاب فلم يجيبوه إلا من حديث الدنيا دلالة وضلالة وما زادهم تذكيراً وموعظة إلا ازدادوا غفلة وجهالة، كذلك غفلة من وسمه الحق بإبعاده عن باب مراده ولم يكن له عرفان ولا بما يقال له إيمان ولا يتأسف على ما يفوته من معضلة إذ لا تصديق له بحقيقة ما هو بصدده ﴿فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾ [الآية 58] وعداً ﴿لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا﴾ [الآية 58] بدل

من موعداً على تقدير مكان إيجاز وعد ﴿سُوًى﴾ [الآية 58] منتصفاً يستوي مسافته إليك وإلينا وهو إظهار غاية الاتصاف ونهاية الانتصاف. وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة بالضم وكلهم نونه إلا الحسن البصري.

وأفاد الأستاذ: أنهم تأهبوا لمناصبة الحقيقة وتشمروا في مخالفة الطريقة فقصتهم المشيئة وكبستهم القدرة، وكما قال بعضهم:

اِسْتَقْبَلَنِي وسيفه مسلول وقال لي واحدنا معذول[1]

﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾ [الآية 59] أي مكان إنجاز وعدكم مكان اجتماع يوم زينتكم، وهو يوم عيد لهم في قريتهم أو ملتهم وإنما عيّنه سبحانه ليظهر الحق ويزهق الباطل على رؤوس الأشهاد ويشيع ذلك في أقطار البلاد ﴿وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى﴾ [الآية 59] أي وقت ظهور العباد فصار/ يوم عيدهم وقت وعيدهم. 209/ ب

وأفاد الأستاذ: أنهم تواعدوا أن يجتمعوا إلى يوم كان يوم عيد لهم وقصدهم أن يقلبوا موسى بمشهد من الناس في أمرهم، وأرادوا أن يصبح للناس في امتداحهم، فكان في ذلك افتضاحهم.

﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ﴾ [الآية 60] أي أدبر على نيّته وأعرض عن ربه وأقبل على مكره ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ﴾ [الآية 60] أي ما يكاديه من السحرة وآلاتهم من جبلاتهم وعصيانهم بحسب تخيلاتهم وتمثيلاتهم ﴿ثُمَّ أَتَىٰ﴾ [الآية 60] بالمكان بالسواء والموعد المنوي وقد حسر الناس ضحى وتقدم السحرة في مقام المعارضة.

﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ﴾ [الآية 61] أي من المولى ﴿لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الآية 61] بأن تدعوا آياته سحراً وصاحب معجزاته ساحراً ﴿فَيُسْحِتَكُم﴾ [الآية 61] يستأصلكم ﴿بِعَذَابٍ﴾ [الآية 61] ويهلككم بحجاب. وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالضم من الإسحاق وهو بعض اللغات ﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾ [الآية 61] أي خسر من كذّب على رب الأرباب كما خاب فرعون في هذا الباب.

وأفاد الأستاذ: أنه كاد فرعون فكيد وأراد فأُريد وادعى الاستعلاء فأذل

---

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 241).

وأذيق البأساء ولم يغادر فرعون شيئاً من البله والحمق ولم يدع موسى شيئاً من الوعظ والرفق فقال: ﴿وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [الآية 61] واعلموا أنه لا طاقة لأحد مع الله إذا عذّب أبداً.

﴿فَتَنَازَعُوا﴾ [الآية 62] أي فرعون وقومه لِتَحَيرهم ﴿أَمْرَهُم﴾ [الآية 62] أي في أمرهم ﴿بَيْنَهُمْ﴾ [الآية 62] فيما بينهم ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى﴾ [الآية 62] أي أخفوا تناجيهم عن غيرهم.

﴿قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾ [الآية 63] اسم أن على لغة من جعل الألف للتنبيه في الأحوال الثلاثة، أو اسمها ضمير الشأن وخبرها هذان الساحران واللام زائدة ولهما في مقام التأكيد فائدة. وقرأ أبو عمرو: إن هذين وهو ظاهر. وابن كثير وحفص: إن هذان، على أنها هي المحققة واللام هي الفارقة أو النافية واللام بمعنى إلا الاستثنائية ﴿يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ﴾ [الآية 63] بالاستيلاء عليها ﴿بِسِحْرِهِمَا﴾ [الآية 63] من جهة ميلهما إليها ﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى﴾ [الآية 63] بمذهبكم الذي هو أفضل المذاهب وأكمل المراتب فيبطلاه بإظهار مذهبهما وإعلاء دينهما لقوله: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾ [غافر:الآية 26].

210/أ وأفاد الأستاذ: أنهم / قالوا إن هذان لساحران في دعوتهما كاذبان وقصدهما إخراجكم عن بلدكم والتشويش عليكم في معتقدكم.

﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ﴾ [الآية 64] من الإجماع أي فاعزموا إليه واجعلوه مجمعاً عليه لا يتخلف واحد منكم لديه. وقرأ أبو عمرو: فأجمعوا بهمز الوصل وفتح الميم ﴿ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا﴾ [الآية 64] مصطفين لأنه أهيب في صدور الرائين. قيل: كانوا سبعين ألفاً مع كل واحد منهم حبل وعصا فأقبلوا عليه إقبالة واحدة ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى﴾ [الآية 64] فاز بالمطلب من استولى وغلب.

﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى (٦٥)﴾ [الآية 65] أي اختر إلقاءك أولاً أو إلقاءنا، أو الأمر إلقاؤنا أو إلقاؤك ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا﴾ [الآية 66] مقابلة أدب بأدبهم وعدم مبالاة بسحرهم وإنجاح إلى ما أوهموه من ميلهم إلى البدء بذكر الأول في شقهم فليس ذلك إذناً لهم في عمل سحرهم ولن يبرزوا ما معهم

ويظهروا ما في وسعهم فيقذف الله سبحانه بالحق على الباطل فيدمغه ويذهب شأنه ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ﴾ [الآية 66] أي فألقوا فإذا حبالهم فهي للمفاجأة ﴿وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [الآية 66] وذلك بأنهم لطخوها بالزئبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت فخُيِّل إليهم أنها تحركت. وقرأ ابن ذكوان على إسناده إلى ضمير الحبال والعصي وإبدال أنها تسعى منه بدل الاشتمال.

﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾﴾ [الآية 67] فأضمر فيها خوفاً من مفاجأته في القضية على ما هو مقتضى الحيلة البشرية ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ﴾ [الآية 68] من الأمور الوهمية والأحوال الخيالية ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [الآية 68] من المراتب الجلية والمناقب العلية لأنك في الطريقة الحقيقية والجادة السوية.

قال ابن عطاء: قلنا لا تخف من غيرنا فإنك بمرأى منا وإنك القائم بالمسبب وهم المعتمدون على الأسباب، أي فأنت على الباب وهم المبعودون بالحجاب وهم على التوهم وأنت في صوب الصواب.

﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ﴾ [الآية 69] فإنها شاهدة صدق يقينك في حق دينك ولا تبال بما في أيديهم من حبالهم وعصيهم ﴿تَلْقَفْ﴾ [الآية 69] أي تبتلع عصاك ﴿مَا صَنَعُوٓاْ﴾ [الآية 69] في إبطال / هداك وأصله تتلقف وحذف إحدى التائين. وقرأ 210/ ب
حفص بالتخفيف من لقف بمعنى تلقف. وقرأ ابن ذكوان بالتشديد، والرفع على أن الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً أو حال مقدرة من فاعل (ألقِ) ﴿إِنَّمَا صَنَعُواْ﴾ [الآية 69] أي صوّروا وزوّروا ﴿كَيْدُ سَٰحِرٍ﴾ [الآية 69] مكر ماكر ماهر. وقرأ حمزة والكسائي سحر بمعنى ذي سحر وإنما وجد الساحر لأن المراد به جنس المطلق، ولذا قال: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ﴾ [الآية 69] أي هذا الجنس المحقق ﴿حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [الآية 69] حيث كان وأين أقبل أو حيث فعل أو لم يفعل.

﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا﴾ [الآية 70] أي فألقى عصاه فتلقفت ما عداه فتحقق عند السحرة أنه ليس بسحر ومكيدة وإنما هواية ومعجزة أكيدة فألقاهم ذلك على وجوههم سُجّداً لله توبة عما صنعوا لغير رضاه. وقد روى عكرمة أنهم رأوا في سجودهم الجنة وما لهم من منازل القربة ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾ [الآية 70]

آخر لرؤوس الآية.

﴿قَالَ﴾ [الآية 71] أي فرعون ﴿ءَامَنتُمْ﴾ [الآية 71] وقرأ حفص وقنبل آمنتم ﴿لَهُۥ﴾ [الآية 71] أي أسلمتم لموسى أو آمنتم بالله لأجل موسى ﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ [الآية 71] في إيمان له ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ﴾ [الآية 71] في فنكم ﴿الَّذِى عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ [الآية 71] وقد تواطأتم على هذا الأمر ﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾ [الآية 71] أي اليد اليمنى والرِجل اليسرى منهما ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [الآية 71] أي عليها ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ﴾ [الآية 71] يريد نفسه وموسى أو رب موسى بناء على قول: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ [النَّازعَات:الآية 24]، ﴿أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ﴾ [الآية 71] أدوم عقاباً.

﴿قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ﴾ [الآية 72] لن نختار أمرك ﴿عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ الْبَيِّنَٰتِ﴾ [الآية 72] الدلالات الواضحات ﴿وَالَّذِى فَطَرَنَا﴾ [الآية 72] أي ونحلف على ذلك بالله الذي خلقنا ﴿فَاقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾ [الآية 72] له أي حاكم به أو قاضيه أي صانعه وفاعله.

قال ذو النون: من آثر الله على الأشياء مما سواه هان عليه ما يلقى في ذات الله.

وأفاد الأستاذ: أنهم لما خيلوا للناس بإلقاء الحبال والعصي أنها حيات وأوهموا أنها ذوات حياة وابتلع عصا موسى جملتها حين حملتها تحقق للسحرة أن هذا أمر سماوي وحكم إلٰهي حيث تلاشى غير ما كان معهم من
أوتار الحبال والعصي وصار الثعبان عصا كما هي فسجدوا لله مؤمنين / تائبين 211/أ
وانقلب فرعون وقومه خائبين وتوعدهم بالقتل والصلب وفنون من العذاب الصعب فبعدما كانوا يقسمون بعزة فرعون كانوا يحلفون بالله فيقولون: ﴿لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ الْبَيِّنَٰتِ﴾ [الآية 72]. ولما طلع في أسرارهم شموس المعرفة وانبسط عليهم أنوار العناية أبصروا الحق سبحانه بأسرارهم وانكشف الأمر بأنوارهم فنطقوا ببيان التصديق وتكلموا ببرهان التحقيق وسجدوا بقلوبهم لمشهودهم وسقطوا على وجوههم لمعبودهم ولم يحتشموا مما توعدهم به من

العقوبة لما تحقق لهم سواطع المعرفة ولوامع القربة ورأوا كل ذلك من الله في الحقيقة فاستعذبوا البلاء وتحملوا الأذى وكانوا بالغداة كفاراً سحرة فأمسوا أخياراً بررة ﴿إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ﴾ [الآية 72] إنما تصنع ما تهواه أو تحكم بما تراه في هذه الدنيا والآخرة خير وأبقى لأهل التقوى علموا أن البلاء في الدنيا سيقضى وإن تمادى وينتهي وإن تقاضى.

﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا﴾ [الآية 73] من الكفر والمعصية ﴿وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ﴾ [الآية 73] في معارضة المعجزة ﴿وَٱللَّهُ خَيْرٌ﴾ [الآية 73] ثواباً ﴿وَأَبْقَىٰٓ﴾ [الآية 73] عذاباً.

وأفاد الأستاذ: إن أهم الأشياء على أهل معرفته مغفرة الخطيئة، هذا آدم عليه السلام لما استكشف عن حاله وحلّ به ما حل من حسن مآله قال: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف:الآية 23]. وهذا نوح عليه السلام بعد مقاساته طول البلاء قال في حال النداء: ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [هود:الآية 47]. وهذا موسى عليه السلام قال: ﴿إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى﴾ [القَصَص:الآية 16] فغفر له وقال لنبينا ﷺ: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [غافر:الآية 55] ومنَّ عليه بقوله: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفَتْح:الآية 2]. وقد قال ﷺ: «وإنه ليغان على قلبي حتى أستغفر الله في اليوم سبعين مرة»[1] انتهى.

وحاصله أن مقام التوبة مرتبة عظيمة ومنقبة جسيمة ولا يستغني عنها طالبون كاملون فضلاً عن قوم هم عاصون غافلون، قال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النُّور:الآية 31].

211/ب ﴿إِنَّهُۥ﴾ [الآية 74] أي الأمر والشأن ﴿مَن يَأْتِ/ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا﴾ [الآية 74] بأن يموت على كفره وكفرانه ﴿فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ﴾ [الآية 74] لعدم توبته عن عصيانه ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ [الآية 74] فيستريح بالفناء ﴿وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [الآية 74] منها بالبقاء.

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (1/ 691) رقم (1882)، والطبراني في المعجم الكبير (1/ 302) رقم (887)، والنسائي في السنن الكبرى (6/ 116) رقم (10277).

﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الآية 75] في الدنيا ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ﴾ [الآية 75] المنازل العلية في العقبى.

﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ [الآية 76] بدل مما قبله، أي جنات إقامة ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ [الآية 76] أبداً لا يبغون عنها حولاً ﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [الآية 76] تطهر من أدناس الكفر وأجناس المعاصي. والآيات الثلاث يحتمل أن تكون من تتمة كلام السحرة وأن يكون ابتداء كلام من الله موعظة لهذه الآية.

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى﴾ [الآية 77] أي من مصر إلى الأرض المقدسة من بلادي ﴿فَٱضْرِبْ﴾ [الآية 77] أي اجعل واتخذ ﴿لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا﴾ [الآية 77] يابساً ﴿لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا﴾ [الآية 77] جملة حالية أي أمناً من أن يدركك العدو. وقرأ حمزة: لا تخف على أنه جواب الأمر ونهي بحذف العاطف واستئناف على قراءة حمزة، أنت ﴿وَلَا تَخْشَىٰ﴾ [الآية 77] أي عطف وألفه للإطلاق أو على لغة من يثبت حرف العلة مطلقاً.

﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ﴾ [الآية 78] الباء للمصاحبة أي فأتبعهم معهم ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ [الآية 78] الضمير له ولهم وفيه مبالغة من حيث الإبهام ووجازة من جهة بنية الكلام، أي غشيهم ما سمعت من قصته ولا يعرف إلا الله كنه حقيقته.

﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ﴾ [الآية 79] على طريق الردى ﴿وَمَا هَدَىٰ﴾ [الآية 79] ما دلهم على سبيل الهدى.

وأفاد الأستاذ: أنه لما عبر موسى ببني إسرائيل البحر وقرب منه فرعون ورآه منفلقاً والطريق فيه يابساً غرقوه بتلبيسه ووسوسة إبليسه فقال هذا لحشمتي تعلق، فقال: أنا ربكم الأعلى، فلما حصل دخوله بعسكره البحر حتى دخل آخرهم وهمّ أن يخرج أولهم أمر الله البحر حتى انتظم أمواجه فأغرقهم بجملتهم وأمر فرعون لما ظهر اليأس من عمره وبقاء أمره فلم ينفعه إقراره وتداركته الشقاوة التي سبقت له من القضاء والقدر بحكم الكتابة.

﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الآية 80] خطاب لهم بعد إنجائهم وإهلاك أعدائهم أو

لإنبائهم بما فعل بآبائهم ﴿قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ﴾ [الآية 80] فرعون / وقومه 212/ أ
﴿وَوَٰعَدْنَٰكُمْ﴾ [الآية 80] أي نبيكم ﴿جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ﴾ [الآية 80] لنجاة موسى وإنزال كلام المولى ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ [الآية 80] أي في التيه عند حلول البلوى.

﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [الآية 81] حلالاته أو متشبهاته، وقرأ حمزة والكسائي: أنجيتكم وواعدتكم ورزقتكم بالتاء، وأبو عمرو ووعدناكم ﴿وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ﴾ [الآية 81] فيما رزقناكم بالإخلال بشكره وبالتجاوز عن حكمه كالسرق والبطر والادخار والمنع عن أرباب الاضطرار ﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى﴾ [الآية 81] فيلزمكم عذابي ويجب لكم حجابي ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ﴾ [الآية 81] هلك وتردى. وقرأ الكسائي يحل ويحلل بالضم من حل إذا ترك.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يذكرهم آلاءه ويعد عليهم نعماءه ويأمرهم بالتزام الطاعة والقيام بالشكر لما أسبغ عليهم من فنون النعمة ثم ذكرهم ما منَّ به على سلفهم من إنزال المن والسلوى وصرف المحن وصنوف البلوى ثم الطيب من الرزق ومراقبة الخالق وهو ما يأخذه العبد من الله فما لأهل الجنة مؤجل في عقباهم جهراً معجل لأصفيائه في الدنيا سراً. قال تعالى: ﴿ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾ [الذاريات:الآية 16] أي قانعين وراضين. ويقال: السرى من يد الحبيب أرى والأرى من يد الأجنبي شرى، والأرزاق مختلفة بجماعة مؤتلفة فلقوم حظوظ النفس ولآخرين حقوق القلب ولأقوام شهود الأسرار ولآخرين وجود الأنوار فرزق النفوس التوفيق ورزق القلوب التصديق ورزق الأرواح التحقيق. وقوله: ﴿وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ﴾ [الآية 81] بمجاوزة الحلال إلى الحرام أو بالزيادة على الكفاف والكفاية في المرام وما لا بد منه مما زاد على سد الرمق في هذا المقام، أو بالأكل على الغفلة ونسيان النعمة. وقوله: ﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى﴾ [الآية 81] بالخذلان التابعة المذلة بعد الزلة أو بفقدكم التأسف على ما فاتكم أو بالرضا بما هم فيه من نقصان الحال وتشتت البال.

﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾ [الآية 82] عن الشرك أو عن المعصية أو عن الغفلة

212/ب أو عن الزلة ﴿وَءَامَنَ﴾ [الآية 82] بما يجب الإيمان وثبت في مقام الإيقان / ومرتبة الإحسان ومنزلة العرفان ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [الآية 82] مما في وسع الإنسان ﴿ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [الآية 82] استقام على الهدى أو اهتدى إلى مشاهدة المولى.

وأفاد الأستاذ: أن مَن سمع قوله وأنى ما يقول في عمره وإني أنا الغفار ومنه ألف خطوة ومنك الفعل مرة ومنه الفضل ألف كرة ومنك ندم ومنه ألف كرم ومنك يسير خدمة ومنه كثير نعمة ومنك قليل طاعة ومنه جليل رحمة ويقال: كثير المغفرة لمن تاب مرة فيغفر له أنواعاً من ذنوبه التي لم يتب منها سرها وجهرها كبيرها وصغيرها وما يذكره وما لا يذكره منها. ويقال: مَن شغله سماع قوله: وإني، استهلك في استيلاء ما غلب عليه من ضياء القربة فإذا جاءت المغفرة صادفته وهو بعين المحو في حال السكرة فيتعلق بذنوب أصحابه وأحبابه وإخوانه وكل مَن يعتني هو بشأنه كما قالوا:

إني على جفواتها بَرٌّ بها وبكل متصل بها متوسل
وأحبها وأحب منزلها الذي نزلت به وأحب أهل المنزل(1)

ويقال لمن آمن في المآل كما هو مؤمن في الحال وعمل صالحاً لاحظ عمله بعين الاستغفار وحالته بعين الاستقدار. ويقال: آمن بأن جميع الحوادث من الله ومن عمل صالحاً ألَمّ بالحق بحسب الإرادة تجلى بالفريضة عن العبادة واهتدى للسنَّة والجماعة. ويقال: ثم للتراخي أي آمن في الحال ثم اهتدى في المآل، ويقال: بنا إلينا.

﴿۞ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾﴾ [الآية 83] سؤل عن سبب العجلة بتضمن إنكارها من حيث إنها تقتضيه في نفسها وانضم إغفال القوم إليها وإيهام التعظيم عليهم فيها فأجاب موسى عنها وقدم جواب الإنكار لأنه أهم منها ﴿قَالَ هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى﴾ [الآية 84] ما تقدمتهم إلا بخطى يسيرة وليس بيني وبينهم مسافة كثيرة ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [الآية 84] شرفاً إلى الوفاء بوعدك وذوقاً

(1) ذكره القشيري في تفسيره (5/ 25).

إلى القيام بعهدك ومسارعة إلى امتثال أمرك واحتمال طاعتك ابتغاء لمرضاتك.

وأفاد الأستاذ: أنه أخرجهم مع نفسه فيما/ استصحبهم ثم تقدمهم 213/ أ بخطوات وأخَّرهم فقيل له في ذلك لمعاتبتهم مراعاة لحق صحبتهم. ويقال: قوم يعاتبون لتقدمهم وآخرون لتأخرهم فشتان ما بينهم، فقال: ما خلفتهم لتضييعي إياهم ولكن عجلت إليك رب لترضى عني وعنهم، فقال: يا موسى رضاي في أن تكون معهم ولا تسبقهم فكونك مع الضعفاء الذين استصحبتهم في معنى حصول رضاي عنك وعنهم أبلغ من تقدمك عليهم.

﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ﴾ [الآية 85] ابتليناهم وهم الذين خلفتهم مع هارون في محلهم ﴿مِنۢ بَعْدِكَ﴾ [الآية 85] بعد خروجك من بينهم وكانوا ستمائة ألف وما نجا منهم من عبادة العجل إلا اثني عشر ألفاً منهم ﴿وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ﴾ [الآية 85] باتخاذ العجل وتهيئة صورته والدعاء إلى عبادته.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه عرّفه حقائق توحيده ودقائق تفريده في أن الحدثان كله حاصل بقدرته وواصل بمشيئته حيث أضاف إلى نفسه فتنة قومه وفتنتهم ضلالتهم وعبادتهم العجل وجهالتهم، فأخبر الحق سبحانه بأنه منه تقديراً يعني ومنهم كسباً وتقريراً وفي هذا تكذيب من جحد القول بالقدر فتأمل وتدبر. ويقال: طلب موسى رضى ربه وقدر الحق فتنة قومه ثم إن الحكم لله ولم يكن بد لموسى من الرضا بقضاء الله وترك الاعتراض على الله والعلم بحسن ما منَّ الله به من حيث له أن يفعل ما يشاء فيما سواه، وأنشدوا:

أُريد وِصاله ويُريد هجري فأتركُ ما أُريد لِمَا يُريد(1)

وكان من السامري نوع من التعزير ولكن حصل ما حصل وظهر ما ظهر من التغيير بحسب التقدير ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ [الآية 86] بعدما استوفى الأربعين، وأخذ التوراة بالوجه المبين ﴿غَضْبَٰنَ﴾ [الآية 86] عليهم لله وطلباً لرضاه ﴿أَسِفًا﴾ [الآية 86] متأسفاً على فرط منهم ومتحزناً على ما يلحقهم.

(1) ذكره القشيري في تفسيره (5/ 28)، والدميري في حياة الحيوان (2/ 56) من دون نسبة.

وفي «**تفسير السلمي**»: قيل غضبان على نفسه في ترك قومه حتى ضلوا من بعده وأسفاً على ما فاته من مناجات ربه.

وأفاد الأستاذ: أنه رجع عن ميقاته إلى قومه بوصف القبض لما صدر منهم من الزلة الموجبة للمذلة ورجع نبينا ﷺ عن معراجه / بنعت البسط لما 213/ب
أكرمه وقومه من الأمر بالصلاة وما يترتب عليها من الصلة والقربة ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ﴾ [الآية 86] بأن يعطيكم التوراة نوراً وهدى وإحساناً ﴿أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ﴾ [الآية 86] في مفارقتي لكم وأوان غيبتي عنكم ﴿أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ﴾ [الآية 86] يجب عليكم ﴿غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ [الآية 86] بعبادة ما هو مثل للغاية في الغباوة ﴿فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي﴾ [الآية 86] وعدكم إياي بالثبات على الإيمان والقيام بأركان الإسلام وشرائط الإحسان.

وأفاد الأستاذ: أنهم ظنوا بنبيهم ظن السوء في خلف الوعد فلحقهم شؤم ذلك حتى زاغوا عن العهد وأشركوا في العقد وكذا يكون إذا انتشر على حد العقد لم يبق خرزة لم تنخرط من سلك العقد.

﴿قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا﴾ [الآية 87] بأن ملكنا أمرنا إذ لو خلينا وحالنا ولم يسول لنا السامري ما أخلفنا. وقرأ نافع وعاصم بفتح الميم، وحمزة والكسائي بالضم وثلاثتها في الأصل لغات في مصدر ملكت الشيء ثم صار بالضم اسم للسلطة وبالكسر لما يملك ﴿وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ﴾ [الآية 87] وقرأ الحرميان والشامي وحفص بصيغة المجهول مشدداً ﴿أَوۡزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ﴾ [الآية 87] أثقالاً من حلي القبط التي استعرنا منهم باسم العرس أو العيد حين هممنا بالخروج من بينهم ولم يردوا لهم مخافة أن يعلموا بخروجهم ولعلهم سموا أوزاراً لأنها آثام فإن الغنائم لم تكن تحل بعد أو لأنهم كانوا مستأمنين وليس للمستأمن أن يأخذ مال الحربي ﴿فَقَذَفۡنَٰهَا﴾ [الآية 87] أي في الغار ﴿فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ﴾ [الآية 87] أي ما كان معه منها مع تراب ألحقه بها. روي أنهم لما حسبوا أن العدة قد كملت قال لهم السامري: إنما أخلف موسى ميعادكم لما معكم من حلي القوم وهو محرم عليكم فالرأي أن نحفر حفيرة ونسجر فيها ناراً ونقذف كل ما معنا فيها، ففعلوا.

﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا﴾ [الآية 88] من تلك الحلي المذابة ﴿لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ [الآية 88] صوت العجل ﴿فَقَالُواْ﴾ [الآية 88] السامري ومن افتتن به ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ﴾ [الآية 88] أي فنسيه موسى وذهب يطلبه عند طور سيناء.

وأفاد الأستاذ: أنهم قالوا لم نكن في ابتداء حالنا قاصدين إلى ما حصل منا ولا عالمين بما آل إليه عاقبة حالنا وكذا الحرام / من حطام الدنيا 214/أ لا يخلو من شوبه من أثره على العقبى ولقد كانت الغنيمة وأموال المشركين حراماً فآل إليهم ما كان لديهم فكذا من انهمك في طلب الدنيا من غير وجهه يكون على خطر من رقة دينه. قال الله: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الفرقان:الآية 43]. ويقال: إنهم لما أمروا على قوم يعبدون أصناماً لهم حيث قالوا لموسى: اجعل لنا إلٰهاً كما لهم آلهة، كان ذلك الصنم على صورة العجل فكان ميلهم إلى عبادته مستكناً في قلوبهم من جهة محبته في طاعته فصاغ السامري العجل على تلك الصورة وفي هذا إشارة إلى أن دقائق الهوى إذا استكنّت في النفس وتمكنت في القلب فما لم ينقش ذلك النقش بمنقاش المنازلة يخشى أن يلقى صاحبه يوماً معقبة المزاولة. ويقال: إن موسى عليه السلام غاب أربعين يوماً عن قومه فرضوا بعبادة العجل بعد ذهابه عند ربه ونبينا ﷺ خرج من بين أمته إلى سنين كثيرة مضت على أهل ملته فلو ذكر وجه من جماعته عند المخلصين في حق الله ووحدته حديث التشبيه لأحلوا به من النكير ما لا يكون له منه محيص إلا بالتنزيه وذلك أنهم استخفوا بكتابهم فبدلوه تبديلاً وضمن الحق سبحانه إعزاز هذا الدين بقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر:الآية 9]، وقوله: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة:الآية 33] فما حولوا عنه تحويلاً.

﴿أَفَلَا يَرَوْنَ﴾ [الآية 89] أي أفلا يعلمون ﴿أَلَّا﴾ [الآية 89] أن الشأن لا ﴿يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ [الآية 89] لا يرد العجل إليهم كلاماً لا خطاباً ولا جواباً ﴿وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [الآية 89] أي لا يقدر على ضرهم ونفعهم أصلاً.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه بيّن أنّ مَن لا قول له يتكلم به ولا يملك الضر والنفع لعابده يستحق العبادة من أصله وفيه رد على من لم يثبت القول

له في الأزل ولم يصفه بالقدرة على الخير والشر من العمل.

﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ﴾ [الآية 90] أي قبل رجوع موسى إليهم ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ﴾ [الآية 90] أي بالعجل وحبه ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [الآية 90] أي بكم وبي ﴿فَٱتَّبِعُونِى﴾ [الآية 90] في التوحيد ﴿وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِى﴾ [الآية 90] بالثبات على التفريد.

214/ب وأفاد الأستاذ: أن / الإشارة في هذه العبارة إلى أن من لم يحفظ أمر من هو أعلى مرتبة كيف يراعي أمر من هو أدنى منزلة فمن ترك أمر الحق كيف يطمع فيه أن يحترم الشيوخ والأكابر من الخلق ولذا قيل: لا حرمة للفاسق أنه إذا ترك حق الخالق متى يحفظ حق الخلق.

﴿قَالُواْ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ﴾ [الآية 91] لن نزال على حب العجل وعبادته ﴿عَٰكِفِينَ﴾ [الآية 91] مقيمين على طاعته ﴿حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾ [الآية 91] ويبين لنا طريق الهدى عن طريق الردى.

وأفاد الأستاذ: أن ذلك كان تعللاً منهم بالباطل لأنهم ما كانوا عازمين على ترك عبادة العجل لا في العاجل ولا في الآجل إذ قد تحققوا أن موسى عليه السلام دعاهم إلى التوحيد وترك عبادة غير الله على وجه التأبيد ولكن كل مبطل مستند إلى ما ينجح إليهم من الباطل ولو لم يكن من الأمر الطائل.

﴿قَالَ﴾ [الآية 92] أي موسى بعدما رجع رأى ما رأى على وفق ما سمع من المولى ﴿يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ﴾ [الآية 92] بعبادة العجل ﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾ [الآية 93] أي ما حملك على أن لا تتبعني في الغضب لله والمقاتلة مع من عبد سواه ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى﴾ [الآية 93] بالصلابة في الدين والمحاماة عن الحق اليقين ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ﴾ [الآية 94] حض الأمر استعظاماً له واستلطافاً ﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ﴾ [الآية 94] أي بشعر رأسي فإنه قبضهما ومن شدة غيظه وفرط غضبه لله جرهما ﴿إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الآية 94] لو قلت فارقت بعضهم ببعض ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى﴾ [الآية 94] حين قلت اخلفني في قومي وأصلح فيما بدا من خلافي، فإن الإصلاح كان في حفظ الجماعة والمداراة بهم إلى أن

ترجع إليهم فتدارك الأمر بما يقتضي رأيك عليهم هذا ولا يخفى أن رأي موسى أعلى فإن تليين هارون في تمكين قومه أولاً ومهلتهم مع قلتهم جراً إلى كثرتهم الموجبة لعدم مقاومتهم ولذا ورد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرضاً على العلماء عند قدرتهم ولو بأيديهم حالة قوتهم.

وأفاد الأستاذ: أنه لما ظهر بموسى عليه السلام ما ظهر من ضيق القلب عند مشاهدة عبادة غير الرب أخذ هارون يقابله بالرفق والتلطف وحسن المداراة على وفق الأدب، وكذا الواجب/ في مجاوزة من ظهر منه الحدة لئلا 215/أ
يرتقي الأمر إلى الوحشة والشدة. ويقال: لما ضاق قلب موسى عليه السلام لما شاهد من قومه بالمعاينة عبادة العجل الذي هو من جملة الأصنام ولقد كان سمع من الله أن السامري أضلهم وقال: ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ﴾ [الآية 85] ولكن قيل: ليس المخبر كالمعاين، انتهى. ولا يخفى أن إخبار الله تعالى أقوى من معاينة موسى وإنما وقعت مطابقة رؤيته على وفق سماع قضيته ولذا قال بعض أرباب الحال: لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً في أمر المآل. وأما الحديث: «ليس الخبر كالمعاينة»[1] على ما رواه الطبراني في الأوسط عن أنس والخطيب عن أبي هريرة فمحمول على خبر الخلق على أنه قد يقال إن علم اليقين ليس كعين اليقين لتقوي العلم القلبي بالعلم العيني فكأنه علمان وهما خير من علم واحد في عالم البيان ومقام العيان، ولعل هذا مجمل كلام الأستاذ فيما أفاد ويؤيده ما رواه أحمد في مسنده والطبراني في أوسطه والحاكم في مستدركه عن ابن عباس بلفظ: «ليس الخبر كالمعاينة إن الله تعالى أخبر موسى بما صنع قومه في العجل فلم يلق الألواح فلما عاين ما صنعوا ألقى الألواح فأنكرت هذا[2] ولا يبعد أن يقال إنه وقت سماع الخبر كان في مقام الجمع من حال السكر والمحو والسكوت تحت الأمر بحضرة الرب في نعت التمكين وفي زمان معاينة الأثر كان في مقام التفرقة من حال الشعور والصحو والحركة والتصرف بالحكم على

(1) سبق تخريجه.
(2) تفسير ابن كثير (3/ 477)، وتفسير القرطبي (7/ 288)، وتفسير الرازي (7/ 255)، وجمع الجوامع (18/ 246) رقم (19324).

وصف التلوين والله أعلم بحقائق الدين ودقائق اليقين.

﴿قَالَ﴾ [الآية 95] أي موسى ملتفتاً إلى السامري منكراً عليه مما ظهر لديه ﴿فَمَا خَطْبُكَ﴾ [الآية 95] ما شأنك وما برهانك ﴿يَٰسَٰمِرِيُّ﴾ [الآية 95] على ما ضللت وأضللت.

وأفاد الأستاذ: أن موسى عليه السلام سأل كل أحد بنوع آخر من الكلام في مقام التغيير ومعاتبة مع قومه ومطالبته لأخيه وتغيره في نفسه لم يغير التقدير ولم يؤخر المحكوم عليه من عالم التدبير.

215/ب ﴿قَالَ﴾ [الآية 96] أي السامري ﴿بَصُرْتُ/ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ﴾ [الآية 96] وقرأ حمزة والكسائي بالخطاب أي علمت بما لم يعلموا وفطنت لما لم يفطنوا به أو رأيت ما لم تروا وهو أن جبريل جاء على فرس الحياة حين ذهابك إلى الطور لمناجاة الله وهو روحاني محض لا يمس أثره شيئاً إلا أحياه ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾ [الآية 96] أي من تربة موطيء حافر فرسه على وجه القبول وفي حين الوصول ﴿فَنَبَذْتُهَا﴾ [الآية 96] أي تلك القبضة من التراب في الحلي المذاب ﴿وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى﴾ [الآية 96] زينته وحسنته إلى من في هذا الباب.

وأفاد الأستاذ: أن يخصصه من بينهم حتى عرف جبريل بعلامته وقبض التراب من موضع حافر دابته وما ألقي في روعه من أن ذلك سبب حياة العجل وموجب العبادة كل ذلك أشياء ناقضة للعادة وقعت على وفق الإرادة ثم كان سبب هلاكه في التدبير لئلا يأمن أحد خفي مكر التقدير ولا يركن إلى ما هو في الصورة رفق، فلعله في الحقيقة مكر وخرق ولقد أنشدوا:

فأمنته فأتاح لي من مأمني   مكراً كذا من يأمن الأحبابا[1]

﴿قَالَ﴾ [الآية 97] موسى ﴿فَٱذْهَبْ﴾ [الآية 97] أي من باب الرب ﴿فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ﴾ [الآية 97] عقوبة على فعلك ﴿أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ [الآية 97] خوفاً

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 42، 300) و(5/ 37).

من أن يمسك أحد فتأخذك الحمى وكذا من مسك فتحامي الناس ويتحاموك فيكون كالوحش النافر طريداً وحيداً وعن أهل التوحيد بعيداً وهذا ما دمت في الدنيا ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ﴾ [الآية 97] لن يخلفك الله بنجزه لك في العقبى. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بكسر اللام أي لن يخلف الواعد ذلك الموعد.

وأفاد الأستاذ: أنه لا يخلف على موسى عليه السلام تأثير التقدير وانفراد الحق بالإبداع والتقدير، ولذا خاطب الحق بقوله: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ [الأعراف:الآية 155] في مقام التقدير ثم لم يدع مع ذلك إخلال العقوبة بالسامري على ما استحقه من التقدير ليعلم أن الحكم في الإيجاد والإبداع وإن كان للعليم الخبير فالمطالبة والمعاتبة تتوجب على الخلق في مقتضى التكليف عليهم وإجراء الحق ما يجزيه ليس بحجة للعباد ولا بعذر مسموع / لديه ﴿وَٱنظُرْ 216/أ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾ [الآية 97] دمت على عبادته مقيماً وصرت لأجلها عند الحق والخلق مليماً ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾ [الآية 97] بالنار حتى يصير رماداً ﴿ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ﴾ [الآية 97] لنذرينه ﴿فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا﴾ [الآية 97] فلا يصادف شيء أصلاً، والمقصود من ذلك زيادة عقوبته وإظهار كمال عبادته وجهالة جماعته.

وأفاد الأستاذ: أن كل ما تعلق به القلب من دون الرب يبين الحق سبحانه محقه ولهذا يلقي الأصنام غداً في النار مع الكفار وليس لها جرم ولا ألم ولا خبر ولا أثر.

﴿إِنَّمَآ إِلَـٰهُكُمُ﴾ [الآية 98] المستحق لعبادتكم ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الآية 98] إذ لا أحد يماثله في ذاته أو يدانيه في صفاته ﴿وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ [الآية 98] أي لا نهاية لمعلوماته بخلاف العجل فإنه مثل في الغباوة حال حركاته وسكناته.

وقال الأستاذ: أي لا مثل الذي هو جماد لا يعلم ولا يقدر ولا يسمع ولا يبصر ويمكن أن يستحق ويحرق يعني وثم يغرق ويمحق.

﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾ [الآية 99] من أخبار الأمور الماضية وأحوال الأمم الدارجة تبصرة لك وزيادة في علمك وتكثيراً لمعجزاتك وتذكيراً

للمستبصرين من أمتك.

وقال الأستاذ: نعرِّفك أحوال الأولين والآخرين لئلا يلتبس عليك شيء من طرف العالمين فتنادي بآدابهم ويجتمع فيك متفرقات مناقبهم ولكن تعلم أنا لم نبلغ أحداً مبلغك ولم يكن لأحد منا ما لك ونحفظ سرك ونخفي أمرك ونطلعك على أحوال الكافة ولا يطلع أحداً على أسرارك الخاصة ﴿وَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا﴾ [الآية 99] أي ذكراً جميلاً وصيتاً جزيلاً.

ويؤيده ما أفاد الأستاذ: بقوله: أثبتنا لك من عندنا شرفاً وفخراً لم يشركك فيه أحد وذكرناك بالسلف لك من العهد معنا وجددنا لك قديم تخصيصنا إياك وكريم إقبالنا عليك أو كتاباً مشتملاً على هذه الأخبار حقيقاً بالتفكُّر والاعتبار، ويقويه قوله: ﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾ [الآية 100] أي عن الدين، هو القرآن الجامع لوجوه السعادة والنجاة أو من أعرض عن الله واشتغل بما سواه ﴿فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وِزْرًا﴾ [الآية 100] حملاً وخيماً وإثماً عظيماً.

﴿خَـٰلِدِينَ فِيهِ﴾ [الآية 101] في حمل وزره وتحمُّل أمره ﴿وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ
216/ب حِمْلًا﴾ [الآية 101] / أي يأس حملاً وزرهم وساء حالاً أمرهم.

وأفاد الأستاذ: أن المعرضين عنه شركاء وجهلاء يحملون غداً وزراً وثقلاً أولئك بعدوا عن محل الخصوصية فعقوبتهم لا تزيد على آلام نفوسهم وإحراق أشباحهم يعني لغفلة نسبة أرواحهم وأما أهل الخصوص فلو غفلوا عنه ساعة أو نسوه لحظة أدار في الحال على رؤوسهم البلاء وأنزل على نفوسهم العناء بحيث تتلاشى في جنبهم عقوبة كل أحد من غيرهم انتهى. وأشار بهذا المعنى إلى قولهم: الحجاب أشد العذاب وأن عتاب الأكابر فوق عذاب الأصاغر كما يستفاد من قوله سبحانه: ﴿لَّأَذَقْنَـٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾ [الإسرَاء:الآية 75]، وقوله تعالى: ﴿يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَـٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ [الأحزاب:الآية 30].

﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ [الآية 102] وقرأ أبو عمرو بالنون على إسناد النفخ إلى الأمر تعظيماً له في المآثر ﴿وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [الآية 102] زرق العيون أو

زرق البدن أو الوجه وهو سواده أو عمياً فإن حدقة الأعمى تزرق.

وأفاد الأستاذ: أن يوم القيامة لهم مؤجل وهو بعد النفخ في الصور على ما ورد الخبر المأثور، ولآخرين قيامة معجلة معهم محاسبة وعليهم مطالبة وثواب واصل وعذاب حاصل فكما يرد على ظواهر قوم في الآخرة يرد على سرائر آخرين عقوبة في الحياة الحاضرة.

﴿يَتَخَٰفَتُونَ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الآية 103] يخفضون أصواتهم لما يملأ صدورهم من هول حالاتهم ﴿إِن لَّبِثۡتُمۡ﴾ [الآية 103] في الدنيا ﴿إِلَّا عَشۡرٗا﴾ [الآية 103] يستقصرون مدة لبثهم فيها لزوالها وسرعة انتقالها وخيالات أحوالها.

﴿نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ [الآية 104] وفيما يختلفون ﴿إِذۡ يَقُولُ أَمۡثَلُهُمۡ طَرِيقَةً﴾ [الآية 104] أعدلهم علماً ومعرفة ﴿إِن لَّبِثۡتُمۡ﴾ [الآية 104] ما مكثتم ﴿إِلَّا يَوۡمٗا﴾ [الآية 104] فيه استرجاح لقول مَن يكون منهم أشد أثقالاً كما قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭ﴾ [الأحقاف:الآية 35].

وأفاد الأستاذ: أن من تفرّغ لعد الأوقات والتمييز بين اختلاف الحالات فهو غير مستوف في بلائه ولا مستقص في عنائه، ومن كان مراداً بمعنى من حديثهم في مقام / الكمال لا يتفرغ إلى نعت الحال فإن الأحوال تخبر عنه وهو 217/أ
لا يسأل عن الخبر.

﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡجِبَالِ﴾ [الآية 105] أي حال أمرها في الاستقبال ﴿فَقُلۡ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسۡفٗا﴾ [الآية 105] أي يجعلها كالرمال ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها في عالم الأشباح ﴿فَيَذَرُهَا﴾ [الآية 106] فيتركها قعارها ﴿قَاعٗا﴾ [الآية 106] خالياً ﴿صَفۡصَفٗا﴾ [الآية 106] مستوياً ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجٗا﴾ [الآية 107] انخفاضاً ﴿وَلَآ أَمۡتٗا﴾ [الآية 107] ارتفاعاً.

وأفاد الأستاذ: أنه كما أن في القيامة الموعودة تغير الجبال عن أحوالها ففي القيامة الموجودة قد تحرك الأبدال الذين هم كالرواسي ثباتاً فيدخل عليهم من الأحوال ما يمحقهم عن شواهدهم ويأخذهم عن قواهم وقواعدهم.

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ﴾ [الآية 108] داعي الله إلى المحشر ﴿لَا عِوَجَ لَهُ﴾ [الآية 108] لا يعدل عنه مدعواً إذ لا مفر ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [الآية 108] خُفِضت لمهابته وخضعت لجلالته طلباً لرحمته وعنايته ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [الآية 108] صوتاً خفياً ومشياً خفياً من هيبة عظمته.

وأفاد الأستاذ: أن في ذلك المقام تنقطع الأوهام وتقف الأفهام وتنحبس العلوم وتندرس الفهوم وتتغير المعارف وتتحير العوارف ويتلاشى ما هو نعت الخلق ويستولي سلطان الحق فعند ذلك لا عين ولا أثر ولا رسم ولا غير، وفي الحضور خرس وبلاء وعلى البساط فناء وللرسوم امتحاء وإنما الصيحة على الباب أي وإنما على الباب قرأ لأولي الألباب.

﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ﴾ [الآية 109] أي إلا شفاعته وإلا من أذن له الرحمٰن في أن يشفع له فإن الشفاعة تنفعه ﴿وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ [الآية 109] رضي لمكانه عند الله قوله في الشفاعة أو رضي لأجله قول الشافع في حقه.

قال الواسطي: وعلامة رضا قوله في مقام أنسه أن لا ينسب شيئاً إلى نفسه.

وأفاد الأستاذ: أن دليل الخطاب في مفهوم هذا الباب أن من أذن له الرحمٰن في الشفاعة تنفع شفاعته فشفاعة الأكابر مسموعة مقبولة في الأصاغر في المؤجل وكذا في المعجل، فإن الحق سبحانه يُشفع الشيوخ في مؤيديهم
217/ب اليوم وهم على قسمين، فالذين/ هم أصحاب السلوك فبزيادة التوفيق وإفادة التحقيق، والذين هم أصحاب التخبط والفترة فبالتجاوز عنهم بالمغفرة وعلى هذا يحمل قولهم:

إذا مرضنا أتيناكم نعودكم وتُذْنِبُون فنأتيكم فنعتذرُ(1)

وحكايات من الشيخ مع مريديهم في أوقات فترتهم معروفة وهي مشاكلة

(1) نسب إلى المؤمل بن أميل. انظر نهاية الأرب (1/ 276)، وربيع الأبرار (1/ 2406).

لهذه الحالة، ثم إن شفاعتهم لا تكون إلا بتعريف من قبل الله في باطنهم ويكون ذلك أدباً لهم في ظاهرهم.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الآية 110] ما تقدمهم من الأفعال ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [الآية 110] ما بعدهم مما يستقبلونه من الأحوال والأهوال ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [الآية 110] ولا يحيط علم الخلق بمعلوماته ولا بحقيقة ذاته ودقائق صفاته.

قال الواسطي: كيف يحيط به أحد وهو لا يحيط بنفسه علماً ولا بالسماء وهو يرى جوهرها جرماً.

وقال فارس: ما علمه غيره ولا ذكره غيره فهو العالم على الحقيقة والذاكر في الحقيقة.

وقال ابن عطاء: المعرفة معرفتان: معرفة حق ومعرفة حقيقة، فمعرفة الحق معرفة الوحدانية على ما برز للخلق من الأسامي والصفات الفردانية، ومعرفة الحقيقة أن لا سبيل إليها لامتناع الصمدية وتحقيق الربوبية لقوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [الآية 110].

وقال الأستاذ: لا يخفى على الحق شيءٌ من ماضي أحوالهم ومن انتهاء آمالهم ثم الكناية في قوله به يحتمل أن يعود إلى ما بين أيديهم وما خلفهم ويحتمل أن يعود إلى الحق سبحانه وعزّ شأنه وهو طريقة السلف يقولون: نعلم الله ولا نحيط به العلم كما قالوا: إنه يُرى ولا يُدرك.

﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ﴾ [الآية 111] ذُلّت وجوه المجرمين وخضعت وجوه المطيعين ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [الآية 111] أي وقد خسر من كان من الظالمين.

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الآية 112] بعض الطاعات ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا﴾ [الآية 112] بزيادة في السياق ﴿وَلَا هَضْمًا﴾ [الآية 112] بنقص في الحسنات. وقرأ ابن كثير: فلا يخف بالتمني وهو بمعنى النفي.

وأفاد الأستاذ: أن العمل الصالح ما يصلح لقبوله ويصح كونه وسيلة

لوصوله وهو المتجرد عن الآفات الموافق بحقيقة الأمر في الطاعات. ويقال: العمل الصالح ما لم يستعجل فاعله / عليه أجراً. وقوله: وهو مؤمن أي في المآل 218/أ
كما هو مؤمن في الحال، أو هو مؤمن مصدق لربه أنه لا يعطي المؤمن شيئاً لأجل إيمانه ولكن بفضله وإحسانه وإنما إيمانه أمارة ذلك لا موجب لما هنالك.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ﴾ [الآية 113] أي الكتاب الجامع لفصل الخطاب ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [الآية 113] مقروءاً جلياً ﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ﴾ [الآية 113] وقررنا فيه النوع الأكيد من جنس الوعيد ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الآية 113] العصيان الأكيد أو العذاب الشديد ﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ [الآية 113] موعظة توجب لهم طاعة وشكراً.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه سهَّل عليهم حديث القرآن من حيث إنه أقرّ لهم بخطابهم ولسانهم في البيان وصعب عليهم حيث عجزهم عن الإتيان بمثله في معرض البرهان. وقوله: ﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ﴾ [الآية 113] أتبعنا دليلاً بعد دليل وبعثنا رسولاً بعد رسول وحذرناهم بوجوه من التعريفات وإظهار كثير من الآيات.

﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ﴾ [الآية 114] في ذاته وصفاته وإحسانه عن مماثلة مخلوقاته فلا يماثل كلامه كلامهم في مقام تعيناته ﴿ٱلْمَلِكُ﴾ [الآية 114] النافذ أمره ونهيه ﴿ٱلْحَقُّ﴾ [الآية 114] الحقيق بأن يخشى وعيده ويرجى وعده ويراعى عهده.

وأفاد الأستاذ: أن علوه كبرياؤه وسناؤه وعظمته وعلاؤه مجده ورفعته والكل بمعنى واحد في المآل وهو استحقاقه لأوصاف الجلال ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ [الآية 114] نهي عن الاستعجال في تلقي الوحي من جبريل ومساومته في القراءة حتى يتم وحي التنزيل. وقيل: نهي عن تبليغ ما أجمل شأنه قبل أن يأتي بيانه.

وأفاد الأستاذ: أنه عليه السلام كان يتعجل بالتلقف من جبريل مخافة النسيان بالبرهان وعرف أن الذي يحفظ عليه ذلك هو الذي أنزل عليه القرآن، فالآية تشير إلى طرف من الاحتياط في القضايا بالظواهر وفي العموم قبل عرضها على الأصول، ثم إن لم يوجد ما يوجب التخصيص جرى على

مقتضى العموم بحق اللفظ بخلاف أهل الوقف على المأمور به من قضية الاحتياط.

﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [الآية 114] أي سل الله زيادة العلم بالأحوال بدل المعالجة بالاستعجال، فإن ما أوحي إليك يتبين لا محالة / لديك. قال بعضهم: 218/ ب
اجعلني عالماً بك جاهلاً بغيرك، كذا في تفسير السلمي.

وأفاد الأستاذ: أنه إذا كان أعلم البشر وسيد العرب والعجم ومن شهد الحق بخصائص العلم بقوله: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ [النِّساء:الآية 113] فقال له: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [الآية 114] علم أن ما يخص به الحق أصفياءه وأولياءه من لطائف العلوم لا يتصور إحصاؤه ولا انتهاؤه. ويقال: لما قال ﷺ: «أنا أعلمكم بالله وأخشاكم له»[1] قيل له: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [الآية 114] ليعلم أن أشرف خصال العبد الوقوف في مقام الافتقار والالتجاء والاتصاف بنعت الدعاء دون التوقف في معرض الدعوى. ويقال: أحاله سبحانه على نفسه في استزادة العلم وأحال موسى عليه السلام على الخضر حتى قال له: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف:الآية 66] فشتان بين عبد أُحيل على شخص في استزادة العلم، ثم قال له: ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف:الآية 72] ثم بعد كل ذلك التلطُّف قال له في آخر الأمر من غير التوقف: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ [الكهف:الآية 78]، وبين عبد أمْره عند استزادة العلم بأن يطلبه من ربه، فقال: وقل يا محمد رب زدني علماً.

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ﴾ [الآية 115] أي أوصينا بما أوحينا إليه بأن لا تقرب الشجرة المعهودة حتى لا يترتب عليه القضية الموعودة ﴿مِن قَبْلُ﴾ [الآية 115] أي قبل عهد الحق إلى سائر الخلق ﴿فَنَسِيَ﴾ [الآية 115] عهدنا جزماً وترك أمرنا حتماً ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [الآية 115] ثباتاً على أمره وتصميماً على رأيه. وفيه تنبيه نبيه على أن أساس بني آدم على العصيان وعرقهم راسخ في النسيان ولذا قال بعض

(1) أخرجه ابن خزيمة في الصحيح (3/ 252) رقم (2014)، والشافعي في المسند (1/ 104) رقم (474).

أهل البيان: أول الناس أولى الناس. وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه موقوفاً ولو كان حكمه مرفوعاً: لو وزنت أحلام بني آدم بحلم آدم لرجح حلمه(1) وقد قال تعالى: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [الآية 115] في حقه.

وقال جعفر: عهدنا إلى آدم أن لا ينسانا في حال ما فتناه واشتغل بالجنة فابتلي بارتكاب المنهي منا وذلك لأنه ألهاه النعيم عن المُنعم فوقع من النعمة في البلية فأُخرج من الجنة ليعلم أنَّ النعيم هو مجاورة المُنعم.

219/أ وقال الواسطي: فنسي أي جهل / قدر عهده وفرق بين من نسي بالحضرة وبين من نسي في الغيبة ولذا قال ﷺ: «رُفِعَ عن أمتي الخطأ والنسيان»(2). قلت: في الآية والحديث دليلان على أن النسيان لم يكن مرفوعاً عن جنس الإنسان وإنما اختص رفعه عن هذه الأمة كرامة لنبي الرحمة.

وأفاد الأستاذ: أنه عاتبه بقوله ﴿فَنَسِيَ﴾ [الآية 115] ثم أظهر مثل ما عذره فقال: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [الآية 115] في القصد على خلاف الرحمٰن بل كان ذلك بمقتضى النسيان. ويقال: لم نجد له عزيمة في الإصرار على المخالفة. ويقال: شرح قصة آدم وغصة بليته على جهة التسكين لقلوب ذريته حتى لا يقنطوا من فضل الله ورحمته ولا ييأسوا حال ارتكاب غفلتهم من مغفرته، ثم بيَّن كمال آدم وحاله في مقام قربته وعلو رتبته بقوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾﴾ [الآية 116] أي أظهر الإباء عن المطاوعة والاستكبار عن الطاعة ولم يرجع عن حال المعصية إلى مقام التوبة فبعُد عن الرحمة واستحق اللعنة.

وأفاد الأستاذ: أنه لم يتقدم من آدم عليه السلام طاعة ولا عبادة فخلقه الحق بيده وأمره برفع سريره بعدما أجلسه عليه وحمل إلى الجنة وأمر ملائكة كل سماء أن يسجدوا له تكريماً وينقادوا له تعظيماً ابتلاء لهم واختباراً، فسجدوا

(1) تفسير النيسابوري (5/ 333)، وتفسير أبي السعود (6/ 45)، وتفسير البيضاوي (1/ 72).
(2) أخرجه الحاكم في المستدرك (2/ 216) رقم (2801)، وابن أبي شيبة في المصنف (4/ 172) رقم (19051).

بأجمعهم اختياراً وامتنع إبليس من بينهم استكباراً فلقي من الهوان والتعزير ما سبق له في حكم التقدير. والعجب ممن يخفى عليه أن مثل هذا يجري من دون إرادة الحق ومشيئته وهو عالم بأنه كذلك يجري في خليقته واعتبروا الحكمة في أفعاله وأحكامه ويزعموا أنه علم ما سيكون من حال إبليس وذريته وكثرة مخالفة أولاد آدم ووساوس الشيطان لهم وخطواته ثم يقولون الحق سبحانه كان عالماً بما سيكون ثم خلق إبليس ومكّنه وجنده من هذه المعاصي مع إرادته أن لا يكون ذلك ويدعو حسن ذلك في الفعل اعتباراً بما هو الحكمة من هنالك فسبحان من أعمى بصائرهم وعمى حقيقة التوحيد على سرائرهم.

﴿فَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَـٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ﴾ [الآية 117] حسداً لعلو مقامكما ورفع/ مرامكما ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الآية 117] فلا يكون سبباً لإخراجكما 219/ب
عنها، فالمراد بهما من أن يكونا بحيث ينتسب الشيطان إلى إخراجهما منها ﴿فَتَشْقَىٰٓ﴾ [الآية 117] أنت بالأصالة وزوجك بالتبعية، أو هو من باب الاكتفاء مع مراعاة فواصل الآي.

وأفاد الأستاذ: أن النصح ما ينفعهم حيث أراد بهم ما حذرهم وعلم أنهم سيلقون ما خوّفهم.

﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا﴾ [الآيتان 118، 119] لا تعطش فيها ﴿وَلَا تَضْحَىٰ﴾ [الآية 119] من جهة البروز من البناء، والمعنى لا تحترق ولا تبرد من جهة الهواء. وفي الآية تذكير لما له في الجنة من أسباب الكفاية الموجبة للقناعة حيث كان مستغنياً عن اكتساب أمور المعيشة القديمة وهي الشبع والري والكسوة والمسكن التي هي من ضروريات الطبيعة البشرية. وقرأ نافع وأبو بكر: وإنك لا تظمأ بكسر الهمزة.

وأفاد الأستاذ أنه لا تصديق أتم من تصديق آدم ولا واعظ أشد رحمة من رب العالم ولكن ما قاسى آدم قبل ذلك الشقاء فلما استقبله الأمر وذاق ما خوف به من الكد والكدر ندم وأطال البكاء، ولكن بعد انبرام التقدير في العناء. ويقال: أو من بكل وجه فلم يعرف قدر العافية والسلامة إلى أن جرى

ما هو المحكوم به من سابق القسمة. ويقال: عرّفه قدره فلم يعرف شكره حتى استولى عليه الجوع والعطش نحوهما من كل فتن الدنيا وكان آدم عليه السلام إذا تجدد له نوع من البلاء أخذ في البكاء، وجبريل عليه السلام يأتي يقول: ربك يقرئك السلام ويقول: لم تبكي في هذا المقام. فكان يذكر لجبريل ما عنده من المراد وهو يقول له هذا الذي قلت: ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾ [الآية 119].

﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ﴾ [الآيــة 120] من أكل منها خلد في الجنة ودام فيها ﴿وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [الآية 120] لا يزول ولا يحول ولا يفنى.

وقال الأستاذ: وكان الحق يعلم تلك الوسوسة هنالك ولم يذكره في الحال ذلك بأن هذا من نزغات من قلت لك أنه عدو لك. ويقال: سمي
220/ أ الشيطان شيطاناً لبُعده من طاعة الله فكل بعيد من طاعة الله ويبعد غيره / من طاعة مولاه فهو شيطان ولذا يقال شياطين الأنس شر من شياطين الجن. ويقال: لما طمع آدم في الخلود والبقاء وجد الشيطان سبيلاً إليه بالوسوسة والإلقاء. ويقال: إن الشيطان ظهر لآدم بعد ذلك فقال له آدم: يا شقي تلعب بي وصنعت معي، فقال: إن كنت شيطانك فمن كان شيطاني[1]. قلت: وهذا نظير قوله ﷺ: «فمن أعدى الأول»[2] فتأمل. والناس تكلموا في الشجرة المنهية والصحيح أن يقال كانت شجرة المحنة، ويقال: لو لم يخلق في الجنة تلك الشجرة لما كان بعصيان رتبة الجنة. ويقال: لولا أنه أراد بآدم البلية وإلا لطالت تلك الشجرة حتى لا تصل يده البتة، كما في القصة أنه كانت لا تصل يده بعد الزلة إلى أوراق أشجار الجنة حين كان يريد الأخذ منها ليستر بها العورة.

﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا﴾ [الآية 121] فظهرت لهما عوراتهما بعدما ظهر سيئاتهما ﴿وَطَفِقَا﴾ [الآية 121] أي أخذا وشرعا ﴿يَخْصِفَانِ﴾ [الآية 121]

(1) أورده القشيري في تفسيره (5/ 55).
(2) أخرجه البخاري في الصحيح (5717)، ومسلم في الصحيح (2220/ 101).

يمزقان ويلصقان ﴿عَلَيۡهِمَا﴾ [الآية 121] على سوآتهما لسترهما ﴿مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ﴾ [الآية 121] وهو ورق التين أو غيره.

وأفاد الأستاذ: أنه لما ارتكبا المنهي عنه ظهر ما يستحيي من ظهوره ولكنه سبحانه لطف بهما في هذه الحالة حيث قال: ﴿فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا﴾ [الآية 121] ولم يقل فبدت سوآتهما مطلقاً فلم يطلع على سوآتهما غيرهما. ويقال: لما تجرّدا عن لباس التقوى من جهة الباطن تباشر عليهما لباسهما الظاهر. ويقال: أول الحِرَف والصناعات خياطة الرقاع بعضها على بعض من جهة ستر العورات فهو ميراث من أبينا آدم عليه السلام لأولاده الفقراء من بين الأنام. ويقال: كان آدم أصبح وعليه من حلل الجنة وفنون لباس النعمة ثم لم يمس حتى كان يخصف على نفسه بالمحنة هكذا كان في الابتداء أو ذلك موروث في أولاده من أهل الابتلاء ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ﴾ [الآية 121] بأكل الشجرة ﴿فَغَوَىٰ﴾ [الآية 121] فضلّ عن الطريقة وخاب حيث طلب الخلد في الجنة. وفي النداء عليه بالعصيان والغواية مع صغر زلته تعظيم للجناية وزجر بليغ / لأولاده عن المخالفة. 220/ ب

وأفاد الأستاذ: أنه لما وقع عليه سمة العصيان وهو أول أفراد الإنسان كان في ذكر هذا تنفس لأولاده أن يجري عليهم الزلة وهم في السجن بوصف الغيبة في حين الفترة. ويقال: كانت تلك الأكلة شيئاً واحداً من الزلة ولكن بسببها ينادي عليه الصبيان إلى يوم القيامة ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ﴾ [الآية 121] ليعلم أن عظمة الذنوب لمخالفة الآمر عظم قدرها لا لكثرة المخالفة في نفسها.

﴿ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾ [الآية 122] اصطفاه وقرّبه بالحمل على التوبة والتوفيق له بالأوبة ﴿فَتَابَ عَلَيۡهِ﴾ [الآية 122] فقبل منه التوبة ﴿وَهَدَىٰ﴾ [الآية 122] إلى الثبات على الأوبة والتعلق بعروة العصمة.

قال أبو عطاء: اسم العصيان مذمة على الإنسان إلا أن الاجتباء والاصطفاء منعا أن يلحق آدم اسم المذمة على الزلة ببركة التوبة.

وقال جعفر: طالع آدم الجنان ونعيمها بعينه فنودي عليه إلى يوم القيامة ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ﴾ [الآية 121]، ولو طالعها بقلبه لقوي عليه بالهجران أبد الأبد، ثم

عطف عليه ورحمه بقوله: ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [الآية 122].

قال الواسطي: لم يتأثر العصيان في اجتبائه وقوله: ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ﴾ [الآية 121] أي أظهر خلافه ولو أدركه الاجتبائية أزالت عنه مذمة العصيان حتماً، ألا ترى كيف أظهر عذره بقوله: ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ [الآية 115] وكيف يعزم على المخالفة مَن هو في ستر العصمة وخصوصية الاجتبائية والاصطفائية كذا في «تفسير السلمي».

ومن كلام السيد الشاذلي: اللهم اجعل سيئاتي سيئات من أحببت ولا تجعل حسناتي حسنات من أبغضت.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أخبر أنه عصى آدم ربه وكل قال لعله لا ينتعش بعده فقال: ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ﴾ [الآية 122] أي الذي اصطفاه أولاً من غير العلة اجتباه ثانياً بعد الزلة، فتاب عليه بغفران ذنبه وهدي إلى ربه حتى اعتذر واستغفر ووصل إلى مقام قربه وحال حبه.

﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ [الآية 123] الخطاب لآدم وحواء أو له ولإبليس،
221/ أ ولما كانا أصل الذرية خاطبهما مخاطبتهم في القضية/ فقال: ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [الآية 123] للأمور الدنيوية والأخروية من التجاذب والتحارب بمقتضى الطباع البشرية.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أوقع العداوة بين آدم وإبليس والحية ولقد توالت أنواع المحنة على آدم وحواء بعد خروجهما من الجنة وهي سمة المعصية ومفارقة الجنة ودخول الدنيا وعداوة الشيطان والابتلاء بالشهوات ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى﴾ [الآية 123] كتاب ورسول ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ﴾ [الآية 123] في الدنيا ﴿وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [الآية 123] لا يتعب في العقبى.

قال سهل: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ﴾ [الآية 123] أي الهداية بملازمة الكتاب والسنَّة فلا يضل عن طريق الهدى ولا يشقى في الآخرة والأولى.

وقال الأستاذ: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ﴾ [الآية 123] وترك هواه ولم يعمل

بوسوسة عدو الله فله كل خير ولا يلحقه ضير.

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي﴾ [الآية 124] عن الهدي الذاكر لذاتي وصفاتي والداعي إلى عباداتي وطاعاتي ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [الآية 124] ضيقة وذلك لأن مجامع همه وفكره ومطامح نظره في أمره يكون إلى أعراض الدنيا وأغراضها متهالكاً على ازديادها خائفاً على انتقاصها وانتقاضها بخلاف المؤمن الطالب للأخرى والقائم بوظيفة خدمة المولى وقد فسر ﷺ المعيشة الضنك بعذاب القبر[1] على ما صححه الحاكم ورواه غيره، فذهب إليه جمهور السلف خلافاً لبعض الخلف.

وأفاد الأستاذ: أن الكافر إذا أعرض عن ذكر ربه في هذه الدار فله المعيشة الضنك في الدنيا وفي القبر وفي النار وبالقلب من حيث وحشة الفكر وبالوقت من حيث انغلاق الأمر. ويقال: مَن أعرض عن الانحراز في قضايا الوفاق تتالت عليه فنون الخذلان وصنوف الشقاق ومن أعرض عن استدامة ذكر الرب توالت عليه من تفرقة القلب ما يسلب عنه كل روح وراحة من روائح الحب ومن أعرض عن الاستئناس بذكره انفتح عليه وساوس الشيطان في فكره وهواجس النفس في أمره بما يوجب له وحشة الضمير وانسداد أبواب الراحة والبسط والرضا بالتقدير. ويقال: مَن أعرض عن ذكر الله في الخلوة قيض الله له في الظاهر من القرين / السوء في الجلوة ما يوجب رؤيته 221/ب
له قبض القلوب واستيلاء الوحشة.

﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [الآية 124] أعمى البصر أو البصيرة ولا منع من الجمع ويؤيد الأول ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾﴾ [الآية 125] في الدنيا ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ﴾ [الآية 126] أي مثل ذلك فعلت معك في العقبى جزاء لما صدر عنك في الأولى بتقصير خدمتك للمولى ﴿أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا﴾ [الآية 126] واضحة نيرة في ذاتها ودلالتها ﴿فَنَسِيتَهَا﴾ [الآية 126] فعميت عنها وتركتها غير

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (1/ 537) رقم (1405)، وابن حبان في الصحيح (7/ 388) رقم (3119)، وابن أبي شيبة في الصنف (7/ 144) رقم (34837).

منظور إليها ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ [الآية 126] أي مثل تركك إياها في الدنيا ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ [الآية 126] في العقبى ﴿تُنسَىٰ﴾ [الآية 126] تترك في العذاب والعمى جزاءً وفاقاً.

وأفاد الأستاذ: أن في الخبر مَن كان بحالة لقي الله بها فمن كان في الدنيا أعمى القلب يُحشر على حالته يعيش على جهل ويُحشر على جهل. قلت: وقد قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف:الآية 29]، وورد كما تعيشون تموتون وكما تموتون تحشرون، ولذلك يقولون: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ﴾ [يس:الآية 52] إلى أن تصير معارفهم ضرورية وكما يتركون اليوم التدبير في آياتهم يتركون غداً في العقوبة من غير رحمة على وصف حالاتهم.

﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ﴾ [الآية 127] بالإعراض عن الآيات والانهماك في الشهوات ﴿وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ﴾ [الآية 127] مع أنها من الواضحات ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [الآية 127] المشتملة على حشرهم بالعمى ودخولهم في نار العقبى ﴿أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [الآية 127] من ضنك العيش ومجرد العمى.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه جرت سنَّته ومضت مشيئته بأن يجازي كلاً بما يليق بحالته في أسفله لنفسه وقدمه سيلقى جزاءه عنه على الخير خيراً وعلى الشر شراً.

﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ [الآية 128] أي أفلم يبيِّن لهم وهو مسند إلى الله كما يدل عليه القراءة الشاذة بالنون أو إلى ما دل عليه ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ [الآية 128] أي ألم يَهْدِ لهم كثرة إهلاكنا ﴿قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۗ﴾ [الآية 128] ويشاهدون آثار هلاكهم ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ﴾ [الآية 128] لذوي العقول الناهية عن التغافل والتعامي في الأحوال الماضية والآتية.

وقال الأستاذ: أفلا ينظرون فيتفكرون فيستبصرون ثم إذا استبصروا أفلا يعتبرون وإذا اعتبروا أفلا يرتدعون أم على وجوههم في ميادين غفلاتهم يركضون وعن سوء معاملاتهم لا يرجعون ألا ساء ما يعملون.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ/ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ [الآية 129] وهي الحكم بإيمان بعض الأمة في 222/ أ
الأزمنة الآتية، أو هي العدة بتأخير عذاب هذه الأمة إلى الآخرة ﴿لَكَانَ﴾

[الآية 129] عذاب الاستئصال كما نزل بالأمم المكذبة ﴿لِزَامًا﴾ [الآية 129] لازماً لهؤلاء الكفرة ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ [الآية 129] أي ولولا مقدار معين لأعمارهم في الدنيا أو لعذابهم في العقبى لكان العذاب لازماً لهم في الدنيا.

وأفاد الأستاذ: أن المعنى لولا أن الكلمة سبقت بتأخير العقوبة عن هذه الأمة أن جماعة من أوليائه في أصلاب أعدائه لعجّل عقوبتهم في الدنيا ولكن لما ذكر من الحالة ما يمهلهم المدة المعلومة ثم لا يمهلهم أصلاً في القضية، وإذا كانت الكلمة بالسعادة لقوم مضت وبالشقاوة لآخرين سبقت والعلم في اللوح المحفوظ بجميع ما هو كائن فالسعي والجهد والانكماش في الحدّ متى تقع المنفعة وله أيضاً ما ظهر من القسمة.

﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ [الآية 130] في كتابنا ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ [الآية 130] وصلِّ وأنت حامد له على هدايته وتوفيق عبادته أو نزِّه ذاته وصفاته مع الاقتران بإثبات كمالاته ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ [الآية 130] يعني الفجر ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [الآية 130] يعني الظهر والعصر أو العصر وحده ﴿وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ﴾ [الآية 130] ومن ساعاته فسبِّح، يعني المغرب والعشاء، وقيل: الفاصلة أو تقديره إما من آناء الليل فسبِّح وإنما قدم الزمان وكرر الأمر اهتماماً لاختصاصه بمزيد الفضل والعذر فإن القلب فيه أجمع والنفس لميلها إلى الاستراحة أمنع فتكون العبادة فيه أحمز وفي البُعد عن الرياء والسمعة أميز، ولذا قال تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا﴾ [المُزمّل:الآية 6] أي كلفة ﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ [المُزمّل:الآية 6] أي قرارة ﴿وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾ [الآية 130] أي طرفيه فهو تكرير لصلاتي الصبح والمغرب اهتماماً بشأنهما أو المراد بهما صلاة الظهر فإنه نهاية النصف الأول وبداية النصف الأخير أو صلاة التطوع وسائر النوافل في أجزاء النهار ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ [الآية 130] أي سبِّح في هذه الأوقات طمعاً في أن تنال عند الله ما به ترضي نفسك من الحالات والكمالات. وقرأ أبو بكر والكسائي بالبناء للمفعول أي يرضيك ربك.

222/ب وأفاد الأستاذ: أن سماع الأذى يوجب المشقة/ ويوقع السالك في الوحشة، والمعنى إن كان سماع ما يقولون يوحشك فتسبيحنا الذي ننشيء به

علينا يروحك قبل طلوع الشمس أي في صدر النهار لينعم صباحك وليبارك لك في طول عمرك ونهارك. وقيل: غروبها عند انقضاء النهار ليتم رواحك ويطيب ليلك ومن آناء الليل أي في الساعات الخالية فإن كمال الصفوة ذكر الله في حال الخلوة وأطراف النهار أي استدم على ذكر ربك في جميع أحوالك من إدبارك وإقبالك.

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ [الآية 131] أي لا تطمح نظرهما ولا تطرح بصرهما ﴿إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ﴾ [الآية 131] استحساناً له أو تمنياً أن يكون لك مثله ﴿أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾ [الآية 131] أصنافاً من الكفرة والفجرة لأن من علم أن مولاه ذخيرته لم يلتفت إلى ما سواه ببصيرته ﴿زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الآية 131] أي صورة بهجتها وزينتها عند أرباب غفلتها ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [الآية 131] لنبلوهم به أو لنعذبهم بسببه.

وأفاد الأستاذ: أن الرؤية فيما لا يحتاج إليه لا يخلوا عن علة كفضل الكلام ولغو الحركة والذي له عند الله قدر ومنزلة فللحق على جميع أحواله غيره لا يرضى منه أن يبذل شيئاً من حركاته وسكناته وسائر حالاته فيما ليس يدخل تحت أمر الله ومرضاته. وفي معناه أنشدوا:

أتتني تؤنبني في البكاء فأهلاً بها وبتأنيبها
تقول وفي قولها حشمة أتبكي بعين تراني بها
فقلت إذا استحسنت غيركم أمرت الدموع بتأديبها[1]

والفتنة فيما يشغل قربه عن الرب ويستولي حبه على القلب ويحسر وجوده على العصيان ويجمل الاستمتاع به على البطر والطغيان.

﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ﴾ [الآية 131] أي ما أعدّ لك من النعيم المقيم في العقبى أو ما رزقك من الهداية والكفاية والقناعة ﴿خَيْرٌ﴾ [الآية 131] أحسن مما منحهم في الدنيا ﴿وَأَبْقَىٰ﴾ [الآية 131] فإنه لا ينقطع أبداً من النعيم المقيم.

(1) نسب إلى ابن المعتز. انظر المحب والمحبوب (1/ 12)، والإيضاح في علوم البلاغة (1/ 344).

قال أبو بكر ابن طاهر: هو القناعة بما يملكه والذهول عما لا يملكه. وقال بعضهم: من رزق/ الثقة بالله والرضا عن مولاه فيما منعه وأعطاه فقد 223/أ
أعطي أفضل الرزق في دنياه وأخراه، ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: أن القليل من الحلال وفيه رضى الرحمٰن ولطفه خير من كثير الحرام والحطام ومعه سخطه. ويقال: قليل يشهدك ربك خيره من كثير ينسيك ربك. وفي الحديث: «قليل يكفيك خير من كثير يطغيك»[1].

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ﴾ [الآية 132] أي تابعيك من أهل بيتك أو متابعيك من أمتك ﴿بِٱلصَّلَوٰةِ﴾ [الآية 132] أي وسائر الطاعات الموجبة للصلاة وخصت لأنها أم العبادات الناهية عن السيئات ليتعاونوا على الاستعانة بها على الفاقة ولا يهتموا بأمر المعيشة ولا يميلوا إلى الدنيا كميل أهل الردة ﴿وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [الآية 132] أي بالغ في طلب الصبر بثبات القدم والمداومة للوصول إليها.

قال جنيد: وأمر أهلك بالاتصال بنار الاصطبار على تلك المواصلة معنا أي بالانقطاع عن غيرنا والاكتفاء بما عندنا.

وأفاد الأستاذ: إن الصلاة استفتاح باب الرزق وعليها أحال في تسيير الفتوح عند وقوع الحاجة إلى الرزق. ويقال: الصلاة رزق القلب وإذا استأخر قوت النفس قوي قوت القلب بذكر الرب وللاصطبار مزية على الصبر وهو أن لا يجد صاحبه به ألماً بل يكون محمولاً مروحاً، انتهى. ولا يخفى أن الظاهر من الاصطبار هو زيادة المبالغة بالجد والجهد في تحصيل الصبر وإن كان فيه تحمُّل مرارته وتكلُّف مشقته ﴿لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا﴾ [الآية 132] أي لا ترزق نفسك ولا أهلك بكسبك ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ [الآية 132] وأتباعك تبعاً لك ففرِّغ بالك وحسِّن حالك وانظر مآلك ﴿وَٱلْعَـٰقِبَةُ﴾ [الآية 132] المحمولة عند أهل التمني ﴿لِلتَّقْوَىٰ﴾ [الآية 132] لذوي التقى أو للمتقي مبالغة كما لا يخفى. وقد ورد أنه

(1) لم يرد بهذا اللفظ وإنما ورد بلفظ: «قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه». انظر ما أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (8/ 218) رقم (7873)، والبيهقي في شعب الإيمان (4/ 79) رقم (4357).

ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة[1]. وروي أنه إذا أصاب أهله حيرة أمرهم بالصلاة[2] وتلا هذه الآية.

وأفاد الأستاذ: إنهما شيئان: وجود الأرزاق وشهود الرازق، فوجود الأرزاق يوجب قوة النفوس وشهود الرازق يوجب قوة القلوب. ويقال:
223/ب استقلال / العامة بوجود الأرزاق واستقلال الخاصة بشهود الرازق. ويقال: خفف على الخلق مقامات أمر الرزق وتأخر ذلك عن وقت الرفق بقوله: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [الآية 132] أي العاقبة الحسنى لأهل التقوى.

﴿وَقَالُواْ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾ [الآية 133] أي بآية مقترحة تدل على صدقه في دعوى الرسالة ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِم﴾ [الآية 133] وقرأ نافع وأبو عمرو وحفص بالتأنيث أي أما جاءتهم ﴿بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الآية 133] من التوراة والإنجيل وسائر الكتب السماوية، فإن اشتمال القرآن على زبدة ما فيها من العقائد الدينية والأحكام الكلية مع أن الآتي بها أُمي لم يرها ولم يتعلم من علمها إعجاز بَين لمن اكتحلت عين بصيرته فرأت ظهور حجته ووضوح بينته ولائحة إبانته ولامعة معجزته.

وأفاد الأستاذ: أنه عميت بصائرهم وأظلمت سرائرهم فادعوا أنه لا برهان مقدر ولا بينة ولم تكن القصور في الأدلة ولو جمع الله لهم كل آية مقترحة ثمَّ لم يرد الله أن يؤمنوا بها لم يزدادوا إلا طغياناً وضلالة ثم أخبر أن سنَّة آبائهم في تكذيب أنبيائهم مثل سنَّة أبنائهم في تكذيب نبيهم فقال: ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الآية 133].

﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ﴾ [الآية 134] قبل محمد أو القرآن ﴿لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ﴾ [الآية 134] أي أحكامك ﴿مِن

(1) أخرجه ابن قانع في معجم الصحابة (4/ 251) رقم (1052).
(2) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (1/ 272) رقم (886)، والبيهقي في شعب الإيمان (3/ 153) رقم (3180).

﴿قَبْلِ أَن نَّذِلَّ﴾ [الآية 134] بالقتل والسبي في الدنيا ﴿وَنَخْزَىٰ﴾ [الآية 134] بدخول النار في العقبى.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يقول إنهم إن أرسلنا إليهم الرسل قابلوهم بفنون من الجحد ووجوه من العلل فمرة يقولون ما بال هذا الرسول وهو كونه بشراً وهلا أرسل إن كان يرسل ملكاً ولو أرسلنا ملكاً لقالوا هلا أرسل إلينا مثلنا بشراً ولو أظهرنا عليهم آية لقالوا هذا سحر مفترى ولو أخليناهم عن رسول نذير وعاملناهم بما استوجبوه من نكير لقالوا هلا أرسل إلينا رسولاً حتى كنا نؤمن ونتبع، فليس ينقطع إعلالهم ولا ينفك عن أمر لا يرضون بدأ أحوالهم. وكذلك سبيل من لا يجنح إلى الوصال ولا يرغب في الوداد، وفي معناه:

وكذا الملول إذا أراد قطيعة مل الوصال وقال كان وكانا[1]

224/ أ / ﴿قُلْ كُلٌّ﴾ [الآية 135] منا ومنكم ﴿مُّتَرَبِّصٌ﴾ [الآية 135] منتظر لما يؤول إليه أمرنا وأمركم ﴿فَتَرَبَّصُواْ﴾ [الآية 135] أي وقرأ فتمتعوا ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ﴾ [الآية 135] المستقيم القوي ﴿وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ [الآية 135] من الضلالة والردى.

وأفاد الأستاذ: إن الكل واقفون على التجويز غير حاصلين بتوفيقه من التمييز ينتظرون ما سيبدو في المستأنف من التقدير إلا أن أرباب التفرقة ينتظرون نوّاب الأيام وصنّاع الأحكام بارتكاب الآثام، وكيف يقتضيه حكم الأفلاك على الأنام وما الذي توجبه الطبائع والنجوم في الليالي والأيام من أرباب الجمعية المسلمين ينتظرون ما يبدو من المقادير فهم في روح التوحيد والباقون في ظلمات الشرك وأوهام التدابير.

---

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 26) و(2/ 426) و(3/ 102) و(4/ 204) و(6/ 54).

سورة الأنبياء عليهم السلام

[مكيّة]
وهي مائة واثنتا عشرة آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الذي تشبثت به الأنبياء ابتداءً، وتعلّقت به الأولياء انتهاءً.

وأفاد الأستاذ: أنه اسم عزيز مَن توصل إليه بطاعته تفضّل عليه بجميل نعمته إن أطاع فضّله وإن أضاع أمهله، ثم إن آب وأقرّ شكره وإن عصى وغاب ستره، فإن تنصّل رحمه وإن تكبّر قصمه. اسم عزيز ما استنارت الظواهر إلا بآثار توفيقه ولا استضاءت السرائر إلا بأنوار تحقيقه، فبتوفيقه وصل العابدون إلى مجاهدتهم، وبتحقيقه وجد العارفون كمال مشاهدتهم، وبتمام مجاهدتهم وجدوا آجل مثوبتهم، وبدوام مشاهدتهم نالوا عاجل قربتهم.

﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ﴾ [الآية 1] عما فيه خطابهم وعتابهم وعقابهم ﴿مُّعْرِضُونَ﴾ [الآية 1] عمَّا يترتب عليه عقابهم مما بيَّنه كتابهم. وقال بعضهم: دنا وقت الانتباه وهم في غفلة عن طريق التوبة معرضون عن اليقظة.

وقال يحيى بن معاذ: حان لك أن تحاسب نفسك وقد مضى أكثر عمرك وتنزجر عن الغفلة وقد نوديت ودعيت إلى الانتباه واليقظة فرحم الله عبداً حاسب نفسه قبل أن يُحاسب عمله ووزن عمله قبل أن ينزع أجله وانتبه من غفلته قبل أن يقع في حفرته.

وقال الأستاذ: / اقترب للناس حسابهم وقرب إلينا إيابهم فالمطيعون 224/ب

منهم عظم لدينا ثوابهم والعاصون منهم حق منا عقابهم. ويقال: الغفلة على قسمين: غافل عن حسابه لاستغراقه في دنياه أو متابعة هواه، وغافل عن حسابه لاستهلاكه في مولاه أو متابعة رضاه. فالغفلة الأولى همَّة أرباب الهجرة والتفرقة والغفلة الثانية صفة أصحاب الوصل والجمعية، فالأولون لا يستفيقون عن غفلتهم إلا في عسكر الموتى وهؤلاء لا يرجعون من غيبتهم أبداً لفنائهم في وجود الحق سبحانه وتعالى.

﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ﴾ [الآية 2] كتاباً وسنَّة نبيهم عن سنَّة الغفلة والجهالة ﴿مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الآية 2] تنزيله قديم تأويله ﴿إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الآية 2] يستهزؤون به ويسخرون منه لفناء غفلتهم وفرط غباوتهم وإعراضهم عن التدبُّر في عاقبتهم والتنكُّر في أمر آخرتهم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه لم يجدد إليهم نذيراً إلا ازدادوا نفوراً ولم ينزل عليهم خطاباً إلا ردوه جحداً أو كذباً وما زدناهم فضلاً إلا عدوه هزلاً وما جددنا لهم نعمة إلا فعلوا ما استوجبوا نقمة، وكأن الذي به أكرمناهم محنة بها بلوناهم، هذا صفة من سامع الله خلقه وخسر عند الله حقه.

﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ [الآية 3] أي استمعوه جامعين من الاستهزاء به والتلهي عنه والذهول عن التفكر فيما فيه الوصول، فالقلوب اللاهية هي الغافلة عن الأحكام الإلٰهية.

قال أبو بكر الوراق: اللاهي المشغول بزينة الدنيا وزهرة أموالها الغافل عن قضية العقبى وأحوالها.

قال ابن عطاء: معرضة عن طريق رشدهم.

وقال الأستاذ: عمية بصائرهم وغائبة أفهامهم وسرائرهم فهم في غباوة لا يستبصرون وفي أكنة فما أقيم لهم البرهان فهم لا يعلمون ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى﴾ [الآية 3] بالغوا في إخفائها ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الآية 3] في إبدائها والموصول بدل من واو أسروا للإيماء بأنهم ظالمون فيما أصروا ﴿هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الآية 3] فيذهب بسحرة غفلكم ﴿أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ﴾ [الآية 3] أتقبلونه وتقبلون

عليه ﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ [الآية 3] تنظرون إليه وتتحيرون لديه. وهذه المقالة مبنية
225/ أ منهم على أن غير الملك ليس له / دعوى الرسالة وقد نشأ من غاية الضلالة ونهاية الجهالة.

وأفاد الأستاذ: أنهم لما عجزوا عن معارضته وسقطوا عند تحديهم وظهر عليهم وضوح حجته وجمعوا فيه الفكر وسموا فيه الظن فمرة نسبوه إلى فعل السحر ومرة وصفوه بقول الشعر ومرة رموه بالجنون، وهكذا إلى كل فن من الفنون وقبل ذلك كانوا يقولون له: محمد الأمين المأمون. وأنشدوا:

أشاعوا لنا في الحي أشنع قصة وكانوا لنا سلماً فصاروا لنا حربا[1]

﴿قَالَ﴾ [الآية 4] وقرأ حمزة والكسائي وحفص قال، أي الرسول ﴿رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ﴾ [الآية 4] سراً وجهراً ﴿فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية 4] سواء ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ [الآية 4] لأقوالكم ﴿الْعَلِيمُ﴾ [الآية 4] بأحوالكم فلا يخفى عليه ما تسرُّون وما تعلنون وما تُظهرون وما تُضمرون.

وأفاد الأستاذ: أن الأقاويل التي يسمعها الحق سبحانه من الخلق متفاوتة في المرتبة ومختلفة في المنزلة، فمن خطاب بعضهم مع الخلق ومن خطاب بعضهم مع الحق، والذين يخاطبون الحق فمن سائل يسأل الدنيا ومن طالب يطلب العقبى، ومن مثني يثني على المولى من غير انقضاء شيء من الدنيا والأخرى. ويقال: يسمع أنين المذنبين سراً من الخلف حذاراً أن ينفضحوا ويسمع مناجاة العابدين بنعت التسبيح إذا تهجدوا ويسمع شكوى المحبين إذا مسهم البرحاء من شدة الاشتياق فيضجوا. ويقال: يسمع خطاب مَن يناجيه بقلبه في أمره وكذا تسبيح من يمدحه ويبقي عليه بلسان سره وبيان شكره.

﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ﴾ [الآية 5] أي تخاليط الأحلام من عالم المنام ﴿بَلِ افْتَرَاهُ﴾ [الآية 5] أي هذا الكلام على الملك العلّام ﴿بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ [الآية 5] أي يخيّل إلى السامع معاني في مباني لا حقيقة لها وترغِّب الخلق إليها،

---

(1) ذكره القشيري في تفسيره (2/ 224) و(3/ 64) و(5/ 71).

وكل ما قالوه باطل ليس تحته طائل. أما كونه أحلاماً فلأنه مشتمل على مغيبات كثيرة طابقت الواقع في وقائع عزيزة من أنباء الأولين وأخبار الآخرين، وأما كونه افتراء فلأنهم جربوه نيفاً وأربعين سنة وما سمعوا منه قط كذبة، وأما كونه شعراً فإن كلامه مشحون بالحقائق والحِكَم / الدقائق الخارجة من مناسبة قواعد الشعر 225/ ب
أو أوزان قوافي الخطب ولذا عجز عن معارضته جميع الفصحاء والبلغاء.

وأفاد الأستاذ: أنهم نوعوا ما نسبوا إليه وشاقوا وكل تراءى له الأمر من حيث كانوا ولم يشاهدوه ﷺ على الوصف الذي كان به من الصدق في الحال والثبات في القال ﴿فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ﴾ [الآية 5] أي بمعجزة ظاهرة وعلامة باهرة ﴿كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ [الآية 5] بها مثل اليد البيضاء والعصا وإبراء الأكمه وإحياء الموتى.

﴿مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ﴾ [الآية 6] من أهل قرية ﴿أَهْلَكْنَٰهَآ﴾ [الآية 6] باقتراح الآية لما جاءتهم ولم يؤمنوا في تلك الحالة ﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 6] لو جئتهم بالآية المقترحة وهم أعتى منهم. وفيه تنبيه على أن عدم الإتيان بالاقتراح للإبقاء عليهم والترحم بهم إذ لو أتي به ولم يؤمنوا استؤصلوا كمن قبلهم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أجرى سنَّته في أزل الآزال بأنه لا يعذِّب إلا مَن كان المعلوم من شأنه أنه لا يؤمن لا في الحال ولا في المآل وإن هؤلاء الذين كانوا في عصر الرسول ﷺ أمثلتهم في الكفران في حكم الحق لهم بالحرمان والخذلان.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ [الآية 7] من جنس البشر لا مَلَكاً ولا إنساً ﴿نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ [الآية 7] وقرأ حفص بالنون ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ [الآية 7] أهل العلم بالأنبياء والرسل والأمم كمؤمني أهل الكتاب وأصحاب السير وتواريخ الخطاب ﴿إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الآية 7] هذه المقدمة لتزول عنكم الشبهة.

وأفاد الأستاذ: أنهم لما قالوا ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [الفُرقان:الآية 21] أخبر أنه لم يرسل إلى الناس رسولاً إلا بشراً فيما سبق من الأزمان الماضية والقرون الخالية وذكر أن الخصوصية كان بإرسال الله إياهم في تلك القضية، ثم

قال: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ [النّحل:الآية 43] والخطاب للكل، والمراد منه الأمة وأهل الذكر العلماء الأئمة من أكابر هذه الأمة، والذين آمنوا بنبينا محمد ﷺ بالرسالة. ويقال: هم أهل الفهم من الله أصحاب الإلهام الذين هم في محل الإعلام من الملك العلّام وإنما يحسن الإفهام للخلق من يحسن الفهم عن الحق.
226/ أ ويقال: / العالِم يرجع إليه في العبادات والمعاملات إذا أشكلت الواقعة فيخبر عن اجتهاده في تلك الحالة وشرطه أن لا يكون مقلداً ويكون من أهل الاجتهاد محققاً فإذا لم يخالف النص وأدى اجتهاده إلى شيء بحسب معرفته فإنما يقبل قوله ولم يخالف أصلاً مقطوعاً بصحته وجب قبول فتواه، وإنما الحكيم إذا تكلم في المعاملة فإنما يقبل قوله إذا سبق منه المنازلة لما يغني به فإن لم يتقدم له من قبله المنازلة ففتواه في هذا الطريق عن وجده فإن كان وإلا لم يقبل فتواه ولا يسمع قوله.

﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ﴾ [الآية 8] أي الرسل الكرام ﴿جَسَدًا﴾ [الآية 8] أي أشباحاً تتضمن أرواحاً ﴿لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ﴾ [الآية 8] كسائر الأنام.

وأفاد الأستاذ: أنهم لما عيّروا النبي ﷺ بقوله: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان:الآية 7] لتحصيل المعاش والارتفاق أخبر أن أكل الطعام ليس بقادح في المعنى الذي يختص به الأكابر الكرام إذ لا منافاة بين أكل الطعام وما تستكنه القلوب والسرائر من وجوه التعريف والإعلام. ويقال: النفوس لا خبر لها مما به القلب والقلب لا خبر له مما تحقق به الروح من قرب الرب وفوق الروح وألطف منه السر وبينهما البون الكثير والفرق العزيز. وقوله: ﴿وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ﴾ [الآية 8] أي إنهم كغيرهم على ممر ومعبر ولا سبيل اليوم لمخلوق إلى الخلد بعمر معمر.

﴿ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ﴾ [الآية 9] أي الرسل في وعدهم بإنجاء أتباعهم وإهلاك أعدائهم ﴿فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ﴾ [الآية 9] ممن هديناهم واجتبيناهم ﴿وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الآية 9] في كفرهم وكفرانهم.

وأفاد الأستاذ: أن الحق سبحانه يحقق أمر وعده وإن تباطأ الوقت بتحقيقه فما أخبر أنه يكون فلا محالة أن يكون، والموعود من نصرة الله لأهل

الحق واليقين إنما هو بإعلاء كلمة الدين وإرغام من نابذ الحق من الجاحدين وتحقيق ذلك بالبيان والجحد وإيضاح وجه الدلالة وبيان خطأ أهل الشبهة.

﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ [الآية 10] حياتكم / وشرّفكم في 226/ ب
دينكم ودنياكم كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزّخرُف:الآية 44]، أو فيه ما يذكركم من وعظكم بوعدكم ووعيدكم وسائر أحكامكم ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الآية 10] فتؤمنون وتعملون.

﴿وَكَمْ قَصَمْنَا﴾ [الآية 11] أهلكنا ﴿مِن قَرْيَةٍ﴾ [الآية 11] أي من أهلها ﴿كَانَتْ ظَالِمَةً﴾ [الآية 11] في حالها ﴿وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا﴾ [الآية 11] بعد إهلاك أهلها ﴿قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾ [الآية 11] مكانهم.

قال أبو بكر الوراق: في الظلم خراب العمر وقد قال ﷺ: «الظلم ظُلُمات يوم القيامة»[1]، فإذا أظلم القلب عن المعرفة والإخلاص خرب وعلامة خراب القلب عصيان الجوارح وميلها إلى ما فيه إهلاكها.

وأفاد الأستاذ: إن الله يمهل الظالم حيناً لكنه يأخذه أخذ قهر وانتقام وحكم الله بخراب مساكن الظالمين حتى في الخبر «لو كان الظلم بيتاً في الجنة لسلّط الله عليه الخراب»، فإذا أظلم العبد نفسه خربها الله بأن يعطلها من مساكن التوفيق للعرفان وجعلها مواطن الخذلان، وإذا أظلم قلبه بالغفلة سلّط عليه الخواطر الردية التي هي وساوس الشيطان ودواعي الفجور والطغيان، وعلى هذا القياس في القلة والكثرة. والروح إذا خربت زايلها الحقائق والمنحات واستولى عليها العلائق والمساكنات.

﴿فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ﴾ [الآية 12] أدركوا شدة عذابنا وحِدَّة عقابنا ﴿إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ [الآية 12] يهربون مسرعين راكضين دوابهم أو مشبهين بها من فرط إسراعهم.

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (2447)، ومسلم في الصحيح (2579/ 57).

وأفاد الأستاذ: أنهم لما ذاقوا وبال أفعالهم اضطربوا في أحوالهم فلم ينفعهم ندمهم ولم يعدوا إلى محلها قدمهم، وبعد ظهور الخيانة لا تقبل دعوى الأمانة.

﴿لَا تَرْكُضُوا﴾ [الآية 13] أي يقال بلسان القال أو ببيان الحال لا تسرعوا في الهرب من المحنة والذلة ﴿وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ﴾ [الآية 13] أي أعطيتم من النعمة واللذة، والمعنى إلى دنياكم ومهواكم ﴿وَمَسَاكِنِكُمْ﴾ [الآية 13] أي وإلى بيوتكم ومأواكم ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ﴾ [الآية 13] عن أعمالكم أو تقصدون سؤال الفقراء من أموالكم، وفي هذا توبيخ وتقريع لهم.

وأفاد الأستاذ: أن للجناية سراية فإذا حصلت الجناية لم تقف السراية،
227/ أ فإذا غرقت السفينة فليس بيد الملّاح/ إلا إظهار الأسف، وهيهات أن يجدي
هنالك.

﴿قَالُوا﴾ [الآية 14] لما رأوا العذاب ولم يروا وجه النجاة في الباب ﴿يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [الآية 14] فما تنفعهم حيث صاروا في غير محلهم نادمين.

وأفاد الأستاذ: أن للإقرار زمان معين ينفعه فإذا فات فات حكمه كما في المثل: وضع القوس بعد إرسال السهم إمساك في غير محله.

﴿فَمَا زَالَت تِّلْكَ﴾ [الآية 15] المنازل ﴿دَعْوَاهُمْ﴾ [الآية 15] دعوتهم وموعدهم فكان كلاً منهم يدعو الويل ويقول يا ويل يقال: قد ظهر شأنك فهذا أوانك ﴿حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا﴾ [الآية 15] مثل الحصيد وهو النبت المحصود ﴿خَامِدِينَ﴾ [الآية 15] ميتين يابسين آيسين.

وأفاد الأستاذ: أن من البلاء أن يشكو فلا يسمع ويبكي فلا ينفع ويدنو فيقضي ويمرض فلا يُعاد ويقتدي فلا يقبل وغاية البلاء التلف والفناء.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الآية 16] بل خلقناهما مشحونة بضروب من الحكم البديعة تبصرة للنظار وتذكرة لذوي الاعتبار وتنبيه لما ينتظم به أمور العباد في المعاش والمعاد، فينبغي أن يتوصلوا بها إلى تحصيل

الكمال ولا يغتروا بزخارفها فإنها سريعة الزوال وموجبة للنكال في الحال والمآل.

وأفاد الأستاذ: أن اللعب نعت من زال عن حد الصواب واستجلب بعقله الالتذاذ وانجرّ في حبل السفه وحق الحق متقدِّس عن هذه الجهة.

﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا﴾ [الآية 17] ما نتلهى ونلعب في ساحتنا ﴿لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ﴾ [الآية 17] ممن عندنا مما يليق بحضرتنا من المجردات الروحانية لا من الذوات الجسمانية كالأجسام المرفوعة والأجرام المبسوطة كعادتكم في رفع السقوف وتزويقها في تثبيتها وتسوية الفرش وتزيينها ﴿إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الآية 17] ذلك، ويدل على جوابه ما تقدم هنالك. وقيل إن نافية، والجملة كالنتيجة للشرطية كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَأَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى﴾ [السَّجدَة:الآية 13]. وقيل اللهو الولد والزوجة والمراد الرد على النصارى من الكفرة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه خاطبهم على حسب أفهامهم وعلى مقدار أوهامهم وإلا فالذي لا يعتريه سهو لاستفزه/ لهو والحق لا يعتريه سهو ولا 227/ب
يضاهيه لغو.

﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ﴾ [الآية 18] إضراب عن اتخاذ اللهو وتنزيه لذاته عن اللعب والسهو، أي بل من شأننا أن نغلب الحق الذي من جملته الجد والصدق والعدل والعمل على الباطل الذي من عداده اللهو واللعب والهزل ﴿فَيَدْمَغُهُۥ﴾ [الآية 18] فيمحقه ويزهقه بتغليب الحق وتعليته على الباطل وتبعيته ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الآية 18] هالك مستأصل زائل ماحق ﴿وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الآية 18] أي مما تصفونه به مما لا يجوز عليه.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يدخل نهار التحقيق على ليالي الأوهام فينقشع سحاب الغيبة وينجلي ضباب الأوهام عن الأفهام وتبرز شموس اليقين عن خفاء الظنون وتصحو سماء الحقائق عن كل غبار للشبه ساطع وينكشف عن وجه كل وجيه حجاب هو في صورة الظاهر مانع.

﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [الآية 19] ملكاً ومُلكاً ﴿وَمَنۡ عِندَهُۥ﴾ [الآية 19] من الملائكة المنزلين منه لكرامتهم عليه منزلة المقربين عند الملوك والسلاطين ﴿لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ﴾ [الآية 19] لا يتعظمون عنها ﴿وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ﴾ [الآية 19] لا يعيبون منها ولا يتعبون فيها.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه له الحادثات ملكاً والكائنات حكماً وتعالى أن يتجمل بوفاق أو ينتقص بخلاف وشقاق وبالقدر ظهر الجميع وعلى حسب الاختيار تصرف الكل.

﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ۝٢٠﴾ [الآية 20] ينزهونه ويعظمونه دائماً من غير فتور ولا قصور.

وأفاد الأستاذ: أن المطيع المختار تسبيحه بالقول الصدق من الكلمة والكل من المخلوقات تسبيحها بدلالة الخلقة وبرهان البينة.

﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ﴾ [الآية 21] بل اتخذوا، وبل للانتقال والهمزة لإنكار اتخاذهم ﴿ءَالِهَةً﴾ [الآية 21] كائنة ﴿مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الآية 21] أي من جنسها مع كونها من السفليات وفائدتها التحقير دون التخصيص ولا يجوز اتخاذ الآلهة أيضاً من العلويات ﴿هُمۡ يُنشِرُونَ﴾ [الآية 21] أي تلك الآلهة تحيي الموتى ثانياً وهذا وإن لم يصرحوا بذلك إلا أنه لزم بادعائهم لها الإلٰهية هنالك فإن من لوازمها الاقتدار
228/أ على جميع الكائنات بأسرها ابتداء وانتهاء، والمراد/ به تجهيلهم والتهكم بهم لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾ [النّحل:الآية 21] ﴿أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ﴾ [النّحل:الآية 21] وللمبالغة في ذلك الأمر المهم زيد ضميرهم الموهم لاختصاص الإنشاء بهم وفيه إيماء إلى أنه لا ينشر الموتى إلا من خلقهم ونشرهم ابتداء وهم معترفون بخلق الله إياهم أولاً كما قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ﴾ [لقمَان:الآية 25] فيتعين أن يكون هو محييهم آخراً.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه تفرّد بالإبداع والإيجاد وتقدّس عن الأمثال والأنداد فالذين من دونه يعبدون أمواتاً غير أحياء وهم بالضرورة يعرفونه فلا يعتبرون ولا ينزجرون.

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الآية 22] أي غيره بإلا حيث تقدر الاستثناء لعدم شمول ما قبلها لما بعدها، وفي التلويح إذ لو كان استثناء لوجب نصبه ﴿لَفَسَدَتَا﴾ [الآية 22] لبطلتا لما يكون بينهما من التنازع والتمانع في وجودهما وعدمهما. والمعنى لو كان مدبراً أمر السماء والأرض آلهة شتى غير الواحد الذي فطرهما لخربتا وخرجتا عن نظامهما لأنه سبحانه هو قيوم السموات والأرض وما بينهما ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ﴾ [الآية 22] المحيط بجميع أجسام العالم البسيط الذي هو محل نزول التدابير ومنشأ ظهور التقادير ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الآية 22] من اتخاذ الشريك وقبول التغير والتغيير.

وفي «تفسير السلمي» قال بعضهم: حثك في هذه الآية على الرجوع إلى الله تعالى وعدم الاعتماد على ما سواه.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه بيَّن أن كل أمر يناط بجماعة إن لم يجر على النظام يجري بينهم النزاع والخلاف على الدوام، ولما كانت أمور العالم في التركيب منسقة على وجه قويم دل على أنها حاصلة بتقدير مدبر حكيم فالسماء في علو سمكها تدور على النظام أفلاكها وليس يعهد إمساكها، والأرض مستقرة بأقطارها وعلى ترتيب تعاقب ليلها ونهارها والشمس والقمر والنجوم السائرة تدور في بروج ورقعة السماء تتسع من غير فروج ذلك لتقدير العزيز علامة وعلى وحدانيته دلالة.

﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ [الآية 23] لعظمته وقوة سلطنته وظهور شوكة قدرته ورفعة هيبته وتفرُّده بألوهيته وتوحُّده في ربوبيته واستحقاق عبوديته ﴿وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الآية 23] لأنهم مملوكون/ مستبعدون مخلوقون مربوبون. 228/ب

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه لا يسأل أنه ليس من أحد عليه حجر ولا أمر ولا حظر ولا زجر فهو مالك الأعيان ﴿وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الآية 23] لوجه الحجة عليهم وقيام الحجة بهم. ويقال: لا يسأل لكون الخلق له بأجمعهم وهم يسألون للزوم حقه عليهم.

﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ [الآية 24] أعاده استعظاماً لكفرهم واستقباحاً

لأمرهم وتكبيتاً لقمعهم وإظهاراً لجهلهم أو ضمناً لإنكار ما يكون لهم سنداً من النقل إلى إنكار ما يكون لهم دليلاً من العقل ويؤيد ذلك أنه رتب على الأول ما يدل على فساده عقلاً وعلى الثاني ما يدل على بطلانه نقلاً ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ [الآية 24] حجتكم على ذلك إما من جهة العقل أو من طريق النقل، فإنه من غير دليل لا يصح القول كيف وقد تطابقت الحجج باباً وفصلاً على بطلانه عقلاً ونقلاً ﴿هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي﴾ [الآية 24] من الكتب السماوية المشحونة بالأدلة القطعية فانظروا هل تجدون فيها إلا الأمر بالتوحيد والنهي عن الإشراك على طريق التوكيد. والمراد بمن بمعنى معي أمته الموجودة وبمن قبلي واللاحقة الأمم المتقدمة السابقة ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ﴾ [الآية 24] لا يميزون الباطل والصدق ﴿فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الآية 24] عن التوحيد واتباع أهل التفريد.

وأفاد الأستاذ: أن الآية دلت على فساد القول بالتقليد ووجوب إقامة الحجة والدليل على التوحيد، ودلت الآية على إثبات الكسب للعبيد إذ لولاه لم يتوجه عليه اللوم والعتب وكل من علق قلبه بمخلوق أو توهم من غير الله حصول شيء من مرزوق فقد دخل في غمار هؤلاء الجمادات لأن الإله من يصح منه الإيجاد وكذلك الإمداد، وفي هذا الإشارة إلى توحيد الحق وإفراد الرب بوصف الفردانية وقعت الوحدانية وإنما عد من العلم لإعراضهم عن النظر وإغراضهم في الفهم ولو وضعوا النظر محله لوجب لهم العلم لا محالة. والآية تدل على وجوب النظر في مقدمات العلوم اليقينية وأن العلوم الدينية كلها كسبية.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ﴾ [الآية 25] قرأ حفص
229/أ وحمزة/ والكسائي نوحي بالنون وكسر الحاء ﴿أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾
[الآية 25] فاعرفوني ووحّدوني وأطيعوني ولا تخالفوني.

وأفاد الأستاذ: أن التوحيد في كل شريعة واحد لازب والتقيد بما أرسل به الرسول واجب فالأفعال للنسخ والتبديل معرضة فأما التوحيد فهو طريقه الأصل الأكيد الأصيل فلا يجوز فيه النسخ والتبديل.

﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ﴾ [الآية 26] حيث قالت بنو خزاعة: الملائكة بنات الله، سبحانه تنزيه له عن ذلك وأمثاله ﴿بَلْ عِبَادٌ﴾ [الآية 26] أي بل هم عباد من حيث إنهم مخلوقون لا أولاد ﴿مُّكْرَمُونَ﴾ [الآية 26] بأنهم مقرّبون لأنهم متقرِّبون ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ﴾ [الآية 27] لا يقولون شيئاً حتى يقوله فهم عبيد مؤدبون ﴿وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ [الآية 27] كما قال تعالى: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التّحْريم:الآية 6].

قال الواسطي: ذكر الأنبياء وسائر الخلق بصفاتهم ونعوتهم قبل أن خلقهم كي يؤمنوا ويعلموا أنه لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون.

وأفاد الأستاذ: أن في الآية رحمة في ذكر أقاويل أهل الضلالة والبدعة على وجه الرد عليهم وكشف عوارهم لديهم والتنبيه على موضع خطابهم لكن إن وسوس الشيطان إلى أحد بشيء من ذلك كان عنده حجة الانفصال عنه هنالك.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [الآية 28] أي ما قدّموه وأخّروه، والجملة كالعلة لما قبله والتمهيد لما بعده، فإنهم لعلمهم بذلك يضبطون أقوالهم ويراقبون أحوالهم ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الآية 28] أن يشفع لهم ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ﴾ [الآية 28] عظمته ومهابته ﴿مُشْفِقُونَ﴾ [الآية 28] خائفون مرتعدون.

وأفاد الأستاذ: أن علمه القديم سبحانه لا يختص بمعلوم دون معلوم فيحق شموله لجميع المعلومات لا يعزب عن علمه موجود ولا معدوم. وقوله: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الآية 28] دل على أنهم يشفعون لقوم وأن الله سبحانه يقبل شفاعتهم. وقوله: ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [الآية 28] ليس لهم ذنب ثم إنهم خائفون، ففي الآية دليل على أنه سبحانه لو عذبهم لكان ذلك جائزاً إذ لو لم يجز أن يعذب البريء لكانوا لا يخافونه لعلمهم أنهم لم يرتبكوا
229/ب زلة، انتهى. ولا يبعد أن / خوفهم إنما كان من تقليبهم إلى حالة تقع منهم الزلة الموجبة للزلة ومع هذا لو عذبهم من غير ظهور العصيان عنهم لكان عدلاً كما أنه لو لم يعذب الكفار والفجار لكان فضلاً إذ لا يجب عليه سبحانه شيء أصلاً.

﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ﴾ [الآية 29] من الملائكة أو من الخليقة ﴿إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾ [الآية 29] يريد به نفي النبوة وادعاء ذلك عن الملائكة وتهديد المشركين بتهديد مدعي الألوهية ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٢٩)﴾ [الآية 29] من ظلم على نفسه بادعاء الألوهية أو بالإشراك في الربوبية.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أخبر أنهم معصومون عن الزلة بكل وجه ثم قال: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ﴾ [الآية 29] وقد علم أنهم لا يقولونه ولكن علم لو كان ذلك كيف يكون حكمه هنالك، والحق سبحانه علم ما يكون كيف يكون مما جاز وأنه لو كان كيف كان يكون، انتهى. وحاصله أن علمه سبحانه يتعلق بالموجود والمعدوم وأن القضية الفرضية الذهنية غير لازمة الوقوع في الهيبة الخارجية.

﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الآية 30] أي ألم يتفكروا ولم ينظروا ولعل الاستفهام للإنكار وحمل النظار على الاعتبار. وقرأ ابن كثير بغير واو أي ألم يعلموا ﴿أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الآية 30] أي جماعة العلويات وجماعة السفليات ﴿كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ [الآية 30] بجعلهما متنوعة متميزة.

وأفاد الأستاذ: أن المشركين على عهد رسول الله ﷺ كانوا قائلين بأن الله خلق السموات والأرض وإنما داخلتهم الشبهة في إعادة الخلق من الحشر والنشر في القيامة فأقام الله سبحانه عليهم الحجة بأن قال: أليس قد علموا أنه سبحانه سمك السماء ورفعها وبسط الأرض ووضعها، فإذا قدر على هذه البداية فكيف لا يقدر على الإعادة بعد الإبادة.

﴿وَجَعَلْنَا﴾ [الآية 30] خلقنا ﴿مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الآية 30] أي كل حيوان كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ﴾ [النُّور:الآية 45] وذلك لأن الماء من أعظم مواده أو لفرط احتياجه إليه في أمر معاشه ومعاده وانتفاعه بعينه في تمام مراده، أو صيرنا كل شيء حي بسبب الماء لا يحيا دونه من بين / الأشياء 230/أ
﴿أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 30] مع أن هذه الأمور يشاهدون.

وأفاد الأستاذ: أنه خلق كل شيء حي من الماء فإن أصل الحيوان الذي

يحصل بالتناسل النطفة وهي من جملة الماء وحياة النفوس بماء السماء من حيث الغذاء وحياة القلوب بماء الرحمة وحياة الأسرار بماء العظمة وأقوام حياتهم بماء الحياة وعزيز ما هم أي وقليل ما هم.

﴿وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ﴾ [الآية 31] جبالاً ثوابت كراسي ﴿أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾ [الآية 31] كراهة أن تضطرب وتميل بهم ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا﴾ [الآية 31] في الأرض أو الرواسي أو كل منهما ﴿فِجَاجًا سُبُلًا﴾ [الآية 31] مسالك واسعة لهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [الآية 31] إلى مصالحهم وإلى معرفة منعمهم فيقومون بحق شكرهم.

وأفاد الأستاذ: أن الأولياء هم الرواسي الثوابت والخلق بهم يرزقون وينصرون وبهم يدفع عنهم البلاء ويتفرع عليهم العطاء، وكما أنه لولا الجبال الراسيات لمالت بهم الأرض باضطراب الحركة والزلزلة كذلك لولا الشيوخ الذين هم أوتاد الأرض لنزلنا بهم اللواء والشدة ثم كما في الأرض سبل يسلكونها يصلون إلى مقاصدهم في دنياهم كذلك جعل السبل إلى مولاهم وأمور عقباهم مسلوكة بما يبين على ألسنتهم من هداية المريدين وإرشاد السالكين فيسري بهداهم في سيرهم إلى مولاهم.

﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾ [الآية 32] عن الوقوع بإمساك قدرته أو عن الانحلال إلى الوقت المعلوم بمشيئته ﴿وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا﴾ [الآية 32] علامتها الدالة على وجود الصانع ووحدته وكمال قدرته وتناهي حكمته ﴿مُعْرِضُونَ﴾ [الآية 32] لا يتفكرون ولا يتدبرون ولا ينظرون ولا يتغيرون.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه خلق في ظاهر الكون سماء مسموكة مرفوعة والأرض مفروشة موضوعة كذلك سماء القلوب التي هي أماكن الحالات وأدنى أرض النفوس التي هي مساكن الطاعات وفي سماء القلوب نجوم العقل وقمر العلم وشمس التوحيد ومعرفة الذات والصفات وكما جعلت النجوم رجوماً للشياطين جعلت نجوم المعارف رجوماً للشياطين، وكما أن الناس عن آيات الكائنات معرضون لا يتفكرون فيها فالعوام عن آيات القلوب

230/ب مما فيها من الأنوار/ والأسرار غافلون لا يكاد يعرفها إلا الخواص المختصون بها.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ [الآية 33] بيان لبعض تلك الآيات الظاهرات على صفائح وجوه وجود الكائنات ﴿كُلٌّ﴾ [الآية 33] أي كل واحد منها ﴿فِى فَلَكٍ﴾ [الآية 33] من أفلاك السماء ﴿يَسْبَحُونَ﴾ [الآية 33] يسرعون إسراع السابح على وجه الماء.

وأفاد الأستاذ: أن الحق سبحانه كما أن في الظاهر يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل فكذلك يدخل نهار البسط على ليل القبض ويدخل ليل القبض على نهار البسط، وكما أن النهار يزيد وينقص فكذلك الليل فهكذا صفة القبض والبسط في الزيادة والنقصان، وأن الشمس أبداً في بروجها لا تزيد ولا تنقص والقمر مرة في المحاق ومرة في الإشراق فصاحب التوحيد بنعت التمكين ارتقى عن حد تأمل البرهان إلى روح البيان ثم هو متحقق بما هو كالعيان، وصاحب العلم مرة يرد إلى تحديد نظره وتذكره في فطرته بفطنته ومرة يغشاه غير في حال غفلته فهو صاحب تلوين في حالته.

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ﴾ [الآية 34] أي ولو من الأنبياء الكرام ﴿مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾ [الآية 34] أي الدوام والبقاء في هذا المقام ﴿أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ [الآية 34] نزلت حين قالوا: ﴿نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ [الطور:الآية 30]. وفي معناه قيل:

فقل للشامتين بنا أفيقوا ... سيلقى الشامتون كما لقينا(1)

قال جنيد: من كان حياته بنفسه يكون مماته بذهاب روحه ومن كان حياته بربه فإنه ينقل من حياة الطبع إلى حياة الأصل وهو الحياة على الحقيقة.

وقال الأستاذ: أي إنك في هذه الدنيا عابر سبيل والمقبل إلينا لكنا لحقك لم نتركك فرداً في الدنيا وكذلك قال ﷺ للصديق في الغار: «ما ظنك

(1) نسب إلى الفرزدق. انظر عيون الأخبار (1/ 319)، وشرح ديوان المحاسبة (1/ 371).

باثنين الله ثالثهما»[1].

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ﴾ [الآية 35] تذوق مرارته مفارقة جسدها من غير الفوت ﴿وَنَبْلُوكُم﴾ [الآية 35] نعاملكم معاملة المختبر ﴿بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ﴾ [الآية 35] بالمحنة والنعمة ﴿فِتْنَةً﴾ [الآية 35] ابتلاء بهذه الكلفة ﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الآية 35] فنجازيكم حسب ما يوجد منكم من الصبر في المحنة والشكر على النعمة
231/أ والمنحة. وفيه تنبيه على أن المقصود من هذه الحياة الدنيا هو/ الابتلاء في الأبواب والتعريض للثواب والعقاب.

وفي «تفسير السلمي» قيل: الشر الإعراض والمصائب والخير هو الأمن والعافية والدعة وكل هذا فتنة لأنها تشغل صاحبها عن الحق وتقطعه عن طريق الصدق.

وأفاد الأستاذ: أن الموت فيه آفة قوم وراحة قوم، لقوم انتهاء مدة الاشتياق ولآخرين افتتاح باب الفراق، لقوم وقوع في فتنتهم ولآخرين خلوصهم من محنتهم، لقوم بلاء وقيامة ولآخرين شأناً وسلامة. قلت: مصائب قوم عند قوم فوائد.

﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ [الآية 36] ما يتخذونك إلا مهزوءاً به فيستهزؤون ويقولون: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾ [الآية 36] أي بسوء في التعبير والإشارة للتحقير ﴿وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الآية 36] على وجه ينزَّه شأنه عنه سبحانه ﴿هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [الآية 36] فهم أحق بأن يهزأ بهم من غيرهم.

وأفاد الأستاذ: أنهم لما شاهدوا نبيهم على ما هو به من أوصاف التخصيص ونعوت القربة وما رقّاه إليه من المنزلة والرتبة لظلوا خاضعين لمقامه وحالته ولكنهم حجبوا عن معانيه وسريرته من سيرته وعاينوا منه ظاهر جسمه وصورته.

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (3653)، ومسلم في الصحيح (2381/ 1).

﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الآية 37] أي كأنه خلق منه لفرط عجلته وقلة تؤدته، ومن استعجاله مبادرته إلى الكفر وإعراضه عن التوحيد وجرأته على طلب الوعيد، إذ روي أنها نزلت في النضر بن الحارث حين استعجل إنزال العذاب الشديد ويؤيده أيضاً قوله: ﴿سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى﴾ [الآية 37] أي نقماتي في الدنيا كوقعة بدر ونحوها، وفي العقبى عذاب النار وغيرها ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ [الآية 37] بها، والنهي عما جبلت عليه نفوسهم ليبعدوها عن مرادها ويعقدوها عن إيرادها.

وفي «تفسير السلمي» قال بعضهم: زجرهم عما عليه جبلهم.

وقال الواسطي: فيه إظهار لعجزهم وتعريف بقدرهم.

وأفاد الأستاذ: أن العجلة مذمومة والمسارعة محمودة والفرق بينهما أن المسارعة البدار إلى الشيء في أول وقته والعجلة استقباله قبل وقته، والعجلة نتيجة الشيطان والمسارعة قضية توفيق الرحمٰن.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ [الآية 38] وقت وعد العذاب أو يوم القيامة
231/ب وزمان الحساب ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الآية 38] يعنون/ النبي ﷺ والأصحاب. ويستفاد من كلام الأستاذ أن الخطاب للرُّسل ولعله على تغليب في الباب حيث قال: اعتقدوا تكذيب الأنبياء عليهم السلام فيما وعدوهم من الكائنات في الأيام فاستعجلوا حصول ما توعدون ولو علموا ما ينالهم لكان السكون منهم والقرع بدل استعجالهم.

﴿لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الآية 39] لو يعلمون الوقت الذي يستعجلون وهو حين تحيط بهم النار من جميع جوانب الدار بحيث لا يقدرون كفها ودفعها ولا يجدون ناصراً فيها ومنها لما استعجلوا بها ولا استهزؤوا منها، فالجواب محذوف وقدر الاستناد فيما أفاد بقوله: لأمسكوا اليوم عن الانجرار في عذار الظنون والاغترار بمواعيد الشيطان وأتباعه من الفجار.

﴿بَلْ تَأْتِيهِم﴾ [الآية 40] العدة أو الساعة أو النار ﴿بَغْتَةً﴾ [الآية 40] فجأة

﴿فَتَبۡهَتُهُمۡ﴾ [الآية 40] فتحيِّرهم ﴿فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ رَدَّهَا﴾ [الآية 40] عن أنفسهم ﴿وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ﴾ [الآية 40] يمهلون في أجلهم.

وفي «تفسير السلمي» قال بعضهم: من يهمه شيء من الكون فهو لمحل عزة وغفلة من مكوِّنه ومن كان في قبضة الحق وحضرته لا يهمه شيء من خليقته لأنه قد حمل في محل الهيبة في منازل القدس ومحافله.

وأفاد الأستاذ: أن العقوبة إذا أتت فجأة كانت أنكأُ وأشد محنة وسنَّة الله في النقمة أن يلوح ظلال ألسنة الفتنة في جلال تقايس النعمة والمنة.

﴿وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الآية 41] فيه تسلية للنبي ﷺ ووعد بأن ما يفعله به الأعداء يحيط بهم كما أحاط بالمستهزئين بالأنبياء جزاء ما فعلوه من الاستهزاء.

﴿قُلۡ﴾ [الآية 42] يا محمد للمستهزئين ونحوهم من المنكرين ﴿مَن يَكۡلَؤُكُم﴾ [الآية 42] يحفظكم ﴿بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ﴾ [الآية 42] من بأسه إن أراده بكم، وفي لفظ الرحمٰن إيماء إلى أنه لا حافظ غير رحمته وأن اندفاع بأسه بمهلته ﴿بَلۡ هُمۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِم مُّعۡرِضُونَ﴾ [الآية 42] لا يخطرونه ببالهم فضلاً أن يخافوا بأسه في مآلهم وذلك علامة سوء أحوالهم.

232/أ وأفاد الأستاذ: أن هذا تقرير عليهم أن ليس بيد أحد/ من المخلوقين نجاتهم وإذا عرفوا ذلك بما جربوا في حال محنتهم وبلياتهم فكيف لا يتبرؤون ممن ليس به شيء من خير وشر وممن ليس منه نفع ولا ضر، وتنبيه للمؤمنين بأن ما بهم من نوعي النفع والدفع فهو من ربهم فالواجب دوام اعتكافهم بقلوبهم بساحة كرمه وجوده المتوالي عليهم.

﴿أَمۡ لَهُمۡ﴾ [الآية 43] عند الكوفيين أن الميم زائدة، وقال البصريون: المعنى بل ألهم ﴿ءَالِهَةٞ تَمۡنَعُهُم مِّن دُونِنَاۚ﴾ [الآية 43] أي من غيرنا أو من عذاب يكون من عندنا ﴿لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَ أَنفُسِهِمۡ وَلَا هُم مِّنَّا يُصۡحَبُونَ﴾ [الآية 43] استئناف يبين إبطال ما اعتقدوه فإن ما لا يقدر على نصر نفسه ولا يصحبه نصر من خالقه فكيف يرجى منه نصر غيره. وما أحسن من قال من أرباب الحال:

مَن لم يقدر دفع المحنة عن رأسه في حال المحنة وبأسه
كيف يُتوقّع منه ثبات مِنْ أساسه(1)

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه بسط القول وكرره في تعريفهم استحالة حصول الضر والنفع ووقوع العطاء والمنع من الجمادات وأصنامهم التي اختاروها للعبادات، انتهى. ولا يخفى أن فيه من التنبيه أن من لا يصلح للعطاء والمنع وإيصال الضر والنفع لا يصلح له الألوهية ولا يليق له دعوى الربوبية، وأن جميع الكائنات في هذا المعنى بمنزلة الجمادات.

﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَٰؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ﴾ [الآية 44] أي أسلافهم في مقام الكفر وترك الشكر ﴿حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ [الآية 44] فحسبوا أن لا يزالوا على وفق ذلك الأمر ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ﴾ [الآية 44] أي سنّتنا وعادتنا ﴿أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ﴾ [الآية 44] أي نقضّ أرض الكفرة وأهلها ﴿نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ [الآية 44] بتسليط المؤمنين على تصرفها ﴿أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الآية 44] أو حزبنا المقرّبون.

وأفاد الأستاذ: أن طول التمتيع بالنعمة والسعة إذا لم يكن مقروناً بالتوفيق على الطاعة ومشفوعاً بالعصمة على الدناءة يكون مكراً واستدراجاً في زيادة العقوبة، والحق كما يعاقب بالآلام والأهوال يعاقب بالإملاء والإمهال ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ [الآية 44] ننقضها من أطرافها بتوالي القسوة حتى لا يبقى أثر من الصفوة ويتعاقب الخذلان حتى يتواتر العصيان/ ويتأدى ذلك إلى الحرمان الذي فيه ذهاب الإيمان. ويقال: تنقص 232/ب
بذهاب الأكابر والأماثل فيبقى الأراذل وينقرض الأفاضل. وفيه إشارة إلى سقوط قوى العبد بمرور السنين بتطاول العمر في أواخر الأمر كما قيل:

آخر الأمر ما ترى اللحد والقبر والثرى(2)

وكما قيل:

طوى العصران ما نشراه مني فأبلى جدتي نشر وطي

---

(1) لم يعثر عليه من المصادر المتوفرة.
(2) ذكره القشيري في تفسيره (5/ 112) و(6/ 178).

أراني كل يوم في انتقاص ولا يبقى على النقصان شي[1]

﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ﴾ [الآية 45] أي بما أوحي إليّ وبما أُلقي لدي ﴿وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ﴾ [الآية 45] وقرأ ابن عامر: ولا يسمع على الخطاب من الإسماع، ونصب الصم على أنه مفعول أول ﴿إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾ [الآية 45] أي حين يوعظون ويخوَّفون. وفيه دلالة على المبالغة في تصامهم وعدم انتفاعهم بسماعهم وتحقق إصرارهم في تجاسرهم.

وقال الأستاذ: بأمر من الله أعلمكم بمواضع المخافة أو بوحي إليّ في بابكم أخوِّفكم بمواقف العقوبة لكن الذي عدم سماع التوفيق أنى ينفعه تكرار الأمر وتبيان التحقيق.

﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ﴾ [الآية 46] أصابهم أدنى شيء من مصيبة ﴿مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ﴾ [الآية 46] أي مما وقع للإنذار به على لسانك ﴿لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ﴾ [الآية 46] يا هلاكنا أحضر حولنا ﴿إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ [الآية 46] على أنفسنا في جميع عمرنا إلى آخر أمرنا.

وأفاد الأستاذ: أي أنهم لا يصبرون ساعة على أقل محنة من العقوبة فإن الحق سبحانه إذا شاء إيلام أحد فلا يحتاج إلى مدد وعون وعضد.

﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ﴾ [الآية 47] أي الميزان العدل أو لإظهار العدل وإفشاء الفضل، وجمع باعتبار الموزونات للأشخاص والرجال حيث يوزن بها صحائف الأعمال ويعرف بها شرائف الأحوال ﴿لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الآية 47] أي لجزائه أوفاه أو لأهله ﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ [الآية 47] من حقه بنقصه أو شيئاً من الظلم بنقص من ثواب أو زيادة في عقاب بحسب ما يقتضي لك من حساب ﴿وَإِن كَانَ﴾ [الآية 47] أي حقه أو ظلمه ﴿مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾ [الآية 47] أي مقدار أدنى حبة، ورفع نافع مثقال على كان التامة ﴿أَتَيْنَا بِهَا﴾ [الآية 47] أي أحضرناها، وضميرها للمثقال وتأنيثه إضافة إلى الجنة ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾

(1) ذكره القشيري في تفسيره (4/ 21) و(5/ 112) و(6/ 390).

[الآية 47] لثبوت علمنا وتحقق عدلنا.

وأفاد الأستاذ: أنه يورث الأعمال بميزان الإخلاص فما فيه الرياء فلا
يُقبل ويوزن الأحوال/ بميزان الصدق فما يكون فيه الإعجاب فلا يقبل، ويوزن 233/أ
الأنفاس فما فية الحظوظ والمساكنات فلا يقبل ويقال بطريق الإجمال ما كان لغير الله من الأعمال والأحوال لا يصلح قبوله. ويقال: كل يكافأ بما يليق بعمله فمن لم يرحم عباد الله في دنياه لا يرحمه الله في عقباه ومن ظلم على غيره جوزي بسوء فعله على وفقه، فهو سبحانه يجازي المظلومين وينتقم من الظالمين ينصف المظلوم في مثقال الذرة ومقياس الحبة.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الآية 48] الكتاب الجامع لكونه فارقاً بين الهداية والضلالة، ونوراً يستضاء به في بيداء الحيرة وظلمات الجهالة، وموعظة وبياناً لما يحتاج إليه المتقون، ففي الشرائع نهياً وأمراً وما يترتب عليهما صبراً وشكراً، والمتقي هو المجانب لهواه ومما يشغله عن الله ويحجبه عن ذكر مولاه.

﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ [الآية 49] حال من الضمير أو الرب ﴿وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ﴾ [الآية 49] أي من إتيانها ﴿مُشْفِقُونَ﴾ [الآية 49] خائفون عنها.

وأفاد الأستاذ: أن من واقعهم في هذه الصفة وهي الخشية من الله في حال الغيبة شاركهم في استحقاق هذه البصيرة والخشية بالغيب إطراق السريرة في أوان حضور الرب باستشعار الرجل من جريان سوء الأدب والحذر من أن يبدو من الغيب بغتان التقدير مما يوجب حجة العبد والتغيير والإشفاق من الساعة خوف قيام الساعة الموعودة عند العامة وخوف قيام الساعة هي قيامة هؤلاء القوم من الطائفة الخاصة وما يستأهل للكافر في الحشر والنشر مستعجل لهم في الوقت من حصول الأمر من تقريب وتبعيد ومحو وإثبات وإطلاق وتقييد.

﴿وَهَٰذَا﴾ [الآية 50] القرآن ﴿ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ﴾ [الآية 50] كثير خيره ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ [الآية 50] على أبرك مَنْ خلقنا ﴿أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ [الآية 50] وعن الإيمان به مستكبرون.

قال السلمي: مبارك على مَن آمن وسمعه واتعظ به وحفظه وتنبّه فمن لم ير على نفسه وقلبه آثار بركات القرآن فليعلم بُعده عن مراتب قرب الرحمٰن.

وأفاد الأستاذ: أن وصف القرآن بأنه مبارك إخبار عن ثباته من قولهم برك الطير على الماء أي دام، وهذا الكتاب دائم لا يأتيه/ الباطل من بين 233/ب
يديه ولا من خلفه وما لا ابتداء له وهو كلامه القديم فلا انتهاء للكتاب الدال عليه بوصف الحميد الحكيم.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ﴾ [الآية 51] أي اهتدى لوجوه الصلاح وإلى طريق الفلاح ﴿مِن قَبْلُ﴾ [الآية 51] أي قبل وجود موسى وهارون أو قبل ظهور محمد عليهم السلام أو قبل بلوغه واستنبائه ﴿وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾ [الآية 51] أي علمنا أنه أهل لما آتيناه من محاسن الكمال ومكارم الخصال. وفيه إشارة إلى أن فعله تعالى باختيار وحكمة وأنه عالم بالجزئيات كما أنه مطلع بالكليات.

وفي «تفسير السلمي»: سئل جنيد متى رشده أتى، فقال: حين لامني.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أراد برشده ما يعرف به إليه من الهداية والقبول حتى لم يقل بما يجوز عليه الزوال والأقوال ولولا أنه خصه في الابتداء بتعريفه وإلا متى اهتدى إلى التمييز بينه وبين خلقه. ويقال: ذلك ما أضاء عليه من أنوار وتوحيد الحق قبل ما حصل منه من النظر إلى الخلق. ويقال: هو ما كشف روحه وقلبه قبل إيداعه قالبه من تجلي الحقيقة المورثة لأنوار الشريعة وأسرار الطريقة.

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [الآية 52] واقفون لطاعتها ومقيمون على عبادتها، والإشارة لتحقير شأنها وحالها ومآلها، وتوبيخ على تعظيمها وإجلالها فالتمثال لا روح فيه بل هو كصورة الخيال لا يضر ولا ينفع لا في الحال ولا في الاستقبال.

وأفاد الأستاذ: أنه خاطب قومه وأباه ببيان التنبيه الموجب للاستنباه طمعاً في استفاقتهم من سكرة الغفلة ورجوعهم في ظلمة الغفلة وخروجهم من ضيق الشبهة، ثم سأل الله إغاثتهم وطلب منه هدايتهم فلما تبين له أنهم لا

يؤمنون وعلى كفرهم يصيرون تبرأ منهم واعتزل عنهم.

﴿قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَـٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [الآية 53] فقلدناهم وذهبنا على آثارهم تابعين ﴿قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الآية 54] قال الأستاذ: ما استراحوا في الجواب إلا إلى التقليد المجرد فكان من جوابه الحكم عليهم بالتسوية بينهم في الضلال والرد.

﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية 55] أي بالأمر الجد والصدق ﴿أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّـٰعِبِينَ﴾ [الآية 55] الهازلين/ الكاذبين بالبرهان استبعاداً لِتضليل آبائهم وإبطال من أسس أمره على إنبائهم. 234/أ

قال الأستاذ: فطالبوه بالبرهان على ما دعاهم إليه من الإيمان.

﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ﴾ [الآية 56] أي خلقهن من غير زيادة لهن ﴿وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم﴾ [الآية 56] أي ما ذكر لكم من توحيد ربكم ﴿مِّنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ﴾ [الآية 56] المحققين والمبرهنين في أمر الدين.

قال الأستاذ: فأحالهم على النظر والاستدلال والتعرف من حيث أدلة العقول بحدوث الكائنات لأن إثبات الصانع لا يعرف إلا بالمعجزات، وإنما المعجزات علم لصدق الأنبياء وذلك فرع لمعرفة صانع الأشياء.

﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَـٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [الآية 57] إلى عيدكم. قيل: ولعله قال ذلك سراً والأظهر أنه كان جهراً ووقاه الله عن تعرضهم له قهراً.

﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا﴾ [الآية 58] وقرأ الكسائي بالكسر أي قطعاً وحطاماً وفُتاتاً ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾ [الآية 58] للأصنام حيث كسر غيره واستبقاه وجعل الفأس على عنقه في مأواه ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ [الآية 58] أي إلى الله وتوحيده بحسب فطرتهم عند تحققهم عجز آلهتهم فيعلمون أن ما عبدوه من دون الله غير مستحق لعبادتهم. وفيه الإيماء إلى أنه لم يحتفل بما يصيبه من البلاء ثقة بأن الله منفرد بالإبداع والإبداء ومتوحِّد بإيصال الضرر والنفع والمنع والعطاء.

﴿قَالُوا۟﴾ [الآية 59] بعد رجوعهم عما نالوا ﴿مَن فَعَلَ هَـٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ

﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية 59] بجرأته على ما يسيىء إلى آلهتنا ﴿قَالُواْ﴾ [الآية 60] أي قائل منهم أو بعضهم ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ [الآية 60] بالسوء ويعيبهم فعله فعلة ﴿يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾ [الآية 60]، ﴿قَالُواْ فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ﴾ [الآية 61] بمرأى منهم بحيث تتمكن صورته في أعينهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ [الآية 61] بفعله أو قوله أو بعقابنا في حقه.

﴿قَالُوٓاْ﴾ [الآية 62] أي حين أحضروه ﴿ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾ [الآية 62] ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ﴾ [الآية 63] أي مَن فعل ﴿كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ﴾ [الآية 63] أي كبيرهم وصغيرهم عن كاسرهم ﴿إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ﴾ [الآية 63] أي يميِّزون بين كاسرهم وناصرهم. وقيل: كبيرهم فاعل فعله أسند الفعل إليه لأن غيظه لما رأى من زيادة تعظيمهم له حمله عليه أو لقصد تعريض وتبكيت لعجزه لديه ويؤيده حديث ابن ماجه أنه عليه السلام قال: «لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات»[1]: تسميته للمعاريض كذباً لما شابهت صورتها/ صورته في العبارات. 234/ ب

﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [الآية 64] فتراجعوا إلى عقولهم وترددوا في مقولهم ﴿فَقَالُوٓاْ﴾ [الآية 64] أي بعضهم لبعض ﴿إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الآية 64] بهذا السؤال أو بعبادة ما لا يضر ولا ينفع في الحال ولا في المآل.

﴿ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ [الآية 65] انقلبوا إلى المجادلة بعدما استقاموا بالمراجعة فقالوا: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾ [الآية 65] فكيف تأمرنا بسؤالها وأنت عارف بحالها.

﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾﴾ [الآية 66].

قال ابن عطاء: دعا الله وأقطعهم عما سواه بقوله: كيف تعتمدون على عاجز مثلكم في دفع الضر وجلب النفع ولا تعتمدون على مَن إليه المرجع في العطاء والمنع.

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (3358)، ومسلم في الصحيح (2371/ 154).

﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [الآية 67] أي قبحاً ونتناً لمن يعبد مَن سواه، وكذا مَن خاف غيره ورجاه ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الآية 67] فترجعون إلى طريق رضاه.

وأفاد الأستاذ: أنهم قالوا كيف ننسب الذنب إليه وتحيلنا في السؤال عليه وهو جماد ليس أمر ما يبديه ولا تصرف وتحرك لديه، فقال: وأنتم كيف تسخرون عبادة الجماد وتشركونه برب العباد وخالق البلاد. ثم لما توجهت عليهم الحجة ولم يكن لهم جواب في المحجة وداخلتهم الأنفة والحمية أصروا على عزيمة الأذية فقالوا: سبيلنا أن نقتله شر القتلة وأن نعامله بما يخوفنا به من العقوبة.

﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ﴾ [الآية 68] وأظهروا نقمتكم ﴿وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾ [الآية 68] عداوتكم ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا﴾ [الآية 69] ذات برد وسلام ﴿عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الآية 69] عليه السلام.

قال ابن عطاء: سَلِم إبراهيم من النار بسلامة صدره الكريم كما قال تعالى: ﴿إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾﴾ [الصَّافات:الآية 84] أي خالٍ عن جميع أسباب الدنيا وعوارض العقبى ويرد علمه لصحة توكُّله وتبرد قلبه عن غير ربه حيث ناداه جبريل فقال: هل لك حاجة، قال: أما إليك فلا، فقال: فسئل ربك، قال: حسبي من سؤالي علمه بحالي[1]. فجعل الله ببركة هذه الكلمة حظيرة النار له كالروضة. قيل: وكان إذ ذاك ابن ست عشر سنة. قيل وفي الجمع بين قوله برداً وسلاماً إيماء إلى أنه لو لم يقيد بالسلامة لمات إبراهيم من البرد البتة في
235/أ تقييده بقوله على إبراهيم إشارة إلى أنه لولاه لبردت النار على غيره وفقدت/ من العالم لكماله، ولكن هذا إنما يتم لو كان الخطاب لمطلق النار الحاضرة والظاهر أنه مختص بالنار الحاضرة. وفي الجملة رد على الحكمة الفلسفية والطائفة الطبيعية الخارجة عن الطريقة الحنيفية فهذه القضية نظير قضية غرق

(1) كشف الخفاء (1/ 257) رقم (1136).

فرعون وأشياعه ونجاة موسى وأتباعه بالماء، وكذا إهلاك قوم عاد بالريح العقيم وجعلها على هود ومن آمن به كالروح النسيم، وكذا خسفه سبحانه بقارون الأرض وسلامة غيره هنالك في الطول والعرض. فهذه العناصر الأربع كلها ليس لها تصرف بطبعها وإنما هي يتوقف فعلها على أمر خالقها بإظهار صنعها.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه لو عصمه من يد نمرود المبعود ولم يمكّنه من رميه في النار لكان في الظاهر أقرب من أنواع الانتصار لكن حفظه في النار من غير أن يمسه ألم منها أتم في باب النصرة وإظهار المعجزة والكرامة. ويقال: إن إبراهيم عليه السلام كثيراً ما كان يقول: أواه من النار فإنه عذاب أليم. قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [التّوبَة:الآية 114]، فلما رمي في النار وجعل الله عليه النار برداً وسلاماً في هذه الدار قيل له: لا تقل بعد هذا أواه من النار بل استعذ بالله من الله لا من غيره فإنه العزيز الغفار. وقوله: وسلاماً، أي وسلامة عليه وله من غير ملامة فإذا كان للعبد السلامة في الميدان فالنار والبرد عنده سيان. ويقال: إن الذي يحرق في النار مَن في النار يقدر على حفظه في النار مِن النار.

﴿وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا﴾ [الآية 70] مكراً في إصراره ﴿فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾ [الآية 70] أي الأذلين عند اقتداره لدلالة القضية على حقيقة دعوته وثبوت نبوّته ومن بدء درجته ومن بطلان كل معاند له في حجته وعدول كل مكابر عن محجته.

وأفاد الأستاذ: أن من حفر لأوليائه وقع فيما حفر ومن كان مشغولاً بالله لم يتول الانتقام منه غير مولاه.

﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الآية 71] أي من العراق إلى الشام وبركاته العامة أن أكثر الأنبياء عليهم السلام بعثوا في ذلك المقام فانتشرت في العالمين شرائعهم الجلية العلية التي هي مبادىء الكمالات العلمية والعملية/ والخيرات الدينية والدنيوية. روي أنه نزل بفلسطين ولوط 235/ ب بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة.

وأفاد الأستاذ: أنه مضت سنّته سبحانه في أرباب نبوّته وأصحاب صفوته في أنه إذا نجّى واحداً منهم أشرك في نجاته من كان مساهماً له في محنته ومقاساة مشقته.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ [الآية 72] أي عطية زائدة أو هبة تستعقب فائدة ﴿وَكُلًّا﴾ [الآية 72] أي من الأربعة ﴿جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ﴾ [الآية 72] أي عاملين بما كانوا عالمين فصاروا بتوفيقنا كاملين. وقيل: الصلاح هو القيام بأمر الله ونهيه وبالشفقة على خلقه.

﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً﴾ [الآية 73] يقتدى بهم أمة ﴿يَهْدُونَ﴾ [الآية 73] الخلق إلى الحق ﴿بِأَمْرِنَا﴾ [الآية 73] لهم بالإرشاد إلى طريق الصدق على وفق الرفق حتى صاروا مكملين للمسترشدين ومفيدين للمتعلمين من المؤمنين ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [الآية 73] أي أن يتعلموا المبرات ويحثوا غيرهم على الطاعات ﴿وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ [الآية 73] خصتا لأنهما أمّا العبادات البدنية والمالية ﴿وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾ [الآية 73] موحدين وفي العبادة مخلصين.

وأفاد الأستاذ: أن الإمام مقدم القوم والقبيلة واستحقاق رتبة الإمامة باستجماع الخصال الحميدة التي في الأمة فيه التنبيه فمن لم يستجمع فيه متفرقات الخصال الجيدة في الأمة لم يستحق منزلة الإمامة.

﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا﴾ [الآية 74] حكمة أو نبوّة أو حكومة في الخصومة ﴿وَعِلْمًا﴾ [الآية 74] بما ينبغي علمه لأهل الرسالة ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ﴾ [الآية 74] أي من إهلاك أهلها ﴿ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [الآية 74] كاللواطة ونحوها.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أكمل عليه الإنعام بعصمته عليه السلام من مثل ما امتحن به قومه في تلك الأيام ثم بخلاصه منهم بإخراجه مما بينهم فهو منزّه ظاهراً وباطناً عنهم ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ﴾ [الآية 74] في الأحوال ﴿فَٰسِقِينَ﴾ [الآية 74] في الأفعال.

﴿وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ﴾ [الآية 75] في جنتنا أو في أهل رحمتنا ﴿إِنَّهُۥ مِنَ

﴿ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [الآية 75] الذين سبقت لهم سعادة عنايتنا وحمايتنا ورعايتنا.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه بيَّن أنه أدخله في رحمته ثم قال: ﴿إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [الآية 75] في خدمته ولا محالة من أدخله في رحمته كان صالحاً في حضرته، فقوله/ ﴿وَأَدْخَلْنَـٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ﴾ [الآية 75] إخبار عن عين الجمع، وقوله: 236/ أ
﴿إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [الآية 75] إعلام عن عين الفرق.

﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ﴾ [الآية 76] ربه وشكا قومه ودعا خلاصه ﴿مِن قَبْلُ﴾ [الآية 76] قبل المذكورين ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ [الآية 76] دعاءه وأهلكنا أعداءه ﴿فَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥ﴾ [الآية 76] من تبعه ﴿مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الآية 76] أي من الطوفان الأليم أو أذى قومه اللئيم.

﴿وَنَصَرْنَـٰهُ﴾ [الآية 77] أي جعلناه منتصراً ﴿مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ﴾ [الآية 77] وحرموا من بركاتنا ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ﴾ [الآية 77] في اعتقادهم ﴿فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الآية 77] جزاء لعنادهم.

وأفاد الأستاذ: أن في القصة أنه كان يضرب في اليوم سبعين مرة وكان الرجل الهرم يحمل حافده إليه ويقول: لا تقبل قول هذا الشيخ وما عليه وكان يصبر على مقاساة الأذى ويدعوهم إلى الله تعالى فلما آيسه الله عن إيمانهم وإيمان أولادهم وقال له إنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن دعا عليهم بأجمعهم.

﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ﴾ [الآية 78] في الزرع ﴿إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ﴾ [الآية 78] رعته ليلاً ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَـٰهِدِينَ﴾ [الآية 78] عالمين حاضرين.

﴿فَفَهَّمْنَـٰهَا﴾ [الآية 79] الحكومة أو التقوى في القضية ﴿سُلَيْمَـٰنَ﴾ [الآية 79] وهو ابن إحدى عشر سنة. قيل: القصة أن داود عليه السلام حكم بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمان: لعل غير هذا أرفق بهما، وهو أن يدفع الغنم إلى أهل الحرث فينتفعون بألبانها وأولادها وأشعارها والحرث إلى أرباب الغنم يقومون عليه حتى يعودوا إلى ما كان ثم تترادان. والظاهر أنهما قالا اجتهاداً لقوله ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الآية 79] وفيه تنبيه على أن الخطأ المجتهد لا يقدح فيه.

قال جنيد: ألهم الله بعلمه سليمان من العلم فمنَّ الله بذلك الحكم وأعطاه الله الملك فلم يمنَّ عليه بل قال: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ﴾ [ص:الآية 39] ﴿أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [ص:الآية 39]، ثم أراه حقارته في ثلاثة مواضع من حالاته: حين سأل الملك واختاره عرف له ملكه وخسته بأن ألقى على كرسيه جسداً، وحين قال: ﴿فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ﴾ [ص:الآية 36] فأراه أن الملك الذي أعطاه الريح حيث لا يدوم له الملك وهذا صريح، وحين قال: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا﴾ [ص:الآية 39] الآية، أي أعط مَن شئت لحقارته وخسته.

236/ ب وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أشركهما في حكم النبوة وإن كان/ بين درجتيهما تفاوت في الربوبية، ثم في هذه المسألة الواحدة أثبت لسليمان جهة الخصوصية وفي المسألة دلالة على تصويب المجتهدين فإن اختلفوا إذا كان في فروع الدين حيث قال: ﴿وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ﴾ [الآية 79]، ولمن قال بتصويب أحدهما وتخطئة الآخر منها أن يتعلق بقوله: ﴿فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ﴾ [الآية 79]. أقول: وهذا أظهر فتدبر وعليه الأكثر.

﴿وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ﴾ [الآية 79] يقدِّسْنَ الله معه إما بلسان الحال أو ببيان القال، والظاهر الثاني إذ لا مزية في الأول فتأمل ﴿وَٱلطَّيۡرَۚ﴾ [الآية 79] معطوف على الجبال أو مفعول معه ﴿وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الآية 79] لأمثاله من تسخيرنا فليس ببدع منا وإن كان عندكم عجيباً وفي نظركم غريباً.

قال محمد بن علي: خلق الله في الجبال تسلية للمحزونين وأنسة للمكروبين. قال بعضهم: الأنس الذي في الجبال هو أنها خالية من صنع الخلائق والعمال ولا أثر فيها لمخلوق فتوحش بها الأحوال بل الآثار التي فيها هي آثار الصنع الحقيقي من غير تحويل ولا تبديل. أقول: ولعل تخصيص الطير من سائر الوحوش كثرة نفرتها عن الخلق وقوة اعتمادها على رزق الخالق.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أمن الجبال وسخّرها لتساعد داوود عليه السلام في التسبيح وكذا الطير لتوافقه باللسان الفصيح ففي الأثر كان داوود

عليه السلام يمر وصفائح المُرَحاء تجاوبه وكذلك الطيور كانت تساعده عند تأويبه.

﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾ [الآية 80] عمل الدرع وهو في الأصل اللباس بمعنى الملبوس، كما قيل:

البس لكل حالة لبوسها إما نعيمها وإما بؤسها[1]

قيل: كانت الدروع قبل داوود صفائح فحلقها وسردها أي نظّمها وركّبها ﴿لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾ [الآية 80] بدل من لهم بدل الاشتمال بإعادة الجار لتأكيد الحال والضمير لله أو للبوس أو لداوود. ويؤيد الأول رواية أبي بكر بالنون ويقوي الثاني قراءة ابن عامر وحفص بالتاء أو بالصنعة أو للبوس بتأويل الدرع فإنه مؤنث سماعي في اللغة ﴿فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾ [الآية 80] ما ذكر من الصنعة وغيرها من النعمة وهو أمر أخرجه في صورة الاستفهام للمبالغة، والمعنى فاشكروا البتة، كقوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة:الآية 91] أي فانتهوا من
237/ أ
غير/ المهلة.

وأفاد الأستاذ: أنه كان داوود عليه السلام سخّر الله له الحديد الشديد وألانه في يده كالشمع المذاب، فألهمه نَسْجَ الدروع ليحصن من سهام الحروب حال الشروع، وقال تعالى: ﴿وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾ [سبأ:الآية 11] أي أوثق مساميرها وأحكم الصنعة في مقاديرها ولكن لما قصدته سهام التقدير ما أصاب إلا حدقته من غير التغيير حين نظر إلى أمره أو رأى من غير قصد في المكان فكان ما كان في ذلك الزمان، ولقد خلا عند ذلك عما هنالك وأغلق على نفسه باب الفرقة بقصد الخلوة والعزلة وأخذ يصلي ساعة ويقرأ التوراة مرة والزبور كرّة حتى يمضي ذلك اليوم بالسلامة وينتهي ذلك الوقت من غير الملامة. وكان قد أوحي إليه أنه يوم فتنته ووقت بليته وساعة محنته فأمر الحجاب والنوّاب أن لا يؤذن عليه أحد بالدخول من الباب فوقع في كوة البيت طير لم ير في الحُسن

(1) نسب إلى بيهس الفزاري. انظر خزانة الأدب (3/ 30)، وزهر الأكم (1/ 152).

نظيره فهمَّ أن يأخذه فتباعد عنه ولم يطر منه كالمُطمع له في أخذه، فتبعه فلم يستأخر قليلاً قليلاً من عنده حتى طار من كوة البيت إلى خارجه فتبعه داوود عليه السلام ينظر إليه فخرج من الكوة ونظر داوود من زاوية عليه فوقع بصره على امرأة أوريا وكانت قد تجرّدت عن ثيابها لما لم يكن عنده أحد من الورى لإقدامها وأوريا تتفتل في بستان خلف البيت الذي فيه داوود عليه السلام فحصل في قلبه ما حصل من الخواطر الموهمة للإلهام وأصاب سهم التقدير حدقته وكان مما يقتضي ابتلاؤه ومحنته ولم تنفعه صنعة اللبوس التي كان يعملها ليحصنه من بأسه في حال البؤس.

﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾ [الآية 81] أي وسخرنا له الريح ﴿عَاصِفَةً﴾ [الآية 81] شديدة الهبوب بحيث إنها تذهب بكرسيه في مدة يسيرة من الدهر كما. قال تعالى: ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ [سبأ:الآية 12]، ومع هذا كانت رخاء في نفسها طيبة لا تكسر سنبلة ولا تغير نملة وأولها عاصفة إذ محط سليمانماية فرسخ في ماية أو كانت رخاء تارة وعاصفة مرة بحسب إرادته ويؤيده قوله: ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِۦٓ﴾ [الآية 81]
237/ ب أي بإذنه على وفق مشيئته ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا/ فِيهَا﴾ [الآية 81] وهي الشام صباحاً بعدما سار منها إلى اصخر أو اليمن رواحاً ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَٰلِمِينَ﴾ [الآية 81] فتجري الأشياء في محلها بمقتضى الحكمة المتعلقة بها على قدر ما سبقت المشيئة المقدّرة لها.

قال الأستاذ: سخّر الله له الريح غدوها شهر ورواحها شهر فلو أراد أن يزيد على مسافة الشهر شبراً لما استطاع به قهراً تعريفاً بأنه موقوف على حكم التقدير من غير تصور التغيير، فشهود التقدير كان يمنعه عن العجب والغرور بما أُكْرِمَ به من التسخير. ولقد نبّه من حيث الإشارة تحت العبارة أن الذي ملك كالريح شأنه إذا مرّ وفات أو أنه لا يبقى باليد منه شيء زانه أو شانه. وفي القصة أنه لاحظ ذلك يوماً فوقع في الغصة حيث مالت الريح ببساطة قليلاً عن الاستقامة فقال سليمان للريح: استوي ولا تسوّي، فقالت له الريح: استوِ أنت فإن المدار عليك وأنا لديك وراجع إليك وإنما ميلي ببساطك لميلك بقلبك إلى ملاحظة انبساطك فإذا استويت أنت في الضمائر استويت أنا في الظواهر.

﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ﴾ [الآية 82] في البحار ويخرجون نفائسه من أنواع المرجان واللآليء الكبار ﴿وَيَعۡمَلُونَ عَمَلٗا دُونَ ذَٰلِكَۖ﴾ [الآية 82] أي غير ذلك من بناء المدن والقصور واختراع الصنائع البديعة هنالك ﴿وَكُنَّا لَهُمۡ حَٰفِظِينَ﴾ [الآية 82] أن يحيدوا عن أمره ويميلوا عن حكمه.

وأفاد الأستاذ: أن هذا المراد إنما كان ذلك أياماً قليلة في الحقيقة ثم إنه أراد يوماً أن يعود إلى مكانه في الطريقة فجاءه ملك الموت وطالبه بروحه من غير الفوت فقال: أخرني إلى أن أرجع إلى مكاني، فقال: لا وجه للتأخير عن زماني، فقبضه وهو قائم متكيء على عصاه وبقي بحاله ولم تعلم الجن حيث أطاعه في خدمته وما عصاه إلى أن أكلت دابة الأرض من ساعته بمعنى عصاه فلما خرّ سليمان علمت الجن حينئذ مماته وتحققوا أن الذين بالمنسأة قيامه وتحققه فقهر الموت يلحقه.

﴿وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي﴾ [الآية 83] أي بأني ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الآية 83] بدني ﴿وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الآية 83] بي حتى من أمي وأبي، واكتفى بذلك المقال عن تصريح عرض المطلوب/ لطفاً في السؤال، وليس هذا من باب 238/أ الشكاية بل ورد على طريق الحكاية وقصد به الكناية ليتحقق الرعاية. ونظيره أن يعقوب قال: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف:الآية 86] فالمذموم شكوى العبد إلى غير مولاه وكان رومياً من ولد عيص بن إسحاق استنبأه الله وأكثر ولده وماله فابتلاه الله بهلاك أولاده بهدم بيت عليهم وإذهاب أمواله بإلقاء الهلاك إليهم وإيقاع المرض في بدنه ثماني عشر سنة أو ثلاث عشر أو سبعاً وسبعة أشهر وسبع ساعات. روي أن امرأته من نسل يوسف قالت له يوماً: لو دعوت الله، فقال: كم كانت مدة الرخاء، فقالت: ثمانين ساعة، فقال: أستحيي من الله تعالى أن أدعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي.

﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ﴾ [الآية 84] بالشفاء من مرضه ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ﴾ [الآية 84] بأن وُلِدَ له ضعف ما قبله أو بأن أحيا أولاده وولد له منهم أحفاده ﴿رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا﴾ [الآية 84] عناية من لدنا ﴿وَذِكۡرَىٰ

﴿لِلْعَٰبِدِينَ﴾ [الآية 84] أي وتذكرة لهم ليصبروا كما صبر فيظفروا بما ظفر.

قال الحسين بن علي: ذكر الله على الصفاء ينسي العبد عن إراءة البلاء. وقال جعفر الصادق: لما سلّط الله البلاء على أيوب وطال به الأمر أتاه الشيطان فقال: تريد أن تتخلص من هذا البلاء فاسجد لي سجدة تلقى فيها الشفاء من العناء، فلما سمع ذلك قال: ﴿مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص:الآية 41]، ومسني الضر حين طمع في أن أسجد له.

وقال ابن عطاء: تبدد همّه وليس من العقوبات عندهم أشد من تبدُّد الهم لهم، فمرة كان يطالع في بلائه العقوبة والملامة ومرة يطالع الكرامة ومرة يطالع الاستدراج في المدة فلما تشتت عليه الخواطر قال: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الآية 83] لأن فيه شبه التحيُّر.

وقال جنيد: عمل الدود في جسده فلما وصلوا إلى قلبه غار عليه لأنه محل معرفة ربه فقال: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الآية 83] افتقاراً إلى الله بالنصر.

وأفاد الأستاذ: أنه سمي أيوب لكثرة إيابه إلى الله في ذهابه وإيابه
238/ب وسائر أحواله من السراء والضراء والشدة والرخاء ولم يقل ارحمني بل / حفظ أدب الخطاب فقال: ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأعراف:الآية 151] يعني لأن التلويح أبلغ من التصريح ولما ورد «أنَّ مَن شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أُعطي السائلين»(1). ويقال: إخباره سبحانه عنه أنه قال مسني الضر لم يسلبه اسم الصبر حيث خبّر الله عنه بقوله: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا﴾ [ص:الآية 44] لأن الغالب كان من أحواله الصبر فنادر قالته لم يسلب عنه الغالب من خالقه والإشارة من هذا أن الغالب من حال المؤمن المعرفة والإيمان بالله الذي هو مستغرق بجميع أوقاته لا يخلوا منه لحظة ونوادره لأنه في دوام إيمانه وطاعاته نادرة والنادر من الطالب لا يزاحم الوصف الغالب. ويقال: لم يكن قوله ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الآية 83] على وجه الاعتراض على القضاء والقدر بل كان على إظهار

---

(1) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (1/ 413) رقم (572)، وابن أبي شيبة في المصنف (6/ 34) رقم (29271).

العجز بضعف القوة والقدر لم يكن ذلك منافياً لصفة الصبر. ويقال: استخرج من هذه النميمة ليكون فيه تنفيس لضعفاء هذه الأمة لكن إن ضجوا في حال البلاء لم يكن ذلك منافياً منهم لصفة الصبر ونعت الولاء. ويقال: لم يكن هذا القول منه على وجه الضجر وقلة الصبر وإنما كان من حيث الشكر ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الآية 83] الذي يختص به أولياؤك ولا يخلوا عنه أصفياؤك ولولا أنك أرحم الراحمين لما خصصتني ولكن برحمتك ألهمتني. ويقال: لم يكن هذا القول من أيوب ولكنه استغاث البلاء منه في ضيق الكروب فلم يطق البلاء صحبته فضج منه البلاء لا أيوب ضجّ من البلاء لأنه من أهل الوفاء في باب الولاء، وفي معناه أنشدوا:

صابر الصبر فاستغاث به الصبر فصاح المحب بالصبر صبراً[(1)]

ويقال: همزة الاستفهام فيه مضمرة، ومعناه: أيمسني الضر وأنت أرحم الراحمين. ويقال: إن جبريل أتاه فقال: لم سكت، فقال: ماذا أصنع، قال: إن الله سيان عنده بلاؤك وشفاؤك فسل الله العافية، فقال أيوب: إني مسني الضر.

قال الله: ﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ﴾ [الآية 84] والفاء تقتضي التعقيب كأنه
239/أ قيل: فعافيناه في الوقت، فكأنه قال له:/ يا أيوب لو طالبت العافية قبل هذا لاستجبنا لك بلا مهلة. ويقال: سقطت على الأرض دودة مما كانت تأكل بعض بدنه فرفعها أيوب فوضعها في موضعها فعقرته عقرة عيل معه الصبر فقال: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الآية 83] فقيل له: يا أيوب أتتصبّر منّا ولولا أنا ضربنا تحت كل شعرة من شعراتك كذا خيمة من الصبر ما صبرت ساعة عن الجزع والفزع من شدة الضجر. ويقال: كانت الدودات الواقعة على نفسه أكلت كل ما على بدنه فلم يبق منه إلا لسانه وقلبه فقصدت دودة لسانه وأخرى جنانه فقال: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الآية 83] لم يبق إلا لسان به أذكرك وقلب به أعرفك فإذا لم يبق لي ذلك لا يمكنني أن أعيش وأصبر وأذكر وأشكر. ويقال: استعجم عليه جهد البلاء واستبهم عليه طريقة الولاء فلم يعلم أنه يصيبه ذلك تأديباً أو تقريباً أو تمحيصاً أو

(1) نسب إلى الشبلي. انظر تفسير القشيري (5/ 137) وتفسير الآلوسي (9/ 164).

تخصيصاً فلذلك كانت ضجته ودامت محنته وقيل له ما أشد ما لقيت في أيام البلاء، قال: شماتة الأعداء.

وفي القصة أن تلامذة أيوب كسروا أقلامهم وحرقوا ما كتبوا منه وجلود إعلامهم وقالوا: لو كان لك عند الله منزلة لما ابتلاك بكل هذه البلية. ويقال: إنها بقيت امرأته معه في قيام الوفاء لأنها كانت من نسل الأنبياء ومن ذرية يعقوب رئيس أهل البلاد وأنيس أهل العناء. ويقال: إن الشيطان قال لها: إن أردت أن يشفى مريضك فاسجدي لي، ولم تعلم أنه إبليس وإنما ظهر لها في صورة إنسان بالتلبيس فأخبرت أيوب بذلك الخبر فقال: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الآية 83]. ويقال لما ظهر به البلاء اجتمع قومه في الخفاء وقالوا لها: أخرجي هذا المريض من قريتنا فإنا نخاف أن تعدي علينا علته وتمسنا بليته، فأخرجته إلى باب القرية فقالوا: إنا إذا أصبحنا ومررنا عليه وقع أبصارنا عليه فنتشائم إليه فأبعديه عن الأبصار، فأخرجته إلى أرض قفار وكانت امرأته تدخل البلد تستأجر للخبز والعمل في الدور فتأخذ الأجر وتحمله إليه فاستقذروها ولم يستعملوها ولم يدخلوها. ويقال: إنها كانت ذات ذوائب وكان أيوب يأخذها / 239/ب
وعند نهوضه يتعلق بها فباعته برغيف أخذته لتحمله إليه فوسوس إليه الشيطان بأنها عملت الفحشاء وإن شعرها جُزّ في تلك الجزاء فحلف أيوب أن يجلدها إذا صح جدالها، فكانت المحنة على قلب تلك المرأة أشد مما على بدن أيوب. وقيل: إن امرأته غابت فعافى الله أيوب وعاد شيئاً طرياً كما في القصة في قوله تعالى: ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ [ص:الآية 42] فلما رجعت ولم تره حسبته أنه أكله سبع أو أصابته آفة فأخذت تبكي وتولول وتتردد وتنوح فقال لها أيوب: ما لك، فقالت: كان لي هنا مريض ففقدته، فقال لها: كيف كان، فنظرت إليه فقالت: كان يشبهك صريحاً إذا كان شاباً صحيحاً، فقال أيوب: أنا ذلك المطلوب. ويقال: إن أيوب كان مكاشفاً بالحقيقة ملحوظ عنه في الطريقة فكان لا يحس بالبلية فستر مرة عليه وردحاً له إليه فقال مسني الضر لديه. ويقال: أدخل على أيوب تلك الحالة واستخرج منه هذه القالة ليظهر عليه إقامة العبودية للقيام بحق الربوبية. وقيل: أوحى الله إلى أيوب إن هذا البلاء قد اختاره قبلك سبعون

من الأنبياء فما اخترته إلا لك من بين الأصفياء، فلما أراد الله كشفه عنه قال: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الآية 83] منه. وقيل: كوشف بمعنى من معاني الولاء فلم يجد ألم البلاء فقال: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الآية 83] لفقدي ألم الضر. ويقال: إنما قال ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الآية 83] لما لحقه من الضعف بقيام الطاعة فاستجاب له بأن رد عليه قوته ليقوم بحق العبادة. ويقال طلب الزيادة في الرضا فاستجيب له بكشف ما كان به من العناء. ويقال: إن الضر الذي شكا منه أنه بقيت عليه قبليته كانت بغيته فلما أخذ عليه كليته زال عنه بليته. ويقال: رد عليه السلامة والعافية والأهل في الظاهر كما في القضية لأنه لما صار مأخوذاً منه بالكلية ومنفي عن كل بقية استوى حينئذ عنده البلاء والرخاء والوجد والنقد.

﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ﴾ [الآية 85] يعني إلياس، وقيل يوشع، وقيل زكريا، وقيل نبي مستقل سمي به لأنه كان ذو حظ عظيم/ من رب كريم أو له 240/أ
ضعف عمل أنبياء زمانه لقوة فساد أمته في أوانه ﴿كُلٌّ﴾ [الآية 85] من هؤلاء ﴿مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الآية 85] على التكاليف الشديدة والمحن العديدة.

﴿وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِي رَحْمَتِنَآ﴾ [الآية 86] أي تحت ظل حمايتنا وكنف كفايتنا ﴿إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الآية 86] الكاملين في الصلاح والعاملين بالفلاح.

وأفاد الأستاذ: أن الحكم صبرهم على البلية وصلاحهم في الطاعة والمعنى إدخالهم في الرحمة.

﴿وَذَا ٱلنُّونِ﴾ [الآية 87] وصاحب الحوت يونس بن متى ﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا﴾ [الآية 87] لقومه حين سئم من طول دعوتهم وشدة مخالفتهم وتمادي إصرارهم في مدتهم مهاجراً عنهم قبل أن يؤمر بالتبعد منهم والمغاضبة من بناء المغالبة للمبالغة لا للمشاركة.

وأفاد الأستاذ: أنه ذهب مغاضباً على نفسه أي شديد المخالفة لهواه وتهديد الأعداء مولاه ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الآية 87] لن نضيق عليه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ﴾ [الطّلَاق:الآية 7].

وقال جنيد: فظن أن لن نريه قدر نفسه في سخطه على عبادنا من قومه

﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [الآية 87] البليات الشديدة أو الظلمات العديدة من بطن الحوت والبحر والليل.

وأفاد الأستاذ: أنه يحتمل أن يراد بظلماته ما التبس عليه من أوقاته واستبهم عليه من حالاته ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ﴾ [الآية 87] أن مصدرية أو تفسيرية ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ [الآية 87] أن يعجزك شيء من العالمين ﴿إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية 87] بالمبادرة إلى المهاجرة أو بظن عدم المطابقة وقد ورد ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء إلا استجيب له.

وفي «تفسير السلمي»: أي إني كنت من الجاهلين أنك لا تقرب بطاعة ولا تبعد بمعصية.

﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ [الآية 88] بأن قذفه الحوت بعد أربع ساعات أو ثلاثة أيام أو أربعين يوماً إلى ساحل اليم ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ [الآية 88] أي غم الالتقام أو غم الخطيئة والانتقام.

وأفاد الأستاذ: أنه لم يجز منه دعاء بالتصريح إلا أنه في ضمن كلامه بالتلويح حيث قال: ﴿إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية 87] فلم يقر بصدور الظلم عنه إلا وهو يستغفر منه ﴿وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 88] وقرأ ابن عامر وأبو بكر: نجي بتشديد الجيم مع نون واحدة مضمومة فهو ماض مجهول أسند إلى
240/ب ضمير المصدر أي نجي النجاء / كما في قراءة أبي جعفر لنجزي قوماً أي نجزي الجزاء وسكن آخره تخفيفاً كما في رواية ذروا ما بقي من الربا على قراءة شاذة. وقيل: أدغم النون في جيم على أنه لغة شاذة، والمعنى كما في نجينا ذا النون وسائر النبيين ننجي المؤمنين من البلوى في الدنيا والعقبى.

وأفاد الأستاذ بقوله: يعني كل من قال من المؤمنين إذا أصابه غم أو استقبله هم مثل ما قال نجيناه في الحال أو المآل، وفي القضية أنه لما ركب السفينة فاضطرب البحر وتلاطمت الأمواج وأشرفت السفينة على الغرق وأخذ الناس في إلقاء الأمتعة تخفيفاً للسفينة وطلباً للسلامة قال: لا تلقوا أمتعتكم في البحر وأخرجوني فإني المجرم بينكم، فنظروا إليه فقالوا: إنَّا نرى عليك

سيم الصلاح وليس تسمح نفوسنا بإلقائك في البحر من غير ظهور الجناح، فقال تعالى مخبراً عنه: ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ﴾ [الصَّافات:الآية 141] أي ففارقهم فاستهموا ووقعت القرعة عليه فكان من المغلوبين. وقيل: أتى إلى حرف السفينة فإذا بالحوت فاغراً فاه فحاد إلى جانب آخر فحاد الحوت إليه وهواه وكذلك حتى دار كل جانب مما يلقاه ثم إنه لما علم أنه مراداً بالبلاء ألقى نفسه في الماء وأوحى الله إلى السمك بأن لا تخدش منه لحماً ولا تكسر عظماً وهو وديعة عندك وليس بطُعْمَة لك. وقيل: إن السمك الذي ابتلعه أمر بأن يطوف به في البحر وخلق الله له إدراك ما فيه إلى القعر. ويقال: يونس صحب الحوت أياماً قليلة فيقال له ذو النون إلى يوم القيامة ولم تبطل عنه هذه النسبة فما ظنك بعبد عبد الله سبعين سنة ولازم قلبه معرفته وداوم محبته.

﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾ [الآية 89] أي فريداً بلا ولد يرثني فأكون وحيداً ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ [الآية 89] فإن لم ترزقني مَن يرثني فلا أبالي فإنك خير عوض تخلفني وتدفع عني ما ينوبني.

قال ابن عطاء: أي خالياً عن عصمتك.

وقال جنيد: أي غافلاً عن حضرتك مشتغلاً بشيء عن خدمتك.

وأفاد الأستاذ: أنه عليه السلام سأل الولد ليكون مُعيناً له على عبادة ربه وليقوم في النبوة مقام مرامه ولئلا تنقطع بركة النبوَّة من أهله. ولقد قاسى/ 241/أ زكريا من البلاء ما قاسى حتى قطع بالمنشار لما التجأ إلى شجرة من الكفار فانشقت له وتوسطها فالتأمت وفطن ذلك هؤلاء الفجار فقطعوا الشجرة بالمنشار وصبر لله ولم يصعد منه آه ولا واه، وانشقاق الشجرة كانت له معجزة، وفي الظاهر حفظاً منهم عن الأذية بل لو لم يطلعهم عليه لكان في ذلك سبب سلامته وإنما المعنى فيه أن انشقاق الشجرة كانت له معجزة فقوي بذلك يقينه في المعرفة لما رأى عجيب الأمر فيه من نقض العادة. ثم البلاء لهم بالقتل ليس ببلاء في التحقيق ولقد قال قائلهم: إنما يستعذب الأولياء البلوى للمناجاة مع المولى.

﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ﴾ [الآية 90] قيل وسمي به لأنه حي به عقر أمه ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾ [الآية 90] أي أصلحناها للولادة بعد عقرها.

وأفاد الأستاذ: أنه أصلحها ليكون له في ذلك معجزة ولزوجه آية وكرامة لأنه فعل ناقض عادة ولئلا يستبد زكريا بفرح الولد دونها مراعاة لحقها وهذه سنَّة الله في باب إكرام أوليائه وإنعام أصفيائه. وفي معناه أنشدوا:

إن الكرام إذا ما أَخْصَبُوا ذكروا مَن كان يألفهم في الموطن الخشن[1]

﴿إِنَّهُمْ﴾ [الآية 90] أي المذكورين من الأنبياء والمشهورين من الأصفياء ﴿كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [الآية 90] يبادرون إلى أبواب المبرات وأنواع الطاعات وأصناف العبادات ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الآية 90] أي رغبة في الثواب ومخافة من العقاب وخشية من الحجاب. وقال بعضهم: رغبة فينا ورهبة عما سوانا.

وأفاد الأستاذ: أن في هذا بشارة لجميع العباد لأن المؤمن لا يخلو في حالة من الرغبة والرهبة إذ لو لم يكن رغبة لكان قنوطاً والقنوط كفر ولو لم يكن رهبة لكان أمناً والأمن كفر ﴿وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الآية 90] خاضعين متذللين مخلصين.

قال الواسطي: أمر الله الأنبياء بالخشوع والمسكنة وهو الوقوف بين الرغبة والرهبة.

وقال أبو يزيد: الخشوع خمول القلب عن الدعاوى في قرب الرب.

وقال بعضهم: الخشوع زمام الهيبة إذا أردت أن تعرف الخاشع فخالفه في قضية فإن كان خاشعاً زاده ذلك/ رأفة وشفقة وإن لم يكن خاشعاً انتقم لنفسه وغضب لحظه. 241/ب

وأفاد الأستاذ: أن الخشوع هو قشعريرة القلب عند اطلاع الرب وكان

---

(1) نسب إلى دعبل بن رزين الخزاعي. انظر الحماسة البصرية (1/ 114)، وخزانة الأدب (1/ 456).

لهم عليهم السلام هذا الإلمام بوصف الدوام.

﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا﴾ [الآية 91] من الحلال والحرام، وهي مريم أم عيسى عليهما السلام ﴿فَنَفَخۡنَا فِيهَا﴾ [الآية 91] أي في ولدها الكائن في بطنها، والمعنى أحييناه في جوفها ﴿مِن رُّوحِنَا﴾ [الآية 91] أي من الروح الذي هو بأمرنا ﴿وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ﴾ [الآية 91] أي قصتهما أو حالهما أو كلاً منهما ﴿ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الآية 91] فإن من تأمل في حالهما تحقق كمال قدرة الصانع في جمالهما.

وأفاد الأستاذ: أن من نظر في أمرهما ووضع النظر موضعه لاهتدى بقدرهما، ومن أعرض عنه ولم ينظر فيه فالآية لا تخرج عن كونه حجة ودلالة بتقصير المقصر في بابه جهالة أو كسالة.

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ﴾ [الآية 92] أي ملة التوحيد والملة الموروثة عن جميع الأنبياء عليهم السلام ﴿أُمَّتُكُمۡ﴾ [الآية 92] ملتكم التي يجب عليكم أن تكونوا عليها في مرور حالتكم ﴿أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ [الآية 92] ملة متحدة غير مختلفة في أمم الأنبياء المتفرقة ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ﴾ [الآية 92] لا رب سواي لكم ﴿فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الآية 92] فوحدوني وأطيعوا أمري ولا تخافوا ولا ترجو غيري.

وقال الأستاذ: أي وكلكم خلقته مفتقراً إلي فاعتمدوا في جميع أموركم عليّ.

﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ﴾ [الآية 93] أي وتفرقوا وجعلوا أمر دينهم قطعاً موزعة فيما بينهم بقبيح فعلهم وفي الكلام التفات من المؤمنين إلى غيرهم أو من الناس كلهم إلى بعضهم ﴿كُلٌّ﴾ [الآية 93] من الفرق المتحزبة المختلفة في أعمالهم ﴿إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ﴾ [الآية 93] فنجازيكم بحسب أحوالكم.

وأفاد الأستاذ: إنهم لما اختلفوا في أعمالهم وتنازعت أقوالهم فاضطربت أحوالهم واستأصلتهم البلايا. قال تعالى: ﴿كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ﴾ [الآية 93] وكيف لا وما تقبلون إلا في قبضة التقدير والقضايا.

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ﴾ [الآية 94] أي ما يوافق الشريعة من الطاعات ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [الآية 94] بالله ورسوله والآيات ﴿فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ﴾ [الآية 94] فلا تضييع لسعيه في الحالات ﴿وَإِنَّا لَهُ﴾ [الآية 94] لسعيه وعمله ﴿كَاتِبُونَ﴾ [الآية 94] مثبتون في صحيفة عمله.

قال أبو بكر الوراق: العمل الصالح الذي لا رياء فيه ولا سمعة ولا يكون فيه طلب الثواب والغدر بل تكون معاملته في مشاهدة الأمر.

242/أ وقال/ الأستاذ: من تعفف على الله لم يخسر على الله، ومن تحمّل مشقة لله وجب حقه على الله. وقوله: وهو مؤمن أي في العاقبة والمآل إذ لا عبرة بظاهر الحال.

﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ [الآية 95] وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر بكسر الحاء وسكون الراء أي وممتنع على أهلها غير منظور منهم في حالها ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ [الآية 95] ثم حكمنا بإهلاكها ﴿أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [الآية 95] أي عدم رجوعهم إلينا لجزاء عملهم لدينا.

وقال الأستاذ: أي لا نهلك قوماً وإن تمادوا في العصيان إلا إذا علمنا أنهم مصرون على ترك الإيمان.

﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ [الآية 96] أي يستمر امتناعهم أو إهلاكنا لهم أو عدم رجوعهم إلى قرب قيام الساعة ووقت ظهور أمارات القيامة وهو فتح سد يأجوج ومأجوج وحتى هي يحكى الكلام بعدها المسماة بالابتدائية والمحكي هي الجملة الشرطية ﴿وَهُم﴾ [الآية 96] أي يأجوج ومأجوج أو الناس كلهم ﴿مِّن كُلِّ حَدَبٍ﴾ [الآية 96] أي مرتفع من الأرض ﴿يَنسِلُونَ﴾ [الآية 96] يسرعون.

وأفاد الأستاذ: أنه يحق القول عليهم ويتم الأجل المضروب لهم فعند ذلك تظهر أيامهم وإلى القدر المعلوم من التقدير لا يجعل نجاة الناس من شرهم وآثامهم.

﴿وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ﴾ [الآية 97] وقت القيامة وساعة الملامة ﴿فَإِذَا هِيَ﴾ [الآية 97] أي القصة ﴿شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الآية 97] أي مرتفعة الأجفان لا تكاد تطرف من هول ما هم عليه من الأحزان ﴿يَٰوَيۡلَنَا﴾ [الآية 97] أي يقولون يا هلاكنا أدركنا ﴿قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا﴾ [الآية 97] الذي شاهدنا وأدركنا ﴿بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ [الآية 97] لأنفسنا بالإخلال في النظر وعدم الإجلال بالنذر.

وأفاد الأستاذ: أن القيامة تأخذهم بغتة ويظهر اشتراط الساعة فجأة ويقرّ الكافرون بأن الذنب لهم جملة ولكن في وقت لا يقبل المعذرة.

﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 98] يحتمل الأوثان وإبليس والأعوان لأنهم بطاعتهم في حكم عبادتهم لما روي أنه عليه السلام لما تلا الآية على المشركين.

قال له ابن الزبعري قبل أن يدخل في سلك المؤمنين: قد خصمتك أي غلبتك في الخصومة والحجة ورب الكعبة، أليست اليهود عبدوا عزيراً والنصارى المسيح وبنو مليح[1] الملائكة، فقال عليه السلام:/ بل هم عبدوا 242/ب
الشياطين التي أمرتهم بذلك[2]، فأنزل الله تعالى هنالك: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ﴾ [الآية 101] الآية، فعلى هذا يعم الخطاب ويكون مأمولاً بمن أو بما يعمه وهو الأولى كما لا يخفى، ويدل عليه ما روي أن ابن الزبعرى قال: هذا شيء لآلهتنا خاصة أو لكل من دون الله عامة، فقال: بل لكل عبد من دون الله، ويكون حينئذ قوله: إن الذين، بياناً للتخصيص في الحصول تأخر عن الخطاب في النزول ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الآية 98] أي حطبها كما قرأ بها علي ﴿أَنتُمۡ﴾ [الآية 98] أي كلكم ﴿لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ [الآية 98] أي داخلون فيها أو مارون عليها.

وأفاد الأستاذ: أن الأصنام جمادات ولا جرم لها واحتراقها ليس عقوبة في حقها ولكنه على جهة براءة ساحتها تبين أن الذنب كان لعبدتها.

---

(1) حي يقال لهم بنو مليح من خزاعة. انظر تفسير القرطبي (14/ 309).
(2) أورده الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (2/ 370) رقم (805).

﴿لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [الآية 99] أي الأصنام وغيرها ﴿ءَالِهَةً﴾ [الآية 99] مستحقة لأن يعبدوها ﴿مَّا وَرَدُوهَا﴾ [الآية 99] ما دخلوها لأن المهان بالإلقاء والإحراق فيها لا يكون إلٰهاً ﴿وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الآية 99] دائمون لا خلاص لهم عنها.

﴿لَهُمْ﴾ [الآية 100] أي لأهلها ﴿فِيهَا زَفِيرٌ﴾ [الآية 100] شدة أنين وتنفس حزين ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الآية 100] من شدة عذابهم أو لا يسمعون ما يسرهم من خطابهم.

وأفاد الأستاذ: أن لعبدة الأصنام في النار زفير لحسرتهم على ما فاتهم من طاعتهم وهم فيها لا يسمعون نداء من يبشرهم بانقضاء عقوبتهم بخلاف عصاة المسلمين فإنهم وإن عذبوا حيناً لمعصيتهم فيسمعون قول من يبشرهم يوماً بانقضاء عقوبتهم ولو بعد طول مدتهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ [الآية 101] الخصلة الحسنى وهي السعادة أو التوفيق للطاعة والعبادة أو البشرى بالجنة بعد حصول المحنة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الآية 101] فإن مقامهم عليُّون.

قال الحسين بن فضل: سبقت العناية وظهرت الخيانة.

وقال جنيد: من سبق من الحق إليه إحساناً فإنه لا يزال يتقلب في ميادين المحسنين إيماناً وإيقاناً إلى أن ينقلب إلى أعلى مراتب أهل الإحسان من أرباب الإرادة لقوله سبحانه: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يُونس:الآية 26]. وقال بعضهم: إذا سبقت للعبد من الله سعادة ففعلته كلها أذكاراً وعبادة وإذا سبقت للعبد من الله الشقاوة فأذكاره كلها عناء ومحنة وغفلة. وأنشد في معناه:

243/ أ /مَن لم يكن للوصال أهلاً فكل إحسانه ذنوب[1]

وأفاد الأستاذ: أن المعنى سبقت لهم الكلمة الحسنى والمشيئة والإرادة

(1) نسب إلى نظام الملك الحسن بن علي بن إسحاق الوزير. انظر بغية الطلب في أخبار حلب (2/ 475)، والبداية والنهاية (12/ 173)، والمنتظم (9/ 66).

بالحالة التي هي صفته تعاقبت بهم في معنى الإخبار عنهم بالسعادة. ثم قال: ﴿مُبۡعَدُونَ﴾ [الآية 101] ولم يقل متباعدون ليعلم أن المدار على التقدير وسبق الحكم من الله به لا على تباعد العبد وتقرُّبه. أقول: وفي الحديث «لا مقرِّب لما باعدت ولا مُبعد لما قرَّبت، ولا مقدِّم لما أخَّرت ولا مؤخِّر لما قدَّمت»(1).

﴿لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ﴾ [الآية 102] ما يحسُّ به فيها ﴿وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ﴾ [الآية 102] من الشهوات الحسية واللذات المعنوية ﴿خَٰلِدُونَ﴾ [الآية 102] دائمون.

قال الواسطي: أهل الحقائق لا يحسون ضجيج أهل الدنيا لأنهم منصرفون عنها لما ورد على أسرارهم من وهج حقائق المولى فهم مترددون في منازلهم العلية ومراتبهم الجلية لا يقطعهم عن ذلك قاطع في الطريقة لانغماسهم في بحور الحقيقة.

وقال ابن عطاء: للقلوب شهوة وللأرواح شهوة وللنفوس شهوة وقد جمع لهم ذلك كله في الجنة، فشهوة القلوب القرب والرؤية، وشهوة الأرواح المشاهدة، وشهوة النفوس الالتذاذ بالراحة.

وأفاد الأستاذ: أن الآية تدل على أنهم لا يعذَّبون فيها بكل وجه منها والمراد منهم السادة المؤمنون الكاملون فيهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون دائمون.

﴿لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ﴾ [الآية 103] أي النفخة الأولى أو الأخيرة أو انصراف الفجار إلى عذاب النار أو حين يطبق على النار من الكفار أو حين يذبح الموت وينادي يا أهل الجنة خلود ولا موت ويا أهل النار خلود ولا فوت. واقتصر عليه السلمي.

وأفاد الأستاذ: فيما زاد أنه قيل: قول الملك ﴿لَا بُشۡرَىٰ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [الفُرقان:الآية 22]، ويقال: إذا قيل ﴿وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ [يس:الآية 59] وقيل

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (1/ 686) رقم (1868).

إذا قيل: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون:الآية 108]، وقيل: ﴿ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء:الآية 103] هو الفراق وهو اليأس من رحمة الخلاق ﴿وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ [الآية 103] أي عند نزع أرواحهم الطيبة كما. قال تعالى: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ [فصلت:الآية 30] ﴿أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فُصِّلَت:الآية 30] الآية، وتستقبلهم مهنئين على أبواب الجنة ويقولن:
243/ ب ﴿هَـٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الآية 103] أي اليوم الواقع في العقبى /
يوم ثوابكم الموعود في الدنيا.

وأفاد الأستاذ: أن منهم من يتلقى الملك في بشارة الثواب ومنهم من يرد عليه الخطاب بغير واسطة من رب الأرباب.

﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ﴾ [الآية 104] أي نجمعها أو نمحوها أو طيّها تكرير نجومها ومحو رسومها ويؤيد الأول قوله: ﴿كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ [الآية 104] كطي الطومار لأجل الكتابة، يعني ليكتب فيه أو لما يكتب فيه لما كتب فيه، ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص على الجمع أي للمعاني الكثيرة المكتوبة فيه. وهذه أقوال الخلف وقول الأكثر من السلف أن السجل ملك يطوي كتب الأعمال إذا رفعت إليه في الأحوال أو كما صح عن ابن عباس أنه كاتب كان لرسول الله ﷺ فالكتاب هذا اسم الصحيفة المكتوب فيها، وطي مضاف إلى الفاعل وعلى ما سبق إلى المفعول.

وأفاد الأستاذ: أنه إنما كان السماء سقفاً مرفوعاً حين كان الأولياء تحتها والأرض كانت فراشاً إذا كانوا فوقها، فإذا تجلى الأحباب عنها تخرب ديارهم على العادة فيما بين الخلق من تخريب الديار وذهاب الآثار بعد مفارقة أصحاب الدار. ويقال: نطوي السماء التي عرضت منها بدواوين العصاة من المسلمين لئلا تشهد عليهم بالأجرام للمذنبين وتبدّل الأرض التي عصوا فيها غير تلك الأرض حتى لا تشهد عليهم. أقول: ولعل هذا بعد شهادتهم على بعضهم وإخبارها حيث قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥﴾ [الزّلزلة: الآيتان 4،5]. ويقال: نطوي السماء والأبواب

ليقرب قطع المسافة على الأحباب.

﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ [الآية 104] أي نعيد ما خلقناه مبتدأ إعادة مثل بدئنا إياه في الإيجاد والإبقاء بعد العدم والعناء والإفناء، والمراد بيان صحة الإعادة بالمقايسة على البداءة لتناول القدرة القديمة لهما على التسوية. وما كافة أو مصدرية وأول مفعول لبدأنا ﴿وَعْدًا عَلَيْنَآ﴾ [الآية 104] أي وعد وعداً كائناً إنجازه فلا محالة من رجوعكم إلينا ﴿إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الآية 104] أي محققين ذلك الوعد حيث لا خلف لدينا.

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ﴾ [الآية 105] وهو كتاب داوود ﴿مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾ [الآية 105] أي التوراة أو المراد الزبور جنس الكتب المنزلة، فالزبور/ بمعنى 244/ أ
المزبور أي المكتوب، وبالذكر اللوح المحفوظ لأن الكل أخذ منه ودليله قراءة حمزة بضم الزاي على جمع الزبر بمعنى المزبور ﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ﴾ [الآية 105] أي أرض الجنة أو الأرض المقدسة أو أرض الكفرة ﴿يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [الآية 105] يعني عامة المؤمنين أو الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها أو أمة محمد ﷺ أجمعون.

وأفاد الأستاذ: أن الذكر هنا بمعنى التوراة وكتب بمعنى خبر و﴿ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ أمة محمد ﷺ وهم بجمعهم قوم صالحون لنعمته وهم المطيعون وآخرون صالحون لرحمته وهم العاصون. والمعنى أخبرنا موسى عليه السلام وقومه وداوود عليه السلام وأمته أني اخترت أمة محمد ﷺ و﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ﴾ [الآية 105] هم الذين يرثونها، أي بوجه الكمال في الدنيا وبحسن الكمال في العقبى والكل من فضل المولى.

﴿إِنَّ فِى هَٰذَا﴾ [الآية 106] أي القرآن أو فيما ذكر في هذه السورة من الأخبار والموعظة ﴿لَبَلَٰغًا﴾ [الآية 106] لكفاية أو لسبب بلوغ إلى البغية ﴿لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ﴾ [الآية 106] همهم العبادة دون العادة.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الآية 107] مفعول له أو حال بتقدير ذا رحمة أو لإرادة المبالغة وذلك لأن ما بعثت به سبب لإسعادهم

وموجب لصلاح معاشهم ومعادهم، وهو لا ينافي أن الرحمة تتعلق بالرحمة للكفار والنعمة تبدل بالنقمة للفجار. وقيل: كونه رحمة للكفار وأمنهم به من الخسف والمسخ وعذاب الاستئصال في هذه الدار.

واختاره الأستاذ فيما أفاد حيث قال: أما من أسلم فيك ينجو وأما من كفر فلا نعذبهم ما دمت فيهم فأنت رحمة منا على الخلائق أجمعين.

﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [الآية 108] أي في ذاته وصفاته وأفعاله في مخلوقاته ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [الآية 108] أي مخلصون له في عبادته منقادون في قبول طاعته.

﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ [الآية 109] عن التوحيد في الألوهية والتفريد في الربوبية ﴿فَقُلْ آذَنتُكُمْ﴾ [الآية 109] أعلمتكم بما أمرت أني أُبلِّغكم ﴿عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾ [الآية 109] مستوين في الإعلام به ولم أخصص بعضكم بتبليغه. وفيه بطلان مذهب الباطنية / وبعض الرافضة من الباطنية. 244/ب

وقال الأستاذ: إن أعرضوا أو لم يؤمنوا فقل إني للإلزام أعلمتكم ولكن للإكرام ما ألهمتكم فتوجهت عليهم الحجة واستنبهت عليكم المحجة ﴿وَإِنْ أَدْرِي﴾ [الآية 109] وما أدري ﴿أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ [الآية 109] من غلبة المسلمين أو من ظهور يوم الدين لكنه كائن باليقين.

وأفاد الأستاذ: أن علمي متقاصر عن تفصيل أحوالكم في مآلكم ووقت ما توعدون به في القيامة من تحصيل آمالكم ولكن حكم الله غير مستأخر عنكم إذا أراد شيئاً من تغير أفعالكم.

﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ﴾ [الآية 110] كالطعن في الإسلام ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾ [الآية 110] من الأحقاد للنبي عليه السلام وأصحابه الكرام ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ﴾ [الآية 111] وما أدري لعل تأخر جزائكم استدراجٌ لشأنكم وزيادة في افتتانكم أو امتحانٌ لينظر كيف تعملون في أمر الأديان ﴿وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الآية 111] وتمتيع لكم إلى أجل مقدر من الأحيان.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه لا يخفى عليه سركم ونجواكم وحالكم ومآلكم وظاهركم وباطنكم وعلى قدر استحقاقكم يجازيكم وبموجب أفعالكم يحاسبكم ويكافيكم، وليس يحيط علمي إلا بما يعلمني، وإعلامه إياي ليس باختياري ولا هو مقصود على حسب مرادي وإيثاري.

﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية 112] أي اقض بيننا وبين أهل مكة بالعدل المقتضي لأن تعجل عليهم العقوبة. وقرأ حفص قال على الحكاية من امتثال الطاعة ﴿وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [الآية 112] كثير الرحمة والمنة ﴿ٱلْمُسْتَعَانُ﴾ [الآية 112] المطلوب منه المعونة ﴿عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [الآية 112] من أن الشوكة تكون لكم في العاقبة.

سورة الحج

[مكيَّة]

وهي ثمان وسبعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أي بسم إلٰه هو المطلوب بالحج، والمقصود بالحج، والمراد بالحج، فلا يُحج إلا إليه ولا يُلبّى إلا إليه، ولا يُنادى إلا عليه، ولا يُذبح إلا لديه.

وأفاد الأستاذ: إن سماع بسم الله يوجب الغيبة والغيبة قضية إلٰهية وذلك وقت محوهم، وسماع الرحمٰن الرحيم يوجب الأنس والقربة وذلك وقت صحوهم. فسماع بسم الله يوجب انزعاج القلوب وبه يحصل شفاء فتونهم، فعودة فتونهم في لطف جماله كما أن موجب جنونهم في كشف جلاله.

245/أ ﴿يَٰٓأَيُّهَا/ ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ﴾ [الآية 1] أي مخالفته أو معاقبته وقابلوا الربوبية بما يقتضيه من العبودية. قيل: معناه يا بني النسيان والجهل في العرفان.

وقال جعفر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ كونوا من الناس فلا تغفلوا عن الله أي بالاستئناس بما سواه فمن عرف أن من الإنسان الذي خص خلقته بما خص به كبرت همته عن دنيِّ المنازل وسمت به الرفعة حتى يكون للحق بعنايته ثم إلى ربك المنتهى.

وقال أبو يزيد: التقوى كل التقوى من إذا قال قال الله ولم يقل لغيره وإذا نوى نوى لله ولم ينو لغيره هكذا في جميع ما يبدأوا منه. ويروى عن أبي سعيد الخدري أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: أوصني، فقال: اتقِ

الله فإنها جماع كل خير[1]، ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: أن ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ نداء علامة و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ نداء كرامة وبكل واحد من القسمين في الصور يفتتح الحق خطابه في الصورة وذلك لانقسام خطابه إلى صفة التحذير مرة وصفة التبشير كرة، والتقوي هو التحرز والانتهاء وتجنُّب المحظورات فرض وتجنُّب الفضلات والشواغل وإن كانت من جملة المباحات نفل، فثواب الأول أكثر لكنه مؤجل وثواب النفل أقل ولكنه معجل. ويقال: خوفهم بقوله: اتقوا، ثم سكن ما بهم من الخوف بقوله: ربكم، فإن سماع التربية يوجب الاستقامة وجميل الكفاية.

﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ﴾ [الآية 1] تحريكها للأشياء جميعها على الاستواء والمجاري فإن الأشياء تتحرك بسببها وتحريك الأشياء فيها ﴿شَىْءٌ﴾ [الآية 1] أي باعتبار مآله ﴿عَظِيمٌ﴾ [الآية 1] لشدة أهواله علّل أمرهم بالتقوى في الطاعة لفظاعة الساعة ليتصوروها في نفوسهم ويعلموا بقلوبهم أنه لا ينفعهم في دار العقبى إلا التذرُّع بلسان التقوى فيبقوا على أنفسهم في الدنيا ويبتغوها بملازمة التقوى. وقيل: هي زلزلة تكون قبيل طلوع الشمس من مغربها وإضافتها إلى الساعة لأنها من أشراطها، ويؤيده ظاهر قوله تعالى:

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ﴾ [الآية 2] أي تنشغل بنفسها ﴿عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾ [الآية 2] من ولدها لكثرة هولها وشدة نكدها ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ
حَمْلَهَا﴾ [الآية 2] أي تُسقط جنينها في غير/ محلها ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ﴾ 245/ ب
[الآية 2] أي كأنهم سكارى ﴿وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾ [الآية 2] أي على الحقيقة بل حيارى ﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الآية 2] فتغير الأحوال حينئذ ليس ببعيد. وقرأ حمزة والكسائي: سَكرى.

قال جعفر: سكرهم لما شاهدوا من بساط العز وسلطان الجبروت وسرادق الكبرياء والعظموت حتى كل نبي يقول نفسي نفسي.

---

(1) أخرجه أبو يعلى في المسند (2/ 283) رقم (1000).

وأفاد الأستاذ: أن منهم من سكره لما يصيبه من الأهوال ومنهم من سكره لاستهلاكه في عين الوصال كما أن اليوم منهم من سكره سكر الشراب ومنهم من سكره سكر المحاب وشتان بين سكر أهل الغفلة وبين سكر أهل الوصلة.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ﴾ [الآية 3] في توحيد ذاته وتفريد صفاته أو في أمر دينه من جميع جهاته ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الآية 3] أي بكتابه وآياته ﴿وَيَتَّبِعُ﴾ [الآية 3] في مجادلته أو عموم حالته ﴿كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ﴾ [الآية 3] متجرد للفساد ومريد لضلال العباد.

قال سهل: يخاصم في الدين بالهوي والقياس بالأهواء دون الاقتداء بالأنبياء والأولياء فعند ذلك يضل ويضل ويبتدع ويدخل في سلك السفهاء.

وأفاد الأستاذ: أن المجادلة لله مع أعداء الحق من موجبات القربة والمجادلة في الله بالمهاداة مع أوليائه والإصرار على الباطل بعد ظهور دلائل الحق من أمارات الشقاوة.

﴿كُتِبَ عَلَيْهِ﴾ [الآية 4] أي على الشيطان المريد ﴿أَنَّهُۥ﴾ [الآية 4] أي الشأن أو الشيطان ﴿مَن تَوَلَّاهُ﴾ [الآية 4] تبعه ﴿فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الآية 4] أي ويدله إلى ما يجره إلى عذاب يستحقه بحسب التقدير.

وأفاد الأستاذ: أن من وافق الشيطان بمتابعة دواعيه من العصيان فالشيطان لا يهديه إلا إلى الضلال والطغيان ثم إنه يتبرأ من موافقته ويلعن أصحاب مرافقته فتعوذوا بالله من الشيطان ونزعاته ومن درك الشقاء وشؤم فجاءته.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ﴾ [الآية 5] من إمكان الإعادة ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم﴾ [الآية 5] حال البداءة ﴿مِّن تُرَابٍ﴾ [الآية 5] بخلق آدم منه أو الأغذية التي يتكون منها المني ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ [الآية 5] وأُريد به جنسه ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ [الآية 5] قطعة من الدم جامدة ﴿ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ﴾ [الآية 5] قطعة من اللحم كأنها ممضوغة ﴿مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ [الآية 5] تامة وناقصة ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾

246/أ [الآية 5]/ قدرتنا وصنعتنا وحكمتنا ﴿وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ﴾ [الآية 5] أي نقرّه ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ [الآية 5] وهو وقت الوضع وأدناه بعد ستة أشهر وأقصاه سنتان عند الحنفية وأربع عند الشافعية ﴿ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا﴾ [الآية 5] حال كون كل منكم طفلاً، أو المعنى أطفالاً على إرادة الجنس ﴿ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ﴾ [الآية 5] كمالكم في القوة والفعل ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ﴾ [الآية 5] عند بلوغ الأشد وقبله ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ﴾ [الآية 5] الهرم والخرف ﴿لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ﴾ [الآية 5] ليعود كهيئته الأولى في أوان الطفولية من سخافة الغفلة وقلة الفهم في الأمور الكلية والجزئية.

وأفاد الأستاذ: أن أرذل العمر الذلة في مشيب الزمان أو الإقامة في منازل العصيان أو التعريج في أوطان المذلة أو العيش مع الأضداد أو عيش المرء بحيث لا يعرف قدره أو أن يوكل إلى نفسه أو التطوح في أودية الحسبان إن شيئاً بغير الله كان أو هو الإخلاد إلى تدبير النفس والخلق والغفلة عن شهود تقدير الخلق.

﴿وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ﴾ [الآية 5] ميتة يابسة وجامدة ساكنة ﴿فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ﴾ [الآية 5] تحركت واضطربت ﴿وَرَبَتۡ﴾ [الآية 5] انتفخت وارتفعت ﴿وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ﴾ [الآية 5] من كل صنف حسن ونوع مستحسن.

﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية 6] ما ذكر من خلق الإنسان في أطوار مختلفة وتحويله عن أحوال متضادة وإحياء الأرض بعد موتها بأشكال مؤتلفة ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾ [الآية 6] أي بسبب أنه الثابت في ذاته ويتحقق بإيجاده جميع مكوّناته ﴿وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ [الآية 6] كما أحيا النطفة والأرض الميتة فهو حق وكلامه صدق.

وفي تفسير السلمي: يحيي الموتى بالعلوم في الدنيا وبالأرواح في العقبى.

وأفاد الأستاذ: أن الأرض التي أصابتها وحشة الشتاء يحييها وقت الربيع وحسن الهواء. ويقال: يحيي النفوس بتوفيق العبادة ويحيي القلوب بتحقيق المشاهدة. ويقال: يحيي أحوال المريدين بحسن إقباله عليها. ويقال:

يحيي الأوقات بموافقة الأمر ثم بجهل الرضا وسكون الجأش عند جريان التقدير بحكم القضاء ﴿وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [الآية 6] من إيجاد وإمداد وإفناء وإبداء وتيسير وتفسير.

246/ب ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا﴾ [الآية 7] ومن مات فقد قامت/ قيامته[1] ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ [الآية 7] على أشكالهم الأولية وهيآتها كما يعيشون يموتون وكما يموتون يُحشرون.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾ [الآية 8] كرّر الآية لما أنيط به من الدلالة بقوله: ﴿وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ﴾ [الآية 8] لا سبيل العقل ولا طريق النقل أو من غير الكتاب والسنَّة لحديث: «خير الهدي هدي محمد»[2] فالمراد بالعلم العلم الفطري الضروري ليصح عطف العلم النظري. كذا قيل والأظهر أنه من قبيل العطف التفسيري وأن المراد بالعلم هو الإجمالي وبما بعده التفصيلي.

﴿ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ﴾ [الآية 9] أي لاوي عنقه متكبِّراً ومعرضاً عن الحق متحيراً ﴿لِيُضِلَّ﴾ [الآية 9] أي غيره متحيراً ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ﴾ [الآية 9] وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء، وفيه تنبيه على أن علة الجدال هو الإقبال على الإضلال لغيره والخروج عن الهدى إلى الضلال بنفسه والمعنى ليصير ضالاً مضلاً في جداله ﴿لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ﴾ [الآية 9] أي هوان ومذلة ﴿وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾ [الآية 9] عقاب الحرقة وحجاب الفرقة.

﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية 10] الجزاء والتعذيب مما لحقك ﴿بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ﴾ [الآية 10] بسبب ما عملته من الكفر والمعاصي هنالك ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾ [الآية 10] وإنما هو مجاز لهم على أعمالهم وفق أحوالهم وصيغة المبالغة لإرادة إفادة الجمعية الدالة على المقابلة أو المعنى ليس بذي ظلم فعّال للنسبة ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ﴾ [الآية 11] على طريق من الدين لا ثبات له فيه لعدم اليقين

---

(1) هذا اللفظ ورد في حديث في كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال رقم (42123) باب ذكر الموت.

(2) أخرجه أبو يعلى في المسند (4/ 90) رقم (2119).

كمن وقف على جانب من عسكر المجاهدين ﴿فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ﴾ [الآية 11] من مطلوبه ﴿اطْمَأَنَّ بِهِۦ﴾ [الآية 11] وسكن قلبه بسببه ﴿وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ﴾ [الآية 11] محنة وبلية امتحاناً من ربه ﴿انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾ [الآية 11].

قال الواسطي: على رهن ارتهنه هنالك فاطمأن إليه لذلك ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ﴾ [الآية 11] لذهاب عصمته في الدنيا وهبوط عمله في العقبى ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية 11] أي الجمع بين الخسرانين ﴿هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الآية 11] الظاهر أمره عند أرباب اليقين. قيل الخسران في الدنيا ترك الطاعات ولزوم المخالفات والخسران في العقبى كثرة الخصومة والتبعات.

وقال يحيى بن معاذ الرازي: الناس من مخافة فضيحة الدنيا وقعوا في فضائح الأخرى ومن أجل نفوسهم/ أهلكوا نفوسهم. 247/أ

وأفاد الأستاذ: أن المعنى يكون على جانب غير مخلص لا شهوداً يوجب الوفاق ولا جحوداً يقتضي الشقاق فإن أصابه خصب وأمن وسعة سكن إليه وإن أصابته فتنة وتالفة محنة ارتد على عقبه وسار ناكصاً وصار لما أظهر من وفاقه عاكساً.

﴿يَدْعُوا۟ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ﴾ [الآية 12] ما لا يقدر على مضرة ومنفعة لنفسه ولا لغيره ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية 12] أي دعاء من هذا وصف حاله ومآله ﴿هُوَ الضَّلَٰلُ الْبَعِيدُ﴾ [الآية 12] عن مقصد آماله.

قال ابن عطاء: مَن ركن إلى شيء سوى ربه فقد ركن إلى ما يضره ولا ينفعه ومن اعتمد على الله فيما عبده ودعاه فقد اعتمد على الضار النافع الذي منه الكل على وفق ما قضاه.

﴿يَدْعُوا۟﴾ [الآية 13] يزعم ﴿لَمَن ضَرُّهُۥٓ﴾ [الآية 13] أي لا بنفسه بل بنسبه بكونه معبوداً لأنه يوجب القتل في الدنيا والعذاب في العقبى ﴿أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ﴾ [الآية 13] الذي يتوقعه عابده بعبادته من حصول شفاعته ووصول التوسل إلى الله وقربته ﴿لَبِئْسَ الْمَوْلَىٰ﴾ [الآية 13] الناصر النافع ﴿وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ﴾ [الآية 13] الصاحب الشافع هو.

وقال الأستاذ: مَن المضرة في عبادته أكثر من المنفعة بل ليس في عبادته المنفعة البتة، وهو بيان ركاكة عقلهم ورؤية الناس خطأ فعلهم وأن النفع الذي يتوقعونه من عبادة الأصنام ليس له حقيقة في اليقظة ولا في المنام، لبئس الناصر الصنم لهم ولبئس القوم هم للصنم ولم لا ولأجله وقعوا في عقوبة الأبد ونهاية الألم وغاية البلاء.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الآية 14] أي بفضله وكرمه وتوفيقه للإيمان وعمله ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الآية 14] أي من تحت الأشجار المنتجة للأزهار والأثمار ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [الآية 14] من إثابة الأبرار وعقوبة الفجار من غير دافع ومانع في الدار حيث ليس في الدار غيره ديار.

وأفاد الأستاذ: أنهم صدقوا ثم حققوا فالإيمان ظاهره التصديق وباطنه التحقيق ولا يصل العبد إليهما إلا بالتوفيق. ويقال: الإيمان ما يوجب الأمان ففي الحال يجب الأمان وفي المآل يوجب الأمان، فمعجل الأمان من عقوبة
247/ب المسلمين ومؤجله بالخلاص من صحبة الكافرين/ والفاجرين والعمل الصالح ما يصلح للقبول ويصح للثواب والوصول وهو أن يكون على الوجه الذي تعلق به الأمر في الحصول والجنان منها مؤجلة بأحوال قربة ومعجلة بإيصال مثوبة. قال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرَّحمٰن: الآية 46] أي جنة في الدنيا وأخرى في الأخرى.

﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ﴾ [الآية 15] أي لن ينصر رسوله أو لن يرزقه ولن يقبل سؤله ﴿فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِ﴾ [الآية 15] فليمت من غيظه كما عبر عنه بقوله: ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ﴾ [الآية 15] إلى حبل ممدود ﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الآية 15] سقف بيته ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾ [الآية 15] نفس نفسه به باختناق حلقه ﴿فَلْيَنظُرْ﴾ [الآية 15] فليتصور وليتفكر ﴿هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ﴾ [الآية 15] أي هل يدفع عند فعله غيظه.

وأفاد الأستاذ: أن الحق سبحانه يرغم أعداء رسوله فمن لم يطلب نفسه

بشهود تخصيص الله سبحانه بما أفرده ليقتل نفسه من الغيظ خنقاً ثم لا ينفعه ولذلك قيل:

إن كنت لا ترضى بما قد ترى فدونك الحبل به فاختنق[1]

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ [الآية 16] ومثل ذلك الإنزال ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ [الآية 16] أي القرآن بالكمال ﴿ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ [الآية 16] حال كونه مشتملاً على دلالات واضحات ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى﴾ [الآية 16] أولاً ويثبت على الهداية ثانياً ﴿مَن يُرِيدُ﴾ [الآية 16] هناءه وثباته. والتقدير وأنزله كذلك مبيناً مجمله.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه نصب لعباده دلالات وعلامات فمنها ما هو قضية الفعل ومنها ما هو نتيجة النفل، ومنها ما هو تعريفات في أوقات المعاملات مما يجده العبد في اختلاف الحالات من انفلات وقت واستعداد قبض وحصول خسران ووجوه امتحان لا شك ولا مرية إذا أخل بمأمور أو ألمّ بمحظور. ومن زيادة بسط وحلاوة طاعة وتيسير عسير من أمور عاداته وتجديد أنعام عند حصول شيء منه من طاعاته ثم قد يكون آيات هي في الإسرار خطاب من الحق ومحادثة معه في الحال المطلق كما في الخبر لغة «[لقد] كان في الأمم محدثون فإن يك في أمتي فعمر»[2]. ثم يقال: الآيات ظاهرة والحجج زاهرة ولكن الشأن فيمن يستبصر البرهان ويشاهد البيان على وجه العيان.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟﴾
248/ أ [الآية 17] أي وسائر/ المشركين والكافرين ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾
[الآية 17] بإظهار الحق منهم عن المبطل بالحكومة أو بالجزاء والمثوبة فيجازي كلاً بما يليق به ويدخله المحل المُعد لمثله، ودخلت إن على كل من الاسم

---

(1) ذكر من دون نسبة لأحد. انظر تفسير القشيري (5/ 178)، والكشكول (1/ 129)، والمستطرف (1/ 72).

(2) أخرجه الحاكم في المستدرك (3/ 92) رقم (4499)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/ 622) رقم (3693)، وابن حبان في الصحيح (15/ 317) رقم (6894).

والخبر لمزيد التأكيد في الأثر كقول بعضهم: إن الخليفة إن الله فضله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ [الآية 17] مطلع على أعماله ومراقب لأحواله.

وأفاد الأستاذ: أن لأصناف الناس على اختلاف مراتبهم من المولي والعدو والموحد والجاحد يجمعون يوم الحشر لدى الواحد الماجد ثم الحق سبحانه يعامل كلاً بما وعدهم إما بوصال بلا مدى أو بأهوال بلا منتهى، الوقت واحد وكل واحد لما أُعد له واجد، وعلى ما خلق له وارد.

﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الآية 18] ينقاد لقدرته ويتسخر لعظمته، وأورد من تغليباً لذوي العقول على غيره إيماء إلى أنه أولى به، ولذا قال: ﴿وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ﴾ [الآية 18] إفراداً بالذكر لسحرتها ولشهرتها أو استبعاد ذلك منها لبعض ذوي العقول القاصرة عنها ﴿وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ﴾ [الآية 18] أي يسجدون له سجود طاعة تورث الثواب ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ﴾ [الآية 18] بكفره وإبائه عن طاعة ربه ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ﴾ [الآية 18] بالشقاوة ﴿فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ﴾ [الآية 18] يكرمه بالسعادة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الآية 18] من الإهانة والإكرام لمن يشاء من الأنام.

قال السياري: مَن قدر الله عليه الإهانة في السبق لا يقدر على كرامته أحد من الخلق.

وأفاد الأستاذ: أن أهل العرفان يسجدون سجود عبادة وأرباب الجحود يسجد كل جزأ منهم سجود دلالة وشهادة كما قيل:

وفي كل شيء له شاهد يدلّ على أنه واحد

﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ﴾ [الآية 19] أي فوجان مختصمان ولذا قال: ﴿ٱخۡتَصَمُواْ﴾ [الآية 19] حملاً على المعنى وهو أولى من رعاية المبنى، والمراد بهم المؤمنون والكافرون ﴿فِي رَبِّهِمۡۖ﴾ [الآية 19] أي في ذاته وصفاته أو في دينه ومتعلقاته ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الآية 19] فصل لخصومتهم وعدل وفضل في رتبتهم ﴿قُطِّعَتۡ لَهُمۡ﴾ [الآية 19] قدرت على مقادير جثتهم ﴿ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ﴾ [الآية 19] قطع من نار تحيط بهم وفيه تنبيه على تفاوت مراتب عقوبتهم ﴿يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ﴾

[الآية 19] الماء الحار الأليم.

﴿يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمْ/ وَٱلْجُلُودُ﴾ [الآية 20] يُذاب به بواطن أحشائهم كما 248/ب
يذوب به ظواهر أعضائهم ﴿وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾ [الآية 21] مضارب شديد ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا﴾ [الآية 22] من قعرها إلى ظهرها ﴿مِنْ غَمٍّ﴾ [الآية 22] أي من أجل غم يغم أهلها ﴿أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ [الآية 22] أي في مكان أول أو محل أسفل منها ﴿وَذُوقُواْ﴾ [الآية 22] أي وقيل لهم لهذا الفريق ﴿عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [الآية 22].

وقال الأستاذ: أما الذين كفروا فلهم اليوم لباس الشرك والكفران وطرازه الحرمان ثم صدارة العصيان وحيازة الخذلان وفي الآخرة لباسهم القطران وطرازه الهجران. وأما الذين آمنوا في الدنيا وآمنوا في العقبى فلباسهم اليوم التقوى وينقسم إلى اجتناب الشرك ثم مجانبة المخالفة ثم مباينة الغفلة ثم محاذرة السكون إلى غير الله والاستشعار إلى ما سواه. وفي الآخرة لباسهم على حسب أوقاتهم في الدنيا وحالاتهم في العقبى، فالعباد لباسهم فيها حرير الجنة وآخرون لباسهم صديد المحنة، وآخرون لباسهم الانفراد بهم في الخلوة والحضرة، والآخرون هم أصحاب التجريد التام، فلا حال ولا مقام ولا منزلة ولا محل ولا مرام وهم القرباء وهم الطبقة العليا أحرار عن رق كل ما لحقه التكوين من الإفناء والإبداء.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الآية 23] وغيَّر الأسلوب للإشارة إلى التفنن في العبارة ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ﴾ [الآية 23] أي حلياً منها ﴿مِن ذَهَبٍ﴾ [الآية 23] بيان لها ﴿وَلُؤْلُؤًا﴾ [الآية 23] عطف عليها ونصبه نافع وعاصم عطفاً على محلها ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الآية 23].

وأفاد الأستاذ: أن التجلية تحصين لهم وستر لأحوالهم فهم للجنة وليس لهم بالجنة زينة.

وإذا الـدر زان حـسـن وجـوه كان للدر حسن وجهك زينا[1]

﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ [الآية 24] أي كلمة التوحيد في الدنيا ونحو قولهم الحمد لله الذي صدقنا وعده في الأخرى ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [الآية 24] المحمود ذاته أو عاقبته أو الحميد الكريم وصراطه القويم والطريق المستقيم.

قال ابن عطاء: الطيب من القول ذكر الله.

وقال جعفر: هو الأمر بالمعروف. وقال بعضهم: هو نصيحة المسلمين. وقيل: هو قراءة القرآن، كذا في «تفسير/ السلمي». 249/أ

وأفاد الأستاذ: أن الطيب من القول ما صدر عن قلب خالص وسر صاف مما رضي به علم التوحيد الذي لا اعتراض عليه لأصول التفريد. ويقال: الطيب من القول ما يرضاه الحق سبحانه أو هو ما يخاطب الله به على وجه الثناء دون الحاجة والدعاء، أو هو إرشاد المرشدين ووعظ المسترشدين. ويقال: الدعاء للمسلمين، ويقال: هو بيان للاستغفار والعبد يرى من الذنوب والإصرار وأما صراط الحميد فهو ما شهد له الشريعة بالصحة ولا يكون للحقيقة عليه النكرة أو ما كان طريقة الاتباع دون الابتداع.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 25] أي يعرضون عن دينه وحصوله أو يمنعون الناس عن دخوله ووصوله ﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [الآية 25] أي عن الحرم نفسه أو عن سبيله ﴿ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ﴾ [الآية 25] أي لدخوله للواردين ﴿سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ﴾ [الآية 25] المقيم فيه ﴿وَٱلْبَادِ﴾ [الآية 25] الطارىء، وسوى خبر معدم، والجملة مفعول ثان لجعلناه للناس حال من الهاء ونصبه حفص على أنه المفعول والعاكف مرتفع به لأنه مصدر في معنى اسم الفاعل، أي مستوٍ فيه القاعد والوافد والغني والفقير والحقير والأمير والصغير والكبير والقريب لأنه بيت الرقيب المجيب ومنزل الحبيب الطبيب.

---

(1) نسب إلى عدّة شعراء منهم كثير بن عزة، وإلى الأحوص، ومالك بن أسماء.

قال محمد بن علي الترمذي: الفتوة أن يستوي عندك الطارىء والمقيم يعني فإنها من صفة الكريم ونعت الحليم.

وأفاد الأستاذ: أن الصد عن المسجد الحرام بإضافة السبل على قاصدي هذا المقام وبنصب المال الذي لو بقي في يد صاحبه لوصل به إلى المشعر الحرام. وقوله: ﴿سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾ [الآية 25] يشير إلى أنه يعتبر به السبق للمرام والتقدم في ذلك المقام فمنى مناخ من سبق من الأنام ومشهد الكرام يستوي فيه الإقدام فمن وصل إلى ذلك المحل فلا ترتيب ولا رد وبعد الوصول فلا زجر ولا صد، وفي أثناء الطريق ربما يعتبر التقدُّم والتأخر في الفريق. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [الحجر: الآية 24] ولكن لا تباين في الوصول ولا تباين في الحصول. ثم إذا اجتمعت النفوس/ فيها فالموضع الواحد يجمعهم لها ولكن لكل حال يعود بها. 249/ ب

﴿وَمَن يُرِدْ﴾ [الآية 25] أي أيَّ مراد ﴿فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ﴾ [الآية 25] أي ميل عن العدل أو عدول عن الفضل ﴿بِظُلْمٍ﴾ [الآية 25] كالشرك بالأصنام واقتراف الآثام ﴿نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الآية 25] ينسي سائر الآلام.

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا﴾ [الآية 26] عيَّنا وهيَّأنا ﴿لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ﴾ [الآية 26] الكريم لنا. قيل: رفع البيت الذي بناه الملائكة إلى السماء أيام الطوفان فأعلمه الله مكانه في ذلك الزمان ﴿أَن لَّا تُشْرِكْ﴾ [الآية 26] أي ناديناه فإن مخففة أو مفسرة أي لا تشرك ﴿بِي شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾ [الآية 26] من الأقذار والأوزار ﴿لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ﴾ [الآية 26] أي العاكفين من المقيمين والمعتكفين ﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الآية 26] أي المصلِّين.

قال ابن عطاء: وفقناه لبناء البيت وهديناه إليه وأعنا عليه وجعلناه مسكناً له ولمن بعده من الأنبياء والأولياء والصدِّيقين إلى يوم الدين وأمرنا الخليل عند بنائه أن لا يرى فعله ولا بناءه ولا عمله ولا يشرك بنا في ذلك شيئاً من أمره وحوله.

وأفاد الأستاذ: في قوله طهر بيتي يعني الكعبة، وهذا على لسان العبارة

وعلى بيان الإشارة فرِّغ قلبك عن الأشياء سوى ذكره سبحانه بالدعاء والثناء. وفي بعض الكتب أوحى الله إلى بعض الأنبياء: فرِّغ لي بيتاً أسكنه، فقال: إلٰهي أي بيت يسعك، فقال تعالى: ذلك قلب عبدي المؤمن. قلت: وهذا معنى ما ورد في الحديث القدسي والكلام الأنسي: «لا يسعني أرضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن»[1].

ثم قال الأستاذ: وتفريغ القلب على أقسام، أوله: من الغفلة والنسيان ثم من توهم شيء من الحدثان من غير الرحمٰن. ويقال: قد تكون المطالبة على قوم بصون القلب عن ملاحظة الأعمال وتكون المطالبة على الآخرين بحراسة القلب عن المساكنة إلى الأحوال. ويقال: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾ [الآية 26] أي قلبك عن التطلع والاختيار لأن يكون لك عند الخلق نوع من الجاه والاعتبار بل ولا يكون لك عند الله جاه في الدنيا أو حظ في العقبى حتى تكون عبداً له بكمال القيام لحقائق العبودية كما يقتضيه كمال النظام من حقوق الربوبية. ويقال:
250/ أ ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾ [الآية 26] أي قلبك بإخراج كل/ نصيب في الدنيا والأخرى من تطلع إكرام أو تطلُّب إنعام أو إرادة مقام أو طلب حال من اختيار واستقلال. ويقال: طهِّر قلبك للطائفين بها من موارد الأحوال على ما يختاره الحق المتعال والعاكفين وهي الأشياء المقيمات من مستوطنات المعرفة في القلب من الأمور الغيبية وتطلعه بما هي حقائق البيان التي هي كالعيان كما في الخبر: «أعبد الله كأنك تراه»[2]. والرُّكع السجود ما هي أركان الأحوال المتوالية من الرهبة والرغبة والرجاء والمخافة والقبض والبسط والمحو والصحو والفناء والبقاء. وفي معناه أنشدوا:

لست من جملة المحبين إن لم ... أجعل القلب بيته والمقاما
وطوافي إجالة السر فيه ... وهو ركني إذا أردت استلاما[3]

ويقال في قوله: ﴿لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا﴾ [الآية 26] لا تلاحظ البيت ولا

(1) سبق تخريجه. (2) سبق تخريجه.
(3) نسب إلى الشبلي. انظر مختصر تاريخ دمشق (8/ 309).

بنائك للبيت. ويقال: هو شهود البيت والاستغراق في شهود رب البيت.

﴿وَأَذِّن﴾ [الآية 27] أي نادِ ﴿فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾ [الآية 27] أي بأن يحجوا بيت ربهم ويقصدوا شعائر دينهم. روي أن إبراهيم عليه السلام صعد أبا قبيس أو المقام فقال: يا أيها الناس حجوا بيت ربكم، فأسمعه الله مَن في أصلاب الرجال وأرحام النساء فيما بين المشرق ممن سبق في علم الله[1] أن يحج فلبى روحه بلسان القال أو ببيان الحال أو الخطاب لنبينا ﷺ أمر بذلك في حجة الوداع سنة ست من الهجرة والله أعلم.

وجاء رجل إلى جنيد يستأذنه في الحج على التجريد فقال: جرِّد أولاً قلبك من السهو ونفسك من اللهو ولسانك من القول ثم استأذن حيث شئت ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ [الآية 27] مشاة جمع راجل كقائم وقيام ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ [الآية 27] أي وركباناً على كل بعير مهزول أتعبه بعدُ السفر وهزله. وفي تقديم المشاة إشارة إلى أن فضلهم أظهر وأجرهم أكثر لأن تعبهم أكبر.

وقال الأستاذ: لأن الحمل على المركوب أكثر ولتلك الجمال على سائر الجمال خصوصية أي في زيادة الجمال لأنها مركب الأحباب أي إلى عتبة الأبواب، وفي قريب من معناه أنشدوا ما مبناه:

/ وإن جمالاً قد علاها جمالكم وإن قطعت أكبادنا لحبائب[2] 250/ب

﴿يَأْتِينَ﴾ [الآية 27] أي الجمال الضامرة ﴿مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الآية 27] أي طريق بعيد.

وأفاد الأستاذ: إن هذا على جهة المدح لهم وسبيل الشكر منهم وإلا فكم مقدار مسافة الدنيا بجملتها في مدة سيرهم ولكن لأجل قدر فعلهم وتعظيم صنعهم يقول ذلك إظهاراً لفضله وكرمه بهم.

﴿لِّيَشْهَدُوا۟﴾ [الآية 28] ليحضروا ﴿مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾ [الآية 28] دينية ودنيوية.

---

(1) تفسير النيسابوري (5/ 398).
(2) ذكره القشيري في تفسيره (5/ 187).

قال ابن عطاء: ما وعد الله لهم من القربة والزلفة.

وأفاد الأستاذ: أن أرباب الأموال منافعهم أموالهم وأرباب الأعمال منافعهم حلاوة طاعاتهم وأرباب الأحوال منافعهم صفاء أنفسهم وأهل التوحيد منافعهم رضاهم باختيار الحق ما يبدو من الغيب لهم ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾ [الآية 28] عند إعداد الضحايا وإمداد الهدايا فإن العطايا على قدر المطايا ﴿فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ﴾ [الآية 28] هي أيام ليالي عشر ذي الحجة وهذا مذهب أبي حنيفة والشافعي أو أيام النحر وهو قول أبو يوسف ومحمد ﴿عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا﴾ [الآية 28] أي بعضها أمر إباحة إزاحة لما عليه الجاهلية من التحرُّج فيه أو نداء إلى مواساة الفقراء أو مساواتهم، وهذا في المتطوع به دون الواجب إلا دم القران والتمتع عند الحنفية ﴿وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ﴾ [الآية 28] أي ذا بأس وشدة يأس ﴿الْفَقِيرَ﴾ [الآية 28] المحتاج الكسير، والأمر فيه للوجوب عند الشافعية وللندب عند الحنفية، وقد قيل بالوجوب في الأكل أيضاً.

قال أبو عثمان: أدّب الله عباده أن لا يطعموا الفقير إلا ما يأكلون ولا يجعلون لله ما يكرهون وهو أن يشاركوهم في مآكلهم ومشاربهم وملابسهم ومنازلهم.

وقال ابن عطاء: البائس الذي تأنف بمجالسته ومؤاكلته والفقير من لم تعلم حاجته إلى طعامك إن لم تسأل حالته.

وأفاد الأستاذ: أنهم يذكرون اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام عند التقرُّب بقرابينهم وسوق هديهم وآخرون يذكرون عند ذبحهم أمانيهم واختيارهم بسكاكين البأس حتى يقوموا لله بالله بمحو ما سوى الله فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير شاركوا الفقراء في ذبيحتكم الذي ليس بواجب عليكم لتلحقكم بركات الضعفاء، والإشارة فيه/ أن ينزلوا ساحة الخضوع والتواضع 251/أ
ومجانبة الزهو والتكبُّر والخيلاء.

﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾ [الآية 29] ليزيلوا وسخهم ويميطوا شعثهم عند فراغ عملهم ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾ [الآية 29] من البر في حجهم وسائر قصدهم

﴿وَلْيَطَّوَّفُوا﴾ [الآية 29] طواف الركن أو طواف الوداع إن كان آفاقياً ﴿بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الآية 29] القديم لأنه أول بيت وُضِع للناس أو المعتق من تسلُّط الجبابرة عليه، فكم من جبَّار على قصد هدمه سار إليه فمنعه الله وحماه لديه.

قال السلمي في تفسيره: سئل الجورجاني ما الإشارة في شعر المحرم، فقال: ترك التصنع لما شهد الحق منك والإعراض عن العناية بنفسك أي للاهتمام بأمرك.

وقال الأستاذ: ليقضوا حوائجهم ويحققوا عهودهم وليوفوا نذورهم فيما عقدوه مع الله بقلوبهم فمن كان عقده التوبة فوفاؤه أن لا يرجع إلى العصيان، ومن كان عهده اعتناق الطاعة فشرط وفائه ترك تقصيره في باب الإحسان، ومن عقده أن لا يرجع إلى طلب مقام وتطلع إكرام فوفاؤه استقامته. وعلى الجملة التي دخل في هذا الطريق بأن لا يرجع إلى استعجال نصيب أو اقتضاء حظ والله ولي التوفيق. ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الآية 29] الإشارة أن يطوف بنفسه حول البيت وبقلبه في سماء الملكوت وبسره في ساحة الجبروت.

﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ﴾ [الآية 30] أي محرماته من نحو البيت الحرام والمسجد الحرام ونفس الحرم والإحرام وسائر أحكام الإسلام ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ﴾ [الآية 30] أي فتعظيمه محض خير ونفع له عند ربه من جهة ثوابه وأجره وتقرُّب أمره.

قال الواسطي: هو أن لا يلامس محرماً في دينه ولا يخالف أمراً ولا نهياً في فعله. وقيل: أن لا يلاحظ شيئاً من كونه.

وأفاد الأستاذ: إن تعظيم الحرمات بتعظيم أمره وتعظيم أمره بترك مخالفته لحكمه. ويقال: من طلب العناء بغير رضا الله لم يبارك له فيما آثر من هواه على رضاه مولاه ولا محالة سيلقى سريعاً غبة جزاءه. ويقال: تعظيم حرماته بالغيرة على إمائه وما فَجَرَ صاحب حرمة قط. ويقال: ترك الخدمة يوجب العقوبة وترك الحرمة يوجب الفرقة. ويقال: كل شيء من المخالفات/ 251/ ب

فللعفو فيه مساغ وللأمل إليه طريق وترك الحرمة على خطر أن يغفر وذلك بأن يؤدي شؤمه بصاحبه إلى أن يحتل ركن دينه وتوحيده.

﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية 30] من الأحكام ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ [الآية 30] أي الرجس الذي هو الأوثان، فمن بيانية. أو فاتقوا العذاب من أجل عبادة الأوثان، فمن ابتدائية. والمعنى الأول هو المعول فإنه يفيد غاية المبالغة في النهي عن طاعتها والتنفير عن عبادتها ﴿وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ [الآية 30] وهو الافتراء على الله بأن له ولداً ونحو ذلك. وقيل: المراد به شهادة الزور.

وأفاد الأستاذ: أن من جملة ذلك قول اللسان بما لا يساعده الجِنان ومن عاهد الله بقلبه ثم لا يفي بأمره فهو من جملة أقوال زوره.

﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ﴾ [الآية 31] مخلصين لديه ما يلين عن غيره إليه متوكلين في أمورهم عليه ﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ﴾ [الآية 31] أي من جلي الشرك وخفيه ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾ [الآية 31] أحداً مما سواه ﴿فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الآية 31] لأنه سقط من أوج الإيمان والعرفان إلى حضيض الكفر والكفران ﴿فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ﴾ [الآية 31] فإن الأهواء المردية توزع الأفكار الردية في تعلق الغير من غير جلب النفع ولا دفع الضر.

وقال الأستاذ: تجاذبه ملائكة العذاب إلى نار السعير وعذاب الحريق ﴿أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الآية 31] بعيد عميق، فإن الشيطان قد رُمِيَ به في تيه الضلالة بعيداً عن الفريق، وأو للتنويع، فإن منهم من لا خلاص له أصلاً ومنهم من يمكن خلاصه بالتوبة فصلاً.

﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 32] أي شرائع دينه أو فرائض حجه أو مواضع نسكه أو هدايا نحره وتعظيماً أن يختار الحسان السمان غالية الأثمان فقد أهدى ﷺماية بدنة فيها جمل لأبي جهل أخذ في غنيمة بدر في أنفه برة من ذهب وأهدى عمر رضي الله عنه نجيبة طلبت منه بثلاثمائة دينار ﴿فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الآية 32] فإن تعظيمها نشأ من أحوال ذوي تقوى القلوب من الذنوب والعيوب.

قال سهل: تقوى القلوب هو ترك الذنوب.

وقال الحريري: تقوى النفوس ظاهر/ وتقوى القلوب باطن. 252/ أ

وأفاد الأستاذ: أنه يقف المؤمن على تعيين شعائر الله وتفاصيلها بشهادة العلم جهراً وبخواطر الإلهام سراً وكما لا يجوز مخالفة شهادة الشرع لا يجوز مخالفة شهادة خواطر الحق، فإن خاطر الحق لا يكذب وعزيز من له عليه وقوف، وكما أن النفس لا تصدق فالقلب لا يكذب فإذا خولف القلب عمي في المستقبل وينقطع عنه تعريفات الحقيقة. فالعبادة والشرع يتقاصر عن هذا على التعيين والتفسير. وتقوى القلب بتحقيق المنازلة فإذا خرست النفوس وزالت هواجسها فالقلوب تنطق بما يكاشف بها من الأمور ومن الفروق بين ما يكون طريقه العلم وما طريقه من الحق. إن الذي طريقه العلم يعلم صاحبه أولاً ثم يعمل مختاراً، وما كان من الحق يجري ويحصل ثم بعده يعلم من جرى عليه ذلك معناه، ولا يكون الذي يجري عليه ما يجري مضطراً إلى ما يجري وليس يمكن أن يقال إنه ليس له اختيار بل يكون مختاراً ولكن سببه عليه مشكل والمتعجب من هذا لأن العبارة عن هذا كالبعيد.

﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ﴾ [الآية 33] من درها ونسلها وصوفها وظهرها ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الآية 33] إلى أن تنحر ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ [الآية 33] وقت نحرها أو مكان ذبحها منته إلى ما يليه من الحرم.

وأفاد الأستاذ: أن لكل من تلك الجملة منفعة بقدره وحدّه لأقوام بركات في دفع البلايا عن نفوسهم وعن أموالهم ولآخرين في بذاذات بسطهم وأحوالهم، ولآخرين في حلاوة طاعاتهم وأعمالهم، ولآخرين في أنس أنفاسهم وآمالهم.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ [الآية 34] من أهل دين ﴿جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ [الآية 34] متعبداً يعبدون فيه أو ما يتعبد به أو قرباناً يتقربون به إلى الله. وقرأ حمزة والكسائي بكسر السين أي موضع نسك بمعنى عبادة أو ذبيحة ﴿لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 34] دون غيره ويجعلوا نسكهم خالصاً لوجهه ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [الآية 34] عند ذبحها.

وأفاد الأستاذ: أن الشرائع مختلفة فيما كان من المعاملات متفقة فيما كان من جملة المعارف والمعتقدات، ثم فيها مختلفون وهم مؤتلفون فقوم
252/ ب أصحاب التضعيف فيما أوجب عليهم وجعل لهم، وقوم أصحاب التخفيف/
فيما ألزمهم وما وعد لهم، ثم ذكر اسم الله على ما رزقهم على أقسام، منها معرفتهم بإنعام الله بذلك عليهم وذلك من حيث شكرهم ثم يذكرون اسمه على ما وفقهم لمعرفته بأنه هو الذي رزقهم ثم فكرهم بالله بأنه هو الذي أمرهم ثم ذكرهم الله بأنه هو الذي يتقبل منهم ويثيبهم.

﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [الآية 34] وهو ماجد واحد ﴿فَلَهُ أَسْلِمُوا﴾ [الآية 34] أخلصوا في تقرُّبه وذكره وشكره وإطاعة أمره.

وقال الأستاذ: استسلموا لحكمه بلا تعبيس ولا استكراه من داخل القلب لا من القرط والإسلام يكون بمعنى الإخلاص، والإخلاص تصفية الأعمال من الآفات ثم تصفية الأخلاق من الكدورات ثم تصفيه الأحوال ثم تصفية الأنفاس ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ [الآية 34] المتواضعين أو المخلصين فإن الأحياء صنعتهم باليقين.

قال ابن عطاء: المخبت هو امتلاء قلبه من المحبة وقصر طرفه عما دون حبه استدامة الطاعة بشر الاستطاعة، ومن أمارات الإخبات كمال الخضوع بشرط دوام الخشوع وذلك بإطراق السريرة.

﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الآية 35] خافت واضطربت هيبة لإشراق أشعة جلاله عليها وعظمة لحضور وسرور ذكره ونور فكره لديها.

قال ابن عطاء: هل رأيت ذلك الوجل عند سماع ذكره أو كتابه أو خطابه أو هل أخرسك الذكر حتى لم تنطق إلا به وأصمك حتى لم تسمع إلا منه هيهات.

قال الواسطي: الوجل على قدر المطالعة ربما يريه موضع السطوة والقلبة وربما يريه موضع المحبة والمودة.

وأفاد الأستاذ: أن الوجل عند الذكر على أقسام: إما لخوف عقوبة ستحصل أو لمخافة عقابه بالسّوء تختم أو لخروج من الدنيا على غفلة من غير استعداد للموت وإصلاح أهبة أو لحياء من الله سبحانه إذا ذكر اطلاعه عليه لما ينذر منه من الأمور التي هي غير محبوبة. ويقال: الوجل على حسب تجلي الحق للقلب فإن القلوب في حال المطالعة والتجلي بوصف الوجل والهيبة وجل له سبب ووجل بلا سبب، فالأول هو المخافة، والثاني معدود من الهيبة. ويقال: الوجل خوف المكر والاستدراج وأقربهم من الله قلباً أكثرهم من الله على هذا الوجه خوفاً.

/ ﴿وَالصَّـٰبِرِينَ﴾ [الآية 35] التاركين الجزع والخوف ﴿عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ﴾ 253/أ
[الآية 35] من النوائب والمصائب.

وقال الأستاذ: أي الحافظين مع الحق أسرارهم لا يطلبون السكون باطلاع الخلق على أحوالهم ﴿وَالْمُقِيمِى الصَّلَوٰةِ﴾ [الآية 35] في أوقاتها بشرائطها وأركانها ومكملاتها.

وقال الأستاذ: أي إذا اشتدت بهم البلوى فزعوا إلى الوقوف في محل النجوى.

إذا ما تمنى الناس روحاً وراحة   تمنيت أن أشكو إليك فتسمع[1]

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الآية 35] في مرضات ربهم خالصاً لوجهه.

وقال الأستاذ: عند المعاملة من أموالهم وفي قضايا المنازلة الاستسلام في أحوالهم وتسليم النفس وكل ما منك وبك لطوارق التقدير فينفقون أبدانهم على تحمُّل مطالبات الشريعة والطريقة وينفقون قلوبهم على التسليم والخمود تحت جريان الأحكام بموافقات الحقيقة.

﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَـٰهَا لَكُم مِّن شَعَـٰٓئِرِ اللَّهِ﴾ [الآية 36] من أعلام دينه التي شرّعها الله ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ [الآية 36] كثير ونفع كبير ديني ودنيوي ﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ

(1) نسب إلى المجنون العامري. انظر الكشكول (1/ 383).

﴿ٱللَّهِ عَلَيْهَا﴾ [الآية 36] بأن تقولوا عند ذبحها بسم الله الله أكبر لا إلٰه إلا الله والله أكبر اللهم منك وإليك، أي عطاء لنا حاصل منك وتقرُّب منَّا واصل إليك ﴿صَوَآفَّ﴾ [الآية 36] قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن.

وأفاد الأستاذ: أن أقسام الخير فيها كثيرة بالركوب والحمل عليها وشرب ألبانها وأكل لحومها والانتفاع بروثها ثم الاعتبار بخلقها كيف سخرت للناس على قوتها وصورتها ثم تنقاد للصبيان في البروك عند الحمل عليها وركوبها والنزول منها ووضع الحمل عنها وصبرها على العطش في تعب سفرها وعلى قليل علفها، ثم ما في طبعها من لطف الخلقة حيث تستريح بالحداء مع كثافة صورتها إلى غير ذلك.

﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾ [الآية 36] سقطت على الأرض حال نحرها وهو كناية عن موتها ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ﴾ [الآية 36] الراضي بما عنده وبما يعطى من غير مسألة من قنع بالكسر قناعة، أو السائل من قنع بالفتح إذا خضع في السؤال ممن طمع، وقد قيل:

العبد حر إن قنع والحر عبد إن قنع
فاقنع ولا تقنع فلا شيء يشين سوى الطمع[1]

فهو السائل المتواضع ﴿وَٱلْمُعْتَرَّ﴾ [الآية 36] السائل الغير المتواضع أو المعترض بالسؤال أو المعترض ببيان الحال.

253/ب وأفاد الأستاذ: /أن القانع الذي ألقى جلباب الحياء وأظهر فقره للناس والمعتر الذي هو في تحمُّله يتحمل ولموضع فاقته كاتم ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ﴾ [الآية 36] مع عظمتها وقوتها وهيبتها حتى تأخذوها منقادة فتعقلونها وتحبسونها وتنحرونها ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الآية 36] إنعامنا في خلق أنعامنا للتقرب بها إلينا.

﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ﴾ [الآية 37] لن يصيب رضاه ﴿لُحُومُهَا﴾ [الآية 37] المتصدَّق بها ﴿وَلَا دِمَآؤُهَا﴾ [الآية 37] المهراقة بنحرها من حيث لحومها ودماؤها ﴿وَلَٰكِن

(1) هذا البيت نسب للشافعي. انظر الأم (1/ 14).

﴿يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ [الآية 37] ولكن يصيبه ما يصحبها من تقوى قلوبكم التي تدعوكم إلى تعظيم أمر ربكم بالتقرُّب إليه والإخلاص لديه.

قال سهل: التقوى بدء التبري والإخلاص.

وأفاد الأستاذ: أن لا عبرة بأعيان الأعمال الضرورية سواء كانت محضة بدنية أو صرفة مالية ولكن العبرة بقرابتها من الإخلاص لها فإذا انضاف إلى اكتساب الجوارح خلاصات القصود والجوانح وتجردت عن ملاحظة أصحابها الأغيار صلحت للقبول والاعتبار. ويقال: التقوى شهود الحق بنعت التفرد فلا بثبوت تقربك بملاحظة أحد ولا بأخذ عوض على عمل من بشر ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ﴾ [الآية 37] كرره تذكيراً للنعمة وتمهيداً للعلة بقوله ﴿لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [الآية 37] لتعرفوا عظمته فتوحدوه بالكبرياء في نعته. وقيل: هو التكبير عند الإحلال أو الذبح على ما هداكم وأرشدكم إلى طريق تسخيرها وكيفية التقرُّب بها. وعلى تعليلية أو حالية والتقدير شاكرين ﴿عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ [الآية 37].

قال الأستاذ: أي أرشدكم إلى القيام بحق العبودية على قضية الشرع وفق القضايا الربوبية ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الآية 37] فيما يأتونه ويذرونه.

وقال الأنطاكي: للمحسنين علامات أولها أن لا يظلم وإن ظلم لا ينتصر وأن لا يغضب وإن غضب لا يأثم وقد أتعب نفسه والناس منه في راحة ونفسه منه في شغل، وأن يكون قلبه وجلاً عند الذكر وصابراً على ما يصيبه من الشدائد.

وأفاد الأستاذ: أن الإحسان كما في الخبر «أن تعبد الله كأنك تراه»[1] فأمارة صحته سقوط التعب بالقلب عن صاحبه فلا يشتغل شيئاً ولا يتبرم بشيء من أمر ربه.

254/أ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ [الآية 38] يبالغ في دفع غائلة/ المشركين عن طائعة المؤمنين. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو يدفع.

(1) سبق تخريجه.

قال ابن عطاء: إن الله يدفع بالكفار عن المؤمنين وبالعصاة عن المطيعين وبالسفهاء عن العلماء. وقال بعضهم: يدفع عن المؤمنين هواجس أنفسهم ووساوس شياطينهم.

وقال سهل: يدفع عنهم بنور السنَّة ظلمة البدعة.

وقال الأستاذ: يدفع عن صدورهم نزغات الشيطان وعن قلوبهم خطرات العصيان وعن أرواحهم طوارق النسيان ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ﴾ [الآية 38] ذي خيانة في أمانته ﴿كَفُورٍ﴾ [الآية 38] ذي كفران النعمة.

وأفاد الأستاذ: أن الخيانة على أقسام: خيانة في الأموال وتفصيلها في المسائل الشرعية المعروفة عند علماء الفقه، وخيانة في الأعمال، وخيانة في الأحوال. فخيانة الأعمال الرياء والسمعة والمصانعة، وخيانة الأحوال بالملاحظة والإعجاب والمساكنة وشرها الإعجاب، ثم المساكنة وأخفاها الملاحظة. ويقال: خيانة الزاهدين عزوفهم عن الدنيا على طلب الأغراض ليجدوا حسن المآل في العقبى وهذا إخلاص الزاهدين ولكنه عند خواص الزهاد خيانة في الدين لأنهم تركوا دنياهم لا لله ولكن لوجود العارض على تركهم ذلك من قبل الله. وخيانة العابدين أن يدعوا شهواتهم ثم يرجعوا إلى الرخص في معاملاتهم فلو صدقوا في مرماهم لما انحطوا إلى الرخص بعد ترقيهم عنها، وخيانة العارفين جنوحهم إلى وجود مقام وتطلعهم لمنال منازلة وإكرام من الحق ونوع تقريب، وخيانة المحبين رَوْم فرجة مما يمسهم من برحاء المواجيد وابتغاء خرجة مما يستوعبهم من استيلاء صد وغلبات شوق أو تمادي أيام هجر، وخيانة أرباب التوحيد أن يتحرك عليهم للاختيار عرق ورجوعهم بعد امتحائهم عنهم إلى شظية من أحكام الفرق إلا أن يكون ذلك منهم موجوداً وهم عنه مفقودون.

﴿أُذِنَ﴾ [الآية 39] رخص. وقرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي على البناء للفاعل أي أذن الله للذين يقاتِلون المشركين ﴿لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ﴾ [الآية 39]. وقرأ نافع وابن عامر وحفص بفتح التاء أي للذين يقاتلهم المشركون ﴿بِأَنَّهُمْ

﴿ظُلِمُواْ﴾ [الآية 39] بسبب أنهم ظلموا وهم أصحاب النبي ﷺ/ ورضي عنهم، كان 254/ب
المشركون يؤذونهم ويضربونهم وكانوا يأتون بين يديه ويتظلمون إليه فيقول لهم: «اصبروا على هذا الحال فإني لم أؤمر بالقتال»(1) حتى هاجر فأُنزِلَت، وهي أول آية نزلت في القتال بعدما نهي عنه في نيف وسبعين آية بالصبر على تلك الحال ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ﴾ [الآية 39] جملة حالية معترضة مفيدة لوعد لهم بالنصر مع الظفر مع الصبر ومشعرة بأنه قادر على نصرهم من غير قتال أيضاً، إلا أنه سبحانه اقتضت حكمته وأوجبت مشيئته أن يكون ذلك الحال في ضمن القتال ليتبين أحوال الرجال وتفاوت الآمال.

وقال الأستاذ: إذا أصابتهم ضراء ومستهم ما هو في الظاهر ذل ومن الأعادي تجري عليهم أنحاء ضيم أو يلحقهم من الأجانب استيلاء ظلم فالحق سبحانه ينتقم من أعدائهم لأجلهم وهم بنعت التسليم والسكون في أغلب أحوالهم وتفاصيل الأقدار جارية باستئصال من يناؤهم وإدالة الدبرة على من يعاديهم وفي بعض الأحانين بنصبهم الحق بنعت التمكين والغلبة من نزولهم بساحات مَن يناوئهم بحسن الظفر وتمام حصول الدبرة على من ناصبهم وأخزاهم بأيديهم كل ذلك يتفق وأنواع النصرة من الله سبحانه، والله غالب على أمره في الجملة.

﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ﴾ [الآية 40] أي بغير موجب استحقوا به ﴿إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ [الآية 40] من قبيل قول بعضهم:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب(2)

وأفاد الأستاذ: أن المظلوم منصور ولو بعد حين ودولة الحق تغلب دولة الباطل بالأمر اليقين، وللمظلوم حميد العقبى وللظالم وشيك الانتقام

(1) ورد بلفظ: «اصبروا فإني لم أؤمر بالقتال». انظر تفسير البغوي (5/ 388)، الكشاف (4/ 295).

(2) نسب هذا البيت إلى النابغة الذبياني. انظر نهاية الأرب (2/ 303) وخزانة الأدب (2/ 399).

بشديد البلوى ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوٓاْ﴾ [النَّمل: الآية 52] وقد تجري في النفس وهواجسها على القلوب لبعض الأولياء وأهل القصة ظلم وجفاء يحصل لسكان القلوب من الأحوال الصافية عنها جلاء وتستولي غاغة النفس فتعمل في القلوب بالفساد من استكمال الغفلة وتداعي القلوب للخراب من طوارق الحقائق وشوارق الأحوال الزاكية، كما قال قائلهم:

أنعي إليك قلوباً طالما هطلت سحائب الوحي فيها أبحر الحكم

فيهزم الحق سبحانه بجنود الإقبال أراذل الهواجس وينصر عسكر
255/ أ التحقيق بإمداد الكشوفات وتحديد دارس العهود وإطلاع شموس السعد في/ ليالي السير ويكنس القلوب ويطهرها عن آثار ظلم النفس، وكما قيل:

أطلال سعدى باللوى تتجدد[1]

فإذا هبت على تلك القلوب رياح العناية وأزال عنها هيج النسيان وشفاها الله صوب التجلي أنبت فيها أزهار البسط ثم تفتح فيها أنوار الأنس ثم يتضح نهار الوصل ثم نسيم القرب إلى أن تطلع شموس التوحيد.

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ﴾ [الآية 40] وقرأ نافع دفاع الله ﴿ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ [الآية 40] بتسليط المؤمنين على الكافرين ﴿لَّهُدِّمَتْ﴾ [الآية 40] وقرأ نافع وابن كثير بالتخفيف أي لخربت باستيلاء المشركين على أهل ملل الدين ﴿صَوَٰمِعُ﴾ [الآية 40] أي للرهابنة خاصة ﴿وَبِيَعٌ﴾ [الآية 40] للنصارى عامة[2] ﴿وَصَلَوَٰتٌ﴾ [الآية 40] كنائس لليهود كافة سميت بها لأنها يُصلى فيها ﴿وَمَسَٰجِدُ﴾ [الآية 40] للمسلمين ﴿يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ [الآية 40] صفة للمساجد، وخصت بها تفصيلاً أو للأربع التي وقعت تفضيلاً.

وأفاد الأستاذ: أنه يتجاوز عن الأصاغر لقدر الأكابر ويعفو عن العوام لاحترام الكرام وتلك سنَّة أجراها الله سبحانه لاستيفاء منازل العبادة

---

(1) ذكره القشيري في تفسيره (5/ 200).
(2) تفسير البيضاوي (1/ 129).

واستصفاء مناهل المعرفة ولا تحويل لقديم سنّته ولا تبديل لكريم عادته ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ [الآية 40] أي دينه أو نبيه ولقد أنجز وعده بأن سلّط المهاجرين والأنصار على صناديد العرب وأكاسرة العجم وقياصرة الروم وأورثهم أرضهم وديارهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ﴾ [الآية 40] على نصرهم ﴿عَزِيزٌ﴾ [الآية 40] غالب على أمرهم.

﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [الآية 41] وصف للذين أخرجوا، وهذا ثناء قبل بلاء، وفيه دليل على صحة أمر الخلفاء الراشدين إذا لم يستجمع ما ذكر في غيرهم من المهاجرين ﴿وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الآية 41] فإن مرجعها إلى حكمه، وفيه تأكيد لوعده.

وقال الأستاذ: إذا طالت بهم المدة وساعدهم العمر والمهلة ولم يستفرغوا أعمارهم في استجلاب حظوظهم ولا في اقتناء محبوبهم من الدنيا أو مطلوبهم من العقبى ولكن قاموا بأداء حقوقنا و﴿أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الآية 41] بالظواهر واستداموا المواصلات في السرائر، ويقال إقامة الصلاة الوفاء بآدابها بأن تعلم بين يدي من أنت، وتناجي من، وقريب منك من، ﴿وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [الآية 41] أي الأغنياء منهم يؤتون زكاة أموالهم وفقراؤهم يؤتون زكاة أحوالهم،/ 255/ ب
فزكاة المال من مائتين خمسة للفقراء والباقي لهم وزكاة الأحوال أن يكون من مائتي نفس تسعة وتسعين ونصف لله ونصف من جزاء من مائتين لك، وذلك أيضاً علة ﴿وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [الآية 41] تبتدىء في الأمر بالمعروف على نفسك ثم إذا فرغت من نفسك تأخذ في نهيها عن المنكر ومن وجوه المنكرات الرياء والإعجاب والمساكنة والملاحظة.

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ﴾ [الآية 42] قوم هود ﴿وَثَمُودُ﴾ [الآية 42] قوم صالح ﴿وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ﴾ [الآيتان 43،44] قوم شعيب، وهذا كله تسلية له بأن قومه إن كذبوه فهو ليس بأوحدي في ذلك فإن هؤلاء قد كذبوا أرسلهم قبل قومه ﴿وَكُذِّبَ مُوسَىٰ﴾ [الآية 44]

أي مع ظهور أمره وسطوع نوره، ولعله خُصّ في هذا الباب لأنه أول مَن أُعطي الكتاب ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [الآية 44] أي أمهلتهم ومتعتهم ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾ [الآية 44] وعاقبتهم ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [الآية 44] إنكاري عليهم بتغيير النعمة محنة والحياة هلاكاً وعقوبة والعمارة دماراً ونقمة.

﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا﴾ [الآية 45] بإهلاك أهلها، وقرأ البصري أهلكتها ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ [الآية 45] أي أهلكتها ﴿فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ [الآية 45] ساقطة حيطانها على سقوفها بأن تعطلت بنيانها فخرت سقوفها ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق سقوفها، أو خالية مع بقاء عروشها ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾ [الآية 45] أي وكم بئر عامرة في بواديها تُركت لا يسقى منها لهلاك أهلها ﴿وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ [الآية 45] مرفوع أو مجصص شديد خلّيناه عن ساكنيه في زمن مديد.

وأفاد الأستاذ: أن الظلم يوجب خراب أوطان الظالم فتخرب أولاً أوطان راحة الظالم وهو قلبه، فالوحشة التي هي غالبة على الظلمة من ضيق صدورهم وسوء أخلاقهم وفرط غيظهم على من يظلمون عليهم كل ذلك من خراب أوطان راحتهم وهي في الحقيقة من جملة العقوبات التي تلحقهم على ظلمهم. ويقال: خراب منازل الظلمة ربما يتأخر وربما يتعجل وخراب نفوسهم في تعطلها عن العبادات شؤم ظلمهم وخراب قلوبهم باستيلاء الغفلة
256/أ عليهم خصوصاً أوقات صلواتهم وأوان خلواتهم تعد ناجز غير مستأخر/. وقوله: ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾ [الآية 45] الإشارة فيه إلى العيون المتفجرة كانت في بواطنهم كانوا يستقون منها لاستبقاء حياة أوقاتهم من غلبة الإرادة وقوة المواجيد فإذا اتصفوا بظلمهم غلب شقاؤها وانقطع ماؤها بانسداد عيونها. وقوله: ﴿وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ [الآية 45] إشارة فيه إلى تعطل أسرارهم من الذكر والفكر والأنس والهيبة وخلو أرواحهم عن نوازل المحاب وسلطان الأشواق وصنوف المواجيد.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 46] حث لهم على أن يسافروا ليروا مصارع المهلكين فيعتبروا وهم وإن كانوا قد سافروا إلى هنالك لكن لم يسافروا لذلك أو

بعث لهم على أن يسيروا بقلوبهم فيتأملوا ما سمعوا أخبار المقدمين بأذاتهم لكن ينبغي أن لا يكونوا بوصف الغفلة في المعقول والمنقول ﴿فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾ [الآية 46] ما يجب أن يعقل من الاعتبار بما يحصل من الاستدلال والاستبصار ﴿أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ﴾ [الآية 46] ما يجب أن يسمع من الأخبار وما يتبعه من الآثار ﴿بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى﴾ [الآية 46] الضمير للقصة المقترنة بالغصة ﴿ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الآية 46] عن الاعتبار في الأمور، وفيه تنبيه على أن العمى الحقيقي ليس المتعارف الذي يمحص البصر بل الذي يمحص البصيرة. قيل لما نزلت: ﴿وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ [الإسراء: الآية 72]. قال ابن أم مكتوم: يا رسول الله أنا أعمى في الدنيا أفأكون أعمى في الآخرة، فنزلت[1]. وعنه ﷺ: «ليس الأعمى من يعمى بصره ولكن الأعمى من يعمى بصيرته»[2] كذا في الدر المنثور في تفسير المأثور. وعنه عليه السلام: «ما من عبد إلا ولقلبه عينان وهما غيب يدرك بهما الغيب فإذا أراد الله بعبد خيراً فتح عين قلبه ليرى ما هو غائب عن بصره» ذكره الغزالي في رسالة العلم اللدني. وقد قال ابن عباس:

إذا أَذْهَبَ الله عن عينيَّ نورهما ... ففي فؤادي وقلبي منهما نور

وقال سهل: البصيرة من نور بصر قلبه بقلب الهوى والشهوة فإذا عمي بصر القلب عما فيه غلبة الشهوة وتواترت الغفلة فعند ذلك يسير البدن/ 256/ ب متخبطاً في المعاصي غير منقاد للحق.

وقال الأستاذ: كانت لهم قلوب من حيث الخلقة فلما زايلها صفاتها المحمودة صارت كأنها لم تكن في الحقيقة. ثم إنه أخبر أن العمى عمى القلب وكذاك الصمم وإذا صح وصف القلوب بالسمع والبصر صح وصفها بسائر صفات الحي من وجوه الإدراكات فكما تبصر القلوب بنور العين تدرك نسيم الإقبال بمسام السر في الأحوال. وفي الخبر: «إني لأجد نفس ربكم

(1) تفسير القرطبي (12/ 77)، تفسير البيضاوي (1/ 130).
(2) جامع الأحاديث (18/ 243) رقم (19316)، وكنز العمال (1/ 243) رقم (8220).

من قبل اليمن»[1]، وقال خبراً عن يعقوب عليه السلام: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ [يوسف: الآية 94] وما كان ذاك إلا بإدراك السرائر دون اشتمام ريح في الظواهر.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾ [الآية 47] المتوعد به في هذا الباب لأنهم في مقام الحجاب ﴿وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ [الآية 47] المبين في الكتاب لامتناع الخلق في خبره وعد أو وعيد فيصيبهم ما أوعدهم به عذاباً شديداً ولو بعد حين من المهلة لأنه صبور ولا يعجل بالعقوبة فليس التأخير للعجز بل لاقتضاء الحكمة واقتفاء المشيئة.

وأفاد الأستاذ: إن عدم تصديقهم حملهم على استعجالهم ما توعدوا به، . قال تعالى: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ﴾ [الشورى: الآية 18] فلو آمنوا لصدقوا ولو صدقوا لسكنوا وحققوا ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الآية 47] وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بالغيبة، وهو بيان لتمادي عذابه وطول أيامه حقيقة أو من حيث إن أيام الشدائد مستطالة. وقيل: معناه أن يوماً عنده كألف سنة في الإمهال سواء لأنه قادر متى يشاء أخذهم لا يفوته شيء بالتأخير لهم فيستوي في قدرته وقوع ما يستعجلون به من العذاب وتأخره، وهذا معنى قول ابن عباس في رواية ابن عطاء كما في العالم.

واختاره الأستاذ فيما أفاد من أن الأيام عنده تتساوى إذ لا استعجال له في الأمور فسواء عنده يوم واحد وألف سنة ومن لا يَجري عليه الزمان وهو يُجري الزمان سواء عليه وجود الزمان وعدم الزمان وقلة الزمان وكثرة الزمان.

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾ [الآية 48] أي من أهلها ﴿أَمْلَيْتُ لَهَا﴾ [الآية 48] أمهلتها
كما أمهلتكم بعد/ استحقاق عقوبتكم ﴿وَهِىَ ظَالِمَةٌ﴾ [الآية 48] مثل حالتكم 257/أ

---

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (5/ 57) رقم (4661)، وأحمد في المسند (2/ 541) رقم (10991).

﴿ثُمَّ أَخَذْتُهَا﴾ [الآية 48] بالعذاب الشديد على الوجه اليسير ﴿وَإِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الآية 48] وإلى حكمي مرجع الجميع في الظاهر، والضمير فريق في الجنة وفريق في السعير.

وأفاد الأستاذ: أن الإمهال يكون من أدبه سبحانه دون الإهمال يدع الظالم في ظلمه حيناً من الأجل ويوسع له الحبل ويطيل به المهل فيتوسم أنه انفلت من قبضة القدير وذلك ظنه الذي أراده فيأخذه من حيث لا يرتقب فعله فيعلوه ندمه ولات حينه وكيف يستبقي بالحيلة ما حق في التقدير عدمه.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٤٩﴾ [الآية 49] أوضح لكم ما أنذركم به ولعل الاقتصار على الإنذار من باب الاكتفاء في الاعتبار أو لأن البشارة مرتبة على قبوله الإنذار بالتصديق والإقرار كما يفيده التقريع المتضمن للتوزيع بقوله: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ [الآية 50] لما بدَرَ لهم من الغفلة وندر لهم من المعصية وصدر عنهم من الزلة ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الآية 50] مثوبة عظيمة في الجنة لما قدموه من الطاعة.

وقال الأستاذ: يعني أشباهكم من حيث الصورة لكني أباينكم من حيث السريرة، فأنا لمحسنكم بشير ولمسيئكم نذير وقد أيدت بإقامة البرهان ما جئتكم به من وجوه الأمر بالطاعة والإحسان. والناس في المغفرة على أقسام، منهم من يستر زلته ومنهم من يستر عليه أعماله الصالحة صيانة له عن الملاحظة، ومنهم من يستر عليه حاله لئلا يصيبه من الشهوة فتنة تضره في مآله. وفي معناه قالوا:

لا تُنْكِرَنْ جحدي في هواكَ فإنما ذاك الجحود عليك ستر مسبل[1]

ومنهم من يستره بين أوليائه ويغمره بين أصفيائه بذلك ورد في الكتاب الإلٰهي: «أوليائي تحت قبابي لا يشهد أوليائي غيري»[2]. والرزق الكريم ما

(1) ذكره القشيري في تفسيره (5/ 208) و(7/ 467).
(2) سبق تخريجه.

يكون من الوجه الحلال، ويقال: ما يكون من حيث لا يحتسب ولا يخطر بالبال. ويقال: هو الذي يبدو من غير ارتقاب على يدي موفق في وقت الحاجة من كل باب. ويقال: هو ما يحمل المرزوق على صرفه في وجه القربة. ويقال: ما فيه البركة أو هو الذي يُنال من غير تعب ولا مشقة ولا/ 257/ب
تقلُّد منَّة من مخلوق قدر ذرة.

﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوۡاْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾ [الآية 51] في ردها وإبطالها مسارعين ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾ [الآية 51] مسابقين موافقين. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو معجزين أي مقدرين إعجاز المؤمنين أو متوهمين أنهم يفوتهم عذابنا المستبين ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [الآية 51] النار الموقدة التي تطلع على الأفئدة.

وقال الأستاذ: في الحال معجّل الوحشة وانسداد أبواب الرشد والهداية وتنغص العيش وتفطّر اللذة والابتلاء بمن لا يتعطف عليه إذا انعطف عليه ممن ليس خوف الله لديه وفي الآخرة والاستقبال ما سيلقون من أليم العقوبة على حسب الإجرام من الأعمال.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا﴾ [الآية 52] بعثنا ﴿مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ﴾ [الآية 52] وكان ابن عباس يقرأ: ولا محدّث، لكنه منسوخ ولعل وجهه أنه يفهم بالأولى كما لا يخفى والرسول أُمِرَ بتبليغ ما أوحي إليه والنبي غيره أو أعم منه ويدل على المغايرة بينهما ما صح عنه أنه عليه السلام سئل عن الأنبياء فقال: «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً. قيل: فكم الرُّسل منهم؟ فقال: ثلاثمائة وثلاثة عشر جماً غفيراً»[1] رواه أحمد وغيره ﴿إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾ [الآية 52] أي صور كل واحد منهما في نفسه ما يهواه ﴿أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾ [الآية 52] متمناه ومشتهاه ما يوجب انشغاله عن الله بالالتفات إلى ما سواه كما في حديث مسلم: «وإنه ليُغان على قلبي فأستغفر الله في اليوم سبعين مرة»[2] ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾

(1) أورده الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (2/ 388) رقم (822). وانظر تفسير الآلوسي (2/ 190) وتفسيرالنيسابوري (5/ 411).
(2) سبق تخريجه.

[الآية 52] فيُذهبه ويُبطله لعصمته عن الركون إليه وللإرشاد إلى ما يربحه لديه ﴿ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [الآية 52] يثبت آياته الداعية إلى الاستغراق في أمر العقبى والاشتياق إلى قرب المولى ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ [الآية 52] بأحوال عباده ﴿حَكِيمٌ﴾ [الآية 52] فيما دبره وقدّره من مراده، فقيل: حدّث نفسه بزوال المسكنة فنزلت. وقيل: تمنى لحرصه على إيمان قومه أن ينزل عليهم ما يقربهم إليه واستمر ذلك لديه حتى كان في تأديبهم، فنزلت عليه سورة والنجم فأخذ يقرأها فلما بلغ ﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾ [النّجْم: الآية 20] تكلم الشيطان في سكتة من سكتاته محاكياً صوته عليه السلام في حركاته وسكناته فقال: «تلك الغرانيق[1]/ العلى وإن شفاعتهن لترتجى»، والنبي ﷺ لم يشعر بنزغاته لكونه في استغراق حالاته، وفرح المشركون بها حتى شايعوه بالسجود ولما سجد في آخرها ثم نبهه جبريل عليه السلام بإلقاء الشيطان في أمنيته فاغتمّ به في الغاية فقوّاه الله تعالى وأمته بهذه الآية[2]، فالمعنى إلا إذا تمنى أي قرأ وتعين ألقى الشيطان في أمنيته أي في قراءته وأثناء تلاوته والحديث صحيح وليس مما يرده دليل صريح بل يشير إليه ويدل عليه قوله: ﴿لِّيَجْعَلَ﴾ [الآية 53] أي الله ﴿مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً﴾ [الآية 53] غلبة ومحنة ﴿لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [الآية 53] شك وشبهة ﴿وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ [الآية 53] من سائر الكفرة ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية 53] من الفريقين ﴿لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ [الآية 53] عن طريق سديد. 258/ أ

﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ﴾ [الآية 54] متلوٌّ أو تمكين الشيطان من ذلك ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ [الآية 54] النازل من عنده الصادر من إذنه ﴿فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ﴾ [الآية 54] بالقرآن أو بمنزله ﴿فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ﴾ [الآية 54] بالانقياد والوحشة عن عيوبهم ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الآية 54] لمثبتهم على الدين القويم.

(1) طيور الماء البيضاء. انظر لسان العرب (10/ 286).
(2) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (9/ 34) رقم (8316)، وانظر مجمع الزوائد (6/ 34) رقم (1950).

هذا وقد قال سهل: من قرأ وهو يلاحظ الحق فإنه يكون بريئاً مصوناً من إلقاء الشيطان أي لغفلته عن أن الرحمٰن علّم القرآن. وقال أيضاً: صدق الإيمان وحقيقته يورث الإخبات في القلب والخشوع في البدن وكثرة التفكُّر وطول الصمت وهذا من نتائج الإيمان لأن الله يقول: ﴿فَيُؤْمِنُوا بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ﴾ [الآية 54].

وأفاد الأستاذ: أن الشياطين يتعرضون للأنبياء عليهم السلام ولكن لا سلطان لهم ولا تأثير في أحوالهم وإنما من الشيطان ظهور التسويل والتخييل وليس به شيء من التضليل. وكان لنبينا ﷺ سكتات في خلال القراءات عند انقضاء الآيات فتلفظ الشيطان ببعض الكلمات فإن لم يكن له تحصيل من المعقول توهم أنه كان من ألفاظ الرسول وصار لقوم فتنة والذين أيدتهم قوة العصمة وأدركتهم العناية استبصروا فلم يضرهم لا في البداية ولا في النهاية
لأنه إذا أراد الله بعبد خيراً أيّده بنور التحقيق وأيّده بحسن العصمة/ وسر 258/ ب
التوفيق فيميز بحسن البصيرة وقوة التميز في الفكر بين الحق والباطل فلا يظلّه غمام الريبة ويتجلى عنه غطاء الغفلة، ولا تأثير لضباب الغداة أو الغبار في شعاع الشمس عند متفرع النهار، وهذا معنى قوله: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [الآية 54] الآية.

﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ﴾ [الآية 55] شك وشبهة ﴿مِّنْهُ﴾ [الآية 55] من القرآن وحجته أو الرسول وملّته أو من ما ألقى الشيطان في أمنيته يقولون ما باله ذكرها بخير ثم ارتدع عنه إلى غيره ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾ [الآية 55] القيامة الصغرى أو الكبرى ﴿بَغْتَةً﴾ [الآية 55] فجأة ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ [الآية 55] أي مهلك أليم في الدنيا أو العقبى.

﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ [الآية 56] أي يظهر حينئذ أنه لا شرك فيه لما سواه وكذا اليوم في نظر العارفين من أهل الانتباه ﴿يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ [الآية 56] بين الخلق بالحق ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [الآية 56] ولذات المقيم بموجب فضله.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾﴾ [الآية 57] وحجاب متين بمقتضى عدله.

وأفاد الأستاذ: أنه لم يتخصص ملكه سبحانه بيوم إلى عصر دون عصر ولم يتجدد له وقتئذ أمر ولا جلالة قدر ولكن الدعاوي في ذلك اليوم تنقطع والظنون والتجويزات تتلاشى وترتفع، فللمؤمنين من أرباب الوفاق نِعَم ومن الكفار وأصحاب الشقاق نقم، فهؤلاء لهم عذاب مهين وهؤلاء لهم فضل مبين.

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الآية 58] عن البلاء والعباد ﴿ثُمَّ قُتِلُوا﴾ [الآية 58] في الجهاد ﴿أَوْ مَاتُوا﴾ [الآية 58] على المهاد ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ [الآية 58] للأحياء في الدنيا وللأموات في الأخرى ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [الآية 58] فإن له الآخرة والأولى ورزقه هو خير وأبقى بل ولا رازق له أصلاً وقطعاً في نظر أهل التقى.

قال أبو عثمان: هو القناعة بما أعطى.

وقال ابن عطاء: ثقة بالله وتوكُّلاً عليه وانقطاعاً عن الخلق والتجاء إليه.

وأفاد الأستاذ: أن للقلوب حلاوة العرفان وللأرواح خلة المحاب وللأسرار دوام الشهود.

﴿لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا﴾ [الآية 59] وقرأ نافع بفتح الميم إدخالاً أو دخولاً ﴿يَرْضَوْنَهُ﴾ [الآية 59] أي يحبونه ويتمنونه ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ﴾ [الآية 59] بمبدئهم ومعادهم ﴿حَلِيمٌ﴾ [الآية 59]/ لا يعجل بعقوبة أهل عنادهم. 259/أ

وقال الأستاذ: أي إدخالاً فوق ما يتمنونه وإبقاء على الوصف الذي يهوونه، وذلك في أوان صحوهم من شعور البال لينالوا لطائف الأنس على وصف الكمال ويتمكنوا من قضايا البسط والسرور على أعلى الأحوال.

﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية 60] أي الأمر ذلك هنالك ﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ﴾ [الآية 60] أي جازى بمثل ما فعل به على وفق الشريعة ﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ﴾ [الآية 60] بالمعاودة إلى العقوبة ﴿لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ﴾ [الآية 60] أي لا محالة ولو

طالت المدة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ [الآية 60] فيه تنبيه للحث على العفو والمغفرة مع القدرة على النصرة.

وأفاد الأستاذ: أن نصره سبحانه للأولياء نصر عزيز وانتقام بتمام واستئصال بكمال وإرهاق الأعداء بتمحيق جملتهم عن الإنباء وأن لا يحتاج المنصور إلى احتيال ولا اعتضاد بأشكال.

﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية 61] النصر ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ [الآية 61] لسبب أن الله قادر على تغليب بعض الأمور على بعض وكما هو جار عادة على المداولة بين الأشياء المتعاندة ومن ذلك إيلاج أحد الزمانين في الآخر بأن يزيد فيه ما ينقص منه أو بتحصيل ظلمة الليل في مكان ضوء النهار وعكس ذلك بتغييب الشمس وإطلاعها هنالك ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ [الآية 61] بأقوال العباد ﴿بَصِيرٌ﴾ [الآية 61] بأعمالهم في البلاد.

وأفاد الأستاذ: أنه كما في أفق العالم ليل ونهار كذلك للسرائر ليل ونهار، فعند التجلي نهار وعند الستر ليل. وليالي السر ونهاره زيادة ونقصان وبمقدار القبض ليل وبمقدار البسط نهار، وقد يزيد أحدهما على الآخر وقد ينقص وهذا للعارفين. وأما الفقراء المحققون فلهم الأنس والهيبة مكان قبض قوم وبسطهم وذلك في حالتي صحوهم ومحوهم ويزيد أحدهما وينقص ومنهم من يدوم نهاره ولا يدخل عليه ليل وذلك لأهل الأنس فقط.

﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية 62] الوصف بكمال القدرة وقوة الغلبة ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ [الآية 62] الثابت ذاته وصفاته ومصنوعاته، وكما قيل: سوى الله والله ما في الوجود وليس في الدار غيره ديار[1] ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الآية 62] أي المعدوم في حد ذاته والهالك المضمحل في جميع حالاته ومراتب
259/ب اعتباراته، / كما قيل: «ألا كل شيء ما خلا الله باطل»[2]. وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر وأبو بكر بالخطاب إيماء إلى أنه يستوي الحاضر والغائب في هذا

(1) هذه أقوال بعض مشايخ الصوفية مستدلين بذلك ببعض الآيات والأقوال.
(2) سبق تخريجه.

الباب ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الآية 62] لا شيء أعلى منه شأناً ولا أكبر منه برهاناً.

وقال ابن عطاء: هو الحق فحقِّق حقيقته في سرك فلا ترجع منه إلى غيره ولو إلى نفسك فما سواه باطل وفي نظر العارف آفل وزائل.

وأفاد الأستاذ: أنه إذا بَدا أعلم من الحقائق حصل بمقداره شظية من الفناء لمن حصل له التجلي ثم يزيد ظهور ما يبدو ويغلب وتتناقض آثار التفرقة وتتلاشى. وقال عليه السلام: «إذا أقبل الليل من هٰهنا أدبر النهار من هٰهنا»[1] فإذا استوفى العبد بالكلية عن الإحساس بما دون الله فلا يشهد الأشياء أولاً إلا للحق ثم لا يشهدها إلا بالحق ثم لا يشهد إلا الحق فلا إحساس له بغير الحق ومن جملة نسيهِ نفسه والكون كله.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ [الآية 63] الاستفهام للتقرير ولذا رفع ﴿فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ [الآية 63] عطف على أنزل وعدل به عن صيغة الماضي أي المضارع المشترك بين الحال أو الاستقبال للدلالة على بقاء أثر المطر زماناً بعد زمان ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [الآية 63] يصل لطفه إلى ما جلّ وقلّ وعلمه بما بَطُنَ وظهر.

وأفاد الأستاذ: أن ماء السماء يحيي الأرض بعد موتها وماء الرحمة يحيي أحوال الزلة بعد ذبولها، وماء العناية يحيي أحوال المغاليس بعد زوال رونقها، وماء الوصلة يحيي أحوال القربة بعد نضوبها.

﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 64] ملكاً وملكاً ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾ [الآية 64] في ذاته عن كل شيء من مكوناته ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ [الآية 64] المستوجب للحمد بأفعاله وصفاته.

وأفاد الأستاذ: أن الملك له وهو عن الجميع غني فلا يستغني هو بملكه بل ملكه يصير موجوداً بخلقه إذ المعدوم له مقدور هو المملوك.

---

(1) سبق تخريجه.

ويقال: كما أنه غني عن الأجانب ومن أنبتهم في شواهد الأعداء فهو غني عن الأكابر وجميع الأولياء. ويقال: إذا كان الغني حميداً فالمعنى أنه يعطى حتى يشكر.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 65] من البهائم بأن جعلها
260/أ مذللة لكم معدة/ لمنافعكم ﴿وَٱلْفُلْكَ﴾ [الآية 65] عطف على ما ﴿تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ﴾ [الآية 65] حال منها ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ﴾ [الآية 65] أي يحفظها الله ﴿أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 65] أي من أن تسقط أو كراهة أن تقع عليها ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾ [الآية 65] بمشيئته ووقت إرادته ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الآية 65] حيث جعل لهم أسباب الاستدلال والاستبصار وفتح عليهم أبواب المنافع ودفع عنهم أصناف المضار.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أراد به تسخير الانتفاع بها فما للخلق به انتفاع وميسر في الاستمتاع به فهو كالمسخر له على معنى تمكنه منه ثم يراعي فيه الإذن فمن استمتع بشيء على وجه الإباحة والإذن له أو الدعاء إليه والأمر به فذلك إنعام وإكرام ومن كان بالعكس فمكر إليه واستدراج عليه، وأما السفينة كإلهام العبد باتخاذها ووجه الانتفاع بها بالحمل فيها وركوبها من أعظم إحسان الله ورأفته بالعباد، ثم ما يحصل بها من قطع المسافات البعيدة والتوصل فيها إلى المضارب النائية والتمكن من وجوه الانتفاع ففي ذلك أعظم نعمة وأفخم منحة. وجعل الأرض للخلق قراراً من غير أن تميد وجعل السماء بناءً من غير أن تقع وما جعل فيها من الكواكب التي يحصل بها الاهتداء في الظلام هي زينة السماء في نظر الأنام.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ﴾ [الآية 66] أي أوجدكم من العدم حيث خلق أباكم آدم ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ [الآية 66] في منتهى آجالكم ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [الآية 66] لجزاء أعمالكم على طبق أحوالكم ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ﴾ [الآية 66] لكثير الكفران بالإحسان حيث كفر بنعمة إيجاده وإمداده ولم يتهيأ بأهبة زاده لمعاده.

قال جنيد: أحياكم للمعرفة ثم يميتكم أوقات الغفلة ثم يحييكم بالجذبة

بعد الفترة ثم يقطعكم عن الوصلة ويوصلكم إلى الحقيقة، إن الإنسان لكفور يعد ما له وينسى ما عليه.

وأفاد الأستاذ: إن إحياء النفوس وإماتتها مرات محصورة أي كما هي مذكورة مسطورة وأحيا أوقات العباد وإماتتها لا حصر له ولا عد ولا حد، وفي معناه أنشدوا:

أموت إذا ذكرتك ثمّ أحيي فكم أحيي عليك وكم أموت(1)

ويقال: يحيي الآمال بإشهاد تفضله ثم يحييها بالاطلاع على تعززه.
ويقال: / هذا صفة العوام منهم فأما الأفاضل وخواصهم فحياتهم مسرمدة 260/ب
وانتعاشهم مؤبدة وأنى يجوز غيره وفي وجوده سبحانه غنية وخلف عن كل فائتة.

﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ﴾ [الآية 67] طائفة من أهل ديانة ﴿جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ [الآية 67] متعبداً أو شريعة تعبدوا بها وكلفوا بالقيام لأمرها ﴿هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ [الآية 67] أي ينسكوه ولا محالة عالموه فسبحان من أقام العباد فيما أراد ﴿فَلَا يُنَازِعُنَّكَ﴾ [الآية 67] سائر أرباب الملل ﴿فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [الآية 67] أي أمر الدين المبني على اليقين أو أمر النسائك وأهل الذبائح لأنهم بين جهال وأهل عناد أو لأن أمر دينك أشهر من أن يقبل نزاع وفساد ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ [الآية 67] توحيده وعبادته وتفريده ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الآية 67] طريق سوي قوي قويم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه جعل لكل فرقة شريعة هم واردوها ولكل جماعة طريقة هم سالكوها ومقاماتهم سكانه ومحلاتهم قطانه، ربط كلاً بما أهّله له وأوصله كلاً إلى ما جعله محله فبساط التعبُّد موطوء بأقدام العابدين ومشاهد الاجتهاد مغمورة بأصحاب الكلف من المجتهدين، ومجاهد أصحاب المعارف مأنوسة بلزوم العارفين ومنازل المحبوبين مأهولة بحضور الواجدين ﴿فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [الآية 67] أشهر تصاريف الأقدار وأعمل بموجب التكليف في هذه الدار وانتبه دون ما أذنت له من المناهل في طرق هذا الأسفار.

(1) ذكره القشيري في تفسيره (5/ 221).

﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ﴾ [الآية 68] وقد تبينت الحجة وظهرت المحجة ﴿فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الآية 68] من المجادلة الباطلة والمحاولة الماحضة فيجازيكم عليها ويخرجكم لديها حيث وكلكم إليها.

وقال الأستاذ: وكّلهم إلينا عندما راموا من الجدال ولا تتكل على ما تختاره من الاحتيال واحذر جنوح قلبك إلى الاستعانة بالأمثال والأشكال فإنهم قوالب خاوية وأشباح عن المعاني خالية.

﴿ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ [الآية 69] يفصل ما بين مؤمنكم وكافركم بالمثوبة والعقوبة ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الآية 69] كما فصل في الدنيا بوضوح الحجة وظهور المحجة ﴿فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [الآية 69] من أمر الديانة.

وقال الأستاذ: أما الأجانب فيقول لهم: ﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾
261/أ [الإسراء: الآية 14]، وأما الأولياء / فقوم منهم يحاسبهم حساباً يسيراً، وأما أقوام مخصصون فيقول لهم: بيني وبينك حساب فلا جبريل يحكم بينكم ولا ميكائيل ولا نبي مرسل ولا ملك مقرّب إنما الله يحكم بينكم فيسأل واحداً من خصمائه ويأمر بإرضاء جميع غرمائه.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 70] فلا يخفى عليه شيء من العلويات والسفليات والمعلنات والمخفيات ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ [الآية 70] أي بيان إحاطة علمه ﴿فِى كِتَٰبٍ﴾ [الآية 70] هو اللوح كتبه فيه قبل حدوثه من كل باب ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الآية 70] وإن كان على غيره عسير لأنه علمه مقتضى ذاته متعلق بكل معلوماته على سواء في مراتب تعيناته.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يعلم السر والنجوى وما يكون حاجة العبد به أمس وأقوى وبكل وجه هو بالعبد أولى وله أن يحمل له النعمى ويرحل عنه البلوى أو ينزل به البلوى ولا يسمع منه الشكوى فله الحكم تبارك وتعالى.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ [الآية 71] حجة وبرهاناً، يجيز لهم عبادة غيره من طريقة النقل ﴿وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الآية 71] دلالة تحصل من ضرورة الفعل ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [الآية 71] يدفع عنهم عذاب السعير.

وأفاد الأستاذ: أن الآية تشير إلى أن من كانت من جملة خواصه أفرده ببرهان وأيده بتبيان وأعزّه بسلطان ومن لا سلطان له يؤثر عنه قهره ولا برهان له يبسط عنه على غيره نوره فهو بمعزل عن جملته.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا﴾ [الآية 72] من القرآن ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾ [الآية 72] حال كونها واضحات الدلالة على العقائد الخفية والأحكام الإلٰهية ﴿تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ﴾ [الآية 72] أي آثار الإنكار وغبار أكدار الأغيار فإن وجوه الإظهار عنوان الأسرار ﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ﴾ [الآية 72] يثبون ويبطشون ﴿بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾ [الآية 72] لفرط إنكارهم وغيظ أسرارهم ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم﴾ [الآية 72] أي أتسمعون فأخبركم ﴿بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ﴾ [الآية 72] وهو غيظكم على القالين وسطوكم على القارين ﴿ٱلنَّارُ﴾ [الآية 72] أي هو النار ﴿وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الآية 72] في دار القرار ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الآية 72] دار البوار.

وأفاد الأستاذ: أن المنكر لسماع الخطاب أثر في قلوب من الاستبشار والبهجة والانكسار/ والوحشة ثم ما يخامر السرائر يلوم على الأسرة في 261/ب
الظواهر وكانت الآيات عند نزولها إذا تليت على الكفار يلوح على وجوههم دخان ما ينطوي عليه قلوبهم من ظلمات التكذيب والإنكار، فما كان يقع عليهم طرف الإنباء عن شهودهم وعادت إلى القلوب النبوة من طلوعهم ثم أخبر أن الذين هم بصدده في الآخرة من أليم العقوبة شر بكل وجه لهم ولما يعود إلى الذين لهم عند شهودهم والمناظر الوضيئة للرائين مبهجة والمناظر المنكرة للرائين إليها موحشة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ﴾ [الآية 73] بيّن لكم حالة مستغربة أو قصة معجبة أو جعل له تعالى مثل، أي في استحقاق العبادة مثل أو ضرب لكم ولغيري من معبودكم مثل يحمل ﴿فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ﴾ [الآية 73] أي لسياق المثل أو لشأن هذا المثل المجمل ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 73] يعني الأصنام وفي معناه جميع ما سواه ﴿لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا﴾ [الآية 73] لن يقدروا على خلقه مع صغره فصلاً وباباً. وقيل له الذباب لأنه كلما ذب آب ﴿وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟

لَهُۥ﴾ [الآية 73] لا يقدرون على خلقه مجتمعين متعاونين فكيف إذا كانوا منفردين متخالفين ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ﴾ [الآية 73] لا يستخلصوه من فمه ولهم على غاية جمعهم ونهاية جهلهم حيث أشركوا بإله قادر على كل المقدورات ومتفرِّد بإيجاد جميع الموجودات تمثيل هي أعجز الأشياء في محلها حيث لا يقدر على خلق أقل الأحياء وأذلها بل تعجز عن ذبه عن نفسها واستنقاذ ما يختطفه من عندها، فقد قيل: كانوا يطلونها بالطيب والزعفران والعسل ونحوها ويغلقون الأبواب عليها فيدخل الذباب ويلحسها ويقعد فوقها وينجسها ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ [الآية 73] عابد الصنم ومعبوده، أو الصنم والذباب، بل الصنم أضعف بدرجات من الذباب في جميع الأبواب. وقال ابن عطاء: ولهم بهذا على مقاديرهم فمن كان أشد هيبة وأعظم سلطة لا يمكنه الاحتراز من أهون الخلق وأضعفهم ليعلم بذلك عجزه وضعفه وعبوديته وذلته ولئلا يفتخر على أبناء جنسه
262/أ من بني آدم بما يملكه من المال وغيره/ ضعف الطالب أن تدركه والمطلوب أن تفوته.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه نبّه الأفكار المشتتة والخواطر المتفرقة على الاستجماع لسماع ما أراد تضمينها فيها فاستحضرها فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ﴾ [الآية 73]، ثم بيَّن المعنى لذلك المبنى فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 73]الله، أي تدعونه آلهة ﴿لَن يَخْلُقُوا۟﴾ [الآية 73] بأجمعهم ﴿ذُبَابًا﴾ [الآية 73] ولا دون ذلك ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا﴾ [الآية 73] بأن يقع على طعام لهم فليس في وسعهم استنقاذ ذاك من الذباب ومن كان بهذه الصفة فساء مثلهم وضعف وصفهم وقل خطرهم. ويقال: إن الذي يقاوم ذباباً ويصير به مغلوباً قاهر بقدره وأربح بمقداره.

﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الآية 74] ما عرفوه حق معرفته وما عظموه حق عظمته حيث أشركوا به وسموا باسمه ما هو من أبعد الأشياء عنه مناسبة في وصفه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ﴾ [الآية 74] قادر على خلق الممكنات بأسرها ﴿عَزِيزٌ﴾ [الآية 74] غالب على الأشياء كلها وما يدعونه من دونه عجزه مغلوبة عن أقلها مقهورة من أذلها.

وقال الواسطي: لا يعرف قدر الحق إلا الحق وكيف يقدر قدره أحمد وقد عجز عن معرفة قدرة الوسائط من الرسل والأولياء والصديقين والأصفياء ومعرفة قدره أن لا تلتفت منه إلى غيره ولا تغفل عن ذكره وشكره ولا تذهل عن فكره ولا تفتر عن طاعته ولا تمل عن عادته وإذ ذاك عرفت أمر ظاهره. وأما حقيقة قدره فلا يقدر قدره إلا هو.

وقال الأستاذ: يقال ما عرفوه حق معرفته ولا وصفوه بجلال ما يستحقه من نعته ومن لم يكن له نقص قلب في العقيدة من المستحيلات في وصفه سبحانه لم يباشر خلاصة التوحيد سره فهو على تزاحم فكر وتجويز ظن وخطر نفس في كل وهدة من الضلالة. ويقال: العوام اجتهادهم في رفضهم الأعمال الخبيثة خوفاً من العقوبة الأبدية، والخواص جهدهم في نقضهم العقيدة من الأوصاف التي تخل عنها الصمدية، فبينهما فرقان بعيدان ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ﴾ [الآية 74] لقادر على أن يخلق/ من هو فوقهم في التحصيل وكمال المعقول، ﴿عَزِيزٌ﴾ [الآية 74] 262/ب
لا يقدر قدره أحد إلا بما يليق بصفة البشر بقدر من العرفان المقدر. ويقال: من وجد السبيل إليه فليس العز له إلا بوصف القصور ولكن كل بوجده مربوط وبحده في كمية قدره موقوف ومضبوط والحق سبحانه ﴿عَزِيزٌ﴾ [الآية 74] أي بديع ومنيع.

﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ [الآية 75] جبريل وميكائيل ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الآية 75] كالحبيب والخليل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ [الآية 75] لأقوالهم ﴿بَصِيرٌ﴾ [الآية 75] بأحوالهم.

وأفاد الأستاذ: إن الاجتباء والاصطفاء من الله سبحانه بإثبات القدر وتخصيص الطول أي الفضل في المراتب والتقديم في أشكالهم في المناقب والمواهب، ثم بعضهم فوق بعض في الدرجات فالفضيلة لحق الرسل لا لخصوصية الخلقة في الرسل.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [الآية 76] ما وقع بهم وما سيقع لهم ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الآية 76] لأنه مالكها بالذات ومتصرفها في الكائنات.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يعلم حالهم ومآلهم وظاهرهم وباطنهم ويومهم وغدهم ونقضهم وعهدهم وإليه منقلبهم وفي قبضه تقلُّبهم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ﴾ [الآية 77] أي صلُّوا، وعبر عن الصلاة بهما لأنهما أعظم أركانها ﴿وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ﴾ [الآية 77] بسائر ما تعبدكم به من الصوم والزكاة والحج وغيرها ﴿وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ﴾ [الآية 77] أي الخيرات والمبرات من نوافل الطاعات ومكارم الحالات ونحوها ﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الآية 77] تظفرون بالمرادات من الدرجات العاليات وأمثالها. والمعنى افعلوا هذه كلها وأنتم راجون الفلاح غير واثقين على ما بكم من الصلاح.

وأفاد الأستاذ: أن الركوع والسجود والعبادة كلها بمعنى الصلاة لأن الصلاة تشتمل على هذه الأفعال جميعها ولكن فرقها في الذكر مراعاة لقلبك من الخوف عند الأمر بالصلاة والقيام بها فقسمها لتكون مع كل لفظة ومعنى نوع من التخفيف والترفيه، والقلوب أهل المعرفة في كل لفظة راحة جديدة. ويقال: لوَّن عليهم العبادة وأمرهم بها ثم جمعها عبادة واحدة ووعد عليها من الثواب الكثير ما يقصر عن علمه البصائر. ويقال: علم أن الأحباب يسمعون
263/ أ كلامه/ فطول عليهم القول إلى آخر الآية ليزدادوا بسماع ذلك أنساً على أنس وروحاً على روح ومعاد خطاب الأحباب هو روح روحهم.

﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ﴾ [الآية 78] أي لدينه أو سبيله ﴿حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ [الآية 78] وقد ورد أنه عليه السلام حين رجع من غزوة تبوك قال: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر»(1) كما رواه الشعبي.

وفي «تفسير السلمي»: المجاهدة مع النفس حملها على اتباع ما أمر به واجتناب ما نهى عنه.

وأفاد الأستاذ: إن حق الجهاد ما يوافق الأمر في القدر والوقت

---

(1) أخرجه البيهقي في الزهد الكبير (1/ 388) رقم (384) وانظر جامع الأحاديث (15/ 139) رقم (15164).

والنوع، فإذا حصل في شيء منه مخالفة فليس حق جهاده. ويقال: مجاهدة بالنفس ومجاهدة بالقلب ومجاهدة بالمال، فالمجاهدة بالنفس هي أن لا تدخر ميسوراً إلا بدلالته في طاعاته بتحمُّل المشاق وأن لا تطلب الرخص والإرفاق والمجاهدة بالقلب صونه عن الخواطر الرديئة مثل الغفلة والقوم على المخالفة وتذكر ما سلف لك في أيام الفترة والبطالة، والمجاهدة بالمال بالبذل والسخاء ثم بالجود والإيثار. ويقال: حق الجهاد الأخذ بالأشق وتقدير الأوثق على الأسهل الأرفق وإن كان في الأحق أيضاً نوع من الحق. ويقال: حق الجهاد أن لا يفتر عن مجاهدة النفس لحظة كما قال قائلهم:

يا رب إن جهادي غير منقطع   فكل أرض لي ثغر طرسوس[1]

﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ﴾ [الآية 78] اختاركم لدينه وهداكم لنصر نبيه ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الآية 78] أي ضيق بتكليف ما يشق عليكم القيام به. ففيه تنبيه على أنه لا مانع ولا دافع لهم عن تركه.

وأفاد الأستاذ: أن من حق اجتنابه إياكم أن تعظموا أمر مولاكم. ويقال: هو الذي اجتباكم ولولا أنه اجتباكم لما جاهدتم في مخالفة هواكم فلا اختياره إياك وفقك حتى جاهدت في مرضاة مولاك. ويقال: علم ما كنت تفعله. قيل أن خلقك فلم يمنعك من أن يجتبيك فكذلك وإن رأى ما فعلت فلا يمنعه أن يتجاوز عنك ولا يعاقبك ثم الشرع مبناه على السهولة بناء على امتنانه والذي به/ يصل 263/ ب
العبد إلى رضوانه ويستوجب جزيل فضله وإحسانه ويتخلص من أليم عقابه وامتحانه بيسير من الأمر لا يستغرق كنه إمكانك على معنى أنك إن أردت فعله لقدرت عليه وإن لم توصف في الحال ما بك مستطيع ما ليس بموجود فيك.

﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الآية 78] أي الزموها واختصوا بها، والخطاب للعرب أصالة ولغيرهم تبعية وكان أكثرهم من ذرية إبراهيم عليه السلام والتحية والمراد بها صرف التوحيد ومحض التمجيد والاعتماد على الحق في مقام التفريد

---

(1) ذكره القشيري في تفسيره (3/ 95) و(5/ 233).

حيث الالتقاء إلى السوى حتى قال لجبريل: أما إليك فلا[1].

قال ابن عطاء: أي السخاء والبذل وإطلاق الخروج من النفس والأهل والولد.

وقال الأستاذ: اتبعوا ملة أبيكم إبراهيم عليه السلام في البذل والسخاء والجود والخلة والإحسان والإنعام.

﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ [الآية 78] أي قبل نزول القرآن في الكتب المتقدمة ﴿وَفِي هَٰذَا﴾ [الآية 78] أي وفي هذا القرآن المعظم الشأن في المرتبة ﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ﴾ [الآية 78] اللام للعاقبة ﴿شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ [الآية 78] لإطاعة من أطاع فيكم وعصيان من عصى منكم ﴿وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [الآية 78] بتبليغ رسله إليهم ما يجب عليهم ﴿فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [الآية 78] فتقربوا إلى الله بأنواع من الطاعات من العبادة البدنية والمالية فإنهما أم العبادات ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ [الآية 78] اعتمدوا على الله ولا تلتفتوا إلى ما سواه.

وقال الثوري: الاعتصام بالله للخواص وهو خلق القلب والسر عما يشغله عنه والاشتغال لمراقبته والإقبال عليه والالتجاء إليه والاعتصام بحبل الله للخواص والعوام، قال الله عز وجل: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ [آل عِمرَان: الآية 103] وهو التمسك بالأوامر على السنن.

وقال ابن عطاء: الاعتصام هو رؤية العجز والثقة بالقوى والرجوع إليه والاعتماد عليه وأفاد الأستاذ: أن الاعتصام بالله بالتبري من الحول والقوة والنهوض لعباد الله بالله لله. ويقال: الاعتصام بالله التمسك بالكتاب والسنَّة. ويقال: حسن الاستعانة بدوام الاستغاثة، ﴿هُوَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ [الآية 78] ناصركم ومتولي أمركم ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الآية 78] أي هو إذ لا مثل له في الولاية والنصرة بل ولا مولى ولا نصير سواه في الحقيقة.

قال الإمام جعفر:/ نعم المعين لمن استعان به، نعم النصير لمن استنصر به. 264/ أ

(1) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (2/ 28) رقم (1077) و(2/ 104) رقم (1293).

وفي «تفسير السلمي»: أي وهو الذي يعينكم إن أقبلتم على الاعتصام بتوفيق نعت الإتمام.

وقال الأستاذ: هو مولاكم وناصركم الذي لا خلف عنه لكم فنعم المولى إخبار عن عظمته ونعم النصير إخبار عن رحمته. ويقال: المولى بدأك بالمحبة قبل أن أجبته وقبل أن عرفته أو طلبته أو عبدته، ونعم النصير إذا انصرف عنك جميع من لك فلا يدخل أحد معك لا عند السؤال ولا على الصراط من ينفعك.

سورة المؤمنون

[مكيّة]

وهي مائة وتسع عشرة آية(1)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

باسمه يطيب المساء والصباح، وبيمنه يحصل الفلاح والنجاح، وببركته يرتفع البلاء والجناح.

وأفاد الأستاذ: أن مَن عرف بسم الله سمت همته عن المرسومات ومن أحب بسم الله صفت حالته من مساكنة الموهومات. اسم مَن طلبه نسي من الدارين أربه ومن عرفه وجد بقلبه ما لا يعرف سببه.

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 1] أي فازوا بإيمانهم وعقائدهم وظفروا بأمانيهم ومقاصدهم. ومجمله أنهم فازوا بمطلوبهم وظفروا بمرغوبهم وهو إنباء وإنشاء. وقال بعضهم: المؤمن من يكون أميناً على سره أميناً على جوارحه.

وقال أبو بكر بن طاهر: مَن يكون في نفسه في أمن والخلق منه في أمن.

وقال الأستاذ: ظفر بالبقية وفاز بالطلبة من آمن بالله، والفلاح الفوز بالمطلوب والظفر بالمقصود والمحبوب، والإيمان ابتسام الحق في السريرة من الخلق.

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢﴾ [الآية 2] خاضعون متذلّلون متواضعون مراعون مشاهدهم ملزمون أبصارهم مساجدهم، وقد صح أنه عليه السلام كان

(1) كذا في الأصل المخطوط.

يصلي رافعاً بصره إلى السماء فلما نزلت رمى ببصره نحو مسجده[1]، أي على وجه الحياء. ورأى رجلاً يعبث بلحيته فقال: لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه[2].

وأفاد الأستاذ: أن الخشوع في الصلاة إطراق السريرة على بساط النجوى باستكمال نعت الهيبة والذوبان تحت سلطان الكشف والامتحان عند غلبات التجلي. ويقال: أدرك ثمرات القرب وفاز بكمال الأنس من وقف على بساط / النجوى بنعت الهيبة ومراعاة أدب الحضرة، ولا يكمل الأنس بلقاء 264/ ب
الحبيب إلا عند فقد الرقيب، وأشد الرقباء وأكثرهم تنقيصاً لأوان القرب النفس، ولا راحة للمصلي مع حضور نفسه فإذا خنس نفسه عنه وشاهده عدم إحساسه بآفة نفسه طاب له العيش في حال نفسه وتمت له النعمى وتعجلت له البشرى ووجد لذة الحياة في الدنيا والعقبى.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ﴾ [الآية 3] عما لا يعنيهم من قول أو فعل ومما لا يعنيهم من تصور أمر وخطور فكر ﴿مُعۡرِضُونَ﴾ [الآية 3] لما بهم من الجد ما شغلهم عنه ومنعهم منه.

قال ابن عطاء: كل ما سوى الله فهو لغو عند أهل الانتباه.

وأفاد الأستاذ: أن ما يشغل عن الله فهو لغو وما فيه حظ للعبد فهو لغو وما هو غير الحق سبحانه فهو كفر والتعريج على شيء من هذا بُعد وهجر.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ﴾ [الآية 4] أي لأدائها بإعطائها ﴿فَٰعِلُونَ﴾ [الآية 4] لا غافلون فهم جامعون بين العبادات البدنية والطاعات المالية.

وأفاد الأستاذ: أن الزكاة النماء ومن علمه للنماء فأمارة ذلك أن يكون بنقصانه في نفسه عن شواهده ولا يبلغ العبد إلى كمال الوصف في العبودية إلا بذوبانه عند مشاهدة آثار الربوبية.

---

(1) الكشاف (4/ 321)، وتفسير البيضاوي (1/ 146).
(2) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (2/ 86) رقم (6787).

﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥﴾ [الآية 5] لا يبذلونها في جميع حالاتهم ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ﴾ [الآية 6] زوجاتهم أو سرياتهم ﴿فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ﴾ [الآية 6] أي حينئذ على متابعة شهواتهم ولهواتهم.

وقال الأستاذ: يعني بابتغاء نسل يقوم بحق الله في فرع أو أصل. ويقال: إذا كان مقصوده التعفف عن اللوم والتصاون عن مخوفات الإثم.

﴿فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾ [الآية 7] المستثنى من اللواطة والزنا والاستمناء بيده على طريق الهوى ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ﴾ [الآية 7] الكاملون في العدوان والتجاوز بالحد في الطغيان.

وقال الأستاذ: إن من جاوز قصد إيثار الحقوق وجنح إلى جانب استيفاء الحظوظ فقد تعدى محل الأكابر وخالف طريقهم في الباطن والظاهر.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ﴾ [الآية 8] وقرأ ابن كثير لأمانتهم ﴿وَعَهۡدِهِمۡ﴾ [الآية 8] أي لما يؤتمنون عليه ويعاهدون من جهة الحق أو الخلق إليه ﴿رَٰعُونَ﴾ [الآية 8] مراعون لإصلاحها/ قائمون بحفظها. 265/ أ

وأفاد الأستاذ: إن الأمانات مختلفة فقوم الأمانة عندهم الوظائف بظواهرهم وآخرون الأمانة عندهم اللطائف في سرائرهم، ولقوم معاملاتهم ولآخرين منازلاتهم ولآخرين مواصلاتهم وكذلك عهودهم متفاوتة فمنهم من عاهده في أن لا يعبد سواه ومنهم من عاهده أن لا يقصد سواه ومنهم من عاهده أن لا يشهد في الكونين [سواه].

﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ﴾ [الآية 9] وقرأ حمزة والكسائي على صلاتهم ﴿يُحَافِظُونَ﴾ [الآية 9] يواظبون على أدائها ويداومون على شرائطها وأركانها، وأما الخشوع والخضوع فمن باب مراعاة واجباتها وسننها، وفي تصدير الأوصاف وختمها بالصلاة إيماء إلى تعظيم شأنها.

قال ابن عطاء: المحافظة عليها هو حفظ السر فيها مع الله وهو أن لا يختلج فيها شيء سواه.

وقال الأستاذ: لا تصادفهم الأوقات وهم غير مستعدين لحضور الجناب ولا يدعوهم المنادي وليسوا واقفين بالباب فهم في الصف الأول بظواهرهم وكذلك في الصف الأول بسرائرهم.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ [الآية 10] الجامعون لهذه الصفات ﴿هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ﴾ [الآية 10] أي الدرجات العاليات.

﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ﴾ [الآية 11] بوصف الإرث ونعت لسبب الإيمان في الأصل ثم الطاعات في الفصل وفي استحقاق الإرث في مقدار السهام بالفرض والتعصيب كذلك في الطاعات، فمنهم ومنهم أي على حسب الترتيب ووفق التهذيب، فهم في الفردوس بنفوسهم وفي الأحوال اللطيفة بقلوبهم ثم ﴿هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الآية 11] بأجمعهم لا يبرحون عن منازل نفوسهم ولا يخلون عن أحوال قلوبهم.

﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ﴾ [الآية 12] أي خلاصة سلت وأخرجت من بين الكدر وأظهر لنظر العبر ﴿مِّن طِينٖ﴾ [الآية 12] من ماء وتراب صار طيناً ثم تحجر، والمراد به آدم أو جنس البشر فإنهم خُلقوا من سلالات في أطوار جُعلت نطفاً بعد أدوار.

﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ﴾ [الآية 13] صيّرنا نسله ﴿نُطۡفَةٗ﴾ [الآية 13] بأن خلقنا منها أصله ﴿فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ﴾ [الآية 13] مستقر حصين وهو الرحم للجنين.

وقال الأستاذ: عرّفهم بأصلهم لئلا يعجبوا بفعلهم ولا يغلطوا في نفوسهم. ويقال: عرّفهم نسبتهم لئلا يخرجوا عن رتبتهم. ويقال: خلقهم من سلالة سلت من كل/ بقعة، فمن طينة حر ومن طينة سخنة ومن سهل ومن وعر ولذلك اختلفت 265/ ب
أخلاقهم أي خُلقهم وخَلْقهم. ويقال: بسط عذرهم عند الكافة فإن المخلوق من سلالة ما الذي ينتظر منه أي في الحالة. ويقال: خلقهم من سلالة والقدر للتربية لا للتربة. ويقال: سلالة ولكن معدن المعرفة ومنبع المحبة ومربع القربة ومتعلق العناية ومستحق الرعاية ومن لهم قال: ﴿يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المَائدة: الآية 54]. ويقال: خلقه ثم مال إلى حال نقله ودوام تغييره وبما شاء حوله.

﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ﴾ [الآية 14] وهي بيضاء ﴿عَلَقَةً﴾ [الآية 14] هي حمراء ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ [الآية 14] فصيرناها كأنها قطعة لحم ممضوغة ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا﴾ [الآية 14] بأن حوّلناها وصلّبناها ﴿فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا﴾ [الآية 14] أي مما أنبتنا عليها مما يصل إليها، وجمع العظام لاختلافها في الهيئة والصلابة بحسب المرام في المقام. وقرأ ابن عامر وأبو بكر على التوحيد فيهما اكتفاء باسم الجمع منهما.

وقال الأستاذ: أجزاؤها متماثلة وأبعاضها متشاكلة ثم جعل بعضها لحماً وبعضها عظماً وبعضها شعراً وبعضها ظفراً وبعضها عصباً وبعضها جلداً وبعضها مخاً وبعضها عرقاً ثم حصر كل عضو بهيئة مخصوصة وكل جزء بكيفية معلومة ثم الصفات التي للإنسان خلقها متفاوتة من السمع والبصر والعلم والقدرة والإرادة والشجاعة والغضب والحقد والحرد والأوصاف الكثيرة التي يتقاصر عنه الحصر والعد ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ [الآية 14] هو صورة البدن وقوة القوى بنفخ الروح فيه.

وقال الأستاذ: في التفاسير إن صورة الوجه يحتمل ما يركب فيه من الحياة ويخص به من العقل والتمييز، وتفرد بعضهم منهم بمزايا في الإلهام العام لكل الأنام. ويقال: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ [الآية 14] وهو أن هيأهم لأحوال عزيزة يظهرها عليهم بعد بلوغهم إذا حصل لهم كمال التمييز من فنون الأحوال، فلقوم تخصيص بزينة العبودية ولقوم تحرُّز من رق البشرية ولآخرين تحقق بالصفات الصمدية بامتحائهم عن الإحساس مما هم عليها وبها من الأحوال التي هي أوصاف الإنسانية ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ﴾ [الآية 14] تعالى شأنه في قدرته
266/أ وتعاظم برهانه في حكمته ﴿أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [الآية 14]/ المقدرين من المصورين حيث جعل الإنسان عالماً أكبر وخلق غيره بمجموعه عالماً أصغر كما يشير إليه الحديث القدسي والكلام الأنسي: «لا يسعني أرضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن»[1] أي بذاتي وأسمائي.

(1) سبق تخريجه.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه خلق السموات والأرضين بجملتها والعرش والكرسي مع الجنة والنار بكليتهما ولم يعقبهما بهذا التمدح الذي ذكر بعد نعت خلقه بني آدم تخصيصاً لهم وتمييزاً وتفخيماً وإفراداً لهم من بين المخلوقات تكريماً وتعظيماً. ويقال: إن لم يصرح لك بأنك أحسن المخلوقات في هذه الآية فلقد قال: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤﴾ [التِّين: الآية 4] في الآية الآتية. ويقال: ثناؤه على نفسه وتمدُّحه لديك أعز وأجلّ من أن يثني عليك. ويقال: لما ذكر أصناف نعمتك وتارات حالاتك في ابتداء خلقتك ولم يكن منك لسان شكر ينطق ولا بيان مدح ينطلق ناب عنك في الثناء على نفسه فقال: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [الآية 14]، ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝١٥﴾ [الآية 15] لصائرون إلى الموت وسائرون فاغتنموا حياتكم في صرفها إلى الطاعة قبل أن تلقوا مماتكم ولم تجدوا الاستطاعة.

قال بعضهم: من مات في الدنيا خرج إلى حياة العقبى ومن مات في الأخرى خرج منها إلى الحياة الأصلية وهو البقاء مع المولى.

وأفاد الأستاذ: أنه من الإنشاد:

حياتنا عندنا قروض والموت من بعد في التقاضي
لا بد من رد ما اقترضنا كل غريم بذاك راضي[1]

ويقال: نعاك إلى نفسك بقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝١٥﴾ [الآية 15] وكل ما هو آت فقريب. ويقال: كسر على أهل الغفلة سطوة غفلتهم وقل دونهم قوة صولتهم بقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝١٥﴾ [الآية 15] وللجماد مضاهون وعن المكنة والقدرة والقوة لمبعدون وفي عداد ما لا خطر له من الموات معدودون.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ۝١٦﴾ [الآية 16] تُحشرون للمجازات والمحاسبة.

(1) ذكره القشيري في تفسيره (5/ 244).

قال الأستاذ: فعند ذلك يفضل الحساب والعتاب والثواب والعقاب ويتبين المقبول من المردود والموصول من المهجور والمبعود. ويوم القيامة يوم خوّف به العالم حتى لو قيل للقيامة: مما تخافين، لقالت: من القيامة.
266/ ب وفي القيامة/ ترى الناس سكارى حيارى لا يعرفون أحوالهم ولا يتحققون بما يؤول إليه أمرهم وآمالهم إلا أن يتبين لكل واحد أمر خيره وشره، يثقل بالخيرات ميزانه أو خف عن الطاعات ديوانه وما بين الموت والقيامة فإما راحات متصلة وإما آفات غير منفصلة.

﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعَ طَرَآئِقَ﴾ [الآية 17] سبع سموات طباقاً بينهما مطابقة لأنها طوارق بعضها فوق بعض مصادقة النقل فكل ما فوقه مثله فهو طريقه أو لأنها طرق الملائكة ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلۡخَلۡقِ﴾ [الآية 17] الذي هي السموات أو جميع المخلوقات ﴿غَٰفِلِينَ﴾ [الآية 17] مهملين أمرها بل نحفظها عن الزوال في سيرها والاختلال في أثرها حتى تبلغ منتهى ما قدر لها من كمالها وزوالها وفنائها وبقائها حسبما اقتضته الحكمة وتعلقت به المشيئة.

﴿وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٖ﴾ [الآية 18] بتقدير يكثر نفعه ويقلّ ضره أو بمقدار مراتب حالهم كما علمنا من صلاح مآلهم ﴿فَأَسۡكَنَّٰهُ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ [الآية 18] جعلناه مستقراً ثابتاً فيها ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابِۭ بِهِۦ﴾ [الآية 18] بإزالته عن وجهها بالإفساد أو التصعيد لها أو التعميق بها ﴿لَقَٰدِرُونَ﴾ [الآية 18] كما كنا قادرين لإنزاله عليها.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أنزل من السماء ماء المطر الذي هو سبب حياة الأرض ومَن عليها وذلك بقدر معلوم ونصيب مقسوم. ثم البلاد مختلفة في السقي للعباد فبعضها خصب وبعضها جدب وسنة يزيد وسنة ينقص وسنة تفيض وسنة تقبض كذلك أنزلنا من ماء الرحمة فيحيي القلوب وهي مختلفة في الشرب فمن موسع عليه رزقه ومن مضيق مقتر عليه رقعه ومن هو منح ووقت هو وقت حبس ويقال: ما هو صوب الرحمة يزيل به دون العصاة وآثار زلتهم وأوضار عثرتهم وما هو سقي قلوبهم فيزيل به عطش تحيرهم ويحيي به موات أحوالهم وتكسُّرهم فينبت في رياض قلوبهم فنون أزهار البسط وصنوف

أنوار الروح وما هو شراب المحبة فيخص به قلوباً لساحات القرب فيزيل عنها به حشمة الوصف ويسكن به قلوباً فيعطلها عن التمييز ويحملها على التجاسر، والخطأ ببذل الروح فإذا شربوا طابوا ولم يبالوا بما وهنوا.

﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ﴾ [الآية 19] بالماء/ ﴿جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا﴾ 267/ أ
[الآية 19] في الجنات ﴿فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ﴾ [الآية 19] متفكهون منها ومتلذذون بها ﴿وَمِنْهَا﴾ [الآية 19] أي ومن الجنات باعتبار ثمارها وزروعها ﴿تَأْكُلُونَ﴾ [الآية 19] تتغذوا بها.

وقال الأستاذ: كما يحيي الغياض بماء السماء الرياض ويصنِّف فيها الأذهان والأنوار ويثمر الأنهار وتجري به الأنهار فكذلك يسقي شجرة العرفان فتورق وتثمر بعدما تزهو وتوفي أُكلها من طيب عيش وكمال بسط، ثم وفور هيبة ثم روح أنس ونتائج تجلي وعوائد قرب وما تتقاصر العبادات عن شرحه ولا تطمح الإشارات إلا في حصره.

﴿وَشَجَرَةً﴾ [الآية 20] أي وأنشأنا لكم بالماء شجرة ﴿تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ﴾ [الآية 20] جبل موسى بين مصر وأيلة. وقد يقال له طور سينين، ونسبنا اسم بقعة أضيف الطور إليها منع صرفه للتعريف والتأنيث وهي مأخوذة من السناء بالمد وهو الرفعة أو بالقصر وهو النور. وقرأ الشامي والكوفيون بالفتح على أنه فعلاً كصحراء ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾ [الآية 20] نبتاً مختلطاً بالدهن. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بضم التاء وكسر الباء من أنبت بمعنى نبت، أو على تقدير تنبت زيتونها متلبساً بالدهن ﴿وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ﴾ [الآية 20] أي وبإدام يغمس فيه الخبز للائتدام، والمعنى تنبت بالشيء الجامع بين كونه دهناً يدهن به ويسرج منه وكونه إداماً يصبغ الخبز فيه وقد ورد: «ائتدموا بالزيت وادهنوا به فإنه يخرج من شجرة مباركة»(1)، وفي رواية: «فإنه ينفع من الباسور»(2) أي وما يتبعه من المضرة.

---

(1) أخرجه ابن ماجه في السنن (2/ 1103) رقم (3319)، والبيهقي في شعب الإيمان (5/ 100) رقم (5939)، وعبد الرزاق في المصنف (10/ 422) رقم (19568).
(2) جامع الأحاديث (14/ 296) رقم (14338).

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً﴾ [الآية 21] تعتبرون بحالها وتستدلون بها على كمال صانعها ﴿نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا﴾ [الآية 21] من ألبانها ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ﴾ [الآية 21] في ظهورها وأصوافها وشعورها ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [الآية 21] تنتفعون بأعيانها.

﴿وَعَلَيْهَا﴾ [الآية 22] أي على الأنعام التي من جملتها الإبل وهي سفينة البر ﴿وَعَلَى ٱلْفُلْكِ﴾ [الآية 22] سفن البحر ﴿تُحْمَلُونَ﴾ [الآية 22]، ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ﴾ [النحل: الآية 7].

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة منه إلى أن الكدورات الهاجمة المتراكمة لا عبرة بها ولا مبالاة بوجودها وعدمها فإن اللبن الخالص السائغ يخرج من أخلاف الأنعام من بين ما تنطوي حواياها عليه من الوحشة ولكنه صادق لم يؤثر فيه منها بحكم المجاورة، فكذلك الصنف يوجد أكثره من عين
267/ب الكدورات إذ الحقيقة/ لا تعلق حق ولا باطل كما هو معلوم بالضرورة. ومن أشرف على سر التوحيد تحقق بأن جميع الحدثان من التقدير فتسقط عنه كلفة التمييز والتدبير فالأسرار عند ذلك تصفو والوقت لصاحبه لا يجفو، ولكم فيها منافع لازمة لكم إلى أجل متصل بكم:

إني على أحوالها برٌّ بها وبكل متصل بها متوسل[1]

ثم تحفظهم السفينة في بحار الفطرة ويحفظهم في سفينة السلامة والعصمة في بحار القدرة وإن بحار القدرة يتلاطم أمواجها والناس فيها غرقى لا من حفظه الحق في سفينة العناية، وصفة أهل الفلك إذا مستهم شدة خوف الغرق ما ذكر الله سبحانه في قوله: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [العَنكبوت: الآية 65] كذلك من شهد نفسه على شرف الهلاك والغرق التجأ إلى شرف الاستعانة ودوام الاستغاثة فعند ذلك يحميه الحق سبحانه من مخلوقات التقدير. ويقال: إن وجه الأرض بحار الغفلة وما عليه الناس من أسباب

---

(1) ذكره القشيري في تفسيره (5/ 25، 249) و(6/ 134) و(7/ 315). واللفظ عنده في صدر البيت: إني على جفواتها فبربها.

التفرقة بحار المهلكة والناس فيها غرقى، كما قال بعضهم:

الناس بحر عميق والبعد منهم سفينة
وقد نصحتك فانظره لنفسك بالسكينة[1]

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ [الآية 23] أي وجوده ولا تعبدوا سواه ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الآية 23] استئناف لتعليل الأمر بعبادته وإطاعة أمره ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الآية 23] عتابه ولا تخافون عقابه.

﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ﴾ [الآية 24] أي خواصهم لعوامهم ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية 24] برياسة الرسالة ونباهة النبوة ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الآية 24] إرسال رسول من عنده ﴿لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا﴾ [الآية 24] أي بمثل هذا ﴿فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الآية 24] وذلك من فرط عنادهم أو لفترة متطاولة في بلائهم.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ﴾ [الآية 25] جنون وكلامه فنون ﴿فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ﴾ [الآية 25] فاحتملوه وانتظروا له ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [الآية 25] يحل فيه أجله أو يزول عنه علله.

﴿قَالَ﴾ [الآية 26] بعدما أيس من إيمانهم ﴿رَبِّ ٱنصُرْنِى﴾ [الآية 26] بإهلاكهم ﴿بِمَا كَذَّبُونِ﴾ [الآية 26] بسبب تكذيبهم إياي.

﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الآية 27] بمرأى منا وبحفظ عنا.

268/أ قال جنيد: مَن عمل على المشاهدة أورثه الله الرضا. قال/ تعالى: ﴿أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ [الآية 27] أمرنا لك وتعليمنا لصنعك ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ [الآية 27] بالركوب والإركاب أو نزول العذاب ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ [الآية 27] روي أنه قال لنوح عليه السلام: إذا فار الماء من التنور اركب أنت ومن معك في الفور، فلما نبع الماء أخبرته امرأته فركبه ومحله في مسجد الكوفة، وقيل عين وردة من

---

(1) نسب إلى منصور الفقيه المصري. انظر التمثيل والمحاضرة (1/ 25)، وبهجة المجالس (1/ 145).

الشام ﴿فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ﴾ [الآية 27] صنفين من ذكر وأنثى ﴿زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ [الآية 27] مزدوجين. وقرأ حفص من كل بالتنوين أي من نوعين زوجين وأكد باثنين ﴿وَأَهْلَكَ﴾ [الآية 27] أهل بيتك ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾ [الآية 27] أي القول من الله بإهلاك من صدر الكفر عنهم ﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الآية 27] بالدعاء لإنجائهم ﴿إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ [الآية 27] لإصرارهم على الكفر.

﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الآية 28] كقوله تعالى: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: الآية 45].

﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي﴾ [الآية 29] في السفينة بعد الوصول أو في الأرض بعد النزول ﴿مُنزَلًا مُّبَارَكًا﴾ [الآية 29] يتسبب لمزيد الخير في الدارين. وقرأ غير أبو بكر: منزلاً، أي إنزالاً أي موضع إنزال ﴿وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾ [الآية 29] هذا الثناء المطابق للدعاء فيه مبالغة للطمع والرجاء.

قال ابن عطاء: أكثر المنازل بركة منزل يسلم فيه من هواجس النفس ووساوس الشيطان ومرتبات الهوى ويصل فيه إلى محل القربة والأنس ومنازل القدس وسلامة القلب من الهوى والضلالات والبدع.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ [الآية 30] فعل بنوح وقومه ﴿لَآيَاتٍ﴾ [الآية 30] يستدل بها أولوا الاعتبار ويعتبر بها ذوي الاستبصار ﴿وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ [الآية 30] لمصيبين قوم نوح بالبليات أو ممتحنين عبادنا بهذه الآيات، وإن هي المخففة واللام هي الفارقة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه كرر قصة نوح لما فيها من عظيم الآيات من مقامه في قومه وشدة مقاساة البلاء منهم وتمام صبره على ما استقبله في طول عمره ثم إهلاك الله جميع من أصر على كفرانه ثم لم يغادر منهم أحداً ولم يبال سبحانه بأن أهلك جملتهم. ولقد ذكر في القصص أن امرأة من قومه لما أخذهم الطوفان كان لها مولود فحملته وقامت حاملة له ترفعه عن الطوفان/ 268/ب
فلما بلغ الماء إلى يدها رفعته إلى فوق رأسها قدر ما أمكنها إبقاء على ولدها

إشفاقاً عليه أن لا يهلك إلى أن غلبها الماء وتلفت وولدها، فأوحى الله إلى نوح عليه السلام: لو كنت أرحم أحداً منهم لرحمت تلك المرأة وولدها[1].

وفي الخبر: أن نوحاً عليه السلام اسمه يشكر ولكثرة ما كان يبكي أوحى الله إليه: يا نوح إلى كم تنوح. فسمي نوحاً وأن ذنبه أنه كان يوماً من الأيام مر بكلب فقال: ما أوحشه، فأوحى الله إليه اخلقْ أنت أحسن من هذا، فكان يبكي معتذراً من قالته تلك. وأن قومه كانوا يلاحظونه بعين الحنون وما ازدادهم دعوة إلا ازدادوا عن إجابته نبوة ولم يزدد منهم إلا جفوة وما ازدادوا على طول المدة إلا قسوة على قسوة. ولما عمل السفينة وظهر الطوفان وأدخل في السفينة أهله فجاء في القصة أن إبليس تعرض له وقال: احملني معك في السفينة، فأبى نوح وقال: يا شقي تطمع في حملي إياك وأنت رأس الكفرة، فقال إبليس: يا نوح أما علمت إن الله أنظرني إلى يوم القيامة وليس ينجو اليوم أحد إلا في هذه السفينة. فأوحى الله إلى نوح أن احمله، فكان إبليس مع نوح في السفينة ولم يكن لابنه معه مكان في السكينة[2]. وفي هذا ظهور عين التوحيد وأن الحكم من الله غير معلول إن كان المعنى في أن ابنه لم يكن معه مكان لكفره فإبليس يشكل ولكنه أحكام غير معلولة وجبار يفعل ما يريد يقبل من يشاء ويرد من يشاء، أي فيما شاء. ثم قال الإنزال المبارك: أن يكون بالله ولله وعلى شهود الله من غير غفلة عن الله ولا مخالفاً لأمر الله. ويقال: الإنزال المبارك الاستيعاب بشهود الوصف عنك ثم الاستغراق باستيلاء سلطان القرب عليك ثم الاستهلاك بإحداق نور التجلي حتى لا ينفي عين ولا أثر فإذا تمَّ هذا وداوم هذا فتزول بساحات الحقيقة مبارك لأنك بلا أنت بكليتك من غير بقية وأثر عنك.

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الآية 31] هم عاد وثمود ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [الآية 32] هوداً وصالحاً ﴿أَنِ اعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [الآية 32] تفسير لأرسلنا، أي

(1) تفسير القشيري (5/ 251).
(2) تفسير القشيري (3/ 364).

269/ أ قلنا لهم على لسان رسولهم: اعبدوا/ الله، أي وحدوه وأطيعوه ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الآية 32] معاقبته أو مخالفته ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الآية 33] بالإشراك وإنكار النبوة ﴿وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [الآية 33] بلقاء ما فيها من المثوبة والعقوبة أو بالبعث والإعادة إلى الحياة الثانية ﴿وَأَتْرَفْنَٰهُمْ﴾ [الآية 33] نعمناهم ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الآية 33] بكثرة الأموال والأولاد واتساع الجاه بين العباد في البلاد ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الآية 33] في الصفة والحال من نيل المنال ﴿يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ [الآية 33] أي منه.

﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ﴾ [الآية 34] فيما يأمركم وينهاكم ﴿إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾ [الآية 34] حيث أذللتم أنفسكم ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا﴾ [الآية 35] ورجعتم إلى أصلكم ﴿وَعِظَٰمًا﴾ [الآية 35] مجردة من لحومكم وأعصابكم ﴿أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾ [الآية 35] من الأجداث أو من العدم إلى الوجود تارة أخرى بالأجداث ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ﴾ [الآية 36] بَعد بُعد ﴿لِمَا تُوعَدُونَ﴾ [الآية 36] فالأول ماض والثاني مصدر، والتركيب من قبيل جد جدد للمبالغة وعمل بكل من اللغة واللام للتقوية ولعل هذا أوجه من جميع ما ذكره أهل العربية.

﴿إِنْ هِىَ﴾ [الآية 37] أي لا حياة ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾ [الآية 37] فأقيم الضمير مقام الحياة الأولى لدلالة الثانية عليها حذراً عن تكرارها وإشعاراً بأن تعينها خفي عن التصريح بها كقوله هي النفس ما حمّلتها تتجمل وكقول ابن الفارض:

هي النفس إن ألقت هواها تضاعفت   قواها وأعطت فعلها كل ذرة

أي من ذراة جسدها وارتفع عنها كسدها ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ [الآية 37] يموت بعضنا ويولد بعض وفق عادتنا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [الآية 37] بعد الموت بإعادتنا ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الآية 38] فيما يدعيه من الرسالة أو فيما يعدنا من الإعادة ﴿وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 38] مصدقين لقوله: ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى﴾ [الآية 39] عليهم وانتقم لي منهم ﴿بِمَا كَذَّبُونِ﴾ [الآية 39] بسبب تكذيبهم إياي ما أخبرتهم عن ربهم.

﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ﴾ [الآية 40] بعد زمان قليل ﴿لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ﴾ [الآية 40]

ليصيرن متندمين على التكذيب إذا شاهدوا التعذيب ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ﴾ [الآية 41] صيحة جبريل عليه السلام صاح صيحة هائلة عليهم تصدعت قلوبهم فماتوا بأجمعهم/ واستدل به على أن القوم قوم صالح لا هود فإنهم أهلكوا بريح 269/ ب
صرصر عاتية لا بالصيحة ويجاب بما وقع في بعض التفاسير من أنهم أيضاً صاح بهم جبريل صيحة واحدة مع الريح أهلكهم الله بها كما ذكره القرطبي ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ [الآية 41] بالوجه الثابت الذي لا دافع له ولا مانع أو بالعدل في الفصل أو بالوعد الصدق ﴿فَجَعَلۡنَٰهُمۡ﴾ [الآية 41] في دمارهم وخراب ديارهم ﴿غُثَآءٗ﴾ [الآية 41] كغثاء السيل وهو محموله فوق الماء ذاهب كالهباء في الهواء ﴿فَبُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية 41] يحتمل أن الأخبار والدعاء أي بعدوا بعدالهم على كل خير لظلمهم على أنفسهم.

﴿ثُمَّ أَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [الآية 42] يعني قوم صالح أو لوط وشعيب وغيرهم ﴿مَا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾ [الآية 43] الوقت الذي حد لأجلهم ﴿وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ﴾ [الآية 43] الأجل المقدر لهم ﴿ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا تَتۡرَا﴾ [الآية 44] أصلها وترى ووزنه فَعلى والألف للتأنيث لأن الرسل جماعة ومحلها النصب على الحالية أي متواترين واحداً بعد واحد متعاقبين متظارفين من الوتر وهو الفرد. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالتنوين إنه مصدر بمعنى التواتر وقع حالاً ﴿كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةٗ رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُۖ فَأَتۡبَعۡنَا بَعۡضَهُم بَعۡضٗا﴾ [الآية 44] في الإهلاك ﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ﴾ [الآية 44] اسم جمع للحديث ومنه أحاديث النبي عليه السلام أو جمع أحدوثة وهي ما يتحدث به تلهياً وهو المرام في هذا المقام والمعنى تبقى منهم الأحاديث ليسم بها في أوقات ﴿فَبُعۡدٗا لِّقَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الآية 44] في «تفسير السلمي» ما بعث الله رسله إلى أعدائه وإنما بعث الرسل ليميز أعداءه من أوليائه.

وقال الأستاذ: تتابعت القرون على طريقة واحدة في التكذيب وغرهم طول الإمهال وما مكنهم من ترفه العيش وخفض الدعة وسعة البال فلم يفتشوا إلا على أنفسهم ولم يسم لهم طرق الأمن من فوقهم من المنزلة والحال فقالوا أنؤمن بمن يتردد في الأسواق ويبتغ مثلها بوجود الإرفاق ولئن أطعنا بشراً مثلنا ليسلكنا سبيل الغي والضلالة وينكبنا سنَّة الرشد والهداية فما

جرأهم في الإهانة وإخلال العقوبة بهم مجراً واحداً وأذاقهم عذاب الخزي وأعظم داخلهم من الشبه والاستبعاد من الحشر والنشر ولم يوافقوا للعلم
بأن/ الإعادة كالابتداء في الجواز وعدم الاستحالة والله يهدي من يشاء ويغوي 270/أ
من يريد.

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا﴾ [الآية 45] بالآيات التسع المعجزات الظاهرة والآيات الباهرة ﴿وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ [الآية 45] حجة واضحة ملزمة لخصمه أو بينة موضحة لنبوّته وجوز أن يراد به العصا وإفرادها بالذكر لأنها أول المعجزات وأنها حيث تعلقت معجزات شتى بها كانقلابها حية تسعى وتلقفها لما أفكه أهل السحر وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بقربها وحراستها ومصيرها سمعة وشجرة خضراء مثمرة ورشاء ودلواً ونحوها.

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ [الآية 46] أشراف قومه ﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾ [الآية 46] عن الإيمان والمتابعة ﴿وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ﴾ [الآية 46] متكبرين عن الطاعة متحرين على الرعية ﴿فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾ [الآية 47] من قصور نظرهم طالعوا إلى الأنبياء بصورهم الظاهرية ونفوسهم البشرية ومن قلة بصيرتهم ما ورائهم من الأحوال الملكية والأخلاق الإلٰهية كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [فصلت: الآية 6] فامتياز الأنبياء إنما هو بوحي الإنباء كما أن العلماء يتميزون بالمعرفة عن السفهاء وإن شاركوا في نسبة الآباء والأبناء ﴿وَقَوْمُهُمَا﴾ [الآية 47] من بني إسرائيل ﴿لَنَا عَابِدُونَ﴾ [الآية 47] خامدون منقادون كالعباد في مقام التذليل وهذا جهل منهم نشأ عنهم بسبب اتساع جاههم في البلاد وظلمهم على العباد.

﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الآية 48] بالإغراق في الدنيا وبالإحراق في العقبى ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ [الآية 49] التوراة بعدما أهلكنا القرون الأولى أي فرعون وقومه ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ [الآية 49] أي بني إسرائيل ﴿يَهْتَدُونَ﴾ [الآية 49] إلى المعارف الأصولية والأحكام الفصولية.

﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾ [الآية 50] بولادتها إياه من غير مسيس آلة

فالآية واحدة مضافة إليهما بأدنى ملابسة ﴿وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ﴾ [الآية 50] وقرأ ابن عامر وعاصم بالفتح أي بقعة مرتفعة وهي بيت المقدس أو رملة ﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾ [الآية 50] مستقر من أرض منبسطة. وقيل: ذات ثمار وزراعة فإن ساكنيها يستقرون بها لأجل ما فيها ﴿وَمَعِينٍ﴾ [الآية 50] ما ظاهر على وجه الأرض جار عليها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ [الآية 51] ما يستلذ من المباحات ﴿وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا﴾ [الآية 51] من العبادات/ فإنه المقصود منكم والنافع عند ربكم ﴿إِنِّى بِمَا 270/ب
تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [الآية 51] فأجازيكم على أعمالكم وفق أحوالكم وهذا الخطاب والنداء لجميع الأنبياء لا على أنهم خوطبوا بذلك دفعة واحدة لأنهم أرسلوا في أزمنة مختلفة بل على معنى أن كلاً منهما خوطب به في زمانه وتبعه في قومه في شأنه ولا يبعد أن يكون هذا النداء لهم في عالم الأرواح حال جمعهم هذا، وفيه تنبيه على أن إباحة الطيبات شرع قديم للأنبياء واحتجاج على الرهابنة فمن رفض المستلذات.

وقد قال سهل: الطيبات الحلال وفي الأكل آداب أربع: الحلال والصافي والقوام والأدب، فالحلال الذي لا يعصى الله فيه، والصافي الذي لا ينسى الله فيه، والقوام ما يمسك به النفس ويحفظ العقل بسببه، والأدب أن يشكر المنعم في إنعامه.

وقال الأستاذ: أي ما أحلّ لهم وأباح ومما هو محكوم بأنه طيب على شريطة مطالعة وخصته الشريعة مما كان لا حالاً في وقتهم مطلقاً مأذوناً لهم فيه وكذلك أعمالهم الصالحة ما كان موافقاً لأمر الله في زمانهم بفنون طاعاتهم في أفعالهم وعقائدهم وأحوالهم.

﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ﴾ [الآية 52] أي واعلموا أن هذه الملة ﴿أُمَّتُكُمْ أُمَّةً﴾ [الآية 52] ملتكم ملة ﴿وَٰحِدَةً﴾ [الآية 52] متحدة في أصول الشريعة والعقيدة، أو جماعتكم جماعة واحدة متفقة على الإيمان والتوحيد في العبادة، ونصب أمة على الحالية. وقرأ ابن عامر بفتح الهمز وتخفيف النون على أنها مخففة من الفعلة والكوفيون بالكسر والتشديد على أنها جملة استئنافية وأنا ربكم ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾ [الآية 52]

أي فخافوني وارجوا خيري ولا تبالوا بغيري.

وقال الأستاذ: معبودكم واحد ونبيكم واحد وشرعكم واحد فأنتم سواء في أصول الشريعة فلا تسلكوا ثنيات الطرق فتطيحوا في أودية الضلالة وعليكم باتباع سلفكم واحذروا موافقة ابتداع خلقكم ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [الآية 52] خالفوا مخالفة أمري واعرفوا عظيم قدري واحفظوا جريان تقدير سري واستدعوا بقلوبكم ذكري تجدوا في مآلكم غفري وتحظوا بجميل بري.

﴿فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم﴾ [الآية 53] قطعوا أمر دينهم وجعلوه أدياناً مختلفة بينهم أو
271/ أ فتقربوا وتحزبوا في أمرهم ﴿بَيْنَهُمْ﴾ [الآية 53] والضمير/ لما دل عليه الأمة من الجماعة أو أرباب الملة ﴿زُبُرًا﴾ [الآية 53] قطعاً حال من أمرهم ﴿كُلُّ حِزْبٍ﴾ [الآية 53] طائفة من المتحزبين ﴿بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ [الآية 53] من الدين ﴿فَرِحُونَ﴾ [الآية 53] معجبون ومقتدرون أنهم على الحق اليقين. قال بعضهم: ربط كل أحد بحظه في سعاياته من حركاته وسكناته فالسعيد من جذب عن حظه ورد إلى حظ الحق في حقه.

وقال الأستاذ: فمستقيم على حقه وتائه في غيه ومصر على عصيانه وفسقه ومقيم على إحسانه وصدقه، كل مربوط بحده موقوف بما قسم له في البداية من شأنه، كل ينتحل طريقه ويتنحل لحسن طريقته حقيقة وعند صحو سماء قلوب أرباب التوحيد لا غبار في الطريق، طريق أصحاب التفريد فهم على يقين معارفهم فلا ريب يتخالجهم ولا شبهة تتداخلهم، وأهل الباطل في دخان جهلهم وغبار جحدهم وظلمة تقليدهم ومحنة شكهم.

﴿فَذَرْهُمْ﴾ [الآية 54] اتركهم ﴿فِى غَمْرَتِهِمْ﴾ [الآية 54] أي في جهالتهم وغوايتهم ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [الآية 54] أوان موتهم وقيام قيامتهم أو زمان انتباههم من نوم غفلتهم.

وأفاد الأستاذ: أن مدة أخذهم قريبة وأن العقوبة عليهم إذا أخذوا لشديدة وسوف يتبين لهم خطأهم عن صوابهم ولو بعد مدة مديدة.

﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ﴾ [الآية 55] نعطيهم مما نجعل مدداً لهم من مدد من السنين ﴿مِن مَّالٍ وَبَنِينَ﴾ [الآية 55] بيان لما وخبر إن قوله: ﴿نُسَارِعُ لَهُمْ فِى

﴿ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [الآية 56] والمعنى أيظنون أن الذين نمدهم به نسارع به لهم فيما فيه خيرهم وإكرامهم في الدنيا ﴿بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [الآية 56] لأنهم كالأنعام بل هم أضل حيث لا فطنة لهم ولا شعور بهم ليتأملوا ويعلموا أن ذلك الإمداد هو الاستدراج والمكر لا مسارعة في الخير لما يفوتهم به من أمر العقبى. قال عبد العزيز المكي: مَن تزين بزينة تفنى فتلك الزينة تكون وبالاً عليه إلا من تزين بما تبقى.

وأفاد الأستاذ: إن هذا في شأن أصحاب الاستدراج ومكر الحق بتلبيس المنهاج فرأوه سراباً ظنوه شراباً ودس لهم في مشهدهم صباباً فتوهموه عذاباً وحين لقوا عذاباً علموا أنهم لم يفعلوا صواباً.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم﴾ [الآية 57] من خوف عقابه وعقوبة حجابه ﴿مُّشْفِقُونَ﴾ [الآية 57] حذرون وجلون عن بابه.

وأفاد/ الأستاذ: أن أمارة الإضعاف من الخشية إطراق السريرة في حالة 271/ب
الوقوف بين يدي الله بشواهد الأدب ومحاذرة بغتات الطرد لا يستقر بهم قرار لما داخلهم من الرعب والمخافة واستولى عليهم من سلطان الهيبة.

﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ [الآية 58] المنصوبة والمكتوبة ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 58] بتصديق مدلولهما مفصلة أو مجملة.

وأفاد الأستاذ: أن تلك الآيات مختلفة فمنها ما يكاشفون لها في الأقطار من اختلاف الأدوار وما فيه الناس من فنون الهمم وصنوف المنى والإرادات فإذا آمن بها واعتبر منها امتنع بما يرى بعينيه مطالباً بسببها.

﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [الآية 59] إشراكاً جلياً ولا خفياً.

وأفاد الأستاذ: أن الشرك الخفي ملاحظة الخلق في أوطان طاعة الحق واستبشار بمدحه الخلق وقبولهم والانكسار والذبول عند انقطاع رؤية الخلق وحصولهم. ويقال: الشرك الخفي إحالة النوادر من الحالات والأكساب في المبار والمضار على الأسباب كقول القائل: لولا دعاء أبيك لهلكت ولولا سمة فلان لما أفلحت، وأمثال هذا كثير وعليه كثيرون. قال تعالى: ﴿وَمَا

يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ [يوسف: الآية 106] وكذلك توهم حصول الشفاء من شرب الدواء وإذا انتقض السرير واليقين عن توهم شيء من الحدثان إلا من التقدير فعند ذلك ينتفي عن الشرك أي في جميع التغيير.

﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا﴾ [الآية 60] يعطون من أموالهم ما أعطوه من الصدقات أو يعطون من أنفسهم ما أعطوه من الطاعات، ويؤيده أنه قرىء يأتون ما أتوا أي يفعلون ما فعلوه من العبادات ﴿وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [الآية 60] خائفة من عدم قبول المبرات وتضييع الحالات كما.

قال قائلهم:

من لم يكن للوصال أهلاً فكل إحسانه ذنوب(1)

﴿أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [الآية 60] لأن مرجعهم إليه وحسابهم عليه ولا يخفي أعمالهم وأحوالهم لديه.

قال الواسطي: الخائف الرجل من لا يشهد حظه بحال.

وأفاد الأستاذ: أنهم مخلصون في الطاعات من غير إلمام بتقصير أو تقريح في أوطان الكسل أو جنوح إلى الاسترواح بالرخص في المباحات ثم يخافون كأنهم ألموا بفواحش الكبار ويلاحظون أحوالهم بعين الاستبصار
272/أ والاستحقار ويخافون بفتات التقدير وقضايا السخط الموجب للتغيير/ كما قال بعض أهل التعبير:

يتجنب الآثام ثم يخافها فكأنما حسناته آثام(2)

﴿أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ [الآية 61] أي في نيل خيرات الدارين ووصول مبرات الكونين بمزاولة الأعمال الصالحة فيعطيهم خير الدنيا والآخرة ﴿وَهُمْ لَهَا﴾ [الآية 61] لأجلها ﴿سَابِقُونَ﴾ [الآية 61] الناس إلى الطاعة أو المثوبة أو الجنة أو

---

(1) نسب إلى الشبلي. انظر محاضرات الأدباء (1/ 204)، والطيوريات (14/ 35) رقم (1080).

(2) نسب إلى أبي تمام. انظر المثل السائر (2/ 81).

القربة أو سابقونها بمعنى ينالونها قبل العقبى حيث عجلت لهم في الدنيا.

وأفاد الأستاذ: أن كلاً منهم مسارع بقدمه من حيث الطاعات ومسارع بهمه من حيث المواصلات ومسارع بندمه من حيث تجرُّع الحسرات والكل مصيب وللكل من إقباله على ما يليق بحاله نصيب.

﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [الآية 62] قدر طاقتها بالقيام في طاعتها.

وأفاد الأستاذ: أن المطالبات في الشريعة مضمنة بالسهولة في الطريقة وأما مطالبات الحقيقة فكما قالوا ليس إلا بذل الروح وإلا فلا تشتغل بالدهان. وقد قال تعالى لأهل الرخص في الأعمال والمستضعفين في الأحوال: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: الآية 78]. وأما أرباب الحقائق وأصحاب الدقائق فقال لهم: ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾ [البقرة: الآية 284]، وقال: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ [آل عِمرَان: الآية 102]، وقال: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ [الحَجّ: الآية 78].

﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ﴾ [الآية 62] فيه فصول وأبواب وهو اللوح المحفوظ أو صحيفة الملفوظ ﴿يَنطِقُ بِالْحَقِّ﴾ [الآية 62] على وفق الصدق ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الآية 62] بزيادة عقاب أو نقصان ثواب.

وقال الأستاذ: لولا غفلتهم عن موضع الحقيقة لما خوفهم بكتابه الحفظة ما صدر عنهم من الشريعة والطريقة ولكن غفلوا عن شهود الحق لهم ولأحوالهم فخوَّفهم بإطلاع الملائكة وكتابتهم عليهم أعمالهم. أقول: ولعل في هذا تنبيه لهم على أن بعض عبادنا مطلعون على أعمالهم فكيف يخفى علينا أحوالكم.

وأما حكمة الكتابة في اللوح المحفوظ قبل أن يظهر أرباب الحقوق والحظوظ فلعل فيه الإيماء إلى سر القدر والقضاء وإشعار إلى عدم تغيير تقدير ما ثبت في عالم القضاء قبل خلق الأرض والسماء وما بينهما من الجو والهواء/ فيفيد أنه عالم بالكليات والجزئيات قبل ظهورها في صدور الكائنات 272/ب
وصدور الحادثات.

﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الآية 63] قلوب الكفرة ﴿فِي غَمْرَةٍ﴾ [الآية 63] غفلة غامرة ﴿مِّنْ هَٰذَا﴾ [الآية 63] الذي وصف به البررة أو من اللوح وصحيفة الحفظة ﴿وَلَهُمْ أَعْمَالٌ﴾ [الآية 63] خبيثة دنيئة وأحوال دنسة رديئة ﴿مِّن دُونِ ذَٰلِكَ﴾ [الآية 63] من الكفر هنالك ﴿هُمْ لَهَا عَامِلُونَ﴾ [الآية 63] لا محالة ومعتادون فعلها في كل حالة.

وأفاد الأستاذ: أنه لا يصلح لهذا الشأن والحال إلا من كان فارغاً من جميع الأعمال لا شغل له في الدنيا ولا في الأخرى، وأما من له شغل دنياه أو على قلبه حديث عقباه فليس له نصيب من حديث مولاه. وفي الخبر: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ»[(1)]. ويقال: أصحاب الدنيا مشغولون بدنياهم وأصحاب العقبى مشغولون بعقباهم وأهل البأس مشغولون بما ينالهم من بلواهم، فمن الذي له في الدنيا والآخرة عن مولاه خير الفراغ عزيز، . قال تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [يس: الآية 55] أي بخلاف جمع مقامهم عليُّون، وهذا أحد معاني ما ورد من أن أكثر أهل الجنة البله.

﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم﴾ [الآية 64] متنعميهم ﴿بِالْعَذَابِ﴾ [الآية 64] يعني الجوع بالقحط حتى أكلوا الكلاب ﴿إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ﴾ [الآية 64] يستغيثون ويتضرعون على الباب أن يستجابوا، فقيل لهم بلسان القال أو بيان الحال ﴿لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الآية 65] أي لا تمنعون من عذابنا بل تطردون من بابنا وتعذبون بحجابنا. وفي الخبر: «مَن سره أن يستجيب الله له عند الشدائد والكرب فليكثر الدعاء في الرخاء»[(2)].

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يمهل ولكنه لا يهمل فإذا أخذ فبطشه شديد فإذا أخذ أصحاب الكبائر حين يحل بهم الانتقام في الجوار ردوا بالهوان والصغار والاحتقار. ويقال للجنايات سرايات فإذا أمسك الجاني عن الجناية

---

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (6412)، والترمذي في الجامع الصحيح (4/ 550) رقم (2304)، وابن ماجه في السنن (2/ 1396) رقم (4170).

(2) أخرجه الحاكم في المستدرك (1/ 729) رقم (1997)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/ 462) رقم (3382)، وأبو يعلى في المسند (11/ 283) رقم (6396).

فلا ينفعه ذلك ما لم يمض حكم السراية.

﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى﴾ [الآية 66] يعني القرآن ﴿تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية 66] رجاء أنكم إليها تقبلون وما لديها تقبلون ﴿فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ﴾ [الآية 66] ترجعون فتعرضون عن سماعها وتصديقها والعمل بها.

273/ أ وقال الأستاذ: وذكر هذا من/ باب إبداء العذر وإلزام الحجة والقطع بأن لا ينقطع الآن الجذع ولا يسمع العذر والفزع والملوك إذا أبرموا أحكامهم فالاستعتاب غير مؤثر في الحاصل منهم كما.

قال قائلهم:

إذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكد   إليه بوجه آخر الدهر تقبل[1]

﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ﴾ [الآية 67] أي بتكذيب الآيات ﴿سَٰمِرًا﴾ [الآية 67] تسمرون بالهذيانات أو بالطعن في الآيات البينات وهو في الأصل مصدر على وزن الفاعل كالعافية بمعنى المسامرة وهي الحكاية بالليل وقيل في ظلمة القمر ﴿تَهْجُرُونَ﴾ [الآية 67] تعرضون وتدبرون أو تمترون وتستهزؤون، ويؤيده قراءة نافع تهجرون من أهجر إذا أفحش.

﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ﴾ [الآية 68] العظيم والقرآن الكريم ليعلموا أن الحق من ربهم بإعجاز مبناه وإيجاز معناه ﴿أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الآية 68] من الرسول والكتاب والأمن من العذاب.

وقال الأستاذ: يعني أنهم لو أنعموا النظر وسلطوا على أحوالهم صائب الفكر لاستبصروا في الحال ولانتفى عن قلوبهم الاستعجال والإشكال ولكنهم استوطنوا مراكب الكسل وعرجوا في أوطان التفاعل فتعودوا الجهل والسؤال من الاستبصار.

﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ﴾ [الآية 69] بالأمانة والديانة والصيانة ﴿فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ [الآية 69] وعن قبول قوله معرضون.

(1) نسب إلى معن بن أوس. انظر نهاية الأرب (1/ 271)، والأغاني (12/ 68).

﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾ [الآية 70] جنون والحال أنه أعقلهم كما يعلمون ﴿بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾ [الآية 70] لأنه يخالف شهواتهم ولهواتهم أو لقلة فطرتهم وعدم فكرتهم.

وقال الأستاذ: يعني أنهم ذهلوا عن التحقيق فتطوحوا في أودية المغاليط وترجمت بهم الظنون الخاطئة وملكتهم كواذب التقديرات فأخبر الله سبحانه عن أحوالهم وعن مقابلة الأنبياء بأموالهم فمرة قابلوهم بالتكذيب ومرة رموهم بالسحر ومرة عابوهم بتعاطي أفعال العادة بما عليه من المأكل والمشرب ومرة قدحوا فيهم بما هم فيه من العقل وقلة ذات اليد، فأخبر الله تشتت أخبارهم وتقسم أفكارهم.

﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [الآية 71] الفاسدة وآراؤهم الكاسدة كتجويز نفي
273/ب النبوة والرسالة والبعثة/ ووجود تعدد الآلهة ﴿لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ [الآية 71].

وأفاد الأستاذ: إن ذلك لضاد مناتهم وأهوائهم إذ هم متشاكسون في مرادهم وسؤالهم وتحصيل ذلك محال تقديره في وجود أحوالهم، فبيَّن الله سبحانه أنه لو أجرى حكمه على وفق مرادهم لاختل أمر السموات والأرضين ولخرج عن حد الإحكام والاتقان المبين ﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ﴾ [الآية 71] بالكتاب الذي فيه ذكرهم أي وعظهم وتذكرهم أو صيتهم وشرفهم وفيه رد على تمنيهم بقولهم: ﴿لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الصافات: الآية 168]، ﴿فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ﴾ [الآية 71] وبدل شكرهم منكرون.

﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا﴾ [الآية 72] أجراً على أداء الرسالة ﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ﴾ [الآية 72] رزقه في الدنيا وثوابه في العقبى ﴿خَيْرٌ﴾ [الآية 72] لسعته ودوام بقائه ففيه مندوحة لك عن عطاء غيره. وقرأ ابن عامر خرجاً فخرج وحمزة والكسائي خراجاً فخراج للمزاوجة والمشاكلة ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [الآية 72] في الدنيا والآخرة.

وقال الأستاذ: إنك لا تطالبهم على تبليغ الرسالة بأجر وعوض

وحصول عرض حتى تكون بموضع التهمة فيما تأتيهم به من الشريعة إن لعلك تريد أن يعقدوا لك الرئاسة بأن يعتقدوا فيك الرسالة. ثم قال: والذي لك من الله سبحانه من جزيل الثواب وحسن المآب يغنيك عن التصدي لنيل ما يكون في حصوله منهم مطمع، وهذا كان سنَّة الأنبياء والمرسلين عملوا لله فلم يطلبوا عليه أجراً من غير الله والعلماء ورثة الأنبياء فسبيلهم التوقي من التدنس بالأطماع والأكل باليدين فإنه وبيء مضر بالإيمان واليقين، وإذا كان العمل لله فالأجر منتظر من الله وهو موعود من قبل الله.

﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾﴾ [الآية 73] أي دين قويم وطريق كريم تشهد العقول السليمة على استقامته حيث لا اعوجاج ولا مناقضة في دلالته.

وأفاد الأستاذ: أن الصراط المستقيم شهود الحق بنعت الإفراد في جميع الأشياء والاتحاد والاستسلام لقضايا الإلزام بمواطأة القلب من غير استكراه الأحكام.

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ﴾ [الآية 74] أي السوي القوي
﴿لَنَٰكِبُونَ﴾ [الآية 74] عادلون كالضلال القوي فإن خوف الآخرة أقوى البواعث/ 274/أ
عن طلب الحق وسلوك طريق الصدق.

قال أبو بكر الوراق: مَن لم يهتم لأمر منقلبه ومعاده ولم يهيىء في معاشه أمراً فهو ضال عن طريقه وغاوٍ عن مقام تحقيقه.

وأفاد الأستاذ: أنهم زاغوا عن الحجة المثلى بقلوبهم فوقعوا في جحيم الفرقة وستميل أقدامهم غداً عن الصراط فيقعون في نار الحرقة ناكبون في دنياهم وعقباهم.

﴿وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ﴾ [الآية 75] قحط بلواهم ﴿لَّلَجُّواْ﴾ [الآية 75] لثبتوا وتمادوا ﴿فِى طُغْيَٰنِهِمْ﴾ [الآية 75] إفراطهم في عصيانهم وكفرانهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾ [الآية 75] عن طريق برهانهم وتحقيق شأنهم. روي أنه عليه السلام دعا عليهم بقوله: اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني

يوسف[1]. فقحطوا حتى أكلوا الجيف فجاء أبو سفيان إلى رسول الله ﷺ فقال: أنشدك الله والرحم ألست تزعم أنك رحمة للعالمين قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع. فنزلت[2].

وفي «تفسير السلمي» قال بعضهم: لو فتحنا لهم أبواب الطرق إلينا لأبوا إلا اتباع الباطل بطغيان النفس وعمائها.

قال الواسطي: للعلم طغيان وهو التفاخر به وللمال طغيان وهو البخل به وللعبادة طغيان وهو الرياء والسمعة وللنفس طغيان وهو اتباع الشهوة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أخبر عن صادق علمه بهم وذلك صادر عن سابق حكمه فيهم فقال: لو كشفنا عنهم العذاب في الحال لم يفوا بما يعدون في أنفسهم من الإيمان في المآل ولقد علمتم أنهم سيكفرون وحكم عليهم بأنهم ينفرون إذ لا يجوز أن يكون حكم فيهم بخلاف علمه بهم.

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ﴾ [الآية 76] يعني القتل يوم بدر ﴿فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ [الآية 76] في مآل بل أقاموا على استكبارهم وداوموا على إنكارهم.

قال سهل: ما أخلصوا لربهم بالعبودية ولا أذلوا له بالوحدانية.

وقال الأستاذ: أذقناهم مقدمات العذاب دون شدائدها تنبيهاً لهم فما انتبهوا ولا أترحوا ولو أنهم إذ رأوا العذاب لفزعوا إلى التضرع والابتهال لأسرع الله زوالها عنهم ولكنهم أصروا على باطلهم ليقضي الله أمراً كان مفعولاً.

274/ب ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [الآية 77] يعني الجوع فإنه / بئس الضجيع وأشد من الأسر السريع والقتل الذريع ﴿إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ [الآية 77] متحيرون في الأمر آيسون من الخير حتى إذا جاءك يستعطفك وبئس أهل الشر.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يقول: لما أحللنا بهم أشد العقوبات ضعفوا

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (4598)، ومسلم في الصحيح (675/ 294).
(2) تفسير البيضاوي (1/ 163).

عن حملها فأخذوا بغتة ولم ينفعهم ما قدموا من الابتهال فيئسوا عن الإجابة وعرجوا في أوطان التفرط من الرحمة.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الآية 78] لتدركوا بها ما نزل من الآيات السمعية بنصيب من الدلالات البصرية ﴿وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ [الآية 78] لتتفكروا فيها وتستدلوا بها بنظر البصيرة عليها إلى غير ذلك من المنافع الدينية والتوابع الدنيوية ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [الآية 78] تشكرونها شكراً قليلاً لأن العمدة في شكرها استعمالها فيما خلقت لأجله والإذعان لمانحها، وما صلة لتأكيد القلة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه ذكر عظيم منته عليهم بأن خلق لهم هذه الأعضاء وطالبهم بالشكر على تلك النعماء وشكرها بحقيقة استعمالها في طاعته، فشكر السمع أن لا يسمع إلا بالله ولله، وشكر البصر أن لا ينظر إلا بالله ولله، وشكر القلب أن لا يشهد غير الله ولا يحب به غير الله.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 79] خلقكم فيها وبثكم في أطرافها ﴿وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الآية 79] تجمعون يوم القيامة بعد تفرقكم ثم تتفرعون.

وأفاد الأستاذ: أن الابتداء للحادثات من الله بدءاً والانتهاء إليه عوداً والتوحيد ينظم هذه المعاني بأن تعرف أن الحدثان بالله ظهور ولله ملكاً وملكاً ومن الله ابتداء وإلى الله انتهاء.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ [الآية 80] حقيقة ومجازاً كما أفاد الأستاذ بقوله: يحيي النفوس ويميتها. والمعنى في هذا معلوم عند أهلها وكذلك يحيي القلوب ويميتها فموت القلوب بالجحود وحياة القلوب بالإيمان والتوحيد، وكما أن للقلوب حياة وموتاً فكذا للأوقات موت وحياة، فحياة الأوقات بيمن إقباله وموت الأوقات بمحنة إعراضه، وفي معناه أنشدوا:

أموت إذا ذكرتك ثم أحيا ... فكم أحيا عليك وكم أموت[1]

كذا ذكره الأستاذ، لكن المراد بالموت والحياة بالبيت إنما هو الفناء

(1) ذكره القشيري في تفسيره (5/ 221، 280) و(7/ 74). ونسب إلى الشبلي. انظر إحياء علوم الدين (4/ 360).

275/أ والبقاء، / نعم لو كان البيت: أموت إذا نسيتك ثم أحيا، لكان مناسباً كما لا يخفى. وقد ذكر المعنيان في قوله تعالى: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: الآية 24] ربك أو نسيت نفسك.

﴿وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [الآية 80] ظلمة ونوراً وتعاقبهما ظهوراً وانتقاص أحدهما بعد زيادة الآخر منهما طوراً فطوراً ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الآية 80] بالنظر والتأمل في آياتنا أن الكل من مصنوعاتنا وإنما نشأ من إرادتنا وإن قدرتنا تعمُّ الممكنات كلها وإن البعث من جملتها.

وأفاد الأستاذ: أنه ليس كل اختلافها في ظلمتها وضيائها وطولها وقصرها بل ليالي المحبين تختلف في الطول والقصر وفي الروح والنوح فمن الليالي ما هو أضوأ من اللآلي لِلمحبين، ومن النهار ما هو أشد ظلاماً من دخان النار كما قال قائلهم:

ليالي وِصال قد مضين كأنها لآلي عقود في نحور الكواعب
وأيام هجر أعقبتها كأنها بياض مشيب في سواد الذوائب[1]

﴿بَلْ قَالُوا﴾ [الآية 81] كفار مكة وغيرهم ﴿مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ﴾ [الآية 81] من آبائهم ومن دان بدينهم من قوم نوح وهود وصالح ونحوهم ﴿قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (٨٢)﴾ [الآية 82] أي استبعاداً واستغراباً، وذلك لأنهم لم يتأملوا أنهم كانوا قبل ذلك تراباً.

﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا﴾ [الآية 83] البعث ﴿مِن قَبْلُ﴾ [الآية 83] قبل هذا الرسول ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الآية 83] أكاذيبهم التي كتبوها وتلهوا بها.

وأفاد الأستاذ: أنهم سلكوا في التكذيب مسلك سلفهم وأسرفوا في العنود[2] مثل سرفهم فأصابهم ما أصاب الأولين من هلاكهم وتلفهم ولما

---

(1) قائله القشيري. انظر الوافي بالوفيات (6/ 126) وطبقات الشافعية (7/ 84).
(2) الإبل المعاندة عن طائفتها. انظر لسان العرب (3/ 307) وتاج العروس (1/ 2141).

طال عليهم وقت العسر وما تواعدوا به من العذاب بعد البعث والنشور فزاد ذلك في ارتيابهم وجعلوا ذلك حجة في اضطرابهم فقالوا: لقد وعد مثل هذا آباؤنا ثم لم يكن لذلك تحقيق لهم فما نحن إلا مثلهم، فاحتجّ الله عليهم في جواز الحشر انتهاء بما أقروا به من الخلق ابتداء حيث قال: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [الآية 84] خالقها، ففيه تقرير لغاية جهالتهم وتحرير لنهاية ضلالتهم حيث جهلوا ما هو من بداية بداهتهم ولذا أخبر سبحانه عن جوابهم قبل إصابتهم بقوله: ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ [الآية 85] حيث لا جواب سواه لأن العقل/ الصريح قد اضطرهم إلى هذا القول الصحيح، وهو إنه خالقها 275/ب ومالكها ومتصرفاً ما فيها ﴿قُلْ﴾ [الآية 85] لهم بعد ما قالوه واعترفوا بما نالوه ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الآية 85] فتعلمون أن من فطر الأرض ومن عليها ابتداء قادر على إيجادها انتهاء فإن أمر البداءة والإعادة يكون عنده سواء.

﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾﴾ [الآية 86] فإنها أعظم من ذلك في مقام التفخيم ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ [الآية 87] وقرأ أبو عمرو بغير لام فيه فيما بعده على ما يقتضيه السؤال في المبنى بخلاف غيره حيث اختار الجواب بالمعنى ﴿قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الآية 87،88] بواطنه وخزائنه ﴿وَهُوَ يُجِيرُ﴾ [الآية 88] يغيث مَن يشاء ويحرسه عمن يشاء ﴿وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ [الآية 88] ولا يقات أحد ولا يمنع منه ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الآية 88] حقائق ذاته ودقائق صفاته.

﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ [الآية 89] ليس يشاركه أحد بل ولا ثَمَّ سواه ﴿فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ [الآية 89] فمن أين تخدعون عن الصدق وتصرفون عن الحق مع ظهور أمر الإيمان وبطلان قضية الكفران.

قال محمد بن الفضل: مَن علم أن الأشياء كلها له ثم رجع في طلبه إلى سواه مع أنه لا يمكنك من ذلك شيئاً فإن ذلك من قلة غفلته ورقة دينه.

وأسر الأستاذ إنه سبحانه أمر النبي عليه السلام أن يكرِّر عليهم الأسئلة وعقب كل واحد من ذلك مخبراً عنهم بقوله: ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ [الآية 87] ثم

يكتفي منهم بمقولهم ذلك بل عاتبهم على تجرد قولهم من التذكر والفهم والعلم تنبيهاً على أن القول وإن كان في نفسه صدقاً لم يكن فيه غنية إذا لم يصدر عن علم ويقين ثم نبههم على كمال قدرته وأن القدرة القديمة إذا تعلقت بمقدوراته وله ضد تعلقت بضده ويتعلق بمثل متعلقه والعجب أن من اعترافهم بكمال أوصاف جلاله ثم تجويزهم عبادة الأصنام التي هي جمادات لا تعطي ولا تمنع ولا تضر ولا تنفع. ويقال: قال أولاً ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الآية 85]، ثم قلل بعدد ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الآية 87] فقدم الذكر على التقوى لأن بتذكرهم يصلون إلى المعرفة ثم بعد أن عرفوه علموا أنه يجب عليهم اتقاء مخالفته ثم بعد ذلك قال: ﴿فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ [الآية 89] أي بعد وضوح الحجة فأي شك بقي حتى تنسبوه إلى السحر والحيلة.

276/ أ ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ﴾ [الآية 90] من التوحيد وبالصدق/ في البعث من الوعد والوعيد ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الآية 90] حيث أنكروا ذلك وكابروا هنالك.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه بيَّن أنهم أصروا على عتوهم وأقاموا على نبوهم وبعد أن أزيحت العلل فلات حين عذر في المحل.

﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ﴾ [الآية 91] لتقدُّسه عن مماثلة أحد ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ﴾ [الآية 91] يساهمه في الألوهية بلا اشتباه ﴿إِذًا﴾ [الآية 91] أي لو كان معه آلهة كما تقولون إذاً ﴿لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ﴾ [الآية 91] أي بما اشتبه بخلقه وامتاز ملكه عن ملك غيره ﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الآية 91] لظهر بينهم التحالب والتغالب كما هو حال ملوك الدنيا، وهذا باطل بإجماع العقلاء بحسب التفحص والاستقراء ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الآية 91] من الولد وشركة الأحد.

﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [الآية 92] هو عالم بما غاب عن العباد وظهر في البلاد فيستوي فيه الأمران عنده وحده. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وحفص بالخفض على أنه نعت لله ﴿فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الآية 92] به من لا علم له بحاله فضلاً عن غيره.

وأفاد الأستاذ: أن اتخاذ الولد والشريك يوجب المساواة في القدرة والخلة والصمدة يتقدّس أن يكون له مثل أو جنس لأن الإثنينية تنافي الأحدية هذا وكل أمر مرتبط باثنين فقد انتفى عنه النظام ودليل التمانع مذكور في مسائل الكلام فتقدّس وتنزّه عن أوهام من أشرك وأفهام من أفك.

﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي﴾ [الآية 93] أي إن كان لا بد من أن تريني ﴿مَا يُوعَدُونَ﴾ [الآية 93] من العذاب في الدنيا ﴿فَلَا تَجْعَلْنِي فِي ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾﴾ [الآية 94] قريباً لهم في العذاب المهين وهو إما لهضم النفس وقبول النعمة في دفع النقمة أو لأن شؤم الظلمة قد تحقق بمن وراءهم من الأمة. قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ [الأنفال: الآية 25]. وعن الحسن أنه سبحانه أخبر نبيه عليه السلام أن له في أمته نقمة ولم يطلعه على وقت البلية فأمره بهذا الدعاء وتكرير النداء من باب زيادة التضرع بالثناء.

وأفاد الأستاذ: أنه عليه السلام يقول: إن عجلت لهم ما تتوعدهم به فلا تجعلني في جملتهم ولا توصل إليّ مثل ما توصل إليهم من عقوبتهم. وفي هذا دليل على أن للحق أن يفعل ما يريد وأنه لو عذّب البريء لم يكن ذلك منه قبيحاً ولا ظلماً للعبيد.

/ ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [الآية 95] لكنا نؤخره على 276/ ب
أمان بعضهم أو بعض أعقابهم، أو لأنّا لا نعذبهم وأنت فيهم. وقيل: قد أراه ببدراً وفتح مكة ما عجل من وعيدهم.

وأفاد الأستاذ: أن الآية تدل على صحة قدرته على خلاف ما علم فإنه أخبر أنه قادر على تعجيب عقوبتهم ثم لم يفعل ذلك فصحت القدرة على خلاف المعلوم، أي بخلاف الإرادة.

﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [الآية 96] كلمة التوحيد وهي العليا ﴿ٱلسَّيِّئَةَ﴾ [الآية 96] الشرك وهي الكلمة السفلى، وقيل: هي الأمر بالمعروف والسيئة المنكر، والأظهر أن السيئة بمعنى الإشارة والتي هي أحسن هو الصفح عن جهتها والإحسان في مقابلتها وهو أبلغ من أن يقال: ادفع بالحسنة السيئة لما فيه من

التنصيص على الزيادة.

وأفاد الأستاذ: أن الهمزة في الأحسن يجوز أن لا تكون للمبالغة ويكون المعنى ادفع بالحسنة السيئة ويجوز أن يكون للمبالغة، فكانت المكافأة جائزة والعفو عنها في الحسن أشد مبالغة. ويقال: ادفع الجفاء بالوفاء وجرم أهل العصيان بحكم الإحسان. ويقال: ادفع ما هو حظك إذا حصل ما هو حق له من قبلك. ويقال: اسلك مسلك الكرم والموافاة ولا تجنح إلى طريق المكافأة. ويقال: الأحسن ما أشار إليه القلب والسيئة ما تدعو إليه النفس. ويقال: الأحسن نور الحقائق والسيئة ظلمة الخلائق ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ [الآية 96] من نعوتنا التي غير لائقة بذاتنا أو أصالتك على خلاف حالك وأقدر على جزائهم منك فكِلْ إلينا أمرهم فيك فإنَّا ندفعهم عنك ونكفيك.

﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾﴾ [الآية 97] وساوسهم وخطراتهم ومتابعة خطواتهم ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ [الآية 98] أن يحوموا حولي في كل حال ومحل لا سيما حال الصلاة والقراءة وحلول الأجل.

وأفاد الأستاذ: أن الاستعاذة في الحقيقة تكون بالله من الله كما قال ﷺ: «أعوذ بك منك»[1] ولكن تفيدنا بالاستعاذة بالله من الشيطان بل من كل ما هو مسلط علينا من الحيوان والإنسان والحق عند ذلك يوصل إلينا مضرّتنا
277/أ بجري العادة علينا وإلا فلو كان بالشيطان من إغواء الخلق شيء باستبداده/ لكان يمسك على الهداية نفسه ومن عجز عن حفظ نفسه كان أشد عجزاً من إغواء غيره. وفي معناه أنشدوا:

جحودي لك تلبيس وعقلي لك تهويس
فمن آدم لولاك ومن في البين إبليس[2]

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (1/ 449) رقم (1150)، والنسائي في السنن الكبرى (1/ 452) رقم (1444)، والبيهقي في شعب الإيمان (3/ 385) رقم (3838)، وابن أبي شيبة في المصنف (2/ 99) رقم (6943).

(2) نسب إلى الحسين بن منصور الحلاج. انظر تفسير الآلوسي (10/ 16).

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾ [الآية 99] متعلق بيصفون وما بينهما جملة اعتراضية.

وقال ابن عطية: حتى هي ابتدائية ﴿قَالَ﴾ [الآية 99] أحدهم تحسر على ما فرط فيه من الإيمان والطاعة وأفرط من الكفر والمعصية لما اطلع على أمر القيامة ﴿رَبِّ ٱرۡجِعُونِ﴾ [الآية 99] ردوني من العقبى إلى الدنيا، والواو لتعظيم المخاطب، وقيل لتكرير قوله أرجعني، وقيل لخطاب الملائكة، ففي الكلام التفات.

﴿لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا﴾ [الآية 100] ينفعني في العقبى ﴿فِيمَا تَرَكۡتُۚ﴾ [الآية 100] أي ضيّعته في الدنيا. وعنه عليه السلام: «إذا عاين المؤمن الملائكة فقالوا نرجعك إلى الدنيا، فيقول: إلى دار الهموم والأحزان»[1] بل قدوماً إليّ، وأما الكافر فيقول: رب ارجعون ﴿كَلَّآۚ﴾ [الآية 100] ردع عن طلب الرجعة واستبعاد عن حصول تلك الحالة ﴿إِنَّهَا﴾ [الآية 100] أي جملة قوله رب ارجعون ﴿كَلِمَةٌ﴾ [الآية 100] طائفة من الكلام ﴿هُوَ قَآئِلُهَاۖ﴾ [الآية 100] أي لا فاعلها أو لا يلتفت إليها ﴿وَمِن وَرَآئِهِم﴾ [الآية 100] أي أمامهم والضمير إلى الخلق بأسرهم ﴿بَرۡزَخٌ﴾ [الآية 100] حائل بينهم وبين الرجعة ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ [الآية 100] وهو يوم القيامة.

قال أبو عثمان: لو علم أهل النار عملاً أنجى لهم من طاعة الله لما فزعوا في وقت البيان إلا إليه بقولهم رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً.

وقال الأستاذ: إذا أخذ البلاء بخناقهم واستمكن الضر من أحوالهم وعلموا أن لا محيص ولا محيد لهم أخذوا في التضرع والاستكانة إلى رب العباد ودون ما يرمون خرط القتاد.

قلت للنفس إن أرَدْتِ رجوعاً فارجعي قبل أن تُسد الطريق[2]

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ [الآية 101] لقيام القيامة ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ﴾ [الآية 101] تلك الساعة لفرط الحيرة وشدة الدهشة بحيث يفر المرء من أخيه وأمه

---

(1) تخريج الأحاديث والآثار (2/ 407).
(2) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 461) و(3/ 483) و(4/ 49) و(5/ 289).

وأبيه وصاحبته وبنيه ﴿وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [الآية 101] ولا يسأل حينئذ أحد عن غيره لاستثقال كل أحد بنفسه كما قال تعالى: ﴿لِكُلِّ ٱمۡرِيٕ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ﴾ [عبس: الآية 37].

﴿فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [الآية 102] موزونات عقائده وأعماله من الطاعات
277/ب ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [الآية 102] الفائزون بالنجاة والدرجات / ﴿وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [الآية 103] من الإيمان والعبادات ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ [الآية 103] حيث ضيّعوها في زمان استكمالها وأبطلوا استعدادها لنيل كمالها وإكمالها ﴿فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ [الآية 103] دائمون نادمون.

﴿تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [الآية 104] أي تحرقها وتسودها ﴿وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ﴾ [الآية 104] من شدة احتراق النيران. والكلوح تقلُّص الشفتين عن الأسنان في «تفسير السلمي».

قال فارس: الأنساب رؤية الأعمال ورجاء الخلاص بها ولا يتساءلون أي لا يتذكرون ما جرى عليهم في الدنيا من نعيمها وبؤسها شغلاً بما هم فيه من أمور العقبى.

وقال الأستاذ: لا تنفع الأنساب ولا ينفع الندم وسيلقى كل ذا غب ما اجترم فمن ثقلت بالخيرات موازينه لاح عليهم تزيينه ومن ظهر ما يشينه وافترى من البلاء فنونه تلفح وجوههم النار وتلمح من شواهدهم الآثار ويتوجه عليهم حجاج الإنكار فلا جواب لهم يُسمع ولا خطاب ينفع ولا عذر يُقبل ولا عذاب عنهم يُرفع ولا عقاب عنهم يُقطع.

هذا ويقال لهم: ﴿أَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ١٠٥﴾ [الآية 105] توبيخ وتذكير لهم بما استحقوا من العذاب لأجل فعلهم ﴿قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا﴾ [الآية 106] وقرأ حمزة والكسائي شقاوتنا بالفتح وهي ضد السعادة أي ملكتنا وقويت علينا بحيث صارت مجامع أحوالنا مؤدية إلى سوء العاقبة ﴿وَكُنَّا قَوۡمٗا ضَآلِّينَ﴾ [الآية 106] عن طريق الهداية.

قال أبو تراب: الشقوة حسن الظن بالنفس وسوء الظن بالخلق.

وأفاد الأستاذ: إنهم يظنوا بالحق ولكن في وقت لا ينفع الإقرار ولا يقبل الاعتذار ثم يقولون: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الآية 107] أنفسنا، والحق يقول: ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ﴾ [الأنعام: الآية 28] علم أن ردهم لا يكون ولو كان كيف كان يكون.

﴿قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا﴾ [الآية 108] اسكتوا سكوت هوان كما في خطاب الكلاب ﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [الآية 108] في رفع العذاب ودفع الحجاب.

وأفاد الأستاذ: أن عند ذلك يتم لهم البلاء ويشتد عليهم العناء لأنهم ما داموا يذكرون الله لم يحصل لهم الفراق بالكلية فإذا حيل بينهم وبين ذكره يتم لهم المحنة والبلية، وهذا أحد ما قيل في قوله تعالى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء: الآية 103]، وفي الخبر: «إنهم ينصرفون بعد ذلك فإذا لهم عواء / كعواء الذئب» هنالك. وبعض الناس يغار على أحوالهم بأن الحق يقول لهم 278/ أ
اخسؤوا وقالوا: يا ليتنا يقول الناس لنا هو بذلك يخاطبنا وهؤلاء يقولون: قدح الأحباب ألذ من مدح الأعداء. وينشدون في هذا المعنى قول بعض الشعراء:

أتاني منك سبك لي فسبّي ... أليس جرى بفيك اسمي فحسبي[1]

قلت: هذا من بعض شطحاتهم حال جذباتهم أو من بعض مقاماتهم في بداياتهم.

﴿إِنَّهُۥ﴾ [الآية 109] أي الشأن ﴿كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى﴾ [الآية 109] وهم الزُّهاد من عبادي ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا﴾ [الآية 109] بمحو السيئة ﴿وَٱرْحَمْنَا﴾ [الآية 109] بقبول الحسنة ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الآية 109] من جميع العالمين.

﴿فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا﴾ [الآية 110] مهزؤواً بهم. وقرأ نافع وحمزة والكسائي بالضم وهما مصدران زيدت فيهما ياء النسبة لقصد المبالغة ﴿حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى﴾ [الآية 110] من فرط تشاغلكم بذكر غيري واستهزائكم بأهل صبري وشكري ﴿وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ [الآية 110] استهزاءً بأرباب فقري.

---

(1) ذكره القشيري في تفسيره (2/ 241).

﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟﴾ [الآية 111] على محنهم ومنها أذاكم لهم ﴿أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [الآية 111] لأن فوزهم بمجامع مراداتهم مخصوص بهم. وقرأ حمزة والكسائي بالكسر على أن الجملة استئنافية فيه معنى التعليلية.

وفي «تفسير السلمي» قيل: الفائزون هم الآمنون من أهوال القيامة. وقال بعضهم: مَن صبر على مخالفة النفس فاز من طغيانه وتعديه.

وأفاد الأستاذ: أن الحق سبحانه ينتقم من أعدائه ما يطيب به قلوب أوليائه وتلك خصيمة الحق لأصفيائه فيقول: قد كان قوم من أوليائي يفصحون بمدحي وثنائي وينصفون بحمدي ودعائي فاتخذتموهم سخرياً في ناديهم فأنا اليوم أجازيهم وأنتقم ممن كان يناديهم.

﴿قَٰلَ﴾ [الآية 112] أي الله أو الملك. وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي: قل، على الأمر للملك المأمور بسؤالهم وتبيين حالهم ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 112] أحياءً وأمواتاً ﴿عَدَدَ سِنِينَ﴾ [الآية 112] تمييز لكم وتبيين ﴿قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ [الآية 113] استقصاراً لمدة لبثهم فيها لأنها منقضية أو بالنسبة إلى ما تيقنوا به من الخلود في العقوبة ﴿فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ﴾ [الآية 113] الذين يتمكنون من عد أيامها إن أردت تحقيق مرامها فإنَّا مشغولون بما نحن فيه من العذاب عن تذكُّرها وإحصائها.

278/ ب ﴿قَٰلَ﴾ [الآية 114] وقرأ حمزة والكسائي: / قل ﴿إِن لَّبِثْتُمْ﴾ [الآية 114] ما مكثتم ﴿إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الآية 114] قدر تلك الأزمنة.

قال يحيى بن معاذ: المغبون من عطّل أيامه بالبطالة. وأفاد الأستاذ: أن الأشياء وإن كانت كثيرة فقد تقصر وتقلّ بالإضافة إلى أن يوفي ويربي عليها كذلك مدة مقامهم تحت الأرض إن كانوا في الراحة فقد تقل بالإضافة إلى الراحات التي يلقونها في القيامة، وإن كانت شديدة فقد تتلاشى في جنب ما يرونه ذلك اليوم من أليم العقوبات المتوالية.

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا﴾ [الآية 115] أي عابثين أو للعب، والمعنى لم نخلقكم تلهيّاً بكم وإنما خلقناكم لنعيدكم ونجازيكم على أعمالكم بحسب

أحوالكم ﴿وَأَنَّكُمْ﴾ [الآية 115] أي وحسبتم ﴿إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [الآية 115] بالجزاء. وقرأ حمزة والكسائي بفتح التاء وكسر الجيم.

وأفاد الأستاذ: أن العبث اللهو والاشتغال بما يلهي من الحق والله لم يأمر العباد بذلك فلم يدعهم إلى ذلك ولم يندبهم إلى ما هنالك، والعابث في فعله من فعله على غير جد الاستقامة ويكون هازلاً مستحلياً بفعله أحكام اللهو إلى نفسه متمادياً في سهوه مستلذ التفرقة في قصده وكل هذا من صفات ذوي البشرية، والحق سبحانه منزَّه النعت عن هذه الجملة بالكلية فلا هو بفعل شيء عابث ولا بشيء من العبث أمر.

﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ [الآية 116] الذي يحق له الملك المطلق ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الآية 116] فإن ما عداه مملوك له وعبيده ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [الآية 116] الذي يحيط بالأجرام وينزل منه محكمات الأحكام، ولذا وصفه بالإكرام.

وأفاد الأستاذ: أن الحق بنعوت جلاله متوحِّد، وفي إزاله وعلو أوصافه متفرِّد بذاته أحق وصفاته حق وقوله صدق ولا يتوجه لمخلوق عليه حق وما يفعله من إحسانه بعباده فليس شيء منها بمستحق ثم ما تجمل سبحانه بالعرش ولكن تقرر العرش بأن أضافه إلى نفسه إضافة خصوصية.

﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ﴾ [الآية 117] يعبد غيره إفراداً أو إشراكاً ﴿لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ [الآية 117] صفة أخرى لإله، لازمة له جيء بها للتأكيد وللتنبيه على أن التديُّن بما لا دليل عليه ليس في محله فضلاً عما دلّ الدليل على خلافه ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ/ رَبِّهِ﴾ [الآية 117] فهو مجاز له بقدر استحقاقه ﴿إِنَّهُ﴾ [الآية 117] أي 279/ أ
الشأن ﴿لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [الآية 117] بدأ السورة بثبوت فلاح المؤمنين وختمها بنفي فلاح الكافرين، ثم أمر رسوله بأن يستغفره ويسترحمه مع أنه رحمة للعالمين فقال: ﴿وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١١٨﴾﴾ [الآية 118] جمعاً بين الدعاء والثناء في مقامي الخوف والرجاء.

وقال الأستاذ: حسابه على الله في أجله وعذابه من الله في عاجله وهو

الجهل الذي أودع قلبه حتى رضي بأن يعبد معه غيره. وقولهم: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الزُّمَر: الآية 3] كلام حاصل من غير دليل عقل ولا شهادة خبر ونقل، فما هو إلا إفك وبهتان وقول ليس يساعده برهان وقل رب اغفر الذنوب واستر العيوب وأجزل الموهوب وارحم حتى لا يستولي علينا هواجم التفرقة ونوازل الخطوب والرحمة المطلوبة بالدعاء هو الصادر عن الرحمة من صنوف النقمة، وسمي الحاصل بالرحمة على وجه التوسع وحكم المجاور في العبارة.

سورة النور

[مدنيّة]

وهي اثنتان أو أربع وستون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أفاد الأستاذ: أن بسم الله اسم نذير الوفاة، فرقته اسم بشير الحياة، وصلته اسم سبب الروح، عرفانه اسم راحة الروح، إحسانه اسم كمال الأنس، إقباله اسم فتنة المهيمن، جماله اسم من شهده دامت سلامته، اسم من وجده قامت قيامته، اسم لا إليه خطوة ولا بدونه سلوة.

﴿سُورَةٌ﴾ [الآية 1] أي هذه ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا﴾ [الآية 1] صفتها ﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾ [الآية 1] أي ما فيها من أحكامها. وشدّده ابن كثير وأبو عمرو لكثرة فرائضها أو للمبالغة في إيجابها ﴿وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ [الآية 1] واضحات المرام موضحات الأحكام ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الآية 1] تتعظون فتتقون الحرام. قال بعضهم: لو لم يكن من آيات هذه السورة إلا براءة الصدِّيقة بنت الصدِّيق حبيبة حبيب الله لكان كثيراً فكيف وقد جمعت من البراهين والأحكام ما لم يجمعه في غيرها.

وقال الأستاذ: أي شرّعنا فيها من الحلال والحرام وبيَّنا فيها من الأحكام وما لكم بها اهتداء وللقلوب عن غمة الاستعجام شفاء، وأنزلنا فيها آيات بيِّنات دلائل واضحات وحجج لائحات لتتذكروا تلك الآيات وتعتبروا بما / فيها من البراهين النيرات. 279/ ب

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ [الآية 2] الجَلد: ضرب الجِلد، وهو حكم يختص بمن ليس بمحصن لما دل على أن حد المحصن هو الرجم، والإحصان بالحرية والبلوغ والعقل والإصابة في نكاح صحيح. واعتبر الحنفية.

وأفاد الأستاذ أن العقوبة على الزنا شديدة أكيدة لكن جعل إثبات أمره وتقرير حكمه بكونه على أكثر الناس خصلة عسيرة بعيدة إذ لا تُقبل الشهادة عليه هنا حتى يقول رأيت ذلك منه في ذلك منها وذلك أمر بمرة شديد وجوده وصعب شهوده، فسبحان مَن أعْظَمَ العقوبة على تلك الفعلة ثم جعل الأمر في إثباتها بغاية الكدر والعناء حفظاً لستر الصيانة على عباده بالخفاء. ثم ما ورد في الخبر عنه ﷺ مما يدهش اللب في ظهور الكرم فيما عامل به ماعزاً حين اعترف بذلك ولم يكن شهود هنالك، لعلك قبّلت، لعلك لامست[1]، وقوله لبعض أصحابه استنكهوه[2]، كل ذلك روماً لدرء الحد عنه إلى أن ألحّ وأصرّ على الاعتراف به. قلت: واعترافه به مع تلقينه عليه السلام بإعذاره وإصراره على إقراره كان من غاية كماله في صدق مقاله وقوة حاله وحسن مآله.

﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ﴾ [الآية 2] وقرأ ابن كثير بفتح الهمزة أي شدة رحمة ﴿فِى دِينِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 2] طاعته وإقامة حده فتعطلوه أو تسامحوا فيه، ولذا ورد في السنَّة ما في الكتب الستة: «لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها»[3] ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [الآية 2] فإن الإيمان به وبمحاسبته ومجازاته يقتضي الجد في طاعته والاجتهاد في إقامة حدوده وأحكام عقوبته وهو من باب تهييج المخاطب ومبالغته على القيام بقضيته فلا نظر إلى ظاهر شرطيته.

قال جنيد: الشفقة على المخالفين كالإعراض عن الموافقين. وقال بعضهم: لا يكون المحب من يصبر على مخالفة حبيبه.

وأفاد الأستاذ: أن ما يأمر به الحق فالواجب مقابلته بالسمع والطوع والرحمة من موجب الشرع وهو المحمود، فأما ما يقتضيه الطبع والعادة فمذموم، ونهي عن الرحمة على مَن خرق الشرع وترك الأمر وأساء الأدب
280/أ وفي مواطن المخالفة انتصب. ويقال: نهانا/ عن الرحمة بهم وهو يرحمهم

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (5/ 117) رقم (4843).
(2) انظر مجمع الزوائد (6/ 432) رقم (10680).
(3) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (4/ 333) رقم (7388).

حيث لا تمحو عنهم تلك الغفلة الفحشاء رغم الإيمان فقال عليه السلام آخر ما قال: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»(1) ولولا رحمته مع استبقى عليه حلة إيمانه مع قبيح جرمه وعصيانه.

﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ﴾ [الآية 2] أي ثلاثة أو اثنان أو واحد ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 2] زيادة في التقرير لإفادة التشهير الموجب للتهذيب فإنه أبلغ من التعذيب ولحصول التنبيه له ولغيره من العدو والحبيب في مقام التأديب.

قال أبو بكر ابن طاهر: لا يشهد مواضع التعذيب إلا من يستحق التأنيب وهم طائفة من المؤمنين لا المؤمنون أجمعون.

وقال الأستاذ: ليكون العذاب أشد عليها وليكون آكد تخويفاً لتعاطي ذلك الفعل من غيرهما ثم من حق الذين يشهدون ذلك الموضع أن يذكروا عظيم نعمة الله عليهم كيف سترهم ولم يفضحهم لديهم ولم يقمهم في موضعه الذي أقام فيه هذا المبتلى به وسبيل من يشهد ذلك الموضع أن لا يعيِّر صاحبه بذلك ولا ينسى حكم الله تعالى في إقدامه على جرمه هنالك.

﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾ [الآية 3] وهذا باعتبار الغلبة، فإن المشاكلة علة الإلفة والمخالفة سبب للنفرة كقوله تعالى: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾ [الآية 26] الآية.

وأفاد الأستاذ: أن الناس أشكال وأمثال فكل يطير مع شكله وكل يألف مع مثله. وأنشدوا:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي(2)

أما أهل الفساد فالفساد يجمعهم وإن تناءت ديارهم، وأما أهل السواء فالسواء يجمعهم وإن تباعد مزارهم ﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 3] لأنه تشبّه

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (5578)، ومسلم في الصحيح (57/ 100).
(2) نسب إلى عدي بن زيد. انظر العقد الفريد (1/ 190) ونهاية الأرب (1/ 268).

بالفسقة وتعدّ من التهمة وتسبب لسوء المقالة والطعن في نسب الذرية ولذلك عبر عن التنزيه بالتحريم مبالغة لقوله تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ﴾ [الآية 32] فإنه يتناول المسافحة ويؤيده أنه عليه السلام سئل عن مَن زنى بامرأة ثم نكحها فقال: «أوله سفاح وآخره نكاح والحرام لا يحرِّم الحلال»[1]. وقد روي أن الآية نزلت
في ضعفة المهاجرين لما همُّوا أن يتزوجوا بغايا أهل الكتاب/ ويكرين أنفسهن 280/ ب
لينفقن عليهم من اكتسابهن على عادة الجاهلية ولذا قدَّم الزاني هنا وقد قدم الزانية فيما سبق لأن الزنا في الأغلب يكون بتعرضها وعرض نفسها ولأن مفسدته إنما تتحقق بالإضافة إليها.

﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَـٰتِ﴾ [الآية 4] يقذفوهن بالزنية ﴿ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾ [الآية 4] على تلك الفعلة ﴿فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَـٰنِينَ جَلْدَةً﴾ [الآية 4] والإحصان هنا بالحرية والبلوغ والعقل والإسلام والعفة عن الزنا ولا فرق فيه بين الذكر والأنثى، وتخصيص المحصنات لخصوص الواقعة التي هي سبب نزول الآية هنا وضربه أخف من ضرب الزنا في الكيفية كما نص عليه في الكمية ﴿وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَـٰدَةً أَبَدًا﴾ [الآية 4] أي شهادة كانت لأنه مفتر أبداً إلى آخر عمره وعليه الحنفية، أو قبل توبته وعليه الشافعية ﴿وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ [الآية 4] المحكوم بفسقهم.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ [الآية 5] عن القذف ﴿وَأَصْلَحُوا۟﴾ [الآية 5] أعمالهم وتداركوا أحوالهم والاستثناء من جملة الأخيرة كما يشير إليه قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الآية 5] وقيل من الجملة المنهية وعليه الشافعية. وقد أفاد الأستاذ أنه سبحانه جعل من شرط صحة توبته إصلاحه فقال وأصلحوا، وهو أن يأتي على توبته مدة تنتشر بالصلاح صفته كما اشتهر بهتك عرض المسلمين قالته، كل هذا لشديد لمن لم يحفظ على المسلمين ظاهر حالته.

﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ﴾ [الآية 6] نسائهم ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ﴾ [الآية 6] على زناهن ﴿إِلَّآ أَنفُسُهُمْ﴾ [الآية 6] بدل من شهداء ﴿فَشَهَـٰدَةُ أَحَدِهِمْ﴾ [الآية 6] أي فعليهم

---

(1) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (7/ 155) رقم (13656)، وابن أبي شيبة في المصنف (3/ 527) رقم (16779)، وعبد الرزاق في المصنف (7/ 202) رقم (12787).

شهادة أحدهم ﴿أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ﴾ [الآية 6] مفعول مطلق، ورفعه حمزة والكسائي وحفص على أنه خبر لشهادة ﴿بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الآية 6] فيما رماها به من الزنا ﴿وَٱلْخَٰمِسَةُ﴾ [الآية 7] أي والشهادة الخامسة ﴿أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [الآية 7] فيما رماها. وقرأ نافع بالتخفيف والرفع، وهذا لعان الرجل وحكمه سقوط حد القذف عنه وثبوت حد الزنا على المرأة لقوله: ﴿وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ﴾ [الآية 8] أي الحد ﴿أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [الآية 8]
281/أ فيما رماني به ﴿وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ/ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٩﴾﴾ [الآية 9] فيما
رماها، ورفع الخامسة بالابتداء وما بعدها الخبر ونصبها حفص عطف على أربع. وقرأ نافع إن غضب الله بتخفيف النون وكسر الضاد ورفع الجلالة.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الآية 10] لآلَ حالكم إلى الفضيحة وعاجلكم بالعقوبة.

وقال الأستاذ: أي لبقيتم في هذه الواقعة المعضلة ولم تهتدوا إلى الخروج من هذه الحالة المشكلة، وإلا ففي عادة الناس من الذين يهتدي لمثل هذا الحكم الخفي لولا تعريف سماوي وأمر نبوي من الوحي مستقاه ومن الله مبتدأه وإليه منتهاه.

هذا وفي تفسير السلمي قال بعضهم: من لم ير فضل الله عليه في جميع الأحوال فهو ساقط عن درجة المعرفة بالأفضال فإن أوائل المعرفة رؤية الفضل ومن شاهد الفضل لا يعمى عن الشكر والتزام المنة ونعمته في الدنيا العافية وفي الأخرى الرضا.

وقال السياري قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية 10] ولم يقل لولا عبادتكم وصلاتكم وحسن قيامكم لله ما نجا منكم من أحد ليُعلم أن العبادات وإن كثرت فإنها من نتائج الفضل.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ﴾ [الآية 11] بأبلغ ما يكون من الكذب مأخوذ من الإفك وهو الصرف ويسمى به لأنه قول مأفوك عن وجهه ومصروف عن نحره. والمراد ما أفك به على عائشة رضي الله تعالى عنها وذلك أنه عليه السلام

استصحبها في بعض الغزوات فأذن ليلة في القفول بالرحيل فمشت لقضاء حاجة ثم عادت إلى الرحل فلمست صدرها فإذا عقد من جزع ظفار قد انقطع فرجعت لتلتمسه فظن الذي كان يرحلها إنها دخلت الهوادج فرحّله على مطيتها وسار، فلما عاد إلى منزلها لم يجد منهم أحداً فجلست كي يرجع إليها منشد وكان سفيان بن المعطل السلمي قد عرس وراء الجيش فأدلج فأصبح عند منزلها فعرفها فأناخ راحلته فركبتها فقادها فاتهمت به[1] ﴿عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ [الآية 11] خبر إن أي جماعة وهي كالعصابة من العشرة إلى الأربعين وهم عبد الله بن أُبيّ وزيد بن
281/ب رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح ابن أثاثة وحمنة بنت جحش ومَن/ وافقهم ﴿لَا تَحْسَبُوهُ﴾ [الآية 11] لا تظنوا الإفك ﴿شَرًّا لَّكُم﴾ [الآية 11] جملة مستأنفة والخطاب للنبي ﷺ وأبي بكر وعائشة وصفوان ﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [الآية 11] لاكتسابكم الثواب العظيم وظهور كرامتكم على الله الكريم بإنزال سبعة عشر آية في براءتكم وتعظيم نزاهة ساحتكم والوعيد بالتهويل لمن تكلم فيكم والثناء الجميل على مَن ظنّ خيراً بكم ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ﴾ [الآية 11] لكل جزاء كسبه بقدر ما خص فيه مختصاً به ﴿وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ﴾ [الآية 11] معظمه ﴿مِنْهُمْ﴾ [الآية 11] من الخائضين وهو ابن أُبي من المنافقين فإنه بدأ به وأذاعه وهو وحسان ومسطح فإنهما ساعداه في التصريح به فالذي بمعنى الذين ﴿لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الآية 11] في العقبى أو في الدنيا بأن جلدوا وصار ابن أُبي مطروداً مشهوراً بالنفاق مبعوداً وحسان أعمى وأشل اليدين ومسطح مكفوف البصر فاقد العين.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه بيَّن في قصة عائشة رضي الله عنها وما كان من حديث إفكها لأنه لا يخلي أحداً من المحنة والبلاء في المحبة والولاء من أقوى أركانه وأعظم برهانه وأصدق بيانه كما ورد يمتحن الرجل على قدر دينه.

وقال: «أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل من الأولياء»[2].

---

(1) أخرجه ابن حبان في الصحيح (10/ 13) رقم (4212)، وأحمد في المسند (6/ 194) رقم (25664).

(2) سبق تخريجه.

ويقال: إن الله سبحانه غيور على قلوب خواص عباده فإذا حصلت مساكنة لبعض إلى بعض في حظه يجري الله ما يرد كل واحد منهما عن صاحبه ويرد إلى نفسه، وقد أنشدوا:

إذا علقت روحي حبيباً تعلّقت به غير الأيام إذ تسلبَنّه[1]

وأن النبي ﷺ لما قيل له أي الناس أحب إليك قال: «عائشة»[2] فمساكنها، وعائشة رضي الله عنها قالت في بعض الأخبار: يا رسول الله إني أحبك وأحب قربك، فأجري حديث الإفك حتى ردَّ رسول الله ﷺ قلبه عنها إلى الله وردت عائشة عنه إلى الله حيث قالت لما ظهرت براءة ساحتها: بحمد الله لا بحمدك كشف الله غيابة تلك المحنة وأزال الشك والشبهة[3]. وأظهر رضي الله عنها براءة ساحتها. ويقال أن: النبي ﷺ قال: «اتقوا فراسة المؤمن فإن المؤمن ينظر بنور الله»[4] فإذا كانت الفراسة صفة المؤمن فأولى الناس بالفراسة كان رسول الله/ ﷺ ثم لم يظهر له بالفراسة ساحتها حتى كان يقول لها: «إن فعلت فتوبي»[5] والسبب فيه أن في أوقات البلاء يبدي الله على أوليائه عيون الفراسة إكمالاً للبلاء. وكان إبراهيم عليه السلام لم يميز ولم يعرف الملائكة حيث قدم إليهم العجل الحنيذ وتوهم أضيافاً. ولوطاً عليه السلام لم يعرفهم ملائكة إلى أن أخبروه أنهم ملائكة. ويقال: إنه كان عليه السلام يقول لعائشة: يا حميراء[6]، فلما كان زمن الإفك وأرسلها إلى بيت أبويها واستوحش الأبوان معها ومرضت عائشة رضي الله عنها من الحزن والوجد الذي بها فكان رسول الله ﷺ إذا رأى 282/ أ

(1) ذكره القشيري في تفسيره (7/ 441).
(2) أخرجه البخاري في الصحيح (3662)، ومسلم في الصحيح (2384/ 8) رقم (6328).
(3) أورده القشيري في تفسيره (5/ 307).
(4) سبق تخريجه.
(5) أخرجه البخاري في الصحيح (4757)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/ 332) رقم (3180)، والطبراني في المعجم الكبير (23/ 108) رقم (150).
(6) أخرجه الحاكم في المستدرك (3/ 129) رقم (4610)، والبيهقي في السنن الكبرى (1/ 6) رقم (15)، والبيهقي في شعب الإيمان (3/ 382) رقم (3835).

واحداً من دار أبي بكر يقول كيف ابنتكم لا عائشة ولا الحميراء. ولكن ما كان يطيب قلبه بالتغافل عنها فكان يقول: كيف تيكم[1]، إن لم يسأل بالتصريح كان يتفقد بالتلويح.

﴿لَّوْلَآ﴾ [الآية 12] هلّا ﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [الآية 12] أي بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [الحُجرَات: الآية 11] وعدل عن الخطاب إلى الغيبة مبالغة في التوبيخ وإشعاراً بأن الإيمان يقضي ظن الخير بالمؤمنين والكف عن الطعن فيهم وذب الطاعنين عنهم كما يذبّونهم عن أنفسهم ﴿وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [الآية 12] مبنياً على حسن الظن الواقع موقع اليقين.

﴿لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ﴾ [الآية 13] أي الأربعة ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 13] أي في حكمه ﴿هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ [الآية 13] فيجري عليهم أمر حده.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه عاتبهم على المبادرة إلى الاعتراض عليها وبسط ألسنة السوء إليها ثم قال: وهلّا جاؤوا على ما قالوا بالشهداء وإذا لم يجدوا ذلك البيان فهلّا تسكنوا عن بسط اللسان.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِ﴾ [الآية 14] أي فضله في الدنيا بأنواع النعم التي من جملتها المهلة للتوبة ورحمته في العقبى بالعفو والمغفرة والوصلة والقربة ﴿لَمَسَّكُمْ﴾ [الآية 14] بالعجلة ﴿فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ﴾ [الآية 14] خضتم ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الآية 14] يستحقر دونه الجلد والملامة.

282/ب وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أخبر أن جرمهم وإن كان عظيماً/ عنده فإنه في حكم الله عنهم غير مؤثر لهم ولولا أن الله سبحانه ينتقم لأوليائه ما لا ينتقم لنفسه لعله لم يذكر هذه المبالغة في أمرهم فإن الذي يقول الأجانب والكفار

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (2661)، ومسلم في الصحيح (2770/ 56).

في وصف الحق سبحانه ما يستحيل وجوده وكونه يوفي ويربي على كل سوء في مشهوده ثم لا يقطع عنهم أرزاقهم ولا يمنع منهم إرفاقهم ولكن ما يتعلق به حقوق أوليائه لا سيما حق سيد أنبيائه فذلك عظيم عند الله وعند أصفيائه.

﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ﴾ [الآية 15] يأخذه بعضكم من بعض ﴿بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ [الآية 15] بالسؤال عنه ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الآية 15] عندكم كقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: الآية 167]، ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا﴾ [الآية 15] سهلاً لا تبعة له أصلاً ﴿وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [الآية 15] وزراً وفعلاً. قال بعضهم: مَن تهاون بما يجري عليه من الدعاوى المنسوبة إليه فقد صغر ما عظم الله لديه لأن الله يقول: ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [الآية 15].

وأفاد الأستاذ: أن سير الذلة إذا لاحظها العبد بعين الاستصغار يحيط كثيراً من الأحوال ويكدر كثيراً من صافي المشارب كالزلال واليسير من الطاعة ربما يستقل العبد وجوده ثم فيها نجاته ونجاة عالم معه.

﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ [الآية 16] مثل هذا القول ﴿قُلْتُم مَّا يَكُونُ﴾ [الآية 16] ما ينبغي ولا يصح ﴿لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا﴾ [الآية 16] بتحقق هذا الفعل ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ [الآية 16] تعجب ممن يقول ذلك أو تنزيه له سبحانه من أن يكون حَرَمُ نبيه فاجرة هنالك ﴿هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ [الآية 16] لعظمة المبهوت عليه فإن حقارة الذنوب وعظمتها باعتبار متعلقاتها كما قد يكون باعتقاد مصادرها وعظمة حالاتها ولذا قالوا: حسنات الأبرار سيئات الأحرار.

وأفاد الأستاذ: إن استماع الغيبة نوع من الغيبة بل مستمع الغيبة شر المغتابين إذ بسماعه يتم قصد قائله فإذا سمع المؤمن ما هو سوء قاله في السلمي مما لا صحة له في التحقيق واليقين فالواجب الرد على قائله بأحسن نصيحة وأدق موعظة ونوع شاغل عن إظهار المشاركة له بأحسن كيفية فإن آبى إلا انهماكهما فيما يقول فرد عليه بما أمكن من الحصول، فإن لم يستح/ 283/أ
قائله من قوله فلا ينبغي أن يستحي المستمع من رد فعله.

﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ﴾ [الآية 17] كراهة أن ترجعوا ﴿لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا﴾ [الآية 17] ما دمتم أحياء مكلفين ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الآية 17] فإن الإيمان يمنع منه ويدفع عنه.

﴿وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ [الآية 18] الدالة على محاسن الشريعة وآداب الطريقة كي تتعظوا أو تتأدبوا بما يجب عليكم من أطوار الحقيقة ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ [الآية 18] بأحوال خلقه ﴿حَكِيمٌ﴾ [الآية 18] في تدبير حكمه.

قال الأستاذ: يتعلق بهذا قوم في أن من بسط لسانه في عائشة رضي الله عنها بعد هذا لم يكن مؤمناً لظاهر هذه الآية، ولعمري قائل هذا مرتكب كبيرة ولكن لا يخرج عن الإيمان بذلك قلت أما بعد إبراء الله تعالى ساحة عصمتها وإنزاله آياته في عفتها وإخباره عزَّ وجلَّ عن براءتها فلا شك أن الطعن فيها طعن في إخباره سبحانه عنها فيكون كفراً صريحاً هنالك ولا أعلم في المسألة خلافاً في ذلك. وأما من طعن فيها بغير ما يفهم من القرآن نفيه عنها بل لما صدر بعض المخالفة منها كما وقع لها مع علي رضي الله عنها فهو من شعار المبتدعة فإن قصدها كان المصالحة وقد حصل لها المراجعة عن تلك الحالة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ﴾ [الآية 19] أي يريدون أن تنتشر وتذيع ﴿ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الآية 19] بحسب ظاهر الشريعة ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ [الآية 19] بالحد والحرقة والحجاب والفرقة ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ [الآية 19] ما في الضمائر ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الآية 19] إلا الظواهر فعاقبوا في الدنيا على ما دل عليه الظواهر والله سبحانه يعاقب على ما في القلوب من حب الإشاعة في السرائر.

وأفاد الأستاذ: إن هؤلاء في استحقاق الذم [أشد] منزلة وأشد معصية حيث أحبوا افتضاح المسلمين ومن أركان الدين مظاهرة المسلمين وإعانة أولي الدين وإرادة الخير بكافة المؤمنين والذي يود فتنة المسلمين فهم شرار الخلق أجمعين والله لا يرضى منه بحاله ولا يؤهله لمنازل خلاص التوحيد وكماله.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾ [الآية 20] لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم تكرير للمنة بترك العجلة بالعقوبة بعد عظمة جرم النسبية.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [الآية 21]/ بإشاعة الفاحشة في 283/ ب
أهل الإيمان ﴿وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [الآية 21] أي طرق تزيينه بأنواع العصيان ﴿فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [الآية 21] أصحابه وأتباعه من أهل الكفر والعصيان والفحشاء ما أفرط قبحه حتى في الطبع، والمنكر ما أنكره الشرع.

وقال الأستاذ: إذا انتقى القلب عن الوساوس وصفا عن الهواجس بدا فيه أنوار الخواطر فإذا سما وقت العبد عن ذلك سقطت الخواطر من الملك وبدا فيه أحاديث الحق سبحانه هنالك كما في الخبر: «لقد كان لكم في الأمم محدثون فإن يك في أمتي فعمر»(1) ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ [الآية 21] بتوفيق التوبة الماحية للمعصية وتشرع الحدود المكفرة ﴿مَا زَكَىٰ﴾ [الآية 21] ما ظهر ﴿مِنكُم﴾ [الآية 21] من دنس السببية ﴿مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [الآية 21] أي إلى غاية ولا نهاية ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ [الآية 21] بعصمته عن المعصية أو بحمله على التوبة ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ [الآية 21] لمقالاتهم ﴿عَلِيمٌ﴾ [الآية 21] بنياتهم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه ردهم في جميع أحوالهم إلى مشاهدة ما من الحق في قسمي نعم النفع والدفع وحالتي العسر واليسر والزكاة من الله والنعماء من الله والآلاء من الله، قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النّحل: الآية 53].

﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾ [الآية 22] لا تحلف أو لا تقصر ﴿أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ﴾ [الآية 22] أي أرباب الفضيلة في الكمال ﴿أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 22] أي ضعفاء الأحوال وفيه دليل على فضل أبي بكر وشرف حالته حيث نزل فيه وقد حلف أن لا ينفق على مسطح بعد، وكان ابن خالته،

(1) سبق تخريجه.

وهو كان من فقراء المهاجرين وأرباب حاجته فالصفات لموصوف واحد كقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل: الآية 120] أو ناساً جامعين لها أو لموصوفات أقيمت الصفات مقام ذواتها ﴿وَلْيَعْفُوا۟﴾ [الآية 22] ما فرط منهم ﴿وَلْيَصْفَحُوٓا۟﴾ [الآية 22] بالإغماض عنهم ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [الآية 22] على عفوكم وصفحكم وإحسانكم إلى من أساء إليكم ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الآية 22] مع كمال قدرته فتخلقوا بأخلاقه ونعته. روي أنه عليه السلام قرأها على أبي بكر رضي الله عنه فقال: بلى أحب، ورجع إلى مسطح بنفقته. قال بعضهم: العفو هو
الستر/ عن ما مضى وترك التأنيب فيما بقي، ثم الأظهر أن العفو بحسب الباطن 284/أ
والصفح باعتبار الظاهر كما يشير إليه مادة الأول والآخر فإن العفو معناه المحو والصحو إعراض صفحة الخير والجانب والكشح، ولعله لهذا المعنى لم يرد الصفوح في الأسماء الحسنى.

وأفاد الأستاذ: أن العفو والصفح بمعنى فكررهما تأكيداً لمبنى ويقال: العفو أن يتجاوز عن الجاني والصفح أن يتناسى جرمه. ويقال: العفو في الأفعال والصفح في جنايات القلوب من الأحوال ومن كان بلطفه سبحانه قوله: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [الآية 22] فإن الله سبحانه لا يغادر في قلوب أوليائه كراهة من غيرهم وأنى بالكراهة من الخلق، والمنفرد بالإيجاد هو الحق. وأنشد:

رب رام لي بأحجار الأذى لم أجد بداً من العطف عليه
فعسى يطلع الله على فرح القوم فيدنيني إليه[1]

هذا وقد تحرك في أبي بكر رضي الله عنه أولاً عرق من البشرية في وصف الانتقام مع مسطح حيث خاض في ذلك الكلام، فلما نزلت الآية لم يرض الصدِّيق أن يتحرك فيه عرق من الأحكام النفيسة والمطالبات البشرية. فأعاد أبو بكر رضي الله عنه ما كان يفعله في الأيام الماضية والإحسان إلى

---

(1) نسب إلى الحسن بن سهل بن منصور. انظر غرر الخصائص الواضحة (1/ 128)، والوافي بالوفيات (3/ 433).

المحسن مكافأة وإلى من لا يسيء ولا يحسن فضل وإلى الجاني فتوة وكرم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾ [الآية 23] العفائف ﴿ٱلۡغَٰفِلَٰتِ﴾ [الآية 23] مما رُمِينَ به ﴿ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ [الآية 23] بالله ورسوله وسائر ما يجب الإيمان به ﴿لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [الآية 23] أُبعِدُوا عن الرحمة ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [الآية 23] وعقاب أليم. قيل: هذا خاص بمن نزل في حقه من أُبي ونحوه من الكفرة. وقيل: حكم كل قاذف قبل التوبة. وقيل مخصوص بقاذف أهل بيت النبوة ولذا قال ابن عباس: لا توبة له ولو فتشت آيات الوعيد لم تجد أغلظ مما نزل في قذف عائشة من التهديد الأكيد.

وقال الأستاذ: بالغ في التوعُّد لهم حيث ذكر اللعنة في شأنهم ووصفه إياهن بالغفلة، أي عما نسبن إليه على جهة المذمة ولكن لبيان تباعدهن عما قيل في حقهن واستحقاق اللعنة/ في الدنيا يدل على أنه لشؤم زلتهم بتغير 284/ ب
عواقب حالاتهم فيخرجون عن الدنيا لا على ملتهم.

﴿يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الآية 24] وقرأ حمزة والكسائي بالتذكير ﴿أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الآية 24] يعترفون بأعمال الشهود عليهم بإنطاق الله إياها من غير اختيارهم.

وقال الأستاذ: تشهد عليهم أعضاؤهم بما عملوا من غير اختيار منهم ثم كما شهد بعض أعضاؤهم عليهم شهد بعض أعضائهم، فالعين كما تشهد إنه نظر بي تشهد أنه بكى بي، وكذا سائر الأعضاء. ويقال: شهادة الأعضاء في القيامة مؤجلة وشهادتنا في المحبة اليوم معجلة من صفرة الوجوه وشحوب اللون ونحافة الجسم وانسكاب الدموع وخفقان القلب من محبة الرب.

﴿يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ﴾ [الآية 25] جزاؤهم المستحق ويعلمون بالعلم اليقين أن الله هو الحق المبين الثابت بذاته الظاهر بنعوته وصفاته لا يشاركه في ذلك سواه ولا يقدر على الثواب والعقاب إلا إياه.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يجازيهم على قدر استحقاقهم للعابدين بالجنة والمثوبة على توفية أعمالهم وللعارفين بالوصلة والقربة على تصفية

أحوالهم، فهؤلاء لهم علو الدرجات وهؤلاء لهم الأنس بعلو المشاهدات ودوام الجنات ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾ [الآية 25] تصير المعارف ضرورية فيجدون المكافأة من النظر وتذكره وتسريح القلب من وصفي تردده وتغيره باستغنائه ببصائره عن تبصّره. ويقال: لا يشهدون غداً إلا الحق فهم قائمون بالحق للحق مع الحق تبين لهم أسرار التوحيد المطلق ويكون القائم عنهم والأخذ لهم عنهم من غير أن يردهم إليهم.

﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ﴾ [الآية 26] أي الخبائث تزوجن الخباث وبالعكس، وكذا أهل الطيب فهو كالدليل لقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ [الآية 26] يعني الرسول وعائشة وصفوان ﴿مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ [الآية 26] أي بتفوهه أهل البهتان ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ [الآية 26] مقرونة بالرحمة ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الآية 26] مثوبة عظيمة/ في الجنة. قيل: لقد برأ الله أربعة، براءة يوسف 285/ أ
بشاهد من أهلها، وبراءة موسى من قول قومه بالحجر الذي ذهب بثوبه، ومريم بإنطاق ولدها، وعائشة رضي الله عنها بما أنزل الله فيها من الآيات مع هذه المبالغات وما ذاك إلا لإظهار منصب الرسالة وإعلاء أهل بيت النبوة هنالك.

وقال سهل: الخبيثات من القلوب للخبيثين من الرجال وخبيثو القلوب من الرجال للخبيثات من النساء. وقال بعضهم: من لم يراع أوامر الله ونواهيه فهو الخبيث.

وقال عبد العزيز المكي: الدنيا وخبائثها من الرجال المحبين لها ولهم تصلح الدنيا، والخبيثون المحبون للدنيا للخبيثات أي لِشهوات الدنيا ولها يصلحون، والطيبات هي درجات الآخرة وكراماتها للطيبين المحبين لها ولهم تصلح الآخرة، والطيبون المحبون للآخرة للطيبات أي للذات الآخرة ولها يصلحون.

وأفاد الأستاذ: أن الخبيثات من الأعمال وهي المحظورات للخبيثين من الرجال المؤثرون لها طوعاً والذين يجنحون إلى مثل تلك الأعمال فهم لها كل مربوط بما يليق به، فالفعل لائق بفاعله والفاعل لائق بفعله في الطهارة

والقذراة والنفاسة والخساسة. ويقال: الخبيثات من الأحوال وهو للحظوظ والمنى والشهوات لأصحابها الساعين لها والساعون لمثلها غير ممنوع أحدهما من صاحبه فالصفة للموصوف لازمة والموصوف لصفته ملازم. ويقال: الخبيثات من الأشخاص لِلخبيثين من الأشخاص وهم الراضون بالمنازل السخيفة، وإن طعمة الكلاب الجيفة. ويقال: الخبيثات من الأموال وهي التي ليست من وجه الحلال لمن بها توبته وعليها تعتكف همته، والخبيث من الرجال لا يميل إلا إلى مثل تلك الأموال وتلك الأموال لا تساعد إلا تلك الرجال والطيبات من الأعمال وهي القرب والطاعات للطيبين وهم المؤثرون لها الساعون في تحصيلها، والطيبات من الأحوال وهي تحقيق المواصلات بما هي/ من الحق مجرداً عن الحظوظ للطيبين من الرجال الذين 285/ ب
هم قائمون بحق الحق لا يصحبون الخلق إلا للتعفف دون استجلاب الشهوات لهم مغفرة في المآل ورزق كريم في الحال وهو ما ينالون من غير استشراف ولا بطلب طمع ولا ذل منه ولا بتقديم تعب.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا﴾ [الآية 27] أي مسكونة وغيرها ﴿غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾ [الآية 27] أي تملكونها أو تسكنونها ﴿حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ﴾ [الآية 27] تستأذنوا من الاستئناس بمعنى الاستعلام من أنس الشيء إذا بصره فإن المستأنس مستعلم للحال مستنكف لأمر الإدخال ﴿وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [الآية 27] فعنه عليه السلام: «أن التسليم أن يقول: السلام عليكم أأدخل ثلاث مرات فإن أذن له دخل وإلا رجع»(1)، رواه ابن ماجه وغيره. وروي أن رجلاً قال للنبي عليه السلام: «استأذن على أمي، قال: نعم، قال: لا خادم لها غيري أستأذن عليها كلما دخلت، قال: أتحب أن تراها عريانة، قال: لا، قال: فاستأذن»(2) رواه أبو داود وغيره ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [الآية 27] ونفعه راجع إليكم وقد نزل هذا عليكم

(1) أورده أبو السعود في تفسيره (6/ 168)، والبيضاوي في تفسيره (1/ 181)، والنسفي في تفسيره (3/ 142).
(2) أخرجه مالك في الموطأ (3/ 375) رقم (901)، والبيهقي في السنن الكبرى (7/ 97) رقم (13336)، وابن أبي شيبة في المصنف (4/ 42) رقم (17600).

﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الآية 27] أراد أن تذكروا وتعلموا ما هو أصلح لكم.

وأفاد الأستاذ: أن الخواص لا يرون لأنفسهم ملكاً ينفردون به لا من الأموال المنقولة ولا من المساكن التي تصلح أن تكون مدخولة فمن فاتحهم بشيء منها فلا يكون منهم منع ولا زجر ولا حجب لأحد ولا خطر هذا فيما ينيط بهم ثم ما ربط به غيرهم فلا يتعرضون لمن هي في أيديهم لا باستشراف طمع ولا بطريق سؤال ولا على وجه انبساط، فإن كان حكم الوقت يقتضي شيئاً من ذلك فالحق يلجىء مَن في يده الشيء هنالك لتحمله بحكم التواضع والتقرُّب ويأخذ المؤتي ذلك بنعت التعزُّز والتأدُّب، وأنشدوا:

إني لأستحيي من الله أن أُرى أطوف بحبل ليس فيه بعير
وأن أسأل المرء اللئيم بعيره وبعران ربي في البلاد كثير(1)

﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا﴾ [الآية 28] يأذن لكم ﴿فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ [الآية 28] حتى يأتي مَن يأذن لكم فإن المانع من الدخول ليس مجرد الاطلاع على العورات بل وعلى ما يخفيه الناس في العادات مع أن التصرف في
ملك/ غيره محظور بغير إذنه واستثنى ما إذا عرض فيه من حرق أو غرق أو كان 286/ أ
فيه منكر محقق أو وجه من صاحبه رضى مطلق ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا﴾ [الآية 28] ولا تلحوا في إذنكم ﴿هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾ [الآية 28] الرجوع أطهر لقلبكم أو أنفع لديكم ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [الآية 28] فنجازيكم على أعمالكم بحسب أحوالكم.

﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾ [الآية 29] كالربط والخانات والحوانيت والحمامات ﴿فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ﴾ [الآية 29] استمتاع وانتفاع من غير مضرة لأحدكم كالاستكنان من الحرارة والبرودة وإيواء الأمتعة والجلوس للمعاملة ونحوها من الحالة ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ [الآية 29] ما تظهرون وما تسترون وعد ووعيد للعباد على ما يريدون من الصلاح والفساد.

---

(1) نسب إلى أعرابي لص. انظر بهجة المجالس وأنس المجالس (1/ 34)، ومقاييس اللغة (1/ 253).

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه رفع الجناح والحرج في الانتفاع بما لا يستنصر به صاحبه بغير إذنه كدخول أرض للداخل فيها غرض كقضاء حاجة أو لا تجد طريقاً غير تلك الجهة إذا لم يكن من دخوله ضرر على صاحبه وجرى هذا مجرى الاستظلال بظل حائطه إذا لم يكن قاعداً في ملكه وكالنظر في المرآة المنصوبة في جدار غيره، وكل هذا إنما يستفاد بالشرع والنقل دون قضية العقل على ما توهمه قوم من الجهل.

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾ [الآية 30] ما يكون جانب محرم ﴿وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ [الآية 30] إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم. وقيل: حفظ الفروج هنا خاصة سترها والأولى تفسيره بالمعنى الأعم والله أعلم ﴿ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾ [الآية 30] أنفع وأنمى وأطهر وأتقى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [الآية 30] لا يخفى عليه خافية من خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وتقديم غض البصر لأن بريد الزنا هو النظر فالحذر الحذر عن موضع الخطر وتهمة البشر.

قال ابن عطاء: أبصار الرؤوس عن المحارم وأبصار القلوب عما سواه.

وقال الأستاذ: أبصار الظواهر عن المحرمات وأبصار القلوب عن الأفكار الرؤية والخواطر المحظورات، ولقد قالوا: إن العين سبب للحين كما قيل:

وأنت إذا أرسلت طرفك رائداً لقلبك يوماً أتعبتك المناظر/ 286/ ب

وقالوا: مَن أرسل طرفه اقتنص حتفه. وإن النظر إلى الأشياء بالبصر توجب تفرقة القلوب إلى الخطر. ويقال: إن العدو إبليس يقول قوسي القوي وسهمي الذي لا يخطىء هو النظر. وأرباب المجاهدات إذا أرادوا صون قلوبهم عن الخواطر الرديئة لم ينظروا إلى المستحسنات النفسية وهذا أصل كبير لهم في المجاهدة في أحوال الرياضة. ويقال: قوم لا ينظرون إلى الدنيا وهم الزاهدون، وقوم لا ينظرون إلى الكون وهم العارفون، وقوم هم أصحاب الهيبة في الوجود كما لا ينظرون بقلوبهم إلى الأغيار لا يرون

نفوسهم أهلاً للشهود، ثم الحق سبحانه يكاشفهم من غير اختيار منهم أو تعرض أو تكلُّف فيهم.

﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ﴾ [الآية 31] فلا ينظرن إلى ما لا يحل لهن النظر إليه من الرجال والنساء ﴿وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [الآية 31] بالتستر عن العراء والتحفُّظ عن الزنا.

وأفاد الأستاذ: أن الندب المطالبة عليهن كالمطالبة على الرجال لشمول لتكليف الجنسين فالواجب عليهن ترك المحظورات والنقل لهن صون القلب عن الشواغل الردية والخواطر الردية ثم إن ارتقين من هذه الحالة فبالتعامي بقلوبهن عن غير معبودهن والله يختص برحمته من يشاء من الأولياء والأصفياء ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ [الآية 31] كالحلي والثياب ونحوها فضلاً عن موضعها لمن لا يحل أن يراها ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [الآية 31] كالخاتم والثياب عند مزاولة أشيائها دفعاً للحرج في سترها واستثنى الوجهان والكفان واتفاقاً لأنها ليست بعورة منها، وكذا القدمان في رواية أبي حنيفة والذراعان أيضاً في رواية أبي يوسف والأظهر أن هذا الاستثناء في الصلاة لا في النظر فإن بدن الحرة كله عورة لا يحل لغير الزوج والمحرم النظر إلى شيء منها بشهوة إلا لضرورة كالمعالجة وتحمل الشهادة وحال الخطبة. قال بعضهم: أزين ما تزين به العبد الطاعة فإذا أظهره فقد ذهبت/ الزينة. 287/أ

وأفاد الأستاذ: أن ما أباح الله سبحانه على بيان مسائل الفقه فمستثنى من الخطر وما وراء ذلك فالواجب عليهن حفظ أنفسهن عن العقوبات في الأجل والتعاون عن أن يكون سبباً لفتنة قلوب عباده في العاجل والله سبحانه كما يحفظ أولياءه عما يضرهم في الدين يصونهم عما يكون سبباً لفتنة غيرهم من أهل اليقين فإن لم يتصل منهم بالخلق منفعة لا يصيب أحداً بسببهم فتنة. وفي الجملة ما فيه زينة للعبد لا يجوز إظهاره فكما أن النساء عورة ولا يجوز لهن إبداء زينتهن كذلك من أظهر للخلق ما هو زينة سرائره من صفاء أحواله وزكاة أعماله انقلب زينه شيناً إلا إذا ظهر شيء لا بتعلمه وتكلفه فذلك مستثنى لأنه غير مؤاخذ بما لم يكن بتصرفه.

﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ [الآية 31] كرَّره ليبان مَن يحل له الإبداء ومن لا يحل له على ما يفهم من الاستثناء بقوله: ﴿إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ [الآية 31] فإنهم المقصودون بزينتهن ولهم أن ينظروا إلى جميع بدنهن إلا أن النظر إلى الفرج خلاف الأولى وقد كرهه بعض العلماء ﴿أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ﴾ [الآية 31] من غيرهن ﴿أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ﴾ [الآية 31] بحسب نسبهن أو رضاعهن لكثرة مداخلتهم عليهن واحتياجهن إلى مداخلتهم لهن وقلة توقع الفتنة من قبلهم وقبلهن لما في الطباع السليمة من النفرة عن مماسة القريبة، ولهم أن ينظروا منهن ما يبدوا عنك المهنة والخدمة لهن والأعمام والأخوال في معنى إخوانهن ﴿أَوْ نِسَآئِهِنَّ﴾ [الآية 31] فيما يجوز كشفهن لهن فالمراد بالنساء كلهن دون المؤمنات منهن على ما ذهب إليه بعض الشافعية من تقييدهن بهن ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾ [الآية 31] أي من إمائهن فإن عبيدهن كالأجنبي لهن. وعند الشافعي يعم الإماء والعبيد لما روى أبو داود أنه ﷺ أتى فاطمة بعبد وهبه لها وعليها ثوب إذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجليها وإذا غطت رجليها لم يبلغ رأسها فقال عليه السلام: «ليس عليك بأس إنما هو أبوك وغلامك»[1]، وفيه أنه واقعة حال لا يصح أن يكون منشأ استدلال/ أو 287/ ب يحتمل أن يكون الغلام صغيراً لم يبلغ الاحتلام وأن يكون هذا مشروطاً بعفته عن الحرام أو من قبيل قوله: ﴿أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ﴾ [الآية 31] أي البله الذين يبتغون الناس لفضل طعامهم ولا يعرفون شيئاً من أمر النساء، ومرامهم وفق معناهم الشيخ الهرم ﴿مِنَ ٱلرِّجَالِ﴾ [الآية 31] المجبوب والخصي خلاف عند الشافعية والصحيح أنهما كالفحل عند الحنفية ﴿أَوِ ٱلطِّفْلِ﴾ [الآية 31] أي الأطفال ﴿ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ﴾ [الآية 31] لم يطلعوا ﴿عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾ [الآية 31] لعدم تميزهم أو لنفي بلوغهم ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ [الآية 31] فيتبين أنهن من ذوات الخلخال فإن ذلك يورث ميلاً في الرجال وهو أبلغ من النهي عن إظهار الزينة وأدل على منع رفع الصوت من غير الحاجة بناء على أن

---

(1) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (7/ 95) رقم (13323)، وأبو داود في السنن (4/ 107) رقم (4108).

صوتهن عورة ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الآية 31] تفوزون بشهادة الدارين، وإنما جمعهم في أمر التوبة أو لا يكاد يخلو أحد منهم من ارتكاب الخطيئة لا سيما في الكف عن الشهوة، وقد ورد: «كلكم خطاؤون وخير الخطائيين التوابون»(1).

وأفاد الأستاذ: أن التوبة هي الرجوع من الأفعال المذمومة إلى أضدادها المحمودة وجميع المؤمنين مأمورون بالتوبة، فتوبة عن الزلة وهي توبة العامة وتوبة عن الغفلة وهي توبة الخاصة، وتوبة عن محاذرة العقوبة وتوبة عن ملاحظة الأمر في الجملة. ويقال: أمر الكافة بالتوبة فالعاصين بالرجوع إلى الطاعة من المعصية والمطيعين من رؤية الطاعة إلى رؤية التوفيق في العبادة وخاص الخاص من رؤية التوفيق إلى مشاهدة الموفق بعين التحقيق. ويقال: أمر الكل بالتوبة لئلا يخجل العاصي بانفراده من الجملة. ويقال: مسامحة الأقوياء مع الضعفاء رفقاً بهم من أمارات كرم الأصفياء. ويقال: بيَّن في قوله ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الآية 31] أنه أمرهم بالتوبة لينتفعوا هم بذلك لا ليكون الحق سبحانه بتوبتهم وطاعتهم تحمل هنالك. ويقال: أحوج الناس إلى التوبة من توهم أنه ليس يحتاج إلى التوبة.

288/أ ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ﴾ [الآية 32] الخطاب للأولياء والسادة والأمر للندب عند الحنفية وللوجوب عند الشافعية. وفيه إشعار بأن الأَمَةَ والعبد لا يستبدءان به، والأيامى مقلوب أيام جمع أيم وهو العزب ذكراً كان أو أنثى، بكراً أو ثيباً، وتخصيص الصالحين لأن إحصان دينهم أتم والاهتمام بشأنهم أهم ﴿إِن يَكُونُوا۟﴾ [الآية 32] أي الأيامى ﴿فُقَرَآءَ﴾ [الآية 32] قليليّ المال عديمي الغنى ﴿يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [الآية 32] فإن المعونة بقدر المعرفة

(1) أخرجه ابن ماجه في السنن (2/ 1420) رقم (4251)، والترمذي في الجامع الصحيح (4/ 659) رقم (2499)، وأبو يعلى في المسند (5/ 301) رقم (2922)، وابن أبي شيبة في المصنف (7/ 62) رقم (34216).

وفيه وعد من الله بالغنية لقوله عليه السلام: «أطلبوا الغنى في هذه الآية»[1] وظاهرها مطلقة بخلاف من قيده بالمشيئة مع أنه لا يقع شيء إلا بالمشيئة والإرادة ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ [الآية 32] ذو سعة لا تنفذ نعمته إذ لا تنتهي قدرته ﴿عَلِيمٌ﴾ [الآية 32] بعباده يبسط الرزق ويقدِّر لهم وفق ما أوجبته مشيئته على ما تقتضيه حكمته.

وقال الأستاذ: إذا كان القصد في المناكحة التأدُّب بآداب الشرع يكفي الله ببركاته مطالبات النفس والطبع، فيجب أن يكون الصفة إلى التعفف والتوكل على الله ثم رجاء نسل يقوم بحق الإلٰه إن يكونوا فقراء بالمال يغنيهم الله بالحال فإن الغنى غنى النفس وهو غنى القلب وغنى القلب هو الغني عن الشيء والغنى عن الدنيا أتم من الغنى بالدنيا. وقد يقال: أن يكونوا فقراء في الحال يغنيهم الله في الاستقبال والمآل.

﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ﴾ [الآية 33] أي ليجتهد في العفة بقمع الشهوة ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ [الآية 33] أسبابه من المهر والنفقة بأن يكون في حالة المسكنة وعدم الملك بالمرة ﴿حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [الآية 33] فيجدوا ما يكفيهم في القضية.

قال أبو عثمان: لأن يغنيك عنها خير من أن يغنيك بها. وقال بعضهم: من صح افتقاره بالله صح استغناؤه عما سواه.

وأفاد الأستاذ: أن من تقاصر وسعه عن الإنفاق على العيال فليصبر على مقاساة التجمّل في الحال فعن قريب تجيبه نفسه إلى سقوط الإرب أو الحق سبحانه يجود عليه بتسهيل السبب/ من حيث إنه ما احتسب ولا خطر بباله أنه 288/ ب
اكتسب ﴿وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الآية 33] المكاتبة وهي أن يقول الرجل لمملوكه: كاتبتك على كذا من مال وخدمة، وهو مأخوذ من الكتابة لأن السيد كتب على نفسه والتزم عتقه إذا أدّى حقه ﴿فَكَاتِبُوهُمْ﴾ [الآية 33] أمر ندب عند أكثر العلماء وإطلاقه يدل على جواز الكتابة الحالة كما ذهب إليه الحنفية فلاشتراط كون

(1) أورده أبو السعود في تفسيره (6/ 171)، والبيضاوي في تفسيره (1/ 184).

الكتابة منجمة كما ذهب إليه الشافعية ﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ [الآية 33] أمانة وقدرة على أداء المال بالحرفة، وقد روي مثله مرفوعاً وموقوفاً، وقيل صلاحاً وديانة ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الآية 33] أمر للموالي بأن يبذلوا لهم شيئاً من أموالهم وفي معناه حط شيء من مال الكتابة عنهم وهو للوجوب عند أكثر الفقهاء. وعن علي: «يحط الربع» وعن ابن عباس يحط الثلث[1]، وقيل: أمر لعامة المسلمين بإعانة المكاتبين وإعطائهم سهمهم من الزكاة. ويحل للمولى وإن كان غنياً لأنه لا يأخذه صدقة كالدائن والمشتري ويدل عليه قوله ﷺ في حديث بريرة: «هو لها صدقة ولنا هدية»[2].

وقال الأستاذ: إن سمحت نفوسكم بإزالة الرق عن المماليك الذين هم إخوانكم في الدين من غير عوض تلاحظون منهم فلا تخسرون على الله في صفقتكم وإن أبيتم إلا العوض وادعوا إلى الكتابة وعلمتم بغالب ظنونكم صحة الوفاء بمال الكتابة من قبلهم فكاتبوهم ثم تعاونوا على تحصيل المقصود بكل وجه من قدر يُحَطُّ من مال الكتابة وإعانة لهم من فروض الزكاة وإمهال بقدر يحتمل المكاتب ليكون ترفيهاً له، هذا وإذا كان في الشرع نحن مأمورون بكل هذا الرفق حتى يصل المملوك المسكين إلى العتق فبالحر أن يسموا الرجاء إلى الله تعالى بجميل الظن أن يعتق العبد من النار بكثرة تضرعه وقدم سعيه بقدر وسعه من عناء قاساه وفضل من الله عن قديم رجاه. ثم في
الخبر: «إن المكاتب عبد ما بقي عليه درهم»[3] والعبد يسعى بجهده ليصل / 289/ أ
إلى تحرُّر قلبه وما دام يبقى عليه بقية من قيام الأخطار وشظية من الاختيار وإرادة شيء من الأغيار فهو بكمال رقه ليس بِحُرٍّ في حقه.

﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَٰتِكُمْ﴾ [الآية 33] إمائكم ﴿عَلَى ٱلْبِغَآءِ﴾ [الآية 33] على الزنا

---

(1) أورده البيضاوي في تفسيره (1/ 185).
(2) أخرجه البخاري في الصحيح (5279)، ومسلم في الصحيح (1504/ 14).
(3) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح (3/ 560) رقم (1259)، ومالك في الموطأ (2/ 787) رقم (1486)، وابن أبي شيبة في المصنف (4/ 316) رقم (20564).

﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ [الآية 33] أي تعفُّفاً، وهو شرط للإكراه فإنه لا يوجد بما سواه باكتساب الزنا ﴿لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الآية 33] باكتساب الزنا ﴿وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الآية 33] أي لهن لما في مصحف ابن مسعود من بعد إكراههن لهن غفور رحيم.

وأفاد الأستاذ: أن حامل المعاصي على زلته والداعي له إلى عثرته والمعين له على مخالفته يتضاعف عليهم العقوبة وله من الوزر أكثر من غيره ولو كان الأمر في الطاعة والإعانة على العبادة فالأمر بعكسه.

﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ﴾ [الآية 34] في هذه السورة وغيرها من الأحكام الواضحات يصدقها الكتب المتقدمة والفعول المستقيمة ﴿وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟﴾ [الآية 34] من أمثال من مضى ﴿مِن قَبْلِكُمْ﴾ [الآية 34] أي وقصة عجيبة من قصصهم، فإن قصة عائشة رضي الله عنها كقصة يوسف ومريم عليهما السلام ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [الآية 34] وخصوا لأنهم المراد بكونهم المنتفعين.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه لم يغادر على وجه الدليل غباراً مُحلاً لم يترك للإشكال محلاً بل أوضح المنهاج وأضاء السراج وأنار السبيل وألاح الدليل فمن أراد أن يستبصر لا يلحقه نصب ولا يمسه تعب.

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 35] أي منوِّر السمٰوات والأرض، وقد قرىء به، فإن الله نوّرها بالكواكب وما يفيض عنها من الأنوار، وبالملائكة والأنبياء وما يستفاد عنهم من الأسرار. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: هادي من فيهما فهم بنوره يهتدون وإضافته إليها لاشتمالها على الأنوار الصورية والمعنوية فهو الذي يبصر بنوره ذو العماية ويرشد بظهوره ذو الغواية.

وقال جنيد: أي هو منوِّر قلوب الملائكة حتى سبَّحوه وقدّسوه ومنوِّر قلوب الرُّسل وأتباعهم حتى عرفوه وعبدوه. وقال بعضهم: نور السمٰوات/ 289/ ب الملائكة ونور الأرض الأنبياء والأولياء وأرباب المعرفة. وقيل: السمٰوات إشارة إلى القلوب والأرض عبارة عن الأجساد والأشباح. وقال: أي منوِّرها وخالق ما فيها من الضياء والزينة اللاحقة وموجد ما أودعها من الأدلة اللائحة. ويقال: نوَّر

السماء بنجومها فقال: ﴿زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ [المُلك: الآية 5] فكذلك زين القلوب بالأنوار التي هي نور العقل ونور الفهم ونور العلم ونور اليقين ونور المعرفة ونور التوحيد وسائر الأنوار والأسرار ولكل شيء من هذه الأنوار مطرح شعاع يقدِّره في الزيادة والنقصان بحسب الأطواف في اختلاف المقدار.

﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ [الآية 35] صفة نوره العجيبة الشأن وظهوره الغريبة البرهان وإضافته إلى ضميره مشير إلى أن إطلاقه عليه ليس على ظاهره. وقرىء: مثل ثوره في قلب المؤمن.

وقال سهل: مثل نور محمد ﷺ. ويؤيده قراءة أُبي: مثل نور المؤمن.

وقال سفيان: مثل نور القرآن المكرَّم ﴿كَمِشۡكَوٰةٖ﴾ [الآية 35] أي كصفة مشكات وهي الكوة الغير النافذة ﴿فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ﴾ [الآية 35] سراج لنوره معراج ﴿ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ﴾ [الآية 35] قنديل من الزجاج ﴿ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ﴾ [الآية 35] منسوب إلى الدر، أي مضيء متلألىء كالزهرة في صفائه وزهرته وضيائه. وقرأ حمزة وأبو بكر: دري بالهمز فعيل من الدرءِ فإنه يرفع الظلام بضوئه وبرقانه أو بعض ضوءه بعضاً من غاية لمعانه. وقرأ أبو بكر والكسائي بكسر الدال والهمز أي كثير الدفع كشريب كثير الشرب ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ﴾ [الآية 35] ابتداء ثقوب المصباح من زيت شجرة الزيتون المتكاثر نفعه بأن رديت ذبالته بزينتها حين وصفه، وفي إبهام الشجرة ووصفها بالبركة ثم إبدال الزيتونة عنها تفخيم لشأنها. وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالتذكير والبناء للمفعول من أوقد على إسناده إلى المصباح، وحمزة والكسائي وأبو بكر بالتأنيث، كذلك على إسناده إلى الزجاجة بحذف المضاف إلى مصباح الزجاجة. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: وتوقد بلفظ الماضي.

290/أ قال الواسطي: نفس خلقها الله تعالى مؤمنة فسماها/ شجرة مباركة كشجرة زيتونة.

وقال أبو سعيد الخراز: المشكات جوف محمد ﷺ والزجاجة قلبه والمصباح نوره الذي جعل فيه والشجر إبراهيم عليه السلام جعل الله في قلبه

من النور ما جعل في قلب محمد ﷺ من السرور ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ [الآية 35] لا نابتة في شرقها المعمورة ولا في غربها المغمورة بل في وسطها وهو الشام المشهورة فإن زيتونها أجود أنواعها.

قال جنيد: لا هي مائلة إلى الدنيا ولا راغبة في الأخرى ولكنها فانية الحظ عن سوى المولى. وقال جعفر: لا خوف يوجب القنوط ولا رجاء يجلب الانبساط فتكون واقعة بين الخوف والرجاء.

وقال الواسطي: لا دنيوية ولا أخروية جذبها الحق إلى قربه وأكرمها بعناية حبه ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ﴾ [الآية 35] أي بنفسه ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ [الآية 35] لتلألؤه وفرط لمعانه ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ [الآية 35] متضاعف في مراتب ظهوره فإن نور المصباح زاد في إنارته صفاء الزيت وضياء الزجاجة وضبط المشكات للأشعة.

وفي «تفسير السلمي»: يكاد ضياء روحها يتوقد ولو لم يدعه نبي ولم يسمع كتاباً ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ [الآية 35] نور الهداية في النهاية وافق نور الروح في البداية وقيل: نور المعرفة والإيقان يزيد على نور الإيمان.

وقال الواسطي: الزيت التوفيق والنار التشديد والنور القرآن.

وقال الحسن البصري: أراد بذلك قلب المؤمن وضياء التوحيد لأن قلوب الأنبياء عليهم السلام أنور من أن يوصف بهذه الأنوار. وقال بعضهم: نفس المؤمن مثل بيت وقلبه مثل قنديل ومعرفته مثل السراج وفمه مثل الكوة إلى العرش ولسانه مثل باب الكوة والقنديل معلق بباب الكوة إذا افتتح اللسان بما في القلب من الذكر استضاء المصباح من كوته إلى العرش، فالزجاجة من التوفيق وقنديلها من الزهد ودهنها من الرضا وعلائقها من العقل يكاد يزهر من قلب المؤمن على لسانه إذا ذكر ما بين المشرق والمغرب من ضيائه ولمعانه. وقيل في قوله عزَّ وجل: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 35]/ هو 290/ ب
شواهد الربوبية ودلائل وحدانيته فمثل معرفته في قلوب العارفين كمصباح في مشكات شبه نور المعرفة في القلب بالمصباح وشبه قلب المؤمن بالقنديل. وقال

بعضهم: المصباح سراج المعرفة وفتيلته الفرائض ودهنه الإخلاص ونوره الاتصال، فكلما ازداد الإخلاص صفاء ازداد المصباح ضياء وكلما ازداد الفرائض ظهوراً ازداد المصباح نوراً ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ [الآية 35] فإن الأسباب دون مشيئته لاغية وإرادته من غير سبب وعلة كافية ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾ [الآية 35] إدناء من المعقول المحسوس توبيخاً وبياناً في مقام القياس ومرام الاستئناس ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الآية 35] عقلياً وجنسياً ظاهراً كان أو خفيّاً.

وقال الحسين: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وهو نور النور ﴿يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ بنوره إلى قدرته وبقدرته إلى غيبه وبغيبه إلى قدمه وبقدمه إلى أزله وأبدله وبأزله وأبده إلى وحدانيته لا إلٰه إلا الله هو المشهود شأنه المقرر سلطانه يزيد من يشاء علماً بتوحيده ووحدانيته وتنزيهه وصمدانيته وإجلال مقامه وتعظيم ربوبيته.

قال الجورجاني: الرجاء مثل نور والخوف مثل نور والمحبة مثل نور فإذا اجتمعت في قلب المؤمن يكون نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء يوصل الله إلى هذه الأنوار من نوره في الآزال بأنوار قدسه وأسرار أنسه فيقبل هذه الأنوار التي في الباطن على أداء الفرائض واجتناب المحارم فيصير المؤمن منوراً بنور الله واصلاً إليه بتوحيده.

وقال جعفر بن محمد: الأنوار مختلف الأطوار أوله نور حفظ القلب ثم نور الخوف ثم نور الرجاء ثم نور الحب ثم نور التفكُّر ثم نور اليقين ثم نور التذكُّر ثم نور النظر ثم نور العلم ثم نور الحياء ثم نور حلاوة الإيمان ثم نور الإسلام ثم نور الإحسان ثم نور النعماء ثم نور القضاء ثم نور الآلاء ثم نور الكرم ثم نور العطف ثم نور الغيب ثم نور الإحاطة ثم نور الهيبة ثم نور الحيرة ثم نور الحياة ثم نور الأنس ثم نور الاستقامة ثم نور الاستكانة ثم / 291/أ
نور الطمأنينية ثم نور العظمة ثم نور الجلال ثم نور القدرة ثم نور الجذبة ثم نور القوة ثم نور الألوهية ثم نور الوحدانية ثم نور الفردانية ثم نور الأبدية ثم نور السرمدية ثم نور الديمومية ثم نور الأزلية ثم نور النقابية ثم نور الهوية ولكل واحد من هذه الأنوار أهل وله حال ومحل فكلها من أنوار الحق التي

ذكرها الله تعالى في قوله: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [الآية 35] ولكل عبد من عبيده مشرب من نور هذه الأنوار وربما كان حظه من نورين وثلاث وأكثر ولم تتم هذه الأنوار لأحدٍ إلا للمصطفى ﷺ فإنه القائم مع الله تعالى بشرط تصحيح العبودية والمحبة فهو نور ومن ربه على نور.

هذا وقد أفاد الأستاذ أنه سبحانه أراد بهذا نور قلب المؤمن وهو معرفته فشبّه صدره بالمشكاة وشبّه في صدره بالقنديل في المشكاة، وشبّه معرفته بالمصباح في القنديل، وشبّه القنديل الذي هو قلبه بالكوكب الدريّ، وشبّه إمداده لمعرفته بالزيت الصافي الذي يمد السراج في الإشتعال، ثم وصف الزيت بأنه على كمال إدراك زيتونة من غير نقصان أصابه أو خلل مسّه، ثم وصف ذلك الزيت في صفوته بأنه بحيث يكاد يضيء من غير أن يمسه نار. ويقال: نار، ويقال: إن ضرب المثل لمعرفة المؤمن بالزيت أراد به شريعة المصطفى ديناً حنيفاً ما كان يهودياً وهم الذين قبلتهم إلى جانب المغرب ولا نصرانياً وهم الذين قبلتهم في ناحية المشرق. وقوله: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ﴾ [الآية 35] أي نور اكتسبوه بجهدهم بنظرهم واستدلالهم ونور وجدوه بفضل الله كالبيان إضافة إلى برهانهم وكالعيان إضافة إلى بيانهم فهو نور على نور. ويقال: أراد به قلب محمد ﷺ ونور معرفته أوقد نوره من شجرة مباركة وهي إبراهيم عليه السلام وهو ﷺ على دين إبراهيم عليه السلام. وقوله: ﴿لَّا شَرۡقِيَّةٖ﴾ [الآية 35] بحيث يصيبها الشمس ما يغشي دون الغدوة ﴿وَلَا غَرۡبِيَّةٖ﴾ [الآية 35] بالغدوة دون
291/ ب العشي بل تضيئه/ الشمس طول النهار ليتم نضج زيتونه ويكمل صفاء زيته والإشارة فيه أنه لا ينفرد خوف قلوبهم عن الرجاء فيقرب من اليائس ولا ينفرد رجاؤهم عن الخوف فيقرب من الآمن بل هما يعتدلان فلا يغلب أحدهما الآخر نعتاً بل هيبتهم وأنسهم وبغضهم وبسطهم وصحوهم ومحوهم وبقائهم وفنائهم وقيامهم بآداب الشريعة والطريقة وتحققهم بجوامع الحقيقة. ويقال: لا شرقية ولا غربية كذلك هممهم لا تسكن شرقياً ولا غربياً ولا علوياً ولا سفلياً ولا جنياً ولا أنسياً ولا عرشياً ولا كرسياً عن الأكوان ولم تجد سبيلاً إلى حقيقة الرحمٰن لأن الحق منزّه عن اللحوق فبقيت عن الخلق منفصلة وبالحق غير متصلة «الإسلام

بدأ غريباً وسيعود غريباً فطوبى للغرباء»(1). ويقال: نور الطلب ثم وحيه وهو دوام الانزعاج فلا يذره يعرج في أوطان الكسل بل يصل سيره بسراه في استعمال فكره، فالحق يمده بنور التوفيق وسر التحقيق حتى لا يصده من عوارض الاجتهاد شيئاً من رياسة أو ميل بسواه وهواه وعادة فإذا أسفر صبح غفلته واستمكن النظر في موضعه حصل العلم لا محالة ثم لا يزال يزداد يقيناً على يقين فما يراه في معاملته من القبض والبسط والمكافأة في زيادة الكشف عند زيادة الجهد وحصول الوجد عند أداء الورد، ثم بعده نور المعاملة ثم نور المنازلة ثم متفرع نهار الوصلة وشموس التوحيد مشرقة وليس في أسماء أسرارهم سحاب وليس في هواء أنوارهم ضباب.

قال الله: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [الآية 35]. ويقال: نور المطالبة يحصل للقلب في البداءة فيحمل صاحبه على المحاسبة فإذا نظر في ديوانه وما أسلفه من عصيانه يحصل له نور المعاتبة فيعود على نفسه باللائمة ويتجرع كاسات ندم الندامة فيرتقي عن هذا باستدامة قصده والتبقي عما كان عليه في أوقات فترته فإذا استقام فيه كوشف بنور المراقبة فيعلم دائماً أنه سبحانه مطلع
292/ أ عليه وحاضر لديه وناظر إليه وبعد هذا/ نور المحاضرة وهي لوائح تبدو في السرائر وتظهر في الضمائر، ثم بعد ذلك نور المكاشفة وذلك بتجلي الصفات ثم بعده أنوار المشاهدة فيصير ليله نهاراً ونجومه أقماراً وأقماره بدوراً وبدوره شموساً ثم بعد هذا أنوار التوحيد وعند ذلك تحقيق التجريد بخصائص أسرار التقدير ثم ما لا يتناوله عبارة ولا يدركه إشارة، فالبيان خرس والشواهد طمس وشهود الغير في الخيال عند ذلك من المحال فعند ذلك ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ [التكوير: الآيات 1،4] و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ [الانشقاق: الآية 1] و﴿ٱنفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: الآية 1]، وهذه كلها أقسام الكون وما من العدم صار لهم إلى العدم القائم عنهم غيرهم والكائن عنهم

---

(1) أخرجه مسلم في الصحيح (145/ 232)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/ 18) رقم (2629)، وابن ماجه في السنن (2/ 1320) رقم (3988)، والدارمي في السنن (2/ 402) رقم (2755).

سواهم جلّت الأحدية وعزّت الصمدية وتقدّست الديمومية وتنزّهت الألوهية. وروي أن أبي منصور الماتريدي أن الإسلام معرفة تكاليف الأحكام ومحله الصدر لقوله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزمر: الآية 7] والإيمان معرفة بالله من جهة ذاته وصفاته ومحله القلب لقوله سبحانه: ﴿وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: الآية 7] والقلب داخل الصدر والمعرفة محله السر وهو داخل الفؤاد وهذا هو المعنى إن المراد في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [الآية 35] الآية، فإنه جعل الصدر بمنزلة المشكاة والقلب بمنزلة الزجاجة والفؤاد بمنزلة المصباح والسر بمنزلة الشجرة وداخل السر وهو الشمر موضع خفي هو موضع نور الهداية ولا صنع فيه للعبد، لا في البداية ولا في النهاية، إلا أن الله سبحانه إذا أراد أن يهدي قلبه بلطفه الوفي ألقى فيه نور الهداية في الهداية الخفي فيتلألأ في ظهور النور الجلي وهو معنى قوله: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ [الآية 35] ثم يتلألىء النور إلى السر على وجه السرور فيقوم للعبد فعل التوحيد في غاية من الظهور ولا يسكن ذلك النور في القلب فيقوم له فعل الإيمان المعرفة فيصير عارفاً بالله وصفاته ثم يتلألأ ذلك النور في القلب فيقوم له فعل ثم يتلألأ في الصدر فيقوم له فعل الإسلام ثم ينتشر ذلك النور إلى جميع الأعضاء وكل الأجزاء فيتقاضى العبد باجتناب الزواجر وارتكاب الأوامر فيكون مؤمناً كاملاً عالماً عاملاً.

﴿فِى بُيُوتٍ﴾ [الآية 36] متعلق بيوقد فيكون تمثيلاً لأبدانهم/ بالمساجد 292/ب
وتشبيهاً لقلوبهم المتعلقة بتلك المشاهد ﴿أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾ [الآية 36] بالتعظيم والتكريم ﴿وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ [الآية 36] ولو على وجه التعلّم والتعليم من المذاكرة فيما يتعلق بذاته وصفاته والمباحثة في أحكام عباداته وتحقيق مصنوعاته. قال بعضهم: ترفع الحوائج إلى الله.

وقال أبو عثمان: إذا دخلت المسجد فارفع عن قلبك كل همة سوى الله فإن الله تعالى خص به الرفع والذكر. وقال بعضهم: ترفع الحوائج عن القلوب وتشتغل القلوب بذكر علّام الغيوب فإنه عليه السلام قال حاكياً عن

ربه: «مَن شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أُعطي السائلين»(1).

وأفاد الأستاذ: أن المساجد بيوته سبحانه وأن الله أذن أن ترفع الحوائج فيها إلى الله فيقضيها ورفع أقدار تلك البيوت على غيرها من الأبنية والآثار والمساجد بيوت العبادة والقلوب بيوت الإرادة فالعابد يصل بعبادته إلى ثواب الله والقاصد يصل بإرادته إلى الله. ويقال: القلوب بيوت المعرفة والأرواح مشاهد المحبة والأسرار محال المشاهدة ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ [الآية 36] ينزِّهونه فيها على دوام الأوقات أو يصلون فيها بالغدواة والعشيات.

﴿رِجَالٌ﴾ [الآية 37] لهم كمال وبربهم وِصَال. وقرأ ابن عامر وأبو بكر يسبح بالفتح على إسناده إلى أحد الظروف الثلاثة ورفع رجال بما يدل عليه من نحو يسبح ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ﴾ [الآية 37] لا تشغلهم معاملة من بيع وشراء ونحوهما ﴿عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 37] من بيان ذاته وصفاته وغيرهما ﴿وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ [الآية 37] وأمثالهما.

وقال الأستاذ: لم يقل لا يتجرون ولا يبيعون ولا يشترون بل قال: ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 37] فإن أمكن الجمع بينهما فلا بأس ولكنه كالمتعذر إلا على الأكابر الذين تجري عليهم الأمور وهم عنها مأخوذون. ويقال: هم الذين يؤثرون حقوق الحق على حظوظ النفس. ويقال: إذا سمعوا صوت المؤذِّن حي على الصلاة تركوا ما هم فيه من التجارة والبيع وقاموا لأداء
293/ أ حقه. ويقال: هم الخواص / والأكابر الذين لا يشغلهم قوله: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الصَّف: الآية 10] عن التحقق بذكره من غير ملاحظة عوض أو مطابقة سبب وغرض ﴿يَخَافُونَ﴾ [الآية 37] أي مع ما هم عليه من الطاعات والأذكار ﴿يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الآية 37] تضطرب من أهوالها أو تنقلب أحوالها فتفقه القلوب حينئذ ما لم تكن تفقهه وتبصر الأبصار ما لم تبصر أو تتقلب القلوب بين توقع النجاة والثواب وخوف الهلاك والعقاب والأبصار من أي

(1) سبق تخريجه.

ناحية يؤتى كتابهم أو يؤخذ بهم من جهة حسابهم. إذا علمت أنه مقلب القلوب والأبصار فليكن شغلك في النظر إلى فعله فيك وتوقى الخلاف والغفلة عنك.

وقال الأستاذ: أقوام ذلك اليوم مؤجلهم وآخرون ذلك معجل لهم وهو ما هم فيه من الأوقات فإن حقيقة الخوف ترقُّب العقوبات مع مجاري الأنفاس وممر الساعات.

﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الآية 38] متعلق بيسبِّح أو يخافون وقيل اللام لِلعاقبة ﴿أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟﴾ [الآية 38] أحسن جزاء أعمالهم الموعود له من الجنة بمقتضى عدله ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ [الآية 38] أشياء لم يعدهم على أعمالهم مما لم يخطر ببالهم ﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الآية 38] في العطية والمنَّة وهو تقرير للزيادة وتنبيه على سعة القدرة ونفاذ المشيئة.

وأفاد الأستاذ: أن من رفع الحساب من الوسط يرفع معه الحساب في القسط، ومن هو في أسر مطالباته فالوازن يومئذ الحق فمن ثقلت موازين عباداته وخفت موازين طاعاته والرزق بغير حساب في أرزاق الأرواح ومحصور ومعدود في أرزاق الأشباح هي وجود أفضال وفنون نوال وما حصره الوجود من الحوادث فلا بد من أن يأتي عليه العدد ويقال له بالتمام والأرواح مكاشفة شهود الجمال والجلال وذلك على الدوام.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ [الآية 39] التي يحسبونها صالحة نافعة نافقة يجدونها لاغية في العاقبة ﴿كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ﴾ [الآية 39] أي أرض مستوية، والمعنى كشيء يرى في الفلاة من لمعان الشمس عليها فيظن أنه ماء يشرب أنه يجري/ 293/ ب
فيها ﴿يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً﴾ [الآية 39] وتخصيص العطشان بالذكر لتشبيه الكافر به في شدة الخيبة عند مسيس الحاجة ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ﴾ [الآية 39] جاء ما توهمه ماء ﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ [الآية 39] مما ظنه ماء وهو أبلغ من تشبيه عمله بالهباء فإنه في الجملة له صورة في الهواء ﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾ [الآية 39] أي عقابه، أو وجده محاسباً إياه ﴿فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ﴾ [الآية 39] ووافاه عذابه ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [الآية 39] لا يشغله حساب عن حساب عند الإرادة أو سريع المجازاة وقت المشيئة.

وأفاد الأستاذ: أن من أمل الشراب شرباً لم يلبث إلا قليلاً حتى يعلم أنه كان تخييلاً فالعطش يزداد والروح يدعوا للخروج أو كاد. وقد قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: الآية 104]، وقال: يحسبون أنهم على شيء.

﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ﴾ [الآية 40] عطف على كسراب، وأو للتخيير، فإن أعمالهم لكونها لا منفعة لها كسراب له لمعان ولكونها خالية عن نور الإيمان كظلمات متراكمات أو للتنويع فإن أعمالهم إن كانت حسنة فسراب وإن كانت قبيحة فظلمات أو للتقييم فإنها في الدنيا كسراب وفي العقبى كظلمات ﴿فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ﴾ [الآية 40] ذي لج عميق ﴿يَغْشَىٰهُ﴾ [الآية 40] يغطي البحر ﴿مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ﴾ [الآية 40] أمواج مترادفة وأفواج متراكمة ﴿مِّن فَوْقِهِۦ﴾ [الآية 40] فوق الموج الثاني ﴿سَحَابٌ﴾ [الآية 40] غطى النجوم وصار لأنوارها حجاب ﴿ظُلُمَٰتٌۢ﴾ [الآية 40] أي هذه ظلمات ﴿بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ [الآية 40] وقرأ ابن كثير: ظلمات بالجر على إبدالها من الأولى بناء على رواية قنبل بتنوين سحاب وبإضافة السحاب إليها بناء على رواية البزي ﴿إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ﴾ [الآية 40] وهي أقرب ما يرى عنده ﴿لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾ [الآية 40] لم يقرب أن يراها فضلاً عن أن يردها، والضمائر في أخرج وما بعده للواقع في البحر وإن لم يجز ذكره في المعنى لدلالة المعنى.

وأفاد الأستاذ: أن ظلمات السحاب وغيوم التفرقة وليالي الجحد وحنادس الشك إذا اجتمع فلا سراج لصاحبه ولا نجوم ولا أقمار ولا شموس في حصول النيل فالويل كل الويل ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [الآية 40] من لم يقدّر له الهداية من البداية فما له من نور توفيق في النهاية وظهور
294/ أ تحقيق من عين العناية بخلاف الموقف/ الذي له نور على نور بما سبق له من زيادة الحسنى ووقاية الرعاية، وقد ورد أن الله خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن أصابه فقد اهتدى ومن أخطأه فقد اعتدى.

وقال القاسم: بل من لم يجعل الله له نوراً وقت القسمة فما له من نور وقت الخلقة.

وسئل الواسطي ما علامته قال: كل من نوره أقوى كانت يقظته أدوم وأبقى، ومَن كان نوره أضعف وأدنى كان ذكره مرة وغفلته أخرى. وقال أيضاً: إن الله تعالى لا يُبعد فقيراً لأجل فقره ولا يبعد غنياً لأجل غناه وليس للأعراض عنده خطر حتى بها يصل وبها يقطع فلو بذلت له الدنيا والآخرة ما وصلك به ولو أخذتها كلها ما قطعك به قرب من قرب بغير علة وبعد من بعد بغير علة كما قال: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [الآية 40].

توضيحه ما أفاد الأستاذ بقوله: إذا لم يسبق لعبد نور القسمة ولم يساعده تعلق الرحمة فبحمده وكده وسعيه وجده عقيم من ثمراته مؤيس من نيل بركاته والبدايات غالبة للنهايات فالقبول لأهله غير مجتلب والرد لأهله غير مكتسب سعد من سعد بالسعادة علمه في أزله وأراد كون ما علم أنه منها يكون وأخبر أن ذلك كذلك يكون في أخرى ذلك على ما أخبر وأراد وعلم، وهكذا القول في الشقاوة وليس لأفعاله علة ولا يتوجه عليه لأحد حجة كما قال تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ [الأنعام: الآية 149].

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ [الآية 41] أي ألم تعلم بالوحي أو الاستدلال علماً لِشبه المشاهدة في اليقين والوثاقة ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 41] بتنزيه ذاته وتقديس صفاته جميع مصنوعاته من علوياته وسفلياته بما يدل عليه من مقال أو يشير إليه دلالة حال:

ففي كل شيء له شاهد   دليل على أنه واحد[1]

وفيه تغليب العقلاء أو هو من باب الاكتفاء أو الاستغناء ﴿وَٱلطَّيْرُ﴾ [الآية 41] خصّ لما فيها من الصنع الطاهر والدليل الباهر ولذا قيدها بقوله: ﴿صَٰٓفَّٰتٍ﴾ [الآية 41] فإن إعطاء الأجرام الثقيلة ما به تقوى على الوقوف في الجو
294/ب صافة باسطة أجنحتها بما فيها من القبض والبسط/ حجة قاطعة على كمال قدرته ولطف تدبيره وحكمته ﴿كُلٌّ﴾ [الآية 41] كل واحد مما ذكر ﴿قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ

(1) سبق التعليق عليه ص (159).

﴿وَتَسۡبِيحَهُۥۗ﴾ [الآية 41] أي علم الله دعاه وتنزيهه طوعاً واختياراً بلسان القال أو طبعاً واضطراراً ببيان الحال أو علم كل دعاويه وتنزيهه اللائق به في مقام الإجمال ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ﴾ [الآية 41] بتفصيل الأفعال.

وأفاد الأستاذ: أن التسبيح على قسمين: تسبيح قول ونطق، وتسبيح دلالة وخلق. فتسبيح الخلق عام من كل مخلوق وعين وأثر، وتسبيح النطق خاص بالحيوانات ثم هو خاص بالعقلاء ثم هو ينقسم إلى قسمين: صادر عن بصيرة، وحاصل من غير بصيرة. فالذي قرنته البصيرة مقبول ومقصود، والذي تجرّد عن المعرفة مردود.

﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ٤٢﴾ [الآية 42] فإنه الخالق لهما ولما فيهما من الذوات والصفات والأفعال والملك والقدرة على الإيجاد، فالمقدورات قبل وجودها للحق مملوكة وكذلك في حال حدوثها وبعد عدمها عائدة إلى ما كانت عليه، فملكه الذي لا يحدث ولا يزول ولا يؤول شيء منه إلى البطول.

﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزۡجِي﴾ [الآية 43] يسوق ﴿سَحَابٗا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيۡنَهُۥ﴾ [الآية 43] بين أجزائه ﴿ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ رُكَامٗا﴾ [الآية 43] متراكماً بعضه فوق بعض ﴿فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ﴾ [الآية 43] المطر ﴿يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦ﴾ [الآية 43] وسطه ﴿وَيُنَزِّلُ﴾ [الآية 43] أي ذلك الماء مبتدئاً ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٖ فِيهَا﴾ فيها بدل منها ﴿مِنۢ بَرَدٖ﴾ [الآية 43] بيان للجبال وعن السلف أن المراد ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الآية 43] المظلة ﴿مِن جِبَالٖ فِيهَا مِنۢ بَرَدٖ﴾ [الآية 43] كما في الأرض جبال من حجر، وليس في العقل قاطع يمنعه ولا في النقل مانع يدفعه فهو أولى من قول بعض الخلف: أن المراد من السماء السحاب ومن الجبال قطع عظام منها شبه الجبال في عظمها وجمودها ﴿فَيُصِيبُ بِهِۦ﴾ [الآية 43] بالماء النازل من السماء ﴿مَن يَشَآءُ وَيَصۡرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُۖ يَكَادُ سَنَا بَرۡقِهِۦ﴾ [الآية 43] لمعانه ﴿يَذۡهَبُ بِٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ [الآية 43] أبصار الناظر من فرط الإضاءة بالإبصار.

﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ﴾ [الآية 44] بالمعاقبة بينهما وبنقص أحدهما وبتغيير

أحوالهما بالحر والبرد والنور والظلمة وأمثالهما ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي/ الْأَبْصَارِ﴾ 295/ أ
[الآية 44] أي لدلالة على وجود الصانع القديم وإحاطة علمه الكريم وكمال قدرته ونفاذ مشيئته وأنى يكون الوفاق والخلاف لهم وهو يقلِّب الليل والنهار بما فيهما منهم وهو قائم على الأشياء كلها وبالأشياء جميعها في تقلُّبها وفنائها لا يؤنسه وجد ولا يوحشه فقدٌ، بل لا فقد ولا وجد إنما هي رسوم تحت الرسوم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه تعرّف إلى قلوب العلماء بدلالات صنعه في بدائع حكمته، وما يدل منها على كمال قدرته وشمول علمه وحكمته ونفوذ إرادته ومشيئته، فمن أنعم النظر وصل إلى برد اليقين ومَن أعرض بقي في وهدة الجهل وظلمة الجحد وشبهة التخمين ترتفع بقدرته بخارات البحر فتصعد بتيسيره وتقديره إلى الهواء وهو السحاب ثم يديره إلى سمت يريده أن ينزل به المطر ثم ينزل ما في السحاب من ماء البحر قطرة ويكون الماء حين فصل في بخارات البحر غير عذب فيقلبه عذباً ويسبِّحه السحاب سكباً فيوصل إلى كل موضع قدراً يكون له مراداً معلوماً لا بجهد من المخلوقين ويمسكه من الموضع الذي عليه ينزله ولا بالحيلة يستنزل على المكان الذي لا يمطره، يقلب الله الليل والنهار وكذلك جميع الأغيار من الرسوم والآثار ذلك تقدير العزيز العليم.

﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ﴾ [الآية 45] حيوان تدب على الأرض. وقرأ حمزة والكسائي خالق كل دابة بالإضافة من ماءٍ هو جزء المادة أو مخصوص النطفة فهو باعتبار الغلبة إن صح وجود حيوان بلا نطفة ﴿فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ﴾ [الآية 45] كالحية، وسمي الزخرف مشياً بالرجل على الاستعارة للمشاكلة ﴿وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ﴾ [الآية 45] كالإنس والطير ﴿وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ﴾ [الآية 45] كالنعم والوحش. وقرىء ومنهم من يمشي على أكثر وإليه الإيماء بقوله: ﴿يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [الآية 45] ونظيره ﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ﴾ [فاطر: الآية 1] ﴿مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ [النساء: الآية 3] يزيد في الخلق ما يشاء كجبريل عليه السلام فإن له ستمائة جناح. وأما ما قيل من أنه يندرج فيه ما له أكثر من أربع كالعناكب فإن اعتمادها إذا مشت على أربع فمحتاج إلى صحيح نقلاً/ أو صريح عقلاً ﴿إِنَّ 295/ ب
اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الآية 45] وفي كل شيء له حكمة وتدبير.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يريد خلق كل حيوان من ماء من صلب الأب فتربية الأمر ثم أجزاء الماء متشاكلة متماثلة ثم ينقسم إلى جوارح في الظاهر وجوارح في الباطن فيختص كل عضو وينفرد كل شلو بنوع من الهيئة والصورة وضرب من الشكل والبنية، ثم اختلاف هيئات الحيوان في الريش والصوف والوبر والظفر والحافر والمخلب ثم في القامة والنظر، ثم انقسام ذلك إلى لحم وشحم وجلد وعظم وسن وظفر ومخ وعصب وعرق وشعر والنظر في هذا بعين العبرة يوجب قوة التحصيل والبصيرة.

﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ﴾ [الآية 46] واضحات للأنام وموضحات للأحكام ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [الآية 46] بالتوفيق للنظر في مبانيها والتدبير لمعانيها ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الآية 46] هو دين الإسلام الموصل إلى درك الحق والفوز بدار السلام.

قال أبو سعيد القرشي: في صفة المريد والمراد خرجت الهداية من المشيئة.

وأفاد الأستاذ: أن الآيات بينات ولكن الله يهدي قوماً إليها ويصرف آخرين عنها والذي سد بصره ولبس نظره فما ينفعه طلوع شمس في نهاره أو سطوع قمر في ليله، كذلك الذي سدت عين بصيرته أنى ينفعه شواهد العلوم ودلائل الفهوم. وقالوا في معناه:

وما انتفاع أخي الدنيا بمقلته إذا استوى عنده الأنوار والظُّلَمُ[1]

﴿وَيَقُولُونَ﴾ [الآية 47] أي المنافقون ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا﴾ [الآية 47] كلاً منهما أو كلام رسوله لأنه في حكمه ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ﴾ [الآية 47] بالامتناع عن قبول قضائه وإطاعة أمره ﴿فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ [الآية 47] بعد قولهم هنالك ﴿وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 47] أي الثابتين أو المخلصين حيث آمنوا بلسانهم ولم يصدقوا بجنانهم كما يدل عليه عدم إذعانهم.

(1) نسب إلى المتنبي. انظر يتيمة الدهر (1/ 59)، وخزانة الأدب (1/ 275).

وقال الأستاذ: يستسلمون في الظاهر ويقرُّون باللسان ثم المخلص يبقى على صدقه والذي قاله لخوف سيف المسلمين أو لغرض له آخر من أغراض المفسدين يتولى بعد ذلك وينحاز إلى جانب الكفر هنالك.

﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الآية 48]/ حكم كتابه ونبيه ﴿لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ﴾ 296/ أ
[الآية 48] المدعو إليه ﴿إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ﴾ [الآية 48] فاجأ الإعراض فريق منهم إذا كان الحق عليهم ﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ﴾ [الآية 49] أي الحكم ﴿يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ﴾ [الآية 49] منقادين ﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [الآية 50] كفراً وميل إلى الظلم ﴿أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ﴾ [الآية 50] بأن رأوا تهمة منك فزالت ثقتهم ويقينهم بك ﴿أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥ﴾ [الآية 50] في الحكومة بينهم ﴿بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الآية 50] الكاملون في الظلم والعدوان والنفاق والكفران.

وأفاد الأستاذ: أنهم علموا أن اقتضاء حكم في حكمه بينهم في علم أنه قاسط في خصومته لم تطب نفسه بحكومته وكذلك المريب يهرب من الحق ويجتهد في الفرار إلى الخلق كما قال تعالى: ﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ﴾ [الآية 49] يميلون مع الهواء ولا يقبلون حكمه إيماناً وكذلك الذي هو مريض يتميل بين الصحة والسقم وأرباب النفاق مترددون بين الشك والعلم فلا منهم نفي بالقطع ولا إثبات بالعلم مطروحون في أودية الشك والوهم.

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الآية 51] أي المخلصين الموقنين ﴿إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الآية 51] أي سواء لهم أو عليهم ﴿أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [الآية 51].

وأفاد الأستاذ: أنهم الصادقون في الحقيقة السالكون للطريقة الآخذون بالوثيقة.

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الآية 52] فيما يأمران أنه من فرائض الله وسنن نبيه ﴿وَيَخۡشَ ٱللَّهَ﴾ [الآية 52] على ما صدر عنه من مخالفة أمره ﴿وَيَتَّقۡهِ﴾ [الآية 52] فيما بقي من عمره ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾ [الآية 52] بالنعيم المقيم.

﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ [الآية 53] إنكاراً للامتناع عن حكمه وإظهاراً

لثبات إيمانهم ﴿لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ﴾ [الآية 53] بالخروج عن ديارهم وأموالهم والبروز إلى الكفار من أعدائهم ﴿لَيَخْرُجُنَّ﴾ [الآية 53] جواب لأقسموا على الحكاية والمبنى دون اللفظ والمعنى ﴿قُل لَّا تُقْسِمُوا۟﴾ [الآية 53] على الكذب والمخالفة ﴿طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ﴾ [الآية 53] أي هذه طاعة معروفة منكم منكرة عنكم، أو المطلوب طاعة إيمانية معروفة لا طاعة نفاقية منكرة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الآية 53] فلا يخفى عليه سرائركم ولا ضمائركم.

﴿قُلْ﴾ [الآية 54] لهم على لساننا ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾
[الآية 54] أي أعرضوا ولم/ يقبلوا ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْهِ﴾ [الآية 54] على الرسول ﴿مَا حُمِّلَ﴾ /296 ب
[الآية 54] من تبليغ الرسالة ﴿وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ﴾ [الآية 54] من الامتثال ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ﴾ [الآية 54] في حكمه ﴿تَهْتَدُوا۟﴾ [الآية 54] إلى طريقه ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الآية 54] التوضيح الموضح لأمر الدين وقد أدى ما حمل عليه وإنما بقي ما حملتم فإن أديتم فلكم نفعكم وإن توليتم فعليكم ضركم.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الآية 55] خطاب للأمة والرسول، فمن للتبعيض أو له ولمن معه من النبيين، والمعقول محذوف دل عليه قوله: ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 55] والله يجعلهم خلفاء متصرفين في الأرض تصرف الملوك في ممالكهم بالطول والعرض ﴿كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الآية 55] كبني إسرائيل استخلفهم في مصر والشام بعد هلاك عدوهم. وقرأ أبو بكر بصيغة المجهول ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ﴾ [الآية 55] وهو الإسلام بتقويتهم وتثبيتهم ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم﴾ [الآية 55] وقرأ ابن كثير وأبو بكر بالتخفيف ﴿مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ﴾ [الآية 55] من أعدائهم ﴿أَمْنًا﴾ [الآية 55] منهم ومن بلائهم، وقد كان رسول الله ﷺ وأصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ثم هاجروا إلى المدينة لائذين وكانوا يصبحون في السلاح ويمسون في الصياح حتى أنجز الله وعده ونصر عبده وأظهرهم على العرب كلهم وفتح بلاد الشرق والغرب لهم. وفيه دليل على صحة نبوة رسوله من الإخبار عن الغيب على ما هو به وعلى صحة خلافة الراشدين بعده إذ لم يجتمع الموعود من الاستخلاف والتمكين والأمنية والموعود عليه من الإيمان والأعمال الصالحة بغيرهم بإجماع

الأمة واتفاق الأئمة ولا عبرة بمنازعة أهل البدعة. وقيل: الخوف من العذاب في الدنيا والأمن منه في العقبى ﴿يَعْبُدُونَنِي﴾ [الآية 55] استئناف بيان لحالهم ﴿لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [الآية 55] حال من ضميرهم ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ [الآية 55] بالردة أو كفر بهذه النعمة ﴿بَعْدَ ذَالِكَ﴾ [الآية 55] الوعد بالمنة ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الآية 55] الخارجون عن الدنيا بالكلية حيث كفروا تلك النعمة العلية بعد ظهور الآيات الجلية.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [الآية 56] في سائر ما أمركم / 297/أ به من أمر الشريعة. والمعنى داوموا على سلوك هذه الطريقة ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الآية 56] بالوصول إلى مراتب الحقيقة.

وأفاد الأستاذ: أن وعد الله حق وكلامه صدق والآية دالة على صحة إمامة الخلفاء الأربعة لأنه بالإجماع إلى يومنا هذا لم يتقدمهم أحد في الفضيلة وما بعدهم هذا مختلف فيهم بين الأمة، فأولئك مقطوع بإمامتهم وصدق وعد الله في حقهم وهم على الدين المرضي من قبل الله فيهم ولقد آمنوا بعد خوفهم وقاموا بسياسة المسلمين خاصهم وعامهم والذب عن حوزة الإسلام أحسن قيام لهم.

وفي الآية إشارة إلى أئمة الدين الذين هم أركان الملة ودعائم الإسلام الناصحون لعباده الهادون من يسترشد في الله إذ الخلل في أمر المسلمين من الولاة الظلمة ضرره مقصور على ما يتعلق بأحكام الدنيا، وأما حفّاظ الدين فهم الأئمة من العلماء الناصحين لدين الله المبين، وهم أصناف تقوم بهم حفاظ الكتاب والسنَّة وهم بمنزلة الخَزَنَة، وقوم هم علماء الأصول الرادون على أهل العناد وأصحاب البدعة بواضح الأدلة وهم أبطال الإسلام وشجعان الديانة وقوم هم الفقهاء المرجوع إليهم في علوم الشريعة من حقيقة العبادات وكيفية المعاملات وما يتعلق بأحكام المصاهرات وما في معناها من الأيمان والنذور والدعاوى وفصل الحكم في المنازعات وهم في الدين بمنزلة الوكلاء والتصرف في الملك من الأمراء، وآخرون هم أهل المعرفة وأصحاب الحقائق وهم في الدين كخواص الملك وأعيان مجلس السلطان وأرباب الأسرار الذين لا يبرحون

عن ذلك المكان، فالدين مغمور بهؤلاء على اختلافهم إلى يوم القيامة.

﴿لَا تَحْسَبَنَّ﴾ [الآية 57] يا محمد أو أيها الحاسب ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الآية 57] وقرأ ابن عامر وحمزة بالغيبة أي لا يحسبنهم حاسب أو لا يحسبوا أنفسهم ﴿مُعْجِزِينَ﴾ [الآية 57] الله عن إدراكهم وإهلاكهم ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 57] من الطول أو العرض ﴿وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [الآية 57] أي مثوى الكفار ﴿وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الآية 57] مأواهم الذين يصيرون إلى النار.

297/ب وأفاد الأستاذ: أن الباطل قد يكون/ له جولة ولكنه تخييل وإنما لذلك يقال قليل كعارض ينشأ في القيظ ويعقبه تحويل.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ [الآية 58] من العبيد المرائين ﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ﴾ [الآية 58] أي من أغرار المسلمين ﴿ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ﴾ [الآية 58] في يوم وليلة من الأوقات مرة ﴿مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ﴾ [الآية 58] لأنه زمان تكشف العورات ﴿وَحِينَ تَضَعُونَ﴾ [الآية 58] للقيلولة ﴿ثِيَابَكُم﴾ [الآية 58] التي لليقظة ﴿مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ﴾ [الآية 58] بيان للحين وهو قبيل وقت الظهر ﴿وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ﴾ [الآية 58] لأنه وقت التجرد عن اللباس والالتحاف باللحاف ﴿ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ﴾ [الآية 58] أي هي ثلاث أوقات يختل فيه ستركم. وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر بالنصب بدلاً من ثلاث مرات، والمعنى أوقات ثلاث عورات أو ثلاث أوقات عورات ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ﴾ [الآية 58] في ترك الاستئذان ﴿بَعْدَهُنَّ﴾ [الآية 58] بعد هذه الأوقات ﴿طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم﴾ [الآية 58] أي هم طوافون والجملة استئنافية مبينة للعذر المرخص في ترك الاستئذان سائر الأوقات وهو المخالطة وكثرة المداخلة ﴿بَعْضُكُمْ﴾ [الآية 58] طائف ﴿عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الآية 58] تأكيد لما قبله ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ [الآية 58] أي الأحكام المبينات ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ [الآية 58] بأحوالكم ﴿حَكِيمٌ﴾ [الآية 58] فيما شرع لكم من أعمالكم. روي أن غلام أسماء بنت أبي مرشد دخل عليها في وقت كرهته فنزلت، وقيل: أرسل رسول الله ﷺ مدلج ابن عمرو الأنصاري وكان غلاماً وقت الظهر ليدعو عمر رضي الله عنه فدخل وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر:

لوددت أن الله عزَّ وجلَّ نهى آباءنا وأبنائنا وخدمنا أن لا يدخلوا هذه الساعة علينا إلا بإذن ثم انطلق معه إلى النبي ﷺ فقد وجده وقد أنزل عليه[1] هذه الآية: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ﴾ [الآية 59] من الأحرار والعبيد ﴿فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟﴾ [الآية 59] في جميع الأوقات ﴿كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ﴾ [الآية 59] بلغوا ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الآية 59] وفيه دلالة على وجوب استئذان العبد البالغ على سيدته ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ [الآية 59] بمخلوقاته ﴿حَكِيمٌ﴾ [الآية 59] في مصنوعاته تأكيد أو مبالغة في الأمر بالاستئذان في أوقاته.

﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [الآية 60] وهن العجائز اللاتي قعدت عن الحيض / 298/أ والحمل ﴿ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾ [الآية 60] لا يطمعن فيه لكبرهن ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾ [الآية 60] أي الثياب الظاهرة لهن كالجلباب لوجههن ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ﴾ [الآية 60] غير مظهرات لزينة مما أمرن بإخفائهن في قوله: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ [الآية 31]، ﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾ [الآية 60] من إبدائهن لأنه أبعد من التهمة لهن ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ [الآية 60] لمقالهن مع الرجال ﴿عَلِيمٌ﴾ [الآية 60] بمقصودهن في جميع الأحوال.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه ضيق الأمر من وجه ووسع من وجه فأمر بمراعاة الاحتياط وحسن السياسة لأحكام الدين ومراعاة حرم المسلمين والتحرز عن مخاوف الفتنة واستيلاء سلطان الشهوة، وإذا سهلت فتلك الشائبة سهل الأمر وأبيحت الرخص وأمنت الفتنة.

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [الآية 61] يتحرجون من مؤاكلة الأصحاء حذراً من استقذارهم أو أكلهم من بيت من يدفع المفتاح إليهم ويبيح البسط فيه لهم إذا خرج للقرّ ونحوه مخافة أن لا يكون ذلك من طيب قلب فإن الحكم بالظاهر والله أعلم بالسرائر ﴿وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ﴾ [الآية 61] أو بيوت أولادكم لقوله عليه السلام:

---

(1) تفسير النيسابوري (6/ 26)، والكشاف (4/ 424).

«أنت ومالك لأبيك» من كسبه[1] رواه ابن ماجه وقوله عليه السلام: «أن أطيب ما يأكل الرجل من كسب يده» رواه الشيخان ﴿أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾ [الآية 61] من بيوت مماليككم ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ [الآية 61] بيوت أصدقائكم فإنهم أرضى بالتبسط في أموالهم وأسر به في أحوالهم، وهذا كله إذا علم رضاهم بإذن أو قرينة دالة لهم، وكذا خص هؤلاء فإنه يعتاد التبسط بينهم.

قال أبو عثمان: الصديق مَن لا يخالف باطنه باطنك كما لا يخالف ظاهره ظاهرك إذ ذاك محل الانبساط بينه وبينك.

وقال الأستاذ: إذا جاءت الأعذار سهل الامتحان والاختبار وإذا حصلت القربة سقطت الحشمة وإذا صدقت القرابة انتفت الأجنبية والفرقة فإذا انتفت هذه الشروط صحت المباسطة في الارتفاق بشهادة هذه الآية. ثم قال:
298/ب ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ [الآية 61] وعزيز من يصدق في الصداقة فيكون/ في الباطن كما يُرى في الظاهر ولا يكون في الوجه كالمرآة ومن ورائك كالمقراض. وفي معناه ما قلت:

مَن لي بمن يشق الفؤاد بودّه ... وإذا ترحّل لم يزغ عن عهده
يا بؤس نفسي من أخ لي باذل ... حسن الوفاء بوعده لا نقده
يولي الصفاء بنطقه لا خلقه ... ويدسّ صلباً في حلاوة شهده
فلسانه يُبدي جواهر عقده ... وجنانه تغلي مراجل حقده
لا همّ أني لا أطيق مراسه ... بل أستعيذ من الحسود وكيده[2]

فقوله: ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ [الآية 61] من تُؤمَن منه هذه الخصال وأمثاله من

(1) أخرجه ابن ماجه في السنن (2/ 769) رقم (2291)، والطبراني في المعجم الكبير (7/ 230) رقم (6961)، وابن حبان في الصحيح (2/ 142) رقم (410)، وأبو يعلى في المسند (10/ 98) رقم (5731).
(2) تفسير القشيري (5/ 348).

الأحـــوال ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾ [الآيـــة 61] مجتمعين أو متفرقين، نزلت في بني ليث بن عمرو بن كنانة كانوا يتحرجون أن يأكل الرجل وحده أو في قوم من الأنصار إذا نزل بهم ضيف لا يأكلون إلا معه أو في قوم تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الطعام في النهمة والنفرة ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [الآية 61] على أهلها الذين هم منكم ديانة وقرابة وصداقة ﴿تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 61] تأدية بأمره مشروعة بحكمه ﴿مُبَـٰرَكَةً﴾ [الآية 61] لأنها يوحى بها إفادة المحبة وزيادة المثوبة ﴿طَيِّبَةً﴾ [الآية 61] تطيب به النفس المتكلمة والمستمعة، وعنه عليه السلام قال: «متى لقيت أحداً من أمتي فسلِّم عليه يطيل عمرك وإذا دخلت على أهل بيتك فسلِّم عليهم يكثر خيرك»، هذا وإذا لم يكن في البيت أحد فليقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين(1).

وأفاد الأستاذ: أن السلام الأمان وسبيل المؤمن إذا دخل بنياناً أن يسلِّم من الله على نفسه أي يطلب الأمان والسلامة من الله لنفسه لتسلم نفسه من الإقدام على ما لا يرضاه الله من الفعل والكلام إذ لا يحل لمسلم أن يفتر لحظة من الاستجارة بالله بل لا يرفع عنه ظل عصمته بإدامة حظه عن الاتصاف بمكروه في شريعته ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ﴾ [الآية 61] بتكريرها المرات وتفصيلها الكرات ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الآية 61] طرق الخيرات وسبيل المبرات.

300/ أ ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 62]/ الكاملون ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الآية 62] جمعاً بين لسانهم وجنانهم ﴿وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ﴾ [الآية 62] لبيان شأنهم كالجمعة والأعياد والمشاورة في نحو الجهاد ﴿لَّمْ يَذْهَبُوا۟﴾ [الآية 62] عنه ولم يـتـــركـــوه ﴿حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الآية 62] وهذا إذا كان الاستئذان عن عذر لهم في حضور ذلك الشأن فلا ينافي قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ [التوبة: الآية 44] فإنه محمول على استئذانهم بغير عذر في شأنهم ﴿فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾

(1) تفسير أبي السعود (9/ 177) وتفسير البيضاوي (1/ 201).

[الآية 62] ما يعرض لهم من أمر ربهم ﴿فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ [الآية 62] ممن علمت أن له عذراً لقوله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [التوبة: الآية 43]، ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ﴾ [الآية 62] فإن الاستئذان ولو لعذر لا يخلو عن نوع قصور لا سيما إذا كان تقديماً لأمر الدنيا على أمر العقبى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ [الآية 62] بالعباد ﴿رَّحِيمٌ﴾ [الآية 62] بالعباد.

وفي «تفسير السلمي» قيل لأبي عثمان: أوصنا، قال: عليكم بالاجتماع على الدين وإياكم ومخالفة الأكابر من العلماء العاملين والدخول في شيء من الطاعات إلا بإذنهم ومشورتهم وواسوا المحتاجين بما أمكنكم وأرجو أن لا يضيع سعيكم.

وأفاد الأستاذ: أن شرط الاتباع موافقة المتبوعين وأن لا يتفرقوا فيصيروا خراباً كما قال تعالى: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ [الحشر: الآية 14] والعلماء ورثة الأنبياء والمريدون لشيوخهم كالأمة لنبيهم. فشرط المريد أن لا يتنفس إلا بإذن شيخه في نفس سراً وجهراً ويسري عنه في غير ما يحبه سريعاً ومخالفة الشيوخ فيما يستسرونه منهم أشد مما يكاد يرونه بالجهر كثيراً لأن هذا يلتحق بالخيانة، ومن خالف شيخه لا يشم رائحة الصدق فإن نذر منه شيء من ذلك فعليه بسرعة الاعتذار والإفصاح عما حصل منه من المخالفة والخيانة ليهديه شيخه إلى ما فيه كفارة جرمه ويلتزم في القوامة بما يحكم عليه به، وإذا رجع المريد إلى شيخه بالصدق في توبته وجب على شيخه جبران تقصيره بهمته فإن المريدين عيال على
299/ب الشيوخ/ ففرض عليهم أن ينفقوا لهم من قوة أحوالهم بما يكون ببراناً لتقصيرهم.

﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ [الآية 63] لا تجعلوا نداءه كنداء غيره باسمه ورفع الصوت به ومن وراء بنائه من حجرات نسائه.

قال ابن عطاء: لا تخاطبوه بخطابه ولا تدعوه باسمه وأنيفوا آداب الله

فيه بدعائه في كلامه بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ [الأنفال: الآية 64] و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ [المائدة: الآية 41].

وقال جعفر: الحرمات يتبع بعضها بعضاً فمن ضيّع حرمة الخلق ضيّع حرمة المؤمنين، ومن ضيّع حرمة المؤمنين ضيّع حرمة الأولياء، ومن ضيّع حرمة الأولياء ضيّع حرمة الأنبياء، ومن ضيّع حرمة الأنبياء ضيّع حرمة الله تعالى، ومن [ضيّع حرمة] الله تعالى فقد دخل في ديوان الأشقياء، فأفضل الأخلاق حفظ الحرمات ومَن أسقط عن قلبه الحرمات تهاون بالفرائض والواجبات. قلت: وإلى هذا المعنى يشير قوله تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحجّ: الآية 30].

وقال الأستاذ: عظّموه في الخطاب واحفظوا في خدمته الآداب وعانقوا طاعاته ووافقوا هيبته ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ﴾ [الآية 63] ينسلون قليلاً قليلاً من جماعتكم ﴿لِوَاذًا﴾ [الآية 63] ملاوذة بأن يستنفر بعضهم ببعض في مفارقتكم ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾ [الآية 63] يعرضون عن طاعته أو يذهبون سمتاً خلاف سمته والضمير في أمره إلى الله أو رسوله ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ [الآية 63] محنة في الدنيا ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الآية 63] في العقبى.

قال أبو سعيد الخراز: الفتنة انتكاس القلب حتى لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً.

وقال النوري: الفتنة هي الاستغناء بشيء سوى الحق.

وقال رويم: الفتنة للعوام والبلاء للخواص.

وقال أبو طاهر: الفتنة مأخوذ بها والبلاء معفو عنه ومثاب عليه.

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 64] مِلكاً ومُلكاً ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ [الآية 64] من المخالفة والموافقة ﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ﴾ [الآية 64] للجزاء على وفق المحاسبة ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟﴾ [الآية 64] فيعلمهم بأعمالهم على وفق مراتب أحوالهم ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ﴾ [الآية 64] لا يخفى عليه خافية من آجالهم وآمالهم.

سورة الفرقان

[مكيّة]
وهي سبع وسبعون آية

/ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ 300/ أ

باسمه نزول البركة وحلول الحركة وبرحمته وصول النعمة وحصول الجنة.

وقال الأستاذ: بسم الله اسم عزيز عرف بفعله قدرته، اسم كريم شهد بفضله نصرته، اسم عزيز عرفه العقلاء بدلالة أفعاله وعرفه الأصفياء باستحقاقه لجلاله وجماله، فبلطف جلاله عرفوا وجوده وبكشف جماله عرفوا جوده. بسم الله اسم عزيز من دعا به لبّاه ومن توكل عليه كفاه، ومن توسل إليه أكرمه وآواه، ومن تنصل إليه رحمه وأدناه، ومن شكا إليه سلّاه، ومن سأله خوله وأعطاه.

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ [الآية 1] فكاثر خيره وتواتر بره ودام إنعامه وتمّ إكرامه بإنزال القرآن بنعت الفرقان ﴿عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ [الآية 1] القائم بوظيفة عهده الذي أكرمه وفضله وإلى الخلق أرسله وبيّن معجزته بالقرآن الذي عليه أنزله. وقال بعضهم: تبارك أي تعالى الحق عن إدراك الخلق ﴿لِيَكُونَ﴾ [الآية 1] هو سبحانه أو كتابه أو عبده ﴿لِلْعَٰلَمِينَ﴾ [الآية 1] من الجن والأنس ﴿نَذِيرًا﴾ [الآية 1] وللعالمين من أهل الإيمان والأنس بشيراً فهو منذر للعاصين بالحرقة والفرقة في دار البوار، ومبشر للمطيعين بالوصلة والقربة في دار القرار.

قال سهل: خصّ محمد ﷺ بإنزال القرآن ليفرق به بين الحق والباطل

والولي والعدو والقريب والبعيد والطاعة والعصيان والعدل والعدوان والإحسان والطغيان.

﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 2] خلقاً وملكاً.

قال النصرآبادي: له المُلك فمن اشتغل بالمُلك فاته المَلِك ومن اشتغل بالمَلك حصل له المَلك والمُلك ﴿وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ [الآية 2] كزعم عوام اليهود والنصارى وبعض كفار مكة ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾ [الآية 2] كقول الثنوية ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [الآية 2] أوجده وأظهر تدبيراً ﴿فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الآية 2] لا يتصور تغييراً.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه تفرد بالملك فلا شريك يساهمه وتوحّد بالجلال فلا نظير يقاسمه، فهو الواحد بلا قسيم في ذاته ولا شريك في مخلوقاته ولا شبيه في ذاته وصفاته.

﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ﴾ [الآية 3] أي من غير خالقهم ﴿ءَالِهَةً﴾ [الآية 3] أي أصناماً سموها آلهة ﴿لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا﴾ [الآية 3] لا يقدرون أن يخلقوا/ ذباباً ولو 300/ ب
اجتمعوا له ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [الآية 3] حيث خلقهم الله ابتداء ونحتهم وصوّرهم عبدهم انتهاء ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ﴾ [الآية 3] لا يستطيعون ﴿لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا﴾ [الآية 3] دفع ضر عن الناس ﴿وَلَا نَفْعًا﴾ [الآية 3] جلب نفع لمن يعبدهم من الناس ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ﴾ [الآية 3] لغيرهم ﴿مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الآية 3] إماتة وإحياء ولا بعثاً وجزاء.

وقال الأستاذ: لا يملكون قطميراً ولا يخلقون نقيراً ولا يدفعون عنهم كثيراً ولا يسيراً ولا ينفعونهم فيسهّلون عليهم عسيراً.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ﴾ [الآية 4] القرآن أو الفرقان ﴿إِلَّآ إِفْكٌ﴾ [الآية 4] كذب وبهتان ﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾ [الآية 4] اختلقه من تلقاء نفسه ﴿وَأَعَانَهُۥ﴾ [الآية 4] أنه من عند ربه وأعانه ﴿عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾ [الآية 4] من اليهود أو جبر ويسار وعداس كما سبق في قوله: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ [النّحل: الآية 103]، ﴿فَقَدْ جَآءُو﴾ [الآية 4]

فعلوا ﴿ظُلْمًا﴾ [الآية 4] في إشراكهم له سبحانه مخلوقاً عاجزاً محققاً ﴿وَزُورًا﴾ [الآية 4] بجعل الكلام المعجز إفكاً مختلقاً ملفقاً.

﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [الآية 5] ما سطره المتقدمون ﴿ٱكۡتَتَبَهَا﴾ [الآية 5] استكتبها ﴿فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا﴾ [الآية 5] ليحفظها قليلاً قليلاً.

وأفاد الأستاذ: أنهم ظنوه كما كانوا وكما أنهم بأمثالهم استعانوا فيما عجزوا عنه من أمورهم واستهدوا لأمثالهم واستكانوا فقالوا من غير حجاج وتقويل فلم يكن لقولهم تحصيل، والأساطير الأولين برهانهم التي لا تدري هل كانت وإن كانت لا تعرف كيف كانت ومتى كانت.

﴿قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ﴾ [الآية 6] أي المغيبات والمخفيات ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [الآية 6] أي في جميع الكائنات وقد أعجزكم عن آخركم بفصاحته وبلاغته وتضمنه أخباراً عن مغيبات مستقلة وأشياء مكنونة لا يعلمها إلا عالم الأسرار فكيف يكون أساطير الأولين وتعليم الأغيار وهو مما لا يقدر أحد على الإتيان بمثله ولو تساعد أعداء الدين مع كثرتهم من الوقت الذي أتى به واجتهدوا في معارضته بما يوجب مساواته أو معاربته فيدعوا تكذيبه ومخالفته فانقطعت الأعصار وانقطعت الأعمار من أهل الأمصار ولم يأت أحد بسورة من
301/أ مثله فانتفى الريب ووجب الإقرار بحقه وفضله / ﴿إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [الآية 6] حيث لم يعجل في عقوبتكم ويمدكم في معيشتكم.

﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ﴾ [الآية 7] بزعمه ﴿يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ﴾ [الآية 7] كما نأكل في تحصيل الارتفاق ﴿وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ﴾ [الآية 7] كما نمشي لطلب المعاش والأرزاق وذلك لقصور نظرهم على الأمور الحسية فإن تميز الرسل عن من عداهم ليس بأحوال جسمانية بل بأعمال نفسانية وأخلاق روحانية كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ﴾ [الكهف: الآية 110].

قال جعفر الصادق: إن الله تعالى لم يبعث رسولاً إلا أباح ظاهره

للخلق بالكون معهم على شرط البشرية ومنع سرهم عن ملاحظاتهم لأن أسرار الأنبياء في القبضة الإلٰهية لا تفارق المشاهدة بحال من الأحوال الكونية ﴿لَوْلَآ﴾ [الآية 7] أي إن لم يكن ملكاً بشيراً فهل ﴿أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا﴾ [الآية 7] لنعلم صدقه بتصديقه له.

﴿أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ﴾ [الآية 8] فيستعين به ويستغني في وجه المعاش عن غيره ﴿أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ [الآية 8] ويتعيش بريعه. وقرأ حمزة والكسائي بالنون أي ننتفع معه به وهذا أقل ما يتميز المكرم عند ربه ﴿وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الآية 8] أي الكاملون في الظلم منهم ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ [الآية 8] سحر فغلب على عقله.

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ﴾ [الآية 9] الأقوال الشاذة واخترعوا لك الأحوال النادّة ﴿فَضَلُّوا۟﴾ [الآية 9] عن طريق الهدي ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ [الآية 9] إلى الرفيق الأعلى.

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ﴾ [الآية 10] في الدنيا ﴿خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ﴾ [الآية 10] مما قالوه ولكن أخره إلى الآخرة لأنه خير وأبقى ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الآية 10] بدل من خيراً وبيان ﴿وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًۢا﴾ [الآية 10] بلا قصور ولا فطور عطف على محل الجزاء. وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو بكر بالرفع لأن الشرط إذا كان تاماً جاز في جزائه الجزم والرفع وجوز أن يكون استيثاقاً بوعد ما يكون له في العقبى.

﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ﴾ [الآية 11] أي ساعة القيامة فأعرضوا عن الطاعة وقصرت أنظارهم على الحطام الدنيوية وغفلوا عن النعيم المقيم للؤمنين وعذاب الجحيم للكافرين في الأيام الأخروية / كما أشار إليه بقوله: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ 301/ ب
بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ [الآية 11] ناراً شديدة الاستعار في دار البوار.

وأفاد الأستاذ: أنهم لما عجزوا عن معارضته أخذوا في مناقضته يعيبونه بكونه من جنسهم يمشي في الأسواق ويأكل الطعام وقالوا: هلّا أنزل عليه الملائكة فيرون عياناً وعابوه بالفقر وقالوا: هلّا يجعل الكنوز بحكمه يتكثر

مالاً وهلّا خص بآيات اقترحوها فيقطع بها العذر ويزيل عنها إشكالاً، وما هذا إلا بشراً يعتريه من دواعي الشهوات ما يعتري غيره، فأي خصوصية له حتى يلزمنا متابعته ولكن يظهر لنا حجته، فأجاب الله عنه وقال: إن الحق قادر على تمليك ما قالوا وأضعافه وفي قدرته إظهار ما اقترحوه من الآيات وأمثاله ولكن ليس لهم هذا التخيير وبعدما أُزيح العذر بإظهار معجزة واحدة فاقتراح ما يهوون تحكُّم على التقدير وليس لهم ذلك. ثم أخبر أنه لو أظهر تفصيل ما قالوه وأضعافه لم يؤمنوا لأن حكم الله بالشقاوة سابق لهم. وقال: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ﴾ [الآية 11] وهم في حكم الله من الكفار والله أعدّ لهم ولأمثالهم دار البوار حقق وعيد الأبد فلا محالة يمتحنون بها. وفي قوله: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ [الإسرَاء: الآية 48] دليل على جواز تكليف ما لا يقدر عليه العبد في الحال لأنه أخبر أنهم لا يستطيعون سبيلاً، وهم معاتبون مكلفون انتهى. ولا يخفى أن المحال إذا كان لذاته فلا يجوز تكليفه وقد نفى وقوعه بقوله سبحانه: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: الآية 286] وأما إذا كان لغيره كما هنا لتعلُّق علمه سبحانه بكثرة مقدار ما يجوز تكليفه وصح وقوعه بإجماع من يعتد به.

﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ [الآية 12] وهو أقصى ما يمكن أن ترى منه ﴿سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا﴾ [الآية 12] صوتاً يشعر بغيظها ﴿وَزَفِيرًا﴾ [الآية 12] يسمع من جوفها لقوة غليانها وهو أن يخرج نفسها بعد مدها إياه في باطنها. والمحققون من الصوفية بل مذهب أهل السنَّة والجماعة على ما صرح به في المعالم إن الأشياء كلها لها علم بالله وحياة تناسبها وخشية وصلاة وعبادة وتسبيحاً وكلاماً ورؤية
302/أ وغيظاً ومحبة وعداوة كما حقق في محلها ومنه / ما ورد: «أُحد جبل يحبنا ونحبه وعير جبل يبغضنا ونبغضه» وغير ذلك من الآيات والأحاديث الثابتة عن الثقات خلافاً للمعتزلة بناء على أصولهم الفاسدة وقواعدهم الكاسدة، وقد دفعها بعض علمائنا بأن الحياة لما لم تكن مشروطة عندنا بالبنية بل يجوز تعلق الروح بالأجزاء المتفرقة شرقاً وغرباً في الأمكنة أمكن أن يخلق الله فيها ميزة هنالك فترى وتتغيظ وتزفر وأمثال ذلك على أن أمور الآخرة كلها على خرق العادة

فيجب الإيمان بما ورد إجمالاً ووكول علمه إليه سبحانه تفصيلاً.

وأفاد الأستاذ: أن وحشة النار توجد من مسافة بعيدة قبل شهودها والامتحان بها ونسيم الجنة يوجد قبل شهودها ودخولها والنار توقد منذ سنين قبل المحترقين بها، والجنة تزين منذ سنين قبل المستمتعين بها، وكذب من أحال وجودها قبل كون سكانها وقطانها من المنتفعين بها والمعاقبين فيها لأن الصادق أخبر عن صفاتهما التي لا يكون ذلك إلا لموجود هنالك.

﴿وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَانًا﴾ [الآية 13] في مكان، ومنها بيان تقدم لكونه صفة نكرة فصار حالاً ﴿ضَيِّقًا﴾ [الآية 13] لزيادة العقوبة فإن الضيق زيادة الكربة كما أن في الوسعة مزيد الراحة، ولذا وصفت الجنة بأن عرضها السمٰوات والأرض، وفي الحديث: «خير المجالس أوسعها»[1] ﴿مُّقَرَّنِينَ﴾ [الآية 13] قرنت أيديهم بالسلاسل إلى أعناقهم ﴿دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ [الآية 13] تمنوا هلاكاً وطلبوا إهلاكاً.

فيقال لهم: ﴿لَّا تَدْعُواْ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا﴾ [الآية 14] أي قليلاً يسيراً ﴿وَٱدْعُواْ ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ [الآية 14] لكثرة أنواع العقاب الذي لا ينقطع.

وأفاد الأستاذ: أن راحة الجنة مقرونة بسعتها ووحشة النار موصولة بضيقها فيضيق عليهم مكانهم ويضيق عليهم قلوبهم ويضيق عليهم أقواتهم، ولو كانت حياتهم تبطل بها وكانوا يتخلصون منها لم يكن البلاء كاملاً ولكنها آلام لا تتناهى ومحن لا تنقضي كلما راموا فرجة وباباً قيل لهم ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبأ: الآية 30].

﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الآية 15] العذاب المؤبد الذي وعد به العاصون ﴿خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ/ ٱلْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ﴾ [الآية 15] في علم الله ﴿جَزَآءً﴾ 302/ ب

(1) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (1/ 388) رقم (1136)، والحاكم في المستدرك (4/ 300) رقم (7705)، والبيهقي في شعب الإيمان (6/ 300) رقم (8240)، وأبو داود في السنن (4/ 405) رقم (4822).

[الآية 15] على أعمالهم وفق أحوالهم ﴿وَمَصِيرًا﴾ [الآية 15] مرجعاً لآمالهم.

﴿لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ﴾ [الآية 16] من النعيم المقيم على قدر مراتبهم وما يليق ويناسب بمناصبهم ومناقبهم كما يشير إليه قوله سبحانه: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: الآية 30] وفيه تنبيه على أن كل المشتهيات لا تحصل إلا في الجنة ولذا ورد: «اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة»[1]، ﴿خَٰلِدِينَ﴾ [الآية 16] حال مقدرة ﴿كَانَ﴾ [الآية 16] ما ذكر ﴿عَلَىٰ رَبِّكَ﴾ [الآية 16] واجباً عليه بمقتضى ﴿وَعْدًا مَّسْـُٔولًا﴾ [الآية 16] وعداً حقيقاً بأن يكون مطلوباً.

وقال الأستاذ: إن في النعيم المقيم حور وسرور وحبور وقصور وروح وريحان وبهجة وإحسان ولطف جديد وفضل مزيد ولذات شراب وكاسات محاب وبسط قلب وطيب حال وكمال أنس ودوام طرب وتمام حول ولباسهم فيها حرير فالأسماء أسماء ما في الدنيا، والأعيان بخلاف المعهودات منها، ثم فيها ما يشاؤون ويتحقق، وهم أبداً مقيمون لا يبرحون ولا هم عنها يخرجون. وقال: ﴿لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ﴾ [الآية 16] وتحقق لهم فيها ما يشاؤون ولكن لا يخلق في قلوبهم الإرادة ما علم أنه سيفعله فما هو المعلوم لله أن لا يفعل لا يتعلق به إرادتهم ويمنع من قلوبهم مشيئته لهم.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾ [الآية 17] أي المخلوقين أو المشركين. وقرأ ابن كثير وحفص بالياء أي يجمعهم الله ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 17] يعم كل معبود سواه ﴿فَيَقُولُ﴾ [الآية 17] أي الله للمعبودين. وقرأ ابن عامر بالنون ﴿ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [الآية 17] الضالين ﴿أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ﴾ [الآية 17] بأنفسهم فكانوا كالغاوين لإخلالهم بالنظر الصحيح وإعراضهم كالمرشد النصيح، وهو استفهام تقريع للعبدة.

﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ﴾ [الآية 18] تنزيهاً لله عن الأنداد وإشعاراً بأنه لا يليق بهم

---

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (3797)، ومسلم في الصحيح (1804/ 126).

إضلال العباد ﴿مَا كَانَ يَنۢبَغِي لَنَآ﴾ [الآية 18] ما يصح وما يصلح لنا ﴿أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الآية 18] حتى نكون سبباً لإضلال هؤلاء ﴿وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ﴾ [الآية 18] بأنواع النعم فاستغرقوا في اتباع الشهوات والنهم ﴿حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ﴾ [الآية 18] أي ذكر المنعم وشكره وتركوا حكمه وأمره، ففيه نسبة الضلال إليه بكسبهم وإسناد له إلى ما فعل الله بهم من حملهم وهو عين مذهب أهل السنَّة وليس فيه حجة للمعتزلة ﴿وَكَانُوا۟﴾ [الآية 18] في قضاء الله ﴿قَوْمًۢا بُورًا﴾
[الآية 18] هالكين لكونهم ضالين عن / هداه. 303/ أ

﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم﴾ [الآية 19] أي المعبودون ﴿بِمَا تَقُولُونَ﴾ [الآية 19] في قولكم إنكم آلهة لنا أو هؤلاء أضلونا ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ﴾ [الآية 19] أي المعبودون. وقرأ حفص بالخطاب للعابدين ﴿صَرْفًا﴾ [الآية 19] دفعاً للعذاب عنكم ﴿وَلَا نَصْرًا﴾ [الآية 19] منعاً له منكم ﴿وَمَن يَظْلِم﴾ [الآية 19] أي من يستمر على الشرك ﴿مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ [الآية 19] أي ناراً وسعيراً.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الآية 20] الجملة حال اكتفي فيها بالضمير عن الواو ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ﴾ [الآية 20] أيها الناس ﴿لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ [الآية 20] ابتلاء ومحنة، ومن ذلك ابتلاء الفقراء بالأغنياء والمرسلين بالرسل إليهم في مخالفتهم لما أنزل عليهم وفيه تسلية له ﷺ من قولهم بعد إبطاله لهم، وفيه دليل على القضاء والقدر وما يترتب عليه من الصبر والشكر والحذر ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ [الآية 20] حث على الصبر على ما افتتنوا به كقوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: الآية 91]، ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [الآية 20] بمن يصبر على بلائه ويرضى بقضائه أو علماً بالصواب فيما يبتلي به ومن يبتلي وغير ذلك من أمور أرضه وسمائه.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أخبر أن الذين تقدموهم من الرسل كانوا بشراً مثلهم ولم تكن الخصوصية لهم إلا ظهور المعجزات عليهم وفي الجملة الفضائل بالمعاني لا بالصور والمباني. ثم قال في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ [الآية 20] فضّل بعضنا على بعض في الأشياء فأمر

المفضول بالصبر والرضا والفاضل بالشكر على العطاء وخصّ قوماً بالغنى وجعلهم فتنة لأهل البلاء، وخصّ قوماً بالعوافي عن الأمراض والأسقام وآخرون بالآلام والانتقام فلا لمن نعمه مناقب ولا لمن امتحنه معاتب، فبحكمه لا بجرمهم، وبفضله لا بعقلهم، وبإرادته لا بعبادتهم، وباختياره لا بإرضائهم، وبإقداره لا بأوزارهم، وبه لا بهم. وقوله: ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ [الآية 20] استفهام بمعنى الأمر فمن ساعده التوفيق صبر وشكر ومن قارنه الخذلان أبي وكفر.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ [الآية 21] أي لا يأملونه بالثواب أو لا يخافونه بالعقاب لإنكارهم البعث والحساب، والمراد باللقاء الوصول إلى الجزاء. أو قيل: المراد باللقاء الرؤية في دار البقاء ﴿لَوْلَا﴾ [الآية 21] هلّا ﴿أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ﴾
303/ ب [الآية 21] / فينكشف لنا الأمر بالكلية ﴿لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ﴾ [الآية 21] أي في شأنها حتى أرادوا لها ما يتفق للأفراد من الأنبياء في أكمل أوقاتها وأجمل حالاتها ﴿وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ [الآية 21] وتجاوزوا عن الحد في الظلم تجاوزاً عظيماً كثيراً حيث طلبوا الرؤية في الدنيا مع أنها ليست حاصلة إلا لخواص عباده في العقبى وأعرضوا عن الآيات الباهرة والمعجزات القاهرة واقترحوا لأنفسهم الفانية ما امتدت دونه مطامح النفوس القدسية.

وأفاد الأستاذ: أن هؤلاء قالوا على وجه رؤية المقام لأنفسهم وأنه مسلم لهم ما اقترحوه من نزول الملائكة عليهم ورؤية ربهم وكان ذلك في القدرة جائزاً ولكن لم يكن ذلك واجباً، وبعد إزاحة عذرهم بظهور المعجزات لم يكن اقتراح ما قالوه من المستحسنات.

﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ﴾ [الآية 22] أعوان ملك الموت أو ملائكة العذاب ﴿لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ [الآية 22] منهم ومن غيرهم أو المصرين على جرمهم أو المشركين المعهودين فيهم ﴿وَيَقُولُونَ﴾ [الآية 22] أي المجرمين حينئذ ﴿حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [الآية 22] أي هذه الجملة التي كانوا يستعيذون بها عند لقاء عدوهم أو هجوم مكروه بهم طلباً من الله أن يمنع لقاءه منهم ويدفع بلاءه عنهم. والمعنى

امنع عنَّا منعاً ممنوعاً فهو في باب التأكيد من قبيل «جد جده وظلاً ظليلاً»، أو يقولها الملائكة لهم بمعنى حراماً محرماً عليكم النار أو الجنة أو الرؤية على ما اختاره الأستاذ.

حيث أفاد أنهم اقترحوا شيئين: رؤية الملائكة ورؤية الله فأخبر أنهم يرون الملائكة عند التوفي ولكن تقول الملائكة لهم: ﴿لَا بُشْرَىٰ﴾ [الفرقان: الآية 22] لكم. وقوله: ﴿وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [الآية 22] يعني حراماً ممنوعاً، يعني رؤية الله عنكم وهذا يعود إلى ما جرى ذكره وحمله على ذلك أولى من حمله على الجنة إن لم يجر لها ذكر هنا، ثم فيه بشارة للمؤمنين بالرؤية لأنهم يرون الملائكة ويبشرونهم بالجنة، قال تعالى: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ﴾ [فصلت: الآية 30] الآية. فكما لا يكون للكفار البشارة بالجنة ويكون للمؤمنين لا يكون الرؤية للكفار ويكون للمؤمنين. قلت: وقد قال تعالى في حقهم: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: الآية 15]،/ وفي حق 304/ أ
المؤمنين: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: الآيتان 22،23] رزقنا الله الحسنى وزيادة وختمنا بخاتمة السعادة.

﴿وَقَدِمْنَا﴾ [الآية 23] أي عهدنا وقصدنا ﴿إِلَىٰ مَا عَمِلُوا﴾ [الآية 23] في زمان كفرهم ﴿مِنْ عَمَلٍ﴾ [الآية 23] في صورة أعمال حسنة من المكارم كقرى الضيف وإغاثة الملهوف وصلة الرحم ﴿فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾ [الآية 23] فأحبطناه لفقد ما هو شرط اعتباره من الإيمان بالدار الآخرة والإخلاص عن الرياء والسمعة وسائر الأعراض الفاسدة. والهباء غبار يرى في شعاع الشمس يطلع من الكوة ويكون متفرقاً منشوراً.

قال ابن عطاء: أطلعناهم على أعمالهم فطالعوها بعين الرضا فسقطوا عن أعيننا بذلك فجعلنا أعمالهم هباء منثوراً.

وقال الأستاذ: ضاع سعيهم وخاب جهدهم وضاع عمرهم وخسرت صفقتهم وانقطع رجاؤهم وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً فهذا آفة الكفار في تلك الدار، وأما أصحاب

الحقائق وأرباب التوحيد فيلوح لقلوبهم من سماع هذه الآية ما يحصل به كمال روحهم ويتأدى إلى قلوبهم من الراحة ما يضيق عن وصفه شرحهم ويتقاصر عن شأنه نطقهم حيث يسمعون قوله: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ﴾ [الآية 23] وحبب لهم من الأريحية ما يشغل عن الاهتمام بقوله: ﴿فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً﴾ [الآية 23] ويقولون: يا ليت لنا أعمال أهل الدارين، ثم لا يقبل منها ذرة وهو يقول بسببها: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ﴾ [الآية 23] ولأنهم إذا تخلصوا من مواضع الخلل وموجبات الخجل من أعمالهم غدوا ذلك من أجل ما ينالون من الإحسان إليهم. وفي معناه أنشدوا:

سأرجع من حجي إلى العام مقبلاً فأما الذي قد كان لم يتقبل [1]

﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾ [الآية 24] مكاناً يستقر فيه في أكثر الأوقات للمجالسة والمجاورات ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الآية 24] مكاناً يؤوى إليه للاسترواح مع الزوجات، ويحتمل أن يراد بأحدهما المصدر أو الزمان إشارة إلى أن مكانهم وزمانهم أطيب ما يتخيل من الأمكنة والأزمنة، والتفضيل إما لإرادة الزيادة المطلقة في العقبى أو بالإضافة إلى المترفين في الدنيا. وقد صحت عن
304/ب ابن مسعود رضي الله عنه أنه يفرغ من الحساب/ في نصف ذلك اليوم فيقبل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار.

وفي «تفسير السلمي»: أصحاب الجنة يومئذ في دار البوار على ميعاد لقاء الجبار من غير خوف زوال ولحوق ملال.

وأفاد الأستاذ: أن أصحاب الجنة هم الراضون بها الواصلون إليها المكتفون بوجدانها فحسنت لهم أوطانهم وطاب لهم مستقرهم ومكانهم.

﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ﴾ [الآية 25] أصلها تتشقق فحذفت التاء وأدغمها في الشين نافع وابن كثير وابن عامر أي تتفتح أبوابها ﴿ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ﴾ [الآية 25] بسبب طلوع ونزول الغمام منها وهو الغمام المذكور في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن

(1) ذكره القشيري في تفسيره (5/ 366).

﴿يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البَقَرَة: الآية 210]، ﴿وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾ [الآية 25] وقرأ ابن كثير ونزل ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾ [الآية 26] الثابت ﴿لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [الآية 26] لأن كل ملك وملك يبطل حينئذ لغيره ولا يبقى إلا ظهور ملكه ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا﴾ [الآية 26] شديداً لا يصير يسيراً.

قال ابن عطاء: الملك له على دوام الحالات وجميع الأوقات ولكن يكشف يومئذ للعوام فلا يقدر أحد أن يجحده بعدما عيَّن ذلك المقام.

وقال أبو سعيد الخراز: حقيقة الملك لمن هو مستغنٍ عما أبدى في الملك من جميع المكونات لا يرضاه من مكان العبيد شيء ولا يفضيه شيء من السكنات.

وقال الأستاذ: يريد يوم القيامة إذا بدت أهلها وظهر للمبعوثين أحوالها علموا ذلك الزمان وتحققوا في ذلك المكان أن المُلك أزلاً وأبداً للرحمٰن فلم يتجدد وصف له سبحانه بل يتلاشى أوهام الخلق لما بدا شأنه.

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ [الآية 27] من فرط الحسرة لديه ﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ [الآية 27] طريقاً إلى النجاة بما أبداه دليلاً ﴿يَٰوَيْلَتَىٰ﴾ [الآية 28] يا حسرتي ﴿لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾﴾ من أهل الكفر والغفلة عن الشكر ﴿لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ﴾ [الآيتان 28،29] أي ذكر الله وخطابه في كتابه ومواعظ رسوله في بابه ﴿بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى﴾ [الآية 29] وتمكنت منه برفع حجابه ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الآية 29] يعني الخليل المضل أو إبليس لأنه حمله على مخالفته ومخالفة الرسول في طاعته ﴿لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾ [الآية 29] يواليه حتى يؤديه إلى هلاكه ثم يتركه ولا ينفعه.

305/أ وأفاد الأستاذ: إن الكافر يضل صاحبه فيقع منه في الثبور/ والمؤمن يهدي إلى الربّ صاحبه فيصل به إلى السرور. قلت: كما يدل عليه ويشير إليه قوله سبحانه: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزّخرُف: الآية 67]. وقال بعضهم: أصح الخلة وأحسن المودة ما لا يورث أسفاً ولا ندامة كما أخبر الله عنهم يوم القيامة.

﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ﴾ [الآية 30] شكاية عن قومه وبثاً إلى ربه ﴿يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي﴾ [الآية 30] يريد كفار قومه ﴿ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا﴾ [الآية 30] بأن تركوا الإيمان به والعمل بمضمونه فقال في تسليته: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ [الآية 31] كما جعلنا لك أعداء ﴿جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ﴾ [الآية 31] ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ﴾ [الأحقاف: الآية 35] فإنما نمهلهم لكن لا نهملهم. وفيه دليل على أنه خالق الشر كما أنه خالق الخير خلافاً للثنوية والمعتزلة ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا﴾ [الآية 31] إلى معرفته إن أراد هدايتهم ورعايتهم ﴿وَنَصِيرٗا﴾ [الآية 31] معيناً لك عليهم إن شاء ضلالتهم وتخويفهم.

قال أبو بكر بن طاهر: رفعت درجات الأنبياء لامتحانهم بالمخالفين والأعداء وكل نبي قد ابتلي بمخالف وعدو وحاسد وابتلي كل ولي بمكابر ومعاند وذلك لتمام درجاتهم ونظام حالاتهم وعظم محلهم عند ربهم.

وقال الأستاذ: فمن شكا من الله فهو جاهل جاحد ومن شكا إلى الله فهو عارف واجد. ثم أخبر أنه لم يخلِّ نبياً من أنبيائه إلا سلّط لهم عدواً في وقته إلا أنه سبحانه لم يغادر منهم أحداً إلا أذاقه وبال ما استوجبوه على كفره وغيه.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ﴾ [الآية 32] أي هلا أنزل ﴿ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ [الآية 32] إليه ﴿جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ﴾ [الآية 32] دفعة واحدة، وهو اعتراض لا طائل تحته لأن الإعجاز لا يختلف بنزوله مفرقاً أو جملة مع أن للتفريق فوائد محققة منها ما بيّنه سبحانه بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ﴾ [الآية 32] أي كذلك أنزلناه مفرّقاً لنقوّي بتفريقه فؤادك على حفظه وفهمه لأن نزوله بحسب الوقائع يوجب مزيد بصيرة في المبنى وعوض خوض في المعنى ولأنه تحدى بكل نجم من سوره فيعجزون عن معارضته زاد ذلك قوة قلبه ولأن نزول جبريل مرة بعد مرة سبب لثبات فؤاده وكمال روحه ودوام أنسه وتمام قربه. فإن قلت: المحب يسكن بتواصل كتب محبوبه، / ومنها معرفة الناسخ والمنسوخ بسبب تقدمه وتأخره، 305/ب
ومنها انضمام القرائن الحالية إلى الدلائل القالية إذ كل من الحالات الواقعة في

زمان من الأزمنة تناسب نزول آية خاصة ﴿وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ [الآية 32] وقرأناه عليك شيئاً بعد شيء على تمهُّل وتؤدة في ثلاث وعشرين سنة أو المعنى بيّناه تبييناً وفصلناه تفصيلاً ولم نكتف بذكر شيء منه إجمالاً بل أوردناه على ما أردناه إكمالاً.

﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ [الآية 33] سؤال عجيب وبيان حال غريب ﴿إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية 33] بالأمر الثابت لجوابه وعلى وفق الصدق في صوب صوابه ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الآية 33] أي بما هو أحسن بياناً من سؤالهم في بابه.

﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ [الآية 34] أي مغلوبين إليها أو مسحوبين. وروى البيهقي عنه عليه السلام: «يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف، صنف على الدواب وصنف على الأقدام وصنف على الوجوه»[1]. وفي الخبر: «إن الذي مشاهم اليوم على أقدامهم يمشيهم غداً على وجوههم»[2] وهو ذم مرفوع أو منصوب أو مبتدأ خبره ﴿أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ [الآية 34] مستقراً ومقيلاً ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الآية 34] وأخطأ طريقاً وأغلظ دليلاً، فلا جرم يقعن في قعر جهنم ذليلاً.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الآية 35] التوراة وفيها فصل الخطاب ﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا﴾ [الآية 35] يؤازره في الدعوة ويعاونه في إعلاء الكلمة وهو لا ينافي مشاركته في النبوة بل إشارة إلى الأصالة والخلافة.

وأفاد الأستاذ: أن القصة الواحدة إذا أُعيدت مرات كثيرة كانت أتم في باب البلاغة لا سيما وفي كل مرة فائدة زائدة.

﴿فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟﴾ [الآية 36] يعني فرعون وقومه ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [الآية 36] أي بأوليتنا في مصنوعاتنا أولاً وبمعجزاتنا ثانياً ﴿فَدَمَّرْنَٰهُمْ

---

(1) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (1/ 318) رقم (359)، والطيالسي في المسند (1/ 334) رقم (2566).

(2) أورده القشيري في تفسيره (5/ 373).

﴿تَدْمِيرًا﴾ [الآية 36] أي فذهبا إليهم فكذبوهما وجحدوا نبوتهما ورسالتهما فأهلكناهم إهلاكاً بالإغراق في الدنيا وبالإحراق في العقبى. وفيه تسلية لسيد الأنبياء فيما كان يقاسيه من فنون البلاء، ووعد جميل له بإهلاك مَن له من الأعداء أو تهديد لقومه من السفهاء.

306/ أ ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ﴾ [الآية 37] أي نوحاً ومن / قبله أو نوحاً وحده لأنه يستلزم أنهم كذبوا الرسل كلهم ﴿أَغْرَقْنَٰهُمْ﴾ [الآية 37] أحللنا العقوبة بهم كما أحللنا بأمثالهم وعاملناهم مثل ما عاملنا قرناءهم ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ﴾ [الآية 37] أي قصتهم ﴿لِلنَّاسِ ءَايَةً﴾ [الآية 37] عبرة ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية 37] منهم ومن غيرهم ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الآية 37] حجاباً مقيماً.

﴿وَعَادًا وَثَمُودَا۟﴾ [الآية 38] أي وجعلناهما كذلك عبرة لما هنالك ﴿وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ﴾ [الآية 38] وهم قوم كانوا يعبدون الأصنام فبعث الله إليهم شعيباً عليه السلام فكذبوه فبينما هم حول الرَّسِّ وهي البئر الغير المطوية فانهارت فخسف بهم وبديارهم ﴿وَقُرُونًۢا﴾ [الآية 38] قيل القرون أربعون سنة وقيل سبعون وقيل مائة وعشرون، والمعنى وأهل أعصار ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ [الآية 38] أي ما ذكر من الأمم أمصاراً ﴿كَثِيرًا﴾ [الآية 38] لا يعلمها إلا الله ولا يحيط بتفصيل أحوالها سواه.

﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ﴾ [الآية 39] بيّنا له القصص والأحوال وما أجرى عليهم من النكال إنذاراً وإعذاراً فلما أصروا أهلكوا لقوله: ﴿وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾ [الآية 39] دمرنا تدميراً.

﴿وَلَقَدْ أَتَوْا۟﴾ [الآية 40] يعني كفار قريش مروا مراراً في أزمنة تجارتهم إلى الشام قبل بعثته أو بعد دعوته عليه السلام ﴿عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ﴾ [الآية 40] أي سدوم بالدال المهملة أو المعجمة وهي عظمى قرى قوم لوط أُمطِرَت عليها الحجارة ﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا﴾ [الآية 40] في مرورهم عليها فيتعظون بما يرون من آثار عذاب الله فيها ﴿بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾ [الآية 40] أي لا يخافون حشراً ولا نشوراً ولا يأملون عاقبة وآخرة فكذلك لم ينظروا ولم يتعظوا ولم يعتبروا فمروا بها كما مرت ركابها عليها من غير التفات إليها.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه ذكر كل ذلك فيما هنالك تسكيناً لقلبه وتطييباً لسرّه وإعلاماً بأنه سيهلك من يعاديه ويدمر على من يناوئه، ولقد فعل بعض ذلك في حياته والباقي بعد مضيه عليه السلام من الدنيا ووفاته.

﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ [الآية 41] ما يتخذونك إلا مهزءاً به ومهزولاً حيث قالوا: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾ [الآية 41] الهمزة للإنكار والإشارة للاستحقار.

﴿إِن كَادَ﴾ [الآية 42] إن قارب ﴿لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا﴾ [الآية 42] ليصرفنا عن عبادتها بفرط اجتهاده في / الدعاء إلى التوحيد وكثرة ما يورد مما يرد إلى 306/ب
الذهن أنه أدلة على تحقق التقدير ﴿لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ [الآية 42] ثبتنا على محبتها واستمسكنا بعبادتها ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الآية 42] عن صوب الصواب وفيه دلالة على أنه سبحانه وإن كان يمهلهم في الدنيا فلا يهملهم في العقبى.

وأفاد الأستاذ: أنه كان يحصل سلوته لو ذكر حالته وشكا إليه قصته وتبيّن له غصته وإذا أخبر الله عما يعانيه وقصَّ عليه ما كان يلاقيه كان أوجب للسلو وأقرب من الأنس، وغاية سلوة أرباب المحنة أن يذكروا لأحبابهم ما لقوا في أيام امتحانهم في مقام احتجابهم.

لذا قال قائلهم في بابهم:

يود بأن يمسي سقيماً لعلها إذا سمعت منه بشكوى تراسله
ويهتز للمعروف في طلب العلى ليذكر يوماً عند سلمى شمائله[1]

وقد أخبر الله سبحانه عنهم أنهم كانوا ينظرون إليه ﷺ بعين الازدراء والتحقير في شأنه والتقصير في مكانه لأنهم كانوا لا يعرفون قدره ولا يتبعون أمره فقال: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: الآية 198].

﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الآية 43] بل أطاعه وبنى عليه متمناه فلا

(1) نسب إلى كثير عزة. انظر الزهرة (1/ 108) ودواوين الشعر العربي (21/ 186).

يسمع حجة ولا يبصر دليلاً ﴿أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ [الآية 43] تمنعه عن المعصية وتدفع عنه عذاباً وبيلاً.

وأفاد الأستاذ: أنهم كانوا يعبدون من الأصنام ما يهوون ويستبدلون صنماً بصنم وكانوا يجرون على مقتضى ما يقع لهم والمؤمن بحكم الله لا بحكم نفسه، وبهذا يتضح البرهان بين الشأن والشأن والذي يعيش على ما يقع له فوائد هواه والذي يتبع ما أمره ربه ونهاه.

﴿أَمْ تَحْسَبُ﴾ [الآية 44] أتظن ﴿أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ﴾ [الآية 44] ما ينفعهم ﴿أَوْ يَعْقِلُونَ﴾ [الآية 44] ما يضرهم فتهتم بشأنهم وتطمع في إيمانهم.

قال ابن عطاء: لا تظن أنك تسمع بندائك إنما تسمعهم بنداء الأزل فإن ندائك ودعوتك لا تغني عنهم شيئاً وإجابتهم دعوتك هو بركة جواب نداء الأزل، فمن عقل أو أعرض فإنما هو لفقده عن محل الجواب في القدم ﴿إِنْ
307/أ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ﴾ [الآية 44] في عدم انتفاعهم/ بسماع الآيات وقلّة تدبرهم بشواهد الدلائل والمعجزات ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الآية 44] من الحيوانات لأنها تنقاد لمن يتفقدها وتمتثل إلى مَن يتعهدها وتميز من يُحسن لها ومن يسيء إليها وتطلب ما ينفعها وتتجنب ما يضرها، وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يطلبون مقام حبهم ولا يعرفون إحسان الرحمٰن من إساءة الشيطان ولا يطلبون الثواب الذي هو أعظم منافعهم ولا يتقون العذاب الذي هو أشد مضارهم، ولأنها إن لم تعتقد حقاً ولم تكتسب خيراً لم تعتقد باطلاً ولم تقترف شراً بخلاف هؤلاء، ولأن جهالتها وضلالتها لا تتعدى عنها وجهالة هؤلاء وضلالتهم تؤدي إلى فتنة الخلق وصدهم عن الحق، ولأنها غير متكمنة من الكمال فلا تقصير منها في جميع الأحوال، وهؤلاء مقصورون مستحقون على تقصيرهم أشد النكال وأعظم الوبال، ولأنها تصير في العاقبة تراباً ولم يشاهدوا عقاباً، وهؤلاء يقال لهم: ﴿فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبأ: الآية 30].

وأفاد الأستاذ: أن الذي ليس له نهمة إلا في أكل وشرب واستجلاب حظوظ نفسه فكالبهائم نهمتها الأكل والشرب وانتفاع حظوظها وإن الله تعالى

خلق الملائكة وعلى العقل جبلهم والبهائم وعلى الهواء فطرهم وبني آدم وركّب فيهم الأمرين فمن غلب هواه عقله فهو شر من البهائم ومن غلب عقله هواه فهو خير من الملائكة، كذا قاله المشايخ.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ [الآية 45] ألم تنظر أثر صنعه ﴿كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ [الآية 45] بسطه فيما بين طلوع الفجر وسطوع الشمس وهو أطيب الأحوال الواقعة، فإن الظلة الخالصة تنفر الطبع وتسد النظر وشعاع الشمس فيسخن الجو ويوجب الحر ويبهر البصر، ولذا وصف الجنة بقوله: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الواقِعَة: الآية 30]، ﴿وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا﴾ [الآية 45] ثابتاً مستقراً على حالة واحدة كما يكون في أيام الجنة ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ﴾ [الآية 45] على وجوده ومقدار حدوده ﴿دَلِيلًا﴾ [الآية 45] فإنه لا يظهر حقيقته لحس الأنام حتى تطلع الشمس فيقع ضوؤها على بعض الأجرام.

﴿ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا﴾ [الآية 46] / أي أزلناه بإيقاع الشعاع موقعه كما قدر 307/ب
لدينا ﴿قَبْضًا يَسِيرًا﴾ [الآية 46] قليلاً قليلاً حسبما ترتفع الشمس بأمر الحق لينتظم بذلك ما لا يحصى لمصالح الخلق. ومجمل المرام من هذا الكلام ووضوح البرهان لعقول الأنام وهو دلالة حدوث الظل وتصرُّفه على أن ذلك فعل الصانع الحكيم في أمره.

وقال الواسطي: أثبت للعامة المخلوق فأثبتوا به الخالق وأثبت للخاصة الخالق فأثبتوا به المخلوق، فمخاطبة العامة ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغَاشِيَة: الآية 17]، ومخاطبة الخاصة: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ [الآية 45] انتهى. وتوضيحه ما قاله بعض الصوفية: «ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله»[1]. وقال بعض آخر: «ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله بعده»[2] فالأول استدلال بالصانع على المصنوع وهو حال المجذوبين والمرادين والثاني استدل بالمصنوع على الصانع وهو طريق السالكين والمريدين وعامة أهل الدين من

(1) تفسير الرازي (17/ 274). (2) تفسير الرازي (17/ 274).

المجتهدين. وحاصله إن صاحب المعرفة من لا يحجبه الكثرة عن شهود الوحدة ولا ظهور الوحدة عن مشاهدة الكثرة كما عبر بعضهم عن هذه الحالة بقوله: «ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله معه» وهذا مقام جمع الجمع.

وقال ابن عطاء: أي كيف حجب الخلق عنه ومد ستور الغفلة عليهم وحجبهم عن ربهم ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً، قال: شموس المعرفة وهي دلائل القلب إلى الرب. وقيل: أي كيف مد عليك ظل العصمة ولو شاء لجعله ساكناً أي جعلك مهملاً ولم يعقل بل جعل الشمس التي طلعت من صدرك دليلاً ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً، هذا خطاب من أسقط عنه الرسوم والوسائط.

وقال الأستاذ: قيل في سبب نزول الآية إنه ﷺ نزل في بعض أسفاره وقت القيلولة في ظل شجرة وكانوا خلقاً كثيراً، فمدّ الله ظلّ تلك الشجرة حتى وسع جميعها فأنزل الله هذه الآية، وكان ذلك من جملة أنواع المعجزة. ويقال: ألم تر كيف مد ظل العناية على أحوال أوليائه فقوم هم في ظل
308/أ الحماية وآخرون في ظل الرعاية وآخرون في ظل العناية/، فالفقراء في ظل الكفاية والأغنياء في ظل الراحة والحماية. ويقال: ظل هو ظل العصمة وظل هو ظل النعمة، فالعصمة للأنبياء ثم للأولياء والنعمة وهي الرحمة لعموم المؤمنين في العقبى ولكافة الخلق أجمعين في الدنيا. ويقال له قوله للنبي ﷺ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ [الآية 45] ثم قوله: ﴿كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ [الآية 45] ستر لمكاشفه به أولاً إجراء للسنَّة في إخفاء حال الحبيب عن الرقيب. ويقال: أحياه بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ [الآية 45] ثم أفتاه بقوله: ﴿كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ [الآية 45] وكذا سنته مع عباده يرددهم بين إفتاء وإبقاء أي وإيجاد وإمداد وصحو ومحو وقبض وبسط.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾ [الآية 47] شبه تشبيهاً بليغاً لظلامه باللباس في ستره لأحوال الناس ﴿وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا﴾ [الآية 47] راحة بالإبداع بقطع الشواغل للجنان ولكون النوم أخ الموت قال: ﴿وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا﴾ [الآية 47] ذا نشور أي انتشار ينتشر فيه الناس لمعاشهم وأخذ زادهم لمعادهم. وفيه إيماء إلى

أن النوم واليقظة أنموذج للموت والقبر والبعث للحشر والنشر كما ورد أنه عليه السلام إذا قام من المنام قال: «الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه البعث والنشور»[1] . وعن لقمان: «يا بني كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتُنشر»[2] .

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه جعل الليل وقتاً لسكون قوم ووقتاً لانزعاج آخرين، فأرباب الغفلة يسكنون في ليلهم وأصحاب المحبة يسهرون في ميلهم لأنهم إن كانوا في روح الوصال فلا يأخذهم النوم لكمال أنسهم وشوقهم وإن كانوا في ألم الفراق فلا يأخذهم النوم لكمال خوفهم وقلقهم، كالسهر للأحباب صفة في جميع الأبواب إما لظهور السرور أو لهجوم الهموم. ويقال: جعل النوم لقوم من الأحباب وقت التجلي يريهم ما لا سبيل إليه في اليقظة فإذا رأوا ربهم في المنام يؤثرون النوم على السر بالدوام.

قال قائلهم:

وإني لأستغشي وما بي نعسة لعل خيالاً منك يلقى خياليا[3]

وقال آخر منهم:

رأيت سرور قلبي في منامي فأحببت التنعس والمناما[4]

/ ويقال: النوم لأهل الغفلة عقوبة ولأهل الاجتهاد راحة فإن الحق 308/ ب
سبحانه يُدخل عليهم النوم ضرورة رحمة منه بنفوسهم لتستريح عن كل مجاهدة.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ﴾ [الآية 48] وقرأ ابن كثير الريح ﴿بُشْرًا﴾ [الآية 48] تقدم فيه القراءات أي ناشرات للسحاب أو مبشرات ﴿بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾

(1) أخرجه ابن حبان في الصحيح (12/ 342) رقم (5532)، والنسائي في السنن الكبرى (6/ 214) رقم (10694).
(2) تفسير الكشاف (4/ 465)، وتفسير النيسابوري (6/ 53)، وتفسير البيضاوي (1/ 221).
(3) نسب إلى قيس بن معاذ. انظر الكامل في اللغة (1/ 78)، وزهر الآداب (1/ 290).
(4) ذكره القشيري في تفسيره (5/ 380).

[الآية 48] يعني قدام المطر الذي سبب نعمته ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ [الآية 48] مطهراً يُتطهر به ويُنتفع بشربه وفيه تنبيه على أن تطهير بواطنهم أولى من تطهير ظواهرهم لما ورد: «أن الله لا ينظر إلى صوركم وأعمالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأحوالكم»(1).

﴿لِّنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً﴾ [الآية 49] مكاناً ﴿مَّيْتًا﴾ [الآية 49] من الأرض بسبب يبسها بإنبات النبات فيها ﴿وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾ [الآية 49] جمع إنسي، وأخذ من الإنس وهو يعم أهل الصحراء وسكان المدن والقرى لأن أصل جميع الماء من السماء. وسياق الآية كما هو للدلالة على عظمة القدرة فهو للإشارة لا لكثرة النعمة ولعل تقديم الأنعام لاهتمامه في بيان الأنعام أو للنكتة التي ذكروها في قوله تعالى: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ [الإسراء: الآية 31] بأن يستوي عنده سبحانه رزق الخاص والعام، فسبحان مَن يرزق الضعيف الدني بحيث يستعجب الشريف القوي.

وفي «تفسير السلمي» : وهو الذي أرسل رياح الندم بين توبته وطهّر قلوبهم ببركاته عن المخالفات وأبدانهم بظاهر رحمته من جميع الأجناس والأدناس.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يرسل رياح الكرم فتهب على قلوب ذوي الحاجات فتزعجها إلى طلب مبارّه من الطاعات، ويرسل رياح الولاية فتهب على قلوب الخواص فتطهرها عن قلوب الإرادات فتكتفي بالله لله، ويرسل رياح الخوف على قلوب العصاة فتحملهم على الندامة وتطهر من الإصرار فترجع إلى التوبة عن السيات، ويرسل رياح الاشتياق على قلوب الأحباب وتطهر عن كل شيء إلا عن اللواعج فلا استقرار إلا بالكشوف والتجليات. ويقال: إذا انتسم القلب نسيم قرب الرب هام في ملكوت الجمال وامتحى
عن كل مرسوم ومعهود في الأحوال. وقال/ في قوله: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ 309/أ
[المؤمنون: الآية 18] الآية أحيا به البلاد والديار حيث أنبت الأزهار والأنوار، وأنزلنا

---

(1) أخرجه مسلم في الصحيح (2564/ 33)، وابن حبان في الصحيح (2/ 119) رقم (394)، وأحمد في المسند (2/ 284) رقم (7814).

من السماء ماء الرحمة فغسل للعصاة ما تلطخوا به من الأوضار وتدنسوا به من الأوزار. والطهور هو الطاهر المطهر، وأما الحياء فيطهر قلوب العارفين عن الجنوح إلى المساكنات وما في بعض الأحوال يتداخلها من الغفلات، وأما الرعاية فيحيي بها قلوب المشتاقين بما يتداركها من أنوار التجليات حتى يزول عنها عطش الاشتياق ويحصل فيها سكينة من الإقلاق ويحيي بها نفوساً ميتة باتباع الشهوات فيردها إلى القيام بالعبادات.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ﴾ [الآية 50] أي المطر ﴿بَيْنَهُمْ﴾ [الآية 50] في الأمكنة المختلفة والأمكنة المتفاوتة والصفات المتغايرة من وابل وطل وديمة، فعن ابن عباس رضي الله عنهما: ما عام أمطر من عام ولكن الله قسم ذلك بين عباده على ما شاء، وتلى هذه الآية: ﴿لِيَذَّكَّرُواْ﴾ [الآية 50] ليتعظوا ويتفكروا ويعترفوا بكمال القدرة وجمال الراحة ويقوموا بشكر النعمة وليعتبروا بالصرف عنهم وإليهم ما يترتب عليه المحنة والمنحة. وقرأ حمزة والكسائي بسكون الذال وضم الكاف أي ليذكروا ربهم تجديد المنة ﴿فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الآية 50] كفران النعمة بعدم القيام بشكرها أو بقلة الاكتراث لها أو لجحودها بأن يقولوا: مطرنا بنواء كذا ثم مَن لا يرى الأمطار إلا من الأنواء فهو كافر بخلاف من يرى أنها من خلق الله والأنواء وسائط وأمارات بجلبه سبحانه ما شاء من الأشياء.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾﴾ [الآية 51] نبياً ينذر أهلها من المعصية فيخف عليك أعباء النبوة لكن قصر الأمر على تبيانك إجلالاً لشأنك وتعظيماً لبرهانك وتعقيباً لأنك على إخوانك فقابل ذلك بالثبات على إقامة الدعوة والاجتهاد في إظهار الحجة ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الآية 52] فيما يريدونك من الذلة ﴿وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ﴾ [الآية 52] بالقرآن وما فيه من الأدلة ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الآية 52] لأن مجاهدة السفهاء أكبر من مجاهدة الأعداء كما أن مجاهدة الباطن أقوى من مجاهدة الظاهر لما ورد: «رجعنا/ من الجهاد الأصغر إلى الجهاد 309/ ب
الأكبر»(1). ولما قيل: «أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك»(2) كما يشير إليه

(1) سبق تخريجه. (2) سبق تخريجه.

قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ﴾ [التوبة: الآية 123].

وأفاد الأستاذ: أن الله سبحانه خصَّ نبينا ﷺ بأن فضّله على الكافة وأرسله إلى الجملة من العامة والخاصة ولا ينسخ شرعه إلى يوم القيامة، وبهذه الآية أدّبه بأدق الإشارة حيث قال: ﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَبَعَثۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٖ نَّذِيرٗا ٥١﴾ [الآية 51]، كما قال: ﴿وَلَئِن شِئۡنَا لَنَذۡهَبَنَّ بِٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ [الإسراء: الآية 86]، وقصد الحق أن يكون خواص عباده أبداً معصومين عن شواهدهم. وفي القصة أن موسى عليه السلام تبرم وقتاً بكثرة ما كان يسأل فأوحى الله تعالى في ليلة واحدة إلى ألف نبي من بني إسرائيل فأصبحوا رسلاً وتفرق الناس عن موسى إليهم فضاق قلب موسى وقال: يا رب إني لا أطيق ذلك، فقبض الله أرواحهم في ذلك اليوم ثم قال في قوله: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا ٥٢﴾ [الآية 52] أي كن قائماً بحقنا من غير أن يكون لك جنوح إلى غيرنا أو مبالاة بمن سوانا فإنّا نعصمك بكل وجه ولا نرفع عنك ظل عنايتنا بحال.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾ [الآية 53] جعلهما متجاورين متلاصقين غير متزاوجين مختلطين ﴿هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ﴾ [الآية 53] أحدهما حلو قامع للعطش من فرط عذوبته ﴿وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞ﴾ [الآية 53] وآخر منها مالح مر من غاية ملوحته ﴿وَجَعَلَ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٗا﴾ [الآية 53] حاجزاً من قدرته ﴿وَحِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا﴾ [الآية 53] وتنافراً بليغاً بين كل واحد على حدته كأن كلاً منهما يقول للآخر ما يقوله المتعوِّذ عن الشر، وذلك كدجلة يدخل البحر فيجري في خلاله فراسخ لا يتغير طعمها.

وأفاد الأستاذ: أن البحر المالح لا عذوبة فيه والعذب لا ملاحة فيه وهما واحد في الجوهرية ولكنه سبحانه بقدرته غاير بينهما في الصفة كذلك خلق القلوب بعضها معدن اليقين والعرفان وبعضها محل الشك والكفران. ويقال: أنبت في قلوب المؤمنين صفتين: الخوف والرجاء، فلا الخوف يغلب الرجاء ولا الرجاء يغلب الخوف. ويقال: خلق القلوب على صنفين: قلب
310/أ المؤمن مضيئاً مشرقاً/ وقلب الكافر أسود مظلماً، هذا بنور الإيمان مزين وهذا

بظلمة الجحود مبين. ويقال: قلب العوام في أسر الغائب والحظوظ واللهوات وقلب الخواص مستغنٍ عن الطلبات ومتحرِّر عن رق الحظوظ والشهوات.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا﴾ [الآية 54] أي من الماء الذي خمر به طينة آدم عليه السلام، أو النطفة التي خلق منها غالب أولاده من الخاص والعام ﴿فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ [الآية 54] أي قسم البشر قسمين: ذوي نسب أو ذكور ينتسب إليهم وذوي صهر أي أناث يصاهر بهن كقوله تعالى: ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ [القيامة: الآية 36]، ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [الآية 54] حيث خلق من مادة واحدة بشراً ذا أعضاء مختلفة وطباع متعددة وجعله قسمين متقابلين وربما يخلق توأمين ذكراً وأنثى من نطفة واحدة.

﴿وَيَعْبُدُونَ﴾ [الآية 55] أي جمع من البشر ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 55] من غير المعبود القادر الخالق للقوى والقدر ﴿مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾ [الآية 55] وهو كل ما عُبد من دون الله، إذ ما من مخلوق يستقل بالنفع والضر ﴿وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا﴾ [الآية 55] مظاهراً للشيطان بالشرك والطغيان على مخالفة الرحمٰن.

وأفاد الأستاذ: أن الخلق متشاكسون في أصل الخلقة متماثلون في الجوهرية متباينون في الصفة مختلفون في الصورة والهيئة، فنفوس الأعداء مطاياهم تسوقهم إلى النار ومكان البوار ونفوس المؤمنين مطاياهم تحملهم إلى دار القرار ومستقر الأبرار، الخلق بشر ولكن ليس كل بشر بشر واحدٌ عدو لا يسعى إلا في المخالفة ولا يعيش إلا بنصيبه وحظه، لا يحتمل الرياضة ولا يرتقي عن حد الوقاحة والخساسة، وآخر لا يفتر عن الطاعة والعبادة ولا ينزل إلى دنيء الهمة فهو في سماء تعزّزه بمعبوده في مقام القربة وبينهما للناس مناهل ومشارب وطرائق ومذاهب، فواحد يكون كما قال: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾ [الآية 55] يكتفي بالمنحوت من الخشب والمصنوع من الصخر والمتخذ من النحاس والذهب جماد لا يعقل ولا
310/ب يسمع ولا يضر ولا ينفع، وآخر لا يلتفت إلى العرش/ وإن علا ولا ينقاد ولا يستسلم بقلبه لمخلوق وإن اتصف بمناقب لا تحصى.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا﴾ [الآية 56] للمؤمنين بالمثوبة والقربة ﴿وَنَذِيرٗا﴾ [الآية 56] مخوفاً للعاصين بالعقوبة والفرقة ﴿قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾ [الآية 57] على تبليغ الرسالة الدال عليه الإرسال بالنبوة ﴿مِنۡ أَجۡرٍ إِلَّا مَن شَآءَ﴾ [الآية 57] لكن مَن أراد ﴿أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا﴾ [الآية 57] بالإحسان إليه فليقل جميلاً فإنه يلقى به جزاءً جميلاً.

وقال الأستاذ: رسولاً منا مأموراً بالإنذار والتبشير عنا واقفاً حيث قضاك على نعت تبليغنا غير مطالب منهم أجراً ولا طامع أن تجد منهم خطأ. وقال: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ﴾ [الآية 57] استثناء منقطع إذ ابتغاؤهم السبيل إلى ربهم ليس بأجر يأخذه منهم فهو لمن أقبل بشير ولمن أعرض نذير.

﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الآية 58] في الاستكفاء من شرورهم والاستغناء عن أجورهم. وأما التوكل على الذي يموت فيضيع ويفوت. قيل: التوكل أن يستوي عندك البادية وباب الطاق من القرية، كذا في «تفسير السلمي».

وأفاد الأستاذ: أن التوكل تفويض الأمور إلى الله وحقه وأصله علم العبد بأن الحادثات كلها حاصلة من الله ولا يقدر أحد على الإيجاد سواه، فإذا عرف هذا فهو فيما يحتاج إليه إذا علم أن مراده لا يرتفع إلا من قبل الله حصل التوكل لديه وهذا القدر من التوكل فرض على أهل الإيقان وهو من شرائط الإيمان، قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المَائدة: الآية 23] وما زادوا على هذا القدر من سكون القلب وزوال الانزعاج والاضطراب فهي أحوال للأولياء والأقطاب ويلحق بالتوكل على وجه كماله في هذا الباب. فإذا تقرر هذا فالناس في الاكتفاء والسكون على أقسام اسم إما من حيث الاشتقاق أو من حيث الاصطلاح والاتفاق. فأول رتبة فيه أن يكتفي بها في يده ولا يطلب الزيادة على ما عنده ويستريح قلبه عن طلب الزيادة وتسمى هذه الحالة القناعة فيقف صاحبه حيث وقف وقنع بالحاصل له ولا يستزيد، ثم ذات يد كل أحد تختلف في القلة والكثرة وراحة قلوب هؤلاء في التخلص من الحرص
311/أ والزيادة، ثم بعد هذا / سكون القلب مع رب الأرباب في حال عدم الأسباب،

فيكون مجرداً عن الشيء وهواه ويكون في إرادته متوكلاً على الله وهو لا متباينون في الرتبة فواحد يكتفي بوعده أنه صدقه في ضمانه فيسكن عند فقد الأسباب بقلبه ثقة منه بوعد ربه فيسمى هذا متوكلاً. ويقال على هذا أن لِلتوكل سكون القلب بضمان الرب، ويقال سكون الجأش في طلب المعاش، ويقال الاكتفاء بوعده عند عدم فقده أو الاكتفاء بالوعد عند عدم الفقد، واللطف في هذا أن يكتفي بعلمه يعلم أنه يعلم حاله فيشتغل بما أمر الله به والعمل بطاعته ولا يراعي إنجاز موعوده فيكل أمره إلى الله في جميع أموره على وفق قضاء الله وقدره، وهذه حالة التسليم.

وفوق هذا مقام التفويض وهو أن يكل أمره إليه ولا يقترح على مولاه بحال ولا يختار شيئاً بسؤال ويستوي عنده وجود الأسباب وعدمه في هذا الباب فيشتغل بأداء ما ألزمه الله ولا يتفكر في حال نفسه وأمر هواه ويعلم أنه مملوك لمولاه والسيد أولى بعبده من العبد بنفسه، فإذا انتفى عن هذه الحالة فيجد في المنع الراحة ويستعذب ما يستقبله من الرد والبلاء فهو رتبة الرحماء ويحصل له في هذه الحالة من فوائد الرضا ولطائف الصفاء ما لا يحصل لمن دونه من الحلاوة في وجود المقصود بعد هذه الموافقة وهو أن لا يجد في المنع الراحة فيجد بدل هذا عند نسيم القرب زوائد الأنس بالرب بنسيان كل إرب وتذكر وجود سبب أو عدمه في طلب. فكما أن حلاوة الطاعة تتصاغر عند برد الرضا وأصحاب الرضا يعدون ذلك حجاباً، كذلك أهل الأنس بالله بنسيان كل فقد ووجد وتغافل عن أحوالهم في الوجود والعدم يعدون النزول إلى استذلال المنع والاستقلال بلطائف الرضا نقصاناً في الحال.

ثم بعد هذا استيلاء سلطان الحقيقة بما يأخذ العبد عن جملته بالكلية فتكون العبارة عن هذه الحالة الجمود والاستهلاك في الوجود والاصطلام والفناء. وأمثال هذا وهذا عين التوحيد، / فعند ذلك لا أنس ولا هيبة ولا لذة 311/ب
ولا راحة ولا وحشة ولا آفة. هذا بيان ترتيبهم، فأما ما دون ذلك فالخبر عن أحوال المتوكلين على تباين مشربهم فيختلف على اختلاف محالهم. ويقال: شرط التوكل أن يكون كالطفل في المهد لا شيء من قبله إلا أن يرضعه من هو

في حضانته. ويقال: التوكل زوال الاستشراف وسقوط الطمع عن الأغيار وفراغ القلب عن طلب الانتظار. ويقال: التوكل السكون عند مجاري الأقدام على اختلافها في الأطوار. ويقال: إذا وثق القلب بجريان قسمة الرب لا يقدح في توكله الكسب. ويقال: عوام المتوكلين إذا أُعطوا شكروا وإذا مُنِعوا صبروا وخواصهم إذا أُعطوا آثروا وإذا مُنِعوا شكروا. ويقال: الحق يجود على الأولياء إذا توكلوا بتيسير السبب من حيث يحتسب ولا يحتسب ويجود على الأصفياء بسقوط الإرب وإذا لم يكن إرب فمتى يكون طلب. ويقال: التوكل في الأسباب الدنيوية إلى حد معين مبين عند العلماء، وأما التوكل على الله في اصطلاحه سبحانه أمور أخروية فهذا أشد غموضاً وأكثر خفاء، فالواجب في الأسباب الدنيوية أن يكون السكون عند طلبها غالباً والحركة تكون ضرورة، فأما في أمر الآخرة وما يتعلق بالطاعة فالواجب البدار والجد والانكماش والخروج عن أوطان الكسل وترك الحنو إلى الفشل، والذي يتصف بالتواني في العبادات ويتباطىء في تلافي ما ضيّعه من إرضاء الخصوم في التبعات والقيام بحق الواجبات ثم يعتقد في نفسه أنه متوكل على الله في أن يعفو عنه فهو متمنٍّ معلول الحال ممكور مُستدرَج في الأعمال بل يجب أن يبذل جهده ويستفرغ وسعه ثم بعد ذلك لا يعتمد على طاعته ولا يستدل إلى سكونه وحركته ويتبرأ سره عن حوله وقوته ثم يكون حسن الظن بربه ومع حسن ظنه بربه لا ينبغي أن يخلوا من مخافته اللهم إلا أن يغلب على قلبه ما يشغل في الحال من كسوفات الحقائق النكرة في العواقب والمآل فإن ذلك إذا حصل فالوقت غالب
312/أ ومانع، وهو أحد/ ما قيل في معنى قولهم: الوقت السيف القاطع.

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الآية 58] تسبيحاً مقروناً بثنائه على جميل أسمائه وجزيل إعطائه، ونزِّهه عن صفات النقصان وسمات الحدثان مثنياً عليه بأوصاف الكمال من نعوت الجلال والجمال طالباً لمزيد الإنعام بالشكر على سوابق الإنعام ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦ﴾ [الآية 58] بالله ﴿بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ﴾ [الآية 58] مما ظهر منها وما بطن في بلاده ﴿خَبِيرًا﴾ [الآية 58] مطلّعاً بصيراً.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾

[الآية 59] فهو حقيق بأن يُتَوَكَلُ عليه ويفوّض الأمور إليه ويكون على وجه الثبات في الصبر والتأني في الأمر فإنه تعالى مع كمال قدرته خلق الأشياء مدرجة على وفق حكمته ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ [الآية 59] أي هو الرحمٰن المستعان في جميع الجنان ﴿فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا﴾ [الآية 59] عما ذكر من خلق الأشياء ووصف الاستواء ﴿بِهِۦ خَبِيرٗا﴾ [الآية 59] عالماً يخبرك بحقيقة الأنباء وهو الله تعالى.

قال الأستاذ: انتظم به الكون والعرش من جملته ولم يتجمل الحق سبحانه بشيء من إظهار بريته فعلوُّه على العرش بقهره وقدرته واستوى بفعل خص به على العرش بتسوية أجزائه وصورته.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ [الآية 60] لظنهم أنه أراد به غير الله حيث ما كانوا يطلقون عليه سواه ﴿أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا﴾ [الآية 60] للذي تأمرنا بسجوده من غير معرفة وجوده. وقرأ حمزة والكسائي بالغيبة على أنه قول بعضهم لبعض منهم ﴿وَزَادَهُمۡ﴾ [الآية 60] الأمر بالسجود للرحمٰن ﴿نُفُورٗا﴾ [الآية 60] تنفُّراً وتبعُّداً عن الإيمان.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أقبل بلطفه وفضله على أقوام فلذلك وحدُّوه وأعرض عن آخرين بتكبُّره وتعزُّزه فلذلك جحدوه، فطرهم على سمة البعد وعجن طينتهم بماء الشقاوة والصد فلما أظهرهم ألبسهم صدار الجهل والجحد.

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي جَعَلَ فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا﴾ [الآية 61] اثني عشر منازل الكواكب السبعة السيارة ﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجٗا﴾ [الآية 61] يعني الشمس لقوله: ﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا﴾ [نُوح: الآية 16]. وقرأ حمزة والكسائي سراجاً وهي الشمس والكواكب الكبار ﴿وَقَمَرٗا مُّنِيرٗا﴾ [الآية 61] مضيئاً.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه زيّن السماء الدنيا بمصابيح وخلق/ فيها 312/ب
البروج ورتّب فيها كواكبها وصان عن الفطور أقطارها ومناكبها وأراد بقدرته أفلاكها وأدام على ما أراد إمساكها وكما أثبت في السماء بروجاً ظاهرية أثبت في سماء القلوب من أصفيائه وأوليائه بروجاً باطنية، فبروج السماء معدودة وبروج القلوب مشهودة وبروج السماء ثبوت شمسها وقمرها ونحوهما وبروج

القلوب مطالع أنوارها ومشارق شموسها ونجومها وأقمارها وتلك النجوم التي هي نجوم القلب كالعقل والفهم والبصيرة والعلم، وقمر القلوب المعرفة إلا أن قمر السماء له نقصان ومحاقاً، ولذا.

قال قائلهم:

دع الأقمار تخبو أم تنير   لنا بدر تذلُّ له البدور[1]

وأما شمس القلوب فهو التوحيد، وشمس السماء تغرب، وشمس القلوب لا تغيب ولا تغرب. وفي معناه قالوا:

إن شمس النهار تغرب بالليل   وشمس القلوب ليست تغيب

ويصح أن يقال: شمس السماء تغرب بالليل إذا النهار تمَّ وشموس القلوب سلطانها في الضوء وبرهانها في الطلوع بالليل أتم.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ [الآية 62] أي ذوي خلفة يخلف كل منها الآخر بأن يقوم مقامه فيما ينبغي أن يعمل فيه مرامه أو بأن يتفقا في الأدوار ويختلفا في الأطوار لقوله: ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [البَقَرَة: الآية 164]، ﴿لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ﴾ [الآية 62] أي يتذكر آلاء ربّه ويتفكرون في صنعه ﴿أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الآية 62] أن يشكر الله على ما فيها من نعمه أو ليكونا وقتين للمتذكرين والشاكرين من فاته ورده في أحدهما تداركه في الأخرى منهما. وقرأ حمزة: أن يذكر من ذكر بمعنى تذكر.

وأفاد الأستاذ: أن الأوقات متجانسة ومعنى فضيلة بعضها على بعض بمعنى أن الطاعة في البعض أفضل والثواب عليه أجزل، والليل خلف النهار والنهار خلف الليل فمن وقع له في طاعة الليل خلل فإذا حضر بالنهار فذلك وجود جبرانه، وإن حصل في طاعة النهار جلل فإذا حضر بالليل فذلك إتمام نقصانه.

﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الآية 63] الراسخون في عبادته المتصفون بنعمت رحمته

(1) ذكره القشيري في تفسيره (5/ 393).

﴿ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا﴾ [الآية 63] مشياً هيناً وسيراً ليناً أو هينين متمكنين.

313/أ قال جعفر: الذين يمشون بغير فخر ولا خيلاء بل بتواضع وحسن خلق/ في الملاء والخلاء وذلك لما طالعوا من تعظيم الحق وهيبته وشاهدوا من كبرياءه وجلاله خشعت لذلك أرواحهم وخضعت نفوسهم وأشباحهم.

وأفاد الأستاذ: إن العباد الذين استوجبوا رحمة الرحمٰن هم الذين وفقوا للطاعات فبرحمته وصلوا إلى طاعته هكذا بيان الحقيقة وبطاعته وصلوا إلى منيّته ورحمته هذا لسان الشريعة. ومعنى هوناً أي متخاضعين متخاشعين. ويقال من شرطه وحده أن لا يستحسن شيئاً من أحواله حتى قالوا: إذا نظر إلى رحله لا يستحسن شسع نعله وعلى هذا القياس لا يساكن أعماله ولا يلاحظ أحواله.

﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾ [الآية 63] سلام متاركة في الابتداء أو الانتهاء أو سداداً من القول يسلمون فيه من الإيذاء، أو المراد به الإغضاء عن السفهاء وترك مقابلتهم في مقام الاستهزاء.

قال سهل: لم ينتقموا لأنفسهم فسلموا من غلبة الشيطان عليهم.

وقال الأستاذ: إذا خاطبهم الجاهلون بأحوالهم الطاعنون في أعمالهم قابلوهم بالرفق وحسن الخلق والقول الصدق. ويقال: مَن خاطبهم بالقدح فيهم جاوبوه بالقدح له ويخبرون من جنائهم أنه منهم في أمان من المكافأة.

﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ﴿٦٤﴾﴾ [الآية 64] في صلاتهم وعبادتهم، وتخصيص البينونة أن العبادة بالليل أشد وطأً وأبعد رياءً.

قال الحسن البصري: نهارهم في خشوع وليلهم في خضوع.

وقال الأستاذ: يبيتون لربهم ساجدين ويصبحون واجدين فوجدوا سهود صباحهم ثمرة سجود رواحهم كما في بعض الأخبار: «من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار»[1]، أي عظم ماء وجهه عند ربه، وأحسن الأشياء ظاهر

---

(1) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (3/ 129) رقم (3095).

بالسجود محسن وباطن بالشهود مزيد. ويقال: متصفين بإتيان الشهود قائمين بآداب الوجود.

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾﴾ [الآية 65] لازماً دائماً، وفيه إيماء إلى أنهم مع حسن مخالفتهم في عشرة الخلق ومجاهدتهم في طاعة الحق وجلون من عذاب ربهم مبتهلون إلى الله في صرفه عنهم لقلّة اعتدادهم بأعمالهم وعدم اعتمادهم على استمرار أحوالهم ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا﴾ [الآية 66] للفجرة ﴿وَمُقَامًا﴾ [الآية 66] للكفرة.

313/ ب وأفاد الأستاذ: أنهم يجتهدون غاية/ الجهد ويستفرغون غاية الوسع ثم عند السؤال ينزلون منزل العصاة ويقفون موقف أهل الاعتذار ويخاطبون بلسان التفضل وببيان التذلُّل كما قيل:

وما رمت الدخول عليه حتى حللت محلة العبد الذليل[1]

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا﴾ [الآية 67] لم يجاوزوا حد الكريم ﴿وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾ [الآية 67] لم يضيقوا بخل اللئيم. وقيل: الإنفاق في المحرمات والتقتير مع الواجبات لقولهم: لا خير في سرف ولا سرف في خير، ويؤيد الأول قوله: ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الآية 67] وسطاً وعدلاً لا نقصاناً ولا فضلاً. ويقوي الثاني ما قاله الحكيم الترمذي من أن الإسراف في النفقة هو البذل في وجوه السيئات والإقتار هو منعها عن وجوه الطاعات.

وقال الأستاذ: إن الإسراف أن تنفق في الهوى وفي نصيب النفس من المتمنى، فأما ما كان لله فليس فيه إسراف، والإقتار ما كان ادخاراً عن الله، وأما التضييق على النفس منعاً لها عن اتباع الشهوات وليتعود الأسير باليسير فليس بالإقتار المذموم. هذا وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء وكسر التاء، ونافع وابن عامر بضم الياء وكسر التاء والباقون بفتح الياء وضم التاء فاختلف المبنى واتحد المعنى.

---

(1) ذكره القشيري في تفسيره (5/ 397).

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ﴾ [الآية 68].

قال الأستاذ: في الظاهر عبادة الأصنام وفي الباطن مساكنة الأنام، والتوحيد أن لا تعبد الأغيار والأصنام المعمولة من الأحجار المنحوتة عن الأشجار، وكما يتصف بهذا بالنفوس والإيثار لا يتوهم المسار والمضار من الأغيار ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾ [الآية 68] أي حرَّمها بمعنى حرَّم قتلها ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الآية 68] أي بأمر الشرع على وفق الصدق ﴿وَلَا يَزْنُونَ﴾ [الآية 68] فإن الزنا نوع من القتل لهلاك النسل أو لأنه قد يجر أمره إلى حد القتل، نفى عنهم أمهات السيئات بعدما أثبت لهم أصول الطاعات إظهاراً لكمال إيمانهم وتمام إحسانهم وإشعاراً بأن الأجر المذكور موعود للجامع بين هذه الأمور وتعريضاً للكفرة والفجرة ولهذا عقبه الوعيد الشديد على وجه التهديد بقوله: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الآية 68] جزاء إثمه تماماً.

وأفاد الأستاذ: إن من النفوس المحرَّم قتلها على العبد نفسه المسكينة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ [النِّساء: الآية 29]، وقتل/ نفسك بغير حق لها 314/أ
تمكينك إياها من اتباع ما فيه هلاكها، ثم دليل الخطاب أن يقتلها بالحق بذبحها بسكين مخالفة هواها فما فلاحك إلا بقتل نفسك بيديك فإن أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك.

﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الآية 69] بدل من يلقى لأنه في معناه. وقرأ ابن عامر وأبو بكر بالرفع استئنافاً أو حالاً وكذا قوله: ﴿وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾ [الآية 69] وابن كثير وابن عامر يضعف بالتشديد، وحفص وابن كثير فيه إشباع الهاء ومضاعفة العقوبة لانضمام الكفر والمعصية كما يشير إليه قوله: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾ [الآية 70].

وقال الأستاذ: أقوام يضاعف لهم العذاب يوم القيامة بحسرات الفرقة وزفرات الحرقة وآخرون يضاعف لهم العذاب اليوم بتراكم الخذلان وتوالي الهجران ودوام الحرمان، بل مَن يضاعف له العذاب في عقباه فهو الذي

يضاعف العذاب في دنياه، كذا في الخبر: «من كان بحالة لقي الله بها»[1]، أي لا محالة إلا من تاب من الذنب في الحال وآمن في المآل. ويقال: آمن أن نجاته بفضل الله لا بتوبته وعمل صالحاً لا ينقض توبته ويقال: إن نقض توبته عمل صالحاً وجدد أوبته ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖ﴾ [الآية 70] بأن يمحو بالتوبة سوابق معصيتهم ويثبت مكانها لواحق طاعتهم أو يبدل في نفوسهم ملكة المعصية بملكة الطاعة أو بأن يثبت له بدل كل عقاب نزل ثواباً بأن يمحو من ديوانهم الزلات ويكتب بدلها الخيرات والحسنات ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [الآية 70] يعفو عن السيئات ويثيب على الحسنات.

﴿وَمَن تَابَ﴾ [الآية 71] رجع عن المعاصي التي كان يفعلها بالندم عليها والقلع عنها والعزم على أن لا يعود إلى مثلها ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحٗا﴾ [الآية 71] بتلافي ما فرط منه وقصر فيه ﴿فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الآية 71] يرجع إليه ﴿مَتَابٗا﴾ [الآية 71] مرجعاً مرضياً لديه ماحياً للعقاب ومثبتاً للثواب. قيل: ليست التوبة لأحد كاملة حتى يدع كثيراً من المباحات مخافة أن يخرجه إلى المحرمات.

قال ابن عطاء: النية هي الرجوع من كل خلق مذموم في الطبع إلى كل خلق محمود في الشرع.

وقال جعفر: لم يرجع إلى الحق مَن له مرجع إلى الخلق حتى يكون رجوعه ظاهراً وباطناً إلى الله دون ما سواه.

314/ ب ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ [الآية 72] شهادة الزور/ أو لا يحضرون محاضر الكذب ونحوه، فإن شهادة الباطل مشاركة في فعله لأنها دليل الرضا بوجوده.

قال ابن عطاء: هو شهادة اللسان من غير مشاهدة العيان. وقيل: لا يخالطون المبتدعين ولا يجالسون المدّعين. وقيل: هو كل مشهد ليس فيه زيادة في دينك أو قربة إلى ربك ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ﴾ [الآية 72] بمجالس اللعب

(1) انفرد به القشيري.

واللهو ﴿مَرُّواْ كِرَامًا﴾ [الآية 72] معرضين عنه مكرمين أنفسهم عن الوقوف عليه والالتفات إليه والخوض لديه ومن ذلك الإغضاء عن كلام السفهاء ومقام الاستهزاء.

وقال الأستاذ: وإذا مروا بأصحاب الزلات وبمساكن المخالفات مروا منكبين متعاونين لا يساكنون أهل تلك الحالات. ويقال: الآية نزلت في أقوام لما دخلوا بيوت مكة مروا بأبواب بيوتهم التي عبدوا فيها الصنم مروا منكرين لئلا يلاحظوها ولم يلتفتوا إليها فشكرهم الله على ذلك.

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ [الآية 73] بالقراءة والموعظة ﴿لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ [الآية 73] لم يقيموا عليها غير واعين لها ولا غير داعين بما فيها كمن لا يسمع ولا يبصر بها بل ركبوا عليها سامعين بآذان واعية ومبصرين بعيون راعية. فالمراد بالنفي نفي الحال دون الفعل. وقيل: الهاء للمعاصي فالمراد نفي الفعل.

ولذا قال ابن عطاء: لم ينكروها ولم يعرضوا عنها بل أقبلوا بالسمع والطاعة على أوامرها.

وقد مال الأستاذ إلى المعنى الأول حيث قال: قابلوها بالتفكر والتأمل فيها واستعمال الفكر والنظر فيما يتعلق بها.

﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا﴾ [الآية 74] وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وأبو بكر وذريتنا ﴿قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ [الآية 74] بتوفيق الطاعة وتحقيق العبادة وحيازة الفضائل وحياطة الفواضل وتحسين الأخلاق والشمائل فإن المؤمن إذا شاركه في طاعة الله أهله سرّ بهم قلبه وقرّت بهم عينه لما رأى من سعادتهم له في الملة وتوقع لحوقهم به في الجنة.

وقال الأستاذ: قرة العين مَن كان لطاعة ربه معانقاً ولمخالفة أمره موافقاً ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الآية 74] تقتدون بنا في إفاضة العلم النافع وإفادة العمل الواقع.

قال الشبلي: المتقي من اتقى ما دون الله.

315/أ وأفاد الأستاذ: إن الإمام من/ يقتدى به ولا يبتدع في سبيله. ويقال: إن الله مدح أقواماً ذكروا رتبة إمامة فسألوا بنوع من التضرُّع والمسكنة ولم يدعوا فيها باختيارهم في القضية فالإمامة بالدعاء لا بالدعوى وإلا فما أيسر الدعوى وما أعسر المعنى.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ﴾ [الآية 75] أعلى مواضع الجنة ﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾ [الآية 75] بصبرهم على إقامة الطاعة وترك المعصية ورفض الشهوة وتحمُّل البلية ﴿وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا﴾ [الآية 75] أي تنقية دائمة وسلامة من كل آفة وملامة. وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر: يلقون مخففاً معلوماً.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ [الآية 76] لا يموتون ولا يخرجون منها ﴿حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الآية 76] وقال بعضهم: أحسن المقام المقام في مشهد الحق وأطيب القرار القرار في جواره على عرش وضائه.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يعطي الكثير من إعطائه ويعده قليلاً ويقبل اليسير من العبد ويقول جاء بعجل سمين. وقوله: ﴿وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا﴾ [الآية 75] يسمعهم سلامه عليهم بلا واسطة ويتجلى لهم ليروه من غير تكليف نقلة وتحمُّل قطع مسافة. ويقال:

قال لهم: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾ [الرَّحمٰن: الآية 60] اليوم حضر العبد بيته لأداء العبادة فنقل إلى المساجد قدمه شوقاً للطاعة وتركاً للعادة، فيجازيهم غداً بأن يكفيهم قطع المسافة فهم على أرائكهم في مستقر عزهم يسمعون كلام الله وينظرون إلى الله ولا يلتفتون إلى ما سواه. وقولهما: صبروا، أي عما أمروا به وعما نهوا عنه وعلى الأحكام التي أجراها الله بترك اختيارهم وحسن الرضا بتقديره في اختيارهم خالدين فيها مقيمين مديمين لا يبرحون في منازلهم ولا يزالون في أحوالهم حسن مستقرهم مستقراً وحسن مقامهم مقاماً.

﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّى﴾ [الآية 77] أي أي شيء يصنع بكم أو لا يعتد بوجودكم أو وجودكم ﴿لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾ [الآية 77] لولا عبادتكم من ركوعكم

وسجودكم وشهودكم ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ [الآية 77] بما أخبرتكم به من وجوب الطاعة وقصرتم في القيام بحق العبادة ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ﴾ [الآية 77] التعذيب أو جزاء التكذيب ﴿يَكُونُ لِزَامًا﴾ [الآية 77] أي لازماً لزوماً دواماً.

وقال الأستاذ: لولا تضرعكم ودعاؤكم بوصف الابتهال والالتجاء لأدام بكم البلايا والعناء ولكن لما أخذتم في الاستكانة وتضرعتم/ بالدعاء كشف 315/ب
عنكم الضراء. ويقال: لولا عبادتكم الأصنام وتسميتكم آلهة ودعواكم إياها باستحقاق العبادة متى كان يخلدكم في العقوبة.

سورة الشعراء

[مكيّة]

وهي مائتان وسبع وعشرون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله اسم عزيز رضي من الزاهد بترك دنياه ومن العابد بمخالفة هواه ومن القاصد بقطع مناه، ولا يرضى من العارف أن يساكن شيئاً غير مولاه.

﴿طسٓمٓ ①﴾ [الآية 1] قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر بالإمالة وحمزة بإظهار نونه والجمهور على أن معنى حروفه: الله أعلم بما في مراده.

وقال جنيد: الطاء طرب التائبين في ميدان الرحمة والسين سرور العارفين في ميدان الوصلة، والميم مقام المحبين في ميدان القربة. وقال بعضهم: الطاء شجرة طوبى والسين سدرة المنتهى والميم محمد المصطفى ﷺ.

وأفاد الأستاذ: إن المعنى ارتقى بحمد ليلة الإسراء عن شهود شجرة طوبى حتى بلغ سدرة المنتهى فلم يساكن شيئاً من المخلوقات في الدنيا والعقبى. ويقال: الطاء طرب أرباب الوصلة على بساط القرب بوجدان كمال الروح، والسين سرور العارفين بما كوشفوا به من بقاء الأحدية باستقلالهم بوجوده، والميم إني موافقهم لله بترك التخير على الله وحسن الرضا باختيار الحق لهم، وعند قوم إن الطاء إشارة إلى طهارة عزّه وتقدُّس علوّه، والسين دلالة على سناء جبروته، والميم دلالة على مجد جلاله في آزاله. ويقال: الطاء إشارة إلى طيب قلوب الفقراء عند فقد الأسباب لكمال الأنس بمعرفة وجود الرزق بدل طيب قلوب العوام بوجود الإرفاق والأرزاق. ويقال: الطاء

إشارة إلى طيب أسرار أهل التوحيد، والسين إشارة إلى سلامة قلوبهم عن مساكنة كل مخلوق، والميم إشارة إلى منة الحق عليهم بذلك.

﴿تِلْكَ﴾ [الآية 2] أي السورة أو آيات القرآن أو هذه الحروف ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ [الآية 2] الظاهر إعجازه وصحته أو المظهر أحكامه وحجته.

﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ [الآية 3] أي قاتلها ومهلك لها، ولعل الإشفاق
316/ أ المخاطب أي اشفق على نفسك أن تقتلها ﴿أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 3] / لأجل أن لا يؤمنوا أو مخافة أن لا يوقنوا.

قال سهل: لعلك تشغل نفسك عنا بالاشتغال بهم حرصاً على إيمانهم بنا فما عليك إلا البلاغ لنا فلا يشغلك ما لنا عنا.

وقال الأستاذ: أي لحرصك على إيمانهم وامتناعهم من إيقانهم فأنت قريب من أن تقتل نفسك من الأسف على تركهم اتباعك فلا عليك إذ ليس الأمر إليك ولا تبديل لحكمنا أصلاً، فمن حكمنا له بالشقاوة لا يؤمن أبداً فليس عليك إلا البلاغ عني والدلالة عليَّ فإن آمنوا وإلا فكلهم إليّ فسيرون يوم القيامة ما يستحقون من العقوبة.

﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً﴾ [الآية 4] دلالة واضحة ملجئة إلى إيمانهم أو بلية قاهرة على إيقانهم ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾ [الآية 4] منقادين خاشعين.

قال الأستاذ: أخبر عن قدرته على تحصيل مراده من عباده فهو قادر على أن يؤمنوا كرهاً لأن البقاء عن تحصيل المراد يوجب النقص في الربانية والقصور عن الإلٰهية.

﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ﴾ [الآية 5] طائفة من القرآن أو موعظة للإيمان ﴿مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الآية 5] يوجبه من كمال رحمته إلى نبيه الرحيم بأمته ﴿مُحْدَثٍ﴾ [الآية 5] أو مجدِّد إتيانه وتبيانه لتكرير التذكُّر وتنويع التقدير ﴿إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ [الآية 5] إلا حددوا إعراضاً عن ذكرهم وإصراراً على ما كانوا عليه من كفرهم.

قال سهل: ما أحدث لهم علماً بما أنزلناه عليهم إلا أعرضوا عنه وادعوه لأنفسهم.

﴿فَقَدْ كَذَّبُواْ﴾ [الآية 6] بالذكر بعد إعراضهم عن الشكر بحيث أدى بهم إلى الاستهزاء به من صريح الكفر ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ﴾ [الآية 6] إذا مسهم عذاب الله في الدنيا أو العقبى ﴿أَنبَـٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الآية 6] من أنه كان حقيقاً بأن يصدق ويعظم أمره أو يكذب فسيخف قدره.

وقال الأستاذ: أي ما نجدد لهم شرعاً وما نرسل إليهم رسولاً إلا أعرضوا عن تأمل برهانه وقابلوه بالتكذيب بدل إيمانه، ولو أنهم أنعموا النظر في آياتهم لاتضح لهم صدقهم في حالاتهم ولكن المقسوم لهم من الخذلان في سابق الحكم منعهم عن الإيمان، فقد كذبوا وعلى تكذيبهم أكبوا فسيأتيهم عاقبة أعمالهم بالعقوبة الشديدة الجامعة بين الحرقة والفرقة.

316/ ب ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 7] أو لم ينظروا إلى / عجائبها وما فيها من غرائبها ﴿كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ [الآية 7] صنف محمود كثير المنفعة عديم المضرة.

قال أبو بكر بن طاهر: أكرم زوج من نبات الأرض آدم وحواء فإنهما كانا السبب في إظهار الأنبياء والأصفياء.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ [الآية 8] أي في إتيان كل من أصناف النبات ﴿لَءَايَةً﴾ [الآية 8] لدلالة على أن منبتها تام القدرة كامل الحكمة سابغ النعمة شائع الرحمة ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الآية 8] في علم الله وقضائه ولذا لا ينفعهم تبليغ أنبيائه ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾﴾ [الآية 9] بأوليائه.

وأفاد الأستاذ: أن فنون ما ثبت من الأرض في وقت الربيع لا يأتي عليها الحصر لكثرة أنواع البديع، ثم اختصاص كل شيء منها بلون وطعم ورائحة مخصوصة وكذا لكل شكل وهيبة وورق وزهر ونور مختلفة إلى ما تلطف عنه العبارة وتضعف عنه الإشارة ففي ذلك آيات لمن استبصر ودلالات لمن نظر وتفكُّر.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ [الآية 9] القاهر الذي لا يقهر القادر الذي لا يقدر ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ [الآية 9] المحسن بعباده المريد لسعادة أوليائه.

﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ﴾ [الآية 10] أي اذكر حين نادى ﴿أَنِ ٱئْتِ﴾ [الآية 10] أي إئت أو بأن أئت ﴿ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية 10] لكفرهم بربهم وتعديهم على غيرهم من استعباد بني إسرائيل وذبح أولادهم.

﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ [الآية 11] بدل أو بيان، والاقتصار على القوم من باب الاكتفاء وللإيماء إلى برهان الأولى فإنه رأس الضلال ومنشأ الإضلال ولأن ظلم غيره راجع إلى حكمه وأمره ﴿أَلَا يَتَّقُونَ﴾ [الآية 11] استئناف تعجيباً له من إفراطهم في ظلمهم واجترائهم على فعلهم، والمعنى ألا يخافون عقائدهم.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾﴾ [الآية 12] أي في دعوى الرسالة ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِى﴾ [الآية 13] في تلك الحالة ﴿وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى﴾ [الآية 13] من الكلالة ﴿فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ﴾ [الآية 13] ليدفع عني الملامة وليس ذلك تعلُّلاً منه ولا توقفاً عنه في تلقي الأمر بل طلباً لما يكون معونة على امتثاله وتمهيداً للعذر كما أشار إليه بقوله: ﴿وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ﴾ [الآية 14] أي تبعة ومطالبة. والمراد قتل القبطي المخالف لمتابعته وإنما سماه ذنباً لأنه لم يكن مأموراً بمقابلته ولهذا عدّ من خطيئته قبل بعثته وظهور توبته ﴿فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾ [الآية 14] بمقابلته قبل أداء
317/ أ الرسالة، وهو استدفاع/ للبلية المتوقعة، كما أن ما قبله استهان في أمر الدعوة.

﴿قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا﴾ [الآية 15] أي اذهب أنت وأخوك ﴿بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ﴾ [الآية 15] بمعجزاتنا ودلالاتنا على أنكما من أرباب رسالاتنا ﴿إِنَّا مَعَكُم﴾ [الآية 15] يعني موسى وهارون وفرعون ﴿مُّسْتَمِعُونَ﴾ [الآية 15] سامعون لما يجري بينكما وبينه فأظهركما عليه بإلقاء خوفي عليه ورعبي لديه. وقال أبو عبد الله الروذباري: ظاهره سؤال وباطنه نوال سأل الحق تعالى عن علمه بحاله فأجاب بقوله كلا ثم بدأ فقال: ﴿فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾ [الآية 15]، فتقدير سؤاله هل في سبق علمك وواجب حلمك أن يقتلوني. واستدل على ذلك بجواب الحق له كلا، ثم خاطبه هنالك.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه لما أمر موسى بالذهاب إلى فرعون وقومه ودعائهم إلى ربهم به علم أنه شديد الخصومة قد غرّته نفسه بالحكومة وهو لا يبالي بما يفعل فأخذ يتعلّل لا على وجه الإباء والمخالفة ولكن على وجه الاستغناء والاستقالة إلا أن علم أن الأمر به جزم والحكم به عليه حتم فسأل أن يشرك هارون معه في الرسالة وأخبر أنه قتل منهم نفساً قبل هذه الحالة وأن في حكم فرعون أن دماً عليه لا محالة. فقال: وأخاف أن يقتلون قبل الرسالة، إلى أن قال له الحق كلا وهي كلمة ردع وتنبيه أي كلا لن يكون الأمر كما توهمت هنالك فارتدع عن تجويز ذلك وانتبه بأني معكما بالنصرة والقوة والكفاية والرحمة والسلطان لكما دون غيركما وأنا أستمع ما يقولون وما يقال لكما.

﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا﴾ [الآية 16] أي كل واحد منا ﴿رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الآية 16] أو أفرد لاتحادهما في الأخوة أو في أحكام الملة ﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾﴾ [الآية 17] أي خلهم يذهبوا معنا إلى حيث أردنا.

قال الأستاذ: ويقال في القصة إن موسى وهارون عليهما السلام كانا يترددان إلى باب فرعون سنة كاملة لم يجدا طريقاً إليه ثم بعد سنة عرضا الرسالة عليه فكان من القصة ما كان من الغصة لديه.

﴿قَالَ﴾ [الآية 18] فرعون لموسى ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا﴾ [الآية 18] في منازلنا وفي بيتنا ﴿وَلِيدًا﴾ [الآية 18] طفلاً مولوداً سمي به لقربه من الولادة ﴿وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ [الآية 18] والمعنى كنت في تربيتنا زماناً كثيراً حال كونك صغيراً وكبيراً، قيل: لبث فيهم ثلاثين ثم خرج إلى مدين / عشر سنين ثم دعا إليهم 317/ ب
يدعوهم إلى الله ثلاثين ثم بقي بعد الغرق خمسين.

﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ﴾ [الآية 19] وهي قتل القبطي الذي كان في خدمتي ﴿وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [الآية 19] بنعمتي لك في تربيتي.

قال محمد بن علي: ليس من الفتوة تذكار الصنائع بالمنة، ألا ترى فرعون لما لم يكن له فتوة كيف أتى بذكر صنعه وامتن على موسى بفعله.

وقال ابن عطاء: التربية توجب حقاً في الفتوة من ذلك حق الأبوة والبنوة، ألا ترى كيف ذكر الله تعالى في قصة موسى: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ [الآية 18] فإذا أوجب تربية الأعادي حقاً أوجب الدين حفظه وحرمته فتربية الحقيقة الذي هو من الحق إلى عباده أولى لرعاية حقوقه وذمته، وهو معنى قوله: ﴿ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ١٢٦﴾ [الصَّافات: الآية 126].

﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ﴾ [الآية 20] أي تلك الفعلة ﴿إِذًا﴾ [الآية 20] أي إذ فعلت ﴿وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الآية 20] أي في حال كوني من الجاهلين، كما قرىء به. والمعنى من الجاهلين لوقوع الوكزة قتلاً أو المخطئين لأنه لم يتعمد قتله بل أراد به تأديبه.

قال الأستاذ: فلم يكن لموسى جواب إلا الإقرار والاعتراف فقال كل ذلك كان بلا خلاف.

﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا﴾ [الآية 21] فأكرمني الله بالنبوة ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الآية 21] إليكم بالدعوة. قال بعضهم: الفرار عندما لا يطاق من سنن المرسلين. قال الله حكاية: ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾ [الآية 21] كذا في تفسير السلمي، وفيه إن فراره إنما كان قبل النبوة وبعثة الرسالة ولا يجوز بعدها إليهم في هذه النسبة، وأما خروجه ﷺ من مكة إلى المدينة سنة الهجرة فإنما كان بالإجازة المقرونة بالحكمة. وقيل: من خاف الله أخاف الله منه كل شيء ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء، كذا ذكره السلمي أيضاً، وهو محمول على كمال الخوف من الله وعدم الالتفات إلى خوف ما سواه.

وقال ابن عطاء: أي فررت من مجاورتكم لما خفت من جرأتكم على ربكم لما لم تحفظوا مراتب حقوقه على وجه تحقيقه ولم أر عليكم علامات توفيقه. وقال أبو بكر الوراق: المؤمن من يفر بدينه من موضع إلى موضع إذا خاف على دينه من الهوى والبدع والضلالات.

318/أ وأفاد الأستاذ: أنه لم يجحد حق تربيته / والإحسان إليه في ظاهر حالته ولكنه بيّن أنه إذا أمر الله بشيء وجب اتباع أمره. وقوله: ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾ [الآية 21] يجوز حمله على ظاهره وأنه خاف منهم على نفسه والفرار عند

عدم الطاقة غير مذموم عند كل أحد. ويقال: فررت منكم لما خفت عليكم أن تنزل بكم عقوبة من الله بشؤم شرككم.

﴿وَتِلْكَ﴾ [الآية 22] التربية ﴿نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ﴾ [الآية 22] أي ظاهراً وهي في الحقيقة راجعة إلي ﴿أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الآية 22] أي سبب عن تعبيدك بني إسرائيل وقصدك ذبح أبنائهم فإنه سبب وقوعي إليك وحصولي في تربيتي لديك، فلا نعمة لك بذلك لظلمك باستعبادهم هنالك ولذا قيل إنه مقدر بهمزة الإنكار أي أو تلك نعمة تمنها عليَّ وهي أمي عبدت والمعنى ليس ذلك نعمة ولا لك عليَّ فيها منّة.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ [الآيتان 23،24] عرفه بإظهار خواصه وآثاره من مصنوعاته الدالة على كمال صفاته المسيرة إلى جلال ذاته ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ [الآية 24] مصدقين الأنبياء أو محققين الأشياء.

قال الأستاذ: نطق اللعين بجهله وسأل عن النحو الذي يليق بفيه فسأل بلفظ ما وما إنما ستخبر عن ذاته ما لا يعقل أي غالباً فقال: وما رب العالمين، وكان الواجب أن يقول: ومن رب العالمين، فأعرض موسى عن لفظه ومقتضاه وأخبر عما صح في وصف الله.

﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الآية 25] تعجباً من مقوله في جوابه على وجه عدوله لأنه سأل عن حقيقته وأجاب عنها بذكر فعله وصفته مع أن هذا من كمال حكمته وإظهار رأفته ورحمته على أمته ولذا ورد النهي عن التفكر في ذات الله كما يشير إليه قوله سبحانه: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: الآية 110]، ولا تدركه الأبصار فهو الظاهر بصفاته الباطن بذاته.

﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [الآية 26] زاد في البيان وأوضح في البرهان إذ لا يتصور أن يكون فرعون اللعين رب الأولين والأولون هم سبب الآخرين فبطل دعواه أنه إلٰه، ولما عجز عن جواب الحجة وأراد فتح باب العداوة على طريقة / الجملة ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ﴾ [الآية 27] أي على زعمه 318/ ب

﴿لَمَجْنُونٌ﴾ [الآية 27] لنقصان عقله أسأله عن شيء ويجيبني عن آخر على وجه تكرر. وقيل: سماه رسولاً على السخرية فتدبر.

وقال عمرو المكي: لما سأل موسى هذا السؤال وأجابه بقوله ربكم ورب أبائكم الأولين علم فرعون أن الحجة قد وجبت لكن خاف الافتضاح عند قومه فأعرض عن مساءلة موسى ورجع إلى قومه بقوله إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون بزعمه.

وأفاد الأستاذ: أن فرعون حماه عن سنين الاستقامة في المخاطبة وأخذ في السفاهة فقال: إن رسولكم الذي أرسل إليكم يعني بزعمه لمجنون ولم يكن في شيء مما كان يجري من موسى عليه السلام ما يتعلق به فقال إنه من صفة المجانين في الكلام.

﴿قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الآية 28] علم أنه لا جواباً لكم غير ذلك ففي الأول لا يفهم لما رأى شدة شكايتهم حاسبهم وعارضهم بمثل مقالتهم.

﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الآية 29] عدل عن المحاجة بعد انقطاع الحجة كما هو آداب الجهلة عند الغلبة أن يظهروا العداوة بالمشاتمة والمضاربة والمقاتلة.

﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الآية 30] أي أتفعل بي ذلك ولو جئتك بحجة ظاهرة هنالك من المعجزة يبين صدق دعاوي بالرسالة المتضمنة للدلالة على وجود الصانع وحكمته في آثار صفاته الجلالة.

﴿قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الآية 31] في أن لك بينة فإن دعوى النبوة يقتضي حجة ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾﴾ [الآية 32] ظاهر ثعبانيته ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [الآية 33] فيها شعاع كاد يغشي الأبصار ويبيد أفق الفلك الدوار، ولعل إظهار الآيتين لتكمل نصاب الشهادتين وليتأكد الحجة على المعاند بالقضيتين.

وأفاد الأستاذ: أنه أظهر معجزته بإلقاء العصا وقلبه سبحانه ثعباناً في الفضاء وكاد يلتقم دار فرعون بمن فيها ووثب فرعون هارباً من فوق قصره واختفى تحت سريره وانتقض من الخوف ظهره وتلطخ بالوحشة ثوبه وافتضح في دعوى ألوهيته واتضح عجزه في حالته، ثم إنه استقال / موسى واستغاث 319/ أ به واستجاره فأخذ موسى الثعبان فأداره فرده الله عصا كما أراده فلما فارقه موسى عليه السلام تداركته الشقاوة وأدركه شؤم الكفر في ذلك المقام واستولى عليه الحرمان من الإسلام وانقياد الأحكام كما قيل:

إذا ارعوى عاد إلى جهله كذي الضني عاد إلى نكسه(1)

﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ﴾ [الآية 34] مستقرين عنده منقادين له ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ [الآية 34] فائق في علم السحر وما هو في طريق الكيد والمكر ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ﴾ [الآية 35] ويكون الملك والملك تحت أمره ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ [الآية 35] في دفعه وقهره بهره سلطان المعجزة حتى حطه عن دعوى الربوبية إلى مؤامرة القوم من العسكر والرعية وتنفيرهم عن موسى بإظهار الاستشعار عن ظهوره وغلبته واستيلائه على مملكته.

﴿قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ [الآية 36] أخِّر أمرهما وقيل احبسهما ﴿وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾ [الآية 36] جمعاً يحشرون السحرة ويأتون بهم للمعارضة فإنه أهون في دفع دعوى الفتنة وأسهل في رفع المحنة ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ﴾ [الآية 37] مبالغ في أمر السحر ﴿عَلِيمٍ﴾ [الآية 37] بأساليب المكر فبعثوا فذهبوا فحشروا ﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾﴾ [الآية 38] لما وقِّت فيه من ساعات يوم معين ونهار مبين، وهو وقت الضحى من يوم الزينة(2).

﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الآية 39] أي اجتمعوا في تلك الحال لتشاهدوا ما جرى في آخر المآل ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ﴾ [الآية 40] في دينهم الذي

---

(1) نسب إلى صالح بن عبد القدوس. انظر العقد الفريد (1/ 234) والتمثيل والمحاضرة (1/ 19).

(2) يعتبر من أكبر أيام مصر في قديم الزمان. انظر تاج العروس (1/ 8060).

هم عليه ﴿إِن كَانُواْ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾ [الآية 40] على موسى وما لديه ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ [الآية 41] أي مالاً ومنالاً وجاهاً وقدراً ﴿إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾ [الآية 41] فيما أظهر أمراً.

في تفسير السلمي دل ذلك أن طالب الأجر على عمله مبطل لسعيه ومضيّع لأمله ومن عمل لله وأخلص في طلب رضاه كان عمله بعيداً في طلب الأعواض منزهاً عن ملاحظة الأعراض، ألا ترى أن الأنبياء عليهم السلام كيف اتفقوا على هذا الأمر حيث قالوا لأممهم: ﴿مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ [الفُرقان: الآية 57].

﴿قَالَ﴾ [الآية 42] أي فرعون ﴿نَعَمْ﴾ [الآية 42] لكم الأجر المبين ﴿وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ [الآية 42] في أمر الدنيا والدين.

قال ابن عطاء: رب قرب أورث بعداً ورب بعد أورث قرباً، من تقرّب/ إليَّ بشيء غير الله أورثه ذلك بعداً عن مولاه. والمتقرِّب على الحقيقة 319/ب
إلى الله من تقرّب إليه به لا بشيء سواه.

وأفاد الأستاذ: أنهم نطقوا بخساسة همتهم فضمن لهم عطاء أجرتهم ومن يعمل بأجرة لغيره ليس كمن يكون لله في عمله، ومن لا يكون له ناصراً لا بضمان الجعالة فعن قريب سيخذله لا محالة. ثم من طلب عند مخلوق مقام القربة كان ما يصل إليه من المذلة يزيد على ما أمله من المعزة. قيل: ذلك التقريب هو أن يكونوا هو أول من يدخل عليه يوم اللقاء، فعلى هذا المقربون من الله مَن لهم الوصول إلى مقام رضاه والناس بوصف الغفلة ولهم على الله دخلة والخلق في أسر الحجبة.

﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الآية 43] أي بعدما قالوا له إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين، ولم يرد به أمرهم بالسحر بل الإذن في تقديم ما هم فاعلوه من المكر توسلاً به إلى إظهار الحق وإيضاح الأمر ﴿فَأَلْقَوْاْ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ﴾ [الآية 44] المزوقة بالزئبق ونحوه من التمويهات الموحية للتخييل بأنها الحيات الساعيات. قيل: كانت سبعين، وقيل سبعين ألفاً.

وأفاد الأستاذ: أنها كانت أوتاراً ﴿وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ﴾ [الآيتان 44،45] أي بعزَّة الإله وأمره ورضاه ﴿فَإِذَا هِىَ﴾ [الآية 45] أي حية تسعى ﴿تَلْقَفُ﴾ [الآية 45] وقرأ حفص بالتخفيف أي تبتلع ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾ [الآية 45] ما يقلبونه عن وجهه من الجمادية بتمويهاتهم وتزويراتهم الخيالية أنها الحيات الحقيقية.

﴿فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الآية 46] فألقاهم الله على وجوههم منقادين للدين عند ظهور حجة اليقين ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الآيتان 47،48] عطف بيان لدفع توهم أنه يراد به فرعون اللعين ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ﴾ [الآية 49] أي برب موسى وهارون أو لموسى ﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ [الآية 49] أي آمركم بالإيمان به ﴿إِنَّهُۥ﴾ [الآية 49] أي موسى ﴿لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾ [الآية 49] ولذا غلبكم أو تواطأتم على عملكم ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الآية 49] وبال صنيعكم كما بيَّنه بقوله: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الآية 49].

﴿قَالُواْ لَا ضَيْرَ﴾ [الآية 50] لا ضرر علينا في ذلك ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ [الآية 50] لراجعون إلى ثواب ما هنالك.

قال / ابن عطاء: من اتصلت مشاهدته بالحقيقة احتمل معها كل ما يرد 320/ أ
عليه من النقمة والمحنة ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 51] من أتباع فرعون اللعين.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ﴾ [الآية 52] أي بعد سنين يدعوهم إلى الدين ﴿أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ﴾ [الآية 52] بني إسرائيل وغيرهم من المؤمنين ﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ [الآية 52] يتبعكم فرعون وقومه أجمعون ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ﴾ [الآية 53] حين علم بخروجهم ﴿فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾ [الآية 53] جمعاً يجمعون العساكر ليتبعوهم قائلين ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ﴾ [الآية 54] طائفة قليلة ﴿قَلِيلُونَ﴾ [الآية 54] أي في غاية القلة، وإنما كانوا قليلين مع كونهم العرفاء من ستمائة وسبعين بالإضافة إلى جنوده المجتمعين، إذ روي أنه خرج وكانت مقدمته ستمائة ألف.

﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ۝٥٥﴾ [الآية 55] ما يغيظنا في بابهم فلا بد من لحوقهم وعقابهم ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ۝٥٦﴾ [الآية 56] وقرأ ابن عامر والكوفيون حاذرون أي ومن عاداتنا الحذر واستعمال الحزم في الأمر للحذر ولذا جمعنا العسكر ﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم﴾ [الآية 57] أي فخلقنا داعية الخروج في قلوبهم حتى خرجوا كأنهم مضطرون في خروجهم ﴿مِّن جَنَّٰتٍ﴾ [الآية 57] بساتين مشتملة على أشجار ذات أزهار وأثمار ﴿وَعُيُونٍ﴾ [الآية 57] جارية في أنهار ﴿وَكُنُوزٍ﴾ [الآية 58] ودفائن من درهم ودنانير ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ [الآية 58] منازل علية ومجالس بهية.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ [الآيـة 59] الأمـر هـنـالـك ﴿وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الآيـة 59] أي أعطيناهم بعد هلاك أعدائهم جزاء لما صبروا على بلائهم ﴿فَأَتْبَعُوهُم﴾ [الآية 60] أي فاتبعوهم بما ترى ﴿مُّشْرِقِينَ﴾ [الآية 60] داخلين في وقت شروق الشمس.

﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ﴾ [الآية 61] أي كل منهما الآخر بالعيان ﴿قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ [الآية 61] لمُلحَقُون ﴿قَالَ كَلَّآ﴾ [الآية 62] لن يدركوكم فإن الله وعدكم الخلاص منهم ﴿إِنَّ مَعِىَ رَبِّى﴾ [الآية 62] بالمعونة ﴿سَيَهْدِينِ﴾ [الآية 62] سيدلني إلى طريق النجاة عنهم.

﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ﴾ [الآية 63] النيل أو القلزم[1] وهو الذي يتوصل أهل مصر منه إلى الطور وإلى الحرمين الشريفين ﴿فَٱنفَلَقَ﴾ [الآية 63] أي فضرب فانفرق فرقاً بينها مسالك اثنى عشر بعدد الأسباط ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ﴾ [الآية 63] أي كل قطعة عظيمة من الماء الواقف في الهواء ﴿كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الآية 63] كالجبل المتين الثابت في مقره من الأرضين فدخلوا في
شعابها كل/ سبط في شعب منها ﴿وَأَزْلَفْنَا﴾ [الآية 64] قربنا ﴿ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ﴾ [الآية 64] 320/ب
فرعون وقومه من البحر أو من بني إسرائيل حتى دخلوا على أثرهم مداخلهم.

﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ۝٦٥﴾ [الآية 65] فحفظ البحر على تلك الهيئة السنية إلى أن عبروا بالكلية ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ۝٦٦﴾ [الآية 66] بإطباق البحر

(1) المكان الذي غرق فيه فرعون. انظر لسان العرب (12/ 492) ويطلق عليه البحر الأحمر.

عليهم أجمعين ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ [الآية 67] ما ذكر من الإغراق والإنجاء من البلية ﴿لَآيَةً﴾ [الآية 67] أي وأية آية ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم﴾ [الآية 67] أي أكثر قوم فرعون ﴿مُّؤْمِنِينَ﴾ [الآية 67] كما قال تعالى: ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ﴾ [يونس: الآية 83] على خوف من فرعون وملائهم أن يفتنهم ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ [الآية 68] المنتقم من العاصين ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ [الآية 68] بالمطيعين.

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية 69] أي على مشركي العرب حيث ادعوا أهم على دين آبائهم وإن إبراهيم من أنبيائهم ﴿نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الآية 69] ليعلموا أنه كان رئيس أهل التوحيد والدين القويم ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الآية 70] سألهم ليريهم أن ما يعبدونه لا يستحق العبادة ﴿قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا﴾ [الآية 71] أجساداً وأجساماً ﴿فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ﴾ [الآية 71] فندوم لأجلها ملازمين واقفين.

﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ﴾ [الآية 72] أي دعاءكم ﴿إِذْ تَدْعُونَ﴾ [الآية 72] حين تدعونهم فيستجيبون لكم ﴿أَوْ يَنفَعُونَكُمْ﴾ [الآية 73] على عبادتكم لهم ﴿أَوْ يَضُرُّونَ﴾ [الآية 73] من أعرض عنهم ﴿قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [الآية 74] فإنَّا بهم مقتدون اعترافاً بأنهم جاهلون مقلِّدون ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم﴾ [الآية 75] أي انتبهتم فعلمتم ﴿مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ [الآية 75] أي أي شيء تعبدونه ﴿أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ﴾ [الآية 76] مما لا ينفعون ولا يضرون ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ﴾ [الآية 77] في أمر الدين ﴿إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الآية 77] استثناء منقطع، أي لكن محبة ثابتة في قلوب المؤمنين.

قال الأستاذ: فكأنه ضرب بلطف أضرب عن ذكرهم صفحاً وتوصل إلى ذكر الله نصحاً ثم لما أخذ في شرح وصفه كان لا يسكت فقال: والذي والذي، في تعداد نعته ومن أمارات المحبة كثرة ذكر الحبيب والإعراض عن ذكر الرقيب، فتنزّه المحبوبون بالتقلُّب في رياض ذكر محبوبهم والزهاد يعدون أورادهم وأرباب الحوائج يعدون مآربهم فيطنبون في دعائهم لمطالبهم والمحبون يشهدون في ثناء محبوبهم.

وقال سمنون: لا تصح المحبة لمن لم ينظر إلى الأكوان وما فيها بعين

321/ أ العداوة حتى يصح / له بذلك محبة الله والرجوع إليه بالانقطاع عما سواه.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾﴾ [الآية 78] إلى طريق الدين وتحقيق اليقين.

قال الواسطي: لما استغرق إبراهيم في الخلة احتشم من ذكر خليله بالتصريح فرجع إلى الصفات وجعل يقول الذي ولم يصرِّح بل كنى ولما كان في ابتداء مقاماته وأوائل جذباته ولم يستغرق في الخلة وحالاته جعل يصرح ويقول ربي ربي.

وأفاد الأستاذ: أنه عليه السلام كان مهتدياً، فالهداية التي ذكرها فيما يستقبله من الأزمنة الآتية أن يهديني إليّ فإني محو في وجوده فليس لي خير عني فبعد أن يكونوا مستغرقين في نفوسهم لا يهتدون من نفوسهم إلى معبودهم فيهديهم عنهم إلى ربهم فيصيرون في نهايتهم مستهلكين في وجوده فانين على أوصافهم ويصير مفارقهم بعدما كانت ضرورة ذاهبة منهم ضعيفة فيهديهم إليهم.

﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى﴾ [الآية 79] قال النهرجوري: الذي يطعمني حلاوة ذكره ﴿وَيَسْقِينِ﴾ [الآية 79] كأس محبته، أي لسكري في شكره.

وقال الأستاذ: لم يشر إلى طعام معهود وشراب مألوف ولكن أشار إلى الاستدلال به من حيث أن المعرفة لهم بدل استقلال غيرهم بطعامهم وإلى شراب محبته الذي يقوم بدل استقلال غيره بشرابهم.

﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾ [الآية 80] وإنما لم ينسب المرض إليه لأن مراده تعداد نعمة الله عليه والمقام يقتضي التأدُّب لديه، ولأن المرض يتبع الأكل والشرب غالباً وهو أثر فعل العبد كسباً كما قال ابن الرومي:

فإن الداء أكثر ما تراه ... يكون من الطعام أو الشراب[1]

---

(1) نهاية الأرب في فنون الأدب (1/ 278)، وبهجة المجالس وأنس المجالس (1/ 149).

قال ابن عطاء: إذا أمرضني رؤية الأغيار كان شفائي الرجوع إلى مشاهدة الجبار.

وقال الأستاذ: لم يقل أمرضني لأنه حفظ أدب الخطاب. ويقال: لم يكن ذلك مرضاً معلوماً ولكنه أراد تمارضاً موهوماً كما يتمارض العشاق طمعاً في عيادة الأحباب، كما قال قائلهم:

يود بأن يمشي سقيماً لعلها   إذا سمعت منه بشكوى تراسله[1]

وقال بعضهم:

إن كان يمنعك الوشاة زيارتي/   فادخل عليَّ بعلّة العواد[2] 321/ ب

ويقال: ذلك الشفاء الذي أشار إليه الخليل هو أن يبعث الله جبريل ويقول له يقول مولاك: كيف كنت البارحة.

﴿وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى﴾ [الآية 81] في الدنيا ﴿ثُمَّ يُحۡيِينِ﴾ [الآية 81] في العقبى. وأسند الإماتة إليه لأنه لا قدرة لغيره عليه مع أن الموت تحفة المؤمن وهدية الموقن لكونه وصلة إلى نيل الدرجات العلية والمثوبات الجلية التي يستحقر دونها اللذات الدنيوية مع ما فيه من الخلاص من أنواع المحن والبلية. قال بعضهم: يميتني ظاهراً ثم يحييني بالاستتار ويحييني بالتجلي باطناً.

وقال أبو عثمان: يميتني بخوفه ويميتني برجائه. وقال الواسطي: يميتني بالاستتار ويحييني بالتجلي والإظهار. وقال جنيد: يميتني بالغفلة ثم يحييني بالذكر والطاعة. وقيل: الذي يميتني بالمحنة ثم يحييني بالنعمة.

وقال محمد بن حامد: يميتني بالطمع ويحييني بالقناعة.

وقال الأستاذ: يميتني بإعراضه عني وقت تعزُّزه مني ويحييني بإقباله عليَّ حين إفضاله. ويقال: يميتني عني ويحييني به.

---

(1) نسب إلى كثير عزة. انظر الزهرة (1/ 108)، ودواوين العرب (2/ 186).
(2) ذكره القشيري في تفسيره (5/ 428).

﴿وَٱلَّذِىٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ [الآية 82] لعله أراد بالخطيئة الغفلة والتقصير في الطاعة كما قال بعضهم: حسنات الأبرار سيئات الأحرار.

قال أبو عثمان: أخرج سؤاله على حد الأدب حيث لم يحكم بالمغفرة على الرب ولكنه قال: والذي أطمع أي طمع العبيد في مواليهم وإن لم يكنوا مستحقين شيئاً لهم عليهم.

وأفاد الأستاذ: إن خطيئة الأحباب شهودهم محبتهم ونفسهم عند شدة البلاء عليهم وشكواهم ما يمسهم من برحاء الاشتياق لديهم. وفي معناه أنشدوا:

وإذا محاسني اللائي أدل بها كانت ذنوبي فقل لي كيف أعتذر[1]

﴿رَبِّ هَبۡ لِى حُكۡمًا﴾ [الآية 83] كمالاً في العلم والعمل والصدق أستعد به خلافة الحق ورياسة الخلق ﴿وَأَلۡحِقۡنِى بِٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [الآية 83] الكاملين في مقام الصلاح وحالة الفلاح القائمين بحقوق الله وحقوق عباده وفق رضاه.

وقال الأستاذ: حكماً على نفسي أولاً فإن مَن لا حكم له على نفسه لا حكم له على غيره.

322/ أ ﴿وَٱجۡعَل لِّى لِسَانَ صِدۡقٍ فِى ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الآية 84] أي ثناءً حسناً وصيتاً / وجاهاً في الدنيا يبقى أثره إلى العقبى ولذا ما من أمة إلا وهم محبون له مثنون عليه ومنتسبون إليه.

قال سهل: ارزقني الثناء في جميع أمم الأنبياء.

وقال ابن عطاء: أطلق ألسنة أمة محمد بالثناء عليّ والشهادة لي فإنك جعلتهم شهداء مقبولين في الثناء.

وقال الأستاذ: أي لا أذكرك إلا بك ولا أعرف إلا بك.

﴿وَٱجۡعَلۡنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾﴾ [الآية 85] في الدار المقيم ﴿وَٱغۡفِرۡ

(1) ذكره القشيري في تفسيره (5/ 430).

﴿لِأَبِيٓ﴾ [الآية 86] بالتوبة عن العصيان والهداية إلى الإيمان ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الآية 86] طريق اليقين ولا يبعد كون هذا الاستغفار قبل علمه عليه السلام أن أباه من الكفار.

وأفاد الأستاذ أنه عليه السلام قاله قبل يأسه من إيمان أبيه وهذا على لسان العادة للعلماء، وأما على بيان الإشارة للعرفاء، فذكره في وقت غلبات البسط ويتجاوز ذلك عنهم هنالك وليست إجابة العبد واجباً عليه سبحانه وأكثر ما فيه أن لا يجيبه، ثم لهم سلوة في ذكر أمثال هذا الخطاب ولا يهتدي كل أحد إلى هذا الباب.

﴿وَلَا تُخۡزِنِي﴾ [الآية 87] لا تفضحني بمعاتبتي على تفريطي وتقصيري أو بتعذيبي لجوازه عقلاً أو لتعليم الأمة لخفاء العاقبة مع أن الأنبياء معصومون عن سوء الخاتمة. قال بعضهم: خافوا الأنبياء على أنفسهم مع عظم مكانهم وسني مراتبهم فقال الخليل: ﴿وَلَا تُخۡزِنِي﴾ [الآية 87] فمن أمره على نفسه فما هو إلا لغفلة له أو الاستدراج عليه.

وقال الأستاذ: أي لا تخجلني بتذكيري خلتي فإن شهود ما من العبد عند أرباب القلوب وأصحاب الخصوص أشد عقوبة ﴿يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ﴾ [الآية 87] أي الخلائق أجمعون لأنهم معلومون.

﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨﴾ [الآيـة 88] أي أحـداً أبـداً ﴿إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ٨٩﴾ [الآية 89] أي مخلصاً موحِّداً سليم القلب عن معصية الرب أو لا ينفعان إلا حال من هذا شأنه وبنوه وأعوانه حيث اتقوا ما له في سبيل البر وأرشد نبيه إلى طرق الخير.

قال ابن عطاء: بقلب سليم أي تسليم من عند رب كريم. وقيل: القلب السليم اللديغ، ولعله إشارة «لدغت حية الهوى كبدي».

وقال الأستاذ: قيل هو الذي سلم من الضلالة ثم من البدعة ثم من الغفلة ثم من الغيبة ثم من/ الحجبة ثم من المضاجعة ثم من المساكنة ثم من 322/ ب
الملاحظة هذه كلها آفات والأكابر سلموا منها والأصاغر امتحنوا فيها.

﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ۝٩٠﴾ [الآية 90] قُربت لهم بحيث يرونها من الموقف فيستبشروا بأنهم محشورون إليها ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ۝٩١﴾ [الآية 91] أُظهرت لهم فيتحسرون علماً بأنهم منجرون إليها، أو المعنى يعرضون على النار ويعرض عنهم منازل الأشرار ﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۝٩٢ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الآيتان 92،93] على زعم أنهم شفعاء ﴿هَلْ يَنصُرُونَكُمْ﴾ [الآية 93] بدفع العذاب عنكم ﴿أَوْ يَنتَصِرُونَ﴾ [الآية 93] بدفعه عن أنفسهم لأنهم وآلهتهم يدخلون النار بجملتهم لقوله: ﴿فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ۝٩٤﴾ [الآية 94] أي الآلهة وعبدتهم ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ﴾ [الآية 95] أي شياطينه أو سائر أتباعه ﴿أَجْمَعُونَ﴾ [الآية 95] أي الأولون والآخرون.

﴿قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ۝٩٦﴾ [الآية 96] جملة معترضة بين القول ومقوله مبينة للقضية ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٩٧ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٩٨﴾ [الآيتان 97،98] أي في استحقاق العبادة أو اشتراك الإرادة.

وقال الأستاذ: لا فضيحة أفظع ولا عيب أشنع مما يعترفون به على أنفسهم بقولهم: ﴿إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٩٨﴾ [الآية 98] وأقبح أنواع الشرك وأشنع أنواع الكفر والجحود هو التشبيه في صفة المعبود.

﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٩٩﴾ [الآية 99] أي الشياطين أو الرؤساء الأقدمون ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ۝١٠٠﴾ [الآية 100] كما للمؤمنين من الملائكة والنبيين ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ۝١٠١﴾ [الآية 101] قريب أو منهم إذ ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: الآية 67] وجمع الشافع ووحد الصديق لكثرة الشفعاء وقلة الأصدقاء أو لأن الصديق الواحد يسعى في وقت البلاء أكثر مما يسعى في وقت الشفاء.

قال الأستاذ: في بعض الأخبار أنه يجيء يوم القيامة عبد يحاسب فتستوي حسناته وسيئاته ويحتاج إلى حسنة واحدة يرضي عنه خصومه فيقول الله له: عبدي بقيت لك حسنة واحدة إن كانت أدخلتك الجنة انظر وتطلب من الناس لعل واحداً منهم يهبك حسنة واحدة، فيأتي العبد في الصفين ويطلب من أبيه ثم من أمه ثم من أصحابه فيقول الكل في بابه فلا يجيبه أحد إلى ما به وكل

يقول له: أنا اليوم فقير إلى حسنة واحدة، فيرجع إلى مكانه فيسأله الحق سبحانه/ فيقول: ماذا أجبت به، فيقول: يا رب لم يعطني أحد حسنة من حسناته، 323/ أ
فيقول الله تعالى: عبدي ألم يكن لك صديق فيَّ، فيذكر العبد فيقول فلان كان صديقاً لي، فيدله الحق عليه فيأتيه فيكلِّمه في بابه فيقول: بلى لي عبادات كثيرة قبلها اليوم عني فقد وهبتها منك، فيسير هذا العبد فيجيء إلى موضعه فيخبر بذلك ربه فيقول الله: قد قبلتها منه ولم أنقص من حقه شيئاً وقد عفوت لك وله. وهذا معنى قوله: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [الآيتان 100،101].

﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ [الآية 102] أي فليت لنا رجعة في العقبى ﴿فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 102] في الدنيا ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ [الآية 103] فيما ذكرنا من القصة ﴿لَأٓيَةً﴾ [الآية 103] لحجة وعظة وعبرة للمستبصرين والمعتبرين ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم﴾ [الآية 103] أكثر قومه ﴿مُّؤْمِنِينَ﴾ [الآية 103] به أو بربه ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ [الآية 104] الغالب على مراده ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ [الآية 104] بعباده.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ [الآية 105] أي أمته ﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الآية 105] إليهم، وقوم نوح ومن قبله ولأنه تكذيب واحد واحد منهم تكذيب لجميعهم ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ﴾ [الآية 106] لأنه كان منهم ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الآية 106] الله فتتركوا عبادة مَن سواه ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الآية 107] مشهور بالأمانة عندكم ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [الآية 108] مخالفته أو عقوبته ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ [الآية 108] فيما آمركم به من التوحيد لله والطاعة لرضاه ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ [الآية 109] أي على تبليغ الأمر ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ [الآية 109] نوعاً من الأجر ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الآية 109] فأجره أعلى وأغلى في القدر ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾﴾ [الآية 110] كرَّره للتأكيد وللإيحاء إلى أن اجتناب السيئات وارتكاب الطاعات هو المطلوب في جميع الحالات يستوي فيه المبتدأ والمنتهى في المقامات.

قال الواسطي: التقوى أوائل المنازل وأواخرها ولا غاية له في المناهل وذلك أنه ليس للمتقي غاية ينتهي إليها ولا نهاية يستغني عنها ثم حقيقة التقوى أن يتقي العبد من تقواه. وقيل التقوى هو التخلي عن كل مذموم في

التحلي بكل محمود.

﴿۞ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ١١١﴾ [الآية 111] الأقلون جاهاً ومالاً وهذا من سخافة عقلهم في الأمور الدينية وقصور نظرهم عن الحطام الدنية
الدنيوية حتى جعلوا اتِّباع المقلِّين فيها مانعاً عن اتِّباع المكثرين/ بها وجعلوا 323/ب
إيمان الفقراء بما يذعن إليه الأغنياء دليلاً على بطلانه وحجة على ضعف شأنه، وأشاروا بذلك إلى أن اتباع الضعفاء ليس عن نظر وبصيرة بل إنما هو لتوقع مال ورفعة فلذا قال: ﴿قَالَ وَمَا عِلۡمِي بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١١٢﴾ [الآية 112] إنهم عملوه خالصاً من رياء وسمعة أو طمعاً في حصول طعمة وأنا ما أحكم إلا بالظواهر والله أعلم بالسرائر.

﴿إِنۡ حِسَابُهُمۡ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّيۖ﴾ [الآية 113] ما جزاؤهم من ثوابهم وعقابهم على مقتضى بواطنهم إلا على الله المطلع على أحوالهم ﴿لَوۡ تَشۡعُرُونَ﴾ [الآية 113] ذلك لعلمهم ما هنالك ولكنكم تجهلون فتقولون ما لا تعلمون.

قال الأستاذ: وكذلك أتباع كل رسول إنما هم الأضعفون لكنهم في حكم الله هم المتقدمون الأكرمون ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٤﴾ [الآية 114] أي من الفقراء لتوقع إيمان الكافرين من الأغنياء حيث استكفوا باتباع الضعفاء ﴿إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ١١٥﴾ [الآية 115] ما أنا إلا منذر للمكلفين عن الكفر والمعاصي سواء كانوا أعزاء أو أذلال فكيف لي طرد الفقراء لاستتباع الأغنياء.

﴿قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰنُوحُ﴾ [الآية 116] عما تقول من الدين ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ﴾ [الآية 116] من المضروبين بالحجارة أو المشتومين ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوۡمِي كَذَّبُونِ ١١٧﴾ [الآية 117] فيما بلَّغتهم من طريق الصدق اليقين ﴿فَٱفۡتَحۡ بَيۡنِي وَبَيۡنَهُمۡ فَتۡحٗا﴾ [الآية 118] باب الحكم في نصرة الدين ﴿وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الآية 118] من قصد فعلهم أو شؤم عملهم.

﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ١١٩﴾ [الآية 119] المملوء ﴿ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا بَعۡدُ﴾ [الآية 120] بعد إنجائه ﴿ٱلۡبَاقِينَ﴾ [الآية 120] من قومه الكافرين ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ﴾ [الآية 121] شاعت للحجة وذاعت للعبرة ﴿وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ﴾

[الآية 121] في علمه القديم ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ [الآية 122] القادر على الاستئصال ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ [الآية 122] بتأخير العقوبة عنهم اليوم بالإمهال.

وزاد الأستاذ فيما أفاد من أنه لم يقطع الرزق عنهم مع قبح أفعالهم وهو عزيز لا يستنصر بقبيح أعمالهم وما كان لو جمعوا على طاعته ليتجمل بأفعالهم.

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ﴾ [الآية 123] أي قبيلتهم ﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الآية 123] أي جملتهم ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [الآية 124] مخالفة الدين ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾﴾ [الآيتان 125،126] في أمر اليقين ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ [الآية 127] كالطامعين ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الآية 127] في تصدير القصص فهذه الجملة دلالة على أن البعثة مقصورة/ على الدعوة إلى المعرفة 324/ أ
والطاعة فيما يقرب المدعو إلى ثوابه ويبعّد عن عقابه، وعلى أن الأنبياء مبرؤون عن المطامع الدنية والأعراض الدنيوية.

قال أبو جعفر: أزيلت الأطماع عن الرسل أجمع لدناءة الطمع.

وأفاد الأستاذ: أن من عمل لله فلا ينبغي أن يطلب الأجر مِن سواه وفيه تنبيه للعلماء الذين هم ورثة الأنبياء أن يتأدبوا بآدابهم فلا يطلبوا من الناس شيئاً في بث علومهم ولا يرتفقون منهم بتعليمهم وتذكيرهم ومن ارتفق من المستمعين في بث ما يذكره من أمر الدين ويعظ به المسلمين فلا يبارك الله للناس فيما يسمعون ولا للعلماء أيضاً بركة فيما منهم يأخذون ويبيعون دينهم الخطير بالعرض اليسير ثم لا بركة لهم فيه يبقون به عن الله ولا ينتفعون وسيقعون على سخط من الله وعذابه.

﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ﴾ [الآية 128] مكان مرتفع ﴿ءَايَةً﴾ [الآية 128] علامة للمارة ﴿تَعْبَثُونَ﴾ [الآية 128] ببنائها لاستغنائهم عنها أو قصوراً مفتخرون بها ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ﴾ [الآية 129] مأخذ الماء وقصوراً مشيدة البناء أو حصوناً مرتفعة بالهواء ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ [الآية 129] تسكنون بها وتدومون فيها فتحكمون أساس بنيانها ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم﴾ [الآية 130] بسوط أو سيف أو لطمة ﴿بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ [الآية 130]

متسلطين ظالمين بلا رأفة ورحمة ولا قصد تأديب ونظر في عاقبة.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [الآية 131] بترك هذه الأفعال الدنية ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ [الآية 131] فيما أدعوكم إليه من الأعمال الرضية فإنه أنفع لكم في الأحوال الدنيوية والأخروية ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [الآية 132] بما تعرفونه منه أنواع النعم الجلية ﴿أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [الآية 133] كثيرة ﴿وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾﴾ [الآية 134] غزيرة ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾﴾ [الآية 135] في الدنيا والعقبى فإنه سبحانه كما قدر على الإنعام قادر على الانتقام.

﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ﴾ [الآية 136] أنصحت لدينا ﴿أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾ [الآية 136] فإنا لا نرجع عما نحن عليه من الدين ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾﴾ [الآية 137] ما هذا الذي جئتنا به إلا كذب المرسلين الأولين. وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة بضمتين أي ما هذا الذي جئتنا به إلا عادة الأولين كانوا يزخرفونه ويزورونه من أمر الدين ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ [الآية 138] لا في الدنيا ولا في العقبى ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ [الآية 139] أي نبيهم هوداً ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ﴾ [الآية 139] أجمعين بسبب/ تكذيبهم للتوحيد والنبوة بريح صرصر عاتية ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: الآيتان 139، 140] في نفي الإيمان عن أكثرهم إيماناً بأنه لو آمن أكثرهم أو شطرهم لما أخذوا في الدنيا بكفرهم وإشارة إلى أن رحمته سبقت غضبه. 324/ب

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [الآيات 141-146] إنكاراً لأن يتركوا على حال تنعمهم مقيمين دائمين كما بيّنه بقوله: ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾﴾ [الآيتان 147، 148] لطيف لين اللطف ثمره الكريم ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [الآية 149] وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو فرهين أي بطرين آثرين مفتخرين ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾﴾ [الآية 150] فيما تؤمرون ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾﴾ [الآية 151] ولا تنقادوا لأمر المجرمين من الرؤساء

والمنكرين من الأغنياء ﴿ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ۝١٥٢﴾ [الآية 152] ولا يتداركون.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ۝١٥٣﴾ [الآية 153] الذين سحروا كثيراً حتى غلب على عقلهم فصاروا كالمجانين ﴿مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ [الآية 154] من الآكلين والشاربين ﴿فَأْتِ بِـَٔايَةٍ﴾ [الآية 154] من أنواع الدلالة ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الآية 154] في دعوى الرسالة.

﴿قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ﴾ [الآية 155] أخرجها الله من الصخرة بدعائه كما اقترحوها ﴿لَّهَا شِرْبٌ﴾ [الآية 155] نصيب من المال ﴿وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الآية 155] فاقتصروا على شربكم ولا تزاحموها في شربها ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾ [الآية 156] بضرب وجرح ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الآية 156] عظم اليوم لعظم ما يحل فيه من العذاب الأليم فهو أبلغ من العذاب العظيم.

﴿فَعَقَرُوهَا﴾ [الآية 157] أسند الفقر إليهم لأن عاقرها إنما عقرها برضاهم ولذا أخذوا جميعهم ﴿فَأَصْبَحُواْ نَٰدِمِينَ﴾ [الآية 157] على قصرهم وكفرهم خوفاً من العقوبة لا توبة من المعصية أو عند المعاينة حين لا تنفعهم التوبة.

﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ [الآية 158] أي العذاب الموعود في الدنيا ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْأٓخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [طـه: الآية 127]، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝١٥٨ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٥٩ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٦٠ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۝١٦١ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝١٦٢ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝١٦٣ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الآيات 158-164] العالِم بأحوال/ العالمين. 325/ أ

﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦٥﴾ [الآية 165] أي مما بين من عداكم من العالمين لا يشارككم فيه غيركم حتى البهائم التي ليس لها ملة ودين وعقل ويقين ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ﴾ [الآية 166] لاستمتاعكم ﴿رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم﴾ [الآية 166] بيان لما، وأُريد بهن جنس الإناث ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ [الآية 166] متجاوزون عن حد الشهوة أو مفرطون في المعصية لارتكاب هذه الجريمة.

﴿قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ﴾ [الآية 167] عن أمرنا ونهينا وتقبيح مرادنا ﴿لَتَكُونَنَّ

مِنَ ٱلۡمُخۡرَجِينَ﴾ [الآية 167] عن بلادنا.

﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلۡقَالِينَ ١٦٨﴾ [الآية 168] من المبغضين ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهۡلِي مِمَّا يَعۡمَلُونَ ١٦٩﴾ [الآية 169] أي من شؤمه وعذابه ﴿فَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ﴾ [الآية 170] أي أهل بيته والمتبعين له على ملّته بإخراجهم من بينهم وقت قرب حلول العذاب لهم ﴿إِلَّا عَجُوزًا﴾ [الآية 171] هي امرأة لوط ﴿فِي ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾ [الآية 171] الباقين في القرية المتشاركين في العقوبة.

﴿ثُمَّ دَمَّرۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ١٧٢﴾ [الآية 172] أهلكنا غير المؤمنين ﴿وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ﴾ [الآية 173] بالإنزال من السماء فوقهم حجراً ﴿فَسَآءَ مَطَرُ ٱلۡمُنذَرِينَ﴾ [الآية 173] مطر هؤلاء المجرمين ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ١٧٤ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ١٧٥ كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٧٦﴾ [الآيات 174-176] الأيكة المفيضة تنبت ناعم الشجرة، والمراد بماء غيضة بقرب مدين يسكنها طائفة فبعث الله إليهم شعيباً كما بعث إلى مدين وكان أجنبياً منهم فكذا ﴿إِذۡ قَالَ لَهُمۡ شُعَيۡبٌ﴾ [الآية 177] ولم يقل أخوهم ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الآية 177] وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر ليلة وهي اسم بلدتهم.

﴿إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ١٧٨﴾ [الآية 178] معروف بالديانة دون الخيانة ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [الآية 179] في المخالفة ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ [الآية 179] في الموافقة ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ﴾ [الآية 180] بل تبليغي عنهم بلا غرم ﴿إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الآية 180] فأجره أتم وثوابه أعم.

﴿أَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ﴾ [الآية 181] أتمُّوه ﴿وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُخۡسِرِينَ﴾ [الآية 181] حقوق الناس على وجه التعميم ﴿وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِ ١٨٢﴾ [الآية 182] بالميزان السوي القويم. وقرأ حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف ﴿وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ﴾ [الآية 183] لا تنقصوا أشياء من حقوقهم ﴿وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾ [الآية 183] بنحو القتل والغارة وقطع طريق المارة ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلۡجِبِلَّةَ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [الآية 184] الخليقة الذين قبلكم.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ١٨٥ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا﴾ [الآيتان 185، 186]

أتوا بالواو للدلالة على أنه جامع بين وصفين منافيين/ للرسالة بخلاف قوم صالح 325/ ب
فإنهم تركوا الواو لإرادة التأكيد والاستئناف ﴿وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾ [الآية 186] في دعواك بالنبوة وتهديدك لمن خالفك بالعقوبة.

﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الآية 187] قطعاً منها ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ [الآية 187] بنزول العذاب عنها ﴿قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [الآية 188] بأعمالكم وأحوالكم فينزل بكم ما أوجبه عليكم في وقته الذي قدره أن يصل إليكم.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ﴾ [الآية 189] بأن سلط الله عليهم الحر سبعة أيام حتى غلت أنهارهم وأظلّهم سحابة فاجتمعوا تحتها فأمطرت عليهم ناراً فأُحْرِقوا بها ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الآيات 189 ـ 191] هذا آخر القصص السبع المذكورة على طريق الاختصار تسلية لسيد الأبرار وتهديد للمكذبين له من الكفار ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ [الآية 192] أي القرآن أو ما سبق من البيان ﴿لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الآيات 192–195] فصيح المبنى واضح المعنى. وقرأ ابن عامر وأبو بكر وحمزة والكسائي بتشديد الزاي ونصب الروح الأمين.

وأفاد الأستاذ: أن كلام الله العزيز منزل على قلب رسوله الكريم غير منفصل وبغير الله غير متصل، وهو على الحقيقة لا على المجاز منزل ومعناه: إن جبريل كان في السماء فسمع من الرب فحفظ ونزل وبلّغ إلى الرسول فمرة كان يدخل عليه حال تأخذه عنه عند نزول الوحي عليه فيرد جبريل ذلك على قلبه ومرة كان يتمثل له الملك فيسمعه، وكان الرسول يحفظه ويؤديه والله ضمن له أن سيقربه حتى لا ينساه فكان يجمع الله له الحفظ في قلبه ويسهل القراءة على لفظه، ولما عجز الناس بأجمعهم عن معارضته مع تحديد إياهم للإتيان بمثله علم صدقه أنه من قبل ربه من طريق قلبه.

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ [الآية 196] أي ذكر القرآن ومعناه بحسب البيان ﴿لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾

[الآية 196] كتب المتقدمين من الأنبياء والمرسلين ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً﴾ [الآية 197] علامة على صحة القرآن مع قطع النظر من دلالة المعجزة أو على رسالة محمد إلى هذه الأمة ﴿أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الآية 197] أي يعرفوه بنعمته المذكورة
326/ أ في كتبهم. وقرأ ابن عامر تكن بالتأنيث وآية بالرفع على أنها الاسم والخبر/ لهم وأن يعلمه بدل من الآية.

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾﴾ [الآية 198] جمع أعجمي على التحقيق ويؤيده أنه قرئ بالتشديد ﴿فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُواْ﴾ [الآية 199] أي أكثرهم ﴿بِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 199] لتكبُّرهم وكثرة تعلُّلهم ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ﴾ [الآية 200] أدخلنا القرآن المبين ﴿فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الآية 200] أي منهم ومن غيرهم فعرفوا مبانيه وإعجازه ومعانيه ثم مَن عاندهم لم يؤمنوا بما فيه ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾﴾ [الآية 201] الملجىء إلى التوبة حين لا تنفعهم الندامة.

﴿فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً﴾ [الآية 202] فجأة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الآية 202] بإتيان العقوبة لكمالهم في الغفلة واشتغالهم بالنعمة ﴿فَيَقُولُواْ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾ [الآية 203] تحسُّراً وتأسُّفاً على ما كانوا يفعلون.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أخبر أنه لو نزل بغير لسانهم هذا الكتاب لم يهتدوا إلى طريق الصواب وقالوا لو كان بلساننا لعرفناه ولآمنا به واتبعناه، فأزاح عنهم العلة وأكد عليهم الحجة ثم أخبر عن صادق علمه منهم وسابق حكمه فيهم بالشقاوة عليهم وهو إنهم لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم في القيامة حتى لا ينفعهم الإيمان ولا الندامة.

﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ [الآية 204] حيث يقولون ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [يونس: الآية 48]، ﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾﴾ [الآيات 205–207] لم يغن عنهم تمتعهم في دفع عذابهم.

وقال الأستاذ: إن أرخينا لهم المدة وأمهلناهم أزمنة كثيرة وهم بوصف الغفلة فما الذي كان ينفعهم إذا أخذهم العذاب بغتة ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا

﴿لَهَا مُنذِرُونَ ۝٢٠٨﴾ [الآية 208] أنذروا أهلها إلزاماً للحجة ﴿ذِكْرَىٰ﴾ [الآية 209] تذكرة وتبصرة ونصبها على العلة ﴿وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ [الآية 209] ولو أهلكنا العالمين بلا خطيئة.

﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝٢١٠﴾ [الآية 210] كزعم الكفرة أنه من قبيل ما يلقي الجن على الكهنة ﴿وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمْ﴾ [الآية 211] وما يصح لهم أن يتنزلوا به إليه ﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [الآية 211] وما يقدرون عليه ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ﴾ [الآية 212] أي بالمواجهة لكلام الملائكة في السماء من الوحي النازل للأنبياء ﴿لَمَعْزُولُونَ﴾ [الآية 212] لعدم وجود المشاركة في صفاء الذات وضياء الصفات وقبول فيضان الكلمات على الكمالات وانتعاش بالصور الملكوتية لكون نفوس الشياطين في غاية من الخباثة الظلمانية.

326/ ب ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ/ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ۝٢١٣﴾ [الآية 213] تهييج لازدياد المخلصين ولطف لسائر المكلفين ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ۝٢١٤﴾ [الآية 214] الأقرب فالأقرب منهم فإن الاهتمام بشأنهم أهم من غيرهم.

قال الأستاذ: وذلك بتعريفه أنه لا ينفعهم قرابته منهم ولا تقبل شفاعته فيهم على تقصيرهم وعدم إيمانهم فليس هذا الأمر من حيث النسب بل باعتبار التقوى والحسب. هذا نوح لما كفر ابنه لم ينفعه بنوَّته وهذا إبراهيم لما كفر أبوه لم تنفعه أبوته، وهذا محمد ﷺ وكثير من أقاربه كانوا أشد الناس عليه في عداوته فلم ينفعهم نسبه وقرابته.

﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾ [الآية 215] ألِن جناحك وكن من المتواضعين ﴿لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 215].

قال الأستاذ: قاربهم في الصحبة واسحب ذيل المجاوزة على ما ينذر منهم في تقصير الخدمة واحتمل منهم سوء الأعمال وعاشرهم بجميل الأحوال وتحمَّل عنهم وارحم كلهم فإن مرضوا فعِدْهم وإن حرموك فأعطهم وإن ظلموك فتجاوز عنهم وإن قصروا في حقك فاعف عنهم واشفع لهم واستغفر لهم.

﴿فَإِنْ عَصَوْكَ﴾ [الآية 216] ولم يتبعوك فيما يؤمرون ﴿فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا

﴿تَعۡمَلُونَ﴾ [الآية 216] من أعمالكم إذ ليس لي اطلاع على أحوالكم في مآلكم.

وفي تفسير السلمي قيل: بريء كل نبي عن مَن عصاه من ذرية الأنبياء ﷺ شرف مرتبته وعظم قربته لقوله تعالى: ﴿فَإِنۡ عَصَوۡكَ﴾ [الآية 216] بارتكاب العصيان بعد تحقق الإيمان ﴿فَقُلۡ إِنِّي بَرِيٓءٞ﴾ [الآية 216] من أعمالكم لا بريء منكم في آجالكم فإن لك محل الشفاعة والشفاعة تزيل عنهم ظلمة المعصية.

﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢١٧﴾ [الآية 217] الذي يقدر على قهر أعدائه ونصر أوليائه يكفيك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم. وقرأ نافع وأبو عامر فتوكل بالفاء على البدل من الجزاء.

قال جنيد: التوكل أن تقبل بالكلية على ربك وتعرض بالكلية عما دونه فإن حاجتك في الدارين إليه فلا تعتمد إلا عليه.

وقال الأستاذ: انقطع إلينا واعتصم بنا وتوسل بنا إلينا وكن بنا وإذا قلت فقل بنا وإذا وصلت فصل بنا واشهد تقلُّبك في قبضتنا وتحقق بأنك بتناولنا. ويقال: توكل على العزيز تجد العز بتوكلك عليه وانقيادك إليه
327/أ وتفويض/ بالكلية عما دونه أمرك إليه فإن العزيز من وثق بالعزيز الرحيم الذي يقرب من تقرب إليه ويجزل الخير لمن توسل إليه وتوكل عليه.

﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ۝٢١٨﴾ [الآية 218] إلى الصلاة وحدك من المتطوعين أو المتهجدين ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٢١٩﴾ [الآية 219] وتصرفك في أركان الصلاة فيما بين المصلين. والمعنى يزجيك إذا صليت بوصف الوحدة وإذا صليت في الجماعة يعني توكل على مَن يراك في حال اجتهادك لمرضاة مولاك ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ [الآية 220] لأقوالك وأقوالهم ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ [الآية 220] لأحوالك وأحوالهم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه اقتطعه بهذه الآية عن شهود الخلق فأمن علم أنه بمشهد من الحق وأعاد فائق حالاته وحقائق طاعاته ثم هوَّن عليه معاناة مشاق عباداته برؤيته له في تقلباته إذ لا مشقة في حمل البلوى لمن يعلم أنه بمرأى من المولى لأن تحمل الجبال الرواسي يهون لمن حملها على شفرة من جفن عينه على مشاهدة ربه. وقوله: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٢١٩﴾ [الآية 219] فهم

نجوم وأنت بدر، وهم بدور وأنت شمس، وهم شموس وأنت للشموس شمس. ويقال: تقلبك في أصلاب أبائك من المسلمين الذين عرفوا الله فسجدوا له من دون من لا يعرفوه ولم يدخلوا في الدين، إنه هو السميع لأنين المحبين العليم بحنين العارفين. ويقال: السميع لأنين المذنبين العليم بأحوال المطيعين.

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾﴾ [الآيتان 221،222] كثير الكذب عظيم الإثم من الكهنة والمنجمين ﴿يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَـٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾﴾ [الآية 223] أي يسترق المسموع من السماء فيختطفون كلمة من الملائكة ثم يلقونها إلى أوليائهم من الإنس مع مائة من الكذب، ففي الصحيحين الكلمة يختطفها الجني فيقرها في أذن وليه ويزيد فيها أكثر من مائة كذبة[1] وربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها وربما ألقى قبل أن يدركها.

﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾﴾ [الآية 224] أي الضالون يعني شعراء الكفار يهجون سيد الأبرار والصحابة الكبار ويقولون نحن نقول مثل ما يقول محمد، فبعض الغواة يجتمعون إليهم ويستمعون / منهم ويرون عنهم. 327/ ب

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ﴾ [الآية 225] من أودية الكلام ﴿يَهِيمُونَ﴾ [الآية 225] يذهبون كالمجنون ويخوضون في كل لغو وهم متحيرون فتارة للباطل يمدحون وتارة للحق يذمون.

﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾﴾ [الآية 226].

وأفاد الأستاذ: أن المراد بهم الشعراء الذين في الباطل يهيمون وفي أعراض الناس يقعون وفي التشبيهات عن حد الاستقامة يخرجون ويعدون في أنفسهم ما لا يفون ويسلكون سبيل الكذب فيما يتفوهون.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الآية 227] في سائر الأوقات والحالات.

---

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (7561)، ومسلم في الصحيح (2228/ 122).

قال جنيد: الذكر الكثير هو دوام المراقبة في جميع الأحوال وطرد الغفلة عن القلب عن جميع الأفعال ﴿وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ﴾ [الآية 227] استثناء للشعراء المؤمنين الصالحين المكثرين لذكر الله حيث أكثر أشعارهم في التوحيد والثناء على الله والحث على طاعته ومتابعة رضاه ولو قالوا مهاجاة أو أدلى به الانتصار ممن هاجاهم من الكفار مكافأة. روي أنه لما نزلت ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾﴾ [الآية 224] جاء حسان وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك إليه ﷺ وهم يبكون لديه فقال: قد علم الله حين أنزل هذه الآية من السماء أنَّا شعراء فأنزل الله ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الآية 227 الآية، رواه ابن جرير وغيره[1].

والسورة وإن كانت مكية لكن أربع آيات منها وهي والشعراء إلى آخر السورة مدنية كما صرح به محيي السنَّة وغيره من الأئمة ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الآية 227] أي مرجع يرجعون بعد الموت أو حين الفوت وقرىء أي منفلت ينفلتون أي أي منصرف ينصرفون، والمعنى إذا عوقبوا على ظلمهم تحققوا آيسوا ما عملوا وندموا على ما أسلفوا وصدقوا ما كذبوا.

وقال ابن عطاء: سيعلم المعرض عنا ما الذي فاته منا. هذا وسياق الآية وإن كان في الكفار وشعرائهم لكنه عام لكل ظالم فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ولذا كتب الصديق الأكبر عند الوصية لعمر رضي الله عنه: «بسم الله الرحمٰن الرحيم هذا ما أوصى به أبو بكر ابن أبي قحافة
عند خروجه من/ الدنيا حين يؤمن الكافر وينتهي الفاجر ويصدق الكاذب إني 328/ أ
استخلفت عليكم عمر بن الخطاب فإن يعدل فذلك ظني به ورجائي فيه وإن يَجُرْ ويبدل فلا أعلم الغيب ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الآية 227 نقله ابن أبي حاتم عن عائشة رضي الله تعالى عنها[2].

---

(1) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (5/ 277) رقم (26051)، وانظر تفسير الطبري (19/ 418) وتفسير ابن كثير (6/ 175).

(2) تفسير ابن كثير (6/ 177)، وتفسير ابن أبي حاتم (11/ 54) رقم (16846).

سورة النمل

[مكيّة]

وهي ثلاث وتسعون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أفاد الأستاذ: إنه اسم عزيز قصده العاصي لطلب تخفيفه فظل وزره مغفوراً، اسم كريم قصده العابد لطلب تشريفه فصار أجره موفوراً، اسم جميل أمه الولي لطلب تشريعه فظل سعيه مشكوراً، اسم عظيم تعرض الفقير لوجوده فمحقته العزَّة وطوحته السطوة فصار كأن لم يكن شيئاً مذكوراً، جلّت الأحدية فأنى بالوصول وتقدّست الصمدية فمن الذي له أهل ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ [المدَّثِّر: الآية 55].

وكم باسطين إلىَ وصلنا أكُفهم لم ينالوا نصيبا[1]

﴿طسٓ﴾ [الآية 1] بطهارة قدسي وسناء أنسي لا أخيب أمل مَن أمل لطفي. ويقال: بوجود بري يطيب قلوب أوليائي وبشهود وجهي يغيب أسرار أصفيائي. ويقال: طلب القاصدين مقابل تعطفي وسعي العاملين معامل بلطفي ﴿تِلْكَ﴾ [الآية 1] آيات هذه السورة ﴿ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [الآية 1] لما أودع فيه من الحكم والأحكام أو لصحته بإعجازه الأنام. وفي عطف إحدى الصفتين إيماء إلى أنه مقروء بألسنتنا ومكتوب بأيدينا وجامع لما يحتاج إليه في ديننا وتأخيره عن القرآن هنا باعتبار تعلق علمنا وتقديمه في الحجر باعتبار وجود اللفظ بعد شهود الخط والحظ.

(1) نسب إلى العباس بن الأحنف. انظر الشعر والشعراء (1/ 180).

﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾ [الآية 2] حالان من الآيات أي هادية ومبشرة للمصدقين ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [الآية 3] أي الذين يعملون الصالحات، وخصًّا بالذكر لأن الصلاة أم العبادات البدنية والزكاة أم الطاعات المالية، فالمراد بهم الكاملون في الأمور الدينية ﴿وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [الآية 3] فيتحملون التكاليف الشاقة لخوف لحوق العاقبة ووثوق المحاسبة.

قال بعضهم: التنبيه في إقامة الصلاة أن لا يواصلك بها ولا يفاصلك بتركها لكن اتباع الأوامر تعظيماً لأمرها./ قيل: لا يكن حظك من صلاتك 328/ب
إقامتك بها دون السرور بما أهلت لها من القربة والمناجاة بسببها.

وأفاد الأستاذ: أن هذه الآيات وهذا الكتاب الجامع للبينات بيان وشفاء ونور وضياء وذكرى وبشرى لمن خلقنا له، الإيمان على ما أكدنا له الأمان وضمنا له الإحسان الذين يديمون المواصلات ويستقيمون في إدام المباحات ويؤدون عن أموالهم وأحوالهم وسكناتهم وحركاتهم الزكوات بما يقومون في حقوق المسلمين أحسن مقام في كل باب وينوبون عن ضعفائهم أحسن مناب.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [الآية 4] القبيحة حتى رأوها حسنة بجعلها محبوبة للطبع مكروهة للشرع ﴿فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الآية 4] عنها لا يدركون ما يتبعها من ضر أو نفع لها.

وقال الأستاذ: أغشيناهم فهم لا يبصرون أعمينا عليهم المسالك فهم عن الطريقة المثلى يعدلون أولئك الذين في ضلالتهم يعمهون وفي حيرتهم يترددون.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ [الآية 5] في الدنيا وسوء الحساب في العقبى ﴿وَهُمْ فِي ٱلْأَخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾ [الآية 5] أخسر الناس في الخسارة وأنجسهم في التجارة لفوات المثوبة واستحقاق العقوبة.

قال الواسطي: من أعرض عن الله أو خالف شيئاً من أمر مولاه جعل عقوبته في دنياه بتزيين عمله في قلبه وتحسينه في مهواه حتى لا يرى المخالفة

مخالفة وفضل بالكلية عن طريق رشده وسبيل هداه فيكون إذ ذاك الهلاك والوقوع في الفتنة هنالك.

وأفاد الأستاذ: أن سوء العذاب هو أن يجد الآلام والأسقام ولا يجد التسلي برؤية المبلى في ذلك المقام ولا يحمل عنه ثقل البلاء والعذاب شهود المبلي في ذلك الباب وذلك للكفار وأهل الحجاب، فأما المؤمنون فيخفف عنهم العقاب في الآخرة حسن رجائهم بالله ثم تضرعهم إلى الله ثم فضل الله معهم بالتخفيف في حال البلاء ووقت العناء ثم ما يوقع عليهم من الغشية والإنامة كما في الخبر إلى إخراجهم من النار.

﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الآية 6] لتؤتاه أحسن الإتيان ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾
[الآية 6] أي حكيم وأي عليم وجمع بينهما في معرض البيان للإشعار بأن / علوم 329/ أ
القرآن منها ما هي حكمة وأحكام كالعقائد والشرائع ومنها علوم مجردة كالقصص والإخبار عن المغيبات والبدائع.

وقال أبو بكر ابن طاهر: إنك لتلقى القرآن من الحق حقيقة وإن كنت تأخذه في الظاهر عن جبريل بالواسطة قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الرَّحمٰن: الآيتان 1،2]. وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم.

وقال الأستاذ: أي الذي أكرمك بإنزال القرآن عليك من السماء هو الذي يحفظك عن الأسواء والأعداء وصنوف البلاء.

﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ﴾ [الآية 7] أي اذكر أسرار قصته التي هي من آثار علم الله وأنوار حكمته، والمراد بأهله زوجته وأهل بيته ﴿إِنِّىٓ ءَانَسْتُ﴾ [الآية 7] أبصرت ﴿نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا﴾ [الآية 7] من أهلها ﴿بِخَبَرٍ﴾ [الآية 7] عن حال الطريق وكان قد فعله لقلة الفريق وظلمة العميق ﴿أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾ [الآية 7] بشعلة نار مقبوسة، ونوّنه الكوفيون على أن القبس بدل منه والعدتان على سبيل غلبة الرجاء عند حصول القصص ولذا عبر عنها بصيغة الترجي في طروء القصص والترديد للإيمان إلى أنه إن لم يظفر بهما لم يعدم أخذهما ثقة بعادة ربه أنه لا يكاد يجمع حرمانين على عبده ﴿لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [الآية 7] رجاء أن يستدفئوا بها من البرد

القوي فإنهم كانوا في الليل الشتوي.

﴿فَلَمَّا جَآءَهَا﴾ [الآية 8] قارب النار موسى ﴿نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ﴾ [الآية 8] أي بورك أو بأن بورك ﴿مَن فِى ٱلنَّارِ﴾ [الآية 8] في طلبها أو في مكانها ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الآية 8] أي ومن هو حولها من الملائكة وهو البقعة المباركة في قوله تعالى: ﴿نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [القَصَص: الآية 30]، وهنا قال: ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الآية 8] تنزيلاً له عما لا يليق بذاته ولا ينبغي لصفاته وتصدير الخطاب ببورك إشارة إلى البشارة وهي أنه قد قضي له أمر عظيم يقصر عنه العبارة. وعن ابن عباس وغيره: أي قدس مَن في النار وهو الله سبحانه والنار نور والأنوار عليك ومخاطبة يعني أنه نادى موسى منها وأسمعه كلامه من جهتها.

وقال ابن عطاء: أصابتك بركة النار بوارد الأنوار عليك ومخاطبة الحق
329/ب لديك فإنك آنست في الظاهر ناراً وكانت في الحقيقة أنواراً/ فأزال عنك أنسك بها وخصّك الأنس بنورها وكلَّمك وأنبأك عند الكلام وخصصت به فيما بين الأنام.

وأفاد الأستاذ: إنه عليه السلام لما سار بأهله من مدين شعيب متوجهاً إلى مصر وطنه ودجا عليه الليل وأخذ امرأته الطلق وشدة الويل وهبت الرياح الباردة وقدح النار فلم يورد الزند بالشرارة الشاردة وضاق على موسى الأمور الواردة حيث تشتت به الهم واستولى على قلبه الشغل الأهم، فرأى ناراً من بُعد فقال لأهله: امكثوا إني أبصرت ناراً. وفي القصة أنه تشتتت أغنامه وكانت له بقور وثيران تحمل متاعه فشردت فقالت امرأته: كيف تتركنا وتمضي والوادي مسْبع، فقال: امكثوا إني لأجلكم أمضي وأتعرف أمر هذه النار لعلي آتيكم منها إما بقبس وشعلة أو بخبر عن قوم نزول عليها لنا بهم استعانة ومن جمعتهم منفعة. وكان في رأي عينه أن تلك النار التي لاحت له قريبة وكان يمشي موسى والنار تتباعد حتى قرب من النار فرأى شجرة رطبة تشتعل كلها ناراً من أولها إلى آخرها وهي نار مضيئة فجمع خشبات من

حولها وأراد أن يقتبس منها فعند ذلك سمع النداء من الله: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ [الآية 9] فكان موسى عند الشجرة فسمع النداء من الله لا من الشجرة كما توهم المخالفون من أهل البدعة وحصل الإجماع أن موسى تلك الليلة سمع كلام الله سبحانه ولو كان النداء في الشجرة لكان التكلم بذلك الشجرة ولا ينكر في الجواز أن يكون الله أسمع موسى كلامه بإسماع خلقه له وخلق كلاماً في الشجرة أيضاً، فموسى سمع كلامه القديم، وسمع كلاماً مخلوقاً في الشجرة أيضاً وهذا من طريق العقل جائز إلى يا موسى إنه الضمير للشأن أو للمتكلِّم وهو أوفق في البيان لما في طٰه والقصص ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ [القَصَص: الآية 30] فأنا خبر والله بيان له ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الآية 9] صفتان ممهدتان لما أراد أن يظهره أي القوي القادر على مراده الفاعل بمقتضى مشيئته وفق حكمته في عباده وبلاده.

وقال الأستاذ: الذي يخاطبك أنا اللهالعزيز في استحقاق جلالي الحكيم في جميع أفعالي.

330/ أ ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾ [الآية 10] أي ونودي أن ألقِ عصاك قال: فألقاها فإذا هي حية تسعى ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ﴾ [الآية 10] تتحرك وتضطرب سريعة ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ [الآية 10] حية خفيفة ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ [الآية 10] لم يرجع إلى عقبه من كمال رعبه في قلبه من جهة ربه كما أشار إليه بقوله: ﴿يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ﴾ [الآية 10] أي من غيري ثقة بي ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [الآية 10] أي لا يخافون حين يوحى إليهم من فرط استغراقهم بي ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾ [الآية 11] منهم أو من غيرهم ﴿ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ﴾ [الآية 11] صدر عنهم ﴿فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الآية 11] بهم.

قال الواسطي: إلا من ظلم برؤية النفس والالتفات إليها والإقبال عليها. وقيل: إلا من خاف غيرنا أي وغفل عن أن الأمر كله لنا.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أراه في عصاه من البرهان المبين حتى يحصل له كمال اليقين فقلبها الله حية صغيرة ثم حية كبيرة فأوجس في نفسه خيفة وولى مدبراً هارباً من الحية وكان خوفه من الله أن يسلطها عليه لما كان معلوماً لديه بأن لله أن يعذِّب من يشاء بما يشاء كيف شاء، فقال له الحق:

يا موسى لا تخف إني لا يخاف لدي المرسلون، أي لا يتبقى لهم أن يخافوا إلا من ظلم وهذا يدل على جواز الذنب على الأنبياء فيما لا يتعلق بتبليغ الرسالة بشرط عدم الإصرار على الذلة فأما من لم يجوز عليهم الخطيئة فيحمل هذا على ما قبل النبوة. فلما رأى موسى انقلاب العصا علم أن الحق هو الذي يكاشفه بالنداء.

ويقال: كيف علم موسى أن الذي سمعه كلام الله، والجواب: أنه يتعريف منه إياه فيجوز أن يكون ذلك العلم فيه ضرورياً ويجوز أن يكون كسبياً ويكون الدليل له الذي علم به صدقه في قوله إني أنا الله هو ما ظهر على يده في الوقت من المعجزة كقلب العصا وإخراج اليد البيضاء كما قال تعالى: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ [الآية 12] لأنه كان عليه مدرعة صوف لا كم له ﴿تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ [الآية 12] آفة كبرص ﴿فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ﴾ [الآية 12] في جملتها أو معها ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ﴾ [الآية 12] أي مرسلاً إليهم ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ [الآية 12] خارجين عن طاعة ربهم.

قال الأستاذ: وفي القصة أن موسى عليه السلام ذكر انشغال قلبه
بحديث أهله وما أصابه تلك الليلة من الأحوال التي أوجبت انزعاجه / 330/ب
وقصده إلى طلب النار فقال تعالى: إنَّا كفيناك ذلك الأمر ووكلنا بأماراتك وأسبابك فجمعنا أغنامك وسلمت تلك المرأة.

﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا﴾ [الآية 13] بأن جائهم موسى بها على طريق خرق العادة ﴿مُبْصِرَةً﴾ [الآية 13] بيِّنة واضحة وظاهرة لائحة أو مبصرة كل مَن نظر إليها وتأمل فيها ﴿قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الآية 13] صريح سحريته.

﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا﴾ [الآية 14] أي أنكروها وكذبوا بها ﴿وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ [الآية 14] أي والحال أنها استيقنتها ﴿ظُلْمًا﴾ [الآية 14] لأنفسهم بالعصيان والعدوان ﴿وَعُلُوًّا﴾ [الآية 14] ترفُّعاً عن الإيمان وتجاوزاً عن الكفران، ونصبها على العلة أو الحالية ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [الآية 14] وهي الإغراق في الدنيا والأحزان في العقبى.

قال الأستاذ: ولم يظهر الله سبحانه آية على رسول من أنبيائه إلا كانت في الوضوح بحيث لو وضعوا النظر فيها موضعه لوصلوا إلى حصول العلم وثلج الصدر في حقيقة الأمر، ولكنهم قصروا في بعضها بالإعراض عن النظر فيها وفي بعض عرفوها فقابلوها بجحدها وكما يحصل من الكفار الجحد يحصل من العاصين في بعض الإلمام ببعض الأنام حالة يعلم فيها بالقطع إن ما يفعله غير جائز ويتوالى على قلبه الخواطر الزاجرة للداعية له عن فعلها من غير أن يكون متغافلاً عنها أو ناسياً لها، ثم يقدم على ذلك غير محتفل موافقة لشهوته هنالك، وهذا الجنس من المعاصي أكثرها شؤوماً وأكبرها لوماً وأشدها في العقوبة وأبعدها في المغفرة.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا﴾ [الآية 15] لدينا وحكماً مباينا فقاما بشكره وعملا بأمره ﴿وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 15] ممن لم يؤت علمهما. وفيه تنبيه على فضل العلم وشرف أهله وتحريض للعالم على أن يحمد الله على ما آتاه من فضله ويعتقد أنه وإن فضل على كثير فقد فضل عليه كثير من مثله، وإيماء إلى أن العلم في الحال والمآل خير من الملك والمال ولذا لم يدخلاها في غير مقال الحمد للملك المتعال.

قال ابن عطاء: أي علماً بربه وعلماً بنفسه فأثبت لهم علمهم بالله علم أنفسهم وألبسناهم على أنفسهم حقيقة العلم بالله ولذا/ قال علي رضي الله 331/ أ
عنه: «من عرف نفسه فقد عرف ربه»[1].

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ [الآية 16] أي النبوة أو المعرفة الخاصة أو الملك والحكومة بأن قام مقام أبيه دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر.

قال جنيد: أعلمناهما بسم الله الرحمٰن الرحيم فورث سليمان ذلك من أبيه داوود فكتبه وصدر كتبه فلذلك قالت: ﴿إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ﴾ [الآية 29] إنه افتتح ببسم الله الرحمٰن الرحيم، ولم تر قبله مفتتحاً بهذه الفاتحة أي التي هي

(1) المصنوع في معرفة الحديث الموضوع (1/ 189) رقم (349)، والمقاصد الحسنة (1/ 657) رقم (1149)، وكشف الخفا (2/ 262) رقم (2532).

كثيرة الفاتحة ﴿وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ﴾ [الآية 16] من أنواع البر وأصناف الخير. قاله تحدُّثاً بنعمة الله واشتهاراً لا تكبُّراً وافتخاراً ودعا للناس على وجه الاستئناس إلى التصديق بذكر المعجزة التي هي علم منطق الطير وغير ذلك من عظائم ما أوتيه من الخير ومن ذلك ما حكي أنه مر ببلبل يصوت ويترقص فقال: يقول إذا أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء وصاحت فاختة فقال: تقول ليت الخلق لم يخلقوا، والصواب أن العلم بمنطق الطير على حقيقة المقال دون ما يفهم من قرينة الحال كما توهم من قال: لعل كان صوت البلبل عن الشبع وفراغ البال وصياح الفاختة عن مقاساة شدة الحال وتألم القلب والبال، فإنه حينئذ لم يكن خرق عادة بل مجرد فراسة ناشئة عن كياسة مع أن مثل هذه المقالة لم تتصور في قضية النمل والهدهد.

هذا وقد قال أبو عثمان المغربي: مَن صدق مع الله في أحواله فهم عنه كل شيء وفهم عن كل شيء ما صدر من مقاله فيكون له في أصوات الطيور وصرير الأبواب علماً يعلمه ويتنبأ في جميع الفصول والأبواب. ولعل هذا أحد معاني فصل الخطاب والله أعلم بالصواب.

وأفاد الأستاذ: أن في قوله علمناه منطق الطير دلالة على معجزته فأظهرها لقومه وأمته ليعلموا بها صدق إخباره عن نبوته ومن كان صاحب بصيرة وحضور قلب بالله يشهد الأشياء كلها بالله ومن الله فيكون مكاشفاً بها من حيث التفهيم لها فكأنه سمع من كل شيء. وتعريفات الحق سبحانه للعبد كل شيء من كل شيء لا نهاية له وذلك موجود/ فيهم ومحكي عنهم، وكما 331/ب
أن ضرب الطبل مثلاً دليل تعرفون بالمواصفة بسماعه وقت الرحيل والنزول فالحق يخص أهل الحضور بفنون التعريفات من سماع الأصوات وشهود أحوال المرئيات في اختلافها من الحالات، كما قيل:

إذا المرء كانت له فكرة ففي كل شيء له عبرة[1]

(1) ربما يكون لأبي فراس. انظر المدهش (1/ 231).

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ [الآية 16] ما ذكر من العلم والمعرفة والنبوة والمعجزة ﴿لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الآية 16] الذي لا يخفى على أهل الخبرة أن ليس فوقه منقبة ﴿وَحُشِرَ﴾ [الآية 17] أي جمع ﴿لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ﴾ [الآية 17] ولعل ذكر الإنس في الوسط إشعار بأنه من أهل الإنس ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [الآية 17] يحسبون يكفّ أولهم ليتلاحق آخرهم.

وقال الأستاذ: سخّر الله لسليمان عليه السلام الجن والطير فكان الجن مكلفين والطير له كانت مسخرة لأنه كان عليها شريعة محررة ولذا الحيوانات التي كانت في وقت حتى النمل والهدهد وغيره كان يعرف سليمان خطابهم وكان ينفذ عليهم حكمه في بابهم.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ﴾ [الآية 18] أي مروا على واد بالشام كثير النمل وأرادوا أن ينزلوا في ذلك المحل ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ﴾ [الآية 18] نهي لهم عن الحطم بحسب الظاهر، والمراد نهيها عن التوقف في مكانها بحيث يحطمونها كقولهم: لا رأيتك ها هنا، فهو استئناف أو بدل من الأمر لا جواب له على أن تكون لا نافية فإن النون لا تدخله في السعة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الآية 18] إنهم يحطمونكم إذ لو شعروا لم يعقلوا وكأنها شعرت عصمة الأنبياء من الظلم والإيذاء مباشرة وتسبيباً للأشياء.

قال جنيد: قال سليمان لعظيمة النمل: لم قلت ادخلوا مساكنكم أخفت عليهم ظلماً، قالت: لا ولكن خشيت أن يفتتنوا بما يروا من ملكك فيشغلهم عن طاعة ربهم ذلك.

وقال الأستاذ: قيل إن سليمان استحضر أمير النمل الذي قال لقومه ادخلوا مساكنكم فقال له: أما علمت أني معصوم وإني لا أمكّن عسكري أن يطؤوكم أو يؤذوكم، فكان يجوز له أن يقول لم أعلم ذلك لأنه ليس بواجب أن يكون النمل عالماً بعصمة سليمان، ولو قال قلت: لعلكم أبيح لكم وطؤنا، لكان هذا أيضاً/ جائزاً ها هنا. وقيل: إن ذلك النمل قال لسليمان: إني 332/ أ
أحمل قومي على الزهد في الدنيا فأمرتهم بدخول مساكنهم لئلا يتشوش عليهم

زهدهم في الدنيا ورغبتهم إلى المولى. ولئن صح هذا ففيه دليل على وجوب سياسة الكبار لما هو من رعيتهم من الصغار. وفي الآية دلالة على حسن الاحتراز مما يخشى وقوعه وإن ذلك مما تقتضيه عادة النفس وما فطروا عليه من التمييز. ويقال: إن ذلك النمل قال لسليمان: ما الذي أعطاك الله من الكرامة، فقال: سخّر لي الريح، فقال: أما علمت أنا، الإشارة فيه أنه ليس بيدك مما أعطيت إلا الريح وقد بيّنه الكبير على لسان الصغير.

﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾ [الآية 19] تعجباً من حذرها وتحذيرها واهتداء بها إلى مصالح تدبيرها أو سروراً مما خصه الله من إدراك كلامها وفهم مرامها ولذا سأل توفيق شكره ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ﴾ [الآية 19] ألهمني ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾ [الآية 19] لدي ﴿الَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ﴾ [الآية 19] أدرج فيه ذكر والديه تكثيراً للنعمة فإن النعمة عليهما نعمة له كما أن النعمة عليه يرجع نفعها إلى والديه لا سيما النعمة الدينية والمنح الأخروية ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾ [الآية 19] استدامة للنعمة واستزادة للرحمة ﴿وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الآية 19] في عمارة الجنة.

قال ابن عطاء: حببني إلى عبادك الصالحين أي من الأنبياء والمرسلين وسائر المؤمنين.

وأفاد الأستاذ: إنه سؤال لحسن العاقبة لأن الصالح من عباده مَن هو محتوم له بالسعادة ثم التبسم من الملوك ببدر لمراعاتهم حكم السياسة وذلك يدل على رضاهم واستحسانهم لما منه يحصل التقسيم، ولقد استحسن سليمان من كبير النمل حسن سياسته لمراعاة رعيته. وفي القصة إنه استعرضه جنده ليراهم كم هم فعرضهم عليه وكانوا يأتون فوجاً فوجاً حتى مضى شهر وسليمان واقف ينظر إليهم معتبراً فلم ينتهوا فمر سليمان عليه السلام. وفي قوله: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ﴾ [الآية 19] إلخ دليل على أن نظره إليهم كان نظر اعتبار وأنه رأى تعريف الله إياه ذلك وتنبيهه عليه من جملة نعمه يجب له الشكر عليها. وفي

332/ب قوله: ﴿وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ﴾ [الآية 19] دليل على / أن شكر الشاكرين لله لا يختص بما

أنعم عليه على الخصوص من نفسه بل يجب على العبد أن يشكر الله على ما خصَّ وعمَّ من نِعمه.

﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ﴾ [الآية 20] تمامها فلم يجد الهدهد فيها ﴿فَقَالَ مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾ [الآية 20] أم منقطعة كأنه لما لم يره ظن أنه حاضر في مكانه ولا يراه لمانع من ساتر أو غيره فقال: ما لي لا أراه ثم احتاط في أمره فلاح له أنه غائب عن نظره فأضرب عن قوله وقال: هو غائب عن محله، كأنه يسأل عن صحة ما لاح له عن غيره.

﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ [الآية 21] كنتف ريشه وإلقائه وإبقائه في الشمس أو جعله مع ضده في قفص الحبس ﴿أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ﴾ [الآية 21] لتعتبر به أبناء الجنس ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّى﴾ [الآية 21] وقرأ ابن كثير أو ليأتينني ﴿بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ [الآية 21] ببرهان يبين أمره ويظهر عذره.

قال جنيد: لأفرقن بينه وبين إلفه.

وقال أبو علي الروذباري: أضيق الشجون في البلاء معاشرة الأضداد. وقيل: لأبعدنه عن مجالس الذاكرين من الزهاد والعباد.

وقال الأستاذ: وتفقد الطير أي تطلبه فلما لم يره في مرتبته تعرف ما سبب تأخره وغيبته ودل ذلك على تيقظ سليمان عليه السلام في مملكته وحسن قيامه وتكفله بأمور أمته ورعيته حيث لم يخف عليه غيبة طير هو من أصغر الطيور ساعة واحدة من حضرته ثم تهدده إن لم يكن له عذر بعذاب شديد وذلك دليل كمال سياسته ثم خفَّف عنه ذلك إن كان له عذر ودل ذلك على عدله في مملكته وقال قوم: إنما عرف غيبته لأن الهدهد يعرف عمق الماء بإلهام خُصَّ به من ربّ السماء وأن سليمان نزل منزلاً لم يكن ماءً هنالك فطلب الهدهد ليهديهم إلى ذلك ولعله كان مخصوصاً بزيادة المعرفة أو رئيساً لتلك الطائفة المعروفة. وروى ابن عباس رضي الله عنهما: سئل عن هذا وقيل إن هذا الهدهد يرى لما تحت التراب ويعرف فكيف لا يرى الفخ

مخفياً تحت التراب ولم يجرف[1]، فقال: إذا جاء القضاء ضاق الفضاء وإذا جاء القدر عمي البصر. ويقال: إن الطير كانت تقف فوق رأس سليمان مصطفة وكانت تستر انبساط الشمس وشعاعها بأجنحتها ملتفة فنظر سليمان فرأى موضع الهدهد خالياً منه فعرف بذلك غيبته عنه، وهذا أيضاً/ يدل على كمال تفقده وتمام تيقظه وتعهده. ثم في الآية دلالة على أن العقوبة على قدر الجريمة ولا عبرة بصغر الجثة وكبر الهيبة وفيه دليل على أن الطير في زمانه كانت في جملة أهل التكليف وبرهانه ولا يبعد أن يكون عليها شرع وأحكام ولهم من الله إلهام وإعلام. ويقال: من العذاب الشديد إلزامه خدمة أقرانه وهو أن يمنع حلاوة الخدمة فيجد ألم المشقة أو هو أن يقطع عنه حسن التولي لشأنه فيوكل إلى حوله ونفسه أو يمتحن بالحرص في طلبه ثم يحال بينه وبين مطلوبه من العذاب الشديد الطمع في لئيم القدر ثم لا يرتفع الأمر، ومن ذلك سلب القناعة وفقد حلاوة الطاعة، ومنه عدم الرضا بما يجري من القضاء، ومن ذلك توهم الحدثان وحسبانه من الخلق في ظهور الشأن، ومن ذلك الحاجة إلى الأنسة، ومن ذلك ذل السؤال مع الغفلة عن شهود التقدير في الحال والمآل، ومن ذلك الابتلاء بمباشرة الأضداد في البلاد، ومن ذلك ضعف اليقين وقلة الصبر في الدين، ومنه حسبان الباطل بصفة الحق والتباس الحق في صورة الباطل، ومنه أن يطالب بما لا يتسع له ذات يده في ذلك المطلب، ومنه الفقر في القربة كذا ذكره الأستاذ خلطاً بين أنواع العذاب الشديد مما لا يتحقق إلا من الله ومما يتصور من بعض العبيد.

333/ أ

﴿فَمَكَثَ﴾ [الآية 22] وقرأ ابن عاصم بفتح الكاف أي فلبث ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [الآية 22] أي زماناً غير مديد من وقت التهديد، يريد به سرعة الدلالة على رجوعه خوفاً من حكم سليمان وأمره ﴿فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾ [الآية 22] يعني حال صباه وبنائه كما بيَّنه بقوله: ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ [الآية 22] وفي مخاطبته إياه إيماء إلى أن في أدنى خلق الله من أحاط علماً بما لم يحط به ليتحاقر نفسه

(1) تفسير ابن أبي حاتم (11/ 91) رقم (16973)، والدر المنثور (6/ 349).

إليه ويتصاغر علمه لديه. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو سبأَ غير مصروف على تأويل القبيلة أو البلدة. روي أنه عليه السلام لما تمَّ له بناء بيت المقدس تجهز للحج فوافى الحرم وأقام به ما شاء الله ثم توجه إلى اليمن فخرج من مكة صباحاً فوافى في صفا ظهيرة فأعجبه نزاهة أرضها فنزل بها ثم لم يجد الماء فيها وكان الهدهد رآه لأنه يحسن طلب الماء فتفقده لذلك فلم يجده هنالك إذ حلّق حين نزل
سليمان عليه السلام فرأى هدهداً واقفاً/ في ذلك المقام فانحط إليه لتمام المرام 333/ ب
فتواصفا فطار معه لينظر ما وصف له ثم رجع وحكى ما حكى. وفي عجائب قدرة الله ومراده وما خصّ به خواص عباده أشياء أعظم مما خص به هذا النبي المكرم يستكبرها من يعرفها ويستنكرها من ينكرها.

﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً﴾ [الآية 23] يعني بلقيس وهي بالكسر ملكة سبأ ﴿تَمْلِكُهُمْ﴾ [الآية 23] أي سبأ إن أريد به القبيلة أو أهلها إن أريد به البلدة ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الآية 23] تحتاج الملك في الملك القويم ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [الآية 23] أي بالنسبة إلى عروش أمثالها أو بالنسبة إليها لا إلى سليمان لعدم المناسبة بينه وبينها. قيل: كان ثمانين ذراعاً في ثمانين عرضاً وسمكاً من ذهب وفضة وبالجواهر مكللة.

﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 24] لأنهم كانوا يعبدونها ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [الآية 24] أي عبادة الشمس وغيرها من قبائح أفعالهم ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الآية 24] سبيل الحق ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [الآية 24] إلى طريق الصدق.

﴿أَلَّا يَسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي﴾ [الآية 25] أي قصدهم لئلا يسجدوا أو زين لهم أن لا يسجدوا على أنه بدل بعض من أعمالهم. وقيل: لا زائدة والمعنى لا يهتدون إلى أن يسجدوا. وقرأ الكسائي: ألا يا اسجدوا بتخفيف اللام على أن لا للتنبيه ويا للنداء ومناداه محذوف أي ألا يا قوم اسجدوا، فعلى هذا صح أن يكون استئنافاً من الله والوقف على يهتدون وأن يكون أمراً بالسجود. وعلى قراءة التشديد وما على تركه وعلى الوجهين يقتضي وجوب السجدة إما عند قراءتها أو

في الجملة ﴿يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 25] أي يظهر ما خفي على غيره من إشراق الكواكب وإنزال الأمطار وإنبات النبات وإيجاد الكائنات من العدم إلى الوجود ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [الآية 25] وقرأ حفص والكسائي بالخطاب فيهما.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ (٢٦)﴾ [الآية 26] الذي هو أول الأجرام وأعظمها والمحيط بجملتها، فبين العظيمين بون عظيم.

﴿قَالَ سَنَنظُرُ﴾ [الآية 27] أي سنعرف أو سنبصر ﴿أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [الآية 27] أي أم كذبت، ولعل التغيير في التغيير للمبالغة أو لمحافظة الفاصلة.

قال الأستاذ: وفي ذلك دلالة على أن خبر الواحد لا يوجب العلم
فيجب التوقف فيه على حد/ التجويز. وفيه دلالة على أنه لا يطرح بل يجب 334/ أ
أن يتعرف هل هو صدق أم كذب. ولما عرف سليمان هذا العذر عذر الهدهد فترك ما توعد به من عقوبته فكذا سبيل الوالي يجب أن يمنعه عدله من الحيف على رعيته ويقبل عذر من وجده في صورة المجرمين إذا صدق في معذرته.

﴿ٱذْهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ﴾ [الآية 28] تنح ﴿عَنْهُمْ﴾ [الآية 28] إلى مكان قريب منهم ﴿فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ [الآية 28] يردون من الجواب بعد قراءة الكتاب.

وأفاد الأستاذ: أن في الآية إشارة إلى أنه لا ينبغي للإنسان أن يذكر بين يدي الملوك كل كلمة فإنه يجر العناء بذلك إلى نفسه، وقد كان لسليمان كثير من الحشم والخدم فلم يستعمل واحداً في هذا التكليف إلا الهدهد ليخرج من عهدة ما قال. ويقال: لما صدق فيما أخبر وبذل النصح لملكه عوَّض عليه حتى أُهِّل للرسالة والسفارة على ضعف صورته وحقارة هيبته فمضى الهدهد وألقى إليها الكتاب وتنحى إلى جانب ينظر ماذا يُجاب.

﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّيٓ أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ (٢٩)﴾ [الآية 29] لكرم مضمونه وبرهانه أو لشرف مرسله، فإنها كانت عالمة بعظمة سليمان وسلطانه وقد قيل كرَّم

الكتاب عنوانه أو لأنه كان مختوماً وفي الحديث كرم الكتاب ختمه.

وأفاد الأستاذ: أنه قيل لأن الرسول كان طيراً فعلمت أن من يكون الطير مسخرة له عظيم شأنه ويقال لأنه لم يكن في الكتاب ذكر الطمع في الملك وما يتعلق بهواه بل كان الدعاء إلى الله ويقال: أخذ الكتاب بمجامع قلبها وفندها فلم يكن جواب لها غير أن تقول: إني ألقي إليّ كتاب كريم، ولما عرفت قدر الكتاب وصلت باحترامها إلى بقاء ملكها ورزقت الإسلام وصحبة سليمان عليه السلام. وقيل: لأنه كتب اسم نفسه أولاً. وقيل: لأنه كان فيه البسملة مسطراً كما يشير إليه قوله: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ﴾ [الآية 30] أي إن الكتاب أو العنوان ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ [الآية 30] أي المكتوب أو المضمون ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣٠ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ﴾ [الآيتان 30،31] أي لا تتكبروا لدي أو بأن لا تعلوا عليَّ معاندين ﴿وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ﴾ [الآية 31] مؤمنين أو منقادين، وهذا كلام في غاية الوجازة مع كمال الدلالة على المقصود في بيان الإفادة لاشتماله على/ البسملة 334/ ب الدالة على ذات الصانع وصفاته الكاملة الشاملة والنهي عن الترفع الذي هو أم الرذائل والأمر بالإسلام الجامع للفضائل وليس الأمر فيه بالانقياد قبل إقامة الحجة على الرسالة، فإن إلقاء الكتاب إليها على تلك الحالة من أعظم الدلالة.

قال ابن طاهر: لما قال الله تعالى للقلم اكتب قال: ما أكتب، قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة، فكتب بسم الله الرحمٰن الرحيم أي بك ظهرت جميع الأشياء لا بغيرك، فلما رأت بلقيس كتابه مفتتحاً بما افتتح به اللوح المحفوظ قالت: ﴿أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ﴾ [الآية 29].

﴿قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي﴾ [الآية 32] أجيبوني في الأمر الحادث واذكروا لي ما تستصوبون ﴿مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ﴾ [الآية 32] تحضرون وتستأمرون، استعطفتهم بهذه الملائمة ليمالئوها إلى الإجابة.

﴿قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ﴾ [الآية 33] عدداً وعدداً إذ روي أن الملأ كانوا ثلاثمائة واثني عشر أميراً مع كل منهم عشرة آلاف ﴿وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ﴾ [الآية 33] أصحاب شجاعة وخدعة ومكيدة ﴿وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ﴾ [الآية 33] موكول في أمور المملكة

﴿فَٱنظُرِي﴾ [الآية 33] أي تفكري ﴿مَاذَا تَأۡمُرِينَ﴾ [الآية 33] من المصالحة والمقاتلة نطع أمرك ونتبع رأيك.

قال الأستاذ: أجابوا على شرط الأدب قالوا: ليس منا إلا بذل الوسع وما بنا إلا إظهار النصح ولا علينا إلا متابعة الأمر وتمشية الأمر وإمضاؤه إليك.

﴿قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً﴾ [الآية 34] أي قهراً وعنوة ﴿أَفۡسَدُوهَا﴾ [الآية 34] أخرجوها من حيز العمارة ﴿وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۚ﴾ [الآية 34] بنهب أموالهم وتخريب ديارهم وتضييع أحوالهم من الإهانة والأسر في أهاليهم ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ﴾ [الآية 34] تأكيد لما وصفت من بيان شأنهم وتقرير بأن ذلك من عاداتهم المستقرة المستمرة في أزمانهم وذلك لأنها كانت ناشئة في بيت الملك فرأت ذلك وسمعت ما هنالك فذكرت لهم عاقبة الحرب ومغبتها فإنها سجال لا تدرى عاقبتها. وأشارت إلى أن الصلح خير إن تيسر في قضيتها كما صرحت بقولها.

﴿وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٖ﴾ [الآية 35] أي رسلاً بها ﴿فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ
335/ أ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ [الآية 35] فمنتظرة بأي شيء يرجعون من عنده من/ صلح أو غيره حتى أعمل بحسبه. نقل محيي السنَّة عن ابن عباس وغيره إنها قالت: إن قبل الهدية فهو ملك نحاربه وإن لم يقبل فهو نبي نتبعه[1].

هذا وقال الأستاذ وفي معنى أفسدوها قيل عطلوها عن أكابرها وأربابها وأزالوا عنها ما تعودوا أصحابها من سيرهم وسنهم فيها، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ﴾ [الآية 34] تصديقاً لها، ويقال تغيير الملوك إذا دخلوا قرية عن صفتها معلوم عند أهلها إلا أنه ينظر في داخلها فإن كان عادلاً أزال سنة الجور وأثبت سنَّة العدل وإن كان جائراً أزال الحق وأثبت الباطل فخراب البلاد بسوء

(1) تفسير القرطبي (13/ 202).

الولاة من العباد فتستولي أسافل الناس وأراذلهم على الأعزة وأكابرهم وأعاليهم كما قيل:

يا دولة ليس فيها من المعالي شظية
زولي فما أنت إلا على الكرام بلية[1]

بعمارة الدنيا بولاة الرشد والهدي يكسرون رقاب الغاغة والجهلة ويخلصون الكرام من أسرار قلة فيأخذ القوس بأزلها وتطلع شموس العدل من برج شرفها وأعاليها كذلك المعرفة والخصال الحميدة إذا باشرت قلب عبد أخرجت عنه الشهوات والمنى وسفساف الأخلاق الناشئة من الهوى كالحسد والفخر والشح وصغر الهمة وغير ذلك من الأوصاف الذميمة وتثبت بدلها من الأحوال العلية والأوصاف الرضية ما به نظام العبد وتمام سعادته وأبطل منه نضارته فتخرب أوطان الحقائق وتداعت مساكن الأوطان الحميدة للأفول والزوال فعند ذلك تراكمت المحن وعظم الوبال والنكال. وقد جاءت في القصة إنها بعثت إلى سليمان بهدايا وفي جملتها لبنة مصوغة من فضة وأخرى من الذهب وإن الله سبحانه أخبر سليمان بما آتاه وأوحى إليه في معناه وأمر سليمان الشياطين حتى يبنوا إيواناً بساحة منزله ميداناً وفرشوه بهيئة اللبن المصوغ من الذهب والفضة من أوله إلى آخره وأمر بأن توقف عليها الدواب وأن لا ينظف من آثارها من أوراثها وغيرها وكانت اللبنتان معهم ملفوفتين في حرير وأمر حتى ترك موضع لبنتين خالياً من الميدان مما كان على طريقهم فلما وقعت أبصار الرسل على ذلك صغر في عينهم ما كان معهم هنالك وخجلوا من تقديمها إلى سليمان فوقعوا في الفكرة كيف يتخلصون/ مما 335/ ب
معهم، فلما رأوا موضع اللبنتين فارغين ظنوا أنهم سرق ذلك من بينهما فقالوا: لو حضرنا هذا نسبنا إلى أنا سرقناهما من هذا الموضع فطرحوهما في الموضع

---

(1) نسب إلى أبي سهل المعقلي الطوسي. انظر يتيمة الدهر (2/ 99)، وقرى الضيف (4/ 405).

الخالي ودخلوا على سليمان عليه السلام. وروي أنها بعثت منذر ابن عمرو في وفد وأرسلت معهم غلماناً على زي الجواري وجواري على زي الغلمان وخفاء فيه درعة وجرعة معوجة الشعب وقالت: إن كان نبياً ميز بين الغلمان والجواري وثقب الدرة ثقباً مستوياً وسلك في الخرزة خيطاً فلما وصلوا إلى معسكره ورأوا عظمة شأنه وقدره تقاصرت إليهم نفوسهم وما في أيديهم من تقاييسهم فلما وقفوا بين يديه وقد سبقهم جبريل وأعلمه بالحال الذي هم عليه وأخبر بما يظهرون إليه، فأمر الأرضة فأخذت شعرة ونفذت في الدرة وأمر دودة بيضاء فأخذت الخيط ونفذت في الجذعة ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله في الأخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما يأخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدهد إليهم كما أخبر بقوله:

﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ﴾ [الآية 36] أي وصله من أُرسِل إليه أو ما أهديت لديه ﴿قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾ [الآية 36] والخطاب للرسول والمرسل تغليباً. وقرأ حمزة بالإدغام ونافع وأبو عمرو بإثبات الياء وصلاً، وابن كثير وحمزة بإثباتها مطلقاً ﴿فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ﴾ [الآية 36] من النبوة والملك والمال الذي لا مزيد عليه ﴿خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم﴾ [الآية 36] فلا حاجة لي إلى هديتكم ولا وقع لها عندي في تعلية مرتبتكم ﴿بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ﴾ [الآية 36] بما يهدى إليكم ﴿تَفْرَحُونَ﴾ [الآية 36] حباً لزيادة أموالكم أو بما تعدونه افتخاراً على أمثالكم لأنكم لا تعلمون إلا ظاهراً من الحياة الدنيا وتغفلون عن أمور العقبى.

قال جعفر الصادق: الدنيا أصغر عند الله وعند أنبيائه وأوليائه من أن يفرحوا بها ويحزنوا عليها.

﴿ٱرْجِعْ﴾ [الآية 37] أيها الرسول ﴿إِلَيْهِمْ﴾ [الآية 37] إلى بلقيس وقومها ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا﴾ [الآية 37] لا طاقة لهم بمقاومتها ولا قدرة على مقابلتها ﴿وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ﴾ [الآية 37] من سبأ ﴿أَذِلَّةً﴾ [الآية 37] بذهاب ما كانوا فيه من المعزة ﴿وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [الآية 37] أسرى مهانون.

قال الأستاذ: فلما رجعوا إلى بلقيس وأخبروها بما شاهدوا وسمعوا من

336/أ الإعلام/ والأعلام علمت أنه لا وجه لها سوى الاستسلام أو الإسلام[1]، فعزمت إلى المسير إلى خدمته عليه السلام. فلما أوحى الله إلى سليمان بأنها عزمت مستسلمة أو خرجت مسلمة ﴿قَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾ [الآية 38] أراد بذلك أن يريها بعض ما خصَّه الله به من المعجزة الدالة على عظيم القدرة وصدقه في دعوى النبوة ويختبر عقلها بأن ينكر عرشها فينظر أتعرفه أم تنكره.

﴿قَالَ عِفْرِيتٌ﴾ [الآية 38] خبيث مارد من الجن ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ [الآية 39] أي مجلسك للحكومة وكان مجلسه إلى الظهيرة ﴿وَإِنِّى عَلَيْهِ﴾ [الآية 39] على حمله ﴿لَقَوِىٌّ أَمِينٌ﴾ [الآية 39] على تقطيع شيء منه وتبديله.

﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ [الآية 40] آصف بن برخيا وزيره أو الخضر نصيره وجبريل أو قيل ملك أيده الله به. والمراد بالكتاب جنس الكتب المنزلة أو اللوح أو الاسم الأعظم الذي إذا دعا به أجاب ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [الآية 40] أي نظرك ومنه قول القائل:

وكنت إذا أرسلت طرفك رائداً   لقلبك يوماً أتعبتك المناظر
رأيت الذي لا كله أنت قادر عليه   ولا عن بعضه أنت صابر[2]

والمعنى إنك ترسل طرفك نحو شيء فقبل أن ترده إليك أحضر عرشها بين يديك، وهذا غاية السرعة العرفية وآتيك في الموضعين صالح للفعلية والاسمية والمقصود إظهار الكرامة بخرق العادة الدالة على صدق النبوة ودعوى الرسالة حيث كان مسيره شهرين تلك المسافة ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ﴾ [الآية 40] أي العرش ﴿مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ﴾ [الآية 40] ثابتاً لديه حاضراً بين يديه ﴿قَالَ﴾ [الآية 40] تلقياً للأنعام بالشكر عليه ﴿هَـٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى﴾ [الآية 40] تفضلاً عليّ من غير استحقاق بي ﴿لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ﴾ [الآية 40] بأن أراه فضلاً منه بلا حول وقوة مني وأقوم بحق نعمته ﴿أَمْ أَكْفُرُ﴾ [الآية 40] بأن أجد في البين نفسي وأقصر في أداء

(1) في المخطوطة: الإسلام.
(2) نسب إلى جارية. انظر بهجة المجالس (1/ 177)، ومحاضرات الأدباء (1/ 373).

طاعته ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ [الآية 40] لأنه به مستجلب لها دوام النعمة وتمامها ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ﴾ [الآية 40] عن شكره وشكر غيره ﴿كَرِيمٌ﴾ [الآية 40] لا يمنع إنعامه عنه بكفره.

وأفاد الأستاذ: إنه لم يرغب سليمان عليه السلام في قول العفريت لأنه بنى القول فيه على دعوى الحول والقوة وكان آصف صاحب كرامات
336/ ب وكرامات الأولياء ملتحقة بمعجزات الأنبياء إذ/ لو لم يكن النبي صادقاً في دعوته لم تكن الكرامة تظهر على من يصدقه ويكون من جملة أمته ومن المعلوم إنه ليس في وسع البشر من القدرة والقوة قطع المسافة البعيدة في لحظة ولا يصح تقديره في الجواز إلا بأحد وجهين: إما بأن يعدم الله المسافة بين عرشها وبين منزل سليمان وإما بأن يعدم الله ذلك العرش ثم يعيده بحضرة سليمان في ذلك الزمان. ثم حقيقة الشكر على لسان العلماء هو الاعتراف بنعمة المنعم على جهة الخضوع الدائم والأحسن أن يقال الشكر هو الثناء على المحسن بذكر إحسانه فيدخل في هذا شكر الله من العبد لأنه ثناء منه على العبد بذكر إحسان العبد وشكر العبد من الله لأنه ثناء على الله بذكر إحسانه، إلا أن إحسان الحق هو إنعامه وأثر رحمته وإحسان العبد قيامه بطاعة الله وخدمته وما هو الحميد من صفته. فأما على طريق أهل المعاملة وبيان الإشارة فالتفكر صرف النعمة على وجه الخدمة. ويقال: الشكر أن لا يستعين بنعمته على معصيته. ويقال: الشكر شهود المنعم من غير المساكنة إلى النعمة. ويقال: الشكر على قسمين شكر العوام على شهود المزيد قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: الآية 7] وشكر الخواص ما يكون مجرداً عن العرض وطلب العوض. ويقال: حقيقة الشكر قيد النعم وارتباطها لأن بالشكر بقاؤها ودوامها.

﴿قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا﴾ [الآية 41] بتغيير بعض هيئته عن حالته ﴿نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ﴾ [الآية 41] إلى معرفته ﴿أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [الآية 41] إلى حقيقته أو إلى جواب مسألته.

وأفاد الأستاذ: أنه جعل أعلاه أسفله وأسفله أعلاه لأنه أراد أن

يمتحنها ويختبر عقلها.

﴿فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِۖ﴾ [الآية 42] تشبيهاً عليها زيادة في امتحان ما لديها ﴿قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ﴾ [الآية 42] لم تقل لا ولا بلى ولا هو هو لاحتمال أن يكون مثله إذ قد خلفته مغلقة عليه الأبواب موكلة عليه الحراس والحجَّاب، وهذا من كمال فهمها في العبارة والإشارة في فصل الخطاب. ولما تبيَّن لها أنه هو وأنه أظهره سليمان معجزة له وغيره لاختبار عقلها قالت: ﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ﴾ [الآية 42]
337/ أ بكمال قدرة الله وصحة نبوَّتك/ ﴿مِن قَبْلِهَا﴾ [الآية 42] قبل هذه الحالة وهذه الكرامة بما سبق من ظهور المعجزة ﴿وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ [الآية 42] منقادين لله بالوحدة ولسليمان بالنبوة.

ثم أخبر الله سبحانه عن حالها المتقدمة بقوله: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ﴾ [الآية 43] أي ومنعها عبادتها الشمس عن طاعة مولاها، أو صدها الله عن عبادتها بتوفيق الإيمان لها ﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾ [الآية 43] استئناف فيه معنى التعليل ولذا قوي بالفتح. والمعنى إن سبب صدها عن عبادة ربها تشوهاً بين كفر بخالقها وإلا فمقتضى عقلها وفطرتها أن لا تعرض عن طاعة مولاها.

﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَۖ﴾ [الآية 44] أي القصر وكان بنى صحنه من زجاج أبيض في غاية من الصفاء وأجري من تحته الماء وألقي فيه حيوانات البحر ووضع سريره في الصدر فجلس عليه العظيم القدر ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾ [الآية 44] أي فلما أبصرته ظنته ماء راكداً إليها فشمرت ﴿وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَاۚ﴾ [الآية 44] فرأى سليمان حسن رجليها وكان وصف لسليمان إنها جنية الأنساب ورجلاها كحافر الدواب ﴿قَالَ إِنَّهُۥ﴾ [الآية 44] أي ما تظنينه ماء ﴿صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ﴾ [الآية 44] مملس ﴿مِّن قَوَارِيرَۗ﴾ [الآية 44] من الزجاج ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى﴾ [الآية 44] بعبادتي الشمس ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الآية 44] فيما أمر به عباده المسلمين، والمشهور إنه تزوجها سليمان، وقيل زوجها من ذي تبع ملك همدان.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [الآية 45] بأن اعبدوه

ووحدوه وأطيعوه ﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ [الآية 45] أي ففاجؤوا التفرق والاختصام فآمن فريق وكفر فريق والواو لمجموع الفريقين واختصاصهم قد سبق في سورة الأعراف في قوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ﴾ [الأعراف: الآية 75] الآية.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ [الآية 46] بالعقوبة فتقولون ائتنا بما تعدنا على ما مر في الأعراف ﴿قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ [الآية 46] قبل التوبة فتؤخرونها إلى نزول العقوبة ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ﴾ [الآية 46] قبل حلولها ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الآية 46] بقبولها.

﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا﴾ [الآية 47] أصله تطيرنا أي تشاءمنا ﴿بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾ [الآية 47] ممن آمن بك وتبعك لأن من ابتداء إنشاء هذا الإنباء تتابعت علينا شدائد البلاء ووقع/ بيننا افتراق الأبناء والآباء ﴿قَالَ طَائِرُكُمْ﴾ [الآية 47] سببكم الذي جاء منه 337/ب
شركم ﴿عِندَ اللَّهِ﴾ [الآية 47] وهو ما قدره من القضاء أو عملكم المكتوب عنده في اللوح المحفوظ في السماء ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ [الآية 47] تمتحنون بتعاقب السراء والضراء.

﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾ [الآية 48] تسعة رجال وإنما وقع تمييز التسعة باعتبار المعنى والفرق بينه وبين النفرين من الثلاثة أو السبعة إلى العشرة، والنفر من الثلاثة إلى التسعة، والغاية فيها غير خارجة ﴿يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [الآية 48] لا يتداركون بإصلاح البلاد بعد الإفساد.

﴿قَالُوا﴾ [الآية 49] أي بعضهم لبعض ﴿تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ﴾ [الآية 49] مقول أو خبر وقع بدل أو حالاً ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾ [الآية 49] لنباغتن صالحاً وأهل بيته ليلاً في إهلاكهم ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ﴾ [الآية 49] لولي دمه. وقرأ حمزة والكسائي بالتاء الفوقية المضمومة بعد اللام فيهما وبضم الحرف الرابع منهما على خطاب بعضهم لبعض ﴿مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ﴾ [الآية 49] فضلاً أن تولينا إهلاكهم وهو يحتمل التعدي والزمان والمكان وكذا ﴿مَهْلِكَ﴾ [الآية 49] في قراءة حفص كمرجع. وقال أبو بكر بالفتح فيكون فصلاً ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [الآية 49] أي نحلف إنّا

لصادقون وهم كاذبون، أو واو الحال إنَّا لصادقون فيما ذكرنا لأن الشاهد للشيء غير المباشر له عرفاً أو لأن ما شهدنا مهلكهم وحده بل مهلكه ومهلكهم كقولك: ما رأيت ثمة رجلاً بل رجلين.

﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا﴾ [الآية 50] بهذه المواضعة في خطابهم ﴿وَمَكَرْنَا مَكْرًا﴾ [الآية 50] بأن جعلناها سبباً لإهلاكهم وعقابهم ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الآية 50] بسوء ما بهم. روي أنه كان صالح عليه السلام في الحجر مسجد في شعب يصلي فيه فقالوا: زعم أنه يفرغ منا إلى ثلاث فنفرغ منه ومن أهله قبل الثلاث، فذهبوا إلى الشعب ليقتلوه فوقع صخرة حيالهم فطبقت عليهم فم الشعب فهلكوا ثمة وهلك الباقون في أماكنهم بالصخرة الواقعة على جميعهم[1] كما أشار إليه قوله سبحانه: ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾﴾ [الآية 51] وقرأ الكوفيون بفتح أنا على أنه خبر محذوف تقديره هو أو بدل من اسم كان.

قال الصادق: مكر الله أخفى من دبيب النملة العرجاء على صخرة سوداء في الليلة الظلماء.

وقال الشبلي: اخترنا طريق التصرف سلامة من مكر الله فإذا كأنه مكر
أي/ فلا حول ولا قوة إلا بالله. 338/أ

وأفاد الأستاذ: أن مكرهم ما أظهروا في الظاهر من موافقة صالح وعقرهم الناقة خفية ومكر الله فيهم جزاؤهم على مكرهم بأخذ ما أراد بهم من العقوبة عنهم ثم إحلالها بهم بغتة، والمكر من الله تخليته إياهم مع مكرهم بحيث لا يعصمهم ويزين ذلك في أعينهم ويحبب ذلك إلى قلوبهم ولو شاء لعصمهم ومن عظيم مكره انتشار الصيت بالصلاح والعمل في السر بخلاف ما يتوهم بهم من نوع الفلاح وفي الآخرة وسوقها لا يجوز مثل هذه الأعمال وسوقها.

﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً﴾ [الآية 52] خالية أو ساقطة منهدمة ﴿بِمَا

---

(1) تفسير ابن كثير (6/ 200)، وتفسير الطبري (19/ 479) والكشاف (5/ 89).

ظَلَمُوٓاْۚ﴾ [الآية 52] بسبب ظلمهم على أنفسهم من الكفر والمعصية ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ [الآية 52] فيتعظون بالموعظة.

قال سهل: الإشارة في البيوت إلى القلوب فمنها عامرة بالذكر والطاعة ومنها خراب بالكفر.

وقال أبو حفص: خراب القلب من قلة الحزن إذ الحزن للرب عمارة القلب ألا ترى إلى قول النبي الأمين: «إن الله يحب كل قلب حزين»[1].

وأفاد الأستاذ: أن في الخبر «لو كان الظلم بيتاً في الجنة لسلّط الله عليه الخراب»[2]، فالنفوس إذا أظلمت بزلاتها خربت بلحوق شؤم الذلة حتى تعوّد صاحبها الكسل واستوطن مركب الفشل وحرم التوفيق وتوالى على صاحبها الخذلان وقسوة القلب وخمود العين وانتفاء تعظيم الشريعة من القلب وأصحاب القلوب إذا ظلموا بالغفلة ولا يطردونها عن قلوبهم خربت قلوبهم حتى قست بعد الرقة وجفت بعد الصفوة، فخراب النفوس باستيلاء الشهوة والهفوة وخراب القلوب باستيلاء الفتنة والوحشة.

﴿وَأَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الآية 53] أي صالحاً ومن آمن معه من الأمة ﴿وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [الآية 53] الكفر والمعصية فلذا خصوا بالنجاة من العقوبة.

﴿وَلُوطًا﴾ [الآية 54] أي واذكر لوطاً ﴿إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ﴾ [الآية 54] أتفعلونها ﴿وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ﴾ [الآية 54] تعلمون قبحها أو ترون فعلها.

﴿أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهۡوَةٗ﴾ [الآية 55] بيان لإتيان الفاحشة ﴿مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ﴾ [الآية 55] التي خلقن للشهوة ﴿بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ﴾ [الآية 55] العاقبة فلا تخافون العقوبة.

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (4/ 351) رقم (7884)، والبيهقي في شعب الإيمان (1/ 515).

(2) سبق تخريجه.

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾ [الآية 56] بعد سماع قوله ﴿إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ﴾ [الآية 56] أي بعضهم لبعض من سفهائهم ﴿أَخْرِجُوٓاْ/ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [الآية 56] يتنزهون عن فعلتكم ﴿فَأَنجَيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ﴾ [الآية 57] أي من آمن به من قومه وبناته ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَـٰهَا مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ﴾ [الآية 57] قدّرنا كونها من الباقين في العذاب ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾ [الآية 58] كان حجراً ﴿فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ [الآية 58] المخوفين أن لا يفعلوا قدراً. 338/ ب

﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الآية 59] ما قدر وقضى ﴿وَسَلَـٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [الآية 59] والخطاب للوط وللمصطفي لأن يحمد شكراً على ما أنعم عليه من إخوانهم وعرفاناً لفضلهم وحق تقدمهم واجتهادهم في أمر دينهم.

قال سهل: خلق الله تعالى السر وجعل حياته في ذكره وخلق الظاهر وجعل حياته في حمده وشكره وجعل عليهما الحقوق من الطاعات وفق أمره.

وقال ابن عطاء: من سلّم الله عليه في أزله سلم من المكاره في أبده. وقرىء هذه الآية بين يدي جعفر بن محمد فبكى ثم قال: سبحان من اصطفاهم لمعرفته وسلم عليهم قبل المعرفة بنعته. وقيل: الذين اصطفى هم أهل القرآن يلحقهم من الله السلام في العاجل بقوله: ﴿وَسَلَـٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [الآية 59] والسلام في الآجل بقوله: ﴿سَلَـٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ [يس: الآية 58]. قلت: ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: الآية 32].

وأفاد الأستاذ: أنهم هم الذين سلم الحق عليهم في آزاله وهم في كتم العدم متناول علمه ومتعلق قدرته لم يكونوا أعياناً في العدم ولا آثاراً في القدم فلما أظهرهم في الوجود سلم عليهم بذلك السلام ويسمعهم في الآخرة ذلك المرام، والذين سلم عليهم هم الذين سلموا اليوم من الشرك والشبهة، ثم من فنون البدعة ثم من وجود الألم والسقم، ثم من ضروب الذلل وصنوف الخلل، ثم من الغيبة والحجبة وما ينافي دوام القربة. ويقال: اصطفاهم ثم هداهم وآواهم وسلّم عليهم بذلك السلام ويسمعهم في الآخرة ذلك المرام

والذي سلم عليهم هم الذين سلموا اليوم من الشك والشبهة، ثم من فنون البدعة، ثم من وجود الألم، ثم من ضروب الذلل وصنوف الخلل، ثم من الغيبة والحجبة وما ينافي القربة. ويقال: اصطفاهم ثم هداهم وآواهم وسلّم
339/ أ عليهم قبل أن خلقهم وأبدأهم وبعد/ أن سلم عليهم بوده لقاءهم.

﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الآية 59] إلزام لهم بإرجاء العنان في ميدان البيان وتهكم بهم وتسفيه لرأيهم إذ من المعلوم أن لا خير فيمن هو مبدأ كل خير بل مصدر كل شيء من نفع وضر. وقرأ أبو عمرو وعاصم بالغيبة، والمعنى أم الذين بشركه تلك الأمم المهلكة ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الآية 60] التي هي أصول الكائنات ومبادىء المنافع للمخلوقات ﴿وَأَنزَلَ لَكُم﴾ [الآية 60] لأجلكم نفعاً ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ [الآية 60] في محلكم ﴿فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ [الآية 60] نزهة من أشجار وأثمار وأزهار ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآ﴾ [الآية 60] فضلاً عن أن تنبتوا ثمرها ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 60] أيقرُّون بسواه ويجعل غيره شريكاً للحق وهو المتقوي بالخلق ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [الآية 60] عن التوحيد التي هي طريق أهل التفريد وأرباب التمجيد وأصحاب التحميد.

وأفاد الأستاذ: إن ثمرات الظواهر غذاء النفوس وثمرات البواطن ضياء القلوب فلا يبقى في وقت الربيع من وحشة الشتاء بقية ولا يبقى في قلوبهم وأوقاتهم من الغيبة والحجبة والنفرة والنهمة شظية.

﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾ [الآية 61] ولأهلها استقراراً ﴿وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ﴾ [الآية 61] وسطها ﴿أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ﴾ [الآية 61] جبالاً ثوابت يتكون فيها معادن المنافع وينبع من حضيضها المنابع ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ [الآية 61] العذب والمالح ﴿حَاجِزًا﴾ [الآية 61] برزخاً ظاهراً في نظر المصالح ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 61] أي لا إلٰه سواه ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 61] طريق هداه وتحقيق رضاه.

قال جعفر: من جعل قلوب أوليائه مستقراً للمعرفة وجعل فيها أنهار الزوائد من بره في كل نفس ولمحة وأثبتها بجبال التوكل وزيّنها بأنوار

الإخلاص واليقين والمحبة وجعل بين القلب والنفس حاجزاً من القدرة لئلا يغلب عليه النفس بالظلمة وجعل الحاجز بينهما بالتوفيق والمعرفة.

وأفاد الأستاذ: أن نفوس العابدين قرار طاعتهم وقلوب العارفين قرار معرفتهم وأرواح الواجدين قرار محبتهم وأسرار الموحدين قرار مشاهدتهم وفي أسرارهم أنهار الوصلة وعيون القربة بها يسكن اشتياقهم وهيجان قلقهم واحتراقهم، جعل لها رواسي من الرغبة والرهبة. ويقال: الرواسي/ في 339/ب
الأرض الأبدال والأوتاد والأولياء بهم يديم إمساك الأرض والسماء، ببركاتهم يدفع عن أهلها البلاء. ويقال: الرواسي هم أئمة الدين الذين يهدون المسترشدين إلى طريق اليقين. ويقال: جعل بين العبودية وأحكامها والحقيقة وأعلامها حاجزاً بالقدرة العلية فلو غلبت العبودية كان جحداً للحقيقة ولو غلبت الحقيقة كان طيّاً للشريعة. ويقال: ألسنة المريدين مقر ذكره وأسماعهم محل الإدراك الموصل إلى الفهم من مرة العيون مقر الاعتبار من صنعه.

﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [الآية 62] المضطر الذي أحوجه شدة ما به إلى اللجوء إلى الله والرجاء من بابه.

وقال سهل: المضطر المتبري من الحول والقوة والأسباب المذمومة.

وقال ابن عطاء: حال المضطر أن يكون كالغريق أو كالمتعطل في مفازة قد أشرف على الهلاك ولم يعرف الطريق.

وقال سهل: دعوة صنفين من الناس مستجابة لا محالة مؤمناً أو كافراً، دعاء المضطر ودعاء المظلوم، تُرفع فوق الحجاب يقول الله تعالى: «وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين»[1] ﴿وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [الآية 62] ويرفع عن الإنسان ما شاء ويزيله متى ما شاء.

وفي تفسير السلمي: إن من يقدر على كشف المحن عن قلوب عباده إلا

---

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (4/ 84) رقم (3718)، والبيهقي في شعب الإيمان (5/ 409) رقم (7101).

مَن أبلاهم بها ﴿وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ [الآية 62] بأن ورثكم سكناها والتصرف فيها ممن قبلكم بها ﴿أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ﴾ [الآية 62] الذي حفكم بهذه النعمة العامة وخصكم بهذه المنحة الخاصة ﴿قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الآية 62] أي تذكرون آلاءه ونعماءه، أي تذكراً قليلاً، وما زائدة، والمراد بالعلة القدم أو الحقارة المربحة للفائدة إذ فائدة التذكر هي توحيد الله سبحانه بالعبادة ولا يترتب على تذكرهم تلك العائدة. وقرأ أبو عمرو وهشام بالغيبة.

وأفاد الأستاذ: إنه سبحانه فصل بين الإجابة بالكلام والكشف بالإنعام، ودعاء المضطر ليس له حجاب ودعاء المظلوم مستجاب لكن لكل أجل كتاب. ويقال: للجناية سراية فمن كان في الجناية على نعت المختار فليس يسلم له دعوى الاضطرار عند سراية جرمه الذي سلف منه وهو مختار فيه فأكثر الناس يتوهمون أنهم مضطرون وذلك الاضطرار/ سراية ما بدر منهم في حال اختيارهم، 340/ أ
وما دام العبد يتوهم من نفسه شيئاً من الحول والحيلة ويرى شيئاً من الأسباب يعتمد عليه ويستند إليه فليس بمضطر إلى أن يرى نفسه كالغريق في البحر أو كالضال في متاهة البر، بل المضطر يرى عنانه بيد سيده وزمامه في قبضته كالميت في يد غاسله ولا يرى لنفسه استحقاقاً لأن يُجاب لاعتقاده في نفسه أنه من أهل السخط والعذاب. وينبغي للمضطر أن لا يستعين بأحد في أن يدعو له لأن الله وعد الإجابة له لمن يدعو له ثم كان وعد للمضطر الإجابة وكشف السوء، وعده أن يجعله من خلفاء الأرض ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٥﴾ [الشّرح: الآية 5] ولم يقل العسر آزاله ولكنه قال ﴿مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٥﴾ [الشّرح: الآية 5] كذلك قال: ﴿وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ [الآية 62] فنهار اليسر حاصل بعد ظلام العسر. ثم قال: ﴿أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الآية 62] لأن العبد إذا زال عنه عسره وكشف عنه ضرّه نسي أمره مما كان فيه قبله كما قال القائل:

كأن الفتى لم يَعْرَ يوماً إذا اكتسى ولم يك صعلوكاً إذا ما تموَّلا[1]

---

(1) نسب إلى جابر بن الثعلب الطائي. انظر الحماسة البصرية (1/ 48)، والتذكرة السعدية (1/ 28).

﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الآية 63] بالنجوم السماوية والعلامات الأرضية والظلمات ظلمات الليالي والإضافة لأدنى الملابسة أو مشتبهات الطرق الملتمسة ﴿وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦٓ﴾ [الآية 63] من المطر الذي سبب نعمته ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 63] ويقدر على ذلك سواه ﴿تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الآية 63] تعالى القادر والخالق عن مشاركة العاجز المخلوق. قال بعضهم: أي من يدلكم على عيب نفوسكم وفساد طاعتكم ويزيل عنكم وساوس قلوبكم ويعينكم على استقامة طريقكم إلا الله، ومَن يرسل رياح فضله بين يدي معرفته سواه.

وقال الأستاذ: إذا أظلم عليه الوقت في معارض الخواطر عند استيهام وجه صواب ما في الضمائر وضاق الوقت على صاحبه بوحشة التدبير وظلمات أحوال التجويز والتحيُّر عند طلب ترجيح بعض الخواطر على بعض بشواهد العقل والبصائر فمن الذي يرشدكم لوجه الصواب بترك التدبير والاستسلام لحكم القدير/ والخروج عن مجوزات العقول إلى قضاء شهود 340/ ب
التقدير وتفويض الأمر إلى اختيار الحق في الأحكام والاستسلام لما سبق بها الأقدار وجرى بها الأقسام وجفّ عنها الأقلام، ومن الذي يرسل رياح فضله بين يدي اختيار أنوار اختياره بمحو آثار واختبار نفسه واعتباره وتعجيل حسن الكفاية بمقداره، تعالى الله عما يشركون من إحالة المقادير على الأسباب والتدابير.

﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 64] بأسباب سماوية وأرضية كما يريده ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 64] يرزق عبيده ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ [الآية 64] على أنَّ غيره يقدر على شيء يُظهر شأنكم ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الآية 64] في إشراككم في العبودية فإن كمال القدرة من لوازم الألوهية. قال ابن عطاء: صححوا برهانكم لتعلموا أن لا برهان لكم.

وقال الأستاذ: أي يظهر ما يظهر بقدرته على مقتضى سابق حكمته والتخصص بما تعلق به محض مشيئته وحقق فيه قوله وحكمه وسبق به قضاؤه

وقدره فإذا زال وكفى وانتفى وعدم بعض ما يظهره ويخلقه فمن الذي يعيده مثل ما بدأه ومن الذي يضيق الرزق ويوسعه ويقبض في بعض الأوقات وعلى بعض الأشخاص وفي وقت آخر وعلى قوم آخرين يبسط، هل في قدرة أحد غير الله ذلك أن لا توهمهم شيئاً هنالك فأوضحوا بذلك حجتكم وإن قد عجزتم فهلا صدقتم وبالتوحيد أقررتم.

﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 65] أي من تعلق علمه بهما واطلع عليهما اطلاع الحاضر فيهما الغيب أي شيئاً من ﴿ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [الآية 65] علَّام الغيوب المطلع على عيوب القلوب ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الآية 65] أي الخلق أجمعون ﴿أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [الآية 65] متى يحشرون وأي متى ينشرون لعدم علمهم بالساعة.

﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِي ٱلْأَخِرَةِ﴾ [الآية 66] أي انتهى وتكامل فيها أسباب علمهم من الآيات الدالة عليها بأن القيامة كائنة لا محالة لكن كما ينبغي لا يعلمونها ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾ [الآية 66] متحيرون فيها لا
341/ أ يدركون دلائلها لاختلال بصيرتهم بها وقصور نظرهم/ وتفكُّرهم عنها. وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي: بل أدرك، بمعنى تتابع حتى استحكم.

وأفاد الأستاذ: أن الغيب ما لا يعلم بالاضطرار وليس للخلق عليه دليل في الاستبصار، فهذا الذي يستأثر بعلمه الحق ويتقاصر عنه علوم الخلق، ثم ما يريد الله أن يخص قوماً بعلمه أفردهم به ثم قال: بل أدرك علمهم في الآخرة، ففي الجملة يشكون ولا يبتغون ولا بالقطع يجحدون وهكذا حكم مريض القلب لا حياة له في الحقيقة ولا راحة اليائس من الطريقة.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الآية 67] وفي قراءة الشامي والكسائي إننا لمخرجون من القبور إلى البعث والنشور ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ﴾ [الآية 68] قبل وعد محمد عليه السلام، وتقديم هذا على نحن لأن المقصود بالذكر ها هنا هو البعث وتأخيره فيما تقدم لأن المقصود به المبعوث ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الآية 68] أسمار المتقدمين.

﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [الآية 69] تهديد لهم على تكذيب صدر عنهم وتخويف أن ينزل بهم مثل ما نزل بالمكذبين عنهم، والتعبير عنهم بالمجرمين ليكون رفعاً للمؤمنين في ترك الجرائم التي هي صفة المكذبين.

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية 70] على تكذيبهم وإعراضهم بمقتضى فساد أغراضهم ﴿وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ﴾ [الآية 70] حرج صدر ونكد أمر ﴿مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [الآية 70] من كيد ومكر فإن من حفر بئر لأخيه وقع فيه.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ [الآية 71] العذاب الموعود ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الآية 71] في إيعادكم الموعود ﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم﴾ [الآية 72] تبعكم ولحقكم أو دنا منكم ﴿بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [الآية 72] في حلوله وهو عذاب يوم بدر بعد نزوله وعسى ونحوها في مواعيد الملوك كالجزم بها وإنما يطلقونها إظهاراً لوقارهم في مقام اعتبارهم وإشعاراً بأن التلويح منهم كالتصريح من غيرهم على طبقه ووفقه جرى كلامه سبحانه في وعده ووعيده مع زيادة الإيماء إلى أنه لا يجب عليه شيء من الأشياء.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [الآية 73] جميعهم بتأخير عقوبتهم على معصيتهم وتقصيرهم في طاعتهم ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [الآية 73] حق النعمة/ بل يستعجلون بحملهم وقوع العقوبة. 341/ ب

قال سهل: منعه فضل وعطاؤه فضل ولكن لا يعرف مواضع فضله في المنع إلا الفضلاء من خواص الأولياء، وما أحسن قول ابن عطاء:

ربما منعك فأعطاك وربما أعطاك فمنعك[1]

وقال الأستاذ: لأنهم لا يميزون بين محنهم ومنحهم وعزيز من يعرف الفرق بين ما هو نعمة من الله له أو محنة وإذا تقاصر علم العبد عما فيه صلاحه وعسى أن يحب شيئاً ويظنه خيراً وبلاؤه فيه، وعسى أن يكون شيئاً

(1) شرح الحِكَم العطائية (1/ 77)..

آخر بضده ورب شيء يظنه نعمة يشكره عليها ويستديمه وهي محنة له يجب صبره عنها ويجب شكره لله على صرفها عنه وبعكس هذا كم من شيء يظنه الإنسان بخلاف ما هو به.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ [الآية 74] ما تخفيه وتستره ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [الآية 74] من عداوتك ومحبتك فيجازيهم بحسب ما قاموا في حضرتك وغيبتك.

وقال الأستاذ: لا تلتبس على الله أحوالهم باستواء ظاهره وباطنه فموافق يعلمه ومنافق يخالف باطنه ظاهره يلتبس على الله حاله وهو سبحانه يعلمه وكافر يستوي في الجحد سره وجهره يعلمه وهو يجازي كلاً على ما عمله، كيف لا وهو قدره وعلى ما عليه قضاه له وقسمه.

﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ﴾ [الآية 75] خافية، والتاء للمبالغة ﴿فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية 75] أي كائنة في الجهات العلوية والسفلية ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الآية 75] من اللوح القلمي أو العلم الأزلي.

وقال الأستاذ: مثبت في اللوح المحفوظ حكمه، ماضٍ فيه مشيئته، متعلق به علمه، حق فيه قوله.

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ﴾ [الآية 76] يصرِّح وينص ﴿عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الآية 76] كالتشبيه والتنزيه وأحوال الجنة والنار وعزير والمسيح وسائر الأسرار.

﴿وَإِنَّهُ﴾ [الآية 77] أي القرآن ﴿لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 77] وخصُّوا لكونهم المنتفعين ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ﴾ [الآية 78] بين بني إسرائيل ﴿بِحُكْمِهِ﴾ [الآية 78] الحق المقترن بالحكم المحقق ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ [الآية 78] الغالب في مراده ﴿الْعَلِيمُ﴾ [الآية 78] بأحوال عباده.

وأفاد الأستاذ: أن بني إسرائيل يخفون بعضاً من الكتاب ويعضاً منه يظهرون ومع ما يهوون يدورون. وخصّ هذه الآية بحفظ الله له/ عن التغيير 342/أ

والتبديل فيما يدينون وهذه نعمة عظيمة قليل منهم الذين يشكرون وكتابهم الذي هو القرآن هدى ورحمة للمؤمنين لا كتابهم الذي أخبر الصادق أنهم له محرِّفون مبدِّلون وهو العزيز المعز للإسلام وأهله الكريم العليم فيما يستحقه كل أحد من الثواب العظيم والعذاب الأليم.

﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الآية 79] ولا تبال بعداوة من سواه ﴿إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾ [الآية 79] وفي طريق اليقين. قال بعضهم: التوكل على ربك أن لا تعصيه من رزقك.

وقال الأستاذ: اجتهد في أداء فرضه وثق بالله لصدق وعده في نصره ورفده وكفايته وعونه لعبده ولا يهولنك ما يجري على ظواهرهم من أذى يتصل بك منهم فإنما ذلك كله بتسليطنا إن كان محذوراً وبتسهيلنا إن كان ميسوراً وإنك لعلى حق وضياء وصدق وهم على شك وفي ظلمة شرك.

﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [الآية 80] فاقطع طمعك عن مشايعتهم ومعاضدتهم ولا تبال بمخالفتهم في متابعتهم لأنهم كالموتى في عدم انتفاعهم باستماع ما يتلى من كلام المولى ﴿وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ﴾ [الآية 80] ولو أعلنت النداء ﴿إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ﴾ [الآية 80] أي لا سيما في حال إدبارهم فإنهم حينئذ لا يدركون شيئاً بالإشارة والإيماء. وقرأ ابن كثير: ولا يسمع الصم الدعاء.

قال يحيى بن معاذ: العارفون لله أحياء وما سواهم موتى. وقال أيضاً: الميت من تكون حياته بحركته والحي من تكون حياته بربه.

وأفاد الأستاذ: إن الذين أمات الله قلوبهم بالشرك وأصمهم عن سماع الحق وليس في قدرتك أن تهديهم للرشد وتنقذهم عن أسر الشرك.

﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ﴾ [الآية 81] وقرأ حمزة تهدي العمي ﴿إِن تُسْمِعُ﴾ [الآية 81] ما يجدي إسماعك ﴿إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [الآية 81] إلا من هو في علم الله إنهم مؤمنون ﴿فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ [الآية 81] منقادون مخلصون.

وقال الأستاذ: أي تهديهم من حيث الدعاء والدلالة ولكن لا تهدي

أحداً من حيث إزالة القلب من الباطل والإمالة إلى العرفان إذ ليس بقدرتك
342/ب الإزالة والإمالة ما تسمع/ إلا مَن أسمعناهم حيث التوفيق والإرشاد إلى سواء الطريق.

﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية 82] أي دنا ووقع معناه إليهم وما هو وعد وأمن البعث والحساب لديهم ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 82] وهي الحساسة. روي أن طولها ستون ولها قوائم وجناحان لا يفوتها هارب ولا يدركها طالب. وروي أنه عليه السلام سئل عن مخرجها فقال: «من أعظم المساجد حرمة على الله»(1) يعني المسجد الحرام ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ [الآية 82] من الكلام، وقيل من الكلم إذ قرىء بالتخفيف. وروي أنها تخرج ومعها عصا موسى وخاتم سليمان فتنكث بالعصا في مسجد المؤمن نكتة بيضاء فيبيض وجهه وبالخاتم في أنف الكافر نكتة سوداء فيسود وجهه(2)، وفي الأولتين للدلالتين إشارة خفيفة إلى تفضيل الفقير الصابر على الغني الشاكر ﴿أَنَّ ٱلنَّاسَ﴾ [الآية 82] وقرأ الكوفيون بالفتح ﴿كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [الآية 82] أي المتلوّة أو من القرآن أو المنصوبة من البرهان. وقيل: من خروجها وسائر أحوالها فإنها من آياته سبحانه ﴿لَا يُوقِنُونَ﴾ [الآية 82] بل يشكُّون والجملة حكاية لقوله سبحانه عند ذلك أو علة لخروجها هنالك.

وأفاد الأستاذ: إنه إذا حق الوعد بإقامة القيامة أوضحنا اشتراطها من كلام الدابة وغير ذلك من العلامات الدالة وعند ذلك لا ينفع الإيمان ولا يقبل العذر عن العصيان.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾ [الآية 83] جماعة وهو يوم القيامة ووقت الندامة ﴿مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [الآية 83] من الثانية بيانية للجماعة المحشورة والأولى تبعيضية لأن أمة كل نبي سائلة لجماعة من المصدقة والمكذبة ﴿فَهُمْ

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (2/ 176) رقم (1635)، وانظر تخريج الأحاديث والآثار (3/ 9) رقم (929).

(2) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح (5/ 340) رقم (3187)، وانظر تخريج الأحاديث والآثار (3/ 19) رقم (928).

﴿يُوزَعُونَ﴾ [الآية 83] يساقون ويحبس أولهم ليتلاحق آخرهم وهو عبارة عن كثرتهم وتباعد جهتهم.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو﴾ [الآية 84] إلى مكان الحساب وموقف العذاب ﴿قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَـٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا﴾ [الآية 84] أي أجمعتم من التكذيب بها وعدم العلم بتحقيقها ﴿أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الآية 84] أم أي شيء كنتم تعملون غير ذلك، والاستفهام للتبكيت والتوبيخ هنالك.

343/أ ﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم﴾ [الآية 85] حلّ العذاب الموعود/ بهم من دخولهم في النار ﴿بِمَا ظَلَمُوا۟﴾ [الآية 85] بسبب ظلمهم في كسبهم وهو تكذيبهم بآيات ربهم ﴿فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ﴾ [الآية 85] باعتداد لهم لشغلهم بعناء عذابهم وبلاء حجابهم أو بأعذار تنفعهم أو تدفع عنهم ما نزل بهم أو لا ينطقون مطلقاً لشدة أحوالهم وفظاعة أهوالهم.

﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ﴾ [الآية 86] بالنوم والقرار ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ [الآية 86] أي ليبصروا فيه سبباً من أسباب معاشهم في هذه الدار ويأخذوا فيها زادهم لمعادهم من دار القرار ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 86] أي لا لغيرهم حيث لا ينتفعون.

﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ [الآية 87] أي القرن أو في الصور بفتح الواو كما قرىء به وهو جمع صورة والنفخة هي الثانية ﴿فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 87] من هول القيامة أو من هيبة النفخة، وعبر بالماضي لتحقق الواقعة ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الآية 87] أي لا يفزع به لتثبيت قلبه من الملائكة المقربين والأنبياء المرسلين والشهداء الصالحين ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ﴾ [الآية 87] حاضروا موقفه أو راجعوا أمره. وقرأ حفص وحمزة: أتوه بصيغة الماضي ﴿دَٰخِرِينَ﴾ [الآية 87] صاغرين خاضعين خاشعين.

وأفاد الأستاذ: أن ذلك اليوم يوم إزهاق الأرواح وإخراجها عن الأجساد والأشباح فمن روح ترقى إلى عليين ومن روح تنزل إلى سجين، هؤلاء في حواصل طير تسرح في الجنة وتأوي بالليل إلى تحت العرش في

قناديل معلقة صفتها التسبيح والروح والراحة، ولبعضها الشهود والرؤية ثم هم على مقادير استحقاقهم في عقابهم على ما كانوا عليه في دنياهم، وأرواح الكفار في النار يعذبون على مقادير الأوزار.

﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ﴾ [الآية 88] أي تبصرها ﴿تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ [الآية 88] ثابتة في مكانها ﴿وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [الآية 88] في سرعة سيرانها، وذلك لأن أجرام الكفار في هيبتها إذا تحركت في سمت واحد لا تكاد تتعين حركتها ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 88] أي تشاهد صنعه بعين بصرك وبصيرتك ﴿ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [الآية 88] أحكم خلقه وسوَّاه على ما ينبغي فعله ﴿إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [الآية 88] وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وهشام بالتثنية أي عالم بظواهر الأعمال وبواطن الأحوال.

قال ابن عطاء: الإيمان ثابت في قلب العبد / كالجبل أنواره تخرق الحجب. 343/ب

وقال الصادق: نور قلب المؤمنين الموحدين وانزعاج أنيس المشتاقين تمر مر السحاب لا يلتفت إلى شيء غير الله ولا له قرار مع سواه. كذا في تفسير السلمي. وقيل للجنيد في أواخر الحال: ما لك عند السماع أن لا تتغير بكلام القوال، فقرأ للجواب: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [الآية 88].

وقال الأستاذ: وكثير من الناس اليوم من أصحاب التمكين السالكين بنفوسهم السابحون في الملوك بأسرارهم. قالوا: إن الإشارة اليوم إليهم كما قالوا: العارف كائن بائن أو كائن معهم بظواهره وبائن عنهم بسرائره.

﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ [الآية 89] إذ ثبت له النفيس بالخسيس والباقي بالفاني وسبعماية بواحدة ﴿وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ [الآية 89] أي من خوف عقوبة يوم القيامة. وقرأ الكوفيون بالتنوين ونافع معهم بفتح الميم.

﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ [الآية 90] بالشرك والمعصية ﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ﴾ [الآية 90] فكبوا فيها على وجوههم ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الآية 90] ما تجزون إلا جزاء أعمالكم وفق أحوالكم.

﴿إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا﴾ [الآية 91] من التعرُّض لها ولأهلها أو جعلها محترمة لصادرها وأوردها، وتخصيص مكة بهذه الإضافة تشريف لها وتعظيم لشأنها فلا يمانعه قوله: ﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖۖ﴾ [الآية 91] خلقاً وملكاً ﴿وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [الآية 91] المنقادين المخلصين الثابتين في الأزمان.

﴿وَأَنۡ أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَۖ﴾ [الآية 92] وأن أواظب على تلاوته أو متابعته ﴿فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ﴾ [الآية 92] باتباعه ﴿فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ﴾ [الآية 92] فإن منافعه عائدة إليه ﴿وَمَن ضَلَّ﴾ [الآية 92] بمخالفته ﴿فَقُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ﴾ [الآية 92] فلا عليَّ من وبال ضلاله شيء لأن مضاره واقعة عليه ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [النُّور: الآية 54] وقد بلّغت كما هو ظاهر لديه.

وأفاد الأستاذ: أنه عليه السلام أخبر أنه أمر بالدين الحنيفي والتبري من الشرك الجلي منه والخفي وأخبر أن من اتبعه وصدّقه أوجب الحق زمامه وحقه.

﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ [الآية 93] على نعمة النبوة وسائر أصناف المنحة ﴿سَيُرِيكُمۡ
344/ أ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [الآية 93] القاهرة في الدنيا والآخرة / ﴿فَتَعۡرِفُونَهَاۚ﴾ [الآية 93] لكن حين لا
تنفعكم المعرفة ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [الآية 93] وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالخطاب، والمعنى لا تحسبوا أن تأخير عذاب الأعمال للغفلة عن الأحوال بل للإمهال لا للأعمال، أو المعنى لا تظنوا أنه غافل عن أعمالكم فأحسنوا جميع أحوالكم.

وقال الأستاذ: سيريكم عن قريب آياته فطوبى لمن رجع قبل وفاته والويل على مَن رجع بعد ذهاب الوقت وفواته.

سورة القصص

[مكيّة]

وهي ثمان وثمانون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

باسمه يسعد الصباح والرواح، وباسمه يرجى الفلاح والنجاح، وباسمه نعمة الدنيا ومنحة الأخرى، فللّه الآخرة والأولى، فطوبى لمن داوم على ذكره وواظب على شكره واشتغل به في صحوه وسكره.

وأفاد الأستاذ: إنه اسم عزيز من تعرّض لحوله أيسر في دنياه وعقباه ومن اشتاق إلى لقياه استعذب منه ما يلقاه من بلواه، فإن طلب مؤنساً مما سواه في عقباه أو دنياه ضلّ من يدعو إلا إياه.

﴿طسٓمٓ ١﴾ [الآية 1] الطاء تشير إلى طهارة نفوس العابدين عن عبادة غير الله وطهارة قلوب العارفين عن تعظيم غير الله، وطهارة أرواح الواجدين عن محبة غير الله، وطهارة أسرار الموحدين عن شهود غير الله. والشين تشير إلى سر الله مع العاصين بالنجاة ومع المطيعين بالدرجات ومع المحبين بدوام النجاة. والميم تشير إلى منّة على كافة المؤمنين.

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ٢﴾ [الآية 2] الظاهر في معجزاته والمظهر لحكوماته ﴿نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ﴾ [الآية 3] نقرأ بإلقاء جبريل إليك ﴿مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ﴾ [الآية 3] بعض أنبائنا إليهم من أنبائهما ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية 3] الثابت عن وصف الصدق ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 3] لأنهم به المنتفعون.

وأفاد الأستاذ: إن سماع قصة الحبيب من الرب توجب سلوة القلب

وذهاب الكرب وبهجة السرور وزبدة المراد وثلج الفؤاد. وكرَّر الحق ذكر قصة موسى تفخيماً لشأنه وتعظيماً لقدر برهانه ثم زيادة في البيان لبلاغة القرآن ثم إفادة لزوائد من المذكور قبله في كل موضع كرَّره.

﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الآية 4] استكبر في أرض مصر وتجبَّر على أهلها.

قال جنيد: ادعى ما ليس له.

وقال ابن عطاء: / استكبر وافتخر بنفسه ونسي عبودية ربه. وقيل: أظهر ظلمه في أهل ملكه. 344/ ب

وقال الأستاذ: تكبَّر بغير حق فأقمأه بحق وتجبّر بغير استحقاق فأذله الله باستحقاق ﴿وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا﴾ [الآية 4] فرقاً مختلفة يشيعونه فيما يريد من أحكام مؤتلفة، فصنفاً في حرمة وصنفاً في حفرة وصنفاً في خرقة وغير ذلك من صنعه ﴿يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ﴾ [الآية 4] وهم بنو إسرائيل من ذرية الأنبياء وخلاصة الأصفياء، وهذا من أكبر ظلمه ﴿يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ﴾ [الآية 4] أي صبيانهم ﴿وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ﴾ [الآية 4] يستبقي بناتهم حتى يصرن نسائهم وذلك لأنه كان كاهناً قال له: يولد مولود في بني إسرائيل يذهب ملكك على يده وذلك كان من غاية حمقه فإنه لو صدق لم يندفع بالقتل وإن كذب فما وجد الفشل ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [الآية 4] في العمل ولذا اجترأ على قتل كثير من ذرية أرباب النبوة لتخيُّل فاسد ظهر من أصحاب الكهانة.

وقال الأستاذ: إنه سبحانه حكم بالفساد فيهم والله لم يرض بترك تلافيهم.

﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الآية 5] أي نتفضّل عليهم بإنقاذهم من يده ﴿وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ﴾ [الآية 5] مقدمين في أمر الدين وما يتعلق به ﴿وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ﴾ [الآية 5] لما كان في مملكة فرعون وقومه.

﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الآية 6] نسلِّطهم على أرض مصر والشام ﴿وَنُرِيَ

﴿فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنۡهُم﴾ [الآية 6] من بني إسرائيل ﴿مَّا كَانُواْ يَحۡذَرُونَ﴾ [الآية 6] من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم فإن القبط قد سمعوا ذلك من بني إسرائيل فيما كانوا يدرسونه من قول إبراهيم الخليل عليه السلام على ما ذكره ابن عباس. وقرأ حمزة والكسائي وقرىء بصيغة الغائب ورفع ما بعده.

وقال الأستاذ: أي نريد أن نمنّ عليهم بالتخليص من أيديهم بأن نجعلهم أئمة بهم يهتدي الخلق ومنهم يتعلم سلوك طريق الصدق ونبارك في أعمارهم فيصيرون وارثين لأعمار من يناوئهم ويصير إليهم مساكنهم ومنازلهم، فهم هداة وأعلام وسادة وقادة بهم يقتدى وبنورهم يهتدى، ﴿وَنُمَكِّنَ
لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الآية 6]، نزيل عنهم الخوف من/ الأغيار ونرزقهم البسطة 345/ أ
والأقدار، ونمد لهم في الأجل باعتبار الأقدار، ونري فرعون وهامان وجنودهما وقومهم ما كانوا يحذرون من زوال ملكهم على أيديهم، وإن الحق سبحانه سيعطي وإن كان عند الخلق أنه يبطىء.

﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾ [الآية 7] بإلهام أو رؤيا منام أو على لسان نبي أو ملك وصفي ﴿أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ﴾ [الآية 7] ما أمكنك أن تخفيه ﴿فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ﴾ [الآية 7] بما ينافيه ﴿فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ﴾ [الآية 7] نهر النيل الذي شبه البحر ﴿وَلَا تَخَافِي﴾ [الآية 7] عليه الضيعة ولا الشدة ﴿وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ﴾ [الآية 7] لفراقه في الهجرة ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ﴾ [الآية 7] بالقربة ﴿وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [الآية 7] إلى الأمة.

قال جنيد: إذا خفت حفظه بواسطة عدوه فسلميه إلينا واقطعي عنه شفقتك وتدبيرك لدينا ليكون مفوضاً إلى تدبيرنا فإن حفظه علينا.

وقال ابن عطاء: ما دمت تحفظ نفسك بتدبيرك فهي على شرف الهلاك فإذا أزلت عنها تدبيرك وسلمتها إلى مدبرك يرجى لها الخلاص.

وقال الواسطي: الذي حفظه في اليم قادر أن يصرف عنه الهم من فرعون وما قصده من الألم، كذا في تفسير السلمي. وروي أنه لما ضربها الطلق دعت قابلة من الموكلات بحبالى بني إسرائيل فعالجتها فلما وقع موسى على الأرض هالها نور بين عينيه وارتعشت مفاصلها ودخل حبه قلبها بحيث

منعها من السعاية، فأرضعته أمه ثلاثة أشهر ثم أتى فرعون في طلب المواليد واجتهدت العيون في تفحصها فأخذت له تابوتاً وجعلته فيه فقذفته في النيل فوقع التابوت في نهر كان يجري منه إلى بيت فرعون فأخذه أهل داره.

وقال الأستاذ: أي ألقينا في قلبها وألهمنا إليها فانجذب في ذلك خاطرها وجرى ذلك منها وهي مختارة بإخبار أدخل عليها. ويقال: قتل فرعون ذلك اليوم كثيراً من الولدان المولودة لبني إسرائيل رجاء أن يقتل مَن رأى في النوم ما عبر له أن ذهاب ملكه على يد إسرائيل يوجد ويولد. ثم إنه ربّاه في حجره ذلك اليوم ليعلم أن الأقدار لا تُغَالَب، فجعلته في تابوت وقير
345/ ب رأسه وألقته/ في نيل مصر فجاء الماء به إلى بركة كان فرعون جالساً على حافته، فأخذوه وحملوه إليه وفتحوا رأس التابوت لديه، وكان كما قاله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ [طه: الآية 39]، قيل: كان الله قد خلق ملاحة في عيني موسى مَن وقع عليه بصره لم يتمالك من حبه فلما رآه فرعون أخذت رؤيته بمجامع قلبه وكذلك تمكّن حبه من قلب امرأته، ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [الآية 8]، تعليل لالتقاطهم إياه بما هو عاقبته ومؤداه تشبيهاً له بالغرض الحامل عليه. وقرأ حمزة والكسائي حزناً بضم فسكون.

قال السلمي: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ﴾ [الآية 8] فرحاً وسروراً ولم يعلموا أن ما أضمر القدرة فيه من تصيّره لهم ﴿عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ﴾ [الآية 8] في فكرهم فأخطؤوا في تربية عدوهم بعد أن قتلوا ألوفاً لأجله بيدهم أو كانوا مذنبين في أمرهم فعاقبهم الله بأن ربى عدوهم في حجرهم.

﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ﴾ [الآية 9] حين رأته ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ﴾ [الآية 9] هو قرة عين لنا، لأنهما لما رأياه أخرج من التابوت أحباه. وروى النسائي عن ابن عباس أنه أجابها بقوله: أما لكم فنعم وأما لي فلا[1]. فكان كذلك. وفي رواية

(1) تفسير الطبري (19/ 524) وتفسير ابن كثير (6/ 222) وتفسير القرطبي (11/ 196).

قال: لك لا لي[1]. ولو قال لي كما هو لك لهداه الله كما هداها ﴿لَا تَقۡتُلُوهُ﴾ [الآية 9] خطاب بلفظ الجمع للتعظيم، وخاطبت الجند كما قصد الشفاعة للكليم ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾ [الآية 9] فإن فيه مخايل اليمن والبركة ودلائل الفهم والمنفعة ﴿أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا﴾ [الآية 9] أي نتبناه فإنه أهل له ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [الآية 9] إلى ماذا يؤول أمره أو إنهم على الخطأ في التقاطه أو في طمع النفع منه أو التبني له وذلك لأنهم ظنوا أنه جاء من أرض أخرى لأنه أكبر من ابن سنة وفرعون لا يخاف إلا من أولاد تلك السنة.

﴿وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ﴾ [الآية 10] خالياً من كل شيء كالمجنونة في غم ولدها لما وهمها من الخوف والحيرة حين سمعت بوقوعه في يد فرعون أو من الهم لفرط وثوقها بوعد الله أو لسماعها إن فرعون عطف عليه وتبناه ﴿إِن
346/ أ كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ﴾ [الآية 10] إنها قاربت لتظهر/ مصرحة بموسى وأمره من فرط الضجر لما وقع فيه أو من كثرة الفرح لسماع تبنيه ﴿لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا﴾ [الآية 10] بالصبر والثبات فيه ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الآية 10] من المصدقين بوعد الله في رده وحفظه لا بتبني فرعون وعطفه.

وفي تفسير السلمي: أي لتظهر أنها في السر من حفظ موسى ورده إليها ومنع أيدي الظلمة عنه.

وقال ابن عطاء: لولا أنا أمرناها بالكتمان لحالها لأظهرت في موسى ما ضمن الله لها.

وقال الصادق: الصدر معدن التسليم والقلب معدن اليقين والفؤاد معدن النظر والفكر والضمير معدن السر والنفس مأوى كل حسنة وسيئة.

وقال الأستاذ: ولما ألقته أمه في الماء سكّن الله قلبها وربطه عليها وألهمها الصبر لديه إن كادت لتبدي به من ضعف البشرية ولكن ربط قلبها بالتأييدات الإلٰهية.

---

(1) تفسير الطبري (19/ 525)، والكشاف (5/ 123).

﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ﴾ [الآية 11] لأخت موسى وهي مريم أو أم كلثوم ﴿قُصِّيهِ﴾ [الآية 11] تتبعي أثره وتفحصي خبره ﴿فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ﴾ [الآية 11] أي فقصت فأبصرته عن بُعد ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الآية 11] إنها تقصه أو إنها أخته.

﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ﴾ [الآية 12] تحريماً قدرياً، ومعناه منعناه أن يرتضع من المرضعات ﴿مِن قَبْلُ﴾ [الآية 12] قبل تتبعها أمره ﴿فَقَالَتْ﴾ [الآية 12] أخته ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ﴾ [الآية 12] يضمنونه ويرضعونه لأجلكم ﴿وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾ [الآية 12] لا يقصرون في إرضاعه وتربيته. روي أنه قيل لها: إنك لتعرفيه فأخبرينا بحاله، فقالت: إنما أردت أنهم للملك ناصحون فأمروها أن تأتي بمن يكفله فأتت بأمها فلما وجد ريحها استأنس بها والتقم ثديها فقيل لها: من أنت منه حتى أبى كل ثدي إلا ثديك، فقالت: إني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن ما أوتي بصبي إلا قبلني، فدفعوه إليها وأُجري الأجر والعطاء عليها فذهبت به إلى بيتها من يومها شاكرة لحالها ومنالها وراجية لحسن مآلها.

﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ [الآية 13] برؤية ولدها ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ [الآية 13] بفراقه ﴿وَلِتَعْلَمَ﴾ [الآية 13] علم مشاهدة وصدق ﴿أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 13] إن وعده حق وقوله صدق.

وقال الأستاذ: فمن بالغدوة كانوا في اهتمام قتله كيف يقتلونه أمسوا وهم في جهد/ كيف يغذونه ويربونه، ثم كانوا يدعون أمه حاضنة ومرضعة له 346/ ب
ولم يضرها ذلك، وكانوا يقولون لفرعون إنه أبوه ولم ينفعه هنالك. ولما أخذته أمه علمت بتصديق الله ظنها وسكن عن الانزعاج قلبها.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ [الآية 14] مبلغه الذي لا يزيد عليه نشوءه وذلك سن الوقوف لمثله وهو من ثلاثين إلى أربعين فإن العقل يكمل حينئذ باليقين. وروي أنه لم يبعث نبي إلا على رأس الأربعين ﴿وَٱسْتَوَىٰٓ﴾ [الآية 14] اعتدل قدّه أو تكمّل عقله ﴿ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا﴾ [الآية 14] حكمة وفهماً ﴿وَعِلْمًا﴾ [الآية 14] بالدين ومعرفة. وقيل: المراد بهما النبوة ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ [الآية 14] ومثل ما فعلنا بموسى وأمه ﴿نَجْزِى

﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الآية 14] على إحسانهم في طاعة الله وأمره.

قال جنيد: لما تكامل عقله وصحت بصيرته آتيناه حكماً في نفسه بما يتجدد عنده من موارد زوائد الموائد عليه من ربه.

وقال الأستاذ: لما كمل سنه وتمَّ عقله واستوى خصال كماله ﴿ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا﴾ [الآية 14] وأتممنا له التحصيل ووفرنا له علمه بحاله وبذلك جرت سنَّتنا مع الأنبياء والأصفياء من قبله.

﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ﴾ [الآية 15] أي مصر أو غيرها أتينا من قصر فرعون ونحوها ﴿عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ [الآية 15] في وقت لا يعتاد دخولها ولا يتوقع حصولها وهو وقت القيلولة كما صرح به ابن عباس وقتادة وجماعة ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ﴾ [الآية 15] يقصد كل قتل الآخر منهما ﴿هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [الآية 15] أحدهما ممن شايعه على دينه وهو السبطي والآخر من مخالفيه وهو القبطي، والإشارة على الحكاية ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ﴾ [الآية 15] فسأله أن يغيثه بالإعانة ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ﴾ [الآية 15] فضرب القبطي بجمع كفه أو دفعه بطرف أصبعه ﴿فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [الآية 15] فقتله، وأصله أنهى إليه العمر من قوله: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ﴾ [الحجر: الآية 66]، ﴿قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [الآية 15] لأنه لم يؤمر بقتل الكفار في ذلك الزمان ولا يقدح ذلك في عصمته لكونه خطأ من جهته وإنما عدّه من عمل الشيطان، وسماه ظلماً واستغفر عنه على عادتهم في استعظام محقرات صدرت عنهم ﴿إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ [الآية 15] ظاهر العداوة والإضلال أو مظهر طريق الضلال وما يترتب عليه/ الوبال. 347/ أ

وقال الأستاذ: وكزه موسى ليدفعه عن الإسرائيلي ولم يرد قتله، فمعنى أنه لو دفعه بأيسر مما دفعه ولم ينسب القتل إلى الشيطان ولكن دفعه عنه بالغلظة نسبة إليه بأن حمله على تلك الحدة لديه، وإذا أراد الله أمراً أجرى أسباباً يحصل بها مراده ولولا أنه أراد فتنة موسى ووقفه بدفعه لما قبض روحه بوكزه وقد يُضرب الرجل الكبير من الضرب بالسياط الكثيرة ثم لا يموت، فموت القبطي إجراء لما أراده من قضائه وقدره.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ [الآية 16] بقتله ﴿فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ﴾ [الآية 16] ما جرى من وكزه ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ﴾ [الآية 16] لذنوب عباده ﴿الرَّحِيمُ﴾ [الآية 16] بهم على وفق مراده.

﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ [الآية 17] أي أقسم بإنعامك عليَّ وإحسانك إليَّ بإعطاء القوة وسائر النعمة لأوتينّ من مثل هذه الوكزة ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾ [الآية 17] فلن أستعمل قوتي في مظاهر أعدائك بل أصرفها في مناصرة أوليائك. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: لم يستثن فابتلى به مرة أخرى(1) أي لم يقل فلن أكون إن شاء الله أولاً فابتلي بالعون للمجرمين ثانياً، وفيه إشكال ولم يبتلى بالعون للمجرمين بل على المجرمين لأجل المجرمين المحترمين.

﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [الآية 18] ينتظر سوءاً من فرعون لما له من شدة الغضب.

قال ابن عطاء: خائفاً من قومه يترقب مناجاة ربه. وقيل: خائفاً من نفسه يترقب نصرة ربه. وقيل: مستوحشاً من ضده منتظراً المؤنس يأنس به. وقيل: خائفاً من زلة الجناية منتظراً للكفاية رجعاً للعصمة والحمالة ﴿فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ﴾ [الآية 18] يستغيث للإنس ﴿قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾ [الآية 18] بيِّن الغواية حيث تتسببت لقتل رجل ثم تدعوني إلى آخر في هذا اليوم.

﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا﴾ [الآية 19] أي بالقبطي لأنه لم يكن على دينهما ﴿قَالَ يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ﴾ [الآية 19] قاله القبطي، وقيل السبطي، ولا يلائمه قوله ﴿إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 19] متطاولاً على/ أهلها غير ناظر إلى العواقب ومآلها ﴿وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [الآية 19] بين الناس على وجه الاستئناس. 347/ ب

﴿وَجَاءَ رَجُلٌ﴾ [الآية 20] قيل هو مؤمن آل فرعون وابن عمه ﴿مِنْ أَقْصَا

(1) تفسير القرطبي (13/ 263)، والكشاف (5/ 127).

﴿ٱلْمَدِينَةِ﴾ [الآية 20] آخرها ﴿يَسْعَىٰ﴾ [الآية 20] يُسرع في سيره إلى أدناها ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ﴾ [الآية 20] أشراف الجند ﴿يَأْتَمِرُونَ بِكَ﴾ [الآية 20] يتشاورون بسببك ويريدون أن يعلموا فرعون بصنعك ﴿لِيَقْتُلُوكَ﴾ [الآية 20] ظناً منهم أنك قتلت القبطي بقصدك ﴿فَٱخْرُجْ﴾ [الآية 20] من المدينة ﴿إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الآية 20] في أمرك.

﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [الآية 21] أن يدركه الطلب، وقيل يترقب الكفاية والحماية من الرب ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية 21] خلصني من شرهم واحفظني من مكرهم.

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ﴾ [الآية 22] تجاهها وقبالتها وهي قرية شعيب عليه السلام ولم تكن في سلطة فرعون مع أن بينها وبين مصر مسيرة ثمان ليال ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الآية 22] أي الطريق المستوي، قاله توكلاً على ربه وحسن ظن به وكان لا يعرف طريق مقصده فعنّ له ثلاث طرق فأخذ في أوسطها وجاء الطلاب عقيبه فأخذوا في الآخرين منها ظناً إنه لا يسير على الجادة فيها.

قال جعفر: توجه إلى ناحية مدين ببدنه وتوجه بقلبه إلى ربه طالباً منه سبيل الهداية فأكرمه بالكلام والرسالة فكل مَن أقبل على الله بالكلية فإن الله يبلغه مأموله البتة.

وقال الأستاذ: توجه بنفسه تلقاء مدين من غير قصد إلى مدين أو غيرها بل خرج على الفتوح وتوجه بقلبه إلى ربه ينتظر أن يهديه إلى النحو الذي هو خير له فقال: عسى ربي أن يهديني لأرشد سبيل لي.

﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ﴾ [الآية 23] وصل إليه وهو ما كانوا يستسقون لديه ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ﴾ [الآية 23] فوق شفيره ﴿أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الآية 23] جماعة كثيرة مختلفين ذهاباً وإياباً للمناوبة على ما هو المعتاد في السقاية ﴿يَسْقُونَ﴾ [الآية 23] الماشية ﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ﴾ [الآية 23] في موضع أسفل من مكانهم ﴿ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ [الآية 23] تمنعان أغنامهما انتظاراً لخلو الماء لهما ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا﴾

[الآية 23] ما شأنكما لا تسقيان غنمكما ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ﴾
[الآية 23] بصرف مواشيهم عن الماء حذراً عن مزاحمة الرجال/ بالنساء. وقرأ أبو 348/ أ
عمرو وابن عامر بفتح الياء وضم الدال أي حتى ينصرف الرعاء ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ [الآية 23] في السن لا يستطيع أن يخرج لسقي الماء فيرسلنا اضطراراً مع الرعاء.

قال ابن طاهر: ورد في الظاهر ماء مدين وورد في الحقيقة على مالك مياه الأنس والمحبة وبساتين المعرفة ووجد عليه أمة أي خواص جماعة من العباد الصفوة يرتقون في تلك البساتين من الروضة فأشربهم وشرب معهم من تلك المياه شربة أورثه ورود ذلك الموارد والمورود على مخاطبة الحق وأورثه شرب ذلك الماء الثبات في حال المخاطبة.

﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ [الآية 24] مواشيهما رحمة عليهما مع ما كان به من النصب والجوع ووصب جراحة القدم وغيرهما، وقد صح عن عمر رضي الله عنه أنه لما فرغ الناس جعلوا صخرة لا يستطيع رفعها إلا عشرة على رأس البئر فرفع موسى الحجر وحده ثم لم يستق إلا ذنوباً واحداً ودعا بالبركة وأروي عنهما. وقيل: كانت ببئر أخرى صخرة كبيرة عليها فرفعها واستقى منها، وهذا هو الأظهر فتدبر ﴿ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ﴾ [الآية 24] ظل شجرة أو جدار خربة ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ﴾ [الآية 24] لأي شيء ﴿أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ﴾ [الآية 24] من طعام يسير أو كثير ﴿فَقِيرٌ﴾ [الآية 24] محتاج وسائل من غير وسائل. وقيل: معناه إني فقير من الدنيا لأجل ما أنزلت إليّ من خير الدين وهو النجاة من الظالمين والغرض من هذا الكلام في خطابه إظهار الفرح به والشكر على ما به في بابه.

قال أبو بكر ابن طاهر: لما طال عليه البلوى أنس بالشكوى فقال: إني لما أنزلت إليَّ من خير فقير، يناجيه بلسان الافتقار وليس في الشكوى إلى المحبوب نقص في الاختيار.

وقال الحسين: إني لما خصصتني به من علم اليقين فقير إلى أن تردني إلى عين اليقين ثم حق اليقين.

وقال جعفر: فقير طالب لديك زيادة الفقر إليك إني لا أستغني عنك بشيء سواك.

وقال الأستاذ: لما وافى موسى مدين شعيب كان وقت الهاجرة وكان لهم بئر يستقون منها فيصبون الماء في الحياض ويسقون عنهم مواشيهم، وكان شعيب كف عنه بصره لكثرة بكائه، ففي القصة أنه بكى حتى ذهب بصره فرد
348/ب الله/ عليه بصره، ثم بكى حتى رد الله عليه بصره، ثم بكى ثالثاً فأوحى الله إليه إن كان بكاؤك لخوف النار فقد أمّنتك منها وإن كان لأجل الجنة فقد أبحتها لك، فقال: لا يا رب ولكن شوقاً إليك، فأوحى الله إليه لأجل ذلك أخدمتك نبيي وكليمي عشر حجج. وكان لشعيب أغنام ولم يكن له أجير وكانت ابنتاه تسوقان الغنم مكان الرعاة ولم يكن لهم قوة استقاء الماء من البئر وكان الرعاة يستقون الماء من البئر ويسقون مواشيهم فإذا انفضوا فإن بقي في الحوض بقية من الماء فبنات شعيب كانتا تسقيان غنهما، فلما وافى موسى ذلك اليوم وشاهد ذلك الحال من القوم رقّ قلبه لهما، فلما انصرف الرعاة سقى عنهما ثم تولى إلى ظل جدار بعدهما وكان جائعاً مسافراً لم يتعود قط العربة والرحلة ولم يكن معه مال في تلك الحالة فطلب قوتاً يزيل جوعه ويسد رمقه، وقيل: سأل حال يستقل بها ولا يضطرب معها، وكان شعيب يخرج إلى ظاهر الصحراء في طريق الماشية فمسها بيده فوجد أكثر الزيادة في تلك الكرة فسألهما فذكرتا له القصة، فقال شعيب: إنه جائع البتة. فبعث إحداهما لتدعوه إلى الضيافة.

﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ [الآية 25] مستحيية مستترة بكم ذراعها. قيل: كانت الصغرى وقيل الكبرى، وهي التي تزوجها موسى.

قال ابن طاهر: لتمام إيمانها وشرف عنصرها وكريم نسبها أتته على استحياء فقد ورد: «الحياء من الإيمان»[1].

وأفاد الأستاذ: أنها إنما استحييت لأنها كانت تخاطب من لم يكن

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (24)، ومسلم في الصحيح (36/ 59).

محرماً لها. وقيل: لما دعته للضيافة كانت مستحية والكريم يستحي من الضيافة ﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [الآية 25] جزاء سقيك لغنمنا. ولعل موسى إنما جاء ليتبرك برؤيته ويتطهر بمعرفته لا طمعاً في أجرته، بل روي أنه لما جاء قدم إليه طعاماً فامتنع عنه وقال: إنَّا أهل بيت لا نبيع ديننا بدنيانا، فقال شعيب: هذا من دأبنا مع كل من ينزل بنا على أن كل من فعل معروفاً فأهدي بشيء لم يحرم أخذه.

وقال الأستاذ: لم تطب نفس شعيب لما أحسن موسى إليه أن لا يكافئه بما قدر عليه وإن كان موسى لم يرد المكافأة لديه. ويقال: ورد بظاهره ماء / مدين وورد بقلبه موارد الأنس والروح. والموارد مختلفة فمورد القلوب رياض 349/ أ البسط بكشوفات المحاضرة فيطربون بأنواع الملاطفة، ومورد الأرواح مشاهد الأرواح فيكاشفون بأنوار المشاهدة فيتغيبون عن الإحساس بالنفس وما لها من المجاهدة، وموارد الأسرار ساحات التوحيد فعند ذلك الولاية لله لا نفس ولا حس ولا قلب ولا أنس استهلاك في الصمدية وفناء بالكلية. ويقال: الأجنبية والبعد من المحرمية توجب إمساكه عن مخاطبتهما والإعراض والسكوت عن سؤالهما ولكن الذي بينهما من المشاكلة والموافقة بالسر لهما استنطقه حتى سألهما عن قصتهما، كما قيل:

أجارتنا إنَّا غريبان ها هنا   وكل غريب للغريب نسيب[1]

ويقال: لما سألهما وأخبر عن حالهما لزمه القيام بأمرهما ليعلم أن من تفقد أمر الضعفاء وحالهم ووقف على موضع فاقتهم لزمه إزالة شكايتهم. ويقال: من كمال البلاء على موسى أنه وافى الناس وكان جائعاً ومقتضى الرفق أن يطعموه، فقبض القلوب عنه واستوجابه واستقباله من موجبات حكم الوقت أن يعمل عمل أربعين رجلاً لأن الصخرة التي نحَّاها عن رأس البئر وحده كان يقتلعها أربعون رجلاً. تولى إلى الظل، وقال: أرأيت إن يطعمني بعد مقاساة اللتيا واللتي فذلك فضلك، قاله بلسان الانبساط ولا لسان أحلى

(1) نسب إلى امرئ القيس. انظر العقد الفريد (1/ 196)، وخزانة الأدب (3/ 271).

من ذلك وهي شبه الشكوى ولكن إليه لا منه بل منه إليه. ويقال: تولى إلى الظل وروح البسط واستقلال السر بحقيقة الجود. ويقال: ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [الآية 24] فزدني فقراً فإن فقري إليك يوجب استغنائي بك.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُۥ﴾ [الآية 25] موسى ﴿وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ﴾ [الآية 25] وحكى لشعيب صورة ما جرى ﴿قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ﴾ [الآية 25] في هذا المكان المكين ﴿مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية 25] فرعون وقومه أجمعين.

﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا﴾ [الآية 26] وهي التي استدعته ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ﴾ [الآية 26] لرعي الغنم ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [الآية 26] فيه إيماء إلى أنه عليه السلام ما كان يلقى أخيراً جائعاً بين القوة في الخدمة والأمانة في الديانة.
349/ ب وروي أن شعيباً قال لها:/ وما أعلمك بقوته وأمانته، فذكرت إقلاله الحجر ورفعه وأنه صوب رأسه حين يلقنه أمره، وأَمَرَها بالمشي خلفه.

﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي﴾ [الآية 27] أي تأجر نفسك مني ﴿ثَمَٰنِيَ حِجَجٍ﴾ [الآية 27] ظرف للإجارة ﴿فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا﴾ [الآية 27] عمل عشر حجج ﴿فَمِنْ عِندِكَ﴾ [الآية 27] فإنما مد من عندك تفضُّلاً وتبرُّعاً من عندي عليك إلزاماً شرعاً، وهذا استدعاء للفقه لا نفسه حيث.

قال أريد ولم يقل أنكحتك مع ما في كلامه من إبهام المنكوحة ويمكن في ذلك اختلاف الشريعة ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾ [الآية 27] إلزام إتمام العشر الموجب للصعوبة لديك أو المنافسة في مراعاة الأحوال واستيفاء الأعمال ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الآية 27] في الوفاء بالمواعدة وحسن المعاملة، ولكن الصحبة والعشرة أو المجاملة.

﴿قَالَ﴾ [الآية 28] موسى ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية 28] الذي عاهدتني فيه ﴿بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾ [الآية 28] قائم بيننا لا يخرج عما شرطنا ﴿أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ﴾ [الآية 28] أطولهما أو أقصرهما ﴿قَضَيْتُ﴾ [الآية 28] وفّيت ﴿فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ﴾ [الآية 28] لا نعتدي على طلب الزيادة فلي الخيار مطلقاً في الإرادة ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ﴾

[الآية 28] من المشارطة ﴿وَكِيلٌ﴾ [الآية 28] شاهد حفيظ على ما وقع من عقد الإجارة.

وقال الأستاذ: في القصة أن شعيباً قال لموسى: أدخل هذا البيت وأخرج بما فيه من العصيّ عصا، وكان بيتاً مظلماً، فدخل وأخرج العصا التي كانت لموسى وأظهر أدبه فيها معجزة وجاء في القصة: إنها كانت لآدم عليه السلام وقعت إلى شعيب من نبي إلى نبي وذلك إنه لما أهبط آدم إلى الأرض صال عليه ما على وجه الأرض من السباع فأنزل عليه عصا من الجنة وأمره جبريل أن يرد السباع عن نفسه بتلك العصا فلما أخرج موسى تلك العصا. قال شعيب: رده إلى البيت وأخرج عصا أخرى، ففعل غير مرة ولم يحصل كل مرة في يده إلا تلك العصا، فلما تكرر الأمر هنالك علم شعيب أن له شأناً فأعطاه ذلك. ثم القصة أن اليوم الأول الذي ساق غنمه قال له شعيب: إن طريقك تتشعب شعبين على أحدهما كلأ كثير فلا تسلكه في الرعي فإن فيه ثعباناً واسلك الشعب./ فلما بلغ موسى مفرق الطريقين تفرّقت الغنم ولم 350/ أ
تطاوعه وسامت في الشعب الذي فيه الكلأ، وأن موسى تبع الأغنام ووقع عليه المنام فلما انتبه رأى الثعبان مقتولاً وعصاه كانت قد قتلت الثعبان، فلما انصرف أخبر شعيباً بذلك فسر به هنالك. وكان موسى يرى في العصا آيات كثيرة ولذا قال: ﴿وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ﴾ [طه: الآية 18].

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ﴾ [الآية 29] أي الأطول على ما صح في البخاري عن ابن عباس وروي أنه قضى أقصى الأجلين ومكث بعد ذلك عنده عشراً أخر ثم عزم على الرجوع إلى محله ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ﴾ [الآية 29] وكان في ليلة مظلمة شديدة البرودة والطرق مختلفة ﴿ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ﴾ [الآية 29] أبصر من الجهة التي تلي الطور ﴿نَارًاۖ﴾ [الآية 29] عظيمة وعن النظر بعيدة.

قال أبو علي الروذباري: الجبل الذي كلّم الله عليه موسى كان من العقيب ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ [الآية 29] من الطريق ممن يوجد عندها من الفريق ﴿أَوْ جَذْوَةٍ﴾ [الآية 29] وقرأ عاصم بالفتح

وحمزة بالضم شعلة مقتبسة ﴿مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ [الآية 29] أو قطعة منها ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [الآية 29] تستدفئون بها.

﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا﴾ [الآية 30] جاءها ﴿نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ﴾ [الآية 30] أتاه النداء من الجانب الأيمن لموسى أو من الوادي الأبرك ﴿فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ﴾ [الآية 30] بجميع أطرافها وجملة أكنافها ﴿مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الآية 30] بدل من شاطىء، بدل الاشتمال لأنها كانت ثابتة في تلك المحال ﴿أَن يَٰمُوسَىٰٓ﴾ [الآية 30] أي يا موسى ﴿إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الآية 30] أي الذي يكلِّمك ربّ العالمين، وهذا أوان خالف ما في طٰه والنمل في بعض المعاني، فهو طبقه ووفقه في المقصود من المعاني.

قال ابن عطاء: فلما تمَّ له أجل المحنة ودنا أيام القربة والرأفة والمنحة وإظهار أنوار النبوة وأسرار الجنة وسار بأهله ليشتركوا معه في لطائف الصنعة.

قال جعفر: أبصر ناراً دلّه على الأنوار ولا تدري أي النور على هيئة النار، فلما دنا منها شملته أنوار القدس وأحاطته جلابيب الأنس فخوطب بألطف خطاب واستدعى منه أحسن / جواب فصار بذلك مكلّماً شريفاً مقرَّباً 350/ب
مكمَّلاً لطيفاً أعطي ما سأل وأمن مما خاف.

وأفاد الأستاذ: إنه تعالى أخفى تعيُّن موضع قدم موسى على الظنون بهذا الخطاب حيث قال في الكتاب: ﴿مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ﴾ [الآية 30] ثم قال: ﴿فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ﴾ [الآية 30] وعندها سمع خطاب مولاه بلا واسطة، وأعز الأماكن عند أولي الألباب مشهد الأحباب كما قيل في هذا الباب:

وإني لأهوى الدار ما تستقرني   لها ألوذ إلا أنها من دياركا(1)

ويقال: كم قدم وطئت تلك البقعة ولكن لم يسمع صاحبها بها سينه وكم ليلة أجنّت تلك البقعة ولم يظهر من تلك النار فيها شعلة. ويقال: شتان

(1) ذكره القشيري في تفسيره (3/ 133).

بين شجرة وشجرة، شجرة آدم عندها ظهور محنته وفتنته وشجرة موسى فتح نبوَّته وبدئ رسالته. أقول: ويمكن أن يقال هذه الشجرة من ثمرة تلك الشجرة لأن المحنة توجب المنحة والبلاء يورث الولاء ويكون وجه تسمية شجرة آدم بشجرة العلم والله أعلم. ويقال بتفضيل نوع تلك الشجرة وما يدري ما الذي كان لتلك الشجرة من الثمرة بل هي شجرة الوصلة ثمرها القربة أصلها ثابت في أرض المحبة وفرعها باسق في سماء الصفوة، أوراقها الزلفة وأزهارها وأنوارها تتفتق عن نسيم الروح والبهجة. فلما سمع الكلام موسى عليه السلام تغير عليه الحال في ذلك المقام، وفي القصة أنه غشي عليه وأرسل الله الملائكة إليه حتى روحوا بمراوح الأنس لديه وكان هذا في ابتداء الأمر والمبتدىء مرفوق به، وفي المرة الأخرى خرّ موسى صعقاً وكان يفيق والملائكة تقول له: يا ابن الحيض مثلك من يسأل الرؤية[1]، كذا في الحديث. والقصة في البداية لطف وفي النهاية عنف. ويقال: في الأولى ختل وفي الأخرى قتل.

فلما دارت الصهباء دعا بالنطع والسيف
كذا من يشرب الراح مع النبيين في الصيف

ونظيره ما وقع لآدم عليه السلام من تشريفه أولاً وتعنيفه آخراً بناء على أن الولاء يعقبه البلاء.

﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ [الآية 31] عطف على أن يا موسى داخل تحت ما نادى
351/ أ سبحانه/ وتعالى.

وأفاد الأستاذ: أن المعنى يا موسى اخلع نعليك وأقم عندنا هذه الليلة فقد تعبت في الطريق لديك إن لم يكن هذا في النقل والآثار فهو ما يليق بتلك الحال عند الاعتبار، يا موسى كيف صعدت وكيف صوبت وكيف شرقت وكيف غرّبت ما كنت في الطريق وحدك، يا موسى أحصينا خطاك

(1) تفسير الخازن (3/ 90)، وتفسير البغوي (3/ 278).

إحصاء كل شيء عدداً، يا موسى تعبت فاسترح، يا موسى بعدما جئت فلا تبرح كذا العبد غداً إذا قطع المسافة في القيامة وتبوأ من منزله في الجنة وآخرون يمضون من الطريق إلى بساط الزلفة كذا العبد والخادم إذا دخل بلد سلطانه يبتدىء أولاً بخدمة السدّة العالية ثم بعده ينصرف إلى منزله بالعافية وكذا اليوم أمرنا إذا أصبحنا كل يوم أن لا نشتغل بشيء من أمور الخلق حتى نفتتح النهار بالخطاب مع الحق ونحضر بساط الخدمة وهو الصلاة من العبادة بل نحضر بساط الدنو والقربة لقوله: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ [العَلق: الآية 19]، المصلي مناجي ربه لو يعلم المصلي من يناجي ما التفت أي لم يخرج عن صلاته فيلتفت يميناً وشمالاً في التسليم الذي هو التحليل من عبادته.

﴿فَلَمَّا رَءَاهَا﴾ [الآية 31] أي لما ألقاها فصارت حية كبيرة ﴿تَهْتَزُّ﴾ [الآية 31] تتحرك بسرعة كبيرة ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ [الآية 31] حية صغيرة في جثتها وهيئتها أو في سرعة حركتها ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا﴾ [الآية 31] منهزماً من خوف ما رأى ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ [الآية 31] لم يرجع إلى الوراء ﴿يَٰمُوسَىٰٓ﴾ [الآية 31] أي نودي بهذا النداء ﴿أَقْبِلْ﴾ [الآية 31] إلينا واعتمد علينا ﴿وَلَا تَخَفْ﴾ [الآية 31] من غيرنا ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلْأَمِنِينَ﴾ [الآية 31] لدينا فإنه لا يخاف لدي المرسلون، فرجع إلى مكانه الأول ووقف في مقامه الأكمل.

قال سري السقطي: الخوف على ثلاثة أوجه: خوف في الدين وهو خوف العامة، وخوف العارض عند تلاوة القرآن وهو خوف الخاصة، وخوف مزعج يجفل القلب ويهتز البدن ويذهب بالنوم ويورث الحزن وهو خوف أهل الحقيقة.

وقال الأستاذ: انقلب العصا حية فولى موسى مدبراً خيفة ولم يقف لمحة وكان موضع أن يقول حديث أوله تسليط الثعبان من ذا يطيق هذا الشأن، فقيل: لا تخف يا موسى إن الذي يقدر أن يقلب العصا حية يقدر أن
351/ب يخلق لك منها سلامة إنك من الآمنين،/ ليس المقصود من هذا خوف بدنك إنما أثبت هذا إلا سلطةُ على عدوك وهذا معجزتك على قومك.

﴿أَسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ [الآية 32] أدخلها في جيب قميصك ﴿تَخْرُجْ بَيْضَآءَ﴾ [الآية 32] كأنه قطعة قمر نور ﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ [الآية 32] عيب كبرص وداءٍ ﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾ [الآية 32] المراد بأحد الجناحين اليد اليمنى وبالآخر اليد اليسرى وكل منها مضموم ومضموم إليه بإدخال كل منهما تحت عضد الأخرى ﴿مِنَ ٱلرَّهْبِ﴾ [الآية 32] من أجل الرهب إذا غلبك الرعب. عن ابن عباس وغيره: إذا خاف أحد ووضع يده على فؤاده يخف خوفه ويزول رعبه. وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر بضم الراء وسكون الهاء. وقرأ حفص بفتح فسكون ﴿فَذَانِكَ﴾ [الآية 32] وقرأ ابن كثير بتشديد النون والإشارة إلى العصا واليد وتذكيرهما باعتبار الخبر وهو قوله: ﴿بُرْهَـٰنَانِ﴾ [الآية 32] أي حجتان ومعجزتان ﴿مِن رَّبِّكَ﴾ [الآية 32] مرسلهما ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ﴾ [الآية 32] خارجين عن حدهم وأمر ربهم.

وقال الأستاذ: قيل إنما قيل له اسلك يدك في جيبك لأن الدرعة التي كانت عليه لم يكن لها كم، وفي هذا إشارة لأن عند كل أحد أنه يصل إلى مقصوده ومراده بتشمُّره وحده واجتهاده وإخراج يده من كمه، والله قال لموسى: أدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء وألق عصاك نجعلها ثعباناً بلا ضرٍّ بك ولا استعمالك لها، يا موسى الأمر بنا لا بك، وأنا لا أنت في فعلتك، فذانك برهانان من ربك يا موسى في وصف خضوعك تجدني وبتبرئك من حولك وقوتك تصل إليّ.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ۝٣٣﴾ [الآية 33] فأعني وادفعهم عني لأقوم بتبليغهم عني ﴿وَأَخِي هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾ [الآية 34] وأوضح مني بياناً ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا﴾ [الآية 34] وقرأ نافع بالنقل أي معيناً ﴿يُصَدِّقُنِيٓ﴾ [الآية 34] بإتمام الحجة ورفع الشبهة ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ [الآية 34] ولساني لا يطاوعني عند الحاجة. وقرأ عاصم وحمزة: يصدقني بالرفع على أنه صفة.

قال أبو بكر ابن طاهر: هو أفصح مني لساناً مع الخلق وكيف أكون

352/ أ فصيحاً معهم وقد سمعت لذيذ كلامك، وكيف أخاطبهم أو كيف/ أجعل لهم، وزناً مع ما آتيتني وخصصتني به شأناً ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ﴾ [الآية 35] سنقويك ﴿بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا﴾ [الآية 35] غلبة وشأناً أو حجة وبرهاناً. قيل: هيبة في قلوب الأعداء ومحبة في قلوب الأولياء وسلطاناً على أنفسكما فلا يقدر الشيطان أن يغلبكما أو أصابه في أحكام الحدود على اتباعكما ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾ [الآية 35] باستيلاء أو حجاج وإيذاء ﴿بِآيَاتِنَا﴾ [الآية 35] بسبب إظهار معجزاتنا ﴿أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾ [الآية 35] بإرادتنا وقدرتنا.

وقال الأستاذ: تعلل موسى عليه السلام بكل وجه رجاء أن يعافى من مشقة التبليغ ومقاساة البلاء لا علم أن النبوة فيها مشقة فلم يجد الرخصة والإعفاء عما كلف من تحمُّل أعباء النبوة، وأجاب سؤله في أخيه وضمن لهما النصرة ثم إنهما لما أتيا فرعون قابلهما بالتكذيب في الرسالة ورماهما بالسحر والمكيدة وجاوباه بالحجة ودعواه إلى سواء المحجة فأبى إلا الجحد إلى اللحد وهذا معنى قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا﴾ [الآية 36] من المعجزات ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ [الآية 36] ظاهرات الدلالات ﴿قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى﴾ [الآية 36] تخييل لا حقيقة له في الكائنات ﴿وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾ [الآية 36] ادعاء النبوة ﴿فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ [الآية 36] الأمم المتقدمة.

﴿وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ﴾ [الآية 37] ومن يتبع الهدى في دينه. وقرأ ابن كثير قال بغير واو على أنه استئناف وقع جواباً لمن سأل عن جوابه ﴿وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾ [الآية 37] العاقبة المحمودة فإن المراد بالدار الدنيا وعاقبتها الحميدة هي الجنة. وقرأ حمزة والكسائي يكون بالياء ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [الآية 37] لا يفوزون بالهدى في الدنيا وبحسن العاقبة في العقبى.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ﴾ [الآية 38] أطبخ لي الآجر ﴿فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا﴾ [الآية 38] قصراً عالياً ﴿لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [الآية 38] في أن لكم إله غيري وإنه رسوله في الدين.

وأفاد الأستاذ: إنه ادعى الانفراد بالإلٰهية فزاد على عبدة الأصنام الذين جعلوا أصنامهم شركاء بل وسائل وشفعاء ومن زيادة ضلاله توهمه أن المعبود في جهة العلو وأنه يمكن الوصول إليه، ولعمري لو كان جهة لا يكون / تقدير 352/ ب
الحصول لديه.

﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الآية 39] بغير استحقاق من جانب الحق ﴿وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾ [الآية 39] اعتقدوا أنه لا قيامة لدينا ولا معاد إلينا. وقرأ نافع وحمزة والكسائي بفتح التاء وكسر الجيم.

﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾ [الآية 40] فطرحناهم فيه ككف رماد في ساحة الهم ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية 40] ما حال المجرمين.

﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً﴾ [الآية 41] قدوة للضلال بالحمل على الإضلال ﴿يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ [الآية 41] إلى موجباتها من الكفر والمعاصي وما يتبعها من الأنكال والأغلال ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ [الآية 41] بدفع العذاب عنهم في جميع الأحوال.

﴿وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ [الآية 42] طرد عن الرحمة أو لعن اللاعنين من الملائكة والمؤمنين ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾ [الآية 42] سود الوجوه زرق العيون بين المخلوقين.

قال ابن عطاء: نزع عنهم أنوار التوفيق وأسرار التحقيق في ظلمات نفوسهم كالغريق لا يدلون غيرهم على سبيل الرشد والتوفيق ولا يسلكون بأنفسهم سوء الطريق فسماهم الله أئمة يدعون إلى الحريق.

وقال الأستاذ: واستكبر هو وجنوده وأبى إلا أن يدوم جحوده وعنوده فغرقه الله في البحر كما غرق قلبه في بحر الكفر وجعلهم أئمة لا بشرفهم لكن بسبب تلقيهم قدمهم في الخزي والمهانة على كل أمة فهم أئمة لكن لم يرشدوا إلا إلى الضلال ولم يدلوا الخلق إلا على المحال وما حصلوا إلا على سوء الحال وما ذاقوا إلا خزي الوبال، أفاضوا على متبعيهم من ظلمات

قلوبهم وافتضحوا في خسة مطلوبهم وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين، كانوا في الدنيا مبعدين عن معرفته وفي الآخرة مبعدون عن مغفرته فانقلبوا من طرد إلى طرد ومن هجر إلى بُعد ومن افتراق إلى احتراق.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ﴾ [الآية 43] التوراة ﴿مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الآية 43] أقوام نوح وهود وصالح ولوط وقوم فرعون بعدهم ﴿بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ﴾ [الآية 43] حال كون الكتاب أنواراً لقلوبهم يتبصر به الحقائق ويتميز بها بين الحق والباطل من أحوال الخلائق ﴿وَهُدًى﴾ [الآية 43] وسبب هداية دلالة إلى معرفة الشريعة ﴿وَرَحْمَةً﴾ [الآية 43] / وموجب رحمة ونعمة في 353/ أ
الدنيا والآخرة ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الآية 43] ليكونوا على حال يرجى منهم التذكرة.

وأفاد الأستاذ: أنه إنما يطلب المنازل إذا خلا من الأجانب ورؤيتهم وأطيب المساكن ما كان رؤيتها يفقد الرقباء وغيبتهم فلما أهلك الله فرعون وقومه وأورث بني إسرائيل أموالهم وديارهم ومحى عن جميعها آثارهم طاب عليهم العيش في العبادة وطلعت عليهم شموس السعادة..

﴿وَمَا كُنتَ﴾ [الآية 44] يا محمد حاضراً ﴿بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ﴾ [الآية 44] من الوادي أو الطور فإنه كان في شق الغرب من مقام موسى عند ظهور النور ﴿إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ﴾ [الآية 44] أوحينا إليه أمر الرسالة ﴿وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ﴾ [الآية 44] لذلك حتى تعرف القصة وترى الحالة فما هو إلا من إعلام الله بالأمور الغيبية كالمعجزة الدالة على صحة النبوة. وقيل: أراد بالشاهدين السبعين المختارين.

﴿وَلَـٰكِنَّآ أَنشَأْنَا﴾ [الآية 45] خلقنا بعد موسى ﴿قُرُونًا﴾ [الآية 45] أمماً مختلفة ﴿فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ﴾ [الآية 45] أي الأزمنة فحرّفت الأخبار وتغيرت الشرائع واندرست العلوم والآثار وانطمست الأسرار وانطفأت الأنوار إلى أن ظهر سيد الأبرار وسند الأحرار ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ [الآية 45] من شعيب

والمؤمنين به ﴿تَتْلُواْ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية 45] نقرأ عليهم تعلماً منهم ﴿ءَايَـٰتِنَا﴾ [الآية 45] التي فيها قصتهم فيحكي ما رأيت فيهم ونقلت منهم ﴿وَلَـٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ [الآية 45] إياك ومخبرين بما أتاك.

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ [الآية 46] موسى وقلنا له: ﴿خُذِ ٱلْكِتَـٰبَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم: الآية 12] فالأول عبارة عن النبوة والآخر إشارة إلى الرسالة. وعن بعض السلف معناه: إذ نادينا أمتك في أصلاب آبائهم حين سألني موسى رؤيتك ورؤيا أمتك وقلت له: إنك لن تصل إلى ذلك لكن إن شئت أسمعت صوته[1]. رواه النسائي عن أبي هريرة وكذا نقل عن ابن عباس وغيره.

قال ابن عطاء: أحببنا سؤال من دعا على الطور وجعلنا ما طلبه لأمتك إجلالاً لقدرك وعظيم محلك. وحكى ابن أبي يزيد أنه قرأ هذه الآية بين يديه فقال: الحمد لله الذي لم أكن ثمة، كذا في تفسير السلمي، ولعله ذكره على وجه الغيرة.

وقال الأستاذ: وما كنت بجانب الطور إذ نادينا موسى وكلمناه ولكن خاطبناه / في بابك وفي باب أمتك فلم تقدح غيبتكم في الحال وكوني لكم 353/ب
خير من كونكم لكم، أي في حسن المآل، وزين المنال وفراغ البال. ويقال: لما خاطب موسى وكلمه وسأل موسى أني أرى في التوراة أمة صفتهم كذا وكذا من هم، فسأل عن أوصاف وعن الجميع كان الله يجيب إنهم أمة أحمد، فاشتاق موسى إلى لقائه فقال تعالى إنه ليس اليوم وقت ظهورهم فإن شئت أسمعت كلامهم، فأراد أن يسمع كلامنا فنادى سبحانه وقال: يا أمة أحمد، فأجاب الكل من أصلاب آبائهم فسمع موسى عليه السلام كلامهم بعد ندائهم، ثم لم يتركهم الله بذلك من غير نفع هنالك فالغني إذا سأل فقيراً فأجابه لا يرضى بأن يرده من غير إحسان إليه فقال سبحانه: أعطيتكم قبل أن تسألوني وغفرت لكم قبل أن تستغفروني، ثم فما كان موسى عليه السلام يتلو

(1) تفسير ابن كثير (6/ 240)، وتفسير الرازي (12/ 90).

عليهم من آياته ذكر نبينا ﷺ بالجميل وكراماته بحسن الثناء عليهم فنحن في الوجود محدث مخلوق وفي ذكره قديم متعلق لا باستفتاح زمان لم يكن في العدم ولا أشياء ولكن كنا بتعلق القدرة متناول العلم والمشيئة مذكوراً للخطاب الأزلي والكلام الصمدي والقول الأبدي، فمن طلب موسى عليه السلام لأمته جعلناه لأمتك وكما نادينا موسى وهو في الوجود والظهور ناديناكم وأنتم في كتم العدم وأنشدوا:

كن لي كما كنت لي في حال لم أكن

﴿وَلَٰكِن رَّحۡمَةً﴾ [الآية 46] أوجبت إليك نعمة ﴿مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبۡلِكَ﴾ [الآية 46] لوقوعهم في فترة بينك وبين عيسى عليه السلام وهي خمسمائة وخمسون سنة أو بينك وبين إسماعيل على أن دعوة موسى وعيسى كانت مختصة ببني إسرائيل وما حواليهم. هذا وقيل بين عيسى ورسولنا عليهما السلام أربعة أنبياء ثلاثة من بني إسرائيل وواحد من العرب خالد ابن سنان العبسي ﴿لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الآية 46] لكي يتفكروا ويتدبروا فيتعظوا ويعتبروا.

﴿وَلَوۡلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةُۢ﴾ [الآية 47] عقوبة ﴿بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾ [الآية 47] من الكفر والمعصية ﴿فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ﴾ [الآية 47] هلا ﴿أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا
354/ أ رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ﴾ [الآية 47] في ما أمرتنا/ ﴿وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الآية 47]
المصدقين فيما أخبرتنا لما أرسلناك، والمعنى إن أرسلناك إليهم قطعاً للمعذرة لديهم وإلزاماً للحجة عليهم.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ﴾ [الآية 48] أي الرسول المصدق بنوع من المعجزات الدالة على صدق نبوته أو الكتاب المحقق ﴿مِنۡ عِندِنَا﴾ [الآية 48] من لدنا ﴿قَالُواْ﴾ [الآية 48] عناداً وتعنتاً واقتراحاً ﴿لَوۡلَآ﴾ [الآية 48] هلا ﴿أُوتِيَ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓ﴾ [الآية 48] من الكتاب جملة واليد والعصا معجزة ﴿أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ﴾ [الآية 48] يعني أبناء جنسهم في الرأي والمذهب وهم كفرة زمن موسى ﴿بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۖ﴾ [الآية 48] قبل زمان محمد عليه السلام. والمعنى إذا كفر أولئك مع رؤية تلك الآيات لكفر هؤلاء المقترحون أيضاً لاتحادهم في سوء الحالات ﴿قَالُواْ

سِحْرَانِ﴾ [الآية 48] يعنون موسى وهارون، وقيل موسى ومحمد فيتعين أن يكون فاعل يكفروا ضمير قريش فإنهم كفروا بنبوة موسى أيضاً حين جاءهم الرهط الذين أرسلوهم إلى يهود المدينة يسألنهم عن محمد عليه السلام بخبرهم ﴿تَظَـٰهَرَا﴾ [الآية 48] تعاونا بإظهار تلك الخوارق أو بتوافق الكتابين من التوراة والفرقان وقرأ الكوفيون ساحران بتقدير مضاف أو إرادة مبالغة أو المراد بهما التوراة والقرآن ﴿وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلٍّ كَـٰفِرُونَ﴾ [الآية 48] بكل منهما أو بكل الأنبياء معهما.

قال الأستاذ: تمنوا في زمان الفترة أن يبعث الله إليهم رسولاً ليهتدوا به في الديانة ووعدوا من أنفسهم الإيمان والإجابة، فلما أتاهم الرسول كذبوه وقالوا: هلا خص بمثله بمعجزات موسى من العصا واليد البيضاء وكان ذلك منهم خطأ واقتراحاً في غير موضع الحاجة وتحكماً بعد إزاحة العلة.

وكذا الملول إذا أراد قطيعة ... ملّ الوصال وقال كان وكانا[1]

﴿قُلْ فَأْتُواْ بِكِتَـٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ﴾ [الآية 49] مما نزل على موسى وعلى من التوراة والقرآن ﴿أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [الآية 49] إنا ساحران أو هما ساحران مختلفان وفيه تنبيه على أن الكتابين كليهما معجزتان.

﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ﴾ [الآية 50] دعاك إلى الإتيان بالكتاب الأهدى واختاروا طريق الأردى ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [الآية 50] لأنهم من عنادهم
354/ ب بعدما لزمتهم الحجة ما تركوا آراءهم/ ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 50] لا أضل ممن تبع هواه وترك هداه وقد ورد: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به من هداه»[2] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [الآية 50] الذين ظلموا أنفسهم بمخالفة الهدى وموافقة الهوى.

﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ﴾ [الآية 51] أنزلنا عليهم القرآن نزولاً متصلاً بعضه ببعض في الأزمان ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الآية 51] لكي يتعظون فيؤمنوا ويطيعوا.

---

(1) ذكره القشيري في تفسيره (6/ 54).
(2) جامع الأحاديث (16/ 492) رقم (17365).

وفي تفسير السلمي قال بعضهم: إما تبعنا الموعظة والرسول الرسول والدليل الدليل لعلهم يتذكرون وينتبهون من رقدة الغفلة.

زاد الأستاذ فيما أفاد: فما ازدادوا إلا كفراً ونبواً وجحداً وعتواً فلا إلى الحق رجعوا ولا إلى الاستقامة جنحوا.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [الآية 52] يعني اليهود والنصارى ﴿مِن قَبۡلِهِۦ﴾ [الآية 52] قبل نزول القول المراد به القرآن ﴿هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الآية 52] أي هم الذين يؤمنون بالقرآن ويصلون إلى مقام العرفان ولا يبعد أن يكون المراد من آتيناه الكتاب سابقاً أسمعناه الخطاب لاحقاً.

وقال الأستاذ: أي من كحلنا بصيرته بنور الهداية صدقوا بمقتضى مساعدة العناية ومن أعميناه عن شهود التحقيق ولا يساعده ساعد وجود التوفيق انعكس في غوايته وانهمك في ضلالته.

﴿وَإِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الآية 53] القول الحق النازل من عندنا ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلِهِۦ مُسۡلِمِينَ﴾ [الآية 53] منقادين ومصدقين لما رأى وذكره في الكتب المتقدمة قبل نزول القرآن وتلاوته عليهم وتبين صحته لديهم في الجملة.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ﴾ [الآية 54] مرة على إيمانهم بكتابهم والعمل بخطابهم ومرة على إيمانهم بالقرآن واتباعه على وجه الإحسان ﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾ [الآية 54] بسبب صبرهم وثباتهم على الإيمان بالقرآن قبل النزول وبعده من الزمان ﴿وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ [الآية 54] ويدفعون بالطاعة المتجددة المعصية المتقدمة كقوله عليه السلام: «أتبع السيئة الحسنة تمحها»[1]، رواه الترمذي وحسنه، أو لا يقابلون الأذى بمثله بل يعفون عن فاعله أو يجازون الإحسان في مقابله ﴿وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾ [الآية 54] في سبيل الخير/ ووجوبه. 355/ أ

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (1/ 121) رقم (178)، والطبراني في المعجم الكبير (20/ 145) رقم (297)، والبيهقي في شعب الإيمان (6/ 244) رقم (8023).

وقال الأستاذ: بما صبروا على ارتكاب الأوامر واجتناب الزواجر يؤتون أجرهم مرتين مرة في عاجلهم ومرة في آجلهم مرة في الآخرة وهي المثوبة وأخرى في الدنيا وهي لطائف القربة.

﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ﴾ [الآية 55] القبيح من القول كشتمهم ﴿أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [الآية 55]تكرُّماً بهم ﴿وَقَالُوا۟﴾ [الآية 55] جواباً لقومهم ﴿لَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ﴾ [الآية 55] كما يجازى بعمله منا ومنكم ﴿سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية 55] متاركة لهم وتوديعاً منهم ودعاء لهم بالسلامة عنهم ﴿لَا نَبْتَغِى ٱلْجَـٰهِلِينَ﴾ [الآية 55] لا نطلب صحبتهم ولا نريد طريقتهم.

قال أبو عثمان: كل شيء سوى القرآن وذكر الله فهو لغو.

وأفاد الأستاذ: أن اللغو ما يلهي عن الله. وقيل: اللغو ما لا يوجب وسيلة عند الله. ويقال: اللغو ما لا يكون بالحق للحق. ويقال: هو ما صدر عن قلب غافل. ويقال: اللغو ما يوجب سماعه اللهو.

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [الآية 56] أي نفسه أو هدايته والمعنى لا تقدر أن تدخله في الإسلام ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [الآية 56] بأن يخلق في قلبه الاهتداء على ما حققه أكابر العلماء والحاصل أي نفسه أو هدايته والمعنى لا يقدر أن يدخله في الإسلام إن الهداية تستعمل في خلق الاهتداء وبيان طريق الهدى في الابتداء وكلا المعنيين مستقيم في حقه سبحانه، وأما الرسول فليس له إلا المعنى الثاني وبيانه فلا ينافي قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَـٰهُمْ﴾ [فُصّلت: الآية 17] ولا قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشّورى: الآية 52]، ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [الأنعَام: الآية 117] المستعدين لقبول الدين. والجمهور على أن الآية نزلت في أبي طالب فإنه لما احتضر جاءه رسول الله ﷺ وقال: «يا عم قل لا إلٰه إلا الله كلمة أحاجّ بها لك عند الله، قال: يا ابن أخي قد علمت إنك لصادق ولكن أكره أن يقال جزع عند الموت»[1] رواه الشيخان.

---

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (1360) رقم (1294)، ومسلم في الصحيح (24/ 39).

وأفاد الأستاذ: إن الهداية في الحقيقة إمالة القلب من الباطل إلى الحق وذلك من خصائص قدرة الحق. وتطلق الهداية بمعنى الدعاء إلى الحق توسعاً
355/ب وذلك جائز بل واجب في صفته عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ/ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: الآية 52]، ويقال لك: شرف النبوة ومنزلة الرسالة وجمال السفارة والمقام المحمود والحوض المورود وأنت سيد ولد آدم وتحية أهل العالم ولكنك لا تهدي من أحببت لأن خصائص الربوبية لا تصلح لمن وصفه البشرية ونعته العبودية.

﴿وَقَالُوٓاْ﴾ [الآية 57] بعض قريش ﴿إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ﴾ [الآية 57] نؤمن بك ﴿نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ﴾ [الآية 57] نخرج من بلادنا لإجماع أهل مكة على خلاف مرادنا فرد الله عليهم بقوله: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ﴾ [الآية 57] ألم نحسن إليهم ولم نجعل مكانهم ﴿حَرَمًا ءَامِنًا﴾ [الآية 57] ذا أمن بحرمة البيت الذي فيه يتفاخر العرب حوله وهم آمنون به ﴿يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ﴾ [الآية 57] وقرأ نافع بالتأنيث أي يحمل إلى الحرم وتجمع فيه ﴿ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا﴾ [الآية 57] أي ثمرات كثيرة من كل ناحية ﴿مِّن لَّدُنَّا﴾ [الآية 57] أي رزقاً لدينا من فضلنا وجودنا لتمام شهودنا ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 57] جهلة لا يتفطنون ولا يتأملون، والمعنى هذا مع كفرهم في الدين فكيف نفرضهم التخوف والتخطف إذا كانوا موجودين فصاروا في عذرهم كاذبين معاندين.

وأفاد الأستاذ: إن من قام بحق الله سبحانه سخر له الكون بجملته ومن اشتغل برعاية سره لله وقام بحق الله واستفرغ أوقاته في عبادة الله سكن من التصرف بهمته في مملكة الله، فالخلق له مسخر والوقت طلوع أمر والحق سبحانه متوالي أعماله وآماله يحقق ظنه ولا يضيع حقه ومن ضيعه يهلك في أودية ضلاله ويتيه في متاهة حزنه ويبور بوزر هوانه.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ﴾ [الآية 58] أي جماعة كثيرة من أهلها ﴿بَطِرَتْ﴾ [الآية 58] أشرت وطغت وبغت ﴿مَعِيشَتَهَا﴾ [الآية 58] في معيشتها أو كفرت نعمتها ﴿فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ﴾ [الآية 58] خاوية وخالية ﴿لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾

[الآية 58] من السكنى أو لا يسكنها إلا المارة يوماً ما ﴿وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ [الآية 58] منهم إذ لم يخلفهم أحد يتصرف تصرفهم في ديارهم وسائر آثارهم.

وقال الأستاذ: لم يعرفوا قدر نعمتهم ولم يشكروا سلامة حالتهم وانتظام أمور معيشتهم فهاموا في أودية الكفران على وجوههم وخرّوا في وهدة الصغر على أذقانهم فأذاقهم كاسات الهوان لما كسر خمار بطرهم فمساكنهم عنهم خالية/ وسقوفهم عليهم خاوية وغراب التدبير فيهم ناعية. 356/ أ

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ﴾ [الآية 59] عادته ﴿مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِيٓ أُمِّهَا﴾ [الآية 59] أصلها التي هي سوادها وأعمالها لأن أهلها أكثر فطانة وأعظم نباهة مع أنها مرجع غيرها ﴿رَسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾ [الآية 59] لإلزام الحجة وقطع المعذرة واستحقاق العقوبة ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾ [الآية 59] بالكفر والمعصية أو بتعدي بعضهم على بعض في المظلمة. وعن بعض المفسرين معناه: ما كان في حكمنا وقضائنا أن نهلك القرى ونخرب الديار حتى نبعث في أم القرى مكة رسولاً يعرض عليهم القرى ثم نهلك من أعرض عن آياتنا وقبول ضيافاتنا.

وقال الأستاذ: رسولاً يأمن التكليف بأمرهم وبأمر التكوين على ما يريد نعتهم فيبعث الرسول إنذاراً ويعمي عليهم السبل اقتداراً يوضح الحجة بحيث لا شبهة في المحجة ولكنه لا يهدي إلا من سبق له السعادة بحكم القسمة.

﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ﴾ [الآية 60] من أسباب الدنيا وبهجتها ﴿فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا﴾ [الآية 60] ما هو إلا تمتُّع وزينة أياماً قليلة ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 60] وهو ثوابه من الجنة ونعيمها خير في نفسه من الدنيا وما فيها لأنه نعمة خالصة ولذة شاملة وبهجة كاملة وأبقى لوجوده أبداً أفلا تعقلون فتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الآية 60] وقرأ أبو عمرو بالغيبة وهو أبلغ في الموعظة.

قال النصرآبادي: الخلق كلهم عبدة النعم والقريب والعزيز فيهم من يعبد المنعم من قطع عن الله بأي شيء فهو مغبون، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم

مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [الآية 60] خاطب به العوام وقال للخواص: و﴿اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [الآية 60].

وأفاد الأستاذ: أن الدنيا حلوة خضرة لكنها في التحقيق مرّة نفرة قشرها يوم أنها صفو ولكن من وراء صفوها حشواً.

﴿أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا﴾ [الآية 61] وعداً بالجنة فإن حسن الوعد بحسن الموعود ﴿فَهُوَ لَاقِيهِ﴾ [الآية 61] مدركه لا محالة في العقبى لامتناع الخلق في وعده بالمثوبة أو العقوبة ﴿كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الآية 61] الذي هو شرب بالآلام والأسقام ممد بالمتاعب في الليالي والأيام ﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ [الآية 61] / للحساب أو العذاب. قيل: نزلت الآية في النبي ﷺ 356/ب
وأبي جهل لكن العبرة بعموم الألفاظ لا بخصوص الأسباب.

قال أبو عثمان: من فرح بالدنيا فرح بغير مفروح به لأن أولها بلاء وأوسطها عناء وآخرها فناء، ومن عمل للآخرة وركن إليها وسعى سعيها آتاه الله خير الدارين لا محالة وأتته الدنيا وهي راغمة.

وأفاد الأستاذ: إن الدنيا سموم حنظلها هموم عسلها وتلف ما يحصل من شربها يغلب لطف ما يظهر من إربها وليس من أكرم بوجدان نعيم عقباه كمن فني بالوقوع في جحيم دنياه.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ [الآية 62] أي المشركين ﴿فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الآية 62] إنهم شركائي ﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ [الآية 63] وجب عليهم العذاب بثبوت مقتضاه وحصول مراده وقوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هُود: الآية 119] وغيره من آيات الوعيد والمراد منهم شياطينهم وسادتهم في الضلال خوفاً من أن يقول السفلة: لا ذنب لنا إنما الذنب لأصحاب الإضلال ﴿رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا﴾ [الآية 63] أي هؤلاء هم الذين ﴿أَغْوَيْنَاهُمْ﴾ [الآية 63] ﴿كَمَا غَوَيْنَا﴾ [الآية 63] أي فغووا غياء مثل ما غوينا وتسويلاً إليهم، أو المعنى اخترنا لهم إلا ما اخترنا لأنفسنا فلا عتب لهم علينا ولا مزية لهم لدينا ﴿تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ﴾ [الآية 63] منهم وتبعدنا لأجلك عنهم ﴿مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾

[الآية 63] وإنما كانوا يعبدون أهواءهم فنحن وهم سواء في الغواية واستحقاق العقوبة. اعترفوا بذنبهم وبما استحقوا من كسبهم وندموا حيث لا منفعة لندمهم.

﴿وَقِيلَ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ﴾ [الآية 64] ليخلصكم من بلائكم ﴿فَدَعَوۡهُمۡ﴾ [الآية 64] من فرط الحيرة ﴿فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ﴾ [الآية 64] لعجزهم عن الإجابة والنصرة ﴿وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۚ﴾ [الآية 64] لازماً بهم البتة ﴿لَوۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ يَهۡتَدُونَ﴾ [الآية 64] من الصواب لما رأوا العذاب.

وقال الأستاذ: وإنما يكون ذلك من جهة التهويل وإبطال كيد أهل التضليل وإلا فمن أين لهم الجواب فضلاً عن الصواب والذي سألهم هو الذي على ما شاء حصلهم، فما ورد فعله إلا على فعله وما ظهر ما ظهر إلا من أصله فإذا تبرأ بعضهم من بعض تبين أنه لم يكن للأصنام استحقاق العبودية ولا لأحد من النفي والإثبات بالإيجاد والإحداث ذرية أو به/ شظية 357/أ
كلا بل هو الله الواحد القهار.

﴿وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبۡتُمُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَنۢبَآءُ﴾ [الآيتان 65،66] فخفيت عليهم أنباء الأنبياء ﴿يَوۡمَئِذٖ﴾ [الآية 66] أي وقت ذلك النداء ﴿فَهُمۡ لَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [الآية 66] لا يسأل بعضهم عن بعض لفرط الدهشة والعناء.

وأفاد الأستاذ: إنه سبحانه سألهم سؤال هيبة فلا يبقى لهم تمييز ولا قوة عقل ولا مكنة جواب تستولي عليهم الحيرة ويستمكن منهم الدهشة.

﴿فَأَمَّا مَن تَابَ﴾ [الآية 67] من الكفر والكفران ﴿وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا﴾ [الآية 67] وجمع بين الإيمان والإحسان ﴿فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلۡمُفۡلِحِينَ﴾ [الآية 67] في أمر الدنيا والدين وعسى تحقيق من الله على عادة الملوك الكرام وترجٍّ من التائب عن الآثام بمعنى فليتوقع أن يفلح بين الأنام وليكن بين الخوف والرجاء في ذلك المقام وربك يخلق ما يشاء ويختار لا موجب لفعله ولا منازع لحكمه ولا مانع له من صنعه ﴿مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚ﴾ [الآية 68] ليس لهم الاختيار في أمورهم كما أنه ليس لهم الاعتبار في ظهورهم وظاهره نفي الاختيار عنهم من أصله فإنهم

عاجزون تحت قدره فإن اختيار العباد مخلوق باختيار الله أولاً ومنوط ثانياً بدواع الاختيار لهم فيها أصلاً.

وفي تفسير السلمي: كيف يكون للعبد اختيار والله له المختار، ثم إذا نظروا إلى الأحكام الجارية بجميل نظر الله لهم فيها وحسن اختياره فيما أجراه عليهم منها لم يكن عندهم شيء أفضل من الرضا بها والسكون معها.

قال السيد الولي أبو الحسن الشاذلي: لا تختر وإن كنت لا بد أن تختار فاختر أن لا تختار.

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ [الآية 68] وقال الأستاذ: يخلق ما يشاء ﴿وَيَخْتَارُ﴾ [الآية 68] ما يشاء ومن يشاء من جملة ما يخلق ومن ليس إليه شيء من الخلق فما له وللاختيار والاختيار للحق استحقاق عزة يوجب أن يكون ذلك لأنه لو لم ينفذ مشيئته واختياره لم يكن بوصف العز لأن من بقي عن مراده لا يكون إلا ذليلاً فالاختيار للحق نعت عزّ وللخلق صفة نقص ونعت بلاء وقصور، فاختيار العبد عليه غير مبارك له لأن صفته هو غير مستحق لها ومن اتصف بما لا يليق به / افتضح بنفسه كما قال قائلهم: 357/ب

ومَعالٍ إذا ادعاها سواهم لزمته جناية السراق[1]

والطينة إذا ادعت ما هو صفة الحق أظهرت رعونتها فما للمختار والاختيار وما للمملوك والملك وما للعبد والتصدر في نعت الملوك وما للتراب ورب الأرباب، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 68] تنزهاً له أن ينازعه أحد في الأقدار ويزاحم اختياره الاختيار ﴿وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الآية 68] عن إشراكهم به ما ليس له مقدار في الاعتبار.

﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ [الآية 69] من أحوالهم ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [الآية 69] من أعمالهم يستوي في علمه الإسرار والإظهار.

﴿وَهُوَ ٱللَّهُ﴾ [الآية 70] المستحق للعبادة ﴿لَآ إِلَٰهَ﴾ [الآية 70] لا أحد

---

(1) نسب للمتنبي. انظر معجز أحمد (1/ 199)، وشرح ديوان المتنبي (1/ 178).

يستحقها ﴿إِلَّا هُوَ﴾ [الآية 70] وحده لا شريك له ﴿لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ﴾ [الآية 70] أي الدنيا ﴿وَٱلْآخِرَةِ﴾ [الآية 70] أي العقبى لأن المولى للنعم كلها عاجلها وآجلها يحمده المؤمنون في الأخرى كما حمدوه في الأولى لقولهم: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ [فاطر: الآية 34]، و﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ [الزُّمَر: الآية 74]، و﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ [الأعراف: الآية 43] ابتهاجاً بفضله والتذاذاً بحمده ﴿وَلَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ [الآية 70] القضاء النافذ في الأمور ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الآية 70] بالحشر والنشور.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا﴾ [الآية 71] دائماً ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الآية 71] لا نهار فيه أبداً ﴿مَنْ إِلَٰهٌ﴾ [الآية 71] هل أحد ﴿غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ [الآية 71] سماع نذير واستبصار في القضاء.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الآية 72] لا ليل فيه مطلقاً ﴿مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ [الآية 72] يأتيكم ﴿[يَأْتِيكُم] بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ﴾ [الآية 72] استراحة عن متاعب الانشغال مما ينافيه ﴿فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الآية 72] قدرة الله وآثار مبانيه وختم الآية الأولى بقوله: ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ [الآية 71] والثانية بقوله: ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الآية 72] لمناسبة قوة السامعة بالليل وقوة الباصرة بالنهار.

وقال الأستاذ: فمن إلٰه غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه إلى الله وتستريحون من أشغالكم بالخلوة مع الله إلا الله.

﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ﴾ [الآية 73] في ليله بأصناف سكونه ﴿وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [الآية 73] في نهاره بأنواع كسبه ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الآية 73] بعض نعمه في اختلاف خلقه.

358/ أ وأفاد الأستاذ: / أن الأوقات ظروف لما يحصل فيها من الأفعال والأحوال والظروف من الزمان متجانسة في الإدبار والإقبال وإنما اختلاف راجع إلى اعتبار ما يحصل فيها من الأعمال فليالي أهل الوصال سادات الليالي وليالي أهل الفراق أسوأ الليالي ثم ما أصحاب القرب لياليهم قصار وكذلك

أيامهم وأرباب الفراق لياليهم طوال وكذلك جميع أوقاتهم من ليلهم ونهارهم كما يقول القائل:

والليالي إذا نأيت طوال وأراها إذا دنوت قصار[1]

وقال الآخر:

والليل أطول وقت حين أفقدها والليل أقصر وقت حين ألقاها[2]

وقال الآخر:

يطول الليل لا ألقاك فيه وحول نلتقي فيه قصير[3]

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الآية 74] تقريع بعد تقريع لفعلهم للإشعار بأن الإشراك به أشنع عملهم، أو الأول لتقدير فساد رأيهم في مبانيهم والثاني لتحرير ضياع أمرهم بانفرادهم.

﴿وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ [الآية 75] وهو نبيهم يشهد عليهم بما كانوا عليه من أعمالهم وأحوالهم ﴿فَقُلْنَا﴾ [الآية 75] للأمم ﴿هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ﴾ [الآية 75] حجتكم على صحة ما كنتم تدعونه من طريقتكم ﴿فَعَلِمُوٓا۟﴾ [الآية 75] حينئذ ﴿أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ﴾ [الآية 75] في الإلٰهية لا يشاركه فيها سواه ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾ [الآية 75] وغاب عنهم ﴿مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [الآية 75] من دينهم وصحة يقينهم.

قال بعضهم: أخرجنا من كل قوم ولياً فأطلعناه على أسرار قربنا ثم أذنا له فأظهر البرهان بناء لآية فعلم الخلق أن لا قيام لأحد بنفسه دون الحق وأمره.

وقال الأستاذ: كلا لا حجة لهم ولا جواب يفيدهم ولا شفيع يرحمهم

---

(1) نسب إلى عمر بن أبي ربيعة. انظر مختصر تاريخ دمشق (6/ 70)، وذكره القشيري في تفسيره (6/ 69).

(2) ذكره القشيري في تفسيره (6/ 69).

(3) نسب إلى جميل بثينة. انظر الزهرة (1/ 22)، وزهر الأكم (1/ 216)، وأيضاً نسب إلى سليمان بن أبي دباكل. انظر سمط اللآلي (1/ 88)، وشرح ديوان الحماسة (1/ 144).

ولا ناصر يعينهم اشتهرت ضلالتهم واتضح للكافة جهالتهم فدام بهم عذاب الأبد وحاق بهم حجاب السرمد.

﴿إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ﴾ [الآية 76] كان ابن عمه وكان ممن آمن به ثم نافق في دينه ﴿فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية 76] تكبّر وتجبّر وظلمهم حيث جعله فرعون رئيسهم ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ﴾ [الآية 76] من الأموال المدفونة أو المدخرة ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ﴾ [الآية 76] مفاتيح صناديقه ﴿لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ﴾ [الآية 76] لتنتقل بالجماعة الكثيرة ﴿أُوْلِى ٱلْقُوَّةِ﴾ [الآية 76] أصحاب الطاقة في تحمُّل المشقة ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ﴾ [الآية 76] بالدنيا وزخرفها فإن نتيجة حبها والرضا بها والذهول عن ذهابها والعاقل لا يلقي باله بمالها وجمالها ولا يلتفت إلى إقبالها وانتقالها بل ينظر في عاقبة أمرها ومآلها/ فإنها كما قال: من اطلع على حالها أشد 358/ ب
الغم عندي في سرور تيقن عند صاحبه انتقالاً، ولذا قال تعالى: ﴿وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الحديد: الآية 23] من أمور دنياكم إلا ما يعينكم على زاد عقباكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ [الآية 76] بزينة الدنيا وبهجتها فإن الفرح بها مدة قصيرة وهو يوجب حسرة كبيرة وعقوبة كثيرة.

قال سهل: من فرح بغير مفروح به استجلب حزناً لا انقضاء له.

وأفاد الأستاذ: إنه جاء في القصص أن قارون كان من أعبد بني إسرائيل وكان قد اعتزل الناس وانفرد في صومعته يتعبد بالاستئناس فتصور له إبليس في صورة بشر وهيئته وأخذ في الظاهر يتعبد معه في صومعته حتى يعجب قارون من كثرة عبادته، فقال له يوماً: لسنا في شيء مستحسن لطريقتنا حيث عيوننا على أيدي الناس حتى يدفعوا إلينا شيئاً من ضرورتنا ولا بد لنا من أخذه في حاجتنا، فقال له قارون: كيف تحب أن تفعله، فقال: أن ندخل السوق يوماً في الأسبوع ونكتسب وننفق تلك القدر في جميع الأسبوع، فأجابه إليه ووافقه عليه مدة من الأيام ثم قال له: لست أنا وأنت في شيء من النظام، فقال: ما الذي تحب أن نعمل من الأحكام، فقال: نكتسب في الأسبوع يوماً للنفقة ويوماً آخر للصدقة، فأجابه إليه وتبعه فيما حكم عليه ثم

قال له: لسنا في شيء من هناك، فقال: وما ذاك، قال: إن مرضنا أو وقع شقاء لنا لا نملك قوت يوم عندنا، فقال: وما نفعل، فقال: نكتسب يوماً للنفقة ويوماً للصدقة ويوماً للذخيرة، فأجابه إليه واستمر عليه فلما علم عدوه أن حب الدنيا دخل قلبه ودّعه وقال: أنا مفارقك فدم على ما أنت عليه، فصار من أمره ومآله ما صار سبباً لقبح حاله حيث حمله حب الدنيا على جمعها وجمعها على حبها وحبها على البغي على أهلها وصار كثرة ماله شدة وباله وكم وعظ بترك الفرح بوجود الدنيا وترك المرح بالاستمتاع بها وكان عليه ألا يتعلق بما فيها، انتهى.

وقد قال بعض العارفين: من ترك حب الدنيا لا يقدر على ضلالته
359/أ جميع الشياطين ومن أحبها لا يقدر على هدايته جميع المرسلين/ ولذا قيل: حب الدنيا رأس كل خطيئة وترك الدنيا أساس كل عبادة ثم الدنيا والآخرة ضرتان لا تجتمعان، فقد قال ﷺ: «من أحب دنياه أضرّ بآخرته ومن أحب آخرته أضرّ بدنياه»(1) فآثروا ما يبقى على ما يفنى.

﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ [الآية 77] أطلب لسبب ما أعطاك الله من الغنى في الدنيا ﴿ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ [الآية 77] بصرفه فيما يوجب حسن العقبى بأن تنفق في مرضاة المولى فإن المقصود من الدنيا أن تكون وصلة إلى الأخرى ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ [الآية 77] أي ما ينفعك في العقبى أو تأخذ منها ما يكفيك فيها أو الكفن الذي حظك منها حال انتقالك عنها.

وأفاد الأستاذ: أنه ليس النصيب من الدنيا جمعها ولا منعها وإنما نصيبه فيها أن يكون له فائدة منها وذلك ما لا يعقب ندامة ولا يوجب في الآخرة سلامة. ويقال: النصيب من الدنيا ما يحمل على طاعته بالنفس وعلى معرفته بالقلب وعلى ذكره باللسان وعلى مشاهدته بالسر ﴿وَأَحْسِن﴾ [الآية 77] إلى الفقراء لديك ﴿كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [الآية 77] فيما أنعم عليك. وقيل:

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (4/ 343)، والبيهقي في السنن الكبرى (3/ 370) رقم (6308)، وابن حبان في الصحيح (2/ 486) رقم (709).

أحسن بالشكر والطاعة كما أحسن الله إليك باليسر في النعمة ﴿وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 77] بارتكاب الظلم واكتساب المعصية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [الآية 77] لأمور فيها صلاح الدين.

قال القاسم قوله تعالى: أحسن، أي أعرض وجهك عن الكل بالإقبال عليه كما أحسن الله إليك حيث جعلك من أهل معرفته وأحسن مجاورة معرفته بطاعته فإنه أحسن إليك حيث أنعم عليك بالإيمان وهو من أعظم نعمته وأحسن إليك أن وفقك للخدمة فأحسن القيام بواجب العبودية وإخلاص النية.

وأفاد الأستاذ: أن في الآية دلالة على أن لله على الكافر نعم دنيوية والإحسان الذي أمر به إنفاق النعمة في وجه الطاعة والخدمة حتى يتم له المعرفة. وقيل: يقابله بالشكران دون الكفران. ويقال: الإحسان رؤية الفضل والمنة دون توهم الاستحقاق للنعمة.

﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [الآية 78] أي فضلت الناس بذلك العلم والحال واستوجب لأجله التفوق عليهم بالجاه والمال، وهو علم التوراة وكان أعلمهم بها. وقيل: علم الكيمياء، ورده بعض العلماء بأن قال: الأعيان/ لا يقدر 359/ ب
أحد عليها إلا الله سبحانه وتعالى. وقيل: علم التجارة والدهقنة[1] والعمارة.

قال سهل: ما نظر أحد إلى نفسه فأفلح في مقام أنسه ولا أعيى له حالاً فتم له مالاً والسعيد من الخلق من أعمى بصره من أفعاله وأقواله وفتح له سبيل الفضل ورؤية منة الله تعالى عليه في جميع أحواله.

وأفاد الأستاذ: ما لاحظ أحد نفسه في بابه إلا هلك بإعجابه. ويقال: السم القاتل والذي يطفىء السراج المنير هو النظر إلى النفس وما لها من التدبير.

﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً﴾ [الآية 78] في العلم والحال ﴿وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ [الآية 78] لأصناف المال فلا يدل

(1) التجارة وهي معربة. انظر لسان العرب (13/ 163).

زيادة الدنيا على أن صاحبها يستحق رضا المولى ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [الآية 78] سؤال استعلام فإن الله تعالى مطلع عليها بك يُسألون سؤال توبيخ وتقريع فيما ركنوا إليها.

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ﴾ [الآية 79] من مراكب وملابس وخدم وحشم في خدمته. قيل: خرج على بغلته سرجها من ذهب أصفر أشهباً وعليه حلة حمراء ومعه أربعة آلاف مشارك له في السماء ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ [الآية 79] أي الراغبون فيها والمائلون إليها ﴿يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ﴾ [الآية 79] من الجاه والمال ﴿إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [الآية 79] في المنال.

قال ابن عطاء: أزين ما تزين به العبد المعرفة ومن نزلت درجاته عن درجات العارفين فأزين ما تزين به طاعة ربه ومن تزين بالدنيا فهو مغرور في زينته.

وسئل أبو عثمان: أي الزينة أجمل، قال: الأخلاق الجميلة ولو كان فوقه شيء لزين به حبيبه ﷺ ولقد قال له: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القَلَم: الآية 4].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [الآية 80] بأحوال العقبى للمتمنّين من أحوال الدنيا ﴿وَيْلَكُمْ﴾ [الآية 80] زجر عما لا يرتضي ﴿ثَوَابُ ٱللَّهِ﴾ [الآية 80] أجره في الدنيا والعقبى ﴿خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا﴾ [الآية 80] مما أوتي قارون بل من جميع ما في الدنيا ﴿وَلَا يُلَقَّىٰهَآ﴾ [الآية 80] أي الكلمة التي تكلم بها العلماء أو للثواب فإنه بمعنى الحسنى المثوبة أو الجنة العليا فعلى هذا من تتمة النصيحة للسفهاء ﴿إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ﴾ [الآية 80] الثابتون على الطاعة والكافرون عن المعصية والقانعون بالقسمة والمحنة. قال بعضهم: العالم بربه من يرى دوام نعماه عليه
360/ أ وتتابع/ الآية لديه وقصود شكره عن وصول أنعمه سبحانه إليه.

وقال الأستاذ: تمنى من رآه ممن كان في حب الدنيا ساواه أن يعطيه الله مثل ما كان أعطاه ومن كان صاحياً عن خمار غفلته متيقظاً بنور بصيرته قالوا: لولا أن منَّ الله علينا بأن لم ننجرّ في حبله ولم ننخرط في سلكه لوقع الهلاك بنا فالمتمنون مكانه ندموا والراضون بقسمته سبحانه سلموا، وهذا في العاجل إلى أن تظهر سعادتهم في الآجل.

﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ [الآية 81] روي أنه كان يؤذي موسى عليه السلام في كل وقته وهو يداريه لقرابته حتى نزلت الزكاة على أن يعطي واحداً من كل ألف فحسبه فاستكثره فقصد أن يفضح موسى بين بني إسرائيل فيرفضوه وينقادوا لقارون ويطيعوه، فبرطل بغيّة لترمي موسى بنفسها فلما كان يوم عيد قام موسى خطيباً فقال: من سرق قطعناه ومن زنى غير محصن جلدناه ومن زنى بمحصن رجمناه، فقال قارون: ولو كنت أنت، فقال: ولو كنت أنا، قال: إن بني إسرائيل مزعمون أنك فجرت بفلانة، فأحضرت فناشدها موسى بالله لأن تصدق، فقالت: جعل لي قارون جعلاً على أن أرميك بنفسي، فخرّ موسى شاكياً عنه إلى ربه فأوحى الله إليه أن مر الأرض بما شئت فقال: يا أرض خذيه، فأخذته إلى ركبتيه ثم قال: خذيه فأخذته إلى وسطه، ثم قال: خذيه فأخذته إلى عنقه، ثم قال: خذيه فخسفت به وكان قارون يتضرع لديه في هذه الأحوال ولم يرحم موسى عليه فأوحى الله إليه: ما أَفَظَّك استرحمك مراراً فلم ترحمه وعزتي وجلالي لو دعاني مرة لأجبته. ثم قال بنو إسرائيل: إنما فعله ليرثه من ماله، فدعى الله حتى خسف بداره وأمواله. هذا وفي الحديث إنه ليتجلجل إلى يوم القيامة[1].

قال الأستاذ: وفي القصة أنه كان يخسف به كل يوم زيادة معلومة فلما حبس يونس في بطن الحوت أمر الحوت أن يطوف في البحر لئلا يضيق قلب يونس فانتهى إلى قارون فسأله قارون عن موسى وكيف حاله فأوحى الله إلى الملك أن لا يزد في خسفه لحرمة أنه سأل عن ابن عمه ووصل به رحمه.

﴿فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ﴾ [الآية 81] جماعة أعوان يميلون ﴿يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ﴾ [الآية 81]/ يدفعون عذابه لديه ﴿ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾ [الآية 81] 360/ ب
المتمنعين من عذابه أو المنتصرين بنفسه. والمعنى لا أحد يمنعه من عذاب ربه ولا هو يمنعه عن نفسه.

﴿وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ﴾ [الآية 82] منزلته ﴿بِٱلْأَمْسِ﴾ [الآية 82] منذ

---

(1) أخرجه أحمد في المسند (2/ 497) رقم (10459).

زمان قريب من قضيته وهو يتناول معنى الأمس مجازة وحقيقة ﴿يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ﴾ [الآية 82] وي كلمة تندُّم وتعجُّب والكاف للتعليل والمعنى تندّمنا على ما قلنا وتعجّبنا مما غفلنا لأن الله ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ﴾ [الآية 82] يوسع ويضيق بمقتضى مشيئته لا لكرامة تقتضي البسط ولا لمهانة يوجب القبض ﴿لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾ [الآية 82] فلم يعطنا ما تمنينا ﴿لَخَسَفَ بِنَا﴾ [الآية 82] لأننا وددنا أن نكون مثله في الدنيا. وقرأ حفص بفتح الخاء والسين أي لخسف بنا الأرض ﴿وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الآية 82] لنعمه أو المكذبون برسله.

﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ﴾ [الآية 83] أي نصيبها ﴿نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 83] تكبُّراً على الخلق واستكباراً عن الحق ﴿وَلَا فَسَادًا﴾ [الآية 83] ظلماً يشوشون عباداً كما أراده فرعون حيث علا في الأرض وجعل أهلها شِيَعاً وقارون فإنه بغى عليهم ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ﴾ [الآية 83] المحمودة عند الله ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الآية 83] مآلاً يرضاه.

قال ابن عطاء: العلو النظر إلى النفس والهوى والفساد النظر إلى الدنيا.

قال حمدون: لا أحد أدون ممن تزين بدار فانية ويحمد إلى مَن لا يملك ضره ونفعه.

وأفاد الأستاذ: إن الزهّاد لا يريدون في الأرض علواً والعارفون لا يريدون في الآخرة الجنة. ويقال: تلك الدار الآخرة للعباد والزهاد وهذه الرحمة الحاضرة لأرباب الافتقار والانكسار. وقيل: العلو في الدنيا أن يتوهم أن على البسيطة أحد هو شر منه والفساد أن يتحرك لحظ نفسه ونصيبه ولو بنفس وخطوة ولحظة وهذا للأكابر، وأما العوام والأصاغر فـ ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا﴾ [الآية 83] كعلو فرعون ﴿وَلَا فَسَادًا﴾ [الآية 83] كفساد قارون.

﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ [الآية 84] ذاتاً وقدراً ونفعاً أو فله خير من

جهتها وبسببها/ ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الآية 84] 361/ أ
بالإصرار عليها ﴿إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الآية 84] مثل أعمالهم كمية وكيفية لا زيادة عليها ولا نقصان عنها. والمثلي وأقيم مقامه الفعل مبالغة في المماثلة.

قال ابن عطاء: لا ثواب خير من الطاعة إلا الرؤية والرؤية فضل لا مثوبة فإنه يقول من أحسن آداب الخدمة في جميع الأفعال وأظهر سنن العبودية في كل الأحوال فله خير منها وهو الفضل وهو الرؤية. وقال أيضاً: معرفة الله بالوحدانية أفضل حسنة إذ لحسنته بها يكون حسنة.

وأفاد الأستاذ: أن ثواب الحسنة في التضعيف وأمر السيئة بناؤه على التخفيف.

﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الآية 85] أوجب عليك تلاوته وتبليغه ومتابعته ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [الآية 85] أي مقام محمود وعدك أن يبعثك فيه في المعاد أو إلى مكة بفتحها وما يتبعها من البلاد ودخول الناس في دين الله أفواجاً من العباد ﴿قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ [الآية 85] وما يستحقه من الثواب في المعاد والنصر والظفر على البلاد ﴿وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الآية 85] عن تهيئة الزاد.

وأفاد الأستاذ: أن المعاد في الظاهر مكة وكان يقول كثيراً: الوطن فحقق الله سؤله بالإجابة وأما في السر والإشارة الذي فرض عليك قراءة القرآن والذي يسألك قراءة القرآن والذي أنزل عليك القرآن لرادك إلى معاد الوصف الذي كان عليه روحك قبل حلول سجلك من ملاذعات القرب ومطالعات الحق. وقيل: الذي نصبك بأنصاب التفرقة بالتبليغ وأنصاب الشريعة لرادك على عين الجمع بالحق بالفناء عن الخلق. ويقال: إن الذي أقامك بشواهد العبودية فيما أثبتك به لرادك إلى الفناء عنك بمحقك في وجود الحقيقة.

﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [الآية 86] لكن ألقاه إليك رحمة من رب الأرباب ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَـٰفِرِينَ﴾ [الآية 86]

بمداراتهم والتحمُّل عنهم والإجابة إلى طلبتهم في سد هذا الباب.

وقال الأستاذ: ما كنت تؤمل محل النبوة ومقام الرسالة وشرف
361/ب المخاطبة/ وما أظهرنا عليك من أحوال الوجد وحقائق التوحيد ودقائق المعرفة.

﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 87] عن تلاوتها ومتابعتها ﴿بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ﴾ [الآية 87] قراءتها ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ [الآية 87] إلى معرفته وطاعته على وفق آياته ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الآية 87] حقيقة الخطاب لأهل دينه وملته.

وقال الأستاذ: ما وجدته لحكم الذوق والشهود والإدراك والوجود لا يتداخلك تهمة التجويز وسؤالات العلماء بما يدعون من أحكام العقول إذ ما يدرك في شعاع الشمس لا يحكم ببطلانه وخفائه في نور السراج.

﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الآية 88] فضلاً عن أن تترك الله وتعبد ما سواه ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الآية 88] يستحق أن يُطلب رضاه ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [الآية 88] إلا ذاته المقدّس عن الفناء، فإن ما عداه ممكن هالك في حد ذاته معدوم في نعته يساعده حديث: «أشعر كلمة قالها قوم لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل»(1)، ويؤيده قول بعض أرباب الشهود: سوى الله والله ما في الوجود.

وكان أبا يزيد هذا المعنى مريد بقوله: ليس في جنبي سوى الله. وكما أشار إليه بعض أصحاب الأسرار: ليس في الدار غير ديار.

والحاصل أنه ليس في نظر أرباب الشهود في جميع مراتب الوجود غير الله وصفاته ومصنوعاته، وهذا معنى قول بعضهم: ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله فيه أو قبله أو بعده باختلاف مقاماته وحالاته أو إلّا ما أريد به وجهه فإن كل عمل لم يرد به وجه الله فهو باطل في حقه فإن في نفعه قاله مجاهد والثوري وحكاه البخاري في صحيحه كالمقرر له ﴿لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ [الآية 88] القضاء

(1) سبق تخريجه.

النافذ في الخلق ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [الآية 88] للجزاء بالحق.

وأفاد الأستاذ: إن وجهه صفة من صفاته لا يستقل إلا به ففي بقاء وجهه بقاء ذاته لأن الصفة لا تقوم إلا بموجود ولا يكن هو باقياً إلا بوجود أوصافه الذاتية الواجبة له، ففي بقاء الوجه بقاء الحق بصفاته تمّ.

وقد ختم هذا الجزء الثاني الذي من تفسير القرآن/ بحمد الله وعونه 362/ أ
وحسن توفيقه والله المستعان وإليه المرجع والمآب.

وكان الفراغ من كتابته يوم الإثنين المبارك ثالث يوم من شهر رجب المكرم شهر الله من شهور سنة ألفاً ومائة وتسعة وثلاثون من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام

وحسبنا الله ونعم الوكيل

/2 أ

/ سورة العنكبوت

[مكيّة]

وهي تسع وستون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أفاد الأستاذ: أن بسم الله اسم ذكره يوجب خطوة العابدين وعداً وسماعه يوجب سلوة الواجدين نقداً اسم من ذكرهُ وصل إلى مثوبته في آجله ومن سمعه حظي بتقريبه في عاجله.

﴿الٓمٓ ①﴾ [الآية 1] أي أن الله أعلم بمن يستحق العلم وإلا لم مما جرى به القلم.

﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ﴾ [الآية 2] أظنوا ﴿أَن يُتۡرَكُوٓاْ﴾ [الآية 2] على عافية بلا محنة ﴿أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ [الآية 2] أي بقولهم آمنا ولقولهم أطعنا ﴿وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ﴾ [الآية 2] لا يمتحنون بالتكاليف الشاقة كالمحاجرة والمجاهدة ورفض الشهوات ووظائف الطاعات وأنواع المصيبات ليتميز المخلص من المنافق والمخالف في الدين من الموافق والكاذب في الدعوى من الصادق وروي أنها موهمة في ناس من المسلمين جزعوا من أذى المشركين.

فالآية نظير قوله تعالى: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: الآية 142] وهذا معنى قوله: ﴿وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ﴾ [الآية 3] أي ذلك سنة قديمة جارية في الأمم كلها فلا ينبغي أن يتوقع خلافها وفيه نوع تسلية لمن ابتلي ببلية فإن البلية إذا عمت طابت ﴿فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [الآية 3] أي فليتعلق علمه بسبب الامتحان تعلقاً حالياً يتميز به الذين صدقوا في الإيمان والذين كذبوا في دعوى العرفان

وينوط به ثواب الأولين في الجنان وعقاب الآخرين في النيران.

قال ابن عطاء: ظن أنهم يتركون مع دعاوى المحبة فلا يطالبون بحقائقها وحقائق المحبة هو ضرب البلوى على المحب وتلذذه بالبلاء، فبلاء يلحق جسده، وبلاء يلحق قلبه، وبلاء يلحق سره، وبلاء يلحق روحه، فبلاء في الظاهر وهو الأمراض والأسقام وفي الحقيقة ضعفها عن القيام بخدمة القوي بعد مخاطبته إياه بقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: الآية 56] وبلاء القلب تراكم الشوق ومراعاة ما يرد عليه في الوقت بعد الوقت من ربه والمحافظة على أحواله مع الحرمة والهيبة، وبلاء السر هو المقام مع من لا مقام للخلق معه والرجوع إلى / من لا وصول للخلق إلا إليه، وبلاء الروح 2/ب حصول الروح في القبضة والابتلاء بالمشاهدة وهذا مما لا طاقة لأحد فيه.

وقال عبدالعزيز المكي: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ [الآية 2] بالدعاوي وهم لا يجربون أي بالأوامر والنواهي والنعم ما قيل فما أيسر الدعوى وما أعسر المعنى.

وقال ابن عطاء: يتبين صدق العبد من كذبه في أوقات الرخاء والبلاء فمن شكر في أيام الرخاء وصبر في أيام البلاء فهو من الصادقين ومن بطر في أيام الرخاء وجزع في أيام البلاء فهو من الكاذبين.

وقال الواسطي: هب إنك تنجو من النفس والهوى كيف تنجو من الحكم والقضاء؟

وقال الأستاذ: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ [الآية 2] بمجرد الدعوى في إيمان دون المطالبة عليها بإخراجها عن أوطان الكسل وتصرفها في حسن العمل وعلى القلوب بلاء وهو مطالبتها بالطلب الواثق والفكر الصادق بتطلع البرهان على التوحيد والتحقق له بالعلم وعلى الأرواح بلاء وهو التجرد عن صحبة كل أحد وعن كل سبب والتباعد عن المساكنة بشيء من المخلوقات وعلى الأسرار بلاء وهو الاعتكاف بمشاهد الكشف بالصبر على آثار التجلي إلى أن يصيره مستهلكاً فيه ويقال فتنة العوام في أيام النظر والاستدلال وفتنة الخواص

في حفظ آداب الوصول في أوان المشاهدات وأشد الفتن حفظ وجود التوحيد لئلّا يجري عليه مكر في أوقات غلبات شواهد الحق فيظن أنه هو الحق فلا يدري أنه من الحق ولا يقال أنه من الحق وعزيز من يهتدي إلى ذلك ثم لم يخلهم من البلاء والمحن ليظهر صبرهم في البلاء أو ضده من الضجر وشكرهم في الرخاء أو ضده من الكفران والبطر وأنهم في البلاء على ضروب فمنهم من يصبر في حال البلاء ولا يشكر في حال البلاء، ويشكر في حال النعماء وهذه صفة الصادقين ومنهم من يضجر ولا يصبر في البلاء ولا يشكر في النعماء فهو من الكاذبين ومنهم من يؤثر في حال الرخاء ولا يستمتع بالعطاء ويستروح إلى البلاء ويستعذب مقاساة العناء وهذا أجلهم في مقام اليقين.

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الآية 4] من الأعمال الظواهر والأحوال
3/أ السرائر ﴿أَن يَسْبِقُونَاۚ﴾ [الآية 4] / أن يفوقونا ويعجزونا فلا نقدر أن نجازيهم على مساوئهم ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الآية 4] ويئس ما يعملون.

قال القاسم: أن يسبقونا ما كتبنا عليهم من محتوم القضاء وما قدرنا عليهم من ماضي الحكم فيهم.

وقال الأستاذ: أي يرتكبون المخالفات ثم يحكمون لأنفسهم بالنجاة ساء حكمهم متى ينجو من العذاب من ألقى جلباب التقى ويقال توهموا أنه لا نشر ولا حشر ولا محاسبة ولا مطالبة ويقال اغتروا بإمهالنا اليوم إياهم وتوهموا أنهم منا انفلتوا وظنوا أنهم قد آمنوا ويقال ظنوا أنهم باجتراحهم السيئات جرى التقدير لهم بالسعادة أن يؤخروا حكمنا، كلا لا يشقى من جرت قسمتنا له بالسعادة وهيهات أن ينجو من سبق الحكم بالشقاوة.

﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 5] في دار البقاء أو الوصول إلى الجزاء ﴿فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 5] أي الوقت المضروب للقاء ﴿لَأَتٍۚ﴾ [الآية 5] لجاء على وفق الرجاء فليبادر ما يحقق الأمل ويصدق الرجاء أو ما يستوجب القربة والرضا ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ [الآية 5] لأقوال العباد ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ [الآية 5] بأحوال البلاد.

وفي «**تفسير السلمي**» قيل: من يرجو لقاء الله فليسأل ربّه السؤال الملح

المحتاج وليطلب منه طلب الراغب المشتاق.

وأفاد الأستاذ: أن المعني من خاف العذاب يوم الحساب فيحشر ويلقى المحشر ويجد الأمان الموعود منا لأهل الخوف اليوم ومن أمل الثواب يوم البعث فسوف أن يرى ثواب ما أسلفه من العمل ومن زجّ عمره في رجاء لقائنا فسوف يباح له النظر إلينا وسوف يتخلص من الغيبة والفرقة لدينا وهو السميع لأنين المشتاقين العليم بحنين المحبين الوالهين.

﴿وَمَن جَاهَدَ﴾ [الآية 6] نفسه بالصبر على مشقة الطاعة وعن الشهوة ﴿فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ﴾ [الآية 6] لأن منفعته لها لا يتعداها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الآية 6] فلا حاجة به إلى طاعتهم وإنما كلف عباده رحمة عليهم ومراعاة لمنفعتهم.

وأفاد الأستاذ: أن من أحسن فنجاة نفسه طلبها وسعادة حاله حصلها ومن أساء فعقوبة نفسه جلبها وشقاوة حدّه اكتسبها ويقال ثواب المطيعين إليهم مصروف وعذاب العاصين عليهم موقوف/ والحق عزيز لا يلحقه بالوفاق 3/ ب
زين ولا يمسه من الشقاق شين.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الآية 7] بالمغيبات ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الآية 7] بارتكاب المأمورات واجتناب المنهيات ﴿لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ [الآية 7] السابقة بالطاعات اللاحقة فالكفر بالإيمان والمعاصي بما يتبعها من العبادات ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الآية 7] أحسن جزاء أعمالهم على وفق ما جرى في أحوالهم.

وقال الأستاذ: إن من رفع إلينا خطوة نال منّا كلّ خطوة ومن ترك فينا شهوة وجد منا ألف صفوة فنصيبهم من الخيرات موفور وما يصيبهم من الزلات مغفور بذلك أجرينا سنتنا وهو متناول حكمنا وقضيتنا.

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ﴾ [الآية 8] أمرناه بإتيانه إليهما فعلا ذا حسن وقرئ حسناً وإحساناً ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ﴾ [الآية 8] دليل ميدان البرهان أيها الإنسان ﴿لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الآية 8] وعبر عن نفيها بنفي العلم بها إشعاراً بأن ما لا يعلم صحته لا يجوز اتباعه وإن لم يعلم بطلانه فضلاً عما علم بطلانه

وانتفى برهانه ﴿فَلَا تُطِعْهُمَآ﴾ [الآية 8] في ذلك فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ﴿إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ [الآية 8] مرجع من آمن ومن أشرك ومن برّ بوالديه ومن عق منكم ﴿فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الآية 8] بالجزاء عليه من الثواب أو العقاب والآية نزلت في سعد بن أبي وقاص وأمه فإنها لما سمعت بإسلامه حلفت أن لا تنتقل من الشمس ولا تطعم ولا تشرب حتى يرتدّ ولبثت ثلاثة أيام كذلك فلم يطعها سعد بل قال: والله لو كان مائة نفس فخرجت نفساً نفساً ما كفرت بمحمد صلى الله عليه وسلم نفساً.

وأفاد الأستاذ: إن الله تعالى أمر العباد برعاية حق الوالدين تنبيهاً على عظم حق التربية وإن كان تربية المخلوق وهي وإن خسّت فإلى حدّ توجب رعايتها بحكم الكريم فما الظن برعاية حق الله تعالى من الإحسان العميم بالعبد والامتنان القديم الذي خصه به قبل وبعد ثم قال: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ﴾ [الآية 8] بالله فإياك أن تطعهما ولكن رد بلطف وخلاف برفق، ويقال: من
4/أ لم يصلح لحفظ حق من هو من جنسه أنّى يصلح / لبساط صحبة سيده.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٩﴾﴾ [الآية 9] في جملة الأنبياء والأصفياء فالكمال في الصلاح منتهى درجات المؤمنين ومتمنى أنبياء الله والمرسلين حيث دعوا بقولهم الحقنا بالصالحين.

وقال الأستاذ: أي لنلحقنهم الذين أصلحوا من قبلهم فإن المعهود من سنتنا إلحاق الشكل بشكله وإخراجكم المثل على مثله.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ [الآية 10] وتركنا ما سواه ﴿فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ﴾ [الآية 10] بأن عَذبه الكفرة لأجل الإيمان بالله ومتابعة رضاه ﴿جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ﴾ [الآية 10] ما يصيبه من أذيتهم بسبب صرفه عن الإيمان إلى طريقتهم ﴿كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 10] أي في الصرف عن الكفر وموافقة هواه ﴿وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ [الآية 10] فتح وغنيمة ﴿لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾ [الآية 10] في الدين فأشركونا فيه فإنا من المؤمنين المجاهدين كما هو دأب المنافقين ﴿أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الآية 10] من الإخلاص في الإيمان والنفاق في الدين.

﴿وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الآية 11] بقلوبهم مخلصين ﴿وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ [الآية 11] فيجازي الفريقين بأعمالهم على حسب أحوالهم والعبرة بسرائرهم لا بظواهرهم قال بعض العارفين ليس الإيمان ما يتزين به العبد من الأقوال والأفعال ولكن الإيمان ما جرى به السعادة في سوابق الأزل وإنما ظهورها على الهياكل ربما يكون عواري وربما يكون حقائق.

وأفاد الأستاذ: أن المحن تظهر جواهر الرجال وهي تدل على قيمهم وأقدارهم في الأحوال فقدره وقيمته يظهر في محنته فمن كانت محنته من فوات الدنيا ونقصان نصيبه منها أو كانت محنته بموت قريب من الناس أو بفوت حبيب من الخلق فحقير قدره وكثير في الناس مثله ومن كانت محنته في الله ولله فعزيز قدره وقليل من كان مثله فهم في العدد قليل ولكن في القدر والخطر جليل وبقدر الوقوف في البلاء يظهر جواهر الرجال وفطرتهم ويصفوا عن الحنث نقرتهم والمؤمن من يكن الأذى / والولي من يتحمل عن الخلق 4/ ب
الأذى ويتشرب ولا يترشح بشكوى ولا إظهار دعوى كالأرض يلقي عليها كل خبث وقذره فتنبت كل نزهة وكل خضرة قال تعالى: ﴿وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾﴾ [الآية 11].

إذا اشتبكت دموع في خدود تبين من بكى ممن تباكى

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا﴾ [الآية 12] الذي نسلكه في ديننا ﴿وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ﴾ [الآية 12] إن كان ذاك خطبه أو إن كان بعث ومؤاخذة ﴿وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنۡ خَطَٰيَٰهُم﴾ [الآية 12] أي خطايا غيرهم ﴿مِّن شَيۡءٍ﴾ [الآية 12] أي شيء بناءً على زعمهم ﴿إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الآية 12] في دعواهم.

﴿وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ﴾ [الآية 13] أوزار ما اقترفته أنفسهم ﴿وَأَثۡقَالٗا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡۖ﴾ [الآية 13] وأوزار أخر مع أوزارهم لما تسببوا إليها بالإضلال والحمل على المعاصي من غير أن ينقص من أوزار من تبعهم شيء من الوبال ﴿وَلَيُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [الآية 13] سؤال تقريع ﴿عَمَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾ [الآية 13] من الأباطيل التي أضلوا بها أتباعهم فيها.

قال أبو عثمان: ما أرى هذه الآية إلا في المدعين من غير حقيقة في حالهم يحملون أثقالهم وأثقال من يقتدي بهم في دعاويهم.

وقال أبو بكر الوراق: هم أعوان الظلمة.

وأفاد الأستاذ: أنهم ضمنوا بما لم يفوا وأخلفوا فيما وعدوا فما حملوا عنهم من خطاياهم شيئاً كما زعموا بل زاد وابل على نفوسهم احتقبوا وزرَ ما عملوا وطولبوا بوزر ما أمروا فيضاعف عليهم العقوبة ولم يصل من جهتهم إلى أخذ شيء من الراحة وما مواعيدهم إلا مواعيد عرقوب أخاه بيثرب[1] وسيلحق بهؤلاء وأصحاب الدعاوى والمتشبهين بأصحاب الحقائق وأرباب الدقائق:

من تحلى بغير ما هو فيه فضح الامتحان ما يدعيه

﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [النمل: الآية 64] هيهات هيهات.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ [الآية 14] يدعوهم إلى توحيد ربه ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [الآية 14] بعد مبعثه إذ روي أنه بعث على رأس أربعين ودعا قومه تسعمائة وخمسين وعاش بعد الطرفان ستين وفي القصة تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتنبيه على ما يكابد من الكفرة والمشركين ﴿فَأَخَذَهُمُ
5/أ الطُّوفَانُ/ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [الآية 14] أنفسهم بمخالفة الدين.

﴿فَأَنجَيْنَاهُ﴾ [الآية 15] أي نوحاً ﴿وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ﴾ [الآية 15] من أولاده وأتباعه وكانوا ثمانين ﴿وَجَعَلْنَاهَا﴾ [الآية 15] أي السفينة أو القضية ﴿آيَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الآية 15] يتعظون بها ويستدلون بها.

---

(1) عرقوب: هو رجل من العماليق أتاه أخ له يسأله شيئاً فقال: إذا طلع النخل فلك طلعها. فلما أطلعت أتاه للعدة فقال: دعها حتى تصير زهراً ثم رطباً ثم تمراً. فلما أثمرت عمد إليها في الليل ولم يعط أخاه شيئاً منها فصار مثلاً في الخلق، وفيه يقول الأشجعي الشاعر:

وعدت وكان الخلف منك سجية مواعيد عرقوب أخاه بيثرب

انظر: المجالسة وجواهر العلم للدينوري (١/ ١٨٦) رقم (٨٥٩).

وقال الأستاذ: ما زادهم طول مقامه إلا شكاً في أمره وجهلاً بقدره ومرية في صدقه وريبة في حكمه ولم يزدد نوح عليه السلام لهم إلا نصحاً وذكراً ولا في الله إلا صبراً وشكراً ولقد عرفه الله إنه لن تؤمن منهم إلا الشرذمة[1] اليسيرة الذين كانوا قد آمنوا وأمره باتخاذ السفينة وغرق الكفار وما غادر منهم أحد وصدق وعده ونصر عبده ولا يبدل بنصرة دينه قط ستة أي ولو بعد ألف سنة.

﴿وَإِبْرَٰهِيمَ﴾ [الآية 16] أي أرسلناه أو اذكره ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ وحّدوه ﴿وَٱتَّقُوهُ﴾ [الآية 16] أي مخالفته أو عقوبته ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [الآية 16] مما أنتم عليه من أمركم ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الآية 16] خيركم من شركم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه كرر ذكر إبراهيم عليه السلام في هذه القصة وكيف أقام على قومه الحجة وأرشدهم إلى سواء الحجة ولكنهم أصروا على ما جحدوا وتعصبوا لما من الأصنام عبدوا وكادوا لإبراهيم كيداً ولكن انقلب ذلك عليهم من الله مكراً بهم واستدراجاً لهم ولم ينجع فيهم نصحه ولا وجد منهم مساغاً وعظة.

﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا﴾ [الآية 17] أصناماً ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [الآية 17] تكذبون كذباً في تسميتها آلهة وادعاءً أن لها عند الله شفاعة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 17] زوراً وإفكاً ﴿لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ﴾ [الآية 17] كله فإنه المالك له ﴿وَٱعْبُدُوهُ﴾ [الآية 17] بالإيمان ﴿وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ﴾ [الآية 17] بالإحسان ﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الآية 17] ومنه ترجون.

قال سهل: اطلبوا الرزق بالتوكل على الرب قال سبيل العوام طلب من الكسب.

وقال الأستاذ: لا يدري أعمالكم في عبادتكم إياها أقبح أوسخ أم أقوالكم فيما تزعمون من الكذب أوبخ إنما تعبدون من هذه الجمادات لا نفع تملك ولا ضر

(1) الشرذمة: القليل من الناس. انظر لسان العرب (12/ 322) مادة شرذم.

ولا خير تقدر عليه ولا شر ولا تملك أن ترزقكم فإنه فعل من يخلقكم وفيه تنبيه على
5/ب أنهم لم يكونوا خالين عن ملاحظ الحظوظ / وطلب الرزق فقال: ﴿فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ﴾ [الآية 17] ثم قال: ﴿وَٱعْبُدُوهُ﴾ [الآية 17] لأن ابتغاء الرزق من الله بأدائه الصلاة في رضاه فإن الصلاة، استفتاح باب الرزق لأصناف الخلق قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: الآية 132] لكل إنسان رزقه نحن نرزقك ويقال: ابتغاء الرزق بشهود موضع الفاقة فعند ذلك يتوجه بالرغبة إلى الله تعالى في استجلاب النفقة وقدم ابتغاء الرزق على العبادة لأنه لا يمكن القيام بالعبادة إلا بعد الكفاية فبالقوة يمكنه أداء العبادة وبالرزق يجد القوة ولقد قالوا:

إذا المرء لم يطلب معاشاً لنفسه فمكروه ما يلقى يكون جزاؤه

﴿وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ﴾ حيث كفاكم أمر الرزق حتى تفرغتم إلى عبادة الحق.

﴿وَإِن تُكَذِّبُواْ﴾ [الآية 18] أي وأن تكذبوني فيما أقول لكم ﴿فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ [الآية 18] من قبلي من الرسل إليهم فلم يضرهم تكذيبهم وإنما ضر أنفسهم حيث سبب لنزول العذاب بهم فكذا لا يضرني تكذيبكم ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الآية 18] الذي زال معه الشك في الدين وما عليه أن يصدق ولا يكذب بعد وضوح طريق اليقين.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ﴾ [الآية 19] وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر بالخطاب أي أو لم ينظروا أوَلَم يعلموا ﴿كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ﴾ [الآية 19] ينشئهم من مادة وغيرها ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ﴾ [الآية 19] أي يعيد الخلق إلى مبدئه من الفناء بموته وقيل إخبار بالإعادة بعد الموت معطوف على أولم يروا لا على يُبدئ فإن الرؤية عن واقعة عليه ولو علميه ولا يبعد أن يكون رؤية الإبداء حقيقة بصرية ورؤية الإعادة حكمية نظرية فإن من قدر على النشأة الأولى قدر على النشأة الأخرى وجوز أن يكون الإعادة والإنشاء في كل سنة مثل ما كان في السنة السابقة عن الأزهار والأثمار ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ [الآية 19] ما ذكر من أمر الإنشاء والإعادة ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الآية 19] لأنه على كل شيء قدير.

﴿قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 20] أي سفراً آفاقياً أو سيراً نفسياً ﴿فَٱنظُرُواْ

كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَۚ﴾ [الآية 20] على اختلاف أجناسهم وأصنافهم وألوانهم وأحوالهم ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْآخِرَةَۚ﴾ [الآية 20] بعد النشأة الأولى التي هي 6/ أ
الإبداء فإنه والإعادة نشأتان من حيث أن كلًّا اختراع وابتداع وقرأ ابن كثير وأبو عمرو النشاءة بفتح الشين ممدودة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الآية 20] فمن عرف بالقدرة على الإبداء يحكم له بالقدرة على إعادة الإنشاء والإيجاد بعد الإفناء لأنه قدرته لذاته ونسبة ذاته إلى كل الممكنات على السواء.

وأفاد الأستاذ: أن الذي داخلهم فيه الشك كان بعث الخلق في القيامة فاحتج عليهم بما أراهم من إعادة فصول السنة فكما أن ذلك شائع في عادته سائغ في قدرته عن مستنكر في مشيئته فكذلك بعث الخلق وإعادته فكما تكرر فصول السنة تكرر أحوال العامة المشتركة بين الكافة والخاصة من استيلاء شهوات النفوس واللهوات ثم زوالها إلى موالاة الطاعات ثم حصول الفترة والعود إلى مثل تلك الحالة ثم بعد ذلك الانتباه بالتوبة ثم كذلك يكرر عليهم الأحوال باختلاف الأعمال وكذلك أرباب القلوب بتعاقب أحوالهم في الفيض والبسط ثم في الهيئة والأنس ثم في التجلي والسر ثم في البقاء والفناء وكذلك في المحو والصحو ونحوهما وفي معنى تكرير الأحوال أنشدوا هذا المثال:

كل نهر فيه ماءٌ قد جرى فإليه الماء يوماً سيعود[1]

﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ [الآية 21] عقوبته ﴿وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ﴾ [الآية 21] رحمته ﴿وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ [الآية 21] وإلى حكمه وفق مشيئته ترجعون قيل يعذب من يشاء بالمعصية ويرحم من يشاء بالطاعة وقيل يعذب من يشاء بالحرص ويرحم من يشاء بالقناعة وقيل يعذب من يشاء بسوء الخلق ويرحم من يشاء بحسن الخلق وقيل يعذب من يشاء بالإعراض عنه ويرحم من يشاء بالإقبال عليه وقيل يعذب من يشاء بأن يبغضه إلى الخلق ويرحم من يشاء بأن يحببه إلى الخلق وقيل يعذب من يشاء باختلاط الخلق ويرحم من يشاء بالإنس بالحق.

(1) ذكره القشيري في تفسيره (3/ 192) و(6/ 98).

6/ب وأفاد الأستاذ: أن أجناس ما يعذِّب به عباده/ وأنواع ما يرحم به عباده لا نهاية لها ولا حصر بها فمن ذلك أنه يعذب من يشاء بالخذلان ويرحم من يشاء بتوفيق الإحسان ويعذب من يشاء بالكفران ويرحم من يشاء بالإيمان ويعذب من يشاء بالجحود والعنود ويرحم من يشاء بالتوحيد والوجود ويعذب من بتفرقة الهم ويرحم من يشاء بجمعية الحلم ويعذب من يشاء بإلقائه في ظلمة التدبير ويرحم من يشاء بإشهاده جريان التقدير ويعذب من يشاء بالاختيار من نفسه ويرحم من يشاء برضاء بحكم ربه ويعذب من يشاء بحب الدنيا ويمنعها عنه ويرحم من يشاء بزهده فيها وبسطها عليه ويعذب من يشاء بأن يثبته في أوطان العادة ويرحم من يشاء بأن يقيمه لأداء العبادة.

﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ [الآية 22] بفائتين لربكم عن إدراككم ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 22]إن فررتم من قضائه بالتواري فيها أو الهبوط في مهاويها ﴿وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الآية 22] أي التحصن بها أو القلاع الذاهبة إليها ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [الآية 22] يحرسكم عن بلاء يظهر من الأرض فيرفعه منكم أو ينزل من السماء فيدفعه عنكم.

وقال الأستاذ: بل يقلب الجملة في القبضة ويجري عليهم أحكام التقدير وفق القسمة وطبق المشيئة جحدوا أم وحدوا أقبلوا أم أعرضوا.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 23] بكتبه أو دلائل وحدانيته ﴿وَلِقَآئِهِۦٓ﴾ [الآية 23] بالبعث وإعادته ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى﴾ [الآية 23] في الدنيا ﴿وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الآية 23] في العقبى وفي الحقيقة وقعوا في عقوبته حيث أيسوا من رحمته.

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾ [الآية 24] أي بعضهم لبعض في أمر إبراهيم وحكمه ﴿إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾ [الآية 24] كان كل منهما قول بعضهم إلا أنه لما قيل بينهم ورضي به الباقون منهم أسند كل إلى كلهم ﴿فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [الآية 24] فاتفق رأيهم على إلقائه فيها فأنجاه الله منها بأن جعلها عليه برداً وسلاماً عنها ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ [الآية 24] في إنجائه ﴿لَـَٔايَـٰتٍ﴾ [الآية 24] دلالات

هي حفظه من أذاها وإخمادها مع عظمها في يسير من زمانها وإنشاء روض في مكانها ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 24] لأنهم المنتفعون بالفحص عنها والتأمل فيها والاتعاظ بها.

﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾ [الآية 25] لتتوادوا / 7/أ
فيما بينكم في طاعتها وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها وقرأها نافع وابن عامر وأبو بكر منونة ناصبة بينكم وابن كثير وأبو عمرو والكسائي مرفوعة مضافة على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هي مودودة أو سبب مودة والجملة صفة أوثاناً وما كافة ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الآية 25] يقوم التناكر والتلاعن بينكم ﴿وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ﴾ [الآية 25] مقيمين ﴿وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ [الآية 25] يخلصونكم منها ولا يخففونها.

قال الأستاذ: لما عجزوا عن جوابه بالحجة ولم يساعدهم التوفيق بالإجابة أخذوا في معارضته بالتهديد والوعيد والسفاهة والله تعالى صرف عنه مكرهم وكفاه شرهم وأظهر للكافة عجزهم وأخبر عما يلحقهم في ما لهم من استحقاق اللعن والطرد وفنون الهوان والخزي في أحوالهم.

﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ﴾ [الآية 26] وهو ابن أخيه هارون أول من آمن به ﴿وَقَالَ﴾ [الآية 26] إبراهيم ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ﴾ [الآية 26] من قومي ﴿إِلَىٰ رَبِّي﴾ [الآية 26] إلى حيث أمرني ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ﴾ [الآية 26] الذي يمنعني من أعدائي ﴿الْحَكِيمُ﴾ [الآية 26] الذي لا يأمرني إلا بما فيه صلاح شأني روي أنه هاجر مع لوط وامرأته سارة ابنة عمه من كوثا من سواد الكوفة إلى حران ثم منها إلى الشام فنزل فلسطين ونزل لوط سدوم.

قال ابن عطاء: أي راجع من جميع مالي فالرجوع إليه بالانفصال عما دونه الإقبال عليه.

وأفاد الأستاذ: أن الهجرة إلى الله لا تصح إلا بالتبري بالكمال بالقلب عن غير الله والهجرة بالنفس يسير بالإضافة إلى الهجرة بالقلب وهي هجرة الخواص وهو الخروج عن أوطان التفرقة إلى ساحات الجمعية والجمع بين

التفرع في أوطان التفرقة والكون في مشاهد الجمع متناف في طريقة الحقيقة.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [الآية 27] ولداً أو نافلة حين أيس من الولادة ﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ﴾ [الآية 27] فكثر فهم الأنبياء ﴿وَٱلْكِتَٰبَ﴾ [الآية 27] يريد به الجنس لتناول الكتب الأربعة ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ﴾ [الآية 27] على هجرته إلينا ﴿فِى ٱلدُّنْيَا﴾ [الآية 27] بإعطاء الولد في غير أوانه والذرية الطيبة
7/ب واستمرار النبوة وأهل الملك إليه وجزيل الثناء إلي آخر الدهر عليه/ ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الآية 27] لفي عداد الكاملين في صلاح الدين.

وأفاد الأستاذ: أنه عليه السلام لما لم يجب قومه وبذل لهم النصح ولم يدخر عنهم شيئاً من الشفقة حقق الله مراده في نسله ووهب له أولاده وبارك فيهم واستصلحهم للخيرات والمبرات حتى صلحت أعمالهم للقبول وأحوالهم للإقبال ونفوسهم للقيام بعبادته وأسرارهم لمشاهدته وقلوبهم لمعرفته وإنه في الآخرة لمن الصالحين للدنو والزلفة والتخصيص بالقربة.

﴿وَلُوطًا﴾ [الآية 28] وأرسلناه أو اذكره ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ﴾ [الآية 28] وقرأ الحرميان وابن عامر وحفص أإنكم ﴿لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ [الآية 28] لِلغفلة البالغة في القيامة ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: الآية 80] على هذه الوقاحة.

﴿أَئِنَّكُمْ﴾ [الآية 29] اتفق فيها على الاستفهام ﴿لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ﴾ [الآية 29] في أدبارهم ﴿وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ﴾ [الآية 29] بأخذ أموال المارة في أسفارهم ﴿وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ﴾ [الآية 29] أي مجالسكم المملوءة من أجناسكم المنكر أي أصناف ﴿ٱلْمُنكَرَ﴾ [الآية 29] شرعاً وطبعاً كالجماع والضراط وحل الإزار أو رمي الحصا بالأصابع وخذف البنادق وتطريف الأصابع بالحناء واللعب بالحمام والسواك في المجالس وغيرها من القبائح مع عدم مبالاة بها.

قال القاسم: المنكر فترك حرمة الأكابر وسئل جنيد عن هذه الآية فقال: كل شيء يجتمع عليه الناس إلا الذكر فإنه منكر.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه لامهم على خصلتهم الشنعاء وما كانوا

يتعاطونه على الله من الاجتراء وما يضيعونه من المعروف ويأتونه من المنكر الذي من جملته تخلية الفساق مع فسقهم وترك القبض على أيديهم وقلة الاحتشام من اطلاع الناس على قبائح أعمالهم من ذلك ترك احترام الشيوخ والأكابر ومنها التسويف في التوبة ومنها التفاخر بالزلة ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الآية 29] في دعوى النبوة وفي استقباح هذه الغفلة.

قال الأستاذ: فما كان من جوابهم إلا استعجال العقوبة فحل بهم من ذلك ما أهلكهم وأهلك من شاركهم في القضية.

﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي﴾ [الآية 30] بإنزال العقوبة ﴿عَلَى ٱلْقَوْمِ/ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [الآية 30] 8/ أ
بابتداع الفاحشة.

﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ﴾ [الآية 31] بالبشارة بالولد والنافلة ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ [الآية 31] أي سدوم ﴿إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾ [الآية 31] بإصرارهم وتماديهم في إنكارهم.

﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾ [الآية 32] وهو ممن لم يظلم فيها ﴿قَالُواْ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا﴾ [الآية 32] ممن ظالمها وسالمها ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُ﴾ [الآية 32] وقرأ حمزة والكسائي بتخفيفه ﴿وَأَهْلَهُ﴾ [الآية 32] بإخراجهم عنها ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ [الآية 32] الباقين في العقوبة أو القرية.

وقال الأستاذ: التبس على إبراهيم عليه السلام أمرهم فظنهم أضياف فتكلف لهم تقديم العجل الحنيذ عندهم جرياً على سنته في إكرام الضيف فلما أخبروه مقصودهم من إهلاك قوم لوط تكلم في باب لوط إلا أن قالوا إنا منجوه وكان ذلك دليلاً على أن الله تعالى لو أراد إهلاك لوط وإن كان بريئاً لم يكن ظلماً أو لو كان ذلك قبيحاً لما كان إبراهيم عليه السلام مع وفارة علمه يشكل عليه حتى كان يجادل عنه بل لله أن يعذِّب مَن يعذب ويعافي مَن يعافي.

﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ﴾ [الآية 33] جاءته المساءة بسببهم مخافة أن يقصدهم قومه بسوء فيهم وأن صلة على عادة العرب في كلامهم

﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ [الآية 33] ضاق بشأنهم وتدبير أمرهم ذرعه أي طاقته ﴿وَقَالُوا﴾ [الآية 33] عطف على مقدر أي فقالوا إنا رسل ربك وقالوا ﴿لَا تَخَفْ﴾ [الآية 33] علينا ﴿وَلَا تَحْزَنْ﴾ [الآية 33] على تمكينهم منا ﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ﴾ [الآية 33] وقرأ ابن كثير وأبو بكر وحمزة والكسائي بالتخفيف ﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ [الآية 33] أي الباقين عن خدمتك الغائبين عن حضرتك.

﴿إِنَّا مُنْزِلُونَ﴾ [الآية 34] وقرأ ابن عامر بالتشديد ﴿عَلَىٰ أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الآية 34] بسبب فسقهم من الكفر والمعصية وخروجهم عن الطاعة.

وأفاد الأستاذ: أنه لما رآهم لوط ضاق بهم قلبه لأنه لم يعلم أن ملائكة فخاف عليهم من فساد قومه فكان ضيق قلبه لأجل ربه فأخبروه بأنهم ملائكة وأنهم لا يصلون إليهم فعند ذلك سكن قلبه واتسع صدره ويقال أقرب ما
8/ب يكون العبد في البلاء من الفرج إذا اشتد عليه البلاء فعند/ ذلك يكون وقت زوال البلاء لأنه يصير مضطراً والله وعد المضطرين [وشيك][1] الإجابة كذلك لوط في هذه الليلة لما سيء بهم لم يلبث أن وجد الخلاص منهم.

﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً﴾ [الآية 35] أي حكايتها الشائعة أي آثار الديار الخربة ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الآية 35] يستعملون عقولهم في الموعظة والعبرة.

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [الآية 36] وأرسلنا إليهم ﴿فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الآية 36] أي توقعوا لقاءه أو خافوا عقابه ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الآية 36] لا تفسدوا فيها على قصد فسادها.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ [الآية 37] الزلة الشديدة أو الصيحة القوية لأن القلوب ترجف لهولها وتضطرب لأجلها ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ﴾ [الآية 37] في بلدهم ﴿جَاثِمِينَ﴾ [الآية 37] باركين على ركبهم ميتين جامدين.

﴿وَعَادًا وَثَمُودَا﴾ [الآية 38] اذكرهما وقرأ حمزة وحفص وثمود غير

---

(1) كلمة غير واضحة وربما ملغاة.

منصرف على تأويل القبيلة ﴿وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمۡۖ﴾ [الآية 38] وقد ظهر لكم إهلاكهم من جهة مساكنهم إذا نظرتم إليها عند مروركم عليها ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [الآية 38] وسول آمالهم وحسن أحوالهم ﴿فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الآية 38] فمنعهم عن السبيل الذي بينه الرسل لهم ﴿وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ﴾ [الآية 38] متمكنين من النظر والاستبصار في أمرهم ولكنهم لم يفعلوا حيث لم يوفقوا لكونهم متعجبين برأيهم.

﴿وَقَٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَۖ﴾ [الآية 39] أي أذكرهم وقدم قارون بشرف نسبه أو لقبح كسبه ﴿وَلَقَدۡ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ [الآية 39] بالمعجزات الواضحات ﴿فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الآية 39] فتكبروا وتجبروا على أهلها ﴿وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ﴾ [الآية 39] فائتين أمرنا بل أدركهم هلاكنا وقهرنا.

﴿فَكُلًّا﴾ [الآية 40] من المذكورين ﴿أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ﴾ [الآية 40] عاقبناه بكسبه ﴿فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا﴾ [الآية 40] ريحاً صرصراً تحمل الحصبا فتلقيها عليهم وتقلعهم من محلهم وتنكسهم على رؤوسهم فتشرحهم كأنهم إعجاز نخل خاوية وهم قوم عاد وقيل ريحاً عاصفاً فيها حصباً تنزل كالمطر عليهم وهم قوم لوط ﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ﴾ [الآية 40] كمدين وثمود ﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ﴾ [الآية 40] كقارون ﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ﴾ [الآية 40] / كقوم نوح 9/ أ
وفرعون وقوم ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ﴾ [العنكبوت:الآية 40] فيما فعله بهم ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ [الآية 40] فاستحقوا عقاب ربهم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه ذكر قصة أهل مدين وعاد وثمود وفرعون وكلهم نسج بعضهم على منوال بعضهم وسلك مسلكهم ولم يقبلوا النصح ولم يبالوا بمخالفة رسلهم، فأهلكهم الله بأجمعهم لسنته في نصرة الضعفاء وقهر الظالمين عليهم.

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ﴾ [الآية 41] يتكلمون إليهم ويعتمدون عليهم ﴿كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ﴾ [الآية 41] لديه يستند إليه بل ذاك أضعف فإن لهذا هيئة حقيقة وانتفاعاً صورة ﴿وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ

ٱلْعَنكَبُوتِۖ﴾ [الآية 41] لا بيت أضعف من بيتها مما يتخذه الهوام لا يدفع حراً ولا برداً ولا يحجب عن أعين الأنام ﴿لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 41] لعلموا أن هذا مثلهم.

وفي «**تفسير السلمي**» من اعتمد على شيء سوى الله فهو هباءً لا حاصل له في دنياه ولا في عقباه.

وأفاد الأستاذ: أن العنكبوت تتخذ بيتاً لنفسه ولكن كلما زاد على نسجه ازداد بعداً من الخروج من بيته فهو يبني ولكن على نفسه يبني كذلك الكافر يسعى ولكن على نفسه يجني.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍۚ﴾ [الآية 42] وقرأ أبو عمرو وعاصم بالغيبة أي يعلم أي شيء تعبدونه وفي الالتجاء تعتمدونه فيجازيكم به ويعاقبكم بسببه ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ [الآية 42] القادر القاهر ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ [الآية 42] البالغ في العلم الغاية وإتقان الفعل النهاية.

﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِۖ﴾ [الآية 43] نبينها لما بعد من أفهامهم من الأحوال ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ﴾ [الآية 43] ولا يفهمها ولا يدرك حسنها ونفعها ﴿إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [الآية 43] وقد روي محي السنة إنه عليه السلام تلا هذه الآية فقال: العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه.

وأفاد الأستاذ: أن الكل يشتركون في سماع الأمثال ولكن لا يصغي إليها نفور القلب من المعاني لا كنود الحال مقعود الكسل معرج في أوطان الفشل.

﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّۚ﴾ [الآية 44] محقاً غير قاصد به باطل فإن
9/ب المقصود بالذات من خلقهما هو الدلالة/ على ذاته وصفاته لأهلها كما أشار إليه بقوله ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ [الآية 44] أي الخلق بالحق ﴿لَأٓيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 44] أي المنتفعين.

وقال الأستاذ: خلق الله السموات والأرض بالحق أي بالقول الحق والحكم الحق والأمر الحق.

﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [الآية 45] اقرأه واتبعه تقرباً إلى الله فيه وتحفظاً لمبانيه واستكشافاً لمعانيه واستمر على ذلك ليظهر لك ظهره وبطنه هنالك ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ [الآية 45] في الأوقات مع مراعاة سائر الحالات ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ﴾ [الآية 45] الكاملة أو المقبولة ﴿تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ [الآية 45] بأن يكون مسبباً للانتهاء عن المعاصي كبيرها وصغيرها حال الاشتغال بها وغيرها من حيث إنها تذكر الله وتورث للنفس خشية منه لصاحبها أو المعني أن مواظبتها تحمل على الانتهاء عن حظ النفس ومتابعتها وفي الحديث: «مَن لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بُعداً»[1] رواه الإمام أحمد أو مراعاتها تجر إلى الانتهاء في غاياتها ففي الحديث قيل له عليه السلام إن فلاناً يصلي بالليل فإذا صح سرق قال: سينهاه ما يقول رواه ابن أبي حاتم والطبراني وابن جرير[2]. وروي أن فتى من الأنصار وكان يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات ولا يدع شيئاً من الفواحش إلا ركبه فوصف له فقال: أن صلاته ستنهاه فلم يلبث أن تاب وصلح حاله فقال صلى الله عليه وسلم: «ألم أقل لكم»[3].

وهذا قول أكثر السلف فينبغي أن يكون عليه الخلف.

وفي «**تفسير السلمي**» أي تمام الصلاة ترك الفحشاء والمنكر.

وقال ابن عطاء: بركات الصلاة تذهب بعقاب الفحشاء.

وأفاد الأستاذ: إن الصلاة الحقيقية ما تنهى صاحبها عن الفحشاء فإن كانت وإلا فصورة الصلاة لا حقيقتها والفحشاء الدنيا والمنكر النفس ويقال الفحشاء المعاصي والمنكر الحظوظ ويقال: الفحشاء رؤية الأعمال والمنكر

---

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (11/ 54) رقم (11025)، والقضاعي في مسند الشهاب (1/ 305) رقم (345)، والسيوطي في جامع الأحاديث (21/ 398) رقم (23826).

(2) أخرجه أحمد في المسند (2/ 447) رقم (9777).

(3) أورده الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (3/ 45، 46) رقم (954).

حسبان النجاة بها وقيل: ملاحظة الأعراض عليها والسرور والفرح بمدح
10/أ الناس بها ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [الآية 45] أي أعظم وأفضل من كل شيء / فالصلاة لما كانت مشتملة على أنواع من الأذكار يكون أكبر من غيرها من الطاعات ولهذا تسمي أم العبادات وأساس الخيرات وناهية عن السيئات أو لذكر الله إياكم برحمته أكبر من ذكركم إياه بطاعته وهذا منقول عن كثير من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين.

وقال ابن عطاء: ذِكْرُ الله لكم أكبر من ذِكْركم له لأن ذكره بلا علة وذكركم مشوب بالعلل من الأغراض والأعراض وقال أيضاً: ذكر الله أكبر من أن يبقي على ذاكره شيء سوى مذكوره.

وأفاد الأستاذ: إن ذكر الله أكبر من ذكر المخلوقين لأن ذكر الله قديم وذكر الخلق حادث ويقال: ذكر العبد أكبر من ذكره الأشياء آخر لأن ذكره طاعة وذكر غيره ليس بطاعة ويقال: لذكر الله أكبر إذا تجرد عن عوض من ذكر لعوض من خوف عقوبة أو نيل مثوبة ويقال: لذكر الله لك أكبر من ذكرك لك ويقال: ذكره لك بالعادة أكبر من ذكرك له بالسعادة ويقال: ولذكر الله أكبر من أن يعرف قدره أو أكبر من أن يعرضه غيره ويقال: ذكر الله أكبر من أن يبقي للذاكر معه أن يذكر غيره أو يبقي للعبد معلوماً أو مرسوماً له ويقال: لذكر الله أكبر من أن يبقي معه الفحشاء والمنكر سلطان وشركه بل لحرمة ذكره زلات الذاكر مغفورة وعيوبه مستورة ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [الآية 45] منه ومن الصلاة وسائر الطاعات فيجازيكم بها أحسن المجازاة ويعفو عن السيئات.

﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى﴾ [الآية 46] بالخصلة التي ﴿هِىَ أَحْسَنُ﴾ [الآية 46] كمعارضة الخشونة بالملاينة والغضب بالكظم والملائمة والمشاغبة بالنصيحة وهو لا ينافي المقاتلة فإنها آخر الدواء في معاملة المقابلة كما يشير إليه قوله ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾ [الآية 46] بالإفراط في اعتدائهم وعنادهم ﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ [الآية 46] وعنه صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله

فإن قالوا باطلاً لم تصدقوهم وإن قالوا حقاً لم تكذبوهم/ أو لا تصدقوهم ولا 10/ب
تكذبوهم فيما لم تعرفوا صدقهم وكذبهم لاحتمال كونهم صادقين أو كاذبين ﴿وَإِلَـٰهُنَا وَإِلَـٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [الآية 46] خاصة له مطيعون بخلافكم وحيث ما تؤمنون.

وأفاد الأستاذ: أن مجادلتهم بالتي هي أحسن أن يكون منك للخصم تمكين وفي خطابك تبيين وفي قبول الحق إنصاف وتحسين واعتقاد النصرة لمن رآه صحيحاً بالحجة وترك الميل إلى شيء بالنسق والهوادة.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ [الآية 47] أي القرآن وحياً مصدقاً لسائر ما أنزل من هذا الباب ﴿فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ [الآية 47] أي التوراة والإنجيل ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ [الآية 47] كعبدالله بن سلام وأضرابه ﴿وَمِنْ هَـٰٓؤُلَآءِ﴾ [الآية 47] من العرب وأهل مكة ﴿مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾ [الآية 47].

قال الأستاذ: يعني أنهم على أنواع في القسمة فمرحوم نظرنا إليه بالعناية كما سبقت له السعادة ومحروم وسمناه بكي الشقاوة ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ﴾ [الآية 47] مع ظهورها ونظام نورها ﴿إِلَّا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [الآية 47] المتوغلون في الكفر والمشغولون عن التأمل والفكر كما يشير إليه قوله:

﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَـٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾ [الآية 48] في باب فإن ظهور هذا الكتاب الجامع لأنواع المعرفة على أي لم يعرف بالقراءة والكتابة خارق للعادة ﴿إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [الآية 48] أي لو كنت ممن تقرأ أو تكتب فقالوا تعلمه أو التقطه مما كتبه الأقدمون وسماهم مبطلين لظهوره بطلانهم حينئذ أيضاً فإن جميع الكتبة والقراء الخطباء والشعراء والفصحاء والبلغاء عن عجزوا عن المعارضة بأقصر سورة من سور القرآن المبين.

وقال الأستاذ: تجرد قلبك عن المعلومات وتقدس سرك عن المرسومات فصادفك من الآيات من غير ممازجة طبع ومشاركة كسب وتكلف بشرية فلما خلا سرك وقلبك عن كل معلوم ومرسوم ورد عليك خطابنا وتفهيمنا غير مقرون به ما ليس منا.

﴿بَلْ هُوَ﴾ [الآية 49] أي القرآن ﴿ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ﴾ [الآية 49] واضحة الدلالات لكونها من المعجزات ﴿فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ﴾ [الآية 49]
11/ أ بحفظه/ لمبانيه ومعانيه بحيث لا يقدر أحد على تحريفه بما ينافيه ﴿وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الآية 49] المعاندون حين لم يعتدوا بها بعد وضوح دلائل إعجازها.

وأفاد الأستاذ: أن قلوب الخواص من العلماء بالله خزائن الغيب فيها أودع براهين حقه وبينات سره ودلائل وحدانيته وشواهد ربوبيته فقانون الحقائق قلوبهم وخزائن الأسرار صدرهم وكل شيء يطلب من موطنه ومحله فالدر يطلب من الصدق لأن ذلك مسكنه والشمس تطلب من البروج لأنها مطلعه والشهد من النحل لأنه عشه كذلك المعرفة وصف الحق تطلب من قلوب خاصته لأنها قانون معرفته .

ومنها ترفع توحيده وفردانيته وقالوا: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ﴾ [الآية 50] كناقة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى وقرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر وحفص آيات ﴿قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِۖ﴾ [الآية 50] ينزلها كما يشاء لست أملكها فآتيكم بما تقترحونه منها ﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ﴾ [الآية 50] لوجه الإنذار بالعقوبة للكفار والفجار.

﴿أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ﴾ [الآية 51] آية مغنية عن آياتهم المقترحة ﴿أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [الآية 51] تدوم تلاوته وتستمر معجزته فلا يزال معهم آية ثابتة وحجة ثابتة بخلاف سائر الآيات وبقية المعجزات ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ [الآية 51] الكتاب الذي هو آية مستمرة وحجة مبنية ﴿لَرَحۡمَةٗ﴾ [الآية 51] لنعمة عظيمة ﴿وَذِكۡرَىٰ﴾ [الآية 51] وموعظة جسيمة ﴿لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الآية 51] لها وينتفعون بما فيها.

وروي أن ناساً من المسلمين أتوا رسول الله بكتف كتب فيها بعض من التوراة فقال: كفى بها ضلالة قوم أن يرغبوا عما جاءهم به نبيّهم إلى ما جاء به غير نبيّهم

فنزلت[1]. وفي رواية قال: لو كان موسى حياً لما وسعه إلا اتباعي[2].

﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾ [الآية 52] بصدقي بالمعجزات أو تبليغي بالرسالة ومقابلتكم إياي بالتكذيب والمعاندات ﴿يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 52] في العلويات والسفليات فلا يخفى عليه ما جرى بيننا من الحالات/ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [الآية 52] وهو ما بعيد من دون الله وما 11/ب
يدعى مما سواه مما ليس تحته الطائل ﴿وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ [الآية 52] بذاته وصفته ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الآية 52] فمن خسر في صفقته حيث اختار طريق ضلالته.

وقال الأستاذ: خفي عليهم علو حاجتك فطالبوك بإقامة الشواهد على رسالتك أو لم يكفهم ما أوضحنا عليك من السبيل وألحق لك من الدليل يتلى عليهم ذلك ولم يمكنهم معارضته هنالك هذا هو غاية الجحود ونهاية الكنود.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾ [الآية 53] قبل يوم الحساب ﴿وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ [الآية 53] لكل عذاب في كل باب ﴿لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ [الآية 53] عاجلاً ﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُم﴾ [الآية 53] آجلاً ﴿بَغْتَةً﴾ [الآية 53] فجأة في الدنيا كوقعة بدر ونحوها أو في الأخرى عند سكرات الموت وأحوالها أو في مواقف القيامة وأهوالها ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الآية 53] بإتيانها في أي مجالها.

﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الآية 54] أي كالمحيطة بهم الآن لإحاطة الكفر والعصيان التي توجب لهم النيران.

﴿يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [الآية 55] أي من قرنهم إلى قدمهم والمواد من جميع جوانبهم ﴿وَيَقُولُ﴾ [الآية 55] أي الله أو ملائكته وقرأ

(1) أورده ابن عطية في المحرر الوجيز (5/ 234)، وأبو السعود في إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (7/ 44)، والبيضاوي في تفسيره (1/ 320).
(2) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (1/ 199) رقم (176)، وأبو يعلى في المسند (4/ 102) رقم (2135)، وأحمد في المسند (3/ 338) رقم (14672)، وأبو شيبة في المصنف (5/ 312) رقم (26421).

ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بالنون ﴿ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الآية 55] أي جزاء أعمالكم وفق أحوالكم.

وأفاد الأستاذ: أنه إذا أحاط بهم سرادقات[1] العذاب في جهنم فلا صريخ لهم كذلك اليوم من أحاط به العذاب من فوقه اللعن ومن تحته الخسف ومن جهاله الخزي ويلبس لباس الخذلان ويوسم بكي الحرمان ويسقى شراب القنوط ومتوج بتاج الخيبة ويقيد بقيد السخط ويغل بغل العداوة وهم يسحبون في جهنم الغراق حكماً إلى أن يلقوا في جهنم الاحتراق عيناً.

﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِي وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰيَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الآية 56] أي إن لم يخلصوا العبادة لي في مكان منها فأخلصوها في غيره.

قال سهل: إذا عمل المعاصي والبدع في أرض فأخرجوا منها إلى أرض 12/أ المطيعين بها وسئل ابن مالك عن العبودية/ فقال: إذا صحت العبودية لله صحت الحرية عما سواه.

وأفاد الأستاذ: أن الدنيا أوسع في الشأن من أن يضيق لمريد مع مزيد المكان فإذا نبا به منزل لوجه من الوجوه الصادّ له عن سبيله إما لمعلوم حصل أو القبول بين الناس وجاه أو العلاقة أو قريب أو لبلاء ضد فطريقه أن يرحل عن موضعه وينتقل إلى غيره كما قالوا:

وإذا ما جفيت كنت حريّاً أن أُرى غيرَ مُصبحٍ حيث أُمسي

وكذلك العارف إذا لم يوافق وقته مكاناً انتقل إلى غيره من الأماكن لإصلاح ما به من الشأن.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۖ﴾ [الآية 57] تناله لا محالة ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الآية 57] للخبر بالمثوبة أو العقوبة ومن كان هذا عاقبته فينبغي أن يجتهد في استحسان حالته وقرأ أبو بكر بالغيبة.

---

(1) كل ما أحاط بشيء، وهو صفة النار. انظر لسان العرب (10/ 157).

وقال الأستاذ: إذا كان الأمر كذلك فالراحة معطوفة على تهوين الأمور هنالك فسبيل المؤمن أن يوطن نفسه على مفارقة روحه مستعداً له في كل نفسه إبقاء لروحه ثم إذا لم يحضر الأجل فلا يستعجل وإذا حضر فلا يستثقل وليكن بحكم الوقت كما قالوا:

ولو قال لي: مت مت طوعاً وحسبة   وقلت لداعي الموت أهلاً ومرحباً

قلت: وفي الحديث: لا يتمنين أحدكم الموت فإن كان لا بدّ فاعلاً فليقل اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي واجعل الحياة زيادة لي في كل خير واجعل الموت راحة لي من كل شر(1).

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم﴾ [الآية 58] لننزلنهم وقرأ حمزة والكسائي لنبوئنهم أي لنقيمنهم ﴿مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا﴾ [الآية 58] علا لي في القدر والمقدار ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ [الآية 58].

وأفاد الأستاذ: أن اليوم في غرف معارفهم على أسرة وصلهم متوجين بتيجان سيادتهم يسقون كاسات الوجد ويلقون في جنات القرب وعداً كما قال الرب.

﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ [الآية 59] على أذية المشركين والهجرة للدين إلى غير ذلك من محن المهاجرين والمجتهدين ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الآية 59] وإلى مرضاته يتوسلون قبل الصبر المقام مع البلاء والمحنة كالمقام مع الرخاء والعافية وسئل الخراز عن / التوكل فقال: هو اضطراب بلا سكون وسكون بلا اضطراب. 12/ ب

وأفاد الأستاذ: أن الصبر حبس النفس على فطامها، الصبر تجرع كاسات التقدير من غير نقتبس الضمير وأول الصبر تصبّر بتكلف المشقة ثم صبر بسهولة ثم اصطبار وهو ممزوج بالراحة ثم تحقق بوصف الرضا بالقضاء فيصير العبد فيه محمولاً بعد أن كان متحملاً والتوكل انتظار مع استبشار التوكل أن تبرم في

(1) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (6/ 262) رقم (10901)، والطبراني في المعجم الأوسط (8/ 87) رقم (8019)، وفي المعجم الصغير (1/ 138) رقم (208)، وابن ماجه في السنن (2/ 1425) رقم (4265)، والترمذي في الجامع الصحيح (3/ 301) رقم (970).

الخلوة بانقطاع الأغيار عنك التوكل أعراض القلب عن غير الرب.

﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا﴾ [الآية 60] لا تدخره لغدها وإنما تصبح ولا معيشة عندها ففي الحديث لو توكلتم على الله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً[1] وتروح بطاناً[2] ﴿ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا﴾ [الآية 60] مع ضعفها وتوكلها ﴿وَإِيَّاكُمۡ﴾ [الآية 60] مع قوتكم واجتهادكم ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ [الآية 60] لأقوالكم ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ [الآية 60] بأعمالكم وأحوالكم.

قال ابن عطاء الله: يرزقها بحسن اليقين ويرزقكم مع قلة اليقين.

وقال النهرجوري: أرزاق المتوكلين على الله يجري بعلم الله لهم بلا شغل وتعب منهم وغيرهم فيه مشغول ومتعوب به.

وأفاد الأستاذ: أن معنى ﴿لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا﴾ [الآية 60] لا تدخره لا في ملكه ولا في كسبه ولا في خزانة ملكه ولا بيد مملوكه ﴿ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا﴾ [الآية 60] من غير مقاساة تعب منه ويقال: إرادة الله في أن يستبقيك ولا يقبض روحك أقوى وأتم من تمنيك لبقائك فلا ينبغي أن يكون اهتمامك بسبب غيبتك وفنائك أتم وأكثر من تدبير نفسك لبقائك.

﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم﴾ [الآية 61] أي أهل مكة وغيرهم ﴿مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ﴾ [الآية 61] إذ لا جواب سواه ﴿فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾ [الآية 61] يصرفون عن توحيده بعد إقرارهم بتفريده.

قال الأستاذ: إذا سألوا عن الخالق أقروا بالله وإذا سئل عن الرازق لم يستقروا مع الله هذه مناقضة ظاهرة يعني مع أنه سبحانه قال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ثُمَّ رَزَقَكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۖ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفۡعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيۡءٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [الروم: الآية 40].

---

(1) جياع. انظر لسان العرب (7/ 29).
(2) أخرجه ابن ماجه في السنن (2/ 1394) رقم (4164)، والترمذي في الجامع الصحيح (4/ 573) رقم (2344).

﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ﴾ [الآية 62] أي لمن يشاء من عباده على أن البسط لبعضهم/ والقبض لآخرين أو على أن التوسعة له تارة 13/ أ والتضييق أخرى، بعده أو قبله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الآية 62] يعلم مصالح العباد ومفاسدهم في المراد فهو في التغيير بحسب التقدير حكيم.

وأفاد الأستاذ: أن الرزق على أقسام رزق الظواهر ومنه الطعام والشراب ورزق السرائر ومنه الاستقلال بالمعاني في فهم الكتاب والناس فيها مرزوق مرفّه إليه ومرزوق مضيق عليه.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا﴾ [الآية 63] يبسها وفوت ما فيها ﴿لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الآية 61] معترفين بأن الموجد للمكنات بأسرها أصولها وفروعها ثم إنهم ليتبركون به بعض خلقه الذي لا يقدر على شيء من جميعها ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الآية 63] على ما أعطاك من نعمة النبوة والرسالة وحفظك من أمثال هذه الضلالة والجهالة ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الآية 63] هذه المقالة ولا يتأملون هذه الحالة.

قال الأستاذ: وكما علموا أن حياة الأرض بعد موتها بالمطر من قبل الله فليعلمن أن حياة النفوس بعد موتها عند الحشر والنشر بقدرة الله وكما علموا ذلك فليعلموا أن حياة الأوقات بعد فترتها أي بماء الرحمة من عند الله.

﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ﴾ [الآية 64] إشارة تحقير ومهانة وكيف لا وقد ورد أنها لا تزن عند الله جناح بعوضة ﴿إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾ [الآية 64] ما يلهى ويلعب به الصبيان يجتمعون إليه ويميلون إليه يتعبون لديه ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ [الآية 64] لهي دار الحياة الحقيقية لامتناع ضربات الموت عليها أو جعلت في ذاتها حياة للمبالغة في الميل إليها.

وفي الحديث: «اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة»[1] ﴿لَوْ كَانُوا۟

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (3797)، ومسلم في الصحيح (1804/ 126).

﴿يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 64] أنها خير وأبقى لما آثروا عليها الدنيا التي مبناها على العناء والشقاء وسرعة الفناء وخسة الشركاء.

وأفاد الأستاذ: أن الدنيا كالاحتلام وعند الخروج منها انتباه من المنام والآخرة هنالك العيش بنظامه والتخلص من الوحشة بتمامه.

﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [الآية 65] كائنين في
13/ب صورة من أخلص/ دينه من المؤمنين حيث لا يذكرون إلا الله ولا يدعون سواه بل يدعون ما عداه لعلمهم بأنه لا يكشف الشدائد إلا هو ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [الآية 65] وفي معصيتهم وغفلتهم يعودون وشركهم لا يتركون.

قال جنيد: والإخلاص إلحاد القلب عن الكل وخلو السرّ عن الجميع والعلم بأن الحق هو الذي يقبلك بجميع عيوبك وينجيك من جميع قومك فهو دليل مقام الإخلاص وعلامة حالة الاختصاص.

وأفاد الأستاذ: إن الإخلاص تفريغ القلب عن الكل والثقة بأن لا خلاص إلا به والتحقق بأنه لا يستكثر حالاً في المحمودات ولا في المذمومات فالعامة إذا توالت عليهم الضرورات يدعونه مخلصين له الدين وإذا انقطع عنهم الرجاء أذعنوا لله متفرغين فإذا كشف الضر عنهم عادوا إلى الغفلة ونسوا ما كانوا فيه من الشدة كما قيل:

إذا ارعوى عاد إلى جهله   كذا الضنا عاد إلى نكسه

﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ [الآية 66] اللام يحتمل أن تكون لام كي أي يشركون ليكونوا كافرين بشركهم نعمة النجاة من المهالك العظام ﴿وَلِيَتَمَتَّعُوا﴾ [الآية 66] باجتماعهم على عبادة الأصنام أو ليأكلوا كما تأكل الأنعام ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 66] عاقبة هذه الآثام حين يعاقبون بأنواع الآلام وأن يكون الأمر للتهديد ويؤيده قراءة ابن كثير وحمزة والكسائي وقالون فليتمتعوا بالسكون ويساعده فسوف يعلمون.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ [الآية 67] أي أهل مكة ﴿أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا﴾ [الآية 67] أي

جعلنا بلدهم مصوناً عن النهب والتعدّي آمناً أهله عن القتل والسبي بالأيدي ﴿وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْۚ﴾ [الآية 67] يختلسون قتلاً وسبياً بحسب اختلاف حولهم ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ﴾ [الآية 67] كالصنم ﴿يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ [الآية 67].

وقال الأستاذ: من عليهم بدفع المحن عنهم وكون الحرم أمثالهم وذكرهم عظيم الإحسان إليهم ثم بين أعراضهم عن شكر ذلك لديهم.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الآية 68] بأن زعم أن له شريكاً أو غيره ربا ﴿أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓۚ﴾ [الآية 68] رسولاً أو كتاباً ﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [الآية 68] / تقدير لسوء النواء للأعداء كقوله: 14/أ

(ألستم خير من ركب المطايا)[1] ....

أو للاجتراء المترتب عليه هذا الجزاء.

﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا﴾ [الآية 69] في حقنا بالجهاد الأصغر أو الأكبر في طريق صدقنا ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ﴾ [الآية 69] سبل السير إلى بابنا وطرق الوصول إلى جنابنا أو لنزيدهم هداية إلى سبل العبادة وتوفيقاً لسلوك سير أهل الإرادة كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ [محمد: الآية 17].

وفي الحديث: «مَن عمل بما عَلِم ورّثه الله عِلْم ما لم يَعْلم»[2]، ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الآية 69] بالنصرة والإعانة في طريق اليقين.

قال عبدالعزيز المكي: اجتهدوا في سبيل الظاهر فهداهم إلى سبيل الباطن وأنا أتعجب ممن يعجز عن ظاهره ويطمع في باطنه.

وقال أبو سعيد القرشي: خرجت هداية المراد من المشيئة قال عزوجل: ﴿يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الآية 69].

وقال الأستاذ: أي الذين زينوا ظواهرهم بالمجاهدات حبسنا سرائرهم

---

(1) هذا بيت شعر لجرير وعجزه: «وأندى العالمين بطون راح». انظر الأغاني (8/ 316).
(2) أورده السيوطي في الدر المنتشرة في الأحاديث المنتشرة (1/ 20)، وانظر تذكرة الموضوعات (1/ 20)، وتخريج أحاديث الإحياء (1/ 168) رقم (168).

بالمشاهدات. ويقال الذين شغلوا ظواهرهم بالوظائف أوصلنا سرائرهم إلى اللطائف ويقال الذين قاسوا فينا التعب من حيث الصلوات جازيناهم بالطرب من حيث الموصلات ويقال: الجهاد فيه أولاً يترك المحرمات ثم يترك الشبهات ثم يترك الفضلات ثم يقطع العلاقات والتنقي عن الشواغل على جميع الأوقات ويقال: يعدّ الأنفاس مع الله ويحفظ الحواس عما سواه.

سورة الروم

[مكيّة]
وهي ستون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أفاد الأستاذ: أن بسم الله اسم عزيز شفاء المذنبين جوده، بلاء المهيمين مقصوده، ضياء الموحدين عهوده، وسلوة المحزونين ذكره، حرقة المسبحين الواجدين شكره، والعابدون حبهم عطاؤه والواجدون حبهم بقاؤه.

﴿الٓمٓ ۝١﴾ [الآية 1] الإشارة في الألف أي ألف صحبتنا من عرف عظمتنا وألف بلاءنا من عرف كبريائنا والإشارة في اللام أي لزم من ببابنا من ذاق محابنا ولزم بساطنا من شهد انبساطنا والإشارة في الميم أي مكن من قربتنا من أقام على خدمتنا ومات على وفائنا من تحقق بولاءنا.

﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الآيتان 2،3] أي أرض العرب لأنها الأرض 14/ب
المعهودة عندهم/ أو في أدنى أرضهم من العرب أو مقامهم فاللام بدل من الإضافة على مذهب أهل الكوفة والمراد أن أهل الفرس وهم المشركون غلبوا أهل الروم وهم أهل الكتاب والموحدون ففرح المشركون من أهل مكة وقالوا للمسلمين: أنتم والنصارى أهل الكتاب ونحن وفارس أميون وقد ظهر إخواننا على إخوانكم فلنظهر عليكم في شأنكم فنزلت ﴿وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ﴾ [الآية 3] من إضافة المصدر إلى المفعول أي بعد مغلوبيتهم ﴿سَيَغۡلِبُونَ﴾ [الآية 3] على عدوهم.

﴿فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ﴾ [الآية 4] وهو ما بين ثلاث إلى تسع سنين فظهرت الروم

على فارس يوم الحديبية والآية من دلائل النبوة لأنها أخبار عن غيب الواقعة.

وأفاد الأستاذ: أن المسلمين سرّوا بظفر الروم على العجم وإن كان الكفر بجمعهم لاختصاص الروم بالإيمان ببعض الأنبياء فشكر الله ذلك لهم وأنزل هذه الآية فيهم بمن يكون سروره لدين الله وحزنه واهتمامه لأمر مولاه ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ [الآية 4] من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين والمعنى له الأمر حين غلبوا وكذا إذا غلبوا ليس شيء منها إلا بقضائه وقدره فيما فعلوا.

قال سهل: من قبل كلّ شيء ومن بعد كل شيء لأنه المبدىء المعيد وقال: سبق تدبير الحق في الخلق لأنه يهم لم يزل عالماً في الأصل وفي الفرع.

وأفاد الأستاذ: أن قبل إذا أطلق انتظم الأزل وبعد إذا اطلق دل على الأيد فالمعنى أمر الأزلي لله والأمر الأبدي لله لأن الرب الأزلي والسيد الأبدي هو الله ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ﴾ يوم العرفان و﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ﴾ يوم الغفران ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ﴾ حين القسمة ولا حين و﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ﴾ عند النعمة وليس معين. وقيل ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ﴾ [الآية 4] بتحقيق ودّكم ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ﴾ [الآية 4] ﴿وَمِنۢ بَعْدُ﴾ [الآية 4] بحفظ عهدكم:

إني على جفواتها بَرٌّ بِها وبكلّ متصلٍ بها متوسِّل

﴿وَيَوْمَئِذٍ﴾ [الآية 4] يوم يغلب الروم ﴿يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 4].

﴿بِنَصْرِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 5] من له كتاب على من لا كتاب له لما فيه من ازدياد يقينهم وثباتهم في أمر دينهم ﴿يَنصُرُ مَن يَشَآءُ﴾ [الآية 5] فينصر هؤلاء تارة وأخرى هؤلاء ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الآية 5] ينتقم من عباده بالنصر عليهم مرة
15/أ ويتفضل عليهم / بنصرهم كرة.

وأفاد الأستاذ: أن اليوم ترح وغداً فرح اليوم عبره وغداً صبره اليوم أسف وغداً لطف اليوم بكاء وغداً لقاء.

﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 6] مصدر مؤكد لنفسه لأن ما قبله في معنى وعده ﴿لَا

يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ [الآية 6] لامتناع الخلف في خبره ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 6] صحة وعده بجهلهم به وعدم تفكرهم في وصفه.

وأفاد الأستاذ: أن الكريم لا يخلف وعده لا سيما والصدق لغته ويقال: منا يوم الميثاق وعد بالطاعة ومنه ذلك اليوم وعد بالجنة فإن وقع في وعدنا تقصير فلا نفع في وعده قصور وتغيير.

﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الآية 7] ما يشاهدونه بها والتمتع بزخارفها ﴿وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [الآية 7] التي هي غايتها والمقصودة منها ﴿هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الآية 7] لا تخطر ببالهم وتكريرهم للمبالغة في غرورهم قال القاسم: من كان غافلاً عن الآخرة كان عن الله أغفل ومن كان غافلاً عن الله سقط عن درجة المتعبدين.

وأفاد الأستاذ: أن استغراقهم في الاشتغال في الدنيا وإنهاكهم في تعلق الطلب منعهم عن العلم بالأخرى وقيمة كل امرئٍ علمه كما الأثر فيه عن علي رضي الله عنه فأهل الدنيا على غفلة عن العقبى والمشتغلون بعلم الآخرة كذلك بوجودها في غفلة عن المولى.

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم﴾ [الآية 8] أي في أمرها فإنها أقرب إليهم من غيرها ومرآة يجتلي للمتبصر بها ما يجتلي له في الممكنات بأسرها فإنها العالم الأكبر في مظاهرها وأسرارها فيتحقق لهم قدرة مبدعها على إعادتها من قدرته على ابدائها ليعلموا أو يقولوا ﴿مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية 8] بالأمر الثابت في الصدق ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الآية 8] ينتهي عنده ولا تبقى بعده ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ﴾ [الآية 8] بملاقاة جزائه عند فراغ الأجل وانقضاءه ﴿لَكَٰفِرُونَ﴾ [الآية 8] جاحدون وحاسبون أن الدنيا أبدية وإن الآخرة عدمية سرمدية.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 9] بظواهرهم أو بواطنهم ﴿فَيَنظُرُوا۟﴾ [الآية 9] فيصبروا أو فيعتبروا ﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الآية 9] بنظرهم إلى ديارهم وآثار مسارهم ﴿كَانُوٓا۟﴾ [الآية 9] أي من قبلهم ﴿أَشَدَّ مِنْهُمْ﴾ [الآية 9] من / الموجودين بعدهم ﴿قُوَّةً﴾ [الآية 9] كعاد وثمود ونحوهم ﴿وَأَثَارُوا۟ 15/ ب

﴿ٱلْأَرْضَ﴾ [الآية 9] قلبوا أديم وجهها لاستنباط مياهها واستخراج معادنها وزرع البذور وغيرها ﴿وَعَمَرُوهَآ﴾ [الآية 9] أي أرضهم ﴿أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ [الآية 9] من عمارة أهل مكة إياها فكان لهم التبسط في البلاد والتسلط على العباد أعظم من أهلها ﴿وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [الآية 9] بالمعجزات الواضحات فكذبوا فعذّبوا ﴿فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ [الآية 9] فيدمرهم فمن جرم منهم ولا تذكير لهم ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الآية 9] حيث عملوا في أعمارهم ما أدى إلى دمارهم وهلاك آثارهم قال بعضهم: السير في الأرض مندوب إليه لمن يستدل بالآثار على المؤثر فأما من تحقق في عين المعرفة فهو سائر بروحه في الملكوت.

وأفاد الأستاذ: أن سير النفوس في أقطار الأرض ومناكبها لأداء العبادات وسير القلوب بجولان الفكر في جميع المخلوقات وغايته الظفر بحقائق العلوم التي توجب ثلج الصدر ثم تلك العلوم على الدرجات وسير الأرواح في ميادين الغيب بنعت خرق سرادقات الملكوت وقصاراهُ الوصول إلى مجال الشهود واستيلاء سلطان الحقيقة وسر الأسرار بالترقي عن الحدثان بأسره والتحقق أولاً بالصفات ثم بالخمود بالكلية عما سوى الحق.

﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ [الآية 10] أي العقوبة أو الخصلة السواء أي تأنيث أسوأ كالحسنى أو مصدر نعت بها كالبشرى ﴿أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الآية 10] عطف بيان للسوأى وقرأ ابن عامر والكوفيون عاقبة بالنصب على أن الاسم السوأى وفي الآية أشاروا إلى أن الدنيا مزرعة الآخرة.

قال الأستاذ: من زرع الشوك لم يحصد الورد ومن استنبت الحشيش لم يقطف البهار ومن سلك طريق الغي لم يحلل بساحة الرشد.

﴿ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ﴾ [الآية 11] ينشئهم ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ [الآية 11] يبعثهم ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الآية 11] فيجزيهم وقرأ غير أبو عمرو وأبو بكر بالخطاب وفي كل تغليب أي يردون إلى حكمه في جزاء أعمالهم على حسب أحوالهم.

وقال الأستاذ: الله يبدىء الخلق على ما يشاء ثم يعيده إذا ما يشاء على

ما يشاء ثم إليه ترجعون / للجزاء. 16/ أ

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الآية 12] يسكتون أو ييأسون أو يتحيرون.

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَـٰٓؤُاْ﴾ [الآية 13] أي في أصنافهم يجيرونهم من عذابهم ومجيئه بلفظ الماضي لتحقق وقوعه ﴿وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمْ كَـٰفِرِينَ﴾ [الآية 13] حين يئسوا منهم أو كانوا في الدنيا كافرين بسببهم.

وأفاد الأستاذ: أن شهودهم ما جحدوه في الدنيا عياناً ثم ما ينضاف إلى ذلك من اليأس الذي يعرفون قطعاً هو الذي يفتت كبدهم وبه تتم محنتهم.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الآية 14] أي المؤمنون والكافرون كما فصله بقوله.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ﴾ [الآيـــــة 15] أرض ذات أزهار وأنهار وأنوار ﴿يُحْبَرُونَ﴾ [الآية 15] يسرون مجاهد يكرمون قتادة ينعمون ابن كيسان يحلّون ابن عباس يتوّجون وكيع يستمعون وعن أبي الدرداء أن غناءهم تسبيحهم وثناءهم.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْـَٔاخِرَةِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ [الآية 16] يدخلون وعنه لا يغيبون فالأمر بهم لا ينفعه التدبير فإنه على وفق التقدير من غير التغيير فريق في الجنة وفريق في السعير.

قال أبو بكر بن طاهر: يتفرقون إلى ما قدر لكل من محل السعادة ومنزل الشقاوة.

وقال الأستاذ: فريق هم أصل الوصلة وفريق هم أهل الفرقة وفريق الجنة والمنة وفريق للعقوبة والمحنة وفريق في السعير وفريق في السرور وفريق في الثواب وفريق في العقاب وفريق وفريق للتلاق وفريق في البوار والخسار وفريق في الرياض والأنهار.

﴿فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الآيتان 17، 18] خبر في معنى الأمر بتنزيه الله تعالى والثناء عليه في هذه الأوقات التي تظهر فيها قدرته وتتجدد فيها نعمته وتخصيص التسبيح بالمساء والصباح لأن آثار القدرة والعظمة فيهما أظهر حيث يتبدل أحد الضدين بالآخر فقد ورد في الخبر: سبحان الله أين الليل إذا جاء النهار وتخصيص الحمد بالعشي والظهيرة لأن تجدد النعم فيهما أكثر وجوز أن يكون
16/ب عشياً معطوفاً على حين تمسون، / وجملة ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الروم: الآية 18] اعتراضاً ويؤيده ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الآية جامعة الصلوات الخمس تمسون صلاة المغرب والعشاء وتصبحون صلاة الفجر وعشياً صلاة العصر وتظهرون صلاة الظهر.

ولذا زعم الحسن البصري رحمه الله أن الآية مدنية لأنه كان يقول كان الواجب بمكة ركعتين في أي وقت اتفقت وإنما فرضت الخمس بالمدينة والأكثر أن الخمس فرضت بمكة كما يدل عليه حديث الإسراء.

قال جعفر الصادق: بالله فابدأ في صباحك وبه فاختم في مساءك فمن كان به ابتداؤه وإليه انتهاؤه لا يشقى فيما بينهما.

وأفاد الأستاذ: أن من كان صباحه بالله بورك له في يومه ومن كان مساؤه بالله بورك له في ليله:

وإن صباحاً نلتقي في مسائه   صباحٌ على قلب القريب حبيبُ

فشتان بين عبد صباحه مفتتح بعبادته ومساؤه مختتم بطاعته وبين عبد صباحه مفتتح بشهادته ورواحه مفتتح بعزيز قربته. ويقال: أراد الحق من أوليائه أن يجددوا العهد به في اليوم والليلة خمس مرات فتقف على بساط المناجاة ويستدرك فيما بين الصلاتين من طوارق الغفلات ولواحق الزلات.

﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ [الآية 19] كالإنبات من النطفة والطائر من البيضة ﴿وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ [الآية 19] أي النطفة والبيضة ﴿وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ﴾ [الآية 19] ينبتها ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الآية 19] يبسها ﴿وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الآية 19] من قبوركم فيها

وقرأ حمزة والكسائي بفتح التاء وضم الراء قال بعضهم: يخرج أولياءه من بين أعدائه ويخرج أعداءه من بين أولياءه لئلا يعتمد ولي على ولايته ولا يقنط عدو في عداوته.

وقال الأستاذ: يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن ويظهر أوقات البسط من أوقات القبض وأوقات القبض من بين أوقات البسط ويحيي الأرض بالمطر بعد موتها وقت الربيع وحشة الشتاء كذلك النشور والإحياء بعد الموت والفناء.

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ [الآية 20] أي في أصل الإنشاء لأنه خلق أصلهم منه في الابتداء ﴿ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾ [الآية 20] في الانتهاء وفيه أي إلى/ ما قاله أولي الألباب ما للتراب ورب الأرباب. 17/أ

قال القاسم: بين أنه متولي خلقه وإن خلقه إياهم من جماد لا حركة له وإنما حركة خالقه لأنه ليس من طبعه أن ينشر بنفسه ذكر ذلك لئلا يعتمد العبد بشيء من أعماله ولا ينظر إلى شيء سوى ربه وأفعاله.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه ذكرهم نسبتهم لئلا يعجبوا بحالتهم ويقال: الأصل التربة ولكن العبرة بالتربية القيمة لما منه اصطفى الأعيان المخلوقة واختار الكعبة فهي أفضل من الجنة والجنة ياقوت وجوهر والبيت حجر والبيت مختاره والمؤمن مختارة وهذا المختار حجر وهذا المختار مدر وهو الغني لذاته منزه عن كل غير وغير ورسم وأثر.

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ [الآية 21] من جنسكم نساء ﴿لِّتَسْكُنُوٓا۟﴾ [الآية 21] لتميلوا ﴿إِلَيْهَا﴾ [الآية 21] وتآلفوا بها فإن الجنسية علته الضم ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم﴾ [الآية 21] أي بين الرجال والنساء أو بين أفراد الجنس من الجن والإنس ﴿مَّوَدَّةً﴾ [الآية 21] محبة ﴿وَرَحْمَةً﴾ [الآية 21] بخلاف سائر الحيوانات نظماً لأمر المعيشة ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الآية 21] فيعلمون ما في ذلك من أنواع الحكمة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه رد المثل إلى المثل وربط الشكل بالشكل وجعل سكون البعض إلى الآخر ولكن ذلك للأشباح والصور وأما الأرواح

فصحبتها للأشباح كره لا طوع وأما الأسرار فمعتقة لا تساكن الأطلال ولا تقديس بالإعلال.

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ﴾ [الآية 22] لغاتكم بأن علم كل طائفة لغتها وأمالهم إليها أو ألهمهم وضعها وأقدرهم عليها أو أجناس أصواتكم بتفاوت نعماتكم ﴿وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾ [الآية 22] من بياض الجلود وسوادها أو تخطيطات الأعضاء وهيآتها وأشكالها حتى أن التوأمين مع توافق موادهما وأسبابهما يختلفان في شيء من ذلك لا محالة في بابهما ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ﴾ [الآية 22] وقرأ حفص بكسر اللام ويؤيده قوله: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: الآية 43].

وأفاد الأستاذ: أن السمٰوات في علوها والأرض في دنوها هذه بنجومها وكواكبها وهذه بأطوارها ومناكبها وهذه بشمسها وقمرها وهذه بمائها ومدرها
17/ب واختلاف / لغات أهلها في الأرض واختلاف تسبيحات الملائكة الذين هم سكان السماء فاختصاص كل شيء من هذه ببعض جائزات حكمها شاهد عدل ودليل صدق ينادي أفكار المستنطقين وينادي على أنفسها إنها بأجمعها من تقدير العزيز الحكيم.

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾ [الآية 23] منامكم في الزمانين لاستراحة القوى الظاهرة النفسية وقوة القوى الباطنة الطبيعية وطلب معاشكم فيها من الأمور الضرورية أو منامكم بالليل وابتغاؤكم بالنهار على جري العادة الغالبية ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [الآية 23] سماع تفهم وتفكر وتأمل وتدبر.

وأفاد الأستاذ: أن غلبة القوم بغير اختيار صاحبه ثم انتباهه من غير اكتسابه له في وسعه يدل على موته ثم بعثه بعد ذلك وقت نشوره ثم في حال منامه يرى ما يسره ويضره وعلى أوصاف كثيرة أمره كذلك الميت في قبره الله أعلم كيف حاله في أمره مما يلقاه من خيره وشره ونفعه وضره.

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ﴾ [الآية 24] أراكم البرق ﴿خَوْفًا﴾ [الآية 24]

للمسافر ﴿وَطَمَعًا﴾ [الآية 24] للمجاور ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ [الآية 24] وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالتخفيف ﴿فَيُحْيِ بِهِ الْأَرْضَ﴾ [الآية 24] بإنباتها ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الآية 24] يبسها ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الآية 24] يتدبرون في استنباط، أسبابها وكيفية تكونها في أبوابها ليظهر لهم جمال قدرته وكمال حكمته.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يلقي في القلوب من الرجاء والتوقع في الأحوال ثم يختلف بهم الحال في المآل فمن عبد يحصل مقصوده ومن آخر لا يتفق مراده والأحوال الشريفة كالبروق اللطيفة وقالوا: إنها أولاً لوائح ثم لوامع ثم طوالع ثم شوارق ثم متوع النهار فاللوائح في أوائل العلوم واللوامع من حيث العهود والطوالع من حيث المعارف والشوارق من حيث التوحيد.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ [الآية 25] أي قيامهما بإقامته لهما وإرادته لقيامهما في حيّزها والتعبير بالأمر للمبالغة في كمال القدرة والغنى عن الإله ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً/ مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ [الآية 25] أي ثم خروجكم 18/أ
من قبوركم إذا دعاكم دعوة واحدة فيقول أيها الموتى اخرجوا إلى معرض المولى.

وقال الأستاذ: يغير هذه الأدوار ويغير هذه الأطوار يبدل هذه الأحوال إماتة ثم إحياء وإعادة وقبلها ابداءً وقبر ثم نشر معاتبة في القبر ثم محاسبة بعد النشر.

﴿وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الآية 26] منقادون لديه لا يمتنعون عليه وعن ابن عباس رضي الله عنهما مطيعون طاعة الإرادة وإن عصوا أمره في العبادة(1).

وقال الأستاذ: له ذلك ملكاً ومن تلك الأشياء بدأوا به إيجاداً وإليه رجوعاً.

﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾ [الآية 27] في إنشائهم ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ [الآية 27] بعد إفنائهم ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الآية 27] أي والإعادة أسهل على الله من الأصل

(1) انظر نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لأبي بكر البقاعي (6/ 304).

بزعمكم وظنكم وتقديركم بالإضافة إلى قدركم وإلا فهما عليه سواء وكذلك قيل: والهاء من عليه عائد للخلق والمعنى أن العود وهو الخلق الآتي سهل من الخلق التدريجي وقيل أهون بمعنى هين وتذكير هو لأهون ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ﴾ [الآية 27] الوصف العجيب الشأن الغريب البرهان كالقدرة العامة والحكمة التامة ﴿ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [الآية 27] أي الذي ليس لغيره ما يساويه أو يدانيه تعالى ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 27] في عالم العلويات والسفليات من الممكنات ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ [الآية 27] القادر الذي لا يعجز عن إبداء ممكن وإعادته ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ [الآية 27] الذي يجري الأفعال على مقتضى حكمته.

وقال الأستاذ: له الصفة العليا في الوجود بحق العدم وفي الجود بنعت الكرم وفي القدرة بوصف الشمول وفي النصرة بوصف الكمال وفي العلم بعموم التعلق وفي الحكم بوجوب التحقق وفي المشيئة بوصف البلوغ وفي القضية بحكم النفوذ وفي الجبروت بنعت العز والجلال وفي الملكوت بوصف المجد والجمال.

﴿ضَرَبَ لَكُم﴾ [الآية 28] بين لكم ربكم ﴿مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [الآية 28] مأخوذاً من أحوالها التي هي أقرب الأمور إليكم ﴿هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم﴾ [الآية 28] مع أنهم بشر مثلكم ﴿مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [الآية 28] من المال والمنال ﴿فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ﴾ [الآية 28] في الأحوال ﴿تَخَافُونَهُمْ﴾ [الآية 28] من تصرفهم ﴿كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [الآية 28] / أي من شركائكم ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ 18/ب
[الآية 28] نبينها فإن التمثيل يكشف المعاني ويوضحها ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الآية 28] يستعملون عقولهم في تدبّر الأمثال المضروبة لهم.

وقال الأستاذ: أي إذا كان لكم مماليك لا ترضون بالمساواة بينكم وبينهم وأنتم بكل وجه مشابهون لهم إلا أنكم بحكم الشرع مالكيهم فما تقولون في الذي لم يزل ولا يزال كما لم يزل هل يجوز أن يقدر في وصفه أن يساويه عبيده أو يكون شريكاً له مملوكه تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ [الآية 29] أنفسهم بإشراكهم ﴿أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾

[الآية 29] من دليل عقل وبرهان ونقل ﴿فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ﴾ [الآية 29] فمن يقدر على هدايته سواه ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [الآية 29] يخلصونهم من الضلالة ويحفظونهم عن الجهالة.

قال ابن عطاء: الظالم من اتبع نفسه هواها ومن فعل ذلك أعرض عن الحق ومن أعرض عن الحق حرم عليه الرجوع إلى الحق فإن الحق عزيز والطريق إليه عزيز.

وأفاد الأستاذ: أن أشد الظلم متابعة الهوى لأنه قريب من شرك المولى قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية: الآية 23] فمن اتبع هواه خالف رضا مولاه فهو بوضعه الشيء غير موضعه صار ظالماً لنفسه كما أن العاصي ظالم بوضعه المعصية موضع الطاعة كذا هو بمتابعة هواه بدلاً عن موافقته لرضا مولاه حصل في الظلم متمادياً في دنياه وعقباه.

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ [الآية 30] أقبل بكليّتك إليه واستقامتك عليه حنيفاً مائلاً عن سائر الأديان معتكفاً لديه.

وفي «تفسير السلمي» مقبلاً على الله معرضاً عما سواه ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 30] أعني خلقه الله أو الزموا فطرة الله ﴿ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الآية 30] وهي ملة الإسلام فإنهم لو خلوا وما خلقوا عليه أدى بهم إليها ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 30] أي لا تبدلوا خلقته، ولا تغيروا فطرته ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [الآية 30] المستقيم الذي لا عوج فيه ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 30] ما يوافقه وما لا ينافيه.

وقال الأستاذ في قوله: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ﴾ [الآية 30] أخلِص قصدك إلى الله واحفظ عهدك مع الله وافرد عملك في سكناتك وحركاتك وجميع تصرفاتك لله حنيفاً مستقيماً في دينه/ مائلاً إليه ومعرضاً عن غيره فالزم فطرة أثبتهم قبل أن 19/أ
يوجد منهم فعل ولا كسب ولا شرك ولا كفر كما ليس منهم إيمان ولا إحسان ولا كفران ولا عصيان فاعرف هذه الجملة من حاله ثم أفعل ما أمر به واحذر ما نهى عنه تجردهم عن أفعالهم ثم أنصفهم بما يكتسبون من أحوالهم وإن كان ذلك

أيضاً بتقدير الله لهم ويقال إنه فطر كل أحد على ما علم أنه يكون عليه من السعادة والشقاوة لديه لا تبديل لحكمة ولا تحويل لما فطرهم عليه فمن علم أنه يكون سعيداً أراد سعادته وأخبر عن سعادته وخلقه في حكمه سعيداً ومن علم شقاوته أراد أن يكون شقياً وأخبر عن شقاوته وخلقه في حكمه شقياً ولا تبديل لحكمه ولا تحويل لأمره وهذا هو الدين المستقيم والطريق القويم.

﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ [الآية 31] حال كونكم راجعين إلى أمره منقطعين إلى ذكره مشتغلين بشكره ﴿وَٱتَّقُوهُ﴾ [الآية 31] أي عقابه وخافوا حسابه ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الآية 31] التي على أم العباد أن وناهية للسيئات ﴿وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الآية 31] في الطاعات.

وقال الأستاذ: راجعين إلى الله بالكلية من غير أن يبقى البقية متصفين بصفاته منحرفين بكل وجه عن خلافه وشقاقه متقين صغير الإثم وكبيره قليله وكثيره مقيمين للصلاة بأركانها وسننها وآدابها جهراً متحققين بمراعاة فضائلها سراً.

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ﴾ [الآية 32] بدل من المشركين وتفريقهم اختلافهم فيما يعبدونه من شركائهم على اختلاف أهوائهم وقرأ حمزة والكسائي فارقوا بمعنى تركوا دينهم الذي أمروا أن يبنوا عليه يقينهم ﴿وَكَانُواْ شِيَعًا﴾ [الآية 32] فرقاً شائع كل فرقة إمامها الذي أصل دينها وتقدم أمامها ﴿كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الآية 32] كل فرقة بما عندهم من العلم مسرورون ظناً منهم بأنهم على الحق فيما بينهم وفرح المؤمنون بربهم ودينهم الذي ارتضى لهم.

وأفاد الأستاذ: أنهم أقاموا في دنياهم في خمار الغفلة وعناد الجهل الفترة فركنوا إلى ظنونهم وأفهامهم واستوطنوا مراكب أوهامهم وعلوا من لبس
19/ب غيرهم وظنوا أنهم / على شيء في أمرهم فإذا انكشف ضباب وقتهم وانقشع سحاب جحدهم انقلب فرحهم ترحاً واستيقنوا أنهم كانوا في الضلالة ولم يعرجوا إلا في أوطان الجهالة.

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ﴾ [الآية 33] شدة ومحنة ﴿دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾

[الآية 33] مقبلين عليه وراجعين من دعاء غيرهم إليه ﴿ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً﴾ [الآية 33] كشف شدة وضعف نعمة ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ [الآية 33] شركاء جلياً أو خفياً بحسب مراتبهم.

وأفاد الأستاذ: أنهم إذا أظلتهم المحنة ونالتهم الفتنة ومستهم البلية رجعوا إلى الله بالكلية من فضله مستغيثين بلطفه مستجيرين عن محنتهم مستكشفين فإذا جاد عليهم بكشف ما نالهم ونظر إليهم بلطف ما أصابهم إذا فريق منهم لا كلهم بربهم يشركون يعودون إلى عادتهم المذمومة في الكفران وقابلوا إحسانه بالنسيان فهؤلاء ليس لهم عهد ولا وفاء ولا لِمودتهم صفاء.

﴿لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ [الآية 34] اللام فيه للعاقبة أو للتهديد بالمعاقبة ويؤيده قوله ﴿فَتَمَتَّعُوا۟﴾ [الآية 34] على أنه التعنت فيه للمبالغة ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الآية 34] عاقبة تمنعكم ووخامة توسعكم.

وقال الأستاذ: أي عن قريب سيحدث بهم مثل ما أصابهم ثم أنهم يعودون إلى رأس التضرع ويأخذون فيما كانوا عليه بدءاً من التخشع فإذا شفاهم وعافاهم رجعوا إلى رأس خطاياهم.

﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا﴾ [الآية 35] حجة وبرهاناً ﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ﴾ [الآية 35] تكلم دلالة من غير آلة ﴿بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ﴾ [الآية 35] بإشراكهم وصحته.

وقال الأستاذ: تبين أنهم بنوا على غير أصل طرقهم واتبعوا فيما ابتدعوا أهواءهم وعلى غير شرع وبيان وحجة وبرهان أسسوا مذاهبهم.

﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً﴾ [الآية 36] صحة وسعة ونعمة ﴿فَرِحُوا۟ بِهَا﴾ [الآية 36] بطروا بسببها ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ﴾ [الآية 36] شدة ومشقة ومحنة ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [الآية 36] بشؤم معاصيهم ﴿إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ [الآية 36] فأجاز القنوط من رحمته واليأس من نعمته.

وقال الأستاذ: تستميلهم طوارق حالاتهم إلى طرق زلاتهم إن كان نعمة فإلى فرح وإن كان شدة فإلى قنوط وترح وليس وصف الأكابر كذلك قال

20/ أ تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ/ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الحديد: الآية 23].

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الآية 37] فما لهم لم يشكروا في السراء ولم يصبروا في الضراء ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ [الآية 37] ما ذكر من الضيق والسعة ﴿لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 37] فيستدلون به على كمال القدرة والحكمة قال الشاعر:

نكد الأريب وطيب عيش الجاهل قد أرشداك إلى الحكيم الكامل(1)

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة في الآية أن لا يعلق العبد قلبه إلا بالله لأن ما يسوؤهم ليس زواله إلا من الله وما يسرهم ليس كماله إلا من الله فالبسط الذي يسرهم ويؤنسهم منه وجوده والقبض الذي يسوؤهم ويوحشهم منه حصوله فالواجب لزوم عقوبة بالأسرار وقطع الأفكار عن الأغيار.

﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ [الآية 38] كصلة الرحم ونفقة المحارم ﴿وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الآية 38] بالإحسان إليهما والشفقة عليهما والخطاب للنبي عليه السلام أو لمن يبسط له في الإنعام ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 38] ذاته أو جهته أو رضاه أي يقصدون بمعرفتهم إياه ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الآية 38] حيث حصلوا بما بسط لهم في الدنيا وتوسلوا إلى النعيم المقيم في العقبى واختاروا الباقية وبذّلوا الفانية.

وأفاد الأستاذ: أن القرابة على قسمين قرابة النسب والطين وقرابة الحسب والدين وقرابة الدين أمس وبالمؤاساة أخف وأحسن فإذا كان الرجل مشتغلاً بالعبادة غير متفرغ لطلب المعيشة فالذي له إيقان بحاله وإسراف على وقته وكماله يجب عليه أن يقوم بشأنه بقدر إمكانه مما يكون له عون على طاعته وفراغ قلب عن حديث عيلته فإن كان اشتغال الرجل بشيء من مراعاة القلب فحقه أكد وتصرفه أوجب ثم المريد هو الذي يؤثر حق الله على حظ نفسه فهمته بالإحسان إلى ذوي القربى والمساكين يتقدم على نظره لنفسه

(1) انظر روح المعاني (21/ 43).

وعيلته وما يهمه من خصوصيته.

﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا﴾ [الآية 39] أعطيتم من زيادة محرمة في المعاملة أو عطية يتوقع بها مزيد مكافأة في المقابلة بالمجاملة وقرأ ابن كثير بالقصر أي ما فعلتم به من إعطاء/ رباً ﴿لِّيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ﴾ [الآية 39] ليزيد ويزكوا وقرأ نافع 20/ ب
بضم التاء والياء أي لتزيدوا في أموالهم وتكثروا في آمالهم ﴿فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 39] فلا يزكوا عنده ولا يبارك له إما لحرمته وإما لخلوه عن مثوبته ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ﴾ [الآية 39] صدقة ﴿تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 39] تقصدون رضاه ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾ [الآية 39] الذين ضعّفوا ببركة الصدقة ثواب أعمالهم وزيادة أموالهم.

وأفاد الأستاذ: أن مريد وجه الله ورضاه لا يستخدم الفقير لما يبره به من رفعه وعطاه بل أفضل الصدقة هو الصدقة على ذي رحم كاشح حتى يكون بإعطائه مجرداً عن كل نصيب له فيه فهولاء الذين هم يتضاعف أجرهم فقهرهم لنفسهم وفوزهم بالعوض من فضل ربهم ثم الزكاة هي تطهر في اللغة لمال معلوم ببيان الشريعة كيفيته وكميته بإخراج الزكاة في أصناف المال وأوصاف الحال وزكاة البدن وزكاة القلب وزكاة السر كل ذلك يجب القيام به لأرباب الكمال.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [الآية 40] فيه إيماءٌ إلى أن العباد يفتقرون إلى الله سبحانه بالإيجاد والإمداد في المعاش والمعاد ﴿هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ﴾ [الآية 40] أي من الخلق والرزق ابتداء ومن الأمانة والإعادة انتهاءً ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الآية 40] أي عما يعدونه شركاء.

قال الحسين: خلقكم بقدرته ورزقكم معرفته وأماتكم عن الأسباب وأحياكم به.

وقال سهل: أفضل رزق العبد سكونه إلى رازقه أي واعتماده على خالقه.

وأفاد الأستاذ: إن حرف ﴿ثُمَّ﴾ [الآية 40] يقتضي التراخي فيه إشارة إلى أنه ليس من ضرورة خلقه إياك أن يرزقك إذ أضعف أحوالك ابتداءً من خلقك فأثبتك وأحياك من غير حاجة لك إلى رزق فإلى أن خرجت من بطن أمك إما أن كان يغنيك عن الرزق وأنت جنين في بطن الأم ولم يكن لك لا أكل ولا شرب وإما أن كان يعطيك ما يكفيك من الرزق إن حق ما قالوا من أنه يغذي الجنين
21/أ بدم الطمث وإذا أخرجك من بطن أمك ورزقك على الوجه المعهود / في المعلوم للأنام ميسراً لك أسباب الأكل والشرب من لبن الأم ثم فنون الطعام ثم أرزاق القلوب والسرائر من الإيمان والعرفان وأرزاق التوفيق من الطاعات والعبادات ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ [الآية 40] بسقوط شهواتكم ويميتكم عن مشاهداتكم ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [الآية 40] بحياة قلوبكم ثم بأن يحييكم بربكم ويقال: من الأرزاق ما هو وجود الإرفاق ومنها ما هو شهود الرزاق ويقال: لأمكنه لك في تبديل خلقك فكذا لا قدرة لك على تغيير رزقك فالموسع عليه رزقه بفضله لا لمناقب نفسه والمقتّر عليه رزقه بحكمه لا لمعايب نفسه ﴿هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم﴾ [الآية 40] الذي اتبعتموه إما من الأصنام أو مما توهمتم من جملة الأنام من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون تنزيهاً له وتقديساً عما يشركون.

﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الآية 41] كالغلاء والربا وكثر الحرق والغرق ومحق البركات وظهور الظلمات من الظلم والضلالات ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ﴾ [الآية 41] بشؤم معاصيهم الناشئة عن الغفلات ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُوا۟﴾ [الآية 41] بعض جزاء السيئات فإن تمامه في الآخرة واللام للعلة أو العاقبة وقد قرأ قنبل لنذيقنهم بالنون ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الآية 41] عن الغفلة إلى التوبة قيل: المواد بالبر والبحر الظاهر والباطن ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة من البر إلى النفس ومن البحر إلى القلب وفساد البر بأكل الحرام وارتكاب المحظورات وفساد البحر من الغفلة والأوصاف الذميمة مثل سوء العزم والحسد والحقد وإرادة السرقة وسائر المعصية والخواطر الردية وعقد الإصرار على المخالفات من أعظم الفسادات كما أن العزم على الخيرات قبل فعلها من أعظم الخيرات ومن جملة الفساد التأويلات بغير حق والانحطاط إلى

الرخص وغير قيام بجد وجهه والإغراق في الدعاوى من غير استحياء من الله المتعالي. وقوله: ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟﴾ [الآية 41] من سقوط تعظيم الشرع من القلب والتأسف على ما فاته من الحق للرب.

﴿قُلْ سِيرُوا۟/ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 42] بقوالبكم أو بقلوبكم ﴿فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ 21/ ب
عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ﴾ [الآية 42] لتشاهدوا مصداق ذلك وتحققوا صدق ما هنالك ﴿كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ﴾ [الآية 42].

قال الأستاذ: سيروا بالاعتبار واطلبوا الحق بنعت الافتكار وانظروا كيف كان حال من تقدمكم من الأشكال والأمثال وقيسوا عليها حكمكم في جميع الأحوال كانوا أكثرهم عدداً وأقلهم وزناً وقدراً.

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ﴾ [الآية 43] البليغ الاستقامة ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ﴾ [الآية 43] هو يوم القيامة ﴿لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 43] لا يقدر أن يردهُ أحد سواه فالجار متعلق بيأتي وجوز أن يتعلق بمرد لأنه مصدر يعمل عمل فعله والمعنى لا يرده الله لتعلّق إرادته القديمة بمجيئه ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ [الآية 43] أصله يتصدعون أي يتفرقون فريق في الجنة والنعمة وفريق في السعير والنقمة كما أشار إليه بقوله.

﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾ [الآية 44] أي وباله من النار الموقدة المؤبدة ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ [الآية 44] يسوون منازل عليه في الجنة الميسرة.

﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [الآية 45] أي أثر محبته ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [الآية 45] فيعاملهم بعدله الذين حكم عليهم بعقوبته.

قال سهل: قوام الدين بشيء واحد هو إتباع الأوامر ولزوم السنة وافتقار الأكابر.

وقال الفضيل بن عياض: قوام الدين بشيئين الاتباع وترك الابتداع.

وقال الأستاذ: إخلاص قصدك وصدق عزمك للدين القيم بالموافقة والاتباع دون الاستبداع بالأمر على وجه الابتداع ومن لم يتأدب بمن هو إمام وقته ولم يتلقف الأذكار ممن هو لسان وقته كان خسرانه أتم من ربحه

ونقصانه أعم من نفعه.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ﴾ [الآية 46] الشمال والصبا والجنوب فإنها رياح الرحمة وأما الدبر فريح العقوبة ومنه قوله عليه السلام: «اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً»[1] رواه الشافعي والطبراني وغيرهما ﴿مُبَشِّرَٰتٍ﴾ [الآية 46] بالمطر
22/ أ لرزقكم/ من نعمته ﴿وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾ [الآية 46] من المنافع المتابعة ﴿وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [الآية 46] يعني تجارة البحر ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الآية 46] نعمة البحر والبر قيل رياح القدس تبشر بمنازل الإنس.

وقال الأستاذ: يرسل الرياح رياح الرجاء على قلوب العباد فتسكن قلوبهم عن عناء الجبن وغثاء اليأس ثم يرسل عليهما أمطار التوفيق فيحملهم إلى بساط الجهد ويلزمهم بقوى النشاط ويرسل رياح البسط على أرواح الأولياء فيظهرها من وحشة القبض وينشر فيها لذاذات الوصال ويرسل رياح التوحيد فتهب على أسرار الأصفياء وتطهّرها عن آثار الأغيار وتنشرها بدوام الإقبال فذلك ارتياح به ولكن بعد احتياج عنك.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [الآية 47] فآمن به بعضهم ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ۖ﴾ [الآية 47] كفروا منهم ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا﴾ [الآية 47] بمقتضى الوعد لدينا ﴿نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 47] المخلصين إلينا في الدنيا والآخرة والجملة اعتراضية تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتأنيساً له في مقام الوصول الأكرم ووعداً بالنصر له واتباعه ووعيد لأهل الكفر وأشياعه.

وقال الأستاذ: أي أرسلنا رسلاً إلى عبادنا فمن قابلهم بالتصديق وصل إلى خلاصة التحقيق ومن عارضهم بالجحود أذقناهم عذاب الخلود فانتقمنا من الذين أجرموا أخذناهم من حيث لم يحتسبوا وشوشنا عليهم ما أملوا

---

(1) أخرجه البيهقي في معرفة السنن (6/ 19) رقم (2096)، والطحاوي في مشكل الآثار (2/ 410) رقم (771)، والطبراني في المعجم الكبير (11/ 213) رقم (11533)، وأبو يعلى في المسند (4/ 341) رقم (2456)، والشافعي في المسند (1/ 81) رقم (361).

ونغّصنا عليهم ما استطابوا وتنعموا وأخذنا بخناقهم فحاق بهم ما مكروا ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 47] وطؤهم أعداءهم بأعقابهم فلم يلبثوا إلا يسيراً حتى ورقيناهم فوق رقابهم خربنا أوطانهم وهمدنا شأنهم وأخمدنا نيرانهم وعطلنا عليهم ديارهم ومحونا بقهر التدمير آثارهم فظلت شموسهم كاسفة ومكيدة قهرنا لهم بأجمعهم خاسفة.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ﴾ [الآية 48] وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي الريح
على/ إرادة الجنس ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ﴾ [الآية 48] أي متصلاً تارة ﴿فِى 22/ ب
ٱلسَّمَآءِ﴾ [الآية 48] في سمتها وجهتها ﴿كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [الآية 48] سائراً أو موافقاً مطبقاً أو غير مطبق في أفق دون أفق ﴿وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا﴾ [الآية 48] قطعاً تارة أخرى كيف يشاء ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ﴾ [الآية 48] المطر ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ [الآية 48] إذا شاء ومتى شاء ﴿فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾ [الآية 48] يعني أراضي بلاده ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الآية 48] يفرحون منبسطين.

﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم﴾ [الآية 49] الودق من أقطاره ﴿مِّن قَبْلِهِۦ﴾ [الآية 49] أي قبل استبشارهم بأمطاره ﴿لَمُبْلِسِينَ﴾ [الآية 49] متحيرين آيسين.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه وتعالى يرسل رياح عطفه وجوده مبشرات بوصوله ووجوده ثم يمطر جود غيثه على أسرارهم بلطفه ويطوي بساط الحشمة عن ساحات قربه ويضرب قباب الهيبة بمشاهد كشفه وينشر عليهم أزهار أنسه ثم يتجلى لهم بحقائق قدسه ويسقهم بيده شراب حبه وبعد ما محاهم عن أوصافهم أصحاهم لا بهم ولكن بنفسه فالعبارات عن ذلك خرس والإشارات فيها طمس.

﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 50] أثر الغيب من النبات والأشجار وأنواع الأزهار والأثمار وكذلك جمعه ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص ﴿كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ [الآية 50] بإنباتها بعد جفاف نباتها ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ [الآية 50] الذي قدر على إحياء الأرض بعد موتها بالإفناء ﴿لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [الآية 50] لقادر على إحيائهم كما قدر على أبدانهم ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الآية 50] من

أمور الابتداء والانتهاء.

وفي «**تفسير السلمي**» أن ذلك لمحيي الأنفس الميتة بالشهوات والقلوب المبينة بالغفلات بأنوار معرفته وآثار هدايته.

وقال الأستاذ: فانظر إلى أثر رحمة الله كيف يحيي الأرض بأزهارها وأنوارها عند مجيء أطوارها ليخرج زرعها وأثمارها ويحيي النفوس بعد نفرتها فيوفقها للخيرات بعد فترتها فيعمر أوطان الوفاق بصادق إقدامهم وتندفع البلايا عن الأنام ببركات ألوانهم ويحيي القلوب بعد غفلتها بأنوار المحاضرات فتعود إلى استدامة الذكر بحسن المراعاة ويهتدي بأنوار أهلها أهل العصر من أصحاب الإرادات ويحيي الأرواح بعد حجتها بأنوار
23/أ المشاهدات فتطلع شموسها/ عن بروج السعادات ويتصل شمام أسرار الكافة نسيم ما يفيض عليهم من الزيادات فلا يبقى صاحب نفس إلا حظي منه بنصيب من الواردات ويحيي الأسرار وما كان لها إلا وفقد في بعض الحالات فتنتفي بالكلية آثار الغيرية ولا يبقي في الدار ديار ولا من سكانها آثار وسطوات الحقائق لا تثبت لها ذرة من صفات الخلائق ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّۚ﴾ [الكهف: الآية 44] سقط الماء والقطرة وطاح الرسوم والجملة.

﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا﴾ [الآية 51] الضمير للزرع والأثر لما دل عليه ما سبق من الخير أو للسحاب فإنه إذا اصفر دل على عدم المطر ﴿لَّظَلُّواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ﴾ [الآية 51] بخالق القوى والقدر والآية ناعية على الكفار بقلة تفكرهم وعدم تدبرهم وسرعة تزلزلهم وسوء تقلقلهم فإن النظر السوي يقتضي أن يتوكلوا على ربهم ويلتجئوا إليه بالاستغفار والاعتذار إذا احتبس القطر عنهم ولا ييأسوا من رحمته وأن يبادروا إلى شكره والاستدامة بطاعته إذا أصابهم بنعمته وأن يصبروا على بلائه وإصابة محنته وشدته.

﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [الآية 52] فمنهم مثلهم لما سدّ عن الحق مشاعرهم ﴿وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ﴾ [الآية 52] برفع الصوت في النداء أو بالإشارة والإيماء.

﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ﴾ [الآية 53] الناشئة عن جهالتهم وسماهم عمياً لفقدهم المقصود الحقيقي من الإبصار أو لعمى قلوبهم من الإبصار فإنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور التي هي منابع الأسرار ومعادن الأنوار ﴿إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [الآية 53] فإن إيمانهم بها يدعوهم إلى تلقي المبنى تدبّر المعنى ﴿فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ [الآية 53] مستسلمون بكل ما حوى.

قال ابن عطاء: لن يسمع دعاءك إلا من أسمعناه في الأزل خطابنا ووفقناه بجواب الخطاب على وجه الصواب.

وأفاد الأستاذ: أن من فقد الحياة الأصلية لم يعش بالرقية والتميمة وإذا كان في السريرة طرش عن سماع الحقيقة فسمع الظاهر / لا يفيد إلا تأكيد الحجة 23/ ب
وكما لم يسمع الصم الدعاء فلم يمكنه أن يهدي العمي عن ضلالتهم بالنداء.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾ [الآية 54] أي ابتدأكم ضعفاء في أصل خلقكم وجعل الضعف أساس أمركم أو خلقكم من مادة ضعيفة هي النطفة اللطيفة على خلاف إنها النجسة أو النظيفة ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾ [الآية 54] ذلك إذا بلغتم الحلم وقت قوة الأشباح أو حين تعلق بأبدانكم الأرواح ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ [الآية 54] ليس بعدها قوة وفتح عاصم بخلاف عنه من رواية حفص وحمزة الضاد في جميعها ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ [الآية 54] من ضعف وقوة وشيبة ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾ [الآية 54] كامل العلم تام القدرة.

قال الواسطي: خلق خلقه بحيث لا يمكن أن يجرّ نفعاً أو يدفع ضرّاً فهو أسير جوعه وصريح شبعه ورهين شهوته لا ينفك منها إلا المعصومين بفضل الله ورحمته.

أفاد الأستاذ: إنه سبحانه أظهر الإنسان على وصف ضعف الصغر ثم بعده قوة الشباب والكبر ثم ضعف الشيب والعبر ثم:

آخر الأمر ما ترى ... من القبر واللحد والثرى

كذلك في ابتداء أمرهم يظهرهم على وصف ضعف البداية في نعت التردد والتحير في طلب الهداية ثم بعدهُ قوة الوصل والعناية ثم ضعف التوحيد في النهاية ويقال: خلقكم من ضعف أي على حال ضعف من حيث الحاجة ثم بعده قوة الوجود وقدرة المكنة ثم بعد ضعف المسكنة.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ [الآية 55] القيامة لأنها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا وهي في يوم الجمعة أو لأنها تقع بغتة في مبدأ العاقبة وصارت علماً لها بالغلبة كالكوكب للزهرة ﴿يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [الآية 55] يحلفون ﴿مَا لَبِثُواْ﴾ [الآية 55] في الدنيا أو في البرزخ ما بين الأولى والأخرى ﴿غَيْرَ سَاعَةٍۚ﴾ [الآية 55] استقلوا مدة لبثهم في الدنيا إضافة إلى مدة عذابهم المتوقع ومكثهم في العقبى ﴿كَذَٰلِكَ﴾ [الآية 55] مثل هذا الصرف عن التحقيق ﴿كَانُواْ يُؤْفَكُونَ﴾ [الآية 55] يصرفون عن طريق التوفيق.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ﴾ [الآية 56] من الإنس والجان وملائكة الرحمٰن ﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 56] أي معلومه ومقضيه فيكم أو ما كتبه
24/أ وأوجبه/ لكم ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِۖ﴾ [الآية 56] ردوا بذلك سبق مقالهم وظنهم بحالهم ﴿فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ﴾ [الآية 56] الذي أنتم به منكرون ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الآية 56] حيث كنتم به تكفرون.

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَعْذِرَتُهُمْ﴾ [الآية 57] لو يعتذرون وقرأ الكوفيون بالتذكير ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [الآية 57] لا ليدعون إلى طلبهم إزالة عتبهم من التوبة والطاعة كما دعوا إليه قبل قيام الساعة.

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍۚ﴾ [الآية 58] يحصل لديه الاستئناس والمعنى بيّنا لهم من كل مثل نبههم على التوحيد والبعث وصدق الرسل فيما آتاهم ﴿وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ﴾ [الآية 58] من آيات القرآن ﴿لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ [الآية 58] من فرط عنادهم وقساوة فؤادهم وفساد اعتقادهم ﴿إِنْ أَنتُمْ﴾ [المَائدة: الآية 106] أيها الرسول والمؤمنون ﴿إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾ [الآية 58] مترددون.

﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [الآية 59] الحق ولا يتبعون الصدق.

﴿فَٱصْبِرْ﴾ [الآية 60] على جهلهم وعماهم وسوء عملهم وتحمل آذاهم ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 60] بنصرتك وإظهار دعوتك وغلبة ملتك ﴿حَقٌّ﴾ [الآية 60] وإنجازه صدق ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ﴾ [الآية 60] لا يحملنك على القلق والخفة ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الآية 60] بيوم القيامة وقت الندامة وحالة الملامة.

وأفاد الأستاذ: أن قولهم ما لبثوا غير ساعة إنما يكون ذلك لأحد أمرين إما لأنهم كانوا أمواتاً والميت لا إحساس له بما يدرك أوقاتاً أو وعدوا ما لقوا من عذاب القبر ولو كان كثيراً بالإضافة إلى ما يرون ذلك اليوم يسيراً وإن أهل التحقيق يخبرونهم عن طول لبثهم تحت أرضهم وإن ذلك الذي يقولون من جملة ما كانوا يظهرون من جحدهم على موجب جهلهم ثم لا يسمع عذرهم ولا يرفع ضرهم وأخبر بعد هذا في آخر السورة عن إصرارهم وانهماكهم في غيهم وإن ذلك نصيبهم من القسمة إلى آخر أعمارهم ثم ختم السورة بأمره ﷺ من اصطباره على معاناة مسارهم ومضارهم.

سورة لقمان

[مكية]

وهي أربع وثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

24/ب قال الأستاذ: بسم الله كلمة من سمعها أقر أنه لم يسمع / مثلها ومن عرفها أنف أن يسمع أو يعرف غيرها كلمة من سمعها طابت قصته وزالت بكل وجه غصته وتمت في الدنيا والعقبى حصته زهد في دنياه من غير رغبة في عقباه إلا بها وإن جلت عن مولاه، كلمة من سمعها لم يرغب في عمارة بنائه ولم يحتشم من سرعة قضائه وفنائه.

﴿الٓمٓ ۝١﴾ [الآية 1] الألف، تشير إلى الآية واللام تشير إلى لطفه وعطائه والميم أمارة إلى مجده وسنائه فبالآية رفع الحجب عن قلوب أوليائه وبلطف عطائه أثبت الحب في أسرار أصفيائه وبمجده وسنائه مستغنٍ عن جميع خلقه بوصف كبريائه.

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [الآية 2] الجامع للأحكام والحكم والحاكم على سائر الكتب المنزلة المحكمة في بيان الوقائع المفصلة.

﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۝٣﴾ [الآية 3] حالان عن الآيات ورفعهما حمزة على الخبر بعد الخبر أو الخبر للمبتدأ المقدر وأراد بالمحسنين المؤمنين المنتفعين علماً وعملاً وقالاً أو حالاً.

وأفاد الأستاذ: هو هدي وبيان ورحمة وبرهان للمحسنين العارفين بالله والمقيمين لعبادة الله كأنهم ينظرون إلى الله يعني كما ورد الإحسان أن تعبد

الله كأنك تراه قال: وشرط المحسن أن تكون محسناً إلى عباد الله دانيهم وقاصيهم ومطيعهم وعاصيهم.

﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الآية 4] في أوقات الصلاة ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم﴾ [الآية 4] في سبيل الخيرات وطلب المرضاة ﴿بِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [الآية 4] يستيقنون بما فيها من المجازاة على الطاعات والسيئات بالمثوبات والعقوبات.

وقال الأستاذ: يأتون بشرائطها في الظاهر من ستر العورة وتقديم الطهارة واستقبال القبلة والعلم بدخول الوقت والوقوف في مكان طاهر وفي الباطن يأتون بشرائطها من طهارة السرّ عن العلائق وستر عورة الباطن بتنقيته عن العيوب لأن ما كان فالله يراه، فإذا أردت أن لا يرى الله عيوبك فاحذرها حتى لا تكون، والوقوف على مكان طاهر وهو وقوف القلب على حد الذي أذن في الوقوف فيه
25/ أ مما لا يكون دعوى بلا تحقيق بل رحم الله من وقف عند حده والمعرفة / بالوقت فيعلم وقت التذلل والاستكانة ويتميز بينه وبين وقت السرور والبسط ويستقبل القبلة بنفسه ويعلق قلبه بالله من غير تخصيصه بقطر أو مكان دون غيره.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [الآية 5] باهتداء قلبهم ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الآية 5] بإصلاح قوالبهم.

وقال الأستاذ: الذين يقومون بشرائط صلواتهم وحق آداب عباداتهم ثم الذين اهتدوا في الدنيا وسلموا أو نجوا في العقبى.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى﴾ [الآية 6] يختار ﴿لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ [الآية 6] ما يلهي عما يعني كالأحاديث التي لا أصل لها والأساطير التي لا اعتبار بها عن ابن عباس وغيره من الصحابة والتابعين كل كلام سوى كتاب الله وسنة رسوله وسيرة الصالحين فهو لهو ﴿لِيُضِلَّ﴾ [الآية 6] عباد الله ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 6] متابعة دينه وقرأه وقراءة كتابه وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء أي ليثبت على ضلاله ويزيد في وباله فاللام للعاقبة في مآله ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الآية 6] بحاله لا في ماضيه ولا في استقباله ﴿وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا﴾ [الآية 6] ويتخذ السبيل سخرية عطف على يشتري ونصبه حمزة والكسائي وحفص عطفاً على يضل ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ

مُّهِينٌ﴾ [الآية 6] لإهانتهم طريق الحق اليقين بإتيان الباطل عليه في أمر الدين.

وأفاد الأستاذ: أن لهو الحديث ما يشغل عن الله ذكره وتحجب عن الله سماعه وفكره.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا﴾ [الآية 7] ويبين له مصنوعاتنا ﴿وَلَّىٰ﴾ [الآية 7] أدبر معرضاً عنها ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾ [الآية 7] متكبراً لا يعبأ بها ولا يلتفت إليها ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾ [الآية 7] ثقلاً يمنعه عن سماعها ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الآية 7] أخبره بعذاب مؤلم وأعلمه بحجاب محكم.

وأفاد الأستاذ: أن المعترف بتهمته والمتشبث بعلته لا يزيد بعلته لا يزيده كثرة الوعظ إلا نفوراً عن ربه وتباعداً عن قربه فسماعه كلا سماع ووعظه هباء وضياع.

إذا أنا عاتبت الملول فإنما أخط بأقلامي على الماء أحرفا

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾ [الآية 8] في دار المقيم.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا﴾ [الآية 9] وإخباره صدقاً ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ [الآية 9] الغالب على مراده ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ [الآية 9] فيما أراد بعباده.

25/ب وقال الأستاذ: آمنوا صدقوا / وعملوا الصالحات حققوا فاتصاف تحقيقهم إلى تصديقهم فنجوا وسلموا فهم في راحاتهم مقيمون دائمون لا يبرحون.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [الآية 10] سبق في الرعد بيانها ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ﴾ [الآية 10] جبالاً ثوابت لكم ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [الآية 10] كراهة أن تميدكم ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ [الآية 10] مطر الرحمة ﴿فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ [الآية 10] من كل صنف كثير المنفعة وفيه دلالة كمال القدرة وتمام الحكم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أمسكها بقدرته من غير عماد وحفظها لا إلى إسناد ولا مستند إلى أوتاد بل بحكم الله وتقديره ومشيته وتدبيره والرواسي في

الظاهر الجبال وفي الحقيقة الأبدال الذين هم الأوتاد من الرجال بهم يرزقهم ويسقيهم ويصرف البلاء عن دانيهم وقاصيهم وأنزل من السماء الظاهر في رياض الخضرة ومن سماء الباطن في رياض أهل الدنو والحضرة.

﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ﴾ العزيز في كبريائه ﴿فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ [الآية 11] أي مما تعبدونه من غيره ﴿بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الآية 11] المشركون في الدين ﴿فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الآية 11].

وقال الأستاذ: هذا خلق الله العزيز في كبريائه فأروني ماذا خلق الذين عبدتم من دونه في أرضه وسمائه.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ﴾ [الآية 12] أي ابن باعورا من أولاد آزر ابن أخت أيوب أو خالته وعاش حتى أدرك داوود عليه السلام في زمن نبوته وأخذ منه العلم في شريعته وكان يفتي قيل بعثته فلما بعث ترك الفتوى فقيل له في ذلك فقال: ألا أكتفي إذا كُفيت هنالك والجمهور على أنه كان حكيماً ولم يكن نبياً و﴿ٱلْحِكْمَةَ﴾ [الآية 12] في عرف العلماء استكمال النفس الإنسانية باقتباس العلوم النظرية على قدر طاقة البشرية ومجمل القضية أن الحكمة هي اتقان العلوم والأعمال الشرعية ومن حكمته أنه صحب داوود شهوراً وكان يسمر الدرع فلم يسأل عنها فلما أتمها لبسها قال: نعم لبوس الحرب أنت، فقال الصامت: حكم الله، أي حكمه، وقيل: فاعله أي مستعمله ومنها أن داوود قال له: يوماً كيف أصبحت؟ فقال: أصبحت في يد غيري فتفكر داوود عليه السلام / فصعق صعقة 26/أ
ومنها أنه أمر بأن يذبح شاة ويأتي بأطيب مضغتين منها فأتي باللسان والقلب ثم أمر بأن يأتي بأخبث مضغتين فأتى بهما أيضاً فسئل عن ذلك فقال: هي أطيب شيء إذا طابا وأخبث شيء إذا خبثا ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾ [الآية 12] أن مصدرية أو تفسيرية ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ [الآية 12] لأن نفعه عائد إليها من استحقاق مزيد النعمة واستدامتها عليها ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ﴾ [الآية 12] عن شكر، غير مبالٍ بكفره ﴿حَمِيدٌ﴾ [الآية 12] محمود نطق بحمده جميع خلقه إما ببيان القال أو بلسان الحال.

قال أبو عثمان: لا يكون الحكيم حتى يكون حكيماً في قوله حكيماً في فعله حكيماً في معاشرته بأهله.

وقال السري: الشكر أن لا يعصى في نعمه وقال جنيد: الشكر أن لا يرى معه شريكاً في نعمه.

وقال الحريري: الشكر أن لا تحرس لسانك عن النطق بالشكر علماً بأن أخرسه العجز.

وقال الأستاذ: أن الحكمة هي الإصابة في العقل والفعل والنطق ويقال ﴿ٱلْحِكْمَةَ﴾ [الآية 12] أن لا يكون تحت سلطان الهوى والشهوة ويقال ﴿ٱلْحِكْمَةَ﴾: الكون يكون لِمن له الحكم ويقال: ﴿ٱلْحِكْمَةَ﴾ معرفة قدر نفسك حتى لا تمتد رجلك خارجاً عن كسائك ويقال: ﴿ٱلْحِكْمَةَ﴾ أن لا تستعصي على من تعلم إنك لا تقاومه ثم حقيقة الشكر انفتاح عين القلب لشهود ملاطفات الرب فإنه في اللغة مقلوب قولهم كشرت عن أسنان الدابة ويقال: الشكر تحققك بعجزك عن شكره ويقال: الشكر حال يحصل به كمال استلذاذ النعمة ويقال: الشكرِ لِفضله يظهر على اللسان من ابتلاء القلب من السرور فينطلق بمدح المشكور.

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ﴾ [الآية 13] اختلف في اسمه ﴿يَٰبُنَيَّ﴾ [الآية 13] لا تصغير إشفاق ﴿لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾ [الآية 13] ما عداه ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [الآية 13] فيمن عصاهُ لأنه تسوية بين من لا نعمة منه وبين من لا يتصور أن يصدر نعمة عنه.

وأفاد الأستاذ: أن الشرك الجلي عبادة الأصنام والخفي حسبان شيء من الحدثان في الأنام ويقال: الشرك ظلم على القلب والمعاصي ظلم على النفس فظلم النفوس بعرض الغفران وظلم القلوب لا سبيل إليه للغفران.

26/ب ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا﴾ [الآية 14] / أي ذات وهن ﴿عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ [الآية 14] يعني بضعف ضعفها فوق ضعف فإنها لا تزال يتضاعف ضعفها ﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾ [الآية 14] وفطامه من انقضاء عامين وكانت مرضعة في تلك المدة ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ [الآية 14] نعمة التربية عليك تفسير لوصيتنا

والجملة المعترضة مؤكدة للتوصية في حقها ولذا ورد «بر أمك ثم أمك ثم أمك ثم أباك»، ولعل وجه زيادة الكلام بالمرات لاختصاصها بمشقة الحمل والوضع والرضاع ولا يبعد أن عدم ذكر الوضع من باب الطهور والاكتفاء ﴿إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الآية 14] فأحاسبك على شكرك وكفرك على اليسير والكثير.

وعن ابن عيينة من صلى صلوات الخمس فقد شكر الله ومن دعا لوالديه في أدبار الصلوات الخمس فقد شكر والديه[1].

﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الآية 15] أي باستحقاقه والمراد بنفي العلم به نَفْيُ وجوده ﴿فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ [الآية 15] في ذلك إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [الآية 15] وصحاباً يرتضيه حكم الشرع ويقتضيه كرم الطبع ﴿وَٱتَّبِعْ﴾ [الآية 15] في أمر الدين ﴿سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [الآية 15] في باب اليقين من التوحيد والإخلاص المبين ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ [الآية 15] مرجعك ومرجعهما مع سائر الخلق أجمعين ﴿فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الآية 15] فأجازيكم بأعمالكم على حسب أحوالكم وفي الآية أي إلى منع تجويز اقتداء الأبناء بالآباء في غير طريق الأنبياء.

قال عبدالله بن المبارك: لا تقطع أيديهما عن مالك ولا تدع لنفسك معهما ملكا كذلك. وقال بعضهم: اجعل لهما ظاهرك من الشفقة والخدمة واجعل باطنك له سبحانه في الطاعة والحرمة.

وقال الأستاذ: أوجب الله شكر نفسه وشكر الوالدين على عبده ولما حصل الإجمال على أن شكر الوالدين بدوام طاعتهما أو لا يكفي فيه مجرد القول ما لم يكن فيه موافقة الفعل وذلك بالتزام الطاعة واستعمال وجه الطاعة دون صرفها في الزلة فشكر الحق بالتعظيم والتكبير وشكر الوالدين بالإشفاق والتوقير قال: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي﴾ [الآية 15] أي بالله وتسعى بما هو زلة في أمر الله فلا تطعهما ولكن عاشرهما بالجميل تحسين في تلوين فاجعل

(1) انظر تفسير حقي (10/ 411).

27/أ لهما ظاهرك فيما ليس فيه حرج وانفرد / بسرّك الله حتى يأتيك فرج.

﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ﴾ [الآية 16] أي الخصلة من الإحسان أو الإساءة ﴿مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾ [الآية 16] أي كحبة الخردل مثلاً في صغر الحبة وقرأ نافع برفع مثقال على أن الهاء ضمير القصة وكان تامة وثانيها لإضافة المثقال إلى الحبة أو لأن المراد به الحسنة أو السيئة ﴿فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ﴾ [الآية 16] مجوفة ﴿أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [الآية 16] العلوية ﴿أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 16] السفلية ﴿يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ﴾ [الآية 16] يحضرها فيحاسب عليها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [الآية 16] يصل علمه إلى كل ما خفي عن غيره خبير عالم بكنهه.

وقال الأستاذ: عالم بدقائق الأمور وخفياتها من ذوات الصدور.

﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الآية 17] تكميلاً لنفسك ﴿وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [الآية 17] تكميلاً لغيرك ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾ [الآية 17] من المهالك لا سيما في ذلك، ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ [الآية 17] أي الصبر أو جميع ما سبق من الأمر ﴿مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الآية 17] مما عزمه وأوجبه الله من الأمور التي قدرها وقضاها.

وأفاد الأستاذ: أن الأمر بالمعروف يكون بالقول وأبلغه أن يكون بامتناعك بنفسك عما تنهى عنه واشتغالك واتصافك بنفسك بما تأمر به غيرك ومن لا حكم له على نفسه لا ينفذ حكمه على غيره والمعروف الذي يكون به الأمر ما يوصل العبد إلى الله والمنكر الذي يجب النهي عنه ما يشغل العبد عن مولاه وفي قوله: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾ [الآية 17] تنبيه نبيه على أن من قام لله بحق امتحن في الله فسبيله أن يصير الله فإن من صبر لله لم يخسر على الله.

﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ [الآية 18] لا تمل صفحة وجهك عنهم كما يفعله المتكبرون بينهم وقرأ نافع وأبو عمرو وحمزة والكسائي ولا تصاعر ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ [الآية 18] أي فَرَحاً أو فَرِحاً ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾ [الآية 18] ماش بالخيلاء ﴿فَخُورٍ﴾ [الآية 18] مفتخر بماله وجاهر على الضعفاء.

وقال الأستاذ: يعني لا تتكبر على الناس وطالعهم من حيث النسبة هناك وتحقق بأنك بمشهد مولاك ومن علم أن مولاه ينظر إليه لا يتكبر ولا

يتطاول بل يتخاضع ويتضاءل.

﴿وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ﴾ [الآية 19] توسط فيه فإن الاقتصاد في جميع المواد هو المراد ﴿وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ﴾ [الآية 19] واخفض منه وانقص عنه ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ﴾ [الآية 19] أوحشها ﴿لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ﴾ [الآية 19] / من بين الحيوانات فإن 27/ ب
يبالغ في رفعه صوته في جميع الحالات.

قال سفيان الثوري: صوت كل شيء تسبيح الرحمٰن إلا صوت الحمير فإنها تصيح برؤية الشيطان ولذا يكون منكراً بل أنكر.

وقال الأستاذ: كن فانياً عن شواهدك مصطلماً عن صولتك مأخوذاً من حولك وقوتك متنشقاً بها استولى عليك من كشوفات سرك وانظر من الذي يسمع صوتك حين تستفيق من خمار غفلتك وفي قوله: أن أنكر الأصوات من الإشارة أنه الذي يتكلم في لسان المعرفة قبل أوانه من غير إذن من الحق في شأنه.

﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الآية 20] بأن جعلهما أسباباً محصلة لمعاشكم وفق مرادكم وميسرة لأخذِ زادكم إلى معادكم.

وقال الأستاذ: إذا أثبت في كل شيء منها نفعاً لكم في السماء لتكون لكم سقفاً والأرض لتكون لكم فراشاً والشمس لتكون لكم سراجاً والقمر لتعلموا بها عدد السنين والحساب والنجوم لتهتدوا بها يعني وأمثالها مما لا يمكن إحصاؤها ﴿وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ﴾ [الآية 20] محسوسة ومعقولة معروفة ومجهولة وقرأ نافع وأبو عمرو وحفص نعمه بالجمع والإضافة قيل النعم الظاهرة العافية والأمان والنعم الباطنة الرضوان والغفران.

وقال ابن عطاء: النعم الظاهرة الإسلام والنعم الباطنة الإيمان.

وقال أبو بكر الوراق: النعم الظاهرة استواء الخلق والنعم الباطنة اعتدال الخلق وقال: النعم الظاهرة صحبة أولياء الله والنعم الباطنة هي الرجوع إلى الله.

وأفاد الأستاذ: أن الإسباغ ما يفضل عن قدر الحاجة ولا يحتاج معه

إلى الزيادة وتكلموا في النعم وأكثروا فالظاهر وجود النعمة والباطنة شهود المنعم الظاهرة الدنيوية والباطنة الدينية الظاهرة حسن الخلق والباطنة حسن الخلق الظاهرة نفس بلا زلة والباطنة قلب بلا غفلة الظاهرة العطاء والباطنة الرضا الظاهرة في الأموال ونمائها والباطنة في الأحوال وصفائها ويقال الظاهرة تسوية الخلق والباطنة تصفية الخلق الظاهرة الزهد في الدنيا الباطنة
28/أ الاكتفاء / بالمولى من الدنيا والعقبى الظاهرة الزهد والباطنة الوجد والظاهرة توفيق المجاهدة الباطنة تحقيق المشاهدة الظاهرة اشتغالك بنفسك عن الخلق الباطنة اشتغالك عن نفسك بالحق الظاهرة طلبه الباطنة وجوده الظاهرة أن تصل إليه الباطنة أن تبقى معه ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ﴾ [الآية 20] في توحيد ذاته أو تحقيق صفاته ﴿بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾ [الآية 20] مستفاد من دليل معقول ﴿وَلَا هُدٗى﴾ [الآية 20] مستدل منقول راجع إلى رسول ﴿وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ﴾ [الآية 20] أنزل الحق إلى الخلق.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [الآية 21] وتبين فيه هداه ﴿قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ﴾ [الآية 21] أي سلفنا ﴿أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ﴾ [الآية 21] الضمير لهم أو لآبائهم ﴿إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الآية 21] إلى ما يؤول إليه من تقليد الإباء وترك متابعة الأنبياء وما أنزل الله من السماء.

﴿وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الآية 22] بأن فوض أمره إلى الله وأقبل بكليته عليه فالإسلام بمعنى التسليم ويؤيد قراءة الأعمش بتشديد اللام ﴿وَهُوَ مُحۡسِنٞ﴾ [الآية 22] في علمه وعمله ﴿فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾ [الآية 22] تعلق بأوثق ما يتعلق ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾ [الآية 22] إذا لكل صائر إليه وحاضر لديه.

﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحۡزُنكَ كُفۡرُهُۥٓۚ﴾ [الآية 23] فإنه لا يضرك بل ضرره على نفسه ﴿إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ﴾ [الآية 23] في دنياهم وأخراهم ﴿فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ﴾ [الآية 23] فنخبرهم بأعمالهم ونجازيهم بحسب أحوالهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الآية 23] فضلاً عن ظواهر الأمور.

﴿نُمَتِّعُهُمۡ قَلِيلٗا﴾ [الآية 24] تمتيعاً أو زماناً قليلاً فإن ما يزال بالنسبة إلى ما

يدوم قليل ولو قدر كثير وطويل.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الآية 25] إذ لا جواب لهم سواه ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الآية 25] على إلزامهم إلى الاعتراف بمناقض كلامهم ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 25] إن ذلك خلاف مرامهم.

﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 26] لا يستحق العبادة فيهما سواه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ﴾ [الآية 26] عن عباده العالمين ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ [الآية 26] المحمود على لسان الخلق أجمعين.

وقال الأستاذ: لم ينحظر أمنهم ولا مَن أمثالهم ولم يهتدوا إلى محول أحوالهم فأما من أسلم نفسه وأخلص في الله قصده فقد استمسك بالعروة الوثقى وسلك الحجة المثلى ومن كفر فلا يحزنك / كفره إلينا إيابهم ومنا 28/ ب
عذابهم وعلينا حسابهم ولئن سألتهم عن خالقهم لأقروا ولكن إذا عادوا إلى غيهم نقضوا وأصروا ﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 26] ملكاً ويجري فيهم حكمه حقاً وإليه مرجعهم حكماً حتماً.

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ﴾ [الآية 27] ولو ثبت كون الأشجار أقلاماً ﴿وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ [الآية 27] والبحر المحيط لسبعة مداد وممدود بسبعة أبحر وكتبت بتلك الأقلام والمداد أبد الآباد ﴿مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ [الآية 27] أي أحكامه وقضاياه لتنامي مخلوقاته وعدم تناهي معلوماته ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ [الآية 27] لا يعجزه شيء في قدرته ﴿حَكِيمٌ﴾ [الآية 27] لا يخرج أمر عن علمه وحكمته وقرأ أبو عمرو والبحر بالنصب عطفاً على اسم أن وغيره بالرفع للعطف على محل أن ومعمولها ويمده حال أو للابتداء على أنه مستأنف أو الواو للحال.

وقال الأستاذ: ما نفدت معاني كلمات الله لأن هذه الأشياء وإن كثرت فهي متناهية ومعاني كلامه لا تتناهى لأنها قديمة أي أبدية وأزلية هذا بيان العلم من حيث تحقيق العبارة وأما الإشارة فيه ما نفدت معاني ما لنا معك من الكلام والذي نسمعك فيما نخاطبك به من المرام لأنك معنا أبد الأبد

بوصف الدوام ونعت المدام.

﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [الآية 28] إلا كخلقها وبعثها من غير تفرقة ولا احتياج إلى معالجة على كل حدة إذ لا يشغله شأن عن شأن فيستوي عنده الكثرة والوحدة حيث يكفي لوجود الكل تعلق إرادته الواجبة مع قدرته الذاتية كما أشار إلى هذا المعنى المكنون لقوله: أي أمرنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ [الآية 28] يسمع كل مسموع في آن ﴿بَصِيرٌ﴾ [الآية 28] يبصر كل مبصر في كل زمان ومكان لا يشغله شأن عن شأن.

وأفاد الأستاذ: أن إيجاد القليل والكثير عنده سيان لا من الكثير مشقة وعسر ولا من الصغير راحة ويسر إنما قوله: ﴿إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: الآية 82] يقول بكلمته ولكنه يكونه بقدرته لا بمزاولة جهد ولا باستفراغ وسع ولا بدعاء خاطر ولا بطريان غرض.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ [الآية 29] سبق
29/ أ معناه ومر ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ﴾ /[الآية 29] من النيرين ﴿يَجْرِىٓ﴾ [الآية 29] في فلكه ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الآية 29] إلى منتهى معلوم لسيره ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الآية 29] عالم بكنه أعمالكم من كبير وصغير من نقيرٍ وقطمير.

﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية 30] ما ذكر من سعة العلم وشمول القدرة وعجائب الصنعة وغرائب الحكم ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ [الآية 30] الكائن الموجود المحقق ومحقق وجود الخلق المطلق ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الآية 30] المعدوم في حد ذاته والمضمحل في آثار صفاته وقرأ أبو عمرو والكوفيون غير أبي بكر بالغيبة ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ﴾ شأنه ﴿ٱلْكَبِيرُ﴾ [الآية 30] سلطانه.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 31] أي أثر رحمته ﴿لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ [الآية 31] الدالة على جمال قدرته وكمال حكمته وشمول نعمته.

قال الأستاذ: في الظاهر سلامتهم في السفينة وفي الباطل سلامتهم في حدثان الكون ونجاتهم في سفائن العصمة في بحار القدرة ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ

﴿لَآيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ﴾ [الآية 31] في المحن ﴿شَكُورٖ﴾ [الآية 31] على المنن كما هو نعت المؤمن فقد ورد أن الإيمان نصفه صبر ونصفه شكر.

قال الأستاذ: صبار وقوف لا ينهزم من البلايا شكور على ما يصيبه من تصاريف القضايا من جنس البلايا والعطايا.

﴿وَإِذَا غَشِيَهُم﴾ [الآية 32] غطاهم وعلاهم ﴿مَّوۡجٞ﴾ [الآية 32] أي بعد موج ﴿كَٱلظُّلَلِ﴾ [الآية 32] كما يظل من السحاب أو الجبل ﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [الآية 32] لزوال ما ينازع الفطرة من الهوى والتقليد بما أصابهم من الخوف الشديد ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ فَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ﴾ [الآية 32] مقيم على طريق القصد الذي هو التوحيد والوجد أو متوسط في الكفر لانزجاره بعض الزجر ﴿وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٖ كَفُورٖ﴾ [الآية 32] غدار فإنه نقض للعهد الفطري أو للوعد البحري ﴿كَفُورٖ﴾ [الآية 32] صاحب الكفر والكفران فهو في مقابلة شكور كما أن ختار في مقابلة صبار لأن القدر لا يكون إلا من عدم الصبر.

وقال الأستاذ: إذا تلاطمت عليهم أمواج بحار التقدير وإظهار القدرة تمنوا أن تلفظهم تلك البحار إلى سواحل السلامة فإذا جاء الحق يتحقق منا هم عادوا إلى رؤوس خطاياهم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ﴾ [الآية 33] أي مخالفته والزموا طاعته / ﴿وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا 29/ ب
لَّا يَجۡزِي﴾ [الآية 33] لا يقضي فيه ﴿وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ﴾ [الآية 33] والمعنى لا يقدر على جلب نفعه ولا سلب ضره ﴿وَلَا مَوۡلُودٌ﴾ [الآية 3] عطف على والد أو مبتدأ خبره ﴿هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـًٔاۚ﴾ [الآية 33] من نفع الغنى أو دفع العناء ﴿إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 34] بالثواب والعقاب ﴿حَقّٞ﴾ [الآية 33] ثابت يوم الحساب ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا﴾ [الآية 33] عن القيام باهتمام أمر العقبى فإن بهجة الدنيا مخيّلة لأهلها مع سرعة زوالها ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾ [الآية 33] أي الشيطان يؤملكم المغفرة ويسوفكم التوبة فيجزيكم على المعصية.

قال السلمي في تفسيره: قيل من اعتمد على غير الله فهو في غرور لأن الغرور ما لا دوام له في الحضور.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يخوفهم مرة بأفعاله فيقول اتقوا يوماً ومرة بصفاته يقول: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العلق: الآية 14] ومرة بذاته بقوله: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: الآية 28] إن وعد الله بالحشر والنشر حق وصدق فلا يغرنكم سلامتكم في الحال فعن قريب ستندمون في المآل.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [الآية 34] عند وقت قيامها ﴿وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ [الآية 34] في وقته المقدر لنزوله والمحل المعين له في علمه ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾ [الآية 34] من ذكر أو أنثى أو تام أو ناقص أو خنثى.

قال قاسم: من مؤمن وكافر ومطيع وفاجر ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ [الآية 34] من خير وشر وربما تعزم على شيء أن تفعله وتفعل خلافه والغد عند أرباب التحقيق وأصحاب التوفيق عبارة عن النفس الثانية الآتية فليحذر النفس العاصية الآبية ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [الآية 34] كما لا تدري في أي وقت تفوت وقيل: بأي أرض بأي قدم أو مقام في يقظة أو منام وقيل: بأي محل تُدفن وإنما جعل العلم لله والدراية للعبد لأن فيها معنى الحيلة ولذا لا يوصف الله بها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الآية 34] يعلم سرائرها كما يعلم ظواهرها وعنه عليه السلام مفاتيح الغيب الخمس لا يعلمهن إلا الله وتلا هذه الآية: ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: الآية 59].

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه تفرد بعلم القيمة وتفصيل ما فيها ويعلم ما
30/أ في الأرحام ذكورها وإناثها وشقيها وسعيدها وحسنها وقبيحها / متى ينزل الغيث وكم قطرة ينزلها وبأي بقعة يمطرها وما تدري نفس ماذا تكسب غداً من وفاق وشقاق وما تدري نفس بأي أرض تموت ولا أن يدرك مراده أو يفوت.

سورة السجدة

[مكيّة]
وهي ثلاثون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله كلمة سماعها ربيع الجميع، من العاصي والمطيع والشريف والوضيع، من أصغى إليه بسمع الخضوع ترك أطيب الهجوع ومن أصغى إليه بسمع المحاب ترك لذيذ الطعام والشراب.

﴿الٓمٓ ①﴾ [الآية 1] الإشارة في الألف أي ألف المحبّين تقريبي فلا يصبرون عني وألف العارفين تمجيدي فلا يستأنسون بغيري والإشارة في اللام أي لأحبائي مدخر لقائي فلا أبالي أقاموا على ولائي أم قصروا في وفائي والإشارة في الميم أي ترك أوليائي مرادهم لمرادي فكذلك آثرتهم على جميع عبادي.

﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [الآية 2] مبتدأ خبره ﴿لَا رَيۡبَ فِيهِ﴾ [الآية 2] لأن نافي الريب معه وهو كون معجزاً بمبانيه ومعانيه ﴿مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الآية 2] أي هو من عنده لتربيتهم وإصلاح طويتهم.

وأفاد الأستاذ: إذا اعتز لقاء الأحباب فأعز الأشياء على الأحباب كتاب الأحباب فالمعنى أنزلت على أحبابي كتابي وحِلْتُ إليهم بالرسالة خطابي ولا عليهم إن قَرَعَ أسماعهم عتابي فإنهم في أمان من عذابي.

﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۚ﴾ [الآية 3] أتقولون اختلقه واخترعه من هواه ﴿بَلۡ هُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ [الآية 3] الثابت النازل من عند ربك ﴿لِتُنذِرَ قَوۡمٗا﴾ [الآية 3] أي عقاباً ﴿مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ﴾ [الآية 3] من جهته نذير كائن ﴿مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ

﴿يَهۡتَدُونَ﴾ [الآية 3] بإنذارك فما موصولة على ما اختاره صاحب البحر ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ﴾ [فاطر: الآية 24] والجمهور على أن ما نافية فإنه ما أتاهم رسول منهم مبعوث إليهم ينذرهم وإن كانوا ملزمين بشرائع الرسل قبلهم وكانوا مقصرين في البحث عنها لا سيما دين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام.

وقال الأستاذ: بل هو الحق من ربك الذي لكم من حقيقته الأنبياء وإن التبس على الأعداء فليس يضركم ولا عليكم فإن صحبة الحبيب مع الحبيب ألذ ما يكون مقروناً بفقد الرقيب.

30/ب ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ/ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾ [الآية 4] مرّ بيانه وسبق برهانه.

وأفاد الأستاذ: أن تلك الأيام خلقها من خلق سائر الأنام وليس من شرط المخلوق ولا من ضرورته أن يخلقه في وقت إذ الوقت مخلوق في غير الوقت ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾ [الآية 4] ولكن القديم ليس له حد ولا يجوز عليه قرب بالذات ولا بُعد استوى على العرش لكنه صمد بلا ند وأحد بلا حد ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ﴾ [الآية 4] من عند غيره أو ﴿مِّن﴾ [الآية 4] دون أمره ﴿وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍۚ﴾ [الآية 4] يتولى نصركم ويدفع ضركم ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [الآية 4] بمواعظ الله فتعتبرون.

وقال الأستاذ: وإذا لم يرد بكم خيراً فلا سماء عنه تظلكم ولا أرض بغير رضاه تقلكم ولا بالجواهر أحد يتاجركم وإذا لم يعين بشأنكم في الدنيا والآخرة أحد ينظر إليكم.

﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الآية 5] يدبر أمر الدنيا إلى يوم القيامة منزلاً من السماء إلى الأرض فإن السماء محل حكمه والأرض منزل أمره ﴿ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ﴾ [الآية 5] يصعد الأمر إليه ويثبت ما وقع لديه ﴿فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الآية 5] وهو من يوم القيامة الذي كله خمسون ألف سنة يوم يعرض فيه الأعمال وهو يوم يطول على بعض ويقصر على بعض

بحسب اختلاف الأحوال وتفاوت الأهوال فقوله في يوم ظرف ليعرج لا ليدبر أو معناه نزول الملك بتدبير الدنيا وعروجه في يوم واحد أيام الدنيا ولو قطعه أحد من بني آدم لما قطعه إلا في ألف سنة لأن المسافة بين السماء والأرض خمسمائة فالنزول والعروج لا يمكن إلا بألف سنة والملائكة يقطعونها في يوم واحد قاله مجاهد والضحاك وقتادة: وعلى هذا يوم ظرف ليدبر وضمير إليه للسماء فتدبروا.

وأفاد الأستاذ: أن الحق خاطب الخلق على مقدار أفهامهم وتجوز لهم عن الحقائق التي اعتادوا في تخاطبهم لمرامهم.

﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [الآية 6] السر والعلانية ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ [الآية 6] الغالب على أمره وفق تقديره ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ [الآية 6] على عباده بحسب تدبيره.

قال سهل: طوبى لمن رزق الرضا بتدبير الله وأسقط عنه سوء تدبيره وتعلقه بمن عداه.

وقال الأستاذ: ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ [الآية 6] مع المطيعين ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ [الآية 6] مع العاصين ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ للمطيعين ليكسر صولتهم ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ للعاصين ليجبر زلتهم.

﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [الآية 7] / بدل من كل بدل الاشتمال أي 31/أ
اتقن خلق كل شيء ذا حكمة على وفق ما يستعده وبحسب ما يليق به بمقتضى الحكم والمصلحة في وجوده وقرأ نافع والكوفيون خلقه بفتح اللام وعلى أنه جملة فعلية صفة لكل أو شيء ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾ [الآية 7].

﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ﴾ [الآية 8] وذريته ﴿مِن سُلَٰلَةٍ﴾ [الآية 8] خلاصة ﴿مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ [الآية 8] ممتهن حقير.

﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ﴾ [الآية 9] وقومه بتصوير أعضائه ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾ [الآية 9] إضافة إلى نفسه تشريفاً له وإنما إلى اصطفائه وإشعاراً بأن له في الخلقة البشرية مناسبة ما إلى الحضرة الربوبية ولأجل ذلك قيل من عرف نفسه فقد عرف ربه ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ [الآية 9] خصوصاً من بين الخليقة لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا وتشكروا ﴿قَلِيلًا مَّا﴾ [الآية 9] ما زائدة أي شكراً

﴿تَشْكُرُونَ﴾ [الآية 9] ولذا لا تؤمنون ولا تعتبرون وفي الكلام الثقات من مفرد مغايب إلى جمع مخاطب.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أحسن صورة كل شيء فالعرش ياقوتة حمراء والملائكة أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع وجبريل طاووس الملائكة والحور العين كما في الخبر من جمالها وشكلها والختان كما في الأخبار ونص القرآن فإذا انتهى إلى الإنسان قال: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَـٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ [الإنسان: الآيتان 7، 8] كل هذا ولكن قيل:

وكم أبصرت من حسن ولكن ... عليك من الورى وقع اختياري

خلق الإنسان من طين ولكن يحبهم ويحبونه و﴿خَلْقَ ٱلْإِنسَـٰنِ مِن طِينٍ﴾ [الآية 7] ولكن رضي الله عنهم ورضوا عنه وخلق الإنسان من طين ولكن قال لهم: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: الآية 152].

﴿وَقَالُوٓا۟﴾ [الآية 10] أي كفار مكة ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 10] صرنا تراباً مخلوطاً بترابها أو غبنا فيها ﴿أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ﴾ [الآية 10] أي أنبعث أو يجدد خلقنا منها بل هم بلقاء ربهم بالبعث وما بعده كافرون جاحدون.

وقال الأستاذ: لو كان لهم ذرة من العرفان وشمة من الاشتياق إلى الرحمٰن لما تعصوا في إنكار جواز الرجوع إلى ربهم ولكن كما قال ﴿بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَـٰفِرُونَ﴾ [الآية 10].

﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم﴾ [الآية 11] يستوفي نفوسكم ويقبض روحكم لا يترك منها
31/ب شيئاً أو يبقي منكم أحداً ﴿مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [الآية 11] بقبض / أرواحكم وإحصاء آجالكم ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [الآية 11] لجزاء أعمالكم وحساب أحوالكم وفي حديث رواه ابن حاتم وغيره إن ملك الموت قال: «يا محمد ما في الأرض من بيت مدر ولا شعر إلا أنا أتصفحهم في كل يوم خمس مرات حتى إني لأعرف بصغيرهم وكبيرهم منهم بأنفسهم»(1).

(1) واللفظ: «قال: نظر رسول الله ﷺ إلى ملك الموت عند رأس رجل من الأنصار فقال =

وعن بعض المحققين إن قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [الآية 11] مجاز والله يتوفى الأنفس حقيقة.

وأفاد الأستاذ: إنه لولا غفلة قلوبهم لما أحال قبض أرواحهم على ملك الموت أن ملك الموت لا أثر منه في أحد ولا تصرف له في نفسه فما يحصل في المتوفى من الخلق فمن خصائص قدرة الحق ولكن غفلوا عن شهود حقائق ربهم فخاطبهم على مقدار فهمهم وعلق بالاعتبار قلوبهم فكل يخاطب بما احتمل على قدر قوته وضعفه في مقامه وحاله.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ﴾ [الآية 12] مطأطئوها ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الآية 12] من حياتهم وندمهم قائلين ﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا﴾ [الآية 12] ما وعدتنا وكذبناه ﴿وَسَمِعْنَا﴾ [الآية 12] منك تصديق ما أخبر رسلك عنك ﴿فَٱرْجِعْنَا﴾ [الآية 12] فردنا ﴿نَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ [الآية 12] ينفع في العقبى ﴿إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [الآية 12] وجواب لو محذوف أي لرأيت أمراً فظيعاً وشاهدت حالاً شنيعاً ولو رُدّ كلامهما للماضي فإن الثابت في علم الله بمنزلة الواقع في منتهاه.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾ [الآية 13] أي هدايته الموصلة إلينا بتوفيق الإيمان بنا وتحقيق الإحسان لدينا ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى﴾ [الآية 13] ثبت قضائي وسبق وعيدي على جمع بالبعد يعني ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [الآية 13] أي الذين هم أشقياء في الكتاب المبين.

﴿فَذُوقُوا۟﴾ [الآية 14] أي فيقال لهم على سبيل التقريع فذوقوا ﴿بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ﴾ [الآية 14] بما تركتم اعتقاده وأهملتم زاده ﴿إِنَّا نَسِينَٰكُمْ﴾ [الآية 14] تركناكم من الرحمة أو العقوبة ﴿وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ﴾ [الآية 14] الذي كنتم تنكرون ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الآية 14] من الكفر والمعصية والآية جواب من قولهم ﴿فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ [الآية 12] يعني لو أردنا لهديناكم في الدنيا لكن ما

= له النبي ﷺ: ارفق بصاحبي فإنه مؤمن، فقال ملك الموت: يا محمد طب نفساً وقرّ عيناً فإني بكل مؤمن رفيق واعلم أن ما من أهل بيت. . .» انظر تفسير القرطبي (14/ 93) والفتاوى الحديثية لابن حجر (1/ 60) وتذكرة الموتى (1/ 83).

32/ أ أردنا فذوقوا العذاب المقدر في العقبى/ بسبب كسبكم العقائد الفاسدة والأعمال الكاسدة ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ [الأنعام: الآية 28] قبل لو شئنا لهديناهم أجمعين إلى طريق الجنة ولم ينقص ذلك من ملكنا ولكن عذبنا ليظهر العدل كما أنعمنا ليظهر الفضل.

وقال الأستاذ: يعني لو شئنا لسهلنا لكل أحد سبيل التحقيق وأدمنا طريق التوفيق ولكن تعلقت المشيئة بإغواء قوم كما تعلقت بأدنى فريق وأردنا أن يكون للنار فكان كما أردنا أن يكون للجنة سكان ويقال: من لم يتسلط عليه من يحبه لم يُجر في ملكه ما يكرهه ويقال: يا مسكن أفنيت عمرك في الكد والعناء وأمضيت أيامك في الجهد والرجى غيرت صنعتك وأكثرت مجاهدتك فما تفعل في قضائي كيف تبدل له وما تصنع في مشيئتي بأي وسع تردها وفي معناه أنشدوا:

شكا إليك ما وجد   من خافه فيك الجلد
حيران لو شئت اهتدى   ظمآن لو شئت ورد

فتقاسِ من الهوى ما استوجبته بعصيانك واخلد في دار الخزي بما استلفته من كفرانك.

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ [الآية 15] أي بموجب علاماتنا ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا﴾ [الآية 15] وعظوا بما فيها ﴿خَرُّوا۟ سُجَّدًا﴾ [الآية 15] سقطوا على وجوههم ساجدين تواضعاً لله وانقياداً لما قضاه أو خوفاً من نزول عذابه أو حلول حجابه ﴿وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [الآية 15] نزهوه حامدين له على ما من عليهم ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الآية 15] عن الإيمان به وعن القيام بطاعته وعن متابعة كتابه ورسله وعن السجود في أوقاته.

وأفاد الأستاذ: اعلم أنهم خرُّوا بظواهرهم في محراب السجود والركوع وفي سرائرهم على تراب الخضوع وبساط الخشوع بنعت الذبول وحكم الخمول ويقال: كيف يستكبر من لا يجد كمال راحته لا حقيقة أنسه ولذّته إلا في تذلله بين يدي معبوده في طاعته لا يؤثر عاقل جحيمه على نعيمه ولا شقاه على تقاته.

﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ﴾ [الآية 16] تتباعد وتنتحي ﴿عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ [الآية 16] مواضع النوم ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ [الآية 16] داعين إياه ﴿خَوْفًا﴾ [الآية 16] من عقابه ﴿وَطَمَعًا﴾ [الآية 16] في ثوابه / ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الآية 16] في وجوه 32/ ب
مرضاته.

وعن النبي صلى الله عليه وسلم في تفسيرها: قيام العبد في الليل والمراد به التهجد لما في الأحاديث المعتمدة عن الإمام أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه وغيرهم(1). وقيل: هم الذين يصلُّون صلاة العشاء لا ينامون عنها فقد رواه ابن جرير بإسناد جيد(2) عن أنس هو انتظار صلاة العتمة، وعن يعض هو صلاة العشاء والصبح بجماعة، وعن بعض هو صلاة الأوابين بين العشاءين، وهذا قول أنس أيضاً وعكرمة وقتادة ومحمد بن المنكدر وابن حازم.

قال ابن عطاء: شيء يخافت أن تسكن على بساط الغفلة وطلب بساط المناجاة القربة قيل خوفاً من القطيعة وطمعاً في الوصلة.

وقال جعفر: خوفاً منه وطمعاً فيه.

وقال الأستاذ: تتجافى جنوبهم في الظاهر عن الفراش قياماً نحو العبادة والجهد والتهجد وفي الباطن تتباعد قلوبهم عن مضاجعة الأحوال ورؤية قدر النفس وتوهم المقام في الأعمال أن ذلك بجملته حجاب عن الحقيقة والكمال فلا يساكنون أعمالهم ولا يلاحظون أحوالهم ويفارقون مالهم ويهجرون في الله معارفهم والليل زمان الأحباب قال تعالى: ﴿لِتَسْكُنُواْ فِيهِ﴾ [يونس: الآية 67] يعني عن كل شغل سوى حديث محبوبهم والنهار زمان أهل الدنيا قال تعالى: و﴿ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾ [النبأ: الآية 11] أولئك قال لهم: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: الآية 10] إذا ناجيتمونا

(1) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح (5/ 346) رقم (3196)، وأحمد في المسند (5/ 232) رقم (22075).
(2) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (3/ 109) رقم (4527).

بركعتين في الجمعة فعودوا إلى متجركم واشتغلوا بحرفتكم في الجملة وأما الأحباب فالليل لهم إما في طرب التلاق أو في جوب الفراق فإن كانوا في أنس قربه فليلهم أقصر من لحظة وإن كان الوقت وقت مقاساة فرقةٍ وانفراد فليلهم طويل وويلهم جزيل ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا﴾ [الآية 16] من الفراق ﴿وَطَمَعًا﴾ [الآية 16] في التلاق ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الآية 16] يأتون بالشواهد التي خصصناهم بها في المقامات أظهرنا أحوالهم عن الذين حضروا بأحوال مقدسة
33/أ وإن دنسنا أوقاتهم بالآفات / شهدوا بحالات مدنسة فالعبد إنما يتجر في البضاعة التي يودعه سيده يفديك بالروح حسب لو يكون له أعز من روحه شيء فداك به.

﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ﴾ [الآية 17] لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ﴿مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [الآية 17] ما تقربه أعينهم ففي الصحيحين عن أبي هريرة مرفوعاً يقول الله تعالى: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»(1).

وقرأ حمزة أخفي بسكون الياء على صيغة المتكلم ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الآية 17] أي جزوا جزي وفاقاً حيث أخفوا أعمالهم فأخفى الله أحوالهم.

وقال الأستاذ: إنما تقر عينك برؤية من تحبه طاب قلبك وراع حالك ثم يحصل اليوم سرورك كذلك يكون غداً حضورك وعلى ذلك تحشر كما في الخبر من كان بحالة لقي الله بها.

﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا﴾ [الآية 18] بالله وملائكته وبكتبه ورسله ﴿كَمَن كَانَ فَاسِقًا﴾ [الآية 18] خارجاً عن طاعة ربه وسبله في المنزلة والمرتبة ﴿لَّا يَسْتَوُونَ﴾ [الآية 18] تأكيد وتصريح للمبنى والجمع للحمل على المعنى قيل نزلت في علي رضي الله عنه والوليد أخي عثمان من أمه أسلم في آخر عمره وكان بينهما تنازع فقال لعلي: إنك صبي وأنا والله أبسط لساناً وأحد سناناً وأشجع منك جناناً فقال له علي: اسكت فإنك فاسق كذا قاله عطاء بن سيار والسدي وغيرهما.

---

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (3244)، ومسلم في الصحيح (2824/ 4).

قال الأستاذ: أفمن كان في حلة الوصال يجر أذياله كمن هو في مذلة الفراق يقاسي وباله أفمن كان في روح القربة ونسيم الزلقة كمن هو في هوى العقوبة يعاني مشقة الكلفة أفمن هو في روح إقبالنا عليه كمن هو في محنة إعراضنا عنه أفمن بقي معنا كمن بقي عنا أفمن هو في نهار العرفان وضياء الإحسان كمن هو في ليالي الكفران ووحشة العصيان أفمن أيد بنور البرهان وطلعت عليه شموس العرفان كمن ربط بالخذلان ووسم بالحرمان لا يستويان ولا يلتقيان.

﴿أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الآية 19] على وفق رضى المولى ﴿فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [الآية 19] فإنها المأوى/ الحقيقي لا الدنيا فإنها منزل مرتحلٍ عنها 33/ ب
إلى الأخرى ﴿نُزُلًۢا﴾ [الآية 19] لا يبتغون عنه حولاً ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الآية 19] بسبب أعمالهم على حسب أحوالهم.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟﴾ [الآية 20] أي الكفار ﴿فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [الآية 20] في دار البوار من غير القرار والفرار ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ﴾ [الآية 20] وصعدوا إلى بابها ﴿أُعِيدُوا۟ فِيهَا﴾ [الآية 20] ردوا إلى أسفل دركاتها وهو عبارة عن خلودهم بها وعدم تحولهم عنها ﴿وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ [الآية 20] إهانة لهم وزيادة في همهم.

وقال الأستاذ: الذين آمنوا صدقوا وعملوا الصالحات بما حققوا فلهم حسن الحال وحميد المآل وأما الذين جحدوا وكندوا في معاملاتهم أساؤوا وأفسدوا فقصاراهم الخزي والهوان وفنون من المحن وألوان كلما راموا من محنتهم خلاصاً ازدادوا فيها انتكاساً وكلما أملوا نجاة جرعوا قنوطاً وزيدوا إياساً.

﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ﴾ [الآية 21] عذاب الدنيا وهو مصائبها ومحنها من القحط والقتل والأسرار فيها ﴿دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾ [الآية 21] أي قبل العذاب الأعظم في البرزخ أو العقبى ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ [الآية 21] لعل من بقي منهم ﴿يَرْجِعُونَ﴾ [الآية 21] يتوبون عن كفرهم قال أبو سليمان الداراني العذاب الأدنى

الخذلان والعذاب الأكبر الخلود في النيران.

وقال الأستاذ: قوم عذابهم الأدنى محن الدنيا والعذاب الأكبر لهم عقوبة العقبى وقوم عذابهم الأدنى لهم فترة تتداخلهم في عبادتهم والعذاب الأكبر قسوة في قلوبهم تصيبهم في حالتهم وقوم عذابهم الأدنى لهم وفقه في سلوكهم تمسهم والعذاب الأكبر حجبة عن شاهدهم تنالهم ويقال العذاب الأدنى الخذلان في الزلة والأكبر الهجران في الوصلة.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ﴾ [الآية 22] مدة يمر عليها ثم أعرض عنها فلم يتفكر فيها ولم يؤمن بها ﴿ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الآية 22] أي المشركين الكاملين في الإجرام ﴿مُنتَقِمُونَ﴾ [الآية 22] غاية الانتقام.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الآية 23] كما آتيناك الكتاب فصل الخطاب ﴿فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ﴾ [الآية 23] نوع من الارتياب ﴿مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾ [الآية 23] من لقائك
34/ أ الكتاب فإذا لقيناك/ في هذا الباب أو من لقاء موسى الكتاب من وراء الحجاب أو من لقائك موسى ليلة المعراج كما روي عن قتادة وغيره أو من لقاء موسى ربه أي بعد موته فاطمع أنت في صمته هكذا فسّره النبي صلى الله عليه وسلم على ما رواه الطبراني[1] ﴿وَجَعَلْنَٰهُ﴾ [الآية 23] أي موسى أو الكتاب المنزل عليه ﴿هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الآية 23].

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ﴾ [الآية 24] الأمة إلى ما فيه من الحكم والحكمة ﴿بِأَمْرِنَا﴾ [الآية 24] إياهم به أو بتوفيقنا له ﴿لَمَّا صَبَرُوا۟﴾ [الآية 24] حين حبسوا أنفسهم على أوامر الله وصبروا على مصائبه التي قدرها عليهم وقضاؤهُ وقرأ حمزة والكسائي بكسر اللام وتحقيق الميم أي لصبرهم على طاعة المولى أو على محنة الدنيا ﴿وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [الآية 24] ففي الآية تسلية لنبينا صلى الله عليه وسلم في حالته وإرشاد لأصحابه وأمته.

---

(1) أخرجه ابن ماجه في السنن (1/ 448) رقم (1399)، والنسائي في السنن الكبرى (1/ 140) رقم (314).

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الآية 25] يقضي بين المحق والمبطل ويميز الحق من الباطل ﴿فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الآية 25] من أمر دينهم.

قال الأستاذ: يحكم بينهم وعند ذلك يتبين المردود من المقبول والمهجور من الموصول والرضي من الغوي والعدو من الولي فكم من بهجة دامت هنالك ولكم من مهجة ذابت هنالك.

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم﴾ [الآية 26] أي ألم ينبههم ولم يبين لهم كثرة إهلاك من أهلكناهم ﴿مِنَ ٱلْقُرُونِ﴾ [الآية 26] الماضية فيهم ﴿يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْ﴾ [الآية 26] يمرون في أسفارهم على ديارهم ويشاهدون آثار دمارهم ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ﴾ [الآية 26] لمن نظر واعتبر ﴿أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ [الآية 26] الخبر إن لم يبصروا الأثر.

وقال الأستاذ: أو لم يعتبروا بمنازل أقوام كانوا في خبره فصاروا عبرة كانوا في سرور فآلوا: إلى ثبور فجميع ديارهم ومزارهم صارت لأغيارهم وصنوف أموالهم عادت إلى أشكالهم سكنوا في ظلالهم ولم يعتبروا بمن مضى من أمثالهم.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ﴾ [الآية 27] الذي جرز نباتها أي قطع وأزيل نبتها ﴿فَنُخْرِجُ بِهِۦ﴾ [الآية 27] بالماء ﴿زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ﴾ [الآية 27] من الزرع ﴿أَنْعَٰمُهُمْ﴾ [الآية 27] كالتبن والورق ﴿﴿وَأَنفُسُهُمْ﴾ [الآية 27] كالحب والثمر/ ﴿أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ [الآية 27] فيستدلون به على كمال قدرته وجمال فضله 34/ب
ومننه.

وأفاد الأستاذ: الإشارة منه تسقي حدائق وصلهم بعد جفاف عودها وزوال المأنوس من عهودها فيعود عودها مورقاً بعد ذبوله خالياً بحاله حال حصوله.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ﴾ [الآية 28] النصرة أو الفصل بالحكومة ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الآية 28] في الوعدية وقرب إتيانه.

﴿قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمْ﴾ [الآية 29] لحلول بأسهم وحصول يأسهم ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [الآية 29] لا يمهلون للإيمان ولا للإحسان لفوات الأوان وذهاب الأمان.

وأفاد الأستاذ: إنهم استبعدوا يوم التلاقي وجحدوا فأخبرهم أنه ليس لهم إلا الحسرة والمحنة إذا شهدوا.

﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [الآية 30] ولا تبال بما ظهر منهم ﴿وَٱنتَظِرْ﴾ [الآية 30] النصرة عليهم ﴿إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾ [الآية 30] ما حل بهم.

وقال الأستاذ: فاعرض عنهم باشتغالك بنا وإقبالك علينا وانقطاعك إلينا وانتظر زوائد وصلنا وعوائد لطفنا أنهم منتظرون هواجم مقتنا وخفايا مكرنا وعن قريب يجد كل منتظره محتضره.

سورة الأحزاب

[مدنيّة]
وهي ثلاث وستون آية(١)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله شهود وجوده يوجب لك تلفاً في تلف ووجودهُ يوجب لك شرفاً على شرف، ففي تلفك يكون عنك الخلف وفي شرفك تصل إلى كل لطف.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ [الآية 1] دم على تقوى وطاعة المولى ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۚ﴾ [الآية 1] فيما يعود برهن في الدين ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ [الآية 1] بالمصلحة والمفسدة ﴿حَكِيمًا﴾ [الآية 1] لا يحكم إلا بما تقتضيه الحكمة.

قال ابن عطاء: يأتيها المخبر عن خبير صدق وقول حق: اتق الله في أن يكون لك التفات إلى شيء سواه.

وقال أبو عبدالله الروذباري: التقوى مجانبة كل ما يبعدك عن الله.

وقال الواسطي: التقوى على الحقيقة هو تقوى القلب لربه لقوله عليه السلام: «ألا إن التقوى ها هنا»[2] وأشار إلى قلبه.

وقال الأستاذ: يا أيها المشرف حالاً بنا المفخم قدراتنا المعلي رتبة من قبلنا يا أيها المرقّى إلى أعلى الرتب الملقى بأسنى القرب يا أيها المخبر عنا
35/أ المأمون / على أسرارنا المبلغ خطابنا إلى أحبابنا اتق الله أن لا تلاحظ غيرنا

---

(1) كذا في الأصل المخطوط.

(2) أخرجه مسلم في الصحيح (2564/ 32)، والبيهقي في السنن الكبرى (6/ 92) رقم (11276)، وأبو يعلى في المسند (5/ 301) رقم (2923).

معنا أو تساكن شيئاً من دوننا أو تثبت أحداً سوانا أو تتوهم شظية من الحدثان عما عدانا ولا تطع الكافرين إشفاقاً منك عليهم وطمعاً في إيمانهم والتقوى رقيب على قلوب أوليائه يمتعهم في أنفاسهم وسكناتهم وحركاتهم أن ينظروا إلى ما عداه أو يثبتوا معه سواه إلا مصوناً لقدرته متصرفاً بمشيئته نافذاً فيه حكم قضيته.

﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [الآية 2] كالنهي عن طاعتهم وعدم المبالاة بمخالفتهم ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [الآية 2] من ملاءمتهم ومنافرتهم، وقرأ أبو عمر بالغيبة.

قال الأستاذ: اتبع ولا تبتدع واقتد بما نأمرك ولا تبتدع باختيارك غير ما نختاره لأجلك وكن لنا لا لك وقصر بنا لا بك.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [الآية 3] ولا تلتفت إلى ما سواه ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الآية 3] موكولاً إليه أمور من عداه.

وقال ذا النون: التوكل ترك تدبير النفس وقيل: التوكل قطع القلب عن كل علاقة سوى الرب.

وقال الأستاذ: أي انسلخ عن إهابك لنا واصدق في إيابك إلينا وتشاغل عن حسابك معنا واحذر ذهابك عنا ولا تقصر في خطابك منا ويقال: التوكل تحقق ثم تخلق ثم توثق ثم تملق تحقق في العقدة وتخلق بإقامة الشريعة وتوثق بالمقسوم من القضية وتملق بين يديه بحسن العبودية. ويقال: التوكل استواء القلب في العدم والوجود مع الرب.

﴿مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ [الآية 4] أي لم ير في حكمته أن يجعل لأحد قلبين في طويته لأن القلب سلطان والأعضاء كالرعايا ولا يليق بملك سلطانين في القضايا.

وأفاد الأستاذ: أن القلب إذا اشتغل بشيء اشتغل عما سواه فالمشتغل بها من العدم منفصل عمن له القدم والمتصل بقلبه عن نعته القدم مشتغل عما

من العدم والليل والنهار لا يجتمعان والنصب والجرّلا يلتقيان ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ﴾ [الآية 4] بأن قال أحد: مثلاً لزوجته أنت علي كظهر أمي ﴿أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ [الآية 4] / لاختلاف الحقيقة الظاهرة فيما بينهن ﴿وَمَا جَعَلَ 35/ ب
أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ﴾ [الآية 4] فإن البنوة أمر ذاتي والتبني حكم عارض فلا يكون الشيء الحقيقي عين المجازي ﴿ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ﴾ [الآية 4] حيث كانت العرب تزعم أن اللبيب الأريب له قلبان للمودة والكراهة والزوجة المظاهر عنها كالأم في الحرمة المؤبدة ودعي الرجل ابنه بنحو التوارث في القرابة وحاصله أنه تعالى كما لم ير في حكمته أن يجعل لأحد قلبين في طويته فيفعل بأحدهما غير ما يفعل بالآخر من الصنعة فيؤدي اتصاف شخص واحد بالعلم والظن والمحبة والكراهة وغيرهما في حالة واحدة ولم ير أيضاً أن يكون امرأة لرجل مخدومة وخادمة وأن يكون رجلاً دعياً غير أصيل وابناً أصلياً لتناقض القضية ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ﴾ [الآية 4] المطابق للصدق ﴿وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ [الآية 4] طريق الحق المطلق.

وقال الأستاذ: أي الذي تظاهرتم منهن لَسْنَ أمهاتكم والذين تبنيتم ليسوا بأبناءكم إن الذي صرتم إليه من اجترائكم ونسبتم إلينا من آراءكم ذلك مردود عليكم غير مقبول منكم إن أمسكتم عنها بعد البيان نجوتم وإن تماديتم عليها بعد ما أعلمتم أظللتم المحنة عليكم.

﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 5] أي انسبوهم إليهم لا إلى غيرهم وهو إفراد للمقصود من قوله: الحق وحكم الصدق ﴿فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾ [الآية 5] فهم إخوانكم ﴿فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ﴾ [الآية 5] أي أولياؤكم فيه فقولوا هذا أخي ومولاي بهذا التأويل لأنه أهدى السبيل ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ [الآية 5] إثم ﴿فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ﴾ [الآية 5] قبل النهي والبيان أو بعده على وجه النسيان أو سبق اللسان ﴿وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الآية 5] فيه والجناح والعصيان ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ للمخطئين ﴿رَّحِيمًا﴾ [الآية 5] للمحسنين وفي الحديث أي في القرآن المنسوخ ولا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم أن ترغبوا

عن آباءكم وقد ورد: من دعي[1] إلى غير أبيه وهو يعلمه فقد كفر[2].

﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ﴾ [الآية 6] أي في أمور الدين وما يتعلق بها أو في الأمور كلها فإنه لا يأمرهم ولا يرضى منهم إلا بما فيه صلاحهم في الدنيا ونجاحهم في العقبى بخلاف النفس فإنها أمارة بالسوء مع أن لها حقاً أيضاً فيجب
36/ أ أن يكون أحب إليهم من أنفسهم في أحوالها وأمره / أنفذ عليهم من أمرها وشفقتهم عليه أتم من شفقتهم عليها وقرئ وهو أب لهم أي في الدين فإن كل نبي أب لأمته من حيث أنه أصل فيما به الحياة الأبدية بحسن الريبة في آداب العبودية ولذا صار المؤمنون أخوة ﴿وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ﴾ [الآية 6] منزلات منزلتهن في التحريم واستحقاق التعظيم ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ﴾ [الآية 6] أي ذو القرابات ﴿بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٍ﴾ [الآية 6] في التوارث وهو نسخ لما كان في صدر الإسلام من التوارث بالهجرة والمناصرة في الملة ﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 6] في حكمه كما قضاه ﴿مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ﴾ [الآية 6] بيان لأولي أواصله الأولى وهو الأولى ﴿إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ﴾ [الآية 6] أي لكن فعلكم إلى أحبابكم معروفاً جائز في الشريعة والمعنى ذهب الميراث بالهجرة وبقي البر والإحسان والوصية ﴿كَانَ ذَٰلِكَ﴾ [الآية 6] الحكم ﴿فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا﴾ [الآية 6] ثابتاً في اللوح على وجه الكمال أو في علم الله على هذا المنوال.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة من هذا تقديم سنته على هواك والوقوف عند إشارته دون ما يتعلق به مناك وإيثار من يتوسل به سبباً ونسباً على أعزتك ومن والاك، ليكن الأجانب منك على جانب، وليكن وصلتك للأقارب وصلة الرحم ليس بمقاربة الديار وملاصقة المزار ولكن بموافقة القلوب في حالتي المكروه والمحبوب.

﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ﴾ [الآية 7] عهودهم بتبليغ الرسالة وإقامة

---

(1) أخرجه أحمد في المسند (1/ 47) رقم (331)، وعبد الرزاق في المصنف (5/ 439) رقم (9758).

(2) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (7/ 403) رقم (15112)، وقد ورد بعدة صيغ.

الدين على طريق الاستقامة ﴿وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ [الآية 7] خصّ أولي العزم الخمسة من بينهم لكمال شرفهم وقدم نبينا تعظيماً لرفعة شأنه وتكريماً لمقدمة بيانه وإشعاراً بسبق وجود نوره وإن تأخر شهود ظهوره ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: الآية 154] عظيماً في النبيين أو مؤكداً باليمين على الوفاء بها حملوا والصفاء بما عملوا وهو ميثاق للخاصة بعد ميثاق العامة في ذلك اليوم أو بعد بعثتهم إلى القوم.

﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾ [الآية 8] أي أخذ الله ميثاقهم أولا ليسأل الله آخر الأنبياء الذين صدقوا في الإنباء عهدهم عن كلام صدقهم لقومهم أو تصديق أمتهم إياهم تبكيتاً لمن كذبهم وتفريحاً لمن صدقهم ﴿وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الآية 8] عطف على ما دل عليه لِيسأل كافة قال: فأثاب/ المؤمنين نعيماً 36/ ب
مقيماً ﴿وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الآية 8] قيلْ لا يشم رائحة الصدق من يداهن نفسه أو يداهن غيره.

وقال الأستاذ: أراد سؤال تشريف لا سؤال تعنيف وسؤال إيجاب لا سؤال عتاب والصدق أن لا يكون في أحوالك شوب ولا في اعتقادك ريب ولا في أعمالك عيب.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱذْكُرُوا نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾ [الآية 9] يعني الأحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير وكانوا قدر اثني عشر ألفاً فأمر صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق لإشارة سلمان فنزلوا وحاصروا المدينة شهراً وخرج إليهم صلى الله عليه وسلم مع أصحابه في ثلاثة آلاف ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا﴾ [الآية 9] شديداً وهو الصبا في ليلة باردة مظلمة في فصل الشتاء ﴿وَجُنُودًا﴾ [الآية 9] من الملائكة ﴿لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [الآية 9] نزلوا من السماء فالريح سفّت التراب في وجوههم واطفأت نيرانهم وقلعت خيامهم وماجت خيولهم وقذف الله الرعب في قلوبهم وكبّرت الملائكة في جوانب جنودهم فانهزموا خائفين خائبين إلى أعقابهم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الآية 9] من حفر الخندق وغيره وقرأ أبو عمرو بالغيبة أي بما يعمل المشركون من التخريب والمحاربة ﴿بَصِيرًا﴾ [الآية 9].

وأفاد الأستاذ: أن ذكر نعمته مقابلها بالشكر ويذكر ما سلف من الذي دفع عنك يهون عليك مقاساة البلاء في الحال وبذكرك لما أولاك في الماضي بقرب من قلبك الثقة بإيصال ما قوله في الاستقبال فمن جملة ما ذكرهم قوله إذ جاءكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكم بلاء صرفه عن العبد وهم لم يشعروكم شغل كان بصدده قصده عنه ولم يعلم وكم أمر عوّقه والعبد يصح وهو يعلم أن في تيسيره هلاكه فيمنعه منه رحمة عليه والعبد يتهتمه ويضيق به صدره.

﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ﴾ [الآية 10] من أعلى الوادي من قبل الشرق بنو غطفان ﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ [الآية 10] من أسفل الوادي من قبل الغرب قريش ﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الآية 10] مالت أبصار المؤمنين من مستوى نظرها، قال الفراء: أزاغت عن كل شيء فلم يلتفت إلا إلى عدوها ﴿وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ
37/ أ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ [الآية 10] رعباً والمعنى اضطربت/ وإلا فلا انتقال للقلوب عن مقرها ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ [الآية 10] الأنواع من الظن باختلاف مراتب الظانين من المؤمنين الكاملين الناقصين والمنافقين حتى قال بعض أهل النفاق: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز قيصر وكسرى والآن لا نقدر أن نذهب للغائط إلى الصحراء.

﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 11] امتحنوا فظهر المخلص من المنافق وتميز المخالف من الموافق ﴿وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الآية 11] أزعجوا من شدة الفزع وحركوا من شدة الجزع ثم أزال عنهم جملتها وهون عليهم شدتها وانجاب عنهم سحابها وتفرقت عن قلوبهم همومها وحجابها.

﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [الآية 12] ضعف اعتقاد وعدم توكُّل واعتماد ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ﴾ [الآية 12] من الظفر في الدين وإعلائه ﴿إِلَّا غُرُورًا﴾ [الإسراء: الآية 64] وعداً باطلاً لا وفاء به.

﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ [الآية 13] من المنافقين وأتباعهم من ضعفاء اليقين ﴿يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ﴾ [الآية 13] وهو كان اسماً للمدينة ﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ [الآية 13] لا موضع قيام لكم ها هنا ﴿فَٱرْجِعُوا۟﴾ [الآية 13] إلى منازلكم على طريق الهناء. وقرأ

حفص بضم الميم على أنه مكان أو مصدر من الإقامة ﴿وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ﴾ [الآية 13] للرجال إلى المدينة ﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ [الآية 13] غير حصينة نخاف عليها من السرقة ﴿وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ﴾ [الآية 13] بل حصينة مستورة ﴿إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ [الآية 13] من قتال لو وقع هنالك.

وقال الضحاك: رجع ثمانون رجلاً من غير إذن النبي صلى الله عليه وسلم لضعف دينهم وقلة يقينهم.

﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم﴾ [الآية 14] أي المدينة أو بيوتهم ﴿مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾ [الآية 14] من جوانبها ﴿ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ﴾ [الآية 14] الردة ومقاتلة الطائفة المسلمة ﴿لَءَاتَوْهَا﴾ [الآية 14] لأعطوها وقرأ الحجازيان: فإن بالقصر لجاؤوها وفعلوها ﴿وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ﴾ [الآية 14] بالفتنة أي بإعطائها أو بإتيانها ﴿إِلَّا يَسِيرًا﴾ [الآية 14] تلبثاً يسيراً أو زمناً قليلاً وهو كناية عن سرعة الإجابة.

﴿وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ﴾ [الآية 15] قبل تلك المحاربة ﴿لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ﴾ [الآية 15] لا يفرُّون من المقاتلة ﴿وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا﴾ [الآية 15] عن الوفاء به والجزاء على وفقه.

﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ﴾ [الآية 16] فإنه لا بدّ لكل / شخص من موت حتف أنفه أو قتل في وقت معين سبق بالقضاء وجرى 37/ ب
عليه القلم بأمر الله وإنه لا يتصور تغييرهُ ولا تقديمه ولا تأخيره ﴿وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الآية 16] وإن نفعكم الفرار على الفرض والتقدير فمتعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتيع إلا تمتيعاً أو زماناً قليلاً إذ لا يشك عاقل أن آخر أمر كل مخلوق هو الموت وإن كان عظيماً وجليلاً.

وقال الأستاذ: لأن الآجال لا تأخير لها ولا تقديم عليها وكما قالوا إن الهارب مما هو كائن في كف الطالب ينقلب وإذا لا تمتعون إلا قليلاً فإن ما يدخره العبد عن الله من مال أو جاه أو نفس أو قريب فلا يبارك له فيه ولا يجد به متعة ولا يرزق منه غبطة.

﴿قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 17] من يمنعكم من حكمه وقضائه

وقدرة ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا﴾ [الآية 17] مساءة ومضرّة ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ [الآية 17] نعمة ومسرة ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا﴾ [الآية 17] ينفعهم بزيادة النعمة لهم ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ [الآية 17] يدفع المحنة عنهم.

وقال الأستاذ: من ذي الذي تحقق لكم من دونه مرجواً ومن ذا الذي يصرف عنكم من دونه عدواً.

﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ﴾ [الآية 18] المانعين من نصرة رسول الله والمؤمنين وهم جماعة من المنافقين ﴿وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾ [الآية 18] من سكان المدينة وهم جماعة الأنصار من أصحاب السكينة ﴿هَلُمَّ﴾ [الآية 18] إلينا قربوا أنفسكم ﴿إِلَيْنَا﴾ [الآية 18] أقبلوا بكليتكم علينا فنحن في ظلال وأثمار وراحة وأنهار ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ﴾ [الآية 18] لا يحضرون الحرب مع المؤمنين ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الآية 18] إلا إتياناً أو زماناً أو بأساً قليلاً فإنهم يعتذرون ويثبطون ويرجعون فيمتنعون من نصرته بأنفسهم ويمنعون أيضاً معاونة غيرهم.

﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ [الآية 19] حال كونهم بخلاء عليكم بالمعاونة أو المنفعة أو الظفر والغنيمة ﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ﴾ [الآية 19] وقت الحرب ﴿رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ [الآية 19] خوفاً ولواذاً بك ﴿تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ﴾ [الآية 19] في أحداقهم ﴿كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ﴾ [الآية 19] نظر المغشي ﴿عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ [الآية 19] من معالجة سكراته ومزاولة منكراته ﴿فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ﴾ [الآية 19] وجمعت الغنائم ﴿سَلَقُوكُم﴾ [الآية 19] ضربوكم ﴿بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ [الآية 19] لأجل الغنيمة وغيرها ﴿أَشِحَّةً عَلَى
38/ أ ٱلْخَيْرِ﴾ [الآية 19] على تحصيل المال وتحسين/ الحال وتزيين الكمال والحاصل أنهم جمعوا بين الجبن والبخل والطمع والفشل وقلة الحياء عدم الوفاء ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُواْ﴾ [الآية 19] إخلاصاً ﴿فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [الآية 19] فأظهر بطلان أعمالهم وضياع أحوالهم وسوء مآلهم ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ﴾ [الآية 19] الإحباط ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ [الآية 19] هيناً لتعلق الإرادة به وعدم مانع من نفاده وهذا كما ورد من تشعبت به هموم الدنيا لم يبال الله في أي واد أهلكه.

وقال الأستاذ: إذا جاء الخوف طاشت من الرعب عقولهم وطاحت

بصائرهم وتعطلت عن النصرة جميع أعضائهم وإذا ذهب الخوف زينوا كلامهم وقدموا أخداعهم واحتالوا في إخفاء خستهم أولئك الذين هذه صفتهم لم يباشر الإيمان قلوبهم ولا صدقوا فيما أظهروا من إذعانهم وإسلاحهم.

﴿يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟﴾ [الآية 20] أي هؤلاء المنافقين لجبنهم يظنون أن الأحزاب لم ينهزموا وقد انهزموا ففروا إلى داخل المدينة واهتموا ﴿وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ﴾ [الآية 20] كرة ثانية إلى ديارهم مع ما رأوا من كيفية فرارهم وعدم ظهورهم وقرارهم ﴿يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ﴾ [الآية 20] تمنوا أنهم خارجون إلى البادية ﴿فِى ٱلْأَعْرَابِ﴾ [الآية 20] جاهلون فيما بينهم كالتراب ﴿يَسْـَٔلُونَ﴾ [البَقَرَة: الآية 273] كل قادم من جانبكم ﴿عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ﴾ [الآية 20] عما جرى عليكم من أعدائكم ﴿وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم﴾ [الآية 20] هذه الكرة ولم يرجعوا إلى المدينة وكان قتال ومحاربة ﴿مَّا قَـٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الآية 20] رياءً وسمعة وخوفاً عن ميسرة.

قال الأستاذ: يخافون من عدوهم وعودهم ويفزعون من ظل أنفسهم إذا وقع على أثرهم ولو اتفق هجوم الأعداء ما كانوا إلا جوز سيوفهم وذرية رماحهم.

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الآية 21] وقرأ عاصم بضم الهمزة أي في متابعته خصلة مستحسنة وقدوة مرنة حسنة كثبات القلب في باب الحرب ومقاساة المتاعب ومعاناة المصائب ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ﴾ ثوابه أو لقاءه ﴿وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ﴾ [الآية 21] نعيمه وجزاءه أو يخاف عذابهما في دنياه وعقباه ﴿وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الآية 21] فإن كثرة الذكر توديه إلى ملازمة الطاعة في الدنيا وتقتضي له حساباً يسيراً في العقبى.

قال أبو عثمان: من أمّر السنّة على نفسه نطق بالحكمة ومن أمّر الهوى على نفسه نطق / بالبدعة. 38/ ب

﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَـٰذَا﴾ [الآية 22] أي ما رأينا أو البلاء ﴿مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ﴾ [الآية 22] بقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم﴾ [البقرة: الآية 214] ﴿وَرَسُولُهُۥ﴾ [الآية 22] بقوله عليه

السلام: «إنّ الأحزاب سائرون إليكم تسعاً أو عشراً أي في آخر تسع ليال أو عشر»[1]، وقوله: «سيشتد الأمر باجتماع الأحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم» ﴿وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ [الآية 22] صدقا في النصرة والمثوبة كما صدقا في البلية والمحنة ﴿وَمَا زَادَهُمْ﴾ [الآية 22] أي ما زادوا من البلاء وضيق أمره ﴿إِلَّآ إِيمَٰنًا﴾ [الآية 22] بالله ومواعيده ﴿وَتَسْلِيمًا﴾ [الآية 22] انقياداً لأحكامه وتقاديره.

وقال الأستاذ: كما أن المنافقين اضطربت عقائدهم عند رؤية الأعداء ومشاهدة البلاء فالمؤمنون وأهل اليقين ازدادوا ثقة وعلى أعداء الدين جرأة ولحكم الله استسلاماً ومن الله قوة.

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الآية 23] أي فيما وعدوا ونذروا من الثبات مع الرسول في ميدان اليقين والقتال مع أعداء الدين ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ [الآية 23] نذره بأن قاتل أحد حتى استشهد كحمزة ومعصب بن عمير وأنس بن النضر فاتهم نذروا أنهم إذا لقوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حرباً ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ [الآية 23] الشهادة كعثمان وطلحة أو معناه ومنهم من ينتظر يوماً يقضي فيه نذره فإن أنس ابن النضر لما غاب عن غزوة بدر نذر وقال: لئن أراني الله مشهداً فيما بعد لأري الله ما أصنع فقاتل يوم أحد حتى قتل ووجد فيه بضع وثمانين ضربة سيف وطعنة رمح ورمية سهم كما رواه البخاري والترمذي والنسائي[2].

﴿وَمَا بَدَّلُوا۟﴾ [الآية 23] العهد ما غيروه ﴿تَبْدِيلًا﴾ [الآية 23] شيئاً من التبديل والتغيير وفيه تعريض لأهل النفاق ومرض القلب بالتبديل وعدم الوفاق.

وفي «تفسير السلمي»: الرجال الصادقون مع الله عز وجل بوفاء العهد

---

(1) أورده الزيلعي في تخريج الأحاديث (3/ 100) رقم (1009)، وانظر الكشاف (5/ 319).

(2) أخرجه البخاري (4048) والترمذي في الجامع الصحيح (5/ 348) رقم (3200)، والنسائي في السنن الكبرى (5/ 79) رقم (8291)، وأحمد في المسند (3/ 194) رقم (13038).

فمنهم من بذل وسعه وجهده في الطاعة ومنهم من ينتظر التوفيق من ربه وما غيروا عن محبته تغييراً.

39/ أ وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه شكر صنيعهم في المراس / ومدح يقينهم عند شهود البأس وسمّاهم رجالاً إثباتاً لهم بالخصوصية في الرتبة وتمييزاً لهم من بين أشكالهم بعلو الحالة والمنزلة فمنهم من خرج من دنياه على صدقه ومنهم من ينتظر في الحياة والممات حكم الله وأمره ولم يزيفوا عن عهدهم ولم يروغوا في مراعاة حدهم وحقيقة الصدق حفظ العهد وترك مجاوزة الحد. ويقال: الصدق استواء الجهر والسر، ويقال: هو الثبات عند عزم الأمر.

﴿لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ [الآية 24] في الدنيا بالتمكين والنصرة وإعلاء الراية وفي الآخرة بجزيل الثواب وجميل المآب والخلود في النعيم المقيم والتقدير على الأمثال بالتكريم والتعظيم ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ [الآية 24] يردهم عن أمرهم على الوجه الذي سبق به العلم وتعلق به الحكم ﴿إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الآية 24] إن شاء بأن يميتهم على كونهم أو يتوب عليهم بستر الحوبة وقبول التوبة.

وقال الأستاذ: إذا لم يجزم بعقوبة المنافق وعلق القول فيه على الرجاء فبالحري أن لا يخيب المؤمن في رحابه بالتسليم تحت القضاء والقدر.

﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الآية 25] يعني الأحزاب ﴿بِغَيْظِهِمْ﴾ [الآية 25] مصحوبين في هذا الباب ﴿لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا﴾ [الآية 25] لم يصيبوا ظفراً ونصراً ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾ [الآية 25] أغناهم عن المحاربة بسبب إرسال الريح وإنزال الملائكة أو كفى الله مداومة القتال فلم يغزُ قريش المسلمين بعد هذا الحال كما ورد الآن نغزوهم ولا يغزونا ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الآية 25] غالباً على مراده فيما يجري على عباده.

وقال الأستاذ: لم يشمت بالمسلمين عدواً ولم يوصل إليهم من كيدهم سوءاً ووضع كيدهم في نحرهم وأجتثهم من أصلهم وبين ذلك جواهر صدقهم وشكر من استوجب شكره من جملتهم وفضح من استحق الذم من المدلسين فيهم.

﴿وَأَنزَلَ﴾ [الآية 26] أي الله ﴿ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم﴾ [الآية 26] عاونوا الأحزاب ﴿مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [الآية 26] يعني بني قريظة نقضوا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إياهم مع أن آباهم نزلوا المدينة قديماً طمعاً في اتباع النبي الأمي المكتوب في التوراة فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فكفرهم عناد وعهذهم فساد ﴿مِن صَيَاصِيهِمۡ﴾ [الآية 26] من حصونهم ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ﴾ [الآية 26] / 39/ ب
الخوف والرهب ﴿فَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ﴾ [الآية 26] أي رجالهم ﴿وَتَأۡسِرُونَ فَرِيقٗا﴾ [الآية 26] أي نساءهم وذراريهم روي أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة الليلة التي انهزم فيها الأحزاب ورجع إلى المدينة وكان على ثناياه بقع الغبار فقال جبريل: أتنزع لأمتك - أي درعك - والملائكة لم يضعوا السلاح إن الله يأمرك بالسير إلى بني قريظة وأنا عائد إليهم فأذّن في الناس أن لا يصلُّوا العصر إلا ببني قريظة فحاصرهم إحدى وعشرون أو خمساً وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم: تنزلوا على حكمي فأبوا فقال: على حكم سعد بن معاذ، فرضوا به فحكم سعد بقتل مقاتليهم وهم بين ثمانمائة إلى التسعمائة وسبي ذراريهم ونسائهم وبقسم أموالهم فكبر النبي صلى الله عليه وسلم وقال: حكمت بحكم الله فوق سبعة أرفعة أو سموات فقتل منهم ستماية أو أكثر وأسر سبعمائة[1].

﴿وَأَوۡرَثَكُمۡ أَرۡضَهُمۡ﴾ [الآية 27] مزارعهم ﴿وَدِيَٰرَهُمۡ﴾ [الآية 27] حصونهم ﴿وَأَمۡوَٰلَهُمۡ﴾ [الآية 27] نقودهم وأثاثهم ومواشيهم. روي أنه عليه السلام جعل عقارهم للمهاجرين فتكلم فيه الأنصار فقال: «إنكم في منازلكم، فقال عمر رضي الله عنه: أما تخمس كما خمست يوم بدر؟ فقال: لا إني جعلت هذه لي طعمة»[2] ﴿وَأَرۡضٗا لَّمۡ تَطَـُٔوهَاۚ﴾ [الآية 27] كفارس والروم أو خيبر أو مكة وكل أرض تفتح إلى يوم القيامة على أن الخطاب لجميع الأمة ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٗا﴾ [الآية 27].

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (3043)، والطبراني في المعجم الكبير (6/ 6) رقم (5323)، والبيهقي في السنن الكبرى (9/ 63) رقم (17796)، وأبو يعلى في المسند (2/ 405) رقم (1188).

(2) أورده الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (3/ 104) رقم (1013).

وأفاد الأستاذ: أنّ الحق سبحانه إذا أجمل أكمل وإذا كفن شفى وإذا وعد وفى فأظهر المسلمين عليهم وأورثهم معاقلهم وأذل متعززهم وكفاهم بكل وجه أمرهم ومكنهم من قتلهم وأسرهم ونهب أموالهم وسبى ذراريهم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾ [الآية 28] متعتها وسعتها ﴿وَزِينَتَهَا﴾ [الآية 28] زخرفها وبهجتها ﴿فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ﴾ [الآية 28] أعطكن المتعة ﴿وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا﴾ [الآية 28] طلاقاً من غير مضرة ولا بدعة.

﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ﴾ [الآية 29] أي المخلصات في النيات ﴿مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [الآية 29] تستحقر دونه الدنيا وزينتها روي أنهن سألته ثياب الزينة وزيادة النفقة فنزلت فبدأ بعائشة فاختارت الله ورسوله / ثم اختارت الباقيات اختيارها كما في الصحيحين وغيرهما 40/ أ وروي أنه لما نصر الله نبيه وفرق عنه الأحزاب وفتح عليه قريظة والنضير ظن أزواجه أنه اختص بنفائس اليهود وذخائرهم فقعدن حوله وقلن: يا رسول الله نساء كسرى وقيصر في الحلي والحلل والإماء ونحن على ما تراه من الفاقة والضيق والعناء فأمره الله أن يتلوا عليهن ما نزل في شأنهن.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه ما أراد أن يكون قلب أحد من المؤمنين والمؤمنات في شغل عنه أو يعود إلى أحد أذى وتعب منه فخير النبي صلى الله عليه وسلم بأمره نساءه ووفق عائشة رضي الله عنها حين أخبرت عن صدق دينها وكمال قلبها ويقينها وبما هو المنتظر في ظنيتها وطويتها من أصلها ونيتها والباقين جرين على منهاجها ونسجنَ على منوالها ومشين في ضوء سراجها.

﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ﴾ [الآية 30] كبيرة ظاهر قبحها، وعن ابن عباس: هي النشوز وسوء الخلق في عشرتها ﴿يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ﴾ [الآية 30] ضعفي عذاب غيرهن أي مثليه وقدره مرتين لأن النشوز معه ليس كالنشوز مع سائر الأزواج ولأن الذنب منهن أقبح من غيرهن فإن زيادة قبحه تتبع زيادة فضله ولذا جعل حد الحر ضعفي حد العبد وعوتب الأنبياء بما لا

يعاتب به غيرهم ثم الشرط لا يقتضي الوقوع كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾ [الزخرف: الآية 81]، وقرأ أبو عمرو يضعف بتشديد العين المفتوحة وابن كثير وابن عامر يضعف بالنون وبناء الفاعل ونصب العذاب ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ [الآية 30] هيناً.

﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ [الآية 31] في بقية عمرها على سائر أمرها ﴿نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾ [الآية 31] مثلي ثواب غيرها أو مرة على الطاعة ومرة على القناعة وقرأ حمزة والكسائي يعمل بالياً أيضاً حملاً على لفظ من ويؤتها على أن فيه ضمير اسم الله ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهَا﴾ [الآية 31] في أعلى عليين من
40/ ب الجنة زيادة على أجرها تكريماً لأمرها ولا يبعد أن يكون ذلك وعداً دنيوياً / بأن يرزقها ﴿رِزْقًا﴾ [الآية 31] لدينا ﴿كَرِيمًا﴾ [الآية 31] من جهة أنه حلال بلا تعب ونصب ومن غير إعواز إلى من يكون .

﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [الآية 32] أي ليس كل واحدة منكن كواحدة من نساء زمانكن لعظمة نسائكن ﴿إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ﴾ [الآية 32] مخالفة أمر الله وحكمه ومعارضة ورضا رسوله وحبيبه ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ﴾ [الآية 32] أي لا تكلمن كلاماً ليناً ومقالاً هيناً ﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [الآية 32] فجور ونفاق ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [الآية 32] عند أرباب وفاق.

﴿وَقَرْنَ﴾ [الآية 33] أمر من وقر تقر وقاراً إذا سكن وقرأ نافع وعاصم بالفتح من قررت بالكسر أقر بالفتح لغة في عكسها المشهور والمعنى اسكن واثبتن ﴿فِى بُيُوتِكُنَّ﴾ [الآية 33] عند عدم الحاجة إلى بروزكن ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ﴾ [الآية 33] أي وعند خروجكن عن سكنكن لضرورتكن لا تتبخترن في مشيكن ﴿تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الآية 33] مثل تبرج النساء اللئيمة في أيام الجاهلية القديمة ﴿وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [الآية 33] أي فرضت عليكن ﴿وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ [الآية 33] في سائر ما أمركن ونهاكن ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ﴾ [الآية 33] الذنب المدنس لعرضكم أو خبائث القلب التي ليست من غرضكم والجملة استئناف متضمن للتقليل في الأمر والنهي ولذا عم الحكم للرجال

والنساء جميعاً من ﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ [الآية 33] على سبيل التغليب فقيل عنكم أهل البيت بالنصب على النداء أو المدح ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ﴾ [الآية 33] عن سائر المعاصي ﴿تَطْهِيرًا﴾ [الآية 33] والأظهر أن المراد بإذهاب الرجس إزالة الأعمال الدنية وبالتطهير تطهير القلب عن الأحوال الرديئة.

ثم اعلم أن في صحيح مسلم أن علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً جاؤوا إليه فأدخلهم النبي صلى الله عليه وسلم في كساء من شعر أسود كان عليه فقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ﴾ [الآية 33] الآية(1).

وفي مسند الإمام أحمد وغيره روايات متنوعات عن أم سلمة: إنه عليه السلام كان في بيتها فجاء علي وفاطمة وابناهما وجلسوا عنده على كساء خيبري فأنزل الله هذه الآية فأخذ فضل الكساء وغطاهم به ثم أخرج / يده 41/ أ
وألوى إلى السماء وقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي فأَذْهِب الرجس عنهم وطهرهم تطهيراً»، قالت: فأدخلت رأسي البيت فقلت: وأنا معكم يا رسول الله! فقال: «إنك إلى خير إنك إلى خير»(2).

والصواب أن أزواجه الطاهرات من أهل بيته كما صرحت به الآية وكذا هؤلاء ومن في معناهم كما أشارت إليه السنة.

﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾ [الآية 34] من الكتاب الجامع بين المواعظ والأحكام والحكم المحكمة وهو تذكير بما أنعم الله عليهن حيث جعلهن أهل بيت النبوة ومهبط الوحي وما يتعلق به من الرسالة ومشاهدة أنواع المعجزة مما يوجب قوة الإيمان والحرص على الطاعة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الآية 34] يعلم ما يصلح لنبوته ومن يصح أن يكون أهل بيته.

وأفاد الأستاذ: أن الرجس الأفعال الخبيثة كالفواحش ما ظهر منها وما

---

(1) أخرجه مسلم في الصحيح (2424/ 61).

(2) أخرجه الحاكم في المستدرك (2/ 451) رقم (3558)، والطبراني في المعجم الكبير (3/ 52) رقم (2662)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/ 351) رقم (3205)، وأبو يعلى في المسند (12/ 451) رقم (7021).

قلّ وما جلّ والأخلاق الدنية الأهواء والبدع وكالبخل والشح وقطع الرحم ويريد بهم الأخلاق الكريمة كالإيثار والجود والسخاء والرحمة وصلة الرحم ويديم لهم العصمة والتوفيق والتشديد والتحقيق ويطهرهم من الذنوب والعيوب ثم قال: واذكرن عظيم المنة وجلال الحالة التي تجري في بيوتكن من نزول وحي الرسالة ومجيء الملائكة وحرمة الرسول صلى الله عليه وسلم والنور الذي تقتبس من الآفاق ونور الشمس الذي يبسط على العالم بالاتفاق فاعرفنَ هذه النعمة وارعين هذه الحرمة.

﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ [الآية 35] الداخلين في السلم المنقادين للحكم ﴿وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [الآية 35] المصدقين بما يجب التصديق ﴿وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ﴾ [الآية 35] المطيعين على وجه التحقيق ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ﴾ [الآية 35] في الأقوال والأفعال والأحوال ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ﴾ [الآية 35] على العبادات وعن المعاصي والسيئات وفي البليات والمصيبات ﴿وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ﴾ [الآية 35] المتواضعين لله بقلوبهم وقوالبهم ﴿وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ﴾ [الآية 35] المحسنين إلى
41/ب إخوانهم بما وجب في أموالهم ﴿وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ﴾ [الآية 35] / بمنع أنفسهم عن الشهوات واللهوات ﴿وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ﴾ [الآية 35] عن المحرمات ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ [الآية 35] لقلوبهم وألسنتهم في أكثر الحالات والأوقات ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً﴾ [الآية 35] لما صدر عنهم من الزلات ﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الآية 35] لما ظهر منهم من الطاعات والآية وعدلهن ولِأمثالهن على الطاعة الشاملة والتذرع بهذه الخصال العشرة الكاملة.

وأفاد الأستاذ: أن الإسلام هو الاستسلام والمبالغة في المجاهدة والمكابدة والإيمان هو التصديق والتحقيق والتوفيق والقنوت طول العبادة والاجتهاد في الزيادة والصدق يكون في عقودهم وعهودهم ورعاية حدودهم والصبر على الخصال الحميدة وعن الصفات الذميمة وعند جريان مناجاة القصة وخشوع أطراف السريرة عند بواده الحقيقة والتصدق بأموالهم وأنفسهم حتى لا يكون لهم مع أحد خصمية لأجلهم فيما نالوا فيهم أو قالوا أنهم والصيام هو الإمساك عما لا يجوز في الشريعة والطريقة والحفظ في الظاهر

عن الحرام وفي الإشارة عن جميع الأنام والذكر بألسنتهم وقلوبهم وفي عموم أوقاتهم فهؤلاء لهم جميل الحسنى وجزيل العقبى.

﴿وَمَا كَانَ﴾ ما صحّ ﴿لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا﴾ [الآية 36] أي حكماً وعيناً قدراً ﴿أَن يَكُونَ﴾ [الآية 36] وقرأ الكوفيون وهشام بالتذكير ﴿لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الآية 36] أن تختاروا رأياً آخر من تلقاء أنفسهم بل يجب على كل أحد أن يجعل في جميع أمره اختياره فيها تبعاً لاختيار الله ورسوله ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الآية 36] فيما بيننا ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الآية 36] والآية نزلت في زينب بنت جحش بنت عمة رسول الله وهي أميمة ابنة عبدالمطلب خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة فأتت هي وأخوها عبدالله فسمعا وأطاعا وأجابا إلى ما دعا.

وأفاد الأستاذ: أن الافتئات عليه بأمره والاعتراض عليه في حكمه وترك الانقياد إلى إشارته قرع باب الشرك فمن لم يمسك عنه سريعاً وقع في وهدته.

42/ أ ﴿وَإِذْ تَقُولُ/ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ [الآية 37] بتوفيقه للإسلام وتوفيقك لعتقه واختصاصها بالإنعام ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ [الآية 37] بما وفقك الله فيه من المحبة والتبنية وسائر الإحسان إليه وهو زيد بن حارثة وكان قد اشتراه في الجاهلية وزوّجه في الإسلام زينب الهاشمية ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ [الآية 37] زينب حين قال: أريد طلاقها وشاورك في فراقها وذلك أنه عليه السلام أبصرها بعدها أنكحها إياه فقال: سبحان مقلب القلوب، وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرت لزيد ففطن ذلك ووقع في نفسه كراهة صحبتها هنالك، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال: أريد أن أفارق صاحبتي فقال: «ما لك أرأيت منها شيء؟» قال: لا والله ما رأيت منها إلا خيراً ولكنها يتعظم عليّ شرفها فقال له: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ [الآية 37]، إقامة للشريعة مع علمه بأن الأمر إلى ماذا يؤول في العاقبة ﴿وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ [الآية 37] في أمرك وقصدك للفراق فإن أبغض الحلال إلى الله الطلاق ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ [الآية 37] أي شيئاً الله مظهره وهو نكاحه إن طلقها أو ميل إلى

طلاقها أو علمه بأن زيداً سيطلقها وهو ينكحها فإن الله قد أعلمه بذلك على ما نقله ابن أبي حاتم والسدي عن علي بن الحسين.

﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ﴾ [الآية 37] وتكره تعبيرهم بأن محمداً مال إلى زوجة مولاه وتزوج زوجة من تبناه ﴿وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ [الآية 37] فلا تظهر بلسانك خلاف ما تحت بجنابك فإن الأنبياء مأمورون بتسوية الظاهر والباطن في الخلاء والملاء أو فلا تأمر بما تعلم يقيناً أنه جرى بخلافه القضاء.

قال ابن عطاء: تخشى الناس أن يهلكوا في شأن زيد وذلك من كمال شفقته على الأمة والله أحق أن تخشاه أن تبتهل إليه ليزيل عنهم ما تخشى فيهم ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا﴾ [الآية 37] حاجة بحيث ملّها ولم يبق له حاجة فيها وطلقها وانقضت عدتها ﴿زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ [الآية 37] من غير حضور ولي ولا شاهد وتعيين مهر لها ولهذا كانت تقول افتخاراً زوجني الله من فوق سبع سموات
42/ ب والسفير جبريل وقيل: كان السفير زيد في خطبتها/ وذلك ابتلاء عظيم في شأنه وشاهد بين على قوة إيمانه ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ﴾ [الآية 37] بالبنوة ﴿إِذَا قَضَوْاْ مِنْهُنَّ وَطَرًاۚ﴾ [الآية 37] أي دخلوا عليهن لئلا يُظن أن حكم الأدعياء حكم الأبناء ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ [الآية 37] قضاؤه الذي أراده ﴿مَفْعُولًا﴾ [الآية 37] كائناً محصلاً على وفق ما قضاه وظاهر الآية أنه لمسها لكن روي عنها إنها قالت: ما كنت امتنع عليه غير أن الله متعني عنه لحكمة أرادها قيل قرئ بهذه الآية عند ذي النون المصري فتأوه تأوهاً ثم قال: ذهب والله زيد بخير الدارين لو فارق الكونين بعد أن ذكره الله من بين أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم باسمه يقول: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ [الآية 37].

﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥۖ﴾ [الآية 38] قسم له وقدر ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُۚ﴾ [الآية 38] من الأنبياء وهي نفي الحرج عنهم فيما أباح لهم ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الآية 38] قضاء مقضياً وحكماً مرضياً.

قال سهل: أي معلوماً له قبل وقوعه عندكم، عندكم وهل يقدر أحد أن يجاوز المقدور منكم.

﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 39] مدح لهم منصوب أو مرفوع ﴿وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الآية 39] لعلمهم بأنه لا يصيب أحد ضرر ولا محذور إلا بتقدير مقدور فيفردونه بالخشية عند كل أمور وفيه تلويح بعد تصريح ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الآية 39] كافياً للمخاوف أو ومحاسباً للذنوب فينبغي ألا يخشى إلا من علام الغيوب.

قال ابن عطاء: هذه خشية السادة وأكابر الأصفياء وأما خشية عوام الخلق فمن جهنم ونحوها من أنواع البلاء.

﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [الآية 40] على حقيقة أمره فلم يثبت بينه وبين من تبناه من حرمة المصاهرة والنكاح ونحوه ما ثبت بين الأب وولده ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 40] إن كان رسول الله وهو أبو الأمة في الشفقة والحرمة ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الآية 40] آخرهم الذي ختمهم أو ختمهم به على قراءة عاصم بفتح تائه ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الآية 40] فيعلم حيث يجعل الرسالة وكيف يليق بأن يختم به النبوة وكيف ينبغي شأنه في الجلالة.

43/ أ وقال الأستاذ: أي نسبه ظاهر فيكم لكن إنما/ يعرف بي بنسبه منكم إذ قل ما يقال له محمد بن عبدالله ولكن أبد الأبد يقال محمد رسول الله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾﴾ [الآية 41] يعم أنواع ما هو أهله من التقديس والتمجيد والتهليل والتحميد وسائر الصفات ويشمل جميع الأوقات والحالات.

﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الآية 42] أي أول النهار وآخره خصوصاً تنزيهاً له من الحدوث تغييراً أو تبديلاً فسبحان من يغير ولا يتغير وقال بعضهم: المراد بالتسبيح الصلاة وبالوقتين الصبح والعصر والعشاءين وفي الحديث: «أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون» رواه الإمام أحمد والطبراني[1].

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (1/ 677) رقم (1839)، وابن حبان في الصحيح (3/ 99) رقم (817)، وأبو يعلى في المسند (2/ 521) رقم (1376)، وأحمد في المسند (3/ 68) رقم (11671).

وورد: «ليس يتحسر أهل الجنة إلا على ساعة مرت ولم يذكروا الله فيها» رواه الطبراني والبيهقي(1).

وفي الخبر: «مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت» رواه الشيخان(2).

وفي «تفسير السلمي» وقّت الله العبادات كلها بالأوقات إلا الذكر فإنه أمر أن يذكر ذكراً كثيراً والذكر الكثير للقلب وهو أن لا يغيب القلب عن المشاهدة ولا يغفل عن الحضرة.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة فيه أحبوا الله لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من أحب شيئاً أكثر من ذكره فيجب أن يقول الله ولا ينسى الله بعد ذكره الله ويقال: اذكروا الله بقلوبكم فإن الذكر الذي يمكن استدامته ذكر القلب فأما ذكر اللسان فإدامته سرمداً كالمتعذر ثم التسبيح من قبيل الذكر ولكنه ذكره بلفظين لئلا يعتريك سآمة من ذكر واحد.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيۡكُمۡ﴾ [الآية 43] بالرحمة ﴿وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾ [الآية 43] بالدعوة للمغفرة والمعني يصلحون أموركم ويظهرون شرفكم ونوركم ﴿لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ﴾ [الآية 43] من ظلمات الكفر والمعصية إلى نور الإيمان والطاعة ﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا﴾ [الآية 43] حين اعتنى بصلاح أمرهم وفلاح قدرهم.

وأفاد الأستاذ: أن الصلاة في الأصل الدعاء فصلاته سبحانه دعاه لنا بالتقريب للقاصي وصلاة الملائكة دعاؤهم لنا بالإحسان للمطيع وبالغفران للعاصي ويقال: الصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة بمعنى الشفاعة ليعصمكم من الضلال إلى روح الوصال ويقال: ليخرجكم من ظلمات التدبير

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (20/ 93) رقم (182)، وفي مسند الشاميين (1/ 258) رقم (446)، والبيهقي في شعب الإيمان (1/ 392) رقم (512).
(2) أخرجه البخاري في الصحيح (6407)، ومسلم في الصحيح (779/ 211).

إلى فضاء شهود التقدير ويقال: ليخرجكم من/ ظلمات نفوسكم إلى أنوار 43/ب
البصائر في قلوبكم ويقال: ليخرجكم من أسباب التفرقة إلى شهود عين الحقيقة والتحقق بأوصاف الجمعة.

﴿تَحِيَّتُهُمْ﴾ [الآية 44] من إضافة المصدر إلى المفعول أي يحيون ﴿يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ﴾ [الآية 44] يوم لقائه عند الموت أو الخروج عن القبر أو دخول الجنة ﴿سَلَٰمٌ﴾ [الآية 44] والمعني يسلِّم الله عليهم وهو متضمن للإخبار عنهم بالسلامة عن كل مكروه وآفة ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ [الآية 44] هو الجنة ونعيمها مقيماً.

قال ابن عطاء: أعظم عطية للمؤمن في الجنة سلام الله من غير الواسطة.

وأفاد الأستاذ: أن اللقاء إذا قرن بالتحية لا يكون إلا بمعنى رؤية البصرية ثم التحية خطاب يفاتح بها الملوك العادية فهذا السلام يدل على علو رتبتهم التي جعلها لهم في منزلتهم فاللقاء حاصل بعينهم والخطاب واصل بسمعهم ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ [الآية 44] أي حسناً فإن الكرم نفي الدناءة والخسة، وفي الإشارة أجر كثير على عمل يسير فإن الكريم لا يستقضي في البيع والشراء وفي الإعداد تعريف بالإحسان السابق في وقت غيبة العباد.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا﴾ [الآية 45] الله بالوحدانية ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ [الآية 45] للمؤمنين بالجنة والقربة ﴿وَنَذِيرًا﴾ [الآية 45] للعاصين بالحرقة والفرقة.

﴿وَدَاعِيًا﴾ [الآية 46] للخلق ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الآية 46] إلى ما يجب الإيمان به من صفاته ومن القيام بوظائف طاعاته ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ [الآية 46] بتوفيقه وتسهيله ﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الآية 46] يستضاء به من ظلمات الجهالة ويستنقذ به من يبدأ الضلالة ويقتبس من نوره أنوار البصائر في كل وقت وحالة.

﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾﴾ [الآية 47] على سائر الأمم ولو كانوا جمعاً كثيراً.

﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ [الآية 48] دم على ما أنت عليه من إقامة الدين

واستقامة اليقين ﴿وَدَعْ أَذَىٰهُمْ﴾ [الآية 48] أي اصبر عليه ولا تغتم لديه ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الآية 48] اعتمد عليه فوض كفاية أمرهم إليه ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الآية 48] موكولاً إليه الأمور في الأحوال كلها فإن من توكل على القوي القدير تيسر عليه كل العسير.

وقال الأستاذ: يا أيها المشرف من قبلنا إنا أرسلناك شاهداً بوحدانيتنا
44/أ ومشاهداً لنا بصمدانيتنا تبشر عبادنا عنا وتحذرهم / مخالفة أمرنا وتعلم مواضع الخوف منا وداعياً للخلق إلينا بنا وسراجاً يستضيئون بك وشمساً ينبسط شعاعك على جميع من صدقك وآمن بك ولا يصل إلينا إلا من تبعك وخدمك وصدقك وقدمك وبشر المؤمنين بفضلنا معهم ونيلهم منا طولنا عليهم وإحساننا إليهم ولا توافق من أعرضنا عنه وأضللناه من أهل الكفر والنفاق وأهل البدع والشقاق وتوكل على الله بدوام الانقطاع إليه وكفى بالله وكيلاً في الاعتماد عليه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [الآية 49] وفي حكمهن الكتابيات ﴿ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ [الآية 49] تجامعوهن وفي قراءة حمزة والكسائي تماسوهن ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ﴾ [الآية 49] مدة أيام يتربصن فيها بأنفسهن ﴿تَعْتَدُّونَهَا﴾ [الآية 49] تستوفون عددها وظاهر الآية يقتضي عدم وجوب العدة لمجرد الخلوة كما هو مذهب الشافعية وهو كذلك عند المشايخ الحنفية بناء على الديانة لا في حكم القضاء عن الخصومة ﴿فَمَتِّعُوهُنَّ﴾ [الآية 49] إن لم يكن المهر مفروضاً لها فإن الواجب للمفروض لها نصف المفروض دون المتعة لأن المتعة سنة للمفروض لها عند الشافعية وأما عند الحنفية فيستحب المتعة كل مطلقة إلا التي طلقها الزوج قبل الدخول بها ولم يسم مهراً لها ﴿وَسَرِّحُوهُنَّ﴾ [الآية 49] اخرجوهن من منازلكم ليس لكم عليهن عدة ﴿سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [الآية 49] من غير ضرر بهن ولا منع حق عنهن.

وقال الأستاذ: إذا آثرتم فراقهن فمتعوهن ليكون لهن عنكم تذكرة في أيام الحرقة إلى أن تتوطن نفوسهن على الفرقة وسرحوهن سراحاً جميلاً لا

تذكروهن بعد الفراق إلا بخير ظهر منهن ولا تستردوا منهن شيئاً تخلفتم به معهن فلا تجمعوا عليهن الفراق بالحال والإضرار من جهة المآل.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ﴾ [الآيـــــــة 50] مهورهن وفيه إشارة إلى أن تعجيل المهر سنة ﴿وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ﴾ [الآية 50] مما غنّمك الله من دار عدوك فقد ملك صلى الله عليه وسلم صفية وجويرية فأعتقهما وتزوجهما/، وأما ريحانة ومارية فمن السراري، وتقييد 44/ ب
إحلال المملوكة بكونها مسبية بيان للأفضلية فإن المشتراة لا يتحقق به أمرها وما جرى عليها إلا في أسرها ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ﴾ [الآية 50] أي لا كالنصارى فإنهم لا يتزوجون امرأة نبيهم وبينها سبعة أجداد ولا كاليهود يتزوج أحدهم ابنة أخيه وأخته ﴿ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ﴾ [الآية 50] إلى المدينة والمعني مشتركان في الهجرة لا في الصحبة فلا تحل له غير المهاجرات كما دل عليه ما في الترمذي[1].

وعن بعض معناه: اللاتي أسلمن، وقيل: قيد الهجرة بيان الأفضلية كما في تقييدها ما قبلها من القريتين السابقتين كان إشارة إلى الأكملية ﴿وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً﴾ [الآية 50] أي أحللناها دون غيرها ﴿إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ [الآية 50] من غير مهر لها ﴿إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا﴾ [الآية 50] يتزوجها ﴿خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ﴾ [الآية 50] قيل: ينعقد في حقه عليه السلام بلفظ الهبة من غير ولي شهود ومهر وقيل: اختصاصه في ترك المهر فقط وهو الأظهر فتدبر في الجملة خص به لشرف نبوته وتقرير لاستحقاق كرامته ورفعته عن مراتب أمته ثم القضية فرضية، فعن ابن عباس ومجاهد ما كانت تحته امرأة وهبت نفسها[2]، وخالفها

---

(1) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح (5/ 355) رقم (3215)، وأحمد في المسند (1/ 318) رقم (2925).

(2) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (11/ 295) رقم (11787)، والبيهقي في مجمع الزوائد (9/ 407) رقم (15383)، والمقدسي في أطراف الغرائب والأفراد (3/ 236) رقم (2526).

كثير من السلف في نقلهما والمشهور أنها زينب بنت خزيمة الأنصاري وماتت في حياة النبي صلى الله عليه وسلم[1].

﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ﴾ [الآية 50] على عموم المؤمنين ﴿فِيٓ أَزْوَٰجِهِمْ﴾ [الآية 50] من شرائط العقد ووجوب القسم وتعيين العدد ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ [الآية 50] من توسيع الأمر في المملوكات ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ [الآية 50] لأرباب الزلات ﴿رَّحِيمًا﴾ [الآية 50] بأصحاب الطاعات.

﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ﴾ [الآية 51] تؤخر من تريد من نسائك وتترك مضاجعتهن بأن لا تقسم بينهن ﴿وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُۖ﴾ [الآية 51] وتضم إليك من تشاء وتضاجعها لديك أو تطلق من تشاء وتمسك من تشاء وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص ترجي بالياء والمهموز والمعتل في هذا المبنى متحد في
45/ أ المعنى ﴿وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ﴾ [الآية 51] أي طلبت وأردت منها الإصابة/ ﴿مِمَّنْ عَزَلْتَ﴾ [الآية 51] من النساء التي عزلتهن عن القسمة ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَۚ﴾ [الآية 51] في شيء من ذلك إذ الأمر إليك ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ﴾ [الآية 51] وأولى ﴿أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّۚ﴾ [الآية 51] تأكيد نون يرضين أي ذلك التفويض إليك من غير وجوب قسم عليك أقرب إلى قرة عيونهن انتفاء حزنهن وبقاءهن لاستواء الحكم في حقهن كلهن ثم أن سويت بينهن وجدن ذلك تفضلاً منك عليهن وإن رجحت بعضهن علمن أنه يحكم الله فيهن فتطمئن نفوسهن ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْۚ﴾ [الآية 51] فاجتهدوا في إحسانهن ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾ [الآية 51] بذات الصدور حليماً لا يعجل بالعقوبة في الأمور واتفقت الروايات على أنه صلى الله عليه وسلم كان يعدل بينهن في القسمة ويقول: اللهم هذا

---

(1) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (7/ 55) رقم (13131)، وهناك روايات تشير إلى ميمونة بنت الحارث. انظر ما أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (23/ 421) رقم (1019)، وابن أبي شيبة في المصنف (3/ 562) رقم (17176).

قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك[1] بعين من المحبة.

وقال الأستاذ: أي وسعنا الأمر عليك في باب نكاحهن بكم شئت منهن فإنك مأمون العيب في التسوية بينهن ومراعاة حقوقهن وترك الحيف عليهن والتوسعة في النكاح تدل على زيادة الفضيلة كالحر والعبد.

﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ﴾ [الآية 52] وقرأ أبو عمر بالتأنيث ﴿مِنۢ بَعۡدُ﴾ [الآية 52] بعد هؤلاء التسع فلا يجوز لك العشر فما فوقها وهو في حقه كالأربع في حق أمته أو من بعد هذا اليوم حتى لو ماتت واحدة لم يحل له نكاح أخرى ويؤيده قوله ﴿وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ﴾ [الآية 52] فتطلق واحدة تنكح بدلها ﴿وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ﴾ [الآية 52] حسن الأزواج المستبدلة، واختلف أن الآية محكمة أو منسوخة بقوله: ﴿تُرۡجِي مَن تَشَآءُ﴾ [الآية 51] فإنه وإن يقدمها قراءة فهو مسبوق بها منزلة فقد روى الإمام أحمد في مسنده والترمذي والنسائي في سننهما عن عائشة رضي الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم ما مات حتى أحل له الله النساء[2]، انتهى.

إلا أنه عليه السلام لم يقع منه بعد ذلك تزوج فوقهن ليكون المنة له عليهن ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ﴾ [الآية 52] استثناء من النساء لأنه يتناول الأزواج والإماء ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا﴾ [الآية 52] فتحفظوا أمركم وخذوا / حذركم. 45/ ب

وقال الأستاذ: لما اخترنه على الدنيا أثبت الله لهن حرمة في ألمهنّ أي كما اخترتك فلا تختر عليهن غيرهن تطييباً لقلوبهن ونوعاً للمعادلة بينه وبينهن وهذا يدل على سعة كرمه سبحانه على عباده.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ﴾ [الآية 53]

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (2/ 204) رقم (2761)، والبيهقي في السنن الكبرى (7/ 298) رقم (14521)، والدارمي في السنن (2/ 193) رقم (2207)، وأبو داود في السنن (2/ 208) رقم (2136).

(2) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح (5/ 356) رقم (3216)، والنسائي في السنن الكبرى (3/ 260) رقم (5311)، وأحمد في المسند (6/ 41) رقم (24183).

أي وقت أن يؤذن أو بأن يؤذن لكم ويدعى بكم ﴿إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾ [الآية 53] حال كونهم غير منتظرين وقت إدراكه ﴿وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُواْ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ﴾ [الآية 53] تفرقوا منه ولا تمكثوا فيه والآية خطاب لقوم كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون ويقعدون منتظرين لإدراكه فالحكم مخصوص بهم وبأمثالهم وإلا لما جاز لأحد أن يدخل بيوته عليه السلام بالإذن لغير الطعام ولا اللبث بعده لبعض المهام ﴿وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾ [الآية 53] أي ولا تمكثوا مستأنسين لحديث بعضكم بعضاً ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ﴾ [الآية 53] اللبث ﴿كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ﴾ [الآية 53] لتضيق المنزل عليه وعلى أهله ولاشتغاله فيما يعينه من حاله ﴿فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ﴾ [الآية 53] من إخراجكم أو من إظهار كراهة مكثكم ﴿وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الآية 53] فيبين لكم طريق الصدق نزلت حين تزوج زينب وأولم فلما طعموا جلس ثلاثة منهم متحدثين فخرج عليه السلام من منزله ثم رجع على قصد دخوله وهم جلوس فرجع وكان عليه السلام شديد الحياء كذا روي في الصحيحين[1].

ولعله راعى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ [الأنعام: الآية 52] لا سيما وهو صلى الله عليه وسلم كان من أهل الكرم.

وأفاد الأستاذ: أن حسن خلقه عليه السلام جسرهم على المباسطة حتى أنزل الله هذه الآية ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ﴾ [الآية 53] إذا طلبتم من أزواجه ﴿مَتَٰعًا﴾ [الآية 53] شيئاً يتنفع به ﴿فَسْـَٔلُوهُنَّ﴾ [الآية 53] المتاع ﴿مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [الآية 53] روي أن عمر رضي الله عنه قال: يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب[2] فنزلت. والصحيح أنها كانت في ذي القعدة من السنة الخامسة ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ [الآية 53] السؤال من وراء حجاب ﴿أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ

---

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (4791)، وأبو عوانة في المستخرج (5/ 72) رقم (3370)، وأبو يعلى في المسند (7/ 21) رقم (3918).

(2) أخرجه البخاري في الصحيح (4790) وابن حبان في الصحيح (5/ 319) رقم (6896)، وأحمد في المسند (1/ 24) رقم (160).

وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الآية 53] من الوساوس الشيطانية والهواجس النفسانية فإن الرؤية سبب التعلق والفتنة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه نقلهم عن مألوف العادة إلى معروف الشريعة / ومفروض العبادة وبين أن البشر بشر وإن كانوا من الصحابة فلا ينبغي لأحد 46/ أ
أن يأمن نفسه في أمر الديانة ولذا تشدد الأمر في الشريعة بأن لا يخلو رجل بامرأة ليس بينهما محرمية ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ﴾ [الآية 53] وما صح لكم ولا يليق بكم ﴿أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 53] أن تفعلوا ما يكرهه بوجه ما ﴿وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا﴾ [الآية 53] من بعد وفاته بالإجماع أو بعد فراقه إلا أنه اختلف في المطلقة بعد دخوله وأما مطلقته قبل الدخول فلا نزاع في حلها ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ﴾ [الآية 53] قصد إيذائه ونكاح نسائه ﴿كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الآية 53] ذنباً جسيماً.

﴿إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا﴾ [الآية 54] كنكاحهن على ألسنتكم وسائر أموركم ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ [الآية 54] في صدوركم ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الآية 54] فيعلم جميع أعمالكم ويجازيكم بحسب أحوالكم.

وأفاد الأستاذ: أن حفظ القلب مع الله ومراعاة الأمر بينه وبين الله على الصحة في دوام الأوقات المرور لا يقوى عليه إلا الخواص من أهل الحضور.

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ﴾ [الآية 55] في أن لا يحتجبن عن هؤلاء في حالاتهن ولم يذكر أعمامهن وأخوالهن لأنها بمنزلة الوالدين لهن ﴿وَلَا نِسَآئِهِنَّ﴾ [الآية 55] لأنهن من جنسهن ﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾ [الآية 55] من إمائهن ﴿وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ﴾ [الآية 55] في السر والعلانية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ [الآية 55] لا يخفى عليه خافية.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ [الآية 56] يعظمونه ويعتنون بإظهار شرفه وإعلاء شأنه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ﴾ [الآية 56] اعتنوا أنتم أيضاً فإنكم أولى به وقولوا اللهم صل على محمد ونحوه ﴿وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [الآية 56]

وقولوا: السلام عليك أيها النبي وشبهه وقيل: وانقادوا لأوامره الآية تدل على وجوب الصلاة والسلام عليه في الجملة وقيل: يجب كما جرى ذكره ويكتفي في مجلس بالمرة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أراد أن يكون للأمة عنده صلى الله عليه وسلم يد خدمة كماله عليهم بالشفاعة يد نعمة فأمرهم بالصلاة عليه ثم كافأهم بما لديه كما أخبر صلى الله عليه وسلم مشيراً إليه من صلى علي مرة صلى الله عليه عشر مرات وفي هذا إشارة إلى أن العبد لا يستغني في وقت من الأوقات/ عن الزيادة إذ لا رتبة فوق رتبة الرسول صلى الله عليه وسلم وقد 46/ب
احتاج إلى زيادة صلوات الأمة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ﴾ [الآية 57] فينسبون إليه ما لا يليق بكبريائه كالولد والشريك وسب الدهر وأمثاله ﴿وَرَسُولَهُۥ﴾ [الآية 57] بالطعن في حقه وفيما يتعلق به أو المراد بإيذائهما مخالفة أمرهما ونهيهما ﴿لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الآية 57] أبعدهم من رحمته الفاخرة ﴿فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [الآية 57] يهين أشباحهم وأرواحهم.

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟﴾ [الآية 58] بغير جناية استحقوا الأذى بها، وقيل: معناه ينسبون إليهم أشياء مما هم برؤاء منها ويؤيده قوله ﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الآية 58] ظاهراً ففي الترمذي وأبي داود قيل: يا رسول الله ما الغيبة؟ فقال: ذكرك أخاك بما يكره قيل: أفرأيت إن كان فيه ما أقول قال: إن كان فيه فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته[1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ [الآية 59] يغطين وجوههن وأبدانهن بملاحفهن إذا برزن لحاجة لهن ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن

(1) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (10/ 247) رقم (20952)، والترمذي في الجامع الصحيح (4/ 329) رقم (1934)، والدارمي في السنن (2/ 387) رقم (2714)، وابن حبان في الصحيح (13/ 72) رقم (5759)، وأبو يعلى في المسند (11/ 378) رقم (6493).

﴿يُعۡرَفۡنَ﴾ [الآية 59] أقرب أن يميزن من الإماء فيعرفن أنهن حرائر من النساء ﴿فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ﴾ [الآية 59] فلا يؤذيهن أهل الريبة بالتعرض لهن ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا﴾ [الآية 96] لما عسى يصدر عنهن من الإخلال في تسترهن ﴿رَّحِيمٗا﴾ [الآية 59] بهن من حيث بين لهن ما يصلح من أمرهن.

قال الأستاذ: وفيه تنبيه على حفظ الحرمة وإثبات الرتبة.

﴿لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ﴾ [الآية 60] عن نفاقهم وشقاقهم ﴿وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ﴾ [الآية 60] ضعف دين وقلة يقين عن فجورهم في أمورهم ﴿وَٱلۡمُرۡجِفُونَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ﴾ [الآية 60] أخبارهم السوء عن سرايا المسلمين ونحوها في أمور الدين عن إرجافهم وإظهار خلافهم ﴿لَنُغۡرِيَنَّكَ بِهِمۡ﴾ [الآية 60] لنأمرك بقتالهم وإجلائهم ﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ﴾ [الآية 60] في المدينة ﴿إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [الآية 60] زماناً أو عدداً أو جوراً قليلاً وثم للتراخي في الإخبار أو للرتبة من جهة الدلالة على أن مفارقة المجاورة لرسول الله صلى الله عليه وسلم من أعظم المصائب وأتم المعايب.

﴿مَّلۡعُونِينَۖ﴾ [الآية 61] نصب على الذم أي مبعوثين عن وصول رحمته مطرودين عن دخول جنته ﴿أَيۡنَمَا ثُقِفُوٓاْ﴾ [الآية 61] وجدوا/ ﴿أُخِذُواْ﴾ [الآية 61] 47/ أ
أسروا ﴿وَقُتِّلُواْ تَقۡتِيلٗا﴾ [الآية 61] قتلاً شنيعاً أو سريعاً.

﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ﴾ [الآية 62] أي سن الله سنته في الأمم الخالية وهي أن يقتل الذين ينافقون الأنبياء الماضية ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا﴾ [الآية 62] لأنه سبحانه لا يغير سنته ولا يقدر أحدٌ أن يبدل عادته.

﴿يَسۡـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ﴾ [الآية 63] عن وقت قيامها استهزاءً أو امتحاناً بها ﴿قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 63] لم يطلع عليها أحد سواه ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ﴾ [الآية 63] أي شيء يعلمك وقتها ﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الآية 63] زمن وقوعها وفيه تهديد للمستهزئين وتشديد للممتحنين.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [الآية 64] أبعدهم عن رحمته ﴿وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا﴾ [الآية 64] ناراً شديدة الإيقاد في حرقة وفرقة.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ﴾ [الآية 65] لا نهاية لها ﴿لَّا يَجِدُونَ وَلِيّٗا﴾ [الآية 65] يتولى نفعهم ﴿وَلَا نَصِيرٗا﴾ [الآية 56] يدفع ضرهم.

﴿يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ﴾ [الآية 66] نصرف من جهة إلى جهة كلحمة تقلى في برمة أو يطرح في النار مقلوبة منكوسة أو تغير من حاله مساءة إلى نحوها وأعظم منها ﴿يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾ [الآية 66] فلن يبتلي هذا العذاب وما يترتب عليه من الحجاب.

﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا﴾ [الآية 67] وقرأ ابن عامر ساداتنا ﴿وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [الآية 67] بما زينوا لنا من الدليل وأخطؤونا السبيل فوقعنا في العذاب الوبيل.

﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ﴾ [الآية 68] من عذابنا لأنهم ضلوا أو أضلوا بنا أو من العذاب الذي عذبتهم فإنهم أحقاء للزيادة ﴿وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا﴾ [الآية 68] في الكمية وقرأ عاصم بالموحدة أي عظيماً في الكيفية.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ﴾ [الآية 69] حين نسبوه إلى البرص كما رواه البخاري مرفوعاً(1)، أو أذره على ما رواه ابن أبي حاتم عن علي موقوفاً ﴿فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ﴾ [الآية 69] فأظهر الله براءة ساحته بأن أطلعهم على حسن حالته(2) ﴿وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا﴾ [الآية 69] ذا وجاهة بينها، وقرىء: وكان عبد الله وجيهاً.

وأفاد الأستاذ: أن الجاه النافع ما كان عند الله إذ يقول الناس لا عبرة ولا خطرة له لا سيما العوام فإنهم يقبلون بلا شيء سالب ويردون بلا شيء موجب.

---

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (4799) ومسلم في الصحيح (4/ 1841) (339/ 156)، والحاكم في المستدرك (2/ 457) رقم (3579)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/ 359) رقم (3221)، والنسائي في السنن الكبرى (6/ 427) رقم (11424).

(2) انظر تفسير ابن أبي حاتم (12/ 6) وما أخرجه الحاكم في المستدرك (2/ 457) رقم (3579)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/ 359) رقم (3221).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [الآية 70] في ارتكاب ما يكرهه/ فضلاً 47/ ب
عن ما يؤذي الله ورسوله ﴿وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا﴾ [الآية 70] صالحاً لقبوله وصواباً في مأموله.

﴿يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾ [الآية 71] يوفقكم للأعمال الصالحة أو يصلحها، للقبول والإثابة ﴿وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ﴾ [الآية 71] ويجعلها مكفرة لما سبق من أحوالكم ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الآية 71] في أوامرهما وزواجرهما ﴿فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الآية 71] يعيش في الدنيا حميداً وفي العقبى حميداً.

قال سهل: من وفقه الله لصالح الأعمال فذلك دليل على أنه مغفور له ذنوبه في آخر الأحوال.

وقال الأستاذ: ويقال سداد أقوالكم سداد أعمالكم ولقد هون عليك الأمر من رضي منك بحاله وقال حاله ترك الشرك وقال كلمة الشهادة بالصدق يصلح لكم أعمالكم الدنيوية من الخلل ويغفر لكم في الآخرة الزلل هذا حصول سعادة الدارين وذكر الأعمال بالجمع وقدمها على الغفران لأنه ما يصلح لك في حالك ولم يكفك ما أهمك من أشغالك لم تتفرغ إلى حديث آخرتك ومالك.

﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ﴾ [الآية 72] تكاليف الثقال ﴿عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ﴾ [الآية 72] بأن قلن لهن هل تحملن الأمانة؟ وما يتعلق بها قلن: وأي شيء فيها، قلنا: إن أحسنتن أثبناكن وإن أسأتن عاقباكن قلن: لا طاقة لنا بالعقاب ولا حاجة لنا إلى الثواب ﴿فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا﴾ [الآية 72] فامتنعن عن قبولها ﴿وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا﴾ [الآية 72] خفن من ثقل حملها ﴿وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ﴾ [الآية 72] أي آدم لما عرضنا عليه وفوضنا الأمر إليه ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا﴾ [الآية 72] لنفسه يتحمل ما يشق عليها من الأمانة ﴿جَهُولٗا﴾ [الآية 72] بوخامة عاقبة الخيانة كذا فسره جماعة وعن كثير من السلف ما كان بين قبوله الأمانة وبين ما صدر منه الخطيئة والجناية إلا قدر ما بين العصر إلى الليل.

وقال قوم هذا من باب المجاز أي إذا قايسنا ثقل الأمانة بقوة السمٰوات

ونحوها رأيناها إنها لا تطيق ثقلها ولو تكلمت لأبت حملها ولذا قيل: معنى ﴿عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ﴾ [الآية 72] عارضناها وقابلناها بها ﴿فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا﴾ [الآية 72] فقصرن ونفضن عنها ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ [الآية 72] أي قبلها لكمال قابليته واستعداد جامعيته، وتظير هذا ما في لسان العرب وكلامها قولهم قال الجدار للوتد: لم
48/ أ تشقني/ قال: سل من يدقني وقيل: أراد بالأمانة الطاعة وسماها أمانة من حيث إنها واجبة الأداء ولازمة الوفاء والمعنى إنها لعظمة شأنها ورفعته برهانها لو عرضناها على هذه الأجرام العظام وكانت ذات شعور وإدراك وإفهام لأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان مع ضعف بنيته ورخاوة قوته لا جرم فإذا الداعي لها القائم بحقوقها لخير الدارين من فضل ربها في توفيق أمرها أنه أي الإنسان باعتبار أغلب أفراده المتصفة بخيانة العصيان ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا﴾ [الآية 72] حيث لم يف بها ولم يراع حقها ﴿جَهُولًا﴾ [الآية 72] بكنه عاقبتها وشدة وخامتها وقال بعضهم: أداء أمانة الخلق من أداء أمانة الحق.

وأفاد الأستاذ: أن خيانة الأمانة على مراتب فالكفار خانوا في أصل الأمانة وهي المعرفة ومن دونهم خانوا في المعصية على مقادير مختلفة وكل احتقب من وزره بقدره ويقال: أبين أن يحملنها إباء إشفاق لا إباء استكبار وشقاق، واستعفين فعفا عنهن وأعفاهن وحملها الإنسان قبلها ثم ما راعوها حق رعايتها كلٌّ بقدر حالتها في خيانتها ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الآية 72] بصعوبة حمل الأمانة في الحال والعقوبة التي عليها في المآل وقوم قالوا عرض الأمانة على السمٰوات والأرض وعرض على الإنسان فهم كانوا أهل العرض فاستعفوا وهؤلاء كانوا أهل الفرض فيقول راعوا واستقصوا ويقال: هذه الأمانات هي الواجبات أصولها وفروعها ويقال: التوحيد عقد أو حفظ العهود جهداً ويقال: أي السمٰوات والأرض الأمانة فأبوا حملها ورأى الإنسان من يعرض فحملها ويقال: حملها الإنسان بربه لا بنفسه ويقال: لما حمل الأمانة وأولاده قال تعالى: وحملناهم لما حملوا ما حملوا ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمٰن: الآية 60]. ويقال: كاشف الله السمٰوات والأرض بوصف الربوبية والعظمة واشفقوا وكاشف آدم وذريته بوصف اللطف فقبلوا وحملوا وفي حال بقاء: العبد بالله

بحمل السماوات والأرضين على شعرة من جفنه.

﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ/ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ 48/ ب
وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [الآية 73] تعليل للحمل من حيث أنه كان تنجيه واللام للعاقبة وذكر التوبة في الوعد مشيراً بكونه ظلوماً جهولاً من جبلتهم لا خيانتهم عن تقصير أن تصدر عن زلتهم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الآية 73] حيث تاب على فرطاتهم وأثاب على طاعاتهم بالفوز في جناتهم على حسب درجاتهم.

سورة سبأ

[مكيّة]

وهي أربع وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله كلمة سلابة قلابة نهابة وهابة تسلب القلوب ولكن لا كل قلب وتقلب الألباب لكن لا كل لب وتنهب الأرواح ولكن من الأحباب وتهب الارتياح ولكن لقوم مخصوصين من الطلاب.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 1] خلقة ونعمة فله الحمد في الدنيا لكمال قدرته وعلى تمام نعمته ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [الآية 1] لما فيها من مراتب جنته ومشاهد رؤيته ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الآية 1] في الأمور ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ [الآية 1] بما في سطور الصدور.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه افتتح السورة بذكر الثناء على نفسه بإخباره عن جلاله واستحقاقه لتفوق عزه وجماله فهو في الأزل حامد لنفسه محمود واجد موجود لا يزال معبوداً وبالطلبات مقصود الذي له ملك السمٰوات والأرض والملك لا يكون بالشركة فلا ملك إلا لله وحده وإن أجري هذا الاسم على مخلوق لا يضره فالزنجي لا يتغير عن لونه وإن سمي كافراً في وصفه وله الحمد في الآخرة من الذين اعتقهم وفي النعمة غرقهم ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الآية 1] بتخليد قوم إلى الجنة وتأبيد قوم في النار الخبير بأحوال الأبرار والفجار.

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 2] يدخل فيها كالكنوز والبذور والأموات ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ [الآية 2] كالحيوانات والنباتات ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الآية 2]

كالملائكة والأمطار ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ [الآية 2] كأعمال الأولياء وأرواح الأصفياء ﴿وَهُوَ الرَّحِيمُ﴾ [الآية 2] للمحسنين من المطيعين ﴿الْغَفُورُ﴾ [الآية 2] للمذنبين من المؤمنين الرحيم لمن آب إليه الغفور لمن تاب عليه.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ﴾ [الآية 3] إنكار لمجيء القيامة ﴿قُلْ بَلَىٰ﴾ [الآية 3] يأتيكم على وجه البغتة ﴿وَرَبِّي﴾ [الآية 3] وأقسم به ﴿لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾
[الآية 3] الساعة التي لا تنفع فيها / إلا الطاعة ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ﴾ [الآية 3] صفة ربي 49/ أ
أو بدل وقرأ حمزة والكسائي علام الغيب للمبالغة لأن الساعة من أدخل المغيبات في الحقيقة وقرأ نافع وابن عامر: عالم الغيب بالرفع على أنه خبر محذوف أو مبتدأ خبره ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾ [الآية 3] لا يغيب مقدار أصغر نملة ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 3] وقرأ الكسائي لا يعزب بكسر الزاي ﴿وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [الآية 3] أي مسطور في اللوح المحفوظ المظهر بعض ما في علمه سبحانه ورفعهما بالابتداء.

﴿لِّيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [الآية 4] متعلق بقوله لتأتينكم وبيان لما يقتضي إتيانها بوصف عظيم ﴿أُولَٰئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الآية 4] هو الجنة من غير التعب والمنة.

﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا﴾ [الآية 5] بإبطال مبانيها وإفساد معانيها وتزهيد الناس فيها ﴿مُعَاجِزِينَ﴾ [الآية 5] حال كونهم معوّقين على زعمهم يحسبون أنهم يسبقوننا ويفوقوننا وقرأ ابن كثير وأبو عمرو معجزين بالتشديد وهو بمعنى معاجزين أو مثبطين عن الإيمان ومعوقين ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ﴾ [الآية 5] من سيء العذاب ﴿أَلِيمٌ﴾ [الآية 5] مؤلم في مقام الحجاب ورفعه ابن كثير وحفص على أنه نعت العذاب.

وقال الأستاذ: المحسنون يجازيهم بالخيرات متصلة والكافرون يكافيهم بالعقوبات غير منفصلة.

﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [الآية 6] ويعلم أولو العلم من الأصحاب ومن تبعهم من الأمة في هذا الباب أو من مسلمي أهل الكتاب ﴿الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن

رَبِّكَ﴾ [الآية 6] أي القرآن المنعوت بالفرقان ﴿هُوَ ٱلْحَقَّ﴾ [الآية 6] ثاني مفعول يرى وهو ضمير فصل ﴿وَيَهْدِيٓ﴾ [الآية 6] أي القرآن أو الله به ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [الآية 6] الذي هو التوحيد الشامل للأعمال الحميدة والأحوال السعيدة.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الآية 7] بالبعث وأنكروا ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ﴾ [الآية 7] يعنون محمداً صلى الله عليه وسلم يحدثكم بحال عجيب وأمر غريب ﴿يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ [الآية 7] إذا متم وفرقتم كل تفريق حتى صرتم كالتراب ﴿إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [الآية 7] للحساب والعذاب.

﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الآية 8] من أعجب العجاب ﴿أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾ [الآية 8] جنون فلا يفرق بين الصواب والخطأ ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ﴾ [الآية 8] أي الشديد ﴿وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ﴾ [الآية 8] عن الرجوع إلى طريق الحميد.

49/ ب ﴿أَفَلَمْ/ يَرَوْاْ﴾ [الآية 9] ألم يتفكروا أفلم ينظروا ﴿إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 9] محيطة بهم من جميع جوانبهم ﴿إِن نَّشَأْ﴾ [الآية 9] عذابهم في الدنيا قبل وصولهم للعقبى ﴿نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الآية 9] لتكذيبهم بالآيات بعد ظهور البينات وقرأ حمزة والكسائي يشاء ويخسف ويسقط بالياء وحفص كسفاً بالتحريك ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً﴾ [الآية 9] لدلالة ﴿لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ [الآية 9] راجع إلى ربه متأمل في أمره.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا﴾ [الآية 10] على سائر الناس بالنبوة والكتاب والمعجزة والملك الوسيع والصوت البديع أو على سائر الأنبياء بما خصه من الأنبياء بقوله ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ﴾ [الآية 10] رجعي مع التسبيح والمعنى سبحي معه إذا سبح ﴿وَٱلطَّيْرَ﴾ [الآية 10] عطف على محل الجبال ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ [الآية 10] جعلناه كالشمع له يصرفه كيف شاء بيده من غير إحماء نار وضرب مطرقة في صنعه أن أعمل أمرناه.

﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ﴾ [الآية 11] دروعاً واسعات ﴿وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾ [الآية 11] في نسجها بحيث تناسب حلقها أو قدر سائرها فلا تجعلها دقاقاً فتعلق ولا غلاظاً فتحرق ﴿وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا﴾ [الآية 11] الخطاب لداوود وآله الكريم أوله على وجه

التعظيم ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الآية 11] فأجازيكم على النقير[1] والقطمير[2].

وقال الأستاذ: في القصة أنه قال في مناجاته: إلهي إني رأيت في التوراة ما أعطيت أنبياءك وأصفياءك من الرتب الجلية فأعطنيها فقال: إني بليتهم فصبروا فقال: فإني اصبر على بلائك فاعطني ما أعطيتهم من عطائك فأبلاه فوفق بالصبر على ما قضاه فأعطاه ما أعطاهم قال: وتكلموا في الفضل فقال: هو رجوعه إلى الله في حال ما وقع من الاعتذار أو الانتباه ويقال: هو شهوده موضع ضره وإنه لا يصلح أمره غيره ويقال: طيب صوته للزبور عند قراءته كان يرغب من يستمع إليه في متابعته ويقال: هو حلاوة قراءته حتى في حال مناجاته ويقال: حسن خلقه مع أمته وقد أمر الله الجبال والطير بمجاوبته حين خرج إلى الصحراء ينوح على نفسه وحالته وقيل: أوحى الله إليه يا داوود كانت تلك الزلة عليك/ مباركة فقال: يا رب وكيف الزلة تكون مباركة 50/ أ
فقال: كنت تجيء قبله كما يجيء المطيعون فالآن تجيء كما يجيء المذنبون وفيما أوحى إليه يا داوود أنين المذنبين أحب إلي من صراخ العابدين وقد خيل له إلا لأنه معجزة ولأمره وتوسعة لرزقه ليعمل ذلك صنعته ويقطع طبعه عن أمته في ارتفاقه بهم وانتفاعه ليبارك لهم في اتباعه.

﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ﴾ [الآية 12] أي وسخرنا له الريح وقرأ أبو بكر بالرفع أي ولسليمان الريح مسخرة ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ [الآية 12] مسيرها بالغدوة إلى انتصاف الشهر مسافة الشهر وبالعشي كذلك هذا القدر.

وقال الأستاذ: وفي القصة أنه لاحظ يوماً ملكه في حال انبساطه فمال الريح ببساطه فقال سليمان: للريح استوي فقالت الريح: استويت ما دمت مستوياً بقلبك كنت مستوية بحملك فملتَ فملتُ ﴿وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾ [الآية 12] النحاس المذاب اسال له من معدنه فنبع فيه نبوع الماء من منبعه وكان ذلك باليمن ﴿وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [الآية 12] جملة من مبتدأ وخبره

(1) النكتة التي في ظهر النواة. انظر لسان العرب (5/ 227).
(2) القشرة الدقيقة التي على النواة بين النواة والتمر. انظر لسان العرب (5/ 108).

﴿بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ [الآية 12] بأمره ﴿وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ﴾ [الآية 12] بعدك ﴿عَنْ أَمْرِنَا﴾ [الآية 12] عن ما أمرناهُ من طاعة سليمان ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الآية 12] في الآخرة أو في الدنيا بأن يدركه صاعقة فتحرقه.

﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ﴾ [الآية 13] قصور لطيفة ومساكن شريفة سميت بها لأنها يذب عنها ويحارب عليها وقيل: أريد بها المساجد والمعابد ﴿وَتَمَٰثِيلَ﴾ [الآية 13] وصور الملائكة والأنبياء على دأب الناس وعادتهم ليروها فيعبدوا بحق عبادتهم وحرمة التصاوير شرع محدد وقع في زمن التأخير ولا يبعد أن يراد بها تماثيل غير الحيوانات فإنها من جملة المباحات ﴿وَجِفَانٍ﴾ [الآية 13] جمع جفنة وهي القصعة والصحفة ﴿كَٱلْجَوَابِ﴾ [الآية 13] جمع جابية من الجباية وهي الجمع أي كالحياض الكبار ففي بعض الأخبار كان يأكل من جفنة واحدة ألف رجل ﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ﴾ [الآية 13] كجبال ثابتات لا تنزل عنها لعظمها أو لدوام الاحتياج إليها أو لأن أثافيها منها ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾ [الآية 13] أي
50/ب ويقال لهم: ببيان القال أو بلسان الحال / اعملوا صالح الأعمال لشكر نِعَم الملك المتعال ولما كان الشكر بالجنان واللسان والأركان قال: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟﴾ تنبيهاً على التزام الأنواع في جميع الأحيان ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [الآية 13] البالغ البازل وسعه بالشكر في أكثر أوقاته ومع ذلك لا يوفي حق نعمه من حالاته لأن توفيقه للشكر نعمة أخرى تستدعي الشكر بالأحرى وهلم جرى ولذا قيل حقيقة الشكر هو العجز عن أداء الشكر.

وأفاد الأستاذ: أن الشكور هو الذي يشكر على المحنة فوق ما يشكره العامة على النعمة فالناس يشكرونه على الرخاء والشكور يشكره في البلاء ويقال: قليل من عبادي من يأخذ النعمة عني فلم يحملها على الأسباب فيشكر الوسائط ولا يشكرني.

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ﴾ [الآية 14] أي حكمنا على سليمان عليه السلام بالفناء بعد كماله في البقاء ﴿مَا دَلَّهُمْ﴾ [الآية 14] أي الجن ﴿عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ﴾ [الآية 14] وقت موته ﴿إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 14] أي الأرضة أضيفت إلى فعلها ﴿تَأْكُلُ

﴿مِنسَأَتَهُۥ﴾ [الآية 14] عصاته وقرأ نافع وأبو عمرو بألف بدلاً من الهمزة وابن ذكوان بهمزة ساكنة ﴿فَلَمَّا خَرَّ﴾ [الآية 14] سقط سليمان حال كونه متكئاً على عصاه ﴿تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ﴾ [الآية 14] علمت الجن بعد التباس الأمر عليهم ﴿أَن لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ﴾ [الآية 14] بزعمهم ﴿مَا لَبِثُواْ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ [الآية 14] لم يمكثوا في العمل الشاق المهين لهم روي إن كان من عادته أن يعتكف في مسجد بيت المقدس سنة وسنتين وأقل وأكثر فلما علم قرب أجله قال: اللهم غم موتي على الجن حتى يعلم الأنس أن الجن لا يعلمون الغيب ثم دخل المحراب واتكأ على عصاه وقبضه ملك الموت والجن يرونه قائماً ويحسبونه حياً وهم في أعمالهم الشاقة فلما أكلت الأرضة عصاه خر سليمان فعلمت الجن أنه قد مات قبل ذلك بمدة طويلة نحواً من سنة فشكرت الجن الأرضة فهم يأتونها بالماء والطين في أي موضع هي فيه كذا رواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس وغيره(1).

وأفاد الأستاذ: أن الملك الذي يقوم بغيره ويكون استمساكه بعصا في يده فإذا سقط سقط بسقوطه فإن من قام بغيره زال بزواله سبحان من لا زوال لكماله / في صفات جلاله ونعوت جماله وكان عمر سليمان ثلاثاً وخمسين سنة 51/ أ
وملك وهو ابن ثلاث عشر سنة فتكون مدة ملكه أربعين سنة.

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾ [الآية 15] لأولاد سبأ بن يخشب بن يعرب بن قحطان ومنع الصرف عنه البزي وأبو عمرو لأنه صار اسم القبيلة وسكن حمزة وقنبل وعامله في الوصل معاملته في الفصل ﴿فِى مَسْكَنِهِمْ﴾ [الآية 15] في مواضع سكناتهم وهي باليمن فقال لها: مأرب بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث وقرأ حمزة وحفص بالإفراد والفتح أي موضع سكناتهم أو مسكن كل واحد منهم وقرأ الكسائي بكسر الكاف وهو مما شذّ في القياس كالمسجد ﴿ءَايَةٌ﴾ [الآية 15] علامة دالة على وجود الصانع المختار وإنه قادر على ما يشاء من الأمور العجيبة والأحوال الغريبة ومجاز للمحسن على الإحسان وللمسيء على الإساءة

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (2/ 459) رقم (3584)، والطبراني في المعجم الكبير (11/ 451) رقم (12281).

﴿جَنَّتَانِ﴾ [الآية 15] بدل من آية تقديره هي أي تلك الآية جنتان والمراد جماعتان من البساتين ﴿عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍۖ﴾ [الآية 15] جماعة عن يمين بلدهم وجماعة عن شماله وكل واحدة منهما في تقاربهما كأنها جنة واحدة أو بستاناً لكل رجل منهم عن يمين مسكنه وعن شماله ﴿كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥۚ﴾ [الآية 15] أي يقال لهم: هذا المقال ببيان الحال أو بلسان المقال هذه ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ [الآية 15] لمن شكر ﴿وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ [الآية 15] لمن قصر جملة مستأنفة مبنية للدلالة على موجب الشكر في تلك الحالة قيل: كانت أخصب البلاد في الرخاء وأطيبها على العباد في الهواء لم تكن فيها ذبابة ولا هامة.

﴿فَأَعْرَضُوا۟﴾ [الآية 16] عن شكر النعماء وكذبوا الأنبياء فعن وهب أرسل الله إليهم ثلاثة عشر نبياً وقال السدي أثنى عشر ألف نبي والله سبحانه أعلم ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ﴾ [الآية 16] سبيل الأمر الصعب روي أنه كان قدام قريتهم سد عظيم يجتمع خلفه الماء فيعملون على قدر حاجتهم فلما كذبوا الرسل سلط الله عليهم الجرذ فنقبه وغرقهم ذلك الماء كما قاله ابن عباس وقتادة والضحاك وغيرهم[1].

﴿وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ﴾ [الآية 16] ثمر بشع وقيل: كل
51/ب شجر ذي شوك أو كل نبت مر فهو خمط / وفسره بالأراك جماعة من مشاهير السلف كابن عباس والحسن وقتادة وغيرهم[2]. فالتقدير أكل أكل خمط فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه في كونه بدلاً أو عطف بيان له وقرأ أبو عمرو وذواتي أكل بغير تنوين وقرأ الحرميان بتخفيف أكل ﴿وَأَثْلٍ﴾ [الآية 16] عطف على أكل له لا على خمط فإن الأثل هو الطرف أو شجر يشبهه ولا ثمر له ﴿وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ [الآية 16] ووصفه بالقلة فإن جناه وهو النبق[3] مما يطيب أكله فهو أجود أشجارها وأحسن أثمارها أو قليل نفعه أو عديم ثمره.

(1) انظر نظم الدر للبقاعي (6/ 486) وتفسير البحر المحيط (9/ 196).
(2) أخرجه البخاري ص: 890، وانظر تفسير الطبري (20/ 382)، وتفسير ابن كثير (6/ 508).
(3) انظر لسان العرب (10/ 350).

﴿ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ﴾ [الآية 17] بكفرانهم النعمة أو بكفرهم بالتوحيد والنبوة ﴿وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ﴾ [الآية 17] لا يعاقب بمثل ما فعلنا بهم إلا المبالغ في الكفران أو الكفر وقرأ حمزة والكسائي وحفص نجازي بالنون والكفور بالنصب.

قال الأستاذ: كانوا في رغد من العيش وسلامة من الحال ورفاهية في لمال فأمروا بالصبر على العافية والشكر على النعمة فأعرضوا عن الوفاق وكفروا النعمة وضيعوا الشكر فبدلوا وبدل بهم الحال كما قال: تبدلت وتبدلنا وأخسرنا من ابتغى عوضاً سلى فلم يجد كذلك من الناس من يكون في رغد من الحال واتصال من التوفيق في الأعمال وطيبة من القلب ومساعدة من الوقت في حضور مع الرب فيرتكب زلة أو يتبع شهوة ولا يعرف قدر ما هو به من النعمة فتتغير عليه الحال فلا وقت ولا حال ولا طرب ولا وصال يظلم عليه النهار وكانت لياليه مضيئة بلا أقمار لكن ما عوملوا الإيماء استوجبوا، ولا سقوا إلا مما أنيطوا وما وقعوا إلا في الوهدة التي حفروا وما قتلوا إلا بالسيف الذي طبعوا.

﴿وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ ٱلۡقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا﴾ [الآية 18] بالتوسعة على أهلها وهي قرى الشام ﴿قُرٗى ظَٰهِرَةٗ﴾ [الآية 18] متواصلة تظهر بعضها لبعض ﴿وَقَدَّرۡنَا فِيهَا ٱلسَّيۡرَۖ﴾ [الآية 18] بحيث يقيل العادي في قرية ويبيت الرايح في قرية ﴿سِيرُواْ فِيهَا﴾ [الآية 18] يقال: بلسان الحال ﴿لَيَالِيَ وَأَيَّامًا﴾ [الآية 18] متى شئتم من ليل أو نهار ﴿ءَامِنِينَ﴾ [الآية 18] لا يختلف إلا من فيها باختلاف / الأوقات وتفاوت 52/ أ
الحالات.

﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدۡ﴾ [الآية 19] وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بعدّ ﴿بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا﴾ [الآية 19] بطروا النعمة وملوا العافية كبني إسرائيل في تيه البادية فسألوا الله أن يجعل بينهم وبين الشام مفاوز من الصحراء ليطاولوا فيها على الفقراء بركوب الدواب وتزود الأزواد في الجراب ولعل كان مرادهم أيضاً أن لا يتمكن غيرهم من تلك السفرة فأجابهم الله بتخريب القرى المتوسطة ﴿وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ [الآية 19]

حيث أشروا النعمة التامة وكرهوا المنة العامة ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ﴾ [الآية 19] لمن بعدهم يتحدث الناس بهم تعجباً وضرب مثل فيقولون تفرقوا أيدي سبأ ﴿وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ [الآية 19] أي وفرقتهم في الأرض غاية التفريق حتى لحق غسان منهم بالشام وأنمار بيثرب وجذام بتهامة والأزد بعمان وبعض إلى العراق وهكذا إلى سائر الآفاق ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [الآية 19] وهو المؤمن فإنه إذا أعطي شكروا إذا ابتلي صبر.

﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾ [الآية 20] أي في ظنه وشدده الكوفيون بمعنى حقق ظنه فيهم وضمير عليهم لبني آدم عامة وقيل لأهل سبأ خاصة وظنه إنما هو لما ركب فيهم الشهوات أو لانهماكهم في الغفلات واللهوات ﴿فَاتَّبَعُوهُ﴾ [الآية 20] أجمعين ﴿إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 20] الكاملين المخلصين من العلماء العاملين.

وقال الأستاذ: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾ [الآية 20] وإن كان إبليس لا يملك بنفسه أمره.

﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم﴾ [الآية 21] على متبعيه منهم ﴿مِّن سُلْطَٰنٍ﴾ [الآية 21] تسلط واستيلاء بوسوسة ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ﴾ [الآية 21] تردد وريبة، والمعنى لنعلم علماً وقوعياً يتعلق به الخبر أفإن كان معلوماً غيبياً في عالم القضاء أو لتميز من يؤمن ممن قدر هدايته ويشك ممن قدّر ضلالته ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ [الآية 21] محافظ للأعمال ومراقب للأحوال.

وأفاد الأستاذ: أن إبليس مسلط على أتباعه من الإنس والجن وليس به من الإضلال شيء ولو أمكنه أن يضل غيره أمكنه أن يمسك على الهداية نفسه.

قل للمشركين: ﴿ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم﴾ [الآية 22] أي زعمتموها آلهة ﴿مِّن دُونِ/ اللَّهِ﴾ [الآية 22] من الملائكة والأصنام فيما يهمكم من جلب منفعة أو دفع 52/ب
مضرة ليظهر لكم أنوار الألوهية وآثار الربوبية فتقربوا بوظائف العبودية ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ [الآية 22] لأنفسهم باختيارهم ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [الآية 22] من خير أو شر لهم

ولغيرهم ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الآية 22] أي في العلويات والسفليات والجملة استئناف ببيان حالهم وضعف مالهم ﴿وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ﴾ [الآية 22] شركة مالاً خلقاً ولا ملكاً ﴿وَمَا لَهُۥ﴾ [الآية 22] أي الله سبحانه ﴿مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ﴾ [الآية 22] نصير ولا وزير ومشير فيما يتعلق بهما من تقدير ونذير.

﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [الآية 23] أي يشفع أو أذن أن يشفع له لعلو شأنه وظهور برهانه فليس للآلهة شفاعة كما زعم ممن عبدهم جماعة وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي على البناء للمفعول ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ﴾ [الآية 23] غاية لما هم من سابق الكلام من أن تم توقف وانتظار الإذن بعض الأنام فيما قدر من المرام فالمعنى يتربصون بأجمعهم فزعين في كربهم حتى إذا كشف الفزع عن قلوبهم بكلمة تكلم بها ربّ العزة في حقهم ﴿قَالُواْ﴾ [الآية 23] أي بعضهم لبعض على وجه السؤال ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ﴾ [الآية 23] في هذا الحال ﴿قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ﴾ [الآية 23] أي قالوا: القول الحق وهو الإذن بالشفاعة لمن ارتضى من أهل الإيمان والرضى بالقضاء وقرأ ابن عامر فزع على البناء للفاعل ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ﴾ [الآية 23] الرفيع شأنه ﴿ٱلۡكَبِيرُ﴾ [الآية 23] سلطانه وبرهانه.

قال الأستاذ: أخبر سبحانه أنه بربوبيته متفرد في الإلهية متوحد وإنهم لا يملكون مثقال ذرة ولا مقياس حبة وإن الملائكة بوصف الهيبة فزعون وفي الموقف الذي أثبتهم الحق واقفون لا يفترون عن عبادته ولا يستحسرون ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ [الآية 24] من أهلها أو من جهتها ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ﴾ [الآية 24] أن لا جواب سواه ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [الآية 24] أي وإن أحد الفريقين من الموحدين للمتوحد بالخلق والرزق والقدرة الذاتية السبحانية بالعبادة ومن المشركين به للجماد النازل في أو في المراتب الإمكانية لمرتفع في مقام لهداية ومتشرف / على مرتبة العناية أو مطمس 53/ أ
في مطمورة الضلالة ومنغمس في مقمورة الجهالة وهذا من باب إرخاء العنان مع الخصم في ميدان البيان والحاصل أنه كما لا خالق إلا الله فلا رازق سواه فلا

تعبدوا إلا إياه ولا تطعموا إلا من نعمائه.

﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الآية 25] فيما علمنا وفيه غاية من الانصاف معهم حيث أسند الإجرام إلى أنفسهم والعمل إلى مخاطبتهم.

قال الأستاذ: يحاسب الله كلاً على أعماله ويطالب كلاً بشأنه في أحواله لا يؤاخذ أحد بأعمال غيره ولا أقواله بل كل يعطى كتابه ويطلب الله من كل حسابه.

﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا﴾ [الآية 26] يوم القيامة ﴿ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية 26] يحكم ويفصل بأن يُدخل المحق دار المثوبة والمبطل نار العقوبة ﴿وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ﴾ [الآية 26] الحاكم بالعدل ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ [الآية 26] بأهل الفضل.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أجرى سنته بأنه يجمع بين عباده ثم يعاملهم في حال اجتماعهم بغير ما يعاملهم في حال افتراقهم وللاجتماع أثر كبير في الشريعة وللصلاة بالجماعة أثر مخصوص في الفضيلة وعاتب الله الذين يتفرقون عن الرسول في ميدان البيان ومدح من لا يتفرق عنه إلا بالاستئذان والشيوخ ينظرون في الاجتماع من زوائد النعمة وفوائد المنة ويستوحون عنده الآية قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح.

﴿قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ﴾ [الآية 27] أخبروني هل لهم استحقاق بالشركة في الألوهية والربوبية ليترتب عليه استحقاق العبودية وهو استفسار عن شبهتهم بعد إلزام حجتهم زيادة في تبكيتهم ﴿كَلَّا﴾ [الآية 27] ردع عن المشاركة بعد إبطاله المقايسة ﴿بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الآية 27] الموصوف بالغلبة وجلال القدرة وكمال الحكمة.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [الآية 28] أي إلا رسالة عامة لهم ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [الآية 28] لمطيعهم ومحرمهم ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 28] حقيقة حقيقتك فيحملهم جهلهم على مخالفتك.

قال الأستاذ: وهو مؤيد بالمعجزات مشرق في جميع الصفات سيد من في الأرضين والسمٰوات ظاهر لأهل الإيمان مستور عن بصائر أهل الكفران وإن كان ظاهراً لهم من حيث العيان قال تعالى: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: الآية 198].

﴿وَيَقُولُونَ﴾ [الآية 29] من حدة جهلاتهم وشدة ضلالتهم ﴿مَتَىٰ/ هَٰذَا 53/ ب
ٱلْوَعْدُ﴾ [الآية 29] المبشر به والمنذر عنه في أمر الدين ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الآية 29] يعنون النبي والمؤمنين الموافقين.

وأفاد الأستاذ: أنهم لكثرة ما صدر هذا القول منهم كرر الله في كتابه هذا خبراً عنهم وجاوبهم.

﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ﴾ [الآية 30] وعد يوم فيه تلقون ما تلاقون ﴿لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الآية 30].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [الآية 31] ولا بما تقدمه من الكتب السابقة عليه ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الآية 31] أي في موضع المحاسبة أو في مطرح المعاقبة ﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ﴾ [الآية 31] أي يردون المكالمة في مقام المخاطبة والمعاينة ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟﴾ [الآية 31] من الأتباع ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ [الآية 31] من المتبوعين ﴿لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 31] لولا صدكم إيانا عن إيماننا لكنا مصدقين نبينا.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ﴾ [الآية 32] أي منعناكم ﴿عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ﴾ [الآية 32] في أنفسكم بمتابعة الهوى ومخالفة الهوى.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ [الآية 33] إثباتاً لكونهم أسباباً في الضلالة وأبواباً في سلوك طرق الجهالة ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [الآية 33] أي بل مكركم لنا دائماً ليلاً ونهاراً حتى غيرتم علينا رأينا ﴿إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا﴾ [الآية 33] أضداداً مما سواه ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ﴾

[الآية 33] أي أضمر الفريقان من أهل الإضلال والضلالة ما ظهر لهم من الندامة في حالة مشاهدة العقوبة مخافة التعبير والملامة ﴿وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ۚ﴾ [الآية 33] وفق ما لهم من وبال الأثقال ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الآية 33] أي ما يجزون إلا بأعمالهم على حسب أحوالهم.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ﴾ [الآية 34] أي نبي مرسل إليها ﴿إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ﴾ [الآية 34] أي منعموها ﴿إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ [الآية 34] وإنه لا بعث ولا كتاب ولا حساب ولا عقاب وفيه تسلية له صلى الله عليه وسلم مما ابتلي به من قومه وتخصيص المتنعمين بتكذيب المرسلين لأنه الداعي المعظم إلى التكبر على الأصفياء والمفاخرة بزخارف الدنيا وما يتعلق بها والاستهانة بمن لم يحظ / منها. 54/أ

وقال الأستاذ: أي قابلوا رسلهم بالتكذيب فيما قالوا لهم وإن رسلنا صبروا وماذا على هؤلاء الكفار لو آمنوا ففي نجاتهم أرسلوا ولصلاحهم ما دعوا وبلغوا ولو وافقهم لسعدوا ولكن أقساماً سبقت لكم وأحكاماً حقت والله غالب على أمره.

﴿وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا﴾ [الآية 35] في الدنيا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [الآية 35] في العقبى إما لأن العذاب لا يكون هنالك أو لأنه أكرمنا فلا يهيننا كذلك.

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الآية 36] لا لكراهة ولا لإهانة بل لمجرد مشيئته ومحض حكمه ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 36] فيظنون أن كثرة الأموال والأولاد للكرامة وإن قلتهما بسبب الإهانة وقد قال تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: الآية 55] أي بالعقبى.

وأفاد الأستاذ: إن هذا الأمر ليس بكثرة الأموال والأولاد ولا بسعة الجاه فيما بين أهل الميلاد وإنما هي بصائر مفتوحة لقوم وأخرى معدودة لقوم والله رؤوف بالعباد.

﴿وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي﴾ [الآية 37] بالخصلة التي ﴿تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ﴾ [الآية 37] قربة ﴿إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا﴾ [الآية 37] أي لكن من آمن مخلصاً وعمل صالحاً ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ﴾ [الآية 37] من الطاعات ﴿وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [الآية 37] من المكاره والآفات فلا تقرب إلا بتحسين الأحوال وتزيين الأعمال لا بكثرة الأولاد والأموال فإنها لا تريد إلا الأهوال وقرأ حمزة في الغرفة على إرادة الجنس.

وقال الأستاذ: لا تستحق الزلفى عند الله بالأعمال الخالصة والأحوال الصافية والأنفاس الزاكية بل بالعناية السابقة بالهداية اللاحقة والرعاية الصادقة.

﴿وَٱلَّذِينَ يَسۡعَوۡنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾ [الآية 38] بردّها والطعن فيها ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾ [الآية 38] ظانين أنهم يفوتوننا أو يغلبوننا ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ﴾ [الآية 38] كما أردنا.

وقال الأستاذ: هم الذين لا يحترمون الأولياء في الجهر ولا يراعون حق الله في السر فهم في عذاب الاعتراض على أولياء الله وعذاب الوقوع بشؤم ذلك في ارتكاب محارم الله ثم في عذاب السقوط من عين الله.

54/ ب ﴿قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ/ لَهُۥ﴾ [الآية 39] يوسع عليه تارة ويضيق عليه أخرى لحكمة رآها فهذا في شخص واحد باعتبار وقتين وما سبق في شخصين أو هذا في المؤمنين وذاك في الكافرين فلا تكرير مع احتمال تقرير ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥ﴾ [الآية 39] عوضاً عاجلاً أو بدلاً آجلاً ﴿وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [الآية 39] فإن غيره وسيط في إيصال رزقه ولا حقيقة لرازقيه غيره من خلقه.

وأفاد الأستاذ: أن من الخلق في الدنيا الرضا بالعدم والفقد وهو أتم من السرور بالوجود ومن ذلك الأنس بالله في الخلق ولا يكون ذلك إلا مع التجريد.

﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ﴾ [الآية 40] وقرأ حفص بالياء فيهما ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ﴾ [الآية 40] المشركون ﴿إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ﴾ [الآية 40] تقريباً للكفرة

وتبكيتاً لحالتهم إقناطاً عما كانوا يتوقعون من شفاعتهم وتخصيص الملائكة لأنهم أشرف شركائهم والصالحون للخطاب منهم.

﴿قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ﴾ [الآية 41] أي لا موالاة بيننا وبينهم بينوا بذلك براءتهم عن الرضا بعبادتهم ثم أضربوا عن ذلك ونفوا أنهم عبدوهم على الحقيقة فيما هنالك بقولهم ﴿بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّۖ﴾ [الآية 41] أي الشياطين حيث أطاعوهم في عبادة غير الله ﴿أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [الآية 41] أكثر الإنس بالجن مصدقون ومطيعون وموافقون.

قال الأستاذ: وفي بعض الأخبار أن غداً من يسأله الحق في مقام العدل يقع عليهم من الخجل بما يقولون عذبنا بارينا بما شئت من أنواع العقوبة ولا تعذبنا بهذا السؤال والملامة.

﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ [الآية 42] إذ الأمر فيه كله لله لأن الدار دار جزاء ولا مجازي سواه. أفاد الأستاذ: أن الإشارة من هذا أن من علق قلبه في الأغيار وظن صلاح حاله من الاختيال والاستعانة بالأمثال والأشكال والاستعانة بالأمثال والأشكال نزع الله الرحمة من قلوبهم ويتركهم وتشويش أحوالهم فلا لهم من الأشكال والأمثال معونة ولا لهم من عقولهم في أمورهم استبصار ولا إلى الله رجوع واستغفار فإن رجعوا لا يرحمهم ولا يجيبهم في تلك الدار كما أخبر عنه بقوله ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [الآية 42] أي وبال الأعمال التي بها استوجبتم هذه العقوبة في المال.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُواْ مَا هَٰذَآ﴾ [الآية 43] يعنون محمداً صلى الله عليه وسلم قالوا ما هذا؟ ﴿إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ﴾ [الآية 43]
55/أ / فيتبعكم بما كان يستبدعه لكم ﴿وَقَالُواْ مَا هَٰذَآ﴾ [الآية 43] يعنون القرآن ﴿إِلَّآ إِفْكٌ﴾ [الآية 43] كذب ﴿مُّفْتَرًى﴾ [الآية 43] مختلق على الله ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ﴾ [الآية 43] لأمر النبوة وشواهدها من ظهور المعجزة ﴿لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الآية 43] ظاهر السحر به.

وأفاد الأستاذ: أن الأولياء الذين هم الأئمة في ظاهر الطريقة إذا

نصحوا بعض الأمة ودعوهم إلى سبيل الهداية قال إخوانهم: من إخوان السوء وضعفاء اليقين وربما كان من قبل المتنصحين من أهل الغفلة في الدين والأقارب من أرباب الدنيا من ذا الذي يطيق هذا الطريق وإنك لا تتم هذا التحقيق ولا بدّ من الدنيا ما دمت تعيش فيها وأمثال ذلك حتى يميل المسكين عن قبول النصح في الدين وربما كان له هذا من خواطره الدنية فيهلك ويضل بالحالة الرديئة.

﴿وَمَآ ءَاتَيْنَـٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا﴾ [الآية 44] ويوجد فيها ما يدل على صحة ما يعبدونها ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ﴾ [الآية 44] يدعوهم إلى عبادة غير الله ويندرهم على تركها في دنياه أو عقباه فمن أين وقع لهم هذه الشبهة أو حصل هذه الريبة وهذا غاية لتجهيل عقولهم ونهاية لتسفيه رأيهم في نقولهم ثم هددهم.

فقال: ﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الآية 45] رسلهم كما كذب هؤلاء نبيهم ﴿وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَـٰهُمْ﴾ [الآية 45] وما بلغ جميع الآخرين عشر ما أعطينا بعض الأولين من القوة وطول المنة وكثرة المال والسعه ﴿فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [الآية 45] أي إنكاري عليهم بالتدبير.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ﴾ [الآية 46] أرسلكم بخصلة واحدة هي ﴿أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ﴾ [الآية 46] خالصاً لوجهه معرضاً عما سواه ﴿مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ﴾ [الآية 46] متفرقين اثنين اثنين أو مجتمعين واحداً واحداً فإن الازدحام يشوش الخاطر في المهام ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟﴾ [الآية 46] في أمر محمد عليه السلام وما جاء به من الأحكام فتعلموا ﴿مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾ [الآية 46] ليس فيه جنون بل به علوم وفنون ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [الآية 46] قدام القيامة ففي الحديث بعثت في نسم الساعة.

﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ﴾ [الآية 47] أي أيَّ شيء سألتكم من أجر على تبليغ الرسالة ﴿فَهُوَ﴾ [الآية 47] خير ﴿لَكُمْ﴾ [الآية 47] ولا طمع/ فيكم ﴿إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا 55/ ب
عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [الآية 47] مطلع يعلم صدق نيتي وخلوص طويتي.

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية 48] يرمي به الباطل فيدفعه ﴿عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾

[الآية 48] أي هو علام الغيوب وستار العيوب ومقلب القلوب.

قال الأستاذ: ويقذف بالحق على باطل أهل الغفلة فتزول حيلهم ويظهر عجزهم ويقذف بالحق على أفعال أهل الغفلة فيضمحل اجترارهم ويحيق بهم شؤم معاصيهم ويقذف بالحق إذا حضر أصحاب المعاني على ظلمات أصحاب الدعاوى فيخمد تأثيرهم ويفتضحون في أمرهم ويتضح عوازهم.

﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾ [الآية 49] أي الإسلام ﴿وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [الآية 49] أي عبادة الأصنام والمعنى لم يبق للباطل نشأة أبداً ولا إعادة إنشاء فالباطل على ممر الأيام لا يزيد إلا زهوقاً واضمحلالاً وانمحاءاً والحق لا يزيد على ممر الأوقات إلا قوة وظهوراً واستيلاءً واستعلاء.

﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ﴾ [الآية 50] عن الحق في طريق ﴿فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى﴾ [الآية 50] فإن وبال ضلالي عليها وسبب وبالي راجع إليها ﴿وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ﴾ [الآية 50] إلى الحق في سبيل قلبي ﴿فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ﴾ [الآية 50] فإن الاهتداء بهدايته وتوفيقه ورعايته ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ﴾ [الآية 50] لمن دعاه ﴿قَرِيبٌ﴾ [الآية 50] لمن رجاه.

وقال الأستاذ: إن كنت مهتدياً فبربي لا بجهدي وإن كنت عندكم من أهل الضلال فوبال ضلالي علي لا يضركم فانظروا أنتم لأنفسكم أين وقفتم وأي ضرر عليكم في طاعتكم لي لا في المال تحسرون ولا في أنفسكم تتعبون ولا في جاهكم تنقصون وما أعرفكم من نقص أصنامكم فبالضرورة تعلمون فما لكم لا تبصرون ولأنفسكم لا تنظرون.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ [الآية 51] أي الكفار ﴿إِذْ فَزِعُوا۟﴾ [الآية 51] يوم بدر أو عند الموت أو البعث لرأيت أمراً فظيعاً وحالاً شنيعاً ﴿فَلَا فَوْتَ﴾ [الآية 51] فلا يفوتون الله بهرب أو بتحصن وحرب ﴿وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [الآية 51] أي على وجه عجيب وفي زمان غريب والمعنى أنه إذا أخذهم بعد الإمهال فليس هناك إلا الاستئصال.

﴿وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ [الآية 52] آمنا بالله أو برسوله ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ﴾

[الآية 52] وقرأ أبو عمرو والكوفيون غير حفص بالهمز أي ومن أين لهم أن يتناولوا الإيمان تناولاً سهلاً ﴿مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٍ﴾ [الآية 52] فإن التناول إنما هو في زمان التكليف وقد فات منهم وبعد عنهم.

56/ أ ﴿وَقَدْ كَفَرُواْ بِهِۦ﴾ [الآية 53] أي / بالله أو محمد وإنذاره ﴿مِن قَبْلُ﴾ [الآية 53] أي قبل ذلك حين كانوا مكلفين بما هنالك ﴿وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [الآية 53] ويرجمون بالظن في الرسول من طعنه أو في العذاب من القطع على نفيه ﴿مِّن مَّكَانِۭ بَعِيدٍ﴾ [الآية 53] من جانب بعيد من أمره وهو الشبه التي تمحلوها وفي أنفسهم تخيلوها.

وقال الأستاذ: إذا تابوا وقد أغلقت الأبواب وندموا وقد تقطعت بهم الأسباب فليس إلا الحسرات ثم لات حين الندامات كذلك من استهان بتفاصيل فترته ولا يستفيق من محاليل غفلته يتجاوز عنه مرة ويعفي عنه كرة فإذا استمكن القسوة وتجاوز سوء الأدب حد القلة وزاد على مقدار الكثرة فيحصل من الحق لهم رد جواب ويستقبلهم حجاب فبعد ذلك لا يسمع لهم دعاء ولا يرجى لهم نداء كما قيل:

فخل سبيل العين بعدك للبكاء   فليس لأيام الصفاء رجوع

﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [الآية 54] من نفع الإيمان والنجاة من النار أو من اللذات النفسانية والشهوات الدنيوية أو من مياه الجنة ونعيمها الأخروية ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ﴾ [الآية 54] بأشباههم من كفرة الأمم الماضية ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ فِى شَكٍّ مُّرِيبِۭ﴾ [الآية 54] موقع في الريبة الظلمانية.

وأفاد الأستاذ: إن التوبة يشتهونها في آخر الأمر وقد فات الوقت والخصم يريد إرضاءه فيستحي أن يذكر في ذلك الوقت إنباءه وينسد لسانه ويضيق جنانه فلا يمكنه أن يفصح بما في قلبه ويود أن لو كان بينه وبين ما أسلفه أمد بعيد ويتمنى أن يطيع فلا تساعده القوة ويتمنى أن يكون له قبل خروجه من الدنيا نفس ثم لا تنفق في تلك الحالة، فنسأل الله العافية وحسن العاقبة.

سورة فاطر

[مكيّة]
وهي خمس وأربعون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله كلمة سماعها يوجب روحاً لمن كان يشاهد الإيقان وذكرها يوجب لوحاً لمن كان يوصف البيان فالروح من وجود الإحسان واللوح من شهود السلطان(1) وكل مصيب ولكل من الحق سبحانه نصيب.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 1] مبدعهما ومبديهما ومخترعهما ومنشئهما.

56/ب قال جنيد: الحمد لله الذي جعل/ ما أنعم على عباده من أنواع نعمه في بلاده دليلاً هادياً إلى معرفته على وفق مراده فقال فاطر السماوات والأرض ليستدل بهما على أن من فطرهما هو فاطر من فيهما فيستغني بفطرته الأشياء أجمع عن الرجوع إلى غيره في سبب من الأسباب ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ [الآية 1] وسائط بين الله وبين أنبيائه والصالحين من عباده وإمائه يبلغون إليهم رسالاته بالوحي والإلهام والرؤيا الصادقة في المنام ﴿أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٍ﴾ [الآية 1] متعددة متفاوتة مختلفة بتفاوت ما لهم من المرتبة ﴿مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [الآية 1] ينزلون بها ويعرجون بسببها ويسرعون بقوتها التي خلقها الله فيها ﴿يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾ [الآية 1] استئناف للدلالة على أن تفاوتهم في ذلك بمقتضى مشيئة ومؤدي حكمته

---

(1) في المخطوطة غير واضحة، ولعلها الظان.

الآية متناولة لزيادة الأجنحة لبعض الملائكة فإنه أنه عليه السلام رأى جبريل ليلة المعراج وله ستمائة جناح وكذا لزيادة والصور والمباني وفضيلة المعاني كملاحة الوجه وحسن الصوت وسماحة النفس وخصافة العقل.

قال ابن عطاء: حسن المعرفة بالله وحسن الإقبال عليه وحسن المشاهدة وحسن المراقبة لديه وكذا الأستاذ الخلق الحسن ويقال: الكياسة في التجارة ويقال: الفصاحة في المحاورة ويقال: الجود والسخاء ويقال: الرضا بالتقدير والقضاء ويقال: علو الهمة ويقال: التواضع في الأغنياء ويقال: العفة في الفقراء ويقال: سلامة الصدور عن ظهور الشرور ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [الآية 1].

أفاد الأستاذ: أنه سبحانه تعرف إلى العباد بأفعاله وندبهم إلى الاعتبار بها فمنها ما يعملون ذلك معاينة كالسمٰوات والأرضين وغيرهما ومنها ما سبيل إيماننا به الخبر والنقل لا تعلمه بالضرورة ولا بدليل العقل فالملائكة منهم ولا يتحقق كيفية صورتهم وأجنحتهم وإنهم كيف يطيرون بأجنحتهم الثلاث والأربع لكن على الجملة نعلم كمال قدرته وصدق حكمته.

﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ﴾ [الآية 2] ما يرسل لهم ﴿مِن رَّحۡمَةٖ﴾ [الآية 2] كنعمة وأمن وصحة وعلم ونبوة ﴿فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ﴾ [الآية 2] لحبسها ﴿وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ﴾ [الآية 2] يطلقه ﴿مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ [الآية 2] بعد إمساكه ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ [الآية 2] الغالب على مراده ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ [الآية 2] فيما يفعل بعباده.

57/أ قال أبو / عثمان: ما يفتح الله لقلوب أوليائه من القرب والأنس لو اجتمع الخلائق كلهم أن يمسكوه عن ذلك لعجزوا عنه ومن أغلق الله قلبه عن الإنابة إليه والتقرب لديه فلو اجتمع الخلق أن يفتحوا ما هنالك لما قدروا على ذلك.

وقال الأستاذ: ما بيح لقلوب العارفين من أنوار التحقيق وأسرار التدقيق لا سحاب يستره ولا ضباب يقهره.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ [الآية 3] احفظوها بمعرفة حقها والقيام بطاعة منعمها ﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [الآية 3] أي من

جهتهما أو بسببهما والمعنى أنه كما لا خالق لهما إلا هو لا رازق لهما إلا هو ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾ [الآية 3] فمن أي وجه يصرفون عن توحيده إلى إشراك غيره به ورفع غير للحمل على محل من خالق بأنه وصف وجره حمزة والكسائي حملاً على لفظه.

قال ابن عطاء: من علم أنه لا رازق للعباد غيره ويتعلق قلبه بالأسباب دونه فهو من المبعدين.

وقال القاسم: يرزقكم من السماء الهداية ومن الأرض أسباب الغذاء والحفظ والبقاء.

وأفاد الأستاذ: أن من ذكر نعمته فصاحب عبادة ونائل زيادة ومن ذكر المنعم فصاحب إرادة ونائل زيادة ولكن فرق بين زيادة وزيادة هذا زيادة في الدارين عطاؤه وهذه زيادة في الكونين لقاؤه اليوم سراً بسر من حيث المشاهدة وغداً جهراً لجهر من حيث المعاينة والنعمة على قسمين ما دفع من المحن وما صنع من المنن فذكره لما دفع عنه يوجب دوام العصمة وذكره لما نفعه به يوجب تمام النعمة وفي قوله تعالى: ﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم﴾ [الآية 3] إيماء إلى أنه إذا عرف أنه لا رازق غيره لم يعلق قلبه بأحد في طلب شيء منه وكما لا يرى رزقه من مخلوق لا يراه أيضاً من نفسه فيتخلص من ظلمات تدبيره واحتياله وتوسم شيء من أمثاله وأشكاله ويستريح بشهود تقديره ويخلص في توكله وتفويض أمره.

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ [الآية 4] أي بعض قومك ﴿فَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَۚ﴾ [الآية 4] فصبروا على ما كذبوا فتأسّ بهم في الصبر على تكذيبهم ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾ [الآية 4] فيجازيك على الصبر كما يجازيهم على الكفر.

وأفاد الأستاذ: أن في هذه / الآية إشارة إلى أصحاب الحقيقة مع الأجانب من هذه الطريقة فإن أرباب الحقائق أبدأ منهم في مقاساة الأذية لا بستر أحوالهم الجلية والعوام أقرب إلى قبول الحق من القراء المتقشفين والعلماء الذين هم لهذه الأصول من المنكرين. 57/ ب

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ﴾ [الآية 5] وأخباره بالثواب والعقاب صدق ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا﴾ [الآية 5] فيذهلكم التمتع بزخارفها الفانية عن طلب الآخرة الباقية والسعي لمراتبها الغالية العالية ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾ [الآية 5] الشيطان الذي هو منبع الشرور بأن يمنيكم المغفرة مع الإصرار على المعصية أو بأن يوسوس لكم بأن لا حساب ولا عتاب في الآخرة.

وأفاد الأستاذ: إن وعده سبحانه بالقيامة حق ووعده لمن أطاعه في الدنيا بكفاية الأمور وحصول السلامة حق ووعد للمطيعين في الآخرة بوجود الكرامة حق وللعاصين في الآخرة بالندامة حق فإذا علم العبد بذلك فاستعد للموت ولم يهتم للرزق فإنه لا فوت ولم يتهم الرب في كفاية الشغل ونشط في استكثار الطاعة في العمل ثقة بالوعد ولم يلم بالمخالفات خوفاً من الوعيد.

﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ﴾ [الآية 6] عداوة قديمة لآباءكم ﴿فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ﴾ [الآية 6] في عقائدكم وأفعالكم وكونوا على حذر منه في مجامع أحوالكم ﴿إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ﴾ [الآية 6] متابعيه ومشايعيه ﴿لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الآية 6] والجملة استئنافية مبينة لعداوته ومقررة لعرضه في دعوة شيعته إلى اتباع الهوى والركون إلى الدنيا والإعراض عن العقبى والغفلة عن المولى فإن من نسي ذكر ربه فهو من حزبه بل قرينه من كمال قربه كما قال تعالى: ﴿ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [المجادلة: الآية 19]، وقال عز وعلا: ﴿وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ﴾ [الزخرف: الآية 36].

وقال سهل: حزبه أهل البدعة والأهواء الفاسدة والآراء الكاسدة.

وأفاد الأستاذ: أن عداوة الشيطان بدوام مخالفته فإن من الناس من يعاديه بقلبه وقوله ولكن يوافقه بفعله ولا يقوي /على عداوته إلا بالالتجاء إلى 58/أ الرب وإعاذته وتلك الاستعانة صدق الاستغاثة والشيطان لا يفتر في عداواتك فلا تغفل أنت عن مولاك لحظة في طاعتك فيغلبك عدوك فإنه أبداً متمكن لك

ثم حزبه المعرضون عن الله المشغولون بغير الله الغافلون عن الله ومفهوم هذا الخطاب أن الشيطان عدوكم فأبغضوه واتخذوه عدواً وأنا وليكم وحبيبكم فأحبوني وارضوا بي حبيباً ووليا.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ﴾ [الآية 7] في جميع الحالات ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ﴾ [الآية 7] على ما صدر عنهم من الزلات ﴿وَأَجۡرٞ كَبِيرٌ﴾ [الآية 7] على ما تحملوا من المشقات في الطاعات ففي الآية وعيد لحزب الشيطان ووعد لحزب الرحمٰن.

وقال الأستاذ: لهم عذاب معجل وعذاب مؤجل فمعجله تفرقة قلوبهم وانسداد بصائرهم ودناءة همتهم حتى رضوا بأن يكون الأصنام آلهتهم وعذاب الآخرة لا يخفي على مسلم صعوبة عقوبتهم وأما ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ﴾ [الآية 7] ستر لذنوبهم اليوم ولولا ذلك لافتضحوا بين القوم وغداً كذلك ولولا ذلك لهلكوا هنالك ﴿وَأَجۡرٞ كَبِيرٌ﴾ [الآية 7] والأجر الكبير اليوم سهولة العبادة ودوام المعرفة وما يناله في قلبه من زوائد اليقين وخصائص الأحوال وفي الآخرة لتحقيق السؤل ونيل: ما فوق المأمول.

﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ [الآية 8] بأن غلب وهمه على عقله ﴿فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ﴾ [الآية 8] بانتكاس رأيه حيث رأى الباطل حق وعكسه كمن كان أمره على خلافه بأن عرف الحق من الأحوال والحسن من الأعمال بتوفيق الملك المتعال ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ﴾ [الآية 8].

وأفاد الأستاذ: أن الكافر يتوهم أن عمله حسناً كما أخبر سبحانه عنهم بقوله وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ثم الراغب في الدنيا بجمع حلالها وحرامها ويحوش حطامها لا يتفكر في زوالها ولا في ارتحاله عنها قبل كمالها فلقد زين له سوء عمله والذي يتبع الشهوات يبيع مؤبد راحته في الجنة بمتابعة شهوة ساعة في النعمة فلقد زين له سوء عمله والذي يؤثر على ربه شيئاً من المخلوقات فهو من جملتهم والذي يتوهم أنه إذا وجد نجاته من / 58/ب
العقوبة ودرجاته في الجنة فقد اكتفى فقد زين له سوء عمله حيث تغافل عن

حلاوة مناجاته والذي هو في صحبة حظوظه دون إيثار الله وحقوقه فهو ممن زين له سوء عمله ﴿فَلَا تَذْهَبْ﴾ [الآية 8] فلا تهلك ﴿نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾ [الآية 8] للحسرات على جهالتهم وللندامات على ضلالتهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [الآية 8] فيجازيهم على قبائح أعمالهم ومساوىء أحوالهم.

﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ﴾ [الآية 9] قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي الريح ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ [الآية 9] تهيجه وتفرقه ﴿فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ [الآية 9] يحتاجه ﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ﴾ [الآية 9] بالمطر النازل منه ﴿ٱلْأَرْضَ﴾ [الآية 9] بإنباتها ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الآية 9] يبسها وذهاب نبتها ﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ [الآية 9] أي مثل إحياء الموات في صحة المقدور نشور الأموات من القبور.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أجرى سنّته بأنه يظهر فضله في إحياء الأرض بتدريج في صنعه أو لا يرسل الرياح ثم يأتي بالسحاب ثم يوجه ذلك السحاب إلى الموضع الذي يريد تخصيصاً له كيف يشاء ويمطر هنالك كيف يشاء كذلك إذا أراد إحياء قلب عبد بماءٍ يسقيه وينزل عليه من أمطار عنايته فيرسل أولاً رياح الرجاء ويزعج به كوامن الإرادة ثم ينشأ فيه سحاب الاهتياج ولوعة الانزعاج ثم يأتي مطر الجود فينبت في القلب أزهار البسط وأنوار الروح يطيب لصاحبه العيش إلى أن تتم لطائف الإنس.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ﴾ [الآية 10] الرفعة والمنعة ﴿فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [الآية 10] أي فليطلبها من عنده فإن كلها له ويجعلها لمن شاء من عبيده.

وقال الأستاذ: أي من كان يريد أن يعرف لمن العزة فليعلم إنها لله جميعاً ويقال: من كان يريد العزة لنفسه فليطلبها من ربه ثم إن عزة الربوبية لله وصفاً وغير الرسول والمؤمنين فضلاً من الله ولطفاً فإن عزته قدرته وغلبته في إرادته ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [الآية 10] بيان لما يطلب به العزة في الدنيا والآخرة وهو التوحيد والأعمال الصالحة وصعودهما مجازاً عن قبولهما أو صعود الكتبة بصفحهما والمستكن فيه يرفعه للكلم فإن العمل لا يقبل إلا / التوحيد أو للعمل فإنه يحقق الإيمان ويقويه أو لله تعالى رخص العمل عبده 59/ أ

الصفة لما فيه من الكلفة وقيل: الكلم الطيب يتناول الذكر والدعاء وقراءة القرآن وأنواع الثناء والكلم من الكلمة بمنزلة الثمر من الثمرة يفرق بين الجنسي وواحدة بالتاء واللفظ مفرد إلا أنه كثيراً يسمى جمعاً نظراً إلى المعنى الجنس ثم الكلم غلب على الكثير بحيث لا يستعمل في الواحد البتة حتى يوهم بعضهم أنها جمع كلمة وليس على حد تمر وتمرة هذا أو فسر في الحديث بأنه سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر فإذا قالها العبد عرج بها الملك إلى السماء فحيى بها وجه الرحمٰن فإذا لم يكن عمل صالح لم يقبل وكان الحديث مقتبس من قوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: الآية 27]، ﴿وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الآية 10] المكرات السيئات ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [الآية 10] جزاء لتلك الحركات والسكنات ﴿وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ [الآية 10] يفسد ولا ينفد لأن الأمور مقدرة لا تتغير بمكر المكرة.

قال الأستاذ: تقلب عليهم مكرهم فما يتوهمون من خير لهم قلبة محنة عليهم ويقال: تخليته إياهم ومكرهم مع قدرته على عصمتهم وهو لا يعصمهم هو عذابهم الشديد، قبل يوم الوعيد.

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ [الآية 11] بخلق آدم عليه السلام منه ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ [الآية 11] يخلق ذريته منها ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ [الآية 11] أصنافاً ذكراناً وإناثاً أو أنواعاً بيضاً وسوداً وعرباً وعجماً ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ [الآية 11] إلا معلومة له ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ﴾ [الآية 11] وما يمد في عمر من مصيره إلى الكبر ﴿وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ﴾ [الآية 11] من عمر المعمر لغيره بأن يعطي له عمراً نقص من عمره وقيل: الزيادة والنقصان في عمر واحد باعتبار أسباب مختلفة في اللوح مثبتة مثل أن يكون فيه أن حج فلان فعمره ستون وإلا فأربعون وقيل: المراد بالنقصان بما يمر من عمره وينتقص من الزمان أو يبارك في عمر وما ينقص في قدره ﴿إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾ [الآية 11] هو علم الله الجامع لكل باب واللوح المحفوظ من التغيير ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الآية 11].

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه ذكرهم بدء نسبتهم لئلا يعجبوا بحالتهم ثم

59/ ب أن المتخذ من الطين / سريع التغيير قليل القوة المكث لكنه يقبل الانحياز بالماء يخمر به طينته فإذا جاد الحق عليه بما الجود أعاده بعد انكساره بالذنوب في عالم الوجود وإذا كان لا يخفى عليه شيء من أحوالهم في ابتداء خلقه فمن لا يبالي أن يخلق من يعلم أنه يعصي لا يبالي أن يغفر من رآه يعصي.

﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ [الآية 12] طعمه ضرب مثل للمؤمن والكافر والمطيع والفاجر والفرات الذي يكسر العطش وحرارته والسائغ الذي يسهل انحداره وابتلاعه والأجاج الذي يحرق لملوحته ومرارته ﴿وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ [الآية 12] المعنى أنهما وإن اشتركا في بعض الفوائد والصفات لا يتساويان من حيث أنهما يختلفان فيما هو المقصود بالذات كما أن المؤمن والكافر وإن اتفق اشتراكهما في بعض الصفات كالشجاعة والسخاوة وسائر المكرمات لا يستويان فيها خلق من القصور بالذات وهو المعرفة وما يتبعها من العبادات والطاعات.

وأفاد الأستاذ: أنه لا يستوي الحالتان هذه إقبال على الله واستعمال بطاعته واستقبال في معرفته وهذه إعراض عن الله وانقباض عن عبادته واعتراض على الله في قسمته وقضيته هذا سبب قربه ووصال وهذا سبب هجره وفصاله وفي كل واحدة من الحالتين يعيش أهلها ويرجي صاحبها وقتها لا يستوي الوقتان هذا بسط وصاحبه في روح وهذا قبض وصاحبه في نوح هذا خوف وصاحبه في احتياج وهذا رجاء وصاحبه في ارتياح هذا فراق وصاحبه بوصف العبودية وهذا جمع وصاحبه في شهود الربوبية ﴿وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ [الآية 12] كذلك كل يتقرب في حالته بربه ويتزين على بابه وهو الحلية التي بها يتحلّى من طرب أو حرب أو شرف أو تلَفٍ ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ﴾ [الآية 12] في كل منها ﴿مَوَاخِرَ﴾ [الآية 12] تشق الماء بجريها ﴿لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [الآية 12] من فضل الله بالنقلة فيها ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الآية 12] على هذه النعم جميعاً.

60/ أ ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى/ ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ

﴿كُلٌّ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ﴾ [الآية 13] مر مراراً كل يجري لأجل مسمى هذه مدة دوره أو منتهى سيره أو يوم القيامة وغاية دهره ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ﴾ [الآية 13] مربيكم والمتصرف فيكم ﴿لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ﴾ [الآية 13] على وجه الملك ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ [الآية 13] من الصنم وغيره ﴿مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ﴾ [الآية 13] قدر قطمير من ملكه الكبير والقطمير لفافة النواة هو مثل اليسير والحقير ففيه الدلالة على تفرده بالألوهية وتوحيده بالربوبية.

وأفاد الأستاذ: أن النفس تقلب مرة على القلب ومرة تقلب القلب على النفس وكذلك القبض والبسط وقد يستويان ومرة بقلب القبض على البسط ومرة البسط على القبض كذلك في الصحو والسكر والغناء والبقاء وسخر شمس التوحيد وقمر المعرفة على ما يريد من إظهارها على قلوب أهل التفريد والمكاشفة ذلكم الذي وصفته لكم بالقدرة على هذه الأشياء الظاهرة عندكم هو الله ربكم وهو مستبد بالملك فأروني منبسطة في النفي والإثبات مما تدعون من دونه وإذا لم يمكنكم ذلك فهلا أقررتم وفي عبادته أخلصكم وعن الأصنام تبرأتم وعن غيره أعرضتم.

﴿إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ﴾ [الآية 14] لأنهم جماد لا يدركون نداءكم ﴿وَلَوۡ سَمِعُواْ﴾ [الآية 14] على الفرض والتقدير وعلى زعمكم ﴿مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡ﴾ [الآية 14] لعدم قدرتهم على نفعكم فإنهم لا يملكون نفع أنفسهم فكيف يملكون نفع غيرهم أو لغيرهم منكم ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ﴾ [الآية 14] بإشراكهم لهم لأنهم يبطلانه يقرّون أو يقولون ما كنتم إيانا تعبدون ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ﴾ [الآية 14] أي ولا يخبرك بهذا الأمر وغيره مخبر مثل خبير أخبرك به وهو الله سبحانه فإنه الخبير به عن الحقيقة دون سائر المخبرين عن شأنه والمراد تحقيق ما أخبر به من حال آلهتهم ونفي ما يدعون لهم من مقالتهم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ [الآية 15] في الإيجاد والإمداد ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ﴾ [الآية 15] عن عبادة العباد ﴿ٱلۡحَمِيدُ﴾ [الآية 15] في جميع ما أراد.

قال سهل: لما خلق الله الخلق حكم لنفسه بالغنى ولهم بالفقر والغناء

فمن ادعى الغنى حجب عن الله ومن أظهر فقره أوصَلَه فقره بغناه.

وقال الواسطي: من استغنى بالله لا يفتقر ومن تعزز بالله لا يذل.

وقال / الحسين: على مقدار افتقار العبد إلى الله يكون غناه بالله. 60/ ب

وقال ذا النون: الخلق محتاجون إليه في كل نفس وخطرة ولحظة ولمحة.

وقال الشبلي: الفقر أن لا يرى في الدارين مع الله سواه. وسئل الخواص ما علامة الفقر الصادق قال: ترك الشكوى وإخفاء أثر البلوى.

وقال أبو سعيد الخراز: حقيقة الفقر أخذ الشيء منه واختيار القليل على الكثير عند الحاجة إليه.

وأفاد الأستاذ: أن الفقر على ضربين فقر خلقة وفقر صفة ففقر الخلقة عام لكل حادث حصل من العدم والمخلوق مفتقر إلى خالقه في أول حال وجوده ليبدئه وينشئه وفي الثاني من حال بقائه ليديمه ويبقيه والله سبحانه في أزله وأبده غني فالعبد فقير لعينه والرب غني لعينه وأما فقر الصفة فهو التجرد ففقر العوام التجرد من المال وفقر الخواص التجرد من الأعلال، والفقر على أقسام: فقير إلى الله وفقير إلى شيء هو من الله مثل معلوم ومرسوم ومن افتقر إلى شيء استغنى بوجود ذلك الشيء فالفقير إلى الله هو الغني بالله فالافتقار إلى الله لا يخلق من الاستغناء بالله ومن شرف الفقر اقترانه بالتواضع والتخشع ومن آفات الغنى امتزاجه بالتكبر والترفع وشرف العبد في فقره وكذلك عزه وذله في توهم الغنى وكذلك صغره وإذا تذللت الرقاب تقرباً منا إليك فعزها في ذلّها ومن الفقر المذموم أن يستر الحق على صاحبه موضع فقره إلى ربه ومن الفقر المحمود أن يشهده الحق موضع فقره إليه ودوام احتياجه لديه ومن آداب الفقير الصادق إظهار التكثر عند كمال التكسر وكمال المعنى وزوال الدعوى ويقال الشكر على البلوى والبعد من الشكوى ويقال: إذا لم تدع ما هو صفته من استحقاق الغنى أولاك ما يغنيك وأعطاك فوق ما يكفيك.

﴿إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ﴾ [الآية 16] بإهلاككم أو بإفنائكم ﴿وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ﴾ [الآية 17] بقوم آخرين أطوع منكم في بقائكم.

﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ﴾ [الآية 17] بمتعذر أو متعسّر.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه عرفك أنه غني عنك وأشهدك موضع فقرك
إليه وإنه لا بدّ لك منه في القصد من هذا إلا إرادته لإكرامك بشرق إكرامه / 61/أ
ولإيوائك في كنف إنعامه.

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ﴾ [الآية 18] ولا تحمل نفس آثمة إثم نفس أخرى ﴿وَإِن تَدۡعُ مُثۡقَلَةٌ﴾ [الآية 18] نفس أثقالها أو أوزارها ﴿إِلَىٰ حِمۡلِهَا﴾ [الآية 18] إلى تحمل بعض حملها من أوزار ثقلها ﴿لَا يُحۡمَلۡ مِنۡهُ شَيۡءٞ﴾ [الآية 18] لم يجب بحمل شيء منه ﴿وَلَوۡ كَانَ﴾ [الآية 18] المدعو ﴿ذَا قُرۡبَىٰٓۗ﴾ [الآية 18] صاحب قرابتها فنفى سبحانه أن يحمل عنها ذنبها كما نفى أن يحمل عليها ذنب غيرها.

وقال الأستاذ: كل مطالب بعلمه وكل محاسب بديوان فعله لكل معه شأن وله مع كل أحد شأن تعالى شأنه وتعظم سلطانه وفي العبادات ما يجري فيها النيابة لكن في المعارف لا يجري البتة فلو كان عبداً عاصياً منهمكاً في الغواية فاتته صلاة مفروضة فلو قضى عنه ألف صفيّ وألف وليّ لتلك الصلاة الواحدة عن كل ركعة ألف ركعة لا يقبل منه اللهم إلا أن يحيي هو بنفسه ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ﴾ [يوسف: 79] عقابك لا يجري معه غيرك والخطاب الذي معك لا يسمعك غيرك فسر أو أقم وقف عليك محبتي مكانك من قلبي عليك مصون ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ﴾ [الآية 18] غايبين عن عذابه أو غائباً عنهم عذابه أو غائبين عن الناس في خلواتهم وفق حالاتهم في جلواتهم ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الآية 18] في جماعاتهم فإنهم المنتفعون بحلاوة طاعاتهم ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ﴾ [الآية 18] تطهر عن دنس المعصية ووسخ الغفلة ﴿فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفۡسِهِۦۚ﴾ [الآية 18] إذ نفعه لها وأجره لا يتعداها ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [الآية 18] فيجازيهم على تركهم بالقليل والكثير.

﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ ١٩﴾ [الآية 19] الكافر والمؤمن.

﴿وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ٢٠﴾ [الآية 20] ظلمات الكفران ونور الإيمان.

﴿وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ٢١﴾ [الآية 21] ولا ثواب الجنة ولا عقاب الحرقة ولا لتأكيد نفي الاستواء أو تكريرها على الشفتين لمزيد المبالغة.

﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾ [الآية 22] أي العلماء والجهلاء أو الذاكرون والغافلون، فقد ورد: «مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت أو الفقراء والأغنياء، فورد: «إياكم ومجالس الموتى، قالوا: ومَن الموتى يا رسول الله؟ قال: هم الأغنياء».

وأفاد الأستاذ: أنه كما لا يستوي هذه الأشياء عندنا كذلك لا يستوي الموصول بنا والمشغول /عنا والمجذوب إلينا والمحجوب لدينا ولا يستوي 61/ب
من أشهدناه حقنا ومن أغفلنا قلبه عن ذكرنا.

أحبابنا شتان واف وناقض ... ولا يستوي قط المحب وباغض

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ﴾ [الآية 22] هدايته فيوفقه لفهم آياته والاتعاظ بعظاته ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ﴾ [الآية 22] مبالغة في إقناطه عن إيمانهم وعن رجوعهم إلى مقام إحسانهم.

﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ٢٣﴾ [الآية 23] فما عليك إلا الإنذار وأما الإسماع فلا إليك.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية 24] محقين أو محقاً أو بالدين الحق ﴿بَشِيرًا﴾ [الآية 24] بالوعد الحق ﴿وَنَذِيرًا﴾ [الآية 24] بالوعيد الصدق ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ﴾ [الآية 24] أهل عصر ﴿إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [الآية 24] مضى فيها نبي أو ولي ينوب عنه واكتفى بالنذير عن البشير لأنه هو المقصود الأهم من البعثة لا سيما في أول القضية.

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [الآية 25] بالمعجزات الشاهدة على نبوتهم ﴿وَبِٱلزُّبُرِ﴾ [الآية 25] كصحف إبراهيم ﴿وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ [الآية 25] كالتوراة والإنجيل على إرادة التفصيل.

﴿ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الآية 26] أصروا على المعصية ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [الآية 26] إنكاري عليهم بالعقوبة.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا﴾ [الآية 27] أجناسها وأصنافها من صفرة وخضرة وحمرة وحلوة ومرة ونحوها ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ﴾ [الآية 27] ذو خطط ﴿بِيضٌ وَحُمْرٌ﴾ [الآية 27] وصفر وغيرها ﴿مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا﴾ [الآية 27] بالشدة والضعف فيها ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ [الآية 27] جمع غرابيب تأكيد للأسود قدم للمبالغة على المؤكد.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ﴾ [الآية 28] أي في الأحوال ﴿كَذَٰلِكَ﴾ [الآية 28] كاختلاف الثمار والجبال وهو دليل ثبوت منشئها بنعت الجلال وصفة الكمال ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [الآية 28] إذ شرط الخشية معرفة المخشيّ باعتبار ذاته وأفعاله وصفاته فمن كان أعلم به كان أخشى منه ولذا ورد في أخشاكم الله وأتقاكم له وقرىء برفع اسم الله ونصب العلماء على التجريد فإن الخشية خوف مع التعظيم فالمعنى إنما يعظم الله العلماء لأنهم عالمون بموقع التكريم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ [الآية 28] معاقب للمصرّ على طغيانه ﴿غَفُورٌ﴾ [الآية 28] للتائب عن عصيانه.

قال ابن عطاء: الخشية أتم / من الخوف لأنها صفة الخاصة وهو نعت العامة. 62/ أ

وقال جعفر: خشية العلماء من ترك الحرمة في العبادة وترك الحرمة في الإخبار عن الحق بالنقص أو الزيادة وترك الحرمة في متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم وأولياء الأمة وتحقيق الإرادة.

وأفاد الأستاذ: إن من فقد العلم بالله فلا خشية له من الله، والفرق بين الخشية والرهبة أن الرهبة خوف يوجب هروب صاحبه فيجري في نفرته والخشية إذا حصلت فبحب صاحبها فيبقى مع الله في حضرته والخوف قضيته الإيمان قال تعالى: ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: الآية 175] والخشية

قضية العلم والهيبة موجبة المعرفة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 29] يداومون على قراءته ويواظبون على متابعته ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الآية 29] بآدابها الظاهرة والباطنة ﴿وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ﴾ [الآية 29] أي إخفاء وإظهاراً وليلاً ونهاراً أو كيف اتفق على حسب تصحيح طوية وإيقاعها على نية وقيل: السر في المسنونة والعلانية في المفروضة ﴿يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ﴾ [الآية 29] تحصيل ربح أخروي على عمل دنيوي ﴿لَّن تَبُورَ﴾ [الآية 29] لن تفسد لن تكسد.

﴿لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ﴾ [الآية 30] متعلقة بيرجون أي ليعطيهم أجور أعمالهم وافية ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ﴾ [الآية 30] زيادة كافية ﴿إِنَّهُۥ غَفُورٞ﴾ [الآية 30] لفرطاتهم ﴿شَكُورٞ﴾ [الآية 30] لطاعاتهم.

وأفاد الأستاذ: إنّ الذين يستغرق جميع أوقاتهم قيامهم بحق الله وإتيانهم بأنواع طاعاتهم وصنوف القرب من عباداتهم فلهم القدر الأجل من التقريب والنصيب الأوفر من الترحيب والذين أحوالهم بضد أولئك فمنالهم على عكس ذلك فهؤلاء الأولياء الأعزة وهؤلاء الأعداء الأذلة.

﴿وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [الآية 31] أي القرآن الجامع للأبواب التي يحتاج إليها أرباب الألباب ﴿هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ﴾ [الآية 31] لما تقدمه من الكتب السماوية المنزلة بالوجه الصدق ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٞ﴾ [الآية 31] عالم بضمائرهم وظواهرهم.

﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [الآية 32] أي من الأمم السالفة ﴿ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ﴾ [الآية 32] أي علماء الأمة من الصحابة ومن بعدهم أو الأمة بأسرهم فإن الله اصطفاهم على سائر الأمم / بأجمعهم ﴿فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ﴾ [الآية 32] 62/ ب
بالتقصير في العلم به ﴿وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ﴾ [الآية 32] يعمل به في أغلب دهره ﴿وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ [الآية 32] مسارع إلى الطاعات في جميع الأوقات من عصره ﴿بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 32] بتوفيقه وتيسيره وأمره وثم عطف على ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ

﴿يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الآية 29] وجملة ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الآية 31] معترضة بين كيفية التدريس وكيفية التوريث، وقد سئل الثوري ثم أورثنا على ماذا عطف؟ قال: عطف على إرادة الأزل بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ [الأنبياء: الآية 101] وهي الاصطفائية الأزلية.

وقال جنيد: لما ذكر الميراث؟ دل على أن الخلق فيه عام وخاص وإن الميراث لمن هو أصلح قرباً وأصح نسباً فتصحيح النسبة هو الأصل في رتبة القربة فالظالم الذي يحبه لنفسه والمقتصد الذي يحبه له والسابق الذي أسقط عنه مراده بمراد الحق فيه فلا يرى لنفسه طلباً ولا مراد لغلبة سلطان الحق عليه.

وقال النصرآبادي: صحح النسب وخذ الميراث ولا يأخذ ميراث الحق إلا من نسبه بالحق وإلى الحق دون الأسباب والوسائط وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يقول الله تعالى اليوم أرفع نسبي وأضع نسبكم أين المتقون» وقيل: الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم، وقيل: الظالم المجرم والمقتصد الذي خلط الصالح بالسيء والسابق الذي ترجحت حسناته بحيث كفرت سيئاته وهو معنى قوله عليه السلام: «أما الذين سبقوا فأولئك يدخلون الجنة بغير حساب، وأما الذين اقتصدوا فأولئك يحاسبون حساباً يسيراً، وأما الذين ظلموا أنفسهم فأولئك يحبسون في طول المحشر ثم يتلقاهم الله برحمته» كما رواه الإمام أحمد والحاكم[1] وغيرهما.

وورد أيضاً: «سابقنا سابق ومقتصدنا ناجٍ وظالمنا مغفور له»[2].

وروي عن عائشة رضي الله عنها إنها قالت لصهبان: أما السابق فمن

(1) أخرجه أحمد في المسند (5/ 198) رقم (21775)، وانظر تفسير البيضاوي (1/ 419).

(2) أورده العقيلي في الضعفاء الكبير (7/ 178) رقم (1641)، وسعيد بن منصور في السنن (5/ 305) رقم (2131)، وانظر تفسير القرطبي (14/ 346)، وتفسير الآلوسي (16/ 402)، والكشاف (5/ 419).

(3) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (6/ 167) رقم (6094)، والطيالسي في المسند (1/ 209) رقم (1489)، والحافظ ابن حجر في المطالب العالية (10/ 392) رقم (3783).

مضى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد له بالجنة وأما المقتصد فمن اتبع أثره من أصحابه حتى لحق به وأما الظالم [لنفسه] فمثلي ومثلك[1].

وعن علي رضي الله عنه: الظالم أنا والمقتصد أنا والسابق / فضل له 63/ أ فكيف ذلك؟ قال: أنا الظالم بمعصيتي ومقتصد بتوبتي وسابق بمحبتي[2]. رواها الكواشي في تفسيره.

وفي «تفسير السلمي» قال الحسن البصري: السابق من رجحت حسناته على سيئاته والمقتصد من استوت حسناته وسيئاته والظالم الذي زادت سيئاته على حسناته وقيل: الظالم الذي يجزع عند البلاء والمقتصد الذي يصبر على البلاء والسابق الذي يتلذذ بالبلاء وقيل: الظالم من غلب نفسه قلبه والمقتصد من غلبت قلبه نفسه والسابق من كان نفسه وقلبه في حراسة ربه.

وقال أبو علي الترمذي: لكل واحد من هؤلاء الثلاثة نوع من السؤال مناسب لما فيه من الحال أخبر عنها المصطفى بلسان المقال فسؤال الظالم أسألك الإيمان بك والكفاف من رزقك وسؤال المقتصد أسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل وسؤال السابق أسألك النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك[3].

وقال عبدالعزيز المكي: المغفرة للظالمين والرحمة للمقتصدين والقربة للسابقين.

وقال ابن عطاء: الظالم معذب والمقتصد معاقب والسابق مقرب وقال بعضهم: الظالم يراه في مقدار الجمعة والمقتصد يراه في اليوم مرة والسابق

(1) انظر تفسير النيسابوري (6/ 305).
(2) أخرجه الحاكم في المستدرك (1/ 697) رقم (1900)، والطبراني في المعجم الأوسط (6/ 165) رقم (6091)، وفي المعجم الكبير (5/ 157) رقم (4932)، والنسائي في السنن الكبرى (1/ 387) رقم (1228)، وابن حبان في الصحيح (5/ 304) رقم (1971).

على الأريكة ينظر ولا يغيب عن المشاهدة وقيل: الظالم الزاهد والمقتصد العارف والسابق المحب وقيل: الظالم الواعظ بلسانه والمقتصد الواعظ بعمله والسابق الواعظ بسره ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية 32] أي التورث أو الاصطفاء أو السبق ﴿هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الآية 32].

﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ [الآية 33] مبتدأ وخبر والضمير للثلاثة وقرأ أبو عمرو: ويدخلونها على بناء المفعول.

قال جعفر الصادق: فرق الله المؤمنين ثلاث فرق وقال لهم: عبادنا وأضافهم إلى نفسه تفضلاً منه وكرماً وجعلهم كلهم أصفياء مع علمه بتفاوت معاملاتهم ثم جمعهم في آخر الآية بدخول الجنة فقال: جنات عدن يدخلونها ثم بدأ بالظالمين إخباراً بأنه لا يتقرب إليه إلا بمحض كرمه وإن الظالم لا يؤثر في الأصفياء ثم بين بالمقتصدين / لأنهم بين الخوف والرجاء ثم ختم بالسابقين 63/ب
لأنه لا يأمن أحد مكره، وكلهم في الجنة بحرمة كلمة الإخلاص في الشهادة.

وقال الأستاذ: أي أعطيناك الكتاب وهو القرآن وذكره بلفظ الإيراث توسعاً في البيان واصطفينا اخترنا ثم ذكر أقسامهم الثلاثة، وفي الخبر: أنه لما نزل هذه الآية قال عليه السلام: «أمتي ورب الكعبة» ثلاث مرات، وفي الآية وجوه من الإشارات فمنها أنه ذكر بلفظ الميراث وهو يقتضي صحة النسب أو السبب وتمحل النسب هنا المعرفة وتمحل السبب الطاعة وإن قيل: تمحل النسب فضله وتمحل السبب فعلك فهو وجه ويصح أن يقال: تمحل النسب اختياره لك بدءاً وتمحل السبب إحسانه إليك ثانياً ثم بالميراث يبدأ بذوي الفروض ثم ما يبقي فللعصبة وإن كان صاحب الفرض أضعف استحقاقاً كذلك قال تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ [الآية 32] فقدمه على أن المقتصد السابق. وتكلموا في الظالم فمنهم من قال: هو الأفضل وأراد به من ظلم نفسه بكثرة ما حملها من الطاعة والأكثرون على أن السابق هو الأفضل وقالوا: التقديم في الذكر لا يقتضي التقديم في الرتبة ولهذا نظائر كثيرة يعني فهو من باب التدلي لأمن طريق الترقي ويقال: قرن باسم الظالم قرينة وهو قوله لنفسه، وقرن باسم

السابق قرينة وهو قوله: بإذن الله فالظالم كان له زلة والسابق كان له صوله فالظالم رفع زلته بقوله لنفسه والسابق كسر صولته بقوله: بإذن الله يا ظالم ارفع نفسك ظلمت ولكن على نفسك ويا سابق اخفض رأسك سبقت ولكن بإذن الله ويقال إن العزيز إذا رأى ظالماً قصمه ولكن الكريم إذ رأى مظلوماً أخذ بيده يا ظالماً إن كان كونك ظالماً يوجب قهرك فكونك مظلوماً يوجب الأخذ بيدك ويقال: الظالم من زهد في دنياه والمقتصد من رغب في عقباه والسابق من آثر على الدارين مولاه ويقال: الظالم من نجم كوكب عقله والمقتصد من طلع بدر علمه والسابق من أشرق شمس معرفته ويقال الظالم من جاد بنفسه والمقتصد من لم يبخل بقلبه والسابق من جاد بروحه ويقال: الظالم من ترك الغفلة والسابق من ترك الملامة الظالم من له علم اليقين والمقصد من له عين اليقين والسابق من له حق / اليقين. 64/أ
ويقال: الظالم بترك المحرمات والمقتصد بترك الشبهات والسابق بترك الزيادات ويقال: الظالم له المغفرة والمقتصد له الرحمة والسابق له القربة ويقال: الظالم صاحب الدنيا والمقتصد صاحب العقبى والسابق صاحب المولى ويقال: الظالم طالب الدرجات والمقتصد طالب النجاة والسابق طالب المناجاة ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الآية 32] الذي ذكر الظالم مع السابق.

﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ [الرّعد: الآية 33] لما ذكر أصنافهم رتبها ولما رتب حديث الجنة ذكرهم على الجمع تنبيهاً على أن دخولهم الجنة لا لاستحقاق بل بفضله وليس في الفضل تمييزاً، انتهى. وفيه بحث لا يخفى فإن الجنات فيها درجات ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ [الآية 33] عطف على ذهب أي من ذهب مرصّع باللؤلؤ ومن ذهب في صفاء اللؤلؤ ونصبه نافع وعاصم عطفاً على محل من أساور ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الآية 33].

﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ [الآية 34] هممهم من خوف العاقبة أو هممهم لأجل المعيشة أو من وسوسة إبليس ونحوها وعن ابن عباس حزن الموت[1]،

(1) أخرجه أبو نعيم في صفة الجنة (1/ 128) رقم (105) ونقله عن مجاهد؛ وانظر تفسير البغوي (6/ 423) ونقله عن قتادة، والكشاف (5/ 420) ونقله عن ابن عباس.

وقيل: حزن زوال النعمة. وقد أكثروا حتى قال بعضهم: كراء الدار وقيل: التحويل من دار إلى دار وقيل: حزن المحاسبة وقيل: حزن المقاطعة وهو يعم كل حزن من أحزان الدين والدنيا.

وقال النصرآبادي: ما كان حزنهم إلا تدبير أحوالهم وسياسة أنفسهم فلما نجوا منها حمدوا.

وقال أبو سعيد الخراز: أهل المعرفة في الدنيا كأهل الجنة في العقبى قال تعالى: حاكياً عن أهلها ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ﴾ [الآية 34] وإنما أحزانهم الاشتغال بالأعراض والأغراض فتركوا الدنيا في الدنيا فتنعموا وعاشوا في الدنيا عيش أهل الجنة في العقبى ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ﴾ [الآية 34] للمطيعين.

وقال سهل: غفور لذنوب كثيرة شكور لأعمال يسيرة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه قدّم ما للعاصين رفقاً بهم لضعف حالهم.

﴿ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ﴾ [الآية 35] دار الإقامة لا يبغون عنها حولاً من كمال الاستقامة ﴿مِن فَضۡلِهِۦ﴾ [الآية 35] حتى أقامه وتفضله إذ لا واجب عليه بشيء من فعله ﴿لَا/ يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ﴾ [الآية 35] تعب ﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ﴾ 64/ب
[الآية 35] كلال وملال.

وأفاد الأستاذ: أنهم إذا أرادوا أن يروا مولاهم لا يحتاجون إلى قطع مسافة أياماً بل هم كل في غرفهم يلقون فيها تحية وسلاماً وإذا رأوه لا يحتاجون إلى تحديق مقلة في جهة بل يرونه كما هم بلا كيفية.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الآية 36] لا يحكم بموت فان عليهم ﴿فَيَمُوتُواْ﴾ [الآية 36] ويستريحوا ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ﴾ [الآية 36] فيسكنوا بل كلما خبت نارها زيد إسعارها.

وقال الأستاذ: لا حياة يتمتعون بها ولا أمانة يستريحون بسببها بل هم مقيمون في العذاب ومديمون في الحجاب ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ﴾ [الآية 36] صاحب كفر وكفران وقرأ أبو عمرو وعلي بناء المفعول وإسناده إلى كل.

﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾ [الآية 37] يستغيثون من أهوالها وشدة أحوالها ويقولون ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ [الآية 37] من الأعمال القلبية والقالبية على القواعد الدينية اليقينية ﴿غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [الآية 37] من الأمور الدنيوية الوهمية ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾ [الآية 37] وهو متناول كل عمر يمكن المكلف فيه من أن يتذكر ويتفكر ولعل كمال عمر فيه يعذر وما ورد عنه عليه السلام العمر الذي أعذر الله فيه إلى ابن آدم ستون سنة رواه البزار[1] ولفظ البخاري من عمره الله ستين سنة[2] فقد أعذر إليه في العمر.

﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ [الآية 37] أي النبي أو الكتاب أو العقل أو الشيب أو موت الإخوان والأقران ويقال: سقوط السن وفقد الأرب ونقوس الظهر وسائر علامات الكبر ﴿فَذُوقُواْ﴾ [الآية 37] عذاب السعير ﴿فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [الآية 37] يدفع العذاب عنهم ويرفع الحجاب منهم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 38] لا يخفى عليه الأمور ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الآية 38].

قال الأستاذ: أي عالم بإخلاص المخلصين وصدق الصادقين وجحد الكافرين ونفاق المنافقين ومن يريد بالناس سوءاً ومن يحسن بالله ظناً.

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 39] يلقي إليكم مقاليد تصرفها لينظر كيف يعمل كل أحد فيها ﴿فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾ [الآية 39] جزاء كفره على نفسه لا يتعداها ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا﴾ [الآية 39] شدة البغض من الرب في الدنيا ﴿وَلَا يَزِيدُ/ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الآية 39] في 65/ أ
تجارة العقبى.

وأفاد الأستاذ: أن أهل كل عصر خليفة عمن تقدمهم فمن قوم هم

---

(1) أخرجه أبو يعلى في المسند (5/ 99) رقم (2710)، والبيهقي في السنن الكبرى (10/ 146) رقم (20305)، وأحمد في المسند (1/ 371) رقم (3519).
(2) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (3/ 370) رقم (6311).

لسلفهم جمال ومن قوم هم لهم أرذال وأنذال، الأفاضل زمانهم لهم محنة والأرذال لزمانهم منهم محنة.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 40] يعني آلهتهم التي يعبدونها مما سواه والمعنى أخبروني هؤلاء الشركاء ﴿أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 40] أي جزءاً من الأرض استبدوا بخلقه ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [الآية 40] أم لهم شركة مع الله في خلق شيء من السمٰوات وتصرفه فاستحقوا بذلك شركة في الألوهية والربوبية لتقوموا لهم ببعض حقوق العبودية ﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ [الآية 40] أي الآلهة ﴿كِتَٰبًا﴾ [الآية 40] أي ينطق على أنا اتخذناهم شركاء ﴿فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ﴾ [الآية 40] فيه على حجة من ذلك الإنباء ويجوز أن يكون ضميرهم للمشركين لقوله: ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ﴾ [الروم: الآية 35] ولا منع من الجمع بأن يكون الضمير لهم ولأتباعهم وقرأ نافع وابن عامر وأبو بكر والكسائي على بينات وفيه إيماء إلى أن الشرك خطير لا بدّ فيه من تعاضد دلالات ﴿بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الآية 40] أي يعدون ﴿بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ [الآية 40] ما يغترون به من الأوهام في تصحيح عبادة الأصنام وهو تغرير الأسلاف الأخلاف بأن هؤلاء شفعاء عند الله تعالى يشفعون بالتقرب إليهم.

وقال الأستاذ: كرّر الله إشهادهم عجز أصنامهم ونقص من ألحدوه الآلهة من أوثانهم يسفه بذلك آراهم ونهيهم عن ذميم أحوالهم وقبيح أفعالهم وخسة هممهم ونقصان عقولهم ثم أخبر أنهم لا يأتون بشيء مما به يطالبون وليس لهم جواب عما يسألون.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾ [الآية 41] أي يمنعهم عن زوالهما ﴿وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا﴾ [الآية 41] ما أمسكهما ﴿مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾ [الآية 41] ومن بعد زواله أو من بعد الله ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الآية 41] حيث أمسكهما وكانتا جديرتين بأن تزولا كما قال تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا﴾ [مريم: الآيتان 90،91].

وقال الأستاذ: أمسكهما بقدرته وأتقنهما بحكمته وزينهما بمشيئته وخلق

أجلهما على موجب قضيته فلا شبيه في إبقائها / وإفنائها يساهمه ولا شريك 65/ ب
في وجودهما وبقاءهما يقاسمه.

﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ [الآية 42] نبي ينذرهم ويخبرهم ﴿لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ﴾ [الآية 42] وذلك أن قريشاً لما بلغهم أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا: لعن الله اليهود والنصارى في صنيعهم لو أتانا رسول لنكونن أهدى من واحدة من اليهود والنصارى وغيرهم ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ [الآية 42] وهو محمد صلى الله عليه وسلم ﴿مَّا زَادَهُمْ﴾ [الآية 42] أي النذير أو مجيئه ﴿إِلَّا نُفُورًا﴾ [الآية 42] تباعداً عن الحق وتنفراً عن الصدق.

﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 43] لأجل استكبارهم فيها على أهلها ﴿وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ﴾ [الآية 43] والعمل القبيح فوقها ﴿وَلَا يَحِيقُ﴾ [الآية 43] لا يحيط ﴿ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [الآية 43] وقد حاق بهم يوم بدر جزاء مكرهم ولا بدّ لغيرهم من إجزاء أمرهم ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ﴾ [الآية 43] أي ما ينتظرون ﴿إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الآية 43] أي سنة الله فيهم بتعذيب تكذيبهم ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الآية 43] بأن يرحمهم بدل ما يعذبهم ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [الآية 43] بأن ينقله من المكذبين إلى غيرهم.

وفي «المدارك»: أي لا يبدلها في ذاتها ولا يحولها عن أوقاتها.

وقال الأستاذ: ليس لقولهم تحقيق ولا لعهدهم وضمانهم توثيق وما يعدون من أنفسهم فصريح زور وما يوهمون من وفائهم فصرف غرور وكذلك المريد في أوان نشاطه تمنيه نفسه ما يعيد به عليه حالاً له فربما يعاهد الله ويؤكد فيه عقده مع الله فإذا عضته شهوته وأراد الشيطان أن يكذبه صرعه بكيده وأركسه في هوة غيه ومنته نفسه فيسود وجهه ويذهب عند الله وجاهته.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 44] بظواهرهم أو بسرائرهم ﴿فَيَنظُرُواْ﴾ [الآية 44] فيبصروا أو فيتأملوا ﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الآية 44] فيعتبروا بحالهم وسوء مآلهم ﴿وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [الآية 44] سعة وشوكة ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ﴾ [الآية 44] ليسبقه ويقلبه ﴿مِن شَىْءٍ﴾ [الآية 44] خلقه ﴿فِى

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا﴾ [الآية 44] بالأشياء كلها ﴿قَدِيرًا﴾ [الآية 44] على ما شاء منها جميعها.

وأفاد الأستاذ: أن في الجملة ما خاب له ولي ولا ربح له عدو ولا يبال الحقيقة بمن انعكس قصده وارتد عليه كيده دمر على أعدائه تدميراً ووسع لأوليائه فضلاً كثيراً.

66/ أ ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟﴾ [الآية 45] من معاصيهم / ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا﴾ [الآية 45] على وجه الأرض ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾ [الآية 45] من نسمة تدب عليها بشؤم أعمالهم وقبح أحوالهم ﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۖ﴾ [الآية 45] معين لهم في الدنيا أو العقبى ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا﴾ [الآية 45] فيجازيهم على أعمالهم وفق أحوالهم.

وقال الأستاذ: لو عجل لهم ما يستوجبون من الثواب والعقاب لم تفِ أعمارهم القليلة وما اتسع أيامهم القصيرة لها فأخّر ذلك ليوم الحشر والنشر فإنه طويل عسير والله على كل شيء قدير وبأمور عباده خبير.

سورة يس عليه السلام

[مكيّة]

وهي ثلاث وثمانون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله آية افتتح بها خطابه فمن علمها أجزل ثوابه ومن عرفها أكثر إيجابه ومن أكبر قدرها أكرم مآبه، يّس: قال الصادق: أي يا سيد مخاطباً للنبي صلى الله عليه وسلم ولذا قال: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»(1)، ولم يمدح بذلك نفسه ولكنه أخبر عن مخاطبة الحق إياه بقوله.

﴿يسٓ ۝١﴾ [الآية 1] وهذا شبيه قراءة على المنبر ونادوا يا مال ونداؤه لأبي هريرة يا أبا هر وأما قوله عليه السلام: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»(2) أي لا أفتخر بالسيادة ولأن افتخاري بالعبودية أجل من إخباري عن نفسي بالسيادة وهذا المعنى في يس مروي عن كثير من السلف كابن عباس وعكرمة والحسن وسفيان وسعيد بن جبير وغيرهم وروي عن ابن عباس أيضاً وغيره أن يس اسم من أسمائه سبحانه فيكون مقسماً به كما يشير إليه عطف قوله.

﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢﴾ [الآية 2] أي ذي الحِكَم والأحكام على وجه الإحكام.

﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣﴾ [الآية 3] إلى جمع الثقلين عظيم.

---

(1) أخرجه مسلم في الصحيح (2278/ 3)، والحاكم في المستدرك (2/ 660) رقم (4189)، وابن حبان في الصحيح (14/ 398) رقم (6478)، وأبو يعلى في المسند (7/ 281) رقم (4305)، وأبو داود في السنن (4/ 351) رقم (4675).

(2) انظر تخريج الحديث السابق.

﴿عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الآية 4] على دين قويم عظيم في التوحيد بل إلى جميع العالمين من التوحيد والنبوة والبعثة والاستقامة.

وأفاد الأستاذ: أنه قد يقال: الياء تشير إلى يوم الميثاق والسين تشير إلى سره مع الأحباب فقال: بحق يوم الميثاق وسري مع الأحباب وبالقرآن الكريم إنك يا محمد لمن المرسلين وإنك لعلى صراط مستقيم.

﴿تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥﴾ [الآية 5] أي هو منزله أو كما أنه منزله وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص بالنصب بإضمار أعني.

وقال الأستاذ: أي هذا الكتاب تنزيل العزيز المتكبر الغني عن طاعة المطيعين الرحيم المتفضل عباده المؤمنين.

﴿لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ﴾ [الآية 6] أي مثل إنذار آبائهم الأقدمين أو
66/ب شيئاً أنذر / به آباؤهم الأبعدون أو لتنذر قوماً لم تنذر آباءهم الأقربون لتطاول مدة الفترة عليهم وعدم وصول رسول إليهم.

وقال الأستاذ: أي خصصناك بهذا العنوان وأنزلنا عليك هذا الفرقان لتنذر به قوماً حصلوا في أيام الفترة وانقرض سلفهم على هذه الفطرة ﴿فَهُمۡ غَٰفِلُونَ﴾ [الآية 6].

﴿لَقَدۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ﴾ [الآية 7] أي كلمة العذاب والفصل ﴿عَلَىٰٓ أَكۡثَرِهِمۡ﴾ [الآية 7] بالعدل دون الفضل ﴿فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الآية 7] تحقق علمه سبحانه بأنهم لا يوقنون.

وقال الأستاذ: أي حق القول بالعقوبة على أكثرهم لأنهم أصروا على جحدهم وانهمكوا في جهلهم فالمعلوم منهم والمحكوم عليهم أنهم لا يؤمنون وعن العذاب لا يأمنون.

﴿إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا﴾ [الآية 8] أي وفي أيديهم أيضاً فإن الغل لا يكون إلا فيهما ويؤيده أنه قرأ ابن مسعود: إنّا جعلنا في أيمانهم، وابن عباس في أيديهم، فالكل من باب الاكتفاء والاستفتاء والآية تمثيل لتصميمهم على الكفر

بحيث لا يغني عنهم الآيات والنذر بالذين غلت أعناقهم ﴿فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ﴾ [الآية 8] فالأغلال واصلة إلى أذقانهم فلا يخليهم يطأطون رؤوسهم من جهة إذعانهم ﴿فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾ [الآية 8] رافعون رؤوسهم غاضون أبصارهم في أنهم لا يلتفتون إلى جهة الحق ولا يقبلونه ولا يعطفعون أعناقهم نحوه ولا يطأطئون رؤوسهم له وقيل: الآية محمولة على الحقيقة إنه سبحانه لما أخبر عن أحوالهم في الدنيا بين بعض شيء من سوء مآلهم في العقبى ويؤيده قوله تعالى: ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ﴾ [غافر: الآية 71]، ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا﴾ [الإسراء: الآية 97].

ولقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩﴾ [الآية 9] ويبصره قول الأستاذ: سنجرهم إلى هوائهم وصغرهم ونذيقهم وبال أمرهم، والمعنى على التمثيل أنهم شبهوا بمن أحاط بهم سدان فغطى أبصارهم بحيث لا يبصرون قدامهم وورائهم في أنهم محبوسون في مطمورة الجهالة ممنوعون عن النظر في الآيات والدلالة. وقرأ حمزة والكسائي وحفص سداً بالفتح.

وفي «**تفسير السلمي**» من بين أيديهم سداً: طوال الأمد وطمع البقاء ومن خلفهم سداً هو الغفلة كما سبق من القضاء وقلة الندم على الجفاء أعماهم ترددهم في الغفلات عن اعتذارهم لما سبق لهم من الجنايات/ . 67/ أ

وأفاد الأستاذ في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾ [الآية 9] اليوم في بحار الضلالة وسرادقات الجهالة وفي الآخرة نقذفهم في النار والأنكال ونضيق عليهم بالسلاسل والأغلال ﴿فَأَغْشَيْنَٰهُمْ﴾ [الآية 9] أعميناهم عن شهود الحجة ولبسنا عليهم في الآخرة سبيل المحجة فيعثرون في وهدات جهنم وآخرين يبقون في دركاتها صاغرين مهجورين مطرودين ملعونين مبعودين لا مقطوعاً عنهم ما به يعذبون ولا مرحوماً عليهم ما يشكون.

﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٠﴾ [الآية 10] في البقرة.

وأفاد الأستاذ: أن مهجور الحق لا أحد يصله ومردود الحق لا أحد

يقبله والذي قصمته المشيئة وأقامته القضية لا تنجع فيه النصيحة.

﴿إِنَّمَا تُنذِرُ﴾ إنذاراً نافعاً ﴿مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ﴾ [الآية 11] أي القرآن ومواعظه بالتأمل فيه والعمل به ﴿وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [الآية 11] أي بقلبه وسريرته ولم يغتر بكرم الله ورحمته فإنه كما هو رحمٰن وغفار منتقم قهار ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ﴾ [الآية 11] لفرطاته ﴿وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ [الآية 11] لطاعاته.

قال الحسين: أشرف منازل الذاكرين من نسي ذكره في مشاهدة مذكورة وحفظ أوقاته عن الرجوع إلى رؤية ذكره.

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [الآية 12] يوم القيامة أو الجهال بالهداية ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟﴾ [الآية 12] ما أسلفوا من الأعمال الصالحة والطالحة ﴿وَءَاثَٰرَهُمْ﴾ [الآية 12] الحسبة كعلم علموه ووقف أوفقوه أو بناء خير بنوه والسيئة كإشاعة باطل وتأسيس ظلم وإبداء بدعة ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [الآية 12] يعني اللوح المحفوظ.

وقال الأستاذ: أي نحيي قلوباً ماتت بالقسوة بما مطر عليها من صوب الإقبال والزلفة ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ﴾ [الآية 12] خطاهم إلى المساجد لنا ووقوفهم على بساط المناجاة معنا وقد ترقرق دموعهم على عرصات خدودهم وتصاعد أنفاسهم ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [الآية 12] ثبت تفصيله في اللوح المحفوظ لا لتنالها كيف وقد قال: أحصي كل شيء عدداً ولكنا أحببنا إثبات آثار أحبابنا في المكنون منا من كتابنا.

67/ ب ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا﴾ [الآية 13] بين لهم قصة غريبة وحكاية عجيبة / ﴿أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ﴾ [الآية 13] على طريقة ليس فيها قرية ولا مرية والقرية أنطاكية ﴿إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [الآية 13] من عند رسولنا أو من قبلنا كما يدل عليه قوله.

﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ﴾ [الآية 14] أي ادّعيا الرسالة عنا ﴿فَكَذَّبُوهُمَا﴾ [الآية 14] وقاربوا أن يقتلوهما ﴿فَعَزَّزْنَا﴾ [الآية 14] وقرأ أبو بكر مخففاً أي فقويناهما ﴿بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟﴾ [الآية 14] أي الرسل الثلاثة ﴿إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾ [الآية 14] من ربنا أو من رسولنا وذلك أنهم كانوا عبدة الأصنام فأرسل إليهم عيسى عليه السلام اثنين من

أصحابه الكرام فلما قربا من المدينة رأيا حبيب النجار يرعى غنماً له فسلما فأخبراه فقال: أمعكما آية تشفي المريض وتبرء الأكمه والأبرص وكان له ولد مريض سنين فمسحاه فبرأ فآمن حبيب وفشا الخبر فشفي على أيديهما خلق كثير وبلغ حديثهما إلى الملك فطلبهما وقال لهما: ألنا إلٰه سوى آلهتنا، قالا: نعم من أوجدك وآلهتك قال: قوما حتى انظر في أمركما. فحبسهما ثم بعث عيسى شمعون فدخل متنكراً وعاشر أصحاب الملك حتى استأنسوا به وأوصلوه إلى الملك فأنس به فقال له يوماً: سمعت أنك حبست رجلين فهل سمعت تفصيل ما يقولان؟ قال: لا قد حال الغضب بيني وبين ذلك فدعاهما فقال شمعون: من ربكما؟ قالا الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك فقال: صفاه وأوجزا قالا: يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال: وما آتاكما؟ قالا: ما يتمنى الملك فدعا بغلام مطموس العين فدعوا الله حتى انشق له بصر وأخذا بندقتين فوضعاهما في حدقتيه فصارتا مقلتين ينظرهما فقال له شمعون: أرأيت لو سألت إلهك حتى يصنع مثل ذلك. قال: ليس لي عنك سرّ إن آلهتنا لا تبصر ولا تسمع ولا تضر ولا تنفع ثم قال شمعون: لهما إن قدر إلهكما على إحياء ميت آمنا به فدعوا بغلام مات من سبعة أيام فدعوا فأحياه الله تعالى فقال: إني أدخلت في سبعة أودية من النار وإني أحذركم ما أنتم فيه فآمنوا وقال: فتحت أبواب السماء فرأيت شاباً حسناً يشفع لهؤلاء الثلاثة شمعون وهذان، أي لقبول دعوتهم في إحياء الغلام فإن شمعون أيضاً كان يدعو معهما سراً فتعجب الملك فلما رأى شمعون أن قوله قد أثر فيه نصحه فآمن في جمع/ ومن لم يؤمن 68/ أ
صاح عليهم جبريل عليه السلام فهلكوا.

قال الأستاذ: انقرض زمانهم ومشى شأنهم وأوانهم ولكنا نذكر أحوالهم بعد فوات أوقاتهم ولا نرضى بأن لا يجري بين أحبابنا على ألسنة أوليائنا ذكر الغابرين الماضين من عبادنا وهذا مخلوق يقول في صفة مخلوق.

إذا نسي الناس إخوانهم   وخان المودة خلانها
فعندي لإخواني الغائبينا   صحائف ذكرك عنوانها

﴿قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ [الآية 15] لا مزية لكم علينا يقتضي اختصاصكم بما تدعون من الرسالة إلينا وهلا أرسل الله ملكاً ليكون مقبولاً لدينا

﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ﴾ [الآية 15] من الوحي والرسالة ﴿إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ﴾ [الآية 15] في دعوى الرسالة والنبوة.

﴿قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ١٦﴾ [الآية 16] بتقويم الدين.

﴿وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ١٧﴾ [الآية 17] التبليغ الظاهر المبين بالدليل المبرهن بالآيات والمعجزات الشاهدة بصحة الرسالة.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ﴾ [الآية 18] تشاءمنا بمجيئكم من وقت اختلاق الكلمة بيننا لأجلكم وتوقع الفتنة بسببكم ﴿لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ﴾ [الآية 18] عن هذه المقالة ﴿لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ﴾ [الآية 18] بالحجارة أو لنشتمنكم بالملامة على وجه السفاهة ﴿وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [الآية 18] في هذه الحالة.

﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم﴾ [الآية 19] سبب شؤمكم ﴿مَّعَكُمۡ﴾ [الآية 19] لا يفارقكم وهو سوء عقائدكم وأحوالكم وقبح أعمالكم وأقوالكم ﴿أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ﴾ [الآية 19] أي لئن وعظتم تطيرتم أو توعدتم بما ذكرتم ﴿بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ﴾ [الآية 19] في العصيان فمن ثم نشأتم أو في الطغيان وكذلك توعدتم بمن يجب أن يكرم ويتبرك به ويعظم.

﴿وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ﴾ [الآية 20] أي القرية ﴿رَجُلٞ يَسۡعَىٰ﴾ [الآية 20] يسرع مساعدة في الدين أو شفقة على المرسلين وهو حبيب النجار وقيل القصار وكان يتعبد في الغار بقرب بلد الكفار ولما سمع بهمهم بقتل رسلهم جاء ينصحهم ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [الآية 20].

﴿ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا﴾ [الآية 21] على تبليغ الرسالة وتبين النصيحة ﴿وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الآية 21] إلى خير الدارين وكذا من تبعهم في الكونين فقيل له: أو أنت توافق هؤلاء وتخالف ديننا وتعبد غير إلهنا.

فقال: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾ [الآية 22] خلقني وأعبد مخلوقاً مثلي
68/ب / أو دوني ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [الآية 22] بالموت بعد مضي آجالكم فيجازيكم بأعمالكم فاسعوا أنتم أيضاً في تحسين أحوالكم.

﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى﴾ [الآية 23] لا ينفعني ﴿شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا﴾ [الآية 23] من المنفعة ولا تمنع عني شيئاً من المضرة ﴿وَلَا يُنقِذُونِ﴾ [الآية 23] لا يخلصوني بالمعاونة والمغالبة.

﴿إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ [الآية 24] بين الضلالة ظاهر الجهالة أن أعدل عن عبادة قادر نافع ضار إلى عاجز عن النفع والدفع.

﴿إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الآية 25] الذي خلقكم وكفرتم به ﴿فَٱسْمَعُونِ﴾ [الآية 25] فاسمعوا ما يدل على إيماني ولا يشير إلى إيقاني.

﴿قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ﴾ [الآية 26] لما قتلوه بشارة بأنه من أهل الجنة وإشارة إلى دخولها لكونه من أرباب الشهادة والكلام إعلام بحاله عند لقاء ربه بعد تصلبه في بقر دينه وحزبه ولذا ﴿قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 26].

﴿بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى﴾ [الآية 27] ما صدر عني من ذنبي ﴿وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ [الآية 27] بتقربي أو نصح قومه في حياته ومماته كما نقله ابن أبي حاتم عن ابن عباس[(1)].

وقال حمدون القصّار: لا يسقط عن الخلق رؤية الحق بحالٍ ولو سقط عنه في وقت لسقط في مشهد الأعلى في الحفرة ألا تراه في وقت دخول الجنة يقول: يا ليت قومي يعلمون حدّث النفس إذ ذاك برؤية الخلق أقول: ما قال إنما هو باعتبار غالب الحال وإلا فقد قال صلى الله عليه وسلم: «لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل»[(2)]. والصوفية يعبِّرون عن ذلك المقام بالسكر والمحو والفناء والاستغراق، والأكثر أنه كبرق خاطف وقلّ أنه يدوم يوماً بالاتفاق وعنه صلى الله عليه وسلم: «سبّاق الأمة ثلاثة لم

---

(1) أورده ابن الأثير في جامع الأصول في أحاديث الرسول (2/ 779) رقم (779)، وانظر روح المعاني (22/ 229)، واللفظ عندهم: (نصح قومه حياً وميتاً).

(2) انظر المصنوع في معرفة الحديث الموضوع (1/ 151) رقم (259)، والمقاصد الحسنة (1/ 565) رقم (926)، وكشف الخفا (2/ 173) رقم (2159)، والنخبة البهية في الأحاديث المكذوبة (1/ 15) رقم (278).

يكفروا بالله بعدي طرفة عين: علي بن أبي طالب، وصاحب يٰس، ومؤمن آل فرعون»[1] ذكره صاحب الكشاف.

ثم اعلم أن بعض السلف وأكثر الخلق على أنهم رسل عيسى وأسماؤهم يحيى ويونس وشمعون والقرية أنطاكية ذكروا أن ملك القرية وأكثر أهلها آمنوا بعد تقويتهما بثالث وظهور معجزاتهم ومن بقي على الكفر أهلكوا وكلام بعض دال على أنهم رسل الله وأسماؤهم صادق وصدوق وشكوم وهو ظاهر القرآن لا سيما قوله تعالى: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ [إبراهيم: الآية 10].
69/ أ ويخطر بالبال والله / أعلم بحقيقة الحال إمكان الجمع بين الأقوال بأنهم كانوا رسل الله تعالى إلا أنهم كانوا تابعين لعيسى كما كان لوط مع إبراهيم وهارون مع موسى عليهم السلام وبه ينتظم متفرقات الكلام وإن الأسماء المتأخرة أوصاف للمسميات المتقدمة.

وأفاد الأستاذ أنه سبحانه قال: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ﴾ [الآية 20] ولم يكن أقصاها وأدناها لتتفاوت بكثير في مداها ولكن جرى سنة في استكثار القليل من فعل عبده إذا كان برضاه ثم يستدرّ الكثير من فضله إذ بذله وأعطاه ثم لما صدق في حاله ونصح في مقاله وصبر على ما لقي من قومه ورجع إلى ربه تلقاه بحسن إفضاله وآواه إلى كنف إقباله ووجد ما وعده ربه من لطف إفضاله تمنى أن يطلع قومه على حاله ووصوله إلى مقام كماله وإنما أراد ذلك إشفاقاً عليهم ليعملوا مثل أعماله ليجدوا ما وجد من حسن مآله.

﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [الآية 28] من بعد هلاكه ﴿مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الآية 28] لإهلاكهم ونصرة الأنبياء كما أرسلنا يوم بدر والخندق جمعاً من الملائكة لنصرة سيد الأصفياء بل كفينا أمرهم بصيحة ملك رفعت شرهم ﴿وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾ [الآية 28] أي وما كان من عادتنا إنزال جنيد من السماء في إهلاك الأمم المكذبة للأنبياء فأنزل الملائكة لنصرة سيد الأصفياء نبيه المصطفى

(1) انظر الكشاف (5/ 427)، وتفسير القرطبي (15/ 20)، ونسبه إلى ابن أبي ليلى.

ورسوله المرتضى كان من مختصاته تشريفاً لمقاماته.

﴿إِن كَانَتْ﴾ [الآية 29] ما كانت الأخذة أو العقوبة ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ [الآية 29] من جبريل بعثه الله إلى قريتهم فأخذ بعضادتي باب بلدتهم فصاح على أهل جلدتهم ﴿فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ﴾ [الآية 29] ميتون جامدون شبهوا بالرماد حيث لم يبق في البلاد أرواح تتردد في الأجساد.

﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ﴾ [الآية 30] تعالي فهذه الحالة التي من حقها أن تحضري فيها وهي ما دل عليها قوله ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الآية 30] فإن المستهزئين بالناصحين المخلصين المنوط بنصحهم خيري الدنيا والدين أحقاً بأن يتحسر عليهم المتحسرون ويتلهب على حالهم المتلهفون وقد تأسف على حالهم الملائكة والمؤمنون ونصبها لطولها/ بالجار المتعلق بها. 69/ ب

﴿أَلَمْ يَرَوْا۟﴾ [الآية 31] ألم يعلموا؟ ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ﴾ [الآية 31] الماضية وما عاملنا من قبلهم من الأمم لخالية ﴿أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [الآية 31] والمعنى ألم يروا كثرة إهلاكنا من تقدم عليهم كونهم غير راجعين إليهم.

وقال الأستاذ: كلهم في قبضة القدرة لم يفتنا أحد ولم يكن بواحد منهم علينا عون ولا مدد ولا عن حكمنا ملتحد.

﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الآية 32] يوم القيامة يرجعون للجزاء إلينا ويجتمعون للعرض علينا وإن مخففة من المثقلة واللام هي الفارقة وما مزيدة للمبالغة وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما بالتشديد بمعنى ألا فيكون إن نافية أي ما كلهم إلا مجموعون لدينا محضرون محشورون إلينا.

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ [الآية 33] أي اليابسة وقرأ نافع بتشديد التحتية ﴿أَحْيَيْنَٰهَا﴾ [الآية 33] بإنزال المطر عليها وإنباتها بما يليق إليها ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا﴾ [الآية 33] ما يسمى حباً من أنواعه وأصنافه ﴿فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ [الآية 33] ومنه ما يدخرون.

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ﴾ [الآية 34] من أنواع النخل

والعنب واختير النخل دون ثمرها لاختصاص شجرها بمزيد النفع وآثار الصنع ﴿وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ﴾ [الآية 34] شيئاً من منابعها.

﴿لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ﴾ [الآية 35] ثم ما ذكر وقرأ حمزة والكسائي بضمتين ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ [الآية 35] ما موصولة عطف على الثمر والمراد ما يتخذ منه كالدبس والعصير. ويؤيده قراءة الكوفيين غير حفص بلا هاء فإن حذفه من الصلة أحسن من غيرها ويعضده قراءة ابن مسعود ومما عملته أيديهم والمعنى أن الثمر في نفسه يخلق الله لا بفعلهم إلا أن فيه آثاراً من كدهم وتعبهم في غرسهم وسقيهم أو نافية أي ومن الثمر لم يعلمه أي الناس بل خلقها الله بقدرته وإرادته قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [الآية 35] أي ألا يتدبرون صنعه فلا يشكرون نعمه.

قال ابن عطاء: أي القلوب الميتة بالغفلة أحييناها باليقظة والاعتبار والموعظة وأخرجنا منها معارف صافية وأحوالاً زاكية فهي أنوارها على ظواهرها وبواطنها جارية وسارية.

وأفاد الأستاذ: إنه لما كان أعظم شبههم في أمر البعث وإنكاره كان
70/أ تكراره سبحانه حديث البعث وضرب المثل/ بإحياء الأرض بالنبات أكثر من كثير من الآيات والعجب ممن ينكر علم الأصول ويقول ليس في الكتاب عليه دليل كيف يشكل عليه هذا السبيل وأكثر ما في القرآن من الآيات يدل على صحة الحشر على سبيل الاستدلال ولحكيم أدلة العقول ولو أنهم أنصفوا من أنفسهم واشتغلوا بأهم شيء لهم لما ضيعوا أصول الدين فرضوا فيها بالتقليد وادعوا في الفروع رتبة الإمامة والتصدير في التسديد، ويقال في معناهم:

يا من تصدّر في مقام الإمامة فهي   مسائل الفقه إملاءً وتدريسا
عجّلت عن حجج التوحيد بحكمها   شيدت فرعاً وما مهدت تأسيسا

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا﴾ [الآية 36] الأنواع والأصناف جميعها ﴿مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ﴾ [الآية 36] من النبات والشجر ﴿وَمِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الآية 36] من الذكر والأنثى ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 36] وأزواجاً مما لم يطلعهم الله على حقيقته ولم يجعل لهم طريقاً إلى معرفته.

قال عبد العزيز المكي: ﴿خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا﴾ [الآية 36]، وقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: الآية 11] فدل ذلك على أن خالق الأزواج منزه عن الزوج مستغنٍ عنه.

وأفاد الأستاذ: أن هذه الآية أيضاً فيها تنبيه على التفكر في بديع صنعه فقال تنزيهاً لمن خلق الأشياء المتشاكلة له أجزاء وعيناً من النبات ومن أنفسهم ومن الأشياء الأخر التي لا يعلمون تفصيلها كيف جعل أوصافها في المطعوم والأرايج والشكل والهيئة واختلاف أوراق الأشجار وفنون أغصانها وجذوع أشجارها وأصناف ثمرها وأزهارها واختلال أشكال أثمارها في تفرقها واجتماعها ثم ما نيط بها من الانتفاع بها على مجرى العادة مما يسميه قوم الطبائع في اختلافها في الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة واختلاف الأحداث التي يخلقها الله عقب شرب هذه الأدوية وتناول هذه الأطعمة على مجرى العادة من التأثيرات التي تحصل في الأبدان ثم اختلاف صور هذه الأعضاء الظاهرة والأجزاء الباطنة فالأوقات متجانسة والأزمان متماثلة والجواهر متشاكلة وهذه الأحكام مختلفة فلولا تخصيص حكيم لكل شيء بما اختص به وإلا لم يكن تخصيصها بغير ذلك أولى من تخصيصها بهذا وإن من كحل الله عين بصيرته بيمن / التعريف وقدر أوبته بالتوفيق أتم نظره ولم يصده 70/ ب
مانع يعقب أثره فما أقوى في المسائل حجة وما أوضح في المسالك بهجة ولكن أقسام سبقت وأحكام على من شاءه الحق بما شاء منه حقت.

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾ [الآية 37] نزيله عن مكانه ونكشفه لظهور شأنه ﴿فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾ [الآية 37] داخلون في ظلام برهانه.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يبطل ضوء النهار بهجوم الليل عليه ويزيل ظلام الليل بهجوم النهار عليه كذلك نهار الوجود يدخله على ليالي التوفق ويقود بيد كرمه عصا من عمي عن شكوك رشده فيهديه إلى سواء طريقه.

﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ [الآية 38] لحد مقررٍ ينتهي إليه دورها أو لمنتهى مقدر لكل يوم من المشارق والمغارب فإن لها في دورها ثلاثمائة وستين

مشرقاً ومغرباً تطلع كل يوم من مطلع وتغرب في مغرب ثم لا تعود إليها إلى العام القابل أو لمنقطع جريها عند خراب العالم فمستقر اسم زمان والصحيح أنه اسم مكان إذا صح في البخاري وغيره بروايات متعددة عنه صلى الله عليه وسلم أن مستقرها تحت العرش تذهب وتسجد هناك[1] ما علم أنه إذا كان العرش كوة محيطة فتحتيتها باعتبار ومكان خاص من العرش من الله ورسوله أعلم به.

وظاهر بعض الأحاديث دال على أنه قبة ذات قوائم تحمله الملائكة فوق هذا الجانب من الأرض فحينئذ يكون وقت الظهيرة أقرب مما يكون إلى العرش وفي نصف الليل أبعد فحينئذ تسجد وتستأذن في الطلوع ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية 38] ذلك الجري الخاص على وجه الاختصاص المتضمن للحكم المتعلقة بها بما يكلّ الفطن عن إحصائها ﴿تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ﴾ [الآية 38] الغالب بقدرته على كل مقدور له ﴿ٱلْعَلِيمِ﴾ [الآية 38] المحيط علمه بكل معلوم عنده.

﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ﴾ [الآية 39] صيرنا مسيره ﴿مَنَازِلَ﴾ [الآية 39] أو جعلنا سيره في منازل وهي ثمانية وعشرون منزلاً فنزل كل ليلة في واحدة منها لا يتخطاها ولا يتقاصر عنها فإذا كان في آخر منازله دق في جماله واستقوس في حاله ﴿حَتَّىٰ عَادَ﴾ [الآية 39] رجع ﴿كَٱلْعُرْجُونِ﴾ [الآية 39] وهو العود المعوج الأصفر الذي عليه التمر ﴿ٱلْقَدِيمِ﴾ [الآية 39] العتيق اليابس وقرأ ابن عامر والكوفيون والقمر بالنصب على شريطة التفسير/ والباقون بالرفع على الابتداء. 71/أ

﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ﴾ [الآية 40] يصح لها ويتسهل عليها ﴿أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ﴾ [الآية 40] في آثاره ومنافع أسراره أو في مكانه بالنزول إلى محله وسلطانه ﴿وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ﴾ [الآية 40] يسبقه فيفوته ولكن يعقبه والمعنى لا يدخل النهار على الليل قبل انقضائه ولا يدخل الليل على النهار قبل انتهائه بل يتعاقبان في أزمنة معلومة إلى يوم القيامة وقيل: المراد في الليل والنهار آيتاهما والسيران فيهما والمعنى لا يطلع القمر بالنهار وله ضوء يطمس نور الشمس ولا بالعكس

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (4802)، ومسلم في الصحيح (159/ 250).

فسلطانها بالنهار وسلطانه بالليل كما لكل من المقدار ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الآية 40] أي وكلهم والضمير لهما ولسائر النجوم فإن ذكرهما مشعر بذكر غيرهما أولهما وجمع لاختلاف مطالعهما فكأنها شموس وأقمار في محالهما ولإطلاق السباحة التي هي للعقلاء جمع بالواو والنون أي يسيرون فيه سير إسراع إقبالاً وإدباراً ليلاً ونهاراً لا يرى فيهما قراراً ومداراً ووصف الشمس بعدم الإدراك لأنها بطيئة السيران والقمر بعدم السبق لسرعة الجريان.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة من هذه العبارة إلى أن العبد في أوان الطلب دقيق الحال ضعيف اليقين مختصر الفهم في الأعمال متفكر حتى تزداد بصيرته وتتكمل حالته إلى أن يصير كاملاً جليلاً ثم يتناقص ويدنو من الشمس قليلاً وكلما ازداد من الشمس دنوا ازداد في نفسه نقصاناً إلى أن يتلاشى ويختفي ولا يرى ثم يبعد عن الشمس فلا يزال يتباعد حتى يعود بدراً فشبيه الشمس عارف أبداً في ضياء معرفته صاحب تمكين غير متلون بشرق من برج سعادته دائماً لا يأخذه كسوف ولا يستره سحاب وشبيه عند تلون أحواله في التنقل صاحب تلوين له في البسط ما يرقيه إلى حد الوصال ثم يرد إلى الفترة ويتبع في القبض مما كان به من صفاء الحال فيتناقص ويرجع إلى نقصان أمره إلى أن يرفع قلبه عن وقته ثم يجود عليه الحق سبحانه فيوفقه لرجوعه عن فترته وإفاقته/ عن سكرانه فلا يزال يصفو له الحال إلى أن يقرب من الوصول 71/ ب
ويرزق صفة الكمال ثم بعد ذلك يأخذ في النقص والزوال كذلك حاله إلى أن يحق له بالمقسوم ارتحاله.

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الآية 41] وقرأ نافع وابن عامر ذرياتهم أي أولادهم الذين يبعثونهم إلى تجاراتهم ﴿فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ [الآية 41] المملوء من أمتعتهم وحيواناتهم.

﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [الآية 42] مثل الفلك وشبهه من مراكب البحر ﴿مَا يَرْكَبُونَ﴾ [الآية 42] من الإبل فإنها سفائن البر.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة فيه إلى حمل الخلق في سفينة السلامة في

بحار التقدير عند تلاطم أمواجها بفنون من التغيير والتأثير فكم من عبد غرق في أشغاله في ليله ونهاره لا يستريح لحظه من كد أفعاله ومقاساة التعب في أعماله من جمع ماله بنسيان عاقبته ومآله واستيلاء شغل ولده وعياله على ذكره وباله وما سعيه إلا في وباله ومحاله وكم من عبد غرق في لجة هواه يجره مناه إلى تحمل بلواه وحيس من الأمر مطلوبه ومبتغاه ثم لا يصل قط إلى منتهاه خسِر دنياه وعقباه وبقي عن مولاه ومثال هذا ما لا يحصى وعلى عقل من تفكر واعتبر لا يخفي وإذا حفظ أحداً في سفينة العناية أفرده بالتحرز عن دق خسائس الأمور وشغله بظاهره بالقيام بحقه وأفرده في سرائره بفراغ القلب مع ربه ويرقيه إلى ما قال: «أنا جليس من ذكرني» وقل ما شئت من علو شأن من هذا صفته ولا حرج.

﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ﴾ [الآية 43] فلا مغيب لهم يحرسهم عن إغراقهم أو فلا إعانة لهم ولا إغاثة عن استغراقهم ﴿وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ﴾ [الآية 43] ينجون من عذاب فراقهم.

﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا﴾ [الآية 44] إلا رحمة من عندنا ونمتع بالحياة من جانبنا ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الآية 44] زمان عين لآجالهم في تقديرنا.

وقال الأستاذ: لولا وجوده وفضله لحلّ به من البلاء ما حل بأمثاله ولكن بحسن إفضاله حفظه في جميع أحواله.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ [الآية 45] من الآخرة فاعملوا لها ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ [الآية 45] من الدنيا فاحذروها ولا تغتروا بها أو نوازل السماء وبلياتها
72/ أ ونوائب الأرض / وعاهاتها كقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [سبأ: الآية 9] أو عذاب الدنيا وعقاب العقبى أو ما تقدم من الذنوب وما تأخر من العيوب ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الآية 45] لكي ترحموا وعن الغفلة تعصموا، وجواب إذا محذوف وهو أعرضوا عنه كما دل عليه قوله.

﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ [الآية 46] غير ملتفتين إليها أو مقبلين عليها.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ [الآية 47] على من قدر الله عليه رزقه وفق ما قضاه ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الآية 47] من مشركي قريش وغيرهم ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الآية 47] أي في حق فقرائهم ﴿أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ﴾ [الآية 47] أي من لم يرزقه الله مع قدرته لا نطعمه لموافقة مشيئته وهذا من فرط ضلالتهم وكثرة جهالتهم فإن الله يطعم بأسباب وأشياء منها حث الأغنياء على إطعام الفقراء وتوفيقهم له في الخلاء والملاء ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الآية 47] حيث أمرتمونا بإنفاق سعة والإرفاق على من ضيق الله عليه في الأرزاق.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الآية 48] في وعد البعث والإعادة.

﴿مَا يَنظُرُونَ﴾ [الآية 49] ما ينتظرون ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ [الآية 29] وهي النفخة الأولى ﴿تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ [الآية 49] يختصمون في المعاملة فتأتيهم بغتة وفجأة في الحالة وقرأ ابن كثير وورش وهشام بفتح الخاء وتشديد الصاد وأبو عمرو وقالون باختلاس الفتحة وحمزة بسكون الخاء وتخفيف الصاد.

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ [الآية 50] في شيء من أمورهم ﴿وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الآية 50] ولا يتمكنون من الرجوع إلى دورهم ليروا أهليتهم ويشاهدوا حالتهم بل يموتون حيث تبغتهم.

وأفاد الأستاذ: إن هذه صفة من يسبتهم في أودية الخذلان ووسمهم بسمة الحرمان وأصمهم عن سماع الرشد وصدهم بالخذلان على سلوك القصد فلا تأتيهم آية في الزجر إلا قابلوها بإعراضهم وتجافوا عن الاعتبار بها على دوام انقباضهم وإذا أمروا بالإنفاق والإطعام عارضوا بأن الله رازق الأنام وإذا شاء نظر إليهم بالإنعام / ثم يستعجلون هجوم الساعة ويستبطؤون قيام 72/ ب
القيامة لا عن تصديق يزيحهم عن شكهم أو خوف يمنعهم عن غيهم ولكن تكذيب لدعوة النبوة وإنكار لصحة الرسالة واستبعاد لأمر الإعادة فقال تعالى: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ [الآية 49] عند قيام الساعة ثم أنهم في العذاب محضرون لا يكشف عنهم ولا هم ينصرون.

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ [الآية 51] أي نفخة ثانية ﴿فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ﴾ [الآية 51] أي قبورهم ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يَنسِلُونَ﴾ [الآية 51] يسرعون.

قال الأستاذ: يموتون قهراً ويحشرون جبراً ويلقون شراً ولا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً.

﴿قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا﴾ [الآية 52] يا هلاكنا تعالَ إلينا فهذا أوان قربك لنا ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ﴾ [الآية 52] فيه إشعار بأنهم لاختلاط عقولهم لا يشعرون أنهم صاروا أمواتاً بل يظنون أنهم كانوا نياماً ثم لما أفاقوا من أحلامهم وتيقظوا من منامهم صرحوا في كلامهم رداً على أنفسهم في مرامهم وتحسروا في مقامهم بقولهم ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ [الآية 52] أي ما وعده لنا ﴿وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ [الآية 52] أي فيما أخبرونا فموعده حق وإخباره صدق.

﴿إِن كَانَتۡ﴾ [الآية 53] ما كانت النفخة ﴿إِلَّا صَيۡحَةً وَٰحِدَةً﴾ [الآية 53] وهي النفخة الأخيرة ﴿فَإِذَا هُمۡ جَمِيعٌ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ﴾ [الآية 53] في موقف القيامة بمجرد تلك الصيحة.

وأفاد الأستاذ: أنهم يموتون على جهلهم لا يعرفون ربهم ويبعثون على مثل حالهم لا يعرفون من بعثهم ويعدون ما كانوا فيه في قبورهم من العقوبة الشديدة بالإضافة إلى ما سيلقون من الآلام الجديدة نوماً ورقاداً وسيطأون من الفراق المقرح والاحتراق العظيم المفخم مهاداً ولا يذوقون فيها برداً ولا شراباً إلا حميماً وغساقاً جزاء وفاقاً ولقد عوملوا بذلك استحقاقاً.

قال تعالى: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ لَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗا﴾ [الآية 54] من الظلم في معرض حساب لا بنقص ثواب ولا بزيادة عقاب ﴿وَلَا تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الآية 54] من الحسنات والسيئات في كل باب ففي الحديث القدسي والكلام إلا لنبي إنما هي أعمالكم أحصاها لكم.

﴿إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ﴾ [الآية 55] أي يوم القيامة بعد دخول الجنة ﴿فِي شُغُلٍ﴾ [الآية 55] وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمر بالسكون / ﴿فَٰكِهُونَ﴾ [الآية 55] 73/أ
متلذذون في النعمة وفي تنكير شغل وما فيه من الإبهام تنبيه نبيه على أنه أعلى

من أن تحيط به الأفهام ويعرب عن كنهه الكلام.

قال طاووس: لو علموا عمن شغلوا منا ما اشتغلوا به عمّالهم من الهناء.

قال ابن عطاء: أشغلهم في الجنة استصلاح أنفسهم لميقات المشاهدة وهذا من أعظم الأشغال في المجاهدة وسئل بعضهم عن قول النبي صلى الله عليه وسلم أكثر أهل الجنة البله فقال من رضي من الله بالجنة.

وقال ابن عطاء: مكر بالحق في كل موضع وخدعهم عنه بكل شيء حتى في الجنة.

وقال الأستاذ: إنما يضاف العبد إلى ما كان الغالب عليه ذكره والأخذ بمجامع قلبه أمره فصاحب الدنيا من في أسرها وأصحاب الجنة الذين هم طلابها والساعون لها والعاملون لمنالها قال تعالى مخبراً عن مقالهم ومجمل حالهم: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾ [الصافات: الآية 61]، وهذه الأحوال وإن جلّت منهم فهي بالإضافة إلى أحوال الأكابر والسادة تتقاصر عنهم، قال عليه السلام: «أكثر أهل الجنة البله»[1]، ومن كان في الدنيا عن الدنيا حراً فلا يبعد أن يكون في الجنة عن الجنة حراً يختص برحمته من يشاء، يعني كما يختص بنعمته من يشاء ويختص بنقمته من يشاء ويختص برؤيته من يشاء. وقيل: هذا الخطاب لأقوام هم فيها فارغون فيقول لهم: ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ﴾ [الآية 55] وهم أهل الحضرة والذين لا يشغلهم الجنة عن أنس القربة وراحات الوصلة ولذات الرؤية وقالوا: لو علموا عمن شغلوا لما تهنّأوا لما به شغلوا. ويقال: إنما يقال هذا لأقوام في العرصة أصحاب المعصية لم يدخلوا النار ولم يدخلوا الجنة فيقول: الحق لهم عبيدي أهل النار ليس يتفرغون إليكم لأهوالهم وما هم فيه من صعوبة أحوالهم وأصحاب الجنة اليوم في شغل عنكم لأنهم في لذات منالهم وما وجدوا من إفضالهم مع أهلهم وأشكالهم فليس لكم

(1) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (2/ 124) رقم (1366)، والقضاعي في مسند الشهاب (2/ 110) رقم (989).

اليوم، إلا نحن وكرمنا بالقوم وقيل شغلهم تأهبهم لرؤية مولاهم وذلك من أهم
73/ب الاشتغال وأولاهم وهي أشغال مؤنسة مريحة لا منيفة موحشة. ويقال: / لا تنافي
بين أشغالهم بأبدانهم مع أهلهم وشهود مولاهم كما أنهم اليوم مستديمون لمعرفته بأي حالة هم ولا يقدح اشتغالهم باستبقاء حظوظهم في معارفهم قلت: وهذا أكمل الأحوال في مقامات الرجال والصوفية يسمونه جمع الجمع من أعلى المرتبة وهو أن لا يمنع وجود الكثرة عن شهود الوحدة ويقال: لشغل نفوسهم بشهواتها حتى يخلص الشهود لأسرارهم بكمالاتها على غيبة من إحساس النفس الذي هو أصعب الرقباء في ملاحظاتها ولا شيء أعلى من رؤية الحبيب مع فقد الرقيب أقول: وهذا معنى اللطف من الأول وأشرف فتأمل.

﴿هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ﴾ [الآية 56] قيل أشكالهم في منازلهم وأحوالهم كقوله تعالى: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ [الصافات: الآية 22]، وقيل حظاياهم من الحور العين وسائر نسائهم ﴿فِى ظِلَٰلٍ﴾ [الآية 56] من أشجار الجنة وقصورها وأستار أنوارها وقرأ حمزة والكسائي في ظلل ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ [الكهف: الآية 56] على السرر المزينة ﴿مُتَّكِـُٔونَ﴾ [الآية 56] على هيئة ما كان أهل الدنيا متنعمون.

﴿لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ﴾ [الآية 57] ما يسمى فاكهة من جميع أنواعها وأصنافها ﴿وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾ [الآية 57] يدعون زيادة على أجناسها وأنفاسها أو ما يتمنون في الدنيا من الجنة ودرجاتها.

﴿سَلَٰمٌ﴾ [الآية 58] أي ولهم سلام عظيم في مقام كريم يقال لهم قولاً كائناً ﴿قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [الآية 58] والمعنى أن الله يسلم عليهم بواسطة من الملائكة أو بغير واسطة تعظيماً لهم فيما أعطاهم وذلك نهاية مطلوبهم وغاية متمناهم.

وقد روى ابن أبي حاتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم فإذا الرب قد أشرف عليهم من فوقهم فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة فذلك قوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [الآية 58] قال: فينظر إليهم وينظرون إليه فلا يلتفتون

إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب منهم ويبقى نوره لديهم وبركته عليهم[1].

وقال ابن عطاء: السلام جليل الخطر وعظيم المحل وأجله ما كان في المشاهدة من المكافحة من الله الكريم حين يقول: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [الآية 58].

وأفاد الأستاذ: أنهم يسمعون كلامه وسلامه بلا واسطة وأكد ذلك بقوله
﴿مِّن رَّبٍّ﴾ [الآية 58] ليعلم أنه ليس بسلام على لسان/ سفير والرحمة في تلك 74/أ
الحالة أن يرزقهم الرؤية في حال من يسلم عليهم ليكمل النعمة ويقال: الرحمة في ذلك أن يبقيهم في حال سماع كلامهم وحال لقاء مرامهم لئلّا يصحبهم دهشة ولا يلحقهم حيرة، ويقال إنما قال: ﴿مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [الآية 58] ليكون من العصاة من المؤمنين فيه نفس ولرجاءهم فيه مساغ فإن الذي يحتاج إلى كثرة الرحمة هو صاحب المعصية ويقال: قال ذلك ليعلم العبد أنه لم يصل إليه بفعله واستحقاقه وإنما وصل إليه برحمة ربه.

﴿وَٱمْتَٰزُواْ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [الآية 59] يريد بهم الكافرين أي وانفردوا عن المؤمنين وذلك حين يسار بهم إلى الجنة وبغيرهم إلى العقوبة كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾ [الروم: الآية 14].

وأفاد الأستاذ: أن غيبة الرقباء من أتم النعمة وإبعاد الأعداء من أجل المنة فالأولياء في إيجاب القربة والأعداء في عذاب الكربة.

﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ﴾ [الآية 60] ألم أوصكم بلسان أنبيائكم ﴿أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ [الآية 60] أي لا تطيعوه فيما زين لكم من العصيان ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الآية 60] ظاهر العداوة في جميع الأوقات.

﴿وَأَنِ ٱعْبُدُونِى﴾ [الآية 61] أطيعوني في الأوامر والزواجر ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ

---

(1) أخرجه ابن ماجه في السنن (1/ 65) رقم (184)، وانظر تفسير ابن كثير (6/ 583)، وتفسير القرطبي (15/ 45).

﴿مُّسْتَقِيمٌ﴾ [الآية 61] دين قويم.

قال الواسطي: من عبدالله لنفسه فإنما يعبد نفسه ومن عبده من أجله فإنه لم يعرف ربه ومن عبده بمعنى أن العبودية جوهر يظهرها الربوبية فقد أصاب.

﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا﴾ [الآية 62] خلقاً كثيراً ممن وجبت عليه الضلالة وثبتت له الجهالة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بضمتين وتخفيف اللام وأبو عمرو وابن عامر بضم فسكون ﴿أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ﴾ [الآية 62].

﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ﴾ [الآيـــات 63، 64] ادخلوها وذوقوا عذابها في العقبى ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الآية 64] بسبب كفرهم في الدنيا.

وورد في حديث رواه ابن جرير عن أبي هريرة مرفوعاً إذا كان يوم القيامة أمر الله جهنم فيخرج منها عنق ساطع مظلم ثم يقول: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ﴾[1] [الآية 60] إلى آخر الآية.

وأفاد الأستاذ: أن هذه الأقوال لو قالها مخلوق لمخلوق لكان شبه اعتذار في الأحوال، أي لقد نصحتكم / ووعظتكم وعن هذا حذرتكم وكم 74/ب
وصلت لكم القول وذكرتكم ولم تقبلوا وعظي ولم تعملوا بأمري فأنتم خالفتم وعلى أنفسكم ظلمتم وبذلك سبقت القضية منّا لكم.

﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ [الآية 65] نمنعها عن الكلام ﴿وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الآية 65] من الآثام. وفي حديث رواه مسلم إنهم يجحدون ويخاصمون فيختم الله على أفواههم وتكلم أيديهم وأرجلهم[2].

قالوا: وفائدة هذا الكلام أن يعلم الأنام أن كل من كان عوناً على المعصية صار شاهداً على تلك الحالة فلا ينبغي لأحد أن يصحب إلا الله في

---

(1) أورده ابن كثير في تفسيره (3/ 285)، والطبري في تفسيره (20/ 542)، وابن أبي حاتم في تفسيره (12/ 167).

(2) لم نعثر عليه في صحيح مسلم، وانظر تفسير أبي السعود (7/ 176).

جميع حالاته لئلّا يفتضح عنده بسبب أهل صحبته.

وأفاد الأستاذ: أن اليوم سخر الله أعضاء الإنسان بعضها لبعض وغداً ينقض هذه العادة فيخرج بعض الأعضاء على بعض ويجري بينهم الخصومة والمنازعة فأما الكفار فشهادة أعضائهم عليهم لهم مبيدة أي مهلكة وأما العصاة من المؤمنين فقد يشهد عليهم أعضاؤهم بالعصيان ولكن يشهد بعض أعضائهم أيضاً لهم بالإحسان وكما قيل:

بيني وبينك يا ظلوم الموقف والحاكم العادل الجواد المنصف

وفي بعض الأخبار المروية المسندة أن عبداً يشهد عليه أعضاؤه بالزلة فيتطاير شعره من جفن عينه تستأذن بالشهادة له فيقول الحق تكلمي يا شعرة جفن عين عبدي واحتجي عن عبدي فتشهد له بالبكاء من خوفه فيغفر له وينادي مناد هذا عتيق الله بشعرة.

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ [الآية 66] لمسحنا أعينهم فأعميناهم ﴿فَٱسْتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ﴾ [الآية 66] فابتدروها ﴿فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ﴾ [الآية 66] فكيف يرونها ومن أين يسلكونها والمعنى لو شاء الله لهم الغواية بالعمى عن الهدى فكيف يبصرون طريق الهداية إلى المولى.

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ﴾ [الآية 67] بتغيير صورهم وإبطال قدرهم ﴿عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ﴾ [الآية 67] وقرأ أبو بكر مكاناتهم أي على حالاتهم وفي مقاماتهم ﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ مُضِيًّا﴾ [الآية 67] ذهاباً ﴿وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ [الآية 67] أي ولا رجوعاً وإياباً
75/ أ ولا قدروا إقبالاً / ولا إدباراً، والمعنى أنهم بكفرهم ونقض ما عهد إليهم أحقاء أن يغفل ذلك بهم لكنا لم نفعل لشمول الرحمة لهم واقتضاء الحكمة أمراً لهم.

﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ﴾ [الآية 68] نطيل عمره ﴿نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ﴾ [الآية 68] نقليه في خلقته فلا يزال يتزايد ضعف بنيته عكس ما كان عليه أمر بدائه فيصير إلى حال طفولتيه وقرأ عاصم بكسر الكاف وتشديدها للمبالغة ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ [الآية 68] إن من قدر على ذلك قدر على البعث هنالك وقرأ نافع ابن ذكوان بالخطاب.

قال أبو بكر الوراق من عمره الله بالغفلة فإن الأيام تؤثر فيه حالاً فحالاً من طفوليته وشيبه وكهولته وشيخيته إلى أن يبلغ ما حكاه الله من قوله ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي ٱلْخَلْقِ﴾ [الآية 68] ومن أحياه الله بذكره فإن تلوين الأحوال لا يؤثر فيه فإن متصل الحياة بحياة الحي قال الله عز وجل: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: الآية 97].

وأفاد الأستاذ: أن هذا التنكيس إنما هو في الجثث والمباني دون الأحوال والمعاني فإن الأحوال في الزيادة إلى أن تبلغ حد الخرافة فيختل رأيه وينتقص عقله وأصحاب الحقائق تشيب ذوائبهم ولكن محابهم ومعانيهم في عنفوان شبابها وطراوة جدتها.

﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ﴾ [الآية 69] تعليم القرآن وتفهيم الفرقان فإنه لا يماثله مبنى ولا يشابهه معنى لأنه غير موزون ولا مقفى وليس في معناه ما يقصده الشعراء من التخيلات المرغبة لها والمنفرة ونحوها مما لا أصل لها ولا حقيقة عندها وعن ابن عباس وغيره ما ولد عبدالمطلب ولداً ذكر ولا أنثى إلا يقول الشعر إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓ﴾ [الآية 69] وما يصح له الشعر ولا يتأتى له إن أراد ونظمه على ما اخترتم طبعه نحواً من أربعين سنة فمن أين لكم الشبهة في صحة النبوة أو معناه ما يصح للقرآن أنه شعر ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾ [الآية 69] أي ليس الذي أتى به إلا موعظة من الله ونصيحة ﴿وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ [الآية 69] ظاهر الدلالة على أنه من الله لما فيه من المعجزة.

﴿لِّيُنذِرَ﴾ [الآية 70] أي الله أو القرآن أو الرسول ويؤيده قراءة نافع وابن عامر بالخطاب ﴿مَن كَانَ حَيًّا﴾ [الآية 70] عاقلاً كاملاً فإن الغافل والجاهل يكون في مرتبة الميت نازلاً أو مؤمناً في علم الله على ما قدره وقضاه ﴿وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ﴾ [الآية 70] يجب كلمة العذاب ويثبت وقفة الحجاب ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الآية 70] المصرين / على كفرهم لما سبق لهم في قضائهم وقدرهم أموات في الحقيقة في حياة عمرهم. 75/ب

قال جنيد: الحي من تكون حياته ببقاء مليكه ومن كان بقاؤه ببقاء نفسه

فإنه ميت في وقت حياته وعند وفاته.

وقال ابن عطاء: من كان في علم الله حياً أحياه الله بالنظر إليه والفهم عنه والسماع منه والاستسلام لديه.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ [الآية 71] مما عملنا بلا شريك لنا وتولينا أحداث ما أردنا مما لم يقدر على إحداثه غيرنا ﴿أَنْعَـٰمًا﴾ [الآية 71] متمكنون من ضبطها والتصرف فيها من بدائع الفطرة ومنافع بالكثرة ﴿فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ﴾ [الآية 71] متمكنون من ضبطها والتصرف فيها بتسخيرنا إياها ﴿وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ﴾ [الآية 72] فصيّرناها منقادة لهم ﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾ [الآية 72].

﴿وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ [الآية 72] مأكولهم.

﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ﴾ [الآية 73] أثاث ومتاع من جلودها وأصوافها وأوبارها وأشعارها ﴿وَمَشَارِبُ﴾ [الآية 73] من ألبانها ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [الآية 35] من خلقها وذللها.

﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً﴾ [الآية 74] اشركوها به في العبادة بعدما رأوا منه تلك القدرة الباهرة والنعمة الظاهرة ﴿لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ﴾ [الآية 74] رجاء أن ينصروهم في حق بهم من أمورهم والأمر بالعكس في حقهم كما أخبر سبحانه عنهم بقوله: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ﴾ [الآية 75] أي نصر أنفسهم فضلاً عن نصر غيرهم ﴿وَهُمْ لَهُمْ﴾ [الآية 75] لأصنامهم ﴿جُندٌ مُّحْضَرُونَ﴾ [الآية 75] معدون لحفظهم والذب عنهم في الدنيا أو محضرون معهم في عذاب العقبى.

﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ [الآية 76] فيك أو في كتابنا أو فينا ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [الآية 76] فنجازيهم بجميع أقوالهم وأعمالهم وفق أحوالهم وفيه تسلية للنبي والمؤمنين والإشارة إلى حسن مآلهم.

وأفاد الأستاذ: إنه سبحانه ذكر جزيل منته عليهم وجميل نعمته لديهم بما سخر لهم من الأنعام التي فيها وجوه من انتفاع الأنام وذلك بما ينتفعون بركوبها وبأكل لحومها وشحومها وشرب ألبانها وبما يحمل عليها وبقطع

المسافات الشديدة بها فطالبهم بالشكر عليها ثم وصفهم بالتقصير في شكرها حكاية لو كانت في صفة المخلوقين كانت شكاية فقال مع كل هذه الوجوه من إحسان النعمة اتخذوا من دون الله آلهة ثم سلى نبيه عليه السلام بقوله: ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [الآية 76] فإن العبد إذا علم أنه بمرأى من مولاه هان عليه ما يقاسيه لا سيما إذا كان في الله.

76/أ ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾﴾ [الآية 77] بين الخصومة لا يتأمل في بدء أمره ولا يستحي من آخر عمره. روي أن أُبّي بن خلف أو عاص بن وائل أتى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم بالٍ يفتته بيده وقال: يا محمد أتزعم أن الله يبعث هذا؟ فقال عليه السلام: «نعم يميتك الله ويبعثك ويدخلك النار»(1) فنزلت.

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾ [الآية 78] أمراً عجيباً وهو نفي القدرة على الإعادة ﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ [الآية 78] في البداءة ﴿قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [الآية 78] أي بالية اسم لما بلي من العظام لا صفة.

﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الآية 79] فإن قدرته كما كانت شاملة كاملة والمادة على حاله قائلة ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [الآية 79] فيعلم أجزاء الأشخاص المتفتتة المتبددة أصولها وفصولها ومواقعها ومواضعها وإعادة الأرواح إلى أشباحها.

وفي «تفسير السلمي» أي من يحيي القلوب الميتة بالإعراض عنه والقسوة والغفلة ويردها إلى التفويض والتسليم في الطاعة والعبادة.

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا﴾ [الآية 80] بأن يسحق المرخ على العفار وهما خضر وأن يقطر منها الماء فتنقدح منهم النار ﴿فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ [الآية 80] لا تشكون في أنها نار خرجت منه حين تقدحون وفي المثل

(1) أورده ابن كثير في تفسيره (6/ 593).

في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار فمن قدر على إحداث النار من خضر الأشجار مع ما فيها من المائية المضادة لها كان أقدر على إعادة الرطوبة فيما كان رطباً وعرض له اليبوسة.

وقال الأستاذ: أي شددنا أسرهم وجمعنا نشرهم وسوينا أعضاءهم وركبنا أجزاءهم وأودعناهم العقل والتمييز ثم إنه ﴿خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [الآية 77] ينازعنا في بابه ويعترض علينا في أحكامنا بزعمه في استصوابه كما قيل:

أُعلِّمه الرماية كل حين فلما اشتد ساعده رماني

ثم مهد لهم سبيل الاستدلال وقال: إن الإعادة في معنى الاستبداء فإذا أقررت بالابتداء فأي إشكال بقي في جواز الإعادة في الانتهاء.

﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الآية 81] مع كبر جرمها وسعة عظمها ﴿بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾ [الآية 81] في الصغر والحقارة بالإضافة إليها فإن خلق الصغر أسهل من الكبير عندكم أو في زعمكم ﴿بَلَىٰ﴾ [الآية 81] جواب من الله مشعر بأنه لا جواب سواه وهو ﴿وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ﴾ [الآية 81] للعباد ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ [الآية 81] بما أراد.

﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ﴾ [الآية 82] أي شأنه سبحانه ﴿إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا﴾ [الآية 82] / أي 76/ ب
إيجاده أو إمداده ﴿أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن﴾ [الآية 82] أن يكونه ﴿فَيَكُونُ﴾ [الآية 82] فهو يكون أي يحدث وهو تمثيل لتأثير قدرته تعالى في مراده بأمر المطاع للمطيع في حصول المأمور من غير امتناع وتوقف وافتقار إلى مزاولة عمل واستعماله آلة قطع لمادة الشبهة وهي قياس قدرة الله تعالى على قدرة الخلق ونصبه ابن عامر والكسائي عطفاً على يقول.

وأفاد الأستاذ: الله سبحانه يخلقه بقدرته وأخبرنا أنه يتعلق بالمكوّن كلمة على ما يجوز في صفته وسيان عنده خلق الكثير في كثرته والقليل في قلته.

﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الآية 83] بقبضه قدرته تصرف من

كل شيء في خلقته فهو الملك المدبر في مملكته ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الآية 83] أي تردون إلى حكومته، وفيه وعد للمقرّين ووعيد للمنكرين.

وقال الأستاذ: أي بقدرته ظهور كل شيء فلا يحدث شيء قل أو كثر إلا بإبداعه وإنشائه ولا يبقى ما يبقى منها شيء إلا بإبقائه، فمنه ظهور ما يحدث وإليه مصير ما يخلق.

سورة الصافات

[مكيّة]

وهي مئة وإحدى وثمانون آية[1]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله كلمة إذا استولت على قلب قلبته وأزالت عنه من الدارين أربه ثم ألزمته على وجه التنقية جرمه ثم شرفت من حيث الهمة طلبه.

﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ٣﴾ [الآيات 1، 3] أقسم بالملائكة الصافين في مقام العبودية على مراتب باعتبارها تفيض عليهم أنوار الربوبية منتظرين للأمور الإلهية الزاجرين للأنام عن المعاصي والآثام بأنواع الإلهام التالين آيات الله وجلايا أنبائه على أنبيائه وأصفيائه والعطف لاختلاف الصفات وإلغاءٍ لترقي المقامات.

﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ ٤﴾ [الآية 4] جواب القسم والفائدة فيه تعظيم المقسم به وتأكيد المقسم عليه وأما تحقيقه فبقوله:

﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ﴾ [الآية 5] فإن وجودها وانتظامها على وجه الأكمل في شهودها مع إمكان غيره دليل على وجود الصانع ووحدته وحكمته وقدرته وإرادته والمشارق مشارق الكواكب أو مشارق الشمس في
77/ أ السنة وهي ثلاثمائة وستون تشرق في كل يوم من واحد وبحسبهما / تختلف المغارب في مغاربها ولذا أكتفي بذكرها مع أن الشروق أدل على القدرة وأكمل في النعمة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أخبر أنه واحد في ملكه وذلك أنهم تعجبوا

---

(1) كذا في الأصل المخطوط.

أن يقوم الواحد بجميع أحوال عالمه ومعنى كونه واحد تفرده في حقه عن التقسيم وتقدسه في وجوده عن التشبيه وتنزهه في ملكه عن الشريك واحد في جلاله واحد باستحقاق جماله واحد في أفعاله واحد في كبريائه بنعت علائه ووصف سنائه ورب المشارق مشارق النجوم والشمس والقمر ومشارق القلوب شموسها وأقمارها ونجومها.

﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا﴾ [الآية 6] القربى منكم ﴿بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ﴾ [الآية 6] بزينة هي الكواكب والإضافة بيانية ويعضده قراءة حمزة وحفص بتنوين زينة وجر الكواكب على إبدالها منه وبيان زينة الكواكب فيها ويؤيده قراءة أبو بكر بالتنوين والنصب على الأصل.

﴿وَحِفۡظٗا﴾ [الآية 7] أي وحفظناها حفظاً ﴿مِّن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ مَّارِدٖ﴾ [الآية 7] خارج عن الطاعة برمي الشهب عليها.

﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ﴾ [الآية 8] وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالتشديد أي لا تستمع الشياطين ﴿إِلَى ٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [الآية 8] الملائكة أو أشرافهم ﴿وَيُقۡذَفُونَ﴾ [سَبَإ: الآية 8] ويرمون ﴿مِن كُلِّ جَانِبٖ﴾ [الآية 8] من جوانب السماء الدنيا وأطرافها إذا قصدوا الصعود إليها.

﴿دُحُورٗاۖ﴾ [الآية 9] أي للطرد عنها وحال كونهم مطرودين منهما ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٞ وَاصِبٌ﴾ [الآية 9] أي دائم أو لازم وهو عذاب الآخرة.

﴿إِلَّا مَنۡ خَطِفَ ٱلۡخَطۡفَةَ﴾ [الآية 10] استثناء من واو يسمعون ومن بدل منه أي إلا من اختلس كلام الملائكة مسارقة ﴿فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ ثَاقِبٞ﴾ [الآية 10] مضيء كأنه يثقب الجو بضوئه وهو ما يرى كان كوكباً انقضّ من مكانه واختلف في أن المرجوم هل يتأذى به فيرجع عن قصده؟ أو يحترق به؟ لكن قد يصيب الصاعد مرة وقد لا يصيبه كالمروج لراكب السفينة ولذا لا يرتدعون عنه بالكلية أم لأنهم لا يعلمون بحقيقة القضية.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه زين السماء الدنيا بالنجوم وقلوب أوليائه بنجوم المعارف والأحوال وحفظ السماوات بأن جعل النجوم للشياطين

رجوماً كذلك زين القلوب بأنوار التوحيد فإذا قرب منها الشياطين رجمها بنجوم معارفهم إلا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب كذلك إذا اغتم الشيطان من الأولياء يلقي إليهم شيئاً من وساوسه تذكروا فإذا هم مبصرون ورجعوا كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ / طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ 77/ ب
تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴾ [الأعراف: الآية 201].

﴿فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ﴾ [الآية 11] الضمير لمشركي مكة وغيرهم أو لبني آدم جميعهم فاستخبرهم ﴿أَهُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَم مَّنۡ خَلَقۡنَآۚ﴾ [الآية 11] أي من الملائكة والسماء والأرض وما بينهما والمشارق والكواكب والشهب الثواقب ﴿إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّن طِينٖ لَّازِبِۭ﴾ [الآية 11] لاصق ثابت للمآرب فمن قدر على خلق هذه الأشياء في ابتداء قدر على إعادتهم في الانتهاء.

﴿بَلۡ عَجِبۡتَ﴾ [الآية 12] من قدرتنا وإرادتنا أو من إنكارهم لإعادتنا ﴿وَيَسۡخَرُونَ﴾ [الآية 12] من تعجبك في كمال صفتنا وجمال حكمتنا وقرأ حمزة والكسائي بضم التاء استعظمت من أن ينكر البعث ممن له هذه الأفعال أو هم يسخرون ممن يجوز هذه الحالة.

﴿وَإِذَا ذُكِّرُواْ لَا يَذۡكُرُونَ ١٣﴾ [الآية 13] وإذا وعظوا لا يتعظون بالموعظة.

﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ ءَايَةٗ﴾ [الآية 14] معجزة تدل على صدق القضية ﴿يَسۡتَسۡخِرُونَ﴾ [الآية 14] يبالغون في السخرية.

﴿وَقَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٌ ١٥﴾ [الآية 15] ظاهر السخرية.

﴿أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا﴾ [الآية 16] تفرقت أعضاؤنا وتفتت أجزاؤنا ﴿أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ﴾ [الآية 16] أصله انبعث إذا متنا فبدلوا الفعلية بالاسمية وقرأ نافع بحذف الهمزة الأولى ونافع والكسائي بطرح الثانية.

﴿أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ ١٧﴾ [الآية 17] عطف على محل أن واسمها وسكن قالون وابن عامر الواو على أن الترديد فيها.

﴿قُلْ نَعَمْ﴾ [الآية 18] أنتم مبعوثون محشورون ﴿وَأَنتُمْ دَاخِرُونَ﴾ [الآية 18] صاغرون.

﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ [الآية 19] أي إذا كان كذلك فإنما البعثة صيحة واحدة هي النفخة الثانية وأمرها في الإعادة كما مرّ في البداءة ولذا رتب عليهما ﴿فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ﴾ [الآية 19] فإذا هم قيام من مراقدهم أحياء يبصرون أو ينظرون ما يفعل بهم.

﴿وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿٢٠﴾﴾ [الآية 20] أي اليوم الذي نجازى فيه بأعمالنا على حسب أحوالنا فيقال لهم.

﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الآية 21] والفصل القضاء إذ الفرق بين المحسن والمسيء في الجزاء ويقول الله للملائكة: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الآية 22] على أنفسهم بالكفر والمعصية من مقامهم إلى الموقف العظيم أو إلى وسط الجحيم ﴿وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ [الآية 22] وأشكالهم كعابد الصنم مع عبدته وأمثالهم أو نسائهم اللاتي على دينهم أو قرنائهم من شياطينهم ﴿وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ
78/ أ اللَّهِ﴾ [الآيتان 22، 23] من الأصنام وغيرهم زيادة في تخجيلهم / وتحسرهم ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ [الآية 23] دلوهم إلى نحوها وعرفوهم طريقها ليسلكوها.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أراد بأزواجهم قرنائهم وأشكالهم ومن عمل بمثل أعمالهم ومن أعانهم على ظلمهم بقليل أو كثير في حالهم ومآلهم وهكذا في هذه الطريقة من أعان صاحب فترة في فترته أو صاحب زلة على زلته كان مشاركاً له في عقوبته واستحقاق طرده وإهانته.

﴿وَقِفُوهُمْ﴾ [الآية 24] احبسوهم في مواقف أحوالهم ﴿إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ [الآية 24] عن عقائدهم وأعمالهم وأحوالهم.

﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الآية 25] لا ينصر بعضكم بعضاً بالتخليص وهو توبيخ وتقريع.

﴿بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ٢٦﴾ [الآية 26] منقادون بظهور عجزهم إليهم وانسداد أبواب الحياة عليهم.

وأفاد الأستاذ: أن مقام السؤال مقام صعب الحال قوم يسألهم الملك وقوم يسألهم الملائكة فالذين يسألهم الملائكة أقوام لهم أعمال صالحة تسأل للعرض والكشف وأقوام لهم أعمال لا يصلح للكشف وهم قسمان الخواص يسترهم الحق على اطلاع الخلق عليهم في الدنيا والعقبى والعوام وهم أرباب الزلات يرحمهم الله فلا يفضحهم فيم أنهم يكونون في بعض أحوالهم بعين الهيبة وفي بعض ينعت البسط والقربة وفي الخبر أن قوماً يسترهم بيده ويقول لهم تذكر عذرك أي فيما مضى من أمرك وحديث الخلق في الصحيح وهو في هذا المعنى كالصريح وهؤلاء أصحاب الخصوص في تحقيق أسرار الأبرار، فأما الأغيار والأجانب والكفار فيقال: ادخلوا بحكمكم النار، ثم يقال لهم في بعض أحوال الفزع عليهم: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ٢٥ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ٢٦﴾ [الآيتان 25،26].

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الآية 27] يعني الأتباع والرؤساء أو الكفرة والفرقاء ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾ [الآية 27] يسأل بعضهم بعضاً للتوبيخ والتقريع ولذا فسر يتخاصمون.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ٢٨﴾ [الآية 28] عن أقوى الوجوه في صد الدين أو عن الحلف فإنهم كانوا يحلفون لهم أنهم على الحق اليقين.

﴿قَالُواْ بَل لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ٢٩ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ﴾ [الآيتان 29،30] من برهان مبين ﴿بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ﴾ [الآية 30] أجابهم الرؤساء للمتبوعين أولاً بمنع إضلالهم بأنهم في / أنفسهم كانوا ضالين، وثانياً بأنهم ما أجبروهم على 78/ب
الكفر إذ لم يكن عليهم سلطان وإنما جنحوا إليه لأنهم اختاروا طريق الطغيان.

﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآۖ﴾ [الآية 31] بعذاب الكافرين ﴿إِنَّا لَذَآئِقُونَ﴾ [الآية 31] ما وعدنا على ألسنة المرسلين.

﴿فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ٣٢﴾ [الآية 32] ثم بين الرؤساء أن ضلال الفريقين ووقوعهم في العذاب كان أمراً مقضياً لا محيص لهم عنه أصلاً فأحبوا أن يكونوا

مثلهم وفيه، أي في هذا الباب، وإن غاية ما فعلوا بأتباعهم أنهم دعوهم إلى الغي معهم لأنهم كانوا على الغي فأحبوا أن يكونوا مثلهم، وفيه إيماءٌ بأن غوايتهم في الحقيقة ليست من قبلهم إذ لو كان كل غواية بإغواء غاوٍ فمن أغواهم فهذا نصير قوله صلى الله عليه وسلم فمن أعدى الأول[1]!، فتأمل فإنه يكشف لك من هنا باب التوحيد على الوجه الأكمل.

﴿فَإِنَّهُمْ﴾ [الآية 33] أريد بهم الاتباع والمتبوعون ﴿يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ [الآية 33] أي في العقبى كما كانوا مشتركين في الغواية في الدنيا بحسب مراتب زلاتهم واختلاف حالاتهم في جهالاتهم من ضلالاتهم وإضلالاتهم.

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الآية 34] أي الذين كانوا يكفرون وعلى المعاصي يصرون.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الآية 35] أن يقولوا ليس كمثله شيء وينكرون على قائله.

وأفاد الأستاذ: إن احتجاجهم بقلوبهم أوقفهم في وهدة عذابهم وذلك أنهم استكبروا عن عبادته وقد قال تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء: الآية 172] أي أن يكونوا عبيداً له لأن من عرف الله فلا لذة له إلا في طاعة الله.

﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾﴾ [الآية 36] يعنون به محمداً أعقل العاقلين.

﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [الآية 37].

قال الأستاذ: لما لم يحتشموا من وصفه تعالى بما لا يليق به لم يبالوا بما أطلقوا من المثالب في وصف أنبيائه.

﴿إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾﴾ [الآية 38] بإشراك الله العظيم وتكذيب الرسول الكريم.

(1) لم نعثر عليه، وقد أورده الشربيني الخطيب في تفسير السراج المنير (1/ 3631).

﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الآية 39] إلا مثل ما كنتم تصنعون جزاء وفاقاً وقضاء استحقاقاً.

﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الآية 40] أي لكن عباد الله المخلصين من الأنبياء والمرسلين والمؤمنين المحسنين.

79/ أ ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾﴾ [الآية 41] / مشهور خصائصه من الدوام وتمحص اللذة في المرام ولذا بينه بقوله.

﴿فَوَاكِهُ﴾ [الآية 42] فإن الفاكهة ما تقصد به اللذة دون التقوية فإن أهل الجنة أعيدوا على خلقة محكمة محفوظة على تجلّل البينة فكانت أرزاقهم فواكه خالصة أو ما في معناها من قصد اللذة ﴿وَهُم مُّكْرَمُونَ﴾ [الآية 42] في نيل الرزق إليهم وحصوله من غير تعب لديهم ولا منة لأحد عليهم.

وقال أبو بكر بن طاهر: صحة البقاء مع الله إخلاص العبودية لله وقت العبد مع الله ببقاء حظه من الله.

وأفاد الأستاذ: أن الإخلاص إفراد الحق سبحانه بالعبودية والذي يشوب عمله رياء ليس بمخلص في أداء حق الربوبية ويقال: الإخلاص تصفية العمل لا توفيته، وفي الخبر: «يا معاذاً أخلص العمل يكفيك القليل منه في الأمل؟»[1]. ويقال: الإخلاص فقد رؤية الأشخاص ويقال: أن لا يلاحظ محل الاختصاص ويقال: هو أن تنظر إلى نفسك بعين الانتقاص. ثم قال في أثناء التقارير: من كان له رزق معلوم في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان من جملة المياسير وهذه صفة أهل الجنة كما وقعت به البشارة فلهم في الآخرة رزق لإبشارهم وأسرارهم فالأغنياء اليوم لهم رزق معلوم لأنفسهم وعيالهم والفقراء اليوم لهم رزق معلوم لقلوبهم وأحوالهم فواكه وهم مكرمون، من ذلك وردد الرسول عليهم من قبل الله في كل وقت وحين وكذلك ليوم الخطاب، وأراد منُّ الله على قلوب الخواص في كل وقت بكل

(1) انظر تفسير القشيري (6/ 416)، وتفسير حقي (12/ 285)، والبحر المديد (5/ 231).

أمر من عوارف الدين ومعارف اليقين.

﴿فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [الآية 43] في جنات ليس فيها إلا النعيم المقيم.

﴿عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ [الآية 44] في مقام التكريم يستأنس بعضهم برؤية بعض من أرباب التعظيم.

﴿يُطَافُ عَلَيۡهِم بِكَأۡسٖ مِّن مَّعِينِۭ ﴿٤٥﴾﴾ [الآية 45] يدار عليهم بإناءٍ فيه خمر من معين من شراب معين أو نهرٍ مبين أي ظاهر للعيون جمع عين بمعنى جشمه منه أو خارج من العيون وفيه الإيمان بأنها لكثرتها تجري كالماء.

﴿بَيۡضَآءَ﴾ [الآية 46] فيها حظٌ للناظرين ﴿لَذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ [الآية 46] منها ووصفها بلذة / دون لذيذة لإرادة المبالغة في اللذاذة فكأنها عينها. 79/ب

﴿لَا فِيهَا غَوۡلٞ﴾ [الآية 47] غائلة كما في خمر الدنيا من صداع ونحوها ﴿وَلَا هُمۡ عَنۡهَا يُنزَفُونَ﴾ [الآية 47] يسكرون من نزف الشارب مجهولاً إذا ذهب عقله وقرأ حمزة والكسائي بكسر الزاي من أنزف الشارب إذا نفذ عقله أو شرابه.

قال الأستاذ: شراب يحضرهم ولا يسكرهم شراب لا يزيل عنهم الحشمة ولا يرفع عنهم الهيبة فقوم يشربون من وراء الستور وقوم يسقون على نعت القرب في الحضور.

﴿وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ﴾ [الآية 48] يقصرون أبصارهن على أزواجهن ﴿عِينٞ﴾ [الآية 48] جمع عيناً أي نجل العيون.

﴿كَأَنَّهُنَّ بَيۡضٞ﴾ [الآية 49] في صفاء الأنوار وضياء الأسرار ﴿مَّكۡنُونٞ﴾ [الآية 49] مصون من الغبار وإصابة يد الأغيار.

﴿فَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [الآية 50] أي يشربون يتحادثون عن المعارف والفضائل وما جرى لهم وعليهم في الدنيا من الشمائل كما قيل وما بقيت من اللذات إلا أحاديث الكرام على المدام.

﴿قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٞ ﴿٥١﴾﴾ [الآية 51] جليس في الدنيا.

﴿يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ﴾ [الآية 52] في العقبى.

﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ [الآية 53] مجزيون بأعمالنا ومحاسبون بأحوالنا.

﴿قَالَ﴾ [الآية 54] إن ذلك القائل لأهل الجنة أو الله أو بعض الملائكة ﴿هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾ [الآية 54] هل تحبون أن تطلعوا على أهل النار فتعلمون أين منزلتكم من منزلتهم في القرار.

﴿فَٱطَّلَعَ﴾ [الآية 55] عليهم ﴿فَرَءَاهُ﴾ [الآية 55] أي قرينه منهم ﴿فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الآية 55] وسط عذاب الحميم.

﴿قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾﴾ [الآية 56] لتهلكني بالإغواء عن الهداية، وإن مخففة واللام فارقة.

﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى﴾ [الآية 57] بالتوفيق والعصمة ﴿لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ [الآية 57] معك في عذاب الحرقة وحجاب الفرقة.

﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [الآية 58] أي أنحن منعمون وغيرنا معذبون وكلنا مخلدون فما نحن بمن شأنه الموت والبلى.

﴿إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ﴾ [الآية 59] التي كانت في الدنيا ونصبها على المصدرية من الصيغة الفاعلية ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [الآية 59] بالموت مرة أخرى والجملة تتمة كلامه لقرينه تقريعاً له في دينه أو معاودة إلى مكالمة جلسائه ومحاورة إنشائية تحدثاً بنعمة الله وتحجحاً بها وتعجباً منها.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ [الآية 60] الإشارة إلى ما هم فيه من النعمة / والأمن من النقمة. 80/ أ

﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الآية 61] أي لنيل مثل هذا الفضل يجب أن يعمل العمل لا للحظوظ الدنيوية المنسوبة بالأعراض الردية والأعواض الدنية والجملة من كلامهم في تقرير مرامهم أو من كلام الله والملائكة لهم.

وأفاد الأستاذ: أنه إن كان العابد يقول أو يقال له إذا ظهرت الجنة وبدت النعمة وزالت المحنة ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الآية 61] الطاعة والعبادة فإذا بدأ به شظية من حقائق المعرفة وتباشير الوصلة أو ذرة من نسيم القربة، فبالحري أن يقول القائلون: لمثل هذه الحالة تبذل الأرواح وتفنى الأشباح.

على مثل سلمى يقتل المرء نفسه وإن بات من سلمى على الباب طاوياً[1]

وها هنا تضيق العبارات وتقصر الإشارات.

﴿أَذَٰلِكَ﴾ [الآية 62] أي أما ذكر من النعمة في الجنة ﴿خَيْرٌ نُّزُلًا﴾ [الآية 62] للأبرار ﴿أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾ [الآية 62] التي ثمرها نزول أهل النار وفي ذكر النزل دلالة على أن ما ذكر من الثواب والعقاب جزاء بمنزلة ما يقام للنازل ابتداء ولهم ما وراء ذلك ما يغفر عنه الاتهام انتهاء والزقوم اسم شجرة منتنة مرّة تكون بتهامة سميت بها الشجرة الموصوفة.

﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾﴾ [الآية 63] محنة وعقوبة للكافرين في العقبى أو ابتلاء في الدنيا فإنهم لما سمعوا بها أنكروها وقالوا: لا يمكن وجودها ولم يعلموا إن من قدر على خلق ما يعيش فيها ويتلذذ بها فهو قدير على خلق الشجر في وسطها وحفظها من إحراقها.

﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾﴾ [الآية 64] منبتها في قعرها وأغصانها ترتفع إلى دركاتها نظيرة ما لأهل الجنة من شجرة طوبى أصلها في أسفلها وأغصانها في أعلاها واصلة إلى درجاتها.

﴿طَلْعُهَا﴾ [الآية 65] حملها ﴿كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [الآية 65] في تناهي قبحها وهولها.

﴿فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [الآية 66] لغلبة الجوع على أهلها أو للجبر على أكلها.

(1) ذكره القشيري في تفسيره (6/ 424).

﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا﴾ [الآية 67] بعدما شبعوا منها وعليهم العطش بها وطال استسقاؤهم فيها ﴿لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾ [الآية 67] لشراباً من غساق أو صديد مشوباً بماء حميم يقطع أمعاءهم ويمزق أجزاءهم.

﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ﴾ [الآية 68] مصيرهم بعد أكلهم وشربهم ﴿لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾ [الآية 68] إلى دركاتها أو إلى سائر عقوباتها.

/ ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ﴾ [الآية 69] وجدوا أسلافهم ﴿ضَالِّينَ﴾ [الآية 69] عن طريق اليقين. 80/ ب

﴿فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الآية 70] يسرعون متقلدين من غير استعمال أفكارهم في تحقيق الدين.

﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ﴾ [الآية 71] قبل هؤلاء الموجودين ﴿أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الآية 71].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [الآية 72] بالعقاب لمن أصر ومبشرين بالثواب لمن أقر.

﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ﴾ [الآية 73] من شدة الحال وفظاعة المآل.

﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ [الآية 74] الذين أخلصوا دينهم لله. وقرأ نافع والكوفيون بفتح اللام أي الذين أخلصهم الله تعالى لدينه الإسلام والخطاب مع رسوله والمقصود به من آمن من قومه فإنهم أيضاً سمعوا أخبارهم ورأوا آثارهم.

﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ﴾ [الآية 75] دعانا حين أيس من إيمان الكفرة فأجبناه أحسن الإجابة ﴿فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ [الآية 75] نحن لمن نادينا في حال محنته ودعانا لزوال بليته.

وقال الأستاذ: أي لما أصابه الأذى من قومه ولم يسمع قومه ما بلغهم من قوله فرجع إلينا وخاطبنا وخاطبناه وكلمنا وكلمناه ونادانا وناديناه وكان لنا فكنّا له وأجابنا فأجبناه فلنعم المجيبون كان لنا ولنعم المجيبون كنا له.

﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ﴾ [الآية 76] أي من آمن معه ﴿مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الآية 76] من الغرق أو أذى الغرق كما أفاد الأستاذ: بقوله أخبر الله سبحانه عن كونهم جميعاً في الكرب ولكن شتان بين كرب نوح وأهله وبين كرب قومه:

وما يبكون مثل أخي ولكن أعزّي النفس عنه بالتأسي

﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الآية 77] إذ هلك من عداهم وبقوا متناسلين إذ روي أنه مات كل من كان معه في السفينة غير نبيه وأزواجهم السكينة.

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾﴾ [الآية 78] في الأمم المتأخرين.

﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الآية 79] والجملة جيء بها على الحكاية ومعناه الدعاء بثبوت هذه التحية في المؤمنين والملائكة.

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [الآية 80] قيل: المحسن من أحسن لنفسه فلا يوقعها في ورطة الغفلة وفي وهدة الزلة ويحسن إلى الخلق ولا يؤذيهم بسوء الخلق وبحسن العبادة والطاعة فلا يشوبها بشيء من الرياء والسمعة.

81/أ وقال الكتاني: بين العبد وبين الله سبحانه ألف مقام من/ نور وظلمة وإنما كان اجتهادهم في قطع الظلمة حتى وصلوا إلى نور القربة فلم يكن لهم رجوع إلى ما ورائهم فهؤلاء من المحسنين.

﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾﴾ [الآية 81] تعليل للإحسان وإظهار لفضل الإيمان وإشعار لجلالة قدرة وأصالة أمره.

﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ﴾ [الآية 82] أي الكافرين.

﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ﴾ [الآية 83] ممن شايعه في الإيمان وأصول الشريعة من أركان الإحسان ﴿لَإِبْرَٰهِيمَ﴾ [الآية 83] وكان بينهما ألفان وستماية وأربعون سنة وبينهما نبيّان هود وصالح عليهم السلام والتحية.

﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾﴾ [الآية 84] من الخلائق والعلائق أو سليم من محبة الأغيار ومحنة الأكدار أو سليم من حظوظ نفسه وهواه مسلماً لله فيما اختاره وقضاه أو سالم من آفات القلوب وخالص لعلام الغيوب. ومعنى المجيء

يدربه إخلاصه له كأنه جاء به متحفاً لربه.

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [الآية 85] على جهة الإنكار عليهم والتنبيه لهم على موضع غلطهم لديهم.

﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ [الآية 86] أي أتريدون آلهة دون الله إفكاً وقربة فقدم المفعول به للعناية ثم المفعول له لأن الأهم أن يقرر لهم أنه على الباطل مبني أمرهم.

﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الآية 87] بمن هو حقيق للعبودية لكونه موصوفاً بالربوبية حتى تركتم عبادته أو أشركتم به غيره في طاعته أو أمنتم من عذابه وعقوبته.

وقال الأستاذ: أي إذا لقيتموه وقد عبدتم غيره فما الذي تقولون له وكيف بكم من مقام الحجة بين يديه وإن كنتم اليوم غافلين عنه غير ملتفتين إليه.

﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾﴾ [الآية 88] إليها فرأى مواقعها.

﴿فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ [الآية 89] أي سقيم القلب لكفركم بالرب أو بصدد الموتى ومعرض الفوت ومنه المثل: كفى بالسلامة داء، رواه الديلمي في مسند الفردوس عن ابن عباس مرفوعاً[1].

وقول لبيد:

فدعوت ربي بالسلامة جاهداً ليصحني فإذا السلامة داء[2]

وقد مات رجل فجأة فالتف عليه الناس جملة فقيل: ما هذا؟ قالوا: مات وهو صحيح في نفسه فقال أعرابي: أصحيح من الموت في عنقه وما أحسن قول من قال من أرباب الحال/ : 81/ ب

(1) انظر جامع الأثير (15/ 306) رقم (15555)، وكنز العمال (3/ 308) رقم (6692) ص (166).

(2) انظر تفسير القرطبي (15/ 93) والكشاف (5/ 472).

كل أمرىء مُصبح في أهله والموت أدنى من شراك نعله[1]

وحاصله إني سأسقم على الموهوم إن كان تأتيه الحمى للوقت المعلوم وقد تعلل به ليتأخر عنهم عند ذهابهم إلى عيدهم ليتمشى له ما كان في نفسه من كسر أصنامهم وكيدهم.

وقال ابن عطاء: إني سقيم القلب لفوت مرادي من الرب فإن الحبيب أبداً يكون سقيم القلب في البعد والقرب.

﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ﴾ [الآية 90] فأعرضوا عنه ﴿مُدْبِرِينَ﴾ [الآية 90] وإلى عيدهم وزينتهم مقبلين.

﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ﴾ [الآية 91] فذهب إليها بخفية ومال عليها بحيلة فرأى عندها أنواعاً من الطعام موضوعة للتبرك بذلك المقام ﴿فَقَالَ﴾ [الآية 91] لها استهزاء بها ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الآية 91] كآحاد الحيوان.

﴿مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [الآية 92] كأفراد الإنسان. والمقصود إثبات الجمادية وأنهم بمعزل عن استحقاق العبودية.

﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾﴾ [الآية 93] أي فحمل عليهم يضربهم ضرباً بسبب اليمين وهو قوله تعالى: لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين.

﴿فَأَقْبَلُوٓاْ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾﴾ [الآية 94] أي بعد ما رجعوا عن عيدهم ورأوا أصنامهم مكسرة في مكيدهم وبحثوا عن كاسر الأصنام وظنوا أنه إبراهيم عليه السلام كما بينه قوله تعالى: ﴿مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ﴾ [الأنبياء: 59] الآية يزفون يسرعون وقرأ حمزة بضم الياء أي يحملون أنفسهم أو بعضهم بعضاً على ما يبادرون.

﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [الآية 95] أي ما تنحتونه من الأصنام.

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الآية 96] أي وما تعملونه من الأعلام فإن جوهرها بخلقه سبحانه وشكلها وإن كان بفعلهم وكذا جعل من عملهم فبإقداره

---

(1) نسب إلى أبي بكر رضي الله عنه، انظر نهاية الأرب (4/ 339).

إياهم عليه وخلقه تعالى ما يتوقف عليه فعلهم من الدواعي إليه وحصول عددهم لديه.

﴿قَالُواْ ابْنُواْ لَهُۥ بُنْيَٰنًا﴾ [الآية 97] مرتفعاً أو احفروا له مكاناً منخفضاً ﴿فَأَلْقُوهُ فِي ٱلْجَحِيمِ﴾ [الآية 97] في النار الشديدة الموقدة في البقعة البعيدة.

﴿فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا﴾ [الآية 98] فإنه لما قهرهم بالحجة التامة قصدوا هلاكه لئلا يظهر عجزهم للعامة ﴿فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾ [الآية 98] الأذلين بإبطال كيدهم وإظهار برهانه وإعلاء شأنه كمالاً وتماماً حيث جعل النار عليه برداً وسلاماً روي أنه لما رمي من المنجنيق وقد حصل له ما حصل من الضيق فنزل جبريل من السماء وتعرض له في الهواء/ وقال: هل لك من حاجة؟ فقال: أما إليك فلا 82/ أ فقال: فاسأل ربك؟ فقال حسبي من سؤالي علمه بحالي وفي رواية قال الخليل: حسبي الله ونعم الوكيل.

﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ [الآية 99] حيث أمرني ربي بإقامته أو حيث أتجرد فيه لعبادته ﴿سَيَهْدِينِ﴾ [الآية 99] سيدلني إلى ما فيه صلاح ديني وإنما بت القول لسبق وعده أو لتحقق توكله أو للبناء على عادته تعالى معه من فضله ولم يكن موسى عليه السلام في مقام الخليل حين قال: ﴿عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [القصص: الآية 22] حيث أتى بصيغة التوقع في المقام الجليل.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أخبر عن قول إبراهيم: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ [الآية 99] وأخبر عن صفة موسى بقوله: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا﴾ [الأعراف: الآية 143] وقال في نعت نبينا: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: الآية 1] فإبراهيم كان بعين الفرق وموسى بعين الجمع ونبينا بعين جمع الجمع انتهى.

واعلم أن المراد بالفرق هنا مقام البقاء وبالجمع حالة الفناء ولجمع الجمع أن لا يمنعه الكثرة عن الوحدة ولا تحجبه الوحدة عن الكثرة فهو الجامع بين المحو والصحو كما يقتضيه صفة الجلال ونعت الجمال ولعل فرقه عُلِمَ من قوله: ﴿ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الآية 99] فإنه يشير إلى سيره إلى الله وهو مقام تفرقه بالنسبة إلى صاحب [الجمعيّة] ومؤمن من يكون سيره في الله

وهو حال ناقص أيضاً بالإضافة إلى مقام صاحب جمع الجمع وهو من يكون سيره بالله ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وبهذا التحقيق ظهر كساد ما أفاد الأستاذ بقوله: كان ذاهباً في الله، فلذلك قال: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ [الآية 99] فذهابه فيه أوجب ذهابه إليه ويقال: إنما طلب هداية مخصوصة لأنه كان صاحب هداية منصوصة ولو لم يكن له هداية في نفسه لما ذهب إلى ربه ويحتمل أنه كان صاحب هداية في الحال فطلب الهداية في الاستقبال أو الزيادة في الهداية من البداية إلى النهاية ويقال: طلب الهداية إلى كيفية [آداب] الرعاية في الحضرة ويقال: طلب الهداية إلى نفسه لأنه فقد فيه قلبه ونفسه فقال: ﴿سَيَهْدِينِ﴾ [الآية 99] إلى الأقوم بحق عبوديته علي فإن
82/ب المستهلك في / حقائق الجمع لا يصح منه أداء العبادة إلا بأن يرد إلى حالة التفرقة والتميز في الإرادة بين العبادة والعادة. وقالوا: معنى ﴿إِلَىٰ رَبِّي﴾ [الآية 99] إلى المكان الذي يعبد فيه ربي سيهدين إلى مقصدي.

﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الآية 100] يعني ذرّيّة صالحة تعينني على الدعوة والطاعة وتؤنسني في الغربة والكربة.

﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [الآية 101] بشره بذكر يبلغ أوان الحلم وزمان العلم وقد قيل: ما نعت الله نبياً بالحلم في كتابه لعزة وجوده في بابه غير إبراهيم وابنه وأي حلم مثل حلمها كما يشهد عليه فيما سيأتي حالهما.

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْيَ﴾ [الآية 102] أي وجد وبلغ أن يسعى معه في أعماله الدينية أو أحواله الدنيوية وكان له يومئذ ثلاث عشر سنة ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ [الآية 102] من الرأي في المرام يحتمل أنه رأى حقيقة ذلك أو رأى ما هو تعبيره هنالك وروي أنه رأى ليلة التروية أن قائلاً يقول له: إن الله يأمرك أن تذبح ابنك فلما أصبح رؤي أنه من الرحمٰن أو من الشيطان فلما أمسى رأى مثل ذلك فعرف أنه من الله ثم رأى مثله في الليلة الثالثة فهم بنحره هنالك وقال له ذلك ولذا سميت الأيام الثلاثة بالتروية وعرفة والنحر، ثم الأظهر أن المخاطب إسماعيل لأنه الذي ذهب له أثر الهجرة ولأن البشارة

بإسحاق بعدما معطوف على البشارة بهذا الغلام ولقوله عليه السلام: أنا ابن الذبيحين فأحدهما جده إسماعيل والآخر أبوه عبدالله فإن عبدالمطلب نظر أن يذبح ولداً إن سهل الله له حفر زمزم أو بلغ بنوه عشرة فلما سهل اقترع فخرج السهم على عبدالله فمنعه أخواله ففداه بمائة من الإبل ولذا سنت الدية مائة ولأن ذلك كان بمكة وكان قرنا الكبش معلقين بالكعبة حتى احترقا معها أيام ابن الزبير ولم يكن إسحاق ثم ولأن البشارة بإسحاق كانت مقرونة بولادة يعقوب منه فيبعد الأمر بذبحه قبل وقوعه وإنما شاوره فيه وهو حتم عليه ليعلم ما عنده فيما نزل من بلاءِ ربه فيثبت قدمه إن جزع ويأمن عليه/ إن سلم وليوطن نفسه عليه فيهون الأمر 83/ أ
لديه ويكتسب المثوبة بالانقياد له قبل نزوله إليه وقرأ حمزة والكسائي ماذا ترى بضم التاء وكسر الراء والمعنى أي شيء تراه ويحملني عليه من اعتقاده ﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ﴾ [الآية 102] أي تؤمر به ولعله فهم من كلامه أنه رأى أن يذبحه مأموراً به أو علم أن رؤيا الأنبياء حق وأن مثل ذلك لا يقدمون عليه إلا بأمر منه ولعل الأمر به في المنام دون اليقظة لتكون مبادرتهما إلى الامتثال أدل على كمال الانقياد والإخلاص في الأعمال وإنما قال: أرى لتكرير الرؤيا ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الآية 102] على حكم الله وبلائه وقضائه في ابتلائه.

﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا﴾ [الآية 103] استسلما لأمر الله وحكمه أو سلمه الذبيح نفسه وإبراهيم ابنه وقد قرىء بهما ﴿وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ﴾ [الآية 103] صرعه على شقه فوقع جبينه على جنبه وقيل: كبه على وجهه بأمره كيلا يرى فيه تغييراً يرق له فيمنعه عن ذبحه قيل: لما وصل إلى الأرض موضع السجود جاء الفرج وأثر الجود من الودود.

﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الآيتان 104،105] بالعزم والجزم من النيات والإتيان بالمقدمات روي أنه أمر السكين بقوته على حلقه مراراً فلم يقطع وجواب لما محذوف تقديره كان ما كان مما ينطق به الحال ولا يحيط به المقال من استبشارهما وشكرهما له تعالى على ما أنعم عليهما من دفع البلاء بعد حلوله والتوفيق لما لم يوفق غيرهما لمثله.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ١٠٦﴾ [الآية 106] الابتلاء البين الذي يتميز فيه المخلص من غيره رد المحنة البينة فإنه لا أصعب من هذه البلية.

قال الحريري: البلاء على ثلاثة أوجه على المخلصين نقم وعقوبات وعلى السابقين تمحيص وكفارات وعلى الأنبياء والصديقين نوع من اختيارات.

وقال سهل: البلاء على صنفين بلاء رحمة وبلاء عقوبة، فبلاء الرحمة يبعث صاحبه على إظهار فقره إلى الله، وبلاء العقوبة يترك صاحبه على تدبيره واختياره.

وقال جنيد: البلاء هو الغفلة عن المبلي.

83/ ب ﴿وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ﴾ [الآية 107] بما يذبح به بدله فيتم/ به فعله ﴿عَظِيمٖ﴾ [الآية 107] الجثة وقد ورد استشرفوا ضحاياكم فإنها على الصراط مطاياكم أو عظم الرتبة لأنه يفدي الله سبحانه نبياً ابن نبي من نسله سيد الأنبياء فعن ابن عباس هو الكبش الذي قرّبه هابيل فقيل منه وكان يرعى في الجنة[1].

وعن الحسن: فدي بوعلٍ هبط عليه من ثبير[2]. وعن ابن عباس: لو تمت تلك الذبيحة لصارت سنّة وذبح الناس أبناءهم، أي في كل حجة أو سنّة[3].

قال ابن عطاء: استسلما انقياداً به ورضياً.

قال جعفر: أخرج إبراهيم من قلبِه محبة ابنه وأخرج إسماعيل من قلبه محبة روحه وقيل: الحكمة في أمر الله إبراهيم بذبح ابنه لما أراد الله أن يزيل

---

(1) أورده الطبري في تفسيره (21/ 87)، والقرطبي في تفسيره (15/ 107)، والزمخشري في كشافه (5/ 479).
(2) أورده ابن كثير في تفسيره (7/ 31)، والقرطبي في تفسيره (15/ 107)، وابن أبي حاتم في تفسيره (12/ 104)، والأزرقي في أخبار مكة (3/ 120).
(3) أورده الكشاف في كشافه (5/ 479)، والنسفي في تفسيره (4/ 25).

عن سره محبة ولده لكيلا يزاحم محبته محبة غيره ويثبت محبته في قلبه لأن وجود محبة الله في قلب إبراهيم مع محبة الولد محال فنظر إلى أقرب الأشياء إلى قلبه فوجد ابنه فأمره بذبحه، والمبتغى مما أمره الله به إبراهيم من ذبح الابن إخلاء السر وترك عادة الطبيعة لا حصول الذبح في الشريعة ألا ترى لما أمر السكين انقلب فلم يقطع فنودي بقوله: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الآية 107] أي وقد خلصت مما طالبناك به من طريق الإشارة فيما تقدمت إليك العبارة.

قال ابن عطاء: لما سعى إسماعيل في الطاعة سعيه وأقام بحقوق الله حسب ما رضي به الخليل وارتضاه وقرت عينه لقيامه بحقوق مولاه وأنس الخليل بمكانه وفرح من شأنه قيل له: اذبحه فإنه لا يصلح للخليل أن يفرح بشيء سوى خليله فابتلي بذبحه ثم لما أسلم وقام مقام الاستقامة واتبع الأمر في الطاعة فداه بذبح عظيم فصار ذبح الضحايا من سنة الأنبياء وروي أنه لما ذبحه قال جبريل الله أكبر الله أكبر فقال الذبيح لا إله إلا الله والله أكبر فقال الخليل: الله أكبر ولله الحمد فبقي سنة.

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الآيتان 108،109] قال الواسطي: ثناء جزيلاً عليه وقبولاً جميلاً إليه عند جميع الأمم المتأخرين.

﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآيتان 110،111].

وأفاد الأستاذ: إنه يقال: أيهما كان أشد بلاءً؟ قيل إسماعيل لأنه وجد الذبح من يد أبيه الخليل/ ولم يتعود من يده إلا التربية بالجميل فكان البلاء 84/أ
عليه أشد لأنه لم يتوقع منه ويقال: بل إبراهيم أشد بلاء لأنه كان يحتاج أن يذبح ابنه بيده ويعيش بعده قلت: الأظهر هو الأول فتأمل ويقال: لم يأت في ذلك إسماعيل بالدعوى فقال: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الآية 102] فتأدب بلفظ الاستثناء لصعوبة الصبر على مثل هذا البلاء ويقال: لو قال إسماعيل إما أن لا تقل يا بني بهذه اللطافة وإما لا تقل إني أذبحك فإن الجمع بينهما عجب في العبارة. قيل في التفاسير: كان إبراهيم يمر السكين على حلقه وكان السكين لا يقطع شيئاً من جلده فتعجب إبراهيم فنودي يا إبراهيم إنما المقصود

من هذا استسلامكما ويقال: إن الله ستر عليهما علم ما أريد منهما في حال البلاء وإنما كشف عليها بعد مضي وقت المحنة لئلّا يبطل معنى الابتلاء وكذلك لما ألقي إبراهيم في النار فأخفي عنه المراد منه ليحصل معنى الابتلاء وهكذا يكون الحال في حال البلاء تنشر وجود التهدي إلى الحال وكذلك كان حال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الإفك وهكذا حال أيوب وسائر الأنبياء في حال الابتلاء وإنما يتبين الأمر بعد ظهور آخر المحنة ولكن مع استعجام الحال واستبهامه في أول القصة إذ لو كشف الأمر على صاحبه ابتداء لم يكن حينئذ ابتلاء ثم الناس في البلاء على أقسام: فبلاء مستصعب وذلك صفة العوام وبلاء مستعذب وهو نعت الأولياء الكرام، يستعذبون بلاياهم كأنهم لا ييأسون من الدنيا إذا قتلوا قلت: الأظهر أنهم يقولون ما قيل، اقتلوني يا ثقاتي، إن في قتلي حياتي وفي الحديث: «سترون ربكم ولن تروه قبل موتكم».

﴿وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيّٗا﴾ [الآية 112] مقضياً نبوته مقدراً ثبوته نبيّاً ﴿مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الآية 112].

﴿وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ﴾ [الآية 113] على إبراهيم في أولاده وأحفاده ﴿وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ﴾ [الآية 113] بأن أخرجنا من صلبه أنبياء بني إسرائيل وغيرهم كأيوب وشعيب أو أفضنا عليهما بركات الدين والدنيا.

وأفاد الأستاذ: إن كل هذا بعد البلاء قال تعالى: ﴿إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرٗا﴾ [الشرح: الآية 6]، ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ﴾ [الآية 113] على نفسه بالإيمان والطاعة ﴿وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ﴾ [الآية 113] بالكفر والمعصية ﴿مُبِينٞ﴾ [الآية 113] / ظاهر أثر 84/ ب
كل ما واحد منهما وفيه تنبيه على أن النسب لا أثر له في الهدي والضلال أن الظلم في عقابهما لا يعود عليهما بالنقص والوبال.

﴿وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ١١٤﴾ [الآية 114] أنعمنا عليهما بالنبوة وغيرها من المنافع الدينية والمصالح الدنيوية.

﴿وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾﴾ [الآية 115] من الغرق أو من تغلب فرعون وأتباعه.

﴿وَنَصَرْنَٰهُمْ﴾ [الآية 116] الضمير لهما مع قومهما ﴿فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾ [الآية 116] على فرعون وقومه.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾﴾ [الآية 117] التبليغ بيانه العظيم برهانه وهو التوراة.

﴿وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾﴾ [الآية 118] الدين القويم.

وأفاد الأستاذ: إنه هو شهود الوحدة والتبري عن الحول والقوة.

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الآيات 119،123] هو إلياس بن ياسين سبط هارون أخي موسى عليهم السلام بعث بعده وقرأ ابن ذكوان في وجه عنه يوصل هذه همزة إلياس وقيل هو إدريس لأنه قرىء مكانه إدريس وإدراس.

﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [الآية 124] عذاب ربي أو مخالفة أمري.

﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾ [الآية 125] أتعبدونه وهو اسم صنم كان لأهل الشام وهو البلد الذي يقال له الآن بعلبك ﴿وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [الآية 125] وتتركون عبادته وتخالفون طاعته.

﴿ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [الآية 126] جملة من مبتدأ وخبر أو خبر مبتدأ مقدر هو هو وقرأ حمزة والكسائي وحفص بنصب الثلاثة على البدلية.

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ [الآية 127] ووعظهم فما صدقوه ﴿فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ [الآية 127] في العذاب يوم الحساب.

﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [الآية 128] استثناء من الواو لصحة المبنى لا من المحضرين لفساد المعنى.

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ﴾ [الآيتان 129، 130] لغة في إلياس كسيناً أو سينين وقيل جمع له مراد به وهو وأتباعه من المؤمنين أو للمنسوب إليه بحذف ياء النسب كالأعجمين وقرأ نافع وابن عامر على إضافة آل إلى ياسين فتكون ياسين أي إلياس ويؤيده أنهما في المصحف مفصولان وقيل: المراد آل محمد ولا يناسبه نظم سائر القصص ولا قوله وتركنا عليه في الآخرين ولا قوله: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ [الآيات 131،135] أي الباقين.

85/ أ / ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْآخَرِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [الآية 136] أي الكافرين. ﴿وَإِنَّكُمْ﴾ [الآية 137] يا أهل مكة ﴿لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم﴾ [الآية 137] على منازلهم في متاجركم إلى الشام فإن سدوم في طريقه ﴿مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾﴾ [الآية 137] حال كونكم داخلين في الصباح تارة.

﴿وَبِٱلَّيْلِ﴾ [الآية 138] أي وفي المسامرة أو نهاراً أو ليلاً ولعل قريتهم وقعت قريب منزل يمرّ بها المرتحل عنه صباحاً والقاصد له مساء ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الآية 138] فتتفكرون فتعتبرون.

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ﴾ [الآيتان 139،140] أي هرب وأصل الإباق هرب العبد من سيده لكن لما كان هربه من قومه بإذن ربه حسن إطلاقه بلفظ ﴿إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ [الآية 140] المملؤ بأهله.

﴿فَسَاهَمَ﴾ [الآية 141] فقارع أهله ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ﴾ [الآية 141] فصار بالقرعة من المغلوبين روي أنه لما وعد قومه بنزول العذاب وحلوله خرج من بينهم قبل أن يأمره الله به فركب السفينة فوقفت فقالوا: هاهنا عبد آبق فاقترعوا فخرجت القرعة عليه فقال: أنا الآبق ورمى بنفسه في الماء.

﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ﴾ [الآية 142] فابتلعه مأخوذاً من اللقمة ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾

[الآية 142] آتٍ ما يلام عليه أو داخل في الملامة أو مليم نفسه الندامة.

وأفاد الأستاذ: إنه كان في أول الأمر يطلب التفصّي من النبوة فلم يعاف ثم استقبله ما استقبله فلم يلبث حتى رأى نفسه في بطن الحوت في الظلمة.

﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [الآية 143] الذاكرين الله كثيراً بالتسبيح مدة عمره أو في بطن الحوت وقت حصره بقوله: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ونحوه أو من المصلين في جميع دهره.

﴿لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الآية 144] حياً وقيل: ميتاً وفيه حث على إكثار الذكر والدعاء وإظهار الثناء وإن من أقبل على الله في السراء أخذ بيده عند الضراء، وفي الحديث: «تعرَّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة»[1].

قال الواسطي: كان من العارفين بأن تسبيحه لا ينجيه مما هو فيه من العناء وإنما ينجيه منه الفضل وسابق القضاء ويحتمل أن تكون معناه من المنزهين الله عن ظلمه والمعترفين بظلم نفسه كما يشير إليه قوله: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين.

﴿فَنَبَذْنَٰهُ﴾ [الآية 145] بأن حملنا الحوت على لفظه وطرحه ﴿بِٱلْعَرَآءِ﴾ [الآية 145] بالفضاء من الصحراء[2].

روي أنه سبحانه أوحى إلى الحوت أنا جعلنا بطنك له سجناً وله فيه مقاماً ولم نجعله لك طعاماً واختلف في مدة لبثه فقيل بعض يوم وقيل: ثلاثة أيام وقيل: سبعة وقيل: عشرون وقيل: أربعون ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ [الآية 145] مما ناله وأصاب/ حاله قيل: صار بدنه كبدن الطفل حين نزل من بطن أمه. 85/ ب

﴿وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ﴾ [الآية 146] أي فوقه مظلة لديه ﴿شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ﴾ [الآية 146]

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (3/ 623) رقم (6303)، والطبراني في المعجم الكبير (11/ 223) رقم (11560).

(2) في المخطوطة: السحراء، والمثبت من تفسير القرطبي وبحر العلوم للسمرقندي.

من شجر ينبسط على وجه الأرض ولا يقوم على ساقه في العادة والأكثر على أنها الدباء غطته بأوراقها عن الذباب فإنه لا يقع على الدباء، ويدل عليه أنه قيل له صلى الله عليه وسلم: إنك لتحب القرع قال: «أجل هي شجرة أخي يونس عليه السلام»[1]. وفي تفسير ابن أبي حاتم عن أبي هريرة أنه قال: طرح يونس ابن متى عليه السلام بالعراء وأنبت الله عليه اليقطينة وهيأ له أروية وحشية ترعى في برية وتأتيه فتتفتح عليه فترويه[2] من لبنها كل بكرة وعشية حتى نبت لحمه وقيل هي التين وقيل الموز يتغطى يونس بورقه ويستظل بأغصانه ويفطر على ثماره.

﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾﴾ [الآية 147] في مرأى الناظر أي إذا نظر إليهم وتأمل في عددهم قال: هم مائة ألف أو أكثر وقرىء بالواو وبيل هم قومه الذين هرب عنهم وهم أهل نينوى والمراد به ما سبق من إرساله إليهم أو إرسال ثان لديهم قيل: نام نومة فاستيقظ وقد يبست الشجرة فأصابته الشمس فبكى فأوحى الله إليه لا تحزن على شجرة يبست ولا تحزن على مائة ألف أو يزيدون أرسلناك إليهم فلم يتبعوك فأردت هلاكهم.

﴿فَـَٔامَنُواْ﴾ [الآية 148] فصدقوا به أو جددوا الإيمان بمحضره ﴿فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الآية 148] إلى أجل مبين في لوح مبين.

وأفاد الأستاذ: أنه لما خرج يونس من بينهم ورأوا أثر العذاب قد أظلهم ندموا وتضرعوا إلى الله سبحانه وآمنوا به فكشف الله العذاب عنهم فكانوا يقولون لو رأينا يونس لوقرناه وعظّمناه فرجع إليهم بعد نجاته من بطن الحوت وعود قوته إليه فاستقبلوه معظماً وأدخلوه بلدهم مكرماً ويقال: الذنب كان من قومه وهم قد توعدوا بالعذاب ويونس لم يذنب فخرج من بينهم فكشف الله العذاب عنهم واستقبل يونس ما استقبله حتى بعد المقاساة التي نجافيها عجباً من سر تقدير القضاء وفي القصة إن الله سبحانه أوحى إلى

(1) أورده الزمخشري في كشافه (5/ 486)، والنيسابوري في تفسيره (6/ 360)، والبيضاوي في تفسيره (1/ 27).
(2) انظر تفسير ابن كثير (7/ 39) وتفسير الطبري (21/ 113).

يونس بعد نجاته أن قل لفلان الفخار حتى يكسر ما عمله هذه السنة كلها فقال: يا رب إنه تعنّى مدة في اتخاذ ذلك فأمره أن يكسرها كلها هنالك فقال له: يا يونس يرق قلبك بخزاف يتلف عمل سنة وأردت أن أهلك مائة ألف/ 86/ أ
من عبادي يا يونس لم تخلقهم ولو خلقتهم لرحمتهم.

﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ﴾ [الآية 149] في قولهم الملائكة بنات الله وهم لها كارهون ﴿وَلَهُمُ الْبَنُونَ﴾ [الآية 149] على ما يشتهون فكيف يصفون القديم بما عنه يستنكفون.

﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ (150)﴾ [الآية 150] خلقتهم أو خلقنا إياهم والمعنى سلهم من أين زعموا أو بأي حجة حكموا وفي أي أودية شبهة وقعوا وعن أي قضية عموا.

﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ (151) وَلَدَ اللَّهُ﴾ [الآيتان 151،152] لعدم ما يقتضيه وقيام ما ينفيه ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الآية 152] فيما يتدين كل منهم ويدعيه.

﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ (153) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (154)﴾ [الآيتان 153،154] له بوصف العاجزين.

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (155)﴾ [الآية 155] أنه تعالى منزه عن ذلك.

﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ (156)﴾ [الآية 156] برهان عقلي واضح لما هنالك.

﴿فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ﴾ [الآية 157] بدليل نقلي في بابكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الآية 157] في دعواكم.

﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ [الآية 158] يعني الملائكة ذكرهم باسم جنسهم وضعاً منهم أن يبلغوا هذه المرتبة في وصفهم ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ﴾ [الآية 158] أي الكفرة ﴿لَمُحْضَرُونَ﴾ [الآية 158] في العقوبة.

﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الآية 159] من الولد والنسب والشركة.

﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ [الآية 160] فإن وصفهم جميل وأجرهم جزيل.

﴿فَإِنَّكُمْ﴾ [الآية 161] أيها المشركون ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ [الآية 161] من دونه.

﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ [الآية 162] أي على دينه ﴿بِفَٰتِنِينَ﴾ [الآية 162] مفسدين الناس بالإغواء.

﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾﴾ [الآية 163] إلا من سبق عليه القضاء بأنه داخل العذاب المقيم.

قال أبو عثمان: من مال إلى شيء سوى الله وعظّم شيئاً مما عداه فذلك لترادف الفتنة عليه وبعد التوفيق والمنة إليه.

وقال القاسم: ما أنتم بمضلين إلا من أوجبت له الضلالة في السابقة.

وقال الأستاذ: أي إلا من أغويته فبحكمي ما ضلوا إلا بإضلالكم.

﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾﴾ [الآية 164] حكاية اعتراف الملائكة بالعبودية الرد على العبدة والمعنى وما أحد منا إلا له منزل معلوم في المعرفة والعبادة.

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾﴾ [الآية 165] في مسالك الطاعة ومنازل الخدمة.

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ [الآية 166] المنزهون الله عما لا يليق به من الصفة.

قال جعفر: الخلق مع الله على مقامات متفرقة وحالات مختلفة فللأنبياء مقام المشاهدة وللرسل مقام المعاينة وللملائكة مقام الهيبة وللمؤمنين مقام الخدمة والقربة وللعصاة مقام التوبة وللكفار مقام الطرد والغفلة.

وقال أبو عثمان: / معلوم في علم الله إلى ماذا يصير أهل كل مقام في منتهاه. 86/ ب

وأفاد الأستاذ: أن الملائكة لهم مقام معلوم لا يتخطون مقامهم ولا يتعدون حدهم ومرامهم والأولياء لهم مقام مستور بينهم وبين الله لا يطلع عليه أحد من غيرهم والأنبياء لهم مقام مشهور مؤيد بالمعجزات الظاهرة

والكرامات المتظاهرة لأنهم للخلق قدوة فأمرهم على الشهرة وأمر الأولياء على السترة.

﴿وَإِن كَانُوا۟﴾ [الآية 167] أي مشركو مكة ﴿لَيَقُولُونَ﴾ [الآية 167] متمنّين ومدعين.

﴿لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾﴾ [الآية 168] كتاباً من كتب المرسلين المتقدمين.

﴿لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾﴾ [الآية 169] ولم نكن من المشركين.

﴿فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾ [الآية 170] بذكرهم ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 70] عاقبة كفرهم.

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا﴾ [الآية 171] أي عدتنا ﴿لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الآية 171] بالنصرة والغلبة كما بينه بقوله.

﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الآيتان 172،173] أي في غالب الأوقات ولأنه المقضي بالذات.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ [الآية 174] فأعرض عنهم ولا تبال بهم ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [الآية 174] هو موعد نصرك عليهم وظهور دينك لديهم.

﴿وَأَبْصِرْهُمْ﴾ [الآية 175] على ما ينالهم من العقوبة ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ [الآية 175] ما قضينا لك من الظهور والنصرة في الآخرة.

وقال الأستاذ: أي سبقت كلمتنا لهم بالسعادة وتقدم حكمنا لهم بالولاية والرعاية فهم من قبلنا منصورون وإن جندنا لهم الغالبون من نصره لا يغلب ومن قهره لا يغلب وجنده الذين نصبهم لنشر دينه وأقامهم لنصر الحق وتبيينه فمن أراد إذلالهم فعلى أذقانه يخر وفي حبل هلاكه ينجر فتول عنهم إلى أن تنقضي آجالهم وتنتهي أحوالهم وانظر انقضاء أيامهم فإنه سينصرم حديث أحكامهم.

﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ [الآية 176] لقلة علمهم وفرط جهلهم.

﴿فَإِذَا نَزَلَ﴾ [الآية 177] العذاب ﴿بِسَاحَتِهِمْ﴾ [الآية 177] وأناخ البلاء بعقوبتهم وحصل الفناء بفنائهم ووصل العناء بعنائهم ﴿فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ [الآية 177] فبئس صباحهم قبل مسائهم.

﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾﴾ [الآية 178] فعن قريب يحصل ما منه يحذرون.

﴿وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الآية 179] تأكيد إلى تأكيد وتهديد بعد تهديد أو الأول لعذاب الدنيا والثاني لعقاب العقبى.

﴿سُبْحَـٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الآية 180] تقريباً له وتنزيهاً عما قاله المشركون وإضافة الرب إلى العزة لاختصاصها به إذ لا عزة إلا له أو لمن عزّه.

87/ أ ﴿وَسَلَـٰمٌ/ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾﴾ [الآية 181] تعميم للرسل بالتسليم بعد تخصيص بعضهم بالتكريم.

﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الآية 182] على ما أفاض عليهم وعلى من اقتدى بهم فيما أنزل إليهم من جميل النعمة وحسن العاقبة. والآية محتوية على صفاته السلبية ونعوته الثبوتية والمراد تعليم المؤمنين كيف يسبِّحونه ويحمدونه ويسلِّمون على رسله في مقام كلام يختمونه.

وعن علي على ما رواه البغوي: «من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه إذا قام من مجلسه ﴿سُبْحَـٰنَ رَبِّكَ﴾ [الآية 180]»[1] إلى آخر السورة.

---

(1) أورده ابن كثير في تفسيره (7/ 47)، والزمخشري في كشافه (5/ 497).

سورة صٓ

[مكيّة]
وهي ثمان وثمانون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: اسم عزيز اعترفت المعارف بالمقصود عن إدراكه، اسم جليل تقنعت العلوم خجلاً من الطمع في إحاطته، اسم كريم صغرت الحوائج على ساحة جوده، اسم رحيم تلاشت قطرات زلات عباده في تلاطم أمواج رحمته.

﴿صٓ﴾ [الآية 1] لسكون الدال وقرىء بكسرها على أنه أمر من المصادرة بمعنى المعارضة ومنه الصدى فإنه يعارض النداء والمعنى عارض القرآن بعملك فاعمل بأوامره وانته عن زواجره وقيل: معناه صدق وعده أو هو الصادق فيما حكمه أو صدق محمد فيما أخبره ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ [الآية 1] أي ذي البيان الشافي والبرهان الوافي والموعظة البليغة والحجة البالغة والشرف والشهرة والجواب محذوف أي أنه لمعجزة أي معجزة أو أن محمد لصادق الكلمة.

وقال الأستاذ: إنّ صاد مفتاح اسمه الصادق والصمد والصبور والصانع أقسم بهذه الأسماء وبالقرآن وجواب القسم قوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ﴾ [ص: الآية 64]، ويقال: أقسم بصفاء مودة أحبابه وبالقرآن الذي هو أشرف كتاب.

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ﴾ [الآية 2] للنفس وعزة وغفلة وتكبُّر عن قبول الحق ﴿وَشِقَاقٍ﴾ [الآية 2] خلاف الله ولرسوله فيما بين الخلق.

وقال الأستاذ: في ضلالة ظاهرة وعداوة بينة وإعراض عن بحث أدلة وتحقيق حجة.

﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾ [الآية 3] وعيد لهم على كفرهم استكباراً وشقاقاً في أمرهم استدباراً ﴿فَنَادَوا۟﴾ [الآية 3] استغاثة واستعانة واعتذاراً واستنفاراً ﴿وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ [الآية 3] أي ليس حين ملجأ لخلاص.

87/ب وقال الأستاذ: / فنادوا حين هجم البلاء بالاستغاثة وقد فات وقت الإجابة.

﴿وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ [الآية 4] بشر من جنسهم أو أي من نوعهم ﴿وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الآية 4] المبالغون في كفرهم ﴿هَٰذَا سَٰحِرٌ﴾ [الآية 4] فيما يظهره من المعجزة ﴿كَذَّابٌ﴾ [الآية 4] فيما يدعيه من النبوة ومن الغريب العجيب أن لم يعجبوا من أن يكون المنحوتات آلهة.

﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ [الآية 5] بأن جعل الألوهية التي كانت لهم منحصرة لواحد مع كثرة العبادة إذ كانت العادة فيهم أن تختص كل قبيلة بصنم أو كل واحد بوثن بحسب اختلاف أهويتهم وتفاوت وهدات أوديتهم ولم يتصوروا حقيقة الألوهية التي ينافي الإثنية مع اعترافهم بأنه سبحانه هو المنفرد بوصف الخالقية ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [الآية 5] بليغ في العجب فإنه خلاف ما أطبق عليه إسلامه في الحسب والنسب.

﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟﴾ [الآية 6] أي اذهبوا وتفرقوا قائلين بعضهم لبعض امشوا على طريقتكم ﴿وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ﴾ [الآية 6] واثبتوا على عبادتها في محجتكم ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ﴾ [الآية 6] أن هذا الأمر العجيب الشأن لشيء يراد بنا من ريب الزمان فلا مرد له كسائر مصائب الدوران قال عمر والمكي لقد وبخ الله تعالى للتاركين الصبر من المؤمنين على دينهم وثبات يقينهم.

وأفاد الأستاذ: أن الكفار إذا تواصوا فيما بينهم بالصبر على آلهتهم فالمؤمنون أولى بالصبر على عبادة معبودهم والاستقامة في وقتهم على مقصودهم.

﴿مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا﴾ [الآية 7] بالذي يقوله من دعوى التوحيد وادعاء النبوة ﴿فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [الآية 7] في الملة التي أدركنا عليها آباءنا المتقدمة ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾ [الآية 7] افتراء يجر إلى خلاف وشقاق.

وأفاد الأستاذ: أنهم ركنوا إلى النشأة والعادة وما وجدوا عليه أسلافهم من الضلالة ومالوا إلى تقليد أهل الجهالة وقالوا: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ [الآية 8] إنكاراً لاختصاصه بالوحي وهو مثلهم ﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى﴾ [الآية 8] من كتابي وما فيه من أمري ﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ﴾ [الآية 8] بل لم يذوقوا بعد عذابي الذي استحقوه من كفرهم بي. والمعنى أنهم لا يصدقون بتحقيقه حتى يمسهم العذاب فيلجئهم إلى تصديقه.

وأفاد الأستاذ: أنهم لو استبصروا في أديانهم لما أقدموا على ما أسرفوا فيه من جحودهم وعصيانهم / ولو أنا أدمنا لهم العاقبة في أبدانهم لما تفرغوا 88/ أ
إلى طغيانهم.

﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾﴾ [الآية 9] حتى يصيبوا بها من شاؤوا ويصرفوها عمن شاؤوا.

﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾﴾ [الآية 10] فليصعدوا في المعارج التي يتوصل بها إلى عالم العلويات وهو غاية آلهتكم بهم لظهور عجزهم عن الأمور الجزئية في السفليات.

﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾﴾ [الآية 11] أي هم جندنا من الكفار المتحزبين على الأنبياء الأبرار مهزوم مكسور عما قريب في هذه الدار فمن أين لهم التدابير الصمدانية والتصرف في الأمور الربانية وما مزية للتعليل وهنالك إشارة إلى حيث أنفسهم من القيام لمثل هذا المرام والمراد أنهم في مفاد الطرد والحجاب والبعد عن باب رب الأرباب.

وقال الأستاذ: أي هؤلاء الكفار الذين عارضوا ونازعوا وكذبوا واحتجوا عندهم شيء من هذه الأشياء أو هم يقدرون على شيء من هذه الأشياء فيفعلوا ما أرادوا ويعطوا من شاؤوا ويرتقوا إلى السماء فيأتوا بالوحي

على من أرادوا ويهلكوا ما أرادوا بل هم جند ما كلهم عجزة لا يقدرون على ذلك مهزومون هنالك شبههم في بقائهم عن مرادهم بالمهزومين عن بلادهم والمعنى أن هؤلاء الكفرة ليس معهم حجة ولا لهم قوة ولأصنامهم من النفع والضر مكنة ولا في الرد والدفع عن أنفسهم شوكة.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾﴾ [الآية 12] ذو الملك الثابت بالأوتاد ومنه قوله ولقد عتوا فيها بأنعم عيشه في ظل ملك ثابت الأوتاد مأخوذ من ثبات البيت المطنب بأوتاده وقيل نصب أربع أسطوانات وكان يمد يدي المعذب ورجليه إليها ويضرب أوتاداً عليها ويتركه حتى يموت.

﴿وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ﴾ [الآية 13] أي الغيضة[1] وهم قوم شعيب ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ﴾ [الآية 13] يعني المتحزبين على رسلهم الذي جعل الجند المهزوم بعضهم.

﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾ [الآية 14] بيان لما اسند إليهم على وجه الإيهام من تكذيبهم وهو إما مقابلة جمعهم بجمعهم أو جعل تكذيب واحد منهم
88/ب تكذيب جميعهم ﴿فَحَقَّ عِقَابِ﴾ [الآية 14] فثبت عليهم / عقابي ووقع لديهم حجابي.

﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [الآية 15] أي وما ينتظر قومك الكافرون أو الأحزاب فإنهم في علم الله الحاضرون ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ [الآية 15] هي النفخة الأولى أو الأخرى ﴿مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾ [الآية 15] من توقف مقدار فواق وهو ما بين الجبلتين وقرأ حمزة والكسائي بضم الفاء.

﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ [الآية 16] قسطنا من العذاب ﴿قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ [الآية 16] مبالغة في استبعاد نزوله وإنكار حصوله.

﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ [الآية 17] فإنه لن تطول مدتهم ولا تمتد مهلتهم فعن قريب سينصر الله عبده ويصدق بالتحقيق وعده ويقوي جنده ويهزم الأحزاب

(1) وهي الشجرة المتكاثفة.

وحده ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا ٱلْأَيْدِ﴾ [الآية 17] ذا القوة في الصبر على العبادة والمحنة ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [الآية 17] رجاع إلى الله بكثرة التوبة والأوبة وكان عليه السلام يصوم يوماً ويفطر يوماً وهو أفضل الصيام ويقوم نصف الليل عن المنام وهو أكمل القيام.

﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ﴾ [الآية 18] مسبحات في أفضل حالات وأوقات ﴿بِٱلْعَشِيِّ﴾ [الآية 18] بعد الظهر ﴿وَٱلْإِشْرَاقِ﴾ [الآية 18] أي وبوقته وهو حين تشرق الشمس بضيائها وتصفو بشعاعها وصفائها وهو وقت الضحى فعن أم هاني أنه صلى الله عليه وسلم صلى صلاة الضحى وقال: «هذه صلاة الإشراق»[1].

وعن ابن عباس: ما عرفت صلاة الضحى إلا بهذه الآية[2]. وأما شروقها فطلوعها والتحقيق أن أول وقت صلاة الضحى حين شروقها وارتفاعها قدر رمح وآخره ما يقال له: ضحوة الكبرى.

﴿وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾ [الآية 19] إليه من كل جانب مجموعة محضورة ﴿كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [الآية 19] أي كل منهما ومن داود له سبحانه رجاع بالتسبيح تعظيماً لشأنه وتكريماً لبرهانه.

وأفاد الأستاذ: أن داوود كان يسبح والجبال تسبح وكان يفهم تسبيحها على وجه تخصيصه كرامة له ومعجزة وكذلك الطير كانت تجتمع له فتسبح لله وداوود كان يعرف تسبيحهن وكل من تحقق بحاله مع ربه ساعده كل شيء كان بقربه ويصير غير جنسه بحكمه. وفي معناه أنشدوا:

ربّ ورقاء هتوف بالضحى ... ذات شجوٍ صرخت في فننِ[3]
ذكرت إلفاً ودهراً صالحاً ... وبكت شوقاً فهاجت حزني

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (24/ 406) رقم (986).
(2) أورده الطبري في تفسيره (21/ 169) وابن كثير في تفسيره (7/ 58) والزمخشري في كشافه (6/ 5).
(3) نسبت هذه الأبيات إلى التهامي. انظر الكشكول (1/ 293).

فبكائي ربما أرّقها وبكاها ربما أرّقني
ولقد تشكو فما أفهمها ولقد أشكو فما تفهمني
وغير أني بالجوى أعرفها وهي أيضاً بالجوى تعرفني

الشجو: الحزن والفنن: والأفنان بمعنى الأغصان، والجوى: الحزن.

89/ أ / ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾ [الآية 20] فقويناه بالهيبة وكثرة الجنود والغلبة والنصرة وقيل: أن رجلاً ادعى بقرة على آخر وعجز عن البيان لديه فأوحى الله إليه أن اقتل المدعى عليه فقال: صدقت إني قتلت أباه غيلة وأخذت البقرة فعظمت بذلك هيبته كذا نقله البيضاوي وتفصيله في المثنوي المولوي وقيل: بالعقل والتؤدة وقيل: بالتوفيق والإنابة وقيل: صرفنا بصره عن الملك وجعلنا نظره إلى الملك وقيل: شددنا ملكه بوزراء صالحين فدلوه على الخير معاونين.

وقال الأستاذ: أن في التفسير كان يحفظ ملكه كل ليلة ثلاثة وثلاثون ألف رجل ويقال: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾ [الآية 20] بنصرنا له ورفعنا البلاء عنه ويقال: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾ بالعدل في القضية وحسن السيرة في الرعية ويقال: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾ بدعاء المستضعفين له ويقال: بأن رأى منا جميع نصرته وتبرأ من حوله وقوته ويقال: بتيقظه وحسن سياسته ويقال: برجوعه إلينا في سائر حالاته وأوقاته ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ﴾ [الآية 20] كمال العلم واتقان العمل أو النبوة وقيل: العلم بنا والفهم عنا وقيل: مخالطة الأبرار ومجانبة الأشرار ﴿وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ [الآية 20] أي الرشد والصواب أو فصل الخصام بتمييز الحق عن الباطل في الأحكام وقيل: هو الخطاب القصد الذي ليس فيه اختصار محل ولا إكثار ممل كما جاء في وصف كلام نبينا صلى الله عليه وسلم فصل لا نذر ولا هذر أي لا يسير ولا كثير.

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ﴾ [الآية 21] استفهام معناه التعجيب في شأنه والتشويق إلى استماع بيانه والخصم أريد به جنس المخاصم ولذا قال ﴿إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ﴾ [الآية 21] إذ تصعدوا سور الفرقة من غير طريق الباب.

﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ﴾ [الآية 22] للفصل بينهم ﴿فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾ [الآية 22] لأنهم نزلوا عليه في يوم الاحتجاب من فوق بيته والحرس على الباب فإنه عليه السلام

كان جزَّأ زمانه يوماً للعبادة ويوماً للحكومة ويوماً للموعظة ويوماً للاشتغال بما له من الخاصة فتسور عليه الملائكة وتصوروا على صور الإنسان في يوم الخلوة ﴿قَالُوا۟ لَا تَخَفْ﴾ [الآية 22] أي منا ﴿خَصْمَانِ﴾ [الآية 22] أي نحن فوجان متخاصمان ﴿بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الآية 22] منا على فرض المسألة لأنهم كانوا / 89/ ب
ملائكة وقصدوا التعريض به في قضية ﴿فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ﴾ [الآية 22] ولا تبعد عن الصدق ﴿وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾ [الآية 22] أي وسطه وهو العدل بالرفق.

﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى﴾ [الآية 23] في الديانة أو الصحبة ﴿لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ [الآية 23] وهي الأنثى من الضأن وقد كنّى بها عن المرأة والتلويح أبلغ من التصريح وهذا تصوير للمسألة كما يقال: لي أربعون شاة ولهذا أربعون فخلطناهما وحال الحال عليهما فكم يجب فيهما ﴿فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا﴾ [الآية 23] ملكنيها أو اجعلها كفلي أي نصيبي أو أنزل عنها حتى أكفلها ﴿وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ﴾ [الآية 23] وغلبني في مخاطبته إياي في هذا الباب.

﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ﴾ [الآية 24] أي صاحبك في علاجه ﴿بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾ [الآية 24] قال ذلك بعد اعتراف الآخر أو على تقدير صدق المدعي لما قرر فضحك أحدهما في وجه صاحبه وصعد السماء من عنده فعلم أنه تنبيه في حقه وعتاب من ربه ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ﴾ [الآية 24] الشركاء الذين خلطوا أموالهم ﴿لَيَبْغِى﴾ [الآية 24] ليتعدى ﴿بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الآية 24] في عامة أحوالهم ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [الآية 24] أي وهم قليل في غاية القلة وما مزيدة للمبالغة ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ﴾ [الآية 24] أي استيقن ﴿أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾ [الآية 24] ابتليناه بالمعصية أو بالفتنة الموعودة أو امتحناه بتلك الحكومة هل ينتبه لها أم لا ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ﴾ [الآية 24] أي فطلب مغفرة ربه لما صدر عنه من ذنبه ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا﴾ [الآية 24] ساجداً على تسمية السجود ركوعاً بالتوسعة أو خاشعاً متضرعاً بهيئة السكينة ﴿وَأَنَابَ﴾ [الآية 24] ورجع إلى الله بالتوبة وحسن الإنابة.

﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ﴾ [الآية 25] أي ما استغفر عنه هنالك ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ﴾

[الآية 25] أي لقربة بعد المغفرة ﴿وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ [الآية 25] مرجع في الجنة وعند صلى الله عليه وسلم السجدة التي في صاد سجدها داوود توبة ونحن نسجدها شكراً.

قال سهل: الإنابة هي الرجوع عن الغفلة إلى الذكر مع انكسار القلب وانتظار المقت.

وقال أبو عثمان الإنابة أجل من التوبة لأن التائب يرجع ببعضه فيسمى تائباً ولا يسمى منيباً إلا من رجع إلى ربه بالكلية.

وقال القاسم: إنابة العبد أن يرجع إلى ربه بنفسه وقلبه وروحه فإنابة
90/ أ النفس أن يشغلها بخدمته / وطاعته وإنابة القلب أن يخليه مما سواه وإنابة الروح دوام حضوره حتى لا يذكر غيره.

وقال أبو سعيد الخراز: زلّات الأنبياء في الظاهر زلات وفي الحقيقة زلف وكرامات ألا ترى إلى قصة داوود حين أحس تأويل أمره كيف استغفر وتضرع في دهره فأخبر الله تعالى بما ناله في حال ظنه من الزلفى فقال: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّـٰهُ﴾ [الآية 24] فتضرع ورجع وكان له بذلك عندنا زلفى وحسن مآب.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أرسل إلى داوود عليه السلام ملكين على صورة رجلين فتحاكما إليه تنبيهاً له على ما كان منه من تزوجه بامرأة أوريا وكان تركه أولى وهذا على طريق من رأى تنزيه الأنبياء عليهم السلام من جميع الذنوب ومن جوز عليهم الصغائر قال: كان هذا من جملتها ثم قيل: لم يكن أوريا تزوج بها بعد وكان خطبها فأجابته في التزويج به فخطب داوود على خطبته وقيل: بل أرسل أوريا إلى قتال الأعداء فقيل: فتزوج بها وقيل: بل كانت امرأته فسأله أن ينزل عنها فنزل بأمره فتزوجها قلت: وكذا نقله محيي السنة عن ابن مسعود ولعله كان ذلك معتاداً فيما بينهم وقد واسى الأنصار المهاجرين بهذا المعنى عندهم.

ثم قال الأستاذ: وكان داوود عليه السلام قال: يا رب أني لأجد في

التوراة أنك أعطيت الأنبياء الرتب العالية في الاجتباء فأعطنيها فقال: إنهم صبروا فيما ابتليتهم به فوعد داوود من نفسه الصبر إذا ابتلاه طمعاً في نيل تلك الدرجات فأخبر الله أنه يبتليه يوم كذا فجعل داوود ذلك اليوم يوم عبادة وخلا في بيت وأمر حرسه أن لا يؤذن أحد في الدخول عليه وكانوا ثلاثين ألف رجل وأغلق على نفسه الباب وأخذ يصلي زماناً ويقرأ التوراة زماناً لكن لم يمكنه غلق باب السماء فلم يدفعوا عنه حكم القضاء ولقد قال الحكماء: الهارب مما هو كائن في كف الطالب يتقلب ثم أنه كان في البيت كوة يدخل منها الضوء فدخل منها طير صغير من الذهب ووقع قريباً منه وكان لداوود ابن صغير فهم أن يأخذه ليدفعه إلى ابنه فتباعد عنه.

90/ب وجاء في التفاسير إنه كان إبليس/ تصور له في صورة طير فتبعه داوود فلم يزل يتباعد قليلاً قليلاً وداوود يتبعه حتى خرج من الكوة فنظر داوود في أثر توقع بصره على امرأة أوريا وهي تنتقل متجردة فعاد إلى قلبه منها شيء فكان هذا السبب.

وقد جاء في التفسير أنه سجد أربعين يوماً لا يرفع رأسه من السجود إلا للمكتوبة عليه ويبكي حتى نبت العشب من دموعه ولم يأكل ولم يشرب في تلك المدة حتى أوحى الله إليه بالمغفرة فقال: يا رب كيف بحديث الخصم فقال: إني استوهبك منه وقيل: كان لا يشرب الماء إلا ممزوجاً بدموعه ويقال: لما التجأ داوود عليه السلام في أوائل البلاء إلى التوبة والبكاء والتضرع واللجأ وجد المغفرة والتجاوز عن العناء وهكذا من رجع في أول الشدائد إلى الله فالله يكفيه ما ينوبه ومن صبر إلى حين من المدة طال عليه المحنة ويقال: إن زلة أسفك عليها يوصلك إلى ربك ويدنيك أجدى لك من طاعة إعجابك بها يبعدك عن ربك ويقصيك انتهى وفي معناه ما قاله ابن عطاء: معصية أورثت ذلاً واستغفاراً خير من طاعة أوجبت عزاً واستكباراً.

﴿يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 26] استخلفناك على الملك فيها أو جعلناك خليفة ممن قبلك من الأنبياء القائمين بالحق المتعلق بها وبغيرها

وقيل: حاكماً من قبلي على أهلها ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ﴾ [الآية 26] بحكم الهدي ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ﴾ [الآية 26] ما تهوي النفس وتتمنى من الردى ﴿فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [الآية 26] عن طريق قرب المولى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ﴾ [الآية 26] بأنفسهم أو يضلون غيرهم ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 26] عن طريق الصواب ﴿لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ﴾ [الآية 26] بسبب نسيانهم عن سبيل المولى فإن تذكره يقتضي ملازمة الهدى ومخالفة الهوى.

﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ﴾ [الآية 27] خلقاً باطلاً لا حكمة فيه أصلاً ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية 27] أي خلقها باطلاً ﴿ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ﴾ [الآية 27] أي مظنونهم جهلاً ﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [الآية 27] بسبب هذا الظن الباطل الذي ليس تحته الطائل.

﴿أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الآية 28] في الدنيا والعقبى ﴿كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الآية 28] من الكفار ﴿أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [الآية 28] أي الأبرار من المؤمنين ﴿كَٱلۡفُجَّارِ﴾ [الآية 28] من المجرمين.

91/أ وقد أخرج أبو يعلى /عن أبي ذر مرفوعاً كما أنه لا يجتنى من الشوك العنب كذلك لا ينال الفجار منازل الأبرار[1].

وفي الآية دلالة على صحة الحشر والإعادة فإن التفاضل بينهما لا بد منه عقلاً ونقلاً وهو أما أن يكون في الدنيا والغالب فيها أن غير المؤمن أحسن حالاً وأكثر مالاً ومنالاً بحسب الظاهر أو في غيرها وذلك يستدعي أن يكون لهم داراً أخرى يجازون فيها.

﴿كِتَٰبٌ﴾ [الآية 29] أي مكتوب عظيم ﴿أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ﴾ [الآية 29] مقام كريم ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [الآية 29] ليتدبروا آياته ويتفكروا فيها فيعرفوا حسن مبانيها وصحة معانيها فيعلموا بمقتضى أوامرها ونواهيها ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [الآية 29] وليتعظ ذو العقول السليمة بمواعظه القويمة.

---

(1) أخرجه ابن حجر في المطالب العالية (9/ 173) رقم (3224).

أخرج سعيد بن منصور عن الحسن في قوله: ﴿لِيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [الآية 29] قال: إنما تدبر آياته اتباعه بعمله.

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ﴾ [الآية 30] أي ابنه ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾ [الآية 30] أي سليمان ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [الآية 30] رجاع إلى الله بالتوبة والأوبة أو بالصبر في المحنة وبالشكر في النعمة. وسئل جنيد: من العبد؟ قال: الذي يكون مطروحاً عند سيده كالميت بين يدي غاسله لا يكون له تدبير ولا حركة.

﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ﴾ [الآية 31] أي على سليمان ﴿بِٱلْعَشِىِّ﴾ [الآية 31] بعد الظهر ﴿ٱلصَّٰفِنَٰتُ﴾ [الآية 31] الخيل التي تقوم على ثلاثة قوائم وتنثني في وقوفها طرف سنبك يد أو رجل واحدة وهو في الخيل من الصفات المحمودة ﴿ٱلْجِيَادُ﴾ [الآية 31] جمع جواد أو جود وهو الذي يسرع في جريه وقيل: جمع جيد أصله جيود فخفف روي أنه عليه السلام غزا دمشق فأصاب ألف فرس فاستعرضها فلم يزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وعقل عن العصر أو عن ورد كان له فاغتم لما فاته فاستردها فعقرها وذبحها تقرباً إلى الله سبحانه وقيل: وضع عليها الكي فسبلها ووهبها لمن طلبها فعوضه الربح بدلاً عنها فمن ترك شيئاً لله لم يخسر على الله.

﴿فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ﴾ [الآية 32] أي الخيل التي شغلته ﴿عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ [الآية 32] أي غربت الشمس بإضمارها من غير سبق ذكرها لدلالة العشي عليها.

﴿رُدُّوهَا﴾ [الآية 33] أي الصافنات ﴿عَلَىَّ فَطَفِقَ مَسْحًۢا﴾ [الآية 33] فأخذ وشرع يمسح السيف مسحاً ﴿بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ﴾ [الآية 33] بسوقها وأعناقها / يقطعها وقد 91/ب
أبعد من رد ضمير ردوها إلى الشمس فإن المخاطبين لم يقدروا على ردها.

وفي «**تفسير السلمي**» قال أبو سعيد القرشي: من غار لله وتحرك له فإن الله تعالى شكره ألا ترى سليمان لما أشغله الأفراس عن الصلاة ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ [الآية 32] قال: ﴿رُدُّوهَا عَلَىَّ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ٣٣﴾ [الآية 33] قيل: إنه كان عشرون ألف فرس منقش ذوات أجنحة أخرجهم الشياطين من البحر

فشكر الله سعيه بتسخير الريح، أبدله مركباً أهنأ منها وأنعم والله أعلم.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾﴾ [الآية 34] أظهر ما قيل في فتنته وامتحانه وبليته ما روي مرفوعاً أنه قال: لأطوفنّ الليلة على سبعين امرأة تأتي كل واحدة بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل: إن شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل إلا امرأة جاءت بشق رجل فوالذي نفس محمد بيده لو قال: إن شاء الله لجاهدوا فرساناً[1].

قال الأستاذ: فاستغفر من ترك الاستثناء وكان ذلك ترك ما هو الأولى فوقع في الابتلاء.

﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى﴾ [الآية 35] لا يتسهل ﴿لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾ [الآية 35] ليكون معجزة لي مناسبة لحالي ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [الآية 35] المعطي ما تشاء لمن تشاء.

قال ابن عطاء: أي مكني من مخالفة نفسي حتى لا أوافقها بحال من أحوالي وقيل: هب لي المعرفة بك لا أرى معك غيرك ولا تشغلني كثرة عروض الدنيا.

وقال سهل: ألهم الله سليمان أن يسأله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده ليقصم به الجبابرة والكفرة الذين يخالفون ربهم ويدعون لأنفسهم قدرة وقوة من الجن والإنس فوقع السؤال من سليمان على ما اختيار الله له لا على اختياره لنفسه.

وقال جنيد: أي هب لي ملكاً على نفسي فإني إن ملكت الدنيا ولم أملك نفس أكون عاجزاً في ملكي.

وقال ابن عطاء: لما سأل سليمان من الله الملك وسخر له الريح أعلمه

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (3424) ومسلم في الصحيح (1654/ 25) والبيهقي في السنن الكبرى (4480) رقم (19694)، والترمذي في الجامع الصحيح (4/ 108) رقم (1532).

بذلك إن ما سواه ربح لا بقاء له ولا دوام معه.

وقال محمد بن علي في قوله: هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي
هو أنه لا يشغله عن ربه شيء مما آتاه من الملك فتكون / حجة على من بعده 92/ أ
من الملوك وأبناء الدنيا.

﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ﴾ [الآية 36] فذللناها لطاعته إجابة لدعوته ﴿تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً﴾ [الآية 36] لينة على وفق إرادته ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾ [الآية 36] أي أراد من قولهم أصاب الصواب فأخطأ الجواب.

﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾﴾ [الآية 37] بدل منه ﴿وَءَاخَرِينَ﴾ [الآية 38] عطف على الريح كل ﴿بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ﴾ [الآية 37] أي وجماعة مردة ﴿مُقَرَّنِينَ﴾ [الآية 38] قرن بعضهم مع بعض ﴿فِى ٱلْأَصْفَادِ﴾ [الآية 38] في القيود والسلاسل ليكفوا عن الشر والرذائل.

﴿هَٰذَا﴾ [الآية 39] أي الذي أعطيناك من الملك والبسطة والتسلط بالغلبة في السلطنة ﴿عَطَآؤُنَا﴾ [الآية 39] لك ﴿فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ﴾ [الآية 39] فاعط من شئت وامنع من شئت، فأو للتنويع ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الآية 39] غير محاسب على منه ومنعه لتقويض التصرف فيه إلى أمره والمعنى أنه عطاء من غير إمكان حصره.

وقال ابن عطاء: امنن على من أردت بعطائنا فإنا لا نمن عليك بذلك وإنما نمن عليك بالهداية إلينا والمعرفة لنا قال الله تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾ [الحُجرات: 17].

﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ﴾ [الآية 40] لقربى في العقبى مع ما له من الملك العظيم في الدنيا ﴿وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ [الآية 40] هو الجنة المأوى.

وأفاد الأستاذ: أن المشي في الهوى للأولياء في الجملة وقطع المسافات البعيدة في مدة يسيرة مما يعلم وجوده قطعاً في هذه الأمة إن لم يعلم للأفراد والآحاد على تعيين القضية وإظهاره على خدم خير البرية يدل على أن مقامه صلى الله عليه وسلم في هذا الباب أشرف المقامات وألطف الحالات.

﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ﴾ [الآية 41] أي ابن عموص ابن رعويل بن عيص ابن إسحاق ﴿إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾ [الآية 41] بدل من عبدنا، وأيوب عطف بيان له ﴿أَنِّي﴾ [الآية 41] بأني ﴿مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ﴾ [الآية 41] بتعب ﴿وَعَذَابٍ﴾ [الآية 41] ألم ووصب.

والإسناد إلى ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ [الآية 41] أما لأن الله مسبب ببليته لما فعله أيوب بوسوسته كما قيل: إنه أعجب بكثرة ماله وسعة حاله أو استغاثة مظلوم فلم يغثه لاشتغاله أو لسؤاله امتحاناً لصبره في مقام كماله فيكون اعترافاً بذنبه وتقصيره في مآله أو مراعاة للأدب مع الرب أو لأنه وسوس إلى أتباعه حتى رفضوه في داره وثم أخرجه من دياره أو لأن المراد من النصب والعذاب ما كان يوسوس إليه في مرضه / وبليته من عظم بلاء الله والقنوط من رحمته ويغريه على الجزع من حالته 92/ ب
قيل: فبلغ أمره ووصل ضرّه إلى أن لم يبق منه عضو سالم إلا قلبه ولسانه ويروي أنه قال في مناجاته إلهي قد علمت أنه لم يخالف لساني قلبي ولم يتبع قلبي بصري ولم آكل إلا ومعي يتيم ولم أبت شبعان ولا كاسياً إلا ومعي جائع أو عريان فكشف الله سبحانه وتعالى عنه بقوله:

﴿ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ﴾ [الآية 42] أي اضرب برجلك الأرض ﴿هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ﴾ [الآية 42] أي فضربها فنبعت عين بها فقيل: هذا الماء مغتسل تغتسل به وتشرب منه فيبرأ باطنك وظاهرك ويعود إليك جمالك وكمالك قيل: لبث في البلية أربعين سنة وقيل: سبع سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام وسبع ساعات.

﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ﴾ [الآية 43] بأن جمعناهم بعد تفرقهم أو أحييناهم بعد موتهم ﴿وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ﴾ [الآية 43].

وقال الأستاذ: رد الله عليه ماله ومثله وأحيى أولاده وأهله ﴿رَحۡمَةٗ مِّنَّا﴾ [الآية 43] ورحمتنا عليه ونعمتنا لديه ﴿وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [الآية 43] وتذكرة وموعظة لهم لينتظروا الفرح بالصبر واللجأ إلى الله فيما يحيق بهم.

﴿وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا﴾ [الآية 44] حزمة صغيرة من حشيش ونحوه ﴿فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ﴾ [الآية 44] بتركه روي أن زوجته ليا بنت يعقوب وقيل: رحمة بنت

أفرائيم بن يوسف ذهبت لحاجة فأبطأت فحلف إن برأ أن يضربها مائة ضربة فحلل الله يمينه بذلك وهي رخصة باقية في الشريعة إذا قال: مائة جلدة أو مائة عصاة ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًاۚ﴾ [الآية 44] فيما أصابه من شدة الحال في النفس والأهل والمال ولا يخل به شكواه من الشيطان إلى مولاه فإنه لا يسمى جزعاً في البلاء كتمني العافية وطلب الشفاء مع أنه قال: ذلك خشية أن يفتنه أو قومه فيما لا يرضي ربه ﴿نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ﴾ [الآية 44] أيوب ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾ [الآية 44] مقبل بكليته إلى الله في جملة بلواه.

قال ابن عطاء: صابراً أي واقفاً مع الرب بحسن الأدب لا يؤثر عليه دوام النعم وتمام المنن ولا يزعجه تواتر البلاء وتابع المحن لمشاهدة المنعم والمبلي ونعم العبد لم يشغله مالنا عنا وقيل: الصبر الفناء في البلوى بلا إظهار الشكوى.

93/ أ وقال القاسم: محنة / الأنبياء تقريب تهذيب وترتيب وكشف عن ظهور ما لهم للعوام لقوله: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ﴾ [الآية 44] عبد عرف أن لا رجوع له إلى مولاه فرجع إليه إنه أواب أي راجع إلينا في السراء والضراء مما ابتلينا.

وقال جعفر: لم يستعذب البلاء من لم ير البلاء من العطاء نعم العبد سره بلاؤنا كما سره عطاؤنا.

وأفاد الأستاذ: أن الصبر أن لا يعترض على التقدير أقول ولعله أراد قل ما يراد به في التعبير كما عبر عن كماله بقوله. ويقال: التلذذ بالبلاء واستعذابه دون استصعابه، ولم ينف قوله: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الأنبياء: الآية 83] اسم الصبر عنه لأنه لم يكن على وجه الشكوى منه ولأنه مرة واحدة والحكم للغلبة.

﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ﴾ [الآية 45] وقرأ ابن كثير: عبدنا على وضع الجنس موضع الجمع أو على إنه إبراهيم وحده لمزيد شرفه عطف بيان وإسحاق ويعقوب عطف عليه لكونهما تابعين لديه ﴿أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾

[الآية 45] أصحاب القوة في الطاعة وأرباب البصيرة في المعرفة أو أولي الأعمال الجليلة والعلوم الجزيلة وفيه تفريض بالبطلة الجهلة.

﴿إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾﴾ [الآية 46] جعلناهم خالصين لنا بخصلة خالصة هي تذكرهم للآخرة بوصف المداومة وإطلاق الدار للإشعار بأنها الدار التي عليها المدار وإنما الدنيا معبر في نظر النظار من أهل الاعتبار وأصناف نافع وهشام بخالصة إلى ذكره للبيان.

﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾﴾ [الآية 47] لمن المجتبين من أمثالهم المختارين في أحوالهم.

قال الواسطي: إنا خلصناهم بخالصة لم يبق معها ذكر الدار وهو الكونين وما فيهما.

وقال أبو يعقوب السوسي: لما قال أخلصناهم بخالصة صفت قلوبهم بذكره عند ذلك ووقت أرواحهم له بإرادته هنالك فهم في مكشوف ما تقدم لهم في الغيب سبقت لهم منه الحسنى فصاروا بدرجة المخلصين.

وقال جنيد: الإخلاص ما أريد الله به من أي عمل كان.

وقال سهل: الإخلاص التبري مما سواه وقيل: أخلصناهم بخالصة أي أبقينا عليهم في أعقابهم حسن الثناء لديهم.

وقال الأستاذ: أي تفضيله خالصة وهي ذكرى الدار ذكر الجنة والنار
بدعاء/ الناس إليها والهرب منها ويقال: بسلامة قلب من ذكرى الدار أي لم 93/ب
يعملوا على ملاحظة جزاء ويقال: تجردوا لنا بقلوبهم عن ذكرى الدارين.

﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ﴾ [الآية 48] أفرده بالذكر لشرفه وكونه جداً لأشرف الأنبياء في مقام لطفه ﴿وَٱلْيَسَعَ﴾ [الآية 48] استخلفه إلياس على بني إسرائيل ثم استنبئ وقرأ حمزة والكسائي واللّيسع بتشديد اللام وسكون الياء ﴿وَذَا ٱلْكِفْلِ﴾ [الآية 48] ابن عم يسع أو بشر بن أيوب واختلف في نبوته ووجه نعته فقيل: فر إليه مائة نبي من القتل فآواهم وكفلهم وقيل: تكفل بعمل رجل صالح كان يصلي كل يوم مائة صلاة.

وأفاد الأستاذ: أن اليسع وذا الكفل أخوان ﴿وَكُلٌّ﴾ [الآية 48] أي كلهم ﴿مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾ [الآية 48] أي أخيار الأبرار.

﴿هَٰذَا﴾ [الآية 49] أي هذا القرآن ﴿ذِكْرٌ﴾ [الآية 49] أي فيه ذكر ما كان وما يكون ويقال: أنه شرف لك لأنه معجزة تدل على صدقك أو هذا إشارة إلى ما تقدم من أمورهم ذكر شرف لهم ثم بين ما أعد لهم ولأمثالهم بقوله: ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ [الآية 49] مرجع أو انقلاب وبيانه.

﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ [الآية 50] بساتين إقامة حال كونها ﴿مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ﴾ [الآية 50].

قال الأستاذ: أي إذا جاؤوها لا يلحقهم ذل الحجاب ولا كلفة الاستئذان أن بالباب بل تستقبلهم الملائكة بالتبجيل والإرحاب.

﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا﴾ [الآية 51] على أرائكهم في حجالهم بأنعم أحوالهم ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ﴾ [الآية 51] ما يتفله به ويتلذذ بسببه ﴿كَثِيرَةٍ﴾ [الآية 51] أي لا يسيرة ولا عسيرة ﴿وَشَرَابٍ﴾ [الآية 51] على ما يشتهون من كل باب.

﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ [الآية 52] من الحور العين وغيرهن لا ينظرون إلى سوى أزواجهن ﴿أَتْرَابٌ﴾ [الآية 52] لذات أتراب مستويات في الأسنان فإن النجائب أثبت بين الأقران أو بعضهن لبعض لا عجوز فيهن ولا صبية منهن كلهن في سن ثلاث وثلاثين على ما ورد في حقهن.

وأفاد الأستاذ: أنهن مستويات في الحسن والجمال والشكل والدلال.

﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ﴾ [الآية 53] وقرأ ابن كثير وأبو عمر بالغيبة ﴿لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ [الآية 53] لأجله فإن الحساب علة الوصول إلى الجزاء من الثواب والعقاب.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ۝٥٤﴾ [الآية 54] أي ليس له انقطاع ولا انتهاء في الدنيا ولا في العقبى.

﴿هَٰذَا﴾ [الآية 55] أي الأمر هذا أو هذا كما ذكر أو خذ هذا أو هذا المعد للمتقين ﴿وَإِنَّ/ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ﴾ [الآية 55] شر مرجع ومنقلب. 94/ أ

﴿جَهَنَّمَ﴾ [الآية 56] بدل منه ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ [الآية 56] حال أو استئناف يدخلونها ويعذبون بها ﴿فَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [الآية 56] ما مهد لهم وأعد لأجلهم وهو جهنم لقوله: لهم من جهنم مهاد.

﴿هَذَا﴾ [الآية 57] العذاب أو العذاب هذا ﴿فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ﴾ [الآية 57] هو الماء الحار ﴿وَغَسَّاقٌ﴾ [الآية 57] ما يسيل من صديد أهل النار وقيل: المراد به الزمهرير وقرأ حفص وحمزة والكسائي بتشديد السين وآخر أي مذوق آخر أو عذاب آخر وقرأ أبو عمرو وآخر أي ومذوقات أو عقوبات.

﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِ﴾ [الآية 58] من مثل هذا المذوق أو العذاب في الشدة ﴿أَزْوَاجٌ﴾ [البَقَرَة: الآية 25] أجناس وأصناف.

﴿هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ﴾ [الآية 59] فقال للمتبوعين: هؤلاء قوم من التابعين مقتحمون معكم النار وتابعون لكم في قرار دار البوار ﴿لَا مَرْحَبًا بِهِمْ﴾ [الآية 59] دعا من المتبوعين على التابعين أي ما أتوا رحباً وسعة بل حضروا ضيقاً وشدة ﴿إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ﴾ [الآية 59] داخلوها مع أثقال الأوزار.

﴿قَالُوا﴾ [الآية 60] أي أي الأتباع للرؤساء ﴿بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ﴾ [الآية 60] بل أنتم أحق بما قلتم منا ﴿أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ﴾ [الآية 60] أي العذاب ﴿لَنَا﴾ [الآية 60] بإغوائنا وإغرائنا على ما قدمناه من الأحوال الفاسدة والأعمال الكاسدة ﴿فَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾ [الآية 60] في دار البوار.

﴿قَالُوا﴾ [الآية 61] أي الأتباع أيضاً ﴿رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا﴾ [الآية 61] مضاعفاً ﴿فِي النَّارِ﴾ [الآية 61].

﴿وَقَالُوا﴾ [الآية 62] أي الطاغون وهم الأتباع والمتبوعون من الكفار بعد دخولهم النار ﴿مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ﴾ [الآية 62] يعنون فقراء المسلمين الذين كانوا يسترذلونهم ويسخرون منهم.

﴿أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا﴾ [الآية 63] صفة مستأنفة وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر وعاصم بهمزة الاستفهام على أنه إنكار لهم على أنفسهم وملامة لها في

الاستسخار بهم وقرأ نافع وحمزة والكسائي سخرنا بالضم ﴿أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الآية 63] أم مالت عنهم أبصارنا فلا نراهم في النار وأم معادلة لما لنا لا نرى أن المراد ففي رويتهم لغيبتهم كأنهم قالوا أغابوا عنها أم زاغت عنهم أبصارنا فلا نراهم هنا أو منقطعة والقصد الدلالة على أن سبب استرذالهم واستحقارهم زيغ أبصارهم وقصور أنظارهم على رثاثة حالاً الفقراء وانكسارهم وذلك مثل فعل أبي جهل وإضرابه في حق مثل بلال وأصحابه.

94/ ب ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ [الآية 64] أي الذي حكينا/ عنهم ﴿لَحَقٌّ﴾ [الآية 64] خبر صدق لا بدّ أن يتكلموا هنالك ﴿تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ﴾ [الآية 64] فيما بينهم عند ظهور البوار بدل من حق أو خبر محذوف تقديره: هو.

﴿قُلْ﴾ [الآية 65] يا محمد للكفار ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ﴾ [الآية 65] مخوف لكم من العذاب إن كفرتم ومبشر لكم بالثواب إن آمنتم ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ﴾ [الآية 65] الذي لا يغبك في ذاته الكثرة والشركة ﴿ٱلْقَهَّارُ﴾ [الآية 65] الموصوف بالقدرة والغلبة.

﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [الآية 66] منه خلقاً وإليه أمرها ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ [الآية 66] البديع في أفعاله على وفق مراده ﴿ٱلْغَفَّٰرُ﴾ [الآية 66] لذنوب المؤمنين من عباده وفي هذه الأوصاف تقرير للتوحيد في الدين وتحرير بالوعد والوعيد للموحدين والمشركين.

﴿قُلْ هُوَ﴾ [الآية 67] أي ما أنبأتكم من أني نذير بين يدي الساعة أو هو بمعنى هذا والمراد به ما بعده من نبأ آدم والملائكة ﴿نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ﴾ [الآية 67].

﴿أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الآية 68] لقلة معرفتكم وكثرة غفلتكم.

﴿مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ﴾ [الآية 69] أي ولا بكلامهم ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [الآية 69] في قضية آدم وغيره من مرامهم.

﴿إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الآية 70] أي ما أوحي إلي إلا الإنذار لأنه المقصود الأهم بالنسبة إلى كثرة الكفار وقلة الأبرار على أن النذارة والبشارة

متلازمان في باب الرسالة وقد يكتفي بأحدهما عن الأخرى بحسب الدلالة أو التقدير لأنها والمعنى ليس يوحي إلي إلا لأني نذير مبين للبشارة.

وأفاد الأستاذ: أن الملأ الأعلى قوم من الملائكة في السماء العليا واختصاصهم كما ورد في الخبرية أن جبريل عليه السلام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال: لا أدري فقال جبريل: في الكفارة والدرجات من إسباغ الوضوء في المكروهات ونقل الأقدام إلى الجماعات وإفشاء السلام وإطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام وإنما اختلفوا في بيان كيفية المثوبة وكمية الفضيلة فيجتهدون ويقولون أيتهن أفضل وأيتهن أكمل وقيل: المراد بذلك الاختصام ما وقع لهم في شأن آدم عليه السلام حيث قالوا: أتجعل فيها من يفسد فيها ويشير إلى هذا المعنى قوله تعالى.

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾﴾ [الآية 71] لا سيما على
95/أ القول بأنه بدل من إذ / يختصمون.

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ﴾ [الآية 72] عدلت صورته وكملت خلقته ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الآية 72] وأحييته بنفخ الروح في بنيته وإضافته إلى نفسه لشرفه وطهارته.

وقال ابن عطاء: أي روحت سره المكنون بما يكون به الروحانيون ﴿فَقَعُواْ﴾ [الآية 72] فخروا ﴿لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [الآية 72] تكريماً وتعظيماً له نحو تبجيل الكعبة في كون المراد به القبلة فإنه لا يعبد الله ولا يسجد لسواه.

﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [الآية 73].

﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ [الآية 74] استثناء متصل أو منفصل ﴿ٱسْتَكْبَرَ﴾ [الآية 74] تعظم وتكبر ﴿وَكَانَ﴾ [الآية 74] وصار ﴿مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الآية 74] باستكباره أمر الله إياه أو كان منهم في علم الله.

وأفاد الأستاذ: أن أخباره سبحانه كان للملائكة بذلك يدل على تفخيم شأن آدم هنالك لأنه تعالى خلق ما خلق من الكونين والجنة والنار والعرش والكرسي والملائكة وغيرهما ولم يقل في صفة شيء منها ما قال في صفة آدم

هنا ولم يأمر بالسجود، لأحد ولا لشيء من خلقه إلا لآدم وسبحان الله خلق أعز خلقه من أقل شيء وأخسّه وهو التراب والطين ثم روح آدم وإن كانت مخلوقة فلها شرف على سائر الأرواح لإفرادها بالذكر فلما سوى خلق آدم وركب فيه الروح الأعظم جلله بأنوار الخصوصية فوقعت هيبته على الملائكة فسجدوا لأمره وظهر لإبليس الشقاوة ووقع بامتناعه في اللعنة.

﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ﴾ [الآية 75] أي من سجودك ﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [الآية 75] بعد وجودك بنفسي من غير الواسطة والتثنية لما في خلقه من مزيد القدرة أو اختلاف الصنعة حسب اختلاف الصفة المستدعية للهيبة والعظمة والحاصل أن في التنبيه إشارة إلى أنه جعل مظهر الكمال بظهور صفتي الجلال والجمال بخلاف سائر المخلوقات على اختلاف الأحوال فإن منهم من جعل مظهر الجمال فقط بدوام الطاعة بالملائكة المقربين ومنهم من خلق مظهر الجلال فحسب باستمرار الضلال كالشياطين ومنهم من لا يصلح لشيء من ذلك بل لحكم أخرى يقتضي هنالك ﴿أَسۡتَكۡبَرۡتَ﴾ [الآية 75] الآن ﴿أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ﴾ [الآية 75] المستكبرين في مضي الزمان أو تكبرت من غير استحقاق أو كنت ممن علا واستحق باتفاق.

﴿قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾ [الآية 76] إظهار لمانع لديه وقوله ﴿خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ/ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾ [الآية 76] دليل عليه. 95/ ب

وأفاد الأستاذ: أنه من هنا وقع الغلط له حيث توهم أن الفضيلة من حيث البنية والجوهرة ولم يعلم أن التفضل من حيث اللبسة دون الخلقة ويقال: ما أودع عند آدم لم يوجد عند غيره فيه ظهرت الخصوصية.

﴿قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا﴾ [الآية 78] من الجنة والسماء والصورة الملكية ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٞ﴾ [الآية 78] مطرود من الرحمة ومبعود من الكرامة.

وقال الأستاذ: مرمي باللعن وبالشهب من السماء وبالرجوم والشهب من قلوب الأولياء أن تعرضت لها بشيء من الأشياء.

﴿وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٧٨﴾ [الآية 78] أي مستمرة وإنما غياه إلى

يوم القيامة فإنه يشاهد عقوبة في تلك الحالة تنسيه اللعنة فكأنها حينئذ منقطعة أو المراد باللعنة المغياة المجردة عن العقوبة.

﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الآية 79] أي أمهلني في العقوبة إلى يوم القيامة ولو وفق للطاعة لقال: انظرني إلى يوم الرحمة.

وأفاد الأستاذ: أنه من كمال شقاوته جرى هذا على لسانه وتعلق به إرادته بسؤال أنظاره ليزداد إلى يوم القيامة في سبب عقوبته فانظره الله وأجابه لدعوته لأنه بلسانه سأل تمام شقاوته.

﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾﴾ الممهلين في سؤالك الموهوم. ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾ [الآيتان 80،81] وهي النفخة الأولى.

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ﴾ [الآية 82] فبسلطانك وقهرك وعلو شأنك ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ﴾ [الآية 82] أي آدم وذريته أصالة والجن تبعية ﴿أَجْمَعِينَ﴾ [الآية 82].

﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [الآية 83] الذي أخلصهم الله لطاعته بعصمته أو أخلصوا أحوالهم وأعمالهم بتوفيق الله ورحمته قيل المخلص الذي يكون سره بحيث لا يعلمه ملك فيكتبه ولا عدو فيفسده.

وأفاد الأستاذ: أنه لو عرف حقيقة عزته لما أقسم به على مخالفته ويقال: تحاسره في مخاطبته الحق حيث أصر على المخالفة وأقسم عليه للمبالغة أقبح وأولى في استحقاق اللعنة من امتناعه للسجود ولآدم وترك الطاعة.

﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾﴾ [الآية 84] أي فأحق الحق أو أقول الحق.

﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ﴾ [الآية 85] أي من ذاتك أو جنسك في صفاتك لتناوله الشياطين ﴿وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ [الآية 85] أي من الإنس والجن ﴿أَجْمَعِينَ﴾ [الآية 85]
وهو جواب القسم المقدر والجملة تفسير للحق المقول المقرر / وقرأ عاصم 96/ أ
وحمزة برفع الأول على الابتداء أي الحق قسمي أو على الخبر أي فأنا الحق.

﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ [الآية 86] أي على التبليغ بالرسالة من

أجرة ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [الآية 86] المتصنعين بما لست من أهله فأنتحل النبوة وأتقوّل القراءة.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الآية 87] ما القرآن إلا موعظة للعالمين وهداية للمؤمنين وحجة على الكافرين.

﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ﴾ [الآية 88] صدق ما فيه من الوعد والوعيد ﴿بَعْدَ حِينِۭ﴾ [الآية 88] وقت الموت وحين الغرغرة أو يوم القيامة أو عند ظهور الإسلام والغلبة.

سورة الزمر

[مكيّة]

وهي خمس وسبعون(1) آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله كلمة سماعها يوجب للقلوب شفاءها وللأرواح ضياءها وللأسرار علاءها وبالحق بقاءها.

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الآية 1] أي نزله كله أو بعضه مبتدأ خبره ﴿مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ﴾ [الآية 1] الغالب على مراده ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ [الآية 1] فيما يفعل بعباده.

وقال الأستاذ: هذا كتاب عزيز نزل من رب العالمين عزيز على عبد عزيز بلسان ملك عزيز في شأن قوم عزيز بأمر عزيز:

ورد الرسول من الحبيب الأول　　بعد التلاقي بعد طول تنزل

نزهة قلوب الأحباب بعد ذبول غصن سرورها في كتب الأحباب عند قراءة فصولها والعجب منها كيف لا تزهق سروراً بوصولها وارتياحاً بحصولها ويقال: كتاب العزيز عزيز. ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ﴾ [الآية 2] إليك ﴿ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية 2] ملتبساً بالحق أو بسبب إثبات الحق ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الآية 2] محضاً له الطاعة من الشرك والرياء والسمعة. ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الآية 3] أي تنبهوا أنه هو الذي وجب اختصاصه بخلوص العبودية فإنه المنفرد بصفات الألوهية ونعوت الربوبية.

---

(1) ذكرت في الأصل المخطوط اثنتان وسبعون آية وأثبتت هنا حسب المصحف.

وأفاد الأستاذ: أن العبادة معانقة الأمر على غاية من الخضوع والمذلة ويكون بالنفس وبالقلب وبالروح فالتي بالنفس الإخلاص فيها التباعد عن الانتقاص والتي بالقلب الإخلاص فيها العمى عن رؤية الأشخاص والتي بالروح فالإخلاص فيها التنقي عن طلب الاختصاص. ثم الدين الخالص ما يكون جملته لله وما للعبد فيه نصيب فهو عن الإخلاص بعيد لا قريب اللهم
96/ ب إلا أن يكون ما يسره فإنه إذا أمر العبد/ أن يحتسب الأجر على طاعته فإطاعته لا تخرجه عن الإخلاص باحتسابه ما أمره به ولولا هذا المخلص لما صح أن يكون في العالم مخلص ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ [الآية 3] من غير الله آلهة يعبدونها قائلين ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الآية 3] قربى في الدنيا والعقبى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الآية 3] من أمر الدين بإدخال المحق الجنة والمبطل نار العقوبة.

وأفاد الأستاذ: أنهم لم يقولوا هذا من قبل الله ولا بأمره ولا بإذنه وإنما حكموا بذلك من ذات أنفسهم فرد الله عليهم وفي هذا إشارة إلى أن ما يفعله العبد من القرب بنشاطة نفسه من غير أن يقتضيه حكم وقته وما يعقد بين وبين الله من عقود ثم لا يفي بها ولا يقوم بحقها فكل ذلك أتباع نفس وهوى لها قال تعالى: ﴿مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد: الآية 27]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى﴾ [الآية 3] إلى طريق الأبرار ﴿مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الآية 3] من طبع على الكذب والكفر من طوائف الفجار.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه لا يهديهم اليوم لدينه ولا في الآخرة إلى ثوابه وإشارة إلى تهديد حتى يتعرض لغير مقامه ويدعي شيئاً ليس بصادق في مرامه فالله لا يهدي قط إلى ما فيه طريق سداده ورشده وعقوبته أنه يحرمه ذلك الشيء الذي تصدى له بدعواه قبل تحققه بوجوده وذوقه.

﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [الآية 4] كما زعموا ﴿لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ [الآية 4] أي لاختيار ما يشاء من مخلوقاته من غير نحو عيسى وملائكته وما شابه سائر كائناته وفيه تنبيه أنه لا يتصور موجود سواه ألا وهو مخلوقه على

وصف قدره وقضاه وفيه إيماء إلى عدم تناهي قدرته وإمكان زيادة إرادته فقول الغزالي ليس في الإمكان أبدع مما كان محتاج إلى تأويل في عبارته ﴿سُبۡحَٰنَهُۥۖ﴾ [الآية 4] أي تنزيهاً له من اتخاذ الولد فضلاً عن تحققه المنافي لوحدته وقهاريته بغلبته وعزته واستغنائه عن غيره ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ [الآية 4] فإن الألوهية
97/ أ الحقيقية تتبع الوجوب المستلزم للوحدة الذاتية وهي تناهي المماثلة المعتبرة/ في الوالدية والولدية مع ما فيهما من لوازم عوارض الحدوثية المعارضة للقديمية الأزلية.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ﴾ [الآية 5] أي محقاً لا عابثاً أو بسبب ظهور الحق وزهوق الباطل ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ﴾ [الآية 5] يغشي كل واحد منهما الآخر كأنه يلف عليه لف اللباس باللابس في الجملة أو يغيبه به كما يغيب الملفوف باللفافة أو يجعله كاراً عليه كروراً متتابعاً تتابع أكوار العمامة ولعل الإشارة فيها إلى اختلاف الأطوار وتفاوت الأدوار وتداول المظاهر في الأسرار والأنوار.

وقد قال الشيخ أبو مدين المغربي لا تنكر الباطن في طوره فإنه بعض ظهوراته ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ﴾ [الآية 5] أي ذللها بقدرته وفق حكمته ﴿كُلٌّ﴾ [الآية 5] منهما ﴿يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمًّىۗ﴾ [الآية 5] وهو منتهى دورته أو منقطع حركته ﴿أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ [الآية 5] الغالب على كل شيء بالقدرة ﴿ٱلۡغَفَّٰرُ﴾ [الآية 5] حيث لم يعاجل بالعقوبة وسلب ما في هذه الصنائع من الرحمة وعموم المنفعة.

وأفاد الأستاذ: أنه مضى فيما تقدم اختلاف أحوال العبد في القبض والبسط والجمع والفرق والأخذ والرد والصحو والسكر ونجوم العقل وأقمار العلم وشموس المعرفة ونهار التوحيد وليالي الشك والجحد ونهار الوصل وليالي الهجر وكيفية اختلافهما وزيادتهما ونقصانهما ألا هو العزيز المتعزز على المحبين الغفار للمذنبين.

﴿خَلَقَكُم﴾ [الآية 6] أي قدر خلقكم ﴿مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾ [الآية 6] وهي آدم عليه السلام ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۡهَا﴾ [الآية 6] من ضلعها الأيسر فيها ﴿زَوۡجَهَا﴾ [الآية 6] حواء

ليسكن إليها فتأملوا المعنى في صنيع الرب من خلق الإنسان لأنه أقرب وأكثر دلالة وأعجب بل قيل هو العالم الأكبر وما دونه من المخلوقات هو العالم الأصغر كما يشير إليه فيما ورد من الحديث القدسي والكلام الأنسي: «لا يسعني أرض ولا سماء ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن»[1] ﴿وَأَنزَلَ لَكُم﴾ [الآية 6] أي قضى وقسم لكم فإن القسم والقضايا توصف بالنزول من السماء حيث كتبت في اللوح حال الابتداء والانتهاء وقيل: خلقها في الجنة ثم أنزل أصولها ﴿مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ [الآية 6] ذكراً أو أنثى من الإبل والبقر والضأن والمعز كما مر في سورة الأنعام ﴿يَخْلُقُكُمْ﴾ [الآية 6]/ باختلاف هيئاتكم ﴿فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ [الآية 6] حيواناً سوياً من بعد عظام مكسوة من بعد عظام عارية من بعد مضغ علق من بعد نطف ﴿فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ﴾ [الآية 6] ظلمة البطن والرحم والمشيمة ﴿ذَٰلِكُمُ﴾ [الآية 6] الذي هذه أفعاله في خلقتكم ﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ [الآية 6] هو المستحق لعبادتكم ﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ [الآية 6] أي ظاهراً وباطناً ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الآية 6] إذ لا يشاركه في خلق الأشياء غيره ﴿فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [الآية 6] فكيف يعدلون عن عبادته إلى الإشراك به. 97/ ب

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه ذكرهم حقيقة نسبتهم لئلا يعجبوا بحالهم وصفتهم ويقال بين آثار أفعاله لحكمته في كيفية خلقتك البديعية من قطرتين من نطفة أمشاج متشاكلة الأجزاء مختلفة الصور في الأعضاء مسخراً بعضها لبعض في الأوقات العديدة محالاً للصفات الحميدة كالعلم والقدرة والحياة وغيرها من أحوال القلوب وانقلابها وكالسمع والبصر والشم ونحوها ويقال: هذه كلها نعم أنعم الله بها علينا فذكرنا بما هو موجود لدينا إذ القلوب مجبولة على حب من أحسن إليها ثم قال: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ [الآية 6] يعني الذي أحسن إليكم بجميع هذه الوجوه هو ربكم والمعنى أنا خلقتكم وأنا صورتكم فأحسنت صوركم وأنا رزقتكم وأكثرت رزقكم وأنا الذي أسبغت عليكم إنعامي وخصصتكم بجميل إكرامي وغرقتكم في بحار أفضالي وعرفتكم استحقاق جمالي

---

(1) أورده النيسابوري في تفسيره (5/ 223).

وجلالي وهديتكم إلى توحيدي وألزمتكم رعاية حدودي فما لكم لا تنطقون بالكلية إلي ولا ترجون ما وعدتكم لدي ومالكم في الوقت لا تنظرون بقلوبكم إلي.

﴿إِن تَكْفُرُواْ﴾ [الآية 7] بإظهار كفرانكم ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْۖ﴾ [الآية 7] وعن إيمانكم ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَۖ﴾ [الآية 7] لاستضرارهم به رحمة عليهم ﴿وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْۗ﴾ [الآية 7] لأنه سبب فلاحكم وموجب نجاحكم.

قال سهل: أول الشكر الطاعة وآخره رؤية المنة ثم اعلم أن قوماً استدلوا بهذه الآية على أنه تعالى لا يرضى كفر الكافرين وإن كان يريده فإن الرضى والمحبة معناهما واحد كما أن الإرادة والمشيئة مرادهما متحد ثم بدل القرينتين تغاير ظاهر فهما تعلق به الثواب يقال: فيه إن الله رضيه وأحبه
98/ أ ويقال/ أيضاً إرادة ومشيئة وما تعلق به العقاب ويقال: إن الله تعالى أراد وشاء ولا يقال: أحبه ورضيه بل يقال: كرهه ونهى عنه ومعنى ذلك أنه لا يثيب عليه لأنه يقع قهروا لديه به كسائر مكروهات العباد فإن العبد يقع المكروه عليه قهراً ولو قدر على رفعه رفعه والله سبحانه يتعالى على هذا المعنى وهذا مذهب كثير من السلف ومشرب أكثر الخلف.

قال قتادة: والله ما رضي الله لعبد ضلالة ولا أمره بها ولا دعاه إليها وقد شاء وجودها فيمن خلق لها.

وقال ابن عباس والسدي وجماعة: أن الله يرضى الكفر للكافرين كما يرضى الإيمان للمؤمنين.

فالآية من العام الذي أريد به الخصوص أن لا يرضى لعباده المؤمنين الكفر وهم الذين قال فيهم: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌۚ﴾ [الإسراء: الآية 65] وهو كقوله: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان: الآية 6] أي المؤمنون الأبرار وهؤلاء الطائفة لا يفرقون بين الإرادة والمحبة والرضى بالمشيئة يقولون كل ما أراده فقد رضيه ممن أريد منه وإن كان لا يؤمر به ولا يثبت عليه.

وقال الأستاذ: في بيان معنى المراد إن أعرضتم وأبيتم وفي جحود

كفركم تماديتم فما افتقرنا إليكم ونحن أغنياء عنكم ولكني لا أرضى لكم أن تبقوا عني في حال منكم أنت المسكين إن لم أكن لك فمن تكون أنت من الذي يحسن إليك من الذي يقبل عليك من الذي يرحمك من الذي ينثر التراب على جرحك من الذي يهتم بشأنك بمن تسلى إذا أبقيت عني من الذي يبيعك رغيفاً بمثاقيل ذهب عبدي أنا لا أرضى لك أن لا تكون لي فأنت كيف ترضى أن لا تكون لي يا قليل الوفاء يا كثير الجفاء إن أطعتني شكرتك وإن ذكرتني ذكرتك وإن خطوت لأجلي خطوة ملأت السماوات والأرضين من شكرك.

لو علمنا أن الزيارة حق　　لفرشنا الخدود أيضاً لترضى

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الآية 7] لا تحمل نفس آثمة قل آثمة أخرى بل كل منهما بحملها أولى وأخرى في دنيا وأخرى ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الآية 7] بالمحاسبة والمجازاة ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الآية 7] فلا يخفى عليه خافية من أعمالكم ولا غائبة من أحوالكم.

﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ [الآية 8] مقبلاً عليه ومتضرعاً لديه ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ﴾ [الآية 8] / أعطاه مما تمناه ﴿نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو﴾ 98/ ب
﴿إِلَيْهِ﴾ [الآية 8] أي الضر الذي كان يدعو الله أي كشفه أو ربه الذي يتضرع في طلب لطفه ﴿مِن قَبْلُ﴾ [الآية 8] قبل النعمة من الضر والمحنة ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [الآية 8] أي أشباهاً أو أضداداً ﴿لِّيُضِلَّ﴾ [الآية 8] غيره ﴿عَن سَبِيلِهِ﴾ [الآية 8] عن دين ربه وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء واللام لام العاقبة ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا﴾ [الآية 8] من الزمان أو تمتعنا قليلاً في هذا المكان إنك ﴿إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ [الآية 8] على وجه الخزي والهوان والأمر للتهديد والوعيد الشديد.

قال الواسطي: الخلق مجبورون تحت قسمته مقهورون تحت خلقته ألا ترى إذا ضاقت الصدور واشتدت الأمور كيف يفزع بالإخلاص إلى الملك الغفور.

وقال الأستاذ: إذا مسه ضر خشع وخضع وإلى ربه فزع وتملق بين يديه

وتضرع إليه فإذا زال عنه ضره وكفاه أمره وأصلح شغله نسي ما كان يدعو إليه من قبل فيعود إلى رأس كفرانه وينهمك في كبائر عصيانه وأشرك بمعبوده وأصر على جحوده أو من كان هذا صفته فسحقاً له وبعداً سوف يلقى حزناً وطرداً.

﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ﴾ [الآية 9] قائم بوظائف طاعاته ﴿ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾ [الآية 9] في ساعاته وأوقاته ولعل الاقتصار على آناء الليل من باب الاكتفاء أو لما يفهم منه غيره بالطريق الأولى أو تنبيهاً على الاستنباه فيه الأحرى والأعلى والمعنى بل أمر من هو قانت في أوقات عبادته كمن هو بضده في حالته. وقرأ نافع وابن كثير وحمزة بتخفيف الميم أي أمن هو قانت لله كمن اتّبع هواه وجعل أنداداً لمولاه ﴿سَاجِدًا وَقَآئِمًا﴾ [الآية 9] حالان من ضمير قانت ﴿يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾ [الآية 9] أي ما يؤدي إلى عذابها أو يخاف العذاب الموعود بها ﴿وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الآية 9] من دخول جنته وحصول نعمته ووصول رؤيته.

قال ابن عطاء: القانت الذي يجتهد في العبادة فلا يرى ذلك من نفسه بل يرى من فضل الله عليه ولطفه ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 9] أي ويعلمون ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 9] أي يجهلون أو لا يعملون بما يعلمون نفياً لاستواء الفريقين باعتبار القوة العلمية بعد نفيه باعتبار القوة العملية على وجه أبلغ
99/أ لمزيد فضل العلم بالمزية. / وقيل: المعنى كما لا يستوي العالمون والجاهلون لا يستوي القانتون والعاصون.

قال رويم: المقامات كلها علم والعلم حجاب أي المقامات كلها معلومات لاصحاب الحالات والعلم حجاب عن شهود الذات بمشاهدة الأفعال والصفات وقد قيل: العلم حجاب نوراني والغفلة حجاب ظلماني ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ﴾ [الآية 9] يتعظ في هذا الباب ﴿أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الآية 9] أي دون أرباب الحجاب.

وأفاد الأستاذ: أنهما لا يستويان هذا في أعلى الفضائل وهذا بأسوأ الرذائل والعلم المخلوق على ضربين مجلوب بكسب العبد وموهوب من قبل

الرب ويقال: موضوع ومصنوع ويقال: علم بيان وعلم برهان، فالعلوم الدينية كلها برهانية إلا ما يحصل بنعت الإلهامية انتهى. وقد قيل: علم مشروع وعلم مطبوع ولا بدّ منهما ولا يستغنى عنهما ومن كان فيه أحدهما فهو في مرتبة القصور ومن أوتيهما، وكان فيه أحدهما فهو نور على نور ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: الآية 40].

﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ [الآية 10] بلزوم طاعته ودوام عبادة ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟﴾ [الآية 10] بالطاعات ﴿فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ [الآية 10] مثوبة مستحسنة في العقبى والإحسان هو الإتيان بجميع وجوه الإمكان وقيل: في هذه بيان لمكان جنسه أي للذين أحسنوا بالعبادة حسنة في الدنيا وهي الصحة والعافية والقناعة وحسن الخاتمة ﴿وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ﴾ [الآية 10] فمن تعسر عليه التوفر على الإحسان في وطنه فليهاجر إلى متمكنه ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ [الآية 10] على مشاق الطاعة من احتمال الأحزان ومهاجرة الأوطان ومفارقة الإخوان ﴿أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الآية 10] أجراً لا يهتدي إليه حساب الحسّاب وفي الحديث إنه ينصب الموازين يوم القيامة لأهل الصلاة والصدقة والحج فيوفون بها أجورهم ولا ينصب لأهل البلاء بل يصب عليهم الأجر صباً حتى يتمنى أهل العافية في الدنيا أن أجسادهم تُقرض بالمقاريض مما يذهب به أهل البلاء من الفضل رواه الثعلبي وابن مردويه[1].

﴿قُلْ/ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾﴾ [الآية 11] أي الانقياد في 99/ ب
الطاعة على وجه المحبة.

﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾﴾ [الآية 12] أي وأمرت بذلك لأجل أن أكون مقدمهم في الدنيا والعقبى لأن إحراز قصب السبق في الدارين بالإخلاص في الدين.

قال جنيد: الإخلاص إخراج الخلوة من معاملة الحق والنفس أول الخلق.

---

(1) أورده البيضاوي في تفسيره (1/ 60).

وقال الأستاذ: في الخبر أن الله يقول الإخلاص بين الله وبين عبيده ويقال: إن الإخلاص لا يفسده الشيطان ولا يطلع عليه الملكان.

﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ [الآية 13] بترك الإخلاص في الدعاء والميل إلى ما أنتم عليه من الشرك والرياء ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الآية 13] لعظمة ما فيه من العناء.

﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾﴾ [الآية 14] في جميع أعمالي وسائر أحوالي من القيام بالطاعة والحذر عن المخالفة.

﴿فَٱعْبُدُواْ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ [الآية 15] وهو غاية الوعيد ونهاية التهديد ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الآية 15] أي الكاملين في الخسران وإرادتهم الكافرين ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ [الآية 15] بالضلال ﴿وَأَهْلِيهِمْ﴾ [الآية 15] بالإضلال ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الآية 15] حين يدخلون النار بالسلاسل والأغلال بدل الجنة ونعيم الوصال إلى أزل الأزل ﴿أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الآية 15] أي الظاهر البرهان لأنهم جمعوا وجوه الخسران ووبال الهجران.

وأفاد الأستاذ: إن ذلك غاية الخسران وهو الخزي والهوان والخاسر على الحقيقة من خسر دنياه بمتابعة الهوى وخسر عقباه بارتكاب ما عنه نهي وخسر مولاه فلم نستحي منه فيما رأى.

﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ [الآية 16] أطباق منها.

وقال الأستاذ: وأحاط بهم سرادقها فهم لا يخرجون منها ولا يفترون عنها كما أنهم اليوم في جهنم عقائدهم يستديمون حجابهم ولا ينقطع عنهم عتابهم ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية 16] إلى ما ذكر من العذاب ونحوه ﴿يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ﴾ [الآية 16] ليستجنبوا طريق خلافه ولو أراده ﴿يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾ [الآية 16] فخافوا عقوبتي واتقوا مخالفتي.

وقال الأستاذ: إن خفت اليوم كفيت اليوم وإلا فبين يديك عقبة كؤود أي شاق عليك.

100/أ / ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [الآية 17] المبالغ في الطغيان وهو الشيطان ومن يجري مجراه في العصيان ﴿أَن يَعۡبُدُوهَا﴾ [الآية 17] بدل اشتمال منه أي يطيعوها ﴿وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الآية 17] أقبلوا إليه واعتمدوا عليه ﴿لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ﴾ [الآية 17] البشارة الكاملة بالمثوبة الشاملة على ألسنة الرسل في الدنيا أو الملائكة عند حضور الموت وحلول العقبى.

قال سهل: الطاغوت الدنيا وأصلها الجهل وفرعها المأكل والمشارب وزينتها التفاخر وثمرتها المعاصي وميراثها القسوة والعقوبة.

وأفاد الأستاذ: أن طاغوت كل أحد نفسه وإنما يجتنب الطاغوت من خالف هواه وعانق رضى مولاه فعبادة النفس بموافقة الهوى وقليل من لا يعبد هواه ويجتنب حديث النفس وما يتمناه ﴿فَبَشِّرۡ عِبَادِ﴾ [الآية 17].

﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ﴾ [الآية 18] أي الأقوال الحسنة ﴿فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓ﴾ [الآية 18] يميزون بين الحق والباطل ويؤثرون الأفاضل فالأفضل من بين محاسن الشمائل ومناقب الفضائل ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ﴾ [الآية 18] لدينه وأبواب يقينه ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [الآية 18] ذوو العقول السليمة عن منازعة الأوهام الذميمة قال عيسى عليه السلام: جالسوا من يذكركم الله رؤيته ويرغبكم في الآخرة عبادته كذا في «**تفسير السلمي**».

وأفاد الأستاذ: أن اللام في قوله القول للعموم يقتضي جنس المقول والاستماع يكون لكل شيء والاتباع يكون للأحسن وفيه قولان أحدهما أن يكون بمعنى الحسن والثاني أنه للمبالغة والحسن ما كان مأذوناً فيه والأحسن هو الأولى والصواب ويقال: أحسنه ما كان لله دون ما سواه ويقال: الأحسن ذكر الله خالصاً لرضاه ويقال: من عرف الله لا يسمع إلا بالله ويقال: للعبد دواعي باطنه فوساوس الشيطان تدعوا إلى المعاصي وهو أحبس النفس يدعو إلى ثبات الأشياء مما لها فيه نصيب وحظ وخواطر الملك تدعوا إلى الطاعات والقربان وخطاب الحق في حقائق التوحيد ودقائق التفريد ويقال: من أحسن أن يسمع من الله أحسن أن يسمع عباد الله.

100/ ب ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ﴾ [الآية 19] وثبت له مذلة الحجاب ﴿أَفَأَنتَ/ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ [الآية 19] أي أتخلصه وتنجيه من العقاب وفيه إيماء إلى أن الأحوال اللاحقة إنما هي على طبق الأقوال السابقة.

وأفاد الأستاذ: إن الذين حقت عليهم كلمة العذاب فريقان فريق حقت عليهم كلمة بعذابهم في النار وأصحاب الحجاب حقت عليهم كلمة العذاب بأنهم اليوم لا يخرجون عن حجاب قلوبهم ولا يكون لهم بهذه الطريقة إيمان وإن كانوا من أهل الإيمان.

﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ﴾ [الآية 20] علالي بعضها فوق بعضها ﴿مَّبْنِيَّةٌ﴾ [الآية 20] بنيت على أسس قوية سفلية وعلوية بحسب مراتب بهية ومناقب رضية وفيه تنبيه على أن أبنية الجنة حسية لا كما توهم قوم أنها معنوية ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الآية 20] من تحت غرفها أو من تحت تصرف أهلها ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 20] مصدر مؤكد لما سبق من الوعد ﴿لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [الآية 20].

أفاد الأستاذ: أنه سبحانه وعد المطيع بالجنة ولا محالة لا يخلفه ووعد التائبين بالمغفرة ولا محالة يغفر له ووعد المريد القاصد بالوجود والوصول فإذا لم يقنع له فترة فلا محالة يصدق وعده.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ [الآية 21] أي مباركاً وطهوراً ﴿فَسَلَكَهُۥ﴾ [الآية 21] أدخله ﴿يَنَٰبِيعَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 21] هي عيون ومجار كائنة فيها ﴿ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ﴾ [الآية 21] أصنافه من بر وشعير وغيرهما أو كيفياته من خضرة وحمرة ونحوهما ﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾ [الآية 21] يتم جفافه لأنه إذا تم حال يبوسته حان له أن يثور عن منبته ﴿فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا﴾ [الآية 21] من يبسه ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا﴾ [الآية 21] فتاتاً في تكسره ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ﴾ [الآية 21] لتذكر آياته بأنه لا بدّ من صانع حكيم دبره وسواه وبأنه مثل الحياة الدنيا فلا يغتر بها إلا من اتبع هواه واختار دنياه على آخرته ﴿لِأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الآية 21] إذ لا عبرة بغيرهم في هذا الباب.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة من هذه الآية إلى أن الإنسان يكون طفلاً ثم يصير شاباً ثم كهلاً ثم شيخاً ثم يصير إلى أرذل العمر ثم آخره يخترم وعن حياته يحترم ويقال: إن الزرع ما لم يأخذ في الجفاف فلا يؤخذ منه الحب الذي هو المقصود منه كذلك الإنسان ما لم يجف من نفسه صوله لا يكون له قدر ولا قيمة ويقال: إن المؤمن بقوة عقله يوجب استقلاله بعلمه إلا أن يبدو
منه/ كمال تمكنه من وقادة بصيرته ثم إذا بدأت لائحة من سلطان المعارف 101/ أ
تصير تلك الأنوار مغمورة فإذا بدت أنوار التوحيد استهلكت تلك الجملة كذلك قالوا:

فلما استنار الصبح أدرج ضوؤه ... بأنواره أنوار تلك الكواكب

﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ﴾ [الآية 22] من معرفة وهداية كائنة من عناية ربه ورعاية كمن ضيق قلبه فهو على ظلمة من نفسه من جهالة وغواية، وقد روى الحاكم وغيره عنه عليه السلام إذا دخل النور القلب انشرح وانفتح فقيل: ما علامة ذلك؟ قال: الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزوله(1).

﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ [الآية 22] أي من أجل ذكره وهو أبلغ من أن يكون عن مكان من لان القاسي من أجل الشيء أشد تائباً من قبوله من القاسي عنه بسبب آخر له ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ [الآية 22] أي أصحاب القسوة وأرباب الغفلة ﴿فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ [الآية 22] ظاهر الضلالة وأوضح الجهالة.

قال الحسين: قسوة القلب بالنعم أشد من قسوته بالنسيان فإن بالنعمة يشكر وبالشدة يذكر.

وقال يحيى بن معاذ: قسوة القلب من اتباع الهوى ومخالفة الهدى.

وأفاد الأستاذ: أن النور الذي من قبله سبحانه اللوائح بنجوم العلم ثم

---

(1) أخرجه البيهقي في الزهد الكبير (2/ 489) رقم (983)، وفي القضاء والقدر (1/ 353) رقم (334).

نور اللوامع ببيان الفهم ثم نور المحاضرة بزوائد اليقين ثم نور المكاشفة بتجلي الصفات ثم نور المشاهدة بظهور الذات ثم أنوار الصمدية بحقائق التوحيد وعند ذلك فلا وجد ولا قصد ولا قرب ولا بعد، كلا بل هو الله الواحد القهار، يعني ويظهر حينئذ معنى قول من قال ليس في الدار غيره ديار.

﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ﴾ [الآية 23] أي ما يحدث به ويشرح صدر العبد بسببه وهو القرآن العظيم والفرقان الكريم ﴿كِتَٰبًا﴾ [الآية 23] جامعاً للمعاني ﴿مُّتَشَٰبِهًا﴾ [الآية 23] في المباني ﴿مَّثَانِيَ﴾ [الآية 23] مثنياً فيه أحوال الداني والقاصي والمطيع والعاصي أو مشتملاً على نوعي الثناء بذكر سلطانه وإحسانه وصفة الجنة والنار والوعد والوعيد للأبرار والفجار ﴿تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ
يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ﴾ [الآية 23] تضطرب/ وترتعد خوفاً مما فيه من الوعيد بالعقوبة 101/ ب
﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ﴾ [الآية 23] أي تستكن وتطمئن ﴿إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ [الآية 23] في وعده بالرحمة وعموم المغفرة.

وقال الأستاذ: تقشعر وتلين بالخوف والرجاء ويقال: بالقبض والبسط ويقال: بالهيبة والإنس ويقال: بالتجلي والاستتار أقول وقد يقال: بالفناء والبقاء ويقال: بالمحو والصحو ويقال: بالسكر والشكر ويقال: بالفرق والجمع ويقال: بالغفلة والخصور ويقال: بالشعور والغيبة ونحو ذلك مما يصح أن يقال هنالك:

عباراتنا شتّى وحسنك واحد وكلّ إلى ذاك الجمال يشير

﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية 23] أي الكتاب المعروف أو الحال الموصوف ﴿هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾ [الآية 23] هدايته ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ﴾ [الآية 23] أي ومن يخذله ويشأ ضلالته ﴿فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ﴾ [الآية 23] يخرجه من غوايته في بدايته أو نهايته.

﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجۡهِهِۦ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾ [الآية 24] يجعله درقه لأنه يقي به نفسه حيث يكون مغلولة يداه إلى عنقه فلا يقدر أن يتقي إلا بوجهه سوء العذاب يوم القيامة كمن هو آمن من مقاربة العقوبة ﴿وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية 24] في

ذلك الحين ﴿ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [الآية 24] أي سوء وباله وقبح حاله.

﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الآية 25] من الجهة التي لا تخطر ببالهم أن الشر يأتيهم منها في حالهم.

﴿فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ﴾ [الآية 26] الذل والمهانة بغتة ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الآية 26] كالمسخ والخسف والقتل والسبي والإجلاء ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ [الآية 26] خزياً وأكثر حزناً لشدته ودوام مدته ﴿لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 26] ذلك لاعتبروا بما هنالك.

وأفاد الأستاذ: أن أشد العذاب ما يكون بغتة كما أن أتم السرور ما يكون فلتة ومن الهجران والفراق ما يكون فجأة غير متوقعة وهو أنكره للفؤاد وأشده في التأثير وأوجعه للقلب وفي معناه قلنا:

فبتنا بخير والدنى مطمئنة ... وأصبحت يوماً والزمان تقلبا

وأتم السرور وأعظمه تأثيراً في الصدور ما يكون فجأة حتى قال قائلهم: أشد السرور قفلة على غفلة، أي رجعة في حال جذبة ومنه فقولهم جذبة من جذبات الحق توازي عمل الثقلين، وفي معناه أنشدوا:

بينها خاطر المنى بالتلاقي ... سائح في فؤاده وفؤادي
جمع الله بيننا / فالتقينا ... هكذا بغتة بلا ميعاد[1] 102/ أ

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ﴾ [الآية 27] بينا لهم ﴿فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ [الآية 27] يحتاج إليه الناظر في أمر دينه وتحقيق يقينه ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الآية 27] يتعظون به ويتفكرون في مصدره ومورده وينتفعون بما هو المقصود من ذكره.

﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [الآية 28] منصوب على المدح أي مقروأً غريب المعاني عربي المباني ﴿غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ [الآية 28] لا اختلال في مبانيه ولا اختلاف في معانيه ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الآية 28] لكي يتقوا ما ينافيه ويتبعوا ما فيه من أوامره

(1) ذكره القشيري في تفسيره (5/ 2) و(7/ 31).

ونواهيه قال ابن أنس في قوله: غير ذي عوج أي غير مخلوق كذا في «تفسير السلمي». ولعله أشار إلى مضمون قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: الآية 82] وهذا ما وجد أحد فيه اختلافاً يسيراً فدل على أنه من عنده وإنه كلامه لا كلام غيره لأن المخلوق من حيث هو لم يخلو من نقص في وصفه.

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾ [الآية 29] أي بين مثلاً للمشرك والموحد وأبدل منه ﴿رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَـٰكِسُونَ﴾ [الآية 29] متخالفون متنازعون ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾ [الآية 29] مثل المشرك على ما تقتضيه طريقته من أن يدعي كل واحد من معبودية عبوديته بعبد تشارك فيه جمع يتجاذبونه ويتناوبون في خدمته على وفق مهامهم المختلفة في تحيره وتشتت فكره وتوزع أمره وتضييق صدره ومثل الموحد بمن خلص لواحد في ملازمته ليس لغيره عليه سبيل في مطالبته وقرأ نافع وابن عامر والكوفيون سلماً بفتحتين وهو مصدر نعت به مبالغة ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ﴾ [الآية 29] أي الرجلان أو المثلان ﴿مَثَلًا﴾ [الآية 29] أي صفة وحالاً ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الآية 29] لا يشاركه فيه على الحقيقة سواه لأنه المنعم بالذات على ما عداه ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 29] فيشركون غيره به من غلبة جهالتهم وقوة ضلالتهم.

قال ابن عطاء: لا يعلمون ما لهم في حمد الله من الذخر والفخر.

فقال جعفر: لا يعلمون أن أحداً من عباده لم يبلغ الواجب من حمده.

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الآية 30] ستموت وغيرك أيضاً من المؤمن والكافر يموتون.

102/ ب / ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ﴾ [الآية 31] على تغليب المخاطب على الغيب ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الآية 31] فتحتج عليهم بأنك اجتهدت في التبليغ والإرشاد وأنهم لجوا في التكذيب والعناد ويعتذرون بالأباطيل مثل أطعنا سادتنا وكبرانا وإنا وجدنا آبانا أو المراد به الاختصام العام فيما دار بينهم في الدنيا يقصد الانتقام في ذلك المقام.

قال ابن عطاء: إنك ميت عمَّا هم فيه من الاشتغال بالدنيا وإنهم ميتون

عما كوشفت به من حقائق التقريب ودقائق قرب المولى وقيل: إنك ميت عن رؤية الأكوان وبمشاهدة المكون أي بخلاف أحوال أهل الغفلة والنسيان.

وأفاد الأستاذ: أن من لم يتفرغ من ما تم نفسه وأنواع همه فليس له من هذا الحديث أثر شمه فإذا فرغ قلبه عن حديث نفسه وعن الكون بجملته فحينئذ يجد الخبر من ربه وليس هذا الحديث يصح منهم إلا بعد فنائهم عنهم.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الآية 32] افترى عليه بإضافة الولد والشريك إليه ﴿وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ﴾ [الآية 32] وهو ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من الحق ﴿إِذْ جَآءَهُۥٓ﴾ [الآية 32] من غير تفكر في أمره وتوقف في دهره ﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [الآية 32] أي ذلك يكفيهم فيما يجازيهم.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة فيه إلى من أشار إلى أشياءكم يبلغها ويدعي وجود أشياء لم يذق شيئاً منها وقد قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ [الزمر: الآية 60]، ويقال: لا بل هؤلاء الكفار وفأما المدعي الذي لم يبلغ ما يدعيه من حاله فكيف يكذب على ربه وإنما كذب على نفسه حيث ادعى لها أحوالاً لم يجدها ولم يذقها فأما غير المتحقق الذي يكذب على الله فهو الجاحد والمبتدع الذي يقول في صفته سبحانه ما يتقدس ويتعالى عنه عز شأنه.

﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ [الآية 33] أريد به الجنس ليدخل الرسل والمؤمنون لقوله ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الآية 33] وقيل: هو النبي وأتباعه أجمعون وقيل: الجائي هو الرسول والمصدق أبو بكر وقيل: على ما في الدر وذلك يقتضي إضمار الذي وهو جائز عند الأخفش والكوفيون خلافاً / للبصريين 103/أ
قال أبو سعيد الخراز الصدق منزلة تبلغ الآمل مأموله.

وقال الأستاذ: جاء بالصدق في أفعاله من حيث الإخلاص وفي أحواله من حيث الصدق وفي أسراره من حيث الحقيقة.

﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ﴾ [الآية 34] من النعمة ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الآية 34] في الجنة

﴿ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الآية 34] في الطاعة.

وقال الأستاذ: لما سلموا له المشيئة استيقنوا بأن الله يفعل ما يشاء سلم لهم المشيئة غداً فقال: لهم ما يشاؤون عند ربهم ثم ظاهر هذا الخطاب أن يرى ربه كل وقت أراده ثم لا يريد دوام الرؤية أي سلب عنه هذه الإرادة ليتم له اللذات المعتادة.

﴿لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ [الآية 35] أي ليغفر لهم ويستر عنهم ﴿أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟﴾ [الآية 35] أخص الأسوأ للمبالغة فإنه إذا كفر كان غيره أولى بذلك في العادة أو للإشعار بأنهم لاستعظامهم الذنوب الصادرة عنهم يحسبون أن ما فرط فيهم من الصغائر أسوأ ذنوبهم ويجوز أن يكون بمعنى السيء وإنما لم يؤت به لئلا يتوهم عدم مغفرة الأسوأ ﴿وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم﴾ [الآية 35] ويعطيهم ثوابهم ﴿بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الآية 35] فيعد لهم محاسن أعمالهم بأحسنها في زيادة الأجر وعظمه لفرط إخلاصهم فيها.

وأفاد الأستاذ: أن من لا يكون مؤمناً فليس من أهل هذه الجملة ومن كان معه إيمان فإذا كفر عنه أسوأ عمله وأسوأ أعماله كبائره فإذا غفرت يجزيهم بأحسن أعمالهم وأحسن أعمال المؤمن الإيمان والمعرفة فإذا كان المؤمن مؤقتاً كان ثوابه مؤقتاً وإلا ليس كذلك وإذا كان الإيمان على الدوام فثوابه على الدوام ثم يجب أي بمقتضى الوعد أن يكون على أحسن الأعمال أحسن الثواب وأحسن الثواب الرؤية فيجب أن يكون على الدوام وهذا استدلال قوي في المرام أقول الظاهر أن المراد بأحسن الأعمال جنس الأحوال من الإيمان وغيره من الأقوال والأفعال وكذا أحسن الثواب جنس مترتب على ما ذكر في هذا الباب ولذا قال بعض المحققين أن الرؤية في
103/ب العقبى إنما هي بقدر المعرفة وحالة المراقبة والمحاضرة / والمشاهدة في الدنيا.

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الآية 36] أي رسوله ويحتمل الجنس ويؤيده قراءة حمزة والكسائي عباده ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ [الآية 36] حيث قال

قريش له إنا نخاف أن تخيلك آلهتنا بعيبك إياها ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾ [الآية 36] حتى عقل عن كفايته وخوفه بما لا ينفع ولا يضر بحسب ذاته ﴿فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الآية 36] يهديه إلى إرشاده.

﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ﴾ [الآية 37] اكتفى بحمايته ورعايته ﴿فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ﴾ [الآية 37] عن طريق هدايته إذ لا راد لفعله ولا معقب لحكمه كما قال ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ﴾ [الآية 37] غالب منيع بديع ﴿ذِى ٱنتِقَامٍ﴾ [الآية 37] من أعدائه لأحبابه.

قال أبو بكر بن طاهر: من لم يكتف بربه بعد قوله أليس الله بكاف عبده فهو في درجة الهالكين.

وأفاد الأستاذ: أن الله كاف عبده اليوم في عرفانه بتصحيح إيمانه وغداً في غفرانه وما بينهما فكفاية تامة وسلامة عامة.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ﴾ [الآية 38] إذ لا جواب لهم سواه ﴿ٱللَّهُ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 38] أي ما تعبدون مما سواه ﴿إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾ [الآية 38] بمضرة من محنة ومشقة ومرض وفاقة ﴿هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾ [الآية 38] هل من يكشفنه ويرفعنه عني ﴿أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ﴾ [الآية 38] بنعمة من صحة وسعة وراحة ﴿هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ﴾ [الآية 38] فيمنعها مني وقرأ أبو عمر وبتنوين كاشفات وممسكات ونصب ضره ورحمتي ﴿قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ﴾ [الآية 38] كافياً في إصابة الخير ودفع الضر إذ تقرّر أنه القادر الذي لا مانع لما يريده من الخير أو الشر ﴿عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الآية 38] وقرأ أبو بكر.

[﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟] عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ [الآية 39] أي حالاتكم ومراتب مقاماتكم ﴿إِنِّى عَٰمِلٌ﴾ [الآية 39] على مكانتي بقدر حالتي ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الآية 39].

﴿مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ [الآية 40] أي بهيبته ويهلكه ويرديه في الدنيا ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [الآية 40] دائم وهو عقاب العقبى.

وقال الأستاذ: سوف ينكشف ربحنا وخسرانكم وسوف يظهر زيادتنا ونقصانكم وسوف نطالبكم ولا جواب لكم ونعاقبكم ولا شفيع لكم وندم عليكم فلا صريخ لكم ولا مغيث لديكم.

104/ أ ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ﴾ [الآية 41] / لأجلهم فإنه مناط مصالحهم في معاشهم ومعادهم بالحق ملتبساً بالصدق.

قال سهل: ليهتدوا ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية 41] إلى الحق ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ﴾ [الآية 41] إذا نفع به نفسه في حالها ومآلها ﴿وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ [الآية 41] فإنّ وبالها لا يتخطاها ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ [الآية 41] ما وكل إليك أمرهم لتجبرهم، على الهداية وإنما أمرت بالتبليغ وقد بلغت وفي النصيحة بالغت.

وأفاد الأستاذ: أن من أحسن فإحسانه إلى نفسه اكتسبه ومن أساء فبلاؤه إلى نفسه جلبه والحق غني عن التجمل بطاعة من أقبل والتنقص بزلة من أعرض.

﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾ [الآية 42] أي يقبضها عن الأبد إن جميعها بأن يقطع تعلقها عنها وتصرفها فيها إما ظاهراً أو باطناً وذلك عند الموت أو ظاهراً لا باطناً وهو في حالة النوم ﴿فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ﴾ [الآية 42] أي قدر وحكم ﴿عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ﴾ [الآية 42] ولا يردها إلى بدنها وقرأ حمزة والكسائي بضم القاف وكسر الضاد وبرفع الموت ﴿وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [الآية 42] أي النائمة إلى بدنها عند يقظتها ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الآية 42] وهو الوقت المضروب لموته. وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن في ابن آدم نفساً وروحاً بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التي بها العقل والتميز، والروح التي بها النفس والحياة فتتوفيان عند الموت ويتوفى النفس وحدها عند النوم[1].

وعن علي رضي الله عنه أنه قال: تخرج الروح عند النوم ويبقي شعاعه

(1) أورده الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (3/ 205) رقم (1118).

في الجسد فبذلك يرى الرؤيا فإذا نبه من النوم عاد الروح إلى جسدها بأسرع من لحظة[1].

وقال سهل: إن الله تعالى إذا توفى الأنفس أخرج الروح النوري من لطيف نفس الطبع الكثيفي فالذي يتوفى في النوم من لطيف نفس الطبع لا من لطيف نفس الروح فالنائم يتنفس نفساً لطيفاً وهو نفس الروح الذي إذا زال لم يكن للعبد حركة وكان ميتاً وقال: حياة نفس الطبيعي بنور لطيف الروح وحياة لطيف نفس الروح بذكر الله وقال أيضاً: الروح / يقوم بلطيفه في ذاتها بغير 104/ ب
نفس الطبع ألا ترى أن الله خاطب الكل في الذر بنفس الروح مع فهم وعقل وعلم لطيف بلا حضور طبع كثيف ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ [الآية 42] أي فيما ذكر من التوفي والإمساك والإرسال ﴿لَأَيَٰتٍ﴾ [الآية 42] لدلالات على كمال قدرته وجمال حكمته وشمول رحمته ﴿لِقَوۡمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الآية 42] في كيفية تعلقها بأبدانها وتوفيها عنها بالكلية حين الموت وإمساكها باقية ولو صارت أبدانها فانية وما يعتريها من السعادة وأحوالها والشقاوة وأهوالها وفي الحكمة في توفيها على ظواهرها وإرسالها حيناً بعد حين إلى توفي آجالها.

وأفاد الأستاذ: أن قبض الأرواح في حال النوم بإخراج اللطيفة التي في البدن وهي الروح ويخلق بدل الاستشعار والعلم الغفلة والغيبة في محال الإحساس والإدراك ثم إذا قبض الأرواح عند الموت خلق في أجزائه الموت بدل الحياة والموت ينافي الإحساس والعلم وإذا ردّ الأرواح بعد النوم إلى الأشباح خلق الإدراك في محل الاستشعار فيصير مستيقظاً والأرواح إذا قبضها الله في حال النوم فقد وردت الأخبار أن لها مراتب وإن روحاً تقبض على الطهارة ترفع إلى العرش وتسجد لله سبحانه ويكون لها تعريفات ومخاطبات والله أعلم.

﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ﴾ [الآية 43] بل اتخذ المشركون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ﴾ [الآية 43]

(1) أورده البغوي في تفسيره (7/ 122)، والنسفي في تفسيره (4/ 56).

أتشفع لهم عند الله على زعمهم ﴿قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ [الآية 43] أي يشفعون ولو كانوا كما يشاهدون جمادات لا يقدرون ولا يعلمون.

﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَـٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الآية 44] أي هو مالك الشفاعة كلها لا يستطيع أحد شفاعة ولا يستقلّ بها ﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 44] أي أنه مالك الملك كله لا يملك أحد أن يتكلم في أمره دون إذنه وحكمه ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الآية 44] إلى موافاة جزائه.

قال الواسطي: قطع أطماع العباد أجمع عنه أن يصل أحد إليه إلا به لقوله: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَـٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الآية 44].

﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ﴾ [الآية 45] دون آلهتهم ﴿ٱشْمَأَزَّتْ﴾ [الآية 45] نفرت وانقبضت ﴿قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [الآية 45] وما يتعلق بها من التوحيد
105/ أ والنبوة ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ﴾ [الآية 45] من صنم/ وغيره ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الآية 45] لفرط افتتانهم به ولقد بولغ في الأمرين غاية المبالغة في بيان العبارة فإن الاستبشارات أن يمتلىء القلب سروراً حين ينبسط له بشرة وجهه والاشمئزاز أن يمتلئ غماً حتى ينقبض أديم وجهه والعامل في إذا لمفاجأة.

قال أبو عثمان: كل قلب لا يعرف الله فإنه لا يأنس بذكره ولا سكن إليه ولا يفرح به.

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَـٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [الآية 46].

أفاد الأستاذ: أنه سبحانه أوحى إليه وعلّمه كيف يثني عليه، والآية تشتمل على الإشارة إلى البيان بما فيه التنصل والتذلل وابتغاء العفو والتفضل وتحقيق الالتجاء بحسن التوكل.

﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ [الآية 47] أي لكل نفس ظلمت ﴿مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [الآية 47] إقناط كلي لهم من الخلاص ووعيد شديد بعدم تصور المناص ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟

﴿يَحْتَسِبُونَ﴾ [الآية 47] زيادة مبالغة في الوعيد وهو نظير قوله سبحانه: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: الآية 17] في الوعد قيل: من اعتمد الفضل نجا ومن اعتمد العمل بدا له منه الهلاك.

وقال الأستاذ: لافتدوا به لم يقبل منهم واليوم لو تصدقوا بمثقال ذرة لقبل منهم كما أنهم لو بكوا في الآخرة بالدماء لا يرحم عليهم في البكاء وبدمعة واحدة اليوم يمحى كثير من دواوينهم ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الآية 47] في سماع هذه الآية حسرات لأصحاب الانتباه ففي بعض الأخبار أن قوماً من المسلمين من أصحاب الذنوب يؤمر بهم إلى النار فإذا وافوها يقول مالكٌ: من أنتم فإن الذين جاؤوا قبلكم من أهل النار وجوههم كانت مسودة وعيونهم مزرقة وأنتم لستم بتلك الصفة فيقولون ونحن لم نتوقع أن نلقاك وإنما انتظرنا سبباً آخر هنالك ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الآية 47].

﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟﴾ [الآية 48] سيئات أعمالهم حين تعرض صحائف أحوالهم ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الآية 48] وأحاط بهم جزاء استهزائهم.

/ ﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ﴾ [الآية 49] بلية مجازاة لأعماله أو امتحاناً لأحواله 105/ ب
﴿دَعَانَا﴾ [الآية 49] إخبار عن الجنس بما يغلب فيه من تقلب قلبه في مقابلة حكم ربه. قال جنيد: من يرى البلاء ضراً فليس بعارف إذ العارف من يرى الضر على نفسه رحمة ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا﴾ [الآية 49] أعلينا إياه تفضلاً من عندنا ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الآية 49] على معرفة مني بوجوه كسبه وإلهاماً إن جعلت موصولة لا كافة وإلا فللنعمة والتذكير لأن المراد بها الإنعام ﴿بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ﴾ [الآية 49] امتحان له أيشكر أم يكفر وتأنيث الضمير باعتبار الخبر أو لفظ النعمة ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 49] حقيقة القضية.

﴿قَدْ قَالَهَا﴾ [الآية 50] أي هذه الكلمة أو الجملة المتقدمة ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الآية 50] كقارون وأمثاله ممن اغتر بكثرة ماله ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الآية 50] في متاع الدنيا عن ظهور هلاك العقبى.

﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾ [الآية 51] أي جزاؤها ﴿وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَٰؤُلَاءِ﴾ [الآية 51] المشركين الموجودين ﴿سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾ [الآية 51] فإنهم قحطوا سبع سنين وقتل ببدرٍ صناديدهم ﴿وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾ [الآية 51] فائتين.

﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الآية 52] حيث ضيق عنهم الرزق سبعاً ثم بسط لهم سبعاً ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 52] بأن الحوادث كلها من الله وأن لا متصرف في الكون سواه.

وقال الأستاذ: أو لم يروا كيف خالف بين أحوال الناس في الرزق فموسع عليه ومضيق له وليس لواحد منهم شيء مما خصّ به من التقصير والتكثير.

﴿۞ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣)﴾ [الآية 53] الظاهر أن الخطاب للكفرة وإن عموم المغفرة لما يترتب على الإيمان من الكفارة لئلا ينافي بعمومه قوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: الآية 48] ولا يناقض ما صح في الإخبار من عذاب جمع من المؤمنين في النار ولما روي في سبب نزوله على ما رواه الطبراني والبيهقي من أن أهل مكة قالوا: يزعم محمد أن من عبد الوثن وقتل النفس بغير حق لم يغفر له[1] فكيف ولم نهاجر وقد عبدنا الأوثان وقتلنا الأنفس ولقوله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ [الآية 54] أي توبوا إليه ﴿وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ [الآية 54] أي بقلوبكم أو انقادوا بجوارحكم ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ / الْعَذَابُ 106/ أ
ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [الآية 54] أو الآية عامة إلا أن عموم المغفرة يقيد بالتوبة الشاملة للكفر والمعصية وما أبعد من قال: أنه يغفر بلا توبة ولو بعد العقوبة.

قال الحريري: أمر الله عباده أن لا يعتمدوا على أعمالهم ولا يقنطوا من التقصير في أحوالهم فإن العناية والرعاية سبقت العباد أي على وفق المشيئة.

---

(1) أورده البيضاوي في تفسيره (1/ 71).

وقال سهل في قوله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ [الآية 54] ارحلوا إليه بالتضرع والدعاء والمسألة والثناء وأسلموا له فوضوا الأمر إليه.

وقال محمد بن علي: اعتذروا إليه مما سلف منكم من التقصير وأخلصوا على دوام الموافقة بعدها.

وأفاد الأستاذ: أن التسمية يا عبادي مدح والوصف بأنهم أسرفوا ذم فلما قال: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ﴾ [الآية 53] طمع المطيعون ولم يكونوا هم المقصودين بالآية فرفعوا رؤوسهم ونكس العاصي رأسه وقال: من أنا حتى يقول لي هذا؟ فقال الله: ﴿ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ﴾ [الآية 53] فانقلب الحال فهؤلاء الذين نكسوا رؤوسهم انتعشوا وزالت مذلتهم والذين رفعوا رؤوسهم أطرقوا وزالت صولتهم ثم أزال الأعجوبة عن القضية بما قوى رجاءهم بقوله: ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [الآية 53] يعني إن أسرفت فعلى نفسك أسرفت، يعني لا يضر بكبريائنا ﴿لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 53] بعدما قطعت اختلافك إلى بابنا فلا ترفع قلبك عن جنابنا وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الآية 53] الألف واللام للاستغراق والعموم وذنوب جمع وجميعاً تأكيد فكأنه قال: أغفر ولا أترك وأعفو ولا أبقي ويقال: إن كانت لكم جناية عميمة فلي بشأنكم عناية قديمة ثم الإنابة هي الرجوع بالكلية وقيل: الفرق بين الإنابة والتوبة أن التائب يرجع خوف العقوبة وصاحب الإنابة يرجع استحياء الكرامة المشهورة بين الصوفية في الفرق بين التوبة والإنابة إن الأولى من المعصية والثانية عن الغفلة والإسلام الذي هو الإخلاص بعد الإنابة أن يعلم أن نجاته بفضله لإنابته فبفضله يصل إلى إنابته وبإنابته يضل إلى فضله وقيل: المراد بالعذاب الفراق والحجاب.

﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ﴾ [الآية 56] كرامة أن تقول نفس مقصرة في الطاعة ﴿يَٰحَسْرَتَىٰ﴾ [الآية 56] / وقرىء بالياء على الأصل ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ﴾ [الآية 56] بما 106/ ب
قصرت ﴿فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 56] في جانبه أي في حقه وهو طاعته أو في قربه وحضرته أو في جنب نعمته أو مقابلة منته ﴿وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾ [الآية 56] المستهزئين بأهل عبادته.

قال الواسطي: من قصد في مقصوده غير الحق فقد عظمت استهانته للحق.

وقال سهل: من ترك مراعاة حق الله وملازمة خدمته واشتغل بعاجل الدنيا من سابقة النفس ولذة هواه فقد ضيع في جنب الله أي في ذاته من القصد إليه والاعتماد عليه.

وقال فارس: من هرب مني لأحرقنه أي من هرب مني إلى نفسه أحرقته بالتأسف على قوتي إذا شاهد حقاً مقامات أهل معرفتي ويدل عليه قوله: ﴿يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 56] وهذا لا يقوله إلا محترق كذا في «**تفسير السلمي**».

﴿أَوۡ تَقُولَ لَوۡ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي﴾ [الآية 57] إلى الإيمان والإحسان ﴿لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [الآية 57] للعصيان.

﴿أَوۡ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلۡعَذَابَ لَوۡ أَنَّ لِي كَرَّةٗ﴾ [الآية 58] أي رجعة إلى الدنيا ﴿فَأَكُونَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [الآية 58] في العقيدة والعمل النافع في العقبى.

﴿بَلَىٰ قَدۡ جَآءَتۡكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبۡتَ بِهَا وَٱسۡتَكۡبَرۡتَ﴾ [الآية 59] على من بينها ﴿وَكُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [الآية 59] أي صرت ممن أصر على الكفر بها أو كنت في علم الله من الكافرين فلم يحصل لك منفعة فيها.

وأفاد الأستاذ: إنه يقال هذا في أقوام يرون بعض أمثالهم قدموا عليهم في علو أحوالهم فتذكروا ما سلف من تقصيرهم ورأوا ما وفق أولئك من توقيرهم فيعضون بنواجذ الحسرة على أنامل الخيبة.

﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الآية 60] بإثبات الولد والشريك له ﴿وُجُوهُهُم مُّسۡوَدَّةٌۚ﴾ [الآية 60] بما ينالهم من الظلمة والشدة ﴿أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الآية 60] عن الإيمان والطاعة.

قال يوسف بن الحسين: أشد الناس عذاباً يوم القيامة من ادعى في الله ما لم يكن له أو أظهر من حال هو خال عنه قال الله عزّ وجل: ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ

تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ [الآية 60] قال: هم الذين ادعوا محبة الله ولم يكونوا صادقين في دعواه.

وأفاد الأستاذ: إن هؤلاء الذين ادعوا أحوالاً ولم يصدقوا فيها وأظهروا المحبة ولم يتحققوا/ بها وكفاهم افتضاحاً بذلك صباحاً ورواحاً. 107/ أ

ولما ادعيت الحب قالت كذبتني فما لي أرى الأعضاء منك كواسيا
فما الحب حتى تنزف الدمع بالبكا وتخرس حتى لا تجيب المناديا

﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ﴾ [الآية 61] بسبب فلاحهم من إيمانهم وصلاح أعمالهم مفعلة من الفوز وقرأ الكوفيون غير حفص بالجمع مراعاة للمضاف إليه ﴿لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الآية 61].

قال الواسطي: ينجيهم بما سبق لهم من الفوز بالسعادة ﴿لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ﴾ [الآية 61] زوال النعمة ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الآية 61] على فوت المنة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه كما وقاهم اليوم عن المخالفات حماهم غداً عن المعاقبات فالمتقون فازوا بسعادة الدارين اليوم عصمة وغداً نعمة واليوم عناية وغداً حماية.

﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الآية 62] من خير وشر وإيمان وكفر ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الآية 62] يتولى التصرف فيه بما شاء منه.

قال الحسين: كل ما أراد الله به الإهانة والمذلة ألبسه لبسة المخلوقية ألا ترى كيف نزّه عن ذلك صفاته وكلامه فالله خالق كل شيء والمخلوقات ليس لها عز إلا بالنسبة إلى خلقته.

وأفاد الأستاذ: أن اكتساب العباد دخل في هذه الجملة ولا يدخل كلامه فيه لأن المخاطب لا يدخل تحت الخطاب ولا صفاته.

﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 63] مفاتيح أمرها من خيرها وشرها ولا يتمكن غيره من التصرف فيها بأجمعها. وعن عثمان بن عفان: أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن المقاليد فقال: تفسيرها لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان

الله وبحمده وأستغفر الله ولا حول ولا قوة إلا بالله هو الأول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير رواه الطبراني وغيره بسند ضعيف[1].

والمعنى على هذا أن لله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خير السماوات والأرض من تكلم بها أصابه خير منها.

وقال سهل: بيده مفاتيح القلوب موفق من يشاء لطاعته وخدمته وتصرف من يشأ عن بابه وحضرته.

وأفاد الأستاذ: أن المراد منه أنه قادر على جميع المقدورات فما يريد أن يوجده أوجده من الكائنات ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 63] دلائل قدرته وشواهد حكمته أو بكلمات توحيده وتمجيده ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾
107/ب [الآية 63] في جميع الأزمان لخسرانهم رأس مالهم من الإيمان / وحرمانهم عن ربح حالهم من العرفان.

﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ﴾ [الآية 64] وقرأ نافع بالتخفيف وابن عامر تأمرونني ﴿أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ﴾ [الآية 64] أي أبعد هذه الدلائل تأمروني بعبادة غيره أيها الجاهلون بوصفه وأمره.

قال أبو عثمان: عبادة الله على الإخلاص ينفي عن صاحبها الجهل قلت: لأن الإخلاص إنما ينشأ عن غاية المعرفة وترك العبادة أو ممزوجة بالرياء والسمعة تنشأ عن نهاية الجهالة.

وقال الأستاذ: أي متى يكون لكم طمع في أن أعبد غيره وبتوحيده رباني وبتفريده عزاني وشراب حبه سقاني.

﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾ [الآية 65] من الأنبياء والمرسلين ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الآية 65] في عملك كلام على

(1) أورده البيضاوي في تفسيره (1/ 75)، وأبو السعود في تفسيره (7/ 261).

سبيل الفرض والتقدير وإفراد الخطاب باعتبار كل واحد في التعبير، والمراد به تهييج الرسل وأقناط الكفرة والأشعار على حكم الأمة.

قال ابن عطاء: لئن طالعت غيري لتحرمنّ حظك من قربي وأمري.

وقال جعفر: لئن نظرت إلى من سواه لتحرمنّ في الآخرة لقاءه.

﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ﴾ [الآية 66] لا غيره ﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الآية 66] لأنعامه قيل: حقيقة العبودية تسليم الأمور للربوبية.

﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ﴾ [الآية 67] أي ما عرفوه حق معرفته وما عظموه حق عظمته حيث جعلوا له شريكاً في ذاته أو وصفوه بما لا يليق به من صفاته ﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا﴾ [الآية 67] ﴿قَبۡضَتُهُۥ﴾ [الآية 67] بطبقاته أي ﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ﴾ [الآية 67] تنبيه على جمال عظمته وكمال قدرته ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [الآية 67] ما أبعد من هذه صفاته عن إشراكهم بمخلوقاته.

قال جنيد: متى كانت منشورة حتى صارت مطوية سبحانه نفى عن نفسه ما يقع من العقول من طيها ونشرها إذ كل الكون كحبة خردلة أو جناح بعوضة أو أقل من ذلك كذلك قوله: قائم على كل نفس يستحيل قيامه على هذا الكون الذي لا يزن ذرة عنده بل قيامه بنفسه لنفسه.

وقال الأستاذ: ما وصفوه حق وصفه فمن اتصف بتمثيل أو جنح إلى تعطيل حاد عن السنن المثلى وانحرف عن الطريقة الحسنى وصفوا الحق / 108/ أ بالأعضاء وتوهموا في نعته الأجزاء فما قدروه حق قدره فالخلق في قبضة قدرته والسمٰوات مطويات بيمين قوته ولا يد في نعته أقسم أن يفنيها ويطويها سبحانه تنزيهاً له عما أشركوا في صفته.

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ [الآية 68] النفخة الأولى ﴿فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الآية 68] خر ميتاً ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ﴾ [الآية 68] قيل جبريل وميكائيل وإسرافيل: فإنهم يموتون بعد ذلك وقيل: حملة العرش والمقربون هنالك ﴿ثُمَّ نُفِخَ

﴿فِيهِ أُخْرَىٰ﴾ [الآية 68] نفخة أخرى ﴿فَإِذَا هُم﴾ [الآية 68] أي الخلق كلهم ﴿قِيَامٌ﴾ [الآية 68] قائمون من قبورهم أو متوقفون في أمورهم ﴿يَنظُرُونَ﴾ [الآية 68] في جوانبهم أو ينتظرون ما يفعل بهم.

وأفاد الأستاذ: أن في هذه النفخة الأولى يموتون ثم في النفخة الثانية يجرون والنفختان متجانستان فيخلق الله عند أحدهما إزهاق الأرواح وفي الأخرى منهما إحياء الأشباح ليعلم أن النفخة لا تعمل شيئاً بعينها وإنما الجبار بقدرته يَخلق ما يشاء ويحكم ما يريد بعزّته.

﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الآية 69] بما أقام من العدل فيها كما في حديث الشيخين: الظلم ظلمات يوم القيامة(1). أو بسبب نور ربها في قلوب أهلها من المؤمنين ويؤيده قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم﴾ أي نور إيمانهم ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾ [الحديد: الآية 12].

وقال سهل: قلوب المؤمنين يوم القيامة تشرق بتوحيد سيدهم والاقتداء بسنّة نبيّهم. وقال القاسم: أشرقت الأرض بأولياء الله فهم أنوار الله.

وقال الأستاذ: نور يخلقه الله في القيامة فتشرق القيامة به وذلك عند تكوير الشمس وانكدار النجوم وذلك الإشراق والنور يستضيء به قوم دون قوم والكفار يبيتون في الظلمات والمؤمنون نورهم يسعى بين أيديهم ويقال: اليوم إشراق وغداً إشراق في القيامة إشراق الأرض واليوم إشراق القلب وغداً إشراق الأرض بنور ربها واليوم إشراق القلوب بحضورها عند ربها ويقال: غداً أنوار التولي للمؤمنين واليوم أنوار التجلي للعارفين ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ [الآية 69] الجزاء والحسنات أو صحائف الأعمال في أيدي العمال وقيل: اللوح المحفوظ تقابل به صحائف أعمال العباد فتطابقه من غير زيادة ولا نقصان في جميع الموادي ﴿وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الآية 69] أي والمرسلين ﴿وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ [الآية 69]
108/ب للأمم وعليهم من الملائكة والمؤمنين وقيل: أراد بهم/ المستشهدين وفي معناهم

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (2447)، ومسلم في الصحيح (2579/ 57).

العلماء العاملين والأولياء من أرباب الشهود واليقين ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم﴾ [الآية 69] بين الخلق ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية 69] بالعدل والصدق ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الآية 69] بنقص ثواب وزيادة عقاب.

﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ [الآية 70] جزاؤه إن كان خيراً فخيراً وإن كان شراً فشراً ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [الآية 70] أي بأفعالهم وما يترتب عليها من الجزاء وفق أحوالهم.

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ [الآية 71] أفواجاً متفرقة بعضها في إثر بعض بمراتب مختلفة على تفاوت إقدامهم في الضلالة والشرارة ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الآية 71] ليشموا حدة ريحها ويدركوا حدة فوحها وقرأ الكوفيون: بالتخفيف هنا وفيما بعدها ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ﴾ [الآية 71] تقريعاً وتوبيخاً ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ [الآية 71] من جنسكم ﴿يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الآية 71] وهي قوله تعالى: لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين.

﴿قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [الآية 72] عن قبول الدين أو على أهل الحق واليقين وفيه تنبيه إن تكبرهم وسائر قبايحهم مسببة عن الحكم عليهم بشقائهم ففي الحديث: «إن الله تعالى إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخل به الجنة وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموتوا على عمل من أعمال أهل النار فيدخل به النار»(1).

وأفاد الأستاذ: أن الكفار يساقون إلى النار عنفاً والمؤمنون يساقون إلى الجنة لطفاً فالسوق بجمع الجنسين ولكن شتان بين سوق وسوق إلى المكانين، فإذا جاء الكفار قابلهم خزنة النار بالتثريب والتأنيب فلا تكريم ولا

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (2/ 593) رقم (4001)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/ 266) رقم (3075)، والنسائي في السنن الكبرى (6/ 347) رقم (11190)، وابن حبان في الصحيح (14/ 37) رقم (6166)، وأبو داود في السنن (4/ 363) رقم (4705).

تعظيم ولا سؤال ولا استقبال بل خزي وهوان ومن كل جنس من العذاب ألوان.

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ﴾ [الآية 73] إسراعاً بهم إلى دار الكرامة ومحل السلامة وقيل: سيق مراكبهم إذ لا يذهب بهم على أقدامهم ﴿زُمَرًاۖ﴾ [الآية 71] على تفاوت أحوالهم.

وأفاد الأستاذ: أنه سوق ولكن بغير تعب ولا نصب سوق ولكن بروح وطرب وقوله ﴿زُمَرًاۖ﴾ [الآية 71] جماعات / هؤلاء عوام الجنة وفوق هؤلاء قوله: 109/ أ
﴿يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا﴾ [مريم: الآية 85]، وفوقهم من قال: ﴿وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [الشعراء: الآية 90] غير بعيد، ففرق بين من يُساق إلى الجنة وبين من تقرّب منها على سبيل المنة هؤلاء الظالمون والآخرون المقتصدون والآخرون السابقون ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ [الآية 71] حذف جواب إذا للدلالة على أن لهم حينئذ من الكرامة ما لا تحيط به العبارة وإن أبواب الجنة تفتح لهم قبل مجيئهم تعظيماً لقدومهم.

وأفاد الأستاذ: أنهم وافوا الجنة تكون الأبواب مفتحة لئلّا يصيبهم وصف الاستنظار وفيه من المحنة ويقال: إذا كان حديث الجنة فالواجب أن يبادر إليها ولا يحتاج إلى أن يساق لها ولعل هؤلاء لا رغبة لهم في الجنة بالكثرة فلهم معه في الطريق طيب فيساقون إلى الجنة ولكن بلطف دون عنف ﴿وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ﴾ [الآية 73] لا يلحق مكروه إليكم ﴿طِبۡتُمۡ﴾ [الآية 73] طهرتم من أدناس وأرجاس كانت لديكم ﴿فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الآية 73] مقدرين الخلود فيها.

قال ابن عطاء: السلام في الجنة من وجوه منهم من يسلم عليهم خزنة الجنة يقولون: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ﴾ [الآية 73] وهؤلاء قائم، ومنهم من يكون سلامه من الملائكة بقوله: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: الآيتان 23، 24]، ومنهم من يكون له سلام من الحق سبحانه بقوله: ﴿سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ﴾ [يس: الآية 58] وهم أرفعهم درجة. أقول:

ولا يبعد أن يحصل لبعضهم هذه الجملة.

﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ [الآية 74] بالبعث والمثوبة ﴿وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ﴾ [الآية 74] أرض الجنة ﴿نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ﴾ [الآية 74] بإدخال الجنة وإكمال المنة ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ [الآية 74] الجنة ودرجاتها العلية.

وأفاد الأستاذ: أن هؤلاء أقوام مخصوصون والذين هم أهل الغرف قوم آخرون.

﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ﴾ [الآية 75] محدقين ﴿مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ [الآية 75] ومن زائدة أو ابتدائية ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [الآية 75] ملتبسين بحمده وثنائه، والمعنى ذاكرين له بوصفي جلاله وجماله تلذُّذاً بنعوت كماله وفيه إشعار بأن منتهى درجات العليين من الخلق هو الاستغراق في ذكر الحق.

قال أبو علي الجرجاني: ما تقرّب أحد إليه إلا بالافتقار والعبودية والتذلُّل والتنزيه للربوبية من كلّ ما نُسب إليه مما لا يليق إطلاقه عليه. ألا ترى إلى مقام الملائكة / مع كمال قربهم يحفون بالعرش يسبحون بحمد ربهم 109/ ب
وذلك غاية عباداتهم ونهاية لذاتهم ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم﴾ [الآية 75] بين الخلق ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية 75] بإدخال بعضهم النار وبعضهم الجنة حسب دركاتهم ووفق درجاتهم أو بين الملائكة بإقامتهم في منازلهم على حسب تفاضلهم ﴿وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الآية 75] على ما قضى بيننا أو على ما هدانا أو وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين على أحوالنا في دنيانا وآخرتنا.

سورة غافر (المؤمن)[1]

[مكيّة]

وهي خمس وثمانون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله كلمة من تحقق بها شرف من الحق مناله وصفت عنده أحواله خلع على نفسه ود الأفضال وألبس قلبه حلل الإقبال وأفرد روحه بروح لطف الجمال واستخلص سره بكشف وصف الجلال.

﴿حمٓ ۝١﴾ [الآية 1] أمال حاءه ابن عامر وحمزة والكسائي محضاً وورش وأبو عمرو بين بين ولا يبعد أن يكون في الحاء إيماء إلى بعض الأسماء كالحميد وفي الميم إشارة إلى بعضها كالمجيد أو بهما يشار إلى شطر الأول من الحميد وإلى طرفي حرفي الحكيم.

وأفاد الأستاذ: أن في تفسير حم أمر كان أي قضي بحلمي ومجدي لا أخلد في النار من آمن بي ويقال بهذه الحروف.

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢﴾ [الآية 2] أي البالغ في القدرة الكاملة والحكمة البالغة الشاملة.

وقال سهل: الحي الملك هو الذي أنزل عليك الكتاب وهو الذي وله به قلوب العارفين العزيز عن درك الخلق ﴿ٱلْعَلِيمِ﴾ بما شاء قدر.

وقال الأستاذ: أي المعز لأوليائه ﴿ٱلْعَلِيمِ﴾ بما كان ويكون منهم فلم

(1) في المخطوطة: المؤمن.

يمنعه علمه عما سلف لهم من قضائه.

﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الآية 3] أي مشدده، بالعدل ﴿ذِى ٱلطَّوۡلِۖ﴾ [الآية 3] صاحب سعة الفضل وقيل: ذي الغنى عن الكل وفي إيراد هذه الصفات على هذا النسق والترتيب إيماء إلى تحقيق ما فيه من الترغيب والترهيب وفي أفراد نعت العقوبة مغمورة بصفات الرحمة دليل رجحانها ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾ [الآية 3] فيجب الإقبال الكلي على عباداته ﴿إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [الآية 3] المرجع لمجازاته فيجازي المحسن والمسيء بحسب حالاته وقيل: /إذا كان إليه المصير 110/أ
فقد طاب المسير قال بعضهم: غافر الذنب كرماً وقابل التوب فضلاً شديد العقاب عدلاً لا إله إلا هو فرداً إليه المصير تصديقاً للوعد غداً وقال بعضهم: غافر الذنب للظالمين وقابل التوب للمقتصدين ذي الطول للسابقين شديد العقاب للكافرين والجاحدين والمنافقين ﴿إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [الآية 3] يصل الظالم بجوده إلى رحمته ويصل المقتصد بفضله إلى رضوانه ويصل السابق بمنّه وكرمه إلى وجهه الكريم.

وقال الأستاذ: معنون بقبول توبته لعباده علم أن العاصي منكسر القلب فأزال عنه الانكسار بأن قدم نصيبه فقدم اسمه على قبول التوبة فسكن قلوبهم بوصفين يوجبان الرجاء وهو قوله: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ﴾ [الآية 3] ثم عقّبهما بقوله ﴿شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الآية 3] ثم لم يرضى حتى قال بعده: ﴿ذِى ٱلطَّوۡلِۖ﴾ [الآية 3] فيقابل قوله ﴿شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الآية 3] وقوله: ﴿ذِى ٱلطَّوۡلِۖ﴾ [الآية 3] وسبق قوله: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ﴾ [الآية 3] ويقال: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ﴾ [الآية 3] لمن أصر واجترم ﴿وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ﴾ [الآية 3] لمن أقر وندم شديد العقاب لمن جحد وعند ذي الطول لمن عرف ووجد.

﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الآية 4] بالطعن فيها والصد عنها دون الجدال لتبين مبانيها وظهور معانيها وتأويل ما ينافيها ولذا ورد أن جدالاً في القرآن بالتنكير على ما رواه البيهقي وغيره(1).

(1) واللفظ: «إنّ جدالاً في القرآن كفر»، انظر ما أورده الزيلعي في تخريج الأحاديث (3/ 216) رقم (1128).

وقال سهل: هو المجادلة في الذات دون الفروع والحكومات ﴿فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ﴾ [الآية 4] إمهالهم في دنياهم وإقبالهم على هواهم فإنهم عن قريب مأخوذون بفعلهم نحو من قبلهم.

وأفاد الأستاذ: أنه إذا ظهر البرهان واتضح البيان استسلمت الألباب الصاحية للاستجابة والإيمان فأما للكفار فلهم على الجحود إصرار وشؤم شركهم بالاعتساف يحول بينهم وبين الانصاف وكذلك من لا يحترم أولياء الله يصرون على إنكارهم تخصيص الله عبادة بالآيات الواردة في أسرارهم ويعترضون عليهم بقلوبهم في حلول أنوارهم فيجادلون في جحد الكرامات وسيفتضحون كثيراً من الأوقات والحالات ولكن لا يميزون بين رجحانهم ونقصانهم.

110/ب ﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ﴾ [الآية 5] برسولهم ﴿وَٱلۡأَحۡزَابُ/ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۖ﴾ [الآية 5] والذين خرجوا على الرسل واجتمعوا على حربهم كعاد وثمود وحزبهم وافقوهم في تكذيبهم ﴿وَهَمَّتۡ كُلُّ أُمَّةِۭ﴾ [الآية 5] من هؤلاء الجماعة ﴿بِرَسُولِهِمۡ لِيَأۡخُذُوهُۖ﴾ [الآية 5] ليعاقبوه ﴿وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ [الآية 5] بما لا حقيقة له ﴿لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ﴾ [الآية 5] ليزيلوه به ﴿فَأَخَذۡتُهُمۡۖ﴾ [الآية 5] بالإهلاك جزاء لهم برسلهم ﴿فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [الآية 5] عقابي لهم فإنكم تمرون على ديارهم وترون آثار دمارهم وهو تقرير على تعذيب فيه نوع تعجيب وقال الأستاذ.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ [الآية 6] من انقرض من الكفار فيمن قبلهم كان التكذيب للرسل دأبهم والله انتقم منهم وعلى كفرهم اخترمهم والمنكر لهذا الطريق بإنكاره يتوهم أن يتقرب إلى الله به فينعته في أولياء الله من جملة إحسانه وخيراته والله في العاجل يعذبهم بتخليتهم فيما هم فيه وصد قلبهم عن هذه المعاني وجرمهم ﴿حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ [الآية 6] قضاؤه بالعذاب ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ [الآية 6] أي أصروا على الكفر ووقعوا في الحجاب ﴿أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ [الآية 6] بدل من كلمة ربك بدل الكل.

وقال الأستاذ: إذا انختم على عبد حكم الله بشقاوته فلا ينفعه كثرة ما

يورد عليه من النصح في حالته ومن أسرته يد الشقاوة فلا يخلصه من مخلبها الجهد والسعاية.

﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ﴾ [الآية 7] أي ومن يكون حوله من الحافين وهم أعلى طبقات الملائكة المقربين ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ﴾ [الآية 7] يذكرون الله بصفات الكمال من نعوت الجلال فالجمال ﴿وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾ [الآية 7] أخبر عنهم بالإيمان إظهار لفضله وتعظيماً لأهله كما أشير إليه بقوله ﴿وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الآية 7] وإشعاراً بأن حمله العرش وسكان الفرش سواء في معرفته رداً على المجسم في مقالته ثم استغفارهم لهم الشفاعة وحملهم على التوبة وإلهامهم ما يوجب المغفرة وفيه تنبيه أن المشاركة في صفة الإيمان توجب النصيحة والشفقة والمرحمة كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾ [الحجرات: الآية 10]، ﴿رَبَّنَا﴾ [الآية 7] يقولون يا ربنا ﴿وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا﴾ [الآية 7] أي وسعت رحمتك وعلمك كل شيء من خلقك وتقديم الرحمة لأنها المقصودة بالذات هنا باعتبار السابق واللاحق في القضية ﴿فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ﴾ [الآية 7] عن الشرك والمعصية ﴿وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ﴾ [الآية 7] / طريق يوصل إليك من الكتاب والسنة. 111/أ

قال سهل: هم الذين تابوا من الغفلة وأنسوا بالذكر والطاعة واتبعوا سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم على وجه المحبة ﴿وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [الآية 7] واحفظهم من عقاب الحرقة وحجاب الفرقة.

وأفاد الأستاذ: أن حملة العرش ومن حوله مأمورون بالتسبيح مع سائر الملائكة المقربين ثم بالاستغفار للمذنبين لأن الاستغفار مختص لأرباب السيئات فيجتهدون في الدعاء لهم كما في هذه الآيات ويدعون لهم بالنجاة ثم يرفع الدرجات ثم يحيلون الأمر فيه على رحمته بقوله: ﴿وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥ﴾ [الآية 9] فلئن سلط عليك أراذل من خلقه وهم الشياطين فلقد قيض بشفاعتك أفاضل من خلقهم من الملائكة المقربين.

﴿رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ﴾ [الآية 8] أي إقامة أي ﴿ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ﴾ [الآية 8] إياها ﴿وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡ﴾ [الآية 8] أي الملائكة وأدخلهم معهم

من يصلح أن يكونوا في درجاتهم ليتم غاية سرورهم ونهاية لذاتهم ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ﴾ [الآية 8] البديع المنيع ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ [الآية 8] فيما يظهره من الصنيع.

﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الآية 9] العقوبات في الدنيا أو جزاء السيئات في العقبى ﴿وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ﴾ [الآية 9] أي ومن تق ارتكاب المعاصي في الدنيا ﴿فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ﴾ [الآية 9] في الأخرى ﴿وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [الآية 9] الحاصل من فضل المولى.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ﴾ [الآية 10] يوم القيامة على رؤوس الأشهاد ويقال لهم ﴿لَمَقْتُ ٱللَّهِ﴾ [الآية 10] إياكم ﴿أَكْبَرُ﴾ [الآية 10] عظيم وأكثر ﴿مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [الآية 10] الأمارة بالسوء ﴿إِذْ تُدْعَوْنَ﴾ [الآية 10] اذكروا إذ تنادون ﴿إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ﴾ [الآية 10] بالداعي والمدعو.

قال سهل: المقت غاية الإبعاد من الله تعالى عن العباد فالكفار إذا دخلوا النار مقتوا أنفسهم بما رأوا من البوار ومقت الله لهم أشد عليهم من دخول النار.

وأفاد الأستاذ: أن أشد العقوبات التي يوصله الحق إليهم أثار سخطه وغضبه عليهم وأكره النقم التي يفردهم بها أثار إعراضه عنهم فإذا عرف الكافر في الآخرة أن ربه عليه غضبان فلا شيء أصعب على قلبه منه في ذلك الزمان حيث علم أن لا بكاء ينفعه ولا غناء يزيل عنه ما هو فيه ويرفعه ولا يسمع له تضرع ولا يرجى له حيلة.

111/ب / ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ [الآية 11] إماتتين بأن خلقتنا أمواتاً في بدئ أحوالنا ثم صيرتنا أمواتاً عند انقضاء آجالنا ﴿وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ [الآية 11] إحياءة الأولى في الدنيا وإحياءة البعث في العقبى كقوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة: الآية 28]، وقيل: الإماتة الأولى عند انخرام الآجال والثانية في القبر بعد الإحياء للسؤال والإحياءآن ما في القبور ويوم النشور والصحيح أن الإماتة في القبر وإنما هو إماتة كما في الصحيح من الخبر: يقال للمؤمن نم كنومة العروس وأما الكافر فيحصل له غشيان بعد

النفخة الأولى[1]، كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ﴾ [يٰس: الآية 52].

وأغرب الأستاذ حيث اختار القول الضعيف في الإسناد ﴿فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا﴾ [الآية 11] اعترفوا بالمخالفة بعد المعاينة بما عقلوا عنه ولم يكترثوا منه وهو اغترارهم بالدنيا وإنكارهم للعقبى ﴿فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ﴾ [الآية 11] نوع خروج من النار ﴿مِّن سَبِيلٍ﴾ [الآية 11] طريق فنسلكه وندخل الجنة مع الأبرار.

وفي «**تفسير السلمي**» قال بعضهم: أمّتنا اثنتين السمع والبصر فعجزتنا أن نفقه الحق وتتخذ سبيل الرشد والصدق فاعترفنا بذنوبنا أنا مصرفين تحت العداوة وأنت القادر علينا بوصف القوة.

﴿ذَٰلِكُم﴾ [الآية 12] أي الذي أنتم فيه من حالكم بأنه بسبب ﴿بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ﴾ [الآية 12] متحداً ومنفرداً ﴿كَفَرْتُمْ﴾ [الآية 12] بتوحيده وما شكرتم بتمجيده ﴿وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟﴾ [الآية 12] بإشراكه ﴿فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ﴾ [الآية 12] المستحق للعبادة والقاسم لعباده مراتب الشقاوة والسعادة ﴿ٱلْعَلِىِّ﴾ [الآية 12] شأنه ﴿ٱلْكَبِيرِ﴾ [الآية 12] سلطانه.

وأفاد الأستاذ: أن هؤلاء إماتتهم وإحياؤهم محصورة فأما أهل الجنة فلهم في كل وقت موت وحياة حاضرة كما قال قائلهم:

أموت إذا فقدتك ثم أحيا فكم أحيا عليك وكم أموت

وإن الحق أبداً يردد الخواص من عباده بين الفناء والبقاء والحياة والممات والمحو والإثبات قلت: وفي هذا إشعار بعدم مداومة مشاهدة الذات مع أنها من أعظم اللذات.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ﴾ [الآية 13] مصنوعاته الدالة على توحيد ذاته وتحقيق صفاته ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ﴾ [الآية 13] أسباب رزق صوري

(1) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح (3/ 383) رقم (1071)، وابن حبان في الصحيح (7/ 386) رقم (3117).

112/ أ كالمطر مراعاة لمعاشكم أو/ أسباب رزق معنوي من الآيات القرآني والإلهامات السبحاني ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ﴾ [الآية 13] بالآيات الإلهية ﴿إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾ [الآية 13] يرجع عن الغفلة عنها بالإقبال عليها والتفكر فيها والتأمل في مبانيها.

قال أبو بكر بن طاهر: من آياته في الأرض للعوام سوق الأرزاق إليهم من غير حركة منهم ولا سعي في ذلك لديهم ومن آياته للخواص من عباده مكان أوليائه وأصفيائه فمن صحبهم وتبعهم في طريقتهم وصبر على موافقتهم كفي الاهتمام في طلب الرزق ورزق من حيث لا يحتسب من بين الخلق قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا﴾ [الآية 13].

وقال ابن عطاء: إنك لا تنظر إلى شيء من الموجودات إلا وهو يخاطبك بحقيقة توحيد الذات ويدلك على تحقق الصفات وذلك ظاهر لمن تبين وكشف له وأيد بالعناية معه.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يريهم آيات فضله فيما يلاطفهم ويريهم آيات قهره فيما يكاشفهم ويريهم آيات عفوه إذا تنصلوا وآيات جوده إذا توسلوا وآيات جلاله إذا هابوا فغابوا وآيات جماله إذا آبوا واستجابوا وينزل لكم من السماء رزقاً لأبدانكم وهو توفيق المجاهدات ولقلوبكم وهو تحقيق المشاهدات ولأسراركم وهو فنون المواصلات والزيادات ويقال: ينزل من السماء ماء المطر فيحيي رياضكم وماء الرحمة فيحيي قلوبكم ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾ [الآية 13] يرجع من العادة إلى العبادة ومن الشك إلى اليقين ومن الخلق إلى الحق ومن الجهل إلى العلم ومن النكرة إلى المعرفة.

﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [الآية 14] أي الطاعة ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الآية 14] هذه الحالة التي هي غاية الاستطاعة.

قال أبو عثمان: الإخلاص في الدعاء هو الذي إذا دعوته في كشف ضرٍّ فكشفه ألزمت نفسك إلى الأبد شكره وإذا دعوته لاستجلاب خير فأعطاك ألزمت نفسك الحمد إلى الأبد وأن لا تخص نفسك بالدعاء دون سائر المؤمنين.

وأفاد الأستاذ: أن شرط الدعاء تقديم المعرفة فتعرف من الذي تدعوه ثم تدعوه ما تحتاج إليه مما لا بدّلك منه ثم تنظر هل أعطاك ما تطلب وأنت لا تدري به ثم لا تطلب ما يكون مخالفة لأمره ثم تتباعد عن سؤال الأشياء الدنية / الدنيوية وترضى ما يختار لك مولاك والإخلاص في الدعاء ألا ترى 112/ ب
الإجابة الآمنة ولا ترى لنفسك استحقاق إلا بفضله وأن تعلم أنه إن بقيت في سؤالك عن مطلوبك الذي هو حظك لا تبقي عن عبادة ربك الذي هو حقه فإن الدعاء مخ العبادة ومن الإخلاص في الدعاء أن تكون في حال الاضطرار لما لا يكون ابتداؤه جرماً لك ويكون ضرورتك سراية جنايتك فإن ذلك يبعد من موعود الإجابة.

﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾ [الآية 15] أي هو رافع السماوات أو مراتب المخلوقات أو درجات ثواب الحسنات ﴿ذُو ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الآية 15] صاحب العرش الذي هو أعظم المخلوقات فهو في قبضة قدرته كأضعف المكنونات.

وقال الأستاذ: أي رافع الدرجات للعصاة بالنجاة وللمطيعين بالمثوبات وللأصفياء والأولياء بالكرامات ولذي الحاجات بالكفايات وللعارفين بتنقيتهم عن جميع أنواع الإرادات ويقال: درجات المطيعين بظواهرهم في العقبى ودرجات العارفين بقلوبهم في العقبى فيرفع درجتهم عن النظر إلى المكنونات وما عليها ومن المساكنة إليها وأما المحبون فيرفع درجاتهم عن أن يطلبوا في الدنيا والعقبى شيئاً غير رضى المولى ويقال: العرش الذي هو قبلة الدعوات أرفع المخلوقات وأعظمها جثة في المكونات ﴿يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ﴾ [الآية 15] أي ينزل الوحي الذي هو مبدأ خيره ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ﴾ [الآية 15] أي يختاره للرسالة إلى أهل بلاده ﴿لِيُنذِرَ﴾ [الآية 15] أي الله أو الروح أو من اختاره للنبوة ﴿يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ [الآية 15] يوم القيامة أي ليخوف مجيئه الشامل لأهل الوفاق والشقاق فيتلاقى فيه الأرواح والأشباح وأهل العلويات والسفليات والعابدون والمعبودون والأعمال والعمال.

قال ابن عطاء: حياة الخلق على حسب ما ألقى الحق عليهم من الروح

فمنهم من ألقى إليه روح الرسالة ومنهم من ألقي إليه روح النبوة ومنهم من ألقي إليه روح الصديقية ومنهم من ألقي إليه روح الشهادة ومنهم من ألقي إليه روح الصلاح والديانة ومنهم من ألقي إليه روح الخدمة والعبادة ومنهم من ألقي إليه روح الهداية ومنهم من ألقي إليه روح الحياة الحيوانية فقط فهو ميتة
في الباطن وإن / كان حياً في الظاهر. 113/ أ

وقال الأستاذ: روح بها ضياء أبدانهم وهو سلطان عقولهم وروح بها ضياء قلوبهم وهو شفاء علومهم وروح بها ضياء أرواحهم والذي هو الروح روح بقائهم بالله واستغنائهم عما سواه ويقال: روح هو روح إلهام وروح هو روح إعلام وروح هو روح إكرام ويقال: روح النبوة وروح الرسالة وروح الولاية وروح المعرفة ويقال: روح بها بقاء الخلق وروح بها ضياء الحق.

﴿يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ﴾ [الآية 16] خارجون من قبورهم ظاهرون في نشورهم أو ظاهرة مراتب أعمالهم وسرائر أحوالهم ﴿لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ﴾ [الآية 16] لا من أعيانهم ولا من أفعالهم.

قال الواسطي: كيف يخفى عليه وهو الذي يبدي عليهم وكيف يسترون عنه بشيء وهو الذي يظهر عليهم ما عنه يسترون.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يعلم الحاصل الموجود ويعلم المعدوم المفقود والذي كان والذي يكون والذي لا يكون مما علم أنه لا يجوز أن لا يكون والذي جاز أن يكون إن لو كان كيف كان يكون ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾ [الآية 16] وحكاية لما يسأل عنه في ذلك اليوم ولما يجاب به على لسان الجمع من القوم أو لما دل عليه ظاهر الحال فيه من زوال الأسباب وارتفاع وسائط الأكساب وأما حقيقة لسان الحال فدائماً ناطقة بذلك المثال.

قال جعفر الصادق: أخْرَس المكونات من ذوات الأرواح عن جواب سؤاله في قوله لمن الملك اليوم فلم يجسر أحد على الإجابة وما كان يستحق أن يجيب سؤاله سواه فلما سكت الخلق عن الجواب أجاب الحق نفسه بما كان يستحقه من الجواب الصواب فقال لله الواحد القهار.

وقال الأستاذ: لا يتقيد ملكه بيوم ولا يختص ملكه بوقت ولكن دعاء للخلق اليوم لا أصل بها فتنقطع تلك الدعاوى عزاً وترتفع تلك الأوهام عن عامة الأنام.

﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الآية 17] من العقائد والأحوال ومن الأقوال والأفعال وتحقيقه أن النفوس تكتسب بأعمالها أمراً لا توجب لذتها ومحنتها لكنها لا تشعر بها في الدنيا لعوائق تشغلها فإذا قامت قيامتها زالت علائقها / وعوايقها وأدركت آلامها ولذات مرامها ﴿لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ﴾ [الآية 17] 113/ ب
ببعض الثواب وزيادة العقاب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [الآية 17] أو لا يشغله شأن عن شأن في جميع الأبواب.

قال ابن عطاء: من طالع من نفسه أفعاله وأذكاره وطاعته جزى على ذلك ولا ظلم عليه ومن طالع فضله ومنّته أسقطه عن درجة الجزاء إلى مقام الإفضال والرحمة لقوله: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟﴾ [يونس: الآية 58].

وقال الأستاذ: يجازيهم على أعمالهم الجنان وعلى أحوالهم الرضوان وعلى أنفاسهم القربة وعلى محبتهم الرؤية يجازي المذنبين على توبتهم المغفرة وعلى بكائهم والضياء والشفاء والرحمة لا ظلم اليوم أي أنه يستحيل تقدير الظلم منه أزلاً وأبداً فليستوي فيه اليوم وغداً فكل ما يفعله فله أن يفعله وهو سريع الحساب مع عباده لا يشغله شأن عن شأن من مراده وسريع الحساب مع أوليائه في الحال يطالبهم بالصغير والكبير والنقير والقطمير تحيُّناً لما لهم في المآل.

﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ﴾ [الآية 18] أي القيامة الآتية القريبة ﴿إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ﴾ [الآية 18] واصلة إليها حيث ترتفع عن أماكنها من أسافلها إلى أعاليها فلا تعود فيتروحوا ولا تخرج فيستريحوا ﴿كَٰظِمِينَ﴾ [الآية 18] مملوئين من الغيظ والهم دائمين متحسرين نادمين ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ﴾ [الآية 18] قريب مشفق ﴿وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [الآية 18] أي حتى يقبل شفاعته.

وأفاد الأستاذ: أن قيامة الكل مؤجلة وقيامة المحبين معجلة لهم في كل

نفس قيامة من العتاب والعقاب والثواب والبعاد والإقراب وما لم يكن لهم في الحساب وشهادة الأعضاء والأجزاء على وجه الإبداء فالدمع يشهد وخفقات القلب تنطق والنحول يخبر واللون يفصح ويعبر والعبد يستر ولكن البلاء يظهر يا من تغير صورتي لما بدا للجميع ما ظنوا بنا التصديق، وقلوبهم إذا أزف الرحيل بلغت الحناجر وعيونهم شرفت بدموعها إذا نودي بالرحيل وشدت الزوائد على الرحائل.

﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ﴾ [الآية 19] النظرة الخائنة كالنظرة الثانية إلى المحرم
114/أ عليه واستراق النظر إليه أو خيانة الأعين/ ﴿وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ [الآية 19] من الضمائر والسرائر كالحزن والسرور فيجازي العباد بما في ظواهرهم وبواطنهم من أعمالهم وفق أحوالهم.

وأفاد الأستاذ: أن خيانة أعين المحبين استحسانهم أشياء من الدنيا والأخرى ومن خيانة أعينهم أن تأخذهم سنة الغفلة لأن السيئات في أوقات المناجاة من الخيانات وفي قصة داوود كذب من ادعى محبتي فإذا جنه الليل نام عني ومن خائنة أعين العارفين أن يكون لهم خبر قلوبهم مما تقع عليه عيونهم ينظرون ولكن لا يبصرون ومن خائنة أعين الموحدين أن يخرج منها قطرة دمع تأسفاً على مخلوق يفوت في الدنيا والأخرى ولا على أنفسهم فيما تهوى.

﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية 20] بالعدل الصدق ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ [الآية 20] وقرأ نافع وهشام بالخطاب ﴿لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ﴾ [الآية 20] أي لا يتمكنون على القضاء بشيء أصلاً لا ظلماً ولا عدلاً لأنهم جماد لا يقدرون نطقاً ولا فعلاً ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الآية 20] تقرير لعلمه بخيانة الأعين وقضائه بالحق في الأعيان ووعيد لهم على ما يقولون ويفعلون وتعريض بحال ما يدعون من دونه على ما يزعمون.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يقضي للأجانب بالبعاد وبالوصال لأهل الوداد.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 21] أي بظواهرهم أو بواطنهم ﴿فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبْلِهِمْۚ﴾ [الآية 21] مآل حال المكذبين لرسلهم كعاد وثمود وأمثالهم ﴿كَانُواْ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [الآية 21] تمكناً وقدرة وقرأ ابن عامر أشد منكم قوة ﴿وَءَاثَارًا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 21] من القلاع المرتفعة والمدائن الحصينة ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الآية 21] عاقبتهم ﴿بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ [الآية 21] يمنع العذاب عنهم.

وقال الأستاذ: أو لم يسيروا بنفوسهم في أقطار الأرض وجوانبها ويطوفوا مشارقها ومغاربها ليعتبروا بها فيزهدوا فيها ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُواْ﴾ [الآية 21] بقلوبهم في الملكوت بجولان الفكر فيشهدوا أنوار التجلي فيستبصروا بها أو لم يسيروا بأسرارهم في ساحات الصمدية ليستهلكوا في سلطان الحقائق ويتخلصوا من جميع الخلائق قاصيها ودانيها.

﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية 22] الأخذ بالسيئات / ﴿بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ 114/ب
[الآية 22] بالمعجزات أو الأحكام الواضحات ﴿فَكَفَرُواْ﴾ [الآية 22] بها ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الآية 22] بسببها ﴿إِنَّهُۥ قَوِيٌّ﴾ [الآية 22] بما أراد ﴿شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الآية 22] لمن كفر به من العباد.

وأفاد الأستاذ: أنه إن بقي من أهل السلوك قاصد لا يصل إلى مقصده فليعلم أن موجب حجبه اعتراض عن بعض شيوخه مما خامر في قلبه ففي الخبر «الشيخ في أهله كالنبي في أمته».

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [الآية 23] يعني المعجزات ﴿وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ [الآية 23] وحجة قاهرة ظاهرة كالعصا واليد البيضاء من جهة الكرامات.

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُواْ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾﴾ [الآية 24] أي هو يعني موسى جامع بين السحر للخلق والافتراء على الحق وفيه تسلية لنبينا صلى الله عليه وسلم ووعد للمؤمنين ووعيد للكافرين.

وأفاد الأستاذ: أن أكرم خلقه سبحانه كان موسى عليه السلام في وقته وزمانه، وأخس خلقه وأذلهم في حكمه وأشدهم كفراً بربّه كان فرعون إذ لم

يقل أحد غيره ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: الآية 38] فبعث الله أخص عباده إلى أخسّ عباده فقابله بالتكذيب ونسبه إلى السحر وأنبه بأنواع التأنيب ثم أنه سبحانه لم يعجل عقوبته وأمهله إلى أن أوصل إليه شقوته إنه سبحانه حليم وبعباده عليم.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم﴾ [الآية 25] أي موسى ﴿بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا ٱقْتُلُوٓا أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا نِسَآءَهُمْ﴾ [الآية 25] أي أعيدوا عليهم ما كنتم تفعلون بهم كي يصدوا عن مظاهرة موسى ويضعفوا عن مقاومة مخالفهم ﴿وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الآية 25] منهم ومن غيرهم ﴿إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ [الآية 25] أي ضياع في تدبير أمرهم.

وقال الأستاذ: عزم على إهلاكه وإهلاك قومه واستعان على ذلك بجنده وخيله ورجله ولكن كان كما قال: ﴿وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ [الآية 25] وإذا حفر واحد لولي من أولياء الله حفرة ما وقع فيها غير حافرها بذلك أجرى الحق سنته.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ﴾ [الآية 26] أي اتركوني وكانوا يكفونه عن قتله وأظهر على لسانه ما ذكر من تعلله ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ﴾ [الآية 26] ليستعن بربه
115/أ وهذا تجلد منه وجرأة في كفره ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ/ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ [الآية 26] ما يفسد دنياكم فيما بينكم وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بالواو على معنى الجمع وابن كثير وابن عامر والكوفيون غير حفص بفتح الياء والهاء ووقع الفساد.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ﴾ [الآية 27] أي لقومه لما سمع من فرعون بعض قوله ﴿إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ [الآية 27] خص اسم الرب لأن المطلوب هو التربية والتقوية وإضافته إليه وإليهم حثاً لهم على الموافقة لما في تظاهر الأرواح من استجلاب الإجابة وذكر وصفاً يعم فرعون وغيره لإفادة تعميم الاستعاذة وللدلالة على الحامل له على تلك المقالة.

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ [الآية 28] من أقاربه وهو ابن عمه

وقيل: من متعلق بقوله ﴿يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ﴾ [الآية 28] والرجل إسرائيلي من جنده ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا﴾ [الآية 28] أتقصدون قتله ﴿أَن يَقُولَ﴾ [الآية 28] لأن يقول أو وقت أن يقول ﴿رَبِّىَ ٱللَّهُ﴾ [الآية 28] أي وحده من غير تأمل في أمره ﴿وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [الآية 28] المتكثرة على صدقه من المعجزات والاستدلالات ﴿مِن رَّبِّكُمْ﴾ [الآية 28] ثم أخذهم بالاحتجاج من باب الاحتياط في دفع قتله بقوله ﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ﴾ [الآية 28] أي لا يتخطاه وبال ما افتراه فيحتاج في دفعه إلى إهلاكه ﴿وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾ [الآية 28] أي فلا أقل من أن يصيبكم بعضه أو يصيبكم بعض ما يعدكم من عذاب الدنيا ولعذاب الآخرة أشد وأبقى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾ [الآية 28] في الأفعال ﴿كَذَّابٌ﴾ [الآية 28] في الأقوال والمعنى إنه لو كان مسرفاً كذاباً لما هداه الله إلى البينات ولما قواه بتلك المعجزات أو أن من أهلكه الله وخذله فلا حاجة لكم في قتله ولا يبعد أن يكون تقريضاً منه بحالهم وبما يؤول إليه من عاقبة مالهم.

﴿يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ﴾ [الآية 29] غالبين قاهرين ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 29] أرض مصر ﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 29] عقابه ﴿إِن جَآءَنَا﴾ [الآية 29] بسبب قتل نبيه وأدرج نفسه معهم أي بأنه يساهم فيما ينصح لهم ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ﴾ [الآية 29] ما أشير إليكم في أمره ﴿إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾ [الآية 29] من
115/ ب استصواب قتله ﴿وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا/ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [الآية 29] وطريق السداد.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم﴾ [الآية 30] في تكذيبه والتعرض لقتله ﴿مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ﴾ [الآية 30].

﴿مِثْلَ﴾ [الآية 31] أيام الأمم الماضية ووقائعهم البادية مثل ﴿دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ﴾ [الآية 31] مثل جزاء ما كانوا عليه دائباً من الكفر بربهم وإيذاء رسلهم ﴿وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ [الآية 31] كقوم لوط ونحوهم ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾ [الآية 31] أي من نفسه فإنه لكونه محالاً في صفته لا يوجد فيه تعلق إرادته فلا يعاقبهم بغير ذنب صدر منهم ولا يخلي الظالم بغير انتقام عنه إما في الدنيا وإما في العقبى.

﴿وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ٣٢﴾ [الآية 32] يوم نزول البلاء والمحنة حين ينادي فيه بعضهم بعضاً للاستغاثة أو يتصايحون بالويل والحسرة.

﴿يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ﴾ [الآية 33] عن مساكنكم فارين عن المهلكة ﴿مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ﴾ [الآية 33] يعصكم من العقوبة ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ﴾ [الرّعد: الآية 33] يرده إلى الهداية وقيل المراد بيوم التناد يوم القيامة وفيه أن القوم لم يكونوا مؤمنين بوقوعه والقائل في مقام نفيه من قوله اللهم إلا أن يحمل على فرض وقوع ما يدعي موسى مع قومه أو أظهر حينئذ ثبوت إيمانه بعد ما كان مدة على كتمانه كما سيظهر في بعض كلامه من تحقيق بيانه ثم من جملة نصحه قوله: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ﴾ [الآية 34] أي ابن يعقوب على أن فرعونه فرعون موسى فإنه نقل أنه عمر أربعمائة وأربعين سنة ﴿مِن قَبۡلُ﴾ [الآية 34] قبل موسى ﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ [الآية 34] بالمعجزات روي أنه بعثه الله رسولاً يدعو القبط إلى طاعة الله وحده فما أطاعوه في ما يتعلق بالأمر الأخروي بل بمجرد الوزارة والجاه الدنيوي ﴿فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ﴾ [الآية 34] من الحكم الديني ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ﴾ [الآية 34] مات ﴿قُلۡتُمۡ لَن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِهِۦ رَسُولٗاۚ﴾ [الآية 34] فيما إلى تكذيب رسالته تكذيب رسالة من بعده على طبق حالته ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ﴾ [الآية 34] شاك فيما تشهد به البينات أنه طريق صواب.

﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ﴾ [الآية 35] بغير حجة وبرهان ﴿أَتَىٰهُمۡ﴾ [الآية 35] بل أما تقليد طائفة جاهلة أو شبهة داحضة زائلة لاحت لهم والجملة مبتدأ خبره ﴿كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 35] عظم جدالهم غضباً عند ربهم ﴿وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ﴾ [الآية 35] لأنهم متخلقون بأخلاق مولاهم ﴿كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ﴾ [الآية 35] وقرأ أبو عمرو وابن ذكوان
بتنوين قلب/ على وصفه بالتكبر والتجبر لأنه منبعهما ومعدلهما. 116/ أ

﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا﴾ [الآية 36] بناءً مكشوفاً عالياً ﴿لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ﴾ [الآية 36] الطرق العالية في الاكتساب.

﴿أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [الآية 37] أسباباً تعين الصعود إلى جهات العلويات

وهي بيان لما قبلها وفي إيهامها ثم إيضاحها تفخيم لشأنها وتشويق للسامع إلى معرفة بيانها ﴿فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ [الآية 37] عطف على أبلغ وقرأ حفص بالنصب على جواب الترخي وهذه كلها منه أمور وهميات وتعللات تخيليات منشأها غاية الجهالة ونهاية الضلالة ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًاۚ﴾ [الآية 37] في دعوى الرشاد وهذا كذب منه لظهور صدق موسى بقطعي الدلالة ﴿وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ﴾ [الآية 37] سبيل الرشاد وطريق السداد والفاعل هو الله حقيقة والشيطان وساطة وقرأ الحجازيان والبصري والشامي صد على بناء الفاعل على أن فرعون صد الناس عن البينات بأمثال هذه التمويهات ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ [الآية 37] خسار ودثار، قيل: من رأى في نفسه زلة وستر عليها ولم يجتهد في إزالتها زين في عينه مساوئه.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ﴾ [الآية 38] يعني مؤمن آل فرعون ﴿يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ﴾ [الآية 38] بالدلالة ﴿سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [الآية 29] سبيلاً يصل سالكه إلى المراد وفيه تعريض بأن فاعله فرعون وقومه سبيل الغي والعناد.

﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ﴾ [الآية 39] تمتع يسير لسرعة زوالها وانقضاء آجالها ﴿وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾ [الآية 39] لدوامها وبقاء آمالها.

قال محمد بن علي: لم تزل الدنيا مذمومة في الأمم السالفة عند العقلاء وطالبوها من المهانين عند الحكماء وما قام داع في أمة من نبي أو ولي إلا وحذر حبها وجمعها ألا ترى مؤمن آل فرعون كيف قال اتبعوني أهدكم سبيل الرشاد يا قوم الآية أي لن تصل سبيل الهداية وأهلها وفي قلبك محبة الدنيا وطلبها.

﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَاۖ﴾ [الآية 40] عدلاً من الله ونعمة وفيه دلالة على أن الجناية تغرّم بنحوها.

وقال الأستاذ: إلا مثلها في المقدار لا في الصفة لأن الأول سيئة والمكافأة / حسنة. قلت وأما قوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ﴾ [الشورى: الآية 40] 116/ ب
فهو من باب المشاكلة أو من حيثيته الصورة من الهيئة ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن

ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [الآية 40] أي في المآل أي المدار على تلك الحال ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [الآية 40] وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وشعبة بصيغة المجهول ﴿يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الآية 40] بغير موازنة بالطاعة بل أصناف مضاعفة فضلاً منه ورحمة.

﴿وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ﴾ [الآية 41] إلى ما به النجاة من العقاب والفوز بالثواب ﴿وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ [الآية 41] ما يجرف إلى دار البوار ومقام الكفار والفجار.

وقال أبو عثمان من أراد النجاة فليترك ما لا يعنيه ويشتغل بما يعينه فإن نجاة الدارين فيه.

﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ﴾ [الآية 42] أي بألوهيته ﴿وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ﴾ [الآية 42] بربوبيته ﴿عِلْمٌ﴾ [الآية 42] عرفان والمراد نفي المعلوم والإشعار بأن الألوهية لا بدّ لها من برهان وأن اعتقادها لا يصح إلا عن إيقان ﴿وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ﴾ [الآية 42] المستجمع لصفات الألوهية ونعوت الربوبية من كمال القدرة والغلبة وما يتوقف عليه من العلم والإرادة والتمكن عن المجازاة على الحسنة والسيئة والقوة على العقوبة والمغفرة.﴿لَا جَرَمَ﴾ [الآية 43] لا بدّ ولا محالة ﴿أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾ [الآية 43] أي إلى عبادته من الآلهة ﴿لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ﴾ [الآية 43] مستجابة ﴿فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا فِي ٱلْأٓخِرَةِ﴾ [الآية 43] أي أصلاً لأنها جمادات ليس لها ما تقتضي ألوهيتها عقلاً ونقلاً ﴿وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الآية 43] مرجعنا إلى حكم بالموت وغيره ﴿وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الآية 43] في الضلالة كالمشركين ﴿هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ [الآية 43] ملازموها ومداوموها.

﴿فَسَتَذْكُرُونَ﴾ [الآية 44] عند معاينة الأهوال ﴿مَآ أَقُولُ لَكُمْ﴾ [الآية 44] من النصيحة في تحسين الأحوال ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الآية 44] ليعصمني من كل سواء أراده بي من سواه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [الآية 44] عالم بمن هو من أهل الصلاح وأرباب لفساد.

قال أبو عثمان البصري: قلت لأبي صالح حمدون أوصني قال: أن

تصبح مفوضاً لا مدبراً وقال بعضهم: التفويض قبل نزول البلاء والتسليم بعد نزول العناء. وسئل ذا النون متى يكون العبد مفوضاً لأمره إذا أيس من نفسه وأفعاله والتجأ إلى الله في جميع أحواله.

117/ أ ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ [الآية 45] أي حفظ مؤمن آل فرعون/ ﴿سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ﴾ [الآية 45] شدائد مكرهم في حقه ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ﴾ [الآية 45] بفرعون وقومه واستغنى بذكرهم عن ذكره للعلم بأنه أولى به ﴿سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ [الآية 45] الإغراق في الدنيا والإحراق في العقبى كما قال تعالى في حق قوم نوح: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا فَلَمْ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا﴾ [نوح: الآية 25].

﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [الآية 46] طرفي النهار وما بينهما معذبون بشيء آخر ودائماً أريد بالعشي الليل وبالغدو والنهار. وقد ثبت في الأخبار عن سيد الأخيار وسند الأحبار أنه قال: «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغدوة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار ويقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة»[1].

وفيه دليل على بقاء النفس وعذاب القبر ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ [الآية 46] أي هذا ما دامت الدنيا فإذا قامت القيامة قيل لهم ﴿أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [الآية 46] فإن عذاب الآخرة أشد وأبقى وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص ادخلوا على أمر الملائكة بإدخالهم النار وهذا إشكال منشؤوه سؤال وهو أن الآية لا شك في أنها مكية.

وفي مسند الإمام أحمد بإسناد صحيح على شرط الشيخين أن يهودية في المدينة كانت تعيذ عائشة رضي الله عنها من عذاب القبر فسألت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «كذب يهود لا عذاب دون يوم القيامة فلما مضى بعض أيام نادى عليه السلام محمراً عيناه بأعلى صوته أيها الناس

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (1379)، ومسلم في الصحيح (2866/ 65).

استعيذوا بالله من عذاب القبر فإنه حق»(1) وأجيب بأن الآية دلت على عذاب الأرواح في البرزخ وما نفاه أولاً ثم أثبته عليه السلام عذاب الجسد والمراد به الجمع بين العذاب الروحاني والجسماني في الجملة فلا ينافيه ما روي ابن مسعود رضي الله عنه أن أرواح الكفار في أجواف طير سود وتعرض على النار بكرة وعشياً(2) إلى يوم القيامة.

وما روي غيره مرفوعاً أن أرواح الشهداء في أجواف طير خضر تسرح في الجنة وتأوي إلى قناديل معلقة تحت العرش(3).

﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ﴾ [الآية 47] أي واذكر حين يتخاصم الكفار ﴿فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَـٰٓؤُاْ﴾ [الآية 47] الأتباع من الفقراء توبيخاً ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ﴾ [الآية 47]
117/ب للمتبوعين من / الأغنياء ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ [الآية 47] أتباعاً في الدين طمعاً في الدنيا ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ [الآية 47] بالدفع منا أو الحمل عنا.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ﴾ [الآية 48] نحن وأنتم واقعون فيها فكيف نغني عنكم شيئاً منها ولو قدرنا لأغنينا عن أعيننا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ﴾ [الآية 48] بأن أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار على ما أراد ولا راد لقضائه ولا معقب لحكمه وفي الآية إشارة إلى أن عذاب الأغنياء من الكفار لجمعهم بين الضلال والإضلال أشد من كفار الفقراء لاقتصار وبالهم على الضلال ففي الجملة دلالة على فضل الفقراء على الأغنياء كما ذهب إليه أرباب الكمال والله أعلم بحقيقة الحال.

---

(1) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح (5/ 582) رقم (3604)، والطبراني في المعجم الكبير (25/ 103) رقم (268)، وابن حبان في الصحيح (7/ 395) رقم (3125).

(2) ورد بلفظ: «أرواح آل فرعون» انظر ما أورده ابن كثير في تفسيره (7/ 148)، والطبري في تفسيره (21/ 395)، والقرطبي في تفسيره (15/ 319).

(3) أخرجه مسلم في الصحيح (1887/ 121)، والطبراني في المعجم الكبير (9/ 183) رقم (8905)، وأبو يعلى في المسند (4/ 219) رقم (2331)، وأحمد في المسند (1/ 265) رقم (2388).

وقد صرح حجة الإسلام أن عذاب الكافر الفقير أحق من الكافر الغني فإذا نفع فقر الكافر صاحبه في دار الجحيم فكيف لا ينفع فقر المؤمن صاحبه في دار النعيم وقد ورد أشبعكم في الدنيا أجوعكم في العقبى.

وأفاد الأستاذ: أن الضعفاء يقولون للكبراء أنتم أضللتمونا والمستكبرون يقولون لهم بل أنتم باختياركم وافقتمونا فمحاجة بعضهم لبعض تزيد في غيظ قلوبهم فكما يعذبون بنفوسهم يعذبون بضيق صدورهم وبغض بعضهم من بعض في نحورهم.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ﴾ [الآية 49] كلهم أو بعضهم ﴿لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾ [الآية 49] وهي مشتملة على جميع دركاتها وطبقاتها ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا﴾ [الآية 49] وقتاً ما ﴿مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾ [الآية 49] شيئاً منه ولو يسيراً في هذا الباب ثم في قولهم ادعوا ربكم دون ادعوا ربنا أيما إلى كمال ضلالهم في مقام البعد وحال الحجاب.

وأفاد الأستاذ: أن هذه أيضاً من إمارات الأجنبية يدخلون واسطة بينهم وبين ربهم في الأدعية ثم أن الله تعالى ينزع الرحمة عن قلوبهم حتى لا يشفعوا في حقهم.

﴿قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [الآية 50] أرادوا بهذا إلزامهم للحجة وتوبيخهم على إضاعة أوقات الدعوة وتعطيل أسباب الإجابة ﴿قَالُواْ بَلَىٰ قَالُواْ فَٱدْعُواْ﴾ [الآية 50] أنتم فإنا لا تجترىء في ذلكم إذ لم يؤذن لنا في الدعاء لأمثالكم ﴿وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الآية 50] لو دعونا هنالك ﴿إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ﴾ [الآية 50] ضياع لا يجاب.

لذلك ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الآية 51] بالحجة وللنصرة من الكفرة بحسب الغلبة/ ﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [الآية 51] من 118/ أ
الملائكة والأنبياء والصالحين من العباد.

﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾ [الآية 52] وقرأ ابن كثير وأبو عمر وأبو عامر بالتأنيث وعدم نفع المعذرة لأنها باطلة أو لأنه لا يؤذن لهم فيعتذرون فالآية

من باب نفي القيد والمقيد ﴿وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ﴾ [الآية 52] البعد من الرحمة ﴿وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [الآية 52] وفيها أشد العقوبة.

قال جعفر الصادق: ننصر رسلنا بالمؤمنين ظاهراً وننصر المؤمنين بالرسل باطناً.

وقال سهل: نكرمهم بالعلم والمعرفة في الدنيا وبالرضا والرؤية في العقبى.

وقال الأستاذ: ننصرهم بالآيات وفنون من التعريفات حتى يعرفوا ويشهدوا أن الظفر وضده من الله والخير والشر كله من عند الله ويقال: ننصرهم بكيد خفي ولطف غير مرئي من حيث يحتسب ومن حيث لا يحتسب وكما ينصرهم في الدنيا ينصرهم في الأخرى ينصرهم في الدنيا بالمعرفة واليقين بأن الكائنات من الله وفي العقبى ليشهدوا بالإقرار ويعرفوا بالاضطرار أن التأثير من الله وغاية النصرة أن يقتل الناصر عدو من ينصره فإذا رآه حقيقة أنه لا عدو في الحقيقة وإن الخلق أشباح يجري عليهم أحكام القدرة فالولي لا عدو له ولا صديق له ليس له إلا الله، قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البقرة: الآية 257].

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡهُدَىٰ﴾ [الآية 53] ما يهتدي به في الدين من المعجزات والأحكام البينات ﴿وَأَوۡرَثۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [الآية 53] وتركنا عليهم بعده التوراة.

﴿هُدٗى وَذِكۡرَىٰ﴾ [الآية 54] هداية وتذكرة ﴿لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [الآية 54] لذوي العقول السليمة والطباع المستقيمة.

﴿فَٱصۡبِرۡ﴾ [الآية 55] على أذى الكفرة والفجرة ﴿إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ﴾ [الآية 55] بالغلبة والنصرة ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ [الآية 55] وتدارك فرطاتك كترك الأولى وساعة الغفلة عن المولى والاهتمام بأمر العدي بالاستغفار ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾ [الآية 55] ودم على التسبيح والتحميد لربك فإنه تعالى كافيك في النصر وإظهار الأمر وقيل صل بهذين الوقتين إذ كان الواجب بمكة ركعتان بكرة وركعتان عشية.

وأفاد الأستاذ: أن الصبر في /انتظار الموعود من الحق على حسب 118/ب
الإيمان والتصديق بالإيقان فمن كان تصديقه ويقينه أتم وأقوى كان صبره أتم وأوفى، قال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ [الآية 55] وإنه يعطي وأن توهم العبد أنه يبطيء ويقال: الصبر على قسمين صبر على العافية وصبر على البلاء فالصبر على العافية أشد وأقل من الصبر على البلاء. ثم قال وفي قوله: وللمؤمنين دليل على أنه كان له ذنوب ولم يكن جميع استغفاره لأمته لأنه ذكر استغفاره للمؤمنين ويكون ذلك محمولاً على ذنوبه قبل النبوة ويجوز أن يكون العبد قد تاب من الزلة ثم يجب عليه الاستغفار من ذلك الذنب كلما ذكره فإن تجديد التوبة يجب كما يجب أصل التوبة انتهى كلامه ولا يخفي ما فيه من نقصان مرامه، فإن قوله: وللمؤمنين ليس في هذه الآية ثم إثبات الذنوب له صلى الله عليه وسلم قبل النبوة مما لا يرتضيه المحققون من علماء الأمة بل حملوا إثبات هذه الآية على ما سبق من أن حسنات الأبرار سيئات الأحرار ثم ما ذكره من وجوب تجديد التوبة فلا أعرف أن أحداً من الفقهاء ذهب إليه ولا أحد من الصوفية اعتمد عليه بل اختلفوا هل تذكر المعصية وتجديد التوبة أفضل أو نسيانها من أصلها أكمل فتأمل فإنه موضع زلل وموقع وحل.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ﴾ [الآية 56] حجة وبرهان ﴿أَتَىٰهُمْ﴾ [الآية 56] بل جادلوا فيها بما وافق هواهم ﴿إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ﴾ [الآية 56] تكبر عن أتباع الحق وتعظم عن التفكر والتعلم في طريق الصدق أو إرادة الرياسة والتقدم على الخلق ﴿مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ﴾ [الآية 56] ليسوا بواصلي مقتضيه فإن الله يعذر رسوله ومتابعيه ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ [الآية 56] التجيء إليه واعتمد عليه واستسلم لديه ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الآية 56] لأقوالكم وأفعالكم فيجاريكم وفق أحوالكم.

﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ [الآية 57] أي أعظم وأشق في نظر العقل القاصر وإن استويا بالنسبة إلى قدرة الخالق القاهر فمن قدر على خلقها مع عظمها في زعمكم أولاً من غير أصل ومادة قدر على خلق
الإنسان ثانياً من أصل موجود في/ الجملة بعد مدة ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ 119/أ

[الآية 57] لأنهم لا يتفكرون في مبدأ فطرتهم لفرط غفلتهم وأتباع أهوائهم وشهوتهم.

﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ [الآية 58] الغافل والمستبصر ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ﴾ [الآية 58] في العقائد والطاعات أي وما يستوي المحسن والمسيء فينبغي أن يكون لهم مال يظهر فيه تفاوت حال وهي فيما بعد البعث من دار البوار للكفار ومن دار القرار للأبرار وزيادة لا في المسمى لأن المقصود نفي مساواته مع ماله من سوء الحالة للمحسن فيما له من الفضل والكرامة والعاطف الثاني عطف الموصول بما عطف عليه على الأعمى والبصير لتغاير الوصفين في مقصود التعبير أو للدلالة بالصراحة بعد الكناية للتأكيد والتقرير ﴿قَلِيلًا مَّا﴾ [الآية 58] تذكر أما قليلاً ﴿تَتَذَكَّرُونَ﴾ [الآية 58] حيث لا ينتفعون والضمير للكفار أو لأكثر الناس من الفجار وقرأ الكوفيون بالخطاب تغليباً أو التفاتاً.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أراد به ما يستوي المؤمن والكافر ولا المربوط بشهوته كالمبسوط بصفوته ولا المجذوب بقربته كالمحجوب بعقوبته ولا المرقي إلى مشاهدة كالمبقي في مشاهدة ولا المحدود بسعادته كالمردود بشقاوته.

﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَـَٔاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾ [الآية 59] لا شك في مجيئها لوضوح الدلالة على جوازها وإجماع الرسل على الوعد بوقوعها ﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 59] لا يصدقون بها لقصور نظرهم على ظاهر ما يحسون به من أثرهم.

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [الآية 60] أثبكم لقوله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى﴾ [الآية 60] أو المراد بالعبادة الدعاء فإنه من أبوابها بل زبدة أسبابها فقد ورد أن الدعاء مخ العبادة ﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [الآية 60] صاغرين وفي الحديث من لم يدع الله غضب عليه وقرأ ابن كثير وأبو بكر بصيغة المفعول وهو أبلغ في الزجر.

قال ابن عطاء: إن للدعاء أركاناً وأجنحة وأوقاتاً وأسباباً فإن وافق أركانه قوي وإن وافق أجنحته طار وإن وافق مواقيته فاز وإن وافق أسبابه أنجح فأركانه حضور القلب والرقة والخشوع والاستغاثة وقطع القلب من الأسباب وتعلقه/ برب الأرباب وأجنحته الصدق في القول والفعل ومواقيته 119/ ب
الأسحار وأسبابه الصلاة على محمد ﷺ.

وقال الوراق: ادعوني على حد الالتجاء وغاية الاضطرار حيث لا يكون لكم مرجع إلى الأغيار.

ومرّ إبراهيم بن أدهم بسوق البصرة فاجتمع إليه الناس فقالوا إن الله تعالى يقول في كتابه: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [الآية 60] ونحن ندعوا فلا يستجاب دعاؤنا فما بالنا فقال: إن قلوبكم ماتت بعشرة أشياء: أولها عرفتم الله فلم تؤدوا حقه، والثاني: قرأتم كتابه [ولم] تعملوا به، والثالث: ادعيتم حب رسول الله ومودّته وتركتم متابعة سنّته والرابع: ادّعيتم عداوة الشيطان ووافقتموه في دعوته والخامس: ادعيتم حب الجنة فلم تعملوا لها والسادس: ادعيتم خوف النار فلم تتركوا المعصية خوفاً منها والسابع: أقررتم أن الموت والإعادة حق ولم تستعدوا لها والثامن: اشتغلتم بعيوب إخوانكم عن عيوب أنفسكم وإصلاحها والتاسع: أكلتم نعمة الله وكفرتم بها والعاشر: دفنتم موتاكم في المقبرة ولم تعتبروا فيها.

وأفاد الأستاذ: أن معنى الآية: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [الآية 60] إن شئت لأنه قال في آية أخرى: ﴿فَيَكۡشِفُ مَا تَدۡعُونَ إِلَيۡهِ إِن شَآءَ﴾ [الأنعام: الآية 41]، ويقال: ادعوني بشرط الدعاء ومن شرط الدعاء الأكل من الحلال فقد قيل: الدعاء مفتاح الحاجة أسنانه لقم الحلال ويقال: كل من دعاه استجاب له إما بما يسأله بعينه أو بشيء آخر هو خير له منه ويقال: الكافر ليس يدعوه لأنه إنما يدعو من له شريك وهو لا شريك له ويقال: إذا ثبت أن هذا الخطاب للمؤمنين فما من مؤمن يدعو ويسأله شيئاً إلا أعطاه إما في الدنيا وإما في الآخرة يقال له: هذا يدل ما طلبته في الدنيا وقد ادخرته لك إلى هذا اليوم حتى يتمنى العبد أنه ليته لم يعط شيئاً في

الدنيا ويقال: ادعوني بالتفضل استجب لكم بالتفضل ادعوني بحسب الطاعة استجب لكم بكشف الفاقة ادعوني بالسؤال استجب لكم بالنوال.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ﴾ [الآية 61] مظلماً ﴿لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ
120/ أ مُبۡصِرًاۚ﴾ [الآية 61] منيراً/ لتتحركوا فيه الأمر معاشكم وما يتعلق فيه من أمر معادكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [الآية 61] بوصف عميم ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ﴾ [الآية 61] فضله وإنعامه لجهلهم بالمنعم وإغفالهم مواقع إكرامه وتكرير الناس لتنقيص تخصيص الكفران بهم.

وأفاد الأستاذ: أن سكون الناس في الليل على أقسام أهل الغفلة ليسكنون إلى غفلتهم وأهل المحبة يسكنون بحكم وصلتهم فشتان بين سكون غفلة وسكون وصلة قوم يسكنون إلى أمثالهم وأشكالهم وقوم يسكنون إلى حلاوة أعمالهم وقوم يعدمون القرار في ليلهم ونهارهم أولئك أصحاب الاشتياق فهم أبداً في الاحتراق.

﴿ذَٰلِكُمُ﴾ [الآية 62] المخصوص بالأفعال المقتضية للألوهية والربوبية ﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾ [الآية 62] أخبار متلاحقة تخصص اللاحقة السابقة ﴿فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾ [الآية 62] فكيف تصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره وأنتم مغمورون في فضله وخيره فذلك أي مثل إفك ﴿كَذَٰلِكَ يُؤۡفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ﴾ [الآية 63] ولا يتأملون ما هنالك.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارًا﴾ [الآية 64] ذات قرار ومدار ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ [الآية 64] سقفاً محفوظاً قال بعضهم: جعل الأرض قراراً لصفوتة والسماء بناءً لملائكته ﴿وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ﴾ [الآية 64] بأن جعلك منتصب القامة بادي البشرة والهامة متناسب الأعضاء ومتعادل الأجزاء متهيئاً لمزاولة الصناعات واكتساب الكمالات ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ [الآية 64] المستلذات ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ﴾ [الآية 64] مربيكم في أحوالكم ومقويكم في أعمالكم ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ﴾ [الآية 64] تكاثر خيره على من سواه ﴿رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الآية 64] فإن كل ما عداه مربوب له ومفتقر إليه في دنياه وأخراه.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه خلق العرش والكرسي والسموات والأرض وسائر المخلوقات ولم يخاطبهم بهذا الخطاب وإنما قال لنا: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [الآية 64] وليس الحسن ما يستحسنه الرقيب وإنما الحسن ما يستحسنه الحبيب.

ما حطك الواشون عن رتبة عندي ولا ضرك مغتاب
كأنهم أثنوا ولم يعلموا عليك عندي بالذي عابوا

120/ب لم يقل للشموس في علانها ولا / للأقمار في ضيائها ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [الآية 64] ولما انتهى إلينا قال: ﴿فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [الآية 64] وقال: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: الآية 4]. ويقال: إن الواشين قبحوا صورتكم عندنا فالملائكة كتبوا في صحيفتكم قبيح ما ارتكبتم وصوركم أحسن صوركم عنده بأن محا من ذنوبكم الزلات وأثبت في ذلك الحسنات قال تعالى: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ [الرعد: الآية 39]، ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ [الفرقان: الآية 70]. ثم لبس الطيب ما يستطيبه الخلق الطيب ما يستطيبه القلب الخير، الغفار أطيب للفقير الشاكر من الحلوى للغني المتسخط ورزق النفوس المطعومات والمشروبات ورزق القلوب لذات الطاعات.

﴿هُوَ ٱلْحَىُّ﴾ المنفرد بالحياة الذاتية الأزلية الأبدية. ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الآية 65] إذ لا موجود يساويه في ذاته وصفاته أو يدانيه ﴿فَٱدْعُوهُ﴾ [الآية 65] فاعبدوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [الآية 65] الطاعة من الشرك والسمعة قائلين ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الآية 65] على سائر النعمة.

قال الحسين: هو الحي الذي أحيا العالم بنظره فمن يكن بنظره حياً فهو ميت وإن تحرك ونطق.

وقال جنيد: الحي على الحقيقة من به حياة كل حي.

وقال الأستاذ: هو الحي الذي لا يموت ولا فضله يفوت فادعوه تبيان القوة فإن ذلك عليه لا يفوت.

﴿قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾

[الآية 66] من الحجج والآيات ﴿مِّن رَّبِّي﴾ [الآية 66] من عنده على وجه الكرامات ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الآية 66] أن انقاد له في ديني أو أخلص له في يقيني.

وقال الأستاذ: أي أمرت بالتبري عما عبدتم والإعراض عما به اشتغلتم والاستسلام للذي خلقني وبالنبوة أخلصني.

﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ [الآية 67] أي من نقلكم من تربة إلى قطرة ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ﴾ [الآية 67] أي كلاً منكم ﴿طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ﴾ [الآية 67] ثم يبعثكم لتبلغوا شباباً ﴿ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا﴾ [الآية 67] وقرأ نافع وأبو عمرو وهشام وحفص بضم الشين ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ﴾ [الآية 67] قبل الشيخوخة ﴿وَلِتَبْلُغُوٓا۟﴾ [الآية 67] أي ويفعل ذلك بكم لتبلغوا ﴿أَجَلًا مُّسَمًّى﴾ [الآية 67] وهو القيامة الصغرى أو الكبرى ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الآية 67]
121/أ / ما في هذا المعبر من الحجج والعبر.

﴿هُوَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ [الآية 68] أي ثم يبعثكم ثم في إحدى الدارين ينزل بكم ﴿فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾ [الآية 68] أي أراد شيئاً ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [الآية 68] فلا يحتاج في تكوينه إلى عدة وبحسم كلفه ومدة.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [الآية 69] عن التصديق بها والتأمل فيها وتكرير ذم المجادلة لتعدد المجادل والمجادل فيه أو للتوكيد في الوعيد والتهديد فلا حجة يوردون ولا عذاب عن أنفسهم يردون.

﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ﴾ [الآية 70] بالآيات القرآنية أو بجنس الكتب السماوية [﴿وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾] [الآية 70] جزء أفعالهم الدنية.

﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ﴾ [الآية 71] في رقابهم ﴿يُسْحَبُونَ﴾ [الآية 71] أي بها.

﴿فِي ٱلْحَمِيمِ﴾ [الآية 72] أي بالجحيم ﴿ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ [الآية 72] يحرقون والمراد أنهم يعذبون بأنواع العذاب وينتقلون من بعضها إلى بعض كما

كانوا في عالم الأسباب.

﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا﴾ [الآيات 73، 74] غابوا عنا وضاعوا منا فليس لنا منهم إلا لعنا ﴿بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا﴾ [الآية 74] ينفعنا ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الآية 74] حتى لا يهتدوا إلى شيء ينفعهم في الدنيا والأخرى.

﴿ذَٰلِكُم﴾ [الآية 75] الإضلال أو العذاب والأنكال ﴿بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 75] تنظرون وتتكبرون فيها ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الآية 75] بغير استحقاق بل بمجرد الطغيان ﴿وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ [الآية 75] تتوسعون في الفرح بالعدوان والعدول إلى الخطاب للمبالغة في التوبيخ والعتاب.

﴿ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾ [الزُّمَر: الآية 76] الأبواب السبعة المقسومة لأهلها ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ [الآية 76] مقدرين الخلود فيها ﴿فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الآية 76] فبين مثواهم ومصور بهم وساء ذهابهم ومسيرهم.

﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ [الآية 77] كائن لا محالة ﴿فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾ [الآية 77] ما مزيدة لتأكيد الشرطية والمعنى فإن ترك ﴿بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾ [الآية 77] وهو القتل والأسر والمذلة ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ [الآية 77] قبل أن نرى تلك الحالة ﴿فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [الآية 77] جميعهم يوم القيامة فنجازيهم بأعمالهم على حسب ما يستحقونه من العقوبة.

قال أبو بكر بن طاهر: صبراً على شدائد الدنيا فإن وعد الله حق لمن صبر فيها على البلاء والعناء أن يوصله إلى الراحة الكبرى وهو مقعد صدق
121/ ب عند مليك / مقتدر.

وقال الأستاذ: أي كن بقلبك فارغاً عنهم وانظر من بعد إلى ما نفعل بهم واستيقن بأنه لا بقاء لجولة باطلهم فإن لقيت بعض ما نتوعدهم به وإلا فلا تك في ريب من مقاساتهم ذلك بعدك.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا﴾ [الآية 78] كثيراً ﴿مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾

[الآية 78] حاله مفصلاً أو مجملاً ﴿وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [الآية 78] حاله أصلاً إذ روي أن عدد الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً والرسل ثلثمائة وخمسة عشر والمذكور قصتهم قيل أربعة وعشرون شخصاً ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ﴾ [الآية 78] من الأولين والآخرين ﴿أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 78] فإن المعجزات عطايا قسمها بينهم على ما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيئته فهم كسائر القسم لغيرهم فليس لهم اختيار في إيثار بعضها والاستبداد بإتيان المقترح بها فإن بعضهم من ذكر القسمة وما جرى له في السابقة ينقطع عن السؤال والدعاء ويعلم أن القضاء كائن بالحق من الحق في الابتداء أو الانتهاء ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ [الآية 78] بعذاب المقترحة في الدنيا والآخرة ﴿قُضِىَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية 78] بإنحاء المحق وتعذيب المبطل ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [الآية 78] المعاندون باقتراح الآيات بعد ظهور ما يغنيهم عنها من المعجزات.

وقال الأستاذ: لم يكن في وسع صاحب نبوة أن يأتي بمعجزة إلا إذا أظهرناها نحن عليه على ما أردنا إذا أردنا كما أرادنا فكذلك إن طالبوك بآية فقد أظهرنا عليك من الآيات ما أزحنا العذر وأظهرنا صحة الأمر وما اقترحوه إن شئنا أظهرناه وإن شئنا تركناه.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ﴾ [الآية 79] من غاية الأنعام ﴿لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [الآية 79] والظاهر أن المراد بها الإبل وحدها لقوله: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ﴾ [الآية 80] كألبانها وجلودها وأوبارها ﴿وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ﴾ [الآية 80] بالمسافرة عليها ﴿وَعَلَيْهَا﴾ [الآية 80] في البر ﴿وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ [الآية 80] بأثقالكم وأحمالكم.

﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [الآية 81] علاماته الدالة على كمال قدرته وجمال رحمته ﴿فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 81] فأي آية من تلك الآيات ﴿تُنكِرُونَ﴾ [الآية 81] فإنها لظهورها لا يمكن إنكارها.

122/أ / ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بسير قلوبهم أو البهم ﴿فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الآية 82] مال أحوالهم مع كثرة آمالهم وإصرارهم

على كفرهم ومساوىء أعمالهم ﴿كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِنۡهُمۡ﴾ [الآية 82] عدة وعدة ﴿وَأَشَدَّ قُوَّةٗ﴾ [الآية 82] وأحدّ شوكة ﴿وَءَاثَارٗا﴾ [الآية 82] وأكثر عمارات فانية منهم باقية بعدهم ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الآية 82] كالقصور والقلاع ونحوها ﴿فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [الآية 82] الأولى نافية أو استفهامية والثانية موصولة أو مصدرية.

﴿فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ [الآية 83] بالمعجزات أو الآيات الواضحات ﴿فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾ [الآية 83] واستحقروا علم الرسل بجنب علمهم كما صدر عن بعض الحكماء السفهاء والمراد بعلمهم علوم الطبائع والتنجيم والمنطق ونحوها أو عقائدهم الفاسدة وشبههم الكاسدة من قولهم لا حساب ولا عذاب في الدار الآخرة ولئن رجعت إلى ربي أن لي عنده الحسنى فسماها علماً على زعمهم تهكماً بهم ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ [الآية 83] جزاء استهزاءهم وجهلهم بأنبيائهم.

﴿فَلَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا﴾ [الآية 84] شدة عذابنا ويبينوا من الوقوف على بابنا ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥ وَكَفَرۡنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشۡرِكِينَ﴾ [الآية 84] من الصنم ونحوه.

﴿فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ﴾ [الآية 85] لامتناع قبوله حينئذ لأن إيماننا الابتلاء غير معتبر حال حلول البلاء ﴿سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ فِي عِبَادِهِۦۖ﴾ [الآية 85] أي سنّ الله ذلك سنة ماضية في العباد في جميع البلاد ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ﴾ [الآية 85] وقت رؤيتهم البأس ﴿ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [الآية 85] من الناس.

سورة فصلت

[مكيّة]
وهي أربع وخمسون آية[1]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: أفلح من عرف بسم الله وما ربح من بقي عن بسم الله من صحب لسانه ذكر بسم الله وصحب جنانه حب بسم الله كفى له شفيعاً بسم الله إلى من تعبدنا بذكر اسم الله.

﴿حمٓ ①﴾ [الآية 1] قال سهل: حم قضي في اللوح المحفوظ وكتب فيه ما هو كائنٌ من المذموم قال بعضهم: الحافظ الملك هو الله ولا يبعد أن يكون الحاء إيماء إلى صفة الرحمٰن والميم إلى نعت الرحيم وأُشير إلى وسط الوصف الأول فإنه يعم ويشمل أهل الدنيا وأومىء إلى آخر النعت الثاني لأن محل ظهوره المؤمنون في العقبى ويؤيده قوله:

122/ ب ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ②﴾ [الآية 2] حيث/ أضاف التنزيل إلى الوصفين الشريفين للدلالة على أنه مناط المصالح الدنيوية والمنافع الأخروية.

وقال الأستاذ: أي بحقي وحياتي ومجدي في ذاتي وصفاتي إن هذا تنزيل من الرحمٰن الرحيم.

﴿كِتَٰبٌ﴾ [الآية 3] أي هذا كتاب جامع فيه لكل حكم باب ﴿فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [الآية 3] باعتبار فصاحة مبانيها وبلاغة معانيها عن غيرها لتعلق الإعجاز بها.

---

(1) في المخطوط: ثلاث وخمسون آية.

وقال ابن عطاء: أي بينت أحكامه.

وقال الأستاذ: بينت دلالاته وعلاماته ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [الآية 3] نصب على المدح وفيه امتنان لسهولة مبناه وفهم معناه ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 3] العربية أو لأهل العلم والنظر في القضية بشيراً للعالمين به ونذيراً للمخالفين له.

وقال ابن عطاء: ﴿بَشِيرًا﴾ لمن آمن به برضا ربه ﴿وَنَذِيرًا﴾ لمن أعرض عنه بسخط ربه ويلائمه قوله تعالى: ﴿فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ﴾ [الآية 4] عن نذيره وقبوله ﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الآية 4] سماع تأمل في حصوله.

وأفاد الأستاذ: أن الدليل منصوب لكافة العالمين ولكن الاستبصار به للعالمين دون المعرضين الجاحدين بشيراً لمن اخترناهم واصطفيناهم ونذيراً لمن أبعدناهم ومن شهود آياتنا أعميناهم فأعرض أكثرهم عن دعائنا أياهم فهم مثبتون فيما أردنا بهم وعلى ذلك الوصف علمناهم.

﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ﴾ [الآية 5] أغطية ﴿مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ﴾ [الآية 5] ثقل وصمم ﴿وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ [الآية 5] يمنعنا عن التواصل فينا ﴿فَٱعْمَلْ﴾ [الآية 5] على دينك ﴿إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾ [الآية 5] على ديننا.

وأفاد الأستاذ: أنهم قالوه على الاستهانة والاستهزاء ولو قالوا: ذلك على بصيرة لكان ذلك منهم توحيداً فمنوا بالمقت لما فقدوا من تحقيق الوقت قلت لو كان لهم بصيرة هنالك لما قالوا ذلك.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [الآية 6] أي قل لا ادعي أني من جنس الملائكة بل ادعوكم إلى التوحيد بطريق اليقين مما دل عليه دلائل العقل وشواهد النقل.

وفي «تفسير السلمي» أي أنا مثلكم في الصورة ولست مثلكم في الحقيقة كما ورد إني لست لأحدكم أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني ﴿فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾ [الآية 6] أي استقيموا في أفعالكم / متوجهين إليه بأحوالكم 123/ أ
﴿وَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾ [الآية 6] مما فرطتم في أعمالكم قيل: الاستقامة مساواة الأحوال في

الأقوال والأفعال وهو أن لا يخالف الظاهر الباطن ولا الباطن الظاهر فإذا استقامت جملة حالتك فاستغفر من رؤية استقامتك واعلم أن الله سبحانه هو الذي قومك لا إنك استقمت بنفسك كذا في تفسير السلمي.

ويحتمل أن يكون معناه واستغفروا مما فرط عنكم لأنكم لا تقدروا على حقيقة الاستقامة فيكم لقوله صلى الله عليه وسلم: استقيموا ولن تحصوا أي لن تطيقوا ولذا قيل الاستقامة أشد من ألف كرامة.

وقال الأستاذ: أي أنا بشر مثلكم في الصورة والبنية والذات والخلقة والتفرقة بيني وبينكم أنه يوحى إلي إنما إلهكم إله واحد فالخصوصية لي من قبله لا من قبلي ولقد لبثت فيكم عمراً ولقيتموني دهراً فما عثرتم مني على غير صواب ولا وجدتم في قولي شوب كذاب وأمري لكم أن استقيموا في طاعة أمره واستسلموا لقضاءه وحكمه فطوبى لمن أجاب والويل لمن أصر وخاب. ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ۝﴾ [الآيتان 6، 7].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝﴾ [الآية 8] غير مقطوع في العقبى أو في الدنيا أيضاً لما قيل: إنها نزلت في المرضى والهرمى إذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم أجر ما كانوا يعملون في العافية.

وقال الأستاذ: آمنوا: شاهدوا الألوهية والربوبية، وعملوا الصالحات: لازموا بساط العبودية، وأجر النفوس: الجنة، وأجر القلوب الرضا بالمنة وأجر الأرواح الاستئناس بالله وأجر الأسرار دوام المشاهدة لله.

﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ [الآية 9] في مقدار يومين أو في وقتين أو توقيتين وكفرهم به: إلحادهم في ذاته وصفاته ﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا﴾ [الآية 9] ولا يصح أن يكون له ند في مراتب تعيناته ﴿ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الآية 9] أي خالق الأرض في قدر معين فيها هو خالق جميع ما أوجد من الممكنات ومربيها.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه خلق الزمان ولم يكن قبله زمان وخلق
123/ب المكان ولم يكن قبله مكان / والحق سبحان كان ولا مكان ولا زمان فهو عزيز

لا يدركه المكان ولا يهلكه الزمان ثم كيف يكون الذي لم يكن ثم حصل نداً للذي لم يزل.

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ [الآية 10] جبالاً ثوابت ﴿مِن فَوْقِهَا﴾ [الآية 10] مرتفعة عليها مفروشة فيها ليظهر للنظار ما فيها من وجوه الاستبصار والاستدلال والاعتبار بأن الأرض والجبال أثقال على أثقال كلها مفتقرة إلى ممسك وهو الله المتعال.

وقال القاسم الرواسي: الأجلّة من الأولياء الذين هم مشرفون على الخلق والثابتون بقدم الاستقامة على الحق ﴿وَبَارَكَ فِيهَا﴾ [الآية 10] وأكثر خيرها بأن خلق فيها أنواع النبات والحيوانات.

قال الأستاذ: يا أيتها المطر ببركات السماء ويندفع عنها البلاء ببركات الأولياء ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَاتَهَا﴾ [الآية 10] أقوات أهلها بأن عين لكل نوع ما يصلحه ويعيش به وينفعه أو أقواتاً ينشأ منها بأن خص حدوث كل قوت بقطر من أقطارها ليظهر لطائف أسرارها.

وقال الأستاذ: أي جعلها مختلفة في الطعم والصورة والمقدار وكذا رزاق القلوب والأرواح والأسرار ﴿فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ [الآية 10] أي في تتمة أربعة أيام قيل: ولم يقل في يومين للإشعار باتصالهما باليومين الأولين والتصريح على فذلكة الوقتين ﴿سَوَآءً﴾ [الآية 10] أي استواء والجملة صفة أيام ويدل عليه قراءة يعقوب بالجر ﴿لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [الآية 10] أي هذا الحصر للسائلين عن مدة خلق الأرض وما فيها.

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الآية 11] قصد نحوها وهو مجاز عن الإيجاد على نحو ما أراد، يقول العرب: فعل فلان كذا ثم استوى إلى عمل كذا يريدون أن أكمل الأول وابتدأ الثاني في العمل والظاهر أنّه تم التفاوت ما بين الخلقين من الرتبة لا للتراخي في المدة لقوله: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ [النازعات: الآية 30] أي بعد خلق السماء بسطها ودحوها متقدم على خلق الجبال فوقها.

وقال الأستاذ: قيل قصد وقيل: فعل فعلاً هو الذي يعلم تعينه ويقال

رتب أقطارها وركب فيها نجومها وأزهارها ﴿وَهِىَ دُخَانٌ﴾ [الآية 11] جوهر ظلماني ولعله أراد به مادتها والأجزاء التي ركبت منها.

124/أ وفي «تفسير ابن عادل» قال المفسرون: / هذا الدخان بخار الماء وذلك أن عرش الرحمٰن كان على الماء قبل: خلق الأرض والسماء كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: الآية 7] ثم إنه تعالى أحدث في ذلك الماء اضطراباً إلى جمعه الهواء فأزبد وارتفع وخرج منه دخان وأما الزبد فبقي على وجه الماء وأخذت منه الأرض بأقطارها وأما الدخان فارتفع وعلا فخلق من السماوات بأطوارها ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا﴾ [الآية 11] بما خلقت فيكما من التأثير والتأثر المتعلقين بكما وإبرازاً ما أو دعت فيكما من الأوضاع المختلفة والكائنات المتنوعة ﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ [الآية 11] شئتما أم أبيتما والمراد إظهار كمال قدرته وجمال عزّته وغلبته لإثبات الطوع والكره لهما ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [الآية 11] منقادين بالذات مطيعين في الصفات والأظهر تمثيلهما بأمر المطاع وإجابة المطيع الطائع كقوله: كن فيكون ولا يبعد أن وقع لهما الخطاب وأقدرهما على الجواب بالوجه الصواب.

وأفاد الأستاذ: أنه قيل هذا على ضرب المثل إن لم يتعسر خلقه شيء منهما على ما أردنا وقيل: بل أحياهما وأعقلهما وأنطقهما فقالتا: ذلك وانقادتا لما هنالك وجعل نفوس العابدين أيضاً لطاعته وعبادته وجعل قلوبهم أفلاكاً لنجوم علمه وأقمار هدايته وشموس معرفته فأوتاد النفوس الخوف والرجاء والرغبة والرهبة وفي القلوب ضياء العرفان وشموس التوحيد ونجوم العلوم والعقول والنفوس والقلوب بيده يصرفها على ما أراد من حكمه.

﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ﴾ [الآية 12] خلقهن خلقاً إبداعياً وأتقن أمرهن اتقاناً إبدائياً والضمير للسماء على المعنى وسبع سماوات حال أو هو مبهم وسبع سماوات تمييز ﴿فِى يَوْمَيْنِ﴾ [الآية 12] قيل: المراد بالأيام الأربعة: الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء، وإنه خلق السماوات يوم الخميس، والشمس والقمر والنجوم والملائكة يوم الجمعة، وختم بآدم أبي الخاتم فهو ﷺ باعتبار ظهوره كالعلة

الغائية وباعتبار تصور روحه ونوره في المرتبة الأولية ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾ [الآية 12] شأنها وما يتأتي منها بأن حملها عليه اختياراً منها أو طبعاً فيها وقيل: أوحي إلى أهلها بأوامره على تفاصيلها ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ [الآية 12] فإن / الكواكب ترى كلها كأنها تتلألأ عليها ﴿وَحِفْظًا﴾ [الآية 12] أي وحفظناها من 124/ ب
الآفات حفظاً ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [الآية 12] البالغ في القدرة والحكمة.

قال ابن عطاء: زيّنا قلوب العارفين بأنوار المعرفة وجعلنا فيها ضياء التوحيد ومصابيح الهداية.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه زين وجه الأرض بمصابيح وهي قلوب الأحباب فأهل السماء إذا نظروا إلى قلوب الأولياء بالليل فذلك متنزههم كما أن أهل الأرض إذا نظروا إلى السماء استأنسوا برؤية الكواكب في منظرهم.

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟﴾ [الآية 13] عن الإيمان بعد البيان ﴿فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً﴾ [الآية 13] حذرتكم إصابة عقوبة شديدة الوقعة كأنها صاعقة ﴿مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [الآية 13].

﴿إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ [الآية 14] من جميع جوانبهم واجتهدوا به من كل جهة في بيان في رغائبهم ورهائبهم أو من جهة الزمن الماضي بالإنذار عما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل بالتحذير عما أعد لهم في الآخرة من عذاب النار وكل منهما يحتملهما ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟﴾ [الآية 14] بأن لا تعبدوا ﴿إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا﴾ [الآية 14] إرسال رسل إلينا ﴿لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾ [الآية 14] برسالته المقبولة لدينا ﴿فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ﴾ [الآية 14] على زعمكم فيه ﴿كَٰفِرُونَ﴾ [الآية 14] جاحدون منكرون إذا أنتم بشر مثلنا لا فضل لكم علينا.

﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 15] على أهلها ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الآية 15] بغير استحقاق فيها ﴿وَقَالُوا۟﴾ [الآية 15] فخرة ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [الآية 15] اغتراراً بما لهم من القوة والشوكة فقبل كان من قوتهم أن الرجل منهم ينزع بيده الصخرة فيقتلعها من أصلها ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾ [الآية 15] ألم يتبصروا ولم يعلموا ﴿أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى

خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [الآية 15] قدرة فإنه قادر بالذات مقتدر على ما لا يتناهى من الممكنات ﴿وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [الآية 15] يعرفون إنها حق وينكرون.

قال الأستاذ: ركنوا إلى قوة نفوسهم بهواهم فخانتهم قواهم لما استمكن منهم بلواهم.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ [الآية 16] باردة تهلك بشدة بردها ﴿فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾ [الآية 16] جمع نحسة من نحس نحساً نقيض سعد سعداً[1] وقرأ الحجازيان والبصري: بالسكون تخفيفاً قيل: كن آخر شوال من الأربعاء إلى الأربعاء وما عذب قوم إلا في يوم الأربعاء ﴿لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ﴾ [الآية 16] أي
125/ أ الذل / ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ﴾ [الآية 16] أكثر خزياً عليهم ﴿وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾ [الآية 16] بدفع العذاب عنهم.

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَـٰهُمْ﴾ [الآية 17] دللناهم على الهدى بنصب الآيات وإرسال الرسول بالمعجزات ﴿فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [الآية 17] فاختاروا الضلالة على الهداية ﴿فَأَخَذَتْهُمْ صَـٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ﴾ [الآية 17] من السماء فأهلكتهم ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الآية 17] من الكفر والمعصية وفي تفسير الأستاذ قيل: أنهم آمنوا وصدقوا ثم ارتدوا وكذبوا فأجريهم مجرى إخوانهم فيما عذبوا.

﴿وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الآية 18] من تلك الصاعقة ﴿وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [الآية 18] المخالفة والظاهر أن المراد بالمؤمنين ممن ينجيهم الله من عذاب المخالفين وحملهم الأستاذ على العموم فأفاد أن منهم من نجاهم من غير أن رأوا النار عبروا القنطرة ولم يعلموا وقوم كالبرق الخاطف وهم أعلاهم وقوم كالراكض وهم أيضاً أكابرهم وقوم عن الصراط سقطوا وتردهم الملائكة على الصراط فيثبتون فبعد فبعد وقوم بعدما دخلوا النار فمنهم من تأخذه إلى كعبيه ثم إلى ركبتيه ثم إلى حقويه فإذا بلغ القلب قال الرب للنار: لا تحرق قلبه فإنه محترق فيَّ وقوم يخرجون من النار بعد ما امتحشوا وصاروا حمماً.

---

(1) إن الله تعالى أدام تلك الريح فيها على حالة واحدة لا تفتر وأهلكهم بها لا كما يزعم المنجمون من أن بعض الأيام قد يكون في ذاتها نحساً وبعضها سعداً / شيخ زاده / .

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ [الآية 19] وقرأ نافع بفتح النون وضم الشين ونصب أعداء ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [الآية 19] يحبس أولهم على آخرهم لئلا يتفرقوا في محشرهم وهو عبادة عن كثرهم.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا﴾ [الآية 20] حضروها وما مزيدة مؤكدة لاتصال الشهادة بحضورهم ﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الآية 20] بظواهرهم.

﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا﴾ [الآية 21] سؤال توبيخ لهم ﴿قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [الآية 21] أي ما نطقنا باختيارنا بل أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء أراد إنطاقه ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الآية 21] الأظهر أنه استئناف من الله سبحانه في الدنيا والآخرة ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الآية 21] طواعية أو كراهية.

﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ [الآية 22] أي كنتم تسترون عن الناس عند ارتكاب الفواحش مخافة الفضيحة/ 125/ب وما ظننتم أن أعضائكم تشهد عليكم فما استترتم عنها وفي تنبيه على أن المؤمن ينبغي أن يتحقق أنه لا يمر عليه حال من الأحوال إلا وعليه رقيب مطلع على جميع ماله من الأعمال ﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [الآية 22] لذلك اجترأتم على أن ما فعلتم.

قال أبو عثمان الجبري: من لم يذكر في وقت مباشرة الذنوب شهادة جوارحه عليه يجترىء على الذنوب وتقدم عليها ومن ذكر ذلك حين أراد مباشرتها ربما يلحقه التوفيق والعصمة فيمنعانه عنها وذلك مبتدأ أو بدل عنه.

﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ﴾ [الآية 23] خبره ﴿أَرْدَىٰكُمْ﴾ [الآية 23] أهلككم وأوقعكم في مقام الفاجرين ﴿فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الآية 23] فظهرت خسارتكم وما ربحت تجارتكم.

﴿فَإِن يَصْبِرُواْ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ [الآية 24] لا خلاص لهم عنها ﴿وَإِن يَسْتَعْتِبُواْ﴾ [الآية 24] يسألوا العتبى وهي الرجوع إلى الرضا ﴿فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ﴾ [الآية 24] المجابين إليها.

﴿وَقَيَّضْنَا﴾ [الآية 25] قدرنا ﴿لَهُمْ﴾ [الآية 25] لمن أراد أن يكفر بنا ﴿قُرَنَآءَ﴾ [الآية 25] إخواناً من شياطين الجن وإخواناً من شياطين الإنس ﴿فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الآية 25] من أمر الدنيا واتباع الشهوات ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [الآية 25] من أمر العقبى بإنكار العقوبات والمثوبات ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ [الآية 25] أي كلمة العذاب ﴿فِىٓ أُمَمٍ﴾ [الآية 25] كائنين في جملة أمم أو معهم ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ [الآية 25] وقد عملوا مثل أعمالهم ﴿إِنَّهُمْ﴾ [الآية 25] أي كلهم ﴿كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾ [الآية 25] في أحوالهم وآمالهم في مآلهم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه إذا أراد بعبد سوءاً قيض له أخدان سوء قرناء وإخوان شرهم الأضداد لهم فيما راموا، وإذا أراد بعبد خيراً قيض له قرناء خير يعينونه على الطاعة ويحملونه عليها ويدعونه إليها ومن ذلك الشيطان فإنه مقيض مسلط على الإنسان يوسوس إليه بالعصيان وشر من ذلك النفس وبئس القرين هي تدعو اليوم إلى ما فيه العقوبة وتشهد غداً عليه بفعل الزلة فزينوا لهم ما بين أيديهم من طول الأمل وما خلفهم من نسيان الزلل والتأخر في التوبة والتقصير في الطاعة.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ﴾ [الآية 26] وعارضوه بالهذيان ﴿لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [الآية 26] على ما تطلقون.

126/ أ قال ابن عطاء: من لم يكن / قلبه منور بالإيمان لا يلتذ بسماع القرآن ولا يؤثر فيه مواعظه وأحكامه إنما يتعظ به من كان منور السر مشروح الصدر مفتوح السمع حاد البصر معاناً بالتوفيق مسدداً بالعصمة والتحقيق فإذا سمعه وعى فوائد أحكامه واتعظ بلطائف مواعظه.

وأفاد الأستاذ: أن الكفار استولى على قلوبهم الجحد والإنكار ودام على العداوة منهم الإصرار فاختالوا بكل وجه أمكنهم فتواصوا فيما بينهم بأن لا يستمعوا إلى القرآن لأنه يغلب القلوب ويسلب العقول وكل من أقبل عليه مال إليه قالوا: فإذا أخذ محمد في تلاوة القرآن فألقى الكفار في قراءته اللّغط فيقع هو في السهو والغلط ولم يعلموا أن الذي نور قلبه بالإيمان وأيد بالفهم

وأمدّ بالبصيرة وكوشف بسماع السر من الغيب فهو الذي يسمع ويؤمن والذي هو في ظلمات جهله لا يدخل الإيمان قلبه ولا يباشر السماع سره.

﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الآية 27] منهم ومن غيرهم ﴿عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الآية 27] سيئات أعمالهم في أسوأ أحوالهم.

وقال الأستاذ: لنذيقنهم عذاباً شديداً في الدنيا بإدامة الحرمان التي هي الفراق وعذاباً بالتخليد في النيران التي هي الاحتراق.

﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية 28] الجزاء الأسوأ ﴿جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 28] مبتدأ وخبر ﴿ٱلنَّارُ﴾ [الآية 28] عطف بيان للجزاء لهم فيها في النار ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ﴾ [الآية 28] موضع إقامتهم ومحل إدامتهم لا يخرجون منها ولا يموتون فيها ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [الآية 28] ينكرون أو يلغون ويكفرون.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ [الآية 29] يعني شيطاني النوعين الحاملين على الضلالة وقيل: هما إبليس وقابيل فإنهما أول من سن المعصية ﴿نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا﴾ [الآية 29] انتقاماً منهما ﴿لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾ [الآية 29] محلاً وذلاً.

وأفاد الأستاذ: أن الفائدة من هذا هي الأخبار عن تبرىء بعضهم من بعضهم ووقوع الندم عليهم حين لا ينفعهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ [الآية 30] اعترافاً بربوبيته وإقراراً بالألوهية ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ [الآية 30] في الإقامة على وظائف عبوديته من اكتساب طاعته واجتناب معصيته وما روي من الخلفاء الأربعة / في معنى الاستقامة من الثبات 126/ ب
على الإيمان ومن الأمر بالطاعة والنهي عن العصيان ومن الإخلاص في عمل الأركان ومن أداء فرائض الرحمٰن فجزئيات الاستقامة كما لا يخفي على أهل العرفان ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [الآية 30] فيما يعن لهم قبورهم بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم خوفهم وحزنهم ويأتيهم فرحهم وسرورهم أو في هذا عند موتهم وجزائهم وحال نزعهم وفزعهم أو في قبورهم أو وقت نشورهم ﴿أَلَّا تَخَافُواْ﴾ [الآية 30] ما تقدمون عليه ﴿وَلَا تَحْزَنُواْ﴾ [الآية 30] على ما فارقتم منه

﴿وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الآية 30] في الدنيا على لسان الأنبياء.

﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الآية 31] نلهمكم الحق ونحملكم على الخير بدل إلمام الشياطين بأهل الكفر للباطل وحملهم على الشر ﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [الآية 31] بالكرامة والشفاعة حيث يتفادى الشياطين والكفرة بالبراءة والشفاعة ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ﴾ [الآية 31] من اللذات ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ [الآية 31] تتمنون من المطلوبات.

﴿نُزُلًا﴾ [الآية 32] ضيافة للمؤمنين ﴿مِّنْ غَفُورٍ﴾ [الآية 32] للمذنبين ﴿رَّحِيمٍ﴾ [الآية 32] بالمحسنين ويقال: برحمته وصلوا إلى مغفرته هذا وثم في الآية للتراخي في الرتبة إيماءً بأن مدخولها له زيادة المزية فالمعنى استقاموا في الحال ثم استقاموا في المآل بأن استدام إيمانهم وإحسانهم إلى حال الانتقال.

وأفاد الأستاذ: أنهم قالوا بشرط الاستجابة ثم استبصروا بموجب الحجة ولم يكتفوا بالمقالة دون صفاء الحالة ويقال: هي يعني الاستقامة على قسمين في أصل التوحيد والمعرفة وهذه صفة عامة المؤمنين ومستقيم في الفروع من غير المعصية وهذه صفة خاصتهم من المتقين ثم الاستقامة لهم على حسب أحوالهم فمستقيم في عهده ومستقيم في عقده ومستقيم في جده ومراعاة حده ومستقيم في جهده وقصده وعهده وحبه ووده وهذا أعمهم وفي المقام أتمهم ويقال: ﴿ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ [الآية 30] على دوام الشهود وعلى انفراد القلب بواجب الوجود ويقال: ﴿ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ في تصفية العقد ثم في توفية العهد ثم في صحة القصد بدوام الوجد ويقال: استقاموا بأقوالهم ثم بأعمالهم ثم بصفاء
127/ أ أحوالهم في وقتهم وفي مالهم ويقال: أقاموا على طاعته واستقاموا على معرفته/
وهاموا في محبته وقاموا بشرائط خدمته ويقال: استقامة الزاهد أن لا يرجع إلى دنياه ولا يمتع بالجاه بين الناس عن الله واستقامة العابد أن لا يعود إلى الفترة وأتباع الشهوة ولا يتداخله الرياء والتصنع والسمعة واستقامة العارف أن لا يشوب معرفته حظ في دنياه وأخراه فيحجب به عن مولاه واستقامة المحبين أن لا يكون لهم إرب في قلوبهم من غير محبوبهم تكنفون من عطائه ببقائه ومن مقتضى

جوده بدوام عزّه ووجوده.

ثم قال: الخوف إنما يكون في المستقبل من الوقت وهو لحلول مكروه أو فوت محبوب والملائكة يبشرونهم بأن كل مطلوب لهم سيكون وكل محذور لهم لا يكون هذا تحقيق قوله ﴿أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ﴾ [الآية 30] والحزن من حزونة الوقت والذي هو راض بجميع ما يجري عليه في حالته فلا حزونة في عيشته فالملائكة يبشرونهم بأنه لا حزونة في أحوالهم فهم في الروح والراحة ويبشرون بالجنة وهي حسن المآب وما وعد الله من جميل الثواب والذي هو موعود للأولياء بسفارة الملك موجود اليوم لخواص عباده بعطاء الملك وهو أن لا يكون له مطالعة المستقبل من حوله ويكون بحكم الوقت فلا يكون له خوف لما قلنا أن الخوف لما سيحصل في الثاني من الحال من زوال محبوب أو حصول مكروه والذي هو بصفة الرضا فلا حزونة في حاله ووقته ويمكن القياس على ما قاله الناس في قولهم ﴿أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ﴾ [الآية 30] بأن يقال: ﴿أَلَّا تَخَافُواْ﴾ من عذاب القيامة ﴿وَلَا تَحۡزَنُواْ﴾ على ما أسلفتم من الجناية ﴿وَأَبۡشِرُواْ﴾ بدوام الوصلة والخطاب في ﴿نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ﴾ [الآية 31] يحتمل أن يكون من قبل الملائكة وأن يكون أشد كلام من الله بطريق المواصلة والولاية من الله بمعنى المحبة ويكون بمعنى النصرة ولو لم يكن المحبة الإلهية في الآزال لم يحصل النصرة في الحال والمآل فيقال ﴿نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ [الآية 31] بتحقيق المعرفة وفي الآخرة بتحصيل المغفرة ويقال: ﴿نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ [الآية 31] الدنيا بالعناية ﴿وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [الآية 31] بحسن الكفاية وجميل الرعاية في الحياة الدنيا بالمشاهدة وفي الآخرة بالمعاينة في الدنيا بالرضا / بالقضاء وفي 127/ ب
الآخرة باللقاء في دار البقاء في الحياة الدنيا بالإيمان وفي الآخرة بالغفران في الدنيا بالمحبة وفي الآخرة بالقربة ﴿وَلَكُمۡ فِيهَا﴾ [الآية 31] أي في الجنة ﴿مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ﴾ [الآية 31] من أنواع اللذة، الولاية نقد وحصول الشهوات وعد فمن اشتغل بنقده قل ما يشتغل بوعده.

﴿نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ٣٢﴾ [الآية 32].

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الآية 33] إلى عبادته له ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [الآية 33] يصلح لمرضاته ﴿وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الآية 33] تحدثاً بنعمته والآية عامة لمن استجمع تلك الصفات تامة وقيل: المراد بهم النبيون أو المؤذنون أو الأئمة الداعون أو الوعاظ الواعون.

قال ابن عطاء: ما دعا إلى الله من دعا بنفسه إلى الله حتى يدعوا إلى الله بالله فيكون هو داعي حق.

وأفاد الأستاذ: أن الداعي إلى الله هو الذي يدعو الناس إلى الاكتفاء بالله وترك طلب العوض من الله بأن يكل أمره إلى الله ويرضى من الله بقسمة الله وعمل صالحاً كما يدعوا الخلق إلى الله يأتي بما يدعونهم إليه طلباً لرضاء الله.

﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ﴾ [الآية 34] في المجازاة وحسن العاقبة ولا الثانية مزيدة لتأكيد النافية ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [الآية 34] ادفع السيئة بأحسن ما يمكن دفعها به من إفراد الحسنة ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [الآية 34] أي إذا فعلت صار عدوك المشتاق مثل الولي القريب الشفيق المشتاق.

قال ابن عطاء: لا يستوي بين من أحسن الدخول في خدمتنا والخروج من حضرتنا وبين من أساء الأدب في الخدمة وبين من أساء في الغيبة فإن سوء الأدب في القرب أصعب من سوء الأدب في البعد وقد يصفح عن الجاهل الكبائر ويعاتب بالالتفات بعض الأكابر.

وقال الأستاذ: أي ادفع بالخصلة هي أحسن السببية يعني بالعفو عن المكافأة بالتجاوز والصفح عن الزلة وترك الانتصاف في المظلمة وهذا من جملة حسن الخدمة والأدب في حق صحبتك مع الرب أن تحلم عن عباده لأجله ومن جملة حسن الخلق في الصحبة مع الخلق أن لا تنتقم لنفسك وأن تعفو عن خصمك.

128/أ ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ﴾ [الآية 35] أي هذه الخصلة المستحسنة وهي / مقابلة الإساءة بمقابلة الحسنة ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾ [الآية 35] حبسوا أنفسهم عن الأخلاق السيئة ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [الآية 35] من الشمائل البهية والفضائل الجلية.

وقال الأستاذ: لا يصل إلى سني الدرجات إلا من صبر على مقاساة شدائد البليات.

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ﴾ [الآية 36] تحس شبه الوسوسة لأنها بعث على ما لا ينبغي من الحركة كالدفع بما هو أسوأ من السيئة وحبل النزغ نازغاً على طريقة جد جده للمبالغة ﴿فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ﴾ [الآية 36] من شره ولا تطعه في أمره ﴿إِنَّهُۥ﴾ [الآية 36] سبحانه ﴿هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ [الآية 36] لاستعاذتك ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ [الآية 36] بنيتك وصالح حالتك قال بعضهم: من طرد الشيطان بنفسه عن نفسه فهو أبداً قرينه ومن طرده بالالتجاء والتضرع إلى الله والاستعاذة به منه لم يجعل الله للشيطان عليه سبيلاً في دينه.

وقال الأستاذ: أي إذا اتصل بقلبك نزغة من نزغات الشيطان فلا تذرها تتكرر إلى الله تعالى بالمرة بل ارجع إلى الله في أول الخطرة فإنك إن لم تخالف أول الوهلة صارت الفكرة ثم بعد ذلك يحصل العزم على الغفلة ثم إن لم يتدارك ذلك تجري الزلة فإن لم يتدارك بحسن الرجعة صار القسوة ويتمادى به الوقت فهو يحظر كل آفة من الشقوة ولا يتخلص العبد من نزغات الشيطان إلا بصدق الاستفاقة بالله وصدق الاستغاثة إلى الله فيه ينجو عن الشيطان قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ﴾ [الحجر: الآية 42] فكلما زاد العبد في تفرده من حوله وقوته وأخلص بين يدي الله من تضرعه واستغاثته زاد الله في حفظه وحمايته ودفع الشيطان عنه بعنايته ورعايته.

﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ﴾ [الآية 37] أي ومن علاماته الدالة على كمال قدرته وجمال حكمته اختلاف الوقتين وتفاوت النيرين ﴿لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ﴾ [الآية 37] أي ونحوهما من سائر الكواكب بالأولى فإنهما مأموران مثلكم بل مخلوقان ولأنهما فلكان غافلان من علمكم ﴿وَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾ [الآية 37] الضمير للأربعة المذكورة أو للكواكب المسطورة ﴿إِن كُنتُمۡ/ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾ [الآية 37] فإن السجود أخصّ من العبادة هو موضع 128/ ب

السجدة عند الشافعية لاقتران الأمر به في المبنى وعندنا آخر الآية الأخرى لأنه تمام المعنى.

﴿فَإِنِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾ [الآية 38] عن الطاعة ﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ [الآية 38] من الملائكة ﴿يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [الآية 38] أي في جميع الأزمنة ﴿وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ﴾ [الآية 38] لا يملون ولا يفترون.

قال ابن عطاء: أظهر لك الآيات كلها لتشتغل بمظهرها دونها فمن اشتغل بها أشغله عن مظهرها ومن اشتغل بمظهرها أشغله ذلك عن الاشتغال بها.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أوضح الآيات وألاح البينات وأزاح علة من رام الوصول إلى الكمالات فاختلاف الليل والنهار ودوران الشموس والأقمار إمارات قدرته ودلالات حكمته لا تسجدوا للشمس في علائها ولا للقمر في ضياء سمائها واسجدوا للذات المنعوت بأوصافها وأسمائها عار عليكم أن تسجدوا لغيره من المخلوقات في إبدائها وإنهاءها ويقال: الشمس وإن علت والقمر وإن حسن صورته وانجلت فلأجلك خلقناهما فاسجدوا لنا ولا تسجدوا لهما ويقال: خلق الملائكة ثم مع كثرة عبادتهم وتقدمهم في طاعتهم قال لهم: اسجدوا لآدم فامتنع واحد منهم ولعن إلى الأبد مطروداً عنهم وقال لأولاده: العصاة لا تسجدوا للشمس ولا للقمر فشتان ما هما فتدبر ويقال: الحق سبحانه يأمرك بصيانة وجهك عن الشمس والقمر وأنت لأجل كل حظ خسيس تنقل قدمك إلى كل أحد وتدخل بمحياك على كل أحد. قلت: وما أحسن دعاء الإمام أحمد بن حنبل قدس سره الأكمل: اللهم كما صنت وجهي عن سجود غيرك فصن وجهي عن مسألة غيرك.

﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ [الآية 39] الدالة على كمال ذاته وجمال صفاته ﴿أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةٗ﴾ [الآية 39] يابسة ساكنة كالميتة متواضعة ﴿فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ﴾ [الآية 39] تحركت بالإنبات ﴿وَرَبَتۡ﴾ [الآية 39] انتفخت بالنبات ﴿إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا﴾ [الآية 39] بعد موتها وهي من الجمادات ﴿لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ﴾ [الآية 39]

من الإنسان والحيوانات ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [الآية 39] بالغ القدرة كامل القوة على الإحياء والإماتة.

وأفاد الأستاذ: أن الأرض إذا صحبتها جذوبة الشتاء خشنت وفي وقت
الربيع إذا نزل/ عليها المطر اهتزت بالنبات واخضرت كذلك إذا خشعت 129/ أ
القلوب لاستشعارها بما عملت من الذنوب فأقبل الله عليها فظهرت فيها بركات الندم وعفا عن أربابها ما قصروا في صدق القدم وكذا إذا وقع للعبد فترة في معاملته وغيبته عن بساط طاعته فإذا تعهده الحق سبحانه بما يدخل على قلبه من تذكر ظلمة الشقاق أظهر في قلبه أنوار الوفاق فيعود إلى مألوف مقامة ومعروف مرامه ويعود عود سداده غضاً طرياً وشجر وفائه وثمر صفائه ومما أصابه الجدوبة بماء العناية مستقياً وكذا إذا حصل للعبيد من أهل العرفان وقفة أو بدر لسوء أدب جرى منهم حجية فإذا نظر الحق سبحانه إليهم بالرعاية وعين العناية اهتزت رياض أنفسهم واخضرت مشاهد قدسهم وانهزمت وفود وقفتهم وانعدمت وجوب حجيتهم بعد شهود فترتهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ﴾ [الآية 40] يميلون عن الاستقامة ﴿فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾ [الآية 40] بالطعن والتحريف بالنقصان والزيادة وبالتأويل الباطل والإلغاء فيها حال القراءة ﴿لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ﴾ [الآية 40] فحسابهم إلينا وعذابهم لدينا ﴿أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ﴾ [الآية 40] بوصف الملامة ﴿خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ﴾ [الآية 40] تهديد شديد ﴿إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الآية 40] وعد ووعيد.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ﴾ [الآية 41] بالقرآن ﴿لَمَّا جَآءَهُمۡۖ﴾ [الآية 41] بنعت الفرقان والخبر سيأتي قريباً من قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ﴾ [الآية 44] أو محذوف مثل معاندون أو معذبون.

وقال الأستاذ: بقوا عنا ووقعوا في أهوائهم وشقوا إلى الأبد في عنائهم ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ﴾ [الآية 41] كثير النفع عديم النظير أو بديع منيع.

﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ﴾ [الآية 42] مما فيه من الأخبار الماضية والآثار الآتية ﴿تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾ [الآية 42].

قال ابن عطاء: كيف يكون للباطل عليه سبيل وهو من الحق بدأ وإلى الحق يعود وهو الحق فلا يتحقق به إلا بحق.

وأفاد الأستاذ: أنه كتاب عزيز لا مثل له لأنهم عجزوا عن الإتيان بمثله ويقال: عزيز على المؤمنين لأنه كتاب حبيبهم وهو لا ينقضه كتاب مما يقدمه ولا ناسخ مما يأتي/ بعده ويقال: لا يدافع معناه مبناه ولا يخالف مبناه معناه. 129/ب

﴿مَّا يُقَالُ لَكَ﴾ [الآية 43] أي ما يقول لك كفار قومك ﴿إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾ [الآية 43] إلا مثل ما قال لهم كفار قومهم فاصبر كصبرهم أو ما يقول الله إلا مثل ما قال لهم فلست ببدع مما بينهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾ [الآية 43] لأوليائه ﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الآية 43] لأعدائه والجملة استئناف منقطع عما قبله على الوجه الثاني يحتمل أن يكون المقول لهم بمعنى أن حاصل ما أوحي إليك وإليهم وعد المؤمنين بالمغفرة والمثوبة ووعيد الكافرين بالمجازاة والعقوبة.

ومال الأستاذ إلى هذا حيث أفاد أن أصول التوحيد لا تختلف بالشرائع واختلاف الشرائع في الأحكام واحد في أنه يجب موافقة أوامره ومباعدة مزاجره ثم الله سبحانه قال في كل كتاب وشرع لكل أمة أن يعرفوا أنه للمطيعين ثواب عظيم وللكافرين عذاب أليم.

﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ﴾ [الآية 44] أي الذكر المذكور ﴿قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟﴾ [الآية 44] أي بعض كفار العرب من المعاندين ﴿لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ﴾ [الآية 44] بينت بلسان تفهمه وتعقل به أمور الدين ﴿ءَا۬عْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ [الآية 44] أي كلام أعجمي ومخاطب عربي والأعجم من لا يفصح الكلام كالأعجمي وقرأ هشام بالأخبار على تقدير همزة الأفكار ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى﴾ [الآية 44] إلى الحق والمعرفة ﴿وَشِفَآءٌ﴾ [الآية 44] لما في الصدور من الشك والشبهة ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 44] مبتدأ خبره ﴿فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾ [الآية 44] هو في أذانهم ثقل وصمم ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ [الآية 44] وذلك لتصامهم عن سماعهم وتعامّهم عما يريهم من الآيات مما يغنيهم ويعينهم ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ [الآية 44]

هو تمثيل لهم في عدم قبولهم واستماعهم له بمن يصيح بهم من مسافة بعيدة إلى محصولهم.

قال جعفر الصادق: القرآن شفاء لمن كان في ظل العصمة والرعاية وعمًى على من كان في ظلمة الخذلان والغواية.

وأفاد الأستاذ: أن الكتاب موجب شفاء للمؤمنين وسبب شقاء للكافرين فهو شفاء للعلماء حيث استراحوا به عن كدّ الفكرة وتحيّر توارد الخطرة وشفاء لضيق صدور المريدين لما فيه من التنعم بقراءة مبانيه والتلذذ بالتفكر/ 130/أ
في معانيه وشفاء لقلوب المحبين من لواعج الاشتياق بما فيه من لطف المواعيد وشفاء لقلوب العارفين بما يتوالى عليه من أنوار التحقيق وآثار المواجيد.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ﴾ [الآية 45] بالتصديق والتكذيب ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ [الآية 45] وهي العدة بالقيامة وفصل الخصومة في تلك الساعة ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ [الآية 45] بإفناء الكافرين وإنجاء المؤمنين ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ [الآية 45] أي الذين لا يؤمنون ﴿لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ﴾ [الآية 45] من التوراة أو القرآن ﴿مُرِيبٍ﴾ [الآية 45] موجب للاضطراب في البرهان.

﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ﴾ [الآية 46] نفعه ﴿وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾ [الآية 46] ضره ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ﴾ [الآية 46] بذي ظلم ﴿لِّلْعَبِيدِ﴾ [الآية 46] فيفعل بهم ما ليس له أن يفعله.

﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [الآية 47] أي إذا سئل عنها أي لا يعلمها إلا هو ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا﴾ [الآية 47] من أوعيتها وقرأ نافع وابن عامر وحفص من ثمرات لاختلاف أنواعها وما نافية ومن الأولى مزيدة للاستغراق ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ﴾ [الآية 47] بمكان أو زمان ﴿إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ [الآية 47] إلا مقروناً بعلمه واقعاً بحسب تعلقه به ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى﴾ [الآية 47] بزعمكم حتى يخلصوكم ﴿قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ﴾ [الآية 47] أخبرناك ﴿مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾ [الآية 47] من أحد يشهد لهم بالشركة إذ تبرأنا عنهم ولعل تكرير السؤال عنهم للتوبيخ بلسان القال أو ببيان الحال.

﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾ [الآية 48] غاب أو ضاع منهم ﴿مَّا كَانُوا۟ يَدْعُونَ﴾ [الآية 48] يعيدون ﴿مِن قَبْلُ﴾ [الآية 48] حيث لا ينفعهم ﴿وَظَنُّوا۟﴾ [الآية 48] أيقنوا ﴿مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ [الآية 48] مهرب مما نزل بهم.

﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ [الآية 49] لا يمل ﴿مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ﴾ [الآية 49] من طلب السعة في النعمة ﴿وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ [الآية 49] أدنى المضرة أو أدنى المحنة ﴿فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ﴾ [الآية 49] من الفضل والرحمة والجمع بين الوصفين لزيادة المبالغة.

وأفاد الأستاذ: أنه لا يمل من إرادة المنفعة وإن مسه المضرة فلا يرجو زوال المشقة لعدم علمه بربه وانسداد الطريق على قلبه في الرجوع إليه والاعتماد عليه.

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ﴾ [الآية 50] بتفريجها عنه وإزالتها منه ﴿لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى﴾ [الآية 50] حقي استحقه لما لي من الفضل والمال أو دائماً لا يزول في حال من الأحوال ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ [الآية 50] أي
130/ب القيامة تقوم ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ﴾ [الآية 50] / على فرض الكلام ﴿إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ [الآية 50] للحالة الحسنى من الكرامة والأنعام وذلك لاعتقاده الفاسد وظنه الكاسد ما أصابه من النعم الدنيوية فلاستحقاق لا ينفك عنه بالكلية ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟﴾ [الآية 50] فلنجزينهم بحقيقة أعمالهم ولنبصرنهم عكس ما اعتقدوا فيها من آمالهم ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [الآية 50] بحسب أحوالهم.

وقال الأستاذ: لئن كشفنا عنه البلاء وأثبتنا له الرخاء لا دعاه استحقاقاً أو إنفاقاً ولا يعتقد ذلك منا فضلاً وإنعاماً ويقول لو كان لي حشر ونشر لكان لي من الله لطف وخير وليعلمن الأمر بخلافه إذا أذقناه ما يستوجبه من عذابه.

﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ﴾ [الآية 51] عن ذكرنا وانصرف عن القيام بشكرنا.

قال الواسطي: أعرض عن المنعم بالنعمة ﴿وَنَـَٔا﴾ [الآية 51] وقرأ ابن

ذكوان نأى ﴿بِجَانِبِهِۦ﴾ [الآية 51] ذهب بنفسه وتباعد عن مقام أنسه تكبراً وتجبراً ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾ [الآية 51] كثير العرض والطول في طلب الخير.

وأفاد الأستاذ: إنه لا يميز بين البلاء والعطاء فكثير مما يتوهمه أنه عطاء وهو مكر واستدراج فيستديمه وكثير مما هو فضل وصرف عطاء ويظنه بلاء فيعافه ويكرهه ويقال: إذا أنعمت عليه صاحبه بالبطر وإذا أبليناه قابله بالضجر ويقال: إذا أنعمنا عليه أعجب بنفسه فتكبر مختالاً في زهوه لا يشكر ربه ولا يذكر فضله وتباعد عن بساط طاعته وكالمستغني عنا يهيم على وجهه وإذا مسه الشر فذوا دعاء كثير وتضرع عريض وابتهال شديد واستكثار بدوام زمن مدين ثم إذا كشفنا ذلك عنه فله إلى عتوه ونبوه عود وعادة وإلى أسوأ طريقته في الجحود أعاده.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ﴾ [الآية 52] القرآن ﴿مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ [الآية 52] أي من أضل منكم فوضع الموصول موضع الضمير شرحاً لحالهم وتعليلاً لمزيد ضلالهم.

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ﴾ [الآية 53] يعني ما ذكر لهم النبي عليه السلام من أخبار الحوادث الآتية وأثار النوازل الماضية وما يسر الله لخلفاءه من الفتوح وظهور السعادة على ممالك الشرق والغرب بطريق خرق العادة ﴿وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾
131/ أ [الآية 53] أي ما ظهر فيما بين أهل مكة وغيرهم/ وما حل بهم من نزول شرهم وحلول خيرهم والمراد بالآفاق ظواهر الإنسان وأشباحهم وأنوارهم وبأنفسهم وبواطنهم ورواحهم وأسرارهم وما أبرز فيها من عجائب النعمة وأودع فيها من غرائب المنة الدالة على كمال قدرته وجمال حكمته ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [الآية 53] الضمير للقرآن أو الرسول أو التوحيد أو الله وهو الأحق ولا مانع من الجمع ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ﴾ [الآية 53] الباء مزيدة على الفاعل للمبالغة ﴿أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [الآية 53] بدل منه والمعنى أو لم يحصل الكفاية بأنه مطلع على كل شيء فيعلم حالك وحالهم.

وأفاد الأستاذ: أن الآيات في الآفاق اختلاف أحكام الأعيان مع اتفاق جواهرها في التجانس وهذه هي آيات حدوث العالم واقتضاء المحدث بصفاته وفي أنفسهم من أمارات الحدوث واختلاف الأوصاف ويقال في الآفاق للعلماء وفي أنفسهم لأهل المعرفة مما يجدونه من العقاب إذا ألموا بمعصية ومن الثواب إذا أخلصوا في طاعة وكذلك ما يحصل لهم من اختلاف الأحوال كالقبض والبسط والفرق والجمع والحجب والجذب وما يجدونه بالضرورة في معاملاتهم ومنازلاتهم.

﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ فِي مِرۡيَةٖ﴾ [الآية 54] شك وشبهة ﴿مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمۡۗ﴾ [الآية 54] بالبعث والمجازات وفق المحاسبة ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ﴾ [الآية 54] عالم أكمل الأشياء وتفاصيلها مقتدر عليها لا يفوته شيء منها.

سورة الشورى

[مكيّة]
وهي ثلاث وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: سلوة العاصين سماع رحمة الله وخطوة العابدين في رجائهم نعمة الله وراحة الفقراء في رضائهم بقسمة الله لكل من حاله نصيب وفي كل في نفسه مصيب.

﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢﴾ [الآيتان 1، 2] لعلهما اسم واحد ولمطابقة السابقة واللاحقة فصل بينهما وقد سبق ما تعلق بهما وهنا زيادة العين للإيماء إلى بعض الأسماء كالعليم والسين إلى نحو السلام والقاف إلى نحو القاهر القادر.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ [الآية 3] أي مثل إيماء هذه الصورة أو مثل إيحاء هذه السورة ﴿يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [الآية 3] وقرأ ابن كثير يوحَى بالفتح على أنه مسند إلى إليك والله مرتفع بالابتداء والعزيز وما بعده أخبار.

وقال ابن طاهر: الحاء من الحليم والميم من الملك والعين من العليم والسين من السيد/ والقاف من القادر. 131/ ب

وأفاد الأستاذ: أن الحاء مفتاح اسمه حليم وحافظ وحكيم والميم مفتاح اسم ملك وماجد ومجيد ومنان ومؤمن ومهيمن والعين مفتاح اسمه عالم وعدل وعال والسين مفتاح اسمه سيد وسريع الحساب والقاف مفتاح اسمه قادر وقاهر وقريب وقدير وقدوس، أقسم الله بهذه الأسماء أو بهذه الحروف الدالة عليها بالإيماء أنه ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ

ٱلۡحَكِيمُ﴾ [الآية 3].

﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٤﴾﴾ [الآية 4] استئناف مقرر لكمال عزته وجمال حكمته.

﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ [الآية 5] قرأ نافع والكسائي بالتذكير ﴿يَتَفَطَّرۡنَ﴾ [الآية 5] يتشقق من عظمة الله وهيبته وقرأ أبو بكر وأبو عمرو ينفطرن بالنون ﴿مِن فَوۡقِهِنَّۚ﴾ [الآية 5] أي مبدأ الانفطار من جهة كل واحدة منهن إلى أسفلهن أو الضمير للأرض باعتبار الجنس أي من فوق أهلهن لإهلاكهم بسبب إشراكهم وأغرب الأستاذ هنا حيث قال: تكاد السماوات يتشققن من عظمة من فوقهن والله يريد فوقية الرتبة ويقال: من ثقل الملائكة وكثرتهن فوقهن ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ [الآية 5] بالسعي فيما يستدعي مغفرتهم من الإلهام والشفاعة، وإعداد الأسباب المقربة إلى الطاعة وذلك يعم المؤمن والكافر في الجملة ﴿أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ﴾ [الآية 5] لذو مغفرة للناس على ظلمهم من كمال حلمه ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ [الآية 5] فما من مخلوق إلا وهو ذو حظ من رحمته كما سبق في علمه وفي الجملة المنبهة تنبيه في الجملة على أن الله مع عظمته إذا كان غفوراً ورحيماً لجميع عباده فينبغي أن يكون كل من خواص خلقه متخلقاً بأخلاق ربه.

وقال الأستاذ: يغفر لهم مع كثرة عصيانهم ومع عظم جرمهم لا يقطع عنهم رزقهم وإن كان يريد في الآخرة أن يعذبهم.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ﴾ [الآية 6] أنداداً وشركاء ﴿ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الآية 6] رقيب على أعمالهم وحسيب بأحوالهم ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ﴾ [الآية 6] بموكل لديهم أو بموكول إليك أمرهم.

وأفاد الأستاذ: أن في الآية من الإشارة أن من عمل بمتابعة هواه وترك لله حداً أو نقض له عهداً فهو متخذ الشياطين أولياء والله يعلمه ولا يخفى
132/أ عليه أمره وعلى الله حسابه وإليه إيابه فإن شاء عذبه/ وإن شاء غفر له.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ﴾ [الآية 7] أي مكة والمراد

أهلها ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الآية 7] من العرب والعجم لأنها سرتها وعمدتها وفيها قبلتها ﴿وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ﴾ [الآية 7] يوم القيامة يجمع فيه الأرواح والأشباح أو العمال والأعمال ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [الآية 7] لا شك في كون ذلك اليوم أو الجمع والجملة معترضة ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الآية 7] والمعنى يجمعون في موقف الحساب ثم يفرقون إلى داري الثواب والعقاب والتقدير فريق منهم والضمير للمجموعين فيه لدلالة الجمع عليه.

وقال الأستاذ: كما أنهم اليوم فريقان فريق في راحات الطاعات وحلاوة العبادات وفريق في ظلمات الشرك والجحود وعقوبات العناد والكنود فكذلك غداً أقرهم أهل اللقاء والبقاء وفريق أهل الشقاء والبلاء.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [الآية 8] موحدين أو ملحدين ﴿وَلَكِن يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ [الآية 8] بالهداية والحمل على الطاعة ﴿وَالظَّالِمُونَ﴾ [الآية 8] بالكفر والمعصية ﴿مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ﴾ [الآية 8] ينفعهم بالشفاعة ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ [الآية 8] يدفع عنهم العقوبة بالمقاومة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه إن أراد أن يجمعهم كلهم على الرشاد والسداد لم يكن مانع وإذ لا زين لهم ولو شاء أن يجمعهم كلهم على العناد والفساد لم يكن دافع وإذا لا شين منهم وحيث خلقهم مختلفين على ما أراد فلا مبالاة بهم إنما هو إله واحد جبار غير مأمور ولا مجبور ولا بحكم أحد عن فعل مزجور.

﴿أَمِ اتَّخَذُوا﴾ [الآية 9] بل اتخذ بعض الأنام ﴿مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ [الآية 9] كالأصنام ﴿فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ﴾ [الآية 9] بالحق وغيره الباطل المطلق ﴿وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى﴾ [الآية 9] وغيره في المبنى جماد أو كالجماد في المعنى ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الآية 9] وغيره غير قادر على نقير وقطمير.

قال الواسطي: يحيي القلوب بالتجلي ويميت النفوس بالاستتار.

وأفاد الأستاذ: أنهم توهموا أن شيئاً من الحدثان بأحد فالله هو متولي جميع الأمور من الخير والشر والنفع والضر وهو الذي يحيي النفوس

والقلوب اليوم ويميت النفوس والقلوب اليوم وغداً وهو على كل شيء قدير أزلاً وأبداً.

﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ﴾ [الآية 10] أنتم والكفار ﴿مِن شَيۡءٖ﴾ [الآية 10] من أمور الدنيا أو الدنيا ﴿فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الآية 10] مفوض إليه يميز الحق من المبطل بالنصرة والمعاونة أو بالإثابة والمعاقبة وقيل ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ﴾ [الآية 10] من تأويل
متشابهة فارجعوا فيه إلى محكم من كتابه ﴿ذَٰلِكُمُ﴾ [الآية 10] الحاكم ﴿ٱللَّهُ/ رَبِّي 132/ ب
عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ﴾ [الآية 10] في مجامع المهمات ﴿وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ [الآية 10] ارجع في المشكلات.

وأفاد الأستاذ: في قوله فحكمه إلى الله أي إلى كتابه وسنة نبيه وإجماع الأمة وشواهد القياس والعبرة وهذه الأشياء هي قانون الشريعة والكتاب يدل على صحة هذه الجملة ويقال: إذا لم تهتدوا إلى شيء وتعارضت منكم الخواطر فدعوا تدبيركم إلى تدبيره والتجئوا إلى ظل شهود تقديره وانتظروا ما الذي ينبغي لكم أن تفعلوه بحكم تيسيره ويقال: إذا اشتغل قلوبكم بحديث أنفسكم لا تدرون بالسعادة جرى حكمكم أم بالشقاوة مضى اسمكم فكلوا الأمر فيه إلى الله واشتغلوا في الوقت بأمر الله دون التفكر فيما ليس لكم سبيل إلى علمه من عواقبكم.

﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [الآية 11] أي هو مبديهما ومبدعهما ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ﴾ [الآية 11] من جنسكم ﴿أَزۡوَٰجٗا﴾ [الآية 11] نساء ﴿وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗاۖ﴾ [الآية 11] ذكوراً وإناثاً ﴿يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ﴾ [الآية 11] أي يكثركم بسبب هذا التدبير في التقدير ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [الآية 11] أي كذاته أو صفاته لأنه فاطر السماوات والأرض وخالق ما فيهما من الطول والعرض ولا مثل يضارعه ولا شكل يشاكله ومن قال الكاف فيه زائدة لعله عني أنه يعطي معنى ليس غير أنه آكد كما في قولهم مثلك لا يبخل على قصد المبالغة في نفيه عنه فإنه إذا نفي عمن يناسبه ويسد مسده كان نفيه عنه أولى ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الآية 11] لجميع المسموعات والمبصرات ولعل صدر الآية مشير إلى توحيد جلال الفعل

في المصنوعات وقوله: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [الآية 11] إلى جمال الذات وما بعده إلى كمال الصفات.

قال الواسطي: ليس كذاته الحسنى ذات ولا كاسمه من جهة المعنى اسم ولا كصفته صفة من جميع الوجوه إلا من جهة موافقة اللفظ، وكما لم يجز أن يظهر من مخلوق صفة قديمة كذلك يستحيل أن يظهر من الذات الذي ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ صفة حديثة وأن التكرار من حدوث الصفة جل ربنا وتعالى أن تحدث له اسم أو صفة إذ لم يزل تجميع صفاته واحداً ولا يزال كذلك أبداً.

وقال الشبلي: كل ما ميزتموه بأوهامكم وأدركتموه بعقولكم في أتم مقامكم فهو مصروف إليكم ومردود عليكم ومحدث مصنوع مثلكم وحقيقته أعلى من أن / تدركه عبارة أن تلحقه إشارة أو يحيط به وهم كلا، كيف يكون 133/ أ
به علم وقد اتفق أضداد في وصفه بقوله: هو الأول والآخر والظاهر والباطن أي عبارة تخبر عن حقيقة هذه العبارة كلا قصرت عنه الإشارات وخرست الألسن بقوله: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [الآية 11] ويقال: معناه ليس له مثل إذ لو كان له مثل لكان لمثله شيء وهو مثله والحق لا شبيه له في ذاته ولا في صفاته ولا في أحكام بيناته فقوم وقعوا في تشبيه ذاته بذات المخلوقين فوصفوه بالحد والنهاية والكون في المكان وأقبح قولاً منهم من وصفه بالجوارح والآلات والأركان وقوم وصفوه بما هو تشبيه في الصفات فظنوا أن بصره في حدقة وسمعه في عضو وقدرته في يد إلى غير ذلك وقوم قاسوا حكمه على حكم عباده فقالوا ما يكون من الخلق قبيحاً فمنه قبيح وما يكون من الخلق حسناً فمنه حسن فهؤلاء كلهم أصحاب التشبيه والحق سبحانه مستحق التنزيه محقق بالتحصيل دون التعطيل والتمثيل مستحق التوحيد دون التحديد.

﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ [الآية 12] خزائنهما أو مفاتيح أرزاق أهلها ﴿يَبۡسُطُ﴾ [الآية 12] يوسع ﴿ٱلرِّزۡقَ﴾ [الآية 12] الضروري والمعنوي ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ [الآية 12] ما يشاء من كمية وكيفية ﴿وَيَقۡدِرُۚ﴾ [الآية 12] ويضيق على من يشاء بما

يشاء على وفق مشيئته ومقتضى حكمته ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [الآية 12] فيفعل ما ينبغي له فعله.

وأفاد الأستاذ: أن المقاليد مفاتيح الخزائن وخزائنه مقدوراته ومن خزائنه القلوب والموجودات معادن الأشياء في المعادن جواهر مختلفة كذلك القلوب معادن أحوال من تلفه فكما أن بعض المعادن للذهب وبعضها للفضة إلى غير ذلك كذلك بعض القلوب معادن المعرفة وبعضها معادن لمعرفة الإرادة وبعضها معادن المحبة وبعضها للشوق وبعضها للأنس وغير ذلك من الأحوال كالتوحيد والتقرير والهيبة والرضا وأمثالها وفائدة تفريق أن المقاليد له قطع أفكار العبد من الخلق إليه في طلب ما يريده ويقبل عليه فإنه يوسع ويضيق رزق النفوس والقلوب كما قدر لديه.

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ
133/ ب إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ﴾ [الآية 13] أي أظهر وبيَّن لكم من الدين/ دين أول الرسل وخاتم النبيين ومن بينهما من بقية أولي العزم في مقام اليقين بالأصل المشترك في ما بين الأنبياء منهم ومن غيرهم المفسر بقوله﴿أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ﴾ [الآية 13] وهو الإيمان بما يجب تصديقه والطاعة في أحكامه من امتثال أوامره واجتناب زواجره وهي الحالة الكاملة الشاملة المعبر عنها بالتقوى كما تعالى: ﴿وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾ [النساء: الآية 131] أي ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ [الحجرات: الآية 13] أي أعلمكم وأخشاكم ﴿وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ [الآية 13] أي لا تختلفوا في هذه الأصل وأما فروع الشرائع فمختلفة كما قال: لكل جعلنا منكم شرعة.

وفي «تفسير السلمي» قال سهل: أول من حرم الأمهات والبنات والأخوات نوح عليه السلام انتهى وما أظن صحة هذا الكلام لأن آدم عليه السلام أول من حرم بدليل قضية قابيل وهابيل وأما كون الأمهات والبنات حرمن بعد تحليلهن فما ورد شيء في حقهن.

وأغرب الأستاذ حيث أفاد أن القصة أن تحريم البنات والأخوات إنما

شرع في زمن نوح عليه السلام ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الآية 13] عظم عليهم ﴿مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ [الآية 13] من التوحيد والتفريد ﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِيٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ﴾ [الآية 13] أي يختار لما يدعوهم أو للدين أو لله ﴿وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ﴾ [الآية 13] بالإرشاد والتوفيق ﴿مَن يُنِيبُ﴾ [الآية 13] يقبل إليه ويعتمد عليه في التحقيق ولعل الاجتباء للمراد من المجدوبين بوصف الطيران كما يشير إليه المشيئة المجردة والهداية للمريد من السالكين بنعت النيران كما يومىء إليه قاعدة الإنابة وهي الرجعة من الغفلة إلى الحضرة أخص من التوبة التي هي الرجعة من المعصية إلى الطاعة.

﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ﴾ [الآية 14] أي الأمم السالفة ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ [الآية 14] بأن التفرق ضلال وطغيان وأصروا على باطلهم بعد وضوح البيان وظهور البرهان ﴿بَغْيَۢا بَيْنَهُمْ﴾ [الآية 14] طلباً للدنيا على وجه العدوان ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ [الآية 14] أي حكم بتأخير العقوبة ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الآية 14] وهو يوم القيامة أو آخر أعمارهم المقدرة ﴿لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ [الآية 14] بالعقوبة العاجلة ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ﴾ [الآية 14] من كتابهم لا يعلمونه كما هو حقه/ أو لا يؤمنون به حق إيمانه وهو 134/ أ ﴿مُرِيبٍ﴾ [الآية 14] معلق في الريبة أو مدخل في الشبهة.

﴿فَلِذَٰلِكَ﴾ [الآية 15] فلأجل ذلك التفرق في القضية ﴿فَٱدْعُ﴾ [الآية 15] إلى الاتفاق على الملة الحنيفية ﴿وَٱسْتَقِمْ﴾ [الآية 15] على ما يتعلق بالدعوة ﴿كَمَآ أُمِرْتَ﴾ [الآية 15] بالإقامة والقيام بالطاعة ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [الآية 15] الباطلة قيل: حقيقة الاستقامة لا يطيقها إلا الأنبياء وأكابر الأولياء لأنه الخروج من المعهودات ومفارقة الرسوم والعادات والقيام بين يدي الحق على قدم الصدق ولذا قال عليه السلام استقيموا ولا تحصوا أي ولن تطيقوا الاستقامة التي أمرتم به.

وقال الأستاذ: أي إلى هذا القرآن ادع الخلق واستقم في الدعوة والطاعة أمراً لكل بالاستقامة وأفرده بذكر إلزام الاستقامة ويقال: السين في الاستقامة سين السؤال والرغبة أي سل مني أن أقيمك ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ﴾ [الآية 15] يعني جميع الكتب المنزلة ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾

[الآية 15] في تبليغ الشرائع وفصول الحكومة والأول إشارة إلى كمال القوة العلمية وهذا إشارة إلى كمال القدرة العملية ﴿ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ﴾ [الآية 15] خالق الكل ومربيه ومتولي أمره فيما يعنيه ﴿لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ﴾ [الآية 15] فكل مجزي بحسب أحوالنا وأحوالكم ﴿لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ﴾ [الآية 15] أي لا حجاج بمعنى لا خصومة أو الحق قد ظهر للعباد فلم يبق للخلاف مبدأ سوى العناد ﴿ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ﴾ [الآية 15] يوم القيامة ﴿وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [الآية 15] مرجع الكل لفصل القضاء بالمثوبة والعقوبة.

﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ﴾ [الآية 16] يجادلون في دينه ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ﴾ [الآية 16] من بعده ما استجاب له الناس ودخلوا فيه والمعنى أن من جادل بالباطل والعدوان بعد وضوح الحق بالبرهان ﴿حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ﴾ [الآية 16] زائلة باطلة ﴿عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٌ﴾ [الآية 16] بمعاندتهم ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٌ﴾ [الآية 16] بمخالفتهم.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [الآية 17] جنسه ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ [الآية 17] متلبساً به ﴿وَٱلۡمِيزَانَ﴾ [الآية 17] أي العدل بأن أنزل الأمر به أو آله الوزن وإيجادها بأن أوحى إلى الخلق إعدادها ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ﴾ [الآية 17] إتيانها فاتبع الكتاب وواظب على العدل في الحساب قبل أن يناجيك / الذي يوزن فيه 134/ب
أعمالك ويوفي جزاء أحوالك.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يزجرهم عن طول الأمل وينبههم على انتظار الأجل.

﴿يَسۡتَعۡجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهَاۖ﴾ [الآية 18] استهزاء لها ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشۡفِقُونَ مِنۡهَا﴾ [الآية 18] خائفون من وقوعها مع الاعتناء بها لتوقع الثواب فيها ﴿وَيَعۡلَمُونَ أَنَّهَا ٱلۡحَقُّۗ﴾ [الآية 18] الثابت الكائن وقوعها ﴿أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ﴾ [الآية 18] يجادلون في ثبوتها ﴿لَفِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ﴾ [الآية 18] عن حقيقة الحق وتصورها فإن البعث أشبه الغائبات إلى المحسوسات فمن لم يهتد لتجويزه فهو أبعد عن الاهتداء إلى غيره.

﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ [الآية 19] يربهم بصنوف من البر التي لا تبلغها الأفهام ولا تدركها الأوهام ﴿يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ﴾ [الآية 19] وفق مشيئته فيخص كلاً من عباده بنوع من البر على مقتضى حكمته ﴿وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ﴾ [الآية 19] الباهر القدرة ﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾ [الآية 19] البديع المنيع في الغلبة والعزة.

قال ابن عطاء: يعلم من أنفسهم ما لا يعلمونه من نفوسهم.

قال جنيد: اللطيف الذي لطف بأوليائه حتى عرفوه بصفاته وأسمائه.

وقال علي بن عبدالرحيم: اللطيف من يلطف بهم من الجهات الخفية.

وأفاد الأستاذ: أن اللطيف هو العالم بدقائق الأمور وغوامضها واللطيف هو الملطف المحسن واللطف بالبعد في الحقيقة قدرة الطاعة وقوة العبادة ويقال: خاطب العابدين بقوله: ﴿لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ [الآية 19] أي يعلم غوامض أحوالهم من دقائق الرياء والتصنع في أعمالهم لئلا يعجبوا بأفعالهم وخاطب القضاة بقوله: ﴿لَطِيفٌ﴾ لئلا ييأسوا من إحسانه في مالهم ويقال: سماع قوله الله يوجب الهيبة وسماع اللطيف يوجب الطمأنينة فسماع قوله الله أوجب لهم تهويلاً وسماع قوله اللطيف أوجب لهم تأميلاً ويقال: من لطفه أنه أعطاك فوق الكفاية وكلفك دون الطاقة ويقال: من لطفه بالعبد إبهام عاقبته عليه لأنه لو علم سعادته لاتكل عليه وثقل عمله ومن لطفه بالعبد خفاء أجله عليه لئلا يستوحش إن كان قدرنا أجله ويقال: من لطفه بالعبد في الآخرة أنه ينسيهم / ما 135/ أ
عملوه في الدنيا من الزلة لئلا يتنغص عليهم العيش في الجنة.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [الآية 20] ثوابها شبهه بالزرع من حيث أنه فائدة تحصل بعمل الدنيا ولذا قيل: الدنيا مزرعة الآخرة ﴿نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ﴾ [الآية 20] فيعطيه بالواحد عشراً إلى سبعمائة فما فوقها أو نزد له في حرثه الأخروي مع نفعه الدنيوي بأن يجمع له بين خيري الدنيا والأخرى ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا﴾ [الآية 20] شيئاً منها على ما قسمنا له فيها ﴿وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الآية 20] حظ به يصيب إذ الأعمال بالنيات ولكل امرىء ما نوى فيكون ممن خسر الدنيا والآخرة وقيل: من عمل لله محبة ورضاءً ولم يطلب

ثواباً وجزاءً صغر عنده كل شيء دون الله فلا يطلب حرث الدنيا ولا حرث الآخرة بل يطلب المولى في الدنيا والآخرة.

وقال الأستاذ: نزد له في حرثه أي تزيده اليوم في الطاعات توفيقاً وصفاء الحالات تحقيقاً ونزيده في الآخرة ثواباً واقتراباً وفنون نجاة وصنوف درجات ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا﴾ مكتفياً به ﴿نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾ ما يريد وليس ﴿وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الآية 20].

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟﴾ [الآية 21] بل ألهم شياطين ﴿شَرَعُوا۟ لَهُم﴾ [الآية 21] بطريق التزيين ﴿مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الآية 21] كالشرك وإنكار البعث ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ﴾ [الآية 21] أي القضاء السابق بتأخير العقوبة إلى يوم القيامة ﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ [الآية 21] بين الكافرين والمؤمنين من غير المهلة ﴿وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الآية 21] لا يتخلف عنهم والمعنى أنه يمهلهم لكن لا يهملهم.

﴿تَرَى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [الآية 22] في القيامة ﴿مُشْفِقِينَ﴾ [الآية 22] خائفين ﴿مِمَّا كَسَبُوا۟﴾ [الآية 22] من الشرك والمعصية ﴿وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ﴾ [الآية 22] أي وباله نازل عليهم ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ﴾ [الآية 22] في أطيب بقاعها وأنزهها ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الآية 22] أي ما يشتهونه ثابت عند ربهم لأجلهم ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الآية 22] الذي يصغر دونه ما لغيرهم في الدنيا من النعم الكثير.

وقال الأستاذ: لهم في الدنيا جنات الوصلة ولذاذة[1] الطاعة والعبادة وطيب الأنفس في أوقات الخلوة وفي الآخرة روضات الجنة لهم ما يشاؤون عند ربهم إن أرادوا دوام اللطف دام لهم وإن أرادوا تمام الكشف كان لهم.

﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية 23] التبشير بروضات الجنات ﴿ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ [الآية 23]/ . 135/ب

(1) في المخطوطة: ولذا ذات، وهو تصحيف.

وقال الأستاذ: أي الذي معنى ذكره في القرآن مغرقاً من أوصاف الجنة وما أعد الله لأهلها من المثوبة هو الذي يبشر الله عباده ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ [الآية 23] على ما أتعاطاه من التبليغ والبشارة ﴿أَجْرًا﴾ [الآية 23] نفعاً منكم ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الآية 23] أي المحبة للتقرب إلى رضا المولى كما جاء في الحديث الحب في الله والبغض في الله.

قال سهل: أن تقربوا إلي باتباع سنّتي.

وقال ابن عطاء: لا أسألكم على دعواكم أجراً إلا أن تتودوا إلي بتوحيده وتتقربوا إليه بدوام طاعته والتزام عبادته وقيل: الاستثناء منقطع والمعنى لا أسألكم أجراً قط ولكن أسألكم المودة في حق القرابة ومن أجلها، إذ روي أنها لما نزلت قيل: يا رسول الله من قرابتك هؤلاء؟ قال: علي وفاطمة وإبناهما ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً﴾ [الآية 23] يكتسب طاعة سيما محبة أهل بيت النبوة ﴿نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا﴾ [الآية 23] في تلك الحسنة ﴿حُسْنًا﴾ [الآية 23] بمضاعفة المثوبة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ [الآية 23] للمذنبين ﴿شَكُورٌ﴾ [الآية 23] للمطيعين بالأجر الجزيل على العمل القليل.

وأفاد الأستاذ: أن من بشَّر بالخير أحداً طلب عليه أجراً فالله بشر المؤمنين على لسانه بالكرامات الأبدية والسعادات السرمدية ثم قال: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الآية 23] لأن الله ليس يطلب منكم عليه عوضاً فأنا أيضاً لا أسألكم عليه أجراً فإن المؤمن أخذ من الله خلقاً حسناً والمودة في القربى هو أن يود من يتقرب إلى الله بطاعته والزيادة في الحسنة زيادة توفيق الطاعة ويقال: إذا آتيناه توفيق المجاهدة نزيده بفضلنا تحقيق المشاهدة ويقال: من يقترف حسنة من الوظائف نزد له حسناً في اللطائف ويقال: تلك الزيادة على العبادة ما لم يدركه أحد من أهل السعادة.

﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ [الآية 24] بل أتقولون ﴿ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الآية 24] بدعوى النبوة ونزول القرآن ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الآية 24] أن يمسك القرآن والوحي عن صدرك أو يربط عليه بالصبر على بلواهم فلا يشق عليك أذاهم

﴿وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ﴾ [الآية 24] استئناف لنفي الافتراء عما يقوله فإنه لو كان مفترياً لمحقه الحق سبحانه إذ من عادته تعالى محو الباطل وإثبات الحق موجبه أو بقضائه وسقوط الواو رسماً من يمح لاتباع اللفظ كما في قوله
136/ أ ويدع الإنسان ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الآية 24] / أي بالخواطر التي ترد عليها من الأمور.

قال سهل: يختم على قلبك ختم الشوق والمحبة فلا تلتفت إلى الخلق ودعاءهم ولا تشتغل بإيمانهم وإيابهم.

قال الواسطي: فإن يشاء الله يختم على قلبك بما يشاء ويمحوا الله الباطل بنفسه ونعته حتى يعلم أنه لا حاجة له إلى أحد من خلقه ثم يحق الحق في قلوب أنشأها للحقيقة وأبداها في الشريعة والطريقة.

وقال الأستاذ: إنك إن افتريته ختم الله على قلبك ولكنك لم تكذب على ربك ومعنى الآية: إن الله سبحانه يتصرف في عباده بما يشاء من إبعاد قريب وإدناء بعيد.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ [الآية 25] بالتجاوز عما تابوا عنه وأركان التوبة الندامة بالقلب من حيث أن الغفلة معصية الرب والامتناع بالفعل عنها والعزم على أن لا يعود إليها وقضاء ما يمكنه من حقوق الله وأداء ما يتصور له من حقوق العباد وكمالها ما أشار إليه علي كرم الله وجهه بقوله: هي اسم يقع على ستة معان على الماضي من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الإعادة ورد المظالم وإذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية وإذاقتها مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية، والبكاء بدل كل ضحك ضحكته أي في حال الغفلة ﴿وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الآية 25] صغائرها وكبائرها لمن يشاء ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الآية 25] فيجازي المطيعين على التوبة وغيرها ويتجاوز عن معصية المذنبين إن تعلقت المشيئة بها وقرأ حفص وحمزة والكسائي بالخطاب وكل منهما تغليب في هذا الباب فإن فيه وعد[1] ووعيد لأولي الألباب.

(1) في المخطوطة: وهو، ولعله تصحيف.

﴿وَيَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الآية 26] أي يجيب الله لهم فحذف اللام كما في وإذا كالوهم والمراد إجابة الدعوة والإثابة على الطاعة وتقدم أن الاستجابة أخص من الإجابة ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦ﴾ [الآية 26] على ما سألوا واستحقوا واستوجبوا به بالاستجابة ﴿وَٱلۡكَٰفِرُونَ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞ﴾ [الآية 26] بدل للمؤمنين من ثواب عديد.

وأفاد الأستاذ: أن هذه الزيادة بقول المفسرين من أهل السنة: الرؤية والمعنى أن الطاعات في مقابلتها الدرجات فيكون بمقدارها في النقصان والزيادات وأما الرؤية فسبيلها الفضل / والفضل ليس فيه تمييز انتهى وكأنه 136/ ب
أراد أن لا تمييز في أصل تعلق الفضل وإلا فلا شك في تفاوت مراتبه بالنسبة إلى اختلاف ومقامات مناقبه.

﴿وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ﴾ [الآية 27] لو وسعه عليهم جميعهم أو أكثر مما هم عليه من وسعهم ﴿لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الآية 27] لتكبروا وأفسدوا فيها بطراً وأشراً أو لبغي بعضهم على بعض استيلاء واستعلاء وهذا بحسب حكم الغالب في القضية وأصل البغي طلب تجاوز الاقتصاد في ما يتحرى كمية أو كيفية ﴿وَلَٰكِن يُنَزِّلُ﴾ [الآية 27] رزق كل أحد ﴿بِقَدَرٖ﴾ [الآية 27] بتقدير أو بمقدار ﴿مَّا يَشَآءُۚ﴾ [الآية 27] ما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيئته ﴿إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ﴾ [الآية 27] يعلم خفايا أمرهم وجلايا حالهم فيقدر لهم ما يناسب شأنهم في مآلهم وقد صح عن علي كرم الله وجهه إن أهل الصفة تمنوا الغنى فنزلت فالمراد بعباده خواص عباده ويلائمه ما أفاده الأستاذ: أن هذا الخطاب في الظاهر لم يشبه الاعتذار في خطاب الآدميين أي إنما لم أبسط أيها الفقير عليك الدنيا لما كان لي من المعلوم أني لو وسعت عليك لطغوت على العباد وسعيت في الأرض بالفساد ويقال: قوله ولولا كلمة استدراك يقول: إن لم أوسع عليك الرزق بمقدار ما تريد لم أمنع عليك الكل بل أنزل عليك بقدر ما أشاء لكي يحيي قلوبهم وتنشرح صدورهم وتتسهل أمورهم.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ﴾ [الآية 28] المطر الذي يغيثهم من الجدب وينفعهم

من جهة الخصب ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ﴾ [الآية 28] أيسوا منه وقطعوا الطمع عنه ﴿وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ﴾ [الآية 28] في كل شيء من سهل وجبل ونبات وحيوان ﴿وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ﴾ [الآية 28] الذي يتولى أمر عباده بإحسانه وفق مراده ﴿ٱلۡحَمِيدُ﴾ [الآية 28] المستحق للحمد على جميع أفعاله من منعه وعطائه.

قال ابن عطاء: إن الله يربي عباده بين طمع ويأس فإذا طمعوا فيه آيسهم بصفاته أي الجلالية وإذا أيسوا أطعمهم بصفاته أي الجمالية فإذا غلب على العبد القنوط وأشفق منه أتاه الله الفرج بعده ألا ترى يقول: وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا معناه ينزل غيث رحمته على قلوب أوليائه فينبت فيه التوبة والإنابة والرعاية والمراقبة.

137/أ وأفاد الأستاذ: أن/ العبد إذا ذبل غصن وقته وتكدر صفو وده وكسف شمس أنسه وبعد عن ساحة الحضرة وبساط القرب عهده فربما ينظر إليه الحق بعين عنايته فينزل على سره أمطار رحمته فيعود عوده طرياً وينبت من مشاهد أنسه ورداً جنياً.

﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [الآية 29] أي عجائب مصنوعاته ﴿خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الآية 29] أي في أنفسهما فإنهما بذاتهما وصفاتهما يدلان على وجود صانع حكيم في إبداءهما وإبداعهما ﴿وَمَا بَثَّ فِيهِمَا﴾ [الآية 29] أي وخلق ما فرق ونشر عليهما ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾ [الآية 29] يدب ويتحرك فيهما من الملائكة وحملة العرش وسكان الفرش ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمۡعِهِمۡ إِذَا يَشَآءُ﴾ [الآية 29] في أي وقت شاء اجتماعهم ﴿قَدِيرٌ﴾ [الآية 29] متمكن منه لا يتخلف عنه.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه جعل في كل شيء من مخلوقاته وصنائع أفعاله دلالة على توحده في جلاله وتفرده بنعوت كبريائه وجماله والإشارة في قوله: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمۡعِهِمۡ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾ [الآية 29] أن الحق سبحانه يغار على أوليائه أن يسكن بعضهم بقلبه إلى بعض منهم فأبداً يبدد شملهم ولا يكاد يتفق الجماعة من أهل القلوب في موضع إلا ندرة وذلك أيضاً مدة يسيرة ثم في بعض الأحايين وقد تفضل عليهم بأن يدنوا بهم الديار ويحصل بينهم في الظاهر

الاجتماع والتقاء الآثار وذلك وقت نظر الحق سبحانه بفضله إلى العالم فإن في بركات اجتماعهم حياة العالم وهذا وإن كان نادراً فهو على جمعهم إذا يشاء قدير.

﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ﴾ [الآية 30] بدنية أو مالية ﴿فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ [الآية 30] فسبب كسبب المعصية والمخالفة الدينية والفاء لأن ما شرطية ولم يقرأ بها نافع وابن عامر استغناء بما في الباء من معنى السببية ﴿وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الآية 30] من الذنوب فلا يجازي بها ولا يعاقب عليها والآية مخصوصة بالمجرمين فإن ما أصاب غيرهم من المطيعين فلأسباب أخر منها رفع درجاتهم في عليين وقد ورد ما من اختلاج عرق ولا خدش عود ولا نكبة حجر إلا بذنب ولما يعفو الله عنه أكثر.

وعن ابن عطاء: من لم يعلم أن ما وصل إليه من الفتن والمصائب باكتسابه وإن ما عفي عنه أكثر في باب حسابه كان قليل النظر عن إحسان ربه.

وقال بعضهم: العبد ملازم للجنايات في جميع الأوقات /وجناياته في 137/ب
طاعته أكثر من جناياته في معصيته لأن جناية المعصية من وجه وجناية الطاعة من وجوه والله يطهر عباده من جناياته بأنواع، من مصيباته ليخفف عنه أثقاله يوم القيامة ولولا عفوه ورحمته لهلك في أول خطوة من خطواته.

وعن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه مرفوعاً: من عفي عنه في الدنيا عفا الله عنه في الآخرة ومن عوقب في الدنيا لم يثن عليه عقوبته في الآخرة[1].

وروي أن هذه الآية من القرآن أرجى آية لأهل الإيمان.

وأفاد الأستاذ: أن العبد إذا تحقق بهذه الآية فإذا أصابه شظية أو حالة مما يسوءه وعلم أن ذلك جزاءً له وعتاباً على ما بدر منه من سوء أدبه مع ربه

---

(1) أورده الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (3/ 241) رقم (1152).

فاستحيا بخجلته من فعله الموجب لمصيبته يشغله عن رؤية ذلك من الناس وفعلهم حتى ينتقم منهم أو يكافيهم أو يدعو عليهم ويقال: إذا كثرت الأسباب من البلايا على عبد وتوالت عليه فليتفكر في أفعاله المذمومة كما يحصل منه حتى يبلغ جزاء ما يفعله من العفو الكثير هذا المبلغ فعند ذلك يزداد أسفه وأحزانه لعلمه بكثرة ذنوبه وعصيانه.

﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 31] فايتين ما قضى عليكم من المكاسب والمصائب فيها ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 31] من غيره ﴿مِن وَلِيٍّ﴾ [الآية 31] يحرسكم عنها ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ [الآية 31] يدفعها عنكم أو يرفعها.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ﴾ [الآية 32] علاماته الدالة على كمال قدرته وجمال حكمته ﴿ٱلْجَوَارِ﴾ [الآية 32] السفن الجارية ﴿فِي ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾ [الآية 32] كالجبال الراسية.

﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ﴾ [الآية 33] وقرأ نافع الرياح ﴿فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ﴾ [الآية 33] فيظللن رواكد على ظهره فيبقين ثوابت على ظهر البحر ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [الآية 33] أي لكل مؤمن كامل فإن الإيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر.

﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ﴾ [الآية 34] أي إن يشأ يهلكهن بأن يفرق أهلهن ﴿بِمَا كَسَبُوا۟﴾ [الآية 34] من سوء عملهم فيهن أو غيرهن ﴿وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ﴾ [الآية 34] من أهلهن فلا يهلكهن ليشكروا نعمة نجاتنا.

﴿وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾﴾ [الآية 35] محيد عن عقوباتنا وقرأ نافع وابن عامر بالرفع على الاستئناف.

وأفاد الأستاذ: إن الإشارة في هذا إلى إمساك الناس في خلال فتن الوقت من الأنواع المختلفة ثم حفظ العبد في إيواء السلامة/ وذلك يوجب 138/أ
خلوص الشكر للمريد ليوجب له جزيل المزيد.

﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ﴾ [الآية 36] من الأمور الدنيوية ﴿فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [القَصَص: الآية 60] الدنية يتمتعون بها في مدة قليلة ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ من ثواب

العقبى ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [الآية 36] لخلوص نفعه ودوامه في الكيفية والكمية ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الآية 36] في أمورهم لا على أعمالهم وأجودهم.

وقال الأستاذ: يعني أن الراحات في الدنيا لا تصفو ومن المشائب لا تخلو فإن اتفق البعض منها في أحايين من الأحوال فإنها سريعة الزوال وشيكة الارتحال وما عند الله من الثواب الموعود خير من هذا القليل الموجود.

﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ﴾ [الآية 37] من حقوق الحق ﴿وَٱلْفَوَٰحِشَ﴾ [الآية 37] من متعلقات الخلق وقرأ حمزة والكسائي كبير الإثم وفسر بالشرك والفواحش بالكبائر ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُواْ﴾ [الآية 37] على أحد ممن ظلمهم ﴿هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الآية 37] بأنفسهم من غير اعتذار لديهم ولا شفاعة إليهم.

﴿وَالَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ﴾ [الآية 38] في دعوته إلى طاعته ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البَقَرَة: الآية 277] خصوصاً ﴿وَأَمْرُهُمْ﴾ [الآية 38] فيما ليس عندهم نص من كتاب أو سنة ﴿شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الآية 38] ذو تشاور بينهم في أمر دينهم ودنياهم لا يتفردون برأي حتى يتشاوروا ويجتمعوا عليه ويختاروا وذلك من فرط تدبرهم وتيقظهم في أمرهم ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الآية 38] في سبل خيرهم.

وأفاد الأستاذ: أن المستجيب لربه هو الذي لا يبقي معه نفس إلا على موافقة رضاه ولا يبقي منه له بقية في متابعة هواه فهؤلاء هم الذين لهم حسن الثواب وحميد المآب.

﴿وَالَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْيُ﴾ [الآية 39] الظلم والعدوان ﴿هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾ [الآية 39] بالعدل والإحسان.

﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ﴾ [الآية 40] سمي الثانية سيئة للازدواج والمشاكلة والمراد بها سيئة صورية أو لغوية ﴿مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا﴾ [الآية 40] بقلبه ﴿وَأَصْلَحَ﴾ [الآية 40] بينه وبين عدوه ﴿فَأَجْرُهُ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الآية 40] عدة مبهمة تدل على عظمة موعوده ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية 40] المبتدئين بالسيئة والمتجاوزين في المعاقبة.

وقال الأستاذ: فمن عفا عن الجاني عليه وأصلح ما بينه وبين ربه حتى يصلح الله ما بينه وبين خلقه فأجره على الله والذي للعبد من الله وعلى الله وعند الله خير مما يعلمه باختياره ويفعله باقتداره.

﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ﴾ [الآية 41] بعدما ظلم وقد قرىء به ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ﴾ [الآية 41] بالمعاتبة.

138/ ب ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ/ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ﴾ [الآية 42] يشبونهم بالأضرار ﴿وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ﴾ [الآية 42] أي ويطلبون ما لا يستحقونه كما هو دأب الفجار ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [الآية 42] في النار على ظلمهم وبغيهم مع الإصرار.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه علم أن الكل من عباده لا يجد الخيرية من أحكام النفس ولا يستمكن من محاسن الخلق فرخص لهم في المكافأة على سبيل العدل والقسط وإن كان الأولى بهم الصفح والعفو.

﴿وَلَمَن صَبَرَ﴾ [الآية 43] على الأدنى ﴿وَغَفَرَ﴾ [الآية 43] أي وعفا أو ستر حاله وحال من أذي بعدم الشكوى ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ [الآية 43] منه ﴿لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ [الآية 43] أي معزومات الأمور ومطلوباته عنه.

وقال الأستاذ: أي صبر على البلوى من غير شكوى وغفر بالتجاوز عن خصمه ولا يبقي لنفسه عليه دعوى بل يبرىء خصمه من جهة ماله عليه من كل دعوى في الدنيا.

﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيّٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ﴾ [الآية 44] من ناصر يتولاه من بعد خذلان الله إياه ﴿وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ﴾ [الآية 44] حين يرون نار العذاب وآثار العقاب ﴿يَقُولُونَ هَلۡ إِلَىٰ مَرَدّٖ﴾ [الآية 44] أي إلى رجعة إلى الدنيا أو الحالة الحسنى ﴿مِّن سَبِيلٖ﴾ [الآية 44] أي طريق توفيق فيقال لا كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ﴾ [الأنعام: الآية 28].

﴿وَتَرَىٰهُمۡ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا﴾ [الآية 45] على النار ﴿خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ﴾ [الآية 45] منكسرين محتقرين مما يلحقهم من المذلة ﴿يَنظُرُونَ مِن طَرۡفٍ خَفِيّٖۗ﴾ [الآية 45]

يبتدىء نظرهم إلى نيرانهم من تحريك ضعيف لأجفانهم كالمصبورين ينظرون إلى السيف حين امتحانهم ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الآية 45] أي الكاملين في خسرانهم ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ﴾ [الآية 45] بالتعرض للعذاب المخلد المعد لهم ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الآية 45] بسبب عصيانهم ﴿أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾ [الآية 45] من تمام كلامهم أو تصديق من الله لمرامهم.

﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ﴾ [الآية 46] إلى الهداية في الدنيا ولا إلى النجاة في العقبى.

وأفاد الأستاذ: أن الذين أضلهم الله وأعمى أبصارهم أوقعهم في كد كسبهم وحرمهم برد الرضا بحكم ربهم فليس لهم ولي من دون الله ولا مانع عنهم من عذاب الله وتراهم يعرضون على نار العقوبة وهم خاشعون من غاية المذلة لا ينفعهم ندامة ولا يسمع منهم دعوة ولا ناصر ينصرهم ولا راحم يرحمهم.

139/ أ / ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الآية 47] لا يرده الله بعد ما حكم به أو من قبل أن يأتي يوم من الله لا يمكن رده ﴿مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ﴾ [الآية 47] موضع فرار ﴿يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾ [الآية 47] إنكار لما اقترفتموه من أوزار لأنه مدون في صحف أعمالكم وتشهد ألسنتكم وجوارحكم بأفعالكم وهو عالم الغيب مطلع بتفاصيل أحوالكم.

﴿فَإِنْ أَعْرَضُواْ﴾ [الآية 48] عن الاستجابة ﴿فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [الآية 48] رقيباً بالمحاسبة ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ﴾ [الآية 48] بتبليغ الرسالة وقد بلغت وبالغت ﴿وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ﴾ [الآية 48] أراد بالإنسان الجنس لقوله ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ﴾ [الآية 48] بيلغ الكفران ينسي النعمة وأيامها ويذكر البلية ويعظمها ولا يتأمل سببها.

قال جنيد: استجابة الحق لمن سمع هواتفه وأوامره وخطابه فيتحقق فيه الإجابة بذلك السماع ومن لم يسمع الهواتف كيف يجيب وإنى له محل الجواب من الرقيب.

وأفاد الأستاذ: أن الاستجابة الوفاء بعهده والقيام بحقه والرجوع من مخالفته إلى موافقته والاستسلام في كل وقت لحكمه ثم الطريق اليوم إلى الاستجابة مفتوح وعن قريب سيغلق الباب على القلب بغتة ويؤخذ فلتة فإن أعرضوا عن الإجابة فليس عليك إلا تبليغ الرسالة ثم نحن أعلم بما نعاملهم به من تقليب الحالة وإذا أذقنا الإنسان منا رفاهية ونعمة فرح بتلك الحالة بطراً وتوصل بتمام عاقبته وسلامته إلى دوام مخالفته وإن إصابته فتنة وبلية ومسّتهم مصيبة ورزية فإنه كفور لنعمائنا جحود لِآلائِنا.

﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 49] فله أن يقسم النعمة والبلية كيف يشاء بين البرية ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ [الآية 49] من أنواع المنحة وأصناف المحنة ويقسمها بين عباده بمقتضى مشيئته وموجب حكمته ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا﴾ [الآية 49] أي من البنات ﴿وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾ [الآية 49] من غير لزوم ومجال اعتراض في الأمور.

﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا﴾ [الآية 50] أي يخلطهم عميماً ﴿وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا﴾ [الآية 50] جملة يهب بدل من يخلق والمعنى يجعل أحوال العباد في الأولاد مختلفة على مقتضى المشيئة الإلهية لا على مقتضيات الطبائع البشرية فمن خص الإناث من الأنبياء لوط عليه السلام وبالذكور إبراهيم / عليه السلام 139/ ب
وبالجمع نبينا عليه الصلاة والسلام وبالمنع يحيى وعيسى عليهما السلام ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [الآية 50] فيفعل ما يفعل بحكمته واختياره لبريته.

وقال بعض العارفين: يهب لمن يشاء إناثاً أي العلوم الظاهرية ويهب لمن يشاء الذكور أي المعارف الباطنية أو يزوجهم يجمع لهم بينهما ويجعل من يشاء عقيماً خالياً عنهما.

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾ [الآية 51] وما صح له ﴿أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ [الآية 51] كلاماً خفياً يدرك بسرعة لأنه تمثل ليس في ذاته مركباً من حروف مقطعة بتوقف على تموجات متعاقبة وهو ما يعم المشافهة به كما روي في حديث المعراج وما وعد به في حديث الرؤية والمهتف به كما اتفق لموسى في طوى والطور ولكن

عطف قوله ﴿أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ﴾ [الآية 51] عليه يخصه بالأول فالآية دليل على جواز الرؤية في الجملة لا على امتناعها بالكلية أو يرسل رسولاً أي ملكاً فيوحي إليه بإذنه بأمر ربه باعتبار ذاته ونعته ما يشاء من حكمه وقرأ نافع ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ﴾ [الآية 51] بالرفع فيهما ﴿إِنَّهُۥ عَلِيٌّ﴾ [الآية 51] عن صفات المخلوقين باعتبار ذاته ونفسه ﴿حَكِيمٌ﴾ [الآية 51] يفعل بمقتضى حكمته فيكلم تارة بواسطة وأخرى بغيرها إما عياناً وإما من وراء حجاب.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه بحق ملكه أن يفعل ما يشاء في ملكه ويعطي من يشاء من عباده ما يشاء من أمره ولكن أجرى العادة بأنه لا يفعل إلا ما في هذه الآية فلا يكلم أحداً إلا بالوحي أو من وراء حجاب، يعني وهو لا يرى الحق فالمحجوب يكون العبد لا الرب والحجاب أن يخلق في محل الرؤية ضد الرؤية وتعالى الله عن أن يكون وراء حجاب لأن ذلك صفة الأجسام المحدودة التي تسبل على المحجوب ستراً أو يرسل رسولاً بحق مخاطبته إيانا بإرسال الرسل إلينا.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ﴾ [الآية 52] أي وحياً نحيي به قلوب عبادنا ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ﴾ [الآية 52] أي قبل الوحي ﴿وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ [الآية 52] أي تفاصيل أحكامه ﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ﴾ [الآية 52] أي الروح المراد به الوحي أو الكتاب أو معرفة الإيمان بتفاصيله ﴿نُورًا نَّهْدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ﴾ [الآية 52] المؤمنين بالتوفيق لقبوله والنظر فيه لحصوله ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ﴾ [الآية 52] أي تدل وتدعوا ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الآية 52] دين قويم.

﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ﴾ [الآية 53] مَلِكاً ومُلْكاً
/ ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الآية 53] بارتفاع الوسائط وتعلقات المخلوقين وفيه 140/ أ
وعد للمطيعين ووعيد للمجرمين.

قال القاسم: ألا إلى الله تصير الأمور لأن منه مبدأ كل شيء وإليه منتهى كل شيء فما كان منه وإليه فهو الساعة به وله.

سورة الزخرف

[مكيّة]
وهي تسع وثمانون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: اسم عزيز من وثق بجوده ونعمه لم يعلق بغيره صواعد هممه ولم يقف على شدة مخلوق بقدمه في ابتغاء كرمه اسم عزيز من عوده خفايا لطفه لم يتذلل في طلب شيء لغيره ولم يرجع إلى غيره شره وخيره.

﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢﴾ [الآيتان 1، 2].

﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الآية 3] أقسم بالقرآن على أنه جعله قرآناً عربياً وهو من غريب البدائع لتناسب القسم والمقسم عليه، ولعل إقسام الله تعالى بالأشياء استشهاد بما فيها من الدلالة على المقسم عليه، والقرآن المبين يبيِّن طريق الهداية وما يحتاج إليه في الديانة ﴿لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الآية 3] مبانيه وتفهمون معانيه.

قال سهل: بين فيه الهداية من الضلالة والخير من الشر وسعادة السعداء وشقاوة الأشقياء.

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ [الآية 4] أي القرآن ﴿فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الآية 4] في اللوح المحفوظ لأنه أصل الكتب السماوية ومظهر بعض العلوم الإلهية ﴿لَدَيْنَا﴾ [الآية 4] محفوظ عندنا عن التبديل والتحويل ﴿لَعَلِىٌّ﴾ [الآية 4] رفيع الشأن ﴿حَكِيمٌ﴾ [الآية 4] ذو حكمة بالغة البرهان.

﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا﴾ [الآية 5] أي انهملكم فسنبعد عنكم

الذكر إعراضاً عن تكليفكم والمراد إنكار أنه يكون الأمر على خلاف ما ذكر من إنزال كتاب مبين للخير والشر والنفع والضر ﴿أَن كُنتُمْ﴾ [الآية 5] أي لأجل أن كنتم ﴿قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾ [الآية 5] وهو في الحقيقة علة مقتضية لترك الإعراض عن بيان حال المكلفين وقرأ نافع وحمزة والكسائي أن بالكسر على أن الجملة شرطية مخرجة للمحقق مخرج المشكوك في القضية بياناً لحالهم أنهم من السفهاء وما قبلها دليل الجزاء.

140/ب وقال الأستاذ: أي لا تفعل ذلك والمعنى / أفنقطع عنكم ذكر خطابنا وتعريفنا بما فيه عقابنا وثوابنا بأن أسرفتم في خلافكم على بابنا أي لا نرفع عنكم التكليف بأن خالفتم ولا نهجركم بقطع الكلام معكم وإن أسرفتم وفي هذا إشارة لطيفة وهو أنه لا يقطع الخطاب اليوم عمن تمادى في عصيانه وأسرف في أكثر شأنه فأرجو أن من لم يقصر في إيمانه وإن تلطخ بعصيانه ولم يدخل في ميدان عرفانه لا يمنع عند لطالب غفرانه.

﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ﴾ [الآيتان 6،7] ﴿إِلَّا كَانُوا۟﴾ أي أكثرهم ﴿بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الآية 7] وفيه تسلية لرسوله عن استهزاء قومه به.

﴿فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم﴾ [الآية 8] من القوم المسرفين ﴿بَطْشًا﴾ [الآية 8] قوة وشوكة ﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الآية 8] وسبق في القرآن المبين قصتهم العجيبة وقضيتهم الغريبة وفيه وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين الآخرين بمثل ما جرى الأولين.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾﴾ [الآية 9] أي الله المنعوت بصفات الجلال والجمال.

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾ [الآية 10] أي كالمهد فتستقرون فيها وقرأ غير الكوفيون مهاداً أي فراشاً ممهداً والموصول مقطوع عما قبله مرفوع على أنه مستأنف خبر مبتدأ مقدر هو هو ومنصوب بتقدير أعني قبله ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ [الآية 10] تسلكونها ﴿لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الآية 10] لكي تهتدوا إلى مقاصدكم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه ذكر وصفه في انفراده بإبداعه واختراعه فقال: الذي جعل لكم الأرض مهداً فكما جعل لهم الأرض قراراً لأشباحهم جعل الأشباح قراراً لأرواحهم فالخلق سكان الأرض والأرواح سكان النفوس فإذا انتهى مدة كون النفوس على الأرض حكم الله بخرابها كذلك إذا فارقت الأرواح الأشباح بالكلية قضى الله بخرابها.

﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٍ﴾ [الآية 11] بمقدار مقدر ينفع ولا يضر ﴿فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًاۚ﴾ [الآية 11] أحيينا به مكاناً زال عنه النماء ﴿كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الآية 11] تنشرون من قبوركم. وقرأ ابن ذكوان وحمزة والكسائي بفتح الياء وضم الراء.

وقال الأستاذ: كما يحيي الأرض بالمطر يحيي القلوب بحسن النظر.

﴿وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا﴾ [الآية 12] أصناف المخلوقات جميعها.

141/ أ / وقال الأستاذ: كذلك جنس عليكم الأحوال كلها فمن رغبة في الخيرات ومن رهبة في العقوبات وخوف يحملكم على ترك الزلات ورجاء يبعثكم على فعل الطاعات طمعاً في المثوبات وغير ذلك من فنون الصفات ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [الآية 12] أي الإبل ﴿مَا تَرْكَبُونَ﴾ [الآية 12] أي فيه أو عليه.

﴿لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ [الآية 13] أي ظهور ما تركبون ﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ﴾ [الآية 13] بقلوبكم معترفين بها حامدين عليها بألسنتكم ﴿إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا﴾ [الآية 13] المركوب ﴿وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ﴾ [الآية 13] مطيقين.

﴿وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الآية 14] أي راجعون والنكتة في اتصال هذه الجملة أن الركوب للرحلة والنقلة العظمى هو الانقلاب إلى المولى.

قال ابن عطاء: خاطب العوام بأنهم يذكرون النعم في وقت دون وقت وفي حالة دون حالة لأنهم لا يعرفون نعم الله عليهم في كل نفس وطرفة ولحظة ولمحة وسكون وحركة.

وقال أبو بكر بن طاهر: ليكن ركوبهم على الدواب ضرورة على المشي في الحاجة أو حرباً في المجاهدة ولا يكون ركوبهم عليها ركوب اللهو والفخرة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه كما سخّر لهم الفلك في البحر والدواب في البر للركوب عليها وأعظم المنة بذلك عليهم فيها كذلك سهل للمؤمنين مركب التوفيق فحملهم عليه إلى بساط الطاعة وسهل للمريدين مركب الإرادة فحملهم عليه إلى عرصات الجود وعرفات الوجود وسهل للعارفين مركب الهمة وأناخوا بقوة العزة وعند ذلك محط الكافة لم يخرق سرادقات العز همة مخلوق سواء كان ملكاً مقرباً أو نبياً مرسلاً أو ولياً مكرماً وعند سطوات العز يتلاشى كل مخلوق ويقف وراءها كل محدث مسبوق.

﴿وَجَعَلُواْ﴾ [الآية 15] أي كفار مكة ﴿لَهُۥ﴾ [الآية 15] أي الله سبحانه ﴿مِنۡ عِبَادِهِۦ جُزۡءًاۚ﴾ [الآية 15] وقرأ أبو بكر بضمتين أي ولداً حيث قالوا الملائكة بنات الله ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ مُّبِينٌ﴾ [الآية 15] ظاهر الكفران ومن ذلك نسبة الولد للرحمن لأنها من فرط الجهل وغاية الطغيان.

﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخۡلُقُ بَنَاتٖ﴾ [الآية 16] وهم الجزء الأخس لديكم وأبغض الأجزاء إليكم ﴿وَأَصۡفَىٰكُم بِٱلۡبَنِينَ﴾ [الآية 16] واختياركم بإعطاء ما تختارونه من الجزء الأحسن عندكم وفي العبارة إشارة إلى أن ما سوى / الله مخلوق له فلا 141/ ب
يتصور له الولد حقيقة وأما الاتخاذ على التوسعة فلو وجد لما كان أخس الأشياء فصنيعهم هذا دل على أنهم من أجهل السفهاء.

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحۡمَٰنِ مَثَلٗا﴾ [الآية 17] أي بالجنس الذي جعله له إذ الولد لا بدّ أن يكون لوالده مماثلاً ﴿ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا﴾ [الآية 17] صار وجهه أسود في الغاية لما يعتريه من الحزن والكآبة ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [الآية 17] مملوء القلب من كثر الكرب.

﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ﴾ [الآية 18] أي واتخذ من يتربى في الزينة يعني البنات ﴿وَهُوَ فِي ٱلۡخِصَامِ﴾ [الآية 18] في المجادلة مع الرجال ﴿غَيۡرُ مُبِينٖ﴾ [الآية 18]

غير مقدر لما يدعيه من نقصان عقله وضعف رأيه وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالتشديد مجهولاً أي يربي في الخلوة دون الجلوة.

﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا﴾ [الآية 19] كفر آخر من قبح أحوالهم تضمنه سوء مقالهم وهو جعلهم أكمل العباد وأكرمهم على الله مقاماً وأنقصهم رأياً وأحسنهم صنفاً وقرأ الحجازيان والشامي عند علي تمثيل زلفا لهم وتقربهم عند مولاهم ﴿أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ﴾ [الآية 19] احضروا خلق الله أياهم فشاهدهم إناثاً فشهدوا فإن ذلك مما يعلم بالمشاهدة وهو تجهيل لهم وتهكم بهم وقرأ نافع بهمزة الاستفهام وهمزة مضمومة مسهلة على صيغة المجهول ﴿سَتُكْتَبُ شَهَـٰدَتُهُمْ﴾ [الآية 19] التي شهدوا بها على الملائكة ﴿وَيُسْـَٔلُونَ﴾ [الآية 19] عنها يوم القيامة.

﴿وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَـٰنُ﴾ [الآية 20] عدم عبادة الملائكة والأصنام ﴿مَا عَبَدْنَـٰهُم﴾ [الآية 20] فاستدلوا بنفي مشيئته عدم العبادة على امتناع النهي عنها أو على تحقق حسنها وذلك باطل لأن المشيئة ترجيح بعض الممكنات على بعض في عالم الوجود مأموراً كان أو منهياً مستحسناً كان أو مستقبحاً ولذلك جهلهم فقال ﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ﴾ [الآية 20] الاستدلال ﴿مِنْ عِلْمٍ﴾ [الآية 20] يفيد في معرض الجدال ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الآية 20] يحتالون ويتكلفون المحال.

وأفاد الأستاذ: أنهم إنما قالوا ذلك استهزاء واستبعاداً لا إيماناً وإخلاصاً فقال تعالى: ﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ [الآية 20] فلو علموا ذلك وقالوا على وجه التصديق لم يكن ذلك معلولاً منهم في مقام التحقيق.

﴿أَمْ ءَاتَيْنَـٰهُمْ كِتَـٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ﴾ [الآية 21] قبل القرآن على صحة ما قالوه من البرهان ﴿فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ﴾ [الآية 21] بذلك الكتاب مستمسكون والحاصل/ أن 142/أ
كلامهم خارج عن طريق العقل وتحقيق النقل وإنما هو مبني على محض التقليد وصرف الجهل.

﴿بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا﴾ [الآية 22] أسلافنا ﴿عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ [الآية 22] طريقة مسلوكة ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ [الآية 22] أي جنحوا إلى تقليد آبائهم الجهلة.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ [البَقَرَة: الآية 143] ومثل هذه الحالة ﴿مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ﴾ [الآية 23] أي تنعموها ﴿إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ﴾ [الآية 23] وتخصيص المترفين إشعار بأن التنعم وحب البطالة صرفهم عن النظر في الدلالة إلى تقليد أرباب الضلالة وأصحاب الجهالة وإيماءً إلى أن غالب المؤمنين كانوا فقراء وعلماء في كل وقت وحين.

﴿قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ﴾ [الآية 24] أي أتتبعون أهواءكم وتقلدون آباءكم لو جئتكم بأهدى من دين قدمائكم وهو حكاية أمر ماض أوحي إلى كل نذير ويؤيده أنه قرأ ابن عامر وحفص قال ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ [الآية 24] أي وإن كان أهدى إقناطاً للنذير من أن ينظروا ويتفكروا فيه.

﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡۖ﴾ [الآية 25] باستئصالهم ﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ [الآية 25] أي سوء أحوالهم وقبح مآلهم.

قال أبو عثمان علامة انتقام الله من عباده أن يجريهم في ميدان الغفلة ولا يحملهم على مدارج الذكر ومعارج الفكر ورياض القدس وحياض الإنس.

﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ﴾ [الآية 26] أي بريء وقرئ به ﴿مِّمَّا تَعۡبُدُونَ﴾ [الآية 26] أي من عبادتكم أو آلهتكم والمعنى واذكر وقت قوله هذا ليروا كيف تبرأ عن التقليد حين تولى التوفيق بالتحقيق والتأييد.

﴿إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾ [الآية 27] أي لكن الذي خلقني ابتداء ﴿فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ﴾ [الآية 27] إلى ما وراء ما هداني إليه انتهاء.

﴿وَجَعَلَهَا﴾ [الآية 28] أي جعل الله كلمة التوحيد ﴿كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ﴾ [الآية 28] في ذرية فيكون فيهم أبداً من يوحد الله ويدعوا إلى ملته ﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [الآية 28] أي من أشرك منهم حين ظهور حجته.

﴿بَلۡ مَتَّعۡتُ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [الآية 29] الكفار المعاصرين للرسول المختار

﴿وَءَابَآءَهُمْ﴾ [الآية 29] بالمد في العمر وأنواع النعمة فاغتروا بذلك وانهمكوا في أصناف الشهوة ﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [الآية 29] دعوته ﴿وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ [الآية 29] ظاهر رسالته.

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [الآية 30] ينبههم عن غفلتهم ﴿قَالُواْ/ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ 142/ ب
كَٰفِرُونَ﴾ [الآية 30] زادوا في شرارتهم بإظهار معاندتهم قسموا القرآن سحراً وصرحوا به كفراً واستحقروا بالرسول فقراً.

﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ﴾ [الآية 31] أي من أحداهما مكة والطائف ﴿عَظِيمٍ﴾ [الآية 31] بالجاه والمال كالوليد بنن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي قال: الرسالة منصب عظيم لا يليق إلا بعظيم ولم يعلموا أنها الرتبة الروحانية فتستدعي عظمة النفس بالتجلي بالفضائل الأنسية والشمائل القدسية لا التزخرف بالزخارف والدنيوية.

﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ [الآية 32] أي نبوّته التي أعلى مراتب أهل العقبى ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الآية 32] وهم عاجزون عن تدبير ومتحيرون في تقديرها وهو خويصة أمرهم في دنياهم فمن أين لهم أن يتدبروا أمر النبوة التي هي أعلى المراتب في دنياهم وأخراهم قال بعضهم: لم يترك قسمة معاش الدنيا بالعبد مع خسته وكثافته فكيف يترك قسمة الرحمة بالعبد مع شرافته ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ [الآية 32] أوقعنا بينهم التفاوت في الرزق وغيره ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الآية 32] ليستعمل بعضهم بعضاً في حوائجهم فيحصل بينهم تآلف ينتظم بذلك نظام أعمالهم وأحوالهم لا لكمال في الموسع عليه ولا لنقص في المضيق عليه ثم الاعتراض لهم علينا في ذلك فكيف يكون فيما هو أعلى من هنالك ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ﴾ [الآية 32] يعني النبوة وما يتبعها من الإيمان والمعرفة ﴿خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الآية 32] من حطام الدنيا وزخرفها فالعظيم من يرزق من الرحمة الخاصة لا من النعمة العامة.

قال ابن عطاء: اعتذار من الله لأنبيائه وأوليائه إنه لم يذد عنهم الدنيا إلا لأنها لا خطر لها ولا قدر عنده فيها وإنها فانية فآثر لهم العقبى التي هي

باقية انتهى. ويؤيده ما قال صلى الله عليه وسلم: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة لما سقى منها كافراً شربة ماء»(1).

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة من هذه العبارة إنه الحق سبحانه وتعالى لم يجعل/ قسمة السعادة والشقاوة إلى أحد من خلقه وإنما المردود في حكمه 143/ أ
وقضائه وقدره من ردّه والمقبول في حكمه من جملة عباده من أراده ومن قبله قبله لا لعلة وسبب ومن رده رده لا لأمر مكتسب إنما ذلك سبباً يتغير معلوله، وقضاؤه غير مردود ثم قسم لبعض عباده النعمة والغناء ولبعض الفقر والعنا وجعل لكل واحد منهم سكناً يسكنون إليه ويشتغلون به فللأغنياء وجود الأنعام وجزيل الأقسام فشكروا واستبشروا وللفقراء من هؤلاء شهود القسام فحمدوا وافتخروا فالأغنياء وجدوا النعمة واستغنوا واشتغلوا والفقراء سمعوا قوله نحن فاستقلوا وفي الخبر أنه عليه السلام قال للأنصار: أما ترضون أن يرجع الناس بالشاة والغنم وترجعون بالنبي إلى أهاليكم فقالوا: رضينا رضينا(2).

وقوله: ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الآية 32] أي لو كانت المقادير متساوية لتعطلت المعايش ولبقي كل على حاله فجعل بعضهم مخصوصاً بالترف والمال وآخرين بالفقر ورقة الحال حتى احتاج الفقير في حين حاجته إلى أن يعمل للغني ليرتفق من جهته فيصلح بذلك أمر الغني والفقير جميعاً انتهى. ولما كان هنا مظنة سؤال وإيراد إشكال وهو أن أكثر الأبرار فقراء وأكثر الفجار أغنياء فما الحكمة في ذلك وما النكتة لما هنالك ولم لم يعكس البلية مع أنه بها أيضاً يتم نظام القضية وأيضاً بمقتضى القسمة الإلهية أن تكون الدنيا جنة الكافر كما أنها سجن المؤمن فيوجب ذلك أن يكون الكافر بوصف يكون المؤمن هنالك قال تعالى.

﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [الآية 33] لولا كراهة أن يرغبوا في

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (4/ 341) رقم (7847)، والترمذي في الجامع الصحيح (4/ 560) رقم (2320)، والبيهقي في شعب الإيمان (7/ 325) رقم (10465).
(2) أخرجه البخاري في الصحيح (4330)، ومسلم في الصحيح (1061/ 139).

الكفر إذا رأوا الكفار في سعة ونعمة لحبهم الدنيا العاجلة وذهولهم عن العقبى الآجلة فيجتمعوا على الكفر والطغيان ولم يلتفتوا إلى الإيمان والعرفان ﴿لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الآية 33] بناءً على حقارة الدنيا وحرمان الكافر عن نظارة 143/ب العقبى ﴿لِبُيُوتِهِمْ/ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ﴾ [الآية 33] وقرأ ابن كثير وأبو عمرو سقفاً اكتفاءً بجمع البيوت ﴿وَمَعَارِجَ﴾ [الآية 33] مصاعد ﴿عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ [الآية 33] يعلون السطوح.

﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا﴾ [الآية 34] أي من فضة ﴿عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ﴾ [الآية 34] على أرائكهم.

﴿وَزُخْرُفًا﴾ [الآية 35] وزينة عطفاً على سقفاً أو ذهباً عطف على محل من فضة ﴿وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الآية 35] إن هي المخففة واللام على الفارقة وقرأ نافع وعاصم وهشام في رواية لما بالتشديد بمعنى ألا وإن نافية والمعنى أنه تمتع قليل عام للمؤمنين والكافرين ﴿وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ﴾ [الآية 35] خاصة ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الآية 35] لمن اتقى الكفر والمعصية وفيه إشارة إلى أن العظيم هو العظيم في العقبى لا في الدنيا وإشعار بما لأجله لم يجعل ذلك للمؤمنين حتى يجتمع الناس على الإيمان وهو أنه تمتع يسير بالإضافة إلى ما لهم في الآخرة من أجر كثير مخل في الأغلب بالطاعات لما فيه من الآفات قلّ من يتخلص عنها ويسلم منها.

قال أبو بكر الوراق: التقوى سراج القلب يدله على موضع الخلل منه فيصلحه ومن لم يكن له تقوى لم يكن له في قلبه نظر ولا بصر ينفعه ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ﴾ [البقرة: الآية 282].

﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الآية 36] يتعام عن رؤية الآيات ويعرض عن الأذكار والدعوات ويتغافل عن وظائف الطاعات بسبب فرط اشتغال بالمحسوسات وانهماكه في الشهوات ﴿نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا﴾ [الآية 36] نقدره له ونسلطه عليه ﴿فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ [الآية 36] يوسوس له ويغويه في دوام الأوقات وتمام الحالات.

قال سهل: حكم الله تعالى أنه لا يرى قلب عبد يسكن إلى شيء سواه إلا أعرض عنه وسلط عليه الشيطان ليضله عن طريق الحق ويغويه عن سبيل الصدق.

وأفاد الأستاذ: إن من لم يعرف قدر الخلوة مع الله فحاد عن أذكاره العلية وأخلد إلى خواطره الردية قيض الله له من يشغله عن الله بالأمور الدنيوية فهذا جزاء من ترك الأدب في الخلوة الرضية وإذا اشتغل العبد في
خلوته بربه فإذا تعرض له من يشغله عن ذكره صرف الحق/ عنه بأي وجه كان 144/ أ
وصرف دواعيه عن معالجته بما يشغله عن ربه ويقال: أصعب الشياطين نفسك الذي بين جنبيك والعبد إذا لم يعرف قدر فراغ قلبه للاشتغال بذكر ربه واتبع شهوته ومتمناه وفتح ذلك على نفسه بقي أسيراً في يد هواه لا يكاد يتخلص عنه إلا بعد مدة أرادها الله.

﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الآية 37] عن الطريق الذي من حقه أن يسلك وجمع الضميرين لإرادة الجنسين من العاشي والشيطان المذكورين ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الآية 37] أي يظن العاشون أن الشياطين مهتدون إلى الحق وهادون إلى الصدق.

وأفاد الأستاذ: أن الذي سولت له نفسه مراً فيتوهم أنه على صواب وإنه قصد خيراً ثم يحمل صاحبه على موافقته في باطله ويدعي أنه حق في أصله فقد أضر بنفسه وبغيره ثم أنه إذا انكشف غداً الغطاء تبين خيانة صاحبه وندم على صحبته حين لا ينفع في ندامته.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا﴾ [الآية 38] أي العاشي مع قرينه أو كل واحد منهما وقرأ الحجازيان وابن عامر وأبو بكر جاءنا أي العاشي والشيطان ﴿قَالَ﴾ [الآية 38] أي العاشي للشيطان ﴿يَٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ﴾ [الآية 38] بعد المشرقين المشرق من المغرب فغلب المشرق وأضيف البعد إليهما ﴿فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ﴾ [الآية 38] أنت على ما ظهر في هذا الحين.

﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ [الآية 39] أي ما أنتم عليه من التمني في العقبى ﴿إِذ

﴿ظَلَمْتُمْ﴾ [الآية 39] حين تبين ﴿أَنَّكُمْ﴾ [الآية 39] ظلمتم أنفسكم في الدنيا وهو بدل من اليوم إنكم ﴿فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ [الآية 39] أي لأن حقكم أن تشتركوا أنتم وشياطينكم في العذاب كما كنتم مشتركين في أسبابه من أنواع الحجاب.

﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ﴾ [الآية 40] كلام الصدق ﴿أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ﴾ [الآية 40] إلى طريق الحق ﴿وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الآية 40] روي إنها نزلت حين كان صلى الله عليه وسلم يتعب نفسه في دعاء في قومه وهم لا يزيدون إلا جفاءً في حقه.

وقال الأستاذ: أي ليس يمكنك هداية من سددنا بصيرته ولبسنا عليه رشده ومن صببنا في مسامع أذنه رصاص الشقاء والحرمان فكيف يمكنك إسماعه القرآن وتفهيمه الإيمان.

144/ ب ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾ [الآية 41] فإمّا قبضناك قبل أن نصرناك ﴿فَإِنَّا/ مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾ [الآية 41] بعدك في الدنيا والأخرى.

﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ﴾ [الآية 42] أي أو إن أردنا أن نريك ما وعدناهم من عذابنا ﴿فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ﴾ [الآية 42] لا يفوتوننا ولا يعجزوننا.

وقال الأستاذ: يعني أن انقضى أجلك ولم يتفق لك شهود ما نتوعدهم بذلك فلا يتوهم أن صدق كلامنا يشوبه مين أن ما أخبرنا عنه فلا محالة سيكون له أين أثبته على حد الخوف والرجاء ووقفه على وصف التجويز لاستبداده سبحانه بعلم الغيب وكذلك المقصود في الأمر من كل أحد أن يكون من جملة نظارة التقدير ويفعل الله ما يريد.

﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ﴾ [الآية 43] من آيات القرآن وشرائع الإيمان ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الآية 43] دين قويم.

قال ابن عطاء: أمر الله تعالى نبيه عليه السلام بالاستمساك وهو لم يخل من التمسك بما أمر به لحظة لكنه خاطبه لرفع درجته وعظيم مرتبته لتكون أنت مبادراً بآداب التمسك والاقتداء ليتم لك باب الوصل والاهتداء

ويعلم ويعلم أن مثله إذا خوطب بمثل هذا الخطاب ما الذي يلزمك من الاجتهاد في هذا الباب.

وقال الأستاذ: أي اجتهد من غير تقصير وتوكل على الله من غير فتور وقف حيث ما أمرت بما أمرت من أمر قويم وفق بأنك على صراط مستقيم.

﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ﴾ [الآية 44] لوعظ وتذكر ﴿لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ﴾ [الآية 44] لمن اتبعك ﴿وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ﴾ [الآية 44] عن قيامكم بحقه يوم ظهور حكمه.

قال ابن عطاء: إنه لشرف لك بانتسابك إلينا وشرف لقومك بالانتساب إليك لعظمتك لدينا.

﴿وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ﴾ [الآية 45] أي سل علماء دينهم وسائر أممهم ﴿أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ﴾ [الآية 45] هل حكمنا بعبادة الأوثان في ملة من مللهم والمراد الاستشهاد بإجماع الأنبياء على التوحيد والدلالة على أنه ليس ببدع من الرسل في مقام التفريد أو المراد بهذا الخطاب غيره ممن يتردد ويرتاب ولا يبعد أن يكون الأمر بالسؤال من الرسل والأنبياء في ليلة الإسراء لكنه عليه السلام لما كان في المقام الأكمل قال: «لا أشك ولا أسأل».

145/ أ ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا/ مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ [الآية 46] أي التسع من معجزاتنا ﴿إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الآية 46] فيه تسلية له صلى الله عليه وسلم وإشارة إلى أن دعوة موسى عليه لم تكن إلا إلى التوحيد والإسلام ورد لقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فإنه وأكثر الأنبياء لم يكونوا أغنياء بل كانوا فقراء وضعفاء وكذا أتباعهم وأشياعهم كما جرى به القضاء.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنۡهَا يَضۡحَكُونَ﴾ [الآية 47] فاجاؤوا وقت ضحكهم والمعنى استهزؤوا بها أول ما رأوها ولم يتأملوا فيها.

﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنۡ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكۡبَرُ مِنۡ أُخۡتِهَاۖ﴾ [الآية 48] أي إلا وهي

بالغة في الإعجاز أقصى درجاتها بحيث يحسب الناظر فيها أنها أكبر مما يقاس إليها من الآيات تمامها والمراد وصف كل منها بالكبر في بابها ﴿وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ﴾ [الآية 48] كالسنين والطوفان والجراد ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الآية 48] على وجه يرجى رجوعهم إلى طريق الرشاد.

﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ﴾ [الآية 49] نادوه به في شدة حالتهم لفرط حماقتهم وغاية عداوتهم ﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ [الآية 49] ليكشف العقوبة عنا ﴿بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ [الآية 49] بعهدِهِ عندك من النبوة أو استجابة الدعوة ﴿إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ﴾ [الآية 49] بشرط أن تدعوا لنا ويكشف عنا.

﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [الآية 50] فاجأ وانكث عهدهم بالاهتداء إلى طريق الصواب.

﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ﴾ [الآية 51] بنفسه أو مؤذنه ﴿فِى قَوْمِهِۦ﴾ [الآية 51] في مجمعهم أو فيما بينهم بعد كشف العذاب عنهم مخافة أن يؤمن بعضهم ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الآية 51] أي أنهار النيل ومعظمها أربعة نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر نيّس ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ﴾ [الآية 51] تحت أمري أو قعري ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الآية 51] عزي وقدري.

﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ﴾ [الآية 52] أي بل أنا خير مع هذه المملكة والبسطة في الجاه والمال ﴿مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ﴾ [الآية 52] ضعيف فقير حقير الحال لا يستعد للرياسة ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [الآية 52] الكلام لما به من الرقة فكيف يصلح للسياسة.

وأفاد الأستاذ: أنه تعزّز بملك مصره وجري النيل بأمره فكان هلاكه في قعره ليعلم أن من تعزز بشيء دون الله فحتفه وهلاكه/ فيه دون غيره واستصغر 145/ ب
حديث موسى وعابه بفقره فسلطه على أمره وجعل هلاكه بيديه ليعلم أن أحداً ما استحقر أحداً إلا سلط عليه.

﴿فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ﴾ [الآية 53] قرأ حفص سورة ﴿مِّن ذَهَبٍ﴾ [الآية 53] أي فهلّا ألقى إليه مقاليد الملك إن كان صادقاً في الاقتدار إذا كان من عادتهم أنهم إذا سودوا رجلاً سوروه بالسوار ﴿أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ [الآية 53]

مقرونين يعينونه بالإقرار.

﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ﴾ طلب الخفة منهم في مطاوعة أمره ﴿فَأَطَاعُوهُ﴾ فيما أمرهم به ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ [الآية 54] خارجين عن نهج العقل وطوره.

﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا﴾ [الآية 55] أغضبونا بالإفراط في عنادهم وعصيانهم في بلادهم ﴿ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الآية 55].

قال ابن عطاء: إذا كان عصيان الرسل عصياننا فمن أسفهم أسفنا.

وقال الأستاذ: أي أغضبونا وإنما أراد أغضبوا أولياءنا وهذا أصل في باب الجمع أضاف إيسافهم أولياءه إلى نفسه وفي الخبر القدسي أنه يقول: «مرضت فلم تعدني»(1).

وقال في قصة إبراهيم عليه السلام: ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ [الحج: الآية 27] والمعنى يأتونا أو بيتنا. وقال في قصة نبينا صلى الله عليه وسلم: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: الآية 80].

﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا﴾ [الآية 56] قدوة لمن بعدهم من الكفار يقتدرون بهم في استحقاق مثل عقابهم مصدر نعت بهم أو جمع سالف كخدم وقرأ حمزة والكسائي بضمتين جمع سليف كرغف جمع رغيف ﴿وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ﴾ [الآية 56] وعظة وعبرة للمتأخرين.

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾ [الآية 57] ضربه ابن الزبعري من المشركين قبل دخوله في الإسلام لما جادل النبي عليه السلام في قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: الآية 98] بأن قال النصارى أهل كتاب وهم يعبدون عيسى ويزعمون أنه ابن الله فالملائكة أولى بذلك(2) ﴿إِذَا

---

(1) أخرجه مسلم في الصحيح (2569/ 43)، وابن حبان في الصحيح (1/ 503) رقم (269).

(2) أخرجه الحاكم في المستدرك (2/ 416) رقم (3449)، والطبراني في المعجم الكبير (12/ 153) رقم (12739)، وابن أبي شيبة في المصنف (6/ 340) رقم (31882).

﴿قَوۡمُكَ﴾ [الآية 57] قريش ﴿مِنۡهُ﴾ [الآية 57] من هذا المثل ﴿يَصُدُّونَ﴾ [الآية 57] يضجون ويصيحون فرحاً لظنهم أن الرسول صار به ملزماً وقرأ نافع وأبو عامر والكسائي بضم الصاد أي يصدون عن الحق ويعرضون عنه وقيل: وهما لغتان ومعناهما يضجون فرحاً.

﴿وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ﴾ [الآية 58] أي عندك ﴿أَمۡ هُوَۚ﴾ [الآية 58] أي
146/أ عيسى/ فإن كان في النار فليكن آلهتنا معه ﴿مَا ضَرَبُوهُ﴾ [الآية 58] أي هذا المثل ﴿لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ﴾ [الآية 58] لأجل الخصومة والطغيان لا لتمييز الحق من البطلان ﴿بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ﴾ [الآية 58] شداد الخصومة حراص على لجاج المجادلة وتمام الجواب ما سبق في سورة الأنبياء من أن عيسى ونحوه ممن عبد من دون الله ليس داخلاً في ما تعبدون لما تقرر من أن ما لغير ذوي العقول وعلى تقدير عمومها استدرك بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ﴾ [الأنبياء: الآية 101] ولعله اكتفى هنا عن تمام الجواب بقوله: ﴿إِنۡ هُوَ﴾ [الآية 59] أي ما عيسى ﴿إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ﴾ [الآية 59] بالنبوة ﴿وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [الآية 59] أمراً عجيباً وشأناً غريباً حيث خلقناه من غير أب وخلقناه إلينا قريباً.

﴿وَلَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَا مِنكُم﴾ [الآية 60] بدلكم ﴿مَّلَٰٓئِكَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَخۡلُفُونَ﴾ [الآية 60] أي يعقبون ويترددون.

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ [الآية 61] أي نزول عيسى ﴿لَعِلۡمٞ لِّلسَّاعَةِ﴾ [الآية 61] أي من أشراطها يعلم به دنُوها وفي الحديث ينزل عيسى على ثنية بالأرض المقدسة يقال لها: افتق وبيده حربة بها يقتل الدجال فيأتي بيت المقدس والناس في صلاة الصبح فيتأخر الإمام يعني المهدي فيقدمه عيسى ويصلي خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى إلا من آمن به[1] ﴿فَلَا تَمۡتَرُنَّ بِهَا﴾ [الآية 61] فلا تشكن في حقية

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (2/ 79) رقم (1309)، وفي المعجم الصغير (1/ 69) رقم (84)، وأبو يعلى في المسند (10/ 279) رقم (5877)، وأحمد في المسند (2/ 394) رقم (9110)، وعبد الرزاق في المصنف (11/ 401) رقم (20845).

الساعة ووقوعها ﴿وَٱتَّبِعُونِۚ﴾ [الآية 61] واتبعوا شرعي أو رسولي ﴿هَٰذَا﴾ [الآية 61] الذي ادعوكم إليه ﴿صِرَٰطٌ مُّسۡتَقِيمٌ﴾ [الآية 61] لا يضل سالك لديه.

﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُۖ﴾ [الآية 62] عن المتابعة ﴿إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الآية 62] ظاهر العداوة بأن أخرجكم من الجنة وأوقعكم في المحنة.

﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ [الآية 63] بالمعجزات أو بالشرائع الواضحات ﴿قَالَ قَدۡ جِئۡتُكُم بِٱلۡحِكۡمَةِ﴾ [الآية 63] بالإنجيل والشريعة ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي تَخۡتَلِفُونَ فِيهِۖ﴾ [الآية 63] من أمر دينكم فإن الأنبياء لم يبعثوا إلينا أمر الدنيا ولذا قال عليه السلام أنتم أعلم بأمور دنياكم ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [الآية 63] فيما أنهاكم ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ [الآية 63] فيما أمركم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ﴾ [الآية 64] بيان لما أمرهم من إطاعة الطاعة وهو اعتقاد التوحيد في الألوهية والتفريد في الربوبية والتعبد بأحكام الشريعة في العبودية ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسۡتَقِيمٌ﴾ [الآية 64] طريق قويم.

146/ب ﴿فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ﴾ [الآية 65] / الفرق المتحزبة والطوائف المجتمعة من بين النصارى أو اليهودي والنصراني من بين قومه المبعوث إليهم ﴿فَوَيۡلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ [الآية 65] أي ممن ثبت على ظلمه من المتحزبة ﴿مِنۡ عَذَابِ يَوۡمٍ أَلِيمٍ﴾ [الآية 65] يوم القيامة.

﴿هَلۡ يَنظُرُونَ﴾ [الآية 66] أي الظالمون اجتمعوا ﴿إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم﴾ [الآية 66] بدل والمعنى ما ينتظرون إلا إتيان الساعة ﴿بَغۡتَةً﴾ [الآية 66] فجأة ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [الآية 66] غافلون عنها لإنكارهم لها ولاشتغالهم بأمور الدنيا وما يتعلق بها.

﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ﴾ [الآية 67] الأحباء ﴿يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ﴾ [الآية 67] ويكونون يومئذ كالأعداء ﴿إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [الآية 67] إلا المؤمنين الأتقياء فإن خلّتهم لمّا كانت في الله ومرضاته تبقى نافعة في السراء والضراء.

وأفاد الأستاذ: أن الأخلاء الذين اصطحبوا على مقتضى الأهواء يتبرأ

بعضهم عن بعض وأما الأخلاء في الله فيشفع بعضهم في بعض وشرط الخلة في الله أن لا يستعمل بعضهم بعضاً في الأمور الدنيوية ولا يرتفق بعضهم ببعض في الأغراض الدنية حتى تكون الصحبة خالصة للمولى لا نصيب لها في الدنيا ولا يجري بينهم مداهنة في المعاملة فبقدر ما يرى فيه من قبول طريق الله له يقبله فإذا علم منه شيئاً لا يرضاه الله لا يرضى من صاحبه فإذا عاد إلى تركه عاد إلى موته وإلا فلا يساعده على معصيته ثم يتقي بقلبه أن يسكن إليه لغرض دنيوي أو لطمع أو عوض دني.

﴿يَـٰعِبَادِ﴾ [الآية 68] وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وحفص بغير الياء وأبو بكر بفتح الياء ﴿لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ﴾ [الآية 68] حكاية لما ينادي به المتقون المتحابون.

قال الصادق: لا خوف على من أطاعني في الفريضة واتبع رسولي في السنة وقيل: لا خوف في العقبى على من خافني في الدنيا وقيل: الخوف على القالب والحزن على القلب.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ [الآية 69] صفة للمنادى ﴿وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ﴾ [الآية 69] أي مخلصين في إحسانهم وإيمانهم أو مستسلمين لقضائه ومنقادين لما فيه من رضائه.

وأفاد الأستاذ: أن يقال لهم غداً ﴿يَـٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ﴾ [الآية 68] مما يلقاه أهل الجمع من الأهوال ﴿وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ﴾ [الآية 68] فيما قصرتم فيه من الأعمال أما الذنوب فعفوناها وأما الأهوال فكفيناها وأما المظالم فقضيناها
فإذا قال المنادي / هذا الخطاب يطمع الكل ويقولون نحن عباده في هذا الباب 147/ أ
فإذا قال الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين أيس الكفار وقوي رجاء الأبرار.

﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ﴾ [الآية 70] نساؤكم المؤمنات قيل: وأشكالكم ومن هو في درجاتكم ﴿تُحۡبَرُونَ﴾ [الآية 70] تسرون أو تزينون أو تكرمون أو تفتون أو تبسطون.

﴿يُطَافُ عَلَيۡهِم بِصِحَافٖ مِّن ذَهَبٖ وَأَكۡوَابٖ﴾ [الآية 71] أي من ذهب والصحاف جمع صحفة والأكواب جمع كوب وهو كوز لا عروة له ﴿وَفِيهَا﴾ [الآية 71] وفي

الجنة ﴿مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ﴾ [الآية 71] وقرأ ابن عامر ونافع وحفص تشتهيه أي في معيشته ﴿وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ [الآية 71] بمشاهدته ﴿وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الآية 71] دائمون فإن كلّ نعيم زائل موجب لكلفة الحفظ وخوف الزوال ومستعقب للتحسر في ثاني الحال وما أحسن من قال:

أشد الغم عندي في سرور تيقن عنه صاحبه انتقالاً

قال جعفر: شتان بين ما تشتهي الأنفس وبين ما تلذ الأعين لأن جميع ما في الجنات من النعيم والشهوات في جنب ما تلذ الأعين أصبع يغمس في البحر لأن شهوات الجنة لها حد ونهاية وما تلذ الأعين في الدار الباقية من لقائه لا حد له ولا صفة ولا غاية.

وقال الواسطي: الذي ذكر مما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين ثواباً لأوليائه لم يقدر أحد أن يصفه فكيف يقدر أحد على وصف مثيبه انتهى وكأنه أشار إلى معنى الحديث القدسي: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»[1].

وقال الأستاذ: لهم فيها ما تشتهي أنفسهم لأنهم قاسوا في الدنيا بحكم المجاهدة ألم الجوع والعطش وتحملوا وجوه المشاق في كل باب فيجازون في الجنة بوجوه من الثواب وأما أهل المعرفة والمحبة فلهم ما تلذ أعينهم من النظر إلى الله لطول ما قاسوه من شدة الفراق وفرط الاشتياق بقلوبهم وما علوه من الاحتراق لشدة غليلهم.

﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [الآية 72] أي هي التي أعطيتم درجاتها بمقابلة أعمالكم وحسب مقامات أحوالكم.

وأفاد الأستاذ: أن الخطاب لأصحاب الإخلاص في أعمالهم والصدق في أحوالهم.

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (3244)، ومسلم في الصحيح (2824/ 4).

﴿لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [الآية 73] بعضها تأكلون لكثرتها ودوام أنواع نعمها. 147/ب

﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الآية 74] كاملي الإجرام تاركي الإسلام ﴿فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ [الآية 74] ثابتون دائمون.

﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ﴾ [الآية 75] لا يخفف من عقوباتهم ﴿وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ [الآية 75] آيسون من نجاتهم ومتحيرون في ظلماتهم.

قال الأستاذ: وأما أهل التوحيد فقد يكون قوم منهم في النار ولكن لا يخلدون فيها وقد يفتر العذاب عنهم بها وفي الخبر الصديق أنه يميتهم الحق إماتة ولعل المراد بالإماتة الغشية أو الإنامة إلى أن يخرجهم من النار وذكر في الآية أن الكفار مبلسون والإبلاس الخيبة فدل على أن المؤمنين فيها لا يأس لهم فهم وإن كانوا في بلائهم فهم على وصف رجائهم يعدون أيامهم إلى أن تنتهي أشجانهم ولقد قال الشيوخ إن حال المؤمن في النار من وجه أروح لقلوبهم من حالهم في الدنيا لأن اليوم خوف الهلاك وغداً يقين النجاة ولقد أنشدوا:

عيب السلامة أن صاحبها ... متوقع لقواصم الظهر
وفضيلة البلوى ترقب أهلها ... عقب الرجاء ونومة الدهر[1]

﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ﴾ [الآية 76] لأنه من المحال ﴿وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية 76] على أنفسهم بما أورثهم سوء الحال.

﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الآية 77] أي سل ربك أن يميتنا وينجينا من عقوبتنا ﴿قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الآية 77] لا خلاص لكم بموت ولا مناص لكم بفوت.

وأفاد الأستاذ: أنهم لو قالوا يا ملك بدل قولهم يا مالك لعله كان أحوالهم أقرب من الإجابة قلت: وكذا لو قالوا ليقض علينا ربنا لعله كان أقوالهم أنسب إلى أدب الدعوة الموجبة لقرب الإجابة ولكن وقعوا في الحجاب فلم يروا آداب الخطاب.

(1) ذكره القشيري في تفسيره (3/ 374).

﴿لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية 78] أي بيان طريق الصواب بالإرسال والإنذار ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾ [الآية 78] لما في اتباعه من إتعاب الأرواح وآداب الأشباح.

﴿أَمْ أَبْرَمُوٓاْ أَمْرًا﴾ [الآية 79] في تكذيب الحق لمعاندتهم ﴿فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ [الآية 79] أمراً في معاقبتهم.

وقال الأستاذ: بل أمورهم منقطعة عليهم قلّ ما يتمشى لهم ما دبروه وقل ما يرتفع له من الأمور شيء على ما قدره.

﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ﴾ [الآية 80] حديث نفسهم بذلك ﴿وَنَجْوَىٰهُم﴾ [الآية 80] وتناجيهم هنالك ﴿بَلَىٰ﴾ [الآية 80] نسمعها ﴿وَرُسُلُنَا﴾ [الآية 80] الحفظة مع هذا ﴿لَدَيْهِمْ﴾ [الآية 80] ملازمون لهم ﴿يَكْتُبُونَ﴾ [الآية 80] ما لهم وما عليهم.

148/ أ وقال الأستاذ: إنما خوفهم بسماع الملائكة/ وكتابتهم أعمالهم عليهم لغفلتهم عن الله ولو كان لهم خبر عن الله لما خوفهم بغير الله ومن علم أن أعماله تكتب عليه ويطالب بمقتضى ما جرى لديه قل إلمامه بما يخاف أن يسأل عنه.

﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ﴾ [الآية 81] في زعمكم ﴿فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾ [الآية 81] الموحدين لله الذي لا يلتفتون إلى سواه.

﴿سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الآية 82] من كونه ذو إله أو صاحبة أو كفؤ ومماثلة.

﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ﴾ [الآية 83] في باطلهم ﴿وَيَلْعَبُواْ﴾ [الآية 83] في دنياهم ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾ [الآية 83] أي القيامة ومنزلة الندامة وفيه دلالة على أنهم مطبوع على قلوبهم في الدنيا معذبون على كفرهم في العقبى.

وأفاد الأستاذ: أن في هذا دليلاً على أنه لا ينبغي للعبد أن يغتر بطول السلامة فإن العواقب غير مأمونة الملامة.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الآية 84] مستحق لأن يعبد

فيهما وفيه نفي الآلهة السماوية والأرضية واختصاصه باستحقاق الألوهية ﴿وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [الآية 84] كالدليل على اتصافه بالربوبية الموجبة للعبودية.

وأفاد الأستاذ: أن المعبود في السماء هو الله والمقصود في طلب الحوائج في الأرض هو الله فأهل السماء لا يعبدون غير الله وأهل الأرض لا يقضي أحد حوائجهم غير الله وهو الحكيم فيما قضى وأراد العليم بأحوال العباد.

﴿وَتَبَارَكَ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا﴾ [الآية 85] كالهواء أي بقدرته يظهر ملكهما إلا أنه يتعزز بظهورهما ﴿وَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [الآية 85] التي تقوم فيها القيمة ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [الآية 85] للجزاء على الطاعة والمعصية وقرأ نافع وأبو عمر وابن عامر وعاصم بالخطاب وفيه وعد ووعيد.

﴿وَلَا يَمۡلِكُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ﴾ [الآية 86] كما تتوهمون شفاعة الآلهة ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ﴾ [الآية 86] لكن من شهد بالتوحيد ﴿وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [الآية 86] حقيقة التفريد فله الشفاعة في تلك الساعة.

وأفاد الأستاذ: أن في الآية دليلاً على أن جميع المسلمين شفاعتهم غداً مقبولة.

﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم﴾ [الآية 87] أي المشركين ﴿مَّنۡ خَلَقَهُمۡ﴾ [الآية 87] من خلق العابدين والمعبودين ﴿لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الآية 87] إذ ليس لهم جواب سواه إذ من فرط ظهوره / تعذر المكابرة في أمره ﴿فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾ [الآية 87] تصرفون من عبادته إلى عبادة غيره. 148/ب

﴿وَقِيلِهِۦ﴾ [الآية 88] أي ويعلم قوله رسوله وقرأ عاصم وحمزة بالجر وعنده علم قوله ﴿يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الآية 88] وعلى كفرهم مصرون.

﴿فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ﴾ [الآية 89] أعرض عن بهتانهم آيساً عن إيمانهم ﴿وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ﴾ [الآية 89] في ردّ طغيانهم أين أمري تسلم منكم ومتاركة عنكم ﴿فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾ [الآية 89] عقوبة ما يستوجبون وقرأ نافع وابن عامر بالخطاب وفيه تهديد شديد لهم بنزول العقاب.

سورة الدخان

[مكيّة]

وهي سبع[1] وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله كلمة من ذكرها نال في الدنيا والعقبى بهجته ومن عرفها بذل في طلبها مهجته كلمة إذا استولت على قلب عطلته عن كل شغل وإذا واظب على ذكرها عبد أمنته من كل هول.

﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢﴾ [الآيتان 1،2] الحاء يشير إلى حقه والميم يشير إلى محبته ومعناه بحق محبتي لعبادي وكتابي أن لا أعذب أهل محبتي بفرقتي وحجابي.

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ﴾ [الآية 3] في ليلة القدر أو البراءة ابتدأ فيها إنزاله وأنزل فيها من اللوح جملة إلى السماء الدنيا ثم أنزل منجماً بحسب القضايا وبركتها لكثرة خير وجد فيها فإن نزول القرآن سبب للمنافع الدينية والمصالح الدنيوية أو لما فيها من كثرة نزول الملائكة والرحمة وإجابة الدعوة وقسمة النعمة وفصل الأقضية قيل: أعظم الليالي بركة ليلة أقمت فيها لربك مناجاته وأقلها عليك بركة ليلة غفلت فيها عن أذكاره وطاعاته.

وأفاد الأستاذ: أن القرآن أنزل من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا فيها كل سنة بمقدار ما كان جبريل ينزله على النبي صلى الله عليه وسلم بنجومها وأشد الليالي بركة ليلة يكون العبد فيها حاضراً بقلبه مشاهداً لربه

---

(1) كذا في الأصل المخطوط.

يتنعم بأنوار الوصلة ويجد فيها نسيم القربة ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ [الآية 3] أي ومبشرين كما يشير إليه قوله: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [الآية 4] فإن كونها مفرق الأمور المحكمة أو الملتبسة بالحكمة يستدعي أن ينزل فيها القرآن الذي هو من عظائمها وكرائمها.

149/أ وقال/ الأستاذ: أي في هذه الليلة ينزل النسخة من السماء لما يحصل في السنة من أقسام الحوادث من الخير والشر والمحن والمنن والنصرة والهزيمة والخصب والجدب ولهؤلاء القوم من الحجب والجذب والفصل والوصل والوفاق والخلاف والتوفيق والخذلان والقبض والبسط فكم من عبد نزل له الحكم والقضاء بالشقاء والبعد وآخر ينزل حكمه بالولاء والرفد.

﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ﴾ [الآية 5] أي أعني بهذا الأمر أمراً حاصلاً من لدنا على مقتضى حكمتنا ووفق إرادتنا ﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ [الآية 5].

﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [الآية 6] بدل من إنا كنا منذرين أي إنا أنزلنا القرآن لأن من عادتنا إرسال الرسل بالكتاب إلى عبادنا لأجل الرحمة عليهم كما تقتضيه الربوبية ليقوموا بحق العبودية أو المعنى لأن من شأننا أن نرسل رحمتنا فإن فصل كل أمر من قسمة الأرزاق وغيرها وصدور الأوامر الإلهية من باب الرحمة وإرادة النعمة ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ [الآية 6] لأقوالهم ﴿الْعَلِيمُ﴾ [الآية 6] بأعمالهم وأحوالهم.

وأفاد الأستاذ: أن رحمة هي رحمة نبي الأمة وفي الخبر: «أنا رحمة مهداة»[1]. ويقال: إنا كنا مرسلين رحمة لقلوب أوليائنا بالتوفيق ولقلوب أصفيائنا بالتحقيق إنه هو السميع لأنين المذنبين العليم بحنين المحبين.

﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [الآية 7] أي هو خالقهما ومربي ما فيهما وقرأ الكوفيون بالجر بدلاً من ربك ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ [الآية 7] أي مريدين اليقين

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (1/ 91) رقم (100)، والطبراني في المعجم الأوسط (3/ 223) رقم (2981)، والدارمي في السنن (1/ 21) رقم (15)، وابن أبي شيبة في المصنف (6/ 325) رقم (31782).

فاعلموا ذلك فإنه النافع في الدين.

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الآية 8] أي لا خالق سواه ﴿يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ [الآية 8] كما تشاهدون في قضاياه.

وأفاد الأستاذ: أن في هذه الكلمة الطبية نفي ما أثبتوه بجملهم وإثبات ما نفوه بجحدهم ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الآية 8] أي مربي أصلكم ونسلكم من الأولين والآخرين.

﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ ۝٩﴾ [الآية 9] في غفلة عن الدين وهو رد لكونهم موقنين.

﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝١٠﴾ [الآية 10] يوم شدة ومجاعة فإن الجائع يرى بينه وبين السماء كهيبة الدخان من ضعف الأبصار أو لأن الهواء يظلم عام القحط لقلة الأمطار وكثرة الغبار وقد قحطوا حتى أكلوا جيف الكلب والحمار أو يوم/ ظهور الدخان المعدود في أشراط الساعة لما روي أنه عليه 149/ ب السلام لما قال أول الآيات الدجال ونزول عيسى عليه السلام ونار تخرج من عدن أبين تسوق الناس إلى المحشر والدخان قال حذيفة وما الدخان فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية[1].

وقال سهل: الدخان في الدنيا قسوة القلب والغفلة عن ذكر الرب.

وأفاد الأستاذ: أن هذا من أشراط الساعة يتقدم عليها وقيامة هؤلاء معجلة وأما القوم فلهم يوم غيبة الاحتجاب وانسداد ما كان مفتوحاً لهم من الأنس بالأحباب.

﴿يَغْشَى ٱلنَّاسَ﴾ [الآية 11] يحيط بهم صفة للدخان وقوله ﴿هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الآية 11] بيان لشأن ذلك الزمان.

---

(1) أخرجه الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (3/ 266) رقم (1174)، وانظر ما أورده البغوي في تفسيره (7/ 230)، والرازي في تفسيره (14/ 7).

﴿رَبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الآية 12] أي يقولون بلسان القال أو بيان الحال.

﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ [الآية 13] من أين لهم أنهم يتذكرون بهذه الحالات ﴿وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ [الآية 13] يبين لهم ما هو أعظم منها في إيجاب التذكر من الآيات والمعجزات.

﴿ثُمَّ تَوَلَّوْاْ عَنْهُ﴾ [الآية 14] أعرضوا عن كلمته وأدبروا عن صحبته ﴿وَقَالُواْ مُعَلَّمٌ﴾ [الآية 14] في قراءته ﴿مَّجْنُونٌ﴾ [الآية 14] في دعوى رسالته.

وأفاد الأستاذ: أن القوم قد يستزيدوا العذاب على العذاب على عكس أحوال أصحاب الحجاب فهم يسألون البلاء بدل ما يستكشفه الخلق من الغطاء ويتمنون أنواع الغطاء وأما هم فيقولون:

أنت البلاء فكيف أرجو كشفه إن البلاء إذا فقدت بلائي

﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ [الآية 13] أي إن خالفوا سفرة قلوبهم من الخواطر التي ترد من الحق عليهم عوقبوا في الوقت بما لا يتسع له وسعهم فإذا أخذوا في الاستغاثة يقال لهم: أنى لكم ذكري وقد جاءكم رسول على قلوبكم فخالفتم أمري.

﴿إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلْعَذَابِ﴾ [الآية 15] بدعاء نبينا فإنه دعانا برفع القحط والغلاء ﴿قَلِيلًا﴾ [الآية 15] زماناً قليلاً وهو ما بقي من أعمارهم ﴿إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ﴾ [الآية 15] إلى الكفر عقب كشف الضر ومن فسر الدخان بما هو من الأشراط قال إذا جاء الدخان غوث الكفار بالدعاء لكشف البلاء فيكشف الله عنهم بعد أربعين وريثما يكشفه عنهم يرتدون على عقبهم.

﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [الآية 16] يوم القيامة أو يوم بدر أي نأخذهم
150/أ أخذة أكيدة ونواخذهم مؤاخذة / شديدة ﴿إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ [الآية 16] عموماً أو خصوصاً.

وقال الأستاذ: أي نورثكم ذلك اليوم حزناً طويلاً ولا تجدون في ظل انتقامنا مقيلاً.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ [الآية 17] امتحناهم بإرسال موسى عليه السلام إليهم وأوقعناهم في الفتنة بالإمهال وتوسع الرزق عليهم ﴿وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ [الآية 17] على ربه أو في نفسه لشرف نسبه وفضل حسبه.

﴿أَنْ أَدُّوٓاْ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 18] بأن أدوهم إلي وأرسلوهم معي والمراد تخلية بني إسرائيل من استعباد فرعون واستسخار جنده ﴿إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ﴾ [الآية 18] من عنده ﴿أَمِينٌ﴾ [الآية 18] مؤتمن على وحيه.

﴿وَأَن لَّا تَعْلُواْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الآية 19] لا تتكبروا عليه بالاستهانة بوحيه ورسوله ﴿إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ [الآية 19] برهان واضح على تحقيق نبوتي وتصديق رسالتي من أنواع المعجزات والأدلة الواضحات.

﴿وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾﴾ [الآية 20] التجأت إليه وتوكلت عليه من أن تؤذوني ضرباً أو شتماً أو قتلاً.

﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُواْ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾﴾ [الآية 21] فكونوا بمعزل مني لا علي ولا لي.

﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ﴾ [الآية 22] بعد ما أصروا على تكذيبه ﴿أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [الآية 22] بأن هؤلاء السفهاء ﴿قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ﴾ [الآية 22] كاملون في الإجرام مستحقون سوء الانتقام.

﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا﴾ [الآية 23] وقرأ الحرميان بهمز الوصل أي فقال تعالى: سر معي بني إسرائيل في ليل إلى جانب النيل ﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ [الآية 23] يتبعكم فرعون وجنوده إذا علموا بخروجكم من عنده.

﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ﴾ [الآية 24] أي بعد ما تتجاوزه ﴿رَهْوًا﴾ [الآية 24] مفتوحاً ذا فجوة واسعة أو ساكناً على هيئة مطمئنة ولا تضربه بعصاك ثانية ليرجع إلى حاله حتى يدخل فرعون مع جميع [آله] ﴿إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ﴾ [الآية 24] وبعد إغراقهم محرقون.

﴿كَمْ تَرَكُواْ﴾ [الآية 25] تركوا كثيراً تركوا ﴿مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الآية 25] جارية.

﴿وَزُرُوعٍ﴾ [الآية 25] وافية ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ [الآية 26] محافل مزينة ومنازل مستحسنة.

﴿وَنَعْمَةٍ﴾ [الآية 27] وتنعم وسعة ﴿كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ۝٢٧ كَذَٰلِكَ﴾ [الآيتان 27،28] متنعمين متلذذين.

﴿وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ۝٢٨﴾ [الآية 28] ليسوا منهم في شيء من النسب والدين وهم بنوا إسرائيل.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه فتنهم بعدما أصروا في جحودهم ولم يوجبوا إلى طريق الرشد من نفرة عنودهم وجاءهم رسول جليل طالبهم بإزالة الظلم
عن بني إسرائيل واستبصر بالله وأظهر الحجة / من قبل الله ثم أمره بأن يسري 150/ ب
بعباده المؤمنين وعرفه أنهم يستنقذون وإن عدوهم جند مغرقون وما خلفوه من أموالهم ورياشهم وبقي عنهم من أسباب معاشهم استلبناهُ عنهم وأورثناهم واسكنا قوماً آخرين في منازلهم ومبناهم.

﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ [الآية 29] مجاز عن عدم الاكترات بهلاكهم ونفي الاعتداد بوجودهم ومنه ما ورد في الأخبار أن المؤمن ليبكي عليه مصلاه ومحل عبادته ومصعد عمله ومهبط رزقه وفي حديث ما من مؤمن مات في غربة غابت منها بواكيه إلا بكت عليه السماء والأرض وقيل: تقديره فما بكت عليهم أهل السماء والأرض ﴿وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾ [الآية 29] ممهلين إلى وقت آخر أدنى حين قال الأستاذ: لم يكن لهم من القدر والخطر ما يتحرك في العالم بسببهم ساكن أو يسكن متحرك فلا الخضراء بفقدهم أغبرت ولا الغبراء بحينهم أحمرت لم يبق منهم عين ولا خبر ولم يظهر من قبلهم على قلب أحد من عبادنا أثر وكيف تبكي السماء بفقد من لم يستبشر في حياته من قبله فإن المؤمن الذي تسر السماء بصعود عمله إليها تبكي عند فقده عليها.

﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ۝٣٠﴾ [الآية 30].

﴿مِن فِرْعَوْنَ﴾ [الآية 31] بدل مما قبله بحذف مضاف أو بدونه للمبالغة أي من استبعاد فرعون إياهم وقتله أبنائهم ﴿إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا﴾ [الآية 31] متكبراً في

الجبابرة ﴿مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الآية 31] في العتو والشرارة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه نجاهم وأملكهم وأفنى عدوهم وأهلكهم.

﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الآية 32] عالمين بأنهم أحقاء بهذا الحال أو مع علم منا بأنهم يزيغون في بعض الأحوال ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الآية 32] أي على عالمي زمانهم أو لكثرة الأنبياء منهم.

قال الواسطي: اخترناهم على علم منا بجناياتهم وما يقترفون من أنواع مخالفاتهم فلم يؤثر في سابق علمنا فيهم أن الجنايات لا تؤثر في الرعايات.

وقال الأستاذ: أي اخترناهم وعلمنا ما يحتقبون من أوزراهم فرفعنا باختيارنا من أقدارهم ما وضعه فعلهم بتدنسهم بأوضارهم ويقال: على علم بما نودع / عندهم من أسرارنا ومكاشفتهم به من حقائق أنوارنا. 151/ أ

﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ﴾ [الآية 33] كفلق البحر وتظليل الغمام وإنزال المن والسلوى ﴿مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ﴾ [الآية 33] نعمة جلية أو بلية خفية.

وقال الأستاذ: من مطالبته بالشكر عند الرخاء والصبر عند الكد والعناء.

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [الآية 34] أي قومك من السفهاء ﴿لَيَقُولُونَ﴾ [الآية 34].

﴿إِنْ هِىَ﴾ [الآية 35] ما عاقبة الدهر ونهاية الأمر ﴿إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ﴾ [الآية 35] المزيلة للحياة الدنيوية ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾ [الآية 35] بمبعوثين للحياة الأخروية.

﴿فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ﴾ [الآية 36] الميتين ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الآية 36] في أنا معذبين والخطاب لمن أوعدهم بالنشور من الرسول والمؤمنين.

﴿أَهُمْ خَيْرٌ﴾ [الآية 37] في القوة والمنعة ﴿أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ [الآية 37] أي الحميري الذي سار بالمجوس وصير الحيرة وبنى سمرقند وقيل: هدمها وقد كان مؤمناً وقومه كافرين ولذا ذمهم دونه وعنه عليه السلام: «ما أدري أكان تبع نبياً أو

غير نبي»[1]. ويقال لملوك اليمن: تبابعة لأنهم يتبعون ﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾ [الآية 37] كعاد وثمود ونحوهم ﴿أَهۡلَكۡنَٰهُمۡۖ﴾ [الآية 37] أي مع كثرة عدتهم، وشدة قوتهم ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ﴾ [الآية 37] أي قوماً كافرين.

﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ﴾ [الآية 38] وما بين جنسيهما ﴿لَٰعِبِينَ﴾ [الآية 38] لاهين مبطلين وهو دليل على صحة الحشر والنشر كما مر مراراً.

﴿مَا خَلَقۡنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾ [الآية 39] إلا بسبب الحق الذي اقتضاه الدليل من الإيمان والطاعة أو البعث والجزاء بالمثوبة والعقوبة ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الآية 39] لقلة نظرهم وتفكرهم وقصور تصورهم.

﴿إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ﴾ [الآية 40] أي وقت فصل الحق من الباطل والمحق عن المبطل بالجزاء الكامل ﴿مِيقَٰتُهُمۡ﴾ [الآية 40] وقت موعدهم ﴿أَجۡمَعِينَ﴾ [الآية 40] قال بعضهم: يوم الفصل بين كل عامل وعمله فمن صحح له مقاله وأعماله قيل منه وجوزي عليه ومن لم يصحح له أعمالاً وأحوالاً كان عمله عليه أنكالاً وأثقالاً.

﴿يَوۡمَ لَا يُغۡنِي مَوۡلًى﴾ [الآية 41] من قرابة أو غيرها ﴿عَن مَّوۡلًى شَيۡـٔٗا﴾ [الآية 41] من الإغناء أو من العناء ﴿وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾ [الآية 41] بمساعدة الأولياء.

﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُۚ﴾ [الآية 42] بالعفو عن جرمه أو قبوله الشفاعة في حقه ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ [الآية 42] الغالب على من أراد انتقامه ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ [الآية 42] لمن شاء إنعامه.

﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلۡأَثِيمِ ﴿٤٤﴾﴾ [الآيتان 43،44] أي/ كثير 151/ ب
الإثم والمراد به الكافر لدلالة ما قبله وما بعده عليه.

﴿كَٱلۡمُهۡلِ﴾ [الآية 45] وهو ما يهمل في النار حتى يذوب قيل: وروي الزيت وقيل: النحاس المذاب ﴿يَغۡلِي فِي ٱلۡبُطُونِ﴾ [الآية 45] وقرأ ابن كثير وحفص بالتذكير على أن الضمير للطعام أو للزقوم وقيل: للمهل وهو الأقرب وإن كان

(1) أخرجه الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (3/ 270) رقم (1179).

الأولان أنسب.

﴿كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾﴾ [الآية 46] غلياناً مثل على الماء الحار.

﴿خُذُوهُ﴾ [الآية 47] يقال: للزبانية امسكوه ﴿فَٱعْتِلُوهُ﴾ [الآية 47] وقرأ الحجازيان وابن عامر بالضم أي فجروه ﴿إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الآية 47] أي وسط النار الموقدة.

﴿ثُمَّ صُبُّواْ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾﴾ [الآية 48] أصله ثم صبوا فوق رأسه الحميم كما في سورة الحج ثم حول إلى صبوا فوق رأسه عذاباً هو الحميم للمبالغة ثم أضيف العذاب إلى الحميم تحقيقاً وزيد من للدلالة على أن المصبوب بعض هذا النوع.

﴿ذُقْ﴾ [الآية 49] أي العذاب الأليم ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ [الآية 49] عند قومك وأما عندنا فأنت الذليل المهين وقرأ الكسائي بالفتح أي لأنك والمعنى قولوا له ذلك تهكماً به وتقريعاً على ما كان في زعمه.

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ [الآية 50] العذاب المعاين ﴿مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ﴾ [الآية 50] تشكون فيه.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ﴾ [الآية 51] في موضع قيام وقرأ نافع وابن عامر بضم الميم أي في موضع إقامة ﴿أَمِينٍ﴾ [الآية 51] يا من صاحبه عن آفة الزوال ومحنة الانتقال.

﴿فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الآية 52] بدل من مقام جيء به للدلالة على نزاهته واشتماله على ما يستلذ به من المآكل والمشارب في إقامته.

﴿يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ﴾ [الآية 53] ما رق من الحرير ﴿وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ [الآية 53] ما غلظ منه ﴿مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ [الآية 53] في مجالس قدسهم ومنازل أنسهم.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ [الآية 54] الأمر أو الأمر كذلك ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الآية 54] قرناهم بهن وأبحناهن لهم من غير تزويج وتزوج لهن والحوراء البيضاء والعيناء عظيم العين الحسناء والصحيح أنهن غير نساء الدنيا.

﴿يَدۡعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ﴾ [الآية 55] يطلبون ويأمرون بإحضار ما يشتهون من الفواكه في جميع الأحيان لا يتخصص شيء منها بزمان ولا مكان ﴿ءَامِنِينَ﴾ [الآية 55] من الضرر والنقصان.

وأفاد الأستاذ: أن الولي تمكن بهذه الأوصاف من هذه الألطاف ثم قد تختطف قوماً من بين هذه الأسباب فيجزهم عن هذه الجملة وكما أن الزهاد
152/أ وطن الدنيا عليهم قلبها فيخطفهم عنها كذلك في الآخرة / طمع الحور العين في صحبتهم فيسليهم عنها فالزاهد من الدنيا بحمية والعارف من الجنة بحمية.

﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا﴾ [الآية 56] أي في الآخرة ﴿ٱلۡمَوۡتَ إِلَّا ٱلۡمَوۡتَةَ ٱلۡأُولَىٰۖ﴾ [الآية 56] وهي قبض أرواحهم في الدنيا وهي أول أحوال في العقبى قيل لجنيد أهل الجنة باقون ببقاء الحي قال: لا ولكنهم مبقون ببقاء الحي والباقي على الحقيقة من لم يزل ولا يزال باقياً ﴿وَوَقَىٰهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [الآية 56].

﴿فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكَۚ﴾ [الآية 57] عطاء وتفضلاً من ربك الكريم ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [الآية 57] لأنه خلاص عن المكاره الجلية وفوز بالمطالب العلية.

قال الواسطي: هو الفضل من كرمه ورحمته لا الاستحقاق بجهد العبد وكده وحركته.

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ﴾ [الآية 58] سهلناه حيث أنزلناه بلغتك وهو فذلكة السورة ﴿لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الآية 58] لعلهم يفهمونه فيتعظون به فلما لم يتذكروا به ولم يتفكروا فيه.

﴿فَٱرۡتَقِبۡ﴾ [الآية 59] فانتظر ما يحل بهم ﴿إِنَّهُم مُّرۡتَقِبُونَ﴾ [الآية 59] منتظرون ما يحل بك ففيه وعيد لأعدائه ووعد لأحبابه.

قال ابن عطاء: فتح باب ذكره على من يشاء من عباده فلا يفتر عن ذكره بحال وأغلق باب ذكره على من يشاء من عباده فلا يقدر على ذكره بحال.

وقال الأستاذ فارتقب العواقب ترى العجائب أنهم مرتقبون ولكن لا يرون إلا ما يكرهون.

سورة الجاثية

[مكيّة]

وهي سبع وثلاثون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: وملك لا يستظهر بجيش أحد لا يستمسك بعيش، جبار ارتدى بكبريائه، قهار اتصف بعز سنائه.

﴿حمٓ ۝١﴾ [الآية 1] أي بحياتي ومودتي لأوليائي لا شيء أعز على أحبائي من لقائي.

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ﴾ [الآية 2] بجلاله في أزاله ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ [الأنعام: الآية 18] في أفعاله وحسن إقباله.

﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٣﴾ [الآية 3] أي في خلقهما.

وأفاد الأستاذ: أن شواهد الربوبية لائحة وأدلة الإلهية واضحة فمن صحا فكرته عن سكرة الغفلة ووضع مسيرته في منزلة العبرة حظي لا محالة بحقائق الوصلة.

﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ﴾ [الآية 4] لتتميم معاشكم ﴿ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [الآية 4] الجملة محمولة على محل إن واسمها وقرأ حمزة والكسائي بالنصب حملاً على اسمها.

152/ ب وأفاد الأستاذ: أن العبد إذا أنعم/ نظره في استواء قده وقامته واستكمال عقله وتمام تمييزه وما هو مخصوص به في جوارحه وحوائجه ثم فكر فيما عداه من الدواب في أجزائها وأعضائها ووقف على اختصاصه وامتياز بني آدم

من بين البرية من الحيوانات في الفهم والعقل والتمييز والعلم ثم في الإيمان والعرفان ووجوه خصائص أهل الصفة من هذه الطائفة من فنون الإحسان عرف تخصيصهم بمناقبهم وانفرادهم بفضائلهم في مراتبهم فاستيقن أن الله كرمهم وعلى كثير من المخلوقين قدمهم.

﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ﴾ [الآية 5] مطر وسماه رزقاً لأنه سببه ﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الآية 5] يبسها ﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ [الآية 5] باختلاف جهاتها وأنواع صفاتها وقرأ حمزة والكسائي وتصريف الريح ﴿ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الآية 5] فيه القراءتان المتقدمان.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه جعل العلوم الدينية كسببية مصححة بالدلائل العقلية والشواهد النقلية فمن لم يستبصر بها زلت قدمه عن الصراط المستقيم ووقع في عذاب الجحيم فاليوم في ظلمة الحيرة والتقليد وفي الآخرة في تخليد الوعيد.

﴿تِلْكَ﴾ [الآية 6] الآيات السابقة ﴿ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾ [الآية 6] علامات قدرته ودلالات حكمته ﴿نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية 6] ملتبسة بالصدق ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 6] أي بعد حديثه وهو القرآن لقوله الله نزل أحسن الحديث ﴿وَءَايَٰتِهِۦ﴾ [الآية 6] المذكورة والمعنى إذا لم تؤمنوا بما ذكرنا فبأي دليل بعد آياته المتلوة وعلاماته المنصوبة ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 6] وقرأ الحجازيان وأبو عمرو وحفص بالغيبة.

وقال الأستاذ: من لم يؤمن بها فبأي حديث يعترف ومن أي بحر في التحقيق يغترف هيهات ما بقي للأشكال في هذا من المحال.

﴿وَيْلٌ﴾ [الآية 7] هلاك شديد وعذاب أكيد ﴿لِّكُلِّ أَفَّاكٍ﴾ [الآية 7] مبالغ في الكذب ﴿أَثِيمٍ﴾ [الآية 7] كثير الذنب.

﴿يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ﴾ [الآية 8] يقيم على كفره ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾ [الآية 8] عن سماع ذكره ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾ [الآية 8] أي كأنه لم يسمع آيات ربه ﴿فَبَشِّرْهُ﴾ [الآية 8] تهكماً به ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الآية 8] على إنكاره وإصراره.

وأفاد الأستاذ: أن كلاً من آياته سبحانه صامت ناطق صامت عن القول والكلام ناطق بالبرهان في الأحكام فمن استمع بسمع الفهم / واستبصر بنور 153/ أ التوحيد فاز بذخر الدارين وتصدى لعز المنزلين ومن تصامم بحكم الغفلة وقع في وهدة الجهل ووسم بكي الهجر.

﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا﴾ [الآية 9] أي وإذا بلغه شيء وعلم أنه منها ﴿ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا﴾ [الآية 9] مهزوءاً بها من غير أن يرمي فيها ما يناسب استهزاؤها ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [الآية 9] غاية الإهانة جزاء وفاقاً في المعاملة.

وقال الأستاذ: اتخذها هزواً أي قابله بالعناد أو ناوله على ما يقع له من وجوه المراد من دون تصحيح بإسناد فهؤلاء ﴿لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [الآية 9] مذل بين العباد وقد يكاشف العبد من بواطن القلب بتعريفات لا يتداخله فيها ريب ولا يتخالجه منها شك فيما هو به من حالة فإذا استهان بها وقع في ذل الحجبة وهوان الفرقة فعند هذه الفقرة في وقت هذه المحنة فلا عذر يقبل منهم ولا خطاب يسمع عنهم ولهم عذاب الضعف ولا يردون إلى ما كانوا عليه من الكشف.

فخل سبيل العين بعدك للبكا فليس لأيام الصفاء رجوع

﴿مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ﴾ [الآية 10] أي من قدامهم لأنهم متوجهون إليها أو من خلفهم لأنه بعض القضاء آجالهم يوقعون عليها ﴿وَلَا يُغْنِى﴾ [الآية 10] لا يدفع ﴿عَنْهُم مَّا كَسَبُواْ﴾ [الآية 10] من الأموال والأبناء ﴿شَيْـًٔا﴾ [الآية 10] من الإغناء أو من العذاب والعناء ﴿وَلَا مَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 10] أي من الأصناف ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ [الآية 10] على زعم أنهم شفعاء ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الآية 10] ليس له انتهاء.

﴿هَٰذَا هُدًى﴾ [الآية 11] هذا القرآن برهان ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ [الآية 11] مع ظهور أنوارها وبيان أسرارها ﴿لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾ [الآية 11] على إنكارها وقرأ ابن كثير وحفص برفع الميم والرجز عذاب عظيم.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾ [الآية 12] أي سطح بحره ﴿لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ﴾ [الآية 12] بتسخيره وأنتم راكبون على ظهره ﴿وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ﴾

[الآية 12] بالتجارة والصيد والغوص ونحوه ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الآية 12] ربكم على نعمه.

وأفاد الأستاذ: أنهم يركبون البحر فربما تسلم السفينة وربما تغرق وكذلك العبد في فلك الاعتصام في بحار التقدير يمشي بهم في رياح العناية مرفوع لهم شراع التوكل مرسي في بحر اليقين فإن هبت رياح السلامة نجت السفينة وإن هبت نكبا الفتنة لم يبق بيد الملاح شيء من الحيلة فعند ذلك
المقادير / غالبة وبلغت الحناجر قلوب أهل السفينة. 153/ب

﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [الآية 13] بأن خلقها نافعة لكم منه حال كون تسخر هذه الأشياء كائنة ﴿مِّنْهُ﴾ [الآية 13] أو هي منة منه ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الآية 13] في صنعته ويقومون بشكر نعمته.

قال أبو يعقوب النهرجوري: سخر لك الكون وما فيه لئلا يسخرك شيئاً منه وتكون مسخراً لمن سخر لك الكل.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه سخر لكم ما خلق من وجوه الانتفاع فيهما إذ ما من شيء من الأعيان الظاهرة إلا ومن وجه للإنسان به انتفاع فالسماء لهم بناء والأرض لهم مهاد إلى غير ذلك فمن الغبن أن يستسخرك ما هو مسخر لك وليتأمل العبد في كل شيء إن لم يكن أي خلل كان يرجع إلى الخلق فلولا الشمس كيف كانوا يتصرفون بالنهار ولو لم يكن الليل كيف يسكنون فيه ولو لم يكن القمر كيف كانوا يهتدون إلى الحساب والآجال وكذلك جميع المخلوقات.

ونقل القطب الرباني عبد القادر الجيلاني في كتابه «فتوح الغيب» عن ابن عباس رضي الله عنهما عند قوله: ﴿جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الآية 13] أي الكل منه فقال: في كل شيء اسم من أسمائه واسم كل شيء من اسمه فإنما أنت بين أسمائه وصفاته وأفعاله باطناً بقدرته وظاهراً بحكمته ظهر بصفاته وبطن بذاته حجب الذات بالصفات وحجب الصفات بالأفعال وكشف العلم بالإرادة وأظهر الإرادة بالحركات وأخفى الصنع في الصنعة وأظهر الصنع بالأدوات هو باطن في غيبه

وظاهر في حكمته وقدرته ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: الآية 11].

قال الشيخ: ولقد أظهر الله في هذا الكلام من أسرار المعرفة ما لا يظهر إلا من مشكاة فيها مصباح أمره رفع يد العصمة بابتهال: اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل أنا لنا الله من بركتهم وحشرنا في زمرتهم.

﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟﴾ [الآية 14] يعفوا ويصفحوا ﴿لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 14] لا يتوقعون وقائعه بأعدائه أو لا يأملون الأوقات التي عينها الله لنصر أحبابه ﴿لِيَجْزِىَ﴾ [الآية 14] أي الله ﴿قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الآية 14] علة للأمر والقوم هم المؤمنون أو الكافرون والكسب المغفرة أو الإساءة وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ﴿لِيَجْزِىَ﴾ [الآية 14] / بالنون. 154/ أ

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه ندبهم إلى حسن الخلق وجميل العشرة والتجاوز عن الجهلة والتنقي من كدورات البشرية ومضايقات الشح والحالات النفسية وبيَّن أن الله لا يفوته أحد فمن أراد أن يعرف كيف يحفظ أولياءه ويهلك أعداءه فليصير أياماً قلائل ليعلم كيف صارت عواقبهم.

﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ﴾ [الآية 15] لها ثوابه ﴿وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ﴾ [الآية 15] عقابه ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [الآية 15] فيجازيكم على أعمالكم وفق أحوالكم.

وقال الأستاذ: من عمل صالحاً فله مهنأه ومن ارتكب سيئة قاسى بلواه ثم مرجعه إلى مولاه.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الآية 16] التوراة ﴿وَٱلْحُكْمَ﴾ [الآية 16] الملك والحكومة أو الحكمة العلمية والعملية ﴿وَٱلنُّبُوَّةَ﴾ [الآية 16] إذ كثر الأنبياء فيهم ما لم يكثر في غيرهم أو علوم النبوة من حسن سيرتهم وسمت طريقتهم ﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ [الآية 16] الحلالات من المستلذات ﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الآية 16] أي عالمي زمانهم بإنزال الآيات الواضحات.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ﴾ [الآية 17] أدلة في أمر الدين وتندرج فيه

المعجزات ﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوٓاْ﴾ [الآية 17] في ذلك الأمر ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ [الآية 17] بحقيقة الحال وما يترتب عليه من المآل ﴿بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ [الآية 17] عداوة وحسداً فيهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الآية 17] بالمؤاخذة للعاصين والمجازاة للمحسنين.

قال سهل: فتحنا أسماعهم لفهم خطابنا وجعلنا أفئدتهم وعاءً لكلامنا وكتابنا وأعطيناهم فراسة صادقة يحكمون بها في عبادنا حكم حق وإخبار صدق في هذه البينات من الأمر.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ﴾ [الآية 18] واضحة ﴿مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾ [الآية 18] أمر الديانة ﴿فَٱتَّبِعْهَا﴾ [الآية 18] اتبع شريعتك الثانية بالحجج البينة ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 18] أو الجهال التابعة للهوى أو الشهوة.

قال سهل: على منهاج من كان قبلك من الأنبياء والأولياء فإنهم على منهاج الهدى وسراج الضياء والشريعة هو الشارع الممتد الواضح إلى طريق النجاة وسبيل الرشد والصفاء والوفاء.

وقال الأستاذ: أي أفردناك بلطائف فاعرفها وبينا لك طرائق فاسلكها وأثبتنا لك حقائق فلا تتجاوزها ولا تجنح إلى متابعة غيرك فيها.

﴿إِنَّهُمْ لَن يُغْنُواْ/ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [الآية 19] مما أراد بك من العطاء أو العناء ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [الآية 19] إذ الجنسية علة الانضمام فلا تُوالهم باتباع أهوائهم ﴿وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الآية 19] فواله بالتقى واتباع الشريعة والهدى أو فكن من الأولياء المتقين وحزبهم في مقام اليقين. 154/ ب

قال سهل: من استغنى بغير الله تعالى فبغناه افتقر ومن تعزز بغيره سبحانه فبعزه ذل واحتقر، ألا ترى أن الله يقول: ﴿إِنَّهُمْ لَن يُغْنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [الآية 19].

وقال الأستاذ: إن أراد الله بك نعمة فلا يمنعها أحد وإن أراد بك فتنة فلا يصرفها عنك أحد فلا تعلق بمخلوق فكرك ولا تتوجه بضميرك إلى غير

ربك والتجئ إليه وتوكل عليه واستسلم لديه.

﴿هَٰذَا﴾ [الآية 20] القرآن ﴿بَصَآئِرُ لِلنَّاسِ﴾ [الآية 20] بينات تبصرتم وجه العرفان بعمومهم ﴿وَهُدًى﴾ [الآية 20] من الضلالة ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ [الآية 20] ونعمة في الدلالة ﴿لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [الآية 20] يطلبون اليقين في الدين بخصوصهم.

وأفاد الأستاذ: أن أنوار البصيرة إذا تلألأت انكشفت دونها تهمة التجويز وناظر الناس على مراتب من نظر بهجوم نجومه وهو صاحب عقل ومن ناظر بنور فراسته وهو صاحب ظن ومن ناظر بتقوية روح ولكنه من وراء ستر ومن ناظر بيقين علم بحكم برهان وشرط فكر ومن ناظر بعين إيمان بوصف اتباع ومن ناظر بنور بصيرة هو على نهار وشمسه طالعة وسماؤه مصحية.

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الآية 21] بل أظن الذين اكتسبوا الكفار والمعاصي ﴿أَن نَّجْعَلَهُمْ﴾ [الآية 21] نصيرهم ﴿كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الآية 21] أي مثلهم وهو ثاني مفعولي نجعل وقوله ﴿سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ [الآية 21] الجملة بدل من الكاف والضميران للموصول الأول إذا المعنى إنكار أن تكون حياتهم ومماتهم سيين في البهجة والكرامة كما هو للمؤمنين ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص سواء بالنصب على البدل ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الآية 21] قبح حكمهم ذلك أو يئس شيئاً حكموا به هنالك.

وقال الأستاذ: أي أمن خفضناه في حضيض الضعة كمن رفعناه في هواء المنعة ومن أخذنا بيده فنعشناه كمن داسه الخذلان فرجمناه ومن بعد بذل جهد واستفراغ وسع وإسبال دمع واحتراق قلب عذرناه / فرحمناه كمن 155/ أ
بسط وقت وإنس حال وروح لطف خصصناه فرقيناه وشكرناه ثم قربناه وأدنيناه يئس ما يحكم قوم لا ولا يخافون أن يتوجه عليهم لوم.

﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية 22] المقتضي للعدل والصدق المستلزم للفرق بين المسيء والمحسن في الخلق وإذا لم يكن في الحياة فلا بدّ أن يكون بعد الممات ﴿وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الآية 22] من الخير والشر ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البَقَرَة: الآية 281] بتنقيص ثواب وتضعيف عقاب وتسمية

ذلك ظلماً مع أنه لو فعله لم يكن منه إلا عدلاً لأنه لو فعله غيره لكان ظلماً ففي العبارة استعارة كالابتلاء والاختبار.

﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الآية 23] مهواه بترك متابعة الهدي إلى مطاوعة الهوى فكأنه يعيده ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ﴾ [الآية 23] خذله ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الآية 23] مع علم بضلاله وفساد جوهر روحه في ماله ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ﴾ [الآية 23] فلا يبالي بمواعظه ولا يتفكر في آياته ﴿وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾ [الآية 23] فلا ينظر بعين بصيرة وعبرة وقرأ حمزة والكسائي عشوة ﴿فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 23] من بعد إضلاله أو من غيره ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الآية 23] يتعظون بوعظه ويتمثلون بأمره.

وأفاد الأستاذ: إن من لم يسلك سبيل المتابعة ولم يستوف أحكام الرياضة ولم ينسلخ عن حكم هواه بالكلية ولم يؤد به إمام مقتدى به فهو ينجرف في كل وهدة ويهيم في كل ضلالة خسرانه أكثر من ربحه ونقصانه أوفر من رجحانه أولئك في ضلال بعيد يعملون القرب على ما يقع لهم من نشاط نفوسهم زمامهم بيد هواهم أولئك قد مكروا واستدرجوا من حيث لم يشعروا.

﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ [الآية 24] يموت بعضنا ويحيى بعضنا ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الآية 24] مرور الزمان وانقلاب الدوران ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ [الآية 24] يعني في نسبة الحوادث إلى الدهر وإنكار الحشر والنشر ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الآية 24] إذ لا دليل لهم عليه وإنما قالوه بناء على التقليد والإنكار لما لم يحسوا بعين التأييد.

وأفاد الأستاذ: اغتروا بما وجدوا عليهم سلفهم وخلفهم وزجوا في البهيمية عيشهم وعمرهم وأغفوا عن كدِّ النكرة قلوبهم فلا بالعلم / استبصروا 155/ب
ولا من التحقيق استمدوا رأس مالهم الظن وهم غافلون.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾ [الآية 25] واضحات الدلالة على ما يخالف معتقدهم ﴿مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ﴾ [الآية 25] أي متشبثهم عند معارضتهم ﴿إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الآية 25] وإنما سماه حجة على حسبانهم

ومساقهم في معرض بيانهم أو المراد حجتهم الداحضة.

﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحۡيِيكُمۡ﴾ [الآية 26] أولاً ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ﴾ [الآية 26] ثانياً ﴿ثُمَّ يَجۡمَعُكُمۡ﴾ [الآية 26] بأحبابكم ثالثاً في قبوركم مستمرين ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ﴾ [الآية 26] لا ينبغي أن يكون فيه شبهة فإن من قدر على الإبداء قدر على الإعادة والحكمة اقتضت الجمع للمجازات والوعد المصدق بالآيات دل على وقوعها وكان يمكن الإتيان بالآباء لكن الحكمة اقتضت أن يعادوا يوم الجمع للجزاء ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الآية 26] لقلة تفكرهم وقصور نظرهم.

﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [الآية 27] تعميم للقدرة بعد تخصيصها في الجملة ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَخۡسَرُ ٱلۡمُبۡطِلُونَ﴾ [الآية 27] أي يظهر خسرانهم ويتبين بطلانهم.

﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٖ جَاثِيَةٗۚ﴾ [الآية 28] باركة مستوقدة ﴿كُلُّ أُمَّةٖ تُدۡعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾ [الآية 28] صحيفة أعمالها وحسابها ﴿ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الآية 28] بثواب أعمالكم وعقابها.

﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا﴾ [الآية 29] أضاف صحائف أعمالهم إلى نفسه لأن كتابة الكتب إنما كانت بأمره ولا يبعد أن يراد بالكتاب اللوح المحفوظ فالإضافة للتشريف ﴿يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ﴾ [الآية 29] يشهد عليكم بما عملتم على وجه الصدق من غير زيادة أو نقصان ﴿إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ﴾ [الآية 29] ستكتب الملائكة ﴿مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الآية 29] أي أعمالكم العامة.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ﴾ [الآية 30] التي من جملتها نعيم جنته ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [الآية 30] الظفر الظاهر على المرادات لخلوصه عن شوائب الكدورات.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾ [الآية 31] أي فيقال لهم: ألم يأتكم رسلي أفلم تكن آياتي تتلى عليكم ﴿فَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ﴾ [الآية 31] عن الإيمان بها ﴿وَكُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ﴾ [الآية 31] بمخالفتها.

وقال الأستاذ: فأما الذين آمنوا فلقد فازوا وسادوا وأما الذين كفروا فهلكوا وبادوا.

156/ أ ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ [الآية 32] كائن صدق ﴿وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيۡبَ/ فِيهَا﴾ [الآية 32] إفراد للمقصود من الموعود وقرأ حمزة بالنصب عطف على اسم إن ﴿قُلۡتُم مَّا نَدۡرِي مَا ٱلسَّاعَةُ﴾ [الآية 32] أي شيء الساعة استغراباً لها واستهجاناً بأمرها ﴿إِن نَّظُنُّ﴾ [الآية 32] في وقوعها ﴿إِلَّا ظَنّٗا﴾ [الآية 32] ضعيفاً لا يفيد الإيمان بها ﴿وَمَا نَحۡنُ بِمُسۡتَيۡقِنِينَ﴾ [الآية 32] بإمكانها.

﴿وَبَدَا لَهُمۡ﴾ [الآية 33] ظهر عندهم ﴿سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ﴾ [الآية 33] قبحها أو جزاؤها ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ [الآية 33] أي وباله ووخامة مآله.

﴿وَقِيلَ ٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰكُمۡ﴾ [الآية 34] نترككم في العذاب ترك ما ينسى ﴿كَمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَا﴾ [الآية 34] كما تركتم استعداده وما هيأتم زاده ﴿وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [الآية 34] في دار البوار ﴿وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [الآية 34] أي من أعوان وأنصار.

وقال الأستاذ: ويقال لهم أنتم الذين إذا قيل لكم في حديث عتابكم كذبتم مولاكم فاليوم كما نيستمونا نسيناكم والنار مأواكم.

﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗا﴾ [الآية 35] استهزأتم بهم ولم تتفكروا فيها ﴿وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ﴾ [الآية 35] أي مالها وجاهها فحسبتم أن لا حياة سواها ﴿فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُخۡرَجُونَ مِنۡهَا﴾ [الآية 35] وقرأ حمزة والكسائي بفتح الياء وضم الراء ﴿وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ﴾ [الآية 35] ولا يطالب منهم أن يعتبوا ربهم في عصيانه ويرضوه لفوات أوانه.

﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ﴾ [الآية 36] على ما يبدئ وينشىء ويجري ويمضي ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الآية 36] إذ الكل بعض نعمته الدال على كمال قدرته وجمال حكمته.

﴿وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ﴾ [الآية 37] الرفعة والعلاء والعظمة والبهاء ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ

﴿وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ [الآية 37] إذ ظهر فيهما آثارها وتبين أنوارها ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ [الآية 37] الغالب في مراده ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ [الآية 37] فيما قدر ودبر لعباده فاحمدوه وكبروه في بلاده.

قال سهل: العلو والقدرة والعظمة والحول والقوة له في جميع المملكة فمن اعتصم به أيده بحوله وقوته ومن اعتمد على نفسه وكله الله إلى حاله وحركته.

سورة الأحقاف

[مكيّة]

وهي أربع[1] وثلاثون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله كلمة للقلوب سالبة حكمة للقلوب غالبة واهبة ناهية للمطيعين واهبة ومن العارفين ناهية فالذين تهبهم فلهم لطفه والذين تنهاهم فمن محقه فهو عنه خلفه.

﴿حمٓ ۝١﴾ [الآية 1] حميت قلوب أهل عنايتي فصرفت عنها خواطر التجويز وأثبتها في مشاهد اليقين بنور التحقيق فلاح فيها شواهد برهانهم فأضفنا إليها لطائف إحسانهم فكملنا منالهم من عين الوصلة وغذيناهم بنسيم الإنس في ساحات القربة.

156/ ب / ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [الآية 2] المعز للمؤمنين بإنزال كتابه عليهم المحكم لكتابه عن التبديل والتحويل لديهم.

﴿مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية 3] إلا خلقاً ملتبساً بالحق وهو ما تقتضيه الحكمة والعدل والصدق وقيل: دليل على وجود الصانع وحكمته وجوده وإشارة إلى البعث للمجازاة بمقتضى موعوده ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ [الآية 3] أي وبتقدير أجل معين ينتهي إليه الكل وهو يوم القيامة أو كل واحد وهو آخر مدة بقائه المقدر له في القسمة ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟﴾ [الآية 3] من هول ذلك الوقت ونزول العذاب وحصول المقت ﴿مُعْرِضُونَ﴾ [الآية 3] لا يتفكرون في

(1) كذا في الأصل المخطوط.

أمره ولا يستعدون لحلوله.

قال ابن عطاء: خلق السماوات والأرض وأظهر فيهما بدائع صنعته وبوادي قدرته فمن نظر إليهما ورأى آثار الصنع فهو لنقصه من نظر وشاهد الصانع فهو لتحققه.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [الآية 4] أي أخبروني عن حال آلهتكم بعد تأمل فيها هل يعقل أن يكون لها مدخل في أنفسها في خلق شيء من أجزاء العالم سفلياتها وعلوياتها فتستحق العبادة لأجلها ﴿ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ﴾ [الآية 4] الكتاب وهو القرآن فإنه ناطق بالتوحيد وطريق الصواب ﴿أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ [الآية 4] أي من بقية من علم بقيت عليكم من علوم الأولين الصادرة من نقول الأنبياء أو عقول الحكماء هل فيها على استحقاق العبادة للأصنام ونحوها ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الآية 4] في دعواكم بألوهيتها وهو إلزام بعدم ما يدل على ألوهيتها نقلاً بعد إلزامهم بعدم ما يقتضيها عقلاً.

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 5] أي ما يعيد ما سواه ﴿مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ﴾ [الآية 5] حين دعاه ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الآية 5] أي في حين ومدة ﴿وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ﴾ [الآية 5] أي عبادتهم أو ندائهم ﴿غَٰفِلُونَ﴾ [الآية 5] لأنهم إما جمادات لا يعقلون وأما عباد مسخرون وبأحوالهم مشتغلون.

وقال الأستاذ: وأي أثر منهم في الملك أو القدرة والمضرة إن كان لكم حجة فأظهروها أو دلالة فبينوها وإذ قد عجزتم عن ذلك وعلمتم فهلا رجعتم عن غيكم وأقلعتم ومن أشد ضلالاً ممن عبد الجماد الذي ليس له حياة ولا منة في النفع والضر إثبات.

157/أ / ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ﴾ [الآية 6] ليجازوا جزاء ﴿كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً﴾ [الآية 6] يضرونهم ولا ينفعونهم كما ظنوا أنهم شفعاء ﴿وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ [الآية 6] مكذبين بلسان الحال أو بيان القال.

وقال سهل: هي نفوسهم التي أقادتهم إلى متابعتها.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾ [الآية 7] واضحات أو مبينات ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ﴾ [الآية 7] لأجل الأمر الحق وفي شأن القول الصدق ﴿لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ [الآية 7] حين جاءهم من غير نظر في أمره وتأمل في حكمه ﴿هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الآية 7] ظاهر بطلانه ومتحايل برهانه.

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ [الآية 8] أفترى على الله كذباً على وفق مهواه ﴿قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ﴾ [الآية 8] فرضاً وتقديراً ﴿فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [الآية 8] فلا تقدرون على دفع شيء مني ولو بالحيلة إن عاجلني الله بالعقوبة فكيف اجترئ عليه بما يكون سبباً للمضرة ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [الآية 8] تندفعون به من القدح في آياته وتخوضون في معارضة بيناته ﴿كَفَىٰ بِهِۦ﴾ [الآية 8] بالله ﴿شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ [الآية 8] يشهد لي بالصدق وتبليغ الحق عليكم بالكذب والإنكار مع الإصرار ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الآية 8] وعد بالمغفرة والرحمة لمن تاب وآمن منهم وإشعار بحكم الله مع عظم ما صدر عنهم.

﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الآية 9] بديعاً منهم ادعوكم إلى ما لا يدعون إليه أو أقدر على ما لم يقدروا عليه وهو الإتيان بالمقترحات لديه.

وقال الأستاذ: أي لست بأول رسول أرسلت ولا بغير ما جاؤوا في أصول التوحيد حيث إنما أمرتكم بالإخلاص في العبادة والصدق في العبودية والدعاء إلى محاسن الأخلاق البشرية ﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾ [الآية 9] ما يفعل ربنا بنا في الدارين مفصلاً إذ لا علم لي بالغيب إلا مجملاً ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ [الآية 9] أي ما أتجاوز ما نزل علي وهو جواب عن استعجال المسلمين أن يتخلصوا من أذى المشركين ﴿وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الآية 9].

قال الأستاذ: وفي الآية دليل على فساد قول أهل القدر أن إيلام البريء قبيح في العقل لأنه لو لم يجز ذلك لكان يقول أعلم قطعاً إني رسول الله معصوم فلا محالة يغفر لي ولكنه قال ما أدري ما يفعل بي ولا بكم ليعلم أن الأمر أمره والحكم حكمه له أن يفعل بعباده وفق مراده.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 10] نزل من عنده على عبده

157/ب / ﴿وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الآية 10] وهو عبدالله بن سلام ﴿عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾ [الآية 10] وهو كونه من عند ربه ﴿فَـَٔامَنَ﴾ [الآية 10] بالقرآن ﴿وَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ [الآية 10] عن الإيمان ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية 10] إلى سبيل الإتيان وطريق العرفان.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الآية 11] لأجلهم وفي حقهم ﴿لَوْ كَانَ﴾ [الآية 11] الإيمان ﴿خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾ [الآية 11] إذ عامتهم موالي وفقراء ورعاء الشاء قاله جماعة من قريش أو يهود كانوا عظماء وأغنياء ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ﴾ [الآية 11] ظهر عنادهم في حقه ﴿فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ [الآية 11] كما قالوا ما هذا إلا أساطير الأولين.

﴿وَمِن قَبْلِهِۦ﴾ [الآية 12] قبل القرآن وهو خبر لقوله ﴿كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ [الآية 12] ناصب لقوله ﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ [الآية 12] على الحال ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ﴾ [الآية 12] أي لما بين يديه وقد قرىء به أن لما تقدمه من جميع كتب الله النازلة على رسله ﴿لِّسَانًا عَرَبِيًّا﴾ [الآية 12] حال من ضمير كتاب في مصدق ﴿لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ [الآية 12] علة مصدق وفيه ضمير الكتاب أو الله أو الرسول ويؤيده قراءة نافع وابن عامر والبزي بخلاف عنه بالخطاب ﴿وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ [الآية 12] عطف على محله والمعنى إنذار للمسيئين وبشارة للمحسنين.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ [الآية 13] على ما أمره وقضاه جمعوا بين التوحيد الذي هو خلاصة العلوم الدينية والاستقامة في الأمور التي هي منتهى الأعمال الأخروية وثم للدلالة على تأخر رتبة عمل الإحسان وتوقف اعتباره على معرفة التوحيد وعلم الإيمان ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية 13] من لحوق مهروب ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الآية 13] على فوات محبوب.

وأفاد الأستاذ: أن من خرج على الإيمان والاستقامة حظي بكل الكرامة ووصل إلى جزيل السلامة وقيل: السين في الاستقامة للطلب وإن المستقيم هو الذي يبتهل إلى الله تعالى في أن يقيمه على الحق ويثبته على الصدق.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الآية 14] من

اكتساب الفضائل العملية بعد حصول الفواضل العلمية.

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا﴾ [الآية 15] وقرأ الكوفيون إحساناً قال بعضهم: أوصى الله تعالى العوام ببر الوالدين لما لهما عليهما من نعم التربية
158/ أ والحفظ فمن حفظ وصية الله / في الأبوين وفّقه ببركة ذلك حفظ حرمات الله وكذلك رعاية سائر الأوامر والمحافظة عليها توصل بركاتها بصاحبها إلى محل الرضا والإنس ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ [الآية 15] ذات كراهة ومشقة وقرأ الحجازيان وأبو عمر وهشام بالفتح ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ﴾ [الآية 15] ومدة حمله وفطامه ﴿ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ [الآية 15] كل ذلك بيان لزيادة ما تكابده الأم في تربيته الولد مبالغة في الوصية بها، ولذا قال عليه السلام: «بِرّ أمك ثم أمك ثم أمك ثم أباك»[1] وقيل: دليل على أن أقل مدة الحمل ستة أشهر لأنه إذا حط عنه للفصال حولان لقوله حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة ففي ذلك وتخصيص أقل الحمل وأكثر الرضاع لانضباطهما وتحقق ارتباط حكم النسب والرضاع بهما ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ [الآية 15] استحكم عقله وقوته ﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ [الآية 15] وهو وقت كمال هدايته فقد قيل: لم يبعث نبي إلا بعد الأربعين ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ﴾ [الآية 15] ألهمني أو وفِّقني ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ﴾ [الآية 15] من النعم الدينية والدنيوية.

قال بعضهم: إنما الشكر المعرفة بالعجز عن الشكر وأن توفيق الشكر يوجب الشكر إلى ما لا نهاية لذلك ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾ [الآية 15] أي عملاً يصلح لقبوله ويستجلب رضاه.

قال ابن عطاء: العمل الصالح المرضي ما يصلح للعرض على الحق وقال أيضاً: وفقهم لصالح الأعمال ترضى بها عنهم.

وقال محمد بن علي: لا تجعل للشيطان والنفس والهوى عليهم سبيلاً ﴿وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ﴾ [الآية 15] واجعل لي الصلاح سارياً في ذريتي.

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (19/ 405) رقم (959)، وأبو داود في السنن (4/ 499) رقم (5141).

وقال سهل: اجعلهم لي خلف صدق ولك عبيد حق ﴿إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ [الآية 15] عما لا ترضاه أو يشغل عنك ﴿وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الآية 15] المنقادين المخلصين.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ﴾ [الآية 16] يعني طاعاتهم فإن المباح حسن ولا يثاب عليه إلا عند تحسين نياتهم ﴿وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ [الآية 16] لتوبتهم أو محو خطيئتهم وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالنون فيهما ﴿فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الآية 16] كائنين في عدادهم ﴿وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾ [الآية 16] من قبل الحق.

﴿وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِيٓ﴾ [الآية 17] وقرأ هشام أتعداني بنون واحدة مشددة ﴿أَنْ أُخْرَجَ﴾ [الآية 17] من القبور للبعث / والنشور ﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِي﴾ [الآية 17] فلم يرجع أحد منهم قبلي ﴿وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ﴾ [الآية 17] يقولان الغياث بالله منك ومن قولك ويسألانه أن يغيثه بالتوفيق للإيمان ﴿وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ [الآية 17] وأخباره صدق ﴿فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الآية 17] أباطيلهم التي كتبها بعض المتقدمين. 158/ ب

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ [الآية 18] بأنهم أهل النار ﴿فِيٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ [الآية 18] بيان للأمم ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ خَٰسِرِينَ﴾ [الآية 18] في معاملتهم غير رابحين في تجارتهم خسروا في الدنيا والآخرة وضيعوا رؤوس أموالهم في مدة أعمارهم الذاخرة حيث لم يصرفوها في تحصيل الأحوال الفاخرة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أمر الإنسان برعاية حق والديه على جهة الاحترام لما عليه لهما من حق التربية والإنعام ورعاية حق الأم من حيث الشفقة والإكرام وإذا لم يحسن حرمة من هو من جنسه فهو أبعد من مراعاة حق سيده ولو لم يكن في هذا الباب إلا قوله صلى الله عليه وسلم رضا الله في رضا الوالدين وسخط الله في سخطهما لكان ذلك كافياً وللمقصود وافياً وقد وعد الله على بر الوالدين قبول الطاعة بقوله: أولئك الذين نتقبل عنهم

الآية فقبول الطاعة وغفران الزلة مشروط ببر الوالدين وقد ذم الذين اتصفوا في حقهما بالتأفيف وفي ذلك تنبيه على ما رواه في التعنيف فحكم أن صاحبه من أهل الخسران والخسران نقصان في الإيمان فسبيل العبد في رعاية حق الوالدين أن يصلح ما بينه وبين الله فحينئذ الله يصلح بينه وبين غيره وشر خصال الولد في رعاية حق الوالدين التبرم بطول حياتهما والتأدي بما يحفظ من حقهما وعن قريب يموت الأصل وقد يبقى النسل ولا بدّ من أن يتبع الأصل ولقد قالوا في هذا المعنى رويدك إن الدهر فيه كفاية لتفريق ذات البين فانتظر الدهر.

﴿وَلِكُلٍّ﴾ [الآية 19] من الفريقين ﴿دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾ [الآية 19] مراتب لجزاء أعمالهم من الخير والشر في أحوالهم والدرجات مستعملة في المثوبات
159/ أ كما أن الدركات / في العقوبات وهاهنا جاءت على أصل اللغة أو بحسب الغلبة ﴿وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [الآية 19] جزاءها وقرأ نافع وابن ذكوان وحمزة والكسائي بالنون ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الآية 19] بنقض ثواب أو زيادة عقاب بل ليس هنالك إلا عدل أو فضل.

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ [الآية 20] يعذبون بها كعرض الكتاب عليها ﴿أَذْهَبْتُمْ﴾ [الآية 20] أي يقال لهم أذهبتم وقرأ ابن كثير وابن عامر بالاستفهام ﴿طَيِّبَٰتِكُمْ﴾ [الآية 20] لذاتكم ﴿فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا﴾ [الآية 20] باستيفاء شهواتكم ﴿وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾ [الآية 20] فما بقي لكم شيء منها ﴿فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ [الآية 20] الهوان وقد قرىء به ﴿بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الآية 20] بغير استحقاق ﴿وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ [الآية 20] تخرجون عن طاعة الله من خلاف وشقاق.

قال الواسطي: من أسره شيء من الأكوان الفانية دق أو جل أو لاحظها بقلبه أو بعينه فقد دخل تحت قوله: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا﴾ [الآية 20].

وأفاد الأستاذ: أن سبيل العبد أن لا ينسى في كل حال معبوده حتى إذا

كان معه همه وسروره أو معه مناجاته في رجائه وبلائه فإن طاب له وقت أو اتفق أن يحصل له أنس أو يغلب عليه رجاء وبسط أو يهجم على قلبه قبض أو يمسه حزن فخاطبه ربه فيه فلا يكون من جملة من يقال له: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا﴾ [الآية 20].

﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ﴾ [الآية 21] أي هود عليه السلام ﴿إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ﴾ [الآية 21] جمع حقف بالكسر وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء وكانوا يسكنون بين رمال مشرفة على البحر بالشجر من اليمن ﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ﴾ [الآية 21] أي الرسل ﴿مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ﴾ [الآية 21] قبل هود وبعده ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الآية 21] أي لا تعبدوا سواه ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الآية 21] بسبب إصراركم على أشر الحكم.

﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا﴾ [الآية 22] لتصرفنا عن عبادتها ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ [الآية 22] من العقوبة على إشراكها ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الآية 22] في دعوى نزولها.

﴿قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 23] لا علم لي بوقت عذابكم وإنما علمه عند ربي فيأتيكم به في وقته قدر لكم ﴿وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ﴾ [الآية 23] إليكم
159/ ب وما علي إلا تبليغ ما وجب عليكم ﴿وَلَٰكِنِّىٓ/ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ [الآية 23] فيما اخترتم لديكم.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ [الآية 24] أي العذاب ﴿عَارِضًا﴾ [الآية 24] سحاباً عرض ونشأ في أفق من السماء ﴿مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ﴾ [الآية 24] متوجهاً من سائر جهاتها ﴿قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ [الآية 24] ممطر لنا ﴿بَلْ هُوَ﴾ [الآية 24] أي قال هود ليس كما تظنون أنه السحاب بل هو ﴿مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ﴾ [الآية 24] من العذاب ﴿رِيحٌ﴾ [الآية 24] أي هو ريح عقيم ﴿فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الآية 24].

﴿تُدَمِّرُ﴾ [الآية 25] أي تهلك وقد قرىء به ﴿كُلَّ شَىْءٍۭ﴾ [الآية 25] من نفوسهم وأموالهم ﴿بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ [الآية 25] إذ لا توجد نابضة حركة ولا قابضة سكون إلا بمشيئته ووفق حكمته ﴿فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ﴾ [الآية 25] أيها المخاطب لو

حضرت في مكانهم وزمانهم ﴿إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْۚ﴾ [الآية 25] خالية عن أعيانهم وقرأ عاصم وحمزة بالياء المضمومة ورفع مساكنهم ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الآية 25] أي وننجي المؤمنين فقد روي أن هود عليه السلام لما أحس بالريح اعتزل بالمؤمنين في الحظيرة وجاءت الريح فأمالت الأحقاف على الكفرة وكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيام ثم كشفت عنهم واحتملتهم وفرقهم من البر في البحر.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أخبر عن قصة هود وقومه عاد وما جرى بينهم من الخطاب وما توجه عليهم من العقاب وأخذهم بأليم العقاب.

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ﴾ [الآية 26] إن نافية وهي أحسن موقعاً من هنا لأنها توجب تكرير المبنى وما موصولة أو موصوفة ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً﴾ [الآية 26] ليعرفوا تلك النعم بأسرها ويستدلوا بها على مانحها ويواظبوا على شكرها ويداوموا في فكرها وذكرها فلم يلتفتوا إليها واغتروا بها وطغوا لديها ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ﴾ [الآية 26] أي ما دفع عنهم شيئاً من الإغناء أو العناء ﴿إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 26] المنزلة أو بحجج أنبيائه المرسلة ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الآية 26] من العقوبة الموعودة.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم﴾ [الآية 27] يا أهل مكة ﴿مِّنَ ٱلْقُرَىٰ﴾ [الآية 27] كحجر ثمود وقرى قوم لوط عليه السلام ﴿وَصَرَّفْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ﴾ [الآية 27] بتكريرها وزيادة تقديرها ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الآية 27] عن إنكارها.

﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ﴾ [الآية 28] بدل أو
عطف بيان والمعنى / فهلا منعهم من إهلاكهم آلهتهم الذين يتقربون بهم إلى الله 160/ أ
حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴿بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْۚ﴾ [الآية 28] غابوا عن نصرهم بل ولم يدروا عن أمرهم من نفعهم وضرهم ﴿وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ﴾ [الآية 28] أي أثر إفكهم الذي هو اتخاذهم إياها آلهة ﴿وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [الآية 28] من أنواع الجهالة وأصناف الضلالة فلن يغني عنهم ما أتيناهم حين ما أهلكناهم.

﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ﴾ [الآية 29] أملنا ووجهنا ﴿إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الآية 29] حال ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ﴾ [الآية 29] أي القرآن أو الرسول ﴿قَالُوٓاْ﴾ [الآية 29] أي بعضهم لبعض ﴿أَنصِتُواْ﴾ [الآية 29] اسكتوا لتسمعة ﴿فَلَمَّا قُضِىَ﴾ [الآية 29] فرغ من قراءته ﴿وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ [الآية 29] مخوفين إياهم بما سمعوا من هداهم روي أنهم وافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادي النخلة عند منصرفه من الطائف يقرأ في تهجده أو يصلي بأصحابه الفجر على ما رواه الشيخان(1).

قال محمد بن سليمان: ليس في مقام الحضرة إلا الخمول والذبول والسكون تحت موارد الهيبة مع الذلول.

وقال النصرآبادي: هيبة المشاهدة إذا طالعت السرائر بحقائقها أخرست الألسن عن النطق في مشهدها كالجن لما حضروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد أن يقرأ عليهم أوصى بعضهم بعضاً بالإنصات تأدباً لديه.

وأفاد الأستاذ: أن الصيحة على الباب وفي البساط هيبة لأولي الألباب لما حضر الجن بساط خدمته عليه السلام تواصوا فيما بينهم بحفظ أدب المقام فلما حضروه ﴿قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ﴾ [الآية 29] فأهل الحضور صفتهم الذبول والسكون والهيبة والوقار وأما الثوران والانزعاج فيدل على غيبة أو غفلة أو قلة تيقظ أو نقصان اطلاع من الحضرة.

﴿قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾ [الآية 30] من العقائد اليقينية ﴿وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الآية 30] من الشرائع الدينية.

وقال ابن عطاء يهدي إلى الحق في الباطن وإلى طريق مستقيم في الظاهر.

﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ [الآية 31]

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (2/ 495) رقم (3701) وأورده البيضاوي في تفسيره (1/ 185).

160/ب بعضها وهو ما يكون في خالص حق الله فإن المظالم كالقصاص لا تغفر/ بالإيمان كذا في التأويلات ذكره صاحب المدارك ﴿وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الآية 31] مما هو معد للكفار واحتج أبو حنيفة وحده رحمه الله باقتصارهم على المغفرة والإجازة على أن لا ثواب لهم في الآخرة والأظهر كما عليه الأكثر أنهم كبني آدم كما يدل عليه ما في سورة الرحمٰن من مشاركتهم للإنسان فيما ذكر من نعيم الجنان.

﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 32] إذ لا ينجى منه مهرب ﴿وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ﴾ [الآية 32] يمنعونه من عذاب ربه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الآية 32] حيث أعرضوا عن إجابة من هذا شأنه ولم يلتفتوا إلى طاعة من هذا سلطانه.

قال سهل: لا يجيب الداعي إلا من سمع النداء ووفق لجواب الدعاء وإلا فمن يقدر أن يجيب هذه الدعوة وقال أيضاً: في قلب كل مؤمن داع يدعوه إلى رشده والسعيد من سمع دعاء الداعي وتبعه في حكمه.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾ [الآية 33] ألم يتفكروا ولم يعلموا ﴿أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ﴾ [الآية 33] ولم يتعب ولم يعجز في إبدائهن وإبقائهن فإن قدرته واجبة لا تنقضي بالإيجاد ولا تنقطع بالإمداد ﴿بِقَٰدِرٍ﴾ [الآية 33] الباء مزيدة لتأكيد النفي أي قادر ﴿عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [الآية 33] انتهاء كما قدر على أحبابهم ابتداء ﴿بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الآية 33] تقدير للقدرة على وجه العام فيكون كالبرهان على المقصود التام.

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ [الآية 34] أي يقال لهم ﴿أَلَيْسَ هَٰذَا﴾ العذاب ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية 34] الثابت في الكتاب ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾ [الآية 34] رب الأرباب ﴿قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الآية 34] في مقام الحجاب.

﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الآية 35] أولوا الثبات والجد والحزم منهم فإنك من جملتهم بل ومن أجلتهم ومن للتبيين أو للتبعيض وأولوا العزم أصحاب الشرائع اجتهدوا في تأسيسها وتقريرها وصبروا على تحمل مشاقها

وتكريرها ومشاهيرهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام أو المراد بهم الصابرون على بلائه كنوح صبر على أذى قومه وكانوا يضربونه حتى يغشى عليه وإبراهيم على النار وذبح ولده والذبيح على ذبحه ويعقوب على مفارقة/ ولده 161/ أ
وفقد بصره ويوسف على محنة حبه ومشقة سجنه وأيوب على ضره وموسى على طغيان فرعون وشره وداود بكى على خطيئته أربعين سنة من عمره وعيسى لم يضع لبنة على لبنة في دهره وقال: إنها معبرة فاعبروها ولا تعمروها وقال تعالى في آدم: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه: الآية 115]، وفي يونس: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ [القلم: الآية 48]. وفي «تفسير السلمي»: أن الدنيا أسست على المحن والبلوى وليس لها دواء إلا الصبر في العناء.

وقد قال ابن عطاء الله: ما دمت في هذه الدار لا تستغرب وقوع الأكدار.

وأفاد الأستاذ: أن الصبر هو الوقوف لحكم الله والثبات من غير بثٍ ولا استكراه ﴿وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ [الآية 35] لكفار قريش بالعذاب وأمهلهم فإنه لا محالة نازل بهم في وقت عين لهم ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ﴾ [الآية 35] من آثارنا ﴿لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ﴾ [الآية 35] استقصروا من هوله مدة لبثهم في الدنيا حتى تحسبوها ساعة في العقبى.

وأفاد الأستاذ: أن مدة الخلق من مبتدأ وقتهم إلى منتهى أجلهم بالإضافة إلى الأزلية كلحظة بل هي أقل من لمحة إذ الأزل لا ابتداء له ولا انتهاء وأي خطر لما حصل في لحظة خيراً كان أو شراً بلاغ هذا القرآن أو هذه السورة ﴿بَلَٰغٌ﴾ [الآية 35] أي كفاية لمن قدر له هداية ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [الآية 35] الخارجون عن الطاعة من البداية أو في النهاية.

سورة محمّد ﷺ

[مدنيّة أو مكيّة]
وهي ثمان وثلاثون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: من ذكر بسم الله جلّت رتبته، ومن عرف بسمَ الله صفت حالته، ومن أحب بسم الله استكملت قضيته، ومن صحب بسم الله امتحقت أنانيته وتلاشت بالكلية جملته.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 1] أي ومنعوا غيرهم عن سلوك طريق فيه خيرهم ﴿أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [الآية 1] جعل مكارمهم كصلة الأرحام وفك الأسارى وشفقة الأيتام ضائعة لامتناعهم عن الإسلام.

وقال الأستاذ: ﴿كَفَرُواْ﴾ امتنعوا ﴿وَصَدُّواْ﴾ ومنعوا فلأنهم امتنعوا عن الله استوجبوا العقوبة ولأنهم منعوا الخلق عن الله استحقوا الحجبة والغيبة.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الآية 2] يعم المجاهدين والأنصار
161/ب ﴿وَءَامَنُواْ﴾ [الآية 2] من أخيار الأحبار ﴿بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ﴾ [الآية 2] تخصيص / للمنزل عليه مما يجب الإيمان به تعظيماً له وإشعاراً بأن الإيمان لا يتم دونه ﴿وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ﴾ [الآية 2] أي الثابت الذي لا نسخ بعده ﴿كَفَّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ﴾ [الآية 2] محا عنهم ما صدر منهم من مساوىء أعمالهم ﴿وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ﴾ [الآية 2] حالهم في الدين والدنيا بالتوفيق والتأييد في غالب أحوالهم.

وأفاد الأستاذ: إن الكفر للأعمال محبط والإيمان للتخليد في العذاب مسقط ويقال: [الذين اشتغلوا] بطاعة الله ولم يعملوا شيئاً مما خالف الله فلا

محالة نقوم بكفاية أشغالهم لله.

﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية 3] ما ذكر من الإضلال والتكفير والإصلاح ﴿بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْۚ﴾ [الآية 3] وهو تصريح بعد تلويح في بيان أمرهم.

قال ابن عطاء: أتباع الأوامر والسنن وأتباع الباطل ارتكاب الشهوات أو ما في النفس ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ﴾ [الآية 3] يبين لهم أحوالهم والمعنى يضرب أمثال هؤلاء لسيئاتهم وأمثال هؤلاء لحسناتهم.

﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الآية 4] في المحاربة ﴿فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ [الآية 4] أي فاضربوا ضرب الرقاب أو فالزموه فإنه أنفع هذا الباب ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ﴾ [الآية 4] أكثرتم قتلهم وأغلظتم فشلهم ﴿فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ﴾ [الآية 4] فأسروهم واحفظوهم بالوثاق ﴿فَإِمَّا مَنَّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ [الآية 4] فأما تمنون منّاً أو تفدون فداء والمراد والتحية بعد الأسر بين المن والإطلاق وبين أخذ الفداء وهو ثابت عند الشافعية فإن الذكر الحر المكلف إذا أسر تخير الإمام بين القتل والمن والفداء والاسترقاق ومنسوخ عند الحنفية أو مخصوص بحرب بدر فإنهم قالوا يتعين القتل والاسترقاق.

وأفاد الأستاذ: في بيان المراد أنه إذا حصل الظفر بالعدو فالعفو عنهم وترك المبالغة في النكير عليهم موجب للندامة وتضييع للفرضية بل الواجب إزهاق نفوسهم واستئصال أصولهم وكذلك العبد إذا ظفر بنفسه فلا ينبغي أن يبقى في انتقاش شوكها بقية ولا في قلع شجرها شطية فالحية وإن بقيت من الحياة بقية فيها فمن وضع عليها أصبعاً بثّت فيه سمها لكن إذا رأى في حال المجاهدة مع النفس أن في إغفاء ساعة وإفطار يوم ترويح لها من الكد وقوة لها على الجهد فيما يستقبل له من الأمر فذلك على ما يحصل به
الاستصواب/ من لسان شيخ أو فتوى بيان وقت أو فراسة صاحب مجاهدة 162/ أ
﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَاۚ﴾ [الآية 4] آلاتها وأثقالها التي لا تقوم إلا بها كالسلاح والكراع ونحوها والمعنى حتى تنقضي الحرب ولم يبق إلا مسلم أو مسالم

﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية 4] أي الأمر فيهم ﴿وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ﴾ [الآية 4] لانتقم منهم باستئصالهم ﴿وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ [الآية 4] ولكن أمركم بقتالهم ليبلو المؤمنين بالكافرين بأن يجاهدوهم فيستوجبوا الثواب العظيم لهم والكافرين بالمؤمنين بأن يعاجلهم على أيديهم ببعض عذابهم كي يرتدع بعضهم عن كفرهم ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 4] أي جاهدوا في طريق رضاه وقرأ أبو عمرو وحفص قتلوا أي استشهدوا ﴿فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [الآية 4] فلن يضيعها بل يعطيها آمالهم ويعظم ثوابهم ويكرم ما بهم.

﴿سَيَهْدِيهِمْ﴾ [الآية 5] سيثبت هدايتهم ﴿وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ [الآية 5] شأنهم وحالهم.

﴿وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ⑥﴾ [الآية 6] في الدنيا حتى اشتاقوا إليها فعملوا ما به استحقوها أو بينها لهم في العقبى بحيث يعلم كل أحد مسكنه ويهدي إليه كأنه كان ساكنه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ﴾ [الآية 7] دينه ورسوله ﴿يَنصُرْكُمْ﴾ [الآية 7] على عدوكم ﴿وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [الآية 7] في القيام بحقوق إسلامكم والمجاهدة مع مخالف نظامكم.

وقال الحكيم الترمذي: إن أكرمتم أوليائي أكرمكم.

وأفاد الأستاذ: أن نصرة الله من العبد نصرة دينه بإيضاح الدليل وتبيينه ونصرة الله للعبد بإعلاء كلمته وقمع أعداء ملته.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعْسًا لَّهُمْ﴾ [الآية 8] فعثاراً ودماراً حاصلاً لهم وخاصاً بهم.

وقال الأستاذ: لعناً وطرداً وقمعاً وبعداً وانتصابه بفعله الواجب إضماره سماعاً ﴿وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [الآية 8] ضيع أحوالهم وأبطل آمالهم.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [الآية 9] من القرآن لما فيه من التكاليف المخالفة لما ألفه طباعهم ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [الآية 9] حيث لم تكن على وفق هداهم بل كانت على طريق هواهم.

وأفاد الأستاذ: أنهم لما زاغوا بقلوبهم أزاغوا بالتلبيس في معاملاتهم

أحبط الله أعمالهم وهتك أستارهم وأظهر للمؤمنين أسرارهم وأخمد نارهم.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 10] بأبدانهم أو بأبصارهم ﴿فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ/ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ﴾ [الآية 10] أي مآل حال كفارهم ﴿دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْۖ﴾ 162/ ب
[الآية 10] استأصل ما اختص بهم من أنفسهم وأهليهم وأموالهم وديارهم وآثارهم ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا﴾ [الآية 10] أشباه تلك العاقبة من العقوبة والمهلكة.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الآية 11] ناصرهم على أعدائهم ﴿وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [الآية 11] يرضى عنهم فيدفع العذاب منهم.

قال أبو عثمان: هو معين من أقبل عليه وناصر من استغاث لديه.

وأفاد الأستاذ: أن المولى قد يكون بمعنى المحب فهو ﴿مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي يحبهم ﴿وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [الآية 11] لا يحبهم ويصح أن يقال هذه أرجى آية في القرآن حيث لم يقل مولى الزهاد والعباد وأصحاب الأوراد وأرباب الاجتهاد بل قال: ﴿مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الآية 11] والمؤمن وإن كان عاصياً فهو من جملة الذين آمنوا لا سيما وآمنوا فعل والفعل لا عموم له.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ﴾ [الآية 12] ينتفعون بمتاع الدنيا من الحرام ﴿وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ﴾ [الآية 12] حريصين غافلين عن عاقبة الأيام ووخامة الآثام ﴿وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ [الآية 12] منزل ومقام على الدوام.

وأفاد الأستاذ: أن الأنعام تأكل بلا تمييز بين الحلال والحرام كذلك الكافر غفول والأنعام ليس وقت لأكلها بل تأكل في كل وقت حصل لها كذلك الكافر أكول.

وفي الخبر: «أن الكافر يأكل في سبعة أمعاء والمؤمن في مِعًى واحد»[1]. ويقال: هي تأكل على الغفلة فمن كان في حال أكله ناسياً لربه

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (5393)، ومسلم في الصحيح (2060/ 182).

فأكله كأكل الأنعام في وصفه.

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَتْكَ﴾ [الآية 13] أي على حذف المضاف وهو الأهل وإجراء أحكامه على المضاف إليه مجازاً والإخراج باعتبار التسبب ﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾ [الآية 13] بأنواع العذاب ﴿فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ [الآية 13] يكشف عنهم الحجاب قال بعضهم: لم يخرج النبي صلى الله عليه وسلم خوفاً منهم كما خرج موسى عليه السلام ولكنه خرج حين أُخرِج ألا ترى أن الله يقول أخرجتك ولم يقل خرجت ولا فررت ولا نزعت لأنه بالله ولله في جميع أوقاته
فلم يجر عليه الالتفات إلى غير ذات/ الله ومشاهدة صفاته. 163/ أ

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الآية 14] حجة من عنده وبيان وهو القرآن أو ما يعمه من البرهان ﴿كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ [الآية 14] من الشرك والعصيان ﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم﴾ [الآية 14] من غير شبهته لهم فضلاً عن حجة عندهم.

وأفاد الأستاذ: أن البينة الضياء والحجة والاستبصار بواضح المحجة فالعلماء في ضياء برهانهم والعارفون في صفاء بيانهم فهؤلاء بأحكام أدلة الأصول يبصرون وهؤلاء بحكم الإلهام والوصول يستبصرون.

﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الآية 15] أي فيما قصصنا عليك صفتها العجيبة وحالتها الغريبة أو صفتها ما يذكر منها أن ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ [الآية 15] وقرأ ابن كثير أسن بالقصر أي غير متغير طعمه ولونه وريحه ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ﴾ [الآية 15] لم يصر قارصاً ولا حامضاً ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ [الآية 15] لذيذة لهم لا كراهة طعم وريح في ابتدائها ولا غائلة سكر وخمار في انتهائها ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ [الآية 15] لم يخالطه الشمع وفضلات النحل وأمثالها والمعنى أن في العقبى جميع ما يستلذ منها في الدنيا مجرداً عما ينقصها وينغصها ومعداً لأهلها بكثرتها واستمرار مدتها ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [الآية 15] صنف شريف ونوع لطيف خارج عن جنس المشاهدات ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [الآية 15] عن السيئات والغفلات ﴿كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِي ٱلنَّارِ﴾ [الآية 15] أي أفمن هو خالد في هذه الجنة كم هو خالد في العقوبة ﴿وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا﴾ [الآية 15]

مكان تلك الأشربة ﴿فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ [الآية 15] من فرط الحرارة.

وقال الأستاذ: كذلك اليوم للأولياء لهم شراب الوفاء ثم شراب الصفاء ثم شراب الولاء ثم شراب في حلل اللقاء ولكل من هذه الأشربة محمل ومحو ولصاحبه سكر وصحو فمن تحسى شراب الوفاء لم ينظر في أيام غيبته عن أحبائه إلى أحدكما قال قائلهم:

وما سر صدري منذ شطت بك النوى أنيس ولا كأس ولا متصرف[1]

ومن شرب كأس الصفاء خلص له عن كل شوب فلا كدورة في عهده فهو في كل وقت صاف عن نفسه خال عن مطلوباته قائم به بلا شغل في الدنيا والآخرة ولا حاجة من حاجاته ومن شرب كأس الولاء عدم فيه القرار ولم يغب سره لحظة لا في الليل ولا في النهار ومن شرب في حال اللقاء أنس/ على الدوام ببقائه فلم يطلب مع بقائه شيئاً آخر لا من عطائه ولا من 163/ ب
لقائه لاستهلاكه في علائه عند سطوات كبريائه.

﴿وَمِنْهُم﴾ [الآية 16] من المنافقين ﴿مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ [الآية 16] ليعلم ما نزل عليك أو وقع من الكلام لديك ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ [الآية 16] من علماء الصحابة ﴿مَاذَا قَالَ ءَانِفًا﴾ [الآية 16] أي شيء الذي قال في هذه الساعة استهزاء في أنفسهم وقرأ البزي بقصر الهمزة بخلاف عنه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [الآية 16] ولذا أظهروا استهزاءهم.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ﴾ [الآية 17] من أهل الإسلام ﴿زَادَهُمْ﴾ [الآية 17] بالتوفيق والإلهام ﴿هُدًى﴾ [الآية 17] هداية شاملة للأحكام ﴿وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ [الآية 17] أعطاهم أسبابها وأعانهم على اكتسابها.

قال ابن عطاء: الذين تحققوا في طلب الهداية أوصلناهم إلى مقام الهداية وزدناهم هدى بالوصول إلى الهادي وهو المقصود في البداية والنهاية.

وقال الأستاذ: ﴿ٱهْتَدَوْاْ﴾ بأنواع المجاهدات فزادهم هدى بأنوار

(1) ذكره القشيري في تفسيره (7/ 268).

المشاهدات و﴿ٱهۡتَدَوۡاْ﴾ بتأمل البرهان فزادهم هدى بروح البيان و﴿ٱهۡتَدَوۡاْ﴾ بعلم اليقين فزادهم هدى بحق اليقين.

﴿فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ﴾ [الآية 18] أي ما ينتظرون غيرها ﴿أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةً﴾ [الآية 18] بدل اشتمال من الساعة وقوله ﴿فَقَدۡ جَآءَ أَشۡرَاطُهَاۚ﴾ [الآية 18] كالعلة له أي لأنه ظهر بعض إماراتها كمبعث خاتم الأنبياء وانشقاق القمر في السماء ﴿فَأَنَّىٰ لَهُمۡ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ ذِكۡرَىٰهُمۡ﴾ [الآية 18] فكيف لهم تذكرهم بالطاعة إذا جاءتهم الساعة فحينئذ لا هي تدفع ولا طاعة تنفع فالدنيا ساعة فاجعلها طاعة.

﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [الآية 19] في جميع الكائنات ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ﴾ [الآية 19] أي إذا علمت سعادة المؤمنين وشقاء الكافرين فاثبت على ما أنت عليه من العلم اليقين بالوحدانية الإلهية وتكميل النفس الإنسانية بإصلاح أعمالها وإنجاح أحوالها ويضمها بالاستغفار لما صدر من الزلات في حالة الغفلات منك ومن أتباعك وإن كان تفاوت بين السيئات فإن حسنات الأبرار سيئات الأحرار ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ﴾ [الآية 19] في الدنيا فإنها مراحل لا بدّ من قطعها ﴿وَمَثۡوَىٰكُمۡ﴾ [الآية 19] في العقبى فإنها / دار إقامتكم فلا بدّ من دوامها. 164/ أ

قال جنيد: أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يدعو الخلق عن الأصنام والأوثان إليه فدعاهم فمنهم مجيب ومنهم منكر لديه ودعاه سبحانه إليه من نفسه ومن الأكوان والخلق وأنسه فقال: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [الآية 19] أي الذي اصطفاك على البشر ليس غيره يستحق الألوهية ويقتضي العبودية.

وقال ابن عطاء: عالم قول ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ محتاج إلى أربعة أشياء تصديق وتعظيم وحلاوة وحرمة فمن لم يكن له تصديق فهو منافق ومن لم يكن له تعظيم فهو مبتدع أي غافل جاهل ومن لم يكن له حلاوة فهو مراءٍ غير مخلص ومن لم يكن له حرمة فهو فاسق لأن حرمة هذه الكلمة القيام بما يقتضيه من الطاعة.

وأفاد الأستاذ: أنه عليه السلام كان عالماً بأنه لا إله إلا الله وأمره

باستدامة العلم واستزادته وكذلك في الثاني من حالته من أول العلم وبدايته لأن العلم أثر ولا يجوز البناء على الأثر فكل لحظة يأتي بها ويقال: كان له علم اليقين فأمر بعين اليقين أو كان له عين اليقين فأمر بحق اليقين ويقال: إنما أمره بالانقطاع إليه من الخلق ثم بالانقطاع منه إلى الحق وإذا قال العبد: هذه الكلمة على العادة والغفلة عن الحقيقة فليس لهذا القول كبير قيمة وهكذا إذا تعجب من شيء فتذكر هذه اللفظة ليس له قدر ولا مرتبة وإذا قاله مخلصاً فيه ذاكراً لمعناه متحققاً بحقيقة مبناه فإن قاله بنفسه فهو في وطن التفرقة.

وعندهم هذا من الشرك الخفي وإن قاله بالحق فهو الإخلاص الجلي والعبد يعلم أولاً ربه بدليل وحجة، فعلمه بنفسه ضرورة وهو أصل الأصول وعليه يبنى كل علم استدلالي ثم تزداد قوة علمه بزيادة البيان وزيادة البيان وزيادة الحجج من أنواع البرهان ويتناقض علمه بنفسه لغلبات ذكره الله بقلبه فإذا انتهى إلى حال المشاهدة واستيلاء سلطان الحقيقة عليه صار علمه في تلك الحالة ضرورياً ويقال: الذي في البحر غلب عليه ما يأخذه في الرؤية للبحر عن ذكر نفسه فإذا ذكر البحر قوّى هذه الحالة فإذا غرق في البحر فلا إحساس له بشيء سوى ما هو مستغرق فيه مستهلك وإذا علمت أنك علمت فاستغفر لذنبك من علمك فإن الحق على جلال قدره لا يعلمه غيره.

﴿وَيَقُولُ/ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡلَا نُزِّلَتۡ سُورَةٞۖ﴾ [الآية 20] هلا نزلت سورة في أمر 164/ ب
الجهاد ﴿فَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ مُّحۡكَمَةٞ﴾ [الآية 20] مبيّنة ﴿وَذُكِرَ فِيهَا ٱلۡقِتَالُ﴾ [الآية 20] أي الأمر به ﴿رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ﴾ [الآية 20] ضعف في اليقين ونفاق في الدين ﴿يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ﴾ [الآية 20] على وجه الكراهة ﴿نَظَرَ ٱلۡمَغۡشِيِّ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ﴾ [الآية 20] جبناً ومخافة ﴿فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ﴾ [الآية 20] دعاء عليهم بمكروه يقع لديهم يؤول إليه أمرهم.

﴿طَاعَةٞ﴾ [الآية 21] أي أمرهم طاعة ﴿وَقَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞۚ﴾ [الآية 21] أو حكاية قولهم لقراءة أبيّ يقولون طاعة أي أمرنا طاعة أو أولى لهم طاعة منهم لله ورسوله وقول معروف بالإجابة لما أمروا به من الجهاد وغيره أو طاعة وقول معروف خير

لهم ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلۡأَمۡرُ﴾ [الآية 21] أي جد أصحابه ﴿فَلَوۡ صَدَقُواْ ٱللَّهَ﴾ [الآية 21] فيما زعموا من الحرص على الجهاد أو الإيمان ﴿لَكَانَ﴾ [الآية 21] الصدق ﴿خَيۡرٗا لَّهُمۡ﴾ [الآية 21].

﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ﴾ [الآية 22] توقعتم من أنفسكم ﴿إِن تَوَلَّيۡتُمۡ﴾ [الآية 22] أمور العام وتأمرتم عليهم في الأحكام أو أعرضتم وتوليتم عن الإسلام ﴿أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الآية 22] بالظلم والعدوان أو بالكفر والعصيان ﴿وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ﴾ [الآية 22] حرصاً على الولاية وتجاذباً للإمارة.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الآية 23] أبعدهم عن رحمته وطردهم عن جنته لإفسادهم وقطع أرحامهم ﴿فَأَصَمَّهُمۡ﴾ [الآية 23] عن استماع الحق ﴿وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ﴾ [الآية 23] فلا يهتدون سبيل الصدق.

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ [الآية 24] ألا يتأملون ما فية من المواعظ والزواجر حتى لا يتحسروا على الكبائر ﴿أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾ [الآية 24] فلا يصل إليها ذكر ولا ينكشف لها أمر.

قال سهل: إن الله تعالى خلق القلوب وأقفل عليها بأقفالها وجعل الإيمان مفاتيحها فلم يفتح على التحقيق إلا قلوب الأنبياء والمرسلين والصديقين وأما سائر الناس فيخرجون من الدنيا وقلوبهم مقفلة كالزهاد والعلماء والعباد لأنهم طلبوا مفتاحها من القفل فضلوا الطريق ولو طلبوا من باب الفضل وجهة التوفيق لفتح أقفال قلوبهم للتحقيق ومفتاح القلوب إن الله قائم عليك رقيب على جوارحك والعلم بأن العمل لا يكمل إلا بالإخلاص.

وقال الأستاذ: أي إن تدبروا القرآن أفضى بهم إلى حسن العرفان وخلص أرواحهم عن ظلمه التحير في وادي الطغيان.

/ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم﴾ [الآية 25] إلى ما كانوا عليهم من 165/أ
إنكارهم وإصرارهم ﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى﴾ [الآية 25] بالدلائل اللائحة والمعجزات الواضحة ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ﴾ [الآية 25] سهل لهم اقتراف السيئات وحملهم على أتباع الشهوات ﴿وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ﴾ [الآية 25] ومد لهم في آمالهم وأمانيهم

أو أمهلهم الله ولم يعاجلهم بالعقوبة لمعاصيهم وقرأ أبو عمرو وأملى لهم على البناء للمفعول وهو ضمير لهم.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ [الآية 26] أي اليهود أو المنافقين ﴿قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ﴾ [الآية 26] للمشركين ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ﴾ [الآية 26] في بعض أموركم ولو كان مخالفاً للدين ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ [الآية 26] ومنها قولهم هذا الذي أنشأه الله عليهم وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالكسر على المصدر.

﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [الآية 27] فكيف يعلمون ويحتالون حينئذ حال كونهم ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾ [الآية 27] بمقامع من حديد فيها بأس شديد.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ﴾ [الآية 28] من الكفر ومعصيته الأمر وإظهار الشر ﴿وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ﴾ [الآية 28] ما يرضاه من الإيمان وطرق الخير ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [الآية 28] وضيع أحوالهم وأبطل آمالهم.

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [الآية 29] ضعف دين أو قلة يقين ﴿أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ﴾ [الآية 29] لن يظهر لرسوله والمؤمنين ﴿أَضْغَٰنَهُمْ﴾ [الآية 29] أحقادهم.

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ﴾ [الآية 30] لعرفناكهم بدلائل تعرفهم بأعيانهم ﴿فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾ [الآية 30] بعلاماتهم التي يسمهم بها واللام لجواب لو كررت في المعطوف للمبالغة ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾ [الآية 30] جواب قسم محذوف ولحن القول أسلوبه الدال على انحراف الفعل من تعريض وتورية في العبادة وغمز ورمز في الإشارة كما يعرف بالفراسة والكياسة ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [الآية 30] فيجازيكم على حسب أحوالكم.

قال القاسم: إن الأكابر والسادة يعرفون صدق المريد من كذبه في سؤاله وكلامه لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾ [الآية 30].

وأفاد الأستاذ: في لحن القول أي في معنى الخطاب وأن الأسرة تدل

على السريرة وما يخامر القلوب فعلى الوجوه يلوح أثره كما قيل:

لست ممن ليس يدري ما هوان من كرامة
إن للحب وللبغض على الوجه علامة

165/ ب والمؤمن ينظر بنور الفراسة والعارف/ ينظر بنور التحقيق والموحد ينظر بالله فلا يستتر عليه شيء ويقال: بصائر الصديقين غير مغطاة ففي الخبر: «سدوا كل خوخة غير خوخة أبي بكر»(1).

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ [الآية 31] بالأمر بالجهاد وسائر التكاليف الشاقة المحتاجة إلى المجاهدة ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ﴾ [الآية 31] حتى نميزهم ﴿مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الآية 31] على مشاقها من الواقعين في شقاقها ﴿وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ﴾ [الآية 31] ما يخبر به عن أعمالكم فتظهر حسنها وقبحها من أحوالكم وقرأ أبو بكر الأفعال الثلاثة بالياء لموافقته ما قبلها.

وأفاد الأستاذ: أن الابتلاء والامتحان يتبين جواهر الرجال في اختلاف الأحوال فيظهر المخلص الموافق ويفتضح الممارق وينكشف المنافق إن الذين آمنوا وأخلصوا نجوا وتخلصوا والذين كفروا ونافقوا وقعوا في الهوان وذلوا ووسموا بالشقاوة وقطعوا.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 32] جمعوا بين الضلال والإضلال ﴿وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ﴾ [الآية 32] وخالفوه بعدما ظهر لهم سبيل أهل الكمال ﴿لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ [الآية 32] بما صدر عنهم من الأفعال ﴿وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [الآية 32] ثواب حسنات أعمالهم الصورية في نظر العوام أو مكائدهم التي نصبوها في مشاقة الرسول وأصحابه الكرام.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ﴾ [الآية 33] في أمره ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [الآية 33] في حكمه ﴿وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [الآية 33] بالكفر والنفاق والعجب والرياء والمن والأذى.

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (467).

قال الواسطي: أطيعوا الله في حرمة رسول الله وأطيعوا الرسول في تعظيم الله ولا تبطلوا أعمالكم برؤيتها وطلب النجاة منها.

قال الأستاذ: ﴿وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [الآية 33] بالمساكنة إليها أو بطلب الأعواض عليها أو بتوهمكم أنه يجب بها شيء دون فضل الله لديها.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [الآية 34] عام في كل من مات على كفره وإن صح نزوله في أصحاب القليب ونحوه ويدل بمفهومه على أنه قد يغفر لمن لم يمت على كفره سائر أمره.

﴿فَلَا تَهِنُواْ﴾ [الآية 35] فلا تضعفوا في الجهاد ﴿وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ﴾ [الآية 35] ولا تدعوا إلى الصلح في البلاد ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ [الآية 35] الأغلبون من العباد
166/ أ ﴿وَٱللَّهُ مَعَكُمْ﴾ [الآية 35] ناصركم في مالكم / ﴿وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [الآية 35] لن ينقصكم أعمالكم ولن يضيع أحوالكم.

وقال الأستاذ: لا تميلوا إلى الصلح مع الكفرة وأنتم الأعلون بالحجة والنصرة والله معكم يراكم ومن علم أن سيده يراه في طاعته يتحمل كل مشقة برؤيته.

﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ [الآية 36] لا ثبات لها ولا بقاء بها ﴿وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ﴾ [الآية 36] ثواب إيمانكم وتقويكم ﴿وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ﴾ [الآية 36] جميعها بل يقتصر على جزء يسير منها كربع العشر ونحوها.

﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ﴾ [الآية 37] فيجهدكم بطلب كلها ﴿تَبْخَلُواْ﴾ [الآية 37] في إعطائها ﴿وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ﴾ [الآية 37] أي يظهرها الله أو البخل أنواع، حقدكم وأصناف حسدكم وأجناس كيدكم لرسوله صلى الله عليه وسلم وأتباعه.

وأفاد الأستاذ: أن هذا إنما يقوله لمن لم يوق شح نفسه وأما الأحرار ومن علت رتبتهم في باب حرية القلب فلا يسامحون في استيفاء ذرة لمرضاة الرب ويطالبون ببذل الأرواح والتزام الغرامات في الأشباح.

﴿هَٰٓأَنتُمۡ﴾ [الآية 38] المخاطبون ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [الآية 38] الموصوفون ﴿تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 38] طريق رضاه ﴿فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ﴾ [الآية 38] في إنفاق ماله مع أن فيه كماله ونظام ماله ﴿وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ﴾ [الآية 38] لأنها محل وباله في سوء حاله ﴿وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ﴾ [الآية 38] عنكم وعن عبادتكم ﴿وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ﴾ [الآية 38] إلى رحمته في دنياكم وآخرتكم أو في بدايتكم ونهايتكم فيما يأمركم به فهو لحاجتكم فإن امتثلتم فلكم نفعه وإن توليتم فعليكم ضره.

قال جنيد: لأن الفقر يليق بالعبودية والغنى بالربوبية.

وأفاد الأستاذ: أن الفقير الصادق من يشهد افتقاره إلى الله وصدق الفقر شهود فقرك إلى الله ومن افتقر إلى الله استغنى بالله ومن افتقر إلى غير الله وقع في الذل والهوان من جهة مهواه ﴿وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ﴾ [الآية 38] عطف على وإن تؤمنوا أي وإن تعرضوا عن طاعته وعن الإيمان به ومتابعته ﴿يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ﴾ [الآية 38] أشد منكم طاعة وأصدق منكم عبادة والمعنى هو قادر على أن يخلق أشكالكم ﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم﴾ [الآية 38] في العصيان والإعراض عن الإيمان وترك الشكر بالإحسان بل يكونوا خيراً منكم في أعمالكم وأحوالكم وهم الفرس لأنه يسأل عليه السلام عنهم وكان سلمان رضي / الله عنه إلى جنبه فضرب فخذه 166/ ب
وقال: هذا وقومه[(1)].

وقال بعضهم: لا يستقر على بساط العبادة إلا أهل السعادة وقد يطأ البساط المترسمون بالعبودية أوقاتاً ثم لا يستقرون عليه ثباتاً ويبدل الله مكانهم فيه منه من أوجب السعادة له ألا ترى أن الله يقول: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم﴾ [الآية 38].

---

(1) أخرجه ابن حبان في الصحيح (16/ 62) رقم (7123)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/ 383) رقم (3260)، والطبراني في المعجم الأوسط (8/ 349) رقم (8838).

سورة الفتح

[مدنيّة]
وهي تسع وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله يشير إلى سموه في أزله وعلوه في أبده فمعرفة سموه توجب للعبد سمواً ومعرفة علوه توجب للعبد علواً.

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ①﴾ [الآية 1] الجمهور على أن المراد بالفتح صلح الحديبية وقال بعضهم فتح مكة المكرمة ويؤيد الأول ما روى محيي السنّة إنه لما نزلت في طريق الرجوع إلى المدينة سنة ست من الهجرة قال عمر رضي الله عنه: أو فتح هو يا رسول الله قال: «نعم والذي نفسي بيده وهو صلح بسببه خير الدنيا والآخرة»[1]. وفيه بيعة الرضوان وظهور الإسلام وانتشار العلم.

قال الزهري: لم يكن فتح أعظم من صلح الحديبية اختلط المشركون بالمسلمين وسمعوا أخبارهم وأسرارهم وشاهدوا أنوارهم وتمكن الإسلام في قلوبهم وأسلم في ثلاث سنين خلق كثير منهم ومن هنا استقبل فتح خيبر على أيدي أهل الحديبية من غير مشاركة لغيرهم انتهى.

والمعنى أنه سمي فتحاً لأنه كان بعد ظهوره على المشركين حتى سألوا الصلح وتسبب لفتح مكة وفرغ به رسول الله صلى الله عليه وسلم لسائر العرب

---

(1) أورده البغوي في تفسيره (7/ 198) والطبري في تفسيره (22/ 202). وورد بلفظ آخر، انظر ما أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (4/ 120) رقم (3766)، وفي المعجم الكبير (19/ 445) رقم (1082)، والبيهقي في السنن الكبرى (6/ 325) رقم (12648).

فغزاهم وفتح مواضع من مآويهم ولا يبعد أن يكون الفتح بمعنى القضاء أي قضينا لك أنواعاً من الفتوحات المكية وغيرها مما جرى على يديه في وقته أو بعده على أمته فتحاً مبيناً أن بعظمتنا فتحنا لأجل قدرك في حضرتنا ظاهراً معيناً لكونه سبحانه له ناصراً ومعيناً.

﴿لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ﴾ [الآية 2] المسمى بالاسم الجامع لصفتي الجمال والجلال ﴿مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الآية 2] جميع ما فرط منك مما يصح أن يتعاتب عليه لكونه نقصان في مقام الكمال ﴿وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ﴾ [الآية 2] بإعلاء كلمة الملة
167/أ وضم الملك إلى النبوة ﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [الآية 2] في تبليغ الرسالة / وإقامة مراسيم الرياسة.

﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾﴾ [الآية 3] نصراً فيه عزة ورفعة وقوة ومنعة وإنما جعل المغفرة علة للفتح والنصرة لأنه مسبب عن جهاد الكفرة والسعي في إزاحة الفجرة وتخليص الضعفة عن أيدي الظلمة وقيل تعليم للأمة بحملهم على طلب المغفرة.

وقال بعضهم: ما تقدم أي ذنوب أبويك آدم وحواء بحرمتك وما تأخر ذنوب أمتك بدعوتك.

وعن عطاء الخراساني: ما تقدم في الجاهلية وما تأخر ما لم يعمله في القضية والمعنى قد استوى ما عملت وما لم تعمل في عموم المغفرة وهذا من أوفى المنة وأصفى العطية.

وقال ابن عطاء: كشف الله تعالى ذنوب الأنبياء حتى نادوا على أنفسهم وستر ذنب محمد عليه السلام بقوله: ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقال جعفر الصادق: من تمام النعمة على نبيه صلى الله عليه وسلم أنه جعله حبيبه وأقسم بحياته ونسخ به شرائع رسله وعرج به إلى المحل الأدنى وحفظه في المعراج حتى ما زاغ بصره وما طغى وبعثه إلى الأسود والأبيض وأحل له ولأمته الغنائم وجعله شفيعاً مشفعاً وجعله سيد ولد آدم وقرن ذكره بذكره ورضاه برضاه وهذا تمام نعمائه.

وقال الأستاذ: أي ينصرك على هواك ونفسك وينصرك على حسن خلقك ومقاساة الأذى عن قومك نصراً معزاً من آمن بك.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ﴾ [الآية 4] السكون الطمأنينة ﴿فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 4] كما أنزل على الصحابة يوم الحديبية فاطمأنت قلوبهم بالصلح في القضية وقيل: السكينة ملك يسكن قلب المؤمن ويؤمنه كما روي أن السكينة لتنطق على لسان عمر.

وروى السلمي عن ابن عطاء: أن السكينة نور يقذف في القلب يبصر به مواقع الصواب في طريق الرب.

وأفاد الأستاذ: أن السكينة ما سكن إليه القلب من البصائر والحجج فيرتقي القلب بوجوده عن حد الفكرة والسير في روح اليقين وثلج الفؤاد فيصير العلوم ضرورية وهذا للخواص من المسلمين ﴿لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ﴾ [الآية 4] إيقاناً مع إيقانهم وإحساناً مع إحسانهم وعرفاناً مع عرفانهم وهكذا مترقياً في جميع شأنهم.

167/ ب وقال الأستاذ: سكوناً مع سكونهم / تطلع أقمار عين اليقين على نجوم علم اليقين ثم يطلع شمس حتى اليقين على بدر عين اليقين ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 4] يدبر أمرها فيسلط بعضها على بعض تارة ويوضع فيهما بينهم السلم منه كما تقتضيه منيع حكمته وبديع معيشته وقيل: المراد بالجنود جميع لمخلوقات الدالة على وحدانيته.

وأفاد الأستاذ: إن ما سلطه الحق على شيء فهو من جنوده سواء سلطه على وليه في الشدة والرخاء أو سلطه على عدوه في الراحة والبلاء ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ [الآية 4] فيما يدبر ﴿حَكِيمًا﴾ [الآية 4] فيما يقدر.

﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا﴾ [الآية 5] أي قدر ما قدر ودبر ما دبر من نصرة المؤمنين ليعرفوا نعمة الله ويشكروها بعباداتهم فيدخلوا مراتب الجنة على قدر حسناتهم ﴿وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الآية 5] لأنه منتهى ما يطلب من جلب خير ودفع ضر.

﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾ [الآية 6] بحسب مراتبهم في الدركات ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾ [الآية 6] ظن الأمر السوء هو أن لا ينصر رسوله ولا يعطيه سؤله، واكتفى عن ذكر الظانات إمّا تغليباً لإيجاز المقامات أو إشعاراً بأن ظن السوء كان غالباً على رجالهم في أغلب أحوالهم ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ [الآية 6] أي عليهم خاصة ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين لا تتخطاهم شيء منها ويحيط بهم إحاطة الدائرة بما فيها وقرأ ابن كثير وأبو عمرو دائرة السوء بالضم ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية 6] فطردهم عن رحمته ﴿وَلَعَنَهُمْ﴾ [الآية 6] أبعدهم عن جنته ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ﴾ [الآية 6] مكان نعمته ﴿وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [الآية 6] وقبحت مصيراً.

قال الأستاذ: في العاجل بكفرهم ونفاقهم وفي الآجل بعذابهم وسوء عقابهم فكفروا بغضبه وغضبه إرادة العقوبة بهم في العقبى وكون الشرك والنفاق في الدنيا ولعنهم وحقَّ فيهم كلمته وسبقت لهم من الله بالشقاوة قسمته.

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 7] باطناً وظاهراً وأولاً وآخراً ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا﴾ [الآية 7] غالباً على مراده ﴿حَكِيمًا﴾ [الآية 7] فيما دبر من أمر عباده.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا﴾ [الآية 8] على أمتك يوم القيامة ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ [الآية 8] للمحسنين بالجنة على الطاعة ﴿وَنَذِيرًا﴾ [الآية 8] للمسيئين بالعقوبة على المعصية.

168/أ وقال سهل: شاهد بالتوحيد والمعرفة / ومبشراً لهم بالمغفرة ونذيراً محذراً إياهم البدعة والضلالة.

وقال الأستاذ: شاهداً بوحدانيتنا ورسوله ويقال: شاهداً من قبلنا ومبشرات، بأمرنا عنا ونذيراً من جانبنا ولنا ومنا ويقال: أقمناك لتبلغ إليهم عنا بنا ولنا ومنا.

﴿لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ [الآية 9] الخطاب للنبي والأمة ﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾ [الآية 9] تقووه بتقوية دينه وتنصروه ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [الآية 9] تعظموه ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ [الآية 9] تنزهوه أو

تصلّوا له ﴿بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ [الآية 9] دائماً أو غدوة وعشياً وقرأ ابن كثير وأبو عمرو الأفعال الأربعة بالغيبة.

وأفاد الأستاذ: أن تعزيره إيثاره بكل وجه على نفسك وتقديم حكمه على حكمك وتوقيره باتباع سنته والعلم بأنه سيد بريته.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ [الآية 10] في الحديبية وهي بيعة الرضوان حين أرسل عليه السلام عثمان بن عفان إلى قريش ليعلمهم أنهم جاؤوا معتمرين لا محاربين فأخبر بقتل عثمان فبايعوا على الصبر إلى أقصى الجهد والإمكان ولذا قالوا إنّا بايعنا على الموت(1) ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الآية 10] لأنه المقصود ببيعته والمراد أن عند الميثاق مع رسوله كعقد الميثاق مع ربه من غير تفاوت في حكمه فكان وساطة الرسول مرتفعة عن نظره.

وقال الأستاذ: أي عقدك عليهم هو عقد الله إليهم ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ﴾ [الآية 10] استئناف مؤكد له على سبيل التمثيل والمعنى أن يد رسوله يده وهو منزه عن اليد والأسلم عدم التأويل فللّه سبحانه يد مناسب لذاته الأقدس وصفاته الأنفس وعن كثير من السلف نعمة الله عليهم بالهداية فوق ما صنعوا من البيعة للطاعة وقيل: قدرة وقوته فوق قوتهم وحركتهم.

وأفاد الأستاذ: أن في هذه الآية إشارة إلى الجمع كما قال: ﴿وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰۚ﴾ [الأنفال: الآية 18].

﴿فَمَن نَّكَثَ﴾ [الآية 10] نقض عهده في مقام وعده ﴿فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ﴾ [الآية 10] فلا يعود ضرر نكثه إلا على نفسه ﴿وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ﴾ [الآية 10] أي قام بما عاهد على التمام في البيعة ﴿فَسَيُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [الآية 10] هو الجنة وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر فسنوفيه بالنون.

وأفاد الأستاذ: أن العبد إذا كان بوصف إخلاصه يعامل الله/ في شيء 168/ ب

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (2958)، وابن أبي شيبة في المصنف (7/ 386) رقم (36852).

وهو به متحقق وله بقلبه مشاهد فالوسائط التي عليها أمارأت التفريعات محو عن أسرارهم والحكم راجع إلى الواحد.

﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ [الآية 11] الذين واعدوا أن يرافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويوافقوا في مسيره إلى مكة عام الحديبية وهم أسلم وجهينة ومزينة وغفار فاخلفوا الوعد واعتلوا بالشغل بأموالهم وأهاليهم وإنما خلفهم الخذلان وضعف العقيدة في الإيمان والخوف عن مقاتلة قريش أن صدوهم عن ذلك المكان ﴿شَغَلَتْنَآ﴾ [الآية 11] عن الوفاء بعهدنا ﴿أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا﴾ [الآية 11] إذ لم يكن لنا من يقوم بأمرهم إذا خرجنا ﴿فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا﴾ [الآية 11] من الله على تخلفنا ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾ [الآية 11] تكذيب من الله لهم في الاعتذار والاستئناس ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [الآية 11] فمن يمنعكم من مشيئته ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا﴾ [الآية 11] نوع مضرة كقتل أو هزيمة أو خلل في مال وأهل وعقوبة على مخالفة وقرأ حمزة والكسائي بالضم ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا﴾ [الآية 11] نوع منفعة كنصرة وغنيمة وسعة رحمة ودوام عافية والمعنى لا أحد يدفع ضره ولا نفعه فليس الشغل بالأهل والمال عذراً فلا ذاك يدفع الضر إن أراده ولا ملاقاة العدو تمنع النفع إن أراده ﴿بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا﴾ [الآية 11] فيعلم تخلفكم مع اقتداركم وقصدكم في اعتذاركم.

قال بعض السلف: ما شغلك عن الله من أهل ومال وولد فهو شؤم عليك.

وأفاد الأستاذ: أن عذر المماذق وتوبة المنافق كلاهما ليس له حقائق.

﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا﴾ [الآية 12] لظنكم أن المشركين يستأصلونهم ﴿وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الآية 12] حتى أجبتم أن لا يرجعوا إلى أوطانهم ﴿وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾ [الآية 12] بأنهم أكلة رأس لقريش وإخوانكم ﴿وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا﴾ [الآية 12] هالكين لسوء عقيدتكم وفساد نيتكم.

وأفاد الأستاذ: أن العدو إذا لم يقدر أن يكيد بيده تمنى ما يتقاصر عنه مكنت بقلبه وذلك صفة كل لئيم ونعت كل مليم ثم الله تعالى يعكس ذلك

عليه في أمره حتى لا يقع على مراده ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر: الآية 43].

﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [الآية 13] لمن يموت على كفره ﴿سَعِيرًا﴾ [الآية 13] ناراً موقدة وعقوبة مؤبدة.

169/ أ / ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 14] له الاختيار المطلق في الأشياء ويدبر في ملكه ما يشاء ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [الآية 14] مغفرته ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ [الآية 14] عقوبته إذ لا وجوب عليه في بريته ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ [الآية 14] لمن تاب ﴿رَّحِيمًا﴾ [الآية 14] لمن آب فالغفران والرحمة من ذاته والتعذيب داخل تحت قضائه بالعرض في كائناته ولهذا جاء في الحديث القدسي: «سبقت رحمتي غضبي»(1).

﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ﴾ [الآية 15] أي المذكورون ﴿إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ﴾ [الآية 15] إلى جهة فيها غنائم ﴿لِتَأْخُذُوهَا﴾ [الآية 15] وهي غنائم خيبر فإنه عليه السلام رجع من الحديبية في ذي الحجة سنة ست وأقام بالمدينة بقيتها وأوائل المحرم ثم غزا خيبر بمن شهد الحديبية ففتحها وغنم أموالاً كثيرة فخصها بهم دون غيرهم ﴿ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ﴾ [الآية 15] في خروجكم إلى خيبر وحربهم ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 15] أن يغيروه وهو وعده لأهل الحديبية أن يعوضهم من مغانم مكة مغانم خيبر لا شريك لهم فيها والكلام اسم للتكليم غلب في الجملة المفيدة وقرأ حمزة والكسائي كَلِم الله وهو جمع كلمة ولعل المراد بها قضاياه ﴿قُل لَّن تَتَّبِعُونَا﴾ [الآية 15] في سفر خيبر قيل: نفي معناه نهي ﴿كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ [الآية 15] قبل أن تسألوا الخروج معنا ﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾ [الآية 15] أن نشارككم في الغنائم وليس فيه أمر من الله جازم ﴿بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الآية 15] لا يفهمون إلا فهما قليلاً وهو فهمهم لبعض أمر دنياهم.

---

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (3194)، ومسلم في الصحيح (2751/ 15).

﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ [الآية 16] كرر ذكرهم مبالغة في ذمهم ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ﴾ [الآية 16] حرب ﴿شَدِيدٍ﴾ [الآية 16] أي هوازن وثقيف وذلك في عهده عليه السلام أو بني حنيفة وأصحاب مسيلمة وذلك في خلافة أبي بكر رضي الله عنه أو أهل فارس وذلك في خلافة عمر رضي الله عنه قال صاحب البحر هذه الأقوال تمثيلات للأعلام بل أخبر الله تعالى بذلك على وجه الإبهام دلالة على قوة الإسلام وانتشار دعوته عليه السلام ﴿تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ [الآية 16] أي يدخلون في الإسلام وينقادون تحت الأحكام والجملة استئناف ﴿فَإِن تُطِيعُواْ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا﴾ [الآية 16] هو الغنيمة في الدنيا والجنة في العقبى ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ﴾ تتخلفوا ﴿كَمَا تَوَلَّيْتُم﴾ [الآية 16] عن القضية ﴿مِّن
169/ب قَبْلُ﴾ [الآية 16] أي عام الحديبية ﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الآية 16] / في الأولى والأخرى.

وأفاد الأستاذ: أنه جاء في التفسير أن أهل اليمامة أصحاب مسيلمة دعاهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه فالآية تدل على صحة إمامته وقيل فارس: ودعاهم إليه عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، فعلمت أنّ الآية تدل على صحة خلافته، وإمامته تدل على صحة إمامة أبي بكر رضي الله عنهما والمعنى أن أطعتم استوجبتم الثواب وإن تخلفتم استحققتم العقاب ودلت الآية على أنه يجوز للعبد بداية غير مرضية ثم يتغير بعدها إلى حالة بهية كما كان لهؤلاء ولقد أنشدوا:

إذا فسد الإنسان بعد صلاحه فرّج له عَوْدَ الصلاح لعله[1]

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [الآية 17] لما أودع للمخلفين نفي الحرج عن هؤلاء المعذورين.

وأفاد الأستاذ: إنه كذلك من كان له عذر في المجاهدة مع نفسه فالله يحب أن تؤتى رخصه كما يجب أن تؤتى عزائمه.

(1) ذكره القشيري في تفسيره (7/ 284).

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الآية 17] في دار القرار ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ [الآية 17] يعرض عن الطاعة ﴿يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الآية 17] في دار البوار وقدم الترغيب عن الترهيب لسبق رحمته على غضبه وقرأ نافع وابن عامر ندخله ونعذبه بالنون فيهما.

﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الآية 18] وكانوا ألفاً وأربعمائة وقيل وثلاث مائة وقيل وخمسمائة وكانوا قصدوا دخول مكة وهم محرمون فصدهم المشركون فبايعهم على أن يقاتلوا قريشاً ولا يفروا عنهم وكان جالساً تحت سمرة أو سدرة ثم صالحوه على أن يخلوا له مكة من القابل ثلاثة أيام وكان عليه السلام قد رأى في المنام أنهم يدخلون المسجد[1] الحرام آمنين وبشر به المؤمنين فلما صدهم المشركون خامر قلوبهم شبهة وعناداً في قلوب بعضهم تهمة حتى قال الصديق لم يقل عليه السلام في هذا العام فسكنت قلوبهم واطمأنت نفوسهم ﴿فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ [الآية 18] من الهم والأنفة لديهم ﴿فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الآية 18] وجازاهم فتح خيبر عقب انصرافهم من هذا السفر وقيل مكة أو هجر.

170/أ ﴿وَمَغَانِمَ/ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾ [الآية 19] يعني عقار خيبر وأموالها ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا﴾ [الآية 19] غالب القدرة والإرادة ﴿حَكِيمًا﴾ [الآية 19] مراعياً مقتضى الحكمة.

وأفاد الأستاذ: أن في الآية دلالة على أنه قد يخطر ببال الإنسان خواطر مشكَّة وفي الريب موقعة ثم لا عبرة بها فإن الله سبحانه إذا أراد بعبد خيراً ألزم التوحيد قلبه وقارن التحقيق سره فلا يضره كيد الشيطان ومكره قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: الآية 201].

﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً﴾ [الآية 20] هي الفتوحات إلى يوم القيامة ﴿تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ﴾ [الآية 20] أي مغانم خيبر ﴿وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ﴾

(1) مكرر مرتين في المخطوطة.

[الآية 20] أي أيدي أهل خيبر وحلفائهم مني بني أسد وغطفان فإن المسلمين لما أخرجوا إلى خيبر همت اليهود أن يغيروا على عيال المسلمين بالمدينة فقذف الله تعالى الرعب في قلوبهم فانكفوا عن همهم ﴿وَلِتَكُونَ﴾ [الآية 20] هذه الكفة أو الغنيمة ﴿ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 20] علامة لهم على صدقك في مقام اليقين أو دلالة للمؤمنين يستدلون بها على حراسة الله للمسلمين ﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [الآية 20] هو الثقة بفضل الله والتوكل عليه وتفويض الأمور إليه.

وقال الأستاذ: معنى كف أيدي الناس عنكم هو أن يرزق العبد من حيث لا يحتسب لئلّا يحتاج أن يتكفف على الناس بل يتعفف عنهم في الاستئناس.

﴿وَأُخْرَىٰ﴾ [الآية 21] مبتدأ ﴿لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا﴾ [الآية 21] صفته وخبره ﴿قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ﴾ [الآية 21] أي ومغانم أخرى لم تقدروا عليها بعد لما كان لهم فيها من قوة الجولة ولكم من قلة الشوكة والحيلة ﴿قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ﴾ [الآية 21] علماً وقدرة فيفتحها لكم وقت تعلق المشيئة وهي مغانم هوازن أو فارس أو الروم أو جميعها ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾ [الآية 21] فلا تعلقوا بغيره قلوبكم لا كثيراً ولا يسيراً فإن من عداه لا يتصور أن يكون لكم نصيراً.

﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الآية 22] من أهل مكة عام الحديبية ولم يصالحوا في القضية ﴿لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ﴾ [الآية 22] لا نهزموا بالكلية ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا﴾ [الآية 22] يحرسهم ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ [الآية 22] ينصرهم في القضية.

﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ﴾ [الآية 23] سن الله سنة الأنبياء المتقدمة
170/ ب إن عاقبة أعدائهم الخزي / والهزيمة ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الآية 23] تغييراً أو تحويلاً.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾ [الآية 24] أي أيدي كفار مكة عن قتالكم ﴿وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم﴾ [الآية 24] في شدة حالكم ﴿بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾ [الآية 24] كائنين في داخل مكة معهم ﴿مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ﴾ [الآية 24] أي أظهركم وغلبكم لديهم وذلك إن سبعين أو ثمانين أو ثلاثين رجلاً متسلحين هبطوا من جبل التنعيم

يريدون غرة النبي صلى الله عليه وسلم فدعا عليهم فأخذوا وعفا عنهم[1] فأطلقوا.

وأما ما رواه ابن جرير الطبري وابن أبي حاتم وتبعه جمع كالقاضي من أن عكرمة بن أبي جهل خرج في خمسمائة يوم الحديبية فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فهزمهم حتى أدخلهم حيطان مكة ثم عاد[2].

ففيه أن خالد بن الوليد لم يكن أسلم يومئذ بل كان طليعة للمشركين كما ثبت في صحيح البخاري وغيره[3] اللهم إلا أن يراد بذلك يوم الفتح ويحمل الكف بصيغة الماضي على تحقق وقوعه لعدم تخلف إخباره سبحانه في وعده ووعيده.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الآية 24] من حربكم أولاً لإطاعته نبيه وكفكم ثانياً لتعظيم بيته ﴿بَصِيرًا﴾ [الآية 24] عالماً خبيراً فيجازيكم عليكم قليلاً وكثيراً وقرأ أبو عمرو بالغيبة.

قال سهل: المؤمن على الحقيقة من لا يغفل عن نفسه وقلبه ساعة من ساعاته فيفتش حالاته ويراقب أوقاته فرأى نقصانه من زياداته فيشكر عند رؤيته الزيادة ويتضرع عند المنقصة هؤلاء بهم يدفع الله البلاء والمؤمن من لا يكون متهاوناً بأدنى التقصير فإن التهاون بالقليل يستجلب الكثير.

وأفاد الأستاذ: أن الكفار كفوا أيديهم رعباً وخوفاً وأما المسلمون فهيأ من قبل الله لما في أصلابهم من المؤمنين ولما علم قوماً منهم يصيرون مسلمين

---

(1) أخرجه مسلم في الصحيح (1808/ 133)، والبيهقي في السنن الكبرى (6/ 318) رقم (12611)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/ 386) رقم (3264)، والنسائي في السنن الكبرى (5/ 202) رقم (8667).

(2) انظر تفسير الطبري (22/ 238) وتفسير ابن أبي حاتم (12/ 232).

(3) أخرجه البخاري في الصحيح (12731)، وابن حبان في الصحيح (11/ 216) رقم (4872)، وابن أبي شيبة في المصنف (7/ 387) رقم (36855).

والإشارة في الآية أن من الغنيمة الباردة أن يسلم الناس منك وتسلم منهم وإنما يفعل الله هذا بأوليائه فلا من أحد عليه حيف ولا منه على أحد جور ولا حساب ولا مطالبة ولا صلح ولا معاتبة ولا صداقة ولا عداوة وأنشدوا:

فلم يبق لي وقت لذكر مخالف ولم يبق لي قلب لذكر موافق

171/ أ ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ [الآية 25] منعوكم عن الزيارة بالعمرة ﴿وَٱلۡهَدۡيَ﴾ [الآية 25] ومنعوا الهدي وكان سبعين بدنة ﴿مَعۡكُوفًا أَن يَبۡلُغَ مَحِلَّهُۥ﴾ [الآية 25] أي حال كون الهدي محبوساً ومحصوراً من أن يصل مكانه المعهود للمعتمرين وهو المروة ثم بين حكمة المصالحة بقوله ﴿وَلَوۡلَا رِجَالٞ مُّؤۡمِنُونَ وَنِسَآءٞ مُّؤۡمِنَٰتٞ﴾ [الآية 25] من المستضعفين بمكة ﴿لَّمۡ تَعۡلَمُوهُمۡ﴾ [الآية 25] لم تعرفوهم بأعيانهم لاختلاطهم بالمشركين في بنيانهم ﴿أَن تَطَـُٔوهُمۡ﴾ [الآية 25] أن توقعوا بهم وتقتلوهم في أثناء قتال أعدائهم ﴿فَتُصِيبَكُم﴾ [الآية 25] جواب النفي أو عطف على تطؤهم ﴿مِّنۡهُم﴾ [الآية 25] من جهة مضرتهم ﴿مَّعَرَّةُۢ﴾ [الآية 25] ندامة وملامة إذ لا إثم ولا دية في قتل مؤمن مستور بين أهل المحاربة ﴿بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾ [الآية 25] أي حال كونكم غير عالمين أو حال كونهم غير معلومين وهو حال مؤكدة لقوله لم تعلموهم وجواب لولا محذوف لدلالة صدر الكلام عليه والمعنى لولا كراهة أن تهلكوا ناساً مؤمنين بين أظهر الكافرين جاهلين أو مجهولين فيصيبكم بإهلاكهم مكروه ومضرة من قبلهم لما كف أيديكم عنهم وقد تؤخّر لعقوبة عن الكفرة منهم ﴿لِّيُدۡخِلَ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾ [الآية 25] ليخلص من بين أظهرهم المؤمنين وليرجع كثير منهم إلى دين المسلمين ﴿لَوۡ تَزَيَّلُواْ﴾ [الآية 25] أي تفرقوا أو تميزوا ﴿لَعَذَّبۡنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الآية 25] في الدنيا فإن عدم التمييز لا يوجب عدم عذاب العقبى.

وأفاد الأستاذ: إن في هذا تعريفاً للعبد أن أموراً تتعلق وتتفسر فيضيق الإنسان بها قلبه ولله في ذلك سر ولأمر ما لا يجري كما يريده العبد كما قالوا:

كم مرة مرت بك المكاره خار الله لك وأنت كاره

﴿إِذۡ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡحَمِيَّةَ﴾ [الآية 26] الأنفة ﴿حَمِيَّةَ

﴿ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ﴾ [الآية 26] التي تمتع إذعان الحق وقبول قول الصدق.

قال ابن عطاء: الحمية متابعة النفس الدنية في الانتقام من البريء في القضية ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الآية 26] وذلك ما روي أنه عليه السلام لما هم بقتالهم بعثوا جمعاً ليسألوه أن يرجع من عامهِ على أن يخلوا له مكة من قابل ثلاثة أيام فأجابهم وكتبوا بينهم كتاباً فقال عليه السلام لعلي رضي الله عنه اكتب / بسم الله الرحمٰن الرحيم فقالوا: وما نعرف هذا اكتب 171/ب
باسمك اللهم ثم قال: اكتب هذا ما صالح رسول الله أهل مكة فقالوا: لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت وما قاتلناك اكتب هذا ما صالح عليه محمد ابن عبدالله فقال عليه السلام: «اكتب ما يريدون فإني أشهد أني رسول الله وأنا محمد بن عبدالله فهم المؤمنون أن يأبوا ذلك»[1]. وأن يبطشوا عليهم هنالك فأنزل الله السكينة عليهم فتوفروا وتحملوا وتحلموا لديهم ﴿وَأَلۡزَمَهُمۡ﴾ [الآية 26] أي اختار لهم الله ﴿كَلِمَةَ ٱلتَّقۡوَىٰ﴾ [الآية 26] كلمة الشهادة كما صرح بذلك النبي صلى الله عليه وسلم على ما رواه الترمذي وغيره[2]. وإضافة الكلمة إلى التقوى لأنها سببها أو لكونها سبب الوقاية من نار العقوبة ﴿وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا﴾ [الآية 26] من غيرهم في حقها ﴿وَأَهۡلَهَا﴾ [الآية 26] المستأهل لها ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا﴾ [الآية 26] فيعلم أهلها ومن أولى بها.

قال أبو عثمان: كلمة التقوى كلمة المتقين وهي شهادة أن لا إله إلا الله ألزمها الله السعداء من أوليائه المؤمنين بها وكانوا أحق بها في علم الله إذ خلقهم لها وخلق الجنة لأهلها.

---

(1) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (9/ 226) رقم (18610)، وابن حبان في الصحيح (11/ 214) رقم (4870)، وأبو يعلى في المسند (6/ 69) رقم (3323)، وأحمد في المسند (1/ 342) رقم (3187)، وابن أبي شيبة في المصنف (7/ 385) رقم (36851).

(2) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (2/ 67) رقم (1272)، وفي المعجم الكبير (1/ 199) رقم (536)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/ 386) رقم (3265)، وابن حبان في الصحيح (1/ 451) رقم (218).

وقال الواسطي: كلمة التقوى صيانة النفس عن مطالعة غير المولى ظاهراً وباطناً.

وأفاد الأستاذ: أن كلمة التقوى هي التي معها الاتقاء من شرك السوي ويقال: هي سؤالك من الله أن يحرسك من المطامع فيما سواه ويقال: هي التواصي بينهم بحفظ حقوق الله لهم وكانوا أحق بها في سابق حكمه وقديم علمه وهذا إلزام إكرام ولطف لا إلزام إكراه وعنف وإلزام برّ لا إلزام جبر.

وكم باسطين إلى وصلنا أكفهم لم ينالوا نصيباً(1)

﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية 27] في المنام إذ رأى عليه السلام أنه وأصحابه الكرام دخلوا المسجد الحرام آمنين فقصّ الرؤيا على أصحابه ففرحوا في بابه وحسبوا أن ذلك يكون في عامه فلما تأخر قال بعضهم: والله ما رأينا البيت ولا حلقنا ولا قصرنا فنزلت: والمعنى صدقه في رؤياه بالحق ملتبسة بالصدق فإن ما رآه كائن لا محالة في وقته المقدر له وهو العام القابل ﴿لَتَدْخُلُنَّ
172/أ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾ [الآية 27] جواب قسم محذوف / إن شاء الله تعليق للعدة بالمشيئة تعليماً للعباد وتنبيهاً على أنه لا يجب عليه شيء فيما أرادوا قيل: إن بمعنى إذ وهو معنى لطيف وقيد شريف وسئل سهل عن هذا الاستثناء قال تأكيداً في الافتقار إليه وتأديباً لعباده في كل حال ووقت لديه وتنبيهاً إن الحق إذا استثني مع كمال علمه لا يجوز الحكم لأحد من غير استثناء مع قصور فهمه آمنين حال من الواو والشرط معترض ﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾ [الآية 27] حال مقدرة أي محلقاً بعضكم ومقصر آخرون ﴿لَا تَخَافُونَ﴾ [الآية 27] أي غير خائفين حال مؤكدة لقوله آمنين ﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾ [الآية 27] من الحكمة في تأخير المدة ﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ﴾ [الآية 27] من دون دخولكم المسجد الحرام أو فتح مكة ﴿فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الآية 27] هو صلح الحديبية أو فتح خيبر ليستروح إليه قلوب المؤمنين إلى أن يتيسر الموعود فيما قدر له من الحين.

(1) نسب إلى العباس. انظر الشعر والشعراء (1/ 180).

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ﴾ [الآية 28] ملتبساً به أو بسببه ﴿وَدِينِ ٱلۡحَقِّ﴾ [الآية 28] وبدين الإسلام وظهور أمره ﴿لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [الآية 28] يغلبه ويعليه على جنس الدين جميعه بنسخ ما كان حقاً وفساد ما كان باطلاً ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا﴾ [الآية 28] على نبوته بإظهار معجزته.

﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ﴾ [الآية 29] جملة تامة مبينة للمشهود به ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ [الآية 29] من أصحابه ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾ [الآية 29] أي يغلظون على من خالف دينهم ويتزاحمون من وافق يقينهم كقوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة: 54] أي متواضعين أعزة على الكافرين أي متكبرين ﴿تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا﴾ [الآية 29] أي مصلين في وقت وحين ﴿يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 29] بالعفو عن تقصراتهم ﴿وَرِضۡوَٰنٗاۖ﴾ [الآية 29] بقبول طاعاتهم ﴿سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ﴾ [الآية 29] أي علامتهم يوم القيامة كونهم منوري الوجوه محجلي الجباه أو المراد خشوعهم وخضوعهم أو صفاؤهم وضياؤهم من أثر انقيادهم.

وأفاد الأستاذ: أن الآية في المؤمنين عامة وفي التفسير ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ أبو بكر ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ﴾ عمر ﴿رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾ عثمان ﴿تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا﴾ [الفتح: الآية 29] علي، رضوان الله عليهم أجمعين. ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية 29] إشارة إلى الوصف المذكور ﴿مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ﴾ [الآية 29] أي صفتهم العجيبة المذكورة فيها
﴿وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ﴾ [الآية 29] مبتدأ خبره ﴿كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ﴾ [الآية 29]/ فراخه 172/ ب
وفروعه ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ [الآية 29] فقواه وعاونه وقرأ ابن ذكوان بالقصر كأجر في أجر ﴿فَٱسۡتَغۡلَظَ﴾ [الآية 29] فصار من الدقة إلى الغلظة ﴿فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ [الآية 29] فاستقام على قصبه جمع ساق وعن ابن كثير سوقه بالهمز ﴿يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾ [الآية 29] بكثافته وقوته وغلظته وحسن بهجته وهو مثل ضربه الله تعالى للصحابة الكرام قلوا في بدء الإسلام ثم كثروا واستحكموا في بناء الأحكام بحيث أعجب الأنام ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ﴾ [الآية 29] علة لتشبيههم بالزرع في زكاءه واستحكام بنائه ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ﴾ [الآية 29] لسيئاتهم ﴿وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا﴾ [الآية 29] لحسناتهم ومن للبيان لا للتبعيض كما توهم أهل العدوان إلا أن يراد به من ختم منهم بالإيمان.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه شبه النبي صلى الله عليه وسلم بالزرع حين يخرج طاقة واحدة حتى يثبت أصوله فيشتد كذلك كان عليه السلام وحده وقوّى بالمسلمين دينه فمنهم مَنْ حمل الآية على الصحابة خاصة فمن أبغضهم دخل في الكفر لأنه قال: ليغيظ بأصحابه الكفار ومن حملها على المسلمين عامة ففيه حجة للإجماع لأن من خالف الإجماع فالله يغايظ بهم الكفار فمخالف الإجماع كافر مخلد في النار.

سورة الحجرات

[مدنيّة]
وهي ثماني عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله اسم عزيز من تقرب إليه بإحسانه قابله بلطف إفضاله ومن تحبّب إليه بإيمانه أقبل عليه بكشف جلاله وجماله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ﴾ [الآية 1] أمراً ولا تتقدموا ويؤيده قراءة يعقوب لا تقدموا ﴿بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الآية 1] والمعنى لا تقطعوا أمراً قيل: أن يحكما به ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [الآية 1] في جميع أحوالكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ [الآية 1] لأقوالكم ﴿عَلِيمٌ﴾ [الآية 1] بأفعالكم.

قال سهل: لا تقولوا قبل أن يقول وإذا قال فاقبلوا منه منصتين له مستمعين إليه واتقوا الله في إهمال حقه وتضييع حرمته وقيل: لا تطلبوا وراءه منزله.

وأفاد الأستاذ: أن قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الآية 1] شهادة للمنادى بالشرف وقوله: ﴿لَا تُقَدِّمُواْ﴾ [الآية 1] أمر بتحمل المكلف قدم الإكرام بالشرف على الإلزام بالكلف أي لا تقدموا حكمكم بين يدي الله ورسوله بمعنى لا تقضوا / أمراً دون الله ورسوله ولا تعملوا من ذات أنفسكم شيئاً في أمر دينه ويقال: قفوا 173/ أ حيث ما وقفتم وافعلوا به ما أمرتم وكونوا أصحاب الاقتداء والاتباع لا أرباب الابتداء والابتداع.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الآية 2] عند جوابه

﴿وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ﴾ [الآية 2] عند خطابه ﴿كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ﴾ [الآية 2] بل اجعلوا أصواتكم أخفض من صوته مراعاة للأدب في حضرته ومحاماة على رتبة عظمته ﴿أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ﴾ [الآية 2] كراهة أن تضيع أحوالكم لأن الرفع والجهر حال عدم المبالاة وبما يؤدي إلى الكفر المحبط للديانة وذلك إذا انضم إليه قصد الإهانة ﴿وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ﴾ [الآية 2] أنها محبطة لأعمالكم ومضيعة لأحوالكم.

قال أبو بكر بن طاهر: لا تبدؤه بالخطاب ولا تجيبوه إلا على حدود الآداب.

وأفاد الأستاذ: إنه سبحانه أمرهم بحفظ حرمته ومراعاة الأدب في خدمته وصحبته والمعنى لا تنظروا إليه صلى الله عليه وسلم بالعين التي تنظرون إلى أمثالكم ولو أنه بخلقه يلاينكم في جميع أحوالكم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ﴾ [الآية 3] يحفظونها ﴿عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 3] مخافة المخالفة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ﴾ [الآية 3] جبّرها ومرنها عليها أو أخلصها لها ﴿لَهُم مَّغۡفِرَةٞ﴾ [الآية 3] لفرطاتهم ﴿وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ﴾ [الآية 3] لطاعاتهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ﴾ [الآية 4] من خارجها خلفها أو قدامها والمراد وحجرات الأزواج الطاهرات ﴿أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ [الآية 4] إذ العقل يقتضي حسن الأدب سيما لمن كان بهذا المنصب.

وقال الأستاذ: لو عرفوا رتبتك لما تركوا حرمتك ولا التزموا هيبتك.

﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ صَبَرُواْ﴾ ولو ثبت صبرهم وانتظارهم ﴿حَتَّىٰ تَخۡرُجَ إِلَيۡهِمۡ﴾ [الآية 5] مقبلاً عليهم ﴿لَكَانَ﴾ [الآية 5] صبرهم ﴿خَيۡرٗا لَّهُمۡۚ﴾ [الآية 5] من استعجالهم في تحسين حالهم ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ﴾ [الآية 5] للمسيئين ﴿رَّحِيمٞ﴾ [الآية 5] بالمحسنين.

وقال الأستاذ: والله غفور لاستعجالهم بالمناداة من وراء الحجرات حتى أيقظوك وقت القيلولة فأما أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

الذين عرفوا قدره فكما في الخبر كان يقرع بابه بالأظافير.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الآية 6] فتعرّفوا بيانه وتفحّصوا شأنه. وقرأ حمزة والكسائي فتبينوا أي فتوقفوا في خبره إلى أن يثبت حقيقته أمره ﴿أَن تُصِيبُواْ﴾ [الآية 6] كراهة إصابتكم/ ﴿قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ﴾ [الآية 6] 173/ ب
جاهلين بحالهم ﴿فَتُصۡبِحُواْ﴾ [الآية 6] فتصيروا ﴿عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾ [الآية 6] مغتمين روي أنه عليه السلام بعث وليد بن عقبة مصدقاً إلى بني المصطلق وكان بينه وبينهم إحنة فلما سمعوا به استقبلوه فحسبهم مقاتليه فرجع وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد ارتدُّوا ومنعوا الزكاة فهم بقتالهم فنزلت[1]. وقيل: فبعث إليهم خالد بن الوليد فوجدهم منادين بالصلاة مجتهدين فسلموا إليه الصدقات فرجع.

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ﴾ [الآية 7] أي واعلموا أن كونه صلى الله عليه وسلم فيكم على حال يحب تغييرها وهي أنكم تريدون أن يتبع رأيكم ولو فعل ذلك لوقعتم في العنت وهو الهلاك والمشقة ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾ [الآية 7] وما يتبعه من الإحسان ﴿وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ﴾ [الآية 7] لتكميل العرفان والإيقان ﴿وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ﴾ [الآية 7] أنواعه الشاملة للكفران ﴿وَٱلۡفُسُوقَ﴾ [الآية 7] الكبائر ﴿وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ [الآية 7] السالكون سبيل الرشد والهداية.

﴿فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ [الآية 8] بمراتب أعمالهم ﴿حَكِيمٞ﴾ [الآية 8] في اختلاف أحوالهم.

وأفاد الأستاذ: إن في الآية دلالة على صحة قول أهل الحق في القدر وتخصيص المؤمنين بألطاف لم يشرك فيه الكافرون ولولا أنه يوفر الدواعي للطاعات يحصل التفريط والتقصير في العبادات.

---

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (23/ 401) رقم (960)، والبيهقي في السنن الكبرى (9/ 54) رقم (17754)، وأحمد في المسند (4/ 279) رقم (18482).

﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ﴾ [الآية 9] تقاتلوا أو هموا بالقتال ﴿فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ﴾ [الآية 9] بالنصح لهما والدعاء إلى حكم الله فيهما ﴿فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ﴾ [الآية 9] بأن تعدت عليها ﴿فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ [الآية 9] إلى أن ترجع إلى حكمه أو ما أمر به ﴿فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ﴾ [الآية 9] يفصل ما بينهما على ما حكم الله عليها ﴿وَأَقۡسِطُوٓاْۖ﴾ [الآية 9] واعدلوا في جميع الأمور ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ [الآية 9] بحمد فعلهم بحسن الجزاء يوم الدين والآية نزلت في قتال حدث بين الأوس والخزرج في عهده عليه السلام بالسعف والنعال وهي تدل على أن الباغي مؤمن وإنه إذا قبض عن الحرب وترك كما في الحديث لأنه فاء إلى أمر الله وإنه يجب معاونة من بغى عليه بعد تقديم النصح إليه والسعي في الصلح لديه.

174/ أ / وأفاد الأستاذ: أن الإشارة من هذه الآية أن النفس إذا ظلمت على القلب بدعائها إلى شهواتنا واستعلائها في فساد مراداتها فيجب أن تقاتل حتى تثخن بالجراحة بسيوف المجاهدة فإذا استجابت بالطاعة فيعفى عنها لأنها المطية إلى باب مولاها.

﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾ [الآية 10] من حيث إنهم منتسبون إلى أصل واحد في القضية وهو الإيمان الموجب للحياة الأبدية ﴿فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ﴾ [الآية 10] خص الاثنين بالذكر لأنهما أقل من يقع بينهم الشقاق ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [الآية 10] في مخالفة حكمه ﴿لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [الآية 10] بإطاعة أمره.

قال أبو عثمان أخوة الدين أثبت من أخوة النسب لأن أخوة النسب تنقطع بمخالفة الدين وأخوة الدين لا تنقطع بمخالفة النسب.

وأفاد الأستاذ: أن شرط الأخوة وحقها في الدين أن لا تحوجه إلى الاستعانة بك والتماس النصرة عنك وأن لا تقصر في تفقد أحواله بحيث يشكل عليك موضع حاجته فيحتاج إلى مسائلتك وأن لا تلجئه إلى الاعتذار بل تبسط عذره على سبيل الاستظهار فإن أشكل وجهه عليك عدت بالملاءمة إليك في خفاء عذره لديك وأن تثوب منه إذا أذنبت وتعوده إذا مرض وإذا

أشار عليك بشيء فلا تطالبه بالدليل عليه وإيراد الحجة لديه كما قالوا إذا استنجد لم يسألوا من دعاهم لآية حرب أم لأي مكان وأن يحفظ عهده القديم ويراعي حقه في أهله الكريم في حال الحياة وبعد الممات.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ﴾ [الآية 11] من الرجال ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ﴾ [الآية 11] أي عند الله ﴿وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ﴾ [الآية 11] واختيار الجمع لأن السخرية في المجامع غالباً.

وعن ابن مسعود: البلاء موكل بالقول لو سخرت من كلب لخشيت أن أحول كلباً[1].

وأفاد الأستاذ: أن ما استصغر أحد أحداً إلا سلط عليه ولا ينبغي أن يغتر بظاهر أحوال الناس فإن في الزوايا خبايا والحق يستر أوليائه في حجاب الضّنّة وكم في الخبر كم من أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبرّه[2].

﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ [الآية 11] أي ولا يعب بعضكم بعضاً فإن المؤمنين كنفس واحدة فهو كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ﴾ [النساء: الآية 29]، ﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ﴾ [الآية 11] ولا يدعوا بعضكم بعضاً بألقاب السوء ففي الحديث: / «من حق المؤمن على أخيه أن يسميه بأحب أسمائه»، ﴿بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ﴾ [الآية 11] بئس الذكر المرتفع للمؤمنين أن يذكروا بالفسوق بعد دخولهم في الصالحين. 174/ ب

---

(1) الحديث: «البلاء موكل بالقول» انظر ما أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (4/ 244) رقم (4948).
وهناك من نسبه إلى ابن مسعود، انظر ما أخرجه ابن الجعد في مسنده (١/ ٢٩٠) رقم (١٩٦٣)، وابن أبي شيبة في المصنف (٥/ ٢٣١) رقم (٢٥٥٤٧). وأما لفظ (لو سخرت من كلب) وهو منسوب لابن مسعود، انظر جامع الأحاديث (٣٧/ ٢١٤) رقم (٤٠٤٤٢)، والمصنف لابن أبي شيبة (٥/ ٢٣١) رقم (٢٥٥٤٦).

(2) أخرجه الحاكم في المستدرك (4/ 364) رقم (7932)، والطبراني في الأوسط (1/ 264) رقم (861)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/ 692) رقم (3854)، والبيهقي في شعب الإيمان (7/ 332) رقم (10486).

روي أن الآية نزلت في صفية بنت حيي بن أخطب أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: إن النساء يقلن لي يا يهودية بنت يهوديين فقال لها: هلا قلت أبي هارون وعمي موسى وزوجي محمد[1] ﴿وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ﴾ [الآية 11] عمّا نهي عنه في هذه السورة وسائر المعصية ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الآية 11] بوضع العصيان موضع الطاعة وتعريض النفس للعقوبة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾ [الآية 12] كونوا على جانب منه وبالغوا في التبعد عنه وإبهام الكثير ليحتاط في كل ظن ويتأمل في كل فن حتى يعلم أنه من أي القبيل فإن من الظن ما يجب اتباعه كالظن حيث لا قطع فيه من العمليات وحسن الظن بالله في جميع الحالات وما يحرم كالظن في الإلهيات والنبوات وحيث يخالف قاطع من الدلالات وظن السوء بالمؤمنين والمؤمنات وما يباح كالظن في الأمور المعايشة والمعاملات ومنه قوله عليه السلام: «الحزم سوء الظن»[2]، وقوله: «احترسوا من الناس بسوء الظن»[3] ﴿إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ﴾ [الآية 12] أي ذنب يستحق العقوبة عليه.

وأفاد الأستاذ: أن النفس لا تصدق والقلب لا يكذب والتمييز بين النفس والقلب مشكل ومن بقيت عليه من حظوظ بقيّة وإن قلّت فليس له أن يدعي بيان القلب بل هو بنفسه ما دام عليه شيء من نفسه ويحب أن يتهم نفسه في كل ما يقع له من نقصان غيره ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ [الآية 12] ولا تبحثوا عن عيوب المسلمين ففي الحديث: «لا تتبعوا عورات المسلمين فإن من تتبع عوراتهم

---

(1) ورد بهذا اللفظ في كتب التفسير، انظر تفسير القرطبي (16/ 326) والكشاف (6/ 377)، وتفسير البيضاوي (1/ 217). وأما اللفظ المختلف دون ذكر اليهودية وبنت اليهوديين انظر ما أخرجه الحاكم في المستدرك (4/ 31) رقم (6790)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/ 708) رقم (3892).

(2) أخرجه القضاعي في المسند (1/ 48) رقم (24)، وانظر كشف الخفا (1/ 355) رقم (1129).

(3) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (1/ 189) رقم (598)، وانظر كشف الخفا (1/ 55) رقم (134).

تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته»[1].

وقال الأستاذ: من اشتغل بنفسه لم يتفرغ إلى الخلق ومن اشتغل بالحق لا يتفرغ إلى نفسه فكيف إلى غيره ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الآية 12] ولا يذكر بعضكم بعضاً بالسوء في غيبته وقد سأل عليه السلام عن الغيبة؟ فقال: «أن تذكر أخاك بما يكرهه فإن كان فيه فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته»[2].

قال الأستاذ: لا تحصل الغِيبة للخلق إلا من الغَيبة عن الحق ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ/ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ [الآية 12] تمثيل لما يناله المغتاب من عرض 175/ أ
المغتاب على أفحش وجه في هذا الباب مع مبالغات الاستفهام المقدر وإسناد الفعل إلى أحد للتعميم وتعليق المحبة إنما هو في غاية الكراهة وتمثيل الاغتياب بأكل لحم الإنسان مع جعل المأكول أخاً وميتاً وتعقيب ذلك بقوله ﴿فَكَرِهْتُمُوهُۚ﴾ [الآية 12] تقريراً وتحقيراً لما هنالك والمعنى إن عرض عليكم ما أحببتموه فقد كرهتموه ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [الآية 12] أي خلافه أو عقابه ﴿إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ﴾ [الآية 12] مبالغ في قبول توبة عباده ﴿رَّحِيمٌ﴾ [الآية 12] لمن تبع أمر الله ونهيه وفق مراده روي أن رجلين من الصحابة بعثا سلمان رضي الله عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبغي لهما إداماً، وكان أسامة على طعامه فقال: ما عندي شيء فأخبرهما سلمان فقالا: لو بعثناه إلى بئر سُمَيحَة لغار ماؤها، فلما جاءا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما لي أرى خضرة اللحم في أفواهكما فقالتا: ما تناولنا لحماً فقال: إنكما قد اغتبتما»[3] فنزلت.

---

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (11/ 186) رقم (11444)، وابن حبان في الصحيح (13/ 75) رقم (5763).

(2) أخرجه مسلم في الصحيح (2589/ 70)، والبيهقي في السنن الكبرى (10/ 247) رقم (20952)، والترمذي في الجامع الصحيح (4/ 329) رقم (1934)، والدارمي في السنن (2/ 287) رقم (2714)، وابن حبان في الصحيح (13/ 71) رقم (5758)، وأبو يعلى في المسند (10/ 378) رقم (6493).

(3) أخرجه الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (3/ 348) رقم (1244)، وانظر تفسير القرطبي (16/ 33)، وتفسير البغوي (7/ 344)، والكشاف (6/ 380).

وأفاد الأستاذ: إن أخس الكفار وأقلهم في المقدار من يأكل الميتة وعزيز رؤية من لا يغتاب أحداً بين يديك.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ [الآية 13] أي آدم وحواء ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ﴾ [الآية 13] الشعب الجمع العظيم المنتسبون إلى أصل واحد وهو لجمع القبائل والقبيلة بجمع العمائر والعمارة بجمع البطون والبطن بجمع الأفخاذ والفخذ بجمع الفضائل فخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ وعباس فصيلة وقيل: الشعوب بطون العجم والقبائل بطون العرب ﴿لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ [الآية 13] أصله لتعارفوا ولذا قرأ البزّي بتشديد تائه أي ليعرف بعضكم بعضاً وتصِلوا الأرحام لا ليتفاخروا وأما بالآباء والقبائل بين الأنام ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الآية 13] فمن افتخر بغير الدين والإسلام فقد افتخر بشيء كالأحلام وفي الحديث: «يا أيها الناس إنما الناس رجلان مؤمن تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله»، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾ [الآية 13] بأعمالكم ﴿خَبِيرٌ﴾ [الآية 13] بأحوالكم فلا تزكوا أنفسكم حيث لا علم لكم بما لكم.

وقال الأستاذ: إذا كانت أصوله تربة ونطفة ومضغة وعلقة فالتفاخر بماذا
175/ب أبالحمأ المسنون أو بنطفة / في قرار مكين أو بما ينطوي عليه ظاهرك مما تعرفه من باطنك كما قيل:

إن آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار[1]

أو بأفعالك التي هي بالرياء مشوبة أو بأحوالك التي بالإعجاب مصحوبة

وإنما يجب على العبد أن يتحرز من نفسه فما بلاؤه إلا هي وأكرم الخلق على الله من كان أبعد من نفسه وهو الأقرب من ربه.

﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا﴾ [الآية 14] نزلت في نفر من بني أسد قدموا المدينة في سنة جدبة وأظهروا الشهادتين وكانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أتيناك بأثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان يريدون الصدقة ويمنون

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 357)، (2/ 299).

﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟﴾ [الآية 14] إذ الإيمان تصديق مع ثقة القلب والطمأنينة ولم يحصل لكم هذه الحالة وإلا لما مننتم على الرسول بالإسلام وترك المقاتلة كما دل عليه آخر السورة ﴿وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ [الآية 14] فإن الإسلام دخول في السلم وانقياد للحكم وإظهار الشهادة وترك المحاربة ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الآية 14] أي لم يواطىء قلوبكم ألسنتكم إلى الساعة ﴿وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الآية 14] بالإخلاص في أحوالكم ﴿لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَـٰلِكُمْ﴾ [الآية 14] لا ينقص من أجورها ﴿شَيْـًٔا﴾ [الآية 14] من النقصان في آمالكم وقرأ أبو عمر ولا يألتكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ [الآية 14] لما فرط من المطيعين ﴿رَّحِيمٌ﴾ [الآية 14] بالتفضل على المحسنين.

وأفاد الأستاذ: أن الإيمان هو حياة القلوب والقلوب لا يحيى إلا بعد ذبح النفوس والنفوس لا تموت ولكنها تغيب ومع حضورها لا يتم خير وليس كل من استسلم ظاهراً أخلص سراً.

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾ [الآية 15] لم يشكوا ولم يترددوا في إيمانهم ﴿وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 15] في طاعته بإحسانهم ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ﴾ [الآية 15] في ادعاء إيقانهم فإن الإيمان ما يوجب للعبد الأمان.

﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾ [الآية 16] أتخبرونه بقولكم آمنا ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الآية 16] لا يخفى عليه خافية. روي أنه لما نزلت الآية المتقدمة جاؤوا وحلفوا أنهم مؤمنون معتقدون فنزلت هذه.

﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟﴾ [الآية 17] يعدون إسلامهم منة عليك ونعمة لديك ﴿قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَـٰمَكُم﴾ [الآية 17] أي بإسلامكم ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَـٰنِ﴾ [الآية 17] / على ما زعمتم من الادعاء مع أن الهداية لا تستلزم الاهتداء 176/ أ
﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [الآية 17] في كونكم مؤمنين وجوابه محذوف يدل عليه ما قبله أي فله المنة عليكم لا لكم منة على غيركم.

وأفاد الأستاذ: أن من لاحظ شيئاً من أعماله وأحواله فإن رآها من نفسه كان شركاً وإن رآها لنفسه كان مكراً فكيف يمنّ العبد بما هو شرك أو مكر والذي يجب عليه قبول المنة كيف يرى لنفسه على غيره منة هذا لعمري فضيحة بل الله يمن عليكم فإنه ولي النعمة ولكن إنما يكون له على العبد منة إذا كان صادقاً في حاله فأما ما كان معلوماً من صفته فهي محنة لصاحبها لا منة والمنة تكرر الصنيعة إذا كانت من الخلق وبالمنة تطيب النعمة إذا كانت من قبل الحق.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [الآية 18] ما غاب فيهما فضلاً عما ظهر عليها ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الآية 18] من ظواهركم وسرائركم وقرأ ابن كثير بالغيبة.

وأفاد الأستاذ: أن من وقف على ما هنا تكرر عليه العيش وما تهنأ إذ ليس يدري ما غيبه فيه وفي هذا المعنى قال قائل:

أبكي وهل تدرين ما يبكيني أبكي حذاراً أن تفارقيني
وتقطعي حبلي وتهجريني[1]

---

(1) ذكره القشيري في تفسيره (7/ 295).

سورة ق

[مكيّة]

وهي خمس وأربعون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله اسم جبّار جبر أحوالاً من رحمته وتجبر بكبريائه على عبد أقمأه بقهره وحرمه، اسم لطيف يعلم خفايا صنع العابدين ويغفر جلايا ذنوب العاصين.

﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ①﴾ [الآية 1] أي ذي المجد والشرف على سائر الكتب المنزلة لكونه ناسخاً لها في الجملة أو لأنّ من حفظ مبانيه وعلم معانيه وامتثل أحكامه عظّم مقامه وشرّف مرامه.

قال سهل: اقسم بقوته وقدرته.

وقال ابن عطاء: اقسم بقوة قلب حبيبه حيث حمل الخطاب عن ربه ولم يؤثر ذلك فيه لعلو حاله.

وأفاد الأستاذ: إن ق مفتاح اسمه قوي وقدير وقريب أقسم بهذه الأسماء وبالقرآن المجيد وجواب القسم محذوف ومعناه لتبعثن يوم القيامة.

﴿بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ [الآية 2] مخبر برسالته من الله إليهم وأخباره لهم بأنهم يبعثون بعدما يموتون ويجازون على أعمالهم وفق أحوالهم وفي الكلام إشعار بأن تعجبهم مما ليس بعجب وهو أن ينذرهم أحد من جملتهم أو من أبناء جلدتهم ﴿فَقَالَ/ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الآية 2] أي المصرون على كفرهم 176/ب
المبالغون في أمرهم ﴿هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ﴾ [الآية 2] عطف لتعجبهم من البعث على

تعجبهم من البعثة.

وأفاد الأستاذ: أن التعجب نوع تغير للنفس لعظم أمر خارج عن العادة الذي يقع بسببه علم لم يكن من قبل.

﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾ [الآية 3] أي أنرجع إذا متنا وصرنا تراباً ﴿ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ [الآية 3] عن الوهم أو العادة والإمكان في زعمهم والمعنى يبعد عندنا أن نبعث بعدما متنا.

﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ [الآية 4] إما تأكل من أجساد موتاهم وهو رد لاستبعادهم ﴿وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌ﴾ [الآية 4] حافظ لتفاصيل الأشياء كلها وهو تأكيد بعلمه سبحانه بها على ثبوتها في اللوح المحفوظ عنده تعالى.

وأفاد الأستاذ: أن في هذا تسلية للعبد فإنه إذا وسّد التراب وانصرف عنه الأصحاب والأحباب واضطربت بوفاته الأسباب فمن يتفقده أو يتعهده فإلى شفير قبره، وليس لهم شيء سوى ذكره واحد منهم ولا يدري ما الذي يقاسي المسكين في حفرته فيقول الحق سبحانه: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ [الآية 4] ولعله يخبر الملائكة ويقول: عبدي الذي أخرجته من دنياه وحلت بينه وبين من يهواه هذه أجزاؤه قد تفرّقت وهذه عظامه قد بليت وهذه أعضاؤه قد تمزقت وعندنا كتاب حفيظ وهو اللوح المحفوظ أثبتنا فيه تفصيل الخلق من غير نسيان يأتينا فنحتاج إلى تذكرة يعني بل ليستدل به على أحاط علمنا بالأشياء كليها وجزئيها زيادة على ما أظهر فيه من أمره.

﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية 5] بالأمر الثابت الصدق وهو النبي الكريم والقرآن العظيم ﴿لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ [الأنعام: الآية 5] حين أتاهم بما أنبأهم ﴿فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ [الآية 5] مضطرب في حق الحق بقولهم تارة بأنه شاعر وتارة إنه ساحر وتارة أنه كاهن فهم يترددون في ظلمات تحيّرهم ويصبحون على شكهم في أمرهم.

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟﴾ [الآية 6] حين كفروا بالإعادة ﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ﴾ [الآية 6] إلى ابتداء خلقها سقفاً لهم ﴿كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا﴾ [الآية 6] رفعناها بلا عمد لها ﴿وَزَيَّنَّٰهَا﴾ [الحجر: الآية 16] بالكواكب المركوزة فيها وأدرنا شمسها وقمرها

وكيف جنسنا عينها ونوعنا أثرها ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [الآية 6] فتوق وشقوق وفطور وقصور.

﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا﴾ [الآية 7] بسطناها فجعلناها مهاداً ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾

177/ أ [الآية 7] جبالاً ثوابت فصيرناها أوتاداً ﴿وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا/ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ﴾ [الآية 7] صنف ﴿بَهِيجٍ﴾ [الآية 7] حسن والمعنى أخرجنا منها نجوماً وأشجاراً وأظهرنا فيها أشجاراً وأنواراً وأثماراً.

﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ﴾ [الآية 8] تبصيراً وتذكيراً ﴿لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ [الآية 8] راجع إلى ربه متفكر في بدائع صنعه.

وقال الأستاذ: أي علامة ودلالة لمن رجع من شهود أفعالنا إلى رؤية صفاتنا إلى شهود حقنا وذاتنا.

﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا﴾ [الآية 9] أي كثير المنفعة ﴿فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ﴾ [الآية 9] أشجاراً وأثماراً ﴿وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ﴾ [الآية 9] وحب الزرع الذي يحصد كالبر والشعير فالأجزاء متجانسة مؤتلفة وأوصافها في الطعم والريح واللون والهيئة مختلفة.

﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ﴾ [الآية 10] طويلات وأفرادها بالذكر لفرط ارتفاعها وكثرة منافعها ﴿لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ [الآية 10] منضود بعضه فوق بعض والمراد كثرة ما فيه من الثمر والمعنى إنا جعلنا بعض الثمار متفرقة كالتفاح والكمثري ونحوها وبعضها مجتمعة كالعنب والرطب وغيرهما.

﴿رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ﴾ [الآية 11] ينتفعون بها ويشكرون عليها ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ﴾ [الآية 11] بذلك الماء ﴿بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ [الآية 11] أرضاً جدبة ليس فيها النماء ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾ [الآية 11] أي كما أحييت هذه البلدة بعد موتها يكون خروجكم أحياء بعد موتكم.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ﴾ [الآية 12] بئر كانت لبقية من ثمود كذبوا نبيهم ورسوه في بئرهم ﴿وَثَمُودُ﴾ [الآية 12] قوم صالح.

﴿وَعَادٌ﴾ [الآية 13] قوم هود ﴿وَفِرْعَوْنُ﴾ [الآية 13] أراده وقومه ليلائم ما

قبله وما بعده ولعله اقتصر عليه لأنه السبب لتكذيب من كان لديه ﴿وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ﴾ [الآية 13] لأنه تزوج منهم.

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ﴾ [الآية 14] أي الغيضة وهم قوم شعيب ﴿وَقَوْمُ تُبَّعٍ﴾ [الآية 14] سبق في الدخان ﴿كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾ [الآية 14] أي كل واحد أو كل قوم منهم أو جميعهم وإفراد الضمير لإفراد لفظه ﴿فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ [الآية 14] فوجب لهم أو فحل عليهم وعيدي وفيه تسلية للمؤمنين وتهديد للكافرين.

﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ﴾ [الآية 15] فعجزنا عن الإبداء في الابتداء حتى نعجز عن الإعادة في الانتهاء والهمز للإنكار وللحمل على الإقرار ﴿بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [الآية 15] أي هم لا ينكرون قدرتنا على الخلق الأول بل هم في خلط وشبهة في الإعادة لما فيه من مخالفة العادة.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ [الآية 16] ما تحدثه به وهو ما
177/ب يخطر بباله من تقلبات أحواله ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ/ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [الآية 16] أي ونحن أعلم بحاله فمن يكون أقرب إليه من حبل الوريد وهو تجوز بقرب الذات لقرب العلم من الصفات وحبل الوريد مثل في القرب الشديد كما قيل: والموت أدنى من الوريد والحبل العرق وإضافته للبيان والوريدان عرقان يكتنفان بصفحتي العنق، وسمي وريداً لأن الروح الطبيعي ترده.

قال الشيخ: الرباني علاء الدولة السناني في موارد الشوارد لفرط قربه بك لا تراه ولغاية بعدك عنه ترى شيئاً سواه وهذا تمام لمن يطلب معرفة مولاه ولا يصح الطلب إلا لمن خالف هواه.

وقال الواسطي: أي نحن أولى به وأحق بأمره لأنا جمعناه بعد الافتراق وأنشأناه بعد العدم ونفخنا فيه من روحنا فالأقرب إليه من هو أعلم به منه لنفسه.

وقال الأستاذ: أي وتعلم ما توسوس به نفسه من شهوات تطلب استيفاءها ونصنع من الخلق أو سوء الخلق أو اعتقاد حقد وحسد ونحوهما من آفات النفس ولأنها توسوس بذلك لتشوش قلبه عليه وتضيع وقته لديه

وحبل الوريد أقرب أجزاء نفسه إليه والمراد منه العلم بهم والقدرة عليهم وإنه سمع قولهم ولا يشكل عليه شيء من أمرهم وفي هذه الآية هيبة وفزع وخوف لِقوم، وروح وأنس وسكون قلب لِقوم.

﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ﴾ [الآية 17] أي يتلقى الحفيظان ما يعمله وفيه إيذان بأنه غني عن استحفاظ ملكين فإنه أعلم منهما ومطلع على ما يخفى عليهما لكنه لحكمة اقتضته وهي ما فيه من تشديد يثبط العبد عن المعصية وتأكيد في اعتبار الطاعة ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ [الآية 17] أي قاعدان أو مقاعدان.

﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [الآية 18] ملك يرقب عمله عتيد حاضر معدّ له ولعله يكتب ما فيه ثواب أو عقاب فعن ابن عباس يكتب عليه الخير والشر رواه البخاري[1]. وقيل: يكتبان كل شيء حتى أنينه في مرضه ويؤيده الأول حديث كاتب الحسنات أمير على كاتب السيئات فإذا عمل حسنة كتبها ملك/ اليمين عشراً وإذا عمل سيئة قال: صاحب اليمين لصاحب الشمال 178/أ
دعه سبع ساعات لعله يسبح أو يستغفر[2].

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه خوفهم بشهود الملائكة وحضور الحفظ وكتابتهم عليهم أعمالهم وهما قعيدان، كل أحد ويقال إذا كان قاعداً فواحد عن يمينه يكتب خيراته وواحد عن يساره يكتب سيئاته وإذا نام فواحد عند رأسه وواحد عند قدمه وإذا كان ماشياً فواحد قام بين يديه وآخر خلفه ويقال: هما اثنان بالليل لكل واحد واثنان بالنهار ويقال: بل الذي يكتب الخيرات كل يوم يكون آخر والذي يكتب الزلات كل يوم هو الذي كان بالأمس ليكثر غداً شهود الطاعات ويقال: بل الذي يكتب المعصية كل يوم اثنان آخران وكل ليلة اثنان آخران لئلا يعلم من مساوئك إلا القليل منهم فيكون علم المعاصي متفرقاً فيهم.

---

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (ص: 1366)، والحاكم في المستدرك (2/ 505) رقم (3730).

(2) أورده القرطبي في تفسيره (17/ 9)، والبيضاوي في تفسيره (1/ 227).

﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ﴾ [الآية 19] أي قد شاهدت ما هي مقدمة للوعد الصادق فإن من مات فقد قامت قيامته وظهرت له إعادته ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية 19] أي الموت ﴿مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ﴾ [الآية 19] أي تميل عنه وتفرّ منه والخطاب للإنسان المتقدم في البيان.

وأفاد الأستاذ: أنه إذا أشرفت النفس على الخروج من الدنيا فأحوالهم تختلف فمنهم من يزداد في ذلك الوقت خوفه ولا يتبين إلا عند ذهاب الروح حاله ومنهم من يكاشف قبل خروجه فيسكن روعه ويحفظ عليه عقله ويتم له حضوره فيسلم الروح على مهل من غير استكراه ومنهم من قال بعضهم في معناه:

أنا إن مت فالهوى حشو قلبي فبداء الهواء يموت الكرام

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۚ﴾ [الآية 20] أي نفخة البعث ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡوَعِيدِ﴾ [الآية 20] أي وقت ذلك يوم تحقق الوعيد الشديد.

﴿وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ ٢١﴾ [الآية 21] ملكان أحدهما يسوقه إلى المحشر، ويشهد بعمله الآخر أو ملك جامع للوصفين أو السابق كاتب للسيئات والشهيد كاتب للحسنات.

قال فارس: ما ساقهم إلا القدرة ولا شهد عليهم إلا جوارحهم.

178/ب وقال الواسطي: شاهدها الحق ومن كشف عنه غطاء / الغفلة أبصر الأشياء كلها في أسر القدرة.

قال عامر بن عبد قيس: لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً، كذا في «تفسير السلمي».

وقال الأستاذ: سائق يسوقها إما إلى الجنة وإما إلى النار وشهيد يشهد عليه بما فعل من الخير والشر فيقال له: ﴿لَّقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا﴾ [الآية 22 الخطاب للكافر ولكل نفس إذ ما من أحد إلا وله إشغال ما عن أمر الآخرة ويؤيده القراءة الشاذة بكسر التاء والكافات في قوله ﴿فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ﴾

[الآية 22] حجابك لأمور معادك وهو الغفلة في الحالات والانهماك في المحسوسات ﴿فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ﴾ [الآية 22] نافذ لزوال المانع للإبصار.

وقال الأستاذ: المؤمنون اليوم بصرهم حديد يبصرون رشدهم ويحذرون شرهم ولا يتجاوزون حدهم والكفار يقال لهم: فبصرك اليوم حديد علمت ما كنت فيه من التكذيب فاليوم لا يسمع منك خطاب ولا يرفع عنك عذاب.

﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ﴾ [الآية 23] الملك الموكل عليه ﴿هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ [الآية 23] هذا ما هو مكتوب عندي حاضر له لدي.

﴿أَلۡقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٖ ﴿٢٤﴾﴾ [الآية 24] معاند للحق مكابر للصدق والخطاب من الله للسائق والشهيد أو للملكين من خزنة النار أو لواحد وتثنية الفاعل منزلة منزلة تثنية الفعل وتكريره كأنه قيل: ألق ألق للتأكيد والألف بدل من نون التأكيد إجراء للوصل مجرى الوقف ويؤيده إنه قرىء شاذاً أَلْقِيَنْ بالنون الخفيفة.

﴿مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ﴾ [الآية 25] كثير المنع للمال عن حقوقه المفروضة ﴿مُعۡتَدٖ﴾ [الآية 25] متعد في المعصية والمظلمة ﴿مُّرِيبٍ﴾ [الآية 25] شاك في التوحيد والنبوة والبعث في الآخرة.

وقال الأستاذ: مناع للخير معوان للشر ويقال: يمنع الناس عن الخير من الإيمان والإحسان مريب الذي يشكك الناس في أمر اليقين ويكون غير مخلص في الدين ويلبس على الناس في أحواله وينافقهم في أعماله.

﴿ٱلَّذِي جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الآية 26] مبتدأ متضمن معنى الشرط وخبره ﴿فَأَلۡقِيَاهُ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ﴾ [الآية 26] أو بدل من كل كفار فيكون فألقياه تكريراً للتوكيد.

﴿قَالَ قَرِينُهُۥ﴾ [الآية 27] أي الشيطان المقيض له المسلط/ عليه بعد إلقائهما 179/ أ
في جهنم ﴿رَبَّنَا مَآ أَطۡغَيۡتُهُۥ﴾ [الآية 27] باستقلال مني في الإطغاء ﴿وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ﴾ [الآية 27] عن الاهتداء فأعنته عليه في الابتداء أو الانتهاء.

﴿قَالَ﴾ [الآية 28] أي الله تعالى ﴿لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ﴾ [الآية 28] في موقف الحساب أو مقام العذاب فإنه لا فائدة فيه حين كشف الغطاء ورفع الحجاب ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ﴾ [الآية 28] على الطغيان والإطغاء في كتبي وعلى ألسنة رسلي فلم يبق لكم حجة عندي.

﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾ [الآية 29] بوقوع الخلف في وعيدي فلا تطمعوا أن أبدل ما ثبت عندي ﴿وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ﴾ [الآية 29] بذي ظلم ﴿لِّلْعَبِيدِ﴾ [الآية 29] فأعذب من ليس لي تعذيبه فتعذيب من أعذبه عدل وتنعيم من أنعمه فضل.

قال الواسطي: ما ينفع البكاء على ما سبق من محتوم القضاء.

﴿يَوْمَ نَقُولُ﴾ [الآية 30] وقرأ نافع وأبو بكر بالياء أي الله أو الملك ﴿لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [الآية 30] أي من زيادة وهذا من غاية التغيظ للنار في الاستزادة من الكفار أو الاستفهام للإنكار أي ليس فيَّ مكان زيادة للأغيار كقوله عليه السلام لما قيل له يوم فتح مكة هل ترجع إلى دارك؟ فقال: «وهل ترك لنا عقيل من دار»[1] أي لم يترك ويؤيده قوله تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: الآية 119].

قال الأستاذ: وإن الله يملأ جهنم من الكفار والفجار وإذا أخرج عصاة المؤمنين من النار زاد الله في عظم أجساد الكفار حتى تمتلىء جهنم بهم.

﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ﴾ [الآية 31] قربت ﴿لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [الآية 31] مكاناً غير بعيد وهو نوع تأكيد.

وقال الأستاذ: يقال: أن الجنة تقرب من المتقين كما أن النار تجر بالسلاسل إلى المحشر للمجرمين ويقال: بل تقرب الجنة إلى أهلها بأن يسهل على المتقين مسيرهم إليها ويقال: هم ثلاثة أصناف: قوم يحشرون إلى الجنة مشاة وهم الذين قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ [الزمر:

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (1588)، ومسلم في الصحيح (1351/ 439).

الآية 73] وهم عوام المؤمنين وقوم يحشرون إلى الجنة ركباناً على الطاعات المصورة لهم بصورة الحيوانات وهم الخواص قلت: ولعلّه المراد بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم: الآية 85]، وأما خاص الخاص فهم الذين قال لهم: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الآية 31] تقرب الجنة منهم / يعني بطريق 179/ ب
طي المسافة وجمع المساحة وقوله: ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [الآية 31] تأكيد لقوله ﴿وَأُزْلِفَتِ﴾ [الآية 31] ويقال: غير بعيد من العاصين تطييباً لقلوبهم.

﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾ [الآية 32] رجاع إلى الله وأمره ﴿حَفِيظٌ﴾ [الآية 32] حافظ بحدوده ويحافظ على ذكره وشكره والمعنى يقال لهم: هذا الثواب ما كنتم توعدون في الكتاب أن يقع لكم يوم الحساب وقرأ ابن كثير بالغيبة فهو التفات من الخطاب.

﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [الآية 33] حال من الفاعل أي غائب عن الناس أو المفعول أي غائباً عن الأعين وتخصيص الرحمٰن للإشعار بأنهم رجوا رحمته وخافوا عقوبته أو بأنهم ذوو خشية منه مع علمهم بسعة رحمته ﴿وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ [الآية 33] أي راجع إلى الله قريب لعبده مجيب.

قال أبو عثمان من خشي ربه بالغيب كان باطنه أحسن من ظاهره ويكون باطنه سلماً للحق وظاهره سلماً للخلق.

وأفاد الأستاذ: أن الخشية اللطف من الخوف فكأنها قريبة من الهيبة ويقال: هي مقتضى علمه بأنه يفعل ما يشاء في خلقه والخشية من الرحمٰن مقرونة بالأنس ولذلك لم يقل من الجبار أو القهار فالخشية من الرحمٰن مقرونة بالإنس ولذا لم يقل من الجبار أو القهار فالخشية من الرحمٰن خشية الحجاب لا خوف العقاب وقال: ﴿وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ [الآية 33] ولم يقل بنفس مطيعة ليكون للعصاة في هذا أمل ووفاء لأنهم وإن قصروا بنفوسهم وليس لهم صدق القدم فلهم الأسف بقلوبهم وصدق الندم.

﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ﴾ [الآية 34] أي يقال لهم: ادخلوا الجنة مصحوبين بسلامة من زوال النعمة أو مسلماً عليكم من الله والملائكة ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ﴾ [الآية 34]

وقت تقدير الخلود.

﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [الآية 35] زيادة على مشيئتهم في مشهياتهم مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه لم يقل ما يسألون بل قال ﴿مَّا يَشَآءُونَ﴾ أي ما يخطر ببالهم يحقق لهم قبل سؤالهم وإذا قالوا اليوم ما شاء الله كان يقال لهم غداً ما شئتم كان هل جزاء الإحسان إلا الإحسان وفي قوله: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ اتفق أهل التفسير أنه الرؤية وقوم يقولون المزيد على الثواب في الجنة وكل يكون إذ لا منع من الجمع في سعة المنة.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم﴾ [الآية 36] قبل قومك ﴿مِّن قَرْنٍ﴾ [الآية 36] أي جماعة
180/ أ ﴿هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا﴾ [الآية 36] قوة وشوكة/ كثمود وعاد ﴿فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ﴾ [الآية 36] فذهبوا فيها وتصرفوا بها ﴿هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾ [الآية 36] هل لهم من الله مخلص أو من الموت مهرب.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ [الآية 37] في ما ذكر في هذه السورة ﴿لَذِكْرَىٰ﴾ [الآية 37] لتذكرة وتبصرة ﴿لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ [الآية 37] أي واع يتفكر في حقائقه ووقائعه ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ﴾ [الآية 37] أصغى لاستماعه ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [الآية 37] حاضر بذهنه ليدرك مبانيه ويفهم معانيه فيتعظ بظواهره ويتزجر بزواجره وفي نكير قلب إشعار بأن كل قلب لا يتفكر ولا يتدبر ليس بقلب.

قال الشبلي: مواعظ القرآن لمن له قلب حاضر مع الله لا ينفك عنه طرفة عين.

وأفاد الأستاذ: أن المراد قلب على الإحسان مقبل ويقال: قلب غير قلب أو ألقى السمع أي استمع إلى ما يتأدى إلى ظاهره من الخلق وما عاد إلى سره من الحق ويقال: لمن كان له قلب صاح لم يسكر من الغفلة أو قلب حي بنور الموافقة ويقال: قلب يعد أنفاسه مع الرب ويقال: قلب غير معرض عن الاعتبار وغير غافل عن الاستبصار ويقال: القلوب كما في الخبر بين أصبعين من أصابع الرحمٰن أي نعمتين من نعمه وهما ما يدفع عن القلوب من

البلاء وما ينفعها به من النعماء فكل قلب منع الحق عنه الأوصاف الذميمة وألزمه النعوت الحميدة فهو الذي قال في حقه: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ [الآية 37]. ويقال في الخبر: إن لله أواني ألا وهي القلوب وأقربها من الله ما رق وصفا(1). شبّه القلوب بالأواني فقلب الكافر إناء منكوس لا يدخل فيه شيء وقلب المنافق إناء مكسور ما يلقى فيه من أوله يخرج من أسفله وقلب المؤمن إناء صحيح غير منكوس يدخل فيه الإيمان ويبقى على ممر الزمان ولكن هذه القلوب أيضاً مختلفة فقلب ملطخ بالغفلات وفنون الآفات فالشراب الذي يلقى فيه يصحبه أثر ما هو متلطخ به وأما من صفا قلبه عن ما يسمى كدراً فهو أعلاهم قدراً.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [الآية 38] ما أصابنا من تعب وإعياء.

﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ [الآية 39] أي المشركون من إنكارهم البعث للجزاء فإن من قدر على خلق العالم من غير الإعياء قدر على بعثهم والانتقام منهم ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ [الآية 39] نزهه عن العجز وما لا يليق به من الشيم حامداً له على ما أنعم عليك من النعم ﴿قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ [الآية 39] / يعني الفجر والعصر. 180/ ب

قال سهل: لا يغفل صباحاً ومساء عن ذكر من لا يغفل عن برك وحفظك في كل أوقاتك.

وأفاد الأستاذ: أنه عليه السلام كان يتأذى بسماع ما يقولون في الأشياء التي يقدس عنها بغتة فقال: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ [الآية 39] واستروح عن تعب سماعك منهم يستبيحك لنا فيهم.

﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ [الآية 40] أي وسبحه بعض الليل فإن الصفوة أتم في الخلوة في حال الجلوة ﴿وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ [الآية 40] وأعقاب الصلاة جمع دبر

(1) أورده السيوطي في جامع الأحاديث (9/ 221) رقم (8288).

وقرأ نافع وابن كثير بكسر الهمزة من أدبرت الصلاة إذا انقضت أي وقت انقضاء الصلوات.

﴿وَٱسْتَمِعْ﴾ [الآية 41] لما أخبرك به من أحوال القيامة وأهوالها ﴿يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ﴾ [الآية 41] إسرافيل أو جبريل فيقول: أيها العظام البالية والأوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء ﴿مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [الآية 41] بحيث يصل نداؤه إلى الكل على السواء قيل: ولعله في الإعادة نظيركُنْ في الإبداء.

﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ﴾ [الآية 42] النفخة الثانية ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية 42] أي البعث للجزاء ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ﴾ [الآية 42] من القبور إلى القضاء.

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ﴾ [الآية 43] في الدنيا ﴿وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ﴾ [الآية 43] مرجع الكل للجزاء في العقبى.

﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ﴾ [الآية 44] تتشقق وقرأ الكوفيون وأبو عمرو بالتخفيف ﴿سِرَاعًا﴾ [الآية 44] مسرعين ﴿ذَٰلِكَ حَشْرٌ﴾ [الآية 44] بعث وجمع ونشر ﴿عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ [الآية 44] هين غير عسير.

وقال الأستاذ: سواء خلقناهم أفراداً أو جملة قال تعالى: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [لقمان: الآية 28].

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ [الآية 45] تسلية لرسوله وتهديداً لغيره ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ [الآية 45] بمجبر له على الإيمان والإحسان ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [الآية 45] فإنه لا ينتفع به غيره.

سورة الذاريات

[مكيّة]

وهي ستون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله كلمة عزيزة من ذكرها عز لسانه ومن عرفها اهتز لصحبتها جنانه، بسم الله كلمة لألباب المقربين غلّابة ولأرواح المحبين سلّابة.

﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ۝١﴾ [الآية 1] أي الرياح التي تثير الغبار.

﴿فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ۝٢﴾ [الآية 2] فالسحب الحاملة للأمطار.

﴿فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ۝٣﴾ [الآية 3] فالسفن الجارية في البحار جرياً ذا يسر في الأقدار.

﴿فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ۝٤﴾ [الآية 4] الملائكة التي تقسم الأمور من الأرزاق والأخلاق والأسرار والأنوار.

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾ [الآية 5] من الحساب والثواب والعقاب ﴿لَصَادِقٌ﴾
[الآية 5] لذوا صدق/ وحق. ﴿وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾ [الآية 6] أي الجزاء نازل وحاصل. 181/ أ

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أقسم برب هذه الأشياء وإن من جملة الرياح الصبحية تحمل أنين المشتاقين إلى ساحات العزة ثم تأتي بنسيم القربة إلى مشام أسرار أهل المحبة فيجدون راحة من غلبات اللوعة وفي معناه أنشدوا:

وإني لأستهدي الرياح نسيمكم ... إذا أقبلت من أرضكم بهبوبِ

وأسـألـهـا حـمـل الـسـلام عـلـيـكـم فـإن هـي يـومـاً بـلـغـت فـأجـيـبـي[1]

وفي سحائبها يمطر بعتاب الغيبة ويؤذن هواجم النوى والفرقة فإذا عنَّ لهم شيء من ذلك فينور بصائرهم ابصروها فيأخذون في الابتهال والتضرع في السؤال استعادة منها كما قالوا:

أقـول وقـد رأيـت لـهـا سـحـابـاً مـن الـهـجـران مـقـبـلـة إلـيـنـا
وقـد سـحـت عـزالـيـهـا بـبـيـن حـوالـيـنـا الـصـدود ولا عـلـيـنـا

وقد يحمل الملاح بعض الفقراء من غير الأجرة طمعاً في سلامة السفينة فهؤلاء يرجون أن يحملوا في فلك الكفاية في بحار القدرة عند تلاطم أمواج القيامة، ومن الملائكة من ينزل يتفقد أهل الوصلة وبتعزية أهل المصيبة وبأنواع من الأمور لأهل هذه القصة فهؤلاء القوم يسألونهم عن أحوالهم هل عندهم خبر من فراقهم ووصالهم ويقولون:

بـربـكـمـا يـا صـاحـبي قـفـا بـيـا أسائلكم عن حالكم وسلانيا

وفي قوله: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾ [الآية 5] إن الحق سبحانه وعد المطيعين بالجنة والتائبين بالرحمة، والأولياء بالقربة والعارفين بالوصلة ووعد أرباب المصيبة بقوله: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة: الآية 157] ثم هم تصدوا لاستبطاء حسن الميعاد ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [البقرة: الآية 207].

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ۝٧﴾ [الآية 7] أي الطرق الحسنة وهي إما الطرائق المحسوسة التي هي مسير الكواكب عند النظار أو المعقولة التي يسلكها أرباب الاعتبار ويتوصلون بها إلى المعارف والأسرار.

﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨﴾ [الآية 8] في القيامة أوامر الديانة أو في ذات الله وصفاته رسوله ومعجزاته أو كتابه وآيات بيانه.

وقال الأستاذ: وهذا قسم ثان وجوابه والإشارة فيه إلى أن سماء التوحيد ذات الزينة بشمس المعرفة وقمر المحبة ونجوم القربة في باب هذه

(1) ذكره القشيري في تفسيره (7/ 305).

الطريقة فمن منكر/ يجحد الطريقة ومن معترض يعترض على أهلها يتوهم 181/ب
نقصانهم بحق الشريعة ومن متكشف لا يخرج من ضيق حدود العبودية ولا يعرف خبراً من تخصيص الحق أولياءه بالأحوال السنية ولقد قال قائلهم:

قد سحب الناس أذيال الظنون بنا ... وفرق الناس فبينا قولهم فرقا

فكاذب قد رمى بالظن غيركم ... وصادق ليس يدري أنه صدقا

﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝٩﴾ [الآية 9] يصرف عن القرآن أو الإيمان من صرف عنه إذ لا صرف أشد منه فكأنه لا صرف بالنسبة إليه أو يصرف من صرف في علم الله وقضائه لديه.

قال سهل: يدفع عن الحق عند اللقاء من وقع عند الحكم والقضاء.

﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ۝١٠﴾ [الآية 10] لعن الكذابون أو الظانون.

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ﴾ [الآية 11] غفلة مستمرة ﴿سَاهُونَ﴾ [الآية 11] غافلون لاهون عما أمروا به من الطاعة المستكثرة.

﴿يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ۝١٢﴾ [الآية 12] متى وقوع يوم الجزاء على ما جرى به من القضاء.

قال الأستاذ: أي يوم القيامة يستعجلون بها ولأجل تكذيبهم بوقوعها كانت نفوسهم لا تسكن إليها.

﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ۝١٣﴾ [الآية 13] أي يقع جزاؤهم حين يحرقون ويعذبون ويقال لهم.

﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾ [الآية 14] قاسوا عقوبتكم ﴿هَذَا﴾ [الآية 14] العذاب ﴿الَّذِي كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [الآية 14].

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة فيه إلى الذين يكذبون في أعمالهم لما يداخلهم من الرياء ويكذبون في أحوالهم لما يتداخل من الإعجاب ويكذبون على الله فيما يدعونه من الأحوال.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الآية 15] قال سهل: المتقي في الدنيا في جنات الرضى مقلب وفي عيون الإنس مسبح.

﴿ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾ [الآية 16] قابلين لما أعطاهم راضين بما أولاهم والمعنى أن كل ما آتاهم ربهم حسن مرضي لهم متلقى بالقبول عندهم.

وأفاد الأستاذ: أنهم في عاجلهم في جنات وصلهم وفي آجلهم في جنات فضلهم فغداً درجات ونجاة واليوم قرب ومناجاة وما هو مؤجل حظ أنفسهم وما هو معجل حق ربهم يأخذون ما يصيبهم من الله بيد الشكر والحمد وغداً يأخذون ما يعطيهم ربهم في الجنة من فنون العطاء والرفد ومن كان اليوم أخذه بلا واسطة من حيث الإيمان والإيقان وملاحظة القسمة في
182/أ العطاء والحرمان كذا غدا أخذه بلا واسطة / في الجنان عند اللقاء والعيان ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ [الآية 16] أحسنوا أعمالهم وزينوا أحوالهم.

وأفاد الأستاذ: أنهم كانوا ولكنهم اليوم بانوا ولكن بعدما أعدناهم حصلوا واستبانوا والإحسان كما في الخبر أن تعبد الله كأنك تراه[1].

﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الآية 17] أي يرقدون في طائفة من الليل في مزيدة أو ينامون نوماً قليلاً فمن تبعيضية ويجوز أن يكون ما نافية عند الكوفية وقيل: المحسنون كانوا قليلين وهم في بعض الليل يهجعون أو غيرها هاجعين.

وقال الأستاذ: كانوا قليلاً وكانوا بالليل لا ينامون كقوله: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: الآية 13]. ويقال: كان نومهم بالليل قليلاً ويقال: كانوا لا ينامون بالليل قليلاً.

﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الآية 18] أي أنهم مع قلة منامهم وكثرة قيامهم للتهجد وسائر مرامهم إذا أسحروا استغفروا كأنهم في ليلهم من الجرائم استكثروا.

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (50)، ومسلم في الصحيح (9/ 5).

وقال الأستاذ: أخبر عن تهجدهم وقلة دعاويهم وتنزلهم بالأسحار منزلة المذنبين في استغفارهم عن معاصيهم فيستغفرون استصغاراً لقدرهم واستحقاراً لفعلهم وأمرهم والليل إما للأحباب في أنس المناجاة وإما للعصاة في طلب النجاة وسهرهم دائم في سحرهم إما لفرط أسف أو لشدة لهف وإما لاشتياق وإما لفراق وإما لكمال أنس وطيب روح قدس.

﴿وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقٌّ﴾ [الآية 19] نصيب يستوجبونه على أنفسهم تقرباً إلى الحق وإشفاقاً على الخلق ﴿لِّلسَّآئِلِ﴾ [الآية 19] المتكفف ﴿وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾ [الآية 19] المتعفف الذي يظن غنياً فيحرم.

﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٌ لِّلۡمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [الآية 20] أي فيها دلائل من أنواع النبات وأصناف المعادن والحيوانات وفي اختلاف أجزائها في الهيئات والكيفيات والخواص والمنافع الكليات والجزئيات يدل على وجود الصانع ووحدته وعلمه وعلمه وقدرته وإرادته وحكمته وفرط رحمته ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ﴾ [الآية 21] أي آيات ودلالات إذ ما في العالم شيء إلا وفي الإنسان له نظير تدل دلالته مع ما انفرد به من الهيئات النافعة والكيفيات الجامعة والمناظر البهية اللامعة والتركيبات العجيبة والتمكن من الأفعال الغريبة واستنباط الصنائع المختلفة واستجماع / البدائع 182/ ب
المتنوعة ﴿أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الآية 21] تنظرون بنظر العبرة مع انضمام الفكرة.

قال الواسطي: كلما وقع بصره على شيء يرى الصانع له كما قيل:

ففي كل شيء له شاهد   يدل على أنه واحد

وأفاد الأستاذ: أن من الآيات التي في الأرض أنها تحمل كل شيء فكذلك العارف يحمل كلّ أحد ومن استغلّ أحداً أو تبرم برؤية أحد فلغيبته عن الحقيقة ومطالعته الخلق بعين التفرقة وأهل الحقائق لا يتصفون بهذه الصفة ومن الآيات التي في الأرض إنه يلقى عليها كل قذارة وقمامة فتنبت كل زهر ونور كذلك العارف يتشرب ما يسقى من الجفاء ولا يترشح إلا بكل خلق عليّ ووصفٍ حليّ من نعوت أرباب الوفاء.

﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الآية 21] أيضاً آيات فمنها وقاحتها في

همتها ومنها وقاحتها في صفتها ومنها دعوتها العريضة فيما يرى منها وبها ثم حالها المرضية في أن ليس ذرة لها ولا سيئة بها ولا منها.

﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ﴾ [الآية 22] أسباب رزقكم أو تقديره في حقكم ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الآية 22] لأن الأعمال وثوابها مكتوبة مقدرة في السماء.

﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الآية 23] إنه أي الرزق للعباد أو الوعد بالمعاد الحق ثابت وصدق ﴿مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ﴾ [الآية 23] أي مثل نطقكم وهو مبني على الفتح ومحله الرفع على ﴿إِنَّهُۥ﴾ [الآية 23] صفة ﴿لَحَقّٞ﴾ [الآية 23] ويؤيده أنه قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر بالرفع.

وقال الأستاذ: كما أن نطقك لا يتكلم به غيرك فرزقك لا يأكله غيرك والإشارة في هذه الآية أنه حال برزقك على السماء ولا سبيل إلى العروج إلى الهوا فاشتغل بما كلفك ولا تتعنّ في طلب رزقك ويقال: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ﴾ [الآية 22] وإلى السماء يرفع عملكم فإن أردت أن ينزل عليك رزقك فاجتهد أن يصعد إلى السماء عملك ولهذا قالوا: الصلاة قرع باب الرزق قال تعالى: ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ [طه: الآية 132]، ﴿مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ﴾ [الآية 23].

﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٤﴾ [الآية 24] المقربين عند الجليل أو المعظمين عند الخليل حيث قام عليه السلام في خدمتهم حق البيان وفيه إيماءٌ إلى أن الضيف واجب الإكرام روي أنهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وسماهم / 183/ أ
ضيفاً لأنهم تصوروا في صورة الأضياف وفي صدر الكلام تفخيم لشأن الحديث وبيانه وتشويق إلى سماعه.

وأفاد الأستاذ: أنه قيل في التفاسير لم يكن أتاه خيرهم قبل نزول هذه الآية وقيل: إكرام الضيف بطلاقة الوجه إليهم والاستبشار بالخدمة لديهم وقيل: سماهم مكرمين لأن غير الموعود عند الكرام كريم ويقال: ضيف الكرام لا يكون إلا كريماً وقيل: لم يتكلف إبراهيم لديهم وما اعتذر إليهم وهذا هو إكرام الضيف حتى لا يكون من المضيف عليه منة فيحتاج الضيف

إلى تحمُّل المونة.

﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا﴾ [الآية 25] فسلم عليك سلاماً تاماً ﴿قَالَ سَلَامٌ﴾ [الآية 25] أي عليكم وعدل في الجواب إلى الرفع بالابتداء القصد النيّات حتى يكون تحية من أحسن التحيات وقرأ حمزة والكسائي قال سلم: بمعنى سلام والمستفاد من كلام الأستاذ أن كلاهما بمعنى الأمان في المراد ﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ [الآية 25] أنتم قوم غرباً ما تعرفون.

﴿فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾ [الآية 26] فذهب إليهم في خفية من ضيفه خيفة من أن يكفوه عنه أو يصيرون منتظرين له وفي الفاء إيماءٌ إلى المبادرة بالضيافة كما هو عادة الكرام في طريقة الإكرام ﴿فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ [الآية 26] أي حنيذ مشوي.

﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ﴾ [الآية 27] بأن وضعه بين أيديهم ﴿قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الآية 27] أي منه والهمزة فيه للعرض والحث على الأكل على طريقة أدب الضيافة أن قال أول ما وضعه وللإنكار أن قاله بعد ما رأى إعراضهم عنه وامتناعهم منه ويؤيده قوله:

﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ [الآية 28] فأضمر منهم خوفاً لظنه أنهم جاؤوا بشر في قصدهم ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ﴾ [الآية 28] إنا رسل ربك قيل: مسح جبريل العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بأمه فعرفهم وأمن منهم وبشروه ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ [الآية 28] يكمل علمه إذا بلغ حلمه وتحقق حكمه وهو إسحاق لقوله: ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ﴾ [الآية 29] سارة رضي الله عنها إلى بنتها وكانت في زاوية تنظر إلى ضيفها ﴿فِي صَرَّةٍ﴾ [الآية 29] في صيحة ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ [الآية 29] لطمت بأطراف أصابعها جبهتها فعل المتعجبة في حالها ﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ [الآية 29] أي أنا عجوز عاقر وبعلي شيخ عاجز قيل: إنها كانت يومئذ / ابنة ثمان وتسعين سنة 183/ ب وإبراهيم ابن تسع وتسعين سنة.

﴿قَالُوا كَذَٰلِكِ﴾ [الآية 30] أي كما قلنا لك ﴿قَالَ رَبُّكِ﴾ [الآية 30] لنا أن نخبرك ﴿إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ [الآية 30] فيكون فعله حقاً وقوله صدقاً.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ [الآية 31] أي فما شأنكم وأمركم ﴿أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾

[الآية 31] وبما أرسلتم لما علم أنهم ملائكة وأنهم لا ينزلون مجتمعين إلا لأمر عظيم في الدين.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمٖ مُّجۡرِمِينَ﴾ [الآية 32] أي قوم لوط.

﴿لِنُرۡسِلَ عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن طِينٖ ﴿٣٣﴾﴾ [الآية 33] يعني السجيل فإنه طين متحجر.

﴿مُّسَوَّمَةً﴾ [الآية 33] مرسلة أو معلمة ﴿عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [الآية 34] للمجاوزين طريق اليقين.

﴿فَأَخۡرَجۡنَا مَن كَانَ فِيهَا﴾ [الآية 35] في قريتهم ﴿مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الآية 33].

﴿فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا﴾ [الآية 36] من يخرج منها ﴿غَيۡرَ بَيۡتٖ﴾ [الآية 36] أي أهل بيت ﴿مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [الآية 36] واستدل بهذا الكلام على اتحاد الإيمان والإسلام وفيه أن ذلك لا يكفي للتحقيق المرام فإنه لا يقتضي إلا صدق المؤمن والمسلم على من اتبعه وهو لا يوجب اتحاد مفهومهما بجواز صدق المفهومات المتعددة على ذات واحدة.

﴿وَتَرَكۡنَا فِيهَآ﴾ [الآية 37] في القرى أو الفعلة ﴿ءَايَةٗ﴾ [الآية 37] علامة ﴿لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ﴾ [الآية 37] فإنهم المعتبرون بها وهي تلك الأحجار أو ماء أسود منتن فيها ﴿وَفِي مُوسَىٰٓ﴾ [الآية 38] أي وفي موسى آيات بينات كاليد والعصا ونحوها من معجزات ﴿إِذۡ أَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ﴾ [الآية 38] بحجة ظاهرة قاهرة.

﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكۡنِهِۦ﴾ [الآية 39] فاعرض بنفسه عن الإيمان به كقوله تعالى: ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ [الإسراء: الآية 83] أو فتولى بما كان يتقوى به من جنده ﴿وَقَالَ سَٰحِرٌ﴾ [الآية 39] أي هو ساحر مفتون ﴿أَوۡ مَجۡنُونٞ﴾ [الآية 39] ذو فنون.

﴿فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ﴾ [الآية 40] ألقيناهم في البحر وأغرقناهم من القهر ﴿وَهُوَ مُلِيمٞ﴾ [الآية 40] آت بما يلام عليه من العناد في الكفر.

﴿وَفِي عَادٍ إِذۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ ﴿٤١﴾﴾ [الآية 41] فأهلكتهم واستأصلتهم

وهي الدبور أو الجنوب أو النكباء.

﴿مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ﴾ [الآية 42] أي مرّت عليه مما أُمرت به ﴿إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾ [الآية 42] كالرماد القديم.

﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾﴾ [الآية 43] تفسيره قوله تعالى: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ [هود: الآية 65].

﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ [الآية 44] فاستكبروا عن امتثال الطاعة ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ [الآية 44] أي العذاب المعهود بعد الثلاث الموعود وقرىء الكسائي الصعقة وهي المرة من الصعق بمعنى الصيحة والصاعقة لا يخلو من / الصعقة 184/ أ
ولعله وقع بهما العقوبة ﴿وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ [الآية 44] إليها فإنها كانت كشعلة من النار جاءتهم معاينة بالنهار.

﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ﴾ [الآية 45] عن مقامهم كقوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ [الأعراف: الآية 78]، ﴿وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ﴾ [الآية 45] ممتنعين.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾ [الآية 46] أي أذكرهم أو أهلكناهم وقرأ أبو عمر وحمزة والكسائي بالجر أي وفي قوم نوح ﴿مِن قَبْلُ﴾ [الآية 46] قبل هؤلاء المذكورين ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [الآية 46] خارجين عن الاستقامة بالكفر والمعصية.

﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيدٍ﴾ [الآية 47] بقوة ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الآية 47] أي بينها وبين الأرض سعة أو أغنياء قادرون أو لموسعون السماء أو رزق الأغنياء والأولياء.

﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا﴾ [الآية 48] مهدناها لتستقروا عليها ﴿فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾ [الآية 48] نحن دلَّ بهذا على كمال قدرته وعلى تمام نعمته ورحمته.

﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الآية 49] من الأجناس ﴿خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الآية 49] نوعين ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الآية 49] فتعلمون أن التعدد من خواص الممكنات وأن الواجب بالذات لا تغفل التعدد والانقسامات.

﴿فَفِرُّوا﴾ [الآية 50] من عقابه وأليم عذابه ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ [الآية 50] بالإيمان به وملازمة كتابه أو ففروا إلى الله مما سواه.

قال الصادق: لينظر الموحد للاعتبار فيراها أزواجاً مثاني ونحوها فيفر منها فيرجع إلى الواحد الأحد ليصح له التوحيد ويظهر له سر التفريد.

وقال محمد بن حامد: حقيقة الفرار ما روي عن النبي المختار أنه قال: «وألجأت ظهري إليك»(1).

وما روي عنه أنه قال: «أعوذ بك منك»(2) وهذا غاية الفرار منه إليه.

وأفاد الأستاذ: أن الزوجين كالذكر والأنثى وكالحركة والسكون والبياض والسواد وسائر أصناف التضاد ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ [الآية 50] أي ارجعوا إلى الله والإشارة بإحدى حالتين إما حالة رغبة في شيء أو حالة رهبة من شيء أو حال خوف أو رجاء أو حال جلب نفع أو دفع ضر في الحالتين ينبغي أن يكون فراره إلى الله فإن النافع والضار هو الله ويقال: من صح فراره إلى الله صح فراره مع الله ويقال: يجب على العبد أن يفر من الجهل إلى العلم ومن الهوى إلى الهدى ومن الشك إلى اليقين ومن الشيطان إلى الرحمٰن ومن فعله الذي هو/ 184/ب بلاؤه إلى فعله الذي هو كفايته ومن وصفه الذي هو سخطه إلى صفته التي هي رحمته ومن نفسه حيث قال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ﴾ [آل عمران: الآية 28] إلى نفسه حيث قال:﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ﴾ [الآية 50] أي من عذابه لمن أشرك به ﴿نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾ [الآية 50] بين أنه من عنده بالمعجزات الظاهرة والآيات الباهرة أو مبين ما يجب أن يحذر عنه في أمر الدين.

﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ﴾ [الآية 51] إفراداً لأعظم ما يجب أن يفر منه ﴿إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ﴾ [الآية 51] تكرير لتأكيد التقرير أو الأول مرتب على ترك الإيمان والإحسان والثاني على الإشراك والكفران.

---

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (247)، ومسلم في الصحيح (2710/ 56).
(2) أخرجه الحاكم في المستدرك (1/ 449) رقم (1150)، والطبراني في المعجم الأوسط (7/ 141) رقم (7106)، والنسائي في السنن الكبرى (1/ 452) رقم (1444)، وابن أبي شيبة في المصنف (2/ 99) رقم (6943).

﴿كَذَٰلِكَ﴾ لأمـــــر ﴿مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ﴿٥٢﴾﴾ [الآية 52] فيه تسلية له عليه السلام ووعيد لمن طعن فيه من الأنام.

﴿أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ﴾ [الآية 53] أي كأنّ الأولين والآخرين أوصى بعضهم بعضاً بهذا القول حتى قالوه أجمعين ﴿بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ﴾ [الآية 53] أي إضراب عن الله أن التواصي جامعهم لتباعد أيامهم إلى أن الجامع لهم على هذا البيان مشاركتهم في الطغيان.

﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ﴾ [الآية 54] فأعرض عن المجادلة بعد ما كررت عليهم الدعوة الشاملة فأبوا إلّا الإصرار والعناد في المعاملة ﴿فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٖ﴾ [الآية 54] على الإعراض عنهم بعدما بذلت جهدك في البلاغ من غير الإعراض منهم.

﴿وَذَكِّرۡ﴾ [الآية 55] داوم على التذكير والموعظة ﴿فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الآية 55] من آمن فإنه يزداد به التبصرة أو من قدر الله إيمانه فإنه حقيق بالتذكرة.

وقال الأستاذ: وذكر العاصين شدة عقوبتي ليرجعوا عن مخالفتي وذكر المطيعين جزيل مثوبتي ليزدادوا في طاعتي وعبادتي وذكر العارفين ما صرفت عنهم من بلائي ووجهت إليهم من ولائي وذكر الأغنياء ما أبحت لهم من إحساني وعطائي وذكر الفقراء ما أوجبت لهم من صرف الدنيا عنهم وأعددت لهم من لقائي.

﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ﴾ من حيث الجنس ﴿إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الآية 56] أي ليعرفون كما روي عن ابن عباس وغيره ويؤيده ما روي من الحديث القدسي: «كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أُعرف فخلقت الخلق لأُعرف»[(1)]/ ومعرفة الله 185/ أ للكل موجودة في الجملة وإن كان الأمر كما قال ابن عطاء: أي إلا ليعرفون ولا يعرفه حقيقة من وصفه بما لا يليق به وقيل معناه: إلا لنأمرهم بالعبادة وقد أمرهم

(1) كشف الخفا (2/ 132) رقم (2016).

بها كذا قاله الماتريدي[1]، وهو مروي عن علي كرم الله وجهه إلا ليكونوا عباداً لي بحسب الإرادة[2]. والأظهر أن أل فيهما للعهد لا للجنس كما يدل عليه ظاهر قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾ [الأعراف: الآية 179]، وكما يشير إليه حديث: «خلقت هؤلاء للجنة ولا أبالي وخلقت هؤلاء للنار ولا أبالي»[3].

وكما أفاد الأستاذ في المعنى: المراد بقوله يعني الذين اصطفتهم في إزالي وخصصتهم اليوم بحسن إقبالي ووعدت لهم جزيل إفضالي ما خلقتهم إلا ليعبدون والذين سخطت عليهم في إزالي وربطتهم اليوم بالخذلان فيما كلفتهم من أعمالي وخلقت النار لهم بحكم إلهيتي ووجوب حكمي في سلطاني ما خلقتهم إلا لعذابي وإنكالي وما أعددت لهم من سلاسلي وأغلالي.

﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ﴾ [الآية 57] لأنفسهم أو لغيرهم ﴿وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ [الآية 57] بأن أصرفهم في أمر رزقي فينبغي أن يشتغلوا بما هم له كالمخلوقين أو المأمورين والمراد بيان أن شأنه سبحانه مع عباده ليس كعادة السادة مع عبيدهم فإنهم إنما يملكونهم ليستعينوا به في تحصيل معاشهم وتكميل مرادهم.

﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ﴾ [الآية 58] الذي يرزق كلما يفتقر إلى الرزق ﴿ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الآية 58] شديد الهفوة حيث لا حاجة له إلى ما يتقوى به من المكنة.

وفي «تفسير السلمي» قيل: اعتبروا كيفية الأرزاق باللبيب الطالب وقلد رزقه لديه والطفل العاجز وتواتر الأرزاق عليه لتعلموا أن الرزق طالب وليس مطلوب و﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الآية 58].

---

(1) والأقرب: الأشاعرة.

(2) انظر تفسير النسفي (4/ 182).

(3) أخرجه أبو يعلى في المسند (6/ 144) رقم (3422).

﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ [الآية 59] رسوله بالتكذيب ﴿ذَنُوبًا﴾ [الآية 59] نصيباً من التعذيب ﴿مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ﴾ [الآية 59] مثل نصيب أضرابهم من الأمم السالفة ﴿فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ﴾ [الآية 59] من عذابهم فإنه لا يفوتهم أو جواب لقولهم متى هذا الوعد ويؤيده قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الآية 60] من يوم القيامة أو يوم بدر ونحوه من الوقيعة.

185/ ب

/سورة الطور

[مكيّة]

وهي تسع[1] وأربعون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله كلمة ما استولت على قلب عارف إلا هيمته بكشف جلاله، وما استولت على قلب مستأنف إلا أكرمته بلطف إفضاله، فهي كلمة قهارة للقلوب ولكن لا لكل قلب، مذهبة للكروب ولكن لا لكل كرب.

﴿وَٱلطُّورِ ۝١﴾ [الآية 1] أي طور سينين ويقال له طور سيناء وهو جبل بمدين سمع فيه موسى عليه السلام كلام الله تعالى أو المراد ما طار من أوج الإيجاد إلى حضيض المواد.

وقال الأستاذ: أقسم الله بالطور لأنه محل قدم الأحباب وقت سماع الخطاب.

﴿وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢﴾ [الآية 2] مكتوب منظور وعلى القرآن المخطوط أو اللوح المحفوظ أو كما يكتبه الحفظة أو ما كتبه الله في قلوب أوليائه من المعرفة والحكمة وقيل: ما كتبت على نفسه الرحمة.

﴿فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣﴾ [الآية 3] جلد يكتب فيه منظوم ومنشور.

﴿وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ۝٤﴾ [الآية 4] يعني الكعبة وعمارتها بالحجاج

(1) ثلاث في المخطوط.

والمعتمرين والمجاورين أو الصراح وهو في السماء وعمرانه كثيرة غشيته من الملائكة المقربين أو قلب المؤمن وعمارته بالمعرفة والمحبة والصدق والإخلاص واليقين في الدين وقيل: هي أمكنه العارفين ومواضع عبادتهم ومحابس خلواتهم.

﴿وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ۝٥﴾ [الآية 5] أي السماء وقيل: سماءهم الأولياء في عالم الكبرياء.

﴿وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ۝٦﴾ [الآية 6] أي البحار المملوءة أو هو المحيط أو الموقد من قوله وإذا البحار سجرت روي أن الله تعالى يجعل يوم القيامة البحار ناراً تسجر بها جهنم.

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ۝٧﴾ [الآية 7] نازل لا يمكن رفعه.

﴿مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٖ ۝٨﴾ [الآية 8] ليس أحد يدفعه ووجه دلالة هذه الأمور المقسم بها على جوابها أنها أمور بدل على كمال قدرته وجمال حكمته وصدق أخباره وضبطه عمل العبد وأثاره.

وأفاد الأستاذ: أن عذابه في الظاهر ما توعد به عباده العاصين وفي الباطن الحجاب بعد الحضور والستر بعد الكشف والظهور والرد بعد القبول ما له من دافع إذا رد عبداً أبرم القضاء برده كما قيل:

إذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكد إليه بوجه آخر الدهر تقبل

﴿يَوۡمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوۡرٗا ۝٩﴾ [الآية 9] فتضطرب بما فيها اضطراباً ويتردد ذهاباً وإياباً.

﴿وَتَسِيرُ ٱلۡجِبَالُ﴾ [الآية 10] عن أماكنها إلى جانب الهواء ﴿سَيۡرٗا﴾ [الآية 10] فتصير كالهباء ﴿فَوَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۝١١﴾ [الآية 11]. / أي إذا وقع ذلك فهلاك لهم أي فويل لهم ثم ويل لهم. 186/ أ

﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي خَوۡضٖ﴾ [الآية 12] في باطنهم ﴿يَلۡعَبُونَ﴾ [الآية 12] يشتغلون ويلهون عما خلقوا لأجله من طريق الحق وسبيل الصدق.

﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ۝١٣﴾ [الآية 13] يدفعون إليها دفعاً عنيفاً بأن يغلّ أيديهم إلى أعناقهم ويجمع نواصبهم إلى أقدامهم ويقال لهم.

﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ۝١٤﴾ [الآية 14].

﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ﴾ [الآية 15] أي كنتم تقولون للوحي هذا سحر فهذا المصداق أيضاً سحر وتقديم الخبر لأنه المقصود بالإنكار والتوبيخ ﴿أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ [الآية 15] هذا في العقبى كما كنتم لا تبصرون في الدنيا ما يدل على هذا المعنى وهو تقريع لهم وتهكم بهم أو سد أبصاركم هنا أيضاً كما سدت في الدنيا على زعمكم حين قلتم إنما سكرت أبصارنا.

﴿ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ﴾ [الآية 16] أي ادخلوها على أي وجه شئتم من الصبر وعدمه فيها فإنه لا محيص لهم عنها ﴿سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية 16] أي الأمران من الصبر وعدمه سيان ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الآية 16] من الطاعة والعصيان.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ۝١٧﴾ [الآية 17] مخصوصة بهم عاجلاً وآجلاً.

﴿فَٰكِهِينَ﴾ [الآية 18] ناعمين متلذذين معجبين ﴿بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾ [الآية 18] أي بما أعطاهم من النعيم ﴿وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الآية 18].

﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا﴾ [الآية 19] أي أكلاً وشرباً هنياً أو إطعاماً وشراباً هنياً وهو الذي لا تنغيص فيه ولا تنقيص ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الآية 19] بسببه أو بدله.

وقال الأستاذ: قوم يصير ذلك لهم هنياً بطعمه ولذته وقوم يصير هنياً لهم بسماع قول عنهم أو لتناولهم بمشهد منه.

﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ﴾ [الآيـة 20] مـصـطـفـة ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الآية 20] أي قرناهم بهن وجعلناهم مستأنسين بسببهن. قال الأستاذ:

يـظـلـون فـي سـرور وحـبـور ونصيب من الإنس موفور[1]

---

(1) ذكره القشيري في تفسيره (7/ 315).

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الآية 21] مبتدأ خبره ألحقناهم بهم وقوله ﴿وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ﴾ [الآية 21] اعتراض لتعليل إلحاقهم وقرأ ابن عامر ذرياتهم للمبالغة في كثرتهم وقرأ أبو عمرو وأتبعناهم ذرياتهم أي جعلناهم تابعين لهم في الإيمان ومراتب الإحسان ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الآية 21] في دخول الجنة أو حصول الدرجة لما روي مرفوعاً إن الله يرفع ذرّية المؤمن في درجته وإن كانوا دونه لتقرَّ بهم عينه ثم تلا هذه / الآية وقرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر ذرياتهم ﴿وَمَآ 186/ ب أَلَتْنَٰهُم﴾ [الآية 21] وقرأ ابن كثير بكسر اللام ما نقضنا بهذا الإلحاق ﴿مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ﴾ [الآية 21] بل كان من كمال فضلنا ومن جمال لطفنا ﴿كُلُّ ٱمْرِيٍٕ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الآية 21] بعمل نفسه مرهون عند ربه فإن عمل صالحاً فكها وإلا أهلكها.

﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ﴾ [الآية 22] ما يتخيرون ﴿وَلَحْمٍ﴾ من طير وغيره ﴿مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الآية 22] أي وزدناهم وقتاً بعد وقت ما يشاؤون من أنواع النعمة وأصناف المنحة.

﴿يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا﴾ [الآية 23] يتعاطون هم وجلساؤهم ﴿كَأْسًا﴾ [الآية 23] خمراً سماها باسم محلها ولذا أنّث الضمير في قوله ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ [الآية 23] أي لا يتكلمون بلغو الحديث في أثناء شربها ولا يفعلون ما يؤثم فاعله بها كما هو عادة الشاربين بها في الدنيا وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتحها.

وأفاد الأستاذ: أن شربهم لا يذهب بعقولهم فيجري بينهم ما يخرج عن حد الأدب والاستقامة وكيف لا يكون مجلسهم وبهذه الصفة ومن المعلوم أنه من يسقيهم ويمهد من جلوسهم وعلى روية من شربهم.

هذا وفي «تفسير السلمي» قال ابن عطاء: أي لغو يكون في مجلس عدن والساقي فيه الملائكة وشربهم على ذكر ربهم وريحانهم تحية من عند حبهم وسكرهم على المشاهدة والقوم جلساء الله.

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية 24] يدور على رؤوسهم بكؤوسهم أو حولهم للخدمة أو الآنسة ﴿غِلْمَانٌ لَّهُمْ﴾ [الآية 24] أي مماليك مخصوصون بهم وقيل: هم أولادهم الذين سبقونهم أو أولاد الكفار الذين لحقوهم ﴿كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ﴾ [الآية 24]

من بياضهم وصفاتهم ﴿مَّكْنُونٌ﴾ [الآية 24] مصونٌ من الغبار ولمس الأغيار وعنه عليه السلام والذي نفسي بيده إن فضل المخدوم على الخادم، كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب[1].

وأفاد الأستاذ: أن القوم عن الدار وعن من في الدار مختطفون باستيلاء ما يستغرقهم فالشراب يؤنسهم ولكن لا بمن يجانسهم، وإذا كان اليوم للعبد وهو في السجن في طول عمره ساعة لا مساغ لِسماع خطاب الأغيار فيه لا لشهود واحد من المخلوقين وإن كان ولداً شفيقاً أو أخاً شقيقاً فمن المحال أن يظن أنه يرد من الأعلى إلى الأدنى إن كان من أهل القبول والجنة ولا
187/أ يكون / غداً موسوماً بالشقاوة انتهى. ولا يخفى أن أهل الجنة ترتفع عنهم الغفلة فيكونون دائماً في مقام الجمع الذي ليس فيه المنع فلا الكثرة تشغلهم عن الوحدة ولا الوحدة تمنعهم عن الكثرة كما هو حال أرباب الكمال في الدنيا من الأنبياء والأصفياء نعم يترفعون من هذا الصفاء إلى غاية الضياء ومن هذا الفناء إلى نهاية البقاء كما تقتضيه دار البقاء.

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الآية 25] منهم ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾ [الآية 25] عن ما كان لهم من أحوالهم وأعمالهم.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا﴾ [الآية 26] في الدنيا ﴿مُشْفِقِينَ﴾ [الآية 26] وجلين من عاقبة العقبى أو خائفين من معصية الله ومخالفته معتنين بطاعته وعبادته.

﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾ [الآية 27] بتحقيق رحمته أو بتوفيق خدمته ﴿وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ [الآية 27] حفظنا عذاب النار النافذة في المسام نفوذ السم.

قال ابن طاهر: من علينا بإحسانه إلينا بأن جعلنا من أهل دار كرامته ووقانا من دار إهانته.

وقال الأستاذ: لولا أنهم قالوا: فمن الله علينا لكانوا قد لاحظوا

(1) ذكره الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار للكشاف (3/ 373) رقم (1261).

إشفاقهم ولكن الحق اختطفهم عن شهود إشفاقهم من غير خلافهم حيث أشهدهم منته عليهم وتحسين أخلاقهم حتى قالوا: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ [الآية 27].

﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ﴾ [الآية 28] قبل ذلك في الدنيا ﴿نَدۡعُوهُۖ﴾ [الآية 28] نعبده أو نسأله الوقاية ونطلبه ﴿إِنَّهُۥ﴾ [الآية 28] عطف على إنا قبله وقرأ نافع والكسائي بالفتح أي لأنه ﴿هُوَ ٱلۡبَرُّ﴾ [الآية 28] كثير البر والمنة ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ [الآية 28] عظيم الرحمة والنعمة.

﴿فَذَكِّرۡ﴾ [الآية 29] فأثبت على التذكير ولا تكترث لقول أهل النكير ﴿فَمَآ أَنتَ بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ﴾ [الآية 29] بحمده وإنعامه ﴿بِكَاهِنٖ﴾ [الآية 29] كما يتوهمون ﴿وَلَا مَجۡنُونٍ﴾ [الآية 29] كما يظنون.

وقال الأستاذ: أي أنهم علموا أنه ليس بك كهانة ولا جنون وإنما قالوه على جهة الاستفتاء كالسفهاء إذا بسطوا لسانهم فيمن يسبونه بما يعلمون أنه منه البراء.

﴿أَمۡ يَقُولُونَ شَاعِرٞ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ ٣٠﴾ [الآية 30] ما يعلق النفوس من حوادث الدهر كالفوت والموت.

﴿قُلۡ تَرَبَّصُواْ﴾ [الآية 31] انتظروا هلاكي ﴿فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُتَرَبِّصِينَ﴾ [الآية 31] هلاككم وفي المعية إيماء إلى أنه عليه السلام يبقى أبعدهم في القضية فقد قال الأستاذ: جاء في التفسير أن جميعهم ماتوا ولا ينبغي لأحد أن يؤمل نفاق سوقه لديه بموت أحد تنتهي النوبة إليه/ فقل من تكون هذه صفته الأسبقية 187/ ب
المنية ولا يدرك ما تمناه من الأمنية.

﴿أَمۡ تَأۡمُرُهُمۡ أَحۡلَٰمُهُم﴾ [الآية 32] عقولهم ﴿بِهَٰذَآ﴾ [الآية 32] التناقض في مقولهم فإن الكاهن يكون ذا فطنة ودقة نظر في مقامه والمجنون مغطى عقله مخبط كلامه غير مرتبط مرامه والشاعر ذا كلام موزون مجتمع مخيل ولا يتأتى ذلك من مجنون مخبل وأمر الأحلام مجاز عن تأديتها إلى هذا الكلام ﴿أَمۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ﴾ [الآية 32] مجازون الحد في العناد والمعنى أم طغيانهم حملهم على هذا الفساد.

﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ﴾ [الآية 33] اختلقه من تلقاء نفسه ﴿بَل لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 33] لعدم تأملهم في حديث قدسه.

﴿فَلْيَأْتُواْ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ﴾ [الآية 34] أي بما له شبه به في معناه أو لفظه ﴿إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ﴾ [الآية 34] في أنه من عنده فإنهم بلغاء وفصحاء عربيون من جنسه.

﴿أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ [الآية 35] أم أحدثوا وقدروا من غير محدث ومقدر فلذا لا يعبدونه ﴿أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ [الآية 35] لأنفسهم فلذا لا يطيعونه.

﴿أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الآية 36] فتوهموا الربوبية وامتنعوا عن العبودية ﴿بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ [الآية 36] مراتب الألوهية.

﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ﴾ [الآية 37] خزائن رزقه حتى يرزقوا النبوة من شاءوا من خلقه ﴿أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾ [الآية 37] وقرأ قنبل وهشام وحفص المسيطرون الغالبون على الأشياء فكل منهم يدبر ما شاء.

﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ﴾ [الآية 38] مرتقى إلى السماء العلى ﴿يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ [الآية 38] إلى كلام الملأ الأعلى فيعلموا ما هو كأين في الدنيا أو العقبى ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ [الآية 38] ببرهان ظاهر ودليل باهر على صدق استماعه منهم.

﴿أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ﴾ [الآية 39] كالملائكة على ما تكرهون ﴿وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ﴾ [الآية 39] كما تشتهون.

﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا﴾ [الآية 40] أجرة على تبليغ الرسالة ﴿فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ﴾ [الآية 40] من التزام غرامة ﴿مُّثْقَلُونَ﴾ [الآية 40] محمّلوا الثقالة فلذا زهدوا في المتابعة.

﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ﴾ [الآية 41] علمه من اللوح المحفوظ ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الآية 41] ينقلون منه ما يريدون من الأمر المحفوظ.

﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾ [الآية 42] بصاحب النبوة كما مكروا في دار الندوة ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الآية 42] منهم ومن غيرهم ﴿هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ﴾ [الآية 42] أي

الذين يحيق المكيد بهم أو يعود عليهم وبال مكرهم إما في الدنيا وإما في العقبى.

﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِۚ﴾ [الآية 43] يعطيهم من ثوابه أو يحرسهم من عذابه
﴿سُبْحَٰنَ/ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الآية 43] عن إشراكهم به. 188/ أ

﴿وَإِن يَرَوْاْ كِسْفًا﴾ [الآية 44] قطعاً ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا﴾ [الآية 44] عليهم ﴿يَقُولُواْ﴾ [الآية 44] من فرط طغيانهم وغاية عنادهم ﴿سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ [الآية 44] هذا سحاب تراكم بعضها على بعض في جو الهواء وهو جواب قولهم فأسقط علينا كسفاً من السماء والمعنى أنهم وإن رأوا كل آية لا يؤمنوا بها حتى يروا العذاب الأليم كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الحجر: الآية 14] حتى شاهدوا بالمعاينة ﴿لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا﴾ [الحجر: الآية 15] في الملاحظة وليس هذا من العيان والمشاهدة.

﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الآية 45] أي يموتون وهو عند النفخة الأولى أو القيامة الصغرى وقرأ ابن عامر وعاصم على المبنى للمفعول من صعقة أو أصعقة.

﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾ [الآية 46] أي من الإغناء في رد البلاء ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [الآية 46] يمنعون من عذابنا بمساعدة أهل الولاء.

﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ [الآية 47] منهم ومن غيرهم ﴿عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [الآية 47] أي دون عذاب الآخرة وهو عذاب القبر أو المؤاخذة في الدنيا كالقتل والسبي وما نزل بهم من الهوان والخزي ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 47] ذلك الحال والمآل.

﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ [الآية 48] بإيقاعهم وإبقائك في عنائهم ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَاۖ﴾ [الآية 48] في حفظنا بحيث نراك ونحرسك وجمع العين لجمع الضمير للعظمة والمبالغة بكثرة أسباب المحافظة.

قال الأستاذ: ولقد خفف عليه مقاساة الصبر لديه بما أخبره بقوله: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَاۖ﴾ [الآية 48].

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [الآية 48] تؤيد القيام أو من المنام أو إلى عبادة الملك العلام.

﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ [الآية 49] فإن العبادة فيه أشق الأشياء علي وأبعد عن الرياء ﴿وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ [الآية 49] وإذا أدبرت النجوم من آخر الليل والمراد به السهر وقت السحر.

سورة النجم

[مكيّة]

وهي اثنتان[1] وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الأستاذ: بسم الله اسم رحيم يحلم فيما يعلم ويستر ما يبصر ويغفر وعلى العقوبة يقدر ويرى ويخفي ويعلم ولا يبدي.

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١﴾ [الآية 1] أقسم بجنس النجوم في السماء أو الثريا إذا غرب أو انتثر واضطرب يوم القيامة أو طلع وصعد وعلا أو بالنجم من نجوم القرآن إذا نزل من السماء أو النبات إذا سقط على الأرض أو ارتفع ونما/ . 188/ ب

وقال ابن عطاء: أقسم بنجوم المعرفة وضيائها والاهتداء بها وقيل: أقسم بالنبي عليه التحية والثناء عند انصرافه من السماء وهو الملائم لقوله: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ [الآية 2] ما عدل عن الطريق المستقيم ﴿وَمَا غَوَىٰ﴾ [الآية 2] وما اعتقد باطلاً في الدين القويم.

وقال الصادق: ما ضل عن قربه طرفة عين.

وقال سهل: ما ضل عن حقيقة التوحيد في حال ولا تبع الشيطان في قال: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣﴾ [الآية 3] ما يصدر نطقه بالقرآن عن الهوى.

﴿إِنْ هُوَ﴾ [الآية 4] أي الذي ينطق به من الهدي ﴿إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [الآية 4] يوحيه إليه المولى.

---

(1) إحدى في المخطوط.

﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥﴾ [الآية 5] ملك شديد قواه وهو جبريل عليه السلام فإنه الواسطة في إبداء خوارق العادة روي أنه قلع قرى قوم لوط ورفعها إلى السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فأصبحوا جاثمين.

وقال الصادق: كيف ينطق عن الهوى من هو ناطق بإظهار الهوى من التوحيد وإتمام الشريعة والطريقة وإكمال الحقيقة وإيجاب الأمر بالطاعة وإثبات النهي عن المعصية بل ما نطق إلا بأمر فكان أمره قرباً ونهيه أدباً.

﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ [الآية 6] ذو قوة في عقله ودراية ﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾ [الآية 6] فاستقام على صورته الحقيقة التي خلقه الله تعالى عليها قيل: ما رآه أحد من الأنبياء في صورته غيره عليه التحية والثناء.

﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧﴾ [الآية 7] أفق السماء والضمير لجبريل أو له عليهما السلام.

﴿ثُمَّ دَنَا﴾ [الآية 8] أي قرب النبي من المولى ﴿فَتَدَلَّىٰ﴾ [الآية 8] من الأفق الأعلى ودنوه منه بترفع مكانته وتدليه جذبه عن مرتبته.

قال الصادق: انقطعت الكيفية عن الدنو لأن الله حجب جبريل من دنوه منه.

قال أيضاً: دنا محمد صلى الله عليه وسلم إلى ما أودع في قلبه من المعرفة والسكون والطمأنينة فتدلى بسكون قلبه إلى ما أدناه وزال عن قلبه جميع ما هواه.

وقال الواسطي: دنا محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى الحجاب حتى جاء إلى غيره من الحجاب فما زال الحجب تدلى وانكشف عنه صلى الله عليه وسلم حتى وصل إلى ما أشار إليه بقوله.

﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ [الآية 9] وأفاد الأستاذ: أن تدلى بمعنى دنا المعنى ثم دنا فتدنا وقيل: دنا محمد من ربه دنو الكرامة فتدلى: هوى إلى
192/أ السجود والطاعة فكان بينه وبين ربه قاب قوسين قدرهما أو أدنى/ بل أدنى

وأقرب من دنوهما لأنه دنو الكرامة لا دنو المسافة.

وأفاد الأستاذ: أنه كان من عادتهم إذا أرادوا تحقيق الألفة ألصق أحدهم قوسه بقوس صاحبه عبارة عن عقد الموالاة بكمال قربه فنزل هذا الخطاب على مقتضى معهودهم في تأكيد معقودهم.

﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [الآية 10] فيه تفخيم للوحي حيث أجمله إجمالاً ولم يطلع عليه أحداً وقيل: من جملة ما قال له: ألم أجدك يتيماً فآويتك ألم أجدك ضالاً فهديتك ألم أجد عائلاً فأغنيتك ألم أشرح لك صدرك وألم أضع عنك وزرك وألم أرفع لك ذكرك وقيل: أوحى إليه أن الجنة محرمة على الأنبياء حتى تدخلها وعلى الأمم حتى تدخل أمتك والأظهر أن يكون من جملة ما أوحي وجوب الصلاة الخمس وتقريرها بعد الأمر بالخمسين ونحوها في تدريج تحريرها.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه رقاه إلى ما رقاه ولقاه بما لقاه وأدناه حتى لا دنو سواه وأخذه عنه حتى لا غير في عينه مما عداه وأصحابه له في غير ما محاه عنه.

﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾﴾ [الآية 11] ببصره من صورة جبريل أو تجلي الرب الجليل والمعنى ما كذب الفؤاد بصره بما حكاه له من نظره فإن الأمور القدسية تدرك أولاً بالقلب ثم تنتقل منه إلى بصر القالب أو ما كذب فؤاده ما رآه بقلبه والمعنى لم يكن تخييلاً في حقه ويدل عليه أنه عليه السلام سئل هل رأيت ربك؟ قال: «رأيت بفؤادي»[(1)]. وقرأ هشام ما كذب بالتشديد أي صدقه ولم يشك فيه والمعنى ما كذب فؤاده ما رآه ببصره من الآيات أو التجليات.

وقال الصادق: لا يعلم أحد ما رأى إلا الذي رأي والذي أرى.

﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ﴾ [الآية 12] أفتجادلونه ﴿عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ [الآية 12] وقرأ حمزة

---

(1) أورده ابن كثير في تفسيره (7/ 449)، والقرطبي في تفسيره (17/ 92)، والبيضاوي في تفسيره (1/ 254).

والكسائي أفتمرونه أي افتغلبونه في المراء أو أفتجحدونه.

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [الآية 13] أي جبريل في صورته الأصلية فقد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم رآه مرتين في الأفق الأعلى وأخرى عند سدرة المنتهى التي ينتهي علم الخلائق وأعمالهم إليها أو ما ينزل من فوقها ويصعد من تحتها ولعلها شبهت بالسدرة وهي شجرة النبق لأنهم يجتمعون في ظلها وروي مرفوعاً إنها في السماء السابعة(1) أو المعنى أنه عليه السلام رأى ربه مرة أخرى
189/ب / ولعل إحداهما وقت الإقبال وآخرهما حال الارتحال أو مرة بالبصر وأخرى بالبصيرة والأخيرة.

﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾﴾ [الآية 14] وهي منتهى مقامات الورى ولا يعلم ما وراءها إلا المولى.

﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾﴾ [الآية 15] الجنة التي يأوي إليها الأتقياء وأرواح الشهداء.

﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾﴾ [الآية 16] تعظيم وتكثير لما يغشاها بحيث لا يكتنهها حد ولا يحصيها عدد وقيل: يغشاها جماعة من الملائكة ويأتون فيها من أنواع العبادة.

﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [الآية 17] أي ما مال بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم عما رآه وما جاوز إلى ما وراءه.

وقال الأستاذ: أي ما مال بصره عما أبيح له النظر من الآيات والعبر وما جاوز ما حد له وراعى شرط الأدب في قرب حضرة الرب.

﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ [الآية 18] أي والله لقد رأى ليلة الإسراء الكبرى من غرائبه الملكية وعجائبه الملكوتية.

---

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (3207)، والحاكم في المستدرك (1/ 154) رقم (271)، وأبو يعلى في المسند (5/ 460) رقم (3185).

وقال ابن عطاء: رأى الآيات ولم تكبر في عينه لكبر همته وعلو محله.

وقال الأستاذ: هي ثبات بقائه في حال لقائه ربه سبحانه وهي أكبر الآيات الدالّة على حفظه إياه وهوانه أبقاه بوصف الصحو حتى رأى الله.

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾ [الآيتان 19،20] هي أصنام كانت لهم فاللات لثقيف بالطائف أو لقريش بنخلة وهي فعلة من لوي لأنهم كانوا يلوون عليها أي يطوفون حواليها والعزى سمرة لغطفان كانوا يعبدونها فبعث إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها[1]، وهو تأنيث الأعز باعتبار أصلها ومناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة وهي فعلة من منات إذا أقطعه فإنهم كانوا يذبحون القرابين عندها ومنه منا وقرأ ابن كثير مناة لزيادة الهمزة ومن مفعلة من النو كأنهم يستمطرون الأنواء عندها تبركاً بها وقوله الثالثة الأخرى صفتان للتأكيد كقوله تعالى: ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام: الآية 38] أو الأخرى من التأخر في الرتبة عن الأوليين عندهم.

﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [الآية 21] إنكار لقولهم الملائكة بنات الله وهذه الأصنام استوطنها جنيات هن بناته أو هياكل الملائكة وهو المفعول الثاني لقوله: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ﴾ [الآية 19].

قال الأستاذ: معنى الآية أخبرونا هل هذه الأصنام التي تعبدونها من دون / الله من القدرة أن تفعل بعابديها ما فعلنا بمحمد صلى الله عليه وسلم من 190/ أ
الرتب والتخصيص ثم وبخهم فقال: أرأيتم هذه الأصنام والملائكة التي تعبدونها من دون الله أنتم تختارون لأنفسكم كيف نسبتم البنات إلى الله سبحانه وتعالى.

﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾﴾ [الآية 22] جائرة فإنها فعلى من الضيز وهو الجور كسر فاؤه لتسلم ياؤه فإن فعلى بالكسر لم تأت وصفاً وقرأ ابن كثير بالهمزة على أنه مصدر نعت به من ضازه إذا ظلمه.

﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ﴾ [الآية 23] الضمير للأسماء المذكورة فإنهم كانوا

(1) أخبار مكة للأزرقي (1/ 172) رقم (143).

يطلقون اللات عليها باعتبار استحقاقها للعكوف على عبادتها والعزى لعزتها ومناة لاعتقادهم أنها تستحق التقرب إليها بذبح القرابين لديها ﴿سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ﴾ [الآية 23] سميتم بها على ما اقتضى أهواكم ﴿وَءَابَآؤُكُم﴾ [الآية 23] أسلافكم ﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍۚ﴾ [الآية 23] برهان وحجة تتعلقون بها وتعتمدون عليها ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ [الآية 23] التفات عنهم وإعراض منهم وليدخل غيرهم من المشركين معهم أي ما يتبعون إلا توهم إن ما هم عليه حق تقليداً وهو توهم باطل ليس تحته طائل ﴿وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُۖ﴾ [الآية 23] ويبتدعون ما تشتهيه أنفسهم الضالة من أنواع الجهالة.

قال جنيد: رأيت جماعة قد هلكوا بالتوهم أي توهموا أنهم عرفوه وهو قوله: إن يتبعون إلا الظن كذا ذكره السلمي.

وقال الأستاذ: كما أن ظن الكفار أوجب لهم الجهل والحيرة والحكم بالخطأ فكذلك في هذه الطريقة من عرج على أوصاف الظن لا يخطىء بشيء من الحقيقة ليس هذا الحديث إلا من حيث القطع والتحقق وإن نهارهم قد متع أي ارتفع وشمسهم قد طلعت أي ظهرت غاية الظهور وعلومهم أكثرها ضرورية فأما الظن الجميل بالله فليس من هذا الباب والقياس عاقبة الرجل عليه ليس من هذه الجملة إنما الظن المعلول في ذات الله وصفاته وأحكامه ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [الآية 23] الكتاب والسنة فأعرضوا عنه واتبعوا الهوى.

﴿أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [الآية 24] أي ليس له كل ما يتمناه والمراد نفي ظلمهم في شفاعة نحو اللات والعزى وقال بعضهم: لئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى.

﴿فَلِلَّهِ ٱلْـَٔاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾﴾ [الآية 25] يعطي منهما ما يشاء لمن يشاء وليس لأحد أن يتحكم عليه في شيء / من الأشياء. 190/ب

وقال الأستاذ: أي ليس له جميع ما يتمنى من طول الحياة والعافية وخصب العيش والرفاهية ما ليس له نهاية ولا يبلغ أحد هذه الحالة ويقال: إنما يتمنى الإنسان أي يقع مراده واجباً في كل شيء وهو ليس من صفات

الخلق بل الله هو الذي ما شاء كان ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡأٓخِرَةُ وَٱلۡأُولَىٰ ۝٢٥﴾ [الآية 25] خلقاً وملكاً وهو الملك التام فأما المخلوق فالنقص لازم له والهلك.

﴿وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ﴾ [الآية 26] لا تدفع ولا تنفع ﴿شَيۡـًٔا﴾ [الآية 26] من عقوبات أرباب السيئات ﴿إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ﴾ [الآية 26] في الشفاعة ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ [الآية 26] من الملائكة وأهل الطاعة أن يشفع أو من الناس أن يشفع له ﴿وَيَرۡضَىٰٓ﴾ [الآية 26] ويراه أهلاً لذلك فكيف تشفع الأصنام لعبدتهم هنالك.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ﴾ [الآية 27] كل واحد منهم ﴿تَسۡمِيَةَ ٱلۡأُنثَىٰ﴾ [الآية 27] بأن سموها بنات.

﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ﴾ [الآية 28] أي بما يقولونه ﴿مِنۡ عِلۡمٍۖ﴾ [الآية 28] عليه يعتمدون بل على مجردوهم يبنون ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ [الآية 28] ما يتبعون إلا الظن على زعمهم وهو الطرف الراجح عندهم وإن كان في الحقيقة هو وهم صدر عنهم ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ﴾ [الآية 28] ولو فرض وجوده ﴿لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا﴾ [الآية 28] أي بدله شيئاً من الإغناء فإن الحق الذي هو حقيقة الشيء لا يدرك إلا بالعلم الصاد عن الأدلة القطعية والظن لاعتبار له في المعارف اليقينية وإنما العبرة به في الأمور العملية وما يكون وصله إليها من المسائل الفقهية.

﴿فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ۝٢٩﴾ [الآية 29] لا تلتفت إلى من غفل عن الله وأمره وأعرض عن ذكره وشكره وانهمك في الدنيا وشيء ما وراءه من العقبى.

﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية 30] أمر الدنيا ﴿مَبۡلَغُهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِۚ﴾ [الآية 30] لا يتجاوزه علمهم ولا يتعداه همهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الآية 30] باختيار الدنيا واتباع الهوى ﴿وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱهۡتَدَىٰ﴾ [الآية 30] فاختار العقبى على الدنيا والهدي على الهوى والمولى على السوى قيل: ضيع وقته من اشتغل لموعظة أهل الدنيا من طالبيها والراغبين فيها لأن أحداً لا يقبل على الدنيا إلا بعد

الإعراض عن المولى كذا في «تفسير السلمي».

وقد قال بعض العارفين: من أحب الدنيا لا يقدر على هدايته جميع
المرسلين/. 191/أ

ومن تركها لم يقدر على إضلاله جميع الشياطين.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ ملكاً وملكاً ﴿لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ﴾ [الآية 31] بمثل أعمالهم ووفق أحوالهم ﴿وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَى﴾ [الآية 31] بالمثوبة الحسنى وهي الجنة ودرجاتها العلى، والمعنى خلق الأرض والسماء للجزاء وتمييز أرباب الضلالة عن أصحاب الاهتداء.

﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ﴾ [الآية 32] ما يكبر عقابه من الذنوب عموماً ﴿وَٱلۡفَوَٰحِشَ﴾ [الآية 32] ما فحش من الكبائر خصوصاً وهو ما يجب فيه الحد أو مظالم العباد أو العلانية وقرأ حمزة والكسائي كبير الإثم على إرادة الجنس أو الشرك فالمراد بالفواحش الكبائر.

قال ذا النون: ذكر الفاحشة من العارف كفعلها من غيره ﴿إِلَّا ٱللَّمَمَۚ﴾ [الآية 32] أي الصغائر فإنه مغفور من مجتنبي الكبائر بمقابلة طاعاتهم[1] وعباداتهم والاستثناء منقطع ومحل الموصول النصب على الصفة أو المدح ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ﴾ [الآية 32] فله أن يغفر ما يشاء من الذنوب صغيرها وكبيرها وعقب به وعيد المسيئين ووعد المحسنين لئلا ييأس صاحب الكبيرة من رحمته ولا يتوهم وجوب العقاب على الله في معصيته.

وفي الحديث:

«إن تغفر اللهم فاغفر جمّاً وأي عبد لك لا ألما»[2]

---

(1) في المخطوط: صاعاتهم، وهو تحريف.

(2) انظر المستدرك (1/ 122) رقم (181)، وتفسير القرطبي (20/ 54) وهو قول شاعر وليس بحديث. ومن نسبه إلى النبي ﷺ: الترمذي في الجامع الصحيح (5/ 396) رقم (3284)، والبيهقي في شعب الإيمان (5/ 392) رقم (7055).

وقد ورد: «اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبي ورحمتك أرجى عندي من عملي»(1).

وفي «تفسير السلمي»: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ [الآية 32] لمستغفره ولمن رأى التقصير في القيام بواجب أمره.

وأفاد الأستاذ: أن الذنوب كلها كبائر لأنها مخالفة أمر الله ولكن بعضها أكبر من بعض ولا شيء أعظم من الشرك وتكلموا في اللمم فقيل: إنه من جملة الفواحش ولكن الله استثناه وأخبر أنه يغفرها فيقال: اللمم هو أن يأتي المرة ذلك يقطع عنه بالتوبة قلت: وفيه بحث لا يخفى قال: وقال بعض السلف هو الوقعة من الزنا تحصل مرة ثم لا يعود إليها وكذلك شرب الخمر والسرقة قلت: وفيه نظر ويقال: هي أن يهم بالزلة ثم لا يفعلها قلت: وهو الملائم اللفظ للمة قال: ويقال هو النظر ويقال: ما لا حد عليه من المعاصي مما يكفر عنه الصلوات قلت:/ وفيه أن الصلوات وغيرها من الطاعات لا يكفر إلا الصغائر من السيئات 191/ ب ثم قال: والأصح أنه استثناء منقطع واللمم لا يكون من جملة المعاصي يعني من المعاصي المذكورة المعبر عنها بالكبائر والفواحش وإلا فلا وجه له هنا، ثم التعبير عن الصغائر باللمم لعله للإيماء بأن لا يكون على وجه المداومة فإنه ورد لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ [الآية 32] أعلم بأحوالكم منكم ﴿إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ﴾ [الآية 32] بدأ خلقكم من التراب بخلق آدم عليه السلام منه ﴿وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ [الآية 32] بعد انقلابكم من أصلاب آبائكم وتصوير أشكالكم في أرحام أمهاتكم.

قال الصادق: هو أعلم بكم لأنه خلقكم وقدر عليكم الشقاوة والسعادة قبل: إيجادكم فأنتم منقلبون فيما أجري عليكم في السابقة من الأرزاق والآجال والأعمال والأحوال لا يستجلب الموافقات سعادة ولا المخالفات شقاوة ولكن سابق القضاء هو الذي يختم به بما وقع به الابتداء ﴿فَلَا تُزَكُّوا

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (1/ 728) رقم (1994)، والبيهقي في شعب الإيمان (5/ 420) رقم (7126).

أَنفُسَكُمْ﴾ [الآية 32] فلا تثنوا عليها تفاخراً وعجباً بزكاة الأعمال وصفاء الأحوال مما لديها ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [الآية 32] لأن محل التقوى مخفي عن غير المولى كما أشار عليه السلام إلى صدره وقال: «التقوى ها هنا»[1] وفيه لطافة لا تخفى.

قال أبو عثمان: من علم من أين هو وإلى أين هو وفي الوقت ما هو علم أنه ليس بمحل التزكية ومع هذا هو مخاطب بقوله: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [الآية 32] بماذا يزكي نفسه أبأخلاقه وأحواله أم بأفعاله وأقواله، كلا لكن نفسه هي الأمارة بالسوء.

وأفاد الأستاذ: أن تزكية المرء نفسه من علامات كونه محجوباً عن ربه لأن المجذوب عن بقائه والمستغرق في شهود ربه ووجود لقائه لا يزكي نفسه وهو عالم بفنائه. ويقال: المسلم يجب أن يكون بحيث كل مسلم رآه يعتقد أنه خير منه أن رأى شيخاً قال: إنه أكثر مني طاعة فهو أفضل مني وإن رأى شاباً قال: إنه أقل مني معصيته فهو أكمل مني ويقال: من اعتقد أن على البسيطة أحد شر منه فهو متكبر يعني لخفاء العاقبة نسأل الله العافية.

192/ أ ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى/ تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾﴾ [الآية 33] أعرض عن اتباع الهدي وأقبل على الدنيا وما فيها من الهوى.

﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا﴾ [الآية 34] من الإعطاء ﴿وَأَكْدَىٰٓ﴾ [الآية 34] وقطع العطاء عن الفقراء.

﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾﴾ [الآية 35] مقامه في الأخرى.

﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾﴾ [الآيتان 36،37] بالغ في الوفاء بما عاهد المولى حتى أتاه جبريل حتى يلقى في النار فقال: ألك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا.

(1) أخرجه مسلم في الصحيح (2564/ 32)، والبيهقي في السنن الكبرى (6/ 92) رقم (11276)، وأبو يعلى في المسند (5/ 301) رقم (2923)، وأحمد في المسند (2/ 360) رقم (8707).

قال ابن عطاء: وفى بأربعة أشياء: بذل نفسه للنيران، وقلبه للرحمٰن، وولده للقربان، وماله للإخوان، ثم تقديم موسى للترقي من الأدنى إلى الأعلى.

﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۝٣٨﴾ [الآية 38] إن هي المخففة من المثقلة وهي بما بعدها في محل الجر بدلاً من ما في صحف موسى والمعنى لا تحتمل نفس آثمة وزر نفس أخرى.

﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝٣٩﴾ [الآية 39] أي إلا سعيه في الدنيا والمعنى كما لا يؤاخذ أحد بذنب غيره لا يثاب بفعله في العقبى.

قال ابن عطاء: ليس له من سعيه إلا ما نوى إن كان سعيه رضا الرحمٰن فإن الله يرزقه رضاه وإن كان سعيه للعطاء فإن الله يعطي جزاءه.

﴿وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ۝٤٠﴾ [الآية 40].

قال سهل: سوف يرى سعيه فيعلم أنه يصلح للحق وقبوله وإنه لو لم يلحقه فضل ربه لهلك بسعيه.

وأفاد الأستاذ: أنّ الناس في سعيهم مختلفون فمن كان سعيه في الدنيا خسرت صفقته ومن كان سعيه في طلب العقبى ربحت تجارته ومن كان سعيه في رياضة نفسه وصل إلى رضوان الله ومقام قدسه ومن كان سعيه في العبادة شكر الله سعيه ثم يهديه إلى نفسه في حال أنسه وأما المذنب فسعيه في طلب غفرانه وتقدم القلب على ما سوده من ديوانه فيجد من الله المثوبة والقربة والكرامة والزلفة، ومن كان سعيه في عد أنفاسه لا يعرج على تقصير وما يفرط في مأمور فيرى جزاء سعيه مشكوراً في الدنيا والأخرى ثم يشكره بأن يخاطبه في ذلك المعنى بإسماع كلامه بغير واسطة من الملأ الأعلى عبدي سعيك مشكور عندي وذنبك مغفور عندي.

﴿ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ۝٤١﴾ [الآية 41] أي يجزي العبد سعيه بالجزاء الأوفى الأعلى.

192/ب ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾ [الآية 42] انتهاء فكر الخلائق ورجوعهم/ عن العلائق والعوائق.

وأفاد الأستاذ: أن ابتداء الأشياء من الله خلقاً وانتهاء الأشياء إلى الله مصيراً ومرجعاً إذا انتهى الكلام إلى الله فاستوى ويقال: إذا وصل العبد إلى معرفة الله فليس بعده لأحد شيء إلا لطف يعطيه من مال أو منال أو تحقيق آمال أو أحوال يجريها على وفق المراد مما هو حظوظ للعباد.

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾﴾ [الآية 43] أي هو الذي يجري الضحك ويخلق البكاء ويقال: أضحك الأرض بالنبات والنماء وأبكي السماء بنزول الماء ويقال: أضحك أهل الجنة بالجنة وأبكي أهل النار بالعقوبة ويقال: أضحك المؤمن في العقبى وأبكاه في الدنيا وأضحك الكافر في الدنيا وأبكاه في الآخرة ويقال: أضحك قلوب العارفين بالرضا والاشتياق وأبكى عيونهم بخوف الهجر والفراق انتهى.

وقال أبو بكر الوراق في قوله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [الآية 39] ذلك في بداياتهم وإن سعيه سوف يرى في توسط حالاتهم ﴿ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [الآية 41] في نهاية مقاماتهم ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾ [الآية 42] عند فناء العبد من إرادته وصفاته ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾﴾ [الآية 43] هو النشر الثاني بإعادته وفق عادته.

وقال سهل: أضحك المطيع بالرحمة وأبكى العاصي بالسخطة. وقال: أضحك الأشجار بالأثمار وأبكى السماء بالأمطار وأضحك قلوب العارفين بالحكمة وأبكى عيونهم بالحزن والحرقة.

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ﴾ [الآية 44] في الدنيا ﴿وَأَحْيَا﴾ [الآية 44] في العقبى إما للراحة الكاملة وإما للإحساس بالعقوبة الشاملة.

وقال ابن عطاء: أمات بعدله وأحيا بفضله وقال: أمات بالاستتار عنه وأحيا بالتجلي عليه.

وقال جعفر: أمات بالإعراض عنه وأحيا بالمعرفة منه. وقال: أمات بالمعصية وأحيا بالطاعة.

وقال الأستاذ: أمات نفوس الزاهدين بالمجاهدة وأحيا قلوب العارفين بالمشاهدة ويقال: أمات نفوسهم بالمعاملات وأحيا قلوبهم بالمواصلات.

﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [الآيتان 45،46] تدفق في الرحم على ما قدر في القضاء.

﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾﴾ [الآية 47] الإحياء بعد الموت والفناء وفاء بوعده لمقام الجزاء وقرأ ابن كثير وأبو عمرو / النشأة بالمد. 193/ أ

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ﴾ [الآية 48] أعطى ما به يستغني ﴿وَأَقْنَىٰ﴾ [الآية 48] أي أحوجه إلى القنية فمعناه أفقر في الدنيا أو معناه أرضي الفقير بما أعطى.

وقال سفيان بن عيينة: أغنى أقنع وأقنى أرضى.

وقال جنيد: أغنى قوماً به وأفقر قوماً عنه.

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾﴾ [الآية 49] نجم عبدها أبو كبشة أحد أجداده عليه السلام وخالف قريشاً في عبادة الأصنام ولذا كانوا يسمعون الرسول ابن أبي كبشة بتخصيصها بالذكر للإشعار بأنه عليه السلام وإن وافق أبا كبشة في مخالفتهم خالفه أيضاً في عبادتها ونحوها.

﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾﴾ [الآية 50] أي القدماء لأنهم أُولى الأمم هلاكاً بعد قوم نوح أو عاد الأولى قوم هود والأخرى عاد آدم.

﴿وَثَمُودَاْ﴾ [الآية 51] عطف على عاد وقرأ عاصم وحمزة بغير تنوين ويقفان بغير ألف ﴿فَمَآ أَبْقَىٰ﴾ [الآية 51] الفريقين.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾ [الآية 52] أيضاً معطوف عليه ﴿مِّن قَبْلُ﴾ [الآية 52] قبل عاد وثمود ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ هُمْ أَظْلَمَ﴾ [الآية 52] من الفريقين لأنهم كانوا يؤذونه وينفرون عنه ويضربونه حتى كادوا يهلكونه ﴿وَأَطْغَىٰ﴾ [الآية 52] لطول أعمارهم وقوة

أجسادهم وأبشارهم.

﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ﴾ [الآية 53] والقرى التي ائتفكت بأهلها أي انقلبت وهي قرى قوم لوط ﴿أَهْوَىٰ﴾ [الآية 53] أي أهواها بأن قلبها جبريل بعدما رفعها.

﴿فَغَشَّىٰهَا﴾ [الآية 54] من العذاب ﴿مَا غَشَّىٰ﴾ [الآية 54] فيه تهويل وتفخيم لما أصابهم من البلاء.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ [الآية 55] تتشكك أيها المخاطب أو الإنسان والمعدودات وإن كانت نعماً ونقماً لكن سماها آلاء من قبل ما في نِقَمِهِ من العبر والمواعظة للمعتبرين والانتقام للأنبياء وأتباعهم من المؤمنين وينبغي أن يقال: هنا لا شيء من آلائك ربنا تتمارى فلك الحمد على ما قضى وجرى.

﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾﴾ [الآية 56] أي هذا القرآن إنذار من جنس الإنذارات المتقدمة أو هذا الرسول نذير من جنس الأنبياء السالفة.

﴿أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ﴾ [الآية 57] دنت الساعة الموصوفة بالقريبة في نحو قوله اقتربت الساعة.

﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾﴾ [الآية 58] أي ليس لها نفس قادرة على كشفها إذا وقعت إلا الله لكنه لا يكشفها أو ليس لها كاشفة لوقتها إلا الله إذ لا يطلع/ عليه سواه. 193/ب

وقال الأستاذ: لا يقدر أحد على إقامتها إلا الله فإذا أقامها فلا يقدر أحد على كشفها وإزالتها إلا الله ويقال: إذا قامت قيامة هذه الطائفة اليوم فليس لها كاشف غيره سبحانه وقيامة القوم تقوم غير مرة في اليوم.

﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ [الآية 59] يعني القرآن ﴿تَعْجَبُونَ﴾ [الآية 59] إنكاراً.

﴿وَتَضْحَكُونَ﴾ [الآية 60] استهزاء ﴿وَلَا تَبْكُونَ﴾ [الآية 60] حزناً وخوفاً.

﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الآية 61] لاهون أو مستكبرون أو مغنون وعنه ساهون.

﴿فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾﴾ [الآية 62] دون من سواه.

سورة القمر

[مكيّة]
وهي خمس وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله كلمة بها نور القلوب والأبصار وبعرفانها يحصل سرور الأرواح والأسرار كلمة تدل على جلاله في أوصافه وعلى جماله في ألطافه.

﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ۝١﴾ [الآية 1] امتثالاً للطاعة روي أن الكفار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم آية تكون معجزة فانشق القمر[1] وقيل: معناه سينشق يوم القيامة ويؤيد الأول أنه قُرِىء وقد انشق القمر أي اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها انشقاق القمر ويقويه قوله: ﴿وَإِن يَرَوْا آيَةً﴾ [الآية 2] معجزة كانشقاق القمر ونحوه ﴿يُعْرِضُوا﴾ [الآية 2] عن تأملها والإيمان بها ﴿وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [الآية 2] مطرد دائم أو محكم قائم.

وأفاد الأستاذ: إن إجماع أهل التفسير على أن القمر انشق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال ابن مسعود: رأيته ورأيت حراء بين فلقين القمر ولم يوجد لابن مسعود مخالف فيه.

---

(1) تفسير النيسابوري (7/ 91)، وانظر ما أخرجه مسلم في الصحيح (2800/ 43)، وأبو يعلى في المسند (5/ 424) رقم (3113)، وأحمد في المسند (3/ 207) رقم (13177).

وروي عن أنس وابن عمر وحذيفة وابن عباس وجبير بن مطعم كلهم رووا هذا الخبر وفيه إعجاز من وجهين أحدهما رؤية من رأى ذلك والثاني خفاء مثل ذلك على من لم يره إذ لم ينكتم مثله في العادة فإذا خفي كان نقض العادة وفق الإرادة وأهل مكة رأوا ذلك وقالوا: أن محمداً سحر القمر ومعنى اقتربت أي ما بقي من الزمان إلى قيام العقبى قليل بالإضافة إلى ما مضى.

﴿وَكَذَّبُوا۟﴾ [الآية 3] نبيهم فيما جاءهم ﴿وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾ [الآية 3] منته إلى غاية من خذلان أو نصرة في الدنيا أو شقاوة أو سعادة في الأخرى.

194/ أ وأفاد الأستاذ: أن التكذيب واتباع الهوى قرينان/ إذا حصل اتباع الهوى فمن شؤمه يحصل تكذيب أهل الهدي لأن الله يلبس على قلب صاحبه حتى لا يستبصر طريق رشده وإتباع الرضى مقرون بالتصديق لأن الله تعالى ببركات الحق الحقيق يفتح عين البصيرة فيأتي بالتصديق وكل أمر جرى به التقدير فلا محالة يستقر حصوله ولا يتصور فيه التغيير.

﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم﴾ [الآية 4] في القرآن ﴿مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ﴾ [الآية 4] أنباء القرون الماضية والأحوال الآتية ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ [الآية 4] وازدجار من تعذيب في الدنيا ووعيد في العقبى.

﴿حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ﴾ [الآية 5] غايتها لا خلل فيها وهي بدل من ما ﴿فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾ [الآية 5] ما نافية أو استفهامية إنكارية أي فأي غنى يغني النذر من الأنبياء وقد سبق القضاء لهم بالشقاء وهو جمع نذير بمعنى منذر أو منذر منه أو مصدر بمعنى إنذار.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ [الآية 6] أعرض عنهم لعلمك أن الإنذار لا ينفعهم واذكر ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾ [الآية 6] إسرافيل ﴿إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ﴾ [الآية 6] تنكره النفوس وتجهله لأنها لم تعهد مثله وهو يوم القيامة وهوله وقرأ ابن كثير بسكون الكاف تخفيفاً.

﴿خُشَّعًا أَبْصَـٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ [الآية 7] يخرجون من قبورهم حال كونهم ذليلاً أبصارهم من هول ما رأوا من أسرارهم وإفراده وتذكيره لأن فاعله ظاهر غير حقيقي التأنيث وقرىء خاشعة على الأصل كالمتفق عليه في سورة المعارج وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر وعاصم ﴿خُشَّعًا﴾ جمع خاشع، وإنما حسن ذلك ولم يحسن مررت برجال قائمين غلمانهم لأن جمع التكسر ليس على صيغة شبه الفعل ﴿كَأَنَّهُمْ﴾ [الآية 7] في الكثرة ﴿جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ [الآية 7] منبعث في الأمكنة.

﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ﴾ [الآية 8] مسرعين بادي أعناقهم إليه مديمي أنظارهم لديه ﴿يَقُولُ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ [الآية 8] صعب أحواله وشديد أهواله.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾ [الآية 9] قبل قومك ﴿قَوْمُ نُوحٍ﴾ [الآية 9] نبيّهم ﴿فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا﴾ [الآية 9] نوحاً عليه السلام وهو تفصيل بعد إجمال الكلام أو كذبوه تكذيباً عقب تكذيبهم على مدى الأيام كلما مضى قرن مكذبون تبعهم قوم آخرون أو كذبوه بعد ما كذبوا الرسل قبله ﴿وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ﴾ [الآية 9] هو مجنون في القضية ﴿وَٱزْدُجِرَ﴾ [الآية 9] وزجر على التبليغ بأنواع الأذية.

/ ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى﴾ [الآية 10] بأني ﴿مَغْلُوبٌ﴾ [القمر: الآية 10] معهم ﴿فَٱنتَصِرْ﴾ 194/ ب
[الآية 10] فانتقم لي منهم وذلك بعد يأسه عنهم روي أن الواحد منهم كان يخنقه حتى كاد يهلكه فيقوم ويقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون.

﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الآية 11] وقرأ ابن عامر: بالتشديد لكثرة أبوابها ﴿بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾ [الآية 11] منصب.

﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا﴾ [الآية 12] وجعلنا الأرض كلها كأنها عيون متفجرة ﴿فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ﴾ [الآية 12] ماء السماء وماء الأرض ﴿عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ [الآية 12] أي على حال قدرة الله في الأزل من غير الزيادة والنقصان أو أمر قدرة الله وهو هلاك قوم نوح بالطوفان.

﴿وَحَمَلْنَـٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ﴾ [الآية 13] أي سفينة ذات أخشاب عريضة منبسطة ﴿وَدُسُرٍ﴾ [الآية 13] أي مسامير حديدة شديدة.

﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾ [الآية 14] بمرأى منا أي محفوظة بحراستنا.

قال الأستاذ: وقيل: تجري بأوليائنا ويقال: بأعين ملائكتنا الذين وكلناهم بحفظهم ويقال: بأعين المياه التي أنزلناها وبالمياه التي أنبعناها ﴿جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ [الآية 14] فعلنا ذلك جزاء لنوح لأنه نعمة كفروها ولم يشكروها فإن كل نبي من الله على أمته ورحمة وقرىء لمن كفر.

قال ابن عطاء: جزاء لمن صرفه الله تعالى عن استعمال الطاعة وستره عن حال الحقيقة.

﴿وَلَقَد تَّرَكۡنَٰهَآ ءَايَةٗ﴾ [الآية 15] أي السفينة أو الصنيعة ﴿ءَايَةٗ﴾ [الآية 15] يعتبر بها إذا شاع خبرها ﴿فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾ [الآية 15] معتبر متذكر لما جرى منه إليه وقرىء مذتكر على الأصل.

﴿فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ١٦﴾ [الآية 16] أي وإنذاري من عقابي استفهام تعظيم ووعيد فيه تفخيم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه ذكر قصة نوح هنا على أفصح مبنى وأقصره وأصح معنى وأتمه وكان عمر نوح أطول من سائر الأنبياء وأشدهم مقاساة للبلاء ثم إن الله لما نجاه متعة بعد هلاك قومه وجعل كل من علا وجه الأرض من أولاده وأتباعه وفي هذا قوة لرجاء أهل الدين إذ ألقوا محنة أن يهلك الله عن قريب عدوهم ويمكنهم من ديارهم وبلادهم ويورثهم ما كان إليهم من آثارهم وكذا سنة الله الملك المتعال في جميع أهل الضلال بإعزاز أوليائه بعد إذلال أعدائه.

﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ [الآية 17] سهلناه أو هيأناه للادكار والاتعاظ بأن صرفنا فيه أنواع الوعظ والحفظ بالاختصار وعذوبة اللفظ ﴿لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾
195/ أ [الآية 17] متعظ معتبر/.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يسر قراءته على ألسنة قوم وعلمه على قلوب قوم وفهمه على جماعة وحفظه على طائفة وكلهم أهل القرآن وكلهم أهل الله

وخاصته ويقال: كاشف الأرواح من قوم بالقرآن قبل إدخالها في الأشباح.

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ﴾ [الآية 18] هوداً ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ [الآية 18] إنذاري إليهم بحجابي أو إنذاري لهم بعذابهم قبل نزوله في بابهم أو لمن بعدهم في تعذيبهم ليقلعوا عن تكذيبهم.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ [الآية 19] بارداً شديداً ﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ﴾ [الآية 19] شؤم عليهم ﴿مُّسْتَمِرٍّ﴾ [الآية 19] على جميعهم كبيرهم وصغيرهم بحيث لم يبق أحد منهم وكان الأربعاء آخر الشهر وقيل: آخر شهر صفر والظاهر أن المراد باليوم هنا الوقت لقوله تعالى: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ﴾ [الحاقة: الآية 7] ولعل اليوم الأول كان الأربعاء واستمر إلى انقضاء مدة البلاء فالمعنى استمر عليهم حتى أهلكهم وقيل: استمر شؤمه على الكفرة إلى يوم القيامة.

﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ﴾ [الآية 20] تقلعهم عن حفرهم التي حفروها وتمسك بعضهم ببعض فيها وتصرعهم موتى ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ [الآية 20] صوت نخل منقطع عن مغارسه ساقط على وجه الأرض والنخل قد يذكر وقيل: تذكر منقعر 195/ ب
للحمل على المبنى والتأنيث في قوله أعجاز نخل خاوية للمعنى بناء على أنه اسم جنس نظراً إلى المعنى الجنس والإطلاق اللفظي.

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ﴾ [الآيات 21،23] قوم صالح ﴿بِٱلنُّذُرِ﴾ [الآية 23] بالمواعظ أو الإنذارات أو الرسل أو الآيات.

﴿فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا﴾ [الآية 24] من جنسنا أو من جملتنا لا فضل له بزيادة المال والجاه علينا ﴿وَٰحِدًا﴾ [الآية 24] منفرداً لاتبع له كالملوك وانتصابه بفعل يفسره قوله ﴿نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾ [الآية 24] جمع سعير كأنهم عكسوا الأمر عليه فرتبوا على أتباعهم إياه ما رتبه على مخالفتهم لديه.

﴿أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ﴾ [الآية 25] الوحي والكتاب ﴿عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ [الآية 25] وفينا من ﴿بَلْ هُوَ﴾ [الآية 25] أحق منه في هذا الباب ﴿كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾ [الآية 25] حمله بطره على الترفع علينا بادعائه الرسالة إلينا.

﴿سَيَعۡلَمُونَ﴾ [الآية 26] وقرأ ابن عامر وحمزة بالخطاب ﴿غَدٗا﴾ [الآية 26] عند نزول العذاب أو في موقف الحساب ﴿مَّنِ ٱلۡكَذَّابُ ٱلۡأَشِرُ﴾ [الآية 26] الذي حمله أشره على استكباره عن الحق وعلى من تبعه أصالح أو طالح كذبه.

﴿إِنَّا مُرۡسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ﴾ [الآية 27] مخرجوها وباعثوها ﴿فِتۡنَةٗ لَّهُمۡ﴾ [الآية 27] امتحاناً لأمرهم ﴿فَٱرۡتَقِبۡهُمۡ﴾ [الآية 27] فانتظر حالهم ﴿وَٱصۡطَبِرۡ﴾ [الآية 27] على أذاهم من أقوالهم وأفعالهم.

﴿وَنَبِّئۡهُمۡ أَنَّ ٱلۡمَآءَ قِسۡمَةُۢ بَيۡنَهُمۡۖ﴾ [الآية 28] مقسوم لها يوم ولهم يوم وهم في بينهم لتغليب عقلائهم ﴿كُلُّ شِرۡبٖ مُّحۡتَضَرٞ﴾ [الآية 28] كل نصيب من المقسوم يحضرهُ صاحبه في يوم المعلوم.

﴿فَنَادَوۡاْ صَاحِبَهُمۡ﴾ [الآية 29] قدار بن سالف أحيمر ثمود ﴿فَتَعَاطَىٰ﴾ [الآية 29] فاجترأ على تعاطي قتلها أو فتعاطى السيف وتناوله ﴿فَعَقَرَ﴾ [الآية 29] فقتلها.

﴿فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ صَيۡحَةٗ﴾ [الآيتان 30، 31] صيحة جبريل عليه السلام ﴿فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلۡمُحۡتَظِرِ﴾ [الآية 31] فصاروا كالشجر اليابس المنكسر الذي يتخذه من يعمل الحظيرة لأجلها في البناء أو كالحشيش الذي يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته في الشتاء.

﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطِۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ حَاصِبًا﴾ [الآيات 32، 34] ريحاً يحصيهم بالحجارة أي يرميهم ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٖۖ نَّجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٖ﴾ [الآية 34] بسحر وهو السدس الأخير من الليل.

﴿نِّعۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَاۚ﴾ [الآية 35] أنعاماً من لدناً وإكراماً منا وهو علة لنجينا ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَن شَكَرَ﴾ [الآية 35] نعمتنا بالإيمان وما يقتضي طاعتنا بالإحسان.

وأفاد الأستاذ: أن الشكر على نعم الدفع ثم على نعم النفع ولا يعرف ذلك إلا كل موفق كيّس.

﴿وَلَقَدۡ أَنذَرَهُم﴾ [الآية 36] خوفهم لوط ﴿بَطۡشَتَنَا﴾ [الآية 36] أخذتنا بقوتنا ﴿فَتَمَارَوۡاْ بِٱلنُّذُرِ﴾ [الآية 36] فتناكلوا في إنذاره عن جهتنا.

﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ﴾ [الآية 37] فمسحناها وسويناها بسائر أعضاء وجوههم روي أنهم لما دخلوا داره عنوة صفعهم جبريل بجناحه صفعة فأعماهم بغتة.

قال الأستاذ: وكذا أجرى سنته في أوليائه بأن يطمس على قلوب أعدائهم حتى يلتبس عليهم كيف يؤذون أولياءه ويخلصهم من كيدهم ﴿فَذُوقُواْ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ [الآية 37] أي فقيل لهم بلسان المقال أو بظاهر الحال.

﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً﴾ [الآية 38] في أول نهار غير معين ﴿عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ﴾ [الآية 38] استقر بهم في دار الدنيا واستمر بهم في دار العقبى.

﴿فَذُوقُواْ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [الآيتان 39،40] كرر ذلك في كل قصة من الكتاب إشعاراً بأن تكذيب كل رسول مقتضي لنزول العذاب واستماع كل قضية مستدع للإيقاظ/ واستئنافاً للتنبيه والإيقاظ لئلا يغلبهم 196/ أ
السهر والغفلة واللهو في هذا الباب وهكذا يقرر تكرير قوله: ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمٰن: الآية 14] منهما، ﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [الطور: الآية 11] ونحوهما مما لا يخفى على أولي الألباب وإن كان لكل منها نسبة لما قبلها في مقام الإطناب.

﴿وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾﴾ [الآية 41] أي الآيات المنذرة واكتفى بذكرهم عن ذكره للعلم بأنه أولى به.

﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا﴾ [الآية 42] يعني الآيات التسع ﴿فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ﴾ [الآية 42] غالب في الانتقام ﴿مُّقْتَدِرٍ﴾ [الآية 42] لا يعجزه أحد من الأنام.

﴿أَكُفَّارُكُمْ﴾ [الآية 43] يا معشر العرب ﴿خَيْرٌ﴾ [الآية 43] عدة وقوة أو مكانة وشوكة ﴿مِّنْ أُوْلَٰٓئِكُمْ﴾ [الآية 43] الكفار المعدودين لكم ﴿أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ﴾ [الآية 43] في الكتب السماوية إن من كفر منكم فهو أمان من عذاب ربكم.

﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ﴾ [الآية 44] جمع ﴿مُّنتَصِرٌ﴾ [الآية 44] ممتنع لا يرام ولا يضام.

﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾ [الآية 45] أي بإدبارهم وإفراده لإرادة الجنس أو لأن كل واحد منهم يولي دبره وقد وقع ذلك يوم بدر فهو من دلائل النبوة وعن عمر رضي الله عنه أنه لما نزلت لم أعلم ما هي فلما كان يوم بدر رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يلبس الدرع أو يثب في الدرع ويقول سيهزم الجمع فعلمته[1].

﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾ [الآية 46] موعد عذابهم المعد لهم وأما ما يحيق بهم في الدنيا فمن طلائع عتابهم في العقبى ﴿وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ﴾ [الآية 46] أشد وأبقى فإن الداهية أمر فظيع لدوائه لا يهتدي ﴿وَأَمَرُّ﴾ [الآية 46] مذاقاً من عذاب الأولى.

﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ﴾ [الآية 47] عن الحق في الدنيا ﴿وَسُعُرٍ﴾ [الآية 47] ونيران في الأخرى.

﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ [الآية 48] يجرّون عليها ويذلون لديها ويقال لهم ﴿ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ﴾ [الآية 48] حرها وألمها فإن مسها سبب التألم بها.

وأفاد الأستاذ: أن سحبهم على وجوههم إمارات للمذلة ولو كان ذلك مرة واحدة لكانت محنة عظيمة فكيف وهو على التأييد والتخليد فكما أن إمارة الذل تظهر على وجوههم فعلامة إعزاز المؤمنين وإكرامهم تظهر على وجوههم كما في قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾﴾[القيامة: الآية 22] وفي قوله: ﴿تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾ [المطففين: الآية 24].

﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [الآية 49] أي أنا خلقنا كل شيء مقدراً
196/ب مرتباً على مقتضى الحكمة ووفق المشيئة أو مقدار/ مكتوباً في اللوح قبل وقوعه وهو منصوب بفعل يفسره ما بعده.

وفي «تفسير السلمي» قال القاسم: دخل في هذا المعنى نفوس الخلق وأعمالهم وأحوالهم وآثارهم وخطرات قلوبهم وأسرارهم وأنفاسهم في

---

(1) انظر جامع الحديث للسيوطي (27/ 476) رقم (30527)، والمطالب العالية لابن حجر (10/ 458) رقم (3832).

أوقاتهم وأخلاقهم المحمودة والمذمومة وآجالهم ومعاشهم ومعادهم لما سبق فيهم من العلم وإيجاداً بقدرته أنه ضبط كل شيء بتقديره. وسئل يوسف بن الحسين عن شيء من القدر فقال: من أصولنا أن القضاء أمضى بنا من عزمنا قلت: وكأنه أراد هذا المعنى من قال: عرفت الله بفتح العزائم.

﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ﴾ [الآية 50] إلا فعلة واحدة وهو الإيجاد بلا معاناة ومعالجة أو إلا كلمة واحدة وهو قوله: ﴿كُن﴾ [البقرة: الآية 117]، ﴿كَلَمْحٍ بِٱلْبَصَرِ﴾ [الآية 50] في السهولة والسرعة.

وقال الأستاذ: أي إذا أردنا خلق كل شيء لا يتعسر علينا ولا يتعذر لدينا لقوله له: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: الآية 117] بقدرتنا وقوله: ﴿كَلَمْحٍ بِٱلْبَصَرِ﴾ [الآية 50] أي مثل ما عندكم هذا القدر لا مشقة تلحقكم به ولا ضرر فكذلك عندنا ما أردنا أن نخلقه قل أو أكثر كبر أو صغر لا يلحقنا فيه مشقة.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ﴾ [الآية 51] أشباهكم في الكفر ممن قبلكم ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [الآية 51] متعظ متدبر.

﴿وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾﴾ [الآية 52] مكتوب في كتب الحفظة كما قال تعالى: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ [الكهف: الآية 49].

﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾ [الآية 53] من الأعمال والأقوال والأحوال ﴿مُّسْتَطَرٌ﴾ [الآية 53] في اللوح لأن حفظها بأسرها قبل وقوعها فلا ينبغي لأحد أن يتحاسر على الزلة إذا عرف المحاسبة والمطالبة بالكثرة والقلة قال بعض السلف: من عد كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الآية 54] أي وأنهار واكتفى باسم الجنس ومقابلة الجمع بالجمع تقتضي أن يكون لكل واحد منهم جنة ونهر[1] ولا مانع من الزيادة فإن رحمته واسعة وسيأتي في سورة الرحمٰن ما يدل على أن لكل

(1) في المخطوطة: مهر، وهو تحريف.

واحد أربع جنات.

﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ [الآية 55] مكان مرضي ومجلس حق ﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [الآية 55] مقربين عند من تعالى أمره في الملك والاقتدار بحيث أنهم على ذوي الإفهام والإسرار.

قال جعفر الصادق: مدح المكان بالصدق فلا يعقد فيها إلا أهل
197/أ الصدق وهو المقعد الذي يصدق الله فيه مواعيد/ أولياءه بأن يبيح لهم النظر إلى وجهه الكريم ويشرفهم بلقائه.

وقال الواسطي: ليس محل من اشتغل بنفسه وتلذذ بمطعمه ومشربه وملبسه كم كان شغله بالحق وأنسه والقيام بأمره ونظره إلى ربه في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

وقال الأستاذ: أراد به عند القربة والزلفة ويقال: مقعد الصدق مكان أهل الصدق والصادق في عبادته من لا يتقيد على ملاحظة الأطماع والأغراض ومطالبة الأعواض ويقال: من صدق في العبودية تحرز عن المقاصد الدنية ويقال: من اشتغل بالدنيا حجبته الدنيا عن الأخرى ومن أسره نعيم الجنة حجب عن القيام بالحقيقة ومن قام بالحقيقة شغل عن الكون بالكلية.

سورة الرحمٰن

[مكيّة أو مدنيّة أو بعضية]
وهي ثماني وسبعون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله إخبار عن عزّه وعظمته، الرحمٰن الرحيم إخبار عن فضله ورحمته، فبشهود عظمته يكمل سرور الأرواح وبوجود رحمته يحصل نعيم الأشباح ويقال: لولا رحمته ما عبد الرحمٰن عابد ولولا رحمته لما أحبّ الرحمٰن واحد.

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الآيتان 1،2] لما كانت السورة مقصورة على تعدد لنعم الدنيوية والأخروية صدرها بالنعت الرحمانية وقدم ما هو أصل النعم الدينية وهو إنعامه على الإنسان بإنزال القرآن وإكرامه بتعليمهم أفصح البيان.

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾ [الآيتان 3،4] وميزه به عن سائر الحيوان وهو التعبير باللسان عن ما في الضمير من أسرار الجنان قيل: علم الأرواح القرآن قبل أجساد الإنسان والأشباح تعلمته تبعاً للأرواح.

قال الواسطي: إنما ذكر التعليم بلفظ الماضي عناية ورعاية.

وقال ابن عطاء: لما قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: الآية 31] أراد أن يخص أمة محمد صلى الله عليه وسلم بخاصية مثله في الأنباء فقال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الآيتان 1،2] أي الذي علّم آدم الأسماء وفضله على ملائكة السماء هو الذي علمكم القرآن وفضلكم على سائر أمم الأنبياء فقيل له: متى علمهم؟ قال: علمهم حقيقة في الأزل حتى أراد / وأظهر عليهم تعليمه وقت الإيجاد. 197/ ب

وقال جنيد: خلق الإنسان جاهلاً بماله وعليه فعلمه السبيل إليه.

قال الواسطي: للإنسان شيئان ذكر وفكر فإن كان ذكره وفكره إلى حظ نفسه انقطع عن ربه ومقام قدسه وإن كان ذكره فكره لله وبالله ومع الله اتصل بالله في مقام أنسه وكلما ازداد ذكراً وفكراً ازداد قرباً وعلماً أو نوراً وحضوراً.

وقال الأستاذ: أي الرحمٰن الذي عرفه الموحدون وأنكره الملحدون هو الذي علم القرآن ويقال: الرحمٰن الذي رحمهم وعن الشرك عصمهم وبالإيمان أكرمهم وكلمة التقوى ألزمهم هو الذي عرفهم بالقرآن وعلمهم ويقال: سقياً لأيام مضت من الزمان وهو يعلمنا القرآن:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً فارغاً فتمكنا

فبرحمته علمهم القرآن وبرحمته وصلوا إلى القرآن لا بقراءته القرآن وصلوا إلى رحمة الرحمٰن ويقال: البيان هو الذي خص به الإنسان وميز عن الحيوان حتى علموا كيف يخاطبون مولاهم وبيان العبد مع الرب مختلف فقوم يخاطبونه بلسانهم وقوم بجنانهم وقوم بأنفاسهم وقوم بدموعهم وقوم بأنينهم حنينهم.

﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ۝٥﴾ [الآية 5] يجريان بحساب مقدر يعرف بهما الزمان.

قال الأستاذ: وكذلك لشموس المعارف وأقمار العلوم في طلوعهما في أوج القلوب والأسرار في حكم الله وتقديره حساب معلوم بجريهما على ما سبق به الحكم في حدهما.

﴿وَٱلنَّجۡمُ﴾ [الآية 6] النبات الذي لا ساق له ﴿وَٱلشَّجَرُ﴾ [الآية 6] الذي له ساق ﴿يَسۡجُدَانِ﴾ [الآية 6] ينقادان لله فيما يريد بهما طبعاً انقياد الساجد من المكلفين طوعاً والنجم في عالم السماء والشجر في مقام النماء يسجدان لمبديهما ومبدعهما سجود دلالة على إثبات صانعهما.

﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا﴾ [الآية 7] خلقها مرفوعة محلاً ومرتبة فإنها محل أقضيته ومنزل ملائكته.

وقال الأستاذ: سمَّك السماء فأعلاها وعلى وصف الاتقان والإحكام بناها والنجوم فيها أجراها ورتب كواكبها وحفظ عن الاختلاف مناكبها وأثبت على ما شاء مشارقها ومغاربها ﴿وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ﴾ [الآية 7] أي العدل للامتحان
198/ أ حتى يوفر كل مستعد مستحقه / ويوفي كل ذي حق حقه لينتظم أمر العالم ويستقيم أحوال بني آدم كما قال صلى الله عليه وسلم: بالعدل قامت السماوات والأرض أو أريد بالميزان ما يعرف به مقادير الأشياء من ميزان ومكيال ونحوهما فكأنه لما وصف السماء بالرفعة التي هي من حيث أنها مصدر القضايا والأقدار لرصف الأرض بما فيها مما يظهر به التفاوت ويعرف به المقدار ويسوي به الحقوق والمواجب في هذه الدار.

﴿أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ٨﴾ [الآية 8] بأن لا يتعدوا الإنصاف ولا يتجاوزوا حدّ الإلطاف.

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ﴾ [الآية 9] بالتسوية والعدل مع جواز الزيادة بالإحسان والفضل ﴿وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ﴾ [الآية 9] ولا تنقصوه عن معيار أهل الزمان.

وأفاد الأستاذ: أن تغيير العدل وترك الحيف ومجاوزة الحد في كل شيء ففي الأعمال تغيير الإخلاص وفي الأحوال الصدق وفي الأنفاس الحقائق ومساواة الظاهر والباطن وترك المداهنة والمكر والخديعة ودقائق الشرك وخفايا النفاق وغوامض الخيانة.

﴿وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا﴾ [الآية 10] خفضها ودحاها ومهدها وهيأها ﴿لِلۡأَنَامِ﴾ [الآية 10] للثقلين والأنعام.

وقال الأستاذ: وضعها على الماء وبسط أقطارها وأنبت أشجارها وأزهارها وأجرى أنهارها وأغطش ليلها وأوضح نهارها وأثبت أثمارها.

﴿فِيهَا فَٰكِهَةٌ﴾ [الآية 11] كثيرة أنواعها عزيزة أصنافها.

وقال الأستاذ: يعني أصنافها في اختلاف ألوانها وطعومها وأرائجها ونفعها وضرها وحرارتها وبرودتها وغير ذلك من اختلاف حبها ونورها وورقها وشجرها ﴿وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ﴾ [الآية 11] أوعية التمر جمع كم بالكسر أو الضم أو ليفها وسعفها مما يغطيها.

قال جعفر الصادق: جعل الحق قلوب أوليائه رياض أنسه وبهاء كبريائه فغرس فيها أشجار المعرفة أصولها ثابتة في أسرارهم وفروعها قائمة بالخضرة في مشهد أنوارهم فهم يجتنون منها ثمار الأنس وفي كل أوان من رياض القدس وهو قوله: ﴿فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ﴾ [الآية 11] أي ذات ألوان يجتني كل أحد منه لوناً على قدر سعيه في البداية أو النهاية وما كشف له من
198/ب أنوار المعرفة/ وأسرار الولاية ﴿وَٱلْحَبُّ﴾ [الآية 12] كالحنطة والشعير والذرة مما يتقوّى به الإنسان ﴿ذُو ٱلْعَصْفِ﴾ [الآية 12] صاحب ورق النبات اليابس كالتين مما ينتفع به الحيوان ﴿وَٱلرَّيْحَانُ﴾ [الآية 12] يعني المشموم أو الرزق المعلوم.

وقرأ ابن عامر: ﴿وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾﴾ [الآية 12] بنصب الثلاثة عطفاً على الإنسان وقرأ حمزة والكسائي والريحان بالخفض عطفاً على العصف.

قال الأستاذ: وذكره عظيم منته عليهم بما خلق لهم من هذه الأشياء التي ينتفعون بها من أنواع المأكولات والمشروبات ونحوها.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾ [الآية 13] الخطاب للثقلين المدلول عليه بقوله للأنام سابقاً وقوله: أيها الثقلان لاحقاً والآلاء والنعماء.

وقال الأستاذ: ويقال: الخطاب على عادتهم: خليلي وقفاً ويقولون: أرحلاها يا غلام وازجراها يا غلام انتهي. والمراد أن الخطاب لكل من يصلح في هذا الباب والأول أظهر في المقصود من التنصيص على جنسي المكلفين كما سيجيء مصرحاً به في قوله تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ [الآية 33] ولما ورد عنه أنه عليه السلام لما قرأ هذه السورة على أصحابه الكرام

وكانوا ساكتين في مجلس الاحترام فقال: «للجن أحسن منكم في جواب الكلام حيث ما قرأت عليهم قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الآية 13] في كل مقام إلا وقد قالوا: لا بشيء من نعمك ربنا نكذِّب فلك الحمد»[1].

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ [النّحل: الآية 4] أي آدم أبا البشر ﴿مِن صَلْصَٰلٍ﴾ [الآية 14] طين يابس له صلصلة أي صوت عند الحركة وقلقلة ﴿كَٱلْفَخَّارِ﴾ [الآية 14] كالخزف المطبوخ بالنار وقد خلق الله آدم عليه السلام من تراب جعله طيناً ثم حمأ مسنوناً ثم صلصالاً وبين في كل موضع من أحواله حالاً.

﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ﴾ [الآية 15] أبا الجن ﴿مِن مَّارِجٍ﴾ [الآية 15] صاف من الدخان الحاصل ﴿مِّن نَّارٍ﴾ [الآية 15] والحاصل أن الجزء الترابي غالب في عناصر الإنسان والناري في الجان.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الآية 16] مما أفاض عليكما في أطوار الخلقة لديكما حتى صيركما أفضل المركبات وخلاصة المكنونات.

وقال الأستاذ: ذكر الله تعالى آدم نسبته وشأنه وذكّرنا نسبتنا لئلا نعجب بحالتنا ويقال: عرفه قدره لئلا يعدو طوره.

﴿رَبُّ/ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾﴾ [الآية 17] شرقي الشتاء والصيف ومغربيها. 199/أ

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الآية 18] عما في ذلك من الفوائد التي لا تحصى كاعتدال الهواء واختلاف الفصول وحدوث ما يناسب كل فصل من النعماء.

وقال سهل: مشرق القلب ومغربه ومشرق اللسان ومغربه وقيل: مشرقه توحيده ومغربه مشاهدته ورب المشارق الجوارح المستعملة بالإخلاص ومغاربها بالطاعة الله على طريق الاختصاص.

---

(1) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح (5/ 399) رقم (3291)، والبيهقي في شعب الإيمان (4/ 101) رقم (4417).

﴿مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾ [الآية 19] أرسل البحر الملح والبحر العذب ﴿يَلۡتَقِيَانِ﴾ [الآية 19] يتجاوران.

﴿بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ﴾ [الآية 20] حاجز من قدرته سبحانه ﴿لَّا يَبۡغِيَانِ﴾ [الآية 20] لا يبغي أحدهما على الآخر بالممازجة وإبطال الخاصية أو لا يتجاوزان حديهما بإغراق ما بينهما من طرفيهما.

وقال سهل: هو أوامر الخير وأوامر الشر بينهما برزخ وهو العصمة وتوفيق الطاعة.

وقال ابن عطاء: بين العبد وبين الله تعالى بحران عميقان أحدهما بحر النجاة وهو القرآن من تعلق به نجا لأن الله تعالى يقول: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا﴾ [آل عمران: الآية 103] وثانيهما بحر الهلاك وهو الدنيا فمن ركن إليها هلك لديها.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٢١ يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ﴾ [الآيتان 21،22] كبار الدر وصغاره وقيل: المرجان الخرز الأحمر وهو على لسان العامة أشهر والمباينة به أظهر وقرأ نافع وأبو عمرو بصيغة المفعول.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الآية 23] وأفاد الأستاذ: أن في الإشارة خلق في القلوب بحر الخوف والرجاء ويقال: القبض والبسط ويقال: الهيبة والإنس ويخرج منها الجواهر من الأحوال الصافية واللطائف المتوافية ويقال: البحران في الإشارة النفس والقلب فالبحر العذب القلب والملح النفس فمن بحر القلب كل جوهر هو ثمين وحالة لطيفة ومن النفس كل خلق ذميم ﴿بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ لَّا يَبۡغِيَانِ﴾ [الآية 20] يصون الحق هذا من هذا حتى لا يبغي هذا على هذا.

﴿وَلَهُ ٱلۡجَوَارِ﴾ [الآية 24] السفن الجارية ﴿ٱلۡمُنشَـَٔاتُ﴾ [الآية 24] المرفوعات الشرع وقرأ حمزة وأبو بكر بخلاف عنه بكسر الشين أي الرافعات الشرع بالنسبة المجازية ﴿فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ﴾ [الآية 24] كالجبال الطوال.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الآية 25] من خلق مواد السفينة والإرشاد إلى

أخذها وكيفية تركيبها وإجرائها / في البحر بأسبابها لا يقدر على خلقها وجمعها 199/ ب غيره سبحانه.

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦﴾ [الآية 26] أي من على الأرض من الحيوانات أو الكائنات لأن كلها هالك بحسب الذات.

﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الآية 27] ذاته ﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الآية 27] ذو الاستغناء التام والفضل العام هذا ولو استقريت جهات الموجودات وتفحصت وجوه الممكنات وجدتها بأسرها فانية في حد ذاتها إلا وجه الله تعالى أي إلا الوجه الذي يلي جهته.

قال ابن عطاء: من يكون مقيماً على اتباع هواه فهو فانٍ هالك من حيث لا يشعر.

وأفاد الأستاذ: أن الوجه صفة الله تعالى لم يدل عليه العقل قطعاً ودل عليه جوازاً والخبر ورد بكونه قطعاً ويقال: في بقاء الوجه بقاء الذات لأن الصفة لا تقوم بنفسها وفائدة تخصيص الوجه بالذكر لأن ما عداه يعرف بالعقل والوجه لا يعرف إلّا بالنقل في بقائه سبحانه تسلية للمسلمين عما يصيبهم من المصائب ويفوتهم من المواهب.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الآية 28] مما مر من بقائه تعالى وإبقائه ما لا يحصي مما هو على صدر الفناء رحمة وفضلاً.

﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 29] فإنهم مفتقرون إليه في ذواتهم وصفاتهم وسائر مهماتهم والمراد بالسؤال ما يدل على حاجاتهم بعبارة أقوالهم وإشارة حالاتهم وقيل: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ القوة على العبادة وهم الملائكة ومن في الأرض الرزق والعافية في جملتهم خواص، أشغلهم ذكره عن سؤاله وأغناهم علمه بهم عن التعريض له بحالهم وهم الناظرون إليه بأسرار الذي وقع عنه الأخبار عن سيد الأخيار أنه سبحانه يقول من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الآية 29] كل وقت وآن هو سبحانه باعتبار آثار صفاته وإظهار مصنوعاته يحدث أشخاصاً ورجالاً ويجدد أحوالاً

على ما سبق به قضاؤه أذلاء، وفي الحديث من شأنه أن يغفر ذنباً ويفرج كرباً ويرفع قوماً ويضع آخرين وقيل: معناه سوق المقادير إلى أوقاتها وقيل: شؤون يبديها لا أمور ينشئها.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الآية 30] أي مما يسعف به سؤالكما وما
200/ أ يخرج لكما من ممكن العدم إلى صحن الوجود/ حيناً فحيناً كما يجري أحوالكم.

وأفاد الأستاذ: أن أهل السماوات يسألونه أبداً المغفرة والرحمة وأهل الأرض يسألونه الرزق والمغفرة أي لا بد لكل أحد منه ولا يوجد أحد يستغني عنه كل يوم هو في شأن من إحياء وإماتة وقبض قوم وبسط قوم وغير ذلك من تغيير فنون أقسام المخلوقات وما يجريه عليها من اختلاف الصفات كإظهار مستور وإخفاء مشهور وظاهر وإحضار غائب وتغييب حاضر ومن شأنه أن يستر عيباً ويذهب كبراً ويطيب قلباً ويقصي عبداً ويدني عبداً وله مع عباده كل ساعة بر جديد وسر بينه وبين عبده عن الرقباء بعيد.

بين المحبين سر ليس يغشيه قول ولا قلم للخلق يحكيه

﴿سَنَفۡرُغُ لَكُمۡ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ۝٣١﴾ [الآية 31] سنقصد لحسابكم وتتحدد لجزائكم في ثوابكم وعقابكم وقرأ حمزة والكسائي بالتاء والثقلان الإنس والجن سميا بذلك لثقلهما على محلهما أو لرزانة آرائهما ومتانة قدرهما أو لأنهما مثقلان بتكليف أوامرهما ونواهيهما.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٣٢ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الآيتان 32،33] إن قدرتم أن تخرجوا من جوانبها وأطرافهما هاربين من الله فارين مما قضاه ﴿فَٱنفُذُواْۚ﴾ [الآية 33] فاخرجوا من إهلاكه لتخلصوا من إهلاكه ﴿لَا تَنفُذُونَ﴾ [الآية 33] لا تقدرون على النفوذ ﴿إِلَّا بِسُلۡطَٰنٍ﴾ [الآية 33] إلا بقهر وقوة وأنّى لكما تلك القدرة.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الآية 34] مما نصب من المدارج العقلية والمعارج القبلية فتنفذون بها إلى ما فوق السماوات العلية من الحالات الجلية.

﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ﴾ [الآية 35] لهب ﴿مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ﴾ [الآية 35] دخان أصفر مذاب وقرأ ابن كثير بكسر الشين ونحاس بالجر عطفاً على نار ووافقه أبو عمرو فيه ﴿فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾ [الآية 35] فلا تمتنعان جزاء لكما حيث ما كنتما على البلاء تصبران ولا على النعماء تشكران.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الآية 36] فإن التمييز بين المطيع والعاصي بالجزاء والانتقام من الإهداء من عداد الآلاء.

﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً﴾ [الآية 37] أي كوردة حمراء ﴿كَٱلدِّهَانِ﴾ [الآية 37] كالأديم الأحمر في / نظر الإنسان. 200/ ب

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الآية 38] أي مما يكون بعد ذلك الزمان.

﴿فَيَوْمَئِذٍ﴾ [الآية 39] فحين تنشق السماء ﴿لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الآية 39] لأنهم يعرفون بسيماهم وذلك حين يخرجون من مثواهم وأما قوله فوربك لنسألنهم ونحوه فحين يحاسبون في الجمع من مأواهم وإنها للإنس باعتبار اللفظ فإنه وإن تأخر لفظاً تقدم رتبة.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الآية 40] إنهم مما أنعم الله على عباده المؤمنين في يوم الدين.

﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ﴾ [الآية 41] وهو ما يعلوهم من الكآبة والحزن على جباههم أو بسواد وجوههم وزراقة عيونهم وغير ذلك من الأعلام ﴿فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾ [الآية 41] جمعاً بينهما أو تناوباً فيهما أو جمع يؤخذون بالنواص وقوم بالأقدام.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الآية 42] إذا تخلصتما من هذه الآلام.

﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الآية 43] يخاطب به المؤمنون في الدنيا تخويفاً وفي العقبى تشريفاً.

﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا﴾ [الآية 44] بين نار جهنم التي يحرقون بها ﴿وَبَيْنَ حَمِيمٍ﴾ [الآية 44] ماء حار ﴿ءَانٍ﴾ [الآية 44] بالغ النهاية في الحرارة يصب على رؤوسهم

أو يسقون منه في كؤوسهم وقيل: إذا استغاثوا من نار الجحيم أغيثوا بالماء الحميم.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الآية 45] إذا خلصكما عنها بفضله الكريم.

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ [الآية 46] موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب في المعاد أو قيامه على أحواله واطلاعه على أعماله قال بعضهم: هو المقام الذي يقوم بين يدي ربه يوم القيامة عند كشف الستور وظهور حقائق الأمور والكل من الأنبياء والأولياء في حال السكون لظهور الجبروت والعظموت في الملك والملكوت.

قال ذو النون: علامة خوف الله أن يؤمنك خوفه من خوف ما عداه ﴿جَنَّتَانِ﴾ [الآية 46] جنة للخائف الجني وجنة للخائف الإنسي والمعنى ولكل خائفين منكما أو لكل واحد جنتان جنة لعقيدته وأخرى لعبادته أو جنة لفعل الطاعات وجنة لترك السيئات أو جنة لعلمه وجنة لصبره وجنة لشكره أو جنة على سبيل العدل وجنة من طريق الفضل أو روحانية وجسمانية أو جنة معجلة في الدنيا
201/ أ من حلاوة الطاعة ومؤجلة في/ العقبى وهي جنة المثوبة ثم هم مختلفون في جنات الدنيا على مقدار حالاتهم كما يختلفون في جنات الأخرى على تفاوت درجاتهم.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الآية 47] مما وقع لكما من مقاماتهم.

﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾﴾ [الآية 48] جمع فنن أي أنواع من الأشجار والأثمار أو جمع فنن أي أغصان مشتملة على الأزهار والأنوار.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الآية 49] مما ظهر لكم من الأسرار.

﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾﴾ [الآية 50] حيث شاؤوا في الأسافل والأعالي من المكان أو حديهما التنسيم والأخرى السلسبيل ويقال: فيهما عينان تجريان لمن له اليوم عينان تجريان.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الآية 51] أَمِنَ النعم الظاهرية أم من النعم الباطنية.

﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٖ زَوۡجَانِ ۝٥٢﴾ [الآية 52] صنفان غريب ومعروف أو رطب ويابس.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الآية 53] بالمنن الحسنة أو النعم المعنوية.

﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشِۭ بَطَآئِنُهَا مِنۡ إِسۡتَبۡرَقٖۚ﴾ [الآية 54] ديباج ثخين فما ظنك بالظاهرة فإن لها الديباج الثمين وليس في الجنة شيء مما يشبه ما في الدنيا إلا في الصورة وإنما خاطبهم ربهم على قدر أفهامهم ومتكئين مدح للخائفين ﴿وَجَنَى ٱلۡجَنَّتَيۡنِ﴾ [الآية 54] أي يجني أشجارهما من أثمارهما وأزهارهما ﴿دَانٖ﴾ [الآية 54] قريب يناله القاعد والراقد من غير معاناة لهما حتى لو أرادوا أن يدنوا إلى أفواههم تناولوه من غير مشقة تنالهم.

وأفاد الأستاذ: إن في الخبر المسند أن من قال سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر غرس الله بها شجرة في الجنة أصلها الذهب وفرعها الدر وطلعها كثدي الأبكار ألين من الزبد وأحلى من العسل كلما أخذ منها شيئاً عاد كما كان[1].

وذلك قوله: ﴿وَجَنَى ٱلۡجَنَّتَيۡنِ دَانٖ ۝٥٤ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الآيتان 54،55] أم الأشجار الزاكية أم الثمار الوافية.

﴿فِيهِنَّ﴾ [الآية 56] أي في الجنان فإنّ جنتان تدل على جنان هي للخائفين ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ﴾ [الآية 56] نساء من حور عين وغيرهن قصرت أبصارهن على أزواجهن ﴿لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ﴾ [الآية 56] قبلهم أي قيل: رجال أهل الجنة في الجنة وقرأ الكسائي بضم الميم.

قال سهل: من قصر طرف عينه عن الحرام والشبهات في الدنيا أعطاه الله قاصرات/ الطرف في العقبى. 201/ ب

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (3/ 287) رقم (3171)، وفي المعجم الكبير (6/ 266) رقم (6176). وانظر تفسير القشيري (7/ 356) والبحر المديد (6/ 213) ص (427).

وقال الأستاذ: وإذا كانت الزوجات قاصرات الطرف عن غير أزواجهم فأولى بالعبد إذا رجا لنا مولاه أن يقصر طرفه ويغضه عن غير المباح بل عن الكل إلى أن يلقاه ويقال: من الأولياء من لا ينظر إليهن وأن أبيح له ذلك لتحرزه عن الشهوات ولعلو همته عن ملاحظة المخلوقات وأنشدوا:

جننّا على ليلى وجنت بغيرنا وأخرى بنا مجنونة لا نريدها[1]

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الآية 57] أَبِنِساء العقبى وهي الحور العين أم نساء الدنيا في الجنة فإنها أكمل في مقام الحسن والتزيين.

﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ﴾ في حمرة الوجنة ﴿وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾﴾ [الآية 58] في بياض البشرة أو في صفائهما وضيائهما.

وقال الأستاذ: أي في صفاء الياقوت ولون المرجان لبياض وجوههن وحمرة خدودهن.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ﴾ [الآيتان 59،60] في الطاعة ﴿إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الآية 60] المثوبة في الجنة.

وقال جنيد: هل جزاء من ترك الكل لنا وفينا إلا أن يكون عوضه عن الكل فضلاً منا وهل جزاء من عاملنا على المشاهدة في دنياه إلا أن نكرمه بالنظر إلينا في دار عقباه وأصل الإحسان قوله عليه السلام: «أن تعبد الله كأنك تراه»[2].

وقال ابن عطاء: هل جزاء الهداية في البداية إلا الانقطاع عما دونه والفخر به في النهاية وهل جزاء من أحسنت إليه في الأزل إلا حفظ الإحسان عليه إلى الأبد.

وأفاد الأستاذ: أنه يقال: الإحسان الأول من الله والثاني من العبد أي هل جزاء من أحسنا إليه بالنعمة إلا أن يحسن لنا الخدمة وهل جزاء من

(1) نسب إلى كثير عزة. انظر سمط اللآلئ (1/ 40).
(2) سبق تخريجه.

أحسنا إليه بالولاء إلا بالحسنى لنا بالوفاء ويصح أن يكون الإحسان الأول من العبد والثاني من الله أي هل جزاء من أحسن من حيث الطاعة إلا أن يحسن إليه من حيث المثوبة وهل جزاء من أحسن من حيث الخدمة إلا أن يحسن إليه من حيث النعمة ويصح أن يكون كلا الإحسانين من الحق أي هل جزاء من أحسنا إليه في الابتداء إلا أن يحسن إليه في الانتهاء وهل جزاء من فاتحناه باللطف إلا أن يربي ذلك بالفضل والعطف ويصح أن يكون كلاهما من العبد أي هل من آمن بنا إلا أن يثبت بالمستقبل على إيماننا وهل / جزاء 202/ أ من عقد معنا عقد الوفاء إلا أن لا ينقضه بنكث الجفاء ويقال: هل جزاء من بعد من نفسه إلا أن نقربه منا وقت أنسه ويقال: هل جزاء من فني عن نفسه إلا أن يبقى بنا في مقام قدسه ويقال: هل جزاء من رفع إلينا خطوة إلا أن نكافئه بكل خطوة مائة ألف خطوة وهل هل جزاء من حفظ طرفه لدينا إلا أن نكرمه بالنظر إلينا.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الآية 61] أي من أنواع الإحسان وأصناف الامتنان.

﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾﴾ [الآية 62] ومن دون تينك الجنتين الموعودتين للخائفين جنتان لمن دونهم من أصحاب اليمين.

وقال الأستاذ: أي من غير هاتين اللتين المذكورتين جنتان أخريتان وليس دونهما في الفضل انتهى ولا يبعد أن يقال: الأوليان من باب العدل والأخريان من طريق الفضل.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الآية 63] أي بالجنتين الأولين أو الآخرتين.

﴿مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾﴾ [الآية 64] خضراوان تضربان إلى السواد من شدة الخضرة فإن الدهمة السواد في أصل اللغة.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الآية 65] من الأزهار والأنوار.

﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾﴾ [الآية 66] فوارتان بالماء ليشتمل على حسن

الهواء وفيه إيماء إلى كثرة الماء في النماء.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٦٧ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخۡلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الآيتان 67، 68] في عطفهما بيان لفضلهما فإن ثمرة النخل في الدنيا فاكهة وغذاء وثمرة الرمان فاكهة ودواء احتج به أبو حنيفة على أن من حلف لا يأكل فاكهة فأكل رطباً أو رماناً لم يحنث لأن الأصل في العطف المغايرة أو بناء الأيمان على عرف أهل الزمان وهو مختلف في كل زمان ومكان.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الآية 69] أي من جري الأنهار أو من كثرة الأثمار.

﴿فِيهِنَّ خَيۡرَٰتٌ﴾ [الآية 70] مخفف خيرات وقرىء به ﴿حِسَانٍ﴾ [الآية 76] في الخَلق والخُلق.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الآية 71] أي من حسن الصورة ومن جميل السيرة.

﴿حُورٌ مَّقۡصُورَٰتٌ فِي ٱلۡخِيَامِ ۝٧٢﴾ [الآية 72] قصرن في خدورهن أي مقصورات الطرف على أزواجهن في قصورهن.

وأفاد الأستاذ: أنهن لمن هو مقصور الجوارح عن الزلات مقصور القلب عن الغفلات مقصور السر عن مساكنة الأشكال والأعلال وملاحظة الأشباه والأمثال وفي/ التفاسير أن الخيمة من درة مجوفة فرسخ في فرسخ لها 202/ ب
ألف باب قصرن أنفسهن وقلوبهن وأبصارهن على أزواجهن يقلن نحن الناعمات فلا نيأس الخالدات فلا نبيد الراضيات فلا نسخط.

وفي الخبر أن عائشة رضي الله عنها قالت: إن المؤمنات أجبنهن نحن المصليات وما صليتن ونحن الصائمات وما صمتن ونحن المتصدقات وما تصدقتن قالت عائشة: فغلبنهن[1].

(1) انظر تفسير القرطبي (17/ 187)، والبحر المديد (6/ 216).

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾﴾ أبنعمة الخيام والقصور أم بنعمة قصور نظر الحور.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الآيتان 73،74] كحور الجنتين الأوليين.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الآية 75] أبنعمة لطافتهن أو بنعمة بكارتهن.

﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾ [الآية 76] وسائد عظيمة ومساند وسيمة ﴿وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ [الآية 76] ثوب موشى مزين منسوب إلى عبقر يزعم العرب أنه اسم بلد الجن فينسبون إليه كل شيء عجيب والمراد به الجنس في المبنى ولذا جمع حملاً على المعنى.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الآية 77]. أبنعمة اللباس الظاهرة أم بنعمة الفراش الطاهرة.

﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ﴾ [الآية 78] تعالى اسمه وتعظم رسمه وتكاثر خيره وتواتر بره من حيث أنه من صفاته يطلق على ذاته فما ظنك بذاته ﴿ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الآية 78] صاحب الجلال والجمال الحاوي لنعوت الكمال وقرأ ابن عامر بالرفع صفة للاسم قال بعضهم: جل ربك وتنزّه وعظم قدرته عما يقول فيه المبطلون جميعاً لأن كل مُثنى يثنى عليه بقدر حالته وكل ذاكر يذكره على مقدار طاقته وعلمه وطبعه وفهمه والحق تعالى خارج عن أوهام المخلوقات لأن الثناء والمعارف دون الغايات فسبحانه ما أثنى عليه حق ثنائه غيره وما وضعه بما يليق به سواه عجزت الأنبياء بأجمعهم عن ذلك حتى قال أجلهم قدراً وأرفعهم محلاً لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك.

/ سورة الواقعة(1) أ/326

[مكيّة]

وهي سبع وتسعون آية(2)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: اسم عزيز أزلي جبار صمدي قهار أحدي لكنه للمؤمنين ولي وبالعاصين حفي، ليس له في جماله كفيّ ولا في جلاله سمّي.

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ①﴾ [الآية 1] أذكر إذا قامت القيامة، سماها واقعة لتحقق وقوعها ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا﴾ [الآية 2] لأجل مجيئها ﴿كَاذِبَةٌ﴾ [الآية 2] نفس كاذبة، فإن من أخبر عنها صدق فيها ﴿خَافِضَةٌ﴾ [الآية 3] لقوم ﴿رَّافِعَةٌ﴾ [الآية 3] لقوم، والنسبة مجازية. والمراد بيان لما يكون عند حلول تلك القضية من خفض الله أعداءه ورفعه أولياءه.

قال ابن عطاء: يخفض أقواماً بالعدل ويرفع أقواماً بالفضل.

وقال سهل: يخفض قوماً بالدعاوي ويرفع قوماً بحقائق المعاني.

وقيل: يخفض النفس ويرفع القلب. وقيل: يخفض قوماً بالكسب والطلب ويرفع قوماً بالتوكل على الرب.

وأفاد الأستاذ أن الكاذبة هنا مصدر كالعاقبة، أي ليس في وقوعها ريبة وشبهة خافضة لأهل الشقاوة رافعة لأهل الوفاق خافضة لأهل الشهوة، رافعة لأهل الصفوة، خافضة لمن جحد رافعة لمن وحّد.

---

(1) من هنا تم الاعتماد على النسخة الثانية من المخطوط لفقدان هذا الجزء من المخطوطة المعتمدة في التحقيق.

(2) كذا في الأصل المخطوط.

﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤﴾ [الآية 4] بدل من إذا وقعت أي إذا حركت تحريكاً شديداً له أهوال بحيث ينهدم ما فوقها من بناء وجبال ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا﴾ [الآية 5] أي سيرت في الهواء سيراً منتشراً ﴿فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦﴾ [الآية 6] فصارت غباراً منتشراً ﴿وَكُنتُمْ﴾ [الآية 7] يومئذ ﴿أَزْوَٰجًا﴾ [الآية 7] أصنافاً ﴿ثَلَٰثَةً﴾ [الآية 7] تفصيله قوله ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩﴾ [الآيتان 8،9] أي الذين يؤتون صحائفهم بأيمانهم والذين يؤتونها بشمائلهم، أو أصحاب المنزلة السنية وأصحاب المرتبة الدنية، أو أصحاب اليمن وأصحاب الشؤم، فإن السعداء ميامين على أنفسهم بطاعتهم والأشقياء مشائيم عليها بمعصيتهم، أو الذين هم عن يمين العرش وشماله، أو الذين كانوا على يمين آدم عليه السلام عند إخراج الذرية من ظهره وعلى شماله، أو الذين يؤخذ بهم ذات اليمين وإلى دار القرار والذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى دار البوار، والجملتان/ الاستفهاميتان خبران لما قبلهما بإقامة الظاهر مقام الضمير 326/ ب
فاستغنى عن الرابط لهما. والمعنى لا تسأل عن أحوالهما وأهوالهما في مآلهما.

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠﴾ [الآية 10] أي الذين سبقوا إلى الإيمان والطاعات، أو سبقوا في حيازة الفضائل والكمالات هم الذين عرفت حالهم وعلمت مآلهم، كقول أبي النجم: وشعري شعري، أو الذين سبقوا إلى الجنات وما فيها من الدرجات العليا ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝١٢﴾ [الآيتان 11،12] أي الذين قربت درجاتهم في الجنة وأعليت منازلهم في الرتبة.

وفي «تفسير السلمي»: هم الذين سبقوا لهم من الله الولاية قبل كونهم هم المقربون في منازل الهداية.

وقال القاسم: أضاف الله تعالى الأفعال إلى عباده بقوله: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ [الآية 10] ثم قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١﴾ [الآية 11] ولو لم يكونوا مقربين لما كانوا سابقين، ولو كان الأفعال إليهم حقيقة لكانوا متقربين ولم يكونوا مقربين.

وقال الأستاذ: أي السابقون إلى الخصال الحميدة هم السابقون إلى

الأفضال العديدة. ويقال: السابقون بصدق القدم أو السابقون بعلو الهمم. ويقال: الذين سبقت لهم من الله الحسنى سبقوا إلى ما سبق لهم من المنى. وقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾﴾ [الآية 11] ولم يقل المتقربون، وهذا عين الجمع ليعلم الكافة أنهم سبقوا بتقريب ربهم لا بتقربهم فهم مقربون من بساط القربة وأنى بالبساط ولا بساط هناك ولا انبساط، مقربون من حيث الكرامة لا طريق المسافة، مقربون بنفوسهم من الجنة وتعلو بهم من بساط المعرفة والحق عزيز لا قرب ولا بعد ولا وصل ولا فصل.

﴿ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾﴾ [الآية 13] أي هم جماعة كثيرة من الأمم الماضية ﴿وَقَلِيلٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ [الآية 14] يعني أمة محمد عليه السلام إلى تمام الأزمنة الآتية. وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها: الفرقتان في أمة كل نبي في صدرها ثلة وفي آخرها ثلة[1]، أو هم كثير من متقدمي هذه الأمة وقليل من متأخري هذه الملة، وعليه كثير من الأئمة.

وروي مرفوعاً أنهما من هذه الأمة، والمعنى ثلة من الأولين المتقدمين من السلف وقليل من الأخيرين المتأخرين من الخلف ﴿عَلَىٰ سُرُرٖ مَّوۡضُونَةٖ ﴿١٥﴾﴾ [الآية 15] منسوجة بالذهب الفاخر مشبكة بالجواهر.

قال الأستاذ: جاء في التفسير أن طول كل سرير ثلاثمائة ذراع فإذا أراد الجلوس عليه اتضع وإذا استوى عليه ارتفع.

﴿مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيۡهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الآية 16] وجوه بعضهم إلى بعض ليس أحد وراء أحد فيها.

قال الأستاذ: وصفهم بصفاء المودة وتهذيب الأخلاق في المحبة
327/أ ﴿يَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الآية 17] للخدمة، والطائف الخادم / الذي يأتيك بالرفق واللين ﴿وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ﴾ [الآية 17] غلمان مبقون أبداً على هيئة الولدان وطراوتهم في الأبدان، وقيل: مخلّدون مقرّطون.

---

(1) انظر تفسير البحر المحيط (10/ 204)، والمحرر الوجيز (6/ 280).

وفي الحديث: «أولاد الكفرة خدَّام أهل الجنة»[1] ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ﴾ [الآية 18] حال الشرب وغيره، والكوب إناء بلا عروة ولا خرطوم، والإبريق بضده كما هو معلوم ﴿وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ [الآية 18] من خمر جار ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾ [الآية 19] بخمار والمعنى أنه لا ينشأ عنها صداعهم ﴿وَلَا يُنزِفُونَ﴾ [الآية 19] لا يذهب عقولهم ولا ينقص علومهم، أو لا ينفذ شرابهم ويؤيد إذ قرأ الكوفيون بكسر الزاي.

وقال الصادق: لا يذهل عقولهم عن موارد الحقائق عليهم ولا تغيب عن مجلس المشاهدة أي سبب ورود موائد الوصلة لديهم.

﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الآية 20] أي يختارون ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الآية 21] يتمنون أو يتلذذون، وحور عين عطف على ولدان. وقرأ حمزة والكسائي بالجر عطفاً على جنات أي أولئك في جنات النعيم ومصاحبة ﴿وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾﴾ [الآيتان 22،23] المصون عما يضر به في الصفاء والنقاء والضياء ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الواقعة: الآية 24] جوزوا جزاء بأعمالهم على وفق أحوالهم وحسب آمالهم في تحسين مآلهم.

وقد روي: «أن درجات الجنة على قدر الأعمال وأما نفس دخولها فبالرحمة والإفضال»[2].

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ [الواقعة: الآية 25] عبثاً أو ما يقتضي لوماً ﴿وَلَا تَأْثِيمًا﴾ [الآية 25] ما يوجب إثماً ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾﴾ [الآية 26] بدل من قيلاً لقوله تعالى: ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا﴾ [مريم: الآية 62] والتكرير للإعلام يغشو السلام. وقيل: سلاماً نعت لقيلا أي إلا قولاً سالماً فيشمل السلام وسائر الكلام وهو أولى في مقام المرام والظاهر أنه استثناء منفصل أو متصل، والمعنى لا لغو فيها إلا السلام ومن المعلوم أن السلام ليس في لغو الكلام فلا لغو في ذلك

---

(1) أورده البيهقي في الاعتقاد (1/ 135)، والقضاء والقدر (2/ 93). وانظر تفسير أبي السعود (8/ 191).

(2) انظر جامع الأحاديث (11/ 224) رقم (10627).

المقام فهو من قبيل تأكيد المدح بما يشبه الذم كقوله:

لا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب[1]

قال سهل: ما هناك مشهد لغو ولا مكان إثم ولهو لأنه محل قدس بالأنوار للمقدسين من العباد في الأسرار فلا يظهر منهم ولا عليهم إلا ما يصلح لمقامهم.

وقال ابن عطاء: سلم بساط القربة عن اللغو والإثم لأنه محشو بالأنس مكشوف لأهلها عن محل السلامة ومجلس القدس وسماع السلام على درجات فمنهم من يكون من أهل سلام الجنس من الجن والأنس، ومنهم من يكون من أهل سلام الملائكة، ومنهم من يكون من أهل سلام الحق على مراتبهم وفق مناقبهم.

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ۝٢٧﴾ [الآية 27] والمراد بهم الأبرار دون
327/ ب المقربين/ ﴿فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ۝٢٨﴾ [الآية 28] متراكم بالحمل من أعلاه إلى أسفله ﴿وَطَلْحٍ﴾ [الآية: 29] وشجر موز ﴿مَّنضُودٍ﴾ [الآية 29] لا شوك له من أصله أو مثني أغصانه [من كوز حلو][2].

﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝٣٠﴾ [الآية 30] أي منبسط، ففي الصحيحين أن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام ما قطعها إقرأوا إن شئتم ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [الآية 30] وقيل دائم.

وأفاد الأستاذ: أنه كوقت الأسفار ﴿وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ۝٣١﴾ [الآية 31] مصبوب سائل جارٍ على الأرض من غير أخدود أين شاؤوا وكيف شاؤوا بلا تعب وتعيين حدود.

﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ۝٣٢﴾ [الآية 32] الأجناس غزيرة الأنواع والأصناف ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ﴾ [الآية 33] في زمان عنهم ﴿وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ [الآية 33] في مكان منهم.

---

(1) سيأتي التعليق عليه لاحقاً.

(2) كلمات غير واضحة، وهي مكتوبة بهامش المخطوطة.

قال الصادق: لم يقطع عنهم التأييد والمعونة ولو قطع عنهم لهلكوا ولم يمنعوا من السماع تلذذاً لمجاورة الحق ولو منعوا من ذلك لاستوحشوا هنالك ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾﴾ [الآية 34] رفيعة القدر والمرتبة أو منضدة مرتفعة.

ففي الحديث: «ارتفاعها ما بين السماء والأرض»[1]، رواه الترمذي. وقيل: الفرش النساء، فإن العرب تسمي المرأة فراشاً ويدل عليه قوله: ﴿إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ ﴿٣٥﴾﴾ [الآية 35] أي ابتدأناهن ابتداء جديداً من غير ولادة إبداءً أو إعادة فهن الحور العين. وفي الحديث: هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز شمطاء رُمْصاً جعلهن الله بعد الكبر أتراباً على ميلاد واحد كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكاراً، فلما سمعت رسول الله عائشة ذلك قالت: وا وجعاه، فقال رسول الله ﷺ: ليس هناك وجع[2].

وقد قالت عجوز لرسول الله: ادع الله أن يدخلني الجنة، فقال: إن الجنة لا يدخلها العجائز. فولّت وهي تبكي، فقال عليه السلام: أخبروها بأنها يومئذ ليست بعجوز[3]، وقرأ الآية. والحديث رواه الطبراني والترمذي مطولاً وفيه: إنهن أفضل من الحور العين لصلاتهن وصيامهن كفضل الظهارة على البطانة وأن من يكون لها أزواج في الدنيا تخير فتختار أحسنهم خلقاً.

وعلى هذا التقدير فالمعنى: أعدنا إنشائهن. وأما على القول بأن الفرش على ظاهر معناه فالضمير لما دل عليه سياق الكلام ومبناه من ذكر الفرش ومقتضاه ﴿فَجَعَلۡنَٰهُنَّ﴾ [الآية 36] أو صيرناهن ﴿أَبۡكَارًا﴾ [الواقعة: الآية 36] استمراراً ﴿عُرُبًا﴾ [الآية 37] متحببات لأزواجهن أو متغنجات في حركاتهن وسكناتهن، ويسكن راءه حمزة وأبو بكر: ﴿أَتۡرَابٗا﴾ [الآية 37] مستويات في السن والحسن خلقاً

---

(1) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح (4/ 679) رقم (2540)، وابن حبان في الصحيح (16/ 418) رقم (7405)، وأبو يعلى في المسند (2/ 528) رقم (1395)، وأحمد في المسند (3/ 75) رقم (11737).

(2) انظر تفسير القرطبي (17/ 211)، وتفسير البغوي (8/ 14)، والكشاف (6/ 481).

(3) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (5/ 357)، وانظر تفسير ابن كثير (7/ 532)، وتفسير البغوي (8/ 14)، والكشاف (6/ 481).

وخلقاً فورد في حديث كما رواه محيي السنّة: «أن أهل الجنة كلهم في سن ثلاث وثلاثين ﴿لِأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٣٨﴾ [الآية 38] متعلق بأنشأنا»[1] ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٣٩ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ۝٤٠﴾ [الآيتان 39،40].

328/أ قال الأستاذ: أي جماعة من أولي هذه الأمة / وجماعة من آخرها.

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ۝٤١ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ۝٤٢﴾ [الآيتان 41،42] في فيح حر نار تنفذ في المسام ﴿وَحَمِيمٍ﴾ [الآية 42] ماء متناه الحرّ على الدوام ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ۝٤٣﴾ [الآية 43] دخان أسود في غاية من الظلام ﴿لَّا بَارِدٍ﴾ [الآية 44] فيه الراحة ﴿وَلَا كَرِيمٍ﴾ [الآية 44] حسن المنظر ونافع للاستراحة ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟﴾ [الآية 45] في الدنيا ﴿قَبْلَ ذَٰلِكَ﴾ [الآية 45] من حول العقبى ﴿مُتْرَفِينَ﴾ [الآية 45] منهمكين في الشهوات واللهوات مستغرقين في اللذات والغفلات ﴿وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ۝٤٦﴾ [الآية 46] يديمون على الذنب العظيم وهو الشرك فإنه أعظم السيئات.

﴿وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ﴾ [الآية 47] في إنكار البعث على ما جاء به بعثة النبوة ﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [الآية 47] كررت همزة الإنكار للمبالغة والإصرار كما دخلت أيضاً على الواو العاطفة في قوله: ﴿أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ۝٤٨﴾ [الآية 48] وقرأ قالون وابن عامر أو بالسكون: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ ۝٤٩ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ۝٥٠﴾ [الآيتان 49،50] وقرىء لمجمّعون ﴿إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الآية 50] الإضافة بيانية والمعنى إلى ما وقتت به الدنيا من يوم معيّن عند الله تعالى.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الآية 51] عن التوحيد والنبوة ﴿ٱلْمُكَذِّبُونَ﴾ [الآية 51] بالبعث والإعادة، والخطاب لكفار مكة وأضرابهم من أهل الكتاب ﴿لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ۝٥٢﴾ [الآية 52] من الأولى ابتدائية والثانية بيانية.

وأفاد الأستاذ: أنه جاء في التفسير أن الزقوم شجر في أسفل جهنم إذا طرح الكافر فيها لا يصل إليه إلا بعد أربعين خريفاً ﴿فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ۝٥٣﴾

(1) انظر فيض القدير (1/ 117) وتفسير ابن عبد السلام (6/ 370).

[الآية 53] أي يأكلون ملاء بطونهم من شدة جوعهم ﴿فَشَٰرِبُونَ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡحَمِيمِ ۝٥٤﴾ [الآية 54] لغلبة عطشهم وكثرة حرارتهم، وتأنيث الضمير في منها وتذكيره في عليه على معنى الشجر، ولفظه فإنه اسم جنس يؤنّث ويذكَّر.

﴿فَشَٰرِبُونَ﴾ [الآية 55] أي منه ﴿شُرۡبَ ٱلۡهِيمِ﴾ [الآية 55] وقرأ نافع وعاصم وحمزة بضم الشين أي مثل شرب الإبل العطاش التي بها الهيام وهي داء يشبه الاستسقاء جمع أهيم وهيماء، ففي الشرب الأول بيان الماهية، وفي الثاني بيان الكيفية، والفاء قد تأتي بمعنى الواو، وفي البحر الفاء تقتضي التعقيب في الشربين وأنهم لما عطشوا شربوا من الحميم فازدادوا عطشاً فشربوا بعده شرباً لا يقع به ري أبداً فهما يشربان من الحميم اختلفت صفتاه فعطفت في مبناه.

﴿هَٰذَا نُزُلُهُمۡ﴾ [الآية 56] رزقهم الذي يعدهم وفيه تهكم بهم لأن النزل ما يعد للنازل تكرمة له ﴿يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾ [الآية 56] يوم الجزاء، فما ظنك بما يكون لهم بعد ذلك من أنواع العناء ﴿نَحۡنُ خَلَقۡنَٰكُمۡ﴾ [الآية 57] ابتداء ﴿فَلَوۡلَا تُصَدِّقُونَ﴾ [الآية 57] بالبعث انتهاءً فإن مَن قدر على البداءة قدر على الإعادة.

328/ب وأفاد الأستاذ: أنهم يوبخون/ ويُعاتبون ويعتذرون ولا ينفعهم ولا يسمع منهم، وأشد العقوبات لهم أنهم من آلام نفوسهم وأوجاع أعضائهم يتفرغون إلى التحسُّر على ما فاتهم من ربهم. ويقال: أشد البلاء على هذه الطائفة اليوم على قلوبهم خوفهم من أن يشغلهم غداً بمقاساة آلامهم عن التحسر على ما تكدر عليهم من المشرب في هذه الطريقة وهذه محنة لا شيء أعظم منها على أصحاب الحقيقة وإن أصحاب القلوب اليوم يبتهلون إليه ويتضرعون لديه ويقولون: إن حرمتنا مشاهدة الأنس والوصال فلا تشغلنا بلذات تمنعنا عن التحسر على ما فاتنا عنك ولا بآلام تشغلنا عن التأسف على ما عدمنا منك.

﴿أَفَرَءَيۡتُم مَّا تُمۡنُونَ ۝٥٨﴾ [الآية 58] ما تصبونه من النطف في الأرحام ﴿ءَأَنتُمۡ تَخۡلُقُونَهُۥٓ﴾ [الآية 59] تصورونه وتجعلونه بشراً سوياً فيما بين الأنام ﴿أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡخَٰلِقُونَ﴾ [الآية 59] أي المقدِّرون والمصوِّرون، فعلم أن الإبداء منا فلا ينكر الإعادة علينا فهم كانوا يقرون بالنشأة الأولى فاحتج عليهم بهذا على جواز النشأة الأخرى.

وقد روي عن علي كرَّم الله وجهه أنه لما قرأ هذه الآية قال: بل أنت[1]، وكذا عندما سيأتي في معناها من الآيات الآتية.

وأفاد الأستاذ: أن هذه الآية أصل في إثبات الصانع فإن أصل خلقة الإنسان من قطرتين، قطرة من صلب الأب وقطرة من تربية الأم، فيجتمع القطرتان في الرحم فيصير ولداً وينقسم الماءان المختلطان إلى هذه الأجزاء التي هي أعضاء الإنسان من العظم واللحم والشحم والعصب والعرق والجلد والشعر ثم تركّبها على هذه الصورة في الأعضاء الظاهرة، ثم في الأجزاء الباطنة وتشكل كل شكل بشكل آخر وكيفية العظام إلى غير ذلك من النظام، فليس يخلو إما أن يكون الأبوان يصنعانه وذلك محال لتقاصر علمهما وقدرتهما على ما هنالك وتمنيهما الولد ثم لا يكون وكراهتهما إياه ويكون والنطفة القدرة محال أن تقدر فعلها بنفسها إلى هذه الصورة لكونها مواتاً بعد ولا علم لها ولا قدرة ولا يجوز من غير صانع بضرورة فلم يبق إلا الصانع القديم الحكيم العليم.

﴿نَحۡنُ قَدَّرۡنَا بَيۡنَكُمُ ٱلۡمَوۡتَ﴾ [الآية 60] قسمناه عليكم ووفقنا موت كلٍّ بوقت معين لكم فمنكم من يموت طفلاً ومنكم من يموت كهلاً أو بأسباب مختلفة وعلل متفاوتة. وقرأ ابن كثير بتخفيف الدال من القدر بمعنى التقدير ﴿وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ﴾ [الآية 60] أي مغلوبين فيسبقنا أحد فيهرب من الموت أو يغيّر وقت
329/ أ الفوت أو عاجزين/ ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمۡثَٰلَكُمۡ﴾ [الآية 61] على أن نأتي بخلق مثلكم فنخلق بدلكم ﴿وَنُنشِئَكُمۡ فِي مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [الآية 61] أي وعلى أن نخلقكم فيما لا تعلمونه من الصور كالقردة والخنازير، ويلائم هذا المعنى بالسياق من قوله تعالى: ﴿لَوۡ نَشَآءُ جَعَلۡنَٰهُ أُجَاجٗا﴾ [الواقعة: الآية 70] فإنه يدل على أنه سبحانه قادر على خلقه في صورة قبيحة لظاهره وعلى نوع غير منتفع به. وقيل: فيما لا تعلمونه من خلق أو خلق.

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (2/ 518) رقم (3780)، والبيهقي في السنن الكبرى (2/ 311) رقم (3510).

قال الواسطي: من أسباب الشقاوة والسعادة.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [الآية 62] فهلا تعتبرون أن من قدر على البداءة قدر على الإعادة فإنها أقل صنعاً في العادة، وفيه دليل على صحة القياس لأنه مبني على طرق الاعتبار والاستبصار لا سيما قياس الأولى ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الآية 63] تبذرون حبه ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ﴾ [الآية 64] أي تنبتونه ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾ [الآية 64] المنبتون. وقد ورد: لا يقولن أحدكم زرعت وليقل حرثت، رواه ابن جرير وابن أبي حاتم[1].

ولعل وجهه أنه أسند الزرع إلى نفسه والحرث إلى غيره إلا أنه قد يجوز في إطلاق الزرع على الحرث الذي هو من سببه.

وأفاد الأستاذ: أن ذلك يدل على نبات الصانع ووجوه الحكمة في إنبات الزرع وانقسام الحبة الواحدة على الشجرة النابتة منها في قشرها ولحائها وجذعها وأغصانها وأوراقها وأثمارها وأزهارها.

﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا﴾ [الآية 65] هشيماً تذروه الرياح ولا ينتفع به الأشباح من أصحاب الأرواح ﴿فَظَلْتُمْ﴾ [الآية 65] فصرتم ودمتم ﴿تَفَكَّهُونَ﴾ [الآية 65] تعجبون عن فوت مرادكم أو تندمون على اجتهادكم. فعن الكسائي: التفكه من الأضداد يستعمل في التنعم والتحزُّن ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [الآية 66]، وقرأ أبو بكر: أإنا لمغرمون، لملزمون غرامة ما أنفقنا أو مهلكون لهلاك رزقنا ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الآية 67] قوم حرمنا رزقنا ومنعنا رفدنا، وقيل: محدودون لا مجدودون أي ممنوعون لا محظوظون.

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الآية 68] أي العذب الصالح للشراب ﴿ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ﴾ [الآية 69] أي السحاب ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ﴾ [الآية 69] بقدرتنا على خلق الأسباب ﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا﴾ [الآية 70] شديد الملوحة ﴿فَلَوْلَا

(1) أورده الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (3/ 409) رقم (1290)، وانظر تفسير القرطبي (17/ 218)، والكشاف (6/ 484).

تَشۡكُرُونَ﴾ [الآية 70] أمثال هذه النعم الضرورية الحسية.

﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ ٧١﴾ [الآية 71] تقدحون وتوقدون ﴿ءَأَنتُمۡ أَنشَأۡتُمۡ شَجَرَتَهَآ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنشِـُٔونَ ٧٢﴾ [الآية 72] يعني الشجرة التي منها الزناد، فللعرب شجرتان المرخ والعفار يحك أحد غصنيها بالآخر فتتناثر منهما النار، وقيل: كل شجرة فيها نار إلا العنّاب ﴿نَحۡنُ جَعَلۡنَٰهَا﴾ [الآية 73] أي نار الزناد ﴿تَذۡكِرَةٗ﴾ [الآية 73] تبصرة في أمر البعث والمعاد كما مر في سورة يٰس، أو تذكيراً / 329/ ب
وأنموذجاً لنار جهنم ﴿وَمَتَٰعٗا لِّلۡمُقۡوِينَ﴾ [الآية 73] منفعة للذين ينزلون القِوَاء وهي المفازة من الصحراء وخص بهم لأن انتفاعهم بالزند أو بمطلق النار أكثر من انتفاع غيرهم ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ٧٤﴾ [الآية 74] أي فجدِّد تسبيح ذاته وتقديس صفاته باستعانة ذكر اسمه العظيم أو اسم ذاته الكريم تعجُّباً وشكراً أو تنزيهاً عما يقولون إلحاداً وكفراً.

قال الواسطي: فسبِّحه باسمه فإن اسم الشيء هو الشيء بعينه.

وقال ابن عطاء: إن الله تعالى أعظم من أن يلحقه تسبيحات غيره أو يحتاج إلى شيء من أمره ولكنه شرَّف عبيده بأن أمرهم أن يسبِّحوه ليطهروا أنفسهم من أجل ما ينزهونه به.

وقال الأستاذ: أي اسْبَح بفكرك بِبحار عقلك وغص بقوة التوحيد تظفر بجواهر العلم في بحر التفريد وإياك أن تقصّر في الغوص عن أهبة الغوص فتغرق في بحار الشبه ويتلف رأس مالك وتخرج من دينك واعتقادك بشبه تداخلك، وهذه الآيات التي ذكرها الله سبحانه تمهيد لسلوك طريق الاستدلال أي لمن يكون في مقام الكمال. قال: وكما في الخبر تفكر ساعة خير من عبادة سنة، المراد بها هذه الفكرة التي نبَّه الله عليها.

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ﴾ [الآية 75] إذ الأمر أوضح من أن يحتاج إلى قسم أو التقدير: فليس الأمر كما قال أهل الذكر ﴿أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ [الآية 75] بمساقطها ومغاربها وخص بها لما في غروبها من زوال أثرها والدلالة على وجود مؤثر لا يزول تأثيره أو بمنازلها في الدنيا أو انتشارها في العقبى أو المراد نجوم

القرآن، ومواقعها أوقات نزولها وهو الملائم لقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ [الآية 76] أي وإن هذا الذي أقسمت به قسم عظيم لو تعلمون حق عظمته لما في المقسم به من الدلالة على عظيم القدرة وكمال الحكمة وفرط الرحمة. ومن مقتضيات رحمته أن لا يترك عباده سدى بأن ينزل عليهم كتاب فيه هدى ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾ [الآية 77] كثير المنفعة غزير البركة لاشتماله على أصول العلوم المهمة في إصلاح معاش العباد وبيان زاد المعاد ﴿فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ﴾ [الآية 78] محفوظ من الشياطين وهو اللوح أو في مكتوب مكنون محفوظ من الزيادة والنقصان ومثبت في قلوب أهل اليقين والعرفان وهو المصحف المصون ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [الآية 79] أي لا يطلع على اللوح إلا المنزهون من الكدورات الجسمانية وهم الملائكة المقربون، أو لا يمس القرآن إلا المطهرون من الحدث الأكبر أو الأصغر أيضاً إن أُريد به المصحف / 330/ أ
فهو نفي معناه نهي، أو لا يطلبه إلا المطهرون من الكفر.

وقال بعضهم: لا ينال بركته إلا من طهّره يوم قسمته عن الشقاوة وخلوّ يوم خلقه مطهراً من المخالفة..

قال ابن عطاء في قوله ﴿بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ [الآية 75]: هو ما أظهر على سر النبي ﷺ من أنوار الحق وزوائد التحقيق مما خصه من الدنو والقربة التي لم يؤمر بإظهارها والإخبار عن أسرارها. وفي قوله ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾ [الآية 77] يدل على مكارم الأخلاق والأحوال ومعالي الأمور وشرائف الأعمال وكريم لنزوله من عند كريم بواسطة كريم إلى أكرم الخلق إلى أكرم الأمم.

﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [الآية 80] أي هو منزل من عنده لتبليغ عبده إلى قومه، ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ [الآية 81] يعني القرآن الذي حدث زمان إنزاله وتجدد عهده في ظهور كماله.

﴿أَنتُم﴾ [الآية 81] أيها المشركون ﴿مُّدْهِنُونَ﴾ [الآية 81] متهاونون به ومداهنون في قبوله ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ [الآية 82] أي نشكر رزق ربكم الذي هو الماء النازل من السماء ﴿أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الآية 82] بمانح العطاء حيث تنسبونه إلى

الأنواء، وهذا المعنى مسند إلى النبي كما نقله الإمام أحمد والترمذي[1].

وقال الحسن ومجاهد: أي تجعلون حظكم ونصيبكم من القرآن تكذيبكم ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ﴾ [الآية 83] أي النفس ﴿ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ﴾ [الآيتان 83،84] يا آله ﴿حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ﴾ [الآية 84] حاله ومآله، والجملة حالية وكذا قوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾ [الآية 85] أعلم بحال المحتضر منكم أيها الحاضرون، عبر عن العلم بالقرب الذي هو أقوى سبب الاطلاع لديه ﴿وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ [الآية 85] لا تدركون كنه ما يجري عليه أو لا تعرفون قدرنا ولا تبصرون قربنا.

وقال الأستاذ: نحن أقرب إليه منكم بالعلم والرؤية والقدرة ويقال قرب العبد من الحق يكون باستيلاء ذكره وشهوده عليه فينتفي إحساس العبد برؤية غيره على حسب انتفاء العلم والإحساس من الأغيار حتى من نفسه، فالعبد يتحقق الحق في سرّه وهذا إنما يكون في أوان صحوه ولم يؤخذ بعد عن نفسه فإذا أخذ عنه ودخل في مقام محوه فلا يكون إلا الحق فلا قرب هنالك ولا بعد عند ذلك.

﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الآية 86] محاسبين مجزيين أو مملوكين مقهورين ﴿تَرْجِعُونَهَآ﴾ [الآية 87] تردون النفس إلى مقرها بعدما بلغت الحلقوم من قهرها وهو عامل الظرف والمحضض عليه بلولا الأولى والثانية تكرير للتأكيد في المعنى وهو بما في خبره دليل جواب الشرط وهو قوله: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الآية 87] والمعنى هلا ترجعونها إذا بلغت مقرها إن كنتم غير مدينين صادقين في أن لا بعث ولا حساب ولا جزاء من ثواب وعقاب.

﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ﴾ [الآية 88] المحتضر أو المتوفى ﴿مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ [الآية 88]
330/ ب أي السابقين ﴿فَرَوْحٌ﴾ [الآية 89] فله استراحة فقد / ورد الموت بحق المؤمن ﴿وَرَيْحَانٌ﴾ [الآية 89] ورزق طيب ﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ [الآية 89] ذات نعمة.

---

(1) انظر ما أخرجه أبو يعلى في المسند (7/ 17) رقم (3911)، والبيهقي في شعب الإيمان (4/ 291) رقم (5143).

وعن محمد بن كعب أنه لا يفارق من الدنيا أحد من المقربين حتى يؤتى بعض من ريحان الجنة فيقبض روحه فيه. وفي حديث تميم الداري على ما نقله الترمذي وغيره: ينطلق إلى وليّ الله ملك الموت مع خمسمائة من الملائكة معهم ضبائر الريحان أصل الريحان واحد وفي رأسها عشرون لوناً لكل لون ريح سوى ريح صاحبه[1].

ذكره السيد الصفوي. وقال: الضبائر الجماعات واحدتها ضبارة كعمارة وعمائر وقرئ، فروح بضم الراء وقد نسبت إليه ﷺ والمعنى لهم فيها حياة دائمة ورحمة كاملة.

وفي «تفسير السلمي»: الروح لقلوبهم والريحان لنفوسهم والجنة لأبدانهم. وقيل: روح في الدنيا وريحان في القبر وجنة نعيم في الآخرة.

وقال ابن عطاء: الروح النظر إلى وجهه الكريم، والريحان الاستماع لكلامه القديم، وجنة نعيم هو أن لا يحجب العبد عن مولاه إذا قصد زيارته في مقامه العظيم وللمقربين ذلك في الدنيا أيضاً روحهم المشاهدة وريحانهم سرور الخدمة وجنة نعيم الحضور في مقام القربة.

﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾﴾ [الآيتان 90،91] فيقال لك يا صاحب اليمين من أصحاب اليمين من إخوانك المؤمنين، أي يسلّمون عليك في كل زمان وحين. وقال بعضهم: أخبر الله نبيه أن أصحاب اليمين سلموا من درك الشقاء وسوء القضاء وأنهم نالوا الكرامة لحفظهم الأمانة.

وقال الأستاذ: أي نحن نخبرك بسلامة أحوالهم ويقال أمان لك في بابهم فلا تشغل قلبك بهم.

﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [الآية 92] لله نبيه ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الآية 92] في أمر دينه، والمراد بهم أصحاب الشمال وعدل عنه بما وصفهم من الأعمال زجراً

(1) أخرجه البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد (2/ 133) رقم (1/ 1852)، وابن حجر في المطالب العالية (13/ 71) رقم (4682).

لغيرهم عن تلك الأحوال وإشعاراً بما أوجب لهم ما أوعدهم به من المآل ﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾﴾ [الآيتان 93،94] أي إدخال فيها وعدم خروج منها ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ [الآية 95] الذي ذكر في السورة أو في شأن الفرق المصورة ﴿لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ [الآية 95] حق الخبر اليقين أو حق هو اليقين. وقيل هو من إضافة المترادفين للمبالغة، وقيل من إضافة الصفة إلى الموصوف في مذهب الكوفية.

﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ [الآية 96] فنزِّهه بذكر اسمه سبحانه عما لا يليق بعظمة شأنه. وفي البحر ظهر أن الباء للتعدية وقد ورد لما نزلت قال عليه السلام: «اجعلوها في ركوعكم»[1]. ولما نزلت ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾﴾ [الأعلى: الآية 1] قال: «اجعلوها في سجودكم»[2].

وقال ابن عطاء: أمر الله عباده بتسبيحه وقد سبَّح نفسه في الأزل فغيب
فيه تسبيحه عن عباده فسبَّحه الخلق على عادتهم/ إلى أن يتحقق تسبيحهم 331/ أ
تسبيحه فيتحقق له التسبيح يعني أزلاً وأبداً على بيان ولسان الخلق.

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (1/ 347) رقم (817)، والطبراني في المعجم الكبير (17/ 322) رقم (890)، وابن ماجه في السنن (1/ 287) رقم (887)، والدارمي في السنن (1/ 341) رقم (1305)، وأبو يعلى في المسند (3/ 279) رقم (1738).

(2) انظر تخريج الحديث السابق.

سورة الحديد

[مدنيَّة]
وهي تسع وعشرون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: سماع هذا الخطاب شراب يسقي به الحق سبحانه قلوب الأحباب فإذا شربوا طربوا وإذا طربوا انبسطوا ثم لشهود حقه تعرضوا وبنسيم قربه استأنسوا وعن الإحساس به غابوا، فعقولهم تستغرق في لطفه وقلوبهم تستهلك في كشفه.

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ [الآية 1] ذكر التسبيح بلفظ الماضي في بعض المواضع وفي بعضها بلفظ المضارع إشعاراً بأن من شأن ما أسند إليه أن يسبحه في جميع أوقاته لديه، وعدي باللام مع أنه معدى بنفسه إيماء بإيقاع الفعل لأجل الله وخالصاً لوجهه.

وأفاد الأستاذ: أن التسبيح هو التقديس والتنزيه ويكون بمعنى سباحة الأسرار في بحار الأنوار فيظفرون بجواهر التوحيد وينظمونها في عقود المعرفة ويرصعونها في أطواق الوصلة، وما يحتمل أن يكون بمعنى من فمن في السماوات والأرض يسبِّحون له طوعاً وعبادة وكرهاً تسبيح علامة ودلالة، ويحتمل أن يكون على ظاهره فما من مخلوق من عين أو أثر إلا وهو يدل على الصانع وإثبات جلاله واستحقاقه لنعوت كبريائه، فهو العزيز المنيع الحكيم البديع في الصنيع.

قال القاسم: وهو الذي لا يدركه العبارة لتمام عزته ولا يلحقه الإشارة لكمال حكمته.

وقال الأستاذ: العزيز المعز لمن طلبه بل العزيز المقدس عن وجود الوصول به إذ ما وصل إلا إلى حظه ونصيبه وصفته التي تليق به. ويقال: ما تقلّب أحد من الساجد والجاحد إلا في قبضة العزيز الواحد وما صرفهم إلا من خلقهم. ويقال: كلّفهم ثم على ما شاء صرّفهم فمن مطيع إليه ألبسه نطاق وفاقه وذلك فضله، ومن عاصٍ ربط بقلبه الخذلان وذلك عدله.

﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 2] فإنه الموجد لها والمتصرف فيها وفي [أهلها] ﴿يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ [الآية 2] حسيّاً ومعنوياً ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الآية 2] ومنها الإحياء والإماتة ﴿قَدِيرٌ﴾ [الآية 2] تام القدرة..

قال ابن عطاء: هو مالك الكل وله الملك أجمع يُحيي من يشاء بالإقبال على المُلك ويُميت من يشاء بالاشتغال بالملك.

وأفاد الأستاذ: أن الملك مبالغة في الملك والملك القدرة على الإبداع ولا مالك إلا الله، أي بهذا المعنى بالإجماع وإذا قيل لغيره مالك فعلى
331/ب المجاز والاتساع يحيي النفوس ويميتها ويحيي القلوب بإقباله عليها / ويميت بإعراضه عنها.

﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾ [الآية 3] أي القديم بلا ابتداء ﴿وَٱلْءَاخِرُ﴾ [الآية 3] الباقي بلا انتهاء ﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾ [الآية 3] باعتبار صفاته ووجود مصنوعاته ﴿وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الآية 3] حقيقة ذاته والواو الأولى والأخيرة للجمع بين الوصفين المتقابلين والمتوسطة للجمع بين المجموعين المتكاملين، وقدَّم الأول لسبق وجوده وقدَّم الظاهر لحق شهوده، ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الآية 3] يستوي عنده الجلي والخفي.

وقال محمد بن الفضل: أول ببرِّه وآخر بعفوه وظاهر بإحسانه وباطن بستره وغفرانه.

وقال الواسطي: من كان حظه من اسمه الأول كان شغله لما سبقه، ومن كان حظه من اسمه الآخر كان مرتبطاً بما يستقبله، ومن كان حظه من اسمه الظاهر لاحظ عجائب قدرته، ومن كان حظه من اسمه الباطن لاحظ ما جرى في سرائره من موائد موارده.

وقال الصادق: هو الذي أول الأول وآخر الآخر وأظهر الظاهر وأبطن الباطن فسقط هذه المعاني وبقي.

وقال ابن عطاء: من كان شغله الأول كان شغله لما سبق في سبق الأزل من مشيئته وقضائه ومنعه وعطائه، ومَن كان شغله الباطن دهش وذهل وخرس لسانه فلا له عبارة يعبر عنه ولا له إشارة يشير إليه، كوشف له على قدر طاقته وذهل عنها في ساعته إلا مَن تولاه ببرّه وقام عنه بنفسه.

وأفاد الأستاذ أنه الأول لاستحقاق صفة القدم والآخر لاستحالة نعت العدم، والظاهر بالعلو والرفعة، والباطن بالعلم والحكمة. ويقال: الأول فلا افتتاح لوجوده والآخر فلا انقطاع لثبوته وشهوده، والظاهر فلا خفاء في جلال عزّه الباطن فلا سبيل إلى إدراك حقه.

ويقال: الأول بلا ابتداء والآخر بلا انتهاء والظاهر بلا خفاء والباطن بنعت العلاء وعزة الكبرياء.

ويقال: الأول بالعناية والآخر بالهداية والظاهر بالرعاية والباطن بالولاية.

ويقال: الأول بالخلق والباطن بالرزق والظاهر بالإحياء والباطن بالإماتة والإفناء. قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [الرُّوم: الآية 40].

ويقال: الأول لا بزمان والآخر لا بأوان، الظاهر بلا اقتراب الباطن بلا احتجاب.

ويقال: الأول بالوصلة والآخر بالخلة والظاهر بالأدلة والباطن بالبعد عن مشابهة الجملة.

ويقال: الأول بالتعريف والآخر بالتكليف والظاهر بالتشريف والباطن بالتخفيف.

ويقال: الأول بالإعلام والآخر بالإلزام، والظاهر بالإنعام، والباطن بالإكرام.

332/ أ ويقال: الأول بأن اصطفاك والآخر بأن هداك والظاهر/ بأن رعاك والباطن بأن كفاك.

ويقال: من كان الغالب على قلبه اسمه الأول كانت فكرته في حديث سابقته بماذا سماه مولاه وما الذي جرى له في سابق حكمه أأسعده أم أشقاه، ومَن كان الغالب على قلبه اسمه الآخر كانت فكرته في أنه بماذا يختم له حاله وإلى ماذا يصير مآله أعلى التوحيد يخرج من دنياه أم ـ والعياذ بالله ـ في دار أخرى غداً مثواه. ومَن كان الغالب على قلبه اسمه الظاهر فاشتغاله بشكر ما يجري في الحال من توفيق الإيمان وتحقيق الإحسان وجميل الكفاية وحسن الرعاية. ومن كان الغالب على قلبه اسمه الباطن كانت فكرته في استبهام أمن عليه وتغيّره لديه ولا يدري أفضل ما يعامله به أم مكر ما يستدرجه فيه ربه.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الآية 4] سبق عليه الكلام، ولعل ذكره هنا تمهيد لمقام المرام ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 4] كالبذور والكنوز والأموات ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ [الآية 4] كالعيون والمعادن وأنواع النبات، ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الآية 4] كالأمطار والملائكة والأقضية ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ [الآية 4] كالأرواح الطيبة والأعمال الصالحة والدعوات المقبولة ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ [الآية 4] بنصرته وعلمه وقدرته ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الآية 4] في مملكته ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الآية 4] فيجازيكم على أعمالكم وفق أحوالكم.

قال سهل: يعلم ما يدخل عليه من الفساد والصلاح وما يخرج منها من فنون الطاعة وصنوف الفلاح فيتبين آثارها وتظهر أنوارها الممكنة في الأرواح على صحائف الجوارح والأشباح.

وقال الحسين: ما فارق الحق الأكوان ولا قاربها، كيف يفارقها وهو موجدها وحافظها وكيف يقارب الحدث وبه قوام الكل وهو بائن عن الكل

ألا تراه يقول: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الآية 4].

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يعلم ما يلج إذا دفن العبد ما الذي كان في قلب الموحد من إخلاصه وتوحيده وحسرته وحزنه وفي قلب الجاحد من مثله وشركه ووصف مذمومه، وما ينزل من السماء على قلوب أوليائه من الألطاف والكشوفات وفنون الأحوال الصافيات وما يعرج فيها من أنفاس الأولياء إذا تصاعدت وحسراتهم إذا غلت.

﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 5] ذكره مع الإعادة كما ذكره مع البداءة لأنه لهما بمنزلة المقدمة ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الآية 5] ترد أو تصير فنِعم المولى ونعم النصير ونعم المسير ونعم المصير ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ [الآية 6] باختلاف الزمان وتفاوت الزيادة والنقصان ﴿وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الآية 6] بمكنوناتها من الأمور.

قال سهل: [الليل] نفس/ الطبع والنهار نفس الروح فإذا أراد الله بعبد 332/ ب
خيراً ألّف بين طبعه وروحه على إقامة الذكر وإدامة الفكر فأظهر بذلك عليه آثار الخشوع وأنوار الخضوع.

وقال أيضاً: الله الأعظم مكنى عنه في ست آيات من أول سورة الحديد. وقال أيضاً: ليس في الأسماء من المعنى إلا المعرفة بالمسمى.

﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ﴾ [الآية 7] أي صدقوا بهما وتصدقوا مما جعلكم مستخلفين فيه من الأموال التي جعلكم الله خلفاء بالتمكن منها والتصرف فيها فهي في الحقيقة له لا لكم بل هي رعاية عندكم وفيه حث على الإنفاق وتهوين للنفس على مكارم الأخلاق.

قال أبو عثمان: الأموال عواري في أيدي أربابها فمن أدركه التوفيق أنفق من تلك العواري طلباً لراحة يوم المعاد، ومَن لم يوفّق جمع إلى العارية عارية وأفنى أيامه حتى يسلمها بأجمعها إلى مَن يخلفه فيها بعده من العباد.

﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الآية 7] ثواب كثير، وزاد الأستاذ

فيما أفاد: لأن ما تحويه الأيدي من المال في معرض الزوال فالسعيد من صرفه فيما لديه في الآخرة عمارة حاله دون ما يضره وبال مآله.

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [الآية 8] أي وما تصنعون غير مؤمنين به ﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ﴾ [الآية 8] إلى قربه لتؤمنوا بربكم وتفوزوا بحظكم، والمعنى أي عذر لكم في ترك الإيمان، والحال أن الرسول يدعوكم إلى مقام الإحسان ﴿وَقَدْ أَخَذَ﴾ [الآية 8] أي ربكم ﴿مِيثَاقَكُمْ﴾ [الآية 8] بالإيمان في عالم الذر قبل ذلكم ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الآية 8] أي ثابتين على إيمانكم. وقرأ أبو عمرو: أخذ بالبناء للمفعول ورفع ميثاقكم.

﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾ [الآية 9] أفضل الكائنات ﴿آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم﴾ [الآية 9] أي الله أو رسوله أو كتابه المعبر عنه بالآيات ﴿مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [الآية 9] من ظلمات الجهل والكفر والكفران إلى نور العلم والإيمان والإحسان ﴿وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الآية 9] حيث نبهكم بالرسول والآيات ولم يقتصر على ما نصب لكم من الحجج العقليات ولم يكتف بما علم في الأزل من أحوال الكائنات.

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا﴾ [الآية 10] أو أي شيء يمنعكم من أن لا تصرفوا أموالكم ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الآية 10] في طريق رضاه ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية 10] يرث كل شيء فيهما مما يفنى فإنفاقه بحيث يستخلف عوضاً يبقى وهو الثواب في دار العقبى كان أولى ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ﴾ [الآية 10] مكة أو الحديبية ﴿وَقَاتَلَ﴾ [الآية 10] أي من قبل فصار من السابقين الأولين والمقربين الأفضلين ومن أنفق وقاتل من بعد الفتح فصار من
333/أ أبرار المؤمنين ﴿أُولَٰئِكَ﴾ [الآية 10] أي الأولون ﴿أَعْظَمُ دَرَجَةً﴾ [الآية 10] أي/ مرتبة في الجنة ومنزلة في المقام القربة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا من بعد الفتح إذ عزّ به الإسلام وكثر أهل الوفاق وقلّت الحاجة إلى المقاتلة والإنفاق وسهل أمرهما بعدما كان من أشق المشاق ولذا قيل: السِبَاق قولاً وفعلاً حذّر النفس حسرة المسبوق ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الآية 10] أي وعد الله كلاً من الفريقين

المثوبة الحسنى وهي الجنة المأوى والمنزلة الأسنى. وقرأ ابن عامر: وكل بالرفع على الابتداء أي وكل وعده الله الحسنى من الجزاء ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الآية 10] أي بظواهره وسرائره فيجازيكم على حسب مقداره. والآية نزلت في أبي بكر رضي الله عنه فإنه مَن أنفق في سبيل الله وخاصم الكفار حتى ضُرِبَ ضرباً أشرف به على الهلاك.

قال جعفر الصادق: الإرادات القوية السليمة للمهاجرين وأهل الصفة وإمامهم وسيدهم أبو بكر الصديق الأكبر وهم الذين لم يرثوا الدنيا على الأخرى بل بذلوها ولم يعرجوا عليها ولم يلتفتوا إليها واعتمدوا في ذلك على الله وطلبوا رضاه وموافقة نبي الرحمة فخصهم الله من بين الأمة بقوله: ﴿لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ﴾ [الآية 10].

﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا﴾ [الآية 11] من ذا الذي ينفق ماله في سبيل الله وطريق رضاه رجاء أن يعوضه في دنياه أو عقباه فإنه كمن يقرضه ويأخذ عوضه وحسن الإنفاق بالإخلاص في الحال وتحري أكرم المال، ومن وجه الحلال وعدم المن والأذى في المآل ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ﴾ [الآية 11] أي فيعطيه أجره أضعافاً كثيرة كما في آية أخرى ﴿وَلَهُۥٓ أَجۡرٞ كَرِيمٞ﴾ [الآية 11] ثواب عظيم في الجنة. وقرأ عاصم فيضاعفه بالنصب على جواب الاستفهام باعتبار المعنى المرام فكأنه قال: أيقرض الله أحد فيضاعفه. وقرأ ابن كثير يضعفه مرفوعاً، وابن عامر: يضعفه منصوباً.

قال سهيل: أعطى الله العباد فضلاً ثم سألهم قرضاً.

﴿يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ [الآية 12] ظرف مقدر باذكر ﴿يَسۡعَىٰ نُورُهُم﴾ [الآية 12] بما يوجب تجارتهم من المحنة وهدايتهم إلى الجنة ﴿بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ [الآية 12] قدّام السابقين ﴿وَبِأَيۡمَٰنِهِم﴾ [الآية 12] وهم أصحاب اليمين ﴿بُشۡرَىٰكُمُ ٱلۡيَوۡمَ جَنَّٰتٞ﴾ [الآية 12] أي يقول لهم من يتلقاهم من الملائكة والله سبحانه من غير الواسطة: بشراكم أيها الجماعة والمبشر به جنات، أو بشراكم دخول جنات وحصول درجات أو بشراكم من الله ﴿جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ [الآية 12]

تحت قصورها ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ [الآية 12] مقدرين دخولها ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [الآية 12] من أثر فضل الكريم.

قال سهل: نور المؤمن يسير بين يديه هيبة له في قلوب الموافق
333/ ب والمخالف، فالموافق /يعظِّمه ويعظِّم شأنه والمخالف يهابه ويخافه، وهو النور الذي جعله الله في أوليائه لا يظهر ذلك النور لأحد إلا انقاد له لكمال ضيائه وذلك من نور الإيمان وظهور الإحسان.

وأفاد الأستاذ: إنه نور يعطى كل أحد من المؤمنين بقدر أعمالهم الصالحة، وكما أن لهم هذا النور في العرصة كذلك اليوم لهم في قلوبهم نور يمشون في ضيائه ويهتدون بصفائه، فقد ورد: المؤمن ينظر بنور الله. وقد قال تعالى: ﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزُّمَر: الآية 22] وربما يبسط ذلك النور على مَن يقرب منهم.

﴿يَوۡمَ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ﴾ [الآية 13] حين ينطفىء نورهم ويصعب عليهم أمورهم وربما يقع من ذلك على قلوبهم فهو لا محالة لأوليائه الذين آمنوا وهم في مقام ظهورهم [وحال سرورهم وخصومهم] ﴿ٱنظُرُونَا﴾ [الآية 13] انتظرونا فإنه يسرع بهم إلى الجنة كالبرق الخاطف، أو انظروا إلينا فإنهم إذا نظروا إليهم استقبلوهم بوجوههم فيستضيئون بنور بين أيديهم. وقرأ حمزة: ﴿أَنظِرُونَا﴾ [الآية 13] من الإنظار على أن انتظارهم ليلحقوا بهم إمهال لهم ﴿نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ﴾ [الآية 13] نُصِبْ منه وراء ظهوركم ﴿قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ﴾ [الآية 13] إلى الدنيا فالتمسوا نوراً للعقبى بتحصيل المعارف الإلٰهية والأخلاق الإنسانية فإنه متولِّد منهما ومنتج عنهما أو هو تهكُّم بهم وتخييب لهم من المؤمنين والملائكة.

قال الأستاذ: ارجعوا إلى حكم الأزل واطلبوا هذا من قسمة اليوم الأول، وهذا على جهة صرف المثل لاستبعاد حصول ذلك الأمل.

﴿فَضُرِبَ بَيۡنَهُم﴾ [الآية 13] بين الفريقين من المؤمنين والمنافقين ﴿بِسُورٖ﴾ [الآية 13] بحائط كمال ظهور.

قال الأستاذ: هو جبل أصحاب الأعراف له باب يدخل منه المؤمنون

﴿بَاطِنُهُۥ﴾ [الآية 13] في باطن السور أو الباب ﴿فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ﴾ [الآية 13] لأنه يلي الجنة ﴿وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ﴾ [الآية 13] من جهته ﴿ٱلۡعَذَابُ﴾ [الآية 13] لأنه يلي نار العقوبة.

﴿يُنَادُونَهُمۡ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡ﴾ [الآية 14] في ظاهر الوفاق ﴿قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمۡ فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ﴾ [الآية 14] أوقعتموها في الفتنة الموجبة للعقوبة بالنفاق ﴿وَتَرَبَّصۡتُمۡ﴾ [الآية 14] انتظرتم بالمؤمنين دائرة السوء ﴿وَٱرۡتَبۡتُمۡ﴾ [الآية 14] شككتم في الأمر ﴿وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ﴾ [الآية 14] كامتداد العمر ﴿حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ [الآية 14] وهو الموت أو ظهور العقبى ﴿وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾ [الآية 14] الشيطان أو الدنيا.

قال سهيل: ﴿فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗا﴾ [الآية 13] أي بعقولكم التي كنتم تدبرون بها أموركم في الدنيا فيرجعون إلى ورائهم فيضرب الله بين أنفسهم وعقولهم سرّ الحيرة فلا يصلون إلى مقام المعرفة.

وقال حاتم: لا تصح الموافقة إلا بالأسرار المقتضية لظهور الأنوار قال تعالى: ﴿يُنَادُونَهُمۡ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمۡ فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ﴾ [الآية 14] بمخالفة السرائر للظواهر.

وأفاد الأستاذ: أن مخالفة الضمائر والسرائر لا تنكتم بموافقة الظواهر والأسرار لا تنكتم عند الاختيار/. 334/ أ

﴿فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُؤۡخَذُ مِنكُمۡ﴾ [الآية 15] أيها المنافقون ﴿فِدۡيَةٞ﴾ [الآية 15] فداء. وقرأ ابن عامر بالتأنيث ﴿وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ﴾ [الآية 15] ظاهراً وباطناً ﴿مَأۡوَىٰكُمُ﴾ [الآية 15] مثواكم جميعكم ﴿ٱلنَّارُۖ﴾ [الآية 15] على اختلاف مقامكم ﴿هِيَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ﴾ [الآية 15] أولى بكم. وقرأ بها إليكم، ﴿وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [الآية 15] مصيركم بسوء مسيركم.

﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ﴾ [الآية 16] ألم يأت بهم وقت خشوعها وزمان خضوعها ﴿لِذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 16] عموماً ﴿وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾ [الآية 16] أي القرآن خصوصاً. وقرأ نافع وحفص بتخفيف الزاي.

روي أن المؤمنين كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا أصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه من المجاهدة في الطاعة.

﴿وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ﴾ [الآية 16] عطف على تخشع. والمراد النهي عن مماثلة أهل الكتاب فيما حكى عنهم بقوله: ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ﴾ [الآية 16] أي الزمان بطول أعمارهم أو آمالهم أو ما بينهم وبين أنبيائهم ﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الآية 16] والقسوة تنشأ من الغفلة كما قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزُّمَر: الآية 22].

وقال سهل: حصول القسوة باتباع الشهوة. وقال أبو بكر: القسوة تتولد من قلة المراقبة. واختيار الأستاذ أن القسوة إنما تحصل من اتباع الشهوة والصفوة لا تجتمعان إذا حصلت الشهوة رحلت الصفوة. ويقال: موجب القسوة انحراف القلب عن مراقبة الرب، ويقال: موجب القسوة أوله الخطرة فإن لم تدارك صارت فكرة، فإن لم تدارك جرت المخالفة فتصير قسوة وبعد ذلك طبع ورين وسوء خاتمة، نسأل الله العافية.

﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الآية 17] تمثيل لإحياء القلوب القاسية بالذكر والتلاوة أو لإحياء الأموات ترغيباً في الخشوع وزجراً عن القساوة.

وقال الأستاذ: يحيي الأرض بعد موتها بإنزال المطر عليها وإخراج النبات منها ويحيي القلوب الميتة بحسن إقباله عليها بعد إعراضه عنها ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الآية 17] كي تكمل عقولكم بالتأمل فيها.

﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ﴾ [الآية 18] وقد قرىء به، وقرأ ابن كثير وأبو بكر بتخفيف الصاد أي المصدقين بالله ورسوله والمقرّين بهما ﴿وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [الآية 18] عطف على معنى الفعل في المحلى باللام لأن معنى الكلام: إن الذين تصدقوا أو صدقوا وأقرضوا بإنفاق المال واكتساب سائر الأعمال ﴿يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الآية 18] أي نعيم مقيم.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ﴾ [الآية 19] وأطاعوا / كلاً منهما في أمره ونهيه 334/ ب
﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ [الآية 19] المبالغون في الصدق فإنهم صدقوا جميع أخبار

الله ورسله ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الآية 19] القائمون بالشهادة على الأمم يوم القيامة ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ [الآية 19] في الجنة ﴿وَنُورُهُمْ﴾ [الآية 19] في القيامة، ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الآية 19] بذاتنا وصفاتنا ﴿وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ [الآية 19] النازلة من عندنا ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الآية 19] ملازموها لا ينفكون عنها، فيه دليل على أن الخلود في النار مخصوص بالكفار لأن الصحبة تدل عرفاً على الملازمة.

وأفاد الأستاذ: أن الصديق من استوى ظاهره وباطنه في مقام التحقيق. ويقال: هو الذي يحمل الأمر على الأشق من الطاعات ولا ينزل إلى المرخصات ولا يجنح إلى التأويلات والشهداء الذين يشهدون بقلوبهم مواطن الوصلة ويعتكفون بأسرارهم في أوطان القربة ونورهم ما كحل الحق بصائرهم من أنوار التوحيد وضمائرهم من أسرار التفريد.

﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ [الآية 20] لما بيَّن عَظَمَة الأحوال الأخروية حقّر الأمور الدنيوية وحجبها الحسيّة المانعة من وصول المقامات الرضية وحصول الدرجات العلية وذكر أنها لعب يتعب الناس فيه أنفسهم جداً إتعاب الصبيان في الملاعب من غير عائدة ولهوٌ يلهون به أنفسهم عما يهمهم من خدمة مولاهم وينفعهم في أخراهم وزينة كالملابس الحسنة والمراكب البهية والمنازل الرفيعة وتفاخر بالإنساب والأحساب وتكاثر بالعدد والعُدد، أو المراد بهذه الأحوال مراتب الإنسان من صغره إلى كبره في الانتقال فإنه أولاً في مقام اللعب، ثم في اللهو بلذة الشهوة، ثم في خيلاء الزينة، ثم في المفاخرة بكمال نسبه وجمال حسبه، ثم الحرص على جمع الأموال وكثرة الأولاد والأحفاد فإنهما وسيلة الجاه بين العباد في البلاد وكلها أمور خيالية وأحوال وهمية قليلة الغناء كثيرة العناء سريعة الفناء.

﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ﴾ [الآية 20] مخضراً ﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾ [الآية 20] أي ييبس ﴿فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا﴾ [الآية 20] يصير منكسراً، ثم عظّم أمور الآخرة مكرراً بقوله: ﴿وَفِى ٱلْأَخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [الآية 20] للكفار ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ﴾ [الآية 20] للأبرار كأن ذلك تنفيراً عن الانهماك في الدنيا وتحريضاً على

ما يوجب الكرامة في العقبى، ثم أكد ذلك بقوله: ﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾ [الآية 20] لمن أقبل عليها ولم يطلب الآخرة بما لديها.

335/أ وأفاد الأستاذ: أن الدنيا حقيرة وأحقر منها / قدراً طالبها وأقل منه خطر المزاحم فيها وأخسّهم من يخل بها، فما هي إلا جيفة وطالب الجيفة ليس له قيمة، وهذه الدار المذمومة هي ما يشغل العبد عن الآخرة وكل ما يشغل العبد عن المولى فهو الدنيا.

﴿سَابِقُوٓاْ﴾ [الآية 21] سارعوا وبادروا ﴿إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ [الآية 21] إلى موجباتها من التوبة وغيرها ﴿وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الآية 21] فما ظنك بطولها. والمراد به البسط والسعة كقوله تعالى: فذو دعاء عريض ﴿أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ﴾ [الآية 21] وسائر الأنبياء، ذلك الموعود ﴿فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ﴾ [الآية 21] من عباده من غير إيجاب عليه في مراده ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الآية 21].

وقال الأستاذ: لما سمعت أذان الموحدين بهذا الخطاب المستطاب ابتدرت الأرواح مقتضية هذه المسابقة في جوارح الأشباح وصارت مستجيبة لمطالبتها مستبشرة لمطالعتها حيث وجدوا هذا الاستدعاء من الحق سبحانه.

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الآية 22] كجدب وعاهة ﴿وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ [الآية 22] كمرض وآفة ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٖ﴾ [الآية 22] مكتوبة في اللوح مثبتة في علم الله المحيط بها وبغيرها ﴿مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ﴾ [الآية 22] نخلقها، والضمير للمصيبة أو الأرض أو الأنفس أن ذلك تثبيته في كتاب القدرة على الله يسير هيِّن لاستغنائه فيه عن العُدّة والمدة.

﴿لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ﴾ [الآية 23] إلى كثب أو أثبت لئلا تحزنوا ﴿عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ﴾ [الآية 23] من نعم الدنيا ﴿وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ﴾ [الآية 23] أي أعطاكم الله منها فإن مَن علم أن الكل بالقضاء والقدر هان عليه الأمر. وقرأ أبو عمرو: بما أتاكم من الإتيان ليعادل ما فاتكم، وعلى الأول فيه إشعار بأن فواتها يلحقها إذا خلّيت وطباعها، وأما حصولها وبقاؤها فلا بد لها من سبب يوجد لها.

أو المراد به نفي الأسى المانع عن التسليم لأمر الله تعالى والفرح الموجب للاختيال والافتخار ولذا عقبه بقوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ﴾ [الآية 23] إذ قلّ مَن يثبت في حاليّ الضراء والسراء.

قال جنيد: مَن عرف الله بالربوبية وافتقر إليه في إقامة العبودية وشهد بسره ما كشف الله له من آثار القدرة بقوله ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الآية 22] فسمع هذا من ربه فعقله وقع في الروح والراحة وهان عليه ما يصيبه من المحنة.

وقال الواسطي: الفرح بالكرامات من الاغترارات والجهالات والتلذذ بالأفضال نوع من الإغفال والخمود تحت جريان الأمور زين لكل مأمور، قال تعالى: ﴿لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ﴾ [الآية 23] الآية.

وأفاد الأستاذ: أن المصيبة خصلة تقع وتحصل فنقول سبحانه لم يحصل / في الأرض ﴿وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ﴾ [الآية 22] شيء إلا هو مثبت في 335/ ب اللوح المحفوظ على الوجه الذي سبق به العلم وحق فيه الحكم قبل أن يخلق فكل ما حصل في الأرض من خصب أو جدب أو ضيق أو سعة أو فتنة أو استقامة وما حصل في النفوس من حزن أو سرور أو موت أو حياة كل ذلك مثبت في اللوح المحفوظ قبل وقوعه بزمان طويل. وفي قوله: ﴿مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ﴾ [الآية 22] دليل على أن أكساب العباد مخلوقة لله تعالى وللعبد من العلم بأن ما يصيب من بسط وراحة وشيء من واردات القلوب من الله أشد سروراً وأتم أنساً حيث علم أنه أفرده بذلك بظهر غيب منه بل وهو في كتم العدم ولهذا قالوا:

سقياً لمعهدك الذي لو لم يكن ... مما كان قلبي للصبابة معهدا

﴿لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ﴾ [الآية 23] الآية هذه صفة المتحررين عن رق النفوس وقيمة الرجال إنما تبين بتغيرهم فمن لم يتغير بما يرد عليه مما لا يريده من جفاء أو مكروه أو محنة فهو كامل في المعرفة، ومن لم يتغير بالمسار كما لا يتغير بالمضار ولا يسرّه الوجود كما لا يحزنه العدم فهو سيد وقته. ويقال: إذا أردت أن تعرف الرجل فاطلبه عند الموارد. فالتغير من علامات بقاء النفس بأي وجه كان

﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ﴾ [الآية 23] لأنّ الاختيال من بقاء النفس ورؤيتها والفخر من رؤية خطر ما به يفتخر وينبغي تنزُّه النفس عن خطرتها.

﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ﴾ [الآية 24] بدل من كل مختال فإن المختال يضره غالباً بالمال ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ [الآية 24] يعرض عن مقام الكمال بإنفاق المال وتصحيح الحال ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ﴾ [الآية 24] عنه وعن إنفاقاته ﴿ٱلۡحَمِيدُ﴾ [الآية 24] المحمود في ذاته وصفاته لا يضره الإعراض عن شكره ولا ينتفع بالتقرب إليه شيء من نعمه. وقرأ نافع وابن عامر بحذف ضمير الفصل.

وفي «تفسير السلمي» قيل: البخيل أن يرى لنفسه ملكاً.

وأفاد الأستاذ: أن البخل على لسان أهل العلم منع الواجب فأما على بيان هذه الطائفة فقد قالوا: البخل رؤية قدر الأشياء، وقالوا: البخيل الذي لا يعطي إلا عند السؤال. وقيل: من كتب على خاتمه اسمه فهو بخيل.

﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا﴾ [الآية 25] أي الملائكة إلى الأنبياء أو الأنبياء إلى الأمم ﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ [الآية 25] بالآيات أو المعجزات ﴿وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ﴾ [الآية 25] مع بعضهم ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [الآية 25] لتبيين الحق وتمييز الصواب أو في جملتهم الكتب المنزلة ﴿وَٱلۡمِيزَانَ﴾ [الآية 25] ليقام به العدل ويظهر الإحسان ﴿لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾ [الآية 25] بالعدل والفضل وإنزاله إنزال أسبابه والأمر بإعداده ﴿وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ﴾ [الآية 25] بأسباب سماوية في إيجاده.

336/ أ وقال الأستاذ: أنزلنا/ الحكم بالميزان وخلقنا ﴿ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ﴾ [الآية 25] فإن آلات الحروب متخذة منه ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الآية 25] إذ ما من صنعة إلا ومن الحديد له آلة ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ﴾ [الآية 25] أي أنزله ليعلم ﴿مَن يَنصُرُهُۥ﴾ [الآية 25] إلى سبله ﴿وَرُسُلَهُۥ﴾ [الآية 25] باستعمال الأسلحة في مجاهدة الكفرة ﴿بِٱلۡغَيۡبِ﴾ [الآية 25] حال من المستكن أو البارز في نصره ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ﴾ [الآية 25] قادر على إهلاك من أراد هلاكه من غير سبب وإنه ﴿عَزِيزٞ﴾ [الآية 25] غالب على مراده غير مفتقر إلى نصرة وإنما أمر العباد بالجهاد لينتفعوا بغنائم الأموال في الدنيا ويستوجبوا ثواب الامتثال في العقبى.

وقال الأستاذ: أرسلناهم مؤيدين بالحجج اللائحة والبراهين الواضحة وأرحنا العلة لمن أراد سلوك المحجة المثلى ويسرنا السبيل على من آثر اتباع الهدى على ابتداع الهوى.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا﴾ [الآية 26] في بعض نسل كل منهما ﴿ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ [الآية 26] بأن استنبأناهم وأوحينا الكتاب إليهم على طريق الأصالة أو سبيل التبعية ﴿فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ﴾ [الآية 26] فمن الذرية قوم مهتدون بالدين القويم ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الآية 16] خارجون عن الطريق المستقيم.

﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا﴾ [الآية 27] أي أرسلنا بعد نوح وإبراهيم ومن أرسلنا إليهم رسلنا من أنبياء بني إسرائيل واحداً بعد واحد ﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ [الآية 27] أي أتينا به بعدهم ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ﴾ [الآية 27] هدى من الضلالة ﴿وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ [الآية 27] والرأفة شدة الرحمة، ولعل اختلاف الصفة باختلاف طوائف الأمة أو يتفاوت المرؤوف بهم والمرحوم عليهم ﴿وَرَهْبَانِيَّةً﴾ [الآية 27] أي وابتدعوا رهبانية ﴿ٱبْتَدَعُوهَا﴾ [الآية 27] من تلقاء أنفسهم وهي المبالغة في العبادة والرياضة والانقطاع عن الخلق بالعزلة منسوبة إلى الرهبان وهو المبالغ في الخوف من رهب كالخشيان من خشي ﴿مَا كَتَبْنَٰهَا﴾ [الآية 27] ما أوجبنا عليهم ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 27] أي ولكنهم ابتدعوها طلباً لمرضاة الله ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الآية 27] بسبب الكفر والسمعة ونحوها فلم يفوا بما وعدوا ولم يصدقوا فيما عقدوا ﴿فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الآية 27] أتوا بالإيمان الصحيح ﴿مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الآية 27] خارجون عن حق الاتباع في أمرهم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟﴾ [الآية 28] بالرسل المتقدمة ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [الآية 28] أي احذروا مخالفته أو خافوا عقوبته ﴿وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ﴾ [الآية 28] محمد عليه السلام ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ﴾ [الآية 28] نصيبين ﴿مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ [الآية 28] لإيمانكم برسوله وإيمانكم بمن قبله، والظاهر أن الخطاب للنصارى الذين كانوا في عصره / ولم يقولوا بالتثليث ونحوه ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ [الآية 28] تسلكون فيه 336/ ب

طريق الحق في الدنيا أو نوراً يسعى بين أيديكم وبأيمانكم في العقبى ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ [الآية 28] ما صدر عنكم قبلاً وبعداً ما عدا كفركم ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ [الآية 28] لكم ﴿رَّحِيمٌ﴾ [الآية 28] بكم أو غفور لذنوبكم رحيم بقبولكم.

وقال جنيد: يا أيها الموحدون اتقوا الله أن لا يسلبكم حلاوة معرفته وسرور محبته وآمنوا برسوله واقتدوا به في محبته لمولاه واستسلام نفسه له فيما قدّره وقضاه ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ [الآية 28] نورين من نوره نور تقوون بهِ في ذكره وعبادته ونور تقوون به على مشاهدته، ويخصكم بنور ساطع في أرواح أهل محبته الذي به يقوون على استماع الذكر وكلامه والتمتع بمخاطبته ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [الآية 28] ملاحظاتكم لأنفسكم.

﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الآية 29] أي ليعلموا ولا مزيدة، ويؤيده أنه قرىء ليعلم ولكي يعلم، ولأن يعلم أهل الكتاب ﴿أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 29] إن هي المخففة والمعنى أنهم لا ينالون شيئاً مما ذكر من فضله ولا يتمكنون من نيله لأنهم لم يؤمنوا برسوله وهو مشروط بالإيمان به، ﴿وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ﴾ [الآية 29] مطلقاً لا سيما فضل النبوة والإيمان والمعرفة ﴿بِيَدِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 29] كسائر الأشياء ﴿يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الآية 29] وقيل لا غير مزيدة، والمعنى لئلا يعتقدوا أن لا يقدر النبي ومن معه على شيء من فضل الله فيكون، وأن الفضل عطفاً على ألا يعلم.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة في هذه الآية: اتقوا الله بحفظ الأدب معه ولا تأمنوا مكره بأن يسلبكم ما وهبكم من أوقاتكم وكونوا على حذر من أن يغتال تقديره في تغير ما أذاقكم من أنس محبته واتبعوا الرسول وحافظوا على اتباعه في سنّته يؤتكم نصيبين من فضله عصمة ونعمة، فالعصمة من البقاء عنه والنعمة في البقاء به، ويقال: يؤتكم كفلين من رحمته نصيب من التحقيق في وجوده وحظ من التحقق بشهوده.

سورة المجادلة

[مدنية]

وهي ثلاث وعشرون آية[1]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[المجادلة] بكسر الدال وهو الصحيح.

قال الأستاذ: بسم الله كلمة من عرفها بذل الروح في طلبها وإن لم يحظ بوصولها كلمة من طلبها اكتفى بالطلب عن قبولها، كلمة جبارة لا تنظر إلى كل أحد، كلمة قهارة لا يوجد من دونها ملتحد، كلمة فيها بلاء الأحباب لكن فيها شفاء الألباب.

﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الآية 1] في همّها وإزالة غمّها.

روي أن خولة بنت ثعلبة ظاهر عنها زوجها أوس/ بن الصامت فاستفتت 337/ أ رسول الله ﷺ فقال: حَرُمتِ عليه، فقالت: ما طلقني، فقال: حرمت عليه. فاغتمّت لصغر أولادها وشكت إلى الله تعالى، فنزلت هذه الآيات الأربع.

﴿وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾ [الآية 1] تراجعكما الكلام بينهما والخطاب لها وللنبي ﷺ على تغليبه عليها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ﴾ [الآية 1] للأقوال ﴿بَصِيرٌ﴾ [الآية 1] بالأحوال.

وأفاد الأستاذ: أنها لما صدقت في شكواها إلى الله وأيست من استكشاف ضرها من غير الله أنزل الله في شأنها ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ﴾ [الآية 1]. ويقال: تضرعت إلى الله ورفعت قصتها إلى الله ونشرت غصتها بين يدي الله فنظر

(1) كذا في الأصل المخطوط.

إليها الله وقال: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ﴾ [الآية 1].

ويقال: صارت واقعتها فُرجة ورخصة للمسلمين إلى يوم القيامة في مسألة الظهار ليعلم العالمون أن أحداً لا يخسر على الله في الخبر أنها قالت: يا رسول الله إن أوساً تزوجني شابة غنية ذات أهل ومال كثير فلما كبر عنده سنّي وذهب مالي وتفرّق أهلي جعلني عليه كظهر أمه وقد ندم من قوله وأن لي صبية صغار إن ضممتهم إليه ضاعوا وإن ضممتهم إليّ جاعوا(1).

ففي رواية أنه ﷺ قال لها: ما أمرت بشيء في شأنك، وفي رواية قال لها: بنت عنه(2)، فترددت إلى رسول الله ﷺ في ذلك إلى أن أنزل الله حكم الظهار(3).

﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم﴾ [الآية 2] الظهار أن يقول الرجل لامرأته: أنت علي كظهر أمي، مشتق من الظهر وألحق بها الفقهاء تشبيهاً بجزء محرَّم كالبنت والأخت وبعضو محرَّم كالبطن والفخذ. وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو: يظهرون بتشديد الظاء والهاء وأصله يظهرون. وابن عامر وحمزة والكسائي: يظّاهر بتشديد الظاء من أظّاهر وأصله تظاهر. وعاصم: يظاهرون من ظاهر وهو أظهر في المبنى وأشهر في المعنى ﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمۡۖ﴾ [الآية 2] على الحقيقة ﴿إِنۡ أُمَّهَٰتُهُمۡ﴾ [الآية 2] أي ما أمهاتهم ﴿إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدۡنَهُمۡۚ﴾ [الآية 2] فإن الأمهات مخدومات والزوجات خادمات فلا يشبه بهن في الحرمة إلا ما ألحقها الله بهن كالمرضعات والأزواج الطاهرات ﴿وَإِنَّهُمۡ﴾ [الآية 2] أي أهل الجاهلية ﴿لَيَقُولُونَ مُنكَرٗا مِّنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾ [الآية 2] إذ الشرع أنكره ﴿وَزُورٗاۚ﴾ [الآية 2] محرفاً عن الحق من الكلام فإن الزوجة لا تشبه الأم في مقام المرام ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ﴾ [الآية 2] لما سلف من هذا الكلام قبل ظهور أحكام الإسلام.

---

(1) انظر تفسير البغوي (8/ 47)، والكشاف (7/ 8)، وتخريج الأحاديث والآثار (3/ 423) رقم (1301).

(2) أخرجه أبو نعيم في معرفة الصحابة (23/ 89) رقم (6967)، وانظر تفسير القشيري (7/ 395).

(3) انظر تفسير القشيري (7/ 395).

وأفاد الأستاذ أن المرأة لما سمعت رسول الله ﷺ قوله: نبت عنه، كان الواجب عليها السكوت والصبر ولكن الضرورة / أنطقتها بالمراودة وحملتها 337/ ب على المعاودة وحصل من هذا مسألة وهو أن كثيراً من الأشياء ظاهر العلم يحكم فيه بشيء ثم الضرورة تغيِّر ذلك الحكم لصاحبها.

﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ﴾ [الآية 3] أي إلى نقض مقولهم فيها بالعزم على جماعها وهو مذهب أبي حنيفة ومالك رضي الله عنهما، وعند الشافعي رحمه الله بإمساك المظاهر عنها في النكاح زماناً يمكنه طلاقها فيه ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ [الآية 3] أي فعليهم أو فالواجب إعتاق أمة ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ﴾ [الآية 3] أي يجامعا، وفيه دلالة على حرمة المجامعة قبل الكفارة ﴿ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ﴾ [الآية 3] لأنه يدل على ارتكاب الجناية الموجبة للغرامة ويردع عنه بالندامة ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الآية 3] لا يخفى عليه خافية.

﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ [الآية 4] أي الرقبة أو قيمتها ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ﴾ [الآية 4] أي الصوم لهرم أو مرض مزمن أو سبق مفرط فإنه عليه السلام رخص للأعرابي المفطِر أن يعدل إلى الإطعام لأجل شبقه المفرط[1] ﴿فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًاۚ﴾ [الآية 4] فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر أو صاعاً من غيره عند أبي حنيفة وإنما لم يذكر التماس مع الطعام لجوازه في خلال الإطعام كما قال الإمام ذلك البيان والإعلام أو التعليم للأحكام ﴿لِتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الآية 4] لتصدقوا بقول الله وحكم رسوله ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ [الآية 4] لا يجوز قربها فضلاً عن تعديها ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ﴾ [الآية 4] الذين لا يقبلونها ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الآية 4] فيما يفعلونها.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الآية 5] أي يخالفونهما أو يختارون حدوداً غير حدودهما ﴿كُبِتُواْ﴾ [الآية 5] أخزوا وأذلوا أو أهلكوا ﴿كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ﴾ [الآية 5] يعني كفار الأمم الماضية ﴿وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۚ﴾ [الآية 5] تدل

(1) شدّة طلب النكاح. انظر لسان العرب (10/ 171).

على صدق الرسول وما جاء به من الأحكام الباقية ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [الآية 5] يذهب عزّهم وتكبُّرهم يوم القيامة.

قال الأستاذ: نزل في المنهزمين يوم الخندق أجرى الله سنّته بالانتقام من أهل الإجرام ومن ضيَّع سنّةً للرسول عليه السلام أو أحدث بدعة في أحكام الإسلام انخرط في سلك هذا النظام.

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾ [الآية 6] أجمعين أو مجتمعين ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ﴾ [الآية 6] فيجازيهم بأعمالهم على حسب أحوالهم ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ [الآية 6] أحاط به علماً ﴿وَنَسُوهُ﴾ [الآية 6] لكثرته عدداً أو تهاونهم به حكماً ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [الآية 6] يعلم السر وأخفى.

وفي «تفسير السلمي» قيل: من نسي جرائمه ولم يكثر عليها بكاءه ولم
يتأسف عليه بالتوبة والندامة فقد ضيّع عمره وندم يوم القيامة/ . 338/ أ

وأفاد الأستاذ: أنه إذا حوسب أحد في القيامة على عمل عمله تصوّر له ما فعله وتذكّره حتى كأنه في تلك الحالة قام من بساط الزلة فيقع عليه من الخجالة والندامة ما ينسى في جبته كل عقوبة فضلاً عن الملامة فسبيل المسلم أن لا يحوم حول مخالفة أمر مولاه فإن جرى التقدير ووقع في هُجنة التقصير فلتكن زلّته على البال وليتضرع إلى الله بحسن الابتهال.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 7] كليّاً وجزئياً ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ﴾ [الآية 7] ما يقع من تناجي ثلاثة ﴿إِلَّا هُوَ﴾ [الآية 7] أي الله سبحانه ﴿رَابِعُهُمْ﴾ [الآية 7] يجعلهم أربعة من حيث أن يشاركهم في الاطلاع على نجواهم والاستثناء من أهم الأحوال ﴿وَلَا خَمْسَةٍ﴾ [الآية 7] ولا نجوى خمسة ﴿إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ [الآية 7] وتخصيص العددين إما لمخصوص الواقعة فإن الآية نزلت في تناجي المنافقين أو لأن الله وتر يحب الوتر والثلاثة أول الأوتار في عدد المحاسبين ﴿وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ﴾ [الآية 7] تعميم بعد تخصيص ﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾ [الآية 7] يعلم ما يجري بينهم ﴿أَيْنَ مَا كَانُواْ﴾ [الآية 7] فإن علمه بالأشياء ليس لقرب مكان ولا بخصوص زمان حتى يتفاوت باختلاف الأمكنة أو الأزمنة

﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ﴾ [الآية 7] تفضيحاً لهم في حال الندامة وتقريراً لما يستحقونه من الملامة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الآية 7] لا يخفى عليه خافية.

وأفاد الأستاذ أن معية الحق سبحانه وإن كانت على العموم بالعلم والروية وعلى الخصوص بالفضل والرحمة فلهذا الخطاب المستطاب في الباب أرباب المعرفة أثر عظيم لرفع الحجاب وإلى أن ينتهي الأمر بهم إلى التأويل فللوله والهيمان في خمار سماع هذا عيش راغد طويل. ويقال: أصحاب الكهف وإن جلّت رتبتهم واختصت من بين الناس مزيتهم فالحق سبحانه يقول: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف: الآية 22]، ولما انتهى إلى هذه الآية يقول: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ [الآية 7] فشتان بين من رابعه كلبه وبين من رابعه ربّه انتهى. وسبق له مثل هذا في سورة الكهف ولا يخفى أن عدم حسن المقابلة مبنى ولا وجود تخصيص هذه الأمة بمضمون هذه الآية معنًى.

ثم قال ـ ونِعْم ما قال ـ: حيث ما كنت فأنا معك، إن حضرت المسجد فأنا معك بإسباغ النعمة ولو بعداً، وإن أتيت المصطبة ـ بكسر الميم كالدكان للجلوس عليه منه ـ فأنا معك بإسبال ستر المغفرة ولكن بعداً.

هبك تباعدت وخالفتني تقدر أن تخرج عن ملطفي

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ﴾ [الآية 8] نزلت في اليهود والمنافقين/ كانوا يتناجون فيما بينهم ويتغامزون بأعينهم إذا رأوا 338/ ب
المؤمنين فنهاهم رسول الله ﷺ عنه ثم عادوا بمثل فعلهم ﴿وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ﴾ [الآية 8] بما هو إثم عليهم وعدوان للمؤمنين عموماً وتواص بمخالفة الرسول خصوصاً. وقرأ حمزة: يتناجون يفتعلون من النجوى ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ﴾ [الآية 8] السلام عليك يا مصطفى والله سبحانه يقول: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [النمل: الآية 59]. ﴿وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [الآية 8] في بواطنهم أو فيما بينهم ﴿لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُۚ﴾ [الآية 8] في حق الرسول لو كان صادقاً في نزول ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ﴾ [الآية 8] كافيهم عذابها

﴿يَصۡلَوۡنَهَاۖ﴾ [الآية 8] يدخلونها ﴿فَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [الآية 8] جهنم ومثواها.

وأفاد الأستاذ: أنهم آذوا قلوب المسلمين بما كانوا يتناجون بينهم ولم يكن في تناجيهم فائدة لهم إلا قصدهم بذلك شغل قلوب المؤمنين ولم ينتهوا عنه لما نهوا وأصروا على ذلك ولم ينزجروا عما هنالك فتوعدهم على تلك الفعلة، فتكون عقوبتهم بتغامز الملائكة غداً فيما بينهم في بابهم وهم شاهدون نتيجة ظنونهم ومعذّبون بقساوة قلوبهم، ثم لا ينكشف بهم الحال إلا بما يزدادون حزناً على الحزن ووبالاً على الوبال.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوۡاْ﴾ [الآية 9] كما يفعله أعداؤكم فإنه غير مناسب لكم ﴿وَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ﴾ [الآية 9] بما يتضمن البر والإحسان للمؤمنين والاتقاء عن العدوان ومخالفة سيد المرسلين ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ [الآية 9] فيما تأتون وتذرون فإنكم بالكل مجزيون ومحاسبون.

﴿إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ﴾ [الآية 10] أي بالإثم والعدوان ﴿مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ [الآية 10] لأنه المزين لها والحامل عليها ﴿لِيَحۡزُنَ﴾ [الآية 10] أي الشيطان أو التناهي أو المتناجي ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الآية 10] همهم أنها في نكبة أصابتهم ومحنة قاربتهم ﴿وَلَيۡسَ بِضَآرِّهِمۡ﴾ [الآية 10] بضار المؤمنين ﴿شَيۡـًٔا﴾ [الآية 10] من المضار ﴿إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ [الآية 10] ألا مضرّة تعلّقت بمشيئته ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [الآية 10] فليعتمدوا على مولاهم ولم يبالوا بنجواهم.

قال سهل: النجوى هو إلقاء من العدو إلى نفس الطبع كما ورد للملك لمة وللشيطان لمة.

وقال الأستاذ: وإذا كانت المشاهدة غالبة والقلوب حاضرة والتوكل صحيحاً صادقاً والنظر من موضعه صائباً فلا تأثير لمثل هذه الحالات وإنما هو للضعفاء في المقامات.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ﴾ [الآية 11] توسعوا فيه ليسع بعضكم، والمراد/ بالمجلس الجنس، ويدل عليه قراءة عاصم في المجالس 339/أ

أو مجلس رسول الله ﷺ فإنهم كانوا يتضامُّون تنافساً على القرب منه وحرصاً على استماع كلامه عنه. ﴿فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [الآية 11] فيما تريدون التفسح فيه من الأمر كالمكان والرزق والصدر. وقال فارس: وسعوا صدوركم لقبول الحق يمنّ الله عليكم بحصول الحقيقة. ﴿وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا﴾ [الآية 11] انهضوا للتوسعة أو لما أُمرتم به من العبادة أو ارتفعوا في مجلس العادة ﴿فَانْشُزُوا﴾ [الآية 11] وقرأ نافع وابن عامر وأبو بكر بخلاف عنه بضم الشين فيهما ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾ [الآية 11] بالنصر وحسن الذكر في الدنيا وبالإيواء في غرف الجنات في الأخرى ﴿وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [الآية 11] أي ويرفع العلماء منكم خاصة درجات بما جمعوا بين العلم النافع والعمل الصالح فإن العلم مع علو الدرجة مقتضٍ للعمل المقرون به مزيد الرفعة وقد ورد فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم(1).

وفي رواية: كفضل ليلة البدر على سائر الكواكب(2).

وفي الحديث العيسوي عليه السلام: من علم وعمل وعلَّم يدعى في الملكوت عظيماً(3).

﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الآية 11] فيجازيكم به وفيه وعد ووعيد.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه لكمال رحمته بهم وتمام رأفته عليهم علّمهم مراعاة حسن الأدب بينهم فيما كان لهم من أمور العادة دون أحكام العبادة بالتفسح في المجلس والتضام في حال الرحمة والكثرة وأعزِزْ بأقوام أمرهم بالدقائق لقيامهم بأصول الدين وتحققهم بأركان الحقائق.

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (8/ 233) رقم (7911)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/ 50) رقم (2685)، والدارمي في السنن (1/ 100) رقم (289).

(2) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (2/ 212) رقم (1696)، وابن حبان في الصحيح (1/ 289) رقم (88)، وأبو داود في السنن (3/ 354) رقم (3643).

(3) أورده ابن عبد البر في جامع بيان العلم (2/ 349) رقم (797)، والغزالي في إحياء علوم الدين (1/ 922 و3/ 38).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ﴾ [الآية 12] فتصدَّقوا قدّامها، وفي هذا الأمر تعظيم الرسول ونفع الفقراء والميز بين الموافق والمنافق ومحب المولى ومحب الدنيا، واختلف في وقوع هذا الأمر ندباً أو وجوباً لكنه منسوخ بقوله: ﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ﴾ [الآية 13] وهو أن اتصل به تلاوة وحصولاً لم يتصل به نزولاً حتى لا يمكن العمل به، فعن علي كرَّم الله وجهه أن في كتاب الله أنه ما عمل بها أحد غيري كان لي دينار فصرفته فكنت إذا ناجيته تصدّقت بدرهم[1]. وهو على القول بالوجوب لا يقدح في غيره فلعله لم ينفق للأغنياء نجوى في مدة بقائه إذ روي أنه لم يبق إلا عشراً وقيل إلا ساعة[2] ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية 12] التصدُّق ﴿خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ [الآية 12] في عاقبة أمركم ﴿وَأَطۡهَرُۚ﴾ [الآية 12] وأزكى وأنمى لأنفسكم من الزينة وحب الحزينة وهو يُشعر بالندبية، إلا أن قوله: ﴿فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ [الآية 12] لمن لم يجد حيث رخص له في
النجوى بلا صدقة أدل/ على الفرصة القويمة. 339/ ب

﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ﴾ [الآية 13] أخفتم الفاقة من تقديم الصدقة عند إرادة تناجي الحضرة وجمع الصدقة للجماعة المخاطبة أو لكثرة التناجي الموقعة لهم في الخشية ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [الآية 13] أي أديموهما ولا تقصروا في أدائهما ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ﴾ [الآية 13] في سائر أمرهما وزواجرهما ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الآية 13] ظاهراً أو باطناً فيجازيكم بهما.

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ﴾ [الآية 14] والُوا وَصافوا ﴿قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾ [الآية 14] يعني اليهود ﴿مَّا هُم مِّنكُمۡ وَلَا مِنۡهُمۡ﴾ [الآية 14] لأنهم منافقون مذبذبون ﴿وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ﴾ [الآية 14] من ادِّعاء الإسلام وغيره من الأحكام ﴿وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [الآية 14] أنهم كاذبون فهم بين الكفر وقول الزور جامعون.

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدًاۖ﴾ [الآية 15] لشدة كفرهم وحدة أمرهم ﴿إِنَّهُمۡ سَآءَ

(1) انظر تفسير الطبري (23/ 248)، والكشاف (7/ 16)، وتفسير أبي السعود (8/ 221).
(2) انظر تفسير أبي السعود (8/ 221).

مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الآية 15] من شقاقهم ونفاقهم.

﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ﴾ [الآية 16] التي حلفوا بها ﴿جُنَّةً﴾ [الآية 16] وقاية دون دمائهم وأموالهم ﴿فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 16] المؤدّي إلى الجنة ﴿فَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾ [الآية 16] ذو إهانة ومذلة، وعيد ثانٍ بوصف آخر لعذابهم وإيماء إلى كثرة حجابهم أو أحدهما في الدنيا والآخر للأخرى أو للأول لعذاب القبر والثاني بعد الحشر.

﴿لَّن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 17] لن تدفع من عذابه شيئاً أو لن تنفعهم عوضه أو بدل طاعته شيئاً ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ﴾ [الآية 17] ملازموها ﴿هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الآية 17] مقدرون دوامها.

وأفاد الأستاذ: أن من استتر بجنة طاعته لتسلم دنياه أو تحصل هواه تكشّف لسهام التقدير من حيث لا يشعرهم لا دينه يبقى ولا دنياه تسلم.

﴿يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيَحۡلِفُونَ لَهُۥ﴾ [الآية 18] أي لله على أنهم مسلمون ﴿كَمَا يَحۡلِفُونَ لَكُمۡۖ﴾ [الآية 18] في الدنيا حيث يتفوهون بأنهم منكم ﴿وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍۚ﴾ [الآية 18] في أيمانهم الكاذبة لأنه تمكن النفاق في نفوسهم بحيث تخيّل إليهم في العقبى أن اليمين الكاذب يجوز على الله كما يجوز عليكم في الدنيا ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ﴾ [الآية 18] المبالغون في الكذب حد الغاية حيث يكذبون لدى عالم الغيب والشهادة، وفي الآية إشارة إلى أن أيمانهم حال البأس ووقت العيان ما وجدت فيها الشرائط والأركان ولذا قيل: كما يعيشون يموتون ويحشرون.

وأفاد الأستاذ: أن عقوبتهم الكبرى ظنهم أن ما عملوا مع الخلق يتمشى في معاملة الحق وفرط الأجنبية وغاية الجهالة وأكبّهم على مناخرهم في وهدة ندمهم.

﴿ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ [الآية 19] استولى عليهم في دنياهم بحيث أثر في عقباهم ﴿فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ﴾ [الآية 19] فلا يذكرونه بقلوبهم ولا بألسنتهم طلباً لرضاه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾ [الآية 19] / أشياعه وأتباعه ﴿أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ 340/ أ

﴿ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [الآية 19] لأنهم فوّتوا على أنفسهم النعيم المؤبد وعرضوها للجحيم المخلّد.

قال شاه شجاع الكرماني: علامة استحواذ الشيطان أن يشغله بعمارة ظاهره من المأكل والمشرب والملبس ويشغل قلبه عن التفكر في آلاء الله ونعمائه وعن القيام بشكرها، ويشغل لسانه عن ربه بالغيبة والكذب ونحوه، ويشغل قلبه عن التفكر في أمر الآخرة وعن المراقبة والمحاسبة بتدبير الدنيا وجمعها بالحرص والشره.

وأفاد الأستاذ أن الشيطان إذا استحوذ على عبد أنساه ذكر الله والنفس إذا استولى على إنسان أنساه الله ولقد خسر حزب الشيطان وأخسر منه مَن أعان نفسه التي هي أعدى عدوه إلا أن يسعى في قهرها لعله ينجو من شرها.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ [الآية 20] يخالفونهما ويجاوزون في حدهما ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ﴾ [الآية 20] في جملة من هو أذلّ الخلائق أجمعين.

وأفاد الأستاذ: أن من أقمأه[1] شقوته لم تنعشه قوّته ومن قصمه التقدير يعصمه التدبير ومن استهان بالدين انخرط في سلك الأذلين.

﴿كَتَبَ ٱللَّهُ﴾ [الآية 21] في اللوح ﴿لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ﴾ [الآية 21] بالحجة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ﴾ [الآية 21] قادر على نصرة أوليائه ﴿عَزِيزٞ﴾ [الآية 21] غالب منتقم من أعدائه.

﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [الآية 22] إيماناً كاملاً وإيقاناً شاملاً كافلاً ﴿يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الآية 22] ظاهراً وباطناً إذ لا مناسبة بين الأعداء والأحباء، والمعنى أنه لا ينبغي أن يوادوهم ﴿وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ﴾ [الآية 22] أي وأجدادهم ﴿أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ﴾ [الآية 22] وكذا أحفادهم ﴿أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ﴾ [الآية 22] لعل عدم ذكر الأمهات والبنات والأخوات أن العرب ما كانوا يعتنون بحبهن أو لأن أمرهن مبني على تسترهن فأدخلهن تحت شمول قوله ﴿أَوۡ

(1) قمأ: ذلّ وصغُر.

عَشِيرَتَهُمْۚ﴾ [الآية 22] من سائر أقربائهم، والمعنى ولو كان المحادون أقرب الناس إليهم وأعز الخلق لديهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ [الآية 22] أي الذين لم يوادوهم ﴿كَتَبَ﴾ [الآية 22] ربهم ﴿فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾ [الآية 22] بقلم الإحسان ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ﴾ [الآية 22] من عنده وهو نور قلب عبده أو قوّاهم بالقرآن أو بالنصرة على أهل العدوان.

وقال سهل: الكتابة في القلب موهبة الإيمان والإسلام التي وهبها لهم قبل خلقهم في الأصلاب والأرحام ثم أبدى سطراً من نور الرب في القلب ثم كشف الغطاء عنه حتى زال ببركة نور الإيمان أنواع الظلام ﴿وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ﴾ [الآية 22] دائمين في جنته ﴿رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ﴾ [الآية 22] بطاعته ﴿وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ [الآية 22] بمثوبته وبقضائه أو بما وعدهم من جزائه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ﴾ [الآية 22] جند دينه/ وأنصار نبيّه ﴿أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ 340/ ب ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [الآية 22] الفائزون بطاعته في الدنيا وبمشاهدته في العقبى.

قال أبو عثمان: حزب الله من يغضب لله ولا يأخذه لومة لائم في الله.

وأفاد الأستاذ: أن من جنح إلى منحرف عن دينه أو داهن مبتدعاً في عقده نزع الله نور التوحيد من قلبه فهو بخيانته جائر على عقيدته فسيذوق قريباً وبال أمره وحالته، وأن أولياء الله أثبت في قلوبهم الإيمان بالله، ويقال جعل قلوبهم مطرزة باسم الله وأعزز بحلّة الأسرار قوماً طرازها بسم الله.

سورة الحشر

[مدنيَّة]
وهي أربع وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله عزيز الكون بجملته في طلبه وهو عزيز عند عبده والشموس والأقمار والنجوم والأنوار والليل والنهار وجميع ما خلق من الأعيان والآثار متنادية على أنفسها بلسان الأسرار وبيان الإقرار: نحن عبيد مَن لم يزل نريد من لم يزل.

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 1] نزَّهه جميع المخلوقات من العلويات والسفليات بلسان القال والحال ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ [الآية 1] الغالب على مراده ﴿الْحَكِيمُ﴾ [الآية 1] في خلق أصناف عباده.

وقال الأستاذ: قدّسه الله ونزَّهه كل شيء على وفق إرادته، وذلك دليل علمه وحكمته ورتّب كل مخلوق في مرتبة ذاته وصفاته وترتيبه شاهد مشيئته وإرادته ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ [الآية 1] فلا شبيه يساويه ولا شريك في ملكه ينازعه ويضاهيه ﴿الْحَكِيمُ﴾ [الآية 1] الذي لا يوجد في حكمته عيب ولا يتوجه عليه عتب ولا ريب.

﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ﴾ [الآية 2] حصونهم وعقارهم ﴿لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ [الآية 2] لأول حشرهم من جزيرة العرب إذ لم يصيبهم قبل ذلك هذا الذلّ والتعب أو في أول حشرهم إلى الشام وآخر حشرهم إجلاء عمر رضي الله عنه إياهم من خيبر إلى ذلك المقام، أو في أول حشر الناس إلى

الشام وآخر حشرهم يوم القيامة فإنهم يحشرون إليه عند قيام الساعة(1).

روي أنه عليه السلام لما قدم المدينة صالح بني النضير على أن لا يكونوا له ولا عليه، فلما غلب النبي ﷺ يوم بدر قالوا: إنّه النبي المنعوت في التوراة بالنصر، فلما انهزم بعض المسلمين يوم أُحد ارتابوا في إيمانهم ونكثوا أيمانهم وخرج كعب بن الأشرف في أربعين راكباً منهم إلى مكة وحالفوا أبا سفيان ورجعوا إلى المدينة، فأمر رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة أخا كعب من الرضاعة فقتله بالجداعة(2) بأن أوهم أنه جاءه يشكو من الرسول عليه السلام أنه حمل عليهم في أخذ الصدقة فوق ما لهم من الطاقة ثم صبّحهم بأصحابه الفضلاء وحاصرهم حتى صالحوه على الجلاء فجلا أكثرهم/ إلى الشام ولحقت طائفة بخيبر والحيرة فأنزل الله هذه السورة إلى 341/ أ
قوله: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البَقَرَة: الآية 284].

﴿مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟﴾ [الآية 2] لشدة منعتهم وقوة شوكتهم ﴿وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 2] أي من بأسه على ما قضاه ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الآية 2] أي عذابه وهو الرعب وما يعقبه من العناء والاضطرار إلى الجلاء ﴿مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟﴾ [الآية 2] لقوة وثوقهم على أنفسهم ﴿وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ [الآية 2] وألقى فيها الخوف الذي يملأ القلب ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 2] ضنّاً بها على أهل الإسلام وإخراجاً لما يحسنوا من آلاتها المعدة في ذلك المقام. وقرأ أبو عمر: ويخرّبون بالتشديد للمبالغة والتأكيد، ﴿فَٱعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ﴾ [الآية 2] فاتعظوا بحالهم وسرعة زوالهم. واستدل به على أن القياس حجة من حيث أنه أمر بالمجاوزة من حالة وحملها عليها في حكم من الأقضية كما بيّنها من المشاركة المقتضية.

وقال أبو علي الجورجاني: المعتبر يعتبر إذا رأى شيئاً من الدنيا ليس له

---

(1) انظر تفسير الرازي (15/ 289)، وتفسير النيسابوري (7/ 148)، وتفسير البيضاوي (1/ 316).

(2) انظر تفسير الطبري (8/ 468)، وتفسير البغوي (8/ 64).

إليه حاجة فكأنه جاء من الآخرة وهو يريد العود إليها يرى الدنيا للفناء وينظر إلى من فيها للموت وإلى عمرانها للخراب. والمراد بأولى الأبصار أهل البصائر في أمر الله وطاعته رأوا الدنيا بعين الفناء والآخرة بعين البقاء.

وقال الأستاذ: ﴿فَٱعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ﴾ [الآية 2] كيف نصر المسلمين ـ مع قلّتهم ـ عليهم مع كثرتهم، وكيف لم ينفعهم حصونهم إذا كانت الدائرة عليهم وإذا أراد الله قهر عدو استنوق أسره أي صار أسدهُ ناقة ومن لم يعتبر بغيره اعتبر به غيره.

قلت: وقد ورد: السعيد مَن وُعِظَ بغيره، ويقال: بحسب الإشارة المأخوذة من ظاهر العبارة يخربون قلوبهم باتباع شهوات نفوسهم. ويقال: أركان دينهم بما يمزجون به من البدع من تلقاء أنفسهم.

﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ﴾ [الآية 3] والخروج من أوطانهم ﴿لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ﴾ [الآية 3] بالقتل والسبي كما فعل ببني قريظة بعدهم ﴿وَلَهُمْ﴾ الآية 3] مع ذلك ﴿فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ﴾ الآية 3] بوصف القرار، والمعنى أنهم وغيرهم بكفرهم بالله ورسوله استحقوا العذاب في الدارين، أو هم إن نجوا من عذاب الدنيا لم ينجوا من عذاب العقبى.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ﴾ [الآية 4] خالفوا أمرهما وأصروا على عصيانهما ﴿وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الآية 4].

﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ﴾ [الآية 5] أي شيء قطعتم من نخلة ما عدا البرني والعجوة ﴿أَوْ تَرَكْتُمُوهَا﴾ [الآية 5] الضمير لما وتأنيثه لأنه مفسر باللينة والمعنى أو أبقيتموها ﴿قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 5] فبأمره لرسوله أو بقضائه أو قدره أو بتسهيله وتيسيره ﴿وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ [الآية 5] أجره. روي أنه عليه السلام لما أمر بقطع نخيلهم قالوا: يا محمد كنت تنهي عن الفساد/ في البلاد فما بال قطع 341/ ب
النخل وتحريقها[1] مع أنها نافعة للعباد. فنزلت واستدل به على جواز هدم ديار

(1) انظر تفسير ابن كثير (8/ 61)، وتفسير القرطبي (18/ 6)، وتفسير البغوي (8/ 71).

الكفار وقطع ما لهم من الأشجار زيادة لغيظهم.

وأفاد الأستاذ أن في هذه الآية دلالة على أن أحكام الشريعة غير معلّلة وإذا جاء الأمر الشرعي وثبت الدليل بطل طلب التعليل وسكتت الألسن عن المطالب بلمسه، والشيوخ قالوا: من قال لأستاذه وشيخه: لِمَ لَمْ يفلح.

﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ [الآية 6] وما أعاده عليه بمعنى صيّره له ﴿مِنْهُمْ﴾ [الآية 6] من مال بني النضير ﴿فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ﴾ [الآية 6] فما أجريتم على تحصيله بسرعة سير ﴿مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ [الآية 6] أي إبل لأن قراهم كانت قريبة من المدينة فمشوا إليها رِجالاً غير النبي ﷺ فإنه ركب جملاً أو حماراً ولم يجر مزيد قتال ولذلك لم يعط الأنصار منه شيئاً إلا ثلاثة كانت بهم حاجة شديدة ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ [الآية 6] بقذف الرعب في قلوبهم ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الآية 6] فيفعل ما يريد تارة بالوسائط الظاهرة وتارة بغيرها.

وأفاد الأستاذ أن الغنيمة ما كان بقتال وإيجاف خيل وركاب وخصّ رسول الله ﷺ بأموال هؤلاء فقراء المهاجرين واستأثر لنفسه بما شاء من الأمتعة والعقار فطابت بذلك نفوس الأنصار فشكر الله لهم بحسن الجوار وتحرُّر القلب عن الأعواض صفة السادة من الأبرار ومن أسرته الأخطار وبقي في شح نفسه الغدار فهو في تضييقه ومصادمة معاملته ومطالبة الناس في استيفاء حظه ولذته وأهل الصفاء لم يبق من هذه الأشياء عليهم بقية ومن بقي عليه من هذا شظية فمترسم سوقي ولا متحقق صوفي.

﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ﴾ [الآية 7] بيان للأول أو استئناف لبيان المحل لقوله فلله خَلقاً ومُلكاً وللرسول اختصاصاً أو حكماً ﴿وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الآية 7] عموماً، وتفصيل هذه القضية في الكتب الفقهية ﴿كَىْ لَا يَكُونَ﴾ [الآية 7] أي الفيء الذي حقه أن يكون للفقراء ﴿دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ﴾ [الآية 7] وهي ما يتداوله الأغنياء ويدور بينهم دون الفقراء كما كان الفيء في الجاهلية. وقرأ هشام في رواية بالتأنيث مع رفع دولة وفي أخرى بالتذكير مع الرفع على كان التامة، أي كي لا يقع دولة جاهلية بين الأغنياء

الإسلامية ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ [الآية 7] ما أعطاكم من الفيء ومن الأمر ﴿فَخُذُوهُ﴾ [الآية 7] فاقبلوه على وجه الاستطابة أو فتمسكوا به لأنه واجب
342/ أ الطاعة ﴿وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ [الآية 7] عن أخذه أو عن إتيانه/ ﴿فَٱنتَهُوا۟﴾ [الآية 7] اجتنبوا منه بقدر الاستطاعة ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [الآية 7] في مخالفة رسوله في أمره ونهيه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الآية 7] لمن خالف في هذا الباب.

وأفاد الأستاذ أن هذا أصل في وجوب متابعته ولزوم طريقته وسيرته على ما في العلم تفصيله والواجب على العبد عرض ما وقع له من الخواطر وتكاشف به من الأحوال على العلم فما لم يقبله الكتاب والسنّة فهو ضلال وجهالة.

﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ [الآية 8] بدل من لذي القربى، وما عطف عليه فإن الرسول لا يسمى فقيراً ولا يتيماً إجلالاً وتكريماً، وقيل هو عطف عليه بترك العاطف وهذا أوفق بمذهب الواقف ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ﴾ [الآية 8] إلى بلادهم ﴿وَأَمْوَٰلِهِمْ﴾ [الآية 8] مواشيهم وعقارهم فإن كفار مكة صاروا سبباً لخروجهم وأخذوا أموالهم بعد بروزهم ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾ [الآية 8] حال مقيدة بما يوجب تفخيم شأنهم حيث لم يكونوا كارهين لما قدّر لهم ﴿وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ [الآية 8] بأبدانهم وأموالهم ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الآية 8] في أحوالهم حيث ظهر صدقهم في إيمانهم.

قال ابن عطاء: هم الذين تركوا كل سبب وعلاقة ولم يلتفتوا من الكون إلى شيء فيه حلاوة وفرّغوا أنفسهم لعبادة ربّهم واتّباع رسوله فيما أمرهم ووقفوا مع الحق راضين بجريان حكمه فيهم وأشغلهم خروجهم بما وفق لهم عن حب الأهل والأولاد والأموال والبلاد.

وأفاد الأستاذ أنه سبحانه أراد أن هذا الفيء لهؤلاء الفقراء وكانوا مقدار مائة رجل ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ الآية 9] رزقاً في الدنيا ﴿وَرِضْوَٰنًا﴾ [الآية 9] ثواباً في العقبى ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ﴾ [الآية 9] لزموا دار الهجرة والتزموا الإيمان والطاعة عطف على المهاجرين، والمراد بهم الأنصار ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾

[الآية 9] قبل نزول المهاجرين لديهم ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ [الآية 9] ولا يثقل عليهم(1) من أهل مكة وغيرهم ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً﴾ [الآية 9] ما يحمل عليه الاحتياج في الطلب والحرازة والحسد والغبطة ﴿مِّمَّآ أُوتُوا۟﴾ [الآية 9] من أجل ما أعطي المهاجرون من الفيء وغيره من الأثرة ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [الآية 9] يقدِّمون الناس عموماً والمهاجرين خصوصاً على ذواتهم ومتعلقاتهم حتى إن من كان عنده امرأتان نزل عن واحدة وزوَّجها من أحدهم وكذا في البيوت والبساتين والأمتعة ﴿وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الآية 9]/ حاجة مختصة بهم أو مجاعة شديدة فيهم ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾ [الآية 9] يحفظ ويكفى شرّ بخلها. 342/ ب

وقال سهل: حرص نفسه على شيء غير ربه ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الآية 9] الفائزون بالثناء العاجل والثواب الآجل.

سئل أبو الحسين النوري عن التصوُّف فقال: فراغة القلب وخلو اليدين وقلة المبالاة بالخلق. أما فراغة القلب ففي قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ﴾ [الآية 9] الآية، وأما خلو اليدين ففي قوله: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ [الآية 8]، وأما قلة المبالاة ففي قوله: ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة: الآية 54].

وقال ابن عطاء: يؤثرون به جوداً وكرماً ولو كان بهم خصاصة جوعاً وفقراً. وقال يوسف بن الحسين: من رأى لنفسه ملكاً لا يصح الإيثار لأنه يرى نفسه أحق بالشيء برؤية ملكه وإنما الإيثار لمن يرى الأشياء للحق فمن وصل إليه فهو أحق به فإذا وصل إليه شيء من ذلك يرى يده فيه يد غصب أو أمانة يوصلها إلى صاحبها أو يؤديها إلى مودعها.

وقال الأستاذ: قيل نزلت الآية في رأس شاة وهب إنسان من غيره فطاف على سبعة أبيات حتى انتهى إلى الأول. وقيل: نزلت فيمن أطفأ السراج ليلة ضيفه يوهم أنه يصلحه وقد قدّم الطعام وأوهم أنه يأكل معه وآثر به الضيف على نفسه وعياله. ويقال: لم يقل الله ومن يتق شح نفسه، بل

(1) في المخطوط بالهامش: ضيق النفس مثله.

قال: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾ [الآية 9]، ويقال: الزاهد يؤثر بدنياه غيره والعارف يؤثر بالجنة غيره وعزيز مَن لا يطلب من الحق لنفسه شيئاً لا من الدنيا من الجاه والمال ولا في الجنة من الإفضال ولا منه أيضاً ذرة من الإقبال والأحوال والوصال، كذا وصف الفقير يكون بسقوط كل أرب، انتهى.

ولا يخفى أنه مبني على مقام التفويض وترك السؤال وهو مختلف بتفاوت أحوال أرباب الكمال واختلاف مراتبهم في مقامات الانتقال من الحال إلى الحال.

﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ [الآية 10] الذين هاجروا بعدما قوي الإسلام أو التابعون لهم بإحسان إلى يوم القيام، ولذا قيل أن الآية قد استوعبت مؤمني الأمة إلا الروافض[1] والخوارج[2] من أهل البدعة ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا﴾ [الآية 10] أي في الدين ﴿ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الآية 10] في قيام اليقين ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الآية 10] حقداً عليهم وغشّاً لديهم. والمراد بهم أعم ممن قبلهم، أو المراد بالأولين الأموات وبالآخرين الأحياء.

وقال الأستاذ: من لا شفقة له على جميع المسلمين فليس له نصيب من الدين ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الآية 10] فحقيق بأن يجيب دعاءنا فيهم وفينا.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الآية 11] يريد بينهم وبينهم أخوة الكفر أو الصدقة أو الموالاة من اليهود ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ﴾ [الآية 11] من دياركم ﴿لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ﴾ [الآية 11] أو في آثاركم ﴿وَلَا
343/ أ نُطِيعُ فِيكُمْ﴾ [الآية 11]/ في شأنكم من فعالكم أو خذلانكم ﴿أَحَدًا﴾ [الآية 11] من رسول الله والمؤمنين ﴿أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ﴾ [الآية 11] لنعاونكم ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ

---

(1) إحدى الفرق، وسموا رافضة لرفضهم خلافة الصدِّيق والفاروق وبراءتهم منهما فإنهم يقولون: لا ولاء إلا ببراء، أي لا ولاء لعلي إلا بالبراءة من أبي بكر وعمر. انظر الملل والنحل (1/ 146)، والفرق بين الفرق ص (15).

(2) هم الذين خرجوا على الإمام علي رضي الله عنه حيث رضي بالتحكيم في خلافة مع معاوية وقالوا بتكفيره ومن رضي بالتحكيم. انظر الملل والنحل (1/ 114)، والفصل في الملل والأهواء (5/ 51).

إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الآية 11] لعلمه بأنهم لا يفون بما يقولون كما أخبر عنهم بقوله: ﴿لَئِنْ أُخْرِجُواْ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ﴾ [الآية 12] وكان كذلك، فإن ابن أُبيّ وأصحابه راسلوا بني النضير بذلك ثم اختلفوهم هنالك، وفيه دليل على صحة النبوة وإعجاز القرآن من حيث تحقق الإخبار قبل الواقعة ﴿وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ﴾ [الآية 12] أي أرادوا نصرهم على الفرض والتقدير ﴿لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ﴾ [الآية 12] بالإنهزام والفِرار ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ [الآية 12] بعد ذلك بل نخذلهم ولا ينفعهم نصرة المنافقين هنالك.

﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً﴾ [الآية 13] مرهوبية وأكثر مهابة ﴿فِى صُدُورِهِم﴾ [الآية 13] فإنهم كانوا يضمرون مخالفتهم من المؤمنين ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 13] على ما يظهرونه نفاقاً فإن استبطان رهبتكم سبب لإظهار رهبة الله ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [الآية 13] لا يعلمون عظمة الله حتى يخشوه حق خشيته ويفهموا أن الحقيق بأن يخشى منه لا من غيره، ولذا قيل: إن الله يدفع بالسلطان ما لا يدفع بالقرآن.

﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾ [الآية 14] يعني اليهود أو المنافقين ﴿جَمِيعًا﴾ [الآية 14] مجتمعين ﴿إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ﴾ [الآية 14] بالسور والخندق ﴿أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ﴾ الآية 14] لفرط الرهبة، وقرأ ابن كثير وأبو عمر: وجدار ﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾ [الآية 14] أي وليس ذلك لضعفهم وجبنهم فإنه يشتد بأسهم إذا وقع الحرب بينهم بل يقذف الله الرعب في قلوبهم ولأن الشجاع يجبن والعزيز يذل إذا حارب الله ورسوله ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا﴾ [الآية 14] مجتمعين متفقين في الباطن ﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ [الآية 14] متفرقة لافتراق عقائدهم واختلاف مقاصدهم ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ [الآية 14] ما فيه صلاحهم وفلاحهم.

وقال الأستاذ: ولئن يساعدوهم في بعض الحروب فإذا رأوا من يجاهدهم ينهزمون والمسلمون أشد رهبة في صدورهم من الله لعلة يقينهم وإعراض قلوبهم عن معرفة دينهم ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ [الآية 14] اجتماع النفوس مع تنافر القلوب واختلافها أصل كل فساد وموجب كل تخاذل

ومقتضى تجاسر العدو واتفاق القلوب والاشتراك في الهمة يوجب كل ظفر وكل سعادة ولا يكون هذا قط من جهة الأعداء.

﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ [الآية 15] مثل اليهود كمثل المهلكين من الأمم الماضية وكوجود مثل أهل بدر ﴿قَرِيبٗاۖ﴾ [الآية 15] في زمان قريب منهم ﴿ذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ﴾ [الآية 15] أي سوء عاقبة كفرهم في الدنيا ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [الآية 15] في العقبى.

وأفاد الأستاذ: أن مثل قريظة كمثل النضر ذاق النضير وبال أمرهم قبل قريظة بسنة.

343/ب ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ [الآية 16] مثل المنافقين/ في إغراء اليهود على قتال المؤمنين ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ﴾ [الآية 16] أغراه على الكفر إغراء الآمر المأمور بالأمر ﴿فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ﴾ [الآية 16] تبرّأ عنه مخافة العقوبة الدنيوية ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الآية 16] إذ لا يتصور أن لا يخاف مربوب عن ربّه بالكلية ﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيۡنِ فِيهَاۚ﴾ [الآية 17]. والمراد من الإنسان الجنس. وقيل: أبو جهل، قال له إبليس يوم بدر: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٞ لَّكُمۡۖ﴾ [الأنفال: الآية 48] الآية، وقيل: راهب حمله على الفجور وآل أمره الارتداد ﴿وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية 17].

قال الأستاذ: وكذلك أرباب الفترة وأصحاب الزلة كلهم في درجة واحدة وإن كان بينهم تفاوت لا تنفع صحبتهم. قال: ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: الآية 67] وكل أحد اليوم يألف شكله صاحب الدعوى إلى الدعوى وصاحب المعنى إلى المعنى.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ﴾ [الآية 18] راقبوا أموالكم وحاسبوا أنفسكم في دنياكم قبل أن تحاسبوا في عقباكم ﴿وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ﴾ [الآية 18] ليوم القيامة، سماه به لكمالي دنوه أو لأن الدنيا كيوم الآخرة غده وتنكيره للتعظيم وتنكير نفس للتعميم كما في قوله تعالى: ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ ۝٥﴾ [الانفطار: الآية 5].

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [الآية 18] كرّره للتوكيد أو للمبالغة في التهديد أو الأول في أداء الواجبات والثاني في ترك المحرمات، أو الأول لمراقبة العقبى والثاني لمراقبة المولى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الآية 18] فيجازيكم على أعمالكم بحسب محاسبة أموالكم.

وفي الخبر: أن الله لا ينظر إلى صوركم وأعمالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم ونيّاتكم(1).

وأفاد الأستاذ: أن من لا محاسبة له في أعماله لا مراقبة في أحواله، وعلامة مَن نظر لغده أن يُحسن مراعاة يومه ولا يكون كذلك إلا إذا فكّر فيما عمله في أمسه. والناس في هذا أقسام: مفكِّر في أمسه الذي قسم له في الأزل، وآخر مفكِّر في غده ما الذي سيلقاه ومشتغل بوقته فيما أُلزم ومصطلم عن شاهده موصول بربه اندرج في مذكوره لا تطلُّع له لماضيه ومستقبله وموقَّت بوقت شغله عن وقته.

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [الآية 19] نسوا حقه وتركوا ذكره ﴿فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ [الآية 19] حظها بأن جعلهم ناسين لها حتى لم يسمعوا ما ينفعها ولم يفعلوا ما يخلصها عما يضرّها ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ [الآية 19] الناسون ﴿هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [الآية 19] الخارجون عن دائرة الإنسان فإن منشأ العصيان هو النسيان. قيل: من ابتلاه الله بنسيان نفسه ومشاهدة ذاته وقلته كان ذلك بدؤ عقوبته من الله إياه على إعراضه عن الله وإغماضه عن صنعته، ثم يزداد على جرأته في جريمته لقلة مشاهدته فمن كان كذلك لا يرجى له السلامة لوجدان آثار الملامة.

﴿لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الآية 20] الذين استمهنوا أنفسهم فاستحقوا العقوبة والذين استكملوها / فاستأهلوا الجنة ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ 344/ أ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [الآية 20] بأنواع النعمة وأصناف المنّة.

(1) أخرجه مسلم في الصحيح (2564/ 33)، وابن ماجه في السنن (2/ 1388) رقم (4143)، والبيهقي في شعب الإيمان (7/ 328) رقم (10477)، وابن حبان في الصحيح (2/ 119) رقم (394).

وقال الأستاذ: وكذا لا يستوي أهل الغفلة مع أهل الوصلة ولولا النسيان لما حصل العصيان، والذي نسي أمر نفسه فهو الذي لا يجتهد في تحصيل توبته ويسوِّف ما لزمه في الوقت من طاعته.

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 21] متشققاً من آثار هيبته وإظهار عظمته، قيل: تمثيل كما مر في قوله: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ﴾ [الأحزاب: الآية 72] ولذا عقّبه بقوله: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الآية 21] فإن الإشارة إلى الشرطية المتقدمة وأمثالها والمراد توبيخ الإنسان على عدم تخشُّعه عند تلاوة كتاب الله وسماع خطابه لقساوة قلبه وقلة تدبُّره.

قال ابن عطاء: إشارة فضله إلى أهل معرفته أن شيئاً من الأشياء لا تقوم لصفاته ولا يبقى مع تجلياته إلا من قوّاه الله وهو قلوب العارفين قاموا له به لا بغيره. وقيل: في الآية مدح للنبي ﷺ أي لا تثبت له الجبال وثبت له يا محمد زين الرجال للقوة الربانية التي أودعناكها وجعلناك من أهل الكمال، فالخطاب ليس من باب العتاب والله أعلم بالصواب.

وقال الأستاذ: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ﴾ [الآية 21] ليعقلوا ويهتدوا أي بذلك أمرناهم وإن كان غير ذلك أردنا منهم.

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [الآية 22] أي المعدوم والموجود أو السر والعلانية.

وأفاد الأستاذ: أن الغيب ما استأثر الحق بعلمه والشهادة ما يعرفه الخلق، وفي الجملة لا يعزب عن علمه معلوم. قلت: ولا موجود ولا معدوم ﴿هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الآية 22] مفيض جلائل النعماء ودقائق الآلاء فتخلّقوا بأخلاقه وفق الأسماء فارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء.

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الآية 23] كرّر التوحيد للتأكيد في التفريد بالملك،.

قال الأستاذ: مبالغة في وصف الملك والملك القدرة على الإيجاد ﴿ٱلْقُدُّوسُ﴾ [الآية 23] البالغ في النزاهة عما يوجب المنقصة ﴿ٱلسَّلَٰمُ﴾ [الآية 23] ذو السلامة من كل آفة، مصدر وصف به للمبالغة.

وقال الأستاذ: الذي يسلم على أوليائه ويسلم المسلمين من أعدائه ﴿ٱلْمُؤْمِنُ﴾ [الآية 23] واهب الأمْنَ من المحنة أو الغفلة.

وقال ابن عطاء: المؤمن الذي أمن المؤمنين عن خوف ما سواه.

وقال الأستاذ: الذي يصدق عبده في توحيده فيقول له صدقت ويصدق نفسه في إخباره أي يعلم أنه صادق في وعده ووعيده ويؤمن المؤمن من عذابه. قال بعضهم: الذي لا يخاف من ظلمه. ﴿ٱلْمُهَيْمِنُ﴾ [الآية 23] الرقيب الحافظ لكل شيء من بلاده وعباده وإن لم يحفظوا أوامره وزواجره/ ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ 344/ ب [الآية 23] المنيع الذي لا مقام له أو البديع الذي لا مثل له أو الغالب على مراده والمعز إن شاء من عباده ﴿ٱلْجَبَّارُ﴾ [الآية 23] الذي جبر العباد على ما أراد أو جبر حالهم وأصلح بالهم ﴿ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ [الآية 23] المتعالى من أن يُدرك كنه ذاته وحقيقة صفاته ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الآية 23] به من مخلوقاته.

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ﴾ [الآية 24] المقدر للأشياء على مقتضى حكمته ﴿ٱلْبَارِئُ﴾ [الآية 24] الموجد لها بريئاً من التفاوت وفق إرادته ﴿ٱلْمُصَوِّرُ﴾ [الآية 24] الموجد لصورها وكيفياتها وكمياتها المتميزة بين خليقته ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الآية 24] لأنها دلالة على الصفات العلى ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الآية 24] لتنزُّهه عن النقائص كلها ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الآية 24] أي الكامل في القدرة والعلم فهو الجامع للكمالات بأسرها.

قال القاضي: ومن أراد الإطناب في شرح هذه الأسماء فعليه بكتابي المسمّى بـ«منتهى المنى».

وقال الأستاذ: وقد استقضينا الكلام في معاني هذه الأسماء في كتابنا المسمى بـ«البيان والأدلة في معاني أسماء الله تعالى» انتهى، ولقد بيضت زبدة هذه المباني وعمدة هذه المعاني في شرح «المرقاة للوصول إلى المشكاة».

سورة الممتحنة

[مدنيّة]
وهي ثلاث عشرة آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله اسم مَلِكٍ مَلَكَ الخلق بأجمعهم لكنه اختار قوماً لرفعهم لا ينتفع بهم بل لنفعهم وردّ آخرين وأذلّهم بمنعهم وَوضعهم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي﴾ [الآية 1] فيه تنبيه إلى غاية غضبه على الكفار ونهاية حبه للأبرار، وفي تقديمه إيماء إلى ما سبق لهم من البوار مع الإشارة إلى حسن الملاطفة في ضمن المشاركة حيث قال: ﴿عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ [الآية 1] نزلت في حاطب بن أبي بلتعة فإنه لما علم أن رسول الله ﷺ يغزو أهل مكة كتب إليهم: أن رسول الله ﷺ يريدكم فخذوا حذركم، وأرسل مع سارة مولاة بني المطلب فنزل جبريل وأخبره فبعث رسول الله ﷺ علياً وعمّاراً وطلحة والزبير والمقداد وأبا مرثد وقال: انطلقوا حتى روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب حاطب إلى أهل مكة فخذوه منها وخلّوها فإن أبت فاضربوا عنقها. فأدركوها فجحدت فسل علي رضي الله عنه السيف فأخرجته من عقيصتها فاستحضر رسول الله ﷺ حاطباً وقال: ما حملك عليه؟ فقال: ما كفرت منذ أسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولكني كنت امرءاً ملصقاً في قريش وليس لي فيهم من يحمي أهلي فأردت أن آخذ عندهم يداً وعلمت أن كتابي لا يغني عنهم شيئاً. فصدّقه رسول الله ﷺ وعذره[1].

---

(1) انظر تفسير البغوي (8/ 93)، والكشاف (7/ 36)، وتفسير أبي السعود (8/ 235).

﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ [الآية 1] أي توصّلون/ إليهم المودة أي بالمخافة 345/ أ
منهم بنحو المكاتبة والباء مزيدة أو إخبار رسول الله بسبب تحصيل المودة، والجملة حال من فاعل ﴿لَا تَتَّخِذُواْ﴾ [الآية 1]، ﴿وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الآية 1] حال من أحد الفعلين ﴿يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾ [الآية 1] أي من مكة حال من كفروا أو استئناف بيانه ﴿أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ﴾ [الآية 1] لأن تؤمنوا به أو كراهة إيمانكم بربكم من غير جنح أضر بكم ﴿إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ﴾ [الآية 1] عن أوطانكم ﴿جِهَٰدًا فِي سَبِيلِي وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِي﴾ [الآية 1] علة للخروج وجواب الشرط محذوف دل عليه ﴿لَا تَتَّخِذُواْ﴾ [الآية 1] أي فلا تتخذونهم أولياء ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ [الآية 1] أي أتسرون أو خبر أريد به التوبيخ ﴿وَأَنَا۠ أَعْلَمُ﴾ [الآية 1] أي منكم ﴿بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ﴾ [الآية 1] بسركم وعلنكم ﴿وَمَن يَفْعَلْهُ﴾ [الآية 1] أي الإيجاد ﴿مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الآية 1] أخطأ الطريق المستقيم وعدل عن الدين القويم.

قال أبو الحسين: بما أخفيتم في باطنكم من المعصية وما أعلنتم في ظاهركم للخلق من الطاعة.

وقال أبو حفص: من أحب نفسه فقد اتخذ عدو الله وعدوه ولياً.

وأفاد الأستاذ: أنه عليه السلام قال: «أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك»(1).

وأوحي إلى داود عليه السلام: عاد نفسك فليس لي في المملكة منازع غيرها، فمن عادى نفسه قام بحق هذه الآية ومن لم يعاد نفسه لحقه هذه الوصمة فأصل الإيمان الموالاة والمعاداة في الله. قلت: وفي الحديث أفضل الإيمان الحب في الله والبغض في الله.

﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ﴾ [الآية 2] يجدوكم ويظفروا بكم ﴿يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً﴾ [الآية 2]

---

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (3/ 294) رقم (3445)، والبيهقي في الزهد الكبير (1/ 359) رقم (355).

وإلقاء المودة إليهم لا ينفعكم ﴿وَيَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ وَأَلۡسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ﴾ [الآية 2] بما يسوؤكم من قتلكم وفتنتكم ﴿وَوَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ﴾ [الآية 2] والحال أنهم قد تمنوا ارتدادكم.

﴿لَن تَنفَعَكُمۡ أَرۡحَامُكُمۡ﴾ الآية 3] أقاربكم عموماً ﴿وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ﴾ [الآية 3] خصوصاً من الذين توالون لأجلهم أعداءكم ﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [الآية 3] وقت الملامة والندامة ﴿يَفۡصِلُ بَيۡنَكُمۡ﴾ [الآية 3] يفرق بينكم بما يصيبكم من هول ذلك اليوم فيفر بعضكم من بعض فما لكم تتركون اليوم حق الله عليكم لمن يفرغوا عنكم. وقرأ عاصم بالبناء للفاعل وحمزة والكسائي بالتشديد معلوماً، وابن عامر به مجهولاً ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ [الآية 3] فيجازيكم على القليل والكثير.

﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ﴾ [الآية 4] قدوة مستحسنة ﴿فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ [الآية 4] أي وفيمن شاركوه في تلك الصفقة واقتدوا به في تلك الحالة.

وقال الأستاذ: أي ومن قبله من الأنبياء ﴿إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ﴾ الآية 4] أي بريؤون من موالاتكم في جميع حالاتكم ﴿وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 4] أي من معبوداتكم غير الله ومن عباداتكم لما سواه كفرنا بكم بدينكم أو معبودكم ﴿وَبَدَا﴾ [الآية 4] ظهر ﴿بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ﴾ [الآية 4] ظاهراً ﴿وَٱلۡبَغۡضَآءُ﴾
345/ب [الآية 4] باطناً ﴿أَبَدًا﴾ [الآية 4] دائماً سرمداً ﴿حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ﴾ [الآية 4]/ أي منفرداً فينقلب العداوة والبغضاء إلفة ومحبة ﴿إِلَّا قَوۡلَ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ﴾ [الآية 4] استثناء منقطع من قوله ﴿أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ﴾ [الآية 4] فإن استغفاره لأبيه الكافر ليس مما ينبغي أن يقتدى به فإنه كان قبل النهي عن الاستغفار للكفار أو قبل تحقق كفر أبيه كموعدة وعدها إياه فلما تبين أنه عدو لله تبرأ منه ﴿وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ﴾ [الآية 4] من تمام قوله المستثنى ولا يلزم من استثناء المجموع استثناء جميع أجزائه. والحاصل أن استغفار الكفار منهي عنه ولو مع هذا القول الذي بانفراده يستحسن الاقتداء به ﴿رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [الآية 4] مرجعنا.

والجملة من جملة قول إبراهيم والذين معه وكذا قوله: ﴿رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا

﴿فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الآية 5] بأن تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب لا طاقة لنا به واغفر لنا ما فرط منا إنك أنت العزيز الغالب على مراده الحكيم فيما يفعل بعباده، ويحتمل أن يكون الجملتان تلقين لنا أن نذكرهما في دعائنا ولا يبعد أن يقدر قولوا.

قال ابن عطاء: الأسوة بالخليل في ظاهر من الأخلاق الشريفة كالسخاء وحسن الخلق واتباع ما أمر به على وفق الصدق وفي الباطن من الأحوال المنيفة كالإخلاص لله تعالى في جميع الأفعال والإقبال عليه في كل الأحوال وطرح الكل في ذات الله.

وأفاد الأستاذ أن الفائدة في هذه الآية تخفيف الأمر على قلب النبي ﷺ والمؤمنين بالتعريف أن من قبلهم كذبوا أنبياءهم فإن الله أهلك أعداءهم.

﴿لَقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِيهِمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَۚ﴾ [الآية 6] بدل من لكم كدرٌ لمزيد الحث على التأسي بإبراهيم فإنه مقام عظيم ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ [الآية 6] يعرض عن هذا الأمر الأكيد ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ﴾ [الآية 6] عن طاعة مخلوقاته ﴿ٱلۡحَمِيدُ﴾ [الآية 6] في ذاته وصفاته.

﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجۡعَلَ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ عَادَيۡتُم مِّنۡهُم مَّوَدَّةٗۚ﴾ [الآية 7] لما نزل ما صدر في الآية عادى المؤمنون أقاربهم الكفرة وتبرؤوا عنهم بالكلية فوعدهم الله بذلك وأنجز وعده هنالك إذ أسلم أكثر الأعداء فصاروا لهم من الأولياء ﴿وَٱللَّهُ قَدِيرٞۚ﴾ [الآية 7] على ذلك إذا تعلقت الإرادة هنالك ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ﴾ [الآية 7] لما فرط منكم في موالاتهم ﴿رَّحِيمٞ﴾ [الآية 7] بما صدر عنكم من معاداتهم.

وفي الحديث: أحبب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغضيك يوماً ما وأبغض بغيضك هوناً، عسى أن يكون حبيبك يوماً ما[1].

قال ابن عطاء في الآية: أي لا تبغضوا عبادي كل البغض فأنا قادر

---

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (5/ 213) رقم (5119)، والترمذي في الجامع الصحيح (4/ 360) رقم (1997)، والبيهقي في شعب الإيمان (5/ 260) رقم (6593)، وابن أبي شيبة في المصنف (7/ 260) رقم (35876).

على أن أنقلهم إلى المحبة كنقلهم من الحياة إلى الممات ومن الموت إلى الحشر والنشر.

346/ أ ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ/ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾ [الآية 8] أي عن مبرّة هؤلاء لأن قوله: ﴿أَن تَبَرُّوهُمْ﴾ [الآية 8] بدل اشتمال من الموصول ﴿وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ﴾ [الآية 8] وتفضوا إليهم بالعدالة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الآية 8] العادلين في جميع الحالات ويحب الرفق في جميع أمور الخلق وقضية المؤلفة قلوبهم شاهدة لهذه الجملة.

روي أن قتيلة قدمت بيت مشركة على بنتها أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما بهدايا فلم تقبلها ولم تأذن بالدخول لها فنزلت: ﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ﴾ [الآية 9] وعاونوا ﴿عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ﴾ [الآية 9] كمشركي مكة ﴿أَن تَوَلَّوْهُمْ﴾ [الآية 9] أي تتولوهم وتوالوهم بدل اشتمال من الموصول ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الآية 9] لوضع الولاية في موضع العداوة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾ [الآية 10] فاختبروهن بما يغلب على ظنكم موافقة قلوبهن ألسنتهن في إظهار إيمانهن ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ﴾ [الآية 10] فإنه المطلع على قلوبهن ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ﴾ [الآية 10] أي العلم الذي يمكنكم تحصيله وهو الظن الغالب بالحلف وظهور الأمارات وإنما سماه علماً إيذاناً بأنه كالعلم في وجوب العلم به ﴿فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ [الآية 10] فلا تردوهن إلى أزواجهن الكفرة لقوله: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ [الآية 10] والتكرير للمطابقة والمبالغة وللأول لحصول الفرقة والثاني للمنع عن استئناف الوصلة ﴿وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ﴾ [الآية 10] ما دفعوا إليهن من مهورهن وذلك لأن صلح الحديبية جرى على أن من جاءنا منكم رددناه فلما تعذر عليه ردهن لورود النهي لزمه رد مهورهن، إذ روى عنه عليه السلام كان بعد الحديبية إذ جاءته سبيعة بنت الحارث الأسلمية فأقبل زوجها مسافر المخزومي طالباً لها

فنزلت فاستحلفها رسول الله فحلفت فأعطى زوجها ما أنفق وتزوجها عمر رضي الله عنه(1).

وفي الحديث إشارة إلى أن حكم الآية في دفع المهر منسوخ ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ [الآية 10] فإن الإسلام حال بينهن وبين أزواجهن من الكفار ﴿إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ الآية 10] مهورهن شرط إيتاء المهر في نكاحهن إيذاناً بأن ما أعطى أزواجهن لا يقوم مهرهن ﴿وَلَا تُمْسِكُواْ﴾ [الآية 10] وقرأ البصري بالتشديد ﴿بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾ [الآية 10] جمع عصمة أي بما يعتصم به الكافرات من عقد ونسب، والمراد نهي المؤمنين عن المقام على نكاح المشركات من غير الكتابيات ﴿وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ﴾ [الآية 10] من مهور نسائكم اللاحقات بالكفار ﴿وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ﴾ [الآية 10] من مهور أزواجهم المهاجرات إلى الإبرار ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ [الآية 10] جميع ما ذكر في الآية ﴿حُكْمُ ٱللَّهِ﴾ [الآية 10] على الأمة ﴿يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ [الآية 10] استئناف ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الآية 10] فأحكام شريعته على مقتضى حكمته/ . 346/ ب

﴿وَإِن فَاتَكُمْ﴾ [الآية 11] سبقكم أو انفلت معكم ﴿شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ﴾ [الآية 11] أي من مهور نسائكم ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾ [الآية 11] فجاءتكم عقبتكم أي نوبتكم من أداء المهر شبه الحكم بأداء هؤلاء مهور نساء أولئك تارة وألئك مهور نساء هؤلاء أخرى بأمر يتعاقبون فيه كما يتعاقب في الركوب وغيره ﴿فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُواْ﴾ الآية 11] من مهر المهاجرة ولا تؤتوه زوجها الكافر، إذ روي أنه لما نزلت الآية المتقدمة أبى المشركون أن يؤدوا مهر الكوافر فنزلت، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 11] فإن الإيمان به يقتضي التقوى منه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [الآية 12] نزلت يوم الفتح فإنه عليه السلام لما فرغ من بيعة الرجال أخذ في بيعة النساء ﴿وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ﴾ [الآية 12] يريد وأد البنات ﴿وَلَا يَأْتِينَ

(1) أخرجه الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (3/ 460) رقم (1330).

بِبُهْتَٰنٍ﴾ [الآية 12] أي بكذب ﴿يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ [الآية 12] أي من تلقاء أنفسهن ويدخل فيه إلحاق ولد الغير بأزواجهن ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ﴾ [الآية 12] في حسنة تأمرهن بها، والتقييد بالمعروف مع أن الرسول لا يأمر إلا به تنبيه على أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق كما ورد.

قال ابن عطاء: أي لا يخالفنك في شيء من الطاعة.

وقال الأستاذ: يدخل في ذلك النياحة وشق الجيوب ونتف الشعر عند المصيبة وتخميش الوجه والتبرج وإظهار الزينة وأمثالها ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ﴾ [الآية 12] فيما فرط منهن ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ [الآية 12] لذنوبهن ﴿رَّحِيمٌ﴾ [الآية 12] في بيعة سنهن.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية 13] من اليهود وغيرهم ﴿قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [الآية 13] لكفرهم أو لعلمهم بأنّه لا حظ لهم ﴿كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾ [الآية 13] من أن يبعثوا أو يثابوا، وقيل من بيانية.

سورة الصف

[مدنيّة]
وهي أربع عشرة آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: هي كلمة من وفّقه الله لعرفانه لم يصبر عن ذكرها بلسانه ثم لا يفتر حتى يصل إلى المسمّى بها بجنانه وفي البداية يتأمل في برهانه لمعرفة سلطانه ثم لا يزال يزيد في إحسانه ثم في نهاية شأنه فبالتحقيق مما هو كعيانه.

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ①﴾ [الآية 1] سبق تفسيره وتقدم تحريره.

وأفاد الأستاذ: أن من أراد أن يصفو له تسبيحه فليصفِّ قلبه عن آثار غيره ومن أراد أن يصفو له في الجنة عيشه فليصفّ عن أوضار ذنبه نفسه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ②﴾ [الآية 2] روي أن المسلمين قالوا: لو علمنا أحب الأعمال إلى الله لبذلنا فيه أموالنا وأنفسنا فأنزل/ 347/ أ الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ﴾ [الآية 4] فولّى بعضهم يوم أُحد فنزلت، ولِمَ مركبة من لام الجر وما الاستفهامية والأكثر حذف ألفها مع حرف الجر لكثرة استعمالهما معاً واعتناقهما في الدلالة على المستفهم عنه.

﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ③﴾ [الآية 3] المقت أشد البغض ونصبه على التمييز وفي الكلام مبالغة في المنع عن الدعوى من غير تحقق المعنى.

ففي «تفسير السلمي» هذه الآية زجر وتهديد لأهل التحقيق والمشاهدة إذ ليس للعبد فعل ولا تدبير لأنه أسير في قبضة الغرة تجري عليه أحكام القدرة وتصاريف المشيئة، فمن قال فعلت أو أتيت أو شهدت فقد نسي مولاه وأعرض عن بره وادعى ما ليس له.

قال الأستاذ: وفي الجملة خلف الوعد مع كل أحد قبيح ومع الله أقبح. ويقال: لم يتوعد على زلة بمثل ما على هذه المخالفة. ويقال: إظهار التجلد مع الخلق من غير شهود مواضع الفقر إلى الحق في كل نفس يؤذن بالبقاء عما حصل به الدعوى والله يحب التبري من الحول والقوة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا﴾ [الآية 4] مصطفين مصدر وصف به مبالغة ﴿كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الآية 4] محكم في تراصهم من غير فرجة في خلالهم.

وأفاد الأستاذ: أن المحبة توجب إيثار تقديم مراد حبيبك على مراد نفسك وتقديم محبوب حبيبك على محبوب نفسك، فإذا كان الحق تعالى يحب من العبد أن يقاتل على الوجه الذي ذكره فمن لم يؤثر محبوب ربّه على محبوب نفسه انسلخ من محبته لربّه ومَن خلا من محبة الله وقع في الشق الآخر فخسرانه يؤدي إلى زوال كمال إيمانه.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ﴾ [الآية: 5] من بني إسرائيل ﴿يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي﴾ [الآية 5] بالمعصية والرمي بالأدرة ﴿وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ [الآية 5] بما جئتكم من أنواع المعجزة، والجملة حال مقررة للإنكار فإن العلم بنبوته يوجب تعظيمه ويمنع إيذاءه، وقد لتحقيق العلم ولا يبعد أن يكون لتقليله فإن أدنى العلم بالنبوة العلية يمنع الأذية ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ﴾ الآية 5] عن طريق الحق ﴿أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الآية 5] صرفها عن قبول الحق أو زاد زيغ قلوبهم عن معرفة ربهم، أو لما زاغوا بحسب الظاهر تبين أن الله أزاغهم بحسب الباطن ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الآية 5] أي الخارجين عن الطاعة هداية موصلة إلى حصول

المعرفة، أو إلى دخول الجنة.

قال جعفر: لما تركوا مراعاة أمر الخدمة نزع الله عن قلوبهم نور المعرفة وجعل للشيطان إليهم طريقاً / يضلهم فأزاغهم عن طريق الحق 347/ ب
وأدخلهم في مسالك الباطل.

قال الواسطي: فلما زاغوا في العلم والمعرفة أزاغ الله قلوبهم في الجنة.

وقال الأستاذ: لما زاغوا بترك الحد أزاغ الله قلوبهم بنقض العهد. ويقال: فلما زاغوا عن طريق الرشد أزاغ الله قلوبهم بالصد والرد والبُعد عن الرد. ويقال: فلما زاغوا بظواهرهم أزاغ الله سرائرهم. ويقال: فلما زاغوا عن العبادة أزاغ الله قلوبهم عن الإرادة.

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ﴾ [الآية 6] لما تقدم من قبلي أو لما هو موجود قبلي ﴿مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ [الآية 6] أي الكتاب المنزل على موسى ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الآية 6] يعني محمداً ﷺ. والمعنى أن ديني التصديق بكتب الله وأنبيائه السابقة واللاحقة واكتفى بذكر أول الكتب المشهورة الذي حكم به أكثر النبيين وبخبر النبي الذي هو خاتم المرسلين، وأحمد يحتمل أن يكون أفعل تفضيل للفاعل أو المفعول، أي أكثر الناس حامدية أو محمودية فهو لهذا الاعتبار أبلغ من نعت المحمدية، ولعل الاقتصار في القرآن على اسمه محمد للإيماء إلى غلبة رتبته المحبوبية وحالته المجذوبية.

وقال ابن عطاء: هو أحمد الحامدين حمداً وأحمد المطيعين له طاعة، وأحمد العارفين له معرفة، وأحمد المشتاقين إليه شوقاً ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [الآية 6] بالمعجزات الواضحات ﴿قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الآية 6] والإشارة إلى ما جاء به أو إلى الجائي وتسميته سحراً للمبالغة، ويؤيده قراءة حمزة والكسائي: هذا ساحر، على أن الإشارة إلى عيسى المرتضى أو أحمد المصطفى.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ﴾ [الآية 7] أي لا أحد أظلم ممن يدعى إلى دين الإسلام الظاهر حقيقة ما فيه من الأحكام المقتضي له في الدارين خير المرام فيضع موضع قبوله الافتراء على الله بتكذيب رسوله فإن الافتراء يعم إثبات المنفي ونفي الثابت بحسب الاقتضاء ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية 7] إلى مقام التحقيق حيث وضعوا التكذيب موضع التصديق.

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟﴾ [الآية 8] أي أن يطفؤوا كما في آية أخرى، وقيل: تقديره يريدون الافتراء ﴿لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ [الآية 8] يعني دينه أو كتابه بطعنهم فيه ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ﴾ [الآية 8] مبلِّغٌ غايته وموصل نهايته بنشره وإعلائه. وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وحفص بالإضافة ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الآية 8] أي إرغاماً لا يفهم وإلزاماً بحالهم.

348/ أ وأفاد الأستاذ: أن ما أنار الله من برهان / وأعلنه من شأن فمن احتال وهْنَهُ أو رام وهيه انعكس عليه كيده ومكره وانتقض عليه تدبيره ويأبى الله إلا أن يتم نوره. وكما قالوا:

ولله سرّ في علاكَ وإنما كلام العدى نوع من الهذيان

وقيل: مثل من يتمنى أن يطفىء نور الإسلام بكيده كمن يحتال ويزاول إطفاء شعاع الشمس بنفخه ونفثه وذلك من المحال في نفسه.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ﴾ [الآية 9] بالقرآن أو المعجزة والبرهان ﴿وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾ [الآية 9] أي الثابت المطلق ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [الآية 9] ليعلّيه ويغلّبه على أفراد جنس الدين جميعه ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [الآية 9] نافية من محض توحيد الذات وتفريد الصفات.

وقال الأستاذ: لقد أرسل الله نبيه لدينه موضحاً وبالحق مفصحاً ولتوحيده معلناً ولجهده في الدعاء إلى الله مستفزعاً فأفرغ بنصحه قلوبنا نكراً وبصّر بنور تبليغه عيوناً عمياً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم﴾ [الآية 10] وقرأ ابن عامر

بالتشديد أي تخلصكم وتنجيكم ﴿مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الآية 10].

﴿تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ [الآية 11] استئناف مبين للتجارة وهو الجمع بين الإيمان والمجاهدة المؤدي إلى كمال المعزة في الدنيا والآخرة. والمراد به الأمر، وإنما جيء بلفظ الخبر إيذاناً بأن ذلك مما لا يترك ولا يتأخر ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ [الآية 11] أي ما ذكر من الاعتقاد والاجتهاد ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الآية 11] تميِّزون الخير من الشر والنفع من الضر.

﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [الآية 12] جواب للأمر المدلول عليه بلفظ الخبر ﴿وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ [الآية 12] بساتين إقامة ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [الآية 12] الإشارة إلى ما ذكر من حصول المغفرة ودخول الجنة.

وأفاد الأستاذ: أنه سمى الإيمان والجهاد تجارة لما فيها من الربح والخسارة ونوع تكسُّب من التاجر في تلك الحالة فكذا في الإيمان والجهاد ربح الجنة وخسرانها وفي ذلك اجتهاد العبد في تحصيل شأنها ثم بيّن الربح على تلك التجارة بقوله: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [الآية 12] فقدم ذكر أهم الأشياء وهو المغفرة ثم بعد فراغ القلوب عن العقوبة ذكر إدخال الجنة وما فيها من أنواع اللذة. ثم قال: ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً﴾ [الآية 12] إذ لا تطيب تلك المساكن إلا بالرؤية ولذا قالوا:

أجيراننا ما أوحش الدار بعدكم إذا غبتم عنها ونحن حضور[1]
وقالوا نحن في أكمل السرور ولكن ليس إلا بكم يتم السرور
عيب ما نحن فيه يا أهل ودِّي أنكم غُيَّب ونحن حضور[2]

﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا﴾ [الآية 13] أي ذلكم نعمة أخرى محبوبة عاجلة ﴿نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 13] بيان لها أو أخرى مبتدأ خبره ﴿نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ [الآية 13]

(1) ذكره القشيري في تفسيره (3/ 133) و(7/ 423).
(2) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 145) و(4/ 200) و(7/ 423).

348/ب في العاجل ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 13] / بحصول العاجل ووصول الآجل وهو معطوف على محذوف مثل قل ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الآية 10].

قال جعفر الصادق: بشارة إلى رؤيته في مقعد صدق.

وقال الأستاذ: ذلكم نعمة أخرى تحبونها ﴿نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 13] في حفظ الإيمان والإسلام وتثبيت الأقدام في ميدان الأحكام اليوم على طريق الاستقامة وغداً على صراط القيامة ﴿وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ [الآية 13] الرؤية والزلفة. ويقال: دوام الشهود وبقاء الوجود ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 13] بأنهم لا يبقون عنك في هذه الوصلة.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 14] أي أعوان دينه ونبيه، وقرأ الجرجاني وأبو عمرو بالتنوين واللام للدلالة على الإخلاص في المقام ﴿كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [14] أي مَن أعواني، متوجهاً إلى نصرة الله ليطابق قوله ﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ [الآية 14] والتشبيه باعتبار المعنى أدخل المبنى قل لهم كما قال عيسى أو كونوا أنصار الله كما كان الحواريون أنصار عيسى.

وفي العدول عن ظاهر العبارة إلى ما يستفاد منه البشارة دلالة على ثبوت أنصار محمد عليه الصلاة والسلام بوصف الكمال والدوام حيث كان بأمر الله سبحانه بخلاف أنصار عيسى عليه السلام حيث كان بقوله فاختلفوا في قبوله ﴿فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الآية 14] بعيسى فأكرموا وكفرت طائفة بعيسى فأذلُّوا والحواريون أصفياؤه من الحور وهو البياض وضياؤه وهم أول من آمن به وكانوا اثني عشر رجلاً، وأما نبينا ﷺ فكثر له الأنصار من المهاجرين والأنصار حتى بلغوا على ما قيل مائة وعشرين ألفاً من الصحابة الأبرار.

وقال الأستاذ: لما تقاعد قومه عن نصرته وانتدبت أعداؤه لتكذيبه وجحدوا ما شاهدوه من صدقه قيّض له أنصاراً من أمته هم نزّاع القبائل وآحاد الأفاضل وسادات الأماثل وأفراد المناقب وأوتاد المراتب فبذلوا في

إعانته ونصرة دينه مهجتهم ولم يؤثروا عليه شيئاً من كرائمهم ووقوه بأرواحهم وحفظوه بأشباحهم وأمدهم الله لنصرة دينه أولئك أقوام عجن الله بماء السعادة طينة أشباحهم وخلق من نور التوحيد طيبة أرواحهم وأهَّلهم يوم القيامة للسيادة على أضرابهم وأشباههم.

﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ﴾ [الآية 14] بالحجة وبالمحاربة، وتلك بعد رفع عيسى إلى مقام الرفعة ﴿فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾ [الآية 14] فصاروا غالبين.

سورة الجمعة

[مدنية]
وهي إحدى عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

349/ أ قال الأستاذ: اسم عزيز/ إذا تجلى لعبد بوصف جماله تجمعّت أفكاره على بساط جوده فلم تتفرق بسواه ومن تجلّى لسرّه بنعت جلاله اندرجت جملته واستهلكت في وجوده فلم يشعر بكرائم دنياه ولا بعظائم عقباه.

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ①﴾ [الآية 1].

قال الأستاذ: يسبِّح في بحار توحيد الحق أسرار أهل التحقيق ويجريهم بلا شاطىء، فبعدما حصلوا فيها فلا خروج فحازت أيديهم جوائز التفريد فوصّعوها في تاج العرفان ولبسوه يوم اللقاء الملك المتفرد باستحقاق الجبروت القدُّوس المنزَّه عن الدرك والوصول في الملك والملكوت، ليس بيد الخلائق إلا عرفان الحقائق بنعت المتعالي والتردد في شهود أفعاله. وأما الوقوف على حقيقة آليته فجلّت الصمدية عن إشراف عرفان عليه أو طمع إدراك في حال رؤيته أو جواز إحاطة في العلم به ليس الإقالة بلسان مستنطق وحاله بشهود حق مستغرق وقلن لنا نحن الأهلة إنما تطفىء لمن يسري بليل ولا تقرى.

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ﴾ [الآية 2] أي في العرب لأن أكثرهم ما كانوا يكتبون ولا يقرأون ﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [الآية 2] من جملتهم أمياً مثلهم ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾ [الآية 2] مع كونه أمياً نحوهم لم يعهد منه صنعة كتابة ولا تعلُّم قراءة

﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ [الآية 2] من خبائث الأحوال والأعمال ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [الآية 2] القرآن والشريعة أو معالم الدين من المنقول والمعقول ولو لم يوجد له معجزة سواه لكان كفاه كما قال صاحب البردة:

كفاك بالعلم في الأمي معجزة   في الجاهلية والتأديب في اليتم(1)

﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الآية 2] من الشرك والجهل وهو بيان لشدة حاجتهم إلى نبي مرشد لهدايتهم. وإن هي المخففة واللام الفارقة.

وقال الأستاذ: جرده عن تكلُّف تعلُّم علم وعن اتصاف يتطلب وقوف على حكم ثم بعثه فيهم فأظهر عليه من الأوصاف ما فاق به على جميعهم، أيتمه في الابتداء عن أبيه وأمه ولكن آواه بلطفه وكرمه فكان ذلك أبلغ وأتم وأفرده عن تكلُّفه للعلم ولكن قال: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ [النِّساء: الآية 113] ألبسه لباس المعزّة وتوَّجه بتاج الكرامة وخلع عليه حسن التولِّي ليكون آثار البشرية عنه مندرسة وأنوار الحقائق عليه لائحة.

﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ﴾ [الآية 3] أي بعث في آخرين منهم وهم العجم ومن يأتي إلى يوم القيامة من الأمم، فهو ﷺ مبعوث إليهم وقبول حكمه واجب عليهم ﴿لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾ [الآية 3] أي لم يلحقوا بهم وسيلحقون إليهم ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ [الآية 3] الغالب على أمره ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ [الآية 3] ذو الحكمة في تدبيره وتقديره/ . 349/ ب

﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ [الآية 4] تفضله بالإيمان والمعرفة والتوفيق والطاعة ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الآية 4] الذي يستحقر دونه نعم الدنيا والآخرة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه قطع الأسباب بالجملة في استحقاق الفضل إذ أحاله على المشيئة.

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾ [الآية 5] علّموها وكلّفوا بعملها ﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ [الآية 5] لم يعلموا بها ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ [الآية 5] كتباً من

(1) نسب إلى البوصيري. انظر دواوين الشعر العربي (9/ 75).

العلم يتعب في حملها ولا ينتفع بما على ظهرها من حملها حال أو صفة لأن الحمار في المعنى نكرة.

وأفاد الأستاذ: أنه يلحق بهؤلاء في الوعيد من حيث الإشارة الموسومون بالتقليد في أي معنى شئت إن شئت في علم الأصول وما طريقه أدلة العقول، وإن شئت في هذه الطريقة مما طريقه المنازلة انتهى. والتحقيق أن التقليد صحيح في باب التصديق والله وليّ التوفيق ﴿بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 5] أي مثل المكذبين بآيات الله الدالة على نبوة رسول الله ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [الآية 5] إلى ما فيه رضاه.

﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ﴾ [الآية 6] مالوا عن طريق الحق وتهودوا ﴿إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ﴾ [الآية 6] إذ كانوا يقولون نحن أبناء الله وأحباؤه وكانوا يدَّعون أن الدار الآخرة خالصة لهم وخاصة بهم ﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ﴾ [الآية 6] فاطلبوا من الله أن يميتكم وينقلكم من دار البلية والملامة إلى محل الكرامة والسلامة ﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [الآية 6] في زعمكم أنها لكم خالصة.

﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [الآية 7] بسبب ما قدموا من الكفر والمعصية ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [الآية 7] فيجازيهم على أعمالهم بحسب تفاوت أحوالهم.

وأفاد الأستاذ: أن هذا من معجزاته ﷺ صرف قلوبهم عن تمني الموت إلى هذه المدة فدل على صدق صاحب النبوة.

﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ﴾ [الآية 8] أي تتنفرون منه بجنانكم وتخافون أن تتمنوه بلسانكم مخافة أن يصيبكم فتؤاخذوا بأعمالكم ﴿فَإِنَّهُۥ مُلَـٰقِيكُمْ﴾ [الآية 8] لاحق بكم أو يقابلكم ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ﴾ [الآية 8] أي السر والعلانية، والمعنى ترجعون إلى حكمه فيكم ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الآية 8] فيجازيكم بأعمالكم وفق أحوالكم.

وأفاد الأستاذ أن الموت جسر والمقصد عند الله، وفي الخبر: من كره لقاء الله كره الله لقاءه فمن لم يعش عفيفاً فليمت ظريفاً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ﴾ [الآيـة 9] أي أُذِّن لـهـا ﴿مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ﴾ [الآية 9] بيان لإذا أو من بمعنى في، والمراد به الأذان الأول وهو وقت تحقق الزوال والثاني وهو ما بين يديّ الخطيب، والأظهر الثاني والأحوط/ الأول، 350/ أ فتأمل ففي الحديث: «إذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على أبواب المسجد بأيديهم صحف من فضة وأقلام من ذهب يكتبون الأول على مراتبهم»(1).

وكانت الطرقات في أيام السلف وقت السحر وبعد الفجر مضيقة بالمبكرين إلى الجمعة. وقيل: أول بدعة أُحدثت في الإسلام ترك البكور في أيام الجمعة. وعن ابن مسعود: أنه بكّر فرأى ثلاثة نفر سبقوه فاغتمَّ وأخذ يعاقب نفسه ويقول: أراك رابع أربعة وما رابع أربعة بسعيد(2). وسمي جمعة لاجتماع الناس فيه للصلاة.

وأول جمعة جمّعها رسول الله ﷺ إذ نزل قباء عند الهجرة وأقام بها إلى الجمعة ثم دخل المدينة وصلى الجمعة في دار لبني سالم بن عوف(3).

وفي الحديث: خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم، وفيه أُدخل الجنة، وفيه أُهْبِط إلى الأرض، وفيه تقوم الساعة، وهو عند الله يوم المزيد(4). وعنه عليه السلام: إن لله تعالى في كل جمعة ستمائة عتيق من النار(5).

---

(1) أورده السيوطي في جامع الأحاديث (3/ 493) رقم (2640)، والزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (4/ 21) رقم (1345).

(2) أخرجه البزار في مسنده (2/ 308) رقم (1524)، والطبراني في المعجم الكبير (10/ 78) رقم (10013)، وابن ماجه في السنن (1/ 348) رقم (1094)، وانظر تخريج الأحاديث والآثار (4/ 22) رقم (1346).

(3) انظر تخريج الأحاديث والآثار (4/ 14) رقم (1340)، والروض الأنف (2/ 331).

(4) ورد من دون لفظ «وهو عند الله يوم المزيد»، انظر ما أخرجه مسلم في الصحيح (854/ 18)، الترمذي في الجامع الصحيح (2/ 359) رقم (488)، والبيهقي في السنن الكبرى (3/ 251) رقم (5800).

(5) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (3/ 113) رقم (3042)، وأبو يعلى في المسند (6/ 156) رقم (3434).

﴿فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 9] فامضوا إليه وبادروا بالوصول لديه. والمراد به الخطبة والصلاة والأمر بالسعي إليهما يدل على وجوبهما ﴿وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ﴾ [الآية 9] واتركوا كل شاغل عنهما ﴿ذَٰلِكُمۡ﴾ [الآية 9] أي السعي إلى ذكر الله ﴿خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ [الآية 9] من جميع الدنيا، فإن نفع الآخرة خير وأبقى ﴿إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [الآية 9] الخير والشر وتميزون بين النفع والضر.

وأفاد الأستاذ: أن منهم من يحمل ترك البيع على النظائر في المعاملة مع الخلق، ومنهم من يحمله عليه وعلى معنى آخر وترك الاشتغال بملاحظة الأعواض والتناسي عن جميع الأغراض إلا معانقة الحق، ومنهم من يسعى إلى ذكر الله جهراً بجهر ويسعى إلى الله سرّاً بسرّ.

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ﴾ [الآية 10] أُدِّيت بكمالها وفرغ من أعمالها ﴿فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الآية 10] فأُبيح لكم الانتشار والتفرق فيها بعد الاجتماع ببعضها ﴿وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 10] رزقه بالتجارة والزراعة والصناعة ونحوها، أو الانتشار في طلب المباح من الدنيا والابتغاء في تحصيل الأخرى.

وفي الحديث: وابتغوا من فضل الله ليس لطلب الدنيا وإنما هو عبادة وحضور جنازة وزيارة أخٍ في الله.

وقال الأستاذ: إنما ينصرف مَن كان له مرجع يرجع إليه أو شغل يقصد ويشتغل به ومن لا شغل له ولا مأوى فإلى أين يرجع، قلت: قال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ﴾ [العلق: الآية 8]. ثم قال: إنما يقال ﴿وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 10] إذا كان له إرب فاءَ من سكن عنه المطالبات وكفي داء الطلب فما له وابتغاء ما ليس يريده ولا هو في رقه. قلت: فما بقي إلا ابتغاء / وجه ربه 350/ب الأعلى. ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾ [الأنفال: الآية 45] في جميع حالاتكم وسائر أوقاتكم ولا تخصوه بساعات صلاتكم ﴿لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الآية 10] تفوزون بعلوّ مقاماتكم.

﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا﴾ [الآية 11] تفرقوا إلى التجارة، واكتفى بها لأن اللّهو كان تابعاً لها، وقرىء إليه وإليهما. روي أنه عليه السلام كان يخطب

للجمعة فمرّت عير تحمل الطعام فخرج الناس إليهم إلا اثني عشر فنزلت، وأو للتنويع للدلالة على أن منهم من انفضّ لمجرد سماع الطبل ورؤيته، ومنهم من انفضّ لاشتراء الطعام بعذر شدة حاجته ﴿وَتَرَكُوكَ قَآئِمًاۚ﴾ [الآية 11] على المنبر واقفاً بذكر الله وطاعته.

وأفاد الأستاذ: أن من أشركته أخطار الأشياء استجاب لكل داع جرّه إليه الهوى. وجملة على سهو ومن ملكه سلطان الحقيقة لم ينحرف ولم يلتفت عن حال الشهود ﴿قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 11] من المثوبة والقربة ﴿خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ﴾ [الآية 11] المشغلة عن مقام الوصلة ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [الآية 11] فتوكلوا عليه واطلبوا الرزق لديه.

وأفاد الأستاذ أن ما عند الله للعباد والزهد غدا خير مما نالوه من الدنيا نقداً، وما عند الله للعارفين من واردات القلوب وبواده الحقيقة في الدنيا خير مما يؤمل غيرهم في المستأنف من الدنيا والعقبى.

سورة المنافقين

[مدنية]

وهي إحدى عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: اسمٌ مَن تحقق به صدق في أقواله ثم صدق في أعماله ثم صدق في أخلاقه ثم صدق في أحواله ثم صدق في أنفاسه فصدقه في القول أن لا يقول إلا عن برهان، وصدقه في عمله أن لا يكون للبدعة عليه سلطان، وصدقه في أخلاقه أن لا يلاحظ إحسانه مع الكافة بعد المبالغة فيه بعين النقصان، وصدقه في أحواله أن يكون على كشف وبيان، وصدقه في أنفاسه أن لا يتنفس إلا على وجود كالعيان.

﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الآية 1] الشهادة إخبار عن علم من الشهود وهو الحضور ولذا صدّق المشهود به وكذبهم في الشهادة بقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الآية 1] لاطّلاعه على أنهم لم يعتقدوا ذلك ولم يثبتوا هنالك.

قال سهل: لأنهم أقروا واعترفوا بلسانهم ولم يعرفوا بجنانهم فلذا سماهم الله منافقين ومن عرف بقلبه واعترف بلسانه ولم يعمل بأركانه ما فرض الله عليه من غير عذر في شأنه فهو من الفاسقين شبيه بالمنافقين.

351/أ وقال الأستاذ: كذبهم فيما قالوا إنَّا نشهد عن بصيرة نعتقد تصديقك/ في سريرة فلم يكذبوا فيما كانوا يشهدون ولكن في قولهم إنَّا مصدقون وفي دعواهم إنَّا مخلصون. ويقال: صدق القالة لا تنفع مع قبح الحالة، ويقال: الإيمان يوجب الأمان فالإيمان يوجب للمؤمن إذا كان عاصياً خلاصه من

العذاب أكثره وأقله لا ما ينقله من أعلى جهنم إلى أسفله.

﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ﴾ [الآية 2] الكاذبة ﴿جُنَّةً﴾ [الآية 2] وقاية عن القتل والسبي والمذلّة ﴿فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 2] صدودات واشتغالاً وإعراضاً أو صدّاً ومنعاً واعتراضاً ﴿إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الآية 2] من نفاقهم وشقاقهم وصدودهم.

قال الأستاذ: تستروا بإقرارهم وتكشفوا بنفاقهم عن أستارهم فافتضحوا وذاقوا وبال أحوالهم.

﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية 3] القول الشاهد على سوء إسرارهم ﴿بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ﴾ [الآية 3] بسبب أنهم آمنوا بظواهرهم ﴿ثُمَّ كَفَرُواْ﴾ [الآية 3] بسرائرهم، فثمَّ بمعنى الواو أو للاستبعاد عن مخالفة حالتهم لظاهر قالتهم وآمنوا عند أهل الوفاق وكفروا فيما بين أهل الشقاق كما هو شأن أهل النفاق لو آمنوا إذا رأوا آية ثم كفروا حيث ما سمعوا من شياطينهم شبهة ﴿فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ [الآية 3] لما صدر عنهم من بعد مرة فاستمروا على الكفر واستحكموا في الغدر ﴿فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ﴾ [الآية 3] حقيقة الأمر.

وقال الأستاذ: استضاؤوا بنور الإجابة فلم يبسط عليهم شعاع نور السعادة فانطفأ نورهم بقهر الحرمان من الطاعة والعبادة ونفوا في ظلمات القساوة بحكم الشقاوة على ما مضى لهم من القسمة السابقة.

﴿وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ﴾ [الآية 4] لضخامتها وفخامتها وصباحتها وملاحتها ﴿وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ﴾ [الآية 4] لحلاوة كلامهم وحِدَة لسانهم في تأدية مرامهم ﴿كَأَنَّهُمۡ خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞۖ﴾ [الآية 4] قرأ قنبل وأبو عمرو والكسائي بسكون الشين تخفيفاً والجملة حال من الضمير المجرور في قولهم، والمعنى تسمع لما يقولونه مشبّهين بأخشاب منصوبة مسندّة إلى الجدار لا هي مركبة في البناء ولا مغروسة في موضع النماء فينتفع بها من بين الأشياء فكأنهم أشباح ليس فيها أرواح لخلوهم عن النظر في الابتداء أو التدبر في الانتهاء ﴿يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [الآية 4] يتوهمون أن كل صيحة يسمعوها واقعة عليهم باتهامهم فيما لديهم وبجنبهم إذ ليس لهم انتعاش بربّهم ولا استقلال بعزّهم لعدم إيمانهم

بقلبهم ﴿هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ﴾ [الآية 4] ولا يغرنك تبسطهم في الكلام على وجه التودُّد والتقرُّب في المقام ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ﴾ [الآية 4] دعاء عليهم بمعنى أنه سبحانه
351/ ب طلب/ في ذاته أن يلعنهم أو تعليم للمؤمنين بأن يقولوا ذلك في حقهم ﴿أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾ [الآية 4] يُصرفون عن طريق الحق وسبيل الصدق.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ يَسۡتَغۡفِرۡ لَكُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الآية 5] لما صدر عنكم وفرط منكم ﴿لَوَّوۡاْ رُءُوسَهُمۡ﴾ [الآية 5] قرأ نافع بتخفيف الواو أي عطفوها إعراضاً واعتراضاً على وجه الاستكبار ﴿وَرَأَيۡتَهُمۡ يَصُدُّونَ﴾ [الآية 5] يعرضون عن الاستغفار ﴿وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ﴾ [الآية 5] عن الاعتذار.

﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ﴾ [الآية 6] فيما صدر عنهم من الأمر ﴿لَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ﴾ [الآية 6] لرسوخهم في الكفر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [الآية 6] الخارجين عن مظنة الاستصلاح لأنهما في الكفر والاستقباح.

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ [الآية 7] للأنصار أو لأتباعهم في الدار ﴿لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ﴾ [الآية 7] أي يتفرقوا، يعنون فقراء المهاجرين ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الآية 7] بيده الأرزاق وقسّم الأخلاق ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ﴾ [الآية 7] ذلك لجهلهم بالخلاق والرزاق.

قال جنيد: خزائنه في السماوات الغيوب وخزائنه في الأرض القلوب فما انفصل من الغيوب وقع في القلوب، وما انفصل من القلوب صار إلى الغيوب والمرتهن بشيئين بتقصير الخدمة وارتكاب الذلة.

وقال الواسطي: من طالع الأسباب في الدنيا والأعواض في الأخرى لم يفقه قلبه وهو حجاب نفسه ومراده.

﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ﴾ [الآية 8] روي أن أعرابياً نازع أنصارياً في بعض الغزوات على ماء فضرب الأعرابي رأسه بخشبة فشكاه إلى ابن أُبيّ فقال: ﴿لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ﴾ [الآية 7] وإذا رجعنا إلى المدينة فليخرج الأعز الأذل. عنى بالأعز نفسه وبالأذل

رسول الله ﷺ ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الآية 8] ولله الغلبة والقوة ولمن أعزّه من رسوله وأتباعه من الأمة ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الآية 8] من فرط جهلهم وغرورهم.

قال الواسطي: عزَّة الله أن لا يكون شيء إلا بمشيئته وإرادته وعزَّة رسله أنهم آمنون عن زوال الإيمان بعصمته، وعزَّة المؤمنين أمنهم عن دوام عقوبته.

وقال الأستاذ: إنما وقع لهم الغلط في تعيين الأعز والأذل فتوهموا أن الأعزّ هم المنافقون والأذل هم المسلمون وكان الأمر بالعكس فلا جرم غلب المؤمنون وأذلّ المنافقون.

ثم قال: ولله عِزّ الإلٰهيَّة وللرسول عزّ النبوَّة، وللمؤمنين عزّ الطاعة، وجميع ذلك لله، فعزَّة الألوهية صفة لله أبداً وأزلاً، وعزّ الرسول والمؤمنين له فعلاً ومنه فضلاً، فإذاً لله العزَّة / جميعاً. ويقال عن الأنبياء أن لا عزل لهم 352/ أ
أصلاً، ويقال: لا عزّ إلا في طاعة الله ولا ذلّ إلا في معصية الله وما سوى ذلك فلا اعتبار له عند الله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ [الآية 9] لا يشغلكم تدبيرها والاهتمام بأمرها عن الصلوات المنتجة للشهود وسائر العبادات المذكورة للمعبود ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ﴾ [الآية 9] أي اللّهو وهو الشغل عن الأهم منهما ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [الآية 9] لأنهم باعوا الخطير الباقي بالحقير الفاني.

وقال الأستاذ: لا تضيِّعوا أمر دينكم وأحوال معادكم بسبب أموالكم وأولادكم بل آثروا حق الله واشتغلوا بطاعة مولاكم يكفكم أمور دنياكم وأخراكم، فإذا كنت لله كان الله لك. ويقال: حق الله ما ألزمك القيام به وحقك ضمن القيام به فاشتغل بما كلّفت لا بما كفيت.

﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم﴾ [الآية 10] بعض أموالكم ادِّخار لمعادكم ومآلكم ﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾ [الآية 10] أي يرى دلائل الفوت ﴿فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ﴾ [الآية 10] لولا أمهلتني ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ﴾ [الآية 10] أمد غير بعيد

﴿فَأَصَّدَّقَ﴾ [الآية 10] فأتصدق على المحتاجين ﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الآية 10] بالتدارك في مقام التائبين. وجزم أكن للعطف بالمعنى على مواضع الفاء ومدخولها. وقرأ أبو عمرو: وأكون منصوباً عطفاً على أصدق.

﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا﴾ [الآية 11] ولن يمهل نفساً ﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهَآ﴾ [الآية 11] آخر عمرها ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الآية 11] وقرأ أبو بكر بالغيبة.

قال الأستاذ: لا تغتروا بسلامة أوقاتكم وترقبوا بغتات آجالكم فتأهبوا لما بين يديكم من الرحيل ولا تفرحوا في أوطان التسويف.

سورة التغابن

[مكيّة أو مدنيّة]
وهي ثماني عشرة آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله كلمة عزيزة مَن ذكرها يحتاج إلى لسان عزيز في الغيبة غير مبتذلة وفي ذكر الأغيار غير مستعملة، ومن عرفها يحتاج إلى قلب عزيز ليس في كل ناحية منه خليط ولا في كل زاوية منه ربيط.

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ [الآية 1] بدلالتها على كماله واستغنائه بصفات جماله ونعوت جلاله ﴿لَهُ ٱلۡمُلۡكُ﴾ [الآية 1] باطناً وظاهراً ﴿وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ﴾ [الآية 1] أولاً وآخراً ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [الآية 1] أي على ما شاءه وعيَّن له قدراً.

﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ﴾ [الآية 2] أي متفقين في محبس الأنس مختلفين في مجلس الأنس ﴿فَمِنكُمۡ كَافِرٞ﴾ [الآية 2] مقدر كفره قبل خلقه موجّه إليه ما يحمله عليه من أمره ﴿وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞۚ﴾ [الآية 2] مقدر إيمانه قبل ظهور شأنه موفق لما يدعوه إليه من إحسانه/ فكل ميسر لما خُلق له ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الآية 2] 352/ ب
فيعاملكم بما يناسب أعمالكم ويوافق أحوالكم.

قال القاسم: خاطبهم مخاطبة قبل كونهم فسماهم كافرين ومؤمنين في أزله فأظهرهم حين أظهرهم على ما سماهم وقدّر عليهم فأخبر أنه علم ما يعملون من خير أو شر في جميع أعمارهم.

وقال الأستاذ: أي فمنكم كافر في سابق حكمه سماه كافراً وعلم أنه

يكفر وأراد به الكفر وكذلك كانوا ومنكم مؤمن في سابق حكمه سماه مؤمناً وعلمه في أزله مؤمناً وخلقه مؤمناً وأراده وكذلك كانوا.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ﴾ [الآية 3] بالحكمة البالغة والهيئة الكاملة ﴿وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ﴾ [الآية 3] فصوركم من جملة ما خلق فيهما بأحسن صورة من الهيئات حيث زيّنكم بصفوة أوصاف الكائنات وخصّكم بخلاصة خصائص المبدعات وجعلكم أنموذج لجميع المخلوقات وصيّركم مظاهر الجمال والجلال من بدائع الصفات ﴿وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [الآية 3] المرجع والمسير في جميع الحالات، فأحسنوا سرائركم حتى لا يمسخ بالعذاب ظواهركم.

وأفاد الأستاذ أنه سبحانه لم يقل لشيء من المخلوقات هذا الذي قال لنا ﴿وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ﴾ [الآية 3] فصورة الظاهر شاهد لكمال قدرته والباطن شاهد لكمال قربته.

﴿يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَۚ﴾ [الآية 4] مما تقولون وتفعلون ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الآية 4] فلا يخفى عليه شيء من الكائنات سواء كان من الكليات أو الجزئيات.

وقال الأستاذ: قصّروا حيَلكم من مطلوبكم فإنه يتقاصر عنه علومكم فاطلبوه مني فإني أعلمه وأقدر عليه دونكم واحذروا دقيق الرّياء في خفايا ذات صدوركم واتّقوا أن يخالف سرائركم ظواهركم، ففي قوله: ﴿يَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ﴾ [الآية 4] أمر بالمراقبة بينه وبين الحق. وفي قوله: ﴿وَمَا تُعۡلِنُونَۚ﴾ [الآية 4] أمر بالصدق في المحاسبة والمعاملة مع الخلق.

﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ﴾ [الآية 5] أيها الكفار ﴿نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُ﴾ [الآية 5] كقوم نوح وهود وصالح ونحوهم ﴿فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ﴾ [الآية 5] ضرر كفرهم وثقل وزرهم في الدنيا ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [الآية 5] في العقبى.

﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية 6] ما ذُكِرَ من الوبال وعذاب النكال ﴿بِأَنَّهُۥ﴾ [الآية 6] بسبب أن الشأن ﴿كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ [الآية 6] بالمعجزات الواضحات ﴿فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٞ يَهۡدُونَنَا﴾ [الآية 6] أنكروا وتعجبوا أن يكون الرسول بشر أو لم ينكروا ولم

يتعجبوا أن يكون الإله حجر ﴿فَكَفَرُوا﴾ [الآية 6] بالرسل وبما جاؤوا به من الآيات ﴿وَتَوَلَّوا﴾ [الآية 6] أعرضوا عن التدبُّر في البيّنات ﴿وَّٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُۚ﴾ [الآية 6] عن كل شيء فضلاً عما يصدر عنهم من الطاعات ﴿وَٱللَّهُ غَنِيٌّ﴾ [الآية 6] عن عبادتهم وغيرها ﴿حَمِيدٌ﴾ [الآية 6] يدل على حمده المخلوقات بأسرها/ . 353/ أ

﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ﴾ [الآية 7] الزعم ادعاء العلم ﴿قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ﴾ [الآية 7] أكد جوابهم بزيادة القسم لهم ﴿ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ﴾ [الآية 7] بالمحاسبة عليه والمجازاة لديه ﴿وَذَٰلِكَ﴾ [الآية 7] البعث والإعادة ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الآية 7] هيّن لقبول المادة وحصول القدرة التامة.

وأفاد الأستاذ: أن موتهم نوعان: موت النفس وموت القلب، ففي القيامة يُبعثون عن موت النفس فأما موت القلب فلا يُبعثون عنه عند كثير من محققي هذه الطائفة، قال تعالى إخباراً عنهم: ﴿يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ﴾ [يس: الآية 52] لو عرفوا حقيقة ما هنالك لما قالوا ذلك.

﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الآية 8] محمد ﷺ ﴿وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ﴾ [الآية 8] يعني القرآن بإعجازه ظاهر بنفسه مظهر لغيره بما فيه شرحه وبيانه من أمره ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الآية 8] فجاز عليه وفق ما ظهر لديه.

﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ﴾ [الآية 9] ما فيه من الحساب والجزاء والثواب والعقاب، والجمع جمع الملائكة والثقلين ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ﴾ [الآية 9] يغبن فيه بعضهم بعضاً كنزول السعداء منازل الأشقياء لو كانوا سعداء وبالعكس مستعار من تغابن التجار واللام فيه للدلالة على أن التغابن الحقيقي هو التغابن في أمور الآخرة لعظمها ودوامها لا في أمور الدنيا لحقارتها حال بقائها وسرعة زوالها حين فنائها. وقد ورد: ليس يتحسر أهل الجنة يوم القيامة إلا على ساعة مرت بهم ولم يذكروا الله فيها.

وأفاد الأستاذ أن المطيع في غبن إن لم يستكثر الطاعة والعاصي في غبن إن استكثر الزلّة وليس كل الغبن إلا التفاوت في الدرجات بحسب الكثرة والقلة، ولكن الغبن في الأحوال أكثر، فالمؤمن في الجنة والكافر في العقوبة.

﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ [الآية 9] من طاعاته ﴿يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الآية 9] وقرأ نافع وابن عامر بالنون فيهما ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية 9] أي مجموع ما ذكر ﴿ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [الآية 9] لأنه جامع للمصالح من دفع المضرة وجلب المنفعة.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٠﴾﴾ [الآية 10] ولعل الآيتين بيان للتغابن وحاله وتفصيل لإجماله.

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 11] إلا بتقديره وإرادته لها ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ [الآية 11] أي بذاته وصفاته وتقدير مصنوعاته ﴿يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾
353/ب [الآية 11] للثبات عليها والإسراع عند حلولها / ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الآية 11] حتى بالقلوب وأحوالها.

وقال الأستاذ: أي خصلة حصلت فمن قلبه خلقاً وبعلمه وإرادته حكماً، ومن يؤمن بالله يهد قلبه حتى يهتدي إلى الله ربّه اليوم في المسرة والمضرة وفي الآخرة يهديه بنفسه إلى الجنة. ويقال: يهد قلبه لاتباع السنَّة واجتناب البدعة.

﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ [الآية 12] فيما يأمران به وينهيان عنه ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ [الآية 12] أعرضتم عما أُمرتم فالضرر راجع إليكم ﴿فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الآية 12] وقد بلّغ رسالته وبلغ في النصيحة غايته.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الآية 13] فإنه موجود ومعبود ومقصود ومشهود ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 13] لا على غيره إذ غيره لا يقدر على نفعه وضرّه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ﴾ [الآية 14] وهم الذين يشغلونكم عن طاعة ربكم وزاد معادكم ﴿عَدُوًّا لَّكُمْ﴾ [الآية 14] فكونوا أعداء لهم ﴿فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ [الآية 14] ولا تأمنوا شرّهم ولا تطاوعوا أمرهم ﴿وَإِن تَعْفُوا۟﴾ [الآية 14] عن ذنوبهم بترك المعاقبة عليها ﴿وَتَصْفَحُوا۟﴾ [الآية 14] بالإعراض وترك

التثريب عليهم فيها ﴿وَتَغْفِرُواْ﴾ [الآية 14] بإحقاقها وتمهيد معذرتهم في الإتيان بها ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الآية 14] يعاملكم بمثل أعمالكم ويتفضّل عليكم بالزيادة على أحوالكم.

قال سهل: من حملك من أزواجك وأولادك على جمع الدنيا والركون إليها فهو عدو لكم، ومن حثك على بذلها وإنفاقها في محلها ودلك على القناعة بقليلها وعلى التوكل في تحصيلها فليس بعدو لك.

﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌۚ﴾ [الآية 15] اختبار لكم في اختياركم ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الآية 15] لمن آثر محبة الله وطاعته على محبة الأموال والأولاد والسعي لهم.

وفي «تفسير السلمي» قيل: أي نظركم إليهما فتنة أي بلية موجبة للغفلة عن الحضرة.

وقال ابن عطاء بأن تلهيهم عن تأدية واجباتهم وتزيين البخل لتوفر لهم الدنيا في تحصيل شهواته ولذا ورد: كثرة العيال فضيحة الرجال[1]. وعنه عليه السلام: أنه كان يخطب فجاء الحسن والحسين وعليهما قميصان أحمران يعثران ويقومان فنزل إليهما فأخذهما ووضعهما في حجره على منبره فقال: صدق الله ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌۚ﴾ [الآية 15] رأيت هذين الصبيين فلم أصبر عنهما. ثم أخذ في خطبته[2]، كذا في «الكشاف»[3].

﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [الآية 16] أي ابذلوا في تقواه جهدكم وطاقتكم في بذل طاعتكم ﴿وَٱسْمَعُواْ﴾ [الآية 16] مواعظه ﴿وَأَطِيعُواْ﴾ [الآية 16] أوامره وزواجره ﴿وَأَنفِقُواْ﴾ [الآية 16] أموالكم في وجوه الخير خالصاً لوجهه ﴿خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْۗ﴾ [الآية 16] أي يكن إنفاقكم خيراً لها في دنياها وآخرتها ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ

---

(1) العزلة للخطابي (1/ 86).
(2) أخرجه الحاكم في المستدرك (1/ 424) رقم (1059)، والبيهقي في شعب الإيمان (7/ 466) رقم (11016)، وابن خزيمة في الصحيح (3/ 151) رقم (1801).
(3) الكشاف (7/ 77).

354/ أ ﴿فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الآية 16] الناجون من الحرقة والفرقة الفائزون بالجنة/ والوصلة والقربة.

قال ابن عطاء: قوله ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [الآية 16] لمن رضي من الله ثوابه وأما مَن لم يرض منه إلا به فإن خطابه ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عِمرَان: الآية 102].

وقال الأستاذ: إن التقوى بعد أن لا تقصير في التقوى غاية التقوى ﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [الآية 17] بصرف المال الحلال فيما أمره من الأحوال مقروناً بإخلاص نيّة وطيب طوية ﴿يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ﴾ [الآية 17] يجعل لكم بالواحد عشرة إلى سبعمائة وأكثر. وقرأ ابن كثير وابن عامر: يضعّفه لكم ويغفر لكم ببركة إنفاقكم ذنوبكم والله شكور يعطي الجزيل بالقليل حليم لا يعاجل بالعقوبة خصوصاً على البخيل ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [الآية 18] السر والعلانية ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الآية 18] تام القدرة وكامل العلم المقرون بالحكمة.

وقال الأستاذ: يتوجه الخطاب في هذا الباب على الأغنياء في بذل أموالهم على الفقراء في إخلاء أيامهم وأوقاتهم عن مراداتهم وإيثار مراد الحق على مراد أنفسهم، فالغني يقال له: آثر حكمي على مرادك في مالك، والفقير يقال له: آثر حكمي في نفسك وقلبك ووقتك وحالك.

سورة الطلاق

[مدنية]
وهي اثنتا عشرة آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله اسم مَن لا سبيل إلى وصاله ولا غنية في غيره من أفعاله، ويقال اسم مَن علمه وقع في سكون وراحة، ومَن عرفه وقع في اضطراب وفتنة، العلماء بشراب علمهم به استقوا فما استراحوا والعارفون بسلطان حكمه اصطلموا عن شواهدهم فبادوا وطاحوا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [الآية 1] خصّ النداء وعمَّ الخطاب لأن الكلام معه والحكم يعمّه وغيره. والمعنى إذا أردتم تطليقهن ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [الآية 1] أي في وقتها وهو الطهر، ومن عدّ العدة بالحيض علق اللام بمحذوف مثل مستقبلات ويؤيده ما روي أن في قراءة رسول الله ﷺ من قبيل عدتهن، وقد صح أن ابن عمر لما طلق امرأته حائضاً أمره عليه السلام بالرجعة[1] وهو سبب نزول الآية ﴿وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَۖ﴾ [الآية 1] واضبطوها وأكملوا ثلاثة قرؤ في المدة ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡۖ﴾ [الآية 1] في تطويل العدة وقصد المضرة ﴿لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ﴾ [الآية 1] من مساكنهن وقت الفرقة حتى تنقضي العدة ﴿وَلَا يَخۡرُجۡنَ﴾ [الآية 1] باستبراءهن ﴿إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ﴾ [الآية 1] مستثنى من الثاني للمبالغة في النهي والدلالة على أن خروجها فاحشة وهو قول النخعي وبه أخذ

(1) أخرجه مسلم في الصحيح (1471/ 1)، وأبو داود في السنن (2/ 222) رقم (2187)، والطبراني في المعجم الكبير (12/ 394) رقم (13456).

354/ب أبو حنيفة، أو من الأول. والمعنى إلا أن تبذؤ على الزوج أو على أحمائه/ فإنه أي لما فيه من الحرج منه كالنشوز في إسقاط حقها وهو قول ابن عباس[1]، وبه قال الشافعي، أو إلا أن تزني فتخرج لإقامة الحد عليها وهو قول ابن مسعود[2] وبه أخذ أبي يوسف.

وأفاد الأستاذ أن الطلاق وإن كان فراقاً فلم يجعله الحق محظوراً وإن كان من وجه مكروهاً ومحذوراً ولذا ورد: أبغض الحلال إلى الله الطلاق، ومنه جعل الطلاق وقتين سنَّة وبدعة وثالثة وهي مباحة، فالسنيَّة أن يطلق في طهر لم يباشر فيه طلقة واحدة، والبدعية أن يطلق في حال حيض أو طهر جومعت فيه، والمباحة هي طهر لم تجامع فيه والعدة وإن كانت في الشريعة لتحصين ماء الزوج والمحاماة على الأنساب ولئلا يختلط ماء الزوج بماء الآخر في هذا الباب فالغالب والأقوى في معناه الوفاء للصحبة الماضية في وصلة النكاح والإشارة فيه أنه بعد أن انقضت الوصلة فلا أقل من الوفاء في قليل من المدة، ويشهد لهذا أن الصغيرة والآيسة عليهما العدة لما ذكرناه من مراعاة الحرمة، وعدة الوفاة يشهد لهذه الجملة في كونها أطول لأن حرمة الميت أعظم وكذلك الإحداد في أيام العدّة المعنيّ فيه ما ذكرنا من مراعاة الوفاء والحرمة، ثم تحريم الطلاق في غير أيام السنة لئلا يطول الوقت على المرأة ولا تتضاعف عليها محنة الفرقة وطول المدة.

تلك الأحكام المذكورة ﴿حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ [الآية 1] أي أحكامه المثبتة وأعلامه المعيّنة فلا تعتدوها ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ [الآية 1] بأن عرضها لعقاب ربّه.

وفي «تفسير السلمي» قال بعضهم: التهاون بالأمر قلة المعرفة بالآمر.

وأفاد الأستاذ: أن العبودية هي الوقوف عند الحد لا بالنقصان عنه ولا بالزيادة عليه ومَن راعى مع الله حدّه أخلص لله عهده.

---

(1) أخرجه مالك في الموطأ (2/ 483) رقم (558).
(2) انظر تخريج الحديث السابق.

وفي «تفسير السلمي» قيل: العبد يتقلب في جميع الأحوال والأوقات على الحدود لكل وقت حد ولكل حال حد ولكل عمل حد، فمن أخطأ الحدود دخل في هتك حرمة المعبود ﴿لَا تَدْرِى﴾ [الآية 1] أي النفس أو أيها المطلق ﴿لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ [الطّلَاق: الآية 1] وهو الرغبة في المطلقة برجعة أو تجديد وصلة.

وفي تفسير الأستاذ قالوا: أراد ندماً، وقيل ولداً، وقيل ميلاً له إليها أو لها إليه فإن القلوب تختلف في تقلُّبها والإشارة في إباحة الطلاق إن كان الصبر مع الإشكال حق للحرمة المتقدمة فالخلاص عن مساكنة الأمثال والتفرد لعبادة الملك المتعال أولى وأحق في جميع الأحوال.

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ [الآية 2] شارفن آخر عدتهن ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ [الآية 2] فراجعوهن بحسن عشرة/ وجميل صحبة ﴿أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ [الآية 2] 355/ أ بإيفاء حقهن واتقاء ضررهن بأن لا يراجعها ثم يطلقها تطويلاً لمدة عدتها ﴿وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [الآية 2] على الرجعة أو الفرقة براءة عن الريبة ومقاطعة للمنازعة وهو مستحب كقوله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ [البقرة: الآية 282] وقيل واجب في الرجعة ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ﴾ [الآية 2] أيها الشهود عند الحاجة ﴿لِلَّهِ﴾ خالصاً لوجهه إلا لفرض سوى إقامة حكمة ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ الحث على جميع ما في الآية ﴿يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ [الآية 2] فإنه المنتفع به وهو المقصود في تذكيره.

قال سهل: لا يقبل الموعظة إلا مؤمن والموعظة هو ما خرج من قلب سليم من غل وحسد خال عن محض أنف ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [الآية 2] مخلصاً عن مضار الدارين ﴿وَيَرْزُقْهُ﴾ [الآية 3] أي الفوز وغيرهما ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الآية 3] في أمرهما.

روي أن سالم بن عوف بن مالك الأشجعي أسره العدو فشكا أبوه إلى رسول الله ﷺ وقال: أسر ابني وشكا إليه الفاقة فقال: ما أمسى عند آل محمد إلّا مد فاتّقِ الله واصبر وأكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله،

ففعل، فبينما هو في بيته إذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الإبل غفل عنها العدو فاستاقها[1] فنزلت.

وفي «تفسير السلمي»: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ [الآية 2] أرى من يتبرأ من الحول والقوة والأسباب كلها دون الرجوع إليه ﴿يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [الآية 2] مما يخافه بالمعوذ عليه وبالعصمة من الطوارق لديه.

وقال سري السقطي: المتقي من لا يكون رزقه من حيث يكتسب لأن الله يقول: ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الآية 3] كافيه.

قال سهل: من يكل أموره إلى ربّه فإن الله يكفيه جميع مهمه.

وقال شاه الكرماني: التوكل سكون القلب مع الربّ في الموجود والمفقود. وقال أيضاً: التوكل قطع القلب عن كل علاقة والتعلق بالله في كل حالة. وقيل: التوكل مقرون مع إيمان الكل وكل إنسان توكل في شأنه على قدر إيمانه.

وقال ابن عطاء: من فارق ما شغله عن الله أقبل الله عليه وأشغل جوارحه بخدمته وآنس قلبه بالتوكل عليه والتفويض إليه والتسليم بين يديه.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦٓ﴾ [الآية 3] يبلغ ما يريد ولا يفوته مراده. وقرأ حفص بالإضافة ﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الآية 3] تقديراً لا يقبل تغييراً أو مقداراً لا يقبل زيادة ولا نقصاناً أو أجلاً لا يقبل تبديلاً ولا تحويلاً وهو بيان لوجوب التوكل عليه وبرهان لرجوع الكل إليه. وعنه عليه السلام: «إني لأعلم آية لو
أخذ الناس بها لكفتهم»[2] ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ [الآية 2]/ الآية، فما زال يقرؤها 355/ب
ويعيدها.

---

(1) تفسير البيضاوي (1/ 349).

(2) أخرجه الدارمي في السنن (2/ 392) رقم (2725)، والبيهقي في الزهد الكبير (2/ 396) رقم (890)، والزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (4/ 50) رقم (1368).

وأفاد الأستاذ أن العبد إذا صدق في دعواه أخرجه من بين أشغاله كالشعرة تخرج من بين العجين لا يعلق شيء بها فيضرب على المتقي سرادقات عنايته ويدخله في كنف إيواء حمايته ويصرف الأشغال عن قلبه ويخرجه من ظلمات تدبيره بأن جرّده عن كل شغل وكفاه كل أمر ونقله إلى شهود قضاء تقديره.

لم يقل ومن يتوكل على الله فتوكله حسبه، بل قال: ﴿فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الآية 3] أي فالله كافيه وإذ لم يسبق له شيء من التقدير فلا بحاله يكون إذ بتوكله لا يتغير المقدور ولا يستأخر الأمور ولكن المتوكل بنيته يكون مروح القلب مع حكم الرب وهذا من أجل النعم.

﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ﴾ [الآية 4] لكبرهن ﴿إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ﴾ [الآية 4] شككتم في عدتهن وجهلتم مدتهن ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ﴾ [الآية 4] روي أنه لما نزلت ﴿وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖ﴾ [البقرة: الآية 228]، قيل: فما عدّة اللآئي لم يحضن لكبرهن أو صغرهن فنزلت: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ﴾ [الآية 4] لصغرهن كذلك ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ﴾ [الآية 4] منتهى عدتهنّ ﴿أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ﴾ [الآية 4] وهو حكم يعم المطلقات والمتوفى عنهن أزواجهن ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ [الآية 4] في أحكامه ﴿يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا﴾ [الآية 4] يسهل عليه أمره ويوفقه لتمام أمنه.

﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية 5] ما ذكر من الأحكام ﴿أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ﴾ [الآية 5] لتكميل شرائع الإسلام ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ [الآية 2] في مراعاة طاعاته ﴿يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ﴾ [الآية 5] فإن الحسنات يذهبن السيئات ﴿وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا﴾ [الآية 5] عظيماً من فضله أنواع المضاعفات.

﴿أَسۡكِنُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ سَكَنتُم﴾ أي مكاناً من سكناكم ﴿مِّن وُجۡدِكُمۡ﴾ [الآية 6] من وسعكم وطاقتكم وهو عطف بيان لما قبله ﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ﴾ [الآية 6] في السكنى معهن ﴿لِتُضَيِّقُواْ عَلَيۡهِنَّۚ﴾ [الآية 6] بالإلجاء إلى خروجهن ﴿وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ

حَمْلٍ فَأَنفِقُواْ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الآية 6] فيخرجن من العدّة.

قال القاضي: وهذا يدل على اختصاص استحقاق النفقة بالحامل من المعتدات.

وقال صاحب «المدارك»: فائدة اشتراط الحمل أن مدة الحمل ربما تطول فيظن ظان أن النفقة تسقط إذا مضى مقدار مدة عدة الحامل فنفى ذلك الوهم ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ﴾ [الآية 6] بعد انقطاع علقة النكاح ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ [الطّلَاق: الآية 6] على الإرضاع ﴿وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ﴾ [الآية 6] وليأمر بعضكم بعضاً بجميل في الإرضاع والأجر من غير النزاع ﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ﴾ [الآية 6] تضايقتم ﴿فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ﴾ [الآية 6] أي امرأة أخرى، وفيه نوع من المعاتبة للأم على المعاسرة في المحاسبة.

﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ﴾ [الآية 7] ضيق عليه بقلّته
356/ أ ﴿فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ [الآية 7] أي فلينفق كل من الموسر والمعسر/ ما بلغه وسعه كما بيّنه بقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾ [الآية 7] ما أعطيها من الكثير والقليل، وفيه إيماء إلى أن المفلس في أمان الله وإشارة إلى تطييب قلب الفقير ولذا وعد له باليسر فقال: ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الآية 7] أي عاجلاً أو آجلاً.

وأفاد الأستاذ: أن انتظار اليسر من الله صفة المتوسطين في الأحوال والذين انحطوا عن درجة الرضا واستواء وجود السبب وفقده.

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ﴾ [الآية 8] أعرضت عن أمرهما وما قامت بحكمهما ﴿فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا﴾ [الآية 8] بالاستقصاء والمناقشة ﴿وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا﴾ [الآية 8] والمراد حساب الآخرة وعذابها والتعبير بلفظ الماضي لتحقق وقوعهما أو لقرب وصولهما فكأنه ثبت حصولهما.

﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾ [الآية 9] عقوبة كفرها ووزرها ﴿وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ [الآية 9] لا ربح فيها أصلاً.

وأفاد الأستاذ: أن من زرع الشوك لا يجني الورد ومن أضاع حق الله لا يطاع في حظ نفسه وهواه ومن احترف بمخالفة أمر الله فليصبر على مقاساة عقوبة الله.

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ [الآية 10] تكريراً للوعيد لمزيد التأكيد، ويجوز أن يكون المراد بالحساب استقصاء ذنوبهم في صحائف الحفظة وبالعذاب ما أصيبوا به في الدنيا من العقوبة ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الآية 10] يا أصحاب العقول السليمة من قشور العقائد السقيمة.

قال شاه الكرماني: ﴿يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ هم الواقفون على حدود الله في جميع الأبواب ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الآية 10] بمضمون الكتاب ﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ [الآية 10] جميلاً.

﴿رَّسُولًا﴾ [الآية 11] أي وأرسل رسولاً نبيلاً ﴿يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ﴾ [الآية 11] بكرة وأصيلاً ﴿لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الآية 11] أي ليخرج الله بسبب إنزال كتابه وإرسال رسوله وخطابه من علم أو قدر أنه يؤمن به ويقوم بأمره ﴿مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [الآية 11] أي من ضلالات الكفر والكفران إلى نور الإيمان والعرفان.

وأفاد الأستاذ: أن كتاب الأحباب فيه تبيان كل شيء يا أولي الألباب فمن استضاء بنوره اهتدى ومن لجأ إلى برد أفيائه واصل من داء الجهل إلى شفائه ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ [الآية 11] لله وفي سبيل رضاه تعالى دوام النعمى من مولاه ﴿يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الآية 11] وقرأ نافع وابن عامر ندخله بالنون ﴿قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا﴾ [الآية 11] كريماً من الثواب في دار المآب.

وأفاد الأستاذ أن الرزق الحسن ما كان على حد الكفاية لا نقصان فيه فيعطله عن أموره بسببه ولا زيادة تشغله عن الاستمتاع بما رزق لحرصه كذلك أرزاق القلوب أحسن/ أن يكون له من الأحوال ما يستقل بها من غير نقصان 356/ ب

فلا يتعذب بتعطشه ولا يكون زيادة فيكون على خطر من مغاليط لا يخرج منها إلا بتأييد من الله سماوي.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ [الآية 12] مبتدأ وخبر ﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الآية 12] أي وخلق مثلهن في العدد من الأرض ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ [الآية 12] أي يجري أمر الله وقضاؤه بينهن وينفذ حكمه فيهن ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الآية 12] فإن كلاً منهما يدل على كمال قدرته وجمال علمه وحكمته..

قال ابن عطاء: أحاط علمه بالأشياء لأنه أوجدها ولا يحيط به أحد علماً لامتناع الأزل أن يلحقه شيء من الحوادث أبداً.

سورة التحريم

[مدنية]

وهي اثنتا عشرة آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله اسم عزيز يمهل من عصاه فإذا رجع وناداه أجابه ولبّاه فإن لم يتوسل بصدق قوله في ابتداء أمره، فإذا تنصّل بصدق ندمه في آخر عمره أوسعه غفراً أو قبل منه عذراً أو أكمل له زخراً وأجزل له برّاً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ [الآية 1] روي أنه عليه السلام خلا بمارية في يوم حفصة فاطلعت عليه فعاتبته فيه فحرم مارية[1] فنزلت ﴿تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ﴾ [الآية 1] استئناف لبيان الداعي إلى ذلك ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ [الآية 1] لك هذه الغفلة ﴿رَّحِيمٌ﴾ [الآية 1] بك في عتاب هذه الغفلة.

قال القاسم: لا يدع الحق أحداً سكن إليه حتى يشغله غيره لأنه غيور.

وقال ابن عطاء: لما نزلت هذه الآية قال عليه السلام: اللهمَّ أعوذ بك من كل قاطعة تقطعني عنك.

وأفاد الأستاذ: أن ظاهر هذا الخطاب عتاب على أنه لمراعاة قلب امرأته حرَّم على نفسه ما أحلَّ الله له من أمره والإشارة فيه وجوب حق الله سبحانه على كل شيء وفي كل وقت.

﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ [الآية 2] قد شرع لكم تحليلها وهو حل ما

---

(1) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (7/ 353) رقم (14854).

عقدته اليمين بكفارتها وظاهر الآية أن تحريم الحلال يمين كما ذهب إليه الحنفية[1].

وقد روي أنه عاود إلى مارية وكفر بعتق رقبة ﴿وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ﴾ [الآية 2] متولى أمركم ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [الآية 2] بما يصلحكم ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ [الآية 2] فيما يأمركم ويزجركم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أجرى سنَّته بأنه إذا ساكن عبد بقلبه إلى أحد شوّش على خواصه محل مساكنة غيره على قلبه إلى أن يعاود به ربه ثم يكفيه ذلك بعد مدة من أمره.

﴿وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ﴾ [الآية 3] يعني حفصة ﴿حَدِيثٗا﴾ [الآية 3] تحريم مارية ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ﴾ [الآية 3] أي أخبرت حفصة عائشة بالحديث ﴿وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ﴾ [الآية 3] واطّلع النبي عليه السلام على إفشائه ﴿عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ﴾ [الآية 3] أي أعلم الرسول حفصة بعض ما فعلت ﴿وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ﴾ [الآية 3] عن إعلام بعض آخر من أفعالها تكرُّماً. فعن الحسن البصري قال: ما استقصى كريم
قط أو المعنى جازاها على بعض أفعالها/ بتطليقه إياها. ويؤيده قراءة الكسائي 357/ أ
بتخفيف الراء ويؤيد الأول قوله ﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ﴾ [الآية 3] الحديث ﴿قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الآية 3] فإنه أوفق للإعلام في مقام المرام.

﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الآية 4] التفات إلى حفصة وعائشة في المخاطبة للمبالغة ﴿فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ﴾ [الآية 4] فقد وجد منكما ما يوجب التوجه وهو ميل قلوبكما عن الواجب عليكما من مخالطة الرسول بحب ما يحبه وكراهة ما يكرهه ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ﴾ [الآية 4] أي تتظاهرا، وقرأ الكوفيون بالتخفيف على حذف إحدى التائين، والمعنى إن تتعاونا عليه بما يسوؤه ويحزنه أو بما لا يهون لديه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ﴾ [الآية 4] أي ناصره ومعاونه في هواه ﴿وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾ [الآية 4] أي كذلك ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ﴾ [الآية 4] أي بعد المذكور من

(1) المبسوط (7/ 310)، وفتح القدير (9/ 13).

المقربين ﴿ظَهِيرٌ﴾ [الآية 4] معاون له ونصير، والمعنى فلن يعدم مَن يظاهره فإن الله ناصره وجبريل رئيس الكروبيين قرينه ومن صلح من المؤمنين أتباعه وأشياعه والملائكة أنصاره وأعوانه، وتخصيص جبريل لتعظيمه ولتقربه في مقام تكريمه. والمراد بالصالح الجنس ولذا عم بالإضافة وقوله بعد ذلك تعظيم لمظاهرة الملائكة من جملة من ينصره الله به هنالك. روي أنه لما سمع عمر رضي الله عنه ما صدر عن حفصة من مخالفتها قال: يا رسول الله لو أمرتني بضرب عنقها(1).

﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥ﴾ [الآية 5] أي يرجى من كرمه وعنايته ويتحقق من حسن رعايته ﴿إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ [الآية 5] بتعميم الخطاب للمبالغة في العتاب. وقرأ نافع وأبو عمرو: أن يبدله بالتشديد، والمعنى أن يجعل له بدلاً عنكن أزواجاً خيراً منكن في الصورة والسيرة بوجود كمال الصفات المسطورة.

وقول القاضي ليس فيه ما يدل على أن في النساء خيراً منهن محمول على الوجود في الزمان دون الإمكان مع أن خيريتهن إنما هو باعتبار زوجيتهن ونسبة قربيتهن فتزول في الجملة بتطليقهن ويتحقق لغيرهن من حيثية عقدهن لا سيما وطلاقهن يؤذن بكراهتهن ومحبة فراقهن، وهذا القدر يكفي في انحطاط مراتبهن وإعلاء مقام غيرهن في منصة اقترابهن.

﴿مُسْلِمَٰتٍ﴾ [الآية 5] منقادات ﴿مُّؤْمِنَٰتٍ﴾ [الآية 5] بظواهرهن مخلصات بضمائرهن ﴿قَٰنِتَٰتٍ﴾ [الآية 5] مواظبات على الطاعة ﴿تَٰٓئِبَٰتٍ﴾ [الآية 5] عن المعصية ﴿عَٰبِدَٰتٍ﴾ [الآية 5] متعبدات بالنافلة أو متذللات في الخدمة ﴿سَٰٓئِحَٰتٍ﴾ [الآية 5] مهاجرات أو صائمات، وسمي الصائم سائحاً لأنه يسيح بالنهار بلا زاد ﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾ [الآية 5] وسط العاطف بينهما لتنافيهما ولأنهما في حكم صفة واحدة إذ المعنى مشتملات على الثيبات والأبكار.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ [الآية 6] احفظوها بفعل الطاعات وترك

---

(1) ورد بلفظ مختلف. انظر ما أخرجه البخاري في الصحيح (2468)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/ 420) رقم (3318)، والنسائي في السنن الكبرى (5/ 366) رقم (9157).

357/ ب السيئات ﴿وَأَهۡلِيكُمۡ﴾ [الآية 6]/ بالنصيحة وبتعليمهم الفرائض والسنَّة الصحيحة. وقيل: أَظهروا من أنفسكم بعض عبادتكم ليتعلّموا منكم ويعتادوا بعادتكم ﴿نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [الآية 6] عذاب نار تتوقد بهما اتقاد غيرها بالحطب والشوك ونحوهما ﴿عَلَيۡهَا﴾ [الآية 6] يلي أمرها ﴿مَلَٰٓئِكَةٌ﴾ [الآية 6] وهم الزبانيَّة ﴿غِلَاظٞ شِدَادٞ﴾ [الآية 6] غلاظ الأقوال شداد الأفعال أو غلاظ الخَلْق شداد الخُلُق ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ﴾ [الآية 6] فيما مضى ﴿وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [الآية 6] فيما دنا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الآية 7] في الدنيا ﴿لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾ [الآية 7] في العقبى ﴿إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الآية 7] أي يقال لهم ذلك عند دخولهم النار، والنهي عن الاعتذار لأنه لا عذر لهم أو عذرهم لا ينفعهم إذا فات وقت الاعتذار فالواجب البدار والفرار للخلاص من دار البوار والمناص إلى دار القرار.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الآية 8] ارجعوا إلى طاعته من المعصية وإلى قرب حضرته من الغفلة ﴿تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا﴾ [الآية 8] بالغة في النصح خاصة من الغش وهو في الأصل صفة التائب فإنه ينصح نفسه بالتوبة، وصفت به على الإسناد المجازي للمبالغة. وقرأ أبو بكر بضم النون وهو مصدر بمعنى النصح كالشكر والشكور، وتقديره ذات نصوح أو تنصح نصوحاً أو توبوا نصحاً لأنفسكم. وسئل علي كرَّم الله وجهه عن التوبة فقال: يجمعها ستة أشياء على الماضي من الذنوب الندامة وللفرائض الإعادة ورد المظالم واستحلال [أي فيما يتصور مثله][1] الخصوم وأن يعزم على أن لا يعود وأن يذيقها مرارة الطاعة كما أذاقها حلاوة المعصية[2].

قلت: ولا بد من السابعة، وهي الإقلاع عن مباشرة المعصية.

وقال الواسطي: التوبة النصوح لا تبقي على صاحبها أثراً من المعصية لا سراً ولا علانية.

---

(1) جاءت العبارة في هامش المخطوطة.
(2) الكشاف (7/ 94)، وتفسير أبي السعود (8/ 269)، وتفسير البيضاوي (1/ 357).

وأفاد الأستاذ: أن التوبة النصوح الذي لا يعقبه نقض. ويقال: أن لا تراها من نفسك ثم لا ترى نجاتك بها وإنما تراها بربك. ويقال: هي أن تجد المرارة في قلبك عند ذكر الزلة كما كنت تجد الراحة بنفسك عند الغفلة.

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [الآية 8] الصادرة عنكم في الليل والنهار ﴿وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الآية 8] في جملة الأبرار ذكر بصيغة الإطماع جرياً على عادة الملوك في وعدهم ووعيدهم ليكون رعاياهم تحت خوفهم ورجائهم وإشعاراً بأنه تفضُّل منه سبحانه عليهم وأن التوبة بنائها غير موجب لهم.

﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ﴾ [الآية 8] ظرف ليدخلكم أو التقدير اذكر يوم لا يخزي الله نبيه ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ [الآية 8] من أصحابه والمؤمنين العامة.

قال الأستاذ: لا يخزي الله النبي بترك قبول شفاعته في أمته والذين آمنوا بافتضاحهم بعد قبول شفاعته. أقول: ولا يبعد أن يكون المراد بالنبي والمؤمنين جنس/ الأنبياء وأممهم الذين آمنوا معهم. 358/ أ

﴿نُورُهُمْ﴾ [الآية 8] كما تقتضي أمورهم ﴿يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ﴾ [الآية 8] أي في موقف سرورهم أو على الصراط حال مرورهم ﴿يَقُولُونَ﴾ [الآية 8] يعني المؤمنين إذا طغى نور المنافقين بالابتهال في السؤال: ﴿رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ﴾ [الآية 8] حتى يكمل سرورنا ويحصل حضورنا وأما الأنبياء فيقولون: سلم اللهمَّ سلم ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الآية 8] قال بعضهم: أي لا تقطعنا بك عنك وكن دليلنا منك عليك حتى يتم لنا الأنوار فإن تمامها بإتمام منورها. وقيل: المعنى نوّرنا بنورك حتى نراك بنورك وظهورك.

وقال ابن عطاء: إنما هو نور التوحيد ونور المعرفة ونور الحقيقة يسعى بهذه الأنوار إلى دار القرار.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ﴾ [الآية 9] بسيف المقاتلة ﴿وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ [الآية 9] بحجة المقالة ﴿وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [الآية 9] أي بتضييق المقاتلة، والمعنى استعمل الخشونة في المجاهدة إذ بلغ الرفق مد الغاية في البداية، وهذا في حال إصرارهم وزوال أعذارهم ﴿وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [الآية 9] جهنم أو مأواهم.

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ﴾ [الآية 10] أي مثلهما، والمعنى مثل الله حال الكفار بحالهما في أنهم يعاقبون بكفرهم ولا يحابون بتخفيف وزرهم لما بينهم وبين النبي والمؤمنين من نسبة قربهم وقرابتهم ولعل في الآية تخويف للأزواج الظاهرة وتعريض بما صدر عن بعضهن من المخالفة الظاهرة ﴿كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ﴾ [الآية 10] يريد به تعظيم نوح ولوط عليهما السلام ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ [الآية 10] بالنفاق لا بالزنى بالاتفاق ﴿فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 10] من عذابه لهما ﴿شَيۡـٔٗا﴾ [الآية 10] من الإغناء أو من العناء ﴿وَقِيلَ﴾ [الآية 10] أي لهما عند موتهما أو حال بعثهما ﴿ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾ [الآية 10] مع سائر من يدخل النار من الكفار الذين لا وصلة بينهم وبين الأنبياء الأبرار.

قال الأستاذ: لما سبقت لهما الفرقة يوم القيامة لم تنفعهما القربة يوم العقوبة.

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ﴾ [الآية 11] أي مثلها، والمعنى شبّه حالهم في أن وصلة الكافرين لا تضر المؤمنين بحالة آسية رضي الله عنها ومنزلتها عند الله مع أنها كانت تحت أعدى أعداء الله ﴿إِذۡ قَالَتۡ﴾ [الآية 11] اذكر حين قولها وتضرعها في دعائها ﴿رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ﴾ [الآية 11] أي قريباً من رحمتك ﴿بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ﴾ [الآية 11] أو في أعلى درجات أهل القربة ﴿وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ﴾ [الآية 11] من نفسه الخبيثة وأعماله الذميمة ﴿وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية 11] من القبط التابعين له في الظلم والمعصية.

وفي تفسير الأستاذ قالوا: صغرت همّتها حيث طلبت بيتاً في الجنة كان حقها أن تطلب الكثير من المنّة ولا كما توهموا لأنها طلبت بيتاً في جوار القربة

/ وبيت في الجوار أفضل من ألف قصر لا في جوار الدار ومن المعلوم أن ذلك 358/ ب عندية القربة والكرامة فله مزية على غيره وخصوصية، وفي معناه أنشدوا:

إني لأحسد جاركم لجواركم طوبى لمن أضحى لدارك جارا
يا ليت جارك باعني من داره شبراً لأعطيه بشبر دارا[1]

انتهى. ولا يبعد أن يقال: تنوين بيتاً للتعظيم في الكمية والكيفية، أي مسكناً عظيماً ومنزلاً وسيماً في الجنة، أو يقال: لما عظمت نفسها بالطمع في المرتبة العندية التي هي كمال المنزلة العبدية هضمت نفسها وحقرت طمعها بقولها ﴿بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ﴾ [الآية 11] ولو في أدنى الرتبة من درجات القربة.

﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ﴾ [الآية 12] عطف على امرأة فرعون تسلية للأرامل والأبكار التي لهن حسن الأحوال ﴿ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ [الآية 12] من الرجال ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ﴾ [الآية 12] في فرجها أو جيبها ﴿مِن رُّوحِنَا﴾ [الآية 12] من الأرواح التي خلقناها قبل الأشباح والإضافة للتشريف، والمعنى خلقنا ولدها بلا توسط زوج لها بل بمجرد نفخنا فيها ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا﴾ [الآية 12] بما أوحى إلى أنبيائه من صفات الله وأسمائه وكتابه جنس الكتب المنزلة على أصفيائه كما يدل عليه قراءة البصري وحفص بالجمع ﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ [الآية 12] من جملة المواظبين على الطاعة والمداومين على العبادة والتذكير للتغليب وللإشعار بأن طاعتها لم تقصر عن طاعة الرجال الكاملين، فعنه عليه السلام: كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا أربع: آسية بنت مزاحم امرأت فرعون، ومريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام[2].

وقد روي أن آسية ومريم من نساء النبي ﷺ في الجنة، وكذا قيل في مريم أخت موسى عليه السلام.

---

(1) ذكره القشيري في تفسيره (7/ 444).
(2) أخرجه الحاكم في المستدرك (3/ 677) رقم (6483)، والطبراني في الأوسط (2/ 278) رقم (1978)، وابن ماجه في السنن (2/ 1091) رقم (3280)، والترمذي في الجامع الصحيح (4/ 275) رقم (1834).

سورة الملك

[مكيَّة]
وهي ثلاثون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله اسم الله من لم يتعطر القلوب إلا بنسيم إقباله، ولم يتقطر الدموع إلا للوعة فراقه، أو روح وصاله، فدموعهم في كلا الحالين منسكبة، وعقولهم في غالب أوقاتهم منتبهة.

[قد ورد مرفوعاً أن سورة في القرآن ثلاثون آية شفعت لصاحبها حتى غفر له ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ﴾ رواه أهل السنن الأربعة وحسنه الترمذي(1).

وعنه عليه السلام: «لوددت أن تكون في قلب كل مؤمن من أمتي» رواه الطبراني(2) وقال: هذا حديث غريب](3).

﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ﴾ [الآية 1] تكاثر خير من بقبضه قدرته تصرف أمور مملكته ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [الآية 1] أي كل ما يتعلق بقدرته وفق ما يتحقق بمشيئته.

قال جعفر الصادق: أي هو المبارك على مَن انقطع إليه وتوكل عليه.

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (1/ 753) رقم (2075)، وابن ماجه في السنن (2/ 1244) رقم (3786)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/ 164) رقم (2891)، وأحمد في المسند (2/ 299) رقم (7962).

(2) أخرجه الحاكم في المستدرك (1/ 753) رقم (2076)، والطبراني في المعجم الكبير (11/ 241) رقم (11616).

(3) هذا المقطع مأخوذ من الهامش.

وقال سهل: تعالى عن الأشباه والأنداد والأولاد والأضداد بحوله وقوته الملك يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء وهو القادر على ما يشاء.

وقال ابن عطاء: أي بارك في الخلق فمضت البركة لهم فنفعتهم.

وقال الأستاذ: /تقدّس وتعالى من إحسانه تواتر وتوالى فهو المتكبِّر في 359/ أ
جلال كبريائه المتجبِّر في علاء بهائه ودوام سنائه بيده المُلك بقدرته إظهار ما يريد من مشيئته.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ [الآية 2] ظاهر الآية أن الموت صفة وجوده مضادة للحياة وبه قال بعض العلماء، وقال بعضهم: الموت عدم الحياة فالمعنى قربهما أو أوجد الحياة وأزالها جسماً قدر وقدم الموت إشعاراً بعدمهم أولاً كقوله: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ﴾ [البقرة: 28] ولأنه أدعى إلى قطع الأمل وحسن العمل ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ [الآية 2] ليعاملكم معاملة المختبِر لكم ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الآية 2] أصوبه صورة وأخلصه سيرة. وجاء مرفوعاً أحسن عقلاً، وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعته. والجملة واقعة موقع المفعول الثاني لفعل البلوى المتضمن معنى العلم.

قال ابن عطاء: خلق الموت للعبرة والحياة للغفلة.

وقال الواسطي: من أحياه الله بذكره في أزله لا يموت أبداً ومن أماته عن ذلك لا يحيى أبداً. وقال أيضاً: أحسن العمل ترك التنوين به. وقيل: أفرغ قلباً وأصفى ذهناً وأحسن سمتاً وهدياً. وقيل: أحسن العمل نسيان العمل ورؤية الفضل.

وأفاد الأستاذ أنه سبحانه خلق الموت والحياة ابتلاء للخلق يختبرهم إعلاماً للملائكة حالهم لينظر شكرانهم وكفرانهم حيث يكونون عند المحنة في الصبر وعند النعمة في الشكر ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ [الآية 2] الغالب الذي لا يعجزه من أساء العمل ﴿ٱلْغَفُورُ﴾ [الآية 2] لمن تاب منهم وأحسن الأمل.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ [الآية 3] مطابقة بعضها فوق بعض وفاقاً.

قال الأستاذ: عرَّفهم كمال قدرته بدلالات خلقته فسمك السماء فمسكها بلا عمد وركّب أجزاءها غير مستعين بأحد، خلقها فحسّنها وبالنجوم زيّنها ومن استراق سَمَعَ الشياطين حصّنها، وبغير تعليم معلِّم أحكمها وأتقنها ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الآية 3] أي في مخلوقاته ومصنوعاته ﴿مِن تَفَٰوُتٍۖ﴾ [الآية 3] وقرأ حمزة والكسائي: من تفوّت أي اختلاف واختلال وعدم تناسب مأخوذ من الفوت فإن كلاً من المتفاوتين فات عنه بعض ما في الآخر وفي إضافة الخلق إلى الرحمٰن إيماء إلى أنه تعالى يخلق ذلك بقدرته رحمة منه وتفضُّلاً على خليقته وإن في إبداع الكائنات نعماً جليلة وحكماً جزيلة، والخطاب لزين الأحباب أو لكل من يصلح لفتح هذا الباب.

وقال الأستاذ: ما ترى فيما خلق تفاوتاً في آثار الحكمة ولا قصوراً في كمال أسرار القدرة. ويقال: ما ترى فيها تفاوتاً في استغنائه عن جميعها، أو ما ترى فيها تفاوتاً في خلق الكثير واليسير والكبير والصغير لأنه منزَّه عن السهولة ولحوق المشقة إليه.

359/ ب ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ [الآية 3] أي إن كنت في ريب / من التفاوت والقصور فانظر مرة أخرى متأملاً فيها لتباين تناسبها واستقامتها واستجماعها على ما ينبغي لها ويظهر لك أن ليس فيها من خلل ولا نقصان عمل.

﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ [الآية 4] أي رجعة بعد رجعة أو قلباً أو بصراً في طلب الفطور ﴿يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا﴾ [الآية 4] بعيداً عن إصابة المطلوب بوجدان القصور ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الآية 4] كليل من طول المعاودة وكثرة المراجعة.

قال الأستاذ: أنعم النظر وكرِّر الفكر فلا تجد فيها فطوراً ولا في عزنا قصوراً.

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا﴾ [الآية 5] سقف السماء القربى التي اجتمعتم تحتها ﴿بِمَصَٰبِيحَ﴾ [الآية 5] بنجوم مضيئة بالليل إضاءة السراج فيها، ولا يبعد كون بعض الكواكب مركوزة في السماوات فوقها إذ التزين بإظهارها عليها ﴿وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا﴾

[الآية 5] أي مراجم للشياطين المسترقة للسمع زجراً لها وكونها مراجم إن الشهب منقضة من نار الكواكب قارة في فلكها والرجوم رجم بالفتح وهو مصدر سمي به ما يرجم به ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ﴾ [الآية 5] للشياطين ﴿عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الآية 5] في العقبى بعد الإحراق بالشهب في الدنيا.

قال ابن عطاء: زيّنا قلوب الأولياء بأنوار المعرفة وقلوب المريدين بالرهبة والرغبة وقلوب المحبين بالشوق والهيبة وقلوب المتوكلين باليقين والثقة وقلوب الزاهدين.

وأفاد الأستاذ: أن المؤمنين قلوبهم مزيّنة بالتصديق وزيادة الإيقان ثم بالتحقيق بتأمل البرهان، ثم بالتوفيق لطلب الإيمان، والعارفون قلوبهم مزيّنة بشموس التوحيد وأرواحهم مزيّنة بالتجريد، وعلى هذا القياس لكل طائفة أنوار التأييد.

﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ﴾ [الآية 6] من الشياطين وغيرهم ﴿عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ [الآية 6] عقاب السعير ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الآية 6] وساء المسير.

﴿إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا﴾ [الآية 7] طرحوا في جهنم ﴿سَمِعُوا۟ لَهَا﴾ [الآية 7] أي لنارها ولأهلها لقوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ [هود: 106]، ﴿شَهِيقًا﴾ [الآية 7] صوتاً كصوت الحمير وهو آخر نهيق الحمار والزفير أوله، وشبهه به لأن أنكر الأصوات صوت الحمير ﴿وَهِىَ تَفُورُ﴾ [الآية 7] تغلي بهم كغليان القدور.

﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ﴾ [الآية 8] تنقطع وتتفرق ﴿مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ [الآية 8] من شدة غضب النار على الكفار، وقيل تمثيل لشدة اشتعالها بهم وحدَّة أهوالها عليهم ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ﴾ [الآية 8] جماعة من الكفار ﴿سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ [الآية 8] إنذار من ربكم أو نبي منذر يخوِّفكم، وهو سؤال توبيخ وتقريع.

﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ﴾ [الآية 9] أي فكذبنا النذير في الترهيب وأفرطنا في التكذيب حتى تيقنا الإنزال/ والإرسال وبالَغْنا في نسبتهم إلى الضلال. 360/ أ

﴿وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ﴾ [الآية 10] أي كلام النذير سماع قبول من غير بحث اعتماد على ما لاح من صدقه بالمعجزات ﴿أَوْ نَعْقِلُ﴾ [الآية 10] دلائل نقله فنتفكر في حكمه تفكُّر المستبصر بالآيات ﴿مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الآية 10] ولا صرنا في عقاب النكير.

﴿فَٱعْتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمْ﴾ [الآية 11] حين لا ينفعهم اعترافهم ولو مقروناً بندمهم ﴿فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الآية 11] أي فبُعداً لهم من رحمته أو من نعيم جنته مفعول مطلق وجب حذف فعله، أي سحقهم الله سحقاً. وقرأ الكسائي بضمتين، قيل: المعنى لو سمعنا موعظة الواعظين أو عقلنا نصيحة الناصحين لاتبعناهم فيما أمرونا به من النذير ولما كنا من أصحاب السعير.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ [الآية 12] يخافون عذابه غائباً عنهم أو غائبين عنه أو عن أعين غيرهم، أو المراد بالغيب المخفي عنهم وهو القلب.

وفي «تفسير السلمي»: خشية القلب أن تطمئن إلى غيره وخوف البدن أن يشتغل بغير أمره.

وأفاد الأستاذ: أن الخشية توجب عدم الفرار أي بخلاف الخوف فإنه قولاً يوجد معه القرار وأما الخشية فيكون أبداً لانزعاجه كالحبّ على المقلى لا يفتر أثناء الليل والنهار بتوقُّع العقوبات مع مجاري الأنفاس في الحالات فكلما ازداد لله طاعة ازداد خشية ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ [الآية 12] لسيئاتهم ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الآية 12] على طاعاتهم في العقبى يصغر دونه ويستحقر عنده لذائذ الدنيا.

﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ﴾ [الآية 13] أي يستوي الأمران في علمه ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الآية 13] بالضمائر من الأمور قبل أن يعبّر عنها سراً أو جهراً.

﴿أَلَا يَعْلَمُ﴾ [الآية 14] قول السر أو الجهر وما يحويه الصدر ﴿مَنْ خَلَقَ﴾ [الآية 14] أوجد الأشياء جسماً تعلّقت به إرادته وقدّرته حكمته ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الآية 14] المتوصل علمه إلى ما ظهر من خلقه وما بطن من النقير

والقطمير والكثير واليسير، أو ألا يعلم الله مخلوقه فإن كل شيء خلقه.

قال سهيل: ألا يعلم من خلق القلب ماذا أودع فيه من التوحيد والجحود.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه خوّفهم بعلمه وندبهم إلى مراجعة حكمه لأنه يعلم السر وأخفى ويسمع الجهر والنجوى، ثم بيَّن وقال: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ [الآية 14] أي كل جزء من خلقه من الأعيان والآثار أدلة على علمه وحكمته يظهر لأولي الأبصار.

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا﴾ [الآية 15] ليِّنة هيِّنة ليسهل السلوك فيها ولا يصعب الحرث عليها ﴿فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا﴾ [الآية 15] فسيروا للتجارة والزراعة في جوانبها ﴿وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ﴾ [الآية 15] الذي قدَّر لكم في أطرافها ﴿وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الآية 15] مرجعكم في حالكم ومآلكم ينسأ لكم عن شكر ما أنعم عليكم بمحاسبة أعمالكم/ وأحوالكم. 360/ ب

قال سهل: خلق الله الأنفس ذلولاً فمن أذلّها بمخالفتها نجاها من البلاء والمحن ومن تبعها أذلّته نفسه وأهلكته في الفتن.

وقال الأستاذ: أي إذا أردتم أن تسيروا فيها سهل عليكم مسيركم عليها كذلك جعل النفس ذلولاً لو طالبتها بالموافقة وجدتها مساعدة متابعة في المرافعة كما قيل في نعتها:

هي النفس ما عوّدتها تتعوّد وللدهر أيام تذمّ وتحمد[1]

﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الآية 16] أي ملكوته وسلطانه وحكومته وبرهانه أو ملائكته أو جبريل فإنه موكل بالخسف في الأرض والصيحة في السماء ﴿أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ [الآية 16] بأن يغيِّبكم فيها ﴿فَإِذَا هِىَ تَمُورُ﴾ [الآية 16] تضطرب وتتحرك عند خسفكم حتى يلقيكم إلى الأسفل والأرض تعلو عليكم.

(1) ذكره القشيري في تفسيره (7/ 448).

﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًاۖ﴾ [الآية 17] ريحاً ذات حجارة حصباء ﴿فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ [الآية 17] أي إنذاري إذا شاهدتم المنذر به ولكن لا ينفعكم العلم حينئذ لأنه في غير محله.

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾﴾ [الآية 18] أي إنكاري عليهم بإنزال العذاب إليهم وهو تسلية لنبيه وتهديد لقومه.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ﴾ [الآية 19] باسطات أجنحتهن في الجو عند طيرانها فإنهن إذا بسطنها صفقن قوادمها ﴿وَيَقْبِضْنَۚ﴾ [الآية 19] أجنحتها بعد بسطها ويضمنها إذا ضربن جنوبهن بها ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾ [الآية 19] ما يمنعهن في الجو على خلاف طبعهن من أن يسقطن ﴿إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُۚ﴾ [الآية 19] برحمته الشاملة وحكمته الكاملة بأن خلقهن على هيأة خاصة من بين الأشياء هيّأتهن للجري في الهواء ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍۭ بَصِيرٌ﴾ [الآية 19] يعلم كيف يقدِّر الغرائب ويدبِّر العجائب.

﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِۚ﴾ [الآية 20] أم معادلة للقرائن التي قبلها من قوله: ﴿ءَأَمِنتُم﴾ [الآية 16] والمعنى ألم تعلموا أن الحافظ هو الله سبحانه أم لكم جند ينصركم من دونه أراد بكم نزول خسف أو حصول حصب أو لكم وصول رزق إن أمسك الله رزقه عنكم وجاء بصورة الاستفهام إشعاراً بأنهم اعتقدوا أن لهم ناصراً ورازقاً غير الله وتوهموا أنهم محفوظون من نوائب حادثاتهم مرزوقون ببركة آلهتهم وعباداتهم فكأنهم جند الناصر والرازق الحاضر فيسألون عن تعيينه بظهور الخطأ في تبيينه ﴿إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ [الآية 20] ليسوا إلا في اغترار من غير اعتبار.

﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥۚ﴾ [الآية 21] بإمساك المطر عنكم ومنع سائر الأسباب المحصّلة والموصلة إليكم ﴿بَل لَّجُّواْ﴾ [الآية 21] تمادوا ﴿فِي عُتُوٍّ﴾ [الآية 21] وجحود وعناد ﴿وَنُفُورٍ﴾ [الآية 21] تباعد عن الحق وشردوا.

وقال الأستاذ: أي إن أراد الرحمٰن سوءاً بكم فمن الذي يدفع عنكم ما نزل بكم أو من الذي يوسع عليكم ما قبضه / عنكم أو يمحو ما أثبته أو يقدم ما أخّره أو يؤخر ما قدّمه. 361/أ

﴿أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ﴾ [الآية 22] كب متعد بنفسه، قال تعالى: ﴿فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ﴾ [النَّمل: الآية 90] فالهمزة للصيرورة أو لتأكيد التعدية، ومعنى مكباً أنه يعثر كل ساعة في طريقه وغير على وجهه لوعور مسلكه واختلاف مسيره ولذا قابله بقوله: ﴿أَمَّن يَمۡشِي سَوِيًّا﴾ [الآية 22] سالماً من العثار قوياً قائماً ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الآية 22] مستوي الأجزاء والانحناء دائماً. قيل: هذا تمثيل المشرك والموحد بالسالكين والدينين بالمسلكين. وقيل: المراد بالمكب الضعيف الضرير وبالسوي القوي البصير. وقيل: من يمشي مكبّاً هو الذي يحشر على وجهه إلى النار، ومن يمشي سوياً الذي يُحشر على قدميه إلى دار القرار. وفي الآية إشارة إلى تفاوت طرق السالكين من الزاهد والعارف والمبتدع والمتشرِّع والجاهل والعالِم والغافل والحاضر والسائر والطائر.

﴿قُلۡ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُمۡ﴾ [الآية 23] أي أبدأ أرواحكم وأبدع أشباحكم ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ﴾ [الآية 23] لتسمعوا المواعظ والأخبار ﴿وَٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾ [الآية 23] لتنظروا الصنائع والآثار ﴿وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۖ﴾ [الآية 23] لتتفكروا بعين الاعتبار ﴿قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ﴾ [الآية 23] باستعمالها فيما خلقت لأجلها.

﴿قُلۡ هُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الآية 24] نفاكم ونشركم فيها ﴿وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ [الآية 24] لجزاء ما عملتم عليها.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ﴾ [الآية 25] الذي وعدوا في الدنيا أو العقبى ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [الآية 25] يعنون النبي والمؤمنين.

﴿قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ﴾ [الآية 26] علم وقت الوعد ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 26] لا يطلع عليه سواه ﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾ [الآية 26] منذر ظاهر الإنذار فلا يحتاج الإنذار إلى إخبار وقت عذاب الفجار.

قال يحيى بن معاذ: أخفى علمه في عباده عنهم فكل يتبع أمره على جهة الإشفاق من حكمه ولا يعلم ما سبق له ولا يلحق به ذلك قوله: ﴿قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 26].

﴿فَلَمَّا رَأَوۡهُ﴾ [الآية 27] أي الوعد فإنه هنا بمعنى الموعود ﴿زُلۡفَةٗ﴾ [الآية 27]

حال كونه ذا زلفة وقربة منهم ﴿سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الآية 27] قبحت بأن بان عليها الكآبة والسواد وساءتها رؤية العذاب ومحنة الحجاب ﴿وَقِيلَ﴾ [آل عِمرَان: الآية 167] أي تقريباً لهم في الخطاب ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ﴾ [الآية 27] أي تدعون، وقرىء به يعني تطلبون الجواب وتستعجلون العقاب.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ﴾ [الآية 28] أخبروني ﴿إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ﴾ [الآية 28] أماتني ﴿وَمَن مَّعِىَ﴾ [الآية 28] ممن يتبعني ﴿أَوْ رَحِمَنَا﴾ [الآية 28] إخراجاً لنا ﴿فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الآية 28] فلا ينجيهم أحد من العذاب مُتنا أو بقينا وهو جواب لما قاله المشركون ﴿نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ [الطُّور: الآية 30].

قال عبد العزيز المكي: حكمه جار وأمره نافذ ومشيئته ماضية، رضينا بجميع أمره وقدره لأن فعله واقع في ملكه.

﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [الآية 29] أي الذي/ أدعوكم إليه مولى النعم كلها وأمر المنن جميعها لديه ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ [الآية 29] للعلم بذلك ﴿وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ [الآية 29] للوثوق بما هناك ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الآية 29] منا ومنكم يوم الدين. وقرأ الكسائي بالغيبة. قال بعضهم: التوكل نتيجة الإيمان لقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ [الآية 29]. 361/ ب

وقال عبد العزيز المكي: أمرهم ربهم أن يفتخروا بعبوديته وما أمرهم بذلك إلا وقد رضي بهم عبيداً هنالك وهذا غاية شرفهم لأنه ما رضيهم إلا بعلمه أنهم مستأهلون بما رضيهم به.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا﴾ [الآية 30] المصدر وصف به أي غائراً في قعر الأرض بحيث لا يناله دلاؤكم ﴿فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾ [الآية 30] جارٍ أو ظاهر سهل المأخذ يتناوله عبيدكم وإماؤكم.

سورة ن (القلم)

[مكيّة]
وهي اثنتان وخمسون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله اسم كريم من شهد لطفه لم يتذلّل بعده لمخلوق ولم يستعن فيما نابه من ضر أصابه أو خير أراده بمحدث مرزوق إن أعطاه قابله بجزيل الشكر وإن منعه استجاب بجزيل الصبر.

﴿نٓ﴾ [الآية 1] من أسماء الحروف، أو تقديره هذه سورة ﴿نٓ﴾.

وقيل: اسم الحوت، والمراد به الجنس أو حوت ذي النون أو اليهموت، وهو الذي عليه الأرض أو الدواة فإن بعض الحيتان يستخرج منه شيء أسود يكتب به ويؤيد الأول سكوته وكتبته بصورة الحرف ويناسب الأخير قوله: ﴿وَٱلۡقَلَمِ﴾ [الآية 1] وهو الذي يخط به، أقسم به لكثرة فوائده، أو الذي كتب به في اللوح جميع ما يكون ﴿وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ [الآية 1] أي أصحاب القلم من البرية أو الحفظة من الملائكة أو العلماء المصنفة، وما مصدرية أو موصولة.

وقال سهل: النون اسم من أسماء الله وذلك أنه إذا جمعت أوائل السور الثلاث الر، وحم، ون، يكون الرحمٰن وهو منقول عن ابن عباس.

وروي عنه أيضاً أن النون هو الدواة التي كتب بها الذكر والقلم الذي كتب به اللوح، ﴿وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ [الآية 1] ما كتب فيه منه بالسعادة والشقاوة. وقيل: نون القدر وقلم القضاء ﴿وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ [الآية 1] كرام الكاتبين.

وروي مرفوعاً أول ما خلق الله القلم ثم خلق النون وهي الدواة[1] وذلك قوله: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ﴾ [الآية 1] ثم قال له: اكتب، قال: ما أكتب، قال: ما كان هو كائن إلى يوم القيامة من عمل أو أجل ورزق أو أثر، فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة.

وأفاد الأستاذ أن ﴿نٓۚ﴾ مفتاح اسم نور أو ناصر ونحوهما، ويقال: إنه قسم بنصرة الله تعالى لرسوله ويلائمه: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ۝٢﴾ [الآية 2] فإنه جواب القسم، والمعنى ما أنت بمجنون منعماً عليك بالنبوّة وأنواع
362/ أ الفنون والعامل في الحال معنى النفي والمعنى/ انتفى عنك الجنون بسبب نعمة ربك.

وقال الأستاذ: ما أوجب لصدره من الوحشة بقول الأعداء فيه يرده عليهم بخطابه وعنه ينفيه.

﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا﴾ [الآية 3] لثواباً عظيماً على احتمال الأذى وإبلاغ الهدى ﴿غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ۝٣﴾ [الآية 3] أي غير مقطوع ولا منقوص، وفيه إشارة إلى أن السير في الله غير متناه حتى في الجنة لعدم تناهي تجليات ذاته وتنزلات صفاته ومن قال ذلك فهو غير عارف لما هنالك بل في الحقيقة هذه الحالة هي الجنة لأهل المعرفة فله الحمد والمنة.

وقال الأستاذ: لما سمت همته عليه السلام عن طلب العوض وحصول الغرض أثبت الله له الأجر فقال: ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ۝٣﴾ [الآية 3] وإن كنت لا تريده ومن ذلك الأجر العظيم هذا الخلق الكريم وهو أنك لست تريد الأجر ولست تريد غيرنا من الأمر، ولولا أنَّا خصصناك بهذا التحرير لكنت كأمثالك في أمر الأجر.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ۝٤﴾ [الآية 4] إذ تحتمل من قومك ما لم يحتمله

(1) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (7/ 259) رقم (35873).

مثلك. وسئلت عائشة عن خلقه فقالت: كان خلقه القرآن(1)، أي كان متخلقاً بأخلاق الرحمان.

قال الحسين: لم يؤثر فيك جفاء الخلق بعد مطالعة الحق.

وقال جنيد: اجتمع خلقه في أربعة أشياء: السخاوة والإلفة والنصيحة والشفقة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه لما عرّفه أخبار من قبله من الأنبياء اجتمع فيه متفرقات أخلاق الأصفياء. ويقال: إنه لما عرض عليه مفاتيح الأرض لم يقبلها ورقّاه ليلة الإسراء وأراه جميع الأشياء فلم يلتفت إليها. ويقال: لأنه لا بالبلاء ينحرف ولا بالعطاء ينصرف. ويقال: إذا كان غداً فكلٌّ يقول: نفسي نفسي وهو يقول: أمتي أمتي. ويقال: علّمه محاسن الأخلاق بقوله: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: الآية 199] فقال لجبريل: بماذا يأمرني ربي، فقال: يقول لك صِلْ مَن قطعك واعطِ مَن حرمك واعف عمن ظلمك، فتأدَّب بهذا الأدب الكريم فأثنى الله عليه في كلامه القديم بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [الآية 4].

﴿فَسَتُبۡصِرُ وَيُبۡصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَييِّكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ ﴿٦﴾﴾ [الآيتان 5،6] أي الفتون بمعنى الجنون على أن المفتون مصدر كالمعقول فإنه يقال لمن له عقل له معقول، وقيل: الباء صلة والمعنى أيكم الذي فتن بالجنون.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الآية 7] وهم على الحقيقة مجانين ﴿وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ [الآية 7] الفائزين بكمال العقل في أمر الدين حتى يصيروا من المجتهدين.

﴿فَلَا تُطِعِ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾﴾ [الآية 8] تهييج للتصميم على معاصاة المعتدين.

وقال الأستاذ: معبودك واحد فليكن/ مقصودك واحد وإذا شهدت 362/ ب

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (1/ 30) رقم (72)، والبيهقي في شعب الإيمان (2/ 154) رقم (1428)، وأحمد في المسند (6/ 91) رقم (24645).

مقصودك واحد فليكن مشهودك واحداً.

﴿وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ﴾ [الآية 9] تداهنهم وتلاينهم بأن تدع نهيهم عن شركهم وتوافقهم أحياناً في كفرهم ﴿فَيُدۡهِنُونَ﴾ [الآية 9] فيلاينونك بترك الطعن والموافقة في المرافقة بالإقامة والطعن.

وأفاد الأستاذ: أن مَن أصبح عليلاً تمنى أن يكون الناس كلهم مرضى وكذا مَن وُسِم بكي الهجران ودّ أن يشاركه فيه السو. قلت: لما قيل إن البلية إذا عمت لمّت.

﴿وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٍ﴾ [الآية 10] كثير الحلف في الحق والباطل ﴿مَّهِينٍ﴾ [الآية 10] حقير الرأي عند العاقل ﴿هَمَّازٍ﴾ [الآية 11] عيّاب مغتاب ﴿مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ﴾ [الآية 11] فقال: الكلمة على وجه السعاية ﴿مَّنَّاعٍ لِّلۡخَيۡرِ﴾ [الآية 12] في الإيمان والإحسان ﴿مُعۡتَدٍ﴾ [الآية 12] متجاوز في العدوان ﴿أَثِيمٍ﴾ [الآية 12] كثير الإثم والعصيان.

﴿عُتُلِّۭ﴾ [الآية 13] جاف قاسي الجنان غليظ اللّسان ﴿بَعۡدَ ذَٰلِكَ﴾ [الآية 13] بعدما عدّ من مثالبه دعيّ متهم في نسبه أو معروف بلومه وشرّه في كسبه، قيل: هو الوليد بن المغيرة ادّعاه أبوه بعد ثماني عشرة سنة من مولده، وقيل غيره والأظهر أن المراد به هو ونحوه.

وأفاد الأستاذ في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ١٠﴾ [الآية 10] هو الذي سقط من عيننا فأقميناه بالبعد عنا ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ١١﴾ [الآية 11] محجوب عنا معذَّب بخذلان الوقيعة في أوليائنا ﴿مَّنَّاعٍ لِّلۡخَيۡرِ﴾ [الآية 12] مهان بالشحّ في المال مسلوب التوفيق من جهة الأعمال ﴿مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ﴾ [الآية 12] ممنوع الحياء في الميدان مشتت في أودية الحرمان ﴿عُتُلِّۭ بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ١٣﴾ [الآية 13] لئيم الأصل عديم الفضل شديد الخصومة بباطله غير راجع في شيء من الخير إلى حاصله.

﴿أَن كَانَ ذَا مَالٖ وَبَنِينَ ١٤ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٥﴾ [الآيتان 14، 15] أي قال ذلك لأن كان متمولاً مستظهراً بالمال والبنين. وقرأ ابن

عامر وحمزة وأبو بكر بزيادة همزة الاستفهام، أي الآن كان ذا مال وبنين ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٥ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ۝١٦﴾ [الآيتان 15،16] بالكي ﴿عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾ [الآية 16] على أنفه، وقد أصاب الوليد جراحة يوم بدر فبقي أثره، وقيل هو عبارة عن أن يذلّه غاية المذلّة، أو المعنى نسوِّد وجهه يوم القيامة.

وقال الأستاذ: سنجعل له في القيامة على أنفه تشويهاً لصورته يُعرف بها سوء سيرته.

﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ﴾ [الآية 17] امتحنا أهل مكة حين دعا عليهم النبي ﷺ فابتلاهم بالجوع حتى أكلوا الجيفة ﴿كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الآية 17] يريد بستاناً كان فرسخين دون صنعاء وكان لرجل من الصلحاء وكان وقت صرامها ينادي الفقراء ويترك لهم ما أخطأه المنجل أو ألقته الريح أو بعُدَ من البساط الذي يُبسط تحت النخلة فيجتمع لهم شيء كثير فلما مات قال بنوه: المال تفرّق فينا فإن كان فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا فحلفوا ﴿لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ [الآية 17] خفية عن المساكين كما قال ﴿إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا/ مُصْبِحِينَ﴾ [الآية 17] ليقطفنّها قبل أن يفطن 363/ أ
المساكين داخلين الصباح ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ ۝١٨﴾ [الآية 18] ولا يقولون إن شاء الله ليدركوا الفلاح والمعنى ولا يستثنون حصة المساكين.

﴿فَطَافَ عَلَيْهَا﴾ [الآية 19] على الجنة ﴿طَآئِفٌ﴾ [الآية 19] من العقوبة ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾ [الآية 19] مأذون منه منشىء عنه ﴿وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾ [الأعراف: الآية 97] غير عالمين.

قال الأستاذ: أرسل من السماء ناراً فأحرقت ثمارهم ﴿فَأَصْبَحَتْ﴾ [الآية 20] جنتهم ﴿كَٱلصَّرِيمِ﴾ [الآية 20] كالبستان الذي صرم ثماره بحيث لم يبق فيه آثاره أو كالليل باحتراقها واسودادها ﴿فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ۝٢١﴾ [الآية 21] نادى بعضهم بعضاً حال دخولهم في صباحهم ﴿أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ﴾ [الآية 22] اذهبوا مقبلين عليه ومتوجهين إليه ﴿إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ﴾ [الآية 22] قاطعين ومانعين.

﴿فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ۝٢٣﴾ [الآية 23] فذهبوا والحال إنهم يتشاورون فيهم بينهم ويتكاتمون عن غيرهم ﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ۝٢٤﴾ [الآية 24] إن

مفسرة والمراد بنهي المسكين عن الدخول المبالغة في النهي عن تمكينه من الوصول ﴿وَغَدَوۡاْ عَلَىٰ حَرۡدٖ قَٰدِرِينَ ۝٢٥﴾ [الآية 25] أي ذهبوا على نكد حال كونهم قادرين عليه بزعمهم، أو غدوا حاصلين على النكد والحرمان مكان كونهم قادرين على النفع والإحسان. والمعنى أنهم عزموا أن ينكدوا على المساكين فنكّد الله عليهم بحيث إنهم لا يقدرون فيها إلا على نكد أنفسهم.

وقال الأستاذ: أي غدوا على قصد إلى الصرام قادرين عند أنفسهم. ويقال: على غضب منهم على المساكين، يعني أن الحرد بمعنى بفتحتين كما قرىء به.

﴿فَلَمَّا رَأَوۡهَا﴾ [الآية 26] أول ما رأوا الجنة ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾ [الآية 26] طريق جنتنا وما هي بها ﴿بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ﴾ [الآية 27] أي بعدما تأملوا وعرفوا أنها هي قالوا بل هذه جنتنا ولكنا حرمنا خيرها لجنايتنا على أنفسنا.

﴿قَالَ أَوۡسَطُهُمۡ﴾ [الآية 28] رأياً أو سناً أو أعدلهم طريقة وأفضلهم مقالة ﴿أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ لَوۡلَا تُسَبِّحُونَ﴾ [الآية 28] لولا تذكرون الله بالتسبيح وغيره لديه وتتوبون إليه، وقد قالها حيث عزموا على صرام الجنة وقطعها ﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝٢٩﴾ [الآية 29] بمخالفة النيَّة وتغيير الطوية على أنفسنا أو على المساكين. وقيل: المعنى لولا تنزِّهون الله في تضيق الرزق وقلة البركة لو ذهبتم على طريقة والذكم في التوسيع في الصدقة، والمعنى لولا تستثنون وتقولون إن شاء الله، فسمي الاستثناء تسبيحاً لمشاركتها في تعظيم الله أو لأنه تنزيه عن أن يجري في ملكه ما لا يريده من حكمه.

﴿فَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَلَٰوَمُونَ ۝٣٠﴾ [الآية 30] يلوم بعضهم بعضاً فإن منهم من أشار به ومنهم من استصوبه ومنهم من سكت ورضيه ومنهم من أنكره
﴿قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ۝٣١﴾ [الآية 31] مجاوزين الحد بمنع المساكين/ 363/ ب
﴿عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبۡدِلَنَا خَيۡرٗا مِّنۡهَآ﴾ [الآية 32] ببركة التوبة والاعتراف بالخطيئة، وقرأ نافع وأبو عمرو بتشديد الدال، وقد روي أنهم أبدلوا خيراً منها ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ﴾ [الآية 32] راجون المغفرة طالبون المثوبة.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ [الآية 33] مثل ذلك الذي بلونا به أهل مكة وأصحاب الجنة ﴿ٱلْعَذَابُ﴾ [الآية 33] في الدنيا ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْأَخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ [الآية 33] أعظم منه وأبقى ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 33] لاحترزوا عما يؤديهم إلى عذاب يؤذيهم.

قال الأستاذ: هكذا نقول من كان له بداية حسنة في الأيام والليالي ويجد توفيق الطاعة واجتناب المعصية على التوالي فيعوضه الله في الوقت نشاطاً وتلوح في باطنه أحوال توجب انبساطاً فإذا بدر منه سوء رعاية وترك أدباً من آداب الخدمة تنسدّ عليه تلك الأحوال ويقع في فترة من الأعمال، فإن حصل منه بالعبادات إخلال ولبعض الفرائض إهمال انقلب حاله ورد الوصال إلى البعاد والحجاب ومن الاقتراب إلى الاغتراب عن الباب فصارت صفوته قسوة فإن كان له بعد ذلك توبة وعلى ما سلف منه ندامة وملامة فقد فات الأمر مزيدة، فقل ما يصل باله إلى حاله ولا يبعد أن ينظر الحق إليه بأفعاله فيقبله بعد ذلك رعاية ما سلف في بداية من أحواله والله رؤوف بعباده وعطوف بعباده.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الآية 34] أي في الآخرة أو في حظيرة القدس أو حضرة الأنس ﴿جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [الآية 34] ليس فيها إلا التنعُّم الخالص من البؤس.

قال جعفر الصادق: من اتقى الذنوب كان مأواه جنة النعيم ومن اتقى الله كشف عنه الغطاء حتى يشاهد اللقاء.

﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [الآية 35] من إنكار لقول المشركين إن صح أنا نبعث كما يزعم محمد ومَن معه من المؤمنين لِمَ يفضلونا في مراتب العقبى بل نكون أحسن حالاً منهم كما نحن عليه في الدنيا ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الآية 36] التفات فيه تعجب من حكمهم واستبعاد لفهمهم وإشعار بأنه صادر من اختلال فكرهم واعوجاج رأيهم ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ﴾ [الآية 37] منزل من السماء ﴿فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾ [الآية 37] تقرؤون الأشياء ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الآية 38] أي تختارون وتشتهون استئناف للبيان أو حكاية للمدروس من البرهان أو أصله أن بالفتح فلما جِيء خبرها باللام كسرت.

﴿أَمۡ لَكُمۡ أَيۡمَٰنٌ﴾ [الآية 39] عهود مؤكدة بالأيمان ﴿عَلَيۡنَا بَٰلِغَةٌ﴾ [الآية 39] متناهية في توكيد هذا الشأن ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [الآية 39] أي ثابتة لا تخرج عن عهدتها حتى تحكم في تلك الساعة ﴿إِنَّ لَكُمۡ لَمَا تَحۡكُمُونَ﴾ [الآية 39] جواب القسم لأن معنى ﴿أَمۡ لَكُمۡ أَيۡمَٰنٌ﴾ [الآية 39] أم أقسمنا لكم بأيمان.

﴿سَلۡهُمۡ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الآية 40] قائم بذلك الحكم يدعيه ويصححه
ويدفع ما ينافيه ﴿أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَآءُ﴾ [الآية 41] يشاركونهم في قولهم/ ﴿فَلۡيَأۡتُواْ 364/ أ
بِشُرَكَآئِهِمۡ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ﴾ [الآية 41] في دعواهم إذ لا أقل من التقليد في مقام جدالهم وتصحيح حالهم.

﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [الآية 42] يوم يشتد الأمر ويصعب الخطب، وكشف الساق مثل في الهرب أو ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ﴾ عن أصل الأمر وحقيقته بحيث يصير عياناً وتنكيره للتهويل أو التبجيل ﴿وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ [الآية 42] توبيخاً على تركهم السجود إن كان اليوم يوم القيامة الكبرى ويدعون إلى الصلاة إن كان وقت النزع ويوم القيامة الصغرى ﴿فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ﴾ [الآية 42] لذهاب وقته أو زوال قدرته.

﴿خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٌ﴾ [الآية 43] تلحقهم مذلة وقد كانوا ﴿يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ [الآية 43] في حال الحياة أو زمان الصحة ﴿وَهُمۡ سَٰلِمُونَ﴾ [الآية 43] متمكِّنون منه بحسب ظاهر القدرة.

قال الواسطي: لو كشف الحق لصار الخلق حيارى ولكن هو وهم بأستر مما يكشف غم الأمر ليعرفوا قدر ما هم عليه. وأما الغاية فهو الاستدراج والمكر.

وقال جعفر الصادق: يوم يكشف عن الشدائد والأهوال والصراط والحساب وسائر الأحوال وعبده الذي سبقت له عنايته في الأزال سالم من تلك الآفات والأنكال فكل من سبق له من الله الفضل يسجد بين يديه مقبلاً عليه، ومن سبق له من الله العدل لا يقدر أن يسجد لديه وظهره يصير كالحجر عليه لا يلين لسجود ربّ العالمين.

وقال الأستاذ: ﴿عَن سَاقٍ﴾ [الآية 42] إلى شدة وهو يوم القيامة، وفي التفسير ﴿عَن سَاقٍ﴾ [الآية 42] من سوق عرشه، فأما المؤمنون فيسجدون وأما الكفار فتشتد أصلابهم فلا ينحنون وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون نذكرهم ذلك لتزداد حسرتهم هنالك ولتكن الحجة أبلغ لديهم وألزم عليهم.

﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ [الآية 44] كله إليَّ فإن كفايته عليَّ ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾ [الآية 43] سندنيهم من العقوبة درجة درجة بإفادة المهلة وإدامة الصحة وزيادة النعمة ﴿مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 44] أنه استدراج بالإنعام عليهم لأنهم حسبوه أنه إقبال إليهم.

قال الجنيد: لولا مكر الله طاب عيش الأولياء ومن مكره بالولي أن يطير في الهواء ويمشي على الماء.

وأفاد الأستاذ: أن الاستدراج هو أن كلما ازدادوا معصية زادهم نعمة. ويقال: أن لا يعاقبه في الزلّة ليتنبه ويؤخر العقوبة إلى ما بعده. ويقال: هو الاشتغال بالنعمة مع نسيان المنعم. ويقال: الاغترار بطول الإمهال. ويقال: ظاهر مغبوط وباطن مخلوط.

﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾ [الآية 45] أمهلهم ﴿إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾ [الآية 45] أي إذا أخذتهم فأخذي أليم شديد ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا﴾ [الآية 46] على إرشاد هداية فهم ﴿فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ﴾ [الآية 46] من غرامه/ ﴿مُّثْقَلُونَ﴾ [الآية 46] بحملها فيعرضون عنك لأجلها 364/ ب ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ﴾ [الآية 47] أي جنسه أو اللوح ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الآية 47] منه ما يحكمون ويستغنون به عن علمنا.

﴿فَٱصْبِرْ﴾ [الآية 48] على سوء مقالهم وقبح فِعالهم ﴿لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ [الآية 48] وهو إمهالهم حتى تنتهي آجالهم ويستغنون به عن علمك ﴿فَٱصْبِرْ﴾ [الآية 48] على سوء مقالهم وقبح فعالهم ﴿لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ [الآية 48] وهو إمهالهم حتى تنتهي آجالهم ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ [الآية 48] يونس عليه السلام في استعجاله هلاك قومه ﴿إِذْ نَادَىٰ﴾ [مريم: الآية 3] في بطن الحوت ﴿وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [الآية 48] مملوء غيظاً على قومه من غلبة الضجر وقلة الصبر أي والحال أنه مغموم مهموم.

وقال أبو بكر الوراق: لا يستقيم الزهد إلا بالصبر لأن الصبر يجنبك آفات الدنيا ويحملك على الروح والراحة في الدنيا والعقبى ويزيد في عقلك ويشفيك من جهلك. والصبر يفيدك كل يوم من أدويته يدلك به على رشدك، والصبر يقهر أعداءك أي نفسك وشيطانك وأهواءك، والصبر سائق إليك جميع محاسنك ودافع عنك سائر قبائحك عاجلاً وآجلاً.

وقال الأستاذ: أي لا تستعجل بعقوبة قومك كما استعجل يونس قبلك فلقي ما لقي وتثبت عند جريان حكمنا ولا تعارض تقدير أمرنا.

﴿لَّوْلَآ أَن تَدَارَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الآية 49] يعني توفيق التوبة وتحقيق العصمة ﴿لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ﴾ [الآية 49] بالأرض العارية عن الأشجار والأثمار، الخالية عن الأهل والدار.

وقال الحسن: العراء هو القيامة، يعني وهو صحراء المذمة والندامة، وهو مذموم ملوم مبعود عن الرحمة والكرامة وهو حال يعتمد عليه الجواب لأنها المنفية دون النبذ على وجه التراب.

﴿فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾ [الآية 50] فإن رد الوحي إليه أو قبل توبته وأقبل عليه ﴿فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الآية 50] من الكاملين في الصلاح بأن عصمه من أن يفعل ما تركه أوْلى في مقام الفلاح. والآية نزلت حين همَّ رسول الله ﷺ أن يدعو على ثقيف.

﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ﴾ [الآية 51] وقرأ نافع بفتح الياء وإن هي المخففة واللام هي الفارقة، والمعنى أنهم يكادون يهلكونك حين يصيبونك بأعينهم إذ روي أنه كان في بني أسد عيّانون فأراد بعضهم أن يعين رسول الله ﷺ(1)، وفي الحديث: «إن العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر»(2).

ولعله يكون من خصائص بعض النفوس من الوزر ﴿لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ﴾

---

(1) انظر تفسير البغوي (8/ 201)، والكشاف (7/ 129)، وتفسير الرازي (15/ 474).
(2) انظر الدر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة (1/ 14)، وكشف الخفاء (2/ 77) رقم (77).

[الآية 51] أي القرآن، والمعنى ينبعث عند سماعهم بغضهم وحسدهم.

قال الأستاذ: كانوا إذا أرادوا أن يصيبوا شيئاً بأعينهم جاءوا ثلاثة أيام ثم جاؤوا ونظروا إلى ذلك الشيء وقالوا: ما أحسنه من شيء، فكان يسقط المنظور إليه في الوقت ففعلوا ذلك بالنبي ﷺ وقالوا: ما أفصحه من رجل، فحفظه الله عنهم بنظره إليه ومنَّ بذكره عليه ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ [الآية 51] حيلة في أمره وتنفيراً عن ذكره.

365/ أ ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ/ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [الآية 52] أي ما القرآن إلا ذكر عام وشرف تام لا يدركه إلا مَن كان أكمل الناس عقلاً ولا يتبعه إلا أتقنهم رأياً وأحكمهم فضلاً. أو وما محمد إلا مذكر للعالمين فإنه مبشِّر للطائعين ومنذر للعاصين.

سورة الحاقة

[مكيّة]

وهي إحدى وخمسون آية[1]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله كلمة عزيزة يحتاج في سماعها إلى سمع عزيز لم يستعمل في سماع الغيبة ويفتقر في معرفتها إلى قلب عزيز لم يبتذل في الغفلة والغيبة ولم ينظر صاحبه بعينه إلى ما فيه الريبة لم يبتغ بنفسه اللهو والطيبة.

﴿ٱلۡحَآقَّةُ ۝١﴾ [الآية 1] أي الساعة أو الحالة التي يحق وقوعها وهي مبتدأ خبرها ﴿مَا ٱلۡحَآقَّةُ ۝٢﴾ [الآية 2] أصله ما هي؟ أي شيء هي؟ على التعظيم لشأنها والتهويل في بيانها، فوضع المظهر موضع المضمر لأنه أهول لها ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ۝٣﴾ [الآية 3] أي وأي شيء أعلمك ما هي، والمعنى إنك لا تعلم كنهها فإنها أعظم من أن يبلغ دراية أحد غايتها.

قال سهل: أي اليوم الذي يحق كل أحد بعمله من خير وشر صدر عنه في جملة أجله.

﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ﴾ [الحَاقّة: الآية 4] قوم صالح ﴿وَعَادُۢ﴾ [الآية 4] هود ﴿بِٱلۡقَارِعَةِ﴾ [الآية 4] بالحالة التي تقرع قلوب الناس بالإفزاع والإنكسار والإجرام بالانفطار والانتشار، وإنما وضعت القارعة موضع ضمير الحاقة زيادة في وصف شدتها وإفادة لنعت حدتها.

﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهۡلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ﴾ [الحَاقّة: الآية 5] بالواقعة المجاوزة للحد في شدة وهي الصيحة أو الرجفة أو الصاعقة لتكذيبهم بالقارعة.

---

(1) كذا في الأصل المخطوط.

﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾ [الآية 6] أي شديد الصوت أو البرد ولا منع ﴿عَاتِيَةٍ﴾ [الآية 6] شديدة العصف كأنها عتت على خزائنها فلم يستطيعوا صدّها أو على عاد فلم يقدروا على ردها.

﴿سَخَّرَهَا﴾ [الآية 7] سلطها بقدرته وفق إرادته ﴿عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ [الآية 7] متتابعات أو نحسات حسمت أمرهم وقطعت دابرهم وهي كانت أيام العجوز من صبيحة أربعاء إلى غروب الأربعاء الآخر، وسميت عجوز لأنها عجز الشتاء فكان يهزم فيها برد الهواء ﴿فَتَرَى الْقَوْمَ﴾ [الآية 7] إن كنت حاضرهم وناصرهم ﴿فِيهَا﴾ [الآية 7] في مهابها على الأنام أو في تلك الليالي والأيام ﴿صَرْعَىٰ﴾ [الآية 7] موتى ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الآية 7] أصول نخل متآكلة الجوف، فخاوية بمعنى خالية، وقيل معناها ساقطة.

﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنْ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾﴾ [الآية 8] من بقاء أو بقية أو نفس باقية ﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ﴾ [الآية 9] من تقدّمه، وقرأ أبو عمرو والكسائي بكسر القاف وفتح الباء، أي ومن عنده ممن تبعه ﴿وَالْمُؤْتَفِكَاتُ﴾ [الآية 9] قرى قوم لوط، والمراد أهلها ﴿بِالْخَاطِئَةِ﴾ [الآية 9] بالخطأ أو بالفعلة أو الأفعال ذات الخطأ.

﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾ [الآية 10] فعصى / كل أمّة رسولها، أو المراد بالرسول 365/ ب
الجنس أي فعصوا رسل ربهم ﴿فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً﴾ [الآية 10] زائدة في شدة، والفظاعة زيادة أعمالهم في القبح والشناعة.

وأفاد الأستاذ: أن الفائدة في ذكرهم الاعتبار بأجرهم وعقوبة هذه الأمة مؤجلة إلى يوم القيامة مؤخّرة، وأما خواصهم فعقوبتهم معجّلة فأهلك عاداً بالريح وقوم من هذه الطائفة إذ أشاعوا سرّاً وأضاعوا أدباً يعاقبهم برياح الحجبة فلا يبقى في قلوبهم أثر من الاحتشام للدين ولا مما كان لهم من أوقات اليقين وهم على خطر من أحوالهم الرديئة أن يمتحنوا بالاعتراض على التقدير والقسمة. وأما فرعون وقومه فعذّبهم بالغرق وكذلك من وقته فارغ وهو بطاعته مشتغل والحق عليه مقبل فإذا لم يشكر النعمة وأساء به في الخدمة ولم يعرف قدر ما أنعم عليه من المنحة رده الحق إلى أسباب التفرقة

ثم يغرقه بحار المشغلة فيتكدر عليه مشربه وعلى خطر أن يدركه سخط الحق وغضبه.

﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ﴾ [الآية 11] جاوز حدّه المعتاد أو طغى على خزانهِ في المراد ﴿حَمَلْنَٰكُمْ﴾ [الآية 11] أي آباءكم وأنتم في أصلابهم ﴿فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾ [الآية 11] في سفينة نوح عليه السلام ﴿لِنَجْعَلَهَا﴾ [الآية 12] لنجعل الفعلة وهي إنجاء المؤمنين وإغراق الكافرين أو لنجعل قضية السفينة ﴿لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾ [الآية 12] عبرة ودلالة على قدرة الصانع وحكمته وكمال قهره وجمال رحمته ﴿وَتَعِيَهَآ﴾ [الآية 12] وتحفظها ﴿أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ [الآية 12] من شأنها أن تحفظ ما يجب حفظها بتذكره وتسمعه والتفكُّر فيه والعمل بموجبه، والتنكير للدلالة على قِلتها. وقيل: الواعية هي الخالية عما سواه.

وقال الأستاذ كذلك منّته على خواص أوليائه في أن يسلِّمهم في سفينة العافية فالكون يتلاطم أمواج بحار إشغالها على اختلاف أوصافها من أحوالها وأهوالها وهم بوصف السلامة لا مع أحد منازعة ولا مع أحد محاسبة ولا مع أحد لهم توقُّع ومطالبة سالمون من الناس والناس منهم سالمون.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾﴾ [الآية 13] وهي النفخة الأولى التي عندها خراب الدنيا أو الثانية التي في وجودها ظهور العقبى ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ﴾ [الآية 14] رفعت من أماكنها بمجرد الإرادة ﴿فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾ [الآية 14] فضربت الجملتان ضربة واحدة فيصير الكل هباءً منبثاً أو فبسطتا بسطة واحدة فصارتا أرضاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً لأن الدكّ سبب التسوية ومنه استعمال الدكان والدكة.

﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾﴾ [الآية 15] فحينئذ قامت القيامة ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ﴾ [الآية 16] لنزول الملائكة ﴿فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ [الآية 16] ضعيفة مسترخية ﴿وَٱلْمَلَكُ﴾ [الآية 17] أي جنس الملك أو جمع منهم ﴿عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ﴾ [الآية 17]
366/أ جوانبها ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ﴾ [الآية 17] فوق الملائكة/ الذين هم على أرجائها أو فوق الثمانية الآتية التقديم فكأنها الماضية والأظهر أن يقال فوق الخلق ﴿يَوْمَئِذٍ

ثَمَٰنِيَةٌ﴾ [الآية 17] أملاك لما روي مرفوعاً أنهم اليوم أربعة فإذا كان يوم القيامة أيّدهم الله بأربعة أخرى، وقيل ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عدّتهم إلا الله سبحانه.

﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾ [الآية 18] أي العرض الأكبر في ذلك المحشر ﴿لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الآية 18] سريرة على الله تعالى لأنه عالم بالظواهر والضمائر أو على الناس أو على أنفسهم لقوله: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾﴾ [الطّارق: الآية 9]. وقرأ حمزة والكسائي بالتذكير.

قال محمد بن حامد: الغافل من غفل عن العرض الأكبر حتى شهد على العبد جوارحه لا شاهد عليه إلا منه ثم تجزى كل نفس بما تسعى فمن لم يهتم لذلك العرض ولم يصلح نفسه له ولم يدم تضرُّعه إلى الله في استقامة ما سبق منه فهو الغريق في بحار الغفلة.

وقال الأستاذ: في كل نفس مع هؤلاء القوم محاسبة ومطالبة ومع قوم على ما يستحقه معاقبة ولآخرين معاتبة.

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الآية 19] تفصيل للعرض فيقول تبجحاً ﴿فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ﴾ [الآية 19] أي خذوه واقرؤوه، والهاء فيه وفيما بعده للسكت واستحب الوقف عليها لثباتها في الإمام، وإنما يستطيبها في الوصل حمزة من قراءة الأنام في ماليه وسلطانيه بناءً وفي ماهيه في القارعة.

﴿إِنِّي ظَنَنتُ﴾ [الآية 20] أي علمت ﴿أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾ [الآية 20] ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾﴾ [الآية 21] ذات رضا على النسبة بالصيغة، والمعنى في حالة هنية مريئة صافية على شوائب الكدر خالية عن نوائب الحذر ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الآية 22] مرتفعة الأمكنة لأنها في جهة العلوية أو الدرجات أو الأبنية أو هي جنة البقاء عالية من أن يصل إليها يد الفناء ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [الآية 23] يجتنى ثمرها قريبة يتناولها القاعد القاصد.

قال الأستاذ: لأنهم تركوا في الحال مآربهم ورفعوا عن قلوبهم مطالبهم فليس لهم إرادة ولا تمسّهم حاجة فهم في روح الرضا فعيش أولئك في

العطاء، ثم إذا بدا علم من الحقيقة فلا حاجة ولا سؤال ولا فضل ولا نوال. ويقال لهم غداً: ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا﴾ [الآية 24] أكلاً وشرباً هنيئاً ﴿بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ﴾ [الآية 24] بما قدَّمتم من الأعمال الزاكية والأحوال الصافية ﴿فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ﴾ [الآية 24] الماضية من أيام الدنيا والخالية عن الأكل والشرب بسبب الصيام أو بالصبر على القحط في الأيام.

وقال الواسطي: أي الأيام الخالية عن ذكر الله لتعلموا أنكم في مقام الإفضال دون جزاء الأعمال.

وقال الأستاذ: يقال لهؤلاء الرجال اسمعوا منا وانظروا إلينا واستأنسوا
/ بقربنا وطالعوا جمالنا وجلالنا فأنتم بنا ولنا. 366/ ب

﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ٢٥ وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ﴾ [الآيتان 25،26] لما يرى من قبح العمل وسوء الأمل ﴿يَٰلَيۡتَهَا﴾ [الآية 26] أي الموتة الماضية ﴿كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ﴾ [الآية 27] لأمري فلم أُبعث بعدها من الأزمنة الآتية ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي﴾ [الآية 28] شيئاً أو أي شيء أغنى عني ﴿مَالِيَهۡۜ﴾ [الآية 28] ما لي من المال والأتباع في تلك الحال ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ﴾ [الآية 29] ملكي وتسلّطي على غيري ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ [الآية 30] خطاب لخزنة النار ﴿ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ ٣١﴾ [الآية 31] أدخلوه ﴿ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا﴾ [الآية 32] أي طوله ﴿فَٱسۡلُكُوهُ﴾ [الآية 32] فانظموه فيها بأن تلفوها على جسده وهو فيما بينها ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ ٣٣﴾ [الآية 33] استئناف فيه معنى التعليل.

﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ٣٤﴾ [الآية 34] لا يحث نفسه أو غيره على بذل طعامه أو على إطعامه فضلاً أن يبذل من ماله ومرامه، ولعل تخصيص الأمرين بالذكر لأن مدار الأمر على التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله ﴿فَلَيۡسَ لَهُ ٱلۡيَوۡمَ هَٰهُنَا حَمِيمٞ ٣٥﴾ [الآية 35] قريب يحميه أو يهتم بأمره ويدنيه ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنۡ غِسۡلِينٖ﴾ [الآية 36] فعلين من الغسل أي غسالة أهل النار وصديد أهل البوار ﴿لَّا يَأۡكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡخَٰطِـُٔونَ ٣٧﴾ [الآية 37] أصحاب الخطايا والأوزار، ولعل قوماً أكلهم الزقوم وآخرين طعامهم الضريع، أو تارة وتارة بحسب التنويع.

وقال الأستاذ: أقوام هم اليوم مهجورون بتصاعد حسراتهم وبتضاعف أنينهم ليلهم ويل ونهارهم ليل تكدّرت مشاربهم وتجرّدت أوطان أنسهم فلا يرحم بكاؤهم ولا يسمع أنينهم فعندهم إنهم مبعدون مرجومون وهم في الحقيقة من الله مرجومون أسبل الستر عليهم وصغّرهم في أعينهم وهم أكرم أهل القصة كما قالوا في رفع هذه القصة:

لا تنكرن جحدي هواك إنما ذاك الجحود عليك ستر مسبل[1]

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ﴾ [الآية 38] لظهور الأمر المبهم واستغنائه عن التحقيق بالقسم أو فلا رد لإنكارهم وأقسم مستأنف في إخبارهم ولا صلة، والمعنى فأقسم ﴿بِمَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الآية 38] ﴿وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ٣٩﴾ [الآية 39] بالمشاهدات والمغيبات وذلك يتناول الخالق والمخلوقات.

وقال جعفر الصادق: بما تبصرون من صنعي في ملكي وبهائي وما لا تبصرون من برّي إلى أنبيائي وأوليائي.

وقال ابن عطاء: ما تبصرون من آثار القدرة وما لا تبصرون من آثار القدرة وأنوار الحكمة.

﴿إِنَّهُۥ﴾ [الآية 40] أي القرآن ﴿لَقَوۡلُ رَسُولٖ﴾ [الآية 40] تبلّغه عن ربّه، فإن الرسول لا يقول مِن عنده ﴿كَرِيمٖ﴾ [الآية 40] على الله وهو محمد أو جبريل ويؤيد الأول قوله: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ﴾ [الآية 41] كما يزعمون تارة ﴿قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ﴾ [الآية 41] تصديقاً / قليلاً يصدقون لفرط عنادكم. 367/ أ

﴿وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ﴾ [الآية 42] كما تدّعون مرة ﴿قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الآية 42] تذكراً قليلاً تذكرون فلذا يلتبس الأمر عليكم، وقرأ ابن كثير وابن عامر بخلاف عن ابن ذكوان بالغيبة في الفعلين.

﴿تَنزِيلٞ﴾ [الآية 43] أي بل هو منزل ﴿مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الآية 43] أنزله على لسان الروح الأمين ﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا﴾ [الآية 44] أي لو افترى بالنسبة إلينا ﴿بَعۡضَ

---

(1) ذكره القشيري في تفسيره (5/ 208) رقم (7/ 467).

﴿ٱلۡأَقَاوِيلِ﴾ [الآية 44] أي فرضاً وتقديراً لثبوت عصمة الملائكة والأنبياء لدينا ﴿لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ﴾ [الآية 45] بعضه ﴿بِٱلۡيَمِينِ﴾ [الآية 45] بالقوة المتين.

﴿ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الآية 46] أي نياط قلبه بضرب عنقه ﴿فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ﴾ [الآية 47] عن القتل والمقتول ﴿حَٰجِزِينَ﴾ [الآية 47] دافعين، وصف للأحد فإنه عام في العدد ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ [الآية 48] أي القرآن ﴿لَتَذۡكِرَةٞ﴾ [الآية 48] موعظة وتبصرة ﴿لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [الآية 48] لكونهم المنتفعين.

﴿وَإِنَّا لَنَعۡلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [الآية 49] فنجازيهم على تكذيبهم يوم الدين ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَسۡرَةٌ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [الآية 50] إذا رأوا ثواب المؤمنين ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلۡيَقِينِ ﴿٥١﴾﴾ [الآية 51] أي اليقين الثابت الذي لا ريب فيه للموقنين ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٥٢﴾﴾ [الآية 52] أي نزِّهه عن العيوب والآفات مقروناً بإثبات كمال الصفات.

قال الجنيد: حق اليقين ما يتحقق العبد بذلك معرفته بالحق وأن يشاهد المغيّبات كمشاهدة المرئيات ويخبر عنها بالصدق ويحكم عليها بالحق كما أخبر الصدِّيق الأكبر رضي الله عنه مشاهدته بين يديّ النبي ﷺ حين سأله: «ماذا أبقيت لنفسك؟ قال: الله ورسوله»(1)، فأخبر عن تحققه بالحق وقطعه عن كل ما سواه ووقوعه على الصدق ولم يسأله النبي عليه السلام عن كيفية ما أشار إليه من المقام لِمَا عرف من صدقه وبلوغه المنتهى فيه وتحققه.

ولما قصر حال حارثة عن حاله وقال: أصبحت مؤمناً حقاً، فأخبر عن حقيقته إذ سأله النبي ﷺ عن ذلك لما كان يجد في نفسه من عظيم دعواه ثم لما أخبر لم يحكم بذلك وقال: «عرفت فالزم»(2) أي عرفت الطريق إلى حقيقة الإيمان وتحقيق التصديق فالزم الطريق حتى تبلغ إليه. وترك حال

(1) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (2/ 104) رقم (1298).

(2) أخرجه أبو نعيم في معرفة الصحابة (6/ 153) رقم (1916)، والطبراني في المعجم الكبير (3/ 266) رقم (3367)، والبيهقي في شعب الإيمان (7/ 363) رقم (10591).

التصديق مستوراً من غير استخبار لما علم من صدقه فيما ادعى وتحقيقه فيما رأى.

وأفاد الأستاذ أن حق اليقين هو عين اليقين وإضافته إلى اليقين كما يقال نفس العلم وعلوم الناس تختلف في الطرق إليها في الخفاء والجلاء فيما يقال من الفرق بين علم اليقين وعين اليقين، وحق اليقين يرجع إلى كثرة البراهين ثم إلى كون بعضه ضرورياً وبعضه كسبياً. قلت: وبعضه وهبياً، وفقنا الله للمكاسب ورزقنا من لدنه المواهب.

367/ ب

/ سورة المعارج

[مكيَّة]

وهي أربع وأربعون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله كلمة مَن قالها وجد جمالها ومَن شهدها شهد جلالها، ليس كل مَن قالها قالها كلمة رفيعة عن إدراك الألباب منيعة.

﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ①﴾ [الآية 1] أي دعاء داعٍ يعني طلبه واستدعاه والسائل نضر بن الحارث حيث قال: إن كان هذا هو الحق من عندك، أو أبو جهل فإنه قال: أسقط علينا كسفاً من السماء، سأله بالاستهزاء. وقرأ نافع وابن عامر: سال بالألف وهو من السؤال على لغة قريش في الإبدال.

﴿لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾ [الآية 2] صفة أخرى لعذاب أو صلة لواقع أي خالص لهم وخاص بهم أو نازل عليهم وحاصل لديهم.

وأفاد الأستاذ: أن الباء بمعنى عن أي سأل سائل عن هذا العذاب لمن هو قال تعالى: هو ﴿لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ②﴾ [الآية 2] يرده ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 3] من جهته لتعلُّق إرادته ﴿ذِي ٱلۡمَعَارِجِ﴾ [الآية 3] ذي المصاعد وهي الدرجات التي يصعد فيها الكلمات الطيبة والأعمال الصالحة، أو يترقى فيها المؤمنون في سلوكهم من الحالات الرضية والمقامات العلية، أو في دار ثوابهم من المنازل البهية والسماوات فإن الملائكة يعرجون فيها في المنازلات.

﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [الآية 4] وقرأ الكسائي بالتذكير ﴿وَٱلرُّوحُ﴾ [الآية 4] أي جبرائيل وإفراده لفضله بالرسالة أو خلق أعظم من الملائكة ﴿إِلَيۡهِ﴾ [الآية 4] إلى

عرشه أو مكان أمره.

وقال سهل: تعرج الملائكة بأعمال بني آدم إلى الله الأحد والروح إليها ناظرة في ذلك المشهد ﴿فِي يَوْمٍ﴾ [الآية 4] أو وقت كريم ﴿كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [الآية 4] أي كمقدارها من سني الدنيا حيث إنهم يقطعون فيه ما يقطع الإنسان فيها لو فرض، وذلك لأن غلظ كل أرض خمسماية ومن كل أرض إلى أرض كذلك وكذا السماء فيكون إلى محدّب السماء السابعة أربعة عشر ألف عام ومنها إلى العرش ستة وثلاثون فيكون خمسين ألف سنة، هكذا نقل عن ابن عباس ومجاهد، فالظرف متعلق بيعرج وحيث قال: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [السَّجدَة: الآية 5] يريد زمان عروجهم من الأرض إلى محدّب السماء الدنيا أو المراد به يوم القيامة، أي يعرج الملائكة والروح للعرض والحساب في يوم جعله الله على الكافرين خمسين ألف سنة ويخففه على المؤمنين حتى يكون عليه أخف من صلاة مكتوبة يصلِّيها في الدنيا، وهذا أيضاً ثبت عن ابن عباس وعكرمة والضحاك وابن زيد وغيرهم، فالظرف متعلق بواقع وهذا القول أصح، وفي مناسبة السابق واللاحق أصرح وفي الأحاديث الصحيحة: «إن طول يوم القيامة خمسون ألف سنة»[1]. واستطالته/ إما لشدّته على الكفار أو لأنه على الحقيقة 368/ أ كذلك إلا أنه يهون على الأبرار.

﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝٥﴾ [الآية 5] لا شكوى فيه ولا دعوى أو هوان لا يستثقله بل يستعذبه بشهود المبلى الذي هو المولى أو هو مقام الرضاء بالقضاء في استواء الحلواء والبلوى ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ﴾ [الآية 6] أي العذاب أو وقت الحساب ﴿بَعِيدًا﴾ [الآية 6] من الإمكان ﴿وَنَرَاهُ قَرِيبًا ۝٧﴾ [الآية 7] من الوقوع في الزمان. قال بعضهم: يتوهمون بعدهم عن الحق وبُعد الحق عنهم وهم منه على أقرب قريب.

﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ۝٨﴾ [الآية 8] أي كالنحاس المذاب بالتدريج

---

(1) انظر تفسير القرطبي (14/ 88)، وتفسير الرازي (11/ 209)، والكشاف (4/ 368).

والمهل ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ۝٩﴾ [الآية 9] كالصوف المنفوش المصبوغ اللون.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة فيه إن في ذلك اليوم مَن كان في سموّ نخوته ونبوّ صولته يلين ويسكن ويضعف من كان يشرف ويذل من كان يذل.

﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ۝١٠﴾ [الآية 10] لا يسأل قريب قريباً عن حاله ولا عن مآله فإذا لم يتفرغ القريب إلى القريب فمن يلتفت إلى المسكين القريب وهو كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝٣٦ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عَبَس: الآيات 34،36].

﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ [الآية 11] يرونهم استئناف أو حال دال على أن المانع من السؤال هو التشاغل دون خفاء الحال، وجمع الضمير لتعميم الحميم ﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى﴾ [الآية 11] أن يتفدى ﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ۝١١ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ﴾ [الآيتان 11،12] بأقرب الناس إليه وأعلقهم بقلبه لديه فضلاً عن أن يهتم بحاله أو يسأله عن مآله ومناله. وقرأ نافع والكسائي: يومئذ بفتح الميم.

﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾ [الآية 13] أي من فصل عنهم عن عشيرته ﴿ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ﴾ [الآية 13] تضمّه في النسب ويلحقه في التعب والنصب ﴿وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [الآية 14] من الثقلين أو الخلائق ﴿ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ [الآية 14] عطف على يفتدي أي ثم لو ينجيه الافتداء وثم للاستبعاد عن الإنجاء.

﴿كَلَّآ﴾ [الآية 15] ردع للمجرم عن الودادة ودلالة على أن الافتداء لا ينجيه في تلك الحالة ﴿إِنَّهَا﴾ [الآية 15] الضمير للنار أو مبهم تفسيره ﴿لَظَىٰ﴾ [الآية 15] أو للقصة ولظى مبتدأ خبره ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ۝١٦﴾ [الآية 16] أي قلّاعة للأطراف تكشط الجلد عن الوجه والرأس والعظم، ولظى علم لنار تتلظى أي تتلهّب وتشتعل. وقرأ حفص: نزاعة بالنصب على الاختصاص.

﴿تَدْعُوا۟﴾ [الآية 17] أي تجذب وتحضر، وقيل: تدعو زبانيتها ﴿مَنْ أَدْبَرَ﴾ [الآية 17] عن الإيمان ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ [الآية 17] عن الإحسان ﴿وَجَمَعَ﴾ [الآية 18] المال الحرام ﴿فَأَوْعَىٰ﴾ [الآية 18] فجعله في دعاء حرصاً على الحطام وطولاً للأمل في الأيام.

وأفاد الأستاذ: أن جهنم تقول للكافر والمنافق إليَّ يا موافق. والإشارة فيه أن جهنم الدنيا تعلق بقلب المرء فتدعوه بكلّاب الحرص إلى نفسه / 368/ب وتجره إلى جمعه ويؤثر ما على نفسه وكل أحد له حتى أنه يبخل بدنياه على أولاده وعترته. وقليل من نجا من مكر الدنيا.

﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ١٩﴾ [الآية 19] كثير الضجر قليل الصبر كما قال تعالى: ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ [الآية 20] الفقر والضر ﴿جَزُوعًا﴾ [الآية 20] يكون كثير الجزع [وقال الواسطي: جزوعاً لما يجهل][1] ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ﴾ [الآية 21] السعة والصحة ﴿مَنُوعًا﴾ [الآية 21] مبالغاً في المنع، وقيل: لا يرضيه الكثير ويسخطه اليسير.

وقال أبو الحسن الوراق: لثناء عند النعمة ودعاء عند المحنة][2].

قال الواسطي: جزوعاً لما يجهل.

وقال ابن عطاء: هو الذي يرضى عند الوجود ويسخطه المفقود من القسمة وأما المنع فهو من علامة القسوة.

وقال الأستاذ: عند المحنة يدعو وعند النعمة ينسى ويسهو. أقول: ولا يبعد أن يقال عند المحنة يشكو ويلغو وعند النعمة يسهو ويلهو.

﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ٢٢﴾ [الآية 22] استثناء للموصوفين بالصفات المسطورة اللائقة من المطبوعين على الأحوال المذكورة الماضية لمضادة تلك الصفات المتقدمة للصفات المتأخرة من حيث إنها دالة على الاستغراق في طاعة الحق والإشفاق على الخلق والإيمان بالمثوبة من العقوبة وكسر الشهوة والخوف وإيثار الآجل على العاجل برد الأمانات وأداء الشهادات ومحمل الاستثناء أنهم صابرون في البلاء شاكرون على النعماء راضون بأنواع القضاء..

قال ابن عطاء: إلا العارفين بمقادير الأشياء لا يكون لهم بغير الله

---

(1) من هامش المخطوط.
(2) من هامش المخطوط.

حركة ولا إلى غيره سكون.

وقال الأستاذ: إلا الذين يلازمون أبداً مواطن الافتقار.

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الآية 23] لا يشغلهم عنه العوائق ولا يقطع عنه العلائق ﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾﴾ [الآية 24] كالزكوات والصدقات ﴿لِّلسَّآئِلِ﴾ [الآية 25] الذي يسأل ﴿وَٱلْمَحْرُومِ﴾ [الآية 25] الذي لا يسأل فيُحسب غنياً فقد يُحرم.

قال أبو عثمان: هم أهل الإيثار.

وقال ابن عطاء: هم الذين لا يرون ملكاً لأنفسهم دون غيرهم من إخوانهم.

وقال الأستاذ: ﴿لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ [الآية 25] أي المتكفِّف والمتعفِّف وهم على أقسام، فمنهم من يؤثر لجميع ماله فأموال هؤلاء لكل من قصد لا يخصون سائلاً من عائل، ومنهم من يعطي ويمسك فهؤلاء منهم من يده يد الأمانة لا يتكلف باختياره ينتظر ما يشار عليه إن أُمِرَ بالإمساك وقف على الباب أو بَذْل الكل أو البعض استجاب فهو على ما يطالب به ويقتضيه حكم الوقت وهؤلاء حالهم أتم والله أعلم.

﴿وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾﴾ [الآية 26] بتحسين الأحوال وتزيين الأعمال وإنفاق الأموال رجاء للجزاء بالمنال في الآمال.

وأفاد الأستاذ: أمارتهم الاستعداد للموت قبل نزوله وأن يكونوا كما قيل:

مستوفزون على رجل كأنهم وقد يريدون أن يمضوا فيرتحلوا

369/أ ﴿وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ/ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الآية 27] خائفون وعن ارتكاب أسباب العذاب مجتنبون ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾﴾ [الآية 28] جملة اعتراضية دالة على أنه لا ينبغي لأحد أن يأمن عذاب الله وإن بالغ من طاعته وأكثر في عبادته ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ

﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٣٠) فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٣١)﴾ [الآيات 29 – 31] سبق في سورة المؤمنون.

وقال الأستاذ: وإنما تكون صحبتهم مع زوجاتهم للتعفُّف ولابتغاء الولدان يكون من صلبه ذكر الله وشرط هذه الصحة أن يعيش معهم على ما يهوون ولا يجرّهم إلى هوى نفسه ولا يحملهم على مراده.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ﴾ [الآية 32] وقرأ ابن كثير لأمانتهم ﴿وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [الآية 32] حافظون مراعون.

قال محمد بن الفضل: جوارحك كلها أمانات عندك أُمرت في كل واحد منها أن تفي بعهدك فأمانة العين الغض عن المحرمات والنظر بالاعتبار في الآيات، وأمانة السمع صيانتها عن اللغو وإحضارها مجالس الذكر، وأمانة اللسان اجتناب الغيبة ومداومة الذكر وملازمة الشكر، وأمانة الرِجْل المشي إلى العبادات والتباعد عن السيئات، وأمانة الفم أن لا يتناول إلا الطيبات، وأمانة اليدين أن لا تمدان إلى المحرمات، وأمانة القلب مراعاة حكم الرب على دوام الأوقات حتى لا يطالع إلا الله ولا يشهد سواه ولا يعبد إلا إيّاه ثم العهد عليك في حمل الأمانة وحفظها فمن ضيّع الأمانة وُصِف بالظلم والجهالة والخيانة.

﴿وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ (٣٣)﴾ [الآية 33] لا ينكرون ولا يخفون ما علموه من حقوق الحق والخلق، وقرأ حفص بشهاداتهم لاختلاف أنواعها.

قال سهل: قائمون بحفظ ما شهدوا من شهادة لا إلٰه إلا الله فلا يشركون به في شيء من الأفعال والأقوال والأحوال مما سواه.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٣٤)﴾ [الآية 34] يراعون شرائطها وأركانها وفي تكرير ذكر الصلاة ووصفهم بها أولاً وآخراً باعتباريّ المداومة والمحافظة دلالة على فضلها وإنافتها على غيرها ولأنها أول العبادات وأمّ الطاعات وختم الحالات والمقامات. وقيل: المراد بالأولى النوافل والمداومة عليها وبالأخيرة الفرائض والمحافظة لديها ولعل فيه الدلالة على أنها لا تسقط في حال من الأحوال والإشارة إلى أن السالك لا يستغني عن هلات الصلاة في الابتداء ولا

في الانتهاء ولذا قيل النهاية هي الرجوع إلى البداية.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ ٣٥﴾ [الآية 35] بعلو درجات وسموّ مثوبات
369/ ب ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهۡطِعِينَ ٣٦﴾ [الآية 36] مسرعين ﴿عَنِ ٱلۡيَمِينِ/ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ٣٧﴾ [الآية 37] فرقاً مجتمعين وجماعة جماعة متحلقين ﴿أَيَطۡمَعُ كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ أَن يُدۡخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٖ ٣٨﴾ [الآية 38] بلا إيمان، وهو إنكار لقول الكفار. قالوا: لو صح ما يقوله محمد من وجود جنة ونار لنكونن في العقبى أفضل حظاً منهم كما الدنيا.

﴿كَلَّآۖ﴾ [الآية 39] فيه الردع من هذا الطمع ﴿إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّمَّا يَعۡلَمُونَ﴾ [الآية 39] تعليل للردع والمعنى إنكم مخلوقون من نطفة قذرة بحسنة غير مناسبة لحظيرة مقدسة فمن لم يستكمل الإيمان والمعرفة لم يستعد لدخول الجنة.

قال الواسطي: أي خلقناهم للكفر والإيمان والثواب بالجنان والعقاب بالنيران.

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ٤٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ﴾ [الآيتان 41،40] أن نهلكهم ونأتي بخلق أمثل منهم طاعة وأفضل منهم عبادة ﴿وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ﴾ [الآية 41] بمغلوبين إن أردنا تغيير المخلوقين ﴿فَذَرۡهُمۡ﴾ [الآية 42] أي إذا لم يقبلوا الحق فدعهم ﴿يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ﴾ [الآية 42] غاية التهديد ونهاية الوعيد ﴿يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ﴾ [الآية 43] أي القبور ﴿سِرَاعٗا﴾ [الآية 43] مسرعين إلى الداعي وهو إسرافيل وإلى موقف الحشر والنشر ﴿كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ﴾ [الآية 43] أو علم منصوب للعبادة ﴿يُوفِضُونَ﴾ [الآية 43] يسرعون.

وقرأ ابن عامر وحفص بضم النون والصاد والباقون بالفتح والسكون، فشبّه إسراعهم حين قاموا من القبور بإسراعهم إلى النصب في عبادتهم إياها قبل يوم النشور.

﴿خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ﴾ [الآية 44] قال محمد بن علي: خاضعة لما يرون من التقصير في العبادة والتكثير في النعمة ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾ [الآية 44] في الدنيا بأنه يوم القيامة.

سورة نوح عليه السلام

[مكيّة]
وهي ثمان وعشرون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله اسم عزيز به أقرّ مَن أقرّ بربوبيته وبه أصرّ مَن أصرّ على معرفته، وبه استقر مَن استقر من خليقته، وبه ظهر ما ظهر من مقدوراته، وبه بطن ما بطن من مخلوقاته، فمن جحد فبخذلانه وحرمانه ومن وحّد فبإحسانه وامتنانه.

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ﴾ [الآية 1] إن مفسرة لما في الإرسال من معنى القول وجعلها مصدرية مخلّ بالمعنى، أي خوفهم ﴿مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الآية 1] في الدنيا أو العقبى ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢﴾ [الآية 2] مظهر للإنذار بالآيات والآثار ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣﴾ [الآية 3] في أن يحتمل الوجهان المتقدمان ﴿يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ﴾ [الآية 4] بعض ذنوبكم وهو ما سبق من عيوبكم فإن الإسلام يجبّه في الدنيا فلا يؤاخذكم الله به في العقبى، أو هو ما تعلق بحق الله دون حقوق العباد فيما يمكن التدارك بصلاحه بعد الفساد.

370/ أ وأفاد/ الأستاذ: أنه أراد ما عملوه دون ما هو معلوم أنهم سيفعلون لأنهم لو أعلمهم بأنه غفر لهم لكان إغراء لهم ﴿وَيُؤَخِّرۡكُمۡ﴾ [الآية 4] أي بلا عقوبة ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ﴾ [الآية 4] هو ما قدّر لكم بشرط الإيمان والطاعة ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 4] أي الذي قدّره وقضاه ﴿إِذَا جَآءَ﴾ [الآية 4] على الوجه المقدّر ﴿لَا يُؤَخَّرُۚ﴾ [الآية 4] فبادروا في أوقات الإمهال ﴿لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [الآية 4] لتبعتم طريق

الكمال أو لو كنتم من أهل العلم والنظر لتحقق عندكم هذا الخبر، وفيه أنهم لانهماكهم في حب الحياة كأنهم شاكون في أمر الممات.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥﴾ [الآية 5] أي دائماً من غير الفترة ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاءِي إِلَّا فِرَارًا ۝٦﴾ [الآية 6] عن الإيمان والطاعة وإسناد الزيادة على الدعاء على السببية.

وقال الأستاذ: بيّن نوح عليه السلام أن الهداية ليست إليه فقال: إن أردت إيمانهم فقلوبهم بقدرتك وإني ما ازددت لهم دعاء إلا ازدادوا استهزاء وإصراراً واستكباراً ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ﴾ [الآية 7] إلى الإيمان لتغفر لهم بسببه ﴿جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ [الآية 7] سدُّوا مسامعهم عن استماع الطاعة ﴿وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ﴾ [الآية 7] تغطُّوا بها كراهة النظر إلى من فرط كراهة الدعوة ﴿وَأَصَرُّواْ﴾ [الآية 7] على المعصية ﴿وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا﴾ [الآية 7] عظيماً عن المتابعة.

﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨﴾ [الآية 8] أي حال كوني مجاهراً كما تقتضي دعوة الرسالة إظهاراً ﴿ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ﴾ [الآية 9] الدعوة مراراً ﴿وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ [الآية 9] أي دعوتهم مرة بعد أخرى وكرّة بعد أولى على أي وجه أمكنني من الوجوه الأخرى ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ﴾ [الآية 10] بالتوبة عن كفركم ﴿إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾ [الآية 10] للتائبين ولو كانوا كفاراً.

﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم﴾ [الآية 11] أي المطر ﴿مِّدْرَارًا﴾ [الآية 11] يكثر أقطاراً أو السحاب يكثر أمطاراً ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ﴾ [الآية 12] بساتين ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ [الآية 12] من ماء معين.

قال جعفر الصادق: يزين ظاهركم بالخدمة وباطنكم بالمعرفة. روي أنه لما طالت دعوتهم وتمادت معصيتهم حبس الله عنهم المطر أربعين سنة وأعقم أرحام نسائهم فوعدهم بذلك على الاستغفار عما كانوا عليه من الاعتداء ولذا شرع الاستغفار في الاستسقاء.

وأفاد الأستاذ: أن من أراد التفضُّل فعليه بالعذر والتنصُّل.

﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣﴾ [الآية 13] لا تأملون له توقيراً وتعظيماً لمن عبده وأطاعه فتكونون على حال تأملون فيها تعظيمه إياكم.

وقال الأستاذ: ما لكم لا تخافون لله عظمة أو لا تأملون من الله على توقيركم لأمره لطفاً ورحمة ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۝١٤﴾ [الآية 14] أي أصنافاً أدواراً أو تراباً ونطفاً وعلقاً ومضغاً وعظماً ولحماً ثم روحاً أو أعضاء أو أجزاء فإنه يدل على أنه سبحانه تام القدرة كامل الحكمة ويشير إلى أنه يمكن أن يعدهم تارة أخرى للمثوبة والعقوبة.

370/ب ثم أتبع الأطوار السبعة الأنفسية/ بالأسرار السبعة الآفاقية فقال: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۝١٥﴾ [الآية 15] بعضها فوق بعض ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ۝١٦ وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ۝١٧﴾ [الآيتان 16،17] وصار لكم كنماء النبات حياتاً ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾ [الآية 18] مقبورين ﴿وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [الآية 18] محشورين، أكد الإعادة بالمصدر كما أكد به البداءة للدلالة على أن الثانية كالأولى محققة ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ۝١٩﴾ [الآية 19] تنبسطون عليها انبساطاً ﴿لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ۝٢٠﴾ [الآية 20] واسعة واضحة.

قال الأستاذ: وكلما زاد نوح عليه السلام في الضمان والبيان ووجوه الخير في الإحسان زادوا في الكفر والطغيان.

﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي﴾ [الآية 21] فيما أمرتهم به من الطاعة ﴿وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ﴾ [الآية 21] وسائر ما له ﴿إِلَّا خَسَارًا﴾ [الآية 21] أي حالاً لا يخسره مالاً. وقرأ ابن كثير وأبو عمر وحمزة والكسائي بضم الواو وسكون اللام على أن لغة كالحزن أو جمع وكالأسد.

﴿وَمَكَرُوا﴾ [الآية 22] أي كلهم تابعهم ومتبوعهم في تحصيل الغواية ﴿مَكْرًا كُبَّارًا﴾ [الآية 22] كبيراً في الغاية ﴿وَقَالُوا﴾ [الآية 23] أي بعضهم لبعض ﴿لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ﴾ [الآية 23] أي تتركن عبادتها عموماً ﴿وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [الآية 23] أي خصوصاً. وقرأ نافع ودّاً بالضم ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا﴾ [الآية 24] أي

الرؤساء ﴿كَثِيرًا﴾ [الآية 24] من الضعفاء والأصنام لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا﴾ [إبراهيم: الآية 36]، ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا﴾ [الآية 24] عطف على ﴿رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي﴾ [الآية 21]، ولعل المطلوب هو الضلال في ترويج مكرهم ومصالح دنياهم لا في أمر دينهم وعقباهم.

﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ﴾ [الآية 25] ما مزيدة للتفخيم أي من أجل خطيئاتهم، وقرأ أبو عمرو: مما خطاياهم ﴿أُغْرِقُوا۟﴾ [الآية 25] بالطوفان ﴿فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا﴾ [الآية 25] المراد بها عذاب القبر أو عذاب الآخرة بعد الحشر ﴿فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا﴾ [الآية 25] تعريض لهم باتخاذ إلٰه لا يقدر على نصرهم.

﴿وَقَالَ نُوحٌ﴾ [الآية 26] أي بعد ما كابد أحوالهم ألف سنة إلا خمسين عاماً وأوحي إليه أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [الآية 26] أي أحداً يسكن داراً، دياراً: فيعال من الدار أو من الدور فيكون معناه دائراً.

﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ﴾ [الآية 27] أي يسعوا في إضلال المؤمنين ﴿وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [الآية 27] جامعاً بين الكفر والفجور، وقدَّم الفاجر لأن الفجور يجر إلى الكفر ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ﴾ [الآية 28] وكانا مؤمنين ﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا﴾ [الآية 28] أي منزلي أو مسجدي أو سفينتي ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [الآية 28] إلى يوم القيامة ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية 28] أي بأجمعهم من قومي وغيرهم ﴿إِلَّا تَبَارًا﴾ [الآية 28] إهلاكاً في مقام العقوبة.

سورة الجنّ

[مكيّة]

وهي ثلاث وعشرون آية

371/ أ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ/

قال الأستاذ: بسم الله اسم مَن قامت السماوات والأرضون بقدرته واستقامت الأسرار والقلوب بنصرته. دلّت الأفعال على جلالة شأنه، وذلّت الرقاب عن شهود سلطانه، أشرقت الأقطار بنوره في العقبى وأشرفت الأسرار بظهوره في الدنيا فهو المقدّس بالوصف الأعلى.

﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾ [الآية 1] النفر ما بين ثلاثة والعشرة، والجن أجسام خفية يغلب عليهم النارية. روي أن الجن كانوا يأتون السماء فيستمعون إلى قول الملائكة ثم يلقونه إلى الكهنة ويزيدون فيه وينقصون، وكذا كانوا في الفترة بين نبينا ﷺ وبين عيسى عليه السلام فلما بُعث نبينا ﷺ ورجموا بالشُّهب علم إبليس أنه وقع شيء عظيم ففرّق جنوده فأتى تسعة منهم إلى بطن نخلة فاستمعوا قراءته ﷺ فآمنوا ثم أتوا قومهم وجاءه سبعون منهم وأسلموا وذلك قوله: ﴿وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ [الأحقاف: الآية 29] فقالوا لقومهم: ﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا﴾ [الآية 1] مقروءاً بديعاً مبايناً لكلام الناس في جزالة مبناه ودقة معناه.

قال ابن عطاء: تعجبت الجن من بركات القرآن أو لأنهم لما سمعوا وجدوا في قلوبهم نوراً وفي أسرارهم سروراً وفي أرواحهم حضوراً وفي أبدانهم نشاطاً وراحة لامتثال الطاعة.

﴿يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ﴾ [الآية 2] إلى طريق الحق وصوب الصدق. وقال الجنيد:

يهدي على الوصول إلى الله سبحانه ﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾ [الآية 2] بالقرآن ومن نزل عليه ﴿وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ﴾ [الآية 2] بعبادته أو بألوهيته ﴿أَحَدًا﴾ [الآية 2] لما نطق به الأدلة القاطعة على التوحيد.

﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ [الآية 3] أي عظمته أو سلطانه أو غناه أو شأنه ﴿مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الآية 3] بيان لوصفه بالتعالي لما سبق من النعت العالي. قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ﴾ [الآية 3] وما بعدها إلى قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلۡمُسۡلِمُونَ﴾ [الآية 14] بفتح الهمزة، وقرأ نافع وأبو بكر: «وإنه لما» بكسر الهمزة فالكسر على أنه من جملة المحكي بعد القول والفتح على أن ما كان من قولهم فمعطوف على محل الجار والمجرور في به كأنه قيل: قلناه وصدقنا أنه تعالى جدر بنا وما لم يكن من قولهم فمعطوف على أنه استمع.

﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾ [الآية 4] إبليس أو مردة الجن ﴿عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا﴾ [الآية 4] قولاً ذا شطط وهو البعد ومجاوزة الحد ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۝٥﴾ [الآية 5] اعتذار عن اتباعهم للسفيه في ذلك بظنهم أن أحداً لا يكذب على الله هناك وكذباً نصب على المصدر لأنه نوع من القول.

﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾ [الآية 6] فإن الرجل إذا
371/أ مشى بقفر/ قال أعوذ بسيد هذا الوادي من شرّ سفهاء قومه ﴿فَزَادُوهُمۡ رَهَقًا﴾ [الآية 6] فزاد الإنس الجنَّ باستعاذتهم لهم كبراً وعتواً، أو فزاد الجن الإنس عيّاً وذلاًّ بأن أضلُّوهم حتى استعاذوا بهم.

﴿وَأَنَّهُمۡ﴾ [الآية 7] أي الإنس ﴿ظَنُّواْ كَمَا ظَنَنتُمۡ﴾ [الآية 7] أيها الجن أو بالعكس ﴿أَن لَّن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا﴾ [الآية 7] بالنبوّة والرسالة أو بالإعادة بعد البداءة.

﴿وَأَنَّا لَمَسۡنَا ٱلسَّمَآءَ﴾ [الآية 8] طلبنا بلوغ السماء والتمسنا خبرها ﴿فَوَجَدۡنَٰهَا مُلِئَتۡ حَرَسًا﴾ [الآية 8] حراساً اسم جمع كالخدم ﴿شَدِيدًا﴾ [الآية 8] أقوياء وأفرد للفظ الحرس وهم الملائكة الذين يمنعونهم عنها ﴿وَشُهُبًا﴾ [الآية 8] جمع شهاب وهو المضيء المتولد من النار.

﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقۡعُدُ مِنۡهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمۡعِۖ﴾ [الآية 9] مقاعد صالحة للاستماع ﴿فَمَن

يَسْتَمِعِ ٱلْءَانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [الآية 9] أي راصداً لأجله يمنعه عن الاستماع برجمه.

﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 10] بحراسة السماء ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الآية 10] خيراً بمنع سماع الأنباء.

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [الآية 11] المؤمنون الكاملون ﴿وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [الآية 11] قوم دون ذلك وهم المقصودون ﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ [الآية 11] أي ذوي مذاهب متفرقة مختلفة، جمع قدّه بمعنى قطعة.

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ﴾ [الآية 5] علمنا ﴿أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 12] إن أراد أمراً بنا ﴿وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا﴾ [الآية 12] إن طلبنا.

﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [الآية 13] أي القرآن ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ [الآية 13] وتركنا طريق الردى ﴿فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا﴾ [الآية 13] نقصاً في الجزاء ﴿وَلَا رَهَقًا﴾ [الآية 13] غشيان الذلّة وزيادة الجفاء.

قال الواسطي: حقيقة الإيمان ما أوجب.

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ﴾ [الآية 14] الجائرون عن طريق العدالة وهو الإيمان والطاعة ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا﴾ [الآية 14] قصدوا رشداً عظيماً يوصلهم مقاماً كريماً.

﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾ [الآية 15] يوقد بهم.

﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ [الآية 16] أي وإن الشأن لو استقام الجن والإنس ﴿عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾ [الآية 16] أي المثلى في الحقيقة ﴿لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ [الآية 16] لوسعنا عليهم رزقاً ﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [الآية 17] لنختبرهم يشكرونه أو يكفرونه ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ﴾ [الآية 17] عن عبادته أو موعظته ﴿يَسْلُكْهُ﴾ [الآية 17] قرأ غير الكوفيين بالنون أي يدخله ﴿عَذَابًا صَعَدًا﴾ [الآية 17] مشاقاً يعلو المعذب ويغلبه أو عذاباً ذا ميعاد كما سيأتي وجهه.

وأفاد الأستاذ: أن الاستقامة على الطريقة تقتضي إكمال النعمة وإكثار

الراحة والإعراض عن ذكر الله يوجب تنغُّص العيش ودوام العقوبة.

﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ [الآية 18] تختص به ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الآية 18] فلا تعبدوا فيها غيره أبداً. وقيل: المراد بالمساجد الأرض كلها لأنها جعلت للنبي مسجداً أو مواضع السجود على أن المراد النهي عن السجدة لغير الله والعبادة بما لله لما سواه.

وقال ابن عطاء: مساجدك أعضاؤك التي أُمرت أن تسجد بها لا تُخضعها ولا تذلُّها لغير خالقها.

372/أ ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ [الآية 19] / سماه به لأنه هو المظهر لاسم الله بالأصالة وإنما يصير غيره مظهر الله بالتبعية ﴿يَدْعُوهُ﴾ [الآية 19] يعبده ﴿كَادُواْ﴾ [الإسرَاء: الآية 73] قارب الجن ﴿يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الآية 19] أي كاللبد أو متلبدين متراكمين حواليه مجتمعين لديه من ازدحامهم عليه تعجُّباً مما رأوا من عبادته وسمعوا من قراءته أو من إشاعة فيضه وإذاعة فضله. وقرأ هشام بخلف بضم اللام جمع بعده وهي لغة في لبده.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي﴾ [الآية 20] متفرِّداً ﴿وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الآية 20] وفي «بحر الحقائق»: أدعو ربي بكلية وجودي أو جمعية همّتي ولا أشرك به أحداً لأن الشرك يقتضي الإثنينية وليس في شهودي إلا الوحدة الحقيقية. وقرأ عاصم وحمزة: قُل على الأمر للنبي ليوافق قوله: ﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ [الآية 21] أي لا نفعاً أو ضلالة ولا هداية.

قال جنيد: كيف أملك لكم وأنا عاجز أن أملكه لنفسي إلا ما ملّكني.

وقال ابن عطاء: لا أملك لمن تحقق في الإيمان ضرّاً ولا لمن تحقق بالكفر رشداً.

﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ﴾ [الآية 22] إن أراد بي سوءاً ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ [الآية 22] ملاذاً وملجأً لبقائه وفناء غيره.

قال القاسم: هذه لفظة تدل على إخلاص التوحيد إذ التوحيد هو النظر

إلى الحق لا غيره من الخلق وهذا لا يصح إلا بالإقبال على الله والإعراض عما سواه.

﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾ [الآية 23] أي لا ينجيني من الله وحكمه إلا تبليغي رسالاته بأمره، كذا أفاده الأستاذ. وفي «بحر الحقائق»: يعني أنا فانٍ من جميع الأمور والأحوال وأنواع الطاعة وليس إليّ ها هنا شيء من الأفعال إلا التبليغ والرسالة ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الآية 23] في الأمر بالتوحيد والنبوّة ﴿فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ [الآية 23] اختصت له بالعقوبة ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الآية 23] جمعه لمعنى من.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ﴾ [الآية 24] في الدنيا والعقبى، والمعنى استمر حال الكفار على الإصرار حتى إذا رأوا الذل والصغار ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾ [الآية 24] سواهم.

﴿قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ﴾ [الآية 25] ما أدري ﴿أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ [الآية 25] أي من العقوبة وحدّتها أو قيام الساعة وشدتها ﴿أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا﴾ [الآية 25] غاية تطول مدتها، والمعنى كونوا على حذر منها.

وأفاد الأستاذ: أنه يجب على العبد أن يتوقع العقوبة مع مجاري الأنفاس ليسلم منها.

﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ [الآية 26] أي هو لا غيره عالم جميع المغيبات من الجزئيات والكليات ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ﴾ [الآية 26] فلا يطّلع على غيبه المخصوص به علمه ﴿أَحَدًا﴾ [الآية 26] ﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الآية 27] لعلم بعضه ليكون معجزة له ﴿مِن رَّسُولٍ﴾ [الآية 27] بيان لمن، وأما ما يحصل للأولياء من الكرامة فهو بمنزلة المعجزة لتوقفها على صحة المتابعة وبعضهم خصّص الرسول بالملك والإظهار بما يكون بواسطة جبرائيل وأن كرامات/ الأولياء على المغيبات 372/ ب إنما يكون تلقياً من الملائكة بالإلهام المعبر عنه بالوحي الخفي كاطلاعنا على الآخرة بتوسُّط أرباب النبوّة والرسالة بالوحي الجلي.

وفي «تفسير السلمي» قال بعضهم: أخفى الحق الغيب على الخلق فلم

يطلع عليه أحد من عباده إلا الأولياء على طرف منها بإخبار الصدق أو تلقف من الحق والأولياء أصحاب الفراسات الصافية فإنهم ينظرون بنور الغيب فيحكمون على الغيب ﴿فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ﴾ [الآية 27] من بين يديّ المرتضى ﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا﴾ [الآية 27] حرساً من الملائكة يحرسونه من اختطاف الشياطين وتخاليطهم في أمر الدين.

﴿لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾ [الآية 28] محروسة من التغيُّر بالزيادة أو النقصان والمعنى ليعلم النبي الموحى إليه أن قد أبلغ جبريل والملائكة النازلون أو ليعلم الله تعالى أن قد أبلغ الأنبياء، والمعنى ليتعلق علمه وجوداً كما كان تعلق علمه شهوداً، ويؤيد هذا المعنى قوله: ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ﴾ [الآية 28] بما عند الرسل وبمن أطاعهم وبمن عصى ﴿وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا﴾ [الآية 28] حتى القطر والرمل والحصى.

سورة المزمل

[مكيّة]

وهي تسع عشرة آية[1]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: الحادثات بالله حصلت وقلوب العارفين بالله عُرِفَت، وأرواح الصدِّيقين بالله ألفت، وفهوم الموحدين بساحات جلاله وقفت، ونفوس العابدين بالعجز عن استحقاق عبادته اتضعت، وعقول الأولين والآخرين بالعجز عن معرفة ذاته اعترفت.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١﴾ [الآية 1] أي المتزمل كما قرىء به من مزمّل بثيابه إذا تلقف بها حال احتجابه، والمعنى أيها الحامل أعباء النبوَّة وأثقال تكاليف الدعوة ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ﴾ [الآية 2] أي قم إلى الصلاة وأدم على العبادة في وقت الخفاء فإنه أقرب إلى مقام الوفاء ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الآية 2] فإن نفسك مطيتك فارفق بها في عطيتك فإن تلك الاستراحة أيضاً من العبادة ﴿نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣﴾ [الآية 3] ليصير ثلثاً ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ [الآية 4] أي قليلاً ليبقى ثلثين، والاستثناء من الليل ونصفه بدل من قليلاً وقلته بالنسبة إلى الكل أو لأن هذا النصف الخالي عن العبودية وإن ساوى النصف المعمور بذكر الله في الكمية لا يساويه في تحقيق الكيفية بل هو القليل وذلك النصف بمنزلة الكل.

وأفاد الأستاذ: أن ذلك كان قبل أن فرض الصلوات الخمس ثم نسخ وجوبها في الأمة وبقيت واجبة على صاحب النبوَّة، ويقال: يا قائماً لنا قم بنا.

﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [الآية 4] اقرأه على تؤدة وتبيين حروف من سكون وحركة.

---

(1) كذا في الأصل المخطوط.

وقال الأستاذ: تأنَّى بلسانك في نظمه وارتع بسرك في فهمه.

وقال صاحب «بحر الحقائق»: في الآية إشارة إلى تفصيل كلمات
373/ أ أحكامه وتبيين حروف شرائعه وتوضيح حركات/ بدائعه بحسب علوم عامليه وفهوم طالبيه. والمعنى بلِّغ أحكامه لأجل النفوس المتمردة المنحرفة عن الإقبال على العقبى والإدبار على الدنيا وهم العوام، وهذا من قبيل الظهر ففي الحديث: «ما من آية إلا ولها ظهر وبطن وحد ومطلع»[1]، وفصِّل معانيه لأصحاب القلوب المدبرة عن الدنيا والمقبلة على المولى وهم الخواص، وهذا من قبيل البطن وفهم حقائقه لسدنة الأسرار وخزنة الأنوار المستهلكين في عين المشاهدة المستغرقين في بحر المعاينة وهم أخص الخواص، وهذا من قبيل الحد، وأذق أسراره الوافرة لأرباب الأرواح الظاهرة الفانين عن ناسوهيتهم الباقين بلاهوتيته وهم خلاصة أخص الخواص وهذا من حضرة المطلع. اللهمَّ أوجدنا نفحات ألطافك ونسمات أعطافك.

﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾ [الآية 5] يعني القرآن فإنه لما فيه من التكاليف الشاقة، ثقيل على الثقلين كان لا سيما عليه خاصة إذا كان عليه أن يتحملها بذاته ويحمّلها عامة أمته أو رصين لرزانة مبناه ومتانة معناه، أو ثقيل في الميزان وخفيف على اللسان، أو ثقيل على الكفار والفجار دون الأبرار من أصحاب الأنوار والأسرار، أو ثقيل عليك تلقّيه لديك لقول عائشة: «رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه لَيَرْفَضُّ عرقاً»[2]، تُخبر كان إذا نزل عليه القرآن وهو على ناقته وضعت جِرَانها فلا تكاد تتحرك حتى يسرّى عنه[3].

﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ﴾ [الآية 6] أي العبادة التي تنشأ وتحدث بالليل ﴿هِيَ أَشَدُّ

(1) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (3/ 358) رقم (5965)، وابن المبارك في الزهد (1/ 23) رقم (94).
(2) أخرجه البخاري في الصحيح (2)، والبيهقي في السنن الكبرى (7/ 52) رقم (13724).
(3) أخرجه الحاكم في المستدرك (2/ 549) رقم (3865).

وَطۡـًٔا﴾ [الآية 6] أي كلفة. وقرأ أبو عمرو وابن عامر: وطاء بكسر الواو ممدود أي مواطأة الجنان اللسان أو موافقة لما يراد من الخضوع والخشوع في مقام الإخلاص وحال الإحسان ﴿وَأَقۡوَمُ قِيلًا﴾ [الآية 6] أثبت قراءة وأضبط تلاوة لهدوء الأصوات وسكون الحالات.

﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحًا طَوِيلًا ۝٧﴾ [الآية 7] تقلُّباً كثيراً في مهامك وانشغالاً في مرامك ومناجاة الحق تستدعي فراغاً من خطور أمور الخلق ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ﴾ [الآية 8] داوم على ذكره ليلاً ونهاراً ﴿وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلًا﴾ [الآية 8] أو انقطع بالعبادة إلى الله وجرِّد نفسك عما سواه.

﴿رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ﴾ [الآية 9] قرأ ابن عامر والكوفيون غير حفص بالجر على البدل من ربك، والباقون بالرفع على أنه خبر محذوف هو هو أو مبتدأ خبره ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلًا﴾ [الآية 9] أي كفيلاً بما وعدك من المعونة على القيام بوظيفة الخدمة.

وقال الأستاذ: أي توكل عليه وكِّلْ أمورك إليه. ويقال: وكيلك ينفق عليك من مالك ويطلب الأجر في مآلك وأنا أرزقك من أفضالي وأنفق عليك من مالي. ويقال: وكيلك مَن هو الذي في القدر دونك وأنت ترفع أن تكلِّمه كثيراً من أحوالك، وأنا ربّك وسيدك وأحب أن تكلمني وأكلِّمك.

﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ [الآية 10] / فينا أو فيك وفي كلامنا ﴿وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرًا 373/ ب
جَمِيلًا﴾ [الآية 10] بأن تجانبهم وتداريهم ولا تكافيهم.

وقال الأستاذ: أي تعاشرهم بظاهرك وتباينهم بقلبك وسرِّك. ويقال: الهجر الجميل ما يكون لحق ربك لا لحظ نفسك. ويقال: هو أن تكلمهم وتكلمني لأجلهم بالدعاء لهم.

﴿وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ [الآية 11] دعني وإياهم وكِّلْ إليَّ أمرهم فإني أكفيك شرّهم ﴿أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ﴾ [الآية 11] أرباب التنعُّم والسعة ﴿وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا﴾ [الآية 11] زماناً أو تمهيلاً ﴿إِنَّ لَدَيۡنَآ أَنكَالٗا﴾ [الآية 12] قيوداً ثقيلاً ﴿وَجَحِيمٗا﴾ [الآية 12] أي نكالاً وخيماً ﴿وَطَعَامٗا ذَا غُصَّةٖ﴾ [الآية 13] تنشب في الحلقوم كالضريع والزقوم

﴿وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الآية 13] ونوعاً آخر من العذاب مما لا يعرف كنهه إلا ربّه. ولما كانت العقوبات الأربع مما يشترك فيها الأشباح والأرواح فإن النفوس العاصية المنهمكة في الشهوات تبقى مقيّدة بحبها والتعلُّق بها عن التخلُّص إلى عالم المجرّدات متحرقة بحرقة الفرقة متجرِّعة غصة الهجران معذّبة بالحرمان عن تجلّي أنوار القدس وتحلي أسرار الأنس. فسر العذاب بالحرمان عن لقاء رب الأرباب فإن الحجاب أشد العذاب.

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ﴾ [الآية 14] تضطرب وتتزلزل ﴿وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا﴾ [الآية 14] رملاً مجتمعاً ﴿مَّهِيلًا﴾ [الآية 14] منثوراً منبثاً منشوراً ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا﴾ [الآية 15] كريماً وصولاً ﴿شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ [الآية 15] يشهد عليكم يوم القيامة بالامتناع وللإجابة ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ [الآية 15] عظيماً، والمراد به موسى عليه السلام ولم يعيّنه لتعيُّنه فذكر فرعون في المقام ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ﴾ [الآية 16] المعروف ﴿فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ [الآية 16] شديداً ثقيلاً بالإغراق في الدنيا والإحراق في العقبى.

﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ﴾ [الآية 17] تبعدون أنفسكم ﴿إِن كَفَرْتُمْ﴾ [الآية 17] بقيتم على كفركم بربّكم ﴿يَوْمًا﴾ [الآية 17] عذاب يوم ﴿يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾ [الآية 17] من شدّة هوله أو لغاية طوله.

﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾ [الآية 18] أي شيء منشق بسبب أمر الله وحكمه ﴿كَانَ وَعْدُهُۥ﴾ [الآية 18] سبحانه ﴿مَفْعُولًا﴾ [الآية 18] واقعاً من غير خلف له.

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ﴾ [الآية 19] الآيات أو السورة ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ [الآية 19] موعظة وتبصرة فمن اتعظ بها سعد ومن أعرض عنها بعُدَ ﴿فَمَن شَآءَ﴾ [الآية 19] أن يتعظ ﴿ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ [الآية 19] تقرَّب إليه بسلوك التقوى في محبة المولى. قيل: القرآن موعظة للمتّقين وشفاء للمتحيِّرين وأمان للخائفين وخسارة للظالمين وحسرة على الكافرين.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ﴾ [الآية 20] أي أقل ﴿مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ﴾ [الآية 20] وقرأ ابن كثير والكوفيون: نصفه وثلثه بالنصب عطفاً على ﴿أَدْنَىٰ﴾.

﴿وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ﴾ [الآية 20] أي وتقوم كذلك جماعة من أصحابك ﴿وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ﴾ [الآية 20] لا يعلم مقادير ساعاتها كما هي حقيقة حالاتها إلا خالقهما ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ﴾ [الآية 20] لن تطيقوا / تقدير أوقاتهما ولن 374/ أ تستطيعوا ضبط ساعاتهما ﴿فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ﴾ [الآية 20] خفَّف عنكم بالترخيص في ترك القيام المقدور ورفع التبعة في الأمر المقرر.

قال الواسطي: أي لن تطيقوا القيام بالطاعة حق الطاقة ولن تقدروا على إتيان أعمالكم بالصحة والبراءة من عيوب الرياء والسمعة والملاحظة ﴿فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ﴾ [الآية 20] عاد عليكم بفضله وقبل منكم أعمالكم بلطفه مع أن من لقيه بنعمة كان منقطعاً به عن منعمه محجوباً بالصفات عن الذات. وقال بعضهم: لن تقدروا على السلوك بالوصول إلى ربكم إذ الوصول يترتّب على فضل الله ورحمته لا على سلوككم فكم من سالك انقطع في الطريق ورجع قهقرى ولم يصل إلى الفريق لأنه بدون الرفيق. وقد قيل: ليس كل مَن سلك وصل، ولا كل مَن وصل اتصل، ولا كل مَن اتصل انفصل.

﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ﴾ [الآية 20] كيف ما تيسر عليكم مما أنزل إليكم بالقراءات الثابتة لديكم فإن وجوب قيام الليل رُفِع عنكم ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ﴾ [الآية 20] غير قادرين في الليل على عبادة الله ﴿وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الآية 20] يسافرون فيها ﴿يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 20] من الرزق أو كسب العلم أو قصد الحج ﴿وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ﴾ [الآية 20] هذا إخبار عن الغيب فتكون معجزة فإن السورة مكيَّة والقتال شُرِّع في المدينة ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ﴾ [الآية 20] تأكيد وتأبيد لدفع ما عسى يتوهم أن تكون القراءة أيضاً منسوخة.

وفي «بحر الحقائق»: أي كل أحد يسع مبانيه ما يمكن له من فهم معانيه فالظهر للعالِم والبطن للعابِد والحد للسالك المجذوب والمطلع للمجذوب السالك ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الآية 20] المفروضة ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [الآية 20] وفيه دلالة على أن فرض الزكاة بمكة المعظّمة وبيان المقادير ومصارفها في المدينة المكرّمة ﴿وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًاۚ﴾ [الآية 20] بالنوافل في العبادات

والزوائد في المبرات ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ﴾ [الآية 20] فرضاً أو نفلاً ﴿تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا﴾ [الآية 20] وأعظم من متاع الدنيا الدنية ﴿وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ [الآية 20] من تأخيره إلى الوصية أو من النظر لِلورثة ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [الآية 20] في مجامع أحوالكم فإنها لا تخلو من تفريط في أعمالكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ [الآية 20] للمسيئين ﴿رَّحِيمٌ﴾ [الآية 20] بالمحسنين.

سورة المدثر

[مكيّة]
وهي ست وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله كلمة سماعها نزهة قلوب الفقراء وبهجة أسرار الضعفاء وراحة أرواح الأولياء، قوت قلوب الأتقياء، سلوة صدور الأصفياء، قرة عين أهل البلاء.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١﴾ [الآية 1] أي المتدثر، وقد قرئ: وهو لابس الدثار فوق الشعار. ولعل المراد به المتلبِّس بأنوار النبوَّة وأسرار الولاية. روي أنه عليه السلام قال: «كنت بحراء فنوديت فنظرت/ عن يميني وشمالي فلم أر شيئاً فنظرت فوقي 374/ ب فإذا هو على عرش بين السماء والأرض ـ يعني الملك الذي ناداه ـ فرعبت ورجعت إلى خديجة فقلت: دثروني، فنزل جبريل[1] وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢﴾ [الآيتان 1،2]» قيام عزم واهتمام جزم ﴿فَأَنذِرۡ﴾ [الآية 2] خوِّف أطلق لإفادة العام.

قال سهل: يا أيها المستغيث من إغاثة نفسك على صدرك وقلبك قم بنا واسقط عنك ما سوانا وأنذر عبادنا فإنَّا قد هديناك لأكرم الحالات وأعظم المقامات. وقيل: يا أيها الطالب صرِّف الأذى عنك بالدثار اطلبه بالإنذار.

---

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (4)، والنسائي في السنن الكبرى (6/ 502) رقم (11633)، وابن حبان في الصحيح (1/ 220) رقم (34)، وأبو يعلى في المسند (3/ 453) رقم (1949).

﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣﴾ [الآية 3] وخصِّص ربّك بالتكبير، وهو وصفه بالكبرياء. روي أنه لما نزل كبَّر رسول الله ﷺ وأيقن أنه الوحي[1] من عند ربه فإن الشيطان لا يأمر بمناله.

وقال الأستاذ: أي كبِّره عن كل طلب وإرب وَوَصْل وفصل.

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤﴾ [الآية 4] من النجاسات لوجوب التطهير في الصلاة التي موجبة للصلاة وتقتضيه للمناجاة، وهو أول ما أُمر به من رفض العادات وذلك بغسلها عن النجاسة وبحفظها عنها كتقصيرها مخافة جرّ الذيول فيها، أو فطهِّر نفسك من الأخلاق الدنية والأفعال الردية فيكون أمراً باستكمال القوة العملية بعد أمره باستكمال القوة العلمية، دثار النبوَّة عمَّا يدنِّسه من الضجر وقلّة الصبر.

وقال الأستاذ: وطهِّر نفسك عن الزلات وقلبك عن المخالفات، وسرّك عن الالتفات.

﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥﴾ [الآية 5] أي فاهجر العذاب بالثبات على هجر ما يؤدي إليه من الأسباب. وقرأ حفص: والرّجز بالضم وهو لغة كالذكر في الذكر.

وقال الأستاذ: أي طهِّر قلبك من الخطايا وأشغال الدنيا. ويقال: مَن لم يصح جسمه لم يجد للطعام لذَّة للشهوة كذلك مَن لم يصح قلبه لم يجد حلاوة الطاعة.

﴿وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ۝٦﴾ [الآية 6] بالرفع، ولا تعط مستكثراً أي تنزيه عن أن يهب شيئاً يسيراً طامعاً عوضاً كثيراً، أو لا تمنن على الله بعبادتك مستكثراً إياها أو على الناس بالتبليغ مستكثراً إياه. والمعنى لا تمنّ على عبادنا بما مننا به عليك وفق مرادنا. وقرىء: يستكثر مجزوماً.

﴿وَلِرَبِّكَ﴾ [الآية 7] لوجهه أو أمره ﴿فَٱصۡبِرۡ﴾ [الآية 7] فاستعمل الصبر في موضعه.

---

(1) تفسير البيضاوي (1/ 411).

﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ۝٨﴾ [الآية 8] نفخ في الصور للبعث والنشور ﴿فَذَٰلِكَ﴾ [الآية 9] أي وقت النقر وهو مبتدأ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ [الآية 9] بدل منه ﴿يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ [الآية 9] خبره ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ۝١٠﴾ [الآية 10] وفيه إيماء إلى أنه يصير يسيراً على المؤمنين ولو كانوا من العاصين.

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝١١﴾ [الآية 11] نزل في الوليد بن المغيرة. والمعنى ذرني وحدي معه فإني أكفيكه أو اتركني ومَن خلقته وحدي لم يشركني أحد في خلقه، أو دعني ومَن خلقته فريداً لا مال له ولا ولد.

﴿وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ۝١٢﴾ [الآية 12] مبسوطاً غاية الكثرة وكان له الزرع والتجارة ﴿وَبَنِينَ شُهُودًا ۝١٣﴾ [الآية 13] حضوراً معه في المحافل لاعتبارهم ولعدم الحاجة إلى/ أسفارهم. قيل: كان له عشرة بنين فأسلم منهم ثلاثة: خالد وهشام 375/ أ والوليد.

﴿وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ۝١٤﴾ [الآية 14] وبسطت له الرئاسة حتى لقب بريحانة قريش وكان يسمى لاستحقاق التقدُّم وحيداً ولذا قيل في الآية المتقدمة: أُريد به ذمّه بأنه وحيد لكن في الشرارة.

﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۝١٥﴾ [الآية 15] أي يريد أن أزيد على ما أعطيته مما ليس عليه مزيد ﴿كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا ۝١٦﴾ [الآية 16] معانداً جحوداً ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ [الآية 17] سأغشيه عقبة شاقة المصعد، فعنه عليه السلام: «إنه جبل من نار يتصعد فيه سبعين خريفاً ثم يهوي فيه كذلك أبداً»(1).

﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ [الآية 18] تعليل للوعيد أو بيان لكونه العنيد، والمعنى فكّر فيما تخيّل طعناً في القرآن وقدّر في نفسه ما يقول فيه من البهتان أو الهذيان ﴿فَقُتِلَ﴾ [الآية 19] أي لُعِنَ ﴿كَيْفَ قَدَّرَ﴾ [الآية 19] تعجيب من تقديره استهزاء به في تقريره. روي أنه مرّ بالنبي ﷺ وهو يقرأ (حم السجدة) فأتى قومه وقال: لقد

---

(1) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح (4/ 703) رقم (2576)، وأبو يعلى في المسند (2/ 523) رقم (1383)، وأحمد في المسند (3/ 75) رقم (11730).

سمعت من محمد آنفاً كلاماً ما هو من كلام الإنس والجن إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة ـ أي رونقاً وطراوة ـ وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق، يعني أن معناه لكثير النتيجة كثمرة الشجرة وإن مبناه لواسع البركة في نهاية الفصاحة وغايته الموجبة لكونه معجزة. وهذا معنى قوله: «وإنه ليعلو ولا يعلى» فقال قريش: صبأ الوليد، فقال ابن أخيه أبو جهل: أنا أكفيكموه، فقعد عنده حزيناً وكلّمه بما أحماه أي أغضبه، فقام فأتاهم فقال: أتزعمون أن محمداً مجنون! فهل رأيتموه يخنق وتقولون إنه كاهن فهل رأيتموه يتكهن وتزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى الشعر؟ فقالوا: لا، فقال: ما هو إلا ساحر أما رأيتموه يفرّق بين الرجل وأهله وولده ومواليه، ففرحوا بقوله وتفرقوا متعجبين منه[1].

﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ [الآية 20] تكرّر للمبالغة في النكير ﴿ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾﴾ [الآية 21] أي تأمل في القرآن مرة بعد أخرى ﴿ثُمَّ عَبَسَ﴾ [الآية 22] قطب وجهه لتحيُّره في أمره ﴿وَبَسَرَ﴾ [الآية 22] أي زاد في العبوسة بانقباض قلبه ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ [الآية 23] عن قبول الحق ﴿وَاسْتَكْبَرَ﴾ [الآية 23] عن اتباع أمر الصدق فقال بعد طول ما تفكر: ﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾﴾ [الآية 24] روي وينقل ويزوّر ﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ [الآية 25] أي من الرقى التي فيها الأثر.

﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾﴾ [الآية 26] سأدخله فيها أو أحرقه منها ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ﴾ [الآية 27] في إبهام بيانها تفخيم لشأنها ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾﴾ [الآية 28] شيئاً فيها ولا تدعه فترده حتى يهلك بها، أو لا تبقي لحماً ولا تذر عظماً ﴿لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ﴾ [الآية 29] مسودة لأعالي الجلد أو لائحة للخلق واضحة ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [الآية 30] ملكاً أو صنفاً من الملائكة يلون أمرها، وأحسن ما قيل في تخصيص الخَزَنَة بهذا العدد مع أنه لا يطلب في الأعداد العلّة والحكمة ما روي عن ابن مسعود: أنَّ مَن أراد أن ينجو من عذاب الزبانية / فليقرأ بسم الله الرحمٰن الرحيم 375/ ب
بإخلاص النيَّة وتصحيح الطوية فإن حروفها تسعة عشر.

(1) انظر تفسير أبي السعود (9/ 57)، وتفسير البيضاوي (1/ 413).

﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾ [الآية 31] ليخالفوا جنس المعذبين فلا يَرِقّوا لهم ولا يرحموا عليهم ولأنهم أقوى الخلق بأساً وأشدهم لله غضباً.

روي أن المشركين قالوا: ما تفعل تسعة عشر بجمع كثيرين، فنزلت. والمعنى فمن يطيق الملائكة، فقالوا: ولم ليسوا عشرين وما معنى تسعة عشر، فنزل ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ﴾ [الآية 31] أي المعيَّنة ﴿إِلَّا فِتْنَةً﴾ [الآية 31] محنة وبلية ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الآية 31] باستقلالهم واستهزائهم واستبعادهم أن يتولى هذا العدد اليسير تعذيب الكثير ﴿لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الآية 31] ليكتسبوا اليقين بنبوَّة محمد خاتم النبيين وصدق القرآن المبين لما رواه موافقاً لما في كتابهم ومصدقاً لما في خطابهم ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِيمَٰنًا﴾ [الآية 31] به ﴿وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 31] أي لا يشكُّون في القرآن وهو تأكيد للاستيقان وزيادة الإيقان ﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [الآية 31] شك أو ضعف اعتقاد ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الآية 31] أي الجاحدون أو المعاندون ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ [الآية 31] أي شيء أراد بهذا العدد المستغرب استغراب المثل في الأمر العجب ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [الآية 31] أي مثل ذلك المذكور من الإضلال والهدى، يضلّ الكافرين ويهدي المؤمنين ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ﴾ [الآية 31] جموع خلقه على ما هم عليه من حكمه ﴿إِلَّا هُوَ﴾ [الآية 31] إذ لا سبيل لغيره إلى حصر الممكنات والاطلاع على حقائق الموجودات وصفات الكائنات.

قال القاسم قال تعالى لنبيه عليه السلام: «إنكم لا تقفون على المخلوقات فكيف تقفون على الأسامي والصفات» ﴿وَمَا هِىَ﴾ [الآية 31] أي ما سقر أو عدة الخزنة أو السورة ﴿إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ [الآية 31] إلا تذكرة لهم وتبصرة ﴿كَلَّا﴾ [الآية 32] ردع لمن أنكر.

﴿كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾﴾ [الآية 32] أي وأقسم بالقمر وبقدرته على القمر ﴿وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾﴾ [الآية 33] أي مضى وأدبر كقبل بمعنى أقبل. وقرأ نافع وحمزة وحفص: إذا أدبر على المضي ﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾﴾ [الآية 34] أضاء وظهر ﴿إِنَّهَا﴾ [الآية 35] أي سقر ﴿لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ﴾ [الآية 35] أي لإحدى البلايا الكبر.

﴿نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ﴾ [الآية 36] حال مما دلت عليه جملة المثال أي كبرت منذرة للبشر وأبدل منه قوله: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ ۝٣٧﴾ [الآية 37] أي نذيراً للمكنّين من السبق إلى الخير ومن التخلُّف عنه باكتساب الشر.

وأفاد الأستاذ: أن يقال في الإشارة ﴿كَلَّا وَٱلۡقَمَرِ ۝٣٢﴾ [الآية 32] أي أقمار العلوم أي أخذلها في الزيادة بزيادات البراهين فإنها تزداد فإذا صار إلى أحد التمام والعلم بلغ الغاية فتبدو أعلام المعرفة، فكلما قرب القمر من الشمس ازداد نقصانه حتى إذا قرب منها بتمامه صار/ محاقاً كذلك إذا ظهر سلطان العرفان 376/ أ
فأخذ أقمار العلوم في النقصان كالسراج في ضوء الشمس.

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ ۝٣٣﴾ [الآية 33] ظلم البواط[1] إذا انكسفت ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ﴾ [الآية 34] ضياء أنوار الحقائق إذا تجلت في السرائر ﴿إِنَّهَا لَإِحۡدَى ٱلۡكُبَرِ ۝٣٥﴾ [الآية 35] أي العظائم في باب التخويف من عود الظلمة إلى القلوب ﴿نَذِيرًا لِّلۡبَشَرِ﴾ [الآية 36] من الحذر عن الشواغل التي هي قواطع عن الحقيقة وليحذروا المسافة والملاحظة إلى الطاعة والموافقة فإنها لا خطر لها في الحقيقة.

﴿كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ ۝٣٨﴾ [الآية 38] مرهونة عند الله، وقيل مأخوذة بكسبها من خير أو شر إلا مَن اعتمد الفضل والعناية دون الكسب والسعاية. وقيل: الرهين الأسير فأين الفرار من القدر وكيف القرار على الخطر.

﴿إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ ۝٣٩﴾ [الآية 39] فإنهم فكوا رقابهم بما أحسنوا من أعمالهم وقدَّموا حسابهم. وقيل: هم الملائكة أو أطفال المؤمنين ﴿فِي جَنَّٰتٖ﴾ [الآية 40] هم في بساتين لا تدخل في حيّز نعوت وصفات ﴿يَتَسَآءَلُونَ ۝٤٠ عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ۝٤١﴾ [الآيتان 40،41] أي سأل بعضهم بعضاً عن أحوال العاصين. وقوله: ﴿مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ۝٤٢﴾ [الآية 42] حكاية قول المسؤولين عنهم لأن المسؤولين يلقون إلى السائلين ما جرى بينهم وبين المجرمين فيقولون: قلنا لهم ﴿مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ﴾ [الآية 42] أي شيء صار سبب دخولكم فيها، أو يقولون لأهل النار إذا

(1) الذل بعد العزّ، والفقر بعد الغنى.

حصل لهم إشراف بالظواهر والأسرار فعلى هذا عن زائدة على ما في المدارك.

وعن الطيبي: إن سأل يتعدى إلى الثاني بعن وإلى الأول بنفسه وقد يعكس، انتهى. فتساءل بمعنى سأل واكتفى هنا بالمفعول الأول واستعمل بعن فتأمل.

﴿قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾﴾ [الآية 43] الصلاة المكتوبة ﴿وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [الآية 44] من الصدقات المفروضة، وفيه أن الكفار معذَّبون بترك الفروع في الآخرة، أو المعنى لم يك من المؤمنين الجامعين بين الطاعات البدنية والعبادات المالية أو القائمين بأمر الله والمشفقين على خلق الله.

﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الآية 45] نشرع في الباطل مع المبالغين فيه ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾﴾ [الآية 46] بالبعث والجزاء ﴿حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾﴾ [الآية 47] أي الموت الذي هو مقدمات علم اليقين ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [الآيتان 47،48] أي لو فرض أنهم شفعوا لهم أجمعين ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ﴾ [الآية 49] أي أي شيء مانع لهم عن سماع القرآن وقبوله، أو ما يعمه من الواعظ ومحصوله ﴿مُعْرِضِينَ﴾ [الآية 49] حال كونهم مدبرين.

﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الآية 50] وقرأ نافع وابن عامر بفتح الفاء وهو أبلغ من مقام النفرة ﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾﴾ [الآية 51] شبّههم في إعراضهم ونفرتهم عن استماع الذكر وموعظتهم/ بحمر نافرة أو منفرة من أسد فَعْوَلَة من القسر وهو القهر. 376/ ب

﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾﴾ [الآية 52] قراطيس تنشر وتقرأ وتدبر وذلك أنهم قالوا للنبي ﷺ: لن نتبعك حتى تأتي كلاً منّا بكتاب من السماء فيه من الله تعالى إلى فلان، اتبع محمداً.

﴿كَلَّا﴾ [الآية 53] ردع لهم عن اقتراح المعجزة ﴿بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْأٓخِرَةَ﴾ [الآية 53] فلذا أعرضوا عن التذكرة وما اكتفوا بما جاءهم من المعجزة ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾﴾ [الآية 54] وأي تذكرة ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ [الآية 55] أن يذكره ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ

﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [الآية 56] ذكرهم أو مشيئتهم لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَذۡكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [الآية 56]. وقرأ نافع: تذكرون بالخطاب ﴿هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ﴾ [الآية 56] حقيق بأن تتقى معاقبته أو مخالفته أو هو أجلّ من أن يتقى به عمّا سواه ﴿وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ﴾ [الآية 56] جدير بأن يغفر لعباده على وفق مراده.

سورة القيامة

[مكيّة]
وهي تسع وثلاثون آية[1]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله كلمة عزيزة مَن سمعها بشاهد العلم استبصر، ومَن سمعها بشاهد المعرفة تحيَّر، فالعلماء في سكون برهانه، والعارفون في دهش سلطانه، هؤلاء في بحور علومهم فأحوالهم صحو في صحو، وهؤلاء في شموس معارفهم فأوقاتهم محو في محو فشتان ما بينهما.

﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝١﴾ [الآية 1] إدخال النافية على فعل القسم للتأكيد شائع في كلامهم وشائع في مرامهم، وقرأ ابن كثير بخلف عن البزي: لا أقسم بلام الابتداء أي لأنا أقسم بوقوع يوم القيامة وتحقُّق وقت الندامة.

﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢﴾ [الآية 2] أي التي تلوم نفسها أبداً وإن اجتهدت في العبادة سرمداً، أو النفس المطمئنة سرمداً، أو النفس المطمئنة اللّائمة للنفس الأمارة، أو بجنس النفس لما روي أنه عليه السلام قال: «ليس من نفس برة ولا فاجرة إلا وتلوم نفسها يوم القيامة إن عملت خيراً قالت: كيف لم أزد، وإن عملت شرّاً قالت: ليتني ما كنت قصرت»[2].

قال أبو بكر الوراق: النفس كافرة في وقت لأنها لا تألف الحق أبداً، ومنافقة في وقت لأنها لا تفي بالوعد، ومرائية في الأحوال كلها لأنها لا تحب أن يعمل عملاً ولا يخطو خطوة ولا تأمل أملاً إلا لرؤية الخلق فمن

(1) كذا في الأصل المخطوط.
(2) تفسير البيضاوي (1/ 419).

كانت هذه صفتها فهي حقيقة بمداومة الملامة لها.

وفي «بحر الحقائق»: إن النفس اللوامة هي الواقعة بين الأمّارة والمطمئنة ودوام لومها لوجود وجهين لها بالنظر إلى كل منهما، فإذا نظرت إلى وجه الأمارة بلومها على ترك المتابعة والإقدام على المخالفة وعلى ما فات عنها في الأيام الخالية من الطاعات العالية وعلى المراتعة والمراتع
377/أ الحيوانية الظلمانية، وإذا /نظرت إلى وجه المطمئنة بلوم نفسها أيضاً على التقصيرات الواقعة عنها فهي لا تزال لائمة لها إلى أن تحقق مقام الاطمئنان ولذا استحقت أن أَقْسَمَ الله بها على وقوع الحشر والنشر وجوب القسم ما يدل عليه قوله: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾﴾ [الآية 3] وأُريد بالإنسان الجنس أو الكافر أي أيظن أن لن نجمع عظامه بعد تفرقها ﴿بَلَىٰ﴾ [الآية 4] نجمعها حال كوننا ﴿قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ [الآية 4] التي هي أطرافها فكيف بغيرها.

وقال الأستاذ: أي نقدر أن نسوي في الوقت بنانه فنجعله كظلف شاة فكيف لا نقدر على إعادته.

﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾﴾ [الآية 5] ليدوم على الفجور والعصيان فيما يستقبله من الزمان ﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾﴾ [الآية 6] متى يكون أو أي آن وزمان تقع الواقعة لقوله استبعاد أو استهزاء.

وأفاد الأستاذ: أنه يقدم الحوبة ويؤخر التوبة. ويقال: يعزم على أن يستكثر معاصيه في مستأنف وقته فلا تنحل في الوقت عقدة الإصرار من قلبه فلا تصح توبته لربه لأن التوبة من شرطها العزم على أن لا يعود إلى مثل عمله، فإذا كان استحلاء لزلة في قلبه ويتفكر في الرجوع إلى مثله فلا تصح ندامته من غير عزمه.

﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾﴾ [الآية 7] قرأ نافع بفتح الراء، والمعنى دهش بصره وتحيّر ﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾﴾ [الآية 8] ذهب نوره وانقلب ظهوره، وقرىء على بناء المفعول ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾﴾ [الآية 9] في ذهاب ضوئهما أو في رميهما في النار كأنهما وتغير حالهما ألف ملك لها زفير وشهيق فلا يبقى ملك ولا رسول

إلا وهو يقول: نفسي نفسي.

﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾﴾ [الآية 10] أي الفرار من القدر أو موضع الفرار يكون فيه القرار ﴿كَلَّا﴾ [الآية 11] ردع عن طلب المفر ﴿لَا وَزَرَ﴾ [الآية 11] لا ملجأ ولا مفر ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾﴾ [الآية 12] إلى حكمه استقرار أمر خليقته أو إلى مشيئته موضع قرار بريئته يدخل مَن يشاء في منزل رحمته ومن شاء في محل عقوبته.

﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ [الآية 13] أي يُخبر أو يجازي ﴿يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [الآية 13] بما قدَّم من عمل عمله وبما أخّر منه لم يعمله أو بما قدم من عمل عمله وبما أخّر من سنّة حسنة أو سيئة عمل بها بعده.

قال أبو عثمان: خمس مصائب في الذنب أعظم من الذنب الأولى: خذلان الله إذ لو عصمه لما عصاه. والثانية: إن سلب عنه حلية أوليائه وكساه كسوة أعدائه. والثالثة أن أغلق عنه باب رحمته وفتح له باب عقوبته. والرابعة: نظره إليه وهو مبغوض لديه. والخامسة: وقوفه بين يديه يعرض ما قدَّم وأخّر من مفاتحه عليه.

﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾﴾ [الآية 14] حجة بينة على أعمالها لأنه شاهد بأحوالها ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾﴾ [الآية 15] جمع مقدار بمعنى القدر أو جمع معذرة على القياس، أي لو جاء بكل ما يمكن أن يعتذر به ﴿لَا تُحَرِّكْ﴾ [الآية 16] يا محمد ﴿بِهِۦ﴾ [الآية 16] بالقرآن ﴿لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ [الآية 16] قبل أن يتم وحيه لتأخذه على عجلة مخافة أن ينفلت/ منك على غفلة. 377/ ب

﴿إِنَّ عَلَيْنَا﴾ [الآية 17] بمقتضى فضلنا ﴿جَمْعَهُۥ﴾ [الآية 17] في جنانك ﴿وَقُرْءَانَهُۥ﴾ [الآية 17] وإثبات قراءته على لسانك ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ﴾ [الآية 18] بلسان جبريل ﴿فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [الآية 18] أي قراءته، كثّر فيه دراسته حتى يرسخ في ذهنك روايته ودرايته.

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [الآية 19] بيان ما أشكل عليك من شأنه سواء كان من تعلُّق مبانيه أو تحقُّق معانيه، وهو اعتراض بما يؤكد التوبيخ على حب العاجلة

فإن العجلة إذا كانت مذمومة فيما يواصل الدين وأساس اليقين، فكيف بها في غيره أو بذكر ما اتفق في أثناء نزول هذه الآيات فلا يلتزم المناسبة بين السّابقات واللاحقات.

وفي «تفسير السلمي» قيل للنبي ﷺ: لا تستعن بنفسك على شيء من أسبابك فإنَّا لا نكلك إلى نفسك بل نتولّاك في جميع أمرك، علينا جمعه في صدرك وتسهيله على لسانك حال ذكرك.

﴿كَلَّا﴾ [الآية 20] ردع للرسول عن إعادة العجلة أو للإنسان عن الاغترار بالعاجل ﴿بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ [الآية 20] ﴿وَتَذَرُونَ ٱلْآخِرَةَ ﴿٢١﴾﴾ [الآية 21] أي الآجلة. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بالغيبة فيها.

قال أبو عثمان: مَن أحب الدنيا ومالها وأقبل عليها وطلبها ولو حلالها فليتيقن بفوت حظه من الآخرة لأن الله تعالى قال: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْآخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾﴾ [[الآيات 20-22] مشرقة متنورة ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [الآية 23] تراه مستغرقة في مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه مع بقاء حاله وليس هذا في جميع الأوقات حتى ينافيه نظره إلى غيره من المستلذات.

روي عن عكرمة أنه قال: لو جعل الله نور جميع أبصار الإنس والجن والدواب والطير في عيني عبد ثم كشف حجاباً دون الشمس لما استطاع أن ينظر إليها ونور الشمس جزء من سبعين جزءاً من نور الكرسي، ونور الكرسي جزء من سبعين جزءاً من نور العرش، ونور العرش جزء من سبعين جزءاً من نور السر. فانظر ماذا أعطى الله عبده من النور في عينيه وقت النظر إلى وجه ربّه الكريم عياناً. رواه ابن أبي حاتم.

وقال الواسطي: وجوه نضرت بالتوحيد وابتهجت بالتفريد ورفعت بالتجريد لأن الله يفعل ما يريد.

وقال مجاهد وقد تفرد به من بين السلف وتبعه المعتزلة من الخلف: أي منتظرة إنعام ربها على أن إلى مفرد الآلاء بمعنى النعماء، ورد بأن الانتظار لا يسند إلى الوجه.

وأفاد الأستاذ: أن النظر المقرون بإلى مضافاً إلى الوجه لا يكون إلا الرؤية والله تعالى يخلق الرؤية في وجوههم على قلب العادة. ويقال: العين من جملة الوجه، فاسم الوجه يتناوله في الجملة. ويقال: الوجه لا ينظر والعين تنظر كما أن النهر لا يجري والماء فيه يجري. ويقال: في الآية دلالة على أن الرؤية بصفة الصحو ولا يتداخلهم/ الحيرة والدهشة والمحو لأن 378/ أ
النصرة من أمارة البسط واللقاء والبقاء في حال اللقاء أتم من اللقاء والرؤية عند أهل التحقيق تقتضي بقاء الرائي وعندهم استهلاك العبد في وجوه الحق أتم به والله أعلم وأحكم.

﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾﴾ [الآية 24] شديدة العبسة ﴿تَظُنُّ﴾ [الآية 25] يتوقع أربابها ﴿أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ [الآية 25] واهية تكسر فقارها وهي بقاؤها في نارها.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يخلق الظن في وجوههم أو يخلق الظن في قلوبهم ويظهر أثره على وجوههم.

﴿كَلَّآ﴾ [الآية 26] ردع في إيثار الدنيا على اختيار الأخرى ﴿إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ﴾ [الآية 26] وصلت النفس أعالي صدورها وإضمارها من غير ذكرها لدلالة الكلام عليها.

﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٢٧﴾﴾ [الآية 27] وقال حاضر وصاحبها من يرقيه مما به مأخوذ من الرقية.

قال الأستاذ: أي يقول من حوله هل أحد يرقيه أو طبيب يداويه أو دواء نسقيه، أو قال ملك الموت: أيكم يرقي بروحه ملائكة الرحمة أو ملائكة العقوبة مشتق من الرقيّ.

﴿وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾﴾ [الآية 28] أي وأيقن المحتضر أن الذي نزل به انتقال من الدنيا وارتحال إلى العقبى..

قال ابن عطاء: أجمع عليه شدة مفارقة الوطن من الدنيا وأهله وولده وصحبه وشدة القدوم على ربه لا يدري بماذا يقدم عليه من أمره ولذا قال

عثمان بن عفان رضي الله عنه: ما رأيت منظراً إلا والقبر أفظع منه لأنه آخر منازل الدنيا وأول منازل الآخرة[1].

﴿وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ۝٢٩﴾ [الآية 29] التوت ساقه بساقه فلا يقدر تحويلها ولا تحريكها أو اتصلت شدة مفارقة الدنيا بشدة مخافته العقبى.

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ ۝٣٠﴾ [الآية 30] إلى حكمه لا إلى غيره سوق عبده.

وأفاد الأستاذ: أن الملائكة يسوقون روحه إلى حيث أمرهم الله يحملوها إليه إما إلى عليين أو سجّين ثم لهما تفاوت درجات واختلاف دركات. ويقال: الناس يكفنون بدن الميت ويغسلونه ويصلون عليه والحق سبحانه يلبس روحه ما يستحقه من الجهد ويغسله بماء الرحمة ويصلي عليه والملائكة.

﴿فَلَا صَدَّقَ﴾ [الآية 31] ما يجب تصديقه أو فلا صدق ما له ﴿وَلَا صَلَّىٰ﴾ [الآية 31] ولا أدى أعماله، والضمير فيهما للإنسان المذكور ﴿وَلَٰكِن كَذَّبَ﴾ [الآية 32] بالنبوَّة ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ [الآية 32] أعرض عن الطاعة.

﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ۝٣٣﴾ [الآية 33] يتبختر افتخاراً بما له من جاهه وماله ﴿أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ ۝٣٤﴾ [الآية 34] أي أولى لك العذاب وأقرب لك الحجاب ﴿ثُمَّ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰٓ ۝٣٥﴾ [الآية 35] كرَّر للإشارة إلى عدم انتهاء العقاب، وقيل: أفعل من الويل بعد القلب.

ومن هنا قال الأستاذ: معناه الويل لك يوم تحيا والويل لك يوم تموت والويل يوم تبعث والويل لك يوم تدخل النار.

﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى ۝٣٦﴾ [الآية 36] مهملاً لا يكلّف ولا يجازى
378/ب فإن الحكمة تقتضي الأمر بالمحاسن والنهي عن المقابح، / والتكليف لا يتحقق إلا بمجازاة الأعمال وما قد لا يكون في الدنيا فيكون في الأخرى.

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (1/ 526) رقم (1373).

﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾﴾ [الآية 37] أي تلقى النطفة أو المعنى، وقرأ حفص بالتذكير أي بقذف المني من صلب الأب في رحم الأم ﴿ثُمَّ كَانَ﴾ [الآية 38] أي صار المني ﴿عَلَقَةً فَخَلَقَ﴾ [الآية 38] أي مضغة ﴿فَسَوَّىٰ﴾ [الآية 38] أعضاءه فعدّله وصوّره ونفخ فيه روحه.

﴿فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ﴾ [الآية 39] الصنفين ﴿الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾ [الآية 39] والخنثى المشكل عندنا مبين عنده تعالى.

وقال الأستاذ: إن شاء خلق الذكر وإن شاء خلق الأنثى وإن شاء كليهما. ثم هو استدلال آخر بحال البداءة على الإعادة ولذا قال: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ [الآية 40] عن النبي ﷺ أنه كان إذا قرأها قال: سبحانك بلى[1].

(1) تفسير البغوي (8/ 288)، وتفسير الرازي (16/ 213)، والكشاف (7/ 193).

سورة الدهر

[مكيّة]
وهي إحدى وثلاثون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله اسم جبار توحّد في آزاله بصفة جبروته، وتفرَّد في آباده بنعت ملكوته، فأزله أبده وأبده أزله، وجبروته ملكوته وملكوته جبروته، أحديّ الصفات، صمدي الذات.

﴿هَلْ أَتَىٰ﴾ [الآية 1] استفهام تقرير ولذا فسر بقراءتي ﴿عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ [الآية 1] طائفة محدودة من الزمان الممتد الغير المحدود ﴿لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [الآية 1] بل كان شيئاً منسياً غير مذكور بالإنسانية كالعنصر والنطفة، ونعم ما قال عمر بن الخطاب في هذا الباب: ليتها تمت أي لئلا نرى الحساب والعذاب. والجملة حال الإنسان والمراد به آدم عليه السلام حين كان مطروحاً مدة أربعين من الأيام أو الجنس لقوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ [الآية 2] ذات أخلاط، والمعنى من نطفة مختلطة بماء المرأة ودمها، أو ذات أطوار فإن النطفة تصير علقة ثم مضغة إلى تمام الخلقة ﴿نَّبْتَلِيهِ﴾ [الآية 2] في موضع الحال، أي مبتلين له بمعنى مريدين اختياره في ضمن اختباره ﴿فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [الآية 2] ليتمكن من استماع الآيات ومشاهدة دلالة المصنوعات. وقيل: الاستفهام بمعنى النفي.

ولذا قال جعفر الصادق: هل أتى عليك يا إنسان وقت لم يكن الله ذاكراً لك فيه. وقيل: سمي الإنسان إنساناً لأن عوامهم يستأنس بعضهم ببعض وخواصهم يستأنسون بعجائب القدرة وغرائب الحكمة، وأكابرهم

يستأنسون به دون غيره.

وقال الأستاذ: لم يكن شيئاً أي ما له مقدار. قيل: كان آدم أربعين سنة جسده مطروحاً بين مكة والطائف ثم من صلصال أربعين سنة ثم من حمأ مسنون أربعين سنة فتمَّ خلقه بعد مائة وعشرين سنة. ويقال: هل غفلت ساعة عن حفظك، هل لقيت لحظة حبلك على غاربك، هل أخليتك ساعة من رعاية جديدة وحماية مزيدة.

379/ أ ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾ [الآية 3] بنصب الدلالات/ وإنزال الآيات ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الآية 3] حال من الهاء في ﴿هَدَيْنَٰهُ﴾ [الآية 3]، وإما للتفضيل وللتقسيم أي هديناه في حالتيه جميعاً أو مقسوماً إليهما بعضهم شاكر بالاهتداء والأخذ فيه، وبعضهم كفور بالإعراض عنه ولم يقل كافراً مؤمناً قسيمه وإيماء إلى أن الإيمان هو شكر النعمة كما أن الكفر هو كفران المنة.

وقال الأستاذ: أي عرّفناه طريق الخير والشر فإما أن يكون شاكراً من أوليائنا وإما أن يكون كافراً من أعدائنا فإن كفر فبخذلاننا وإن شكر فبتوفيقنا.

﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ﴾ [الآية 4] بها يقادون ﴿وَأَغْلَٰلًا﴾ [الآية 4] بها يتئدُّون ﴿وَسَعِيرًا﴾ [الآية 4] بها يُحرقون، وتقديم وعيدهم مع تأخر ذكرهم لأن الإنذار أهم ونفعه أعم. وتصدير الكلام وختمه بذكر المؤمنين أتم مع مناسبة الإنذار ابتداء بالكفار ولطول ما يأتي في نعت الأبرار. وقرأ نافع والكسائي وأبو بكر وهشام سلاسلاً لمناسبة أغلالاً لأن الأبرار جمع برّاً وبار فقيل: أكبّر الذي لا يضمر الشر ولا يؤذي الغير وقيل الأبرار هم الذين سمت وجوههم عن الأمور المستحقرة وظهرت في قلوبهم ينابيع الحكمة فأنفوا من مساكنة الدنيا ومطالبة الأخرى استغناء بالمولى.

﴿يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ﴾ [الآية 5] من خمر وهي في الأصل القدح تكون فيه ﴿كَانَ مِزَاجُهَا﴾ [الآية 5] ما ينبع بها ﴿كَافُورًا﴾ [الآية 5] لطيب رائحته وعذوبته وبرودته، والظاهر أنه اسم ماء في الجنة يشبه الكافور في لونه وريحه وطبخه.

قال الواسطي: من كان تحت قوله: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ﴾ [الآية

5] بردت الدنيا في صدورهم وانقطعت الشهوة عن قلوبهم.

وقال الأستاذ: اختلفت مشاربهم في الآخرة فكل يسقى ما يليق بحاله كما كان في الدنيا مشاربهم مختلفة، فمنهم من يسقى مزجاً، منهم من يسقى صرفاً. وفائدة الشراب اليوم أن يشغلهم شرابهم عن كل شيء ويزيحهم عن الإحساس به ويأخذهم عن قضايا العقل وإدراكه كذلك الشراب في الآخرة فيه زوال الإرب وسقوط الطلب وحصول الطرب، وذهاب الحرب، والغفلة عن كل سبب. ولقد قالوا:

عاقر عقارك واصطبح   واقدح سرورك بالقدح
واخلع عذارك في الهوى   وأرح عذولك واسترح
وافرح بوقتك إنما   عمر الفتى وقت الفرح[1]

قلت: قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا إن الله لا يحب الفرحين بغيره.

﴿عَيْنًا﴾ [الآية 6] نصب على الاختصاص ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾ [الآية 6] أي منها أو ملتذاً وممزوجاً بها ﴿عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ [الآية 6] أي المقربون ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الآية 6] حيث شاؤوا إجراءً سهلاً يسيراً.

قال يحيى بن معاذ: إنها عيون يشربون منها في الدنيا فيورثهم ذلك شراب الحضرة في العقبى، وهي عيون الصبر وعيون الشكر، وعيون الحياء، وعيون الوفاء، وعيون المحبة والصفاء، وعيون المعرفة والضياء/. 379/ب

﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾ [الآية 7] بما أوجبوه على أنفسهم فكيف ما أوجبه ربهم عليهم ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ [الآية 7] ناشئاً منتشراً، وفيه إيماء إلى حسن عقيدتهم واجتنابهم عن معصيتهم.

﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ [الآية 8] حب الله أو الطعام أو الإطعام

---

(1) نسب إلى محمد بن يحيى الصولي. انظر قطب السرور (1/ 70).

﴿مِسْكِينًا﴾ [الآية 8] أي فقيراً ﴿وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الآية 8] محبوساً في قيد الملك أو السجن.

قال الأستاذ: وجاء في التفسير أن الأسير كان كافراً لأن المؤمن ما كان يستأسر في عهده عليه السلام، فطاف على بيت فاطمة رضي الله عنها فقال: تأسروننا ولا تطعموننا(1).

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 9] أي قالوا له ببيان الحال أو بلسان القال إزالة لتوهم المنة وتوقُّع المكافأة المنقصة للمثوبة. فعن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تبعث بالصدقة إلى أهل بيت ثم تسأل المبعوث ما قالوا فإن ذكر دعاء دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصاً عند الله وابتغاء لوجهه ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ﴾ [الآية 9] لا نطلب من قبلكم ﴿جَزَآءً﴾ [الآية 9] عوضاً وبدلاً ﴿وَلَا شُكُورًا﴾ [الآية 9] أي شكراً أو ثناءً ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا﴾ [الآية 10] عذاب يوم تعبس فيه الوجوه ﴿قَمْطَرِيرًا﴾ [الآية 10] شديد العبوس نكيراً فلذا نحسن إليكم ولا نمن عليكم ولا نطلب المكافأة لديكم.

﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الآية 11] حفظهم ﴿شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ﴾ [الآية 11] بسبب خوفهم منه وتحفظهم عنه ﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الآية 11] أعطاهم بهجة في ظواهرهم وفرحاً في سرائرهم ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟﴾ [الآية 12] جازاهم وكافأهم بصبرهم على أداء الواجبات المحرمات وإيثار الأموال في ضيق الأحوال ﴿جَنَّةً﴾ [الآية 12] بستاناً يأكلون منه ﴿وَحَرِيرًا﴾ [الآية 12] يلبسونه.

﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ [الآية 13] حال من هم في جزائهم أو صفة لجنة ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ [الآية 13] أي يمر عليهم فيها هواء معتدل لا حرّ محم ولا برد مؤذٍ، وقيل: الزمهرير القمر. والمعنى إن هواءها مضى بذاته لا يحتاج إلى شمس ولا قمر فيها.

﴿وَدَانِيَةً﴾ [الآية 14] قريبة ﴿عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا﴾ [الآية 14] إما حال أو صفة أخرى

(1) تفسير القشيري (8/ 9).

معطوفة على ما قبلها ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ [الآية 14] أي جعل ما يقتطف من أثمارها ويقتطع من أزهارها سهل التناول لا يمتنع على قطّافها كيف شاؤوا.

قال الأستاذ: يتمكنون من قطافها على الوجه الذي هم فيه من غير مشقة إن كانوا قعوداً تدلّى عليهم وإن كانوا قياماً وهي على الأرض فأرادوها ارتفعت إليهم.

﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ﴾ [الآية 15] جمع كوب وهو كوز لا عروة لها ولا خرطوم بها ﴿كَانَتْ قَوَارِيرَا۠﴾ [الآية 15] قوارير ﴿مِّن فِضَّةٍ﴾ [الآية 15] أي تكون جامعة بين صفاء الزجاجة وضيائها وبياض الفضة وبهائها، وقد نوّن قواريراً من نون سلاسلاً إلا هشام، ونوّن ابن كثير الأولى لأنها رأس الآي ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ [الآية 16] قدّروها في أنفسهم فجاءت مقاديرها كما تمنوها وأرادوها أو قدروها بأعمالهم الصالحة فجاءت على حسبها.

380/ أ ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ۝١٧﴾ [الآية 17] خمراً / يشبه الزنجبيل في الطعم والريح وكانت العرب يستلذون بالشراب الممزوج به ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾ [الآية 18] لسلامة انحدارها وسلاسة مساغها من غير لذع الزنجبيل ونحوه فيها والباء زائدة، وقيل: أصله سلسبيلاً لأنه لا يشرب منها إلا من سأل سبيلاً بالعمل الصالح إليها فسميت به كتأبّط شرّاً.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أثبت السقي وأبهم من يسقيهم لأن منهم من يسقيه الولدان المخلدون ومنهم من يسقيهم الملائكة المقرّبون ومنهم من يسقيه الحق بلا واسطة الخلق.

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ [الآية 18] دائمون، وقيل مقرطّون أي بالقرط يلبسون ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ [الآية 19] من صفاء ألوانهم وانبثاثهم في مجالسهم.

قال الأستاذ: وفي التفسير ما من إنسان من أهل الجنة إلا ويخدمه ألف غلام.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ﴾ [الآية 20] ليس له مفعول ملفوظ ولا مقدّر لأنه عام معناه إن بصرك أين ما وقع ﴿رَأَيْتَ نَعِيمًا﴾ [الآية 20] كثيراً ﴿وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [الآية 20] واسعاً، ففي الحديث: «أدنى أهل الجنة منزلةً ينظر في ملكه مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه»[1]، ثم للعارف هناك أكبر من ذلك وهو أن ينتقش نفسه بجلايا الملك وخفايا الملكوت فتستضيء بأنوار قدس الجبروت وأسرار إنس العظموت مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ [الآية 21] يعلوهم ثياب الحرير الخضر ما رقّ منها وما غلظ، ونصب عاليهم على الحال من هم أو حسبتهم، وقيل ظرف. وقرأ نافع وحمزة بسكون الياء على أنه مبتدأ خبره ثياب سندس. وقرأ ابن كثير وأبو بكر خضر بالجر حملاً على سندس بالمعنى فإنه اسم جنس، واستبرق بالرفع عطف على ثياب. وقرأ أبو عمرو وابن عامر بالعكس، وقرأهما نافع وحفص بالرفع وحمزة والكسائي بالجر ﴿وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ [الآية 21] ولا ينافيه أساور من ذهب لإمكان الجمع والمعاقبة والمباغضة فإن حلي أهل الجنة يختلف باختلاف أعمالهم وتفاوت مراتب أحوالهم ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الآية 21] مبالغاً في وصف الطهارة والنظافة واللطافة يريد به نوعاً آخر يفوق على النوعين المتقدمين من ظهوراً وسروراً ولذا أسند سقيه إلى نعت الربوبية ووصفه بالظهورية فإنه يظهر شاربه عن الميل إلى اللذات الحسية والتمتعات النفسية فيتجرد لمطالعة جماله ومشاهدة كماله ملتذّاً بلقائه باقياً ببقائه وهي منتهى درجات الصدِّيقين ولذا ختم به ثواب الأبرار المتقين. قال بعضهم: إن لله شراباً طاهراً صافياً شهيّاً نقيّاً ادخرها في كنوز ربوبيته لأوليائه وأصفيائه يفجِّر لهم من ينابيع المعرفة في أنهار المنة فسقاهم ربهم بكأس المحبة فسقاهم ذلك في الدنيا في ميدان/ ذكره بكأس 380/ ب
محبته على منابر أنسه بمخاطبة الإيمان وسقاهم في العقبى في ميدان قربه بكأس رويته على منابر نور قدسه بمخاطبة العيان.

وقال الأستاذ: اليوم شراب الإيناس وغداً شراب الكأس، اليوم شراب

---

(1) تفسير الرازي (16/ 234)، والكشاف (7/ 202)، وتفسير أبي السعود (9/ 74).

يبدو من اللطف وغداً شراب يدار على الأكف، واليوم من آثار مشروبه تذلّله لكل أحد لأجل محبوبه فيكون لأصغر الخدم تراب القدم وقد يكون من مقتضى ذلك الشرب في أن يتيه في الدورين على أهل الدارين والعبد يكون في ابتداء الكشف مستوعباً ثم يصير مستقراً ثم يصير مستهلكاً فإن إلى ربك المنتهى.

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ [الآية 22] ما عدّ من الثواب ﴿كَانَ لَكُمْ جَزَآءً﴾ [الآية 22] في أم الكتاب ﴿وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾ [الآية 22] غير مضيّع يوم الحساب بل لكم الأجر الجزيل على العمل القليل.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الآية 23] مفرقاً منجماً حكمة اقتضت هنالك، وقد مر بيان ذلك.

﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ [الآية 24] بتأخير نصرك ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [الآية 24] أي كل واحد من مرتكب الإثم الداعي لك إليه ومن الغالي في الكفر الحامل لك عليه وأو للدلالة على أنهما سيّان في استحقاق العصيان والتقسيم باعتبار ما يدعونه إليه من نوعي الطغيان فإن مطاوعتهما في ما ليس بإثم ولا كفر غير محظور في الأديان.

﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾﴾ [الآية 25] داوم على ذكره وواظب على شكره ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ﴾ [الآية 26] وبعض الليل فصلٍّ له، ولعل المراد به صلاة الأوابين[1] ما بين العشاءين ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ [الآية 26] وتهجد له طائفة طويلة من الليل.

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [الآية 27] كفار قومك ﴿يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ [الآية 27] أي الدنيا ﴿وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ﴾ [الآية 27] ويتركون أمامهم أو خلفهم ﴿يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ [الآية 27]

---

(1) قيل المراد بها صلاة الضحى. انظر تفسير ابن كثير (6/ 87)، وتفسير الآلوسي (17/ 308).
وقيل: الصلاة ما بين المغرب والعشاء. انظر تفسير القرطبي (١٤/ ١٠١)، وتفسير البغوي (٦/ ٣٠٣).

شديداً أي لا يعملون ما ينفعهم في العقبى، ولما كانوا من المنكرين للقيامة والجاحدين للإعادة قال تعالى: ﴿نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ﴾ [الآية 28] وأحكمنا ربط مفاصلهم بأعصابهم وقوّينا أمرهم في باب اكتسابهم ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا﴾ [الآية 28] أي إذا شئنا أهلكناهم وبدلنا أمثالهم في الخلقة من النشأة الثانية، أو المعنى إذا شئنا أعدمناهم وخلقنا غيرهم بدلاً عنهم.

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ﴾ [الآية 29] السورة أو الآيات القرآنية المذكورة أو الإشارة إلى حملة القرآن وتأنيثه باعتبار خبرها وهو قوله: ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ تبصرة ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ [الآية 29] تقرّب إليه بالطاعة.

﴿وَمَا تَشَآءُونَ﴾ [الآية 30] أي ذلك ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الآية 30] إلا وقت أن يشأ الله مشيئتكم هنالك، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر: يشاؤون بالغيبة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ [الآية 30] بما يستأهل كل أحد من العباد ﴿حَكِيمًا﴾ [الآية 30] بمقتضى حكمته أراد ما أراد.

﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾ [الآية 31] بالهداية وتوفيق الطاعة ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية 31] أي على أنفسهم بالكفر أو/ المجرمين بالوزر ﴿أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا﴾ 381/ أ [الآية 31] نصب الظالمين بفعل يفسره أعد لهم مثل أوعد ولا يبعد أن يكون عطفاً على الجلالة..

قال أبو بكر بن طاهر: المشيئة أوجبت للخلق الرحمة لا أعمال الطاعة فإن الرحمة صفته ولا علّة لصفاته وأعمال الخلق مشوبة بالعلل ولا يستوجب العبد بمعلوم ما لا علّة له من الصفات.

سورة المرسلات

[مكيّة]
وهي خمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله كلمة مَن سمعها بسمع الوجد وفى له فلم ينظر إلى أحد ومَن سمعها بسمع العلم جادَ لَه فلم يبخل به بروحه على أحد ومن سمعها بسمع التوحيد جرّد سرّه عن إثبات ما سواه في الدنيا والعقبى، عيناً وأثراً الإحاطة به كائنة منه.

﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ۝٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ۝٣ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ۝٤ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٥﴾ [الآيات 1-5] أقسم بطوائف من الملائكة أرسلهن الله بأوامره متتابعة فعصفن عصف الرياح في امتثال الأوامر ونشرنَ الشرائع في الأرض أو نشرن النفوس الموتى بالجهل بما أوحين من العلم ففرقن بين الحق والباطل فألقين إلى الأنبياء ذكراً ﴿عُذْرًا﴾ [الآي 6] للمحقين ﴿أَوْ نُذْرًا﴾ [الآي 6] للمبطلين أو بآيات القرآن المرسلة بكل عرف إلى محمد ﷺ فعصفنَ سائر الكتب والأديان بالنسخ ونشرن آثار الهدى والحكم في الشرق والغرب، وفرقنَ بين الحق والباطل فألقين ذكر الحق فيما بين الخلق أو بالنفوس الكاملة المرسلة إلى الأبدان لاستكمالها فعصفنَ ما سوى الحق ونشرنَ أثر ذلك في جميع الأعضاء وفرقنَ بين الحق بذاته والباطل في نفسه ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: الآية 88] فألقينَ ذكراً بحيث لا يكون في القلوب والألسنة إلا ذكر الله ونسيان ما سواه، وعرفاً إما نقيض الفكر وانتصابه على العلة أي أرسلن للإحسان والمعروف أو بمعنى المتابعة مع عرف الفرس وانتصابه على الحال، وعذراً مصدر لا عذر أي

قطع العذر، ونذراً مصدر أنذر إذا خوّف ونصبهما بالعلية أي إعذاراً للمحسنين وإنذاراً للمسيئين. وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وحفص بسكون ذال نذرا في الشواذ بضم ذال عذراً.

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ۝٧﴾ [الآية 7] جواب القسم أي أن الذي توعدونه من مجيء القيامة كائن لا محالة ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ۝٨﴾ [الآية 8] محقت ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ ۝٩﴾ [الآية 9] انشقت ﴿وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ﴾ [الآية 10] اندقت ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ﴾ [الآية 11] عيّن لها وقتها الذي يحضرون فيها للشهادة على أممها، وقرأ أبو عمر: وقتت على الأرض ﴿لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ۝١٢﴾ [الآية 12] أي يقال: لأي يوم أخِّرت ﴿لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ۝١٣﴾ [الآية 13] بيان التأجيل ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ۝١٤﴾ [الآية 14] تعظيم لليوم/ وتعجيب من هوله للقوم. 381/ ب

﴿وَيۡلٌ﴾ [الآية 15] أي هلاك عظيم ﴿يَوۡمَئِذٍ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾ [الآية 15] أي بذلك وبما هنالك.

وأفاد الأستاذ: أنه يقال في الإشارة: فإذا نجوم المعارف طمست بوقوع الغيبة وإذا جبال القلوب الساكنة بيقين الشهود حركت عقوبة على ما همت بالذي لا يجوز ويل يومئذ لأرباب الدعاوى المطلقة الحاصلة من ذوي القلوب المطبقة الخالية عن المعاني.

﴿أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝١٦﴾ [الآية 16] كقوم نوح ونحوهم ﴿ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ [الآية 17] أي ثم نتبعهم نظراءهم ككفار مكة وغيرهم ﴿كَذَٰلِكَ﴾ [الآية 18] أي مثل ذلك الفعل ﴿نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [الآية 18] بكل مخالف في الدين.

﴿وَيۡلٌ يَوۡمَئِذٍ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۝١٩﴾ [الآية 19] بآيات الله وأنبيائه المرسلين.

وقال الأستاذ: أي الذين لا يستوي ظاهرهم وباطنهم في أمر الدين وهكذا كان بعض المتقدمين من أهل الذلة والفترة في الطريقة والخيانة في أحكام المحبة فعذِّبوا بالحرمان في عاجلهم ولم يذوقوا من المعاني بعد ذلك شيئاً في آجلهم.

﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ٢٠﴾ [الآية 20] نطفة قذرة مذِرَة ذات نتانة ومهانة ﴿فَجَعَلْنَٰهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ٢١﴾ [الآية 21] هو رحم الأم ﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ٢٢﴾ [الآية 22] مقدار معلوم من المدة قدّرها الله للولادة ﴿فَقَدَرْنَا﴾ [الآية 23] على ذلك أو فقدّرناه أطواراً هنالك، ويدل عليه قراءة نافع والكسائي بالتشديد ﴿فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾ [الآية 23] نحن الأولين والآخرين.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ٢٤﴾ [الآية 24] بقدرتنا على ذلك الإعادة هنالك.

قال الأستاذ: ذكرهم أصل خلقتهم لئلا يعجبوا بحسن حالتهم. ولقد أنشد بعضهم:

كيف يزهو من رجيعه أبد الدهر ضجيعه
فهو منه وإليه وأخوه ورضيعه
وهو يدعوه إلى الـ ـخسّ يصغر فيطيعه(1)

ويقال: ذكرهم أن أصلهم كان أخس قطرة ثم نقله وصوّره أحسن صورة وأنه قادر على أن يرقيك من الأحوال الخسيسة إلى المنازل الشريفة النفيسة.

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ٢٥﴾ [الآية 25] كافتةً أي ضامّةً وجامعةً أحياءً وأمواتاً مفعولان لكفاتاً، والمعنى إنهم يعيشون على ظهرها ويودعون بعد الموت في بطنها.

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾ [الآية 27] جبالاً ثوابت ﴿شَٰمِخَٰتٍ﴾ [الآية 27] مرتفعات يكونوا علامات ﴿وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا﴾ [الآية 27] عذباً يكسر العطش بخلق منابعه وإجراء أنهاره.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ٢٨﴾ [الآية 28] بهذه النعم الدنيوية ﴿ٱنطَلِقُوٓا۟﴾ [الآية 29] يقال لهم: اذهبوا ﴿إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ [الآية 29] من عذاب يوم الدين ﴿ٱنطَلِقُوٓا۟﴾ [الآية 30] أي خصوصاً ﴿إِلَىٰ ظِلٍّ﴾ [الآية 30] أي دخان جهنم ﴿ذِى ثَلَٰثِ

(1) هذه الأبيات منسوبة لابن الرومي. انظر دواوين الشعر العربي (73/ 227).

شُعَبٍ﴾ [الآية 30] متشعب العظمة كما يرى الدخان العظيم يتفرق ذوائبه وخصوصية الثلاث لأن حجاب النفس عن أنوار القدس وأسرار الإنس الحس الخيال والوهم. وقيل: شعبة تقف فوق الكافر وشعبة عن يساره.

﴿لَّا ظَلِيلٍ﴾ [الآية 31] رد لما أوهم لفظ الظل ﴿وَلَا يُغْنِي مِنَ ٱللَّهَبِ﴾ [الآية 31] وغير مغنٍّ عنهم من حرّ اللهب شيئاً ﴿إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾﴾ [الآية 32] أي كل شررة كالقصر في عظمها ويؤيده أنه قرىء: بشرار ﴿كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ﴾ [الآية 33] / جمع جمال أو جمال جمع جمل ﴿صُفْرٌ﴾ [الآية 33] فإن الشرر لما فيه 382/ أ
من النارية يكون أصفر. وقيل: سود، فإن سواد الإبل يضرب إلى الصفرة غالباً والأول تشبيه في العظمة وهذا في اللون والكثرة والتتابع وللاختلاط وسرعة الحركة. وقرأ حمزة والكسائي وحفص: جمالات.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الآية 34] بما في ذلك اليوم من شدائد الأحوال أو منكرات الأهوال. وقال الأستاذ كذلك إذا لم يعرف السالك قدر انفتاح طريقه إلى الله بقلبه وتعززه بتوكله فإذا رجع الخلق عند استيلاء الغفلة عن الحق نزع الله الرحمة عن قلبه وانسدت عليه طريق رشده فيتردد من هذا إلى هذا ومن هذا إلى هذا يقال لهم: انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون. والاستقلال بالله هو الجنة المأوى والرجوع إلى الخلق قرع باب الردى، وفي معناه قالوا:

ولم أر قبلي من يفارق جنة ... ويقرع بالتطفيل باب جهنم(1)

ثم يقال لهم إذا أخذوا في الاعتذار: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الآية 35] بما فيه نوع من المنفعة أو نسي من فرط الدهشة والحيرة، وهذا في بعض مواقف القيامة.

قال أبو عثمان: أسكتتهم رؤية الهيبة وخشية المعصية.

﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الآية 36] عطف فيعتذرون على يؤذن ليدل على نفي الإذن والاعتذار عقيبه مطلقاً، ولو جعل جواباً لدل على أن عدم

---

(1) ذكره القشيري في تفسيره (4/ 46) و(8/ 18).

اعتذارهم لعدم الإذن وأوهم ذلك أن لهم عذراً لكن لم يؤذن لهم فيه.

قال جنيد: أنّى لهم أوان العذر فيعتذرون وأي عذر لمن أعرض عن منعمه وكفر به وجحد بنعمه ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۝٣٧﴾ [الآية 37] بربّهم وبنبيّهم والمصدِّقين بأهل يمنهم.

﴿هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِۖ﴾ [الآية 38] أي الفاصل بين المحق والمبطل ﴿جَمَعۡنَٰكُمۡ وَٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [الآية 38].

قال الأستاذ: دفعنا بكم ما فعلنا بهم في الدنيا من الخذلان لأن ذلك اليوم سنفعل بكم ما نفعل بهم من إدخال النيران.

﴿فَإِن كَانَ لَكُمۡ كَيۡدٞ فَكِيدُونِ ۝٣٩﴾ [الآية 39] تقريع لهم على كيدهم للمؤمنين في الدنيا وإظهار لعجزهم في العقبى ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۝٤٠﴾ [الآية 40] حيث لا مخلِّص لهم من العذاب والردى.

﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي ظِلَٰلٖ وَعُيُونٖ ۝٤١ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشۡتَهُونَ ۝٤٢﴾ [الآيتان 41،42] مستقرون في أنواع النعمة وأصناف المنّة.

وأفاد الأستاذ: إن اليوم في ظلال العناية والحماية وغداً في ظلال الرحمة والرعاية، اليوم في ظلال التوحيد وغداً في ظلال حسن المزيد، اليوم في ظلال المعارف وغداً في ظلال اللطائف، اليوم في ظلال التعريف وغداً في ظلال التشريف.

﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا﴾ متهنئين ﴿بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٤٣ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٤٤﴾ [الآيتان 43،44] في الأقوال والأعمال والأحوال ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾ [الآية 45] حيث يمحّض لهم العذاب المخلد ولخصومهم الثواب المؤبد.

قال جنيد: الويل يومئذ لمن كان يدّعي في الدنيا من الدعاوي الباطلة
382/ب ﴿كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجۡرِمُونَ ۝٤٦﴾ [الآية 46] / حال من المكذبين، أي الويل ثابت لهم في حال ما يقال لهم ذلك تذكيراً لهم بحالهم في الدنيا وبما جنوا على

أنفسهم من إيثار المتاع القليل على النعيم الجزيل ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الآية 47] حيث عرّضوا أنفسهم للعذاب الكثير بالتمتُّع اليسير.

قال سهل: مَن كانت همّته بطنه وفرجه فقد أظهر خسارته، قال الله: ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا﴾ [الآية 46]، وقال بعضهم: التمتع بالدنيا من أفعال المنافقين وحبها وجمعها والاطمئنان إليها من أفعال الكافرين والسعي لها من أفعال الظالمين، والكون فيها على حد الإذن بها والأخذ منها على قدر الحاجة إليها من أفعال عوام المؤمنين، والإعراض عنها والبغض لها من أفعال الزاهدين، وأهل الحقيقة أجّل خطراً وأعظم قدراً من أن يؤثر غيهم حب الدنيا وبغضها.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا﴾ أطيعوا واخضعوا أو صلّوا أو اركعوا في الصلاة ﴿لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الآية 48] لا يمتثلون ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [الآية 49] بأوامر الدين ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ﴾ [الآية 50] بعد القرآن ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 50] إذا لم يؤمنوا به والحال إنه معجزة في ذاته المنيفة ويشتمل على المباني اللطيفة والمعاني الشريفة.

سورة النبأ

[مكيّة]
وهي أربعون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله اسم ملِك يتجمّل عُبّاده بطاعته ويتزيّن خدمه بعبادته وهو لا يتجمل بطاعة المطيعين ولا يتزين بعبادة العابدين.

﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١﴾ [الآية 1] أي عما يتسائل الناس فيما بينهم، وهو استفهام للتفخيم كما بيّنه بقوله ﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢﴾ [الآية 2] وهو أمر البعث ﴿ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝٣﴾ [الآية 3] بالإقرار والإنكار ﴿كَلَّا﴾ [الآية 4] ردع عن الاختلاف وزجر منه أو عن السؤال الناشيء عنه إذ الإخبار به وقع صدقاً، أو معناه حقاً سيعلمون علم اليقين عند الموت ﴿ثُمَّ كَلَّا﴾ [الآية 5] أي حقاً ﴿سَيَعْلَمُونَ﴾ [الآية 5] بعين اليقين عند البعث.

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦﴾ [الآية 6] فراشاً ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧﴾ [الآية 7] تقرير وتذكير ببعض ما عاينوا من عجائب صنعته الدالة على كمال قدرته وجمال حكمته ليستدلوا بذلك على صحة البعث وما هنالك ﴿وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ۝٨﴾ [الآية 8] أجناساً ذكوراً وإناثاً أو أصنافاً أو أنواعاً مختلفة الألوان والصور والألسنة ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩﴾ [الآية 9] قطعاً عن الحسّ والحركة استراحة للقوى الحيوانية وإزاحة لكلالها العادية.

﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠﴾ [الآية 10] غطاء يستر بظلمته من أراد اختفاء ويحصل به السكون ﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١﴾ [الآية 11] وقت معاش بتقلبون فيه

بما تعيشون ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾﴾ [الآية 12] سبع سماوات أقوياء محكمات لا يؤثر فيها مرور دهور وأوقات ﴿وَجَعَلْنَا﴾ [الآية 13] أي الشمس ﴿سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ [الآية 13] متلألئاً وقّاد ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾ [الآية 14] الرياح التي/ تعصر السحائب ويؤيده أنه قرىء في الشواذ بالمعصرات ﴿مَاءً ثَجَّاجًا﴾ [الآية 383/ أ
14] منصباً ﴿لِّنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا﴾ [الآية 15] من الحنطة والشعير ونحوهما للأنام ﴿وَنَبَاتًا﴾ [الآية 15] خضراً مما يأكل الناس والأنعام.

﴿وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾﴾ [الآية 16] ملتفة بعضها ببعض أملاكاً وأوقافاً.

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ [الآية 17] بين المحق والمبطل ﴿كَانَ﴾ [الآية 17] في علم الله أو في حكمه ﴿مِيقَاتًا﴾ [الآية 17] حدّاً تتوقّت به الدنيا عنده العقبى ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ﴾ [الآية 18] أي النفخة الأخيرة وهو بدل من يوم الفصل ﴿فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ [الآية 18] جماعات من القبور إلى موقف النشور.

﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ﴾ [الآية 19] شقّقت لنزول الملائكة، وقرأ الكوفيون بالتخفيف ﴿فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ [الآية 19] فصارت ذات أبواب.

﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ﴾ [الآية 20] في الهواء كالهباء ﴿فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [الآية 20] مثل سراب إذ ترى في الخيال على صورة الجبال ولم تبق على حقيقتها لانبثاث أجزائها وتفتيتها.

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾﴾ [الآية 21] ممراً إلى الجنة كما ذكره الحسن وقتادة، ويقال: ذات ارتقاب لأهلها ﴿لِّلطَّاغِينَ مَآبًا ﴿٢٢﴾﴾ [الآية 22] مرجعاً ومثوى ﴿لَّابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾﴾ [الآية 23] دهوراً متتابعة غير متناهية على ما صرّح به السلف الكرام ونطق به القرآن في غير هذا المقام. وقرأ حمزة: لبثين.

﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾﴾ [الآية 24] ما يروّحهم ويسكّن عطشهم ﴿إِلَّا حَمِيمًا﴾ [الآية 25] أي لكن يذوقون فيها ما في غاية الحرارة ﴿وَغَسَّاقًا﴾ [الآية 25] ما يغسق أي يسيل من صديدهم. وقيل: الزمهرير وهو مستثنى من البرد إلا أنه أخر ليتوافق رؤوس الآي. وقيل: المراد النوم. وقرأ حمزة والكسائي وحفص بتشديد السين.

﴿جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾﴾ [الآية 26] أي جُزُوا بذلك جزاء ذا وفاق لأعمالهم أو موافقاً لأحوالهم.

وقال الأستاذ: أي على وفق ما سبق به التقدير وجرى به قلم التدبير.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾﴾ [الآية 27] أي لا يخافونه ولا يأملونه لعدم إيمانهم ولضعف إيقانهم.

وقال الأستاذ: أي لا يؤمنون فيرجون الثواب ويخافون العذاب.

﴿وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾﴾ [الآيـة 28] أي تـكـذيـباً ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا﴾ [الآية 29] أي ضبطناه حال كونه مكتوباً في اللوح أو في صحف الحفظة. والجملة معترضة.

﴿فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾ [الآية 30] مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بآيات الكتاب. عن ابن عمرو وغيره: لم ينزل على أهل النار أشد من هذه الآية.

وأفاد الأستاذ: إن المسبِّح الزاهد يحصى تسبيحه، والمهجور اليائس يحصي أيام هجرانه والذي هو صاحب وصال ليس يتفرغ من وصل مرامه إلى تذكر أيامه والملائكة يحصون زلّة العاصين ويكتبونها في صحيفتهم والحق سبحانه يقول: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾﴾ [الآية 29] وكما أحصى زلة المسيئين وطاعة المحسنين فكذلك أحصى أيام هجران المهجورين وأيام محن الممتحنين، وإن أقواماً أيام فترتهم جاوز الحد وأوقات هجرانهم أربى الحصر
383/ ب والعد، أي أيها/ المنعمون في الجنة فافرحوا وتمتعوا فلن نزيدكم إلا ثواباً وأيها الكافرون احترقوا وابعدوا ﴿فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾ [الآية 30]، وأيها المساكين الساكنين إلى غيرنا ابكوا واجزعوا فلن نزيدكم إلا عقاباً، وأيها الفقراء المكتفون بنا تتعيشوا ببقائنا فذوقوا فلن نزيدكم إلا تعزُّزاً وتقرُّباً.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾﴾ [الآية 31] فوزاً وظفراً بالبغية أو موضع فوز وهو الجنة ﴿حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾﴾ [الآية 32] بساتين فيها أنواع الشجرة المثمرة سيما

الأعناب المكثرة ﴿وَكَوَاعِبَ﴾ [الآية 33] نساء استدارت ثديهن ﴿أَتْرَابًا﴾ [الآية 33] لذات في السن مستويات ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾﴾ [الآية 34] ملآن طباقاً.

﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ [الآية 35] كلاماً خالياً عن الفائدة ﴿وَلَا كِذَّابًا﴾ [الآية 35] أي تكذيباً، والمعنى لا يكذب بعضهم بعضاً. وقرأ الكسائي بالتخفيف أي كذباً أو مكاذبة لا يكذب بعضهم بعضاً.

وقال الأستاذ: إذ أنهم مصونون عن سماع الأغيار وأبصارهم محفوظة عن ملاحظة الرسوم والآثار. قلت: وألسنتهم معصومة عن الأوزار بل جارية على وفق حالهم من الأسرار.

﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ﴾ [الآية 36] من عنده بمقتضى وعده ﴿عَطَآءً﴾ [الآية 36] تفضُّلاً ﴿حِسَابًا﴾ [الآية 36] كافياً لأحوالهم أو على حسب أعمالهم.

قال الواسطي: في الدرجات تفاوت في الكرامات فخاطب بعضهم فقال: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾﴾ [الآية 31] ردهم إلى محل الفوز ولا يكون إلا من كرامة، وخاطب قوماً فقال: ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾﴾ [الآية 36] أي حسبهم من العطاء حصول المعطى ومن الكرامة مشاهدة الكرم.

﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [الآية 37] بدل من ربّك على قراءة الشامي والكوفيين ورفعه الحرميان وأبو عمرو على الابتداء، وقوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الآية 37] صفة له رفعه وحده حمزة والكسائي على أنه خبر محذوف أو مبتدأ خبره ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ [الآية 37] والمعنى لا يملك الخلق خطاب الحق بالاعتراض عليه في ثواب أو عقاب لأنهم مملوكون له على الإطلاق فلا يستحقون عليه اعتراضاً من كل باب وذلك لا ينافي الشفاعة بإذنه لمن أتى بقول صواب كما يدل عليه قوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾ [الآية 38] أي صافين ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [الآية 38] والروح ملك موكل على الأرواح أو جبريل.

قال الواسطي: علامة المأذون في الكلام صواب قوله وصدق فعله.

وأفاد الأستاذ: أنه كيف يكون للمكوّن المخلوق المسكين مكنة أن

يملك منه خطاباً أو يتنفس بدونه نفساً سؤالاً وجواباً وإنما يظهر الهيبة على العموم لأهل الجمع في ذلك اليوم وأما الخواص من القوم فهم أبداً بمشهد الغرّة ونعت الهيبة الأنفس لهم ولا فرجة أحاط بهم سرادقها واستولت عليهم حقائقها.

﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ﴾ [الآية 39] الكائن على وفق الصدق.

384/ أ قال الأستاذ: وهم بشهد الحق والحكم عليهم الحق وحكمه عليهم/ بالحق فمحجوب عن الحق ومجذوب بالحق للحق ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ﴾ [الآية 39] إلى ثوابه أو قربه ﴿مَـَٔابًا﴾ [الآية 39] مرجعاً بالإيمان وأنواع الإحسان.

﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ [الآية 40] يعني عذاب الآخرة وقربه لتحققه فإن كان ما هو آت قريب مع أن مبدأه الموت وقد قيل: كل امرىء مصبح بأجله، والموت أدنى من شراك نعله.

قال الأستاذ: عند أهل الغفلة بعيد وهو في التحقيق قريب ﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ [الآية 40] يرى ما قدَّمه من خير أو شر وما موصوله مفعول ينظر ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾ [الآية 40] في الدنيا فلم أخلق ولم أكلف بأمور العقبى.

وفي الحديث: يود ذلك حين يحكم الله بين الحيوانات حتى يقتص للشاة الجماء من القرناء وإذا فرغ من الحكم قال لها كوني تراباً فعند ذلك يتمنى الكافر أن يصير تراباً[1]. وقيل: المراد من الكافر إبليس يرى آدم وأولاده وثوابهم ويشاهد حال نفسه ومآله وأشياعه وأتباعه وعقابهم فيتمنى أن يكون الشيء الذي احتقره حين قال: ﴿خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: الآية 12].

وقال الأستاذ: مضوا في ذلك الاختيار والتمني وبعثوا في حسرة التمني ولو إنهم رضوا بالتقدير لتخلصوا عن التمني وتحرروا عن التعنّي.

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (4/ 619) رقم (8716).

سورة النازعات

[مكيّة]

وهي خمس وأربعون آية[1]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله اسم عزيز لرب عزيز، سماعه يحتاج إلى سمع عزيز وذكره يحتاج إلى وقت عزيز، وفهمه يحتاج إلى قلب عزيز.

﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ۝١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ۝٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ۝٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ۝٤ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ۝٥﴾ [الآيات 1-5] هذه صفات ملائكة الموت فإنهم ينزعون أرواح الكفار إغراقاً في النزع بأنهم ينزعونها من أقاصي أبدانها ويخرجون أرواح الأبرار بوفق ونشاط لها ويسبحون في إخراجها سبح الغوّاص الذي يخرج الشيء من أعماق البحر فيسبقون بأرواح الكفار إلى دار البوار وبأرواح الأبرار إلى دار القرار فيدبرون أمر عقابها وثوابها بأن يهيِّؤها لإدراك ما أعدّ لها من آلامها وإكرامها أو صفات النفوس الفاضلة حال سلوكها فإنها تنزع عن الشهوات وتنشط إلى عالم القدسيات فتسبح في مراتب الترقيات فتسبق إلى الكمالات حتى تصير من المكملات. وجواب القسم محذوف لدلالة ما بعده عليه، والتقدير التقوى من السآمة وأبعد الأستاذ حيث أفاد: إن جواب القسم قوله: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ﴾ [النازعات: الآية 26].

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦﴾ [الآية 6] أي تضطرب الأجرام الساكنة التي تشهد حركتها لقوله: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ﴾ [المزمل: الآية 14] وهي النفخة الأولى.

﴿تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧﴾ [الآية 7] أي النفخة الثانية ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝٨﴾ [الآية 8] مضطربة خائفة ﴿أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ ۝٩﴾ [الآية 9] أبصار/ أصحابها ذليلة 384/ ب

(1) كذا في الأصل المخطوط.

خاضعة ﴿يَقُولُونَ﴾ [الآية 10] أي في الدنيا ﴿أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ﴾ [الآية 10] في الحالة الأولى ويعنون الحياة بعد الممات.

﴿أَءِذَا كُنَّا﴾ [الآية 11] وقرأ نافع وابن عامر والكسائي: إذا كنا ﴿عِظَٰمًا نَّخِرَةً﴾ [الآية 11] بالية، وقرأ الحرميان وأبو عمرو والشامي وحفص: نخرة ﴿قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ۝١٢﴾ [الآية 12] رجعة ذات خسارة والمعنى أنها إن صحت فنحن إذن خاسرون فيها لتكذيبنا بها وهو استهزاء منهم في تجويزها.

﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ۝١٣﴾ [الآية 13] أي لا يستطيعون فما هي إلا صيحة واحدة وهي النفخة الثانية ﴿فَإِذَا هُم﴾ [الآية 14] أحياء ﴿بِٱلسَّاهِرَةِ﴾ [الآية 14] على وجه الأرض بعدما كانوا أمواتاً في بطنها، وقيل بين الأرض المستوية. وقيل أرض يجددها الله يوم القيامة.

وقال الأستاذ: إنها أرض بيضاء من فضة لم يعص الله عليها.

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝١٥﴾ [الآية 15] أليس قد أتاك حديثه فيسليك على تكذيب قومك ﴿إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ﴾ [الآية 16] أي المطهر المبارك ﴿طُوًى﴾ [الآية 16] اسم الوادي.

وقال سهل: جوّع نفسه طائعاً تعبُّداً ثم نادى ليكون النداء أبلغ. وقال أبو عثمان: طوى أياماً قيل القصد ثم قصد طاوياً مقدساً وطوى الوادي المقدس فناداه ربه بالتقديس ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝١٧﴾ [الآية 17] أي ترك سبيل الهدى واختار طريق الردى، أو تكبّر على الخلق وتجبّر بدعوى أنه الحق.

﴿فَقُلْ هَل لَّكَ﴾ [الآية 18] ميل ﴿إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾ [الآية 18] تتطهر من الكفر والطغيان وتتحلى بالإيمان والإحسان، وقرأ الحرميان بالتشديد.

قال الأستاذ: وفي التفسير: لو قلت لا إلٰه إلا الله فلك ملكك ولا يزول شبابك وتعيش أربعمائة أخرى في السرور والنعمة ثم لك الجنة في الآخرة.

﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ [الآية 19] إلى معرفته ﴿فَتَخْشَىٰ﴾ [الآية 19] بأداء الواجبات وانتهاء المحرمات إذ الخشية إنما تكون بعد المعرفة.

وقال محمد بن علي الترمذي: الخشية ميزان صحة الهداية.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أظهر كل هذا التلطف وفي خفي سرّه وواجب مكره به أنه صرف قلبه عن إرادة هذه الأشياء وإيثار مراده على مراد ربه وألقى في قلبه الامتناع وترك قبول النصح أي قلب يسمع هذا الخطاب فلا ينقطع لعذوبة هذا اللفظ ولطافة هذا الأمر وأيّ كبد يعرف هذا فلا ينشق لصعوبة هذا المكر.

﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْآيَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝٢٠﴾ [الآية 20] وهي قلب العصا حية تسعى.

وقال الأستاذ: جاء في التفسير هي إخراج يده بيضاء لها شعاع الشمس فقال فرعون: حتى أشاور هامان فقال له هامان: بعدما كنت ربّاً تكون مربوباً وبعدما كنت ملكاً تكون مملوكاً ﴿فَكَذَّبَ﴾ [الآية 21] موسى ﴿وَعَصَىٰ﴾ [الآية 21] ربّه وطغى ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ [الآية 22] عن الطاعة ﴿يَسْعَىٰ﴾ [الآية 22] ساعياً في إبطال أمر موسى.

﴿فَحَشَرَ﴾ [الآية 23] جميع جنوده ﴿فَنَادَىٰ﴾ [الآية 23] بأعلى صوته في مجمعه ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٤﴾ [الآية 24] أي أعلى كل مَن يلي أمركم ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْآخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ۝٢٥﴾ [الآية 25] أخذاً منكّلاً لمن رآه / أو سمعه في العقبى 385/ أ بالإحراق وفي الدنيا بالإغراق أو عاقبه نكال كلمته الآخرة وهي هذه وكلمته الأولى وهي قوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: الآية 38].

وأفاد الأستاذ: أن إبليس لما سمع هذا الخطاب فر من الباب وقال: أنا لا أطيق هذا العقاب. ويقال قال إبليس: أنا ادعيت الخيرية على آدم فلقيت ما لقيت من البلاء فكيف هذا يقول ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾. ويقال: إنه يجعل في الآخرة مغلولاً على تلّ ينادى عليه ويقال: هذا الذي قال ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ۝٢٦﴾ [الآية 26] لمن كان من شأنه الخشية ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا﴾ [الآية 27] أصعب خلقاً في زعمكم ﴿أَمِ ٱلسَّمَآءُ﴾ [الآية 27] ثم بيّن كيف خلقها فقال: ﴿بَنَىٰهَا﴾ [الآية 27] ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا﴾ [الآية 28] أي جعل مقدار

ارتفاعها من الأرض رفيعاً ﴿فَسَوَّىٰهَا﴾ [الآية 28] جعلها مستوية متناسبة ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾ [الآية 29] ظلمة وإنما أضاف إليها لأنه يحدث بحركة شمسها ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا﴾ [الآية 29] أبرز ضوء شمسها كقوله: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١﴾ [الشمس: الآية 1] يريد نهارها.

﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ۝٣٠﴾ [الآية 30] بسطها ومهّدها لسكناها ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا﴾ [الآية 31] بتفجير عيونها ﴿وَمَرْعَىٰهَا﴾ [الآية 31] أي رعيها وهو في الأصل لموضع الرعي، والمراد بنائها بذكر المحل وإرادة الحال مجازاً.

﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ۝٣٢﴾ [الآية 32] أثبتها ﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ۝٣٣﴾ [الآية 33] تمتيعاً لكم ولمواشيكم ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ﴾ [الآية 34] الداهية التي تطمّ أي تعلو على سائر الدواهي الكبرى التي هي أكبر الطامات وهي القيامة أو الساعة التي يساق فيها أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار.

﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ۝٣٥﴾ [الآية 35] بأن يراه مدوّناً في الصحيفة وكان قد نسيها من فرط الغفلة أو طول المدة ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ۝٣٦﴾ [الآية 36] أُظهِرَت لكل راءٍ بلا خفاء ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝٣٧﴾ [الآية 37] حتى كفر وتعدّى وادّعى الصفة العليا ﴿وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝٣٨﴾ [الآية 38] فانهمك فيها ورضي بها ولم يستعد بعبادة المولى وتهذيب النفس للعقبى ﴿فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٣٩﴾ [الآية 39] مأواه ومستقره ومثواه.

قال أبو عثمان: الطغيان الإعراض عن العقبى والإقبال على الدنيا.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ [الآية 40] مقامه بين يديّ ربّ العباد لعلمه بالمبدأ والمعاد.

وأفاد الأستاذ: أن المراد إقبال الله عليه وإنه راءٍ له وهذا عين المراقبة والآخر محل المحاسبة ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ [الآية 40] لم يتبع هواها ﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٤١﴾ [الآية 41] ليس له مأوى سواها.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۝٤٢﴾ [الآية 42] متى إرساؤها أي إقامتها

وإثباتها أو مستقرها ومنتهاها ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾﴾ [الآية 43] أي في أي شيء أنت من أن تذكر لهم وقتها إذ وقتها مما استأثر الله تعالى بعلمه ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ﴾ [الآية 44] أي منتهى علمها ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾﴾ [الآية 45] أي يخاف أهوالها وهؤلاء لا يؤمنون بأحوالها ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ﴾ [الآية 46]/ 385/ ب في الدنيا ﴿إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ [الآية 46] أي عشية يوم أو ضحاه كقوله: إلا ساعة من نهار، ولذا أضاف الضحى إلى العشية لأنهما من يوم واحد في تشبيه القضية.

سورة عبس

[مكيّة]

وهي إحدى وأربعون آية(1)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله اسم كريم بسط للمؤمنين بساط جوده، اسم عزيز انسدّ على الأولين والآخرين طريق وجوده أنى بالوجود ولا حدّ له، وأنى بالوصول ولا نحو له، من الذي يدركه بالزمان خلقه أو يحسبه في المكان والمكان فعله، ومن الذي يعرفه إلا وبه يعرفه أو من الذي يذكره إلا وبه يذكره.

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن﴾ [الآية 1،2] أي لأجل ﴿جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢﴾ [الآية 2] روي أن ابن أم مكتوم رضي الله عنه أتى رسول الله ﷺ وعنده صناديد قريش يدعوهم إلى الإسلام رجاء أن يتبعهم سائر الأنام فقال: يا رسول الله اقرئني وعلِّمني مما علَّمك الله وكرَّر له ذلك ولم يعلم تشاغله بما هنالك، فكره عليه السلام قطعه للكلام وعبس جبينه وأعرض عنه فنزلت، فكان رسول الله ﷺ يكرِّمه ويقول إذا رآه: مرحباً بمن عاتبني فيه ربي واستخلفه على المدينة مرتين(2).

وروي أنه ما عبس بعدها في وجه فقير قط ولا تصدى لغني أبداً. وذكر الأعمى للإشعار بعذره في الإقدام على قطع كلام سيد الأنام والدلالة على أنه أحق بالرفق والرأفة.

وأفاد الأستاذ: أن في الكلام لطفاً في المرام حيث لم يواجهه بالخطاب

(1) كذا في الأصل المخطوط.

(2) تفسير القرطبي (19/ 213)، وتفسير البغوي (8/ 332)، والكشاف (7/ 233).

ولم يقل عبست وتوليت بل قال بضمير الغائب ثم بعده قال على طريق الالتفات: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ٣﴾ [الآية 3] أي وأي شيء يجعلك دارياً بمقامه لعله يتطهر من آثامه بما يتلقن منك وفق مرامه وفيه إيماء بأن إعراضه كان لتزكية لا لعماه ولا لفقره ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ﴾ [الآية 4] يتعظ ﴿فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ﴾ [الآية 4] موعظتك. وقرأ عاصم بالنصب جواباً للعل كالتمني.

﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ٥﴾ [الآية 5] أي بماله أو استغنى عن الله بزعمه في حاله ﴿فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ٦﴾ [الآية 6] أصله تتصدى أي تتعرض له بالإقبال عليه والالتفات إليه. وقرأ الحرميان بالإدغام ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ٧﴾ [الآية 7] أي ليس عليك بأس في أن لا يتزكى بالإسلام حتى يحملك الحرص على إسلامه إلى الإعراض عمن أسلم في مقامه إن عليك إلا البلاغ.

قال أبو عثمان: أمر الله تعالى نبيه عليه السلام بمجالسة الفقراء ونهاه عن صحبة الأغنياء بقوله: ﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ٦﴾ [الآيتان 5،6].

وقال الواسطي في قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ٧﴾ [الآية 7] فيه استهانة بمن أعرض عنه وتولى.

وقال جعفر الصادق: لم تكرم بالإقبال عليه من لم يكرمه الله بالهداية إليه ولم يزيغه بالمعرفة بما لديه.

﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ٨﴾ [الآية 8] يسرع طالباً للخير وزيادة الهدى ﴿وَهُوَ يَخْشَىٰ ٩﴾ [الآية 9] الله تعالى أو أذية أعدائه سبحانه في / إتيانك أو كبوة الطريق 386/ أ
لأنه أعمى لا فائدة له ﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ١٠﴾ [الآية 10] تتشاغل وفي ذكر التصدي والتلهي إشعار بأن العتاب على اهتمام قلب بالغنى وتلهيه عن الفقير ومثله لا ينبغي ذلك له ﴿كَلَّآ﴾ [الآية 11] ردع عن معاودة نحوه ﴿إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ [الآية 11] موعظة بليغة ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ١٢﴾ [الآية 12] حفظه أو اتعظ والضمير أن العتاب المذكور أو للقرآن وتأنيث الأول خبره.

قال ابن عطاء: موعظة مباركة فمن شاء الله التوفيق له قبله.

وأفاد الأستاذ: من شاء الله أن يذكره ذكره ومن شاء الله أن لا يذكره أي بذلك جري قضاياه أن يكون ما شاء الله، ويقال: بل هو على جهة التهديد ومعناه فمن أراد أن يذكره فليذكره ومن أراد أن لا يذكره فلا يذكره كقوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: الآية 29].

﴿فِي صُحُفٍ﴾ [الآية 13] أي هو مثبت في صحائف ﴿مُّكَرَّمَةٍ﴾ [الآية 13] عند الله تعالى ﴿مَّرْفُوعَةٍ﴾ [الآية 14] في السماء أو مرفوعة القدر والبهاء ﴿مُّطَهَّرَةٍ﴾ [الآية 14] منزّهة عن أيدي الشياطين وأهل الأغواء ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾﴾ [الآية 15] كتبة من الملائكة أو الأنبياء ينتسخون الكتب من اللوح أو الوحي ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [الآية 16] أعزاء أتقياء.

﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴿١٧﴾﴾ [الآية 17] دعاء عليه بأشنع الدعوات وتعجب من إفراطه في الكفران بأنواع التنعمات، والمعنى لعن ما أعظم كفره وما أقل شكره.

قال ابن عطاء: منع الإنسان على طريق الخيرات لجهله بطلب رشده المهمات.

﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٨﴾﴾ [الآية 18] بيان لما أنعم عليه خصوصاً من مبدأ ما أحدثه ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴿١٩﴾﴾ [الآية 19] أطوار إلى أن تمَّ خلقه ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾ [الآية 20] ثم سهل مخرجه من بطن أمه بأن فتح فوهة الرحم وألهمه أن ينكس لنزوله، والمعنى ذلّل له سبيل الخير والشر، وفيه إشعار بأن الدنيا طريق العقبى وممرها ومعبرها ولذا عقبه بقوله: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴿٢١﴾﴾ [الآية 21] أي جعله ذا قبر لئلا تفترسه السّباع والطيور ولا يفتضح بتغير الأمور.

﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُ ﴿٢٢﴾﴾ [الآية 22] أي أحياه وبعثه من قبره لحشره ونشره ﴿كَلَّا﴾ [الآية 23] ردع للإنسان عما هو عليه من شدة كفره وقلة شكره ﴿لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُ﴾ [الآية 23] بأسره إذ لا يخلو أحد من تقصير ما في أمره.

وقال الأستاذ: ولم يقض الله له ما أمره به ولذا عصاه.

﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾﴾ [الآية 24] اتباع للنعم الذاتية بالنعم الخارجية

﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾﴾ [الآية 25] استئناف مبين لكيفية إحداث الطعام لسائر الأنام. وقرأ الكوفيون بالفتح على البدل منه بدل الاشتمال.

﴿ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾﴾ [الآية 26] أي بالنبات ﴿فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾﴾ [الآية 27] كالحنطة والشعير ﴿وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾﴾ [الآية 28] يعني الرطبة لأنها تقضب مرة بعد أخرى أي تقطع ﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾﴾ [الآيتان 29،30] جمع غلبى أي عظاماً، وصف به الحدائق لتكاثف أشجارها وكثرة أثمارها ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾ [الآيتان 31،32] فإن الأنواع المذكورة بعضها طعام أنام / وبعضها علف أنعام. 386/ ب

وفي «تفسير السلمي»: صب ماء معانيه على قلوب أهل معاملته فانشق منها معرفة ووجداً وعلماً وحلماً ثم أنبت فيها محبة وهيبة وحكمة وفهماً.

وأفاد الأستاذ: أن في لسان الإشارة صببنا ماء الرحمة على القلوب القاسية فكانت للتوبة وصببنا ماء المعرفة على القلوب الصافية فنبت فيها أزهار التوحيد وأثمار التجريد.

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾﴾ [الآية 33] أي القيامة بالنفخة الثانية وصفت بها مجازاً لأن الناس يصخُّون لها أي يصفون إليها وقيل الصاخة صيحة تصم لشدّتها.

﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾﴾ [الآيات 34-36] لاشتغاله بشأنه وعلمه بأنهم لا ينفعونه في زمانه ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [الآية 37] يكفيه في الاهتمام بما فيه، وقرىء يعنيه أي يهمّه ويدنيه. قال عبد الله بن طاهر الأبهري: يفر منهم إذ ظهر له عجزهم وقلة حيلتهم إلى من يملك كشف كربتهم ولو ظهر له في الدنيا هذا المعنى لما اعتمد سوى ربه المولى.

وقال الأستاذ: أي لا يتفرع هذا إلى ذلك إلى هذا كذلك. قالوا: الاستقامة أن يشهد الوقت كالقيامة فما من ولي وعارف إلا وهو اليوم بقلبه يفر من أخيه وأمه وأبيه وبنيه وفصيلته التي تؤويه ومن في الأرض جميعاً لأن ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ [الآية 37] فالعارف مع الخلق بقالبه ولكنه

يفارقهم بقلبه. قالوا:

ولقد جعلتك في الفؤاد محدّثي   وأبحت جسمي مَن أراد جلوسي[1]

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾﴾ [الآيتان 38، 39] منبسطة ﴿مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ [الآية 39] فرحة لما ترى من أنواع النعمة وأصناف المنة.

وقال ابن عطاء: كشف عنها ستور الغفلة فضحكت بالدنو من الحق وقربته واستبشرت بمشاهدته ورؤيته.

وأفاد الأستاذ: إن سبب استبشارهم مختلف، فمنهم مَن استبشاره لوصوله إلى جنته، ومنهم لوصوله إلى حور العين وشهوته، ومنهم لنظره إلى ربّه ورؤيته من غير حجب غرته.

﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الآية 40] غبار وكدرة ﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾﴾ [الآية 41] يغشاها سواد وظلمة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾ [الآية 42] أي الذين جمعوا بين الكفر والفجور ولذا جمع إلى سواد وجوههم الغبرة.

قال السري: ظاهر عليها حزن العبد عن الحضرة لأنها صارت محجوبة به وعن الباب مطرودة.

(1) ذكره القشيري في تفسيره (8/ 41).

سورة التكوير

[مكيّة]
وهي تسع وعشرون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله كلمة أثلجت[1] من قوم قلوباً وأوهجت من آخرين، قلوباً من المطيعين أثلجتها ومن العاصين أوهجتها، أزعجت من قوم قلوباً أي أحزنت منهم وأبهجت من قوم قلوباً، فمن المريدين أبهجتها ومن العارفين أزعجتها.

﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١﴾ [الآية 1] لُفَّ ضوؤها فزال نورها وذهب ظهورها ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢﴾ [الآية 2] سقطت على الأرض وانتشرت ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣﴾ [الآية 3] / أزيلت عن مقارها وانبثت ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ﴾ [الآية 4] النوق 387/ أ اللاتي أتى على حملهن عشرة أشهر جمع عُشَرَاء وهي أعزّ أموال العرب من الأغنياء ﴿عُطِّلَتْ﴾ [الآية 4] تركت وأهملت.

﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [الآية 5] جميعها حتى الذباب كما قال قتادة حشرت تجمّعت وبُعِثَت للقصاص ثم أُميتت.

﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦﴾ [الآية 6] أوقدت، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالتخفيف.

﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧﴾ [الآية 7] أي قرنت الأرواح بالأشباح أو كل من

---

(1) أي بردت.

الأشخاص بشكله من أهل خيره وشره أو نفوس المؤمنين بالحور العين ونفوس الكافرين بالشياطين.

﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ﴾ [الآية 8] المدفونة حية على عادة الجاهلية من وأد بناتهن مخافة حاجاتهن ومراعاتهن ﴿سُئِلَتْ﴾ [الآية 8] تبكيتاً لوائدها وتوبيخاً لدافنها ﴿بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾﴾ [الآية 9] حكاية بالمعنى وإلا فقتلت رعاية للمبنى.

﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ﴾ [الآية 10] أي صحف الأعمال ﴿نُشِرَتْ﴾ [الآية 10] بسطت بعدما طويت أو بين أصحابها فرِّقت، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي بالتشديد.

﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾﴾ [الآية 11] نزعت وقلعت ﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾﴾ [الآية 12] أُوقِدَت، وقرأ نافع وابن ذكوان وحفص بالتشديد ﴿وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ [الآية 13] أي قربت للمؤمنين لقوله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الشُّعَرَاء: الآية 90].

وقال القاسم: زخرفت بسور اللقاء وحسن الجوار ومواصلة العطاء ورضا المولى على وجه البقاء.

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾ [الآية 14] أي كل نفس ﴿مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ [الآية 14] من خيرها وشرها والجملة جواب إذ والمعنى أن هذه الأشياء تحصل عند قيام القيامة.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾﴾ [الآية 15] بالكواكب الرواجع من خنس إذا تأخر وهي ما سوى النيرين من السيارات السبعة ولذا وصفها بقوله ﴿ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾﴾ [الآية 16] أي السائرات التي تختفي تحت ضوء الشمس ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾﴾ [الآية 17] أقبل أو أدبر ﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾﴾ [الآية 18] أي أضاء وأسفر، عبر به عن إقبال روح ونسيم ظهر أقسم بهذه الأشياء، وجوابه قوله: ﴿إِنَّهُۥ﴾ [الآية 19] أي القرآن ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [الآية 19] يعني به جبريل عليه السلام لأنه قاله عن كلام الملك العلَّام ﴿ذِى قُوَّةٍ﴾ [الآية 20] كقوله: ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النجم: الآية 5] وبلغ من قوته أنه قلع قرى قوم لوط وقلبها ﴿عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [الآية 20] عند الله

صاحب مكانة ﴿مُّطَاعٍ﴾ [الآية 21] بين الملائكة ﴿ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [الآية 21] على وحي الرسالة، وثم يحتمل اتصاله بما قبله وما بعده.

﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الآية 22] كما تتهمه الكفرة لأن المجانين أصحابهم الجن لا الملائكة ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ﴾ [الآية 23] أي رأى رسول الله جبريل الأمين ﴿بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ [الآية 23] بمطلع الشمس الأعلى في ليلة الإسراء ولقد رآه مرة أخرى عند سدرة المنتهى ﴿وَمَا هُوَ﴾ [الآية 24] أي محمد ﴿عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ [الآية 24] على ما يخبره من الوحي إليه وغيره من ظهور الغيوب لديه ﴿بِضَنِينٍ﴾ [الآية 24] بمتهم من الظنة وهي التهمة. وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة بضنين من الضنّ وهو البخل أي لا يبخل بالتبليغ والتعليم.

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [الآية 25] يسترق السمع ويلقي إلى الكهنة ويضم إليه بأنه كذبة ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الآية 26] استضلال لهم فيما يسلكونه في أمر الرسول والقرآن كقولك لتارك الجادة: أين تذهب وقد ظهر المذهب. وفي الكلام إشارة/ إلى أنه تبين آثار الحق وظهر أنوار الوجود المطلق فأين الذهاب 387/ ب وأين الأياب لا وزر إلى ربك يومئذ المستقر ففروا إلى الله عما سواه.

وقال الواسطي: الخلق كلهم مقبوضون تحت رقّ الملك محجوبون بعزَّة الملك عن قوله ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الآية 26] وهو الذي يطمس الرسوم ويعمي الفهوم ويترك الأجسام صفاً صفاً قائماً صفصفاً لا يلحقه العبارة ولا يدركه الإشارة فإن الكون أقل خطراً وأضعف أثراً من أن يكون له سبيل إلى تحقيق العبارة أو طريق إلى تدقيق الإشارة ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الآية 26] من ضعف إلى ضعف، ارجعوا إلى فسحة الربوبية ليستقر بكم قرار العبودية.

وقال جنيد: معنى الآية مقرون إلى آية أخرى وهي قوله: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾ [الحجر: الآية 21] فأين تذهبون، فمن طلب مالنا لا يجده عند غيرنا ومن طلبنا أسقطنا عنه تعب الطلب وكفاله أي عين المقصود والمطلب.

وقال الأستاذ: كيف تطوّحتم في أودية الظنون، كيف تذهبون عن شهود

مواضع الحقيقة ومنازل الطريقة، وهلّا رجعتم إلى مولاكم فيما سرّكم أو ساءكم.

﴿إِنْ هُوَ﴾ [الآية 27] ما هذا القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الآية 27] تذكير لذوي العقول منهم أو شرف لهم لظهور النور فيهم ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾﴾ [الآية 28] أي يتحرى الحق وملازمة الدين القويم وإبداله من العالمين لكونهم المنتفعين بالتذكير المبين.

قال سهل: لمن شاء منكم أن يستقيم على الطريق بالإيمان والتصديق ولا يصح لكم تلك المشيئة والاستقامة إلا بأن يشاء الله لكم ذلك على وجه الكرامة.

﴿وَمَا تَشَاءُونَ﴾ [الآية 29] أي الاستقامة يا من يشاءها ﴿إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الآية 29] أن تشاؤوا أي إلّا وقت أن يشاء مُشيئكم فله الفضل والمنة عليكم في استقامتكم ﴿رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الآية 29] مالك الخلق أجمعين.

قال الواسطي: أظهر عجزك في جميع صفاتك فلا تشاء إلا بمشيئته ولا تعمل إلا بقوته ولا تطيع إلا بفضله وإحسانه ولا تعص إلا بعدله وخذلانه فماذا تبقى لك من عملك وبماذا تعجز من أفعالك وليس شيء إليك من فعلك.

سورة الانفطار

[مكيّة]
وهي تسع عشرة آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله كلمة ليس يسمو إلى فهم كل خاطر فخاطر غيرها عن علم الحقيقة متقاطر.

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١﴾ [الآية 1] أي انشقت ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢﴾ [الآية 2] تساقطت وتناثرت ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣﴾ [الآية 3] فتح بعضها إلى بعض فصار الكل بحراً واحداً ثم سجرت ﴿وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝٤﴾ [الآية 4] قُلِبَ ترابها وأُخرج موتاها وبُعثت ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾ [الآية 5] أي كل نفس ﴿مَّا قَدَّمَتْ﴾ [الآية 5] من حسنة ﴿وَأَخَّرَتْ﴾ [الآية 5] من سيئة.

قال أبو عثمان: ما قدمت من خير وأخّرت من شرّ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦﴾ [الآية 6]/ أي أيَّ شيء خدعك 388/ أ
وجرّأك على عصيانه، وذكر الكريم للمبالغة في المنع عن الاغترار فإن محض الكرم لا يقتضي تسوية الموالي والمعادي والمطيع والعاصي فكيف إذا انضم إليه صفة المنتقم والقهار وللإشعار بما يغرّه به الشيطان الرجيم فإنه يقول له: افعل ما شئت فربك الكريم. وللدلالة على أن كثرة كرمه تقتضي الجد في طاعته لا الانهماك في معصيته.

وقال جعفر الصادق: ما الذي أقعدك عن خدمة مولاك. وقال عمر بن الخطاب: لو قيل لي ما غرّك بي لقلت جهلي بك غرّني، كذا ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه سأله وفي نفس السؤال كان لقّنه الجواب حتى يقول غرّني كرمك ولولا كرمك ما فعلت لأنك رأيت فسترت وقدّرت فأمهلت. ويقال: إن المؤمن وثق بحسن إفضاله واغترّ بطول إمهاله فلم يرتكب الزلّة لاستحلاله ولكن طول حلمه عنه حمله على إصراره على سوء خصاله كما قلت لقوله: مولاي أما تستحي مما أرى من سوء أفعالك، فقلت: يا مولاي رفقاً فقد أفسدني كثير إفضالك، قلت: لو قال أجداني بدل أفسدني لكان أصلح مبنى ومعنى.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ﴾ [الآية 7] أوجدك من العدم بمحض الكرم ﴿فَسَوَّىٰكَ﴾ [الآية 7] فجعل أعضاءك مستوية في مواضعها مستقيمة لمنافعها ﴿فَعَدَلَكَ﴾ [الآية 7] جعل بُنيتك معتدلة الأجزاء متناسبة الأعضاء. وقرأ الكوفيون: فعدلك، بالتخفيف أي عدل بعض أعضائك ببعض حتى اعتدلت باعتبار أجزائك.

قال جنيد: تسوية الخلق بالمعرفة وتعديلها بالإيمان يعني بإظهار الطاعة. وقال ذو النون: خلقك فسواك أوجدك فسخّر لك المكونات ولم يسخّرك لشيء من الممكنات.

﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [الآية 8] أي ركبك في أي صورة شاءها وما مزيدة لاستغراق معناها.

قال الواسطي: أي في صورة المطيعين أو العاصين، فمن ركّبه على صورة الولاية ليس كمن صوّره على صورة العداوة.

وقال الأستاذ: في أي صورة من الحسن والقبح والطول والقصر، ويصح أن تكون الصورة هنا بمعنى الصفة، وفي بمعنى على، فيكون المعنى على أي صفة ما شاء ركّبك من السعادة والشقاوة والطاعة والمعصية.

﴿كَلَّا﴾ [الآية 9] ردع عن الاغترار بكرم الغفار ﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ﴾ [الآية 9] أي دين الإسلام أو جزاء يوم القيامة ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَـٰتِبِينَ ﴿١١﴾

يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الآيات 10-12].

قال أبو عثمان: مَن لم يزجره عن مخالفة الله مراقبة الله إياه ونظره إليه ومحافظته عليه كيف يردعه الكرام الكاتبون لديه.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه خوّفهم بعلم الملائكة وكتابتهم أعمال الخلق لتقاصر حشمتهم من اطّلاع الحق ولو علموا ذلك حق علمهم لكان توقّيهم المخالفة لرؤيته واستحياء من اطّلاعه ثم من رؤية الملائكة.

﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ/لَفِي نَعِيمٖ ﴿١٣﴾﴾ [الآية 13] وهم المؤمنون اليوم في نعمة العصمة 388/ب
وغداً في نعمة الكرامة وسعته ﴿وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ﴾ [الآية 14] وهم الكفار ﴿لَفِي جَحِيمٖ﴾ [الآية 14] اليوم جهنم باستحقاق اللعنة والإصرار على الشرك الموجب للفرقة وغداً في نار الحرقة على وجه التخليد والتأبيد. ويقال: إن الأبرار لفي نعيم الرضا وروح الذكر والثناء وسر الإنس والبهاء، وإن الفجار لفي ضيق قلبهم وسخطهم على التقدير وضيق اختيارهم وظلمات التدبير، كذا في تفسير الأستاذ.

وقال جعفر الصادق: النعيم المعرفة والمشاهدة والجحيم هي النفس والمجاهدة فإن لها النيران الموقدة. وقيل: القناعة هي النعيم والطمع هو الجحيم.

وقال محمد بن الفضل: إن الأبرار لفي نعيم بذكر مولاهم وإن الفجار لفي جحيم بتقلُّبهم في متابعة هواهم.

﴿يَصۡلَوۡنَهَا﴾ [الآية 15] يدخلون نارها ويقاسون حرها ﴿يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾ [الآية 15] وقت جزائهم بها ﴿وَمَا هُمۡ عَنۡهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الآية 16] لخلودهم فيها. وقيل: وما يغيبون عنها قبل ذلك إذ كانوا يباشرون أسبابها هنالك.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾﴾ [الآيتان 18،17] تفخيم لأحواله وتعجيب لأهواله أي أعجب بدار لا يدرك كنه أمره دار ﴿يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [الآية 19] من النفع والدفع استقلالاً ﴿وَٱلۡأَمۡرُ

يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ﴾ [الآية 19] تقرير لشدة هوله وفخامة أمره إجمالاً. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: ويوم بالرفع على البدل من يوم الدين أو الخبر للمبتدأ المقدر.

قال الواسطي: الأمر اليوم ويومئذ لله ولم يزل ولا يزال لله ولكن الغيوب بحقيقتها ما لا يشاهد الأكابر من الأولياء، وهذا الخطاب للعام فإنهم إذا شاهدوا الغيب تيقنوا أن الأمر كله لله فأما أهل المعرفة فمشاهدتهم للأمر اليوم كمشاهدتهم يومئذ لا يزيدهم مشاهدة الغيب تحقيقاً وعياناً على مشاهدتهم له وتصديقاً وبرهاناً كعامر بن عبد قيس حيث قال: لو كُشِفَ الغطاء ما ازددت يقيناً، وكحارثة أخبر بحضرة النبي ﷺ بقوله كأني أنظرهُ.

وأفاد الأستاذ: أن الأمر لله يومئذ وقبله وبعده ولكن ينقطع الدعاوى ذلك اليوم ويتضح الأمر على عموم القوم، وتصير المعارف ضرورية.

سورة المطففين

[مكيَّة]
وهي ست وثلاثون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله اسم جليل جلاله لا بأشكال وجماله لا على احتذاء ومثال، وأفعاله لا بأعراض وأعلال، وقدرته لا بجلادة واحتيال، وعلمه لا بضرورة واستدلال، فهو الذي لم يزل ولا يزال ولا يجوز عليه الفناء والزوال.

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١﴾ [الآية 1] أي نكال عظيم ووبال جسيم للباخسين المنقصين ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟﴾ [الآية 2] حقوقهم ﴿عَلَى ٱلنَّاسِ/ يَسْتَوْفُونَ ۝٢﴾ [الآية 2] 389/ أ
يأخذونها وافية أي منهم، ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ﴾ [الآية 3] أي كالوا أو وزنوا للناس ﴿يُخْسِرُونَ﴾ [الآية 3] أي ينقصون من حقوقهم.

﴿أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤﴾ [الآية 4] فإن مَن ظنَّ ذلك لم يجترىء على مثل هذه التباريح فكيف من يتيقنه وعلم أنه يحصل به الفضائح وفيه إنكار لحسن مآلهم وتعجيب من قبح فِعالهم.

قال حمدون القصار: إذا أخذت الميزان بيدك فاذكر ميزان القسط عندك. وقيل: التطفيف لمن يبصر عيوب أخيه ويعمى عن عيوبه.

وقال أبو عثمان: حقيقة معنى هذه الآية ـ والله أعلم ـ عندي هو من أحسن العبادة على رؤية الملأ ونسي ذلك إذا خلا، قال تعالى: ﴿أَلَا يَظُنُّ

أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ﴾ [الآية 4] أي أنهم لا بد لهم من محاسبة أحوالهم والرجوع إليَّ بأعمالهم.

وقال أبو حفص: من علم أنه مبعوث ومُحاسب ثم لا يجتنب الذنوب والمعاصي والمخالفات أجمع فقد أخبر عن سرّه أنه غير مؤمن بالبعث والحساب.

وأفاد الأستاذ: أن المطفف الذي يُنقص الكيل والوزن وأراد بهم الذين عاملوا الناس فإذا أخذوا لأنفسهم استوفوا وإذا دفعوا إلى مَن يعاملهم نقصوا ذلك في الوزن والكيل وفي إظهار العيب وإخفائه وفي القضاء والأداء والاقتضاء بمنزلة. ويقال: مَن لم يرض لأخيه المسلم ما يرضاه لنفسه فليس بمنصف، يعني بل هو مطفف وكذا في المعاشرة والصحبة ورؤية العيب من هذه الجملة وتبصر في العين متى القضاء وفي عينك الخدع لا تبصر والفتى من يقضي حقوق الناس ولا يقتضي من أحد لنفسه حقاً.

﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ﴾ [الآية 5] ألا يستيقنون أنهم غداً يُحاسبون وبحقوق الناس يُطَالَبُون. ويقال: مَن لم يذكر في حال المعاملة معاينة يوم القيامة فهو في الخسارة والندامة ﴿لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ۝٥﴾ [الآية 5] أي حساب زمان هوله عظيم.

﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ﴾ [الآية 6] نصب بمبعوثون أو بأعني ﴿لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الآية 6] لحكمه عليهم أجمعين.

وأفاد الأستاذ: أن من كان صاحب مراقبة استشعر الهيبة في عاجله كما يكون حال الناس في المحشر حال آجله لأن اطلاع الحق اليوم اطلاعه يومئذ.

﴿كَلَّآ﴾ [الآية 7] حقاً ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ﴾ [الآية 7] ما يكتب من أعمالهم ﴿لَفِي سِجِّينٖ﴾ [الآية 7] كتاب جامعٍ لأعمال الفجرة من الثقلين كما قال: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ

مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾﴾ [الآيتان 8،9] أي مسطور بين الكيان معلوم فعيل من السجن لقب به الكتاب لأنه مطروح تحت الأرضين.

وقال الأستاذ: أي مكتوب كتب الله فيه ما هم عالمون وإليه صائرون وإنما المكتوب على بني آدم في الخير والشر والسعادة والشقاوة على ما تعلق به الخبر من قوله وإنما أخبر على الوجه الذي علم أنه/ يكون أو لا يكون 389/ ب أراد أن يكون أو لا يكون ثم إنه لم يطلع سبحانه على أسرار خلقه إلا من شاء من المقرّبين بالقدر الذي أراده أن يجري عليهم في دائم أوقاتهم ما سبق لهم به التقدير في جريان حالاتهم.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾﴾ [الآيتان 10،11] صفة موضحة ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ﴾ [الآية 12] أي متجاوز عن نظر التأبيد بعيد عن التحقيق للغلو في التقليد حتى استقصر قدرة الله والإرادة واستحال منه البعث والإعادة ﴿أَثِيمٍ﴾ [الآية 12] منهمك في شهوات العادة ومبالغ في الغفلة عن العبادة بحيث شغلته الدنيا عما وراءها وحملته على الإنكار لما عداها.

﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾﴾ [الآية 13] أي هي أكاذيب المتقدمين وهذا من فرط جهالته وغاية ضلالته فلا ينفعه شواهد النقل كما لم ينفعه دلائل العقل.

﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الآية 14] رد لما قالوا وبيان أدى بهم إلى ما تفوهوا بأن غلب عليهم حب المعاصي بانهماكهم حتى صار ذلك صدأً على قلوبهم فعمي معرفة الحق والباطل عليهم كما ورد أن العبد كلما أذنب ذنباً حصل في قلبه نكتة سوداء حتى اسودّ قلبه والرّين الصّداء الداراني الرّان والقسوة ميراث الغفلة فمن تيقظ وتذكر أمن الرّين والقسوة ودواؤهما إدمان الصيام فإن وجد بعد ذلك قسوة فليترك الإدام.

﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الآية 15] فلا يرونه ومفهوم أنه يراه المؤمنون.

قال القاسم: حجبهم في الدنيا عن مولاهم المعصية وفي الآخرة البدعة انتهى، وفيه كناية للمعتزلة النافية للرؤية.

وقال الأستاذ: كما أنهم اليوم ممنوعون من معرفته فهم غداً ممنوعون عن رؤيته.

﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾﴾ [الآية 16] ليدخلون النار ويحرقون بها في دار البوار ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الآية 17] في دار الدنيا بأن لا حساب ولا عقبى ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾﴾ [الآية 18] في أعلى الأمكنة من سدرة المنتهى أو السماء السابعة ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾﴾ [الآيتان 19، 20] فيه أعمالهم مكتوبة ﴿يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الآية 21] بحضرة الملائكة للمحافظة أو يشهدون على ما فيه يوم القيامة. قال أبو سعيد الخراز: للأبرار علامات أن يكون معصوماً عن المخالفات محفوظاً بأداء الطاعات لا يؤذي أحداً من المخلوقات ويعرف نِعَم الله عليه في جميع الأحوال ويرى نقصانه في جميع الأفعال.

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الآية 22] قال الأستاذ: اليوم في روح العرفان وراحة الطاعة والإحسان وإنس الرجاء وبسط الوصلة وغداً في الجنة وما وعدوا من فنون الزلفة والقربة.

﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ [الآية 23] أي الأسرّة ﴿يَنظُرُونَ﴾ [الآية 23] إلى ما لهم من أسباب المسرّة..

قال ابن عطاء: على أرائك المعرفة ينظرون إلى المعروف وعلى أرائك القربة ينظرون إلى الرؤوف.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أثبت النظر ولم يبيِّن/ المنظور إليه 390/ أ
لاختلافهم في أحوالهم فمنهم من ينظر إلى قصوره ومنهم إلى حوره ومنهم.... ومنهم .... والخواص على دوام الأوقات إلى ربهم ينظرون.

﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾﴾ [الآية 24] بهجة التنعم ونوره ورونقه وسروره.

وقال جعفر الصادق: لذّة النظر تتلألأ مثل الشمس في وجوههم إذا رجعوا من زيارة الله تعالى إلى بيوتهم، وقال بعضهم: يرى في تلك الوجوه إقبال الحق إليها فتنعمت بإقبال المنعم عليها.

وقال الأستاذ: أي من نظر إليه علم أنه أثر نظره إلى مولاه ما يلوح على وجهه، ويقال: إن أحوال المحب شهود عليه أبداً إن كان الوقت وقت غيبة وفراق فالشهود عليه نحوله وذبوله وحنينه وأنينه ودموعه وهجوعه وإن كان الوقت وقت وصال فاختياله ودلاله وسروره وحبوره ونشاطه وانبساطه.

﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾﴾ [الآية 25] شراب خالص أو طيب عتيق مختوم ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌۚ﴾ [الآية 26] أي مختوم أو ليّنه بالمسك أو الذي له ختام ومقطع هو رائحة المسك. وقرأ الكسائي خاتمة بفتح التاء إلى ما يختم به ويقطع.

وقال الأستاذ: مختوم قبل خصوم ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌۚ﴾ [الآية 26] ممنوع عن كل أحد، معدّ مدخر لكل أحد باسمه ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [الآية 26] أي فليرغب الراغبون. قال ذو النون: علامة المتنافس تعلق القلب به وطيران الضمير إليه والحركة عند ذكره والهرب من غيره والإنس بالوحدة والتأسف على ما سلف وتلقي البلاء بالصبر والنعماء بالشكر والتلذُّذ بالعبادات والتملُّق في المناجات.

﴿وَمِزَاجُهُۥ﴾ [الآية 27] أي كل ما يمزج به ﴿مِن تَسْنِيمٍ﴾ [الآية 27] عيناً علم لعين بعينها سميت تسميناً لارتفاع مكانها ورفعة شرابها بحسب شأنها.

﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الآية 28] فإنهم يشربونها صرفاً لأنهم لم يشتغلوا بغير الله ولم يلتفتوا إلى ما عداه ويمزج بسائر أهل الجنة لامتزاج عباداتهم فضلاً عن عاداتهم بالغفلة وانتصاب عيناً على المدح.

قال الواسطي: يشرب بها المقربون صرفاً على مشاهدة محبوبهم.

وقال الأستاذ: أي من عين تتسنم عليهم من علو. وقيل: ميزاب ينصب عليهم من فوقهم. ويقال: سمي تسنيماً لأن ماءه يجري في الهواء متنسّماً

فينصب في أواني أهل الجنة، فمنهم من يسقى مزجاً، ومنهم من يسقى صرفاً، الأولياء يسقون مزجاً والخواص يسقون صرفاً.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ﴾ [الآية 29] كرؤوساء المشركين ﴿كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ﴾ [الآية 29] كانوا في الدنيا يستهزؤون بفقر المؤمنين ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الآية 30] يغمز بعضهم بعضاً وبأعينهم يشيرون ﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الآية 31] متلذذين بالسخرية منهم. وقرأ حفص فاكهين أي معجبين.

﴿وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الآية 32] عن طريق اليقين ﴿وَمَآ
390/ ب أُرۡسِلُواْ/ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الآية 33] على المؤمنين ﴿حَٰفِظِينَ﴾ [الآية 33] يحفظون عليهم أعمالهم ويظهرون رشدهم وضلالهم ﴿فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الآية 34] حين يرونهم في النار أذلّاء مغلولين ﴿عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الآية 35] حال من يضحكون.

قال القاسم: ينظرون متعجبين إلى أهل الشهوات في الجنة ﴿هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ﴾ [الآية 36] أي هل جوّزوا وأثيبوا ﴿مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ [الآية 36] أي جزاءً وفاقاً لأفعالهم وطباقاً لأحوالهم، والاستفهام للتقرير.

وقال الأستاذ: يعني إذا رأوا أهل النار في النار يعذبون لا تأخذهم بهم رأفة ولا ترقّ قلوبهم رقّة بل يضحكون عليهم ويستهزؤون بهم ويعيّرونهم. قلت: لعل هذا خاص ببعضهم دون غيرهم.

سورة الانشقاق

[مكيّة]

وهي خمس وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: اسم عزيز داؤه كبرياؤه وسناؤه علاؤه وبهاؤه جماله وجلاله جماله، المعروف منه لطفه المألوف منه عطفه، كيف ما تمَّ للعبد فالعبد عنده إن أقصاه فالحكم حكمه وإن أدناه فالأمر أمره.

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١﴾ [الآية 1] أي تصدّعت ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾ [الآية 2] واستمعت لأمره وانقادت لحكمه ﴿وَحُقَّتْ﴾ [الآية 2] بالاستماع والانقياد لما أراد، وفي «تفسير السلمي» وردت عليها صفة الهيبة فانشقت وأذنت لربها أطاعت وحق لها ذلك وهو الذي أوجدها هنالك.

﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣﴾ [الآية 3] بسطت بأن تزال جبالها وتلالها ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا﴾ [الآية 4] ما في جوفها من الكنوز والموتى ﴿وَتَخَلَّتْ﴾ [الآية 4] وتكلفت في الخلو أقصى جهدها حتى لم يبق شيء في باطنها ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾ [الآية 5] في إلقائها وتخليتها ﴿وَحُقَّتْ﴾ [الآية 5] بانقيادها، وجوابه مقدر نحو: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ۝١٤﴾ [التكوير: الآية 14].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ [الآية 6] ساعٍ إلى لقاء جزائه ﴿كَدْحًا﴾ [الآية 6] جهداً وجدّاً ﴿فَمُلَٰقِيهِ﴾ [الآية 6] أي فملاقي ربك وكدحك فتلقاه بالخير خيراً وبالشر شراً.

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧﴾ [الآية 7] وهو المؤمن المحسن على ما

أفاد الأستاذ ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾ [الآية 8] سهلاً لا يناقش فيه أصلاً ﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾ [الآية 9] عشيرته المؤمنين أو فرقته المتقين أو أهله في الجنة من الحور العين ﴿مَسْرُورًا﴾ [الآية 9] بأنواع النعمة وأصناف المنة وأعلاها الرؤية.

وقال الأستاذ: حساباً يسيراً يسمعه كلامه سبحانه بلا واسطة فتخفف عليه سماع خطابه ما في الحساب من عتابه ويقال: يقول له ألم أفعل كذا، ألم أفعل كذا، يعدّ عليه أحشاؤه ولا يقل ألم تفعل كذا لا يذكّره عصيانه ﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩﴾ [الآية 9] بالنجاة والدرجات وما وجد من المناجاة
391/ أ وقبول الطاعات وغفران الزلات، ويقال: بأن يشفِّعه ربه فيمن / يتعلق به قلبه.

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠﴾ [الآية 10] أي يؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره وهو الكافر ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۝١١﴾ [الآية 11] يتمنى هلاكاً كثيراً ﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢﴾ [الآية 12] يدخل فيها ويحرق بها. وقرأ الحرميان والشامي والكسائي: ويصلى بصيغة المجهول مشدداً كقوله وتصليه جحيم، وقرىء مخففاً كقوله: ونصليه جهنم.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ﴾ [الآية 13] في الدنيا ﴿مَسْرُورًا﴾ [الآية 13] بطر بالجاه والمال فارغاً عن أمر الآخرة وحال المآل..

قال ابن عطاء: أي لنفسه متابعاً وفي هواه مسارعاً ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ [الآية 14] لن يرجع إلى الله تعالى ولن يبعث بعد البلى.

﴿بَلَىٰٓ﴾ [الآية 15] إيجاب لما بعد ﴿إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا﴾ [الآية 15] عالماً بأعماله مطلعاً على أحواله فلا يهمله بل يرجعه ويجازيه بما يستحقه.

قال الواسطي: كان به نصيراً حين خلقه ولأي شيء أوجده وما قدّر عليه من السعادة والشقاوة وما كتب عليه من أجله ورزقه وعمله.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ۝١٦﴾ [الآية 16] الحمرة التي ترى في أفق المغرب بعد الغروب، وعن أبي حنيفة إنه البياض الذي يليها ﴿وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ۝١٧﴾ [الآية 17]

وما جمعه وما ستره ﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ۝١٨﴾ [الآية 18] اجتمع أمره وتم بدره.

وقال الأستاذ: الشفق عند غروب شموس وصالهم إذا آمنوا بالفراق في بعض أحوالهم وذلك زمان قبض بعد بسط وأوان فرق عقب جمع. ﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ۝١٧﴾ [الآية 17] ليالي غيبتهم وهم بوصف الاشتياق أو ليالي وصالهم وهم في روح النهار أو ليالي طلبهم وهم بنعت القلق والاحتراق، ﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ﴾ [الآية 18] إذا ظهر سلطان العرفان على القلوب بلا حسن ولا نقصان.

﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ۝١٩﴾ [الآية 19] حالاً بعد حال مطابقة لأختها في الشدة وهي الموت ومواطن القيامة. وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي: لتركبن بالفتح على خطاب الإنسان باعتبار مبناه دون معناه.

وقال الأستاذ: ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٖ﴾ أي تارات الإنسان طفلاً ثم شاباً ثم كهلاً ثم شيخاً، ويقال: طالباً ثم واصلاً ثم متصلاً. ويقال: حالاً بعد حال من الفقر والغنى والصحة والسقم. ويقال: حالاً بعد حال في الآخرة من أنواع النعيم أو أوصاف النقم.

﴿فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٢٠﴾ [الآية 20] بيوم القيامة وقد ظهرت الحجة وزالت الشبهة ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَۤ ۝٢١﴾ [الآية 21] لا يخضعون لمعجزته ولا ينقادون لطاعته أو لا يسجدون لتلاوته لما روي أنه عليه السلام قرأ: ﴿وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب﴾ [العلق: الآية 19] فسجد بمن معه من المؤمنين وقريش تصفّق فوق رؤوسهم فنزلت[1].

391/ ب واحتج به أبو حنيفة/ على وجوب السجود فإنه ذم لمن سمعه ولم يسجد له. وعن أبي هريرة: أنه سجد فيها وقال: والله ما سجدت إلا بعد أن رأيت رسول الله ﷺ يسجد فيها[2].

(1) تفسير الرازي (16/ 429)، والكشاف (7/ 262)، وتفسير أبي السعود (9/ 134).
(2) تفسير أبي السعود (9/ 134).

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ٢٢﴾ [الآيـة 22] أي بـالـقـرآن ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ [الآية 23] بما يضمرون في صدورهم من الكفر والعدوان ﴿فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٢٤﴾ [الآية 24] استهزاء بهم ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الآية 25] فإنهم ليسوا منهم ﴿لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونِۭ﴾ [الآية 25] غير مقطوع بل موصول بهم وإن عجزوا عن أعمالهم بقدر من عرض أو مرض أو كبر أو سفر كما ورد في الخبر.

سورة البروج

[مكيّة]
وهي اثنتان وعشرون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: اسم من لا عقل يكتنهه، اسم من لا مثل يشبهه، اسم من لا فهم يرتقي إليه بالتصوير، اسم من لا علم ينتهي إليه بالتقدير، اسم مَن لا قطر يحويه ولا ستر يخفيه، ولا يصل إلى معرفته إلا مَن يرتضيه.

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١﴾ [الآية 1] يعني البروج الإثنى عشر، شُبِّهت بقصور العمارات لأنها تنزلها السيارات ويكون فيها الثابتات.

﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢﴾ [الآية 2] يوم القيامة ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣﴾ [الآية 3] أي ومن يحضر في ذلك اليوم من الخلائق على حسب المراتب وما أحضر فيه من الأحوال العجائب والأهوال الغرائب، أو النبي وأمته أو الخالق وخلقه أو عكسه أو يوم عرفة أو يوم النحر وجحيمه أو يوم الجمعة ومجمّعه فإنه يشهد له، أو كل يوم وأهله. فعن الحسن: ما من يوم إلا وينادي أنا يوم جديد وإني على ما تعمل فيَّ شهيد فاغتنمني فليس لي قيمة فلو غابت شمس لم تدركني إلى يوم القيامة.

قال فارس: كلاهما عائد عليه أي هو الناظر والمنظور إليه وهو الشاهد لخلقه والمشاهد لهم بوجود الإيمان وشهود العرفان.

وقال الواسطي: الخلق مشهود دون بما شاهدهم به في الأزل وبظهورهم عليهم العمل والأمل.

وقال أيضاً: الشاهد الحق والمشهود الخلق أعدمهم ثم أوجدهم. وقيل: الشاهد قول العبد والمشهود عليه عمله.

وقال الأستاذ: الشاهد الحجر الأسود لأن فيه كتاب العهد. ويقال: الشاهد الله شهد لنفسه بالوحدانية والمشهود هو لأنه شهد لنفسه بالفردانية. قلت: فهو الشاهد والمشهود والحامد والمحمود.

﴿قُتِلَ﴾ [الآية 4] أي لعن وأُبعد عن مقام الشهود ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ﴾ [الآية 4] وقيل: إنه جواب القسم على تقدير: لقد قتل.

وأفاد الأستاذ: إنه جواب القسم ﴿إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ١٢﴾ [الآية 12] لكن لا يخفى أنه بعيد ولو في المعنى شديد ثم ﴿ٱلۡأُخۡدُودِ﴾ [الآية 4] الحفيرة في الأرض إذا كانت مستطيلة، وقد روي مرفوعاً إن ملكاً كان له ساحر فلما كبر ضم
392/ أ إليه غلاماً ليعلِّمه وكان في طريقه راهب فمال قلبه إليه فرأى في طريقه ذات / يوم حية قد حبست الناس فأخذ حجراً وقال: اللهمَّ إن كان الراهب أحبَّ إليك من الساحر فاقتلها، فقتلها فكان الغلام بعد يبرىء الأكمه والأبرص ويشفي من الأدواء، وعمي جليس للملك فأبرأه فسأله الملك عمن أبرأه فقال ربي فغضب فعذّبه فدل على الغلام فعذّبه فدل على الراهب فلم يرجع الراهب عن دينه فقدّه بالمنشار وأرسل الغلام إلى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف فهلكوا ونجا فأجلسه في سفينته ليغرق فدعا فانكفأت السفينة بمن معه فغرقوا ونجا فقال للملك: لست بقاتلي حتى تجمع الناس وتصلبني وتأخذ سهماً من كنانتي وتقول: بسم الله ربّ هذا الغلام، ثم ترميني به، فرماه فوقع في صدغه ومات، فآمن الناس فأمر بأخاديد أوقد فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها.

جاءت امرأة معها صبي فتقاعست ـ أي تأخرت ـ فقال الصبي: يا أماه اصبري فإنك على الحق، فاقتحمت ـ أي دخلت ـ. وعن علي كرَّم الله وجهه أن بعض الملوك المجوس خطب بالناس وقال: إن الله أحلّ نكاح الأخوات، فلم يقبلوه فأمر بأخاديد النار وطرح فيها من أبى.

﴿ٱلنَّارِ﴾ [الآية 5] بدل الأخدود وبدل الاشتمال ﴿ذَاتِ ٱلْوَقُودِ﴾ [الآية 5] صفة لها بالعظمة والكثرة، والوقود ما نوقد به من الحطب وغيره ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا﴾ [الآية 6] على حافة النار ﴿قُعُودٌ﴾ [الآية 6] قاعدون على طريق النظار ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ [الآية 7] تقبيح لسوء أفعالهم وتوبيخ على فظاعة أحوالهم.

﴿وَمَا نَقَمُواْ﴾ [الآية 8] ما أنكروا ﴿مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ﴾ [الآية 8] استثناء من قبيل قولهم:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم   بهنّ فلول من قِراع الكتائب(1)

ويسمى تأكيد المدح بما تشبه الذم ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ [الآية 8] يخشى عقابه ﴿ٱلْحَمِيدِ﴾ [الآية 8] المنعم يرجى ثوابه ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 9] ظاهراً وباطناً ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [الآية 9] فلا ينبغي أن يعبد سواه ولا يجوز أن يلتفت إلى ما عداه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [الآية 10] بلوهم بالأذى وأحوجوهم إلى الشكوى إلى المولى في دفع البلوى من أصحاب الأخدود وغيرهم ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ﴾ [الآية 10] عن فعلهم ﴿فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾ [الآية 10] أي العذاب الزائد في الإحراق لفتنتهم. وقيل: المراد بالذين فتنوا أصحاب الأخدود بخصوصهم وبعذاب الحريق ما روي أن النار انقلبت عليهم فأحرقتهم واختاره الأستاذ حيث أفاد أن أصحاب الملك كانوا قعوداً حولها فخرجت النار فأحرقتهم أجمعين ونجا الذين كانوا في النار من المؤمنين.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الآية 11] أي في أوقات/ الليل والنهار 392/ ب
﴿لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الآية 11] أي الفضل الكبير.

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ﴾ [الآية 12] أي أخذه ﴿لَشَدِيدٌ﴾ [الآية 12] مضاعف عنفه ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ۝١٣﴾ [الآية 13] أي يبدئ الخلق ويعيده أو يبدئ البطش بالكفرة في

---

(1) هذا البيت منسوب للحارث بن أبي شمر الغساني. انظر الأنساب للصحاري (1/ 176).

الدنيا ويعيده في العقبى.

قال ابن عطاء: يبدئ بإظهار القدرة فيوجد المعدوم ثم يعيد بإظهار الهيبة فيفقد الموجود. وقال جعفر: يبدئ فيفنى عمن سواه ثم يعيد ببقائه.

وقال الأستاذ: يبدئ على حكم السعادة والشقاوة ثم يعيد عليه في الآخرة أو يبدلهم من الضعف.

﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ﴾ [الآية 14] لمن تاب ﴿ٱلْوَدُودُ﴾ [الآية 14] المحب لمن آب والمحبوب لمن أناب.

وقال الأستاذ: يغفر لهم كثيراً لأنه يودهم ويودّهم كثيراً لأنهم يودُّونه، يعني كما قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: الآية 54].

﴿ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ [الآية 15] أي خالقه ومالكه وهو سرير ملكه ومستقر حكمه في ملكه.

قال الواسطي: هو أعلى من أن يكون له فيه أو إليه حاجة تعالى شأنه بل أظهر العرش إظهار القدرة لا مكاناً لذاته، يعني أن الحادث القديم لا يصح أن يكون محل القديم ﴿ٱلْمَجِيدُ﴾ [الآية 15] العظيم في ذاته وصفاته فإنه واجب الوجود تام القدرة وكامل الحكمة في مصنوعاته. وقرأ حمزة والكسائي بالجر على أنه صفة للرب أو للعرش ومجده وعلُّوه وعظمه.

﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ [الآية 16] لا يمتنع عليه المراد من أفعاله وأفعال العباد ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ﴾ [الآيتان 17،18] يعني فرعون وقومه ﴿وَثَمُودَ﴾ [الآية 18] وهما بدل من الجنود ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾﴾ [الآية 19] ومعنى الإضراب أن حالهم أعجب من حال هؤلاء فإنهم سمعوا قصتهم ورأوا آثار هلاكهم وكذبوا أشد من تكذيبهم ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾﴾ [الآية 20] لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط المحيط.

﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾﴾ [الآية 21] أي بل هذا الذي كذبوا به كتاب

شريف، وفي النظم والمعنى وحيد ﴿فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾﴾ [الآية 22] من تحريف وشديد. وقرأ نافع: محفوظ بالرفع صفة للقرآن قال تعالى: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [يُوسُف: الآية 12].

قال سهل: محفوظ في صدر المؤمن محفوظ عليه أن يناله غير أهله لأن أهل القرآن أهل الله وخاصته.

قال الأستاذ: وجاء في التفسير إن اللوح المحفوظ خلق من درة بيضاء ودفّتاه من ياقوتة حمراء وعرضها بين السماء والأرض، وأعلاه يتعلّق بالعرش العظيم وأسفله في حجر ملك كريم، والقرآن الذي هو في اللوح المحفوظ كذلك محفوظ في قلوب المؤمنين قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [العَنكبوت: الآية 49] فهو في اللوح مكتوب وفي القلوب محفوظ ومحبوب.

سورة الطارق

[مكيَّة]

وهي سبع عشرة آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: اسم عزيز إذا أراد إعزاز عبد وفّقه لعرفانه ثم زيّنه
393/أ بإحسانه، ثم استخلصه بامتنانه فعصمه عن عصيانه/ وقام بحسن التولي في جميع أحواله لشأنه ثم قبضه على إيمانه ثم بوّأه في جنانه، ثم أكرمه برضوانه، ثم أكمل نعمته عليه برؤيته وعيانه.

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ①﴾ [الآية 1] الكوكب البادي بالليل ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ②﴾ [الآية 2] تفخيم لشأنه وتعظيم لبرهانه ﴿ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ③﴾ [الآية 3] المضيء كان يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه، وقيل وهو الذي يرمي به الشياطين من الرجوم والمراد به جنس النجوم.

وقال الأستاذ: وهو نجوم المعرفة التي تدل على التوحيد يستضيء بنورها ويهتدي بظهورها أولوا البصائر والسرائر.

﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ④﴾ [الآية 4] أي أن الشأن كل نفس لعليها حافظ رقيب لديها ناظر إليها وهو الله سبحانه، فإن هي المخففة واللام الفارقة وما الزائدة. وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة بالتشديد على إنها بمعنى إلا، وإن نافية والجملة جواب القسم.

﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ⑤﴾ [الآية 5] أي فليتأمل في مبدأ خلقته ليعلم صحة إعادته فلا يبدي لحافظه إلا ما يسرّه في عاقبته ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ⑥﴾

[الآية 6] أي ذي دفق وهو صب فيه دفع، والمراد الممتزج من المائين المجتمعين في الرحم لقوله: ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧﴾ [الآية 7] بين صلب الرجل وترائب المرأة وهي عظام صدرها وفيه إظهار كمال قدرته وإرادته وأنوار جمال علمه وكامل حكمته ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ﴾ [الآية 8] أي أنه سبحانه على بعثه وخلقه مرة أخرى ﴿لَقَادِرٌ﴾ [الآية 8] لأن القدرة على الشيء تقتضي القدرة على مثله والإعادة في معنى الابتداء.

﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩﴾ [الآية 9] يميِّز بين ما خبث من الأحوال وما طاب من الضمائر في المال ﴿فَمَا لَهُۥ﴾ [الآية 10] للإنسان ﴿مِن قُوَّةٍ﴾ [الآية 10] منعة في نفسه يمتنع بها ﴿وَلَا نَاصِرٍ﴾ [الآية 10] يمنعه ويدفع عنه ما حكم الله به.

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ۝١١﴾ [الآية 11] أي المطر لأن الله يرجعه وقتاً فوقتاً ﴿وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ۝١٢﴾ [الآية 12] أي الشق بالنبات والأشجار والعيون والأنهار ﴿إِنَّهُۥ﴾ [الآية 13] أي القرآن ﴿لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ [الآية 13] فاصل بين الحق والباطل ﴿وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ﴾ [الآية 14] فإنه خير كله ﴿إِنَّهُمْ﴾ [الآية 15] أي كفار مكة ونحوهم ﴿يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ [الآية 15] يحتالون حيلة في إطفاء نوره وإبطال ظهوره ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝١٦﴾ [الآية 16] وأقابلهم بكيدي فيهم وأعاملهم باستدراجي لهم وانتقامي منهم بحيث لا يخطر في ضميرهم ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الآية 17] أي أنظرهم ولا تشتغل بالانتقام منهم أو لا تستعجل بإهلاكهم ﴿أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا﴾ [الآية 17] إمهالاً يسيراً، والتكرير وتغيير البنية لزيادة التسكين والتسلية.

سورة الأعلى

[مكيّة]

وهي تسع عشرة آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: اسم عزيز من قصده وجده، ومن استشفعه أحمده، من طلبه عرفه فإذا عرفه لاطفه فإذا وجد لطفه ألفه وأنف أن يخالفه.

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ①﴾ [الآية 1] نزِّه اسمه عن الإلحاد فيه بالتأويلات السوأى وعن إطلاقه على غيره زاعماً أنهما فيه على حد سواء. وقيل: نزِّه اسم ربك عن تسبيحك. وقيل: نزِّه لسانك بعد ذكر ربك عن لغو وكذب في قولك.

393/ ب وقال / الأستاذ: أي سبِّح ربك بمعرفة أسمائه وأسبح يسيرك في بحار علائه واستخرج من جواهر علوّه وسنائه ما ترصّع به عقد مدحه وسنائه.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ②﴾ [الآية 2] خلقه بأن جعل له ما به يتأتى كماله ويتم معاشه ومآله ﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ③﴾ [الآية 3] فوجّه إلى فعاله طبعاً أو اختياراً بخلق أنواع الميل وأصناف الإلهامات ونصب الدلائل وإنزال الآيات.

وفي «تفسير السلمي»: خلق الخلق فسوّى بينهم في الخلقة وميَّز بينهم باختصاص الهداية فليس لأحد أن يفتخر على أحد بالخلقة إلا بخواص التقوى والهداية كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحُجرَات: الآية 13].

وقال الأستاذ: خلق كل ذي روح فسوّى أجزاءه وركّب أعضاءه على ما

خصّه به من النظم العجيب والبديع من التركيب والذي قدّر أجناس الأشياء وأنواعها وأصنافها وأشخاصها ومقادير ذواتها وصفاتها وأفعالها وآجالها. وقرأ الكسائي بتخفيف الدال من القدر بمعنى التقدير.

قال الواسطي: قدَّر السعادة والشقاوة عليهم ثم يسّر لكل أحد من الطائفتين بمسلوك ما قدَّر عليه.

وقال الأستاذ: قدّر ما خلقه فجعله على مقدار أراده وهدى كل حيوان إلى ما فيه رشده من المنافع وجلبها والمضار ودفعها بحكم الإلهام لتمام الأنام. ويقال: هدى قلوب الغافلين إلى طلب الدنيا فعمّروها وهدى قلوب العارفين إلى طلب العقبى فآثروها، وهدى قلوب الزاهدين إلى فناء الدنيا فرفضوها، وهدى قلوب العلماء إلى النظر في آياته والاستدلال بمصنوعاته فعرفوا تلك الآيات فلازموها، وهدى المريدين إلى عزّ وصفه فآثروه واستفرغوا جهدهم فطلبوه، وهدى العارفين إلى قدس نعته فراقبوه ثم شاهدوه، وهدى الموحدِّين إلى علاء سلطانه في توحُّد كبريائه فتركوا ما سواه وهجروه، وخرجوا عن كل معهود لهم ومألوف حتى قصدوه فلما ارتقوا عن حد البرهان ثم عن حدّ البيان ثم عمًّا كالعيان فعلموا أنه عزيز ووراء كل فصل وصل فرجعوا إلى وطن العجز وتوسّدوه.

﴿وَٱلَّذِىٓ أَخۡرَجَ ٱلۡمَرۡعَىٰ ﴿٤﴾﴾ [الآية 4] أنبت ما يرعاه الدواب في المأوى ﴿فَجَعَلَهُۥ﴾ [الآية 5] بعد خضرته ونضرته ﴿غُثَآءً﴾ [الآية 5] يابساً ﴿أَحۡوَىٰ﴾ [الآية 5] أسود.

وقال الأستاذ: أي هشيماً كالغثاء الذي فوق السيل.

﴿سَنُقۡرِئُكَ﴾ [الآية 6] على لسان جبريل عليه السلام وسنجعلك قارئاً حافظاً بالإلهام ﴿فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ [الآية 6] أي حتى لا تنسى أصلاً / لقوة الحفظ مع أنك أُمي 394/ أ ليكون ذلك آية أخرى لك مع أن الإخبار به عما يستقبل ووقوعه كذلك أيضاً من الآيات الكبرى.

﴿إِلَّا مَا شَآءَ﴾ [الآية 7] نسيانه بأن نسخ تلاوته وأخفى شأنه، أو المراد به القلة والندرة لما روي أنه عليه السلام أسقط آية حال قراءته في الصلاة فحسب أبيّ رضي الله عنه أنها نسخت فسأله فقال: نسيتها، ولا يبعد أن يكون الاستثناء للتبرك. وقيل: نهي وألِفه للإطلاق مراعاة للفاصلة أو على لغة من يثبت حرف العلة في المجزوم ويشير إليه قول الجنيد: لا تنس العمل به ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾ [الآية 7] أي ما ظهر من أعمالكم وبطن من أحوالكم أو إظهار القراءة وإسرارها. وقال محمد بن حامد: إعلان الصدقة وإخفاؤها.

وقال الأستاذ: أي السر والعلانية.

﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ۝٨﴾ [الآية 8] عطف على سنقرئك وما بينهما اعتراض أي نعدّك للطريقة اليسرى في الديانة ونوفقك لها بالهداية، ﴿فَذَكِّرْ﴾ [الآية 9] بعدما استقام لك الأمر واستقام لك الذكر ﴿إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ [الآية 9] وإن لم تنفع فما عليك إلا البلاغ، فالكلام من باب الاكتفاء كقوله: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النّحل: الآية 81] أي البرد، وقيل إن بمعنى إذ نحو قوله: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المَائدة: الآية 57] للإشعار بأن التذكير بالتكرير إنما يجب إذا أمكن نفعه ولذا أمر بالإعراض عمن تولّى.

وأفاد الأستاذ: أن الذكرى تنفع لا محالة ولكن لمن وفقه الله للإتّعاظ به ومن كان المعلوم من حاله الكفر والإعراض فكما قيل:

وما انتفاع أخي الدنيا بمقلته   إذا استوت عنده الأنوار والظلم[1]

﴿سَيَذَّكَّرُ﴾ [الآية 10] سيتعظ وينتفع بها ﴿مَن يَخْشَىٰ﴾ [الآية 10] الله فإنه يتفكر فيها فيعلم حقيقتها وهو يتناول العارف بها والمتردد في أمرها ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا﴾ [الآية 11] أي ويتجنب الذكرى ﴿ٱلْأَشْقَى﴾ [الآية 11] أي الكافر فإنه أشقى من الفاجر ﴿ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝١٢﴾ [الآية 12] نار جهنم، فإنه عليه السلام قال: «ناركم

---

(1) نسب إلى المتنبي. انظر يتيمة الدهر (1/ 59).

هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم»[1].

﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۝١٣﴾ [الآية 13] حياة تنفعه معها ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ [الآية 14] أي وجد النجاة والظفر بالبغية والفوز بالطلبة ﴿مَن تَزَكَّىٰ﴾ [الآية 14] فطهر من الكفر والمعصية أو تطهر للصلاة أو أدّى الزكاة ﴿وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ﴾ [الآية 15] بلسانه وجنانه ﴿فَصَلَّىٰ﴾ [الآية 15] لقوله: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ﴾ [طه: الآية 14]، أو المراد بالذكر تكبيرة الإحرام فيفيد أنه شرط لا ركن لقوله ﴿فَصَلَّىٰ﴾ [الآية 15] بفاء التعقيب كما استدل به الإمام أبو حنيفة وقيل: تزكّى تصدق للفطر وذكر اسم ربه كبّر يوم العيد فصلى صلاته/ . 394/ ب

﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝١٦﴾ [الآية 16] فلا تفعلون ما يعدكم في العقبى، والخطاب لجنس الأشقى أو للكل فإن السعي للدنيا أكثر في الجملة من السعي للأخرى. وقرأ أبو عمرو بالياء.

وقال أبو العباس: مَن خسّت طبيعته آثر الدنيا ومن علَت همّته آثر العقبى، ومن شرف حاله آثر المولى.

وقال الأستاذ: أي يميلون إليها فيقدمون حظوظهم منها على حقوق الله وقيامهم بها.

﴿وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۝١٧﴾ [الآية 17] فإن نعيمها ملذّ بالذات خالص عن الآفات لا انقطاع له في الأوقات بخلاف الدنيا فإنها كثيرة العناء قليلة الغناء سريعة الفناء حبيسة الشركاء.

وأفاد الأستاذ: إن الآخرة للمؤمنين خير وأبقى من الدنيا لطلابها.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨﴾ [الآية 18] الإشارة إلى القرآن أو ما ذكر في السورة من الموعظة أو ما سبق من قد أفلح فإنه جامع أمر الدنيا وخلاصة

---

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (3265)، والحاكم في المستدرك (2/ 516) رقم (3770)، والطبراني في المعجم الكبير (9/ 217) رقم (9057).

الكتب المنزلة ﴿صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ [الآية 19] بدل من الصحف الأولى، والمراد بهما وأمثالهما لقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾﴾ [الشُّعَرَاء: الآية 196].

وقال الأستاذ: أي أن هذا الوعظ لفي الصحف الأولى المتقدمة وكذلك في صحف إبراهيم وموسى وغيره لأن التوحيد والوعيد لم يختلف بالشرائع.

سورة الغاشية

[مكيّة]

وهي ست وعشرون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: كلمة مَن سمعها وفي قلبه عرفان تلألأت أنوار قلبه، غَرِقت أنوار كربه، تضاعفت هواجم حبّه، تحيّرت في جلاله شوارق لبّه.

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ۝١﴾ [الآية 1] الداهية التي تغشى الناس بشدائدها يعني يوم القيامة أو النار لقوله: ﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [إبراهيم: الآية 50].

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢﴾ [الآية 2] ذليلة متواضعة ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣﴾ [الآية 3] تعمل تتعب فيه كجر السلاسل وخوضها في النار والصعود في تلالها والهبوط في وهادها، أو عملت ونصبت في أعمال لا تنفعها حينئذ.

وفي «تفسير السلمي»: قال بعضهم خشوع الظاهر ونصب الأبدان لا يقربان منه بل ربما يقطعان عنه وإنما يقرب السعادة الأزلية وخشوع السرية من الهيبة الإلٰهية وهو الذي يمنع صاحبه من جميع الأمور المنهية.

وقال الأستاذ: أي عاملة في الدنيا بالمعصية ناصبة في الآخرة بالعقوبة. ويقال: في الدنيا عاملة لكن من غير إخلاص كعمل الرهبان. وفي معناه عمل أهل النفاق والرياء. فإن اتِّصاف الأبدان والأشباح اليوم بصورة الطاعات مع فقد الأرواح وجدان المكاشفات والأسرار أنوار المشاهدات والقلب الإخلاص والصدق في الاعتقادات لا يجدي خيراً ولا ينفع شيئاً وهو كما

قال: ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝﴾ [الآيتان 3،4] تدخلها. وقرأ أبو عمرو وأبو بكر: تصلى من أصلاه الله، حامية متناهية في الحرارة.

﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ۝﴾ [الآية 5] بلغت آناها في الحر وغايتها ﴿لَّيْسَ لَهُمْ
395/ أ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝﴾ [الآية 6] وهو شوك ترعاه الإبل/ ما دام رطباً، وقيل: شجرة نارية تشبه الضريع. ولعله طعام هؤلاء والزقوم والغسلين طعام غيرهم، أو المراد طعامهم ما يتحاماه الإبل ويعافه لضره وعدم نفعه كما قال: ﴿لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ۝﴾ [الآية 7].

وأفاد الأستاذ: أن الضريع نبت له شوك بالحجاز وهو سم لا تأكله الدواب.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝﴾ [الآية 8] ذات نعمة وبهجة وافية ﴿لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾ [الآية 9] رضيت بعملها لما رأت ثوابه وفق أملها.

قال جنيد: جعل الطاعة والخدمة على الأشباح وخصّ بالمعرفة الأرواح.

وقال الحسين: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝﴾ [الآية 8] أي شاهدة بمشاهدة حقيقة عين الحق، وقيل: سعى فيها على رضاء من أعانها.

﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝﴾ [الآية 10] رفعة حسيَّة ومعنويَّة. قال السلمي: في كوامن القدس مقرَّبة.

وقال الأستاذ: أي عالية درجتها ومنزلتها وشرفها وهم بأبدانهم في درجاتهم ولكن بأرواحهم مع الله في عزيز مناجاتهم.

﴿لَّا تَسْمَعُ﴾ [الآية 11] أي الوجوه أو أيها المخاطب ﴿فِيهَا لَاغِيَةً﴾ [الآية 11] لغواً أو كلمة ذات لغو ونفساً تلغو فإن كلام أهل الجنة منحصر في الذكر والحكمة. وقرأ نافع بصيغة المجهول، وكذا ابن كثير وأبو عمرو ورفعوا لاغية إلا

أنهما قرآ بالتذكير.

وقال القاسم: تلك آذان مصونة عن سماع الأغيار بعد سماعهم من الحق حقائق الأسرار. وقيل: استغراق الحق في سماع الحق.

وقال الأستاذ: قوم يسمعون بالله وقوم يسمعون لله وقوم يسمعون مع الله. وفي الخبر: «كنت له سمعاً وبصراً فبي يسمع وبي يبصر»(1).

﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾﴾ [الآية 12] أي عيون يجري ماؤها ولا ينقطع بهاؤها.

وقال الأستاذ: تلك العيون الجارية اليوم بالبكاء وغداً لهم عيون ناظرة بحكم اللقاء.

﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾﴾ [الآية 13] رفيعة المحل والمرتبة.

قال القاسم: رتب مقربة ﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾﴾ [الآية 14] بين أيديهم مهيّأة ﴿وَنَمَارِقُ﴾ [الآية 15] مساند ﴿مَصْفُوفَةٌ﴾ [الآية 15] بعضها إلى بعض ﴿وَزَرَابِيُّ﴾ [الآية 16] بسط فاخرة ﴿مَبْثُوثَةٌ﴾ [الآية 16] مبسوطة.

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ﴾ [الآية 17] نظر اعتبار وتأمل ﴿إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الآية 17] خلق دالاً على كمال قدرته وجمال حكمته ﴿وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾﴾ [الآية 18] بلا عمد مع كمال رفعته. قيل: أشار بها إلى الأرواح كيف جالت في عالم الملكوت والجبروت ﴿وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾﴾ [الآية 19] رسخت. وقيل: أشار بها إلى قلوب العارفين كيف أطاقت جبل المعرفة. وقيل: أشار إلى أن أولياء الحق كيف نصبوا أعلاماً للخلق.

﴿وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ [الآية 20] بسطت، قيل: أشار بها إلى العقلاء كيف احتملوا مؤنة السفر. والمعنى أفلا ينظرون إلى أنواع المخلوقات من

---

(1) تفسير النيسابوري (4/ 19)، وتفسير الرازي (10/ 170).

البسائط والمركبات ليتحققوا كمال قدرة الخالق وحكمته فلا ينكروا اقتداره على بعث الخلق وإعادته. ولعل تخصيص هذه الأشياء لعموم وقوعها في نظر المكلفين.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه لما ذكر السرر المرفوعة قالوا: كيف يصعدها المؤمن؟ فقال: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ﴾ [الآية 17] إذا أرادوا الحمل
395/ب عليها أو الركوب فوقها / كيف تبرك لصاحبها فكذلك تلك السرر تتطامن حتى يركبها المولى ويستقر عليها. وإنما أنزلت هذه الآيات على وجه التنبيه على الاستدلال بالمخلوقات على كمال قدرة الله سبحانه على المكونات والقوم أكثرهم كانوا أصحاب البوادي فكانوا قلّ ما يرون شيئاً إلا السماء والأرض والجبال والجمال فأمرهم بالنظر في هذه الأشياء ثم في الإبل خصائص تدل على كمال قدرته تعالى منها ما فيه من إمكان الانتفاع بظهرها للحمل والركوب عليها ثم بنسلها ثم بلحمها ولبنها ووبرها، ومنها تسخيرها لنا حتى الصبي يأخذ بزمامه فتنجّر وراءه، ومنها صبرها على مقاساة العطش في سفرها وقت حرّها، ومنها قوتها على حمل كثير من محمولها، ومنها حروها إذا حقدت على طالبها، ومنها استرواحها إلى صوت مَن يحدوها عند تعبها وإعيائها، ومنها تعلقها بمن بوّأها.

﴿فَذَكِّرْ﴾ [الآية 21] يا محمد ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ [الآية 21] فلا عليك إن لم ينظروا ولم يتفكروا ولم يتذكروا ولم يعتبروا..

قال ابن عطاء: الموعظة للعوام والنصيحة للإخوان والتذكير للخواص.

وقال جنيد: الواعظ إلى الحقيقة مَن تكون موعظته على حد الإشراف يعظ كلاً على مقداره.

﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الآية 22] بمتسلِّط، وقرأ هشام بالسين على الأصل.

قال الواسطي: أي بعثت داعياً ولم تبعث هادياً ﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ

﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾﴾ [الآية 23] لكن مَن أعرض عن الإيمان وأصرّ على الكفران ﴿فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾﴾ [الآية 24] وهو عذاب الآخرة.

﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾﴾ [الآية 25] رجوعهم بالموت ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ [الآية 26] بالبعث ثم إن لنا ثوابهم أو عقابهم..

قال أبو بكر بن طاهر: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ﴾ في الفضل ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ بالعدل.

سورة الفجر

[مكيّة]
وهي سبع وعشرون آية[1]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: كلمة تكتفي من العابدين بقراءتهم لها ولكنها لا ترضى من المحبّين إلا ببذل روحهم فيها.

﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١﴾ [الآية 1] أقسم بالصبح كقوله: ﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝١٨﴾ [التكوير: الآية 18] أو بفجر عرفة أو النحر ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢﴾ [الآية 2] ذي الحجة أو عشر رمضان الأخير ﴿وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝٣﴾ [الآية 3] وقرأ حمزة والكسائي بكسر الواو أي والأشياء بأسرها شفعها ووترها أو يومي النحر وعرفة، وقد روي مرفوعاً، والخلق كقوله: ﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذّاريَات: الآية 49]، والخالق لأنه فرداً وشفع الصلاة ووترها.

وقال ابن عطاء: الفجر هو محمد ﷺ لأنه به تفجّرت أنوار الإيمان والإحسان وغابت ظلمة الكفر والكفران، وليال عشر: ليالي موسى عليه السلام التي أكمل ميعاده بقوله: ﴿وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ﴾ [الأعرَاف: الآية 142].

وأفاد الأستاذ: إن في التفسير أنه في المحرم لأنه ابتداء السنة. وقيل فجر ذي الحج، ويقال: هو ما تفجر منه الماء، ويقال: عشر المحرم لأن آخره عاشوراء، ويقال: هو فجر قلوب العارفين إذا ارتقوا عن حدّ العلم وأسفر صبح معارفهم فاستغنوا/ عن طلب البرهان بما تجلّى في قلوبهم من 396/ أ
البيان. ويقال: الشفع تضادّ أوصاف الخلق كالعلم والجهل والقدرة والعجز

---

(1) كذا في الأصل المخطوط.

والحياة والممات، والوتر انفراد صفات الله عما يضادها علم بلا جهل وقدرة بلا عجز وحياة بلا فوت. ويقال: الشفع الإرادة والنية والوتر الهمة لا يكتفي بالمخلوق ولا سبيل لها إلى الله لتقدّسه عن الوصل والفصل فبقيت الهمة عزيزة. ويقال: الشفع الزاهد والعابد لأن له شكلاً وقريناً والوتر الفريد يعني الوحيد في مقام التوحيد.

فريد عن الخلّان في كل بلدة إذا عظم المطلوب قلّ المساعد

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ۝٤﴾ [الآية 4] وقرأ ابن كثير يسري أي يمضي كقوله: في والليل إذا أدبري والتقييد به لما في التعاقب من قوة الدلالة على كمال القدرة وجمال النعمة.

﴿هَلۡ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٞ﴾ [الآية 5] أو المقسم به حلف أو محلوف به ﴿لِّذِي حِجۡرٍ﴾ [الآية 5] لذي عقل يعتبره وعن الغفلة يمنعه ويحجره، والمقسم عليه قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ۝١٤﴾ [الآية 14]، أو محذوف وهو لتعذبنّ يدل عليه قوله: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦﴾ [الآية 6] أي أولاد عاد بن عوض بن إرم بن سام بن نوح قوم هود عليه السلام ﴿إِرَمَ﴾ [الآية 7] عطف بيان لعاد على تقدير مضاف أي سبط إرم وقبيلته أو أهل إرم إن صح أنه اسم بلدتهم ومنع صرفه للعلمية والتأنيث ﴿ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ﴾ [الآية 7] ذات البناء الرفيع المثال أو العدود الطوال فإنها قيل كانت أربعمائة ذراع، وقيل كان لعاد ابنان شديد وشداد فملكا وقهرا ثم مات شديد فخلص الأمر لشداد وملك المعمورة ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فبنى على مثالها في بعض صحارى عدن جنة في ثلاثمائة سنة وكان عمره تسعماية سنة فجعل قصورها من الذهب والفضة وأساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها أصناف الأشجار المثمرة والأنهار المطردة وسماها إرم فلما تمّ سار إليها بأهله فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا. وعن عبد الله بن قلابة أنه خرج في طلب إبله فوقع عليها التي لم يخلق مثلها في البلاد صفة أخرى لإرم والضمير لها سواء جعلت اسم القبيلة أو البلدة.

﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخۡرَ﴾ [الآية 9] قطعوه واتخذوه منازل لقوله تعالى:

﴿وَتَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا﴾ [الشُّعَرَاء: الآية 149]، ﴿بِٱلۡوَادِ﴾ [الآية 9] وادي القرى وهو موضع معروف، قيل: بنوا ألفاً وسبعماية مدينة كلها من الأحجار المنحوتة.

﴿وَفِرۡعَوۡنَ ذِي ٱلۡأَوۡتَادِ ۝١٠﴾ [الآية 10] وجنوده ومضاربهم[1] التي كانوا يضربونها[2] إذا نزلوا ﴿ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ۝١١﴾ [الآية 11] صفة للمذكورين من عاد وثمود وفرعون ذوي العناد ﴿فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ ۝١٢﴾ [الآية 12] بالكفر وظلم العباد ﴿فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ۝١٣﴾ [الآية 13] ما خلط لهم من أنواع العقاب.

وقال الأستاذ: أي ما ضرهم به من العذاب، وقيل: شبه بالسوط ما
396/ب أحلّ بهم في الدنيا إشعاراً بأنه كالسوط بالقياس /إلى ما أعد لهم من العذاب في العقبى.

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ۝١٤﴾ [الآية 14] أي يسمع ويرى ما يجري فيما بين العباد. وقيل: بالمكان الذي يترقب فيه الرصد جمع راصد وهو تمثيل لإرصاد العصاة بالعقاب، والمعنى لا يفوته أحد من العباد.

﴿فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ﴾ [الآية 15] امتحنه بالغنى ويُسر الحال ﴿فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ﴾ [الآية 15] بالجاه والمال ﴿فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ﴾ [الآية 15] فضّلني بما أعطاني.

﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ﴾ [الآية 16] أي اختبره ﴿فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ﴾ [الآية 16] فضيّقه عليه بعسر الحال وفقر البال وتقتير المال ﴿فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ﴾ [الآية 16] لقصور نظره وسوء فكره فإن الفقر قد يؤدي إلى الكرامة في الدنيا والآخرة وإن الغنى قد يفضي إلى الإنهماك في حب الدنيا والاشتغال عن أمور العقبى ولذا ذمّه على قوله وردعه عن ظنه بقوله: ﴿كَلَّاۖ﴾ [الآية 17] وأثبت نافع والبزي باء أكرمن وأهانن وصلاً. وقرأ ابن عامر: فقدّر بالتشديد ﴿بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ﴾ [الآية 17]

---

(1) خيامهم.
(2) يبنونها.

﴿وَلَا تَحَٰٓضُّونَ﴾ [الآية 18] وقرأ الكوفيون ولا تحاضون ﴿عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ﴾ [الآية 18]، وقرأ أبو عمرو الأفعال الأربعة بالغيبة أي بل فعلهم أسوأ من قولهم وهو أنهم لا يكرمون اليتيم بالنفعة والشفقة ولا يحثون أهلهم على إطعام المسكين فضلاً عن سائر المبرّة.

﴿وَتَأۡكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ﴾ [الآية 19] أي الميراث وأصله الوراث ﴿أَكۡلٗا لَّمّٗا﴾ [الآية 19] فإنهم كانوا يأكلون المورث من الحرام والحلال عالمين بذلك الحال ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا ٢٠﴾ [الآية 20] أي كثيراً مع الحرص والشره وطول الآمال فيستحقون الإهانة على هذه الخصال.

﴿كَلَّآ﴾ [الآية 21] ردع لهم عن ذلك وما بعده وعيد على ما هناك ﴿إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا﴾ [الآية 21] أي دكاً بعد دكّ حتى صارت الجبال والتلال هباءً منبثاً ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الآية 22] أي ظهرت آيات قدرته وآثار قهره وعزته وعظمته كما يظهر عند حضور السلطان من آثار سياسته وهيبته أو جاء أمره وتبين حكمه ﴿وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا﴾ [الآية 22] أي جاءوا بحسب منازلهم ومراتبهم في مقامهم ﴿وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ﴾ [الآية 23] كقوله: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ﴾ [الشُّعَرَاء: الآية 91]، وفي الحديث: «يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»(1).

﴿يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ [الآية 23] معصيته ﴿وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ﴾ [الآية 23] أي منفعته.

وقال القاضي: أي يتعظ لأنه يعلم منجماً فيندم عليها. واستدل به على عدم وجوب قبول التوبة فإن هذا التذكُّر توبة غير مقبولة، انتهى. وهو غفلة عن سائر شروط التوبة إذ من جملتها وقوعها قبل العيان لقوله تعالى: ﴿فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَاۖ﴾ [غافر: الآية 85]، وقوله عليه السلام: «إن الله يقبل

---

(1) أخرجه مسلم في الصحيح (2842/ 29)، والحاكم في المستدرك (4/ 637) رقم (8758)، والترمذي في الجامع الصحيح (4/ 701) رقم (2573).

توبة العبد ما لم يغرغر»[1]. على أن تجويز عدم قبول التوبة يوجب تخلُّف
397/ أ الخبر وخلف الوعد في حقه سبحانه حيث/ قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ [الشّورى: الآية 25] نعم لا يجب على الله شيء في حد ذاته لكنه يجب وقوعه حيث ثبت إخباره في آياته.

﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ﴾ [الآية 24] أعمالاً صالحة ﴿لِحَيَاتِى﴾ [الآية 24] هذه في العقبى أو وقت حياتي في الدنيا ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ [الآيتان 25،26] الهاء لله لا يتولى عذاب الله ووثاقه يوم القيامة سواه إذ الأمر كله لله. وقرأ بهما الكسائي على بناء المفعول، ويقال: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ [الآية 27] وهي التي اطمأنت بذكر الله تعالى فإن النفس تترقى في سلسلة الأسباب والمسببات إلى الواجب لذاته فتستقر عند معرفته وتستغني بوجوده وشهوده عن غيره، أو الآمنة التي تستقر بلا خوف ولا حزن، وقد قرىء بها. وقرأ أُبي بن كعب: يا أيتها النفس الآمنة المطمئنة.

وقال ابن عطاء: المطمئنة هي العارفة بالله تعالى لا تصبر عنه طرفة عين. وقيل: يا أيتها النفس المطمئنة إلى الدنيا ارجعي إلى الله بتركها، والرجوع إلى الله مسلوك سبيل العقبى ﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ [الآية 28] إلى أمره أو موعده بالبعث ﴿رَّاضِيَةٍ﴾ [الحَاقَّة: الآية 21] بما أوتيت ﴿مَّرْضِيَّةً﴾ [الآية 28] عند الله.

وقال الأستاذ: أي راضية من الله مرضية من قِبَل الله ﴿فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾﴾ [الآية 29] في جملة عبادي ﴿وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾ [الآية 30] معهم من الآمنين أو في زمرة المقرّبين فيستضيء بنورهم فإن الجواهر القدسية كالمرائي المتقابلة، أو فادخلي في عبادي التي فارقت عنها وادخلي دار مثوبتي التي أعددت لأهل طاعتي وعبادتي.

(1) أخرجه ابن حبان في الصحيح (2/ 394) رقم (628)، وأبو يعلى في المسند (10/ 81) رقم (5717)، وأحمد في المسند (2/ 132) رقم (6160).

سورة البلد

[مكيّة]
وهي عشرون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ إخبار عن وُدّ الحق بنعت القدم، ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ إخبار عن بقائه بوصف العلاء والكرم كاشف الأرواح بقوله فهيّمهم، وكاشف النفوس بقوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ فتيّمهم، فالأرواح دهشى في كشف جلاله والنفوس عطشى إلى لطف جماله.

﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝٢﴾ [الآيتان 1،2] أقسم الله سبحانه بالبلد الحرام وقيّده بحلول رسوله عليه السلام في ذلك المقام إظهاراً لمزيد فضله وإشعاراً بأن شرف المكان من شرف أهله.

قال الواسطي: إن بحلولك فيها أقسم بها عظم البلد كما سماه طابه إذا طابت به وبمكانه.

﴿وَوَالِدٍ﴾ [الآية 3] وهو آدم أو إبراهيم عليهما السلام ﴿وَمَا وَلَدَ﴾ [الآية 3] ذريته أو محمد ﷺ، والتنكير للتعظيم وإيثار ما على من لمعنى التعجب كما في قوله: والله أعلم بما وضعت، أي بأي شيء وضعت أي بموضوع عجيب الشأن غريب البرهان.

وقال الأستاذ: كل والد وكل مولود جواب القسم/. 397/ ب

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ۝٤﴾ [الآية 4] تعب ووصب لا يزال في شدائد

المكابدة مبدأها ظلمة الرحم ومضيقه ومنتهاها الموت وما بعده وهو تسليته عليه السلام بما كان يكابده من قومه.

وقال ابن عطاء: في ظلمة وجهل.

وقال محمد بن علي: مضيعاً لما يعنيه مشتغلاً بما لا يغنيه. وقال بعضهم: ما دام الإنسان قائماً بطبعه واقفاً بحاله فإنه ظلمة ومحنة فإذا فنى عن أوصاف إنسانيته صار في راحة.

وقال الأستاذ: في كبد أي في مشقة يقاسي شدائد الدنيا وشدائد العقبى. ويقال: خلق في بطن أمه ثم نكّس عند خروجه من بطن أمه في القماط والشد والرباط ثم إلى الصراط ثم يوفى الهياط أو المياط.

﴿أَيَحۡسَبُ﴾ [الآية 5] أي جنس الإنسان ﴿أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٌ﴾ [الآية 5] فينتقم منه ﴿يَقُولُ﴾ [الآية 6] يوم الحسبان ﴿أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا﴾ [الآية 6] كثيراً والمراد ما أنفقه سمعة ومفاخرة.

﴿أَيَحۡسَبُ أَن لَّمۡ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧﴾ [الآية 7] حين كان ينفقه أو بعد ذلك فيسأله عنه، يعني أن الله يراه فيجازيه أو يجده فيحاسبه عليه.

﴿أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ۝٨﴾ [الآية 8] يبصر بهما من أمور ظواهره ﴿وَلِسَانٗا﴾ [الآية 9] يترجم عن ضمائره ﴿وَشَفَتَيۡنِ﴾ [الآية 9] يستر فهما بهما فاه ويستعين بهما على مدّعاه من النطق والأكل والشرب وغيرها.

﴿وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ۝١٠﴾ [الآية 10] ألهمناه طريق الخير والشر أو الثديين، وأصل النجد المكان المرتفع الشأن..

قال ابن عطاء: عيناً في رأسه يبصر به آثار الصنع وعيناً في قلبه يرى مواقع العيب.

وقال الواسطي: عيناً عاماً يرى به الكون وعيناً خاصاً يرى به المكوّن.

وقال الأستاذ: أي خلقته سميعاً وبصيراً متكلّماً انتهى. ولعل السمع يستفاد من اللسان لتلازمهما في معرض البيان إذ كل من يكون أصم يكون أبكم والله أعلم.

﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ﴿١١﴾﴾ [الآية 11] فلم يشكر تلك النعمة باقتحام العقبة وهو الدخول في أمر شديد الكلفة، والعقبة الطريق في الجبل كالثنية استعير في الكلام لما فسر به من الفك والطعام في قوله: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ﴿١٤﴾ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ ﴿١٦﴾﴾ [الآيات 12-16] لما فيهما من مجاهدة النفس في المكابدة ثم المسغبة والمقربة والمتربة مفعلات من مسغب إذا جاع وقرب في النسب، وترب إذا افتقر. وقرأ أبو عمرو وابن كثير والكسائي: فك رقبة أو أطعم بصيغتي الماضي على الإبدال من اقتحم. وقوله: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ﴿١٢﴾﴾ [الآية 12] اعتراض معناه إنك لم تدر كنه صعوبتها وغاية مثوبتها.

وقال القاسم: ﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ﴿١١﴾﴾ [الآية 11] أي في مجاهدة النفس الصعبة ألا ترى إلى قوله: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾﴾ [الآيتان 12،13] وهو أن تعتق نفسك من رقّ الخلق وتشغلها بعبودية الحق. وقيل: فك رقبة من الطمع والمذلة.

وقال أبو عثمان المغربي عند قوله: ﴿فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ﴾ [الآية 14] هو أن تجوع عشرة أيام فيفتح / لك بطعام فتؤثره فيكون مسغبة ومن يأكله في نظرك. 398/ أ
وقال جعفر الصادق في قوله: ﴿يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ﴿١٥﴾﴾ [الآية 15] هو ما تقرب به إلى الرب في تعهد الأيتام وتفقدهم في الأيام.

وقال الأستاذ: العقبة هي واسطة بين الجنة والنار يجاورها الأبرار.

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الآية 17] عطف على اقتحم بثم لتباعد الإيمان عن العتق والإطعام في الرتبة لاستقلاله واشتراطه سائر الطاعات ﴿وَتَوَاصَوۡاْ﴾ [الآية 17] فيما بينهم ﴿بِٱلصَّبۡرِ﴾ على الطاعة ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ﴾ [الآية 17] على

البرية ومنه قول الصوفية: مدار العبودية على تعظيم أمر الله والشفقة على خلق الله.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ١٨﴾ [الآية 18] اليمين أو اليمن والبركة ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [الآية 19] المتلوة والمنصوبة من الكتاب والحجة ﴿هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ﴾ [الآية 19] الشمال أو الشؤم والهلكة ﴿عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ ٢٠﴾ [الآية 20] مطبقة مغلقة. وقرأ أبو عمرو وحمزة وحفص بالهمزة من آصدته بمعنى أوصدته.

وأفاد الأستاذ: أن العقبة التي يجب على الإنسان اقتحامها نفسه هو إعتاق رقبته من رقّ الأغراض ويكون فك الرقبة بأن يهدي من يفكه من رق هواه ويرشده إلى سلامته من شح نفسه وملامته ويرجع إلى الله ليخرج عن مذلّته ويكون فك الرقبة بالتحرُّز عن التدبير والخروج عن ظلمات الاختيار إلى سعة حسن الرضا بالقضاء والتقدير.

سورة الشمس

[مكيّة]
وهي خمس عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله كلمة تخبر عن جلال أزلي وجمال أبدي، جلال ليس له زوال وجمال ليس له انتقال، جلال لا بأغيار وأمثال وجمال لا بصورة ومثال، جلال من كاشفه به فأوصافه فناء في فناء ومن لاطفه به فأحواله بقاء في بقاء.

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۝١﴾ [الآية 1] أي وضوئها إذا أشرقت أو وقت ضحاها إذا ارتقت ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ۝٢﴾ [الآية 2] تبع طلوعه طلوعها أول الشهر أو غروبها ليلة البدر أو تلاها في الاستدارة والقدر.

﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ۝٣﴾ [الآية 3] أظهرها فإنها تتجلى بزيادة الأنوار إذا انبسط النهار.

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ۝٤﴾ [الآية 4] يغطي ضوءها، ولعل العدول إلى المضارع رعاية الفاصلة.

﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ۝٥﴾ [الآية 5] أي مَن بناها أو الشيء القادر الذي بناها ودل على وجوده وكمال قدرته ووجوده بناؤها، وقيل: ما مصدرية فيها وفي ما يليها.

﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ۝٦﴾ [الآية 6] أي بسطها ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧﴾ [الآية

7] أي أجزاءها وأعضاءها والتنكير في نفس للتكثير ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَلهَا ﴿٨﴾﴾ [الآية 8] إلهام الفجور والتقوى إفهامهما وتعريف حالهما والتمكين من الإتيان بهما.

398/ ب قال القاسم: ألهم أهل السعادة التقوى/ وأهل الشقاوة الفجور.

قال الأستاذ: أي بأن خذلها ووفقها. ويقال: فجورها حركتها في طلب الرزق والتدبير وتقويها سكونها بحكم التقدير. وقيل: طريق الخير والشر.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّلهَا ﴿٩﴾﴾ [الآية 9] أي طهَّر نفسه عن الرذائل وأنماها بالفضائل.

وقال الأستاذ: أي مَن زكاه الله عن التعلق بما سواه وهو جواب القسم. قيل: وحذف اللام لطول الكلام وفيه أن طوله يستدعي زيادة الاهتمام وإتيانه على وجه التمام.

﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّلهَا ﴿١٠﴾﴾ [الآية 10] نقصها وأخفاها بالجهالة والضلالة وإعلال دسّى كتقضى.

قال أبو عثمان: أفلح من نظر من أين كسب مطعمه وخسر من غفل عن ذلك لحرصه وطمعه.

وقال أبو بكر بن طاهر: أفلح من طهر سرّه عن التدنس بالدنيا وخاب مَن أشغل سرّه بها وغفل عن العقبى. وقيل: أفلح مَن أقبل على ربّه وخاب مَن أعرض عنه بقلبه. وقيل: دسّاها في جملة الصالحين وليس منهم. وقيل: جعلها خسيسة ولم يجعلها نفيسة.

وقال الأستاذ: أي نفس دسّها الله. قلت: فيكون المعنى قد أفلح من زكاها الله، ويؤيد ما ورد: اللهمَّ آت نفسي تقواها وزكها أنت وكيلها ومولاها.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ⑪﴾ [الآية 11] بسبب طغيانها وتجاوز شأنها، وأصله طغياً قلبت ياؤه واو تفرقة بين الاسم والصفة.

﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ﴾ [الآية 12] حين قام ﴿أَشْقَىٰهَا﴾ [الآية 12] أشقى ثمود وهو قدار ابن سالف وفضّل الشقاوة لعقر الناقة ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الآية 13] صالح عليه السلام ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 13] ذروها واحذروا أذاها ﴿وَسُقْيَٰهَا﴾ [الآية 13] ولا تمنعوها عنها ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ [الآية 14] فيما حذّرهم منه من حلول العذاب إن فعلوه ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ [الآية 14] نسب إليهم لأنهم رضوا بعقرها ﴿فَدَمْدَمَ﴾ [الآية 14] طبق العذاب ﴿عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ﴾ [الآية 14] بسبب كسبهم من شركهم وعقرهم ﴿فَسَوَّىٰهَا﴾ [الآية 14] فسوى الدمدمة بينهم أو العقوبة عليهم فلم يفلت صغير ولا كبير منهم ﴿وَلَا يَخَافُ﴾ [الآية 15] التي فعلها بهم، أي الله ﴿عُقْبَٰهَا﴾ [الآية 15] عاقبة الدمدمة والعقوبة التي فعلها بهم، والواو للحال. وقرأ نافع وابن عامر فلا بالعطف.

سئل الجنيد هل يسقط الخوف، قال: كل ما كان العبد أعلم بالله كان أشد خوفاً منه، ذكره السلمي وهو مستفاد من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فَاطِر: الآية 28] ومن حديث: «أنا أعلمكم بالله وأشدكم خشية»[1].

(1) تفسير القشيري (5/ 50).

سورة الليل

[مكيَّة]

وهي إحدى وعشرون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: اسم من تجرَّد في طلبه عن الكسل ولم يستوطن مركب العجز والفشل ووضع النظر مواضعه وصان بدليل العقل إلى عرفانه فإن بنان
399/ أ روحه ونفسه وودّع في الطلب روحه وأنسه/ ولم يعرّج في أوطان الغفلة ظفر بحكم الوصل إلى شهود سلطانه والناس فيه بين موفق ومخذول ومؤيد ومردود.

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١﴾ [الآية 1] يستر الأشياء والشمس أو النهار أو الأفق بظلامه.

وقال الأستاذ: دليل أصحاب التجبُّر يستغرق جميع أقطار أفكارهم فلا يهتدون الرشد أي إلى أنوارهم وأسرارهم.

﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢﴾ [الآية 2] ظهر بزوال ظلمة الليل واستارها أو تبين بطلوع الشمس وأنوارها.

وقال الأستاذ: ونهار أهل العرفان بضياء قلوبهم وأسرارهم حتى لا يخفى عليهم شيء من أمرهم فسكنوا بطلوع الشمس الوهَّاج عن تكلُّف إيقاد السراج.

﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣﴾ [الآية 3] وقرىء الذي يدل أي القادر الذي أوجد صنفيّ الذكر والأنثى من نطفة إذا تمنى. وقيل ما مصدرية.

وقال الأستاذ: أي ومن خلق الذكر والأنثى ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾﴾ [الآية 4] جمع شيّت أي مساعيكم لأنواع أشتات مختلفة وفيه إيماء إلى أنه سبحانه كما أنه أبدع الخلق بحسب الصورة نوَّع الخلق باعتبار السيرة. وقد ورد أن الله قسّم أخلاقكم كما قسّم أرزاقكم فسبحان مَن أقام العباد فيما أراد، وقد قال ﷺ: «كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها»[1].

قال ابن عطاء: باطن هذه الآية أن يرى سعيه قسمة من الحق من قبل التكوين والتخليق لقوله: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ﴾ الزخرف: الآية 32]. وأن للسعي مراتب كمراتب المتصلين بالسلطان الواصلين إليه والندماء والجلساء وأصحاب الأسرار الواقفين لديه كذلك سعي المريدين والمرادين والعارفين والمشتاقين والواصلين والفانين عن أوصاف الخلق والمتصفين بنعوت الحق وهذا مما لا غاية له ولا نهاية ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾﴾ [الآية 4].

وأفاد الأستاذ: إن هذا جواب القسم أي إن عملكم لمختلف فقوم سعيه في طلب دنياه وآخر سعيه في شهوات نفسه واتباع هواه، وآخر في طلب جاهه ومناه، وآخر في طلب عقباه، وآخر في تصحيح تقواه، وآخر في تصفية ذكراه، وآخر في القيام بحسن رضاه، وآخر في طلب مولاه، ومنهم من يجمع بين سعي النفس بالطاعة وسعي القلب بالإخلاص وسعي البدن بالقرب وسعي اللسان بالذكر والقول الحسن ودعوة الخلق إلى الحق، ومنهم من سعيه في هلاك نفسه وما فيه هلاك دينه، ومنهم ومنهم.

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ﴾ [الآية 5] الطاعة ﴿وَاتَّقَىٰ﴾ [الآية 5] المعصية ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾ [الآية 6] بالكلمة العليا أو بالشريعة الغرّاء ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾﴾ [الآية 7] فسنهيئه للخلة التي تؤدي إلى اليسرى والراحة الكبرى كدخول الجنة وحصول الرؤية.

---

(1) أخرجه مسلم في الصحيح (223/ 1)، وابن ماجه في السنن (1/ 102) رقم (280)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/ 535) رقم (3517)، وابن حبان في الصحيح (3/ 123) رقم (844).

وقال الأستاذ: أي أعطى ما له من طيب قلبه واتقى مخالفة ربه.

399/ب ويقال: أعطى الإنصاف من/ نفسه واتقى أن يطلب الإنصاف لنفسه. ويقال: اتقى مساخط الله ﴿وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦﴾ [الآية 6] بالجنة بالكرَّة الآخرة وبالمغفرة لأهل الكبيرة وبالشفاعة لأرباب النبوَّة والولاية وبالخلف من قبل الله في الدنيا والآخرة.

﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾ [الآية 7] نسهل عليه الطاعات ونكره إليه المخالفات ونشهِّي إليه القرب ونهوِّن عليه الطلب ونحبِّب إليه الإيمان، ونزيِّن في قلبه الإحسان. ويقال: الإقامة على طاعته والعود إلى ما عمله من عبادته.

﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ﴾ [الآية 8] بما أمر به من طاعة المولى ﴿وَٱسْتَغْنَىٰ﴾ [الآية 8] بشهوات الدنيا عن الدرجات العقبى ﴿وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩﴾ [الآية 9] بإنكار مدلولها الأسنى ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ [الآية 10] للخلة المؤدية إلى العسرة والشدة كدخول النار للعقوبة، وسمى طريقة الخير باليسرى لأن عاقبته اليسر وطريقة الشر بالعسرى لأن عاقبته العسر أو أريد بهما طريق الجنة والنار، أي سنهيئهما في الآخرة للطريقين المختلفين للأبرار والفجار.

﴿وَمَا يُغْنِى عَنْهُ﴾ [الآية 11] ما نافية أو استفهامية إنكارية أي ما يدفع عن سوء مآله ﴿مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾ [الآية 11] هلك وضاع حاله أو سقط في حفرة قبره أو في جهنم وقعره.

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ۝١٢﴾ [الآية 12] أي للإرشاد إلى الكمال فضلاً كما أن لنا الإبعاد بالإضلال عدلاً لقوله: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [النّحل: الآية 93] وحذف للاكتفاء أو لتعليم الأدب في مقام الثناء أو المراد بالهداية الدلالة كما قال: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾ [البلد: الآية 10] أي طريقيّ الخير والشر.

﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ۝١٣﴾ [الآية 13] فنعطي في الدارين ما نشاء لمن نشاء من أهل الكونين. قيل: المعنى من طلب الآخرة والدنيا من غيرنا فقد أخطأ الطريق عنا ثم قدَّم الآخرة لأنها الحياة العقبى فالاهتمام بتقديم أمرهما هو الأولى.

﴿فَأَنذَرْتُكُمْ﴾ [الآية 14] خوفتكم كلكم ﴿نَارًا تَلَظَّى﴾ [الآية 14] أي تتلهب ﴿لَا يَصْلَاهَآ﴾ [الآية 15] لا يدخلها أو لا يحرق بها ﴿إِلَّا ٱلْأَشْقَى﴾ [الآية 15] الجامع بين شقاوة الدنيا والآخرة أو بين شقاوة الكفر والمعصية وهو الكافر بخلاف الفاجر فإن شقاوته قاصرة ولذا وصفه بقوله: ﴿ٱلَّذِى كَذَّبَ﴾ [الآية 16] بآيات الله ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ [الآية 16] أعرض عن طاعة رسل الله ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾﴾ [الآية 17] الجامع بين سعدي الشرك والمعصية والعاصي من أهل الإيمان حاله مستور كما في سائر آي القرآن.

﴿ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ﴾ [الآية 18] يصرفه في مصارف الخير لقوله ﴿يَتَزَكَّىٰ﴾ [الآية 18] فإنه بدل من يؤتى أو حال من فاعله أي يتطهر من الذنوب ويتنظف من العيوب.

قال ابن عطاء: الزهاد هم المتقون والأتقى من تركها جملة وأعرض عنها كلية كالصديق أعطى الفاني لربّه وأبقى الباقي لنفسه.

﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾﴾ [الآية 19] فيقصد بإيتائها مجازاتها ولا يفعل هذه ليتخذ عند أحد يطلب منه مكافأتها ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ [الآية 20] استثناء منقطع/ ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [الآية 21] وعد بالثواب الذي يرضاه 400/ أ
في العقبى، والآيات نزلت في أبي بكر رضي الله عنه حين اشترى بلالاً في جماعة يؤذيهم المشركون فأعتقهم ولذا قيل المراد بالأشقى أبو جهل لكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

قال الواسطي: ولسوف يرضى بنا عوضاً عما أنفق لنا فما خسرت تجارة من كنّا له عوضاً.

وقال الجنيد: يصل إليه أنوار الرضا ويتحقق له مقامه برضانا عنه فإنه لا يصل إلى مقام الرضا عن الله أحد إلا برضى الله عنه. قلت: وفي تقديم رضي الله عنهم ورضوا عنه إشارة إلى ذلك كما في قوله: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المَائدة: الآية 54] إيماء إلى ما هنالك.

قال الأستاذ: أي يرضى الله عنه ويرضى هو بما يعطيه الله.

سورة الضحى

[مكيّة]
وهي إحدى عشر آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: اسم من لا يشبهه كفؤ في ذاته وصفاته ولا يستفزه لهو في إثبات مصنوعاته، ولا يعتريه سهو في علمه وحكمته، ولا يتعرض لغو في حكمه وكلمته، فهو حكيم لا يلهو وعليم لا يسهو وحليم يثبت ويمحو، فالصدق قوله، والحق حكمه، والخلق خلقه، والملك ملكه.

﴿وَالضُّحَىٰ (١)﴾ [الآية 1] وقت ارتفاع الشمس وظهور ضيائها وتبيين بهائها ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ (٢)﴾ [الآية 2] سكن أهله في محله أو ركد ظلامه في أهله، وتقديم الليل في السورة المتقدمة باعتبار الأصالة وتقديم النهار هنا باعتبار الشرافة، أو تقديم الليل على النهار للإشعار إلى ما ورد في الأخبار من أن الله خلق الخلق في ظلمة ثم رشّ عليهم من نوره وعكسه للإشارة إلى أن رحمته سبقت غضبه، فالأول بالنسبة إلى وجود الخلق، والثاني بالإضافة إلى شهود الحق، ففيها معنى التفرقة والجمع المطلق. وقيل: قسم به عليه السلام، فالضحى كناية عن وجهه الأنور، والليل عبارة عن شعره الأزهر، أو قسم من سبحانه بتجليات أنوار جماله وسبحات أسرار جلاله.

وقال جنيد: الضحى هو مقام الشهود يعني مقام العين الذي قال فيه: «لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل»[1]. والليل مقام

---

(1) المصنوع في معرفة الحديث الموضوع (1/ 151) رقم (259)، والمقاصد الحسنة (1/ 565) رقم (926)، وكشف الخفاء (2/ 173) رقم (2159).

الغين الذي قال فيه: «إنه ليغان على قلبي».

وقال الأستاذ: أي ليلة المعراج أو حين ينزل الله إلى السماء الدنيا على التأويل الذي يصح في وصفه تعالى.

﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ [الآية 3] ما قطعك قطع المودع أو ما تركك ترك القاطع ويؤيده أنه قرىء بالتخفيف وهو جواب القسم الشريف ﴿وَمَا قَلَىٰ﴾ [الآية 3] وما أبغضك وحذف المفعول استغناء يذكره من قبله ومراعاة لفواصله من شكله. روي أن الوحي تأخر عنه عليه السلام أياماً لحكمة يقتضيها المقام فقال المشركون ومَن عاداه: أن محمداً ودّعه ربّه وقلاه، فنزلت رداً عليهم وزاد في مقام رضاه.

وفي «تفسير السلمي»: ما حجبك عن قربه حين بعثك إلى خلقه/ . 400/ ب

وقال الواسطي: ما أهملك بعد ما في مقام الاصطفاء استعملك.

﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾﴾ [الآية 4] فإنها باقية خالصة عن شوائب الأكدار، وهذه فانية مشوبة بأنواع المضار كأنه لما بيَّن أنه تعالى لا يزال يواصله بالوحي والكرامة في الدنيا من الفتوحات على أمته وعَدَ له ما أعدّ له مما هو أعلى وأغلى وأحلى وأجلى من ذلك في آخرته. والمعنى ونهاية أمرك خير من بدايته. فإنه لا يزال يتصاعد في الرفعة والكمال وقد يقال في جميع الأحوال للحالة ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾﴾ [الآية 4] كما يشير إلى قوله: «وإنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله سبعين مرة»[1] يعني من التوقف في الحالة السابقة لعدم الاطلاع على ما له من الترقي في الحالة اللاحقة وذلك لأن السير في الله لا يتناهى لا في الدنيا ولا في العقبى. وقوله والدنيا مزيد بيان لترقيات المريد على وجه التأبيد والتأييد.

وقال سهل: ما ادخر ربك في الآخرة من المقام المحمود محل الشفاعة

---

(1) ورد بلفظ: مائة مرة. انظر ما أخرجه مسلم في الصحيح (2702/ 41)، والحاكم في المستدرك (1/ 691) رقم (1882)، والطبراني في المعجم الكبير (1/ 302) رقم (887)، وابن حبان في الصحيح (3/ 211) رقم (931).

خير مما أعطاك في الدنيا من مرتبة النبوة والرسالة.

وقال يحيى بن معاذ: الدنيا لا تُنال إلا بالمحنة والآخرة لا تُنال إلا بالمشقة فاطلب لنفسك أبقاهما.

وقال جنيد: ترك الدنيا شديد وفوت الآخرة أشد. قلت: قال تعالى: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْأَخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [طه: الآية 127].

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾ [الآية 5] وعد شامل لما أعطاه الله من كمال النفس وظهور أمره على مَن عاداه. ولما أدخلوه مما لا يعرف كنهه سواه، واللام للابتداء ودخل الخبر بعد حذف المبتدأ والتقدير: ولأنت سوف يعطيك ربك فترضى غاية الرضا فإنك دائماً في مقام الرضا بالقضاء ولذا قيل له: افترضى بالعطاء عن المعطي، فقال: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا﴾ [الآية 6] [أي متفرداً لكمال القابلية، متوحداً بانقطاع نسبتك عما سواك فآواك إلى حضرت أحدية الجمع التي هي المقام المختص بك][1] ﴿فَـَٔاوَىٰ ۝٦﴾ [الآية 6] تعديد لما أنعم عليه تنبيهاً على أنه كما فيما أمضى أحسن إليه كذلك يحسن فيما يستقبل لديه وذلك أن أباه مات وهو جنين قد أتت عليه ستة أشهر وماتت أمه وهو ابن ثماني سنين فكفله عمه أبو طالب وعطفه الله عليه فلمّه لديه وأحسن في تربيته إليه.

﴿وَوَجَدَكَ﴾ [الآية 7] من الوجود بمعنى العلم ويتيماً مفعوله الثاني والمصادفة ويتيماً حال وفيه إيماء إلى أنه ذرّ يتيم وجد في بحر الوجود واستغرق في يمّ الشهود.

وقال ابن عطاء: لا يكون الوجدان إلا بعد الطلب وكان طالباً له في الأزل فوجده.

وقال الأستاذ: أي آواك إلى كنف حمايته ورباك بلطف رعايته. ويقال: فأواك إلى بساط القربة بحيث انفردت بمقامك فلم يشاركك أحد في هذه

(1) من هامش المخطوط.

الرتبة، وجدك ضالاً عن تفاصيل الحكم والأحكام مما به أحكام الإسلام فهدى، فعلَّمك بالوحي والإلهام أو ووجدك طالباً للجمال متحيراً في الجلال فهداك بجمعية الحال إلى مقام الكمال.

وقال ابن عطاء: الضال في اللغة هو المحب على وجه الكمال/ أي 401/ أ وجدك محباً للمعرفة الكاملة فمنَّ عليك بالهداية الشاملة وذلك في قصة يوسف عليه السلام: ﴿إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾ [يُوسُف: الآية 95] أي محبتك القديمة لذلك الغلام.

وقال الأستاذ: أي ضالاً فينا متحيراً في الدنيا فهديناك بنا إلينا ودللناك بفضلك علينا وقيل فيما بين قوم ضلال فهداهم بك إلى مقام الكمال، ويقال: ضالاً في المحبة فهديناك بنور القربة. ويقال: ضالاً عن محبتي لك فعرَّفتك بأني أحبك. ويقال: جاهلاً بمحل شرفك وسرك فعرّفتك بقدرك. ويقال: مستتراً في أهل مكة لم يعرفك أحد فهداهم إليك حتى عرفوا ما لديك.

﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا﴾ [الآية 8] فقيراً ذا عيال ﴿فَأَغْنَىٰ﴾ [الآية 8] بما حصل لك من ربح تجارة ومال.

قال ابن عطاء: وجدك فقير النفس فأغنى قلبك بغناه كما قال عليه السلام: «ليس الغنى عن كثرة العرض إنما الغنى غنى النفس»[1].

وقال الأستاذ: أي أغناك عن الإرادة والطلب بأن أرضاك بالقصد في المطلب. ويقال: أغناك بالنبوَّة وبالكتاب والسنَّة. ويقال: أغناك بالله عما سواه. ويقال: أغناك عن السؤال فيما أعطاك ابتداء من النوال.

﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩﴾ [الآية 9] أي لا تغضب عليه وانظر بعين الشفقة والمرحمة إليه. وقرىء: فلا تكهر أي لا تعبّس وجهك لديه.

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (6446)، ومسلم في الصحيح (1051/ 120).

﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ﴾ [الآية 10] للمال أو الطالب للكمال ﴿فَلَا تَنۡهَرۡ﴾ [الآية 10] فلا تزجر بل استقبله بالإقبال وبالجمع بين المعنيين حصل الكشف بأن النشر مرتب على اللف فيبقى قوله: ﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ﴿١١﴾﴾ [الآية 11] فذلك الكلام وخلاصة للمرام كما سيأتي بيان قيامه بهذا المقام.

وقال ابن عطاء: المؤمنون كلهم أيتام الله وفي حجره فلا تقهرهم أي لا تبعدهم عنك ولا تطردهم منك، والسُّؤَّال هم أسراء الله فلا تنهرهم بل ألطف بهم وارحمهم. وقال جعفر الصادق: اليتيم هو العاري عن خلقة الهداية فلا تقنطه من رحمتي فإني قادر أن ألبسه لباس الهداية في النهاية والسائل إذا سألك عني فدله بألطف دلالة عليَّ فإني قريب مجيب.

وقال الأستاذ: أي السائل عنّا المتحير فينا فلا تنهرهم فإنك تهديهم سؤالهم عليهم فلاطفهم في القول إليهم ﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ﴿١١﴾﴾ [الآية 11] فإن التحدُّث بها شكرها وأظهر أنواع شكرها ذكرها ولم يقل سبحانه: فافخر مع أنه الملائم للفواصل للإشعار بأن اللائق في التحدُّث بالنعمة أن يكون شكراً لا فخراً ولذا قال ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا
401/ ب فخر وما من / نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي ولا فخر، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر» رواه أحمد والترمذي وابن ماجه عن أبي سعيد(1).

والمعنى: لا أذكره افتخاراً بل تحديثاً بنعمة ربي اشتهاراً، أو معناه لا أفتخر بهذه المقامات بل أفتخر بقربي إليه في مقام تجليات الذات والصفات.

وقال جعفر الصادق: أخبر الخلق بما أنعمت عليهم بك وبمكانك.

وقال ابن عطاء: حدِّث به نفسك كي لا تنسى فضلي عليك قديماً

---

(1) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح (5/ 587) رقم (3615)، وابن حبان في الصحيح (14/ 398) رقم (6478)، وأحمد في المسند (17/ 10) رقم (10987).

وحديثاً. وجاء في حديث رواه البزي من قراءة مكة عن عكرمة قال: قرأت على إسماعيل فإذا بلغت ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١﴾ [الآية 1] قال لي: كبِّر مع خاتمة كل سورة حتى تختم فإني قرأت على عبد الله بن كثير فأمرني بذلك وأخبرني أنه قرأ على مجاهد فأمره بذلك، وأخبره أنه قرأ على ابن عباس فأمره بذلك، وأخبره أنه قرأ على أبيّ فأمره بذلك، وأخبره أنه قرأ على النبي ﷺ فأمره بذلك[1].

ولعل وجه التكبير في آخر هذه السورة لما ارتفع عنه عليه السلام وكان يشتكي من الضرورة أو يقال: المعنى الله أكبر من أن يقطع عن عبده صحبته الأزلية المستلزمة لمرتبة الرضا الأبدية لأن ما ثبت قدمه استحال عدمه. وقد قال تعالى: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ﴾ [البقرة: الآية 256] وهذا بخصوص أرباب النبوة وأصحاب العصمة لا شك فيه ولا شبهة، بل وكذا بالنسبة إلى أولياء الأمة ولذا قال شيخ مشايخنا أبو الحسن البكري قدِّس سرُّه السوي: إذا دخل الإيمان القلب أمن السلب.

ويؤيده قول بعض العارفين: إن من رجع إنما رجع عن الطريق والله ولي التوفيق. وأما خوف الخاتمة فَلإبهام السابقة لأن السابقة نصحك على اللاحقة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ۝١٠١ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ ۝١٠٢﴾ [الأنبياء: الآيتان 101،102].

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (3/ 344) رقم (5325)، والبيهقي في شعب الإيمان (2/ 370) رقم (2078).

سورة [الانشراح] ألم نشرح

[مكيّة]
وهي ثمان آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: اسم عزيز عزّه مَن التجأ إليه وجلّ من توكل عليه وفاز في الدنيا والعقبى من توسّل به، فمن تقرّب منه قرّبه، ومَن شكا إليه حقق ما له طلبه، ومن رفع قصته إليه قضى أربه.

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾ [الآية 1] لَم نفسّحه حتى وسع مناجاة الحق ودعوة الخلق فكان غائباً آيباً كائناً بائناً، أو ألم نوسعه بما أودعنا فيه من الحكم والأحكام وأزلنا عنه ضيق الجهل وظلام الهام، ومعنى الاستفهام إنكار نفي الإنشراح مبالغة في إثباته. فالتقدير قد شرحنا لك صدرك ولذا عطف عليه.

﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢﴾ [الآية 2] ثقل حملك ﴿ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣﴾ [الآية 3] أي كسره حيث غلبك وهو ما ثقل عليه من فرطاته قبل البعثة حيث قال له: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: الآية 2] أو من خيرته لمقام
402/ أ دعوته لحصول ضيق التفرقة في حالته فأوصل إلى مقام / فضاء الجمع الذي لا تضره الكثرة مع شهود وحدته.

قال جعفر الصادق: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾ [الآية 1] بمشاهدتي ومطالعتي.

وقال سهل: ألم نوسّع سرّك بقبول ما يرد عليك من أنوار المعرفة ووضعنا عنك أعباء النبوّة والرسالة فكنت فيها محمولاً لا حاملاً.

وقال ابن عطاء: ألم نخل سرّك عن الكل فغبت عن مشاهدة الكونين ووضعنا عنك وزرك ألم نزل ملاحظة المخلوقين عن سرك في الدارين ورفعنا لك ذكرك بالنبوّة والرسالة والسيادة وباقتران اسمك باسمي في كلمتيّ الشهادة وجعل طاعتك طاعتي في تحصيل السعادة.

﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ﴾ [الآية 5] كضيق الصدر والوزر الكاسر للظهر ﴿يُسْرًا﴾ [الآية 5] من الوسع والوضع.

وقال أبو بكر الوراق: مع اجتهاد الدنيا جزاء الجنة في العقبى.

﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ [الآية 6] تكرير للتأكيد وتقرير للتأبيد واستئناف وعده بأن العسر في الدنيا مقرون بيسر آخر في ثواب العقبى كما ورد أن للصائم فرحتين فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه، ولذا قال عليه السلام: «لن يغلب عسر يسيرين معرّف فلا يتعدد، واليسر منكر فلا يتحد»[1].

وأفاد الأستاذ: أن العسر الواحد ما كان في الدنيا واليسران أحدهما في الدنيا من الخصب وزوال البلاء والثاني في الآخرة مع حسن الجزاء، فإذا عسر جميع المؤمنين واحد وهو ما نابهم من الشدائد في الدنيا ويسرهم اثنان اليوم بالكشف والصرف وغداً بالجزاء واللطف.

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ [الآية 7] من تبليغ الرسالة ﴿فَٱنصَبْ﴾ [الآية 7] فالغب في العبادة شكراً لما عددناه عليك من النعم الماضية ووعدنا لك بالمنن الآتية، أو إذا فرغت من المجاهدة فاجتهد في المشاهدة، وإذا فرغت في الصلاة والثناء فانصب في السؤال والدعاء، أو إذا فرغت عن عبادة فاجتهد في أخرى وهلم جراً.

وقال جعفر الصادق: اذكر ربك على فراغ منك عما دونه بقلبك.

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (2/ 575) رقم (3950)، والبيهقي في شعب الإيمان (7/ 205) رقم (10010)، ومالك في الموطأ (3/ 633) رقم (1621).

وقال الأستاذ: وإذا فرغت من الصلاة المفروضة فارغب في العبادات النافلة.

﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾ [الآية 8] بالسؤال ولا تلتفت إلى غيره في جميع الأحوال، وقد ورد في دعاء الإمام أحمد: اللهم كما صنت وجهي عن مسجود غيرك فصن وجهي عن مسألة غيرك.

سورة التين

[مكيَّة]
وهي ثمان آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: كلمة تدل على جلال مَن لم يزل يخبر عن جمال من لم يزل ينبه على إقبال من لم يزل يشير إلى إفضال من لم يزل، فالعارف شهد جلاله فطاش، والصفي شهد جماله فعاش، والولي شهد إقباله فارتاش، والمريد شهد أفضاله فلم يطلب مع كفايته المعاش.

﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١﴾ [الآية 1] أقسم بشجرهما أو ثمرهما لأنهما عجيبان من بين أصناف الأشجار وغريبان من بين أنواع الأثمار، فروي أنه أهدي لرسول الله ﷺ طبق من تين/ فأكل منه وقال لأصحابه: «كلوا فلو قلت إن فاكهة نزلت 402/ ب
من الجنة لقلت هذه لأن فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فإنها تقطع البواسير وتنفع من النقرس[1]»[2]، وقد قال ﷺ: «كلوا الزيت وادّهنوا فإنه من شجرة مباركة»[3].

ومر معاذ بن جبل بشجر الزيتون فأخذ منها قضيباً واستاك به وقال:

---

(1) داء يأخذ في الرِّجْل. انظر لسان العرب (6/ 240).
(2) انظر جامع الأحاديث (15/ 389) رقم (15774).
(3) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (19/ 269) رقم (597)، وابن ماجه في السنن (2/ 1103) رقم (3320)، والترمذي في الجامع الصحيح (4/ 285) رقم (1851)، والنسائي في السنن الكبرى (4/ 163) رقم (6702).

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «نِعْمَ السواك الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب بالجفر والصفرة التي في أسافل الأسنان»[1]، وسمعته يقول: «هو سواكي وسواك الأنبياء قبلي»[2].

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أقسم بالتين لما أعظم به المنة على خلقه حيث لم يجعل فيه النوى وخلّصه عن شوائب التنقيص والردى وجعله على مقدار اللقمة لتتكامل فيه اللذة، وبالزيتون لما فيه من المنافع كالاستصباح به والتأدم والاصطباغ فيه.

﴿وَطُورِ سِينِينَ ۝٢﴾ [الآية 2] يعني الجبل الذي ناجى عليه موسى عليه السلام ربّه عزَّ وجلَّ في مقام الكلام، وسينين وسيناء للموضع الذي فيه ذلك المرام. قال الأستاذ: ولموضع قدم الأحباب مزية.

﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣﴾ [الآية 3] أي الآمن أو المأمون يأمن فيه من دخله، والمراد به مكة المعظّمة..

قال ابن عطاء: أمنها بكونك منها فإنك أمان في كل مكان وزمان.

وقال الأستاذ: البلد الحبيب قدر ومنزلة.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ [الآية 4] أي جنس الإنس ﴿فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [الآية 4] تعديل في مقام الإنس حيث خصّ بانتصاب القامة وحسن الصورة وكمال السيرة واستجماع خواص الكائنات ونظائر سائر الممكنات.

قال الصادق: أي في أحسن صورة ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [غافر: الآية 64].

وقال الأستاذ: ذو اعتدال قامة وحسن تركيب أعضائه وهيئته وهذا يدل

---

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (1/ 210) رقم (678).
(2) انظر تخريج الحديث السابق.

على أن الحق ليس له صورة وهيئة لأن كل صفة اشترك فيها الخالق والخلق فالمبالغة للحق كالعلم إلا علم الله والقدرة إلا قدرة الله فلو اشترك الخالق والخلق في التركيب والصورة لكان الأحسن في الصورة الله. فلما قال ﴿ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [الآية 4] علم أن الحق سبحانه منزَّه عن التقويم والصورة انتهى.

وأما ما ورد «أن الله خلق آدم على صورته»[1] فمعناه على صفته من أوصاف الكمال كالحياة والعلم والقدرة والإرادة والكلام، أو على نعت الجامع بين الجمال والجلال كما يشير إليه قوله: «خمّرت طينة آدم بيدي أربعين صباحاً»[2]، وكذا حديث: «قلب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمٰن»[3]. وتوضيحه أن الملائكة مظاهر أسماء الجمال ولذا لا يظهر منهم إلا الطاعة، والشياطين مظاهر أسماء الجلال ولذا لا يتصور منهم غير المعصية، فالمعجون المركّب والنسخة الجامعة لصفات الرب إنما هو الإنسان لظهور الآثار المختلفة فيه من الطاعة والمعصية ولو بالنسيان فلو مال إلى جانب الملائكة غلبهم في الأفضلية، ولو مال إلى طرف الشيطان غلبهم في الشرارة النفسانية ولهذا المعنى استحق بحمل كلفة الأمانة / الدائرة بين الوفاء 403/ أ والخيانة.

﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥﴾ [الآية 5] بأن جعلناه من أهل النار أول أسفل السافلين وهو دار البوار، أو إلى أرذل العمر بأن صيّرناه أعجز العاجزين، فيكون

---

(1) أخرجه مسلم في الصحيح (2841/ 28)، وابن ماجه في الصحيح (12/ 419) رقم (5605)، وأحمد في المسند (2/ 244) رقم (7319).

(2) انظر تخريج الأحياء (9/ 64)، والفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة (1/ 451) رقم (24).

(3) أخرجه الحاكم في المستدرك (1/ 706) رقم (1926)، وابن ماجه في السنن (1/ 72) رقم (199)، والترمذي في الجامع الصحيح (4/ 448) رقم (2140)، وابن حبان في الصحيح (3/ 184) رقم (902).

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الآية 6] منقطعاً ﴿فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ﴾ [الآية 6] غير منقطع إذا عجز عن الطاعة بعذر كمرض وسفر وكبر كما جاء في الخبر، أو غير مقطوع بل موصول إلى أبد الآبدين ولا يبعد أن يقال: جعلنا الإنسان في أحسن صورة من قبول أنوار الهداية وقابلية أسرار الرعاية بحكم «سبقت رحمتي غضبي»[1] ﴿ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥﴾ [الآية 5] من الظلمات الطبيعية والكفافات النفسية ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الآية 6] حيث جمعوا بين الكمالات العلمية القلبية والحالات العملية القالبية ﴿فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ﴾ [الآية 6] غير منقطع عن الأمداد الإلٰهية بل لهم اتصال الفيوض السرمدية والنهوض الأزلية.

﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ﴾ [الآية 7] فأي شيء يكذبك يا محمد بعد ظهور هذه الأدلة ﴿بَعۡدُ بِٱلدِّينِ﴾ [الآية 7] بالجزاء بعد الإعادة، وقيل: الخطاب للإنسان على الالتفات في معرض البيان. والمعنى فما الذي يحملك على تكذيب الدين مع هذا البرهان المبين والبيان المتين.

﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ ۝٨﴾ [الآية 8] صنعاً وتدبيراً وقضاء وتقديراً ومن كان كذلك كان قادراً على الإعادة والجزاء هنالك ويستحب للإنسان أن يقال: هنا بلي لأن لا تبلى بالبلاء.

وقال الأستاذ: أسفل سافلين أي النار والهاوية في أقبح صورة فيكون أول الآية ما للأبرار والفجار وآخرها خاصاً في الكفار كما أن التأويل بالهرم خاص في بعض بني آدم إذ ليس كلهم يبلغون الهرم. ويقال: ﴿ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥﴾ [الآية 5] إلى حال الكفر والشقاوة إلا المؤمنين فإنهم أهل الإحسان والسعادة.

---

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (3194)، ومسلم في الصحيح (2751/ 15)، وأبو يعلى في المسند (11/ 169) رقم (6281).

سورة العلق وقيل: القلم

[مكيّة]
وهي تسع عشرة آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وهي أول سورة نزلت. وقيل: الفاتحة، ذكره القاضي، والصحيح أن أول ما نزل صدر هذه السورة إلى قوله: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [الآية 5] وهو مبدأ النبوَّة، ثم سورة المدثر وهو بدء الرسالة، ثم سورة الفاتحة في ابتداء تكليف الصلاة من العبادة.

قال الأستاذ: كلمة سماعها يوجب أحد أمرين: إما صحواً وإما محواً لمن سمع بشاهد العلم فيستبصر بواضح برهانه ومحواً لمن سمع بشواهد المعرفة لا يتحيّر في جلال سلطانه.

﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ [الآية 1] أي إقرأ القرآن مفتتحاً باسمه أو مستعيناً به.

وأفاد الأستاذ: أن كل الناس كانوا مريدين وهو ﷺ كان مراداً فاستقبله الأمر فقال: «ما أنا بقارىء» فقال: اقرأ كما أقول ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾ [الآية 1] أي الذي خلق الخلق ليظهر صفات الحق ثم أفرد ما هو أشرف جنساً وأظهر نسباً بحسب تعلق الإرادة وأدل على وجوب العبادة من القراءة المرادة بقوله.

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢﴾ [الآية 2] جمع علقة والجمع لأن الإنسان في المعنى الجمعي/ ويترقى من حال التفرقة إلى مقام الجمع ولما كان أول 403/ ب
الواجبات معرفة الله تعالى باعتبار شهوده نزل أولاً ما يدل على وجوده وكرمه

وجوده وكمال قدرته وجمال حكمته.

﴿ٱقۡرَأۡ﴾ [الآية 3] تكريراً للمبالغة في التقرير أو التكثير، أو لما قيل له: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ [الآية 1] فقال: «ما أنا بقارىء» فقيل له: ﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣﴾ [الآية 3] الزائد في الكرم على كل كريم من الخليقة بلهو الكريم وحده على الحقيقة ﴿ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤﴾ [الآية 4] أي الخط، وقد قرىء به والمعنى ليفيد به العلم بالتقييد ويعلم به البعيد.

﴿عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾ [الآية 5] من العلوم الضرورية والكسبية فيعلمك القراءة البديعية وإن لم تكن قارئاً لأنك من الأمة الأمية، وقد عدّد سبحانه مبتدأ أمر الإنسان ومنتهى شأنه إظهاراً لما أنعم عليه وإشعاراً بنقله من أخس المراتب إلى أعلا ما لديه تقرير الربوبية وتحقيقاً لأكرميته وأشار أولاً إلى ما يدل على معرفته عقلاً ثم نبه على ما يدل نقلاً.

﴿كَلَّآ﴾ [الآية 6] قيل معناه حقاً أو إلّا ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ﴾ [الآية 6] ليظهر طاغياً عاصياً ﴿أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ۝٧﴾ [الآية 7] أي رأى نفسه مستغنياً باغياً..

قال ابن عطاء: رؤية الغني يورث الطغيان والبطر لأن الغناء يورث الفخر والفخر يورث الطغيان.

وقال الأستاذ: أي تجاوز حده إذا رأى نفسه أنه استغنى لأنه يعمى عن موضع افتقاره ولم يقل: أن استغنى، بل قال: ﴿أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ۝٧﴾ [الآية 7] فإذا لم يكن معجباً بنفسه وكان شاهداً لمحل افتقاره لم يكن طاغياً.

﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ ۝٨﴾ [الآية 8] أي إلى حكمه رجوع المطيع والعاصي والداني والقاصي، ففيه وعد ووعيد.

﴿أَرَءَيۡتَ﴾ [الآية 9] قرأ الكسائي بحذف الهمزة الثانية حيث جاء، وسهلها نافع وأبدلها ورش، والمعنى أعلمت أو أبصرت ﴿ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ ۝٩ عَبۡدًا﴾ [الآيتان 9،10] أي عظيماً في مرتبة العبادة ﴿إِذَا صَلَّىٰٓ﴾ [الآية 10] في مقام الإرادة،

نزلت في أبي جهل قال: لو رأيت محمداً ساجداً لوطئت عنقه، فجاءه ثم نكص على عقبه فقيل له ما لك، فقال: إن بيني وبينه لخندقاً من نار وهَولاً وأجنحةً، فنزلت: ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَانَ﴾ [الآية 11] العبد المصلي ﴿عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [الآية 11] ﴿أَوْ أَمَرَ﴾ [الآية 12] غيره ﴿بِٱلتَّقْوَىٰٓ﴾ [الآية 12] عن إشراك الله بالسوى ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ﴾ [الآية 13] الناهي كلام ربه ﴿وَتَوَلَّىٰٓ﴾ [الآية 13] أعرض عن طاعة رسوله ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾﴾ [الآية 14] يطلع على أحواله وطغيانه وضلاله.

وأفاد الأستاذ: إن مفعول يرى محذوف أي من الذي يستحقه من هذا صفته والتخويف برؤية الله تنبيه على المراقبة ومن لم يبلغ حال المراقبة لم يرتق منه إلى حال المشاهدة.

﴿كَلَّا﴾ [الآية 15] رد للناهي ﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ﴾ [الآية 15] عما فيه من المعصية ﴿لَنَسْفَعًا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾ [الآية 15] لنأخذن بناصيته ولنسحبنّه بها إلى هاوية، وكتابته بالألف في المصحف على حكم الوقف.

﴿نَاصِيَةٍ كَـٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [الآية 16] بدل من الناصية، وإنما جاز لوصفها بما بعدها ثم وصفها/ بهما وهما لصاحبها على الإسناد المجازي للمبالغة في ذمهما. 404/ أ

﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ [الآية 17] أي محله وأصحاب أنسه ليعينوه في النار الحامية. روي أن أبا جهل مرّ برسول الله ﷺ وهو يصلي فقال: ألم أنهك، فأغلظ لرسول الله ﷺ فقال: أتهددني وأنا أكثر أهل الوادي نادياً، فنزلت: ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾﴾ [الآية 18] ليجروه إلى الهاوية.

﴿كَلَّا﴾ [الآية 19] ردع للناهي ﴿لَا تُطِعْهُ﴾ [الآية 19] نهي للمصلي أي اثبت أنت على طاعتك ﴿وَٱسْجُدْ﴾ [الآية 19] دم على سجودك ﴿وَٱقْتَرِب﴾ [الآية 19] إلى ربك في مقام شهودك. وفي الحديث: «أقرب ما يكون العبد لربه إذا سجد»[1].

(1) أخرجه مسلم في الصحيح (482/ 215)، والحاكم في المستدرك (1/ 395) رقم =

قال الحسين: إن الله تعالى لم يبح للجوارح ترك التحلي بمحاسنها وذلك إظهار للربوبية على العبودية.

وقال الأستاذ: أي اقترب من شهود الربوبية بقلبك وقف على بساط العبودية بنفسك. ويقال: فلتسجد لنفسك واقترب بسترك.

=(969)، والنسائي في السنن الكبرى (1/ 242) رقم (723)، وابن حبان في الصحيح (5/ 254) رقم (1928).

سورة القدر

[مدنيَّة]
وهي خمس آيات

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: كلمة تحضر قلوب العلماء لتأمل الشواهد، وتسكر قلوب العارفين بشراب المحبة إذا وردوا تلك المشاهد، فهؤلاء أحضرهم فبصّرهم وعلى استدلالهم وبحثهم نصرهم، وهؤلاء بشراب محابّه أسكرهم وفي شهود جلاله حيّرهم.

﴿إِنَّآ﴾ [الآية 1] بعظمتنا ﴿أَنزَلۡنَٰهُ﴾ [الآية 1] أي القرآن العظيم ﴿فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ [الآية 1] أي في الوقت الكريم وأضمر للقرآن من غير ذكر في معرض البيان للتلويح إلى أن له النباهة المغنية عن التصريح، وإنزاله فيها بأن ابتدأ إنزاله منها أو إنزاله جملة من اللوح إلى السماء الدنيا على السفرة ثم كان جبريل ينزله نجوماً في ثلاث وعشرين سنة.

قال سهيل: ليلة قدرت لعبادي فيها الرحمة.

وأفاد الأستاذ: إنها ليلة قدر فيها الرحمة لأوليائه ليلة يجد العابدون فيها قدر نفوسهم وسجودهم ويشهد العارفون قدر معبودهم فشتان بين وجود قدر وبين شهود قدر، فلهؤلاء وجود قدر ولكن قدر أنفسهم، ولهؤلاء شهود قدر معبودهم.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۝٢﴾ [الآية 2] في إبهام بيانه تفخيم لشأنه ﴿لَيۡلَةُ

ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾﴾ [الآية 3] ليس فيها ليلة قدر وهي أوتار العشر الأخير عند الأكثر والسابقة فيها على الأظهر الأشهر، والحكمة في إخفائها أن محيي من يريدها ليالي كثيرة طلباً لتحصيلها فتكثر العبادة ويتضاعف ثواب تكميلها ولئلا يتكل الناس عند إظهارها على إصابة الفضل فيها فيفرِّطوا في غيرها، فالقدر بمعنى الفضيلة والعظمة كقوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: الآية 91] أي ما عظَّموه حق عَظَمَتِه، أو سمي بها لتقدير الأمور فيها لقوله سبحانه: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [الدّخَان: الآية 4] ويسلم للحفظة ليلة النصف من شعبان أو بالعكس، فالقدر بمعنى التقدير ومنه خبر: ويؤمن بالقدر بفتح الدال وسكونها
404/ ب وذكر الألف إما للتكثير أو لما روي أنه عليه السلام ذكر إسرائيلياً / لبس سلاحاً في سبيل الله ألف شهر فعجب المؤمنون وتقاصرت إليهم أعمالهم فأعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الغازي[1].

﴿تَنَزَّلُ﴾ [الآية 4] أي تتنزل ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا﴾ [الآية 4] جبريل أو ملك عظيم أو أرواح الأنبياء من عالم الارتقاء إلى الأرض أو السماء الدنيا وإلى المؤمنين من أرباب الأحياء ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن﴾ [الآية 4] والجملة بيان لما في ليلة القدر من الفضل على ألف شهر.

وفي «تفسير السلمي» قيل: نزول الملائكة في تلك الليلة لاسترواح قلوب العارفين بأمره سبحانه للملائكة في زيارة عباده المؤمنين ﴿كُلِّ أَمْرٍ﴾ [الآية 4] من أجل كل أمر قدّر في تلك السنة.

﴿سَلَٰمٌ هِىَ﴾ [الآية 5] أي ما هي إلا سلامة والمعنى لا يقدر الله فيها إلا السلامة ويقضي في غيرها السلامة والعاهة أو ما هي إلا سلام يسلِّم الملائكة الكرام والأرواح العظام فيها على أهل الإسلام وتنوينه للتكثير.

وأفاد الأستاذ: إن مع كل مأمور منهم سلام على الولي انتهى.

---

(1) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (4/ 306) رقم (8305).

والأظهر أن الخبر مقدر أي فيها سلام كثير أو عظيم وهي مبتدأ خبره ﴿حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾ [الآية 5] أي وقت مطلعه أو طلوعه بناء على أنه مصدر ميمي أو اسم زمان. وقرأ الكسائي على أنه مصدر شاذ كالمرجع أو اسم زمان على غير قياس كالمشرق.

وقال الأستاذ: هي باقية إلى أن يطلع فجر ليلة هي قصيرة على الأحباب لأنها في المسامرة والخطاب، وكما قيل:

يا ليلة من ليالي الدّهر قابلت فيها بدرها ببدري
لم يك غير شفق وفجر حتى تولّت وهي بكر الدهر[1]

(1) هذان البيتان منسوبان إلى إبراهيم بن العباس. انظر معجم الأدباء (1/ 34)، ونهاية الأرب (1/ 34).

سورة البيِّنة

[مكيَّة]
وهي ثمان آيات

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: اسم عزيز متصل إليه المذنبون فغفرهم، وتوكل عليه العارفون فجبرهم، وتوسل إليه المطيعون فوصلهم ونصرهم، وتعرّف إليه العاملون فبصّرهم، وتقرّب منه العارفون فقرّبهم، لكنه في جلاله حيّرهم.

﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [الآية 1] أي اليهود الذين قالوا عزير ابن الله والنصارى الذين قالوا المسيح ابن الله والله ثالث ثلاثة ﴿وَٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الآية 1] عَبَدَة الأصنام من أهل مكة منفكين منتهين عما كانوا عليه من الكفر والمعصية ﴿مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ﴾ [الآية 1] أي الرسول صاحب الحجة فإنه مبين للخلق طريق الحق ويؤيده ﴿رَسُولٞ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 2] فإنه بدل من البينة، أو المراد بها القرآن الذي هو حجة لكونه معجزة رسول الله ﷺ مبتدأ خبره ﴿يَتۡلُواْ صُحُفٗا مُّطَهَّرَةٗ﴾ [الآية 2] وإطلاق الصحف باعتبار ما كان في صحف مكرمة أو اعتبار المال المآل في أيدي الأمة وكونها مطهرة إنها لا يمسّها إلا المطهرون.

﴿فِيهَا كُتُبٞ قَيِّمَةٞ ۝٣﴾ [الآية 3] مكتوبات مستقيمة ناطقة عن طريقة قويمة، أو فيها مضمون الكتب المنزلة.

وقال الأستاذ: أي لم يزالوا مجتمعين على تصديقه لما وجدوه في كتبهم
405/أ إلى أن بعثه الله، فلما بُعِثَ / حسدوه وكفروا به، انتهى. وتوضيحه أن أهل الكتاب كانوا يستفتحون على المشركين ويقولون: سيظهر نبي آخر الزمان ونتبعه في الدين وينصره الله على أعدائه ويحصل العزّ والغلبة لأوليائه وكانوا يظنون أنه

من بني إسحاق لأن أكثر أنبياء بني إسرائيل كانوا من نسله فلما جاءهم ما عرفوا من نعته لكن ظهر من نسل إسماعيل كفروا به نفياً وعدواً في حقه وكان المشركون من أهل مكة على ما سمعوا من آبائهم أنه يظهر نبي آخر الزمان من أبنائهم وأنه يكون شرفاً لهم في أثنائهم متواعدين أنه إذا ظهر يوافقونه ويتبعونه على توهم أن الشرك ملة إبراهيم، فما جاء بالإسلام وتوحيد الملك العلَّام انقلبوا عليه ولم يلتفتوا إليه وتعصبوا على باطلهم لديه.

﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الآية 4] عما كانوا عليه بأن آمن بعضهم ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ [الآية 4] وإفراد أهل الكتاب بعد الجمع بينهم وبين المشركين للدلالة على شناعة حالهم حيث تفرقوا مع علمهم ببعث النبي وأتباعه وحسن مآلهم.

﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟﴾ [الآية 5] أي في كتبهم بما فيها ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [الآية 5] لا يشركون به أي وما أمروا هم وغيرهم إلا ليعبدوا الله دون غيره مخلصين له الطاعة عن الرياء والسمعة.

وأفاد الأستاذ: أن الإخلاص أن لا يكون شيء من حركاته وسكناته إلا لله، ويقال: الإخلاص تصفية الأعمال من الخلل في الأحوال، انتهى.

وقال الفضيل: العبادة لغير الله شرك وتركها لغيره رياء والإخلاص أن يخلصك الله منهما ﴿حُنَفَآءَ﴾ [الآية 5] مائلين عن العقائد الزائغة ﴿وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [الآية 5] أي يديموا بإقامة العبادة البدنية والمالية فإنهما عمدة الطاعات الدينية لا سيما والصلاة ناهية عن المعاصي الدنية والأخلاق الردية ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [الآية 5] دين الملة أو القيمة أو دين الأمة المستقيمة أو طاعة القويمة.

وقال الأستاذ: أي الشريعة القيمة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الآية 6] أي السابقين واللاحقين ﴿فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾ [الآية 6] أي يوم القيامة أو في الحال لملابستهم ما يوجب تلك العقوبة ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ [الآية 6] حال كونهم مقيمين بها غير متحولين عنها ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ [الآية 6] الخليقة. وقرأ نافع وابن ذكوان: البرية

بالهمزة على أصل الكلمة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧﴾ [الآية 7] سبق مبنى ومعنى.

﴿جَزَآؤُهُمۡ﴾ [الآية 8] أي ثوابهم على طاعاتهم ﴿عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ﴾ [الآية 8] بساتين إقامة وأماكن نعمة وإدامة ﴿عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ [الآية 8] أي من تحت الأشجار ذوات الأثمار ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ﴾ [الآية 8] مديمين بها سرمداً ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ
405/ ب عَنۡهُمۡ﴾ [الآية 8] استئناف بما يكون لهم زيادة / على جزاءهم لقوله تعالى: ﴿وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ﴾ [التوبة: الآية 72]، ﴿وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ [الآية 8] لأنه سبحانه بلّغهم أقصى أمانيهم مع حصول البقاء ووصول اللقاء، هذا وبلسان الإشارة معناه: تعلق رضى الله عنهم فرضوا عنه إلى الأبد ولولا رضاه السابق لما تصور منهم الرضى اللاحق فالرضاءان متلازمان وإن كانا باعتبار مبدئهما مختلفان كقوله سبحانه: ﴿يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: الآية 54].

وقال جنيد: الرضا يكون على قدر قوة العلم والرسوخ في المعرفة أراد به رضى العبد عن ربه.

وقال السري: إذا كنت لا ترضى عن الله فكيف تسأله الرضا، يعني إن كنت تريد رضا الله فارضى بما قدّره وقضاه أو علا رضاه عنك رضاك عنه.

قال الواسطي: الرضا هو النظر إلى الأشياء بعين الرضى حتى لا تسخط لشيء إلا بما سخط به المولى.

وأفاد الأستاذ: إن معنى الآية لم يبق لهم مطالبة إلا حقها لهم والرضى سرور القلب بمرّ القضاء. ويقال: سكون القلب تحت جريان حكم الرب.

﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية 8] أي ما ذكر من الجزاء والرضا ﴿لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾ [الآية 8] في عالم الفناء ورضي بما جرى به القضاء، وإنما اقتصر على الخشية فإنها ملاك الأمر والباعث على كل ما فيه الأجر.

وقال سهل: الخشية سر والخشوع ظاهر ولعله أراد أن لا يغرك خشوع الظواهر لأن العبرة بأسرار الضمائر.

سورة الزلزلة

[مدنيَّة]
وهي تسع آيات(1)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: كلمة مَن تأملها بمعانيها ووقف على ما أودع في مبانيها رتعت أسراره في رياض من الإنس مونقة، واتفقت أفكاره بلوائح من اليقين مشرقة، فهي على جلال الحق شاهدة، وعلى ما يحيط الذكر ويأتي عليه الحصر زائدة.

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ①﴾ [الآية 1] اضطرابها اللائق بها في الحكمة أو المقدّر لها عند النفخة الأولى أو الثانية.

﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ②﴾ [الآية 2] ما في جوفها من الدفائن أو الأموات من أهلها.

﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ③﴾ [الآية 3] لما يبهرهم من فظيع أحوالها وشنيع أهوالها. وقيل: المراد بالإنسان الكافر الذي لا يؤمن بها.

﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ﴾ [الآية 4] الخلق بلسان قالها أو بيان حالها ﴿أَخْبَارَهَا﴾ [الآية 4] ما لأجله زلزالها وإخراج ما فيها، وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه ينطقها الله فتُخبر بما عمل عليها.

﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ⑤﴾ [الآية 5] بسبب إلهاء ربك إليها بأن أحدث فيها ما دل على الإخبار لها أو أنطقها بها.

(1)كذا في الأصل المخطوط.

﴿يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ﴾ [الآية 6] يرجعون من قبورهم إلى موقف حشرهم ونشورهم ﴿أَشۡتَاتٗا﴾ [الآية 6] متفرقين بحسب مراتب أمورهم أو مختلفين في المسير فريق في الجنة وفريق في السعير ﴿لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [الآية 6] جزاء أعمالهم وفق أحوالهم، وقرىء بفتح الياء أي ليبصروا آمالهم وليعلموا مآلهم.

406/ أ قال سهل: يتبع كل أحد ما كان يعتمده/ ، فمن اعتمد فضل الله اتبع فضله، ومن اعتمد عمله اتبع عمله، ومن اعتمد الشفاعة اتبع الشفاعة.

﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧﴾ [الآية 7] الذرة النملة الصغيرة أو الهباء ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨﴾ [الآية 8].

قال القاضي: ولعل حسنة الكافر وسيئة المجتنب عن الكبائر تؤثران في نقص العقاب والثواب. قلت: كذلك إن الصغيرة قد تكون موجبة للعقوبة إذا لم تكن مكفرة في مذهب أهل السنَّة خلافاً للمعتزلة على أنه لا يلزم في رؤية الأعمال ما يترتب على كل من العقوبة والمثوبة لأنه تعالى قد يثيب فضلاً وقد يعاقب عدلاً وقد يتعلق بعضها بالشفاعة أو تحقق المغفرة.

سورة العاديات

[مكيّة]
وهي إحدى عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: كلمة غيور لا يصلح لذكرها إلّا لسان مصون عن اللغو والغيبة، ولا يصلح لمعرفتها إلا قلب محروس [أي منكوس][1] عن الغفلة والغيبة، ولا يصلح لمحبتها إلا الأرواح، محفوظة عن العلاقة والحجبة.

﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ۝١﴾ [الآية 1] أقسم بإبل الحاج مما يلي ما قاله علي كرّم الله وجهه، أو بخيل الغزاة على ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما، ولا منع من الجمع، تعدو فتضبح ضبحاً، وهو صوت منخرياً أو صدرياً أو خفرياً عند ممدودها ونصبه على الحال سواء نصب بفعله أو يكون مصدراً بمعنى ضابحة.

﴿فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ۝٢﴾ [الآية 2] أي فالتي تورى النار وتخرجها قادحة، والمعنى تورى بحوافرها النار إذا عدت وأصابت بسنابلها الحجارة بالليل إذا جرت. وقيل: المراد بالموريات الأسنة أو النفوس التي تورى الناس بعد انصرافهم من حرب الكفار.

﴿فَالْمُغِيرَاتِ﴾ [الآية 3] تغير بإغارة إبلها على العدو ﴿صُبْحًا﴾ [الآية 3] صباحاً ﴿فَأَثَرْنَ بِهِ﴾ [الآية 4] فهيّجن بذلك الوقت على أن الباء للممارسة أو بالعدو فالباء للسببية ﴿نَقْعًا﴾ [الآية 4] غباراً أو صياحاً.

---

(1) من هامش المخطوط.

﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ﴾ [الآية 5] فتوسطن بذلك الوقت أو بالعدو أو بالنقع والمعنى ما تباث به ﴿جَمْعًا﴾ [الآية 5] من جموع الأعداء أو جمع المزدلفة مع الأحباء هذا وبلسان الإشارة يحتمل أن يكون القسم بالنفوس العادية إثر كمال إسرارهن الموريات بأفكارهن معازف أنوارهن المغيرات على الهوى والعادات وآثارهن إذا ظهر لهن مبدأ أنوار القدس ومنبع أسرار الأنس ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا﴾ [الآية 4] بدا لهن شوقاً إلى مقام المقربين ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥﴾ [الآية 5] من جموع العليين.

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ [الآية 6] أي جنسه ﴿لِرَبِّهِۦ﴾ [الآية 6] لإحسانه ونعمه ﴿لَكَنُودٌ﴾ [الآية 6] لكفور وقلّ ما يوجد فيهم شكور أو لعاص في حاله أو لبخيل في ماله أو جاهل بحاله ومآله، ولذا قيل: يرى ما منه ولا يرى ما إليه.

406/ب قال الواسطي: /يطالع ما جرى منه في طاعة الله ولا يطالع ما جرى إليه من نعمة الله، فإذا شاهدت الأرواح حق استحقاقه للطاعة نسيت قيامها بالعبادات عند المشاهدة.

وأفاد الأستاذ: أنه قد يقال في معنى الكنود: يرى ما إليه من البلوى ولا يرى ما به من النعمى. ويقال: رأسه على وسادة النعمة وقلبه في ميدان الغفلة. ويقال: الكنود هو الذي ينسى النعم والمنن ويعد المصاب والمحن.

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ [الآية 7] أي الإنسان ﴿عَلَىٰ ذَٰلِكَ﴾ [الآية 7] أي كنوده ﴿لَشَهِيدٌ﴾ [الآية 7] يشهد على نفسه لظهور أثره عليه في مقام أنسه، أو أن الله سبحانه على كنوده لشهيد، فيكون جملة معترضة حالية لتأكيد الوعيد.

﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ﴾ [الآية 8] المال الكثير ﴿لَشَدِيدٌ﴾ [الآية 8] لبخيل ممسك في جمعه وحفظه أو حريص قوي مبالغ في تحصيله.

﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ﴾ [الآية 9] بعث ﴿مَا فِى ٱلْقُبُورِ﴾ [الآية 9] من الموتى في موقف الحشر والنشور ﴿وَحُصِّلَ﴾ [الآية 10] جمع عين أو ميّز وبيّن ﴿مَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الآية 10] من خير أو شر من الأمور، وتخصيصه لأنه الأصل ولأنه إذا أظهر ما في الصدر فغيره أولى في عالم الظهور ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ﴾ [الآية 11] وهو يوم القيامة كسائر الأيام ﴿لَّخَبِيرٌ﴾ [الآية 11] عالم بما أظهروا وما أسرُّوا.

سورة القارعة

[مكيّة]

وهي عشر آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: كلمة إذا سمعها العاصون نسوا زلّتهم في جنب رحمته، وإذا سمعها العابدون نسوا صولتهم في جنب نعمته، كلمة من سمعها ما غادرت له شغلاً إلا كفته ولا أمراً إلا أصلحته ولا ذنباً إلا غفرته ولا أرباً إلا قضته.

﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣﴾ [الآيات 1-3] سبق في الحاقة بيان مبناها وعند قوله: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ۝٤﴾ [الحاقّة: الآية 4] بيان معناها.

وأفاد الأستاذ هنا: أن القارعة اسم من أسماء القيامة فاعلة من القرع وهو الصوت بالشدة، سميت بالقارعة لأنها تقرعهم بأهوالها.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣﴾ [الآية 3] تهويل لأحوالهم ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤﴾ [الآية 4] المتفرق في كثرتهم وذلّتهم في بابهم وانتشارهم واضطرابهم ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥﴾ [الآية 5] كالصوف ذي الألوان المندوف لتفرُّق أجزائها وتطايرها في جوّ أهوالها.

وأفاد الأستاذ: إن المعنى فيه أن أصحاب الدعوى وأرباب القوى في الدنيا يكونون أضعف ضعيف حين بعثوا في العقبى فإن القوى تسقط يومئذ

والدعوى تبطل حينئذ.

﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦﴾ [الآية 6] أي بخيرات بأن يكون جميع أعماله طاعات أو بأن رجحت مقادير أنواع حسناته على أصناف سيئاته ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧﴾ [الآية 7] ذات رضاء على أنها فاعلة للنسبة أو مرضية على
407/ أ أنها فاعلة بمعنى معفوله، ووزن الأعمال يكون بوزن / صحف الأعمال على قدر الأحوال.

وأفاد الأستاذ: أنه قد يقال يخلق بدل كل جزء من أفعاله جوهراً فذلك وزن أعماله وحاصل كلامه أنه سبحانه يخلق الأعراض أجساماً ويجعلها ذوات بياض وسواد أقساماً، وهذا أبلغ في باب استيفاء الإعادة إن تعلقت بها الإرادة.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨﴾ [الآية 8] من الطاعات بأن لم يكن له حسنة يعبأ بها في عباداته أو ترجحت سيئاته على حسناته ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩﴾ [الآية 9] أي فمأواه النار أو فأم رأسه ساقطة في النار لأنه من الكفار أو الفجار إلا أن الكافر مخلد فيها والفاجر مخرج منها بالأدلة الثابتة في حقها.

وقال الأستاذ: المراد بهم الكفار، ويؤيد ما اختاره قوله تعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ۝١٠٣﴾ [المؤمنون: الآية 103]، فعلى هذا حكم الفاسق مسكوت عنه في مقام الإنباء ليكون موقوفاً بين مقامي الخوف والرجاء.

ثم قال الأستاذ: إنه لم يرد الخبر بأن الأحوال توزن ويجازى على كل حالة مما هو كسب له أو يوصل إلى أسبابها مما يكسب منه، انتهى. ولا يخفى أن الأعمال باعتبار عمومه الشامل للظاهر والباطن متضمن للأحوال بل مدار الاعتبار على الأحوال فإنها نافعة بدون الأعمال وليست الأعمال كافية بدون الأحوال كما في خبر: «إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أعمالكم

ولكن ينظر إلى قلوبكم ونيَّاتكم»[1]. والحاصل أن العمل بمنزلة الكمية والحال في مرتبة الكيفية ولا يزن الصيرفي إلا النقي لا الردي.

هذا وقيل للواسطي: هل يجوز أن يثقل الموازين بأعمالنا؟ قال: جاز ذلك لا من كل من كثرت أعماله وصفت أحواله بل الله سبحانه يثقل موازين من يشاء ويخفف موازين من يشاء، ألا ترى أن الله يقول: «الميزان بيد الله يرفع الله أقواماً ويخفض آخرين»[2] رفعهم في أزليته قبل كون الكون.

قلت: وكذا وصفهم في أزليته قبل بون البون ويؤيد قوله ما ورد في الدعاء النبوي: «اللهمَّ ثقِّل ميزاني»[3].

والهاوية من أسماء جهنم لكمال هولها جزاء لمن تبع نفسه وهولها بنعت رديئها ولذا قال: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ١٠﴾ [الآية 10] أي ماهيتها وحقيقتها والهاء للسكت وأسقطها حمزة وصلاً.

﴿نَارٌ حَامِيَةُۢ ١١﴾ [الآية 11] ذات حرارة آنية بلغت غايتها ووصلت نهايتها فنسأل الله العافية.

(1) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (7/ 328) رقم (10477)، من دون ذكر «نياتكم».
(2) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (7/ 117) رقم (6557).
(3) أخرجه الحاكم في المستدرك (1/ 724) رقم (1982).

سورة التكاثر

[مكيّة]

وهي ثمان آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: اسم عزيز تقدّس في آزاله عن مكان ولم يحتج في آباده إلى زمان، لا يقطعه حدّ فاني يجوز في وصفه المكان ولا يقطعه عدّ فاني يجوز في وصفه زيادة أو نقصان.

407/ ب ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾﴾ [التّكاثُر: الآية 1] شغلكم التفاخر / بكثرة أقوامكم من أرباب المناهي وأصحاب الملاهي ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾﴾ [الآية 2] أي إلى أن وصلتم إلى ذكر موتاكم في مقام التفاخر عن الأمور التي تعينكم في الدنيا وتعينكم في العقبى، أو معناه ألهاكم التكاثر بالأموال والأولاد في عبادة رب العباد وعن اتخاذ زاد المعاد إلى أن متم وصرتم مضيعين أعماركم في عمارة البلاد.

وفي «تفسير السلمي» قال بعضهم: شغلكم التكاثر بموتاكم عن الحياة بذكر مولاكم.

﴿كَلَّا﴾ [الآية 3] ردع عن تلك الغفلة وتنبيه عن نوم الغفلة فإن العاقل ينبغي أن يكون جميع همه ومعظم سعيه للآخرة وإلا فعاقبة أمره وبال وخسارة وخسرة.

وقال سهل: سيعلم من أعرض عني أنه لا يجد مثلي ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الآية 3] خطأ آراءكم في متابعة أهوائكم إذا عاينتم ما وراءكم وهذا إنذار ليتنبهوا

من غفلتهم وينتهوا عن معصيتهم.

﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾﴾ [الآية 4] تكرير للتأكيد وفي ثم إشارة إلى أن الثاني أبلغ في باب التهديد إلا أن التأسيس أولى، فقد ورد أن الأول عند الموت والثاني في القبر، وقد يقال: الأول في القبر والثاني عند الحشر والنشر.

﴿كَلَّا﴾ [الآية 5] حقاً ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾ [الآية 5] أي لو تعلمون بين أيديكم علم الأمر اليقين لعلمكم ما تستيقنونه عند الموت أو يوم الدين لشغلكم ذلك عن غيره هنالك، فالجواب محذوف ولا يجوز أن يكون قوله: ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾﴾ [الآية 6] لأن وقوعه محقق فلا يصح أن يعلق بل هو جواب قسم مقدر أكد به الوعيد المقرر وأوضح به ما أنذرهم منه بعد إبهامه تفخيماً لأمره.

وقرأ ابن عامر والكسائي بضم التاء فيه بخصومة ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا﴾ [الآية 7] للتأكيد والأولى إذا رأتهم من مكان بعيد، والثاني إذا وردوها أو المراد بالأول المعرفة بالنظر وبالثانية المشاهدة بالبصر ﴿عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾ [الآية 7] أي الرؤية التي هي نفس اليقين فإن علم المشاهدة أعلى مراتب اليقين عند علماء الدين، وأما عند العارفين فالأعلى هو مرتبة حق اليقين ففي تفسير السلمي قيل: علم اليقين ما لا يعترضه الشكوك في أمر الدين.

وقال الحسين: علم اليقين ما يستجلب بالدلائل وعين اليقين ما لا نزاع له ولا اضطراب فيه.

وقال الخراز: عين اليقين هو أن يرفع الحجب عن قلوبهم ويتجلى لأسرارهم وأرواحهم ويكشف عن أوهامهم حتى يرده عين اليقين ويرجعوا عنه سكرى حيارى. وقيل: علم اليقين هو أن تعبد الله كأنك تراه عين اليقين مكاشفة الحق بشهادة الحق، وحق اليقين ما شهد الحق لنفسه بأنه الحق المبين انتهى، وقد يقال لتوضيح الحال بتصريح المثال أنه إذا كان أحد سمع
408/ أ بالغيب تيقن عنده وجود هذا الإرب / فإذا رآه تيقن عنده هذا المطلب، فإذا كله تحقق حقيقة الإرب وانتهى عن الطلب وتأدب في مقام الإرب.

﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ [الآية 8] الذي ألهاكم عن النعيم المقيم وأنهاكم إلى العذاب الأليم. فالخطاب مخصوص بكل من ألهاه دنياه عن طاعة مولاه والنعيم مخصوص بما يشغله عن أمر عقباه. وقيل: يعمّان إذ كل يسأل عن شكره بالقيام في طاعته وذكره.

واختاره الأستاذ حيث أفاد إن المراد جميع ما أعطاهم الله من النعمة يطالبهم بالشكر عليها قال: ومن النعيم الذي يسأل العبد عنه تخفيف الشرائع والرخص في العبادات ويقال: الماء الحار في الشتاء والبارد في الصيف، ومنه الصحة في الجسد والفراغ بالبدن. ويقال: الرضا بالقضاء، ويقال: القناعة بالمعيشة، ويقال: هو المصطفى ﷺ يعني فإنه النعمة الكبرى والوسيلة العظمى إلى قرب المولى في الدنيا والأخرى بل هو جملة النعم بالنسبة إلى عامة الأمم، ولذا فسر قوله تعالى: ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾ [النّحل: الآية 112] أي برسول الله ﷺ والله سبحانه أعلم.

سورة العصر

[مكيَّة]

وهي ثلاث آيات

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: كلمة مَن سمعها لم يدخّر عنها ماله لأنه علم أنه يحمد مآله ومن عرفها لم يؤثر على نفسه لأنه لم يجد بدونها إنسه ومَن صحبها لم يمنع عنها روحه إذ الحياة الأبدية له ممنوحة.

﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١﴾ [الآية 1] أقسم بصلاة العصر لفضله فإنه الصلاة الوسطى عند جمهور العلماء، أو بعصر النبوَّة عموماً أو بخصوص نبوَّة سيد الأصفياء وخاتم الأنبياء أو بجميع الدهر لاشتماله على غرائب القدرة وعجائب الحكمة.

﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢﴾ [الآية 2] لفي خسران في مساعيهم ومكاسبهم ونقصان في صرف أعمارهم في مطالبهم كما قال بعض ذوي الحال: زيادة المرء في دنياه نقصان وزعم غير محض الخير خسران.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الآية 3] بالمتعينات ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الآية 3] من الطاعات والعبادات بتحسين النيات وتزيين الطويات بأنهم اشتروا الآخرة بالدنيا واختاروا رضى المولى على مطالبة النفس والهوى ففازوا بالحياة الأبدية والسعادة السرمدية ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ﴾ [الآية 3] بالثابت الذي لا يصح إنكاره من اعتقاد أو عمل ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [الآية 3] على أمر الحق وصبر الصدق أو عن المعصية أو في المصيبة.

وفي «تفسير السلمي» قيل: التواصي بالحق هو المقام مع الحق والقيام

بأمره على حد الاستقامة وقدم الصدق. وقيل: التواصي بالصبر هو أن لا تشهد البلاء بحال.

وأفاد الأستاذ: أن في التفاسير أن قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الآية 3] يعني أبا بكر أي لأنه أول من آمن وأفضل مَن أيقن ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الآية 3] عمر، أي لأن عمله الصالح في زمانه كثروا واشتهر لقوله عليه السلام: «اللهمَّ أعزّ الإسلام بعمر»[1] ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية 3] عثمان/[2] ولعل وجهه أنه أوصى 408/ ب
إليه النبي ﷺ أنه إن أريد خلعه لا يقبله فإنه على الحق. ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ [الآية 3] علياً ولعل وجهه أنه مأمورٌ بالصبر إلى أن يأتيه زمان ولاية الأمر أو لأنه احتاج إلى صبرٍ كثير مع مخالفيه من البغاة والخوارج وغيره رضي الله عنهم أجمعين.

قلت: فحينئذ يتعين أن يفسر العصر بعصر نبينا ﷺ متضمناً للنسبة المجازية وهو ذكر المحل وإرادة الحال فالقسم في الحقيقة ليس بذلك الزمان بل لما وجد فيه من النبي العظيم الشأن فتكون كقوله: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ [البَلَد: الآيتان 1،2] فيكون الجمع بينهما مفيداً لعظمة زمانه ومكانه لعلو شأنه ورفعة برهانه. ثم قال: والخسران الذي يلحق الإنسان على قسمين في الأعمال ويتبين ذلك في المآل وفي الأحوال ويظهر ذلك في الوقت والحال من القبض بعد البسط والحجبة بعد القربة وللرجوع إلى الرخص بعد إيثار الأشق والأولى بالنص ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية 3] وهو الإيثار مع الخلق والصدق مع الحق ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ [الآية 3] على العافية أي على اغتنامها وسؤال تمامها لقوله عليه السلام: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ»[3] فإن الجمع بينهما هو العافية فنسأل الله العافية وحسن العاقبة فلا

---

(1) انظر تفسير الرازي (17/ 114)، وتفسير النيسابوري (7/ 367)، وتفسير ابن أبي حاتم (5/ 376).
(2) انظر تفسير القرطبي (10/ 180).
(3) أخرجه الحاكم في المستدرك (4/ 341) رقم (7845)، والطبراني في المعجم الكبير (10/ 322) رقم (10786)، وابن ماجه في السنن (2/ 1396) رقم (4170).

صبر أتم منه.

ويقال: الصبر مع الله هو أشد أقسام الصبر انتهى. والمحققون على أن للصبر أقساماً منها الصبر لله أي عن معاصيه وعلى طاعاته لأجل مثوباته وهو للعامة والصبر بالله أي بتأييده وقوته وهو صبر المنسلخ عن حوله وقوته والصبر على الله أي على حكمه وهو صبر السالك الذي بريء عن التصرف والاختيار ويرى أن المتصرف فيه وفي غيره هو الواحد القهار فيصبر على أحكامه مع مكابدة آلامه، والصبر في الله وهو لأجل الحضور والمراقبة والصبر مع الله وهو لأهل القرب والمشاهدة والصبر عن الله وهو لأهل المحبة إذا أراد المحبوب فراق المحب وهو أشدها مرارة ولهذا لما سمعه الشبلي شهق وخرّ مغشياً عليه، وفي هذا المقام قال من قال:

أريد وصاله ويود هجري فأترك ما أريد لما يريد[1]

(1) سبق التعليق على هذا البيت، وفي الهامش كلام غير عربي.

سورة الهمزة

[مكيّة]
وهي تسع آيات

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: اسم مَن لا غرض له في أفعاله، اسم مَن لا عوض عنه في جلاله وجماله، اسم مَن لا يصبر العبد عنه مختاراً، اسم مَن لا يجد الفقير من دونه قراراً، اسم من لا يجد عن حكمه فراراً.

﴿وَيۡلٞ﴾ [الآية 1] أي عذاب عظيم وحجاب جسيم حاصل ﴿لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ﴾ [الآية 1] في عرض المؤمنين ويبالغ في بهتان المطيعين.

وأفاد الأستاذ: إن الهمزة الذي يقول في وجهه واللمزة الذي يقول من خلفه. ويقال: الهمز بتلويح الإشارة واللمز بتصريح العبارة. ويقال: الهمزة الذي يقول ما في الإنسان واللمزة الذي يتكلم بالبهتان.

﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالٗا﴾ [الآية 2] بدل من كل، وفيه إشعار بأن جمع المال هو الذي أطغاه واشتغل عن عيبه واتبع هواه وذهل في محبة مولاه واستعداد زاد عقباه. وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بتشديد الميم لتكثير ما عنده من النعم
409/ أ وفيه إيماء إلى كفران نعمته واستحقاق / عقوبته، وإن زيادة المال نقصان في الحال والمآل ﴿وَعَدَّدَهُۥ﴾ [الآية 2] جعله عدة لنوازل الدنيا أو عدة مرة بعد أخرى، ويؤيد هذا المرام أنه قرىء شاذاً وعدده بفك الإدغام.

﴿يَحۡسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخۡلَدَهُۥ ۝٣﴾ [الآية 3] يظن أن ماله أو كل ماله أبقاه خالداً في الدنيا فأحبه كما يحب الخلود ودوام الوجود أو حب المال أغفله عن الموت

والمآل أو طول الآمال أذهله حتى حسب أنه مخلد في المآل فعمل من لا يظن الموت بحال، وفيه تعريض بأن سبب الخلود في النعم هو السعي لوجه ربه الكريم. وقيل: تقديره أيحسب بهمزة الإنكار.

وقال ابن طاهر: يظن أن ماله يوصله إلى مقام الخلد. وقال بعضهم: جمع المال من علامة الجهل بالمآل وحب المال من علامة النفاق في الأعمال والبخل بالمال من علامة الكفر في الحال. وقيل: من كان غناه بماله فهو فقير ومن كان غناه بجاهه فهو حقير ومن كان غناه بعشيرته فهو أبله ومن كان غناه بمولاه فغناه بمولاه.

وزاد الأستاذ: إن الأنس بغير الله وحشة والعز بغير الله مذلة.

﴿كَلَّا﴾ [الآية 4] ردع له عن حسبانه.

وقال الأستاذ: المعنى ليس كذلك ﴿لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ﴾ [الآية 4] في النار التي من شأنها أن تحطم كل ما يطرح فيها.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ٥﴾ [الآية 5] ما النار التي لها هذه الخاصية وهو تهويل وتنبيه على عدم إدراك حقيقة هذه الماهية.

﴿نَارُ ٱللَّهِ﴾ [الآية 6] تفسير لما قبله أي هي نار الله العظيم البرهان فالإضافة لتفخيم الشأن ﴿ٱلۡمُوقَدَةُ﴾ [الآية 6] التي أوقدها الله وما أوقده لا يقدر أن يطفئه ما سواه.

﴿ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ٧﴾ [الآية 7] لعلو وسائط قلوب أهل العيوب وتخصيصها بالذكر لأن الفؤاد ألطف ما في الأعضاء وأشد تألماً من سائر الأجزاء ولأنه محل العقائد الرديئة ومنشأ الأعمال الدنية وفيه إيماء إلى أن العاصي من المؤمنين ولو دخل النار لا يكون عذابه مثل عذاب الكفار ولذا قيل: التعذيب في حقه التهذيب بالسعير كتنظيف الزلات في الكبر.

﴿إِنَّهَا عَلَيۡهِم﴾ [الآية 8] من فوقهم ﴿مُّؤۡصَدَةُۢ﴾ [الآية 8] مطبقة مغلقة. وقرأ أبو

عمرو وحفص بالهمزة وكذا في الوقف حمزة.

﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ۝٩﴾ [الآية 9] أي موثقين في أعمدة ممدودة. وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عمد بضمتين.

وأفاد الأستاذ: أن نيران المعرفة إذا اتقدت في قلب المؤمن أحرقت كل سؤال وأرب فيه ولذلك تقول جهنم غداً: «جز يا مؤمن فإن نورك قد أطفأ لهبي»[1].

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (22/ 258) رقم (668).

سورة الفيل

[مكيّة]
وهي خمس آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: اسم غني من أطاعه أغناه ومن خالفه أضاعه وأقماه، اسم عزيز من وافقه رقّاه إلى الرتبة / العليا ومن خالفه ألقاه في المحنة الكبرى. 409/ ب

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾﴾ [الآية 1] الخطاب للحضرة النبوية وإن لم يشهد بحسب النظائر تلك القضية لكن لما شاهد آثارها وسمع بالتواتر أخبارها فكأنه رآها وعلمها بأسرارها، ولم يقل ما فعل ليكون إيماء إلى تذكير ما فيها من وجوه الدلالة على كمال علم الله وشموله وعزِّه وشرف رسوله، فإنها من الإرهاصات وهي الكرامات من خوارق العادات مقدمة لثبوت رفعة مرتبة صاحب النبوة إذ روي أن مولده عليه السلام كان تلك السنة وقصتها أن أبرهة ملك اليمن من قبل أصحمة النجاشي بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس (بمعنى المرتفع) فأراد أن يصرف إليها الحاجّ فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلاً (أي قضى حاجته) فأغضبه ذلك فحلف ليهدمنّ كعبته، فخرج بجيشه ومعه فيل قوي اسمه محمود وفيلة أخرى فلما تهيأ للدخول وعبّأ جيشه قدّم الفيل فكان كل ما وجّهوه إلى الحرم برك ولم يبرح وإذا وجهوه إلى اليمن أو إلى جهة أخرى هرول، فأرسل الله طيراً كل واحدة في منقارها حجر وفي رجلها حجران أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة فرمتهم فيقع الحجر في رأس الرجل فيخرج من دبره فهلكوا جميعاً. وكيف نصب بالمصدرية بفعل ألم تر لما فيه من معنى الاستفهام فله الصدارة في المقام فلا يجوز تقدم العامل عليه بل هو معمول فعل مؤخر عنه.

وقال الأستاذ: أي ألم ينته إليك فيما أنزل عليك علم ما فعل ربك بأصحاب الفيل دلالة على تخصيص الله البيت العتيق الذي بناه الخليل الجليل بالحفظ والكلاءة على وجه التبجيل. ثم قال: فلما قرب أبرهة من مكة استاق مائتي بعير لعبد المطلب فأخبر به فركب إليهم فعرفه رجلان فقال: ارجع فإن الملك غضبان، قال: واللات والعزى لا أبرح إلا بإبلي، فقيل لأبرهة: إنه سيد قريش ردّ عليه اليوم إبله فإنه يكون لك غداً إذا هدمت البيت. فردّها عليه فرجع وتعلق بحلقة البيت وكان يقول: اللّهم إن العبد منع رحله فامنع رحلك، انتهى.

وروي أن عير مكة مدحوا عبد المطلب عند أبرهة بأنه يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤوس الجبال فقال له: سقطت من عيني جئت لأهدم البيت الذي هو دينك ودين آبائك وعصمتكم وشرفكم في قديم الدهر فألهاك عنه ذود أُخذ لك، فقال: أنا رب الإبل أطلبه وللبيت رب يمنعه/. 410/أ

﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ﴾ [الآية 2] أي مكرهم في تعطيل الكعبة وتخريب البقعة ﴿فِي تَضْلِيلٍ﴾ [الآية 2] في تضييع بأن دمّرهم وعظم شأنها في نظرهم.

﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا﴾ [الآية 3] أي خضراً من جهة البحر ﴿أَبَابِيلَ﴾ [الآية 3] جماعات متفرقات اسم جمع لا واحد له.

﴿تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾﴾ [الآية 4] من طين متحجر، معرّب سنك كل. وقيل مأخوذ من السجل ومعناه من جملة العذاب المكتوب المدوّن حتى قيل: كتب على كل حجر اسم صاحبه.

﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾ [الآية 5] كورق زرع أكل حبه وبقي تبنه.

قال الأستاذ: إذا كان عبد المطلب وهو كافر أخلص في التجائه إلى الله في استدفاع البلاء عن بيت الله فإن الله ما خيب رجاءه وسمع دعاءه فالمسلم المخلص إذا دعا مولاه لا يرده خائباً في دنياه وعقباه. ويقال: إنما قرب الإجابة منه لأنه لم يسأل الله لنفسه وإنما سأل لأجل البيت المنسوب إلى ربه وما كان لله فهو لا يضيع في أمره.

سورة قريش

[مكيّة]
وهي أربع آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: الباء منه تشير إلى براءة ساحة الموحدين عن حسبان الحدثان وعن شبه مما لم يكن فكان بتمام الانقطاع إلى الله في السراء والضراء والشدة والرخاء، والسين تشير إلى سكونهم تحت جريان ما يبدو من الغيب في جميع أحوالهم، والميم تشير إلى منة الله عليهم في التحقيق لا تحققوا به من معرفته ولا تخلقوا به من طاعته.

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١﴾ [الآية 1] أي اعجبوا لوالفتهم على ما آلفهم فيما بينهم.

﴿إِۦلَٰفِهِمْ﴾ [الآية 2] بدل مما قبله بدل الاشتمال لا من باب الإطلاق والتقييد كما قال بعض أرباب المقال، وقرأ ابن عامر: لإلاف بغير ياء بعد الهمزة وهو مصدر آلف على وزن فاعل قبله أو مصدر ألف كفعل نحو: كتب كتاباً، والأول أنسب للمطابقة والثاني أقرب للمغايرة فيكون معناه لإلفتهم ﴿رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ﴾ [الآية 2] على اليمن لاعتدال هوائه ﴿وَٱلصَّيْفِ﴾ [الآية 2] إلى الشام لاشتداد شتائه. وقريش ولد النضر ابن كنانة رأس قبائلهم وكانوا يسيرون إليهما للتجارة أو لما يحتاجون من الطعام والكسوة وكان أهلهما يعظمونهم ويراعون أحوالهم ويحفظون أموالهم. وقيل: المعنى جعلهم كعصف مأكول لإيلاف قريش وهو بعيد من جهة المبنى والمعنى فإنه سبحانه ما أهلكهم إلا لتعظيم بيته لا

لسكان حرمه فإنهم كانوا كفرة فجرة ليس لهم عظمة ولا حرمة وكان قائله غرّه أنهما في مصحف أبي سورة واحدة وهو غير لازم منه، وقيل متعلق بقوله:
410/ ب ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣﴾/ [الآية 3] والفاء لما في الكلام من معنى الشرط إذ المعنى إن نعم الله عليهم لا تحصى فإن لم يعبدوه لسائر النعماء فليعبدوه لأجل إيلافهم رحلة الشتاء، ويؤيده بحسب المعنى ما ورد: اعبدوا لما يعدوكم من نعمته.

﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ﴾ [الآية 4] أي من أجل جوع بهم أو بدل جوع فيهم ﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾ [الآية 4] أي من خوف التخطف في بلدهم لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: الآية 67].

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أنعم عليهم بأن كفاهم الرحلتين بجلب الناس الميرة إليهم من الشام واليمن، يعني ومن سائر الأطراف بإتيان التحف على وجه الإتحاف كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا﴾ [القَصَص: الآية 57] آمناً يجيء إليه ﴿ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القَصَص: الآية 57] أي قدر الأمن منا ونعمة الرزق عنا.

قال: ووجه المنة في الإطعام والإيمان هو أن يتفرقوا إلى العبادة فإن لم يكن يكفي الأمور لا تسهل له الطاعة ولا تساعده القوة ولا القلب بكل وجه إلا عند السلامة، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ﴾ [البَقَرَة: الآية 155] فقدم الخوف والجوع على جميع أنواع البأساء. قلت: ولعل وجهه أن الجوع أشد بلاء من جهة الباطن كما ورد: اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع»[1] وأن الخوف من الأعداء أشد بلاء من الخارج، ولعل تقديم

(1) أخرجه ابن ماجه في السنن (2/ 1113) رقم (3354)، والنسائي في السنن الكبرى (4/ 452) رقم (7903)، وابن حبان في الصحيح (3/ 304) رقم (1029)، وأبو يعلى في المسند (11/ 297) رقم (6412).

الخوف على الجوع في هذه الآية لأنه في نفس الأمر أشد من الجوع في الصبر، وتقديم الإطعام من الجوع في هذه السورة لأنهم كانوا إليه أحوج لكونهم غالباً في حال الأمن من الخوف.

سورة الماعون

[مكيّة]
وهي سبع آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: كلمة سماعها غذاء أرواح المحبين، ضياء أسرار الواجدين، شفاء قلوب المهيّمين، بلاء مهج المساكين، دواء كل فقير مستكين.

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١﴾ [الآية 1] أي بالإسلام وبالجزاء في دار المقام، والاستفهام بمعنى التعجب والاستعظام والموصول يحتمل الجنس والعهد ويؤيده قوله ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢﴾ [الآية 2] يدفعه دفعاً عنيفاً مع أنه يستحق التكريم وهو أبو جهل كان وصياً ليتيم فجاءه عرياناً يسأله من مال نفسه فدفعه عن حقه، أو أبو سفيان فإنه نحر جزوراً فسأله يتيم لحماً فقرعه بعصاه وما أعطاه.

قال الأستاذ: وإنما يدع اليتيم لأنه نزع الرحمة من قلبه ولا ينزع الرحمة إلا مَن قلبه شقي عند ربه.

﴿وَلَا يَحُضُّ﴾ [الآية 3] أي لا يحثّ أهله وغيرهم ﴿عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ [الآية 3] أي على إعطائه لأنه في شح نفسه وسِرِّ نحله.

﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾ [الآيتان 4،5]
411/أ غافلون عنها لاهون فيها غير سائلين / بها.

وأفاد الأستاذ: أن الساهي عن الصلاة هو الذي لا يصلي ولذا لم يقل

في صلاتهم ساهون ولو قاله لكان الأمر عظيماً انتهى.

وعندي أن قوله: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ٦﴾ [الآية 6] تفسير لما قبله فهم الذين يصلون ولكن عن حقيقة صلاتهم ساهون وعن زبدة عبادتهم غافلون حيث يراؤون الخلق ولا يراعون الحق فيرون الناس بأعمالهم ولا يرون أن الله سبحانه مطلع على أحوالهم، وهذا يشمل صلاة المنافقين والمرائين والغافلين ويؤيد ما قررنا نقل السلمي في تفسير عن بعض العارفين أنهم الذين لا يحضرونها بشهود قلب ورعاية حقوق المناجاة وخشوع الجوارح فيها حيث لا يعلمون أن الصلاة مواصلة بين العبد وبين ربه فإذا لم يراع حقوقها كانت مفاصلة.

وقال أبو العباس بن عطاء: ليس في القرآن وعيد صعب إلا وبعده وعد لطيف غير هذه الآية ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ٤﴾ [الآية 4] ذكر الويل إن صلاها بلا حضور من قلبه فكيف بمن تركها رأساً. وأقول: قد يكون تارك الصلاة من أصلها أقرب إلى المغفرة من أهل النفاق والرياء في العبادة لمخادعتهم الخلق ومطالعتهم الحق واعتماده على كرم الله مع خوفه من العقوبة في دنياه أو عقباه، ولذا قيل: معصية أورثت ذلّاً واستصغاراً خير من طاعة أوجبت عنتاً أو استكباراً.

أو ﴿وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ٧﴾ [الآية 7] أي يتعاور في العادة فضلاً عن الزكاة والصدقة فعن ابن مسعود ما يستعار في العادة كالنار والقدر والدواة والمقدحة ونحوها، وعن عائشة: الماء والنار والملح وأمثالها. وقد يكون منع هذه الأشياء محظوراً إذا استعيرت اضطراراً وقبيحاً في المروءة في غير حالة الضرورة.

وفي «تفسير السلمي» قيل: يبخلون ببذل المال على الخلق والمهج في رضاء الحق كما فعله الصدِّيق لما قال له النبي عليه السلام: «ماذا أبقيت لنفسك، قال: الله ورسوله»(1).

وقال الأستاذ: يدخل فيه البخل بنفع الخلق بما هو ممكن ومستطاع، يعني كالجاه والتعليم والنصيحة والمساعدة والمعاونة والمساهلة في المعاملة.

---

(1) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (2/ 104) رقم (1298).

سورة الكوثر

[مكيّة]

وهي ثلاث آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: اسم جليل يجل العبد بإجلاله ولا يجل هو إلا باستحقاق علوه في آزاله، اسم عزيز من شأن إفضاله وإقباله وأذلّ أعداءه بسلاسله وأغلاله وبالتخليد في جحيمه وأنكاله.

﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾ [الآية 1] فوعل من الكثرة للمبالغة أي الخير المفرط الكثرة من النبوة المرسلة في الدنيا ومرتبة الوسيلة ومقام الشفاعة في العقبى.

411/ب روي عنه ﷺ/: «أن نهراً في الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير أحلى من العسل وأبيض من اللبن وأبرد من الثلج وألين من الزبد، حافتاه الزبرجد وأوانيه من الفضة لا يظمأ من شرب منه وأول من ورد به فقراء المهاجرين الدنس الشّياب الشعث الرؤوس الذين لا يزوجون المنعمات ولا يفتح لهم أبواب السد ويموت أحدهم وحاجته تتلجلج في صدره، لو أقسم على الله لأبرّه»(1)، وهو لا ينافي ما ورد من أنه حوض الكوثر في الموقف على خلاف أنه قبل الصراط أو بعده فإنه ينصب من ذلك النهر فيه. وقيل: المراد كثرة أولاده وأتباعه أو علماء أمته.

(1) تفسير الكشاف (7/ 331)، وتفسير أبي السعود (9/ 205).

وأقول كما قال سيد الورى: «كل الصيد في جوف الفرا»[1].

وقال جعفر الصادق: أي نور في قلبك دلّك علينا وقطعك عمَّا سوانا.

﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ [الآية 2] أقدم على الصلاة الجامعة للعبادات القلبية والقالبية من اللسانية والأركانية خالصاً لوجه الله ذاهلاً عن ملاحظة ما سواه شكراً لما أعطاك من نعماه ﴿وَٱنْحَرْ﴾ [الآية 2] البدن التي هي خيار أموال العرب وتصدق على أهل الاحتياج إلى هذا الأرب. أو المراد بالصلاة صلاة العبيد وبالنحر التضحية بالوجه السديد ليكون جامعاً بين العبادة البدنية والطاعة المالية. وقيل: انحر استقبل القبلة بنحرك أو ارفع يدك في صلاتك إلى نحرك وضع يمينك على يسارك في الصلاة تحت نحرك. ولا يبعد أن يقال بطريق الإشارة: دم على المواصلة في مشاهدة الحق وانحر نفسك بالمقاطعة عن ملاحظة الخلق.

﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾ [الآية 3] أي مبغضك لبغضه لك ﴿هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الآية 3] أي منقطع الخير متصل الشر بأنه في الخير لا يذكر، والمعنى أنه منقطع عن خيرات الدنيا ومثوبات العقبى أو الذي لا عقب له إذ لا يبقى منه نسل ولا حسن نقل وأما أنت فيبقى ذريتك وحسن وصيتك وآثار فضيلتك وأنوار نبوتك إلى يوم القيامة ولكن ما لا يدخل تحت الوصف في الآخرة من أنواع الكرامة.

(1) انظر المقاصد الحسنة (1/ 515) رقم (826)، وكشف الخفاء (2/ 121) رقم (1977).

سورة الكافرون

[مكيّة]
وهي ست آيات

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: كلمة من آمن بها أَمِنَ من زوال النعمى حظي بنعيم الدنيا والعقبى، سعد سعادة لا يشقى، وجد ملكاً لا يفنى، بقي في العز والعلا.

﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝١﴾ [الآية 1] يعني كفرة مخصوصين قد علم الله منهم أنهم غير مؤمنين. روي أن رهطاً من قريش قالوا: يا محمد تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلٰهك سنة، فنزلت: ﴿لَآ أَعۡبُدُ﴾ [الآية 2] في الاستقبال ﴿مَا تَعۡبُدُونَ﴾ [الآية 2] في الحال ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ﴾ [الآية 3] في الاستقبال ﴿مَآ أَعۡبُدُ﴾ [الآية 3] في الحال ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ﴾ [الآية 4] في الحال ﴿مَّا عَبَدتُّمۡ﴾ [الآية 4] في الحال الماضي من الأحوال ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٥﴾ [الآية 5] في وقت ما، ويجوز أن يكون للتأكيد للمبالغة في أمر التوحيد. وإنما قال ما دون من لأن المراد الصفة
412/أ كأنه قال: لا أعبد الباطل/ ولا تعبدون الحق أو لمطابقة المقابلة وموافقة المشاكلة. وقيل: ما مصدرية.

﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ﴾ [الآية 6] الذي أنتم عليه لا تتركونه ﴿وَلِيَ دِينِ﴾ [الآية 6] قرأ نافع وهشام وحفص بفتح الباء وكذا الذي بخلاف عنه، أو ديني الذي أنا عليه لا أفارقه فليس فيه إذن في الكفر لبعض العباد ولا منع عن الجهاد ليكون منسوخاً بآية القتال. وقد فسّر الدين بالحساب والجزاء والعبادة والدعاء فيكون كقوله تعالى: ﴿لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ﴾ [القصص: الآية 55].

وأفاد الأستاذ: أن العبودية القيام بحق أمره على الوجه الذي أمر وبالقدر الذي أمر وفي الوقت الذي أمر. ويقال: صدق العبودية في ترك الاختيار، ويظهر ذلك في السكون تحت تصاريف الأقدار. ويقال: العبودية انتفاء الكراهية بكل وجه من القلب كيف ما صرفك المولى الرب إن كان حالك طوعاً وإلا فتربيتم كرهاً.

سورة النصر

[مدنيَّة]
وهي ثلاث آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: اسم كريم ينصر ويستر ويعلم وعلم ويمدح ولا يفضح ويعفو جميع ما يجترم العبد ويهفو، يعصي العبد على التوالي ويغفر الحق ولا يبالي.

﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ﴾ [الآية 1] إياك على أعدائك ﴿وَٱلۡفَتۡحُ﴾ [الآية 1] وفتح لك مكة بلدة أحبائك، وإنما عبر عن الحصول والوقوع بالمجيء إشعاراً بأن المقدرات الإلٰهية متوجهة من الأزل أوقاتها المعيّنة له فتقرّب منها شيئاً فشيئاً فكأنها تجيء مشياً، والمعنى قد قرب النصر من وقته فكن مترقباً لوروده مستعداً لشكر نعمته.

﴿وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢﴾ [الآية 2] أي يسلمون جماعات كثيرة كأهل مكة والطائف واليمن وهوازن وسائر قبال العرب، ويدخلون حال على أن رأيت بمعنى أبصرت أو مفعول ثان على أنه بمعنى علمت. وكان فتح مكة لعشر مضين من رمضان سنة ثمان ومع رسول الله ﷺ عشرة الآف من المهاجرين والأنصار وطوائف العرب وحين دخلها وقف على باب الكعبة وقال: «لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده»[1] وأقام بها خمس عشرة ليلة ثم خرج إلى هوازن.

---

(1) أخرجه ابن ماجه في السنن (2/ 878) رقم (2628)، والبيهقي في السنن الكبرى (8/ 68) رقم (15896)، وابن حبان في الصحيح (13/ 364) رقم (6011).

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ [الآية 3] فتعجب لتيسير الحق ما لم يخطر ببال أحد من الخلق حامداً له على فتحه، أو فصلِّ له حامداً على نعمه. روي أنه لما دخل الكعبة وصلى ثمان ركعات أو فأثنى على الله تعالى بصفات الجلال حامداً له على نعوت الجمال ﴿وَٱسْتَغْفِرْهُ﴾ [الآية 3] هضماً لنفسك واستصغاراً لعملك واستدراكاً لما فرط منك بالالتفات إلى عز ربك. فعنه عليه السلام: «إني لأستغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة»[1]. وقيل: استغفره لأمتك وتقديم التسبيح والحمد على الاستغفار عن طريق التنزل من المؤثر إلى الآثار كما قال الشبلي: ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبل أن كان في آزاله/ ﴿إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾ [الآية 3] 412/ ب
موصوفاً بقبول التوبة لمن استغفر عن سوء أعماله أو رجّاعاً بالمغفرة والرحمة لمن رجع عن مساوىء أحواله.

والأكثر على أن السورة نزلت قبل فتح مكة وأنه نعي لرسول الله ﷺ لأنه لما قرأها بكى العباس رضي الله عنه فقال عليه السلام: «ما يبكيك، قال: نعيت إليك نفسك، قال: إنها لكما تقول»[2] وذلك لدلالتها على تمام الدعوة وكمال أمر النبوة واستقامة حال الأمة فهي كقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المَائدة: الآية 3] فإن الكمال يؤذن بالزوال إلا كمال الملك المتعال فإنه لا يزال بخلاف كمال غيره فإن حصوله بالانتقال من الحال إلى حال.

وقال ابن عطاء: إذا شغلك به عما دونه فقد جاءك الفتح من عنده، والفتح هو النجاة من السجن والبشرى بلقاء الله.

وقال الواسطي: إذا فتح عليك العلوم فسبِّح بحمد الله واستغفره عما صدر عنك من قلة العلم مما أريد منك.

وأفاد الأستاذ: أن النصر من الله سبحانه له بأن أفناه عن نفسه وأبعد

---

(1) سبق تخريجه.
(2) أخرجه الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (4/ 319) رقم (1556).

عنه أحكام البشرية وصفّاه عن الكدورات النفسانية، وأما الفتح فهو أن رقّاه إلى محل الدنوّ والقربة واستخلصه بخصائص الزلفة وألبسه لبسة الجمع واصطلمه عنه بالحفظ والمنع وأظهر عليه ما كان قبل مستوراً لديه من أسرار الحق وأنوار الصدق وعرّفه من كمال معرفته به لديه ما كان جميع الخلق متعطشاً إليه.

سورة اللهب [المسد]

[مكيَّة]
وهي خمس آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: كلمة جبَّارة للمذنبين تجبر أعمالهم وتحقِّق آمالهم، وللعارفين تُصغر في عينهم أحوالهم وتكمل عن شواهدهم امتحانهم واستئصالهم. وفي التحقيق حقق بذلك بعد فنائهم عنهم وصالهم.

﴿تَبَّتْ﴾ [الآية 1] خسرت وهلكت ﴿يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾ [الآية 1] أي نفسه، وقيل إنما خصتا لأنه عليه السلام لما نزلت ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشُّعَرَاء: الآية 214] جمع أقاربه فأنذرهم فقال أبو لهب هنالك: ألهذا دعوتنا، وأخذ حجراً ليرميه به. وقيل: المراد بهما دنياه وأخراه وإنما كنّاه والتكنية تكرمة لاشتهاره بها أو لأن اسمه عبد العزى فاستكره ذكرها أو لأنه لما كان من أهل النار كانت الكنية أوفق بحاله وأنسب وليجانس قوله: ﴿ذَاتَ لَهَبٍ﴾ [الآية 3]. وقرىء أبو لهب كما كتب علي بن أبي طالب..

قال أبو بكر بن ظاهر: أي ظهر خسران مَن لم ينزلك المنزلة التي نزلناك من الدنو والقربة والمحبة والنبوة خسراناً أولاً وآخراً ﴿وَتَبَّ﴾ [الآية 1] إخبار بعد إخبار للتأكيد في باب الإظهار والتعبير بالماضي لتحقق وقوعه الآتي أو لما سبق في علمه وقضائه الأزلي، ويدل عليه أنه قرىء: وقد تب أو الأول إخبار عما كسبت يداه/ والثاني عن نفسه في مهواه. 413/ أ

﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ﴾ [الآية 2] نفي لإغناء المال عنه حين ينزل به تباب الحال، أي ما أغنى عنه ماله شيئاً من سوء حاله ووخامة مآله، أو استفهام إنكار له ومحله النصب، أي أيّ غناء أغنى ﴿وَمَا كَسَبَ﴾ [الآية 2] أي كسبه، فما

مصدرية أو موصولة أي مكسوبة بماله من النتائج والأرباح والوجاهة والاتباع، أو عمله الذي ظن أنه ينفعه في مقام المرام، أو ولده عتبة وقد افترسه أسد في طريق الشام حال كونه أحاط به جماعة من الأنام ومات أبو لهب بالعدسة [وهي بثرة تخرج بالإنسان تشبه العدس وهي من جنس الطاعون.....](1) بعد وقعة بدر بأيام معدودة وترك ثلاثاً حتى أنتن خوفاً من العدوى، ثم استأجروا بعض السودان حتى دفنوه، قيل في طريق العمرة، وقاربه في هذا الزمان ظالم كنّي بأبي لهب فهو إخبار عن الغيب طابقه وقوعه بلا ريب.

﴿سَيَصۡلَىٰ نَارٗا﴾ [الآية 3] أي نار جهنم يلزمها بعدما يدخلها لا يبرح منها ﴿ذَاتَ لَهَبٖ﴾ [الآية 3] اشتعال وتلهُّب.

﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ﴾ [الآية 4] عطف على المستكن في سيصلى أو مبتدأ أو هي أم جميل أخت أبي سفيان والمشهور أنه بالجيم وأنا أقول بالحاء المهملة لقوله ﴿حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾ [الآية 4] بالرفع على الخبرية أو البداية، يعني حطب جهنم فإنها كانت تحمل الأوزار في معاداة النبي المختار وهي كالحطب من أسباب النار أو حزمة الشوك والمسك والسوان فتنثرها بالليل في طريقه ﷺ. وقرأ عاصم بالنصب على الشتم.

﴿فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ ۝٥﴾ [الآية 5] أي مما مسد يعني من ليف فُتِل وأحكم وتسيد وهو تصوير لها بصورة الحطّابة تحمل الحزمة وتربطها في جيدها تحقيراً لشأنها أو بياناً لحالها في نار جهنم وأهوالها حيث يكون على ظهرها حزمة من حطب جهنم كالزقوم والضريع، وفي جيدها سلسلة من النار والطرف في موضع الحال إذا تمَّ الكلام قبله أو الخبر وحبل مرتفع به.

وقال الأستاذ: أي سحقاً لمن يعرف مرتبة قدرك وبرهانك وبعد المن لم يشهد ما خصصناك به من رفعة محلك وشأنك ومن ناصبك كيف ينفعه ماله والذي أقميناه لأجلك متى تزكو أعماله إن إلى الهوان والخزي مآله وعلى أقبح حال حال امرأته وعياله.

(1) كلام من الهامش.

سورة الإخلاص

[مكيّة]

وهي أربع آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: كلمة عزيزة عزَّ لسان ذكرها وأطيب منه قلب عرفها وأعزّ منه روح أرجها وأشرف منه سرّ شهدها ليس كل من قصدها وجدها ولا كل من وجدها بقي معها وشهدها.

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١﴾ [الآية 1] جواب لما قال المشركون: صف لنا ربك الذي تدعونا إليه، فمعنى هو أي للذي سئل عنه هو أحد بدل أو خبر ثان يدل على مجامع صفات/ الجلال كما يدل الجلال على جميع نعوت الكمال إذ 413/ ب
الواحد الحقيقي ما يكون منزَّه الذات من أنحاء التركيب والتعدد كما هو لازم الممكنات وما يستلزم أحدهما كالجسمية والتجزئة والمشاركة في الحقيقة والماهية كوجوب الوجود ونعت الفردانية والقدرة الذاتية والحكمة التامة المقتضية للألوهية.

قال ابن عطاء: هو هو ولا يقدر أحد أن يخبر عن هويته إلا هو لا عبارة لأحد عنه حقيقة إلّا له عن نفسه فيخبر عن نفسه بحقيقة حقه وغيره يخبر عنه على حد الإذن فيه، وأمره فأخبر عن نفسه بأنه هو الله أشار من نفسه إلى نفسه إذ لم يستحق أحد أن يشير إليه سواه، فمن أشار إليه فإنما أشار إلى إشارته إلى نفسه. فمن تحقق إشارته إلى إشارته بالتعظيم والحرمة كانت إشارته صحيحة على حد الصواب ومن وقعت إشارته على حد الدعوى بطلت

إشارته وتعطلت عبارته وقعدت عن معادن الحقيقة ومنابع الطريقة. وقد يقال: ضمير هو للشأن فيفيد المبالغة في البيان أو للإشارة إلى حضور ذكر الرب في القلب وإيماء إلى أن الله تعالى يتعين للتوجه إليه والإقبال عليه فلا يقتصر إلى التصريح بذكره ولا يذهب الوهم إلى غيره.

﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ [الآية 2] السيد الذي يُصمد إليه في المطالب ويُقصد إليه في المآرب، وقيل الصمد المستغني عن كل أحد، وقيل الصمد الذي لا يدرك حقيقة ذاته وكنه صفاته.

قال جعفر الصادق: جلَّ ربنا أن تدركه العقول والفهوم والعلوم بل كما وصف نفسه والكيفية عن وصف نفسه غير معقول فسبحانه أن يصل الفهوم والعلوم إلى كيفية ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القَصَص: الآية 88] وله الوحدانية الأزلية والأبدية والمشيئة والقدرة الذاتية.

وقال الأستاذ: ويرجع تحقيق قول من قال إنه الذي لا جوف له إلى أنه واحد لا ينقسم في ذاته.

﴿لَمْ يَلِدْ﴾ [الآية 3] لأنه لا يجانس ولم يفتقر إلى ما يعينه أو يخلف عنه لامتناع الحاجة والفناء عليه ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الآية 3] لأنه لا يفتقر إلى شيء ولا يسبقه عدم ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الآية 4] أي ولم يكن له أحد يكافئه ويماثله من صاحبة وغيرها. وقرأ حفص: كفوًا بالواو بدل الهمزة وحمزة بسكون الفاء وصلاً مع الهمزة وبالواو وقفاً.

قال أبو سعيد الخراز: إن الله عزَّ وجلَّ أول ما دعا عباده دعاهم إلى كلمة واحدة فمن فهمها فهم ما وراءها وهو قوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ﴾ [الآية 1] فتم به المراد للخواص ثم زاد بياناً للأولياء فقال: ﴿أَحَدٌ﴾ [الآية 1] ثم زاد بياناً للأصفياء فقال: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ [الآية 2] ثم زاد بياناً فقال: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ
414/أ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الآيتان 3،4] فمن فهم معنى الله/ استغنى به عما سواه فأهل الحقائق استغنوا بالله لعلو مناقبهم وهذه الزيادات لمن

تنزّلت مرتبته عن مراتبهم.

وأفاد الأستاذ: أن السورة بعضها تفسير لبعض من هو الله؟ هو أحد، من الأحد؟ الصمد، من الصمد؟ الذي لم يلد ولم يولد، من الذي لم يلد ولم يولد؟ الذي لم يكن له كفواً أحد. ويقال: كاشف الأسرار بقوله هو كاشف الأرواح بقوله: الله وكاشف القلوب بقوله أحد، وكاشف النفوس بباقي السورة. ويقال: كاشف الوالهين بقوله: هو، والموحدين بقوله: الله، والعارفين بقوله: أحد، والعلماء بقوله: الصمد، والعقلاء بقوله: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الآيتان 3،4].

سورة الفلق

[مكيّة]
وهي خمس آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: اسم عزيز إذا تجلى لقلب فإن لاطفه بجماله أحياه وإن كاشفه بجلاله أباده وأفناه، فالعبد في حالتي بقاء وفناء ونحو وصحو ووجد وفقد.

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ [الآية 1] أي الفجر، ومنه قوله: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ [الأنعام: الآية 96] أو فلق البحر كما وقع لبعض أرباب الفلاح.

وقال محمد بن علي الترمذي: عطف الله على قلوب خواص عباده فقذف فيها النور والضياء فانفلق الحجاب وانكشف الغطاء.

وأفاد الأستاذ: إن الفلق يقال وادٍ في جهنم يستعذ منه جهنم والله أعلم. ثم وجه تخصيص الأول على ما هو المعوّل لأن فيه كفاية شر الليل إذ هو أدهى الويل ولما فيه من تغير الحال إلى حسن المآل وتبدُّل وحشة ظلمة الليل بسرور نور النهار ومحاكاة فاتحة يوم القيامة في دار القرار، وللإشعار بأن من قدر أن يزيل ظلمة الليل قدر أن يزيل عن العائذ ما يخافه من الويل. وتخصيص لفظ الرب في هذه القضية لأن الإعاذة من المضار نوع من التربية.

﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ [الآية 2] أي من الشرور كلها من الاختياري اللازم والمتعدي كالكفر والظلم والطبيعي كإحراق النار وإهلاك السم وفيه إيماء إلى أن

جميع المخلوقات ما يخلو عن شر يفضي إلى بعض الآفات.

﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ﴾ [الآية 3] ليل عظم ظلامه للأشياء ﴿إِذَا وَقَبَ﴾ [الآية 3] دخل ظلامه في كل شيء حتى ملأ الدنيا لأن المضار فيه تكثر والدفع فيه يصعب ويعسر، وفي الحديث أنه ﷺ أخذ بيد عائشة رضي الله عنها ونظر إلى القمر فقال: «تعوذي بالله من شر هذا فإنه الغاسق إذا وقب»[1] أي دخل في الكسوف أو غاب وغرب.

﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾﴾ [الآية 4] أي النفوس من السواحر يعقدن عقداً في الخيط وينفثن عليها حال الربط والنفث نفخ من ريق وتخصيصه لما روي أن يهودياً سحر النبي ﷺ في إحدى عشرة عقدة في وتد ودسه/ في بئر 414/ ب
فمرض النبي ﷺ فنزلت المعوذتان وأخبره جبريل بموضع السحر فأرسل علياً كرَّم الله وجهه فجاء به فقرأهما عليه فكان كلما قرأ آية انحلّت عقدة وحصلت خفة ولا يوجب ذلك صدق الكفرة في أنه مسحور كما أخبر الله عنهم بقوله: ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ [الأنعام: الآية 47] لأنهم أرادوا به أنه مجنون بواسطة السحر أو أنه مستمر السحر مع أن ذاك قول الكفار بمكة المكرمة وهذا أمر عرض بالمدينة المعظَّمة.

﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾ [الآية 5] إذا أظهر حسده وعمل بمقتضاه فإنه لا يعود ضرره منه قبل ذلك إلى المحسود بل يخص بالحاسد لاغتمامه بسروره في حال السعود ومقام الصعود ولذا قيل: الحسود لا يسود.

وأفاد الأستاذ: أن في السورة تعليم استدفاع الشرور من الله ومن صحّ توكله على الله فهو الذي تحقق بالله فإذا توكل لديه وفوّض الأمر إليه لم يوفقه الله لتوكله إلا والمعلوم من لطفه وكرمه أنه يكفيه ما توكل به عليه وأن العبد به حاجة إلى اندفاع البلاء عنه فإن أخذ في التحرز بجلادته وحوله وقوته

---

(1) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (6/ 84) رقم (10138)، وأبو يعلى في المسند (7/ 417) رقم (4440)، وأحمد في المسند (6/ 61) رقم (24368).

وبصيرته وعمي عن شهود التقدير تضاعف عليه البلاء في كل وقت من أوقات وجود التدبير، وإذا صح تبرؤه عن حوله وقوته وتحقق بشهود جريان التقدير فإلى أن يزول البلاء استراح من تعب تردد القلب في أمر التدبير وعن قريب يرقى إلى مقام الرضا كفي مراده أم لا، وعند ذلك لقي الملك الأعظم وارتفع عنه كل الهم والغم فهو وبظاهره لا يفتر عن الاستعاذة بالمولى وقلبه لا يخلو عن التسليم والرضا.

سورة الناس

[مكيّة]

وهي ست آيات

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله الذي قصرت العقول فوقفت، وعجزت العلوم فتحيّرت، وتقاصرت المعارف فخجلت، وانقطعت الفهوم فدهشت، وهو بنعت علائه ووصف سنائه وبهائه وعزّ كبريائه.

﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ [الآية 1] أي خالقهم ومالكهم ومربيهم ومتولي أمرهم، والمعنى قل أعتصم وألوذ من المضارّ البدنية والقلبية التي تعرض النفوس البشرية بربهم الذي يملك أمورهم ويستحق عبادتهم، ولذا أبدل عنه.

﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢﴾ [الآية 2] فإن الرب قد لا يكون ملكاً والملك قد لا يكون إلٰهاً، وتكرير الناس لما في الإظهار من مزيد البيان والإشعار بشرف الإنسان. وقيل: ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الآية 1] أي الأطفال منهم لمناسبة التربية لهم، ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢﴾ [الآية 2] أي الشباب لأن لهم دعوى الملك والملك، ﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾ [الآية 3] أي الشيوخ لوجوب العبودية كما تقتضي النعوت الإلٰهية ﴿مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ﴾ [الآية 4] أي الوسوسة اسم كالزلزال/ بمعنى الزلزلة 415/ أ أما المصدر فبالكسر كالزلزال.

والمراد به الموسوس سمي بفعله مبالغة ﴿ٱلۡخَنَّاسِ﴾ [الآية 4] الذي عادته

الخنس أي يتأخر إذا ذكر الإنسان ربه.

﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ [الآية 5] إذا غفلوا عن ذكر ربهم واشتغلوا بحظ أنفسهم ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ [الآية 6] بيان للوسواس أو يتعلق بيوسوس أي يوسوس في صدورهم من جهة الجنة إنهم يعلمون الأمور الغيبية والناس كالكهان والمنجّمين في تأثير الأدوار الفلكية.

قال يحيى بن معاذ: الوسوسة بذر الشيطان فإن لم تعطه أرضاً وماءً ضاع بذره وبطل أمره وإن أعطيته الأرض والماء بذر فيه فسئل ما الأرض والماء.

قال: الشبع أرضه والنوم ماؤه، يعني من كثر شربه كثر نومه ومن كثر نومه عظم ندمه.

وقال سهل: من أراد الدنيا البحت لم ينج من الوسوسة.

وأفاد الأستاذ: أن الشيطان له تسليط على الناس بالوساوس وأن النفس من قبلها للعبد هواجس، والوساوس والهواجس متقاربان وفرقوا بينهما بأن الشيطان إذا دعاك إلى محظور فإن خالفته يدع ذلك ويدعوك إلى معصية أخرى هنالك إذ لا غرض له إلا إدامة دعائك إلى مطلق زلّة وهي لها غير مختلفة والنفس تدعوك إلى حطها وهي لجوج في مقصدها ولا تنصرف عنك ما لم تصل إلى مرادها فتلح ولا ترضى بدون حصول مطلوبها ووصول محبوبها إلا بمجاهدة صادق في حقها وكل من جاهد بنفسه من غير استعانة بربه وتبرئته وقوته لم يتم له الأمر في مجاهدته وعن قريب سيقع في وهدة غلطه من مشاهدته، وإذا علم الحق سبحانه صدق الاستغناء من عبده أعانه بل إذا أراد الحق إعانة عبد حمله على الاستعانة بربّه من شرّ عدوه والتوكل عليه في

جميع ما يرد عليه في الطريق، وبالله التوفيق.

تمَّ كتاب
«أنوار القرآن وأسرار الفرقان الجامع
بين أقوال علماء الأعيان وأحوال الأولياء ذوي العرفان»

والحق أنه جوهرة منيعة لمعت من معادن الحقائق الربانية ودرة
رفيعة طلعت
من منابع الدقائق السبحانية ليس فيه ما ينافي الطريقة من هو على
الشريعة
والحقيقة فإنه منزَّه عما يقول الحلولية والإلحادية من أصحاب
التفرقة بأن
القراءات العادية غير صحيحة الرواية ولا الإعرابات الغريبة في
مقام الدراية
لا فارض ولا بكر بل بين ما صدر عن نقل أو ظهر

تفسير الملا علي القاري

المسمّى

أنوار القرآن وأسرار الفرقان

الجامع بين أقوال علماء الأعيان وأحوال الأولياء ذوي العرفان

تأليف

نور الدين علي بن سلطان الهروي المكي الحنفي

الشهير بـ: الملا علي القاري

المتوفى ١٠١٤هـ

تحقيق

الدكتور ناجي السويد

المجلد الخامس

من أول سورة الحجرات إلى آخر سورة الناس

منشورات

محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

DKI

بيروت - لبنان